

البرهان والشفقة

مسن

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الأول والثاني والثالث.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ٨ - الرياض، ١٤٣٤هـ

٨٦٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

(في مجلد واحد)

١- الوعظ والإرشاد ٢- الإسلام - مجموعات أ- العنوان

١٤٣٤/٤٠٦

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٤٠٦

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

واللاطفه أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الثامنة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروسة يومية

(١٥٠) درر للشفاعة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا، والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراض واللباس، والمواعظ والرقائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسّير، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلّى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله :-

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابهِ ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّه مؤلفه خمسين ومئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كُلفتُ من قِبَلِ إدارة شؤون الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، بإلقاء كلمات وعظية في مساجد مدينة الرياض، وفي أثناء تنقلي بمساجد المدينة أشار عليَّ بعض الفضلاء من أئمة المساجد بكتابة ما يُلقى من هذه الكلمات؛ لكي يستفيد منها أئمة المساجد وطلبة العلم، وعامة الناس.

فاستخرت الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم شرعت في كتابتها لعل الله أن ينفع بها.

والجزء الأول من كتاب الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، جمعتُ فيه ثلاثين كلمة متنوعة، وقد طُبِعَ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ، ثم بدا لي أن أضيف عليه أربعين كلمة أخرى، فطُبِعَ الكتاب الطبعة الثانية (الجزء الأول والثاني) في مجلد واحد عام ١٤٢٣هـ.

وفي عام ١٤٢٦هـ طُبِعَ الكتاب للمرة الثالثة، بإضافة ثمانين كلمة (الجزء الأول والثاني والثالث) في مجلد واحد، فأصبح المجموع (مئة وخمسين كلمة).

وقد بذلت جهدي ألا أورد فيها من الأحاديث إلا ما صُحِّح، والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الكلمة الأولى

الإخلاص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الأصول المهمة في دين الإسلام تحقيق الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات، قال بعضهم: الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجازٍ سواه^(١).

قال أبو عثمان سعيد النيسابوري: صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر إلى الخالق، والإخلاص: أن تريد بقلبك وعملك وفعلك رضا الله تعالى خوفاً من سخط الله كأنك تراه بحقيقة عملك بأنه يراك حتى يذهب الرياء عن قلبك، ثم تذكر منة الله عليك إذ وفقك لذلك العمل حتى يذهب العجب من قلبك وتستعمل الرفق في عملك حتى تذهب العجلة من قلبك.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا جُعِلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

والعجلة أتباع الهوى، والرفق أتباع السنة، فإذا فرغت من عملك وجل قلبك خوفاً من الله أن يرد عليك عملك فلا يقبله منك. قال الله تعالى:

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٢/ ١٢٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون]،
ومن جمع هذه الخصال الأربعة كان مخلصاً في عمله إن شاء الله (١).

والإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ [الزمر]، وقال سبحانه:
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الملك].
قال الفضيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان
خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل،
حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على
السنة (٢).

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى].

قال أبو العالية: «وصاهم بالإخلاص في عبادته»، والإخلاص
أعظم أعمال القلوب.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «ومن تأمل الشريعة في
مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب،
وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال
الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من

(١) البيهقي في شعب الإيمان رقم (٦٤٧٥) طبعة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

(٢) مدارج السالكين (٢/٦٩).

الأعمال التي ميزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»^(١).

وقال أيضًا: لو نفع العلم بلا عمل لما ذمَّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بغير إخلاص لما ذم المنافقين^(٢).

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: أولاً: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بيَّنه رسول الله ﷺ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْزَوِجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٤).

ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٣٣٠) نقلاً عن كتاب الإخلاص والشرك الأصغر ص ٥.

(٢) الفوائد ص ٦٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

وفقدان الإخلاص سبب لرد العمل. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١) ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾^(٢) [هود].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٠٥). (٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٨١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤).

وروى النسائي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَيْءَ لَهُ». فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغْيَ بِهِ وَجْهَهُ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص^(٢).

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب^(٣).

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، إنها تتقلب عليّ.

وقال سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

وقال بعض السلف: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله، نجا وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب؛ فإن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى^(٤).

والخلاصة: إن الإخلاص لله تعالى وإرادة وجهه رأس مال العبد وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرّة

(١) سنن النسائي برقم (٣١٤٠)، قال النووي: إسناده جيد «الترغيب والترهيب» (١/٦١).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣). (٣) مدارج السالكين (٢/٦٩).

(٤) انظر: «الإخلاص طريق الخلاص» لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ١٧٦.

عينه، ولذلك خُلِقَ وبه أمر، وبذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله وَعَلَيْكَ وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده، ومن كان كذلك كفاه الله كل مهمم، وتولاه في جميع أموره، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات. ومن كان لله كان الله له، حيث لا يكون لنفسه^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٤٠٨، بتصرف.

الكلمة الثانية

السبعة الذين يظلمهم الله في ظله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم].

في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٢) [الحج].

في ذلك اليوم العظيم تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ قَدْرَ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْإِجَامًا^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي ﷺ قال: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

في ذلك الموقف العظيم يظل الله في ظله هؤلاء السبعة، فلتأمل أعمالهم التي أوجبت لهم هذا الجزاء العظيم.

فالأول: الإمام العادل الذي يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾ [ص].

ممثلًا أمر ربه له سبحانه إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ [النساء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا»^(٣).

فهذا ثواب من عدل في حكمه وأعطى الحق أهله، فانظر إلى جزاء من جار في حكمه وظلم ولم يعدل، وأغلق بابه دون أصحاب الحاجات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

(١) معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِيَّ أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ ﻋَلَيْكَ مَغْلُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بَرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوْلَاهَا مَلَأَمَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رِعِيَةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة أنه قال: يا معاوية إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَّا أَعْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ» قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ^(٣).

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحببها إليه، وكره إليه الأعمال السيئة وأعانته على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك، وقد حفظه مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ لمسلم.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٩/٥٦٥) برقم (١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، فاستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

لقد علم أنه مسؤول عن شبابه فيم أبلاه، فعمل بوصية نبيه ﷺ التي أوصى بها حيث يقول: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»^(١).

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، فلا يكاد إذا خرج من المسجد أن يرتاح لشيء حتى يعود إليه، لأن المساجد بيوت الله، ومن دخلها فقد حلَّ ضيفاً على ربه، فلا قلبَ أطيّب ولا نفسَ أسعد من رجلٍ حلَّ ضيفاً على ربه في بيته وتحت رعايته.

وهؤلاء عمّار المساجد على الحقيقة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ، بِالرُّوحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا: بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة: بما أعدَّ لهم من الكرامة في الجنة.

(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٣٤١) رقم (٧٨٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين

ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ١٧٦)، وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٨)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري، وقال إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٦).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلًا» (١) كَلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (٢).

والرابع: رجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة].

روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنْعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» (٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٤).

وهذه إحدى الخصال التي يجد بها العبد حلاوة الإيمان ولذته، فهذان الرجلان لم تجمعهما قرابة ولا رحم ولا مصالح دنيوية، وإنما جمع بينهما حب الله تعالى حتى فرَّق بينهما الموت وهما على ذلك.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه:

(١) نزله: مكاناً ينزله.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٩) واللفظ له.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٩٦٥).

(٤) صحيح مسلم برقم (٥٤).

أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ». فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؟! انْعَتَهُمْ لَنَا - يَعْنِي: صِفَهُمْ لَنَا - فَسَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَفْزَعُونَ؛ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١).

والخامس: رجل دعتة امرأة إلى نفسها، وليست كأي امرأة، بل هي امرأة لها مكانة ومنزلة رفيعة، وقد أعطها الله من الجمال ما يجعل الفتنة بها أشد، والتعلق بها أعظم، فيا الله كيف ينجو من وقع في مثل ذلك الموقف، إلا بإيمان عميق وبصيرة نافذة؟!

قال القاضي عياض: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٣/٥) طبعة دار صادر، وشرح السنة للبخاري (٥٠/١٣ - ٥١) برقم (٣٤٦٤)، وقال محققه شعيب، وزهير: وأخرجه أحمد (٣٤١/٥)، و(٣٤٣) وشهر بن حوشب مختلف فيه وله شاهد بنحوه من حديث ابن عمر. أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٧٠ - ١٧١)، وصححه، وأقره الذهبي وآخر من حديث أبي هريرة عند ابن حبان في صحيحه (٢٥٠٨) وإسناده صحيح.

والجمال من أكمل المراتب، وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله. وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف»^(١).

قال تعالى في هذا وأمثاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَاَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِيهِ، فادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجَهَا عَنْكُمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِثَّتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ ... الحديث»^(٢).

والسادس: رجل تصدَّق بصدقة، وما أكثر المتصدقين! وما أعظم أجورهم عند الله! لكن الذي تميز به هذا المتصدق ونال به هذا الأجر العظيم - وهو إضلال الله له -، إخلاصه في صدقته، فقد بلغ به الإخلاص حتى كاد أن يخفيها عن نفسه لو استطاع. وقد مدح الله المتصدقين، فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ ثُمَّ خَصَّ الْمَسْرِينَ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَكُتُوهُهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٣) واللفظ له.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴿البقرة﴾.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(١).

أما السابع: فرجل امتلأ قلبه بمحبة الله وخشيته وتعظيمه، فذكر الله بمكان خال لا يراه إلا هو، ذكر عظمته وفضله عليه ورحمته فدمعت عيناه شوقاً إليه، وفي هذا وأمثاله يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال: ﴿قَوْلٌ لِّلنَّفْسِیَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٣٩)، وقال: حديث ابن عباس حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤١١٣).

الكلمة الثالثة

التوفيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توفيق الله ﷻ لا غنى للعبد عنه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور].

فمن وفقه الله لتزكية نفسه فقد أفلح وفاز، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعلى]، وأعلى مراتب توفيق الله لعبده: أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «يخاطب الله جل وعلا عباده المؤمنين، فيقول: لولا توفيقي لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم، ولكني حببته إليكم وزينته في قلوبكم، وكرهت إليكم ضده الكفر والفسوق»^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٧).

والتوفيق من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله، إذ لا يقدر عليه إلا هو، فمن طلبه من غيره فهو محروم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه الهداية المذكورة في الآية هي التي يسميها العلماء هداية التوفيق، قال شعيب رضي الله عنه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن القيم رحمته الله: «أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك»^(١) وبهذا جاء التوجيه النبوي الكريم، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ومما يغلط فيه كثير من الناس ظنهم أن من رزق مالا، أو منصباً، أو جاهاً، أو غير ذلك من الأمور الدنيوية، أنه قد وُفق، والأمر ليس كما ظنوا، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وقد ذكر الله هذا عن ذلك الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

والصواب أن الموفق هو الذي إذا أُعطي منصباً، أو جاهاً، استعمله

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٨٨).

في مرضاة ربه، ونصرة دينه، ونفع إخوانه، وإن رُزِقَ مالا أخذَه من حله
وصرفه في طاعة ربه، فإن من حكمة الله تعالى أن يتلي عباده، فالموفق
منهم هو الذي إذا أُعطي شكر، والمخذول هو الذي إذا أُعطي طغى وكفر،
قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾﴾ [العلق].

وقال الله عن نبيه سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرُ أَمْ
أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وتوفيق الله لعباده يكون على أحوال كثيرة، فمنها: أن يعرض الخير
على أناس فيردونه حتى ييسر الله له من أراد به الخير من عباده، وقد
مكث النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يعرض نفسه على القبائل لينصروه،
فلم يستجيبوا له حتى وفق الله الأنصار لذلك، فنالوا الشرف العظيم في
الدنيا والاخرة.

ومنها: أن يوفق الله العبد في آخر حياته لعمل صالح يموت عليه،
فيختم الله به أعماله.

روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي عنه
قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ،
فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا
الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ. وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ
بِي مِنَ النَّارِ» وفي رواية: فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»^(١).

ومنها أن يُوفق الله العبد لعمل قليل أجره عند الله كثير، روى
البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي عنهما قال:
أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُتَّقِعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسَلِّمُ؟

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٦)، وأحمد (٢٦٠/٣) والرواية له.

قَالَ: «أَسْلِمَ ثُمَّ قَاتِلٌ» فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»^(١).

فمن اتقى الله تعالى وملاً الإخلاص قلبه، وعلم الله منه صدق نيته، وأكثر من دعائه، فقد أخذ بمجامع الأسباب الموصلة إلى التوفيق، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٠٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٠).

الكلمة الرابعة

حسن الخلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:
فإن من أفضل الأعمال التي دعا إليها الشرع ورغب فيها حسن الخلق، فهو من أعظم مواهب الله لعباده.

قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤﴾
[القلم]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١٩﴾
[الأعراف].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم، في أقواله وأعماله، وفي عبادته لربه وتعامله مع عباده.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

(١) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب؛ والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وأخضع لهم عدوهم»^(١).

ومن وصايا النبي الكريم ﷺ للصحابيين الجليلين أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أنه قال: «اتقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(٣). اهـ.

ولما سُئِلَ رحمته الله عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٤).

ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٥).

قال بعض السلف: حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله وحيك وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٤٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٤)، وحسن إسناده الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٤) برقم (١٦٣٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

ثانیهما: حسن الخلق مع الناس وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً^(١).

فحريٌّ بمن تمسك بهذا أن يصل إلى مراتب العاملين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٢).

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ [الأحزاب]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتِكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»^(٤).

(١) تهذيب السنن لابن القيم شرح سنن أبي داود (١٣٠ / ١٣).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣ / ٩١١) برقم (٤٠١٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢١٢٥).

قال حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النَّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ (١).

وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الأعمار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» (٢).

والمسلم لا بد أن تواجهه في حياته مواقف كثيرة، إن لم يستعمل فيها حسن الخلق فإنه سيفشل في مواجهتها.

فمن القواعد العامة في هذا المجال: أن لا تسرع بالملامة في حق من أساء إليك، أو قصر في حقك، وأن تعامله بحسن الظن والتماس العذر، وعلى العكس من ذلك أن لا تقول قولاً، ولا تفعل فعلاً قد تحتاج فيما بعد للاعتذار منه، ففي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ» (٣).

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

(١) جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٢/١٥٣) برقم (٢٥٢٥٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) الضياء في المختارة (٦/١٨٨) برقم (٢١٩٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث

الصحيحة (١/٦٨٩) برقم (٣٥٤).

وقال آخر:

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجَعُهُ فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
 ومن الأمثلة التي استعمل فيها حسن الخلق فكانت نتائجها حميدة،
 ما روي أن رجلاً لقي علي بن الحسين فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال:
 مهلاً، ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة
 نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة^(١) كانت عليه،
 وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد
 الرسول ﷺ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
 آله وصحبه أجمعين.



(١) كساء أسود مربع معلم.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٣٨).

الكلمة الخامسة

العجلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها: العجلة.

قال الراغب: «العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، حتى قيل: الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١).

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٦) [القيامة]، وقد كان النبي ﷺ خلقه القرآن، يتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه، لذلك التزم بهذا التوجيه المبارك، فلم يكن يستعجل؛ بل كان يتأنى ويصبر، وإلى هذا أرشد أمته؛ فقال ﷺ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

وقال الله له أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣٥) [الأحقاف] فكان ﷺ - وهو القدوة المثلى - أولى الخلق التزاماً بهذا الأمر.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٣٣٤).

(٢) مسند أبي يعلى (٢٤٧/٧) برقم (٤٢٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٤/٤٠٤) برقم (١٧٩٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الشَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي، فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»^(١). فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٢).

أما المسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إليها، وانتهاز الفرص إذا حانت، فإن ذلك محمود وليس بمذموم.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(١٤) [طه].

روى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»^(٣).

لأن العجلة المذمومة القطع في الأمور قبل التفكير والمشاورة

(١) هما جبلا مكة أبو قبيس والجيل الذي يقابله.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٩٥).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٤).

والاستخارة، ولهذا قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الْعَجَلَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ، وَيَجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يَجْرِبَ، وَيَذْمُ بَعْدَ مَا يَحْمَدُ، وَالْعَجَلَ تَصْحَبُهُ النَّدَامَةُ، وَتَعْتَزِلُهُ السَّلَامَةُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِيهَا أُمَّ النَّدَامَاتِ»^(١). اهـ.

قال الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلُّ
ومن الأمثلة على العجلة المذمومة: الاستعجال بالدعاء على الأهل،
والمال والولد عند الغضب، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ:
«لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ،
لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(٢).

ولعل كثيرا مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد يكون
بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومنها: استعجال المرء إجابة دعائه، روى البخاري ومسلم في
صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يُسْتَجَابُ
لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي»^(٣).

ومنها: استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يتمون ركوعها
ولا سجودها ولا يطمئنون فيها، وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
أن رجلا صلى عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ

(١) روضة العقلاء (ص ٢٨٨). (٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥) واللفظ له.

تُصَلِّ - ثلاث مرات - في كل مرة يقول له ذلك.

ثم قال له: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا...»^(١) - الحديث.

ومن واقعنا المعاصر نرى كثيرًا من الناس يندمون حين لا ينفعهم الندم، بسبب استعجالهم في أمور كان عليهم أن يتأنوا فيها، فمن ذلك: أنه لأقل الأسباب يطلق الرجل زوجته، فتشتت الأُسْر، ويضيع الأطفال، وتُهدم البيوت، ويقع من الهم والغم ما الله به عليم، كل ذلك بسبب العجلة فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومنها: العجلة في قيادة السيارات، وما نسمعه من الحوادث المرورة التي كانت سببًا لإزهاق نفوس كثيرة، وأمراض خطيرة، وعاهات مزمنة، إنما وقع بسبب العجلة.

ومنها: أن يستبطئ الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة، روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي^(٢)، أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرَّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

(٢) أي: قلبي.

(٣) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة السادسة

كتابة الوصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فإن من الأمور التي ينبغي تذكير المسلمين بها: كتابة الوصية، وذلك لما في كتابتها من المصالح الدينية والدنيوية، ولتساهل كثير من الناس بها.
فلو قلت لأحدهم: هل كتبت وصيتك؟ لنظر إليك نظرة تعجب واستغراب، هل هو على فراش الموت حتى يكتب وصيته؟!!

ولم يعتبر بما يشاهده ويسمعه كل يوم من الميمات الفجائية التي تأتي بغتة، وقد أخبر ﷺ أن من عقوباته احترام النفوس فجأة، فلا تتمكن من الوصية بشيء تريده، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس]، فكم من ميت مرتهن بدينه، وكم من غني لم ينتفع بماله بعد موته، وكم من حقوق أضيعت، وأمانات لم تُؤدَّ إلى أصحابها؟! كل ذلك سببه التساهل في كتابه الوصية.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ» (١).

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٧٧٩).

والوصية سنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، فينبغي للمسلم أن يقتدي بهم في وصي أولاده وقرابته من بعده بتقوى الله ﷻ والتمسك بدينه، ويوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة].

والوصية على أحوال: واجبة، ومستحبة، ومحرمة.

فتجب على المسلم إذا كانت عليه حقوق لله تعالى، كالنذر والزكاة، والحج، ونحوها. أو عليه ديون للخلق من أموال وغيرها، أو له ديون على الناس لم يفهم منها.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي (١).

وتستحب لمن عنده سعة من المال أن يوصي بشيء منه، يُنفق في أعمال البر، ويكون له صدقة جارية بعد موته، وهذه الوصية لها شرطان:

الأول: أن تكون بالثلث فما دون؛ لقول النبي ﷺ لسعد لما أراد أن يوصي: «الثلثُ، والثلثُ كثيرٌ» (٢).

الثاني: أن تكون لغير وارث، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٧).

أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ»^(١).

وتحرم الوصية بما يخالف الشرع، كأن يوصي أهله بالنياحه عليه، أو بقطع رحمه، أو إلحاق الأذى بالمسلمين، أو الانتقام من فلان، أو الإضرار بورثته، وغير ذلك، فمن فعل شيء من ذلك فإنها لا تصح وصيته ولا تنفذ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

نقل ابن كثير رحمته الله عن ابن عباس وغيره: أن الجنف هو الخطأ، ثم قال: وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثًا بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصى ببيعه الشيء الفلاني محاباةً، أو أوصى لابن ابنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل^(٢). إما مخطئًا غير عامد بل بطبعه وقوة شفقتة من غير تبصر أو متعمدًا آثمًا في ذلك.

ومن فوائد الوصية إضافة إلى ما تقدم:

١ - الأجر العظيم لمن كتبها جزاء طاعته لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

٢ - الأجر العظيم فيما يوصي به من النصائح والمواعظ لما يُرجى من الانتفاع بها.

٣ - إبراء ذمته من المخالفات الشرعية والحقوق المالية وغيرها.

٤ - قطع النزاعات المحتملة، وإنهاء الخلافات التي قد تحدث بين ورثته من بعده، وهذا نموذج للوصية:

(١) سنن الترمذي وهو جزء من حديث برقم (٢١٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١٧١/٢) مختصرًا.

يقول بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله: هذا ما أوصى به فلان بن فلان وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، أوصي أولادي وأهلي وأقاربي وجميع المسلمين بتقوى الله ﷻ، وأوصيهم بما وصى به إبراهيم بنه ويعقوب: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة].

وأوصي بتسديد ما عليّ من دين - إن كان عليه دين -، وإن أراد أن يقول: وأن يخرج من مالي ثلثه لفلان أو صدقة جارية، وأولادي القصر يكون وليهم فلان، يحفظ لهم حقهم من التركة حتى يبلغوا، ثم يوصي بما أراد من وصايا دينية واجتماعية، وأن يكون غسله وتجهيزه وما يتبع ذلك على سنة النبي ﷺ، ثم يختم ذلك بالدعاء لنفسه بالمغفرة والرحمة ودخول الجنان.

وعليه توثيق وصيته بشهادة رجلين عدلين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



البركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإنه ينبغي للمسلم أن يسأل الله ﷻ أن يبارك له في علمه وعمله، وفي وقته وماله، وفي أهله وأولاده، وفي دنياه وآخرته، وأن يحرص على الأسباب التي تستجلب بها البركة.

قال الراغب: «البركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء»^(١). اهـ.

فالبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وإن من أعظم ثمار البركة في الأمور كلها استعمالها في طاعة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ولما كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أعظم الناس قياماً بالتقوى ولوازمها، كانت البركة لهم وبهم أعظم وأعم، ولقد هداهم الله تعالى ومن شاء من صالح العباد إلى ما فيه الخير كله والبركة كلها، وهو هذا الكتاب العظيم الذي أمر الناس بتعلمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَدَّبُرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [ص].

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم «٤١».

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي عثمان قال: قال عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِضَيْفٍ لَهُ - أَوْ بِأَضْيَافٍ لَهُ -، فَأَمَسَى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ قَالَتْ أُمِّي: احْتَبَسْتَ عَن ضَيْفِكَ - أَوْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ. قَالَ: مَا عَشَّيْتَهُمْ؟ فَقَالَتْ: عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا أَوْ - فَأَبَى، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَسَبَّ وَجَدَعَ، وَحَلَفَ لَا يَطْعَمُهُ، فَاخْتَبَأْتُ أَنَا فَقَالَ: يَا غُثْرُ. فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أَوْ الْأَضْيَافُ - أَنْ لَا يَطْعَمَهُ - أَوْ يَطْعَمُوهُ - حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةَ عَيْنِي إِنَّهَا الْآنَ لِأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلُوا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَدْ تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّتُهُ، فَفَنِي» (٢).

وهناك أسباب كثيرة تُستجلب بها البركة.

منها: تقوى الله جل وعلا، فما اتقى الله عبد في أي أمرٍ من أموره، إلا بارك الله له فيه بقدر تقواه أو أعظم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومنها: الدعاء، ولقد علمنا النبي ﷺ الدعاء بطلب البركة في

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٣).

أمور كثيرة، فقد علمنا أن ندعو للمتزوج: فنقول: «بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ»^(١)، وعلمنا أن ندعو لمن أطعمنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٢)، وعلمنا أن ندعو بالبركة في طعامنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ»^(٣).

وَكَانَ ﷺ يُوتَى بِالْأَطْفَالِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ^(٤)، وَإِذَا أَتَوْهُ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرَةِ دَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدُنِنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوُلْدَانِ^(٥).

ومنها أن يأخذ المال بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح.

قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٦).

ويلحق بهذا إنفاق المال في وجوه البر وإخراج زكاته، وبذل حقوقه بإخلاص وطيب نفس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٤٢).

(٣) أبو داود برقم (٣٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨١).

(٤) سنن أبي داود برقم (٥١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٦١) برقم (٤٢٥٩).

(٥) انظر: صحيح مسلم برقم (١٣٧٣).

(٦) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ» (١).

وفي حديث قدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه: يبلغ به النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» (٢).

ومنها: الصدق في المعاملة من بيع وشراء وتجارة وشراكة وغيرها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (٣).

ومنها: قضاء الأعمال والتجارات في أول النهار؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» (٤).

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تاجِرًا، وَكَانَ لَا يَبْعَثُ غِلْمَانَهُ إِلَّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى كَانَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ مَالَهُ؟!

ومنها: اتباع السنة في الطعام والشراب، وفيه أحاديث نشير إلى بعضها، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ» (٥).

(١) صحيح مسلم جزء من حديث برقم (٢٥٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢١١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٥٣٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١٦/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٣٠٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١٨٠٥) وقال: حديث حسن صحيح.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْعَى الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ» (١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث وحشي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؛ قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ» (٢).

ومنها: أي من أسباب حصول البركة، استخارة المولى جل وعلا في الأمور كلها، مع الإيمان بأن ما يختاره الله لعبده خير مما يختاره لنفسه في العاجل والآجل؛ وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة حرصه عليها يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلْ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٤).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٣٢٨٦) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٢٦٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٦٢).

الكلمة الثامنة

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

وهذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وإن كان مشهوراً عند كثير من الناس، وقد ثبت بلفظ آخر من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء قالوا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية وقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً، قال: سمعته يقول: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَكَ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(١).

وهذا الحديث العظيم قد اشتمل على ثلاث جمل.

الأولى قوله: «لَنْ تَدَعَ شَيْئاً»، وهذا لفظ عام يشمل كل شيء يتركه الإنسان ابتغاء وجه الله تعالى.

الثانية: قوله: «لِلَّهِ عَوْضَكَ»، هذه الجملة بيِّن فيها النبي ﷺ أن الترك لا بد أن يكون ابتغاء مرضاة الله، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو عدم القدرة على التمكن منه، أو غير ذلك.

الثالثة: قوله ﷺ: «أَبَدَلَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»، هذه الجملة فيها بيان للجزاء الذي يناله من قام بذلك الشرط، وهو تعويض الله للتارك خيراً وأفضل

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/١٧٠) برقم (٢٣٠٧٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١/١٩): وسنده صحيح على شرط مسلم.

مما ترك، والعوض من الله قد يكون من جنس المتروك، أو من غير جنسه، ومنه الأُنس بالله ﷻ ومحبته وطمأنينة القلب وانسراح الصدر، ويكون في الدنيا والآخرة، كما علم الله المؤمن أن يدعو: ﴿رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال قتادة السدوسي: لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ، إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَامْتَلِكُوا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَامْتَلِكُوا لَهَا حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَامْتَلِكُوا لَهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَامْتَلِكُوا لَهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ»^(١).

والأمثلة التي تبين عظيم خلف الله تعالى لعباده كثيرة جداً، منها: ما قصه الله تعالى عن نبي الله سليمان ﷺ في سورة (ص)، وخلاصته: أنه كان محبباً للجهاد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حباً شديداً، فاشتغل بها يوماً حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن يصلني، فأمر بها فردت عليه، فضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف إيثاراً لمحبة الله ﷻ، وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم.

ف عوضه الله ﷻ خيراً منها الريح التي تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شهرين.

وإليك الآيات فتدبر. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِينَتِ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٠١)، وصحيح مسلم برقم (١٢٨).

حَبِّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ
أَعِزِّ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴿[ص.]

المثال الثاني: النبي ﷺ وأصحابه لما هاجروا تركوا ديارهم
وأموالهم لله تعالى، فعوضهم الله بأن جعلهم قادة الدنيا وحكام
الأرض وفتح عليهم خزائن كسرى وقيصر، ومكنهم من رقاب الملوك
والجبابرة، هذا مع ما يُرجى لهم من نعيم الآخرة، فشكروا، ولم يكفروا،
وتواضعوا ولم يتكبروا، وحكموا بالعدل بين الناس، قال تعالى:
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور].

وتأمل قصة أحد هؤلاء المهاجرين، وهو صهيب الرومي رضي الله عنه، فعن
عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كِنَانَتَهُ فَأَخْرَجَ
منها أربعين سهمًا، فقال: «لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ
سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَفْتُ بِمَكَّةَ
قَيْتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ، وَنَزَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: أَبَا يَحْيَى
رَبِحَ الْبَيْعُ، قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ»^(١).

المثال الثالث: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عرضت عليه

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٥٠) ورقم (١٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،
وحسنه الشيخ مقبل الوداعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٣٣).

المغريات في أرقى صورها، فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عز وجل، لأن الله جعله من المُخْلِصِينَ، وأُوذِيَ بسبب ذلك فاختر السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فمَلَكَه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطِي، ونعم المُعْطَى، ونعمت العطية.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْنِي عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة

طول الأمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فلقد ذم الله أقواماً طالت آمالهم فألهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون، فهم يتمنون أن لو مُدَّ لهم فيه ليستدركوا ما فات؛ ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر].

وطول الأمل: هو الاستمرار في الحرص على الدنيا ومداومة الانكباب عليها، مع كثرة الإعراض عن الآخرة (١).

ولقد أخبر النبي ﷺ أن كثيراً من الناس طالت آمالهم حتى جاوزت آجالهم.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ» (٢) يعني الأجل.

وإن من عجيب أمر ابن آدم أنه كلما اقترب من أجله طال أمله، وزادت رغبته في الدنيا وحرصه عليها، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، وهم قليل.

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (١٠/٤٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ»^(١).

فالأمل لا ينفك عنه أكثر الخلق، ولولا الأمل ما تهنى أحد بعيش أبداً، قال الشاعر:

أَعْلِلُ النَّفْسَ بِالأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقَ العَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الأَمَلِ
قال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا^(٢).

قال ابن حجر: وفي الأمل سر لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته^(٣).

فالعاقل من لم يغرّه طول الأمل، ولم يُنْسِه ما هو فيه من النعيم ما وعد الله به كل حي، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ العُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَبَّرِ المَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَبَّرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٢٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٤٦).

(٢) فتح الباري (١١/٢٣٧). (٣) فتح الباري (١١/٢٣٧).

(٤) البخاري برقم (٦١٤٦).

زاد الترمذي: «وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»^(١).

قال ابن رجب: وهذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يتخذ هذه الدنيا وطناً ومسكناً، وإنما يكون حاله فيها كأنه على جناح سفر يهيم جهازه للرحيل^(٢).

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه، فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه^(٣).

عن الحسن لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه: بكى وقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَيْنَا عَهْدًا فَتَرَكْنَا مَا عَهْدَ إِلَيْنَا: أَنْ يَكُونَ بُلْغَةُ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّايِبِ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرْنَا فِيمَا تَرَكَ، فَإِذَا قِيَمَةٌ مَا تَرَكَ بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا أَوْ بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا^(٤).

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته، فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال ابن القيم رحمته الله: «ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أمانى، والوقت ضائع بينهما»^(٥).

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو قال: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا^(٦) لَنَا فَقَالَ: «مَا هَذَا؟».

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٢) برقم (١٩٠٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٧). (٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٧٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٣٨)، وصححه ابن حبان (٢٤٨٠).

(٥) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (١٠/ ٤٨٦٥).

(٦) الخص: بيت يعمل من الخشب والقصب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٧).

فَقُلْنَا: قَدْ وَهَىٰ فَنَحْنُ نُصَلِّحُهُ. قَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسوية بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب، لأن رفته وصفاءه إنما يقع بتذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

ولذلك يقول علي رضي الله عنه: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَاتَّهَ يُصَدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»^(٢).

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «صَلِّحَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ وَهَلَكَ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»^(٣).

ومن مفسد طول الأمل:

١- نسيان الموت وأهوال الآخرة وما أعد الله فيها من النعيم المقيم لأهل طاعته، ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري من قوله: ارتحلت الدنيا مدبرة برقم (٦٤١٦).

(٣) (٦٩/١٥) برقم (١٠٠٤٦) وقال محققه: إسناده حسن، وحسنه الشيخ الألباني في

صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٤٥).

٢- يُقْسِي الْقَلْبَ وَيُجِفُّ دَمْعَ الْعَيْنِ، وَيَزِيدُ فِي شِدَّةِ الْحَرَصِ عَلَى الدُّنْيَا.

٣- يَدْفَعُ إِلَى الْمَعَاصِي وَيُبْعِدُ عَنِ الطَّاعَاتِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة العاشرة

فضل القرآن وقراءته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وهوى، أثنى الله عليه في مواضع كثيرة منه؛ لبيان فضله ويوضح للناس مكانته ومنزلته، قال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت].

فما من باطل إلا وفي القرآن ما يدمغه، ولا شبهة إلا وفيه بيان بطلانها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء].

سمَّاه الله نوراً وجعله للناس شفاءً. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

أعجب به الجن لما سمعوه، فآمنوا به واتبعوه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ [الجن].

تكفل الله بحفظه وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» (١).

ولهذه الفضائل العظيمة لكتاب الله، أمر الله بتلاوته والعمل به وتدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ [فاطر].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لقارئ القرآن من الحسنات.

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِّنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) صحيح مسلم برقم (٨١٧).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعَّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(١).

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن، فيشفع لقارئه ويعلو به في مراتب الجنة على قدر قراءته.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»^(٣).

وإن من عجيب حال الكثيرين منا: تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: لَوْ طَهَّرْتَ قُلُوبَنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ. ولهذا المعنى أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة].

فالآيات بينت حال المؤمنين، وحال المنافقين عند سماع القرآن وتلاوته، فليحذر المسلم أن يكون من ذلك الصنف الخاسر الذي لا يزيده سماع القرآن إلا خسارًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٨) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٠٤).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعلى هذا فينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:

أولاً: قراءة القرآن بتدبر وتمعن، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

قال عبد الله بن مسعود: «لَا تَشْرُوهُ كَنْشِرِ الرَّمْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

ثانياً: مراجعة الحفظ، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»^(١).

ثالثاً: الخشوع عند تلاوة القرآن: روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ! قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٤١)، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ^(٢).

رابعاً: عدم هجر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾^(٣٠) [الفرقان] والهجر يشمل هجر التلاوة، والتدبر والعمل، والتحاكم إليه، كما قال ابن القيم رحمه الله.

فلا بد من العناية بكلام الله ﷻ حفظاً، وتلاوة، وعملاً، حتى يكون المسلم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٧٩١) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٠٠).

الكلمة الحادية عشرة

فضل رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص].

وهذا «الشهر» قد خصه الله ﷻ بخصائص، من أعظمها وأجلها أن الله تعالى أنزل فيه هذا القرآن العظيم هدى للناس وبينات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٨٥] [البقرة].

قال بعض أهل العلم: إن الله ﷻ عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل؛ ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [١] [القدر].

ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان، فينبغي للمسلم أن يكثُر من قراءة القرآن في هذا الشهر المبارك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١).

ومنها أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِسَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٣).

ومنها أن فيه ليلة خير من ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(٤) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾ [القدر]. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤).

والمقصود من هذه الخيرية أن العمل الصالح في هذه الليلة أفضل من العمل ألف شهر.

ومنها: استجابة الدعاء فيه، والعتق من النار، روى البزار في

(١) صحيح البخاري برقم (٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٧٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٧٩).

(٣) سنن الترمذي برقم (٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عُمَّتَاءَ مِنَ النَّارِ - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ -، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ»^(١).

ومنها: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ»^(٢).

ومنها: فضل الاعتمار فيه: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَجَّجَتٍ مَعَنَا؟». قَالَتْ: نَاضِحَانِ كَانَا لِأَبِي فَلَانٍ - زَوْجَهَا - حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخِرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غَلَامُنَا. قَالَ: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي»^(٣).

ومنها: تكفير الخطايا والسيئات، روى ابن حبان في صحيحه من حديث مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةَ قَالَ: «أَمِينَ» ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ أُخْرَى فَقَالَ: «أَمِينَ»، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ ثَالِثَةً، فَقَالَ: «أَمِينَ»،

(١) كشف الأستار (١/٤٥٧ - ٤٥٨) برقم (٩٦٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٨٦) برقم (١٠٠٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٧٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٢٥٦) واللفظ له.

ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرَ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٣).

ومعنى: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» في الحديثين السابقين، أي: مصدقًا بفرضية الصيام، وراغبًا في ثوابه، طيبة نفسه بالصيام، غير كاره لصيامه ولا مستثقل لقيامه، وبعض الناس يصوم ويقوم عادة لأنه رأى الناس يفعلون ذلك، وهذا خطأ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ هَذِهِ الْأَجُورَ الْعَظِيمَةَ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ وَابْتِغَاءِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَزَائِهِ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٤١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية عشرة

فضل الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة وأجلها عند الله تعالى الصيام، فقد رغب فيه الشرع وحثَّ عليه، وجعله أحد أركان الإسلام العظام، وأخبر جل وعلا أنه لا تستغني عنه الأمم؛ لما فيه من تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس، وحملها على الصبر، فقال:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقال تعالى بعد ما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّامِينَ وَالصَّامِتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^{(١)(٢)}.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٣).

(٢) سبعين خريفاً أي سبعين سنة.

ومن فضائل الصيام: أنه وقاية للعبد من عذاب الله يوم القيامة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الصَّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدَلَ لَهُ»، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ»^(٢)، وفي رواية: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا، إلا إذا نزل بهم ضيف^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٤).

ومنها: أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(٥).

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٣٩٦) قال المنذري: في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٩/٢) حديث رقم (١٤٣٢): إسناده حسن.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٦/٤٦٥) برقم (٢٢١٤٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٣٤١٦، ٣٤١٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٨٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/١٧٤)، قال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (١٠/٢)

حديث رقم (١٤٣٦): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح. =

ومنها: أن الصائم يوفى أجره بغير حساب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(١).

ومنها: أنه كفارة لكثير من المخالفات، فمن ذلك أنه كفارة لحنث اليمين، وقتل الصيد في الإحرام، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ»^(٢).

ومنها: أن من صام رمضان وأدى الفرائض الأخرى كان من

= ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع بإسناد حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٨٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٨٩٥).

الصدّيقين والشهداء، روى ابن حبان في صحيحه من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأدّيت الزكاة، وصمت رمضان، وقيمته فممن أنا؟ قال: «مِنَ الصّٰدِيقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ»^(١).

ومنها أن صيام رمضان يكفر الخطايا والسيئات.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وقد فضل الله بعض الأزمنة على بعض وخصها بمزيد من الفضل، فمن ذلك:

صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣).

ومنها: صيام شهر الله المحرم، وخاصة اليوم العاشر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٤٢٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٦)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار؛ وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. اهـ.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَّةَ الْمَاضِيَةَ»^(١).

ومنها: صيام يوم عرفة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: «أَحْسَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْفَرَ السَّنَّةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَّةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٢).

ومنها: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٣).

ومنها: صيام الاثنين والخميس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٤) رواه الترمذي برقم (٧٤٧)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في

صحيح سنن الترمذي (٢٢٧/١) برقم (٥٩٦).

الكلمة الثالثة عشرة

فضل قيام الليل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال وأجل الطاعات التي رغب فيها الشارع قيام الليل، فهو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فهم عاكفون على مناجاة ربهم، يرغبون ويتضرعون إلى واهب الخيرات وعظيم العطايا والهبات سبحانه.

قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة].

وقد ذكرهم الله تعالى بأحسن الذكر، فقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءاخْذِينَ مَا ءَأْتَيْنَهُمْ رَبُّهُنَّ إِنَّهِنَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات].

قال الحسن: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء، والاسكانة، والاستغفار^(١).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُا۟ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٩٦).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ لِلْإِثْمِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا؛ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَحْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(٣).

قال الشاعر يصف قومه وقد كانوا أهل جد واجتهاد في طاعة الله:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ أَنْيْنُ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ

وقد أمر الله نبيه بقيام الليل وحثه عليه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ

﴿١﴾ فُرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ، أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨١٤).

(٢) (٥٣٩/٣٧) برقم (٢٢٩٠٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) معجم الطبراني الأوسط (٣٠٦/٤) برقم (٤٢٧٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٤٨٥/١) حديث رقم (٩١٨): إسناده حسن.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ۚ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يأخذ بهذا التوجيه الرباني الكريم ويستجيب لأمر ربه، تقول عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَقَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ. ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»^(٢).

وكان النبي ﷺ يبحث أصحابه على قيام الليل ويرغبهم فيه، فقال في شأن عبد الله بن عمر: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ - ابن عبد الله بن عمر -: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا^(٣).

وحدث أمته على قيام الليل، فقال: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال

(١) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٢١)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٧٨).

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بَعَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»^(١).

ووقت صلاة الليل من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى، مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُؤْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا سُبْحَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٤).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَوْ لَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطْيَابَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَابُ التَّمْرِ^(٥).

ومن أعظم الأسباب التي تعين على قيام الليل: التبكير في النوم،

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٦٢) برقم (١٢٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

(٥) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

فإن السهر آفة العصر، وخاصة إذا كان في غير طاعة الله كما هو حال الكثير من الناس، إما على مشاهدة دش أو تلفاز أو لعب ورق أو مجلس قيل وقال، أو غير ذلك.

ولذلك: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا (١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها». اهـ (٣).

وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف، روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه برقم (٨٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة عشرة

الدعاء - آدابه وموانعه -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أجل الطاعات وأعظم العبادات والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه جل وعلا: الدعاء، لما يتضمن من الاعتراف بعظمة الباري وقوته، وغناه وقدرته، ولما فيه من تذلل العبد وانكساره بين يدي خالقه جل وعلا.

وقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا الإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والناس في الدعاء على ثلاثة أحوال: فمنهم من يدعو غير الله وهم المشركون، فإنهم وإن أخلصوا الدعاء في الشدة فإن ذلك لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ويشبههم من بعض الوجوه: المسلم الذي يدعو الله في الشدائد والكرب، فإذا جاء الرخاء غفل ونسي.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»^(١).

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٨٢) وقال: هذا حديث غريب وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٢٩٠).

ومنهم قوم أعطاهم الله من واسع فضله فلم يشكروا؛ بل طغوا واستكبروا، قال الله في هؤلاء: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر].

ومنهم المؤمنون الذين عرفوا قدر ربهم، وأيقنوا أنه لا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا منه.

قال تعالى مثنيًا عليهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء].

قال النبي ﷺ مبينًا لأتمته فضل الدعاء: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»^(١)، وَقَالَ أَيضًا: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣).

فبين النبي ﷺ أن الله ﷻ يحب من عباده كثرة الدعاء والإلحاح فيه، قال الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِّ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وهذا شاعر جاهلي يقول في معلقته:

وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ عَلامَ مَا أَخْفَتِ الْقُلُوبُ

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٣٨) برقم (٢٦٨٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٥) برقم (١٧٣٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٥٢٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٧٢) برقم (٢٧٩٧).

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَأَلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
ويجب على العبد أن يراعي في دعائه الأمور التالية:

أولاً: الإخلاص لله في الدعاء. روى أبو داود في سننه من حديث النعمان بن بشير رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

وقد قال الله تعالى مبيناً وجوب إخلاص العبادة له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١٨) [الجن].

ثانياً: ألا يستعجل العبد في استجابة الدعاء، فإن الله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وما من داع إلا ويستجاب له بأن يُعطى سؤله، أو يصرف عنه من الشر مثله، أو يدخر له في الآخرة كما ثبت بذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال في الدعاء.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(٣).

ثالثاً: ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (١٤٧٩)، وقال: الترمذي: حسن صحيح، وانظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٠١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٢١٣/١٧) برقم (١١١٣٣)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

رابعاً: أن يكون حاضر القلب حال الدعاء، مقبلاً على ربه عند مناجاته في خشوع وسكينة، موقناً بالإجابة.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»^(١).

خامساً: تقوى الله بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سدت طريقها بالمعاصي.

قال الشاعر:

نَحْنُ نَدْعُو الْإِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ نَنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكُرُوبِ
كَيْفَ نَرْجُو إِجَابَةَ لِدُعَائِهِ قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوبِ

سادساً: أن يعلم أن من أعظم موانع استجابة الدعاء أكل الحرام، وإن من المحزن أن كثيراً منا لا ينتبه لهذا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٢).

وعلى سبيل المثال ترى البعض يأخذ أموال الناس بالظلم والقوة، وبعضهم بالمكر والحيلة، ومنهم من يبخس العمال حقوقهم، وآخرون يساهمون بأموالهم في البنوك الربوية، أو يتعاطون في أموالهم وتجاراتهم

(١) سنن الترمذي برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم (٥٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

معاملات محرمة أو مشبوهة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) ﴿المؤمنون: ٥١﴾، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (١).

سابعًا: أن يعلم المسلم أن من موانع الدعاء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الترمذي في سننه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (٢).

وقد ذكر أهل العلم آداب الدعاء، وبينوا ذلك في كتبهم، فينبغي للعبد أن يعرفها ويأخذ بها، فمن ذلك أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وأن يعزم المسألة، فلا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، ونحوها، وأن يرفع يديه حال الدعاء مستقبلاً القبلة وأن يكون على طهارة، وأن يكون معترفاً بذنبه ونعمة الله وفضله عليه، ومنها إظهار الافتقار إلى الله تعالى والشكوى إليه، وأن لا يعتدي في الدعاء، وقد بينت هذه الآداب بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، وأن يتحرى الأوقات الفاضلة التي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن.

يستجاب فيها الدعاء كحال السجود، وبين الأذان والإقامة، والدعاء في جوف الليل، وآخر النهار يوم الجمعة، وعند نزول المطر، وإفطار الصائم، وليلة القدر، ويوم عرفة، ودبر الصلوات المكتوبات، وعند النداء للصلوات المكتوبات، وعند إقامة الصلاة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور، وقد ثبتت هذه المواضع بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

وقد جاء عن النبي ﷺ الإخبار عن يستجاب دعاؤهم، فمنهم: دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، ودعوة الوالد، والمسافر، والصائم، والمظلوم، والإمام العادل، ودعوة الولد الصالح، ودعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور وغيرهم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١).

وقد كان رضي الله عنه يختار في دعائه جوامع الدعاء فيقول: ﴿رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) [البقرة: ٢٠١] وكان يكثر منها، ويقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢)، وقال لعلي: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»^(٣)، وعلم عائشة أن تقول في ليلة القدر: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ

(١) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده [طبعة مؤسسة الرسالة].

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٩٥) برقم (٣٥٥٦).

فَاعْفُ عَنِّي»^(١)، وقال ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»^(٢). وغيرها من الأدعية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد (٦٦/٣) برقم (١٤٦٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال محققوه:

إسناده حسن.

الكلمة الخامسة عشرة

فضل الصدقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أبواب الخير العظيمة التي رغب فيها الشارع الحكيم وحث عليها، الصدقة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، سَحَاءٌ^(١) لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢).

(١) السح: الصب الدائم، ومعنى لا يغيضها شيء: أي لا ينقصها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

فهذا وعد من الله بالإنفاق على من أنفق في سبيل الله، والله تعالى لا يخلف وعده.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي ذر رضي عنه قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأيته قال: «هم الأخرسون ورب الكعبة» قال: فجئت حتى جلست فلم أتقار^(١) أن قمت. فقلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا - من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله -، وقليل ما هم»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: ﴿لَنْ نَأْتُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَأْتُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث شئت، فقال صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابع، ذلك مال رابع. قد سمعت ما قلت فيها، وأرى أن تجعلها في الأقربين». فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه صلى الله عليه وسلم، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان

(١) فلم أتقار: أي لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٦١)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٨).

أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله.

ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، فإنَّ للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبيًا في شرح الصدر^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي أَحَدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةً، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ عَلَيَّ»^(٢).

ولما سُئِلَ ﷺ: أي الصدقة أعظم، قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(٣).

ومن فضائل الصدقة: أنها إذا كانت من كسب حلال خالصة لوجه الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يقبلها بفضله، ويضاعف ثوابها لصاحبها أضعافًا مضاعفة، والله ذو الفضل العظيم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَ تَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ -، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّبُهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٤) فيأتي المؤمن يوم القيامة، وإذا بحسناته أمثال الجبال فيفرح بثواب الله.

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢ - ٢٣) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٤١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠١٤).

ومنها: تكفير السيئات. روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(١).

ومنها: نماء المال وزيادته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٢).

ومنها استظلال المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... مِنْهُمْ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ»^(٣).

ويوم القيامة يأتي العالم بعلمه، والمجاهد بجهاده، والمصلي بصلاته، والصائم بصيامه، ويأتي المتصدق بالعلم والجهاد والصلاة، والصيام، فهو قد طبع كتباً للعلماء وقفاً على إخوانه المسلمين، وبنى مسجداً يصلي فيه المسلمون، وأعان المجاهدين في سبيل الله بماله، وفطر الصائمين على نفقته، فيحصل له أجر هؤلاء جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومنها أن الصدقة تقي العبد كثيراً من الشرور والمصائب، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه، حتى لو كانت هذه الصدقة من ظالم أو كافر فإن الله يدفع عنه بها كثيراً من الشرور والمصائب»^(٤).

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٥٠).

قال الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمْ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ومن أفضل أنواع الصدقة، الصدقة الجارية التي تستمر للعبد بعد وفاته
مثل حفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، ودعم حلقات تحفيظ
القرآن الكريم، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين ونحو ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

وعلى المنفق أن يراعي الأمور التالية: الإخلاص لله عز وجل في صدقته،
وأن يحذر من الصدقة بالردية من طعام أو لباس أو نحو ذلك، أو أن
يتبع صدقته المن والأذى، أو أن يبخل بما أعطاه الله، أو أن يحتقر شيئاً
من الصدقة، أو أن يرجع في صدقته.

فائدة: ذكر أبو نعيم في حلية الأولياء أن أويس القرني كان إذا أمسى
تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من
مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٢) (٨٧/٢).

الكلمة السادسة عشرة

مخالفات يقع فيها بعض الصائمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام موسمًا عظيمًا من مواسم الخير. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

إلا أن هناك مخالفات يقع فيها بعض الصائمين أحببت التذكير بها، أداءً لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن طائفة من الناس يصومون لكن لا يكتب لهم عند الله أجر الصائمين، وإنما نصيبهم من هذا الصيام الجوع والعطش، وذلك لأن الجوارح لم تمتنع عن معصية الله، فالعين تنظر إلى ما حرم الله، والأذن تستمع إلى ما حرم الله، واللسان يتكلم بما يغضب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٢/١) برقم (١٣٧١).

وطائفة أخرى تقوم الليل ولكن لا يكتب لهم أجر القائمين، إما لفقدان الإخلاص في عبادتهم، أو لعدم موافقتها لهدي النبي ﷺ، أو لغير ذلك.

ولذا ينبغي للصائم أن يحذر من الوقوع في المعاصي، فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، وإنما إمساك الجوارح عما حرم الله.

ومن هذه المخالفات: تأخير الصلاة عن وقتها، فبعض الصائمين ينام بعد تناوله السحور فلا يستيقظ إلا عند طلوع الشمس، فيضيع صلاة الصبح، وآخرون ينامون قبل صلاة العصر، فلا يستيقظ أحدهم إلا عند غروب الشمس، فيضيع صلاة العصر قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، روى البخاري في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ [الماعون]؛ جاء في حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾ أَيْنَا لَا يَسْهُو وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ (٢).

وفي مثل هؤلاء يقول تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: ٥٩].

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣).

(٢) مسند أبي يعلى (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

(٤٤١/١) حديث رقم (٨٢٢): إسناده حسن.

ومنها التخلف عن صلاة الجماعة، فبعض الصائمين يؤدون الصلاة لوقتها، ولكنه يتخلف عن صلاة الجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعَفَلُونَ عَنَّا أَسْلِحَتَكُمْ وَأَمْتَعْتَكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

وفي هذه الآية وجوب صلاة الخوف جماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(١).

ومنها: السهر الطويل أكثر الليل أو كله على شاشات القنوات الفضائية التي تبث شرورها وسمومها على أشكال متعددة، حيث يعرض بها برامج يقصد بها تشكيك المسلمين في دينهم، وإظهار عظمة الكفار والإعجاب بحضارتهم، كالتمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة.

ومنها: ما يفعله بعض الصائمين المبتلون بشرب الدخان

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١).

هداهم الله، فبدلاً من أن يفطروا على ما أحل الله لهم من الطيبات يفطرون على الدخان الذي بعث الله رسوله بتحريمه وأمثاله؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف].

ومنها: الفحش والبذاءة في اللسان وسائر المعاصي الأخرى. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرِفْثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (٢).

ومنها كثرة النوم لساعات طويلة، وحديث: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ» حديث ضعيف لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا ينبغي للمسلم أن يضيع ساعات الصوم بكثرة النوم، فإن المسلم يُسأل عن وقته يوم القيامة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟» (١).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيَّكَ يَضِيعُ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كان هدي النبي ﷺ في هذه العشر الأواخر أنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في بقية الشهر، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضيها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثها رضيها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ: أَحْيَا اللَّيْلَ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ، وَأَيَّقُظَ أَهْلَهُ»^(٢).

أحيا ليله أي بالصلاة والذكر والدعاء، وأيقظ أهله أي أيقظهم من نومهم ليجتهدوا في الصلاة والذكر والتضرع إلى الله تعالى، وهذه السنة قد لا ينتبه لها بعض المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

أما شد المئزر فقد قال كثير من أهل العلم: إنه كناية عن اعتزال النساء والتفرغ للعبادة، ولذلك كان ﷺ يعتكف في هذه العشر في المسجد، وينقطع عن الدنيا ويخلو بربه يدعو ويناجيه ويسأله ويتضرع إليه.

(١) صحيح مسلم برقم (١١٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٤).

والاعتكاف من أنفع العبادات لإصلاح القلوب، وجمع الهمم،
والتخلص من العيوب، ومن جرب عرف.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ
النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ
اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ ^(١).

فإن قال قائل: ما الحكمة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم للعشر الأواخر
بكثرة الاعتكاف والاجتهاد في طاعة الله.

فالجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك التماساً لليلة القدر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ،
ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ فِي قُبَّةِ ^(٢) تُرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قَالَ: فَأَخَذَ
الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَدَنُوا
مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ
الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ» ^(٣).

فهذه الليلة ليلة عظيمة مباركة، لا يحرم خيرها إلا محروم، وهي
في العشر الأواخر تنتقل فيها كما يريد الله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» ^(٤).

وفي السبع الأواخر أكد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٢).

(٢) في قبة تركية أي: قبة صغيرة من لبود.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠١٨)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠١٧).

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»^(١).

وكان أبي بن كعب يحلف: لَا يَسْتَنْبِي أَنَّهُ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. قال زر بن حبیش: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْدِرِ؟ قَالَ: بِالْآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَوْ بِالْعَلَامَةِ: «أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بِيضَاءً لَا شُعَاعَ لَهَا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأَنْسَيْتُهَا فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ وَتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: مُطِرْنَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ فَوَكَّفَ^(٣) الْمَسْجِدُ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَوَجَّهَهُ مُبْتَلِّ طِينًا وَمَاءً^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «والصحيح أنها في وتر من العشر الأواخر وأنها تنتقل»^(٥). اهـ.

وهذه حكمة إلهية فلو حددت لاجتهد الناس فيها وتركوا بقية الليالي، واستوى في ذلك المجتهد والكسول.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠١٥)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٦٢).

(٣) فوكف المسجد: أي قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٥) فتح الباري (٤/٢٦٦).

والنبي ﷺ إنما كان يحرص على هذه الليلة لما جعل الله فيها من الفضل والأجر، فمما خصَّها الله به أنها خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) [القدر]، أي العبادة فيها خير من عبادة ثلاثة وثمانين عامًا وبضعة أشهر.

ومنها: أنه نزل فيها القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) [الدخان] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) [القدر] أي القرآن.

ومنها: أنه يكثر نزول الملائكة فيها لكثرة الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿نَزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) [القدر]، ﴿حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٥) [القدر].

ومنها: أن الله يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا؛ فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وقد أرشد النبي ﷺ عائشة عندما سألته: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.

فضل الذكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تقرب المسلم إلى ربه جل وعلا: الذكر.

وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه بأجل الذكر: فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران].

وبين في آية أخرى فضل الذكر، وأنه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (١).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً»^(١).

وانظر إلى هذا الحديث العجيب في بيان فضل الذكر والذاكرين.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قالوا بلى يا رسول الله. قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ؛ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قالوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً»^(٤).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٣٩/٣) برقم (٢٦٨٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٩٨/٢) برقم (٣١١٤).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ^(١)، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءٌ، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فقد الماء؟!^(٣).

وقال ابن القيم: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»^(٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْبًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٥).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ،

(١) شعب الإيمان (١/٤٠٨).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٦٧).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٤) الفوائد (ص ٢١٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩١).

وَلَمْ يُذْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟! تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»^(١)
الحديث.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٢).

ومما يدل على فضل الذكر ومكانته العظيمة وأنه ينوب عن بعض الأعمال، ويقوم مقامها ما رواه أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة من حديث عبد الله بن حبيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ظن بالمال أن ينفقه، وبالليل أن يكابده، فعليه بسبحان الله وبحمده»^(٣).

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالذكر الكثير فقال تعالى: ﴿يَتَأَمَّلُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب].

والنبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته من الأذكار ما يملأ الأوقات! فلكل حالة أو زمن ذكر يخصه ففي الصباح أذكار مخصوصة، وفي المساء كذلك وعند النوم، واليقظة، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند طعامه وشرابه، وغير ذلك من أحواله، ولا شك أن من حافظ على هذه الأذكار فإنه سيكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وبهذا يأمن مما اتصف به المنافقون حيث يقول الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٨٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٣) برقم (٣٦٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٣٧٧).

ومن الأذكار العامة التي تشرع في كل وقت: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن جويرية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

ومن الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، ويقولها العبد كلما شعر بحاجته إلى مغفرة ربه، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي عنه: عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٥٩/٣٦) برقم (٢٢١٤٤)، وقال محققوه: حديث صحيح، وصحيح ابن حبان برقم (٨٢٧) واللفظ له.

مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٦).

المواظبة على العبادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله ﷻ من فضله ورحمته بعباده يسر عليهم فعل الطاعات في هذا الشهر، وقواهم عليها وأعانهم على ترك المعاصي والشهوات، ولذا يكون من إقبال القلوب على الخير في هذا الشهر ما لا يكون في غيره، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه رضي الله عنه: أنه رضي الله عنه قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(١).

وإن مطالبة النفس بأن تقوم في غير رمضان بما تقوم به في رمضان مطلبٌ صعبٌ، لأن الأسباب الموجبة لذلك في رمضان لا تتوفر في غيره، ولكن ينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن البعض من الناس إذا خرج رمضان عاد إلى ما كان عليه قبله، من ترك بعض الفرائض والواجبات، أو ارتكاب بعض المعاصي والسيئات، وهذه وإن كان إثمها في رمضان أعظم، إلا أنه لا يسقط الإثم

(١) سنن الترمذي برقم (٦٨٢) وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

في غير رمضان؛ لأن وجوبها على العبد فعلاً وتركاً على الدوام.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر].

وقال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.

قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ»^(١). قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله.

ومن تلك المعاصي: الانقطاع عن بيوت الله، والتساهل في صلاة الجماعة، وهجر القرآن الكريم الذي كانوا يقرؤونه في رمضان، والانكباب على القنوات الفضائية التي تعرض التمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة المحرمة، فإلى الله المشتكى.

الثاني: التقصير في نوافل العبادات، فيستحب للمسلم أن لا ينقطع عنها في غير رمضان، وقد شرع من الصيام، والقيام، والصدقات، وفعل الخير، ما يملأ الأوقات ويجعل العبد موصولاً بربه على الدوام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (٣٨).

النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(١)؛ بل إن النبي ﷺ كان ينهى أصحابه عن الانقطاع عن العمل الصالح.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»^(٢).

ومن هذه النوافل التي شرعت بعد رمضان صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣).

ومنها صيام يوم عرفة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن صيام يوم عرفة؟ قال: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٤).

ومنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٥).

ومنها: قيام الليل طوال العام، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٤)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤). (٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٥) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٦) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

ومنها باب الصدقة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة].

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده على الدوام. والعبد لا يدري متى يفجأه الأجل، فالعاقل من تهيأ للقاء ربه، ولم يغره طول الأمل؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ- شَيْئًا﴾ ﴿٣٣﴾ [لقمان].

وقال تعالى عن أقوام طالت آمالهم، وساءت أعمالهم، وغفلوا عن ذكر ربهم: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الحجر].

فالدنيا ليست بدار بقاء، فطوبى لعبد عرف قدرها فأخذ منها أفضل ما فيها، وهو استغلال أوقاتها بالتزود منها للحياة الباقية، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت].

واعلموا عباد الله أن كل حي صائر إلى فناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة العشرون

سنن العيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنسأل الله كما بلغنا رمضان وأعاننا على صيامه وقيامه أن يتقبله منا، إنه جواد كريم، وبعد:

فمن الأمور التي ينبغي التذكير بها: أحكام صلاة العيد، وما يفعله المسلم في يوم العيد من السنن الثابتة عن النبي ﷺ؛ فمن ذلك:

أولاً: ينبغي للمسلم أن يحرص يوم العيد على الاغتسال والطيب، فقد استحبه طائفة من أهل العلم، وثبت عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَخْدُوَ إِلَى الصَّلَاةِ^(١)، واستحب بعض أهل العلم إزالة شعر الإبطين، وتقليم الأظافر، وما يتبع ذلك؛ لأن ذلك من تمام الزينة، ولبس أحسن ما يجد من الثياب.

فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ فِي الْعِيدَيْنِ^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: وَكَانَ يَلْبَسُ لِلْعِيدَيْنِ أَجْمَلَ ثِيَابِهِ، فَكَانَتْ لَهُ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ^(٣).

(١) موطأ مالك ص ١١٥، وقال محققه: أثر صحيح.

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٤١).

(٣) سنن البيهقي (٣/ ٢٨١).

ثانيًا: يُستحب قبل خروجه إلى الصلاة في عيد الفطر أن يأكل تمرات وتراً، والوتر إما أن يكون ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ، وَيَأْكُلَهُنَّ وَتْرًا ^(١).

ثالثًا: يستحب له أن يذهب من طريق ويرجع من آخر، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ ^(٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ١٢].

رابعًا: السنة أن تكون الصلاة في مصلى العيد وليس المسجد، وهذا هو المعروف من فعله ﷺ، ومواظبته، كما رجحه جمع من أهل العلم.

خامسًا: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه صلى قبل العيد أو بعده نافلة في المصلى، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ^(٣). لكن إذا كانت الصلاة في المسجد فإنه يصلي تحية المسجد ركعتين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة السلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ» ^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٨٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٧١٤).

سادساً: إذا رجع إلى بيته يشرع له أن يصلي ركعتين؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئًا، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ^(١).

سابعاً: يستحب التكبير من غروب شمس ليلة العيد، وأوجه بعض أهل العلم لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَانَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة]. ويكبر من حين خروجه من بيته حتى يأتي الإمام إلى المصلى، وهذا التكبير مشروع باتفاق الأئمة الأربعة.

وجاء عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ لِلْعِيدَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيَكْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمُصَلَّى، وَيَكْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْإِمَامَ^(٢)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَيَسْتَحِبُّ التَّكْبِيرَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَنَازِلِ وَالطُّرُقِ^(٣).

ثامناً: تأكد صلاة العيد على الرجال والنساء، ورجح جمع من أهل العلم الوجوب، واستدلوا بحديث أم عطية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهَا الْعَوَاتِقَ؛ أَي الْبَالِغَاتِ وَالْحَيْضَ؛ وَأَمَرَ الْحَيْضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٢٩٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٧٦)، وانظر إرواء الغليل (١٠/٢) للشيخ الألباني رحمته الله.

(٢) سنن الدارقطني (٢/٤٤) رقم (٤)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل برقم (٦٥٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/١٦٧)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٢/١٢٥).

وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ^(١).

تاسعاً: التهئة بالعيد، فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم كانوا يقولون في العيد: تقبّل الله منا ومنكم، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢)، والحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٩٨٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٣).

(٣) فتح الباري (٢/٤٤٦)، وانظر تمام المنة (ص ٣٥٤ - ٣٥٦) للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

الكلمة الحادية والعشرون

الرؤيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فحديثنا اليوم عن الرؤيا، وسيكون الكلام فيها عن الأمور التالية:

أولاً: فضل الرؤيا ومنزلتها في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أقسام الرؤيا وأنها على ثلاثة أقسام.

ثالثاً: تعبير الرؤيا وبعض الفوائد المتعلقة بذلك.

رابعاً: بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في الرؤيا.

خامساً: أمثلة للرؤيا الصالحة.

أما ما يتعلق بفضل الرؤيا ومنزلتها: فيقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أي: يعلمك تفسير الرؤيا.

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشَّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ» (١).

(١) صحيح مسلم برقم (٤٧٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله ﷺ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]؛ قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبْوَةِ» (٢).

وقوله ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» أي في آخر الزمان وذلك عند كثرة الفتن، وغربة الدين، وشدة الحاجة إلى المبشرات التي تطمئن بها قلوب المؤمنين، ولذلك قال: «لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ» فهي خاصة بالمؤمنين.

وقوله: «جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ»؛ قال بعض أهل العلم: إن مدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة منها: نصف سنة، الوحي فيها رؤيا يراها النبي ﷺ في النوم؛ فيكون ذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ (٣).

وقوله ﷺ في آخر الحديث السابق: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»، دليل على أهمية الصدق، وأن أصدق الناس كلاماً هو أصدقهم رؤيا.

وأما أقسام الرؤيا فهي ثلاثة، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) مسند الإمام أحمد (٥٠٢ / ٤٥) برقم (٢٧٥٠٩)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٢٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، ورؤيا يُحدثُ بها الرجلُ نفسه، ورؤيا تحزينٌ من الشيطان»^(١).

هذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ليس كل ما يرى في المنام من الرؤيا الصالحة، فما يراه الإنسان في منامه؛ من المفزعات والمزعجات فهو من الشيطان ليحزن المؤمن بذلك، وما يراه مما يعرض له في يومه وليلته فتلك الأحلام، وأحاديث النفس تعرض له في اليقظة فيحلم بها في منامه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»^(٣).

أما تعبير الرؤيا، فهو علم شريف خص الله تعالى به بعض أنبيائه، وأوليائه، كمحمد ويوسف عليهما السلام، وممن اشتهر بذلك من الصحابة: أبو بكر. ومن التابعين محمد بن سيرين، وغيرهم من الصالحين في كل زمان ومكان.

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من رأى رؤيا ألا يقصها على كل أحد.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٢٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٣).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَلَا يَقْصُهَا إِلَّا عَلَىٰ وَادٍ»^(١) «أَوْ ذِي رَأْيٍ»^(٢).

ومن فوائد ذلك: ألا تعبر الرؤيا تعبيرًا خاطئًا، أو بما يحزن صاحبها. وأما الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس فيما يتعلّق بالرؤيا: فنذكر من ذلك ثلاثة أخطاء مهمة.

أولاً: الكذب في الرؤيا بأن يدّعي أنه رأى كذا وكذا ولم ير ذلك؛ روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ»^(٣).

ثانياً: اعتماد بعض الجهال من الصوفية وغيرهم على الرؤيا في الأحكام الشرعية من تحليل حرام، أو تحريم حلال ونحو ذلك؛ وليس من ذلك أن يعمل العبد عملاً صالحاً فيرى ما يبشّره بقبوله أو نفعه.

ثالثاً: ليس كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يكون رآه حقاً حتى يراه على صورته الحقيقية التي كان عليها صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان ابن سيرين رحمته الله إذا قال له أحد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: صف لي الذي رأيت؛ فإن وصفه بصفته الحقيقية قال له: «رَأَيْتَ».

ومن الأمثلة للرؤيا الصالحة: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من المبشرات لمن رآه؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»^(٤).

(١) أي صاحب مودة.

(٢) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم (٥٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٤٧/٣) برقم (٤١٩٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٦) واللفظ له.

ولكن كما تقدم أن يراه على صورته الحقيقية.

ومنها أيضاً رؤيا يوسف عليه السلام؛ كما في الآية: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ
يَتَابَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾
[يوسف].

قال الله في تأويلها: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ
يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ
السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].

ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ
ابْنِ رَافِعٍ فَأْتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوْلَتْ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا،
وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠).

طاب: أي كمل واستقرت أحكامه.

الكلمة الثانية والعشرون

شاب نشأ في عبادة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخريين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]؛ في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج].

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ [المزمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى السَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ؛ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْحِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

ولا يتسع الوقت للحديث عن السبعة، ولكن نقف وقفات يسيرة مع قوله رضي عنه: «شَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ».

فهذا الشاب وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحبها إليه وكره إليه الأعمال السيئة وأعانه على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك؛ وقد حفظه الله مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب، وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، واستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

لقد علم أنه مسئول عن شبابه فيما أبلاه؛ فعمل بوصية نبيه محمد ﷺ التي أوصى بها، حيث قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَا عَلِمَ؟»^(٢).

والشباب هم عماد الأمة، وهم جيل المستقبل؛ منهم يتكون بناء الأمة، ومنهم ينشأ العلماء والمصلحون والمجاهدون وغيرهم من أبناء المجتمع، الذين إذا صلحوا انتفعت بهم مجتمعاتهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ إِنَّمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿١١﴾﴾ [الطور].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٣).

ومن الأمثلة على الشباب الملتزم بطاعة ربه شباب الصحابة، أمثال أسامة بن زيد الذي أرسله النبي ﷺ لقيادة جيش المسلمين المتجه إلى الشام، وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، وفي القوم كبار الصحابة، حتى

(١) مستدرک الحاکم (٥/ ٤٣٥) برقم (٧٩١٦)، وقال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

أن أبا بكر كان يستأذن أسامة بن زيد أن يُبقي عمر عنده في المدينة فيأذن أسامة في ذلك، وعلي بن أبي طالب الذي بات في فراش النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة وعرض نفسه للقتل، فداء للنبي ﷺ، وجعفر بن أبي طالب الذي كان قائداً لجيش المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة خلفاً للقائد زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي قُتِلَ في تلك المعركة، فحمل راية المسلمين وأخذ سيفه وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةَ وَاقْتِرَابَهَا طَيِّبَةً وَبَارِدُ شَرَابِهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا عَلَيَّ إِنْ لَأَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره، فتكاثروا عليه فقتلوه.

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: التَّمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَتْلِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ ضُرِبَ بِضَعَا وَتَسْعِينَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمحٍ (١).

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلة كذلك: محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند والهند وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، كما تروي لنا كتب السير، قال الشاعر:

عَبَادٌ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ كَمَ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الخَدِّ أَجْرَاهُ
وَأَسْدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الجِهَادُ بِهِمْ هَبُوا إِلَى المَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ
يَا رَبِّ فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَرًا يُشِيِّدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَنَاهُ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٦١).

ومن الأمثلة المعاصرة: الشباب الذين يملؤون المساجد، والمدارس، والجامعات، يطلبون العلم الشرعي، ويدعون إلى دين الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلتحقون بحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وهذا شيء يثلج الصدر، وأمتنا لا يزال فيها الخير إلى يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والعشرون

التحذير من الشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية.

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء، ودليله قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة،

ويشركون به في الرخاء، فلم ينفعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد، ودليله قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٦﴾ [هود].

قال ابن عباس: «إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعملها إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعملها لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين» (١).

ومنها شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) [التوبة].

روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» (٢).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٦١) [الأنعام].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٢٠).

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك ديناً وشرعاً، فقد أشرك بالله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله»^(١).

ومنها شرك المحبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(١٦٥) [البقرة].

قال ابن كثير: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضِدَّ له ولا نِدَّ»^(٢).

أما الشرك الأصغر فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة فمثل الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان؛ فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه؛ بل يقول: ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا.

أما الأفعال: فهي كثيرة جداً، مثل تعليق التمايم خوفاً من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٢).

البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.
القسم الثاني: شرك خفي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وهذا الشرك بحر لا ساحل له وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته ونيته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته؛ فإن هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران].

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَشِرْكُ السَّرَائِرِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»^(٢).

وإنما سُمي الرياء شرك خفي لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلواته لأجله^(٣).

والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله تعالى.

(١) الداء والدواء لابن قيم الجوزية (ص ١٨٤).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٩/١) برقم (٣١).

(٣) الدين الخالص (٣٨٥/٢).

قال الشاعر:

ولا تك بالأعمال يوماً مُرئياً فإن الرِّيا شِرْكٌ بنص الدلائلِ
فويلٌ لمن قد كان يعملُ بالرِّيا بطاعته لله ليس بعاملٍ

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ». قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»^(١).

يعني أنه يبطل أعمال المرئيين، وأنه يُحيلهم على الذين راءوهم في الدنيا فيقال: انظروا: هل يثبونكم، أي: أولئك الذين تزيتتم عندهم ورائيتموهم في الدنيا؟

هل تجدون عندهم ثواباً؟

هل تجدون عنهم جزاءً على أعمالكم؟!^(٢)

ولله در القائل:

وكل امرئٍ يوماً سيعرف سعيه إذا حُصِّلت عند الإله الحصائلُ
وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شركاً أصغر، وهو إنما سُمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء:

١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.

٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت

(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) إصلاح المجتمع ص ١١.

المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام على نفسه من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: فلا يأمن من الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح المجيد (ص ٤٧).

الكلمة الرابعة والعشرون

الحياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من الصفات الحميدة والأخلاق الجميلة التي دعا إليها الشارع: صفة الحياء.

قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى للمرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آئِي يَدْعُوكَ لِجِجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] الآية.

روى الإمام أحمد في كتابه الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً من صالح حي قومك»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٢). وهذا الحديث فيه دليل على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب ما يضره في دينه، أو يخل بأدبه ومروءته، فإذا فقدت منه هذه الخصلة لم يبال بما صنع.

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٦)، والشعب للبيهقي (٦/ ١٤٥ - ١٤٦) برقم (٧٧٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٦) برقم (٧٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٢٠).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبةً، أو بضع وستون شعبةً،
 فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء
 شعبة من الإيمان»^(١).

وكانت العرب في الجاهلية تتحلى بصفة الحياء، فهذا أبو
 سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ملك الروم ليسأله عن
 النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عن نفسه قائلاً: لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً
 لكذبت عليه.

قال ابن القيم رحمته الله: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها
 وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، وهو خاصة الإنسانية؛ فمن لا حياء فيه
 ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه
 ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق - أي الحياء - لم يكرم
 ضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانه، ولم تقض لأحد حاجة؛ ولا
 تحرى الرجل الجميل ففعله والقبیح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا
 امتنع عن فاحشة؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء
 عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي وهو حياء فاعلها من الخلق؛ فقد تبين أنه
 لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها... إلى
 آخر ما قال»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٩)، وصحيح مسلم برقم (٣٥).

(٢) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص ٢٧٧) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم
 (١٨٠٢/٥).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ٨٢ - ٨٣) برقم (٩٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

قال ابن القيم رحمته الله: ومن عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث الصحيح: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢) والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم؛ بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، ومن استحيا من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته. اهـ^(٣).

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أسامة بن شريك، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤) وصحيح مسلم برقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١١٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٧).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٦١ - ٦٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٣ - ٤)، وحسنه غيره الألباني في صحيح موارد الظمان برقم (٢١١٦).

قال القحطاني رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَيْبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحِي مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

ومثاله: ما يقوم به بعض الذين يسافرون إلى الخارج لقضاء الشهوات والملذات، ثم يخبر أحدهم بجريمته التي فعل من شرب خمر أو فاحشة؛ أو غير ذلك من المعاصي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ» (١).

وهؤلاء لهم نصيب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

وهنا أمر ينبغي التنبه له، وهو أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من الحياء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الإمام النووي: قد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجله، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، والجواب عن هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم: أبو عمرو بن الصلاح، أن هذا المانع ليس من الحياء؛ بل هو عجز وخور ومهانة، فالحياء الحقيقي خلق

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٠).

يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. اهـ^(١).

وقد حثَّ النبي ﷺ على إنكار المنكر وأمر بتغييره، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم (١/٥ - ٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٩).

الكلمة الخامسة والعشرون

وقفه مع آيتين من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفه يسيرة مع آيتين من كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا الخطاب للمؤمنين. أولاً: لأنهم الذين تنفعهم الذكرى.

ثانياً: لتطهيرهم وتزكيتهم من الأخلاق السيئة.

قال القرطبي: «جاء الاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله، أما إن كان ذلك في الماضي فإنه يكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون ذلك إخلافاً بالوعد وكلاهما مذموم»^(١). اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لو ددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به؛ فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه: إيمان لا شك فيه وجهاد أهل معصيته، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق ذلك عليهم، فأنزل الله الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٨٠).

وهذا اختيار^(١) ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لِمَ تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه؟! وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟! ولهذا ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه. اهـ^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»^(٣) فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦): قال الراغب: المقت هو البغض الشديد لمن تراه فعل القبيح^(٧)، كما في

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٨). (٢) تفسير ابن سعدي (ص ٦٩١١).

(٣) يعني أمعاءه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٥) يعني آلات القطع والقص.

(٦) مسند الإمام أحمد (١٩/٢٤٤) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٩٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

قال النخعي: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقول شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم﴾ [هود: ٨٨]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) ﴿١﴾.

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: استدل بها بعض أهل العلم على وجوب الوفاء بالوعد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» (٣).

قال ابن حجر: «أصل الديانة منحصر في ثلاث، القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف» (٤).

روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٨٠).

(٢) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، أي خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي. فيقول: لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول وهذا على رواية فتح الدال، وعلى رواية كسر الدال معناه أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل، وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

(٤) فتح الباري (١ / ٩٠).

قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا صَبِيٌّ فَذَهَبْتُ لِأَخْرَجَ لِأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذْبَةٌ»^(١).

ثانياً: إن العلم قرين العمل؛ ولذلك يُسأل المرء يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به؟ كما روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مُصْبَاحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود»^(٤).

ثالثاً: أن الله ﷻ نهى المؤمن أن يقول ما لا يفعل؛ لكن لو كان المؤمن مقصراً في طاعة الله مرتكباً لبعض المعاصي فإن ذلك لا يسقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤٢ - ٩٤٣) برقم (٤١٧٦).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٦) برقم (١٦٨١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/ ١٧٣): إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١١٣٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٤٢).

لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

كان الحسن رضي الله عنه إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَانْتِ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

قال ابن حزم: والمراد أن أبا الأسود إنما قصد بالإنكار المجيء بما نهى عنه المرء، وأنه يتضاعف قبحه فيه مع نهيه عنه، فقد أحسن كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] وقد صحَّ عن الحسن أنه سمع إنساناً يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله. قال الحسن: «ود إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر ولا يأمر بمعروف. قال ابن حزم: صدق الحسن وهو قولنا آنفاً»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩، ١٠٠).

الكلمة السادسة والعشرون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فنقف وقفة يسيرة مع آية من كتاب الله.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران].

يقول ﷺ: قل يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه: اللهم مالك الملك، والملك: قيل النبوة، وقيل: الغلبة، وقيل: المال والعييد. والصحيح الذي رجحه بعض المفسرين أنه عام لما يصدق عليه اسم الملك من غير تخصيص، فقوله: ﴿ تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾، أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، وأنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال: وقالوا - أي الكفار - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، كالوليد بن المغيرة. وغيره. قال الله ردّاً عليهم: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أي أهم الخزان لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون، ويمنعونها عن يشاؤون، فنحن نتصرف فيما

خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع، لنا الحكمة البالغة والحجة التامة، وهكذا يعطي النبوة لمن يريد. قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] (١). اهـ.

قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: أي الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله لا وصفًا ولا اسمًا، ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره؛ فالخير والشر داخل في القضاء والقدر فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن لا يضاف إلى الله، فلا يقال: بيدك الخير والشر ولكن بيدك الخير كما قال الله، وقال رسوله. اهـ (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه في قيام الليل أنه كان يقول: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (٣). تأدبًا مع الله تعالى.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: ما نقله ابن كثير في تفسيره أن فيها تنبيهاً وإرشاداً إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمة؛ لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى الثقلين، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً، من العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١ - ٤٢).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٤٠١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٧١).

عن حقائق الآخرة، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع؛ فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار^(١). اهـ.

ثانياً: أن العزة لا تطلب إلا من الله تعالى وهي إنما تأتي بطاعته واجتناب معصيته. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يخاطب الأنصار: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللهُ؟!»^(٢).

وقال عمر رضي عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَهَمَّا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ»^(٣).

ثالثاً: أن الذل الذي يصيب الإنسان إنما هو بمعصيته لله ولرسوله، قال تعالى عن بني إسرائيل عندما عصوا الله ورسوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَنْ مَا تُقْبَلُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنْ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

حَقِّي ذَلِكِ بِمَا عَصَوُا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (١).

وقال الحسن رضي الله عنه: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَفَقَتْ بِهِمُ الْبِعَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ» (٢).

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

رابعاً: إثبات قدرة الله، فهو سبحانه القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولذلك يشرع للمؤمن أن يسأل الله بقدرته أن ييسر له الخير، ويصرف عنه الشر، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: أنه شكأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلَاثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجْدُ وَأَحَازِرُ» (٣).

خامساً: فضل الدعاء وأهميته، وكان السلف يدعون: اللهم أعزني

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢)، وقال الذهبي في السير (١٥/٥٠٩): إسناده صالح.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٢).

بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك^(١)، وينبغي للمؤمن أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢).

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٥٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٠).

الكلمة السابعة والعشرون

القناعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث الله ورسوله عليها: صفة القناعة.

قال الراغب: القناعة هي الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [النحل] الآية.

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: الحياة الطيبة هي القناعة^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(٣).

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ٣٥٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥١).

أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»^(١).

والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث السابق: الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَفَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(٣) لَهُ الدُّنْيَا»^(٤).

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن إلى أن ينظر إلى من هو أسفل منه حتى يشعر بكثرة نعم الله عليه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(٥).

(١) جزء من حديث في صحيح ابن حبان برقم (٦٨٤) ومستدرک الحاكم (٤٦٦/٥) برقم (٧٩٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة، وإنما أخرجاه من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر مختصراً.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).

(٣) معنى حيزت: أي جمعت.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْغَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ (١).

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهدًا في الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحٌ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كِسْرَةً مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ فَقَالَ: «هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم قال: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَارًا يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا (٤).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه أن يجعل رزقه كفافًا، أي مقدار حاجته فقط.

(١) صحيح مسلم شرح النووي (٦/٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٠/٤٤٠) برقم (١٣٢٢٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٦) واللفظ له.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالقناعة وعيشة الكفاف، روى ابن
 ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ
 كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ فِعْنًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ»^(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم؛ فعن
 أنس بن مالك قال: «أَشْتَكِي سَلْمَانَ فَعَادَهُ سَعْدٌ، فَرَأَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ
 سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ صَحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ أَلَيْسَ؟ أَلَيْسَ؟
 قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ مَا أَبْكِي ضِنًّا لِلدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَةً
 لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ.
 قَالَ: وَمَا عَهْدَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّائِبِ.
 وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَأَحْصُوا مَا تَرَكَهُ سَلْمَانُ، فَإِذَا هُوَ
 بِضْعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا»^(٣).

وقال عمر رضي الله عنه: «إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ يَيْأَسَ عَمَّا
 فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَعْنَى عَنْهُمْ»^(٤).

والقناعة كنز عظيم، وعلامة من علامات التقوى كما قيل: «القناعة
 كنز لا يفنى».

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٢١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٢/٢) برقم (٣٣٩٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وابن ماجه برقم (٤١٠٤) واللفظ له، وصححه الألباني
 في صحيح سنن ابن ماجه (٣٩٢/٢) برقم (٣٣١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٢٣٩/٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التَّقْوَى: الخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالْقِنَاعَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ».
وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت^(١).

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.
قال الشاعر:

خُذِ الْقِنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
وَانظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغَيْرِ الْقُطْنِ وَالْكَفَنِ
وقال آخر:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْنَعُ
وقال آخر:

إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِيَ الْمَنَاكِبِ حَافٍ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا قَنِعَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ

قال الغزالي رحمته الله: كان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكل، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

الكلمة الثامنة والعشرون

النهي عن المسألة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي حذر منها الشارع: المسألة، والمقصود بالمسألة أن يسأل الإنسان الناس أموالهم أو حاجاتهم من غير ضرورة أو حاجة ملحة، لما يتضمن السؤال من الذل لغير الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في تفسيره: أراد لا يلحون في المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَرُدُّهُ اللَّقْمَةَ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَانِ». قالوا: فَمَا الْمَسْكِينُ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٨).

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَّصِدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلَيْسَتْ قِلٌّ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرٌ» (٢).

قال أبو حامد الغزالي: والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يُباح للضرورة أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة؛ لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده وهو عين الشكوى، وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا، فقد يعطيه حياءً أو رياءً وهذا حرام على الآخذ (٣).

قال الشاعر:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ

وقال آخر:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال آخر:

فَلَوْ تَسَأَلَ النَّاسَ التُّرَابَ لَأَوْشَكُوا إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمْلُوا فَيَمْنَعُوا

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم من تحل له المسألة، فروى مسلم في صحيحه

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٢٢٣) باختصار وتصرف.

من حديث قبيصة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً^(١) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالَهُ^(٢) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشِ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ^(٣) حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشِ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا^(٤)»^(٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكْدُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ»^(٦).

قال الصنعاني: وأما سؤاله السلطان فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا منة للسلطان على السائل، لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه^(٧).

وقال أيضًا: والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين في حديث قبيصة، أو أن يكون السلطان^(٨). اهـ.

قال الشاعر:

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ

(١) يعني ديناً أو دية عن غيره للإصلاح.

(٢) يعني حريق أو هلاك زرع أو غير ذلك.

(٣) يعني فقر وضرورة بعد غنى.

(٤) السحت هو الحرام.

(٥) صحيح مسلم برقم (١٠٤٤).

(٦) سنن الترمذي برقم (٦٨١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٧) سبل السلام (١/٦٣٢).

(٨) سبل السلام (١/٦٣٦).

وقد بين النبي ﷺ قدر الغنى الذي يحرم به السؤال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل ابن الحنظلية: أن النبي ﷺ قال: إِنَّهُ «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن العمل وإن كان شاقاً، والمال الذي يأتي منه قليل فهو خير للمرء من السؤال.

فروى البخاري في صحيحه من حديث الزبير بن العوام رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيُكْفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(٢).

وبين النبي ﷺ أن السائل من غير ضرورة ولا حاجة ملحة إنما يفتح على نفسه باب الفقر.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي كبشة الأنماري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ، - وذكر منها: - وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(٣). اهـ. بل إن النبي ﷺ أخذ البيعة من بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً.

روى مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (١٦٦/٢٩) برقم (١٧٦٢٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٧١).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، - وَأَسْرَرُ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟». قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا». قَالَ: فَرَبَّمَا سَقَطَ سَوْطُ ثَوْبَانَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يُنَاوِلَهُ حَتَّى يَنْزِلَ إِلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ»^(٢).

وكان الصحابة رضي عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فلا يسألون الناس شيئاً من متاع الدنيا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصِرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠٤٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦٧/٣٧ - ٦٨) برقم (٢٢٣٨٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفِيءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّيَ ﷻ. (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

الكلمة التاسعة والعشرون

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آية عظيمة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم].

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينذر الناس يوم الحسرة والندامة، وهو يوم القيامة، حيث تشتد فيه الحسرة، وتعظم فيه الندامة، وأيُّ حسرةٍ أعظم، من فوات رضا الله وجنته؟! واستحقاق سخطه؟! والخلود في ناره؟! على وجه لا يتمكن فيه أحدٌ من الرجوع إلى الدنيا ليستأنف العمل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر].

قال ابن عباس: يوم الحسرة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر منه عباده.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، قال: يوم القيامة. وقرأ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي فرغ من الحساب، وصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: أي في الدنيا بشهواتهم وملذاتهم عن العمل ليوم الحسرة، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت وما فيه من نعيم مقيم لمن أطاع الله، ومن عذاب أليم لمن عصى الله.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشُّ أَمْلَحٍ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَتُبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَسْرَتُبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا^(١).

وفي رواية لهما من حديث ابن عمر: «فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه، والمقصر في طاعة ربه على تقصيره، ولكن لا ينفع الندم؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٩) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠).

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ [النبا].

ثانياً: أنه ينبغي للمؤمن أن لا يكون في غفلة؛ بل على استعداد للقاء ربه، قال سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر].

ثالثاً: أنه في يوم الحسرة يرى الكافر أنه لم يلبث في دنياه إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴿٤٥﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ [النازعات].

رابعاً: إن من أعظم ما يتحسر عليه أهل النار أن الواحد منهم يتمنى أنه يفدي نفسه من عذاب الله بماله، وولده والناس أجمعين، بل وملك الدنيا بأسرها، مع أنه طلب منه أهون من ذلك، فلم يفعل، قال تعالى: ﴿ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَحْزَمِ لَوْ يَقْتَدِي مِنَ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبَعُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ [المعارج].

وقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ [آل عمران].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ: - وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ»^(١).

خامسًا: أنه ينبغي للمؤمن أن يحافظ على إسلامه وإيمانه حتى الممات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٥) واللفظ له.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٠ / ١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

الكلمة الثلاثون

مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة؛ وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد بدرًا وأحدًا والخندق، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة؛ وأن عرش الرحمن قد اهتز لموته، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير. قال ابن حجر: فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام^(١)، وله مناقب كثيرة.

قال الذهبي في ترجمته: السيد الكبير الشهيد أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي كان رجلاً أبيض طوالاً جميلاً، حسن الوجه، حسن اللحية^(٢): قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر^(٣).

قال ابن إسحاق: لَمَّا أَسْلَمَ وَقَفَ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٨٦). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

الْأَشْهَلُ كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدَنَا وَأَفْضَلُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ رِجَالَكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا أَسْلَمُوا (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا؛ قَالَ: فَنَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمِّيَّةٌ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّامِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمِّيَّةٌ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ، فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ أُوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ. فَتَلَا حَيًّا بَيْنَهُمَا. فَقَالَ أُمِّيَّةٌ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي. ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَأَقْطَعَنَّ مَتَجْرَكَ بِالشَّامِ؛ قَالَ: فَجَعَلَ أُمِّيَّةٌ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ. فَقَالَ: دَعْنَا عَنكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ؛ قَالَ: إِيَّايَ؛ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ؛ إِذَا حَدَّثَ. فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَيَسِرُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ فَفَتَلَهُ اللَّهُ (٢).

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين، واعتزازه بدينه؛ فمع أنه بمكة لوحده إلا أنه كان يهدد سادات قريش في

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٣٢).

(١) سيرة ابن هشام (٢/٤٠).

عقر دارهم؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه: «أَهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَنَادِيلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا!»^(١).

ومن موافقه العظيمة: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: «أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِيقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ^(٢)، فَضْرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ فَاعْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْعُبَارِ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ وَمَا وَضَعْنَاهُ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَردَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسَبَى الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبِي: فَأَخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ»، ثُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَالَ: وَتَحَجَّرَ كَلِمُهُ لِلْبُرِّءِ^(٣): اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ. اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي أُجَاهِدُهُمْ فِيكَ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا. فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ^(٤) فَلَمْ يَرُعْهُمْ (وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ) إِلَّا وَالِدَمَّ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٩) واللفظ له.

(٢) عرق في وسط الذراع إذا قطع لم يرقاً الدم.

(٣) أي ييس جرحه وكاد أن يبرأ. (٤) أي: نحره.

يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قَبْلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ جُرْحُهُ يَغْدُ دَمًا^(١) فَمَاتَ^(٢).

وقد حزن النبي ﷺ لفراق سعد كثيرًا، وأخبر أن عرش الرحمن قد اهتز لموته، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»^(٣)، ومع هذه المنزلة العظيمة لسعد إلا أنه لم يسلم من ضمة القبر، فروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بعد وفاته: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضَمَّ ضُمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»^(٤)، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(٥)، قال الذهبي: وهذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء؛ بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك؛ فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه؛ قال تعالى:

(١) يغذ دمًا أي يسيل يقال غذا الجرح يغذ إذا دام سيلانه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٦).

(٤) سنن النسائي برقم (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم

(١٩٤٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٢٧/٤٠) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ [غافر]، فنسأل الله تعالى العفو واللطف. ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع ولا ألم ولا خوف، سل ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد. اهـ^(١).

وكانت وفاته سنة خمس من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، عمره آنذاك سبع وثلاثون سنة، صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدروس المنتقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومئذ

(١٥٠) درساً للبراعة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

واعترافاً
والإمامين بن عبد الله الشقاوي

الجزء الثاني

الكلمة الحادية والثلاثون

أصل الدين وقاعدته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتكفر أهلها وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام التي سفه نفسه من رغب عنها».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسًا والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]، فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله، وقال الله عنه: ﴿وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٤٨﴾﴾ [مريم]. فيجب اعتزال الشرك وأهله والبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير، وهذه الآية تتضمن التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد. والعروة الوثقى: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، نفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له^(١). اهـ.

وبين في موضع آخر أن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه، وأدلة هذا في القرآن كثيرة جدًا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله، فسرها

(١) مجموعة التوحيد (ص ١١، ١٤).

بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾، فقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ﴾، فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾، هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عن سواه». فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد، وقال تعالى في حق من أشرك: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون المرء موحدًا إلا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف].

والشرك محبط لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها، ولا يقبل الله من المشرك صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

وقال عن أنبيائه وأحبابه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام].

وإنَّ مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم، يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية وغيرها من الوسائل، من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر من ذلك، إضافة إلى الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلهما.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والثلاثون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] إلخ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا
مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْنَا،
قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ نَسِيْتُ
اسْمَيْهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَتْ
نَفْسُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ - والأمر عام له ولأُمَّته - بلزوم
الصالحين، ومصابرة النفس على مصابحتهم، والبقاء معهم، خصوصاً
الفقراء منهم والضعفاء، فالآية نزلت فيهم، والمكث معهم أبعد عن
مظاهر الدنيا، وفتنتها، ثم ذكر أهم صفاتهم، وهي شغل أوقاتهم
بالعبادة بحسب الأحوال، لا يريدون بذلك رياء ولا سمعة، ولا ليقال:
فلان قارئ أو عابد، أو عرضاً من الدنيا زائل، إنما يريدون بذلك

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤١٣).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَنَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ثم نهاه تعالى عن مصاحبة أهل الدنيا، فقال: ﴿وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: لا تتطلع إلى مصاحبة غيرهم من أهل الشرف والغنى، لما يحصل بذلك من اشتغال القلب بزينة الدنيا عن أمر الآخرة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّ ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر القلب، فيغفل عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية». اهـ^(١).

ثم نهاه نهياً آخر، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، فنهاه عن طاعة الغافلين عن ذكر الله المتبعين أهواءهم، الذين أضاعوا دينهم، فطاعة من هذه صفته هي الخسارة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وفي هذه الآية الكريمة فوائد كثيرة:

الأولى: الحثُّ على الصبر. والمراد بالصبر هو الصبر على طاعة الله الذي هو أعلى أنواع الصبر، وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه لأهميته ومكانته العظيمة، بل إنه في الآية الواحدة يتكرر الأمر بالصبر كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

والثانية: استحباب ذكر الله والدعاء طرفي النهار.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٢٥).

ويرغب فيه» (١). اهـ.

قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

روى أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (٣).

الثالثة: الحث على مجالسة الصالحين الأخيار، حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء، فإن في مجالستهم خيراً كثيراً، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» (٤).

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقياً وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب. اهـ (٥).

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٤٢٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٨) برقم (٣١١٤).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٥).

(٥) شرح السنة للبغوي (١٣/٦٩).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (١).

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرَّةِ لَا تَسَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

الرابعة: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١) [طه]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَزُخْرَفًا وَإِن كُنتُمْ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥) [الزخرف].

الخامسة: الحث على الإخلاص لله تعالى، فقد ذكر الله في الآية الأخرى عن عباده الصالحين أنهم يريدون بهذا العمل وجه الله، لا رياءً ولا سمعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١) [الإنسان].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧/٣) برقم (٤٠٤٦).

الكلمة الثالثة والثلاثون

دروس وعبر من

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا...﴾ [الزخرف] إلى آخر الآيات.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده التي لا يُقَدَّمُ عليها شيئاً لَوَسَّعَ الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي درجاً من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى سطوحهم. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾، ﴿وَزُخْرَفًا﴾ أي: ولزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر، وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا منغصة مكدرة فانية، وأن الآخرة عند الله خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيها، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها

خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين»^(١). اهـ.

وفي هذه الآيات الكريمات فوائد كثيرة منها:

- أن ما يعطيه الله الكفار من نعم الدنيا إنما ذلك لهوان الدنيا عنده، وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمُ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»^(٢).

ولهذا قال عمر رضي الله عنه عندما صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم، لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله: هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس. وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طِبَابَتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٣).

- ومنها: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده ليست دليلاً على محبته.

قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ مُسَارِعُهُمْ فِي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٧٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩١٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٧٩).

الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ»^(١). ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومنها أن فيها الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

ومنها بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله، روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفْتُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ - أَي صَغِيرِ الْأُذُنِ - مِيَّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مِيَّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ»

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٧/٢٨) برقم (١٧٣١١)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٢٠)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٧).

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ؟» (١).

وقال عمر رضي الله عنه: لو أن الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيتها رجل، ثم جاءه الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره، ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء (٢).

وقال أحد السلف: نعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة، أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: ومن حذق بصيرته في الدنيا والآخرة، علم أن الأمر كذلك (٤).

ومنها: أن الله تعالى يمنع عبده بعضاً من أمور الدنيا لينال منزلة عالية عنده يوم القيامة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» (٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٢) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٣) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٤) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٧/٣٩) برقم (٢٣٦٢٧)، وقال محققوه: حديث صحيح.

الكلمة الرابعة والثلاثون

أكل المال الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصمهم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم آكل للحرام^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]. روى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٢).

ومما يلاحظ، تساهل كثير من الناس في أكل المال الحرام، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٠).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢١٤٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

قال ابن المبارك: لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف.

قال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» وإنما فعل ذلك رضي الله عنه امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»^(١) الحديث.

ومن صور أكل المال المحرم: الربا الذي حرّمه الله ورسوله، ولعن آكله، وكتبه، وشاهديه. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٧٨) [البقرة]. وقد غلب حب المال على قلوب بعض المسلمين، فصاروا يتسابقون إلى شراء أسهم البنوك الربوية، وآخرون يودعون أموالهم في البنوك ويأخذون عليها زيادة ربوية يسمونها فوائد، وإن من الجرائم العظيمة والأمر الخطيرة، ما نشاهده من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال: ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها وأنها من الربا الذي حرّمه الله ورسوله، وهي بطاقة يصدرها البنك بمبلغ معين يسمى قيمة إصدار، ويحق لحاملها أن يشتري ما شاء من سلع وحاجيات على أن يرد قيمة هذه السلع خلال مدة معينة، فإن لم يفعل فإنه يحسب عليه عن كل يوم فائدة^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) فتوى رقم (١٧٦١١).

ومن صور أكل المال المحرم: الاعتداء على رواتب العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في أوقاتها، وأكل مال اليتيم، والاعتداء على ممتلكات الناس، ومن صور أكل المال المحرم التي نشاهدها كثيراً في الأسواق: الحلف على السلعة باليمين الكاذب، والغش في المعاملات وغير ذلك. وأكل الحرام إنما يعرّض نفسه للعقوبة في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فقد تكون العقوبة خسارة في ماله، أو محق إلهي للمال الذي اكتسبه ونزع البركة منه، أو مصيبة في جسده، قال تعالى: ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة].

وأما في قبره، فقد ورد في الحديث أن عبداً يُقال له مدعم كان مع النبي ﷺ، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة رضي الله عنهم: هنيئاً له الشهادة، فقال النبي ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «شِرَاكِ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ»^(١).

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام.

وأما في الآخرة فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٠٧).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣/٤٢٥) برقم (١٥٢٨٤) وقال محققوه:

إسناده قوي على شرط مسلم.

قال الشاعر:

المال يذهب حِلُّهُ وَحَرَامُهُ يَوْمًا وَتَبْقَى فِي غَدِ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِي بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

ومن عقوبة أكل المال الحرام: حرمان إجابة الدعاء وقبول العبادة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»^(١).

وهذا الحديث فيه تحذير لطائفة من الناس خدعهم الشيطان، وزين لهم أعمالهم السيئة، فتراهم يأكلون الحرام وينفقون منه في بعض الأعمال الصالحة، كبناء المساجد، أو المدارس، أو حفر الآبار، أو غير ذلك، ويظنون أنهم بهذا برئت ذمتهم، فهؤلاء يُعاقبون مرتين:

الأولى: أن الله لا يقبل منهم أعمالهم الصالحة التي أنفقوا عليها من الأموال المحرمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢).

الثانية: أن الله يعاقبهم على هذا المال المحرم، ويحاسبون عليه يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوِّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة، فهو كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهر إلا بالماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عن سواك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والثلاثون

وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى في سياق قصة آدم مع عدو الله إبليس: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه].

ذكر الله سبحانه في هذه الآيات حال من اتبع هدايه وما له من الرغد وطيب الحياة في معاشه ومعاده، فقال: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾، فتكفل الله لمن حفظ عهده علماً وعملاً أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس].

ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤] أي كتابي، ولم يتبعه ويعمل بما فيه، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدوره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء

وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في رَيْبِهِ يتردد فهذا من ضنك المعيشة^(١). اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا، وحاله في البرزخ؛ فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب»^(٢).

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤]؛ اختلف المفسرون في ذلك: هل هو من عمى البصيرة أو من عمى البصر؟ فمن قال: إنه من عمى البصيرة، استدل بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [٢٢] [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [٤٥] [الشورى]، وغير ذلك من الآيات التي أثبتت لهم الرؤية في الآخرة.

والذين قالوا: إنه من عمى البصر؛ استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكُمَا وَصَآئِطًا مَّا وَنَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٩٧] [الإسراء].

وقد فصل في ذلك العلامة ابن القيم، وخلص إلى أن الحشر ينقسم إلى قسمين: الأول من القبور إلى الموقف، والثاني من الموقف إلى النار.

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٩).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧٩).

ف عند الحشر الأول: يسمعون ويصرون ويجادلون ويتكلمون.

وعند الحشر الثاني: يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصمًا، فلكل موقف حال يليق به، ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته، والقرآن يصدق بعضه بعضاً^(١): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثم أخبر سبحانه عن حال هذا المعرض يوم القيامة، وأنه يغشاه الذل والهوان فيتألم ويضجر من هذه الحال فيقول: رب لم حشرتني أعمى فيجاب: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَكَ ءَايَتُنَا فَانْسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه]، أي: أن هذا هو عين عملك والجزاء من جنس العمل، وكما تدين تُدان، فكما عميت عن ذكر ربك ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة وتركك في العذاب.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

بيان حال من أعرض عن ذكر الله في الدنيا، وأنه يعيش في ضلال وظلام، ويتخبط في الجهالة، وهو مع هذه الحالة يحسب أنه من المهتدين. وبسبب إعراضه عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله عاقبه بأن قيص له شيطاناً يصاحبه فيصده عن الحق، ويزين له طرق الضلال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٦] وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف]، حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاین هلاكه ندم^(٢) فقال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف].

ومنها أن من تمسك بهذا الذكر، وهو القرآن فإنه يسعد في الدنيا

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٩٥٣).

(١) تفسير ابن القيم (ص ٣٦٣).

والآخرة، وتحصل له الطمأنينة، وانسراح الصدر والشفاء من أمراض الأبدان والقلوب، والهداية إلى صراط الله المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفه مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتِكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (١).

(١) معجم الطبراني الصغير (١/٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧) رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران وهو ثقة وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع (٧/٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

قال الشيخ مقبل الوداعي في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٨٠ - ٨١) وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٠) و(٨/١٢٥) والواحدي في أسباب النزول بهذا السند، وقال الشوكاني: إن المقدسي حسنه، وله شواهد كما في تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢) تزيده قوة.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ﴾، قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله ورسوله، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلا نيتهم، ثم أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَّصَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُخَيَّرُ (٢).

قال ابن حجر: الرفيق الأعلى: هم المذكورون في سورة النساء في قوله: ﴿ وَمَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... ﴾ الآية (٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا - وَنَصَبَ إِصْبَعِيهِ - مَا

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٣٧، ٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) فتح الباري (٨/١٣٨).

لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سَلْ»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قلت: هو ذاك، قال: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» (٢).

قال ابن كثير: وأعظم من هذا كله ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرها من طرق متواترة، عن جمع من الصحابة، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث (٣) (٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٥٢٢ - ٥٢٣) وقال محققوه: حديث صحيح .

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦١٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٠).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١).

الكلمة السابعة والثلاثون

شرح حديث: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

هذا الحديث اشتمل على حكم عظيمة، وجمل نافعة، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة صغيرة اختصرت كلامه فيها في هذه الكلمة:

قوله: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» يعني أن الله بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دُعي بالسيف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد]، وفيه إشارة إلى قرب

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢). وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/٥٠٩): إسناده

بعثته ﷺ من قيام الساعة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» قال: وضم السبابة والوسطى (١).

وقوله: «حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» هذا هو المقصود الأعظم من بعثته وبعثة الرسل من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل]؛ بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات]، فما خلقهم إلا ليامرهم بعبادته، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم، على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمُحِي» فيه إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ويستبيح أموالهم، ويسبي نساءهم وذراريهم، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإن المال إنما خلقه لبني آدم يستعينون به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به، سلط الله عليه رسوله وأتباعه، فانزعوه منه وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١).

عبادة الله وتوحيده وطاعته، ولهذا يسمى الفيء لرجوعه إلى من كان أحق به، ولأجله خُلِقَ.

قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وهذا مما خص الله به محمداً ﷺ وأُمَّته، فإنه أحل لهم الغنائم.

قوله: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» هذا يدل على أن العز والرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر رسول الله ﷺ؛ لامثال متابعة أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، فالذلة والصغار تحصل بمخالفة أمر الله، والمخالفون لأمر الله ورسوله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره، كمخالفة الكفار وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ﷺ فهم تحت الذلة والصغار، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وضرب على اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول ﷺ كفر عناد.

الثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية، فله نصيب من الذل والصغار.

قال الحسن البصري: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية، قال الشاعر أبو العتاهية:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرْمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

الثالث: من خالف أمره من أهل الشبهات؛ وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم لهم نصيب من الذل والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَأْتِيهِمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) [الأعراف].

وأهل البدع والأهواء كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افتراءهم عليه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفته أمر الرسول ﷺ: ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل».

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (١).

ورأى النبي ﷺ سكة الحرث فقال: «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ» (٢)، فمن ترك ما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوها المباحة، حصل له الذل. فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوها المحرمة؟! (٣). اهـ.

قوله: «وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، هذا يدل على أمرين:

(١) سنن أبي داود برقم (٣٤٦٢). قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٩/٣٠): إسناده جيد.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٢١).

(٣) شرح حديث يتبع الميت ثلاثة لابن رجب الحنبلي.

أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٩٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعن حلق اللحية، وعن تسليم اليهود والنصارى وغيرها من النواهي.

الثاني: التشبه بأهل الخير والتقوى، فهذا حسن وهذا مندوب إليه، ولهذا يشرع الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه، وذلك مقتضى المحبة الصحيحة، فإن المرء مع من أحب، ولا بد من مشاركته في أصل عمله وإن قصر المحب عن درجته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



سورة التكاثر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر].

قوله تعالى: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي عنه قال: أتيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَا لِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!».

وفي رواية له: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٤٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

قال الشاعر:

يا جَامِعَ المَالِ فِي الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ هَلْ أَنْتَ بِالمَالِ بَعْدَ المَوْتِ تَتَفَعَّلُ
لَا تُمَسِّكُ المَالِ وَاسْتَرْضِ الإِلَـهَ بِهِ فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرِّيُّ وَالشَّبَعُ

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ المَقَابِرَ ﴾ (٢) قال ابن القيم: «وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت، إيذاناً بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور، وأنهم بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها، كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها. ودار القرار هي الجنة أو النار»^(١).

وقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يُلْهِيكم التكاثر عن طاعة الله، وسوف تعلمون عاقبة تشاغلكم بالتكاثر، وكرر الجملة هنا لزيادة التأكيد، كما قال بعض المفسرين.

قال ابن القيم: وقيل: ليس تأكيداً؛ بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، وهذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس^(٢).

وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ ﴾ (٥) أي لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون.

وقوله: ﴿ لَتَرُونَ الجَحِيمَ ﴾ (٦) ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ اليَقِينِ ﴿٧﴾ هذا قسمٌ من الله تعالى بأن عباده - مؤمنهم وكافرهم - سيشاهدون النار بأعينهم، ثم أكد هذا الخبر بأنه واقع لا محالة، وأنهم سيكونون متيقنين برؤية النار يقيناً لا شك فيه، ولكن الله ينجي المؤمنين منها، وقد جعل

(١) تفسير ابن القيم (ص ٥١٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٥١٥).

سبحانه رؤيتهم لها ليعرفوا فضل الله عليهم بإنجائهم منها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ٧٢ ﴿ [مريم].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر] أي: ليسألنكم الله يوم القيامة عن كل نعمة أنعم بها عليكم، كالأمن والصحة والسمع والبصر والعافية، وما يطعمه الإنسان ويشربه، هل قمتم بشكرها وأديتم حق الله فيها ولم تستعينوا بها على معاصيه، أم اغتررتم بها ولم تقوموا بشكرها فيعاقبكم على ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟». قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ؛ فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ مِنَ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ»^(١).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٨).

قال النووي في شرح الحديث: والسؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة^(١).

وأما بالنسبة للكفار فإنه سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدْكَ^(٣) وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(٤).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يعني العبد - من النعيم أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرَوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٥).

قال ابن القيم: فله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدّها ترغيباً في الآخرة، وتزهيداً

(١) شرح النووي (٥/٢١٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أي: أجعلك سيّداً على غيرك.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٥) سنن الترمذي برقم (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٧٦) برقم

الكلمة التاسعة والثلاثون

سورة الإخلاص

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

وجعل فيه الشفاء والنور والهداية، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ ءَامَنُوا هُدًىٰ وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن السور التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتِحَ سُورَةٌ يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتِحَ بِ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ﴾، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فِيمَا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى؛ فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمِّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟!» فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. وفي رواية: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ﷻ (١) فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» (٣).

وكان النبي ﷺ يستشفى بهذه السورة مع غيرها من السور، والقرآن كله شفاء.

روى البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ ١﴾؛ ثُمَّ يَمَسُّحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ قال ابن كثير: أي هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠١٥)، ورواه مسلم من طريق أبي الدرداء برقم (٨١١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠١٧).

في جميع صفاته وأفعاله^(١). اهـ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾^(٢) قال عكرمة عن ابن عباس: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والعرب تسمي أشرافها الصمد، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤) أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة.

قال مجاهد: «ولم يكن له كفواً أحد، أي: صاحبة». اهـ.

والمراد بالصاحبة: الزوجة، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١١) [الأنعام]، أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟! تعالى وتقدس.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا^(٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا^(٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^(٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا^(٩٢) إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا^(٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(٩٤) [مريم].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى سَمِعُهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٥١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٨).

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلَ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ^(١).

ومن فوائد هذه السورة الكريمة:

أولاً: إثبات وحدانية الله جل وعلا والرد على اليهود، والنصارى الذين يجعلون له الولد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: أن هذه السورة اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(٢).

ثالثاً: استحباب قراءتها عند المبيت كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام، وقراءتها أيضاً صباحاً ومساءً ثلاث مرات.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطَلْبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ لَنَا،

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٧٩)

برقم (١٣٢٤).

الكلمة الأربعون

وقفه مع قوله تعالى

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴿١﴾ الْآيَةَ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإنَّ الله أنزل هذا القرآن لتدبُّره والعمل به، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه، فهو مأمور بالبشارة إن كان الرسول ﷺ، فكل من خلفه في العلم والدعوة فإنه يمكن أن يقول هذه البشارة، وهي الإخبار بما يسر، وهنا المُبَشِّر هم المؤمنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمُبَشَّر به جنات تجري من تحتها الأنهار، والمُبَشِّر هو الرسول ﷺ، والأمر بالتبشير هو الله تعالى.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: جمعوا بين الاستسلام الباطن، وهو الإيمان، والاستسلام الظاهر، وهو العمل الصالح، وجمعوا بين الإخلاص في القلب، وهو أمر باطن، والمتابعة للرسول ﷺ، وهو أمر ظاهر، فالبشرى لمن جمع بين الأمرين.

وقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: بساتين جامعة للأشجار،

وسميت جنة لأنها تجن من فيها، أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

والمراد هنا: دار النعيم التي أعدّها الله للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار، وهي أربعة أصناف ذكرها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) [محمد] الآية (١).

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، لأنه يشبهه في اللون والحجم، ولكنهم إذا طعموه تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الآكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمر متشابهًا، ولكنه يختلف في الذوق، حيث صار هذا من تمام اللذة وكمال النعمة.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٠).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحِمَامِ وَالشَّهْوَةِ».

فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ»^(١).

وقوله: ﴿ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ هو تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فهو نعيم سرمدي أبدي. ومن فوائد الآية الكريمة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في كتابه: من أحكام القرآن:

أولاً: أنه ينبغي أن يبشر العامل بما يستحق من الثواب، لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على العمل.

ثانياً: أن البشرى بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل، ولهذا يربط الله تعالى دائماً الإيمان بالعمل الصالح.

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً وثماراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) [السجدة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ

(١) مسند الإمام أحمد (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤)، وقال محققوه: حديث صحيح.

رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَآ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١).

رابعًا: أن في الجنة أزواجًا مطهرة يتلذذ الإنسان بهن، ويتمتع بهن كما قال تعالى: ﴿ إِن أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴾ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿ ٥٦ ﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿ ٥٧ ﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿ ٥٨ ﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٥) فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿ ٥٦ ﴾ [الرحمن].

وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والالتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم.

خامسًا: أن أهل الجنة خالدون فيها، وقد بينت الآية الأخرى أن هذا الخلود خلود أبدي: قال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (١٠٨) [الكهف] (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٠ - ١٣٤).

الكلمة الحادية والأربعون

وقفة مع حديث وفاة أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويُعيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص] (١).

وفي رواية أنه قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤) واللفظ له.

ذلك الجزع لأقررت بها عينك^(١).

قال أبو طالب في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الله ابن أبي أمية ابن المغيرة قد أسلم وحسن إسلامه في آخر حياته^(٢)، أما أبو جهل الطاغية المعروف فقد قتل يوم بدر على الكفر.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة من ذلك:

أولاً: أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ولا الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تُداني ولا

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٣٦).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٦).

تسامى ولا يُمكن عربياً مُقاربتُها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان، لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه. ا.هـ (١).

وقد نهى تعالى نبيه والمؤمنين عن الاستغفار لمن مات مشركاً، ولو كان قريباً أو حبيباً، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة].

كما بين ﷺ أن الاستغفار لهم لا ينفعهم ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: إن شفاعة النبي ﷺ لعمه اقتضرت بعد نزول الآيات الكريمات على تخفيف العذاب عنه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ» قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ (٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣١٤ - ٣١٥) بتصرف.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٩).

بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» (١).

وفي رواية: «مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» (٢).

ثالثًا: أن الشرك لا تنفع معه طاعة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً ولا فرضًا ولا نفلًا، بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها، هذا حكم الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر].

وقال عن أنبيائه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ» (٣).

رابعًا: أن المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، حتى لو كان هذا الشافع نبياً كريماً أو ولياً صالحاً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَلْتَقِي إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ وَجْهِهِ أَرْزَقْتَرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتِ رِجْلَيْكَ؟»

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٥).

فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ ^(١) مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٣١٤) [الشعراء]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ^(٣).. الحديث.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ^(٣٧) [سبأ].

خامسًا: الحذر من صحبة الأشرار، ففي الحديث أن أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية ما زالا يحرضان أبا طالب على الثبات على دينه حتى مات على الكفر وختم له بتلك الخاتمة السيئة.

وقد حث النبي ﷺ على اختيار الجليس الصالح، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» ^(٤).

قال الشاعر:

عن المرء لا تسلّ وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

(١) الضبع الذكر. (٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٦).

الكلمة الثانية والأربعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَعِيَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال القرطبي: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات^(١). اهـ.

قال ابن كثير: وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية وإلا فالإسرار أفضل^(٢). اهـ.

قال القرطبي: وهذا - أي إظهار الصدقة - لمن قويت حالته

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٢).

وحسنت نيته وأمن من الرياء، وأما من ضعف عن هذه الرتبة فالسر له أفضل. اهـ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

قال ابن القيم: وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خير لكم، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه، كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس، وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له؛ فيزهدون في معاملته ومعاوضته؛ وهذا قدر زائد من الإحسان إليه لمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص.... إلى آخر ما قال^(٢).

وقد مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيراً للمنفق، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته؛ ولا تخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعلمون خير.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظْلَمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ»^(٣).

وذكر النبي ﷺ صنفاً آخر يستحق ذلك التكريم، وهو الذي ذكر الله

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ١٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

خاليًا ففاضت عيناه.

روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْبَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْبَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عبد الله بن جعفر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٢).

قال العز بن عبد السلام في تفاوت فضل الإسرار والإعلان بالطاعات: فإن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعات ثلاثة أضرب: أحدها ما شُرِعَ مجهورًا كالأذان والإقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة؛ والخطب الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإقامة الجمعة والجماعات، وغير ذلك، فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص، فيأتي به مخلصًا كما شرع؛ فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهد لما فيه من المصلحة المتعدية.

الثاني: ما يكون إسراره خيرًا من إعلانه، كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خيرٌ من إعلانه.

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى، كالصدقات، فإن خاف على

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٨/١) برقم (١١٨٤).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (٩٥/٢) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

نفسه الرياء، أو عُرف ذلك منه كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] إلى آخر ما قال (١).

ومما تقدّم من الآيات والأحاديث يتبيّن أنه ينبغي للمؤمن أن يخفي أعماله الصالحة عن الخلق، إلا التي يشرع إعلانها، فإن الذي يعمل لأجله لا تخفى عليه أعماله، وسيجزيه عليها أوفر الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وليعلم العبد أنه لا ينفعه اطلاع الناس على ما يعمل؛ بل قد يضره إذا أحب ذلك.

وقد كان هدي السلف الصالح الحرص على إخفاء الأعمال، وذلك لكمال إخلاصهم وصفاء نياتهم.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ» فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢).

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره، يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي (٣).

(١) قواعد الأحكام (١/١٥٢).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٣٢٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٧) برقم (١١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٨٣).

ونقل المنذر بن سعيد عن جارية للربيع أنه كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه^(١)، وذكر ابن الجوزي أن داود بن أبي هند صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله، كان يأخذ غداءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء^(٢).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: إن كان الرجل ليجمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليفقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركت أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢١).

الكلمة الثالثة والأربعون

الولاء والبراء في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين وبغضهم، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي ملة نبينا وملتنا، وقدوته، وقدوتنا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وهو مبني على أصليين: الأول: إخلاص العبادة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٦٣] [الأنعام].

الثاني: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وإذا كان واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عنه، المخالفين له في جميع

الأمور أبين وأبين، فمن لم يحقق هذين الأصلين لا يصح له أن ينتسب إلى إبراهيم وملته.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة]. بل لقد حرم على المؤمن موالاتة الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إليه. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وذكر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب صوراً لموالاتة الكفار في رسالته «أوثق عرى الإيمان» فقال:

أحدها: التولي العام، الثاني: المودة والمحبة الخاصة، الثالث: الركون القليل. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه، فكيف بغيره. الرابع: مداهنتهم ومداراتهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم]. الخامس: طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرَهُ فُرطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم]. السادس: تقربهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام. السابع: مشاورتهم في الأمور. الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين.

أي أمر كان إمارة أو عمالة، أو كتابة، أو غير ذلك. التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين. العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول إليهم. الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة. الثاني عشر: الإكرام العام لهم. الثالث عشر: استئمانهم وقد خَوَّنَهُمُ اللهُ، الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم. السادس عشر: اتباع أهوائهم، السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم، الثامن عشر: الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيتهم. التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم: سادات وحكماء. كما يُقال للطاغوت: السيد فلان، أو يقال لمن يدعي علم الطب: الحكيم. ونحو ذلك. العشرون: السكن معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» (١) (٢).

وكما حرم سبحانه موالاته الكفار أعداء الدين، فقد أوجب موالاته المؤمنين ومحبتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ﴾ [المائدة: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن مظاهر موالاته المؤمنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار

(١) سنن أبي داود برقم (٢٧٨٧) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ برقم (٦١٨٦).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ١٧٠، ١٧٢).

بالدين، فقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثانياً: مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْتُمْ التَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثالثاً: النصح ومحبة الخير لهم، وعدم غشهم، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٣)، وصحيح مسلم برقم (٤٥).

الكلمة الرابعة والأربعون

مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص رضي عنه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، أسلم وعمره لم يتجاوز السابعة عشر عامًا، وكان من السابقين إلى الإسلام، يقول عن نفسه: مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي يَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَّثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلْتُ الْإِسْلَامَ (١)، وكان قائدًا لجيش المسلمين في معركة القادسية الشهيرة، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في الإسلام، وقد فداه النبي ﷺ بأبويه يوم أحد، عندما رأى شجاعته واستبساله في الدفاع عن النبي ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وهو أحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض، قال عنه الذهبي: «الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٧).

مالك بن أهيّب القرشي الزهري المكي، وله قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من بني زهرة، وأم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب زهرية، وهي ابنة عم أبي وقاص»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ»^(٢).

قالت عائشة بنت سعد: كان أبي قصيراً دحداً، غليظاً، ذا هامة، وجاء في بعض الروايات أنه كان يميل إلى السمرة.

روى مسلم في صحيحه من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] إلخ الآية^(٣).

وفي رواية أنه قال: يَا أُمَّهُ، تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِئَةٌ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا، فَإِنْ شِئْتَ فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَأَكَلْتُ^(٤).

وقد كانت لسعد مواقف عظيمة، تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢ - ٩٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٧٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٢٠) برقم (٢٩٥١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧٤٨). (٤) ابن أبي حاتم برقم (١٧١٦٤).

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، فقال: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «مَنْ هَذَا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسُهُ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام. قالت عائشة: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيظه ^(١)(٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث قيس، قال: سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: إِنِّي لِأَوَّلِ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّىٰ إِنَّا أَحَدْنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ^(٣). قال الشَّراح: أي لجفافه وبيسه، وقد أبلى سعد في موقعة أحدٍ بلاءً عظيمًا، فقد جاء عن أَبِي عَثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيثِهِمَا. اهـ ^(٤).

وكانا يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد القتال، وكان ذلك في موقعة أحد، وكان سعد من أمهر رماة العرب.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبُوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ^(٥).

(١) وهو صوت النائم المرتفع.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١١).

وهذا الحديث يدل على كفاءته العظيمة، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المواقف التي تدل على ورعه وتقواه أنه اعتزل الفتنة التي حدثت بين الصحابة، وجاء إليه أصحابه وقالوا: يا سعد ألا تشارك معنا في القتال؟ قال: لا، حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر، وأنشد يقول:

لَا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيْبَةٍ وَأَخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عُرْيَانًا

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عامر بن سعد قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّأِيبِ، فَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟! فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيِّ الْخَفِيَّ»^(١).

والمراد بالغني غني النفس، والخفي المنقطع إلى العبادة، والاشتغال بأمور نفسه لا يبغي منصباً ولا شهرة.

قال الذهبي رحمته الله:

اعتزل سعد الفتنة فلا حضر الجمل ولا صفيين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه^(٢).

ولما احتضر قال ابنه مصعب: كان رأسه في حجري، فبكيت، فرفع رأسه إليّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢).

قال الذهبي: صدق والله فهنيئاً له^(١).

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين من الهجرة، في قصره بالعقيق، وأوصى أن يُدفن في جبة صوف، وقال: لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم، وعمره آنذاك ثمانية وسبعون عاماً، ودُفِنَ بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢ - ١٢٣).

الكلمة الخامسة والأربعون

النهي عن الإسراف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها صفة الإسراف:

قال الراغب: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر^(١).

وقال سفيان بن عيينة: ما أنفقت في غير طاعة الله سرف وإن كان ذلك قليلاً^(٢).

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر].

والإسراف يتناول المال وغيره، قال تعالى محذراً عباده من الإسراف: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض السلف: جمع الله الطب في نصف آية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا... ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(١) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٨٤).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٩٤-٣٨٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٨).

قال عطاء بن أبي رباح قال: نهوا عن الإسراف في كل شيء (١).

قال ابن كثير: «أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن» (٢).

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» (٣) (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كُلْ مَا شِئْتَ وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ» (٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يَقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٦).

وفرق بعض العلماء بين التبذير والإسراف الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]. فقالوا: «إن التبذير هو صرف الأموال في غير حقها، إما في المعاصي؛ وإما في غير فائدة لعباً وتساهلاً بالأموال، أما الإسراف

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٩٠).

(٢) مخيلة هي العجب والكبر.

(٤) رواه النسائي برقم (٢٥٥٩)، ورواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢).

(٥) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢) باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(٦) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٥٢٨/٩).

فهو الزيادة في الطعام والشراب واللباس في غير حاجة».

قال تعالى مادحاً عباده المقتصدين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء]، وهذا هو التوسط المأمور به، لا بخل، ولا إمساك ولا إسراف ولا تبذير، لكن بين ذلك، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى أمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن الإسراف: لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تبسطها كل البسط، أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك؛ وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملوماً محسوراً، أي فتقعد إن بخلت ملوماً يلومك الناس، ويذمونك، ويستغنون عنك، كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ فَيَبْخُلْ بِمَالِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنِ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهي الدابة التي عجزت عن السير. اهـ^(٢).

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت به فهو لك، وما أنفقت رياء وسمعة

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٣).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٢٢).

فذلك حظ الشيطان^(١).

وقال ابن الجوزي: العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة تكفّه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق...» إلى آخر ما قال^(٢).

وينبغي أن ينتبه لأمر، وهو أن الإنفاق في الحق لا يُعدُّ تبذيراً، قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبدراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبدراً^(٣).

ومن الإسراف الذي يقع فيه بعض الناس: الإسراف في الولائم وحفلات الزواج وغيرها من المناسبات صغيرة أو كبيرة، حيث تقدم بها الأطعمة أكثر من الحاجة.

ومنها الإسراف في استخدام نعمة الماء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»^(٤)^(٥).

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات.

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء؟ فأراه الوضوء ثلاثاً، ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٠٤).

(١) الدر المنثور (٥/ ٢٧٥).

(٤) المد ملء كفي الرجل الممتلئ.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٠١)، وصحيح مسلم برقم (٣٢٥).

أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ^(١)».

ومنها: الإسراف في استخدام نعمة المال. روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) ويدخل في هذا الحديث الذين يسافرون إلى بلاد الكفار، فينفقون المبالغ الطائلة في تلك الرحلات، وهم بهذا جمعوا بين معصيتين الأولى: السفر إلى بلاد الكفار، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»^(٣).
الثانية: دعم اقتصاد هذه الدول الكافرة بهذه الأموال التي تنفق فيها.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٤) الحديث. وغير ذلك من الصور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سنن النسائي برقم (١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١١٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٤٦١).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٤٢٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة السادسة والأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وعملاً بهذه الآية الكريمة فلنستمع إلى آية من كتاب الله تعالى، ولنتدبر ما فيها من العظات والحكم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم].

قوله تعالى: ﴿قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم^(١)، وقال قتادة رضي الله عنه: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها^(٢).

وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة، قال ابن مسعود: هي حجارة من الكبريت الأسود^(٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

وقوله: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾ قال الشيخ ابن سعدي: أي غليظة أخلاقهم، شديد انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب، وأوجب عليهم شدة العقاب^(١). اهـ.

وقوله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، هذا مدح للملائكة وانقيادهم لأمر الله وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١ - أنه يجب على الرجل أن يأمر أهله بالمعروف ويحثهم عليه، وينهاهم عن المنكر ويزجرهم عنه؛ فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر فرائض الإسلام، ويحثهم على الأخلاق الجميلة؛ والآداب الحسنة، ويرغبهم في فضائل الأعمال، كقراءة القرآن، وتعلم العلوم النافعة، قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم].

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢).

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٩٧) برقم (٤٦٦).

يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر^(١).

وكذلك يجب عليه أن ينههم عن كل ما يغضب الله من الأقوال والأفعال، فينهاهم عن الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وعن قول الزور، وينهى نساءه وبناته عن التبرج والسفور، والخروج إلى الأسواق ومواقع الريب، وينهى جميع أهله ومن تحت يده عن مصاحبة الأشرار ومخالطتهم، والتشبه بالكفار والفساق، ويقطع عنهم الوسائل المفضية إلى غضب الله وسخطه، المشغلة عن رضاه وطاعته، كالقنوات الفضائية، والتلفاز، ونحوها من الوسائل التي تدعو إلى الرذائل ورديء الأخلاق.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(٢).

٢ - عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه الآية أخبر تعالى أن حطب النار التي توقد بها: جثث بني آدم وحجارة من الكبريت الأسود، وأخبر في آية أخرى عن هولها وشدة عذابها فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُنَىٰ ۖ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوٰى ۖ ﴿١٦﴾ تَدْعُوٓا مِّنْ أَدْبَرَ ۖ وَتَوَلَّىٰ ۖ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۖ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ ﴿٢٧﴾ لَا بُقِي وَلَا نَذْرٌ ۖ ﴿٢٨﴾ لِّلْوَاحَةِ ۖ لِّلْبَشَرِ ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ۖ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٩).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» (٢).

٣ - إثبات وجود الملائكة وأنه يجب الإيمان بهم وأنهم أصناف، فمنهم: خزنة النار الموكلون بتعذيب أهل النار وإهانتهم وأن عددهم كما ذكر الله ﷻ تسعة عشر، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدرثر] وإن كبير هؤلاء الملائكة ملك كريم اسمه مالك، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ ﴾ [الزخرف]، وأن الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ركن من أركان الإيمان الستة، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كَيْبَهُ وَكُنِيَ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة].

٤ - أن على المؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون ولو بأقل القليل من فعل الخير.

روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣).

تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ؛ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٦).

آفة السهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العادات السيئة التي ابتلي بها كثير من الناس في هذه الأزمان السهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بَرزَةَ الأسلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا ^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل.

وكان عمر بن الخطاب رضي عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: أَسْمَرًا أول الليل ونومًا آخره ^(٢).

ومن مفسد هذا السهر:

أولاً: أنه يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم]

(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٧).

(٢) فتح الباري (٧٣/٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنْكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكُهُ ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن ربيعة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثانياً: أنه يؤدي إلى النوم عن قيام الليل، قال تعالى يذكر عباده المؤمنين المتقين: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَاللَّيْلِ سَعَاتٍ يُسْتَعْفِرُونَ ﴾ (١٨) [الذاريات]، وقال أيضاً: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) [السجدة].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: «جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٣).

(ثالثاً): إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وهذا الوقت سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(١) صحيح مسلم برقم (٦٥٧). (٢) صحيح مسلم برقم (٦٣٤). (٣) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٦٣٩) برقم (١٢١٣): رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥٠٧) برقم (٨٣١).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(١).

وهذا لمن كان سهره في المباح، أما إذا كان سهره على المحرمات كالنظر إلى القنوات الفضائية السيئة، أو التحدث في أعراض المسلمين، أو غير ذلك من المنكرات، فقد جمع إلى هذه القبائح إضاعة وقته فيما يغضب ربه عز وجل.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله:

لا يجوز للمسلم أن يسهر سهرًا يترتب عليه إضاعته لصلاة الفجر في الجماعة أو في وقتها، ولو كان ذلك في قراءة القرآن أو طلبه العلم؛ فكيف إذا كان سهره على التلفاز أو لعب الورق أو ما أشبه ذلك؟ وهو بهذا العمل آثم، ومستحق لعقوبة الله سبحانه، كما أنه مستحق للعقوبة من ولاية الأمر بما يردعه وأمثاله^(٢).

(رابعًا): الأضرار الصحية التي تنتج عن السهر؛ فإن الله تعالى جعل الليل سكنًا للناس، قال تعالى: ﴿الْمُ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [النمل: ٨٦] والنوم في الساعات الأولى من الليل لا يعوض، وقد استثنى العلماء السهر إذا كان في طاعة الله، وفيه مصلحة شرعية، كقيام الليل أو الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو طلب علم شرعي؛ أو السهر مع الضيف أو الزوجة.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الفتاوى (٩٢/١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «لا سَمَرَ بعد الصلاة - يعني العشاء الآخرة - إلا لأحد رجلين مُصَلٍّ أو مُسافرٍ»^(١).

لذا ينبغي على المؤمن أن يحرص على التبكير في نومه، حرصاً على تطبيق السنة، وتخلصاً من آفة السهر ومفاسده، وعليه أن يحرص على آداب النوم؛ كالنوم على طهارة والمداومة على الأذكار الشرعية قبل النوم، وغير ذلك من الآداب التي ذكرها أهل العلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩٠/٦) برقم (٣٦٠٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

الكلمة الثامنة والأربعون

الحج وجوبه وفضله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٌ لَّهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آيَاتٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»^(٢).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خُمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٍ»^(١).

فهذه الآيات والأحاديث المتقدمة، فيها بيان أن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه العظام.

والقول الراجح من كلام أهل العلم أن الحج يجب على الفور، فمن استطاع الوصول إلى البيت ولم يحج فهو على خطر عظيم، وما يدرية لعله يأتيه الأجل وهو لم يقض هذه الفريضة العظيمة.

عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُبْعَثَ رَجَالًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَيَنْظُرُوا كُلَّ مَنْ لَهُ جَدَّةٌ وَلَمْ يَحِجَّ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْجَزِيَةَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتَنْضِلُ الصَّالَةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ - فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ»^(٤).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٦٩٥) وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٤٢/٢) برقم (١١٦٦).

(٢) التلخيص الحبير (٢/٢٢٣) والأثر أسنده اللالكائي في الاعتقاد (١٥٦٧) وابن الجوزي في التحقيق (١٢١٣) وغيرهما.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٣) برقم (١٨٣٤) وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/٥٨) برقم (٢٨٦٧) وقال محققوه: حديث حسن.

ومن فضائل الحج:

أولاً: أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص رضي عنه في قصة إسلامه، وفيها: فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (٢).

ثانياً: أن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (٣).

ثالثاً: أن النفقة في الحج يضاعف الأجر لصاحبها كما يضاعف أجر المجاهد، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بُرَيْدَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ» (٤).

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (١٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٨٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٠٦/٣٨) برقم (٢٣٠٠٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

رابعاً: أن الحج إذا كان خالصاً لوجه الله، وموافقاً لسنة النبي ﷺ وكانت نفقته من كسب حلالٍ طيب فجزاؤه الجنة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنْسٌ فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعَيْرُ
مَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ
خامساً: أن الحج والعمرة من أعظم أسباب الغنى.

روى النسائي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٢).

سادساً: أن الله تعالى يباهي بالملائكة.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٣).

سابعاً: أن من طاف بالبيت واستلم الحجر الأسود شهد له يوم القيامة. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ

(١) صحيح البخاري برقم (١٧٧٣)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٦٣٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٥٨/٢) برقم (٢٤٦٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣٤٨).

في الحجر: «وَاللَّهِ لَيُبَعِّثَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَيَّ مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ»^(١).

ثامناً: أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ^(٢).

تاسعاً: أن الحجاج وفد الله روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفُدَّ اللَّهُ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»^(٣).

وفضائل الحج ومنافعه الدينية والدينية كثيرة جداً، وقد أشار الله إليها بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٢٨) [الحج].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٩٦١)، وقال: هذا حديث حسن.
 (٢) مسند الإمام أحمد (٤٦/٢٣) برقم (١٤٦٩٤) وقال محققوه: إسناده صحيح.
 (٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٩/٢) برقم (٢٣٣٩).

الكلمة التاسعة والأربعون

نواقض الإسلام العشرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر أهل العلم نواقض للإسلام أي مفسدات، من فعلها خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية، أذكرها للعلم بها والحذر منها.

أولاً: الشرك في عبادة الله، وهو أعظم ذنب عصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۗ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَنِ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ [المائدة].

وقال لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وله صور منها: أن يصرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله، مثل النذر أو الذبح أو غير ذلك.

ثانياً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ

اللَّهُ يَخْتَلِفُ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس].

ثالثاً: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، لأن الله ﷻ كفرهم في آيات كثيرة وأمر بعداوتهم لافتراءهم الكذب عليه، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك أو شك في كفرهم مع تبينه فهو مثلهم.

أما من صحح مذهبهم واستحسن ما هم عليه من الكفر فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا والى أهل الشرك فضلاً عن أن يكفرهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، وتمثيل ذلك بالذين يقولون: إن إنفاذ حكم الله في رجم الزاني المحصن أو قطع يد السارق لا يناسب هذا العصر الحاضر، لأن زماننا قد تغير عن زمن النبي ﷺ، أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

لَكِنَّمَا أَخْشَىٰ انْسِلَاحَ الْقَلْبِ عَنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
وَرَضَىٰ بِأَرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصِهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ

ومن ذلك أصحاب القوانين الوضعية، الذين جعلوها شرعاً ومنهاجاً
يسيرون عليه، ويلزمون الناس به، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيتَةِ يَبْغُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

الناقض الخامس: «من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو
عمل به كفر» وهذا باتفاق العلماء، وقد نال المنافقون النصيب الأكبر من
هذه الخصلة، وهم يعملون ببعض شرائع الإسلام الظاهرة؛ ولكنهم في
الخفاء يضمرون البغض والكرهية لشريعة الإسلام وأهلها، ويتربصون
بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، وقال
تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وقد حكم الله على من كره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ بالكفر
والضلال، وأن أعمالهم باطلة مردودة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾﴾
[محمد].

فكل من كره ما أنزل الله فعمله حابط، وإن عمل بما كره، قال
تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو

عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿أَبْلَغَ وَأَعْيُنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥-٦٦]؛ فالاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء كما لو هزل مازحاً.

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المستهزين الساخرين بأشْر ما ذكر به قومًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [٢٩] وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ [المطففين] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٦] [التوبة]. وقد نهى الله تعالى عن مجالسة هؤلاء المستهزين وأن من جلس معهم فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي آلِكَنْبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِمَّا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسْ كَفَرُوا بِهِ ۚ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أما الصرف: فهو صرف الرجل عما يهواه، كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها، والعطف عمل سحري كالصرف، ولكنه عطف

الرجل عما لا يهواه إلى محبته، والسحر محرم بجميع طرقه وفي جميع الشرائع.

الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة].

الناقض التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ، فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام]، فمن رغب الخروج عن شريعة النبي ﷺ، أو ظن الاستغناء عنها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعيسى ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون متبعاً لشريعة النبي ﷺ، فشريعته عليه الصلاة والسلام باقية إلى يوم القيامة، وعامة لجميع الناس؛ ولا يسع أحد الخروج عنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة].

والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع، فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ

لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة^(١). اهـ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف؛ إلا المكره. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه^(٢). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (١/٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ٣٩).

الكلمة الخمسون

سوء الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ - فِيمَا يَرَى النَّاسُ
- عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ
أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا»^(١).

قال ابن بطال: وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة،
وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالِكًا
ازداد عتوًّا؛ فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء^(٢).

لَأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ شَدِيدًا، يَقُولُ
أَحَدُهُمْ: خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَحَرَكَةٍ،
وَيَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَا أَحَدٌ أَمِنَ عَلَى إِيْمَانِهِ إِلَّا يُسَلِّبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا
سُلِّبَهُ^(٣)، وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رحمته الله جَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ
رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمِنَ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ أُسَلِّبَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥١) واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١١/٣٣٠).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

الإيمانَ قَبْلَ الْمَوْتِ (١).

فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة (٢).

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: ولسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابٌ ولها طرقٌ وأبوابٌ، وأعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الآخرة والإقدام والجرأة على معاصي الله، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه وسبى عقله، فربما جاءه الموت على ذلك، وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم والله الحمد وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة (٣). اهـ.

وقد يظهر من المحتضر ما يدل على سوء الخاتمة، مثل النكول عن النطق بالشهادتين، ورفض ذلك، والتحدث بالسيئات والمحرمات، وإظهار التعلق بها ونحو ذلك من أقوال وأفعال تدل على الإعراض عن دين الله والتبرم لنزول قضائه (٤).

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٨).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦، ١٤٨).

(٤) مشاهد الاحتضار للشيخ خالد الشايع (ص ٧٥).

قال ابن القيم: وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة^(١).

قال ابن رجب: وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة^(٢). اهـ.

وقد ذكر بعض أهل العلم أسباباً ينشأ عنها سوء الخاتمة:

أولاً: التسوية بالتوبة، والاستمرار في المعاصي، والتهاون في فعل الواجبات، ويضمر بعضهم أنه سيتوب ولكن متى؟ يقول الأعزب: حين أتزوج، والطالب: حين أتخرج، والفقير: حين أتوظف، ويقول الصغير: حين أكبر. وهكذا يحدد كل واحد موعداً لتوبته فيقال لهؤلاء جميعاً: من يضمن لكم بلوغ هذه الآمال، أما تخشون أن تخترمكم المنايا قبل وصولها، ثم لو وصلت إليها هل تضمنون أن توفقوا للتوبة وقد قضيت الأعمار في الغواية والضلال، والشهوات المحرمة التي غالباً ما تكون سبباً لانقلاب القلوب وانتكاسها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَنَقَلِبْ أَعْدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ثم بين

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٢ - ١٧٣).

سبب هذا الانقلاب فقال: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ﴾ ❀ أي بسبب رد الحق أول ما جاءهم، ثم قال: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ❀.

وقد ذم الله قومًا طالت آمالهم حتى ألتهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون. قال تعالى: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٢﴾ ❀ [الحجر].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: إِنَّمَا أَخَشَى عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ (١).

ثانيًا: حب المعصية، فإن الإنسان إذا داوم على المعاصي ولم يسارع إلى التوبة منها ألفها قلبه فاستولت على تفكيره في اللحظات الأخيرة من عمره، فيموت عليها، ويبعث عليها.

روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٢).

قال ابن كثير: والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة (٣).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقي لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٧٨).

(٣) البداية والنهاية (٩/١٦٣).

فإنها هي التي أوقعته، وآخر حضرته الوفاة، ف قيل له: قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه.

وقيل لآخر عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها، والقصص في هذا كثيرة^(١).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسوية بالاستعداد فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك؛ لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه^(٢).

فعلى العبد أن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن ينأى بنفسه عما حرم الله، وأن يبادر بالتوبة من المعاصي، وأن يلح في دعاء الله أن يختم له بالخاتمة الحسنى، وأن يحسن الظن بربه ﷺ، روى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَضْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٧٣)، والجواب الكافي (ص ١٤٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

الوقت وخطر السفر إلى الخارج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: العصر هو الزمن، وقال ابن القيم: إن تسمية الدهر عصرًا أمر معروف في لغة العرب^(١).

وأقسم الله ﷻ بالزمن لأنه مستودع أعمال العباد خيرها وشرها، ولشرفه وعظمته، ففي هذا القسم ينبه الله الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم الله بأجزاء الوقت في مواضع أخرى فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ [الفجر].

وقال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [الليل]، وقال: ﴿ وَالصُّحْرِ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضحى] وهذا الزمن أغلى من الذهب والفضة فإنهما يعوضان، وأما الزمن فإنه إذا فات لا يعوض، وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ فِيمَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟»^(١).

فُيَسْأَلُ عَنْ عَمَلِهِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَعَنْ شَبَابِهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ لِأَنَّ الشَّبَابَ هُوَ مَحْوَرُ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَعَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ فِي الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ فِي مَرَاهِلِ الْعُمُرِ الْآخَرَى.

وَالزَّمَنُ مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٢) وَالغَبْنُ أَنْ يَشْتَرِيَ الْإِنْسَانُ السَّلْعَةَ بِأَضْعَافِ ثَمَنِهَا، فَمَنْ صَلَحَ بَدَنُهُ وَتَفَرَّغَ مِنَ الْأَشْغَالِ الْعَالِقَةِ بِهِ، وَلَمْ يَسْعَ لِإِصْلَاحِ آخِرَتِهِ، يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ رَجُلٌ مَغْبُونٌ، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الزَّمَانَ نِعْمَةٌ كَبْرَى لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا الْمَوْفِقُونَ الْأَفْذَادُ، وَأَنَّ الْمَسْتَفِيدَ قَلِيلٌ وَالكَثِيرَ مَفْرُطٌ وَمَغْبُونٌ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ، وَذَكَرْ مِنْهَا: وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ»^(٣).

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ السَّلَفِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَجَدَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى كَسْبِ الْوَقْتِ وَمَلَأَهُ بِالْخَيْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمِي عَلَى يَوْمٍ عَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقُصَّ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي.

(١) شعب الإيمان (٢/٢٨٦) برقم (١٧٨٥ - ١٧٨٦) وقد سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٣) مستدرک الحاکم (٥/٤٣٥) برقم (٧٩١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم (١٠٧٧).

وقال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطع عليك أمر دنياك وآخرتك^(١).

وقال أيضًا: أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء^(٢).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيَّكَ يَضِيعُ

وقال آخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطَعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرِّيحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

ومما تقدم يتبين خسارة من أضاعوا أوقاتهم في السفر إلى بلاد الكفار، ولهذا وجب التنبيه على ما لهذه الأسفار من المخاطر والمفاسد. فمن ذلك:

(أولاً): أن في السفر إلى بلاد الكفار مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَايَا نَارًا هُمَا»^(٣).

(١) فوائد الفوائد ص ٣٨٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين؛ أو للتجارة وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهرًا لدينه، عالمًا بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادرًا على إقامة شعائره، مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

(ثانيًا): كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش والمحرمات، وخاصة فتنة النساء.

روى مسلم في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (١). وقال أيضًا: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «السفر إلى البلاد التي فيها الكفر والضلال والحرية وانتشار الفساد من الزنا وشرب الخمر، وأنواع الكفر والضلال، فيه خطر كبير وعظيم على الرجل والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسدًا، وكم من مسلم رجع كافرًا، وخطر السفر عظيم؛ والواجب الحذر من السفر لبلادهم لا في شهر العسل ولا في غيره» (٣). اهـ.

(ثالثًا): إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله عز وجل، وهذا الوقت كما تقدم سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(رابعًا): إضاعة المال الكثير في غير فائدة، وإنما في الشهوات والملذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧) [الإسراء].

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٢).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/١٩٥) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله.

(خامسًا): أنه قد لا يسلم من انحراف عقدي أو خلقي أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم هو فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد والتبرج والخلاعة وتباع فيها الخمر علناً في الطرقات في ذاكرة أبنائه وبناته، وكفى بهذه مفسدة.

(سادسًا): تأثر المسلم بالكثير من تقاليد الكفار وعاداتهم السيئة.

(سابعًا): التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه

وأوامره.

(ثامنًا): أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات،

وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك كل هذا يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم؛ وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) إلى غير ذلك من المفاسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



التوكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن أعظم العبادات القلبية التوكل على الله تعالى في جميع الأمور، قال بعض أهل العلم: التوكل صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وأن يكل العبد أموره كلها إلى الله، وأن يحقق إيمانه بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع إلا هو ﷻ^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، وجاء ذكره في أكثر من خمسين آية. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الأنعام] الَّذِي يَرِنَا حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء].

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عُمَرَ
ابنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ
حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من
أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

وقد دل حديث عمر رضي الله عنه أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل،
ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون
أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما
قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم
مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو
نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير^(٢). اهـ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَسْقُ إِلَيْكَ الْأَرْزَاقُ بِلا تَعَبٍ
وَلَا تَكَلُّفٍ^(٣).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكَّلُ جِمَاعُ الْإِيمَانِ^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد
ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وقال: «التوكل نصف

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٤) وقال: حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد (١/٣٣٢)
برقم (٢٠٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل استعانة والإنابة هي العبادة»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» قَالَ: «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيتَ، فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ: فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما قَالَ: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ عليه السلام حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(٣).

فإبراهيم عليه السلام عندما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَنْدَرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنبياء].

ومحمد عليه الصلاة والسلام حين قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله سبحانه: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران].

ومؤمن آل فرعون عندما كاده قومه قال: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٤٤﴾، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا

(١) التفسير القيم (ص ٥٨٧)، ومدارج السالكين (٢/ ١١٨).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٩) برقم (٤٢٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٣).

وَحَاقَ بِعَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر].

وها هنا مسألة مهمة ينبغي للمسلم فهمها فهماً صحيحاً، وهي التوفيق بين التوكل وفعل السبب، فأقول:

أولاً: التوكل هو عمل القلب واعتماده على الله تعالى في جلب الخير ودفع الشر، وفي جميع أمور العبد كلها الدنيوية والأخروية، أما الأسباب فإنها عمل الجوارح فعلاً وتركاً.

ثانياً: من الناس من يترك فعل الأسباب كلها ويدّعي أنه من المتوكلين، ومنهم من يتعلق قلبه بالأسباب ويعتقد أنه لا يتم له أمر إلا بفعل سبب، وكلا الطائفتين قد جانبت الصواب.

والحق أن المتوكل حقيقة هو من فوض أمره إلى الله ثم نظر، فإن كان هذا الأمر له أسباب مشروعة فعلها انقياداً للشرع لا اعتماداً عليها، ولا انقياداً لها، وإنما امتثالاً لأمر الشارع، فإن لم يكن هناك أسباب مشروعة اكتفى بالتوكل على الله.

يشهد لما تقدم ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أَطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «أَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(١).

أما الطائفة الأخرى التي تعلقت قلوبها بالأسباب، فقد ضعف عندها الإيمان بكفاية الله تعالى لمن توكل عليه، فتراها تجتهد في فعل الأسباب وإن لم تكن مطلوبة شرعاً أو عقلاً، وقد أخطأ هؤلاء حين ظنوا أنه لا يتم أمر إلا بسبب.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩/٢) برقم (٢٠٤٤).

فالله عَلَيْكَ يعطي ويمنع بسبب وبغير سبب، وقد أخبر سبحانه في آيات كثيرة أن في التوكل على الله كفاية للعبد.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال عَلَيْكَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافي، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والمتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته، فيصدق الله فيما ضمنه، ويشق بقلبه، ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

فما دام العبد حيًّا فرزقه على الله وقد يسره الله بكسب وبغير كسب، فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببًا وكسبًا ومن توكل عليه لثقتة بضمائه، فقد توكل عليه ثقة به وتصديقًا، وما أحسن قول المثنى الأنباري وهو من أعيان أصحاب الإمام أحمد: لا تكونوا بالمضمون مهتمين، فتكونوا للضامن متهمين وبرزقه غير راضين^(١).

واعلم يا عبد الله أن التوكل مرتبة عظيمة لا ينال كمالها إلا القليل من العباد، والمتوكلون أحياء الله وأولياؤه.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٨).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولو توكل العبد على الله حق التوكل لم يحتج إلى غيره، لكن لما علم الله تعالى ضعف البشر شرع لهم من الأسباب ما يتم لهم به معنى التوكل، وذلك من رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم.

قال المروزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قيل لأبي عبد الله: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذا كان الله يرزقه وكان متوكلاً^(١).

فعلى المسلم أن يفهم هذه الحقائق، وأخص بالذكر إخواناً لنا يطلبون أرزاقهم بطرق محرمة أو مشبوهة، كالذين يعملون في البنوك الربوية، أو يتاجرون بما حرم الله، كآلات اللهو أو المخدرات، أو الخمر، أو الدخان، أو يتعاملون بالكذب والغش والخيانة والخداع، لأخذ أموال الناس بغير حق، ويكفي أن نسوق إلى هؤلاء جميعاً هذا الحديث العظيم الذي أوحاه جبريل الأمين إلى الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ، فاسمعوه وتأملوه؛ فإنه جدير بالتفهم والتدبر لما اشتمل عليه من الحكم العظيمة.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ أَجْلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٣).

(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة الثالثة والخمسون

مبطلات الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقْبَلُ مِنِّي رَكَعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨٠/٣) برقم (٢٥٣٧).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﷺ.

ومبطلات الأعمال كثيرة، منها ما يبطل جميع الأعمال مثل الشرك والردة والنفق الأكبر، ومنها ما يبطل العمل نفسه كالمن بالصدقة وغير ذلك، وسوف أقتصر على ذكر خمسة أمور وعسى أن يكون فيها تنبيه على ما سواها:

الأول: الشرك: فإنه محبط لجميع الأعمال، قال تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] ﴿الزمر﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [٢٣] ﴿الفرقان﴾.

روى الترمذي في سننه من حديث أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَصَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدٌ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرِكِ»^(١).

الثاني: الرياء وهو على قسمين:

الأول: أن يقصد بعمله غير وجه الله، فهذا شرك أكبر محبط لجميع الأعمال، ويسميه بعض أهل العلم: شرك النية والإرادة والقصد، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْحَسُونَ﴾ [١٥] ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧٤/٣) برقم

النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعْطُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُظَلَمُونَ نَقِيرًا، يَقُولُ: مَنْ عَمَلَ صَالِحًا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا صَوْمًا، أَوْ صَلَاةً، أَوْ تَهَجُّدًا بِاللَّيْلِ، لَا يَعْمَلُهُ إِلَّا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَوْفِيهِ الَّذِي التَّمَّسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَثَابَةِ وَحَبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ لِاتِّمَّاسِ الدُّنْيَا وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(١).

القسم الثاني: أن يعمل العمل يقصد به وجه الله ثم يطرأ عليه الرياء بعد الدخول فيه، فهذا شرك أصغر.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ»، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»^(٢).

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُرِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»^(٣).

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع بتسميته شرًا أصغر، وهو إنما سمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر،

(١) تفسير ابن كثير (٧/٤٢٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠) وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/٦٧) رقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

(١١٩/١) برقم (٣١).

ولذلك قال العلماء.

- ١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.
 ٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة،
 كصاحب الكبيرة، بل يُعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ^(١).

ثالثاً: المن والأذى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

قال الشاعر:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسنٍ ليس الكريم إذ أسدى بمنانٍ
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنْفِقُ سلعته بالحلف الكاذب» ^(٢).

(١) فتح المجيد (ص ٧٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٦).

رابعًا: ترك صلاة العصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

روى البخاري في صحيحه من حديث بُرَيْدَةَ (رضي الله عنه): أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبَطَ عَمَلُهُ»^(١).

خامسًا: التآلي على الله، روى أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده والبغوي في شرح السنة من حديث ضمضم بن جوس اليمامي قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يمامي تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدًا، ولا يدخلك الله الجنة أبدًا، فقلت: ومن أنت - يرحمك الله -؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته، قال: فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابِّينِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ: خَلْنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّىٰ وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلْنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيْنَا رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظَرَ عَلَيَّ عَبْدِي رَحْمَتِي؟! فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه): وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقْتُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٠١) ومسند الإمام أحمد (٤٦/١٤ - ٤٧)، وقال محققوه: إسناده حسن، وشرح السنة (٣٨٤ - ٣٨٥) واللفظ له.

الأجل والرزق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»^(١).

في هذا الحديث أربع قضايا من أمور الغيب يجب الإيمان بها، واليقين الجازم بصدقها، وسيقتصر حديثي على اثنين منها، وهما: الأجل والرزق.

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله كتب الأجال والأرزاق، فلا يزيد فيهما حرص حريص، ولا يردهما كراهية كاره.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣).

وقد أكد ﷺ هذه الحقيقة في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلَاتٍ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَرَى الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف].

وقد ظن بعض المنافقين أن تأخرهم عن الجهاد في سبيل الله وجبنهم عن ملاقاته الأعداء سيكون مانعاً لهم من الموت، فقطع الله تلك الآمال الكاذبة بقوله: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران]، ولهذا فإن الوقائع تشهد بأن الذين يقتلون مدبرين أكثر بأضعاف كثيرة من الذين يقتلون مقبلين، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا فَلَا أَرْضَ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءَ
ومثل الأجل الرزق، فإن ما كُتِبَ للعبد منه سيناله لا محالة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَفَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [فوريب السماء والأرض إنّه، لِحَقِّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ] [الذاريات].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

فما كُتِبَ للعبد من رزق وأجل لا بد أن يستكمله قبل أن يموت.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(٢).

وتأمل هذا الحديث في أدب الدعاء وهو يؤكد هذه الحقيقة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم حبيبة رضي عنها أنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتِ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارِ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»^(٣).

ومما تقدم يتبين ما يأتي:

أولاً: الإيمان بأن الآجال والأرزاق مقسومة، معلومة، لا يجلبهما حرص حريص ولا يردهما كراهية كاره.

(١) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

(٢) حلية الأولياء (٩٠/٧) وصححه الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٦٧٢/٢) برقم (٩٥٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣).

ثانياً: أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخذ بها، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة].

ثالثاً: في حديث أبي أمامة المتقدم إشارة إلى أمرين اثنين.

الأول: أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال، وأن يجتنب الحرام والأسباب المؤدية إليه.

الثاني: أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص، وليستحضر قوله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ؛ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

قال عمر رضي الله عنه: بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه، أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يُزد فوق رزقه^(٢).

رابعاً: الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق وتستدفع بها المكاره كثيرة وهذه إشارة إلى بعضها.

١ - التوكل على الله.

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٣).

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤٦٥) ومسنند الإمام أحمد (٤٦٧/٣٥) برقم (٢١٥٩٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢).

(٣) سبق تخريجه.

٢ - الاستقامة على شرع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ﴿١٦﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣ - المداومة على الاستغفار والتوبة: قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

٤ - صلة الأرحام: روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والخمسون

الخشوع في الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾^(١) فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ قَالَ: كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَعَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ وَخَفَضُوا لِذَلِكَ الْجَنَاحَ^(١).

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين^(٢).

والخشوع يأتي بمعنى لين القلب ورقته وسكونه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع الجوارح لأنها تابعة له، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٢٦).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

ولذلك كان النبي ﷺ في صلاته يقول: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ ابْنِ لَيْبِدٍ: أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَنَاهُ أَبْنَاؤُنَا وَنِسَاءُنَا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتَ لَا أَظُنُّكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل، فَلَقِيَ جَبْرِ بْنَ نَفِيرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ. قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَكَادَ تَرَى خَاشِعًا»^(٢).

فإذا دخل المصلي المسجد بدأت الوسوس والأفكار والانشغال بأمور الدنيا في ذهنه، فما يشعر إلا وقد انتهى الإمام من صلاته، وحينئذ يتحسر على صلاته التي لم يخشع فيها ولم يذق حلاوتها، وإنما كانت مجرد حركات وتمتمات كالجسد بلا روح.

قال ابن القيم رحمته الله: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؛ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٧٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤١٨/٣٩) برقم (٢٣٩٩٠)، وقال محققوه: حديث صحيح.

يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ولا يشبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها). اهـ^(١).

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة وإن ما بينهما كما بين السماء والأرض^(٢).

روى أبو داود في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ، تِسْعُهَا، ثُمَّهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(٣).

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، روى النسائي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤)، بل إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قُمْ يَا بَلَاءُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(٥).

من الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: أن يستحضر المسلم عظمة الباري تعالى، وأنه واقف بين يدي

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ١١).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٦٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٧٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم (٧١٤).

(٤) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/٨٢٧) برقم (٣٦٨٠).

(٥) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١) برقم (٤١٧١).

جبار السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ثانياً: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ أَنْصَرَفَ عَنْهُ»^(١).

ثالثاً: تدبر القرآن الكريم والأذكار التي يقولها في صلاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فإذا تدبّر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.

رابعاً: ذكر الموت في الصلاة.

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث سعد بن عماره أخي بني سعد بن بكر وكانت له صحبة أن رجلاً قال له: عطني في نفسي يرحمك الله، قال: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ»^(٢).

خامساً: أن يهيب المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٤٠٠/٣٥) برقم (٢١٥٠٨) وقال محققوه: صحيح لغيره.
 (٢) معجم الطبراني الكبير (٤٤/٦) برقم (٥٤٥٩)، وقال الحافظ في الإصابة (٧٠/٣):
 ورجاله ثقات، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٦/٤) برقم (١٩١٤): وهو في حكم المرفوع كما هو ظاهر.
 (٣) صحيح مسلم برقم ٥٦٠.

وأن يزيل كل ما يشغله في صلاته من الزخارف والصور ونحوها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في خميصة ذات أعلام. فنظر إلى علمها. فلما قضى صلاته قال: «أَذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ، وَاتُّونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي أَنْفًا فِي صَلَاتِي» (١).

سادسًا: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع، ليس بالأمر السهل فلا بد من الصبر والمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت] ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة.

سابعًا: استحضر الثواب المترتب على الخشوع، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَمْرٍ يُسَلِّمُ تَخَضُّرُهُ صَلَاةً مَكْتُوبَةً، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» (٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس خشوعًا في الصلاة، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ (٣).

وَأَبُو بَكْرٍ كَانَ رَجُلًا بَكَاءً لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ إِذَا صَلَّى بِهِمْ (٤)،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٥٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٨).

(٣) سنن أبي داود برقم (٩٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٧٠) برقم (٧٩٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤١٨) واللفظ له.

وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِالنَّاسِ وَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَسَمِعَ نَشِيْجَهُ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٨] (١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والناس في الصلاة على مراتب:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها، لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض وهذا في صلاته مشغول بربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه،

(١) صحيح البخاري (ص ١٥١)، باب إذا بكى الإمام في الصلاة.

والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه ﷺ في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣٤ - ٣٥).

الكلمة السادسة والخمسون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران].

قال عمر رضي عنه: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا ^(١).

قال القرطبي رحمته الله: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى ^(٢). وقال أيضاً: في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً في هلاكهم ^(٣).

وأخبر سبحانه أن الناجين من الأمم هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦١). (٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَىٰ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ [الأعراف].

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت، وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: كَانُوا أَثْلَاثًا: ثُلُثُ نَهْوًا، وَثُلُثُ قَالُوا: لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، وَثُلُثُ أَصْحَابِ الْخَطِيئَةِ، فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوْا، وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ^(١).

وبشّر النبي صلى الله عليه وسلم الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعظيم الأجر والثواب فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن الحضرمي قال: أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أُجُورِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»^(٢).

وبين سبحانه أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لسخطه ولعنته. قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨) وقال: إسناده جيد.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨/٢٤١) برقم (٢٣١٨١) وقال محققوه: حسن لغيره.

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَٰلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) وهذا الحديث أصل في تغيير المنكر، ولذلك عدّه أهل العلم من الأحاديث التي عليها مدار الدّين، حتى قيل إنه شطر الشريعة، وقيل: إنه الإسلام كله، لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه، وفيه بيان مراتب تغيير المنكر وهي الإنكار باليد واللسان، وهذا يجب بحسب القدرة والطاقة، وأن لا يترتب عليه منكر أكبر منه.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب يستلزم من العبد مفارقة المكان الذي فيه المنكر.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: من لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه. اهـ. وقال أيضًا: وإذا كان جماع الدّين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿التوبة: ٧١﴾، وهذا واجب كل مسلم قادر، وهو فرض الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره^(١).

والمنكرات إذا انتشرت ولم تُغيَّر كان ذلك نذير شر وهلاك للأمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رضي عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِضْبَعِيهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أُهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَهُ أَوْ عَلِمَهُ»^(٤).

(١) الفتاوى (٢٨ - ٦٥ - ٦٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٨) برقم (٣٦٤٤).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٧/٤٩٠) برقم (١١٤٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إنكار المنكر له أربع درجات: الأولى أن يزول ويخلفه ضده أي المعروف، الثانية أن يقل: أي المنكر وإن لم يزل من جملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة^(١).

ومن النماذج المشرقة للأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر ما نقله الذهبي في السير عن شجاع بن الوليد قال: كنت أحج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً^(٢).

وينقل عنه أنه كان يقول: إني لأرى الشيء يجب عليّ أن أتكلّم فيه فلا أفعل، فأبول أكدم دمًا^(٣)، ونقل الذهبي عن الحافظ عبد الله المقدسي أنه كان لا يرى منكرًا إلا غيّرهُ بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، قد رأيتهُ مرة يهريق خمراً فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قويًّا في بدنه، كثيرًا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات^(٤).

قال الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذا الزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

(٢) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(١) إعلام الموقعين (٣/٤، ٥).

(٣) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(٤) السير للذهبي (٢١/٤٥٤).

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور]؛ فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وليعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركة أيضاً لصداقته ومودته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه. إلى آخر ما قال^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١/٢٤).

الكلمة السابعة والخمسون

الصلاة ومكانتها في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد عظمَ الإسلام شأن الصلاة، ورفع ذكرها وأعلى مكانتها فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١١) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في

الصحيحة برقم (١٣٥٨).

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (١).

والصلاة حاجز بين العبد والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكان من آخر وصايا النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» (٢).

ولها فضائل عظيمة:

منها: أنها كفارة للخطايا والذنوب، قال تعالى: ﴿وَاقْرَأِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» (٣).

ومنها: أن هذه الصلاة نور للعبد: روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ، أَوْ تَمْلَأُ، مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٦٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٠٩/٢) برقم (٢١٨٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٧).

نَفْسُهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» (١).

ومنها أن المسلم يبلغ بالصلاة والصيام مقام الشهداء.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ حَيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَشْهَدَا أَحَدُهُمَا، وَأُخِرَ الْآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ؟!» (٢).

والصلاة يجب أن تؤدى في أوقاتها المحددة شرعاً، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال البخاري: مَوْقُوتًا وَقْتُهُ عَلَيْهِمْ. وأداء الصلاة في وقتها من أحب الأعمال إلى الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَوَقْتُهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

ومما جاء في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها حديث رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي أَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهَدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٤/١٢٧) برقم (٨٣٩٩) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٥).

حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وهذه الصلاة يجب أن تؤدى في بيوت الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

فبيّنت الآية وجوب صلاة الجماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّن حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٢).

قال بعض أهل العلم: إن النبي ﷺ ما هم بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

وجاء في ذكر السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»^(١)، والمساجد بيوت الله من دخلها فقد حل ضيفاً على ربه، فلا قلب أطيب ولا نفس أسعد من ضيف حل على ربه في بيته وتحت رعايته، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).
 (٢) الطبراني في الكبير (٢٥٤/٦) برقم (٦١٤٣) قال المنذري في كتاب الترغيب والترهيب (٢٩٨/١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وقال: إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. اهـ. وحسنه الألباني رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣/١) برقم (٣٣٠).

مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

أسلم هذا الصحابي سنة ثمان من الهجرة، وخاض عشرات المعارك.

يقول عنه المؤرخون: لم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام، يقول عن نفسه: «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مَوْتَةِ تِسْعَةَ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»^(١). وهذا يدل على شجاعته الفائقة، وعلى القوة العظيمة التي ركبها الله في جسده، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركتي اليمامة واليرموك الشهيرتين، وقطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وكانت هذه من أعاجيب هذا القائد، وقد سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول، وأخبر أنه: «سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» والمنافقين، وقال عنه: «نِعَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٦/١) برقم (٤٣) وقال محققوه: حديث صحيح بشواهده.

إنه فارس الإسلام خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي المكي، وهو ابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، كان رجلاً ضخماً، عريض المنكبين، قوي البنية، أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، ومن هذه المواقف: معركة مؤتة الشهيرة، وقد حدثت سنة ثمان من الهجرة في نفس السنة التي أسلم فيها خالد، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل، ونظراً لعدم تكافؤ العدد بين المسلمين وعدوهم، فقد ظهرت في هذه المعركة بطولات عظيمة للمسلمين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم على جيش المسلمين زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وقد استشهد القادة في هذه المعركة، بعد ذلك أخذ الراية ثابت بن أقرم، وقال للمسلمين: أمروا عليكم رجلاً، فاخاروا خالد بن الوليد، وهنا ظهرت شجاعته العظيمة وعبقريته الفذة، فقام بإعادة ترتيب جيش المسلمين مرة ثانية، فجعل اليمينه ميسرة، والميسرة يمينه، ثم جعل بعض الجيش يتأخر قليلاً، ثم بعد فترة يأتون على هيئة مدد، حتى يضعف من عزيمة العدو، ثم حمل بالمسلمين حملة عظيمة على الروم جعلتهم يتقهقرون وتضعف عزيמתهم، وأبدى صلى الله عليه وسلم من صنوف الشجاعة والبطولة ما تتقاصر عنه همم الأبطال، ثم إنه بحنكته وسياسته اتخذ طريقة عجيبة في الانسحاب المنظم بالمسلمين، واكتفى بتلك الضربة، ورأى ألا يقحم المسلمين في معركة غير متكافئة، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فتحاً، فقال عندما نعى القادة الثلاثة: «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٥٧).

وقد شهد خالد حروب الردة، وغزا العراق، وقد اختلف أهل السير في أسباب عزل خالد عن قيادة جيش المسلمين في الشام، ولعل الصحيح ما نقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا، لأنزعن خالدًا حتى يعلم الناس أن الله إنما ينصر دينه بغير خالد^(١).

ومن أقواله العظيمة أنه قال: ما من ليلة يُهدى إليّ فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ، أحبُّ إليّ من ليلةٍ شديدة البرد، كثيرة الجليد في سريّة من المهاجرين، أصبح فيها العدو^(٢).

وكتب رسالة إلى الفرس قال فيها: لقد جئتكم بقومٍ يحبون الموت كما تحبُّ فارسٌ شربَ الخمرِ.

قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالدًا وهو يقول: منعني الجهاد كثيرًا من تعلم القرآن الكريم^(٣).

قال أبو الزناد: لما احتضر خالدٌ جعل يبكي، وقال: لقد شهدت كذا وكذا من المعارك زحفاً، وما في جسدي موضعٌ شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ بسيفٍ، أو رميةٌ بسهمٍ، أو طعنةٌ برمحٍ، وها أنا أموتُ على فراشي حتف أنفي كما يموت البعيرُ، فلا نامت أعينُ الجبناء^(٤)؛ لقد تمنى خالد الشهادة ونرجو أن الله بلغه إياها.

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من سأل الله الشهادة بصدقٍ، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٨). (٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٥).

(٣) ذكره الحافظ في المطالب العلية (٤٠٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (١٩٠٩).



وعند وفاته لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلामه، جعلها في سبيل الله، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قال: رَحِمَ اللهُ أَبَا سُلَيْمَانَ كَانَ عَلَيَّ مَا ظَنَّنَّا بِهِ^(١).

وجاء في حديث عمر بن الخطاب في الزكاة: أن النبي ﷺ قال: «أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظَلُّمُونَ خَالِدًا قَدْ احْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»^(٢).

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين من الهجرة في مدينة حمص الشامية، وعمره آنذاك ثمانية وخمسون عامًا^(٣).

رضي الله عن خالد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نفتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين، وتربى في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١)، وقال له أيضًا: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢)، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدا غزوة تبوك، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو على قيد الحياة، إنه فارس الإسلام أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وله قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وصفه أهل السير بأنه كان أسمر اللون، كثيف شعر اللحية، ربعة من الرجال، ضخم البطن، حسن الوجه، إلى القصر أقرب، ويكنى أبا الحسن أو أبا تراب^(٣).

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمنها أنه بات في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة،

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٨). (٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٣٢، ١٣٣).

وعرض نفسه للقتل فداء للنبي ﷺ، وهو أول من بارز في سبيل الله مع حمزة رضي عنه وعبيدة بن الحارث، وهو من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في غزوة أحد.

ومنها ما حدث في غزوة الخندق عندما اقتحم عمرو بن ود بفرسه، وكان فارسًا من فرسان العرب المشهورين، وطلب من المسلمين المبارزة وهو مقنع بالحديد، فقال: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليّ رجلاً. فخرج إليه بن أبي طالب، فقال: ارجع يا ابن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي بن أبي طالب: ولكنني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبًا، واستقبله عليٌّ بدرقته وضربه عمرو في الدرقة فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشججه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن عليًا قتله وهو يقول:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

ومن مواقفه العظيمة أن خبير لما استعصت على جيوش المسلمين قال النبي ﷺ: «لَأَعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ،

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ
لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

فلما وصل علي خرج له ملكهم مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:
قَدْ عَلِمْتَ خَيْرٌ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْثٌ غَابَاتٍ كَرِيهَةِ الْمَنْظَرَةِ
أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

فاختلف علي ومرحب ضربتين، فأما ضربة علي فكانت القاضية
وفتح الله عليه.

ومع شجاعته العظيمة فقد كان من علماء الصحابة، ومن دهاة العرب،
فقد جيء بامرأة إلى عمر وقد ولدت غلاماً لسته أشهر فأمر برجمها.

فقال له علي: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى:
﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؟ فالحمل ستة أشهر
والفصال وهو الفطام في عامين.

فترك عمر رجم المرأة وكان يقول: قضية ولا أبا الحسن لها.

وكان رضي الله عنه شديد الورع فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من
حديث أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس
والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت^(٢) من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه،
وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلي الدهقان^(٣)،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦). (٢) أي: ما أخذت.

(٣) (٤٨٠/٤٢).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث هارون بن عنتره عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال: من المدينة^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زهير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قال: حسن: يوم الأضحى - فقرب إلينا خزيرة^(٢)، فقلت: أصلحك الله، لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الوز - فإن الله وَعَلَّمَ قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زهير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ، قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ»^(٣).

ومن أقواله العظيمة أنه كان يقول: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله).

ومن أقواله أيضاً: (خمس خذوهن عني: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحيي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٤).

وقيل: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: (ما أصف لكم من

(١) (١/٨٢).

(٢) لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج دُرَّ عليه الدقيق.

(٣) (٢/١٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٦٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٧).

دار، من افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، ومن صح فيها أمن، حلالها الحساب، وحرامها العقاب).

وقال أيضاً: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة: قيل وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينغصه إياها^(١).

قال ابن كثير: ولقد أخبر النبي ﷺ علياً بقتله، فكان كما أخبر سواء بسواء^(٢). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْيِمِرُّ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي قَرْنَهُ، حَتَّى تَبْلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ»^(٣).

وكان قتله رضي الله عنه على يد الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين من الهجرة، في السابع عشر من شهر رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٣].

قال الذهبي رحمه الله: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل^(٤).

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٤).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٠/ ٢٥٧) برقم (١٨٣٢١)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٤) تاريخ الإسلام (ص ٦٥٤).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده من طريق عمرو ذي مر قال: لما أصيب علي بالضربة، دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أرني ضربتك. قال: فحلها، فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم. فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لما بكيت. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود، والنبيون، وهذا محمد ﷺ يقول: «يا علي أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه»^(١).

وقد رثاه أبو الأسود الدؤلي، وبعضهم يرويهَا لأم الهيثم بنت العريان النخعية:

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْعِدِينَا	أَلَا قُلْ لِلخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا
تُبْكِي أُمَّ كَلْثُومٍ عَلَيْهِ	أَفِي الشَّهْرِ الحَرَامِ فَجَعَلْتُمُونَا
أَلَا قُلْ لِلخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا	قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ المَطَايَا
أَفِي الشَّهْرِ الحَرَامِ فَجَعَلْتُمُونَا	وَمَنْ لَبَسَ النُّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ المَطَايَا	وَكُلُّ مُنَاقِبِ الخَيْرَاتِ فِيهِ
وَمَنْ لَبَسَ النُّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا	لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ حَيْثُ كَانُوا
وَكُلُّ مُنَاقِبِ الخَيْرَاتِ فِيهِ	كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا
لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ حَيْثُ كَانُوا	
كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا	

رضي الله عن علي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أسد الغابة (٣/٣٠٣).

الكلمة الستون

الصبر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ أَجُودَ مَا يَسْتَعَانُ بِهِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ) (١). اهـ.

وقد ذكر الله الصبر في مواضع عديدة من كتابه، وأضاف إليه كثيراً من الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة].

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة] فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، وطلب علمه يحتاج إلى الصبر (٢). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٦).

ومن الأدلة على أهمية الصبر أن الله أمر به رسوله أول ما أوحى إليه، وأمره بالإنذار، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝١ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر].

وفي قوله: ولربك فاصبر إشارة إلى إخلاص الصبر لله تعالى، لا ليُقَالَ صبور، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبَعَّاءَ وَجْهٍ﴾ [الرعد: ٢٢] الآية.

قال بعض السلف: (عجباً للصبر تداوى به الأشياء ولا يُداوى بشيء). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءً حَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وَجَدْنَا حَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ^(٣).

وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له^(٤).

والصبر هو حبس النفس على الطاعة، وكفها عن المعصية، والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه ولا معه.

قال ابن القيم: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

(٣) الدر المنثور (١/١٦٣). (٤) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

صبر الأوامر والطاعات حتى يؤدِّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها». اهـ^(١).

فأما الصبر على طاعة الله، فإن النفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ٦٥ ﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ١٣٢ ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ٢٨ ﴾ [الكهف].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكَ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكَ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ». أَوْ قَالَ: «عَلَى الشُّوكِ»^(٣).

ويدخل في ذلك الصبر على الطاعات الواجبة والسنن المشروعة،

(١) مدارج السالكين (١٦٣/٢).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١١٧/١٧) برقم (٢٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٤/١٥) برقم (٩٠٧٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

والدعوة إلى الله، وطلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

ثانياً: الصبر عن معصية الله فإن العبد محتاج إلى الصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها المحرمة، قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ [الإنسان]. قال بعض المفسرين: صبروا عن معصية الله (١).

ثالثاً: صبر على أقدار الله كفراق الأحبة، وخسارة المال، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء»، ثم الأمثل فالأمثل، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (٢).

قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وقال آخر:

وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمُحْتَمِومِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسْرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتْبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٩/٢١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وينبغي للمسلم أن يصبر عند أول سماعه للمصيبة، وأن يسترجع ربه. وأن يذكر مصابه بالنبي ﷺ.

روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكَرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه -، فقيل لها: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنني قتلها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ^(٣).

لكن لا يشرع للمسلم أن يسأل الله الصبر قبل وقوع البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن

(١) سنن الدارمي (١/٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩١٨).

النبي ﷺ سمع رجلاً وهو يقول: اللهم إنِّي أسألك الصبر، فقال: «قَدْ سَأَلْتَ الْبَلَاءَ فَسَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٦/٣٤٨) برقم (٢٢٠١٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

الكلمة الحادية والستون

عذاب القبر ونعيمه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:
 أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ
 وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
 النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

فهذا الحديث أحد نصوص كثيرة من القرآن والسنة تثبت عذاب القبر ونعيمه، وأنه حق يجب الإيمان به والاستعداد له.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ۖ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾
 وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
 الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ۖ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ
 الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ [الواقعة].

قال ابن كثير: هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند الاحتضار، إما أن يكون من المقربين، وإما أن يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

فقوله فروح وريحان وجنت نعيم، أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت. اهـ^(١). وقد استدل بعض العلماء على أن عذاب القبر حق يجب الإيمان به، بقوله تعالى عن آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) [غافر].

قال ابن كثير: فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدَكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُؤَقِنُ لَا أَدْرِي أَيِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لِمُوقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ»^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال:

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٦/١٣). (٢) تفسير ابن كثير (١٢/١٩٣) بتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٠٥).

«نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا رَأَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً، إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١).

وقد بين النبي ﷺ لأُمَّته صورة هذا الابتلاء الذي يكون في القبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوَلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. قال: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]^(٣).

وشرع النبي ﷺ لأُمَّته أن يستغفروا للमित، ويسألوا له الثبات، روى أبو داود في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٠) مختصرًا.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٧١).

من دفن الميت وقف عليه وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّشْيِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(١).

وكان النبي ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر، وأمر بذلك أصحابه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثم أقبل علينا بوجهه: فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

والقبر أول منزل من منازل الآخرة، روى الترمذي في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قال: وقال رسول الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ»^(٣). وفي القبر ضمة لا يسلم منها أحد.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٣٢٢١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٢٠) برقم (٢٧٥٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٧).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم (١٨٧٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤/٣٢٧) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بن معاذ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فَرَّجَ عَنْهُ» (١).

قال الشافعي:

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا مَالٌ وَلَا وَكْدٌ وَضَمَّةُ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ
ليتصور كل واحد منا نفسه وقد حُمِلَ عَلَى أَكْتافِ الرِّجَالِ، وَوُضِعَ
فِي هَذِهِ الْحَفْرَةِ الضَّيْقَةِ الْمَظْلَمَةِ الَّتِي لَا أُنَيْسَ فِيهَا، وَلَا جَلِيسَ، وَلَا
مَالٍ، وَلَا بَنُونَ، وَأَصْبَحَ الْقَبْرَ مَسْكَنَهُ، وَالتَّرَابَ فِرَاشَهُ وَالدُّودَ أُنَيْسَهُ،
فِي ذَاكَ الْمَوْقِعِ لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ، وَلَا الْمَنَاصِبُ، وَلَا الشَّهَادَاتُ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَلِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٣٧) [سبأ].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ» (٢). فينبغي للمؤمن أن يتدارك نفسه وأن يبادر بالتوبة النصوح؛ وأن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن يكون على استعداد للقاء ربه.

قال الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَ التَّقْوَىٰ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ فَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَاهِيًا وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عَلَّةٍ وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

وكم من صِغَارٍ يرتجى طُولَ عُمرهم وقد أُذخِلَتْ أجسادُهُم ظُلْمَةَ القبرِ وأختم بهذه البشارة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد بن حنبل رواه عن محمد بن إدريس الشافعي ورواه الشافعي عن مالك بن أنس ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ^(١) فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعُهُ اللهُ إِلَيْ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(٢)(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي يأكل.

(٢) مسند الإمام أحمد (٥٨ / ٢٥)، قال محققوه: إسناده صحيح ما فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٦٣).

الكلمة الثانية والستون

فضل الدعوة إلى الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر تعالى جماعة من الأنبياء ﷺ في سورة النساء، ثم قال: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٦٥]. [النساء].

فبيّن تعالى في هذه الآية وظيفتهم، وهي دعوة الناس إلى الله تعالى تبشيراً بالخير، وتحذيراً من الشر، قال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [٤٦]. [الأحزاب] ثم أمره أن يبين لأُمَّته أن هذه وظيفته ووظيفة أتباعه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨]. [يوسف].

فالرسل وأتباعهم مأمورون بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته، وإنذارهم عن الشرك به ومعصيته، وهذا مقام شريف، ومرتبة عالية لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣]. [فصلت].

ولما عرف الصالحون شرف هذه المهمة حرصوا عليها، فلم

يسيروا إليها مشياً؛ بل سعوا لها سعياً، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ لَمَّا أُرْسِلَهُ لِقِتَالِ الْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا» (٢)، فتأمل أخي هذا الفضل العظيم، فإن الداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته وهو نائم في فراشه، أو مشغل في مصلحته؛ بل إن ذلك يجري له بعد موته، لا ينتهي ذلك إلى يوم القيامة.

وبعد ما تقدّم أذكر نفسي وإخواني ببعض الوصايا، التي أرجو أن تكون علامات يستنبطونها بها في طريق الدعوة إلى الله.

أولاً: أوصي الداعية إلى الله بالإخلاص في دعوته، وقد أرشد تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: وفيه مسائل منها:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٤).

التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه^(١)، قال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء.

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أمره الله بدعوة فرعون سأل ربه أن يرزقه حسن الإبانة عما يريد، لا ليُقَالَ خطيباً أو فصيحاً كما أخبر سبحانه أنه قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مَن لِّسَانِي﴾ [طه].

ثانياً: على الداعي إلى الله أن يتزود بالعلم الشرعي، كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فإنه بهذا تكون دعوته أقرب إلى دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحري بمن كان كذلك أن تستجاب دعوته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي في هذا شرف العلم، أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء^(٢). اهـ.

ثالثاً: دل قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص]: أن من توفر فيه هذان الأمران، كانت دعوته واجبة القبول.

وهما: ألا يأخذ على دعوته أجراً سوى ما يرجوه من ربه^(٣)، وأن يكون من المهتدين، وذلك يشمل هدايته في دعوته وهدايته في نفسه، وفي ضمن هذا التنبيه للداعي إلى الله كما يدعو الناس بقوله أن يدعوهم بعمله.

(١) كتاب التوحيد (ص ١٦).

(٢) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٣) ولا يدخل في ذلك ما يأخذه من كلف بالدعوة من أجر من بيت المال.

رابعاً: الصبر في سبيل الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرَ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۝٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن لوازم الصبر ألا يستطيل الطريق، ولا يستعجل النتائج. روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لَيَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

خامساً: يجب أن يعلم الدعاة وغيرهم أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، يجب أن تنتشر، وأن تبلغ إلى الناس جميعاً، في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتقوم الحجة على العباد، ولكي تصل دعوة الرسول ﷺ إلى كل من بعث إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سبأ].

وقد علم الدعاة المصلحون ورثة الرسل هذه الحقيقة، فقاموا وبينوها للناس امتثالاً لأمر ربهم حين قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۝﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

قال سماحة الشيخ الإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله، حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وليس بخافٍ على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها؛ بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله؛ وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ^(٢).

وقال أيضاً: فعند قلة الدعاة وكثرة المنكرات وغلبة الجهل كحالنا

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٣٤٦١).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٤٨، ٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله كفى وصار التبليغ في حق غيره سنة؛ لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره، ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة، وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ومقالات للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٢).

الكلمة الثالثة والستون

تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أكبر الأمانات، وأعظم المسؤوليات تربية الأولاد، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم].

قال علي بن أبي طالب (رضي عنه): أدبوهم وعلموهم الخير، وعلى الأب أن يراعي في التربية الأمور التالية.

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة، وهي أول خطوة من خطوات التربية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة (رضي عنه): أن النبي ﷺ قال: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو (رضي عنه): أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٢).

ثانياً: الإخلاص لله في التربية واحتساب الأجر على الله فيما يبذل فيها من جهد أو مال، لا يقال إنه أحسن فيها، أو يشار إليه بالبنان، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٦) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١).
فالتربية عبادة من أجل العبادات، لما يترتب عليها من منافع خاصة وعامة، ولما فيها من المشقة والعناء.

ثالثاً: تعويد الأولاد على العبادات وحثهم عليها بالرفق والحسنى منذ الصغر؛ ليألفوها ويحبوها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية.

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢).
وفي رواية: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان عنده صغير، أو مملوك، أو يتيم، فلم يأمره بالصلاة فإنه يُعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير، ويعزر الكبير تعزيراً بليغاً؛ لأنه عصى الله ورسوله^(٤). اهـ.

وقال ابن القيم رحمته الله: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء،

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٧/١) برقم (٤٦٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) الفتاوى (٥١/٢٢).

وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا^(١). اهـ.

رابعًا: تجنيبهم المحرمات والمنكرات، وتحذيرهم منها، وغرس بغضها في قلوبهم لما تجره عليهم من ويلات في الدنيا والآخرة، وبعض الآباء لا يهتم بهذا، بحجة أنهم صغار وغير مكلفين، وهذا خلاف ما كان عليه المعلم الناصح ﷺ.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كَيْخ، كَيْخٍ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!»^(٢).

خامسًا: القدوة الحسنة، وهي من ضروريات التربية، فمعلوم أن الابن يعجب بأبيه ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على الآباء والأمهات والمربين أن لا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِمُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنِ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لَا تَنهَ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

سادسًا: إبعادهم عن جلساء السوء، وتوجيههم إلى مصاحبة الأخيار والصالحين.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (ص ٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٩١).

قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(١).

وبعض الآباء هدايا الله وإياه لا يعرف أين يذهب أبناؤه، ولا من يصاحبون، ولا كيف يقضون أوقاتهم، وربما جعل هذه المهمة خاصة بالأم، ومعلوم أن الأم لا تستطيع متابعتهم في أكثر الأحوال، وأعظم وأقبح من ذلك تولية الخدم والسائقين تربية الأولاد وتوجيههم فإلى الله المشتكى.

سابعاً: إلحاق الابن بحلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في المساجد.

روى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

ثامناً: حماية الأبناء من وسائل الإعلام السيئة، فمن العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وتدفعهم إلى ارتكاب الجريمة والسير في مهوي الرذيلة، ما يشاهدونه في القنوات الفضائية وعلى شاشة التلفاز، من أفلام خليعة، وتمثيلات هابطة، وكذلك أفلام الكرتون السيئة التي تحتوي على كثير من المخالفات الشرعية في العقيدة والسلوك، مع تساهل كثير من الناس بها، وغفلتهم عما تحويه من الشرور العظيمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧/٣) برقم (٤٠٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٧).

يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

ومن الغش: إدخال هذه الأجهزة التي تفسد عليهم دينهم وأخلاقهم.

تاسعاً: تعليمهم أمور الإسلام والإيمان وغرس تعظيم الله في قلوبهم، وحبهم له، وتحبيب النبي ﷺ إليهم وبيان فضله وفضل الاقتداء به، وتعليمهم الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة كآداب اللباس، والمسجد، والطعام والشراب وأذكار الصباح والمساء، واحترام الكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، وتعويدهم على الكلام الحسن وتجنبيهم الألفاظ القبيحة، والنظافة في البدن والثياب، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

عاشراً: تعويدهم على النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً وشغل أوقاتهم بما ينفعهم والإذن لهم في اللعب المباح في أوقات محددة حتى لا يملوا.

الحادي عشر: أن يكون الأب رقيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (٢)، وأن يعدل بينهم في كل شيء، في كلامه وسلامه، ونفقته، وعطاياه، وغيرها مما يحتاجون إليه حتى لا تقع الغيرة بينهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» (٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٦٢٣).

الثاني عشر: أن يعلم الأب أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وإنما عليه هداية الدلالة والإرشاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصص].

وعليه أن يكثر من الدعاء لهم بالصلاح والهداية، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) [الفرقان].

وليحذر من الدعاء عليهم. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٢) مطوية في تربية الأبناء للشيخ عبد اللطيف بن باجس الغامدي.

خطورة الاستهزاء بالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي تخرج فاعلها من دائرة الإسلام وتوجب له الخلود في نار جهنم الاستهزاء بالله أو رسوله أو كتابه أو المؤمنين، وحيث إن الموضوع واسع المجال لمن أراد أن يتكلم فيه، رأيت إيجاز القول في العناصر التالية:

- ١ - تعريف الاستهزاء وذكر أمثلة لذلك.
 - ٢ - حكم الاستهزاء وبيان الأدلة على كفر المستهزئين وأقوال أهل العلم في ذلك.
 - ٣ - حكم توبة المستهزئ وهل تُقبل أم لا؟
 - ٤ - صور من الاستهزاء في وقتنا المعاصر.
- أما تعريفه: فإن الاستهزاء لغة: مصدر من قولهم استهزأ يستهزئ، وهو مأخوذ من مادة (هـ - ز - أ) التي تدل على السخرية، أو على مزح في خفية، أو على السخرية واللعب^(١). اهـ.
- قال بعض أهل العلم: ينقسم الاستهزاء إلى قسمين - الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء،

(١) ابن فارس في المقاييس (٦/٥٢)، مفردات الراغب (ص ٥٤٠).

أرغب بطوناً، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، وقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس. وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الديك، من باب السخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى، إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية^(١).

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقها حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات، وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو هذا وهابي، أو مذهب خامس أو الدين ليس في الشعر استهزاء بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله واستهزاء بالعقيدة الصحيحة^(٢). اهـ.

٢ - الاستهزاء غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له مثل الغمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

أما حكم الاستهزاء فإنه كفر، وهو من نواقض الإسلام العشرة كما ذكر ذلك أهل العلم، وهو من أعظم صفات المنافقين والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٧).

(١) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

(٣) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُو مَا لَمْ يَنَالُوا ﴿التوبة: ٧٤﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

وسبب نزول هذه الآية عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة: دخل حديث بعضهم في بعض، أن رجلاً كان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُرَاتِنَا هَؤُلَاءِ أَرْعَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ» وهو يعني بقوله هذا: النبي ﷺ وأصحابه القراء ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: فكأنني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجلية، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال له رسول الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، مَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُ عَلَيْهِ» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه (٢).

(١) تفسير ابن جرير (٤٠٣٦/٥) برقم (١٦٩٧٠)، وقال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٢٦: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام ابن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٦٤/٤) من حديث كعب بن مالك.

(٢) الفتاوى (٢٧٣/٧).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ولو قال وهو يتعاطى قذح الخمر، أو يقدم على الزنا: بسم الله استخفافاً بالله تعالى كفر^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «التوحيد»: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وفيه مسائل:

الأولى وهي العظيمة: أن من هزل بهذا كفر^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً، لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجمالاً^(٣). اهـ.

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: «الذي يبغض اللحية ويقول وساخة، هل هو مرتد؟»

فأجاب: إن كان يعلم أنه ثابت عن الرسول الله ﷺ، فهذا استهزاء بما جاء به الرسول ﷺ، فحريٌّ أن يحكم عليه بذلك^(٤).

وإن من الردة عن دين الله: ما يتلفظ به بعض أبناء المسلمين من كلمات كفرية، يخرجون بها من دين الإسلام وهم لا يشعرون.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا^(٥) يَهْوِي

(١) روضة الطالبين (١٠/٦٧). (٢) (ص ٥٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١١/١٩٥).

(٥) أي ما يتفكر هل هي خير أو شر؟

بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (١).

أما عن توبة المستهزئ، فقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «القول المفيد في شرح كتاب التوحيد»: وقد اختلف أهل العلم فيمن سب الله أو رسوله أو كتابه، هل تقبل توبته أم لا؟ على قولين:

الأول: أنها لا تقبل توبته، بل يقتل كافرًا ولا يُصلى عليه ولا يدعى له بالرحمة، وهو المشهور عند الحنابلة.

الثانية: أنها تُقبل توبته إذا علمنا صدقه وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم (٢).

ومن صور الاستهزاء التي نرى ونسمع وللأسف في هذه الأيام، هذه المقالات السيئة والرسوم الساخرة، التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، ويزعمون أنها للتسلية وفيها الكفر والردة عن الدين.

أحدهم رسم ديكًا تتبعه أربع دجاجات يقصد السخرية من تعدد الزوجات، وآخر كتب مقالًا تهجم فيه على الحجاب، وزعم أنه تخلف ورجعية، وآخر سَوَّلَ له الشيطان سوء عمله فجعل القرآن شعرًا يتغنى به على أنغام الموسيقى. نسأل الله السلامة والعافية.

وينبغي أن يعلم أنه يجب الإنكار على هؤلاء المستهزئين وتنبههم على عظيم جرمهم وخطورته، فإن لم يستجيبوا فلا يجوز الجلوس معهم في مجلس واحد، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٢) (٢/٢٦٨) بتصرف.

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن الصحف والمجلات والكتب التي تنشر المقالات الإلحادية والصور الخليعة وتشيد بالكفار والفجار وأهل الفن، وهل يجوز شرائها أو بيعها أو الترويج لها؟ فأجاب: الصحف التي هذا شأنها يجب أن تقاطع وأن لا تشتري ويجب على الدولة إذا كانت إسلامية أن تمنعها لأن هذه تضر المجتمع وتضر المسلمين فالواجب على المسلم أن لا يشتريها وأن لا يروجها وأن يدعو إلى تركها، وعلى المسؤولين الذين يستطيعون منعها أن يمنعوها^(١). أ.هـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/ ١٢٧٤).

وقفه مع حديث شريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ أَحَبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

هذا الحديث الشريف اشتمل على وصايا عظيمة وجمل نافعة، من هذا الملك الكريم جبريل عليه السلام، ينبغي أن نقف عندها ووقفه تأمل وتدبر.

فقوله: عِشْ مَا شِئْتَ: أي مهما طال عمرك في هذه الحياة فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ عَالٍ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

(١) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٣).

تَخْصِمُونَ ﴿٣١﴾ [الزمر].

قال كعب بن زهير:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ

وقال آخر:

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ (١)، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً. قَالَ: أَيُّ رَبِّ تُمْ مَاذَا؟ قَالَ: تُمْ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ (٢). فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجْرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَلَوْ كُنْتُ تُمْ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

ومن فوائد قوله: «عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ»: أن يعلم المؤمن أن الموت قد يأتيه بغتة وهو في غفلة عنه، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون].

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد للقاء ربه ولا يغتر بالحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [العنكبوت].

(١) أي ضربه والمفهوم من الحديث أنه ضربه على عينه فأخرجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْرَنَكُمْ أَلْيُوهُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُم بِاللهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر].

وقوله: «وَأَحِبُّ مَنْ أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أي أحب من شئت من زوجة، وأولاد، ومال ومنصب، وجاه، وغيرها، من متاع الدنيا فإنك عما قريب ستفارقها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).
ومن فوائد الجملة السابقة: الاستعداد لفراق الأحبة، حتى إذا وقع يكون المؤمن قد تاهب لذلك فيخف وقعه عليه.

ومنها: أن يهتم المؤمن للرفيق الذي لا يفارقه في الدنيا والآخرة، وهو عمله الصالح.

قوله: «وَأَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل].

وقد ذكر الله بذلك فأعظم الذكر، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا﴾

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾ [البقرة].

قوله: «وَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ» فيه إشارة إلى تعويض المؤمن عما يفوته من شرف الدنيا المنهي عن الحرص عليه، فيرتفع ذكره ويشرف قدره بقيام الليل، قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ»^(١).

وقوله: «وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»، العزة مطلب لكل نفس أبية، وإن من أعظم أسباب نيل العزة: التعلق بمن العزة بيده سبحانه، وترك التعلق بمن دونه ممن لا يزيد التعلق بهم إلا ذلاً وهواناً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنِعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩) وقال: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/١٩٩ - ٢٠٢) برقم (٤٥٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السَّوَاكِ»^(٢).

قال الشاعر:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال عمر رضي الله عنه: إِنْ الطَّمَعُ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ يَيْئَسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ^(٣).

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بَنٌ وَسِعَ يَبُلُّ الْخُبْزَ الْيَأْسَ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُ، وَيَقُولُ: مَنْ
قَنَعَ بِهِذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) الطبراني في الكبير (١١/٤٤٤) برقم (١٢٢٥٧) وقال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (١/٦٣٦): رواه البزار والطبراني بإسناد جيد.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

زكاة الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العبادات التي أوجبها الله على المسلمين في هذا الشهر المبارك زكاة الفطر وقد شرعها الله للصائمين تطهيراً للنفس من أدران الشح، وتطهيراً للصائم مما قد يؤثر فيه، وينقص ثوابه من اللغو والرفث، ومواساة للفقراء والمساكين، وإظهاراً لشكر نعمة الله تعالى على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ^(١). وتجب زكاة الفطر على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو عبداً، إذا ملك المسلم صاعاً زائداً عن حاجته وأهل بيته في يوم العيد وليلته.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ، وَالْحُرِّ وَالذَّكْرِ، وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ

(١) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح

سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

بَهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»^(١). وإن أخرجها عن الحمل تطوعاً فلا بأس بذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُعْطِيهَا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»^(٢)، وفي رواية عنه: «وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالْأَقِطُ وَالتَّمْرُ»^(٣).

وينبغي للمسلم أن يخرج أطيب هذه الأصناف وأنفعها للفقراء والمساكين فلا يخرج الرديء.

قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ۗ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٤) [آل عمران].

وذهب بعض أهل العلم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله إلى أنه يجزئ عن المسلم أن يخرج زكاة الفطر من غير الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري، ما دامت هذه الأصناف من جنس ما يقتات به أهل البلد مثل الأرز وغيره^(٥).

والمراد بالصاع الوارد في زكاة الفطر أربعة أمداد، والمدُّ، أي: ملء كفي الرجل المتوسط اليدين من البرِّ الجيد ونحوه، وهو ما يساوي ثلاثة كيلو تقريباً^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥١٠).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٦٨ - ٦٩).

(٥) فتاوى اللجنة (٩/٣٦٥ - ٣٧١) برقم (٥٧٣٣ و ١٢٥٧٢).

ولإخراج زكاة الفطر وقتان.

الأول: وقت يبدأ من غروب الشمس ليلة العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ** ... الحديث وفيه قال: **وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ** (١).

الثاني: وقت إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو يومين، **وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ** (٢).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»** (٣).

وإن أخرها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت، وهو يَأْتِمُ بِذَلِكَ (٤).

وتعطى هذه الزكاة للفقراء والمساكين، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **«طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ»**، ويجوز أن تُعْطَى الْجَمَاعَةَ أو أهل بيت زكاتهم لمسكين واحد، وأن تقسم صدقة الواحد على أكثر من مسكين للحاجة لذلك. ولا يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً، لنص النبي ﷺ على أنواع

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥١١).

(٣) سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

(٤) انظر جامع الفقه لابن القيم (٦٩/٣)، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين (١٧٣/٦).

الأطعمة مع وجود قيمتها، فلو كانت القيمة مجزئة لبين ذلك النبي ﷺ، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يعلم أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ أخرج زكاة الفطر نقودًا مع إمكان ذلك في زمانهم، وأيضًا إخراج القيمة يؤدي إلى خفاء هذه الشعيرة العظيمة وجهل الناس بأحكامها.

والأصل أن الشخص يدفع زكاة فطره لفقراء البلد الذي يدركه عيد الفطر وهو فيه، ويجوز نقلها إلى بلد آخر فيه فقراء أشد من البلد الذي فيه المزكي، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة^(١).

أما كون الشخص يوكل أهله أن يخرجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر فليس من هذا الباب، وهو جائز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٣٦٩) برقم (٦٣٦٤).

الكلمة السابعة والستون

سورة العصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

أقسم سبحانه بالعصر وهو الزمن كله، والله ﷻ أن يقسم بما يشاء
من خلقه، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله تعالى. وإقسامه ﷻ
بالعصر لما يجري فيه من الحوادث والمتغيرات، ولأنه مستودع أعمال
العباد خيرها وشرها، وأقسم ﷻ ليؤكد للعباد بأن كل إنسان في خيبة
وخسارة مهما كثر ماله وولده. وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه
الأوصاف الأربعة.

أولاً: الإيمان وهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل
بالجوارح.

ثانياً: العمل الصالح: وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن
يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً، وعطف العمل الصالح
على الإيمان وإن كان داخلاً فيه من أجل الاهتمام به، والتأكيد على أن
تصديق القلب لا ينفع بدون عمل.

ثالثاً: التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والدعوة إلى الله على بصيرة وحكمة، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل فلا يكفي أن الإنسان يقتصر على إصلاح نفسه، بل لابد أن يعمل على إصلاح غيره، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يزعم بعض السفهاء، بل إن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون الخير والنجاة للناس، وإنقاذهم من عذاب الله، وبهذه الخصلة ثبتت لهذه الأمة الخيرية التي فضلت بها على الأمم. قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

رابعاً: التواصي بالصبر، لما كان الداعي إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يلحقه أذى الناس، أمر تعالى بالصبر على أذاهم، وتحمل ما يناله من الأذى؛ وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿ يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّالُوَّةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)^(١).

وهذه السورة مع وجازة ألفاظها فقد جمعت أسباب السعادة كلها، فكفى بها حجة على الخلق، وقد اشتملت على فوائد كثيرة أذكر منها:

أولاً: إقسام الله تعالى بشيء يدل على عظمته وأهميته، ففي هذا

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

القسم ينبه جل وعلا الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم سبحانه بإجزاء الوقت في مواضع أخرى، فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ١ ﴾ و﴿ لَيَالٍ عَشْرٍ ٢ ﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١ ﴾ و﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ ﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ١ ﴾ و﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ ﴾ [الضحى].

وهو مع ذلك من أفضل نعم الله على عباده.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصُّحَّةُ وَالْفَرَاحُ»^(١).

ثانياً: القسم من الله تعالى يدل على عظمة المقسم عليه وهو هذه الخصال الأربع التي لا ينال الفوز والفلاح إلا بها.

ثالثاً: فضل الإيمان ومنزلته العظيمة، حيث بدأ به وجعله أول واجب على الخلق.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفُسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢).

رابعاً: أن الإيمان بالقلب لا يكفي؛ بل لابد من العمل الصالح، وفيه رد على من يقول: إن الإيمان بالقلب، وهو مع ذلك تارك للفرائض ومرتكب للمحرمات، معتد على حدود الله تعالى.

خامساً: أن العمل لا يقبل إلا أن يكون صالحاً ولا يكون صالحاً حتى يكون صاحبه مخلصاً لله فيه، وموافقاً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٥٤).

سادساً: أن التواصي يكون بالحق لا بغيره، والحق هنا هو الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، ومجانبة ما يناقضهما.

سابعاً: دل الاستثناء على أن أهل هذه الصفات هم قليل، وقد قال تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤].

ثامناً: فضل الصبر، حيث جعله سبحانه أحد الخصال التي لا ينال الفوز إلا بها، وفي هذا الحث على الدعوة إلى الله تعالى مهما لحق الداعي من المشقة والأذى، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩/٦٤) برقم (٥٠٢٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

الكلمة الثامنة والستون

الطلاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام كثرة حالات الطلاق، ففي إحصائية لوزارة العدل السعودية لعام ١٤٢٩هـ بلغت صكوك الطلاق (٢٨٨٦٧) حالة، وبلغت حالات الطلاق في منطقة الرياض (٨٢٧٤) حالة، وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة الأمر، إن لم يُتدارك.

ولذلك وجب على العلماء والدعاة وطلبة العلم تحذير الناس من هذا الأمر، وبيان خطورته، لما يترتب عليه من مفاصد من تشتت الأسر، وضياع الأولاد، وتقطع وشائج الأصدقاء والأرحام وغير ذلك، وقد رغب الشارع في الإبقاء على الحياة الزوجية، ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بالمعروف، ولو مع الكراهة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأمر النبي ﷺ بالصبر على النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «اَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ

أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَزَلَةٌ أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتَهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ» قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (٢).

ودور المرأة في حدوث حالات الطلاق أكبر من الرجل، فهي تتحمل ما نسبته ٦٥٪ من حالات الطلاق تقريباً، وذلك لعدم الصبر والتحمل والاحتساب عند غالبيتهن، فيقارن أنفسهن بمن هن أحسن منهن حالاً في المعيشة، فيدعوهن ذلك إلى التمرد على أزواجهن، سواء باختيارهن أو بتحريض من الآخرين كالفضائيات، أو بعض وسائل الإعلام المختلفة، ولجوء هذه الوسائل إلى إفهام الزوجة بين الفينة والأخرى إلى أن الزوج متسلط وظالم، وقد سلبها حقوقها وحريتها، ولم يجعلها تواكب العصر، ومطالبتهم لمن هذه حالها بالتمرد على زوجها ومجتمعها، ودينها، بأساليب خبيثة، فتبدأ بعدم الاستجابة لمطالبه التي أوجبها الله عليها، وتضجره وتشغله بالمشاكل حتى يضيق بها ذرعاً، ويلجأ إلى التخلص من هذه المشاكل بالطلاق.

أما الأسباب الأخرى التي عرفتها بعد السؤال والتحري فهي كالآتي:
أولاً: أن بعض حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج لعدم

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨١٣).

المعرفة بين الزوجين من قبل، وذلك لعدم الرؤية الشرعية، أو لإخفاء العمر أو إخفاء بعض العيوب، أو التسرع في اتخاذ قرار الطلاق وعدم التروي فيه، أو لعدم سؤال أحدهما عن الآخر، فعندما تتكشف الأمور يلجأ أحدهما إلى الانفصال، ولذلك شرع التحري لكل من الزوجين والسؤال عن خلقه ودينه.

ثانيًا: أن يُصاب الزوجان أو أحدهما بالسحر أو بالعين فيصير أحدهما لا يحتمل الآخر ولا يطيق النظر إليه، وفي هذه الحالة ينبغي أن يلجأ كل منهما إلى الله تعالى بإخلاص الدعاء، والمحافظة على الرقى الشرعية والأدعية النبوية.

ثالثًا: أن بعض الشباب المتزوجين في مقتبل العمر، لا يحسون بالمسؤولية لأنهم لم يتحملوا تكاليف الزواج، ولذلك يتسرعون في اتخاذ قرار الطلاق، ولذلك ينبغي على ولي المرأة أن يتحرى عن حال الخاطب قبل الزواج.

رابعًا: تخلي بعض الأزواج عن مسؤولية أولادهم، ورمي الحمل على الزوجات، أو الغياب المتكرر عن المنزل، أو السهر إلى أوقات متأخرة من الليل، أو الانحراف، أو عدم الإنفاق أو الاضطهاد، فتضطر الزوجة إلى طلب الطلاق أو العكس عندما يكون ذلك من الزوجة.

خامسًا: تدخلات الوالدين أو الأقارب في مشاكل الزوجين، فيفسدون حياتهما بحسن أو بسوء نية.

سادسًا: تحميل الزوجة لزوجها فوق طاقته، وعدم قناعتها بالنفقة والسكن، أو مطالبته بالتعاضّي عن مخالفتها، كالخروج من بيته بدون إذنه، أو عدم القيام بواجباتها الشرعية نحوه.

سابعاً: اضطرار بعض المتزوجين بأكثر من زوجة إلى الطلاق لطلب الزوجة الأولى أو أهلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فبعض وسائل الإعلام تُحرّض الزوجة على ترك بيتها عندما يلجأ زوجها إلى التعدد، وتعتبر أن ذلك خيانة زوجية وظلم لها ولأولادها حتى لو كان الزوج عادلاً.

ثامناً: استيلاء بعض الأزواج على رواتب زوجاتهم العاملات، فيؤدّي ذلك إلى إثارة المشاكل، وبالتالي إلى الطلاق، وهذا لا يجوز.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الزوج إذا اضطر إلى الطلاق، فعليه أن يراعي الأمور التالية.

أولاً: أن يستخير الله تعالى، ويستشير الصالحين الناصحين من أقاربه وإخوانه، ولا يقدم على الطلاق إلا لأسباب واضحة توجب ذلك.

ثانياً: أن يكون الطلاق في حال طهر لم يجامعها فيه أو حاملاً.

ثالثاً: عليه ألا يزيد في الطلاق على واحدة اتباعاً للسنة.

رابعاً: ألا تخرج المرأة من بيتها، ولا يخرجها زوجها ما دامت في العدة.

فربما كان ذلك سبباً في صلاح حالهما، ومراجعة أحدهما للآخر

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٤/٢٩٩ - ٣٠٠) برقم (٢٠٦٩٥)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

كما أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾
[الطلاق: ١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والستون

لذة العبادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

فإن من منح الله لعباده، منحة التلذذ بالعبادة، وأعني بها ما يجده
المسلم من راحة النفس وسعادة القلب، وانشرح الصدر عند القيام
بعبادة من العبادات، وهذه اللذة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة
الإيمان وضعفه.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ويجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً إلى تحصيل لذة العبادة، فالنبي ﷺ
كان يقول لبلال: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(١) لما يجده فيها من اللذة
والسعادة القلبية، وإطالته ﷺ لصلاة الليل دليل على ما يجده في الصلاة
من الأُنس والسرور بمناجاة ربه، وتصديق ذلك في كتاب الله، قال تعالى:
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وبكى معاذ بن جبل عند موته فقيل له في ذلك قال: إنما أبكي على ظمأ
الهاجر وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤١)
برقم (٤١٧١).

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة^(١).

ويقول أحد السلف: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا^(٢).

وبين النبي ﷺ أن للطاعة حلاوة يجدها المؤمن.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(٣).

وفي رواية: «مَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»^(٤).

وإن لتحصيل لذة العبادة أسباباً منها:

أولاً: مجاهدة النفس على طاعة الله تعالى حتى تألفها وتعتادها، وقد تنفر النفس في بداية طريق المجاهدة، ولكن إذا شمر صاحبها عن ساعد الجد، وكانت عنده تلك الإرادة والعزيمة القوية، فسينالها بإذن الله، فالأمر يتطلب مصابرة وقوة تحمل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٤١)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزِقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه].

روى الترمذي في سننه من حديث فضالة بن عبيد الله رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»^(١).

قال أحد السلف: «ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك».

وقال ابن رجب: (واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجد جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها)^(٢).

قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لَصَابِرِ

ثانياً: البعد عن الذنوب صغيرها وكبيرها، فإن المعاصي حجاب تمنع من الشعور بلذة العبادة لما تورثه من قسوة وغلظة وجفاء، قال بعض السلف: (ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب).

قال ابن القيم رحمته الله: (وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين، فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية، وما توقعه من الخوف والوحشة، لعلم سوء حاله وعظيم غبنه، إذا باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف والضرر

(١) قطعة من حديث في سنن الترمذي برقم (١٦٢١)، وقال: حديث فضالة حديث حسن

صحيح.

(٢) نقلاً عن كتاب لذة العبادة (ص ١٢).

الداعي له) (١). اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا في صدرك فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة وانشراح صدر وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول) (٢).

قال سفيان الثوري: (حرمت قيام الليل بسبب ذنب أذنبته) (٣).

وسئل وهيب بن الورد فقيل له: (متى يفقد العبد لذة العبادة؟ إذا وقع في المعصية، أو إذا فرغ منها؟ قال: يفقد لذة العبادة إذا هم بالمعصية).

ثالثًا: ترك فضول الطعام والشراب والكلام والنظر، فيكفي المسلم أن يقتصر في طعامه وشرابه على ما يعينه على أداء عبادته وعمله، فلا يسرف في الأكل قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

روى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِبَطْنِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٤).

قال أحد السلف: راحة القلب في قلة الآثام، وراحة البطن في قلة الطعام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص ٣١٢).

(١) الداء والدواء (ص ٤٠١).

(٣) لذة العبادة (ص ١٨).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

وأختم بكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار] مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم، وقد أثنى على خيله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصفات].

وقال حاكياً عنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد^(١).

رابعاً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادة التي يقوم بها من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة إنما هي طاعة لله وابتغاء مرضاته، وأن هذه العبادة يحبها الله ويرضى عنه بها وهي التي تقربه من ربه سبحانه.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ

(١) الداء والدواء (ص ١٦٥ - ١٦٦).

حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

خامسًا: أن يستحضر العبد أن هذه العبادات لا تضيع ولا تفتنى كما تفتنى كنوز الدنيا وأموالها ومناصبها ولذاتها بل يجدها العبد أحوج ما يكون إليها، بل إنه ليجد ثمراتها في الدنيا مع ما يُدخِر له في الآخرة مما هو أجل وأعظم؛ فمن استحضر ذلك لم يبال بما فاته من الدنيا وسُرَّ بهذه العبادات ووجد حلاوتها ولذتها، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه]. روى مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(٢) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»^(٣) الحديث.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) برقم (٣٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٨٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

الكلمة السبعون

أسباب الثبات على الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جداً، لانتشار الفتن، وقلّة الناصر، وغربة الدين، ومن تلك الأسباب:

أولاً: الإقبال على القرآن العظيم حفظاً وتلاوة وعملاً، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى، أخبر تعالى أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا القرآن مفارقة هي التثبيت، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان].

ثانياً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم].

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيْتًا ﴾ [النساء].

وكان النبي ﷺ يداوم على الأعمال الصالحة، وَكَانَ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه.

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [هود].

فالأيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه مثل قصة إبراهيم، وموسى، ومؤمن آل فرعون وغيرها.

رابعاً: الدعاء، فإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(١).
كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢).

خامساً: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال]، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادساً: الدعوة إلى الله ﷻ، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف].

والعبد إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدىً وثباتاً على الحق، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن].

سابعاً: الرفقة الصالحة: فمصاحبة العلماء والصالحين والدعاة والمؤمنين، والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وجاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً: أنه سأل عن رجل عالم فقال: «مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذًا وَكُذًا، فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن دور شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في التثبيت في محنة السجن: (وكنّا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاعت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة و يقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها) (٢). اهـ.

ثامناً: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام، وهذه طريقة

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

النبي ﷺ في تثبت أصحابه وهم يعذبون على الإسلام في أول الدعوة، روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت: أنه شكا إلى النبي ﷺ ما يجده من التعذيب وطلب منه الدعاء، فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

تاسعاً: الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٣) [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمِيذٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٣).

عاشراً: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتأمل المؤمن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

مَتَعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

تهون عليه الصعاب، ويزهد في الدنيا، وتشتاق نفسه إلى الدار الآخرة والدرجات العلى.

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه بالجنة ليثبتهم على التمسك بالدين والصبر عليه، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعمّار وأمه، وهم يؤذون في سبيل الله، فقال: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مستدرک الحاكم (٤/٤٧٠) برقم (٥٦٩٦) وصححه الألباني في فقه السيرة (ص ١٠٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ محمد المنجد «أسباب الثبات على الدين».

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فُرُوسٌ يَوْمِيَّةٌ

(١٥٠) دُرّاً لِلدُّعَاةِ وَالْمُطَبِّأِ وَأُمَّةٍ الْمَسَاجِدِ لِلتَّقْرَآءِ عَلَى الصَّلَاتِ

إِعْدَادُ

و. الرَّمِيحِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّقَاوِيُّ

الجزء الثالث

وقفه مع قوله تعالى

﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [آل عمران: ١٤]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (١).

فأما إذا كان القصد بهن العفاف، وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١).

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ»^(٢).

وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة للنفقة في القربات وصللة الأرحام، والقربات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح شرعاً^(٣). اهـ.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ قال ابن جرير رحمته الله بعدما نقل اختلاف المفسرين في المراد به: والصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس، وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال ابن جرير: «المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسناً لمن رآها»^(٤).

وتربية الخيل أنواع، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

(٢) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠) و صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٦/٢) برقم (١٨٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٦/٣-٢٧).

(٤) تفسير ابن جرير - طبعة دار السلام (١٧١١-١٧١٣).

سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلَا تُغَيَّبُ شَيْئًا فِي بَطُونِهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاهَا فِي مَرْجٍ مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ كَانَ لَهُ، بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيَّبُهَا فِي بَطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّى ذَكَرَ الْأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَزْوَائِهَا - وَلَوْ اسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكْرُمًا وَتَجَمُّلاً، وَلَا يَنْسَى حَقَّ ظُهُورِهَا وَبَطُونِهَا فِي عُسْرِهَا، وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وَزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشْرًا وَبَطْرًا وَبَذْخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَلِكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ^(١).

وقوله: ﴿وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرِيثِ﴾ الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والحرث الأرض المتخذة للغراس والزراعة، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الزائلة، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾، أي حسن المرجع، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أُوتِيتُكُمْ﴾ أي قل يا محمد للناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين، وسائر ما ذكرنا: أخبركم وأعلمكم بخير وأفضل لكم من ذلك كله؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥]، أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي ماكثين فيها أبد الآباد، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، أي من الدنس والخبث والأذى، والحيض والنفاس، وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٢٧]، أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٠)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٧).

أي: يعطي كلاً ما يستحقه من العطاء.

ثم إن الله تعالى بعد ذكره الموازنة بين متع الدنيا ونعيم الآخرة، ذكر صفات المتقين الذين آثروا نعيم الآخرة الباقي على متع الدنيا الزائلة، فاسمع لصفاتهم، وتمثلها في نفسك، عسى أن تكون منهم فتفوز فوزاً عظيماً.

فأولها: الإيمان بالله وبرسوله وكتبه، المتضمن الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه للمؤمنين من الفضل العظيم، وما أعد للكافرين الغافلين من العقاب الأليم.

ثانيها: اعترافهم بذنوبهم، وعلمهم أنه لا يغفرها إلا الله ربهم.

ثالثها: إيمانهم بالنار وعذابها، وسؤالهم ربهم أن يقيهم منها.

رابعها: صبرهم عن شهوات الدنيا وملذاتها، إيماناً منهم بأن الله سيعوضهم خيراً منها، والصبر من أفضل خصال الإيمان، ولا يتم إلا باستكمال أركانه الثلاثة، وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله.

خامسها: الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والصديقون مع الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

سادسها: قنوتهم لله رب العالمين، وذلك يقتضي محبتهم له، وانكسارهم بين يديه، والتجاءهم إليه رغبة ورهبة وخشوعاً.

سابعها: إنفاقهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، لا رياءً وسمعة.

ثامنها: طلبهم المغفرة من ربهم في وقت الأسحار، حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيقول: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى! هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ! هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ! حَتَّى يَنْفَجِرَ

الصُّبْحُ» (١)، وهم يدعونهم ويسألونه ويستغفرونه، والغافلون يغطون في نوم عميق.

يقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَمَا يَخَذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

الكلمة الثانية والسبعون

نصائح عامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات].

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الذِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وهذه بعض النصائح التي أوصي بها نفسي وإخوتي.

الأولى: المحافظة على هذه الصلاة في بيوت الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة].

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

(١) برقم (٥٥).

(٢) (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩)، وصححه الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٣/٣٤٣).

برقم (١٣٥٨).

وهذه الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١)، وكان من آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢)، وقال عمر رضي الله عنه يوم أن طعن، وهو يعالج سكرات الموت، وجرحه يثعب دمًا: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

الثانية: أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(٣٢) [المعارج]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣٧) [الأنفال]. روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الأَمَانَةُ»^(٣)، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور^(٤). اهـ، وقال بعضهم: عمل كل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه معصية، سواء كان ذلك في عبادة أو معاملة، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، وحفظ الجوارح أمانة، والعمل أمانة لا بد للمسلم أن يؤديه بكل إخلاص وإتقان حتى تبرأ ذمته بذلك.

والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنوح، وهود، وصالح ولوط، أخبر الله عنهم في سورة الشعراء، أن كل رسول من هؤلاء، قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(١٠٧) [الشعراء]، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بأنه الأمين.

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجة برقم (٢٦٩٧).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٣٥٣/٩) رقم (٩٧٥٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٣٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٣/١٤).

الثالثة: اجتناب المعاصي، والذنوب، فهي أساس كل شر وبلاء، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١] [الروم]. وما الذي أخرج أبويننا من الجنة دار النعيم، واللذة والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟! قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرَكَ الْجِنَانَ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

روى الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(١).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [٥٣] [الإسراء].

روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال:

(١) مسند الإمام أحمد (٣٧/٤٦٧) برقم (٢٢٨٠٨) وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٣/٢٧٩): ورواه محتج بهم في الصحيح.

« مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ »^(١)، وقال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ»^(٢)، وقال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه : أن النبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٤)، ولقد كان النبي ﷺ من أعظم الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) برقم (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

الكلمة الثالثة والسبعون

مفاسد العنوسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت في المجتمع في هذه الأيام كثرة حالات العنوسة، ففي إحصائية قديمة لإحدى جامعات المملكة اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي لم يتزوجن، وهن طالبات في المرحلة الجامعية يصل إلى خمسة آلاف طالبة، وفي إحصائية أخرى لإحدى الوزارات اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي بلغن سن الزواج ولم يتزوجن يصل إلى مليون ونصف امرأة. وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة هذا الأمر، وكما أحدثت هذه العنوسة من مفاسد، وأمراض نفسية، ومشاكل أسرية؟! ولقد حث الشارع على النكاح، ورغب فيه، ولو مع قلة ذات اليد، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

وهذه العنوسة لها أسباب، أذكر بعضاً منها لعل ذلك يساعد على إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

أولاً: الانشغال بالدراسة، والاعتذار بها عن الزواج حتى يكبر سن الفتاة، ويرغب عنها الكثير من الخطاب، على أنه يمكن في كثير من الأحوال الجمع بينهما كما هو مشاهد، ولو فرضنا تعذر الجمع، فإن الزواج أولى من الانشغال بالدراسة.

ثانياً: المغالاة في المهور، وما يتبعها من النفقات. قال أهل العلم: «المشروع أن يكون قليلاً ميسراً». روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»^(١)، وقال عمر رضي عنه: «لَا تُعَالُوا فِي صَدَقَاتِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا بِنْتًا مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فمن دعت نفسه على أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة، فهو جاهل أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه، فلا ينبغي له أن يصدق المرأة ما لا يقدر على وفائه من غير مشقة^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله بعد سياق بعض الأحاديث المتعلقة بالصداق: «وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته، وعسره»^(٤).

(١) مستدرک الحاكم (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال محققه: وإسناده جيد، وصححه

الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٢٧٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) زاد المعاد (٥/٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٢/١٩٤).

ثالثاً: تركيز كثير من الأسر على أحوال الخاطب الدنيوية، من منصب، ومال، وجاه، فإن لم يتوفر ذلك اعتذروا عن قبوله، وإن كان من أهل الخلق والدين، وهذا مخالف لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(١).

رابعاً: استيلاء بعض الآباء الجشعين على رواتب بناتهم العاملات، وبالتالي يمنعونهن من الزواج حتى يستمروا في كسب هذه الأموال، وقد نهى الله عن عضل النساء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

خامساً: اعتذار كثير من الفتيات عن الرجل المتزوج، وهذا خطأ، فعلى المرأة أن تفكر بعقلها، فخير لها أن تبقى في ظل زوج على أن تكون عانساً في بيت أبيها، وقد سبق ذكر الحديث: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».

والنساء يفوق عددهن الرجال، وهناك المطلقة، والمتوفى عنها زوجها، والتي كبر سنها ولم تتزوج، فلو اكتفى كل رجل بزوجة واحدة لبقى كثير من النساء من غير زواج، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفيه مفسدة عظيمة، ولذلك شرع الله للرجل تعدد الزوجات، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾ [النساء: ٣].

(١) برقم (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣١٤) برقم (٨٦٥).

سادساً: أن بعض النساء المطلقات يصبن بعد طلاقهن بإحباط، فلا تفكر في الزواج مرة ثانية، وهذا خطأ، والله تعالى عند حسن ظن عبده به، وعلى المرأة أن تحسن الظن بربها، فهو مقسم الأرزاق، والموفق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (١٣٠) [النساء]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»»^(١).

قال الشاعر:

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَأَنْتَبَاهَتُهَا يُبَدِّلُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
ومن الأسباب التي بدأت تنتشر في بعض المجتمعات: عزوف بعض الشباب عن الزواج، هروباً من تحمل المسؤولية، وهذا خروج عن الفطرة وسنن المرسلين، ومنهم من يكون قليل ذات اليد، مقارنة بالأوضاع والعادات الاجتماعية، ومنهم من يكون من المنهمكين على وسائل الإعلام السيئة، التي زرعت في نفسه مع طول النظر والمتابعة تصوراً سيئاً عن النساء عموماً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٣٨).

الكلمة الرابعة والسبعون

النكت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الأمور المنكرة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام ما يُسمى بالنكت، وهذه النكت قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين، وإدخال السرور إلى قلوبهم.

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»^(١).

ومن مفسد هذه النكت ما يلي:

أولاً: الكذب، وهو من أعظم المفسد، وقد نهى الله تعالى عنه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. قال بعض المفسرين الزور: الكذب^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٢) برقم (٤١٧٥).

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٥٨٣٨).

وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب الطويل، وفيه رؤيا النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ... فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ ... قَالَ: قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ»^(٢).

وهذه النكت وإن قُصِدَ بها المزاح، فإنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أنه قال: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٣).

وهذا - والله أعلم - إذا لم تتضمن قولاً فاحشاً، أو نشر فاحشة، أو إشاعة منكر، أو استطالة في عرض مسلم، فما كان من هذا ونحوه لا شك أنه من المحرمات، كما سبق في الحديث المتقدم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١١/٣)

قال ابن مسعود: «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل»^(١) ثم تلا عبد الله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١١٦) [التوبة]، وقال أيضاً: «المؤمن يُطبع على الخلال كلها غير الخيانة والكذب»^(٢).

ثانياً: ومن مفسدها أن بعض هذه النكت تحتوي على الاستهزاء بدين الله، أو المؤمنين، وهذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٦٥) لا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ ءِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وهو من نواقض الإسلام العشرة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، كفر ولو مازحاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه»^(٤).

ثالثاً: أنها تؤدي إلى السخرية بالناس واحتقارهم.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللَّغَبِ يَبْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١١) [الحجرات].

روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/٤٢٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨/٤٢٥)، وقال محققو مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٦/٥٠٥):
إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).
(٤) الفتاوى (٧/٢٧٣).

أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ» (١).

رابعًا: أن فيها إضاعة الوقت، وهذا الوقت سيُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَنْفَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟» (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (٣).

خامسًا: أن بعض هذه النكت تحتوي على الفحش وبذاءة اللسان، وهذا لا يليق بالمؤمن، لا قوله، ولا الاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: أي الكذب، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) قطعة من حديث برقم (٢٥٦٤).

(٢) برقم (٢٤١٧) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٥٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٢١).

الكلمة الخامسة والسبعون

وصايا لطلبة العلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

الوصية الأولى: الحرص على طلب العلم الشرعي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيراً». روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٢).

قال الأوزاعي: «النَّاسُ عِنْدَنَا هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ فَلَيْسُوا

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٣٤٢) برقم (٢١٥٩).

بشيءٍ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه».

وأهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية وثنوبان: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١) - وفي رواية: «قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ»^(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟».

وقال أيضاً:

دينُ النبي محمدٍ أثارُ نعمَ المطية للفتى الأخبارُ
لا ترغبنَّ عن الحديثِ وأهلهِ فالرأي ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولربِّما جهلَ الفتى طُرقَ الهدى والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ
وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يرفع العلم، ويكثر الجهل، ورفِع العلم بموت حملته.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢٠) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٣) واللفظ له.

وفي هذه الحال يكون تعلم العلم وتعليمه أوجب وأوكد، وليعلم أن رأس العلوم كلها هو كتاب الله الكريم، فلنحرص على حفظه وفهمه وتدبره، والعمل به، وكذلك تعلم سنة النبي ﷺ، والتفقه فيها، وليكن أخذنا للعلم من أهله، وهم السلف الصالحون، والأئمة المهديون، حتى لا نقع في الفتاوى المضلة، والأهواء المهلكة.

الوصية الثانية: الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «...لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

وهذا الحديث يغلط فيه بعض الناس، حيث يقوم بالدعوة، وربما تجرأ على الفتوى وهو من أجهل الناس، وقد يستدل بحديث «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢). ولم يعلم المسكين أن تبليغ آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ لا يكون إلا بعد فهمهما بمراجعة أقوال المفسرين، وشرح الأحاديث حسب الطرق الصحيحة التي سلكها أهل العلم، وبينوها لطلاب العلم.

والدعوة إلى الله ووظيفة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والمقصود بها دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل، وقال عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب معاذ بن جبل، وقد أرسله إلى أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٤٦١).

اليمين يدعوهم إلى الله تعالى: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَدَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ»^(١)، وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء»^(٣).

وقال الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «الواجب على جميع القادرين من العلماء، وحكام المسلمين، والدعاة، الدعوة إلى الله ﷻ حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا البلاغ الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسول أن يبلغوا ... إلخ»^(٤).

الوصية الثالثة: حفظ الوقت، فمن الملاحظ أن بعض الشباب لا يحرص على استغلال وقته، واغتنام شبابه ونشاطه، فتجده ينام الساعات

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩) واللفظ له.

(٢) سبق تخريجه. (٣) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة

الطوال من غير حاجة، والآخر يضيع وقته في قراءة الجرائد لفترات طويلة، وآخر في الزيارات الكثيرة، وهَلُمَّ جَرًّا.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَ عِلِمٍ؟»^(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسِكَ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(٢).

ويقول الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

الوصية الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٣)

[الإسراء]، روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ»^(٣)، قال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةٌ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

وبهذا كان ﷺ يوصي أصحابه، فروى الترمذي في سننه من

(١) رقم (٢٤١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٢٨٩) برقم (١٩٦٩).

(٢) مستدرک الحاكم (٥/٤٣٥) برقم (٧٩١٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٣) (٣٦٢/٤) برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).

قال ابن القيم: «جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربّه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه». اهـ^(٢)، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن، روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٣).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم. فعن أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٤).

الوصية الخامسة: الثبات على هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١١) [الحجر]، أي الموت، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»^(٥)، وقد وردت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن المتمسكين بدينهم في آخر الزمان، الثابتين عليه يكونون غرباء، ولكنهم بذلك ينالون من الأجر مثل ما ناله أصحاب

(١) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٣) برقم (١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٥) سبق تخريجه.

النبي ﷺ حينما كان الإسلام غريبًا، وذلك بصبرهم عليه حال الغربة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١)، وجاء في الحديث الآخر أنهم: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسٍ سَوَاءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»^(٢)، وذكر النبي ﷺ أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أومئهم، قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ عندما ذكر ما يحصل في آخر الزمان من الفتن، قال: «الْمُتَمَسِّكُ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ أَوْ قَالَ: عَلَى الشُّوكِ»^(٤).

فأوصي نفسي، وإخواني بالثبات على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٩﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [القصص: ٨٣]، ولا شك أن المسلم في هذه الأزمنة يواجه فتن

(١) برقم (١٤٥).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣١/١١) برقم (٦٦٥٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٤) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الشهوات والملذات العظيمة، لكن من استعان بالله أعانه الله، ومن يتصبر يصبره الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

جعلنا الله وإياكم منهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الكلمة السادسة والسبعون

مخالفات يقع فيها بعض الحجاج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن على المسلم أن يحرص أن يكون حجه موافقاً لحج النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(١)، وهناك مخالفات شرعية يقع فيها بعض الحجاج، أحببت التذكير بها أداء لحق الله، وقياماً بواجب النصيحة.

أولاً: إخراج الصلاة عن وقتها، قال الإمام ابن النحاس في ذكره بعض منكرات الحجاج ومنها، وهو أعظمها فتنة، وأجلها في الدين مصيبة، وأكثرها وجوداً وبلية هو تضييع أكثرهم للصلاة في الحج، وكثير منهم لا يتركونها، بل يضيعون وقتها ويجمعونها على غير الوجه الشرعي، وذلك حرام بالإجماع^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ثانياً: ما يفعله بعض الحجاج الذين يقومون بزيارة قبر النبي ﷺ قبل الحج وبعده، من استقبال قبر النبي ﷺ، ودعائه بكشف الضر وجلب النفع، وهذا شرك ينافي التوحيد لا يرضاه الرسول ﷺ، بل نهى عنه وحذر منه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾

(٢) تنبيه الغافلين (ص ٢٨٤).

(١) برقم (١٢٩٧).

[الجن]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر مثل ما صنعوا^(١).

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢).

ثالثاً: التصوير، وهو من المحرمات التي يجهل حرمتها كثير من الحجاج، وقد نهى الرسول ﷺ عن التصوير في أحاديث كثيرة، ولعن فاعله، روى البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٤).

هذا أولاً، وثانياً: أن بعض الحجاج يتخذ لنفسه صوراً حال إحرامه، أو رافعاً يديه يدعو، أو يقرأ، أو غير ذلك من أحوال العبادة ليطلع عليها أهله وأقاربه إذا عاد إليهم، وقد يدخل هذا في الرياء المنهي عنه، بل يخشى على فاعل ذلك أن يحبط عمله من حيث لا يشعر.

رابعاً: من أراد الحج أو العمرة فليحرم من الميقات الذي يمر به، ولا يجوز تجاوز الميقات بلا إحرام لمريد الحج أو العمرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «هُنَّ لَهُنَّ

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٩) برقم (١٨٣٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) برقم (٥٩٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٠٩).

(٤) برقم (٦٤٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٧).

وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»^(١).

وأما من يأتي عن طريق الجو في الطائرة، أو البحر في السفينة، فمن الأولى أن يحرم عند محاذاة الميقات، أو قبله بقليل احتياطاً، ولا ينتظر حتى يصل إلى جدة؛ لأن هذا مخالف لما عليه فتاوى علمائنا، كالشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وغيرهما.

خامساً: أن كثيراً من الحجاج يلزم أدعية خاصة في الطواف يقرأها من كتاب مناسك، وقد يكون مجموعة منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها، ويرددونها خلفه بصوت جماعي، وأكثر هذه الأدعية والأذكار لا تثبت عن النبي ﷺ، والدعاء بها بهذه الطريقة بدعة محدثة.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢). إضافة إلى أن فيه تشويشاً على الحجاج الآخرين.

سادساً: ومن الأخطاء العظيمة المتعلقة بيوم عرفة، أن بعض الحجاج يبقون خارج حدود عرفة حتى تغرب الشمس، ثم ينصرفون إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم؛ لأن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن يعمر: أن النبي ﷺ قال: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ»^(٣).

(١) برقم (١٥٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٨١).

(٢) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن

الترمذي (٢٦٥ / ١) برقم (٧٠٥).

سابعًا: ما يتعلق بمزدلفة، فبعض الحجاج لا يتأكد من حدود مزدلفة، ويبيت خارجها، وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل، ولا يبیت فيها، ومن لم يبیت فيها من غير عذر فقد ترك واجبًا من واجبات الحج، ويلزمه دم مع التوبة، ويرى بعض أهل العلم أن المبيت بمزدلفة، وصلاة الصبح بها ركن من أركان الحج، كالوقوف بعرفة، لأن الله نص عليه، فقال: ﴿فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والنبی ﷺ سواها بعرفة حينما قال: «وَجَمَعَ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»^{(١)(٢)}.

روى الترمذي في سننه من حديث عروة الطائي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ، وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نُدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى نَفْسَهُ»^(٣).

ثامنًا: أن بعض الحجاج يوكلون من يقوم برمي الجمار عنهم، مع قدرتهم على ذلك ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام، ومشقة العمل، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حَكْمِ التَّوَكِيلِ عَنِ الْمَرِيضِ وَالْمَرْأَةِ الْعَاجِزَةِ كَالْحَبْلِیِ وَالثَّقِيلَةِ وَالضَّعِيفَةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ رَمِيَّ الْجِمَارِ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالتَّوَكِيلِ عَنْهُمْ^(٤)، أما القوية النشيطة فإنها ترمي بنفسها، ومن عجز عنه نهارًا رمى بالليل.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٣/١) برقم (٧٠٢).

(٢) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٧/٣٠٥ - ٣٠٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٨٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) فتاوى الحج والعمرة (ص ١١١ - ١١٢).

تاسعاً: أن بعضهم إذا أراد تقصير شعر رأسه يكتفي بأخذ شعرات من رأسه، أو يأخذ من جانب ويدع آخر، والصحيح أن الواجب على الحاج أن يحلق رأسه كله أو يقصره كله، هذا في حق الرجل، أما المرأة فإنها تقص من ضفائرها بقدر أنملة فقط. والأفضل أن يبدأ بالشق الأيمن في الحلق أو التقصير.

عاشراً: أن بعضهم إذا تحلل التحلل الأول حلق لحيته أو قصر منها، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذه المعصية من أكثر المعاصي شيوعاً بين المسلمين في هذا العصر، بسبب استيلاء الكفار على أكثر بلادهم، ونقلهم هذه المعصية إليها، وتقليد المسلمين لهم فيها مع نهيه ﷺ إياهم عن ذلك صراحة في قوله ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى»^(١).

وفي هذه القبيحة عدة مخالفات:

الأولى: مخالفة أمره ﷺ الصريح بالإعفاء.

الثانية: التشبه بالكفار.

الثالثة: تغيير خلق الله الذي فيه طاعة الشيطان في قوله كما حكى الله تعالى ذلك عنه: ﴿وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

الرابعة: التشبه بالنساء، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك.

وإن من المشاهدات التي يراها الحريص على دينه أن جماهير من الحجاج يكونون قد وفروا لحاهم بسبب إحرامهم، فإذا تحللوا منه فبدل أن يحلقوا رؤوسهم كما ندب إليه رسول الله ﷺ حلقوا لحاهم التي

(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٩٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٩).

أمرهم ﷺ بإعفائها، فإننا لله وإنا إليه راجعون^{(١)(٢)}.

أسأل الله أن يتقبل من المسلمين حجهم، وسائر أعمالهم، وأن يوفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر (ص ٨ - ٩)، للشيخ ناصر الدين الألباني.

(٢) انظر مخالفات الحج والعمرة للشيخ عبدالعزيز السدحان.

الكلمة السابعة والسبعون

التوبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن الأعمار تُطوى، والأيام تنقضي، والعمر قصير، والأجل قريب، ولا يدري ابن آدم متى يأتيه الموت، قال الشاعر:

أشابَ الصغيرُ وأفنى الكبير مرور الليالي وكر العشي
إذا ليلة هَرَمْتَ أختها أتى بعد ذلك يومٌ فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجته وتبقى له حاجة ما بقي

والله ﷻ حث عباده على التوبة قبل حلول الأجل، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ودعا سبحانه جميع عباده إلى التوبة، فدعا إليها من قال: إن الله هو المسيح، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة، ومن ادعى لله صاحبة والولد، فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها فرعون مع زعمه أنه لا إله غيره، وأنه ربهم الأعلى فقال لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ [طه].

ودعا إليها المشركين قاطبة، فقال لهم بعد الأمر بقتلهم حيثما وجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ [التوبة].

ودعا إليها المنافقين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ [النساء].

ودعا إليها من عمل أكبر الكبائر، وهي الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان].

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا فَاتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا

(١) شرح النووي (٦/٥٩).

قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١).

والمراد بالتوبة التوبة النصوح، وهي التي اكتملت شروطها.

أما شروطها فهي: الإقلاع عن الذنب، الندم على فعله، العزم على أن لا يعود إليه، وزاد آخرون: الإخلاص لله في التوبة، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو غير ذلك، وإنما رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه، فإن كان الذنب مرتبطاً بحق آدمي فلا بد من شرط رابع، وهو أن يبرأ من حق صاحبها.

ويشترط للتوبة ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون التوبة قبل الغرغرة، أي قبل حشرجة الروح في الصدر عند دنو الأجل، وحضور الموت، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النساء].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(٢).

الثاني: أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٧).

(٢) برقم (٣٥٣٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٥/٣) برقم (٢٨٠٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

الثالث: أن تكون قبل نزول العذاب لمن عصى الله تعالى؛ لأن الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾^(٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [غافر].

ولم يستثن من هذه السنة إلا قوم يونس، لحكمة أرادها الله سبحانه، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٩٨) [يونس].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٣).



(٢) برقم (٢٧٠٣).

(١) برقم (٢٧٥٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد.

شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، اختصرت كلامه فيها في هذه العجالة:

فقال: وتفسير هذا أن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة، ويتخذ زوجة سالحة تعينه على إيمانه، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلونه عن الله تعالى، فهو خاسر كما قال تعالى عن الأعراب: ﴿شَعَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) [المنافقون].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ

(١) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

فإذا مات ابن آدم، وانتقل من هذه الدار، لم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم، وما ثبت عنه من الشرع، وبما قدمه من ماله بين يديه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

فأما الصاحب الأول: الأهل، فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له، ودعا له كما تقدم، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين: أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك يدعوك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وأما الصاحب الثاني: وهو المال، فيرجع عن صاحبه أولاً، ولا يدخل معه في قبره، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره، ودخوله معه.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه قال: أتيت

النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١). قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!» (١).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَوَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحبُّ إليه. قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَوَارِثُهُ مَا آخَرَ» (٢).

فلا ينتفع العبد من ماله إلا بما قدمه لنفسه، وأنفقه في سبيل الله ﷻ، فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه، إلا أن يكون فيه نية سالحة، وقيل: بل يثاب عليه مطلقاً، وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالناس نكره الموت؟ قال: لتعظيمك الدنيا، جعلت مالك بين عينيك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحبت اللحوق به. قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

وكان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله، حتى كان يوماً راكباً على ناقة فأعجبته، فنزل عنها في الحال، وقلدها، وجعلها في سبيل الله ﷻ.

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ويكون معه إذا بعث، ويكون معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم].

قال بعض السلف في تفسير الآية السابقة: أي يمهدون لأنفسهم في القبر، فالعمل الصالح يكون مهادًا لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، بل كل عامل يفتersh عمله ويتوسده من خير أو شر، فالعاقل من عمر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريبًا لم يكن مغبونًا بل كان رابحًا.

وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها. قال الحسن: تبع رجل من المسلمين جنازة أخيه فلما دلي في قبره قال الرجل: ما أرى يتبعك من الدنيا إلا ثلاثة أثواب، أما والله لقد تركت بيتي كثير المتاع، أما والله إن أقالني الله حتى أرجع لأقدمه بين يدي، قال: فرجع فقدمه والله بين يديه، وكانوا يرون أنه عمر بن عبد العزيز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فضل التكبير إلى الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم من الطاعات والعبادات ما يتقربون بها إليه سبحانه، ومن تلك الطاعات والقربات التكبير إلى الصلوات الخمس التي جعلهن بفضلها خمسًا في العمل، وخمسين في الأجر والثواب.

والتكبير إلى الصلوات الخمس من الطاعات التي غفل عنها كثير من المصلين في هذا الزمان، فلا يحضرون إلا عند الإقامة، أو بعد الشروع في الصلاة.

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة، وأصدقها في التكبير إلى الصلاة، يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه: «ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها، وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»، ويقول سعيد بن المسيب: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وما فاتتني صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة»، قال الذهبي: «هكذا كان السلف في الحرص على الخير»^(١).

(١) منجد الخطيب، مأخوذ من سير أعلام النبلاء (٢/٢٠٥ - ٢٠٦).

ومن فضائل التكبير إلى الصلوات:

أولاً: استغفار الملائكة لمن ينتظر الصلاة، وكونه في حكم المصلي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «الملائكة تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ (١) مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ» (٢).

ثانياً: إدراك الصف الأول، وما فيه من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» (٣).

ثالثاً: إدراك تكبيرة الإحرام، وهي من أفضل التكبيرات، ومفتاح الصلاة، روى الترمذي من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» (٤).

رابعاً: الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب، روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ

(١) أي تستغفر له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٧).

(٤) برقم (٢٤١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٣١٤) برقم (٢٦٥٢).

وَالْإِقَامَةِ»^(١).

خامسًا: الدنو والقرب من الإمام، وهذه فضيلة عظيمة، روى الإمام أبو داود من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احضُرُوا الذُّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَّبَعُهُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا»^(٢).

سادسًا: إدراك السنن القبلية التي قبل الصلاة، كسنة الفجر، روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٣). وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَ عَلَى النَّارِ»^(٥)، وروى أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»^(٦).

سابعًا: الحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، فالسعي الذي يفعله كثير من الناس لإدراك الصلاة يفوتهم السكينة والوقار، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَأَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا،

(١) برقم (٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٠٥) برقم (٤٨٩).

(٢) برقم (١١٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٠٦) برقم (٩٨٠).

(٣) برقم (٧٢٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٤٢٤) وقال: حديث حسن.

(٥) برقم (١٢٦٩): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٣٦) برقم (١١٣٠).

(٦) برقم (١٢٧١): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٣٦) برقم (١١٣٢).

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» (١).

ثامناً: قراءة الأذكار والاستغفار، وذكر الله ﷻ بين الأذان والإقامة، فلو حضر المصلي إلى المسجد مبكراً لأمكنه على أقل تقدير أن يقرأ عشرين آية، وفي اليوم مئة آية، وفي الأسبوع سبعمئة آية، وفي الشهر ثلاثة آلاف آية، وهذا خير كثير، والحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وينبغي للمؤمن أن يُعوِّدَ نفسه على التبكير إلى المسجد حتى يسهل عليه، ويجد الراحة، والسعادة في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال: «... لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).

(٢) جزء من حديث برقم (٤٣٨).

الكلمة الثمانون

أسباب انشراح الصدر

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن ضيق الصدر، وما ينتاب المسلم من هموم وغموم، وأحزان أمور لا يكاد يسلم منها أحد.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «فكرت في سعي العقلاء، فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا في اللغو واللعب، وغير ذلك، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقًا موصلًا إليه، ولعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، وإنما الإقبال على الله وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء ضده، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق، وأوصل منه على لذته، وسعادته»^(١).

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أسباب شرح الصدر، فقال:

أولاً: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْفَنَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

(١) الجواب الكافي (ص ١٧١ - ١٧٢)، وقد لخصه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿ [الأنعام: ١٢٥]، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

ثانياً: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وخرج، فصار في أضيق سجن وأصعبه، فنصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام].

ثالثاً: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشراح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم الموروث عن النبي ﷺ، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

رابعاً: الإنابة إلى الله ﷻ، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل]، حتى يقول أحيانًا: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحال، فإني إذا لقي عيش طيب، وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، ولا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله ﷻ وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٦٤﴾ [طه]،
فإن من أحب شيئاً غير الله عذب، وسجن قلبه في محبته ذلك الغير.

خامساً: دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير
عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه
وحبسه وعذابه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد].

سادساً: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه
والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرًا،
وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق
الناس، وأنكدهم عيشًا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ
حَدِيدٍ، قَدْ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَكُلَّمَا هَمَّ الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَتِهِ
اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تُعْفَى أَثَرُهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ انْقَبَضَتْ كُلُّ
حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا، وَتَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ وَأَنْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ، فَسَمِعَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: فَيَجْتَهَدُ أَنْ يُوسَّعَهَا فَلَا تَتَّسِعُ»^(١).

سابعاً: الشجاعة، فإن الشجاع منشراح الصدر، وامتسع القلب،
والجبان أضيق الناس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا
لذة له إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها
وابتهاجها فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل.

ثامناً: إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه

(١) البخاري برقم (٢٩١٧)، ومسلم برقم (١٠٢١).

وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى بالأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل.

تاسعاً: ترك فضول النظر والكلام، والاستماع والمخالطة، والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل ألماً وغمومًا وهمومًا في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه، فلا إله إلا الله ما أضيقت صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، ولا إله إلا الله ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة، وكانت همته دائرة عليها، فلماذا نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) [الانفطار]. ولذلك نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤) [الانفطار].

والمقصود أن النبي ﷺ كان أكمل في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحًا ولذة، وقرّة عين، وعلى حسب متابعتة ينال العبد من انشراح صدره وقرّة عينه، ولذة روحه ما ينال..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) انظر: زاد المعاد (٢/ ٢٣ - ٢٨).

كفارات الذنوب

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن أفضل ما يتمناه المسلم أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له ذنوبه، وضاعف له في حسناته.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل للإنسان أعداء يزينون له الذنوب، ويهونونها عليه، ويبعدونه عن الخير، وهم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

ومن رحمة الله بعباده أن هيا لهم أسباباً يكفر بها عنهم الذنوب، ويمحوها، وهذه الكفارات الماحيات هي الأقوال والأعمال التي شرعها في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمن ذلك:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١).

ثانياً: اجتناب الكبائر من الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٢).

ثالثاً: التوبة الصادقة، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٣).

رابعاً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّكَ كَانَ

(٢) برقم (٢٣٣).

(١) برقم (٢٥٦٥).

(٣) برقم (٤٢٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٩/٢) برقم (٣٤٢٧).

عَفُورًا رَجِيمًا ﴿١٠٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ جَدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل].

روى الإمام أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «... يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» (٢).

خامسًا: الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حمران مولى عثمان رضي الله عنه قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ، ثم قال: إن ناسًا يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث لا أدري ما هي؟ إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ، وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً» (٣).

سادسًا: الصلاة، والمشي إليها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ

(١) برقم (١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٥٧٧). (٣) برقم (٢٢٩).

الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرَّبَاطُ»^(١).

سابعًا: الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢٧١) [البقرة]، روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٢).

ثامنًا: الحج والعمرة، روى النسائي من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

تاسعًا: المصائب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٤) بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَارْبُؤُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا»^(٤).

عاشرًا: صيام رمضان وقيامه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٥)، وروى البخاري

(١) برقم (٢٥١).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٢٦٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٥٨) برقم (٢٤٦٧).

(٤) برقم (٢٥٧٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية والثمانون

الحسد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهاي عنها: الحسد، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة منه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [الفلق].

قال: الراغب: الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها^(١)، والحسد من صفات أشر عباد الله اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ⑤﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ⑥﴾ [النساء: ٥٤]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢)، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن جبريل عليه السلام

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ١١٦).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

أتى النبي ﷺ، فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ»^(١).

قال ابن رجب: الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ويسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس، حيث حسد آدم ﷺ لما رآه قد فاق على الملائكة بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أخرج منها، ومنهم من يحدث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده في نفسه مستروحاً تمنى زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، وقسم آخر إذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية، فلا خير في ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْرُونَ إِنَّهُ لَدُوْحٌ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ٧٩]. وإن كانت فضائل دينية فهو حسن، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ

اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ»^(١). وهذا هو الغبطة، وسماه حسداً من باب الاستعارة، وقسم آخر إذا وجد من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيراً منه، وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه. اهـ^(٢)، قال ابن سيرين: «ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟!». اهـ.

وقال أبو الدرداء: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده». وقال ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»، وقال معاوية رضي الله عنه: «كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها»، ولذلك قيل:

كُلُّ الْعِدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

وقال آخر:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأَتِ الْأَدَبَ
أَسَأَتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي وَسَدَّ عَلَيَّكَ وَجْوهَ الطَّلَبِ

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، (ص ٢٦٠ - ٢٦٣).

النبي ﷺ قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأْتُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ نَعْلِيهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، وَجَاءَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ تَبِعَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي أَوَيْتُ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ؟ فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعدة أمور:

- ١ - التعوذ بالله من شره، والتحصن واللجأ إليه.
- ٢ - تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].
- ٣ - الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

(١) برقم (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٦١).

(٢) (١٢٥/٢٠) برقم (١٢٦٩٧) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- ٤ - التوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه.
 - ٥ - الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه في خواطر نفسه.
 - ٦ - تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.
 - ٧ - الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرًا في دفع العين وشر الحاسد.
 - ٨ - وهو من أصعب الأسباب، إطفاء نار الحاسد بالإحسان إليه.
 - ٩ - تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، الذي أَرْمَتْهُ الْأُمُورُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التفسير القيم لابن القيم (ص ٥٨٥ - ٥٩٣).

المعاصي وعقوباتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها.

قال ابن القيم رحمته الله: وهذه المعاصي لها أضرارٌ على القلوب، كضرر السموم على الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه المعاصي والذنوب، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء فطرده ولعنه وأبدله بالرحمة لعناً، وبالإيمان كفرةً؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ إنها المعاصي والذنوب!!^(١).

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٧ - ٣٨) بتصرف.

قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وهذه الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِن يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢]. أي صغائر الذنوب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ! قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»^(١).

ومن الناس من يتساهل في الذنوب والمعاصي، ويقول: ما دمت أودّي أركان الإسلام وفرائضه فالذنوب أمرها سهل، والله غفور رحيم، وهذا الكلام ليس بصحيح، فإن الله غفور رحيم، وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره، قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّبَىٰ أَنَا أَلْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى محذراً من معصية نبيه ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٦).

وقال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبَزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(١)، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُؤَبِّقَاتِ»^(٢). قال أبو عبد الله البخاري: يعني بذلك المهلكات.

ومعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة في معركة أحد، عندما أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَنْزِلُوا مِنَ الْجَبَلِ، فَعَصَوْهُ وَنَزَلُوا، فَقُتِلَ سَبْعُونَ، كما جاء في الصحيح^(٣).

ومعصية واحدة كانت سبباً في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تَطْعَمَهَا وَلَمْ تَدَعَهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٤).

بل إن العبد ليتساهل بالكلمة التي تخرج من فمه، ولا يلقي لها بالاً، تكون سبباً لدخوله النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٦٤٩٢).

(٣) البخاري برقم (٣٩٨٦).

(٤) البخاري برقم (٣٣١٨)، ومسلم برقم (٢٢٤٢).

(٥) البخاري برقم (٦٤٧٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٨) واللفظ له.

ومعصية واحدة أخرجت آدم من الجنة، قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي درك الجنان بها وفوز العابد
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
قال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ومن عقوبات المعاصي - وهي كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» - فمنها:

أولاً: أنها تورث الذل لصاحبها، فإن العز كل العز بطاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»^(١). وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية». وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ»^(٢). وفي دعاء القنوت: «إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ»^(٣) ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/١٤٤) برقم (٤١١).

عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته»^(١). قال النبي ﷺ للأَنْصَارِ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ تَكُونُوا أَذَلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ؟» قالوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٢).

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدِ يُوْرُثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

ثانياً: أنها تورث الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد وبين الناس، ولو اجتمعت للعبد لذات الدنيا كلها لم تذهب تلك الوحشة، قال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»^(٣).

ويشهد لكلام ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١١٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا^(١١٥) [طه].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

ثالثاً: ومن عقوباتها: أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها

(١) الداء والدواء (ص ٢٧٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) الجواب الكافي (ص ٤٩).

فكان من الغافلين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين]» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٣٣٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة والثمانون

التقوى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

في هذه الآية الكريمة وصى الله سبحانه جميع خلقه الأولين والآخرين بأن يتقوه، وخص سبحانه المؤمنين بوصية التقوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

قال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترواً من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليُمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»^(١). اهـ.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١).

قال شيخ الإسلام: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

قال الشاعر:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما زالت التقوى بالمتقين، حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

وقد ذكرت التقوى في كتاب الله في أكثر من مائتين وخمسين موضعًا، بل إنه قد تكرر الأمر بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].

والمتقون هم أولياء الله وأحبابه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس]، والمتقون هم أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، روى الإمام

أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة رضي الله عنه قال: حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟» قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يوصي أصحابه بالتقوى، ويبدأ بها خطبه ووصاياه، روى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا» ^(٢)، وقال للصحابي أبي ذر كما في سنن الترمذي: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» ^(٣) الحديث.

فطريق السعادة، والعز، والكرامة، والنصر هو التقوى، وإنما تأتي المصائب، والبلايا، والمحن بسبب إهمال التقوى، وإضاعته، أو إضاعة جزء منها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومن ثمرات التقوى:

أولاً: معية الله للمتقين، بالنصر والحفظ والإعانة والمحبة والتوفيق، وهذه منقبة عظيمة للمتقين، فلو لم يكن للمتقين إلا أنهم حازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/٤٧٤) برقم (٢٣٤٨٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٧٣١).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل].

ثانيًا: حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

ثالثًا: غفران الذنوب، ومعرفة الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

رابعًا: التقى يجعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

خامسًا: التقى يوفق للعمل النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

سادسًا: قبول الله تعالى من المتقين الأعمال الصالحة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه، فعمله خالصًا لله، موافقًا لأمر الله، فمن اتقاه في عمل تقبله منه، وإن كان عاصيًا في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعًا في غيره»^(١). اهـ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنه لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

سابعًا: ولاية الله تعالى بالتقوى، فإنه بالتقوى تنال ولاية الله، فمن اتقى الله فلا خوف عليه فيما يستقبل، ولا حزن ولا أسف على ما

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٢/١٠).

مضى، فإنه سبحانه يعوضه خيراً مما فاته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

ثامناً: تيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]؛ أي: من اتقى الله يسر الله له الأمور، وسهل عليه كل أمر عسير.

تاسعاً: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

عاشراً: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُنْقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿وَنُجِّىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَارِجِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٦١] ثُمَّ نُجِّىَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [٧٢] [مريم].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



تحريم الغناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان].

صح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما فسرا ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾: بالغناء، وحلف ابن مسعود ثلاث مرات، فقال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾: هُوَ الْغِنَاءُ»^(١).

وقال أيضاً: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله معلقاً على تفسير ابن مسعود وغيره للآية السابقة بأن المراد بها الغناء: فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه فعلتهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وُجد إليه سبيل^(٣).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن

(١) تفسير ابن كثير (٤٦/١١) طبع وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢) إغاثة اللفهان (١/٣٥٩).

(٣) إغاثة اللفهان (١/٣٦٨).

النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْجِرَّ»^(١) وَالْحَرِيرَ وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ^(٢) يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ^(٣) لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا عَدَا، فَيَبِيئُهُمُ اللَّهُ^(٤) لَيْلًا، وَيَضَعُ الْعِلْمَ^(٥) عَلَيْهِمْ، وَيَمْسُحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٦).

فهذا الحديث يخبر عن أمر عظيم، وهو إهلاك بعض الأمة بأنواع من الهلاك، بسبب ما يرتكبون من الأمور ظاهرة التحريم، ومنها استحلالهم لآلات الملاهي المحرمة شرعاً، وهي في وقتنا المعاصر مثل: الكمنجا، والعود، والطبل، والبيانو، والربابة، والمزمار، وغيرها من المعازف، ودلالة الحديث على التحريم من وجهين:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «يَسْتَحِلُّونَ» أي يصيرونها حلالاً بعد حرمتها، ففيه التصريح بأن المذكورات في الحديث محرمة، ومنها المعازف.

الثاني: قرن المعازف مع الشيء المقطوع بحرمة بإجماع المسلمين، وهو الزنا وشرب الخمر، ولبس الحرير، وهو دليل على حرمتها.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْحٌ»، فقال رجل من المسلمين: متى ذاك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ»^(٧).

(١) الحر: أي الزنا.

(٢) علم: أي جبل.

(٣) بسارحة: أي ماشية لهم.

(٤) فبيئتهم الله: أي يهلكهم ليلاً.

(٥) يضع العلم: أي يسقط الجبل عليهم.

(٦) برقم (٥٥٩٠).

(٧) برقم (٢٢١٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٤٢) برقم

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد توعد الله سبحانه مستحلي المعازف بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسحهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسط في الذم والوعيد». اهـ^(١).
قال الشاعر:

فهذا الحقُّ ليس به خفاء فدعني عن بُنيَّات الطَّرِيق

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ما خلاصته: «وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقاد أن الرسول حرمها كانوا كفارًا، ولم يكونوا من أمته»^(٢). اهـ.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على تحريم المعازف، ولو أتلفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف، بل يحرم عندهم اتخاذها. ولما سئل الإمام مالك عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ قال: إنما يفعله عندنا الفساق^(٣).

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عنه قال: «الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»^(٤).

وأما مذهب أبي حنيفة، فهو من أشد المذاهب، فقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقصب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق وتُرد به الشهادة^(٥).

وقد انتشر الغناء وللأسف في مجتمعنا، فالأغاني في التلفاز والقنوات الفضائية والمسجل والراديو، وغيرها من آلات اللهو.

قال يزيد بن الوليد: «إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢٨٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٤٧٨). (٣) إغاثة اللهفان (١/٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (١/٣٤٨). (٥) إغاثة اللهفان (١/٣٤٥).

الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر. وقال: فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا، أو رقية الزنا»^(١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرَّق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه، ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطي الليان، فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع من البلايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وكم خبأ لأهله من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلية؟!»^(٢).

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فدع صاحب المزمار والدف والغنا
ودعه يعيش في غيه وضلاله
وفي تنننا يوم المعاد نجاته
سيعلم يوم العرض أي بضاعة
ويعلم ما قد كان فيه حياته
وما اختاره عن طاعة الله مذهبًا
على تاتنا يحيا ويُبعث أشيبا
إلى الجنة الحمراء يُدعى مُقربًا
أضاع وعند الوزن ما خفَّ أو ربًا
إذا حُصِّلت أعماله كلها هبًا

ومما تقدم من الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، وأقوال أهل العلم، يتبين تحريم الغناء، وأنه من كبائر الذنوب، فيجب على

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٥).

(٢) إغاثة اللهفان من وساوس الشيطان (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

المؤمن أن ينأى بنفسه عنه، فإنه لا يجتمع كلام الرحمن، ومزمار الشيطان في قلب امرئ أبداً.

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسميه أصحاب التسجيلات «الأناشيد الإسلامية»، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «تَحْرِيمُ آيَاتِ اللّٰهُ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْأَدْلَةَ عَلَى تَحْرِيمِ الْغَنَاءِ: «وَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِمَا حَرَّمَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْعُلَمَاءُ الْغَنَاءَ الصُّوفِيَّ، وَاشْتَدَّ انْكَارُهُمْ عَلَى مُسْتَحْلِهِ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْقَارِئُ فِي بَالِهِ هَذِهِ الْأَصُولَ الْقَوِيَّةَ، تَبَيَّنَ لَهُ بِكُلِّ وَضُوحٍ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْغَنَاءِ الصُّوفِيِّ، وَالْأَنَاشِيدِ الدِّينِيَّةِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ فِي هَذِهِ آفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهَا قَدْ تَلْحَنُ عَلَى أَلْحَانِ الْأَغَانِي الْمَاجَنَةِ، وَتَوَقَّعَ عَلَى الْقَوَائِنِ الْمَوْسِيقِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَوْ الْغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَطْرَبُ السَّامِعِينَ وَتَرْقِصُهُمْ، وَتَخْرِجُهُمْ عَنْ طَوْرِهِمْ، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ هُوَ اللَّحْنُ وَالطَّرْبُ، وَلَيْسَ النِّشِيدُ بِالذَّاتِ، وَهَذِهِ مُخَالَفَةٌ جَدِيدَةٌ، وَهِيَ التَّشْبِيهُ بِالْكَفَّارِ وَالْمَجَانِّ، وَقَدْ يَنْتُجُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ التَّشْبِيهُ بِهِمْ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ، وَهَجْرِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَدْخُلُونَ فِي عَمُومِ شِكَايِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والثمانون

تحريم الزنا وأسبابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

فالآيات السابقة بين الله فيها أن من صفات عباده المؤمنين عدم الإشراف به، وعدم قتل النفس المحرمة، وأنهم يحفظون فروجهم عن الفواحش، وحذر من أنه من يقدم على هذه الفواحش فإن مصيره الخلود في العذاب المضاعف المهين، ما لم يرفع ذلك بالإيمان، والعمل الصالح، والتوبة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، فقد قرنه الله بالشرك، وقتل النفس، لما فيه من إضاعة الأنساب، وانتهاك الحرمات، وإشعال العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك خراب للعالم، ولهذا كان الزاني المحصن من الثلاثة الذين أحل الله دماءهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١). وقد توعدده النبي ﷺ حين قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ كَالظِّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»^(٣).

وفي صحيح البخاري، في حديث النبي ﷺ الطويل، وفيه: جاء جبريل وميكائيل إلى النبي ﷺ قال: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ. قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا (أَي: صَاحُوا مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ). فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ، وَالزَّوَانِي»^(٤).

(١) البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٨٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

(٣) برقم (٤٦٩٠) وقال الذهبي في كتاب الكبائر (ص ٦٠): هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم.

(٤) برقم (٧٠٤٧).

ولذلك أخذ النبي ﷺ البيعة من أصحابه على أن لا يقعوا في هذه الفاحشة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا»^(١) الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «ولا أعلم بعد قتل النفس ذنبًا أعظم من الزنا»، وقال المنذري رَحِمَهُ اللهُ: «صح أن مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن، ولا شك أن الزنا أشد، وأعظم من شرب الخمر».

ولما حرم الله الزنا حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها: أولاً: إطلاق البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، والنظر يكون في الأسواق، والأماكن العامة، وعبر شاشات القنوات الفضائية، والمجلات الهابطة، والتلفاز، وغيره.

ثانياً: خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وهذا التبرج باب عظيم يؤدي إلى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثالثاً: دخول الرجال الأجانب على المرأة، وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها، وأقارب أبويها، فإنهم يترددون غالباً، وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم، روى البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٢)، والحمو هو قريب الزوج.

(١) البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

رابعًا: ما يحدث من بعض المجتمعات الإسلامية من إقامة الحد على الضعيف، وتركه عن القوي، فإن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا، وهذا الذي فعله بنو إسرائيل، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ»^(١).

خامسًا: تأخير من بلغ من الشباب، والشابات عن الزواج، فإنه بمجرد بلوغه تشتد عنده الشهوة، فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئها به، فربما يلجأ إلى الحرام الذي يجلب له العار في الدنيا، والخزي في الآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(٣).

سادسًا: انتشار آلات اللهو، والفساد في البيوت، فالغناء هو بريد الزنا، والأفلام الخليعة التي تحكي الغرام بين الرجل والمرأة، عبر القنوات الفضائية الفاضحة، أو المواقع الإباحية في الإنترنت، أو مقاطع البلوتوث التي أساء استخدامها بعض الشباب، وصاروا يتداولون فيها الصور العارية كل ذلك مما يدعو إلى الفاحشة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

(٢) البخاري برقم (٥٠٦٦)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

(٣) سبق تخريجه.

سابعاً: انحراف بعض الرجال، وخيانتهم لزوجاتهم بمعاشرة النساء الأجنبية على غير الوجه الشرعي، فيكون هذا مدعاة لأن تقابل الزوجة زوجها بمثل ما قابلها به، وفي هذا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يا هاتكاً حُرِّمَ الرجال وتابعاً طُرُقَ الْفَسَادِ عَشَّتْ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لو كنت حُرّاً من سُلالَةٍ ماجِدٍ ما كُنتَ هَتَاكاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
من يَزنٍ في قومٍ بِألفي دِرْهَمٍ في أهله يُزْنَى بِربْعِ الدِرْهَمِ
إن الزنا دَيْنٌ فإن أقرضتُهُ كانَ الوفاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فاعْلَمِ

وهذا الزوج الفاسق هو الذي سن هذه السيئة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان له وزرها، ووزر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (١).

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسمى بجوال الكاميرا، وكم حدثت مفاسد منه، فكم من نساء محصنات غافلات صورن فيه، وكم من أعراض انتهكت عن طريقه، كم هدم من بيوت، وشتت من أسر، وجلب من مآسٍ؟! فينبغي للمؤمن أن يحذّر أهله منه، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين (٣).



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٧).

(٢) البخاري برقم (٢٥٥٤)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد حفظه الله.

الاستخارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري، والترمذي، والنسائي من حديث جابر رضي عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ، وَيُسَمِّيهِ - شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»^(١).

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على دعاء الاستخارة: «أن المراد هو حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع، ولا أنجح من

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٨٢)، وسنن الترمذي برقم (٤٨٠)، والنسائي برقم (٣٢٥٣).

الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مألًا وحالًا»^(١).

وقال بعض أهل العلم: يجوز تكرارها - أي الاستخارة - في الأمر الواحد، وممن ذهب إلى جواز ذلك الحافظ العراقي، ومال إلى ذلك الشوكاني في النيل، فقال: قد يستدل للتكرار بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا، دَعَا ثَلَاثًا، حديث صحيح. هذا وإن كان المراد به تكرار الدعاء في الوقت الواحد، فإن الدعاء الذي تسن الصلاة له تكرر الصلاة له، كالاستسقاء^(٢). اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم»^(٣). اهـ.

قال الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني: إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرح نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح نفسه. وقال: وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس^(٤). اهـ.

تنبيه: الاستخارة تكون في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، سواء كان مترددًا فيه أم جازمًا، وليس كما يظن البعض أن الاستخارة في الأمر الذي يتردد فيه، لأن الاستخارة طلب التوفيق، والنتائج لا يعلمها إلا الله، وكم من أمر ظن صاحبه أن فيه خيرًا فكان فيه هلاكه، وكم من أمر ظن

(١) فتح الباري (١١/١٨٦).

(٢) نيل الأوطار (٢/٩٠).

(٣) الكلم الطيب لابن تيمية (ص ٧١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٩/٢٠٦).

صاحبه أن فيه سرًّا، فكان فيه نجاته؟! وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن فوائد الاستخارة وثمراتها:

أولاً: إنها دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷻ، وتوكله عليه في سائر أحواله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ [الشعراء].

ثانياً: الاستخارة تزيد ثواب المرء، وتقربه من ربه، وذلك لما تتضمنه من الصلاة والدعاء، وفي الحديث: قلت: فما الصلاة يا رسول الله؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ»^(١).

ثالثاً: في الاستخارة مخرج من الحيرة والشك، وهي مدعاة للطمأنينة وراحة البال، لأن العبد يفوض أمره إلى ربه الذي أزمه الأمور بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

رابعاً: حصول الخير ودفع الشر؛ لأن ما يختاره الله لعبده أفضل مما يختاره العبد لنفسه؛ لأنه سبحانه هو العالم بمصالح عباده، العالم بغيبات الأمور.

خامساً: حصول البركة في الأمر الذي سيقدم عليه، والبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وفي حديث الاستخارة

(١) جزء من حديث في مسند الطيالسي (١/٦٥) برقم (٤٧٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ (٣٨٧٠).



السابق: «وَبَارِكْ لِي فِيهِ».

سادسًا: أن المرء قد يحتقر شيئًا لصغره، ويكون في فعله أو تركه ضرر عظيم، ولذلك شرعت الاستخارة في الأمور كلها^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نيل الأوطار للشوكاني (٢/٨٨) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية.

الكلمة الثامنة والثمانون

وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكَاهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾﴾، قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم لما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم. قال ابن عباس: فاكهون: أي فرحون، وقال بعض المفسرين: أي في شغل مفكه للنفس ملذ لها من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك نكاح زوجاتهم الأبيكار من الحور العين في الجنة اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان، وحسن الأخلاق»^(١).

قوله تعالى: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي في ظلال الأشجار على السرر المزينة باللباس المزخرف الفاخر الحسن، متكئون عليها اتكاءً يدل على كمال الراحة، والطمأنينة، واللذة.

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩)، وتفسير ابن سعدي (ص ٨١٩).

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي فاكهة كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون: أي يطلبون فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مِمَّا تَشْتَهُ مِنَ النَّاسِ وَتَلَذُّوا بِهِمْ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا وَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ أَنَّى شَاءُوا ذَلِكَ هِيَ مَقْدَرَةٌ لِّمَن يَعْمَلُ بِالْإِسْلَامِ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف].

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكدته بقوله: ﴿قَوْلًا﴾، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك الرب العظيم الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته الذين أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، وألا تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور لحصل ذلك، فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم^(١). اهـ.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن في الجنة أزواجا مطهرة يتلذذ الإنسان ويتمتع بهن مع الجلوس على الأرائك، والاتكاء عليها، وتقديم الفواكه من الولدان والخدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: «مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبزاق، والمني، والولد».

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظَّرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن]، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالْجَمَاعِ، وَالشَّهْوَةِ»^(٢). فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ».

قال الشاعر:

وَجَنَاتُ عَدْنٍ زُخِرْفَتْ ثُمَّ أْزَلِفَتْ لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلْ
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلْ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلْ
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهَوْنَهُ إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرَ بَدَلُوا

ثانيًا: إن في الجنة أنهارًا وفواكه، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافًا عظيمًا، لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة]. قال ابن عباس: «لَا يُشْبَهُ شَيْءٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي

(١) البخاري برقم (٢٧٩٦)، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤) وقال محققوه: حديث صحيح.

الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءَ». روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)» (١).

ثالثاً: إثبات كلام الرب تعالى لأهل الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحييتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام. أي: يوم يسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس]» (٢).

رابعاً: أن رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في الجنة، ورضاه عنهم أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب الرومي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تعالى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ صلى الله عليه وسلم»، زاد في رواية: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا

(١) البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) برقم (١٨١).

(٣) تفسير ابن كثير (١١/١٨٤).

رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

خامسًا: أن أهل الجنة كلما طلبوا شيئًا وتمنوه أدركوه، روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَحْذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْحَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبًّا!! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(٢).

قال: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩).

(٢) برقم (١٨٩).

تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ [الطور].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن فضله، وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع ناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله، ومنزلته للتساوي بينه، وبين ذلك. اهـ (١).

قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾ الْآيَةَ (٢).

قال ابن كثير: وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء،

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» ^(١) ^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» ^(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ^(٢١) [الطور]؛ لما أخبر تعالى عن مقام الفضل، ورفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر تعالى عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، فقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ^(٢١) أي: مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ ^(٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ ^(٣٩) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُوْنَ ^(٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ ^(٤١) [المدثر].

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها قيدت إلحاق ذرية المؤمن إلى درجته في الجنة بالإيمان، أما إذا كانت على غير الإيمان، فإنها لا تنتفع بصلاح الآباء، والأبناء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

(١) المصدر السابق (١٣/٢٣٢).

(٢) (١٦/٣٥٦ - ٣٥٧) برقم (١٠٦١٠)، وقال محققوه: إسناده حسن، وقال ابن كثير في تفسيره (١٣/٢٣٢): إسناده صحيح.

(٣) برقم (١٦٣١).

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٨﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ [المدثر].

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ^(١)، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيَلْقَى فِي النَّارِ»^(٢).

ثانياً: إن فضل الله واسع، وهو سبحانه لا ينقص المؤمن من عمله شيئاً، بل يضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [١١٢] [طه]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: عدل الله صلى الله عليه وسلم، فهو لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

(١) الذيخ: هو الضبع الذكر وقد تلطخ بالنجاسة.

(٢) برقم (٣٣٥٠).



يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا نُزِرُ وَإِرَّةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم].

رابعًا: أن هذه الآية الكريمة من البشائر العظيمة التي يفرح بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس].

خامسًا: الاهتمام بتربية الأبناء تربية إسلامية، كتعليمهم العبادات، وحثهم عليها، وإلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، وتجنبيهم المحرمات، والمنكرات، وتحذيرهم منها، والدعاء لهم بالصلاح والهداية، حتى ينتفع بهم أبائهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان]، روى الإمام أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.



الكلمة التسعون

الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنوب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجاً إلى التوبة، والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد ﷺ يستغفر الله في جميع الأحوال»^(٣). اهـ.

(١) برقم (٢٧٠٢).

(٢) برقم (١٥١٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٢).

(٣) التحفة العراقية (٧٩/١).

وقد أمر الله نبيه والمؤمنين بالاستغفار، ووعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٦) [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ (١٩) [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) [المزمل].

والاستغفار يكون للنفس وللغير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

ولا يجوز الاستغفار للمشرك، ولو كان حبيبا، أو قريبا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، وَبَكَى، وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا

الْقُبُورِ، فَإِنَّهَا تُدَكَّرُ الْمَوْتِ» (١).

كما بين سبحانه أن الاستغفار لهم لا ينفعهم، ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وصيغ الاستغفار كثيرة، وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك ما رواه أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه مولى النبي ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ» (٢).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (٣).

ومن أفضلها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ

(١) برقم (٩٧٦).

(٢) برقم (١٥١٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٣) برقم (٥٩١).

مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والاستغفار يشرع في أي وقت، ويجب عند فعل الذنب الإقلاع عنه، والاستغفار منه، ويستحب بعد الأعمال الصالحة؛ ليجبر ما كان فيها من تقصير، كالاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة، كما مر، والاستغفار في الحج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

ومن أفضل أوقات الاستغفار وقت السحر، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَغُفِرَ ۗ وَالَّذِينَ إِذَا مَا فَعَلُوا وَعَلَىٰ مَا فَعَلُوا هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران].

قال الفضيل بن عياض: استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين. ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

والاستغفار سبب لنزول المطر، والإمداد بالأموال، والبنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [١٠] ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [١١] ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [١٢] ﴿[نوح]، والاستغفار سبب لدفع البلاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٣٣] ﴿[الأنفال: ٣٣] قال علي رضي الله عنه: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

وقال أبو موسى: «كَانَ لَنَا أَمَانَانِ، ذَهَبَ أَحَدُهُمَا،

وَهُوَ كَوْنُ الرَّسُولِ ﷺ فِيْنَا، وَبَقِيَ الْإِسْتِغْفَارُ مَعْنَا، فَإِنْ ذَهَبَ هَلَكْنَا» (١).

والاستغفار سبب لنزول الرحمة، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ سَتَعِجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل].

والاستغفار كفارة للمجلس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا عُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التوبة إلى الله، للغزالي (ص ١٢٤).

(٢) برقم (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٣) برقم (٢٧٣٠).

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِثَّةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى: العزیز، قال القرطبي: «العزیزُ معناه المنيعُ، الَّذِي لَا يُنَالُ، وَلَا يُغَالَبُ»^(٣)، وقال ابن كثير: العزیزُ: الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ فَفَقَهَرَهُ، وَغَلَبَ الْأَشْيَاءَ فَلَا يُنَالُ جَنَابُهُ لِعِزَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَجَبْرُوتِهِ، وَكِبْرِيَاءِهِ»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: العزة متضمنة لأنواع ثلاثة:

- ١ - عزة القوة، الدال عليها من أسمائه القوي المتين.
- ٢ - عزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع

(١) البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) برقم (٧٣٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٣١ / ٢) نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى.

(٤) تفسير ابن كثير (٤٥٦ / ٢) (٦ / ٣).

المعطي المانع.

٣ - عزة القهر، والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، لا يتحرك منها متحرك إلا بحوله، وقوته^(١)، وقال بعضهم: ذكر العزيز في القرآن في اثنتين وتسعين مرة^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ، وأن من أسمائه: العزيز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يُعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأن معناه أن ربه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاؤوا، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحاً جلياً، فمن ذلك قصة موسى ﷺ، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي يتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزيز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى ﷺ، وتربى في قصر فرعون، وفي بيته، وتحت رعايته، ولما حاول قتله أهلكه الله، وقائده هامان، وجنوده أجمعين، وغيرها من القصص^(٣).

ثانياً: أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٣٤ - ٤٣٥) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٧ / ٢٨٢١ - ٢٨٢٢).

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للنجدي (١ / ١٣٦).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١ / ١٣٨).

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل عمران]، فمن طلب العزة فيطلبها من رب العزة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي من أحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعًا، وقد ذم الله أقوامًا طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظنًا منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْخَدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُوكَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء].

ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم.

قال فخر الدين الرازي: «وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل، وكان أشد عزة، وأكمل رفعة»^(١).

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال النبي ﷺ: «أَلَمْ تَكُونُوا أَدِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَهَمَّا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَدَلَّنَا اللَّهُ»^(٣)، وكان من دعاء السلف:

(١) شرح الأسماء (ص ١٩٦) نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (١٤٠/١).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٠٥/١٨) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه الشيخ عبدالسلام علوش: إسناده صحيح.

«اللَّهُمَّ اعِزَّنَا بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنَا بِمَعْصِيَتِكَ» (١).

فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «وَجَعَلَ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» (٢).

ثالثاً: سؤال الله تعالى، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعُ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرًّا» (٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (٤).

رابعاً: من أسباب العزة والرفعة العفو والتواضع، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (٥). فمن عفا عن شيء مع مقدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

خامساً: أن ما أصاب المسلمين من ضعف، وذل وهوان، وتخلف عن بقية الأمم في هذه الأزمنة، إنما هو بسبب المعاصي والذنوب،

(٢) سبق تخريجه.

(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) برقم (٣٥٨٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم (٢٨٣٨) وأصله في صحيح مسلم.

(٤) جزء من حديث البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

(٥) برقم (٢٥٨٦).

والبعد عن دين الله تعالى، ولو أنهم تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به لأعزهم الله، ونصرهم على الأعداء، ولأصبحوا سادة العالم، وقادة الشعوب، كما حصل للصحابة رضي الله عنهم، فقد وصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرْفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَالْجِزْيَةُ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (١٥٥/٢٨) برقم (١٦٩٥٧) وقال محققوه: إسناده صحيح.

الكلمة الثانية والتسعون

شكر النعم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا لا تعد، ولا تحصى، بل هي متتابعة، بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) ﴿[إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٥٣) ﴿[النحل].

ومن أعظم هذه النعم الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والعبد دائماً بين نعمة من الله تحتاج إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، إلى آخر ما قال»^(١).

(١) التحفة العراقية (١/ ٧٩).

ومن هذه النعم على سبيل المثال: نعمة السمع، والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٨] [النحل].

ومنها نعمة الأمن في الأوطان، فإن حاجة الناس إلى الأمن أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فقد قدمه إبراهيم عليه السلام على الرزق، فقال الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ولأن الناس لا يهناون بطعام ولا شراب مع الخوف، قال تعالى ممتنًا على قريش بهذه النعمة: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ [٣] الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [٤] ﴿ [قريش]. وغير ذلك من النعم التي لا يستطيع حصرها، ولا الإحاطة ببعضها، وصدق الله إذ قال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه النعم بلا شك تحتاج إلى شكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٧] ﴿ [إبراهيم]. ومن الأسباب المعينة على شكر النعم:

أولاً: التأمل في نعم الله، واستحضارها في كل لحظة وحين، وعدم الغفلة عنها، فإن كثيراً من الناس يتنعمون بشتى أنواع النعم من مآكل، ومشارب، ومراكب، ومساكن، ومع ذلك لا يستشعرون هذه النعم، لأنهم لم يفقدوها يوماً من الأيام، واعتادوا عليها، لذلك فإن الله يريد منا التأمل في هذه النعم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوْفِكُمْ ﴾ [٣] ﴿ [فاطر].

ثانياً: أن ينظر كل واحد منا إلى من هو أسفل منه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلى

مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(١)، وفي رواية: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ، وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ»^(٢).

قال ابن جرير: «هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْعَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ»^(٣). اهـ.

ثالثاً: أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يسأله يوم القيامة عن شكر هذه النعم، هل قام بذلك أو قصر؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحِّ لَكَ جِسْمَكَ، وَأُرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٤)، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسْوَدَكَ»^(٥)، وَأُرَوِّجَكَ، وَأَسَحَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ، وَتَرَبَّعَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفَطَنَنْتَ أَنَّكَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي (٩٧/٦).

(٤) مستدرک الحاكم (١٩١/٥) برقم (٧٢٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٧٦/٢) برقم (٥٣٩).

(٥) أي أجعلك سيِّداً على غيرك.

مَلَأْتِي؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٢).

رابعاً: شكر هذه النعم بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١٢) [لقمان]، وقال أيضاً: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١٣) [سبأ]؛ فاستمرار هذه النعم بالشكر بأنواعه الثلاثة، وذهابها بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١٤) [النحل].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرُ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(٣).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النِّعَمَ
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ فَارْبُ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٢) برقم (٢٤١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

الكلمة الثالثة والتسعون

الورع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع، ورغب فيها: الورع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَأَمَّا الْوَرَعُ فَإِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا قَدْ يَضُرُّ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْمُحَرَّمَاتُ وَالشُّبُهَاتُ، لِأَنَّهَا قَدْ تَضُرُّ، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الورع ترك ما يضر، ومن ذلك ترك الأشياء المشتبه في حكمها، والمشتبه في حقيقتها، فالأول اشتباه في الحكم هل هو حرام أو حلال؟ والثاني اشتباه في الحال، فالإنسان الورع هو الذي إذا اشتبه الأمر عليه تركه إن كان اشتبهاً في تحريمه، وفعله إن كان اشتبهاً في وجوبه لئلا يآثم بالترك»^(٢) أهـ. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/٤٨٥ - ٤٨٦).

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمْ الْوَرَعُ»^(٢).

وروى النسائي من حديث الحسن بن علي قال: حَفِظْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث النّوأس بن سمعان قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(٤).

والورع بابه واسع يشمل الورع في النظر، والسمع، واللسان، والبطن، والفرج، والبيع، والشراء، وغير ذلك. ويكثر وقوع كثير من الناس في المحرمات والشبهات، بسبب تخلف هذه الأمور الثلاثة: الورع في اللسان، والبطن، والنظر، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣٦) [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٩) [غافر]. قال الإمام أحمد بن حنبل:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) (٢٨٣/١) برقم (٣٢٠) وقال محققه: الحديث عندي أنه حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٢١٤).

(٣) برقم (٥٧١١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١١٥٣) برقم (٥٢٦٩).

(٤) برقم (٢٥٥٣).

«هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيلحقها بصره»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢)، ومعنى «مَا يَتَّبِعُنَّ» أي: ما يتفكر فيها، ولا يتأملها هل هي خير أو شر؟

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْهَا، فَقَالَتْ: «أَحْمِي سَمْعِي، وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا»، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ»^(٣).

وقال وهيب بن الورد، ولو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أو حرام.

وقد كان عليه الصلاة والسلام إمام الورعين، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْقُهَا»^(٤)؛ لأن الصدقة محرمة عليه، وعلى أهل بيته.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفتنون أثره صلى الله عليه وسلم، ويتبعون سنته، فروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ

(١) الورع للمروذي (ص ١١١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٠).

(٤) البخاري برقم (٢٤٣٢)، ومسلم برقم (١٠٧٠).

فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث نافع - يعني عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: «كَانَ فَرَضٌ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضٌ لِابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ. يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا»^(٣)، وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف»، وكان عمر بن عبد العزيز تسرج له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ أطفالها، وأسرج عليه سراجها، وقال لامرأته يوماً: «عندك درهم أشترى عنباً؟ قالت: لا. قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا، أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم. قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم».

وتقدم كلام الشيخ ابن عثيمين أن الاشتباه على نوعين: اشتباه في الحكم، فلا يدري المؤمن هل هو من الحلال البين؟ أو من الحرام البين؟ فهذا أمثلته كثيرة جداً، لأنها تختلف باختلاف أفهام العلماء، فمنهم من يرى التحريم، ومنهم من يرى الحل، وقد يمثل لذلك ببعض

(٢) برقم (٣٩١٢).

(١) برقم (٣٨٤٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٥٢/٨) برقم (١٤٦٨٣).

المعاملات، والمساهمات المالية المنتشرة في هذه الأيام^(١).

الثاني الاشتباه في الحال، وقد يمثل لذلك بالدجاج المستورد من الخارج، فبعض العلماء يرى جوازه؛ لأنه من طعام أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، وقد تبين لدى بعض طلبة العلم أن كثيراً من هذا الدجاج يذبح بالصعق الكهربائي، أو غيرها من طرق الذكاة غير الشرعية، وهذا من المشتبه حاله، فالورع تركه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن من تورع، وترك الشبهات، فإن الله يعوضه خيراً مما فاته، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «الأسهم المختلطة» للشيخ صالح العصيمي فقد أجاد فيه وأفاد.

(٢) سبق تخريجه.

الكلمة الرابعة والتسعون

علاج الهموم والغموم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن المؤمن لا تخلو حياته من الهموم والأحزان التي تكدر عليه عيشته، وتنغص عليه لذته، ومع ما في ذلك من تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، فإن فيها فوائد أخرى، من أهمها أنها تدفع المؤمن للجوء إلى الله، والانكسار بين يديه، والتضرع إليه، فيحصل بذلك للقلب من الراحة والطمأنينة، واستشعار القرب من الله ﷻ ما لا يمكن وصفه.

وأيضًا فإن هذه المنغصات تجعل المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ولا يركن إليها، ويقبل على الآخرة على بصيرة بأنها خير وأبقى، إذ لا هم فيها ولا حزن، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤) الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]، فما أعظم هذه الفائدة لمن عرف حكمة الله تعالى فيها! وهذه بعض الأسباب التي تُدفعُ بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب لمن أحسن استعمالها.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [النحل]، وهذا وعد من الله لمن آمن

وعمل صالحًا، أن الله يحييه حياة سعيدة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

ثانيًا: فرح المسلم بما يحصل له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، جزاء صبره واحتسابه على ما يصيبه من هموم الدنيا، ومصائبها.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «حَتَّى الْهَمُّ يُهْمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»^(٣)، وفي رواية أخرى لمسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»^(٤). فيعلم المسلم أن ما يصيبه من هموم، وغموم إنما هو تكفير لسيئاته، وتكثير لحسناته، قال أحد السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس»، وكان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها فانية، متاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة، لا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلاً، أبكت طويلاً، وإن سرت يسيرًا أحزنت كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فيوم لك، ويوم عليك، روى مسلم في

(١) برقم (٢٩٩٩).

(٢) البخاري برقم (٥٦٤٢).

(٣) برقم (٢٥٧٣).

(٤) برقم (٢٥٧٢).

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١)، وهي كذلك دار نصب، وأذى، وغم، وهم، ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقتها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالذَّوَابُّ»^(٢) فهذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا، يهون عليه المصائب، والهموم؛ لأنه يعلم أن ذلك من طبيعتها.

رابعًا: هموم الدنيا وغمومها تشتت النفس، وتفرق شملها، فإذا جعل العبد الآخرة همه جمع الله له شمله، وقويت عزيمته، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(٣).

خامسًا: الدعاء، فإنه علاج نافع لدفع الهم، والغم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الهم، والحزن. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ

(١) برقم (٢٩٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥١٢)، ومسلم برقم (٩٥٠).

(٣) برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٥١٦).

كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعا، وعمل له، وانقلب همه فرحاً، وسروراً.

سادساً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه من كل شيء مما يهمله من أمر الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم، والغموم، وزالت عنه كثيرٌ من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه...»^(٣) إلى آخر ما قال.

والأسباب كثيرة لمن تأملها، وقد اقتصرنا على الأهم منها، وجماع هذه الأسباب قراءة القرآن بتدبر، فإنه ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء الأحزان، وذهاب الهموم والغموم، والشفاء لجميع

(١) برقم (٢٨٩٣).

(٢) برقم (٥٠٩٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٩) برقم (٤٢٤٦).

(٣) الأسباب المفيدة في الحياة السعيدة، (ص ٢٤ - ٢٥).

الأمراض البدنية والقلبية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمن قرأ هذا القرآن بتدبر وإقبال، ذهب عنه الهموم والغموم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة الشيخ محمد المنجد: (علاج الهموم).

الكلمة الخامسة والتسعون

قصة نبي الله أيوب عليه السلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قصّ الله علينا في كتابه العزيز قصص الأنبياء والمرسلين، لنأخذ منها الدروس والعبر، ولتشبث فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوية إيمان المؤمنين، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ومن هؤلاء الرسل نبي الله أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ صَغْتًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: إن أيوب عليه السلام كان رجلاً كثير المال بأنواعه المتعددة، من الأراضي الواسعة، والأنعام والمواشي، وكان ذلك بأرض البثنية بأرض حوران بالشام، قال ابن عساكر: «كانت كلها له، فابتلاه الله بفقد ذلك كله، وابتلي بأنواع البلايا في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، وكان يذكر الله بهما، ويسبح ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأنيس، وعافه القريب والبعيد، ورمي في مزبلة خارج بلده، ولم يبق عنده سوى زوجته، كانت تحفظ حقه، وقديم إحسانه، وشفقته عليها، وكانت تعمل بالأجر عند الناس، وتأتيه بالطعام، مع صبرها على فراق المال والولد، ومرض الزوج بعد النعمة، والحرمة التي كانت فيها، فإن الله وإنا إليه راجعون، وكما تقدم كانت تخدم الناس بالأجر، وتطعم أيوب عليه السلام، ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفاً من أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعته لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريتهما بطعام كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً، فلما كان من الغد لم تجد أحداً فباعته الضفيرة الأخرى بطعام، فأنته به فأنكره، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه: ﴿أَيُّ مَسْنَى الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾، فجاء الفرج من الله: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ﴿٤٢﴾ أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله عيناً باردة الماء، وأمره أن يغتسل فيها، ويشرب من مائها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك

صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال مطراً عظيماً، جراد من ذهب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَتَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»^(١).

وأخلف الله له أهله، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: عوضه الله عنهم في الدنيا بدلهم، وقيل غير ذلك، رحمة منا ورأفة وإحساناً وذكراً للعبادين^(٢).

ومن الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله أيوب عليه السلام:

أولاً: ابتلاء الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وأن هذا البلاء لم يزد إلا صبراً، واحتساباً، وحمداً، وشكراً، حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام، ويضرب المثل بما حصل له من أنواع البلاء. قال السدي: «تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم، والعصب»، روى أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبَثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ، وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ، وَيَرُوحَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعَلَّمَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ

(٢) البداية والنهاية (١/٥٠٧ - ٥٠٩).

(١) برقم (٢٧٩).

يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرًا بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفَرُ عَنْهُمَا كِرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ...»^(١) الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

ثانيًا: أن يقال: يا أهل البلاء، يا من ابتليتكم في أموالكم، أو أولادكم، أو أنفسكم اصبروا، واحتسبوا، فإن العوض من الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه»^(٣).

قال الشاعر:

إِذَا بُلِيَتْ فَشِقُّ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلَوَى هُوَ اللَّهُ

(١) (٢٩٩/٦) برقم (٣٦١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣ - ٥٤) برقم (١٧).

(٢) (٧٨/٣) برقم (١٤٨١) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) البداية، والنهاية (١/٥١٣).

إذا قَضَى اللهُ فاستسلم لِقُدْرَتِهِ مَا لَامِرِيَّ حِيلَةً فِيمَا قَضَى اللهُ

ثالثًا: أن من أصيب بمصيبة فصبر واحتسب واسترجع عوضه الله خيرًا مما فاته، كما حصل لأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوَفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

رابعًا: أن في هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهم، ولهن في ذلك قدوة امرأة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف صبرت واحتسبت حتى كشف عن زوجها الغمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَضْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرِجْلِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»^(٢)، وفي رواية: أن امرأة قالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ قَرَحَةً فَلَحَسَتْهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ»^(٣).

خامسًا: أن الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجًا ومخرجًا، فإن أيوب حلف أن يضرب امرأته مئة سوط، قال ابن كثير: «فلما عافاه الله وَعَلَّمَ أفتاه أن يأخذ الضغث، وهو شمراخ النخل، فيضربها ضربة

(١) برقم (٩١٨).

(٢) جزء من حديث (٦٥/٢٠) برقم (١٢٦١٤)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٤١٥٢).

واحدة، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمئة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصّديقة البارة الراشدة؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والتسعون

الأسباب الجالبة لمحبة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

وذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة: الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَتَّبِعُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد]، وقال عبد الله بن مسعود: «لَا تَنْشُرُوهُ كَنْثَرِ الدَّقْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قَفُّوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (١).

الثالث: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿[الرعد]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (٢).

الرابع: إيثار محابه على محابك، عند غلبة الهوى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) ﴿[التوبة]. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض

(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) واللفظ له.

ما يبغضه الله، ويوالي فيه، ويعادي فيه، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١)، وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»^(٢).

الخامس: مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٨٠) [الأعراف].

السادس: مشاهدة بره، وإحسانه، ونعمه الظاهرة، والباطنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَعَّرُونَ﴾^(٥٣) [النحل].

ومن أعظم هذه النعم: نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

السابع - وهو أعجبها -: انكسار القلب بين يديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل»، روى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس:

(١) البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢) برقم (٦٦٣٢).

أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ» فجمع في قوله ﷺ: «أَبَوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبَوْءُ بِذَنْبِي» بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والشكر لولي النعمة والإحسان، ومطالعة عيب النفس، والعمل، توجب الذل والانكسار والافتقار في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا، ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه، ويرى في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله ويتداركه برحمته^(١). اهـ.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يُنزَلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٢).

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم، وعدم الكلام إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي عنه:

(١) انظر: الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧ - ٨).

(٢) البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

«لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ الثَّمْرِ»^(١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢).

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب سبحانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦١٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٧).

الكلمة السابعة والتسعون

حوض النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۗ ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ ٢ ﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿ ٣ ﴾ [الكوثر]، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكوثرُ الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» (٢).

وهذا الكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ» (٣)،

(٢) برقم (٦٥٨١).

(١) برقم (٦٥٧٨).

(٣) برقم (٢٣٠٠).

وفي رواية أخرى لمسلم: «يُعْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»^(١).

وهذا الحوض، وصفته ثبتت بطرق عن جمع من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر ذلك واستفاض، بل تواترت في كتب السنة من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، والحوض هو مجمع الماء.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْحَوْضَ حَقِيقِيٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا سَبَقَ، وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْحَوْضُ مَوْجُودٌ الْآنَ»^(٣) لما رواه البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيْتِ، ثُمَّ انصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»^(٥).

ولهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض^(٦). اهـ.

وأما في كيفية مائه، فإنه أشد بياضاً من اللبن، هذا اللون، أما في الطعم فإنه أحلى من العسل، وفي الرائحة أطيب من المسك.

روى مسلم من حديث أبي ذر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٥٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

(٤) البخاري برقم (٦٥٩٠)، ومسلم برقم (٢٢٩٦).

(٥) البخاري برقم (٦٥٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

قال: «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(١)، وفي رواية في الصحيحين: «وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»^(٢).

أَمَّا آنِيَّتُهُ فَعَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهَذَا وَرَدَ فِي بَعْضِ أَلْفَازِ الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣)، وَفِي بَعْضِهَا: «آنِيَّتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ»^(٤)، وَهَذَا لَفْظٌ أَشْمَلٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالنُّجُومِ فِي الْعَدَدِ، وَفِي الْوَصْفِ بِالنُّورِ وَاللِّمْعَانِ، فَآنِيَّتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ كَثْرَةً، وَإِضَاءَةً، وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الصَّحِيحِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَبَارِيقَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِضَّةٍ^(٥).

وَمَسَاحَةُ هَذَا الْحَوْضِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ: وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَدُورًا، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الْمَسَاحَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مَدُورًا، وَهَذِهِ الْمَسَافَةُ بِاعْتِبَارِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ الْمَعْتَادِ^(٦)، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «أَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ مِنْ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ»، وَعَمَّانُ بَلَدَةٌ بِالْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ، وَأَيْلَةُ بَلَدَةٌ بِطَرَفِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِنْ طَرَفِ الشَّامِ، وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ يَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرٍ^(٧).

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ»، وَهُمَا قَرِيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٨)، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٣) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٣). (٦) شرح العقيدة الواسطية (١٥٩/٢).

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٠).

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٧)، صحيح مسلم برقم (٢٢٩٩).

أَيْلَةً وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ»^(١)، وفي أخرى: «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»^(٢).

وذكر بعض العلماء تأويلات لاختلاف هذه المسافات التي ذكرت في عرض الحوض وطوله.

منها أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، وقيل غير ذلك^(٣).

وزمن الورود على الحوض قبل العبور إلى الصراط، لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل العبور إلى الصراط، وقد رجح بعض أهل العلم ذلك، ومن شرب من الحوض لم يظماً أبداً، لما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: «وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»^(٤).

أما أسباب الورود على الحوض، فمنها:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، والثبات على ذلك، والبعد عن البدع المحدثه في الدين وكبائر الذنوب، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ»^(٥).

(١) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) البخاري برقم (٦٥٩١)، ومسلم برقم (٢٢٩٨).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/٤٧٢).

(٤) البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) (١/٢٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٣٧).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا^(١).

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون للكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم^(٢). اهـ.

ثانياً: عدم إعانة الولاة الظلمة على ظلمهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة أن النبي ﷺ قال له: «أعاذك الله من إماراة السفهاء، قال: وما إماراة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا علي حوضي»^(٣).

ثالثاً: الصبر على ما يصيب المؤمن من نقص في الدنيا، واستئثار غيره بها، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣ - ٦٥٨٤، ٦٥٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٣٧).

(٣) (٣٣٢/٢٢) برقم (١٤٤٤١) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

قال لأصحابه الأنصار: «سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ» (١).

رابعاً: المحافظة على الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» (٢).

اللهم أوردنا حوض نبيك، واجعلنا من المتبعين لسنته، اللهم اسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً، اللهم احشRNA في زمرته، واجعلنا من أتباعه مع النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٣١٤٧)، ومسلم برقم (١٨٤٥).

(٢) برقم (٢٤٨).

الكلمة الثامنة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافى)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: «الشافى»، والشفاء يشمل شفاء الأبدان، وشفاء الصدور من الشبه والشهوات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٨٠﴾ [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضًا يقول: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(٢).

وفي هذا الحديث طلب الشفاء من جميع الأمراض، وليس من ذاك المرض الذي أصيب به المريض، ويشرع للمسلم أن يقول: «يا

(١) البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١).

شافى اشفنى» فالله ﷻ يشفى من أمراض القلوب كالغل، والحسد، والشهوات، ويشفى من أمراض الأبدان، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً: أن الله تعالى هو الشافى، ولا شافى إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام].

ثانياً: أن الله تعالى هو الشافى، لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، وله أسباب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» (١).

ومن الأسباب التي جعلها الله شفاء:

الدعاء: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨١﴾ [البقرة]، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ» (٢).

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس].

(١) برقم (٥٦٧٨).

(٢) برقم (٣١٠٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٠) برقم (٢٦٦٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وكان النبي ﷺ يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله تعالى، كما كان يرقى نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»^(١)، «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ»^(٢).

ومنها العسل: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

ومنها الحبة السوداء: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»، قال ابن شهاب: «وَالسَّامُ الْمَوْتُ»^(٣).

ومنها الحمامة: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيْيَةِ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»^(٤).

ومنها ماء زمزم: روى ابن ماجه في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَاءُ زَمْزَمٍ لِمَا شُرِبَ لَهُ»^(٥)، وقد جربت أنا وغيري

(١) البخاري برقم (٥٧٤٥)، ومسلم برقم (٢١٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٢).

(٣) البخاري برقم (٥٦٨٨)، ومسلم برقم (٢٢١٥).

(٤) برقم (٥٦٨١).

(٥) برقم (٣٠٦٢) وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٦٠ - ٣٦١).

من الإستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً^(١). وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(٢).

ومنها ما أنزله الله ﷻ في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده.

ثالثاً: أن هذا الشفاء قد يتأخر لحكمة إلهية، رفعاً لدرجات المريض، وتكفيراً لسيئاته:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ أَيُّهَا رَبُّهُ أَنْتَ مَسْفِي الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٨٤) [الأنبياء]، ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عاماً ابتلاء من الله لنبيه، روى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»^(٣).

ومما نبه عليه بعض أهل العلم أن بعض المرضى إذا أصيبوا بمرض تعلقت قلوبهم بالأسباب، كالمستشفيات، والأطباء، والواجب أن يكون

(١) زاد المعاد (٤/٣٦١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/١١٣) برقم (٩١١٢).

(٣) برقم (٢٤٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٨٧) برقم (١٩٦٠).

تعلق القلب بالذي أنزل الداء، ولا يرفعه إلا هو.

وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في غيبوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى، وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيبوبة، وقد شفاه الله، وهو حي يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان، وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناسًا من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله الشافي، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



خطر الدش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن فتنة دخلت بيوت كثير من المسلمين، وحصل منها الكثير من الشرور والمفاسد، إنه الدش؛ والكلام عنها يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية، ثانياً: أقوال العلماء، ثالثاً: شبهات والجواب عنها، برنامج ستار أكاديمي وخطورته.

فمن تلك المخالفات ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصورة كريهة، كوضع

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم (١٨٥٢٤) وقال محققوه: حديث حسن بشواهده.

الللحية على رجل ناقص العقل، وتمثيل تعدد الزوجات على أنه خيانة زوجية، ولمز الصالحين، وأهل الخير، ونحو ذلك مما هو استهزاء صريح بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومنها: تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء على أنه لا حرمة فيه، عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور]. روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»^(١)، فكيف بمن يتعمد النظر في النساء الكاسيات العاريات، وهن بكامل زينتهن على شاشات القنوات الفضائية، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل زينتهن، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَلْتَابِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان]، وأكثر المفسرين كابن عباس، وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف على ذلك، روى البخاري في

صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١)، فأخبار النبي ﷺ على أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

ومنها: قتل الغيرة عند المسلمين، وكيف يرضى المسلم الغيور أن تجلس زوجته وبناته أمام شاشات القنوات الفضائية ينظرن إلى الشباب والشابات، وهم في أوضاع جنسية سيئة يندى لها الجبين، ويتفطر لها القلب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»^(٢)، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «شاع في هذه الأيام بين الناس ما يسمى بالدش، أو بأسماء أخرى، وأنه ينقل جميع ما يبث في العالم من أنواع الفتن والفساد، والعقائد الباطلة، والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبثه من الصور النسائية، ومجالس الخمر والفساد، وسائر أنواع الشر الموجود في الخارج، وثبت لدي أنه قد استعمله كثير من الناس، وأن آلاته تباع وتصنع في البلاد، فلهذا وجب علي التنبيه إلى خطورتها، ووجوب محاربتها والحذر منه، وتحريم استعماله، في البيوت وغيرها، وتحريم بيعه وشرائه، وصنعه أيضًا، لما في ذلك من الضرر العظيم، والفساد الكبير، والتعاون على الإثم والعدوان، ونشر الكفر والفساد بين المسلمين، والدعوة إلى ذلك بالقول والعمل إلى آخر ما قال»^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٧٤١٦)، ومسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ ابن باز (٣٩٩/٧).

يَسْتَرَعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى، والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله، لقول النبي ﷺ: «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^(٢)، وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال، فإنه قد مات وهو غاش لرعيته، وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا الدش الذي ركبه الإنسان قبل موته فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمن، وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم أن تخلف بعدك ما يكون إثماً عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدشوش فإن الواجب عليك أن تكسره؛ لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالباً، ولا يمكن بيعه؛ لأنك إذا بعته مكنت المشتري من استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إذا وهبته، فإنك معين على الإثم والعدوان، ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت، إلا بتكسير هذه الآلة «الدش» التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص، فاحذر يا أخي أن يأتيك الموت فجأة، وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، فإن إثمها ستبوء به، وسوف يجري عليك بعد موتك»^(٣).

ومن الشبهات قول بعضهم: «إنه يشاهد في هذا الدش البرامج الدينية، وأخبار العالم، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم وأفضل منه، وقد نصح الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها، وغيرها من البدائل الأخرى».

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٩٣)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

سئلت اللجنة الدائمة عن برنامج تعرضه إحدى القنوات الفضائية المسمى باستار أكاديمي، وما يشابهه من البرامج، وبعد دراسة الموضوع رأت اللجنة تحريم بث هذه البرامج، ومشاهدتها، وتمويلها، والمشاركة فيها، والاتصال عليها للتصويت، أو إظهار الإعجاب بها، وذلك لما اشتملت عليه تلك البرامج من استباحة للمحرمات المجمع على تحريمها والمجاهرة بها، ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: قال النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ، وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمَرَ، وَالْمَعَارِفَ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٢).

وأي مجاهرة بالمحرمات والفواحش تفوق ما تبثه هذه البرامج، التي اشتملت على جملة من المنكرات العظيمة؟! من أهمها:

أولاً: الاختلاط بين الجنسين من الذكور والإناث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»^(٣).

فكيف بهذه البرامج التي تقوم فكرتها الرئيسية على خلط الجنسين من

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

(٣) البخاري برقم (١٨٦٢) ومسلم برقم (١٣٤١).

الذكور والإناث، وإزالة الحواجز فيما بينهم مع ما عليه الإناث من التبرج والسفور، وإظهار المفاتن مما يسبب الشر والبلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

ثانياً: الدعوة الصريحة للفاحشة، ووسائلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) [النور].

ثالثاً: الدعوة إلى إماتة الحياء، وقتل الغيرة في قلوب المسلمين بألفة ومشاهدة هذه المناظر التي تهيج الغرائز، وتبعد عن الأخلاق والفضائل، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدرى: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ»^(١)، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدٍ؟! لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي»^(٢).

ولا يكفي في ذلك أيها المسلم أن تترك المشاركة في هذه البرامج والنظر إليها، بل يجب عليك النصح والتذكير لمن تعلم أنه يشارك فيها بأي وجه من الوجوه، لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان^(٣). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦١٢٠).

(٢) برقم (٦٨٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) رقم (٢٢٨٩٥)، وتاريخ ٨/٢/١٤٢٥ هـ.

الكلمة المئة

«فضل صلاة الفجر»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومن بين هذه النعم العظيمة: نعمة النوم التي امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٣] [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [١] [النبا]، فسكون العبد ساعات بالليل بعد حركة النهار المتواصلة مما يساعد على حياة المسلم وبقاء نمائه ونشاطه؛ ليؤدي وظائفه التي خلقه الله من أجلها، ومن بين هذه الوظائف: صلاة الفجر جماعة في المسجد، وهي صلاة فاضلة عظيمة.

وإليك أخي المسلم البشائر والفضائل العظيمة لمن أدى صلاة الفجر مع الجماعة:

أولاً: أنه في ذمة الله، أي في ضمان الله، وحفظه ورعايته في الدنيا والآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

ثانياً: أنها نجاة للعبد من النار، روى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن روية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثالثاً: أنها سبب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣).

رابعاً: شهادة الملائكة لهذه الصلاة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۗ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (٤).

خامساً: النور التام يوم القيامة، روى ابن ماجه في سننه من حديث سهل بن سعد الساعدي: أن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥).

سادساً: أنه يكتب له قيام ليلة، روى مسلم من حديث عثمان بن عفان: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ

(١) برقم (٦٥٧).

(٢) برقم (٦٣٤).

(٣) البخاري برقم (٥٧٤)، ومسلم برقم (٦٣٥).

(٤) البخاري برقم (٥٥٥)، ومسلم برقم (٦٣٢).

(٥) برقم (٧٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣٠) برقم (٦٣٣).

اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(١).

سابعاً: الأمن من النفاق، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَتَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»^(٣)، وقال ابن عمر: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي الْعِشَاءِ، وَفِي الْفَجْرِ، أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»^(٤).

ثامناً: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٥)، فإذا كانت سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها من أموال وقصور، وأنهار، وزوجات، وغير ذلك من الشهوات والملذات، فكيف إذن بصلاة الفجر!؟

تاسعاً: رؤية الله تعالى وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتسابق إليها المتسابقون، روى البخاري ومسلم من حديث جرير البجلي رضي عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ

(١) برقم (٦٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٣) جزء من حديث برقم (٦٥٤).

(٤) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٩٦). (٥) برقم (٧٢٥).

أَلَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [٣٩] ﴿١﴾.

عاشراً: أن المحافظ على صلاة الفجر من أطيب الناس عيشاً، وأنشطهم بدنًا، وأنعمهم قلبًا، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» (٢).

وقد وردت نصوص كثيرة فيها التحذير الشديد لمن تهاون في صلاة الفجر؛ فمن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٣).

قال بعض أهل العلم: «إن النبي ﷺ ما همَّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا، وجرمًا كبيرًا».

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال: ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ. قَالَ: «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ» (٤)، وحسب من كان كذلك خيبة وخسارة وشراً.

(١) البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) البخاري برقم (١١٤٢)، ومسلم برقم (٧٧٦).

(٣) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٤) البخاري برقم (١١٤٤) ومسلم برقم (٧٧٤).

ومنها أن المتخلف عن صلاة الفجر يعرض نفسه لعقوبة الله في قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ خَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) [مريم]، وفي صحيح البخاري قصة رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُثَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وسئلت اللجنة الدائمة برقم (٥١٣٠) عن شخص لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس فما حكم صلاته؟ وهل يؤثر على الصيام؟ فكان الجواب: تركه لصلاة الصبح من غير نوم ولا نسيان بل تكاسلاً عنها حتى تطلع الشمس كفر أكبر على الصحيح من أقوال العلماء، وعلى هذا القول صيامه غير صحيح. اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وواحد

السعادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل إنسان في هذه الحياة يسعى إلى السعادة، وهي مطلب حقيقي لجميع الناس، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والغني والفقير، كلهم يريدون السعادة ولكنهم يختلفون في نظرتهم لها، فمنهم من يراها في جمع المال والدرهم، وآخر يراها في الحصول على المناصب الرفيعة، وآخر يراها في الحصول على الشهادات العالية، ومنهم من يراها في غير ذلك.

والحق أن هذه الأمور جزء من السعادة، وليست السعادة كلها، فهي سعادة وقتية تزول بزوالها، فصاحب المال قد يفقد ماله، وصاحب المنصب قد يزاح من منصبه، بل إن هذا المال الذي هو عصب الحياة إذا لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله يكون وبالاً عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة].

قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيد
ليس السعيد الذي تسعده دنياه إن السعيد الذي ينجو من النار

كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالجَارُ الصَّالِحُ،
وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن
عمرو: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٢).

ووصفت هذه المرأة الصالحة في حديث آخر رواه أحمد في
مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النِّسَاءِ
خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي
نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(٣).

وذكر الشيخ السعدي رحمته الله أن من أسباب السعادة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) [النحل]، قال ابن عباس: الحياة الطيبة
هي الحياة السعيدة^(٤)، وهذه السعادة شعور يضعه الله في قلوب عباده
الصالحين وإن كانوا في ضيق الدنيا.

قال ابن القيم رحمته الله وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية رحمته الله: «ومع
ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم
عيشًا، وأنعمهم قلبًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا
الأرض، واشتد بنا الكرب، أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٢١). (٢) برقم (١٤٦٧).

(٣) (٣٨٣/١٢ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٤) تفسير ابن كثير (٣٥٢/٨).

ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من طيبها وريحها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»^(٢).

وقال أيضاً عندما قيل له: إن السلطان قد أمر بنفيك إلى قبرص أو قتلك، أو سجنك، فقال: «والله إن بي من الفرح والسرور ما لو قسم على أهل الشام لوسعهم، والله إنني كالغنم لا تنام إلا على صوف، إن نفيت إلى قبرص دعوت أهلها إلى الإسلام».

ويقول أحد السلف: «إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب»، ويقول آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف».

ثانياً: من أسباب السعادة الإيمان بقضاء الله وقدره، فإن الإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر، أحس براحة نفسية، وانشرح صدر بما وقع له، وإن كان مما يكره، فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن الديلمى عن أبي بن كعب أنه قال: «لو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْراً لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ فَلَوْ مُتَّ عَلَى

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨١).

غير هذا لَدَخَلَتِ النَّارَ»، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ بمثل ذلك^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

قال عمر رضي الله عنه: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر».

قال عبيد الله بن عتبة:

واصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمَحْتُومِ وَاَرْضْ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ثالثاً: ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور، وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكير فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلية مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا

(١) برقم (٤٦٩٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/١٩٠) برقم (٣٩٣٢).

(٢) (٤/٤٠٩ - ٤١٠) برقم (٢٦٦٩) وقال محققوه: إسناده قوي.

السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك؛ إذا فعل ذلك اطمأن قلبه، وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه (١).

رابعاً: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فإن له سرّاً عجيباً، في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وذكر ابن القيم مئة فائدة للذكر. منها: أن الذكر يطرد الهم والحزن، ويجلب الفرح والسرور وطيب العيش.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

خامساً: القناعة برزق الله، فإن من قنع بما قسم الله سبحانه له انشرح صدره، وارتاحت نفسه، روى مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (٢).

سادساً: أن يعلم المؤمن علم اليقين أن السعادة الحقيقية في الآخرة، وأن الدنيا دار المصائب والنكد والأحزان، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤].

وقال تعالى حاكياً عن أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الزمر: ٣٤] الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿ [فاطر: ٣٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ

(١) الأسباب المفيدة للحياة السعيدة للشيخ السعدي (ص ٢٠).

(٢) برقم (١٠٥٤).

قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١).

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: متى يرتاح المؤمن؟ قال: أول ما يضع قدمه في الجنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنان

فتنة الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر النبي ﷺ أمته منها في آخر الزمان فتنة الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنِّي أَنْذِرُكُمْ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١).

قال الإمام السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «وينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، لا سيما في زماننا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنن فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٢).

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، وردت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون،

(١) البخاري برقم (٦١٧٥)، ومسلم برقم (١٦٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٠٦ - ١٠٧).

فلا يفتنون به. ومن صفاته أنه رجل أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، ممسوح العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، أي لحمية تنبت في مقدمة العين، ومكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤها كل مسلم، كاتب أو غير كاتب، وهو عقيم لا يولد له.

ويخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، قال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة بها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالة الخضراء، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتقين، فيفر الناس منه إلى الجبال، ويسرون في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله، إلا مكة والمدينة، فقد حرم الله عليه دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما»^(١).

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم، وذلك بسبب ما يجريه الله معه من الخوارق العظيمة، التي تبهر العقول، وتحير الألباب، فقد ورد أن معه جنة ونارًا، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض. ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث، استدبرته الرياح، إلى غير ذلك من الخوارق، كل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، محنة من الله واختبارًا، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن،

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٠٥/١٩) بتصرف.

روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ، فَإِذَا أَدْرَكَنَّ أَحَدًا، فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلِيُغَمِّضُ ثُمَّ لِيُطَاطِئُ رَأْسَهُ فَيَشْرَبُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنته، أتكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قلنا: يا رسول الله، وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَوْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فْتُنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرَبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ

إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

أما الوقاية من فتنة الدجال، فقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، ومن ذلك:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانياً: التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

ثالثاً: معرفة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ التي بين فيها صفات الدجال، وزمن خروجه، ومكانه، وطريق النجاة منه، وقد ذكرت بعض ذلك، ومن أراد التوسع فليراجع النهاية لابن كثير، أو إتحاف الجماعة للشيخ التويجري، أو أشراط الساعة للشيخ الوابل، أو غيرها.

رابعاً: حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتمها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ

(٢) برقم (٥٨٨).

(١) برقم (٢٩٣٧).

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١)، وفي رواية: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»^(٢).

قال النووي: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وكذلك آخرها، قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾^(١٠٣) [الكهف]^(٣).

خامساً: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه، والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد أخبر النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال، روى أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ بِالْدَّجَالِ فَلْيُنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، هَكَذَا قَالَ»^(٤).

نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٢) برقم (٨٠٩).

(١) برقم (٨٠٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٩٢ - ٩٣).

(٤) برقم (٤٣١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٤) برقم (٣٦٢٩).

الكلمة المئة وثلاثة

شرح اسم الله (الحكيم)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في كتابه: «الحكيم»، والمراد: «الحكيم في أفعاله وأقواله وقدره، فيضع الأشياء في محالها بحكمته وعدله» (٢).

وللحكيم معنيان: أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ

(١) برقم (٢٧٣٦) وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢).

الْجَهْلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿المائدة﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿الشورى﴾.

وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزاء مقرونة بالحكمة ومربوطة بها، فلم يخلق سبحانه شيئاً عبثاً، ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهاون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فما أعطى الله شيئاً إلا لحكمة، ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة، ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة، وما أمر الله بشيء إلا لحكمة، والحكمة في فعله والتزامه، ولا نهى عن شيء إلا لحكمة والحكمة في تركه واجتنابه. قال تعالى مقررًا هذه الصفة العظيمة صفة الحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾ ﴿المؤمنون﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾ [ص]، وللحكيم معنى ثالث وهو المحكم الذي أحكم كل شيء خلقه فما في خلق الرحمن من تفاوت ولا تناقض ولا خلل، صنع الله الذي أتقن كل شيء وليس في شرعه من تناقض ولا اختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء] (١).

قال بعضهم: ذكر الحكيم في أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيم والعليم، مما يدل على أن حكمته صادرة عن عزة وعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١١٦﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (١/٨٦ - ٨٧).

دَرَجَتٍ مَن تَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام] وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، وما جاءت إلا لإسعاد البشرية، فليس هناك أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ [التين]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة].

ثانياً: أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ﴾ ﴿٥﴾ [القمر]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الحكمة: «وله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها»^(١).

ثالثاً: أن كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين، وقد وصف الله القرآن العظيم، وهو كلامه المنزل على نبيه محمد ﷺ بأنه حكيم ومحكم في ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿يَسَّ﴾ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ [يس].

(١) مدارج السالكين (١/٤٣٩).

فالقُرآن حكيم في أسلوبه الرائع، حكيم في تشريعاته، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في قصصه وأخباره، حكيم في كل ما اشتمل عليه.

رابعاً: أن الله يؤتي الحكمة من يشاء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتنوعت عبارات المفسرين في المراد بالحكمة، وقد اختصرها بعضهم بقوله: «يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً».

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

خامساً: خلق الله ﷻ محكم، لا خلل فيه ولا قصور، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة].

سادساً: أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته سبحانه: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨]

(١) البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦).

[الذاريات].

سابعاً: كراهة التكني بأبي الحكم، روى أبو داود في سننه من حديث هانئ بن يزيد: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩٥٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣٦/٣) برقم (٤١٤٥).

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١ - ٢٥٧).

الكلمة المئة وأربعة

نعمة الهداية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى عن الأعراب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات]، وقال تعالى ممتنّاً على نبيه بهذه النعمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد: أن النبي ﷺ قال للأَنْصَارِ: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟!»^(١). وامتن الله على أهل الجنة بهذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]. والهداية على قسمين:

١ - هداية الدلالة والإرشاد والبلاغ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

(١) صحح البخاري برقم (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦١).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

٢ - هداية التوفيق لقبول الحق والإعانة عليه، وهي التي تفرد بها سبحانه فقال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥١] ﴿القصص﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٩١] ﴿يونس﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣] ﴿السجدة﴾.

ومن أنواع الهداية:

أن يهدي الله العبد للقيام بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة مع الناس، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي أيوب: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَذُنُوبِي كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أُنْعِمْنِي، وَأَخِينِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ومن أعظم أنواع الهداية أن يهدي الله العبد للقيام بالتوحيد، والبعد عن الشرك، فإن من قام بذلك نال الأمن في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦) واللفظ له.

(٢) (٥٧٨/٤ - ٥٧٩) برقم (٥٩٩٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير

برقم (١٢٦٦).

مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

وكان النبي ﷺ يسأل ربه الهداية، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى»^(١)، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأصحابه بالهداية، وأرشد أمته إلى ذلك، روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله أنه قال: لقد شكوت إليه - أي النبي ﷺ - أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَائْتِ بِهِمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال له: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى، هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث البراء بن عازب قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، حَتَّى وَارَى التُّرَابَ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(١) برقم (٢٧٢١).

(٢) البخاري برقم (٣٠٣٦)، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٣) البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤).

(٤) برقم (٢٧٢٥).

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا
 إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أْبَيْنَا»^(١)
 قال شيخ الإسلام: «والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله
 الصراط المستقيم، وهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة
 من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، وهذا الهدى لا
 يحصل إلا بهدى الله»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً،
 وقبل أوامره، وصدق بأخباره كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له
 على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ»^(٣)، قال
 تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلْقَيْتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ
 ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾^(٦٦) [مريم]، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
 إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾^(١٣) [الكهف].

وأخبر ﷺ أن من أراد هدايته لهذا الدين فإنه يشرح صدره له،
 وعلى العكس من ذلك من أراد له الشقاء والغواية، فإنه يضيق بهذا
 الدين ذرعاً، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
 وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ
 كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٢٥) [الأنعام].

ومن أسباب الثبات على الهداية:

الدعاء: فقد روى الترمذي في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:
 كان رسول الله يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»
 فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال:

(١) البخاري برقم (٣٠٣٤)، ومسلم برقم (١٨٠٣).

(٢) الفتاوى (٣٧/١٤) بتصرف. (٣) الفوائد (١/١٥١).

«نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُضْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»^(١).

ومنها المسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنَبَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْ أُقْتَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۖ﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن.

الكلمة المئة وخمسة

الزكاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركانه العظام، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣) [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى

(١) البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

(٢) البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا»^(١).

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَلَوْوَأُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

فكل ما لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(٢).

وجاء في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه ما خلاصته: أَنَّ صَاحِبَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ حَقَّهَا، بَطَّحَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ، أَي: أَنَّهُ يُبَطَّحُ عَلَى وَجْهِهِ فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَاسِعَةٍ، ثُمَّ تَأْتِي هَذِهِ الْبَهَائِمُ فَتَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا،

(١) البخاري برقم (١٣٩٧)، ومسلم برقم (١٣) من حديث أبي أيوب.

(٢) برقم (٩٨٧).

وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَا مِنْ صَاحِبٍ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعًا يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْحَلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ»^(٢).

والشجاع: الحية الذكر، والأفراع الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل: الشجاع الذي يواثب الراجل والفراس ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري، يتبع صاحبه الذي منع الزكاة.

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم، وهي التي ترعى في البراري، والذهب والفضة، وعروض التجارة، وهي السلع المعدة للبيع، ويدخل في ذلك الأراضي، والعمارات، والسيارات المعدة للبيع، وغير ذلك من أصناف السلع، ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه، وله تفصيل معروف في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والزكاة حق لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع بها

(١) البخاري برقم (٤٦٥٩)، ومسلم برقم (٩٨٧).

(٢) البخاري برقم (١٤٠٣)، ومسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر، مع طيب النفس، والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته، ويستحقَّ جزيلاً المثوبة والخلف، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف المستحقين للزكاة فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].

ولو أعطيت الزكاة لمستحقيها لما بقي فقير في الإسلام.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم الواجبات والفرائض بعد الشهادتين، وقد أثنى الله ﷻ على عباده المحافظين على أدائها في المساجد فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣١) رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) [النور] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعْفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ التَّوَضُّؤَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ

أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ»^(١)، وفي رواية: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفِدْيِ سَبْعَ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»^(٣).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «وقد أكثر الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الصلاة في كتابه الكريم، وعظم شأنها، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين، فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢٣٨) [البقرة] وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها، وتعظيمه لها، وقد تخلف عن أدائها مع إخوانه، وتهاون بشأنها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] «فأوجب سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب وشدة الخوف، فكيف بحال السلم؟ ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافون للعدو المهمدون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك»^(٤). اهـ.

والنصوص التي تبين وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمن ذلك ما

(١) البخاري برقم (٦٤٧)، ومسلم برقم (٦٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٦٥٠).

(٣) برقم (٢٥١).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز رحمته الله.

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَنُتَقَمَ، ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَا هَمَّ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ هُوَ لَاءَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ قَدْ ارْتَكَبُوا ذَنْبًا عَظِيمًا، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ»، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ»^(٢). وفي رواية لأبي داود قال: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»^(٣). وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرًا، قَالُوا: وَمَا الْعُدْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَيَّ هُوَ لَاءَ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

(٢) برقم (٦٥٣).

(٣) برقم (٥٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٠/١) برقم (٥١٦).

(٤) برقم (٥٥١)، قال الألباني رحمته الله: صحيح دون جملة العذر، وبلفظ: ولا صلاة له،

صحيح سنن أبي داود (١١٠/١) برقم (٥١٥).

وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مَنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» (١).

وأجاب العلماء عن حديث صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسا وعشرين درجة، أن المراد بيان ثواب صلاة الجماعة، وأن أجرها أكثر، وليس حكم صلاة الجماعة، والأفضلية لا تدل على عدم الوجوب فقد ثبت الوجوب بآيات وأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْضِي بِوَجُوبِهَا.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ومنها :

أولاً: إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، وهي الصلاة؛ لأن الناس لو بقوا يصلون في بيوتهم ما عرف أن هناك صلاة.

ثانياً: التواد بين الناس؛ لأن ملاقة الناس ومصافحتهم لبعضهم البعض توجب المحبة والمودة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ

بَيْنَكُمْ» (١).

ثالثاً: شعور الناس بالمساواة في عبادة الله، لأنه في هذا المسجد يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا فيشعر الناس بالمساواة؛ ولهذا أمر بمساواة الصفوف، وكان النبي ﷺ يقول: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» (٢).

رابعاً: ما يحصل من تفقد الأحوال، أحوال الفقراء والمرضى، والمتهاونين بالصلاة، فإن الفقير إذا علم بحاله جماعة المسجد تصدقوا عليه، وواسوه، وكذلك إذا تخلف عن صلاة الجماعة عرف الناس أنه مريض، فقدموا له المساعدة أو متهاوناً فبادروه بالنصيحة (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٥٤).

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٤٣٢).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ١٣٥ - ١٣٨).

مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على عباده نعمة الزواج، وهو من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد].

وقد حث عليه الشارع لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

وتكثر في هذه الأيام حفلات الزواج، وهذا شيء طيب يبشر بالخير؛ إلا أنه مما ينافي شكر هذه النعمة، وقوع كثير من المخالفات، فمن ذلك: أولاً: المغالاة في المهور بما لا يطاق، والمشروع أن يكون قليلاً ميسراً، روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»^(٢). وقال عمر رضي الله عنه: «أَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٥) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

(٢) (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٠٨٣).

لَا تُغَالُوا صَدَقَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ، لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ، عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»، وَالْأُوقِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، هُوَ أَرْبَعُمِئَةٌ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أنها سئلت: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فِتْلِكَ حَمْسُ مِئَةِ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ»^(٢).

وفي زيادة المهور مفسد كثيرة من أعظمها تأخر كثير من الرجال والنساء عن الزواج، أو تركه بالكلية، وفي ذلك ما لا يخفى من المفسد.

ثانيًا: دبلة الخطوبة، حيث يلبس الرجل دبلة تسمى دبلة الخطوبة، وهي عبارة عن خاتم يضعه في يده، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة، خاصة إذا كانت من الذهب، وقد حرم لبس الذهب على الرجال بأدلة كثيرة، منها ما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فقبل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٣).

قال الشيخ الألباني: ووضع خاتم الخطوبة في يد العروس من

(١) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٠٩٠).

(٣) برقم (١٤٢٦).

عادات النصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم^(١)، وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢).

ثالثاً: المنصة، وهي جلوس الزوج والزوجة في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرات، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ومن المنكرات العظيمة وضع منصة للعروسين أمام الحاضرات من النساء، فينظر الرجل إلى النساء الأجنبية، وهن بكامل زينتهن، وقد يدخل معه بعض أقارب الزوج أو الزوجة، فيحصل الاختلاط والفتنة»^(٣).

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٤). والحمو قريب الزوج، وفي هذا تحريك للغرائز والشهوات، وما ينتج عن ذلك من فتنة وفساد.

رابعاً: التصوير، وهو من كبائر الذنوب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٥). وخاصة إذا كان التصوير للنساء، فإن الفتنة بهن أعظم، وتقوم بعض النساء بتصوير الحاضرات في الحفل وهن بكامل زينتهن، وهذا من أعظم المفاسد، وهل يرضى أحد منا أن تلتقط صورة ابنته أو أخته وتنتشر بين الناس، فإلى الله المشتكى.

(١) انظر: آداب الزفاف (ص ٢١٢-٢١٣). (٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: التبرج وخطره، رسالة صغيرة للشيخ عبد العزيز بن باز.

(٤) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

(٥) (٢٣/٦) برقم (٣٥٥٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

خامسًا: إحضار المغنيات ليغنين في حفلات الزواج مع الآلات والمعازف، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» ^(١). وإنما أجاز الشارع الضرب بالدف عند النساء بشرط أن لا يصحبه غناء ماجن من قبل النساء.

سادسًا: الإسراف في الولائم، واستئجار الفنادق، وقصور الأفراح بأموال طائلة، فينبغي الاقتصاد في ذلك، وترك الإسراف، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ^(١٧) [الفرقان].

سابعًا: لبس كثير من النساء في حفلات الزواج اللباس العاري، أو المفتوح، أو الضيق الذي يصف البشرة، أو الخارج عن الحياء، حتى لو كان عند النساء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» ^(٢).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمته الله عن حضور الحفلات المشتملة على المنكرات، فقال: حضورها واجب إذا كان الإنسان يستطيع بحضوره أن يغير المنكر، وأما إذا كان لا يستطيع تغييره فإن حضورها

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢١٢٨).

منكر محرم عليه، ولا يجوز في ذلك طاعة الوالدين، ولا طاعة الزوج، حتى لو فرض أن الوالد والوالدة إذا لم يحضر الولد من ذكر أو أنثى هذه الحفلات حصل منهم غضب أو زعل، ولا يعد ذلك من العقوق؛ لأن هذا من طاعة الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ»^(١). والمنكر لا طاعة فيه لأحد، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». اهـ^(٢).

ثامناً: السهر حتى ساعة متأخرة من الليل، وربما في بعض الحفلات إلى قرب صلاة الفجر، وهذا يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾^(٥٩) [مريم].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣).

تاسعاً: من المنكرات التي ترتكب بمناسبة الزواج ذهاب الزوجين بعد زواجهما إلى بلاد الكفار، أو بلاد أخرى تماثلها في الفساد لقضاء شهر العسل زعموا، وفي ذلك مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ، فقد روى الترمذي من حديث جرير بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٠).

(٢) هذه الفتوى عليها توقيع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بِتَارِيخِ ١٦/٩/١٤٠٩ هـ.

(٣) برقم (٦٥٧).



كُلُّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ ظَهْرَانِيِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»^(١).

وما ينتج عن ذلك السفر من مفسد، وخلع للحجاب، واختلاط المرأة بالأجانب، وذهاب إلى أماكن اللهو والفساد، وغير ذلك من المفسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٩/٥) برقم (١٢٠٧).

الكلمة المئة وثمان

شرح حديث (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(١) لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

قوله: «أَصْبَحَ» أي: أصبح في ذلك اليوم، وفيه إشارة إلى أن المؤمن عليه ألا يحمل هم المستقبل، فإن أمره بيد الله، وهو الذي يدبر الأمور، ويقدر الأقدار، وعليه أن يحسن الظن بربه، ويتفائل بالخير.

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، قيل: المعنى: في أهله وعياله، وقيل: في مسكنه وطريقه، وقيل: في بيته، فهو آمن أن يقتله أحد، أو يسرق بيته، أو ينتهك عرضه.

والأمن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، ولا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدوها، كالذين يعيشون في البلاد التي يختل فيها النظام والأمن، أو الذين عاصروا الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل، فهم ينامون على أزيز الطائرات وأصوات

(١) وحيزت: جمعت.

(٢) برقم (٢٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

المدافع، ويضع الواحد منهم يده على قلبه ينتظر الموت في أي لحظة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام].

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن إن حققوا التوحيد وأخلصوا الإيمان، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٥٥) [النور].

وقال تعالى: ﴿ٱلْآيٰتِ ٱلْأُولَىٰ ءَ ٱللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٤) [يونس].

قوله: «مُعَافَىٰ فِى بَدَنِهِ»، أي: صحيحاً سالمًا من العلل والأسقام، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْبَرَصِ وَٱلْجُنُونِ وَٱلْجُدَامِ، وَمِن سَيِّئِ ٱلْأَسْقَامِ» (١).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه صباحًا ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، روى الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُوْلُ ٱللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ ٱلدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْأَلُكَ ٱلْعَافِيَةَ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، ٱللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْأَلُكَ ٱلْعَفْوَ وَٱلْعَافِيَةَ فِى دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي...» الحديث (٢).

(١) (٣٠٩/٢٠) برقم (١٣٠٠٤) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) برقم (٥٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٧) برقم (٤٢٣٩).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: **قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»**^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن الكثير من الناس مفرط ومغبون في هذه النعمة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: **قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»**^(٢).

وأرشد النبي ﷺ أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **أن النبي ﷺ قال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ... وَذَكَرَ مِنْهَا: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ»**^(٣).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري يقول: **«إِذَا أَصَبْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»**^(٤).

والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها ليحمد الله ﷻ صباحًا ومساءً على نعمة العافية، وصدق الله إذ يقول: **﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّكُمْ**

(١) برقم (٣٥٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٠) برقم (٢٨٢١).

(٢) برقم (٦٤١٢).

(٣) (٥/ ٤٣٥) برقم (٧٩١٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٤) برقم (٦٤١٦).

الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم].

قوله: «عنده قوت يومه»، أي: قدر ما يغديه ويعشيه، والطعام من نعم الله العظيمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قریش].

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من الجوع، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّحِيجُ»^(١).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه الكفاف، أي مقدار ما يكفيه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»^(٢).

ومما تقدم يتبين أن من اجتمعت له هذه الخصال الثلاث في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها، وقد اجتمع لكثير من الناس أضعاف أضعاف ما ذكر في هذا الحديث، ومع ذلك فهم منكرون لها، محتقرون ما هم فيه، فهم كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ودواء هذا الداء أن ينظر المرء إلى من حرم هذه النعم، أو بعضها، كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَيَّ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ،

(١) برقم (١٥٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٨/١) برقم (١٣٦٨).

(٢) البخاري برقم (٦٤٦٠)، ومسلم برقم (١٠٥٥).

وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» (١).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَضَعَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ (٢).

وأختم بهذا الحديث الذي يبين أن كثيراً من الناس يعيشون عيشة الملوك:

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:
 أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَاكَ
 امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَاكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:
 فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ (٣).

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى وأضحى صحيحاً جسمه وهو في أمن
 فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها وحقَّ عليه الشكر لله ذي المنن
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٤٩٠)، ومسلم برقم (٢٩٦٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/٦).

(٣) برقم (٢٩٧٩).

تفسير آية الكرسي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلقد كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات. اهـ^(١).

وتسمى آية الكرسي لذكر الكرسي فيها.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وهو الحي في نفسه، الذي لا يموت أبدًا،

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ١١٢).

القيم بغيره، ومن تمام حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، والسنة هي النعاس، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ التُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» (١).

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه، كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (١٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (١٥) [مريم].

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، هذا من عظمته وجلاله، وكبريائه ﷺ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ (٣٦) [النجم].

وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷺ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ» (٢).

(١) برقم (١٧٩).

(٢) البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تعالى إخباراً عن الملائكة: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) [مريم].

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ قال ابن كثير: أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله ﷻ، وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (١).

قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره» (٢). وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي، أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي؟!

قال الطحاوي: والعرش والكرسي حق، قال ابن أبي العز الحنفي: العرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم (٣)، وهو سقف المخلوقات، قال عبدالله بن رواحة:

شَهِدْتُ بَأَنَّ وَعَدَّ اللهُ حَقًّا
وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩).

(٢) (٦٧٨/٢) برقم (٣١٧٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير (١/٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو (ص ٧٦)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ٤٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ^(١)

روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعِمِائَةٍ عَامٍ»^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أي: لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو العلي بذاته، فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته، العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبوت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها أعظم آية في القرآن، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال:

(١) العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

(٢) برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١).

(٣) برقم (٨١٠).

وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(١).

ثانياً: سعة علم الله وإحاطته بكل شيء، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام].

ثالثاً: عظمة الله سبحانه، وسعة سلطانه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الله تعالى لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض، بل ذلك سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وعشرة

حفظ اللسان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على الإنسان، نعمة اللسان، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ ٩ ﴾ [البلد].

وهذا اللسان إن لم يستخدم في طاعة الله، كان وبالاً على صاحبه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ٢٤ ﴾ [النور].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تحث على حفظ اللسان، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظْ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ١٨ ﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ ١١٦ ﴾ [النحل].

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ عَمَلٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ

يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

قوله: «مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا»، أي لا يدري هل هي في طاعة الله أو معصيته؟

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْنِكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث سفيان الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به؟ قال: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هَذَا»^(٥).

وقال عبد الله بن مسعود: «أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم

(١) برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٣) برقم (٦٤٧٤).

(٤) برقم (٢٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن.

(٥) برقم (٢٤١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ما بلغ حاجته»^(١).

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم»^(٢).

وقال الأوزاعي: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه»^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَيَّ طُولِ سَجْنٍ مِنْ هَذَا اللُّسَانِ»^(٤).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. اهـ^(٥).

وشر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضر ما يكون على العبد.

قال ابن القيم: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر،

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ٢٤١).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/١٢٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/١١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٠٠).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/١٩).

ومن النظر الحرام، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول. اهـ^(١).

وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ حدث أن رجلاً قال: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِغُلَّانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ إِلَّا أَغْفِرَ لَغُلَّانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِغُلَّانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(٢). أو كما قال.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَتَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي حَقِّ رَجُلٍ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: أَغْزَوْتَ الرُّومَ؟ قَالَ: لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ: سَلِمَ مِنْكَ النِّصَارِيُّ، وَلَمْ يَسَلِمْ مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ!

وقال بعضهم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ

قال بعض أهل العلم: في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى، آفة السكوت عن الحق، أو آفة الكلام بالباطل، وقد تكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٠).

(٢) برقم (٢٦٢١).

الحق شيطان أحرص عاص لله، مرء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه مثل من يرى المنكرات أمام عينيه مع قدرته على التغيير ولا يفعل.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

الآفة الثانية: التكلم بالباطل، وهو شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط هم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أنها تضره في آخرته يوم القيامة.، عندما يأتي بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكره الله وما اتصل به. اهـ^(٢).

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٢).

الحوار العين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الجنة الذي وعد الله به المؤمنين، مما تشتاق إليه النفوس، وتهفو إليه القلوب، الحوار العين، فقد وصفهن الله بأحسن الصفات، وحلاهن بأجمل الحلي، وشوق الخطاب إليهن، حتى كأن المؤمنين يرونهن رأي العين، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتْ أَلْطَرَفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن].

قال الحسن وعامة المفسرين: «في صفاء الياقوت، وبياض المرجان»^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الواقعة].

والحوار جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين، قالت عائشة رضي الله عنها: «البياض نصف

(١) تفسير ابن كثير (٣٣٤/١٣).

الحسن». وقال عمر رضي الله عنه: «إذا تم بياض المرأة في حسن شعرها، فقد تم حسنها».

والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:

بيضٌ أو أنسٌ ما هممن بريبةٍ كظباءِ مكة صيدهن حرامٌ
يُحسبن من لين الحديثِ زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلامُ

قوله: ﴿عُرْبًا﴾ في الآية الكريمة، العرب جمع عروب، وهي التي جمعت إلى حلاوة صورتها، حسن التأنى والتبعل والتحبب إلى الزوج بدلها وحديثها، وحلاوة منطقتها، وحسن حركاتها. وذكر المفسرون في تفسير العرب بأنهن العواشق المتحبيبات، الغنجات، الشكلات، المتعشقات، الغلمات، المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم^(١).

قوله ﴿أَثْرَابًا﴾: قال ابن عباس: وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة^(٢).

وقد أودع سبحانه في الحوار العين من حسن الخلق والخلق، وجمال الصورة، ورقة البشرة ما يبهر العقول، وتعجز الألسن عن وصفه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ رُؤْمَرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، أُنَيْتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ،

(١) بدائع التفسير (٤/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٦).

لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّوْحَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

والحور العين مطهرات من كل أذى وقدر ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

قال جمع من المفسرين: المطهرة من طهرت من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى

(١) البخاري برقم (٣٢٤٥)، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري برقم (٢٧٩٦)، وأخرج مسلم أوله برقم (١٨٨٠)، والغدوة الذهب أول النهار للغزو في سبيل الله، والروحة الذهب آخره للغزو في سبيل الله.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٢ - ٣٢٣).

غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ^(١).

وإن من أعظم ما أتخف الله به عباده في دار كرامته، زواجهم من الحدود العينية، فهذا الزواج تتحقق السعادة وتكتمل اللذة، قال تعالى:

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [٢٠] ﴿ الطور ﴾. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴾ [٥٥] ﴿ هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [٥٦] ﴿ يس ﴾.

قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم: «شغلهم افتضاض الأبقار»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِثْلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

وهذه الخيام غير الغرف والقصور التي في الجنة، فذاك نعيم آخر، روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصِلُ إِلَىٰ نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَىٰ مِئَةِ عَذْرَاءٍ»^(٤).

والحدود العينية يشتقن إلى أزواجهن من المؤمنين، فتدعو الواحدة منهن على من يتعرض لزوجها في الدنيا، فكيف إذا قدم عليها وبشرت

(١) بدائع التفسير (١/٢٩٧). (٢) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩).

(٣) البخاري برقم (٣٢٤٣)، ومسلم برقم (٢٨٣٨).

(٤) (٢/٦٨) برقم (٧٩٥) وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على

شرط الصحيح، تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٥).

بذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لَا تُؤْذِي أَمْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلِكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(١).

وعرائس الجنان من الحور العين لا يزددن مع مرور الدهور والأحقاب إلا حسناً وجمالاً، وحباً وتودداً لأزواجهن في الجنة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَيَثَابِهِمْ فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»^(٢).

والصالحون في هذه الدار بعدما علموا ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبیهم في شأنهن - أي الحور العين - يكونون في أشد الشوق والحب إليهن، مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعة مولاهم، وأن يقر أعينهم بهن، قال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن شباب، فقال: يا معشر الشباب، أما تشاقون إلى الحور العين؟^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله:

يا خَاطِبَ الحُورِ الحِسانِ وطالِبًا لو صالهن بجنة الحيوان
لو كُنتَ تَدْرِي من خَطْبَتَ ومن طَلَبَ تَ بذلتَ ما تحوي من الأثمان

(١) (٤١٧/٣٦) برقم (٢٢١٠١) وقال محققوه: إسناده حسن، والدخيل الذي يرحل سريعاً.

(٢) برقم (٢٨٣٣).

(٣) انظر: رسالة (بشرى المحبين بأخبار الحور العين) للشيخ سعد الحمدان.

أو كُنْتُ تدرِي أينَ مسكنها جَعَد
ولقد وصفتُ طريقَ مسكنها فإن
أسرع وحث السيرَ جهدك إنما
فاعشق وحدث بالوصالِ النفسَ
واجعل صيامك قبل لُقياها ويد
واجعل نُعوتَ جمالها الحادي وسر
لت السعي مِنك لها على الأجان
رُمت الوصالَ فلا تكن بالواني
مَسْرَاكُ هذا ساعةُ لزمانِ
وابذل مهرها ما دمتَ ذا إمكانِ
وم الوصلِ يومَ الفطرِ من رمضانِ
تلقي المخاوفَ وهي ذات أمانِ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنتا عشرة

الابتلاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

أي نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعمة تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس: «﴿وَنَبَلُوكُم﴾: أي نبتليكم بالشر والخير، أي بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال»^(١). ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: فنجازيكم على مواقفكم من هذه الأحوال، فمن وقف موقف المؤمن واتقى الله في كل حالة نال المثوبة، ومن أساء نال العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٧٨).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلاَ إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ ﴾ ﴿١١٤﴾ [البقرة].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الارت قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَن قَبْلِكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسْقُ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمِّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِن صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

وروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُتَبَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِن كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِن كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

وسأل رجل الشافعي رحمته الله فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل: أن يمكن فيشكر الله عنه؟ أو يبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا

(١) برقم (٣٦١٢).

(٢) برقم (٢٣٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يُمْكِنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نُوْحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكَّنَهُمُ اللَّهُ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُصَ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةِ. اهـ (١).

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والله أسأل أن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة. اهـ (٢).

والمؤمن يصيبه البلاء تكفيرًا لسيئاته، ورفعة لدرجاته، وحتى يتميز الخبيث من الطيب، وغير ذلك من الحكم.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكًا شديدًا، فمستته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ» ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٢) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣).

(٣) برقم (٥٦٦٠).

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (١).

قال أبو عبيدة الهروي: أي يبتليه بالمصائب ليثبته عليها، وقد تبتلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاء واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت].

وما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل مكان، واتحادهم ضد المسلمين، ما هو إلا مصداق لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (٢).

ولن يكون الخلاص والنجاة من ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله، ويجب على المؤمن أن يكون على ثقة ويقين بنصر الله القريب، وإن كثر الأعداء، وعظمت قوتهم، فإن الله سينصر دينه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف].

(١) برقم (٥٦٤٥).

(٢) برقم (٤٢٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨١٠) برقم (٣٦١٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ [يوسف].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ [غافر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الزهد في الدنيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وصف ربنا ﷺ حال الدنيا وأهلها فيها، وكشف حقيقتها، وبين قصر مدتها، وانقضاء لذتها، فقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

فبين لنا العليم الحكيم في هذه الآية حال الدنيا التي افتتن الناس بها، وبين أنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب، وهو يشغل صاحبه ويلهيه عما ينفعه في آخرته، وزينة تخدع المفتون بها، وتفخر بالأنساب والعظام البالية، ومباهاة بكثرة الأموال والأولاد، وعظم الجاه، وأشار سبحانه إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال، كمثل غيث أعجب الزراع نباته الناشئ منه، ثم يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدره الله له، فسرعان ما تراه مصفراً متغيراً ذابلاً بعد أن كان أخضر نضراً، ثم يعود إلى اليبس هشيمًا متكسراً، ففيه تشبيه جميع ما في الدنيا من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل ويتلاشى في أقل من سنة، إشارة إلى سرعة زوالها وقرب فنائها.

ثم أشار سبحانه إلى عظم شأن الآخرة بما فيها من الآلام والعذاب الشديد لمن عصاه، والمغفرة والرضوان الموجب لكمال النعيم لمن أطاعه.

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ۝١٤﴾ ﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمَتَّعٌ ۝﴾ [الرعد: ٢٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن فهر: أن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَّشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا وَالِدُنْيَا؟! إِنَّمَا أَنَا وَالِدُنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ

تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنعصص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من همٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وحزن وغم بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها، ولا بد من دوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا، فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النافع العاجل، واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل، واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدق بذلك ولم يؤثر كان فاسد العقل سيئاً

(١) برقم (٤١٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٩٤) برقم (٣٣١٧).

الاختيار لنفسه. والنبي ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها، وفاضت على أصحابه فأثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل اه^(١).

قال الشاعر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لَدَائَتُهُ مُنْغَصَّةً بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقد عاتب سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا، ورضاه بها يكون ثقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ

(١) الفوائد (ص ١١٢ - ١١٣) بتصرف.

بَلَعٌ فَهَلْ يُهُلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ»^(١). روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن الحارث قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءُ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً^(٢).

بل إنه عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير^(٣).

وأوصى النبي ﷺ جماعة من الأنصار أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب، ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وقال لأبي هريرة: «أزهد في الدنيا يُحبُّك اللهُ، وأزهد فيما في أيدي الناس يُحبُّوكَ»^(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: والزهد زهد في الحرام، وهو فرض عين،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٢) برقم (٢٧٣٩). (٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧).

(٤) ابن ماجه في سننه برقم (٤١٠٢) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٤).

وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه. وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ، والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع. إلى آخر ما قال^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وأربع عشرة

العافية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، نعمة العافية، قال تعالى عن نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يخاطب قومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١).

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأكثر من ثمنها، فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: رجل مغبون.

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، أي: آمناً على نفسه وأهله وعياله وماله.

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

قوله: «مُعَافَى فِي جَسَدِهِ»، أي: من الأمراض، أي: صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام.

قوله: «عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ»، أي: كفاية قوته وحاجته من وجه حلال.

قوله: «فَكَأَنَّمَا حِيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»، أي: ضمت وجمعت، فمن جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته.

وإن من أعظم المطالب، وأرفع المراتب التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها سؤال الله العافية، روى الترمذي في سننه من حديث رفاعة بن رافع قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمُنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمُنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقًا عَلَى الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة»^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) تحفة الذاكرين (ص ٣٠٥).

المُعَاْفَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن أفضل ما سأله العباد أن يعافيه الله، لأن العمدة الكبرى، والمنحة العظمى في نيل السعادة الدنيوية والأخروية هي العافية.

وروى البزار في كشف الأستار من حديث أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!»^(٢)، وفي الحديث دليل على أن سؤال الله العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء؟ وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم، بهذه الدعوة الكافية، وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطاً والقلوب بصيرةً، باستعمال هذا الدواء عند عروض كل داء، ومساس كل محنة، ونزول كل بلية، قال أحد الصالحين: «أكثرُوا من سؤال العافية، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه لا يأمن ما هو أشد منه، وإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافي الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم». والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها، ليحمد الله ﷻ صباحاً ومساءً على نعمة العافية.

(١) برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).

(٢) (٣٦/٤) برقم (٣١٣٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة (٢١٩٧).

قال الشاعر:

إني وإن كان جمع المال يُعجِبُنِي ما يعدلُ المألُ عندي صِحَّةَ الجَسَدِ
المألُ زينٌ وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسُقْمُ يُنْسِيكَ ذِكرَ المألِ والوَلَدِ

وكان النبي ﷺ يسأل ربه العافية صباحًا ومساءً، وحتى عند نومه، فروى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث، يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي ... الحديث، وقال في آخره: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

والعافية في الدنيا هي دفع الله عن العبد جميع الأَسقام والبلايا وجميع ما يكرهه ويشينه، والعافية في الآخرة هي دفع الله عنه جميع أهوال الآخرة وأفزاعها، ولا يخرج مطلوب العبد من هذين القسمين.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من سيئ الأَسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(٢) برقم (٢٧١٢).

(١) سبق تخريجه.

وأرشد عليه الصلاة والسلام أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، فروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ.. ذكر منها: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ» (٢): وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (٣)(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٦).

(٤) انظر: رسالة الشيخ عبد الهادي وهبي «الوسيلة الكافية لتحقيق العافية».

الكلمة المئة وخمس عشرة

مكانة المرأة في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن المرأة، وسيكون الكلام فيها حول الأمور التالية:
أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام.

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: واجبنا نحو ذلك.

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في بعض مجتمعات الجاهلية تعيش فترة عصيبة، فقد كانوا يكرهون ولادتها، فمنهم من يدفنها وهي حية تحت التراب خوفاً على نفسه من العار، ومنهم من يتركها تبقى في حياة الذل والمهانة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ ﴾
يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ ﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ٨ ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ ﴾ [التكوير].

والموودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، والمرأة في الجاهلية ليس لها حظ في الميراث مهما عانت من الفقر والحاجة؛ لأن الميراث يختص بالرجال، بل إنها كانت تورث عن زوجها الميت كما يورث سائر المتاع، وكان الجمع الكثير من النساء يعشن تحت زوج واحد، حيث كانوا لا يتقيدون بعدد محدد من الزوجات، ولا يبالون بما ينالهن من المضايقات والظلم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ»^(١).

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام:

فقد رفع عنها المظالم، وأعاد لها مكانتها، وجعلها شريكة الرجل في الثواب والعقاب وسائر الحقوق، إلا ما اختص الله به النساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمَارَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا أَنْتَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَىٰ النَّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (٢).

وحرّم الإسلام اعتبار المرأة من موروّثات الزوج، كما هو الحال في الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩].

فضمن لها استقلال شخصيتها، وجعلها وارثة لا موروثة، وجعل للمرأة حقًا في مال قريبها من الميراث، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (٣).

وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٤).

ثالثًا: شبهات والجواب عنها:

يردد أهل الشهوات عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن المرأة تعاني من الظلم، وأنها شق معطل، وأن البيت سجن لها، والقوامة سيف وصلت

(١) برقم (٣٢١١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩٢/٣) برقم (٢٥٦٥).

(٢) (٢٦٥/٤٣) برقم (٢٦١٩٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٤) برقم (١٩٧٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٤/١) برقم

عليها أن تتخلص منه، وقد أوجد ذلك وللأسف أثرًا عند بعض النساء. أما القول بأن المرأة تعاني من الظلم، فقد سبق الكلام عن مكانة المرأة في الإسلام، وكيف رفع المظالم التي كانت عليها في الجاهلية، وهي ليست شق معطل، بل إن بقاءها في بيتها وتربيتها لأولادها من أعظم الأعمال التي تثاب عليها، وتخرج ثمراتها إلى المجتمع المسلم.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ»^(١).

والذي ينظر إلى المجتمعات الغربية وكيف خرجت المرأة لتزاحم الرجال، وتركت أطفالها في رعاية الخدم، أو الحضانه، أو غيرها، وما جنى هؤلاء الغربيون من الفساد، وانحلال الأخلاق، وكثرة أولاد الزنا، والتفكك الأسري، وانتشار المخدرات والمسكرات، وغير ذلك، ليدرك عظمة هذا الدين، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أما القوامه فقد جعلت لحماية المرأة وصيانة عرضها من الرجال، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير: «أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت».

قال ابن عباس: «﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله،

(١) برقم (٤١٥١) وصححه الشيخ الألباني في آداب الزفاف (ص ٢٨٦).

حافظة لِمَالِهِ (١).

رابعاً: واجبنا نحو ذلك:

أولاً: تربية أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا تربية صالحة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أدبوهم وعلموهم الخير»، وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ» (٢).

ولو أن كل رجل اهتم بأسرته، ورباهم على الكتاب والسنة؛ لصلح المجتمع كله.

ثانياً: التزود بالعلم الشرعي، وبالعلم يكتشف المؤمن ضلال المضلين، وانحراف المنحرفين من العلمانيين وأهل الأهواء والشهوات، ويستطيع الرد عليهم وكشف مخططاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

ثالثاً: الدعوة إلى الله صلى الله عليه وسلم، وتحذير الناس من أهل الشر، وما يخططون له من إفساد المرأة، وإبعادها عن دينها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠ - ٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

قال: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

التحذير من الربا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي حرمها الله ورسوله، ولعن فاعلها، الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سوا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء فيه: «... أتاني الليلة آتياً، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول -: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح

يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكَلَ الرَّبَا»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ ... وذكر منها: الربا»^(٢).

ومن صور الربا المحرم: شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، وإن من الجرائم العظيمة، والأمر الخطيرة ما نسمعه ونشاهده هذه الأيام من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل والدعايات لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها، وأنها من الربا الذي حرمه الله ورسوله.

جاء في الفتوى رقم (١٧٦١١): يتداول بين الناس في الوقت الحاضر بطاقة فيزا سامبا، صادرة من البنك السعودي الأمريكي، وقيمة هذه البطاقة الذهبية (٤٨٥) ريالاً، وإذا كانت فضية (٢٤٥) ريالاً، تسدد هذه القيمة سنوياً لمن يحمل بطاقة فيزا للاستفادة منها كاشتراك سنوي، ويحق لحامل هذه البطاقة أن يسحب من فروع البنك المبلغ الذي يريده سلفة، ويسدد بنفس القيمة خلال مدة لا تتجاوز

(١) برقم (٧٠٤٧).

(٢) البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

أربعة وخمسين يوماً، وإذا لم يسدد المبلغ المسحوب سلفة خلال الفترة المحددة يأخذ البنك عن كل مئة ريال فوائد قيمتها ريال وخمس وتسعين هللة (٩٥، ١)، ويحق لحامل هذه البطاقة شراء البضائع من المحلات التجارية التي تتعامل مع البنك، دون أن يدفع مالا نقدياً، وتكون سلفة عليه للبنك، وإذا تأخر عن سداد القيمة عن مدة أربعة وخمسين يوماً يأخذ البنك عن كل مئة ريال ريالاً وخمسة وتسعين هللة، فما حكم استعمال هذه البطاقة، والاشتراك السنوي مع هذا البنك.

الجواب: إذا كان حال بطاقة فيزا سامبا كما ذكر، فهذا إصدار جديد من أعمال المرابين، وأكل لأموال الناس بالباطل، وتأثيرهم، وتلويث مكاسبهم، وتعاملهم، وهو لا يخرج عن حكم ربا الجاهلية المحرم في الشرع المطهر (إما أن تقضي، وإما أن تربى)، ولهذا لا يجوز إصدار هذه البطاقة، ولا التعامل بها. اهـ.

ومن صورته كذلك بيع العينة، ويسميه بعض الناس الدينة، ومثاله: أن يبيع شخص سلعة على شخص آخر بمبلغ ألف ريال مؤجلة لمدة سنة، ثم في نفس الوقت يشتري البائع سلعته من المشتري بمبلغ خمسمئة ريال معجلة، وتبقى الخمسمئة ريال في ذمة المشتري الأول، وقد ورد النهي الصريح من النبي ﷺ عن بيع العينة، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(١).

ومن الشبهات التي يرددها بعض الناس قول بعضهم: أنا مضطر لأخذ

(١) سبق تخريجه.

القرض من هذا البنك الربوي، فعندي ضائقة مالية، أو أريد أن أتزوج، أو أريد أن أبنى مسكناً ولم أجد من يقرضني من الناس، والضرورات تبيح المحظورات، والجواب عن ذلك أن يقال: إن الضرورة إنما تكون عند خوف الشخص على حياته، فتباح له بقدر الحاجة، كأن يكون في خارج البلد، واشتد به الجوع والعطش حتى كاد أن يموت، ولم يجد إلا خمراً أو ميتة، فتباح له بقدر ما يسد رمقه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال بعض أهل العلم: إنه يتناول ثلاث لقم ولا يزيد عليها، وأيضاً يقال لهذا وأمثاله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن الشبهات كذلك قول بعضهم: إن هذه البنوك مؤسسات تجارية، فهي تدفع رواتب للموظفين، وتدفع إيجاراً للمبنى، وتحتاج إلى أجهزة تشتريها بمبالغ مالية، وغير ذلك، فالقروض التي تعطيها للناس بفوائد إنما هي للمصاريف الإدارية، وهذا كلام فيه تضليل؛ لأن صورة الربا التي وردت النصوص الشرعية بتحريمها موجودة، ومنطبقة على هذه البنوك، وسواء سميت مصاريف إدارية، أو فوائد، أو غير ذلك، فالأسماء لا تغير الحقائق، وقد صدرت فتاوى من علماء هذه البلاد بتحريم التعامل مع هذه البنوك، عملاً أو شراءً أو اقتراضاً أو غير ذلك، جاء في الفتوى رقم (٣١٩٧): ما حكم الزيادة التي تأخذها البنوك؟

الجواب: الفائدة التي تأخذها البنوك من المقترضين، والفوائد التي تدفعها للمودعين عندها، هذه الفوائد من الربا الذي ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ.

وجاء في الفتوى رقم (١٠٨٠): هل ينطبق على كاتب الحسابات في بنك حديث لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه؟

الجواب: البنوك تتعامل بالربا مع من تقرضه، ومع من يودع فيها نقوداً، ومع غيرهم، ولا بد لمن عمل فيها كاتباً للحسابات أن يتولى حساب المعاملات الربوية، ويقيد في الدفاتر ما على كل من أطراف المعاملات، وما له، ويتحدد بذلك المدين من الدائن، وعلى ذلك ينطبق الحديث المذكور على كاتب الحسابات في البنوك الربوية، وما في حكمها من المصارف. اهـ^(١).

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عن سواك.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ..﴾ الآية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مريم].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذا خطاب لسائر الخلائق برهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه»^(١). اهـ.

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَاهُمْ كَلْمَحُ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ»^(٢).

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين، والصراط الذي وردت

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ٥٨٠).

(٢) برقم (٣١٥٩) وقال: هذا حديث حسن.

الإشارة إليه في الأحاديث هو جسر منصوب على متن جهنم، وهو صراط دقيق جداً كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أنه قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنْ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(١).

والصراط ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال السفاريني رحمته الله: والصراط شرعاً جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم^(٢).

قال الشاعر:

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي يُسَائِلُنِي وَيُنْكَشِفُ الْغَطَاءُ
وَحَسْبِي أَنْ أَمُرَ عَلَى صِرَاطٍ كَحَدِّ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ - قال في الحاشية: «الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر» - فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكٌ - الخطاف هو الحديد المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، والكلايب هي حديدة معطوفة الرأس، ويعلق عليها اللحم، والحسك هي شوكة صلبة معروفة - فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٨٩/٢).

يُسْحَبُ سَحْبًا ... الحديث» (١).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مريم].

قال ابن كثير: أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار، والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا (٢). اهـ.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن الورود على النار لا بد منه لكل الناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» قَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ» (٤).

ثانياً: الصراط حق يجب الإيمان به، والاستعداد له بالعمل الصالح، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «والصراط حق، يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك، نسأل الله

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٨١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) مختصراً.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٧/٩).

(٣) (٥٩٠/٤٤) برقم (٢٧٠٤٢) وقال محققوه: صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢) واللفظ له.

السلامة في الجواز» (٢).

ثالثاً: أن التقوى سبب النجاة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الظلم عاقبته الهلاك في الدنيا والآخرة، لقوله في هذه الآية: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].

خامساً: أن سرعة مرور المؤمن على الصراط بقدر أعماله التي كانت في الدنيا؛ فلذلك ينبغي له المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِنَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب»^(١).

ومن أمثلة المبادرة إلى الأعمال الصالحة التبكير في الحضور إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة أو الجمعة، والإكثار من نوافل الصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، والصدقة على الفقراء والمساكين، وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٢٣).

تحريم الدخان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف المسلمين، وابتلي بها كثير من الناس شرب الدخان، ولا يخفى على كل عاقل مطلع على مقاصد الشريعة الإسلامية تحريم هذا الدخان، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: إنه من الخبائث، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولا شك أن الدخان من الخبائث، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو صاحب هوى، وكثير من الذين شربوا الخمر، واستخدموا المخدرات كانت البداية هي الدخان، ثم تطور الأمر بعد ذلك، والمعصية تقول: أختي أختي، وثبت طبيياً أن ٨٠٪ من الذين استخدموا المخدرات كانت البداية هي التدخين.

ثانياً: إن في شربه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ولا شك بأن شارب الدخان إذا مات بسببه فإنه يعد قاتلاً لنفسه بتلك المواد السامة في السجائر وإن كان القتل بطيئاً، إذ لا خلاف بأن من تسبب في قتل نفسه، سواء كان القتل بطيئاً أو سريعاً فإنه يأثم بذلك.

ثالثاً: إن في شربه أضراراً صحية على البدن، وقد تعالت صيحات الأطباء بالتحذير منه، وقالوا: إن الدخان يحتوي على مواد سامة، من أهمها مادة النيكوتين، وهذه المادة لو وضع منها نقطتان في فم كلب لمات في الحال، وخمس نقاط تكفي لقتل جمل، ويقول أحد الأطباء: إن الكمية الموجودة من هذه المادة في سيجارة واحدة كافية لقتل إنسان لو أعطيت له بواسطة الوريد. وقد ذكر بعضهم أن أخوين تراهنا أيهما يدخن أكثر من الآخر، فمات أحدهما قبل السيجارة السابعة عشر، ومات الآخر قبل أن يتم الثامنة عشر.

ومن أشد الأمراض التي يحدثها التدخين مرض السرطان، يقول

(١) البخاري برقم (٥٧٧٨)، ومسلم برقم (١٠٩).

(٢) البخاري برقم (٦١٠٥)، ومسلم برقم (١١٠).

الأطباء: إن نسبة كبيرة من مرضى السرطان أصيبوا بهذا المرض بسبب الدخان، وأيضاً أمراض القلب والجهاز التنفسي.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ»^(١).

رابعاً: إن في شربه إضاعة للمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء].

ولا شك بأن شارب الدخان من أكثر المبذرين، ولو رأينا شخصاً يمسك الدراهم بيده، ويشعل النار فيها لقلنا: إنه مجنون.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٢).

خامساً: إن الدخان لا يقتصر ضرره على صاحبه، بل يتعدى ضرره إلى زوجته وأولاده وأقربائه وجلسائه، وقد تقرر عند الأطباء ذلك، وهو واضح من تلوث الهواء بالغازات السامة التي تنبعث منه، وتقدم في الحديث قوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ».

سادساً: إن الدخان تنبعث منه رائحة خبيثة تكون في فم المدخن وبدنه وثيابه، تؤذي الجليس والأنيس، وخصوصاً عند دخوله المسجد واختلاطه بالمصلين، وقد أمر النبي ﷺ من وجدت منه رائحة الثوم والبصل ونحوها أن يخرج من المسجد، مع أنهما مما أحله الله، فكيف يكون نهيه إذا لصاحب الدخان؟ وهو القائل: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ

(١) (٥٥/٥) برقم (٢٨٦٥) وقال محققوه: حسن.

(٢) سبق تخريجه.

وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه مقاطعة المحلات التجارية التي تباع هذه السموم على الناس، وفي المقابل تشجيع المحلات والدكاكين التي تمتنع عن بيع الدخان، وهذا من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قد يقول البعض من الناس: لا أستطيع ترك الدخان، فيقال له: أنت تترك الدخان في رمضان أكثر من عشر ساعات، فالمسألة تحتاج إلى عزيمة وإرادة، وقد جرب أناسٌ كثيرون فتعبوا في بداية الأمر، ولكن الله علم منهم صدق النية، فأعانهم وتركوه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

وهناك عيادات متخصصة لمعالجة المدخنين، ويقوم عليها إخوة أفاضل، وقد نفع الله بها، وترك الكثير من المدخنين شرب الدخان بعد مراجعة هذه العيادات وأخذ العلاج اللازم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٨٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

فضل يوم الجمعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله تعالى خص أمة محمد ﷺ بخصائص ومميزات عن بقية الأمم، ومن ذلك أنه جل وعلا اختار لهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْأَخْرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا» (٢).

وروى ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما من حديث أبي هريرة

(١) برقم (٨٥٦)، ورواه البخاري بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٧٦).

(٢) برقم (٨٥٤).



أن النبي ﷺ قال: «لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَغْرُبُ على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تَفْرَعُ يومَ الجمعةِ إلا هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الجَنِّ والإنس» (١).

ومن فضائل هذا اليوم: أن الله جعله عيداً للمسلمين، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ» (٢) الحديث.

ومنها: أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئاً إلا أعطاه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهُ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا، يَزِيدُهَا» (٣).

واختلف العلماء في وقتها على أقوال، أرجحها قولان:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحجة هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى: أن عبد الله بن عمر قال له: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئاً؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» (٤).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٧٥٩) وصحيح ابن خزيمة برقم (١٧٢٧)، وقال محققه د/ محمد الأعظمي: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٠٩٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٨١) برقم (٩٠١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٩٤)، وصحيح مسلم (٨٥٢).

(٤) برقم (٨٥٣).

الثاني: أنها بعد العصر، وهو أرجح القولين، لما روى النسائي من حديث جابر رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(١).

وهذا القول هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، أما حديث أبي موسى السابق فقد أعل بعلل كثيرة أشار إليها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري^(٢).

ومنها أنه يوم تكفير السيئات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٣).

ومن آداب يوم الجمعة التي ينبغي للمؤمن الحرص عليها:

أولاً: استحباب قراءة الإمام ع ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في فجر يوم الجمعة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾»^(٤).

ثانياً: استحباب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه النسائي من حديث أوس بن أوس: «مِنَ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالوا:

(١) برقم (١٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٠٨/١) برقم (١٣١٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٢/٤٢١ - ٤٢٢).

(٤) برقم (٨٧٩).

(٣) برقم (٢٣٣).



يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! أَيْ يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَلَيْكَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

وروى البيهقي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (٢).

ثالثاً: الأمر بالاعتسال فيه، وهو أمر مؤكد جداً، ويرى بعض العلماء وجوب الغسل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيْبًا إِنْ وَجَدَ» (٣).

رابعاً: استحباب مس الطيب والسواك، ولبس أحسن الثياب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طِيْبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى رَكَعَ مَا شَاءَ أَنْ يَرَكَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا» (٤).

خامساً: استحباب قراءة سورة الكهف، روى الحاكم من حديث

(١) برقم (١٣٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٢٩٧) برقم (١٣٠١).

(٢) (٣/٢٤٩) برقم (٥٧٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٠٧).

(٣) البخاري برقم (٨٨٠)، ومسلم برقم (٨٤٦).

(٤) (١٨/٢٩٢) برقم (١١٧٦٨) وقال محققوه: إسناده حسن.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»^(١).

سادساً: استحباب التبكير إلى صلاة الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس بن أبي أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَغَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ ثَمَ غَدَا أَوْ ابْتَكَرَ، ثَمَ دَنَا فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا كَصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامِ سَنَةٍ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذُّكْرَ»^(٣).

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة من السنن العظيمة، التي قصر فيها كثير منا، ولعل فيما تقدم من الأحاديث الواردة في فضل التبكير ما يقوي العزائم، ويشحذ الهمم للمسارعة إلى هذا الفضل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وليحذر المسلم من التخلف عن صلاة الجمعة أو التساهل في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة

(١) (١١٧/٣) برقم (٣٤٤٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٤٧٠).

(٢) (٨٣/٢٦) برقم (١٦١٦١) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٨١)، وصحيح مسلم برقم (٨٥٠).



حدثاه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وعشرون

الأمانة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة التي وصف الله بها أنبياءه وعباده المؤمنين الأمانة. فوصف بها موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِن خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ووصف بها يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]. [يوسف].

وكذلك غيرهما من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث كان كل واحد منهم يقيم الحجة على قومه بوجوب طاعته؛ لأن الله اتتمنه على رسالته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٠٧] فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ [١٠٨]. [الشعراء].

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهوراً بينهم بأنه الأمين، فكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكّل عليّاً رد الودائع إلى أصحابها، وجبريل عليه السلام أمين الوحي، قد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [١١٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [١١٤]. [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ (١).

وهي من صفات المؤمنين المفلحين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون].

وبهذه الأمانة يحفظ الدين، والأعراض، والأموال، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب].

قال بعض المفسرين: المعنى أن الله ﷻ عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبيت حملها شفقاً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بالذي فيه الحظ له. اهـ (٢).

قال ابن جرير تعليقا على الآية الكريمة: وأولى الأقوال في ذلك

(١) البخاري برقم (٢٦٨١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٩/١٠).

بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عني بالأمانة في هذا الموضوع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا^(١).

قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين، ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، وقال بعضهم: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٢).

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن فقدان الأمانة من علامات الساعة، فروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث حذيفة قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُتَبَرِّأً، - أَي مَرْتَفِعًا - وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ»

(١) تفسير الطبري (٨/ ٦٧١٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٤٥).

(٣) (٧/ ٢٩٥) برقم (٧١٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٣).

(٤) رقم (٥٩).

فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي
فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي
قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات النفاق، فروى
البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ
الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ»^(٢).

وقد ذكرت الأمانة في القرآن على ثلاثة أوجه، قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)
[الأنفال]. والمراد الفرائض.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
[النساء: ٥٨]. والمقصود الودائع، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَبْتَغِي
أَسْتَجِرُّهُ بِكِ حَيْرٍ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٤) [القصص]. والمراد
العفة والصيانة.

ومن الأمانة حفظ الأسرار الزوجية، فروى مسلم في صحيحه من
حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ
عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ
سِرَّهَا»^(٥).

ومنها عدل الحاكم بين الرعية، فروى مسلم من حديث أبي ذر رضي عنه
قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي،

(١) البخاري برقم (٦٤٩٦)، ومسلم برقم (١٤٣).

(٢) البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٣) برقم (١٤٣٧).

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»^(١).

ومما تقدم يتبين أن الأمانة أوسع مما يتصور بعض الناس أنها مقصورة على الودائع، فإنها تشمل أمانة الرجل على دينه أن يقوم به ويحافظ عليه، فوقت المسلم أمانة، وعرضه أمانة، وماله أمانة عنده، وسمعه وبصره ولسانه أمانة، وجوارحه على وجه العموم أمانة.

ومنها أمانة الراعي على رعيته، والرجل على أهل بيته، والمرأة على بيتها وأولادها، والمدير على موظفيه الذين يعملون عنده، والموظف في وظيفته، والمدرس على طلابه، وبالجملة فإن الأمانة تشمل جميع وظائف الدين، كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

اللهم اجعلنا ممن إذا أوْتِمن أدى الأمانة، اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة وسائر الصفات الذميمة، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، واجعلنا من الراشدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وعشرون

صلة الأرحام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أنفس القرب، وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والآخرة، صلة الأرحام، والأرحام هم أقارب الرجل نفسه، كأمه وأبيه، وابنه، وابنته، وأخته، وأخيه، وكل من كان بينه وبينه صلة من قبل أبيه، أو أمه، أو ابنه، أو ابنته، ولا يدخل في ذلك أقارب الزوج أو الزوجة، فهؤلاء يحسن إليهم، لكن ليسوا أرحاماً، وإنما هم أصهار، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧٥] [الأنفال].

وقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام: وجعل الوصية بصلة الأرحام قرينة الوصية بالتقوى، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بفعل طاعته، وترك معصيته، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لكن صلوها وبروها كما قال ابن عباس وغير واحد من السلف.

قال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨].

فبين سبحانه أن صلة الرحم حق لازم واجب الأداء، سواء كان حقاً مادياً أو معنوياً.

ولقد كانت الدعوة لصلة الرحم من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ أول بعثته، ففي الصحيحين في قصة أبي سفيان مع هرقل حين سأله هرقل: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ يعني النبي ﷺ، قال أبو سفيان: قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ (١).

وصلة الأرحام سبب لبسط الرزق وطول العمر في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ففي الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة؟ وما يبعدني من النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد. فقال النبي ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ» (٢). وفي رواية: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣)، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٤).

(١) البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) البخاري برقم (١٣٩٧) ومسلم برقم (٣٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣).

(٤) البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وقطיעة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، التي توعدها الله صاحبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْغُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد]»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(٢).

وقاطع الرحم مهدد بعدم دخول الجنة، ففي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(٣).

والواصل لرحمه هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا

(١) البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) برقم (٢٥١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٥٦). واللفظ لمسلم.

قَطَعَتْ رَحْمَتَهُ وَصَلَّهَا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٢).

قال شراح الحديث: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، ولكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم بحقه، وإدخالهم الأذى عليه.

قال الشاعر:

وظَلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
وتحصل صلة الرحم بالإحسان إليهم بما يتيسر من أنواع الإحسان، قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، والعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالذعاء.

قال القرطبي: تجب مواصلتها - يعني الرحم - بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم. والمعنى الجامع للصلة أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، بحسب الوسع والطاقة لكل شخص منهم بحسب منزلته وحاله، ومناسبة صلته، وتيسر ذلك. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٢) برقم (٢٥٥٨).

(١) برقم (٥٩٩١).

قال الإمام النووي: قال أصحابنا: «يستحب أن يقدم الأم في البر، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجدات، ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام، كالأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب^(١)، إلى آخر ما قال.

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: «بِرُّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتِكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»^(٢).

والصدقة على ذي الرحم تضاعف لصاحبها، روى الترمذي في سننه من حديث سلمان بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ميمونة بنت الحارث: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلَيْدَةً، وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلَيْدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٣/٦).

(٢) (٢٠٩/٥) برقم (٧٣٢٧)، وقال محققه الشيخ عبد السلام علوش: له شواهد.

(٣) برقم (٦٥٨)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) البخاري برقم (٢٥٩٢)، ومسلم برقم (٩٩٩).

الكلمة المئة واثنان وعشرون

وقفه مع سورة الماعون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر، سورة الماعون، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِهِ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾﴾ أي: أرايت يا محمد الذي لا يصدق بالجزاء وما فيه من ثواب وعقاب، وقيل: إنه عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، وهؤلاء هم الذين ينكرون البعث، ﴿وَكَاؤُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة]، ويقول القائل منهم: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس].

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِهِ ﴿٢﴾﴾ أي الذي يقهر اليتيم، ويظلمه حقه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه، واليتيم هو الذي مات أبوه، وهو دون سن البلوغ، ذكراً كان أو أنثى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله، أو تكذيبه بالجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ

الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْضُوتَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ [الفجر].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

﴿٥﴾﴾ [الماعون] فويل: أي عذاب لهم، قال بعض المفسرين: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج الوقت.

روى أبو يعلى في مسنده من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتَاهُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ أَيْنَا لَا يَسْهُو؟ أَيْنَا لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا إِضَاعَةُ الْوَقْتِ يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ^(١).

قال تعالى: ﴿﴾ ﴿﴾ فحلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

وقال آخرون: يتركونها فلا يصلونها، وقد ورد ذلك عن ابن عباس، وقال: هم المنافقون الذين يتركون الصلاة سرًّا، ويصلونها علانية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت دائمًا أو غالبًا، وإما يقصرون عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، وكل من اتصف بشيء من ذلك له قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل النفاق العملي، كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ، قَامَ

(١) (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٤٤١/١): إسناده

فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا^(١).

فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن، ولا خشع أيضًا، ولهذا قال: لا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولعله إنما حمله على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يُصل بالكلية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وقال تعالى ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ أي: لا أحسنوا عبادة ربهم بإخلاص العبادة له، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به، ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم كالإناء، والدلو، والفأس، فهؤلاء؛ لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى^(٢). أهـ.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن فيها الحث على إطعام اليتيم والمسكين، والتحضيض على ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وقال بإصبعه السبابة والوسطى^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «وَالْقَائِمُ لَا يَفْتَرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ»^(٤).

(١) برقم (٦٢٢).

(٢) برقم (٦٠٠٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٠٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٢) واللفظ له.

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٤٦٨ - ٤٧١).

ثانياً: الحث على أداء الصلاة في وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(١).

ثالثاً: الحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء، والدلو، والكتاب، والفأس، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ»^(٢).

قَالَ حَسَّانٌ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً^(٣).

رابعاً: الحث على الإخلاص في العمل، والتحذير من الرياء والسمعة، كما قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٤) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان].

روى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٤).

المعنى: أن من سمع فضحه الله، وبين للناس أن الرجل ليس

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (٢٦٣١).

(٣) برقم (٢٦٣١).

(٤) البخاري برقم (٦٤٩٩)، ومسلم برقم (٢٩٨٧).

مخلصًا، ولكنه يريد أن يسمعه الناس فيمدحونه على عبادته، ومن رأى
كذلك يفضحه الله، ويبين أمره إن عاجلاً أو آجلاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثلاث وعشرون

كلمة توجيهية للمدرسين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المدرسين، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها.

أولاً: إخلاص النية لله تعالى في تعليمهم أبناءهم وإخوانهم الطلاب، وتربيتهم على ما يرضي ربهم جل وعلا، والصبر على ذلك احتساباً للأجر منه، وابتغاء ثوابه، قال بعض أهل العلم: «الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجاز سواه، وهو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ بِرَبِّهِمْ خَفِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١١) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) ﴿ [الأنعام].

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين: الأول: أن يكون العمل ظاهره موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١).

الثاني: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (٢).

قال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة (٣).

ومن أعظم الدلائل على الإخلاص: أن العبد يعمل العمل الصالح، ثم لا يبالي باطلاع الناس عليه، بل لو نسب إلى غيره لأفرحه ذلك لعلمه أنه محفوظ عند الله تعالى.

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس له فيها نصيب - أي من الدنيا -.

ثانيًا: تقوى الله عز وجل، ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله عز وجل وصيته للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يوصي أصحابه بتقوى الله، ففي حديث العرباض بن سارية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٩٣/٢).

وَالطَّاعَةَ»^(١).

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

والحذر من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، ويدخله مدخلا كريما، قال تعالى: ﴿إِنْ جَتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. أي كثير الخير والبركة، والحذر من صغائر الذنوب، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ»^(٢).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

قال الأوزاعي: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ثالثا: القدوة الحسنة، فمن المعلوم أن الطالب يتأثر بمعلمه، ويحب تقليده والاقتراء به، فيجب على المربين والمعلمين ألا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٢] كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: ٣].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦٠٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧١) برقم (٣٨٥١).

(٢) برقم (٦٤٩٢).

أَنهَدِكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿ هود: ٨٨ ﴾ .

قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

رابعاً: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم في أقواله وأعماله؛ في عبادته لربه، وتعامله مع عباده، قال عبد الله بن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

فأوصي أخي المدرس أن يكون حسن الخلق مع زملائه، ومع طلابه، ومع أولياء أمورهم، وأن يكون رفيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»^(٢).

ولقد كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي

(١) برقم (٢٠٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٥٩٣).

إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفُّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟» (١).

خامسًا: أن يحرص المدرس على تربية طلابه تربية صالحة فيعلمهم أمور الإسلام والإيمان، ويغرس محبة الله وتعظيمه في قلوبهم، ويحبب إليهم النبي ﷺ، ويبين لهم وجوب اتباعه، والعمل بسنته، والاقترداء به، ويعلمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، كآداب المسجد، والمجلس، واحترام المعلم والكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، ويعودهم على الكلام الحسن، ويحذرهم من الألفاظ القبيحة، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وأربع وعشرون

غض البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن التي يواجهها المسلم في هذه الحياة فتنة النظر إلى النساء وهذه الفتنة تواجهه في السوق، وفي الطرقات، وفي الأماكن العامة، وفي الجرائد والمجلات، وفي غير ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٢).

ومن الأمور المعينة للتغلب على هذه الفتنة:

أولاً: استحضار النصوص الواردة في الأمر بغض البصر، والنهي عن إطلاقه في الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٥٠٩٦)، ومسلم برقم (٢٧٤٠).

(٢) برقم (٢٧٤٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّانَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا
 مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ
 زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى
 وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من
 حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظْرِ الْفَجَاءَةِ؟
 فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال
 رسول الله ﷺ لعلي: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى،
 وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»^(٣).

ثانياً: استحضر العبد اطلاع الله عليه، وإحاطته به لكي يخاف،
 ويستحي منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١٦) [ق]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
 تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٩) [غافر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
 أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاء في الأحاديث المختارة عن سعيد بن زيد أن رجلاً قال
 لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ ﷻ، كَمَا تَسْتَحِي
 رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٤٣)، وصحيح مسلم (٢٦٥٧).

(٢) برقم (٢١٥٩).

(٣) برقم (٢١٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٣/٢) برقم (١٨٨١).

(٤) الأحاديث المختارة (٢٩٩/٣) برقم (١٠٩٩)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في

صحيح الجامع الصغير (٤٩٨/١) برقم (٢٥٤١).

ثالثاً: أن يتذكر العبد شهادة العينين عليه يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ [فصلت]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُحِرِّنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلٌّ» (١).

رابعاً: أن يتذكر العبد منافع، وثمرات غض البصر، قال ابن القيم رحمته الله: «ومن ثمراته:

أ - أن في غضه امتثال لأمر الله، الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

ب - أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه، قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظْرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصَغَرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتْرِ
يَسُرُّ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرْرِ

وقال آخر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتَكَ الْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُؤْلَهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَن بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

ج- أنه يورث القلب سرورًا، وانسراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك بقهر عدوه بمخالفة نفسه وهواه^(١)، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

د - أنه يكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يكسب القلب ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣) [النور].

ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان^(٣).

خامسًا: الزواج وهو من أنفع العلاج وأقواه في معالجة هذا الأمر، روى البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شر البصر الذي يؤدي إطلاقه إلى كل شر، فروى البخاري في الأدب المفرد من حديث شكل بن حميد رضي عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاءً أنتفع به. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِّي»^(٢).

قوله: «وَبَصَرِي»: كي لا أنظر إلى محرم، وفي هذا الحديث الالتجاء إلى الله تعالى بالمعافاة من شر السمع والبصر واللسان والقلب، والمني؛ لأن هذه الحواس والأشياء خلقت للطاعة^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) (٦٦٣) واللفظ له، وأبو داود برقم (١٥٥١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٥).

(٣) الشرح الممتع (٤/٢٢).

الكلمة المئة وخمس وعشرون

تحريم حلق اللحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين حلق اللحية.

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جرير رضي عنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنِي: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ»، وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ^(٢).

وعملاً بهذا التوجيه النبوي الكريم كانت هذه الكلمة للتذكير بتحريم حلق اللحية.

واللحية اسم جامع للشعر النابت على العارضين والخدين والذقن، وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير من حلقها، أو أخذ جزء منها، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: أنه تغيير لخلق الله، قال تعالى حاكياً عن إبليس لعنه الله: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرْتَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

فالواجب على المسلم أن لا يتعرض لشيء مما خلقه الله بالتغيير، إلا ما أذن الشرع في أخذه، مثل شعر الرأس، والشارب، والإبطين، والأظافر، وغير ذلك مما أذن فيه الشرع، وإذا كانت المرأة التي تقوم بتنف الحاجبين، وتفليج الأسنان للحسن، قد لعنها رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشْمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» ما لي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله ^(١).

وعلة ذلك أنها غيرت خلق الله، مع أنه مباح لها الزينة، فالرجل من باب أولى، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٠] [الروم].

ثانياً: أن اللحية من سنن الفطرة، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة: أن النبي ﷺ قال: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ ... وذكر منها: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ» ^(٢).

ثالثاً: أن في حلقها مخالفة للأحاديث الصحيحة الموجبة لإعفائها، وهي كثيرة، ومقتضى الأمر الوجوب ما لم يأت صارف عن هذا الأمر، فدل على أن إعفاءها أمر واجب على كل مسلم، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١٢٥).

(٢) برقم (٢٦١).

تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن هذه الأحاديث ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْهَكُوا الشَّوَارِبَ - يعني: حُقُفُوا الشَّوَارِبَ -، وَأَعْفُوا اللَّحَى»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: عن النبي ﷺ: أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ^(٢)، وقد عد النووي الألفاظ التي وردت في اللحية، فبلغت خمسًا، وهي: أعفوا، وأرخوا، وأوفوا، وأرجوا، ووفروا، وهذه تدل على ترك اللحية وافرة، وعدم التعرض لها بشيء من الحلق أو التنف أو التقصير^(٣).

رابعًا: أن في حلقها تشبهاً بالمشركين والمجوس واليهود والنصارى، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديثه: أن النبي ﷺ قال: «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْحُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ»^(٥). وذلك أن المجوس يطيلون الشوارب، ويقصون اللحى، وبعضهم يحلقها تمامًا، فنهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم في هذا وذلك، وفي الحديث الذي رواه ابن

(١) البخاري برقم (٥٨٩٣)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٢) برقم (٢٥٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥١).

(٤) البخاري برقم (٥٨٩٢)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٥) برقم (٢٦٠).

جرير، وابن سعد في الطبقات في قصة رسولي كسرى حينما رأهما النبي ﷺ وقد حلق كل واحد منهما لحيته، ووفرا شاربيهما، فأعرض عنهما النبي ﷺ وقال: «وَيْلَكُمْ، مَنْ أَمَرَكُمْ بِهَذَا؟»، فقالا: أمرنا ربنا، يعينان كسرى، فقال لهما النبي ﷺ: «وَلَكِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعْفِيَ لِحْيَتِي، وَأَنْ أَقْصَّ شَارِبِي»^(١).

فإذا كان النبي ﷺ أنكر على هذين الرجلين، مع العلم بأنهما كافران من المجوس، فالمسلم من باب أولى.
إضافة إلى أن اللحية زينة وجمال للرجل.

خامساً: إن في حلقها مخالفة لسنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، والخلفاء الراشدين والصحابة من بعدهم، قال تعالى حاكياً عن هارون وهو يخاطب موسى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: إذا ضمت هذه الآية إلى آية الأنعام التي ذكر فيها ﷺ والأنبياء، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. دلت على لزوم إعفاء اللحية وهذا دليل من كتاب الله.

وإعفاء اللحية من السمات التي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمات الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والعجب من الذين مسخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفترون من صفات الذكور، وشرف الرجولة إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (١/٢/١٤٧)، وهو حسن انظر: تخريج فقه السيرة (ص ٣٥٩) للألباني، والعزوم منه.

بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء، حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى، وهو اللحية، وقد كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثَّ اللَّحِيَّةِ، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة، والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ليس فيهم حالق، نرجوا الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه^(١). اهـ.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحِيَّةِ^(٢)، وفي صحيح البخاري من حديث أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: «قُلْنَا لِحَبَّابٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِاضْطِرَابِ لِحِيَّتِهِ»^(٣)، وهذا دليل على أنه كان يعفيها ولا يأخذ منها شيئاً، وهكذا الصحابة جميعاً ولم يعرف حلق اللحية إلا في الأزمنة المتأخرة.

وبعض الناس يثير شبهة إذا نصحته بعدم حلق اللحية، فيقول: الإيمان بالقلب، وليست القضية تربية اللحية، فكم من إنسان حلق اللحية خدم الإسلام والمسلمين، وكم من إنسان أعفى لحيته وعليه من التقصير ما الله به عليم؟

فالجواب عن ذلك أن على المؤمن الالتزام بأوامر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣١) [آل عمران]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٤).

(١) أضواء البيان (٣/٦٤).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٣٤٤).

(٣) برقم (٧٤٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه شبهة باطلة، لو أخذنا بها لتركنا كثيرًا من الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع. ثم إن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، فلا يكفي التصديق بالقلب، بل لا بد من العمل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وست وعشرون

كلمة توجيهية للمرأة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمارة الأنصارية رضي الله عنها: أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (١).

وهذه بعض الوصايا التي أوصي بها أخواتي المسلمات، وأسأل الله أن ينفع بها، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

(١) برقم (٣٢١١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الوصية الأولى: التمسك بالتوحيد، والحذر من الشرك، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران عظيمان، وهما:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى (لا إله إلا الله) الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة السواء هي (لا إله إلا الله)، أي لا معبود بحق إلا الله، فلا دعاء ولا استغاثة، ولا ذبح، ولا نذر، ولا غير ذلك من العبادات إلا لله سبحانه، وهذه هي دعوة الرسل ﷺ.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعادة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والشرك محبط لجميع الأعمال، كبيرها وصغيرها، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، ولا فرضاً ولا نفلاً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴿الفرقان﴾ (١).

وإن مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعتر به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية، وغيرها من الوسائل من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر الحذر، وهذا هو الخطر الأول.

أما الخطر الثاني: فمما يلاحظ انتشار الكهانة والسحر، وكثرة المرتادين لهم بعذر التداوي ونحوه، ولا يجوز للمسلمة الذهاب إلى هؤلاء الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات، لتعرف منهم مرضها، كما لا يجوز لها أن تصدقهم فيما يخبرونها به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، روى مسلم في صحيحه من حديث صفية: عن بعض أزواج النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (٢).

وهناك الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد، والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلها.

الوصية الثانية: المحافظة على هذه الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿البقرة﴾ [٢٣٨].

(١) انظر: مجموعة التوحيد (ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) برقم (٢٢٣٠).

وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(١).

وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبُهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

واعلمي أختي المسلمة أنه لا يكتمل إسلام المرأة إلا بالقيام بأركان الإسلام الخمسة، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»^(٤).

الوصية الثالثة: التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (١٤٢٠)، قال أبو عمر النمري: لم يختلف عن مالك في إسناد هذا الحديث وهو صحيح ثابت، سنن أبي داود ص ١٧٢.

(٤) سبق تخريجه.

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١).

لذلك ينبغي للمرأة المسلمة أن تحرص على تعلم أمور دينها، كحضور الدروس والمحاضرات، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وقراءة الكتب النافعة، ومن أهمها حفظ كتاب الله، فهو رأس العلوم كلها، ومنبع الحكم، ورياض الصالحين، والعصمة من الضلال لمن تدبره وعمل به، تقول عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعَنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ» (٢).

الوصية الرابعة: تقوى الله ﷻ ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله وصية الله للأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يوصي أصحابه بتقوى الله، وفي حديث العرباض بن سارية: أن النبي ﷺ قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» (٣).

والحذر من المعاصي، كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، وأن يدخله مدخلًا كريمًا، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

الوصية الخامسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

(٣) سبق تخريجه.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتِنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب].

وهذا خطاب لنساء النبي ﷺ، صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مخاطبات بذلك. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

فعلى المرأة المسلمة أن تحرص على هذه الشعيرة العظيمة، خاصة في بيتها مع أولادها وأقاربها، وإذا رأت من أخواتها المسلمات تقصيراً في طاعة الله في صلاتهن أو صيامهن، أو حقوق أزواجهن، أو غير ذلك، فعليها أن تنصحن بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، مقتدية في ذلك بنساء الصحابة رضي الله عنهن.

الوصية السادسة: الاتصاف بصفة الحياء، قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى المرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

والملاحظ أن خلق الحياء أصبح ضعيفاً عند كثير من النساء، ومن صور ذلك خروج المرأة مع السائق بمفردها، أو لبس النقاب الذي يوضع على منتصف الأنف، فيستر ما تحت ذلك، ويظهر العينين والجبهة، أو لبس البنطال أمام النساء، أو وضع العباءة على الكتف، أو لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة، أو العارية. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ... وذكر أحدهما: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِذْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ

مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا»^(١).

فعلى المرأة المسلمة أن تنتبه لما يريده أعداء الله، فهم يريدون انحلالها، وأن تصبح سلعة رخيصة بأيديهم، ويريدون سلبها من إيمانها ودينها، وخروجها عن فطرتها التي فطرها الله عليها، فعليها أن تكون على حذر من ذلك.

الوصية السابعة: الإكثار من الصدقة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١١٤) [النساء].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾^(٣٩) [سبأ].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ وعظ النساء، وقال: «أَكْثَرُنَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ كُنَّ حَطْبُ جَهَنَّمَ»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسله، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة، ويحث عليها، ويدعو إليها بماله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر. اهـ^(٣).

ومن أفضل أنواع الصدقة التي تستمر للعبد بعد وفاته الصدقة

(٢) برقم (١٨٥).

(١) برقم (٢١٢٨).

(٣) زاد المعاد (٢١/٢ - ٢٢) بتصرف.

الجارية، كحفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين، ونحو ذلك.

الوصية الثامنة: الابتعاد عن رفيقات السوء، فقد أخبر تعالى أن الإنسان يندم يوم القيامة على مصاحبته للجلسيس السوء الذي أضله وأبعده عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) ﴿ يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿ (٣٠) ﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧) [الزحرف].

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

وكم من فتاة فشلت في دراستها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة انتهك عرضها، وخسرت كرامتها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة وقعت في المخدرات والمسكرات، وما ترتب على ذلك من مآسي كثيرة بسبب ذلك.

لذلك أوصي أخواتي المسلمات بالحرص على الرفقة الصالحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨).

الكلمة المئة وسبع وعشرون

خطر التلفاز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا هذا اليوم عن فتنة دخلت كل بيت إلا من رحم الله؛ إنه التلفاز، ولعل الكلام فيه يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية فيه.

ثانياً: أقوال العلماء فيه.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: الحل.

فمن تلك المخالفات الشرعية: ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب بهم، والميل إليهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ أَوْلَيْتِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿المجادلة﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصور كريهة، كوضع اللحية على رجل ناقص العقل، وتشويه صورة الحجاب، ولمز الصالحين وأهل الخير، ونحو ذلك مما فيه استهزاء بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة].

ومنها: ما يسمى بأفلام الكرتون، وتعرض هذه الأفلام بطريقة خبيثة يتلقى فيها الأطفال ما يخالف العقيدة الإسلامية، والآداب الفاضلة، من الكفر والضلال والعشق، فقد ذكرت الأخت طيبة الياحي في كتابها «بصمات على ولدي»، بعد مشاهدتها لعدد من برامج الأطفال ما خلاصته: «أن هذه البرامج تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة، مثل صور الصليب، والتبرج، والاختلاط، وسماع الموسيقى، وشرب الدخان»، وفيها يقول أحدهم وهو يخاطب زميله: كما كنت حين صنعتك، وكأنه الخالق الذي يخلق البشر، وقول آخر: «إن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية»، وهذا كفر، فنظام من ذلك الذي يسيطر على كل المجرات تلك السيطرة إلا ناموس الخالق جل وعلا. وينبغي على الآباء أن يعلموا الأبناء أن أكثر برامج التلفاز،

(١) سبق تخريجه.

وخاصة المسلسلات والأفلام، وحتى الكارتونية منها مصدرها الدول الأجنبية (الكافرة) المعادية للإسلام والمسلمين، والتي لا شيء أحب إلى قلبها من إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم وخلقهم وتراثهم الخير، حتى يبقوا دائماً وأبداً تحت سيطرتهم، مع إعلامهم أن اليهودية العالمية هي التي تسيطر على جميع وسائل الإعلام، والوكالات في الغرب، لذلك لا تقدم لنا إلا الشر بأثواب براءة خداعة^(١).

وغير ذلك من المخالفات الكثيرة، مما يقدر في عقيدة الطفل وسلوكه وأخلاقه.

ومن المخالفات الشرعية الأخرى تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء، على أنه أمر عادي لا حرمة فيه عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُؤُا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»^(٢).

فكيف بمن يتعمد النظر إلى النساء العاريات وهن بكامل زينتهن على شاشة التلفاز، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل

(١) انظر: (ص ٥٧، ٦٧، ٨١). من كتاب الأخت طيبة يحيى.

(٢) سبق تخريجه.

زيبتهم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود على أنه الغناء.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١).

أقوال العلماء فيه: سئل المشايخ عبد الله بن حميد، وعبد العزيز ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله عن التلفاز، هل هو حرام أو حلال؟ فأجابوا بأن التلفاز آلة لا نستطيع أن نحرمها، تستخدم للخير أو الشر، فإن استخدم التلفاز في محرم، مثل الغناء الماجن، وإظهار صور فاتنة، وتمثيلات هابطة، فيها كذب وخيانات زوجية، واختلاط بين الرجال والنساء، ومسلسلات بوليسية إجرامية، فإنه حرام، وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن، وإبانة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك جائز، وإن تساوى الأمران، أو غلب جانب الشر كما هو الحال الآن، فهو حرام^(٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التلفاز، فقالوا: إنه آلة تستخدم للخير والشر، بحسب الحال التي تستخدم فيه، ولكن الأحوط ترك إدخاله، لأنه

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: رسالة الجواب المفيد في حكم التصوير، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، وبها ملحق عن حكم التلفاز.

قد يكون وسيلة إلى سماع ما يحرم، وذريعة إلى رؤية ما تنشأ منه فتنة من الصور العارية، وحرکاتها الفاتنة^(١).

شبهات والجواب عنها:

قد يقول قائل: ما هو البديل للتلفاز؟

وهذا هو الخطأ الفادح، وهو مطالبة المسلم دائماً بالبدايل في كل شيء منع منه، وحرم عليه، مع أن الواجب على المسلم أن يقول: سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].

والبدائل كثيرة، منها: حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو المحاضرات القيمة التي تقام في المساجد أو المؤسسات الخيرية، أو شراء الكتب النافعة، أو الأشرطة المفيدة، أو المسابقات الثقافية، وغير ذلك من البدائل التي لا تخفى على الجميع.

ومن الشبهات كذلك: قول بعضهم: إنه يشاهد في هذا التلفاز الصلاة في الحرم المكي، والبرامج الدينية، والأخبار، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم، وأفضل منه، وقد نصح الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها.

ومنها قول بعضهم: أعلم أن التلفزيون بوضعه الحالي لا يجوز بقاءه في بيتي، ولكن إذا لم أحضره للأولاد ذهبوا يشاهدونه عند الجيران، أو في أماكن أخرى، فيقال:

أولاً: إن المنكر لا يزال بمنكر مثله، بل ينبغي أن تبين لهم أن

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦ / ٢٧١ - ٢٧٢) رقم (٢١٣٣).

المشاهدة لتلك البرامج حرام هنا وعند الجيران.

ثانيًا: المنكر المترتب على اقتناء التلفزيون في البيت أعظم من المنكر المترتب على ذهابهم للمشاهدة عند الجيران؛ لأن ذهابهم عند الجيران سيقصر على أوقات محدودة، أما وجوده في البيت فسوف يسهل لهم رؤية المنكرات في كل وقت.

أخيرًا: تذكر يا عبد الله أن الموت قد يأتيك بغتة، وهذا الجهاز في بيتك، واسمع إلى هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِّعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

الكلمة المئة وثمان وعشرون

ذم الترف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [١١] ﴿ [الإسراء].

المترف: هو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، والمعنى أن الله تعالى أمر هؤلاء المترفين بطاعته فلم يمتثلوا أمره، بل فسقوا وأفسدوا، فحق عليهم العذاب والدمار، وقد أخبر ﷺ عن حال هؤلاء المترفين، وأنهم أتتهم آيات الله ونذره فأعرضوا عنها واستكبروا عليها، فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقد أخبر ﷺ أن الترف من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة] ﴿ أي منعمين مقبلين على الشهوات والملذات، وقد بين سبحانه أن عاقبة الترف وخيمة في الدنيا والآخرة، فقال عن نبيه صالح، وهو يخاطب قومه ثمود، وكانوا عرباً

يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة، وتسمى الآن مدائن صالح: ﴿ أَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُمُورٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ إلى أن قال ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الشعراء]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى واعظًا لهم، ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزرع والثمرات، ولهذا قال: ﴿ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴾ قال: إذا رطب واسترخى، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين، قال ابن عباس وغير واحد: حاذقين، وفي رواية عنه: شرهين أشرين، وهو اختيار مجاهد وجماعة، ولا منافاة بينهم، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. اهـ^(١).

الشاهد أنهم كانوا يعيشون حياة الترف، فكذبوا رسولهم، فكان عاقبتهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن المترفين في الدنيا ينسون ما كانوا فيه من النعيم في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٦٢ - ٣٦٣).

رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

ولقد كان نبينا محمد ﷺ من أبعد الناس عن الترف، روى البخاري ومسلم من حديث عمر رضي عنه: أنه أتى النبي ﷺ، فراه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٢).

ومن مظاهر هذا الترف في وقتنا الحاضر: الإغراق في الكماليات بشكل عجيب، فعلى سبيل المثال بعض الأسر تغير أثاث المنزل بشكل سنوي حتى لو كان بحالة جيدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها قيام بعض الأسر بشراء المأكولات والمشروبات بشكل يومي من المطاعم الغالية الثمن من غير حاجة إلى ذلك.

ومنها أن بعض النساء تقوم بتغيير ملابسها بشكل مستمر في كل مناسبة أو عرس، حتى لو كان هذا الثوب لم يستعمل إلا مرة واحدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها سفر بعض الناس للسياحة سنويا، ويدفعون في ذلك المبالغ الطائلة حتى لو كانت هذه المبالغ بالدين، وغير ذلك من مظاهر الترف.

ومن المفاسد التي تنتج عن الترف:

(١) برقم (٢٨٠٧).

(٢) البخاري برقم (٤٩١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٩).

أولاً: الأمراض الكثيرة في وقتنا الحاضر، كمرض السمنة، وأمراض القلب، والجلطات، وغيرها.

ثانياً: أنه يؤدي إلى الكسل، والراحة، والتعلق بالدنيا، مما يسهل على الأعداء تسلط على الأمة، وإفساد عقيدتها، ونهب خيراتها، وثرواتها، وأمة الإسلام ينبغي أن تكون أمة مجاهدة قوية تعد نفسها للدعوة إلى الله ونشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ولا يكون هذا إلا بالعمل الجاد، وليس بالترف والراحة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ثالثاً: أنه يؤدي إلى ضياع ثروات الأمة، ومقدراتها، فيما لا فائدة فيه، والأمة بأمس الحاجة إلى استغلال هذه الثروات، في بناء قوتها الاقتصادية، والعسكرية لتأخذ مكانتها بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعاً: أن الترف يؤدي إلى ضعف الأمة، وحاجتها إلى مساعدة الآخرين، وعدم اعتمادها على شبابها ومقدراتها، وهذا يؤدي بدوره إلى تسلط الأعداء عليها، ونهب خيراتها، وإفساد دينها، وغير ذلك من المفساد.

وهذا كله فيما إذا كان الترف مقتصرًا على التوسع والانبساط في المباح، فأما إذا تجاوز ذلك إلى الشهوات المحرمة فإن الأمر يكون قد وصل إلى مرحلة الخطر، ومنذر بالهلاك والدمار، كما مر في الآيات السابقة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة المئة وتسع وعشرون

أخطاء في الطهارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الطهارة شرط من شروط الصلاة، التي لا تقبل إلا بها، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضيما الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين تتعلق بالطهارة، أحسبت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

أولاً: أن بعض الناس، أو كثير منهم يعبدون الله على جهل، فيقعون في أخطاء فاحشة، في الطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات، بل قد يتعدى ذلك إلى الخطأ في أمور في التوحيد والأيمان، وللأسف قد يكون بعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم من المثقفين، غير أن ثقافتهم ثقافة ضحلة لا تتعدى الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية، والواجب على المسلم أن يعرف دينه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) برقم (٢٢٤).

(٢) البخاري برقم (١٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٥).

ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه من ذلك، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ (٤٤) [النحل].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (١).

وروى البخاري من حديث جابر: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (٢)، وكان يقول في حجته فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (٣)، وقد يبلغ الأمر ببعض الناس إلى الإعراض عن تعلم الدين، وفي هذا خطر عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسئُ﴾ (١٢٦) [طه].

ثانياً: من الأخطاء ما يتعلق بالوضوء، فمن ذلك ترك إسباغ الوضوء، ومعنى الإسباغ إعطاء كل موضع من مواضع الوضوء حقه، وعلى المصلي أن ينتبه عند الوضوء إذا كان في يده ساعة أو خاتم أو غير ذلك، فلا بد أن يصل الماء إلى العضو، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ» (٤).

والعقب هو مؤخر القدم، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧/٢) برقم (٣٩١٤).

(٢) برقم (٦٣١).

(٣) برقم (١٢٩٧).

(٤) برقم (٢٤١).

جابر رضي الله عنه، قال: أَخْبَرَنِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُنْفَرٍ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ» فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى (١).

ومنها: عدم إكمال غسل اليدين إلى المرفقين، والواجب عليه غسل يديه كلها من أطراف الأصابع إلى المرافق؛ لأن الكفين داخلان في مسمى اليد، وقد نبه على ذلك بعض أهل العلم من المعاصرين.

قال الشيخ ابن عثيمين وهو يتحدث عن صفة الوضوء: وغسل اليدين إلى المرافق من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ويجب أن يلاحظ المتوضىء كفيه عند غسل ذراعيه، فيغسلهما مع الذراعين، فإن بعض الناس يغفل عن ذلك، ولا يغسل إلا ذراعيه، وهو خطأ (٢).

ومنها: أن بعضهم عند غسل الوجه لا يغسل صفحة وجهه كاملة، بل تبقى أجزاء من الوجه، جهة الأذنين لم يمسه الماء، والصحيح أن حدود الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحيين والذقن طولاً، وعرضاً إلى أصول الأذنين.

ومنها: أن بعضهم يكتفي بمسح مقدم رأسه، أو يمسخ إلى منتصف الرأس، والصحيح أن عليه أن يمسخ جميع الرأس، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم قال: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ (٣).

(١) برقم (٢٤٣).

(٢) انظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٥٢/٢).

(٣) البخاري برقم (١٨٥)، ومسلم برقم (٢٣٥).

ومنها: عدم تخليل أصابع اليدين والرجلين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ^(١).

وروى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلَّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ»^(٢).

ومنها: الإسراف في الماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ^(٣).

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات، روى النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٤٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠/١) برقم (١٣٤).
 (٢) برقم (٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٤/١) برقم (٣٦).
 (٣) البخاري برقم (٢٠١)، ومسلم برقم (٣٢٥).
 (٤) برقم (١٤٠) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

الكلمة المئة وثلاثون

أخطاء في الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ، وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة، فمن ذلك:

أولاً: عدم إقامة الصلب في الركوع أو السجود، روى النسائي في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي مسعود رضي عنه: أن

(٢) سبق تخريجه.

(١) برقم (٦٣١).

النبي ﷺ قال: «لَا تُجْزِيُ صَلَاةً لِأَحَدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(١).

وقد جعل الرسول ﷺ لص الصلاة وسارقها شرًّا من لص الأموال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(٢).

أما الركوع فإن بعض الناس يخفض ظهره أكثر من اللازم، أو يرفعه، وهذا خطأ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا رَكَعَ بَسَطَ ظَهْرَهُ وَسَوَّاهُ^(٣)، حَتَّى لَوْ صَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِ لَأَسْتَقَرَّ^(٤).

وروى النسائي من حديث أبي حميد قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اعْتَدَلَ، فَلَمْ يَنْصِبْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُقْنِعْهُ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ^(٥).

وأما السجود فإن بعض المصلين إذا سجد لا يمكن جبهته من الأرض، وبعضهم يرفع قدميه عن الأرض، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ،

(١) سنن النسائي برقم (١٠٢٧) ومسنند الإمام أحمد (٣٢٩/٢٨) برقم (١٧١٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) (٣١٩/٣٧) برقم (٢٢٦٤٢) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٢٨).

(٤) سنن ابن ماجه برقم (٨٧٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٤/١) برقم (٧١٢).

(٥) برقم (١٠٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٢٤/١) برقم (٩٩٤).

وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ»^(١).

وهذا الحديث يدل على أن أعضاء السجود سبعة، وأنه ينبغي للمصلي أن يسجد عليها كلها.

ومنها: عدم الطمأنينة في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة، لا تصح بدونه، روى البخاري في صحيحه من حديث زيد بن وهب قال: رَأَى حُدَيْفَةَ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: مَا صَلَّيْتُ، وَلَوْ مَتَّ مَتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا^(٢).

وفي هذا دليل على وجوب الطمأنينة في الركوع والسجود، وأن الإخلال بها مبطل للصلاة؛ لأنه قال له: ما صليت، وهو نظير قوله ﷺ للمسيء صلته في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلي، فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فرجع يصلي كما صلي، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني! فقال: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»^(٣).

ومنها: مسابقة الإمام، وقد جاء النهي الصريح من النبي ﷺ

(١) البخاري برقم (٨١٢)، ومسلم برقم (٤٩٠).

(٢) برقم (٧٩١).

(٣) البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

عن ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِّنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعُ سُجُودًا بَعْدَهُ^(٣).

ومنها: أن بعضهم إذا سلم الإمام التسليمة الأولى، وعليه قضاء بعض الركعات لا ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية، وإنما يقوم مباشرة ليكمل ما تبقى من الركعات، وهذا خطأ. والأولى أن ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية^(٤).

ومنها: الصلاة بثياب مسبلة، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من

(١) برقم (٤٢٦).

(٢) البخاري برقم (٦٩١)، ومسلم برقم (٤٢٧) واللفظ له.

(٣) برقم (٦٩٠).

(٤) خروجًا من خلاف من يرى ركنيتها، وعليه يحكم بطلان صلاته.

حديث أبي ذر رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يُرْزِقُهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتْهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»^(٢).

وبعض أهل العلم يُشدد في الأمر إذا كان الإسبال في الصلاة؛ لأن من شروط الصلاة ستر العورة، والذي يصلي في الثياب المسبلة قد ستر عورته بثياب محرمة، ولذلك فإن صلاته في خطر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٠٦).

(٢) برقم (٥٧٨٧).

الكلمة المئة وإحدى وثلاثون

خطر النفاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم الذنوب عند الله تعالى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والنفاق ينقسم إلى قسمين: اعتقادي وعملي، فأما الاعتقادي فهو على ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر، كافر الباطن. أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة، كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوراً، وأما كفره باطناً فما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وهذا الصنف من الناس هم أشد أعداء الله ورسوله، ولهذا كان جزاؤهم أعظم من جزاء الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) [النساء].

وقال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨٤) [التوبة].

وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ووصفهم بأنهم كذابون يصدون عن سبيل الله، وأنهم يستكبرون، كما وصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، ولا يعقلون. ومن أبرز سماتهم - قاتلهم الله - موالاتهم للكفار، وعقدهم اللقاءات معهم في العلن تارة، وفي السر تارات، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا لِلْكَافِرِ﴾ (٥٢) [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) [محمد].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تعليقه على الآية الكريمة: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ...﴾: هم المنافقون، يعتذرون عن موالاته الكفار من اليهود بأنهم يخشون أن تدور عليهم الدوائر، أي دول الدهر الدائرة من قوم إلى

قوم، كما قال الشاعر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَىٰ أَنَسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِأَخْرِينَا
يعنون إما بقحط فلا يميروننا، ولا يتفضلون علينا، وإما بظفر
الكفار بالمسلمين، فلا يدوم الأمر للنبي ﷺ وأصحابه، زعمًا منهم أنهم
عند تقلب الدهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين على
صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمل الصديق من صديقه، وأن المسلمين
يتعجبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم إنهم لمع المسلمين،
وبين في هذه الآية أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة
اليهود، أنها لا تدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور على المسلمين،
بقوله: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِيهِ
أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ [المائدة].

وعسى من الله نافذة؛ لأنه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلا فيما
يعطي، والفتح المذكور قيل هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل
الفتح الحكم، كقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ
﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف].

وعليه فهو حكم الله، بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم،
وإجلاء بني النضير، وقيل: هو فتح مكة، وهو راجع إلى الأول^(١).

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا
بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ [محمد] قال بعض
العلماء: إنها نزلت في المنافقين، وقال بعضهم: إنها نزلت في اليهود،
وإن المنافقين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم

(١) انظر: أضواء البيان (١/٣١٤).

في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ، والتشيط عن الجهاد، ونحو ذلك. والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله (١).

القسم الثاني: النفاق العملي، وهو خمسة أنواع:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، وقال مسلم في صحيحه: «إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» مكان «إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ» (٢).

وقد ذكر ابن رجب أن من النفاق العملي أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويطن ما يخالف ذلك (٣).

ولقد كان الصحابة رضي عنهم لسعة علمهم، وعميق إيمانهم، يخشون على أنفسهم من النفاق، قال البخاري رحمته الله في صحيحه، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذَّبًا». وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانٍ جَبْرِيَلٍ وَمِيكَائِيلَ»، وَيَذَكُرُ عَنِ الْحَسَنِ رحمته الله أَنَّهُ قَالَ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمَنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا يُحَدِّرُ مِنَ الْإِضْرَارِ عَلَى النَّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ

(١) انظر: أضواء البيان (٥/١٤٨).

(٢) البخاري برقم (٣٤)، ومسلم برقم (٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١).

يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [آل عمران: ١٣٥] (١).

وروي عن الحسن أنه كان يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو: ما مضى مؤمن قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. اهـ (٢).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة: أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟ قال: لا ولا أزكي أحداً بعدك (٣).

فعمر رضي الله عنه لم يقل ذلك رياءً، ولكن العبد كلما ازداد علماً زاد خوفه من ربه، والصحابة لعظم خوفهم من ربهم، وسعة علمهم لم يكونوا يحتقرون الذنوب، بل كانوا يستعظمونها، ويخافون عواقبها، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» (٤).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْني بِذَلِكَ الْمُهْلَكَاتِ.

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه: قال أناس لابن عمر: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ

(١) صحيح البخاري، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩١)، وانظر: رسالة الشيخ عبد الرحيم المالكي (النصيحة والتحذير من الوقوع في الخطر الكبير) (ص ١٢ - ١٦).

(٤) برقم (٦٤٩٢).

إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»^(١).

وإن من صور النفاق ما يطالب به بعض الناس الذين هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويدعون أنهم يريدون إصلاح المجتمع، ونفع الأمة، ويرددونه بين الفينة والأخرى من هتك للحجاب، والدعوة للتبرج والسفور واختلاط الشباب بالفتيات في الأعمال، ومقاعد الدراسة، وأن في قوامة الرجل على المرأة كبتاً لحريتها، فيطالبون بالمساواة، زعمًا منهم أن فيها إنصافاً وعدلاً بينها وبين الرجل، وإلى نشر الموسيقى في المدارس والمراحل التعليمية الأخرى، وإلى تقليص المواد الدينية، وتخفيضها، وإلى قيادة المرأة للسيارة.

ومن صورهِ كذلك مطالبتهم للناس بالاعتماد على البنوك الربوية في بيعهم وشرائهم، وقروضهم، وسائر شؤونهم، وأن ما تأخذه البنوك من فوائد إنما هو لمصلحة المجتمع، ويدعم اقتصاده، وينشرون هذا عبر الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^(١٢) [البقرة].

إلى غير ذلك من المطالب والأساليب الماكرة التي يخططون لها ليلاً ونهاراً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنان وثلاثون

الظلم وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الذنوب العظيمة التي حرّمها الله على عباده، ورتب عليها العقوبة في الدنيا والآخرة الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].
وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عليه السلام أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١).

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظلم العبد نفسه بالكفر والشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن

مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ: ﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١).

فهذا النوع من الظلم لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه، بل هو ملعون مطرود من رحمة الله في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

القسم الثاني: ظلم بين العبد وبين الناس، وله صور كثيرة منها: أكل أموال الناس بالباطل ظلماً وعدواناً، مثل أكل مال اليتيم، أو عدم إعطاء العمال رواتبهم، أو بخسها، أو السرقة، أو الغش، أو الربا، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ومنها الاعتداء على أراضي المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣).

ومعنى طوقه: أي يجعل طوقاً في عنقه، يحمله، لا من أرض واحدة، بل من السبع الأرضين، نسأل الله العافية.

ومنها ظلم الناس بالقتل والسجن والضرب والشتم والتعذيب،

(١) البخاري برقم (٣٢) ومسلم برقم (١٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٨) من حديث ابن عمر.

(٣) البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ...»^(١).

وما يفعله اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة، بإخواننا المسلمين في فلسطين من قتل وتشريد وانتهاك للحرمات لهو من أعظم الظلم وأشنعها، ولا غرابة في ذلك، فهم قتلة الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١٨١) [آل عمران].

ومنها: اتهام الآخرين ورميهم بما ليس فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(١١٢) [النساء].

ومنها: مطل الغني، أي منع قضاء ما استحق أداءه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٢).

فمن كان مديوناً لرجل، واستطاع السداد فلا يجوز المماطلة؛ لأن هذا من الظلم.

ومنها: ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، أو الاستيلاء على مالها، وغير ذلك من الأحوال، فمن وقع في شيء من الظلم فليسارع بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولا يغتر بامهال الله له، فإنه يمهل ولا يهمل.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»

(١) برقم (٢١٢٨).

(٢) البخاري برقم (٢٢٨٧)، ومسلم برقم (١٥٦٤).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَىٰ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ ﷻ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» (٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةَ، وَعَاقِبَةَ العَدْلِ كَرِيمَةَ، وَيُرَوَّى أَنَّ اللهَ يَنْصُرُ الدُّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَنْصُرُ الدُّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً» (٣).

ودعوة المظلوم مستجابة كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٤).

قال الشاعر:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمْ

ونحن نرى في هذه الأيام تساقط هؤلاء الظلمة الطغاة واحداً تلو الآخر، قد ذهب عزمهم، وزال سلطانهم، وأصبحوا في حالة يرثى

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

(٢) سبق تخريجه. (٣) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).

(٤) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققو المسند: حديث صحيح

لها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر].

القسم الثالث: ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص].

وهذا النوع من الظلم - وهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب التي دون الشرك - فإن صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وستره.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

ويجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين، وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة، حيث لا درهم ولا دينار،

(١) البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

وإنما هي الحسنات والسيئات.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثلاث وثلاثون

تحريم الإسبال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَّاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيْشًا وَليَّاسُ النَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ ذَلِكْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف].

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده لستر العورات، ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد جاءت الشريعة بأحكامه مفصلة، مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس، والمحرم والمكروه والمباح مقداراً وكيفية.

ومما وردت به تحريم ما نزل عن الكعبين من كل ما يلبس من إزار أو ثوب أو بشت أو سروال أو بنطال إلى غير ذلك، مما يلبسه الرجال، فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(١)، وأحاديث النهي عن الإسبال بلغت مبلغ التواتر المعنوي في الصحاح والسنن والمسانيد، وغيرها، برواية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود،

(١) برقم (٤٠٩٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٧١ / ٢) برقم (٣٤٥٠).

وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم، وجميعها تفيد النهي الصريح، نهى التحريم، لما فيها من الوعيد الشديد، ومعلوم أن كل متوعد عليه بعقاب من النار، أو غضب، أو نحوها، فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يقبل النسخ، ولا يُرفع حكمه، بل هو من الأحكام الشرعية المؤبدة في التحريم.

والإسبال فيه عدة محاذير:

أولاً: مخالفة السنة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عِضْلَةِ سَاقَيْهِ»^(١)، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، ثُمَّ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ»^(٢) و في رواية أخرى: «فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ»^(٣)، والكعبان هما العظامان الناتئان في جانبي مفصل الساق من القدم.

ثانياً: الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»^(٤).

ثالثاً: أنه من الخيلاء التي تورث في النفس العجب، والترفع، والكبر، ونسيان نعمة الله على عبده، وكل هذا من موجبات مقت الله للمسبل، ومقت الناس له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

(١) وعضلة الساقين هي حد أعلى من أنصاف الساقين بقليل.

(٢) (٢٤٧/١٣) برقم (٧٨٥٧) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٧٨٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٥٧٨٧).

رابعاً: التشبه بالنساء، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(١).

خامساً: تعريض الملبوس للنجاسة والقذر، والمؤمن مأمور باجتنب النجاسات، والبعد عنها، قال تعالى: ﴿وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ﴾^(٢) [المدثر]. ولهذا أمر عمر رضي الله عنه الرجل الذي زاره وهو على فراش الموت برفع إزاره، وقال له: هُوَ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَنْقَى لِرَبِّكَ^(٣).

سادساً: تعريض عبادته لعدم القبول، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءَ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»^(٣)^(٤).

(١) برقم (٥٨٨٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠) باب قصة البيعة - مقتل عمر بن الخطاب.

(٣) قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: أي في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة، وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال، ولا له احترام عند الله تعالى. عون المعبود (٢٤٠/٢).

(٤) برقم (٦٣٧). قال أبو داود: روى هذا جماعة عن عاصم موقوفاً على ابن مسعود، منهم: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو الأحوص، وأبو معاوية، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦) برقم (٥٩٥). وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره إذ قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ، ثم سكت عنه؟ فقال: إنه كان يصلي وهو مسبلاً إزاره، وإن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبلاً إزاره)، قال المنذري في مختصره: في إسناده أبو جعفر، وهو رجل من أهل المدينة لا يعرف اسمه، قال النووي في رياض الصالحين بعد إيراده لهذا الحديث: رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم، (ص ٢٥٩) برقم (٧٩٧).

سابعًا: إن الإسبال من الكبائر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ^(١)»، قَالَ الشيخ بكر أبو زيد: «فلهذه الوجوه السابقة^(٢)، ورد النهي مطلقًا عن الإسبال في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين إن كان لخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرم مذموم»، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر مرفوعًا: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٣).

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس ذلك، إضافة إلى أن النبي ﷺ أنكر على المسبل إسباله دون النظر في قصده الخيلاء أم لا، فقد أنكر على ابن عمر، وجابر بن سليم، وعلى عمرو الأنصاري، فرفعوا أزرهم إلى أنصاف سوقهم، وهذا يدل بوضوح على أن الوصف بالخيلاء، وتقييد النهي به في بعض الأحاديث إنما خرج مخرج الغالب، والقييد إذا خرج مخرج الأغلب، فإنه لا مفهوم له عند عامة الأصوليين كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ويستثنى من هذا

(١) برقم (١٠٦).

(٢) ما تقدم مأخوذ من رسالة (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) للشيخ بكر أبو زيد (بتصرف).

(٣) (٢٣٨/٣٤) برقم (٢٠٦٣٥) وقال محققوه: حديث صحيح.

الأصل ثلاث حالات:

الحالة الأولى: من لم يقصد الإسبال لعارض من نسيان أو استرخاء مع تعاهد له برفعه، كما جاء في حديث أبي بكر المشهور.

الحالة الثانية: من أسبل لمرض في قدميه، وللضرورة أحكامها.

الحالة الثالثة: النساء فقد رخص النبي ﷺ لهن بإرخاء ذيول ثيابهن لستر القدمين، وهما من عورة النساء^(١).

ومما سبق يتبين أن الإسبال في حق الرجال منهي عنه مطلقاً، وأنه في ذاته خيلاء، وإن المسبل مرتكب لمحرم وكبيرة من كبائر الذنوب، معرض نفسه لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن النسائي برقم (٥٣٣٦) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٨٠) برقم (٤٩٢٩).

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر أبو زيد (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) (ص ٢٢ - ٢٤) (بتصرف).

الكلمة المئة وأربع وثلاثون

فوائد من حديث خبيب بن عدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذَكُرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَنفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِثِّي رَجُلٌ، كُلُّهُمْ رَامَ، فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كَلَّهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَشْرَبُ، فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَّؤُوا إِلَى فَدْفِدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. فَقَالَ عَاصِمٌ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخِيرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ، وَابْنُ دَثَنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أوتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبَكُمْ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لِأَسْوَأَ، يُرِيدُ الْقَتْلَى، وَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبِ وَابْنِ دَثَنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقِيعةِ بَدْرٍ، فَأَبْتَعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ

ابن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحذ بها، فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذيه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك .

والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده، وإته لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إته لرزق من الله رزقه خبيبا، فلما خر جوا من الحرم ليقتلوه في الجلل، قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لظولتها، اللهم أحصهم عدداً:

ولست أبا لي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممرع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدرُوا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً^(١).

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة، ذكر كثيراً منها الحافظ ابن

حجر في كتابه فتح الباري^(١).

أولاً: جاء في الحديث أن عاصم بن ثابت قد قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، قال ابن حجر: لعله عقبة بن أبي معيط، وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسّه مشرك ولا يمس مشرکًا أبدًا»، وفي رواية أنه قال: «إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي»، فأرسل الله هذه الزنابير أو النحل فحمته من المشركين. قال عمر رضي الله عنه لما بلغه خبره: «يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته».

ثانيًا: أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالعزيمة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

ثالثًا: الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله.

رابعًا: الدعاء على المشركين بالعموم، والصلاة عند القتل، وفي الحديث أن خبيب بن عدي أول من سنَّ صلاة الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ.

خامسًا: فيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل، ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه.

سادسًا: أن الله تعالى يبتلي عبده المسلم بما شاء، كما سبق في علمه ليشيه، ولو شاء ربك ما فعلوه، قال تعالى: ﴿الْمَ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت].

سابعًا: فيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حيًا وميتًا، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه .

ثامنًا: فيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

تاسعًا: فيه أن الغدر والخيانة من صفات الكفار، فقد قتلوا عبد الله بن طارق، وباعوا زيدًا وخبيبا على قريش، من أجل دراهم معدودة.

عاشرًا: كرامة الله لأولياءه في الدنيا والآخرة، فإن خبيبا قد رزقه الله العنب وما بمكة من ثمرة، وهو موثق بالحديد عند عدوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق].

وغير ذلك من الفوائد والعبر عند التأمل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وخمس وثلاثون

تحريم التصوير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فمن المنكرات التي انتشرت بين الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين التصوير، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح، آدميًا كان أو غيره، وهتك الستور التي فيها الصور، والأمر بطمس الصور، ولعن المصورين، وبيان أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي زرعة قال: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مَصُورًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»^(١).

وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٣).

(١) البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم برقم (٢١١١).

(٢) البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٣) البخاري برقم (٥٩٥١)، ومسلم برقم (٢١٠٨).

وفي الصحيحين من حديث القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةَ فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعَدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْهِيَاجِ الْأَسَدِيِّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَا تَدَعُ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وهذه الأحاديث وما في معناها دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهي لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل ولا غيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره، بل لعن المصور وأخبر أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك، ولم يستثن شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) البخاري برقم (٥٩٦١)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) برقم (٩٦٩).

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] (١).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ولا يجوز للمسلم أن يقتني الصور في بيته، ولا يحتفظ بها، إلا الصور الضرورية التي يحتاجها، كصورة حفيظة النفوس، وجواز السفر، وإثبات الشخصية، فهذه أصبحت ضرورية، وهي لا تتخذ من باب محبة التصوير، وإنما تتخذ للضرورة والحاجة، أما ما عدا ذلك من الصور فلا يجوز الاحتفاظ بها للذكريات، ولا الاطلاع عليها، وما أشبه ذلك، ويجب على الإنسان أن يتلف الصور، وأن يخلي بيته منها مهما أمكنه ذلك، وإذا كان في منزله صور معلقة على الحيطان، أو منصوبة، سواء كانت تماثيل أو كانت رسوماً على أوراق من صور ذوات الأرواح، كالبهائم والطيور والأدميين، وكل ما فيه روح، فإنه يجب إزالته، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى سترًا وضعت عائشة على الجدار فيه تصاوير. اهـ (٢).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني وهو يرد على من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير باليد: وقريب من هذا تفريق بعضهم بين الرسم باليد، وبين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان! وليس من عمله فيه إلا إمساك الظل فقط، كذا زعموا، أما ذلك الجهد الجبار الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى استطاع أن يصور في لحظة ما لا يستطيعه بدونها في ساعات فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء! وكذلك توجيه المصور للآلة وتسديدها نحو الهدف المراد تصويره، وقبيل ذلك تركيب ما يسمونه بالفلم، ثم بعد ذلك تحميضه، وغير ذلك

(١) رسالة للشيخ بعنوان (الجواب المفيد في حكم التصوير) (ص ١٣).

(٢) فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٣).

مما لا أعرفه، فهذا أيضًا ليس من عمل الإنسان عند أولئك أيضًا! (١)

سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن عرض الصور الكبيرة والصغيرة في المحلات التجارية وهي صور إما لممثلين عالميين أو أناس مشهورين وذلك للتعريف بنوع أو أصناف من البضائع كالعطورات وغيرها. وقال السائل: عند إنكارنا على أصحاب المحلات يجيبون بأنهم اطلعوا على فتوى لفضيلتكم بأن التصوير المجسم هو الحرام وغير ذلك فلا؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: من نسب إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواء كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعة والرخصة والله الموفق (٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التصوير الذي تستخدم فيه كاميرا الفيديو هل يقع حكمه تحت التصوير الفوتوغرافي؟
فأجابت: نعم حكم التصوير بالفيديو حكم التصوير الفوتوغرافي بالمنع والتحريم لعموم الأدلة (٣).

ومن مفاسد الصور:

أولاً: فيها مضاهاة لخلق الله، وادعاء المشاركة لله في خلقه، الذي اختص به، فإنه هو الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

(١) آداب الزفاف (ص ١٩٢).

(٢) فتاوى كبار العلماء في التصوير للشيخ عبدالرحمن بن سعد الشري (ص ١٢٤).

(٣) (١/ المجموعة الثانية) (ص ٢٨٨).

ثانيًا: إن التصوير وسيلة من وسائل الشرك، فأول ما حدث الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، لما صور قوم نوح رجالاً صالحين ماتوا في عام واحد، فتأسفوا عليهم، فجاء الشيطان وألقى إليهم أن يصوروا تصاويرهم، وينصبوها على مجالسهم حتى يتذكروا بها العبادة، ففعلوا ذلك، ولما مات هذا الجيل جاء الشيطان إلى من بعدهم وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليستقوا بها المطر، وليعبدوها، فعبدوها من دون الله ﷻ، ومن ثم حدث الشرك في الأرض بسبب التصوير.

ثالثًا: أنه سبب في فساد الأخلاق، وذلك إذا صورت الفتيات في المجلات والصحف، والقنوات الفضائية، أو صورت للذكريات، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يجر إلى الافتتان بتلك الصور، وبالتالي يوقع في القلب المرض والشهوة، ولهذا اتخذ المفسدون التصوير مطية ووسيلة لإفساد الأخلاق بتصوير النساء في الأفلام والمجلات، والأدوات المنزلية، والدعايات، وغيرها^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٢ - ١٩٣).

الكلمة المئة وست وثلاثون

الموت وعظاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن المنهمك في الدنيا المكب على شهواتها وملذاتها يغفل قلبه عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ أَمْوَاتَ الَّذِينَ تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴿٧٨﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وأما العارف بربه، فإنه يذكر الموت دائمًا، أخذًا بوصية رسول الله ﷺ عندما قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت -»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم (١٨٧٧).

ذِكْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ»^(١).

قال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها».

قال الشاعر:

لا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لِدَائِهِ مُنْغَصَّةً بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ
وقال عمر بن عبد العزيز: إذا غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة فسد،
وقال بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة،
وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء:
تسوية التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والكسل في العبادة.

والموت له سكرات وكربات، وهي تعتري كل مخلوق، وقد يهونها الله على بعض عباده، كالشهداء؛ لأن الشهيد «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»، كما في الحديث الصحيح^(٢).

وقد تشدد هذه السكرات على بعض العباد تخفيفًا من الذنوب، ورحمة وزيادة في الدرجات، كالأنبياء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وفي مقدمتهم خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فإنه قد لقي من الموت شدة، وهو أحب الخلق إلى الله.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا

(١) برقم (٤٢٥٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨٤).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٠٥٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم

وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(١).

وَحِينَما ثَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: «وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).

حَتَّى إِنَّهُ مِنْ شِدَّةِ كَرْبِهِ قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»^(٣).

وَكَانَ كُلَّمَا اغْتَسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَهُمْ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ يَغْمِي عَلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَاتٍ -^(٤).

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيِّنَ حَاقِنْتِي^(٥) وَذَاقِنْتِي^(٦) فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ^(٧).

وَتَشَدُّ هَذِهِ السُّكْرَاتُ عَلَى الْكُفَّارِ، وَكَذَلِكَ عَلَى عِصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذْبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ أَيُّكُمْ يُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا

(١) برقم (٤٤٤٩).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) قال ابن الأثير: الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الخلف، النهاية في غريب الحديث (١/٦٤).

(٦) قال ابن الأثير: الذاقنة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر، النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٢).

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٦).

كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية: الْفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ - غِلَاطٌ شِدَادٌ - سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ^(١) مِنَ النَّارِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ: أَخْرَجِي إِلَى سَاحَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ - الْكَثِيرُ الشَّعْبِ - مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ - فَتُقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ»^(٢).. الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ»^(٣).

وروى الشيخان من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(٤).

(١) المسوح: وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهرًا للبدن.

(٢) (٥٠١/٣٠) برقم (١٨٥٣٤) وقال محققوه: إسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، وجمع زيادات الحديث (ص ١٩٨ - ٢٠٢).

(٣) (٢٣/١٣) برقم (٧٥٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٣٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٠).

وحق على كل إنسان أن يستعد للموت قبل نزوله، وذلك بالمبادرة بالعمل الصالح قبل حلول الأجل.

لقد حثنا ربنا ﷺ أعظم الحث، ودعا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه، وقد حيل بينه وبينه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ (١٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تِلْكَ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ (١) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ (١٠) ﴾ [المنافقون].

قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَدْرِ
 روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (١).

وفي رواية للترمذي: «وَعَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا» (٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢٣٣٣) وصحح الزيادة الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١١٥٧).

قال الشاعر:

تَفَانُوا جَمِيعاً فَمَا مُخْبِرٌ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبِرُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُمحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
فِيَا سَائِلِي عَنِ أَنْاسٍ مَضُوا أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ؟

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموتُ غايةَ كلِّ حيٍّ
ولكنَّا إذا متنا بُعثنا ونسألُ بعدها عن كلِّ شيءٍ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وسبع وثلاثون

مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولم يفارق النبي ﷺ لا في حضر ولا سفر، ولد بعد حادثة الفيل بسنتين وستة أشهر، صلى بالناس إمامًا في مرض النبي ﷺ الذي مات فيه، وهو من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وقد تزوج النبي ﷺ ابنته، وهو أول من أسلم من الرجال، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو رفيق النبي ﷺ في الغار، وقد نال شرف صحبته في ذلك، وقد أنزل الله فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال عمر بن الخطاب: «لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه». إنه صديق هذه الأمة أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة

عثمان بن عامر بن عمرو القرشي، وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، وقد وصفته ابنته عائشة فقالت: «كان أبي أبيض نحيفاً خفيف العارضين، منحني الظهر قليلاً، غائر العينين.

وقد وردت أحاديث تدل على فضله ومكانته، وأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث عائشة في مرضه الذي مات فيه: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنَّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(١).

قال العلماء: وفي هذا الحديث دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بإمامة المسلمين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي

(١) برقم (٥٦٦٦) وصحيح مسلم (٢٣٨٧) واللفظ له.

(٢) البخاري برقم (٣٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

بَكَرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» (١).

وقد أنفق رضي الله عنه بعد إسلامه أربعون ألفاً على الصدقات، وإعتاق العبيد من المسلمين.

روى الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّصِدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا» (٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا» (٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ» (٤).

وقد تولى الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وكانت خلافته سنتان وسبعة أشهر، وعندما ارتدت العرب واشرب النفاق، وانحازت

(١) برقم (٣٦٦١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٠) برقم (٢٨٩٤).

(٢) برقم (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٣٦٥٨) وقال: هذا حديث حسن.

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠١) برقم (٢٨٩٧).

الأنصار، قالت عائشة رضي الله عنها: «فلو نزل بالجمال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها»، وقال كلمته المشهورة: «لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(١).

يقول العلماء: حفظ الله الدين، برجلين: أبو بكر في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة الجهمية.

وجمع القرآن في عهده، يقول علي بن أبي طالب: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر. وكان رضي الله عنه شديد الورع، روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه^(٢).

قال ابن حجر: أشار بذلك أنه كان كسوباً لمؤنته ومؤنة عياله بالتجارة من غير عجز تمهيداً على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه، فقد روى ابن سعد وابن المنذر بإسناد صحيح عن مسروق عن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي، قالت: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده^(٣).

تقول عائشة رضي الله عنها: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٠).

(٢) برقم (٢٠٧٠). (٣) فتح الباري (٤/٣٠٤).

لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فحَمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، ودخل عليه الصحابة في مرضه، فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال: قد نظر إلي، فقالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد، تقول عائشة رضي الله عنها: لما ثقل أبي تمثلت بهذا البيت:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فكشف عن وجهه وقال: ليس ذلك يا بنية، ولكن قولني: ﴿وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفتتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ، ليس فيها قميصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. وقال لها: في أي يوم تُوفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يومَ الاثْنَيْنِ. قال: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قالت: يومُ الاثْنَيْنِ. قال: أَرَجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فنظر إلى ثوبٍ عليه كان يُمَرَّضُ فيه، به ردعٌ من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين، فكفونوني فيها. قلت: إن هذا خَلَقٌ؟ قال: إن الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إنما هو للمهلة. فلم يتوفَّ حَتَّى أَمْسَى من ليلة الثلاثاء، وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ (٢).

رضي الله عن أبي بكر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثمان وثلاثون

مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، قال فيه النبي ﷺ في الحديث المخرج في مسند الإمام أحمد: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ»^(١).

وقال عنه ﷺ كما في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٢).

كان إسلامه فتحًا على المسلمين، وفرجًا لهم من الضيق، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، تزوج النبي ﷺ من ابنته، وهو أحد

(١) (١٤٤/٩) برقم (٥١٤٥) وقال محققوه: حديث صحيح من حديث ابن عمر.

(٢) البخاري برقم (٣٢٩٤)، ومسلم برقم (٢٣٩٦).

العشرة المبشرين بالجنة، وفي عهده سقطت دولتي فارس والروم، قال عنه عبد الله بن مسعود: «ما عبد الله جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ هَذَا الرَّجُلُ».

إنه فاروق هذه الأمة، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، كان إسلامه ﷺ قد تحقق ببشارة النبي ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه أنه قال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» (٢).

قال ابن عباس: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً جداً، ومن طوله إنه إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، ومع طوله فإنه كان ضخماً عريض المنكبين، مفتول الساعدين، أبيض مشرباً بالحمرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته، فمن ذلك ما رواه الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» (٣)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ قَالَ: أَعَلَيْكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ؟! (٤)

(١) برقم (٣٦٨١) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٣) برقم (٢٩٠٧).

(٢) برقم (٣٦٨٤).

(٣) برقم (٣٦٨٦).

(٤) البخاري برقم (٧٠٢٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قالوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ»^(١).

وقد كان صلى الله عليه وسلم رجلاً ملهماً، نزل القرآن الكريم في موافقته في عدد من آرائه، ففي الصحيحين من حديث عمر أنه قال: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؟ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبُرِّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحریم: ٥]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(٢).

وكذلك وافقه في أسارى بدر، وفي ترك الصلاة على المنافقين، وفي غيرها من المواضع، وكان صلى الله عليه وسلم من أعلم الصحابة وأفقههم، قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح بهم علم عمر، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم^(٣).

(١) البخاري برقم (٣٦٩١)، ومسلم برقم (٢٣٩٠).

(٢) البخاري برقم (٤٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٩٩).

(٣) مستدرک الحاكم (٣٩/٤) برقم (٤٥٥٣) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (١٦٣/٩) برقم (٨٨٠٩) وقال في مجمع الزوائد (٦٩/٩): رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان تقيًا ورعًا زاهدًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كثرت الفتوحات في عهده، وسقطت دولتي فارس والروم، وكانت هذه من أعظم الإنجازات في عهده، وأصيب الناس في إحدى سنوات عهده بمجاعة شديدة، أجذبت الأرض، واسودت، وانقطع المطر، وسمي ذلك العام عام الرمادة، فكان يأكل الخبز والزيت، ويقول: لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين، وكان يقول: لو أن بغلة عثرت في طريق العراق لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة. وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأنصاري أنه قال: «شَهِدْتُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدْعَنَّ أَرَامِلَ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ رَابِعَةٌ إِلَّا وَأُصِيبَ»^(١). وقد أكرمه الله بالشهادة، فكان قتله على يد الغادر الشقي أبي لؤلؤة المجوسي في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو يؤم الناس لصلاة الفجر، طعنه بسكين ذات شقين.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين، قال: وذِكْرَ لي أنه ديكٌ أحمرٌ، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يَقتُلُكَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين حفصة أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ ارزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدٍ

(١) برقم (٣٧٠٠).

(٢) (١/٢٥٠) برقم (١٩) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رَسُولِكَ»^(١). فاستجاب الله لدعوته الصالحة.

رضي الله عن عمر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،
وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،
وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وتسع وثلاثون

النهي عن البدع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْمَصَّ ① كَذِبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

والبدعة هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) سنن النسائي برقم (١٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٣٤٥ - ٣٤٦) برقم (١٤٨٧) وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال ابن رجب في شرح هذا الحديث: «وهو أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١) ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء^(٢).

وقال ابن حجر: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»^(٣).

وقال النووي: «وهذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك»^(٤).

وقال الطريقي: «هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع»^(٥).

وقال ابن القيم: «القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن»^(٦).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الجمعة: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(٧).

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦). (٣) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٤) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣). (٥) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢١٣).

(٧) برقم (٨٦٧).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع، والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع، والمنفرة منها^(١). اهـ.

وَمَرَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى أَنْاسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبَّحُوا مِئَةً، فَيَسْبَحُونَ، كَبَرُوا مِئَةً فَيَكْبَرُونَ، هَلَّلُوا مِئَةً فَيَهْلَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَيْتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟! (٢).

وقال أهل العلم: إن كل عمل يتقرب به المسلم إلى ربه ﷻ لا بد له من شرطين:

(١) رسالة للشيخ بعنوان: التحذير من البدع (ص ١١).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١٢٧/٩) رقم (٨٦٣٦)، وروي بألفاظ كثيرة.

الأول: الإخلاص لله ﷻ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷻ، وهذه المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

١ - السبب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي مردودة على صاحبها، مثالها: رجل يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ فالتهدج عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً، وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة، ومن الأمثلة كذلك: بدعة المولد، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما أحدثته الدولة العبيدية الرافضية، لما حكمت مصر في القرن العاشر.

٢ - الجنس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة، ومثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام - الإبل، والبقر، والغنم -.

٣ - القدر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو

(١) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

٤ - الكيفية: فلو أن رجلاً توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوءك باطل، لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

٥ - الزمان: فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وبعض الناس في شهر رمضان يتقرب إلى الله بذبح الأغنام، وهذا عمل بدعة لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي، والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر كالذبح في عيد الأضحية فبدعة، وأما الذبح لأجل الأكل جائز.

٦ - المكان: فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد، فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان.

ومن الأمثلة: لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق، ووجد ما حوله قد ضاق، فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه، لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١) [الحج: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: رسالة (الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٠

الكلمة المئة وأربعون

قدرة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يتأمل في آيات الله الدالة على كمال قدرته، ليعظمه حق تعظيمه، ويقدره حق قدره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ﴾ (٥٠) [القمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) [الزمر]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله - أي ابن مسعود - قال: «قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧)» (١).

ومن الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته خلق السماوات،

(١) البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم برقم (٢٧٨٦).

والأرض، والجبال، والدواب في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في لمحة بصر، ولكن كان ذلك لحكمة إلهية منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [ق].

ومنها: أن الله تعالى خلق آدم من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يستقر في قرار مكين، في مكان لا يعتريه شمس ولا هواء، ولا حر ولا برد، في ظلمات ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الغشاء، أربعون يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، فإذا تمت هذه الأيام، وهي أربعة أشهر، أرسل الله تعالى إليه الملك الموكل بالأجنة، فنفخ فيه الروح، فأصبح إنسانًا بعد أن كان جمادًا، فتبارك الله أحسن الخالقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون].

ومنها: أن الله خلق عيسى من أم بلا أب، وأنطقه الله تعالى في المهد وهو صبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ [مريم].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حوادث كثيرة تدل على قدرته على إحياء الموتى في هذه الدنيا.

ومنها: قصة بني إسرائيل حين قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فعاقبهم الله تعالى، فأخذتهم الصاعقة، فماتوا، ثم بعثهم الله تعالى من بعد موتهم، وفي هذا يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قد تهدم بناؤها، ويبست أشجارها فاستبعد أن تعود على ما كانت عليه من العمران والسكان، فأراه الله تعالى آية في نفسه تدل على قدرته، فأماته الله مئة سنة، وكان معه حمار وطعام وشراب، فمات الحمار، وتمزقت أوصاله، ولاحت عظامه، وبقي الطعام والشراب لم يتغير واحد منهما بنقص ولا طعم ولا لون ولا رائحة، مئة سنة والشمس تصهره، والرياح تتعاقب عليه، ثم بعث الله ﷻ ذلك الرجل وأراه الحمار، فنظر إلى عظامه المتفرقة في الأرض يركب بعضها بعضاً، كل عظم في محله، ثم يكسوها الله لحماً، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعُظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة إبراهيم الخليل حين سأل ربه أن يريه كيف

يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاء فيفرقها على الجبال التي حوله، على كل جبل جزء من هذه الطيور، ثم يناديهن، وحينئذ تلتئم هذه الأجزاء المتفرقة في الجبال بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم عليه السلام مشياً لا طيراناً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤَمِّنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

فهذه الأمثلة من إحياء الله تعالى الموتى في الدنيا دليل على قدرته سبحانه على البعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسبحانه من إله عظيم قادر، لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وأربعون

علامات حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران)، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّقُنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَّيْنِ بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف)، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر)، في هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمناً بربه، راضياً بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(١).

وأن من علامات حسن الخاتمة:

الاستشهاد في سبيل الله، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

(١) جزء من حديث في البخاري برقم (٦٤٩٣)، ومسلم برقم (٢٦٥١).

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٣٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿آل عمران﴾،
 روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»^(١).

وترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه، ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

ومنها: أن يوفق المحتضر للنطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

قال بعض أهل العلم: «لأنها شهادة شهد بها عند موته، وقد ماتت شهواته، وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت أخلاقه السيئة، وذل وانقاد لربه، فاستوى ظاهره بباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقه».

ومنها: الموت بعرق الجبين:

روى الترمذي في سننه من حديث بريدة بن الحصيب رضي عنه: عن

(١) البخاري برقم (٢٨١٧)، ومسلم برقم (١٨٧٧).

(٢) برقم (١٩٠٩).

(٣) برقم (٣١١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٢) برقم (٢٦٧٣).

النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: قيل: هو لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، فإنه إذا جاءت البشرية مع ما كان قد اقترب من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله تعالى، فغرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جُعِلَتْ لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه^(٢).

ومنها: وفاة المسلم بالطاعون، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٣).

ومنها: الموت بداء البطن، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٤).

وذكر بعض الشراح أن المبطون من أصابه إسهال، أو استسقاء، أو وجع بطن.

ومنها: الموت بالحرق أو الغرق أو الهدم أو الطاعون أو ذات الجنب، أو موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ،

(١) برقم (٩٨٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) التذكرة للقرطبي (ص ٢٤) وتحفة الأحوذى (٤/٣٠).

(٣) البخاري برقم (٢٨٣٠)، ومسلم برقم (١٩١٦).

(٤) قطعة من حديث برقم (١٩١٥).

وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «غَلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ»، فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُنَّ فَإِذَا وَجِبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِيَةً»، قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «الْمَوْتُ»، قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً فإنك كنت قد قضيت جهازك، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَيَّ قَدْرَ نَيْتِهِ، وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟»، قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الشَّهَادَةُ سَبْعُ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعِ شَهِيدٌ»^(٢).

وذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

والمرأة تموت بجمع، أي تموت وفي بطنها ولد، أو تموت من الولادة، كذا قاله المناوي^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس والمال، روى أبو داود في سننه من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ

(١) البخاري برقم (٦٥٣)، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٢) برقم (٣١١١)، وصححه الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، (ص ٥٤ - ٥٥).

(٣) فيض القدير (٤/١٧٩).

دينه، فهو شهيد»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٧٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٠٦) برقم (٣٩٩٣).

(٢) برقم (١٤٠).

الكلمة المئة واثنان وأربعون

وفاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فبكى أبو بكر الصديق، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا^(١).

ففي هذا الحديث إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، وإلى عزوفه عليه الصلاة والسلام عن الدنيا، واشتياقه إلى الرفيق الأعلى.

وقال بعض أهل العلم: إن الله جمع لنبيه بين النبوة والشهادة، ويستدلون على ذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَرَأَيْتِ أَجْدُ أَلَمِ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوْأَنُ وَجَدْتُ

(١) البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ»^(١).

قال شراح الحديث: الأبهر عرق بالظهر متصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه، وهو يشير بذلك إلى ما حصل له في غزوة خيبر عندما جاءت أمه امرأة يهودية، يقال لها: زينب بنت الحارث بشاة مسمومة، وقدمتها للنبي ﷺ فوضع لقمه في فمه، فلم يستغها، فرمى بها، ومكث عليه الصلاة والسلام من السنة السابعة إلى السنة الحادية عشرة وهو يعاني من آثار السم الذي يعاوده فترة بعد أخرى^(٢).

قال ابن عبد البر: «ثم لما دنت وفاته ﷺ، أخذه وجعه في بيت ميمونة، فخرج إلى أحد، فصلى عليهم صلاة الميت، ودعا لهم، وكان ذلك بعد ثماني سنوات من استشهادهم»^(٣). اهـ، وكان أول ما يشكو في علة الآلام الشديدة في رأسه، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت: وارأساه يا نبي الله، فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكَ، وَأَدْعُو لَكَ»، فقالت عائشة: واثكليه، والله إنني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك، لظللت آخر يومك معرّساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»^(٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء^(٥).

تقول عائشة رضي الله عنها، وهي تحكي مشهد احتضاره ﷺ: «كَانَ بَيْنَ

(١) برقم (٤٤٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٧٧).

(٣) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (١/٢٦٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢١٧).

(٥) البخاري برقم (٤٤٥٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٣).

يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ»^(١). تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتَيْ وَذَاقِنَتَيْ، فَلَا أَكَرَّهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، وَتَقُولُ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣)، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِدَ عَلَيْهِ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، رَفَعَهُ لِدَرَجَاتِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ بَدَأَتْ الْحُمَى الشَّدِيدَةَ تَنْتَشِرُ فِي جَسَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَقُولُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ»، فَيُوضَعُ فِي مَخْضَبٍ ثُمَّ يَصَبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ، حَتَّى أَشَارَ إِلَيْهِمْ: «أَنْ حَسْبُكُمْ»^(٤).

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِجَوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَأَتْهُ وَهُوَ يَعْانِي مِنْ هَذِهِ السَّكْرَاتِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَتْ: وَكَرَبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٥).

وَلَمَّا هَمَّ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ^(٦)، ثُمَّ آفَاقَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْمِلُ هَمَّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِهِ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٧)، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٨)، أَلَا فَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ» (١).

تقول عائشة رضي الله عنها: لما نزل به - أي الموت - ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق، ثم شخص بصره إلى سقف البيت، وقد أخبرنا قبل ذلك: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبِضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، فيخير بين الدنيا وبين ما عند الله، فعرفت أنه لا يختارنا، وأنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صَحِيحٌ، ثم رفع بصره إلى السماء، وجعل يقول: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»، فكانت آخر كلمة تكلم بها حتى قبض (٢)، ومالت يده الشريفة.

قالت فاطمة رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نُنْعَاهُ (٣).

قال الحافظ ابن كثير: وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام سنة إحدى عشرة من الهجرة في الثاني عشر من ربيع الأول، الموافق يوم الاثنين، ومكث بقية الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله، ودفن ليلة الأربعاء، وهو المشهور عند الجمهور (٤).

ومن الدروس والعبر المستفادة من وفاته عليه الصلاة والسلام:

١ - أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائناً من كان سيخلد في هذه

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٣)، وبرقم (٤٤٣٥) و(٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢). (٤) البداية والنهاية (٨/١٥٢).

الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ فَمَنْ زُحَّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) [آل عمران].

٢ - زهده عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورغبته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، إِلَّا بَغَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً^(١).

بل إنه عليه الصلاة والسلام: تُوفِّيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(٢).

٣ - أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(٣) ليكون ذلك تسلية له في مصيبته.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ

(١) برقم (٤٤٦١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠٣).

(٣) (٥٣/١) برقم (٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا» (١).

وقالت فاطمة رضيها لله لأنها لأنس بعدما دفن النبي ﷺ: «يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟!» (٢).

قال الشاعر:

اصبر لكل مُصِيبَةٍ وَتَجَلَدِ واعلم بأن المَرءَ غَيْرَ مُخَلَّدِ
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ تَشْجَى بِهَا فاذكر مُصَابِكَ بالنبي محمد (٣)

اللهم احشرونا في زمرة، وأوردنا حوضه، واجعلنا من أتباعه.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٦١٨)، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) انظر: مرض النبي ﷺ ووفاته، وأثر ذلك على الأمة، للشيخ خالد أبو صالح.

الكلمة المئة وثلاث وأربعون

أسباب النصر على الأعداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان يبتلى فيها المؤمنون بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتكم جراح، وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي ندبل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة^(١).

وعداوة الكفار للمؤمنين عداوة قديمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٩٩ - ٢٠٠).

والنصر على الأعداء له أسباب كثيرة، أذكر منها:

أولاً: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٥٥] [النور].

ثانياً: الإخلاص والصدق في نصر دين الله، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤٠] ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٤١] [الحج].

وقال سبحانه: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٧] [محمد].

ثالثاً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١١٠] [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكْفَلَّ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصَدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(١).

رابعاً: الثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ نَحْتِ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٢).

خامساً: الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، واليقين أن الأجل لا يقدمه إقدام، ولا يؤخره إحجام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، وأقواهم قلباً عند لقاء العدو، روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ

(١) البخاري برقم (٣١٢٣)، ومسلم برقم (١٨٧٦).

(٢) البخاري برقم (٢٩٦٦)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

الْبَأْسُ نَتَقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَازِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ (١).

سادساً: كثرة الذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ ﴿٩﴾ [الأنفال].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، كما في معركة بدر وغيرها، وكان من دعائه: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» (٢).

سابعاً: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله، والحذر من المعاصي والتنازع، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مِنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٣).

ثامناً: لزوم طاعة الأمير، والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي

(١) برقم (١٧٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٩٣٣)، وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢) واللفظ له.

(٣) سبق تخريجه.

فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(١).

تاسعاً: الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١٣٠) [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦) [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال له: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(٢).

عاشراً: الإخلاص لله، فلا يكون المقاتل مجاهدًا في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦) [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

الحادي عشر: الأخذ بأسباب القوة، والإعداد لذلك

(١) البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) (١٩/٥) برقم (٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، ومسلم برقم (١٩٠٤).

امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»^(١).

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب، فإنها تخون العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٢).



(١) برقم (١٩١٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ سعيد بن وهف القحطاني: الجهاد في سبيل الله، فضله، مراتبه، أسباب النصر على الأعداء.

الكلمة المئة وأربع وأربعون

فضل أيام عشر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص].

ومن هذه الأزمنة الفاضلة، التي فضلها الله على غيرها أيام عشر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر]. والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظمته، قال ابن عباس والزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف: «إنها عشر ذي الحجة»، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو الصحيح»^(١).

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [٢٨] [الحج].

قال ابن عباس: «الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

وقد أخبر النبي ﷺ أنها من أفضل الأيام، وأن العمل الصالح فيها أعظم من غيرها، روى البخاري والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»^(٢).

وفي هذه الأيام العشر يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، وهي من أعظم الأيام عند الله، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمَ الْقَرِّ»^{(٣)(٤)}.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٥).

فهو يوم المغفرة والعتق، وصومه يكفر ستين، روى مسلم والترمذي من حديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ

(١) صحيح البخاري برقم (٩٦٩)، وسنن الترمذي برقم (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) (٣٢٤ - ٣٢٣ / ٩) برقم (٥٤٤٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٤) برقم (١٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣١ / ١) برقم (١٥٥٢).

(٥) برقم (١٣٤٨).

عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(١).

قال ابن حجر: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة أنها مكان لا اجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الصلاة، الصيام، الصدقة، الحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها^(٢)، وقال ابن رجب: لما كان الله ﷻ قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة، في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في كل عام قدر في العشر على عمل يعمل في بيته يكون أفضل من الجهاد^(٣). اهـ.

ولا خلاف في تفضيل أيام العشر على بقية أيام السنة، لقوة النصوص في ذلك، والخلاف في الليالي، فقليل إن ليالي رمضان أفضل، وممن رجح ذلك ابن القيم، فقال: وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان، إنما فضلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه، إذ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية^(٤).

وينبغي لمن وفقه الله لمعرفة فضل هذه الأيام، وأمد له في عمره، أن يجتهد فيها بكثرة الأعمال الصالحة، فما هي إلا أيام معدودة ثم تنقضي، وكان السلف الصالح يجتهدون فيها، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيها اجتهاداً عظيماً، حتى ما يكاد يقدر عليه.

(١) مسلم برقم (١١٦٢)، والترمذي برقم (٧٤٩) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (٢/٤٦٠).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص ٣١٠).

(٤) زاد المعاد (١/٥٧) بتصرف.

ومن الأعمال الصالحة في أيام العشر:

حج بيت الله الحرام، وهو من أفضل الأعمال والقربات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لِمَحْرُومٍ»^(٢).

ومنها: الصيام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقال تعالى بعدما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أَغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(١).

ومنها: الصدقة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٣).

ومنها: ذكر الله. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنِ دَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنِ دَكَرَنِي فِي مَلٍّ ذَكَرْتُهُ فِي مَلٍّ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى

(٢) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

بها فضلاً وشرفاً» (١).

والذكر عمومًا، والتكبير خصوصًا من شعائر هذه الأيام، قال تعالى: ﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وتقدم حديث: «فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا (٢).

وكان السلف يحرصون على إحياء هذه الشعيرة في أيام العشر، وصفة التكبير: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ».

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

الكلمة المئة وخمس وأربعون

طلب العلم الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل العبادات، وأجل الطاعات التي حث عليها الشرع طلب العلم الشرعي، والمقصود بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد به خيرًا»، وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ

(١) البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ»^(١).

قال الأوزاعي: «الناس عندنا هم أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء»، وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب». قال سفيان الثوري: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم، وقال أبو جعفر الطحاوي: كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة، فقال لي: كأني بك قد فكرت فيما أُعطي هذا الرجل من الدنيا، قلت له: نعم، قال: هل أدلك على خلة؟ هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلاً ويعيش هو عالماً فقيراً؟ فقلت: ما أختار أن يُحوّلَ اللهُ ما عندي من العلم إلى ما عنده فالعلم غني بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال، وفي ذلك قيل:

العلمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبَ صَحْبَا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تَمُّ يُحْرَمُهُ عَمَا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذَّلَّ وَالْحَرْبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يَحَازِرُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدَلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا^(٢)

ومن فضائل هذا العلم: أنه يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال:

(١) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٤) برقم (٣٠٩٦).

(٢) جامع الآداب لابن القيم تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٢).

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

ومنها: أن أهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٢)، روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عن هذه الطائفة: «إن لم يكونوا من أهل الحديث فلا أدري من هم».

قال عبد الله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عز، فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد الآخرة وجدها... وكان الشافعي إذا رأى شيخاً سألته عن الحديث والفقه، فإن كان عنده شيء وإلا قال له: لا جزاك الله خيراً عن نفسك ولا عن الإسلام، قد ضيعت نفسك وضيعت الإسلام^(٣).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٤).

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فِي مَن كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٤١)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٣) جامع الآداب لابن القيم، تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٣).

(٤) قطعة من حديث برقم (٢٦٩٩).

أهل الأرض؟ فدل على رَاهِب، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»^(١).

ومنها: أن الله تعالى يقذف لأهل العلم الربانيين هيبة ومحبة، وتقديرًا في قلوب الناس، فتجد الألسن تتابع في الثناء عليهم، والقلوب تتفق على احترامهم وتقديرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١٦) [مريم].

ومنها: أن طلب العلم خير للمرء من متاع الدنيا، روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٢).

ووسائل طلب العلم كثيرة، كحضور الدروس العلمية للعلماء والمشايخ، والمحاضرات العامة، والكلمات في المساجد، وقراءة الكتب النافعة، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وسؤال أهل العلم عما أشكل، وحفظ كتاب الله فهو رأس العلوم كلها. والله درُّ الشافعي عندما قال:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦) واللفظ له.

(٢) برقم (٨٠٣).

العلمُ ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواسُ الشياطينِ

وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»^(١).

وكان النبي ﷺ يستعيد بالله من علم لا ينفع، روى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٢).

وروى ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(٣).

ويجب على المسلم أن يطلب العلم الشرعي خالصًا لوجه الله، لا من أجل منصب، أو مال، أو عرض من الدنيا، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعنى: رِيحَهَا^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ

(١) البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٢) برقم (٥٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١١٢٥) برقم (٥١١٠).

(٣) برقم (٣٨٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٢٧) برقم (٣١٠٠).

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٧) برقم (٣١١٢).

الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَفِيَّةً، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَعَّعَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

الكلمة المئة وست وأربعون

معنى لا إله إلا الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كلمة الإخلاص هي كلمة (لا إله إلا الله)؛ لأنها تعني إخلاص العبادة لله تعالى، وإفراده بها؛ لأن معناها: لا معبود حقاً إلا الله، وهي كلمة عظيمة، من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفي سبيل تحقيقها أمر الله المؤمنين بالجهاد، وجردت السيوف ورُكبت الجياد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٥٥] [الأنبياء]. وكان كل رسول أول ما يدعو قومه إليها، فيقول كما قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقد كان الكفار الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بأنه لا خالق إلا الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف]، غير أن هذا الإقرار لا يكفي في تحقيق التوحيد، إذ لا بد من المعرفة والعلم المستلزم لإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهذا ما أراده ربنا ﷺ، إذ يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولقد فهم كفار قريش وغيرهم أن هذا هو المعنى الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة، فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص]، ومن المسلمين من يقول هذه الكلمة، ويصلي ويصوم ويحج ويتصدق ومع ذلك يصرف شيئاً

من أنواع العبادة لغير الله تعالى، كالأستغاثة بالأولياء والصالحين، أو النذر لهم، أو دعائهم من دون الله، فهؤلاء لم يحققوا معنى لا إله إلا الله، وأنه إفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواعها له، وأن من صرف شيئاً منها لغيره فهو مشرك، وإن قال لا إله إلا الله، وصلى، وصام، وزعم أنه مسلم، فإن العبد لا يكون مسلماً حقاً، ولا ينجو من الخلود في نار جهنم إلا بالإيمان الخالص الذي لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام]، ومن عبد الله، وعبد معه غيره لم تنفعه تلك العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر]، وقد ذكر أهل العلم أن معنى لا إله إلا الله يتضمن شروطاً لا يتم إلا بها.

وشروط هذه الكلمة ثمانية:

أولاً: العلم بمعناها، المراد منها، وما تنفيه، وما تثبته، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد].

روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

وكثير من الناس ينطق بها بلسانه، ولا يعلم شيئاً من معناها، ولهذا يقع في الشرك.

ثانياً: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها متيقناً بما تدل عليه، فإذا كان في قلبه شك بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴿ [الحجرات: ١٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ثالثاً: الإخلاص المنافي للشرك، فلا يقولها رياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ» (٢).

رابعاً: الصدق المنافي للكذب، فيقول لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، قال تعالى: ﴿ الْمَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (٣)، فاشترط الصدق في هذا الحديث.

خامساً: المحبة المنافية للبعوض، فيحب هذه الكلمة، وما تدل عليه، وأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادساً: الانقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، فيجب الانقياد لما تدل عليه لا إله إلا الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى:

(١) برقم (٢٦).

(٢) برقم (٦٥٧٠).

(٣) البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]،
والاستسلام هو الانقياد لأوامر الله.

سابعاً: القبول المنافي للرد، فيجب القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فمن قالها، ولم يقبل ذلك ويلتزم به، كان ممن قال فيهم سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصفات].

ثامناً: الكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت، وإثبات العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١). وقد نظم بعضهم فقال:

عِلْمٌ، يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَعَ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولَ لَهَا
وَزَيْدٌ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَنْدَادِ قَدْ أَلْهَا

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة:

أولاً: أنه يُفْتَحُ لِقَائِهَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٢).

(١) رقم (٢٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨) واللفظ له.

ثانياً: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»^(٢).

ثالثاً: أن من قالها قبل أن يموت، فمات عليها، دخل الجنة، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٢).

(٢) (٦/٢٧٤) برقم (٦٣٩٦) وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٠٩٨) برقم (٦٤٣٤).

(٣) سبق تخريجه.

الكلمة المئة وسبع وأربعون

سورة الفلق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر، سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوْى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

(١) البخاري برقم (٥٠١٦)، ومسلم برقم (٢١٩٢).

(٢) برقم (٥٠١٧).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)»، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)» (١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١).

أي ألبأ وألود وأعتصم برب الفلق، أي الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك؛ لأن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح والنوى والحب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢).

أي: من شر جميع المخلوقات، حتى من شر النفس؛ لأن النفس أماراة بالسوء وفي الحديث: ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن شر ما خلق يشمل شياطين الإنس والجن، والهوام، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣).

الغاسق، قيل إنه الليل، وقيل إنه القمر، والصحيح أنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والليل تكثر فيه الهوام والوحوش؛ فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي الليل، وأما القمر فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ» (٢).

(١) برقم (٨١٤).

(٢) برقم (٣٣٦٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لأن سلطانه يكون في الليل، وإذا وقب: أي إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

قوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾:

هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنث، ثم تعقد ثم تنث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفائين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: (لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ)، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، دَعَا ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيَمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟^(١)، قَالَ: لَبِيدُ ابْنِ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ^(٢)، قَالَ:

(١) أي: سحره.

(٢) قوله: مشط ومشاطة: قال ابن حجر: أما المشط فهو بضم الميم، ويجوز كسرهما، أثبتة أبو عبيدة، وأنكره أبو زيد، وبالسكون فيها، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، وهو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

وَجُفٌّ طَلْعَةٌ ذَكَرٌ^(١)، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَطْنِ ذِي أَرْوَانَ، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللَّهِ لَكَانَ مَاءَهَا نُقَاعَةَ الْحِنَاءِ، وَلَكَانَ نَحْلَهَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَيَّ النَّاسَ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فِدْفِنْتُ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٣):

الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فيحسده. والحساد نوعان: نوع يحسده ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد، ولهذا قال ﴿إِذَا حَسَدَ﴾^(٤)، ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المعان؛ لأنها لا تصدر غالباً إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، والعين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقُ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»^(٥).

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ، وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ»^(٦).

(١) قوله: جف طلعة ذكر: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر في قوله: طلعة ذكر، وهو بالإضافة. اهـ. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨٩) واللفظ له.

(٣) برقم (٢١٨٨).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث حسن،

انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٤١٤٤).

قال المناوي: أي تقتله فيدفن في القبر، وتدخل الجمل القدر، أي إذا أصابته، أو أشرف على الموت ذبحه مالكة، وطبخه في القدر، وهذا يعني أن العين داء، والداء يقتل، فينبغي للعائن أن يبادر إلى معالجته بالبركة، فتكون رقية منه^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ^(٢).

وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفياً، وعلى المؤمن أن يعلق قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل عليه، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء السحرة والحساد، وغيرهم^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فيض القدير (٤/٣٩٧).

(٢) برقم (٢١٨٦).

(٣) انظر: تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٥٢ - ٣٥٤).

الكلمة المئة وثمان وأربعون

آداب الطعام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أسرار عظمة هذا الدين أنه ما ترك جانبًا من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبيان والإيضاح، ومن هذه الجوانب التي تناولها هذا الدين آداب الطعام، ومن تلك الآداب:

أولاً: التسمية قبل البدء بالطعام أو الشراب، روى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن سلمة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(١).

وإذا نسي أن يسمي عند أول الطعام فليسم إذا ذكر، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»^(٢).

ثانياً: الأكل والشرب باليمين، فلا يجوز للمسلم أن يأكل أو يشرب بشماله، روى مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال النبي ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فقال: لا أستطيع، قال: «لَا اسْتَطَعْتُ»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما

(١) البخاري برقم (٥٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).

(٢) برقم (١٨٥٨) وقال: حديث حسن صحيح.

رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» (٢).

ثالثاً: الأكل بثلاثة أصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك أنه حدثهم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَّغَ لَعِقَهَا» (٣).

رابعاً: لعق الأصابع وصحفة الطعام، فإذا أكل الإنسان الطعام، وبقي شيء يسير منه، لا يضره تناوله، أو بقي أثر للطعام في الصحفة، فالسنة أن يلعقها، لأن الإنسان لا يدري أين البركة، وكذلك السنة لعق الأصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَّغَ لَعِقَهَا» (٤)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ؟» (٥).

خامساً: أكل ما تناثر من الطعام:

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمَسَّحْ يَدُهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ» (٦).

(٢) برقم (٢٠٢٠).

(٤) برقم (٢٠٣٢).

(٦) برقم (٢٠٣٣).

(١) برقم (٢٠٢١).

(٣) برقم (٢٠٣٢).

(٥) برقم (٢٠٣٣).

سادساً: الأكل مع الغير من زوجة، أو أولاد أو ضيف غيرهم:

روى أبو داود في سننه من حديث وحشي بن حرب عن أبيه عن جده رضي عنه: أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ»^(١).

سابعاً: النهي عن التنفس في الإناء:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ»^(٢).

ومثله النفخ في الطعام والشراب، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري قال: نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ^(٣).

ثامناً: النهي عن الأكل من أعلى الصفحة، أو أوسطها:

وينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون الطعام واحد بمعنى أن الذي في الصفحة طعام من نوع واحد، فالسنة أن يأكل مما يليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٤)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»^(٥).

الثاني: أن يكون الطعام أنواعاً، فلا بأس بالأكل من أعلى الصفحة،

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (١٥٣).

(٣) برقم (٣٧٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧١٠/٢) برقم (٣١٧١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٢٢).

(٥) برقم (١٨٠٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

وجوانبها، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبَعُ الدُّبَاءَ مِنْ حَوَالِي الصَّخْفَةِ» (١).

تاسعاً: النهي عن الشرب قائماً:

لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ» (٢).

عاشراً: الاقتصاد في أكل الطعام:

روى الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِبَطْعَامِهِ، وَثُلُثٌ لَشْرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٣).

فائدة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر فأمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٢٠٩٢)، ومسلم برقم (٢٠٤١).

(٢) برقم (٢٠٢٦).

(٣) برقم (٢٣٨٠)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٢٠٦٣) ومختصراً برقم (٢٠٦٢).

الكلمة المئة وتسع وأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ أي لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفُقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواتها، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ويرزقون بأنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم. اهـ^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ

(١) تفسير ابن سعدي (ص ١٥٦ - ١٥٧).

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران]؟ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَيَّ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطَّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرَوَّاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ، تَرَكُوا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ» (٢).

قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران]، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله، أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) برقم (١٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨١٧)، وصحيح مسلم برقم (١٨٧٧)، واللفظ له.

يدعو على الذين قتلوهم، قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ، «بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا، أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا، وَأَرْضَانَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، أي يهنئ بعضهم بعضًا بأعظم شيء، وهو نعمة ربهم وفضله وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، بل ينميهِ ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشهداء على بارق^(٢) نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»^(٣).

قال ابن كثير: وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم، وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن، بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، ورواه الشافعي عن

(١) البخاري برقم (٤٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٧٧).

(٢) بارق: أي على جانب نهر، الفتح الرباني للبنا رحمته الله (٢٨/١٣).

(٣) (٢٢٠/٤) برقم (٢٣٩٠) وقال محققوه: إسناده صحيح، قال ابن كثير في تفسيره

(٢٦٢/٣): وهو إسناد جيد.

مالك بن أنس، ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(١).

وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكوكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان^(٢).

ثالثاً: الترغيب في الجهاد، والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

رابعاً: فضل الجهاد ومكانته العظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ قَالَ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٤).

خامساً: أن فيها تسليّة للأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة، روى البخاري في صحيحه: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ بِنْتُ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي

(١) (٢٥/٥٧ - ٥٨) برقم (١٥٧٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح، من فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٣).

(٤) برقم (٢٧٩٠).

(٣) برقم (١٩٠٩).

عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قَتْلَ يَوْمَ بَدْرٍ - أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ^(١) - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^(٢).

سادساً: أن هذا الفضل الوارد في الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

أما من قاتل تحت راية عمية ينصر قومية، أو وطنية، أو حرية، أو غيرها من الشعارات الزائفة فهو كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ^(٤)، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أي طائش لا يعرف من رماه.

(٢) برقم (٢٨٠٩).

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، مسلم برقم (١٩٠٤).

(٤) عمية: قال القاضي عياض: يقال بكسر العين وبضمها، وكسر الميم وتشديدها وتشديد الياء، قال الإمام: قيل الأمر الأعمى كالعصبية، لا يستبين ما وجهه، قاله أحمد بن حنبل، وقال إسحاق: هذا في تجارح القوم وقتل بعضهم بعضاً وكأنه من التعمية وهو التليس، وفي حديث ابن الزبير: يموت ميتة عمية، أي: ميتة فتنة وجهل. المصدر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢٦٣/٦).

(٥) برقم (١٨٥٠).

الكلمة المئة وخمسون

سورة الفاتحة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من سور القرآن العظيم التي نقرأها في كل صلاة فرضاً ونفلاً: سورة الفاتحة، وهي أعظم سور القرآن، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المَعْلَى قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثُمَّ قَالَ لِي: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي أُوتِيَتْهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب: أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

الَّذِي أُعْطِيَتْهُ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ لَمْ يَفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا، لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ» (٢).

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد هو الثناء، على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المتولي جميع العالمين، وهو الذي أوجد الخلق من العدم، وأنعم عليهم بالنعمة العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والرب هو المالك المتصرف، ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، تقول: رب الدار، ولا تقول الرب على غير الله.

قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها الله للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسوله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن

(١) برقم (٢٨٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٨٠٦).

عداهم فلهم نصيب منها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(١).

قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤)، أي: هو المتصرف في ذلك اليوم، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، فهو مالك الدنيا والآخرة، وإنما أضيف الملك إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الإنفطار]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [غافر].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

قال ابن عباس: «لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا، قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة،

(١) برقم (٢٧٥٥).

(٢) البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٤).

يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه»، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين.

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ فالعبادة كمال المحبة، وكمال الخضوع، والخوف والذل، وقدم المفعول - وهو إياك - وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، ولذلك قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾، فالأول التبرؤ من الشرك، والثاني: التبرؤ من الحول والقوة. بل إن الصلاة لا تصح لمن لم يقرأ بهذه السورة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(١).

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

والهداية ههنا التوفيق والإرشاد، فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع، والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقي الله. و﴿الصِّرَاطَ﴾ هو الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

(١) البخاري برقم (٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٩٤).

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ^٤
وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء].

وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم، وعليك من الفرائض أن تصدق الله أن طريقه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوج، وهذه أول الواجبات من هذه الآية، واعتقاد ذلك بالقلب، وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم، وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله^(١).

ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين، ومعناها: اللهم استجب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ

(١) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسير سورة الفاتحة (ص ١٨ - ٢٧).

تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

اللهم اجعل هذا القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا،
وذهاب همومنا، واجعله شافعاً وحجة لنا يوم القيامة.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٨٠)، ومسلم برقم (٤١٠).

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤١	٥ - الولاء والبراء		
٢٨٥	٦ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		
	خطر الشرك		
١٣٣	١ - التحذير من الشرك	٨١٩	١ - طلب العلم الشرعي
٢٧٣	٢ - نواقض الإسلام العشرة	٤٢١	٢ - وصايا لطلبة العلم
	التحذير من النفاق	٦٩٣	٣ - كلمة توجيهية للمدرسين
٧٣٩	١ - خطر النفاق		أ - (قسم العقيدة)
٢٩٧	٢ - مبطلات الأعمال		توحيد الربوبية
٣٦٣	٣ - خطورة الاستهزاء بالدين	٨٤٧	١ - تفسير سورة الفاتحة
	توحيد الأسماء والصفات	٦١١	٢ - تفسير آية الكرسي
٥٠٧	١ - شرح اسم من أسماء الله العزيز	٧٩١	٣ - قدرة الله
٥٤٧	٢ - شرح اسم من أسماء الله الشافي	٥٨٣	٤ - نعمة الهداية
٥٧٧	٣ - شرح اسم من أسماء الله الحكيم	٣٩٥	٥ - أسباب الثبات على الدين
	علامات الساعة	٣٠٣	٦ - الأجل والرزق
٥٧١	١ - فتنة الدجال	٥٣٥	٧ - الأسباب الجالبة لمحبة الله ...
	الإيمان باليوم الآخر		توحيد العبادة
٣٤٥	١ - عذاب القبر ونعيمه	١٥	١ - الإخلاص
٥٤١	٢ - حوض النبي ﷺ	٨٢٥	٢ - معنى لا إله إلا الله
		١٨١	٣ - أصل الدين وقاعدته
		٢٩١	٤ - التوكل

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢	وقفه مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ٦٥٩	٨٤٧	سورة الفاتحة
	سورة طه		سورة البقرة
١	وقفه مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا﴾ ١٩٩	١	وقفه مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٢٢٥
	سورة يس	٢	تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَتِ﴾ ٢٣٥
١	وقفه مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ﴾ ٤٩١		سورة آل عمران
	سورة الزخرف	١	وقفه مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ٤٠٣
١	دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ١٨٩	٢	تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ ١٥١
	سورة الطور	٣	وقفه مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ٢٠٣
١	تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ٤٩٧	٤	تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ٦١١
	سورة الصف	٥	وقفه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٨٤١
١	وقفه مع آيتين من كتاب الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا﴾ ١٤٥		سورة الكهف
	سورة التحريم	١	فوائد من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ١٨٥
١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ٢٥٧		سورة مريم
	جزء عم	١	وقفه مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ ١٦٩
١	سورة التكاثر		
٢	سورة العصر		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٥٩٣	٤ - صلاة الجماعة	٦٨٧	٣ - سورة الماعون
٣٠٩	٥ - الخشوع في الصلاة	٢١٩	٤ - سورة الإخلاص
٥٥٩	٦ - فضل صلاة الفجر	٨٣١	٥ - سورة الفلق
٧٧	٧ - فضل قيام الليل	ج - الحديث	
١١٧	٨ - سنن صلاة العيد	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان	يظلمهم الله	٢١
٤٨٧	١٠ - الاستخارة	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	٥٣
الزكاة		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	
٥٨٩	١ - الزكاة	الساعة	٢٠٧
٣٧٥	٢ - زكاة الفطر	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	٢٢٩
الصيام		٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	
٧١	١ - فضل الصيام	النبي ﷺ فقال: عش ما شئت	٣٦٩
٦٧	٢ - فضل رمضان	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة	٤٣٩
٣	٣ - مخالفات تقع من بعض	٧ - فوائد من حديث حبيب بن عدي	٧٥٧
٩٧	الصائمين	٨ - شاب نشأ في عبادة الله	١٢٧
الحج		٩ - الأجل والرزق	٣٠٣
٢٦٧	١ - وجوبه وفضله	١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	
٤٢٩	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج	سربه...» الحديث	٦٠٥
الوصايا		الفقه	
٤٣	١ - كتابة الوصية	الطهارة والصلاة	
البدع		١ - أخطاء في الطهارة	٧٢٩
٧٨٥	١ - النهي عن البدع	٢ - أخطاء في الصلاة	٧٣٣
		٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	٣٢٣

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	محرمات عامة		الأدعية والأذكار
٦٦٥	١ - تحريم الدخان	٨٣	١ - الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢ - تحريم التصوير	٥٠١	٢ - الاستغفار
٤٥٧	٣ - الحسد		الطعام
٧٤٥	٤ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١ - آداب الطعام
	المواعظ والرقائق		المحرمات
٢٦٣	١ - آفة السهر		المال
٤٥١	٢ - كفارات الذنوب	١٩٣	١ - أكل المال الحرام
٤٦٣	٣ - المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢ - التحذير من الربا
٤٦٩	٤ - التقوى	٢٥١	٣ - النهي عن الإسراف
٥١٧	٥ - الورع	١٦٣	٤ - النهي عن المسألة
٦١٧	٦ - حفظ اللسان	٧٢٥	٥ - ذم الترف
٦٢٣	٧ - الحور العين		صيانة الأعراض
٦٢٩	٨ - الابتلاء	٤٨١	١ - تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩ - الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢ - غض البصر
٦٩٩	١٠ - غض البصر	٤٧٥	٣ - تحريم الغناء
٢٧٩	١١ - سوء الخاتمة	٥٥٣	٤ - خطر الدش
٧٢٥	١٢ - ذم الترف	٧١٩	٥ - خطر التلفاز
٧٩٥	١٣ - علامات حسن الخاتمة		اللباس
٧٦٧	١٤ - الموت وعظاته	٧٥١	١ - تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		الزينة
٣٨٩	١٦ - لذة العبادة		١ - تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧ - المواظبة على العبادة	٧٠٥	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	فضائل عامة		
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله	٣٩	١٨ - العجلة
٩١	٢ - فضل الصدقة	٥٧	١٩ - طول الأمل
	موضوعات تُهم المرأة	٤٣٥	٢٠ - التوبة
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام		الفضائل
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة		الأذكار
٤١٣	٣ - مفسدات العنوسة	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء	١٠٧	٢ - فضل الذكر
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز	٥٠١	٣ - الاستغفار
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح		الصلاة
	الأخلاق	٤٤٣	١ - فضل التبكير إلى الصلاة
٣٣	١ - حسن الخلق	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر
١٣٩	٢ - الحياء	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة
١٥٧	٣ - القناعة	٧٧	٤ - فضل قيام الليل
٣٣٩	٤ - الصبر	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان
٦٧٥	٥ - الأمانة	١٠٣	
٦٨١	٦ - صلة الأرحام		الصيام
	السير	٧١	١ - فضل الصيام
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small>	٦٧	٢ - فضل رمضان
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر		الحج
٧٧٣	الصديق <small>رضي الله عنه</small>	٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله
	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>		عشر ذي الحجة
٧٧٩		٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠ - الحسد	٤	٤ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١ - النكت	٣٣٣	٥ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢ - آفة السهر	٢٤٥	٦ - مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣ - علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
توجيهات عامة		قضايا اجتماعية	
٢٩	١ - التوفيق	١	١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٩	٢ - العجلة	٣١٧	٢ - مفسد العنوسة
٤٧	٣ - البركة	٤١٣	٣ - الطلاق
١٢١	٤ - الرؤيا	٣٨٣	٤ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٠٩	٥ - نصائح عامة	٣٥٧	٥ - تربية الأبناء
٤٤٧	٦ - أسباب انشراح الصدر	٧١٩	٦ - خطر التلفاز
٥١٣	٧ - شكر النعم	٥٥٣	٧ - خطر الدش
٥٢٣	٨ - علاج الهموم والغموم	٥٩٣	٨ - صلاة الجماعة
٥٦٥	٩ - السعادة	٦٨١	٩ - صلة الأرحام
٨٠١	١٠ - وفاته عليه الصلاة والسلام ..		
٨٠٧	١١ - أسباب النصر على الأعداء ..		
٦٤١	١٢ - العافية		
٥١٧	١٣ - الورع		



الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع الصفحة

الجزء الأول

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١ - الإخلاص ١٥
- ٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ٢١
- ٣ - التوفيق ٢٩
- ٤ - حسن الخلق ٣٣
- ٥ - العجلة ٣٩
- ٦ - كتابة الوصية ٤٣
- ٧ - البركة ٤٧
- ٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ٥٣
- ٩ - طول الأمل ٥٧
- ١٠ - فضل القرآن وقراءته ٦٣
- ١١ - فضل رمضان ٦٧
- ١٢ - فضل الصيام ٧١
- ١٣ - فضل قيام الليل ٧٧
- ١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه ٨٣
- ١٥ - فضل الصدقة ٩١
- ١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين ٩٧
- ١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣
- ١٨ - فضل الذكر ١٠٧

- ١٩ - المواظبة على العبادة ١١٣
- ٢٠ - سنن العيد ١١٧
- ٢١ - الرؤيا ١٢١
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ١٢٧
- ٢٣ - التحذير من الشرك ١٣٣
- ٢٤ - الحياء ١٣٩
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ١٤٥
- ٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ١٥١
- ٢٧ - القناعة ١٥٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ١٦٣
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ١٦٩
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٧٣

الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ١٨١
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ١٨٥
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ١٨٩
- ٣٤ - أكل المال الحرام ١٩٣
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ ١٩٩
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ٢٠٣
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ٢٠٧
- ٣٨ - سورة التكاثر ٢١٣
- ٣٩ - سورة الإخلاص ٢١٩
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ٢٢٥
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٢٩
- ٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ٢٣٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ٢٤١
- ٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ٢٥١

- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ٢٥٧
- ٤٧ - آفة السهر ٢٦٣
- ٤٨ - الحج: وجوبه وفضله ٢٦٧
- ٤٩ - نواقض الإسلام العشرة ٢٧٣
- ٥٠ - سوء الخاتمة ٢٧٩
- ٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج ٢٨٥
- ٥٢ - التوكل ٢٩١
- ٥٣ - مبطلات الأعمال ٢٩٧
- ٥٤ - الأجل والرزق ٣٠٣
- ٥٥ - الخشوع في الصلاة ٣٠٩
- ٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧
- ٥٧ - الصلاة ومكاتها في الإسلام ٣٢٣
- ٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩
- ٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب ٣٣٣
- ٦٠ - الصبر ٣٣٩
- ٦١ - عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥
- ٦٢ - فضل الدعوة إلى الله ٣٥١
- ٦٣ - تربية الأبناء ٣٥٧
- ٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين ٣٦٣
- ٦٥ - وقفة مع حديث شريف ٣٦٩
- ٦٦ - زكاة الفطر ٣٧٥
- ٦٧ - سورة العصر ٣٧٩
- ٦٨ - الطلاق ٣٨٣
- ٦٩ - لذة العبادة ٣٨٩
- ٧٠ - أسباب الثبات على الدين ٣٩٥

الجزء الثالث

- ٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنكُ﴾ ٤٠٣
- ٧٢ - نصائح عامة ٤٠٩

- ٧٣- مفسد العنوسة..... ٤١٣
- ٧٤- النكت..... ٤١٧
- ٧٥- وصايا لطلبة العلم..... ٤٢١
- ٧٦- مخالفات يقع فيها بعض الحجاج..... ٤٢٩
- ٧٧- التوبة..... ٤٣٥
- ٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)..... ٤٣٩
- ٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة..... ٤٤٣
- ٨٠- أسباب انشراح الصدر..... ٤٤٧
- ٨١- كفارات الذنوب..... ٤٥١
- ٨٢- الحسد..... ٤٥٧
- ٨٣- المعاصي وعقوباتها..... ٤٦٣
- ٨٤- التقوى..... ٤٦٩
- ٨٥- تحريم الغناء..... ٤٧٥
- ٨٦- تحريم الزنا وأسبابه..... ٤٨١
- ٨٧- الاستخارة..... ٤٨٧
- ٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾..... ٤٩١
- ٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾..... ٤٩٧
- ٩٠- الاستغفار..... ٥٠١
- ٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)..... ٥٠٧
- ٩٢- شكر النعم..... ٥١٣
- ٩٣- الورع..... ٥١٧
- ٩٤- علاج الهموم والغموم..... ٥٢٣
- ٩٥- قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَام..... ٥٢٩
- ٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله..... ٥٣٥
- ٩٧- حوض النبي ﷺ..... ٥٤١
- ٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی)..... ٥٤٧
- ٩٩- خطر الدش..... ٥٥٣
- ١٠٠- فضل صلاة الفجر..... ٥٥٩

- ١٠١ - السعادة..... ٥٦٥
- ١٠٢ - فتنة الدجال..... ٥٧١
- ١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم)..... ٥٧٧
- ١٠٤ - نعمة الهداية..... ٥٨٣
- ١٠٥ - الزكاة..... ٥٨٩
- ١٠٦ - صلاة الجماعة..... ٥٩٣
- ١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح..... ٥٩٩
- ١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)..... ٦٠٥
- ١٠٩ - تفسير آية الكرسي..... ٦١١
- ١١٠ - حفظ اللسان..... ٦١٧
- ١١١ - الحور العين..... ٦٢٣
- ١١٢ - الابتلاء..... ٦٢٩
- ١١٣ - الزهد في الدنيا..... ٦٣٥
- ١١٤ - العافية..... ٦٤١
- ١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام..... ٦٤٧
- ١١٦ - التحذير من الربا..... ٦٥٣
- ١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ ﴾..... ٦٥٩
- ١١٨ - تحريم الدخان..... ٦٦٥
- ١١٩ - فضل يوم الجمعة..... ٦٦٩
- ١٢٠ - الأمانة..... ٦٧٥
- ١٢١ - صلة الأرحام..... ٦٨١
- ١٢٢ - سورة الماعون..... ٦٨٧
- ١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين..... ٦٩٣
- ١٢٤ - غض البصر..... ٦٩٩
- ١٢٥ - تحريم حلق اللحية..... ٧٠٥
- ١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة..... ٧١١
- ١٢٧ - خطر التلفاز..... ٧١٩
- ١٢٨ - ذم الترف..... ٧٢٥

الصفحة	الموضوع
٧٢٩	١٢٩ - أخطاء في الطهارة
٧٣٣	١٣٠ - أخطاء في الصلاة
٧٣٩	١٣١ - خطر النفاق
٧٤٥	١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة
٧٥١	١٣٣ - تحريم الإسبال
٧٥٧	١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي
٧٦١	١٣٥ - تحريم التصوير
٧٦٧	١٣٦ - الموت وعظاته
٧٧٣	١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق
٧٧٩	١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب
٧٨٥	١٣٩ - النهي عن البدع
٧٩١	١٤٠ - قدرة الله
٧٩٥	١٤١ - علامات حسن الخاتمة
٨٠١	١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام
٨٠٧	١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء
٨١٣	١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة
٨١٩	١٤٥ - طلب العلم الشرعي
٨٢٥	١٤٦ - معنى لا إله إلا الله
٨٣١	١٤٧ - سورة الفلق
٨٣٧	١٤٨ - آداب الطعام
٨٤١	١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾
٨٤٧	١٥٠ - سورة الفاتحة



البرهان والشفقة

مسن

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الأول والثاني والثالث.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ٨ - الرياض، ١٤٣٤هـ

٨٦٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

(في مجلد واحد)

١- الوعظ والإرشاد ٢- الإسلام - مجموعات أ- العنوان

١٤٣٤/٤٠٦

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٤٠٦

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

واللاطفه أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الثامنة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروسة يومية

(١٥٠) درر للشفاعة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا، والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراض واللباس، والمواعظ والرقائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسّير، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلّى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله :-

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابهِ ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّه مؤلفه خمسين ومئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كُلفتُ من قِبَلِ إدارة شؤون الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، بإلقاء كلمات وعظية في مساجد مدينة الرياض، وفي أثناء تنقلي بمساجد المدينة أشار عليَّ بعض الفضلاء من أئمة المساجد بكتابة ما يُلقى من هذه الكلمات؛ لكي يستفيد منها أئمة المساجد وطلبة العلم، وعامة الناس.

فاستخرت الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم شرعت في كتابتها لعل الله أن ينفع بها.

والجزء الأول من كتاب الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، جمعتُ فيه ثلاثين كلمة متنوعة، وقد طُبِعَ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ، ثم بدا لي أن أضيف عليه أربعين كلمة أخرى، فطُبِعَ الكتاب الطبعة الثانية (الجزء الأول والثاني) في مجلد واحد عام ١٤٢٣هـ.

وفي عام ١٤٢٦هـ طُبِعَ الكتاب للمرة الثالثة، بإضافة ثمانين كلمة (الجزء الأول والثاني والثالث) في مجلد واحد، فأصبح المجموع (مئة وخمسين كلمة).

وقد بذلت جهدي ألا أورد فيها من الأحاديث إلا ما صُحِّح، والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الكلمة الأولى

الإخلاص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الأصول المهمة في دين الإسلام تحقيق الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات، قال بعضهم: الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجازٍ سواه^(١).

قال أبو عثمان سعيد النيسابوري: صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر إلى الخالق، والإخلاص: أن تريد بقلبك وعملك وفعلك رضا الله تعالى خوفاً من سخط الله كأنك تراه بحقيقة عملك بأنه يراك حتى يذهب الرياء عن قلبك، ثم تذكر منة الله عليك إذ وفقك لذلك العمل حتى يذهب العجب من قلبك وتستعمل الرفق في عملك حتى تذهب العجلة من قلبك.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا جُعِلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

والعجلة أتباع الهوى، والرفق أتباع السنة، فإذا فرغت من عملك وجل قلبك خوفاً من الله أن يرد عليك عملك فلا يقبله منك. قال الله تعالى:

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٢/ ١٢٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون]،
ومن جمع هذه الخصال الأربعة كان مخلصاً في عمله إن شاء الله (١).

والإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ [الزمر]، وقال سبحانه:
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الملك].
قال الفضيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان
خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل،
حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على
السنة (٢).

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى].

قال أبو العالية: «وصاهم بالإخلاص في عبادته»، والإخلاص
أعظم أعمال القلوب.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «ومن تأمل الشريعة في
مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب،
وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال
الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من

(١) البيهقي في شعب الإيمان رقم (٦٤٧٥) طبعة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

(٢) مدارج السالكين (٢/٦٩).

الأعمال التي ميزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»^(١).

وقال أيضًا: لو نفع العلم بلا عمل لما ذمَّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بغير إخلاص لما ذمَّ المنافقين^(٢).

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: أولاً: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بيَّنه رسول الله ﷺ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْزَوِجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٤).

ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٣٣٠) نقلاً عن كتاب الإخلاص والشرك الأصغر ص ٥.

(٢) الفوائد ص ٦٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

وفقدان الإخلاص سبب لرد العمل. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١) ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾^(٢) [هود].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٠٥). (٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٨١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤).

وروى النسائي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ». فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغْيَ بِهِ وَجْهَهُ» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص (٢).

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب (٣).

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، إنها تتقلب عليّ.

وقال سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

وقال بعض السلف: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله، نجا وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب؛ فإن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى (٤).

والخلاصة: إن الإخلاص لله تعالى وإرادة وجهه رأس مال العبد وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرّة

(١) سنن النسائي برقم (٣١٤٠)، قال النووي: إسناده جيد «الترغيب والترهيب» (١/٦١).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣). (٣) مدارج السالكين (٢/٦٩).

(٤) انظر: «الإخلاص طريق الخلاص» لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ١٧٦.

عينه، ولذلك خُلق وبه أمر، وبذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله وَعَلَيْكُمْ وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده، ومن كان كذلك كفاه الله كل مهمم، وتولاه في جميع أموره، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات. ومن كان لله كان الله له، حيث لا يكون لنفسه^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٤٠٨، بتصرف.

الكلمة الثانية

السبعة الذين يظلمهم الله في ظله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم].

في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٢) [الحج].

في ذلك اليوم العظيم تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ قَدَرٌ مِيلٌ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِئُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاءً^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي ﷺ قال: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِئُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

في ذلك الموقف العظيم يظل الله في ظله هؤلاء السبعة، فلتأمل أعمالهم التي أوجبت لهم هذا الجزاء العظيم.

فالأول: الإمام العادل الذي يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٦﴾ [ص].

ممثلًا أمر ربه له سبحانه إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٥٨﴾ [النساء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا»^(٣).

فهذا ثواب من عدل في حكمه وأعطى الحق أهله، فانظر إلى جزاء من جار في حكمه وظلم ولم يعدل، وأغلق بابه دون أصحاب الحاجات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

(١) معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِيَّ أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ ﻋَلَيْكَ مَغْلُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بَرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوْلَاهَا مَلَأَمَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رِعِيَةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة أنه قال: يا معاوية إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَّا أَعْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ» قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ^(٣).

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحببها إليه، وكره إليه الأعمال السيئة وأعانها على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك، وقد حفظه مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ لمسلم.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٩/٥٦٥) برقم (١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، فاستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

لقد علم أنه مسؤول عن شبابه فيم أبلاه، فعمل بوصية نبيه ﷺ التي أوصى بها حيث يقول: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»^(١).

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، فلا يكاد إذا خرج من المسجد أن يرتاح لشيء حتى يعود إليه، لأن المساجد بيوت الله، ومن دخلها فقد حلَّ ضيفاً على ربه، فلا قلبَ أطيّب ولا نفسَ أسعد من رجلٍ حلَّ ضيفاً على ربه في بيته وتحت رعايته.

وهؤلاء عمّار المساجد على الحقيقة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ، بِالرُّوحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا: بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة: بما أعدَّ لهم من الكرامة في الجنة.

(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٣٤١) رقم (٧٨٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين

ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ١٧٦)، وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٨)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري، وقال إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٦).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلًا»^(١) كَلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»^(٢).

والرابع: رجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة].

روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنْعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٤).

وهذه إحدى الخصال التي يجد بها العبد حلاوة الإيمان ولذته، فهذان الرجلان لم تجمعهما قرابة ولا رحم ولا مصالح دنيوية، وإنما جمع بينهما حب الله تعالى حتى فرَّق بينهما الموت وهما على ذلك.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه:

(١) نزله: مكاناً ينزله.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٩) واللفظ له.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٩٦٥).

(٤) صحيح مسلم برقم (٥٤).

أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ». فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؟! انْعَتَهُمْ لَنَا - يَعْنِي: صِفَهُمْ لَنَا - فَسَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَفْزَعُونَ؛ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١).

والخامس: رجل دعتة امرأة إلى نفسها، وليست كأي امرأة، بل هي امرأة لها مكانة ومنزلة رفيعة، وقد أعطها الله من الجمال ما يجعل الفتنة بها أشد، والتعلق بها أعظم، فإيا الله كيف ينجو من وقع في مثل ذلك الموقف، إلا بإيمان عميق وبصيرة نافذة!؟

قال القاضي عياض: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مرادها ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٣/٥) طبعة دار صادر، وشرح السنة للبخاري (٥٠/١٣ - ٥١) برقم (٣٤٦٤)، وقال محققه شعيب، وزهير: وأخرجه أحمد (٣٤١/٥)، و(٣٤٣) وشهر بن حوشب مختلف فيه وله شاهد بنحوه من حديث ابن عمر. أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٧٠ - ١٧١)، وصححه، وأقره الذهبي وآخر من حديث أبي هريرة عند ابن حبان في صحيحه (٢٥٠٨) وإسناده صحيح.

والجمال من أكمل المراتب، وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله. وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف»^(١).

قال تعالى في هذا وأمثاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَاَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمَلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجَهَا عَنْكُمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِثَّتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ ... الحديث»^(٢).

والسادس: رجل تصدَّق بصدقة، وما أكثر المتصدقين! وما أعظم أجورهم عند الله! لكن الذي تميز به هذا المتصدق ونال به هذا الأجر العظيم - وهو إضلال الله له -، إخلاصه في صدقته، فقد بلغ به الإخلاص حتى كاد أن يخفيها عن نفسه لو استطاع. وقد مدح الله المتصدقين، فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ ثُمَّ خَصَّ الْمَسْرِينَ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَكُتُوهُهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٣) واللفظ له.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴿البقرة﴾.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» (١).

أما السابع: فرجل امتلأ قلبه بمحبة الله وخشيته وتعظيمه، فذكر الله بمكان خال لا يراه إلا هو، ذكر عظمته وفضله عليه ورحمته فدمعت عيناه شوقاً إليه، وفي هذا وأمثاله يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال: ﴿قَوْلٌ لِّلنَّفْسِیَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المعجم الصغير للطبراني (٢/٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٣٩)، وقال: حديث ابن عباس حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤١١٣).

الكلمة الثالثة

التوفيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توفيق الله ﷻ لا غنى للعبد عنه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

فمن وفقه الله لتزكية نفسه فقد أفلح وفاز، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى]، وأعلى مراتب توفيق الله لعبده: أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «يخاطب الله جل وعلا عباده المؤمنين، فيقول: لولا توفيقي لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم، ولكني حببته إليكم وزينته في قلوبكم، وكرهت إليكم ضده الكفر والفسوق»^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٧).

والتوفيق من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله، إذ لا يقدر عليه إلا هو، فمن طلبه من غيره فهو محروم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه الهداية المذكورة في الآية هي التي يسميها العلماء هداية التوفيق، قال شعيب رضي الله عنه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن القيم رحمته الله: «أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك»^(١) وبهذا جاء التوجيه النبوي الكريم، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ومما يغلط فيه كثير من الناس ظنهم أن من رزق مالا، أو منصباً، أو جاهاً، أو غير ذلك من الأمور الدنيوية، أنه قد وُفق، والأمر ليس كما ظنوا، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وقد ذكر الله هذا عن ذلك الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

والصواب أن الموفق هو الذي إذا أُعطي منصباً، أو جاهاً، استعمله

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٨٨).

في مرضاة ربه، ونصرة دينه، ونفع إخوانه، وإن رُزِقَ مَالاً أَخَذَهُ مِنْ حِلِّهِ وَصَرَفَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، فَإِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ، فَالْمَوْفُوقُ مِنْهُمْ هُوَ الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ شُكْرَهُ، وَالْمَخْذُولُ هُوَ الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ طَغَى وَكَفَرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾﴾ [العلق].

وقال الله عن نبيه سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكْفُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وتوفيق الله لعباده يكون على أحوال كثيرة، فمنها: أن يعرض الخير على أناس فيردونه حتى ييسر الله له من أراد به الخير من عباده، وقد مكث النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يعرض نفسه على القبائل لينصروه، فلم يستجيبوا له حتى وفق الله الأنصار لذلك، فنالوا الشرف العظيم في الدنيا والاخرة.

ومنها: أن يوفق الله العبد في آخر حياته لعمل صالح يموت عليه، فيختم الله به أعماله.

روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ. وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ» وفي رواية: فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»^(١).

ومنها أن يوفق الله العبد لعمل قليل أجره عند الله كثير، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي عنهما قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُتَّقِعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٦)، وأحمد (٢٦٠/٣) والرواية له.

قَالَ: «أَسْلِمَ ثُمَّ قَاتِلٌ» فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»^(١).

فمن اتقى الله تعالى وملاً الإخلاص قلبه، وعلم الله منه صدق نيته، وأكثر من دعائه، فقد أخذ بمجامع الأسباب الموصلة إلى التوفيق، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٠٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٠).

الكلمة الرابعة

حسن الخلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:
فإن من أفضل الأعمال التي دعا إليها الشرع ورغب فيها حسن الخلق، فهو من أعظم مواهب الله لعباده.

قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤﴾
[القلم]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١٩﴾
[الأعراف].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم، في أقواله وأعماله، وفي عبادته لربه وتعامله مع عباده.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

(١) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب؛ والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وأخضع لهم عدوهم»^(١).

ومن وصايا النبي الكريم ﷺ للصحابيين الجليلين أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أنه قال: «اتقِ اللهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(٣). اهـ.

ولما سُئِلَ رحمته الله عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٤).

ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٥).

قال بعض السلف: حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله وحيك وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٤٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٤)، وحسن إسناده الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٤) برقم (١٦٣٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

ثانیهما: حسن الخلق مع الناس وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً^(١).

فحريٌّ بمن تمسك بهذا أن يصل إلى مراتب العاملين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٢).

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ [الأحزاب]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتِكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»^(٤).

(١) تهذيب السنن لابن القيم شرح سنن أبي داود (١٣٠ / ١٣).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣ / ٩١١) برقم (٤٠١٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢١٢٥).

قال حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النَّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ (١).

وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الأعمار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» (٢).

والمسلم لا بد أن تواجهه في حياته مواقف كثيرة، إن لم يستعمل فيها حسن الخلق فإنه سيفشل في مواجهتها.

فمن القواعد العامة في هذا المجال: أن لا تسرع بالملامة في حق من أساء إليك، أو قصر في حقك، وأن تعامله بحسن الظن والتماس العذر، وعلى العكس من ذلك أن لا تقول قولاً، ولا تفعل فعلاً قد تحتاج فيما بعد للاعتذار منه، ففي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ» (٣).

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

(١) جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٢/١٥٣) برقم (٢٥٢٥٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) الضياء في المختارة (٦/١٨٨) برقم (٢١٩٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث

الصحيحة (١/٦٨٩) برقم (٣٥٤).

وقال آخر:

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلَاقِ مَرْجَعُهُ فَقَوْمِ النَّفْسِ بِالأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ
ومن الأمثلة التي استعمل فيها حسن الخلق فكانت نتائجها حميدة،
ما روي أن رجلاً لقي علي بن الحسين فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال:
مهلاً، ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة
نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة^(١) كانت عليه،
وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد
الرسول ﷺ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) كساء أسود مربع معلم.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٣٨).

الكلمة الخامسة

العجلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها: العجلة.

قال الراغب: «العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، حتى قيل: الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١).

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٦) [القيامة]، وقد كان النبي ﷺ خلقه القرآن، يتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه، لذلك التزم بهذا التوجيه المبارك، فلم يكن يستعجل؛ بل كان يتأنى ويصبر، وإلى هذا أرشد أمته؛ فقال ﷺ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

وقال الله له أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَغَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣٥) [الأحقاف] فكان ﷺ - وهو القدوة المثلى - أولى الخلق التزاماً بهذا الأمر.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٣٣٤).

(٢) مسند أبي يعلى (٧/ ٢٤٧) برقم (٤٢٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٤/ ٤٠٤) برقم (١٧٩٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الشَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»^(١).
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٢).

أما المسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إليها، وانتهاز الفرص إذا حانت، فإن ذلك محمود وليس بمذموم.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(١٤) [طه].

روى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»^(٣).

لأن العجلة المذمومة القطع في الأمور قبل التفكير والمشاورة

(١) هما جبلا مكة أبو قبيس والجيل الذي يقابله.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٩٥).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٤).

والاستخارة، ولهذا قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الْعَجَلَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ، وَيَجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يَجْرِبَ، وَيَذْمُ بَعْدَ مَا يَحْمَدُ، وَالْعَجَلَ تَصْحَبُهُ النَّدَامَةُ، وَتَعْتَزِلُهُ السَّلَامَةُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِيهَا أُمَّ النَّدَامَاتِ»^(١). اهـ.

قال الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجَلِ الزَّلُّ
ومن الأمثلة على العجلة المذمومة: الاستعجال بالدعاء على الأهل،
والمال والولد عند الغضب، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(٢).

ولعل كثيراً مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد يكون بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومنها: استعجال المرء إجابة دعائه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي»^(٣).

ومنها: استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يتمون ركوعها ولا سجودها ولا يطمئنون فيها، وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا صَلَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ

(١) روضة العقلاء (ص ٢٨٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥) واللفظ له.

تُصَلِّ - ثلاث مرات - في كل مرة يقول له ذلك.

ثم قال له: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا...»^(١) - الحديث.

ومن واقعنا المعاصر نرى كثيرًا من الناس يندمون حين لا ينفعهم الندم، بسبب استعجالهم في أمور كان عليهم أن يتأنوا فيها، فمن ذلك: أنه لأقل الأسباب يطلق الرجل زوجته، فتشتت الأُسْر، ويضيع الأطفال، وتُهدم البيوت، ويقع من الهم والغم ما الله به عليم، كل ذلك بسبب العجلة فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومنها: العجلة في قيادة السيارات، وما نسمعه من الحوادث المرورة التي كانت سببًا لإزهاق نفوس كثيرة، وأمراض خطيرة، وعاهات مزمنة، إنما وقع بسبب العجلة.

ومنها: أن يستبطئ الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة، روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي^(٢)، أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرَّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

(٢) أي: قلبي.

(٣) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة السادسة

كتابة الوصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الأمور التي ينبغي تذكير المسلمين بها: كتابة الوصية، وذلك لما في كتابتها من المصالح الدينية والدنيوية، ولتساهل كثير من الناس بها.

فلو قلت لأحدهم: هل كتبت وصيتك؟ لنظر إليك نظرة تعجب واستغراب، هل هو على فراش الموت حتى يكتب وصيته؟!

ولم يعتبر بما يشاهده ويسمعه كل يوم من الميمات الفجائية التي تأتي بغتة، وقد أخبر ﷺ أن من عقوباته احترام النفوس فجأة، فلا تتمكن من الوصية بشيء تريده، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس]، فكم من ميت مرتهن بدينه، وكم من غني لم ينتفع بماله بعد موته، وكم من حقوق أضيعت، وأمانات لم تُؤدَّ إلى أصحابها؟! كل ذلك سببه التساهل في كتابه الوصية.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ» (١).

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٧٧٩).

والوصية سنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، فينبغي للمسلم أن يقتدي بهم في وصي أولاده وقرابته من بعده بتقوى الله ﷻ والتمسك بدينه، ويوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة].

والوصية على أحوال: واجبة، ومستحبة، ومحرمة.

فتجب على المسلم إذا كانت عليه حقوق لله تعالى، كالنذر والزكاة، والحج، ونحوها. أو عليه ديون للخلق من أموال وغيرها، أو له ديون على الناس لم يفهم منها.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي (١).

وتستحب لمن عنده سعة من المال أن يوصي بشيء منه، يُنْفَقُ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَيَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ لَهَا شَرْطَانِ:

الأول: أن تكون بالثلث فما دون؛ لقول النبي ﷺ لسعد لما أراد أن يوصي: «الثلثُ، والثلثُ كثيرٌ» (٢).

الثاني: أن تكون لغير وارث، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٧).

أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ»^(١).

وتحرم الوصية بما يخالف الشرع، كأن يوصي أهله بالنياحة عليه، أو بقطع رحمه، أو إلحاق الأذى بالمسلمين، أو الانتقام من فلان، أو الإضرار بورثته، وغير ذلك، فمن فعل شيء من ذلك فإنها لا تصح وصيته ولا تنفذ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

نقل ابن كثير رحمته الله عن ابن عباس وغيره: أن الجنف هو الخطأ، ثم قال: وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثًا بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصى ببيعه الشيء الفلاني محاباةً، أو أوصى لابن ابنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل^(٢). إما مخطئًا غير عامد بل بطبعه وقوة شفقتة من غير تبصر أو متعمدًا آثمًا في ذلك.

ومن فوائد الوصية إضافة إلى ما تقدم:

١ - الأجر العظيم لمن كتبها جزاء طاعته لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

٢ - الأجر العظيم فيما يوصي به من النصائح والمواعظ لما يُرجى من الانتفاع بها.

٣ - إبراء ذمته من المخالفات الشرعية والحقوق المالية وغيرها.

٤ - قطع النزاعات المحتملة، وإنهاء الخلافات التي قد تحدث بين ورثته من بعده، وهذا نموذج للوصية:

(١) سنن الترمذي وهو جزء من حديث برقم (٢١٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١٧١/٢) مختصرًا.

يقول بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله: هذا ما أوصى به فلان بن فلان وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، أوصي أولادي وأهلي وأقاربي وجميع المسلمين بتقوى الله ﷻ، وأوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة].

وأوصي بتسديد ما عليّ من دين - إن كان عليه دين -، وإن أراد أن يقول: وأن يخرج من مالي ثلثه لفلان أو صدقة جارية، وأولادي القُصّر يكون وليهم فلان، يحفظ لهم حقهم من التركة حتى يبلغوا، ثم يوصي بما أراد من وصايا دينية واجتماعية، وأن يكون غسله وتجهيزه وما يتبع ذلك على سنة النبي ﷺ، ثم يختم ذلك بالدعاء لنفسه بالمغفرة والرحمة ودخول الجنان.

وعليه توثيق وصيته بشهادة رجلين عدلين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



البركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإنه ينبغي للمسلم أن يسأل الله ﷻ أن يبارك له في علمه وعمله، وفي وقته وماله، وفي أهله وأولاده، وفي دنياه وآخرته، وأن يحرص على الأسباب التي تستجلب بها البركة.

قال الراغب: «البركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء»^(١). اهـ.

فالبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وإن من أعظم ثمار البركة في الأمور كلها استعمالها في طاعة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ولما كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أعظم الناس قياماً بالتقوى ولوازمها، كانت البركة لهم وبهم أعظم وأعم، ولقد هداهم الله تعالى ومن شاء من صالح العباد إلى ما فيه الخير كله والبركة كلها، وهو هذا الكتاب العظيم الذي أمر الناس بتعلمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [ص].

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم «٤١».

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي عثمان قال: قال عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِضَيْفٍ لَهُ - أَوْ بِأَضْيَافٍ لَهُ -، فَأَمَسَى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ قَالَتْ أُمِّي: احْتَبَسْتَ عَن ضَيْفِكَ - أَوْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ. قَالَ: مَا عَشَّيْتَهُمْ؟ فَقَالَتْ: عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا أَوْ - فَأَبَى، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَسَبَّ وَجَدَعَ، وَحَلَفَ لَا يَطْعَمُهُ، فَاخْتَبَأْتُ أَنَا فَقَالَ: يَا غُثْرُ. فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أَوْ الْأَضْيَافُ - أَنْ لَا يَطْعَمَهُ - أَوْ يَطْعَمُوهُ - حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةَ عَيْنِي إِنَّهَا الْآنَ لِأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلُوا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَدْ تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّتُهُ، فَفَنِي» (٢).

وهناك أسباب كثيرة تُستجلب بها البركة.

منها: تقوى الله جل وعلا، فما اتقى الله عبد في أي أمرٍ من أموره، إلا بارك الله له فيه بقدر تقواه أو أعظم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومنها: الدعاء، ولقد علمنا النبي ﷺ الدعاء بطلب البركة في

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٣).

أمور كثيرة، فقد علمنا أن ندعو للمتزوج: فنقول: «بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ»^(١)، وعلمنا أن ندعو لمن أطعمنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٢)، وعلمنا أن ندعو بالبركة في طعامنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ»^(٣).

وَكَانَ ﷺ يُوتَى بِالْأَطْفَالِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ^(٤)، وَإِذَا أَتَوْهُ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرَةِ دَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدُنِنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوُلْدَانِ^(٥).

ومنها أن يأخذ المال بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح.

قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٦).

ويلحق بهذا إنفاق المال في وجوه البر وإخراج زكاته، وبذل حقوقه بإخلاص وطيب نفس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٤٢).

(٣) أبو داود برقم (٣٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨١).

(٤) سنن أبي داود برقم (٥١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٦١) برقم (٤٢٥٩).

(٥) انظر: صحيح مسلم برقم (١٣٧٣).

(٦) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ» (١).

وفي حديث قدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه: يبلغ به النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» (٢).

ومنها: الصدق في المعاملة من بيع وشراء وتجارة وشراكة وغيرها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (٣).

ومنها: قضاء الأعمال والتجارات في أول النهار؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» (٤).

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ لَا يَبْعَثُ غِلْمَانَهُ إِلَّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى كَانَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ مَالَهُ؟!

ومنها: اتباع السنة في الطعام والشراب، وفيه أحاديث نشير إلى بعضها، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ» (٥).

(١) صحيح مسلم جزء من حديث برقم (٢٥٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢١١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٥٣٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١٦/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٣٠٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١٨٠٥) وقال: حديث حسن صحيح.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْعَى الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ» (١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث وحشي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؛ قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ» (٢).

ومنها: أي من أسباب حصول البركة، استخارة المولى جل وعلا في الأمور كلها، مع الإيمان بأن ما يختاره الله لعبده خير مما يختاره لنفسه في العاجل والآجل؛ وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة حرصه عليها يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلْ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٤).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٣٢٨٦) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٢٦٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٦٢).

الكلمة الثامنة

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

وهذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وإن كان مشهوراً عند كثير من الناس، وقد ثبت بلفظ آخر من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء قالوا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية وقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً، قال: سمعته يقول: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَكَ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(١).

وهذا الحديث العظيم قد اشتمل على ثلاث جمل.

الأولى قوله: «لَنْ تَدَعَ شَيْئاً»، وهذا لفظ عام يشمل كل شيء يتركه الإنسان ابتغاء وجه الله تعالى.

الثانية: قوله: «لِلَّهِ عَوْضَكَ»، هذه الجملة بيِّن فيها النبي ﷺ أن التارك لا بد أن يكون ابتغاء مرضاة الله، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو عدم القدرة على التمكن منه، أو غير ذلك.

الثالثة: قوله ﷺ: «أَبَدَلَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»، هذه الجملة فيها بيان للجزاء الذي يناله من قام بذلك الشرط، وهو تعويض الله للتارك خيراً وأفضل

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/١٧٠) برقم (٢٣٠٧٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١/١٩): وسنده صحيح على شرط مسلم.

مما ترك، والعوض من الله قد يكون من جنس المتروك، أو من غير جنسه، ومنه الأُنس بالله ﷻ ومحبته وطمأنينة القلب وانسراح الصدر، ويكون في الدنيا والآخرة، كما علم الله المؤمن أن يدعو: ﴿رَبَّنَا ءَإِنكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال قتادة السدوسي: لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ، إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ»^(١).

والأمثلة التي تبين عظيم خلف الله تعالى لعباده كثيرة جداً، منها: ما قصه الله تعالى عن نبي الله سليمان ﷺ في سورة (ص)، وخلاصته: أنه كان محبباً للجهاد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حباً شديداً، فاشتغل بها يوماً حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن يصلني، فأمر بها فردت عليه، فضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف إيثاراً لمحبة الله ﷻ، وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم.

ف عوضه الله ﷻ خيراً منها الريح التي تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شهرين.

وإليك الآيات فتدبر. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِيْنَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٠١)، وصحيح مسلم برقم (١٢٨).

حَبِّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ
أَعْرِضْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴿[ص.]

المثال الثاني: النبي ﷺ وأصحابه لما هاجروا تركوا ديارهم
وأموالهم لله تعالى، فعوضهم الله بأن جعلهم قادة الدنيا وحكام
الأرض وفتح عليهم خزائن كسرى وقيصر، ومكنهم من رقاب الملوك
والجبابرة، هذا مع ما يُرجى لهم من نعيم الآخرة، فشكروا، ولم يكفروا،
وتواضعوا ولم يتكبروا، وحكموا بالعدل بين الناس، قال تعالى:
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ [النور].

وتأمل قصة أحد هؤلاء المهاجرين، وهو صهيب الرومي رضي الله عنه، فعن
عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كِنَانَتَهُ فَأَخْرَجَ
منها أربعين سهمًا، فقال: «لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ
سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَفْتُ بِمَكَّةَ
قَيْتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ، وَنَزَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: أَبَا يَحْيَى
رَبِحَ الْبَيْعُ، قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ»^(١).

المثال الثالث: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عرضت عليه

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٥٠) ورقم (١٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،
وحسنه الشيخ مقبل الوداعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٣٣).

المغريات في أرقى صورها، فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عز وجل، لأن الله جعله من المُخْلِصِينَ، وأُوذِيَ بسبب ذلك فاختر السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فمَلَكَه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطِي، ونعم المُعْطَى، ونعمت العطية.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة

طول الأمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فلقد ذم الله أقواماً طالت آمالهم فألهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون، فهم يتمنون أن لو مُدَّ لهم فيه ليستدركوا ما فات؛ ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر].

وطول الأمل: هو الاستمرار في الحرص على الدنيا ومداومة الانكباب عليها، مع كثرة الإعراض عن الآخرة^(١).

ولقد أخبر النبي ﷺ أن كثيراً من الناس طالت آمالهم حتى جاوزت آجالهم.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ»^(٢) يعني الأجل.

وإن من عجيب أمر ابن آدم أنه كلما اقترب من أجله طال أمله، وزادت رغبته في الدنيا وحرصه عليها، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، وهم قليل.

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (١٠/٤٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ»^(١).

فالأمل لا ينفك عنه أكثر الخلق، ولولا الأمل ما تهنى أحد بعيش أبداً، قال الشاعر:

أَعْلِلُ النَّفْسَ بِالأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقَ العَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الأَمَلِ
قال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا^(٢).

قال ابن حجر: وفي الأمل سر لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته^(٣).

فالعاقل من لم يغرّه طول الأمل، ولم يُنْسِه ما هو فيه من النعيم ما وعد الله به كل حي، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الأَحْيَوةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ العُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنظَّرِ المَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنظَّرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٢٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٤٦).

(٢) فتح الباري (١١/٢٣٧). (٣) فتح الباري (١١/٢٣٧).

(٤) البخاري برقم (٦١٤٦).

زاد الترمذي: «وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»^(١).

قال ابن رجب: وهذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يتخذ هذه الدنيا وطناً ومسكناً، وإنما يكون حاله فيها كأنه على جناح سفر يهيم جهازه للرحيل^(٢).

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه، فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه^(٣).

عن الحسن لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه: بكى وقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَيْنَا عَهْدًا فَتَرَكْنَا مَا عَهْدَ إِلَيْنَا: أَنْ يَكُونَ بُلْغَةُ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّائِبِ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرْنَا فِيمَا تَرَكَ، فَإِذَا قِيَمَةٌ مَا تَرَكَ بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا أَوْ بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا^(٤).

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته، فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال ابن القيم رحمته الله: «ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أمانى، والوقت ضائع بينهما»^(٥).

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو قال: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا^(٦) لَنَا فَقَالَ: «مَا هَذَا؟».

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٢) برقم (١٩٠٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٧). (٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٧٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤٣٨)، وصححه ابن حبان (٢٤٨٠).

(٥) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (١٠/ ٤٨٦٥).

(٦) الخص: بيت يعمل من الخشب والقصب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٧).

فَقُلْنَا: قَدْ وَهَىٰ فَنَحْنُ نُصَلِّحُهُ. قَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسوية بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب، لأن رفته وصفاءه إنما يقع بتذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

ولذلك يقول علي رضي الله عنه: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَأَنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»^(٢).

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «صَلِّحَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ وَهَلَكَ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»^(٣).

ومن مفسد طول الأمل:

١- نسيان الموت وأحوال الآخرة وما أعد الله فيها من النعيم المقيم لأهل طاعته، ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري من قوله: ارتحلت الدنيا مدبرة برقم (٦٤١٦).

(٣) (٦٩/١٥) برقم (١٠٠٤٦) وقال محققه: إسناده حسن، وحسنه الشيخ الألباني في

صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٤٥).

٢- يُقْسِي الْقَلْبَ وَيُجِفُّ دَمْعَ الْعَيْنِ، وَيَزِيدُ فِي شِدَّةِ الْحَرَصِ عَلَى الدُّنْيَا.

٣- يَدْفَعُ إِلَى الْمَعَاصِي وَيُبْعِدُ عَنِ الطَّاعَاتِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة العاشرة

فضل القرآن وقراءته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وهوى، أثنى الله عليه في مواضع كثيرة منه؛ لبيان فضله ويوضح للناس مكانته ومنزلته، قال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت].

فما من باطل إلا وفي القرآن ما يدمغه، ولا شبهة إلا وفيه بيان بطلانها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء].

سمَّاه الله نوراً وجعله للناس شفاءً. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

أعجب به الجن لما سمعوه، فآمنوا به واتبعوه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ [الجن].

تكفل الله بحفظه وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» (١).

ولهذه الفضائل العظيمة لكتاب الله، أمر الله بتلاوته والعمل به وتدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ [فاطر].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لقارئ القرآن من الحسنات.

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِّن كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) صحيح مسلم برقم (٨١٧).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعَّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(١).

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن، فيشفع لقارئه ويعلو به في مراتب الجنة على قدر قراءته.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»^(٣).

وإن من عجيب حال الكثيرين منا: تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: لَوْ طَهَّرْتَ قُلُوبَنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ. ولهذا المعنى أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة].

فالآيات بينت حال المؤمنين، وحال المنافقين عند سماع القرآن وتلاوته، فليحذر المسلم أن يكون من ذلك الصنف الخاسر الذي لا يزيده سماع القرآن إلا خسارًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٨) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٠٤).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعلى هذا فينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:

أولاً: قراءة القرآن بتدبر وتمعن، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

قال عبد الله بن مسعود: «لَا تَشْرُوهُ كَنْشِرِ الرَّمْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

ثانياً: مراجعة الحفظ، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»^(١).

ثالثاً: الخشوع عند تلاوة القرآن: روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «أَقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأْ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ! قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٤١)، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ^(٢).

رابعاً: عدم هجر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان] والهجر يشمل هجر التلاوة، والتدبر والعمل، والتحاكم إليه، كما قال ابن القيم رحمه الله.

فلا بد من العناية بكلام الله عز وجل حفظاً، وتلاوة، وعملاً، حتى يكون المسلم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٧٩١) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٠٠).

الكلمة الحادية عشرة

فضل رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص].

وهذا «الشهر» قد خصه الله ﷻ بخصائص، من أعظمها وأجلها أن الله تعالى أنزل فيه هذا القرآن العظيم هدى للناس وبينات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة].

قال بعض أهل العلم: إن الله ﷻ عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل؛ ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر].

ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان، فينبغي للمسلم أن يكثُر من قراءة القرآن في هذا الشهر المبارك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١).

ومنها أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِسَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٣).

ومنها أن فيه ليلة خير من ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(٤) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾ [القدر]. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤).

والمقصود من هذه الخيرية أن العمل الصالح في هذه الليلة أفضل من العمل ألف شهر.

ومنها: استجابة الدعاء فيه، والعتق من النار، روى البزار في

(١) صحيح البخاري برقم (٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٧٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٧٩).

(٣) سنن الترمذي برقم (٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عُمَّتَاءَ مِنَ النَّارِ - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ -، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ»^(١).

ومنها: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ»^(٢).

ومنها: فضل الاعتمار فيه: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَجَّجَتٍ مَعَنَا؟». قَالَتْ: نَاضِحَانِ كَانَا لِأَبِي فَلَانٍ - زَوْجَهَا - حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخِرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلَامُنَا. قَالَ: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي»^(٣).

ومنها: تكفير الخطايا والسيئات، روى ابن حبان في صحيحه من حديث مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةَ قَالَ: «أَمِينَ» ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ أُخْرَى فَقَالَ: «أَمِينَ»، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ ثَالِثَةً، فَقَالَ: «أَمِينَ»،

(١) كشف الأستار (١/٤٥٧ - ٤٥٨) برقم (٩٦٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٨٦) برقم (١٠٠٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٧٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٢٥٦) واللفظ له.

ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرَ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٣).

ومعنى: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» في الحديثين السابقين، أي: مصدقًا بفرضية الصيام، وراغبًا في ثوابه، طيبة نفسه بالصيام، غير كاره لصيامه ولا مستثقل لقيامه، وبعض الناس يصوم ويقوم عادة لأنه رأى الناس يفعلون ذلك، وهذا خطأ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ هَذِهِ الْأَجُورَ الْعَظِيمَةَ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ وَابْتِغَاءِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَزَائِهِ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٤١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية عشرة

فضل الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة وأجلها عند الله تعالى الصيام، فقد رغب فيه الشرع وحثَّ عليه، وجعله أحد أركان الإسلام العظام، وأخبر جل وعلا أنه لا تستغني عنه الأمم؛ لما فيه من تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس، وحملها على الصبر، فقال:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقال تعالى بعد ما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^{(١)(٢)}.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٣).

(٢) سبعين خريفاً أي سبعين سنة.

ومن فضائل الصيام: أنه وقاية للعبد من عذاب الله يوم القيامة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الصَّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدَلَ لَهُ»، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ»^(٢)، وفي رواية: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا، إلا إذا نزل بهم ضيف^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٤).

ومنها: أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(٥).

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٣٩٦) قال المنذري: في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٩/٢) حديث رقم (١٤٣٢): إسناده حسن.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٦/٤٦٥) برقم (٢٢١٤٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٣٤١٦، ٣٤١٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٨٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/١٧٤)، قال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (١٠/٢)

حديث رقم (١٤٣٦): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح. =

ومنها: أن الصائم يوفى أجره بغير حساب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(١).

ومنها: أنه كفارة لكثير من المخالفات، فمن ذلك أنه كفارة لحنث اليمين، وقتل الصيد في الإحرام، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْلُوبُوا الصِّيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَلَبَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [٩٥] [المائدة].

روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ»^(٢).

ومنها: أن من صام رمضان وأدى الفرائض الأخرى كان من

= ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع بإسناد حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٨٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٨٩٥).

الصدّيقين والشهداء، روى ابن حبان في صحيحه من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأدّيت الزكاة، وصمت رمضان، وقيمته فممن أنا؟ قال: «مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»^(١).

ومنها أن صيام رمضان يكفر الخطايا والسيئات.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وقد فضل الله بعض الأزمنة على بعض وخصها بمزيد من الفضل، فمن ذلك:

صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣).

ومنها: صيام شهر الله المحرم، وخاصة اليوم العاشر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٤٢٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٦)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار؛ وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. اهـ.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَّةَ الْمَاضِيَةَ»^(١).

ومنها: صيام يوم عرفة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٢).

ومنها: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٣).

ومنها: صيام الاثنين والخميس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٤) رواه الترمذي برقم (٧٤٧)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في

صحيح سنن الترمذي (٢٢٧/١) برقم (٥٩٦).

الكلمة الثالثة عشرة

فضل قيام الليل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال وأجل الطاعات التي رغب فيها الشارع قيام الليل، فهو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فهم عاكفون على مناجاة ربهم، يرغبون ويتضرعون إلى واهب الخيرات وعظيم العطايا والهبات سبحانه.

قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة].

وقد ذكرهم الله تعالى بأحسن الذكر، فقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءاخْذِينَ مَا ءَأَنَّهُمْ رَبُّهُنَّ إِنَّهُنَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات].

قال الحسن: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء، والاستكانة، والاستغفار^(١).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٩٦).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَةٌ لِلْإِثْمِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا؛ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَحْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(٣).

قال الشاعر يصف قومه وقد كانوا أهل جد واجتهاد في طاعة الله:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ أَنْيُنُ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ

وقد أمر الله نبيه بقيام الليل وحثه عليه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ

﴿١﴾ فُرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ، أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨١٤).

(٢) (٥٣٩/٣٧) برقم (٢٢٩٠٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) معجم الطبراني الأوسط (٣٠٦/٤) برقم (٤٢٧٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب

والترهيب (٤٨٥/١) حديث رقم (٩١٨): إسناده حسن.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ۚ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يأخذ بهذا التوجيه الرباني الكريم ويستجيب لأمر ربه، تقول عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَقَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ. ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبحث أصحابه على قيام الليل ويرغبهم فيه، فقال في شأن عبد الله بن عمر: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ - ابن عبد الله بن عمر - : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا^(٣).

وحدث أمته على قيام الليل، فقال: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال

(١) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٢١)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٧٨).

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بَعَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»^(١).

ووقت صلاة الليل من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى، مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُؤْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٤).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَوْ لَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطْيَابَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَابُ التَّمْرِ^(٥).

ومن أعظم الأسباب التي تعين على قيام الليل: التبكير في النوم،

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٦٢) برقم (١٢٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

(٥) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

فإن السهر آفة العصر، وخاصة إذا كان في غير طاعة الله كما هو حال الكثير من الناس، إما على مشاهدة دش أو تلفاز أو لعب ورق أو مجلس قيل وقال، أو غير ذلك.

ولذلك: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا (١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها». اهـ (٣).

وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف، روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه برقم (٨٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة عشرة

الدعاء - آدابه وموانعه -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أجل الطاعات وأعظم العبادات والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه جل وعلا: الدعاء، لما يتضمن من الاعتراف بعظمة الباري وقوته، وغناه وقدرته، ولما فيه من تذلل العبد وانكساره بين يدي خالقه جل وعلا.

وقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا الإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والناس في الدعاء على ثلاثة أحوال: فمنهم من يدعو غير الله وهم المشركون، فإنهم وإن أخلصوا الدعاء في الشدة فإن ذلك لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ويشبههم من بعض الوجوه: المسلم الذي يدعو الله في الشدائد والكرب، فإذا جاء الرخاء غفل ونسي.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»^(١).

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٨٢) وقال: هذا حديث غريب وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٢٩٠).

ومنهم قوم أعطاهم الله من واسع فضله فلم يشكروا؛ بل طغوا واستكبروا، قال الله في هؤلاء: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر].

ومنهم المؤمنون الذين عرفوا قدر ربهم، وأيقنوا أنه لا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا منه.

قال تعالى مثنيًا عليهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء].

قال النبي ﷺ مبينًا لأتمته فضل الدعاء: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»^(١)، وَقَالَ أَيضًا: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣).

فبين النبي ﷺ أن الله عز وجل يحب من عباده كثرة الدعاء والإلحاح فيه، قال الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وهذا شاعر جاهلي يقول في معلقته:

وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ عَلامٌ مَا أَخْفَتِ الْقُلُوبُ

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٣٨) برقم (٢٦٨٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٥) برقم (١٧٣٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٥٢٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٧٢) برقم (٢٧٩٧).

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ

ويجب على العبد أن يراعي في دعائه الأمور التالية:

أولاً: الإخلاص لله في الدعاء. روى أبو داود في سننه من حديث النعمان بن بشير رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

وقد قال الله تعالى مبيناً وجوب إخلاص العبادة له: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

ثانياً: ألا يستعجل العبد في استجابة الدعاء، فإن الله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وما من داع إلا ويستجاب له بأن يُعطى سؤله، أو يصرف عنه من الشر مثله، أو يدخر له في الآخرة كما ثبت بذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال في الدعاء.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(٣).

ثالثاً: ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (١٤٧٩)، وقال: الترمذي: حسن صحيح، وانظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٠١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٢١٣/١٧) برقم (١١١٣٣)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

رابعاً: أن يكون حاضر القلب حال الدعاء، مقبلاً على ربه عند مناجاته في خشوع وسكينة، موقناً بالإجابة.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»^(١).

خامساً: تقوى الله بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَاٍلٍ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سدت طريقها بالمعاصي.

قال الشاعر:

نَحْنُ نَدْعُو الْإِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ نَنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكُرُوبِ
كَيْفَ نَرْجُو إِجَابَةَ لِدُعَائِهِ قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوبِ

سادساً: أن يعلم أن من أعظم موانع استجابة الدعاء أكل الحرام، وإن من المحزن أن كثيراً منا لا ينتبه لهذا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٢).

وعلى سبيل المثال ترى البعض يأخذ أموال الناس بالظلم والقوة، وبعضهم بالمكر والحيلة، ومنهم من يبخس العمال حقوقهم، وآخرون يساهمون بأموالهم في البنوك الربوية، أو يتعاطون في أموالهم وتجاراتهم

(١) سنن الترمذي برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم (٥٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

معاملات محرمة أو مشبوهة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) ﴿المؤمنون: ٥١﴾، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (١).

سابعًا: أن يعلم المسلم أن من موانع الدعاء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الترمذي في سننه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (٢).

وقد ذكر أهل العلم آداب الدعاء، وبينوا ذلك في كتبهم، فينبغي للعبد أن يعرفها ويأخذ بها، فمن ذلك أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وأن يعزم المسألة، فلا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، ونحوها، وأن يرفع يديه حال الدعاء مستقبلاً القبلة وأن يكون على طهارة، وأن يكون معترفاً بذنبه ونعمة الله وفضله عليه، ومنها إظهار الافتقار إلى الله تعالى والشكوى إليه، وأن لا يعتدي في الدعاء، وقد بينت هذه الآداب بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، وأن يتحرى الأوقات الفاضلة التي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن.

يستجاب فيها الدعاء كحال السجود، وبين الأذان والإقامة، والدعاء في جوف الليل، وآخر النهار يوم الجمعة، وعند نزول المطر، وإفطار الصائم، وليلة القدر، ويوم عرفة، ودبر الصلوات المكتوبات، وعند النداء للصلوات المكتوبات، وعند إقامة الصلاة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور، وقد ثبتت هذه المواضع بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

وقد جاء عن النبي ﷺ الإخبار عن يستجاب دعاؤهم، فمنهم: دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، ودعوة الوالد، والمسافر، والصائم، والمظلوم، والإمام العادل، ودعوة الولد الصالح، ودعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور وغيرهم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١).

وقد كان رضي الله عنه يختار في دعائه جوامع الدعاء فيقول: ﴿رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) [البقرة: ٢٠١] وكان يكثر منها، ويقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٣)، وقال لعلي: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»^(٣)، وعلم عائشة أن تقول في ليلة القدر: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ

(١) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهد [طبعة مؤسسة الرسالة].

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٩٥) برقم (٣٥٥٦).

فَاعْفُ عَنِّي»^(١)، وقال ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»^(٢). وغيرها من الأدعية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) مسند الإمام أحمد (٦٦/٣) برقم (١٤٦٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال محققوه: إسناده حسن.

الكلمة الخامسة عشرة

فضل الصدقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أبواب الخير العظيمة التي رغب فيها الشارع الحكيم وحث عليها، الصدقة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، سَحَاءٌ^(١) لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢).

(١) السح: الصب الدائم، ومعنى لا يغيضها شيء: أي لا ينقصها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

فهذا وعد من الله بالإنفاق على من أنفق في سبيل الله، والله سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ لا يخلف وعده.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي ذر رضي عنه قال: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكُعْبَةِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكُعْبَةِ» قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ فَلَمْ أَتَقَارَّ (١) أَنْ قُمْتُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا - مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ -، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِخ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ. قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ». فَكَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان

(١) فلم أتقار: أي لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٦١)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٨).

أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله.

ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، فإنَّ للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبيًا في شرح الصدر^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي أَحَدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةً، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ عَلَيَّ»^(٢).

ولما سُئِلَ ﷺ: أي الصدقة أعظم، قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(٣).

ومن فضائل الصدقة: أنها إذا كانت من كسب حلال خالصة لوجه الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يقبلها بفضله، ويضاعف ثوابها لصاحبها أضعافًا مضاعفة، والله ذو الفضل العظيم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَ تَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ -، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّبُهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٤) فيأتي المؤمن يوم القيامة، وإذا بحسناته أمثال الجبال فيفرح بثواب الله.

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢ - ٢٣) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٤١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠١٤).

ومنها: تكفير السيئات. روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(١).

ومنها: نماء المال وزيادته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٢).

ومنها استظلال المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... مِنْهُمْ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»^(٣).

ويوم القيامة يأتي العالم بعلمه، والمجاهد بجهاده، والمصلي بصلاته، والصائم بصيامه، ويأتي المتصدق بالعلم والجهاد والصلاة، والصيام، فهو قد طبع كتباً للعلماء وقفاً على إخوانه المسلمين، وبنى مسجداً يصلي فيه المسلمون، وأعان المجاهدين في سبيل الله بماله، وفطر الصائمين على نفقته، فيحصل له أجر هؤلاء جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومنها أن الصدقة تقي العبد كثيراً من الشرور والمصائب، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه، حتى لو كانت هذه الصدقة من ظالم أو كافر فإن الله يدفع عنه بها كثيراً من الشرور والمصائب»^(٤).

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٥٠).

قال الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ومن أفضل أنواع الصدقة، الصدقة الجارية التي تستمر للعبد بعد وفاته
مثل حفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، ودعم حلقات تحفيظ
القرآن الكريم، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين ونحو ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

وعلى المنفق أن يراعي الأمور التالية: الإخلاص لله عز وجل في صدقته،
وأن يحذر من الصدقة بالردية من طعام أو لباس أو نحو ذلك، أو أن
يتبع صدقته المن والأذى، أو أن يبخل بما أعطاه الله، أو أن يحتقر شيئاً
من الصدقة، أو أن يرجع في صدقته.

فائدة: ذكر أبو نعيم في حلية الأولياء أن أويس القرني كان إذا أمسى
تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من
مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٢) (٨٧/٢).

الكلمة السادسة عشرة

مخالفات يقع فيها بعض الصائمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام موسمًا عظيمًا من مواسم الخير. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

إلا أن هناك مخالفات يقع فيها بعض الصائمين أحببت التذكير بها، أداءً لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن طائفة من الناس يصومون لكن لا يكتب لهم عند الله أجر الصائمين، وإنما نصيبهم من هذا الصيام الجوع والعطش، وذلك لأن الجوارح لم تمتنع عن معصية الله، فالعين تنظر إلى ما حرم الله، والأذن تستمع إلى ما حرم الله، واللسان يتكلم بما يغضب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٢/١) برقم (١٣٧١).

وطائفة أخرى تقوم الليل ولكن لا يكتب لهم أجر القائمين، إما لفقدان الإخلاص في عبادتهم، أو لعدم موافقتها لهدي النبي ﷺ، أو لغير ذلك.

ولذا ينبغي للصائم أن يحذر من الوقوع في المعاصي، فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، وإنما إمساك الجوارح عما حرم الله.

ومن هذه المخالفات: تأخير الصلاة عن وقتها، فبعض الصائمين ينام بعد تناوله السحور فلا يستيقظ إلا عند طلوع الشمس، فيضيع صلاة الصبح، وآخرون ينامون قبل صلاة العصر، فلا يستيقظ أحدهم إلا عند غروب الشمس، فيضيع صلاة العصر قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء، ١٠٣]، روى البخاري في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ [الماعون]؛ جاء في حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾ أَيْنَا لَا يَسْهُو وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ (٢).

وفي مثل هؤلاء يقول تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: ٥٩].

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣).

(٢) مسند أبي يعلى (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

(٤٤١/١) حديث رقم (٨٢٢): إسناده حسن.

ومنها التخلف عن صلاة الجماعة، فبعض الصائمين يؤدون الصلاة لوقتها، ولكنه يتخلف عن صلاة الجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

وفي هذه الآية وجوب صلاة الخوف جماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(١).

ومنها: السهر الطويل أكثر الليل أو كله على شاشات القنوات الفضائية التي تبث شرورها وسمومها على أشكال متعددة، حيث يعرض بها برامج يقصد بها تشكيك المسلمين في دينهم، وإظهار عظمة الكفار والإعجاب بحضارتهم، كالتمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخلية.

ومنها: ما يفعله بعض الصائمين المبتلون بشرب الدخان

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١).

هداهم الله، فبدلاً من أن يفطروا على ما أحل الله لهم من الطيبات يفطرون على الدخان الذي بعث الله رسوله بتحريمه وأمثاله؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف].

ومنها: الفحش والبذاءة في اللسان وسائر المعاصي الأخرى. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (٢).

ومنها كثرة النوم لساعات طويلة، وحديث: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ» حديث ضعيف لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا ينبغي للمسلم أن يضيع ساعات الصوم بكثرة النوم، فإن المسلم يُسأل عن وقته يوم القيامة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟» (١).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيَّكَ يَضِيعُ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كان هدي النبي ﷺ في هذه العشر الأواخر أنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في بقية الشهر، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضيها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثها رضيها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ: أَحْيَا اللَّيْلَ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِزْرَ، وَأَيَّقُظْ أَهْلَهُ»^(٢).

أحيا ليله أي بالصلاة والذكر والدعاء، وأيقظ أهله أي أيقظهم من نومهم ليجتهدوا في الصلاة والذكر والتضرع إلى الله تعالى، وهذه السنة قد لا ينتبه لها بعض المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

أما شد الميزر فقد قال كثير من أهل العلم: إنه كناية عن اعتزال النساء والتفرغ للعبادة، ولذلك كان ﷺ يعتكف في هذه العشر في المسجد، وينقطع عن الدنيا ويخلو بربه يدعو ويناجيه ويسأله ويتضرع إليه.

(١) صحيح مسلم برقم (١١٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٤).

والاعتكاف من أنفع العبادات لإصلاح القلوب، وجمع الهمم،
والتخلص من العيوب، ومن جرب عرف.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ
اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ^(١).

فإن قال قائل: ما الحكمة في تخصيص النبي ﷺ للعشر الأواخر
بكثرة الاعتكاف والاجتهاد في طاعة الله.

فالجواب: أن النبي ﷺ فعل ذلك التماساً لليلة القدر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ،
ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ فِي قُبَّةِ^(٢) تَرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قَالَ: فَأَخَذَ
الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَدَنُوا
مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ
الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ»^(٣).

فهذه الليلة ليلة عظيمة مباركة، لا يحرم خيرها إلا محروم، وهي
في العشر الأواخر تنتقل فيها كما يريد الله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٤).

وفي السبع الأواخر أكد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٢).

(٢) في قبة تركية أي: قبة صغيرة من لبود.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠١٨)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠١٧).

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»^(١).

وكان أبي بن كعب يحلف: لَا يَسْتَنْبِي أَنَّهُ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. قال زر بن حبیش: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْدِرِ؟ قَالَ: بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْ بِالْعَلَامَةِ: «أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بِيضَاءً لَا شُعَاعَ لَهَا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأَنْسَيْتُهَا فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ وَتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: مُطِرْنَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ فَوَكَّفَ^(٣) الْمَسْجِدُ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَوَجَّهَهُ مُبْتَلِّ طِينًا وَمَاءً^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «والصحيح أنها في وتر من العشر الأواخر وأنها تنتقل»^(٥). اهـ.

وهذه حكمة إلهية فلو حددت لاجتهد الناس فيها وتركوا بقية الليالي، واستوى في ذلك المجتهد والكسول.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠١٥)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٦٢).

(٣) فوكف المسجد: أي قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٥) فتح الباري (٤/٢٦٦).

والنبي ﷺ إنما كان يحرص على هذه الليلة لما جعل الله فيها من الفضل والأجر، فمما خصَّها الله به أنها خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) [القدر]، أي العبادة فيها خير من عبادة ثلاثة وثمانين عامًا وبضعة أشهر.

ومنها: أنه نزل فيها القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) [الدخان] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) [القدر] أي القرآن.

ومنها: أنه يكثر نزول الملائكة فيها لكثرة الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿نَزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥) [القدر].

ومنها: أن الله يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا؛ فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وقد أرشد النبي ﷺ عائشة عندما سألته: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.

فضل الذكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فإن من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تقرب المسلم إلى ربه جل وعلا: الذكر.

وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه بأجل الذكر: فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران].

وبين في آية أخرى فضل الذكر، وأنه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنَّ ذِكْرَنِي فِي نَفْسِهِ ذِكْرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (١).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً»^(١).

وانظر إلى هذا الحديث العجيب في بيان فضل الذكر والذاكرين.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ؛ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً»^(٤).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٣٩/٣) برقم (٢٦٨٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٩٨/٢) برقم (٣١١٤).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ^(١)، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءٌ، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فقد الماء؟!^(٣).

وقال ابن القيم: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»^(٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٥).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ،

(١) شعب الإيمان (١/٤٠٨).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٦٧).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٤) الفوائد (ص ٢١٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩١).

وَلَمْ يُذْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟! تُسَبِّحُونَ وَتُحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»^(١)
الحديث.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٢).

ومما يدل على فضل الذكر ومكانته العظيمة وأنه ينوب عن بعض الأعمال، ويقوم مقامها ما رواه أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة من حديث عبد الله بن حبيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ظن بالمال أن ينفقه، وبالليل أن يكابده، فعليه بسبحان الله وبحمده»^(٣).

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالذكر الكثير فقال تعالى: ﴿يَتَأَمَّلُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب].

والنبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته من الأذكار ما يملأ الأوقات! فلكل حالة أو زمن ذكر يخصه ففي الصباح أذكار مخصوصة، وفي المساء كذلك وعند النوم، واليقظة، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند طعامه وشرابه، وغير ذلك من أحواله، ولا شك أن من حافظ على هذه الأذكار فإنه سيكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وبهذا يأمن مما اتصف به المنافقون حيث يقول الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٨٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٣) برقم (٣٦٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٣٧٧).

ومن الأذكار العامة التي تشرع في كل وقت: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن جويرية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

ومن الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، ويقولها العبد كلما شعر بحاجته إلى مغفرة ربه، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي عنه: عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٥٩/٣٦) برقم (٢٢١٤٤)، وقال محققوه: حديث صحيح،

وصحيح ابن حبان برقم (٨٢٧) واللفظ له.

مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٦).

الكلمة التاسعة عشرة

المواظبة على العبادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله ﷻ من فضله ورحمته بعباده يسر عليهم فعل الطاعات في هذا الشهر، وقواهم عليها وأعانهم على ترك المعاصي والشهوات، ولذا يكون من إقبال القلوب على الخير في هذا الشهر ما لا يكون في غيره، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه رضي الله عنه قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(١).

وإن مطالبة النفس بأن تقوم في غير رمضان بما تقوم به في رمضان مطلبٌ صعبٌ، لأن الأسباب الموجبة لذلك في رمضان لا تتوفر في غيره، ولكن ينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن البعض من الناس إذا خرج رمضان عاد إلى ما كان عليه قبله، من ترك بعض الفرائض والواجبات، أو ارتكاب بعض المعاصي والسيئات، وهذه وإن كان إثمها في رمضان أعظم، إلا أنه لا يسقط الإثم

(١) سنن الترمذي برقم (٦٨٢) وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

في غير رمضان؛ لأن وجوبها على العبد فعلاً وتركاً على الدوام.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر].

وقال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.

قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ»^(١). قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله.

ومن تلك المعاصي: الانقطاع عن بيوت الله، والتساهل في صلاة الجماعة، وهجر القرآن الكريم الذي كانوا يقرؤونه في رمضان، والانكباب على القنوات الفضائية التي تعرض التمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة المحرمة، فإلى الله المشتكى.

الثاني: التقصير في نوافل العبادات، فيستحب للمسلم أن لا ينقطع عنها في غير رمضان، وقد شرع من الصيام، والقيام، والصدقات، وفعل الخير، ما يملأ الأوقات ويجعل العبد موصولاً بربه على الدوام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (٣٨).

النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(١)؛ بل إن النبي ﷺ كان ينهى أصحابه عن الانقطاع عن العمل الصالح.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»^(٢).

ومن هذه النوافل التي شرعت بعد رمضان صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣).

ومنها صيام يوم عرفة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن صيام يوم عرفة؟ قال: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٤).

ومنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٥).

ومنها: قيام الليل طوال العام، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٤)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤). (٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٥) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٦) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

ومنها باب الصدقة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة].

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده على الدوام. والعبد لا يدري متى يفجأه الأجل، فالعاقل من تهيأ للقاء ربه، ولم يغره طول الأمل؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ ﴿٣٣﴾ [لقمان].

وقال تعالى عن أقوام طالت آمالهم، وساءت أعمالهم، وغفلوا عن ذكر ربهم: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الحجر].

فالدنيا ليست بدار بقاء، فطوبى لعبد عرف قدرها فأخذ منها أفضل ما فيها، وهو استغلال أوقاتها بالتزود منها للحياة الباقية، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت].

واعلموا عباد الله أن كل حي صائر إلى فناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة العشرون

سنن العيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنسأل الله كما بلغنا رمضان وأعاننا على صيامه وقيامه أن يتقبله منا، إنه جواد كريم، وبعد:

فمن الأمور التي ينبغي التذكير بها: أحكام صلاة العيد، وما يفعله المسلم في يوم العيد من السنن الثابتة عن النبي ﷺ؛ فمن ذلك:

أولاً: ينبغي للمسلم أن يحرص يوم العيد على الاغتسال والطيب، فقد استحبه طائفة من أهل العلم، وثبت عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَخْدُوَ إِلَى الصَّلَاةِ^(١)، واستحب بعض أهل العلم إزالة شعر الإبطين، وتقليم الأظافر، وما يتبع ذلك؛ لأن ذلك من تمام الزينة، ولبس أحسن ما يجد من الثياب.

فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ فِي الْعِيدَيْنِ^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: وَكَانَ يَلْبَسُ لِلْعِيدَيْنِ أَجْمَلَ ثِيَابِهِ، فَكَانَتْ لَهُ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ^(٣).

(١) موطأ مالك ص ١١٥، وقال محققه: أثر صحيح.

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٤١).

(٣) سنن البيهقي (٣/ ٢٨١).

ثانيًا: يُستحب قبل خروجه إلى الصلاة في عيد الفطر أن يأكل تمرات وتراً، والوتر إما أن يكون ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ، وَيَأْكُلَهُنَّ وَتْرًا ^(١).

ثالثًا: يستحب له أن يذهب من طريق ويرجع من آخر، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ ^(٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ١٢].

رابعًا: السنة أن تكون الصلاة في مصلى العيد وليس المسجد، وهذا هو المعروف من فعله ﷺ، ومواظبته، كما رجحه جمع من أهل العلم.

خامسًا: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه صلى قبل العيد أو بعده نافلة في المصلى، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ^(٣). لكن إذا كانت الصلاة في المسجد فإنه يصلي تحية المسجد ركعتين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة السلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ» ^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٨٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٧١٤).

سادساً: إذا رجع إلى بيته يشرع له أن يصلي ركعتين؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئًا، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ^(١).

سابعاً: يستحب التكبير من غروب شمس ليلة العيد، وأوجه بعض أهل العلم لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَانَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة]. ويكبر من حين خروجه من بيته حتى يأتي الإمام إلى المصلى، وهذا التكبير مشروع باتفاق الأئمة الأربعة.

وجاء عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ لِلْعِيدَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيَكْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمُصَلَّى، وَيَكْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْإِمَامَ^(٢)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَيَسْتَحِبُّ التَّكْبِيرَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَنَازِلِ وَالطَّرِيقِ^(٣).

ثامناً: تأكد صلاة العيد على الرجال والنساء، ورجح جمع من أهل العلم الوجوب، واستدلوا بحديث أم عطية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهَا الْعَوَاتِقَ؛ أَي الْبَالِغَاتِ وَالْحَيْضَ؛ وَأَمَرَ الْحَيْضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٢٩٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٧٦)، وانظر إرواء الغليل (١٠/٢) للشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) سنن الدارقطني (٢/٤٤) رقم (٤)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل برقم (٦٥٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/١٦٧)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٢/١٢٥).

وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ^(١).

تاسعاً: التهنئة بالعيد، فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم كانوا يقولون في العيد: تقبّل الله منا ومنكم، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢)، والحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٩٨٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٣).

(٣) فتح الباري (٢/٤٤٦)، وانظر تمام المنة (ص ٣٥٤ - ٣٥٦) للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

الكلمة الحادية والعشرون

الرؤيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فحديثنا اليوم عن الرؤيا، وسيكون الكلام فيها عن الأمور التالية:

أولاً: فضل الرؤيا ومنزلتها في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أقسام الرؤيا وأنها على ثلاثة أقسام.

ثالثاً: تعبير الرؤيا وبعض الفوائد المتعلقة بذلك.

رابعاً: بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في الرؤيا.

خامساً: أمثلة للرؤيا الصالحة.

أما ما يتعلق بفضل الرؤيا ومنزلتها: فيقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أي: يعلمك تفسير الرؤيا.

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشَّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ» (١).

(١) صحيح مسلم برقم (٤٧٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله ﷺ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]؛ قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبْوَةِ» (٢).

وقوله ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» أي في آخر الزمان وذلك عند كثرة الفتن، وغربة الدين، وشدة الحاجة إلى المبشرات التي تطمئن بها قلوب المؤمنين، ولذلك قال: «لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ» فهي خاصة بالمؤمنين.

وقوله: «جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ»؛ قال بعض أهل العلم: إن مدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة منها: نصف سنة، الوحي فيها رؤيا يراها النبي ﷺ في النوم؛ فيكون ذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيََ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ (٣).

وقوله ﷺ في آخر الحديث السابق: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»، دليل على أهمية الصدق، وأن أصدق الناس كلاماً هو أصدقهم رؤيا.

وأما أقسام الرؤيا فهي ثلاثة، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) مسند الإمام أحمد (٥٠٢ / ٤٥) برقم (٢٧٥٠٩)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٢٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، ورؤيا يُحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان»^(١).

هذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ليس كل ما يرى في المنام من الرؤيا الصالحة، فما يراه الإنسان في منامه؛ من المفزعات والمزعجات فهو من الشيطان ليحزن المؤمن بذلك، وما يراه مما يعرض له في يومه وليلته فتلك الأحلام، وأحاديث النفس تعرض له في اليقظة فيحلم بها في منامه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»^(٣).

أما تعبير الرؤيا، فهو علم شريف خص الله تعالى به بعض أنبيائه، وأوليائه، كمحمد ويوسف عليهما السلام، وممن اشتهر بذلك من الصحابة: أبو بكر. ومن التابعين محمد بن سيرين، وغيرهم من الصالحين في كل زمان ومكان.

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من رأى رؤيا ألا يقصها على كل أحد.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٢٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٣).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَلَا يَقْصُهَا إِلَّا عَلَىٰ وَادٍ»^(١) «أَوْ ذِي رَأْيٍ»^(٢).

ومن فوائد ذلك: ألا تعبر الرؤيا تعبيرًا خاطئًا، أو بما يحزن صاحبها. وأما الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس فيما يتعلّق بالرؤيا: فنذكر من ذلك ثلاثة أخطاء مهمة.

أولاً: الكذب في الرؤيا بأن يدّعي أنه رأى كذا وكذا ولم ير ذلك؛ روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ»^(٣).

ثانياً: اعتماد بعض الجهال من الصوفية وغيرهم على الرؤيا في الأحكام الشرعية من تحليل حرام، أو تحريم حلال ونحو ذلك؛ وليس من ذلك أن يعمل العبد عملاً صالحاً فيرى ما يبشره بقبوله أو نفعه.

ثالثاً: ليس كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يكون رآه حقاً حتى يراه على صورته الحقيقية التي كان عليها صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان ابن سيرين رحمته الله إذا قال له أحد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: صف لي الذي رأيت؛ فإن وصفه بصفته الحقيقية قال له: «رَأَيْتَ».

ومن الأمثلة للرؤيا الصالحة: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من المبشرات لمن رآه؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»^(٤).

(١) أي صاحب مودة.

(٢) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم (٥٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٤٧/٣) برقم (٤١٩٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٦) واللفظ له.

ولكن كما تقدم أن يراه على صورته الحقيقية.

ومنها أيضاً رؤيا يوسف عليه السلام؛ كما في الآية: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِيَّيْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف].

قال الله في تأويلها: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].

ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ ابْنِ رَافِعٍ فَأْتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوْلَتْ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠).

طاب: أي كمل واستقرت أحكامه.

الكلمة الثانية والعشرون

شاب نشأ في عبادة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]؛ في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج].

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَنْفِقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ [المزمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى السَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ؛ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْحِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

ولا يتسع الوقت للحديث عن السبعة، ولكن نقف وقفات يسيرة مع قوله رضي عنه: «شَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ».

فهذا الشاب وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحبها إليه وكره إليه الأعمال السيئة وأعانه على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك؛ وقد حفظه الله مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب، وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، واستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

لقد علم أنه مسئول عن شبابه فيما أبلاه؛ فعمل بوصية نبيه محمد ﷺ التي أوصى بها، حيث قال: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»^(٢).

والشباب هم عماد الأمة، وهم جيل المستقبل؛ منهم يتكون بناء الأمة، ومنهم ينشأ العلماء والمصلحون والمجاهدون وغيرهم من أبناء المجتمع، الذين إذا صلحوا انتفعت بهم مجتمعاتهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ إِنَّمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿١١﴾﴾ [الطور].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

ومن الأمثلة على الشباب الملتزم بطاعة ربه شباب الصحابة، أمثال أسامة بن زيد الذي أرسله النبي ﷺ لقيادة جيش المسلمين المتجه إلى الشام، وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، وفي القوم كبار الصحابة، حتى

(١) مستدرک الحاکم (٥/ ٤٣٥) برقم (٧٩١٦)، وقال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).
(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٦).
(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

أن أبا بكر كان يستأذن أسامة بن زيد أن يُبقي عمر عنده في المدينة فيأذن أسامة في ذلك، وعلي بن أبي طالب الذي بات في فراش النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة وعرض نفسه للقتل، فداء للنبي ﷺ، وجعفر بن أبي طالب الذي كان قائداً لجيش المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة خلفاً للقائد زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي قُتِلَ في تلك المعركة، فحمل راية المسلمين وأخذ سيفه وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةَ وَاقْتِرَابَهَا طَيِّبَةً وَبَارِدُ شَرَابِهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا عَلَيَّ إِنْ لَأَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره، فتكاثروا عليه فقتلوه.

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: التَّمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَتْلِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ ضُرِبَ بِضَعَا وَتَسْعِينَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمحٍ (١).

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلة كذلك: محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند والهند وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، كما تروي لنا كتب السير، قال الشاعر:

عَبَادٌ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ كَمَ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الخَدِّ أَجْرَاهُ
وَأَسْدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الجِهَادُ بِهِمْ هَبُوا إِلَى المَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ
يَا رَبِّ فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَرًا يُشِيِّدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَانَاهُ

ومن الأمثلة المعاصرة: الشباب الذين يملؤون المساجد، والمدارس، والجامعات، يطلبون العلم الشرعي، ويدعون إلى دين الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلتحقون بحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وهذا شيء يثلج الصدر، وأمتنا لا يزال فيها الخير إلى يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



التحذير من الشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية.

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء، ودليله قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة،

ويشركون به في الرخاء، فلم ينفعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد، ودليله قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٦﴾ [هود].

قال ابن عباس: «إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعملها إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعملها لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين» (١).

ومنها شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) [التوبة].

روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» (٢).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمْ إِنْكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٦١) [الأنعام].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٢٠).

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك ديناً وشرعاً، فقد أشرك بالله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله»^(١).

ومنها شرك المحبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(١٦٥) [البقرة].

قال ابن كثير: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضِدَّ له ولا نِدَّ»^(٢).

أما الشرك الأصغر فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة فمثل الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان؛ فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه؛ بل يقول: ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا.

أما الأفعال: فهي كثيرة جداً، مثل تعليق التمايم خوفاً من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٢).

البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.
القسم الثاني: شرك خفي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وهذا الشرك بحر لا ساحل له وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته ونيته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته؛ فإن هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران].

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُفْتُ وَشَرِكُ السَّرَائِرِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شَرِكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شَرِكُ السَّرَائِرِ»^(٢).

وإنما سُمي الرياء شرك خفي لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلواته لأجله^(٣).

والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله تعالى.

(١) الداء والدواء لابن قيم الجوزية (ص ١٨٤).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٩/١) برقم (٣١).

(٣) الدين الخالص (٣٨٥/٢).

قال الشاعر:

ولا تك بالأعمال يوماً مُرَائِيًا فإن الرِّيا شِرْكٌ بنص الدلائلِ
فَوَيْلٌ لِمَنْ قَدْ كَانَ يَعْمَلُ بِالرِّيَا بطاعته لَلَّه لَيْسَ بِعَامِلِ

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ». قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»^(١).

يعني أنه يبطل أعمال المرأئين، وأنه يُحيلهم على الذين راءوهم في الدنيا فيقال: انظروا: هل يثبونكم، أي: أولئك الذين تزيتتم عندهم ورائيتموهم في الدنيا؟

هل تجدون عندهم ثواباً؟

هل تجدون عنهم جزاءً على أعمالكم؟!^(٢)

ولله در القائل:

وكل امرئٍ يوماً سَيُعْرِفُ سَعْيُهُ إذا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحِصَائِلُ
وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شرکاً أصغر، وهو إنما سُمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء:

١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.

٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت

(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) إصلاح المجتمع ص ١١.

المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام على نفسه من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: فلا يأمن من الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح المجيد (ص ٤٧).

الكلمة الرابعة والعشرون

الحياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من الصفات الحميدة والأخلاق الجميلة التي دعا إليها الشارع: صفة الحياء.

قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى للمراتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آئِي يَدْعُوكَ لِجِجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] الآية.

روى الإمام أحمد في كتابه الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً من صالح حي قومك»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٢). وهذا الحديث فيه دليل على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب ما يضره في دينه، أو يخل بأدبه ومروءته، فإذا فقدت منه هذه الخصلة لم يبال بما صنع.

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٦)، والشعب للبيهقي (٦/ ١٤٥ - ١٤٦) برقم (٧٧٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٦) برقم (٧٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٢٠).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونُ شُعبَةً، أو بضعٌ وستونُ شُعبَةً،
 فأفضلُها قولٌ: لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ، والحَياءُ
 شُعبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ»^(١).

وكانت العرب في الجاهلية تتحلى بصفة الحياء، فهذا أبو
 سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ملك الروم ليسأله عن
 النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عن نفسه قائلاً: لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً
 لكذبت عليه.

قال ابن القيم رحمته الله: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها
 وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، وهو خاصة الإنسانية؛ فمن لا حياء فيه
 ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه
 ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق - أي الحياء - لم يكرم
 ضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانه، ولم تقض لأحد حاجة؛ ولا
 تحرى الرجل الجميل ففعله والقبیح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا
 امتنع عن فاحشة؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء
 عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي وهو حياء فاعلها من الخلق؛ فقد تبين أنه
 لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها... إلى
 آخر ما قال^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٩)، وصحيح مسلم برقم (٣٥).

(٢) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص ٢٧٧) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم
 (١٨٠٢/٥).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ٨٢ - ٨٣) برقم (٩٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

قال ابن القيم رحمته الله: ومن عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث الصحيح: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢) والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم؛ بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، ومن استحيا من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته. اهـ^(٣).

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أسامة بن شريك، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤) وصحيح مسلم برقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١١٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٧).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٦١ - ٦٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٣ - ٤)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح موارد الظمان برقم (٢١١٦).

قال القحطاني رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَيْبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحِي مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

ومثاله: ما يقوم به بعض الذين يسافرون إلى الخارج لقضاء الشهوات والملذات، ثم يخبر أحدهم بجريمته التي فعل من شرب خمر أو فاحشة؛ أو غير ذلك من المعاصي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ» (١).

وهؤلاء لهم نصيب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

وهنا أمر ينبغي التنبه له، وهو أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من الحياء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الإمام النووي: قد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجله، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، والجواب عن هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم: أبو عمرو بن الصلاح، أن هذا المانع ليس من الحياء؛ بل هو عجز وخور ومهانة، فالحياء الحقيقي خلق

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٠).

يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. اهـ^(١).

وقد حثّ النبي ﷺ على إنكار المنكر وأمر بتغييره، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم (١/٥ - ٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٩).

الكلمة الخامسة والعشرون

وقفه مع آيتين من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفه يسيرة مع آيتين من كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا الخطاب للمؤمنين. أولاً: لأنهم الذين تنفعهم الذكرى.

ثانياً: لتطهيرهم وتزكيتهم من الأخلاق السيئة.

قال القرطبي: «جاء الاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله، أما إن كان ذلك في الماضي فإنه يكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون ذلك إخلافاً بالوعد وكلاهما مذموم»^(١). اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لو ددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به؛ فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه: إيمان لا شك فيه وجهاد أهل معصيته، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق ذلك عليهم، فأنزل الله الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٨٠).

وهذا اختيار^(١) ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لِمَ تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه؟! وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟! ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه. اهـ^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»^(٣) فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦): قال الراغب: المقت هو البغض الشديد لمن تراه فعل القبيح^(٧)، كما في

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٨). (٢) تفسير ابن سعدي (ص ٦٩١١).

(٣) يعني أمعاءه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٥) يعني آلات القطع والقص.

(٦) مسند الإمام أحمد (١٩/٢٤٤) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٩٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

قال النخعي: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقول شعيب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١).

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: استدل بها بعض أهل العلم على وجوب الوفاء بالوعد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» (٣).

قال ابن حجر: «أصل الديانة منحصر في ثلاث، القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف» (٤).

روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٨٠).

(٢) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، أي خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي. فيقول: لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول وهذا على رواية فتح الدال، وعلى رواية كسر الدال معناه أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل، وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

(٤) فتح الباري (١ / ٩٠).

قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا صَبِيٌّ فَذَهَبْتُ لِأَخْرَجِ لِأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذْبَةٌ»^(١).

ثانياً: إن العلم قرين العمل؛ ولذلك يُسأل المرء يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به؟ كما روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مُصْبَاحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود»^(٤).

ثالثاً: أن الله ﷻ نهى المؤمن أن يقول ما لا يفعل؛ لكن لو كان المؤمن مقصراً في طاعة الله مرتكباً لبعض المعاصي فإن ذلك لا يسقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤٢ - ٩٤٣) برقم (٤١٧٦).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٦) برقم (١٦٨١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/ ١٧٣): إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١١٣٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٤٢).

لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

كان الحسن رضي الله عنه إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

قال ابن حزم: والمراد أن أبا الأسود إنما قصد بالإنكار المجيء بما نهى عنه المرء، وأنه يتضاعف قبحه فيه مع نهيه عنه، فقد أحسن كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] وقد صحَّ عن الحسن أنه سمع إنساناً يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله. قال الحسن: «ود إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر ولا يأمر بمعروف. قال ابن حزم: صدق الحسن وهو قولنا آنفاً»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩، ١٠٠).

تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فنقف وقفة يسيرة مع آية من كتاب الله.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران].

يقول ﷺ: قل يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه: اللهم مالك الملك، والملك: قيل النبوة، وقيل: الغلبة، وقيل: المال والعييد. والصحيح الذي رجحه بعض المفسرين أنه عام لما يصدق عليه اسم الملك من غير تخصيص، فقوله: ﴿ تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾، أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، وأنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال: وقالوا - أي الكفار - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، كالوليد بن المغيرة. وغيره. قال الله ردّاً عليهم: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أي أهم الخزان لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون، ويمنعونها عن يشاؤون، فنحن نتصرف فيما

خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع، لنا الحكمة البالغة والحجة التامة، وهكذا يعطي النبوة لمن يريد. قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] (١). اهـ.

قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: أي الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله لا وصفًا ولا اسمًا، ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره؛ فالخير والشر داخل في القضاء والقدر فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن لا يضاف إلى الله، فلا يقال: بيدك الخير والشر ولكن بيدك الخير كما قال الله، وقال رسوله. اهـ (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه في قيام الليل أنه كان يقول: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (٣). تأدبًا مع الله تعالى.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: ما نقله ابن كثير في تفسيره أن فيها تنبيهاً وإرشاداً إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمة؛ لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى الثقلين، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً، من العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١ - ٤٢).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٤٠١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٧١).

عن حقائق الآخرة، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع؛ فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار^(١). اهـ.

ثانياً: أن العزة لا تطلب إلا من الله تعالى وهي إنما تأتي بطاعته واجتناب معصيته. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٢٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يخاطب الأنصار: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللهُ؟!»^(٢).

وقال عمر رضي عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ»^(٣).

ثالثاً: أن الذل الذي يصيب الإنسان إنما هو بمعصيته لله ولرسوله، قال تعالى عن بني إسرائيل عندما عصوا الله ورسوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَنْ مَا تُقْبَلُوا إِلَّا بِالْحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعُضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

حَقِّي ذَلِكِ بِمَا عَصَوُا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (١).

وقال الحسن رضي الله عنه: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَفَقَتْ بِهِمُ الْبِعَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ» (٢).

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

رابعاً: إثبات قدرة الله، فهو سبحانه القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولذلك يشرع للمؤمن أن يسأل الله بقدرته أن ييسر له الخير، ويصرف عنه الشر، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلَاثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجْدُ وَأَحَازِرُ» (٣).

خامساً: فضل الدعاء وأهميته، وكان السلف يدعون: اللهم أعزني

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢)، وقال الذهبي في السير (١٥/٥٠٩): إسناده صالح.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٢).

بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك^(١)، وينبغي للمؤمن أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢).

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٥٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٠).

الكلمة السابعة والعشرون

القناعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث الله ورسوله عليها: صفة القناعة.

قال الراغب: القناعة هي الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [النحل] الآية.

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: الحياة الطيبة هي القناعة^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(٣).

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥١).

أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»^(١).

والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث السابق: الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَفَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(٣) لَهُ الدُّنْيَا»^(٤).

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن إلى أن ينظر إلى من هو أسفل منه حتى يشعر بكثرة نعم الله عليه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(٥).

(١) جزء من حديث في صحيح ابن حبان برقم (٦٨٤) ومستدرک الحاكم (٤٦٦/٥) برقم (٧٩٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة، وإنما أخرجاه من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر مختصراً.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).

(٣) معنى حيزت: أي جمعت.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْغَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ (١).

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهدًا في الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحٌ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كِسْرَةً مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ فَقَالَ: «هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم قال: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَارًا يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا (٤).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه أن يجعل رزقه كفافًا، أي مقدار حاجته فقط.

(١) صحيح مسلم شرح النووي (٦/٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٠/٤٤٠) برقم (١٣٢٢٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٦) واللفظ له.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا» (١).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالقناعة وعيشة الكفاف، روى ابن
 ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ
 كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ فِعْنًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ» (٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم؛ فعن
 أنس بن مالك قال: «أَشْتَكِي سَلْمَانَ فَعَادَهُ سَعْدٌ، فَرَأَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ
 سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ صَحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ أَلَيْسَ؟ أَلَيْسَ؟
 قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ مَا أَبْكِي ضِنًّا لِلدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَةً
 لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ.
 قَالَ: وَمَا عَهْدَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّايِبِ.
 وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَأَحْصُوا مَا تَرَكَهَ سَلْمَانُ، فَإِذَا هُوَ
 بِضْعَةِ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا» (٣).

وقال عمر رضي الله عنه: «إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ ييأسَ عَمَّا
 فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَعْنَى عَنْهُمْ» (٤).

والقناعة كنز عظيم، وعلامة من علامات التقوى كما قيل: «القناعة
 كنز لا يفنى».

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٢١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٢/٢) برقم (٣٣٩٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وابن ماجه برقم (٤١٠٤) واللفظ له، وصححه الألباني
 في صحيح سنن ابن ماجه (٣٩٢/٢) برقم (٣٣١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٢٣٩/٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التَّقْوَى: الخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالْقِنَاعَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ». وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت^(١).

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.
قال الشاعر:

خُذِ الْقِنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغَيْرِ الْقُطْنِ وَالْكَفَنِ
وقال آخر:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْنَعُ
وقال آخر:

إِنَّ الْغِنَى هُوَ الْغِنَى بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِيَ الْمَنَاكِبِ حَافٍ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ

قال الغزالي رحمته الله: كان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكل، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

النهي عن المسألة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي حذر منها الشارع: المسألة، والمقصود بالمسألة أن يسأل الإنسان الناس أموالهم أو حاجاتهم من غير ضرورة أو حاجة ملحة، لما يتضمن السؤال من الذل لغير الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في تفسيره: أراد لا يلحون في المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَرُدُّهُ اللَّقْمَةَ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَانِ». قالوا: فَمَا الْمَسْكِينُ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٨).

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَّصِدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلَيْسَتْ قِلٌّ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرٌ» (٢).

قال أبو حامد الغزالي: والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يُباح للضرورة أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة؛ لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده وهو عين الشكوى، وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا، فقد يعطيه حياءً أو رياءً وهذا حرام على الآخذ (٣).

قال الشاعر:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ

وقال آخر:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤْلَهُ وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال آخر:

فَلَوْ تَسَأَلَ النَّاسَ التُّرَابَ لَأَوْشَكُوا إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمْلُوا فَيَمْنَعُوا

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم من تحل له المسألة، فروى مسلم في صحيحه

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٢٢٣) باختصار وتصرف.

من حديث قبيصة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً^(١) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالَهُ^(٢) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشِ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ^(٣) حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشِ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا^(٤)»^(٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكْدُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ»^(٦).

قال الصنعاني: وأما سؤاله السلطان فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا منة للسلطان على السائل، لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه^(٧).

وقال أيضًا: والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين في حديث قبيصة، أو أن يكون السلطان^(٨). اهـ.

قال الشاعر:

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ

(١) يعني ديناً أو دية عن غيره للإصلاح.

(٢) يعني حريق أو هلاك زرع أو غير ذلك.

(٣) يعني فقر وضرورة بعد غنى.

(٤) السحت هو الحرام.

(٥) صحيح مسلم برقم (١٠٤٤).

(٦) سنن الترمذي برقم (٦٨١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٧) سبل السلام (١/٦٣٢).

(٨) سبل السلام (١/٦٣٦).

وقد بين النبي ﷺ قدر الغنى الذي يحرم به السؤال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل ابن الحنظلية: أن النبي ﷺ قال: إِنَّهُ «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن العمل وإن كان شاقاً، والمال الذي يأتي منه قليل فهو خير للمرء من السؤال.

فروى البخاري في صحيحه من حديث الزبير بن العوام رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيُكْفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(٢).

وبين النبي ﷺ أن السائل من غير ضرورة ولا حاجة ملحة إنما يفتح على نفسه باب الفقر.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي كبشة الأنماري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ، - وذكر منها: - وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(٣). اهـ. بل إن النبي ﷺ أخذ البيعة من بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً.

روى مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (١٦٦/٢٩) برقم (١٧٦٢٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٧١).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، - وَأَسْرَرُ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟». قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا». قَالَ: فَرَبَّمَا سَقَطَ سَوْطُ ثَوْبَانَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يُنَاوِلَهُ حَتَّى يَنْزِلَ إِلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ»^(٢).

وكان الصحابة رضي عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فلا يسألون الناس شيئاً من متاع الدنيا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصِرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠٤٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦٧/٣٧ - ٦٨) برقم (٢٢٣٨٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفِيءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرِزْ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّيَ ﷻ. (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

الكلمة التاسعة والعشرون

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آية عظيمة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم].

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينذر الناس يوم الحسرة والندامة، وهو يوم القيامة، حيث تشتد فيه الحسرة، وتعظم فيه الندامة، وأيُّ حسرةٍ أعظم، من فوات رضا الله وجنته؟! واستحقاق سخطه؟! والخلود في ناره؟! على وجه لا يتمكن فيه أحدٌ من الرجوع إلى الدنيا ليستأنف العمل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر].

قال ابن عباس: يوم الحسرة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر منه عباده.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، قال: يوم القيامة. وقرأ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي فرغ من الحساب، وصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: أي في الدنيا بشهواتهم وملذاتهم عن العمل ليوم الحسرة، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت وما فيه من نعيم مقيم لمن أطاع الله، ومن عذاب أليم لمن عصى الله.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشُّ أَمْلَحٍ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَتُبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَسْرَتُبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ حُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ حُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [مریم]﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا^(١).

وفي رواية لهما من حديث ابن عمر: «فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه، والمقصر في طاعة ربه على تقصيره، ولكن لا ينفع الندم؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٩) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠).

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ ﴿٤٠﴾ [النبا].

ثانياً: أنه ينبغي للمؤمن أن لا يكون في غفلة؛ بل على استعداد للقاء ربه، قال سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٥﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ [الحشر].

ثالثاً: أنه في يوم الحسرة يرى الكافر أنه لم يلبث في دنياه إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ ﴿٤٦﴾ [النازعات].

رابعاً: إن من أعظم ما يتحسر عليه أهل النار أن الواحد منهم يتمنى أنه يفدي نفسه من عذاب الله بماله، وولده والناس أجمعين، بل وملك الدنيا بأسرها، مع أنه طلب منه أهون من ذلك، فلم يفعل، قال تعالى: ﴿ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَحْزَمِ تَوَدُّ الْمَحْرَمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ [المعارج].

وقال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ ﴿١١﴾ [آل عمران].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ: - وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ»^(١).

خامسًا: أنه ينبغي للمؤمن أن يحافظ على إسلامه وإيمانه حتى الممات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٥) واللفظ له.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٠ / ١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

الكلمة الثلاثون

مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة؛ وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد بدرًا وأحدًا والخندق، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة؛ وأن عرش الرحمن قد اهتز لموته، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير. قال ابن حجر: فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام^(١)، وله مناقب كثيرة.

قال الذهبي في ترجمته: السيد الكبير الشهيد أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي كان رجلاً أبيض طوالاً جميلاً، حسن الوجه، حسن اللحية^(٢): قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر^(٣).

قال ابن إسحاق: لَمَّا أَسْلَمَ وَقَفَ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٨٦). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

الْأَشْهَلُ كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدَنَا وَأَفْضَلُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ رِجَالَكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا أَسْلَمُوا^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا؛ قَالَ: فَنَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمِّيَّةً إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّامِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمِّيَّةُ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ، فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ أُوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ. فَتَلَا حَيًّا بَيْنَهُمَا. فَقَالَ أُمِّيَّةُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي. ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لِأَقْطَعَنَّ مَتَجْرَكَ بِالشَّامِ؛ قَالَ: فَجَعَلَ أُمِّيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ. فَقَالَ: دَعْنَا عَنكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ؛ قَالَ: إِيَّايَ؛ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ؛ إِذَا حَدَّثَ. فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَيَسِرُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ فَفَتَلَهُ اللَّهُ^(٢).

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين، واعتزازه بدينه؛ فمع أنه بمكة لوحده إلا أنه كان يهدد سادات قريش في

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٣٢).

(١) سيرة ابن هشام (٢/٤٠).

عقر دارهم؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه: «أُهِدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ مَنَادِيلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا!»^(١).

ومن موافقه العظيمة: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: «أُصِيبَ سَعْدُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرَقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ^(٢)، فَضْرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِيَمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ فَاعْتَسَلَ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْعُبَارِ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ وَمَا وَضَعْنَاهُ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَردَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسَبَى الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبِي: فَأَخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ»، ثُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَالَ: وَتَحَجَّرَ كَلِمُهُ لِلْبُرِّءِ^(٣): اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ. اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي أُجَاهِدُهُمْ فِيكَ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا. فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ^(٤) فَلَمْ يَرُعْهُمْ (وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خِيَمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ) إِلَّا وَالِدَمَّ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٩) واللفظ له.

(٢) عرق في وسط الذراع إذا قطع لم يرقاً الدم.

(٣) أي ييس جرحه وكاد أن يبرأ. (٤) أي: نحره.

يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ جُرْحُهُ يَغْدُ دَمًا (١) فَمَاتَ (٢).

وقد حزن النبي ﷺ لفراق سعد كثيرًا، وأخبر أن عرش الرحمن قد اهتز لموته، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» (٣)، ومع هذه المنزلة العظيمة لسعد إلا أنه لم يسلم من ضمة القبر، فروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بعد وفاته: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضَمَّ ضُمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ» (٤)، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» (٥)، قال الذهبي: وهذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء؛ بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك؛ فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه؛ قال تعالى:

(١) يغذ دمًا أي يسيل يقال غذا الجرح يغذ إذا دام سيلانه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٦).

(٤) سنن النسائي برقم (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم

(١٩٤٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٢٧/٤٠) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محقوه: حديث صحيح.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ [غافر]، فنسأل الله تعالى العفو والल्पف. ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع ولا ألم ولا خوف، سل ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد. اهـ^(١).

وكانت وفاته سنة خمس من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، عمره آنذاك سبع وثلاثون سنة، صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدروس المنتقاة

مِن

الكلمات واللقاءات

فروع يومئذ

(١٥٠) درساً للترغاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

واعترافاً
والإمير محمد بن عبد الله الشقاوي

الجزء الثاني

الكلمة الحادية والثلاثون

أصل الدين وقاعدته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتكفر أهلها وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام التي سفه نفسه من رغب عنها».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسًا والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]، فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله، وقال الله عنه: ﴿وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٤٨﴾﴾ [مريم]. فيجب اعتزال الشرك وأهله والبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير، وهذه الآية تتضمن التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد. والعروة الوثقى: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، نفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له^(١). اهـ.

وبين في موضع آخر أن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه، وأدلة هذا في القرآن كثيرة جدًا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله، فسرّها

(١) مجموعة التوحيد (ص ١١، ١٤).

بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾، فقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ﴾، فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾، هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عن سواه». فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد، وقال تعالى في حق من أشرك: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون المرء موحدًا إلا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف].

والشرك محبط لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها، ولا يقبل الله من المشرك صرفًا ولا عدلًا ولا فرضًا ولا نفلًا.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

وقال عن أنبيائه وأحبابه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام].

وإنَّ مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم، يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية وغيرها من الوسائل، من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر من ذلك، إضافة إلى الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والثلاثون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] إلخ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ نَسِيْتُ اسْمَيْهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَتْ نَفْسُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ - والأمر عام له ولأُمَّته - بلزوم الصالحين، ومصابرة النفس على مصابحتهم، والبقاء معهم، خصوصاً الفقراء منهم والضعفاء، فالآية نزلت فيهم، والمكث معهم أبعد عن مظاهر الدنيا، وفتنتها، ثم ذكر أهم صفاتهم، وهي شغل أوقاتهم بالعبادة بحسب الأحوال، لا يريدون بذلك رياء ولا سمعة، ولا ليقال: فلان قارئ أو عابد، أو عرضاً من الدنيا زائل، إنما يريدون بذلك

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤١٣).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ثم نهاه تعالى عن مصاحبة أهل الدنيا، فقال: ﴿وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: لا تتطلع إلى مصاحبة غيرهم من أهل الشرف والغنى، لما يحصل بذلك من اشتغال القلب بزينة الدنيا عن أمر الآخرة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّ ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر القلب، فيغفل عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية». اهـ^(١).

ثم نهاه نهياً آخر، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، فنهاه عن طاعة الغافلين عن ذكر الله المتبعين أهواءهم، الذين أضاعوا دينهم، فطاعة من هذه صفته هي الخسارة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وفي هذه الآية الكريمة فوائد كثيرة:

الأولى: الحثُّ على الصبر. والمراد بالصبر هو الصبر على طاعة الله الذي هو أعلى أنواع الصبر، وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه لأهميته ومكانته العظيمة، بل إنه في الآية الواحدة يتكرر الأمر بالصبر كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

والثانية: استحباب ذكر الله والدعاء طرفي النهار.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٢٥).

ويرغب فيه» (١). اهـ.

قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

روى أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (٣).

الثالثة: الحث على مجالسة الصالحين الأخيار، حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء، فإن في مجالستهم خيراً كثيراً، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» (٤).

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقياً وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب. اهـ (٥).

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٤٢٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٨) برقم (٣١١٤).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٥).

(٥) شرح السنة للبغوي (١٣/٦٩).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (١).

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرَّةِ لَا تَسْلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

الرابعة: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١) [طه]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَزُخْرَفًا وَإِن كُنتُمْ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥) [الزخرف].

الخامسة: الحث على الإخلاص لله تعالى، فقد ذكر الله في الآية الأخرى عن عباده الصالحين أنهم يريدون بهذا العمل وجه الله، لا رياءً ولا سمعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١) [الإنسان].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧/٣) برقم (٤٠٤٦).

الكلمة الثالثة والثلاثون

دروس وعبر من

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا...﴾ [الزخرف] إلى آخر الآيات.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده التي لا يُقَدَّمُ عليها شيئاً لَوَسَّعَ الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي درجاً من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى سطوحهم. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾، ﴿وَزُخْرَفًا﴾ أي: ولزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر، وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا منغصة مكدرة فانية، وأن الآخرة عند الله خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيها، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها

خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين»^(١). اهـ.

وفي هذه الآيات الكريمات فوائد كثيرة منها:

- أن ما يعطيه الله الكفار من نعم الدنيا إنما ذلك لهوان الدنيا عنده، وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمُ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»^(٢).

ولهذا قال عمر رضي الله عنه عندما صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم، لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله: هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس. وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طِبِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٣).

- ومنها: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده ليست دليلاً على محبته.

قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ سَاعٍ لَهُمْ فِي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٧٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩١٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٧٩).

الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ»^(١). ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومنها أن فيها الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

ومنها بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله، روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفْتُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ - أَيِ صَغِيرِ الْأُذُنِ - مِيَّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهِمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مِيَّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ»

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٧/٢٨) برقم (١٧٣١١)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٢٠)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٧).

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ؟» (١).

وقال عمر رضي الله عنه: لو أن الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيتها رجل، ثم جاءه الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره، ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء (٢).

وقال أحد السلف: نعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة، أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: ومن حذق بصيرته في الدنيا والآخرة، علم أن الأمر كذلك (٤).

ومنها: أن الله تعالى يمنع عبده بعضاً من أمور الدنيا لينال منزلة عالية عنده يوم القيامة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» (٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٢) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٣) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٤) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٧/٣٩) برقم (٢٣٦٢٧)، وقال محققوه: حديث صحيح.

أكل المال الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصمهم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم آكل للحرام^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]. روى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٢).

ومما يلاحظ، تساهل كثير من الناس في أكل المال الحرام، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٠).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢١٤٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

قال ابن المبارك: لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف.

قال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» وإنما فعل ذلك رضي الله عنه امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»^(١) الحديث.

ومن صور أكل المال المحرم: الربا الذي حرّمه الله ورسوله، ولعن آكله، وكتبه، وشاهديه. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٧٨) [البقرة]. وقد غلب حب المال على قلوب بعض المسلمين، فصاروا يتسابقون إلى شراء أسهم البنوك الربوية، وآخرون يودعون أموالهم في البنوك ويأخذون عليها زيادة ربوية يسمونها فوائد، وإن من الجرائم العظيمة والأمر الخطيرة، ما نشاهده من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال: ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها وأنها من الربا الذي حرّمه الله ورسوله، وهي بطاقة يصدرها البنك بمبلغ معين يسمى قيمة إصدار، ويحق لحاملها أن يشتري ما شاء من سلع وحاجيات على أن يرد قيمة هذه السلع خلال مدة معينة، فإن لم يفعل فإنه يحسب عليه عن كل يوم فائدة^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) فتوى رقم (١٧٦١١).

ومن صور أكل المال المحرم: الاعتداء على رواتب العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في أوقاتها، وأكل مال اليتيم، والاعتداء على ممتلكات الناس، ومن صور أكل المال المحرم التي نشاهدها كثيراً في الأسواق: الحلف على السلعة باليمين الكاذب، والغش في المعاملات وغير ذلك. وأكل الحرام إنما يعرّض نفسه للعقوبة في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فقد تكون العقوبة خسارة في ماله، أو محق إلهي للمال الذي اكتسبه ونزع البركة منه، أو مصيبة في جسده، قال تعالى: ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة].

وأما في قبره، فقد ورد في الحديث أن عبداً يُقال له مدعم كان مع النبي ﷺ، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة رضي الله عنهم: هنيئاً له الشهادة، فقال النبي ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»^(١).

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام.

وأما في الآخرة فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٠٧).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣/٤٢٥) برقم (١٥٢٨٤) وقال محققوه:

إسناده قوي على شرط مسلم.

قال الشاعر:

المال يذهب حِلُّهُ وَحَرَامُهُ يَوْمًا وَتَبْقَى فِي غَدِ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِي بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

ومن عقوبة أكل المال الحرام: حرمان إجابة الدعاء وقبول العبادة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»^(١).

وهذا الحديث فيه تحذير لطائفة من الناس خدعهم الشيطان، وزين لهم أعمالهم السيئة، فتراهم يأكلون الحرام وينفقون منه في بعض الأعمال الصالحة، كبناء المساجد، أو المدارس، أو حفر الآبار، أو غير ذلك، ويظنون أنهم بهذا برئت ذمتهم، فهؤلاء يُعاقبون مرتين:

الأولى: أن الله لا يقبل منهم أعمالهم الصالحة التي أنفقوا عليها من الأموال المحرمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢).

الثانية: أن الله يعاقبهم على هذا المال المحرم، ويحاسبون عليه يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوِّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة، فهو كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهر إلا بالماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عن سواك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والثلاثون

وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى في سياق قصة آدم مع عدو الله إبليس: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه].

ذكر الله سبحانه في هذه الآيات حال من اتبع هدايه وما له من الرغد وطيب الحياة في معاشه ومعاذه، فقال: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾، فتكفل الله لمن حفظ عهده علماً وعملاً أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس].

ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤] أي كتابي، ولم يتبعه ويعمل بما فيه، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء

وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في رَيْبِهِ يتردد فهذا من ضنك المعيشة^(١). اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا، وحاله في البرزخ؛ فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيبت الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب»^(٢).

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤]؛ اختلف المفسرون في ذلك: هل هو من عمى البصيرة أو من عمى البصر؟ فمن قال: إنه من عمى البصيرة، استدل بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [٢٢] [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [٤٥] [الشورى]، وغير ذلك من الآيات التي أثبتت لهم الرؤية في الآخرة.

والذين قالوا: إنه من عمى البصر؛ استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكُمَا وَصَآئِطًا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٩٧] [الإسراء].

وقد فصل في ذلك العلامة ابن القيم، وخلص إلى أن الحشر ينقسم إلى قسمين: الأول من القبور إلى الموقف، والثاني من الموقف إلى النار.

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٩).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧٩).

ف عند الحشر الأول: يسمعون ويصرون ويجادلون ويتكلمون.

وعند الحشر الثاني: يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً،
 فلكل موقف حال يليق به، ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته،
 والقرآن يصدق بعضه بعضاً^(١): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثم أخبر سبحانه عن حال هذا المعرض يوم القيامة، وأنه يغشاه
 الذل والهوان فيتألم ويضجر من هذه الحال فيقول: رب لم حشرتني
 أعمى فيجاب: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِيْتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه]، أي:
 أن هذا هو عين عملك والجزاء من جنس العمل، وكما تدين ثدان، فكما
 عميت عن ذكر ربك ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في
 الآخرة وتركك في العذاب.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

بيان حال من أعرض عن ذكر الله في الدنيا، وأنه يعيش في ضلال
 وظلام، ويتخبط في الجهالة، وهو مع هذه الحالة يحسب أنه من المهتدين.
 وبسبب إعراضه عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله عاقبه بأن قيص له
 شيطاناً يصاحبه فيصده عن الحق، ويزين له طرق الضلال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٦]
 وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف]، حتى
 إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاین هلاكه ندم^(٢) فقال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي
 وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف].

ومنها أن من تمسك بهذا الذكر، وهو القرآن فإنه يسعد في الدنيا

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٩٥٣).

(١) تفسير ابن القيم (ص ٣٦٣).

والآخرة، وتحصل له الطمأنينة، وانسراح الصدر والشفاء من أمراض الأبدان والقلوب، والهداية إلى صراط الله المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (١).

(١) معجم الطبراني الصغير (١/٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧) رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران وهو ثقة وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع (٧/٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

قال الشيخ مقبل الوداعي في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٨٠ - ٨١) وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٠) و(٨/١٢٥) والواحدي في أسباب النزول بهذا السند، وقال الشوكاني: إن المقدسي حسنه، وله شواهد كما في تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢) تزيده قوة.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ﴾، قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله ورسوله، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، ثم أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُخَيَّرُ (٢).

قال ابن حجر: الرفيق الأعلى: هم المذكورون في سورة النساء في قوله: ﴿ وَمَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... ﴾ الآية (٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا - وَنَصَبَ إِصْبَعِيهِ - مَا

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٣٧، ٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) فتح الباري (٨/١٣٨).

لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سَلْ»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قلت: هو ذاك، قال: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» (٢).

قال ابن كثير: وأعظم من هذا كله ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرها من طرق متواترة، عن جمع من الصحابة، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث (٣)(٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٥٢٢ - ٥٢٣) وقال محققوه: حديث صحيح .

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦١٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٠).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١).

الكلمة السابعة والثلاثون

شرح حديث: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

هذا الحديث اشتمل على حكم عظيمة، وجمل نافعة، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة صغيرة اختصرت كلامه فيها في هذه الكلمة:

قوله: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» يعني أن الله بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دُعي بالسيف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد]، وفيه إشارة إلى قرب

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢). وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/٥٠٩): إسناده

بعثته ﷺ من قيام الساعة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» قال: وضم السبابة والوسطى (١).

وقوله: «حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» هذا هو المقصود الأعظم من بعثته وبعثة الرسل من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل]؛ بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات]، فما خلقهم إلا ليامرهم بعبادته، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم، على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمُحِي» فيه إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيد بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداء الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ويستبيح أموالهم، ويسبي نساءهم وذراريهم، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإن المال إنما خلقه لبني آدم يستعينون به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به، سلط الله عليه رسوله وأتباعه، فانزعوه منه وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١).

عبادة الله وتوحيده وطاعته، ولهذا يسمى الفيء لرجوعه إلى من كان أحق به، ولأجله خُلِقَ.

قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وهذا مما خص الله به محمداً ﷺ وأُمَّته، فإنه أحل لهم الغنائم.

قوله: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» هذا يدل على أن العز والرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر رسول الله ﷺ؛ لامثال متابعة أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، فالذلة والصغار تحصل بمخالفة أمر الله، والمخالفون لأمر الله ورسوله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره، كمخالفة الكفار وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ﷺ فهم تحت الذلة والصغار، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وضرب على اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول ﷺ كفر عناد.

الثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية، فله نصيب من الذل والصغار.

قال الحسن البصري: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية، قال الشاعر أبو العتاهية:

أَلَا إِنَّمَّا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرْمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

الثالث: من خالف أمره من أهل الشبهات؛ وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم لهم نصيب من الذل والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) [الأعراف].

وأهل البدع والأهواء كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افتراءهم عليه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفته أمر الرسول ﷺ: ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل».

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (١).

ورأى النبي ﷺ سكة الحرث فقال: «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ» (٢)، فمن ترك ما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوها المباحة، حصل له الذل. فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوها المحرمة؟! (٣). اهـ.

قوله: «وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، هذا يدل على أمرين:

(١) سنن أبي داود برقم (٣٤٦٢). قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٩/٣٠): إسناده جيد.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٢١).

(٣) شرح حديث يتبع الميت ثلاثة لابن رجب الحنبلي.

أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمِعُوا بِخَلْقِهِمْ فَأَسْتَمِعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَسْتَمِعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٩٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعن حلق اللحية، وعن تسليم اليهود والنصارى وغيرها من النواهي.

الثاني: التشبه بأهل الخير والتقوى، فهذا حسن وهذا مندوب إليه، ولهذا يشرع الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه، وذلك مقتضى المحبة الصحيحة، فإن المرء مع من أحب، ولا بد من مشاركته في أصل عمله وإن قصر المحب عن درجته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



سورة التكاثر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرِمُ الْمُقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر].

قوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!».

وفي رواية له: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٤٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

قال الشاعر:

يا جَامِعَ المَالِ فِي الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ هَلْ أَنْتَ بِالمَالِ بَعْدَ المَوْتِ تَتَفَعُّ
لَا تُمَسِّكُ المَالِ وَاسْتَرَضِ الإِلَٰهَ بِهِ فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرِّيُّ وَالشَّبَعُ

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ المَقَابِرَ ﴾ (٢) قال ابن القيم: «وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت، إيذاناً بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور، وأنهم بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها، كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها. ودار القرار هي الجنة أو النار»^(١).

وقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يُلْهِيكم التكاثر عن طاعة الله، وسوف تعلمون عاقبة تشاغلكم بالتكاثر، وكرر الجملة هنا لزيادة التأكيد، كما قال بعض المفسرين.

قال ابن القيم: وقيل: ليس تأكيداً؛ بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، وهذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس^(٢).

وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ ﴾ (٥) أي لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون.

وقوله: ﴿ لَتَرُونَ الجَحِيمَ ﴾ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّ عَيْنَ اليَقِينِ ﴿٧﴾ هذا قسمٌ من الله تعالى بأن عباده - مؤمنهم وكافرهم - سيشاهدون النار بأعينهم، ثم أكد هذا الخبر بأنه واقع لا محالة، وأنهم سيكونون متيقنين برؤية النار يقيناً لا شك فيه، ولكن الله ينجي المؤمنين منها، وقد جعل

(١) تفسير ابن القيم (ص ٥١٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٥١٥).

سبحانه رؤيتهم لها ليعرفوا فضل الله عليهم بإنجائهم منها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ٧٢ ﴿﴾ [مريم].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر] أي: ليسألنكم الله يوم القيامة عن كل نعمة أنعم بها عليكم، كالأمن والصحة والسمع والبصر والعافية، وما يطعمه الإنسان ويشربه، هل قمتم بشكرها وأديتم حق الله فيها ولم تستعينوا بها على معاصيه، أم اغتررتم بها ولم تقوموا بشكرها فيعاقبكم على ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟». قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ؛ فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»^(١).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٨).

قال النووي في شرح الحديث: والسؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة^(١).

وأما بالنسبة للكفار فإنه سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدْكَ^(٣) وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(٤).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ - مِنَ النِّعَمِ أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرَوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٥).

قال ابن القيم: فله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدّها ترغيباً في الآخرة، وتزهيداً

(١) شرح النووي (٥/٢١٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أي: أجعلك سيّداً على غيرك.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٥) سنن الترمذي برقم (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٧٦) برقم

في الدنيا، على غاية اختصارها وجزالة ألفاظها وحسن نظمها، فتبارك من تكلم بها حقاً، وبلغها رسوله عنه وحيّاً^(١). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والثلاثون

سورة الإخلاص

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

وجعل فيه الشفاء والنور والهداية، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ ءَامَنُوا هُدًىٰ وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن السور التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتِحَ سُورَةٌ يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتِحَ بِ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ﴾، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فِيمَا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى؛ فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمِّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟!» فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. وفي رواية: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ﷻ (١) فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» (٣).

وكان النبي ﷺ يستشفى بهذه السورة مع غيرها من السور، والقرآن كله شفاء.

روى البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١﴾؛ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ قال ابن كثير: أي هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠١٥)، ورواه مسلم من طريق أبي الدرداء برقم (٨١١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠١٧).

في جميع صفاته وأفعاله^(١). اهـ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾^(٢) قال عكرمة عن ابن عباس: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والعرب تسمي أشرافها الصمد، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤) أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة.

قال مجاهد: «ولم يكن له كفواً أحد، أي: صاحبة». اهـ.

والمراد بالصاحبة: الزوجة، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥) [الأنعام]، أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟! تعالى وتقدس.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٦) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا^(٧) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا^(٨) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^(٩) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا^(١٠) إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا^(١١) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(١٢) [مريم].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى سَمِعُهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٥١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٨).

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ
أَوَّلَ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ
وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ^(١).

ومن فوائد هذه السورة الكريمة:

أولاً: إثبات وحدانية الله جل وعلا والرد على اليهود، والنصارى
الذين يجعلون له الولد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: أن هذه السورة اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا سئِلَ
به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه:
أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ. فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجَابَ»^(٢).

ثالثاً: استحباب قراءتها عند المبيت كما تقدم من فعله عليه الصلاة
والسلام، وقراءتها أيضاً صباحاً ومساءً ثلاث مرات.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ
قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطَلَبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ لَنَا،

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٧٩)

برقم (١٣٢٤).

الكلمة الأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴿٤٥﴾﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿٤٥﴾ هنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه، فهو مأمور بالبشارة إن كان الرسول ﷺ، فكل من خلفه في العلم والدعوة فإنه يمكن أن يقول هذه البشارة، وهي الإخبار بما يسر، وهنا المُبَشِّر هم المؤمنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمُبَشَّر به جنات تجري من تحتها الأنهار، والمُبَشَّر هو الرسول ﷺ، والأمر بالتبشير هو الله تعالى.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: جمعوا بين الاستسلام الباطن، وهو الإيمان، والاستسلام الظاهر، وهو العمل الصالح، وجمعوا بين الإخلاص في القلب، وهو أمر باطن، والمتابعة للرسول ﷺ، وهو أمر ظاهر، فالبشرى لمن جمع بين الأمرين.

وقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿٤٥﴾ أي: بساتين جامعة للأشجار،

وسميت جنة لأنها تجن من فيها، أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

والمراد هنا: دار النعيم التي أعدّها الله للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار، وهي أربعة أصناف ذكرها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) [محمد] الآية (١).

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، لأنه يشبهه في اللون والحجم، ولكنهم إذا طعموه تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الآكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمر متشابهًا، ولكنه يختلف في الذوق، حيث صار هذا من تمام اللذة وكمال النعمة.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٠).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحِمَامِ وَالشَّهْوَةِ».

فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ»^(١).

وقوله: ﴿ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ هو تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فهو نعيم سرمدي أبدي. ومن فوائد الآية الكريمة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في كتابه: من أحكام القرآن:

أولاً: أنه ينبغي أن يبشر العامل بما يستحق من الثواب، لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على العمل.

ثانياً: أن البشرى بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل، ولهذا يربط الله تعالى دائماً الإيمان بالعمل الصالح.

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً وثماراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) [السجدة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ

(١) مسند الإمام أحمد (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤)، وقال محققوه: حديث صحيح.

رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَآ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١).

رابعًا: أن في الجنة أزواجًا مطهرة يتلذذ الإنسان بهن، ويتمتع بهن كما قال تعالى: ﴿ إِن أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴾ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿ ٥٦ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿ ٥٨ ﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٥) فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿ ٥٦ ﴾ [الرحمن].

وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والالتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم.

خامسًا: أن أهل الجنة خالدون فيها، وقد بينت الآية الأخرى أن هذا الخلود خلود أبدي: قال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (١٠٨) [الكهف] (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٠ - ١٣٤).

وقفة مع حديث وفاة أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويُعيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص] (١).

وفي رواية أنه قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤) واللفظ له.

ذلك الجزع لأقررت بها عينك^(١).

قال أبو طالب في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الله ابن أبي أمية ابن المغيرة قد أسلم وحسن إسلامه في آخر حياته^(٢)، أما أبو جهل الطاغية المعروف فقد قتل يوم بدر على الكفر.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة من ذلك:

أولاً: أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ولا الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تُداني ولا

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٣٦).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٦).

تسامى ولا يُمكن عربياً مُقاربتُها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان، لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه. ا.هـ (١).

وقد نهى تعالى نبيه والمؤمنين عن الاستغفار لمن مات مشركاً، ولو كان قريباً أو حبيباً، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة].

كما بين ﷺ أن الاستغفار لهم لا ينفعهم ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: إن شفاعة النبي ﷺ لعمه اقتضرت بعد نزول الآيات الكريمات على تخفيف العذاب عنه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ» قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ (٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣١٤ - ٣١٥) بتصرف.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٩).

بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» (١).

وفي رواية: «مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» (٢).

ثالثًا: أن الشرك لا تنفع معه طاعة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً ولا فرضًا ولا نفلًا، بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها، هذا حكم الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر].

وقال عن أنبيائه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ» (٣).

رابعًا: أن المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، حتى لو كان هذا الشافع نبياً كريماً أو ولياً صالحاً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَلْتَقِي إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ وَجْهِهِ أَرْزَقْتَرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتِ رِجْلَيْكَ؟»

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٥).

فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ ^(١) مُلْتَطِحٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٣١٤) [الشعراء]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ^(٣).. الحديث.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ^(٣٧) [سبأ].

خامسًا: الحذر من صحبة الأشرار، ففي الحديث أن أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية ما زالا يحرضان أبا طالب على الثبات على دينه حتى مات على الكفر وختم له بتلك الخاتمة السيئة.

وقد حث النبي ﷺ على اختيار الجليس الصالح، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» ^(٤).

قال الشاعر:

عن المرء لا تسلّ وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

(١) الضبع الذكر. (٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٦).

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَعِيَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال القرطبي: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات^(١). اهـ.

قال ابن كثير: وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية وإلا فالإسرار أفضل^(٢). اهـ.

قال القرطبي: وهذا - أي إظهار الصدقة - لمن قويت حالته

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٢).

وحسنت نيته وأمن من الرياء، وأما من ضعف عن هذه الرتبة فالسر له أفضل. اهـ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

قال ابن القيم: وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خير لكم، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه، كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس، وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له؛ فيزهدون في معاملته ومعاوضته؛ وهذا قدر زائد من الإحسان إليه لمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص.... إلى آخر ما قال^(٢).

وقد مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيراً للمنفق، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته؛ ولا تخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعلمون خير.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظَلِّمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ»^(٣).

وذكر النبي ﷺ صنفاً آخر يستحق ذلك التكريم، وهو الذي ذكر الله

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ١٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

خاليًا ففاضت عيناه.

روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْبَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْبَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عبد الله بن جعفر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٢).

قال العز بن عبد السلام في تفاوت فضل الإسرار والإعلان بالطاعات: فإن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعات ثلاثة أضرب: أحدها ما شُرِعَ مجهورًا كالأذان والإقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة؛ والخطب الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإقامة الجمعة والجماعات، وغير ذلك، فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص، فيأتي به مخلصًا كما شرع؛ فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهد لما فيه من المصلحة المتعدية.

الثاني: ما يكون إسراره خيرًا من إعلانه، كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خيرٌ من إعلانه.

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى، كالصدقات، فإن خاف على

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٨) برقم (١١٨٤).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (٢/٩٥) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

نفسه الرياء، أو عُرف ذلك منه كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَخَفُوهَا وَتَوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] إلى آخر ما قال (١).

ومما تقدّم من الآيات والأحاديث يتبيّن أنه ينبغي للمؤمن أن يخفي أعماله الصالحة عن الخلق، إلا التي يشرع إعلانها، فإن الذي يعمل لأجله لا تخفى عليه أعماله، وسيجزيه عليها أوفر الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وليعلم العبد أنه لا ينفعه اطلاع الناس على ما يعمل؛ بل قد يضره إذا أحب ذلك.

وقد كان هدي السلف الصالح الحرص على إخفاء الأعمال، وذلك لكمال إخلاصهم وصفاء نياتهم.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ» فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢).

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره، يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي (٣).

(١) قواعد الأحكام (١/١٥٢).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٣٢٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٧) برقم (١١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٨٣).

ونقل المنذر بن سعيد عن جارية للربيع أنه كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه^(١)، وذكر ابن الجوزي أن داود بن أبي هند صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله، كان يأخذ غداءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء^(٢).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: إن كان الرجل ليجمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليفقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركت أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢١).

الكلمة الثالثة والأربعون

الولاء والبراء في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين وبغضهم، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي ملة نبينا وملتنا، وقدوته، وقدوتنا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وهو مبني على أصليين: الأول: إخلاص العبادة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٦٣] [الأنعام].

الثاني: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وإذا كان واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عنه، المخالفين له في جميع

الأمور أبين وأبين، فمن لم يحقق هذين الأصلين لا يصح له أن ينتسب إلى إبراهيم وملته.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ ءَأُولِيَآءَ تَلْقَوْتُمْ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة]. بل لقد حرم على المؤمن موالاته الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إليه. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وذكر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب صورًا لموالاته الكفار في رسالته «أوثق عرى الإيمان» فقال:

أحدها: التولي العام، الثاني: المودة والمحبة الخاصة، الثالث: الركون القليل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه، فكيف بغيره. الرابع: مداهنتهم ومداراتهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم]. الخامس: طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَافٍ مِّمَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم]. السادس: تقربهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام. السابع: مشاورتهم في الأمور. الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين.

أي أمر كان إمارة أو عمالة، أو كتابة، أو غير ذلك. التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين. العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول إليهم. الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة. الثاني عشر: الإكرام العام لهم. الثالث عشر: استئمانهم وقد خَوَّنَهُمُ اللهُ، الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم. السادس عشر: اتباع أهوائهم، السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم، الثامن عشر: الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيتهم. التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم: سادات وحكماء. كما يُقال للطاغوت: السيد فلان، أو يقال لمن يدعي علم الطب: الحكيم. ونحو ذلك. العشرون: السكن معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» (١) (٢).

وكما حرم سبحانه موالاته الكفار أعداء الدين، فقد أوجب موالاته المؤمنين ومحبتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ﴾ [المائدة: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن مظاهر موالاته المؤمنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار

(١) سنن أبي داود برقم (٢٧٨٧) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ برقم (٦١٨٦).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ١٧٠، ١٧٢).

بالدين، فقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثانياً: مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْتُمْ التَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثالثاً: النصح ومحبة الخير لهم، وعدم غشهم، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٣)، وصحيح مسلم برقم (٤٥).

الكلمة الرابعة والأربعون

مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص رضي عنه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، أسلم وعمره لم يتجاوز السابعة عشر عامًا، وكان من السابقين إلى الإسلام، يقول عن نفسه: مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي يَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَّثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلْتُ الْإِسْلَامَ (١)، وكان قائدًا لجيش المسلمين في معركة القادسية الشهيرة، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في الإسلام، وقد فداه النبي صلى الله عليه وسلم بأبويه يوم أحد، عندما رأى شجاعته واستبساله في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وهو أحد الستة الذين توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، قال عنه الذهبي: «الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٧).

مالك بن أهيّب القرشي الزهري المكي، وله قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من بني زهرة، وأم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب زهرية، وهي ابنة عم أبي وقاص»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ»^(٢).

قالت عائشة بنت سعد: كان أبي قصيرًا دحداحًا، غليظًا، ذا هامة، وجاء في بعض الروايات أنه كان يميل إلى السمرة.

روى مسلم في صحيحه من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةٌ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] إلخ الآية^(٣).

وفي رواية أنه قال: يَا أُمَّهُ، تَعَلَّمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِئَةٌ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا، فَإِنْ شِئْتَ فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَأَكَلْتُ^(٤).

وقد كانت لسعد مواقف عظيمة، تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢ - ٩٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٧٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٢٠) برقم (٢٩٥١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧٤٨). (٤) ابن أبي حاتم برقم (١٧١٦٤).

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، فقال: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «مَنْ هَذَا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسُهُ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام. قالت عائشة: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيظه ^(١)(٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث قيس، قال: سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّىٰ إِنَّا أَحَدْنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ^(٣). قال الشَّراح: أي لجفافه ويبسه، وقد أبلى سعد في موقعة أحدٍ بلاءً عظيمًا، فقد جاء عن أَبِي عَثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيثِهِمَا. اهـ ^(٤).

وكانا يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد القتال، وكان ذلك في موقعة أحد، وكان سعد من أمهر رماة العرب.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن شداد رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبُوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ^(٥).

(١) وهو صوت النائم المرتفع.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١١).

وهذا الحديث يدل على كفاءته العظيمة، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المواقف التي تدل على ورعه وتقواه أنه اعتزل الفتنة التي حدثت بين الصحابة، وجاء إليه أصحابه وقالوا: يا سعد ألا تشارك معنا في القتال؟ قال: لا، حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر، وأنشد يقول:

لَا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيْبَةٍ وَأَخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عُرْيَانًا

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عامر بن سعد قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّأِيبِ، فَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنِمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟! فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيِّ الْخَفِيَّ»^(١).

والمراد بالغني غني النفس، والخفي المنقطع إلى العبادة، والاشتغال بأمور نفسه لا يبغي منصباً ولا شهرة.

قال الذهبي رحمته الله:

اعتزل سعد الفتنة فلا حضر الجمل ولا صفيين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه^(٢).

ولما احتضر قال ابنه مصعب: كان رأسه في حجري، فبكيت، فرفع رأسه إليّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢).

قال الذهبي: صدق والله فهنيئاً له^(١).

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين من الهجرة، في قصره بالعقيق، وأوصى أن يُدفن في جبة صوف، وقال: لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم، وعمره آنذاك ثمانية وسبعون عاماً، ودُفِنَ بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢ - ١٢٣).

الكلمة الخامسة والأربعون

النهي عن الإسراف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها صفة الإسراف:

قال الراغب: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر^(١).

وقال سفيان بن عيينة: ما أنفقت في غير طاعة الله سرف وإن كان ذلك قليلاً^(٢).

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر].

والإسراف يتناول المال وغيره، قال تعالى محذراً عباده من الإسراف: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض السلف: جمع الله الطب في نصف آية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا... ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(١) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٨٤).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٩٤-٣٨٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٨).

قال عطاء بن أبي رباح قال: نهوا عن الإسراف في كل شيء (١).

قال ابن كثير: «أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن» (٢).

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبُسُوفِ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةَ» (٣) (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ» (٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فَثُلُثٌ لِبَطْنِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٦).

وفرق بعض العلماء بين التبذير والإسراف الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]. فقالوا: «إن التبذير هو صرف الأموال في غير حقها، إما في المعاصي؛ وإما في غير فائدة لعباً وتساهلاً بالأموال، أما الإسراف

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٩٠).

(٢) مخيلة هي العجب والكبر.

(٤) رواه النسائي برقم (٢٥٥٩)، ورواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢).

(٥) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢) باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(٦) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٥٢٨/٩).

فهو الزيادة في الطعام والشراب واللباس في غير حاجة».

قال تعالى مادحاً عباده المقتصدين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء]، وهذا هو التوسط المأمور به، لا بخل، ولا إمساك ولا إسراف ولا تبذير، لكن بين ذلك، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى أمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن الإسراف: لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تبسطها كل البسط، أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك؛ وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملوماً محسوراً، أي فتقعد إن بخلت ملوماً يلومك الناس، ويذمونك، ويستغنون عنك، كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ فَيَبْخُلْ بِمَالِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنِ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهي الدابة التي عجزت عن السير. اهـ^(٢).

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت به فهو لك، وما أنفقت رياء وسمعة

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٣).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٢٢).

فذلك حظ الشيطان^(١).

وقال ابن الجوزي: العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة تكفّه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق...» إلى آخر ما قال^(٢).

وينبغي أن ينتبه لأمر، وهو أن الإنفاق في الحق لا يُعدُّ تبذيراً، قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبدراً، ولو أنفق مدّاً في غير حق كان مبدراً^(٣).

ومن الإسراف الذي يقع فيه بعض الناس: الإسراف في الولائم وحفلات الزواج وغيرها من المناسبات صغيرة أو كبيرة، حيث تقدم بها الأطعمة أكثر من الحاجة.

ومنها الإسراف في استخدام نعمة الماء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»^(٤)^(٥).

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات.

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء؟ فأراه الوضوء ثلاثاً، ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٠٤).

(١) الدر المنثور (٥/ ٢٧٥).

(٤) المد ملء كفي الرجل الممتلئ.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٠١)، وصحيح مسلم برقم (٣٢٥).

أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ^(١)».

ومنها: الإسراف في استخدام نعمة المال. روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) ويدخل في هذا الحديث الذين يسافرون إلى بلاد الكفار، فينفقون المبالغ الطائلة في تلك الرحلات، وهم بهذا جمعوا بين معصيتين الأولى: السفر إلى بلاد الكفار، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»^(٣).
الثانية: دعم اقتصاد هذه الدول الكافرة بهذه الأموال التي تنفق فيها.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٤) الحديث. وغير ذلك من الصور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سنن النسائي برقم (١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١١٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٤٦١).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٤٢٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة السادسة والأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وعملاً بهذه الآية الكريمة فلنستمع إلى آية من كتاب الله تعالى، ولنتدبر ما فيها من العظات والحكم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّأْسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم].

قوله تعالى: ﴿قَوْأ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم^(١)، وقال قتادة رضي الله عنه: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها^(٢).

وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّأْسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة، قال ابن مسعود: هي حجارة من الكبريت الأسود^(٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

وقوله: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾ قال الشيخ ابن سعدي: أي غليظة أخلاقهم، شديد انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب، وأوجب عليهم شدة العقاب^(١). اهـ.

وقوله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، هذا مدح للملائكة وانقيادهم لأمر الله وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١ - أنه يجب على الرجل أن يأمر أهله بالمعروف ويحثهم عليه، وينهاهم عن المنكر ويزجرهم عنه؛ فيامرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر فرائض الإسلام، ويحثهم على الأخلاق الجميلة؛ والآداب الحسنة، ويرغبهم في فضائل الأعمال، كقراءة القرآن، وتعلم العلوم النافعة، قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم].

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢).

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٩٧) برقم (٤٦٦).

يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر^(١).

وكذلك يجب عليه أن ينهاهم عن كل ما يغضب الله من الأقوال والأفعال، فينهاهم عن الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وعن قول الزور، وينهى نساءه وبناته عن التبرج والسفور، والخروج إلى الأسواق ومواقع الريب، وينهى جميع أهله ومن تحت يده عن مصاحبة الأشرار ومخالطتهم، والتشبه بالكفار والفساق، ويقطع عنهم الوسائل المفضية إلى غضب الله وسخطه، المشغلة عن رضاه وطاعته، كالقنوات الفضائية، والتلفاز، ونحوها من الوسائل التي تدعو إلى الرذائل ورديء الأخلاق.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(٢).

٢ - عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه الآية أخبر تعالى أن حطب النار التي توقد بها: جثث بني آدم وحجارة من الكبريت الأسود، وأخبر في آية أخرى عن هولها وشدة عذابها فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُنَىٰ ۖ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوٰى ۖ ﴿١٦﴾ تَدْعُوٓا مِّنْ أَدْبَرَ ۖ وَتَوَلَّىٰ ۖ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۖ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيٰى وَلَا نَذْرٌ ۖ ﴿٢٨﴾ لِّلْوَاحَةِ ۖ لِّلْبَشَرِ ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ۖ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٩).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَا فِئَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» (٢).

٣ - إثبات وجود الملائكة وأنه يجب الإيمان بهم وأنهم أصناف، فمنهم: خزنة النار الموكلون بتعذيب أهل النار وإهانتهم وأن عددهم كما ذكر الله ﷻ تسعة عشر، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدرثر] وإن كبير هؤلاء الملائكة ملك كريم اسمه مالك، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ ﴾ [الزخرف]، وأن الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ركن من أركان الإيمان الستة، قال تعالى: ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كَيْبَهُ وَكُنِيَ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة].

٤ - أن على المؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون ولو بأقل القليل من فعل الخير.

روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣).

تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ؛ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٦).

آفة السهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العادات السيئة التي ابتلي بها كثير من الناس في هذه الأزمان السهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بَرزَةَ الأَسلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا ^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل.

وكان عمر بن الخطاب رضي عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: أَسْمَرًا أول الليل ونومًا آخره ^(٢).

ومن مفسد هذا السهر:

أولاً: أنه يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم]

(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٧).

(٢) فتح الباري (٧٣/٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنْكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكُهُ ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن ربيعة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثانياً: أنه يؤدي إلى النوم عن قيام الليل، قال تعالى يذكر عباده المؤمنين المتقين: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَاللَّيْلِ سَعَاتٍ يُسْتَعْفِرُونَ ﴾ (١٨) [الذاريات]، وقال أيضاً: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) [السجدة].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: «جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٣).

(ثالثاً): إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وهذا الوقت سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(١) صحيح مسلم برقم (٦٥٧). (٢) صحيح مسلم برقم (٦٣٤). (٣) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٦٣٩) برقم (١٢١٣): رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥٠٧) برقم (٨٣١).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(١).

وهذا لمن كان سهره في المباح، أما إذا كان سهره على المحرمات كالنظر إلى القنوات الفضائية السيئة، أو التحدث في أعراض المسلمين، أو غير ذلك من المنكرات، فقد جمع إلى هذه القبائح إضاعة وقته فيما يغضب ربه عز وجل.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله:

لا يجوز للمسلم أن يسهر سهرًا يترتب عليه إضاعته لصلاة الفجر في الجماعة أو في وقتها، ولو كان ذلك في قراءة القرآن أو طلبه العلم؛ فكيف إذا كان سهره على التلفاز أو لعب الورق أو ما أشبه ذلك؟ وهو بهذا العمل آثم، ومستحق لعقوبة الله سبحانه، كما أنه مستحق للعقوبة من ولاية الأمر بما يردعه وأمثاله^(٢).

(رابعًا): الأضرار الصحية التي تنتج عن السهر؛ فإن الله تعالى جعل الليل سكنًا للناس، قال تعالى: ﴿الْمُ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [النمل: ٨٦] والنوم في الساعات الأولى من الليل لا يعوض، وقد استثنى العلماء السهر إذا كان في طاعة الله، وفيه مصلحة شرعية، كقيام الليل أو الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو طلب علم شرعي؛ أو السهر مع الضيف أو الزوجة.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الفتاوى (٩٢/١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «لا سَمَرَ بعد الصلاة - يعني العشاء الآخرة - إلا لأحد رجلين مُصَلٍّ أو مُسافرٍ»^(١).

لذا ينبغي على المؤمن أن يحرص على التبكير في نومه، حرصاً على تطبيق السنة، وتخلصاً من آفة السهر ومفاسده، وعليه أن يحرص على آداب النوم؛ كالنوم على طهارة والمداومة على الأذكار الشرعية قبل النوم، وغير ذلك من الآداب التي ذكرها أهل العلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩٠/٦) برقم (٣٦٠٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

الكلمة الثامنة والأربعون

الحج وجوبه وفضله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٌ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا»^(٢).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خُمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٍ»^(١).

فهذه الآيات والأحاديث المتقدمة، فيها بيان أن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه العظام.

والقول الراجح من كلام أهل العلم أن الحج يجب على الفور، فمن استطاع الوصول إلى البيت ولم يحج فهو على خطر عظيم، وما يدره لعله يأتيه الأجل وهو لم يقض هذه الفريضة العظيمة.

عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُبْعَثَ رَجَالًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَيَنْظُرُوا كُلَّ مَنْ لَهُ جَدَّةٌ وَلَمْ يَحِجَّ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْجَزِيَةَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتَنْضِلُ الصَّالَةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ - فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ»^(٤).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٦٩٥) وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٤٢/٢) برقم (١١٦٦).

(٢) التلخيص الحبير (٢/٢٢٣) والأثر أسنده اللالكائي في الاعتقاد (١٥٦٧) وابن الجوزي في التحقيق (١٢١٣) وغيرهما.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٣) برقم (١٨٣٤) وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/٥٨) برقم (٢٨٦٧) وقال محققوه: حديث حسن.

ومن فضائل الحج:

أولاً: أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص رضي عنه في قصة إسلامه، وفيها: فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (٢).

ثانياً: أن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أي العمل أفضل؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (٣).

ثالثاً: أن النفقة في الحج يضاعف الأجر لصاحبها كما يضاعف أجر المجاهد، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بُرَيْدَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ» (٤).

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (١٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٨٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٠٦/٣٨) برقم (٢٣٠٠٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

رابعاً: أن الحج إذا كان خالصاً لوجه الله، وموافقاً لسنة النبي ﷺ وكانت نفقته من كسب حلالٍ طيب فجزاؤه الجنة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنْسٌ فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعَيْرُ
مَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ
خامساً: أن الحج والعمرة من أعظم أسباب الغنى.

روى النسائي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٢).

سادساً: أن الله تعالى يباهي بالملائكة.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٣).

سابعاً: أن من طاف بالبيت واستلم الحجر الأسود شهد له يوم القيامة. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ

(١) صحيح البخاري برقم (١٧٧٣)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٦٣٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٥٨/٢) برقم (٢٤٦٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣٤٨).

في الحجر: «وَاللَّهِ لَيُبَعِّثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَيَّ مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ»^(١).

ثامناً: أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ^(٢).

تاسعاً: أن الحجاج وفد الله روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم»^(٣).

وفضائل الحج ومنافعه الدينية والدينية كثيرة جداً، وقد أشار الله إليها بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٢٨) [الحج].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٩٦١)، وقال: هذا حديث حسن.
 (٢) مسند الإمام أحمد (٤٦/٢٣) برقم (١٤٦٩٤) وقال محققوه: إسناده صحيح.
 (٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٩/٢) برقم (٢٣٣٩).

نواقض الإسلام العشرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر أهل العلم نواقض للإسلام أي مفسدات، من فعلها خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية، أذكرها للعلم بها والحذر منها.

أولاً: الشرك في عبادة الله، وهو أعظم ذنب عصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ [المائدة].

وقال لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وله صور منها: أن يصرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله، مثل النذر أو الذبح أو غير ذلك.

ثانياً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ

اللَّهُ يَخْتَلِفُ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس].

ثالثاً: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، لأن الله ﷻ كفرهم في آيات كثيرة وأمر بعداوتهم لافتراءهم الكذب عليه، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك أو شك في كفرهم مع تبينه فهو مثلهم.

أما من صحح مذهبهم واستحسن ما هم عليه من الكفر فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا والى أهل الشرك فضلاً عن أن يكفرهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، وتمثيل ذلك بالذين يقولون: إن إنفاذ حكم الله في رجم الزاني المحصن أو قطع يد السارق لا يناسب هذا العصر الحاضر، لأن زماننا قد تغير عن زمن النبي ﷺ، أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

لَكِنَّمَا أَخْشَىٰ انْسِلَاحَ الْقَلْبِ عَنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
وَرَضَىٰ بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصِهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ

ومن ذلك أصحاب القوانين الوضعية، الذين جعلوها شرعاً ومنهاجاً
يسيرون عليه، ويلزمون الناس به، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيتَةِ يَبْغُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

الناقض الخامس: «من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو
عمل به كفر» وهذا باتفاق العلماء، وقد نال المنافقون النصيب الأكبر من
هذه الخصلة، وهم يعملون ببعض شرائع الإسلام الظاهرة؛ ولكنهم في
الخفاء يضمرون البغض والكرهية لشريعة الإسلام وأهلها، ويتربصون
بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، وقال
تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وقد حكم الله على من كره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ بالكفر
والضلال، وأن أعمالهم باطلة مردودة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾﴾
[محمد].

فكل من كره ما أنزل الله فعمله حابط، وإن عمل بما كره، قال
تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو

عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿أَبْلَغَ وَأَعْيُنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥-٦٦]؛ فالاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء كما لو هزل مازحاً.

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المستهزئين الساخرين بأشْر ما ذكر به قومًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [٢٩] وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ [٣٠] ﴿[المطففين] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٦] [التوبة]. وقد نهى الله تعالى عن مجالسة هؤلاء المستهزئين وأن من جلس معهم فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۚ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسْ كَفَرًا مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أما الصرف: فهو صرف الرجل عما يهواه، كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها، والعطف عمل سحري كالصرف، ولكنه عطف

الرجل عما لا يهواه إلى محبته، والسحر محرم بجميع طرقه وفي جميع الشرائع.

الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة].

الناقض التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ، فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام]، فمن رغب الخروج عن شريعة النبي ﷺ، أو ظن الاستغناء عنها، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، وعيسى ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون متبعاً لشريعة النبي ﷺ، فشريعته عليه الصلاة والسلام باقية إلى يوم القيامة، وعامة لجميع الناس؛ ولا يسع أحد الخروج عنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة].

والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع، فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ

لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة^(١). اهـ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف؛ إلا المكره. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه^(٢). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (١/٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ٣٩).

الكلمة الخمسون

سوء الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ - فِيمَا يَرَى النَّاسُ
- عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ
أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا»^(١).

قال ابن بطال: وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة،
وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالكا
ازداد عتوا؛ فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء^(٢).

لَأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ شَدِيدًا، يَقُولُ
أَحَدُهُمْ: خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَحَرَكَةٍ،
وَيَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَا أَحَدٌ أَمِنَ عَلَى إِيْمَانِهِ إِلَّا يُسَلِّبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا
سُلْبُهُ^(٣)، وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمته الله جَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ
رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمِنَ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ أُسَلَّبَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥١) واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١١/٣٣٠).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

الإيمانَ قَبْلَ الْمَوْتِ (١).

فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنی (٢).

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: ولسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابٌ ولها طرقٌ وأبوابٌ، وأعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الآخرة والإقدام والجرأة على معاصي الله، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه وسبى عقله، فربما جاءه الموت على ذلك، وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم والله الحمد وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة (٣). اهـ.

وقد يظهر من المحتضر ما يدل على سوء الخاتمة، مثل النكول عن النطق بالشهادتين، ورفض ذلك، والتحدث بالسيئات والمحرمات، وإظهار التعلق بها ونحو ذلك من أقوال وأفعال تدل على الإعراض عن دين الله والتبرم لنزول قضائه (٤).

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٨).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦، ١٤٨).

(٤) مشاهد الاحتضار للشيخ خالد الشايع (ص ٧٥).

قال ابن القيم: وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة^(١).

قال ابن رجب: وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة^(٢). اهـ.

وقد ذكر بعض أهل العلم أسباباً ينشأ عنها سوء الخاتمة:

أولاً: التسوية بالتوبة، والاستمرار في المعاصي، والتهاون في فعل الواجبات، ويضمر بعضهم أنه سيتوب ولكن متى؟ يقول الأعزب: حين أتزوج، والطالب: حين أتخرج، والفقير: حين أتوظف، ويقول الصغير: حين أكبر. وهكذا يحدد كل واحد موعداً لتوبته فيقال لهؤلاء جميعاً: من يضمن لكم بلوغ هذه الآمال، أما تخشون أن تخترمكم المنايا قبل وصولها، ثم لو وصلت إليها هل تضمنون أن توفقوا للتوبة وقد قضيت الأعمار في الغواية والضلال، والشهوات المحرمة التي غالباً ما تكون سبباً لانقلاب القلوب وانتكاسها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَنَقَلِبْ أَعْدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ثم بين

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٢ - ١٧٣).

سبب هذا الانقلاب فقال: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ﴾ ❀ أي بسبب رد الحق أول ما جاءهم، ثم قال: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ❀.

وقد ذم الله قومًا طالت آمالهم حتى ألتهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون. قال تعالى: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٢﴾ ❀ [الحجر].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: إِنَّمَا أَخَشَى عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ (١).

ثانيًا: حب المعصية، فإن الإنسان إذا داوم على المعاصي ولم يسارع إلى التوبة منها ألفها قلبه فاستولت على تفكيره في اللحظات الأخيرة من عمره، فيموت عليها، ويبعث عليها.

روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٢).

قال ابن كثير: والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة (٣).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقي لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٧٨).

(٣) البداية والنهاية (٩/١٦٣).

فإنها هي التي أوقعته، وآخر حضرته الوفاة، ف قيل له: قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه.

وقيل لآخر عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها، والقصص في هذا كثيرة^(١).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسويق بالاستعداد فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك؛ لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه^(٢).

فعلى العبد أن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن ينأى بنفسه عما حرم الله، وأن يبادر بالتوبة من المعاصي، وأن يلح في دعاء الله أن يختم له بالخاتمة الحسنى، وأن يحسن الظن بربه رَحِمَهُ اللهُ، روى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَضْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللهُ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٧٣)، والجواب الكافي (ص ١٤٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

الوقت وخطر السفر إلى الخارج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: العصر هو الزمن، وقال ابن القيم: إن تسمية الدهر عصرًا أمر معروف في لغة العرب^(١).

وأقسم الله ﷻ بالزمن لأنه مستودع أعمال العباد خيرها وشرها، ولشرفه وعظمته، ففي هذا القسم ينبه الله الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم الله بأجزاء الوقت في مواضع أخرى فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ [الفجر].

وقال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [الليل]، وقال: ﴿ وَالصُّحْرِ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضحى] وهذا الزمن أغلى من الذهب والفضة فإنهما يعوضان، وأما الزمن فإنه إذا فات لا يعوض، وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ

(١) بدائع التفسير (٥/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ فِيمَ اِكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟»^(١).

فُيَسْأَلُ عَنْ عَمَلِهِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَعَنْ شَبَابِهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ لِأَنَّ الشَّبَابَ هُوَ مَحْوَرُ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَعَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ فِي الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ فِي مَرَاكِلِ الْعُمُرِ الْآخَرَى.

وَالزَّمَنُ مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٢) وَالغَبْنُ أَنْ يَشْتَرِيَ الْإِنْسَانُ السَّلْعَةَ بِأَضْعَافِ ثَمَنِهَا، فَمَنْ صَلَحَ بَدَنُهُ وَتَفَرَّغَ مِنَ الْأَشْغَالِ الْعَالِقَةِ بِهِ، وَلَمْ يَسْعَ لِإِصْلَاحِ آخِرَتِهِ، يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ رَجُلٌ مَغْبُونٌ، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الزَّمَانَ نِعْمَةٌ كَبْرَى لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا الْمَوْفِقُونَ الْأَفْذَادُ، وَأَنَّ الْمُسْتَفِيدَ قَلِيلٌ وَالكَثِيرَ مَفْرُطٌ وَمَغْبُونٌ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ، وَذَكَرْ مِنْهَا: وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ»^(٣).

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ السَّلَفِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَجَدَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى كَسْبِ الْوَقْتِ وَمَلَأَهُ بِالْخَيْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمِي عَلَى يَوْمٍ عَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقُصَّ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي.

(١) شعب الإيمان (٢٨٦/٢) برقم (١٧٨٥ - ١٧٨٦) وقد سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٣) مستدرک الحاكم (٤٣٥/٥) برقم (٧٩١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم (١٠٧٧).

وقال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطع عليك أمر دنياك وآخرتك^(١).

وقال أيضًا: أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء^(٢).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيَّكَ يَضِيعُ

وقال آخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطَعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرِّيحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

ومما تقدم يتبين خسارة من أضاعوا أوقاتهم في السفر إلى بلاد الكفار، ولهذا وجب التنبيه على ما لهذه الأسفار من المخاطر والمفاسد. فمن ذلك:

(أولاً): أن في السفر إلى بلاد الكفار مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَايَا نَارًا هُمَا»^(٣).

(١) فوائد الفوائد ص ٣٨٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين؛ أو للتجارة وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهرًا لدينه، عالمًا بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادرًا على إقامة شعائره، مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

(ثانيًا): كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش والمحرمات، وخاصة فتنة النساء.

روى مسلم في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ» (١). وقال أيضًا: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «السفر إلى البلاد التي فيها الكفر والضلال والحرية وانتشار الفساد من الزنا وشرب الخمر، وأنواع الكفر والضلال، فيه خطر كبير وعظيم على الرجل والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسدًا، وكم من مسلم رجع كافرًا، وخطر السفر عظيم؛ والواجب الحذر من السفر لبلادهم لا في شهر العسل ولا في غيره» (٣). اهـ.

(ثالثًا): إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله عز وجل، وهذا الوقت كما تقدم سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(رابعًا): إضاعة المال الكثير في غير فائدة، وإنما في الشهوات والملذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧) [الإسراء].

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٢).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/١٩٥) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله.

(خامسًا): أنه قد لا يسلم من انحراف عقدي أو خلقي أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم هو فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد والتبرج والخلاعة وتباع فيها الخمر علناً في الطرقات في ذاكرة أبنائه وبناته، وكفى بهذه مفسدة.

(سادسًا): تأثر المسلم بالكثير من تقاليد الكفار وعاداتهم السيئة.

(سابعًا): التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه

وأوامره.

(ثامنًا): أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات،

وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك كل هذا يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم؛ وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) إلى غير ذلك من المفاسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



التوكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن أعظم العبادات القلبية التوكل على الله تعالى في جميع الأمور، قال بعض أهل العلم: التوكل صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وأن يكل العبد أموره كلها إلى الله، وأن يحقق إيمانه بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع إلا هو ﷻ^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، وجاء ذكره في أكثر من خمسين آية. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الأنعام] الَّذِي يَرِنَا حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء].

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عُمَرَ
ابنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ
حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من
أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

وقد دل حديث عمر رضي الله عنه أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل،
ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون
أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما
قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم
مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو
نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير^(٢). اهـ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَسْقُ إِلَيْكَ الْأَرْزَاقُ بِلا تَعَبٍ
وَلَا تَكَلُّفٍ^(٣).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكَّلْ جِمَاعُ الْإِيمَانِ^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد
ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وقال: «التوكل نصف

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٤) وقال: حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد (١/٣٣٢)
برقم (٢٠٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل استعانة والإنابة هي العبادة»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» قَالَ: «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ، فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ: فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما قَالَ: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ عليه السلام حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(٣).

فإبراهيم عليه السلام عندما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَنْدَرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنبياء].

ومحمد عليه الصلاة والسلام حين قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله سبحانه: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران].

ومؤمن آل فرعون عندما كاده قومه قال: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٤٤﴾، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا﴾

(١) التفسير القيم (ص ٥٨٧)، ومدارج السالكين (٢/ ١١٨).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٩) برقم (٤٢٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٣).

وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر].

وها هنا مسألة مهمة ينبغي للمسلم فهمها فهماً صحيحاً، وهي التوفيق بين التوكل وفعل السبب، فأقول:

أولاً: التوكل هو عمل القلب واعتماده على الله تعالى في جلب الخير ودفع الشر، وفي جميع أمور العبد كلها الدنيوية والأخروية، أما الأسباب فإنها عمل الجوارح فعلاً وتركاً.

ثانياً: من الناس من يترك فعل الأسباب كلها ويدّعي أنه من المتوكلين، ومنهم من يتعلق قلبه بالأسباب ويعتقد أنه لا يتم له أمر إلا بفعل سبب، وكلا الطائفتين قد جانبت الصواب.

والحق أن المتوكل حقيقة هو من فوض أمره إلى الله ثم نظر، فإن كان هذا الأمر له أسباب مشروعة فعلها انقياداً للشرع لا اعتماداً عليها، ولا انقياداً لها، وإنما امتثالاً لأمر الشارع، فإن لم يكن هناك أسباب مشروعة اكتفى بالتوكل على الله.

يشهد لما تقدم ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «أَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(١).

أما الطائفة الأخرى التي تعلقت قلوبها بالأسباب، فقد ضعف عندها الإيمان بكفاية الله تعالى لمن توكل عليه، فتراها تجتهد في فعل الأسباب وإن لم تكن مطلوبة شرعاً أو عقلاً، وقد أخطأ هؤلاء حين ظنوا أنه لا يتم أمر إلا بسبب.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩/٢) برقم (٢٠٤٤).

فالله عَلَيْكَ يعطي ويمنع بسبب وبغير سبب، وقد أخبر سبحانه في آيات كثيرة أن في التوكل على الله كفاية للعبد.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال عَلَيْكَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافي، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والمتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته، فيصدق الله فيما ضمنه، ويشق بقلبه، ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

فما دام العبد حيًّا فرزقه على الله وقد يسره الله بكسب وبغير كسب، فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببًا وكسبًا ومن توكل عليه لثقتة بضمائه، فقد توكل عليه ثقة به وتصديقًا، وما أحسن قول المثنى الأنباري وهو من أعيان أصحاب الإمام أحمد: لا تكونوا بالمضمون مهتمين، فتكونوا للضامن متهمين وبرزقه غير راضين^(١).

واعلم يا عبد الله أن التوكل مرتبة عظيمة لا ينال كمالها إلا القليل من العباد، والمتوكلون أحياء الله وأولياؤه.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٨).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولو توكل العبد على الله حق التوكل لم يحتج إلى غيره، لكن لما علم الله تعالى ضعف البشر شرع لهم من الأسباب ما يتم لهم به معنى التوكل، وذلك من رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم.

قال المروزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قيل لأبي عبد الله: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذا كان الله يرزقه وكان متوكلاً^(١).

فعلى المسلم أن يفهم هذه الحقائق، وأخص بالذكر إخواناً لنا يطلبون أرزاقهم بطرق محرمة أو مشبوهة، كالذين يعملون في البنوك الربوية، أو يتاجرون بما حرم الله، كآلات اللهو أو المخدرات، أو الخمر، أو الدخان، أو يتعاملون بالكذب والغش والخيانة والخداع، لأخذ أموال الناس بغير حق، ويكفي أن نسوق إلى هؤلاء جميعاً هذا الحديث العظيم الذي أوحاه جبريل الأمين إلى الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ، فاسمعوه وتأملوه؛ فإنه جدير بالتفهم والتدبر لما اشتمل عليه من الحكم العظيمة.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ أَجْلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٣).

(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة الثالثة والخمسون

مبطلات الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي رَكَعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨٠/٣) برقم (٢٥٣٧).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﷺ.

ومبطلات الأعمال كثيرة، منها ما يبطل جميع الأعمال مثل الشرك والردة والنفق الأكبر، ومنها ما يبطل العمل نفسه كالمن بالصدقة وغير ذلك، وسوف أقتصر على ذكر خمسة أمور وعسى أن يكون فيها تنبيه على ما سواها:

الأول: الشرك: فإنه محبط لجميع الأعمال، قال تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] ﴿الزمر﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [٢٣] ﴿الفرقان﴾.

روى الترمذي في سننه من حديث أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَصَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمَلَهُ لِلَّهِ أَحَدٌ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ»^(١).

الثاني: الرياء وهو على قسمين:

الأول: أن يقصد بعمله غير وجه الله، فهذا شرك أكبر محبط لجميع الأعمال، ويسميه بعض أهل العلم: شرك النية والإرادة والقصد، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْحَسُونَ﴾ [١٥] ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧٤/٣) برقم

النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعْطُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا، يَقُولُ: مَنْ عَمَلَ صَالِحًا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا صَوْمًا، أَوْ صَلَاةً، أَوْ تَهَجُّدًا بِاللَّيْلِ، لَا يَعْمَلُهُ إِلَّا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَوْفِيهِ الَّذِي التَّمَّسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَثَابَةِ وَحَبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ لِاتِّمَّاسِ الدُّنْيَا وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(١).

القسم الثاني: أن يعمل العمل يقصد به وجه الله ثم يطرأ عليه الرياء بعد الدخول فيه، فهذا شرك أصغر.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ»، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»^(٢).

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُرِيَنَّ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»^(٣).

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع بتسميته شرًا أصغر، وهو إنما سمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر،

(١) تفسير ابن كثير (٧/٤٢٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠) وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/٦٧) رقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

(١١٩/١) برقم (٣١).

ولذلك قال العلماء.

- ١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.
 ٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة،
 كصاحب الكبيرة، بل يُعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ^(١).

ثالثاً: المن والأذى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

قال الشاعر:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسنٍ ليس الكريم إذ أسدى بمنانٍ
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنْفِقُ سلعته بالحلف الكاذب» ^(٢).

(١) فتح المجيد (ص ٧٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٦).

رابعاً: ترك صلاة العصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ۲۳۸].

روى البخاري في صحيحه من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ»^(١).

خامساً: التآلي على الله، روى أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده والبغوي في شرح السنة من حديث ضمضم بن جوس اليمامي قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يمامي تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة أبداً، فقلت: ومن أنت - يرحمك الله -؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته، قال: فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابِّينِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ: خَلْنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلْنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيْنَا رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظَرَ عَلَيَّ عَبْدِي رَحْمَتِي؟! فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقْتُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٠١) ومسند الإمام أحمد (٤٦ / ١٤ - ٤٧)، وقال محققوه: إسناده حسن، وشرح السنة (٣٨٤ - ٣٨٥) واللفظ له.

الأجل والرزق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»^(١).

في هذا الحديث أربع قضايا من أمور الغيب يجب الإيمان بها، واليقين الجازم بصدقها، وسيقتصر حديثي على اثنين منها، وهما: الأجل والرزق.

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله كتب الأجال والأرزاق، فلا يزيد فيهما حرص حريص، ولا يردهما كراهية كاره.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣).

وقد أكد ﷺ هذه الحقيقة في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلَاتٍ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَرَى الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف].

وقد ظن بعض المنافقين أن تأخرهم عن الجهاد في سبيل الله وجبنهم عن ملاقاته الأعداء سيكون مانعاً لهم من الموت، فقطع الله تلك الآمال الكاذبة بقوله: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران]، ولهذا فإن الوقائع تشهد بأن الذين يقتلون مدبرين أكثر بأضعاف كثيرة من الذين يقتلون مقبلين، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا فَلَا أَرْضَ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءَ
ومثل الأجل الرزق، فإن ما كُتِبَ للعبد منه سيناله لا محالة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَفَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٢٢] فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَطْقُونَ ﴾ [الذاريات].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

فما كُتِبَ للعبد من رزق وأجل لا بد أن يستكمله قبل أن يموت.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(٢).

وتأمل هذا الحديث في أدب الدعاء وهو يؤكد هذه الحقيقة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم حبيبة رضي عنها أنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتِ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارِ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»^(٣).

ومما تقدم يتبين ما يأتي:

أولاً: الإيمان بأن الآجال والأرزاق مقسومة، معلومة، لا يجلبهما حرص حريص ولا يردهما كراهية كاره.

(١) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

(٢) حلية الأولياء (٩٠/٧) وصححه الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٦٧٢/٢) برقم (٩٥٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣).

ثانياً: أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخذ بها، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة].

ثالثاً: في حديث أبي أمامة المتقدم إشارة إلى أمرين اثنين.

الأول: أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال، وأن يجتنب الحرام والأسباب المؤدية إليه.

الثاني: أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص، وليستحضر قوله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ؛ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

قال عمر رضي الله عنه: بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه، أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يُزد فوق رزقه^(٢).

رابعاً: الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق وتستدفع بها المكاره كثيرة وهذه إشارة إلى بعضها.

١ - التوكل على الله.

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٣).

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤٦٥) ومسنند الإمام أحمد (٤٦٧/٣٥) برقم (٢١٥٩٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢).

(٣) سبق تخريجه.

٢ - الاستقامة على شرع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَلُوْا أَسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيْقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ ﴿١٦﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣ - المداومة على الاستغفار والتوبة: قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

٤ - صلة الأرحام: روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والخمسون

الخشوع في الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾^(١) فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ قَالَ: كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَعَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ وَخَفَضُوا لِذَلِكَ الْجَنَاحَ^(١).

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين^(٢).

والخشوع يأتي بمعنى لين القلب ورقته وسكونه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع الجوارح لأنها تابعة له، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٢٦).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

ولذلك كان النبي ﷺ في صلاته يقول: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ ابْنِ لَيْبِدٍ: أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَنَاهُ أَبْنَاؤُنَا وَنِسَاءُنَا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتَ لَا أَظُنُّكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل، فَلَقِيَ جَبْرِ بْنَ نَفِيرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ. قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوْلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَكَادَ تَرَى خَاشِعًا»^(٢).

فإذا دخل المصلي المسجد بدأت الوسوس والأفكار والانشغال بأمور الدنيا في ذهنه، فما يشعر إلا وقد انتهى الإمام من صلاته، وحينئذ يتحسر على صلاته التي لم يخشع فيها ولم يذق حلاوتها، وإنما كانت مجرد حركات وتمتمات كالجسد بلا روح.

قال ابن القيم رحمته الله: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؛ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٧٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤١٨/٣٩) برقم (٢٣٩٩٠)، وقال محققوه: حديث صحيح.

يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت
الفرض في أحكام الدنيا ولا يشبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما
عقل منها). اهـ^(١).

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة وإن ما بينهما كما
بين السماء والأرض^(٢).

روى أبو داود في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي عنه: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وإنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ،
تُسَعُّهَا، تُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(٣).

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل
بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، روى
النسائي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ
مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤)، بل إنه
عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قُمْ يَا بَلَاءُ
فَارْحَنَا بِالصَّلَاةِ»^(٥).

من الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: أن يستحضر المسلم عظمة الباري تعالى، وأنه واقف بين يدي

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ١١).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٦٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٧٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم
(٧١٤).

(٤) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/٨٢٧) برقم
(٣٦٨٠).

(٥) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١)
برقم (٤١٧١).

جبار السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

ثانياً: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ أَنْصَرَفَ عَنْهُ»^(١).

ثالثاً: تدبر القرآن الكريم والأذكار التي يقولها في صلاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد].

فإذا تدبّر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.

رابعاً: ذكر الموت في الصلاة.

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث سعد بن عمارة أخي بني سعد بن بكر وكانت له صحبة أن رجلاً قال له: عطني في نفسي يرحمك الله، قال: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ»^(٢).

خامساً: أن يهيب المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٤٠٠/٣٥) برقم (٢١٥٠٨) وقال محققوه: صحيح لغيره.
 (٢) معجم الطبراني الكبير (٤٤/٦) برقم (٥٤٥٩)، وقال الحافظ في الإصابة (٧٠/٣):
 ورجاله ثقات، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٦/٤) برقم (١٩١٤): وهو في حكم المرفوع كما هو ظاهر.
 (٣) صحيح مسلم برقم ٥٦٠.

وأن يزيل كل ما يشغله في صلاته من الزخارف والصور ونحوها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في خميصة ذات أعلام. فنظر إلى علمها. فلما قضى صلاته قال: «أَذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ، وَاتُّونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي أَنْفًا فِي صَلَاتِي»^(١).

سادسًا: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع، ليس بالأمر السهل فلا بد من الصبر والمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦١) [العنكبوت] ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة.

سابعًا: استحضر الثواب المترتب على الخشوع، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس خشوعًا في الصلاة، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ^(٣).

وَأَبُو بَكْرٍ كَانَ رَجُلًا بَكَاءً لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ إِذَا صَلَّى بِهِمْ^(٤)،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٥٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٨).

(٣) سنن أبي داود برقم (٩٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٧٠/١) برقم (٧٩٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤١٨) واللفظ له.

وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِالنَّاسِ وَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَسَمِعَ نَشِيْجَهُ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٨] (١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والناس في الصلاة على مراتب:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها، لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض وهذا في صلاته مشغول بربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه،

(١) صحيح البخاري (ص ١٥١)، باب إذا بكى الإمام في الصلاة.

والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه ﷺ في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣٤ - ٣٥).

الكلمة السادسة والخمسون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران].

قال عمر رضي عنه: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا ^(١).

قال القرطبي رحمته الله: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى ^(٢). وقال أيضاً: في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً في هلاكهم ^(٣).

وأخبر سبحانه أن الناجين من الأمم هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦١). (٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَىٰ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ [الأعراف].

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت، وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: كَانُوا أَثْلَاثًا: ثُلُثُ نَهْوًا، وَثُلُثُ قَالُوا: لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، وَثُلُثُ أَصْحَابِ الْخَطِيئَةِ، فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوَّا، وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ^(١).

وبشّر النبي صلى الله عليه وسلم الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعظيم الأجر والثواب فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن الحضرمي قال: أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أُجُورِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»^(٢).

وبين سبحانه أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لسخطه ولعنته. قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨) وقال: إسناده جيد.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨/٢٤١) برقم (٢٣١٨١) وقال محققوه: حسن لغيره.

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَٰلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) وهذا الحديث أصل في تغيير المنكر، ولذلك عدّه أهل العلم من الأحاديث التي عليها مدار الدّين، حتى قيل إنه شطر الشريعة، وقيل: إنه الإسلام كله، لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه، وفيه بيان مراتب تغيير المنكر وهي الإنكار باليد واللسان، وهذا يجب بحسب القدرة والطاقة، وأن لا يترتب عليه منكر أكبر منه.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب يستلزم من العبد مفارقة المكان الذي فيه المنكر.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: من لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه. اهـ. وقال أيضًا: وإذا كان جماع الدّين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿التوبة: ٧١﴾، وهذا واجب كل مسلم قادر، وهو فرض الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره^(١).

والمنكرات إذا انتشرت ولم تُغيَّر كان ذلك نذير شر وهلاك للأمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رضي عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِضْبَعِيهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أُهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَهُ أَوْ عَلِمَهُ»^(٤).

(١) الفتاوى (٢٨ - ٦٥ - ٦٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٨) برقم (٣٦٤٤).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٧/٤٩٠) برقم (١١٤٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إنكار المنكر له أربع درجات: الأولى أن يزول ويخلفه ضده أي المعروف، الثانية أن يقل: أي المنكر وإن لم يزل من جملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة^(١).

ومن النماذج المشرقة للأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر ما نقله الذهبي في السير عن شجاع بن الوليد قال: كنت أحج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً^(٢).

وينقل عنه أنه كان يقول: إني لأرى الشيء يجب عليّ أن أتكلّم فيه فلا أفعل، فأبول أكدم دمًا^(٣)، ونقل الذهبي عن الحافظ عبد الله المقدسي أنه كان لا يرى منكرًا إلا غيّرهُ بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، قد رأيتهُ مرة يهريق خمراً فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قويًّا في بدنه، كثيرًا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات^(٤).

قال الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذا الزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

(٢) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(١) إعلام الموقعين (٣/٤، ٥).

(٣) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(٤) السير للذهبي (٢١/٤٥٤).

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور]؛ فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وليعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركة أيضاً لصداقته ومودته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه. إلى آخر ما قال^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٢٤/١).

الكلمة السابعة والخمسون

الصلاة ومكانتها في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد عظم الإسلام شأن الصلاة، ورفع ذكرها وأعلى مكانتها فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١١) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في

الصحيحة برقم (١٣٥٨).

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (١).

والصلاة حاجز بين العبد والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكان من آخر وصايا النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» (٢).

ولها فضائل عظيمة:

منها: أنها كفارة للخطايا والذنوب، قال تعالى: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» (٣).

ومنها: أن هذه الصلاة نور للعبد: روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ، أَوْ تَمْلَأُ، مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٦٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٠٩/٢) برقم (٢١٨٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٧).

نَفْسُهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» (١).

ومنها أن المسلم يبلغ بالصلاة والصيام مقام الشهداء.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ حَيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَشْهَدَا أَحَدُهُمَا، وَأُخِرَ الْآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ؟!» (٢).

والصلاة يجب أن تؤدى في أوقاتها المحددة شرعاً، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال البخاري: مَوْقُوتًا وَقْتُهُ عَلَيْهِمْ. وأداء الصلاة في وقتها من أحب الأعمال إلى الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَوَقْتُهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

ومما جاء في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها حديث رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي أَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهَدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٤/١٢٧) برقم (٨٣٩٩) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٥).

حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وهذه الصلاة يجب أن تؤدى في بيوت الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ عَلَيْكَ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

فبيّنت الآية وجوب صلاة الجماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٢).

قال بعض أهل العلم: إن النبي ﷺ ما هم بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

وجاء في ذكر السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»^(١)، والمساجد بيوت الله من دخلها فقد حل ضيفاً على ربه، فلا قلب أطيب ولا نفس أسعد من ضيف حل على ربه في بيته وتحت رعايته، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).
 (٢) الطبراني في الكبير (٢٥٤/٦) برقم (٦١٤٣) قال المنذري في كتاب الترغيب والترهيب (٢٩٨/١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وقال: إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. اهـ. وحسنه الألباني رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣/١) برقم (٣٣٠).

مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

أسلم هذا الصحابي سنة ثمان من الهجرة، وخاض عشرات المعارك.

يقول عنه المؤرخون: لم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام، يقول عن نفسه: «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مَوْتَةِ تِسْعَةَ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»^(١). وهذا يدل على شجاعته الفائقة، وعلى القوة العظيمة التي ركبها الله في جسده، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركتي اليمامة واليرموك الشهيرتين، وقطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وكانت هذه من أعاجيب هذا القائد، وقد سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول، وأخبر أنه: «سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» والمنافقين، وقال عنه: «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٦/١) برقم (٤٣) وقال محققوه: حديث صحيح بشواهده.

إنه فارس الإسلام خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي المكي، وهو ابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، كان رجلاً ضخماً، عريض المنكبين، قوي البنية، أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، ومن هذه المواقف: معركة مؤتة الشهيرة، وقد حدثت سنة ثمان من الهجرة في نفس السنة التي أسلم فيها خالد، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل، ونظراً لعدم تكافؤ العدد بين المسلمين وعدوهم، فقد ظهرت في هذه المعركة بطولات عظيمة للمسلمين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم على جيش المسلمين زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وقد استشهد القادة في هذه المعركة، بعد ذلك أخذ الراية ثابت بن أقرم، وقال للمسلمين: أمروا عليكم رجلاً، فاختاروا خالد بن الوليد، وهنا ظهرت شجاعته العظيمة وعبقريته الفذة، فقام بإعادة ترتيب جيش المسلمين مرة ثانية، فجعل اليمينه ميسرة، والميسرة يمينه، ثم جعل بعض الجيش يتأخر قليلاً، ثم بعد فترة يأتون على هيئة مدد، حتى يضعف من عزيمة العدو، ثم حمل بالمسلمين حملة عظيمة على الروم جعلتهم يتقهقرون وتضعف عزيמתهم، وأبدى صلى الله عليه وسلم من صنوف الشجاعة والبطولة ما تتقاصر عنه همم الأبطال، ثم إنه بحنكته وسياسته اتخذ طريقة عجيبة في الانسحاب المنظم بالمسلمين، واكتفى بتلك الضربة، ورأى ألا يقحم المسلمين في معركة غير متكافئة، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فتحاً، فقال عندما نعى القادة الثلاثة: «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٥٧).

وقد شهد خالد حروب الردة، وغزا العراق، وقد اختلف أهل السير في أسباب عزل خالد عن قيادة جيش المسلمين في الشام، ولعل الصحيح ما نقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لَا، لِأَنْزَعَنَّ خَالِدًا حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَنْصُرُ دِينَهُ بِغَيْرِ خَالِدٍ^(١).

ومن أقواله العظيمة أنه قال: مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، كَثِيرَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَصْبَحُ فِيهَا الْعَدُوَّ^(٢).

وكتب رسالة إلى الفرس قال فيها: لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّ فَارِسٌ شُرْبَ الْخَمْرِ.

قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالدًا وهو يقول: مَنْعَنِي الْجِهَادُ كَثِيرًا مِنْ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^(٣).

قال أبو الزناد: لَمَّا احْتَضَرَ خَالِدٌ جَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ: لَقَدْ شَهِدْتُ كَذًا وَكَذًا مِنَ الْمَعَارِكِ زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ شَبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمِيَّةٌ بِسَهْمٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، وَهَذَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ^(٤)؛ لقد تمنى خالد الشهادة ونرجو أن الله بلغه إياها.

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٨). (٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٥).

(٣) ذكره الحافظ في المطالب العلية (٤٠٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (١٩٠٩).



وعند وفاته لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلما، جعلها في سبيل الله، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قال: رَحِمَ اللهُ أَبَا سُلَيْمَانَ كَانَ عَلَى مَا ظَنَّنَا بِهِ^(١).

وجاء في حديث عمر بن الخطاب في الزكاة: أن النبي ﷺ قال: «أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدْ احْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»^(٢).

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين من الهجرة في مدينة حمص الشامية، وعمره آنذاك ثمانية وخمسون عاماً^(٣).

رضي الله عن خالد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نفتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين، وتربى في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، قال له النبي ﷺ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١)، وقال له أيضًا: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢)، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة تبوك، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي ﷺ بالجنة، وهو على قيد الحياة، إنه فارس الإسلام أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وله قرابة من النبي ﷺ فهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وصفه أهل السير بأنه كان أسمر اللون، كثيف شعر اللحية، ربعة من الرجال، ضخم البطن، حسن الوجه، إلى القصر أقرب، ويكنى أبا الحسن أو أبا تراب^(٣).

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمنها أنه بات في فراش رسول الله ﷺ يوم الهجرة،

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٨). (٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٣٢، ١٣٣).

وعرض نفسه للقتل فداء للنبي ﷺ، وهو أول من بارز في سبيل الله مع حمزة رضي عنه وعبيدة بن الحارث، وهو من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في غزوة أحد.

ومنها ما حدث في غزوة الخندق عندما اقتحم عمرو بن ود بفرسه، وكان فارسًا من فرسان العرب المشهورين، وطلب من المسلمين المبارزة وهو مقنع بالحديد، فقال: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليّ رجلاً. فخرج إليه بن أبي طالب، فقال: ارجع يا ابن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي بن أبي طالب: ولكنني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبًا، واستقبله عليٌّ بدرقته وضربه عمرو في الدرقة ففدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن عليًا قتله وهو يقول:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَازِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهُ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

ومن مواقفه العظيمة أن خبير لما استعصت على جيوش المسلمين قال النبي ﷺ: «لَأَعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ،

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ
لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (١).

فلما وصل علي خرج له ملكهم مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:
قَدْ عَلِمْتَ خَيْرٌ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْثٌ غَابَاتٍ كَرِيهَةِ الْمَنْظَرَةِ
أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

فاختلف علي ومرحب ضربتين، فأما ضربة علي فكانت القاضية
وفتح الله عليه.

ومع شجاعته العظيمة فقد كان من علماء الصحابة، ومن دهاة العرب،
فقد جيء بامرأة إلى عمر وقد ولدت غلاماً لسته أشهر فأمر برجمها.

فقال له علي: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى:
﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؟ فالحمل ستة أشهر
والفصال وهو الفطام في عامين.

فترك عمر رجم المرأة وكان يقول: قضية ولا أبا الحسن لها.

وكان رضي الله عنه شديد الورع فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من
حديث أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس
والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت (٢) من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه،
وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلي الدهقان (٣)،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦). (٢) أي: ما أخذت.

(٣) (٤٨٠/٤٢).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال: من المدينة^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زهير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قال: حسن: يوم الأضحى - فقرب إلينا خزيرة^(٢)، فقلت: أصلحك الله، لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الوز - فإن الله وَعَلَّمَ قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زهير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ، قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ»^(٣).

ومن أقواله العظيمة أنه كان يقول: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله).

ومن أقواله أيضاً: (خمس خذوهن عني: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحيي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٤).

وقيل: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: (ما أصف لكم من

(١) (١/٨٢).

(٢) لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج دُرَّ عليه الدقيق.

(٣) (٢/١٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٦٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٧).

دار، من افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، ومن صح فيها أمن، حلالها الحساب، وحرامها العقاب).

وقال أيضاً: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة: قيل وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينغصه إياها^(١).

قال ابن كثير: ولقد أخبر النبي ﷺ علياً بقتله، فكان كما أخبر سواء بسواء^(٢). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْيِمِرُّ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي قَرْنَهُ، حَتَّى تَبْلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ»^(٣).

وكان قتله رضي الله عنه على يد الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين من الهجرة، في السابع عشر من شهر رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٣].

قال الذهبي رحمه الله: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل^(٤).

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٤).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٠/ ٢٥٧) برقم (١٨٣٢١)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٤) تاريخ الإسلام (ص ٦٥٤).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده من طريق عمرو ذي مر قال: لما أصيب علي بالضربة، دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أرني ضربتك. قال: فحلها، فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم. فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لما بكيت. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود، والنيون، وهذا محمد ﷺ يقول: «يا علي أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه»^(١).

وقد رثاه أبو الأسود الدؤلي، وبعضهم يرويهَا لأم الهيثم بنت العريان النخعية:

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْعِدِينَا	أَلَا قُلْ لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا
تُبْكِي أُمَّ كَلْثُومَ عَلَيْهِ	أَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَجَعَلْتُمُونَا
فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَا	قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا
بِخَيْرِ النَّاسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا	وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا
فَذَلَّلَهَا وَمَنْ رَكَبَ السَّفِينَا	وَكُلُّ مُنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِيهِ
وَمَنْ قَرَأَ الْمِثَانِي وَالْمُبِينَا	لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ حَيْثُ كَانُوا
وَحُبَّ رُسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَا	كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا
بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسَبًا وَدِينَا	
نَعَامُ حَارَ فِي بَلَدِ سِنِينَا	

رضي الله عن علي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أسد الغابة (٣/٣٠٣).

الكلمة الستون

الصبر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ أَجُودَ مَا يَسْتَعَانُ بِهِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ) (١). اهـ.

وقد ذكر الله الصبر في مواضع عديدة من كتابه، وأضاف إليه كثيراً من الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة].

وجعل الإمامة في الدين موروثاً عن الصبر واليقين، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة] فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، وطلب علمه يحتاج إلى الصبر (٢). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٦).

ومن الأدلة على أهمية الصبر أن الله أمر به رسوله أول ما أوحى إليه، وأمره بالإنذار، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝١ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمُنْ بِتَسْكَرٍ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدرثر].

وفي قوله: ولربك فاصبر إشارة إلى إخلاص الصبر لله تعالى، لا ليُقَالَ صبور، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبَعَّاءَ وَجْهٍ﴾ [الرعد: ٢٢] الآية.

قال بعض السلف: (عجباً للصبر تداوى به الأشياء ولا يُداوى بشيء). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءً حَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وَجَدْنَا حَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ^(٣).

وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له^(٤).

والصبر هو حبس النفس على الطاعة، وكفها عن المعصية، والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه ولا معه.

قال ابن القيم: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

(٣) الدر المنثور (١/١٦٣). (٤) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

صبر الأوامر والطاعات حتى يؤدِّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها». اهـ^(١).

فأما الصبر على طاعة الله، فإن النفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۝١٣٢﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكَ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكَ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ». أَوْ قَالَ: «عَلَى الشُّوكِ»^(٣).

ويدخل في ذلك الصبر على الطاعات الواجبة والسنن المشروعة،

(١) مدارج السالكين (١٦٣/٢).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١١٧/١٧) برقم (٢٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٤/١٥) برقم (٩٠٧٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

والدعوة إلى الله، وطلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

ثانياً: الصبر عن معصية الله فإن العبد محتاج إلى الصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها المحرمة، قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) [الإنسان]. قال بعض المفسرين: صبروا عن معصية الله (١).

ثالثاً: صبر على أقدار الله كفراق الأحبة، وخسارة المال، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء»، ثم الأمثل فالأمثل، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (٢).

قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وقال آخر:

وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمُحْتَمِومِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لَامِرِيٍّ عَيْشٌ يُسْرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٩/٢١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وينبغي للمسلم أن يصبر عند أول سماعه للمصيبة، وأن يسترجع ربه. وأن يذكر مصابه بالنبي ﷺ.

روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكَرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه -، فقيل لها: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنني قتلها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ^(٣).

لكن لا يشرع للمسلم أن يسأل الله الصبر قبل وقوع البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن

(١) سنن الدارمي (١/٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩١٨).

النبي ﷺ سمع رجلاً وهو يقول: اللهم إنِّي أسألك الصبر، فقال: «قَدْ سَأَلْتَ الْبَلَاءَ فَسَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٦/٣٤٨) برقم (٢٢٠١٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

الكلمة الحادية والستون

عذاب القبر ونعيمه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:
 أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ
 وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
 النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

فهذا الحديث أحد نصوص كثيرة من القرآن والسنة تثبت عذاب القبر ونعيمه، وأنه حق يجب الإيمان به والاستعداد له.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ۖ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾
 وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
 الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ۖ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ
 الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ [الواقعة].

قال ابن كثير: هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند الاحتضار، إما أن يكون من المقربين، وإما أن يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

فقوله فروح وريحان وجنت نعيم، أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت. اهـ^(١). وقد استدل بعض العلماء على أن عذاب القبر حق يجب الإيمان به، بقوله تعالى عن آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) [غافر].

قال ابن كثير: فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدَكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُؤَقِنُ لَا أَدْرِي أَيِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لِمُوقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ»^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال:

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٦/١٣). (٢) تفسير ابن كثير (١٢/١٩٣) بتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٠٥).

«نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا رَأَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً، إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١).

وقد بين النبي ﷺ لأُمَّته صورة هذا الابتلاء الذي يكون في القبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوَلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. قال: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]^(٣).

وشرع النبي ﷺ لأُمَّته أن يستغفروا للमित، ويسألوا له الثبات، روى أبو داود في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٠) مختصرًا.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٧١).

من دفن الميت وقف عليه وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّشْيِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(١).

وكان النبي ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر، وأمر بذلك أصحابه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثم أقبل علينا بوجهه: فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

والقبر أول منزل من منازل الآخرة، روى الترمذي في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قال: وقال رسول الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ»^(٣). وفي القبر ضمة لا يسلم منها أحد.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٣٢٢١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٢٠) برقم (٢٧٥٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٧).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم (١٨٧٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤/٣٢٧) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بن معاذ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فَرَّجَ عَنْهُ» (١).

قال الشافعي:

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَكْدٌ وَضَمَّةُ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ
ليتصور كل واحد منا نفسه وقد حُمِلَ عَلَى أَكْتافِ الرِّجَالِ، وَوُضِعَ
فِي هَذِهِ الْحَفْرَةِ الضَّيْقَةِ الْمَظْلَمَةِ الَّتِي لَا أُنَيْسَ فِيهَا، وَلَا جَلِيسَ، وَلَا
مَالَ، وَلَا بَنُونَ، وَأَصْبَحَ الْقَبْرَ مَسْكَنَهُ، وَالتَّرَابَ فِرَاشَهُ وَالدُّودَ أُنَيْسَهُ،
فِي ذَاكَ الْمَوْقِعِ لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ، وَلَا الْمَنَاصِبُ، وَلَا الشَّهَادَاتُ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَلِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٣٧) [سبأ].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ» (٢). فينبغي للمؤمن أن يتدارك نفسه وأن يبادر بالتوبة النصوح؛ وأن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن يكون على استعداد للقاء ربه.

قال الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَ التَّقْوَىٰ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ فَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَاهِيًا وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عَلَّةٍ وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

وكم من صِغَارٍ يرتجى طُولَ عُمرهم وقد أُدخِلت أجسادُهُم ظُلْمَةَ القبرِ وأختم بهذه البشارة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد بن حنبل رواه عن محمد بن إدريس الشافعي ورواه الشافعي عن مالك بن أنس ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ^(١) فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعُهُ اللهُ إِلَيْ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(٢)(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي يأكل.

(٢) مسند الإمام أحمد (٥٨ / ٢٥)، قال محققوه: إسناده صحيح ما فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٦٣).

الكلمة الثانية والستون

فضل الدعوة إلى الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر تعالى جماعة من الأنبياء ﷺ في سورة النساء، ثم قال: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٦٥] ﴿النساء﴾.

فبيّن تعالى في هذه الآية وظيفتهم، وهي دعوة الناس إلى الله تعالى تبشيراً بالخير، وتحذيراً من الشر، قال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] ﴿دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٤٦] ﴿الأحزاب﴾ ثم أمره أن يبين لأُمَّته أن هذه وظيفته ووظيفة أتباعه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨] ﴿يوسف﴾.

فالرسل وأتباعهم مأمورون بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته، وإنذارهم عن الشرك به ومعصيته، وهذا مقام شريف، ومرتبة عالية لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على الوجه الذي يُرضي الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] ﴿فصلت﴾.

ولما عرف الصالحون شرف هذه المهمة حرصوا عليها، فلم

يسيروا إليها مشياً؛ بل سعوا لها سعياً، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ لَمَّا أُرْسِلَهُ لِقِتَالِ الْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا» (٢)، فتأمل أخي هذا الفضل العظيم، فإن الداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته وهو نائم في فراشه، أو مشغل في مصلحته؛ بل إن ذلك يجري له بعد موته، لا ينتهي ذلك إلى يوم القيامة.

وبعد ما تقدّم أذكر نفسي وإخواني ببعض الوصايا، التي أرجو أن تكون علامات يستنبطونها بها في طريق الدعوة إلى الله.

أولاً: أوصي الداعية إلى الله بالإخلاص في دعوته، وقد أرشد تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: وفيه مسائل منها:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٤).

التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه^(١)، قال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء.

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أمره الله بدعوة فرعون سأل ربه أن يرزقه حسن الإبانة عما يريد، لا ليُقَالَ خطيباً أو فصيحاً كما أخبر سبحانه أنه قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي﴾ [طه].

ثانياً: على الداعي إلى الله أن يتزود بالعلم الشرعي، كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فإنه بهذا تكون دعوته أقرب إلى دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحري بمن كان كذلك أن تستجاب دعوته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي في هذا شرف العلم، أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء^(٢). اهـ.

ثالثاً: دل قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص]: أن من توفر فيه هذان الأمران، كانت دعوته واجبة القبول.

وهما: ألا يأخذ على دعوته أجراً سوى ما يرجوه من ربه^(٣)، وأن يكون من المهتدين، وذلك يشمل هدايته في دعوته وهدايته في نفسه، وفي ضمن هذا التنبيه للداعي إلى الله كما يدعو الناس بقوله أن يدعوهم بعمله.

(١) كتاب التوحيد (ص ١٦).

(٢) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٣) ولا يدخل في ذلك ما يأخذه من كلف بالدعوة من أجر من بيت المال.

رابعاً: الصبر في سبيل الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن لوازم الصبر ألا يستطيل الطريق، ولا يستعجل النتائج. روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لَيَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

خامساً: يجب أن يعلم الدعاة وغيرهم أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، يجب أن تنتشر، وأن تبلغ إلى الناس جميعاً، في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتقوم الحجة على العباد، ولكي تصل دعوة الرسول ﷺ إلى كل من بعث إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ].

وقد علم الدعاة المصلحون ورثة الرسل هذه الحقيقة، فقاموا وبينوها للناس امتثالاً لأمر ربهم حين قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

قال سماحة الشيخ الإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله، حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وليس بخافٍ على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها؛ بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله؛ وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ^(٢).

وقال أيضاً: فعند قلة الدعاة وكثرة المنكرات وغلبة الجهل كحالنا

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٣٤٦١).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٤٨، ٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله كفى وصار التبليغ في حق غيره سنة؛ لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره، ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة، وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ومقالات للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٢).

الكلمة الثالثة والستون

تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أكبر الأمانات، وأعظم المسؤوليات تربية الأولاد، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): أدبوهم وعلموهم الخير، وعلى الأب أن يراعي في التربية الأمور التالية.

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة، وهي أول خطوة من خطوات التربية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): أن النبي ﷺ قال: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه): أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٢).

ثانياً: الإخلاص لله في التربية واحتساب الأجر على الله فيما يبذل فيها من جهد أو مال، لا ليقال إنه أحسن فيها، أو يشار إليه بالبنان، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٦) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١).
فالتربية عبادة من أجل العبادات، لما يترتب عليها من منافع خاصة وعامة، ولما فيها من المشقة والعناء.

ثالثاً: تعويد الأولاد على العبادات وحثهم عليها بالرفق والحسنى منذ الصغر؛ ليألفوها ويحبوها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية.

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢).
وفي رواية: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان عنده صغير، أو مملوك، أو يتيم، فلم يأمره بالصلاة فإنه يُعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير، ويعزر الكبير تعزيراً بليغاً؛ لأنه عصى الله ورسوله^(٤). اهـ.

وقال ابن القيم رحمته الله: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء،

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٧/١) برقم (٤٦٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) الفتاوى (٥١/٢٢).

وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا^(١). اهـ.

رابعًا: تجنيبهم المحرمات والمنكرات، وتحذيرهم منها، وغرس بغضها في قلوبهم لما تجره عليهم من ويلات في الدنيا والآخرة، وبعض الآباء لا يهتم بهذا، بحجة أنهم صغار وغير مكلفين، وهذا خلاف ما كان عليه المعلم الناصح صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَيْخِ، كَيْخِ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!»^(٢).

خامسًا: القدوة الحسنة، وهي من ضروريات التربية، فمعلوم أن الابن يعجب بأبيه ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على الآباء والأمهات والمربين أن لا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهٰكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لَا تَنهَ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

سادسًا: إبعادهم عن جلساء السوء، وتوجيههم إلى مصاحبة الأخيار والصالحين.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (ص ٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٩١).

قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(١).

وبعض الآباء هدايا الله وإياه لا يعرف أين يذهب أبناؤه، ولا من يصاحبون، ولا كيف يقضون أوقاتهم، وربما جعل هذه المهمة خاصة بالأم، ومعلوم أن الأم لا تستطيع متابعتهم في أكثر الأحوال، وأعظم وأقبح من ذلك تولية الخدم والسائقين تربية الأولاد وتوجيههم فإلى الله المشتكى.

سابعاً: إلحاق الابن بحلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في المساجد.

روى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

ثامناً: حماية الأبناء من وسائل الإعلام السيئة، فمن العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وتدفعهم إلى ارتكاب الجريمة والسير في مهوي الرذيلة، ما يشاهدونه في القنوات الفضائية وعلى شاشة التلفاز، من أفلام خليعة، وتمثيلات هابطة، وكذلك أفلام الكرتون السيئة التي تحتوي على كثير من المخالفات الشرعية في العقيدة والسلوك، مع تساهل كثير من الناس بها، وغفلتهم عما تحويه من الشرور العظيمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٧).

يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

ومن الغش: إدخال هذه الأجهزة التي تفسد عليهم دينهم وأخلاقهم.

تاسعاً: تعليمهم أمور الإسلام والإيمان وغرس تعظيم الله في قلوبهم، وحبهم له، وتحبيب النبي ﷺ إليهم وبيان فضله وفضل الاقتداء به، وتعليمهم الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة كآداب اللباس، والمسجد، والطعام والشراب وأذكار الصباح والمساء، واحترام الكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، وتعويدهم على الكلام الحسن وتجنبيهم الألفاظ القبيحة، والنظافة في البدن والثياب، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

عاشراً: تعويدهم على النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً وشغل أوقاتهم بما ينفعهم والإذن لهم في اللعب المباح في أوقات محددة حتى لا يملوا.

الحادي عشر: أن يكون الأب رقيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (٢)، وأن يعدل بينهم في كل شيء، في كلامه وسلامه، ونفقته، وعطاياه، وغيرها مما يحتاجون إليه حتى لا تقع الغيرة بينهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» (٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٦٢٣).

الثاني عشر: أن يعلم الأب أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وإنما عليه هداية الدلالة والإرشاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصص].

وعليه أن يكثر من الدعاء لهم بالصلاح والهداية، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) [الفرقان].

وليحذر من الدعاء عليهم. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٢) مطوية في تربية الأبناء للشيخ عبد اللطيف بن باجس الغامدي.

خطورة الاستهزاء بالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي تخرج فاعلها من دائرة الإسلام وتوجب له الخلود في نار جهنم الاستهزاء بالله أو رسوله أو كتابه أو المؤمنين، وحيث إن الموضوع واسع المجال لمن أراد أن يتكلم فيه، رأيت إيجاز القول في العناصر التالية:

- ١ - تعريف الاستهزاء وذكر أمثلة لذلك.
 - ٢ - حكم الاستهزاء وبيان الأدلة على كفر المستهزئين وأقوال أهل العلم في ذلك.
 - ٣ - حكم توبة المستهزئ وهل تُقبل أم لا؟
 - ٤ - صور من الاستهزاء في وقتنا المعاصر.
- أما تعريفه: فإن الاستهزاء لغة: مصدر من قولهم استهزأ يستهزئ، وهو مأخوذ من مادة (هـ - ز - أ) التي تدل على السخرية، أو على مزح في خفية، أو على السخرية واللعب^(١). اهـ.

قال بعض أهل العلم: ينقسم الاستهزاء إلى قسمين - الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء،

(١) ابن فارس في المقاييس (٦/٥٢)، مفردات الراغب (ص ٥٤٠).

أرغب بطوناً، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، وقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس. وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الديك، من باب السخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى، إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية^(١).

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقها حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات، وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو هذا وهابي، أو مذهب خامس أو الدين ليس في الشعر استهزاء بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله واستهزاء بالعقيدة الصحيحة^(٢). اهـ.

٢ - الاستهزاء غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له مثل الغمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

أما حكم الاستهزاء فإنه كفر، وهو من نواقض الإسلام العشرة كما ذكر ذلك أهل العلم، وهو من أعظم صفات المنافقين والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٧).

(١) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

(٣) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُو مَا لَمْ يَنَالُوا ﴿التوبة: ٧٤﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

وسبب نزول هذه الآية عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة: دخل حديث بعضهم في بعض، أن رجلاً كان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُرَاتِنَا هَؤُلَاءِ أَرْعَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ» وهو يعني بقوله هذا: النبي ﷺ وأصحابه القراء ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: فكأنني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجلية، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، مَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُ عَلَيْهِ» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه (٢).

(١) تفسير ابن جرير (٤٠٣٦/٥) برقم (١٦٩٧٠)، وقال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٢٦: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام ابن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٦٤/٤) من حديث كعب بن مالك.

(٢) الفتاوى (٢٧٣/٧).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ولو قال وهو يتعاطى قدح الخمر، أو يقدم على الزنا: بسم الله استخفافاً بالله تعالى كفر^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «التوحيد»: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وفيه مسائل:

الأولى وهي العظيمة: أن من هزل بهذا كفر^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً، لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجمالاً^(٣). اهـ.

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: «الذي يبغض اللحية ويقول وساخة، هل هو مرتد؟»

فأجاب: إن كان يعلم أنه ثابت عن الرسول الله ﷺ، فهذا استهزاء بما جاء به الرسول ﷺ، فحريٌّ أن يحكم عليه بذلك^(٤).

وإن من الردة عن دين الله: ما يتلفظ به بعض أبناء المسلمين من كلمات كفرية، يخرجون بها من دين الإسلام وهم لا يشعرون.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا^(٥) يَهْوِي

(١) روضة الطالبين (١٠/٦٧). (٢) (ص ٥٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١١/١٩٥).

(٥) أي ما يتفكر هل هي خير أو شر؟

بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (١).

أما عن توبة المستهزئ، فقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه «القول المفيد في شرح كتاب التوحيد»: وقد اختلف أهل العلم فيمن سب الله أو رسوله أو كتابه، هل تقبل توبته أم لا؟ على قولين:

الأول: أنها لا تقبل توبته، بل يقتل كافرًا ولا يُصلى عليه ولا يدعى له بالرحمة، وهو المشهور عند الحنابلة.

الثانية: أنها تُقبل توبته إذا علمنا صدقه وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم (٢).

ومن صور الاستهزاء التي نرى ونسمع وللأسف في هذه الأيام، هذه المقالات السيئة والرسوم الساخرة، التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، ويزعمون أنها للتسلية وفيها الكفر والردة عن الدين.

أحدهم رسم ديكًا تتبعه أربع دجاجات يقصد السخرية من تعدد الزوجات، وآخر كتب مقالًا تهجم فيه على الحجاب، وزعم أنه تخلف ورجعية، وآخر سَوَّلَ له الشيطان سوء عمله فجعل القرآن شعرًا يتغنى به على أنغام الموسيقى. نسأل الله السلامة والعافية.

وينبغي أن يعلم أنه يجب الإنكار على هؤلاء المستهزئين وتنبههم على عظيم جرمهم وخطورته، فإن لم يستجيبوا فلا يجوز الجلوس معهم في مجلس واحد، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۗ ﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٢) (٢/٢٦٨) بتصرف.

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن الصحف والمجلات والكتب التي تنشر المقالات الإلحادية والصور الخليعة وتشيد بالكفار والفجار وأهل الفن، وهل يجوز شرائها أو بيعها أو الترويج لها؟ فأجاب: الصحف التي هذا شأنها يجب أن تقاطع وأن لا تشتري ويجب على الدولة إذا كانت إسلامية أن تمنعها لأن هذه تضر المجتمع وتضر المسلمين فالواجب على المسلم أن لا يشتريها وأن لا يروجها وأن يدعو إلى تركها، وعلى المسؤولين الذين يستطيعون منعها أن يمنعوها^(١). أ.هـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/ ١٢٧٤).

وقفة مع حديث شريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ أَحَبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

هذا الحديث الشريف اشتمل على وصايا عظيمة وجمل نافعة، من هذا الملك الكريم جبريل عليه السلام، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر.

فقوله: عِشْ مَا شِئْتَ: أي مهما طال عمرك في هذه الحياة فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

(١) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٣).

تَخْصِمُونَ ﴿٣١﴾ [الزمر].

قال كعب بن زهير:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ

وقال آخر:

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ (١)، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً. قَالَ: أَيُّ رَبِّ تُمْ مَاذَا؟ قَالَ: تُمْ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ (٢). فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجْرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَلَوْ كُنْتُ تُمْ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

ومن فوائد قوله: «عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ»: أن يعلم المؤمن أن الموت قد يأتيه بغتة وهو في غفلة عنه، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد للقاء ربه ولا يغتر بالحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ [العنكبوت].

(١) أي ضربه والمفهوم من الحديث أنه ضربه على عينه فأخرجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْرَنَكُمْ أَلْيُوهُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر].

وقوله: «وَأَحِبُّ مَنْ أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أي أحب من شئت من زوجة، وأولاد، ومال ومنصب، وجاه، وغيرها، من متاع الدنيا فإنك عما قريب ستفارقها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).
ومن فوائد الجملة السابقة: الاستعداد لفراق الأحبة، حتى إذا وقع يكون المؤمن قد تاهب لذلك فيخف وقعه عليه.

ومنها: أن يهتم المؤمن للرفيق الذي لا يفارقه في الدنيا والآخرة، وهو عمله الصالح.

قوله: «وَأَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل].

وقد ذكر الله بذلك فأعظم الذكر، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا﴾

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾ [البقرة].

قوله: «وَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ» فيه إشارة إلى تعويض المؤمن عما يفوته من شرف الدنيا المنهي عن الحرص عليه، فيرتفع ذكره ويشرف قدره بقيام الليل، قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ»^(١).

وقوله: «وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»، العزة مطلب لكل نفس أبية، وإن من أعظم أسباب نيل العزة: التعلق بمن العزة بيده سبحانه، وترك التعلق بمن دونه ممن لا يزيد التعلق بهم إلا ذلاً وهواناً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩) وقال: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/١٩٩ - ٢٠٢) برقم (٤٥٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سأله فأعطاهم، ثم سأله فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السَّوَاكِ»^(٢).

قال الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال عمر رضي الله عنه: إِنْ الطَّمَعُ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ يِيَّاسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ^(٣).

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بَنٌ وَسِعَ يَبُلُّ الْخُبْزَ الْيَأْسَ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُ، وَيَقُولُ: مَنْ
قَنِعَ بِهِذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) الطبراني في الكبير (١١/٤٤٤) برقم (١٢٢٥٧) وقال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (١/٦٣٦): رواه البزار والطبراني بإسناد جيد.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

زكاة الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العبادات التي أوجبها الله على المسلمين في هذا الشهر المبارك زكاة الفطر وقد شرعها الله للصائمين تطهيراً للنفس من أدران الشح، وتطهيراً للصائم مما قد يؤثر فيه، وينقص ثوابه من اللغو والرفث، ومواساة للفقراء والمساكين، وإظهاراً لشكر نعمة الله تعالى على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللِّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ^(١). وتجب زكاة الفطر على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو عبداً، إذا ملك المسلم صاعاً زائداً عن حاجته وأهل بيته في يوم العيد وليلته.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ، وَالْحُرِّ وَالذَّكْرِ، وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ

(١) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»^(١). وإن أخرجها عن الحمل تطوعاً فلا بأس بذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُعْطِيهَا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»^(٢)، وفي رواية عنه: «وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالْأَقِطُ وَالتَّمْرُ»^(٣).

وينبغي للمسلم أن يخرج أطيب هذه الأصناف وأنفعها للفقراء والمساكين فلا يخرج الرديء.

قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ۗ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٤) [آل عمران].

وذهب بعض أهل العلم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله إلى أنه يجزئ عن المسلم أن يخرج زكاة الفطر من غير الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري، ما دامت هذه الأصناف من جنس ما يقتات به أهل البلد مثل الأرز وغيره^(٥).

والمراد بالصاع الوارد في زكاة الفطر أربعة أمداد، والمدُّ، أي: ملء كفي الرجل المتوسط اليدين من البرِّ الجيد ونحوه، وهو ما يساوي ثلاثة كيلو تقريباً^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥١٠).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٦٨ - ٦٩).

(٥) فتاوى اللجنة (٩/٣٦٥ - ٣٧١) برقم (٥٧٣٣ و ١٢٥٧٢).

ولإخراج زكاة الفطر وقتان.

الأول: وقت يبدأ من غروب الشمس ليلة العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ** الحديث وفيه قال: **وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ** (١).

الثاني: وقت إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو بيومين، **وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ** (٢).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»** (٣).

وإن أخرجها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت، وهو يأثم بذلك (٤).

وتعطى هذه الزكاة للفقراء والمساكين، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **«طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ»**، ويجوز أن تُعطى الجماعة أو أهل بيت زكاتهم لمسكين واحد، وأن تقسم صدقة الواحد على أكثر من مسكين للحاجة لذلك. ولا يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً، لنص النبي ﷺ على أنواع

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥١١).

(٣) سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

(٤) انظر جامع الفقه لابن القيم (٦٩/٣)، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين (١٧٣/٦).

الأطعمة مع وجود قيمتها، فلو كانت القيمة مجزئة لبين ذلك النبي ﷺ، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يعلم أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ أخرج زكاة الفطر نقودًا مع إمكان ذلك في زمانهم، وأيضًا إخراج القيمة يؤدي إلى خفاء هذه الشعيرة العظيمة وجهل الناس بأحكامها.

والأصل أن الشخص يدفع زكاة فطره لفقراء البلد الذي يدركه عيد الفطر وهو فيه، ويجوز نقلها إلى بلد آخر فيه فقراء أشد من البلد الذي فيه المزكي، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة^(١).

أما كون الشخص يوكل أهله أن يخرجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر فليس من هذا الباب، وهو جائز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٣٦٩) برقم (٦٣٦٤).

الكلمة السابعة والستون

سورة العصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

أقسم سبحانه بالعصر وهو الزمن كله، والله ﷻ أن يقسم بما يشاء
من خلقه، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله تعالى. وإقسامه ﷻ
بالعصر لما يجري فيه من الحوادث والمتغيرات، ولأنه مستودع أعمال
العباد خيرها وشرها، وأقسم ﷻ ليؤكد للعباد بأن كل إنسان في خيبة
وخسارة مهما كثر ماله وولده. وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه
الأوصاف الأربعة.

أولاً: الإيمان وهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل
بالجوارح.

ثانياً: العمل الصالح: وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن
يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً، وعطف العمل الصالح
على الإيمان وإن كان داخلاً فيه من أجل الاهتمام به، والتأكيد على أن
تصديق القلب لا ينفع بدون عمل.

ثالثاً: التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والدعوة إلى الله على بصيرة وحكمة، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل فلا يكفي أن الإنسان يقتصر على إصلاح نفسه، بل لابد أن يعمل على إصلاح غيره، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يزعم بعض السفهاء، بل إن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون الخير والنجاة للناس، وإنقاذهم من عذاب الله، وبهذه الخصلة ثبتت لهذه الأمة الخيرية التي فضلت بها على الأمم. قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

رابعاً: التواصي بالصبر، لما كان الداعي إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يلحقه أذى الناس، أمر تعالى بالصبر على أذاهم، وتحمل ما يناله من الأذى؛ وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿ يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّالُوَّةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)^(١).

وهذه السورة مع وجازة ألفاظها فقد جمعت أسباب السعادة كلها، فكفى بها حجة على الخلق، وقد اشتملت على فوائد كثيرة أذكر منها:

أولاً: إقسام الله تعالى بشيء يدل على عظمته وأهميته، ففي هذا

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

القسم ينبه جل وعلا الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم سبحانه بأجزاء الوقت في مواضع أخرى، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١﴾ و﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ١﴾ و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [الضحى].

وهو مع ذلك من أفضل نعم الله على عباده.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (١).

ثانياً: القسم من الله تعالى يدل على عظمة المقسم عليه وهو هذه الخصال الأربع التي لا ينال الفوز والفلاح إلا بها.

ثالثاً: فضل الإيمان ومنزلته العظيمة، حيث بدأ به وجعله أول واجب على الخلق.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٢).

رابعاً: أن الإيمان بالقلب لا يكفي؛ بل لابد من العمل الصالح، وفيه رد على من يقول: إن الإيمان بالقلب، وهو مع ذلك تارك للفرائض ومرتكب للمحرمات، معتد على حدود الله تعالى.

خامساً: أن العمل لا يقبل إلا أن يكون صالحاً ولا يكون صالحاً حتى يكون صاحبه مخلصاً لله فيه، وموافقاً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٥٤).

سادساً: أن التواصي يكون بالحق لا بغيره، والحق هنا هو الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، ومجانبة ما يناقضهما.

سابعاً: دل الاستثناء على أن أهل هذه الصفات هم قليل، وقد قال تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤].

ثامناً: فضل الصبر، حيث جعله سبحانه أحد الخصال التي لا ينال الفوز إلا بها، وفي هذا الحث على الدعوة إلى الله تعالى مهما لحق الداعي من المشقة والأذى، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩/٦٤) برقم (٥٠٢٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

الطلاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام كثرة حالات الطلاق، ففي إحصائية لوزارة العدل السعودية لعام ١٤٢٩هـ بلغت صكوك الطلاق (٢٨٨٦٧) حالة، وبلغت حالات الطلاق في منطقة الرياض (٨٢٧٤) حالة، وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة الأمر، إن لم يُتدارك.

ولذلك وجب على العلماء والدعاة وطلبة العلم تحذير الناس من هذا الأمر، وبيان خطورته، لما يترتب عليه من مفاصد من تشتت الأسر، وضياع الأولاد، وتقطع وشائج الأصدقاء والأرحام وغير ذلك، وقد رغب الشارع في الإبقاء على الحياة الزوجية، ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بالمعروف، ولو مع الكراهة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأمر النبي ﷺ بالصبر على النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «اَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ

أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَزَلَّةٌ أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتَهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ» قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (٢).

ودور المرأة في حدوث حالات الطلاق أكبر من الرجل، فهي تتحمل ما نسبته ٦٥٪ من حالات الطلاق تقريباً، وذلك لعدم الصبر والتحمل والاحتساب عند غالبيتهن، فيقارن أنفسهن بمن هن أحسن منهن حالاً في المعيشة، فيدعوهن ذلك إلى التمرد على أزواجهن، سواء باختيارهن أو بتحريض من الآخرين كالفضائيات، أو بعض وسائل الإعلام المختلفة، ولجوء هذه الوسائل إلى إفهام الزوجة بين الفينة والأخرى إلى أن الزوج متسلط وظالم، وقد سلبها حقوقها وحريتها، ولم يجعلها تواكب العصر، ومطالبتهم لمن هذه حالها بالتمرد على زوجها ومجتمعها، ودينها، بأساليب خبيثة، فتبدأ بعدم الاستجابة لمطالبه التي أوجبها الله عليها، وتضجره وتشغله بالمشاكل حتى يضيق بها ذرعاً، ويلجأ إلى التخلص من هذه المشاكل بالطلاق.

أما الأسباب الأخرى التي عرفتها بعد السؤال والتحري فهي كالآتي:
أولاً: أن بعض حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج لعدم

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨١٣).

المعرفة بين الزوجين من قبل، وذلك لعدم الرؤية الشرعية، أو لإخفاء العمر أو إخفاء بعض العيوب، أو التسرع في اتخاذ قرار الطلاق وعدم التروي فيه، أو لعدم سؤال أحدهما عن الآخر، فعندما تتكشف الأمور يلجأ أحدهما إلى الانفصال، ولذلك شرع التحري لكل من الزوجين والسؤال عن خلقه ودينه.

ثانيًا: أن يُصاب الزوجان أو أحدهما بالسحر أو بالعين فيصير أحدهما لا يحتمل الآخر ولا يطيق النظر إليه، وفي هذه الحالة ينبغي أن يلجأ كل منهما إلى الله تعالى بإخلاص الدعاء، والمحافظة على الرقى الشرعية والأدعية النبوية.

ثالثًا: أن بعض الشباب المتزوجين في مقتبل العمر، لا يحسون بالمسؤولية لأنهم لم يتحملوا تكاليف الزواج، ولذلك يتسرعون في اتخاذ قرار الطلاق، ولذلك ينبغي على ولي المرأة أن يتحرى عن حال الخاطب قبل الزواج.

رابعًا: تخلي بعض الأزواج عن مسؤولية أولادهم، ورمي الحمل على الزوجات، أو الغياب المتكرر عن المنزل، أو السهر إلى أوقات متأخرة من الليل، أو الانحراف، أو عدم الإنفاق أو الاضطهاد، فتضطر الزوجة إلى طلب الطلاق أو العكس عندما يكون ذلك من الزوجة.

خامسًا: تدخلات الوالدين أو الأقارب في مشاكل الزوجين، فيفسدون حياتهما بحسن أو بسوء نية.

سادسًا: تحميل الزوجة لزوجها فوق طاقته، وعدم قناعتها بالنفقة والسكن، أو مطالبته بالتعاضّي عن مخالفتها، كالخروج من بيته بدون إذنه، أو عدم القيام بواجباتها الشرعية نحوه.

سابعاً: اضطرار بعض المتزوجين بأكثر من زوجة إلى الطلاق لطلب الزوجة الأولى أو أهلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فبعض وسائل الإعلام تُحرّض الزوجة على ترك بيتها عندما يلجأ زوجها إلى التعدد، وتعتبر أن ذلك خيانة زوجية وظلم لها ولأولادها حتى لو كان الزوج عادلاً.

ثامناً: استيلاء بعض الأزواج على رواتب زوجاتهم العاملات، فيؤدّي ذلك إلى إثارة المشاكل، وبالتالي إلى الطلاق، وهذا لا يجوز.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الزوج إذا اضطر إلى الطلاق، فعليه أن يراعي الأمور التالية.

أولاً: أن يستخير الله تعالى، ويستشير الصالحين الناصحين من أقاربه وإخوانه، ولا يقدم على الطلاق إلا لأسباب واضحة توجب ذلك.

ثانياً: أن يكون الطلاق في حال طهر لم يجامعها فيه أو حاملاً.

ثالثاً: عليه ألا يزيد في الطلاق على واحدة اتباعاً للسنة.

رابعاً: ألا تخرج المرأة من بيتها، ولا يخرجها زوجها ما دامت في العدة.

فربما كان ذلك سبباً في صلاح حالهما، ومراجعة أحدهما للآخر

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٤/٢٩٩ - ٣٠٠) برقم (٢٠٦٩٥)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

كما أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والستون

لذة العبادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

فإن من منح الله لعباده، منحة التلذذ بالعبادة، وأعني بها ما يجده
المسلم من راحة النفس وسعادة القلب، وانشرح الصدر عند القيام
بعبادة من العبادات، وهذه اللذة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة
الإيمان وضعفه.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ويجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً إلى تحصيل لذة العبادة، فالنبي ﷺ
كان يقول لبلال: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(١) لما يجده فيها من اللذة
والسعادة القلبية، وإطالته ﷺ لصلاة الليل دليل على ما يجده في الصلاة
من الأُنس والسرور بمناجاة ربه، وتصديق ذلك في كتاب الله، قال تعالى:
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وبكى معاذ بن جبل عند موته فقيل له في ذلك قال: إنما أبكي على ظمأ
الهاجر وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤١)
برقم (٤١٧١).

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة^(١).

ويقول أحد السلف: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا^(٢).

وبين النبي ﷺ أن للطاعة حلاوة يجدها المؤمن.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(٣).

وفي رواية: «مَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»^(٤).

وإن لتحصيل لذة العبادة أسباباً منها:

أولاً: مجاهدة النفس على طاعة الله تعالى حتى تألفها وتعتادها، وقد تنفر النفس في بداية طريق المجاهدة، ولكن إذا شمر صاحبها عن ساعد الجد، وكانت عنده تلك الإرادة والعزيمة القوية، فسينالها بإذن الله، فالأمر يتطلب مصابرة وقوة تحمل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٤١)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزِقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه].

روى الترمذي في سننه من حديث فضالة بن عبيد الله رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»^(١).

قال أحد السلف: «ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك».

وقال ابن رجب: (واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجد جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها)^(٢).

قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لَصَابِرِ

ثانياً: البعد عن الذنوب صغيرها وكبيرها، فإن المعاصي حجاب تمنع من الشعور بلذة العبادة لما تورثه من قسوة وغلظة وجفاء، قال بعض السلف: (ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب).

قال ابن القيم رحمته الله: (وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين، فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية، وما توقعه من الخوف والوحشة، لعلم سوء حاله وعظيم غبنه، إذا باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف والضرر

(١) قطعة من حديث في سنن الترمذي برقم (١٦٢١)، وقال: حديث فضالة حديث حسن

صحيح.

(٢) نقلاً عن كتاب لذة العبادة (ص ١٢).

الداعي له) (١). اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا في صدرك فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة وانشراح صدر وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول) (٢).

قال سفيان الثوري: (حرمت قيام الليل بسبب ذنب أذنبته) (٣).

وسئل وهيب بن الورد فقيل له: (متى يفقد العبد لذة العبادة؟ إذا وقع في المعصية، أو إذا فرغ منها؟ قال: يفقد لذة العبادة إذا هم بالمعصية).

ثالثًا: ترك فضول الطعام والشراب والكلام والنظر، فيكفي المسلم أن يقتصر في طعامه وشرابه على ما يعينه على أداء عبادته وعمله، فلا يسرف في الأكل قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

روى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِبَطْنِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٤).

قال أحد السلف: راحة القلب في قلة الآثام، وراحة البطن في قلة الطعام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص ٣١٢).

(١) الداء والدواء (ص ٤٠١).

(٣) لذة العبادة (ص ١٨).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

وأختم بكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار] مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم، وقد أثنى على خيله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصفات].

وقال حاكياً عنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد^(١).

رابعاً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادة التي يقوم بها من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة إنما هي طاعة لله وابتغاء مرضاته، وأن هذه العبادة يحبها الله ويرضى عنه بها وهي التي تقربه من ربه سبحانه.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ

(١) الداء والدواء (ص ١٦٥ - ١٦٦).

حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

خامسًا: أن يستحضر العبد أن هذه العبادات لا تضيع ولا تفتنى كما تفتنى كنوز الدنيا وأموالها ومناصبها ولذاتها بل يجدها العبد أحوج ما يكون إليها، بل إنه ليجد ثمراتها في الدنيا مع ما يُدخِر له في الآخرة مما هو أجل وأعظم؛ فمن استحضر ذلك لم يبال بما فاتته من الدنيا وسُرَّ بهذه العبادات ووجد حلاوتها ولذتها، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه]. روى مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(٢) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»^(٣) الحديث.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) برقم (٣٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٨٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

الكلمة السبعون

أسباب الثبات على الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جداً، لانتشار الفتن، وقلّة الناصر، وغربة الدين، ومن تلك الأسباب:

أولاً: الإقبال على القرآن العظيم حفظاً وتلاوة وعملاً، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى، أخبر تعالى أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا القرآن مفارقة هي التثبيت، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان].

ثانياً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم].

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيْتًا ﴾ [النساء].

وكان النبي ﷺ يداوم على الأعمال الصالحة، وَكَانَ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَدْوَمَهُ وَإِنْ قَلَّ. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه.

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [هود].

فالأيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه مثل قصة إبراهيم، وموسى، ومؤمن آل فرعون وغيرها.

رابعاً: الدعاء، فإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(١).
كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢).

خامساً: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال]، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادساً: الدعوة إلى الله ﷻ، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم.
قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف].

والعبد إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدىً وثباتاً على الحق، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن].

سابعاً: الرفقة الصالحة: فمصاحبة العلماء والصالحين والدعاة والمؤمنين، والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وجاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً: أنه سأل عن رجل عالم فقال: «مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذًا وَكُذًا، فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن دور شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في التثبيت في محنة السجن: (وكنّا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضافت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة و يقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها) (٢). اهـ.

ثامناً: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام، وهذه طريقة

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

النبي ﷺ في تثبت أصحابه وهم يعذبون على الإسلام في أول الدعوة، روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت: أنه شكأ إلى النبي ﷺ ما يجده من التعذيب وطلب منه الدعاء، فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَيُثَبِّتَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

تاسعاً: الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٣) [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمِيذٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٣).

عاشراً: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتأمل المؤمن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

مَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

تهون عليه الصعاب، ويزهد في الدنيا، وتشتاق نفسه إلى الدار الآخرة والدرجات العلى.

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه بالجنة ليثبتهم على التمسك بالدين والصبر عليه، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعمّار وأمه، وهم يؤذون في سبيل الله، فقال: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مستدرک الحاكم (٤/٤٧٠) برقم (٥٦٩٦) وصححه الألباني في فقه السيرة (ص ١٠٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ محمد المنجد «أسباب الثبات على الدين».

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فُرُوسٌ يَوْمِيَّةٌ

(١٥٠) دُرّاً لِلدُّعَاةِ وَالْمُطَبِّاءِ وَأُمَّةٍ الْمَسَاحِدِ لِلتَّقْرَؤِ عَلَى الصَّلَاتِ

إِعْدَادُ

و. الرَّمِيحِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّقَاوِيُّ

الجزء الثالث

وقفة مع قوله تعالى

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [آل عمران: ١٤]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِيَكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (١).

فأما إذا كان القصد بهن العفاف، وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١).

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ»^(٢).

وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة للنفقة في القربات وصللة الأرحام، والقربات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح شرعاً^(٣). اهـ.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ قال ابن جرير رحمته الله بعدما نقل اختلاف المفسرين في المراد به: والصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس، وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال ابن جرير: «المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسناً لمن رآها»^(٤).

وتربية الخيل أنواع، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

(٢) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠) و صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٦/٢) برقم (١٨٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٦/٣-٢٧).

(٤) تفسير ابن جرير - طبعة دار السلام (١٧١١-١٧١٣).

سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلَا تُغَيَّبُ شَيْئًا فِي بَطُونِهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاهَا فِي مَرْجٍ مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ كَانَ لَهُ، بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيَّبُهَا فِي بَطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّى ذَكَرَ الْأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَزْوَائِهَا - وَلَوْ اسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكْرُمًا وَتَجَمُّلاً، وَلَا يَنْسَى حَقَّ ظُهُورِهَا وَبَطُونِهَا فِي عُسْرِهَا، وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وَزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشْرًا وَبَطْرًا وَبَذْخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَلِكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ^(١).

وقوله: ﴿وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرِيثِ﴾ الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والحرث الأرض المتخذة للغراس والزراعة، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الزائلة، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾، أي حسن المرجع، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أُوتِيتُكُمْ﴾ أي قل يا محمد للناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين، وسائر ما ذكرنا: أخبركم وأعلمكم بخير وأفضل لكم من ذلك كله؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥]، أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي ماكثين فيها أبد الآباد، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، أي من الدنس والخبث والأذى، والحيض والنفاس، وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٢٧]، أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٠)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٧).

أي: يعطي كلاً ما يستحقه من العطاء.

ثم إن الله تعالى بعد ذكره الموازنة بين متع الدنيا ونعيم الآخرة، ذكر صفات المتقين الذين آثروا نعيم الآخرة الباقي على متع الدنيا الزائلة، فاسمع لصفاتهم، وتمثلها في نفسك، عسى أن تكون منهم فتفوز فوزاً عظيماً.

فأولها: الإيمان بالله وبرسوله وكتبه، المتضمن الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه للمؤمنين من الفضل العظيم، وما أعد للكافرين الغافلين من العقاب الأليم.

ثانيها: اعترافهم بذنوبهم، وعلمهم أنه لا يغفرها إلا الله ربهم.

ثالثها: إيمانهم بالنار وعذابها، وسؤالهم ربهم أن يقيهم منها.

رابعها: صبرهم عن شهوات الدنيا وملذاتها، إيماناً منهم بأن الله سيعوضهم خيراً منها، والصبر من أفضل خصال الإيمان، ولا يتم إلا باستكمال أركانه الثلاثة، وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله.

خامسها: الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والصديقون مع الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

سادسها: قنوتهم لله رب العالمين، وذلك يقتضي محبتهم له، وانكسارهم بين يديه، والتجاءهم إليه رغبة ورهبة وخشوعاً.

سابعها: إنفاقهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، لا رياءً وسمعة.

ثامنها: طلبهم المغفرة من ربهم في وقت الأسحار، حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيقول: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى! هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ! هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ! حَتَّى يَنْفَجِرَ

الصُّبْحُ» (١)، وهم يدعونهم ويسألونه ويستغفرونه، والغافلون يغطون في نوم عميق.

يقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ النَّاسِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَرْصَادَهُمْ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي سَفَرٍ لَّا يَدْرِيونَ أَلَّيْبِ ﴾ [الزمر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

الكلمة الثانية والسبعون

نصائح عامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات].

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الذِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وهذه بعض النصائح التي أوصي بها نفسي وإخوتي.

الأولى: المحافظة على هذه الصلاة في بيوت الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة].

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

(١) برقم (٥٥).

(٢) (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩)، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٣/٣٤٣).

برقم (١٣٥٨).

وهذه الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١)، وكان من آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢)، وقال عمر رضي الله عنه يوم أن طعن، وهو يعالج سكرات الموت، وجرحه يثعب دمًا: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

الثانية: أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(٣٢) [المعارج]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣٧) [الأنفال]. روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ»^(٣)، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور^(٤). اهـ، وقال بعضهم: عمل كل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه معصية، سواء كان ذلك في عبادة أو معاملة، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، وحفظ الجوارح أمانة، والعمل أمانة لا بد للمسلم أن يؤديه بكل إخلاص وإتقان حتى تبرأ ذمته بذلك.

والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنوح، وهود، وصالح ولوط، أخبر الله عنهم في سورة الشعراء، أن كل رسول من هؤلاء، قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(١٠٧) [الشعراء]، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بأنه الأمين.

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٦٩٧).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٣٥٣/٩) رقم (٩٧٥٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٣٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٣/١٤).

الثالثة: اجتناب المعاصي، والذنوب، فهي أساس كل شر وبلاء، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١] [الروم]. وما الذي أخرج أبويننا من الجنة دار النعيم، واللذة والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟! قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرَكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

روى الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(١).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [٥٣] [الإسراء].

روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال:

(١) مسند الإمام أحمد (٤٦٧/٣٧) برقم (٢٢٨٠٨) وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٢٧٩/٣): ورواه محتج بهم في الصحيح.

« مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ »^(١)، وقال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ»^(٢)، وقال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٤)، ولقد كان النبي ﷺ من أعظم الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) برقم (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

الكلمة الثالثة والسبعون

مفاسد العنوسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت في المجتمع في هذه الأيام كثرة حالات العنوسة، ففي إحصائية قديمة لإحدى جامعات المملكة اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي لم يتزوجن، وهن طالبات في المرحلة الجامعية يصل إلى خمسة آلاف طالبة، وفي إحصائية أخرى لإحدى الوزارات اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي بلغن سن الزواج ولم يتزوجن يصل إلى مليون ونصف امرأة. وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة هذا الأمر، وكما أحدثت هذه العنوسة من مفاسد، وأمراض نفسية، ومشاكل أسرية؟! ولقد حث الشارع على النكاح، ورغب فيه، ولو مع قلة ذات اليد، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

وهذه العنوسة لها أسباب، أذكر بعضاً منها لعل ذلك يساعد على إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

أولاً: الانشغال بالدراسة، والاعتذار بها عن الزواج حتى يكبر سن الفتاة، ويرغب عنها الكثير من الخطاب، على أنه يمكن في كثير من الأحوال الجمع بينهما كما هو مشاهد، ولو فرضنا تعذر الجمع، فإن الزواج أولى من الانشغال بالدراسة.

ثانياً: المغالاة في المهور، وما يتبعها من النفقات. قال أهل العلم: «المشروع أن يكون قليلاً ميسراً». روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»^(١)، وقال عمر رضي عنه: «لَا تُعَالُوا فِي صَدَقَاتِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا بِنْتًا مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فمن دعت نفسه على أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة، فهو جاهل أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه، فلا ينبغي له أن يصدق المرأة ما لا يقدر على وفائه من غير مشقة^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله بعد سياق بعض الأحاديث المتعلقة بالصداق: «وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته، وعسره»^(٤).

(١) مستدرک الحاكم (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال محققه: وإسناده جيد، وصححه

الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٢٧٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) زاد المعاد (٥/٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٢/١٩٤).

ثالثاً: تركيز كثير من الأسر على أحوال الخاطب الدنيوية، من منصب، ومال، وجاه، فإن لم يتوفر ذلك اعتذروا عن قبوله، وإن كان من أهل الخلق والدين، وهذا مخالف لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(١).

رابعاً: استيلاء بعض الآباء الجشعين على رواتب بناتهم العاملات، وبالتالي يمنعونهن من الزواج حتى يستمروا في كسب هذه الأموال، وقد نهى الله عن عضل النساء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

خامساً: اعتذار كثير من الفتيات عن الرجل المتزوج، وهذا خطأ، فعلى المرأة أن تفكر بعقلها، فخير لها أن تبقى في ظل زوج على أن تكون عانساً في بيت أبيها، وقد سبق ذكر الحديث: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».

والنساء يفوق عددهن الرجال، وهناك المطلقة، والمتوفى عنها زوجها، والتي كبر سنها ولم تتزوج، فلو اكتفى كل رجل بزوجة واحدة لبقى كثير من النساء من غير زواج، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفيه مفسدة عظيمة، ولذلك شرع الله للرجل تعدد الزوجات، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾ [النساء: ٣].

(١) برقم (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣١٤) برقم (٨٦٥).

سادساً: أن بعض النساء المطلقات يصبن بعد طلاقهن بإحباط، فلا تفكر في الزواج مرة ثانية، وهذا خطأ، والله تعالى عند حسن ظن عبده به، وعلى المرأة أن تحسن الظن بربها، فهو مقسم الأرزاق، والموفق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (١٣٠) [النساء]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»»^(١).

قال الشاعر:

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَأَنْتَبَاهَتُهَا يُبَدِّلُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
ومن الأسباب التي بدأت تنتشر في بعض المجتمعات: عزوف بعض الشباب عن الزواج، هروباً من تحمل المسؤولية، وهذا خروج عن الفطرة وسنن المرسلين، ومنهم من يكون قليل ذات اليد، مقارنة بالأوضاع والعادات الاجتماعية، ومنهم من يكون من المنهمكين على وسائل الإعلام السيئة، التي زرعت في نفسه مع طول النظر والمتابعة تصوراً سيئاً عن النساء عموماً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٣٨).

الكلمة الرابعة والسبعون

النكت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الأمور المنكرة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام ما يُسمى بالنكت، وهذه النكت قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين، وإدخال السرور إلى قلوبهم.

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»^(١).

ومن مفسد هذه النكت ما يلي:

أولاً: الكذب، وهو من أعظم المفسد، وقد نهى الله تعالى عنه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. قال بعض المفسرين الزور: الكذب^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٢) برقم (٤١٧٥).

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٥٨٣٨).

وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب الطويل، وفيه رؤيا النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ... فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ ... قَالَ: قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ»^(٢).

وهذه النكت وإن قُصِدَ بها المزاح، فإنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أنه قال: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٣).

وهذا - والله أعلم - إذا لم تتضمن قولاً فاحشاً، أو نشر فاحشة، أو إشاعة منكر، أو استطالة في عرض مسلم، فما كان من هذا ونحوه لا شك أنه من المحرمات، كما سبق في الحديث المتقدم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١١/٣)

قال ابن مسعود: «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل»^(١) ثم تلا عبد الله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١١٦) [التوبة]، وقال أيضاً: «المؤمن يُطبع على الخلال كلها غير الخيانة والكذب»^(٢).

ثانياً: ومن مفاستها أن بعض هذه النكت تحتوي على الاستهزاء بدين الله، أو المؤمنين، وهذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٦٥) لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وهو من نواقض الإسلام العشرة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، كفر ولو مازحاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه»^(٤).

ثالثاً: أنها تؤدي إلى السخرية بالناس واحتقارهم.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَبْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١١) [الحجرات].

روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨/٤٢٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨/٤٢٥)، وقال محققو مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٦/٥٠٥):
إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).
(٤) الفتاوى (٧/٢٧٣).

أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ» (١).

رابعاً: أن فيها إضاعة الوقت، وهذا الوقت سيُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَنْفَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟» (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (٣).

خامساً: أن بعض هذه النكت تحتوي على الفحش وبذاءة اللسان، وهذا لا يليق بالمؤمن، لا قوله، ولا الاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: أي الكذب، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) قطعة من حديث برقم (٢٥٦٤).

(٢) برقم (٢٤١٧) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٥٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٢١).

وصايا لطلبة العلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

الوصية الأولى: الحرص على طلب العلم الشرعي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيراً». روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٢).

قال الأوزاعي: «النَّاسُ عِنْدَنَا هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ فَلَيْسُوا

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٣٤٢) برقم (٢١٥٩).

بشيءٍ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه».

وأهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية وثنوبان: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١) - وفي رواية: «قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ»^(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟».

وقال أيضاً:

دينُ النبي محمدٍ أثارُ نعمَ المطية للفتى الأخبارُ
لا ترغبنَّ عن الحديثِ وأهلهِ فالرأي ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولربِّما جهلَ الفتى طُرقَ الهدى والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ
وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يرفع العلم، ويكثر الجهل، ورفِع العلم بموت حملته.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢٠) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٣) واللفظ له.

وفي هذه الحال يكون تعلم العلم وتعليمه أوجب وأوكد، وليعلم أن رأس العلوم كلها هو كتاب الله الكريم، فلنحرص على حفظه وفهمه وتدبره، والعمل به، وكذلك تعلم سنة النبي ﷺ، والتفقه فيها، وليكن أخذنا للعلم من أهله، وهم السلف الصالحون، والأئمة المهديون، حتى لا نقع في الفتاوى المضلة، والأهواء المهلكة.

الوصية الثانية: الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «...لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

وهذا الحديث يغلط فيه بعض الناس، حيث يقوم بالدعوة، وربما تجرأ على الفتوى وهو من أجهل الناس، وقد يستدل بحديث «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢). ولم يعلم المسكين أن تبليغ آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ لا يكون إلا بعد فهمهما بمراجعة أقوال المفسرين، وشرح الأحاديث حسب الطرق الصحيحة التي سلكها أهل العلم، وبينوها لطلاب العلم.

والدعوة إلى الله ووظيفة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والمقصود بها دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل، وقال عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب معاذ بن جبل، وقد أرسله إلى أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٤٦١).

اليمين يدعوهم إلى الله تعالى: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَدَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ»^(١)، وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء»^(٣).

وقال الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «الواجب على جميع القادرين من العلماء، وحكام المسلمين، والدعاة، الدعوة إلى الله ﷻ حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا البلاغ الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسول أن يبلغوا ... إلخ»^(٤).

الوصية الثالثة: حفظ الوقت، فمن الملاحظ أن بعض الشباب لا يحرص على استغلال وقته، واغتنام شبابه ونشاطه، فتجده ينام الساعات

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩) واللفظ له.

(٢) سبق تخريجه. (٣) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة

الطوال من غير حاجة، والآخر يضيع وقته في قراءة الجرائد لفترات طويلة، وآخر في الزيارات الكثيرة، وهلمَّ جرًّا.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَ عِلِمٍ؟»^(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(٢).

ويقول الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

الوصية الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلِإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

[الإسراء]، روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ»^(٣)، قال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةٌ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

وبهذا كان ﷺ يوصي أصحابه، فروى الترمذي في سننه من

(١) رقم (٢٤١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٢٨٩) برقم (١٩٦٩).

(٢) مستدرک الحاكم (٥/٤٣٥) برقم (٧٩١٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٣) (٤/٣٦٢) برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).

قال ابن القيم: «جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربّه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه». اهـ^(٢)، ولا يكتمل إيمان عبد مالم يوفق للخلق الحسن، روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٣).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم. فعن أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٤).

الوصية الخامسة: الثبات على هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١١) [الحجر]، أي الموت، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»^(٥)، وقد وردت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن المتمسكين بدينهم في آخر الزمان، الثابتين عليه يكونون غرباء، ولكنهم بذلك ينالون من الأجر مثل ما ناله أصحاب

(١) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٣) برقم (١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٥) سبق تخريجه.

النبي ﷺ حينما كان الإسلام غريباً، وذلك بصبرهم عليه حال الغربة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١)، وجاء في الحديث الآخر أنهم: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسٍ سَوَاءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»^(٢)، وذكر النبي ﷺ أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم، قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ عندما ذكر ما يحصل في آخر الزمان من الفتن، قال: «الْمُتَمَسِّكُ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ أَوْ قَالَ: عَلَى الشُّوكِ»^(٤).

فأوصي نفسي، وإخواني بالثبات على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٍ ۝٢﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِضِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣]، ولا شك أن المسلم في هذه الأزمنة يواجه فتن

(١) برقم (١٤٥).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣١/١١) برقم (٦٦٥٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٤) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الشهوات والملذات العظيمة، لكن من استعان بالله أعانه الله، ومن يتصبر يصبره الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

جعلنا الله وإياكم منهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



مخالفات يقع فيها بعض الحجاج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن على المسلم أن يحرص أن يكون حجه موافقاً لحج النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(١)، وهناك مخالفات شرعية يقع فيها بعض الحجاج، أحببت التذكير بها أداء لحق الله، وقياماً بواجب النصيحة.

أولاً: إخراج الصلاة عن وقتها، قال الإمام ابن النحاس في ذكره بعض منكرات الحجاج ومنها، وهو أعظمها فتنة، وأجلها في الدين مصيبة، وأكثرها وجوداً وبلية هو تضييع أكثرهم للصلاة في الحج، وكثير منهم لا يتركونها، بل يضيعون وقتها ويجمعونها على غير الوجه الشرعي، وذلك حرام بالإجماع^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ثانياً: ما يفعله بعض الحجاج الذين يقومون بزيارة قبر النبي ﷺ قبل الحج وبعده، من استقبال قبر النبي ﷺ، ودعائه بكشف الضر وجلب النفع، وهذا شرك ينافي التوحيد لا يرضاه الرسول ﷺ، بل نهى عنه وحذر منه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٣)

(٢) تنبيه الغافلين (ص ٢٨٤).

(١) برقم (١٢٩٧).

[الجن]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر مثل ما صنعوا^(١).

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢).

ثالثاً: التصوير، وهو من المحرمات التي يجهل حرمتها كثير من الحجاج، وقد نهى الرسول ﷺ عن التصوير في أحاديث كثيرة، ولعن فاعله، روى البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٤).

هذا أولاً، وثانياً: أن بعض الحجاج يتخذ لنفسه صوراً حال إحرامه، أو رافعاً يديه يدعو، أو يقرأ، أو غير ذلك من أحوال العبادة ليطلع عليها أهله وأقاربه إذا عاد إليهم، وقد يدخل هذا في الرياء المنهي عنه، بل يخشى على فاعل ذلك أن يحبط عمله من حيث لا يشعر.

رابعاً: من أراد الحج أو العمرة فليحرم من الميقات الذي يمر به، ولا يجوز تجاوز الميقات بلا إحرام لمريد الحج أو العمرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «هُنَّ لَهُنَّ

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٩) برقم (١٨٣٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) برقم (٥٩٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٠٩).

(٤) برقم (٦٤٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٧).

وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»^(١).

وأما من يأتي عن طريق الجو في الطائرة، أو البحر في السفينة، فمن الأولى أن يحرم عند محاذاة الميقات، أو قبله بقليل احتياطاً، ولا ينتظر حتى يصل إلى جدة؛ لأن هذا مخالف لما عليه فتاوى علمائنا، كالشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وغيرهما.

خامساً: أن كثيراً من الحجاج يلزم أدعية خاصة في الطواف يقرأها من كتاب مناسك، وقد يكون مجموعة منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها، ويرددونها خلفه بصوت جماعي، وأكثر هذه الأدعية والأذكار لا تثبت عن النبي ﷺ، والدعاء بها بهذه الطريقة بدعة محدثة.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢). إضافة إلى أن فيه تشويشاً على الحجاج الآخرين.

سادساً: ومن الأخطاء العظيمة المتعلقة بيوم عرفة، أن بعض الحجاج يبقون خارج حدود عرفة حتى تغرب الشمس، ثم ينصرفون إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم؛ لأن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن يعمر: أن النبي ﷺ قال: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ»^(٣).

(١) برقم (١٥٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٨١).

(٢) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن

الترمذي (٢٦٥ / ١) برقم (٧٠٥).

سابعًا: ما يتعلق بمزدلفة، فبعض الحجاج لا يتأكد من حدود مزدلفة، ويبت خارجها، وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل، ولا يبيت فيها، ومن لم يبيت فيها من غير عذر فقد ترك واجبًا من واجبات الحج، ويلزمه دم مع التوبة، ويرى بعض أهل العلم أن المبيت بمزدلفة، وصلاة الصبح بها ركن من أركان الحج، كالوقوف بعرفة، لأن الله نص عليه، فقال: ﴿فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والنبى ﷺ سواها بعرفة حينما قال: «وَجَمَعَ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»^{(١)(٢)}.

روى الترمذي في سننه من حديث عروة الطائي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ، وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نُدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى نَفْسَهُ»^(٣).

ثامنًا: أن بعض الحجاج يوكلون من يقوم برمي الجمار عنهم، مع قدرتهم على ذلك ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام، ومشقة العمل، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن حكم التوكيل عن المريض والمرأة العاجزة كالحبلى والثقيلة والضعيفة التي لا تستطيع رمي الجمار؟ فأجاب بأنه لا بأس بالتوكيل عنهم^(٤)، أما القوية النشيطة فإنها ترمي بنفسها، ومن عجز عنه نهارًا رمى بالليل.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٦٣) برقم (٧٠٢).

(٢) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٧/٣٠٥ - ٣٠٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٨٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) فتاوى الحج والعمرة (ص ١١١ - ١١٢).

تاسعاً: أن بعضهم إذا أراد تقصير شعر رأسه يكتفي بأخذ شعرات من رأسه، أو يأخذ من جانب ويدع آخر، والصحيح أن الواجب على الحاج أن يحلق رأسه كله أو يقصره كله، هذا في حق الرجل، أما المرأة فإنها تقص من ضفائرها بقدر أنملة فقط. والأفضل أن يبدأ بالشق الأيمن في الحلق أو التقصير.

عاشراً: أن بعضهم إذا تحلل التحلل الأول حلق لحيته أو قصر منها، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذه المعصية من أكثر المعاصي شيوعاً بين المسلمين في هذا العصر، بسبب استيلاء الكفار على أكثر بلادهم، ونقلهم هذه المعصية إليها، وتقليد المسلمين لهم فيها مع نهيه ﷺ إياهم عن ذلك صراحة في قوله ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى»^(١).

وفي هذه القبيحة عدة مخالفات:

الأولى: مخالفة أمره ﷺ الصريح بالإعفاء.

الثانية: التشبه بالكفار.

الثالثة: تغيير خلق الله الذي فيه طاعة الشيطان في قوله كما حكى الله تعالى ذلك عنه: ﴿وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

الرابعة: التشبه بالنساء، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك.

وإن من المشاهدات التي يراها الحريص على دينه أن جماهير من الحجاج يكونون قد وفروا لحاهم بسبب إحرامهم، فإذا تحللوا منه فبدل أن يحلقوا رؤوسهم كما ندب إليه رسول الله ﷺ حلقوا لحاهم التي

(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٩٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٩).

أمرهم ﷺ بإعفائها، فإننا لله وإنا إليه راجعون^{(١)(٢)}.

أسأل الله أن يتقبل من المسلمين حجهم، وسائر أعمالهم، وأن يوفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر (ص ٨ - ٩)، للشيخ ناصر الدين الألباني.

(٢) انظر مخالفات الحج والعمرة للشيخ عبدالعزيز السدحان.

الكلمة السابعة والسبعون

التوبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن الأعمار تُطوى، والأيام تنقضي، والعمر قصير، والأجل قريب، ولا يدري ابن آدم متى يأتيه الموت، قال الشاعر:

أشابَ الصغيرُ وأفنى الكبير مرور الليالي وكرّ العشي
إذا ليلةً هَرَمْتَ أختها أتى بعد ذلك يومٌ فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجته وتبقى له حاجة ما بقي

والله ﷻ حث عباده على التوبة قبل حلول الأجل، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ودعا سبحانه جميع عباده إلى التوبة، فدعا إليها من قال: إن الله هو المسيح، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة، ومن ادعى لله صاحبة والولد، فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها فرعون مع زعمه أنه لا إله غيره، وأنه ربهم الأعلى فقال لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ [طه].

ودعا إليها المشركين قاطبة، فقال لهم بعد الأمر بقتلهم حيثما وجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ [التوبة].

ودعا إليها المنافقين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ [النساء].

ودعا إليها من عمل أكبر الكبائر، وهي الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخَلَّدُ فِيهِ ۗ مُهَانًا﴾ ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الفرقان].

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا فَاتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا

(١) شرح النووي (٦/٥٩).

قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١).

والمراد بالتوبة التوبة النصوح، وهي التي اكتملت شروطها.

أما شروطها فهي: الإقلاع عن الذنب، الندم على فعله، العزم على أن لا يعود إليه، وزاد آخرون: الإخلاص لله في التوبة، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو غير ذلك، وإنما رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه، فإن كان الذنب مرتبطاً بحق آدمي فلا بد من شرط رابع، وهو أن يبرأ من حق صاحبها.

ويشترط للتوبة ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون التوبة قبل الغرغرة، أي قبل حشرجة الروح في الصدر عند دنو الأجل، وحضور الموت، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا ۖ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(٢).

الثاني: أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنظَرُونَ ۝١٥٨﴾ [الأنعام].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٧).

(٢) برقم (٣٥٣٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٥/٣) برقم (٢٨٠٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

الثالث: أن تكون قبل نزول العذاب لمن عصى الله تعالى؛ لأن الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾^(٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [غافر].

ولم يستثن من هذه السنة إلا قوم يونس، لحكمة أرادها الله سبحانه، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٩٨) [يونس].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٣).



(٢) برقم (٢٧٠٣).

(١) برقم (٢٧٥٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد.

الكلمة الثامنة والسبعون

شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، اختصرت كلامه فيها في هذه العجالة:

فقال: وتفسير هذا أن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة، ويتخذ زوجة سالحة تعينه على إيمانه، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلونه عن الله تعالى، فهو خاسر كما قال تعالى عن الأعراب: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) [المنافقون].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ

(١) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

فإذا مات ابن آدم، وانتقل من هذه الدار، لم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم، وما ثبت عنه من الشرع، وبما قدمه من ماله بين يديه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

فأما الصاحب الأول: الأهل، فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له، ودعا له كما تقدم، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين: أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك يدعوك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وأما الصاحب الثاني: وهو المال، فيرجع عن صاحبه أولاً، ولا يدخل معه في قبره، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره، ودخوله معه.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه قال: أتيت

(٢) برقم (١٦٣١).

(١) سبق تخريجه.

النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١). قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!» (١).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَوَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحبُّ إليه. قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَوَارِثُهُ مَا آخَرَ» (٢).

فلا ينتفع العبد من ماله إلا بما قدمه لنفسه، وأنفقه في سبيل الله ﷻ، فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه، إلا أن يكون فيه نية سالحة، وقيل: بل يثاب عليه مطلقاً، وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالناس نكره الموت؟ قال: لتعظيمك الدنيا، جعلت مالك بين عينيك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحبت اللحوق به. قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

وكان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله، حتى كان يوماً راكباً على ناقة فأعجبته، فنزل عنها في الحال، وقلدها، وجعلها في سبيل الله ﷻ.

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ويكون معه إذا بعث، ويكون معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم].

قال بعض السلف في تفسير الآية السابقة: أي يمهدون لأنفسهم في القبر، فالعمل الصالح يكون مهادًا لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، بل كل عامل يفتersh عمله ويتوسده من خير أو شر، فالعاقل من عمر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريبًا لم يكن مغبونًا بل كان رابحًا.

وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها. قال الحسن: تبع رجل من المسلمين جنازة أخيه فلما دلي في قبره قال الرجل: ما أرى يتبعك من الدنيا إلا ثلاثة أثواب، أما والله لقد تركت بيتي كثير المتاع، أما والله إن أقالني الله حتى أرجع لأقدمه بين يدي، قال: فرجع فقدمه والله بين يديه، وكانوا يرون أنه عمر بن عبد العزيز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فضل التكبير إلى الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم من الطاعات والعبادات ما يتقربون بها إليه سبحانه، ومن تلك الطاعات والقربات التكبير إلى الصلوات الخمس التي جعلهن بفضلها خمسًا في العمل، وخمسين في الأجر والثواب.

والتكبير إلى الصلوات الخمس من الطاعات التي غفل عنها كثير من المصلين في هذا الزمان، فلا يحضرون إلا عند الإقامة، أو بعد الشروع في الصلاة.

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة، وأصدقها في التكبير إلى الصلاة، يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه: «ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها، وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»، ويقول سعيد بن المسيب: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وما فاتتني صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة»، قال الذهبي: «هكذا كان السلف في الحرص على الخير»^(١).

(١) منجد الخطيب، مأخوذ من سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

ومن فضائل التكبير إلى الصلوات:

أولاً: استغفار الملائكة لمن ينتظر الصلاة، وكونه في حكم المصلي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «الملائكة تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ (١) مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ» (٢).

ثانياً: إدراك الصف الأول، وما فيه من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» (٣).

ثالثاً: إدراك تكبيرة الإحرام، وهي من أفضل التكبيرات، ومفتاح الصلاة، روى الترمذي من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» (٤).

رابعاً: الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب، روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ

(١) أي تستغفر له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٧).

(٤) برقم (٢٤١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٣١٤) برقم (٢٦٥٢).

وَالْإِقَامَةِ»^(١).

خامسًا: الدنو والقرب من الإمام، وهذه فضيلة عظيمة، روى الإمام أبو داود من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احضُرُوا الذُّكْرَ، وَاذْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَّبَعُهُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا»^(٢).

سادسًا: إدراك السنن القبلية التي قبل الصلاة، كسنة الفجر، روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٣). وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَ عَلَى النَّارِ»^(٥)، وروى أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»^(٦).

سابعًا: الحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، فالسعي الذي يفعله كثير من الناس لإدراك الصلاة يفوتهم السكينة والوقار، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَأَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا،

(١) برقم (٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٠٥) برقم (٤٨٩).

(٢) برقم (١١٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٠٦) برقم (٩٨٠).

(٣) برقم (٧٢٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٤٢٤) وقال: حديث حسن.

(٥) برقم (١٢٦٩): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٣٦) برقم (١١٣٠).

(٦) برقم (١٢٧١): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٣٦) برقم (١١٣٢).

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» (١).

ثامناً: قراءة الأذكار والاستغفار، وذكر الله ﷻ بين الأذان والإقامة، فلو حضر المصلي إلى المسجد مبكراً لأمكنه على أقل تقدير أن يقرأ عشرين آية، وفي اليوم مئة آية، وفي الأسبوع سبعمئة آية، وفي الشهر ثلاثة آلاف آية، وهذا خير كثير، والحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وينبغي للمؤمن أن يُعوِّدَ نفسه على التبكير إلى المسجد حتى يسهل عليه، ويجد الراحة، والسعادة في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال: «... لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).

(٢) جزء من حديث برقم (٤٣٨).

الكلمة الثمانون

أسباب انشراح الصدر

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن ضيق الصدر، وما ينتاب المسلم من هموم وغموم، وأحزان أمور لا يكاد يسلم منها أحد.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «فكرت في سعي العقلاء، فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا في اللغو واللعب، وغير ذلك، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقًا موصولًا إليه، ولعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، وإنما الإقبال على الله وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء ضده، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق، وأوصل منه على لذته، وسعادته»^(١).

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أسباب شرح الصدر، فقال:

أولاً: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْفُتَيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

(١) الجواب الكافي (ص ١٧١ - ١٧٢)، وقد لخصه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿ [الأنعام: ١٢٥]، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

ثانياً: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وخرج، فصار في أضيق سجن وأصعبه، فنصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام].

ثالثاً: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم الموروث عن النبي ﷺ، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

رابعاً: الإنابة إلى الله ﷻ، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل]، حتى يقول أحيانًا: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحال، فإني إذا لقي عيش طيب، وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، ولا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله ﷻ وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٦٤﴾ [طه]،
فإن من أحب شيئاً غير الله عذب، وسجن قلبه في محبته ذلك الغير.

خامساً: دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد].

سادساً: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس، وأنكدهم عيشًا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، قَدْ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَكُلَّمَا هَمَّ الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَتِهِ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تُعْفَى أُنْثَرُهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ انْقَبَضَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا، وَتَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ وَأَنْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: فَيَجْتَهَدُ أَنْ يُوسَّعَهَا فَلَا تَتَّسِعُ»^(١).

سابعاً: الشجاعة، فإن الشجاع منشراح الصدر، وامتسع القلب، والجبان أضيق الناس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها وابتهاجها فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل.

ثامناً: إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه

(١) البخاري برقم (٢٩١٧)، ومسلم برقم (١٠٢١).

وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى بالأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل.

تاسعاً: ترك فضول النظر والكلام، والاستماع والمخالطة، والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل ألماً وغمومًا وهمومًا في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه، فلا إله إلا الله ما أضيقت صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، ولا إله إلا الله ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة، وكانت همته دائرة عليها، فلماذا نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) [الانفطار]. ولذلك نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤) [الانفطار].

والمقصود أن النبي ﷺ كان أكمل في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحًا ولذة، وقرّة عين، وعلى حسب متابعتة ينال العبد من انشراح صدره وقرّة عينه، ولذة روحه ما ينال..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) انظر: زاد المعاد (٢/٢٣ - ٢٨).

كفارات الذنوب

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن أفضل ما يتمناه المسلم أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له ذنوبه، وضاعف له في حسناته.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل للإنسان أعداء يزينون له الذنوب، ويهونونها عليه، ويبعدونه عن الخير، وهم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

ومن رحمة الله بعباده أن هيا لهم أسباباً يكفر بها عنهم الذنوب، ويمحوها، وهذه الكفارات الماحيات هي الأقوال والأعمال التي شرعها في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمن ذلك:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١).

ثانياً: اجتناب الكبائر من الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٢).

ثالثاً: التوبة الصادقة، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٣).

رابعاً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ

(٢) برقم (٢٣٣).

(١) برقم (٢٥٦٥).

(٣) برقم (٤٢٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٩/٢) برقم (٣٤٢٧).

عَفُورًا رَجِيمًا ﴿١٠٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ جَدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [المزمل].

روى الإمام أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «... يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» (٢).

خامسًا: الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حمران مولى عثمان رضي الله عنه قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ، ثم قال: إن ناسًا يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث لا أدري ما هي؟ إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ، وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً» (٣).

سادسًا: الصلاة، والمشي إليها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ

(١) برقم (١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٥٧٧). (٣) برقم (٢٢٩).

الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرَّبَاطُ»^(١).

سابعًا: الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢٧١) [البقرة]، روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٢).

ثامنًا: الحج والعمرة، روى النسائي من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

تاسعًا: المصائب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٤) بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَارْبُؤُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا»^(٤).

عاشرًا: صيام رمضان وقيامه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٥)، وروى البخاري

(١) برقم (٢٥١).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٢٦٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٥٨) برقم (٢٤٦٧).

(٤) برقم (٢٥٧٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية والثمانون

الحسد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهاي عنها: الحسد، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة منه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [الفلق].

قال: الراغب: الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها^(١)، والحسد من صفات أشر عباد الله اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ⑤﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ⑥﴾ [النساء: ٥٤]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢)، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن جبريل عليه السلام

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ١١٦).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

أتى النبي ﷺ، فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ»^(١).

قال ابن رجب: الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ويسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس، حيث حسد آدم ﷺ لما رآه قد فاق على الملائكة بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أخرج منها، ومنهم من يحدث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده في نفسه مستروحاً تمنى زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، وقسم آخر إذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية، فلا خير في ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْرُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِيٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]. وإن كانت فضائل دينية فهو حسن، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ

اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ»^(١). وهذا هو الغبطة، وسماه حسداً من باب الاستعارة، وقسم آخر إذا وجد من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيراً منه، وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه. اهـ^(٢)، قال ابن سيرين: «ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟!». اهـ.

وقال أبو الدرداء: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده». وقال ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»، وقال معاوية رضي الله عنه: «كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها»، ولذلك قيل:

كُلُّ الْعِدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

وقال آخر:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأَتِ الْأَدَبَ
أَسَأَتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجْهَ الطَّلَبِ

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، (ص ٢٦٠ - ٢٦٣).

النبي ﷺ قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأْتُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، وَجَاءَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ تَبَعَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي أَوَيْتُ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ؟ فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعدة أمور:

- ١ - التعوذ بالله من شره، والتحصن واللجأ إليه.
- ٢ - تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].
- ٣ - الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

(١) برقم (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٦١).

(٢) (١٢٥/٢٠) برقم (١٢٦٩٧) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- ٤ - التوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه.
 - ٥ - الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه في خواطر نفسه.
 - ٦ - تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.
 - ٧ - الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً في دفع العين وشر الحاسد.
 - ٨ - وهو من أصعب الأسباب، إطفاء نار الحاسد بالإحسان إليه.
 - ٩ - تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، الذي أَرَمَّتْهُ الْأُمُورُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التفسير القيم لابن القيم (ص ٥٨٥ - ٥٩٣).

الكلمة الثالثة والثمانون

المعاصي وعقوباتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها.

قال ابن القيم رحمته الله: وهذه المعاصي لها أضرارٌ على القلوب، كضرر السموم على الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه المعاصي والذنوب، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء فطرده ولعنه وأبدله بالرحمة لعناً، وبالإيمان كفرةً؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ إنها المعاصي والذنوب!!^(١).

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٧ - ٣٨) بتصرف.

قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وهذه الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِن يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢]. أي صغائر الذنوب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ! قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»^(١).

ومن الناس من يتساهل في الذنوب والمعاصي، ويقول: ما دمت أودِّي أركان الإسلام وفرائضه فالذنوب أمرها سهل، والله غفور رحيم، وهذا الكلام ليس بصحيح، فإن الله غفور رحيم، وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره، قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى محذراً من معصية نبيه ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٦).

وقال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبَزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(١)، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمُؤَبَّاتِ»^(٢). قال أبو عبد الله البخاري: يعني بذلك المهلكات.

ومعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة في معركة أحد، عندما أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَنْزِلُوا مِنَ الْجَبَلِ، فَعَصَوْهُ وَنَزَلُوا، فَقُتِلَ سَبْعُونَ، كما جاء في الصحيح^(٣).

ومعصية واحدة كانت سبباً في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تَطْعَمِهَا وَلَمْ تَدْعِهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٤).

بل إن العبد ليتساهل بالكلمة التي تخرج من فمه، ولا يلقي لها بالاً، تكون سبباً لدخوله النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٦٤٩٢).

(٣) البخاري برقم (٣٩٨٦).

(٤) البخاري برقم (٣٣١٨)، ومسلم برقم (٢٢٤٢).

(٥) البخاري برقم (٦٤٧٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٨) واللفظ له.

ومعصية واحدة أخرجت آدم من الجنة، قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي درك الجنان بها وفوز العابد
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
قال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ومن عقوبات المعاصي - وهي كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» - فمنها:

أولاً: أنها تورث الذل لصاحبها، فإن العز كل العز بطاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»^(١). وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية». وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ»^(٢). وفي دعاء القنوت: «إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ»^(٣) ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/١٤٤) برقم (٤١١).

عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته»^(١). قال النبي ﷺ للأَنْصَارِ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ تَكُونُوا أَذَلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ؟» قالوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٢).

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدِ يُوْرُثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

ثانياً: أنها تورث الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد وبين الناس، ولو اجتمعت للعبد لذات الدنيا كلها لم تذهب تلك الوحشة، قال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»^(٣).

ويشهد لكلام ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١١٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدِ كُنْتُ بَصِيرًا^(١١٥) [طه].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

ثالثاً: ومن عقوباتها: أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها

(١) الداء والدواء (ص ٢٧٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) الجواب الكافي (ص ٤٩).

فكان من الغافلين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين]»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٣٣٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة والثمانون

التقوى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

في هذه الآية الكريمة وصى الله سبحانه جميع خلقه الأولين والآخرين بأن يتقوه، وخص سبحانه المؤمنين بوصية التقوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

قال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترواً من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليُمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»^(١). اهـ.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١).

قال شيخ الإسلام: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

قال الشاعر:

حَلُّ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما زالت التقوى بالمتقين، حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

وقد ذكرت التقوى في كتاب الله في أكثر من مائتين وخمسين موضعًا، بل إنه قد تكرر الأمر بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].

والمتقون هم أولياء الله وأحبابه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٦] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [١٣] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [١٤]﴾ [يونس]، والمتقون هم أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، روى الإمام

أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة رضي الله عنه قال: حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟» قالوا: بلغ رسول الله (١)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يوصي أصحابه بالتقوى، ويبدأ بها خطبه ووصاياه، روى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا» (٢)، وقال للصحابي أبي ذر كما في سنن الترمذي: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» (٣) الحديث.

فطريق السعادة، والعز، والكرامة، والنصر هو التقوى، وإنما تأتي المصائب، والبلايا، والمحن بسبب إهمال التقوى، وإضاعته، أو إضاعة جزء منها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].
ومن ثمرات التقوى:

أولاً: معية الله للمتقين، بالنصر والحفظ والإعانة والمحبة والتوفيق، وهذه منقبة عظيمة للمتقين، فلو لم يكن للمتقين إلا أنهم حازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/٤٧٤) برقم (٢٣٤٨٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٧٣١).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل].

ثانيًا: حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

ثالثًا: غفران الذنوب، ومعرفة الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

رابعًا: التقى يجعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

خامسًا: التقى يوفق للعمل النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

سادسًا: قبول الله تعالى من المتقين الأعمال الصالحة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه، فعمله خالصًا لله، موافقًا لأمر الله، فمن اتقاه في عمل تقبله منه، وإن كان عاصيًا في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعًا في غيره»^(١). اهـ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنه لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

سابعًا: ولاية الله تعالى بالتقوى، فإنه بالتقوى تنال ولاية الله، فمن اتقى الله فلا خوف عليه فيما يستقبل، ولا حزن ولا أسف على ما

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٢/١٠).

مضى، فإنه سبحانه يعوضه خيراً مما فاته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

ثامناً: تيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]؛ أي: من اتقى الله يسر الله له الأمور، وسهل عليه كل أمر عسير.

تاسعاً: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

عاشراً: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُنْقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿وَنُجِّىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٦١] ثُمَّ نُجِّىَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [٧٢] [مريم].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



تحريم الغناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان].

صح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما فسرا ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾: بالغناء، وحلف ابن مسعود ثلاث مرات، فقال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾: هُوَ الْغِنَاءُ»^(١).

وقال أيضاً: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله معلقاً على تفسير ابن مسعود وغيره للآية السابقة بأن المراد بها الغناء: فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه فعلتهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وُجد إليه سبيل^(٣).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن

(١) تفسير ابن كثير (٤٦/١١) طبع وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢) إغاثة اللفهان (١/٣٥٩).

(٣) إغاثة اللفهان (١/٣٦٨).

النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْجِرَّ»^(١) وَالْحَرِيرَ وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ^(٢) يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ^(٣) لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا عَدَا، فَيَبِيئُهُمُ اللَّهُ^(٤) لَيْلًا، وَيَضَعُ الْعِلْمَ^(٥) عَلَيْهِمْ، وَيَمْسُحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٦).

فهذا الحديث يخبر عن أمر عظيم، وهو إهلاك بعض الأمة بأنواع من الهلاك، بسبب ما يرتكبون من الأمور ظاهرة التحريم، ومنها استحلالهم لآلات الملاهي المحرمة شرعاً، وهي في وقتنا المعاصر مثل: الكمنجا، والعود، والطبل، والبيانو، والربابة، والمزمار، وغيرها من المعازف، ودلالة الحديث على التحريم من وجهين:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «يَسْتَحِلُّونَ» أي يصيرونها حلالاً بعد حرمتها، ففيه التصريح بأن المذكورات في الحديث محرمة، ومنها المعازف.

الثاني: قرن المعازف مع الشيء المقطوع بحرمة بإجماع المسلمين، وهو الزنا وشرب الخمر، ولبس الحرير، وهو دليل على حرمتها.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْحٌ»، فقال رجل من المسلمين: متى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ»^(٧).

(١) الحر: أي الزنا.

(٢) علم: أي جبل.

(٣) بسارحة: أي ماشية لهم.

(٤) فبيئتهم الله: أي يهلكهم ليلاً.

(٥) يضع العلم: أي يسقط الجبل عليهم.

(٦) برقم (٥٥٩٠).

(٧) برقم (٢٢١٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٤٢) برقم

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد توعد الله سبحانه مستحلي المعازف بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسحهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسط في الذم والوعيد». اهـ^(١).
قال الشاعر:

فهذا الحقُّ ليس به خفاء فدعني عن بُنيّات الطّريق

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ما خلاصته: «وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقاد أن الرسول حرمها كانوا كفارًا، ولم يكونوا من أمته»^(٢). اهـ.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على تحريم المعازف، ولو أتلّفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف، بل يحرم عندهم اتخاذها. ولما سئل الإمام مالك عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ قال: إنما يفعله عندنا الفساق^(٣).

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عنه قال: «الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»^(٤).

وأما مذهب أبي حنيفة، فهو من أشد المذاهب، فقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقصب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق وتُرد به الشهادة^(٥).

وقد انتشر الغناء وللأسف في مجتمعنا، فالأغاني في التلفاز والقنوات الفضائية والمسجل والراديو، وغيرها من آلات اللهو.

قال يزيد بن الوليد: «إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢٨٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٤٧٨). (٣) إغاثة اللهفان (١/٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (١/٣٤٨). (٥) إغاثة اللهفان (١/٣٤٥).

الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر. وقال: فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا، أو رقية الزنا»^(١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرَّق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه، ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطي الليان، فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع من البلايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وكم خبأ لأهله من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلية؟!»^(٢).

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فدع صاحب المزمار والدف والغنا ودعه يعيش في غيه وضلاله
وما اختاره عن طاعة الله مذهبًا
وعلى تآتينا يحيا ويُبعث أشيبا
وفي تَنَتِنَا يَوْمَ المَعَادِ نَجَاتُهُ
إلى الجنة الحمراء يُدعى مُقْرَبًا
سيعلم يوم العرض أَيُّ بَضَاعَةٍ
أضَاعَ وعند الوزنِ مَا خَفَّ أَوْ رَبَا
ويعلم ما قد كان فيه حياته
إذا حُصِّلَتْ أعماله كلها هَبَا

ومما تقدم من الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، وأقوال أهل العلم، يتبين تحريم الغناء، وأنه من كبائر الذنوب، فيجب على

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٥).

(٢) إغاثة اللهفان من وساوس الشيطان (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

المؤمن أن ينأى بنفسه عنه، فإنه لا يجتمع كلام الرحمن، ومزمار الشيطان في قلب امرئ أبداً.

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسميه أصحاب التسجيلات «الأناشيد الإسلامية»، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «تحريم آلات اللهو، بعد أن ذكر الأدلة على تحريم الغناء: «ويتبين أنه لا يجوز التقرب إلى الله إلا بما شرع، فكيف يجوز التقرب إليه بما حرم، وأنه من أجل ذلك حرم العلماء الغناء الصوفي، واشتد إنكارهم على مستحله، فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأصول القوية، تبين له بكل وضوح أنه لا فرق في الحكم بين الغناء الصوفي، والأناشيد الدينية، بل قد تكون في هذه آفة أخرى، وهي أنها قد تلحن على ألحان الأغاني الماجنة، وتوقع على القوائين الموسيقية الشرقية أو الغربية التي تطرب السامعين وترقصهم، وتخرجهم عن طورهم، فيكون المقصود هو اللحن والطرب، وليس النشيد بالذات، وهذه مخالفة جديدة، وهي التشبه بالكفار والمجان، وقد ينتج من وراء ذلك مخالفة أخرى، وهي التشبه بهم في إعراضهم عن القرآن، وهجرهم إياه، فيدخلون في عموم شكوى النبي ﷺ من قومه كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والثمانون

تحريم الزنا وأسبابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴿٦٦﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ ﴿٧﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ ﴿٣٢﴾ [الإسراء].

فالآيات السابقة بين الله فيها أن من صفات عباده المؤمنين عدم الإشراف به، وعدم قتل النفس المحرمة، وأنهم يحفظون فروجهم عن الفواحش، وحذر من أنه من يقدم على هذه الفواحش فإن مصيره الخلود في العذاب المضاعف المهين، ما لم يرفع ذلك بالإيمان، والعمل الصالح، والتوبة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُا إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ ﴿٧١﴾ [الفرقان].

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، فقد قرنه الله بالشرك، وقتل النفس، لما فيه من إضاعة الأنساب، وانتهاك الحرمات، وإشعال العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك خراب للعالم، ولهذا كان الزاني المحصن من الثلاثة الذين أحل الله دماءهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١). وقد توعدده النبي ﷺ حين قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»^(٣).

وفي صحيح البخاري، في حديث النبي ﷺ الطويل، وفيه: جاء جبريل وميكائيل إلى النبي ﷺ قال: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ. قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا (أَي: صَاحُوا مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ). فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ، وَالزَّوَانِي»^(٤).

(١) البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٨٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

(٣) برقم (٤٦٩٠) وقال الذهبي في كتاب الكبائر (ص ٦٠): هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم.

(٤) برقم (٧٠٤٧).

ولذلك أخذ النبي ﷺ البيعة من أصحابه على أن لا يقعوا في هذه الفاحشة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا»^(١) الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «ولا أعلم بعد قتل النفس ذنبًا أعظم من الزنا»، وقال المنذري رَحِمَهُ اللهُ: «صح أن مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن، ولا شك أن الزنا أشد، وأعظم من شرب الخمر».

ولما حرم الله الزنا حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها: أولاً: إطلاق البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، والنظر يكون في الأسواق، والأماكن العامة، وعبر شاشات القنوات الفضائية، والمجلات الهابطة، والتلفاز، وغيره.

ثانياً: خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وهذا التبرج باب عظيم يؤدي إلى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثالثاً: دخول الرجال الأجانب على المرأة، وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها، وأقارب أبويها، فإنهم يترددون غالباً، وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم، روى البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٢)، والحمو هو قريب الزوج.

(١) البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

رابعًا: ما يحدث من بعض المجتمعات الإسلامية من إقامة الحد على الضعيف، وتركه عن القوي، فإن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا، وهذا الذي فعله بنو إسرائيل، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ»^(١).

خامسًا: تأخير من بلغ من الشباب، والشابات عن الزواج، فإنه بمجرد بلوغه تشتد عنده الشهوة، فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئها به، فربما يلجأ إلى الحرام الذي يجلب له العار في الدنيا، والخزي في الآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(٣).

سادسًا: انتشار آلات اللهو، والفساد في البيوت، فالغناء هو بريد الزنا، والأفلام الخليعة التي تحكي الغرام بين الرجل والمرأة، عبر القنوات الفضائية الفاضحة، أو المواقع الإباحية في الإنترنت، أو مقاطع البلوتوث التي أساء استخدامها بعض الشباب، وصاروا يتداولون فيها الصور العارية كل ذلك مما يدعو إلى الفاحشة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

(٢) البخاري برقم (٥٠٦٦)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

(٣) سبق تخريجه.

سابعاً: انحراف بعض الرجال، وخيانتهم لزوجاتهم بمعاشرة النساء الأجنبية على غير الوجه الشرعي، فيكون هذا مدعاة لأن تقابل الزوجة زوجها بمثل ما قابلها به، وفي هذا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يا هاتكاً حُرِّمَ الرجال وتابعاً طُرُقَ الْفَسَادِ عَشَّتْ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لو كنت حُرّاً من سُلالَةٍ ماجِدٍ ما كُنْتَ هَتَاكاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
من يَزنٍ في قومٍ بِألفي دِرْهَمٍ في أهله يُزْنَى بِربَعِ الدَرَهَمِ
إن الزنا دَيْنٌ فإن أقرضتَهُ كانَ الوفاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فاعْلَمِ

وهذا الزوج الفاسق هو الذي سن هذه السيئة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان له وزرها، ووزر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (١).

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسمى بجوال الكاميرا، وكم حدثت مفاسد منه، فكم من نساء محصنات غافلات صورن فيه، وكم من أعراض انتهكت عن طريقه، كم هدم من بيوت، وشتت من أسر، وجلب من مآسٍ؟! فينبغي للمؤمن أن يحذّر أهله منه، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين (٣).



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٧).

(٢) البخاري برقم (٢٥٥٤)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد حفظه الله.

الاستخارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري، والترمذي، والنسائي من حديث جابر رضي عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ، وَيُسَمِّيهِ - شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»^(١).

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على دعاء الاستخارة: «أن المراد هو حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع، ولا أنجح من

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٨٢)، وسنن الترمذي برقم (٤٨٠)، والنسائي برقم (٣٢٥٣).

الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مالا وحالا»^(١).

وقال بعض أهل العلم: يجوز تكرارها - أي الاستخارة - في الأمر الواحد، وممن ذهب إلى جواز ذلك الحافظ العراقي، ومال إلى ذلك الشوكاني في النيل، فقال: قد يستدل للتكرار بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا، دَعَا ثَلَاثًا، حديث صحيح. هذا وإن كان المراد به تكرار الدعاء في الوقت الواحد، فإن الدعاء الذي تسن الصلاة له تكرر الصلاة له، كالاستسقاء^(٢). اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم»^(٣). اهـ.

قال الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني: إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرح نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح نفسه. وقال: وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس^(٤). اهـ.

تنبيه: الاستخارة تكون في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، سواء كان مترددًا فيه أم جازمًا، وليس كما يظن البعض أن الاستخارة في الأمر الذي يتردد فيه، لأن الاستخارة طلب التوفيق، والنتائج لا يعلمها إلا الله، وكم من أمر ظن صاحبه أن فيه خيرًا فكان فيه هلاكه، وكم من أمر ظن

(١) فتح الباري (١١/١٨٦).

(٢) نيل الأوطار (٢/٩٠).

(٣) الكلم الطيب لابن تيمية (ص ٧١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٩/٢٠٦).

صاحبه أن فيه سرًّا، فكان فيه نجاته؟! وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن فوائد الاستخارة وثمراتها:

أولاً: إنها دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷻ، وتوكله عليه في سائر أحواله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِنْ تَقْوَمٍ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ [الشعراء].

ثانياً: الاستخارة تزيد ثواب المرء، وتقربه من ربه، وذلك لما تتضمنه من الصلاة والدعاء، وفي الحديث: قلت: فما الصلاة يا رسول الله؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ»^(١).

ثالثاً: في الاستخارة مخرج من الحيرة والشك، وهي مدعاة للطمأنينة وراحة البال، لأن العبد يفوض أمره إلى ربه الذي أزمه الأمور بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

رابعاً: حصول الخير ودفع الشر؛ لأن ما يختاره الله لعبده أفضل مما يختاره العبد لنفسه؛ لأنه سبحانه هو العالم بمصالح عباده، العالم بغيبات الأمور.

خامساً: حصول البركة في الأمر الذي سيقدم عليه، والبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وفي حديث الاستخارة

(١) جزء من حديث في مسند الطيالسي (١/٦٥) برقم (٤٧٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ (٣٨٧٠).



السابق: «وَبَارِكْ لِي فِيهِ».

سادساً: أن المرء قد يحتقر شيئاً لصغره، ويكون في فعله أو تركه ضرر عظيم، ولذلك شرعت الاستخارة في الأمور كلها^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نيل الأوطار للشوكاني (٢/٨٨) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية.

الكلمة الثامنة والثمانون

وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكَاهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾﴾، قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم لما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم. قال ابن عباس: فاكهون: أي فرحون، وقال بعض المفسرين: أي في شغل مفكه للنفس ملذ لها من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك نكاح زوجاتهم الأبيكار من الحور العين في الجنة اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان، وحسن الأخلاق»^(١).

قوله تعالى: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي في ظلال الأشجار على السرر المزينة باللباس المزخرف الفاخر الحسن، متكئون عليها اتكاءً يدل على كمال الراحة، والطمأنينة، واللذة.

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩)، وتفسير ابن سعدي (ص ٨١٩).

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٥٧) أي فاكهة كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون: أي يطلبون فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧١) [الزخرف].

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكدته بقوله: ﴿قَوْلًا﴾، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك الرب العظيم الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته الذين أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، وألا تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور لحصل ذلك، فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم (١). اهـ.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن في الجنة أزواجاً مطهرة يتلذذ الإنسان ويتمتع بهن مع الجلوس على الأرائك، والاتكاء عليها، وتقديم الفواكه من الولدان والخدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: «مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبزاق، والمني، والولد».

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظُّرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٥٦) [الرحمن]، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالْجَمَاعِ، وَالشَّهْوَةِ»^(٢). فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ».

قال الشاعر:

وَجَنَاتُ عَدْنٍ زُخِرْفَتْ ثُمَّ أزلِفَتْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهَوْنَهُ
لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلُ
وَقُرَّةٌ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بآخَرَ بَدَّلُوا

ثانيًا: إن في الجنة أنهارًا وفواكه، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافًا عظيمًا، لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة]. قال ابن عباس: «لَا يُشْبَهُ شَيْءٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي

(١) البخاري برقم (٢٧٩٦)، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤) وقال محققوه: حديث صحيح.

الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءَ». روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)» (١).

ثالثاً: إثبات كلام الرب تعالى لأهل الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحييتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام. أي: يوم يسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس]» (٢).

رابعاً: أن رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في الجنة، ورضاه عنهم أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب الرومي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تعالى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ صلى الله عليه وسلم»، زاد في رواية: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا

(١) البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٣) برقم (١٨١).

(٢) تفسير ابن كثير (١١/١٨٤).

رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

خامسًا: أن أهل الجنة كلما طلبوا شيئًا وتمنوه أدركوه، روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَحْذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْحَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبًّا!! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ»^(٢).

قال: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩).

(٢) برقم (١٨٩).

الكلمة التاسعة والثمانون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ [الطور].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن فضله، وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع ناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله، ومنزلته للتساوي بينه، وبين ذلك. اهـ (١).

قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾ الْآيَةَ (٢).

قال ابن كثير: وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء،

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» ^(١) ^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» ^(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ^(٢١) [الطور]؛ لما أخبر تعالى عن مقام الفضل، ورفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر تعالى عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، فقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ^(٢١) أي: مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ ^(٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ ^(٣٩) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُوْنَ ^(٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ ^(٤١) [المدثر].

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها قيدت إلحاق ذرية المؤمن إلى درجته في الجنة بالإيمان، أما إذا كانت على غير الإيمان، فإنها لا تنتفع بصلاح الآباء، والأبناء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

(١) المصدر السابق (١٣/٢٣٢).

(٢) (١٦/٣٥٦ - ٣٥٧) برقم (١٠٦١٠)، وقال محققوه: إسناده حسن، وقال ابن كثير في تفسيره (١٣/٢٣٢): إسناده صحيح.

(٣) برقم (١٦٣١).

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٨﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر].

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ^(١)، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيَلْقَى فِي النَّارِ»^(٢).

ثانياً: إن فضل الله واسع، وهو سبحانه لا ينقص المؤمن من عمله شيئاً، بل يضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [١١٢] [طه]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثالثاً: عدل الله ﷻ، فهو لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

(١) الذبيح: هو الضبع الذكر وقد تلطخ بالنجاسة.

(٢) برقم (٣٣٥٠).



﴿ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا نُزِرُ وَإِرَّةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ [النجم].

رابعًا: أن هذه الآية الكريمة من البشائر العظيمة التي يفرح بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس].

خامسًا: الاهتمام بتربية الأبناء تربية إسلامية، كتعليمهم العبادات، وحثهم عليها، وإلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، وتجنبيهم المحرمات، والمنكرات، وتحذيرهم منها، والدعاء لهم بالصلاح والهداية، حتى ينتفع بهم أبائهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان]، روى الإمام أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.



الكلمة التسعون

الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنوب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجاً إلى التوبة، والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد ﷺ يستغفر الله في جميع الأحوال»^(٣). اهـ.

(١) برقم (٢٧٠٢).

(٢) برقم (١٥١٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٢).

(٣) التحفة العراقية (٧٩/١).

وقد أمر الله نبيه والمؤمنين بالاستغفار، ووعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٦) [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ (١٩) [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) [المزمل].

والاستغفار يكون للنفس وللغير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

ولا يجوز الاستغفار للمشرك، ولو كان حبيبا، أو قريبا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ صَحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، وَبَكَى، وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا

الْقُبُورِ، فَإِنَّهَا تُدَكَّرُ الْمَوْتِ» (١).

كما بين سبحانه أن الاستغفار لهم لا ينفعهم، ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وصيغ الاستغفار كثيرة، وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك ما رواه أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه مولى النبي ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ» (٢).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (٣).

ومن أفضلها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ

(١) برقم (٩٧٦).

(٢) برقم (١٥١٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٣) برقم (٥٩١).

مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والاستغفار يشرع في أي وقت، ويجب عند فعل الذنب الإقلاع عنه، والاستغفار منه، ويستحب بعد الأعمال الصالحة؛ ليجبر ما كان فيها من تقصير، كالاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة، كما مر، والاستغفار في الحج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

ومن أفضل أوقات الاستغفار وقت السحر، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ فَغُفِرَ ۗ وَالَّذِينَ إِذَا مَا فَعَلُوا وَعَلَىٰ مَا فَعَلُوا هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران].

قال الفضيل بن عياض: استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين. ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

والاستغفار سبب لنزول المطر، والإمداد بالأموال، والبنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [١٠] ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [١١] ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [١٢] ﴿[نوح]، والاستغفار سبب لدفع البلاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٣٣] ﴿[الأنفال: ٣٣] قال علي رضي الله عنه: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

وقال أبو موسى: «كَانَ لَنَا أَمَانَانِ، ذَهَبَ أَحَدُهُمَا،

وَهُوَ كَوْنُ الرَّسُولِ ﷺ فِيْنَا، وَبَقِيَ الْإِسْتِغْفَارُ مَعْنَا، فَإِنْ ذَهَبَ هَلَكْنَا» (١).

والاستغفار سبب لنزول الرحمة، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ سَتَعِجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل].

والاستغفار كفارة للمجلس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا عُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التوبة إلى الله، للغزالي (ص ١٢٤).

(٢) برقم (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٣) برقم (٢٧٣٠).

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى: العزیز، قال القرطبي: «العزیزُ معناه المنيعُ، الَّذِي لَا يُنَالُ، وَلَا يُغَالَبُ»^(٣)، وقال ابن كثير: العزیزُ: الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ فَقَهَرَهُ، وَغَلَبَ الْأَشْيَاءَ فَلَا يُنَالُ جَنَابُهُ لِعِزَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَجَبْرُوتِهِ، وَكِبْرِيَاءِهِ»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: العزة متضمنة لأنواع ثلاثة:

- ١ - عزة القوة، الدال عليها من أسمائه القوي المتين.
- ٢ - عزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع

(١) البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) برقم (٧٣٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٣١ / ٢) نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى.

(٤) تفسير ابن كثير (٤٥٦ / ٢) (٦ / ٣).

المعطي المانع.

٣ - عزة القهر، والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، لا يتحرك منها متحرك إلا بحوله، وقوته^(١)، وقال بعضهم: ذكر العزيز في القرآن في اثنتين وتسعين مرة^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ، وأن من أسمائه: العزيز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يُعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأن معناه أن ربه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاؤوا، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحاً جلياً، فمن ذلك قصة موسى ﷺ، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي يتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزيز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى ﷺ، وتربى في قصر فرعون، وفي بيته، وتحت رعايته، ولما حاول قتله أهلكه الله، وقائده هامان، وجنوده أجمعين، وغيرها من القصص^(٣).

ثانياً: أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٣٤ - ٤٣٥) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٧ / ٢٨٢١ - ٢٨٢٢).

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للنجدي (١ / ١٣٦).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١ / ١٣٨).

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل عمران]، فمن طلب العزة فيطلبها من رب العزة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي من أحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعًا، وقد ذم الله أقوامًا طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظنًا منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنَعُونَ لَهُمْ عِزَّةَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ أَرْسَلْنَا اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [النساء].

ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم.

قال فخر الدين الرازي: «وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل، وكان أشد عزة، وأكمل رفعة»^(١).

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال النبي ﷺ: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَهَمَّا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ»^(٣)، وكان من دعاء السلف:

(١) شرح الأسماء (ص ١٩٦) نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (١٤٠/١).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٠٥/١٨) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه الشيخ عبدالسلام علوش: إسناده صحيح.

«اللَّهُمَّ اعِزَّنَا بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنَا بِمَعْصِيَتِكَ» (١).

فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «وَجَعَلَ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» (٢).

ثالثاً: سؤال الله تعالى، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعُ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرًّا» (٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (٤).

رابعاً: من أسباب العزة والرفعة العفو والتواضع، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (٥). فمن عفا عن شيء مع مقدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

خامساً: أن ما أصاب المسلمين من ضعف، وذل وهوان، وتخلف عن بقية الأمم في هذه الأزمنة، إنما هو بسبب المعاصي والذنوب،

(٢) سبق تخريجه.

(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) برقم (٣٥٨٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم (٢٨٣٨) وأصله في صحيح مسلم.

(٤) جزء من حديث البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

(٥) برقم (٢٥٨٦).

والبعد عن دين الله تعالى، ولو أنهم تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به لأعزهم الله، ونصرهم على الأعداء، ولأصبحوا سادة العالم، وقادة الشعوب، كما حصل للصحابة رضي الله عنهم، فقد وصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرْفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَالْجِزْيَةُ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (١٥٥/٢٨) برقم (١٦٩٥٧) وقال محققوه: إسناده صحيح.

الكلمة الثانية والتسعون

شكر النعم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا لا تعد، ولا تحصى، بل هي متتابعة، بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل].

ومن أعظم هذه النعم الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والعبد دائماً بين نعمة من الله تحتاج إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، إلى آخر ما قال»^(١).

(١) التحفة العراقية (١/ ٧٩).

ومن هذه النعم على سبيل المثال: نعمة السمع، والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٨] [النحل].

ومنها نعمة الأمن في الأوطان، فإن حاجة الناس إلى الأمن أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فقد قدمه إبراهيم عليه السلام على الرزق، فقال الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ولأن الناس لا يهناون بطعام ولا شراب مع الخوف، قال تعالى ممتنًا على قريش بهذه النعمة: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ [٣] الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش]. وغير ذلك من النعم التي لا يستطيع حصرها، ولا الإحاطة ببعضها، وصدق الله إذ قال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه النعم بلا شك تحتاج إلى شكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِيَنَّ شِكْرَكُمُ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيَنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٧] [إبراهيم]. ومن الأسباب المعينة على شكر النعم:

أولاً: التأمل في نعم الله، واستحضارها في كل لحظة وحين، وعدم الغفلة عنها، فإن كثيراً من الناس يتنعمون بشتى أنواع النعم من مآكل، ومشارب، ومراكب، ومساكن، ومع ذلك لا يستشعرون هذه النعم، لأنهم لم يفقدوها يوماً من الأيام، واعتادوا عليها، لذلك فإن الله يريد منا التأمل في هذه النعم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوْفِكُمْ ﴾ [٣] [فاطر].

ثانياً: أن ينظر كل واحد منا إلى من هو أسفل منه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلى

مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(١)، وفي رواية: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ، وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ»^(٢).

قال ابن جرير: «هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْعَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ»^(٣). اهـ.

ثالثاً: أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يسأله يوم القيامة عن شكر هذه النعم، هل قام بذلك أو قصر؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحِّ لَكَ جِسْمَكَ، وَأُرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٤)، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسْوَدَكَ»^(٥)، وَأُرَوِّجَكَ، وَأَسَحَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ، وَتَرَبَّعَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفَطَنَنْتَ أَنَّكَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي (٩٧/٦).

(٤) مستدرک الحاكم (١٩١/٥) برقم (٧٢٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٧٦/٢) برقم (٥٣٩).

(٥) أي أجعلك سيِّداً على غيرك.

مُلاقيٍّ؟ فيقول: لا. فيقول: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٢).

رابعاً: شكر هذه النعم بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١٣) [لقمان]، وقال أيضاً: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١٤) [سبأ]؛ فاستمرار هذه النعم بالشكر بأنواعه الثلاثة، وذهابها بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١٥) [النحل].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرُ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(٣).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيلُ النِّعَمَ
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ فَارْبُ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٢) برقم (٢٤١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

الكلمة الثالثة والتسعون

الورع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع، ورغب فيها: الورع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَأَمَّا الْوَرَعُ فَإِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا قَدْ يَضُرُّ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْمُحَرَّمَاتُ وَالشُّبُهَاتُ، لِأَنَّهَا قَدْ تَضُرُّ، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الورع ترك ما يضر، ومن ذلك ترك الأشياء المشتبه في حكمها، والمشتبه في حقيقتها، فالأول اشتباه في الحكم هل هو حرام أو حلال؟ والثاني اشتباه في الحال، فالإنسان الورع هو الذي إذا اشتبه الأمر عليه تركه إن كان اشتبهاً في تحريمه، وفعله إن كان اشتبهاً في وجوبه لئلا يآثم بالترك»^(٢) أهد. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/٤٨٥ - ٤٨٦).

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمْ الْوَرَعُ»^(٢).

وروى النسائي من حديث الحسن بن علي قال: حَفِظْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث النّوأس بن سمعان قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(٤).

والورع بابه واسع يشمل الورع في النظر، والسمع، واللسان، والبطن، والفرج، والبيع، والشراء، وغير ذلك. ويكثر وقوع كثير من الناس في المحرمات والشبهات، بسبب تخلف هذه الأمور الثلاثة: الورع في اللسان، والبطن، والنظر، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣٦) [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٩) [غافر]. قال الإمام أحمد بن حنبل:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) (٢٨٣/١) برقم (٣٢٠) وقال محققه: الحديث عندي أنه حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٢١٤).

(٣) برقم (٥٧١١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١١٥٣) برقم (٥٢٦٩).

(٤) برقم (٢٥٥٣).

«هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيلحقها بصره»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢)، ومعنى «مَا يَتَبَيَّنُ» أي: ما يتفكر فيها، ولا يتأملها هل هي خير أو شر؟

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْهَا، فَقَالَتْ: «أَحْمِي سَمْعِي، وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا»، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ»^(٣).

وقال وهيب بن الورد، ولو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أو حرام.

وقد كان عليه الصلاة والسلام إمام الورعين، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْقُهَا»^(٤)؛ لأن الصدقة محرمة عليه، وعلى أهل بيته.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفتنون أثره صلى الله عليه وسلم، ويتبعون سنته، فروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ

(١) الورع للمروذي (ص ١١١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٠).

(٤) البخاري برقم (٢٤٣٢)، ومسلم برقم (١٠٧٠).

فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث نافع - يعني عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: «كَانَ فَرَضٌ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضٌ لِابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ. يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا»^(٣)، وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف»، وكان عمر بن عبد العزيز تسرج له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ أطفالها، وأسرج عليه سراجها، وقال لامرأته يوماً: «عندك درهم أشترى عنباً؟ قالت: لا. قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا، أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم. قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم».

وتقدم كلام الشيخ ابن عثيمين أن الاشتباه على نوعين: اشتباه في الحكم، فلا يدري المؤمن هل هو من الحلال البين؟ أو من الحرام البين؟ فهذا أمثلته كثيرة جداً، لأنها تختلف باختلاف أفهام العلماء، فمنهم من يرى التحريم، ومنهم من يرى الحل، وقد يمثل لذلك ببعض

(٢) برقم (٣٩١٢).

(١) برقم (٣٨٤٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٥٢/٨) برقم (١٤٦٨٣).

المعاملات، والمساهمات المالية المنتشرة في هذه الأيام^(١).

الثاني الاشتباه في الحال، وقد يمثل لذلك بالدجاج المستورد من الخارج، فبعض العلماء يرى جوازه؛ لأنه من طعام أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقد تبين لدى بعض طلبة العلم أن كثيراً من هذا الدجاج يذبح بالصعق الكهربائي، أو غيرها من طرق الذكاة غير الشرعية، وهذا من المشتبه حاله، فالورع تركه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن من تورع، وترك الشبهات، فإن الله يعوضه خيراً مما فاته، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «الأسهم المختلطة» للشيخ صالح العصيمي فقد أجاد فيه وأفاد.

(٢) سبق تخريجه.

الكلمة الرابعة والتسعون

علاج الهموم والغموم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن المؤمن لا تخلو حياته من الهموم والأحزان التي تكدر عليه عيشته، وتنغص عليه لذته، ومع ما في ذلك من تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، فإن فيها فوائد أخرى، من أهمها أنها تدفع المؤمن للجوء إلى الله، والانكسار بين يديه، والتضرع إليه، فيحصل بذلك للقلب من الراحة والطمأنينة، واستشعار القرب من الله ﷻ ما لا يمكن وصفه.

وأيضاً فإن هذه المنغصات تجعل المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ولا يركن إليها، ويقبل على الآخرة على بصيرة بأنها خير وأبقى، إذ لا هم فيها ولا حزن، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤) الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَمَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]، فما أعظم هذه الفائدة لمن عرف حكمة الله تعالى فيها! وهذه بعض الأسباب التي تُدفعُ بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب لمن أحسن استعمالها.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [النحل]، وهذا وعد من الله لمن آمن

وعمل صالحًا، أن الله يحييه حياة سعيدة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

ثانيًا: فرح المسلم بما يحصل له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، جزاء صبره واحتسابه على ما يصيبه من هموم الدنيا، ومصائبها.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «حَتَّى الْهَمُّ يُهْمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»^(٣)، وفي رواية أخرى لمسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»^(٤). فيعلم المسلم أن ما يصيبه من هموم، وغموم إنما هو تكفير لسيئاته، وتكثير لحسناته، قال أحد السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس»، وكان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها فانية، متاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة، لا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلاً، أبكت طويلاً، وإن سرت يسيرًا أحزنت كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فيوم لك، ويوم عليك، روى مسلم في

(١) برقم (٢٩٩٩).

(٢) البخاري برقم (٥٦٤٢).

(٣) برقم (٢٥٧٣).

(٤) برقم (٢٥٧٢).

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١)، وهي كذلك دار نصب، وأذى، وغم، وهم، ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقتها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالذَّوَابُّ»^(٢) فهذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا، يهون عليه المصائب، والهموم؛ لأنه يعلم أن ذلك من طبيعتها.

رابعًا: هموم الدنيا وغمومها تشتت النفس، وتفرق شملها، فإذا جعل العبد الآخرة همه جمع الله له شمله، وقويت عزيمته، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(٣).

خامسًا: الدعاء، فإنه علاج نافع لدفع الهم، والغم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الهم، والحزن. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ

(١) برقم (٢٩٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥١٢)، ومسلم برقم (٩٥٠).

(٣) برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٥١٦).

كثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعا، وعمل له، وانقلب همه فرحًا، وسرورًا.

سادسًا: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه من كل شيء مما يهمله من أمر الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم، والغموم، وزالت عنه كثيرٌ من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه...»^(٣) إلى آخر ما قال.

والأسباب كثيرة لمن تأملها، وقد اقتصرنا على الأهم منها، وجماع هذه الأسباب قراءة القرآن بتدبر، فإنه ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء الأحزان، وذهاب الهموم والغموم، والشفاء لجميع

(١) برقم (٢٨٩٣).

(٢) برقم (٥٠٩٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٩) برقم (٤٢٤٦).

(٣) الأسباب المفيدة في الحياة السعيدة، (ص ٢٤ - ٢٥).

الأمراض البدنية والقلبية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمن قرأ هذا القرآن بتدبر وإقبال، ذهب عنه الهموم والغموم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة الشيخ محمد المنجد: (علاج الهموم).

الكلمة الخامسة والتسعون

قصة نبي الله أيوب عليه السلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قصّ الله علينا في كتابه العزيز قصص الأنبياء والمرسلين، لنأخذ منها الدروس والعبر، ولتشبث فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوية إيمان المؤمنين، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ومن هؤلاء الرسل نبي الله أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ صَغْتًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: إن أيوب عليه السلام كان رجلاً كثير المال بأنواعه المتعددة، من الأراضي الواسعة، والأنعام والمواشي، وكان ذلك بأرض البثنية بأرض حوران بالشام، قال ابن عساكر: «كانت كلها له، فابتلاه الله بفقد ذلك كله، وابتلي بأنواع البلايا في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، وكان يذكر الله بهما، ويسبح ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأنيس، وعافه القريب والبعيد، ورمي في مزبلة خارج بلده، ولم يبق عنده سوى زوجته، كانت تحفظ حقه، وقديم إحسانه، وشفقته عليها، وكانت تعمل بالأجر عند الناس، وتأتيه بالطعام، مع صبرها على فراق المال والولد، ومرض الزوج بعد النعمة، والحرمة التي كانت فيها، فإنما لله وإنا إليه راجعون، وكما تقدم كانت تخدم الناس بالأجر، وتطعم أيوب عليه السلام، ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفاً من أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعته لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً، فلما كان من الغد لم تجد أحداً فباعته الضفيرة الأخرى بطعام، فأنته به فأنكره، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه: ﴿أَيُّ مَسْنَى الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾، فجاء الفرج من الله: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ﴿٤٢﴾ أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله عيناً باردة الماء، وأمره أن يغتسل فيها، ويشرب من مائها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك

صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال مطراً عظيماً، جراد من ذهب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَتَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»^(١).

وأخلف الله له أهله، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: عوضه الله عنهم في الدنيا بدلهم، وقيل غير ذلك، رحمة منا ورأفة وإحساناً وذكراً للعبادين^(٢).

ومن الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله أيوب عليه السلام:

أولاً: ابتلاء الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وأن هذا البلاء لم يزد إلا صبراً، واحتساباً، وحمداً، وشكراً، حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام، ويضرب المثل بما حصل له من أنواع البلاء. قال السدي: «تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم، والعصب»، روى أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبَثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ، وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ، وَيَرُوحَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعَلَّمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ

(٢) البداية والنهاية (١/٥٠٧ - ٥٠٩).

(١) برقم (٢٧٩).

يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرًا بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفَرُ عَنْهُمَا كِرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ...»^(١) الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

ثانيًا: أن يقال: يا أهل البلاء، يا من ابتليتكم في أموالكم، أو أولادكم، أو أنفسكم اصبروا، واحتسبوا، فإن العوض من الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه»^(٣).

قال الشاعر:

إِذَا بُلِيَتْ فَشِقُّ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ إِنْ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلَوَى هُوَ اللَّهُ

(١) (٢٩٩/٦) برقم (٣٦١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣ - ٥٤) برقم (١٧).

(٢) (٧٨/٣) برقم (١٤٨١) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) البداية، والنهاية (١/٥١٣).

إذا قَضَى اللهُ فاستسلم لِقُدْرَتِهِ مَا لَامِرِيَّ حِيلَةً فِيمَا قَضَى اللهُ

ثالثًا: أن من أصيب بمصيبة فصبر واحتسب واسترجع عوضه الله خيرًا مما فاته، كما حصل لأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوْفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ? ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

رابعًا: أن في هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهم، ولهن في ذلك قدوة امرأة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف صبرت واحتسبت حتى كشف عن زوجها الغمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَضْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لِأَمْرُتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِرِجْلِهَا مِنْ عِظْمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»^(٢)، وفي رواية: أن امرأة قالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ قَرَحَةً فَلَحَسَتْهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ»^(٣).

خامسًا: أن الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجًا ومخرجًا، فإن أيوب حلف أن يضرب امرأته مئة سوط، قال ابن كثير: «فلما عافاه الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفتاه أن يأخذ الضغث، وهو شمراخ النخل، فيضربها ضربة

(١) برقم (٩١٨).

(٢) جزء من حديث (٦٥/٢٠) برقم (١٢٦١٤)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٤١٥٢).

واحدة، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمئة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصّديقة البارة الراشدة؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والتسعون

الأسباب الجالبة لمحبة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

وذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة: الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أُريد به، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أُنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد]، وقال عبد الله بن مسعود: «لَا تَنْشُرُوهُ كَنْثَرِ الدَّقْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قَفُّوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (١).

الثالث: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (٢).

الرابع: إيثار محابه على محابك، عند غلبة الهوى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) [التوبة]. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض

(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) واللفظ له.

ما يبغضه الله، ويوالي فيه، ويعادي فيه، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١)، وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»^(٢).

الخامس: مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٨٠) [الأعراف].

السادس: مشاهدة بره، وإحسانه، ونعمه الظاهرة، والباطنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ﴾^(٥٣) [النحل].

ومن أعظم هذه النعم: نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

السابع - وهو أعجبها -: انكسار القلب بين يديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل»، روى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس:

(١) البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢) برقم (٦٦٣٢).

أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ» فجمع في قوله ﷺ: «أَبَوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبَوْءُ بِذَنْبِي» بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والشكر لولي النعمة والإحسان، ومطالعة عيب النفس، والعمل، توجب الذل والانكسار والافتقار في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا، ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه، ويرى في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله ويتداركه برحمته^(١). اهـ.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يُنزَلُ رَبَّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٢).

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم، وعدم الكلام إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي عنه:

(١) انظر: الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧ - ٨).

(٢) البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

«لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ الثَّمَرِ»^(١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢).

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب سبحانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦١٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٧).

الكلمة السابعة والتسعون

حوض النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۗ ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ ٢ ﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿ ٣ ﴾ [الكوثر]، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكوثرُ الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» (٢).

وهذا الكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ» (٣)،

(٢) برقم (٦٥٨١).

(١) برقم (٦٥٧٨).

(٣) برقم (٢٣٠٠).

وفي رواية أخرى لمسلم: «يُعْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»^(١).

وهذا الحوض، وصفته ثبتت بطرق عن جمع من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر ذلك واستفاض، بل تواترت في كتب السنة من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، والحوض هو مجمع الماء.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْحَوْضَ حَقِيقِيٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا سَبَقَ، وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْحَوْضُ مَوْجُودٌ الْآنَ»^(٣) لما رواه البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيْتِ، ثُمَّ انصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»^(٥).

ولهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض^(٦). اهـ.

وأما في كيفية مائه، فإنه أشد بياضاً من اللبن، هذا اللون، أما في الطعم فإنه أحلى من العسل، وفي الرائحة أطيب من المسك.

روى مسلم من حديث أبي ذر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٥٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

(٤) البخاري برقم (٦٥٩٠)، ومسلم برقم (٢٢٩٦).

(٥) البخاري برقم (٦٥٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

قال: «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(١)، وفي رواية في الصحيحين: «وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»^(٢).

أَمَّا آنِيَّتُهُ فَعَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهَذَا وَرَدَ فِي بَعْضِ أَلْفَازِ الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣)، وَفِي بَعْضِهَا: «آنِيَّتُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ»^(٤)، وَهَذَا لَفْظٌ أَشْمَلٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالنُّجُومِ فِي الْعَدَدِ، وَفِي الْوَصْفِ بِالنُّورِ وَاللِّمْعَانِ، فَآنِيَّتُهُ كُنُجُومُ السَّمَاءِ كَثْرَةً، وَإِضَاءَةً، وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الصَّحِيحِ: «أَنَّ هَذِهِ الْأَبَارِيقَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِضَّةٍ»^(٥).

وَمَسَاحَةُ هَذَا الْحَوْضِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ: وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَدُورًا، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الْمَسَاحَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مَدُورًا، وَهَذِهِ الْمَسَافَةُ بِاعْتِبَارِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ الْمَعْتَادِ^(٦)، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «أَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ مِنْ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ»، وَعَمَّانُ بَلَدَةٌ بِالْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ، وَأَيْلَةُ بَلَدَةٌ بِطَرَفِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِنْ طَرَفِ الشَّامِ، وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ يَمْرُ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرٍ^(٧).

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ»، وَهُمَا قَرِيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٨)، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٣) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٣). (٦) شرح العقيدة الواسطية (١٥٩/٢).

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٠).

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٧)، صحيح مسلم برقم (٢٢٩٩).

أَيْلَةً وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ»^(١)، وفي أخرى: «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»^(٢).

وذكر بعض العلماء تأويلات لاختلاف هذه المسافات التي ذكرت في عرض الحوض وطوله.

منها أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، وقيل غير ذلك^(٣).

وزمن الورود على الحوض قبل العبور إلى الصراط، لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل العبور إلى الصراط، وقد رجح بعض أهل العلم ذلك، ومن شرب من الحوض لم يظماً أبداً، لما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: «وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»^(٤).

أما أسباب الورود على الحوض، فمنها:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، والثبات على ذلك، والبعد عن البدع المحدثه في الدين وكبائر الذنوب، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ»^(٥).

(١) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) البخاري برقم (٦٥٩١)، ومسلم برقم (٢٢٩٨).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/٤٧٢).

(٤) البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) (١/٢٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٣٧).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا^(١).

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون للكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم^(٢). اهـ.

ثانياً: عدم إعانة الولاة الظلمة على ظلمهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة أن النبي ﷺ قال له: «أعاذك الله من إماراة السفهاء، قال: وما إماراة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا علي حوضي»^(٣).

ثالثاً: الصبر على ما يصيب المؤمن من نقص في الدنيا، واستئثار غيره بها، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣ - ٦٥٨٤، ٦٥٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٣٧).

(٣) (٣٣٢/٢٢) برقم (١٤٤٤١) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

قال لأصحابه الأنصار: «سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ» (١).

رابعاً: المحافظة على الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» (٢).

اللهم أوردنا حوض نبيك، واجعلنا من المتبعين لسنته، اللهم اسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً، اللهم احشRNA في زمرته، واجعلنا من أتباعه مع النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٣١٤٧)، ومسلم برقم (١٨٤٥).

(٢) برقم (٢٤٨).

الكلمة الثامنة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافى)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: «الشافى»، والشفاء يشمل شفاء الأبدان، وشفاء الصدور من الشبه والشهوات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضًا يقول: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٢).

وفي هذا الحديث طلب الشفاء من جميع الأمراض، وليس من ذاك المرض الذي أصيب به المريض، ويشرع للمسلم أن يقول: «يا

(١) البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١).

شافى اشفنى» فالله ﷻ يشفى من أمراض القلوب كالغل، والحسد، والشهوات، ويشفى من أمراض الأبدان، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً: أن الله تعالى هو الشافى، ولا شافى إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام].

ثانياً: أن الله تعالى هو الشافى، لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، وله أسباب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» (١).

ومن الأسباب التي جعلها الله شفاء:

الدعاء: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨١﴾ [البقرة]، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ» (٢).

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

(١) برقم (٥٦٧٨).

(٢) برقم (٣١٠٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٠) برقم (٢٦٦٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وكان النبي ﷺ يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله تعالى، كما كان يرقى نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»^(١)، «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ»^(٢).

ومنها العسل: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

ومنها الحبة السوداء: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»، قال ابن شهاب: «وَالسَّامُ الْمَوْتُ»^(٣).

ومنها الحمامة: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيْيَةِ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»^(٤).

ومنها ماء زمزم: روى ابن ماجه في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَاءُ زَمْزَمٍ لِمَا شُرِبَ لَهُ»^(٥)، وقد جربت أنا وغيري

(١) البخاري برقم (٥٧٤٥)، ومسلم برقم (٢١٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٢).

(٣) البخاري برقم (٥٦٨٨)، ومسلم برقم (٢٢١٥).

(٤) برقم (٥٦٨١).

(٥) برقم (٣٠٦٢) وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٦٠ - ٣٦١).

من الإستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً^(١). وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(٢).

ومنها ما أنزله الله ﷻ في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده.

ثالثاً: أن هذا الشفاء قد يتأخر لحكمة إلهية، رفعاً لدرجات المريض، وتكفيراً لسيئاته:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء]، ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عاماً ابتلاء من الله لنبيه، روى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ»^(٣).

ومما نبه عليه بعض أهل العلم أن بعض المرضى إذا أصيبوا بمرض تعلقت قلوبهم بالأسباب، كالمستشفيات، والأطباء، والواجب أن يكون

(١) زاد المعاد (٤/٣٦١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/١١٣) برقم (٩١١٢).

(٣) برقم (٢٤٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٨٧) برقم (١٩٦٠).

تعلق القلب بالذي أنزل الداء، ولا يرفعه إلا هو.

وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في غيبوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى، وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيبوبة، وقد شفاه الله، وهو حي يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان، وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناسًا من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله الشافي، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والتسعون

خطر الدش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن فتنة دخلت بيوت كثير من المسلمين، وحصل منها الكثير من الشرور والمفاسد، إنه الدش؛ والكلام عنها يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية، ثانياً: أقوال العلماء، ثالثاً: شبهات والجواب عنها، برنامج ستار أكاديمي وخطورته.

فمن تلك المخالفات ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصورة كريهة، كوضع

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم (١٨٥٢٤) وقال محققوه: حديث حسن بشواهده.

الللحية على رجل ناقص العقل، وتمثيل تعدد الزوجات على أنه خيانة زوجية، ولمز الصالحين، وأهل الخير، ونحو ذلك مما هو استهزاء صريح بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومنها: تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء على أنه لا حرمة فيه، عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور]. روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»^(١)، فكيف بمن يتعمد النظر في النساء الكاسيات العاريات، وهن بكامل زينتهن على شاشات القنوات الفضائية، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل زينتهن، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَلْتَابِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان]، وأكثر المفسرين كابن عباس، وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف على ذلك، روى البخاري في

صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١)، فأخبار النبي ﷺ على أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

ومنها: قتل الغيرة عند المسلمين، وكيف يرضى المسلم الغيور أن تجلس زوجته وبناته أمام شاشات القنوات الفضائية ينظرن إلى الشباب والشابات، وهم في أوضاع جنسية سيئة يندى لها الجبين، ويتفطر لها القلب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»^(٢)، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «شاع في هذه الأيام بين الناس ما يسمى بالدش، أو بأسماء أخرى، وأنه ينقل جميع ما يبث في العالم من أنواع الفتن والفساد، والعقائد الباطلة، والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبثه من الصور النسائية، ومجالس الخمر والفساد، وسائر أنواع الشر الموجود في الخارج، وثبت لدي أنه قد استعمله كثير من الناس، وأن آلاته تباع وتصنع في البلاد، فلهذا وجب علي التنبيه إلى خطورتها، ووجوب محاربتها والحذر منه، وتحريم استعماله، في البيوت وغيرها، وتحريم بيعه وشرائه، وصنعه أيضًا، لما في ذلك من الضرر العظيم، والفساد الكبير، والتعاون على الإثم والعدوان، ونشر الكفر والفساد بين المسلمين، والدعوة إلى ذلك بالقول والعمل إلى آخر ما قال»^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٧٤١٦)، ومسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ ابن باز (٣٩٩/٧).

يَسْتَرَعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى، والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله، لقول النبي ﷺ: «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^(٢)، وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال، فإنه قد مات وهو غاش لرعيته، وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا الدش الذي ركبه الإنسان قبل موته فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمن، وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم أن تخلف بعدك ما يكون إثماً عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدشوش فإن الواجب عليك أن تكسره؛ لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالباً، ولا يمكن بيعه؛ لأنك إذا بعته مكنت المشتري من استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إذا وهبته، فإنك معين على الإثم والعدوان، ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت، إلا بتكسير هذه الآلة «الدش» التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص، فاحذر يا أخي أن يأتيك الموت فجأة، وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، فإن إثمها ستبوء به، وسوف يجري عليك بعد موتك»^(٣).

ومن الشبهات قول بعضهم: «إنه يشاهد في هذا الدش البرامج الدينية، وأخبار العالم، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم وأفضل منه، وقد نصح الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها، وغيرها من البدائل الأخرى».

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٩٣)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

سئلت اللجنة الدائمة عن برنامج تعرضه إحدى القنوات الفضائية المسمى باستار أكاديمي، وما يشابهه من البرامج، وبعد دراسة الموضوع رأت اللجنة تحريم بث هذه البرامج، ومشاهدتها، وتمويلها، والمشاركة فيها، والاتصال عليها للتصويت، أو إظهار الإعجاب بها، وذلك لما اشتملت عليه تلك البرامج من استباحة للمحرمات المجمع على تحريمها والمجاهرة بها، ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: قال النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَارِفَ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٢).

وأي مجاهرة بالمحرمات والفواحش تفوق ما تبثه هذه البرامج، التي اشتملت على جملة من المنكرات العظيمة؟! من أهمها:

أولاً: الاختلاط بين الجنسين من الذكور والإناث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»^(٣).

فكيف بهذه البرامج التي تقوم فكرتها الرئيسية على خلط الجنسين من

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

(٣) البخاري برقم (١٨٦٢) ومسلم برقم (١٣٤١).

الذكور والإناث، وإزالة الحواجز فيما بينهم مع ما عليه الإناث من التبرج والسفور، وإظهار المفاتن مما يسبب الشر والبلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

ثانياً: الدعوة الصريحة للفاحشة، ووسائلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) [النور].

ثالثاً: الدعوة إلى إماتة الحياء، وقتل الغيرة في قلوب المسلمين بألفة ومشاهدة هذه المناظر التي تهيج الغرائز، وتبعد عن الأخلاق والفضائل، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» (١)، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدٍ؟! لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي» (٢).

ولا يكفي في ذلك أيها المسلم أن تترك المشاركة في هذه البرامج والنظر إليها، بل يجب عليك النصح والتذكير لمن تعلم أنه يشارك فيها بأي وجه من الوجوه، لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان (٣). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦١٢٠).

(٢) برقم (٦٨٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) رقم (٢٢٨٩٥)، وتاريخ ٨/٢/١٤٢٥ هـ.

الكلمة المئة

«فضل صلاة الفجر»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومن بين هذه النعم العظيمة: نعمة النوم التي امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٣] [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [١] [النبا]، فسكون العبد ساعات بالليل بعد حركة النهار المتواصلة مما يساعد على حياة المسلم وبقاء نمائه ونشاطه؛ ليؤدي وظائفه التي خلقه الله من أجلها، ومن بين هذه الوظائف: صلاة الفجر جماعة في المسجد، وهي صلاة فاضلة عظيمة.

وإليك أخي المسلم البشائر والفضائل العظيمة لمن أدى صلاة الفجر مع الجماعة:

أولاً: أنه في ذمة الله، أي في ضمان الله، وحفظه ورعايته في الدنيا والآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

ثانياً: أنها نجاة للعبد من النار، روى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن روية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثالثاً: أنها سبب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣).

رابعاً: شهادة الملائكة لهذه الصلاة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۗ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (٤).

خامساً: النور التام يوم القيامة، روى ابن ماجه في سننه من حديث سهل بن سعد الساعدي: أن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥).

سادساً: أنه يكتب له قيام ليلة، روى مسلم من حديث عثمان بن عفان: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ

(١) برقم (٦٥٧).

(٢) برقم (٦٣٤).

(٣) البخاري برقم (٥٧٤)، ومسلم برقم (٦٣٥).

(٤) البخاري برقم (٥٥٥)، ومسلم برقم (٦٣٢).

(٥) برقم (٧٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣٠) برقم (٦٣٣).

اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(١).

سابعاً: الأمن من النفاق، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَتَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»^(٣)، وقال ابن عمر: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي الْعِشَاءِ، وَفِي الْفَجْرِ، أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»^(٤).

ثامناً: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٥)، فإذا كانت سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها من أموال وقصور، وأنهار، وزوجات، وغير ذلك من الشهوات والملذات، فكيف إذن بصلاة الفجر!؟

تاسعاً: رؤية الله تعالى وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتسابق إليها المتسابقون، روى البخاري ومسلم من حديث جرير البجلي رضي عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ

(١) برقم (٦٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٣) جزء من حديث برقم (٦٥٤).

(٤) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٩٦). (٥) برقم (٧٢٥).

أَلَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [٣٩] ﴿١﴾.

عاشراً: أن المحافظ على صلاة الفجر من أطيب الناس عيشاً، وأنشطهم بدنًا، وأنعمهم قلبًا، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» (٢).

وقد وردت نصوص كثيرة فيها التحذير الشديد لمن تهاون في صلاة الفجر؛ فمن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٣).

قال بعض أهل العلم: «إن النبي ﷺ ما همَّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا، وجرمًا كبيرًا».

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال: ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ. قَالَ: «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ» (٤)، وحسب من كان كذلك خيبة وخسارة وشراً.

(١) البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) البخاري برقم (١١٤٢)، ومسلم برقم (٧٧٦).

(٣) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٤) البخاري برقم (١١٤٤) ومسلم برقم (٧٧٤).

ومنها أن المتخلف عن صلاة الفجر يعرض نفسه لعقوبة الله في قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) [مريم]، وفي صحيح البخاري قصة رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُثَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وسئلت اللجنة الدائمة برقم (٥١٣٠) عن شخص لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس فما حكم صلاته؟ وهل يؤثر على الصيام؟ فكان الجواب: تركه لصلاة الصبح من غير نوم ولا نسيان بل تكاسلاً عنها حتى تطلع الشمس كفر أكبر على الصحيح من أقوال العلماء، وعلى هذا القول صيامه غير صحيح. اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وواحد

السعادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل إنسان في هذه الحياة يسعى إلى السعادة، وهي مطلب حقيقي لجميع الناس، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والغني والفقير، كلهم يريدون السعادة ولكنهم يختلفون في نظرتهم لها، فمنهم من يراها في جمع المال والدرهم، وآخر يراها في الحصول على المناصب الرفيعة، وآخر يراها في الحصول على الشهادات العالية، ومنهم من يراها في غير ذلك.

والحق أن هذه الأمور جزء من السعادة، وليست السعادة كلها، فهي سعادة وقتية تزول بزوالها، فصاحب المال قد يفقد ماله، وصاحب المنصب قد يزاح من منصبه، بل إن هذا المال الذي هو عصب الحياة إذا لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله يكون وبالاً عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة].

قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيد
ليس السعيد الذي تسعده دنياه إن السعيد الذي ينجو من النار

كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالجَارُ الصَّالِحُ،
وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن
عمرو: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٢).

ووصفت هذه المرأة الصالحة في حديث آخر رواه أحمد في
مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النِّسَاءِ
خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي
نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(٣).

وذكر الشيخ السعدي رحمته الله أن من أسباب السعادة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) [النحل]، قال ابن عباس: الحياة الطيبة
هي الحياة السعيدة^(٤)، وهذه السعادة شعور يضعه الله في قلوب عباده
الصالحين وإن كانوا في ضيق الدنيا.

قال ابن القيم رحمته الله وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية رحمته الله: «ومع
ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم
عيشًا، وأنعمهم قلبًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا
الأرض، واشتد بنا الكرب، أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٢١). (٢) برقم (١٤٦٧).

(٣) (٣٨٣/١٢ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٤) تفسير ابن كثير (٣٥٢/٨).

ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من طيبها وريحها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»^(٢).

وقال أيضاً عندما قيل له: إن السلطان قد أمر بنفيك إلى قبرص أو قتلك، أو سجنك، فقال: «والله إن بي من الفرح والسرور ما لو قسم على أهل الشام لوسعهم، والله إنني كالغنم لا تنام إلا على صوف، إن نفيت إلى قبرص دعوت أهلها إلى الإسلام».

ويقول أحد السلف: «إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب»، ويقول آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف».

ثانياً: من أسباب السعادة الإيمان بقضاء الله وقدره، فإن الإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر، أحس براحة نفسية، وانشرح صدر بما وقع له، وإن كان مما يكره، فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن الديلمى عن أبي بن كعب أنه قال: «لو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْراً لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ فَلَوْ مُتَّ عَلَى

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨١).

غير هذا لَدَخَلَتِ النَّارَ»، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ بمثل ذلك^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

قال عمر رضي الله عنه: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر».

قال عبيد الله بن عتبة:

واصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمَحْتُومِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ثالثاً: ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور، وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكير فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلية مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا

(١) برقم (٤٦٩٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/١٩٠) برقم (٣٩٣٢).

(٢) (٤/٤٠٩ - ٤١٠) برقم (٢٦٦٩) وقال محققوه: إسناده قوي.

السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك؛ إذا فعل ذلك اطمأن قلبه، وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه (١).

رابعاً: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فإن له سرّاً عجيباً، في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وذكر ابن القيم مئة فائدة للذكر. منها: أن الذكر يطرد الهم والحزن، ويجلب الفرح والسرور وطيب العيش.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد].

خامساً: القناعة برزق الله، فإن من قنع بما قسم الله سبحانه له انشرح صدره، وارتاحت نفسه، روى مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (٢).

سادساً: أن يعلم المؤمن علم اليقين أن السعادة الحقيقية في الآخرة، وأن الدنيا دار المصائب والنكد والأحزان، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد].

وقال تعالى حاكياً عن أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الزمر] الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ

(١) الأسباب المفيدة للحياة السعيدة للشيخ السعدي (ص ٢٠).

(٢) برقم (١٠٥٤).

قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١).

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: متى يرتاح المؤمن؟ قال: أول ما يضع قدمه في الجنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فتنة الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر النبي ﷺ أمته منها في آخر الزمان فتنة الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنِّي أُنذِرُكُمْ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمُهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١).

قال الإمام السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «وينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، لا سيما في زماننا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنن فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٢).

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، وردت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون،

(١) البخاري برقم (٦١٧٥)، ومسلم برقم (١٦٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٠٦ - ١٠٧).

فلا يفتنون به. ومن صفاته أنه رجل أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، ممسوح العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، أي لحمية تنبت في مقدمة العين، ومكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤها كل مسلم، كاتب أو غير كاتب، وهو عقيم لا يولد له.

ويخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، قال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة بها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالة الخضراء، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتقين، فيفر الناس منه إلى الجبال، ويسرون في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله، إلا مكة والمدينة، فقد حرم الله عليه دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما^(١).

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم، وذلك بسبب ما يجريه الله معه من الخوارق العظيمة، التي تبهر العقول، وتحير الألباب، فقد ورد أن معه جنة ونارًا، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض. ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث، استدبرته الرياح، إلى غير ذلك من الخوارق، كل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، محنة من الله واختبارًا، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن،

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٠٥/١٩) بتصرف.

وروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ، فَإِذَا أَدْرَكَنَّ أَحَدًا، فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلِيُغَمِّضَ ثُمَّ لِيُطَاطِئَ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنته، أتكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قلنا: يا رسول الله، وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَوْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرَبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزِكِ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ

إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيَحْدِثُهُمْ بَدْرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

أما الوقاية من فتنة الدجال، فقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، ومن ذلك:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانياً: التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

ثالثاً: معرفة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ التي بين فيها صفات الدجال، وزمن خروجه، ومكانه، وطريق النجاة منه، وقد ذكرت بعض ذلك، ومن أراد التوسع فليراجع النهاية لابن كثير، أو إتحاف الجماعة للشيخ التويجري، أو أشراف الساعة للشيخ الوابل، أو غيرها.

رابعاً: حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتمها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ

(٢) برقم (٥٨٨).

(١) برقم (٢٩٣٧).

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١)، وفي رواية: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»^(٢).

قال النووي: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وكذلك آخرها، قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾^(١٠٢) [الكهف]^(٣).

خامساً: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه، والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد أخبر النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال، روى أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيُنَأْ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، هَكَذَا قَالَ»^(٤).

نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٢) برقم (٨٠٩).

(١) برقم (٨٠٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٩٢ - ٩٣).

(٤) برقم (٤٣١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٤) برقم (٣٦٢٩).

الكلمة المئة وثلاثة

شرح اسم الله (الحكيم)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في كتابه: «الحكيم»، والمراد: «الحكيم في أفعاله وأقواله وقدره، فيضع الأشياء في محالها بحكمته وعدله» (٢).

وللحكيم معنيان: أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ

(١) برقم (٢٧٣٦) وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢).

الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿المائدة﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿الشورى﴾.

وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزاء مقرونة بالحكمة ومربوطة بها، فلم يخلق سبحانه شيئاً عبثاً، ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهاون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فما أعطى الله شيئاً إلا لحكمة، ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة، ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة، وما أمر الله بشيء إلا لحكمة، والحكمة في فعله والتزامه، ولا نهى عن شيء إلا لحكمة والحكمة في تركه واجتنابه. قال تعالى مقررًا هذه الصفة العظيمة صفة الحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾ ﴿المؤمنون﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾ [ص]، وللحكيم معنى ثالث وهو المحكم الذي أحكم كل شيء خلقه فما في خلق الرحمن من تفاوت ولا تناقض ولا خلل، صنع الله الذي أتقن كل شيء وليس في شرعه من تناقض ولا اختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء] (١).

قال بعضهم: ذكر الحكيم في أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيم والعليم، مما يدل على أن حكيمته صادرة عن عزة وعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١١٦﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (١/٨٦ - ٨٧).

دَرَجَتٍ مَن تَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام] وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، وما جاءت إلا لإسعاد البشرية، فليس هناك أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ [التين]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَا رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة].

ثانياً: أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ﴾ ﴿٥﴾ [القمر]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الحكمة: «وله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها»^(١).

ثالثاً: أن كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين، وقد وصف الله القرآن العظيم، وهو كلامه المنزل على نبيه محمد ﷺ بأنه حكيم ومحكم في ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿يَسَّ﴾ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ [يس].

(١) مدارج السالكين (١/٤٣٩).

فالقُرآن حكيم في أسلوبه الرائع، حكيم في تشريعاته، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في قصصه وأخباره، حكيم في كل ما اشتمل عليه.

رابعاً: أن الله يؤتي الحكمة من يشاء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتنوعت عبارات المفسرين في المراد بالحكمة، وقد اختصرها بعضهم بقوله: «يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً».

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

خامساً: خلق الله ﷻ محكم، لا خلل فيه ولا قصور، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

سادساً: أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته سبحانه: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨].

(١) البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦).

[الذاريات].

سابعًا: كراهة التكني بأبي الحكم، روى أبو داود في سننه من حديث هانئ بن يزيد: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩٥٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣٦/٣) برقم (٤١٤٥).

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١ - ٢٥٧).

الكلمة المئة وأربعة

نعمة الهداية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى عن الأعراب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات]، وقال تعالى ممتنّاً على نبيه بهذه النعمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد: أن النبي ﷺ قال للأَنْصَارِ: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟!»^(١). وامتن الله على أهل الجنة بهذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]. والهداية على قسمين:

١ - هداية الدلالة والإرشاد والبلاغ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

(١) صحح البخاري برقم (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦١).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ الشورى: ٥٢ ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢]. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمُرُ النعم»^(١).

٢ - هداية التوفيق لقبول الحق والإعانة عليه، وهي التي تفرد بها سبحانه فقال لنبيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٥١] ﴿ القصص ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [٩١] ﴿ يونس ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٣] ﴿ السجدة ﴾.

ومن أنواع الهداية:

أن يهدي الله العبد للقيام بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة مع الناس، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي أيوب: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَائِي وَذُنُوبِي كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي، وَأَخِينِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ومن أعظم أنواع الهداية أن يهدي الله العبد للقيام بالتوحيد، والبعد عن الشرك، فإن من قام بذلك نال الأمن في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦) واللفظ له.

(٢) (٥٧٨/٤ - ٥٧٩) برقم (٥٩٩٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير

برقم (١٢٦٦).

مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

وكان النبي ﷺ يسأل ربه الهداية، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى»^(١)، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأصحابه بالهداية، وأرشد أمته إلى ذلك، روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله أنه قال: لقد شكوت إليه - أي النبي ﷺ - أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَائْتِ بِهِمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال له: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى، هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث البراء بن عازب قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، حَتَّى وَارَى التُّرَابَ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(١) برقم (٢٧٢١).

(٢) البخاري برقم (٣٠٣٦)، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٣) البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤).

(٤) برقم (٢٧٢٥).

فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا
 إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»^(١)
 قال شيخ الإسلام: «والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله
 الصراط المستقيم، وهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة
 من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، وهذا الهدى لا
 يحصل إلا بهدى الله»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً،
 وقبل أوامره، وصدق بأخباره كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له
 على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ»^(٣)، قال
 تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلْقَيْتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ
 ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾^(٦٦) [مريم]، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
 إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾^(١٣) [الكهف].

وأخبر ﷺ أن من أراد هدايته لهذا الدين فإنه يشرح صدره له،
 وعلى العكس من ذلك من أراد له الشقاء والغواية، فإنه يضيق بهذا
 الدين ذرعاً، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
 وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ
 كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٢٥) [الأنعام].

ومن أسباب الثبات على الهداية:

الدعاء: فقد روى الترمذي في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:
 كان رسول الله يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»
 فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال:

(١) البخاري برقم (٣٠٣٤)، ومسلم برقم (١٨٠٣).

(٢) الفتاوى (٣٧/١٤) بتصرف. (٣) الفوائد (١/١٥١).

«نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُضْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»^(١).

ومنها المسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنَبَاءَ عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن.

الكلمة المئة وخمسة

الزكاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركانه العظام، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣) [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى

(١) البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

(٢) البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا»^(١).

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَلَوْوَأْ مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة].

فكل ما لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(٢).

وجاء في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه ما خلاصته: أَنَّ صَاحِبَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ حَقَّهَا، بَطَّحَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرَقِرٍ، أَي: أَنَّهُ يُبَطَّحُ عَلَى وَجْهِهِ فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَاسِعَةٍ، ثُمَّ تَأْتِي هَذِهِ الْبَهَائِمُ فَتَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا،

(١) البخاري برقم (١٣٩٧)، ومسلم برقم (١٣) من حديث أبي أيوب.

(٢) برقم (٩٨٧).

وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَا مِنْ صَاحِبٍ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعًا يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْحَلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ»^(٢).

والشجاع: الحية الذكر، والأفراع الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل: الشجاع الذي يواثب الراجل والفراس ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري، يتبع صاحبه الذي منع الزكاة.

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم، وهي التي ترعى في البراري، والذهب والفضة، وعروض التجارة، وهي السلع المعدة للبيع، ويدخل في ذلك الأراضي، والعمارات، والسيارات المعدة للبيع، وغير ذلك من أصناف السلع، ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه، وله تفصيل معروف في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والزكاة حق لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع بها

(١) البخاري برقم (٤٦٥٩)، ومسلم برقم (٩٨٧).

(٢) البخاري برقم (١٤٠٣)، ومسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر، مع طيب النفس، والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته، ويستحقَّ جزيلاً المثوبة والخلف، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف المستحقين للزكاة فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].

ولو أعطيت الزكاة لمستحقيها لما بقي فقير في الإسلام.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم الواجبات والفرائض بعد الشهادتين، وقد أثنى الله ﷻ على عباده المحافظين على أدائها في المساجد فقال: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رَجَالٌ لَا نُلْحِيهِمْ مِنْجَنًا وَلَا رِيحٌ مِنْ يَدَيْهِمْ يُخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعْفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ التَّوَضُّؤَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ

أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ»^(١)، وفي رواية: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفِدْيِ سَبْعَ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»^(٣).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «وقد أكثر الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الصلاة في كتابه الكريم، وعظم شأنها، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين، فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢٣٨) [البقرة] وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها، وتعظيمه لها، وقد تخلف عن أدائها مع إخوانه، وتهاون بشأنها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ﴾ [النساء: ١٠٢] «فأوجب سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب وشدة الخوف، فكيف بحال السلم؟ ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافون للعدو المهتدون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك»^(٤). اهـ.

والنصوص التي تبين وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمن ذلك ما

(١) البخاري برقم (٦٤٧)، ومسلم برقم (٦٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٦٥٠).

(٣) برقم (٢٥١).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز رحمته الله.

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَنُتَقِمَ، ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَا هَمَّ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ هُوَ لَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ قَدْ ارْتَكَبُوا ذَنْبًا عَظِيمًا، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ»، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ»^(٢). وفي رواية لأبي داود قال: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»^(٣). وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرًا، قَالُوا: وَمَا الْعُدْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَيَّ هُوَ لَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

(٢) برقم (٦٥٣).

(٣) برقم (٥٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٠/١) برقم (٥١٦).

(٤) برقم (٥٥١)، قال الألباني رحمته الله: صحيح دون جملة العذر، وبلفظ: ولا صلاة له،

صحيح سنن أبي داود (١١٠/١) برقم (٥١٥).

وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مَنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» (١).

وأجاب العلماء عن حديث صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسا وعشرين درجة، أن المراد بيان ثواب صلاة الجماعة، وأن أجرها أكثر، وليس حكم صلاة الجماعة، والأفضلية لا تدل على عدم الوجوب فقد ثبت الوجوب بآيات وأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

يُضاف إلى ذلك ما فيها من المصالح والمنافع العظيمة، التي تدل على أن الحكمة تقضي بوجوبها.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ومنها :

أولاً: إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، وهي الصلاة؛ لأن الناس لو بقوا يصلون في بيوتهم ما عرف أن هناك صلاة.

ثانياً: التواد بين الناس؛ لأن ملاقة الناس ومصافحتهم لبعضهم البعض توجب المحبة والمودة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ

بَيْنَكُمْ» (١).

ثالثاً: شعور الناس بالمساواة في عبادة الله، لأنه في هذا المسجد يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا فيشعر الناس بالمساواة؛ ولهذا أمر بمساواة الصفوف، وكان النبي ﷺ يقول: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» (٢).

رابعاً: ما يحصل من تفقد الأحوال، أحوال الفقراء والمرضى، والمتهاونين بالصلاة، فإن الفقير إذا علم بحاله جماعة المسجد تصدقوا عليه، وواسوه، وكذلك إذا تخلف عن صلاة الجماعة عرف الناس أنه مريض، فقدموا له المساعدة أو متهاوناً فبادروه بالنصيحة (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٥٤).

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٤٣٢).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ١٣٥ - ١٣٨).

مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على عباده نعمة الزواج، وهو من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد].

وقد حث عليه الشارع لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

وتكثر في هذه الأيام حفلات الزواج، وهذا شيء طيب يبشر بالخير؛ إلا أنه مما ينافي شكر هذه النعمة، وقوع كثير من المخالفات، فمن ذلك: أولاً: المغالاة في المهور بما لا يطاق، والمشروع أن يكون قليلاً ميسراً، روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»^(٢). وقال عمر رضي الله عنه: «أَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٥) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

(٢) (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٠٨٣).

لَا تُغَالُوا صَدَقَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ، لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ، عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»، وَالْأُوقِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، هُوَ أَرْبَعُمِئَةٌ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أنها سئلت: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فِتْلِكَ حَمْسُ مِئَةِ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ»^(٢).

وفي زيادة المهور مفسد كثيرة من أعظمها تأخر كثير من الرجال والنساء عن الزواج، أو تركه بالكلية، وفي ذلك ما لا يخفى من المفسد.

ثانيًا: دبلة الخطوبة، حيث يلبس الرجل دبلة تسمى دبلة الخطوبة، وهي عبارة عن خاتم يضعه في يده، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة، خاصة إذا كانت من الذهب، وقد حرم لبس الذهب على الرجال بأدلة كثيرة، منها ما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فقبل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٣).

قال الشيخ الألباني: ووضع خاتم الخطوبة في يد العروس من

(١) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٠٩٠).

(٣) برقم (١٤٢٦).

عادات النصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم^(١)، وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢).

ثالثاً: المنصة، وهي جلوس الزوج والزوجة في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرات، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ومن المنكرات العظيمة وضع منصة للعروسين أمام الحاضرات من النساء، فينظر الرجل إلى النساء الأجنبية، وهن بكامل زينتهن، وقد يدخل معه بعض أقارب الزوج أو الزوجة، فيحصل الاختلاط والفتنة»^(٣).

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمَوُ الْمَوْتُ»^(٤). والحمو قريب الزوج، وفي هذا تحريك للغرائز والشهوات، وما ينتج عن ذلك من فتنة وفساد.

رابعاً: التصوير، وهو من كبائر الذنوب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ»^(٥). وخاصة إذا كان التصوير للنساء، فإن الفتنة بهن أعظم، وتقوم بعض النساء بتصوير الحاضرات في الحفل وهن بكامل زينتهن، وهذا من أعظم المفاسد، وهل يرضى أحد منا أن تلتقط صورة ابنته أو أخته وتنتشر بين الناس، فإلى الله المشتكى.

(١) انظر: آداب الزفاف (ص ٢١٢-٢١٣). (٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: التبرج وخطره، رسالة صغيرة للشيخ عبد العزيز بن باز.

(٤) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

(٥) (٢٣/٦) برقم (٣٥٥٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

خامسًا: إحضار المغنيات ليغنين في حفلات الزواج مع الآلات والمعازف، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» ^(١). وإنما أجاز الشارع الضرب بالدف عند النساء بشرط أن لا يصحبه غناء ماجن من قبل النساء.

سادسًا: الإسراف في الولائم، واستئجار الفنادق، وقصور الأفراح بأموال طائلة، فينبغي الاقتصاد في ذلك، وترك الإسراف، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ^(١٧) [الفرقان].

سابعًا: لبس كثير من النساء في حفلات الزواج اللباس العاري، أو المفتوح، أو الضيق الذي يصف البشرة، أو الخارج عن الحياء، حتى لو كان عند النساء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» ^(٢).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمته الله عن حضور الحفلات المشتملة على المنكرات، فقال: حضورها واجب إذا كان الإنسان يستطيع بحضوره أن يغير المنكر، وأما إذا كان لا يستطيع تغييره فإن حضورها

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢١٢٨).

منكر محرم عليه، ولا يجوز في ذلك طاعة الوالدين، ولا طاعة الزوج، حتى لو فرض أن الوالد والوالدة إذا لم يحضر الولد من ذكر أو أنثى هذه الحفلات حصل منهم غضب أو زعل، ولا يعد ذلك من العقوق؛ لأن هذا من طاعة الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ»^(١). والمنكر لا طاعة فيه لأحد، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». اهـ^(٢).

ثامناً: السهر حتى ساعة متأخرة من الليل، وربما في بعض الحفلات إلى قرب صلاة الفجر، وهذا يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾^(٥٩) [مريم].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣).

تاسعاً: من المنكرات التي ترتكب بمناسبة الزواج ذهاب الزوجين بعد زواجهما إلى بلاد الكفار، أو بلاد أخرى تماثلها في الفساد لقضاء شهر العسل زعموا، وفي ذلك مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ، فقد روى الترمذي من حديث جرير بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٠).

(٢) هذه الفتوى عليها توقيع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بِتَارِيخِ ١٦/٩/١٤٠٩ هـ.

(٣) برقم (٦٥٧).



كُلُّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ ظَهْرَانِيِ الْمُشْرِكَيْنِ، لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا»^(١).

وما ينتج عن ذلك السفر من مفسد، وخلع للحجاب، واختلاط المرأة بالأجانب، وذهاب إلى أماكن اللهو والفساد، وغير ذلك من المفسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٩/٥) برقم (١٢٠٧).

الكلمة المئة وثمان

شرح حديث (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(١) لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

قوله: «أَصْبَحَ» أي: أصبح في ذلك اليوم، وفيه إشارة إلى أن المؤمن عليه ألا يحمل هم المستقبل، فإن أمره بيد الله، وهو الذي يدبر الأمور، ويقدر الأقدار، وعليه أن يحسن الظن بربه، ويتفائل بالخير.

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، قيل: المعنى: في أهله وعياله، وقيل: في مسكنه وطريقه، وقيل: في بيته، فهو آمن أن يقتله أحد، أو يسرق بيته، أو ينتهك عرضه.

والأمن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، ولا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدوها، كالذين يعيشون في البلاد التي يختل فيها النظام والأمن، أو الذين عاصروا الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل، فهم ينامون على أزيز الطائرات وأصوات

(١) وحيزت: جمعت.

(٢) برقم (٢٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

المدافع، ويضع الواحد منهم يده على قلبه ينتظر الموت في أي لحظة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام].

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن إن حققوا التوحيد وأخلصوا الإيمان، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٥٥) [النور].

وقال تعالى: ﴿ٱلْآيَاتِ ٱلْأُولَىٰ ٱللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٤) [يونس].

قوله: «مُعَافَىٰ فِى بَدَنِهِ»، أي: صحيحاً سالمًا من العلل والأسقام، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْبَرَصِ وَٱلْجُنُونِ وَٱلْجُدَامِ، وَمِن سَيِّئِ ٱلسَّقَامِ» (١).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه صباحًا ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، روى الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُوْلُ ٱللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ ٱلدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْأَلُكَ ٱلْعَافِيَةَ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، ٱللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْأَلُكَ ٱلْعَفْوَ وَٱلْعَافِيَةَ فِى دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي...» الحديث (٢).

(١) (٣٠٩/٢٠) برقم (١٣٠٠٤) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) برقم (٥٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٧) برقم (٤٢٣٩).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: **قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»**(١).

وأخبر النبي ﷺ أن الكثير من الناس مفرط ومغبون في هذه النعمة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»**(٢).

وأرشد النبي ﷺ أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ... وَذَكَرَ مِنْهَا: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ»**(٣).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري يقول: **«إِذَا أَصَبْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»**(٤).

والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها ليحمد الله ﷻ صباحًا ومساءً على نعمة العافية، وصدق الله إذ يقول: **﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّكُمْ**

(١) برقم (٣٥٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٠) برقم (٢٨٢١).

(٢) برقم (٦٤١٢).

(٣) (٥/ ٤٣٥) برقم (٧٩١٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٤) برقم (٦٤١٦).

الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم].

قوله: «عنده قوت يومه»، أي: قدر ما يغديه ويعشيه، والطعام من نعم الله العظيمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قریش].

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من الجوع، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّحِيجُ»^(١).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه الكفاف، أي مقدار ما يكفيه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»^(٢).

ومما تقدم يتبين أن من اجتمعت له هذه الخصال الثلاث في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها، وقد اجتمع لكثير من الناس أضعاف أضعاف ما ذكر في هذا الحديث، ومع ذلك فهم منكرون لها، محتقرون ما هم فيه، فهم كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ودواء هذا الداء أن ينظر المرء إلى من حرم هذه النعم، أو بعضها، كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَيَّ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ،

(١) برقم (١٥٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٨/١) برقم (١٣٦٨).

(٢) البخاري برقم (٦٤٦٠)، ومسلم برقم (١٠٥٥).

وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» (١).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَضَعَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ (٢).

وأختم بهذا الحديث الذي يبين أن كثيراً من الناس يعيشون عيشة الملوك:

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:
 أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَاكَ
 امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَاكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:
 فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ (٣).

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى وأضحى صحيحاً جسمه وهو في أمن
 فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها وحقَّ عليه الشكر لله ذي المنن
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٤٩٠)، ومسلم برقم (٢٩٦٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/٦).

(٣) برقم (٢٩٧٩).

تفسير آية الكرسي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلقد كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات. اهـ^(١).

وتسمى آية الكرسي لذكر الكرسي فيها.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وهو الحي في نفسه، الذي لا يموت أبدًا،

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ١١٢).

القيم بغيره، ومن تمام حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، والسنة هي النعاس، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ التُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» (١).

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه، كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (١٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (١٥) [مريم].

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، هذا من عظمته وجلاله، وكبريائه ﷺ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ (٣٦) [النجم].

وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷺ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ» (٢).

(١) برقم (١٧٩).

(٢) البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تعالى إخباراً عن الملائكة: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) [مريم].

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ قال ابن كثير: أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله ﷻ، وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (١).

قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره» (٢). وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي، أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي؟!

قال الطحاوي: والعرش والكرسي حق، قال ابن أبي العز الحنفي: العرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم (٣)، وهو سقف المخلوقات، قال عبدالله بن رواحة:

شَهِدْتُ بَأَنَّ وَعَدَّ اللهُ حَقًّا
وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩).

(٢) (٦٧٨/٢) برقم (٣١٧٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير (١/٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو (ص ٧٦)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ٤٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ^(١)

روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أي: لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو العلي بذاته، فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته، العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبوت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها أعظم آية في القرآن، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال:

(١) العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

(٢) برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١).

(٣) برقم (٨١٠).

وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(١).

ثانياً: سعة علم الله وإحاطته بكل شيء، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام].

ثالثاً: عظمة الله سبحانه، وسعة سلطانه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الله تعالى لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض، بل ذلك سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وعشرة

حفظ اللسان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على الإنسان، نعمة اللسان، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ ٩ ﴾ [البلد].

وهذا اللسان إن لم يستخدم في طاعة الله، كان وبالاً على صاحبه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ٢٤ ﴾ [النور].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تحث على حفظ اللسان، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظْ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ١٨ ﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ ١١٦ ﴾ [النحل].

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ عَمَلٍ يُقَرَّبُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ

يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

قوله: «مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا»، أي لا يدري هل هي في طاعة الله أو معصيته؟

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْنِكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث سفيان الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به؟ قال: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هَذَا»^(٥).

وقال عبد الله بن مسعود: «أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم

(١) برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٣) برقم (٦٤٧٤).

(٤) برقم (٢٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن.

(٥) برقم (٢٤١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ما بلغ حاجته»^(١).

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم»^(٢).

وقال الأوزاعي: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه»^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَيَّ طُولِ سَجْنٍ مِنْ هَذَا اللُّسَانِ»^(٤).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. اهـ^(٥).

وشر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضر ما يكون على العبد.

قال ابن القيم: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر،

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ٢٤١).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/١٢٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/١١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٠٠).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/١٩).

ومن النظر الحرام، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول. اهـ^(١).

وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ حدث أن رجلاً قال: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِغُلَّانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ إِلَّا أَغْفِرَ لَغُلَّانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِغُلَّانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(٢). أو كما قال.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَتَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي حَقِّ رَجُلٍ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: أَغْزَوْتَ الرُّومَ؟ قَالَ: لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ: سَلِمَ مِنْكَ النِّصَارِيُّ، وَلَمْ يَسَلِمْ مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ!

وقال بعضهم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ

قال بعض أهل العلم: في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى، آفة السكوت عن الحق، أو آفة الكلام بالباطل، وقد تكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٠).

(٢) برقم (٢٦٢١).

الحق شيطان أحرص عاص لله، مرء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه مثل من يرى المنكرات أمام عينيه مع قدرته على التغيير ولا يفعل.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

الآفة الثانية: التكلم بالباطل، وهو شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط هم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أنها تضره في آخرته يوم القيامة.، عندما يأتي بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكره الله وما اتصل به. اهـ^(٢).

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٢).

الحوار العين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعيم الجنة الذي وعد الله به المؤمنين، مما تشتاق إليه النفوس، وتهفو إليه القلوب، الحوار العين، فقد وصفهن الله بأحسن الصفات، وحلاهن بأجمل الحلي، وشوق الخطاب إليهن، حتى كأن المؤمنين يرونهن رأي العين، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتْ أَلْطَرَفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن].

قال الحسن وعامة المفسرين: «في صفاء الياقوت، وبياض المرجان»^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الواقعة].

والحوار جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين، قالت عائشة رضي الله عنها: «البياض نصف

(١) تفسير ابن كثير (٣٣٤/١٣).

الحسن». وقال عمر رضي الله عنه: «إذا تم بياض المرأة في حسن شعرها، فقد تم حسنها».

والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:

بيضٌ أو أنسٌ ما هممن بريبةٍ كظباءِ مكة صيدهن حرامٌ
يُحسبن من لين الحديثِ زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلامُ

قوله: ﴿عُرْبًا﴾ في الآية الكريمة، العرب جمع عروب، وهي التي جمعت إلى حلاوة صورتها، حسن التأنى والتبعل والتحبب إلى الزوج بدلها وحديثها، وحلاوة منطقتها، وحسن حركاتها. وذكر المفسرون في تفسير العرب بأنهن العواشق المتحبيبات، الغنجات، الشكلات، المتعشقات، الغلمات، المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم^(١).

قوله ﴿أَثْرَابًا﴾: قال ابن عباس: وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة^(٢).

وقد أودع سبحانه في الحور العين من حسن الخلق والخلق، وجمال الصورة، ورقة البشرة ما يبهر العقول، وتعجز الألسن عن وصفه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ رُؤْمَرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، أُنَيْتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ،

(١) بدائع التفسير (٤/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٦).

لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّوْحَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

والحور العين مطهرات من كل أذى وقدر ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

قال جمع من المفسرين: المطهرة من طهرت من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى

(١) البخاري برقم (٣٢٤٥)، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري برقم (٢٧٩٦)، وأخرج مسلم أوله برقم (١٨٨٠)، والغدوة الذهب أول النهار للغزو في سبيل الله، والروحة الذهب آخره للغزو في سبيل الله.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢ - ٣٢٣).

غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ^(١).

وإن من أعظم ما أتخف الله به عباده في دار كرامته، زواجهم من الحور العين، فهذا الزواج تتحقق السعادة وتكتمل اللذة، قال تعالى:

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [٢٠] ﴿ الطور ﴾. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴾ [٥٥] ﴿ هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [٥٦] ﴿ يس ﴾.

قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم: «شغلهم افتضاض الأبقار»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِثْلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

وهذه الخيام غير الغرف والقصور التي في الجنة، فذاك نعيم آخر، روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصِلُ إِلَىٰ نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَىٰ مِئَةِ عَذْرَاءٍ»^(٤).

والحور العين يشتقن إلى أزواجهن من المؤمنين، فتدعو الواحدة منهن على من يتعرض لزوجها في الدنيا، فكيف إذا قدم عليها وبشرت

(١) بدائع التفسير (١/٢٩٧). (٢) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩).

(٣) البخاري برقم (٣٢٤٣)، ومسلم برقم (٢٨٣٨).

(٤) (٢/٦٨) برقم (٧٩٥) وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على

شرط الصحيح، تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٥).

بذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلِكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(١).

وعرائس الجنان من الحور العين لا يزددن مع مرور الدهور والأحقاب إلا حسناً وجمالاً، وحباً وتودداً لأزواجهن في الجنة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَيَثَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»^(٢).

والصالحون في هذه الدار بعدما علموا ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبیهم في شأنهن - أي الحور العين - يكونون في أشد الشوق والحب إليهن، مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعة مولاهم، وأن يقر أعينهم بهن، قال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن شباب، فقال: يا معشر الشباب، أما تشاقون إلى الحور العين؟^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله:

يا خَاطِبَ الحُورِ الحِسانِ وطالِبًا لو صالهن بجنة الحيوان
لو كُنتَ تَدْرِي من خَطْبَتَ ومن طَلَبَ تَ بذلتَ ما تحوي من الأثمان

(١) (٤١٧/٣٦) برقم (٢٢١٠١) وقال محققوه: إسناده حسن، والدخيل الذي يرحل سريعاً.

(٢) برقم (٢٨٣٣).

(٣) انظر: رسالة (بشرى المحبين بأخبار الحور العين) للشيخ سعد الحمدان.

أو كُنتَ تدري أينَ مسكنها جَعَد
ولقد وصفتُ طريقَ مسكنها فإن
أسرع وحث السيرَ جهدك إنما
فاعشق وحدث بالوصالِ النفسَ
واجعل صيامك قبل لُقياها ويد
واجعل نُعوتَ جمالها الحادي وسر
لت السعي منكَ لها على الأجان
رُمت الوصالَ فلا تكن بالواني
مَسْرَاكُ هذا ساعةُ لزمانِ
وابذل مهرها ما دمتَ ذا إمكانِ
وم الوصلِ يومَ الفطرِ من رمضانِ
تلقي المخاوفَ وهي ذات أمانِ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنتا عشرة

الابتلاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

أي نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعمة تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس: «﴿وَنَبَلُوكُم﴾: أي نبتليكم بالشر والخير، أي بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال»^(١). ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: فنجازيكم على مواقفكم من هذه الأحوال، فمن وقف موقف المؤمن واتقى الله في كل حالة نال المثوبة، ومن أساء نال العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٧٨).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلاَّ إِنَّا نَصُرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الارت قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَن قَبْلِكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسْقُ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاِكِبُ مِن صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

وروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُتَبَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِن كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِن كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

وسأل رجل الشافعي رحمته الله فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل: أن يمكن فيشكر الله عز وجل؟ أو يبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا

(١) برقم (٣٦١٢).

(٢) برقم (٢٣٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يُمْكِنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نُوْحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكْنَهُمُ اللَّهُ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُصَ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةِ. اهـ^(١).

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والله أسأل أن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة. اهـ^(٢).

والمؤمن يصيبه البلاء تكفيرًا لسيئاته، ورفعة لدرجاته، وحتى يتميز الخبيث من الطيب، وغير ذلك من الحكم.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك ووعكًا شديدًا، فمستته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك ووعكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ» ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٢) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣).

(٣) برقم (٥٦٦٠).

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (١).

قال أبو عبيدة الهروي: أي يبتليه بالمصائب ليثبته عليها، وقد تبتلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاء واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) [العنكبوت].

وما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل مكان، واتحادهم ضد المسلمين، ما هو إلا مصداق لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (٢).

ولن يكون الخلاص والنجاة من ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله، ويجب على المؤمن أن يكون على ثقة ويقين بنصر الله القريب، وإن كثر الأعداء، وعظمت قوتهم، فإن الله سينصر دينه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) [يوسف].

(١) برقم (٥٦٤٥).

(٢) برقم (٤٢٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨١٠) برقم (٣٦١٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ [يوسف].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ [غافر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الزهد في الدنيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وصف ربنا ﷺ حال الدنيا وأهلها فيها، وكشف حقيقتها، وبين قصر مدتها، وانقضاء لذتها، فقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

فبين لنا العليم الحكيم في هذه الآية حال الدنيا التي افتتن الناس بها، وبين أنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب، وهو يشغل صاحبه ويلهيه عما ينفعه في آخرته، وزينة تخدع المفتون بها، وتفخر بالأنساب والعظام البالية، ومباهاة بكثرة الأموال والأولاد، وعظم الجاه، وأشار سبحانه إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال، كمثل غيث أعجب الزراع نباته الناشئ منه، ثم يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدره الله له، فسرعان ما تراه مصفراً متغيراً ذابلاً بعد أن كان أخضر نضراً، ثم يعود إلى اليبس هشيمًا متكسراً، ففيه تشبيه جميع ما في الدنيا من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل ويتلاشى في أقل من سنة، إشارة إلى سرعة زوالها وقرب فنائها.

ثم أشار سبحانه إلى عظم شأن الآخرة بما فيها من الآلام والعذاب الشديد لمن عصاه، والمغفرة والرضوان الموجب لكمال النعيم لمن أطاعه.

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَنَابِ ۝١٤﴾ ﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْأٰخِرَةِ إِلَّا لَمَتَّعٌ ۝﴾ [الرعد: ٢٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن فهر: أن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ حَصِيرٍ، فَأَثَرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَّشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاجٍ اسْتَظَلَّ

تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنعصص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من همٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وحزن وغم بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها، ولا بد من دوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا، فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النافع العاجل، واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل، واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدق بذلك ولم يؤثر كان فاسد العقل سيئاً

(١) برقم (٤١٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٩٤) برقم (٣٣١٧).

الاختيار لنفسه. والنبي ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها، وفاضت على أصحابه فأثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل اه^(١).

قال الشاعر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لَدَائَتُهُ مُنْغَصَّةً بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقد عاتب سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا، ورضاه بها يكون ثقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ

(١) الفوائد (ص ١١٢ - ١١٣) بتصرف.

بَلَعٌ فَهَلْ يُهُلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ»^(١). روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن الحارث قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً^(٢).

بل إنه عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير^(٣).

وأوصى النبي ﷺ جماعة من الأنصار أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب، ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وقال لأبي هريرة: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدُ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»^(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والزهد زهد في الحرام، وهو فرض عين،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٢) برقم (٢٧٣٩). (٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧).

(٤) ابن ماجه في سننه برقم (٤١٠٢) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٤).

وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه. وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ، والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع. إلى آخر ما قال^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وأربع عشرة

العافية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، نعمة العافية، قال تعالى عن نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يخاطب قومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١).

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأكثر من ثمنها، فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: رجل مغبون.

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، أي: آمناً على نفسه وأهله وعياله وماله.

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

قوله: «مُعَافَى فِي جَسَدِهِ»، أي: من الأمراض، أي: صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام.

قوله: «عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ»، أي: كفاية قوته وحاجته من وجه حلال.

قوله: «فَكَأَنَّمَا حَيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»، أي: ضمت وجمعت، فمن جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته.

وإن من أعظم المطالب، وأرفع المراتب التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها سؤال الله العافية، روى الترمذي في سننه من حديث رفاعة بن رافع قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمُنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمُنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تعليقًا على الحديث المذكور: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة»^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(٢) تحفة الذاكرين (ص ٣٠٥).

(١) سبق تخريجه.

المُعَاْفَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن أفضل ما سأله العباد أن يعافيه الله، لأن العمدة الكبرى، والمنحة العظمى في نيل السعادة الدنيوية والأخروية هي العافية.

وروى البزار في كشف الأستار من حديث أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!»^(٢)، وفي الحديث دليل على أن سؤال الله العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء؟ وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم، بهذه الدعوة الكافية، وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطاً والقلوب بصيرةً، باستعمال هذا الدواء عند عروض كل داء، ومساس كل محنة، ونزول كل بلية، قال أحد الصالحين: «أكثرُوا من سؤال العافية، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه لا يأمن ما هو أشد منه، وإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافي الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم». والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها، ليحمد الله ﷻ صباحاً ومساءً على نعمة العافية.

(١) برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).

(٢) (٣٦/٤) برقم (٣١٣٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة (٢١٩٧).

قال الشاعر:

إني وإن كان جمع المال يُعجِبُنِي ما يعدلُ المألُ عندي صِحَّةَ الجَسَدِ
المألُ زينٌ وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسُقْمُ يُنْسِيكَ ذِكرَ المألِ والوَلَدِ

وكان النبي ﷺ يسأل ربه العافية صباحًا ومساءً، وحتى عند نومه، فروى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث، يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي ... الحديث، وقال في آخره: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

والعافية في الدنيا هي دفع الله عن العبد جميع الأَسقام والبلايا وجميع ما يكرهه ويشينه، والعافية في الآخرة هي دفع الله عنه جميع أهوال الآخرة وأفزاعها، ولا يخرج مطلوب العبد من هذين القسمين.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من سيئ الأَسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(٢) برقم (٢٧١٢).

(١) سبق تخريجه.

وأرشد عليه الصلاة والسلام أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، فروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ.. ذكر منها: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ» (٢): وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (٣) (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٦).

(٤) انظر: رسالة الشيخ عبد الهادي وهبي «الوسيلة الكافية لتحقيق العافية».

الكلمة المئة وخمس عشرة

مكانة المرأة في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن المرأة، وسيكون الكلام فيها حول الأمور التالية:
أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام.

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: واجبنا نحو ذلك.

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في بعض مجتمعات الجاهلية تعيش فترة عصيبة، فقد كانوا يكرهون ولادتها، فمنهم من يدفنها وهي حية تحت التراب خوفاً على نفسه من العار، ومنهم من يتركها تبقى في حياة الذل والمهانة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ ﴾
يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ ﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ٨ ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ ﴾ [التكوير].

والموودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، والمرأة في الجاهلية ليس لها حظ في الميراث مهما عانت من الفقر والحاجة؛ لأن الميراث يختص بالرجال، بل إنها كانت تورث عن زوجها الميت كما يورث سائر المتاع، وكان الجمع الكثير من النساء يعشن تحت زوج واحد، حيث كانوا لا يتقيدون بعدد محدد من الزوجات، ولا يبالون بما ينالهن من المضايقات والظلم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ»^(١).

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام:

فقد رفع عنها المظالم، وأعاد لها مكانتها، وجعلها شريكة الرجل في الثواب والعقاب وسائر الحقوق، إلا ما اختص الله به النساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمَارَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا أَنْتَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَىٰ النَّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (٢).

وحرّم الإسلام اعتبار المرأة من موروثة الزوج، كما هو الحال في الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩].

فضمن لها استقلال شخصيتها، وجعلها وارثة لا مورثة، وجعل للمرأة حقاً في مال قريبها من الميراث، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧) [النساء].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (٣).

وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٤).

ثالثاً: شبهات والجواب عنها:

يردد أهل الشهوات عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن المرأة تعاني من الظلم، وأنها شق معطل، وأن البيت سجن لها، والقوامة سيف وصلت

(١) برقم (٣٢١١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩٢/٣) برقم (٢٥٦٥).

(٢) (٢٦٥/٤٣) برقم (٢٦١٩٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٤) برقم (١٩٧٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٤/١) برقم (١٦٠٨).

عليها أن تتخلص منه، وقد أوجد ذلك وللأسف أثرًا عند بعض النساء. أما القول بأن المرأة تعاني من الظلم، فقد سبق الكلام عن مكانة المرأة في الإسلام، وكيف رفع المظالم التي كانت عليها في الجاهلية، وهي ليست شق معطل، بل إن بقاءها في بيتها وتربيتها لأولادها من أعظم الأعمال التي تثاب عليها، وتخرج ثمراتها إلى المجتمع المسلم.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ»^(١).

والذي ينظر إلى المجتمعات الغربية وكيف خرجت المرأة لتزاحم الرجال، وتركت أطفالها في رعاية الخدم، أو الحضانة، أو غيرها، وما جنى هؤلاء الغربيون من الفساد، وانحلال الأخلاق، وكثرة أولاد الزنا، والتفكك الأسري، وانتشار المخدرات والمسكرات، وغير ذلك، ليدرك عظمة هذا الدين، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أما القوامة فقد جعلت لحماية المرأة وصيانة عرضها من الرجال، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير: «أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت».

قال ابن عباس: «﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله،

(١) برقم (٤١٥١) وصححه الشيخ الألباني في آداب الزفاف (ص ٢٨٦).

حافظة لِمَالِهِ (١).

رابعاً: واجبنا نحو ذلك:

أولاً: تربية أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا تربية صالحة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أدبوهم وعلموهم الخير»، وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ» (٢).

ولو أن كل رجل اهتم بأسرته، ورباهم على الكتاب والسنة؛ لصلح المجتمع كله.

ثانياً: التزود بالعلم الشرعي، وبالعلم يكتشف المؤمن ضلال المضلين، وانحراف المنحرفين من العلمانيين وأهل الأهواء والشهوات، ويستطيع الرد عليهم وكشف مخططاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ثالثاً: الدعوة إلى الله عز وجل، وتحذير الناس من أهل الشر، وما يخططون له من إفساد المرأة، وإبعادها عن دينها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠ - ٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

قال: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

التحذير من الربا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي حرمها الله ورسوله، ولعن فاعلها، الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سوا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء فيه: «... أتاني الليلة آتياً، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإنني انطلقت معهما، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول -: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح

يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكَلَ الرَّبَا»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ ... وذكر منها: الربا»^(٢).

ومن صور الربا المحرم: شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، وإن من الجرائم العظيمة، والأمر الخطيرة ما نسمعه ونشاهده هذه الأيام من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل والدعايات لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها، وأنها من الربا الذي حرمه الله ورسوله.

جاء في الفتوى رقم (١٧٦١١): يتداول بين الناس في الوقت الحاضر بطاقة فيزا سامبا، صادرة من البنك السعودي الأمريكي، وقيمة هذه البطاقة الذهبية (٤٨٥) ريالاً، وإذا كانت فضية (٢٤٥) ريالاً، تسدد هذه القيمة سنوياً لمن يحمل بطاقة فيزا للاستفادة منها كاشتراك سنوي، ويحق لحامل هذه البطاقة أن يسحب من فروع البنك المبلغ الذي يريده سلفة، ويسدد بنفس القيمة خلال مدة لا تتجاوز

(١) برقم (٧٠٤٧).

(٢) البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

أربعة وخمسين يوماً، وإذا لم يسدد المبلغ المسحوب سلفة خلال الفترة المحددة يأخذ البنك عن كل مئة ريال فوائد قيمتها ريال وخمس وتسعين هللة (٩٥، ١)، ويحق لحامل هذه البطاقة شراء البضائع من المحلات التجارية التي تتعامل مع البنك، دون أن يدفع مالا نقدياً، وتكون سلفة عليه للبنك، وإذا تأخر عن سداد القيمة عن مدة أربعة وخمسين يوماً يأخذ البنك عن كل مئة ريال ريالاً وخمسة وتسعين هللة، فما حكم استعمال هذه البطاقة، والاشتراك السنوي مع هذا البنك.

الجواب: إذا كان حال بطاقة فيزا سامبا كما ذكر، فهذا إصدار جديد من أعمال المرابين، وأكل لأموال الناس بالباطل، وتأثيرهم، وتلويث مكاسبهم، وتعاملهم، وهو لا يخرج عن حكم ربا الجاهلية المحرم في الشرع المطهر (إما أن تقضي، وإما أن تربى)، ولهذا لا يجوز إصدار هذه البطاقة، ولا التعامل بها. اهـ.

ومن صورهِ كذلك بيع العينة، ويسميه بعض الناس الدينة، ومثاله: أن يبيع شخص سلعة على شخص آخر بمبلغ ألف ريال مؤجلة لمدة سنة، ثم في نفس الوقت يشتري البائع سلعته من المشتري بمبلغ خمسمئة ريال معجلة، وتبقى الخمسمئة ريال في ذمة المشتري الأول، وقد ورد النهي الصريح من النبي ﷺ عن بيع العينة، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(١).

ومن الشبهات التي يرددها بعض الناس قول بعضهم: أنا مضطر لأخذ

(١) سبق تخريجه.

القرض من هذا البنك الربوي، فعندي ضائقة مالية، أو أريد أن أتزوج، أو أريد أن أبنى مسكناً ولم أجد من يقرضني من الناس، والضرورات تبيح المحظورات، والجواب عن ذلك أن يقال: إن الضرورة إنما تكون عند خوف الشخص على حياته، فتباح له بقدر الحاجة، كأن يكون في خارج البلد، واشتد به الجوع والعطش حتى كاد أن يموت، ولم يجد إلا خمراً أو ميتة، فتباح له بقدر ما يسد رمقه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال بعض أهل العلم: إنه يتناول ثلاث لقم ولا يزيد عليها، وأيضاً يقال لهذا وأمثاله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن الشبهات كذلك قول بعضهم: إن هذه البنوك مؤسسات تجارية، فهي تدفع رواتب للموظفين، وتدفع إيجاراً للمبنى، وتحتاج إلى أجهزة تشتريها بمبالغ مالية، وغير ذلك، فالقروض التي تعطيها للناس بفوائد إنما هي للمصاريف الإدارية، وهذا كلام فيه تضليل؛ لأن صورة الربا التي وردت النصوص الشرعية بتحريمها موجودة، ومنطبقة على هذه البنوك، وسواء سميت مصاريف إدارية، أو فوائد، أو غير ذلك، فالأسماء لا تغير الحقائق، وقد صدرت فتاوى من علماء هذه البلاد بتحريم التعامل مع هذه البنوك، عملاً أو شراءً أو اقتراضاً أو غير ذلك، جاء في الفتوى رقم (٣١٩٧): ما حكم الزيادة التي تأخذها البنوك؟

الجواب: الفائدة التي تأخذها البنوك من المقترضين، والفوائد التي تدفعها للمودعين عندها، هذه الفوائد من الربا الذي ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ.

وجاء في الفتوى رقم (١٠٨٠): هل ينطبق على كاتب الحسابات في بنك حديث لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه؟

الجواب: البنوك تتعامل بالربا مع من تقرضه، ومع من يودع فيها نقوداً، ومع غيرهم، ولا بد لمن عمل فيها كاتباً للحسابات أن يتولى حساب المعاملات الربوية، ويقيد في الدفاتر ما على كل من أطراف المعاملات، وما له، ويتحدد بذلك المدين من الدائن، وعلى ذلك ينطبق الحديث المذكور على كاتب الحسابات في البنوك الربوية، وما في حكمها من المصارف. اهـ^(١).

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عن سواك.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ..﴾ الآية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ [مريم].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذا خطاب لسائر الخلائق برهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه»^(١). اهـ.

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَهُمْ كَلْمَحُ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ»^(٢).

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين، والصراط الذي وردت

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ٥٨٠).

(٢) برقم (٣١٥٩) وقال: هذا حديث حسن.

الإشارة إليه في الأحاديث هو جسر منصوب على متن جهنم، وهو صراط دقيق جداً كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أنه قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنْ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(١).

والصراط ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال السفاريني رحمته الله: والصراط شرعاً جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم^(٢).

قال الشاعر:

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي يُسَائِلُنِي وَيُنْكَشِفُ الْغَطَاءُ
وَحَسْبِي أَنْ أَمْرَ عَلَى صِرَاطٍ كَحَدِّ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ - قال في الحاشية: «الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر» - فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكٌ - الخطاف هو الحديد المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، والكلايب هي حديدة معطوفة الرأس، ويعلق عليها اللحم، والحسك هي شوكة صلبة معروفة - فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٨٩/٢).

يُسْحَبُ سَحْبًا ... الحديث» (١).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مريم].

قال ابن كثير: أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار، والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا (٢). اهـ.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن الورود على النار لا بد منه لكل الناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» قَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ» (٤).

ثانياً: الصراط حق يجب الإيمان به، والاستعداد له بالعمل الصالح، قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «والصراط حق، يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك، نسأل الله

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٨١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) مختصراً.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٧/٩).

(٣) (٥٩٠/٤٤) برقم (٢٧٠٤٢) وقال محققوه: صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢) واللفظ له.

السلامة في الجواز» (٢).

ثالثاً: أن التقوى سبب النجاة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الظلم عاقبته الهلاك في الدنيا والآخرة، لقوله في هذه الآية: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].

خامساً: أن سرعة مرور المؤمن على الصراط بقدر أعماله التي كانت في الدنيا؛ فلذلك ينبغي له المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِنَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب»^(١).

ومن أمثلة المبادرة إلى الأعمال الصالحة التبكير في الحضور إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة أو الجمعة، والإكثار من نوافل الصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، والصدقة على الفقراء والمساكين، وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٢٣).

تحريم الدخان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف المسلمين، وابتلي بها كثير من الناس شرب الدخان، ولا يخفى على كل عاقل مطلع على مقاصد الشريعة الإسلامية تحريم هذا الدخان، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: إنه من الخبائث، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولا شك أن الدخان من الخبائث، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو صاحب هوى، وكثير من الذين شربوا الخمر، واستخدموا المخدرات كانت البداية هي الدخان، ثم تطور الأمر بعد ذلك، والمعصية تقول: أختي أختي، وثبت طبيياً أن ٨٠٪ من الذين استخدموا المخدرات كانت البداية هي التدخين.

ثانياً: إن في شربه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُحَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُحَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ولا شك بأن شارب الدخان إذا مات بسببه فإنه يعد قاتلاً لنفسه بتلك المواد السامة في السجائر وإن كان القتل بطيئاً، إذ لا خلاف بأن من تسبب في قتل نفسه، سواء كان القتل بطيئاً أو سريعاً فإنه يأثم بذلك.

ثالثاً: إن في شربه أضراراً صحية على البدن، وقد تعالت صيحات الأطباء بالتحذير منه، وقالوا: إن الدخان يحتوي على مواد سامة، من أهمها مادة النيكوتين، وهذه المادة لو وضع منها نقطتان في فم كلب لمات في الحال، وخمس نقاط تكفي لقتل جمل، ويقول أحد الأطباء: إن الكمية الموجودة من هذه المادة في سيجارة واحدة كافية لقتل إنسان لو أعطيت له بواسطة الوريد. وقد ذكر بعضهم أن أخوين تراهنا أيهما يدخن أكثر من الآخر، فمات أحدهما قبل السيجارة السابعة عشر، ومات الآخر قبل أن يتم الثامنة عشر.

ومن أشد الأمراض التي يحدثها التدخين مرض السرطان، يقول

(١) البخاري برقم (٥٧٧٨)، ومسلم برقم (١٠٩).

(٢) البخاري برقم (٦١٠٥)، ومسلم برقم (١١٠).

الأطباء: إن نسبة كبيرة من مرضى السرطان أصيبوا بهذا المرض بسبب الدخان، وأيضاً أمراض القلب والجهاز التنفسي.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ»^(١).

رابعاً: إن في شربه إضاعة للمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء].

ولا شك بأن شارب الدخان من أكثر المبذرين، ولو رأينا شخصاً يمسك الدراهم بيده، ويشعل النار فيها لقلنا: إنه مجنون.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٢).

خامساً: إن الدخان لا يقتصر ضرره على صاحبه، بل يتعدى ضرره إلى زوجته وأولاده وأقربائه وجلسائه، وقد تقرر عند الأطباء ذلك، وهو واضح من تلوث الهواء بالغازات السامة التي تنبعث منه، وتقدم في الحديث قوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ».

سادساً: إن الدخان تنبعث منه رائحة خبيثة تكون في فم المدخن وبدنه وثيابه، تؤذي الجليس والأنيس، وخصوصاً عند دخوله المسجد واختلاطه بالمصلين، وقد أمر النبي ﷺ من وجدت منه رائحة الثوم والبصل ونحوها أن يخرج من المسجد، مع أنهما مما أحله الله، فكيف يكون نهيه إذا لصاحب الدخان؟ وهو القائل: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ

(١) (٥٥/٥) برقم (٢٨٦٥) وقال محققوه: حسن.

(٢) سبق تخريجه.

وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه مقاطعة المحلات التجارية التي تباع هذه السموم على الناس، وفي المقابل تشجيع المحلات والدكاكين التي تمتنع عن بيع الدخان، وهذا من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قد يقول البعض من الناس: لا أستطيع ترك الدخان، فيقال له: أنت تترك الدخان في رمضان أكثر من عشر ساعات، فالمسألة تحتاج إلى عزيمة وإرادة، وقد جرب أناسٌ كثيرون فتعبوا في بداية الأمر، ولكن الله علم منهم صدق النية، فأعانهم وتركوه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

وهناك عيادات متخصصة لمعالجة المدخنين، ويقوم عليها إخوة أفاضل، وقد نفع الله بها، وترك الكثير من المدخنين شرب الدخان بعد مراجعة هذه العيادات وأخذ العلاج اللازم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٨٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

فضل يوم الجمعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله تعالى خص أمة محمد ﷺ بخصائص ومميزات عن بقية الأمم، ومن ذلك أنه جل وعلا اختار لهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْأَخْرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا» (٢).

وروى ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما من حديث أبي هريرة

(١) برقم (٨٥٦)، ورواه البخاري بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٧٦).

(٢) برقم (٨٥٤).



أن النبي ﷺ قال: «لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَغْرُبُ على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تَفْرَعُ يومَ الجمعةِ إلا هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الجَنِّ والإنس» (١).

ومن فضائل هذا اليوم: أن الله جعله عيدًا للمسلمين، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ» (٢) الحديث.

ومنها: أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئًا إلا أعطاه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهُ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا، يَزِيدُهَا» (٣).

واختلف العلماء في وقتها على أقوال، أرجحها قولان:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحجة هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى: أن عبد الله بن عمر قال له: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئًا؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» (٤).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٧٥٩) وصحيح ابن خزيمة برقم (١٧٢٧)، وقال محققه د/ محمد الأعظمي: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٠٩٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٨١) برقم (٩٠١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٩٤)، وصحيح مسلم (٨٥٢).

(٤) برقم (٨٥٣).

الثاني: أنها بعد العصر، وهو أرجح القولين، لما روى النسائي من حديث جابر رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(١).

وهذا القول هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، أما حديث أبي موسى السابق فقد أعل بعلل كثيرة أشار إليها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري^(٢).

ومنها أنه يوم تكفير السيئات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٣).

ومن آداب يوم الجمعة التي ينبغي للمؤمن الحرص عليها:

أولاً: استحباب قراءة الإمام ع ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في فجر يوم الجمعة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾»^(٤).

ثانياً: استحباب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه النسائي من حديث أوس بن أوس: «مِنَ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالوا:

(١) برقم (١٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٠٨/١) برقم (١٣١٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٢/٤٢١ - ٤٢٢).

(٤) برقم (٨٧٩).

(٣) برقم (٢٣٣).



يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! أَيْ يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَلَيْكَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

وروى البيهقي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (٢).

ثالثاً: الأمر بالاعتسال فيه، وهو أمر مؤكد جداً، ويرى بعض العلماء وجوب الغسل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيْبًا إِنْ وَجَدَ» (٣).

رابعاً: استحباب مس الطيب والسواك، ولبس أحسن الثياب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طِيْبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى رَكَعَ مَا شَاءَ أَنْ يَرَكَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا» (٤).

خامساً: استحباب قراءة سورة الكهف، روى الحاكم من حديث

(١) برقم (١٣٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٢٩٧) برقم (١٣٠١).

(٢) (٣/٢٤٩) برقم (٥٧٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٠٧).

(٣) البخاري برقم (٨٨٠)، ومسلم برقم (٨٤٦).

(٤) (١٨/٢٩٢) برقم (١١٧٦٨) وقال محققوه: إسناده حسن.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»^(١).

سادساً: استحباب التبكير إلى صلاة الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس بن أبي أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَغَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ ثَمَ غَدَا أَوْ ابْتَكَرَ، ثَمَ دَنَا فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا كَصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامِ سَنَةٍ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذُّكْرَ»^(٣).

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة من السنن العظيمة، التي قصر فيها كثير منا، ولعل فيما تقدم من الأحاديث الواردة في فضل التبكير ما يقوي العزائم، ويشحذ الهمم للمسارعة إلى هذا الفضل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وليحذر المسلم من التخلف عن صلاة الجمعة أو التساهل في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة

(١) (١١٧/٣) برقم (٣٤٤٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٤٧٠).

(٢) (٨٣/٢٦) برقم (١٦١٦١) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٨١)، وصحيح مسلم برقم (٨٥٠).



حدثاه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وعشرون

الأمانة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة التي وصف الله بها أنبياءه وعباده المؤمنين الأمانة. فوصف بها موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِن خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ووصف بها يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]. [يوسف].

وكذلك غيرهما من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث كان كل واحد منهم يقيم الحجة على قومه بوجوب طاعته؛ لأن الله اتتمنه على رسالته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ. [الشعراء: ١٠٨].

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهوراً بينهم بأنه الأمين، فكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكُل علياً رد الودائع إلى أصحابها، وجبريل عليه السلام أمين الوحي، قد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١١٢] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [الشعراء: ١١٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [الشعراء: ١١٤]. [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ (١).

وهي من صفات المؤمنين المفلحين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون].

وبهذه الأمانة يحفظ الدين، والأعراض، والأموال، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب].

قال بعض المفسرين: المعنى أن الله ﷻ عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبيت حملها شفقاً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بالذي فيه الحظ له. اهـ (٢).

قال ابن جرير تعليقا على الآية الكريمة: وأولى الأقوال في ذلك

(١) البخاري برقم (٢٦٨١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٩/١٠).

بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عني بالأمانة في هذا الموضوع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا^(١).

قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين، ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، وقال بعضهم: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٢).

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن فقدان الأمانة من علامات الساعة، فروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث حذيفة قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُتَبَرِّأً، - أَي مَرْتَفِعًا - وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ»

(١) تفسير الطبري (٨/ ٦٧١٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٤٥).

(٣) (٧/ ٢٩٥) برقم (٧١٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٣).

(٤) رقم (٥٩).

فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي
فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي
قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات النفاق، فروى
البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ
الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ حَانَ»^(٢).

وقد ذكرت الأمانة في القرآن على ثلاثة أوجه، قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)
[الأنفال]. والمراد الفرائض.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
[النساء: ٥٨]. والمقصود الودائع، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَبْتَغِي
أَسْتَجِرُّهُ بِكِ حَيْرٍ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾^(٤) [القصص]. والمراد
العفة والصيانة.

ومن الأمانة حفظ الأسرار الزوجية، فروى مسلم في صحيحه من
حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ
عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ
سِرَّهَا»^(٥).

ومنها عدل الحاكم بين الرعية، فروى مسلم من حديث أبي ذر رضي عنه
قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي،

(١) البخاري برقم (٦٤٩٦)، ومسلم برقم (١٤٣).

(٢) البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٣) برقم (١٤٣٧).

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»^(١).

ومما تقدم يتبين أن الأمانة أوسع مما يتصور بعض الناس أنها مقصورة على الودائع، فإنها تشمل أمانة الرجل على دينه أن يقوم به ويحافظ عليه، فوقت المسلم أمانة، وعرضه أمانة، وماله أمانة عنده، وسمعه وبصره ولسانه أمانة، وجوارحه على وجه العموم أمانة.

ومنها أمانة الراعي على رعيته، والرجل على أهل بيته، والمرأة على بيتها وأولادها، والمدير على موظفيه الذين يعملون عنده، والموظف في وظيفته، والمدرس على طلابه، وبالجملة فإن الأمانة تشمل جميع وظائف الدين، كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

اللهم اجعلنا ممن إذا أوْتِمن أدى الأمانة، اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة وسائر الصفات الذميمة، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا، واجعلنا من الراشدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وعشرون

صلة الأرحام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أنفس القرب، وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والآخرة، صلة الأرحام، والأرحام هم أقارب الرجل نفسه، كأمه وأبيه، وابنه، وابنته، وأخته، وأخيه، وكل من كان بينه وبينه صلة من قبل أبيه، أو أمه، أو ابنه، أو ابنته، ولا يدخل في ذلك أقارب الزوج أو الزوجة، فهؤلاء يحسن إليهم، لكن ليسوا أرحاماً، وإنما هم أصهار، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧٥] [الأنفال].

وقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام: وجعل الوصية بصلة الأرحام قرينة الوصية بالتقوى، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بفعل طاعته، وترك معصيته، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لكن صلوها وبروها كما قال ابن عباس وغير واحد من السلف.

قال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨].

فبين سبحانه أن صلة الرحم حق لازم واجب الأداء، سواء كان حقاً مادياً أو معنوياً.

ولقد كانت الدعوة لصلة الرحم من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ أول بعثته، ففي الصحيحين في قصة أبي سفيان مع هرقل حين سأله هرقل: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ يعني النبي ﷺ، قال أبو سفيان: قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ (١).

وصلة الأرحام سبب لبسط الرزق وطول العمر في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ففي الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة؟ وما يباعدني من النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد. فقال النبي ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ» (٢). وفي رواية: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣)، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٤).

(١) البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) البخاري برقم (١٣٩٧) ومسلم برقم (٣٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣).

(٤) البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وقطיעة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، التي توعد الله صاحبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد]»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(٢).

وقاطع الرحم مهدد بعدم دخول الجنة، ففي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(٣).

والواصل لرحمه هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا

(١) البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) برقم (٢٥١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٥٦). واللفظ لمسلم.

قَطَعَتْ رَحْمَهُ وَصَلَّهَا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٢).

قال شراح الحديث: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، ولكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم بحقه، وإدخالهم الأذى عليه.

قال الشاعر:

وظَلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
وتحصل صلة الرحم بالإحسان إليهم بما يتيسر من أنواع الإحسان، قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، والعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالذعاء.

قال القرطبي: تجب مواصلتها - يعني الرحم - بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم. والمعنى الجامع للصلة أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، بحسب الوسع والطاقة لكل شخص منهم بحسب منزلته وحاله، ومناسبة صلته، وتيسر ذلك. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٢) برقم (٢٥٥٨).

(١) برقم (٥٩٩١).

قال الإمام النووي: قال أصحابنا: «يستحب أن يقدم الأم في البر، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجدات، ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام، كالأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب^(١)، إلى آخر ما قال.

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: «بِرُّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتِكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»^(٢).

والصدقة على ذي الرحم تضاعف لصاحبها، روى الترمذي في سننه من حديث سلمان بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ميمونة بنت الحارث: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلَيْدَةً، وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلَيْدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٣/٦).

(٢) (٢٠٩/٥) برقم (٧٣٢٧)، وقال محققه الشيخ عبد السلام علوش: له شواهد.

(٣) برقم (٦٥٨)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) البخاري برقم (٢٥٩٢)، ومسلم برقم (٩٩٩).

الكلمة المئة واثنان وعشرون

وقفه مع سورة الماعون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر، سورة الماعون، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾﴾ أي: أرايت يا محمد الذي لا يصدق بالجزاء وما فيه من ثواب وعقاب، وقيل: إنه عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، وهؤلاء هم الذين ينكرون البعث، ﴿وَكَاذِبُوا يَقُولُونَ آيْدًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة]، ويقول القائل منهم: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس].

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ أي الذي يقهر اليتيم، ويظلمه حقه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه، واليتيم هو الذي مات أبوه، وهو دون سن البلوغ، ذكراً كان أو أنثى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله، أو تكذيبه بالجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ

الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْضُوتَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ [الفجر].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

﴿٥﴾﴾ [الماعون] فويل: أي عذاب لهم، قال بعض المفسرين: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج الوقت.

روى أبو يعلى في مسنده من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتَاهُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ أَيْنَا لَا يَسْهُو؟ أَيْنَا لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا إِضَاعَةُ الْوَقْتِ يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ^(١).

قال تعالى: ﴿﴿﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

وقال آخرون: يتركونها فلا يصلونها، وقد ورد ذلك عن ابن عباس، وقال: هم المنافقون الذين يتركون الصلاة سرًّا، ويصلونها علانية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت دائمًا أو غالبًا، وإما يقصرون عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، وكل من اتصف بشيء من ذلك له قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل النفاق العملي، كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ، قَامَ

(١) (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٤٤١/١): إسناده

فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا^(١).

فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن، ولا خشع أيضًا، ولهذا قال: لا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولعله إنما حمّله على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يُصل بالكلية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وقال تعالى ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ^(٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ^(٧) أي: لا أحسنوا عبادة ربهم بإخلاص العبادة له، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به، ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم كالإناء، والدلو، والفأس، فهؤلاء؛ لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى^(٢). أهـ.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن فيها الحث على إطعام اليتيم والمسكين، والتحضيض على ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وقال بإصبعه السبابة والوسطى^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «وَالْقَائِمُ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ»^(٤).

(١) برقم (٦٢٢).

(٢) برقم (٦٠٠٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٠٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٢) واللفظ له.

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٤٦٨ - ٤٧١).

ثانياً: الحث على أداء الصلاة في وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(١).

ثالثاً: الحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء، والدلو، والكتاب، والفأس، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ»^(٢).

قَالَ حَسَّانٌ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً^(٣).

رابعاً: الحث على الإخلاص في العمل، والتحذير من الرياء والسمعة، كما قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٤) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان].

روى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٤).

المعنى: أن من سمع فضحه الله، وبين للناس أن الرجل ليس

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (٢٦٣١).

(٣) برقم (٢٦٣١).

(٤) البخاري برقم (٦٤٩٩)، ومسلم برقم (٢٩٨٧).

مخلصًا، ولكنه يريد أن يسمعه الناس فيمدحونه على عبادته، ومن رأى
كذلك يفضحه الله، ويبين أمره إن عاجلاً أو آجلاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثلاث وعشرون

كلمة توجيهية للمدرسين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المدرسين، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها.

أولاً: إخلاص النية لله تعالى في تعليمهم أبناءهم وإخوانهم الطلاب، وتربيتهم على ما يرضي ربهم جل وعلا، والصبر على ذلك احتساباً للأجر منه، وابتغاء ثوابه، قال بعض أهل العلم: «الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجاز سواه، وهو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ بِرَبِّهِمْ خَفِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١١) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) ﴿ [الأنعام].

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين: الأول: أن يكون العمل ظاهره موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١).

الثاني: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (٢).

قال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة (٣).

ومن أعظم الدلائل على الإخلاص: أن العبد يعمل العمل الصالح، ثم لا يبالي باطلاع الناس عليه، بل لو نسب إلى غيره لأفرحه ذلك لعلمه أنه محفوظ عند الله تعالى.

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس له فيها نصيب - أي من الدنيا -.

ثانيًا: تقوى الله عز وجل، ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله عز وجل وصيته للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يوصي أصحابه بتقوى الله، ففي حديث العرباض بن سارية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٩٣/٢).

وَالطَّاعَةَ»^(١).

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

والحذر من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، ويدخله مدخلا كريما، قال تعالى: ﴿إِنْ جَتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. أي كثير الخير والبركة، والحذر من صغائر الذنوب، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ»^(٢).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

قال الأوزاعي: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ثالثا: القدوة الحسنة، فمن المعلوم أن الطالب يتأثر بمعلمه، ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على المربين والمعلمين ألا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٢] كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: ٣].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦٠٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧١) برقم (٣٨٥١).

(٢) برقم (٦٤٩٢).

أَنهَدِكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿ هود: ٨٨ ﴾.

قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ

رابعاً: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُغِضُّ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم في أقواله وأعماله؛ في عبادته لربه، وتعامله مع عباده، قال عبد الله بن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

فأوصي أخي المدرس أن يكون حسن الخلق مع زملائه، ومع طلابه، ومع أولياء أمورهم، وأن يكون رفيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»^(٢).

ولقد كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي

(١) برقم (٢٠٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٥٩٣).

إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفُّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(١).

خامسًا: أن يحرص المدرس على تربية طلابه تربية صالحة فيعلمهم أمور الإسلام والإيمان، ويغرس محبة الله وتعظيمه في قلوبهم، ويحبب إليهم النبي ﷺ، ويبين لهم وجوب اتباعه، والعمل بسنته، والاقترداء به، ويعلمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، كآداب المسجد، والمجلس، واحترام المعلم والكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، ويعودهم على الكلام الحسن، ويحذرهم من الألفاظ القبيحة، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

الكلمة المئة وأربع وعشرون

غض البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن التي يواجهها المسلم في هذه الحياة فتنة النظر إلى النساء وهذه الفتنة تواجهه في السوق، وفي الطرقات، وفي الأماكن العامة، وفي الجرائد والمجلات، وفي غير ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٢).

ومن الأمور المعينة للتغلب على هذه الفتنة:

أولاً: استحضار النصوص الواردة في الأمر بغض البصر، والنهي عن إطلاقه في الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٥٠٩٦)، ومسلم برقم (٢٧٤٠).

(٢) برقم (٢٧٤٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّانَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا
 مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ
 زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى
 وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من
 حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظْرِ الْفَجَاءَةِ؟
 فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال
 رسول الله ﷺ لعلي: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى،
 وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»^(٣).

ثانياً: استحضر العبد اطلاع الله عليه، وإحاطته به لكي يخاف،
 ويستحي منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا نُوسُوا بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
 تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
 أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاء في الأحاديث المختارة عن سعيد بن زيد أن رجلاً قال
 لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ ﷻ، كَمَا تَسْتَحِي
 رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٤٣)، وصحيح مسلم (٢٦٥٧).

(٢) برقم (٢١٥٩).

(٣) برقم (٢١٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٣/٢) برقم (١٨٨١).

(٤) الأحاديث المختارة (٢٩٩/٣) برقم (١٠٩٩)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في

صحيح الجامع الصغير (٤٩٨/١) برقم (٢٥٤١).

ثالثاً: أن يتذكر العبد شهادة العينين عليه يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ [فصلت]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُحِرِّنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلٌّ» (١).

رابعاً: أن يتذكر العبد منافع، وثمرات غض البصر، قال ابن القيم رحمته الله: «ومن ثمراته:

أ - أن في غضه امتثال لأمر الله، الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعااده، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

ب - أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه، قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصَغَرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ
يَسُرُّ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرِّ

وقال آخر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتِكَ الْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُؤْلَهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَن بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

ج- أنه يورث القلب سرورًا، وانسراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك بقهر عدوه بمخالفة نفسه وهواه^(١)، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

د - أنه يكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يكسب القلب ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣٠) [النور].

ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان^(٣).

خامسًا: الزواج وهو من أنفع العلاج وأقواه في معالجة هذا الأمر، روى البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شر البصر الذي يؤدي إطلاقه إلى كل شر، فروى البخاري في الأدب المفرد من حديث شكل بن حميد رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاءً أنتفع به. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِّي»^(٢).

قوله: «وَبَصَرِي»: كي لا أنظر إلى محرم، وفي هذا الحديث الالتجاء إلى الله تعالى بالمعافاة من شر السمع والبصر واللسان والقلب، والمني؛ لأن هذه الحواس والأشياء خلقت للطاعة^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) (٦٦٣) واللفظ له، وأبو داود برقم (١٥٥١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٥).

(٣) الشرح الممتع (٤/٢٢).

الكلمة المئة وخمس وعشرون

تحريم حلق اللحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين حلق اللحية.

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جرير رضي عنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنِي: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ»، وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ^(٢).

وعملاً بهذا التوجيه النبوي الكريم كانت هذه الكلمة للتذكير بتحريم حلق اللحية.

واللحية اسم جامع للشعر النابت على العارضين والخدين والذقن، وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير من حلقها، أو أخذ جزء منها، وذلك من عدة وجوه:

(٢) برقم (٥٦).

(١) برقم (٥٥).

أولاً: أنه تغيير لخلق الله، قال تعالى حاكياً عن إبليس لعنه الله: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرْتَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

فالواجب على المسلم أن لا يتعرض لشيء مما خلقه الله بالتغيير، إلا ما أذن الشرع في أخذه، مثل شعر الرأس، والشارب، والإبطين، والأظافر، وغير ذلك مما أذن فيه الشرع، وإذا كانت المرأة التي تقوم بتنف الحاجبين، وتفليج الأسنان للحسن، قد لعنها رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشْمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» ما لي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله ^(١).

وعلة ذلك أنها غيرت خلق الله، مع أنه مباح لها الزينة، فالرجل من باب أولى، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٠] [الروم].

ثانياً: أن اللحية من سنن الفطرة، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة: أن النبي ﷺ قال: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ ... وذكر منها: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ» ^(٢).

ثالثاً: أن في حلقها مخالفة للأحاديث الصحيحة الموجبة لإعفائها، وهي كثيرة، ومقتضى الأمر الوجوب ما لم يأت صارف عن هذا الأمر، فدل على أن إعفاءها أمر واجب على كل مسلم، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١٢٥).

(٢) برقم (٢٦١).

تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن هذه الأحاديث ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْهَكُوا الشَّوَارِبَ - يعني: حُقُفُوا الشَّوَارِبَ -، وَأَعْفُوا اللَّحَى»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: عن النبي ﷺ: أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ^(٢)، وقد عد النووي الألفاظ التي وردت في اللحية، فبلغت خمسًا، وهي: أعفوا، وأرخوا، وأوفوا، وأرجوا، ووفروا، وهذه تدل على ترك اللحية وافرة، وعدم التعرض لها بشيء من الحلق أو التنف أو التقصير^(٣).

رابعًا: أن في حلقها تشبهاً بالمشركين والمجوس واليهود والنصارى، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديثه: أن النبي ﷺ قال: «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْحُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ»^(٥). وذلك أن المجوس يطيلون الشوارب، ويقصون اللحى، وبعضهم يحلقها تمامًا، فنهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم في هذا وذلك، وفي الحديث الذي رواه ابن

(١) البخاري برقم (٥٨٩٣)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٢) برقم (٢٥٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥١).

(٤) البخاري برقم (٥٨٩٢)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٥) برقم (٢٦٠).

جرير، وابن سعد في الطبقات في قصة رسولي كسرى حينما رأهما النبي ﷺ وقد حلق كل واحد منهما لحيته، ووفرا شاربيهما، فأعرض عنهما النبي ﷺ وقال: «وَيْلُكُمْ، مَنْ أَمَرَكُمْ بِهَذَا؟»، فقالا: أمرنا ربنا، يعينان كسرى، فقال لهما النبي ﷺ: «وَلَكِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعْفِيَ لِحْيَتِي، وَأَنْ أَقْصَّ شَارِبِي»^(١).

فإذا كان النبي ﷺ أنكر على هذين الرجلين، مع العلم بأنهما كافران من المجوس، فالمسلم من باب أولى.
إضافة إلى أن اللحية زينة وجمال للرجل.

خامساً: إن في حلقها مخالفة لسنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، والخلفاء الراشدين والصحابة من بعدهم، قال تعالى حاكياً عن هارون وهو يخاطب موسى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [٩٤] [طه].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: إذا ضمت هذه الآية إلى آية الأنعام التي ذكر فيها ﷺ والأنبياء، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ أُؤْتِيكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدُ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. دلت على لزوم إعفاء اللحية وهذا دليل من كتاب الله.

وإعفاء اللحية من السمات التي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمات الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والعجب من الذين مسخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفترون من صفات الذكور، وشرف الرجولة إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (١/٢/١٤٧)، وهو حسن انظر: تخريج فقه السيرة (ص ٣٥٩) للألباني، والعزوم منه.

بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء، حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى، وهو اللحية، وقد كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثَّ اللَّحِيَّةِ، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة، والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ليس فيهم حالق، نرجوا الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه^(١). اهـ.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحِيَّةِ^(٢)، وفي صحيح البخاري من حديث أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: «قُلْنَا لِحَبَّابٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِأَضْطِرَابِ لِحِيَّتِهِ»^(٣)، وهذا دليل على أنه كان يعفيها ولا يأخذ منها شيئاً، وهكذا الصحابة جميعاً ولم يعرف حلق اللحية إلا في الأزمنة المتأخرة.

وبعض الناس يثير شبهة إذا نصحته بعدم حلق اللحية، فيقول: الإيمان بالقلب، وليست القضية تربية اللحية، فكم من إنسان حلق اللحية خدم الإسلام والمسلمين، وكم من إنسان أعفى لحيته وعليه من التقصير ما الله به عليم؟

فالجواب عن ذلك أن على المؤمن الالتزام بأوامر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣١) [آل عمران]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٤).

(١) أضواء البيان (٣/٦٤).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٣٤٤).

(٣) برقم (٧٤٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه شبهة باطلة، لو أخذنا بها لتركنا كثيرًا من الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع. ثم إن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، فلا يكفي التصديق بالقلب، بل لا بد من العمل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وست وعشرون

كلمة توجيهية للمرأة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمارة الأنصارية رضي الله عنها: أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (١).

وهذه بعض الوصايا التي أوصي بها أخواتي المسلمات، وأسأل الله أن ينفع بها، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

(١) برقم (٣٢١١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي

الوصية الأولى: التمسك بالتوحيد، والحذر من الشرك، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران عظيمان، وهما:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى (لا إله إلا الله) الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة السواء هي (لا إله إلا الله)، أي لا معبود بحق إلا الله، فلا دعاء ولا استغاثة، ولا ذبح، ولا نذر، ولا غير ذلك من العبادات إلا لله سبحانه، وهذه هي دعوة الرسل ﷺ.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعادة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والشرك محبط لجميع الأعمال، كبيرها وصغيرها، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، ولا فرضاً ولا نفلاً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان] (١).

وإن مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعتر به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية، وغيرها من الوسائل من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر الحذر، وهذا هو الخطر الأول.

أما الخطر الثاني: فمما يلاحظ انتشار الكهانة والسحر، وكثرة المرتادين لهم بعذر التداوي ونحوه، ولا يجوز للمسلمة الذهاب إلى هؤلاء الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات، لتعرف منهم مرضها، كما لا يجوز لها أن تصدقهم فيما يخبرونها به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، روى مسلم في صحيحه من حديث صفية: عن بعض أزواج النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (٢).

وهناك الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد، والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلهما.

الوصية الثانية: المحافظة على هذه الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة].

(١) انظر: مجموعة التوحيد (ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) برقم (٢٢٣٠).

وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(١).

وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبُهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

واعلمي أختي المسلمة أنه لا يكتمل إسلام المرأة إلا بالقيام بأركان الإسلام الخمسة، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»^(٤).

الوصية الثالثة: التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (١٤٢٠)، قال أبو عمر النمري: لم يختلف عن مالك في إسناد هذا الحديث وهو صحيح ثابت، سنن أبي داود ص ١٧٢.

(٤) سبق تخريجه.

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١).

لذلك ينبغي للمرأة المسلمة أن تحرص على تعلم أمور دينها، كحضور الدروس والمحاضرات، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وقراءة الكتب النافعة، ومن أهمها حفظ كتاب الله، فهو رأس العلوم كلها، ومنبع الحكم، ورياض الصالحين، والعصمة من الضلال لمن تدبره وعمل به، تقول عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعَنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ» (٢).

الوصية الرابعة: تقوى الله ﷻ ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله وصية الله للأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يوصي أصحابه بتقوى الله، وفي حديث العرباض بن سارية: أن النبي ﷺ قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» (٣).

والحذر من المعاصي، كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، وأن يدخله مدخلًا كريمًا، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

الوصية الخامسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

(٣) سبق تخريجه.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتِنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب].

وهذا خطاب لنساء النبي ﷺ، صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مخاطبات بذلك. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

فعلى المرأة المسلمة أن تحرص على هذه الشعيرة العظيمة، خاصة في بيتها مع أولادها وأقاربها، وإذا رأت من أخواتها المسلمات تقصيراً في طاعة الله في صلاتهن أو صيامهن، أو حقوق أزواجهن، أو غير ذلك، فعليها أن تنصحن بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، مقتدية في ذلك بنساء الصحابة رضي الله عنهن.

الوصية السادسة: الاتصاف بصفة الحياء، قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى المرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

والملاحظ أن خلق الحياء أصبح ضعيفاً عند كثير من النساء، ومن صور ذلك خروج المرأة مع السائق بمفردها، أو لبس النقاب الذي يوضع على منتصف الأنف، فيستر ما تحت ذلك، ويظهر العينين والجبهة، أو لبس البنطال أمام النساء، أو وضع العباءة على الكتف، أو لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة، أو العارية. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ... وذكر أحدهما: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِذْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ

مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا»^(١).

فعلى المرأة المسلمة أن تنتبه لما يريده أعداء الله، فهم يريدون انحلالها، وأن تصبح سلعة رخيصة بأيديهم، ويريدون سلخها من إيمانها ودينها، وخروجها عن فطرتها التي فطرها الله عليها، فعليها أن تكون على حذر من ذلك.

الوصية السابعة: الإكثار من الصدقة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١١٤) [النساء].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ مَا أُنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْفِيهِ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾^(٣٩) [سبأ].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ وعظ النساء، وقال: «أَكْثَرُنَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ كُنَّ حَطْبُ جَهَنَّمَ»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسله، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة، ويحث عليها، ويدعو إليها بماله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر. اهـ^(٣).

ومن أفضل أنواع الصدقة التي تستمر للعبد بعد وفاته الصدقة

(٢) برقم (١٨٥).

(١) برقم (٢١٢٨).

(٣) زاد المعاد (٢١ / ٢ - ٢٢) بتصرف.

الجارية، كحفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين، ونحو ذلك.

الوصية الثامنة: الابتعاد عن رفيقات السوء، فقد أخبر تعالى أن الإنسان يندم يوم القيامة على مصاحبته للجلسيس السوء الذي أضله وأبعده عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) ﴿ يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿ (٣٠) ﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧) [الزحرف].

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

وكم من فتاة فشلت في دراستها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة انتهك عرضها، وخسرت كرامتها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة وقعت في المخدرات والمسكرات، وما ترتب على ذلك من مآسي كثيرة بسبب ذلك.

لذلك أوصي أخواتي المسلمات بالحرص على الرفقة الصالحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨).

الكلمة المئة وسبع وعشرون

خطر التلفاز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا هذا اليوم عن فتنة دخلت كل بيت إلا من رحم الله؛ إنه التلفاز، ولعل الكلام فيه يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية فيه.

ثانياً: أقوال العلماء فيه.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: الحل.

فمن تلك المخالفات الشرعية: ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب بهم، والميل إليهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ أَوْلَيْتِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿المجادلة﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصور كريهة، كوضع اللحية على رجل ناقص العقل، وتشويه صورة الحجاب، ولمز الصالحين وأهل الخير، ونحو ذلك مما فيه استهزاء بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة].

ومنها: ما يسمى بأفلام الكرتون، وتعرض هذه الأفلام بطريقة خبيثة يتلقى فيها الأطفال ما يخالف العقيدة الإسلامية، والآداب الفاضلة، من الكفر والضلال والعشق، فقد ذكرت الأخت طيبة الياحي في كتابها «بصمات على ولدي»، بعد مشاهدتها لعدد من برامج الأطفال ما خلاصته: «أن هذه البرامج تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة، مثل صور الصليب، والتبرج، والاختلاط، وسماع الموسيقى، وشرب الدخان»، وفيها يقول أحدهم وهو يخاطب زميله: كما كنت حين صنعتك، وكأنه الخالق الذي يخلق البشر، وقول آخر: «إن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية»، وهذا كفر، فنظام من ذلك الذي يسيطر على كل المجرات تلك السيطرة إلا ناموس الخالق جل وعلا. وينبغي على الآباء أن يعلموا الأبناء أن أكثر برامج التلفاز،

(١) سبق تخريجه.

وخاصة المسلسلات والأفلام، وحتى الكارتونية منها مصدرها الدول الأجنبية (الكافرة) المعادية للإسلام والمسلمين، والتي لا شيء أحب إلى قلبها من إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم وخلقهم وتراثهم الخير، حتى يبقوا دائماً وأبداً تحت سيطرتهم، مع إعلامهم أن اليهودية العالمية هي التي تسيطر على جميع وسائل الإعلام، والوكالات في الغرب، لذلك لا تقدم لنا إلا الشر بأثواب براءة خداعة^(١).

وغير ذلك من المخالفات الكثيرة، مما يقدر في عقيدة الطفل وسلوكه وأخلاقه.

ومن المخالفات الشرعية الأخرى تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء، على أنه أمر عادي لا حرمة فيه عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُؤُا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»^(٢).

فكيف بمن يتعمد النظر إلى النساء العاريات وهن بكامل زينتهن على شاشة التلفاز، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل

(١) انظر: (ص ٥٧، ٦٧، ٨١). من كتاب الأخت طيبة يحيى.

(٢) سبق تخريجه.

زيبتهم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود على أنه الغناء.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١).

أقوال العلماء فيه: سئل المشايخ عبد الله بن حميد، وعبد العزيز ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله عن التلفاز، هل هو حرام أو حلال؟ فأجابوا بأن التلفاز آلة لا نستطيع أن نحرمها، تستخدم للخير أو الشر، فإن استخدم التلفاز في محرم، مثل الغناء الماجن، وإظهار صور فاتنة، وتمثيلات هابطة، فيها كذب وخيانات زوجية، واختلاط بين الرجال والنساء، ومسلسلات بوليسية إجرامية، فإنه حرام، وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن، وإبانة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك جائز، وإن تساوى الأمران، أو غلب جانب الشر كما هو الحال الآن، فهو حرام^(٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التلفاز، فقالوا: إنه آلة تستخدم للخير والشر، بحسب الحال التي تستخدم فيه، ولكن الأحوط ترك إدخاله، لأنه

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: رسالة الجواب المفيد في حكم التصوير، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، وبها ملحق عن حكم التلفاز.

قد يكون وسيلة إلى سماع ما يحرم، وذريعة إلى رؤية ما تنشأ منه فتنة من الصور العارية، وحرکاتها الفاتنة^(١).

شبهات والجواب عنها:

قد يقول قائل: ما هو البديل للتلفاز؟

وهذا هو الخطأ الفادح، وهو مطالبة المسلم دائماً بالبدايل في كل شيء منع منه، وحرم عليه، مع أن الواجب على المسلم أن يقول: سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].

والبدايل كثيرة، منها: حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو المحاضرات القيمة التي تقام في المساجد أو المؤسسات الخيرية، أو شراء الكتب النافعة، أو الأشرطة المفيدة، أو المسابقات الثقافية، وغير ذلك من البدائل التي لا تخفى على الجميع.

ومن الشبهات كذلك: قول بعضهم: إنه يشاهد في هذا التلفاز الصلاة في الحرم المكي، والبرامج الدينية، والأخبار، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم، وأفضل منه، وقد نصح الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها.

ومنها قول بعضهم: أعلم أن التلفزيون بوضعه الحالي لا يجوز بقاءه في بيتي، ولكن إذا لم أحضره للأولاد ذهبوا يشاهدونه عند الجيران، أو في أماكن أخرى، فيقال:

أولاً: إن المنكر لا يزال بمنكر مثله، بل ينبغي أن تبين لهم أن

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦ / ٢٧١ - ٢٧٢) رقم (٢١٣٣).

المشاهدة لتلك البرامج حرام هنا وعند الجيران.

ثانيًا: المنكر المترتب على اقتناء التلفزيون في البيت أعظم من المنكر المترتب على ذهابهم للمشاهدة عند الجيران؛ لأن ذهابهم عند الجيران سيقصر على أوقات محدودة، أما وجوده في البيت فسوف يسهل لهم رؤية المنكرات في كل وقت.

أخيرًا: تذكر يا عبد الله أن الموت قد يأتيك بغتة، وهذا الجهاز في بيتك، واسمع إلى هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِّعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

الكلمة المئة وثمان وعشرون

ذم الترف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء].

المترف: هو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، والمعنى أن الله تعالى أمر هؤلاء المترفين بطاعته فلم يمتثلوا أمره، بل فسقوا وأفسدوا، فحق عليهم العذاب والدمار، وقد أخبر ﷺ عن حال هؤلاء المترفين، وأنهم أتتهم آيات الله ونذره فأعرضوا عنها واستكبروا عليها، فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقد أخبر ﷺ أن الترف من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة] أي منعمين مقبلين على الشهوات والملذات، وقد بين سبحانه أن عاقبة الترف وخيمة في الدنيا والآخرة، فقال عن نبيه صالح، وهو يخاطب قومه ثمود، وكانوا عرباً

يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة، وتسمى الآن مدائن صالح: ﴿ أَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُمُومٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ إلى أن قال ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الشعراء]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى واعظًا لهم، ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزرع والثمرات، ولهذا قال: ﴿ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴾ قال: إذا رطب واسترخى، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين، قال ابن عباس وغير واحد: حاذقين، وفي رواية عنه: شرهين أشرين، وهو اختيار مجاهد وجماعة، ولا منافاة بينهم، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. اهـ^(١).

الشاهد أنهم كانوا يعيشون حياة الترف، فكذبوا رسولهم، فكان عاقبتهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن المترفين في الدنيا ينسون ما كانوا فيه من النعيم في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٦٢ - ٣٦٣).

رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

ولقد كان نبينا محمد ﷺ من أبعد الناس عن الترف، روى البخاري ومسلم من حديث عمر رضي عنه: أنه أتى النبي ﷺ، فراه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٢).

ومن مظاهر هذا الترف في وقتنا الحاضر: الإغراق في الكماليات بشكل عجيب، فعلى سبيل المثال بعض الأسر تغير أثاث المنزل بشكل سنوي حتى لو كان بحالة جيدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها قيام بعض الأسر بشراء المأكولات والمشروبات بشكل يومي من المطاعم الغالية الثمن من غير حاجة إلى ذلك.

ومنها أن بعض النساء تقوم بتغيير ملابسها بشكل مستمر في كل مناسبة أو عرس، حتى لو كان هذا الثوب لم يستعمل إلا مرة واحدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها سفر بعض الناس للسياحة سنوياً، ويدفعون في ذلك المبالغ الطائلة حتى لو كانت هذه المبالغ بالدين، وغير ذلك من مظاهر الترف.

ومن المفاسد التي تنتج عن الترف:

(١) برقم (٢٨٠٧).

(٢) البخاري برقم (٤٩١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٩).

أولاً: الأمراض الكثيرة في وقتنا الحاضر، كمرض السمنة، وأمراض القلب، والجلطات، وغيرها.

ثانياً: أنه يؤدي إلى الكسل، والراحة، والتعلق بالدنيا، مما يسهل على الأعداء تسلط على الأمة، وإفساد عقيدتها، ونهب خيراتها، وثرواتها، وأمة الإسلام ينبغي أن تكون أمة مجاهدة قوية تعد نفسها للدعوة إلى الله ونشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ولا يكون هذا إلا بالعمل الجاد، وليس بالترف والراحة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ثالثاً: أنه يؤدي إلى ضياع ثروات الأمة، ومقدراتها، فيما لا فائدة فيه، والأمة بأمس الحاجة إلى استغلال هذه الثروات، في بناء قوتها الاقتصادية، والعسكرية لتأخذ مكانتها بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعاً: أن الترف يؤدي إلى ضعف الأمة، وحاجتها إلى مساعدة الآخرين، وعدم اعتمادها على شبابها ومقدراتها، وهذا يؤدي بدوره إلى تسلط الأعداء عليها، ونهب خيراتها، وإفساد دينها، وغير ذلك من المفاسد.

وهذا كله فيما إذا كان الترف مقتصرًا على التوسع والانبساط في المباح، فأما إذا تجاوز ذلك إلى الشهوات المحرمة فإن الأمر يكون قد وصل إلى مرحلة الخطر، ومنذر بالهلاك والدمار، كما مر في الآيات السابقة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة المئة وتسع وعشرون

أخطاء في الطهارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الطهارة شرط من شروط الصلاة، التي لا تقبل إلا بها، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضيما الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين تتعلق بالطهارة، أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

أولاً: أن بعض الناس، أو كثير منهم يعبدون الله على جهل، فيقعون في أخطاء فاحشة، في الطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات، بل قد يتعدى ذلك إلى الخطأ في أمور في التوحيد والأيمان، وللأسف قد يكون بعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم من المثقفين، غير أن ثقافتهم ثقافة ضحلة لا تتعدى الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية، والواجب على المسلم أن يعرف دينه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) برقم (٢٢٤).

(٢) البخاري برقم (١٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٥).

ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه من ذلك، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ (٤٤) [النحل].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (١).

وروى البخاري من حديث جابر: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (٢)، وكان يقول في حجته فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (٣)، وقد يبلغ الأمر ببعض الناس إلى الإعراض عن تعلم الدين، وفي هذا خطر عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسئُ﴾ (١٢٦) [طه].

ثانياً: من الأخطاء ما يتعلق بالوضوء، فمن ذلك ترك إسباغ الوضوء، ومعنى الإسباغ إعطاء كل موضع من مواضع الوضوء حقه، وعلى المصلي أن ينتبه عند الوضوء إذا كان في يده ساعة أو خاتم أو غير ذلك، فلا بد أن يصل الماء إلى العضو، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ» (٤).

والعقب هو مؤخر القدم، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧/٢) برقم (٣٩١٤).

(٢) برقم (٦٣١).

(٣) برقم (١٢٩٧).

(٤) برقم (٢٤١).

جابر رضي الله عنه، قال: أَخْبَرَنِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُنْفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ» فَارْجَعَ ثُمَّ صَلَّى (١).

ومنها: عدم إكمال غسل اليدين إلى المرفقين، والواجب عليه غسل يديه كلها من أطراف الأصابع إلى المرافق؛ لأن الكفين داخلان في مسمى اليد، وقد نبه على ذلك بعض أهل العلم من المعاصرين.

قال الشيخ ابن عثيمين وهو يتحدث عن صفة الوضوء: وغسل اليدين إلى المرافق من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ويجب أن يلاحظ المتوضىء كفيه عند غسل ذراعيه، فيغسلهما مع الذراعين، فإن بعض الناس يغفل عن ذلك، ولا يغسل إلا ذراعيه، وهو خطأ (٢).

ومنها: أن بعضهم عند غسل الوجه لا يغسل صفحة وجهه كاملة، بل تبقى أجزاء من الوجه، جهة الأذنين لم يمسه الماء، والصحيح أن حدود الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحيين والذقن طولاً، وعرضاً إلى أصول الأذنين.

ومنها: أن بعضهم يكتفي بمسح مقدم رأسه، أو يمسخ إلى منتصف الرأس، والصحيح أن عليه أن يمسخ جميع الرأس، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم قال: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ (٣).

(١) برقم (٢٤٣).

(٢) انظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٥٢/٢).

(٣) البخاري برقم (١٨٥)، ومسلم برقم (٢٣٥).

ومنها: عدم تخليل أصابع اليدين والرجلين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ^(١).

وروى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلَّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ»^(٢).

ومنها: الإسراف في الماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ^(٣).

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات، روى النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٤٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠/١) برقم (١٣٤).
 (٢) برقم (٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٤/١) برقم (٣٦).
 (٣) البخاري برقم (٢٠١)، ومسلم برقم (٣٢٥).
 (٤) برقم (١٤٠) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

الكلمة المئة وثلاثون

أخطاء في الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ، وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة، فمن ذلك:

أولاً: عدم إقامة الصلب في الركوع أو السجود، روى النسائي في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي مسعود رضي عنه: أن

(٢) سبق تخريجه.

(١) برقم (٦٣١).

النبي ﷺ قال: «لَا تُجْزِيُ صَلَاةٌ لِأَحَدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(١).

وقد جعل الرسول ﷺ لص الصلاة وسارقها شرًّا من لص الأموال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(٢).

أما الركوع فإن بعض الناس يخفض ظهره أكثر من اللازم، أو يرفعه، وهذا خطأ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا رَكَعَ بَسَطَ ظَهْرَهُ وَسَوَّاهُ^(٣)، حَتَّى لَوْ صَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِ لَأَسْتَقَرَّ^(٤).

وروى النسائي من حديث أبي حميد قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اعْتَدَلَ، فَلَمْ يَنْصِبْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُقْنِعْهُ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ^(٥).

وأما السجود فإن بعض المصلين إذا سجد لا يمكن جبهته من الأرض، وبعضهم يرفع قدميه عن الأرض، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ،

(١) سنن النسائي برقم (١٠٢٧) ومسنند الإمام أحمد (٣٢٩/٢٨) برقم (١٧١٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) (٣١٩/٣٧) برقم (٢٢٦٤٢) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٢٨).

(٤) سنن ابن ماجه برقم (٨٧٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٤/١) برقم (٧١٢).

(٥) برقم (١٠٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٢٤/١) برقم (٩٩٤).

وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ»^(١).

وهذا الحديث يدل على أن أعضاء السجود سبعة، وأنه ينبغي للمصلي أن يسجد عليها كلها.

ومنها: عدم الطمأنينة في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة، لا تصح بدونه، روى البخاري في صحيحه من حديث زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: رَأَى حُدَيْفَةَ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: مَا صَلَّيْتُ، وَلَوْ مَتَّ مَتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا^(٢).

وفي هذا دليل على وجوب الطمأنينة في الركوع والسجود، وأن الإخلال بها مبطل للصلاة؛ لأنه قال له: ما صليت، وهو نظير قوله ﷺ للمسيء صلته في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ، وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يَصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثلاثًا، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني! فقال: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»^(٣).

ومنها: مسابقة الإمام، وقد جاء النهي الصريح من النبي ﷺ

(١) البخاري برقم (٨١٢)، ومسلم برقم (٤٩٠).

(٢) برقم (٧٩١).

(٣) البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

عن ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِّنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعَ سُجُودًا بَعْدَهُ^(٣).

ومنها: أن بعضهم إذا سلم الإمام التسليمة الأولى، وعليه قضاء بعض الركعات لا ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية، وإنما يقوم مباشرة ليكمل ما تبقى من الركعات، وهذا خطأ. والأولى أن ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية^(٤).

ومنها: الصلاة بثياب مسبلة، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من

(١) برقم (٤٢٦).

(٢) البخاري برقم (٦٩١)، ومسلم برقم (٤٢٧) واللفظ له.

(٣) برقم (٦٩٠).

(٤) خروجًا من خلاف من يرى ركنيتها، وعليه يحكم بطلان صلاته.

حديث أبي ذر رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَفَرَّأَهَا رَسُولُ اللهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْتَفِقُ سَلَعَتْهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»^(٢).

وبعض أهل العلم يُشدد في الأمر إذا كان الإِسْبَالُ في الصلاة؛ لأن من شروط الصلاة ستر العورة، والذي يصلي في الثياب المسبلة قد ستر عورته بثياب محرمة، ولذلك فإن صلاته في خطر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٠٦).

(٢) برقم (٥٧٨٧).

الكلمة المئة وإحدى وثلاثون

خطر النفاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم الذنوب عند الله تعالى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والنفاق ينقسم إلى قسمين: اعتقادي وعملي، فأما الاعتقادي فهو على ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر، كافر الباطن. أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة، كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوراً، وأما كفره باطناً فما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وهذا الصنف من الناس هم أشد أعداء الله ورسوله، ولهذا كان جزاؤهم أعظم من جزاء الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) [النساء].

وقال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨٤) [التوبة].

وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ووصفهم بأنهم كذابون يصدون عن سبيل الله، وأنهم يستكبرون، كما وصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، ولا يعقلون. ومن أبرز سماتهم - قاتلهم الله - موالاتهم للكفار، وعقدهم اللقاءات معهم في العلن تارة، وفي السر تارات، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا لِلْكَافِرِ﴾ (٥٢) [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِمِ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) [محمد].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على الآية الكريمة: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ...﴾: هم المنافقون، يعتذرون عن موالاته الكفار من اليهود بأنهم يخشون أن تدور عليهم الدوائر، أي دول الدهر الدائرة من قوم إلى

قوم، كما قال الشاعر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَيَّ أَنَسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِأَخْرِينَا
يعنون إما بقحط فلا يميروننا، ولا يتفضلون علينا، وإما بظفر الكفار بالمسلمين، فلا يدوم الأمر للنبي ﷺ وأصحابه، زعمًا منهم أنهم عند تقلب الدهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين على صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمل الصديق من صديقه، وأن المسلمين يتعجبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم إنهم لمع المسلمين، وبين في هذه الآية أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة اليهود، أنها لا تدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور على المسلمين، بقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ [المائدة].

وعسى من الله نافذة؛ لأنه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلا فيما يعطي، والفتح المذكور قيل هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل الفتح الحكم، كقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف].

وعليه فهو حكم الله، بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النضير، وقيل: هو فتح مكة، وهو راجع إلى الأول^(١).

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد] قال بعض العلماء: إنها نزلت في المنافقين، وقال بعضهم: إنها نزلت في اليهود، وإن المنافقين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم

(١) انظر: أضواء البيان (١/٣١٤).

في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ، والتشيط عن الجهاد، ونحو ذلك. والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله (١).

القسم الثاني: النفاق العملي، وهو خمسة أنواع:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، وقال مسلم في صحيحه: «إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» مكان «إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ» (٢).

وقد ذكر ابن رجب أن من النفاق العملي أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويطن ما يخالف ذلك (٣).

ولقد كان الصحابة رضي عنهم لسعة علمهم، وعميق إيمانهم، يخشون على أنفسهم من النفاق، قال البخاري رضي الله عنه في صحيحه، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكْذِبًا». وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانٍ جَبْرِيَلٍ وَمِيكَائِيلَ»، وَيَذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمَنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الْإِضْرَارِ عَلَى النَّفَاقِ وَالْعَصِيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ

(١) انظر: أضواء البيان (٥/١٤٨).

(٢) البخاري برقم (٣٤)، ومسلم برقم (٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١).

يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [آل عمران: ١٣٥] (١).

وروي عن الحسن أنه كان يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو: ما مضى مؤمن قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. اهـ (٢).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة: أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟ قال: لا ولا أزكي أحداً بعدك (٣).

فعمر رضي الله عنه لم يقل ذلك رياءً، ولكن العبد كلما ازداد علماً زاد خوفه من ربه، والصحابة لعظم خوفهم من ربهم، وسعة علمهم لم يكونوا يحتقرون الذنوب، بل كانوا يستعظمونها، ويخافون عواقبها، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» (٤).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْني بِذَلِكَ الْمُهْلَكَاتِ.

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه: قال أناس لابن عمر: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ

(١) صحيح البخاري، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩١)، وانظر: رسالة الشيخ عبد الرحيم المالكي (النصيحة والتحذير من الوقوع في الخطر الكبير) (ص ١٢ - ١٦).

(٤) برقم (٦٤٩٢).

إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»^(١).

وإن من صور النفاق ما يطالب به بعض الناس الذين هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويدعون أنهم يريدون إصلاح المجتمع، ونفع الأمة، ويرددونه بين الفينة والأخرى من هتك للحجاب، والدعوة للتبرج والسفور واختلاط الشباب بالفتيات في الأعمال، ومقاعد الدراسة، وأن في قوامة الرجل على المرأة كبتاً لحريتها، فيطالبون بالمساواة، زعمًا منهم أن فيها إنصافاً وعدلاً بينها وبين الرجل، وإلى نشر الموسيقى في المدارس والمراحل التعليمية الأخرى، وإلى تقليص المواد الدينية، وتخفيضها، وإلى قيادة المرأة للسيارة.

ومن صورهِ كذلك مطالبتهم للناس بالاعتماد على البنوك الربوية في بيعهم وشرائهم، وقروضهم، وسائر شؤونهم، وأن ما تأخذه البنوك من فوائد إنما هو لمصلحة المجتمع، ويدعم اقتصاده، وينشرون هذا عبر الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^(١٢) [البقرة].

إلى غير ذلك من المطالب والأساليب الماكرة التي يخططون لها ليلاً ونهاراً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنان وثلاثون

الظلم وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الذنوب العظيمة التي حرّمها الله على عباده، ورتب عليها العقوبة في الدنيا والآخرة الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].
وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عليه السلام أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١).

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظلم العبد نفسه بالكفر والشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن

مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ: ﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١).

فهذا النوع من الظلم لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه، بل هو ملعون مطرود من رحمة الله في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

القسم الثاني: ظلم بين العبد وبين الناس، وله صور كثيرة منها: أكل أموال الناس بالباطل ظلماً وعدواناً، مثل أكل مال اليتيم، أو عدم إعطاء العمال رواتبهم، أو بخسها، أو السرقة، أو الغش، أو الربا، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ومنها الاعتداء على أراضي المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣).

ومعنى طوقه: أي يجعل طوقاً في عنقه، يحمله، لا من أرض واحدة، بل من السبع الأرضين، نسأل الله العافية.

ومنها ظلم الناس بالقتل والسجن والضرب والشتم والتعذيب،

(١) البخاري برقم (٣٢) ومسلم برقم (١٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٨) من حديث ابن عمر.

(٣) البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ...»^(١).

وما يفعله اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة، بإخواننا المسلمين في فلسطين من قتل وتشريد وانتهاك للحرمات لهو من أعظم الظلم وأشنعها، ولا غرابة في ذلك، فهم قتلة الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١٨١) [آل عمران].

ومنها: اتهام الآخرين ورميهم بما ليس فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(١١٢) [النساء].

ومنها: مطل الغني، أي منع قضاء ما استحق أداءه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٢).

فمن كان مديوناً لرجل، واستطاع السداد فلا يجوز المماطلة؛ لأن هذا من الظلم.

ومنها: ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، أو الاستيلاء على مالها، وغير ذلك من الأحوال، فمن وقع في شيء من الظلم فليسارع بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولا يغتر بامهال الله له، فإنه يمهل ولا يهمل.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»

(١) برقم (٢١٢٨).

(٢) البخاري برقم (٢٢٨٧)، ومسلم برقم (١٥٦٤).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَىٰ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ ﷻ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» (٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةَ، وَعَاقِبَةَ العَدْلِ كَرِيمَةَ، وَيُرَوَّى أَنَّ اللهَ يَنْصُرُ الدُّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَنْصُرُ الدُّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً» (٣).

ودعوة المظلوم مستجابة كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٤).

قال الشاعر:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمْ

ونحن نرى في هذه الأيام تساقط هؤلاء الظلمة الطغاة واحداً تلو الآخر، قد ذهب عزمهم، وزال سلطانهم، وأصبحوا في حالة يرثى

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

(٢) سبق تخريجه. (٣) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).

(٤) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققو المسند: حديث صحيح

لها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر].

القسم الثالث: ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص].

وهذا النوع من الظلم - وهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب التي دون الشرك - فإن صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وستره.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

ويجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين، وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة، حيث لا درهم ولا دينار،

(١) البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

وإنما هي الحسنات والسيئات.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثلاث وثلاثون

تحريم الإسبال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا يُؤْرِي سَوْءَتِكُمْ وَرِيثًا وَليَاسُ الثَّقَوِيْ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف].

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده لستر العورات، ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد جاءت الشريعة بأحكامه مفصلة، مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس، والمحرم والمكروه والمباح مقداراً وكيفية.

ومما وردت به تحريم ما نزل عن الكعبين من كل ما يلبس من إزار أو ثوب أو بشت أو سروال أو بنطال إلى غير ذلك، مما يلبسه الرجال، فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(١)، وأحاديث النهي عن الإسبال بلغت مبلغ التواتر المعنوي في الصحاح والسنن والمسانيد، وغيرها، برواية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود،

(١) برقم (٤٠٩٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٧١ / ٢) برقم (٣٤٥٠).

وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم، وجميعها تفيد النهي الصريح، نهى التحريم، لما فيها من الوعيد الشديد، ومعلوم أن كل متوعد عليه بعقاب من النار، أو غضب، أو نحوها، فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يقبل النسخ، ولا يُرفع حكمه، بل هو من الأحكام الشرعية المؤبدة في التحريم.

والإسبال فيه عدة محاذير:

أولاً: مخالفة السنة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عِضْلَةِ سَاقَيْهِ»^(١)، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، ثُمَّ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ»^(٢) و في رواية أخرى: «فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ»^(٣)، والكعبان هما العظامان الناتئان في جانبي مفصل الساق من القدم.

ثانياً: الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»^(٤).

ثالثاً: أنه من الخيلاء التي تورث في النفس العجب، والترفع، والكبر، ونسيان نعمة الله على عبده، وكل هذا من موجبات مقت الله للمسبل، ومقت الناس له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

(١) وعضلة الساقين هي حد أعلى من أنصاف الساقين بقليل.

(٢) (٢٤٧/١٣) برقم (٧٨٥٧) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٧٨٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٥٧٨٧).

رابعاً: التشبه بالنساء، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(١).

خامساً: تعريض الملبوس للنجاسة والقذر، والمؤمن مأمور باجتنب النجاسات، والبعد عنها، قال تعالى: ﴿وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ﴾^(٢) [المدثر]. ولهذا أمر عمر رضي الله عنه الرجل الذي زاره وهو على فراش الموت برفع إزاره، وقال له: هُوَ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَنْقَى لِرَبِّكَ^(٣).

سادساً: تعريض عبادته لعدم القبول، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءَ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»^{(٣)(٤)}.

(١) برقم (٥٨٨٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠) باب قصة البيعة - مقتل عمر بن الخطاب.

(٣) قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: أي في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة، وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال، ولا له احترام عند الله تعالى. عون المعبود (٢٤٠/٢).

(٤) برقم (٦٣٧). قال أبو داود: روى هذا جماعة عن عاصم موقوفاً على ابن مسعود، منهم: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو الأحوص، وأبو معاوية، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٦/١) برقم (٥٩٥). وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره إذ قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ، ثم سكت عنه؟ فقال: إنه كان يصلي وهو مسبلاً إزاره، وإن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبلاً إزاره)، قال المنذري في مختصره: في إسناده أبو جعفر، وهو رجل من أهل المدينة لا يعرف اسمه، قال النووي في رياض الصالحين بعد إيراده لهذا الحديث: رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم، (ص ٢٥٩) برقم (٧٩٧).

سابعًا: إن الإسبال من الكبائر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقرأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ^(١)»، قَالَ الشيخ بكر أبو زيد: «فلهذه الوجوه السابقة^(٢)، ورد النهي مطلقًا عن الإسبال في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين إن كان لخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرم مذموم»، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر مرفوعًا: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٣).

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس ذلك، إضافة إلى أن النبي ﷺ أنكر على المسبل إسباله دون النظر في قصده الخيلاء أم لا، فقد أنكر على ابن عمر، وجابر بن سليم، وعلى عمرو الأنصاري، فرفعوا أزرهم إلى أنصاف سوقهم، وهذا يدل بوضوح على أن الوصف بالخيلاء، وتقييد النهي به في بعض الأحاديث إنما خرج مخرج الغالب، والقييد إذا خرج مخرج الأغلب، فإنه لا مفهوم له عند عامة الأصوليين كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّيبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ويستثنى من هذا

(١) برقم (١٠٦).

(٢) ما تقدم مأخوذ من رسالة (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) للشيخ بكر أبو زيد (بتصرف).

(٣) (٢٣٨/٣٤) برقم (٢٠٦٣٥) وقال محققوه: حديث صحيح.

الأصل ثلاث حالات:

الحالة الأولى: من لم يقصد الإسبال لعارض من نسيان أو استرخاء مع تعاهد له برفعه، كما جاء في حديث أبي بكر المشهور.

الحالة الثانية: من أسبل لمرض في قدميه، وللضرورة أحكامها.

الحالة الثالثة: النساء فقد رخص النبي ﷺ لهن بإرخاء ذيول ثيابهن لستر القدمين، وهما من عورة النساء^(١).

ومما سبق يتبين أن الإسبال في حق الرجال منهي عنه مطلقاً، وأنه في ذاته خيلاء، وإن المسبل مرتكب لمحرم وكبيرة من كبائر الذنوب، معرض نفسه لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن النسائي برقم (٥٣٣٦) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٨٠) برقم (٤٩٢٩).

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر أبو زيد (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) (ص ٢٢ - ٢٤) (بتصرف).

الكلمة المئة وأربع وثلاثون

فوائد من حديث خبيب بن عدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذَكُرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِثِّي رَجُلٌ، كُلُّهُمْ رَامَ، فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كَلَّهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَشْرَبُ، فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَّؤُوا إِلَى فَدْفِدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. فَقَالَ عَاصِمٌ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخِيرَ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ، وَابْنُ دَثَنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أوتارَ قسيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبَكُمْ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لِأَسْوَأَ، يُرِيدُ الْقَتْلَى، وَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبِ وَابْنِ دَثَنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقِيعةِ بَدْرٍ، فَأَبْتَعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ

ابن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحذ بها، فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذيه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك .

والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده، وإته لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إته لرزق من الله رزقه خبيبا، فلما خر جوا من الحرم ليقتلوه في الجلل، قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لظولتها، اللهم أحصهم عدداً:

ولست أبا لي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً^(١).

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة، ذكر كثيراً منها الحافظ ابن

حجر في كتابه فتح الباري^(١).

أولاً: جاء في الحديث أن عاصم بن ثابت قد قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، قال ابن حجر: لعله عقبة بن أبي معيط، وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسّه مشرك ولا يمس مشرکًا أبدًا»، وفي رواية أنه قال: «إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي»، فأرسل الله هذه الزنابير أو النحل فحمته من المشركين. قال عمر رضي الله عنه لما بلغه خبره: «يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته».

ثانيًا: أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالعزيمة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

ثالثًا: الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله.

رابعًا: الدعاء على المشركين بالعموم، والصلاة عند القتل، وفي الحديث أن خبيب بن عدي أول من سنَّ صلاة الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ.

خامسًا: فيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل، ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه.

سادسًا: أن الله تعالى يبتلي عبده المسلم بما شاء، كما سبق في علمه ليشييه، ولو شاء ربك ما فعلوه، قال تعالى: ﴿الْمَ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت].

سابعًا: فيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حيًا وميتًا، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه .

ثامنًا: فيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

تاسعًا: فيه أن الغدر والخيانة من صفات الكفار، فقد قتلوا عبد الله بن طارق، وباعوا زيدًا وخبيبا على قريش، من أجل دراهم معدودة.

عاشرًا: كرامة الله لأولياءه في الدنيا والآخرة، فإن خبيبا قد رزقه الله العنب وما بمكة من ثمرة، وهو موثق بالحديد عند عدوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق].

وغير ذلك من الفوائد والعبر عند التأمل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وخمس وثلاثون

تحريم التصوير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المنكرات التي انتشرت بين الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين التصوير، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح، آدمياً كان أو غيره، وهتك الستور التي فيها الصور، والأمر بطمس الصور، ولعن المصورين، وبيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي زرعة قال: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مَصُورًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»^(١).

وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٣).

(١) البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم برقم (٢١١١).

(٢) البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٣) البخاري برقم (٥٩٥١)، ومسلم برقم (٢١٠٨).

وفي الصحيحين من حديث القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةَ فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعَدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْهِيَاجِ الْأَسَدِيِّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَا تَدْعُ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وهذه الأحاديث وما في معناها دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهي لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل ولا غيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره، بل لعن المصور وأخبر أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك، ولم يستثن شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) البخاري برقم (٥٩٦١)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) برقم (٩٦٩).

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] (١).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ولا يجوز للمسلم أن يقتني الصور في بيته، ولا يحتفظ بها، إلا الصور الضرورية التي يحتاجها، كصورة حفيظة النفوس، وجواز السفر، وإثبات الشخصية، فهذه أصبحت ضرورية، وهي لا تتخذ من باب محبة التصوير، وإنما تتخذ للضرورة والحاجة، أما ما عدا ذلك من الصور فلا يجوز الاحتفاظ بها للذكريات، ولا الاطلاع عليها، وما أشبه ذلك، ويجب على الإنسان أن يتلف الصور، وأن يخلي بيته منها مهما أمكنه ذلك، وإذا كان في منزله صور معلقة على الحيطان، أو منصوبة، سواء كانت تماثيل أو كانت رسوماً على أوراق من صور ذوات الأرواح، كالبهائم والطيور والأدميين، وكل ما فيه روح، فإنه يجب إزالته، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى سترًا وضعت عائشة على الجدار فيه تصاوير. اهـ (٢).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني وهو يرد على من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير باليد: وقريب من هذا تفریق بعضهم بين الرسم باليد، وبين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان! وليس من عمله فيه إلا إمساك الظل فقط، كذا زعموا، أما ذلك الجهد الجبار الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى استطاع أن يصور في لحظة ما لا يستطيعه بدونها في ساعات فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء! وكذلك توجيه المصور للآلة وتسديدها نحو الهدف المراد تصويره، وقبيل ذلك تركيب ما يسمونه بالفلم، ثم بعد ذلك تحميضه، وغير ذلك

(١) رسالة للشيخ بعنوان (الجواب المفيد في حكم التصوير) (ص ١٣).

(٢) فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٣).

مما لا أعرفه، فهذا أيضًا ليس من عمل الإنسان عند أولئك أيضًا! (١)

سئل الشيخ ابن عيثمين رَحِمَهُ اللهُ عن عرض الصور الكبيرة والصغيرة في المحلات التجارية وهي صور إما لممثلين عالميين أو أناس مشهورين وذلك للتعريف بنوع أو أصناف من البضائع كالعطورات وغيرها. وقال السائل: عند إنكارنا على أصحاب المحلات يجيبون بأنهم اطلعوا على فتوى لفضيلتكم بأن التصوير المجسم هو الحرام وغير ذلك فلا؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: من نسب إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواء كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعة والرخصة والله الموفق (٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التصوير الذي تستخدم فيه كاميرا الفيديو هل يقع حكمه تحت التصوير الفوتوغرافي؟

فأجابت: نعم حكم التصوير بالفيديو حكم التصوير الفوتوغرافي بالمنع والتحريم لعموم الأدلة (٣).

ومن مفاسد الصور:

أولاً: فيها مضاهاة لخلق الله، وادعاء المشاركة لله في خلقه، الذي اختص به، فإنه هو الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

(١) آداب الزفاف (ص ١٩٢).

(٢) فتاوى كبار العلماء في التصوير للشيخ عبدالرحمن بن سعد الشري (ص ١٢٤).

(٣) (١/ المجموعة الثانية) (ص ٢٨٨).

ثانيًا: إن التصوير وسيلة من وسائل الشرك، فأول ما حدث الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، لما صور قوم نوح رجالاً صالحين ماتوا في عام واحد، فتأسفوا عليهم، فجاء الشيطان وألقى إليهم أن يصوروا تصاويرهم، وينصبوها على مجالسهم حتى يتذكروا بها العبادة، ففعلوا ذلك، ولما مات هذا الجيل جاء الشيطان إلى من بعدهم وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليستقوا بها المطر، وليعبدوها، فعبدوها من دون الله ﷻ، ومن ثم حدث الشرك في الأرض بسبب التصوير.

ثالثًا: أنه سبب في فساد الأخلاق، وذلك إذا صورت الفتيات في المجلات والصحف، والقنوات الفضائية، أو صورت للذكريات، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يجر إلى الافتتان بتلك الصور، وبالتالي يوقع في القلب المرض والشهوة، ولهذا اتخذ المفسدون التصوير مطية ووسيلة لإفساد الأخلاق بتصوير النساء في الأفلام والمجلات، والأدوات المنزلية، والدعايات، وغيرها^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٢ - ١٩٣).

الكلمة المئة وست وثلاثون

الموت وعظاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن المنهمك في الدنيا المكب على شهواتها وملذاتها يغفل قلبه عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ أَمْوَاتَ الَّذِينَ تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وأما العارف بربه، فإنه يذكر الموت دائماً، أخذاً بوصية رسول الله ﷺ عندما قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت -»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم (١٨٧٧).

ذِكْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ»^(١).

قال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها».

قال الشاعر:

لا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لِدَائُهُ مُنْغَصَّةً بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ
وقال عمر بن عبد العزيز: إذا غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة فسد، وقال بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والكسل في العبادة.

والموت له سكرات وكربات، وهي تعتري كل مخلوق، وقد يهونها الله على بعض عباده، كالشهداء؛ لأن الشهيد «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»، كما في الحديث الصحيح^(٢).

وقد تشدد هذه السكرات على بعض العباد تخفيفًا من الذنوب، ورحمة وزيادة في الدرجات، كالأنبياء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وفي مقدمتهم خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فإنه قد لقي من الموت شدة، وهو أحب الخلق إلى الله.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا

(١) برقم (٤٢٥٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨٤).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٠٥٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم

وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(١).

وحينما ثَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).

حتى إنه من شدة كربته قال: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»^(٣).

وكان كلما اغتسل عليه الصلاة والسلام، وهم بالصلاة مع الناس يغمى عليه - ثلاث مرات -^(٤).

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيِّنَ حَاقِنَتِي^(٥) وَذَاقِنَتِي^(٦) فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ^(٧).

وتشدد هذه السكرات على الكفار، وكذلك على عصاة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا

(١) برقم (٤٤٤٩).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) قال ابن الأثير: الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الخلف، النهاية في غريب

الحديث (١/٦٤).

(٦) قال ابن الأثير: الذاقنة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر،

النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٢).

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٦).

كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية: الْفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ - غِلَاطٌ شِدَادٌ - سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ^(١) مِنَ النَّارِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ: أَخْرَجِي إِلَى سَاحَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ - الْكَثِيرُ الشُّعْبِ - مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ - فَتُقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ»^(٢) .. الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ»^(٣).

وروى الشيخان من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(٤).

(١) المسوح: وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهراً للبدن.

(٢) (٥٠١/٣٠) برقم (١٨٥٣٤) وقال محققوه: إسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، وجمع زيادات الحديث (ص ١٩٨ - ٢٠٢).

(٣) (٢٣/١٣) برقم (٧٥٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٣٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٠).

وحق على كل إنسان أن يستعد للموت قبل نزوله، وذلك بالمبادرة بالعمل الصالح قبل حلول الأجل.

لقد حثنا ربنا ﷺ أعظم الحث، ودعا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه، وقد حيل بينه وبينه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ (١٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تِلْكَ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ (١٠) ﴾ [المنافقون].

قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَدْرِ
 روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(١).

وفي رواية للترمذي: «وَعَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢٣٣٣) وصحح الزيادة الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١١٥٧).

قال الشاعر:

تَفَانُوا جَمِيعاً فَمَا مُخْبِرٌ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبِرُ
تَرُوحٌ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُمحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
فِيَا سَائِلِي عَنِ أَنْاسٍ مَضَوْا أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ؟

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموتُ غايةَ كلِّ حيٍّ
ولكنَّا إذا متنا بُعثنا ونسألُ بعدها عن كلِّ شيءٍ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وسبع وثلاثون

مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولم يفارق النبي ﷺ لا في حضر ولا سفر، ولد بعد حادثة الفيل بسنتين وستة أشهر، صلى بالناس إمامًا في مرض النبي ﷺ الذي مات فيه، وهو من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وقد تزوج النبي ﷺ ابنته، وهو أول من أسلم من الرجال، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو رفيق النبي ﷺ في الغار، وقد نال شرف صحبته في ذلك، وقد أنزل الله فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال عمر بن الخطاب: «لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه». إنه صديق هذه الأمة أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة

عثمان بن عامر بن عمرو القرشي، وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، وقد وصفته ابنته عائشة فقالت: «كان أبي أبيض نحيفاً خفيف العارضين، منحني الظهر قليلاً، غائر العينين.

وقد وردت أحاديث تدل على فضله ومكانته، وأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث عائشة في مرضه الذي مات فيه: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنَّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(١).

قال العلماء: وفي هذا الحديث دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بإمامة المسلمين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي

(١) برقم (٥٦٦٦) وصحيح مسلم (٢٣٨٧) واللفظ له.

(٢) البخاري برقم (٣٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

بَكَرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» (١).

وقد أنفق رضي الله عنه بعد إسلامه أربعون ألفاً على الصدقات، وإعتاق العبيد من المسلمين.

روى الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّصِدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبَقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبَقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبَقَيْتُ لَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا» (٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا» (٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ» (٤).

وقد تولى الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وكانت خلافته سنتان وسبعة أشهر، وعندما ارتدت العرب واشرب النفاق، وانحازت

(١) برقم (٣٦٦١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٠) برقم (٢٨٩٤).

(٢) برقم (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٣٦٥٨) وقال: هذا حديث حسن.

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠١) برقم (٢٨٩٧).

الأنصار، قالت عائشة رضي الله عنها: «فلو نزل بالجمال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها»، وقال كلمته المشهورة: «لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(١).

يقول العلماء: حفظ الله الدين، برجلين: أبو بكر في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة الجهمية.

وجمع القرآن في عهده، يقول علي بن أبي طالب: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر. وكان رضي الله عنه شديد الورع، روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه^(٢).

قال ابن حجر: أشار بذلك أنه كان كسوباً لمؤنته ومؤنة عياله بالتجارة من غير عجز تمهيداً على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه، فقد روى ابن سعد وابن المنذر بإسناد صحيح عن مسروق عن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي، قالت: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده^(٣).

تقول عائشة رضي الله عنها: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٠).

(٢) برقم (٢٠٧٠). (٣) فتح الباري (٤/٣٠٤).

لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فحَمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، ودخل عليه الصحابة في مرضه، فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال: قد نظر إلي، فقالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد، تقول عائشة رضي الله عنها: لما ثقل أبي تمثلت بهذا البيت:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فكشف عن وجهه وقال: ليس ذلك يا بنية، ولكن قولني: ﴿وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفتتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ، ليس فيها قميصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. وقال لها: في أي يوم تُوفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يومَ الاثْنَيْنِ. قال: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قالت: يومُ الاثْنَيْنِ. قال: أَرَجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فنظر إلى ثوبٍ عليه كان يُمَرَّضُ فيه، به ردعٌ من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين، فكفونوني فيها. قلت: إن هذا خَلَقٌ؟ قال: إن الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إنما هو للمهلة. فلم يتوفَّ حَتَّى أَمْسَى من ليلة الثلاثاء، وَدُفِنَ قبل أن يُصْبِحَ (٢).

رضي الله عن أبي بكر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثمان وثلاثون

مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، قال فيه النبي ﷺ في الحديث المخرج في مسند الإمام أحمد: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ»^(١).

وقال عنه ﷺ كما في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٢).

كان إسلامه فتحًا على المسلمين، وفرجًا لهم من الضيق، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، تزوج النبي ﷺ من ابنته، وهو أحد

(١) (١٤٤/٩) برقم (٥١٤٥) وقال محققوه: حديث صحيح من حديث ابن عمر.

(٢) البخاري برقم (٣٢٩٤)، ومسلم برقم (٢٣٩٦).

العشرة المبشرين بالجنة، وفي عهده سقطت دولتي فارس والروم، قال عنه عبد الله بن مسعود: «ما عبد الله جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ هَذَا الرَّجُلُ».

إنه فاروق هذه الأمة، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، كان إسلامه ﷺ قد تحقق ببشارة النبي ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» (٢).

قال ابن عباس: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً جداً، ومن طوله إنه إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، ومع طوله فإنه كان ضخماً عريض المنكبين، مفتول الساعدين، أبيض مشرباً بالحمرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته، فمن ذلك ما رواه الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» (٣)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ قَالَ: أَعَلَيْكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ؟! (٤)

(١) برقم (٣٦٨١) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٣) برقم (٢٩٠٧).

(٢) برقم (٣٦٨٤).

(٣) برقم (٣٦٨٦).

(٤) البخاري برقم (٧٠٢٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قالوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ»^(١).

وقد كان صلى الله عليه وسلم رجلاً ملهماً، نزل القرآن الكريم في موافقته في عدد من آرائه، ففي الصحيحين من حديث عمر أنه قال: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؟ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبُرِّ وَالْفَاجِرِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحریم: ٥]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(٢).

وكذلك وافقه في أسارى بدر، وفي ترك الصلاة على المنافقين، وفي غيرها من المواضع، وكان صلى الله عليه وسلم من أعلم الصحابة وأفقههم، قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح بهم علم عمر، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم^(٣).

(١) البخاري برقم (٣٦٩١)، ومسلم برقم (٢٣٩٠).

(٢) البخاري برقم (٤٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٩٩).

(٣) مستدرک الحاكم (٣٩/٤) برقم (٤٥٥٣) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (١٦٣/٩) برقم (٨٨٠٩) وقال في مجمع الزوائد (٦٩/٩): رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان تقياً ورعاً زاهداً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كثرت الفتوحات في عهده، وسقطت دولتي فارس والروم، وكانت هذه من أعظم الإنجازات في عهده، وأصيب الناس في إحدى سنوات عهده بمجاعة شديدة، أجذبت الأرض، واسودت، وانقطع المطر، وسمي ذلك العام عام الرمادة، فكان يأكل الخبز والزيت، ويقول: لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين، وكان يقول: لو أن بغلة عثرت في طريق العراق لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة. وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأنصاري أنه قال: «شَهِدْتُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدْعَنَّ أَرَامِلَ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ رَابِعَةٌ إِلَّا وَأُصِيبَ»^(١). وقد أكرمه الله بالشهادة، فكان قتله على يد الغادر الشقي أبي لؤلؤة المجوسي في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو يؤم الناس لصلاة الفجر، طعنه بسكين ذات شقين.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين، قال: وذِكْرَ لي أنه ديكٌ أحمرٌ، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يَقتُلُكَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين حفصة أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ ارزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدٍ

(١) برقم (٣٧٠٠).

(٢) (١/٢٥٠) برقم (١٩) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رَسُولِكَ»^(١). فاستجاب الله لدعوته الصالحة.

رضي الله عن عمر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،
وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،
وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وتسع وثلاثون

النهي عن البدع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْمَصَّ ۝١ كَذَّبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنَذِيرٍ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

والبدعة هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) سنن النسائي برقم (١٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٣٤٥ - ٣٤٦) برقم (١٤٨٧) وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال ابن رجب في شرح هذا الحديث: «وهو أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١) ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء^(٢).

وقال ابن حجر: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»^(٣).

وقال النووي: «وهذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك»^(٤).

وقال الطريقي: «هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع»^(٥).

وقال ابن القيم: «القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن»^(٦).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الجمعة: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(٧).

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦). (٣) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٤) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣). (٥) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢١٣).

(٧) برقم (٨٦٧).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع، والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع، والمنفرة منها^(١). اهـ.

وَمَرَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى أَنْاسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبَّحُوا مِئَةً، فَيَسْبَحُونَ، كَبَّرُوا مِئَةً فَيَكْبُرُونَ، هَلَّلُوا مِئَةً فَيَهْلَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَيْتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟! (٢).

وقال أهل العلم: إن كل عمل يتقرب به المسلم إلى ربه ﷻ لا بد له من شرطين:

(١) رسالة للشيخ بعنوان: التحذير من البدع (ص ١١).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١٢٧/٩) رقم (٨٦٣٦)، وروي بألفاظ كثيرة.

الأول: الإخلاص لله ﷻ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷻ، وهذه المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

١ - السبب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي مردودة على صاحبها، مثالها: رجل يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ فالتهدج عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً، وهذا أمر مهم يتبين به ابتداء كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة، ومن الأمثلة كذلك: بدعة المولد، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما أحدثته الدولة العبيدية الرافضية، لما حكمت مصر في القرن العاشر.

٢ - الجنس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة، ومثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام - الإبل، والبقر، والغنم -.

٣ - القدر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو

(١) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

٤ - الكيفية: فلو أن رجلاً توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوءك باطل، لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

٥ - الزمان: فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وبعض الناس في شهر رمضان يتقرب إلى الله بذبح الأغنام، وهذا عمل بدعة لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي، والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر كالذبح في عيد الأضحية فبدعة، وأما الذبح لأجل الأكل جائز.

٦ - المكان: فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد، فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان.

ومن الأمثلة: لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق، ووجد ما حوله قد ضاق، فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه، لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١) [الحج: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: رسالة (الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٠

الكلمة المئة وأربعون

قدرة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يتأمل في آيات الله الدالة على كمال قدرته، ليعظمه حق تعظيمه، ويقدره حق قدره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ﴾ (٥٠) [القمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) [الزمر]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله - أي ابن مسعود - قال: «قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧)» (١).

ومن الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته خلق السماوات،

(١) البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم برقم (٢٧٨٦).

والأرض، والجبال، والدواب في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في لمحة بصر، ولكن كان ذلك لحكمة إلهية منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [ق].

ومنها: أن الله تعالى خلق آدم من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يستقر في قرار مكين، في مكان لا يعتريه شمس ولا هواء، ولا حر ولا برد، في ظلمات ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الغشاء، أربعون يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، فإذا تمت هذه الأيام، وهي أربعة أشهر، أرسل الله تعالى إليه الملك الموكل بالأجنة، فنفخ فيه الروح، فأصبح إنسانًا بعد أن كان جمادًا، فتبارك الله أحسن الخالقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون].

ومنها: أن الله خلق عيسى من أم بلا أب، وأنطقه الله تعالى في المهد وهو صبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَتِ هَذُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ [مريم].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حوادث كثيرة تدل على قدرته على إحياء الموتى في هذه الدنيا.

ومنها: قصة بني إسرائيل حين قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فعاقبهم الله تعالى، فأخذتهم الصاعقة، فماتوا، ثم بعثهم الله تعالى من بعد موتهم، وفي هذا يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قد تهدم بناؤها، ويبست أشجارها فاستبعد أن تعود على ما كانت عليه من العمران والسكان، فأراه الله تعالى آية في نفسه تدل على قدرته، فأماته الله مئة سنة، وكان معه حمار وطعام وشراب، فمات الحمار، وتمزقت أوصاله، ولاحت عظامه، وبقي الطعام والشراب لم يتغير واحد منهما بنقص ولا طعم ولا لون ولا رائحة، مئة سنة والشمس تصهره، والرياح تتعاقب عليه، ثم بعث الله ﷻ ذلك الرجل وأراه الحمار، فنظر إلى عظامه المتفرقة في الأرض يركب بعضها بعضاً، كل عظم في محله، ثم يكسوها الله لحماً، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة إبراهيم الخليل حين سأل ربه أن يريه كيف

يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاء فيفرقها على الجبال التي حوله، على كل جبل جزء من هذه الطيور، ثم يناديهن، وحينئذ تلتئم هذه الأجزاء المتفرقة في الجبال بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم عليه السلام مشياً لا طيراناً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤَمِّنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

فهذه الأمثلة من إحياء الله تعالى الموتى في الدنيا دليل على قدرته سبحانه على البعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسبحانه من إله عظيم قادر، لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وأربعون

علامات حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران)، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُؤَفِّقُنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَّيْنِ بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف)، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر)، في هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمناً بربه، راضياً بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(١).

وأن من علامات حسن الخاتمة:

الاستشهاد في سبيل الله، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

(١) جزء من حديث في البخاري برقم (٦٤٩٣)، ومسلم برقم (٢٦٥١).

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٣٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴿آل عمران﴾،
 روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»^(١).

وترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه، ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

ومنها: أن يوفق المحتضر للنطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

قال بعض أهل العلم: «لأنها شهادة شهد بها عند موته، وقد ماتت شهواته، وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت أخلاقه السيئة، وذل وانقاد لربه، فاستوى ظاهره بباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقه».

ومنها: الموت بعرق الجبين:

روى الترمذي في سننه من حديث بريدة بن الحصيب رضي عنه: عن

(١) البخاري برقم (٢٨١٧)، ومسلم برقم (١٨٧٧).

(٢) برقم (١٩٠٩).

(٣) برقم (٣١١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٢) برقم (٢٦٧٣).

النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: قيل: هو لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، فإنه إذا جاءت البشرية مع ما كان قد اقترب من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله تعالى، فغرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جُعِلَتْ لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه^(٢).

ومنها: وفاة المسلم بالطاعون، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٣).

ومنها: الموت بداء البطن، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٤).

وذكر بعض الشراح أن المبطون من أصابه إسهال، أو استسقاء، أو وجع بطن.

ومنها: الموت بالحرق أو الغرق أو الهدم أو الطاعون أو ذات الجنب، أو موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ،

(١) برقم (٩٨٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) التذكرة للقرطبي (ص ٢٤) وتحفة الأحوذى (٤/٣٠).

(٣) البخاري برقم (٢٨٣٠)، ومسلم برقم (١٩١٦).

(٤) قطعة من حديث برقم (١٩١٥).

وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «غَلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ»، فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُنَّ فَإِذَا وَجِبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِئَةً»، قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «الْمَوْتُ»، قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً فإنك كنت قد قضيت جهازك، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَيَّ قَدْرَ نَيْتِهِ، وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟»، قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الشَّهَادَةُ سَبْعُ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعِ شَهِيدٌ»^(٢).

وذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

والمرأة تموت بجمع، أي تموت وفي بطنها ولد، أو تموت من الولادة، كذا قاله المناوي^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس والمال، روى أبو داود في سننه من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ

(١) البخاري برقم (٦٥٣)، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٢) برقم (٣١١١)، وصححه الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، (ص ٥٤ - ٥٥).

(٣) فيض القدير (٤/١٧٩).

دينه، فهو شهيد»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٧٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٠٦) برقم (٣٩٩٣).

(٢) برقم (١٤٠).

الكلمة المئة واثنان وأربعون

وفاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فبكى أبو بكر الصديق، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا^(١).

ففي هذا الحديث إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، وإلى عزوفه عليه الصلاة والسلام عن الدنيا، واشتياقه إلى الرفيق الأعلى.

وقال بعض أهل العلم: إن الله جمع لنبيه بين النبوة والشهادة، ويستدلون على ذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَرَأُلْ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ

(١) البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ»^(١).

قال شراح الحديث: الأبهر عرق بالظهر متصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه، وهو يشير بذلك إلى ما حصل له في غزوة خيبر عندما جاءت أمه امرأة يهودية، يقال لها: زينب بنت الحارث بشاة مسمومة، وقدمتها للنبي ﷺ فوضع لقمه في فمه، فلم يستسغها، فرمى بها، ومكث عليه الصلاة والسلام من السنة السابعة إلى السنة الحادية عشرة وهو يعاني من آثار السم الذي يعاوده فترة بعد أخرى^(٢).

قال ابن عبد البر: «ثم لما دنت وفاته ﷺ، أخذه وجعه في بيت ميمونة، فخرج إلى أحد، فصلى عليهم صلاة الميت، ودعا لهم، وكان ذلك بعد ثماني سنوات من استشهادهم»^(٣). اهـ، وكان أول ما يشكو في علة الآلام الشديدة في رأسه، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت: وارأساه يا نبي الله، فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكَ، وَأَدْعُو لَكَ»، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إنني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك، لظللت آخر يومك معرّساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»^(٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء^(٥).

تقول عائشة رضي الله عنها، وهي تحكي مشهد احتضاره ﷺ: «كَانَ بَيْنَ

(١) برقم (٤٤٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٧٧).

(٣) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (١/٢٦٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢١٧).

(٥) البخاري برقم (٤٤٥٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٣).

يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ»^(١). تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَبَيَّنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلَا أَكَرُهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، وَتَقُولُ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣)، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدَّدَ عَلَيْهِ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، رَفَعَهُ لِدَرَجَاتِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ بَدَأَتْ الْحُمَى الشَّدِيدَةَ تَنْتَشِرُ فِي جَسَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَقُولُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ»، فَيُوضَعُ فِي مَخْضَبٍ ثُمَّ يَصَبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ، حَتَّى أَشَارَ إِلَيْهِمْ: «أَنْ حَسَبُكُمْ»^(٤).

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِجَوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَأَتْهُ وَهُوَ يَعْانِي مِنْ هَذِهِ السَّكْرَاتِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَتْ: وَكَرَبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٥).

وَلَمَّا هَمَّ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ^(٦)، ثُمَّ أَفَاقَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْمِلُ هَمَّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِهِ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٧)، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٨)، أَلَا فَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ» (١).

تقول عائشة رضي الله عنها: لما نزل به - أي الموت - ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق، ثم شخص بصره إلى سقف البيت، وقد أخبرنا قبل ذلك: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، فيخير بين الدنيا وبين ما عند الله، فعرفت أنه لا يختارنا، وأنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صَحِيحٌ، ثم رفع بصره إلى السماء، وجعل يقول: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»، فكانت آخر كلمة تكلم بها حتى قبض (٢)، ومالت يده الشريفة.

قالت فاطمة رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نُنْعَاهُ (٣).

قال الحافظ ابن كثير: وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام سنة إحدى عشرة من الهجرة في الثاني عشر من ربيع الأول، الموافق يوم الاثنين، ومكث بقية الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله، ودفن ليلة الأربعاء، وهو المشهور عند الجمهور (٤).

ومن الدروس والعبر المستفادة من وفاته عليه الصلاة والسلام:

١ - أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائناً من كان سيخلد في هذه

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٣)، وبرقم (٤٤٣٥) و(٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢). (٤) البداية والنهاية (٨/١٥٢).

الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ فَمَنْ زُحَّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) [آل عمران].

٢ - زهده عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورغبته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، إِلَّا بَغَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً^(١).

بل إنه عليه الصلاة والسلام: تُوفِّيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(٢).

٣ - أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(٣) ليكون ذلك تسلية له في مصيبته.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ

(١) برقم (٤٤٦١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠٣).

(٣) (٥٣/١) برقم (٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا» (١).

وقالت فاطمة رضيها لله لأنها لأنس بعدما دفن النبي ﷺ: «يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟!» (٢).

قال الشاعر:

اصبر لكل مُصِيبَةٍ وَتَجَلَدِ وَاَعْلَمُ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مُخَلَّدِ
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ تَشْجَى بِهَا فَادْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ (٣)

اللهم احشونا في زمرته، وأوردنا حوضه، واجعلنا من أتباعه.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٦١٨)، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) انظر: مرض النبي ﷺ ووفاته، وأثر ذلك على الأمة، للشيخ خالد أبو صالح.

الكلمة المئة وثلاث وأربعون

أسباب النصر على الأعداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان يبتلى فيها المؤمنون بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتكم جراح، وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي ندبل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة^(١).

وعداوة الكفار للمؤمنين عداوة قديمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٩٩ - ٢٠٠).

والنصر على الأعداء له أسباب كثيرة، أذكر منها:

أولاً: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٥٥] [النور].

ثانياً: الإخلاص والصدق في نصر دين الله، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤٠] ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٤١] [الحج].

وقال سبحانه: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٧] [محمد].

ثالثاً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١١٠] [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكْفَلَّ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصَدِّقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(١).

رابعاً: الثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٢).

خامساً: الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، واليقين أن الأجل لا يقدمه إقدام، ولا يؤخره إحجام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، وأقواهم قلباً عند لقاء العدو، روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ

(١) البخاري برقم (٣١٢٣)، ومسلم برقم (١٨٧٦).

(٢) البخاري برقم (٢٩٦٦)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

الْبَأْسُ نَتَقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَازِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ (١).

سادسًا: كثرة الذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (١) [الأنفال].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، كما في معركة بدر وغيرها، وكان من دعائه: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» (٢).

سابعًا: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله، والحذر من المعاصي والتنازع، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦) [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مِنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٣).

ثامنًا: لزوم طاعة الأمير، والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي

(١) برقم (١٧٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٩٣٣)، وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢) واللفظ له.

(٣) سبق تخريجه.

فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(١).

تاسعاً: الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١٣٠) [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦) [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال له: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(٢).

عاشراً: الإخلاص لله، فلا يكون المقاتل مجاهدًا في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦) [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

الحادي عشر: الأخذ بأسباب القوة، والإعداد لذلك

(١) البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) (١٩/٥) برقم (٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، ومسلم برقم (١٩٠٤).

امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ»^(١).

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب، فإنها تخون العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٢).



(١) برقم (١٩١٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ سعيد بن وهف القحطاني: الجهاد في سبيل الله، فضله، مراتبه، أسباب النصر على الأعداء.

الكلمة المئة وأربع وأربعون

فضل أيام عشر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص].

ومن هذه الأزمنة الفاضلة، التي فضلها الله على غيرها أيام عشر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر]. والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظمته، قال ابن عباس والزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف: «إنها عشر ذي الحجة»، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو الصحيح»^(١).

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [٢٨] [الحج].

قال ابن عباس: «الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

وقد أخبر النبي ﷺ أنها من أفضل الأيام، وأن العمل الصالح فيها أعظم من غيرها، روى البخاري والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»^(٢).

وفي هذه الأيام العشر يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، وهي من أعظم الأيام عند الله، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»^{(٣)(٤)}.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٥).

فهو يوم المغفرة والعتق، وصومه يكفر ستين، روى مسلم والترمذي من حديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ

(١) صحيح البخاري برقم (٩٦٩)، وسنن الترمذي برقم (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) (٣٢٤ - ٣٢٣ / ٩) برقم (٥٤٤٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٤) برقم (١٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣١ / ١) برقم (١٥٥٢).

(٥) برقم (١٣٤٨).

عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(١).

قال ابن حجر: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة أنها مكان لا اجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الصلاة، الصيام، الصدقة، الحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها^(٢)، وقال ابن رجب: لما كان الله ﷻ قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة، في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في كل عام قدر في العشر على عمل يعمل في بيته يكون أفضل من الجهاد^(٣). اهـ.

ولا خلاف في تفضيل أيام العشر على بقية أيام السنة، لقوة النصوص في ذلك، والخلاف في الليالي، فقليل إن ليالي رمضان أفضل، وممن رجح ذلك ابن القيم، فقال: وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان، إنما فضلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه، إذ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية^(٤).

وينبغي لمن وفقه الله لمعرفة فضل هذه الأيام، وأمد له في عمره، أن يجتهد فيها بكثرة الأعمال الصالحة، فما هي إلا أيام معدودة ثم تنقضي، وكان السلف الصالح يجتهدون فيها، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيها اجتهاداً عظيماً، حتى ما يكاد يقدر عليه.

(١) مسلم برقم (١١٦٢)، والترمذي برقم (٧٤٩) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (٢/٤٦٠).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص ٣١٠).

(٤) زاد المعاد (١/٥٧) بتصرف.

ومن الأعمال الصالحة في أيام العشر:

حج بيت الله الحرام، وهو من أفضل الأعمال والقربات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لِمَحْرُومٍ»^(٢).

ومنها: الصيام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقال تعالى بعدما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أَغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» (١).

ومنها: الصدقة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [البقرة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» (٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ» (٣).

ومنها: ذكر الله. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١١١﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنِ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنِ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (٤).

قال ابن القيم رحمته الله: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى

(٢) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

بها فضلاً وشرفاً» (١).

والذكر عمومًا، والتكبير خصوصًا من شعائر هذه الأيام، قال تعالى: ﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وتقدم حديث: «فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا (٢).

وكان السلف يحرصون على إحياء هذه الشعيرة في أيام العشر، وصفة التكبير: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ».

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

الكلمة المئة وخمس وأربعون

طلب العلم الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل العبادات، وأجل الطاعات التي حث عليها الشرع طلب العلم الشرعي، والمقصود بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد به خيرًا»، وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ

(١) البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ»^(١).

قال الأوزاعي: «الناس عندنا هم أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء»، وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب». قال سفيان الثوري: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم، وقال أبو جعفر الطحاوي: كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة، فقال لي: كأني بك قد فكرت فيما أُعطي هذا الرجل من الدنيا، قلت له: نعم، قال: هل أدلك على خلة؟ هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلاً ويعيش هو عالماً فقيراً؟ فقلت: ما أختار أن يُحوّلَ اللهُ ما عندي من العلم إلى ما عنده فالعلم غني بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال، وفي ذلك قيل:

العلمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبَ صَحْبَا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تَمَّ يُحْرَمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذَّلَّ وَالْحَرْبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يَحَازِرُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدَلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا^(٢)

ومن فضائل هذا العلم: أنه يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال:

(١) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٤) برقم (٣٠٩٦).

(٢) جامع الآداب لابن القيم تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٢).

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

ومنها: أن أهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٢)، روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عن هذه الطائفة: «إن لم يكونوا من أهل الحديث فلا أدري من هم».

قال عبد الله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عز، فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد الآخرة وجدها... وكان الشافعي إذا رأى شيخاً سألته عن الحديث والفقه، فإن كان عنده شيء وإلا قال له: لا جزاك الله خيراً عن نفسك ولا عن الإسلام، قد ضيعت نفسك وضيعت الإسلام^(٣).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٤).

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٤١)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٣) جامع الآداب لابن القيم، تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٣).

(٤) قطعة من حديث برقم (٢٦٩٩).

أهل الأرض؟ فدل على رَاهِب، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»^(١).

ومنها: أن الله تعالى يقذف لأهل العلم الربانيين هيبة ومحبة، وتقديرًا في قلوب الناس، فتجد الألسن تتابع في الثناء عليهم، والقلوب تتفق على احترامهم وتقديرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١٦) [مريم].

ومنها: أن طلب العلم خير للمرء من متاع الدنيا، روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمَنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٢).

ووسائل طلب العلم كثيرة، كحضور الدروس العلمية للعلماء والمشايخ، والمحاضرات العامة، والكلمات في المساجد، وقراءة الكتب النافعة، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وسؤال أهل العلم عما أشكل، وحفظ كتاب الله فهو رأس العلوم كلها. والله دَرُّ الشافعي عندما قال:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦) واللفظ له.

(٢) برقم (٨٠٣).

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين

وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»^(١).

وكان النبي ﷺ يستعيد بالله من علم لا ينفع، روى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٢).

وروى ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(٣).

ويجب على المسلم أن يطلب العلم الشرعي خالصًا لوجه الله، لا من أجل منصب، أو مال، أو عرض من الدنيا، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعنى: رِيحَهَا^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ

(١) البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٢) برقم (٥٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١١٢٥) برقم (٥١١٠).

(٣) برقم (٣٨٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٢٧) برقم (٣١٠٠).

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٧) برقم (٣١١٢).

الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَفِيَّةً، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فِقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

الكلمة المئة وست وأربعون

معنى لا إله إلا الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كلمة الإخلاص هي كلمة (لا إله إلا الله)؛ لأنها تعني إخلاص العبادة لله تعالى، وإفراده بها؛ لأن معناها: لا معبود حقاً إلا الله، وهي كلمة عظيمة، من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفي سبيل تحقيقها أمر الله المؤمنين بالجهاد، وجردت السيوف ورُكبت الجياد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٥٥] [الأنبياء]. وكان كل رسول أول ما يدعو قومه إليها، فيقول كما قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقد كان الكفار الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بأنه لا خالق إلا الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٨٧] [الزخرف]، غير أن هذا الإقرار لا يكفي في تحقيق التوحيد، إذ لا بد من المعرفة والعلم المستلزم لإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهذا ما أراده ربنا ﷺ، إذ يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولقد فهم كفار قريش وغيرهم أن هذا هو المعنى الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة، فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص]، ومن المسلمين من يقول هذه الكلمة، ويصلي ويصوم ويحج ويتصدق ومع ذلك يصرف شيئاً

من أنواع العبادة لغير الله تعالى، كالأستغاثة بالأولياء والصالحين، أو النذر لهم، أو دعائهم من دون الله، فهؤلاء لم يحققوا معنى لا إله إلا الله، وأنه إفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواعها له، وأن من صرف شيئاً منها لغيره فهو مشرك، وإن قال لا إله إلا الله، وصلى، وصام، وزعم أنه مسلم، فإن العبد لا يكون مسلماً حقاً، ولا ينجو من الخلود في نار جهنم إلا بالإيمان الخالص الذي لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام]، ومن عبد الله، وعبد معه غيره لم تنفعه تلك العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر]، وقد ذكر أهل العلم أن معنى لا إله إلا الله يتضمن شروطاً لا يتم إلا بها.

وشروط هذه الكلمة ثمانية:

أولاً: العلم بمعناها، المراد منها، وما تنفيه، وما تثبته، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد].

روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

وكثير من الناس ينطق بها بلسانه، ولا يعلم شيئاً من معناها، ولهذا يقع في الشرك.

ثانياً: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها متيقناً بما تدل عليه، فإذا كان في قلبه شك بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴿ [الحجرات: ١٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ثالثاً: الإخلاص المنافي للشرك، فلا يقولها رياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ» (٢).

رابعاً: الصدق المنافي للكذب، فيقول لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، قال تعالى: ﴿ الْمَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (٣)، فاشترط الصدق في هذا الحديث.

خامساً: المحبة المنافية للبعوض، فيحب هذه الكلمة، وما تدل عليه، وأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادساً: الانقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، فيجب الانقياد لما تدل عليه لا إله إلا الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى:

(١) برقم (٢٦).

(٢) برقم (٦٥٧٠).

(٣) البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]،
والاستسلام هو الانقياد لأوامر الله.

سابعاً: القبول المنافي للرد، فيجب القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فمن قالها، ولم يقبل ذلك ويلتزم به، كان ممن قال فيهم سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصفات].

ثامناً: الكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت، وإثبات العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١). وقد نظم بعضهم فقال:

عِلْمٌ، يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَعَ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولَ لَهَا
وَزَيْدٌ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَنْدَادِ قَدْ أَلْهَا

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة:

أولاً: أنه يُفْتَحُ لقائلها أبواب الجنة الثمانية، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٢).

(١) رقم (٢٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨) واللفظ له.

ثانياً: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»^(٢).

ثالثاً: أن من قالها قبل أن يموت، فمات عليها، دخل الجنة، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٢).

(٢) (٦/٢٧٤) برقم (٦٣٩٦) وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٠٩٨) برقم (٦٤٣٤).

(٣) سبق تخريجه.

الكلمة المئة وسبع وأربعون

سورة الفلق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر، سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

(١) البخاري برقم (٥٠١٦)، ومسلم برقم (٢١٩٢).

(٢) برقم (٥٠١٧).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلَهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)»، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)» (١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١).

أي ألبأ وألود وأعتصم برب الفلق، أي الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك؛ لأن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح والنوى والحب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢).

أي: من شر جميع المخلوقات، حتى من شر النفس؛ لأن النفس أماراة بالسوء وفي الحديث: ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن شر ما خلق يشمل شياطين الإنس والجن، والهوام، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣).

الغاسق، قيل إنه الليل، وقيل إنه القمر، والصحيح أنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والليل تكثر فيه الهوام والوحوش؛ فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي الليل، وأما القمر فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ» (٢).

(١) برقم (٨١٤).

(٢) برقم (٣٣٦٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لأن سلطانه يكون في الليل، وإذا وقب: أي إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

قوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾:

هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنث، ثم تعقد ثم تنث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفائين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: (لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ)، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، دَعَا ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟^(١)، قَالَ: لَبِيدُ ابْنِ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ^(٢)، قَالَ:

(١) أي: سحره.

(٢) قوله: مشط ومشاطة: قال ابن حجر: أما المشط فهو بضم الميم، ويجوز كسرهما، أثبتة أبو عبيدة، وأنكره أبو زيد، وبالسكون فيها، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، وهو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

وَجُفٌّ طَلْعَةٌ ذَكَرٌ^(١)، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بئرِ ذِي أَرْوَانَ، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللَّهِ لَكَانَ مَاءَهَا نُقَاعَةَ الْحِنَاءِ، وَلَكَانَ نَحْلَهَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا، أَمَا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَيَّ النَّاسَ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فِدْفِنْتُ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٣):

الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فيحسده. والحساد نوعان: نوع يحسده ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد، ولهذا قال ﴿إِذَا حَسَدَ﴾^(٤)، ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المعان؛ لأنها لا تصدر غالباً إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، والعين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقُ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»^(٥).

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ، وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ»^(٦).

(١) قوله: جف طلعة ذكر: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر في قوله: طلعة ذكر، وهو بالإضافة. اهـ. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨٩) واللفظ له.

(٣) برقم (٢١٨٨).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث حسن،

انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٤١٤٤).

قال المناوي: أي تقتله فيدفن في القبر، وتدخل الجمل القدر، أي إذا أصابته، أو أشرف على الموت ذبحه مالكة، وطبخه في القدر، وهذا يعني أن العين داء، والداء يقتل، فينبغي للعائن أن يبادر إلى معالجته بالبركة، فتكون رقية منه^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ^(٢).

وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفياً، وعلى المؤمن أن يعلق قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل عليه، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء السحرة والحساد، وغيرهم^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فيض القدير (٤/٣٩٧).

(٢) برقم (٢١٨٦).

(٣) انظر: تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٥٢ - ٣٥٤).

الكلمة المئة وثمان وأربعون

آداب الطعام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أسرار عظمة هذا الدين أنه ما ترك جانبًا من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبيان والإيضاح، ومن هذه الجوانب التي تناولها هذا الدين آداب الطعام، ومن تلك الآداب:

أولاً: التسمية قبل البدء بالطعام أو الشراب، روى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن سلمة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(١).

وإذا نسي أن يسمي عند أول الطعام فليسم إذا ذكر، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»^(٢).

ثانياً: الأكل والشرب باليمين، فلا يجوز للمسلم أن يأكل أو يشرب بشماله، روى مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال النبي ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فقال: لا أستطيع، قال: «لَا اسْتَطَعْتُ»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما

(١) البخاري برقم (٥٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).

(٢) برقم (١٨٥٨) وقال: حديث حسن صحيح.

رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» (٢).

ثالثاً: الأكل بثلاثة أصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك أنه حدثهم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَّغَ لَعِقَهَا» (٣).

رابعاً: لعق الأصابع وصحفة الطعام، فإذا أكل الإنسان الطعام، وبقي شيء يسير منه، لا يضره تناوله، أو بقي أثر للطعام في الصحفة، فالسنة أن يلعقها، لأن الإنسان لا يدري أين البركة، وكذلك السنة لعق الأصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَّغَ لَعِقَهَا» (٤)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ؟» (٥).

خامساً: أكل ما تناثر من الطعام:

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدُهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ» (٦).

(٢) برقم (٢٠٢٠).

(١) برقم (٢٠٢١).

(٤) برقم (٢٠٣٢).

(٣) برقم (٢٠٣٢).

(٦) برقم (٢٠٣٣).

(٥) برقم (٢٠٣٣).

سادساً: الأكل مع الغير من زوجة، أو أولاد أو ضيف غيرهم:

روى أبو داود في سننه من حديث وحشي بن حرب عن أبيه عن جده رضي عنه: أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»^(١).

سابعاً: النهي عن التنفس في الإناء:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ»^(٢).

ومثله النفخ في الطعام والشراب، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري قال: نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ^(٣).

ثامناً: النهي عن الأكل من أعلى الصفحة، أو أوسطها:

وينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون الطعام واحد بمعنى أن الذي في الصفحة طعام من نوع واحد، فالسنة أن يأكل مما يليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٤)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»^(٥).

الثاني: أن يكون الطعام أنواعاً، فلا بأس بالأكل من أعلى الصفحة،

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (١٥٣).

(٣) برقم (٣٧٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧١٠/٢) برقم (٣١٧١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٢٢).

(٥) برقم (١٨٠٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

وجوانبها، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبَعُ الدُّبَاءَ مِنْ حَوَالِي الصَّخْفَةِ» (١).

تاسعاً: النهي عن الشرب قائماً:

لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ» (٢).

عاشراً: الاقتصاد في أكل الطعام:

روى الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِبَطْعَامِهِ، وَثُلُثٌ لَشْرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٣).

فائدة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر فأمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٢٠٩٢)، ومسلم برقم (٢٠٤١).

(٢) برقم (٢٠٢٦).

(٣) برقم (٢٣٨٠)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٢٠٦٣) ومختصراً برقم (٢٠٦٢).

الكلمة المئة وتسع وأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ أي لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفُقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواتها، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ويرزقون بأنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم. اهـ^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ

(١) تفسير ابن سعدي (ص ١٥٦ - ١٥٧).

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران]؟ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَيَّ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطَّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرَوَّاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ، تُرَكُّوا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ» (٢).

قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران]، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله، أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) برقم (١٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨١٧)، وصحيح مسلم برقم (١٨٧٧)، واللفظ له.

يدعو على الذين قتلوهم، قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ، «بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا، أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا، وَأَرْضَانَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، أي يهنئ بعضهم بعضًا بأعظم شيء، وهو نعمة ربهم وفضله وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، بل ينميهِ ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ^(٢) نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(٣).

قال ابن كثير: وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم، وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن، بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، ورواه الشافعي عن

(١) البخاري برقم (٤٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٧٧).

(٢) بارق: أي على جانب نهر، الفتح الرباني للبنا رحمته الله (٢٨/١٣).

(٣) (٢٢٠/٤) برقم (٢٣٩٠) وقال محققوه: إسناده صحيح، قال ابن كثير في تفسيره

(٢٦٢/٣): وهو إسناد جيد.

مالك بن أنس، ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(١).

وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكوكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان^(٢).

ثالثاً: الترغيب في الجهاد، والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللهُ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

رابعاً: فضل الجهاد ومكانته العظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللهُ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ قَالَ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٤).

خامساً: أن فيها تسلية للأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة، روى البخاري في صحيحه: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ بِنْتَ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي

(١) (٢٥/٥٧ - ٥٨) برقم (١٥٧٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح، من فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٣).

(٤) برقم (٢٧٩٠).

(٣) برقم (١٩٠٩).

عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ - أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ^(١) - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^(٢).

سادساً: أن هذا الفضل الوارد في الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

أما من قاتل تحت راية عمية ينصر قومية، أو وطنية، أو حرية، أو غيرها من الشعارات الزائفة فهو كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ^(٤)، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أي طائش لا يعرف من رماه.

(٢) برقم (٢٨٠٩).

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، مسلم برقم (١٩٠٤).

(٤) عمية: قال القاضي عياض: يقال بكسر العين وبضمها، وكسر الميم وتشديدها وتشديد الياء، قال الإمام: قيل الأمر الأعمى كالعصبية، لا يستبين ما وجهه، قاله أحمد بن حنبل، وقال إسحاق: هذا في تجارح القوم وقتل بعضهم بعضاً وكأنه من التعمية وهو التلبيس، وفي حديث ابن الزبير: يموت ميتة عمية، أي: ميتة فتنة وجهل. المصدر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢٦٣/٦).

(٥) برقم (١٨٥٠).

الكلمة المئة وخمسون

سورة الفاتحة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من سور القرآن العظيم التي نقرأها في كل صلاة فرضاً ونفلاً: سورة الفاتحة، وهي أعظم سور القرآن، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلّى قال: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثُمَّ قَالَ لِي: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي أُوتِيَتْهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب: أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

الَّذِي أُعْطِيَتْهُ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ لَمْ يَفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَشِرُ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا، لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ» (٢).

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد هو الثناء، على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه.

و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المتولي جميع العالمين، وهو الذي أوجد الخلق من العدم، وأنعم عليهم بالنعمة العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والرب هو المالك المتصرف، ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، تقول: رب الدار، ولا تقول الرب على غير الله.

قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها الله للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسوله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن

(١) برقم (٢٨٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٨٠٦).

عداهم فلهم نصيب منها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(١).

قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤)، أي: هو المتصرف في ذلك اليوم، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، فهو مالك الدنيا والآخرة، وإنما أضيف الملك إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الإنفطار]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [غافر].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

قال ابن عباس: «لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا، قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة،

(١) برقم (٢٧٥٥).

(٢) البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٤).

يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه»، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين.

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ فالعبادة كمال المحبة، وكمال الخضوع، والخوف والذل، وقدام المفعول - وهو إياك - وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، ولذلك قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾، فالأول التبرؤ من الشرك، والثاني: التبرؤ من الحول والقوة. بل إن الصلاة لا تصح لمن لم يقرأ بهذه السورة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(١).

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

والهداية ههنا التوفيق والإرشاد، فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع، والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقي الله. و﴿الصِّرَاطَ﴾ هو الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

(١) البخاري برقم (٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٩٤).

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ^٤
وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء].

وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم، وعليك من الفرائض أن تصدق الله أن طريقه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوج، وهذه أول الواجبات من هذه الآية، واعتقاد ذلك بالقلب، وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم، وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله^(١).

ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين، ومعناها: اللهم استجب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ

(١) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسير سورة الفاتحة (ص ١٨ - ٢٧).

تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

اللهم اجعل هذا القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا،
وذهاب همومنا، واجعله شافعاً وحجة لنا يوم القيامة.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٨٠)، ومسلم برقم (٤١٠).

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤١	٥ - الولاء والبراء		كتاب العلم
٢٨٥	٦ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج	٨١٩	١ - طلب العلم الشرعي
	خطر الشرك	٤٢١	٢ - وصايا لطلبة العلم
١٣٣	١ - التحذير من الشرك	٦٩٣	٣ - كلمة توجيهية للمدرسين
٢٧٣	٢ - نواقض الإسلام العشرة		أ - (قسم العقيدة)
	التحذير من النفاق		توحيد الربوبية
٧٣٩	١ - خطر النفاق	٨٤٧	١ - تفسير سورة الفاتحة
٢٩٧	٢ - مبطلات الأعمال	٦١١	٢ - تفسير آية الكرسي
٣٦٣	٣ - خطورة الاستهزاء بالدين	٧٩١	٣ - قدرة الله
	توحيد الأسماء والصفات	٥٨٣	٤ - نعمة الهداية
٥٠٧	١ - شرح اسم من أسماء الله العزيز	٣٩٥	٥ - أسباب الثبات على الدين
٥٤٧	٢ - شرح اسم من أسماء الله الشافي	٣٠٣	٦ - الأجل والرزق
٥٧٧	٣ - شرح اسم من أسماء الله الحكيم	٥٣٥	٧ - الأسباب الجالبة لمحبة الله ...
	علامات الساعة		توحيد العبادة
٥٧١	١ - فتنة الدجال	١٥	١ - الإخلاص
	الإيمان باليوم الآخر	٨٢٥	٢ - معنى لا إله إلا الله
٣٤٥	١ - عذاب القبر ونعيمه	١٨١	٣ - أصل الدين وقاعدته
٥٤١	٢ - حوض النبي ﷺ	٢٩١	٤ - التوكل

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٥٩	٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ سورة طه	٨٤٧	ب - التفسير سورة الفاتحة سورة البقرة
١٩٩	١ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا﴾ سورة يس	٢٢٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَتِ﴾ سورة آل عمران
٤٩١	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ سورة الزخرف	٤٠٣	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمَلِكِ﴾ ٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ٤ - تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة الكهف
١٨٩	١ - دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سورة الطور	٨٤١	١ - فوائد من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ سورة مريم
٤٩٧	١ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ سورة الصف	١٨٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ سورة مريم
١٤٥	١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا﴾ سورة التحريم	٢١٣	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ سورة مريم
٢٥٧	١ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنْفُسِكُمْ﴾ جزء عم	٣٧٩	١ - سورة التكاثر ٢ - سورة العصر ١٦٩

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
٥٩٣	٤ - صلاة الجماعة	٦٨٧	٣ - سورة الماعون
٣٠٩	٥ - الخشوع في الصلاة	٢١٩	٤ - سورة الإخلاص
٥٥٩	٦ - فضل صلاة الفجر	٨٣١	٥ - سورة الفلق
٧٧	٧ - فضل قيام الليل	ج - الحديث	
١١٧	٨ - سنن صلاة العيد	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان	يظلمهم الله	٢١
٤٨٧	١٠ - الاستخارة	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	٥٣
الزكاة		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	٣ - الساعة
٥٨٩	١ - الزكاة	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	٢٠٧
٣٧٥	٢ - زكاة الفطر	٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	٢٢٩
الصيام		النبي ﷺ فقال: عش ما شئت	٣٦٩
٧١	١ - فضل الصيام	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة .	٤٣٩
٦٧	٢ - فضل رمضان	٧ - فوائد من حديث خبيب بن عدي	٧٥٧
٣ - مخالفات تقع من بعض		٨ - شاب نشأ في عبادة الله	١٢٧
الصائمين	٩٧	٩ - الأجل والرزق	٣٠٣
الحج		١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	سربه...» الحديث
٢٦٧	١ - وجوبه وفضله	٦٠٥	
٤٢٩	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج	الفقه	
الوصايا		الطهارة والصلاة	
٤٣	١ - كتابة الوصية	١ - أخطاء في الطهارة	٧٢٩
البدع		٢ - أخطاء في الصلاة	٧٣٣
٧٨٥	١ - النهي عن البدع	٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام ..	٣٢٣ ..

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	محرمات عامة		الأدعية والأذكار
٦٦٥	١ - تحريم الدخان	٨٣	١ - الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢ - تحريم التصوير	٥٠١	٢ - الاستغفار
٤٥٧	٣ - الحسد		الطعام
٧٤٥	٤ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١ - آداب الطعام
	المواعظ والرقائق		المحرمات
٢٦٣	١ - آفة السهر		المال
٤٥١	٢ - كفارات الذنوب	١٩٣	١ - أكل المال الحرام
٤٦٣	٣ - المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢ - التحذير من الربا
٤٦٩	٤ - التقوى	٢٥١	٣ - النهي عن الإسراف
٥١٧	٥ - الورع	١٦٣	٤ - النهي عن المسألة
٦١٧	٦ - حفظ اللسان	٧٢٥	٥ - ذم الترف
٦٢٣	٧ - الحور العين		صيانة الأعراض
٦٢٩	٨ - الابتلاء	٤٨١	١ - تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩ - الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢ - غض البصر
٦٩٩	١٠ - غض البصر	٤٧٥	٣ - تحريم الغناء
٢٧٩	١١ - سوء الخاتمة	٥٥٣	٤ - خطر الدش
٧٢٥	١٢ - ذم الترف	٧١٩	٥ - خطر التلفاز
٧٩٥	١٣ - علامات حسن الخاتمة		اللباس
٧٦٧	١٤ - الموت وعظاته	٧٥١	١ - تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		الزينة
٣٨٩	١٦ - لذة العبادة		١ - تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧ - المواظبة على العبادة	٧٠٥	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	فضائل عامة		
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله	٣٩	١٨ - العجلة
٩١	٢ - فضل الصدقة	٥٧	١٩ - طول الأمل
	موضوعات تُهم المرأة	٤٣٥	٢٠ - التوبة
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام		الفضائل
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة		الأذكار
٤١٣	٣ - مفسدات العنوسة	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء	١٠٧	٢ - فضل الذكر
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز	٥٠١	٣ - الاستغفار
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح		الصلاة
	الأخلاق		٤٤٣
٣٣	١ - حسن الخلق		١ - فضل التبكير إلى الصلاة
١٣٩	٢ - الحياء	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر
١٥٧	٣ - القناعة	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة
٣٣٩	٤ - الصبر	٧٧	٤ - فضل قيام الليل
٦٧٥	٥ - الأمانة	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان
٦٨١	٦ - صلة الأرحام	١٠٣	
	السير		الصيام
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small>	٧١	١ - فضل الصيام
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>	٦٧	٢ - فضل رمضان
٧٧٣	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>		الحج
٧٧٩		٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله
			عشر ذي الحجة
		٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠ - الحسد	٤	٤ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١ - النكت	٣٣٣	٥ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢ - آفة السهر	٢٤٥	٦ - مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣ - علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
توجيهات عامة		قضايا اجتماعية	
٢٩	١ - التوفيق	١	١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٩	٢ - العجلة	٣١٧	٢ - مفسد العنوسة
٤٧	٣ - البركة	٤١٣	٣ - الطلاق
١٢١	٤ - الرؤيا	٣٨٣	٤ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٠٩	٥ - نصائح عامة	٣٥٧	٥ - تربية الأبناء
٤٤٧	٦ - أسباب انشراح الصدر	٧١٩	٦ - خطر التلفاز
٥١٣	٧ - شكر النعم	٥٥٣	٧ - خطر الدش
٥٢٣	٨ - علاج الهموم والغموم	٥٩٣	٨ - صلاة الجماعة
٥٦٥	٩ - السعادة	٦٨١	٩ - صلة الأرحام
٨٠١	١٠ - وفاته عليه الصلاة والسلام ..		
٨٠٧	١١ - أسباب النصر على الأعداء ..		
٦٤١	١٢ - العافية		
٥١٧	١٣ - الورع		



الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة

الموضوع

الجزء الأول

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١ - الإخلاص ١٥
- ٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ٢١
- ٣ - التوفيق ٢٩
- ٤ - حسن الخلق ٣٣
- ٥ - العجلة ٣٩
- ٦ - كتابة الوصية ٤٣
- ٧ - البركة ٤٧
- ٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ٥٣
- ٩ - طول الأمل ٥٧
- ١٠ - فضل القرآن وقراءته ٦٣
- ١١ - فضل رمضان ٦٧
- ١٢ - فضل الصيام ٧١
- ١٣ - فضل قيام الليل ٧٧
- ١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه ٨٣
- ١٥ - فضل الصدقة ٩١
- ١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين ٩٧
- ١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣
- ١٨ - فضل الذكر ١٠٧

- ١٩ - المواظبة على العبادة ١١٣
- ٢٠ - سنن العيد ١١٧
- ٢١ - الرؤيا ١٢١
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ١٢٧
- ٢٣ - التحذير من الشرك ١٣٣
- ٢٤ - الحياء ١٣٩
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ١٤٥
- ٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ١٥١
- ٢٧ - القناعة ١٥٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ١٦٣
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ١٦٩
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٧٣

الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ١٨١
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ١٨٥
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ١٨٩
- ٣٤ - أكل المال الحرام ١٩٣
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ ١٩٩
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ٢٠٣
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ٢٠٧
- ٣٨ - سورة التكاثر ٢١٣
- ٣٩ - سورة الإخلاص ٢١٩
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ٢٢٥
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٢٩
- ٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ٢٣٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ٢٤١
- ٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ٢٥١

- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ٢٥٧
- ٤٧ - آفة السهر ٢٦٣
- ٤٨ - الحج: وجوبه وفضله ٢٦٧
- ٤٩ - نواقض الإسلام العشرة ٢٧٣
- ٥٠ - سوء الخاتمة ٢٧٩
- ٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج ٢٨٥
- ٥٢ - التوكل ٢٩١
- ٥٣ - مبطلات الأعمال ٢٩٧
- ٥٤ - الأجل والرزق ٣٠٣
- ٥٥ - الخشوع في الصلاة ٣٠٩
- ٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧
- ٥٧ - الصلاة ومكاتها في الإسلام ٣٢٣
- ٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩
- ٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب ٣٣٣
- ٦٠ - الصبر ٣٣٩
- ٦١ - عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥
- ٦٢ - فضل الدعوة إلى الله ٣٥١
- ٦٣ - تربية الأبناء ٣٥٧
- ٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين ٣٦٣
- ٦٥ - وقفة مع حديث شريف ٣٦٩
- ٦٦ - زكاة الفطر ٣٧٥
- ٦٧ - سورة العصر ٣٧٩
- ٦٨ - الطلاق ٣٨٣
- ٦٩ - لذة العبادة ٣٨٩
- ٧٠ - أسباب الثبات على الدين ٣٩٥

الجزء الثالث

- ٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْكُ﴾ ٤٠٣
- ٧٢ - نصائح عامة ٤٠٩

- ٧٣- مفسد العنوسة..... ٤١٣
- ٧٤- النكت..... ٤١٧
- ٧٥- وصايا لطلبة العلم..... ٤٢١
- ٧٦- مخالفات يقع فيها بعض الحجاج..... ٤٢٩
- ٧٧- التوبة..... ٤٣٥
- ٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)..... ٤٣٩
- ٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة..... ٤٤٣
- ٨٠- أسباب انشراح الصدر..... ٤٤٧
- ٨١- كفارات الذنوب..... ٤٥١
- ٨٢- الحسد..... ٤٥٧
- ٨٣- المعاصي وعقوباتها..... ٤٦٣
- ٨٤- التقوى..... ٤٦٩
- ٨٥- تحريم الغناء..... ٤٧٥
- ٨٦- تحريم الزنا وأسبابه..... ٤٨١
- ٨٧- الاستخارة..... ٤٨٧
- ٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾..... ٤٩١
- ٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾..... ٤٩٧
- ٩٠- الاستغفار..... ٥٠١
- ٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)..... ٥٠٧
- ٩٢- شكر النعم..... ٥١٣
- ٩٣- الورع..... ٥١٧
- ٩٤- علاج الهموم والغموم..... ٥٢٣
- ٩٥- قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَام..... ٥٢٩
- ٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله..... ٥٣٥
- ٩٧- حوض النبي ﷺ..... ٥٤١
- ٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی)..... ٥٤٧
- ٩٩- خطر الدش..... ٥٥٣
- ١٠٠- فضل صلاة الفجر..... ٥٥٩

- ١٠١ - السعادة..... ٥٦٥
- ١٠٢ - فتنة الدجال..... ٥٧١
- ١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم)..... ٥٧٧
- ١٠٤ - نعمة الهداية..... ٥٨٣
- ١٠٥ - الزكاة..... ٥٨٩
- ١٠٦ - صلاة الجماعة..... ٥٩٣
- ١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح..... ٥٩٩
- ١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)..... ٦٠٥
- ١٠٩ - تفسير آية الكرسي..... ٦١١
- ١١٠ - حفظ اللسان..... ٦١٧
- ١١١ - الحور العين..... ٦٢٣
- ١١٢ - الابتلاء..... ٦٢٩
- ١١٣ - الزهد في الدنيا..... ٦٣٥
- ١١٤ - العافية..... ٦٤١
- ١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام..... ٦٤٧
- ١١٦ - التحذير من الربا..... ٦٥٣
- ١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ﴾..... ٦٥٩
- ١١٨ - تحريم الدخان..... ٦٦٥
- ١١٩ - فضل يوم الجمعة..... ٦٦٩
- ١٢٠ - الأمانة..... ٦٧٥
- ١٢١ - صلة الأرحام..... ٦٨١
- ١٢٢ - سورة الماعون..... ٦٨٧
- ١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين..... ٦٩٣
- ١٢٤ - غض البصر..... ٦٩٩
- ١٢٥ - تحريم حلق اللحية..... ٧٠٥
- ١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة..... ٧١١
- ١٢٧ - خطر التلفاز..... ٧١٩
- ١٢٨ - ذم الترف..... ٧٢٥

الصفحة	الموضوع
٧٢٩	١٢٩ - أخطاء في الطهارة
٧٣٣	١٣٠ - أخطاء في الصلاة
٧٣٩	١٣١ - خطر النفاق
٧٤٥	١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة
٧٥١	١٣٣ - تحريم الإسبال
٧٥٧	١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي
٧٦١	١٣٥ - تحريم التصوير
٧٦٧	١٣٦ - الموت وعظاته
٧٧٣	١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق
٧٧٩	١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب
٧٨٥	١٣٩ - النهي عن البدع
٧٩١	١٤٠ - قدرة الله
٧٩٥	١٤١ - علامات حسن الخاتمة
٨٠١	١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام
٨٠٧	١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء
٨١٣	١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة
٨١٩	١٤٥ - طلب العلم الشرعي
٨٢٥	١٤٦ - معنى لا إله إلا الله
٨٣١	١٤٧ - سورة الفلق
٨٣٧	١٤٨ - آداب الطعام
٨٤١	١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾
٨٤٧	١٥٠ - سورة الفاتحة



البرهان والشفقة

مسن

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الأول والثاني والثالث.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ٨ - الرياض، ١٤٣٤هـ

٨٦٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

(في مجلد واحد)

١- الوعظ والإرشاد ٢- الإسلام - مجموعات أ- العنوان

١٤٣٤/٤٠٦

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٤٠٦

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإله أراد طباعته وتوزيعه مجاناً بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الثامنة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروسة يومية

(١٥٠) درسا للذمعة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا، والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراض واللباس، والمواعظ والرقائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسّير، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلّى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله :-

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابهِ ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّه مؤلفه خمسين ومئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كُلفتُ من قِبَلِ إدارة شؤون الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، بإلقاء كلمات وعظية في مساجد مدينة الرياض، وفي أثناء تنقلي بمساجد المدينة أشار عليَّ بعض الفضلاء من أئمة المساجد بكتابة ما يُلقى من هذه الكلمات؛ لكي يستفيد منها أئمة المساجد وطلبة العلم، وعامة الناس.

فاستخرت الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم شرعت في كتابتها لعل الله أن ينفع بها.

والجزء الأول من كتاب الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، جمعتُ فيه ثلاثين كلمة متنوعة، وقد طُبِعَ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ، ثم بدا لي أن أضيف عليه أربعين كلمة أخرى، فطُبِعَ الكتاب الطبعة الثانية (الجزء الأول والثاني) في مجلد واحد عام ١٤٢٣هـ.

وفي عام ١٤٢٦هـ طُبِعَ الكتاب للمرة الثالثة، بإضافة ثمانين كلمة (الجزء الأول والثاني والثالث) في مجلد واحد، فأصبح المجموع (مئة وخمسين كلمة).

وقد بذلت جهدي ألا أورد فيها من الأحاديث إلا ما صُحِّح، والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الكلمة الأولى

الإخلاص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الأصول المهمة في دين الإسلام تحقيق الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات، قال بعضهم: الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجازٍ سواه^(١).

قال أبو عثمان سعيد النيسابوري: صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر إلى الخالق، والإخلاص: أن تريد بقلبك وعملك وفعلك رضا الله تعالى خوفاً من سخط الله كأنك تراه بحقيقة عملك بأنه يراك حتى يذهب الرياء عن قلبك، ثم تذكر منة الله عليك إذ وفقك لذلك العمل حتى يذهب العجب من قلبك وتستعمل الرفق في عملك حتى تذهب العجلة من قلبك.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا جُعِلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

والعجلة أتباع الهوى، والرفق أتباع السنة، فإذا فرغت من عملك وجل قلبك خوفاً من الله أن يرد عليك عملك فلا يقبله منك. قال الله تعالى:

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٢/ ١٢٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون]،
ومن جمع هذه الخصال الأربعة كان مخلصاً في عمله إن شاء الله (١).

والإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ [الزمر]، وقال سبحانه:
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الملك].
قال الفضيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان
خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل،
حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على
السنة (٢).

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى].

قال أبو العالية: «وصاهم بالإخلاص في عبادته»، والإخلاص
أعظم أعمال القلوب.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «ومن تأمل الشريعة في
مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب،
وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال
الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من

(١) البيهقي في شعب الإيمان رقم (٦٤٧٥) طبعة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

(٢) مدارج السالكين (٢/٦٩).

الأعمال التي ميزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»^(١).

وقال أيضًا: لو نفع العلم بلا عمل لما ذمَّ الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بغير إخلاص لما ذمَّ المنافقين^(٢).

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: أولاً: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بيَّنه رسول الله ﷺ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْزَوِجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٤).

ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٣٣٠) نقلاً عن كتاب الإخلاص والشرك الأصغر ص ٥.

(٢) الفوائد ص ٦٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

وفقدان الإخلاص سبب لرد العمل. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١) ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾^(٢) [هود].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٠٥). (٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٨١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤).

وروى النسائي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ». فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغْيَ بِهِ وَجْهَهُ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصله حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص^(٢).

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب^(٣).

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، إنها تتقلب عليّ.

وقال سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

وقال بعض السلف: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله، نجا وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب؛ فإن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى^(٤).

والخلاصة: إن الإخلاص لله تعالى وإرادة وجهه رأس مال العبد وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرّة

(١) سنن النسائي برقم (٣١٤٠)، قال النووي: إسناده جيد «الترغيب والترهيب» (١/٦١).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣). (٣) مدارج السالكين (٢/٦٩).

(٤) انظر: «الإخلاص طريق الخلاص» لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ١٧٦.

عينه، ولذلك خُلق وبه أمر، وبذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله وَعَلَيْكُمْ وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده، ومن كان كذلك كفاه الله كل مهمم، وتولاه في جميع أموره، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات. ومن كان لله كان الله له، حيث لا يكون لنفسه^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٤٠٨، بتصرف.

الكلمة الثانية

السبعة الذين يظلمهم الله في ظله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم].

في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٢) [الحج].

في ذلك اليوم العظيم تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ قَدْرَ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِئُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاءً^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِئُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

في ذلك الموقف العظيم يظل الله في ظله هؤلاء السبعة، فلتأمل أعمالهم التي أوجبت لهم هذا الجزاء العظيم.

فالأول: الإمام العادل الذي يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٣) [ص].

ممثلًا أمر ربه له سبحانه إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٤) [النساء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِّنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا»^(٥).

فهذا ثواب من عدل في حكمه وأعطى الحق أهله، فانظر إلى جزاء من جار في حكمه وظلم ولم يعدل، وأغلق بابه دون أصحاب الحاجات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

(١) معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِيَّ أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ ﻋَلَيْكَ مَغْلُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بَرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوْلَاهَا مَلَأَمَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رِعِيَةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة أنه قال: يا معاوية إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَّا أَعْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ» قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ^(٣).

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحببها إليه، وكره إليه الأعمال السيئة وأعانها على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك، وقد حفظه مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ لمسلم.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٩/٥٦٥) برقم (١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، فاستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

لقد علم أنه مسؤول عن شبابه فيم أبلاه، فعمل بوصية نبيه ﷺ التي أوصى بها حيث يقول: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»^(١).

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، فلا يكاد إذا خرج من المسجد أن يرتاح لشيء حتى يعود إليه، لأن المساجد بيوت الله، ومن دخلها فقد حلَّ ضيفاً على ربه، فلا قلبَ أطيّب ولا نفسَ أسعد من رجلٍ حلَّ ضيفاً على ربه في بيته وتحت رعايته.

وهؤلاء عمّار المساجد على الحقيقة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ، بِالرُّوحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا: بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة: بما أعدَّ لهم من الكرامة في الجنة.

(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٣٤١) رقم (٧٨٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين

ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ١٧٦)، وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٨)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري، وقال إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٦).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا» (١) كَلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (٢).

والرابع: رجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة].

روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» (٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٤).

وهذه إحدى الخصال التي يجد بها العبد حلاوة الإيمان ولذته، فهذان الرجلان لم تجمعهما قرابة ولا رحم ولا مصالح دنيوية، وإنما جمع بينهما حب الله تعالى حتى فرَّق بينهما الموت وهما على ذلك.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه:

(١) نزله: مكاناً ينزله.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٩) واللفظ له.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٩٦٥).

(٤) صحيح مسلم برقم (٥٤).

أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ». فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؟! انْعَتَهُمْ لَنَا - يَعْنِي: صِفَهُمْ لَنَا - فَسَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَفْزَعُونَ؛ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١).

والخامس: رجل دعتة امرأة إلى نفسها، وليست كأي امرأة، بل هي امرأة لها مكانة ومنزلة رفيعة، وقد أعطها الله من الجمال ما يجعل الفتنة بها أشد، والتعلق بها أعظم، فيا الله كيف ينجو من وقع في مثل ذلك الموقف، إلا بإيمان عميق وبصيرة نافذة؟!

قال القاضي عياض: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٣/٥) طبعة دار صادر، وشرح السنة للبخاري (٥٠/١٣ - ٥١) برقم (٣٤٦٤)، وقال محققاه شعيب، وزهير: وأخرجه أحمد (٣٤١/٥، و٣٤٣) وشهر بن حوشب مختلف فيه وله شاهد بنحوه من حديث ابن عمر. أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٧٠ - ١٧١)، وصححه، وأقره الذهبي وآخر من حديث أبي هريرة عند ابن حبان في صحيحه (٢٥٠٨) وإسناده صحيح.

والجمال من أكمل المراتب، وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله. وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف»^(١).

قال تعالى في هذا وأمثاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَاَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِيَّ، فادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجَهَا عَنْكُمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِجَّتْهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ ... الحديث»^(٢).

والسادس: رجل تصدَّق بصدقة، وما أكثر المتصدقين! وما أعظم أجورهم عند الله! لكن الذي تميز به هذا المتصدق ونال به هذا الأجر العظيم - وهو إضلال الله له -، إخلاصه في صدقته، فقد بلغ به الإخلاص حتى كاد أن يخفيها عن نفسه لو استطاع. وقد مدح الله المتصدقين، فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ ثُمَّ خَصَّ الْمَسْرِينَ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَكُتُوهُهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٣) واللفظ له.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴿البقرة﴾.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» (١).

أما السابع: فرجل امتلأ قلبه بمحبة الله وخشيته وتعظيمه، فذكر الله بمكان خال لا يراه إلا هو، ذكر عظمته وفضله عليه ورحمته فدمعت عيناه شوقاً إليه، وفي هذا وأمثاله يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشدّ الوعيد، فقال: ﴿قَوْلٌ لِّلنَّفْسِیَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٣٩)، وقال: حديث ابن عباس حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤١١٣).

الكلمة الثالثة

التوفيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توفيق الله ﷻ لا غنى للعبد عنه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

فمن وفقه الله لتزكية نفسه فقد أفلح وفاز، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى]، وأعلى مراتب توفيق الله لعبده: أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «يخاطب الله جل وعلا عباده المؤمنين، فيقول: لولا توفيقي لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم، ولكني حببته إليكم وزينته في قلوبكم، وكرهت إليكم ضده الكفر والفسوق»^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٧).

والتوفيق من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله، إذ لا يقدر عليه إلا هو، فمن طلبه من غيره فهو محروم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه الهداية المذكورة في الآية هي التي يسميها العلماء هداية التوفيق، قال شعيب رضي الله عنه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن القيم رحمته الله: «أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك»^(١) وبهذا جاء التوجيه النبوي الكريم، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ومما يغلط فيه كثير من الناس ظنهم أن من رزق مالا، أو منصباً، أو جاهاً، أو غير ذلك من الأمور الدنيوية، أنه قد وُفق، والأمر ليس كما ظنوا، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وقد ذكر الله هذا عن ذلك الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

والصواب أن الموفق هو الذي إذا أُعطي منصباً، أو جاهاً، استعمله

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٨٨).

في مرضاة ربه، ونصرة دينه، ونفع إخوانه، وإن رُزِقَ مَالاً أَخَذَهُ مِنْ حِلِّهِ وَصَرَفَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، فَإِنْ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَتَلَيَّ عِبَادَهُ، فَالْمَوْفُوقُ مِنْهُمْ هُوَ الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَالْمَخْذُولُ هُوَ الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ طَغَى وَكَفَرَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾﴾ [العلق].

وقال الله عن نبيه سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وتوفيق الله لعباده يكون على أحوال كثيرة، فمنها: أن يعرض الخير على أناس فيردونه حتى ييسر الله له من أراد به الخير من عباده، وقد مكث النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يعرض نفسه على القبائل لينصروه، فلم يستجيبوا له حتى وفق الله الأنصار لذلك، فنالوا الشرف العظيم في الدنيا والاخرة.

ومنها: أن يوفق الله العبد في آخر حياته لعمل صالح يموت عليه، فيختم الله به أعماله.

روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ. وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ» وفي رواية: فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»^(١).

ومنها أن يوفق الله العبد لعمل قليل أجره عند الله كثير، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي عنهما قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُتَّقِعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلْ أَوْ أَسْلِمْ؟

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٦)، وأحمد (٢٦٠/٣) والرواية له.

قَالَ: «أَسْلِمَ ثُمَّ قَاتَلَ» فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»^(١).

فمن اتقى الله تعالى وملاً الإخلاص قلبه، وعلم الله منه صدق نيته، وأكثر من دعائه، فقد أخذ بمجامع الأسباب الموصلة إلى التوفيق، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٠٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٠).

الكلمة الرابعة

حسن الخلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:
فإن من أفضل الأعمال التي دعا إليها الشرع ورغب فيها حسن الخلق، فهو من أعظم مواهب الله لعباده.

قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤﴾
[القلم]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١٩﴾
[الأعراف].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم، في أقواله وأعماله، وفي عبادته لربه وتعامله مع عباده.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

(١) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب؛ والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وأخضع لهم عدوهم»^(١).

ومن وصايا النبي الكريم ﷺ للصحابيين الجليلين أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أنه قال: «اتقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»^(٣). اهـ.

ولما سُئِلَ رحمته الله عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٤).

ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٥).

قال بعض السلف: حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله رحمته وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٤٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٤)، وحسن إسناده الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/١٩٤) برقم (١٦٣٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

ثانیهما: حسن الخلق مع الناس وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً^(١).

فحريٌّ بمن تمسك بهذا أن يصل إلى مراتب العاملين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٢).

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ [الأحزاب]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتِكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمَّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»^(٤).

(١) تهذيب السنن لابن القيم شرح سنن أبي داود (١٣٠ / ١٣).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣ / ٩١١) برقم (٤٠١٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢١٢٥).

قال حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النَّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ (١).

وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الأعمار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» (٢).

والمسلم لا بد أن تواجهه في حياته مواقف كثيرة، إن لم يستعمل فيها حسن الخلق فإنه سيفشل في مواجهتها.

فمن القواعد العامة في هذا المجال: أن لا تسرع بالملامة في حق من أساء إليك، أو قصر في حقك، وأن تعامله بحسن الظن والتماس العذر، وعلى العكس من ذلك أن لا تقول قولاً، ولا تفعل فعلاً قد تحتاج فيما بعد للاعتذار منه، ففي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ» (٣).

قَالَ الشَّاعِرُ:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبَت أخلاقهم ذهبوا

(١) جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٢/١٥٣) برقم (٢٥٢٥٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) الضياء في المختارة (٦/١٨٨) برقم (٢١٩٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث

الصحيحة (١/٦٨٩) برقم (٣٥٤).

وقال آخر:

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجَعُهُ فَقَوْمِ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ
ومن الأمثلة التي استعمل فيها حسن الخلق فكانت نتائجها حميدة،
ما روي أن رجلاً لقي علي بن الحسين فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال:
مهلاً، ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة
نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة^(١) كانت عليه،
وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد
الرسول ﷺ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) كساء أسود مربع معلم.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٣٨).

الكلمة الخامسة

العجلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها: العجلة.

قال الراغب: «العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، حتى قيل: الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١).

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٦) [القيامة]، وقد كان النبي ﷺ خلقه القرآن، يتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه، لذلك التزم بهذا التوجيه المبارك، فلم يكن يستعجل؛ بل كان يتأنى ويصبر، وإلى هذا أرشد أمته؛ فقال ﷺ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

وقال الله له أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَغَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣٥) [الأحقاف] فكان ﷺ - وهو القدوة المثلى - أولى الخلق التزاماً بهذا الأمر.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٣٣٤).

(٢) مسند أبي يعلى (٧/ ٢٤٧) برقم (٤٢٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٤/ ٤٠٤) برقم (١٧٩٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الشَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي، فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»^(١). فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٢).

أما المسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إليها، وانتهاز الفرص إذا حانت، فإن ذلك محمود وليس بمذموم.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٨٤) [طه].

روى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»^(٣).

لأن العجلة المذمومة القطع في الأمور قبل التفكير والمشاورة

(١) هما جبلا مكة أبو قبيس والجيل الذي يقابله.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٩٥).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٤).

والاستخارة، ولهذا قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الْعَجَلَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ، وَيَجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يَجْرِبَ، وَيَذْمُ بَعْدَ مَا يَحْمَدُ، وَالْعَجَلَ تَصْحَبُهُ النَّدَامَةُ، وَتَعْتَزِلُهُ السَّلَامَةُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِيهَا أُمَّ النَّدَامَاتِ»^(١). اهـ.

قال الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلُّ
ومن الأمثلة على العجلة المذمومة: الاستعجال بالدعاء على الأهل،
والمال والولد عند الغضب، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ:
«لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ،
لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(٢).

ولعل كثيراً مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد يكون
بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومنها: استعجال المرء إجابة دعائه، روى البخاري ومسلم في
صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يُسْتَجَابُ
لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي»^(٣).

ومنها: استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يتمون ركوعها
ولا سجودها ولا يطمئنون فيها، وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
أن رجلاً صلى عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ

(١) روضة العقلاء (ص ٢٨٨). (٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥) واللفظ له.

تُصَلِّ - ثلاث مرات - في كل مرة يقول له ذلك.

ثم قال له: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ اَرْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ اَرْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا...»^(١) - الحديث.

ومن واقعنا المعاصر نرى كثيرًا من الناس يندمون حين لا ينفعهم الندم، بسبب استعجالهم في أمور كان عليهم أن يتأنوا فيها، فمن ذلك: أنه لأقل الأسباب يطلق الرجل زوجته، فتشتت الأُسْر، ويضيع الأطفال، وتُهدم البيوت، ويقع من الهم والغم ما الله به عليم، كل ذلك بسبب العجلة فهل من مُدَكِّر؟

ومنها: العجلة في قيادة السيارات، وما نسمعه من الحوادث المرورة التي كانت سببًا لإزهاق نفوس كثيرة، وأمراض خطيرة، وعاهات مزمنة، إنما وقع بسبب العجلة.

ومنها: أن يستبطن الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة، روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي^(٢)، أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِطْءَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

(٢) أي: قلبي.

(٣) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة السادسة

كتابة الوصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فإن من الأمور التي ينبغي تذكير المسلمين بها: كتابة الوصية، وذلك لما في كتابتها من المصالح الدينية والدنيوية، ولتساهل كثير من الناس بها.
فلو قلت لأحدهم: هل كتبت وصيتك؟ لنظر إليك نظرة تعجب واستغراب، هل هو على فراش الموت حتى يكتب وصيته؟!

ولم يعتبر بما يشاهده ويسمعه كل يوم من الميمات الفجائية التي تأتي بغتة، وقد أخبر ﷺ أن من عقوباته احترام النفوس فجأة، فلا تتمكن من الوصية بشيء تريده، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس]، فكم من ميت مرتهن بدينه، وكم من غني لم ينتفع بماله بعد موته، وكم من حقوق أضيعت، وأمانات لم تُؤدَّ إلى أصحابها؟! كل ذلك سببه التساهل في كتابه الوصية.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ» (١).

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٧٧٩).

والوصية سنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، فينبغي للمسلم أن يقتدي بهم في وصي أولاده وقرابته من بعده بتقوى الله ﷻ والتمسك بدينه، ويوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة].

والوصية على أحوال: واجبة، ومستحبة، ومحرمة.

فتجب على المسلم إذا كانت عليه حقوق لله تعالى، كالنذر والزكاة، والحج، ونحوها. أو عليه ديون للخلق من أموال وغيرها، أو له ديون على الناس لم يفهم منها.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي (١).

وتستحب لمن عنده سعة من المال أن يوصي بشيء منه، يُنفق في أعمال البر، ويكون له صدقة جارية بعد موته، وهذه الوصية لها شرطان:

الأول: أن تكون بالثلث فما دون؛ لقول النبي ﷺ لسعد لما أراد أن يوصي: «الثلثُ، والثلثُ كثيرٌ» (٢).

الثاني: أن تكون لغير وارث، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٧).

أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِيُورِثُ»^(١).

وتحرم الوصية بما يخالف الشرع، كأن يوصي أهله بالنياحه عليه، أو بقطع رحمه، أو إلحاق الأذى بالمسلمين، أو الانتقام من فلان، أو الإضرار بورثته، وغير ذلك، فمن فعل شيء من ذلك فإنها لا تصح وصيته ولا تنفذ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

نقل ابن كثير رحمته الله عن ابن عباس وغيره: أن الجنف هو الخطأ، ثم قال: وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثًا بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصى ببيعه الشيء الفلاني محاباةً، أو أوصى لابن ابنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل^(٢). إما مخطئًا غير عامد بل بطبعه وقوة شفقتة من غير تبصر أو متعمدًا آثمًا في ذلك.

ومن فوائد الوصية إضافة إلى ما تقدم:

١ - الأجر العظيم لمن كتبها جزاء طاعته لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

٢ - الأجر العظيم فيما يوصي به من النصائح والمواعظ لما يُرجى من الانتفاع بها.

٣ - إبراء ذمته من المخالفات الشرعية والحقوق المالية وغيرها.

٤ - قطع النزاعات المحتملة، وإنهاء الخلافات التي قد تحدث بين ورثته من بعده، وهذا نموذج للوصية:

(١) سنن الترمذي وهو جزء من حديث برقم (٢١٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١٧١/٢) مختصرًا.

يقول بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله: هذا ما أوصى به فلان بن فلان وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، أوصي أولادي وأهلي وأقاربي وجميع المسلمين بتقوى الله ﷻ، وأوصيهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة].

وأوصي بتسديد ما عليّ من دين - إن كان عليه دين -، وإن أراد أن يقول: وأن يخرج من مالي ثلثه لفلان أو صدقة جارية، وأولادي القصر يكون وليهم فلان، يحفظ لهم حقهم من التركة حتى يبلغوا، ثم يوصي بما أراد من وصايا دينية واجتماعية، وأن يكون غسله وتجهيزه وما يتبع ذلك على سنة النبي ﷺ، ثم يختم ذلك بالدعاء لنفسه بالمغفرة والرحمة ودخول الجنان.

وعليه توثيق وصيته بشهادة رجلين عدلين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



البركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإنه ينبغي للمسلم أن يسأل الله ﷻ أن يبارك له في علمه وعمله، وفي وقته وماله، وفي أهله وأولاده، وفي دنياه وآخرته، وأن يحرص على الأسباب التي تستجلب بها البركة.

قال الراغب: «البركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء»^(١). اهـ.

فالبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وإن من أعظم ثمار البركة في الأمور كلها استعمالها في طاعة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ولما كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أعظم الناس قياماً بالتقوى ولوازمها، كانت البركة لهم وبهم أعظم وأعم، ولقد هداهم الله تعالى ومن شاء من صالحى العباد إلى ما فيه الخير كله والبركة كلها، وهو هذا الكتاب العظيم الذي أمر الناس بتعلمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا نَزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [ص].

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم «٤١».

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي عثمان قال: قال عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِضَيْفٍ لَهُ - أَوْ بِأَضْيَافٍ لَهُ -، فَأَمَسَى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ قَالَتْ أُمِّي: احْتَبَسْتَ عَن ضَيْفِكَ - أَوْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ. قَالَ: مَا عَشَّيْتَهُمْ؟ فَقَالَتْ: عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا أَوْ - فَأَبَى، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَسَبَّ وَجَدَعَ، وَحَلَفَ لَا يَطْعَمُهُ، فَاخْتَبَأْتُ أَنَا فَقَالَ: يَا غُثْرُ. فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أَوْ الْأَضْيَافُ - أَنْ لَا يَطْعَمَهُ - أَوْ يَطْعَمُوهُ - حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتُ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةَ عَيْنِي إِنَّهَا الْآنَ لِأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلُوا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَدْ تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّمْتُهُ، فَفَنِي» (٢).

وهناك أسباب كثيرة تُستجلب بها البركة.

منها: تقوى الله جل وعلا، فما اتقى الله عبد في أي أمرٍ من أموره، إلَّا بارك الله له فيه بقدر تقواه أو أعظم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومنها: الدعاء، ولقد علمنا النبي ﷺ الدعاء بطلب البركة في

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٣).

أمور كثيرة، فقد علمنا أن ندعو للمتزوج: فنقول: «بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ»^(١)، وعلمنا أن ندعو لمن أطعمنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٢)، وعلمنا أن ندعو بالبركة في طعامنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ»^(٣).

وَكَانَ ﷺ يُوتَى بِالْأَطْفَالِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ^(٤)، وَإِذَا أَتَوْهُ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرَةِ دَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدَّنِنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوُلْدَانِ^(٥).

ومنها أن يأخذ المال بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح.

قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٦).

ويلحق بهذا إنفاق المال في وجوه البر وإخراج زكاته، وبذل حقوقه بإخلاص وطيب نفس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٤٢).

(٣) أبو داود برقم (٣٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨١).

(٤) سنن أبي داود برقم (٥١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٦١) برقم (٤٢٥٩).

(٥) انظر: صحيح مسلم برقم (١٣٧٣).

(٦) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ» (١).

وفي حديث قدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه: يبلغ به النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» (٢).

ومنها: الصدق في المعاملة من بيع وشراء وتجارة وشراكة وغيرها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكٌ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (٣).

ومنها: قضاء الأعمال والتجارات في أول النهار؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» (٤).

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تاجِرًا، وَكَانَ لَا يَبْعَثُ غِلْمَانَهُ إِلَّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى كَانَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ مَالَهُ؟!

ومنها: اتباع السنة في الطعام والشراب، وفيه أحاديث نشير إلى بعضها، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ» (٥).

(١) صحيح مسلم جزء من حديث برقم (٢٥٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢١١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٥٣٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١٦/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٣٠٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١٨٠٥) وقال: حديث حسن صحيح.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْعَى الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةَ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ» (١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث وحشي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؛ قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ» (٢).

ومنها: أي من أسباب حصول البركة، استخارة المولى جل وعلا في الأمور كلها، مع الإيمان بأن ما يختاره الله لعبده خير مما يختاره لنفسه في العاجل والآجل؛ وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شدة حرصه عليها يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلْ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٤).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٣٢٨٦) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٢٦٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٦٢).

الكلمة الثامنة

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

وهذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وإن كان مشهوراً عند كثير من الناس، وقد ثبت بلفظ آخر من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء قالوا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية وقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً، قال: سمعته يقول: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَكَ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(١).

وهذا الحديث العظيم قد اشتمل على ثلاث جمل.

الأولى قوله: «لَنْ تَدَعَ شَيْئاً»، وهذا لفظ عام يشمل كل شيء يتركه الإنسان ابتغاء وجه الله تعالى.

الثانية: قوله: «لِلَّهِ عَوْضَكَ»، هذه الجملة بيِّن فيها النبي ﷺ أن التارك لا بد أن يكون ابتغاء مرضاة الله، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو عدم القدرة على التمكن منه، أو غير ذلك.

الثالثة: قوله ﷺ: «أَبْدَلَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»، هذه الجملة فيها بيان للجزاء الذي يناله من قام بذلك الشرط، وهو تعويض الله للتارك خيراً وأفضل

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨ / ١٧٠) برقم (٢٣٠٧٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١ / ١٩): وسنده صحيح على شرط مسلم.

مما ترك، والعوض من الله قد يكون من جنس المتروك، أو من غير جنسه، ومنه الأُنس بالله ﷻ ومحبته وطمأنينة القلب وانسراح الصدر، ويكون في الدنيا والآخرة، كما علم الله المؤمن أن يدعو: ﴿رَبَّنَا ءَإِنكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال قتادة السدوسي: لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ، إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ»^(١).

والأمثلة التي تبين عظيم خلف الله تعالى لعباده كثيرة جداً، منها: ما قصه الله تعالى عن نبي الله سليمان ﷺ في سورة (ص)، وخلاصته: أنه كان محبباً للجهاد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حباً شديداً، فاشتغل بها يوماً حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن يصلني، فأمر بها فردت عليه، فضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف إيثاراً لمحبة الله ﷻ، وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم.

ف عوضه الله ﷻ خيراً منها الريح التي تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شهرين.

وإليك الآيات فتدبر. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِيْنَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٠١)، وصحيح مسلم برقم (١٢٨).

حَبِّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ
أَعْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴿[ص.]

المثال الثاني: النبي ﷺ وأصحابه لما هاجروا تركوا ديارهم
وأموالهم لله تعالى، فعوضهم الله بأن جعلهم قادة الدنيا وحكام
الأرض وفتح عليهم خزائن كسرى وقيصر، ومكنهم من رقاب الملوك
والجبابرة، هذا مع ما يُرجى لهم من نعيم الآخرة، فشكروا، ولم يكفروا،
وتواضعوا ولم يتكبروا، وحكموا بالعدل بين الناس، قال تعالى:
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور].

وتأمل قصة أحد هؤلاء المهاجرين، وهو صهيب الرومي رضي الله عنه، فعن
عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كِنَانَتَهُ فأخرج
منها أربعين سهمًا، فقال: «لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ
سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَفْتُ بِمَكَّةَ
قَيْتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ، وَنَزَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: أَبَا يَحْيَى
رَبِحَ الْبَيْعُ، قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ»^(١).

المثال الثالث: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عرضت عليه

(١) مستدرك الحاكم (٣/ ٤٥٠) ورقم (١٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،
وحسنه الشيخ مقبل الوداعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٣٣).

المغريات في أرقى صورها، فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عز وجل، لأن الله جعله من المُخْلِصِينَ، وأُوذِيَ بسبب ذلك فاختر السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فمَلَكَه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطِي، ونعم المُعْطَى، ونعمت العطية.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة

طول الأمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فلقد ذم الله أقواماً طالت آمالهم فألهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون، فهم يتمنون أن لو مُدَّ لهم فيه ليستدركوا ما فات؛ ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر].

وطول الأمل: هو الاستمرار في الحرص على الدنيا ومداومة الانكباب عليها، مع كثرة الإعراض عن الآخرة (١).

ولقد أخبر النبي ﷺ أن كثيراً من الناس طالت آمالهم حتى جاوزت آجالهم.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ» (٢) يعني الأجل.

وإن من عجيب أمر ابن آدم أنه كلما اقترب من أجله طال أمله، وزادت رغبته في الدنيا وحرصه عليها، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، وهم قليل.

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (١٠/٤٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ»^(١).

فالأمل لا ينفك عنه أكثر الخلق، ولولا الأمل ما تهنى أحد بعيش أبداً، قال الشاعر:

أَعْلِلُ النَّفْسَ بِالأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقَ العَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الأَمَلِ
قال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا^(٢).

قال ابن حجر: وفي الأمل سر لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته^(٣).

فالعاقل من لم يغرّه طول الأمل، ولم يُنْسِه ما هو فيه من النعيم ما وعد الله به كل حي، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ العُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَبَّرِ المَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَبَّرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٢٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٤٦).

(٢) فتح الباري (١١/٢٣٧). (٣) فتح الباري (١١/٢٣٧).

(٤) البخاري برقم (٦١٤٦).

زاد الترمذي: «وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»^(١).

قال ابن رجب: وهذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يتخذ هذه الدنيا وطناً ومسكناً، وإنما يكون حاله فيها كأنه على جناح سفر يهيم جهازه للرحيل^(٢).

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه، فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه^(٣).

عن الحسن لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه: بكى وقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا فَتَرَكْنَا مَا عَهَدَ إِلَيْنَا: أَنْ يَكُونَ بُلْغَةُ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّايِبِ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرْنَا فِيمَا تَرَكَ، فَإِذَا قِيَمَةٌ مَا تَرَكَ بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا أَوْ بِضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا^(٤).

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته، فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال ابن القيم رحمته الله: «ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أمانى، والوقت ضائع بينهما»^(٥).

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو قال: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا^(٦) لَنَا فَقَالَ: «مَا هَذَا؟».

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٢) برقم (١٩٠٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٧). (٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٧٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/٤٣٨)، وصححه ابن حبان (٢٤٨٠).

(٥) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (١٠/٤٨٦٥).

(٦) الخص: بيت يعمل من الخشب والقصب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/٣٧).

فَقُلْنَا: قَدْ وَهَىٰ فَنَحْنُ نُصَلِّحُهُ. قَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسوية بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب، لأن رفته وصفاءه إنما يقع بتذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

ولذلك يقول علي رضي الله عنه: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَاتَّهَ يُصَدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»^(٢).

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «صَلِّحْ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ وَهَلَكَ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»^(٣).

ومن مفسد طول الأمل:

١- نسيان الموت وأهوال الآخرة وما أعد الله فيها من النعيم المقيم لأهل طاعته، ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري من قوله: ارتحلت الدنيا مدبرة برقم (٦٤١٦).

(٣) (٦٩/١٥) برقم (١٠٠٤٦) وقال محققه: إسناده حسن، وحسنه الشيخ الألباني في

صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٤٥).

٢- يُقْسِي الْقَلْبَ وَيُجِفُّ دَمْعَ الْعَيْنِ، وَيَزِيدُ فِي شِدَّةِ الْحَرَصِ عَلَى الدُّنْيَا.

٣- يَدْفَعُ إِلَى الْمَعَاصِي وَيُبْعِدُ عَنِ الطَّاعَاتِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة العاشرة

فضل القرآن وقراءته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وهوى، أثنى الله عليه في مواضع كثيرة منه؛ لبيان فضله ويوضح للناس مكانته ومنزلته، قال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت].

فما من باطل إلا وفي القرآن ما يدمغه، ولا شبهة إلا وفيه بيان بطلانها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء].

سمَّاه الله نوراً وجعله للناس شفاءً. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَسِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

أعجب به الجن لما سمعوه، فآمنوا به واتبعوه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمِعَ نَفْرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ [الجن].

تكفل الله بحفظه وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» (١).

ولهذه الفضائل العظيمة لكتاب الله، أمر الله بتلاوته والعمل به وتدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ [فاطر].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لقارئ القرآن من الحسنات.

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِّن كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) صحيح مسلم برقم (٨١٧).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعَّ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»^(١).

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن، فيشفع لقارئه ويعلو به في مراتب الجنة على قدر قراءته.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»^(٣).

وإن من عجيب حال الكثيرين منا: تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: لَوْ طَهَّرْتَ قُلُوبَنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ. ولهذا المعنى أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة].

فالآيات بينت حال المؤمنين، وحال المنافقين عند سماع القرآن وتلاوته، فليحذر المسلم أن يكون من ذلك الصنف الخاسر الذي لا يزيده سماع القرآن إلا خسارًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٨) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٠٤).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعلى هذا فينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:

أولاً: قراءة القرآن بتدبر وتمعن، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

قال عبد الله بن مسعود: «لَا تَشْرُوهُ كَنْشِرِ الرَّمْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

ثانياً: مراجعة الحفظ، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»^(١).

ثالثاً: الخشوع عند تلاوة القرآن: روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ! قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٤١)، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ^(٢).

رابعاً: عدم هجر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾^(٣٠) [الفرقان] والهجر يشمل هجر التلاوة، والتدبر والعمل، والتحاكم إليه، كما قال ابن القيم رحمه الله.

فلا بد من العناية بكلام الله ﷻ حفظاً، وتلاوة، وعملاً، حتى يكون المسلم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٧٩١) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٠٠).

الكلمة الحادية عشرة

فضل رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص].

وهذا «الشهر» قد خصه الله ﷻ بخصائص، من أعظمها وأجلها أن الله تعالى أنزل فيه هذا القرآن العظيم هدى للناس وبينات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٨٥] [البقرة].

قال بعض أهل العلم: إن الله ﷻ عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل؛ ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [١] [القدر].

ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان، فينبغي للمسلم أن يكثُر من قراءة القرآن في هذا الشهر المبارك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(١).

ومنها أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِسَتِ الشَّيَاطِينُ»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صَفَدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٣).

ومنها أن فيه ليلة خير من ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(٤) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾ [القدر]. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤).

والمقصود من هذه الخيرية أن العمل الصالح في هذه الليلة أفضل من العمل ألف شهر.

ومنها: استجابة الدعاء فيه، والعتق من النار، روى البزار في

(١) صحيح البخاري برقم (٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٧٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٧٩).

(٣) سنن الترمذي برقم (٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عُتْقَاءَ مِنَ النَّارِ - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ -، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ»^(١).

ومنها: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ»^(٢).

ومنها: فضل الاعتمار فيه: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سنان: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَجَّجَتٍ مَعَنَا؟». قَالَتْ: نَاضِحَانِ كَانَا لِأَبِي فَلَانٍ - زَوْجَهَا - حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخِرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غَلَامُنَا. قَالَ: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي»^(٣).

ومنها: تكفير الخطايا والسيئات، روى ابن حبان في صحيحه من حديث مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةَ قَالَ: «أَمِينَ» ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ أُخْرَى فَقَالَ: «أَمِينَ»، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ ثَالِثَةً، فَقَالَ: «أَمِينَ»،

(١) كشف الأستار (١/٤٥٧ - ٤٥٨) برقم (٩٦٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٨٦) برقم (١٠٠٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٧٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٢٥٦) واللفظ له.

ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرَ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٣).

ومعنى: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» في الحديثين السابقين، أي: مصدقًا بفرضية الصيام، وراغبًا في ثوابه، طيبة نفسه بالصيام، غير كاره لصيامه ولا مستثقل لقيامه، وبعض الناس يصوم ويقوم عادة لأنه رأى الناس يفعلون ذلك، وهذا خطأ، فَإِنَّهُ لَا تُنَالُ هَذِهِ الْأَجُورَ الْعَظِيمَةَ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ وَابْتِغَاءِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَزَائِهِ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٤١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية عشرة

فضل الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة وأجلها عند الله تعالى الصيام، فقد رغب فيه الشرع وحثَّ عليه، وجعله أحد أركان الإسلام العظام، وأخبر جل وعلا أنه لا تستغني عنه الأمم؛ لما فيه من تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس، وحملها على الصبر، فقال:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقال تعالى بعد ما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^{(١)(٢)}.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٣).

(٢) سبعين خريفاً أي سبعين سنة.

ومن فضائل الصيام: أنه وقاية للعبد من عذاب الله يوم القيامة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الصَّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَحِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدَلَ لَهُ»، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ»^(٢)، وفي رواية: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا، إلا إذا نزل بهم ضيف^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٤).

ومنها: أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(٥).

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٣٩٦) قال المنذري: في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٩/٢) حديث رقم (١٤٣٢): إسناده حسن.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٦/٤٦٥) برقم (٢٢١٤٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٣٤١٦، ٣٤١٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٨٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/١٧٤)، قال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (٢/١٠).

حديث رقم (١٤٣٦): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح. =

ومنها: أن الصائم يوفى أجره بغير حساب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(١).

ومنها: أنه كفارة لكثير من المخالفات، فمن ذلك أنه كفارة لحنث اليمين، وقتل الصيد في الإحرام، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْلُوبُوا الصِّيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَلَبَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [٩٥] [المائدة].

روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ»^(٢).

ومنها: أن من صام رمضان وأدى الفرائض الأخرى كان من

= ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع بإسناد حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٨٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٨٩٥).

الصدّيقين والشهداء، روى ابن حبان في صحيحه من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأدّيت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته فممن أنا؟ قال: «مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»^(١).

ومنها أن صيام رمضان يكفر الخطايا والسيئات.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وقد فضل الله بعض الأزمنة على بعض وخصها بمزيد من الفضل، فمن ذلك:

صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣).

ومنها: صيام شهر الله المحرم، وخاصة اليوم العاشر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٤٢٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٦)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار؛ وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. اهـ.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ»^(١).

ومنها: صيام يوم عرفة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: «أَحْسَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْفَرَ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةُ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٢).

ومنها: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٣).

ومنها: صيام الاثنين والخميس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٤) رواه الترمذي برقم (٧٤٧)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في

صحيح سنن الترمذي (٢٢٧/١) برقم (٥٩٦).

الكلمة الثالثة عشرة

فضل قيام الليل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال وأجل الطاعات التي رغب فيها الشارع قيام الليل، فهو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فهم عاكفون على مناجاة ربهم، يرغبون ويتضرعون إلى واهب الخيرات وعظيم العطايا والهبات سبحانه.

قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة].

وقد ذكرهم الله تعالى بأحسن الذكر، فقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءاخْذِينَ مَا ءَأَنَّهُمْ رَبُّهُنَّ إِنَّهُنَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات].

قال الحسن: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء، والاستكانة، والاستغفار^(١).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٩٦).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ لِلْإِثْمِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا؛ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَحْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(٣).

قال الشاعر يصف قومه وقد كانوا أهل جد واجتهاد في طاعة الله:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ أَنْيْنُ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ

وقد أمر الله نبيه بقيام الليل وحثه عليه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ

﴿١﴾ فُرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ، أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨١٤).

(٢) (٥٣٩/٣٧) برقم (٢٢٩٠٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) معجم الطبراني الأوسط (٣٠٦/٤) برقم (٤٢٧٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب

والترهيب (٤٨٥/١) حديث رقم (٩١٨): إسناده حسن.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ۚ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يأخذ بهذا التوجيه الرباني الكريم ويستجيب لأمر ربه، تقول عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَقَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ. ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»^(٢).

وكان النبي ﷺ يبحث أصحابه على قيام الليل ويرغبهم فيه، فقال في شأن عبد الله بن عمر: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ - ابن عبد الله بن عمر -: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا^(٣).

وحدث أمته على قيام الليل، فقال: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال

(١) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٢١)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٧٨).

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بَعَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»^(١).

ووقت صلاة الليل من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى، مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُؤْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٤).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَوْ لَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطْيَابَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَابُ التَّمْرِ^(٥).

ومن أعظم الأسباب التي تعين على قيام الليل: التبكير في النوم،

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٦٢) برقم (١٢٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

(٥) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

فإن السهر آفة العصر، وخاصة إذا كان في غير طاعة الله كما هو حال الكثير من الناس، إما على مشاهدة دش أو تلفاز أو لعب ورق أو مجلس قيل وقال، أو غير ذلك.

ولذلك: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا (١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها». اهـ (٣).

وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف، روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه برقم (٨٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة عشرة

الدعاء - آدابه وموانعه -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أجل الطاعات وأعظم العبادات والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه جل وعلا: الدعاء، لما يتضمن من الاعتراف بعظمة الباري وقوته، وغناه وقدرته، ولما فيه من تذلل العبد وانكساره بين يدي خالقه جل وعلا.

وقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا الإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة].

والناس في الدعاء على ثلاثة أحوال: فمنهم من يدعو غير الله وهم المشركون، فإنهم وإن أخلصوا الدعاء في الشدة فإن ذلك لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت] ويشبههم من بعض الوجوه: المسلم الذي يدعو الله في الشدائد والكرب، فإذا جاء الرخاء غفل ونسي.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»^(١).

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٨٢) وقال: هذا حديث غريب وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٢٩٠).

ومنهم قوم أعطاهم الله من واسع فضله فلم يشكروا؛ بل طغوا واستكبروا، قال الله في هؤلاء: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر].

ومنهم المؤمنون الذين عرفوا قدر ربهم، وأيقنوا أنه لا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا منه.

قال تعالى مثنيًا عليهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء].

قال النبي ﷺ مبينًا لأتمته فضل الدعاء: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»^(١)، وَقَالَ أَيضًا: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣).

فبين النبي ﷺ أن الله عز وجل يحب من عباده كثرة الدعاء والإلحاح فيه، قال الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِّ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وهذا شاعر جاهلي يقول في معلقته:

وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ عَلامٌ مَا أَخْفَتِ الْقُلُوبُ

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٣٨) برقم (٢٦٨٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٥) برقم (١٧٣٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٥٢٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٧٢) برقم (٢٧٩٧).

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ
ويجب على العبد أن يراعي في دعائه الأمور التالية:

أولاً: الإخلاص لله في الدعاء. روى أبو داود في سننه من حديث
النعمان بن بشير رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

وقد قال الله تعالى مبيناً وجوب إخلاص العبادة له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١٨) [الجن].

ثانياً: ألا يستعجل العبد في استجابة الدعاء، فإن الله سبحانه أعلم
بمصالح عباده، وما من داع إلا ويستجاب له بأن يُعطى سؤله، أو يصرف
عنه من الشر مثله، أو يدخر له في الآخرة كما ثبت بذلك الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستعجال في الدعاء.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ
فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(٣).

ثالثاً: ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (١٤٧٩)، وقال: الترمذي: حسن صحيح، وانظر: صحيح الجامع
الصغير برقم (٣٤٠١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٢١٣/١٧) برقم (١١١٣٣)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

رابعاً: أن يكون حاضر القلب حال الدعاء، مقبلاً على ربه عند مناجاته في خشوع وسكينة، موقناً بالإجابة.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» (١).

خامساً: تقوى الله بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سدت طريقها بالمعاصي.

قال الشاعر:

نَحْنُ نَدْعُو الْإِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ نَنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكُرُوبِ
كَيْفَ نَرْجُو إِجَابَةَ لِدُعَائِهِ قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوبِ

سادساً: أن يعلم أن من أعظم موانع استجابة الدعاء أكل الحرام، وإن من المحزن أن كثيراً منا لا ينتبه لهذا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ» (٢).

وعلى سبيل المثال ترى البعض يأخذ أموال الناس بالظلم والقوة، وبعضهم بالمكر والحيلة، ومنهم من يبخس العمال حقوقهم، وآخرون يساهمون بأموالهم في البنوك الربوية، أو يتعاطون في أموالهم وتجاراتهم

(١) سنن الترمذي برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم (٥٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

معاملات محرمة أو مشبوهة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) ﴿المؤمنون: ٥١﴾، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (١).

سابعًا: أن يعلم المسلم أن من موانع الدعاء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الترمذي في سننه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (٢).

وقد ذكر أهل العلم آداب الدعاء، وبينوا ذلك في كتبهم، فينبغي للعبد أن يعرفها ويأخذ بها، فمن ذلك أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، وأن يعزم المسألة، فلا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، ونحوها، وأن يرفع يديه حال الدعاء مستقبلاً القبلة وأن يكون على طهارة، وأن يكون معترفاً بذنبه ونعمة الله وفضله عليه، ومنها إظهار الافتقار إلى الله تعالى والشكوى إليه، وأن لا يعتدي في الدعاء، وقد بينت هذه الآداب بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، وأن يتحرى الأوقات الفاضلة التي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن.

يستجاب فيها الدعاء كحال السجود، وبين الأذان والإقامة، والدعاء في جوف الليل، وآخر النهار يوم الجمعة، وعند نزول المطر، وإفطار الصائم، وليلة القدر، ويوم عرفة، ودبر الصلوات المكتوبات، وعند النداء للصلوات المكتوبات، وعند إقامة الصلاة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور، وقد ثبتت هذه المواضع بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

وقد جاء عن النبي ﷺ الإخبار عن يستجاب دعاؤهم، فمنهم: دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، ودعوة الوالد، والمسافر، والصائم، والمظلوم، والإمام العادل، ودعوة الولد الصالح، ودعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور وغيرهم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١).

وقد كان رضي الله عنه يختار في دعائه جوامع الدعاء فيقول: ﴿رَبَّنَا ءَإِنكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) [البقرة: ٢٠١] وكان يكثر منها، ويقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢)، وقال لعلي: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»^(٣)، وعلم عائشة أن تقول في ليلة القدر: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ

(١) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهد [طبعة مؤسسة الرسالة].

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٩٥) برقم (٣٥٥٦).

فَاعْفُ عَنِّي»^(١)، وقال ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»^(٢). وغيرها من الأدعية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.
 (٢) مسند الإمام أحمد (٦٦/٣) برقم (١٤٦٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال محققوه: إسناده حسن.

الكلمة الخامسة عشرة

فضل الصدقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أبواب الخير العظيمة التي رغب فيها الشارع الحكيم وحث عليها، الصدقة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠) ﴿

[المنافقون].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

[سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٤) ﴿ [البقرة: ٢٧٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، سَحَاءٌ^(١) لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢).

(١) السح: الصب الدائم، ومعنى لا يغيضها شيء: أي لا ينقصها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

فهذا وعد من الله بالإنفاق على من أنفق في سبيل الله، والله تعالى لا يخلف وعده.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي ذر رضي عنه قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأيته قال: «هم الأخرسون ورب الكعبة» قال: فجئت حتى جلست فلم أتقار^(١) أن أقمت. فقلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، من هم؟ قال: «هم الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا - من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله -، وقليل ما هم»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: ﴿لَنْ نَأْتُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَأْتُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث شئت، فقال صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابع، ذلك مال رابع. قد سمعت ما قلت فيها، وأرى أن تجعلها في الأقربين». فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه صلى الله عليه وسلم، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان

(١) فلم أتقار: أي لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٦١)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٨).

أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله.

ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، فإنَّ للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبيًا في شرح الصدر^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي أَحَدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةً، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ عَلَيَّ»^(٢).

ولما سُئِلَ ﷺ: أي الصدقة أعظم، قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَاحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(٣).

ومن فضائل الصدقة: أنها إذا كانت من كسب حلال خالصة لوجه الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يقبلها بفضله، ويضاعف ثوابها لصاحبها أضعافًا مضاعفة، والله ذو الفضل العظيم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَ تَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ -، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٤) فيأتي المؤمن يوم القيامة، وإذا بحسناته أمثال الجبال فيفرح بثواب الله.

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢ - ٢٣) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٤١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠١٤).

ومنها: تكفير السيئات. روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(١).

ومنها: نماء المال وزيادته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٢).

ومنها استظلال المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... مِنْهُمْ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»^(٣).

ويوم القيامة يأتي العالم بعلمه، والمجاهد بجهاده، والمصلي بصلاته، والصائم بصيامه، ويأتي المتصدق بالعلم والجهاد والصلاة، والصيام، فهو قد طبع كتباً للعلماء وقفاً على إخوانه المسلمين، وبنى مسجداً يصلي فيه المسلمون، وأعان المجاهدين في سبيل الله بماله، وفطر الصائمين على نفقته، فيحصل له أجر هؤلاء جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومنها أن الصدقة تقي العبد كثيراً من الشرور والمصائب، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه، حتى لو كانت هذه الصدقة من ظالم أو كافر فإن الله يدفع عنه بها كثيراً من الشرور والمصائب»^(٤).

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٥٠).

قال الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ومن أفضل أنواع الصدقة، الصدقة الجارية التي تستمر للعبد بعد وفاته
مثل حفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، ودعم حلقات تحفيظ
القرآن الكريم، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين ونحو ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

وعلى المنفق أن يراعي الأمور التالية: الإخلاص لله عز وجل في صدقته،
وأن يحذر من الصدقة بالردية من طعام أو لباس أو نحو ذلك، أو أن
يتبع صدقته المن والأذى، أو أن يبخل بما أعطاه الله، أو أن يحتقر شيئاً
من الصدقة، أو أن يرجع في صدقته.

فائدة: ذكر أبو نعيم في حلية الأولياء أن أويس القرني كان إذا أمسى
تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من
مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٢) (٨٧ / ٢).

الكلمة السادسة عشرة

مخالفات يقع فيها بعض الصائمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام موسمًا عظيمًا من مواسم الخير. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

إلا أن هناك مخالفات يقع فيها بعض الصائمين أحببت التذكير بها، أداءً لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن طائفة من الناس يصومون لكن لا يكتب لهم عند الله أجر الصائمين، وإنما نصيبهم من هذا الصيام الجوع والعطش، وذلك لأن الجوارح لم تمتنع عن معصية الله، فالعين تنظر إلى ما حرم الله، والأذن تستمع إلى ما حرم الله، واللسان يتكلم بما يغضب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٢/١) برقم (١٣٧١).

وطائفة أخرى تقوم الليل ولكن لا يكتب لهم أجر القائمين، إما لفقدان الإخلاص في عبادتهم، أو لعدم موافقتها لهدي النبي ﷺ، أو لغير ذلك.

ولذا ينبغي للصائم أن يحذر من الوقوع في المعاصي، فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، وإنما إمساك الجوارح عما حرم الله.

ومن هذه المخالفات: تأخير الصلاة عن وقتها، فبعض الصائمين ينام بعد تناوله السحور فلا يستيقظ إلا عند طلوع الشمس، فيضيع صلاة الصبح، وآخرون ينامون قبل صلاة العصر، فلا يستيقظ أحدهم إلا عند غروب الشمس، فيضيع صلاة العصر قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، روى البخاري في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ [الماعون]؛ جاء في حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٥﴾ أَيْنَا لَا يَسْهُو وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ (٢).

وفي مثل هؤلاء يقول تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ [مريم: ٥٩].

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣).

(٢) مسند أبي يعلى (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

(٤٤١/١) حديث رقم (٨٢٢): إسناده حسن.

ومنها التخلف عن صلاة الجماعة، فبعض الصائمين يؤدون الصلاة لوقتها، ولكنه يتخلف عن صلاة الجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

وفي هذه الآية وجوب صلاة الخوف جماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(١).

ومنها: السهر الطويل أكثر الليل أو كله على شاشات القنوات الفضائية التي تبث شرورها وسمومها على أشكال متعددة، حيث يعرض بها برامج يقصد بها تشكيك المسلمين في دينهم، وإظهار عظمة الكفار والإعجاب بحضارتهم، كالتمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخلية.

ومنها: ما يفعله بعض الصائمين المبتلون بشرب الدخان

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١).

هداهم الله، فبدلاً من أن يفطروا على ما أحل الله لهم من الطيبات يفطرون على الدخان الذي بعث الله رسوله بتحريمه وأمثاله؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف].

ومنها: الفحش والبذاءة في اللسان وسائر المعاصي الأخرى. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرِفْثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (٢).

ومنها كثرة النوم لساعات طويلة، وحديث: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ» حديث ضعيف لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا ينبغي للمسلم أن يضيع ساعات الصوم بكثرة النوم، فإن المسلم يُسأل عن وقته يوم القيامة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟» (١).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسهَلَ مَا عَلَيكَ يَضِيعُ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كان هدي النبي ﷺ في هذه العشر الأواخر أنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في بقية الشهر، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضيها قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثها رضيها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ: أَحْيَا اللَّيْلَ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِزْرَ، وَأَيَّقُظْ أَهْلَهُ»^(٢).

أحيا ليله أي بالصلاة والذكر والدعاء، وأيقظ أهله أي أيقظهم من نومهم ليجتهدوا في الصلاة والذكر والتضرع إلى الله تعالى، وهذه السنة قد لا ينتبه لها بعض المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

أما شد الميزر فقد قال كثير من أهل العلم: إنه كناية عن اعتزال النساء والتفرغ للعبادة، ولذلك كان ﷺ يعتكف في هذه العشر في المسجد، وينقطع عن الدنيا ويخلو بربه يدعو ويناجيه ويسأله ويتضرع إليه.

(١) صحيح مسلم برقم (١١٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٤).

والاعتكاف من أنفع العبادات لإصلاح القلوب، وجمع الهمم،
والتخلص من العيوب، ومن جرب عرف.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ
اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ^(١).

فإن قال قائل: ما الحكمة في تخصيص النبي ﷺ للعشر الأواخر
بكثرة الاعتكاف والاجتهاد في طاعة الله.

فالجواب: أن النبي ﷺ فعل ذلك التماساً لليلة القدر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ،
ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ فِي قُبَّةِ^(٢) تَرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قَالَ: فَأَخَذَ
الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَدَنُوا
مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ
الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ»^(٣).

فهذه الليلة ليلة عظيمة مباركة، لا يحرم خيرها إلا محروم، وهي
في العشر الأواخر تنتقل فيها كما يريد الله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٤).

وفي السبع الأواخر أكد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٢).

(٢) في قبة تركية أي: قبة صغيرة من لبود.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠١٨)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠١٧).

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»^(١).

وكان أبي بن كعب يحلف: لَا يَسْتَنْبِي أَنَّهُ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. قال زر بن حبیش: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْدِرِ؟ قَالَ: بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْ بِالْعَلَامَةِ: «أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بِيضَاءً لَا شُعَاعَ لَهَا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأَنْسَيْتُهَا فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي كُلِّ وَتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: مُطِرْنَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ فَوَكَّفَ^(٣) الْمَسْجِدُ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَوَجَّهَهُ مُبْتَلِّ طِينًا وَمَاءً^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: «والصحيح أنها في وتر من العشر الأواخر وأنها تنتقل»^(٥). اهـ.

وهذه حكمة إلهية فلو حددت لاجتهد الناس فيها وتركوا بقية الليالي، واستوى في ذلك المجتهد والكسول.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠١٥)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٦٢).

(٣) فوكف المسجد: أي قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٥) فتح الباري (٤/٢٦٦).

والنبي ﷺ إنما كان يحرص على هذه الليلة لما جعل الله فيها من الفضل والأجر، فمما خصَّها الله به أنها خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) [القدر]، أي العبادة فيها خير من عبادة ثلاثة وثمانين عامًا وبضعة أشهر.

ومنها: أنه نزل فيها القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) [الدخان] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) [القدر] أي القرآن.

ومنها: أنه يكثر نزول الملائكة فيها لكثرة الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) [سالم هي حتى مطلع الفجر] (٥) [القدر].

ومنها: أن الله يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا؛ فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وقد أرشد النبي ﷺ عائشة عندما سألته: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.

الكلمة الثامنة عشرة

فضل الذكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فإن من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تقرب المسلم إلى ربه جل وعلا: الذكر.

وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه بأجل الذكر: فقال سبحانه:
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١١١﴾ [آل عمران].

وبين في آية أخرى فضل الذكر، وأنه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد]، وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنَّ ذِكْرَنِي فِي نَفْسِهِ ذِكْرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (١).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً»^(١).

وانظر إلى هذا الحديث العجيب في بيان فضل الذكر والذاكرين.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قالوا بلى يا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ؛ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قالوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهُ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهُ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً»^(٤).

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٣٩/٣) برقم (٢٦٨٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٩٨/٢) برقم (٣١١٤).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ^(١)، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءٌ، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فقد الماء؟!^(٣).

وقال ابن القيم: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذائر معانيه ومقاصده»^(٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٥).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ،

(١) شعب الإيمان (١/٤٠٨).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٦٧).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٤) الفوائد (ص ٢١٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩١).

وَلَمْ يُذَرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟! تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»^(١)
الحديث.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(٢).

ومما يدل على فضل الذكر ومكانته العظيمة وأنه ينوب عن بعض الأعمال، ويقوم مقامها ما رواه أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة من حديث عبد الله بن حبيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ظن بالمال أن ينفقه، وبالليل أن يكابده، فعليه بسبحان الله وبحمده»^(٣).

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالذكر الكثير فقال تعالى: ﴿يَتَأَمَّلُوا الَّذِينَ عَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب].

والنبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته من الأذكار ما يملأ الأوقات! فلكل حالة أو زمن ذكر يخصه ففي الصباح أذكار مخصوصة، وفي المساء كذلك وعند النوم، واليقظة، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند طعامه وشرابه، وغير ذلك من أحواله، ولا شك أن من حافظ على هذه الأذكار فإنه سيكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وبهذا يأمن مما اتصف به المنافقون حيث يقول الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٨٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٣) برقم (٣٦٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٣٧٧).

ومن الأذكار العامة التي تشرع في كل وقت: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن جويرية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

ومن الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، ويقولها العبد كلما شعر بحاجته إلى مغفرة ربه، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي عنه: عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٥٩/٣٦) برقم (٢٢١٤٤)، وقال محققوه: حديث صحيح،

وصحيح ابن حبان برقم (٨٢٧) واللفظ له.

مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٦).

الكلمة التاسعة عشرة

المواظبة على العبادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله ﷻ من فضله ورحمته بعباده يسر عليهم فعل الطاعات في هذا الشهر، وقواهم عليها وأعانهم على ترك المعاصي والشهوات، ولذا يكون من إقبال القلوب على الخير في هذا الشهر ما لا يكون في غيره، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه رضي الله عنه قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(١).

وإن مطالبة النفس بأن تقوم في غير رمضان بما تقوم به في رمضان مطلبٌ صعبٌ، لأن الأسباب الموجبة لذلك في رمضان لا تتوفر في غيره، ولكن ينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن البعض من الناس إذا خرج رمضان عاد إلى ما كان عليه قبله، من ترك بعض الفرائض والواجبات، أو ارتكاب بعض المعاصي والسيئات، وهذه وإن كان إثمها في رمضان أعظم، إلا أنه لا يسقط الإثم

(١) سنن الترمذي برقم (٦٨٢) وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

في غير رمضان؛ لأن وجوبها على العبد فعلاً وتركاً على الدوام.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر].

وقال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.

قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ»^(١). قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله.

ومن تلك المعاصي: الانقطاع عن بيوت الله، والتساهل في صلاة الجماعة، وهجر القرآن الكريم الذي كانوا يقرؤونه في رمضان، والانكباب على القنوات الفضائية التي تعرض التمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة المحرمة، فإلى الله المشتكى.

الثاني: التقصير في نوافل العبادات، فيستحب للمسلم أن لا ينقطع عنها في غير رمضان، وقد شرع من الصيام، والقيام، والصدقات، وفعل الخير، ما يملأ الأوقات ويجعل العبد موصولاً بربه على الدوام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (٣٨).

النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(١)؛ بل إن النبي ﷺ كان ينهى أصحابه عن الانقطاع عن العمل الصالح.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»^(٢).

ومن هذه النوافل التي شرعت بعد رمضان صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٣).

ومنها صيام يوم عرفة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن صيام يوم عرفة؟ قال: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»^(٤).

ومنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٥).

ومنها: قيام الليل طوال العام، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٤)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤). (٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٥) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٦) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

ومنها باب الصدقة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة].

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده على الدوام. والعبد لا يدري متى يفجأه الأجل، فالعاقل من تهيأ للقاء ربه، ولم يغره طول الأمل؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ- شَيْئًا﴾ ﴿٣٣﴾ [لقمان].

وقال تعالى عن أقوام طالت آمالهم، وساءت أعمالهم، وغفلوا عن ذكر ربهم: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الحجر].

فالدنيا ليست بدار بقاء، فطوبى لعبد عرف قدرها فأخذ منها أفضل ما فيها، وهو استغلال أوقاتها بالتزود منها للحياة الباقية، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت].

واعلموا عباد الله أن كل حي صائر إلى فناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة العشرون

سنن العيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنسأل الله كما بلغنا رمضان وأعاننا على صيامه وقيامه أن يتقبله منا، إنه جواد كريم، وبعد:

فمن الأمور التي ينبغي التذكير بها: أحكام صلاة العيد، وما يفعله المسلم في يوم العيد من السنن الثابتة عن النبي ﷺ؛ فمن ذلك:

أولاً: ينبغي للمسلم أن يحرص يوم العيد على الاغتسال والطيب، فقد استحبه طائفة من أهل العلم، وثبت عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَخْدُوَ إِلَى الصَّلَاةِ^(١)، واستحب بعض أهل العلم إزالة شعر الإبطين، وتقليم الأظافر، وما يتبع ذلك؛ لأن ذلك من تمام الزينة، ولبس أحسن ما يجد من الثياب.

فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ فِي الْعِيدَيْنِ^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: وَكَانَ يَلْبَسُ لِلْعِيدَيْنِ أَجْمَلَ ثِيَابِهِ، فَكَانَتْ لَهُ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ^(٣).

(١) موطأ مالك ص ١١٥، وقال محققه: أثر صحيح.

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٤١).

(٣) سنن البيهقي (٣/ ٢٨١).

ثانيًا: يُستحب قبل خروجه إلى الصلاة في عيد الفطر أن يأكل تمرات وتراً، والوتر إما أن يكون ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ، وَيَأْكُلَهُنَّ وَتْرًا ^(١).

ثالثًا: يستحب له أن يذهب من طريق ويرجع من آخر، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ ^(٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ١٢].

رابعًا: السنة أن تكون الصلاة في مصلى العيد وليس المسجد، وهذا هو المعروف من فعله ﷺ، ومواظبته، كما رجحه جمع من أهل العلم.

خامسًا: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه صلى قبل العيد أو بعده نافلة في المصلى، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا ^(٣). لكن إذا كانت الصلاة في المسجد فإنه يصلي تحية المسجد ركعتين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة السلمي رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ» ^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٨٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٧١٤).

سادساً: إذا رجع إلى بيته يشرع له أن يصلي ركعتين؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئًا، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ^(١).

سابعاً: يستحب التكبير من غروب شمس ليلة العيد، وأوجه بعض أهل العلم لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَانَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة]. ويكبر من حين خروجه من بيته حتى يأتي الإمام إلى المصلى، وهذا التكبير مشروع باتفاق الأئمة الأربعة.

وجاء عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ لِلْعِيدَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيَكْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمُصَلَّى، وَيَكْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْإِمَامَ^(٢)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَيَسْتَحِبُّ التَّكْبِيرَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَنَازِلِ وَالطُّرُقِ^(٣).

ثامناً: تأكد صلاة العيد على الرجال والنساء، ورجح جمع من أهل العلم الوجوب، واستدلوا بحديث أم عطية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهَا الْعَوَاتِقَ؛ أَي الْبَالِغَاتِ وَالْحَيْضَ؛ وَأَمَرَ الْحَيْضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٢٩٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٧٦)، وانظر إرواء الغليل (١٠/٢) للشيخ الألباني رحمته الله.

(٢) سنن الدارقطني (٢/٤٤) رقم (٤)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل برقم (٦٥٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/١٦٧)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٢/١٢٥).

وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ^(١).

تاسعاً: التهئة بالعيد، فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم كانوا يقولون في العيد: تقبّل الله منا ومنكم، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢)، والحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٩٨٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٣).

(٣) فتح الباري (٢/٤٤٦)، وانظر تمام المنة (ص ٣٥٤ - ٣٥٦) للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

الكلمة الحادية والعشرون

الرؤيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فحديثنا اليوم عن الرؤيا، وسيكون الكلام فيها عن الأمور التالية:

أولاً: فضل الرؤيا ومنزلتها في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أقسام الرؤيا وأنها على ثلاثة أقسام.

ثالثاً: تعبير الرؤيا وبعض الفوائد المتعلقة بذلك.

رابعاً: بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في الرؤيا.

خامساً: أمثلة للرؤيا الصالحة.

أما ما يتعلق بفضل الرؤيا ومنزلتها: فيقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أي: يعلمك تفسير الرؤيا.

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مَبَشَّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ» (١).

(١) صحيح مسلم برقم (٤٧٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله ﷺ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]؛ قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبْوَةِ» (٢).

وقوله ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» أي في آخر الزمان وذلك عند كثرة الفتن، وغربة الدين، وشدة الحاجة إلى المبشرات التي تطمئن بها قلوب المؤمنين، ولذلك قال: «لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ» فهي خاصة بالمؤمنين.

وقوله: «جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ»؛ قال بعض أهل العلم: إن مدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة منها: نصف سنة، الوحي فيها رؤيا يراها النبي ﷺ في النوم؛ فيكون ذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيََ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ (٣).

وقوله ﷺ في آخر الحديث السابق: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»، دليل على أهمية الصدق، وأن أصدق الناس كلاماً هو أصدقهم رؤيا.

وأما أقسام الرؤيا فهي ثلاثة، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) مسند الإمام أحمد (٥٠٢ / ٤٥) برقم (٢٧٥٠٩)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٢٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، ورؤيا يُحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان»^(١).

هذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ليس كل ما يرى في المنام من الرؤيا الصالحة، فما يراه الإنسان في منامه؛ من المفزعات والمزعجات فهو من الشيطان ليحزن المؤمن بذلك، وما يراه مما يعرض له في يومه وليلته فتلك الأحلام، وأحاديث النفس تعرض له في اليقظة فيحلم بها في منامه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»^(٣).

أما تعبير الرؤيا، فهو علم شريف خص الله تعالى به بعض أنبيائه، وأوليائه، كمحمد ويوسف عليهما السلام، وممن اشتهر بذلك من الصحابة: أبو بكر. ومن التابعين محمد بن سيرين، وغيرهم من الصالحين في كل زمان ومكان.

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من رأى رؤيا ألا يقصها على كل أحد.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٢٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٣).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَلَا يَقْصُهَا إِلَّا عَلَىٰ وَادٍ»^(١) «أَوْ ذِي رَأْيٍ»^(٢).

ومن فوائد ذلك: ألا تعبر الرؤيا تعبيرًا خاطئًا، أو بما يحزن صاحبها. وأما الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس فيما يتعلّق بالرؤيا: فنذكر من ذلك ثلاثة أخطاء مهمة.

أولاً: الكذب في الرؤيا بأن يدّعي أنه رأى كذا وكذا ولم ير ذلك؛ روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ»^(٣).

ثانياً: اعتماد بعض الجهال من الصوفية وغيرهم على الرؤيا في الأحكام الشرعية من تحليل حرام، أو تحريم حلال ونحو ذلك؛ وليس من ذلك أن يعمل العبد عملاً صالحاً فيرى ما يبشّره بقبوله أو نفعه.

ثالثاً: ليس كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يكون رآه حقاً حتى يراه على صورته الحقيقية التي كان عليها صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان ابن سيرين رحمته الله إذا قال له أحد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: صف لي الذي رأيت؛ فإن وصفه بصفته الحقيقية قال له: «رَأَيْتَ».

ومن الأمثلة للرؤيا الصالحة: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من المبشرات لمن رآه؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»^(٤).

(١) أي صاحب مودة.

(٢) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم (٥٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٤٧/٣) برقم (٤١٩٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٦) واللفظ له.

ولكن كما تقدم أن يراه على صورته الحقيقية.

ومنها أيضاً رؤيا يوسف عليه السلام؛ كما في الآية: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ
يَتَابَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾
[يوسف].

قال الله في تأويلها: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ
يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ
السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].

ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي دَارِ عُقْبَةَ
ابْنِ رَافِعٍ فَأْتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوْلَتْ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا،
وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠).

طاب: أي كمل واستقرت أحكامه.

الكلمة الثانية والعشرون

شاب نشأ في عبادة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]؛ في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج].

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَنْفِقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ [المزمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى السَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ؛ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْحِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(٢).

ولا يتسع الوقت للحديث عن السبعة، ولكن نقف وقفات يسيرة مع قوله رضي عنه: «شَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ».

فهذا الشاب وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحبها إليه وكره إليه الأعمال السيئة وأعانه على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك؛ وقد حفظه الله مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب، وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، واستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

لقد علم أنه مسئول عن شبابه فيما أبلاه؛ فعمل بوصية نبيه محمد ﷺ التي أوصى بها، حيث قال: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»^(٢).

والشباب هم عماد الأمة، وهم جيل المستقبل؛ منهم يتكون بناء الأمة، ومنهم ينشأ العلماء والمصلحون والمجاهدون وغيرهم من أبناء المجتمع، الذين إذا صلحوا انتفعت بهم مجتمعاتهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

ومن الأمثلة على الشباب الملتزم بطاعة ربه شباب الصحابة، أمثال أسامة بن زيد الذي أرسله النبي ﷺ لقيادة جيش المسلمين المتجه إلى الشام، وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، وفي القوم كبار الصحابة، حتى

(١) مستدرک الحاکم (٥/ ٤٣٥) برقم (٧٩١٦)، وقال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

أن أبا بكر كان يستأذن أسامة بن زيد أن يُبقي عمر عنده في المدينة فيأذن أسامة في ذلك، وعلي بن أبي طالب الذي بات في فراش النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة وعرض نفسه للقتل، فداء للنبي ﷺ، وجعفر بن أبي طالب الذي كان قائداً لجيش المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة خلفاً للقائد زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي قُتِلَ في تلك المعركة، فحمل راية المسلمين وأخذ سيفه وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةَ وَأَقْتِرَابَهَا طَيِّبَةً وَبَارِدُ شَرَابِهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا عَلَيَّ إِنْ لَأَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره، فتكاثروا عليه فقتلوه.

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: التَّمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَتْلِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ ضُرِبَ بِضَعَا وَتَسْعِينَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمحٍ (١).

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلة كذلك: محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند والهند وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، كما تروي لنا كتب السير، قال الشاعر:

عَبَادٌ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ كَمَ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الخَدِّ أَجْرَاهُ
وَأَسْدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الجِهَادُ بِهِمْ هَبُوا إِلَى المَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ
يَا رَبِّ فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَرًا يُشِيِّدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَانَاهُ

ومن الأمثلة المعاصرة: الشباب الذين يملؤون المساجد، والمدارس، والجامعات، يطلبون العلم الشرعي، ويدعون إلى دين الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلتحقون بحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وهذا شيء يثلج الصدر، وأمتنا لا يزال فيها الخير إلى يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والعشرون

التحذير من الشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية.

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء، ودليله قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت].

فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة،

ويشركون به في الرخاء، فلم ينفعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد، ودليله قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٦﴾ [هود].

قال ابن عباس: «إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعملها إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعملها لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين»^(١).

ومنها شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) [التوبة].

روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمْهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٦١) [الأنعام].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٢٠).

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك ديناً وشرعاً، فقد أشرك بالله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله»^(١).

ومنها شرك المحبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(١٦٥) [البقرة].

قال ابن كثير: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضِدَّ له ولا نِدَّ»^(٢).

أما الشرك الأصغر فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة فمثل الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان؛ فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه؛ بل يقول: ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا.

أما الأفعال: فهي كثيرة جداً، مثل تعليق التمايم خوفاً من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٢).

البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.
القسم الثاني: شرك خفي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وهذا الشرك بحر لا ساحل له وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته ونيته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته؛ فإن هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»^(٢).

وإنما سُمي الرياء شرك خفي لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلواته لأجله^(٣).

والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله تعالى.

(١) الداء والدواء لابن قيم الجوزية (ص ١٨٤).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٩/١) برقم (٣١).

(٣) الدين الخالص (٣٨٥/٢).

قال الشاعر:

ولا تك بالأعمال يوماً مُرَائِيًّا فإن الرِّيا شِرْكٌ بنص الدلائلِ
فَوَيْلٌ لِمَنْ قَدْ كَانَ يَعْمَلُ بِالرِّيَا بطاعته لَلَّه لَيْسَ بِعَامِلٍ

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ». قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»^(١).

يعني أنه يبطل أعمال المرائين، وأنه يُحيلهم على الذين راءوهم في الدنيا فيقال: انظروا: هل يثبونكم، أي: أولئك الذين تزيتتم عندهم ورائيتموهم في الدنيا؟

هل تجدون عندهم ثواباً؟

هل تجدون عنهم جزاءً على أعمالكم؟!^(٢)

ولله در القائل:

وكل امرئٍ يوماً سَيُعْرِفُ سَعْيُهُ إذا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحِصَائِلُ
وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شرکاً أصغر، وهو إنما سُمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء:

١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.

٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت

(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) إصلاح المجتمع ص ١١.

المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام على نفسه من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: فلا يأمن من الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح المجيد (ص ٤٧).

الكلمة الرابعة والعشرون

الحياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من الصفات الحميدة والأخلاق الجميلة التي دعا إليها الشارع: صفة الحياء.

قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى للمراتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آئِي يَدْعُوكَ لِجِجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] الآية.

روى الإمام أحمد في كتابه الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً من صالح حي قومك»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(٢). وهذا الحديث فيه دليل على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب ما يضره في دينه، أو يخل بأدبه ومروءته، فإذا فقدت منه هذه الخصلة لم يبال بما صنع.

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٦)، والشعب للبيهقي (٦/ ١٤٥ - ١٤٦) برقم (٧٧٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٦) برقم (٧٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٢٠).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونُ شُعبَةً، أو بضعٌ وستونُ شُعبَةً،
 فأفضلُها قولٌ: لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ، والحياءُ
 شُعبَةٌ من الإيمان»^(١).

وكانت العرب في الجاهلية تتحلى بصفة الحياء، فهذا أبو
 سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ملك الروم ليسأله عن
 النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عن نفسه قائلاً: لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً
 لكذبت عليه.

قال ابن القيم رحمته الله: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها
 وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، وهو خاصة الإنسانية؛ فمن لا حياء فيه
 ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه
 ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق - أي الحياء - لم يكرم
 ضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانه، ولم تقض لأحد حاجة؛ ولا
 تحرى الرجل الجميل ففعله والقبیح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا
 امتنع عن فاحشة؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء
 عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي وهو حياء فاعلها من الخلق؛ فقد تبين أنه
 لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها... إلى
 آخر ما قال^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٩)، وصحيح مسلم برقم (٣٥).

(٢) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص ٢٧٧) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم
 (١٨٠٢/٥).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ٨٢ - ٨٣) برقم (٩٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

قال ابن القيم رحمته الله: ومن عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث الصحيح: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢) والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم؛ بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، ومن استحيا من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته. اهـ^(٣).

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أسامة بن شريك، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤) وصحيح مسلم برقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١١٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٧).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٦١ - ٦٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٣ - ٤)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح موارد الظمان برقم (٢١١٦).

قال القحطاني رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَيْبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحِي مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

ومثاله: ما يقوم به بعض الذين يسافرون إلى الخارج لقضاء الشهوات والملذات، ثم يخبر أحدهم بجريمته التي فعل من شرب خمر أو فاحشة؛ أو غير ذلك من المعاصي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ» (١).

وهؤلاء لهم نصيب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

وهنا أمر ينبغي التنبه له، وهو أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من الحياء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الإمام النووي: قد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجله، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، والجواب عن هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم: أبو عمرو بن الصلاح، أن هذا المانع ليس من الحياء؛ بل هو عجز وخور ومهانة، فالحياء الحقيقي خلق

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٠).

يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. اهـ^(١).

وقد حثَّ النبي ﷺ على إنكار المنكر وأمر بتغييره، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم (١/٥ - ٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٩).

الكلمة الخامسة والعشرون

وقفه مع آيتين من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفه يسيرة مع آيتين من كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا الخطاب للمؤمنين. أولاً: لأنهم الذين تنفعهم الذكرى.

ثانياً: لتطهيرهم وتزكيتهم من الأخلاق السيئة.

قال القرطبي: «جاء الاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله، أما إن كان ذلك في الماضي فإنه يكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون ذلك إخلافاً بالوعد وكلاهما مذموم»^(١). اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لو ددنا أن الله وَعَلَيْكُمْ دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به؛ فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه: إيمان لا شك فيه وجهاد أهل معصيته، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق ذلك عليهم، فأنزل الله الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٨٠).

وهذا اختيار^(١) ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لِمَ تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه؟! وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟! ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه. اهـ^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»^(٣) فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»^(٥).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦): قال الراغب: المقت هو البغض الشديد لمن تراه فعل القبيح^(٧)، كما في

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٨).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٦٩١١).

(٣) يعني أمعاءه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٥) يعني آلات القطع والقص.

(٦) مسند الإمام أحمد (١٩/٢٤٤) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٩٠).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

قال النخعي: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقول شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) ﴿١﴾.

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: استدل بها بعض أهل العلم على وجوب الوفاء بالوعد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» (٣).

قال ابن حجر: «أصل الديانة منحصر في ثلاث، القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف» (٤).

روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٨٠).

(٢) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، أي خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي. فيقول: لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول وهذا على رواية فتح الدال، وعلى رواية كسر الدال معناه أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل، وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

(٤) فتح الباري (١ / ٩٠).

قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا صَبِيٌّ فَذَهَبْتُ لِأَخْرَجِ لِأَلْعَبِ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذْبَةٌ»^(١).

ثانياً: إن العلم قرين العمل؛ ولذلك يُسأل المرء يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به؟ كما روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مُصْبِحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود»^(٤).

ثالثاً: أن الله ﷻ نهى المؤمن أن يقول ما لا يفعل؛ لكن لو كان المؤمن مقصراً في طاعة الله مرتكباً لبعض المعاصي فإن ذلك لا يسقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤٢ - ٩٤٣) برقم (٤١٧٦).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٦) برقم (١٦٨١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/ ١٧٣): إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١١٣٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٤٢).

لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

كان الحسن رضي الله عنه إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

قال ابن حزم: والمراد أن أبا الأسود إنما قصد بالإنكار المجيء بما نهى عنه المرء، وأنه يتضاعف قبحه فيه مع نهيه عنه، فقد أحسن كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] وقد صحَّ عن الحسن أنه سمع إنساناً يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله. قال الحسن: «ود إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر ولا يأمر بمعروف. قال ابن حزم: صدق الحسن وهو قولنا آنفاً»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩، ١٠٠).

الكلمة السادسة والعشرون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فنقف وقفة يسيرة مع آية من كتاب الله.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران].

يقول ﷺ: قل يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه: اللهم مالك الملك، والملك: قيل النبوة، وقيل: الغلبة، وقيل: المال والعييد. والصحيح الذي رجحه بعض المفسرين أنه عام لما يصدق عليه اسم الملك من غير تخصيص، فقوله: ﴿ تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾، أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، وأنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال: وقالوا - أي الكفار - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، كالوليد بن المغيرة. وغيره. قال الله ردّاً عليهم: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أي أهم الخزان لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون، ويمنعونها عن يشاؤون، فنحن نتصرف فيما

خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع، لنا الحكمة البالغة والحجة التامة، وهكذا يعطي النبوة لمن يريد. قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] (١). اهـ.

قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: أي الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله لا وصفًا ولا اسمًا، ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره؛ فالخير والشر داخل في القضاء والقدر فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن لا يضاف إلى الله، فلا يقال: بيدك الخير والشر ولكن بيدك الخير كما قال الله، وقال رسوله. اهـ (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه في قيام الليل أنه كان يقول: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (٣). تأدبًا مع الله تعالى.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: ما نقله ابن كثير في تفسيره أن فيها تنبيهاً وإرشاداً إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمة؛ لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى الثقلين، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً، من العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١ - ٤٢).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٤٠١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٧١).

عن حقائق الآخرة، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع؛ فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار^(١). اهـ.

ثانياً: أن العزة لا تطلب إلا من الله تعالى وهي إنما تأتي بطاعته واجتناب معصيته. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يخاطب الأنصار: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللهُ؟!»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ»^(٣).

ثالثاً: أن الذل الذي يصيب الإنسان إنما هو بمعصيته لله ولرسوله، قال تعالى عن بني إسرائيل عندما عصوا الله ورسوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَنْ مَا تُقْبَلُوا إِلَّا بِالْحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

حَقِّي ذَلِكِ بِمَا عَصَوُا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (١).

وقال الحسن رضي الله عنه: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَفَقَتْ بِهِمُ الْبِعَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ» (٢).

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

رابعاً: إثبات قدرة الله، فهو سبحانه القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولذلك يشرع للمؤمن أن يسأل الله بقدرته أن ييسر له الخير، ويصرف عنه الشر، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: أنه شكأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلَاثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» (٣).

خامساً: فضل الدعاء وأهميته، وكان السلف يدعون: اللهم أعزني

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢)، وقال الذهبي في السير (١٥/٥٠٩): إسناده صالح.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٢).

بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك^(١)، وينبغي للمؤمن أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢).

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٥٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٠).

الكلمة السابعة والعشرون

القناعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث الله ورسوله عليها: صفة القناعة.

قال الراغب: القناعة هي الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [النحل] الآية.

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: الحياة الطيبة هي القناعة^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(٣).

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥١).

أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»^(١).

والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث السابق: الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَفَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(٣) لَهُ الدُّنْيَا»^(٤).

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن إلى أن ينظر إلى من هو أسفل منه حتى يشعر بكثرة نعم الله عليه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(٥).

(١) جزء من حديث في صحيح ابن حبان برقم (٦٨٤) ومستدرک الحاكم (٤٦٦/٥) برقم (٧٩٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة، وإنما أخرجاه من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر مختصراً.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).

(٣) معنى حيزت: أي جمعت.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْغَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ (١).

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهدًا في الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحٌ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن فاطمة ناولت رسول الله ﷺ كِسْرَةً مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ فَقَالَ: «هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم قال: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَارًا يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا (٤).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه أن يجعل رزقه كفافًا، أي مقدار حاجته فقط.

(١) صحيح مسلم شرح النووي (٦/٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٠/٤٤٠) برقم (١٣٢٢٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٦) واللفظ له.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالقناعة وعيشة الكفاف، روى ابن
 ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ
 كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ فِعْنًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ»^(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم؛ فعن
 أنس بن مالك قال: «أَشْتَكِي سَلْمَانَ فَعَادَهُ سَعْدٌ، فَرَأَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ
 سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ صَحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ أَلَيْسَ؟ أَلَيْسَ؟
 قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ مَا أَبْكِي ضِنًّا لِلدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَةً
 لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ.
 قَالَ: وَمَا عَهْدَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّائِبِ.
 وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَأَحْصُوا مَا تَرَكَهُ سَلْمَانُ، فَإِذَا هُوَ
 بِضْعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا»^(٣).

وقال عمر رضي الله عنه: «إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ ييأسَ عَمَّا
 فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَعْنَى عَنْهُمْ»^(٤).

والقناعة كنز عظيم، وعلامة من علامات التقوى كما قيل: «القناعة
 كنز لا يفنى».

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٢١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٢/٢) برقم (٣٣٩٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وابن ماجه برقم (٤١٠٤) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٩٢/٢) برقم (٣٣١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٢٣٩/٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التَّقْوَى: الخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالْقِنَاعَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ». وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت^(١).

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك. قال الشاعر:

خُذِ الْقِنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
وَانْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغَيْرِ الْقُطْنِ وَالْكَفَنِ

وقال آخر:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْنَعُ

وقال آخر:

إِنَّ الْغِنَى هُوَ الْغِنَى بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِيَ الْمَنَاكِبِ حَافٍ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا قَنِعَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ

قال الغزالي رحمته الله: كان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكل، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

الكلمة الثامنة والعشرون

النهي عن المسألة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي حذر منها الشارع: المسألة، والمقصود بالمسألة أن يسأل الإنسان الناس أموالهم أو حاجاتهم من غير ضرورة أو حاجة ملحة، لما يتضمن السؤال من الذل لغير الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في تفسيره: أراد لا يلحون في المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف في المسألة^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَرُدُّهُ اللَّقْمَةَ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَانِ». قالوا: فَمَا الْمَسْكِينُ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٨).

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَّصِدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلَيْسَتْ قِلٌّ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرٌ» (٢).

قال أبو حامد الغزالي: والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يُباح لضرورة أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة؛ لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده وهو عين الشكوى، وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا، فقد يعطيه حياءً أو رياءً وهذا حرام على الآخذ (٣).

قال الشاعر:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ

وقال آخر:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال آخر:

فَلَوْ تَسَأَلَ النَّاسَ التُّرَابَ لَأَوْشَكُوا إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمْلُوا فَيَمْنَعُوا

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم من تحل له المسألة، فروى مسلم في صحيحه

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٢٢٣) باختصار وتصرف.

من حديث قبيصة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً^(١) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّ مَالَهُ^(٢) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشِ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ^(٣) حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشِ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا^(٤)»^(٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكْدُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ»^(٦).

قال الصنعاني: وأما سؤاله السلطان فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا منة للسلطان على السائل، لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه^(٧).

وقال أيضًا: والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين في حديث قبيصة، أو أن يكون السلطان^(٨). اهـ.

قال الشاعر:

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ

(١) يعني ديناً أو دية عن غيره للإصلاح.

(٢) يعني حريق أو هلاك زرع أو غير ذلك.

(٣) يعني فقر وضرورة بعد غنى.

(٤) السحت هو الحرام.

(٥) صحيح مسلم برقم (١٠٤٤).

(٦) سنن الترمذي برقم (٦٨١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٧) سبل السلام (١/٦٣٢).

(٨) سبل السلام (١/٦٣٦).

وقد بين النبي ﷺ قدر الغنى الذي يحرم به السؤال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل ابن الحنظلية: أن النبي ﷺ قال: إِنَّهُ «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن العمل وإن كان شاقاً، والمال الذي يأتي منه قليل فهو خير للمرء من السؤال.

فروى البخاري في صحيحه من حديث الزبير بن العوام رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيُكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(٢).

وبين النبي ﷺ أن السائل من غير ضرورة ولا حاجة ملحة إنما يفتح على نفسه باب الفقر.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي كبشة الأنماري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ، - وذكر منها: - وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(٣). اهـ. بل إن النبي ﷺ أخذ البيعة من بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً.

روى مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (١٦٦/٢٩) برقم (١٧٦٢٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٧١).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، - وَأَسْرَرُ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟». قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا». قَالَ: فَرَبَّمَا سَقَطَ سَوْطُ ثَوْبَانَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يُنَاوِلَهُ حَتَّى يَنْزِلَ إِلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ»^(٢).

وكان الصحابة رضي عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فلا يسألون الناس شيئاً من متاع الدنيا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصِرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠٤٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦٧/٣٧ - ٦٨) برقم (٢٢٣٨٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفِيءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّيَ ﷻ. (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

الكلمة التاسعة والعشرون

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آية عظيمة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم].

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينذر الناس يوم الحسرة والندامة، وهو يوم القيامة، حيث تشتد فيه الحسرة، وتعظم فيه الندامة، وأيُّ حسرةٍ أعظم، من فوات رضا الله وجنته؟! واستحقاق سخطه؟! والخلود في ناره؟! على وجه لا يتمكن فيه أحدٌ من الرجوع إلى الدنيا ليستأنف العمل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر].

قال ابن عباس: يوم الحسرة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر منه عباده.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، قال: يوم القيامة. وقرأ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي فرغ من الحساب، وصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: أي في الدنيا بشهواتهم وملذاتهم عن العمل ليوم الحسرة، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت وما فيه من نعيم مقيم لمن أطاع الله، ومن عذاب أليم لمن عصى الله.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشُّ أَمْلَحٍ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَتُبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَسْرَتُبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [مریم]﴾ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا^(١).

وفي رواية لهما من حديث ابن عمر: «فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه، والمقصر في طاعة ربه على تقصيره، ولكن لا ينفع الندم؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٩) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠).

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَّا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَبًّا ﴿٤٠﴾ [النبا].

ثانياً: أنه ينبغي للمؤمن أن لا يكون في غفلة؛ بل على استعداد للقاء ربه، قال سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر].

ثالثاً: أنه في يوم الحسرة يرى الكافر أنه لم يلبث في دنياه إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴿٤٥﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾ [النازعات].

رابعاً: إن من أعظم ما يتحسر عليه أهل النار أن الواحد منهم يتمنى أنه يفدي نفسه من عذاب الله بماله، وولده والناس أجمعين، بل وملك الدنيا بأسرها، مع أنه طلبَ منه أهون من ذلك، فلم يفعل، قال تعالى: ﴿ يُبْصِرُونَ يَوْمَ يَدُّ الْمَحْرُومِ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَيْتِهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ [المعارج].

وقال - سبحانه -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ [آل عمران].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ: - وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ»^(١).

خامسًا: أنه ينبغي للمؤمن أن يحافظ على إسلامه وإيمانه حتى الممات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٥) واللفظ له.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٠ / ١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

الكلمة الثلاثون

مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة؛ وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد بدرًا وأحدًا والخندق، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة؛ وأن عرش الرحمن قد اهتز لموته، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير. قال ابن حجر: فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام^(١)، وله مناقب كثيرة.

قال الذهبي في ترجمته: السيد الكبير الشهيد أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي كان رجلاً أبيض طوالاً جميلاً، حسن الوجه، حسن اللحية^(٢): قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر^(٣).

قال ابن إسحاق: لَمَّا أَسْلَمَ وَقَفَ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٨٦). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

الْأَشْهَلُ كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدَنَا وَأَفْضَلُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ رِجَالَكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا أَسْلَمُوا^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا؛ قَالَ: فَنَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمِّيَّةٌ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّامِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمِّيَّةٌ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ، فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ أُوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ. فَتَلَا حَيًّا بَيْنَهُمَا. فَقَالَ أُمِّيَّةٌ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي. ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَأَقْطَعَنَّ مَتَجْرِكَ بِالشَّامِ؛ قَالَ: فَجَعَلَ أُمِّيَّةٌ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ. فَقَالَ: دَعْنَا عَنكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ؛ قَالَ: إِيَّايَ؛ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ؛ إِذَا حَدَّثَ. فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَيَسِرُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ فَفَتَلَهُ اللَّهُ^(٢).

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين، واعتزازه بدينه؛ فمع أنه بمكة لوحده إلا أنه كان يهدد سادات قريش في

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٣٢).

(١) سيرة ابن هشام (٢/٤٠).

عقر دارهم؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه: «أُهِدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَنَادِيلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا!»^(١).

ومن موافقه العظيمة: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: «أُصِيبَ سَعْدُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ^(٢)، فَضْرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِيَمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ فَاعْتَسَلَ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْعُبَارِ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ وَمَا وَضَعْنَاهُ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَردَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسَبَى الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبِي: فَأَخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ»، ثُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَالَ: وَتَحَجَّرَ كَلِمُهُ لِلْبُرِّءِ^(٣): «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ. اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي أُجَاهِدُهُمْ فِيكَ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا. فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ^(٤) فَلَمْ يَرُعْهُمْ (وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خِيَمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ) إِلَّا وَالِدَمُّ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٩) واللفظ له.

(٢) عرق في وسط الذراع إذا قطع لم يرقاً الدم.

(٣) أي ييس جرحه وكاد أن يبرأ. (٤) أي: نحره.

يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ جُرْحُهُ يَغْدُ دَمًا (١) فَمَاتَ (٢).

وقد حزن النبي ﷺ لفراق سعد كثيرًا، وأخبر أن عرش الرحمن قد اهتز لموته، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اهتزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» (٣)، ومع هذه المنزلة العظيمة لسعد إلا أنه لم يسلم من ضمة القبر، فروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بعد وفاته: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضَمَّ ضُمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ» (٤)، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» (٥)، قال الذهبي: وهذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء؛ بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك؛ فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه؛ قال تعالى:

(١) يغذ دمًا أي يسيل يقال غذا الجرح يغذ إذا دام سيلانه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٦).

(٤) سنن النسائي برقم (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم

(١٩٤٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٢٧/٤٠) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ [غافر]، فنسأل الله تعالى العفو واللطف. ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع ولا ألم ولا خوف، سل ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد. اهـ^(١).

وكانت وفاته سنة خمس من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، عمره آنذاك سبع وثلاثون سنة، صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدروس المنتقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومئذ

(١٥٠) درساً للترغاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

واعترافاً
والإمير محمد بن عبد الله الشقاوي

الجزء الثاني

الكلمة الحادية والثلاثون

أصل الدين وقاعدته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتكفر أهلها وتعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام التي سفه نفسه من رغب عنها».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسًا والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]، فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله، وقال الله عنه: ﴿وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٤٨﴾﴾ [مريم]. فيجب اعتزال الشرك وأهله والبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير، وهذه الآية تتضمن التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد. والعروة الوثقى: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، نفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له^(١). اهـ.

وبين في موضع آخر أن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه، وأدلة هذا في القرآن كثيرة جدًا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله، فسرها

(١) مجموعة التوحيد (ص ١١، ١٤).

بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾، فقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ﴾، فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾، هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عن سواه». فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد، وقال تعالى في حق من أشرك: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلٍ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون المرء موحدًا إلا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأذْكَرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف].

والشرك محبط لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها، ولا يقبل الله من المشرك صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

وقال عن أنبيائه وأحبابه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام].

وإنَّ مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم، يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية وغيرها من الوسائل، من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر من ذلك، إضافة إلى الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والثلاثون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] إلخ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ نَسِيْتُ اسْمَيْهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَتْ نَفْسُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ - والأمر عام له ولأُمَّته - بلزوم الصالحين، ومصابرة النفس على مصابحتهم، والبقاء معهم، خصوصاً الفقراء منهم والضعفاء، فالآية نزلت فيهم، والمكث معهم أبعد عن مظاهر الدنيا، وفتنتها، ثم ذكر أهم صفاتهم، وهي شغل أوقاتهم بالعبادة بحسب الأحوال، لا يريدون بذلك رياء ولا سمعة، ولا ليقال: فلان قارئ أو عابد، أو عرضاً من الدنيا زائل، إنما يريدون بذلك

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤١٣).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ثم نهاه تعالى عن مصاحبة أهل الدنيا، فقال: ﴿وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: لا تتطلع إلى مصاحبة غيرهم من أهل الشرف والغنى، لما يحصل بذلك من اشتغال القلب بزينة الدنيا عن أمر الآخرة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإنَّ ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر القلب، فيغفل عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية». اهـ^(١).

ثم نهاه نهياً آخر، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، فنهاه عن طاعة الغافلين عن ذكر الله المتبعين أهواءهم، الذين أضاعوا دينهم، فطاعة من هذه صفته هي الخسارة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وفي هذه الآية الكريمة فوائد كثيرة:

الأولى: الحثُّ على الصبر. والمراد بالصبر هو الصبر على طاعة الله الذي هو أعلى أنواع الصبر، وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه لأهميته ومكانته العظيمة، بل إنه في الآية الواحدة يتكرر الأمر بالصبر كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

والثانية: استحباب ذكر الله والدعاء طرفي النهار.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٢٥).

ويرغب فيه» (١). اهـ.

قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

روى أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (٣).

الثالثة: الحث على مجالسة الصالحين الأخيار، حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء، فإن في مجالستهم خيراً كثيراً، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» (٤).

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقياً وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب. اهـ (٥).

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٤٢٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٨) برقم (٣١١٤).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٥).

(٥) شرح السنة للبغوي (١٣/٦٩).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (١).

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

الرابعة: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١) [طه]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَزُخْرَفًا وَإِن كُنتَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥) [الزخرف].

الخامسة: الحث على الإخلاص لله تعالى، فقد ذكر الله في الآية الأخرى عن عباده الصالحين أنهم يريدون بهذا العمل وجه الله، لا رياءً ولا سمعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لُؤْجَهُ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١) [الإنسان].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧/٣) برقم (٤٠٤٦).

الكلمة الثالثة والثلاثون

دروس وعبر من

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا...﴾ [الزخرف] إلى آخر الآيات.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده التي لا يُقَدَّمُ عليها شيئاً لَوَسَّعَ الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي درجاً من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى سطوحهم. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾، ﴿وَزُخْرَفًا﴾ أي: ولزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر، وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا منغصة مكدرة فانية، وأن الآخرة عند الله خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيها، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها

خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين»^(١). اهـ.

وفي هذه الآيات الكريمات فوائد كثيرة منها:

- أن ما يعطيه الله الكفار من نعم الدنيا إنما ذلك لهوان الدنيا عنده، وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمُ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»^(٢).

ولهذا قال عمر رضي الله عنه عندما صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم، لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله: هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس. وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طِبِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٣).

- ومنها: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده ليست دليلاً على محبته.

قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهَا مُدْهُرٌ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ۞ سَارِعُهُمْ فِي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٧٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩١٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٧٩).

الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ»^(١). ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومنها أن فيها الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

ومنها بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله، روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفْتُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ - أَيِ صَغِيرِ الْأُذُنِ - مِيَّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهِمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مِيَّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ»

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٧/٢٨) برقم (١٧٣١١)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٢٠)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٧).

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ؟» (١).

وقال عمر رضي الله عنه: لو أن الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيتها رجل، ثم جاءه الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره، ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء (٢).

وقال أحد السلف: نعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة، أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: ومن حذق بصيرته في الدنيا والآخرة، علم أن الأمر كذلك (٤).

ومنها: أن الله تعالى يمنع عبده بعضاً من أمور الدنيا لينال منزلة عالية عنده يوم القيامة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ» (٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٢) مدارج السالكين (٣/٩٧).

(٣) مدارج السالكين (٣/٩٧).

(٤) مدارج السالكين (٣/٩٧).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٧/٣٩) برقم (٢٣٦٢٧)، وقال محققوه: حديث صحيح.

الكلمة الرابعة والثلاثون

أكل المال الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصمهم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم آكل للحرام^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]. روى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٢).

ومما يلاحظ، تساهل كثير من الناس في أكل المال الحرام، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٠).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢١٤٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

قال ابن المبارك: لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف.

قال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» وإنما فعل ذلك رضي الله عنه امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»^(١) الحديث.

ومن صور أكل المال المحرم: الربا الذي حرّمه الله ورسوله، ولعن آكله، وكتبه، وشاهديه. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٧٨) [البقرة]. وقد غلب حب المال على قلوب بعض المسلمين، فصاروا يتسابقون إلى شراء أسهم البنوك الربوية، وآخرون يودعون أموالهم في البنوك ويأخذون عليها زيادة ربوية يسمونها فوائد، وإن من الجرائم العظيمة والأمر الخطيرة، ما نشاهده من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال: ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها وأنها من الربا الذي حرّمه الله ورسوله، وهي بطاقة يصدرها البنك بمبلغ معين يسمى قيمة إصدار، ويحق لحاملها أن يشتري ما شاء من سلع وحاجيات على أن يرد قيمة هذه السلع خلال مدة معينة، فإن لم يفعل فإنه يحسب عليه عن كل يوم فائدة^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) فتوى رقم (١٧٦١١).

ومن صور أكل المال المحرم: الاعتداء على رواتب العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في أوقاتها، وأكل مال اليتيم، والاعتداء على ممتلكات الناس، ومن صور أكل المال المحرم التي نشاهدها كثيراً في الأسواق: الحلف على السلعة باليمين الكاذب، والغش في المعاملات وغير ذلك. وأكل الحرام إنما يعرّض نفسه للعقوبة في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فقد تكون العقوبة خسارة في ماله، أو محق إلهي للمال الذي اكتسبه ونزع البركة منه، أو مصيبة في جسده، قال تعالى: ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة].

وأما في قبره، فقد ورد في الحديث أن عبداً يُقال له مدعم كان مع النبي ﷺ، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة رضي الله عنهم: هنيئاً له الشهادة، فقال النبي ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «شِرَاكِ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ»^(١).

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام.

وأما في الآخرة فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٠٧).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣/٤٢٥) برقم (١٥٢٨٤) وقال محققوه:

إسناده قوي على شرط مسلم.

قال الشاعر:

المال يذهب حِلُّهُ وَحَرَامُهُ يَوْمًا وَتَبْقَى فِي غَدِ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِي بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

ومن عقوبة أكل المال الحرام: حرمان إجابة الدعاء وقبول العبادة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»^(١).

وهذا الحديث فيه تحذير لطائفة من الناس خدعهم الشيطان، وزين لهم أعمالهم السيئة، فتراهم يأكلون الحرام وينفقون منه في بعض الأعمال الصالحة، كبناء المساجد، أو المدارس، أو حفر الآبار، أو غير ذلك، ويظنون أنهم بهذا برئت ذمتهم، فهؤلاء يُعاقبون مرتين:

الأولى: أن الله لا يقبل منهم أعمالهم الصالحة التي أنفقوا عليها من الأموال المحرمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢).

الثانية: أن الله يعاقبهم على هذا المال المحرم، ويحاسبون عليه يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوِّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة، فهو كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهر إلا بالماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عن سواك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والثلاثون

وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى في سياق قصة آدم مع عدو الله إبليس: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه].

ذكر الله سبحانه في هذه الآيات حال من اتبع هدايه وما له من الرغد وطيب الحياة في معاشه ومعاذه، فقال: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾، فتكفل الله لمن حفظ عهده علماً وعملاً أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس].

ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤] أي كتابي، ولم يتبعه ويعمل بما فيه، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدوره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء

وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في رَيْبِهِ يتردد فهذا من ضنك المعيشة^(١). اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا، وحاله في البرزخ؛ فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيبت الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب»^(٢).

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤]؛ اختلف المفسرون في ذلك: هل هو من عمى البصيرة أو من عمى البصر؟ فمن قال: إنه من عمى البصيرة، استدل بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [٢٢] [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [٤٥] [الشورى]، وغير ذلك من الآيات التي أثبتت لهم الرؤية في الآخرة.

والذين قالوا: إنه من عمى البصر؛ استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبِكُمَا وَصَمًا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٩٧] [الإسراء].

وقد فصل في ذلك العلامة ابن القيم، وخلص إلى أن الحشر ينقسم إلى قسمين: الأول من القبور إلى الموقف، والثاني من الموقف إلى النار.

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٩).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧٩).

ف عند الحشر الأول: يسمعون ويصرون ويجادلون ويتكلمون.

وعند الحشر الثاني: يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً،
 فلكل موقف حال يليق به، ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته،
 والقرآن يصدق بعضه بعضاً^(١): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ثم أخبر سبحانه عن حال هذا المعرض يوم القيامة، وأنه يغشاه
 الذل والهوان فيتألم ويضجر من هذه الحال فيقول: رب لم حشرتني
 أعمى فيجاب: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِيْتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه]، أي:
 أن هذا هو عين عملك والجزاء من جنس العمل، وكما تدين ثدان، فكما
 عميت عن ذكر ربك ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في
 الآخرة وتركك في العذاب.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

بيان حال من أعرض عن ذكر الله في الدنيا، وأنه يعيش في ضلال
 وظلام، ويتخبط في الجهالة، وهو مع هذه الحالة يحسب أنه من المهتدين.
 وبسبب إعراضه عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله عاقبه بأن قيص له
 شيطاناً يصاحبه فيصده عن الحق، ويزين له طرق الضلال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٣٦]
 وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف]، حتى
 إذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعاین هلاكه ندم^(٢) فقال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي
 وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف].

ومنها أن من تمسك بهذا الذكر، وهو القرآن فإنه يسعد في الدنيا

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٩٥٣).

(١) تفسير ابن القيم (ص ٣٦٣).

والآخرة، وتحصل له الطمأنينة، وانسراح الصدر والشفاء من أمراض الأبدان والقلوب، والهداية إلى صراط الله المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتِكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (١).

(١) معجم الطبراني الصغير (١/٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧) رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران وهو ثقة وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع (٧/٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

قال الشيخ مقبل الوداعي في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٨٠ - ٨١) وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٠) و(٨/١٢٥) والواحدي في أسباب النزول بهذا السند، وقال الشوكاني: إن المقدسي حسنه، وله شواهد كما في تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢) تزيده قوة.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله ورسوله، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلا نيتهم، ثم أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُخَيَّرُ (٢).

قال ابن حجر: الرفيق الأعلى: هم المذكورون في سورة النساء في قوله: ﴿ وَمَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... ﴾ الآية (٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا - وَنَصَبَ إِصْبَعِيهِ - مَا

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٣٧، ٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) فتح الباري (٨/١٣٨).

لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، قال: كنت أبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سَلْ»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قلت: هو ذاك، قال: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» (٢).

قال ابن كثير: وأعظم من هذا كله ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرها من طرق متواترة، عن جمع من الصحابة، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث (٣) (٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٥٢٢ - ٥٢٣) وقال محققوه: حديث صحيح .

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦١٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٠).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١).

شرح حديث: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

هذا الحديث اشتمل على حكم عظيمة، وجمل نافعة، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة صغيرة اختصرت كلامه فيها في هذه الكلمة:

قوله: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» يعني أن الله بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دُعي بالسيف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد]، وفيه إشارة إلى قرب

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢). وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/٥٠٩): إسناده

بعثته ﷺ من قيام الساعة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» قال: وضم السبابة والوسطى (١).

وقوله: «حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» هذا هو المقصود الأعظم من بعثته وبعثة الرسل من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل]؛ بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات]، فما خلقهم إلا ليامرهم بعبادته، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم، على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمُحِي» فيه إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ويستبيح أموالهم، ويسبي نساءهم وذراريهم، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإن المال إنما خلقه لبني آدم يستعينون به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به، سلط الله عليه رسوله وأتباعه، فانزعوه منه وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١).

عبادة الله وتوحيده وطاعته، ولهذا يسمى الفيء لرجوعه إلى من كان أحق به، ولأجله خُلِقَ.

قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وهذا مما خص الله به محمداً ﷺ وأُمَّته، فإنه أحل لهم الغنائم.

قوله: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» هذا يدل على أن العز والرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر رسول الله ﷺ؛ لامثال متابعة أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، فالذلة والصغار تحصل بمخالفة أمر الله، والمخالفون لأمر الله ورسوله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره، كمخالفة الكفار وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ﷺ فهم تحت الذلة والصغار، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وضرب على اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول ﷺ كفر عناد.

الثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية، فله نصيب من الذل والصغار.

قال الحسن البصري: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية، قال الشاعر أبو العتاهية:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرْمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

الثالث: من خالف أمره من أهل الشبهات؛ وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم لهم نصيب من الذل والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَأْتِيهِمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) [الأعراف].

وأهل البدع والأهواء كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افتراءهم عليه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفته أمر الرسول ﷺ: ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل».

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (١).

ورأى النبي ﷺ سكة الحرث فقال: «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ» (٢)، فمن ترك ما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوها المباحة، حصل له الذل. فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوها المحرمة؟! (٣). اهـ.

قوله: «وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، هذا يدل على أمرين:

(١) سنن أبي داود برقم (٣٤٦٢). قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٩/٣٠): إسناده جيد.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٢١).

(٣) شرح حديث يتبع الميت ثلاثة لابن رجب الحنبلي.

أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمِعُوا بِخَلْقِهِمْ فَأَسْتَمِعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَسْتَمِعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٩٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعن حلق اللحية، وعن تسليم اليهود والنصارى وغيرها من النواهي.

الثاني: التشبه بأهل الخير والتقوى، فهذا حسن وهذا مندوب إليه، ولهذا يشرع الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه، وذلك مقتضى المحبة الصحيحة، فإن المرء مع من أحب، ولا بد من مشاركته في أصل عمله وإن قصر المحب عن درجته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



سورة التكاثر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر].

قوله تعالى: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَنكُمْ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَا لِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!».

وفي رواية له: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٤٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

قال الشاعر:

يا جَامِعَ المَالِ فِي الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ هَلْ أَنْتَ بِالمَالِ بَعْدَ المَوْتِ تَتَفَعُّ
لَا تُمَسِّكُ المَالِ وَاسْتَرْضِ الإِلَـهَ بِهِ فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرِّيُّ والشَّبَعُ

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ المَقَابِرَ ﴾ (٢) قال ابن القيم: «وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت، إيذاناً بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور، وأنهم بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها، كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها. ودار القرار هي الجنة أو النار»^(١).

وقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يُلْهِيكم التكاثر عن طاعة الله، وسوف تعلمون عاقبة تشاغلكم بالتكاثر، وكرر الجملة هنا لزيادة التأكيد، كما قال بعض المفسرين.

قال ابن القيم: وقيل: ليس تأكيداً؛ بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، وهذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس^(٢).

وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ ﴾ (٥) أي لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون.

وقوله: ﴿ لَتَرُونَ الجَحِيمَ ﴾ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ ﴿٧﴾ هذا قسمٌ من الله تعالى بأن عباده - مؤمنهم وكافرهم - سيشاهدون النار بأعينهم، ثم أكد هذا الخبر بأنه واقع لا محالة، وأنهم سيكونون متيقنين برؤية النار يقيناً لا شك فيه، ولكن الله ينجي المؤمنين منها، وقد جعل

(١) تفسير ابن القيم (ص ٥١٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٥١٥).

سبحانه رؤيتهم لها ليعرفوا فضل الله عليهم بإنجائهم منها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ٧٢ ﴿ [مريم].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر] أي: ليسألنكم الله يوم القيامة عن كل نعمة أنعم بها عليكم، كالأمن والصحة والسمع والبصر والعافية، وما يطعمه الإنسان ويشربه، هل قمتم بشكرها وأديتم حق الله فيها ولم تستعينوا بها على معاصيه، أم اغتررتم بها ولم تقوموا بشكرها فيعاقبكم على ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟». قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ؛ فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ» (١).

قال النووي في شرح الحديث: والسؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة^(١).

وأما بالنسبة للكفار فإنه سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدْكَ^(٣) وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(٤).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ - مِنَ النِّعَمِ أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرَوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٥).

قال ابن القيم: فله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدّها ترغيباً في الآخرة، وتزهيداً

(١) شرح النووي (٥/٢١٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أي: أجعلك سيّداً على غيرك.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٥) سنن الترمذي برقم (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٧٦) برقم

في الدنيا، على غاية اختصارها وجزالة ألفاظها وحسن نظمها، فتبارك من تكلم بها حقاً، وبلغها رسوله عنه وحيّاً^(١). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والثلاثون

سورة الإخلاص

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

وجعل فيه الشفاء والنور والهداية، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن السور التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتِحَ سُورَةٌ يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتِحَ بِ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ﴾، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فِيمَا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى؛ فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمِّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟!» فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. وفي رواية: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ﷻ (١) فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» (٣).

وكان النبي ﷺ يستشفى بهذه السورة مع غيرها من السور، والقرآن كله شفاء.

روى البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١﴾؛ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٤).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ قال ابن كثير: أي هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠١٥)، ورواه مسلم من طريق أبي الدرداء برقم (٨١١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠١٧).

في جميع صفاته وأفعاله^(١). اهـ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾^(٢) قال عكرمة عن ابن عباس: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والعرب تسمي أشرافها الصمد، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤) أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة.

قال مجاهد: «ولم يكن له كفواً أحد، أي: صاحبة». اهـ.

والمراد بالصاحبة: الزوجة، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥) [الأنعام]، أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟! تعالى وتقدس.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٦) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا^(٧) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا^(٨) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^(٩) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا^(١٠) إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا^(١١) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(١٢) [مريم].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى سَمِعُهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٥١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٨).

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ
أَوَّلَ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ
وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ^(١).

ومن فوائد هذه السورة الكريمة:

أولاً: إثبات وحدانية الله جل وعلا والرد على اليهود، والنصارى
الذين يجعلون له الولد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: أن هذه السورة اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا سئِلَ
به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه:
أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ. فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجَابَ»^(٢).

ثالثاً: استحباب قراءتها عند المبيت كما تقدم من فعله عليه الصلاة
والسلام، وقراءتها أيضاً صباحاً ومساءً ثلاث مرات.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ
قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطَلَبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ لَنَا،

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٧٩)

برقم (١٣٢٤).

فَأَدْرَكَنَاهُ، فَقَالَ: «أَصَلَيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوَّدَتَيْنِ، حِينَ تُمَسِّي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٧ - ٩٥٨) برقم (٤٢٤١).

الكلمة الأربعون

وقفه مع قوله تعالى

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴿١﴾﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿١﴾ هنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه، فهو مأمور بالبشارة إن كان الرسول ﷺ، فكل من خلفه في العلم والدعوة فإنه يمكن أن يقول هذه البشارة، وهي الإخبار بما يسر، وهنا المُبَشِّر هم المؤمنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمُبَشَّر به جنات تجري من تحتها الأنهار، والمُبَشَّر هو الرسول ﷺ، والأمر بالتبشير هو الله تعالى.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿٢﴾ أي: جمعوا بين الاستسلام الباطن، وهو الإيمان، والاستسلام الظاهر، وهو العمل الصالح، وجمعوا بين الإخلاص في القلب، وهو أمر باطن، والمتابعة للرسول ﷺ، وهو أمر ظاهر، فالبشرى لمن جمع بين الأمرين.

وقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿٣﴾ أي: بساتين جامعة للأشجار،

وسميت جنة لأنها تجن من فيها، أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

والمراد هنا: دار النعيم التي أعدّها الله للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار، وهي أربعة أصناف ذكرها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) [محمد] الآية (١).

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالَُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، لأنه يشبهه في اللون والحجم، ولكنهم إذا طعموه تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الآكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمر متشابهًا، ولكنه يختلف في الذوق، حيث صار هذا من تمام اللذة وكمال النعمة.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٠).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحِمَامِ وَالشَّهْوَةِ».

فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ»^(١).

وقوله: ﴿ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ هو تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فهو نعيم سرمدي أبدي. ومن فوائد الآية الكريمة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في كتابه: من أحكام القرآن:

أولاً: أنه ينبغي أن يبشر العامل بما يستحق من الثواب، لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على العمل.

ثانياً: أن البشرى بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل، ولهذا يربط الله تعالى دائماً الإيمان بالعمل الصالح.

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً وثماراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) [السجدة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ

(١) مسند الإمام أحمد (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤)، وقال محققوه: حديث صحيح.

رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَآ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١).

رابعًا: أن في الجنة أزواجًا مطهرة يتلذذ الإنسان بهن، ويتمتع بهن كما قال تعالى: ﴿ إِن أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴾ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿ ٥٦ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿ ٥٨ ﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنِّي ءَأَلَاءَ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥٥) فِيهِنَّ قَصِرَتِ الْأَظْفَارُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿ ٥٦ ﴾ [الرحمن].

وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والالتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم.

خامسًا: أن أهل الجنة خالدون فيها، وقد بينت الآية الأخرى أن هذا الخلود خلود أبدي: قال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (١٠٨) [الكهف] (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٠ - ١٣٤).

الكلمة الحادية والأربعون

وقفة مع حديث وفاة أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويُعيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص] (١).

وفي رواية أنه قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤) واللفظ له.

ذلك الجزع لأقررت بها عينك^(١).

قال أبو طالب في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الله ابن أبي أمية ابن المغيرة قد أسلم وحسن إسلامه في آخر حياته^(٢)، أما أبو جهل الطاغية المعروف فقد قتل يوم بدر على الكفر.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة من ذلك:

أولاً: أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ولا الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تُداني ولا

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٣٦).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٦).

تسامى ولا يُمكن عربياً مُقاربتُها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان، لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه. ا.هـ (١).

وقد نهى تعالى نبيه والمؤمنين عن الاستغفار لمن مات مشركاً، ولو كان قريباً أو حبيباً، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة].

كما بين ﷺ أن الاستغفار لهم لا ينفعهم ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: إن شفاعة النبي ﷺ لعمه اقتضرت بعد نزول الآيات الكريمات على تخفيف العذاب عنه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ» قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ (٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣١٤ - ٣١٥) بتصرف.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٩).

بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» (١).

وفي رواية: «مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» (٢).

ثالثًا: أن الشرك لا تنفع معه طاعة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً ولا فرضًا ولا نفلًا، بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها، هذا حكم الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٢٣) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر].

وقال عن أنبيائه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ» (٣).

رابعًا: أن المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، حتى لو كان هذا الشافع نبيًا كريمًا أو وليًا صالحًا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَلْتَقِي إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ وَجْهِهِ أَرْزَقَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟»

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٥).

فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ ^(١) مُلْتَطِحٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٣١٤) [الشعراء]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ^(٣).. الحديث.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ^(٣٧) [سبأ].

خامسًا: الحذر من صحبة الأشرار، ففي الحديث أن أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية ما زالا يحرضان أبا طالب على الثبات على دينه حتى مات على الكفر وختم له بتلك الخاتمة السيئة.

وقد حث النبي ﷺ على اختيار الجليس الصالح، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» ^(٤).

قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

(١) الضبع الذكر. (٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٦).

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَعِيَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال القرطبي: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات^(١). اهـ.

قال ابن كثير: وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية وإلا فالإسرار أفضل^(٢). اهـ.

قال القرطبي: وهذا - أي إظهار الصدقة - لمن قويت حالته

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٢).

وحسنت نيته وأمن من الرياء، وأما من ضعف عن هذه الرتبة فالسر له أفضل. اهـ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخَفُوا وَتَوْتُواهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

قال ابن القيم: وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خير لكم، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه، كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس، وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له؛ فيزهدون في معاملته ومعاوضته؛ وهذا قدر زائد من الإحسان إليه لمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص.... إلى آخر ما قال^(٢).

وقد مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيراً للمنفق، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته؛ ولا تخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعلمون خير.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظَلِّمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ»^(٣).

وذكر النبي ﷺ صنفاً آخر يستحق ذلك التكريم، وهو الذي ذكر الله

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ١٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

خاليًا ففاضت عيناه.

روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْبَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْبَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عبد الله بن جعفر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(٢).

قال العز بن عبد السلام في تفاوت فضل الإسرار والإعلان بالطاعات: فإن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعات ثلاثة أضرب: أحدها ما شُرِعَ مجهورًا كالأذان والإقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة؛ والخطب الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإقامة الجمعة والجماعات، وغير ذلك، فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص، فيأتي به مخلصًا كما شرع؛ فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهد لما فيه من المصلحة المتعدية.

الثاني: ما يكون إسراره خيرًا من إعلانه، كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خيرٌ من إعلانه.

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى، كالصدقات، فإن خاف على

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٨/١) برقم (١١٨٤).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (٩٥/٢) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

نفسه الرياء، أو عُرف ذلك منه كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَخَفُوهَا وَتَوْتُوها أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] إلى آخر ما قال (١).

ومما تقدّم من الآيات والأحاديث يتبيّن أنه ينبغي للمؤمن أن يخفي أعماله الصالحة عن الخلق، إلا التي يشرع إعلانها، فإن الذي يعمل لأجله لا تخفى عليه أعماله، وسيجزيه عليها أوفر الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وليعلم العبد أنه لا ينفعه اطلاع الناس على ما يعمل؛ بل قد يضره إذا أحب ذلك.

وقد كان هدي السلف الصالح الحرص على إخفاء الأعمال، وذلك لكمال إخلاصهم وصفاء نياتهم.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأبي بكر: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ» فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢).

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره، يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي (٣).

(١) قواعد الأحكام (١/١٥٢).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٣٢٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٧) برقم (١١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٨٣).

الكلمة الثالثة والأربعون

الولاء والبراء في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين وبغضهم، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي ملة نبينا وملتنا، وقدوته، وقدوتنا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وهو مبني على أصليين: الأول: إخلاص العبادة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٦٣] [الأنعام].

الثاني: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وإذا كان واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عنه، المخالفين له في جميع

الأمور أبين وأبين، فمن لم يحقق هذين الأصلين لا يصح له أن ينتسب إلى إبراهيم وملته.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة]. بل لقد حرم على المؤمن موالاته الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إليه. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وذكر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب صوراً لموالاته الكفار في رسالته «أوثق عرى الإيمان» فقال:

أحدها: التولي العام، الثاني: المودة والمحبة الخاصة، الثالث: الركون القليل. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه، فكيف بغيره. الرابع: مداهنتهم ومداراتهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم]. الخامس: طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم]. السادس: تقربهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام. السابع: مشاورتهم في الأمور. الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين.

أي أمر كان إمارة أو عمالة، أو كتابة، أو غير ذلك. التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين. العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول إليهم. الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة. الثاني عشر: الإكرام العام لهم. الثالث عشر: استئمانهم وقد خَوَّنَهُمُ اللهُ، الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم. السادس عشر: اتباع أهوائهم، السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم، الثامن عشر: الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيتهم. التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم: سادات وحكماء. كما يُقال للطاغوت: السيد فلان، أو يقال لمن يدعي علم الطب: الحكيم. ونحو ذلك. العشرون: السكن معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» (١) (٢).

وكما حرم سبحانه موالاته الكفار أعداء الدين، فقد أوجب موالاته المؤمنين ومحبتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ﴾ [المائدة: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن مظاهر موالاته المؤمنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار

(١) سنن أبي داود برقم (٢٧٨٧) وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ برقم (٦١٨٦).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ١٧٠، ١٧٢).

بالدين، فقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثانياً: مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلْتُمْ التَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثالثاً: النصح ومحبة الخير لهم، وعدم غشهم، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٣)، وصحيح مسلم برقم (٤٥).

الكلمة الرابعة والأربعون

مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص رضي عنه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، أسلم وعمره لم يتجاوز السابعة عشر عامًا، وكان من السابقين إلى الإسلام، يقول عن نفسه: مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَّثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلْتُ الْإِسْلَامَ (١)، وكان قائدًا لجيش المسلمين في معركة القادسية الشهيرة، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في الإسلام، وقد فداه النبي ﷺ بأبويه يوم أحد، عندما رأى شجاعته واستبساله في الدفاع عن النبي ﷺ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وهو أحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض، قال عنه الذهبي: «الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٧).

مالك بن أهيّب القرشي الزهري المكي، وله قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من بني زهرة، وأم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب زهرية، وهي ابنة عم أبي وقاص»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ»^(٢).

قالت عائشة بنت سعد: كان أبي قصيراً دحداً، غليظاً، ذا هامة، وجاء في بعض الروايات أنه كان يميل إلى السمرة.

روى مسلم في صحيحه من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَيَّ سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] إلخ الآية^(٣).

وفي رواية أنه قال: يَا أُمَّهُ، تَعَلَّمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِئَةٌ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا، فَإِنْ شِئْتَ فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَأَكَلْتُ^(٤).

وقد كانت لسعد مواقف عظيمة، تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢ - ٩٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٧٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٢٠) برقم (٢٩٥١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧٤٨). (٤) ابن أبي حاتم برقم (١٧١٦٤).

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، فقال: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «مَنْ هَذَا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسُهُ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام. قالت عائشة: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيته ^(١)(٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث قيس، قال: سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: إِنِّي لِأَوَّلِ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّىٰ إِنَّا أَحَدْنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ^(٣). قال الشَّراح: أي لجفافه وبيسه، وقد أبلى سعد في موقعة أحدٍ بلاءً عظيمًا، فقد جاء عن أَبِي عَثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيثِهِمَا. اهـ ^(٤).

وكانا يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد القتال، وكان ذلك في موقعة أحد، وكان سعد من أمهر رماة العرب.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن شداد رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبُوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ^(٥).

(١) وهو صوت النائم المرتفع.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١١).

وهذا الحديث يدل على كفاءته العظيمة، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المواقف التي تدل على ورعه وتقواه أنه اعتزل الفتنة التي حدثت بين الصحابة، وجاء إليه أصحابه وقالوا: يا سعد ألا تشارك معنا في القتال؟ قال: لا، حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر، وأنشد يقول:

لَا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيْبَةٍ وَأَخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عُرْيَانًا

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عامر بن سعد قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي إِيلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّأِيبِ، فَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبْلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟! فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيِّ الْخَفِيَّ»^(١).

والمراد بالغني غني النفس، والخفي المنقطع إلى العبادة، والاشتغال بأمور نفسه لا يبغي منصباً ولا شهرة.

قال الذهبي رحمته الله:

اعتزل سعد الفتنة فلا حضر الجمل ولا صفيين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه^(٢).

ولما احتضر قال ابنه مصعب: كان رأسه في حجري، فبكيت، فرفع رأسه إليّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢).

قال الذهبي: صدق والله فهنيئاً له^(١).

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين من الهجرة، في قصره بالعقيق، وأوصى أن يُدفن في جبة صوف، وقال: لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم، وعمره آنذاك ثمانية وسبعون عاماً، ودُفِنَ بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢ - ١٢٣).

الكلمة الخامسة والأربعون

النهي عن الإسراف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها صفة الإسراف:

قال الراغب: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر^(١).

وقال سفيان بن عيينة: ما أنفقت في غير طاعة الله سرف وإن كان ذلك قليلاً^(٢).

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر].

والإسراف يتناول المال وغيره، قال تعالى محذراً عباده من الإسراف: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض السلف: جمع الله الطب في نصف آية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا... ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(١) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٨٤).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٩٤-٣٨٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٨).

قال عطاء بن أبي رباح قال: نهوا عن الإسراف في كل شيء (١).

قال ابن كثير: «أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن» (٢).

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ أن النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» (٣) (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كُلْ مَا شِئْتَ وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ» (٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يَقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالََةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٦).

وفرق بعض العلماء بين التبذير والإسراف الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]. فقالوا: «إن التبذير هو صرف الأموال في غير حقها، إما في المعاصي؛ وإما في غير فائدة لعباً وتساهلاً بالأموال، أما الإسراف

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٩٠).

(٢) مخيلة هي العجب والكبر.

(٤) رواه النسائي برقم (٢٥٥٩)، ورواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢).

(٥) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢) باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(٦) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٥٢٨/٩).

فهو الزيادة في الطعام والشراب واللباس في غير حاجة».

قال تعالى مادحاً عباده المقتصدين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا^(١). اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء]، وهذا هو التوسط المأمور به، لا بخل، ولا إمساك ولا إسراف ولا تبذير، لكن بين ذلك، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى أمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن الإسراف: لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تبسطها كل البسط، أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك؛ وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملوماً محسوراً، أي فتقعد إن بخلت ملوماً يلومك الناس، ويذمونك، ويستغنون عنك، كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ فَيَبْخُلْ بِمَالِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنِ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهي الدابة التي عجزت عن السير. اهـ^(٢).

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت به فهو لك، وما أنفقت رياء وسمعة

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٣).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٢٢).

فذلك حظ الشيطان^(١).

وقال ابن الجوزي: العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة تكفّه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق...» إلى آخر ما قال^(٢).

وينبغي أن ينتبه لأمر، وهو أن الإنفاق في الحق لا يُعدُّ تبذيراً، قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبدراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبدراً^(٣).

ومن الإسراف الذي يقع فيه بعض الناس: الإسراف في الولائم وحفلات الزواج وغيرها من المناسبات صغيرة أو كبيرة، حيث تقدم بها الأطعمة أكثر من الحاجة.

ومنها الإسراف في استخدام نعمة الماء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»^(٤)^(٥).

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات.

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء؟ فأراه الوضوء ثلاثاً، ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٠٤).

(١) الدر المنثور (٥/ ٢٧٥).

(٤) المد ملء كفي الرجل الممتلئ.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٠١)، وصحيح مسلم برقم (٣٢٥).

أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ^(١)».

ومنها: الإسراف في استخدام نعمة المال. روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢) ويدخل في هذا الحديث الذين يسافرون إلى بلاد الكفار، فينفقون المبالغ الطائلة في تلك الرحلات، وهم بهذا جمعوا بين معصيتين الأولى: السفر إلى بلاد الكفار، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»^(٣).
الثانية: دعم اقتصاد هذه الدول الكافرة بهذه الأموال التي تنفق فيها.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٤) الحديث. وغير ذلك من الصور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سنن النسائي برقم (١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١١٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٤٦١).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٤٢٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة السادسة والأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وعملاً بهذه الآية الكريمة فلنستمع إلى آية من كتاب الله تعالى، ولنتدبر ما فيها من العظات والحكم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم].

قوله تعالى: ﴿قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم^(١)، وقال قتادة رضي الله عنه: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها^(٢).

وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة، قال ابن مسعود: هي حجارة من الكبريت الأسود^(٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

وقوله: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾ قال الشيخ ابن سعدي: أي غليظة أخلاقهم، شديد انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب، وأوجب عليهم شدة العقاب^(١). اهـ.

وقوله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، هذا مدح للملائكة وانقيادهم لأمر الله وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١ - أنه يجب على الرجل أن يأمر أهله بالمعروف ويحثهم عليه، وينهاهم عن المنكر ويزجرهم عنه؛ فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر فرائض الإسلام، ويحثهم على الأخلاق الجميلة؛ والآداب الحسنة، ويرغبهم في فضائل الأعمال، كقراءة القرآن، وتعلم العلوم النافعة، قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم].

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢).

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٩٧) برقم (٤٦٦).

يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر^(١).

وكذلك يجب عليه أن ينهاهم عن كل ما يغضب الله من الأقوال والأفعال، فينهاهم عن الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وعن قول الزور، وينهى نساءه وبناته عن التبرج والسفور، والخروج إلى الأسواق ومواقع الريب، وينهى جميع أهله ومن تحت يده عن مصاحبة الأشرار ومخالطتهم، والتشبه بالكفار والفساق، ويقطع عنهم الوسائل المفضية إلى غضب الله وسخطه، المشغلة عن رضاه وطاعته، كالقنوات الفضائية، والتلفاز، ونحوها من الوسائل التي تدعو إلى الرذائل وردىء الأخلاق.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(٢).

٢ - عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه الآية أخبر تعالى أن حطب النار التي توقد بها: جثث بني آدم وحجارة من الكبريت الأسود، وأخبر في آية أخرى عن هولها وشدة عذابها فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُنَىٰ ۖ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوٰى ﴿١٦﴾ تَدْعُوٓا مِّنْ أَدْبَرَ ۖ وَتَوَلَّىٰ ۖ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۖ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُدِّي وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ لِّلْوَاحَةِ ۖ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٩).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَا فِئَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» (٢).

٣ - إثبات وجود الملائكة وأنه يجب الإيمان بهم وأنهم أصناف، فمنهم: خزنة النار الموكلون بتعذيب أهل النار وإهانتهم وأن عددهم كما ذكر الله ﷻ تسعة عشر، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدرثر] وإن كبير هؤلاء الملائكة ملك كريم اسمه مالك، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ ﴾ [الزخرف]، وأن الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ركن من أركان الإيمان الستة، قال تعالى: ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة].

٤ - أن على المؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون ولو بأقل القليل من فعل الخير.

روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣).

تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ؛ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٦).

آفة السهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

فمن العادات السيئة التي ابتلي بها كثير من الناس في هذه الأزمان السهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بَرزَةَ الأَسلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا ^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقًا، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل.

وكان عمر بن الخطاب رضي عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: أَسْمَرًا أول الليل ونومًا آخره ^(٢).

ومن مفسد هذا السهر:

أولاً: أنه يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم]

(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٧).

(٢) فتح الباري (٧٣/٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنْكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكُهُ ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن ربيعة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثانياً: أنه يؤدي إلى النوم عن قيام الليل، قال تعالى يذكر عباده المؤمنين المتقين: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّىٰ ۖ سَاجِدِينَ ﴾ (١٨) [الذاريات]، وقال أيضاً: ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) [السجدة].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: «جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٣).

(ثالثاً): إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وهذا الوقت سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(١) صحيح مسلم برقم (٦٥٧). (٢) صحيح مسلم برقم (٦٣٤). (٣) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٦٣٩) برقم (١٢١٣): رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥٠٧) برقم (٨٣١).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟»^(١).

وهذا لمن كان سهره في المباح، أما إذا كان سهره على المحرمات كالنظر إلى القنوات الفضائية السيئة، أو التحدث في أعراض المسلمين، أو غير ذلك من المنكرات، فقد جمع إلى هذه القبائح إضاعة وقته فيما يغضب ربه عز وجل.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله:

لا يجوز للمسلم أن يسهر سهرًا يترتب عليه إضاعته لصلاة الفجر في الجماعة أو في وقتها، ولو كان ذلك في قراءة القرآن أو طلبه العلم؛ فكيف إذا كان سهره على التلفاز أو لعب الورق أو ما أشبه ذلك؟ وهو بهذا العمل آثم، ومستحق لعقوبة الله سبحانه، كما أنه مستحق للعقوبة من ولاية الأمر بما يردعه وأمثاله^(٢).

(رابعًا): الأضرار الصحية التي تنتج عن السهر؛ فإن الله تعالى جعل الليل سكنًا للناس، قال تعالى: ﴿الْمُ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [النمل: ٨٦] والنوم في الساعات الأولى من الليل لا يعوض، وقد استثنى العلماء السهر إذا كان في طاعة الله، وفيه مصلحة شرعية، كقيام الليل أو الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو طلب علم شرعي؛ أو السهر مع الضيف أو الزوجة.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الفتاوى (٩٢/١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «لا سَمَرَ بعد الصلاة - يعني العشاء الآخرة - إلا لأحد رجلين مُصَلٍّ أو مُسافرٍ»^(١).

لذا ينبغي على المؤمن أن يحرص على التبكير في نومه، حرصاً على تطبيق السنة، وتخلصاً من آفة السهر ومفاسده، وعليه أن يحرص على آداب النوم؛ كالنوم على طهارة والمداومة على الأذكار الشرعية قبل النوم، وغير ذلك من الآداب التي ذكرها أهل العلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩٠/٦) برقم (٣٦٠٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

الكلمة الثامنة والأربعون

الحج وجوبه وفضله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٌ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا»^(٢).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنْ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خُمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٍ»^(١).

فهذه الآيات والأحاديث المتقدمة، فيها بيان أن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه العظام.

والقول الراجح من كلام أهل العلم أن الحج يجب على الفور، فمن استطاع الوصول إلى البيت ولم يحج فهو على خطر عظيم، وما يدرية لعله يأتيه الأجل وهو لم يقض هذه الفريضة العظيمة.

عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُبْعَثَ رَجَالًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَيَنْظُرُوا كُلَّ مَنْ لَهُ جَدَّةٌ وَلَمْ يَحِجَّ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْجَزِيَةَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتَنْضِلُ الصَّالَةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ - فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ»^(٤).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٦٩٥) وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٤٢/٢) برقم (١١٦٦).

(٢) التلخيص الحبير (٢/٢٢٣) والأثر أسنده اللالكائي في الاعتقاد (١٥٦٧) وابن الجوزي في التحقيق (١٢١٣) وغيرهما.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٣) برقم (١٨٣٤) وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) مسند الإمام أحمد (٥/٥٨) برقم (٢٨٦٧) وقال محققوه: حديث حسن.

ومن فضائل الحج:

أولاً: أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص رضي عنه في قصة إسلامه، وفيها: فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (٢).

ثانياً: أن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (٣).

ثالثاً: أن النفقة في الحج يضاعف الأجر لصاحبها كما يضاعف أجر المجاهد، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بُرَيْدَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ» (٤).

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (١٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٨٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٠٦/٣٨) برقم (٢٣٠٠٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

رابعاً: أن الحج إذا كان خالصاً لوجه الله، وموافقاً لسنة النبي ﷺ وكانت نفقته من كسب حلالٍ طيب فجزاؤه الجنة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنْسٌ فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعَيْرُ
مَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ
خامساً: أن الحج والعمرة من أعظم أسباب الغنى.

روى النسائي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٢).

سادساً: أن الله تعالى يباهي بالملائكة.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٣).

سابعاً: أن من طاف بالبيت واستلم الحجر الأسود شهد له يوم القيامة. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ

(١) صحيح البخاري برقم (١٧٧٣)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٦٣٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٥٨/٢) برقم (٢٤٦٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣٤٨).

في الحجر: «وَاللَّهِ لَيُبَعِّثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَيَّ مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ»^(١).

ثامناً: أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ^(٢).

تاسعاً: أن الحجاج وفد الله روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفُدَّ اللَّهُ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»^(٣).

وفضائل الحج ومنافعه الدينية والدينية كثيرة جداً، وقد أشار الله إليها بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٢٨) [الحج].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٩٦١)، وقال: هذا حديث حسن.
 (٢) مسند الإمام أحمد (٤٦/٢٣) برقم (١٤٦٩٤) وقال محققوه: إسناده صحيح.
 (٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٩/٢) برقم (٢٣٣٩).

الكلمة التاسعة والأربعون

نواقض الإسلام العشرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر أهل العلم نواقض للإسلام أي مفسدات، من فعلها خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية، أذكرها للعلم بها والحذر منها.

أولاً: الشرك في عبادة الله، وهو أعظم ذنب عصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۗ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَنِ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وله صور منها: أن يصرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله، مثل النذر أو الذبح أو غير ذلك.

ثانياً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۗ إِنَّ

اللَّهُ يَخْتَلِفُ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس].

ثالثاً: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، لأن الله ﷻ كفرهم في آيات كثيرة وأمر بعداوتهم لافتراءهم الكذب عليه، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك أو شك في كفرهم مع تبينه فهو مثلهم.

أما من صحح مذهبهم واستحسن ما هم عليه من الكفر فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا والى أهل الشرك فضلاً عن أن يكفرهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، وتمثيل ذلك بالذين يقولون: إن إنفاذ حكم الله في رجم الزاني المحصن أو قطع يد السارق لا يناسب هذا العصر الحاضر، لأن زماننا قد تغير عن زمن النبي ﷺ، أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

لَكِنَّمَا أَخْشَىٰ انْسِلَاحَ الْقَلْبِ عَنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
وَرَضَىٰ بِأَرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصِهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ

ومن ذلك أصحاب القوانين الوضعية، الذين جعلوها شرعاً ومنهاجاً
يسيرون عليه، ويلزمون الناس به، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيتَةِ يَبْغُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

الناقض الخامس: «من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو
عمل به كفر» وهذا باتفاق العلماء، وقد نال المنافقون النصيب الأكبر من
هذه الخصلة، وهم يعملون ببعض شرائع الإسلام الظاهرة؛ ولكنهم في
الخفاء يضمرون البغض والكرهية لشريعة الإسلام وأهلها، ويتربصون
بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، وقال
تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وقد حكم الله على من كره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ بالكفر
والضلال، وأن أعمالهم باطلة مردودة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾
[محمد].

فكل من كره ما أنزل الله فعمله حابط، وإن عمل بما كره، قال
تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو

عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿أَبَلَلَّهٖ وَعَايَنَهُ وَرَسُوْلَهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُوْنَ﴾ (٦٥-٦٦)؛ فالاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء كما لو هزل مازحاً.

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المستهزئين الساخرين بأشْر ما ذكر به قومًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة]. وقد نهى الله تعالى عن مجالسة هؤلاء المستهزئين وأن من جلس معهم فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطٰنُ عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ ؕ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ وَلٰكِنَّ الشَّيْطٰنِ كَفَرُوْا يَعْلَمُوْنَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلٰى الْمَلٰٓئِكَةِ بِبَابِلَ هٰرُوتَ وَمَرْوَتَ ؕ وَمَا يُعَلِّمٰنِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُوْلَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ؕ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؕ وَمَا هُمْ بِضٰرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ؕ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ؕ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسْ كٰشِرُوْا بِهِءَ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ﴾ [البقرة].

أما الصرف: فهو صرف الرجل عما يهواه، كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها، والعطف عمل سحري كالصرف، ولكنه عطف

الرجل عما لا يهواه إلى محبته، والسحر محرم بجميع طرقه وفي جميع الشرائع.

الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة].

الناقض التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ، فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام]، فمن رغب الخروج عن شريعة النبي ﷺ، أو ظن الاستغناء عنها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعيسى ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون متبعاً لشريعة النبي ﷺ، فشريعته عليه الصلاة والسلام باقية إلى يوم القيامة، وعامة لجميع الناس؛ ولا يسع أحد الخروج عنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة].

والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع، فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ

لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة^(١). اهـ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف؛ إلا المكره. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه^(٢). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (١/٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ٣٩).

الكلمة الخمسون

سوء الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ - فِيمَا يَرَى النَّاسُ
- عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ
أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا»^(١).

قال ابن بطال: وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة،
وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالكا
ازداد عتوا؛ فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء^(٢).

لَأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ شَدِيدًا، يَقُولُ
أَحَدُهُمْ: خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَحَرَكَةٍ،
وَيَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَا أَحَدٌ أَمِنَ عَلَى إِيْمَانِهِ إِلَّا يُسَلِّبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا
سُلِّبَهُ^(٣)، وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمته الله جَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ
رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمِنَ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ أُسَلِّبَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥١) واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١١/٣٣٠).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

الإيمانَ قَبْلَ المَوْتِ (١).

فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة (٢).

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: ولسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابٌ ولها طرقٌ وأبوابٌ، وأعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الآخرة والإقدام والجرأة على معاصي الله، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه وسبى عقله، فربما جاءه الموت على ذلك، وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم والله الحمد وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة (٣). اهـ.

وقد يظهر من المحتضر ما يدل على سوء الخاتمة، مثل النكول عن النطق بالشهادتين، ورفض ذلك، والتحدث بالسيئات والمحرمات، وإظهار التعلق بها ونحو ذلك من أقوال وأفعال تدل على الإعراض عن دين الله والتبرم لنزول قضائه (٤).

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٨).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦، ١٤٨).

(٤) مشاهد الاحتضار للشيخ خالد الشايع (ص ٧٥).

قال ابن القيم: وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة^(١).

قال ابن رجب: وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة^(٢). اهـ.

وقد ذكر بعض أهل العلم أسباباً ينشأ عنها سوء الخاتمة:

أولاً: التسوية بالتوبة، والاستمرار في المعاصي، والتهاون في فعل الواجبات، ويضمر بعضهم أنه سيتوب ولكن متى؟ يقول الأعزب: حين أتزوج، والطالب: حين أتخرج، والفقير: حين أتوظف، ويقول الصغير: حين أكبر. وهكذا يحدد كل واحد موعداً لتوبته فيقال لهؤلاء جميعاً: من يضمن لكم بلوغ هذه الآمال، أما تخشون أن تخترمكم المنايا قبل وصولها، ثم لو وصلت إليها هل تضمنون أن توفقوا للتوبة وقد قضيت الأعمار في الغواية والضلال، والشهوات المحرمة التي غالباً ما تكون سبباً لانقلاب القلوب وانتكاسها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَنَقَلِبْ أَعْدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ثم بين

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٢ - ١٧٣).

سبب هذا الانقلاب فقال: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ﴾ ❀ أي بسبب رد الحق أول ما جاءهم، ثم قال: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ❀.

وقد ذم الله قومًا طالت آمالهم حتى ألتهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون. قال تعالى: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٢﴾ ❀ [الحجر].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: إِنَّمَا أَخَشَى عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ (١).

ثانيًا: حب المعصية، فإن الإنسان إذا داوم على المعاصي ولم يسارع إلى التوبة منها ألفها قلبه فاستولت على تفكيره في اللحظات الأخيرة من عمره، فيموت عليها، ويبعث عليها.

روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٢).

قال ابن كثير: والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة (٣).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقي لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٧٨).

(٣) البداية والنهاية (٩/١٦٣).

فإنها هي التي أوقعته، وآخر حضرته الوفاة، ف قيل له: قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه.

وقيل لآخر عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها، والقصص في هذا كثيرة^(١).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسويق بالاستعداد فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك؛ لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه^(٢).

فعلى العبد أن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن ينأى بنفسه عما حرم الله، وأن يبادر بالتوبة من المعاصي، وأن يلح في دعاء الله أن يختم له بالخاتمة الحسنى، وأن يحسن الظن بربه رَحِمَهُ اللهُ، روى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللهُ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٧٣)، والجواب الكافي (ص ١٤٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

الوقت وخطر السفر إلى الخارج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: العصر هو الزمن، وقال ابن القيم: إن تسمية الدهر عصرًا أمر معروف في لغة العرب ^(١).

وأقسم الله ﷻ بالزمن لأنه مستودع أعمال العباد خيرا وشرها، ولشرفه وعظمته، ففي هذا القسم ينبه الله الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم الله بأجزاء الوقت في مواضع أخرى فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ [الفجر].

وقال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [الليل]، وقال: ﴿ وَالصُّحْرِ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضحى] وهذا الزمن أغلى من الذهب والفضة فإنهما يعوضان، وأما الزمن فإنه إذا فات لا يعوض، وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ فِيمَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟»^(١).

فُيَسْأَلُ عَنْ عَمَلِهِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَعَنْ شَبَابِهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ لِأَنَّ الشَّبَابَ هُوَ مَحْوَرُ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَعَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ فِي الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ فِي مَرَاهِلِ الْعُمُرِ الْآخَرَى.

وَالزَّمَنُ مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٢) وَالغَبْنُ أَنْ يَشْتَرِيَ الْإِنْسَانُ السَّلْعَةَ بِأَضْعَافِ ثَمَنِهَا، فَمَنْ صَلَحَ بَدَنُهُ وَتَفَرَّغَ مِنَ الْأَشْغَالِ الْعَالِقَةِ بِهِ، وَلَمْ يَسْعَ لِإِصْلَاحِ آخِرَتِهِ، يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ رَجُلٌ مَغْبُونٌ، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الزَّمَانَ نِعْمَةٌ كَبْرَى لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا الْمَوْفِقُونَ الْأَفْذَادُ، وَأَنَّ الْمُسْتَفِيدَ قَلِيلٌ وَالكَثِيرَ مَفْرُطٌ وَمَغْبُونٌ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ، وَذَكَرْ مِنْهَا: وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ»^(٣).

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ السَّلَفِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَجَدَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى كَسْبِ الْوَقْتِ وَمَلَأَهُ بِالْخَيْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمِي عَلَى يَوْمٍ عَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقُصَّ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي.

(١) شعب الإيمان (٢٨٦/٢) برقم (١٧٨٥ - ١٧٨٦) وقد سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٣) مستدرک الحاكم (٤٣٥/٥) برقم (٧٩١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم (١٠٧٧).

وقال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطع عليك أمر دنياك وآخرتك^(١).

وقال أيضًا: أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء^(٢).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيَّكَ يَضِيعُ

وقال آخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطَعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرِّيحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

ومما تقدم يتبين خسارة من أضاعوا أوقاتهم في السفر إلى بلاد الكفار، ولهذا وجب التنبيه على ما لهذه الأسفار من المخاطر والمفاسد. فمن ذلك:

(أولاً): أن في السفر إلى بلاد الكفار مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَايَا نَارًا هُمَا»^(٣).

(١) فوائد الفوائد ص ٣٨٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين؛ أو للتجارة وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهرًا لدينه، عالمًا بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادرًا على إقامة شعائره، مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

(ثانيًا): كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش والمحرمات، وخاصة فتنة النساء.

روى مسلم في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (١). وقال أيضًا: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «السفر إلى البلاد التي فيها الكفر والضلال والحرية وانتشار الفساد من الزنا وشرب الخمر، وأنواع الكفر والضلال، فيه خطر كبير وعظيم على الرجل والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسدًا، وكم من مسلم رجع كافرًا، وخطر السفر عظيم؛ والواجب الحذر من السفر لبلادهم لا في شهر العسل ولا في غيره» (٣). اهـ.

(ثالثًا): إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله عز وجل، وهذا الوقت كما تقدم سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(رابعًا): إضاعة المال الكثير في غير فائدة، وإنما في الشهوات والملذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧) [الإسراء].

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٢).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/١٩٥) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله.

(خامساً): أنه قد لا يسلم من انحراف عقدي أو خلقي أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم هو فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد والتبرج والخلاعة وتباع فيها الخمر علناً في الطرقات في ذاكرة أبنائه وبناته، وكفى بهذه مفسدة.

(سادساً): تأثر المسلم بالكثير من تقاليد الكفار وعاداتهم السيئة.

(سابعاً): التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه

وأوامره.

(ثامناً): أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات،

وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك كل هذا يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم؛ وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) إلى غير ذلك من المفاسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



التوكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن أعظم العبادات القلبية التوكل على الله تعالى في جميع الأمور، قال بعض أهل العلم: التوكل صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وأن يكل العبد أموره كلها إلى الله، وأن يحقق إيمانه بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع إلا هو ﷻ^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، وجاء ذكره في أكثر من خمسين آية. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الأنعام] الَّذِي يَرِنَا حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجِدِينَ [الشعراء].

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عُمَرَ
ابنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ
حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من
أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

وقد دل حديث عمر رضي الله عنه أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل،
ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون
أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما
قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم
مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو
نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير^(٢). اهـ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَسْقُ إِلَيْكَ الْأَرْزَاقُ بِلا تَعَبٍ
وَلَا تَكَلُّفٍ^(٣).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكَّلُ جِمَاعُ الْإِيمَانِ^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد
ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وقال: «التوكل نصف

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٤) وقال: حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد (١/٣٣٢)
برقم (٢٠٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل استعانة والإنابة هي العبادة»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» قَالَ: «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيتَ، فَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ: فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما قَالَ: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ عليه السلام حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(٣).

فإبراهيم عليه السلام عندما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَنْدَرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنبياء].

ومحمد عليه الصلاة والسلام حين قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله سبحانه: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران].

ومؤمن آل فرعون عندما كاده قومه قال: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٤٤﴾، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا﴾

(١) التفسير القيم (ص ٥٨٧)، ومدارج السالكين (٢/ ١١٨).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٩) برقم (٤٢٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٣).

وَحَاقَ بِعَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر].

وها هنا مسألة مهمة ينبغي للمسلم فهمها فهماً صحيحاً، وهي التوفيق بين التوكل وفعل السبب، فأقول:

أولاً: التوكل هو عمل القلب واعتماده على الله تعالى في جلب الخير ودفع الشر، وفي جميع أمور العبد كلها الدنيوية والأخروية، أما الأسباب فإنها عمل الجوارح فعلاً وتركاً.

ثانياً: من الناس من يترك فعل الأسباب كلها ويدّعي أنه من المتوكلين، ومنهم من يتعلق قلبه بالأسباب ويعتقد أنه لا يتم له أمر إلا بفعل سبب، وكلا الطائفتين قد جانبت الصواب.

والحق أن المتوكل حقيقة هو من فوض أمره إلى الله ثم نظر، فإن كان هذا الأمر له أسباب مشروعة فعلها انقياداً للشرع لا اعتماداً عليها، ولا انقياداً لها، وإنما امتثالاً لأمر الشارع، فإن لم يكن هناك أسباب مشروعة اكتفى بالتوكل على الله.

يشهد لما تقدم ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أَطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «أَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(١).

أما الطائفة الأخرى التي تعلقت قلوبها بالأسباب، فقد ضعف عندها الإيمان بكفاية الله تعالى لمن توكل عليه، فتراها تجتهد في فعل الأسباب وإن لم تكن مطلوبة شرعاً أو عقلاً، وقد أخطأ هؤلاء حين ظنوا أنه لا يتم أمر إلا بسبب.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩/٢) برقم (٢٠٤٤).

فالله عَلَيْكَ يعطي ويمنع بسبب وبغير سبب، وقد أخبر سبحانه في آيات كثيرة أن في التوكل على الله كفاية للعبد.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال عَلَيْكَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافي، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والمتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته، فيصدق الله فيما ضمنه، ويشق بقلبه، ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

فما دام العبد حيًّا فرزقه على الله وقد يسره الله بكسب وبغير كسب، فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببًا وكسبًا ومن توكل عليه لثقتة بضمائه، فقد توكل عليه ثقة به وتصديقًا، وما أحسن قول المثنى الأنباري وهو من أعيان أصحاب الإمام أحمد: لا تكونوا بالمضمون مهتمين، فتكونوا للضامن متهمين وبرزقه غير راضين^(١).

واعلم يا عبد الله أن التوكل مرتبة عظيمة لا ينال كمالها إلا القليل من العباد، والمتوكلون أحياء الله وأولياؤه.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٨).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولو توكل العبد على الله حق التوكل لم يحتج إلى غيره، لكن لما علم الله تعالى ضعف البشر شرع لهم من الأسباب ما يتم لهم به معنى التوكل، وذلك من رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم.

قال المروزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قيل لأبي عبد الله: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذا كان الله يرزقه وكان متوكلاً^(١).

فعلى المسلم أن يفهم هذه الحقائق، وأخص بالذكر إخواناً لنا يطلبون أرزاقهم بطرق محرمة أو مشبوهة، كالذين يعملون في البنوك الربوية، أو يتاجرون بما حرم الله، كآلات اللهو أو المخدرات، أو الخمر، أو الدخان، أو يتعاملون بالكذب والغش والخيانة والخداع، لأخذ أموال الناس بغير حق، ويكفي أن نسوق إلى هؤلاء جميعاً هذا الحديث العظيم الذي أوحاه جبريل الأمين إلى الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ، فاسمعوه وتأملوه؛ فإنه جدير بالتفهم والتدبر لما اشتمل عليه من الحكم العظيمة.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ أَجْلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٣).

(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة الثالثة والخمسون

مبطلات الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي رَكَعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨٠/٣) برقم (٢٥٣٧).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَذْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﷺ.

ومبطلات الأعمال كثيرة، منها ما يبطل جميع الأعمال مثل الشرك والردة والنفاق الأكبر، ومنها ما يبطل العمل نفسه كالمن بالصدقة وغير ذلك، وسوف أقتصر على ذكر خمسة أمور وعسى أن يكون فيها تنبيه على ما سواها:

الأول: الشرك: فإنه محبط لجميع الأعمال، قال تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] ﴿الزمر﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [٢٣] ﴿الفرقان﴾.

روى الترمذي في سننه من حديث أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَصَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدٌ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ»^(١).

الثاني: الرياء وهو على قسمين:

الأول: أن يقصد بعمله غير وجه الله، فهذا شرك أكبر محبط لجميع الأعمال، ويسميه بعض أهل العلم: شرك النية والإرادة والقصد، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْحَسُونَ﴾ [١٥] ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧٤/٣) برقم

النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعْطُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُظَلَمُونَ نَقِيرًا، يَقُولُ: مَنْ عَمَلَ صَالِحًا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا صَوْمًا، أَوْ صَلَاةً، أَوْ تَهَجُّدًا بِاللَّيْلِ، لَا يَعْمَلُهُ إِلَّا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَوْفِيهِ الَّذِي التَّمَّسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَثَابَةِ وَحَبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ لِاتِّمَّاسِ الدُّنْيَا وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(١).

القسم الثاني: أن يعمل العمل يقصد به وجه الله ثم يطرأ عليه الرياء بعد الدخول فيه، فهذا شرك أصغر.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ»، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»^(٢).

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُرِيَنَّ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»^(٣).

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع بتسميته شرًا أصغر، وهو إنما سمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر،

(١) تفسير ابن كثير (٤٢٢/٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠) وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) رقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

(١١٩/١) برقم (٣١).

ولذلك قال العلماء.

- ١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.
 ٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة،
 كصاحب الكبيرة، بل يُعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام ^(١).

ثالثاً: المن والأذى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

قال الشاعر:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسنٍ ليس الكريم إذ أسدى بمنانٍ
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، والمُنْفِقُ سلعته بالحلف الكاذب» ^(٢).

(١) فتح المجيد (ص ٧٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٦).

رابعاً: ترك صلاة العصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

روى البخاري في صحيحه من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبَطَ عَمَلُهُ»^(١).

خامساً: التآلي على الله، روى أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده والبغوي في شرح السنة من حديث ضمضم بن جوس اليمامي قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يمامي تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة أبداً، فقلت: ومن أنت - يرحمك الله -؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته، قال: فأني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابِّينِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ: خَلْنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلْنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيْنَا رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظَرَ عَلَيَّ عَبْدِي رَحْمَتِي؟! فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٠١) ومسند الإمام أحمد (٤٦ / ١٤ - ٤٧)، وقال محققوه: إسناده حسن، وشرح السنة (٣٨٤ / ١٤ - ٣٨٥) واللفظ له.

الأجل والرزق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»^(١).

في هذا الحديث أربع قضايا من أمور الغيب يجب الإيمان بها، واليقين الجازم بصدقها، وسيقتصر حديثي على اثنين منها، وهما: الأجل والرزق.

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله كتب الأجال والأرزاق، فلا يزيد فيهما حرص حريص، ولا يردهما كراهية كاره.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣).

وقد أكد ﷺ هذه الحقيقة في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلَاتٍ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَرَى الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف].

وقد ظن بعض المنافقين أن تأخرهم عن الجهاد في سبيل الله وجبنهم عن ملاقاته الأعداء سيكون مانعاً لهم من الموت، فقطع الله تلك الآمال الكاذبة بقوله: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران]، ولهذا فإن الوقائع تشهد بأن الذين يقتلون مدبرين أكثر بأضعاف كثيرة من الذين يقتلون مقبلين، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ المَنَايَا فَلَا أَرْضَ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءَ
ومثل الأجل الرزق، فإن ما كُتِبَ للعبد منه سيناله لا محالة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَفَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [فوريب السماء والأرض إنّه، لِحَقِّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ] [الذاريات].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

فما كُتِبَ للعبد من رزق وأجل لا بد أن يستكمله قبل أن يموت.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»^(٢).

وتأمل هذا الحديث في أدب الدعاء وهو يؤكد هذه الحقيقة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم حبيبة رضي عنها أنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتِ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارِ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»^(٣).

ومما تقدم يتبين ما يأتي:

أولاً: الإيمان بأن الآجال والأرزاق مقسومة، معلومة، لا يجلبهما حرص حريص ولا يردهما كراهية كاره.

(١) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

(٢) حلية الأولياء (٩٠/٧) وصححه الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٦٧٢/٢) برقم (٩٥٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣).

ثانياً: أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخذ بها، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ثالثاً: في حديث أبي أمامة المتقدم إشارة إلى أمرين اثنين.

الأول: أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال، وأن يجتنب الحرام والأسباب المؤدية إليه.

الثاني: أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص، وليستحضر قوله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ؛ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

قال عمر رضي الله عنه: بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه، أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه^(٢).

رابعاً: الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق وتستدفع بها المكاراه كثيرة وهذه إشارة إلى بعضها.

١ - التوكل على الله.

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٣).

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤٦٥) ومسنند الإمام أحمد (٤٦٧/٣٥) برقم (٢١٥٩٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢).

(٣) سبق تخريجه.

٢ - الاستقامة على شرع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَلُوْا أَسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيْقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ ﴿١٦﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣ - المداومة على الاستغفار والتوبة: قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

٤ - صلة الأرحام: روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والخمسون

الخشوع في الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾^(١) فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ قَالَ: كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَعَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ وَخَفَضُوا لِذَلِكَ الْجَنَاحَ^(١).

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين^(٢).

والخشوع يأتي بمعنى لين القلب ورقته وسكونه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع الجوارح لأنها تابعة له، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١٠/١٠٧). (٢) مدارج السالكين (١/٥٢٦).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

ولذلك كان النبي ﷺ في صلاته يقول: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ ابْنِ لَيْبِدٍ: أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَنَاهُ أَبْنَاؤُنَا وَنِسَاءُنَا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتَ لَا أَظُنُّكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل، فَلَقِيَ جَبْرِ بْنَ نَفِيرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ. قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَكَادَ تَرَى خَاشِعًا»^(٢).

فإذا دخل المصلي المسجد بدأت الوسوس والأفكار والانشغال بأمور الدنيا في ذهنه، فما يشعر إلا وقد انتهى الإمام من صلاته، وحينئذ يتحسر على صلاته التي لم يخشع فيها ولم يذق حلاوتها، وإنما كانت مجرد حركات وتمتمات كالجسد بلا روح.

قال ابن القيم رحمته الله: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؛ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٧٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤١٨/٣٩) برقم (٢٣٩٩٠)، وقال محققوه: حديث صحيح.

يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت
الفرض في أحكام الدنيا ولا يشبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما
عقل منها). اهـ^(١).

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة وإن ما بينهما كما
بين السماء والأرض^(٢).

روى أبو داود في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي عنه: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ،
تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(٣).

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل
بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، روى
النسائي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبَّبَ إِلَيَّ
مِنَ الدُّنْيَا: النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤)، بل إنه
عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قُمْ يَا بَلَاءُ
فَارْحَنَا بِالصَّلَاةِ»^(٥).

من الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: أن يستحضر المسلم عظمة الباري تعالى، وأنه واقف بين يدي

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ١١).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٦٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٧٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم
(٧١٤).

(٤) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/٨٢٧) برقم
(٣٦٨٠).

(٥) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١)
برقم (٤١٧١).

جبار السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ثانياً: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ أَنْصَرَفَ عَنْهُ»^(١).

ثالثاً: تدبر القرآن الكريم والأذكار التي يقولها في صلاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فإذا تدبر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.

رابعاً: ذكر الموت في الصلاة.

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث سعد بن عماره أخي بني سعد بن بكر وكانت له صحبة أن رجلاً قال له: عطني في نفسي يرحمك الله، قال: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ»^(٢).

خامساً: أن يهيب المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٤٠٠/٣٥) برقم (٢١٥٠٨) وقال محققوه: صحيح لغيره.
 (٢) معجم الطبراني الكبير (٤٤/٦) برقم (٥٤٥٩)، وقال الحافظ في الإصابة (٧٠/٣):
 ورجاله ثقات، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٦/٤) برقم (١٩١٤): وهو في حكم المرفوع كما هو ظاهر.
 (٣) صحيح مسلم برقم ٥٦٠.

وأن يزيل كل ما يشغله في صلاته من الزخارف والصور ونحوها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في خميصة ذات أعلام. فنظر إلى علمها. فلما قضى صلاته قال: «أَذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ، وَاتُّونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي أَنْفًا فِي صَلَاتِي»^(١).

سادسًا: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع، ليس بالأمر السهل فلا بد من الصبر والمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦١) [العنكبوت] ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة.

سابعًا: استحضر الثواب المترتب على الخشوع، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَمْرٍ يُسَلِّمُ تَخَضُّرُهُ صَلَاةً مَكْتُوبَةً، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس خشوعًا في الصلاة، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ^(٣).

وَأَبُو بَكْرٍ كَانَ رَجُلًا بَكَاءً لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ إِذَا صَلَّى بِهِمْ^(٤)،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٥٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٨).

(٣) سنن أبي داود برقم (٩٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٧٠) برقم (٧٩٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤١٨) واللفظ له.

وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِالنَّاسِ وَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَسَمِعَ نَشِيْجَهُ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٨] (١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والناس في الصلاة على مراتب:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها، لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض وهذا في صلاته مشغول بربه سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه،

(١) صحيح البخاري (ص ١٥١)، باب إذا بكى الإمام في الصلاة.

والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه ﷺ في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣٤ - ٣٥).

الكلمة السادسة والخمسون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد: فإن من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران].

قال عمر رضي عنه: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا ^(١).

قال القرطبي رحمته الله: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى ^(٢). وقال أيضًا: في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سببًا في هلاكهم ^(٣).

وأخبر سبحانه أن الناجين من الأمم هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦١). (٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَظْلُومِينَ ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [١٦٣] وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾ [١٦٤] فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [١٦٥] فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَىٰ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [١٦٦] [الأعراف].

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت، وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: كَانُوا أَثْلَاثًا: ثُلُثُ نَهْوًا، وَثُلُثُ قَالُوا: لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، وَثُلُثُ أَصْحَابِ الْخَطِيئَةِ، فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوَّا، وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ^(١).

وبشّر النبي صلى الله عليه وسلم الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعظيم الأجر والثواب فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن الحضرمي قال: أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أُجُورِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»^(٢).

وبين سبحانه أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لسخطه ولعنته. قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٤٢٨/٦) وقال: إسناده جيد.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٤١/٣٨) برقم (٢٣١٨١) وقال محققوه: حسن لغيره.

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) وهذا الحديث أصل في تغيير المنكر، ولذلك عدّه أهل العلم من الأحاديث التي عليها مدار الدّين، حتى قيل إنه شطر الشريعة، وقيل: إنه الإسلام كله، لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه، وفيه بيان مراتب تغيير المنكر وهي الإنكار باليد واللسان، وهذا يجب بحسب القدرة والطاقة، وأن لا يترتب عليه منكر أكبر منه.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب يستلزم من العبد مفارقة المكان الذي فيه المنكر.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ ﴿١٤٠﴾ [النساء].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: من لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه. اهـ. وقال أيضًا: وإذا كان جماع الدّين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿التوبة: ٧١﴾، وهذا واجب كل مسلم قادر، وهو فرض الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره^(١).

والمنكرات إذا انتشرت ولم تُغيَّر كان ذلك نذير شر وهلاك للأمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِيهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أُهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَهُ أَوْ عَلِمَهُ»^(٤).

(١) الفتاوى (٢٨ - ٦٥ - ٦٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٨) برقم (٣٦٤٤).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٧/٤٩٠) برقم (١١٤٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إنكار المنكر له أربع درجات: الأولى أن يزول ويخلفه ضده أي المعروف، الثانية أن يقل: أي المنكر وإن لم يزل من جملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة^(١).

ومن النماذج المشرقة للأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر ما نقله الذهبي في السير عن شجاع بن الوليد قال: كنت أحج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً^(٢).

وينقل عنه أنه كان يقول: إني لأرى الشيء يجب عليّ أن أتكلّم فيه فلا أفعل، فأبول أكدم دمًا^(٣)، ونقل الذهبي عن الحافظ عبد الله المقدسي أنه كان لا يرى منكرًا إلا غيّرهُ بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، قد رأيتهُ مرة يهريق خمراً فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قويًّا في بدنه، كثيرًا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات^(٤).

قال الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذا الزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

(٢) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(١) إعلام الموقعين (٣/٤، ٥).

(٣) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(٤) السير للذهبي (٢١/٤٥٤).

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور]؛ فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وليعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركة أيضاً لصداقته ومودته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه. إلى آخر ما قال^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١/٢٤).

الصلاة ومكانتها في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد عظم الإسلام شأن الصلاة، ورفع ذكرها وأعلى مكانتها فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١١) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في

الصحيحة برقم (١٣٥٨).

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (١).

والصلاة حاجز بين العبد والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكان من آخر وصايا النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» (٢).

ولها فضائل عظيمة:

منها: أنها كفارة للخطايا والذنوب، قال تعالى: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا» (٣).

ومنها: أن هذه الصلاة نور للعبد: روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ، أَوْ تَمْلَأُ، مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٦٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٠٩/٢) برقم (٢١٨٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٧).

نَفْسُهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» (١).

ومنها أن المسلم يبلغ بالصلاة والصيام مقام الشهداء.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ حَيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَشْهَدَا أَحَدُهُمَا، وَأُخِرَ الْآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ؟!» (٢).

والصلاة يجب أن تؤدى في أوقاتها المحددة شرعاً، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال البخاري: مَوْقُوتًا وَقْتُهُ عَلَيْهِمْ. وأداء الصلاة في وقتها من أحب الأعمال إلى الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَوَقْتُهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

ومما جاء في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها حديث رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي أَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهَّدُ الْحَجْرُ هَا هُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجْرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٤/١٢٧) برقم (٨٣٩٩) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٥).

حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وهذه الصلاة يجب أن تؤدى في بيوت الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٰ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

فبيّنت الآية وجوب صلاة الجماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّن حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٢).

قال بعض أهل العلم: إن النبي ﷺ ما هم بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

وجاء في ذكر السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»^(١)، والمساجد بيوت الله من دخلها فقد حل ضيفاً على ربه، فلا قلب أطيب ولا نفس أسعد من ضيف حل على ربه في بيته وتحت رعايته، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).
 (٢) الطبراني في الكبير (٢٥٤/٦) برقم (٦١٤٣) قال المنذري في كتاب الترغيب والترهيب (٢٩٨/١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وقال: إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. اهـ. وحسنه الألباني رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣/١) برقم (٣٣٠).

مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

أسلم هذا الصحابي سنة ثمان من الهجرة، وخاض عشرات المعارك.

يقول عنه المؤرخون: لم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام، يقول عن نفسه: «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مَوْتَةِ تِسْعَةَ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»^(١). وهذا يدل على شجاعته الفائقة، وعلى القوة العظيمة التي ركبها الله في جسده، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركتي اليمامة واليرموك الشهيرتين، وقطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وكانت هذه من أعاجيب هذا القائد، وقد سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول، وأخبر أنه: «سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» والمنافقين، وقال عنه: «نِعَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٦/١) برقم (٤٣) وقال محققوه: حديث صحيح بشواهده.

إنه فارس الإسلام خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي المكي، وهو ابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، كان رجلاً ضخماً، عريض المنكبين، قوي البنية، أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، ومن هذه المواقف: معركة مؤتة الشهيرة، وقد حدثت سنة ثمان من الهجرة في نفس السنة التي أسلم فيها خالد، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل، ونظراً لعدم تكافؤ العدد بين المسلمين وعدوهم، فقد ظهرت في هذه المعركة بطولات عظيمة للمسلمين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم على جيش المسلمين زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وقد استشهد القادة في هذه المعركة، بعد ذلك أخذ الراية ثابت بن أقرم، وقال للمسلمين: أمروا عليكم رجلاً، فاخاروا خالد بن الوليد، وهنا ظهرت شجاعته العظيمة وعبقريته الفذة، فقام بإعادة ترتيب جيش المسلمين مرة ثانية، فجعل اليمينه ميسرة، والميسرة يمينه، ثم جعل بعض الجيش يتأخر قليلاً، ثم بعد فترة يأتون على هيئة مدد، حتى يضعف من عزيمة العدو، ثم حمل بالمسلمين حملة عظيمة على الروم جعلتهم يتقهقرون وتضعف عزيמתهم، وأبدى صلى الله عليه وسلم من صنوف الشجاعة والبطولة ما تتقاصر عنه همم الأبطال، ثم إنه بحنكته وسياسته اتخذ طريقة عجيبة في الانسحاب المنظم بالمسلمين، واكتفى بتلك الضربة، ورأى ألا يقحم المسلمين في معركة غير متكافئة، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فتحاً، فقال عندما نعى القادة الثلاثة: «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٥٧).

وقد شهد خالد حروب الردة، وغزا العراق، وقد اختلف أهل السير في أسباب عزل خالد عن قيادة جيش المسلمين في الشام، ولعل الصحيح ما نقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا، لأنزعنَّ خالدًا حتَّى يعلمَ النَّاسُ أنَّ اللهَ إِنَّمَا يَنْصُرُ دِينَهُ بِغَيْرِ خَالِدٍ^(١).

ومن أقواله العظيمة أنه قال: مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، كَثِيرَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَصْبَحُ فِيهَا الْعَدُوَّ^(٢).

وكتب رسالة إلى الفرس قال فيها: لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّ فَارِسٌ شُرْبَ الْخَمْرِ.

قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالدًا وهو يقول: مَنْعَنِي الْجِهَادُ كَثِيرًا مِنْ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^(٣).

قال أبو الزناد: لَمَّا احْتَضَرَ خَالِدٌ جَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ: لَقَدْ شَهِدْتُ كَذًا وَكَذًا مِنَ الْمَعَارِكِ زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ شَبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمِيَّةٌ بِسَهْمٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمحٍ، وَهَذَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ^(٤)؛ لقد تمنى خالد الشهادة ونرجو أن الله بلغه إياها.

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده: عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنْزِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٨). (٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٥).

(٣) ذكره الحافظ في المطالب العلية (٤٠٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (١٩٠٩).



وعند وفاته لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلामه، جعلها في سبيل الله، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قال: رَحِمَ اللهُ أَبَا سُلَيْمَانَ كَانَ عَلَيَّ مَا ظَنَّنَّا بِهِ^(١).

وجاء في حديث عمر بن الخطاب في الزكاة: أن النبي ﷺ قال: «أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظَلِمُونَ خَالِدًا قَدْ احْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»^(٢).

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين من الهجرة في مدينة حمص الشامية، وعمره آنذاك ثمانية وخمسون عامًا^(٣).

رضي الله عن خالد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نفتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين، وتربى في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، قال له النبي ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١)، وقال له أيضًا: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢)، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة تبوك، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي ﷺ بالجنة، وهو على قيد الحياة، إنه فارس الإسلام أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وله قرابة من النبي ﷺ فهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وصفه أهل السير بأنه كان أسمر اللون، كثيف شعر اللحية، ربعة من الرجال، ضخم البطن، حسن الوجه، إلى القصر أقرب، ويكنى أبا الحسن أو أبا تراب^(٣).

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمنها أنه بات في فراش رسول الله ﷺ يوم الهجرة،

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٨). (٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٣٢، ١٣٣).

وعرض نفسه للقتل فداء للنبي ﷺ، وهو أول من بارز في سبيل الله مع حمزة رضي عنه وعبيدة بن الحارث، وهو من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في غزوة أحد.

ومنها ما حدث في غزوة الخندق عندما اقتحم عمرو بن ود بفرسه، وكان فارسًا من فرسان العرب المشهورين، وطلب من المسلمين المبارزة وهو مقنع بالحديد، فقال: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليّ رجلاً. فخرج إليه بن أبي طالب، فقال: ارجع يا ابن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي بن أبي طالب: ولكنني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبًا، واستقبله عليٌّ بدرقته وضربه عمرو في الدرقة فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشججه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن عليًا قتله وهو يقول:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

ومن مواقفه العظيمة أن خبير لما استعصت على جيوش المسلمين قال النبي ﷺ: «لَأَعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ،

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ
لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

فلما وصل علي خرج له ملكهم مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:
قَدْ عَلِمْتَ خَيْرٌ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْثٌ غَابَاتٍ كَرِيهَةِ الْمَنْظَرَةِ
أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

فاختلف علي ومرحب ضربتين، فأما ضربة علي فكانت القاضية
وفتح الله عليه.

ومع شجاعته العظيمة فقد كان من علماء الصحابة، ومن دهاة العرب،
فقد جيء بامرأة إلى عمر وقد ولدت غلاماً لسته أشهر فأمر برجمها.

فقال له علي: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى:
﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؟ فالحمل ستة أشهر
والفصال وهو الفطام في عامين.

فترك عمر رجم المرأة وكان يقول: قضية ولا أبا الحسن لها.

وكان رضي الله عنه شديد الورع فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من
حديث أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس
والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت^(٢) من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه،
وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلي الدهقان^(٣)،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦). (٢) أي: ما أخذت.

(٣) (٤٨٠/٤٢).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال: من المدينة^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زهير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه - قال: حسن: يوم الأضحى - فقرب إلينا خزيرة^(٢)، فقلت: أصلحك الله، لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الوز - فإن الله وَعَلَّمَ قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زهير إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ، قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ»^(٣).

ومن أقواله العظيمة أنه كان يقول: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله).

ومن أقواله أيضاً: (خمس خذوهن عني: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحيي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)^(٤).

وقيل: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: (ما أصف لكم من

(١) (١/٨٢).

(٢) لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج دُرَّ عليه الدقيق.

(٣) (٢/١٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٦٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٧).

دار، من افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، ومن صح فيها أمن، حلالها الحساب، وحرامها العقاب).

وقال أيضاً: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة: قيل وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينغصه إياها^(١).

قال ابن كثير: ولقد أخبر النبي ﷺ علياً بقتله، فكان كما أخبر سواء بسواء^(٢). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْيَمِرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي قَرْنَهُ، حَتَّى تَبْلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ»^(٣).

وكان قتله رضي الله عنه على يد الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين من الهجرة، في السابع عشر من شهر رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٣].

قال الذهبي رحمه الله: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل^(٤).

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٤).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٠/ ٢٥٧) برقم (١٨٣٢١)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٤) تاريخ الإسلام (ص ٦٥٤).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده من طريق عمرو ذي مر قال: لما أصيب علي بالضربة، دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أرني ضربتك. قال: فحلها، فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم. فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لما بكيت. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود، والنيون، وهذا محمد ﷺ يقول: «يا علي أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه»^(١).

وقد رثاه أبو الأسود الدؤلي، وبعضهم يرويهَا لأم الهيثم بنت العريان النخعية:

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْعِدِينَا	أَلَا قُلْ لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا
تُبْكِي أُمَّ كَلْثُومٍ عَلَيْهِ	أَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَجَعَلْتُمُونَا
أَلَا قُلْ لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا	قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
أَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَجَعَلْتُمُونَا	وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا	وَكُلُّ مُنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِيهِ
وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا	لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ حَيْثُ كَانُوا
وَكُلُّ مُنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِيهِ	كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا
لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ حَيْثُ كَانُوا	
كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا	

رضي الله عن علي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أسد الغابة (٣/٣٠٣).

الكلمة الستون

الصبر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ أَجُودَ مَا يَسْتَعَانُ بِهِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ) (١). اهـ.

وقد ذكر الله الصبر في مواضع عديدة من كتابه، وأضاف إليه كثيراً من الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة].

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة] فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، وطلب علمه يحتاج إلى الصبر (٢). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٦).

ومن الأدلة على أهمية الصبر أن الله أمر به رسوله أول ما أوحى إليه، وأمره بالإنذار، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَثِرَ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾ [المدثر].

وفي قوله: ولربك فاصبر إشارة إلى إخلاص الصبر لله تعالى، لا ليُقَالَ صبور، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبَعَّاءَ وَجْهٍ﴾ [الرعد: ٢٢] الآية.

قال بعض السلف: (عجباً للصبر تداوى به الأشياء ولا يُداوى بشيء). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءَ حَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وَجَدْنَا حَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ^(٣).

وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له^(٤).

والصبر هو حبس النفس على الطاعة، وكفها عن المعصية، والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه ولا معه.

قال ابن القيم: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

(٣) الدر المنثور (١/١٦٣). (٤) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

صبر الأوامر والطاعات حتى يؤدِّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها». اهـ^(١).

فأما الصبر على طاعة الله، فإن النفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [٦٥] ﴿ [مريم]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [١٣٢] ﴿ [طه]، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] ﴿ [الكهف].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ». أَوْ قَالَ: «عَلَى الشُّوكِ»^(٣).

ويدخل في ذلك الصبر على الطاعات الواجبة والسنن المشروعة،

(١) مدارج السالكين (١٦٣/٢).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١١٧/١٧) برقم (٢٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٤/١٥) برقم (٩٠٧٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

والدعوة إلى الله، وطلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

ثانياً: الصبر عن معصية الله فإن العبد محتاج إلى الصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها المحرمة، قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢) [الإنسان]. قال بعض المفسرين: صبروا عن معصية الله (١).

ثالثاً: صبر على أقدار الله كفراق الأحبة، وخسارة المال، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء»، ثم الأمثل فالأمثل، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (٢).

قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وقال آخر:

وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمُحْتَوَمِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لَامِرِيَّ عَيْشٍ يُسْرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتْبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٩/٢١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وينبغي للمسلم أن يصبر عند أول سماعه للمصيبة، وأن يسترجع ربه. وأن يذكر مصابه بالنبي ﷺ.

روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكَرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه -، فقيل لها: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنني قتلها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ^(٣).

لكن لا يشرع للمسلم أن يسأل الله الصبر قبل وقوع البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن

(١) سنن الدارمي (١/٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩١٨).

النبي ﷺ سمع رجلاً وهو يقول: اللهم إنِّي أسألك الصبر، فقال: «قَدْ سَأَلْتَ الْبَلَاءَ فَسَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٨/٣٦) برقم (٢٢٠١٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

الكلمة الحادية والستون

عذاب القبر ونعيمه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:
 أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ
 وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
 النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

فهذا الحديث أحد نصوص كثيرة من القرآن والسنة تثبت عذاب القبر ونعيمه، وأنه حق يجب الإيمان به والاستعداد له.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ۖ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾
 وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
 الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ۖ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ
 الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ [الواقعة].

قال ابن كثير: هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند الاحتضار، إما أن يكون من المقربين، وإما أن يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

فقوله فروح وريحان وجنت نعيم، أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت. اهـ^(١). وقد استدل بعض العلماء على أن عذاب القبر حق يجب الإيمان به، بقوله تعالى عن آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) [غافر].

قال ابن كثير: فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدَكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُؤَقِنُ لَا أَدْرِي أَيِّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لِمُوقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال:

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٦/١٣). (٢) تفسير ابن كثير (١٢/١٩٣) بتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٠٥).

«نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا رَأَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً، إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١).

وقد بين النبي ﷺ لأُمَّته صورة هذا الابتلاء الذي يكون في القبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوَلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. قال: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]^(٣).

وشرع النبي ﷺ لأُمَّته أن يستغفروا للमित، ويسألوا له الثبات، روى أبو داود في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٠) مختصرًا.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٧١).

من دفن الميت وقف عليه وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّشْيِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(١).

وكان النبي ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر، وأمر بذلك أصحابه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثم أقبل علينا بوجهه: فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

والقبر أول منزل من منازل الآخرة، روى الترمذي في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قال: وقال رسول الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ»^(٣). وفي القبر ضمة لا يسلم منها أحد.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٣٢٢١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٢٠) برقم (٢٧٥٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٧).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم (١٨٧٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤/٣٢٧) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بن معاذ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فَرَّجَ عَنْهُ» (١).

قال الشافعي:

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَكْدٌ وَضَمَّةُ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ
ليتصور كل واحد منا نفسه وقد حُمِلَ عَلَى أَكْتافِ الرِّجَالِ، وَوُضِعَ
فِي هَذِهِ الْحَفْرَةِ الضَّيْقَةِ الْمَظْلَمَةِ الَّتِي لَا أُنَيْسَ فِيهَا، وَلَا جَلِيسَ، وَلَا
مَالَ، وَلَا بَنُونَ، وَأَصْبَحَ الْقَبْرَ مَسْكَنَهُ، وَالتَّرَابَ فِرَاشَهُ وَالدُّودَ أُنَيْسَهُ،
فِي ذَاكَ الْمَوْقِعِ لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ، وَلَا الْمَنَاصِبُ، وَلَا الشَّهَادَاتُ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَلِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٣٧) [سبأ].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ» (٢). فينبغي للمؤمن أن يتدارك نفسه وأن يبادر بالتوبة النصوح؛ وأن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن يكون على استعداد للقاء ربه.

قال الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَ التَّقْوَىٰ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ فَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَاهِيًا وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عَلَّةٍ وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

وكم من صِغَارٍ يرتجى طُولَ عُمرهم وقد أُذخِلَتْ أجسادُهُم ظُلْمَةَ القبرِ وأختم بهذه البشارة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد بن حنبل رواه عن محمد بن إدريس الشافعي ورواه الشافعي عن مالك بن أنس ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلقُ^(١) فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعُهُ اللهُ إِلَيْ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(٢)(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي يأكل.

(٢) مسند الإمام أحمد (٥٨/٢٥)، قال محققوه: إسناده صحيح ما فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٦٣).

الكلمة الثانية والستون

فضل الدعوة إلى الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر تعالى جماعة من الأنبياء ﷺ في سورة النساء، ثم قال: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٦٥] ﴿النساء﴾.

فبيّن تعالى في هذه الآية وظيفتهم، وهي دعوة الناس إلى الله تعالى تبشيراً بالخير، وتحذيراً من الشر، قال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] ﴿دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٤٦] ﴿الأحزاب﴾ ثم أمره أن يبين لأُمَّته أن هذه وظيفته ووظيفة أتباعه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨] ﴿يوسف﴾.

فالرسل وأتباعهم مأمورون بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته، وإنذارهم عن الشرك به ومعصيته، وهذا مقام شريف، ومرتبة عالية لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على الوجه الذي يُرضي الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] ﴿فصلت﴾.

ولما عرف الصالحون شرف هذه المهمة حرصوا عليها، فلم

يسيروا إليها مشياً؛ بل سعوا لها سعياً، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ لَمَّا أُرْسِلَهُ لِقِتَالِ الْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا» (٢)، فتأمل أخي هذا الفضل العظيم، فإن الداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته وهو نائم في فراشه، أو مشغل في مصلحته؛ بل إن ذلك يجري له بعد موته، لا ينتهي ذلك إلى يوم القيامة.

وبعد ما تقدّم أذكر نفسي وإخواني ببعض الوصايا، التي أرجو أن تكون علامات يستنبطونها بها في طريق الدعوة إلى الله.

أولاً: أوصي الداعية إلى الله بالإخلاص في دعوته، وقد أرشد تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: وفيه مسائل منها:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٤).

التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه^(١)، قال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء.

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أمره الله بدعوة فرعون سأل ربه أن يرزقه حسن الإبانة عما يريد، لا ليُقَالَ خطيباً أو فصيحاً كما أخبر سبحانه أنه قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِن لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

ثانياً: على الداعي إلى الله أن يتزود بالعلم الشرعي، كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فإنه بهذا تكون دعوته أقرب إلى دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحري بمن كان كذلك أن تستجاب دعوته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي في هذا شرف العلم، أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء^(٢). اهـ.

ثالثاً: دل قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعُوا مِن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]: أن من توفر فيه هذان الأمران، كانت دعوته واجبة القبول.

وهما: ألا يأخذ على دعوته أجراً سوى ما يرجوه من ربه^(٣)، وأن يكون من المهتدين، وذلك يشمل هدايته في دعوته وهدايته في نفسه، وفي ضمن هذا التنبيه للداعي إلى الله كما يدعو الناس بقوله أن يدعوهم بعمله.

(١) كتاب التوحيد (ص ١٦).

(٢) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٣) ولا يدخل في ذلك ما يأخذه من كلف بالدعوة من أجر من بيت المال.

رابعاً: الصبر في سبيل الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن لوازم الصبر ألا يستطيل الطريق، ولا يستعجل النتائج. روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشْطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لَيَكْتُمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

خامساً: يجب أن يعلم الدعاة وغيرهم أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، يجب أن تنتشر، وأن تبلغ إلى الناس جميعاً، في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتقوم الحجة على العباد، ولكي تصل دعوة الرسول ﷺ إلى كل من بعث إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ].

وقد علم الدعاة المصلحون ورثة الرسل هذه الحقيقة، فقاموا وبينوها للناس امتثالاً لأمر ربهم حين قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

قال سماحة الشيخ الإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله، حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١).

وليس بخافٍ على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها؛ بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله؛ وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ^(٢).

وقال أيضاً: فعند قلة الدعاة وكثرة المنكرات وغلبة الجهل كحالنا

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٣٤٦١).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٤٨، ٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله كفى وصار التبليغ في حق غيره سنة؛ لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره، ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة، وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ومقالات للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٢).

الكلمة الثالثة والستون

تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أكبر الأمانات، وأعظم المسؤوليات تربية الأولاد، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم].

قال علي بن أبي طالب (رضي عنه): أدبوهم وعلموهم الخير، وعلى الأب أن يراعي في التربية الأمور التالية.

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة، وهي أول خطوة من خطوات التربية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة (رضي عنه): أن النبي ﷺ قال: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو (رضي عنه): أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٢).

ثانياً: الإخلاص لله في التربية واحتساب الأجر على الله فيما يبذل فيها من جهد أو مال، لا يقال إنه أحسن فيها، أو يشار إليه بالبنان، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٦) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١).
فالتربية عبادة من أجل العبادات، لما يترتب عليها من منافع خاصة وعامة، ولما فيها من المشقة والعناء.

ثالثاً: تعويد الأولاد على العبادات وحثهم عليها بالرفق والحسنى منذ الصغر؛ ليألفوها ويحبوها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية.

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢).
وفي رواية: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان عنده صغير، أو مملوك، أو يتيم، فلم يأمره بالصلاة فإنه يُعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير، ويعزر الكبير تعزيراً بليغاً؛ لأنه عصى الله ورسوله^(٤). اهـ.

وقال ابن القيم رحمته الله: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء،

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٧/١) برقم (٤٦٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) الفتاوى (٥١/٢٢).

وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا^(١). اهـ.

رابعًا: تجنيبهم المحرمات والمنكرات، وتحذيرهم منها، وغرس بغضها في قلوبهم لما تجره عليهم من ويلات في الدنيا والآخرة، وبعض الآباء لا يهتم بهذا، بحجة أنهم صغار وغير مكلفين، وهذا خلاف ما كان عليه المعلم الناصح ﷺ.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَيْخ، كَيْخٍ لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتُ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!»^(٢).

خامسًا: القدوة الحسنة، وهي من ضروريات التربية، فمعلوم أن الابن يعجب بأبيه ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على الآباء والأمهات والمربين أن لا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِمُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لَا تَنْهَ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

سادسًا: إبعادهم عن جلساء السوء، وتوجيههم إلى مصاحبة الأخيار والصالحين.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (ص ٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٩١).

قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(١).

وبعض الآباء هدايا الله وإياه لا يعرف أين يذهب أبناؤه، ولا من يصاحبون، ولا كيف يقضون أوقاتهم، وربما جعل هذه المهمة خاصة بالأم، ومعلوم أن الأم لا تستطيع متابعتهم في أكثر الأحوال، وأعظم وأقبح من ذلك تولية الخدم والسائقين تربية الأولاد وتوجيههم فإلى الله المشتكى.

سابعاً: إلحاق الابن بحلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في المساجد.

روى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

ثامناً: حماية الأبناء من وسائل الإعلام السيئة، فمن العوامل التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وتدفعهم إلى ارتكاب الجريمة والسير في مهوي الرذيلة، ما يشاهدونه في القنوات الفضائية وعلى شاشة التلفاز، من أفلام خليعة، وتمثيلات هابطة، وكذلك أفلام الكرتون السيئة التي تحتوي على كثير من المخالفات الشرعية في العقيدة والسلوك، مع تساهل كثير من الناس بها، وغفلتهم عما تحويه من الشرور العظيمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧/٣) برقم (٤٠٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٧).

يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

ومن الغش: إدخال هذه الأجهزة التي تفسد عليهم دينهم وأخلاقهم.

تاسعاً: تعليمهم أمور الإسلام والإيمان وغرس تعظيم الله في قلوبهم، وحبهم له، وتحبيب النبي ﷺ إليهم وبيان فضله وفضل الاقتداء به، وتعليمهم الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة كآداب اللباس، والمسجد، والطعام والشراب وأذكار الصباح والمساء، واحترام الكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، وتعويدهم على الكلام الحسن وتجنبيهم الألفاظ القبيحة، والنظافة في البدن والثياب، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

عاشراً: تعويدهم على النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً وشغل أوقاتهم بما ينفعهم والإذن لهم في اللعب المباح في أوقات محددة حتى لا يملوا.

الحادي عشر: أن يكون الأب رقيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (٢)، وأن يعدل بينهم في كل شيء، في كلامه وسلامه، ونفقته، وعطاياه، وغيرها مما يحتاجون إليه حتى لا تقع الغيرة بينهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» (٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٦٢٣).

الثاني عشر: أن يعلم الأب أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وإنما عليه هداية الدلالة والإرشاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصص].

وعليه أن يكثر من الدعاء لهم بالصلاح والهداية، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) [الفرقان].

وليحذر من الدعاء عليهم. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٢) مطوية في تربية الأبناء للشيخ عبد اللطيف بن باجس الغامدي.

خطورة الاستهزاء بالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي تخرج فاعلها من دائرة الإسلام وتوجب له الخلود في نار جهنم الاستهزاء بالله أو رسوله أو كتابه أو المؤمنين، وحيث إن الموضوع واسع المجال لمن أراد أن يتكلم فيه، رأيت إيجاز القول في العناصر التالية:

- ١ - تعريف الاستهزاء وذكر أمثلة لذلك.
 - ٢ - حكم الاستهزاء وبيان الأدلة على كفر المستهزئين وأقوال أهل العلم في ذلك.
 - ٣ - حكم توبة المستهزئ وهل تُقبل أم لا؟
 - ٤ - صور من الاستهزاء في وقتنا المعاصر.
- أما تعريفه: فإن الاستهزاء لغة: مصدر من قولهم استهزأ يستهزئ، وهو مأخوذ من مادة (هـ - ز - أ) التي تدل على السخرية، أو على مزح في خفية، أو على السخرية واللعب^(١). اهـ.

قال بعض أهل العلم: ينقسم الاستهزاء إلى قسمين - الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قُرأنا هؤلاء،

(١) ابن فارس في المقاييس (٦/٥٢)، مفردات الراغب (ص ٥٤٠).

أرغب بطوناً، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، وقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس. وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الديك، من باب السخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى، إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية^(١).

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقها حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات، وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو هذا وهابي، أو مذهب خامس أو الدين ليس في الشعر استهزاء بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله واستهزاء بالعقيدة الصحيحة^(٢). اهـ.

٢ - الاستهزاء غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له مثل الغمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٣).

أما حكم الاستهزاء فإنه كفر، وهو من نواقض الإسلام العشرة كما ذكر ذلك أهل العلم، وهو من أعظم صفات المنافقين والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٧).

(١) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

(٣) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُوِيَّا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴿التوبة: ٧٤﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

وسبب نزول هذه الآية عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة: دخل حديث بعضهم في بعض، أن رجلاً كان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُرَاتِنَا هَؤُلَاءِ أَرْعَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ» وهو يعني بقوله هذا: النبي ﷺ وأصحابه القراء ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: فكأنني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجلية، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، مَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُ عَلَيْهِ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه^(٢).

(١) تفسير ابن جرير (٤٠٣٦/٥) برقم (١٦٩٧٠)، وقال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٢٦: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام ابن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٦٤/٤) من حديث كعب بن مالك.

(٢) الفتاوى (٢٧٣/٧).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ولو قال وهو يتعاطى قذح الخمر، أو يقدم على الزنا: بسم الله استخفافاً بالله تعالى كفر^(١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «التوحيد»: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وفيه مسائل:

الأولى وهي العظيمة: أن من هزل بهذا كفر^(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً، لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجمالاً^(٣). اهـ.

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: «الذي يبغض اللحية ويقول وساخة، هل هو مرتد؟»

فأجاب: إن كان يعلم أنه ثابت عن الرسول الله ﷺ، فهذا استهزاء بما جاء به الرسول ﷺ، فحريٌّ أن يحكم عليه بذلك^(٤).

وإن من الردة عن دين الله: ما يتلفظ به بعض أبناء المسلمين من كلمات كفرية، يخرجون بها من دين الإسلام وهم لا يشعرون.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا^(٥) يَهْوِي

(١) روضة الطالبين (١٠/٦٧). (٢) (ص ٥٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١١/١٩٥).

(٥) أي ما يتفكر هل هي خير أو شر؟

بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (١).

أما عن توبة المستهزئ، فقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «القول المفيد في شرح كتاب التوحيد»: وقد اختلف أهل العلم فيمن سب الله أو رسوله أو كتابه، هل تقبل توبته أم لا؟ على قولين:

الأول: أنها لا تقبل توبته، بل يقتل كافرًا ولا يُصلى عليه ولا يدعى له بالرحمة، وهو المشهور عند الحنابلة.

الثانية: أنها تُقبل توبته إذا علمنا صدقه وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم (٢).

ومن صور الاستهزاء التي نرى ونسمع وللأسف في هذه الأيام، هذه المقالات السيئة والرسوم الساخرة، التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، ويزعمون أنها للتسلية وفيها الكفر والردة عن الدين.

أحدهم رسم ديكًا تتبعه أربع دجاجات يقصد السخرية من تعدد الزوجات، وآخر كتب مقالًا تهجم فيه على الحجاب، وزعم أنه تخلف ورجعية، وآخر سَوَّلَ له الشيطان سوء عمله فجعل القرآن شعرًا يتغنى به على أنغام الموسيقى. نسأل الله السلامة والعافية.

وينبغي أن يعلم أنه يجب الإنكار على هؤلاء المستهزئين وتنبههم على عظيم جرمهم وخطورته، فإن لم يستجيبوا فلا يجوز الجلوس معهم في مجلس واحد، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِنَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٢) (٢/٢٦٨) بتصرف.

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن الصحف والمجلات والكتب التي تنشر المقالات الإلحادية والصور الخليعة وتشيد بالكفار والفجار وأهل الفن، وهل يجوز شرائها أو بيعها أو الترويج لها؟ فأجاب: الصحف التي هذا شأنها يجب أن تقاطع وأن لا تشتري ويجب على الدولة إذا كانت إسلامية أن تمنعها لأن هذه تضر المجتمع وتضر المسلمين فالواجب على المسلم أن لا يشتريها وأن لا يروجها وأن يدعو إلى تركها، وعلى المسؤولين الذين يستطيعون منعها أن يمنعوها^(١). أ.هـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/ ١٢٧٤).

وقفة مع حديث شريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ أَحَبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

هذا الحديث الشريف اشتمل على وصايا عظيمة وجمل نافعة، من هذا الملك الكريم جبريل عليه السلام، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر.

فقوله: عِشْ مَا شِئْتَ: أي مهما طال عمرك في هذه الحياة فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ عَالٍ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

(١) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٣).

تَخْصِمُونَ ﴿٣١﴾ [الزمر].

قال كعب بن زهير:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ

وقال آخر:

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ (١)، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيُّ رَبِّ تُمْ مَاذَا؟ قَالَ: تُمْ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ (٢). فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجْرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ تُمْ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

ومن فوائد قوله: «عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ»: أن يعلم المؤمن أن الموت قد يأتيه بغتة وهو في غفلة عنه، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون].

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد للقاء ربه ولا يغتر بالحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [العنكبوت].

(١) أي ضربه والمفهوم من الحديث أنه ضربه على عينه فأخرجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْرَنَكُمْ أَلْيُوهُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر].

وقوله: «وَأَحِبُّ مَنْ أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أي أحب من شئت من زوجة، وأولاد، ومال ومنصب، وجاه، وغيرها، من متاع الدنيا فإنك عما قريب ستفارقها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).
ومن فوائد الجملة السابقة: الاستعداد لفراق الأحبة، حتى إذا وقع يكون المؤمن قد تاهب لذلك فيخف وقعه عليه.

ومنها: أن يهتم المؤمن للرفيق الذي لا يفارقه في الدنيا والآخرة، وهو عمله الصالح.

قوله: «وَأَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل].

وقد ذكر الله بذلك فأعظم الذكر، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا﴾

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ [البقرة].

قوله: «وَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامَ اللَّيْلِ» فيه إشارة إلى تعويض المؤمن عما يفوته من شرف الدنيا المنهي عن الحرص عليه، فيرتفع ذكره ويشرف قدره بقيام الليل، قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ»^(١).

وقوله: «وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»، العزة مطلب لكل نفس أبية، وإن من أعظم أسباب نيل العزة: التعلق بمن العزة بيده سبحانه، وترك التعلق بمن دونه ممن لا يزيد التعلق بهم إلا ذلاً وهواناً.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩) وقال: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/١٩٩ - ٢٠٢) برقم (٤٥٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (١).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السَّوَاكِ» (٢).

قال الشاعر:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال عمر رضي الله عنه: إِنْ الطَّمَعُ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مِنْ يَأْسٍ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ (٣).

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بَنُ وَاسِعٍ يَبُلُّ الخُبْزَ الْيَأْسَ بِالمَاءِ وَيَأْكُلُ، وَيَقُولُ: مَنْ قَنَعَ بِهَذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) الطبراني في الكبير (١١/٤٤٤) برقم (١٢٢٥٧) وقال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (١/٦٣٦): رواه البزار والطبراني بإسناد جيد.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

زكاة الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العبادات التي أوجبها الله على المسلمين في هذا الشهر المبارك زكاة الفطر وقد شرعها الله للصائمين تطهيراً للنفس من أدران الشح، وتطهيراً للصائم مما قد يؤثر فيه، وينقص ثوابه من اللغو والرفث، ومواساة للفقراء والمساكين، وإظهاراً لشكر نعمة الله تعالى على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللِّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ^(١). وتجب زكاة الفطر على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو عبداً، إذا ملك المسلم صاعاً زائداً عن حاجته وأهل بيته في يوم العيد وليلته.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ، وَالْحُرِّ وَالذَّكْرِ، وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ

(١) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

بَهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»^(١). وإن أخرجها عن الحمل تطوعاً فلا بأس بذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُعْطِيهَا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»^(٢)، وفي رواية عنه: «وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالْأَقِطُ وَالتَّمْرُ»^(٣).

وينبغي للمسلم أن يخرج أطيب هذه الأصناف وأنفعها للفقراء والمساكين فلا يخرج الرديء.

قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ۗ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾ [آل عمران].

وذهب بعض أهل العلم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله إلى أنه يجزئ عن المسلم أن يخرج زكاة الفطر من غير الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري، ما دامت هذه الأصناف من جنس ما يقتات به أهل البلد مثل الأرز وغيره^(٤).

والمراد بالصاع الوارد في زكاة الفطر أربعة أمداد، والمدُّ، أي: ملء كفي الرجل المتوسط اليدين من البرِّ الجيد ونحوه، وهو ما يساوي ثلاثة كيلو تقريباً^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥١٠).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٦٨ - ٦٩).

(٥) فتاوى اللجنة (٩/٣٦٥ - ٣٧١) برقم (٥٧٣٣ و ١٢٥٧٢).

ولإخراج زكاة الفطر وقتان.

الأول: وقت يبدأ من غروب الشمس ليلة العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ** ... الحديث وفيه قال: **وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ** (١).

الثاني: وقت إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو بيومين، **وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ** (٢).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«فَمَنْ آدَاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ آدَاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»** (٣).

وإن أخرجها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت، وهو يَأْتِمُ بِذَلِكَ (٤).

وتعطى هذه الزكاة للفقراء والمساكين، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **«طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ»**، ويجوز أن تُعْطِيَ الْجَمَاعَةَ أَوْ أَهْلَ بَيْتِ زَكَاتِهِمْ لِمَسْكِينٍ وَاحِدٍ، وَأَنْ تَقْسَمَ صَدَقَةُ الْوَاحِدِ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ مَسْكِينٍ لِلْحَاجَةِ لِذَلِكَ. وَلَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ نَقُودًا، لِنَصِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَنْوَاعِ

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥١١).

(٣) سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

(٤) انظر جامع الفقه لابن القيم (٦٩/٣)، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين (١٧٣/٦).

الأطعمة مع وجود قيمتها، فلو كانت القيمة مجزئة لبين ذلك النبي ﷺ، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يعلم أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ أخرج زكاة الفطر نقودًا مع إمكان ذلك في زمانهم، وأيضًا إخراج القيمة يؤدي إلى خفاء هذه الشعيرة العظيمة وجهل الناس بأحكامها.

والأصل أن الشخص يدفع زكاة فطره لفقراء البلد الذي يدركه عيد الفطر وهو فيه، ويجوز نقلها إلى بلد آخر فيه فقراء أشد من البلد الذي فيه المزكي، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة^(١).

أما كون الشخص يوكل أهله أن يخرجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر فليس من هذا الباب، وهو جائز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٣٦٩) برقم (٦٣٦٤).

سورة العصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

أقسم سبحانه بالعصر وهو الزمن كله، والله ﷻ أن يقسم بما يشاء
من خلقه، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله تعالى. وإقسامه ﷻ
بالعصر لما يجري فيه من الحوادث والمتغيرات، ولأنه مستودع أعمال
العباد خيرها وشرها، وأقسم ﷻ ليؤكد للعباد بأن كل إنسان في خيبة
وخسارة مهما كثر ماله وولده. وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه
الأوصاف الأربعة.

أولاً: الإيمان وهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل
بالجوارح.

ثانياً: العمل الصالح: وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن
يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً، وعطف العمل الصالح
على الإيمان وإن كان داخلاً فيه من أجل الاهتمام به، والتأكيد على أن
تصديق القلب لا ينفع بدون عمل.

ثالثاً: التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والدعوة إلى الله على بصيرة وحكمة، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل فلا يكفي أن الإنسان يقتصر على إصلاح نفسه، بل لابد أن يعمل على إصلاح غيره، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يزعم بعض السفهاء، بل إن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون الخير والنجاة للناس، وإنقاذهم من عذاب الله، وبهذه الخصلة ثبتت لهذه الأمة الخيرية التي فضلت بها على الأمم. قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

رابعاً: التواصي بالصبر، لما كان الداعي إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يلحقه أذى الناس، أمر تعالى بالصبر على أذاهم، وتحمل ما يناله من الأذى؛ وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿ يَبْنِيْ أَقْرِبَ الصَّالُوَّةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)^(١).

وهذه السورة مع وجازة ألفاظها فقد جمعت أسباب السعادة كلها، فكفى بها حجة على الخلق، وقد اشتملت على فوائد كثيرة أذكر منها:

أولاً: إقسام الله تعالى بشيء يدل على عظمته وأهميته، ففي هذا

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

القسم ينبه جل وعلا الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم سبحانه بإجزاء الوقت في مواضع أخرى، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ ١﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ ۝ ٢﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ ١﴾ و﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ ٢﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ ١﴾ و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ ٢﴾ [الضحى].

وهو مع ذلك من أفضل نعم الله على عباده.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصُّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١).

ثانياً: القسم من الله تعالى يدل على عظمة المقسم عليه وهو هذه الخصال الأربع التي لا ينال الفوز والفلاح إلا بها.

ثالثاً: فضل الإيمان ومنزلته العظيمة، حيث بدأ به وجعله أول واجب على الخلق.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُوْمِنُوا، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢).

رابعاً: أن الإيمان بالقلب لا يكفي؛ بل لابد من العمل الصالح، وفيه رد على من يقول: إن الإيمان بالقلب، وهو مع ذلك تارك للفرائض ومرتكب للمحرمات، معتد على حدود الله تعالى.

خامساً: أن العمل لا يقبل إلا أن يكون صالحاً ولا يكون صالحاً حتى يكون صاحبه مخلصاً لله فيه، وموافقاً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٥٤).

سادساً: أن التواصي يكون بالحق لا بغيره، والحق هنا هو الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، ومجانبة ما يناقضهما.

سابعاً: دل الاستثناء على أن أهل هذه الصفات هم قليل، وقد قال تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤].

ثامناً: فضل الصبر، حيث جعله سبحانه أحد الخصال التي لا ينال الفوز إلا بها، وفي هذا الحث على الدعوة إلى الله تعالى مهما لحق الداعي من المشقة والأذى، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩/٦٤) برقم (٥٠٢٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

الكلمة الثامنة والستون

الطلاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام كثرة حالات الطلاق، ففي إحصائية لوزارة العدل السعودية لعام ١٤٢٩هـ بلغت صكوك الطلاق (٢٨٨٦٧) حالة، وبلغت حالات الطلاق في منطقة الرياض (٨٢٧٤) حالة، وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة الأمر، إن لم يُتدارك.

ولذلك وجب على العلماء والدعاة وطلبة العلم تحذير الناس من هذا الأمر، وبيان خطورته، لما يترتب عليه من مفاصد من تشتت الأسر، وضياع الأولاد، وتقطع وشائج الأصدقاء والأرحام وغير ذلك، وقد رغب الشارع في الإبقاء على الحياة الزوجية، ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بالمعروف، ولو مع الكراهة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأمر النبي ﷺ بالصبر على النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «اِسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ

أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَزَلَةٌ أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتَهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ» قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (٢).

ودور المرأة في حدوث حالات الطلاق أكبر من الرجل، فهي تتحمل ما نسبته ٦٥٪ من حالات الطلاق تقريباً، وذلك لعدم الصبر والتحمل والاحتساب عند غالبيتهن، فيقارن أنفسهن بمن هن أحسن منهن حالاً في المعيشة، فيدعوهن ذلك إلى التمرد على أزواجهن، سواء باختيارهن أو بتحريض من الآخرين كالفضائيات، أو بعض وسائل الإعلام المختلفة، ولجوء هذه الوسائل إلى إفهام الزوجة بين الفينة والأخرى إلى أن الزوج متسلط وظالم، وقد سلبها حقوقها وحريتها، ولم يجعلها تواكب العصر، ومطالبتهم لمن هذه حالها بالتمرد على زوجها ومجتمعها، ودينها، بأساليب خبيثة، فتبدأ بعدم الاستجابة لمطالبه التي أوجبها الله عليها، وتضجره وتشغله بالمشاكل حتى يضيق بها ذرعاً، ويلجأ إلى التخلص من هذه المشاكل بالطلاق.

أما الأسباب الأخرى التي عرفتها بعد السؤال والتحري فهي كالآتي:
أولاً: أن بعض حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج لعدم

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨١٣).

المعرفة بين الزوجين من قبل، وذلك لعدم الرؤية الشرعية، أو لإخفاء العمر أو إخفاء بعض العيوب، أو التسرع في اتخاذ قرار الطلاق وعدم التروي فيه، أو لعدم سؤال أحدهما عن الآخر، فعندما تتكشف الأمور يلجأ أحدهما إلى الانفصال، ولذلك شرع التحري لكل من الزوجين والسؤال عن خلقه ودينه.

ثانيًا: أن يُصاب الزوجان أو أحدهما بالسحر أو بالعين فيصير أحدهما لا يحتمل الآخر ولا يطيق النظر إليه، وفي هذه الحالة ينبغي أن يلجأ كل منهما إلى الله تعالى بإخلاص الدعاء، والمحافظة على الرقى الشرعية والأدعية النبوية.

ثالثًا: أن بعض الشباب المتزوجين في مقتبل العمر، لا يحسون بالمسؤولية لأنهم لم يتحملوا تكاليف الزواج، ولذلك يتسرعون في اتخاذ قرار الطلاق، ولذلك ينبغي على ولي المرأة أن يتحرى عن حال الخاطب قبل الزواج.

رابعًا: تخلي بعض الأزواج عن مسؤولية أولادهم، ورمي الحمل على الزوجات، أو الغياب المتكرر عن المنزل، أو السهر إلى أوقات متأخرة من الليل، أو الانحراف، أو عدم الإنفاق أو الاضطهاد، فتضطر الزوجة إلى طلب الطلاق أو العكس عندما يكون ذلك من الزوجة.

خامسًا: تدخلات الوالدين أو الأقارب في مشاكل الزوجين، فيفسدون حياتهما بحسن أو بسوء نية.

سادسًا: تحميل الزوجة لزوجها فوق طاقته، وعدم قناعتها بالنفقة والسكن، أو مطالبته بالتعاضّي عن مخالفتها، كالخروج من بيته بدون إذنه، أو عدم القيام بواجباتها الشرعية نحوه.

سابعاً: اضطرار بعض المتزوجين بأكثر من زوجة إلى الطلاق لطلب الزوجة الأولى أو أهلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فبعض وسائل الإعلام تُحرّض الزوجة على ترك بيتها عندما يلجأ زوجها إلى التعدد، وتعتبر أن ذلك خيانة زوجية وظلم لها ولأولادها حتى لو كان الزوج عادلاً.

ثامناً: استيلاء بعض الأزواج على رواتب زوجاتهم العاملات، فيؤدّي ذلك إلى إثارة المشاكل، وبالتالي إلى الطلاق، وهذا لا يجوز.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الزوج إذا اضطر إلى الطلاق، فعليه أن يراعي الأمور التالية.

أولاً: أن يستخير الله تعالى، ويستشير الصالحين الناصحين من أقاربه وإخوانه، ولا يقدم على الطلاق إلا لأسباب واضحة توجب ذلك.

ثانياً: أن يكون الطلاق في حال طهر لم يجامعها فيه أو حاملاً.

ثالثاً: عليه ألا يزيد في الطلاق على واحدة اتباعاً للسنة.

رابعاً: ألا تخرج المرأة من بيتها، ولا يخرجها زوجها ما دامت في العدة.

فربما كان ذلك سبباً في صلاح حالهما، ومراجعة أحدهما للآخر

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٤/٢٩٩ - ٣٠٠) برقم (٢٠٦٩٥)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

كما أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والستون

لذة العبادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله وبعد:

فإن من منح الله لعباده، منحة التلذذ بالعبادة، وأعني بها ما يجده
المسلم من راحة النفس وسعادة القلب، وانشرح الصدر عند القيام
بعبادة من العبادات، وهذه اللذة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة
الإيمان وضعفه.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ويجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً إلى تحصيل لذة العبادة، فالنبي ﷺ
كان يقول لبلال: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(١) لما يجده فيها من اللذة
والسعادة القلبية، وإطالته ﷺ لصلاة الليل دليل على ما يجده في الصلاة
من الأُنس والسرور بمناجاة ربه، وتصديق ذلك في كتاب الله، قال تعالى:
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وبكى معاذ بن جبل عند موته فقيل له في ذلك قال: إنما أبكي على ظمأ
الهاجر وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤١)
برقم (٤١٧١).

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة^(١).

ويقول أحد السلف: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا^(٢).

وبين النبي ﷺ أن للطاعة حلاوة يجدها المؤمن.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»^(٣).

وفي رواية: «مَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»^(٤).

وإن لتحصيل لذة العبادة أسباباً منها:

أولاً: مجاهدة النفس على طاعة الله تعالى حتى تألفها وتعتادها، وقد تنفر النفس في بداية طريق المجاهدة، ولكن إذا شمر صاحبها عن ساعد الجد، وكانت عنده تلك الإرادة والعزيمة القوية، فسينالها بإذن الله، فالأمر يتطلب مصابرة وقوة تحمل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٤١)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزِقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه].

روى الترمذي في سننه من حديث فضالة بن عبيد الله رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»^(١).

قال أحد السلف: «ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك».

وقال ابن رجب: (واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجد جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها)^(٢).

قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لَصَابِرِ

ثانياً: البعد عن الذنوب صغيرها وكبيرها، فإن المعاصي حجاب تمنع من الشعور بلذة العبادة لما تورثه من قسوة وغلظة وجفاء، قال بعض السلف: (ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب).

قال ابن القيم رحمته الله: (وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين، فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية، وما توقعه من الخوف والوحشة، لعلم سوء حاله وعظيم غبنه، إذا باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف والضرر

(١) قطعة من حديث في سنن الترمذي برقم (١٦٢١)، وقال: حديث فضالة حديث حسن

صحيح.

(٢) نقلاً عن كتاب لذة العبادة (ص ١٢).

الداعي له) (١). اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا في صدرك فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة وانشراح صدر وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول) (٢).

قال سفيان الثوري: (حرمت قيام الليل بسبب ذنب أذنبته) (٣).

وسئل وهيب بن الورد فقيل له: (متى يفقد العبد لذة العبادة؟ إذا وقع في المعصية، أو إذا فرغ منها؟ قال: يفقد لذة العبادة إذا هم بالمعصية).

ثالثًا: ترك فضول الطعام والشراب والكلام والنظر، فيكفي المسلم أن يقتصر في طعامه وشرابه على ما يعينه على أداء عبادته وعمله، فلا يسرف في الأكل قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

روى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِبَطْنِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٤).

قال أحد السلف: راحة القلب في قلة الآثام، وراحة البطن في قلة الطعام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص ٣١٢).

(١) الداء والدواء (ص ٤٠١).

(٣) لذة العبادة (ص ١٨).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

وأختم بكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝۱۳﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝۱۴﴾ [الانفطار] مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم، وقد أثنى على خيله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ۝۸۳﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝۸۴﴾ [الصفات].

وقال حاكياً عنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝۸۸﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝۸۹﴾ [الشعراء].

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد^(١).

رابعاً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادة التي يقوم بها من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة إنما هي طاعة لله وابتغاء مرضاته، وأن هذه العبادة يحبها الله ويرضى عنه بها وهي التي تقربه من ربه سبحانه.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ

(١) الداء والدواء (ص ١٦٥ - ١٦٦).

حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

خامسًا: أن يستحضر العبد أن هذه العبادات لا تضيع ولا تفتنى كما تفتنى كنوز الدنيا وأموالها ومناصبها ولذاتها بل يجدها العبد أحوج ما يكون إليها، بل إنه ليجد ثمراتها في الدنيا مع ما يُدخِر له في الآخرة مما هو أجل وأعظم؛ فمن استحضر ذلك لم يبال بما فاتته من الدنيا وسُرَّ بهذه العبادات ووجد حلاوتها ولذتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾^(١١٣) [طه]. روى مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(٢) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»^(٣) الحديث.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) برقم (٣٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٨٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

الكلمة السبعون

أسباب الثبات على الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جداً، لانتشار الفتن، وقلة الناصر، وغربة الدين، ومن تلك الأسباب:

أولاً: الإقبال على القرآن العظيم حفظاً وتلاوة وعملاً، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى، أخبر تعالى أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا القرآن مفارقة هي التثبيت، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان].

ثانياً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم].

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ [النساء].

وكان النبي ﷺ يداوم على الأعمال الصالحة، وَكَانَ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَدْوَمَهُ وَإِنْ قَلَّ. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه.

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [هود].

فالأيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه مثل قصة إبراهيم، وموسى، ومؤمن آل فرعون وغيرها.

رابعاً: الدعاء، فإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(١).
كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢).

خامساً: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال]، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادساً: الدعوة إلى الله ﷻ، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم.
قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف].

والعبد إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدىً وثباتاً على الحق، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن].

سابعاً: الرفقة الصالحة: فمصاحبة العلماء والصالحين والدعاة والمؤمنين، والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وجاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً: أنه سأل عن رجل عالم فقال: «مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَّاءَ وَكَذَّاءَ، فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن دور شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في التثبيت في محنة السجن: (وكنّا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاعت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها) (٢). اهـ.

ثامناً: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام، وهذه طريقة

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

النبي ﷺ في تثبت أصحابه وهم يعذبون على الإسلام في أول الدعوة، روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت: أنه شكأ إلى النبي ﷺ ما يجده من التعذيب وطلب منه الدعاء، فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَيُثَبِّتَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

تاسعاً: الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٣) [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمِيذٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٣).

عاشراً: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتأمل المؤمن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

مَتَعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

تهون عليه الصعاب، ويزهد في الدنيا، وتشتاق نفسه إلى الدار الآخرة والدرجات العلى.

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه بالجنة ليثبتهم على التمسك بالدين والصبر عليه، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعمّار وأمه، وهم يؤذون في سبيل الله، فقال: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مستدرک الحاكم (٤/٤٧٠) برقم (٥٦٩٦) وصححه الألباني في فقه السيرة (ص ١٠٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ محمد المنجد «أسباب الثبات على الدين».

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فُرُوسٌ يَوْمِيَّةٌ

(١٥٠) دُرّاً لِلدُّعَاةِ وَالْمُطَبِّاءِ وَأُمَّةٍ الْمَسَاجِدِ لِلتَّقْرَآءِ عَلَى الصَّلَاتِ

إِعْدَادُ

و. الرَّمَيْهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّقَاوِيِّ

الجزء الثالث

وقفة مع قوله تعالى

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [آل عمران: ١٤]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ۗ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِيَكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (١).

فأما إذا كان القصد بهن العفاف، وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١).

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»^(٢).

وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة للنفقة في القربات وصللة الأرحام، والقربات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح شرعاً^(٣). اهـ.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ قال ابن جرير رحمته الله بعدما نقل اختلاف المفسرين في المراد به: والصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس، وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال ابن جرير: «المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسناً لمن رآها»^(٤).

وتربية الخيل أنواع، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

(٢) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠) و صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٦/٢) برقم (١٨٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٦/٣-٢٧).

(٤) تفسير ابن جرير - طبعة دار السلام (١٧١١-١٧١٣).

سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلَا تُغَيَّبُ شَيْئًا فِي بَطُونِهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاهَا فِي مَرْجٍ مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ كَانَ لَهُ، بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيَّبُهَا فِي بَطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّى ذَكَرَ الْأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَزْوَائِهَا - وَلَوْ اسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكْرُمًا وَتَجَمُّلاً، وَلَا يَنْسَى حَقَّ ظُهُورِهَا وَبَطُونِهَا فِي عُسْرِهَا، وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وَزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشْرًا وَبَطْرًا وَبَذْخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَلِكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ^(١).

وقوله: ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والحرث الأرض المتخذة للغراس والزراعة، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الزائلة، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾، أي حسن المرجع، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أُوتِيتُكُمْ﴾ أي قل يا محمد للناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين، وسائر ما ذكرنا: أخبركم وأعلمكم بخير وأفضل لكم من ذلك كله؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥]، أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي ماكثين فيها أبد الآباد، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، أي من الدنس والخبث والأذى، والحيض والنفاس، وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٢٧]، أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٠)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٧).

أي: يعطي كلاً ما يستحقه من العطاء.

ثم إن الله تعالى بعد ذكره الموازنة بين متع الدنيا ونعيم الآخرة، ذكر صفات المتقين الذين آثروا نعيم الآخرة الباقي على متع الدنيا الزائلة، فاسمع لصفاتهم، وتمثلها في نفسك، عسى أن تكون منهم فتفوز فوزاً عظيماً.

فأولها: الإيمان بالله وبرسوله وكتبه، المتضمن الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه للمؤمنين من الفضل العظيم، وما أعد للكافرين الغافلين من العقاب الأليم.

ثانيها: اعترافهم بذنوبهم، وعلمهم أنه لا يغفرها إلا الله ربهم.

ثالثها: إيمانهم بالنار وعذابها، وسؤالهم ربهم أن يقيهم منها.

رابعها: صبرهم عن شهوات الدنيا وملذاتها، إيماناً منهم بأن الله سيعوضهم خيراً منها، والصبر من أفضل خصال الإيمان، ولا يتم إلا باستكمال أركانه الثلاثة، وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله.

خامسها: الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والصديقون مع الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

سادسها: قنوتهم لله رب العالمين، وذلك يقتضي محبتهم له، وانكسارهم بين يديه، والتجاءهم إليه رغبة ورهبة وخشوعاً.

سابعها: إنفاقهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، لا رياءً وسمعة.

ثامنها: طلبهم المغفرة من ربهم في وقت الأسحار، حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيقول: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى! هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ! هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ! حَتَّى يَنْفَجِرَ

الصُّبْحُ» (١)، وهم يدعونهم ويسألونه ويستغفرونه، والغافلون يغطون في نوم عميق.

يقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَمَا يَخَذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

الكلمة الثانية والسبعون

نصائح عامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات].

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الذِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وهذه بعض النصائح التي أوصي بها نفسي وإخوتي.

الأولى: المحافظة على هذه الصلاة في بيوت الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة].

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

(١) برقم (٥٥).

(٢) (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩)، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٣/٣٤٣).

برقم (١٣٥٨).

وهذه الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١)، وكان من آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢)، وقال عمر رضي الله عنه يوم أن طعن، وهو يعالج سكرات الموت، وجرحه يثعب دمًا: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

الثانية: أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(٣٢) [المعارج]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣٧) [الأنفال]. روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الأَمَانَةُ»^(٣)، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور^(٤). اهـ، وقال بعضهم: عمل كل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه معصية، سواء كان ذلك في عبادة أو معاملة، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، وحفظ الجوارح أمانة، والعمل أمانة لا بد للمسلم أن يؤديه بكل إخلاص وإتقان حتى تبرأ ذمته بذلك.

والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنوح، وهود، وصالح ولوط، أخبر الله عنهم في سورة الشعراء، أن كل رسول من هؤلاء، قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(١٠٧) [الشعراء]، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بأنه الأمين.

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجة برقم (٢٦٩٧).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٣٥٣/٩) رقم (٩٧٥٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٣٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٣/١٤).

الثالثة: اجتناب المعاصي، والذنوب، فهي أساس كل شر وبلاء، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١] [الروم]. وما الذي أخرج أبويننا من الجنة دار النعيم، واللذة والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟! قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرَكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

روى الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(١).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [٥٣] [الإسراء].

روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال:

(١) مسند الإمام أحمد (٣٧/٤٦٧) برقم (٢٢٨٠٨) وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٣/٢٧٩): ورواته محتج بهم في الصحيح.

« مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ »^(١)، وقال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ»^(٢)، وقال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٤)، ولقد كان النبي ﷺ من أعظم الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) برقم (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

الكلمة الثالثة والسبعون

مفاسد العنوسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت في المجتمع في هذه الأيام كثرة حالات العنوسة، ففي إحصائية قديمة لإحدى جامعات المملكة اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي لم يتزوجن، وهن طالبات في المرحلة الجامعية يصل إلى خمسة آلاف طالبة، وفي إحصائية أخرى لإحدى الوزارات اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي بلغن سن الزواج ولم يتزوجن يصل إلى مليون ونصف امرأة. وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة هذا الأمر، وكما أحدثت هذه العنوسة من مفاسد، وأمراض نفسية، ومشاكل أسرية؟! ولقد حث الشارع على النكاح، ورغب فيه، ولو مع قلة ذات اليد، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

وهذه العنوسة لها أسباب، أذكر بعضاً منها لعل ذلك يساعد على إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

أولاً: الانشغال بالدراسة، والاعتذار بها عن الزواج حتى يكبر سن الفتاة، ويرغب عنها الكثير من الخطاب، على أنه يمكن في كثير من الأحوال الجمع بينهما كما هو مشاهد، ولو فرضنا تعذر الجمع، فإن الزواج أولى من الانشغال بالدراسة.

ثانياً: المغالاة في المهور، وما يتبعها من النفقات. قال أهل العلم: «المشروع أن يكون قليلاً ميسراً». روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»^(١)، وقال عمر رضي عنه: «لَا تُعَالُوا فِي صَدَقَاتِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا بِنْتًا مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فمن دعت نفسه على أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة، فهو جاهل أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه، فلا ينبغي له أن يصدق المرأة ما لا يقدر على وفائه من غير مشقة^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله بعد سياق بعض الأحاديث المتعلقة بالصداق: «وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته، وعسره»^(٤).

(١) مستدرک الحاكم (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال محققه: وإسناده جيد، وصححه

الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٢٧٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) زاد المعاد (٥/٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢/١٩٤).

ثالثاً: تركيز كثير من الأسر على أحوال الخاطب الدنيوية، من منصب، ومال، وجاه، فإن لم يتوفر ذلك اعتذروا عن قبوله، وإن كان من أهل الخلق والدين، وهذا مخالف لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(١).

رابعاً: استيلاء بعض الآباء الجشعين على رواتب بناتهم العاملات، وبالتالي يمنعونهن من الزواج حتى يستمروا في كسب هذه الأموال، وقد نهى الله عن عضل النساء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

خامساً: اعتذار كثير من الفتيات عن الرجل المتزوج، وهذا خطأ، فعلى المرأة أن تفكر بعقلها، فخير لها أن تبقى في ظل زوج على أن تكون عانساً في بيت أبيها، وقد سبق ذكر الحديث: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».

والنساء يفوق عددهن الرجال، وهناك المطلقة، والمتوفى عنها زوجها، والتي كبر سنها ولم تتزوج، فلو اكتفى كل رجل بزوجة واحدة لبقى كثير من النساء من غير زواج، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفيه مفسدة عظيمة، ولذلك شرع الله للرجل تعدد الزوجات، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾ [النساء: ٣].

(١) برقم (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣١٤) برقم (٨٦٥).

سادساً: أن بعض النساء المطلقات يصبن بعد طلاقهن بإحباط، فلا تفكر في الزواج مرة ثانية، وهذا خطأ، والله تعالى عند حسن ظن عبده به، وعلى المرأة أن تحسن الظن بربها، فهو مقسم الأرزاق، والموفق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (١٣٠) [النساء]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»»^(١).

قال الشاعر:

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَأَنْتَبَاهَتُهَا يُبَدِّلُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
ومن الأسباب التي بدأت تنتشر في بعض المجتمعات: عزوف بعض الشباب عن الزواج، هروباً من تحمل المسؤولية، وهذا خروج عن الفطرة وسنن المرسلين، ومنهم من يكون قليل ذات اليد، مقارنة بالأوضاع والعادات الاجتماعية، ومنهم من يكون من المنهمكين على وسائل الإعلام السيئة، التي زرعت في نفسه مع طول النظر والمتابعة تصوراً سيئاً عن النساء عموماً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٣٨).

الكلمة الرابعة والسبعون

النكت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الأمور المنكرة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام ما يُسمى بالنكت، وهذه النكت قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين، وإدخال السرور إلى قلوبهم.

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»^(١).

ومن مفسد هذه النكت ما يلي:

أولاً: الكذب، وهو من أعظم المفسد، وقد نهى الله تعالى عنه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. قال بعض المفسرين الزور: الكذب^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٢) برقم (٤١٧٥).

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٥٨٣٨).

وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب الطويل، وفيه رؤيا النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ... فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ ... قَالَ: قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ»^(٢).

وهذه النكت وإن قُصِدَ بها المزاح، فإنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أنه قال: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٣).

وهذا - والله أعلم - إذا لم تتضمن قولاً فاحشاً، أو نشر فاحشة، أو إشاعة منكر، أو استطالة في عرض مسلم، فما كان من هذا ونحوه لا شك أنه من المحرمات، كما سبق في الحديث المتقدم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١١/٣)

قال ابن مسعود: «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل»^(١) ثم تلا عبد الله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١١٦) [التوبة]، وقال أيضاً: «المؤمن يُطبع على الخلال كلها غير الخيانة والكذب»^(٢).

ثانياً: ومن مفسدها أن بعض هذه النكت تحتوي على الاستهزاء بدين الله، أو المؤمنين، وهذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٦٥) لا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وهو من نواقض الإسلام العشرة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، كفر ولو مازحاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه»^(٤).

ثالثاً: أنها تؤدي إلى السخرية بالناس واحتقارهم.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَبْسُ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١١) [الحجرات].

روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٥/٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٥/٨)، وقال محققو مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥٠٥/٣٦):
إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).
(٤) الفتاوى (٢٧٣/٧).

أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ» (١).

رابعًا: أن فيها إضاعة الوقت، وهذا الوقت سيُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟» (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (٣).

خامسًا: أن بعض هذه النكت تحتوي على الفحش وبذاءة اللسان، وهذا لا يليق بالمؤمن، لا قوله، ولا الاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: أي الكذب، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) قطعة من حديث برقم (٢٥٦٤).

(٢) برقم (٢٤١٧) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٥٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٢١).

الكلمة الخامسة والسبعون

وصايا لطلبة العلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

الوصية الأولى: الحرص على طلب العلم الشرعي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].
وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيراً». روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٢).

قال الأوزاعي: «النَّاسُ عِنْدَنَا هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ فَلَيْسُوا

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٣٤٢) برقم (٢١٥٩).

بشيءٍ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه».

وأهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية وثنوبان: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١) - وفي رواية: «قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ»^(٢).

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟».

وقال أيضاً:

دينُ النبي محمدٍ أثارُ نعمَ المطية للفتى الأخبارُ
لا ترغبنَّ عن الحديثِ وأهلهِ فالرأي ليلٌ والحديثُ نهارُ
ولربِّما جهلَ الفتى طُرقَ الهدى والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ
وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يرفع العلم، ويكثر الجهل، ورفع العلم بموت حملته.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢٠) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٣) واللفظ له.

وفي هذه الحال يكون تعلم العلم وتعليمه أوجب وأوكد، وليعلم أن رأس العلوم كلها هو كتاب الله الكريم، فلنحرص على حفظه وفهمه وتدبره، والعمل به، وكذلك تعلم سنة النبي ﷺ، والتفقه فيها، وليكن أخذنا للعلم من أهله، وهم السلف الصالحون، والأئمة المهديون، حتى لا نقع في الفتاوى المضلة، والأهواء المهلكة.

الوصية الثانية: الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «...لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

وهذا الحديث يغلط فيه بعض الناس، حيث يقوم بالدعوة، وربما تجرأ على الفتوى وهو من أجهل الناس، وقد يستدل بحديث «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢). ولم يعلم المسكين أن تبليغ آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ لا يكون إلا بعد فهمهما بمراجعة أقوال المفسرين، وشرح الأحاديث حسب الطرق الصحيحة التي سلكها أهل العلم، وبينوها لطلاب العلم.

والدعوة إلى الله ووظيفة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والمقصود بها دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل، وقال عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب معاذ بن جبل، وقد أرسله إلى أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٤٦١).

اليمين يدعوهم إلى الله تعالى: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَدَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ»^(١)، وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء»^(٣).

وقال الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «الواجب على جميع القادرين من العلماء، وحكام المسلمين، والدعاة، الدعوة إلى الله ﷻ حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا البلاغ الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسول أن يبلغوا ... إلخ»^(٤).

الوصية الثالثة: حفظ الوقت، فمن الملاحظ أن بعض الشباب لا يحرص على استغلال وقته، واغتنام شبابه ونشاطه، فتجده ينام الساعات

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩) واللفظ له.

(٢) سبق تخريجه. (٣) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة

الطوال من غير حاجة، والآخر يضيع وقته في قراءة الجرائد لفترات طويلة، وآخر في الزيارات الكثيرة، وهلمَّ جرًّا.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمَلَ فِيْمَ عَلِمَ؟»^(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسِكَ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(٢).

ويقول الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

الوصية الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٣)

[الإسراء]، روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ»^(٣)، قال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةٌ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

وبهذا كان ﷺ يوصي أصحابه، فروى الترمذي في سننه من

(١) رقم (٢٤١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٢٨٩) برقم (١٩٦٩).

(٢) مستدرک الحاكم (٥/٤٣٥) برقم (٧٩١٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٣) (٣٦٢/٤) برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).

قال ابن القيم: «جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربّه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه». اهـ^(٢)، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن، روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٣).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم. فعن أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»^(٤).

الوصية الخامسة: الثبات على هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١١) [الحجر]، أي الموت، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»^(٥)، وقد وردت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن المتمسكين بدينهم في آخر الزمان، الثابتين عليه يكونون غرباء، ولكنهم بذلك ينالون من الأجر مثل ما ناله أصحاب

(١) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٣) برقم (١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٥) سبق تخريجه.

النبي ﷺ حينما كان الإسلام غريباً، وذلك بصبرهم عليه حال الغربة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١)، وجاء في الحديث الآخر أنهم: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسٍ سَوَاءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»^(٢)، وذكر النبي ﷺ أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أومئهم، قال: «بَلْ مِنْكُمْ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ عندما ذكر ما يحصل في آخر الزمان من الفتن، قال: «الْمُتَمَسِّكُ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ أَوْ قَالَ: عَلَى الشُّوكِ»^(٤).

فأوصي نفسي، وإخواني بالثبات على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٩﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [القصص: ٨٣]، ولا شك أن المسلم في هذه الأزمنة يواجه فتن

(١) برقم (١٤٥).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣١/١١) برقم (٦٦٥٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٤) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الشهوات والملذات العظيمة، لكن من استعان بالله أعانه الله، ومن يتصبر يصبره الله، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت].

جعلنا الله وإياكم منهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الكلمة السادسة والسبعون

مخالفات يقع فيها بعض الحجاج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن على المسلم أن يحرص أن يكون حجه موافقاً لحج النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(١)، وهناك مخالفات شرعية يقع فيها بعض الحجاج، أحببت التذكير بها أداء لحق الله، وقياماً بواجب النصيحة.

أولاً: إخراج الصلاة عن وقتها، قال الإمام ابن النحاس في ذكره بعض منكرات الحجاج ومنها، وهو أعظمها فتنة، وأجلها في الدين مصيبة، وأكثرها وجوداً وبلية هو تضييع أكثرهم للصلاة في الحج، وكثير منهم لا يتركونها، بل يضيعون وقتها ويجمعونها على غير الوجه الشرعي، وذلك حرام بالإجماع^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ثانياً: ما يفعله بعض الحجاج الذين يقومون بزيارة قبر النبي ﷺ قبل الحج وبعده، من استقبال قبر النبي ﷺ، ودعائه بكشف الضر وجلب النفع، وهذا شرك ينافي التوحيد لا يرضاه الرسول ﷺ، بل نهى عنه وحذر منه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾

(٢) تنبيه الغافلين (ص ٢٨٤).

(١) برقم (١٢٩٧).

[الجن]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر مثل ما صنعوا^(١).

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢).

ثالثاً: التصوير، وهو من المحرمات التي يجهل حرمتها كثير من الحجاج، وقد نهى الرسول ﷺ عن التصوير في أحاديث كثيرة، ولعن فاعله، روى البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(٤).

هذا أولاً، وثانياً: أن بعض الحجاج يتخذ لنفسه صوراً حال إحرامه، أو رافعاً يديه يدعو، أو يقرأ، أو غير ذلك من أحوال العبادة ليطلع عليها أهله وأقاربه إذا عاد إليهم، وقد يدخل هذا في الرياء المنهي عنه، بل يخشى على فاعل ذلك أن يحبط عمله من حيث لا يشعر.

رابعاً: من أراد الحج أو العمرة فليحرم من الميقات الذي يمر به، ولا يجوز تجاوز الميقات بلا إحرام لمريد الحج أو العمرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «هُنَّ لَهُنَّ

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٩) برقم (١٨٣٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) برقم (٥٩٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٠٩).

(٤) برقم (٦٤٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٧).

وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»^(١).

وأما من يأتي عن طريق الجو في الطائرة، أو البحر في السفينة، فمن الأولى أن يحرم عند محاذاة الميقات، أو قبله بقليل احتياطاً، ولا ينتظر حتى يصل إلى جدة؛ لأن هذا مخالف لما عليه فتاوى علمائنا، كالشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وغيرهما.

خامساً: أن كثيراً من الحجاج يلزم أدعية خاصة في الطواف يقرأها من كتاب مناسك، وقد يكون مجموعة منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها، ويرددونها خلفه بصوت جماعي، وأكثر هذه الأدعية والأذكار لا تثبت عن النبي ﷺ، والدعاء بها بهذه الطريقة بدعة محدثة.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢). إضافة إلى أن فيه تشويشاً على الحجاج الآخرين.

سادساً: ومن الأخطاء العظيمة المتعلقة بيوم عرفة، أن بعض الحجاج يبقون خارج حدود عرفة حتى تغرب الشمس، ثم ينصرفون إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم؛ لأن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن يعمر: أن النبي ﷺ قال: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ»^(٣).

(١) برقم (١٥٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٨١).

(٢) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن

الترمذي (٢٦٥ / ١) برقم (٧٠٥).

سابعًا: ما يتعلق بمزدلفة، فبعض الحجاج لا يتأكد من حدود مزدلفة، ويبت خارجها، وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل، ولا يبيت فيها، ومن لم يبيت فيها من غير عذر فقد ترك واجبًا من واجبات الحج، ويلزمه دم مع التوبة، ويرى بعض أهل العلم أن المبيت بمزدلفة، وصلاة الصبح بها ركن من أركان الحج، كالوقوف بعرفة، لأن الله نص عليه، فقال: ﴿فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والنبى ﷺ سواها بعرفة حينما قال: «وَجَمَعَ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»^{(١)(٢)}.

روى الترمذي في سننه من حديث عروة الطائي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ، وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نُدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى نَفْسَهُ»^(٣).

ثامنًا: أن بعض الحجاج يوكلون من يقوم برمي الجمار عنهم، مع قدرتهم على ذلك ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام، ومشقة العمل، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حَكْمِ التَّوَكِيلِ عَنِ الْمَرِيضِ وَالْمَرْأَةِ الْعَاجِزَةِ كَالْحَبْلِيِّ وَالثَقِيلَةِ وَالضَّعِيفَةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ رَمِيَّ الْجِمَارِ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالتَّوَكِيلِ عَنْهُمْ^(٤)، أما القوية النشيطة فإنها ترمي بنفسها، ومن عجز عنه نهارًا رمى بالليل.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٣/١) برقم (٧٠٢).

(٢) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٧/٣٠٥ - ٣٠٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٨٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) فتاوى الحج والعمرة (ص ١١١ - ١١٢).

تاسعاً: أن بعضهم إذا أراد تقصير شعر رأسه يكتفي بأخذ شعرات من رأسه، أو يأخذ من جانب ويدع آخر، والصحيح أن الواجب على الحاج أن يحلق رأسه كله أو يقصره كله، هذا في حق الرجل، أما المرأة فإنها تقص من ضفائرها بقدر أنملة فقط. والأفضل أن يبدأ بالشق الأيمن في الحلق أو التقصير.

عاشراً: أن بعضهم إذا تحلل التحلل الأول حلق لحيته أو قصر منها، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذه المعصية من أكثر المعاصي شيوعاً بين المسلمين في هذا العصر، بسبب استيلاء الكفار على أكثر بلادهم، ونقلهم هذه المعصية إليها، وتقليد المسلمين لهم فيها مع نهيه ﷺ إياهم عن ذلك صراحة في قوله ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى»^(١).

وفي هذه القبيحة عدة مخالفات:

الأولى: مخالفة أمره ﷺ الصريح بالإعفاء.

الثانية: التشبه بالكفار.

الثالثة: تغيير خلق الله الذي فيه طاعة الشيطان في قوله كما حكى الله تعالى ذلك عنه: ﴿وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

الرابعة: التشبه بالنساء، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك.

وإن من المشاهدات التي يراها الحريص على دينه أن جماهير من الحجاج يكونون قد وفروا لحاهم بسبب إحرامهم، فإذا تحللوا منه فبدل أن يحلقوا رؤوسهم كما ندب إليه رسول الله ﷺ حلقوا لحاهم التي

(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٩٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٩).

أمرهم ﷺ بإعفائها، فإننا لله وإنا إليه راجعون^{(١)(٢)}.

أسأل الله أن يتقبل من المسلمين حجهم، وسائر أعمالهم، وأن يوفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر (ص ٨ - ٩)، للشيخ ناصر الدين الألباني.

(٢) انظر مخالفات الحج والعمرة للشيخ عبدالعزيز السدحان.

الكلمة السابعة والسبعون

التوبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن الأعمار تُطوى، والأيام تنقضي، والعمر قصير، والأجل قريب، ولا يدري ابن آدم متى يأتيه الموت، قال الشاعر:

أشَابَ الصَّغِيرُ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ مرور الليالي وَكُرَّ العِشْيِ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمْتَ أُخْتَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَاتُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

والله ﷻ حث عباده على التوبة قبل حلول الأجل، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ودعا سبحانه جميع عباده إلى التوبة، فدعا إليها من قال: إن الله هو المسيح، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة، ومن ادعى لله صاحبة والولد، فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها فرعون مع زعمه أنه لا إله غيره، وأنه ربهم الأعلى فقال لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ [طه].

ودعا إليها المشركين قاطبة، فقال لهم بعد الأمر بقتلهم حيثما وجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ [التوبة].

ودعا إليها المنافقين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ [النساء].

ودعا إليها من عمل أكبر الكبائر، وهي الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الفرقان].

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا فَاتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا

(١) شرح النووي (٦/٥٩).

قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١).

والمراد بالتوبة التوبة النصوح، وهي التي اكتملت شروطها.

أما شروطها فهي: الإقلاع عن الذنب، الندم على فعله، العزم على أن لا يعود إليه، وزاد آخرون: الإخلاص لله في التوبة، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو غير ذلك، وإنما رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه، فإن كان الذنب مرتباً بحق آدمي فلا بد من شرط رابع، وهو أن يبرأ من حق صاحبها.

ويشترط للتوبة ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون التوبة قبل الغرغرة، أي قبل حشجة الروح في الصدر عند دنو الأجل، وحضور الموت، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا ١٨ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾ [النساء].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»^(٢).

الثاني: أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٧).

(٢) برقم (٣٥٣٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٥/٣) برقم (٢٨٠٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

الثالث: أن تكون قبل نزول العذاب لمن عصى الله تعالى؛ لأن الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾^(٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ^(٨٥) ﴿ [غافر].

ولم يستثن من هذه السنة إلا قوم يونس، لحكمة أرادها الله سبحانه، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٩٨) ﴿ [يونس].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٣).



(٢) برقم (٢٧٠٣).

(١) برقم (٢٧٥٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد.

الكلمة الثامنة والسبعون

شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، اختصرت كلامه فيها في هذه العجالة:

فقال: وتفسير هذا أن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة، ويتخذ زوجة سالحة تعينه على إيمانه، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلونه عن الله تعالى، فهو خاسر كما قال تعالى عن الأعراب: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلَهِكُمُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) [المنافقون].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ

(١) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

فإذا مات ابن آدم، وانتقل من هذه الدار، لم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم، وما ثبت عنه من الشرع، وبما قدمه من ماله بين يديه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

فأما الصاحب الأول: الأهل، فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له، ودعا له كما تقدم، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين: أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك يدعوك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وأما الصاحب الثاني: وهو المال، فيرجع عن صاحبه أولاً، ولا يدخل معه في قبره، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره، ودخوله معه.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه قال: أتيت

النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١). قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!» (١).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَوَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحبُّ إليه. قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَوَارِثُهُ مَا آخَرَ» (٢).

فلا ينتفع العبد من ماله إلا بما قدمه لنفسه، وأنفقه في سبيل الله ﷻ، فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه، إلا أن يكون فيه نية سالحة، وقيل: بل يثاب عليه مطلقاً، وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالناس نكره الموت؟ قال: لتعظيمك الدنيا، جعلت مالك بين عينيك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحبت اللحوق به. قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

وكان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله، حتى كان يوماً راكباً على ناقة فأعجبته، فنزل عنها في الحال، وقلدها، وجعلها في سبيل الله ﷻ.

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ويكون معه إذا بعث، ويكون معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم].

قال بعض السلف في تفسير الآية السابقة: أي يمهدون لأنفسهم في القبر، فالعمل الصالح يكون مهادًا لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، بل كل عامل يفتersh عمله ويتوسده من خير أو شر، فالعاقل من عمر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريبًا لم يكن مغبونًا بل كان رابحًا.

وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمِل للآخرة على قدر مكثك فيها. قال الحسن: تبع رجل من المسلمين جنازة أخيه فلما دلي في قبره قال الرجل: ما أرى يتبعك من الدنيا إلا ثلاثة أثواب، أما والله لقد تركت بيتي كثير المتاع، أما والله إن أقالني الله حتى أرجع لأقدمه بين يدي، قال: فرجع فقدمه والله بين يديه، وكانوا يرون أنه عمر بن عبد العزيز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فضل التذكير إلى الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم من الطاعات والعبادات ما يتقربون بها إليه سبحانه، ومن تلك الطاعات والقربات التذكير إلى الصلوات الخمس التي جعلهن بفضلها خمسًا في العمل، وخمسين في الأجر والثواب.

والتذكير إلى الصلوات الخمس من الطاعات التي غفل عنها كثير من المصلين في هذا الزمان، فلا يحضرون إلا عند الإقامة، أو بعد الشروع في الصلاة.

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة، وأصدقها في التذكير إلى الصلاة، يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه: «ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها، وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»، ويقول سعيد بن المسيب: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وما فاتتني صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة»، قال الذهبي: «هكذا كان السلف في الحرص على الخير»^(١).

(١) منجد الخطيب، مأخوذ من سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

ومن فضائل التكبير إلى الصلوات:

أولاً: استغفار الملائكة لمن ينتظر الصلاة، وكونه في حكم المصلي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «الملائكة تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ (١) مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تُحِبُّهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ» (٢).

ثانياً: إدراك الصف الأول، وما فيه من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» (٣).

ثالثاً: إدراك تكبيرة الإحرام، وهي من أفضل التكبيرات، ومفتاح الصلاة، روى الترمذي من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» (٤).

رابعاً: الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب، روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ

(١) أي تستغفر له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٧).

(٤) برقم (٢٤١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٣١٤) برقم (٢٦٥٢).

وَالْإِقَامَةَ»^(١).

خامسًا: الدنو والقرب من الإمام، وهذه فضيلة عظيمة، روى الإمام أبو داود من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احضُرُوا الذُّكْرَ، وَاذْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَّبَعُهُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا»^(٢).

سادسًا: إدراك السنن القبلية التي قبل الصلاة، كسنة الفجر، روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٣). وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا رَكَعَتَيْنِ^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَ عَلَى النَّارِ»^(٥)، وروى أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»^(٦).

سابعًا: الحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، فالسعي الذي يفعله كثير من الناس لإدراك الصلاة يفوتهم السكينة والوقار، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَأَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا،

(١) برقم (٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٠٥) برقم (٤٨٩).

(٢) برقم (١١٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٠٦) برقم (٩٨٠).

(٣) برقم (٧٢٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٤٢٤) وقال: حديث حسن.

(٥) برقم (١٢٦٩): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٣٦) برقم (١١٣٠).

(٦) برقم (١٢٧١): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٣٦) برقم (١١٣٢).

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» (١).

ثامناً: قراءة الأذكار والاستغفار، وذكر الله ﷻ بين الأذان والإقامة، فلو حضر المصلي إلى المسجد مبكراً لأمكنه على أقل تقدير أن يقرأ عشرين آية، وفي اليوم مئة آية، وفي الأسبوع سبعمئة آية، وفي الشهر ثلاثة آلاف آية، وهذا خير كثير، والحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وينبغي للمؤمن أن يُعوِّد نفسه على التبكير إلى المسجد حتى يسهل عليه، ويجد الراحة، والسعادة في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال: «... لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).

(٢) جزء من حديث برقم (٤٣٨).

الكلمة الثمانون

أسباب انشراح الصدر

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن ضيق الصدر، وما ينتاب المسلم من هموم وغموم، وأحزان أمور لا يكاد يسلم منها أحد.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «فكرت في سعي العقلاء، فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا في اللغو واللعب، وغير ذلك، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقًا موصلاً إليه، ولعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، وإنما الإقبال على الله وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء ضده، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق، وأوصل منه على لذته، وسعادته»^(١).

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أسباب شرح الصدر، فقال:

أولاً: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْفَنَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

(١) الجواب الكافي (ص ١٧١ - ١٧٢)، وقد لخصه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿ [الأنعام: ١٢٥]، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

ثانياً: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وخرج، فصار في أضيق سجن وأصعبه، فنصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام].

ثالثاً: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشراح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم الموروث عن النبي ﷺ، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

رابعاً: الإنابة إلى الله ﷻ، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل]، حتى يقول أحيانًا: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحال، فإني إذا لقي عيش طيب، وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، ولا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله ﷻ وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٦٤﴾ [طه]،
فإن من أحب شيئاً غير الله عذب، وسجن قلبه في محبته ذلك الغير.

خامساً: دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير
عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه
وحبسه وعذابه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد].

سادساً: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه
والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرًا،
وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق
الناس، وأنكدهم عيشًا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ
حَدِيدٍ، قَدْ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَكُلَّمَا هَمَّ الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَتِهِ
اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تُعْفَى أُنْزَرَهُ، وَكُلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ انْقَبَضَتْ كُلُّ
حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا، وَتَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ وَأَنْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ، فَسَمِعَ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: فَيَجْتَهَدُ أَنْ يُوسَّعَهَا فَلَا تَتَّسِعُ»^(١).

سابعاً: الشجاعة، فإن الشجاع منشراح الصدر، وامتسع القلب،
والجبان أضيق الناس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا
لذة له إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها
وابتهاجها فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل.

ثامنًا: إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه

(١) البخاري برقم (٢٩١٧)، ومسلم برقم (١٠٢١).

وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى بالأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل.

تاسعاً: ترك فضول النظر والكلام، والاستماع والمخالطة، والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل ألماً وغمومًا وهمومًا في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه، فلا إله إلا الله ما أضيقت صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، ولا إله إلا الله ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة، وكانت همته دائرة عليها، فلهذا نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) [الانفطار]. ولذلك نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤) [الانفطار].

والمقصود أن النبي ﷺ كان أكمل في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحًا ولذة، وقرّة عين، وعلى حسب متابعتة ينال العبد من انشراح صدره وقرّة عينه، ولذة روحه ما ينال..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) انظر: زاد المعاد (٢/٢٣ - ٢٨).

كفارات الذنوب

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن أفضل ما يتمناه المسلم أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له ذنوبه، وضاعف له في حسناته.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل للإنسان أعداء يزينون له الذنوب، ويهونونها عليه، ويبعدونه عن الخير، وهم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

ومن رحمة الله بعباده أن هيا لهم أسباباً يكفر بها عنهم الذنوب، ويمحوها، وهذه الكفارات الماحيات هي الأقوال والأعمال التي شرعها في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمن ذلك:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١).

ثانياً: اجتناب الكبائر من الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٢).

ثالثاً: التوبة الصادقة، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٣).

رابعاً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ

(٢) برقم (٢٣٣).

(١) برقم (٢٥٦٥).

(٣) برقم (٤٢٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٩/٢) برقم (٣٤٢٧).

عَفُورًا رَجِيمًا ﴿١٠٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [المزمل].

روى الإمام أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «... يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» (٢).

خامسًا: الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حمران مولى عثمان رضي الله عنه قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ، ثم قال: إن ناسًا يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث لا أدري ما هي؟ إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ، وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً» (٣).

سادسًا: الصلاة، والمشي إليها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ

(١) برقم (١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٥٧٧). (٣) برقم (٢٢٩).

الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرَّبَاطُ»^(١).

سابعًا: الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢٧١) [البقرة]، روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٢).

ثامنًا: الحج والعمرة، روى النسائي من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

تاسعًا: المصائب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَارْبُؤُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا»^(٤).

عاشرًا: صيام رمضان وقيامه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٥)، وروى البخاري

(١) برقم (٢٥١).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٢٦٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٥٨/٢) برقم (٢٤٦٧).

(٤) برقم (٢٥٧٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

الكلمة الثانية والثمانون

الحسد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهاي عنها: الحسد، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة منه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [الفلق].

قال: الراغب: الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها^(١)، والحسد من صفات أشر عباد الله اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ⑤﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ⑥﴾ [النساء: ٥٤]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢)، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن جبريل عليه السلام

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ١١٦).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

أتى النبي ﷺ، فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَزْقِيكَ»^(١).

قال ابن رجب: الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ويسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس، حيث حسد آدم ﷺ لما رآه قد فاق على الملائكة بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أخرج منها، ومنهم من يحدث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده في نفسه مستروحاً تمنى زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، وقسم آخر إذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية، فلا خير في ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْرُونَ إِنَّهُ لَدُوْحٌ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ٧٩]. وإن كانت فضائل دينية فهو حسن، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ

اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ»^(١). وهذا هو الغبطة، وسماه حسداً من باب الاستعارة، وقسم آخر إذا وجد من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيراً منه، وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه. اهـ^(٢)، قال ابن سيرين: «ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟!». اهـ.

وقال أبو الدرداء: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده». وقال ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»، وقال معاوية رضي الله عنه: «كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها»، ولذلك قيل:

كُلُّ الْعِدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ

وقال آخر:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأَتِ الْأَدَبَ
أَسَأَتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجْهَ الطَّلَبِ

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، (ص ٢٦٠ - ٢٦٣).

النبي ﷺ قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأْتُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، وَجَاءَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا تَبِعَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي أَوَيْتُ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ؟ فَأَقْتَدَيْتُ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعدة أمور:

- ١ - التعوذ بالله من شره، والتحصن واللجأ إليه.
- ٢ - تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].
- ٣ - الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

(١) برقم (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٦١).

(٢) (١٢٥/٢٠) برقم (١٢٦٩٧) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- ٤ - التوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه.
- ٥ - الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه في خواطر نفسه.
- ٦ - تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.
- ٧ - الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً في دفع العين وشر الحاسد.
- ٨ - وهو من أصعب الأسباب، إطفاء نار الحاسد بالإحسان إليه.
- ٩ - تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، الذي أَرْمَتْهُ الْأُمُورُ بِيَدِهِ سَبْحَانَهُ^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التفسير القيم لابن القيم (ص ٥٨٥ - ٥٩٣).

المعاصي وعقوباتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها.

قال ابن القيم رحمته الله: وهذه المعاصي لها أضرارٌ على القلوب، كضرر السموم على الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه المعاصي والذنوب، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء فطرده ولعنه وأبدله بالرحمة لعناً، وبالإيمان كفرةً؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ إنها المعاصي والذنوب!!^(١).

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٧ - ٣٨) بتصرف.

قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وهذه الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِن يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢]. أي صغائر الذنوب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ! قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»^(١).

ومن الناس من يتساهل في الذنوب والمعاصي، ويقول: ما دمت أودِّي أركان الإسلام وفرائضه فالذنوب أمرها سهل، والله غفور رحيم، وهذا الكلام ليس بصحيح، فإن الله غفور رحيم، وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره، قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّبَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى محذراً من معصية نبيه ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٦).

وقال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(١)، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ»^(٢). قال أبو عبد الله البخاري: يعني بذلك المهلكات.

ومعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة في معركة أحد، عندما أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَنْزِلُوا مِنَ الْجَبَلِ، فَعَصَوْهُ وَنَزَلُوا، فَقُتِلَ سَبْعُونَ، كما جاء في الصحيح^(٣).

ومعصية واحدة كانت سبباً في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمَهَا وَلَمْ تَدَعَهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٤).

بل إن العبد ليتساهل بالكلمة التي تخرج من فمه، ولا يلقي لها بالاً، تكون سبباً لدخوله النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٦٤٩٢).

(٣) البخاري برقم (٣٩٨٦).

(٤) البخاري برقم (٣٣١٨)، ومسلم برقم (٢٢٤٢).

(٥) البخاري برقم (٦٤٧٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٨) واللفظ له.

ومعصية واحدة أخرجت آدم من الجنة، قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي درك الجنان بها وفوز العابد
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
قال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ومن عقوبات المعاصي - وهي كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» - فمنها:

أولاً: أنها تورث الذل لصاحبها، فإن العز كل العز بطاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»^(١). وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية». وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مَنْ عَصَاهُ»^(٢). وفي دعاء القنوت: «إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ»^(٣) ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ١٤٤) برقم (٤١١).

عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته»^(١). قال النبي ﷺ للأنصار: «يا معشر الأنصار! ألم تكونوا أذلةً فأعزكم الله؟» قالوا: صدق الله ورسوله^(٢).

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدِ يُوْرُ الثُّذَلُ إِذْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

ثانيًا: أنها تورث الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد وبين الناس، ولو اجتمعت للعبد لذات الدنيا كلها لم تذهب تلك الوحشة، قال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق»^(٣).

ويشهد لكلام ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(١١٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا^(١١٥) [طه].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

ثالثًا: ومن عقوباتها: أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها

(١) الداء والدواء (ص ٢٧٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) الجواب الكافي (ص ٤٩).

فكان من الغافلين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين]»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٣٣٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الرابعة والثمانون

التقوى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

في هذه الآية الكريمة وصى الله سبحانه جميع خلقه الأولين والآخرين بأن يتقوه، وخص سبحانه المؤمنين بوصية التقوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

قال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترواً من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليُمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»^(١). اهـ.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١).

قال شيخ الإسلام: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

قال الشاعر:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما زالت التقوى بالمتقين، حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

وقد ذكرت التقوى في كتاب الله في أكثر من مائتين وخمسين موضعًا، بل إنه قد تكرر الأمر بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثًا، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].

والمتقون هم أولياء الله وأحبابه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس]، والمتقون هم أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، روى الإمام

أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة رضي الله عنه قال: حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟» قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يوصي أصحابه بالتقوى، ويبدأ بها خطبه ووصاياه، روى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا» ^(٢)، وقال للصحابي أبي ذر كما في سنن الترمذي: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» ^(٣) الحديث.

فطريق السعادة، والعز، والكرامة، والنصر هو التقوى، وإنما تأتي المصائب، والبلايا، والمحن بسبب إهمال التقوى، وإضاعته، أو إضاعة جزء منها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بِرِكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومن ثمرات التقوى:

أولاً: معية الله للمتقين، بالنصر والحفظ والإعانة والمحبة والتوفيق، وهذه منقبة عظيمة للمتقين، فلو لم يكن للمتقين إلا أنهم حازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/٤٧٤) برقم (٢٣٤٨٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٧٣١).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل].

ثانيًا: حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

ثالثًا: غفران الذنوب، ومعرفة الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

رابعًا: التقى يجعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

خامسًا: التقى يوفق للعمل النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

سادسًا: قبول الله تعالى من المتقين الأعمال الصالحة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه، فعمله خالصًا لله، موافقًا لأمر الله، فمن اتقاه في عمل تقبله منه، وإن كان عاصيًا في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعًا في غيره»^(١). اهـ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنه لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

سابعًا: ولاية الله تعالى بالتقوى، فإنه بالتقوى تنال ولاية الله، فمن اتقى الله فلا خوف عليه فيما يستقبل، ولا حزن ولا أسف على ما

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٢/١٠).

مضى، فإنه سبحانه يعوضه خيراً مما فاته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

ثامناً: تيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]؛ أي: من اتقى الله يسر الله له الأمور، وسهل عليه كل أمر عسير.

تاسعاً: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

عاشراً: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُنْقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿وَنُجِّىَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٦١] ثُمَّ نُجِّىَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [٧٢] [مريم].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



تحريم الغناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان].

صح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما فسرا ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾: بالغناء، وحلف ابن مسعود ثلاث مرات، فقال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾: هُوَ الْغِنَاءُ»^(١).

وقال أيضاً: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله معلقاً على تفسير ابن مسعود وغيره للآية السابقة بأن المراد بها الغناء: فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه فعلتهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وُجد إليه سبيل^(٣).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن

(١) تفسير ابن كثير (٤٦/١١) طبع وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢) إغاثة اللفهان (١/٣٥٩).

(٣) إغاثة اللفهان (١/٣٦٨).

النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْجِرَّ»^(١) وَالْحَرِيرَ وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ^(٢) يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ^(٣) لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا عَدَا، فَيَبِيئُهُمُ اللَّهُ^(٤) لَيْلًا، وَيَضَعُ الْعِلْمَ^(٥) عَلَيْهِمْ، وَيَمْسُحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٦).

فهذا الحديث يخبر عن أمر عظيم، وهو إهلاك بعض الأمة بأنواع من الهلاك، بسبب ما يرتكبون من الأمور ظاهرة التحريم، ومنها استحلالهم لآلات الملاهي المحرمة شرعاً، وهي في وقتنا المعاصر مثل: الكمنجا، والعود، والطبل، والبيانو، والربابة، والمزمار، وغيرها من المعازف، ودلالة الحديث على التحريم من وجهين:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «يَسْتَحِلُّونَ» أي يصيرونها حلالاً بعد حرمتها، ففيه التصريح بأن المذكورات في الحديث محرمة، ومنها المعازف.

الثاني: قرن المعازف مع الشيء المقطوع بحرمة بإجماع المسلمين، وهو الزنا وشرب الخمر، ولبس الحرير، وهو دليل على حرمتها.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْحٌ»، فقال رجل من المسلمين: متى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ»^(٧).

(١) الحر: أي الزنا.

(٢) علم: أي جبل.

(٣) بسارحة: أي ماشية لهم.

(٤) فبيئتهم الله: أي يهلكهم ليلاً.

(٥) يضع العلم: أي يسقط الجبل عليهم.

(٦) برقم (٥٥٩٠).

(٧) برقم (٢٢١٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٤٢) برقم

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد توعد الله سبحانه مستحلي المعازف بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسحهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسط في الذم والوعيد». اهـ^(١).
قال الشاعر:

فهذا الحقُّ ليس به خفاء فدعني عن بُنيّات الطَّرِيق

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ما خلاصته: «وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقاد أن الرسول حرمها كانوا كفارًا، ولم يكونوا من أمته»^(٢). اهـ.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على تحريم المعازف، ولو أتلّفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف، بل يحرم عندهم اتخاذها. ولما سئل الإمام مالك عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ قال: إنما يفعله عندنا الفساق^(٣).

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عنه قال: «الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»^(٤).

وأما مذهب أبي حنيفة، فهو من أشد المذاهب، فقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقصب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق وتُرد به الشهادة^(٥).

وقد انتشر الغناء وللأسف في مجتمعنا، فالأغاني في التلفاز والقنوات الفضائية والمسجل والراديو، وغيرها من آلات اللهو.

قال يزيد بن الوليد: «إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢٨٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٤٧٨). (٣) إغاثة اللهفان (١/٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (١/٣٤٨). (٥) إغاثة اللهفان (١/٣٤٥).

الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر. وقال: فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا، أو رقية الزنا»^(١).

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرَّق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه، ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطي الليان، فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع من البلايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وكم خبأ لأهله من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلية؟!»^(٢).

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فدع صاحب المزمار والدف والغنا
ودعه يعيش في غيه وضلاله
وفي تنننا يوم المعاد نجاته
سيعلم يوم العرض أي بضاعة
ويعلم ما قد كان فيه حياته
وما اختاره عن طاعة الله مذهبًا
على تاتنا يحيا ويُبعث أشيبا
إلى الجنة الحمراء يُدعى مُقربًا
أضاع وعند الوزن ما خفَّ أو ربًا
إذا حُصِّلت أعماله كلها هبًا

ومما تقدم من الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، وأقوال أهل العلم، يتبين تحريم الغناء، وأنه من كبائر الذنوب، فيجب على

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٥).

(٢) إغاثة اللهفان من وساوس الشيطان (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

المؤمن أن ينأى بنفسه عنه، فإنه لا يجتمع كلام الرحمن، ومزمار الشيطان في قلب امرئ أبداً.

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسميه أصحاب التسجيلات «الأناشيد الإسلامية»، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «تَحْرِيمُ آيَاتِ اللّٰهُ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْأَدْلَةَ عَلَى تَحْرِيمِ الْغَنَاءِ: «وَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِمَا حَرَّمَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْعُلَمَاءُ الْغَنَاءَ الصُّوفِيَّ، وَاشْتَدَّ انْكَارُهُمْ عَلَى مُسْتَحْلِهِ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْقَارِئُ فِي بَالِهِ هَذِهِ الْأَصُولَ الْقَوِيَّةَ، تَبَيَّنَ لَهُ بِكُلِّ وَضُوحٍ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْغَنَاءِ الصُّوفِيِّ، وَالْأَنَاشِيدِ الدِّينِيَّةِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ فِي هَذِهِ آفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهَا قَدْ تَلْحَنُ عَلَى أَلْحَانِ الْأَغَانِي الْمَاجِنَةِ، وَتَوَقَّعَ عَلَى الْقَوَائِنِ الْمَوْسِيقِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَوْ الْغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَطْرَبُ السَّامِعِينَ وَتَرْقِصُهُمْ، وَتَخْرِجُهُمْ عَنْ طَوْرِهِمْ، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ هُوَ اللَّحْنُ وَالطَّرْبُ، وَلَيْسَ النِّشِيدُ بِالذَّاتِ، وَهَذِهِ مُخَالَفَةٌ جَدِيدَةٌ، وَهِيَ التَّشْبِيهُ بِالْكَفَّارِ وَالْمَجَانِّ، وَقَدْ يَنْتُجُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ التَّشْبِيهُ بِهِمْ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ، وَهَجْرِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَدْخُلُونَ فِي عَمُومِ شِكَايِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والثمانون

تحريم الزنا وأسبابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۖ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ﴾ [الإسراء].

فالآيات السابقة بين الله فيها أن من صفات عباده المؤمنين عدم الإشراف به، وعدم قتل النفس المحرمة، وأنهم يحفظون فروجهم عن الفواحش، وحذر من أنه من يقدم على هذه الفواحش فإن مصيره الخلود في العذاب المضاعف المهين، ما لم يرفع ذلك بالإيمان، والعمل الصالح، والتوبة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ﴾ [٦٨] إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ﴾ [٧٠] وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُا إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۗ﴾ [الفرقان].

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، فقد قرنه الله بالشرك، وقتل النفس، لما فيه من إضاعة الأنساب، وانتهاك الحرمات، وإشعال العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك خراب للعالم، ولهذا كان الزاني المحصن من الثلاثة الذين أحل الله دماءهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَخْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ»^(١). وقد توعدده النبي ﷺ حين قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ كَالظِّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»^(٣).

وفي صحيح البخاري، في حديث النبي ﷺ الطويل، وفيه: جاء جبريل وميكائيل إلى النبي ﷺ قال: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ. قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا (أَي: صَاحُوا مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ). فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ، وَالزَّوَانِي»^(٤).

(١) البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٨٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

(٣) برقم (٤٦٩٠) وقال الذهبي في كتاب الكبائر (ص ٦٠): هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم.

(٤) برقم (٧٠٤٧).

ولذلك أخذ النبي ﷺ البيعة من أصحابه على أن لا يقعوا في هذه الفاحشة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا»^(١) الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «ولا أعلم بعد قتل النفس ذنبًا أعظم من الزنا»، وقال المنذري رَحِمَهُ اللهُ: «صح أن مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن، ولا شك أن الزنا أشد، وأعظم من شرب الخمر».

ولما حرم الله الزنا حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها: أولاً: إطلاق البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، والنظر يكون في الأسواق، والأماكن العامة، وعبر شاشات القنوات الفضائية، والمجلات الهابطة، والتلفاز، وغيره.

ثانياً: خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وهذا التبرج باب عظيم يؤدي إلى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثالثاً: دخول الرجال الأجانب على المرأة، وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها، وأقارب أبويها، فإنهم يترددون غالباً، وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم، روى البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٢)، والحمو هو قريب الزوج.

(١) البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

رابعًا: ما يحدث من بعض المجتمعات الإسلامية من إقامة الحد على الضعيف، وتركه عن القوي، فإن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا، وهذا الذي فعله بنو إسرائيل، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ»^(١).

خامسًا: تأخير من بلغ من الشباب، والشابات عن الزواج، فإنه بمجرد بلوغه تشتد عنده الشهوة، فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئها به، فربما يلجأ إلى الحرام الذي يجلب له العار في الدنيا، والخزي في الآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٢)، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضُّونَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»^(٣).

سادسًا: انتشار آلات اللهو، والفساد في البيوت، فالغناء هو بريد الزنا، والأفلام الخليعة التي تحكي الغرام بين الرجل والمرأة، عبر القنوات الفضائية الفاضحة، أو المواقع الإباحية في الإنترنت، أو مقاطع البلوتوث التي أساء استخدامها بعض الشباب، وصاروا يتداولون فيها الصور العارية كل ذلك مما يدعو إلى الفاحشة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

(٢) البخاري برقم (٥٠٦٦)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

(٣) سبق تخريجه.

سابعاً: انحراف بعض الرجال، وخيانتهم لزوجاتهم بمعاشرة النساء الأجنبية على غير الوجه الشرعي، فيكون هذا مدعاة لأن تقابل الزوجة زوجها بمثل ما قابلها به، وفي هذا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يا هاتكاً حُرِّمَ الرجال وتابعاً طُرُقَ الْفَسَادِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لو كنت حُرّاً من سُلالَةٍ ماجِدٍ ما كنت هَتاكاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
من يَزنٍ في قومٍ بِألفي دِرْهَمٍ في أهله يُزنى بِربعِ الدرهمِ
إن الزنا دَيْنٌ فإن أقرضتهُ كان الوفاً من أهل بيتك فاعلمِ

وهذا الزوج الفاسق هو الذي سن هذه السيئة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان له وزرها، ووزر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (١).

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسمى بجوال الكاميرا، وكم حدثت مفاسد منه، فكم من نساء محصنات غافلات صورن فيه، وكم من أعراض انتهكت عن طريقه، كم هدم من بيوت، وشتت من أسر، وجلب من مآسٍ؟! فينبغي للمؤمن أن يحذّر أهله منه، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين (٣).



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٧).

(٢) البخاري برقم (٢٥٥٤)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد حفظه الله.

الاستخارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري، والترمذي، والنسائي من حديث جابر رضي عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ، وَيُسَمِّيهِ - شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»^(١).

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على دعاء الاستخارة: «أن المراد هو حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع، ولا أنجح من

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٨٢)، وسنن الترمذي برقم (٤٨٠)، والنسائي برقم (٣٢٥٣).

الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مآلاً وحالاً»^(١).

وقال بعض أهل العلم: يجوز تكرارها - أي الاستخارة - في الأمر الواحد، وممن ذهب إلى جواز ذلك الحافظ العراقي، ومال إلى ذلك الشوكاني في النيل، فقال: قد يستدل للتكرار بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا، دَعَا ثَلَاثًا، حديث صحيح. هذا وإن كان المراد به تكرار الدعاء في الوقت الواحد، فإن الدعاء الذي تسن الصلاة له تكرر الصلاة له، كالاستسقاء^(٢). اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم»^(٣). اهـ.

قال الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني: إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرح نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح نفسه. وقال: وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس^(٤). اهـ.

تنبيه: الاستخارة تكون في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، سواء كان متردداً فيه أم جازماً، وليس كما يظن البعض أن الاستخارة في الأمر الذي يتردد فيه، لأن الاستخارة طلب التوفيق، والنتائج لا يعلمها إلا الله، وكم من أمر ظن صاحبه أن فيه خيراً فكان فيه هلاكه، وكم من أمر ظن

(١) فتح الباري (١١/١٨٦).

(٢) نيل الأوطار (٢/٩٠).

(٣) الكلم الطيب لابن تيمية (ص ٧١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٩/٢٠٦).

صاحبه أن فيه سرًا، فكان فيه نجاته؟! وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن فوائد الاستخارة وثمراتها:

أولاً: إنها دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷻ، وتوكله عليه في سائر أحواله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلْ أَلَمْؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلَبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ [الشعراء].

ثانياً: الاستخارة تزيد ثواب المرء، وتقربه من ربه، وذلك لما تتضمنه من الصلاة والدعاء، وفي الحديث: قلت: فما الصلاة يا رسول الله؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ»^(١).

ثالثاً: في الاستخارة مخرج من الحيرة والشك، وهي مدعاة للطمأنينة وراحة البال، لأن العبد يفوض أمره إلى ربه الذي أزمه الأمور بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

رابعاً: حصول الخير ودفع الشر؛ لأن ما يختاره الله لعبده أفضل مما يختاره العبد لنفسه؛ لأنه سبحانه هو العالم بمصالح عباده، العالم بغيبات الأمور.

خامساً: حصول البركة في الأمر الذي سيقدم عليه، والبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وفي حديث الاستخارة

(١) جزء من حديث في مسند الطيالسي (١/٦٥) برقم (٤٧٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ (٣٨٧٠).



السابق: «وَبَارِكْ لِي فِيهِ».

سادساً: أن المرء قد يحتقر شيئاً لصغره، ويكون في فعله أو تركه ضرر عظيم، ولذلك شرعت الاستخارة في الأمور كلها^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نيل الأوطار للشوكاني (٢/٨٨) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية.

الكلمة الثامنة والثمانون

وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكَاهَةٌ لَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾﴾، قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم لما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم. قال ابن عباس: فاكهون: أي فرحون، وقال بعض المفسرين: أي في شغل مفكه للنفس ملذ لها من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك نكاح زوجاتهم الأبيكار من الحور العين في الجنة اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان، وحسن الأخلاق»^(١).

قوله تعالى: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي في ظلال الأشجار على السرر المزينة باللباس المزخرف الفاخر الحسن، متكئون عليها اتكاءً يدل على كمال الراحة، والطمأنينة، واللذة.

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩)، وتفسير ابن سعد (ص ٨١٩).

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي فاكهة كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون: أي يطلبون فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكدته بقوله: ﴿قَوْلًا﴾، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك الرب العظيم الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته الذين أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، وألا تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور لحصل ذلك، فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم^(١). اهـ.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن في الجنة أزواجاً مطهرة يتلذذ الإنسان ويتمتع بهن مع الجلوس على الأرائك، والاتكاء عليها، وتقديم الفواكه من الولدان والخدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: «مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبزاق، والمني، والولد».

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظَّرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن]، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالْجَمَاعِ، وَالشَّهْوَةِ»^(٢). فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ».

قال الشاعر:

وَجَنَاتُ عَدْنٍ زُخِرْفَتْ ثُمَّ أْزَلِفَتْ لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلْ
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلْ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلْ
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهَوْنَهُ إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرَ بَدَلُوا

ثانيًا: إن في الجنة أنهارًا وفواكه، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافًا عظيمًا، لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة]. قال ابن عباس: «لَا يُشْبَهُ شَيْءٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي

(١) البخاري برقم (٢٧٩٦)، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤) وقال محققوه: حديث صحيح.

الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءَ». روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)» (١).

ثالثاً: إثبات كلام الرب تعالى لأهل الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحييتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام. أي: يوم يسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس]» (٢).

رابعاً: أن رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في الجنة، ورضاه عنهم أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب الرومي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تعالى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ صلى الله عليه وسلم»، زاد في رواية: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا

(١) البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٣) برقم (١٨١).

(٢) تفسير ابن كثير (١١/١٨٤).

رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

خامسًا: أن أهل الجنة كلما طلبوا شيئًا وتمنوه أدركوه، روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَحْذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْحَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبًّا!! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(٢).

قال: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩).

(٢) برقم (١٨٩).

تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ [الطور].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن فضله، وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع ناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله، ومنزلته للتساوي بينه، وبين ذلك. اهـ (١).

قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾ الْآيَةَ (٢).

قال ابن كثير: وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء،

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» ^(١) ^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» ^(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ^(٢١) [الطور]؛ لما أخبر تعالى عن مقام الفضل، ورفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر تعالى عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، فقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ ^(٢١) أي: مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ ^(٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ ^(٣٩) فِي جَنَّتٍ يَسَاءَلُوْنَ ^(٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ ^(٤١) [المدثر].

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها قيدت إلحاق ذرية المؤمن إلى درجته في الجنة بالإيمان، أما إذا كانت على غير الإيمان، فإنها لا تنتفع بصلاح الآباء، والأبناء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

(١) المصدر السابق (١٣/٢٣٢).

(٢) (١٦/٣٥٦ - ٣٥٧) برقم (١٠٦١٠)، وقال محققوه: إسناده حسن، وقال ابن كثير في تفسيره (١٣/٢٣٢): إسناده صحيح.

(٣) برقم (١٦٣١).

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٨﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر].

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ^(١)، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيَلْقَى فِي النَّارِ»^(٢).

ثانياً: إن فضل الله واسع، وهو سبحانه لا ينقص المؤمن من عمله شيئاً، بل يضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [١١٢] [طه]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: عدل الله صلى الله عليه وسلم، فهو لا يؤخذ أحداً بذنب غيره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

(١) الذيخ: هو الضبع الذكر وقد تلطخ بالنجاسة.

(٢) برقم (٣٣٥٠).



يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا نُزِرُ وَإِرَّةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم].

رابعًا: أن هذه الآية الكريمة من البشائر العظيمة التي يفرح بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس].

خامسًا: الاهتمام بتربية الأبناء تربية إسلامية، كتعليمهم العبادات، وحثهم عليها، وإلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، وتجنبيهم المحرمات، والمنكرات، وتحذيرهم منها، والدعاء لهم بالصلاح والهداية، حتى ينتفع بهم أبائهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان]، روى الإمام أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.



الكلمة التسعون

الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» (١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنوب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجاً إلى التوبة، والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في جميع الأحوال» (٣). اهـ.

(١) برقم (٢٧٠٢).

(٢) برقم (١٥١٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٨٣) برقم (١٣٤٢).

(٣) التحفة العراقية (١/٧٩).

وقد أمر الله نبيه والمؤمنين بالاستغفار، ووعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٦) [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ (١٩) [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) [المزمل].

والاستغفار يكون للنفس وللغير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

ولا يجوز الاستغفار للمشرك، ولو كان حبيبا، أو قريبا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ صَحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، وَبَكَى، وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا

الْقُبُورِ، فَإِنَّهَا تُدَكَّرُ الْمَوْتِ» (١).

كما بين سبحانه أن الاستغفار لهم لا ينفعهم، ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وصيغ الاستغفار كثيرة، وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك ما رواه أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه مولى النبي ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ» (٢).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (٣).

ومن أفضلها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ

(١) برقم (٩٧٦).

(٢) برقم (١٥١٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٣) برقم (٥٩١).

مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والاستغفار يشرع في أي وقت، ويجب عند فعل الذنب الإقلاع عنه، والاستغفار منه، ويستحب بعد الأعمال الصالحة؛ ليجبر ما كان فيها من تقصير، كالاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة، كما مر، والاستغفار في الحج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ [البقرة: ١٩٩].

ومن أفضل أوقات الاستغفار وقت السحر، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

قال الفضيل بن عياض: استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين. ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

والاستغفار سبب لنزول المطر، والإمداد بالأموال، والبنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [١٠] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [١٢] ﴿[نوح]، والاستغفار سبب لدفع البلاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٣٣] ﴿[الأنفال: ٣٣] قال علي رضي الله عنه: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ». وقال أبو موسى: «كَانَ لَنَا أَمَانَانِ، ذَهَبَ أَحَدُهُمَا،

وَهُوَ كَوْنُ الرَّسُولِ ﷺ فِيْنَا، وَبَقِيَ الْإِسْتِغْفَارُ مَعْنَا، فَإِنْ ذَهَبَ هَلَكْنَا» (١).

والاستغفار سبب لنزول الرحمة، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ سَتَعِجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل].

والاستغفار كفارة للمجلس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التوبة إلى الله، للغزالي (ص ١٢٤).

(٢) برقم (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٣) برقم (٢٧٣٠).

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِثَّةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى: العزیز، قال القرطبي: «العزیزُ معناه المنيعُ، الَّذِي لَا يُنَالُ، وَلَا يُغَالَبُ»^(٣)، وقال ابن كثير: العزیزُ: الَّذِي عَزَّ كُلُّ شَيْءٍ فَفَقَهَرَهُ، وَغَلَبَ الْأَشْيَاءَ فَلَا يُنَالُ جَنَابُهُ لِعِزَّتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَجَبْرُوتِهِ، وَكِبْرِيَاءَتِهِ»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: العزة متضمنة لأنواع ثلاثة:

- ١ - عزة القوة، الدال عليها من أسمائه القوي المتين.
- ٢ - عزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع

(١) البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) برقم (٧٣٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٣١ / ٢) نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى.

(٤) تفسير ابن كثير (٤٥٦ / ٢) (٦ / ٣).

المعطي المانع.

٣ - عزة القهر، والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، لا يتحرك منها متحرك إلا بحوله، وقوته^(١)، وقال بعضهم: ذكر العزیز في القرآن في اثنتين وتسعين مرة^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ، وأن من أسمائه: العزیز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يُعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأن معناه أن ربه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاؤوا، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحاً جلياً، فمن ذلك قصة موسى ﷺ، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي يتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزیز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى ﷺ، وتربى في قصر فرعون، وفي بيته، وتحت رعايته، ولما حاول قتله أهلكه الله، وقائده هامان، وجنوده أجمعين، وغيرها من القصص^(٣).

ثانياً: أن العزیز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٣٤ - ٤٣٥) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٧ / ٢٨٢١ - ٢٨٢٢).

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للنجدى (١ / ١٣٦).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١ / ١٣٨).

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل عمران]، فمن طلب العزة فيطلبها من رب العزة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي من أحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعًا، وقد ذم الله أقوامًا طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظنًا منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنَعُونَ لَهُمْ عِزَّةَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ أَرْسَلْنَا اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [النساء].

ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم.

قال فخر الدين الرازي: «وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل، وكان أشد عزة، وأكمل رفعة»^(١).

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال النبي ﷺ: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَهَمَّا ابْتَعَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ»^(٣)، وكان من دعاء السلف:

(١) شرح الأسماء (ص ١٩٦) نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (١٤٠/١).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٠٥/١٨) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه الشيخ عبدالسلام علوش: إسناده صحيح.

«اللَّهُمَّ اعِزَّنَا بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنَا بِمَعْصِيَتِكَ» (١).

فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «وَجَعَلَ الذُّلَّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» (٢).

ثالثاً: سؤال الله تعالى، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعُ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرًّا» (٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» (٤).

رابعاً: من أسباب العزة والرفعة العفو والتواضع، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (٥). فمن عفا عن شيء مع مقدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

خامساً: أن ما أصاب المسلمين من ضعف، وذل وهوان، وتخلف عن بقية الأمم في هذه الأزمنة، إنما هو بسبب المعاصي والذنوب،

(٢) سبق تخريجه.

(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) برقم (٣٥٨٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم (٢٨٣٨) وأصله في صحيح مسلم.

(٤) جزء من حديث البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

(٥) برقم (٢٥٨٦).

والبعد عن دين الله تعالى، ولو أنهم تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به لأعزهم الله، ونصرهم على الأعداء، ولأصبحوا سادة العالم، وقادة الشعوب، كما حصل للصحابة رضي الله عنهم، فقد وصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرْفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَالْجِزْيَةُ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (١٥٥/٢٨) برقم (١٦٩٥٧) وقال محققوه: إسناده صحيح.

الكلمة الثانية والتسعون

شكر النعم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا لا تعد، ولا تحصى، بل هي متتابعة، بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل].

ومن أعظم هذه النعم الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والعبد دائماً بين نعمة من الله تحتاج إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، إلى آخر ما قال»^(١).

(١) التحفة العراقية (١/ ٧٩).

ومن هذه النعم على سبيل المثال: نعمة السمع، والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٨] [النحل].

ومنها نعمة الأمن في الأوطان، فإن حاجة الناس إلى الأمن أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فقد قدمه إبراهيم عليه السلام على الرزق، فقال الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ولأن الناس لا يهناون بطعام ولا شراب مع الخوف، قال تعالى ممتنًا على قريش بهذه النعمة: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ [٣] الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش]. وغير ذلك من النعم التي لا يستطيع حصرها، ولا الإحاطة ببعضها، وصدق الله إذ قال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه النعم بلا شك تحتاج إلى شكر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٧] [إبراهيم]. ومن الأسباب المعينة على شكر النعم:

أولاً: التأمل في نعم الله، واستحضارها في كل لحظة وحين، وعدم الغفلة عنها، فإن كثيراً من الناس يتنعمون بشتى أنواع النعم من مآكل، ومشارب، ومراكب، ومساكن، ومع ذلك لا يستشعرون هذه النعم، لأنهم لم يفقدوها يوماً من الأيام، واعتادوا عليها، لذلك فإن الله يريد منا التأمل في هذه النعم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوْفِكُمْ ﴾ [٣] [فاطر].

ثانياً: أن ينظر كل واحد منا إلى من هو أسفل منه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلى

مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»^(١)، وفي رواية: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ، وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ»^(٢).

قال ابن جرير: «هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْعَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ»^(٣). اهـ.

ثالثاً: أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يسأله يوم القيامة عن شكر هذه النعم، هل قام بذلك أو قصر؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحِّ لَكَ جِسْمَكَ، وَأُرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٤)، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسْوَدَكَ»^(٥)، وَأُرَوِّجَكَ، وَأَسَحَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ، وَتَرَبَّعَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفْطَنْتَ أَنَّكَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي (٩٧/٦).

(٤) مستدرک الحاكم (١٩١/٥) برقم (٧٢٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٧٦/٢) برقم (٥٣٩).

(٥) أي أجعلك سيِّداً على غيرك.

مُلاقيٍّ؟ فيقول: لا. فيقول: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٢).

رابعاً: شكر هذه النعم بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١٢) [لقمان]، وقال أيضاً: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١٣) [سبأ]؛ فاستمرار هذه النعم بالشكر بأنواعه الثلاثة، وذهابها بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١٤) [النحل].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرُ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(٣).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النِّعَمَ
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ فَارْبُ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٢) برقم (٢٤١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

الكلمة الثالثة والتسعون

الورع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع، ورغب فيها: الورع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَأَمَّا الْوَرَعُ فَإِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا قَدْ يَضُرُّ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْمُحَرَّمَاتُ وَالشُّبُهَاتُ، لِأَنَّهَا قَدْ تَضُرُّ، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الورع ترك ما يضر، ومن ذلك ترك الأشياء المشتبه في حكمها، والمشتبه في حقيقتها، فالأول اشتباه في الحكم هل هو حرام أو حلال؟ والثاني اشتباه في الحال، فالإنسان الورع هو الذي إذا اشتبه الأمر عليه تركه إن كان اشتبهاً في تحريمه، وفعله إن كان اشتبهاً في وجوبه لئلا يآثم بالترك»^(٢) أهـ. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/٤٨٥ - ٤٨٦).

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمْ الْوَرَعُ»^(٢).

وروى النسائي من حديث الحسن بن علي قال: حَفِظْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث النّوأس بن سمعان قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(٤).

والورع بابه واسع يشمل الورع في النظر، والسمع، واللسان، والبطن، والفرج، والبيع، والشراء، وغير ذلك. ويكثر وقوع كثير من الناس في المحرمات والشبهات، بسبب تخلف هذه الأمور الثلاثة: الورع في اللسان، والبطن، والنظر، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣٦) [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٩) [غافر]. قال الإمام أحمد بن حنبل:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) (٢٨٣/١) برقم (٣٢٠) وقال محققه: الحديث عندي أنه حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٢١٤).

(٣) برقم (٥٧١١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١١٥٣) برقم (٥٢٦٩).

(٤) برقم (٢٥٥٣).

«هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيلحقها بصره»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢)، ومعنى «مَا يَتَّبِعُنُ» أي: ما يتفكر فيها، ولا يتأملها هل هي خير أو شر؟

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْهَا، فَقَالَتْ: «أَحْمِي سَمْعِي، وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا»، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ»^(٣).

وقال وهيب بن الورد، ولو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أو حرام.

وقد كان عليه الصلاة والسلام إمام الورعين، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا»^(٤)؛ لأن الصدقة محرمة عليه، وعلى أهل بيته.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفتنون أثره صلى الله عليه وسلم، ويتبعون سنته، فروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ

(١) الورع للمروذي (ص ١١١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٠).

(٤) البخاري برقم (٢٤٣٢)، ومسلم برقم (١٠٧٠).

فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث نافع - يعني عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: «كَانَ فَرَضٌ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضٌ لِابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ. يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ»^(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا»^(٣)، وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف»، وكان عمر بن عبد العزيز تسرج له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ أطفالها، وأسرج عليه سراجها، وقال لامرأته يوماً: «عندك درهم أشترى عنباً؟ قالت: لا. قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا، أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم. قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم».

وتقدم كلام الشيخ ابن عثيمين أن الاشتباه على نوعين: اشتباه في الحكم، فلا يدري المؤمن هل هو من الحلال البين؟ أو من الحرام البين؟ فهذا أمثلته كثيرة جداً، لأنها تختلف باختلاف أفهام العلماء، فمنهم من يرى التحريم، ومنهم من يرى الحل، وقد يمثل لذلك ببعض

(٢) برقم (٣٩١٢).

(١) برقم (٣٨٤٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٥٢/٨) برقم (١٤٦٨٣).

المعاملات، والمساهمات المالية المنتشرة في هذه الأيام^(١).

الثاني الاشتباه في الحال، وقد يمثل لذلك بالدجاج المستورد من الخارج، فبعض العلماء يرى جوازه؛ لأنه من طعام أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، وقد تبين لدى بعض طلبة العلم أن كثيراً من هذا الدجاج يذبح بالصعق الكهربائي، أو غيرها من طرق الذكاة غير الشرعية، وهذا من المشتبه حاله، فالورع تركه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن من تورع، وترك الشبهات، فإن الله يعوضه خيراً مما فاته، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «الأسهم المختلطة» للشيخ صالح العصيمي فقد أجاد فيه وأفاد.

(٢) سبق تخريجه.

الكلمة الرابعة والتسعون

علاج الهموم والغموم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن المؤمن لا تخلو حياته من الهموم والأحزان التي تكدر عليه عيشته، وتنغص عليه لذته، ومع ما في ذلك من تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، فإن فيها فوائد أخرى، من أهمها أنها تدفع المؤمن للجوء إلى الله، والانكسار بين يديه، والتضرع إليه، فيحصل بذلك للقلب من الراحة والطمأنينة، واستشعار القرب من الله ﷻ ما لا يمكن وصفه.

وأيضاً فإن هذه المنغصات تجعل المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ولا يركن إليها، ويقبل على الآخرة على بصيرة بأنها خير وأبقى، إذ لا هم فيها ولا حزن، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤) الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]، فما أعظم هذه الفائدة لمن عرف حكمة الله تعالى فيها! وهذه بعض الأسباب التي تُدفعُ بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب لمن أحسن استعمالها.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [النحل]، وهذا وعد من الله لمن آمن

وعمل صالحًا، أن الله يحييه حياة سعيدة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

ثانيًا: فرح المسلم بما يحصل له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، جزاء صبره واحتسابه على ما يصيبه من هموم الدنيا، ومصائبها.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «حَتَّى الْهَمُّ يُهْمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»^(٣)، وفي رواية أخرى لمسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»^(٤). فيعلم المسلم أن ما يصيبه من هموم، وغموم إنما هو تكفير لسيئاته، وتكثير لحسناته، قال أحد السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس»، وكان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها فانية، متاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة، لا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلاً، أبكت طويلاً، وإن سرت يسيرًا أحزنت كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فيوم لك، ويوم عليك، روى مسلم في

(١) برقم (٢٩٩٩).

(٢) البخاري برقم (٥٦٤٢).

(٣) برقم (٢٥٧٣).

(٤) برقم (٢٥٧٢).

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١)، وهي كذلك دار نصب، وأذى، وغم، وهم، ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقتها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالذَّوَابُّ»^(٢) فهذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا، يهون عليه المصائب، والهموم؛ لأنه يعلم أن ذلك من طبيعتها.

رابعًا: هموم الدنيا وغمومها تشتت النفس، وتفرق شملها، فإذا جعل العبد الآخرة همه جمع الله له شمله، وقويت عزيمته، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(٣).

خامسًا: الدعاء، فإنه علاج نافع لدفع الهم، والغم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الهم، والحزن. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ

(١) برقم (٢٩٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥١٢)، ومسلم برقم (٩٥٠).

(٣) برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٥١٦).

كثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعا، وعمل له، وانقلب همه فرحًا، وسرورًا.

سادسًا: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه من كل شيء مما يهمله من أمر الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم، والغموم، وزالت عنه كثيرٌ من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه...»^(٣) إلى آخر ما قال.

والأسباب كثيرة لمن تأملها، وقد اقتصرنا على الأهم منها، وجماع هذه الأسباب قراءة القرآن بتدبر، فإنه ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء الأحزان، وذهاب الهموم والغموم، والشفاء لجميع

(١) برقم (٢٨٩٣).

(٢) برقم (٥٠٩٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٩) برقم (٤٢٤٦).

(٣) الأسباب المفيدة في الحياة السعيدة، (ص ٢٤ - ٢٥).

الأمراض البدنية والقلبية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمن قرأ هذا القرآن بتدبر وإقبال، ذهب عنه الهموم والغموم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة الشيخ محمد المنجد: (علاج الهموم).

الكلمة الخامسة والتسعون

قصة نبي الله أيوب عليه السلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قصّ الله علينا في كتابه العزيز قصص الأنبياء والمرسلين، لنأخذ منها الدروس والعبر، ولتشبث فؤاد النبي عليه السلام، وتقوية إيمان المؤمنين، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ومن هؤلاء الرسل نبي الله أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأُضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: إن أيوب عليه السلام كان رجلاً كثير المال بأنواعه المتعددة، من الأراضي الواسعة، والأنعام والمواشي، وكان ذلك بأرض البثنية بأرض حوران بالشام، قال ابن عساكر: «كانت كلها له، فابتلاه الله بفقد ذلك كله، وابتلي بأنواع البلايا في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، وكان يذكر الله بهما، ويسبح ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأنيس، وعافه القريب والبعيد، ورمي في مزبلة خارج بلده، ولم يبق عنده سوى زوجته، كانت تحفظ حقه، وقديم إحسانه، وشفقته عليها، وكانت تعمل بالأجر عند الناس، وتأتيه بالطعام، مع صبرها على فراق المال والولد، ومرض الزوج بعد النعمة، والحرمة التي كانت فيها، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وكما تقدم كانت تخدم الناس بالأجر، وتطعم أيوب عليه السلام، ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفاً من أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعته لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً، فلما كان من الغد لم تجد أحداً فباعته الضفيرة الأخرى بطعام، فأنته به فأنكره، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه: ﴿أَيُّ مَسْنَى الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾، فجاء الفرج من الله: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ﴿٤٢﴾ أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله عيناً باردة الماء، وأمره أن يغتسل فيها، ويشرب من مائها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك

صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال مطراً عظيماً، جراد من ذهب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَتَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»^(١).

وأخلف الله له أهله، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: عوضه الله عنهم في الدنيا بدلهم، وقيل غير ذلك، رحمة منا ورافة وإحساناً وذكراً للعبادين^(٢).

ومن الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله أيوب عليه السلام:

أولاً: ابتلاء الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وأن هذا البلاء لم يزد إلا صبراً، واحتساباً، وحمداً، وشكراً، حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام، ويضرب المثل بما حصل له من أنواع البلاء. قال السدي: «تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم، والعصب»، روى أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبَثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ، وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ، وَيَرُوحَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعَلَّمَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ

(٢) البداية والنهاية (١/٥٠٧ - ٥٠٩).

(١) برقم (٢٧٩).

يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرًا بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفَرُ عَنْهُمَا كِرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ...»^(١) الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

ثانيًا: أن يقال: يا أهل البلاء، يا من ابتليتكم في أموالكم، أو أولادكم، أو أنفسكم اصبروا، واحتسبوا، فإن العوض من الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه»^(٣).

قال الشاعر:

إِذَا بُلِيَتْ فَشِقُّ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ إِنْ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلَوَى هُوَ اللَّهُ

(١) (٢٩٩/٦) برقم (٣٦١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣ - ٥٤) برقم (١٧).

(٢) (٧٨/٣) برقم (١٤٨١) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) البداية، والنهاية (١/٥١٣).

إذا قَضَى اللهُ فاستسلم لِقَدْرَتِهِ مَا لَامِرِيَّ حِيلَةً فِيمَا قَضَى اللهُ

ثالثًا: أن من أصيب بمصيبة فصبر واحتسب واسترجع عوضه الله خيرًا مما فاته، كما حصل لأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوْفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ? ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

رابعًا: أن في هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهم، ولهن في ذلك قدوة امرأة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف صبرت واحتسبت حتى كشف عن زوجها الغمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَضْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرِجْلِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»^(٢)، وفي رواية: أن امرأة قالت: يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ قَرَحَةً فَلَحَسَتْهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ»^(٣).

خامسًا: أن الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجًا ومخرجًا، فإن أيوب حلف أن يضرب امرأته مئة سوط، قال ابن كثير: «فلما عافاه الله وَعَلَّمَ أفتاه أن يأخذ الضغث، وهو شمراخ النخل، فيضربها ضربة

(١) برقم (٩١٨).

(٢) جزء من حديث (٦٥/٢٠) برقم (١٢٦١٤)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٤١٥٢).

واحدة، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمئة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصّديقة البارة الراشدة؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والتسعون

الأسباب الجالبة لمحبة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

وذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة: الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أُريد به، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَتَّبِعُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد]، وقال عبد الله بن مسعود: «لَا تَنْشُرُوهُ كَنْثَرِ الدَّقْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قَفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّاهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّاهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (١).

الثالث: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (٢).

الرابع: إيثار محابه على محابك، عند غلبة الهوى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) [التوبة]. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض

(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) واللفظ له.

ما يبغضه الله، ويوالي فيه، ويعادي فيه، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١)، وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»^(٢).

الخامس: مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٨٠) [الأعراف].

السادس: مشاهدة بره، وإحسانه، ونعمه الظاهرة، والباطنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ﴾^(٥٣) [النحل].

ومن أعظم هذه النعم: نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

السابع - وهو أعجبها -: انكسار القلب بين يديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل»، روى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس:

(١) البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢) برقم (٦٦٣٢).

أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ» فجمع في قوله ﷺ: «أَبَوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبَوْءُ بِذَنْبِي» بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والشكر لولي النعمة والإحسان، ومطالعة عيب النفس، والعمل، توجب الذل والانكسار والافتقار في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا، ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه، ويرى في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله ويتداركه برحمته^(١). اهـ.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «يُنزَلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٢).

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم، وعدم الكلام إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي عنه:

(١) انظر: الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧ - ٨).

(٢) البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

«لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطْيَبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَبُ الثَّمَرِ»^(١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢).

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب سبحانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦١٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٧).

الكلمة السابعة والتسعون

حوض النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۗ ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ ٢ ﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۗ ﴾ [الكوثر]، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدرّ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه مسك أذفر» (٢).

وهذا الكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظماً» (٣)،

(٢) برقم (٦٥٨١).

(١) برقم (٦٥٧٨).

(٣) برقم (٢٣٠٠).

وفي رواية أخرى لمسلم: «يُعْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»^(١).

وهذا الحوض، وصفته ثبتت بطرق عن جمع من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر ذلك واستفاض، بل تواترت في كتب السنة من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، والحوض هو مجمع الماء.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْحَوْضَ حَقِيقِيٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا سَبَقَ، وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْحَوْضُ مَوْجُودٌ الْآنَ»^(٣) لما رواه البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيْتِ، ثُمَّ انصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»^(٥).

ولهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض^(٦). اهـ.

وأما في كيفية مائه، فإنه أشد بياضاً من اللبن، هذا اللون، أما في الطعم فإنه أحلى من العسل، وفي الرائحة أطيب من المسك.

روى مسلم من حديث أبي ذر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٥٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

(٤) البخاري برقم (٦٥٩٠)، ومسلم برقم (٢٢٩٦).

(٥) البخاري برقم (٦٥٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

قال: «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(١)، وفي رواية في الصحيحين: «وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»^(٢).

أَمَّا آيَتُهُ فَعَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهَذَا وَرَدَ فِي بَعْضِ أَلْفَافِ الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣)، وَفِي بَعْضِهَا: «آيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ»^(٤)، وَهَذَا لَفْظٌ أَشْمَلٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالنُّجُومِ فِي الْعَدَدِ، وَفِي الْوَصْفِ بِالنُّورِ وَاللِّمْعَانِ، فَآيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ كَثْرَةً، وَإِضَاءَةً، وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الصَّحِيحِ: «أَنَّ هَذِهِ الْأَبَارِيقَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِضَّةٍ»^(٥).

وَمَسَاحَةُ هَذَا الْحَوْضِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ: وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَدُورًا، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الْمَسَاحَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مَدُورًا، وَهَذِهِ الْمَسَافَةُ بِاعْتِبَارِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ الْمَعْتَادِ^(٦)، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «أَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ مِنْ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ»، وَعَمَّانُ بَلَدَةٌ بِالْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ، وَأَيْلَةُ بَلَدَةٌ بِطَرَفِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِنْ طَرَفِ الشَّامِ، وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ يَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرَ^(٧).

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ»، وَهُمَا قَرِيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٨)، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٣) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٣). (٦) شرح العقيدة الواسطية (١٥٩/٢).

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٠).

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٧)، صحيح مسلم برقم (٢٢٩٩).

أَيْلَةً وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ»^(١)، وفي أخرى: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»^(٢).

وذكر بعض العلماء تأويلات لاختلاف هذه المسافات التي ذكرت في عرض الحوض وطوله.

منها أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، وقيل غير ذلك^(٣).

وزمن الورود على الحوض قبل العبور إلى الصراط، لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل العبور إلى الصراط، وقد رجح بعض أهل العلم ذلك، ومن شرب من الحوض لم يظماً أبداً، لما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: «وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»^(٤).

أما أسباب الورود على الحوض، فمنها:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، والثبات على ذلك، والبعد عن البدع المحدثه في الدين وكبائر الذنوب، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ»^(٥).

(١) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) البخاري برقم (٦٥٩١)، ومسلم برقم (٢٢٩٨).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/٤٧٢).

(٤) البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) (١/٢٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٣٧).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا^(١).

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون للكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم^(٢). اهـ.

ثانياً: عدم إعانة الولاة الظلمة على ظلمهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة أن النبي ﷺ قال له: «أعاذك الله من إماراة السفهاء، قال: وما إماراة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا علي حوضي»^(٣).

ثالثاً: الصبر على ما يصيب المؤمن من نقص في الدنيا، واستئثار غيره بها، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣ - ٦٥٨٤، ٦٥٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٣٧).

(٣) (٣٣٢/٢٢) برقم (١٤٤٤١) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

قال لأصحابه الأنصار: «سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةَ شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ» (١).

رابعاً: المحافظة على الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» (٢).

اللهم أوردنا حوض نبيك، واجعلنا من المتبعين لسنته، اللهم اسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً، اللهم احشرونا في زمرة، واجعلنا من أتباعه مع النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٣١٤٧)، ومسلم برقم (١٨٤٥).

(٢) برقم (٢٤٨).

الكلمة الثامنة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافى)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: «الشافى»، والشفاء يشمل شفاء الأبدان، وشفاء الصدور من الشبه والشهوات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضًا يقول: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٢).

وفي هذا الحديث طلب الشفاء من جميع الأمراض، وليس من ذاك المرض الذي أصيب به المريض، ويشرع للمسلم أن يقول: «يا

(١) البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١).

شافى اشفنى» فالله ﷻ يشفى من أمراض القلوب كالغل، والحسد، والشهوات، ويشفى من أمراض الأبدان، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً: أن الله تعالى هو الشافى، ولا شافى إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام].

ثانياً: أن الله تعالى هو الشافى، لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، وله أسباب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» (١).

ومن الأسباب التي جعلها الله شفاء:

الدعاء: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ» (٢).

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس].

(١) برقم (٥٦٧٨).

(٢) برقم (٣١٠٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٠) برقم (٢٦٦٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وكان النبي ﷺ يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله تعالى، كما كان يرقى نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»^(١)، «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ»^(٢).

ومنها العسل: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

ومنها الحبة السوداء: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»، قال ابن شهاب: «وَالسَّامُ الْمَوْتُ»^(٣).

ومنها الحمامة: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيْيَةِ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»^(٤).

ومنها ماء زمزم: روى ابن ماجه في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»^(٥)، وقد جربت أنا وغيري

(١) البخاري برقم (٥٧٤٥)، ومسلم برقم (٢١٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٢).

(٣) البخاري برقم (٥٦٨٨)، ومسلم برقم (٢٢١٥).

(٤) برقم (٥٦٨١).

(٥) برقم (٣٠٦٢) وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٦٠ - ٣٦١).

من الإستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً^(١). وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(٢).

ومنها ما أنزله الله ﷻ في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده.

ثالثاً: أن هذا الشفاء قد يتأخر لحكمة إلهية، رفعاً لدرجات المريض، وتكفيراً لسيئاته:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ أَيُّهَا رَبُّهُ أَنْتَ مَسْفِي الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٨٤) [الأنبياء]، ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عاماً ابتلاء من الله لنبيه، روى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»^(٣).

ومما نبه عليه بعض أهل العلم أن بعض المرضى إذا أصيبوا بمرض تعلقت قلوبهم بالأسباب، كالمستشفيات، والأطباء، والواجب أن يكون

(١) زاد المعاد (٤/٣٦١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/١١٣) برقم (٩١١٢).

(٣) برقم (٢٤٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٨٧) برقم (١٩٦٠).

تعلق القلب بالذي أنزل الداء، ولا يرفعه إلا هو.

وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في غيبوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى، وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيبوبة، وقد شفاه الله، وهو حي يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان، وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناسًا من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله الشافي، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



خطر الدش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن فتنة دخلت بيوت كثير من المسلمين، وحصل منها الكثير من الشرور والمفاسد، إنه الدش؛ والكلام عنها يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية، ثانياً: أقوال العلماء، ثالثاً: شبهات والجواب عنها، برنامج ستار أكاديمي وخطورته.

فمن تلك المخالفات ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمت، والأحاديث الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصورة كريهة، كوضع

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم (١٨٥٢٤) وقال محققوه: حديث حسن بشواهده.

اللحية على رجل ناقص العقل، وتمثيل تعدد الزوجات على أنه خيانة زوجية، ولمز الصالحين، وأهل الخير، ونحو ذلك مما هو استهزاء صريح بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومنها: تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء على أنه لا حرمة فيه، عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ [النور]. روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»^(١)، فكيف بمن يتعمد النظر في النساء الكاسيات العاريات، وهن بكامل زينتهن على شاشات القنوات الفضائية، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل زينتهن، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَلْتَابِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ [لقمان]، وأكثر المفسرين كابن عباس، وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف على ذلك، روى البخاري في

صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١)، فأخبار النبي ﷺ على أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

ومنها: قتل الغيرة عند المسلمين، وكيف يرضى المسلم الغيور أن تجلس زوجته وبناته أمام شاشات القنوات الفضائية ينظرن إلى الشباب والشابات، وهم في أوضاع جنسية سيئة يندى لها الجبين، ويتفطر لها القلب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»^(٢)، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «شاع في هذه الأيام بين الناس ما يسمى بالدش، أو بأسماء أخرى، وأنه ينقل جميع ما يبث في العالم من أنواع الفتن والفساد، والعقائد الباطلة، والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبثه من الصور النسائية، ومجالس الخمر والفساد، وسائر أنواع الشر الموجود في الخارج، وثبت لدي أنه قد استعمله كثير من الناس، وأن آلاته تباع وتصنع في البلاد، فلهذا وجب علي التنبيه إلى خطورتها، ووجوب محاربتها والحذر منه، وتحريم استعماله، في البيوت وغيرها، وتحريم بيعه وشرائه، وصنعه أيضًا، لما في ذلك من الضرر العظيم، والفساد الكبير، والتعاون على الإثم والعدوان، ونشر الكفر والفساد بين المسلمين، والدعوة إلى ذلك بالقول والعمل إلى آخر ما قال»^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٧٤١٦)، ومسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ ابن باز (٣٩٩/٧).

يَسْتَرَعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى، والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله، لقول النبي ﷺ: «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^(٢)، وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال، فإنه قد مات وهو غاش لرعيته، وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا الدش الذي ركبه الإنسان قبل موته فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمن، وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم أن تخلف بعدك ما يكون إثماً عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدشوش فإن الواجب عليك أن تكسره؛ لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالباً، ولا يمكن بيعه؛ لأنك إذا بعته مكنت المشتري من استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إذا وهبته، فإنك معين على الإثم والعدوان، ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت، إلا بتكسير هذه الآلة «الدش» التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص، فاحذر يا أخي أن يأتيك الموت فجأة، وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، فإن إثمها ستبوء به، وسوف يجري عليك بعد موتك»^(٣).

ومن الشبهات قول بعضهم: «إنه يشاهد في هذا الدش البرامج الدينية، وأخبار العالم، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم وأفضل منه، وقد نصح الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها، وغيرها من البدائل الأخرى».

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٩٣)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

سئلت اللجنة الدائمة عن برنامج تعرضه إحدى القنوات الفضائية المسمى باستار أكاديمي، وما يشابهه من البرامج، وبعد دراسة الموضوع رأت اللجنة تحريم بث هذه البرامج، ومشاهدتها، وتمويلها، والمشاركة فيها، والاتصال عليها للتصويت، أو إظهار الإعجاب بها، وذلك لما اشتملت عليه تلك البرامج من استباحة للمحرمات المجمع على تحريمها والمجاهرة بها، ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: قال النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَارِفَ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(٢).

وأي مجاهرة بالمحرمات والفواحش تفوق ما تبثه هذه البرامج، التي اشتملت على جملة من المنكرات العظيمة؟! من أهمها:

أولاً: الاختلاط بين الجنسين من الذكور والإناث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»^(٣).

فكيف بهذه البرامج التي تقوم فكرتها الرئيسية على خلط الجنسين من

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

(٣) البخاري برقم (١٨٦٢) ومسلم برقم (١٣٤١).

الذكور والإناث، وإزالة الحواجز فيما بينهم مع ما عليه الإناث من التبرج والسفور، وإظهار المفاتن مما يسبب الشر والبلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

ثانياً: الدعوة الصريحة للفاحشة، ووسائلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) [النور].

ثالثاً: الدعوة إلى إماتة الحياء، وقتل الغيرة في قلوب المسلمين بألفة ومشاهدة هذه المناظر التي تهيج الغرائز، وتبعد عن الأخلاق والفضائل، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١)، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدٍ؟! لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي»^(٢).

ولا يكفي في ذلك أيها المسلم أن تترك المشاركة في هذه البرامج والنظر إليها، بل يجب عليك النصح والتذكير لمن تعلم أنه يشارك فيها بأي وجه من الوجوه، لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان^(٣). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦١٢٠).

(٢) برقم (٦٨٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) رقم (٢٢٨٩٥)، وتاريخ ٨/٢/١٤٢٥ هـ.

الكلمة المئة

«فضل صلاة الفجر»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومن بين هذه النعم العظيمة: نعمة النوم التي امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٣] [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [١] [النبأ]، فسكون العبد ساعات بالليل بعد حركة النهار المتواصلة مما يساعد على حياة المسلم وبقاء نمائه ونشاطه؛ ليؤدي وظائفه التي خلقه الله من أجلها، ومن بين هذه الوظائف: صلاة الفجر جماعة في المسجد، وهي صلاة فاضلة عظيمة.

وإليك أخي المسلم البشائر والفضائل العظيمة لمن أدى صلاة الفجر مع الجماعة:

أولاً: أنه في ذمة الله، أي في ضمان الله، وحفظه ورعايته في الدنيا والآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

ثانيًا: أنها نجاة للعبد من النار، روى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن رويبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثالثًا: أنها سبب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣).

رابعًا: شهادة الملائكة لهذه الصلاة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۗ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكَتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (٤).

خامسًا: النور التام يوم القيامة، روى ابن ماجه في سننه من حديث سهل بن سعد الساعدي: أن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥).

سادسًا: أنه يكتب له قيام ليلة، روى مسلم من حديث عثمان بن عفان: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ

(١) برقم (٦٥٧).

(٢) برقم (٦٣٤).

(٣) البخاري برقم (٥٧٤)، ومسلم برقم (٦٣٥).

(٤) البخاري برقم (٥٥٥)، ومسلم برقم (٦٣٢).

(٥) برقم (٧٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣٠) برقم (٦٣٣).

اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»^(١).

سابعاً: الأمن من النفاق، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَتَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»^(٣)، وقال ابن عمر: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي الْعِشَاءِ، وَفِي الْفَجْرِ، أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»^(٤).

ثامناً: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٥)، فإذا كانت سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها من أموال وقصور، وأنهار، وزوجات، وغير ذلك من الشهوات والملذات، فكيف إذن بصلاة الفجر!؟

تاسعاً: رؤية الله تعالى وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتسابق إليها المتسابقون، روى البخاري ومسلم من حديث جرير البجلي رضي عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ

(١) برقم (٦٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٣) جزء من حديث برقم (٦٥٤).

(٤) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٩٦). (٥) برقم (٧٢٥).

أَلَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [٣٩] ﴿١﴾.

عاشراً: أن المحافظ على صلاة الفجر من أطيب الناس عيشاً، وأنشطهم بدنًا، وأنعمهم قلبًا، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» (٢).

وقد وردت نصوص كثيرة فيها التحذير الشديد لمن تهاون في صلاة الفجر؛ فمن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٣).

قال بعض أهل العلم: «إن النبي ﷺ ما همَّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا، وجرمًا كبيرًا».

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال: ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ. قَالَ: «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ» (٤)، وحسب من كان كذلك خيبة وخسارة وشراً.

(١) البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) البخاري برقم (١١٤٢)، ومسلم برقم (٧٧٦).

(٣) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٤) البخاري برقم (١١٤٤) ومسلم برقم (٧٧٤).

ومنها أن المتخلف عن صلاة الفجر يعرض نفسه لعقوبة الله في قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ خَلْفَ مَنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) [مريم]، وفي صحيح البخاري قصة رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُثَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وسئلت اللجنة الدائمة برقم (٥١٣٠) عن شخص لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس فما حكم صلاته؟ وهل يؤثر على الصيام؟ فكان الجواب: تركه لصلاة الصبح من غير نوم ولا نسيان بل تكاسلاً عنها حتى تطلع الشمس كفر أكبر على الصحيح من أقوال العلماء، وعلى هذا القول صيامه غير صحيح. اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وواحد

السعادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل إنسان في هذه الحياة يسعى إلى السعادة، وهي مطلب حقيقي لجميع الناس، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والغني والفقير، كلهم يريدون السعادة ولكنهم يختلفون في نظرتهم لها، فمنهم من يراها في جمع المال والدرهم، وآخر يراها في الحصول على المناصب الرفيعة، وآخر يراها في الحصول على الشهادات العالية، ومنهم من يراها في غير ذلك.

والحق أن هذه الأمور جزء من السعادة، وليست السعادة كلها، فهي سعادة وقتية تزول بزوالها، فصاحب المال قد يفقد ماله، وصاحب المنصب قد يزاح من منصبه، بل إن هذا المال الذي هو عصب الحياة إذا لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله يكون وبالاً عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة].

قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيدُ
ليس السعيد الذي تسعده دنياه إن السعيد الذي ينجو من النارِ

كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالجَارُ الصَّالِحُ،
وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن
عمرو: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٢).

ووصفت هذه المرأة الصالحة في حديث آخر رواه أحمد في
مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النِّسَاءِ
خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي
نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(٣).

وذكر الشيخ السعدي رحمته الله أن من أسباب السعادة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) [النحل]، قال ابن عباس: الحياة الطيبة
هي الحياة السعيدة^(٤)، وهذه السعادة شعور يضعه الله في قلوب عباده
الصالحين وإن كانوا في ضيق الدنيا.

قال ابن القيم رحمته الله وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية رحمته الله: «ومع
ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم
عيشًا، وأنعمهم قلبًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا
الأرض، واشتد بنا الكرب، أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٢١). (٢) برقم (١٤٦٧).

(٣) (٣٨٣/١٢ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٤) تفسير ابن كثير (٣٥٢/٨).

ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من طيبها وريحها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن في الدنيا لجنّة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»^(٢).

وقال أيضاً عندما قيل له: إن السلطان قد أمر بنفيك إلى قبرص أو قتلك، أو سجنك، فقال: «والله إن بي من الفرح والسرور ما لو قسم على أهل الشام لوسعهم، والله إنني كالغنم لا تنام إلا على صوف، إن نفيت إلى قبرص دعوت أهلها إلى الإسلام».

ويقول أحد السلف: «إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب»، ويقول آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف».

ثانياً: من أسباب السعادة الإيمان بقضاء الله وقدره، فإن الإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر، أحس براحة نفسية، وانشرح صدر بما وقع له، وإن كان مما يكره، فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن الديلمى عن أبي بن كعب أنه قال: «لو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْراً لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ فَلَوْ مُتَّ عَلَى

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨١).

غير هذا لَدَخَلَتِ النَّارَ»، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ بمثل ذلك^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

قال عمر رضي الله عنه: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر».

قال عبيد الله بن عتبة:

واصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمَحْتُومِ وَارْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ثالثاً: ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور، وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكير فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلية مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا

(١) برقم (٤٦٩٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٩٠) برقم (٣٩٣٢).

(٢) (٤/ ٤٠٩ - ٤١٠) برقم (٢٦٦٩) وقال محققوه: إسناده قوي.

السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك؛ إذا فعل ذلك اطمأن قلبه، وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه (١).

رابعاً: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فإن له سرّاً عجيباً، في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وذكر ابن القيم مئة فائدة للذكر. منها: أن الذكر يطرد الهم والحزن، ويجلب الفرح والسرور وطيب العيش.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

خامساً: القناعة برزق الله، فإن من قنع بما قسم الله سبحانه له انشرح صدره، وارتاحت نفسه، روى مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (٢).

سادساً: أن يعلم المؤمن علم اليقين أن السعادة الحقيقية في الآخرة، وأن الدنيا دار المصائب والنكد والأحزان، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤].

وقال تعالى حاكياً عن أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الزمر: ٣٤] الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿ [فاطر: ٣٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ

(١) الأسباب المفيدة للحياة السعيدة للشيخ السعدي (ص ٢٠).

(٢) برقم (١٠٥٤).

قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(١).

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: متى يرتاح المؤمن؟ قال: أول ما يضع قدمه في الجنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنان

فتنة الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر النبي ﷺ أمته منها في آخر الزمان فتنة الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنِّي أُنذِرُكُمْ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمُهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١).

قال الإمام السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «وينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، لا سيما في زماننا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنن فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٢).

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، وردت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون،

(١) البخاري برقم (٦١٧٥)، ومسلم برقم (١٦٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٠٦ - ١٠٧).

فلا يفتنون به. ومن صفاته أنه رجل أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، ممسوح العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، أي لحمية تنبت في مقدمة العين، ومكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤها كل مسلم، كاتب أو غير كاتب، وهو عقيم لا يولد له.

ويخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، قال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة بها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالة الخضراء، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتقين، فيفر الناس منه إلى الجبال، ويسرون في الأرض، فلا يترك بلدًا إلا دخله، إلا مكة والمدينة، فقد حرم الله عليه دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما^(١).

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم، وذلك بسبب ما يجريه الله معه من الخوارق العظيمة، التي تبهر العقول، وتحير الألباب، فقد ورد أن معه جنة ونارًا، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض. ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث، استدبرته الرياح، إلى غير ذلك من الخوارق، كل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، محنة من الله واختبارًا، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن،

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٠٥/١٩) بتصرف.

روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضٌ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ، فَإِذَا أَدْرَكَنَّ أَحَدًا، فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلِيُغَمِّضَ ثُمَّ لِيُطَاطِئَ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنته، أتكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قلنا: يا رسول الله، وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَوْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرَبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ

إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابٍ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

أما الوقاية من فتنة الدجال، فقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، ومن ذلك:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزّه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانياً: التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

ثالثاً: معرفة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ التي بين فيها صفات الدجال، وزمن خروجه، ومكانه، وطريق النجاة منه، وقد ذكرت بعض ذلك، ومن أراد التوسع فليراجع النهاية لابن كثير، أو إتحاف الجماعة للشيخ التويجري، أو أشرطة الساعة للشيخ الوابل، أو غيرها.

رابعاً: حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتمها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ

(٢) برقم (٥٨٨).

(١) برقم (٢٩٣٧).

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١)، وفي رواية: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»^(٢).

قال النووي: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وكذلك آخرها، قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف] ^(٣).

خامساً: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه، والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد أخبر النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال، روى أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ بِالْدَّجَالِ فَلْيُنَأْ عَنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، هَكَذَا قَالَ»^(٤).

نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٢) برقم (٨٠٩).

(١) برقم (٨٠٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٩٢ - ٩٣).

(٤) برقم (٤٣١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٤) برقم (٣٦٢٩).

الكلمة المئة وثلاثة

شرح اسم الله (الحكيم)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في كتابه: «الحكيم»، والمراد: «الحكيم في أفعاله وأقواله وقدره، فيضع الأشياء في محالها بحكمته وعدله» (٢).

وللحكيم معنيان: أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ

(١) برقم (٢٧٣٦) وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢).

الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿المائدة﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿الشورى﴾.

وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزاء مقرونة بالحكمة ومربوطة بها، فلم يخلق سبحانه شيئاً عبثاً، ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهاون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فما أعطى الله شيئاً إلا لحكمة، ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة، ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة، وما أمر الله بشيء إلا لحكمة، والحكمة في فعله والتزامه، ولا نهى عن شيء إلا لحكمة والحكمة في تركه واجتنابه. قال تعالى مقررًا هذه الصفة العظيمة صفة الحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾ ﴿المؤمنون﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾ [ص]، وللحكيم معنى ثالث وهو المحكم الذي أحكم كل شيء خلقه فما في خلق الرحمن من تفاوت ولا تناقض ولا خلل، صنع الله الذي أتقن كل شيء وليس في شرعه من تناقض ولا اختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء] (١).

قال بعضهم: ذكر الحكيم في أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيم والعليم، مما يدل على أن حكمته صادرة عن عزة وعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١١٦﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (١/٨٦ - ٨٧).

دَرَجَتٍ مَن تَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام] وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، وما جاءت إلا لإسعاد البشرية، فليس هناك أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ [التين]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة].

ثانياً: أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ﴾ ﴿٥﴾ [القمر]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الحكمة: «وله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير و شر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها»^(١).

ثالثاً: أن كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين، وقد وصف الله القرآن العظيم، وهو كلامه المنزل على نبيه محمد ﷺ بأنه حكيم ومحكم في ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿يَسَّ﴾ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ [يس].

(١) مدارج السالكين (١/٤٣٩).

فالقُرآن حكيم في أسلوبه الرائع، حكيم في تشريعاته، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في قصصه وأخباره، حكيم في كل ما اشتمل عليه.

رابعاً: أن الله يؤتي الحكمة من يشاء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتنوعت عبارات المفسرين في المراد بالحكمة، وقد اختصرها بعضهم بقوله: «يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً».

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

خامساً: خلق الله ﷻ محكم، لا خلل فيه ولا قصور، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

سادساً: أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته سبحانه: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨].

(١) البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦).

[الذاريات].

سابعاً: كراهة التكني بأبي الحكم، روى أبو داود في سننه من حديث هانئ بن يزيد: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩٥٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣٦/٣) برقم (٤١٤٥).

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١ - ٢٥٧).

الكلمة المئة وأربعة

نعمة الهداية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى عن الأعراب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات]، وقال تعالى ممتنّاً على نبيه بهذه النعمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد: أن النبي ﷺ قال للأَنْصَارِ: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟!»^(١). وامتن الله على أهل الجنة بهذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]. والهداية على قسمين:

١ - هداية الدلالة والإرشاد والبلاغ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

(١) صحح البخاري برقم (٤٣٣٠)، وصحح مسلم برقم (١٠٦١).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

٢ - هداية التوفيق لقبول الحق والإعانة عليه، وهي التي تفرد بها سبحانه فقال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥١] ﴿القصص﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٩١] ﴿يونس﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣] ﴿السجدة﴾.

ومن أنواع الهداية:

أن يهدي الله العبد للقيام بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة مع الناس، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي أيوب: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَذُنُوبِي كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أَنْعِمْنِي، وَأَخِينِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ومن أعظم أنواع الهداية أن يهدي الله العبد للقيام بالتوحيد، والبعد عن الشرك، فإن من قام بذلك نال الأمن في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦) واللفظ له.

(٢) (٥٧٨/٤ - ٥٧٩) برقم (٥٩٩٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير

برقم (١٢٦٦).

مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

وكان النبي ﷺ يسأل ربه الهداية، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعِغْنَى»^(١)، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأصحابه بالهداية، وأرشد أمته إلى ذلك، روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله أنه قال: لقد شكوت إليه - أي النبي ﷺ - أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَائْتِ بِهِمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال له: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى، هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث البراء بن عازب قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، حَتَّى وَارَى التُّرَابَ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(١) برقم (٢٧٢١).

(٢) البخاري برقم (٣٠٣٦)، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٣) البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤).

(٤) برقم (٢٧٢٥).

فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا
 إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»^(١)
 قال شيخ الإسلام: «والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله
 الصراط المستقيم، وهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة
 من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، وهذا الهدى لا
 يحصل إلا بهدى الله»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً،
 وقبل أوامره، وصدق بأخباره كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له
 على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ»^(٣)، قال
 تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلْقَيْتُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ
 ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾^(٦٦) [مريم]، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
 إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾^(١٣) [الكهف].

وأخبر ﷺ أن من أراد هدايته لهذا الدين فإنه يشرح صدره له،
 وعلى العكس من ذلك من أراد له الشقاء والغواية، فإنه يضيق بهذا
 الدين ذرعاً، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
 وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ
 كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٢٥) [الأنعام].

ومن أسباب الثبات على الهداية:

الدعاء: فقد روى الترمذي في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:
 كان رسول الله يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»
 فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال:

(١) البخاري برقم (٣٠٣٤)، ومسلم برقم (١٨٠٣).

(٢) الفتاوى (٣٧/١٤) بتصرف. (٣) الفوائد (١/١٥١).

«نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُضْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»^(١).

ومنها المسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنَبَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْ أُقْتَلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ۖ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۖ﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن.

الكلمة المئة وخمسة

الزكاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركانه العظام، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣) [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى

(١) البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

(٢) البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا»^(١).

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَلَوْوَأُ مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

فكل ما لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(٢).

وجاء في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه ما خلاصته: أَنَّ صَاحِبَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ حَقَّهَا، بَطَّحَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرَقِرٍ، أَي: أَنَّهُ يُبَطَّحُ عَلَى وَجْهِهِ فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَاسِعَةٍ، ثُمَّ تَأْتِي هَذِهِ الْبَهَائِمُ فَتَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا،

(١) البخاري برقم (١٣٩٧)، ومسلم برقم (١٣) من حديث أبي أيوب.

(٢) برقم (٩٨٧).

وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَا مِنْ صَاحِبٍ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعًا يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْحَلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ»^(٢).

والشجاع: الحية الذكر، والأفراع الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل: الشجاع الذي يواثب الراجل والفراس ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري، يتبع صاحبه الذي منع الزكاة.

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم، وهي التي ترعى في البراري، والذهب والفضة، وعروض التجارة، وهي السلع المعدة للبيع، ويدخل في ذلك الأراضي، والعمارات، والسيارات المعدة للبيع، وغير ذلك من أصناف السلع، ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه، وله تفصيل معروف في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والزكاة حق لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع بها

(١) البخاري برقم (٤٦٥٩)، ومسلم برقم (٩٨٧).

(٢) البخاري برقم (١٤٠٣)، ومسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر، مع طيب النفس، والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته، ويستحقَّ جزيلاً المثوبة والخلف، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف المستحقين للزكاة فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].

ولو أعطيت الزكاة لمستحقيها لما بقي فقير في الإسلام.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم الواجبات والفرائض بعد الشهادتين، وقد أثنى الله ﷻ على عباده المحافظين على أدائها في المساجد فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رَجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ بُحْرَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِنَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) [النور] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ التَّوَضُّؤَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ

أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ»^(١)، وفي رواية: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفِدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٢)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»^(٣).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «وقد أكثر الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الصلاة في كتابه الكريم، وعظم شأنها، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين، فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢٣٨) [البقرة] وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها، وتعظيمه لها، وقد تخلف عن أدائها مع إخوانه، وتهاون بشأنها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] «فأوجب سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب وشدة الخوف، فكيف بحال السلم؟ ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافون للعدو المهمدون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك»^(٤). اهـ.

والنصوص التي تبين وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمن ذلك ما

(١) البخاري برقم (٦٤٧)، ومسلم برقم (٦٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٦٥٠).

(٣) برقم (٢٥١).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز رحمته الله.

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَنُتَقِمَ، ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَا هَمَّ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ هُوَ لَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ قَدْ ارْتَكَبُوا ذَنْبًا عَظِيمًا، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ»، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلّي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ»^(٢). وفي رواية لأبي داود قال: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»^(٣). وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرًا، قَالُوا: وَمَا الْعُدْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَيَّ هُوَ لَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

(٢) برقم (٦٥٣).

(٣) برقم (٥٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٠/١) برقم (٥١٦).

(٤) برقم (٥٥١)، قال الألباني رحمته الله: صحيح دون جملة العذر، وبلفظ: ولا صلاة له،

صحيح سنن أبي داود (١١٠/١) برقم (٥١٥).

وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مَنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» (١).

وأجاب العلماء عن حديث صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسا وعشرين درجة، أن المراد بيان ثواب صلاة الجماعة، وأن أجرها أكثر، وليس حكم صلاة الجماعة، والأفضلية لا تدل على عدم الوجوب فقد ثبت الوجوب بآيات وأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

يُضاف إلى ذلك ما فيها من المصالح والمنافع العظيمة، التي تدل على أن الحكمة تقضي بوجوبها.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ومنها :

أولاً: إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، وهي الصلاة؛ لأن الناس لو بقوا يصلون في بيوتهم ما عرف أن هناك صلاة.

ثانياً: التواد بين الناس؛ لأن ملاقة الناس ومصافحتهم لبعضهم البعض توجب المحبة والمودة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ

بَيْنَكُمْ» (١).

ثالثاً: شعور الناس بالمساواة في عبادة الله، لأنه في هذا المسجد يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا فيشعر الناس بالمساواة؛ ولهذا أمر بمساواة الصفوف، وكان النبي ﷺ يقول: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» (٢).

رابعاً: ما يحصل من تفقد الأحوال، أحوال الفقراء والمرضى، والمتهاونين بالصلاة، فإن الفقير إذا علم بحاله جماعة المسجد تصدقوا عليه، وواسوه، وكذلك إذا تخلف عن صلاة الجماعة عرف الناس أنه مريض، فقدموا له المساعدة أو متهاوناً فبادروه بالنصيحة (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٥٤).

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٤٣٢).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ١٣٥ - ١٣٨).

مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على عباده نعمة الزواج، وهو من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد].

وقد حث عليه الشارع لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

وتكثر في هذه الأيام حفلات الزواج، وهذا شيء طيب يبشر بالخير؛ إلا أنه مما ينافي شكر هذه النعمة، وقوع كثير من المخالفات، فمن ذلك: أولاً: المغالاة في المهور بما لا يطاق، والمشروع أن يكون قليلاً ميسراً، روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»^(٢). وقال عمر رضي الله عنه: «أَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٥) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

(٢) (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٠٨٣).

لَا تُغَالُوا صَدَقَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ، لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ، عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»، وَالْأُوقِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، هُوَ أَرْبَعُمِئَةٌ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أنها سئلت: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فِتْلِكَ حَمْسُ مِئَةٍ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ»^(٢).

وفي زيادة المهور مفسد كثيرة من أعظمها تأخر كثير من الرجال والنساء عن الزواج، أو تركه بالكلية، وفي ذلك ما لا يخفى من المفسد.

ثانيًا: دبلة الخطوبة، حيث يلبس الرجل دبلة تسمى دبلة الخطوبة، وهي عبارة عن خاتم يضعه في يده، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة، خاصة إذا كانت من الذهب، وقد حرم لبس الذهب على الرجال بأدلة كثيرة، منها ما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فقبل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ^(٣).

قال الشيخ الألباني: ووضع خاتم الخطوبة في يد العروس من

(١) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٠٩٠).

(٣) برقم (١٤٢٦).

عادات النصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم^(١)، وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢).

ثالثاً: المنصة، وهي جلوس الزوج والزوجة في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرات، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ومن المنكرات العظيمة وضع منصة للعروسين أمام الحاضرات من النساء، فينظر الرجل إلى النساء الأجنبية، وهن بكامل زينتهن، وقد يدخل معه بعض أقارب الزوج أو الزوجة، فيحصل الاختلاط والفتنة»^(٣).

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٤). والحمو قريب الزوج، وفي هذا تحريك للغرائز والشهوات، وما ينتج عن ذلك من فتنة وفساد.

رابعاً: التصوير، وهو من كبائر الذنوب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ»^(٥). وخاصة إذا كان التصوير للنساء، فإن الفتنة بهن أعظم، وتقوم بعض النساء بتصوير الحاضرات في الحفل وهن بكامل زينتهن، وهذا من أعظم المفاسد، وهل يرضى أحد منا أن تلتقط صورة ابنته أو أخته وتنتشر بين الناس، فإلى الله المشتكى.

(١) انظر: آداب الزفاف (ص ٢١٢-٢١٣). (٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: التبرج وخطره، رسالة صغيرة للشيخ عبد العزيز بن باز.

(٤) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

(٥) (٢٣/٦) برقم (٣٥٥٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

خامسًا: إحضار المغنيات ليغنين في حفلات الزواج مع الآلات والمعازف، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» ^(١). وإنما أجاز الشارع الضرب بالدف عند النساء بشرط أن لا يصحبه غناء ماجن من قبل النساء.

سادسًا: الإسراف في الولائم، واستئجار الفنادق، وقصور الأفراح بأموال طائلة، فينبغي الاقتصاد في ذلك، وترك الإسراف، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ^(١٧) [الفرقان].

سابعًا: لبس كثير من النساء في حفلات الزواج اللباس العاري، أو المفتوح، أو الضيق الذي يصف البشرة، أو الخارج عن الحياء، حتى لو كان عند النساء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» ^(٢).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمته الله عن حضور الحفلات المشتملة على المنكرات، فقال: حضورها واجب إذا كان الإنسان يستطيع بحضوره أن يغير المنكر، وأما إذا كان لا يستطيع تغييره فإن حضورها

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢١٢٨).

منكر محرم عليه، ولا يجوز في ذلك طاعة الوالدين، ولا طاعة الزوج، حتى لو فرض أن الوالد والوالدة إذا لم يحضر الولد من ذكر أو أنثى هذه الحفلات حصل منهم غضب أو زعل، ولا يعد ذلك من العقوق؛ لأن هذا من طاعة الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ»^(١). والمنكر لا طاعة فيه لأحد، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». اهـ^(٢).

ثامناً: السهر حتى ساعة متأخرة من الليل، وربما في بعض الحفلات إلى قرب صلاة الفجر، وهذا يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾^(٣) [مريم].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣).

تاسعاً: من المنكرات التي ترتكب بمناسبة الزواج ذهاب الزوجين بعد زواجهما إلى بلاد الكفار، أو بلاد أخرى تماثلها في الفساد لقضاء شهر العسل زعموا، وفي ذلك مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ، فقد روى الترمذي من حديث جرير بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٠).

(٢) هذه الفتوى عليها توقيع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بِتَارِيخِ ١٦/٩/١٤٠٩ هـ.

(٣) برقم (٦٥٧).



كُلُّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ ظَهْرَانِيِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»^(١).

وما ينتج عن ذلك السفر من مفسد، وخلع للحجاب، واختلاط المرأة بالأجانب، وذهاب إلى أماكن اللهو والفساد، وغير ذلك من المفسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٩/٥) برقم (١٢٠٧).

الكلمة المئة وثمان

شرح حديث (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ^(١) لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

قوله: «أَصْبَحَ» أي: أصبح في ذلك اليوم، وفيه إشارة إلى أن المؤمن عليه ألا يحمل هم المستقبل، فإن أمره بيد الله، وهو الذي يدبر الأمور، ويقدر الأقدار، وعليه أن يحسن الظن بربه، ويتفائل بالخير.

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، قيل: المعنى: في أهله وعياله، وقيل: في مسكنه وطريقه، وقيل: في بيته، فهو آمن أن يقتله أحد، أو يسرق بيته، أو ينتهك عرضه.

والأمن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، ولا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدوها، كالذين يعيشون في البلاد التي يختل فيها النظام والأمن، أو الذين عاصروا الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل، فهم ينامون على أزيز الطائرات وأصوات

(١) وحيزت: جمعت.

(٢) برقم (٢٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

المدافع، ويضع الواحد منهم يده على قلبه ينتظر الموت في أي لحظة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام].

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن إن حققوا التوحيد وأخلصوا الإيمان، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٥٥) [النور].

وقال تعالى: ﴿ٱلْآيٰتِ ٱلْأُولَىٰ ءَ ٱللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٤) [يونس].

قوله: «مُعَافَىٰ فِى بَدَنِهِ»، أي: صحيحاً سالمًا من العلل والأسقام، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْبَرَصِ وَٱلْجُنُونِ وَٱلْجُدَامِ، وَمِن سَيِّئِ ٱلْأَسْقَامِ» (١).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه صباحًا ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، روى الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُوْلُ ٱللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ ٱلدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «ٱللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْأَلُكَ ٱلْعَافِيَةَ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، ٱللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْأَلُكَ ٱلْعَفْوَ وَٱلْعَافِيَةَ فِى دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي...» الحديث (٢).

(١) (٣٠٩/٢٠) برقم (١٣٠٠٤) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) برقم (٥٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٧) برقم (٤٢٣٩).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: **قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»**(١).

وأخبر النبي ﷺ أن الكثير من الناس مفرط ومغبون في هذه النعمة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: **قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»**(٢).

وأرشد النبي ﷺ أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **أن النبي ﷺ قال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ... وَذَكَرَ مِنْهَا: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ»**(٣).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري يقول: **«إِذَا أَصَبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»**(٤).

والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها ليحمد الله ﷻ صباحًا ومساءً على نعمة العافية، وصدق الله إذ يقول: **﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّكُمْ**

(١) برقم (٣٥٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٠) برقم (٢٨٢١).

(٢) برقم (٦٤١٢).

(٣) (٥/ ٤٣٥) برقم (٧٩١٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٤) برقم (٦٤١٦).

الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم].

قوله: «عنده قوت يومه»، أي: قدر ما يغديه ويعشيه، والطعام من نعم الله العظيمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قریش].

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من الجوع، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّحِيجُ»^(١).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه الكفاف، أي مقدار ما يكفيه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»^(٢).

ومما تقدم يتبين أن من اجتمعت له هذه الخصال الثلاث في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها، وقد اجتمع لكثير من الناس أضعاف أضعاف ما ذكر في هذا الحديث، ومع ذلك فهم منكرون لها، محتقرون ما هم فيه، فهم كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ودواء هذا الداء أن ينظر المرء إلى من حرم هذه النعم، أو بعضها، كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَيَّ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ،

(١) برقم (١٥٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٨/١) برقم (١٣٦٨).

(٢) البخاري برقم (٦٤٦٠)، ومسلم برقم (١٠٥٥).

وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» (١).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَضَعَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ (٢).

وأختم بهذا الحديث الذي يبين أن كثيراً من الناس يعيشون عيشة الملوك:

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:
 أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَاكَ
 امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَاكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:
 فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ (٣).

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى وأضحى صحيحاً جسمه وهو في أمن
 فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها وحقَّ عليه الشكر لله ذي المنن
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٤٩٠)، ومسلم برقم (٢٩٦٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/٦).

(٣) برقم (٢٩٧٩).

تفسير آية الكرسي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلقد كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات. اهـ^(١).

وتسمى آية الكرسي لذكر الكرسي فيها.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وهو الحي في نفسه، الذي لا يموت أبدًا،

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ١١٢).

القيم بغيره، ومن تمام حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، والسنة هي النعاس، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ التُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١).

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه، كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾ [مريم].

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، هذا من عظمته وجلاله، وكبريائه ﷺ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ ﴿٣٦﴾ [النجم].

وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷺ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ»^(٢).

(١) برقم (١٧٩).

(٢) البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تعالى إخباراً عن الملائكة: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) [مريم].

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ قال ابن كثير: أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله ﷻ، وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (١).

قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره» (٢). وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي، أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي؟!

قال الطحاوي: والعرش والكرسي حق، قال ابن أبي العز الحنفي: العرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم (٣)، وهو سقف المخلوقات، قال عبدالله بن رواحة:

شَهِدْتُ بَأَنَّ وَعَدَ اللهُ حَقًّا وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩).

(٢) (٦٧٨/٢) برقم (٣١٧٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير (١/٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو (ص ٧٦)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ٤٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ^(١)

روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أي: لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو العلي بذاته، فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته، العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبوت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها أعظم آية في القرآن، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال:

(١) العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

(٢) برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١).

(٣) برقم (٨١٠).

وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(١).

ثانياً: سعة علم الله وإحاطته بكل شيء، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام].

ثالثاً: عظمة الله سبحانه، وسعة سلطانه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الله تعالى لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض، بل ذلك سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وعشرة

حفظ اللسان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على الإنسان، نعمة اللسان، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ ٩ ﴾ [البلد].

وهذا اللسان إن لم يستخدم في طاعة الله، كان وبالاً على صاحبه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ٢٤ ﴾ [النور].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تحث على حفظ اللسان، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظْ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ١٨ ﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ ١١٦ ﴾ [النحل].

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ عَمَلٍ يُقَرَّبُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ

يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَوْ بَعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

قوله: «مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا»، أي لا يدري هل هي في طاعة الله أو معصيته؟

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْنِكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث سفيان الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به؟ قال: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هَذَا»^(٥).

وقال عبد الله بن مسعود: «أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم

(١) برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٣) برقم (٦٤٧٤).

(٤) برقم (٢٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن.

(٥) برقم (٢٤١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ما بلغ حاجته»^(١).

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم»^(٢).

وقال الأوزاعي: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه»^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَيَّ طُولِ سَجْنٍ مِنْ هَذَا اللُّسَانِ»^(٤).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. اهـ^(٥).

وشر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضر ما يكون على العبد.

قال ابن القيم: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر،

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ٢٤١).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/١٢٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/١١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٠٠).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/١٩).

ومن النظر الحرام، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول. اهـ^(١).

وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ حدث أن رجلاً قال: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِغُلَّانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ إِلَّا أَغْفِرَ لِفُلَّانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَّانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(٢). أو كما قال.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَتَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي حَقِّ رَجُلٍ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: أَغْزَوْتَ الرُّومَ؟ قَالَ: لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ: سَلِمَ مِنْكَ النِّصَارِيُّ، وَلَمْ يَسَلِمْ مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ!

وقال بعضهم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ

قال بعض أهل العلم: في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى، آفة السكوت عن الحق، أو آفة الكلام بالباطل، وقد تكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٠).

(٢) برقم (٢٦٢١).

الحق شيطان أحرص عاص لله، مرء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه مثل من يرى المنكرات أمام عينيه مع قدرته على التغيير ولا يفعل.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

الآفة الثانية: التكلم بالباطل، وهو شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط هم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أنها تضره في آخرته يوم القيامة.، عندما يأتي بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكره الله وما اتصل به. اهـ^(٢).

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٢).

الحوار العين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الجنة الذي وعد الله به المؤمنين، مما تشتاق إليه النفوس، وتهفو إليه القلوب، الحوار العين، فقد وصفهن الله بأحسن الصفات، وحلاهن بأجمل الحلي، وشوق الخطاب إليهن، حتى كأن المؤمنين يرونهن رأي العين، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتْ أَطْرَفٌ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن].

قال الحسن وعامة المفسرين: «في صفاء الياقوت، وبياض المرجان»^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الواقعة].

والحوار جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين، قالت عائشة رضي الله عنها: «البياض نصف

(١) تفسير ابن كثير (٣٣٤/١٣).

الحسن». وقال عمر رضي الله عنه: «إذا تم بياض المرأة في حسن شعرها، فقد تم حسنها».

والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:

بيضٌ أو أنسٌ ما هممن بريبةٍ كظباءِ مكة صيدهن حرامٌ
يُحسبن من لين الحديثِ زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلامُ

قوله: ﴿عُرْبًا﴾ في الآية الكريمة، العرب جمع عروب، وهي التي جمعت إلى حلاوة صورتها، حسن التاني والتبعل والتحبب إلى الزوج بدلها وحديثها، وحلاوة منطقتها، وحسن حركاتها. وذكر المفسرون في تفسير العرب بأنهن العواشق المتحبات، الغنجات، الشكلات، المتعشقات، الغلمات، المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم^(١).

قوله ﴿أَثْرَابًا﴾: قال ابن عباس: وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة^(٢).

وقد أودع سبحانه في الحدور العين من حسن الخلق والخلق، وجمال الصورة، ورقة البشرة ما يبهر العقول، وتعجز الألسن عن وصفه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ رُؤْمَرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، أَنْيَّتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ،

(١) بدائع التفسير (٤/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٦).

لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

والحور العين مطهرات من كل أذى وقدر ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

قال جمع من المفسرين: المطهرة من طهرت من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا (٣).

قال ابن القيم رحمته الله: فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى

(١) البخاري برقم (٣٢٤٥)، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري برقم (٢٧٩٦)، وأخرج مسلم أوله برقم (١٨٨٠)، والغدوة الذهاب أول النهار للغزو في سبيل الله، والروحة الذهاب آخره للغزو في سبيل الله.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢ - ٣٢٣).

غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ^(١).

وإن من أعظم ما أتخف الله به عباده في دار كرامته، زواجهم من الحدود العينية، فهذا الزواج تتحقق السعادة وتكتمل اللذة، قال تعالى:

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [٢٠] ﴿ الطور ﴾. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴾ [٥٥] ﴿ هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [٥٦] ﴿ يس ﴾.

قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم: «شغلهم افتضاض الأبقار»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِثْلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

وهذه الخيام غير الغرف والقصور التي في الجنة، فذاك نعيم آخر، روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصِلُ إِلَىٰ نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَىٰ مِئَةِ عَذْرَاءٍ»^(٤).

والحدود العينية يشتقن إلى أزواجهن من المؤمنين، فتدعو الواحدة منهن على من يتعرض لزوجها في الدنيا، فكيف إذا قدم عليها وبشرت

(١) بدائع التفسير (١/٢٩٧). (٢) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩).

(٣) البخاري برقم (٣٢٤٣)، ومسلم برقم (٢٨٣٨).

(٤) (٢/٦٨) برقم (٧٩٥) وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على

شرط الصحيح، تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٥).

بذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «لَا تُؤْذِي أُمَّرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلِكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(١).

وعرائس الجنان من الحور العين لا يزددن مع مرور الدهور والأحقاب إلا حسناً وجمالاً، وحباً وتودداً لأزواجهن في الجنة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَيَثَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»^(٢).

والصالحون في هذه الدار بعدما علموا ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبیهم في شأنهن - أي الحور العين - يكونون في أشد الشوق والحب إليهن، مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعة مولاهم، وأن يقر أعينهم بهن، قال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن شباب، فقال: يا معشر الشباب، أما تشاقون إلى الحور العين؟^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله:

يا خَاطِبَ الحُورِ الحِسانِ وطالِبًا لو صالهن بجنة الحيوان
لو كُنتَ تَدْرِي من خَطْبَتَ ومن طَلَبَ تَ بذلتَ ما تحوي من الأثمان

(١) (٤١٧/٣٦) برقم (٢٢١٠١) وقال محققوه: إسناده حسن، والدخيل الذي يرحل سريعاً.

(٢) برقم (٢٨٣٣).

(٣) انظر: رسالة (بشرى المحبين بأخبار الحور العين) للشيخ سعد الحمدان.

أو كُنْتُ تدرِي أينَ مسكنها جَعَد
ولقد وصفتُ طريقَ مسكنها فإن
أسرع وحث السيرَ جهدك إنما
فاعشق وحدث بالوصالِ النفسَ
واجعل صيامك قبل لُقياها ويد
واجعل نُعوتَ جمالها الحادي وسر
لت السعي منكِ لها على الأجان
رُمت الوصالَ فلا تكن بالواني
مَسْرَاكُ هذا ساعةُ لزمانِ
وابذل مهرها ما دمتَ ذا إمكانِ
وم الوصلِ يومَ الفطرِ من رمضانِ
تلقي المخاوفَ وهي ذات أمانِ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنتا عشرة

الابتلاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

أي نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعمة تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس: «﴿وَنَبَلُوكُم﴾: أي نبتليكم بالشر والخير، أي بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال»^(١). ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: فنجازيكم على مواقفكم من هذه الأحوال، فمن وقف موقف المؤمن واتقى الله في كل حالة نال المثوبة، ومن أساء نال العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٧٨).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلاَّ إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ ﴾ ﴿١١٤﴾ [البقرة].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الارت قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَن قَبْلِكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسْقُ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِن صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

وروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِن كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِن كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

وسأل رجل الشافعي رحمته الله فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل: أن يمكن فيشكر الله عز وجل؟ أو يبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا

(١) برقم (٣٦١٢).

(٢) برقم (٢٣٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يُمْكِنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نُوْحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكْنَهُمُ اللَّهُ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُصَ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةِ. اهـ (١).

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والله أسأل أن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة. اهـ (٢).

والمؤمن يصيبه البلاء تكفيرًا لسيئاته، ورفعة لدرجاته، وحتى يتميز الخبيث من الطيب، وغير ذلك من الحكم.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك ووعكًا شديدًا، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك ووعكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ» ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٢) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣).

(٣) برقم (٥٦٦٠).

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (١).

قال أبو عبيدة الهروي: أي يبتليه بالمصائب ليثبته عليها، وقد تبتلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاء واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت].

وما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل مكان، واتحادهم ضد المسلمين، ما هو إلا مصداق لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (٢).

ولن يكون الخلاص والنجاة من ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله، ويجب على المؤمن أن يكون على ثقة ويقين بنصر الله القريب، وإن كثر الأعداء، وعظمت قوتهم، فإن الله سينصر دينه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف].

(١) برقم (٥٦٤٥).

(٢) برقم (٤٢٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨١٠) برقم (٣٦١٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ [يوسف].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الزهد في الدنيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وصف ربنا ﷺ حال الدنيا وأهلها فيها، وكشف حقيقتها، وبين قصر مدتها، وانقضاء لذتها، فقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

فبين لنا العليم الحكيم في هذه الآية حال الدنيا التي افتتن الناس بها، وبين أنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب، وهو يشغل صاحبه ويلهيه عما ينفعه في آخرته، وزينة تخدع المفتون بها، وتفخر بالأنساب والعظام البالية، ومباهاة بكثرة الأموال والأولاد، وعظم الجاه، وأشار سبحانه إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال، كمثل غيث أعجب الزراع نباته الناشئ منه، ثم يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدره الله له، فسرعان ما تراه مصفراً متغيراً ذابلاً بعد أن كان أخضر نضراً، ثم يعود إلى اليبس هشيمًا متكسراً، ففيه تشبيه جميع ما في الدنيا من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل ويتلاشى في أقل من سنة، إشارة إلى سرعة زوالها وقرب فنائها.

ثم أشار سبحانه إلى عظم شأن الآخرة بما فيها من الآلام والعذاب الشديد لمن عصاه، والمغفرة والرضوان الموجب لكمال النعيم لمن أطاعه.

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَنَابِ ۝١٤﴾ ﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْأٰخِرَةِ إِلَّا لَمَتٌّ ۗ﴾ [الرعد: ٢٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن فهر: أن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ حَصِيرٍ، فَأَثَرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَّشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاجٍ اسْتَظَلَّ

تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنعصص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من همٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وحزن وغم بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها، ولا بد من دوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا، فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النافع العاجل، واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل، واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدق بذلك ولم يؤثر كان فاسد العقل سيئاً

(١) برقم (٤١٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٩٤ / ٢) برقم (٣٣١٧).

الاختيار لنفسه. والنبي ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها، وفاضت على أصحابه فأثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل اه^(١).

قال الشاعر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لَدَائَتُهُ مُنْغَصَّةً بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقد عاتب سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا، ورضاه بها يكون ثقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ

(١) الفوائد (ص ١١٢ - ١١٣) بتصرف.

بَلَعٌ فَهَلْ يُهُلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ»^(١). روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن الحارث قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءُ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً^(٢).

بل إنه عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير^(٣).

وأوصى النبي ﷺ جماعة من الأنصار أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب، ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وقال لأبي هريرة: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»^(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والزهد زهد في الحرام، وهو فرض عين،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٢) برقم (٢٧٣٩). (٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧).

(٤) ابن ماجه في سننه برقم (٤١٠٢) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٤).

وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه. وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ، والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع. إلى آخر ما قال^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وأربع عشرة

العافية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، نعمة العافية، قال تعالى عن نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يخاطب قومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١).

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأكثر من ثمنها، فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: رجل مغبون.

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، أي: آمناً على نفسه وأهله وعياله وماله.

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

قوله: «مُعَافَى فِي جَسَدِهِ»، أي: من الأمراض، أي: صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام.

قوله: «عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ»، أي: كفاية قوته وحاجته من وجه حلال.

قوله: «فَكَأَنَّما حِيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»، أي: ضمت وجمعت، فمن جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته.

وإن من أعظم المطالب، وأرفع المراتب التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها سؤال الله العافية، روى الترمذي في سننه من حديث رفاعة بن رافع قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقًا عَلَى الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة»^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) تحفة الذاكرين (ص ٣٠٥).

المُعَاْفَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن أفضل ما سأله العباد أن يعافيه الله، لأن العمدة الكبرى، والمنحة العظمى في نيل السعادة الدنيوية والأخروية هي العافية.

وروى البزار في كشف الأستار من حديث أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!»^(٢)، وفي الحديث دليل على أن سؤال الله العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء؟ وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم، بهذه الدعوة الكافية، وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطاً والقلوب بصيرةً، باستعمال هذا الدواء عند عروض كل داء، ومساس كل محنة، ونزول كل بلية، قال أحد الصالحين: «أكثرُوا من سؤال العافية، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه لا يأمن ما هو أشد منه، وإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافي الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم». والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها، ليحمد الله ﷻ صباحاً ومساءً على نعمة العافية.

(١) برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).

(٢) (٣٦/٤) برقم (٣١٣٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة (٢١٩٧).

قال الشاعر:

إني وإن كان جمع المال يُعجِبُنِي ما يعدلُ المألُ عندي صِحَّةَ الجَسَدِ
المألُ زينٌ وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسُقْمُ يُنْسِيكَ ذِكرَ المألِ والوَلَدِ

وكان النبي ﷺ يسأل ربه العافية صباحًا ومساءً، وحتى عند نومه، فروى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث، يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي ... الحديث، وقال في آخره: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

والعافية في الدنيا هي دفع الله عن العبد جميع الأَسقام والبلايا وجميع ما يكرهه ويشينه، والعافية في الآخرة هي دفع الله عنه جميع أهوال الآخرة وأفزاعها، ولا يخرج مطلوب العبد من هذين القسمين.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من سيئ الأَسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(٢) برقم (٢٧١٢).

(١) سبق تخريجه.

وأرشد عليه الصلاة والسلام أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، فروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ.. ذكر منها: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ» (٢): وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (٣)(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٦).

(٤) انظر: رسالة الشيخ عبد الهادي وهبي «الوسيلة الكافية لتحقيق العافية».

الكلمة المئة وخمس عشرة

مكانة المرأة في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن المرأة، وسيكون الكلام فيها حول الأمور التالية:

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام.

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: واجبنا نحو ذلك.

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في بعض مجتمعات الجاهلية تعيش فترة عصيبة، فقد كانوا يكرهون ولادتها، فمنهم من يدفنها وهي حية تحت التراب خوفاً على نفسه من العار، ومنهم من يتركها تبقى في حياة الذل والمهانة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير].

والموودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، والمرأة في الجاهلية ليس لها حظ في الميراث مهما عانت من الفقر والحاجة؛ لأن الميراث يختص بالرجال، بل إنها كانت تورث عن زوجها الميت كما يورث سائر المتاع، وكان الجمع الكثير من النساء يعشن تحت زوج واحد، حيث كانوا لا يتقيدون بعدد محدد من الزوجات، ولا يبالون بما ينالهن من المضايقات والظلم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ»^(١).

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام:

فقد رفع عنها المظالم، وأعاد لها مكانتها، وجعلها شريكة الرجل في الثواب والعقاب وسائر الحقوق، إلا ما اختص الله به النساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمَارَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا أَنْتِ النَّبِيَّةُ رضي الله عنها فَقَالَتْ: مَا أَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَىٰ النَّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (٢).

وحرّم الإسلام اعتبار المرأة من موروّثات الزوج، كما هو الحال في الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩].

فضمن لها استقلال شخصيتها، وجعلها وارثة لا موروثة، وجعل للمرأة حقًا في مال قريبها من الميراث، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧) [النساء].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (٣).

وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٤).

ثالثًا: شبهات والجواب عنها:

يردد أهل الشهوات عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن المرأة تعاني من الظلم، وأنها شق معطل، وأن البيت سجن لها، والقوامة سيف وصلت

(١) برقم (٣٢١١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩٢/٣) برقم (٢٥٦٥).

(٢) (٢٦٥/٤٣) برقم (٢٦١٩٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٤) برقم (١٩٧٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٤/١) برقم

عليها أن تتخلص منه، وقد أوجد ذلك وللأسف أثرًا عند بعض النساء. أما القول بأن المرأة تعاني من الظلم، فقد سبق الكلام عن مكانة المرأة في الإسلام، وكيف رفع المظالم التي كانت عليها في الجاهلية، وهي ليست شق معطل، بل إن بقاءها في بيتها وتربيتها لأولادها من أعظم الأعمال التي تثاب عليها، وتخرج ثمراتها إلى المجتمع المسلم.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ»^(١).

والذي ينظر إلى المجتمعات الغربية وكيف خرجت المرأة لتزاحم الرجال، وتركت أطفالها في رعاية الخدم، أو الحضانة، أو غيرها، وما جنى هؤلاء الغربيون من الفساد، وانحلال الأخلاق، وكثرة أولاد الزنا، والتفكك الأسري، وانتشار المخدرات والمسكرات، وغير ذلك، ليدرك عظمة هذا الدين، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أما القوامة فقد جعلت لحماية المرأة وصيانة عرضها من الرجال، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير: «أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت».

قال ابن عباس: «﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله،

(١) برقم (٤١٥١) وصححه الشيخ الألباني في آداب الزفاف (ص ٢٨٦).

حافظة لِمَالِهِ (١).

رابعاً: واجبنا نحو ذلك:

أولاً: تربية أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا تربية صالحة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أدبوهم وعلموهم الخير»، وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ» (٢).

ولو أن كل رجل اهتم بأسرته، ورباهم على الكتاب والسنة؛ لصلح المجتمع كله.

ثانياً: التزود بالعلم الشرعي، وبالعلم يكتشف المؤمن ضلال المضلين، وانحراف المنحرفين من العلمانيين وأهل الأهواء والشهوات، ويستطيع الرد عليهم وكشف مخططاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ثالثاً: الدعوة إلى الله عز وجل، وتحذير الناس من أهل الشر، وما يخططون له من إفساد المرأة، وإبعادها عن دينها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠ - ٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

قال: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

التحذير من الربا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي حرمها الله ورسوله، ولعن فاعلها، الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سوا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء فيه: «... أتاني الليلة آتياً، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإنني انطلقت معهما، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول -: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابع يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح

يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكَلَ الرَّبَا»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ ... وذكر منها: الربا»^(٢).

ومن صور الربا المحرم: شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، وإن من الجرائم العظيمة، والأمر الخطيرة ما نسمعه ونشاهده هذه الأيام من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل والدعايات لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها، وأنها من الربا الذي حرمه الله ورسوله.

جاء في الفتوى رقم (١٧٦١١): يتداول بين الناس في الوقت الحاضر بطاقة فيزا سامبا، صادرة من البنك السعودي الأمريكي، وقيمة هذه البطاقة الذهبية (٤٨٥) ريالاً، وإذا كانت فضية (٢٤٥) ريالاً، تسدد هذه القيمة سنوياً لمن يحمل بطاقة فيزا للاستفادة منها كاشتراك سنوي، ويحق لحامل هذه البطاقة أن يسحب من فروع البنك المبلغ الذي يريده سلفة، ويسدد بنفس القيمة خلال مدة لا تتجاوز

(١) برقم (٧٠٤٧).

(٢) البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

أربعة وخمسين يوماً، وإذا لم يسدد المبلغ المسحوب سلفة خلال الفترة المحددة يأخذ البنك عن كل مئة ريال فوائد قيمتها ريال وخمس وتسعين هللة (٩٥، ١)، ويحق لحامل هذه البطاقة شراء البضائع من المحلات التجارية التي تتعامل مع البنك، دون أن يدفع مالا نقدياً، وتكون سلفة عليه للبنك، وإذا تأخر عن سداد القيمة عن مدة أربعة وخمسين يوماً يأخذ البنك عن كل مئة ريال ريالاً وخمسة وتسعين هللة، فما حكم استعمال هذه البطاقة، والاشتراك السنوي مع هذا البنك.

الجواب: إذا كان حال بطاقة فيزا سامبا كما ذكر، فهذا إصدار جديد من أعمال المرابين، وأكل لأموال الناس بالباطل، وتأثيمهم، وتلويث مكاسبهم، وتعاملهم، وهو لا يخرج عن حكم ربا الجاهلية المحرم في الشرع المطهر (إما أن تقضي، وإما أن تربى)، ولهذا لا يجوز إصدار هذه البطاقة، ولا التعامل بها. اهـ.

ومن صورهِ كذلك بيع العينة، ويسميه بعض الناس الدينة، ومثاله: أن يبيع شخص سلعة على شخص آخر بمبلغ ألف ريال مؤجلة لمدة سنة، ثم في نفس الوقت يشتري البائع سلعته من المشتري بمبلغ خمسمئة ريال معجلة، وتبقى الخمسمئة ريال في ذمة المشتري الأول، وقد ورد النهي الصريح من النبي ﷺ عن بيع العينة، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(١).

ومن الشبهات التي يرددها بعض الناس قول بعضهم: أنا مضطر لأخذ

(١) سبق تخريجه.

القرض من هذا البنك الربوي، فعندي ضائقة مالية، أو أريد أن أتزوج، أو أريد أن أبنى مسكناً ولم أجد من يقرضني من الناس، والضرورات تبيح المحظورات، والجواب عن ذلك أن يقال: إن الضرورة إنما تكون عند خوف الشخص على حياته، فتباح له بقدر الحاجة، كأن يكون في خارج البلد، واشتد به الجوع والعطش حتى كاد أن يموت، ولم يجد إلا خمراً أو ميتة، فتباح له بقدر ما يسد رمقه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال بعض أهل العلم: إنه يتناول ثلاث لقم ولا يزيد عليها، وأيضاً يقال لهذا وأمثاله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن الشبهات كذلك قول بعضهم: إن هذه البنوك مؤسسات تجارية، فهي تدفع رواتب للموظفين، وتدفع إيجاراً للمبنى، وتحتاج إلى أجهزة تشتريها بمبالغ مالية، وغير ذلك، فالقروض التي تعطيها للناس بفوائد إنما هي للمصاريف الإدارية، وهذا كلام فيه تضليل؛ لأن صورة الربا التي وردت النصوص الشرعية بتحريمها موجودة، ومنطبقة على هذه البنوك، وسواء سميت مصاريف إدارية، أو فوائد، أو غير ذلك، فالأسماء لا تغير الحقائق، وقد صدرت فتاوى من علماء هذه البلاد بتحريم التعامل مع هذه البنوك، عملاً أو شراءً أو اقتراضاً أو غير ذلك، جاء في الفتوى رقم (٣١٩٧): ما حكم الزيادة التي تأخذها البنوك؟

الجواب: الفائدة التي تأخذها البنوك من المقترضين، والفوائد التي تدفعها للمودعين عندها، هذه الفوائد من الربا الذي ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ.

وجاء في الفتوى رقم (١٠٨٠): هل ينطبق على كاتب الحسابات في بنك حديث لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه؟

الجواب: البنوك تتعامل بالربا مع من تقرضه، ومع من يودع فيها نقوداً، ومع غيرهم، ولا بد لمن عمل فيها كاتباً للحسابات أن يتولى حساب المعاملات الربوية، ويقيد في الدفاتر ما على كل من أطراف المعاملات، وما له، ويتحدد بذلك المدين من الدائن، وعلى ذلك ينطبق الحديث المذكور على كاتب الحسابات في البنوك الربوية، وما في حكمها من المصارف. اهـ^(١).

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عن سواك.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ..﴾ الآية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مريم].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذا خطاب لسائر الخلائق برهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه»^(١). اهـ.

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَاهُمْ كَلْمَحُ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ»^(٢).

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين، والصراط الذي وردت

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ٥٨٠).

(٢) برقم (٣١٥٩) وقال: هذا حديث حسن.

الإشارة إليه في الأحاديث هو جسر منصوب على متن جهنم، وهو صراط دقيق جداً كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أنه قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»^(١).

والصراط ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال السفاريني رحمته الله: والصراط شرعاً جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم^(٢).

قال الشاعر:

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي يُسَائِلُنِي وَيُنْكَشِفُ الْغَطَاءُ
وَحَسْبِي أَنْ أَمْرَ عَلَى صِرَاطٍ كَحَدِ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ - قال في الحاشية: «الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر» - فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكٌ - الخطاف هو الحديد المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، والكلايب هي حديدة معطوفة الرأس، ويعلق عليها اللحم، والحسك هي شوكة صلبة معروفة - فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٨٩/٢).

يُسْحَبُ سَحْبًا ... الحديث» (١).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مريم].

قال ابن كثير: أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار، والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا (٢). اهـ.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن الورود على النار لا بد منه لكل الناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» قَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ» (٤).

ثانياً: الصراط حق يجب الإيمان به، والاستعداد له بالعمل الصالح، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «والصراط حق، يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك، نسأل الله

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٨١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) مختصراً.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٧/٩).

(٣) (٥٩٠/٤٤) برقم (٢٧٠٤٢) وقال محققوه: صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢) واللفظ له.

السلامة في الجواز» (٢).

ثالثاً: أن التقوى سبب النجاة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الظلم عاقبته الهلاك في الدنيا والآخرة، لقوله في هذه الآية: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].

خامساً: أن سرعة مرور المؤمن على الصراط بقدر أعماله التي كانت في الدنيا؛ فلذلك ينبغي له المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِنَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب»^(١).

ومن أمثلة المبادرة إلى الأعمال الصالحة التبكير في الحضور إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة أو الجمعة، والإكثار من نوافل الصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، والصدقة على الفقراء والمساكين، وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تحريم الدخان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف المسلمين، وابتلي بها كثير من الناس شرب الدخان، ولا يخفى على كل عاقل مطلع على مقاصد الشريعة الإسلامية تحريم هذا الدخان، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: إنه من الخبائث، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولا شك أن الدخان من الخبائث، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو صاحب هوى، وكثير من الذين شربوا الخمر، واستخدموا المخدرات كانت البداية هي الدخان، ثم تطور الأمر بعد ذلك، والمعصية تقول: أختي أختي، وثبت طبيياً أن ٨٠٪ من الذين استخدموا المخدرات كانت البداية هي التدخين.

ثانياً: إن في شربه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ولا شك بأن شارب الدخان إذا مات بسببه فإنه يعد قاتلاً لنفسه بتلك المواد السامة في السجائر وإن كان القتل بطيئاً، إذ لا خلاف بأن من تسبب في قتل نفسه، سواء كان القتل بطيئاً أو سريعاً فإنه يأثم بذلك.

ثالثاً: إن في شربه أضراراً صحية على البدن، وقد تعالت صيحات الأطباء بالتحذير منه، وقالوا: إن الدخان يحتوي على مواد سامة، من أهمها مادة النيكوتين، وهذه المادة لو وضع منها نقطتان في فم كلب لمات في الحال، وخمس نقاط تكفي لقتل جمل، ويقول أحد الأطباء: إن الكمية الموجودة من هذه المادة في سيجارة واحدة كافية لقتل إنسان لو أعطيت له بواسطة الوريد. وقد ذكر بعضهم أن أخوين تراهنا أيهما يدخن أكثر من الآخر، فمات أحدهما قبل السيجارة السابعة عشر، ومات الآخر قبل أن يتم الثامنة عشر.

ومن أشد الأمراض التي يحدثها التدخين مرض السرطان، يقول

(١) البخاري برقم (٥٧٧٨)، ومسلم برقم (١٠٩).

(٢) البخاري برقم (٦١٠٥)، ومسلم برقم (١١٠).

الأطباء: إن نسبة كبيرة من مرضى السرطان أصيبوا بهذا المرض بسبب الدخان، وأيضاً أمراض القلب والجهاز التنفسي.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ»^(١).

رابعاً: إن في شربه إضاعة للمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء].

ولا شك بأن شارب الدخان من أكثر المبذرين، ولو رأينا شخصاً يمسك الدراهم بيده، ويشعل النار فيها لقلنا: إنه مجنون.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»^(٢).

خامساً: إن الدخان لا يقتصر ضرره على صاحبه، بل يتعدى ضرره إلى زوجته وأولاده وأقربائه وجلسائه، وقد تقرر عند الأطباء ذلك، وهو واضح من تلوث الهواء بالغازات السامة التي تنبعث منه، وتقدم في الحديث قوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ».

سادساً: إن الدخان تنبعث منه رائحة خبيثة تكون في فم المدخن وبدنه وثيابه، تؤذي الجليس والأنيس، وخصوصاً عند دخوله المسجد واختلاطه بالمصلين، وقد أمر النبي ﷺ من وجدت منه رائحة الثوم والبصل ونحوها أن يخرج من المسجد، مع أنهما مما أحله الله، فكيف يكون نهيه إذا لصاحب الدخان؟ وهو القائل: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ

(١) (٥٥/٥) برقم (٢٨٦٥) وقال محققوه: حسن.

(٢) سبق تخريجه.

وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه مقاطعة المحلات التجارية التي تباع هذه السموم على الناس، وفي المقابل تشجيع المحلات والدكاكين التي تمتنع عن بيع الدخان، وهذا من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قد يقول البعض من الناس: لا أستطيع ترك الدخان، فيقال له: أنت تترك الدخان في رمضان أكثر من عشر ساعات، فالمسألة تحتاج إلى عزيمة وإرادة، وقد جرب أناسٌ كثيرون فتعبوا في بداية الأمر، ولكن الله علم منهم صدق النية، فأعانهم وتركوه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

وهناك عيادات متخصصة لمعالجة المدخنين، ويقوم عليها إخوة أفاضل، وقد نفع الله بها، وترك الكثير من المدخنين شرب الدخان بعد مراجعة هذه العيادات وأخذ العلاج اللازم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٨٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

فضل يوم الجمعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله تعالى خص أمة محمد ﷺ بخصائص ومميزات عن بقية الأمم، ومن ذلك أنه جل وعلا اختار لهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْأَخْرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا» (٢).

وروى ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما من حديث أبي هريرة

(١) برقم (٨٥٦)، ورواه البخاري بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٧٦).

(٢) برقم (٨٥٤).



أن النبي ﷺ قال: «لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَغْرُبُ على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تَفْرَعُ يومَ الجمعةِ إلا هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الجَنِّ والإنس» (١).

ومن فضائل هذا اليوم: أن الله جعله عيدًا للمسلمين، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ» (٢) الحديث.

ومنها: أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئًا إلا أعطاه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهُ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا، يَزِيدُهَا» (٣).

واختلف العلماء في وقتها على أقوال، أرجحها قولان:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحجة هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى: أن عبد الله بن عمر قال له: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئًا؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» (٤).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٧٥٩) وصحيح ابن خزيمة برقم (١٧٢٧)، وقال محققه د/ محمد الأعظمي: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٠٩٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٨١) برقم (٩٠١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٩٤)، وصحيح مسلم (٨٥٢).

(٤) برقم (٨٥٣).

الثاني: أنها بعد العصر، وهو أرجح القولين، لما روى النسائي من حديث جابر رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(١).

وهذا القول هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، أما حديث أبي موسى السابق فقد أعل بعلل كثيرة أشار إليها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري^(٢).

ومنها أنه يوم تكفير السيئات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(٣).

ومن آداب يوم الجمعة التي ينبغي للمؤمن الحرص عليها:

أولاً: استحباب قراءة الإمام ع ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في فجر يوم الجمعة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾»^(٤).

ثانياً: استحباب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه النسائي من حديث أوس بن أوس: «مِنَ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالوا:

(١) برقم (١٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٠٨/١) برقم (١٣١٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٤٢١/٢ - ٤٢٢).

(٤) برقم (٨٧٩).

(٣) برقم (٢٣٣).



يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! أَيْ يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَلَيْكَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

وروى البيهقي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (٢).

ثالثاً: الأمر بالاعتسال فيه، وهو أمر مؤكد جداً، ويرى بعض العلماء وجوب الغسل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيْبًا إِنْ وَجَدَ» (٣).

رابعاً: استحباب مس الطيب والسواك، ولبس أحسن الثياب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طِيْبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى رَكَعَ مَا شَاءَ أَنْ يَرَكَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا» (٤).

خامساً: استحباب قراءة سورة الكهف، روى الحاكم من حديث

(١) برقم (١٣٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٢٩٧) برقم (١٣٠١).

(٢) (٣/٢٤٩) برقم (٥٧٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٠٧).

(٣) البخاري برقم (٨٨٠)، ومسلم برقم (٨٤٦).

(٤) (١٨/٢٩٢) برقم (١١٧٦٨) وقال محققوه: إسناده حسن.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»^(١).

سادساً: استحباب التبكير إلى صلاة الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس بن أبي أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَغَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ ثَمَ غَدَا أَوْ ابْتَكَرَ، ثَمَ دَنَا فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا كَصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامِ سَنَةٍ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذُّكْرَ»^(٣).

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة من السنن العظيمة، التي قصر فيها كثير منا، ولعل فيما تقدم من الأحاديث الواردة في فضل التبكير ما يقوي العزائم، ويشحذ الهمم للمسارعة إلى هذا الفضل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) [آل عمران].

وليحذر المسلم من التخلف عن صلاة الجمعة أو التساهل في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة

(١) (١١٧/٣) برقم (٣٤٤٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٤٧٠).

(٢) (٨٣/٢٦) برقم (١٦١٦١) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٨١)، وصحيح مسلم برقم (٨٥٠).



حدثاه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وعشرون

الأمانة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة التي وصف الله بها أنبياءه وعباده المؤمنين الأمانة. فوصف بها موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِن خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ووصف بها يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]. [يوسف].

وكذلك غيرهما من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث كان كل واحد منهم يقيم الحجة على قومه بوجوب طاعته؛ لأن الله اتتمنه على رسالته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٠٧] فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ [١٠٨]. [الشعراء].

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهوراً بينهم بأنه الأمين، فكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكّل عليّاً رد الودائع إلى أصحابها، وجبريل عليه السلام أمين الوحي، قد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [١١٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [١١٤]. [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ (١).

وهي من صفات المؤمنين المفلحين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون].

وبهذه الأمانة يحفظ الدين، والأعراض، والأموال، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب].

قال بعض المفسرين: المعنى أن الله ﷻ عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبيت حملها شفقاً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بالذي فيه الحظ له. اهـ (٢).

قال ابن جرير تعليقا على الآية الكريمة: وأولى الأقوال في ذلك

(١) البخاري برقم (٢٦٨١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٩/١٠).

بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عني بالأمانة في هذا الموضوع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا^(١).

قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين، ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، وقال بعضهم: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٢).

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن فقدان الأمانة من علامات الساعة، فروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث حذيفة قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُتَبَرِّأً، - أَي مَرْتَفِعًا - وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ»

(١) تفسير الطبري (٨/ ٦٧١٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٤٥).

(٣) (٧/ ٢٩٥) برقم (٧١٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٣).

(٤) رقم (٥٩).

فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي
فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي
قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات النفاق، فروى
البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ
الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

وقد ذكرت الأمانة في القرآن على ثلاثة أوجه، قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)
[الأنفال]. والمراد الفرائض.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
[النساء: ٥٨]. والمقصود الودائع، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَبْتَغِي
أَسْتَجِرُّهُ بِكِ حَيْرٍ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾^(٤) [القصص]. والمراد
العفة والصيانة.

ومن الأمانة حفظ الأسرار الزوجية، فروى مسلم في صحيحه من
حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ
عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ
سِرَّهَا»^(٥).

ومنها عدل الحاكم بين الرعية، فروى مسلم من حديث أبي ذر رضي عنه
قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي،

(١) البخاري برقم (٦٤٩٦)، ومسلم برقم (١٤٣).

(٢) البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٣) برقم (١٤٣٧).

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»^(١).

ومما تقدم يتبين أن الأمانة أوسع مما يتصور بعض الناس أنها مقصورة على الودائع، فإنها تشمل أمانة الرجل على دينه أن يقوم به ويحافظ عليه، فوقت المسلم أمانة، وعرضه أمانة، وماله أمانة عنده، وسمعه وبصره ولسانه أمانة، وجوارحه على وجه العموم أمانة.

ومنها أمانة الراعي على رعيته، والرجل على أهل بيته، والمرأة على بيتها وأولادها، والمدير على موظفيه الذين يعملون عنده، والموظف في وظيفته، والمدرس على طلابه، وبالجملة فإن الأمانة تشمل جميع وظائف الدين، كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

اللهم اجعلنا ممن إذا أوْتِمن أدى الأمانة، اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة وسائر الصفات الذميمة، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، واجعلنا من الراشدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وعشرون

صلة الأرحام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أنفس القرب، وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والآخرة، صلة الأرحام، والأرحام هم أقارب الرجل نفسه، كأمه وأبيه، وابنه، وابنته، وأخته، وأخيه، وكل من كان بينه وبينه صلة من قبل أبيه، أو أمه، أو ابنه، أو ابنته، ولا يدخل في ذلك أقارب الزوج أو الزوجة، فهؤلاء يحسن إليهم، لكن ليسوا أرحاماً، وإنما هم أصهار، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧٥] [الأنفال].

وقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام: وجعل الوصية بصلة الأرحام قرينة الوصية بالتقوى، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

أي اتقوا الله بفعل طاعته، وترك معصيته، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لكن صلوها وبروها كما قال ابن عباس وغير واحد من السلف.

قال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨].

فبين سبحانه أن صلة الرحم حق لازم واجب الأداء، سواء كان حقاً مادياً أو معنوياً.

ولقد كانت الدعوة لصلة الرحم من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ أول بعثته، ففي الصحيحين في قصة أبي سفيان مع هرقل حين سأله هرقل: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ يعني النبي ﷺ، قال أبو سفيان: قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ (١).

وصلة الأرحام سبب لبسط الرزق وطول العمر في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ففي الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة؟ وما يبعدني من النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد. فقال النبي ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ» (٢). وفي رواية: «إِنْ تَمَسَكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣)، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٤).

(١) البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) البخاري برقم (١٣٩٧) ومسلم برقم (٣٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣).

(٤) البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وقطיעة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، التي توعد الله صاحبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْغُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد]»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(٢).

وقاطع الرحم مهدد بعدم دخول الجنة، ففي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(٣).

والواصل لرحمه هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا

(١) البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) برقم (٢٥١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٥٦). واللفظ لمسلم.

قَطَعَتْ رَحْمَهُ وَصَلَّهَا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» (٢).

قال شراح الحديث: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، ولكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم بحقه، وإدخالهم الأذى عليه.

قال الشاعر:

وظَلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاظَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
وتحصل صلة الرحم بالإحسان إليهم بما يتيسر من أنواع الإحسان، قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، والعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالذعاء.

قال القرطبي: تجب مواصلتها - يعني الرحم - بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم. والمعنى الجامع للصلة أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، بحسب الوسع والطاقة لكل شخص منهم بحسب منزلته وحاله، ومناسبة صلته، وتيسر ذلك. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٢) برقم (٢٥٥٨).

(١) برقم (٥٩٩١).

قال الإمام النووي: قال أصحابنا: «يستحب أن يقدم الأم في البر، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجدات، ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام، كالأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب^(١)، إلى آخر ما قال.

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: «بِرُّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتِكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»^(٢).

والصدقة على ذي الرحم تضاعف لصاحبها، روى الترمذي في سننه من حديث سلمان بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ميمونة بنت الحارث: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلَيْدَةً، وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلَيْدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٣/٦).

(٢) (٢٠٩/٥) برقم (٧٣٢٧)، وقال محققه الشيخ عبد السلام علوش: له شواهد.

(٣) برقم (٦٥٨)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) البخاري برقم (٢٥٩٢)، ومسلم برقم (٩٩٩).

الكلمة المئة واثنان وعشرون

وقفه مع سورة الماعون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر، سورة الماعون، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتَهُ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾﴾ أي: أرايت يا محمد الذي لا يصدق بالجزاء وما فيه من ثواب وعقاب، وقيل: إنه عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، وهؤلاء هم الذين ينكرون البعث، ﴿وَكَاؤُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة]، ويقول القائل منهم: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس].

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتَهُ ﴿٢﴾﴾ أي الذي يقهر اليتيم، ويظلمه حقه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه، واليتيم هو الذي مات أبوه، وهو دون سن البلوغ، ذكراً كان أو أنثى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله، أو تكذيبه بالجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ

الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَخْضُوتَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ [الفجر].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

﴿٥﴾﴾ [الماعون] فويل: أي عذاب لهم، قال بعض المفسرين: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج الوقت.

روى أبو يعلى في مسنده من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتَاهُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ أَيْنَا لَا يَسْهُو؟ أَيْنَا لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا إِضَاعَةُ الْوَقْتِ يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ^(١).

قال تعالى: ﴿﴿﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

وقال آخرون: يتركونها فلا يصلونها، وقد ورد ذلك عن ابن عباس، وقال: هم المنافقون الذين يتركون الصلاة سرًّا، ويصلونها علانية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت دائمًا أو غالبًا، وإما يقصرون عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، وكل من اتصف بشيء من ذلك له قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل النفاق العملي، كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ، قَامَ

(١) (٣٣٦/١) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٤٤١/١): إسناده

فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا^(١).

فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن، ولا خشع أيضًا، ولهذا قال: لا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولعله إنما حملة على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يُصل بالكلية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وقال تعالى ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ٦.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٧ أي: لا أحسنوا عبادة ربهم بإخلاص العبادة له، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به، ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم كالإناء، والدلو، والفأس، فهؤلاء؛ لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى^(٢). أهـ.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن فيها الحث على إطعام اليتيم والمسكين، والتحضيض على ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وقال بإصبعه السبابة والوسطى^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَالْقَائِمُ لَا يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ»^(٤).

(١) برقم (٦٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٤٦٨ - ٤٧١).

(٣) برقم (٦٠٠٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٠٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٢) واللفظ له.

ثانياً: الحث على أداء الصلاة في وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» (١).

ثالثاً: الحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء، والدلو، والكتاب، والفأس، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ» (٢).

قَالَ حَسَّانٌ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً (٣).

رابعاً: الحث على الإخلاص في العمل، والتحذير من الرياء والسمعة، كما قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان].

روى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» (٤).

المعنى: أن من سمع فضحه الله، وبين للناس أن الرجل ليس

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (٢٦٣١).

(٣) برقم (٢٦٣١).

(٤) البخاري برقم (٦٤٩٩)، ومسلم برقم (٢٩٨٧).

مخلصًا، ولكنه يريد أن يسمعه الناس فيمدحونه على عبادته، ومن رأى
كذلك يفضحه الله، ويبين أمره إن عاجلاً أو آجلاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثلاث وعشرون

كلمة توجيهية للمدرسين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المدرسين، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها.

أولاً: إخلاص النية لله تعالى في تعليمهم أبناءهم وإخوانهم الطلاب، وتربيتهم على ما يرضي ربهم جل وعلا، والصبر على ذلك احتساباً للأجر منه، وابتغاء ثوابه، قال بعض أهل العلم: «الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجاز سواه، وهو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ بِرَبِّهِمْ خَفِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١١) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) ﴿ [الأنعام].

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين: الأول: أن يكون العمل ظاهره موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١).

الثاني: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (٢).

قال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة (٣).

ومن أعظم الدلائل على الإخلاص: أن العبد يعمل العمل الصالح، ثم لا يبالي باطلاع الناس عليه، بل لو نسب إلى غيره لأفرحه ذلك لعلمه أنه محفوظ عند الله تعالى.

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس له فيها نصيب - أي من الدنيا -.

ثانيًا: تقوى الله عز وجل، ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله عز وجل وصيته للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يوصي أصحابه بتقوى الله، ففي حديث العرباض بن سارية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٩٣/٢).

وَالطَّاعَةَ»^(١).

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

والحذر من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، ويدخله مدخلا كريما، قال تعالى: ﴿إِنْ جَتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. أي كثير الخير والبركة، والحذر من صغائر الذنوب، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ»^(٢).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

قال الأوزاعي: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ثالثاً: القدوة الحسنة، فمن المعلوم أن الطالب يتأثر بمعلمه، ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على المربين والمعلمين ألا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٢] كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: ٣].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى مَا

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦٠٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧١) برقم (٣٨٥١).

(٢) برقم (٦٤٩٢).

أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْأَصْلَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿ هود: ٨٨ ﴾ .

قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

رابعاً: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم في أقواله وأعماله؛ في عبادته لربه، وتعامله مع عباده، قال عبد الله بن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

فأوصي أخي المدرس أن يكون حسن الخلق مع زملائه، ومع طلابه، ومع أولياء أمورهم، وأن يكون رفيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

ولقد كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي

(١) برقم (٢٠٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٥٩٣).

إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفُّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟» (١).

خامسًا: أن يحرص المدرس على تربية طلابه تربية صالحة فيعلمهم أمور الإسلام والإيمان، ويغرس محبة الله وتعظيمه في قلوبهم، ويحبب إليهم النبي ﷺ، ويبين لهم وجوب اتباعه، والعمل بسنته، والاقترداء به، ويعلمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، كآداب المسجد، والمجلس، واحترام المعلم والكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، ويعودهم على الكلام الحسن، ويحذرهم من الألفاظ القبيحة، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وأربع وعشرون

غض البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن التي يواجهها المسلم في هذه الحياة فتنة النظر إلى النساء وهذه الفتنة تواجهه في السوق، وفي الطرقات، وفي الأماكن العامة، وفي الجرائد والمجلات، وفي غير ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٢).

ومن الأمور المعينة للتغلب على هذه الفتنة:

أولاً: استحضار النصوص الواردة في الأمر بغض البصر، والنهي عن إطلاقه في الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٥٠٩٦)، ومسلم برقم (٢٧٤٠).

(٢) برقم (٢٧٤٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّانَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا
 مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ
 زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى
 وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من
 حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظْرِ الْفَجَاءَةِ؟
 فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال
 رسول الله ﷺ لعلي: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتَبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى،
 وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»^(٣).

ثانياً: استحضر العبد اطلاع الله عليه، وإحاطته به لكي يخاف،
 ويستحي منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا نُوسُوا بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
 تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
 أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاء في الأحاديث المختارة عن سعيد بن زيد أن رجلاً قال
 لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللَّهَ ﷻ، كَمَا تَسْتَحِي
 رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٤٣)، وصحيح مسلم (٢٦٥٧).

(٢) برقم (٢١٥٩).

(٣) برقم (٢١٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٣/٢) برقم (١٨٨١).

(٤) الأحاديث المختارة (٢٩٩/٣) برقم (١٠٩٩)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في

صحيح الجامع الصغير (٤٩٨/١) برقم (٢٥٤١).

ثالثاً: أن يتذكر العبد شهادة العينين عليه يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ [فصلت]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُحِرِّنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلٌّ» (١).

رابعاً: أن يتذكر العبد منافع، وثمرات غض البصر، قال ابن القيم رحمته الله: «ومن ثمراته:

أ - أن في غضه امتثال لأمر الله، الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعااده، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

ب - أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه، قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصَغَرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ
يَسُرُّ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

وقال آخر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتِكَ الْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُؤْلَهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَن بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

ج- أنه يورث القلب سرورًا، وانسراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك بقهر عدوه بمخالفة نفسه وهواه^(١)، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

د - أنه يكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يكسب القلب ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣) [النور].

ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان^(٣).

خامسًا: الزواج وهو من أنفع العلاج وأقواه في معالجة هذا الأمر، روى البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شر البصر الذي يؤدي إطلاقه إلى كل شر، فروى البخاري في الأدب المفرد من حديث شكل بن حميد رضي عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاءً أنتفع به. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصْرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِّي»^(٢).

قوله: «وَبَصْرِي»: كي لا أنظر إلى محرم، وفي هذا الحديث الالتجاء إلى الله تعالى بالمعافاة من شر السمع والبصر واللسان والقلب، والمني؛ لأن هذه الحواس والأشياء خلقت للطاعة^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) (٦٦٣) واللفظ له، وأبو داود برقم (١٥٥١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٥).

(٣) الشرح الممتع (٤/٢٢).

الكلمة المئة وخمس وعشرون

تحريم حلق اللحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين حلق اللحية.

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جرير رضي عنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنِي: «فِيمَا اسْتَطَعْتَ»، وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ^(٢).

وعملاً بهذا التوجيه النبوي الكريم كانت هذه الكلمة للتذكير بتحريم حلق اللحية.

واللحية اسم جامع للشعر النابت على العارضين والخدين والذقن، وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير من حلقها، أو أخذ جزء منها، وذلك من عدة وجوه:

(٢) برقم (٥٦).

(١) برقم (٥٥).

أولاً: أنه تغيير لخلق الله، قال تعالى حاكياً عن إبليس لعنه الله: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرْتَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

فالواجب على المسلم أن لا يتعرض لشيء مما خلقه الله بالتغيير، إلا ما أذن الشرع في أخذه، مثل شعر الرأس، والشارب، والإبطين، والأظافر، وغير ذلك مما أذن فيه الشرع، وإذا كانت المرأة التي تقوم بتنف الحاجبين، وتفليج الأسنان للحسن، قد لعنها رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشْمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ» ما لي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله ^(١).

وعلة ذلك أنها غيرت خلق الله، مع أنه مباح لها الزينة، فالرجل من باب أولى، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٠] [الروم].

ثانياً: أن اللحية من سنن الفطرة، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة: أن النبي ﷺ قال: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ ... وذكر منها: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ» ^(٢).

ثالثاً: أن في حلقها مخالفة للأحاديث الصحيحة الموجبة لإعفائها، وهي كثيرة، ومقتضى الأمر الوجوب ما لم يأت صارف عن هذا الأمر، فدل على أن إعفاءها أمر واجب على كل مسلم، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١٢٥).

(٢) برقم (٢٦١).

تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن هذه الأحاديث ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْهَكُوا الشَّوَارِبَ - يعني: حُقُفُوا الشَّوَارِبَ -، وَأَعْفُوا اللَّحَى»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: عن النبي ﷺ: أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ^(٢)، وقد عد النووي الألفاظ التي وردت في اللحية، فبلغت خمسًا، وهي: أعفوا، وأرخوا، وأوفوا، وأرجوا، ووفروا، وهذه تدل على ترك اللحية وافرة، وعدم التعرض لها بشيء من الحلق أو التنف أو التقصير^(٣).

رابعًا: أن في حلقها تشبهاً بالمشركين والمجوس واليهود والنصارى، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديثه: أن النبي ﷺ قال: «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْحُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ»^(٥). وذلك أن المجوس يطيلون الشوارب، ويقصون اللحى، وبعضهم يحلقها تمامًا، فنهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم في هذا وذلك، وفي الحديث الذي رواه ابن

(١) البخاري برقم (٥٨٩٣)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٢) برقم (٢٥٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥١).

(٤) البخاري برقم (٥٨٩٢)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٥) برقم (٢٦٠).

جرير، وابن سعد في الطبقات في قصة رسولي كسرى حينما رأهما النبي ﷺ وقد حلق كل واحد منهما لحيته، ووفرا شاربيهما، فأعرض عنهما النبي ﷺ وقال: «وَيْلُكُمْ، مَنْ أَمَرَكُمْ بِهَذَا؟»، فقالا: أمرنا ربنا، يعينان كسرى، فقال لهما النبي ﷺ: «وَلَكِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعْفِيَ لِحْيَتِي، وَأَنْ أَقْصَّ شَارِبِي»^(١).

فإذا كان النبي ﷺ أنكر على هذين الرجلين، مع العلم بأنهما كافران من المجوس، فالمسلم من باب أولى.
إضافة إلى أن اللحية زينة وجمال للرجل.

خامساً: إن في حلقها مخالفة لسنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، والخلفاء الراشدين والصحابة من بعدهم، قال تعالى حاكياً عن هارون وهو يخاطب موسى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: إذا ضمت هذه الآية إلى آية الأنعام التي ذكر فيها ﷺ والأنبياء، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. دلت على لزوم إعفاء اللحية وهذا دليل من كتاب الله.

وإعفاء اللحية من السمات التي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمات الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والعجب من الذين مسخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفترون من صفات الذكور، وشرف الرجولة إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (١/٢/١٤٧)، وهو حسن انظر: تخريج فقه السيرة (ص ٣٥٩) للألباني، والعزوم منه.

بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء، حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى، وهو اللحية، وقد كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثَّ اللَّحِيَّةِ، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة، والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ليس فيهم حالق، نرجوا الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه^(١). اهـ.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحِيَّةِ^(٢)، وفي صحيح البخاري من حديث أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: «قُلْنَا لِحَبَّابٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِأَضْطِرَابِ لِحِيَّتِهِ»^(٣)، وهذا دليل على أنه كان يعفيها ولا يأخذ منها شيئاً، وهكذا الصحابة جميعاً ولم يعرف حلق اللحية إلا في الأزمنة المتأخرة.

وبعض الناس يثير شبهة إذا نصحته بعدم حلق اللحية، فيقول: الإيمان بالقلب، وليست القضية تربية اللحية، فكم من إنسان حلق اللحية خدم الإسلام والمسلمين، وكم من إنسان أعفى لحيته وعليه من التقصير ما الله به عليم؟

فالجواب عن ذلك أن على المؤمن الالتزام بأوامر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣١) [آل عمران]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٤).

(١) أضواء البيان (٣/٦٤).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٣٤٤).

(٣) برقم (٧٤٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه شبهة باطلة، لو أخذنا بها لتركنا كثيرًا من الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع. ثم إن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، فلا يكفي التصديق بالقلب، بل لا بد من العمل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وست وعشرون

كلمة توجيهية للمرأة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمارة الأنصارية رضي الله عنها: أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (١).

وهذه بعض الوصايا التي أوصي بها أخواتي المسلمات، وأسأل الله أن ينفع بها، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

(١) برقم (٣٢١١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الوصية الأولى: التمسك بالتوحيد، والحذر من الشرك، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران عظيمان، وهما:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى (لا إله إلا الله) الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة السواء هي (لا إله إلا الله)، أي لا معبود بحق إلا الله، فلا دعاء ولا استغاثة، ولا ذبح، ولا نذر، ولا غير ذلك من العبادات إلا لله سبحانه، وهذه هي دعوة الرسل ﷺ.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعادة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والشرك محبط لجميع الأعمال، كبيرها وصغيرها، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، ولا فرضاً ولا نفلاً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان] (١).

وإن مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعتر به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية، وغيرها من الوسائل من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر الحذر، وهذا هو الخطر الأول.

أما الخطر الثاني: فمما يلاحظ انتشار الكهانة والسحر، وكثرة المرتادين لهم بعذر التداوي ونحوه، ولا يجوز للمسلمة الذهاب إلى هؤلاء الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات، لتعرف منهم مرضها، كما لا يجوز لها أن تصدقهم فيما يخبرونها به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، روى مسلم في صحيحه من حديث صفية: عن بعض أزواج النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (٢).

وهناك الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد، والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلهما.

الوصية الثانية: المحافظة على هذه الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة].

(١) انظر: مجموعة التوحيد (ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) برقم (٢٢٣٠).

وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(١).

وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبُهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

واعلمي أختي المسلمة أنه لا يكتمل إسلام المرأة إلا بالقيام بأركان الإسلام الخمسة، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»^(٤).

الوصية الثالثة: التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (١٤٢٠)، قال أبو عمر النمري: لم يختلف عن مالك في إسناد هذا الحديث وهو صحيح ثابت، سنن أبي داود ص ١٧٢.

(٤) سبق تخريجه.

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١).

لذلك ينبغي للمرأة المسلمة أن تحرص على تعلم أمور دينها، كحضور الدروس والمحاضرات، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وقراءة الكتب النافعة، ومن أهمها حفظ كتاب الله، فهو رأس العلوم كلها، ومنبع الحكم، ورياض الصالحين، والعصمة من الضلال لمن تدبره وعمل به، تقول عائشة رضي الله عنها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعَنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ» (٢).

الوصية الرابعة: تقوى الله ﷻ ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله وصية الله للأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بتقوى الله، وفي حديث العرباض بن سارية: أن النبي ﷺ قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» (٣).

والحذر من المعاصي، كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، وأن يدخله مدخلاً كريماً، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

الوصية الخامسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

(٣) سبق تخريجه.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتِنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب].

وهذا خطاب لنساء النبي ﷺ، صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مخاطبات بذلك. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

فعلى المرأة المسلمة أن تحرص على هذه الشعيرة العظيمة، خاصة في بيتها مع أولادها وأقاربها، وإذا رأت من أخواتها المسلمات تقصيراً في طاعة الله في صلاتهن أو صيامهن، أو حقوق أزواجهن، أو غير ذلك، فعليها أن تنصحن بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، مقتدية في ذلك بنساء الصحابة رضي الله عنهن.

الوصية السادسة: الاتصاف بصفة الحياء، قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى المرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

والملاحظ أن خلق الحياء أصبح ضعيفاً عند كثير من النساء، ومن صور ذلك خروج المرأة مع السائق بمفردها، أو لبس النقاب الذي يوضع على منتصف الأنف، فيستر ما تحت ذلك، ويظهر العينين والجبهة، أو لبس البنطال أمام النساء، أو وضع العباءة على الكتف، أو لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة، أو العارية. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ... وذكر أحدهما: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِذْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ

مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا»^(١).

فعلى المرأة المسلمة أن تنتبه لما يريده أعداء الله، فهم يريدون انحلالها، وأن تصبح سلعة رخيصة بأيديهم، ويريدون سلخها من إيمانها ودينها، وخروجها عن فطرتها التي فطرها الله عليها، فعليها أن تكون على حذر من ذلك.

الوصية السابعة: الإكثار من الصدقة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١١٤) [النساء].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ مَا أُنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾^(٣٩) [سبأ].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ وعظ النساء، وقال: «أَكْثَرُنَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ كُنَّ حَطْبُ جَهَنَّمَ»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسله، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة، ويحث عليها، ويدعو إليها بماله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر. اهـ^(٣).

ومن أفضل أنواع الصدقة التي تستمر للعبد بعد وفاته الصدقة

(٢) برقم (١٨٥).

(١) برقم (٢١٢٨).

(٣) زاد المعاد (٢١/٢ - ٢٢) بتصرف.

الجارية، كحفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين، ونحو ذلك.

الوصية الثامنة: الابتعاد عن رفيقات السوء، فقد أخبر تعالى أن الإنسان يندم يوم القيامة على مصاحبته للجلسيس السوء الذي أضله وأبعده عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) ﴿ يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿ (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿ (٣٠) ﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧) [الزحرف].

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

وكم من فتاة فشلت في دراستها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة انتهك عرضها، وخسرت كرامتها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة وقعت في المخدرات والمسكرات، وما ترتب على ذلك من مآسي كثيرة بسبب ذلك.

لذلك أوصي أخواتي المسلمات بالحرص على الرفقة الصالحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨).

الكلمة المئة وسبع وعشرون

خطر التلفاز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا هذا اليوم عن فتنة دخلت كل بيت إلا من رحم الله؛ إنه التلفاز، ولعل الكلام فيه يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية فيه.

ثانياً: أقوال العلماء فيه.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: الحل.

فمن تلك المخالفات الشرعية: ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب بهم، والميل إليهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ أَوْلَيْتِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿المجادلة﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصور كريهة، كوضع اللحية على رجل ناقص العقل، وتشويه صورة الحجاب، ولمز الصالحين وأهل الخير، ونحو ذلك مما فيه استهزاء بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة].

ومنها: ما يسمى بأفلام الكرتون، وتعرض هذه الأفلام بطريقة خبيثة يتلقى فيها الأطفال ما يخالف العقيدة الإسلامية، والآداب الفاضلة، من الكفر والضلال والعشق، فقد ذكرت الأخت طيبة الياحي في كتابها «بصمات على ولدي»، بعد مشاهدتها لعدد من برامج الأطفال ما خلاصته: «أن هذه البرامج تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة، مثل صور الصليب، والتبرج، والاختلاط، وسماع الموسيقى، وشرب الدخان»، وفيها يقول أحدهم وهو يخاطب زميله: كما كنت حين صنعتك، وكأنه الخالق الذي يخلق البشر، وقول آخر: «إن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية»، وهذا كفر، فنظام من ذلك الذي يسيطر على كل المجرات تلك السيطرة إلا ناموس الخالق جل وعلا. وينبغي على الآباء أن يعلموا الأبناء أن أكثر برامج التلفاز،

(١) سبق تخريجه.

وخاصة المسلسلات والأفلام، وحتى الكارتونية منها مصدرها الدول الأجنبية (الكافرة) المعادية للإسلام والمسلمين، والتي لا شيء أحب إلى قلبها من إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم وخلقهم وتراثهم الخير، حتى يبقوا دائماً وأبداً تحت سيطرتهم، مع إعلامهم أن اليهودية العالمية هي التي تسيطر على جميع وسائل الإعلام، والوكالات في الغرب، لذلك لا تقدم لنا إلا الشر بأثواب براءة خداعة^(١).

وغير ذلك من المخالفات الكثيرة، مما يقدر في عقيدة الطفل وسلوكه وأخلاقه.

ومن المخالفات الشرعية الأخرى تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء، على أنه أمر عادي لا حرمة فيه عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»^(٢).

فكيف بمن يتعمد النظر إلى النساء العاريات وهن بكامل زينتهن على شاشة التلفاز، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل

(١) انظر: (ص ٥٧، ٦٧، ٨١). من كتاب الأخت طيبة يحيى.

(٢) سبق تخريجه.

زيبتهم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود على أنه الغناء.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١).

أقوال العلماء فيه: سئل المشايخ عبد الله بن حميد، وعبد العزيز ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله عن التلفاز، هل هو حرام أو حلال؟ فأجابوا بأن التلفاز آلة لا نستطيع أن نحرمها، تستخدم للخير أو الشر، فإن استخدم التلفاز في محرم، مثل الغناء الماجن، وإظهار صور فاتنة، وتمثيلات هابطة، فيها كذب وخيانات زوجية، واختلاط بين الرجال والنساء، ومسلسلات بوليسية إجرامية، فإنه حرام، وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن، وإبانة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك جائز، وإن تساوى الأمران، أو غلب جانب الشر كما هو الحال الآن، فهو حرام^(٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التلفاز، فقالوا: إنه آلة تستخدم للخير والشر، بحسب الحال التي تستخدم فيه، ولكن الأحوط ترك إدخاله، لأنه

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: رسالة الجواب المفيد في حكم التصوير، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، وبها ملحق عن حكم التلفاز.

قد يكون وسيلة إلى سماع ما يحرم، وذريعة إلى رؤية ما تنشأ منه فتنة من الصور العارية، وحرکاتها الفاتنة^(١).

شبهات والجواب عنها:

قد يقول قائل: ما هو البديل للتلفاز؟

وهذا هو الخطأ الفادح، وهو مطالبة المسلم دائماً بالبدايل في كل شيء منع منه، وحرم عليه، مع أن الواجب على المسلم أن يقول: سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].

والبدايل كثيرة، منها: حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو المحاضرات القيمة التي تقام في المساجد أو المؤسسات الخيرية، أو شراء الكتب النافعة، أو الأشرطة المفيدة، أو المسابقات الثقافية، وغير ذلك من البدائل التي لا تخفى على الجميع.

ومن الشبهات كذلك: قول بعضهم: إنه يشاهد في هذا التلفاز الصلاة في الحرم المكي، والبرامج الدينية، والأخبار، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم، وأفضل منه، وقد نصح الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها.

ومنها قول بعضهم: أعلم أن التلفزيون بوضعه الحالي لا يجوز بقاءه في بيتي، ولكن إذا لم أحضره للأولاد ذهبوا يشاهدونه عند الجيران، أو في أماكن أخرى، فيقال:

أولاً: إن المنكر لا يزال بمنكر مثله، بل ينبغي أن تبين لهم أن

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦ / ٢٧١ - ٢٧٢) رقم (٢١٣٣).

المشاهدة لتلك البرامج حرام هنا وعند الجيران.

ثانيًا: المنكر المترتب على اقتناء التلفزيون في البيت أعظم من المنكر المترتب على ذهابهم للمشاهدة عند الجيران؛ لأن ذهابهم عند الجيران سيقصر على أوقات محدودة، أما وجوده في البيت فسوف يسهل لهم رؤية المنكرات في كل وقت.

أخيرًا: تذكر يا عبد الله أن الموت قد يأتيك بغتة، وهذا الجهاز في بيتك، واسمع إلى هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِّعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

الكلمة المئة وثمان وعشرون

ذم الترف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [١١] ﴿ [الإسراء].

المترف: هو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، والمعنى أن الله تعالى أمر هؤلاء المترفين بطاعته فلم يمتثلوا أمره، بل فسقوا وأفسدوا، فحق عليهم العذاب والدمار، وقد أخبر ﷺ عن حال هؤلاء المترفين، وأنهم أتتهم آيات الله ونذره فأعرضوا عنها واستكبروا عليها، فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقد أخبر ﷺ أن الترف من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة] ﴿ أي منعمين مقبلين على الشهوات والملذات، وقد بين سبحانه أن عاقبة الترف وخيمة في الدنيا والآخرة، فقال عن نبيه صالح، وهو يخاطب قومه ثمود، وكانوا عرباً

يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة، وتسمى الآن مدائن صالح: ﴿ أَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُمُورٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ إلى أن قال ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الشعراء]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى واعظًا لهم، ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزرع والثمرات، ولهذا قال: ﴿ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴾ قال: إذا رطب واسترخى، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين، قال ابن عباس وغير واحد: حاذقين، وفي رواية عنه: شرهين أشرين، وهو اختيار مجاهد وجماعة، ولا منافاة بينهم، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. اهـ^(١).

الشاهد أنهم كانوا يعيشون حياة الترف، فكذبوا رسولهم، فكان عاقبتهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن المترفين في الدنيا ينسون ما كانوا فيه من النعيم في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٦٢ - ٣٦٣).

رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

ولقد كان نبينا محمد ﷺ من أبعد الناس عن الترف، روى البخاري ومسلم من حديث عمر رضي عنه: أنه أتى النبي ﷺ، فراه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٢).

ومن مظاهر هذا الترف في وقتنا الحاضر: الإغراق في الكماليات بشكل عجيب، فعلى سبيل المثال بعض الأسر تغير أثاث المنزل بشكل سنوي حتى لو كان بحالة جيدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها قيام بعض الأسر بشراء المأكولات والمشروبات بشكل يومي من المطاعم الغالية الثمن من غير حاجة إلى ذلك.

ومنها أن بعض النساء تقوم بتغيير ملابسها بشكل مستمر في كل مناسبة أو عرس، حتى لو كان هذا الثوب لم يستعمل إلا مرة واحدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها سفر بعض الناس للسياحة سنوياً، ويدفعون في ذلك المبالغ الطائلة حتى لو كانت هذه المبالغ بالدين، وغير ذلك من مظاهر الترف.

ومن المفاسد التي تنتج عن الترف:

(١) برقم (٢٨٠٧).

(٢) البخاري برقم (٤٩١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٩).

أولاً: الأمراض الكثيرة في وقتنا الحاضر، كمرض السمنة، وأمراض القلب، والجلطات، وغيرها.

ثانياً: أنه يؤدي إلى الكسل، والراحة، والتعلق بالدنيا، مما يسهل على الأعداء تسلط على الأمة، وإفساد عقيدتها، ونهب خيراتها، وثرواتها، وأمة الإسلام ينبغي أن تكون أمة مجاهدة قوية تعد نفسها للدعوة إلى الله ونشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ولا يكون هذا إلا بالعمل الجاد، وليس بالترف والراحة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ثالثاً: أنه يؤدي إلى ضياع ثروات الأمة، ومقدراتها، فيما لا فائدة فيه، والأمة بأمس الحاجة إلى استغلال هذه الثروات، في بناء قوتها الاقتصادية، والعسكرية لتأخذ مكانتها بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعاً: أن الترف يؤدي إلى ضعف الأمة، وحاجتها إلى مساعدة الآخرين، وعدم اعتمادها على شبابها ومقدراتها، وهذا يؤدي بدوره إلى تسلط الأعداء عليها، ونهب خيراتها، وإفساد دينها، وغير ذلك من المفساد.

وهذا كله فيما إذا كان الترف مقتصرًا على التوسع والانبساط في المباح، فأما إذا تجاوز ذلك إلى الشهوات المحرمة فإن الأمر يكون قد وصل إلى مرحلة الخطر، ومنذر بالهلاك والدمار، كما مر في الآيات السابقة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة المئة وتسع وعشرون

أخطاء في الطهارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الطهارة شرط من شروط الصلاة، التي لا تقبل إلا بها، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضيما الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين تتعلق بالطهارة، أحسبت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

أولاً: أن بعض الناس، أو كثير منهم يعبدون الله على جهل، فيقعون في أخطاء فاحشة، في الطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات، بل قد يتعدى ذلك إلى الخطأ في أمور في التوحيد والأيمان، وللأسف قد يكون بعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم من المثقفين، غير أن ثقافتهم ثقافة ضحلة لا تتعدى الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية، والواجب على المسلم أن يعرف دينه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) برقم (٢٢٤).

(٢) البخاري برقم (١٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٥).

ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه من ذلك، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ (٤٤) [النحل].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (١).

وروى البخاري من حديث جابر: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (٢)، وكان يقول في حجته فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (٣)، وقد يبلغ الأمر ببعض الناس إلى الإعراض عن تعلم الدين، وفي هذا خطر عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ (١٢٦) [طه].

ثانياً: من الأخطاء ما يتعلق بالوضوء، فمن ذلك ترك إسباغ الوضوء، ومعنى الإسباغ إعطاء كل موضع من مواضع الوضوء حقه، وعلى المصلي أن ينتبه عند الوضوء إذا كان في يده ساعة أو خاتم أو غير ذلك، فلا بد أن يصل الماء إلى العضو، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ» (٤).

والعقب هو مؤخر القدم، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧/٢) برقم (٣٩١٤).

(٢) برقم (٦٣١).

(٣) برقم (١٢٩٧).

(٤) برقم (٢٤١).

ومنها: عدم تخليل أصابع اليدين والرجلين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصِرِهِ (١).

وروى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلَّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ» (٢).

ومنها: الإسراف في الماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ (٣).

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات، روى النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٤٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠/١) برقم (١٣٤).
 (٢) برقم (٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٤/١) برقم (٣٦).
 (٣) البخاري برقم (٢٠١)، ومسلم برقم (٣٢٥).
 (٤) برقم (١٤٠) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

الكلمة المئة وثلاثون

أخطاء في الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ، وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة، فمن ذلك:

أولاً: عدم إقامة الصلب في الركوع أو السجود، روى النسائي في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي مسعود رضي عنه: أن

(٢) سبق تخريجه.

(١) برقم (٦٣١).

النبي ﷺ قال: «لَا تُجْزِيُ صَلَاةٌ لِأَحَدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(١).

وقد جعل الرسول ﷺ لص الصلاة وسارقها شرًّا من لص الأموال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(٢).

أما الركوع فإن بعض الناس يخفض ظهره أكثر من اللازم، أو يرفعه، وهذا خطأ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا رَكَعَ بَسَطَ ظَهْرَهُ وَسَوَّاهُ^(٣)، حَتَّى لَوْ صَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِ لَأَسْتَقَرَّ^(٤).

وروى النسائي من حديث أبي حميد قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اعْتَدَلَ، فَلَمْ يَنْصِبْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُقْنِعْهُ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ^(٥).

وأما السجود فإن بعض المصلين إذا سجد لا يمكن جبهته من الأرض، وبعضهم يرفع قدميه عن الأرض، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ،

(١) سنن النسائي برقم (١٠٢٧) ومسنند الإمام أحمد (٣٢٩/٢٨) برقم (١٧١٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) (٣١٩/٣٧) برقم (٢٢٦٤٢) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٢٨).

(٤) سنن ابن ماجه برقم (٨٧٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٤/١) برقم (٧١٢).

(٥) برقم (١٠٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٢٤/١) برقم (٩٩٤).

عن ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِّنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعَ سُجُودًا بَعْدَهُ^(٣).

ومنها: أن بعضهم إذا سلم الإمام التسليمة الأولى، وعليه قضاء بعض الركعات لا ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية، وإنما يقوم مباشرة ليكمل ما تبقى من الركعات، وهذا خطأ. والأولى أن ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية^(٤).

ومنها: الصلاة بثياب مسبلة، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من

(١) برقم (٤٢٦).

(٢) البخاري برقم (٦٩١)، ومسلم برقم (٤٢٧) واللفظ له.

(٣) برقم (٦٩٠).

(٤) خروجًا من خلاف من يرى ركنيتها، وعليه يحكم بطلان صلاته.

الكلمة المئة وإحدى وثلاثون

خطر النفاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم الذنوب عند الله تعالى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والنفاق ينقسم إلى قسمين: اعتقادي وعملي، فأما الاعتقادي فهو على ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر، كافر الباطن. أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة، كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوراً، وأما كفره باطناً فما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وهذا الصنف من الناس هم أشد أعداء الله ورسوله، ولهذا كان جزاؤهم أعظم من جزاء الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) [النساء].

وقال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨٤) [التوبة].

وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ووصفهم بأنهم كذابون يصدون عن سبيل الله، وأنهم يستكبرون، كما وصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، ولا يعقلون. ومن أبرز سماتهم - قاتلهم الله - موالاتهم للكفار، وعقدهم اللقاءات معهم في العلن تارة، وفي السر تارات، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا لِلْكَافِرِ﴾ (٥٢) [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِمِ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) [محمد].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تعليقه على الآية الكريمة: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ...﴾: هم المنافقون، يعتذرون عن موالاته الكفار من اليهود بأنهم يخشون أن تدور عليهم الدوائر، أي دول الدهر الدائرة من قوم إلى

قوم، كما قال الشاعر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَىٰ أَنَسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِأَخْرِينَا
يعنون إما بقحط فلا يميروننا، ولا يتفضلون علينا، وإما بظفر
الكفار بالمسلمين، فلا يدوم الأمر للنبي ﷺ وأصحابه، زعمًا منهم أنهم
عند تقلب الدهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين على
صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمل الصديق من صديقه، وأن المسلمين
يتعجبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم إنهم لمع المسلمين،
وبين في هذه الآية أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة
اليهود، أنها لا تدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور على المسلمين،
بقوله: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِيهِ
أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ [المائدة].

وعسى من الله نافذة؛ لأنه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلا فيما
يعطي، والفتح المذكور قيل هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل
الفتح الحكم، كقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ
﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف].

وعليه فهو حكم الله، بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم،
وإجلاء بني النضير، وقيل: هو فتح مكة، وهو راجع إلى الأول^(١).

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا
بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ [محمد] قال بعض
العلماء: إنها نزلت في المنافقين، وقال بعضهم: إنها نزلت في اليهود،
وإن المنافقين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم

(١) انظر: أضواء البيان (١/٣١٤).

في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ، والتشيط عن الجهاد، ونحو ذلك. والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله (١).

القسم الثاني: النفاق العملي، وهو خمسة أنواع:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، وقال مسلم في صحيحه: «إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» مكان «إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ» (٢).

وقد ذكر ابن رجب أن من النفاق العملي أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويطن ما يخالف ذلك (٣).

ولقد كان الصحابة رضي عنهم لسعة علمهم، وعميق إيمانهم، يخشون على أنفسهم من النفاق، قال البخاري رضي الله عنه في صحيحه، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذَّبًا». وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانٍ جَبْرِيَلٍ وَمِيكَائِيلَ»، وَيَذَكُرُ عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمَنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا يُحَدِّرُ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى النَّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ

(١) انظر: أضواء البيان (٥/١٤٨).

(٢) البخاري برقم (٣٤)، ومسلم برقم (٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١).

يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [آل عمران: ١٣٥] (١).

وروي عن الحسن أنه كان يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو: ما مضى مؤمن قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. اهـ (٢).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة: أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟ قال: لا ولا أزكي أحداً بعدك (٣).

فعمر رضي الله عنه لم يقل ذلك رياءً، ولكن العبد كلما ازداد علماً زاد خوفه من ربه، والصحابة لعظم خوفهم من ربهم، وسعة علمهم لم يكونوا يحتقرون الذنوب، بل كانوا يستعظمونها، ويخافون عواقبها، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» (٤).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْني بِذَلِكَ الْمُهْلَكَاتِ.

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه: قال أناس لابن عمر: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ

(١) صحيح البخاري، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩١)، وانظر: رسالة الشيخ عبد الرحيم المالكي (النصيحة والتحذير من الوقوع في الخطر الكبير) (ص ١٢ - ١٦).

(٤) برقم (٦٤٩٢).

إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»^(١).

وإن من صور النفاق ما يطالب به بعض الناس الذين هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويدعون أنهم يريدون إصلاح المجتمع، ونفع الأمة، ويرددونه بين الفينة والأخرى من هتك للحجاب، والدعوة للتبرج والسفور واختلاط الشباب بالفتيات في الأعمال، ومقاعد الدراسة، وأن في قوامة الرجل على المرأة كبتاً لحريتها، فيطالبون بالمساواة، زعمًا منهم أن فيها إنصافاً وعدلاً بينها وبين الرجل، وإلى نشر الموسيقى في المدارس والمراحل التعليمية الأخرى، وإلى تقليص المواد الدينية، وتخفيضها، وإلى قيادة المرأة للسيارة.

ومن صورهِ كذلك مطالبتهم للناس بالاعتماد على البنوك الربوية في بيعهم وشرائهم، وقروضهم، وسائر شؤونهم، وأن ما تأخذه البنوك من فوائد إنما هو لمصلحة المجتمع، ويدعم اقتصاده، وينشرون هذا عبر الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^(١٢) ﴿[البقرة].

إلى غير ذلك من المطالب والأساليب الماكرة التي يخططون لها ليلاً ونهاراً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة واثنان وثلاثون

الظلم وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الذنوب العظيمة التي حرّمها الله على عباده، ورتب عليها العقوبة في الدنيا والآخرة الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].
وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عليه السلام أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١).

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظلم العبد نفسه بالكفر والشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن

مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ: ﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١).

فهذا النوع من الظلم لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه، بل هو ملعون مطرود من رحمة الله في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

القسم الثاني: ظلم بين العبد وبين الناس، وله صور كثيرة منها: أكل أموال الناس بالباطل ظلماً وعدواناً، مثل أكل مال اليتيم، أو عدم إعطاء العمال رواتبهم، أو بخسها، أو السرقة، أو الغش، أو الربا، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ومنها الاعتداء على أراضي المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣).

ومعنى طوقه: أي يجعل طوقاً في عنقه، يحمله، لا من أرض واحدة، بل من السبع الأرضين، نسأل الله العافية.

ومنها ظلم الناس بالقتل والسجن والضرب والشتم والتعذيب،

(١) البخاري برقم (٣٢) ومسلم برقم (١٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٨) من حديث ابن عمر.

(٣) البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ...»^(١).

وما يفعله اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة، بإخواننا المسلمين في فلسطين من قتل وتشريد وانتهاك للحرمات لهو من أعظم الظلم وأشنعها، ولا غرابة في ذلك، فهم قتلة الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١٨١) [آل عمران].

ومنها: اتهام الآخرين ورميهم بما ليس فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(١١٢) [النساء].

ومنها: مطل الغني، أي منع قضاء ما استحق أداءه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٢).

فمن كان مديوناً لرجل، واستطاع السداد فلا يجوز المماطلة؛ لأن هذا من الظلم.

ومنها: ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، أو الاستيلاء على مالها، وغير ذلك من الأحوال، فمن وقع في شيء من الظلم فليسارع بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولا يغتر بامهال الله له، فإنه يمهل ولا يهمل.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»

(١) برقم (٢١٢٨).

(٢) البخاري برقم (٢٢٨٧)، ومسلم برقم (١٥٦٤).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) [هود] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَىٰ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ ﷻ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» (٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةَ، وَعَاقِبَةَ العَدْلِ كَرِيمَةَ، وَيُرْوَى أَنَّ اللهَ يَنْصُرُ الدُّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَنْصُرُ الدُّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً» (٣).

ودعوة المظلوم مستجابة كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٤).

قال الشاعر:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمْ

ونحن نرى في هذه الأيام تساقط هؤلاء الظلمة الطغاة واحداً تلو الآخر، قد ذهب عزمهم، وزال سلطانهم، وأصبحوا في حالة يرثى

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

(٢) سبق تخريجه. (٣) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).

(٤) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققو المسند: حديث صحيح

لها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكِيهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَأْتُولِي الْآبْصَرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر].

القسم الثالث: ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص].

وهذا النوع من الظلم - وهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب التي دون الشرك - فإن صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وستره.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

ويجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين، وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة، حيث لا درهم ولا دينار،

(١) البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

وإنما هي الحسنات والسيئات.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثلاث وثلاثون

تحريم الإسبال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيْشًا وَيَاسُ الثَّقَوِيْ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف].

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده لستر العورات، ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد جاءت الشريعة بأحكامه مفصلة، مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس، والمحرم والمكروه والمباح مقداراً وكيفية.

ومما وردت به تحريم ما نزل عن الكعبين من كل ما يلبس من إزار أو ثوب أو بشت أو سروال أو بنطال إلى غير ذلك، مما يلبسه الرجال، فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(١)، وأحاديث النهي عن الإسبال بلغت مبلغ التواتر المعنوي في الصحاح والسنن والمسانيد، وغيرها، برواية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود،

(١) برقم (٤٠٩٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٧١ / ٢) برقم (٣٤٥٠).

وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم، وجميعها تفيد النهي الصريح، نهى التحريم، لما فيها من الوعيد الشديد، ومعلوم أن كل متوعد عليه بعقاب من النار، أو غضب، أو نحوها، فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يقبل النسخ، ولا يُرفع حكمه، بل هو من الأحكام الشرعية المؤبدة في التحريم.

والإسبال فيه عدة محاذير:

أولاً: مخالفة السنة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عِضْلَةِ سَاقِيهِ»^(١)، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، ثُمَّ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ»^(٢) و في رواية أخرى: «فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ»^(٣)، والكعبان هما العظامان الناتئان في جانبي مفصل الساق من القدم.

ثانياً: الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»^(٤).

ثالثاً: أنه من الخيلاء التي تورث في النفس العجب، والترفع، والكبر، ونسيان نعمة الله على عبده، وكل هذا من موجبات مقت الله للمسبل، ومقت الناس له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

(١) وعضلة الساقين هي حد أعلى من أنصاف الساقين بقليل.

(٢) (٢٤٧/١٣) برقم (٧٨٥٧) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٧٨٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٥٧٨٧).

رابعاً: التشبه بالنساء، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(١).

خامساً: تعريض الملبوس للنجاسة والقذر، والمؤمن مأمور باجتنب النجاسات، والبعد عنها، قال تعالى: ﴿وَتَبَاكَ فَطَهَّرْ﴾^(٢) [المدثر]. ولهذا أمر عمر رضي الله عنه الرجل الذي زاره وهو على فراش الموت برفع إزاره، وقال له: هُوَ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَنْقَى لِرَبِّكَ^(٣).

سادساً: تعريض عبادته لعدم القبول، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءَ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»^(٣)^(٤).

(١) برقم (٥٨٨٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠) باب قصة البيعة - مقتل عمر بن الخطاب.

(٣) قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: أي في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة، وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال، ولا له احترام عند الله تعالى. عون المعبود (٢٤٠/٢).

(٤) برقم (٦٣٧). قال أبو داود: روى هذا جماعة عن عاصم موقوفاً على ابن مسعود، منهم: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو الأحوص، وأبو معاوية، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٦/١) برقم (٥٩٥). وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره إذ قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ، ثم سكت عنه؟ فقال: إنه كان يصلي وهو مسبلاً إزاره، وإن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبلاً إزاره)، قال المنذري في مختصره: في إسناده أبو جعفر، وهو رجل من أهل المدينة لا يعرف اسمه، قال النووي في رياض الصالحين بعد إيراده لهذا الحديث: رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم، (ص ٢٥٩) برقم (٧٩٧).

سابعًا: إن الإسبال من الكبائر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقرأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ^(١)»، قَالَ الشيخ بكر أبو زيد: «فلهذه الوجوه السابقة^(٢)، ورد النهي مطلقًا عن الإسبال في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين إن كان لخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرم مذموم»، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر مرفوعًا: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٣).

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس ذلك، إضافة إلى أن النبي ﷺ أنكر على المسبل إسباله دون النظر في قصده الخيلاء أم لا، فقد أنكر على ابن عمر، وجابر بن سليم، وعلى عمرو الأنصاري، فرفعوا أزرهم إلى أنصاف سوقهم، وهذا يدل بوضوح على أن الوصف بالخيلاء، وتقييد النهي به في بعض الأحاديث إنما خرج مخرج الغالب، والقييد إذا خرج مخرج الأغلب، فإنه لا مفهوم له عند عامة الأصوليين كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ويستثنى من هذا

(١) برقم (١٠٦).

(٢) ما تقدم مأخوذ من رسالة (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) للشيخ بكر أبو زيد (بتصرف).

(٣) (٢٣٨/٣٤) برقم (٢٠٦٣٥) وقال محققوه: حديث صحيح.

الأصل ثلاث حالات:

الحالة الأولى: من لم يقصد الإسبال لعارض من نسيان أو استرخاء مع تعاهد له برفعه، كما جاء في حديث أبي بكر المشهور.

الحالة الثانية: من أسبل لمرض في قدميه، وللضرورة أحكامها.

الحالة الثالثة: النساء فقد رخص النبي ﷺ لهن بإرخاء ذيول ثيابهن لستر القدمين، وهما من عورة النساء^(١).

ومما سبق يتبين أن الإسبال في حق الرجال منهي عنه مطلقاً، وأنه في ذاته خيلاء، وإن المسبل مرتكب لمحرم وكبيرة من كبائر الذنوب، معرض نفسه لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن النسائي برقم (٥٣٣٦) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٨٠) برقم (٤٩٢٩).

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر أبو زيد (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) (ص ٢٢ - ٢٤) (بتصرف).

الكلمة المئة وأربع وثلاثون

فوائد من حديث خبيب بن عدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذَكُرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِثِّي رَجُلٌ، كُلُّهُمْ رَامَ، فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كَلَّهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَشْرَبُ، فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَّؤُوا إِلَى فَدْفِدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. فَقَالَ عَاصِمٌ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخِيرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ، وَابْنُ دَثَنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أوتارَ قسيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لِأَسْوَأَ، يُرِيدُ الْقَتْلَى، وَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبِ وَابْنِ دَثَنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقِيعةِ بَدْرٍ، فَأَبْتَعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ

ابن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحذ بها، فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذيه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك .

والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده، وإته لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إته لرزق من الله رزقه خبيبا، فلما خر جوا من الحرم ليقتلوه في الجلل، قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لظولتها، اللهم أحصهم عدداً:

ولست أبا لي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً^(١).

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة، ذكر كثيراً منها الحافظ ابن

حجر في كتابه فتح الباري^(١).

أولاً: جاء في الحديث أن عاصم بن ثابت قد قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، قال ابن حجر: لعله عقبة بن أبي معيط، وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسّه مشرك ولا يمس مشرکًا أبدًا»، وفي رواية أنه قال: «إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي»، فأرسل الله هذه الزنابير أو النحل فحمته من المشركين. قال عمر رضي الله عنه لما بلغه خبره: «يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته».

ثانيًا: أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالعزيمة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

ثالثًا: الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله.

رابعًا: الدعاء على المشركين بالعموم، والصلاة عند القتل، وفي الحديث أن خبيب بن عدي أول من سنَّ صلاة الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ.

خامسًا: فيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل، ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه.

سادسًا: أن الله تعالى يبتلي عبده المسلم بما شاء، كما سبق في علمه ليشيه، ولو شاء ربك ما فعلوه، قال تعالى: ﴿الْمَ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت].

سابعًا: فيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حيًا وميتًا، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه .

ثامنًا: فيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم.

تاسعًا: فيه أن الغدر والخيانة من صفات الكفار، فقد قتلوا عبد الله بن طارق، وباعوا زيدًا وخبيبا على قريش، من أجل دراهم معدودة.

عاشرًا: كرامة الله لأولياءه في الدنيا والآخرة، فإن خبيبا قد رزقه الله العنب وما بمكة من ثمرة، وهو موثق بالحديد عند عدوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق].

وغير ذلك من الفوائد والعبر عند التأمل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وخمس وثلاثون

تحريم التصوير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فمن المنكرات التي انتشرت بين الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين التصوير، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح، آدميًا كان أو غيره، وهتك الستور التي فيها الصور، والأمر بطمس الصور، ولعن المصورين، وبيان أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي زرعة قال: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مَصُورًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلِيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلِيَخْلُقُوا ذَرَّةً»^(١).

وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٣).

(١) البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم برقم (٢١١١).

(٢) البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٣) البخاري برقم (٥٩٥١)، ومسلم برقم (٢١٠٨).

وفي الصحيحين من حديث القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةَ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعَدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْهِيَاجِ الْأَسَدِيِّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَا تَدَعُ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وهذه الأحاديث وما في معناها دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهي لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل ولا غيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره، بل لعن المصور وأخبر أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك، ولم يستثن شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا آءَانِكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) البخاري برقم (٥٩٦١)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) برقم (٩٦٩).

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] (١).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ولا يجوز للمسلم أن يقتني الصور في بيته، ولا يحتفظ بها، إلا الصور الضرورية التي يحتاجها، كصورة حفيظة النفوس، وجواز السفر، وإثبات الشخصية، فهذه أصبحت ضرورية، وهي لا تتخذ من باب محبة التصوير، وإنما تتخذ للضرورة والحاجة، أما ما عدا ذلك من الصور فلا يجوز الاحتفاظ بها للذكريات، ولا الاطلاع عليها، وما أشبه ذلك، ويجب على الإنسان أن يتلف الصور، وأن يخلي بيته منها مهما أمكنه ذلك، وإذا كان في منزله صور معلقة على الحيطان، أو منصوبة، سواء كانت تماثيل أو كانت رسوماً على أوراق من صور ذوات الأرواح، كالبهائم والطيور والأدميين، وكل ما فيه روح، فإنه يجب إزالته، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى سترًا وضعت عائشة على الجدار فيه تصاوير. اهـ (٢).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني وهو يرد على من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير باليد: وقريب من هذا تفريق بعضهم بين الرسم باليد، وبين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان! وليس من عمله فيه إلا إمساك الظل فقط، كذا زعموا، أما ذلك الجهد الجبار الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى استطاع أن يصور في لحظة ما لا يستطيعه بدونها في ساعات فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء! وكذلك توجيه المصور للآلة وتسديدها نحو الهدف المراد تصويره، وقبيل ذلك تركيب ما يسمونه بالفلم، ثم بعد ذلك تحميضه، وغير ذلك

(١) رسالة للشيخ بعنوان (الجواب المفيد في حكم التصوير) (ص ١٣).

(٢) فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٣).

مما لا أعرفه، فهذا أيضًا ليس من عمل الإنسان عند أولئك أيضًا! (١)

سئل الشيخ ابن عيثمين رَحِمَهُ اللهُ عن عرض الصور الكبيرة والصغيرة في المحلات التجارية وهي صور إما لممثلين عالميين أو أناس مشهورين وذلك للتعريف بنوع أو أصناف من البضائع كالعطورات وغيرها. وقال السائل: عند إنكارنا على أصحاب المحلات يجيبون بأنهم اطلعوا على فتوى لفضيلتكم بأن التصوير المجسم هو الحرام وغير ذلك فلا؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: من نسب إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواء كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعة والرخصة والله الموفق (٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التصوير الذي تستخدم فيه كاميرا الفيديو هل يقع حكمه تحت التصوير الفوتوغرافي؟
فأجابت: نعم حكم التصوير بالفيديو حكم التصوير الفوتوغرافي بالمنع والتحريم لعموم الأدلة (٣).

ومن مفاسد الصور:

أولاً: فيها مضاهاة لخلق الله، وادعاء المشاركة لله في خلقه، الذي اختص به، فإنه هو الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

(١) آداب الزفاف (ص ١٩٢).

(٢) فتاوى كبار العلماء في التصوير للشيخ عبدالرحمن بن سعد الشري (ص ١٢٤).

(٣) (١/ المجموعة الثانية) (ص ٢٨٨).

ثانياً: إن التصوير وسيلة من وسائل الشرك، فأول ما حدث الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، لما صور قوم نوح رجالاً صالحين ماتوا في عام واحد، فتأسفوا عليهم، فجاء الشيطان وألقى إليهم أن يصوروا تصاويرهم، وينصبوها على مجالسهم حتى يتذكروا بها العبادة، ففعلوا ذلك، ولما مات هذا الجيل جاء الشيطان إلى من بعدهم وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليستقوا بها المطر، وليعبدوها، فعبدوها من دون الله ﷻ، ومن ثم حدث الشرك في الأرض بسبب التصوير.

ثالثاً: أنه سبب في فساد الأخلاق، وذلك إذا صورت الفتيات في المجلات والصحف، والقنوات الفضائية، أو صورت للذكريات، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يجر إلى الافتتان بتلك الصور، وبالتالي يوقع في القلب المرض والشهوة، ولهذا اتخذ المفسدون التصوير مطية ووسيلة لإفساد الأخلاق بتصوير النساء في الأفلام والمجلات، والأدوات المنزلية، والدعايات، وغيرها^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٢ - ١٩٣).

الكلمة المئة وست وثلاثون

الموت وعظاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن المنهمك في الدنيا المكب على شهواتها وملذاتها يغفل قلبه عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ أَلَمَوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتِخَبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

وأما العارف بربه، فإنه يذكر الموت دائمًا، أخذًا بوصية رسول الله ﷺ عندما قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت -»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابنِ عَمَرَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم (١٨٧٧).

ذِكْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ»^(١).

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها».

قال الشاعر:

لا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لِدَائُهُ مُنْغَصَّةً بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ
وقال عمر بن عبد العزيز: إذا غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة فسد، وقال بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والكسل في العبادة.

والموت له سكرات وكربات، وهي تعتري كل مخلوق، وقد يهونها الله على بعض عباده، كالشهداء؛ لأن الشهيد «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»، كما في الحديث الصحيح^(٢).

وقد تشدد هذه السكرات على بعض العباد تخفيفًا من الذنوب، ورحمة وزيادة في الدرجات، كالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي مقدمتهم خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فإنه قد لقي من الموت شدة، وهو أحب الخلق إلى الله.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا

(١) برقم (٤٢٥٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨٤).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٠٥٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم

وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(١).

وَحِينَما ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٢).

حَتَّى إِنَّهُ مِنْ شِدَّةِ كَرِبِهِ قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيتُهُنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»^(٣).

وَكَانَ كَلِمَا اغْتَسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَهُمْ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ يَغْمَى عَلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَاتٍ -^(٤).

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي^(٥) وَذَاقِنَتِي^(٦) فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ^(٧).

وَتَشَدَّدُ هَذِهِ السُّكْرَاتِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَكَذَلِكَ عَلَى عِصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ أَيُّكُمْ يُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا

(١) برقم (٤٤٤٩).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) قال ابن الأثير: الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الخلف، النهاية في غريب

الحديث (١/٦٤).

(٦) قال ابن الأثير: الذاقة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر، النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٢).

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٦).

كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية: الْفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ - غِلَاطٌ شِدَادٌ - سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ^(١) مِنَ النَّارِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ: أَخْرَجِي إِلَى سَاحَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ - الْكَثِيرُ الشَّعْبِ - مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ - فَتُقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ»^(٢).. الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ»^(٣).

وروى الشيخان من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(٤).

(١) المسوح: وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهراً للبدن.

(٢) (٥٠١/٣٠) برقم (١٨٥٣٤) وقال محققوه: إسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، وجمع زيادات الحديث (ص ١٩٨ - ٢٠٢).

(٣) (٢٣/١٣) برقم (٧٥٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٣٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٠).

وحق على كل إنسان أن يستعد للموت قبل نزوله، وذلك بالمبادرة بالعمل الصالح قبل حلول الأجل.

لقد حثنا ربنا ﷺ أعظم الحث، ودعا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه، وقد حيل بينه وبينه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ (١٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تِلْكَ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ (١٠) ﴾ [المنافقون].

قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَدْرِ
 روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(١).

وفي رواية للترمذي: «وَعَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢٣٣٣) وصحح الزيادة الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١١٥٧).

قال الشاعر:

تَفَانُوا جَمِيعاً فَمَا مُخْبِرٌ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبِرُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُمحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
فِيَا سَائِلِي عَنِ أَنْاسٍ مَضَوْا أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ؟

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموتُ غايةَ كلِّ حيٍّ
ولكنَّا إذا متنا بُعثنا ونسألُ بعدها عن كلِّ شيءٍ
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وسبع وثلاثون

مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولم يفارق النبي ﷺ لا في حضر ولا سفر، ولد بعد حادثة الفيل بسنتين وستة أشهر، صلى بالناس إمامًا في مرض النبي ﷺ الذي مات فيه، وهو من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وقد تزوج النبي ﷺ ابنته، وهو أول من أسلم من الرجال، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو رفيق النبي ﷺ في الغار، وقد نال شرف صحبته في ذلك، وقد أنزل الله فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال عمر بن الخطاب: «لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه». إنه صديق هذه الأمة أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة

عثمان بن عامر بن عمرو القرشي، وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، وقد وصفته ابنته عائشة فقالت: «كان أبي أبيض نحيفاً خفيف العارضين، منحني الظهر قليلاً، غائر العينين.

وقد وردت أحاديث تدل على فضله ومكانته، وأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث عائشة في مرضه الذي مات فيه: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنَّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(١).

قال العلماء: وفي هذا الحديث دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بإمامة المسلمين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي

(١) برقم (٥٦٦٦) وصحيح مسلم (٢٣٨٧) واللفظ له.

(٢) البخاري برقم (٣٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

بَكَرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ» (١).

وقد أنفق رضي الله عنه بعد إسلامه أربعون ألفاً على الصدقات، وإعتاق العبيد من المسلمين.

روى الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّصِدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا» (٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا» (٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ» (٤).

وقد تولى الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وكانت خلافته سنتان وسبعة أشهر، وعندما ارتدت العرب واشرب النفاق، وانحازت

(١) برقم (٣٦٦١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٠) برقم (٢٨٩٤).

(٢) برقم (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٣٦٥٨) وقال: هذا حديث حسن.

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠١) برقم (٢٨٩٧).

الأنصار، قالت عائشة رضي الله عنها: «فلو نزل بالجمال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها»، وقال كلمته المشهورة: «لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(١).

يقول العلماء: حفظ الله الدين، برجلين: أبو بكر في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة الجهمية.

وجمع القرآن في عهده، يقول علي بن أبي طالب: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر. وكان رضي الله عنه شديد الورع، روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه^(٢).

قال ابن حجر: أشار بذلك أنه كان كسوباً لمؤنته ومؤنة عياله بالتجارة من غير عجز تمهيداً على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه، فقد روى ابن سعد وابن المنذر بإسناد صحيح عن مسروق عن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي، قالت: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده^(٣).

تقول عائشة رضي الله عنها: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٠).

(٢) برقم (٢٠٧٠). (٣) فتح الباري (٤/٣٠٤).

لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فحَمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، ودخل عليه الصحابة في مرضه، فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال: قد نظر إلي، فقالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد، تقول عائشة رضي الله عنها: لما ثقل أبي تمثلت بهذا البيت:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فكشف عن وجهه وقال: ليس ذلك يا بنية، ولكن قولني: ﴿وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفتتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ، ليس فيها قميصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. وقال لها: في أي يوم تُوفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يومَ الاثْنَيْنِ. قال: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قالت: يومُ الاثْنَيْنِ. قال: أَرَجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فنظر إلى ثوبٍ عليه كان يُمَرَّضُ فيه، به ردعٌ من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين، فكفونوني فيها. قلت: إن هذا خَلَقٌ؟ قال: إن الحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إنما هو للمهلة. فلم يتوفَّ حَتَّى أَمْسَى من ليلة الثلاثاء، وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ (٢).

رضي الله عن أبي بكر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وثمان وثلاثون

مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، قال فيه النبي ﷺ في الحديث المخرج في مسند الإمام أحمد: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ»^(١).

وقال عنه ﷺ كما في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٢).

كان إسلامه فتحًا على المسلمين، وفرجًا لهم من الضيق، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، تزوج النبي ﷺ من ابنته، وهو أحد

(١) (١٤٤/٩) برقم (٥١٤٥) وقال محققوه: حديث صحيح من حديث ابن عمر.

(٢) البخاري برقم (٣٢٩٤)، ومسلم برقم (٢٣٩٦).

العشرة المبشرين بالجنة، وفي عهده سقطت دولتي فارس والروم، قال عنه عبد الله بن مسعود: «ما عبد الله جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ هَذَا الرَّجُلُ».

إنه فاروق هذه الأمة، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، كان إسلامه ﷺ قد تحقق ببشارة النبي ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه أنه قال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» (٢).

قال ابن عباس: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً جداً، ومن طوله إنه إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، ومع طوله فإنه كان ضخماً عريض المنكبين، مفتول الساعدين، أبيض مشرباً بالحمرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته، فمن ذلك ما رواه الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» (٣)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ قَالَ: أَعَلَيْكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ؟! (٤)

(١) برقم (٣٦٨١) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٣) برقم (٢٩٠٧).

(٢) برقم (٣٦٨٤).

(٣) برقم (٣٦٨٦).

(٤) البخاري برقم (٧٠٢٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قالوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ»^(١).

وقد كان صلى الله عليه وسلم رجلاً ملهماً، نزل القرآن الكريم في موافقته في عدد من آرائه، ففي الصحيحين من حديث عمر أنه قال: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؟ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبُرَّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحریم: ٥]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(٢).

وكذلك وافقه في أسارى بدر، وفي ترك الصلاة على المنافقين، وفي غيرها من المواضع، وكان صلى الله عليه وسلم من أعلم الصحابة وأفقههم، قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح بهم علم عمر، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم^(٣).

(١) البخاري برقم (٣٦٩١)، ومسلم برقم (٢٣٩٠).

(٢) البخاري برقم (٤٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٩٩).

(٣) مستدرک الحاكم (٣٩/٤) برقم (٤٥٥٣) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (١٦٣/٩) برقم (٨٨٠٩) وقال في مجمع الزوائد (٦٩/٩): رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان تقيًا ورعًا زاهدًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كثرت الفتوحات في عهده، وسقطت دولتي فارس والروم، وكانت هذه من أعظم الإنجازات في عهده، وأصيب الناس في إحدى سنوات عهده بمجاعة شديدة، أجذبت الأرض، واسودت، وانقطع المطر، وسمي ذلك العام عام الرمادة، فكان يأكل الخبز والزيت، ويقول: لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين، وكان يقول: لو أن بغلة عثرت في طريق العراق لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة. وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأنصاري أنه قال: «شَهِدْتُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدْعَنَّ أَرَامِلَ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ رَابِعَةٌ إِلَّا وَأُصِيبَ»^(١). وقد أكرمه الله بالشهادة، فكان قتله على يد الغادر الشقي أبي لؤلؤة المجوسي في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو يؤم الناس لصلاة الفجر، طعنه بسكين ذات شقين.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين، قال: وذِكْرَ لي أنه ديكٌ أحمرٌ، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يَقتُلُكَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين حفصة أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ ارزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدٍ

(١) برقم (٣٧٠٠).

(٢) (٢٥٠/١) برقم (١٩) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رَسُولِكَ»^(١). فاستجاب الله لدعوته الصالحة.

رضي الله عن عمر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،
وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،
وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وتسع وثلاثون

النهي عن البدع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْمَصَّ ۝١ كَذَّبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

والبدعة هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) سنن النسائي برقم (١٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٣٤٥ - ٣٤٦) برقم (١٤٨٧) وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال ابن رجب في شرح هذا الحديث: «وهو أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١) ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء^(٢).

وقال ابن حجر: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»^(٣).

وقال النووي: «وهذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك»^(٤).

وقال الطريقي: «هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع»^(٥).

وقال ابن القيم: «القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن»^(٦).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الجمعة: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(٧).

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦). (٣) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٤) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣). (٥) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢١٣).

(٧) برقم (٨٦٧).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع، والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع، والمنفرة منها^(١). اهـ.

وَمَرَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى أَنْاسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبَّحُوا مِئَةً، فَيَسْبِّحُونَ، كَبَّرُوا مِئَةً فَيَكْبُرُونَ، هَلَّلُوا مِئَةً فَيَهْلَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَيْتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟! (٢).

وقال أهل العلم: إن كل عمل يتقرب به المسلم إلى ربه ﷻ لا بد له من شرطين:

(١) رسالة للشيخ بعنوان: التحذير من البدع (ص ١١).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١٢٧/٩) رقم (٨٦٣٦)، وروي بألفاظ كثيرة.

الأول: الإخلاص لله ﷻ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷻ، وهذه المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

١ - السبب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي مردودة على صاحبها، مثالها: رجل يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷻ فالتهدج عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً، وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة، ومن الأمثلة كذلك: بدعة المولد، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما أحدثته الدولة العبيدية الرافضية، لما حكمت مصر في القرن العاشر.

٢ - الجنس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة، ومثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام - الإبل، والبقر، والغنم -.

٣ - القدر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو

(١) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

٤ - الكيفية: فلو أن رجلاً توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوءك باطل، لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

٥ - الزمان: فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وبعض الناس في شهر رمضان يتقرب إلى الله بذبح الأغنام، وهذا عمل بدعة لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي، والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر كالذبح في عيد الأضحية فبدعة، وأما الذبح لأجل الأكل جائز.

٦ - المكان: فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد، فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان.

ومن الأمثلة: لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق، ووجد ما حوله قد ضاق، فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه، لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١) [الحج: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: رسالة (الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٠

الكلمة المئة وأربعون

قدرة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يتأمل في آيات الله الدالة على كمال قدرته، ليعظمه حق تعظيمه، ويقدره حق قدره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ﴾ (٥٠) [القمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) [الزمر]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله - أي ابن مسعود - قال: «قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧)» (١).

ومن الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته خلق السماوات،

(١) البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم برقم (٢٧٨٦).

والأرض، والجبال، والدواب في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في لمحة بصر، ولكن كان ذلك لحكمة إلهية منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [ق].

ومنها: أن الله تعالى خلق آدم من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يستقر في قرار مكين، في مكان لا يعتريه شمس ولا هواء، ولا حر ولا برد، في ظلمات ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الغشاء، أربعون يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، فإذا تمت هذه الأيام، وهي أربعة أشهر، أرسل الله تعالى إليه الملك الموكل بالأجنة، فنفخ فيه الروح، فأصبح إنسانًا بعد أن كان جمادًا، فتبارك الله أحسن الخالقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون].

ومنها: أن الله خلق عيسى من أم بلا أب، وأنطقه الله تعالى في المهد وهو صبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ [مريم].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حوادث كثيرة تدل على قدرته على إحياء الموتى في هذه الدنيا.

ومنها: قصة بني إسرائيل حين قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فعاقبهم الله تعالى، فأخذتهم الصاعقة، فماتوا، ثم بعثهم الله تعالى من بعد موتهم، وفي هذا يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قد تهدم بناؤها، ويبست أشجارها فاستبعد أن تعود على ما كانت عليه من العمران والسكان، فأراه الله تعالى آية في نفسه تدل على قدرته، فأماته الله مئة سنة، وكان معه حمار وطعام وشراب، فمات الحمار، وتمزقت أوصاله، ولاحت عظامه، وبقي الطعام والشراب لم يتغير واحد منهما بنقص ولا طعم ولا لون ولا رائحة، مئة سنة والشمس تصهره، والرياح تتعاقب عليه، ثم بعث الله ﷻ ذلك الرجل وأراه الحمار، فنظر إلى عظامه المتفرقة في الأرض يركب بعضها بعضاً، كل عظم في محله، ثم يكسوها الله لحماً، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعُظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة إبراهيم الخليل حين سأل ربه أن يريه كيف

يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاء فيفرقها على الجبال التي حوله، على كل جبل جزء من هذه الطيور، ثم يناديهن، وحينئذ تلتئم هذه الأجزاء المتفرقة في الجبال بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم عليه السلام مشياً لا طيراناً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤَمِّنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

فهذه الأمثلة من إحياء الله تعالى الموتى في الدنيا دليل على قدرته سبحانه على البعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَنَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسبحانه من إله عظيم قادر، لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وأربعون

علامات حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران)، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّقُنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَّيْنِ بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف)، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر)، في هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمناً بربه، راضياً بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(١).

وأن من علامات حسن الخاتمة:

الاستشهاد في سبيل الله، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

(١) جزء من حديث في البخاري برقم (٦٤٩٣)، ومسلم برقم (٢٦٥١).

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٣٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴿آل عمران﴾،
 روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»^(١).

وترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه، ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

ومنها: أن يوفق المحتضر للنطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

قال بعض أهل العلم: «لأنها شهادة شهد بها عند موته، وقد ماتت شهواته، وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت أخلاقه السيئة، وذل وانقاد لربه، فاستوى ظاهره بباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقه».

ومنها: الموت بعرق الجبين:

روى الترمذي في سننه من حديث بريدة بن الحصيب رضي عنه: عن

(١) البخاري برقم (٢٨١٧)، ومسلم برقم (١٨٧٧).

(٢) برقم (١٩٠٩).

(٣) برقم (٣١١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٢) برقم (٢٦٧٣).

النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: قيل: هو لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، فإنه إذا جاءت البشرية مع ما كان قد اقترب من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله تعالى، فغرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جُعِلَتْ لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه^(٢).

ومنها: وفاة المسلم بالطاعون، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٣).

ومنها: الموت بداء البطن، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٤).

وذكر بعض الشراح أن المبطون من أصابه إسهال، أو استسقاء، أو وجع بطن.

ومنها: الموت بالحرق أو الغرق أو الهدم أو الطاعون أو ذات الجنب، أو موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ،

(١) برقم (٩٨٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) التذكرة للقرطبي (ص ٢٤) وتحفة الأحوذى (٤ / ٣٠).

(٣) البخاري برقم (٢٨٣٠)، ومسلم برقم (١٩١٦).

(٤) قطعة من حديث برقم (١٩١٥).

وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «غَلَبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ»، فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُنَّ فَإِذَا وَجَبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِيَةً»، قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «الْمَوْتُ»، قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً فإنك كنت قد قضيت جهازك، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَيَّ قَدْرَ نَيْتِهِ، وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟»، قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الشَّهَادَةُ سَبْعُ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعِ شَهِيدٌ»^(٢).

وذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

والمرأة تموت بجمع، أي تموت وفي بطنها ولد، أو تموت من الولادة، كذا قاله المناوي^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس والمال، روى أبو داود في سننه من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ

(١) البخاري برقم (٦٥٣)، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٢) برقم (٣١١١)، وصححه الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، (ص ٥٤ - ٥٥).

(٣) فيض القدير (٤/١٧٩).

دينه، فهو شهيد»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٧٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٠٦) برقم (٣٩٩٣).

(٢) برقم (١٤٠).

الكلمة المئة واثنان وأربعون

وفاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فبكى أبو بكر الصديق، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا^(١).

ففي هذا الحديث إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، وإلى عزوفه عليه الصلاة والسلام عن الدنيا، واشتياقه إلى الرفيق الأعلى.

وقال بعض أهل العلم: إن الله جمع لنبيه بين النبوة والشهادة، ويستدلون على ذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَرَأُلْ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ

(١) البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ»^(١).

قال شراح الحديث: الأبهر عرق بالظهر متصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه، وهو يشير بذلك إلى ما حصل له في غزوة خيبر عندما جاءت أمه امرأة يهودية، يقال لها: زينب بنت الحارث بشاة مسمومة، وقدمتها للنبي ﷺ فوضع لقمه في فمه، فلم يستسغها، فرمى بها، ومكث عليه الصلاة والسلام من السنة السابعة إلى السنة الحادية عشرة وهو يعاني من آثار السم الذي يعاوده فترة بعد أخرى^(٢).

قال ابن عبد البر: «ثم لما دنت وفاته ﷺ، أخذه وجعه في بيت ميمونة، فخرج إلى أحد، فصلى عليهم صلاة الميت، ودعا لهم، وكان ذلك بعد ثماني سنوات من استشهادهم»^(٣). اهـ، وكان أول ما يشكو في علة الآلام الشديدة في رأسه، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت: وارأساه يا نبي الله، فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكَ، وَأَدْعُو لَكَ»، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إنني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك، لظللت آخر يومك معرّساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»^(٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء^(٥).

تقول عائشة رضي الله عنها، وهي تحكي مشهد احتضاره ﷺ: «كَانَ بَيْنَ

(١) برقم (٤٤٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٧٧).

(٣) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (١/٢٦٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢١٧).

(٥) البخاري برقم (٤٤٥٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٣).

يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ»^(١). تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتَيْ وَذَاقِنَتَيْ، فَلَا أَكَرَّهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، وَتَقُولُ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣)، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِدَ عَلَيْهِ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، رَفَعَهُ لِدَرَجَاتِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ بَدَأَتْ الْحُمَى الشَّدِيدَةَ تَنْتَشِرُ فِي جَسَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَقُولُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ»، فَيُوضَعُ فِي مَخْضَبٍ ثُمَّ يَصَبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ، حَتَّى أَشَارَ إِلَيْهِمْ: «أَنْ حَسَبُكُمْ»^(٤).

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِجَوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَأَتْهُ وَهُوَ يَعْانِي مِنْ هَذِهِ السَّكْرَاتِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَتْ: وَكَرَبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٥).

وَلَمَّا هَمَّ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ^(٦)، ثُمَّ آفَاقَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْمِلُ هَمَّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِهِ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٧)، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ^(٨)، أَلَا فَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ» (١).

تقول عائشة رضي الله عنها: لما نزل به - أي الموت - ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق، ثم شخص بصره إلى سقف البيت، وقد أخبرنا قبل ذلك: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبِضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، فيخير بين الدنيا وبين ما عند الله، فعرفت أنه لا يختارنا، وأنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صَحِيحٌ، ثم رفع بصره إلى السماء، وجعل يقول: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»، فكانت آخر كلمة تكلم بها حتى قبض (٢)، ومالت يده الشريفة.

قالت فاطمة رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نُنْعَاهُ (٣).

قال الحافظ ابن كثير: وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام سنة إحدى عشرة من الهجرة في الثاني عشر من ربيع الأول، الموافق يوم الاثنين، ومكث بقية الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله، ودفن ليلة الأربعاء، وهو المشهور عند الجمهور (٤).

ومن الدروس والعبر المستفادة من وفاته عليه الصلاة والسلام:

١ - أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائناً من كان سيخلد في هذه

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٣)، وبرقم (٤٤٣٥) و(٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢). (٤) البداية والنهاية (٨/١٥٢).

الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ فَمَنْ زُحَّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) [آل عمران].

٢ - زهده عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورغبته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، إِلَّا بَغَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً^(١).

بل إنه عليه الصلاة والسلام: تُوفِّيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(٢).

٣ - أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(٣) ليكون ذلك تسلية له في مصيبته.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ

(١) برقم (٤٤٦١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠٣).

(٣) (٥٣/١) برقم (٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا» (١).

وقالت فاطمة رضيها لله لأنها لأنس بعدما دفن النبي ﷺ: «يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟!» (٢).

قال الشاعر:

اصبر لكل مُصِيبَةٍ وَتَجَلِّدِ واعلم بأن المَرءَ غَيْرَ مُخَلِّدِ
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ تَشْجَى بِهَا فاذكر مُصَابِكَ بالنبي محمد (٣)

اللهم احشرونا في زمرة، وأوردنا حوضه، واجعلنا من أتباعه.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٦١٨)، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) انظر: مرض النبي ﷺ ووفاته، وأثر ذلك على الأمة، للشيخ خالد أبو صالح.

الكلمة المئة وثلاث وأربعون

أسباب النصر على الأعداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان يبتلى فيها المؤمنون بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتمكم جراح، وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي ندبل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة^(١).

وعداوة الكفار للمؤمنين عداوة قديمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٩٩ - ٢٠٠).

والنصر على الأعداء له أسباب كثيرة، أذكر منها:

أولاً: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٥٥] [النور].

ثانياً: الإخلاص والصدق في نصر دين الله، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤٠] ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٤١] [الحج].

وقال سبحانه: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٧] [محمد].

ثالثاً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١١٠] [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكْفَلَّ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصَدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(١).

رابعاً: الثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٢).

خامساً: الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، واليقين أن الأجل لا يقدمه إقدام، ولا يؤخره إحجام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، وأقواهم قلباً عند لقاء العدو، روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ

(١) البخاري برقم (٣١٢٣)، ومسلم برقم (١٨٧٦).

(٢) البخاري برقم (٢٩٦٦)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

الْبَأْسُ نَتَقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَازِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ (١).

سادسًا: كثرة الذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ ﴿٩﴾ [الأنفال].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، كما في معركة بدر وغيرها، وكان من دعائه: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» (٢).

سابعًا: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله، والحذر من المعاصي والتنازع، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مِنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٣).

ثامنًا: لزوم طاعة الأمير، والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي

(١) برقم (١٧٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٩٣٣)، وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢) واللفظ له.

(٣) سبق تخريجه.

فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(١).

تاسعاً: الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم مِّنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال له: «وَاعْلَمَنَّ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(٢).

عاشراً: الإخلاص لله، فلا يكون المقاتل مجاهدًا في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

الحادي عشر: الأخذ بأسباب القوة، والإعداد لذلك

(١) البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) (١٩/٥) برقم (٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، ومسلم برقم (١٩٠٤).

امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»^(١).

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب، فإنها تخون العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٢).



(١) برقم (١٩١٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ سعيد بن وهف القحطاني: الجهاد في سبيل الله، فضله، مراتبه، أسباب النصر على الأعداء.

الكلمة المئة وأربع وأربعون

فضل أيام عشر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

ومن هذه الأزمنة الفاضلة، التي فضلها الله على غيرها أيام عشر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر]. والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظمته، قال ابن عباس والزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف: «إنها عشر ذي الحجة»، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو الصحيح»^(١).

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

قال ابن عباس: «الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

وقد أخبر النبي ﷺ أنها من أفضل الأيام، وأن العمل الصالح فيها أعظم من غيرها، روى البخاري والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»^(٢).

وفي هذه الأيام العشر يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، وهي من أعظم الأيام عند الله، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»^{(٣)(٤)}.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(٥).

فهو يوم المغفرة والعتق، وصومه يكفر ستين، روى مسلم والترمذي من حديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ

(١) صحيح البخاري برقم (٩٦٩)، وسنن الترمذي برقم (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) (٣٢٤ - ٣٢٣ / ٩) برقم (٥٤٤٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٤) برقم (١٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣١ / ١) برقم (١٥٥٢).

(٥) برقم (١٣٤٨).

عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(١).

قال ابن حجر: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة أنها مكان لا اجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الصلاة، الصيام، الصدقة، الحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها^(٢)، وقال ابن رجب: لما كان الله ﷻ قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة، في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في كل عام قدر في العشر على عمل يعمل في بيته يكون أفضل من الجهاد^(٣). اهـ.

ولا خلاف في تفضيل أيام العشر على بقية أيام السنة، لقوة النصوص في ذلك، والخلاف في الليالي، فقليل إن ليالي رمضان أفضل، وممن رجح ذلك ابن القيم، فقال: وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان، إنما فضلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه، إذ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية^(٤).

وينبغي لمن وفقه الله لمعرفة فضل هذه الأيام، وأمد له في عمره، أن يجتهد فيها بكثرة الأعمال الصالحة، فما هي إلا أيام معدودة ثم تنقضي، وكان السلف الصالح يجتهدون فيها، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيها اجتهاداً عظيماً، حتى ما يكاد يقدر عليه.

(١) مسلم برقم (١١٦٢)، والترمذي برقم (٧٤٩) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (٢/٤٦٠).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص ٣١٠).

(٤) زاد المعاد (١/٥٧) بتصرف.

ومن الأعمال الصالحة في أيام العشر:

حج بيت الله الحرام، وهو من أفضل الأعمال والقربات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»^(١).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لِمَحْرُومٍ»^(٢).

ومنها: الصيام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقال تعالى بعدما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أَغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(١).

ومنها: الصدقة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٣).

ومنها: ذكر الله. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى

(٢) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

بها فضلاً وشرفاً» (١).

والذكر عمومًا، والتكبير خصوصًا من شعائر هذه الأيام، قال تعالى: ﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وتقدم حديث: «فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا» (٢).

وكان السلف يحرصون على إحياء هذه الشعيرة في أيام العشر، وصفة التكبير: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ».

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

الكلمة المئة وخمس وأربعون

طلب العلم الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل العبادات، وأجل الطاعات التي حث عليها الشرع طلب العلم الشرعي، والمقصود بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد به خيرًا»، وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيْسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ

(١) البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ»^(١).

قال الأوزاعي: «الناس عندنا هم أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء»، وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب». قال سفيان الثوري: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم، وقال أبو جعفر الطحاوي: كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة، فقال لي: كأني بك قد فكرت فيما أُعطي هذا الرجل من الدنيا، قلت له: نعم، قال: هل أدلك على خلة؟ هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلاً ويعيش هو عالماً فقيراً؟ فقلت: ما أختار أن يُحوّلَ اللهُ ما عندي من العلم إلى ما عنده فالعلم غني بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال، وفي ذلك قيل:

العلمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبَ صَحْبَا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تَمُّ يُحْرَمُهُ عَمَا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذَّلَّ وَالْحَرْبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يَحَازِرُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالسَّلْبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدَلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا^(٢)

ومن فضائل هذا العلم: أنه يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال:

(١) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٤) برقم (٣٠٩٦).

(٢) جامع الآداب لابن القيم تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٢).

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

ومنها: أن أهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»^(٢)، روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عن هذه الطائفة: «إن لم يكونوا من أهل الحديث فلا أدري من هم».

قال عبد الله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عز، فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد الآخرة وجدها... وكان الشافعي إذا رأى شيخاً سألته عن الحديث والفقه، فإن كان عنده شيء وإلا قال له: لا جزاك الله خيراً عن نفسك ولا عن الإسلام، قد ضيعت نفسك وضيعت الإسلام^(٣).

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٤).

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٤١)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٣) جامع الآداب لابن القيم، تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٣).

(٤) قطعة من حديث برقم (٢٦٩٩).

أهل الأرض؟ فدل على رَاهِب، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»^(١).

ومنها: أن الله تعالى يقذف لأهل العلم الربانيين هيبة ومحبة، وتقديرًا في قلوب الناس، فتجد الألسن تتابع في الثناء عليهم، والقلوب تتفق على احترامهم وتقديرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١٦) [مريم].

ومنها: أن طلب العلم خير للمرء من متاع الدنيا، روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٢).

ووسائل طلب العلم كثيرة، كحضور الدروس العلمية للعلماء والمشايخ، والمحاضرات العامة، والكلمات في المساجد، وقراءة الكتب النافعة، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وسؤال أهل العلم عما أشكل، وحفظ كتاب الله فهو رأس العلوم كلها. والله درُّ الشافعي عندما قال:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦) واللفظ له.

(٢) برقم (٨٠٣).

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين

وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»^(١).

وكان النبي ﷺ يستعيد بالله من علم لا ينفع، روى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٢).

وروى ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^(٣).

ويجب على المسلم أن يطلب العلم الشرعي خالصًا لوجه الله، لا من أجل منصب، أو مال، أو عرض من الدنيا، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعنى: رِيحَهَا^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ

(١) البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٢) برقم (٥٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ١١٢٥) برقم (٥١١٠).

(٣) برقم (٣٨٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٢٧) برقم (٣١٠٠).

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٧) برقم (٣١١٢).

الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَفِيَّةً، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فِقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

الكلمة المئة وست وأربعون

معنى لا إله إلا الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كلمة الإخلاص هي كلمة (لا إله إلا الله)؛ لأنها تعني إخلاص العبادة لله تعالى، وإفراده بها؛ لأن معناها: لا معبود حقاً إلا الله، وهي كلمة عظيمة، من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفي سبيل تحقيقها أمر الله المؤمنين بالجهاد، وجردت السيوف ورُكبت الجياد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٥٥] ﴿[الأنبياء]. وكان كل رسول أول ما يدعو قومه إليها، فيقول كما قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقد كان الكفار الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بأنه لا خالق إلا الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف]، غير أن هذا الإقرار لا يكفي في تحقيق التوحيد، إذ لا بد من المعرفة والعلم المستلزم لإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهذا ما أراده ربنا ﷺ، إذ يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولقد فهم كفار قريش وغيرهم أن هذا هو المعنى الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة، فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص]، ومن المسلمين من يقول هذه الكلمة، ويصلي ويصوم ويحج ويتصدق ومع ذلك يصرف شيئاً

من أنواع العبادة لغير الله تعالى، كالأستغاثة بالأولياء والصالحين، أو النذر لهم، أو دعائهم من دون الله، فهؤلاء لم يحققوا معنى لا إله إلا الله، وأنه إفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواعها له، وأن من صرف شيئاً منها لغيره فهو مشرك، وإن قال لا إله إلا الله، وصلى، وصام، وزعم أنه مسلم، فإن العبد لا يكون مسلماً حقاً، ولا ينجو من الخلود في نار جهنم إلا بالإيمان الخالص الذي لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام]، ومن عبد الله، وعبد معه غيره لم تنفعه تلك العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر]، وقد ذكر أهل العلم أن معنى لا إله إلا الله يتضمن شروطاً لا يتم إلا بها.

وشروط هذه الكلمة ثمانية:

أولاً: العلم بمعناها، المراد منها، وما تنفيه، وما تثبته، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد].

روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

وكثير من الناس ينطق بها بلسانه، ولا يعلم شيئاً من معناها، ولهذا يقع في الشرك.

ثانياً: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها متيقناً بما تدل عليه، فإذا كان في قلبه شك بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴿ [الحجرات: ١٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ثالثاً: الإخلاص المنافي للشرك، فلا يقولها رياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ» (٢).

رابعاً: الصدق المنافي للكذب، فيقول لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، قال تعالى: ﴿ الْمَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (٣)، فاشترط الصدق في هذا الحديث.

خامساً: المحبة المنافية للبعوض، فيحب هذه الكلمة، وما تدل عليه، وأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادساً: الانقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، فيجب الانقياد لما تدل عليه لا إله إلا الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى:

(١) برقم (٢٦).

(٢) برقم (٦٥٧٠).

(٣) البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]،
والاستسلام هو الانقياد لأوامر الله.

سابعاً: القبول المنافي للرد، فيجب القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فمن قالها، ولم يقبل ذلك ويلتزم به، كان ممن قال فيهم سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصفات].

ثامناً: الكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت، وإثبات العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١). وقد نظم بعضهم فقال:

عِلْمٌ، يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَعَ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولَ لَهَا
وَزَيْدٌ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَنْدَادِ قَدْ أَلْهَا

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة:

أولاً: أنه يُفْتَحُ لقائلها أبواب الجنة الثمانية، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٢).

(١) رقم (٢٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨) واللفظ له.

ثانياً: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»^(٢).

ثالثاً: أن من قالها قبل أن يموت، فمات عليها، دخل الجنة، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٢).

(٢) (٦/٢٧٤) برقم (٦٣٩٦) وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/١٠٩٨) برقم (٦٤٣٤).

(٣) سبق تخريجه.

الكلمة المئة وسبع وأربعون

سورة الفلق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على ألسنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر، سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

(١) البخاري برقم (٥٠١٦)، ومسلم برقم (٢١٩٢).

(٢) برقم (٥٠١٧).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلَهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)»، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)» (١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١).

أي ألبأ وألود وأعتصم برب الفلق، أي الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك؛ لأن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح والنوى والحب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢).

أي: من شر جميع المخلوقات، حتى من شر النفس؛ لأن النفس أماراة بالسوء وفي الحديث: ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن شر ما خلق يشمل شياطين الإنس والجن، والهوام، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣).

الغاسق، قيل إنه الليل، وقيل إنه القمر، والصحيح أنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والليل تكثر فيه الهوام والوحوش؛ فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي الليل، وأما القمر فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ» (٢).

(١) برقم (٨١٤).

(٢) برقم (٣٣٦٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لأن سلطانه يكون في الليل، وإذا وقب: أي إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

قوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾:

هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنث، ثم تعقد ثم تنث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفائين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: (لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ)، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، دَعَا ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيَمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟^(١)، قَالَ: لَبِيدُ ابْنِ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ^(٢)، قَالَ:

(١) أي: سحره.

(٢) قوله: مشط ومشاطة: قال ابن حجر: أما المشط فهو بضم الميم، ويجوز كسرهما، أثبتة أبو عبيدة، وأنكره أبو زيد، وبالسكون فيها، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، وهو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

وَجُفٌّ طَلْعَةٌ ذَكَرٌ^(١)، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَيْتِ ذِي أَرْوَانَ»، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللَّهِ لَكَانَ مَاءَهَا نُقَاعَةَ الْحِنَاءِ، وَلَكَانَ نَحْلَهَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا، أَمَا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فِدْفِنْتُ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٥):

الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فيحسده. والحساد نوعان: نوع يحسده ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد، ولهذا قال ﴿إِذَا حَسَدَ﴾^(٥)، ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المعان؛ لأنها لا تصدر غالباً إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، والعين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقُ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»^(٣).

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ، وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ»^(٤).

(١) قوله: جف طلعة ذكر: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر في قوله: طلعة ذكر، وهو بالإضافة. اهـ. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨٩) واللفظ له.

(٣) برقم (٢١٨٨).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث حسن،

انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٤١٤٤).

قال المناوي: أي تقتله فيدفن في القبر، وتدخل الجمل القدر، أي إذا أصابته، أو أشرف على الموت ذبحه مالكة، وطبخه في القدر، وهذا يعني أن العين داء، والداء يقتل، فينبغي للعائن أن يبادر إلى معالجته بالبركة، فتكون رقية منه^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ^(٢).

وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفياً، وعلى المؤمن أن يعلق قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل عليه، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء السحرة والحساد، وغيرهم^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فيض القدير (٤/٣٩٧).

(٢) برقم (٢١٨٦).

(٣) انظر: تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٥٢ - ٣٥٤).

الكلمة المئة وثمان وأربعون

آداب الطعام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أسرار عظمة هذا الدين أنه ما ترك جانبًا من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبيان والإيضاح، ومن هذه الجوانب التي تناولها هذا الدين آداب الطعام، ومن تلك الآداب:

أولاً: التسمية قبل البدء بالطعام أو الشراب، روى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن سلمة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(١).

وإذا نسي أن يسمي عند أول الطعام فليسم إذا ذكر، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»^(٢).

ثانياً: الأكل والشرب باليمين، فلا يجوز للمسلم أن يأكل أو يشرب بشماله، روى مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال النبي ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فقال: لا أستطيع، قال: «لَا اسْتَطَعْتُ»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما

(١) البخاري برقم (٥٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).

(٢) برقم (١٨٥٨) وقال: حديث حسن صحيح.

رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» (٢).

ثالثاً: الأكل بثلاثة أصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك أنه حدثهم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا» (٣).

رابعاً: لعق الأصابع وصحفة الطعام، فإذا أكل الإنسان الطعام، وبقي شيء يسير منه، لا يضره تناوله، أو بقي أثر للطعام في الصحفة، فالسنة أن يلعقها، لأن الإنسان لا يدري أين البركة، وكذلك السنة لعق الأصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا» (٤)، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ؟» (٥).

خامساً: أكل ما تناثر من الطعام:

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمَسَّحْ يَدُهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ» (٦).

(٢) برقم (٢٠٢٠).

(١) برقم (٢٠٢١).

(٤) برقم (٢٠٣٢).

(٣) برقم (٢٠٣٢).

(٦) برقم (٢٠٣٣).

(٥) برقم (٢٠٣٣).

سادساً: الأكل مع الغير من زوجة، أو أولاد أو ضيف غيرهم:

روى أبو داود في سننه من حديث وحشي بن حرب عن أبيه عن جده رضي عنه: أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»^(١).

سابعاً: النهي عن التنفس في الإناء:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ»^(٢).

ومثله النفخ في الطعام والشراب، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري قال: نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ^(٣).

ثامناً: النهي عن الأكل من أعلى الصفحة، أو أوسطها:

وينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون الطعام واحد بمعنى أن الذي في الصفحة طعام من نوع واحد، فالسنة أن يأكل مما يليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٤)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»^(٥).

الثاني: أن يكون الطعام أنواعاً، فلا بأس بالأكل من أعلى الصفحة،

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (١٥٣).

(٣) برقم (٣٧٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧١٠/٢) برقم (٣١٧١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٢٢).

(٥) برقم (١٨٠٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

وجوانبها، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبَعُ الدُّبَاءَ مِنْ حَوَالِي الصَّخْفَةِ» (١).

تاسعاً: النهي عن الشرب قائماً:

لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ» (٢).

عاشراً: الاقتصاد في أكل الطعام:

روى الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِبَطْعَامِهِ، وَثُلُثٌ لَشْرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٣).

فائدة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر فأمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» (٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٢٠٩٢)، ومسلم برقم (٢٠٤١).

(٢) برقم (٢٠٢٦).

(٣) برقم (٢٣٨٠)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٢٠٦٣) ومختصراً برقم (٢٠٦٢).

الكلمة المئة وتسع وأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ أي لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفُقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواتها، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ويرزقون بأنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم. اهـ^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ

(١) تفسير ابن سعدي (ص ١٥٦ - ١٥٧).

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران]؟ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَيَّ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ، تَرَكُوا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ» (٢).

قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران]، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله، أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) برقم (١٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨١٧)، وصحيح مسلم برقم (١٨٧٧)، واللفظ له.

يدعو على الذين قتلوهم، قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ، «بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا، أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا، وَأَرْضَانَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، ١٧١] أي يهنئ بعضهم بعضًا بأعظم شيء، وهو نعمة ربهم وفضله وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، بل ينميهِ ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشهداء على بارق^(٢) نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً»^(٣).

قال ابن كثير: وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم، وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن، بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، ورواه الشافعي عن

(١) البخاري برقم (٤٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٧٧).

(٢) بارق: أي على جانب نهر، الفتح الرباني للبنا رحمته الله (٢٨/١٣).

(٣) (٢٢٠/٤) برقم (٢٣٩٠) وقال محققوه: إسناده صحيح، قال ابن كثير في تفسيره

(٢٦٢/٣): وهو إسناد جيد.

مالك بن أنس، ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(١).

وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكوكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان^(٢).

ثالثاً: الترغيب في الجهاد، والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللهُ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

رابعاً: فضل الجهاد ومكانته العظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللهُ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ قَالَ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٤).

خامساً: أن فيها تسلية للأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة، روى البخاري في صحيحه: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ بِنْتَ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي

(١) (٢٥/٥٧ - ٥٨) برقم (١٥٧٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح، من فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٣).

(٤) برقم (٢٧٩٠).

(٣) برقم (١٩٠٩).

عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ - أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ^(١) - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنِكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^(٢).

سادساً: أن هذا الفضل الوارد في الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

أما من قاتل تحت راية عمية ينصر قومية، أو وطنية، أو حرية، أو غيرها من الشعارات الزائفة فهو كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ^(٤)، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أي طائش لا يعرف من رماه.

(٢) برقم (٢٨٠٩).

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، مسلم برقم (١٩٠٤).

(٤) عمية: قال القاضي عياض: يقال بكسر العين وبضمها، وكسر الميم وتشديدها وتشديد الياء، قال الإمام: قيل الأمر الأعمى كالعصبية، لا يستبين ما وجهه، قاله أحمد بن حنبل، وقال إسحاق: هذا في تجارح القوم وقتل بعضهم بعضاً وكأنه من التعمية وهو التليس، وفي حديث ابن الزبير: يموت ميتة عمية، أي: ميتة فتنة وجهل. المصدر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٢٦٣/٦).

(٥) برقم (١٨٥٠).

الكلمة المئة وخمسون

سورة الفاتحة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من سور القرآن العظيم التي نقرأها في كل صلاة فرضاً ونفلاً: سورة الفاتحة، وهي أعظم سور القرآن، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلّى قال: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثُمَّ قَالَ لِي: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي أُوتِيَتْهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب: أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

الَّذِي أُعْطِيَتْهُ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا، لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ» (٢).

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد هو الثناء، على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المتولي جميع العالمين، وهو الذي أوجد الخلق من العدم، وأنعم عليهم بالنعمة العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والرب هو المالك المتصرف، ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، تقول: رب الدار، ولا تقول الرب على غير الله.

قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها الله للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسوله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن

(١) برقم (٢٨٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٨٠٦).

عداهم فلهم نصيب منها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(١).

قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤)، أي: هو المتصرف في ذلك اليوم، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، فهو مالك الدنيا والآخرة، وإنما أضيف الملك إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الإنفطار]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [غافر].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٢).

قال ابن عباس: «لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا، قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة،

(١) برقم (٢٧٥٥).

(٢) البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٤).

يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه»، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين.

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ فالعبادة كمال المحبة، وكمال الخضوع، والخوف والذل، وقدم المفعول - وهو إياك - وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، ولذلك قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾، فالأول التبرؤ من الشرك، والثاني: التبرؤ من الحول والقوة. بل إن الصلاة لا تصح لمن لم يقرأ بهذه السورة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(١).

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

والهداية ههنا التوفيق والإرشاد، فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع، والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقي الله. و﴿الصِّرَاطَ﴾ هو الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

(١) البخاري برقم (٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٩٤).

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ^٤
وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء].

وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم، وعليك من الفرائض أن تصدق الله أن طريقه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوج، وهذه أول الواجبات من هذه الآية، واعتقاد ذلك بالقلب، وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم، وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله^(١).

ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين، ومعناها: اللهم استجب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ

(١) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسير سورة الفاتحة (ص ١٨ - ٢٧).

تَأْمِينِ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

اللهم اجعل هذا القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا،
وذهاب همومنا، واجعله شافعاً وحجة لنا يوم القيامة.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٨٠)، ومسلم برقم (٤١٠).

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤١	٥ - الولاء والبراء		
٢٨٥	٦ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		
	خطر الشرك		
١٣٣	١ - التحذير من الشرك		
٢٧٣	٢ - نواقض الإسلام العشرة		
	التحذير من النفاق		
٧٣٩	١ - خطر النفاق		
٢٩٧	٢ - مبطلات الأعمال		
٣٦٣	٣ - خطورة الاستهزاء بالدين		
	توحيد الأسماء والصفات		
٥٠٧	١ - شرح اسم من أسماء الله العزيز		
٥٤٧	٢ - شرح اسم من أسماء الله الشافي		
٥٧٧	٣ - شرح اسم من أسماء الله الحكيم		
	علامات الساعة		
٥٧١	١ - فتنة الدجال		
	الإيمان باليوم الآخر		
٣٤٥	١ - عذاب القبر ونعيمه		
٥٤١	٢ - حوض النبي ﷺ		
			كتاب العلم
		٨١٩	١ - طلب العلم الشرعي
		٤٢١	٢ - وصايا لطلبة العلم
		٦٩٣	٣ - كلمة توجيهية للمدرسين
			أ - (قسم العقيدة)
			توحيد الربوبية
		٨٤٧	١ - تفسير سورة الفاتحة
		٦١١	٢ - تفسير آية الكرسي
		٧٩١	٣ - قدرة الله
		٥٨٣	٤ - نعمة الهداية
		٣٩٥	٥ - أسباب الثبات على الدين
		٣٠٣	٦ - الأجل والرزق
		٥٣٥	٧ - الأسباب الجالبة لمحبة الله ...
			توحيد العبادة
		١٥	١ - الإخلاص
		٨٢٥	٢ - معنى لا إله إلا الله
		١٨١	٣ - أصل الدين وقاعدته
		٢٩١	٤ - التوكل

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٥٩	٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ سورة طه	٨٤٧	ب - التفسير سورة الفاتحة سورة البقرة
١٩٩	١ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا﴾ سورة يس	٢٢٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَتِ﴾ سورة آل عمران
٤٩١	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ﴾ سورة الزخرف	٤٠٣	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمَلِكِ﴾ ٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ٤ - تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة الكهف
١٨٩	١ - دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سورة الطور	٢٠٣	١ - فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ سورة مريم
٤٩٧	١ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ سورة الصف	١٨٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا﴾ سورة التحريم
١٤٥	١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا﴾ سورة التحريم	٣٧٩	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ سورة مريم
٢٥٧	١ - ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنْفُسِكُمْ﴾ جزء عم	٢١٣	١ - سورة التكاثر
٢١٣	١ - سورة التكاثر	١٦٩	٢ - سورة العصر

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٥٩٣	٤ - صلاة الجماعة	٦٨٧	٣ - سورة الماعون
٣٠٩	٥ - الخشوع في الصلاة	٢١٩	٤ - سورة الإخلاص
٥٥٩	٦ - فضل صلاة الفجر	٨٣١	٥ - سورة الفلق
٧٧	٧ - فضل قيام الليل	ج - الحديث	
١١٧	٨ - سنن صلاة العيد	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان	يظلمهم الله	
٤٨٧	١٠ - الاستخارة	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	
الزكاة		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	
٥٨٩	١ - الزكاة	الساعة	
٣٧٥	٢ - زكاة الفطر	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	
الصيام		٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	
٧١	١ - فضل الصيام	النبي ﷺ فقال: عش ما شئت	
٦٧	٢ - فضل رمضان	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة	
٣	٣ - مخالفات تقع من بعض	٧ - فوائد من حديث حبيب بن عدي	
٩٧	الصائمين	٨ - شاب نشأ في عبادة الله	
الحج		٩ - الأجل والرزق	
٢٦٧	١ - وجوبه وفضله	١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	
٤٢٩	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج	سربه...» الحديث	
الوصايا		الفقه	
٤٣	١ - كتابة الوصية	الطهارة والصلاة	
البدع		١ - أخطاء في الطهارة	
٧٨٥	١ - النهي عن البدع	٢ - أخطاء في الصلاة	
		٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	محرمات عامة		الأدعية والأذكار
٦٦٥	١ - تحريم الدخان	٨٣	١ - الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢ - تحريم التصوير	٥٠١	٢ - الاستغفار
٤٥٧	٣ - الحسد		الطعام
٧٤٥	٤ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١ - آداب الطعام
	المواعظ والرقائق		المحرمات
٢٦٣	١ - آفة السهر		المال
٤٥١	٢ - كفارات الذنوب	١٩٣	١ - أكل المال الحرام
٤٦٣	٣ - المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢ - التحذير من الربا
٤٦٩	٤ - التقوى	٢٥١	٣ - النهي عن الإسراف
٥١٧	٥ - الورع	١٦٣	٤ - النهي عن المسألة
٦١٧	٦ - حفظ اللسان	٧٢٥	٥ - ذم الترف
٦٢٣	٧ - الحور العين		صيانة الأعراض
٦٢٩	٨ - الابتلاء	٤٨١	١ - تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩ - الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢ - غض البصر
٦٩٩	١٠ - غض البصر	٤٧٥	٣ - تحريم الغناء
٢٧٩	١١ - سوء الخاتمة	٥٥٣	٤ - خطر الدش
٧٢٥	١٢ - ذم الترف	٧١٩	٥ - خطر التلفاز
٧٩٥	١٣ - علامات حسن الخاتمة		اللباس
٧٦٧	١٤ - الموت وعظاته	٧٥١	١ - تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		الزينة
٣٨٩	١٦ - لذة العبادة		١ - تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧ - المواظبة على العبادة	٧٠٥	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	فضائل عامة		
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله	٣٩	١٨ - العجلة
٩١	٢ - فضل الصدقة	٥٧	١٩ - طول الأمل
	موضوعات تُهم المرأة	٤٣٥	٢٠ - التوبة
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام		الفضائل
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة		الأذكار
٤١٣	٣ - مفسدات العنوسة	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء	١٠٧	٢ - فضل الذكر
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز	٥٠١	٣ - الاستغفار
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح		الصلاة
	الأخلاق	٤٤٣	١ - فضل التبكير إلى الصلاة
٣٣	١ - حسن الخلق	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر
١٣٩	٢ - الحياء	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة
١٥٧	٣ - القناعة	٧٧	٤ - فضل قيام الليل
٣٣٩	٤ - الصبر	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان
٦٧٥	٥ - الأمانة	١٠٣	
٦٨١	٦ - صلة الأرحام		الصيام
	السير	٧١	١ - فضل الصيام
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small>	٦٧	٢ - فضل رمضان
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر		الحج
٧٧٣	الصديق <small>رضي عنه</small>	٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله
	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي عنه</small>		عشر ذي الحجة
٧٧٩		٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠ - الحسد	٤	٤ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١ - النكت	٣٣٣	٥ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢ - آفة السهر	٢٤٥	٦ - مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣ - علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
توجيهات عامة		قضايا اجتماعية	
٢٩	١ - التوفيق	١	١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٩	٢ - العجلة	٣١٧	٢ - مفسد العنوسة
٤٧	٣ - البركة	٤١٣	٣ - الطلاق
١٢١	٤ - الرؤيا	٣٨٣	٤ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٠٩	٥ - نصائح عامة	٣٥٧	٥ - تربية الأبناء
٤٤٧	٦ - أسباب انشراح الصدر	٧١٩	٦ - خطر التلفاز
٥١٣	٧ - شكر النعم	٥٥٣	٧ - خطر الدش
٥٢٣	٨ - علاج الهموم والغموم	٥٩٣	٨ - صلاة الجماعة
٥٦٥	٩ - السعادة	٦٨١	٩ - صلة الأرحام
٨٠١	١٠ - وفاته عليه الصلاة والسلام ..		
٨٠٧	١١ - أسباب النصر على الأعداء ..		
٦٤١	١٢ - العافية		
٥١٧	١٣ - الورع		



الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة

الموضوع

الجزء الأول

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١ - الإخلاص ١٥
- ٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ٢١
- ٣ - التوفيق ٢٩
- ٤ - حسن الخلق ٣٣
- ٥ - العجلة ٣٩
- ٦ - كتابة الوصية ٤٣
- ٧ - البركة ٤٧
- ٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ٥٣
- ٩ - طول الأمل ٥٧
- ١٠ - فضل القرآن وقراءته ٦٣
- ١١ - فضل رمضان ٦٧
- ١٢ - فضل الصيام ٧١
- ١٣ - فضل قيام الليل ٧٧
- ١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه ٨٣
- ١٥ - فضل الصدقة ٩١
- ١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين ٩٧
- ١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣
- ١٨ - فضل الذكر ١٠٧

- ١٩ - المواظبة على العبادة ١١٣
- ٢٠ - سنن العيد ١١٧
- ٢١ - الرؤيا ١٢١
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ١٢٧
- ٢٣ - التحذير من الشرك ١٣٣
- ٢٤ - الحياء ١٣٩
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ١٤٥
- ٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ١٥١
- ٢٧ - الفناعة ١٥٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ١٦٣
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ١٦٩
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٧٣

الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ١٨١
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ١٨٥
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ١٨٩
- ٣٤ - أكل المال الحرام ١٩٣
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ ١٩٩
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ٢٠٣
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ٢٠٧
- ٣٨ - سورة التكاثر ٢١٣
- ٣٩ - سورة الإخلاص ٢١٩
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ٢٢٥
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٢٩
- ٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَبُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ٢٣٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ٢٤١
- ٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ٢٥١

- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ٢٥٧
- ٤٧ - آفة السهر ٢٦٣
- ٤٨ - الحج: وجوبه وفضله ٢٦٧
- ٤٩ - نواقض الإسلام العشرة ٢٧٣
- ٥٠ - سوء الخاتمة ٢٧٩
- ٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج ٢٨٥
- ٥٢ - التوكل ٢٩١
- ٥٣ - مبطلات الأعمال ٢٩٧
- ٥٤ - الأجل والرزق ٣٠٣
- ٥٥ - الخشوع في الصلاة ٣٠٩
- ٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧
- ٥٧ - الصلاة ومكاتها في الإسلام ٣٢٣
- ٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩
- ٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب ٣٣٣
- ٦٠ - الصبر ٣٣٩
- ٦١ - عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥
- ٦٢ - فضل الدعوة إلى الله ٣٥١
- ٦٣ - تربية الأبناء ٣٥٧
- ٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين ٣٦٣
- ٦٥ - وقفة مع حديث شريف ٣٦٩
- ٦٦ - زكاة الفطر ٣٧٥
- ٦٧ - سورة العصر ٣٧٩
- ٦٨ - الطلاق ٣٨٣
- ٦٩ - لذة العبادة ٣٨٩
- ٧٠ - أسباب الثبات على الدين ٣٩٥

الجزء الثالث

- ٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنكُ﴾ ٤٠٣
- ٧٢ - نصائح عامة ٤٠٩

- ٧٣- مفسد العنوسة..... ٤١٣
- ٧٤- النكت..... ٤١٧
- ٧٥- وصايا لطلبة العلم..... ٤٢١
- ٧٦- مخالفات يقع فيها بعض الحجاج..... ٤٢٩
- ٧٧- التوبة..... ٤٣٥
- ٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)..... ٤٣٩
- ٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة..... ٤٤٣
- ٨٠- أسباب انشراح الصدر..... ٤٤٧
- ٨١- كفارات الذنوب..... ٤٥١
- ٨٢- الحسد..... ٤٥٧
- ٨٣- المعاصي وعقوباتها..... ٤٦٣
- ٨٤- التقوى..... ٤٦٩
- ٨٥- تحريم الغناء..... ٤٧٥
- ٨٦- تحريم الزنا وأسبابه..... ٤٨١
- ٨٧- الاستخارة..... ٤٨٧
- ٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾..... ٤٩١
- ٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾..... ٤٩٧
- ٩٠- الاستغفار..... ٥٠١
- ٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز)..... ٥٠٧
- ٩٢- شكر النعم..... ٥١٣
- ٩٣- الورع..... ٥١٧
- ٩٤- علاج الهموم والغموم..... ٥٢٣
- ٩٥- قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٥٢٩
- ٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله..... ٥٣٥
- ٩٧- حوض النبي ﷺ..... ٥٤١
- ٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی)..... ٥٤٧
- ٩٩- خطر الدش..... ٥٥٣
- ١٠٠- فضل صلاة الفجر..... ٥٥٩

- ١٠١ - السعادة..... ٥٦٥
- ١٠٢ - فتنة الدجال..... ٥٧١
- ١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم)..... ٥٧٧
- ١٠٤ - نعمة الهداية..... ٥٨٣
- ١٠٥ - الزكاة..... ٥٨٩
- ١٠٦ - صلاة الجماعة..... ٥٩٣
- ١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح..... ٥٩٩
- ١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)..... ٦٠٥
- ١٠٩ - تفسير آية الكرسي..... ٦١١
- ١١٠ - حفظ اللسان..... ٦١٧
- ١١١ - الحور العين..... ٦٢٣
- ١١٢ - الابتلاء..... ٦٢٩
- ١١٣ - الزهد في الدنيا..... ٦٣٥
- ١١٤ - العافية..... ٦٤١
- ١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام..... ٦٤٧
- ١١٦ - التحذير من الربا..... ٦٥٣
- ١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ ﴾..... ٦٥٩
- ١١٨ - تحريم الدخان..... ٦٦٥
- ١١٩ - فضل يوم الجمعة..... ٦٦٩
- ١٢٠ - الأمانة..... ٦٧٥
- ١٢١ - صلة الأرحام..... ٦٨١
- ١٢٢ - سورة الماعون..... ٦٨٧
- ١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين..... ٦٩٣
- ١٢٤ - غض البصر..... ٦٩٩
- ١٢٥ - تحريم حلق اللحية..... ٧٠٥
- ١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة..... ٧١١
- ١٢٧ - خطر التلفاز..... ٧١٩
- ١٢٨ - ذم الترف..... ٧٢٥

الصفحة	الموضوع
٧٢٩	١٢٩ - أخطاء في الطهارة
٧٣٣	١٣٠ - أخطاء في الصلاة
٧٣٩	١٣١ - خطر النفاق
٧٤٥	١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة
٧٥١	١٣٣ - تحريم الإسبال
٧٥٧	١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي
٧٦١	١٣٥ - تحريم التصوير
٧٦٧	١٣٦ - الموت وعظاته
٧٧٣	١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق
٧٧٩	١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب
٧٨٥	١٣٩ - النهي عن البدع
٧٩١	١٤٠ - قدرة الله
٧٩٥	١٤١ - علامات حسن الخاتمة
٨٠١	١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام
٨٠٧	١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء
٨١٣	١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة
٨١٩	١٤٥ - طلب العلم الشرعي
٨٢٥	١٤٦ - معنى لا إله إلا الله
٨٣١	١٤٧ - سورة الفلق
٨٣٧	١٤٨ - آداب الطعام
٨٤١	١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾
٨٤٧	١٥٠ - سورة الفاتحة



البرهان والشفقة

مسن

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الرابع والخامس.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ٣ - الرياض، ١٤٣٤ هـ

٦٤٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ١٣٥١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ - العنوان

١٤٣٤ / ٤٠٧

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤ / ٤٠٧

ردمك: ٤ - ١٣٥١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

واللاطفه أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الثالثة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدروس المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومية

(١٠٠) درسي للترغاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

و. أمين بن عبد الله الشقاوي

مجنة النرج



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة
من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن
عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم
والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة
في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا،
والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراس
واللباس، والمواعظ والرفائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية
كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور
الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي
مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً
يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقونها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله -:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم.

ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمّنه مؤلفه مئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل.

فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فهذا هو المجلد الثاني من كتاب الدرر المنتقاة يشتمل على

الجزئين الرابع والخامس، حيث يحتوي كل جزء على خمسين كلمة وهو كسابقه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صحح فليطمئن قراء كتابي الأعزاء إلى ذلك، مع أنني قد يسرت للقارئ الكريم الوصول إلى مصادر الكتب إذا أحب الرجوع إليها.

وقد حرصت على ذكر بعض الموضوعات التي حدثت خلال السنوات الأخيرة، وقد قمت بضبط الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبية لطلبات قراء الكتاب.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب جامعه وقارئه وناشره وسامعه، وأن يجزي كل من أعاننا على إخراجه خير الجزاء، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه :

جاء في المجلد السابق في بعض المواضع عند ذكر علي وفاطمة قول: « عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » والذي عليه عمل السلف الترضي عن أصحاب النبي ﷺ أهل البيت وغيرهم، وقد أدخلت هذه الكلمة بغير علمي حيث إن الكتاب طبع خارج المملكة ولم يُتنبه لها إلا بعد الطبع.

المؤلف

الرياض ١/٦/٣٠هـ ١٤٣٠

الكلمة الأولى

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَّبَرُوا عَيْنَيْهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وعملاً بهذه الآية الكريمة: لنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ﴾. قال مجاهد: أي أصناف مصنفة تُعْرَفُ بأسمائها، وقال قتادة: الطير أمة والإنس أمة، والجن أمة، وقال السدي: ﴿إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ﴾ أي خلق أمثالكم^(١).

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي الجميع علمهم عند الله، لا ينسى واحداً من جميعهم من رزقه وتدبيره، سواء كان

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١).

برياً أو بحرياً، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]، أي: مُفْصِح بِأَسْمَائِهَا وَأَعْدَادِهَا وَمِظَانِهَا، وَحَاصِرٌ لِحَرَكَاتِهَا وَسُكُنَاتِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) [العنكبوت]، أي: لَا تَطِيقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ، وَلَا تَدَّخِرُ شَيْئًا لَعَدْوٍ، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، أي: اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء (٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: روى ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حشرها: الموت».

القول الثاني: إن حشرها هو بعثها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلُوهُشُ حُشِرَتْ﴾ (٥) [التكوير] روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَتَطَّحَانِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيْمَ تَتَطَّحَانِ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ ﷺ: «لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» (٣).

وروى عبد الرزاق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والدواب والطير،

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢٦).

(٣) (٣٥/٣٤٥) برقم ٢١٤٣٨، وقال محققوه: حديث حسن.

وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ؛ أن يأخذ للجَمَاء من القرآن، قال: ثم يقول: «كوني ترابًا، فلذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ]» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه أنه قال: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ، إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا» (٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: عدل الله التام بين البهائم والطيور وسائر المخلوقات، وهذا العدل دقيق جداً حتى في مثقال الذرة الذي يحتقره الناس، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) [لقمان].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ» (٣).

ثانياً: إن الله قد تكفل برزق جميع الدواب والطيور والأسماك

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٠٦).

(٢) (٣٤٦/٣٥) برقم ٢١٤٣٩، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ١٠٤، حديث رقم ٢٥٨٢.

وسائر المخلوقات، من كان منها في الأرض أو الجو أو البحار والأنهار، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت].

قال حاتم بن الأصم:

وَكَيْفَ أَخَافَ الْفَقْرَ وَاللَّهَ رَازِقِي ورازقُ هذا الخلقِ في العسرِ واليسرِ
تَكْفَلُ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ وللضبِّ في البيداءِ والحوتِ في البحرِ

ثالثاً: أنه يجب على المؤمن أن يتوكل على الله الرزاق الذي رزق جميع المخلوقات فإن رزقه سبحانه لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار^(١)، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ: لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٢).

رابعاً: علمُ الله التام الشامل فلا يغيب عنه شيء، صغيراً كان أو

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢٦).

(٢) (١/٣٣٢) برقم ٢٠٥، وقال محققوه: إسناده قوي.

كبيراً، ولا ينسى أحداً من خلقه، سواء كان إنساناً أو دابة أو طيراً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) ﴿[مريم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) ﴿[يونس].

خامساً: إن المؤمن إذا استشعر عظمة الله وقدرته وإحاطته بكل شيء، حاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وأبرأ ذمته من حقوق العباد.

قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنَوِّلُنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) ﴿[الكهف].

سادساً: إثبات الحشر لجميع المخلوقات حتى الدواب والطيور بنص الآية، والحديث .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية

الذلة وأسبابها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»^(١).

قال الراغب: «الذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران]»^(٢) اهـ، وفيما عدا ذلك يكون مذموماً؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين».

ومن أسباب الذل الذي جعله الله عقوبة لمن عصاه، وخالف أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم:

أن من كفر به وحارب أوليائه أذله الله، قال تعالى عن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ

(١) جزء من حديث في مستدرك الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

(٢) المفردات ص ١٨١.

مَنْ اللَّهُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه: ألزم اليهود المكذبون بمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذرائعهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده، قبل أن يُثَقَّفُوا في بلاد الإسلام^(١).

وأخبر جل وعلا أنه كتب الذل والصغار عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

قال ابن كثير: «أي أذلاء حقيرون مهانون»^(٢).

ومن أسباب الذل والهوان:

التكبر على أوامر الله والاحتقار لعباد الله: روى الترمذي في

(١) تفسير ابن جرير (٣/١٩٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٧٦).

سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأُقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ، يُسْقُونَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ» (١).

ومنها ترك الجهاد في سبيل الله والاشتغال بالدنيا: روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (٢).

ومنها النفاق: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) [المنافقون]، وكما أن الذل عقوبة في الدنيا، فهو كذلك عقوبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَرَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وبالجمله فكل من عصى الله، وخالف أمر رسوله صلى الله عليه وسلم: أصابه الذل والصغار بقدر معصيته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» (٣).

(١) ص ٤٠٦ برقم ٢٤٩٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
 (٢) ص ٣٨٦ برقم ٣٤٦٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤٢/١) برقم ١١.
 (٣) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٩٢/٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٤٥-٥٤٦) رقم ٢٨٣١.

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا
وأهل المعصية يجدون الذل في قلوبهم، وإن حاولوا إخفائه.

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال^(١)، وهملجت^(٢) بهم البراذين^(٣)؛ إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أباي الله إلا أن يذل من عصاه»^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج].

وقد علمنا النبي ﷺ أن نستعيز بالله من الذل، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ»^(٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَمِنْ ضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٦).

والعزة لمن أطاع الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

(١) طقطقت البغال: صوتت حوافرها.

(٢) هملجت: أي مشت مشياً سهلاً.

(٣) البرذون: الفرس غير الأصيل.

(٤) الجواب الكافي، ص ٥٣.

(٥) ص ١٨٣ برقم ١٥٤٤، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٧/١) برقم ١٣٦٦.

(٦) ص ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨٥ برقم ١٣٦٥.

جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿١٠﴾ [فاطر: ١٠]،
وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ
تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [آل
عمران]، أي: تعز من تشاء بطاعتك، وتذل من تشاء بمعصيتك، كما
قال المفسرون.

والمؤمن هو العزيز وإن قل ماله أو جاهه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وكان من دعاء
السلف: «اللَّهُمَّ أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك»^(١).

والمؤمنون أعزة وإن قلُّوا، واللَّهُ ناصرهم إذا صدقوا في إيمانهم
وطاعة ربهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال للأَنْصار: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ؟!»^(٢).

والذل له عدة معان:

التواضع: قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ
الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) الجواب الكافي، ص ٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم ١١٥٤٧ وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله
في الصحيحين.

القلة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:

١٢٣].

السهولة: قال تعالى: ﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا بد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُؤُ أُنْذُنَ لِئَ لَا يَنْفَتِحَ إِلَّا فِي أَلْفِتْنَةٍ سَاقُطًا﴾ [التوبة: ٤٩]؛ ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله، كما فعل يوسف رَحِمَهُ اللهُ وغيره من الأنبياء رَحِمَهُمُ اللهُ والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة» وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيماً وسروراً، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التمتع بالذنوب ينقلب حزناً وثبوراً.

فيوسف رَحِمَهُ اللهُ خاف الله من الذنوب، ولم يخف من أذى الخلق وحبسهم إذا أطاع الله بل أثر الحبس والأذى مع الطاعة على الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة، وأكرمتها المرأة بالمال والرياسة وزوجها في طاعتها، فاختار يوسف الذل والحبس، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة مع الطاعة على العز والرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية^(١)، قال وهب بن منبه: لما مر يوسف على

(١) الفتاوى (١٣٢/١٥).

امرأة العزيز بعدما أصبح عزيز مصر قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، والملوك عبيداً بمعصيته^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن المستقبل لهذا الدين، وأن الله سيوصله إلى الناس كافة، ولو كره الكافرون. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعِزٌّ عَزِيزٌ، وَبِدُلِّ دَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وكان تميم الداري رضي عنه يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرطبي (١١/٣٨٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨/١٥٤) برقم ١٦٩٥٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط مسلم.

الكلمة الثالثة

العقوبات الإلهية وأسباب رفعها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها وهذا نذير شر وهلاك للأمة، وقد ثبتلى بعقوبات في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى عن الأمم السابقة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت]، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْوَنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا

الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»^(١).

فبين النبي ﷺ بعضاً من العقوبات التي تصاب بها أمته في آخر الزمان، إذا وقعوا في المحرمات وجأهروا بها.

والذي يتأمل في أحوال الناس في هذه الأيام يجد أن العقوبات قد حصلت بالفعل، فما النكبات المالية التي وقعت وتقع على الدول والأفراد، وانتشار الأمراض الخطيرة في الإنسان والحيوان، وغلاء الأسعار، ونزع البركات، وقلة الأمطار والجو الخائق والغبار، والزلازل، والبراكين، والآثار الناتجة عن إشعال الحروب والفتن هنا وهناك، إلا دليل واضح وبرهان ساطع لمن تدبر وعقل، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٣٠)

[الشورى]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٤١) [الروم]، فإن سألت عن الدواء النافع والعلاج الناجع، فأليك بعضاً مما دل عليه القرآن والسنة: من الأسباب الواقية من هذه الشرور.

أولاً: الإقلاع عن المعاصي والتوبة الصادقة إلى الله، قال تعالى:

﴿ إِنِ اتَّخَذْتُمْ لِلدَّيْنِ حُرْجًا فَمَا يَصْلُحْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فَمَا يَكْفُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٩٦) [الأعراف].

(١) ص ٤٣٢ برقم (٤٠١٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه (٣٧٠ / ٢) برقم ٣٢٤٦.

قال بعض السلف: «لا تستبطئ الإجابة، وقد سددت طريقها بالمعاصي».

قال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كلِّ كربٍ ثمَّ ننساهُ عندَ كَشْفِ الكروبِ
كيفَ نرجو إجابةً لدعاءٍ قد سدَدْنَا طريقَهَا بالذنوبِ

قال علي رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة».

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال أبو العتاهية:

لَهَوْنَا لِعَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتُ ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنْ ذُنُوبٌ
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنُتُوبُ

ثانياً: كثرة الاستغفار فهو سبب للإمداد بالأموال والبنيين ورغد العيش، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

قال الفضيل بن عياض: «استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين».

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(١)،

فإذا كان هذا حال سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين؟!

ثالثاً: البعد عن المال الحرام، ومن أعظمه: الربا الحرام الذي هو حرب على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

وللأسف: إن كثيراً من الناس يُودعون أموالهم في هذه البنوك، ويأخذون عليها ربا يسمونه فوائد، أو يقترضون بزيادة ربوية، أو يشترون ويبيعون بأسهم البنوك الربوية.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]؛ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغِذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (١).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أكل المال الحرام مانع من قبول الدعاء.

رابعًا: الابتعاد عن الشبهات ومنها الأسهم التي تهافت الناس عليها، وهي أشبه ما تكون بالقمار، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»^(١).

قال ابن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف، وقال عمر: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» قال بعض أهل العلم: إذا اشتبه عليك شيء هل هو من الحلال أو من الحرام فانظر إلى ثمرته ونتيجته، فإن الخير يأتي بالخير والشر لا ينتج عنه إلا شرًا.

قال صلى الله عليه وسلم: «اسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»^(٢).

خامسًا: إخراج الزكاة في وقتها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(٣).

وما أكثر الذين يمتنعون عن الزكاة أو يتحايلون على عدم إخراجها، وقد جاء في الحديث السابق ذكره قوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَمْ

(١) ص ٣٩٣، برقم (٢٠٨٣).

(٢) البخاري في التاريخ (١/١٤٤-١٤٥) من حديث وابصة، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١/٢٢٤) برقم ٩٤٨.

(٣) صحيح البخاري ص ٢٥ برقم ٨، وصحيح مسلم ص ٤٠ برقم ١٦.

يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا»^(١).

قال الشاعر:

وأحسبُ الناسَ لو أعطوا زكاتهمُ لَمَا رأيتَ بني الإعدامِ شاكينا
وكذلك الصدقة والإنفاق على الفقراء والمساكين والأقارب
والمحتاجين، فإن الله يدفع بذلك شرورًا عظيمة، قال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ
تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا تُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٢).

سادسًا: إخراج القنوات الفضائية السيئة التي تنشر الرذائل
وتدعو إليها وتحارب الفضائل وتقلل من شأنها فكم هتكت من
أعراض، وكم ضيعت من صلوات بأسبابها؟!

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ
يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٣). وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى والرعاية
الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله؛ يقول النبي ﷺ: «وَالرَّجُلُ
رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٤)؛ وعلى هذا فمن مات وقد
خلف في بيته شيئًا من صحون الاستقبال، «فإنه قد مات وهو غاش

(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث في سنن الترمذي ص ٤٢٥، برقم ٢٦١٦، قال الترمذي عنه: حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري ص ١٣٦٤، برقم ٧١٥، وصحيح مسلم ص ٨١، برقم ١٤٢، واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري ص ١٧٩، برقم ٨٩٣، وصحيح مسلم ص ٧٦٣، برقم ١٨٢٩.

لرعيته وسوف يحرم من الجنة، كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا (الدش) الذي ركبه الإنسان قبل موته، فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمان وكثرت المعاصي»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

الكلمة الرابعة

أخطاء في الصلاة (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن الصلاة عماد الدين والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، ولذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها: كما أمره النبي ﷺ بذلك، وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ» (٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين: أحبت التذكير بها أداءً لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة؛ فمن ذلك:

أولاً: الصلاة بالثياب الضيقة أو البنطال الضيق، قال بعض أهل العلم: والمحذور في ذلك أن اللباس الضيق يجسّم العورة، وهذا

(١) ص ١٣٧، برقم ٦٣١.

(٢) (٢/٢٤٠) برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم ١٣٥٨.

على العموم منهي عنه، فكيف إذا كان في الصلاة؟! قال تعالى:
﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثانياً: الصلاة في الثياب الشفافة: فكما يحرم الصلاة في اللباس الضيق لأنه يجسّم العورة ويصف شكلها وحجمها، فكذلك تحرّم الصلاة في الثياب الرقيقة التي تشفّ عما وراءها من البدن.

قال الفقهاء في شروط صحة الصلاة: مبحث ستر العورة، ويشترط في الساتر: أن يكون كثيفاً، فلا يجزئ الساتر الرقيق^(١).

وهذا يحدث في الصيف: نجد أن بعض الناس يلبس الثياب الشفافة مع السراويل القصيرة، ثم يصلي فيها.

ثالثاً: الصلاة في ملابس النوم أو (البيجامات) أو ملابس العمل، وقد تكون متسخة وبها روائح كريهة تؤذي المصلين، والسبب يعود إلى الكسل: فيتكاسل عن تغييرها؛ بينما لو أراد أن يزور مسؤولاً أو رجلاً له مكانته، لاستعدّ لذلك؛ فربّ العالمين أولى بالتجمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

رابعاً: الإسبال في الصلاة ويشمل الثوب و«البشت» والبنطال، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قال:

(١) انظر: المغني (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»^(٢). فإذا كان هذا الوعيد الشديد لعموم المسبلين، ففي الصلاة أشد وأعظم؛ فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءً، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»^(٣).

خامساً: المواظبة على صلاة النافلة في المسجد وهذا خلاف السنة، والمستحب أن تكون صلاة النافلة في البيت؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي ﷺ قال: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حيث جابر بن عبد الله رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُضِيَ أَحَدُكُمْ الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»^(٥).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن سعد رضي عنه

(١) ص ٦٨، برقم (١٠٦).

(٢) ص ١١٣٢، برقم ٥٧٨٧.

(٣) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦)، برقم ٥٩٥.

(٤) ص ١٠٤، برقم ٤٣٢، وصحيح مسلم ص ٣٠٧، برقم ٧٧٧.

(٥) ص ٣٠٧، برقم ٧٧٨.

قال: سألت رسول الله ﷺ أيما أفضل: الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ؟! فَلَا أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً»^(١)، ولا بأس أن يصلي النافلة في المسجد أحياناً إلا أن السنة الغالبة صلواتها في البيت وهو أفضل كما دلت على ذلك الأحاديث المتقدمة.

سادساً: رفع بعض المصلين أصواتهم في القراءة السرية أو في بعض أذكار الصلاة، وهذا يشوش على الباقيين صلواتهم، وقد ورد النهي عن ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١١٠) [الإسراء].

روى مالك في الموطأ من حديث البياضي رضي عنه: أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلُّون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ»^(٢).

سابعاً: إدخال بعض المصلين أجهزة الجوال إلى المساجد، وبها نعمات موسيقية، وهذه النعمات لا تجوز خارج المسجد، فكيف بالمسجد؟! قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٣٢) [الحج].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه:

(١) ص ١٥٢، برقم ١٣٧٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته في إرواء الغليل (٢/١٩٠).

(٢) ص ٥٣، برقم ٢١٨، وقال محققه: حديث صحيح.

أن النبي ﷺ قال: «لَيْكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١).

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم النغمات الموسيقية الصادرة من هذه الجوانات^(٢)، ولا شك أن إدخالها إلى هذه المساجد انتهاك صريح لحرمتها، إضافة إلى إيذاء المصلين وإفساد صلاتهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب].

ثامناً: الصلاة في الملابس التي فيها صور، والصور منهي عنها على وجه العموم، فكيف بالمسجد؟! روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ، لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي: أن علياً رضي عنه قال له: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ؟ «لَا تَدْعُ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٠١، برقم ٥٥٩٠.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٢٦) برقم ٢٠٨٤٢.

(٣) ص ١١٥٦ برقم ٥٩٦١، ومسلم ص ٨٧٥ برقم ٢١٠٧.

(٤) ص ٣٧٤، برقم ٩٦٩.

الكلمة الخامسة

شرح اسم الله الخالق المصوّر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتُرِّيْحُ الْوَتْرِ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

وقد ورد اسم الله الخالق المصوّر في آيات كثيرة، قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

(١) ص ١٢٣١، برقم ٦٤١٠، ومسلم ص ١٠٧٥، برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري، ص ١٤٠٩، برقم ٧٣٩٢.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار].

قال بعضهم: المصوّر هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة من الطول والقصر، والحسن والقبح، والذكورة والأنوثة: كل واحد بصورته الخاصة، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين العظيمين:

أولاً: إن الله تعالى هو الخالق وحده وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴿٣﴾﴾ [فاطر]، فكل ما سوى الله مخلوق محدث، وكل المخلوقات سبقها العدم؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان].

ثانياً: إن الله تعالى لم يزل خالقاً كيف شاء ومتى شاء ولا يزال، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٥﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج].

ثالثاً: إن الله تعالى ذكره خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر].

رابعاً: خلق الله عظيم، فلا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله، فضلاً عن أن يخلق أفضل منه، قال سبحانه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ لقمان: ١١﴾ .

وفي هذا تحدُّ لجميع الخلق من الجن والإنس وغيرهم .

وقد أثبت الله عجزهم عن خلق ضعيف حقير: كالذباب، ولو اجتمعوا على ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مَثَلًا فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج].

خامسًا: إن الله حرم على عباده أن يصوِّروا الصور ذوات الأرواح، لما فيها من مضاهاة لخلق الله، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ»^(٢)، وفي رواية: «يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٣)؛ وفي هذا دليل على تعذيب المصوِّر: وهو أن يكلف نفخ الروح في الصورة التي صوَّرها، وهو لا يقدر على ذلك، فيستمر تعذيبه.

سادسًا: خلق الله العظيم، فهو الذي خلق السماوات

(١) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥٣، وصحيح مسلم ص ٨٧٦، برقم ٢١١١.
 (٢) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥٠، وصحيح مسلم ص ٨٧٥، برقم ٢١٠٩.
 (٣) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥١، وصحيح مسلم ص ٨٧٥، برقم ٢١٠٨.

والأرض، وهما أعظم من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) [غافر]، ومن عظمة خلق الله: أن الكرسي وهو موضع القدمين - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - وسع السماوات والأرض جميعاً، والعرش أعظم من ذلك، والله تعالى مستوٍ على عرشه، وهو أعظم وأكبر من كل شيء.

سابعاً: إن الله تعالى ما خلق هذا الخلق عبثاً، وإنما لغاية عظيمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فتعالى الله المليك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكبير ﴿١١٦﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ (١٧) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) [الأنبياء].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق: أي بالعدل والقسط ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١) [النجم]، وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لهواً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٣٧) [ص] (١).

ثم بين سبحانه الحكمة في الخلق فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٩).

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِعْمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (١٦٩ - ١٧٤).

الكلمة السادسة

شرح حديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ
مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

هذا الحديث الشريف من الأحاديث العظيمة التي عليها مدار الدين، ولو عمل الناس به لقضى على كثير من المنكرات والخصومات بين الناس، ولعمم المجتمع الأمن والخير والسلام، وهذا يحصل عند كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله ويتفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك: وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص عليه من ذلك شيء^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ رضي عنه: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان، قال: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ

(١) ص ٢٦ برقم ١٣، وصحيح مسلم ص ٥٠ برقم ٤٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ص ١٤٧، بتصرف.

لِلَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ» قال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ»^(١).

وهذا من خصال الإيمان العظيمة، ولذلك رتب النبي ﷺ دخول الجنة على العمل بها، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث يزيد ابن أسد القسري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟» قلت: نعم، قال: «فَأَحِبِّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»^(٤).

وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه، وهو رضي الله عنه يحب هذا لكل ضعيف، وإنما كان يتولَّى أمور الناس لأن الله قوَّاه على ذلك، وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته، وأن يتولَّى سياسة دينهم ودنياهم.

وكان محمد بن واسع يبيع حمارًا له، فقال له رجل: أترضاه لي؟

(١) (٤٤٦/٣٦)، برقم ٢٢١٣٠، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) (٢١٦/٢٧)، برقم ١٦٦٥٥، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ٧٧٠، جزء من حديث رقم ١٨٤٤.

(٤) ص ٧٦٣، برقم ١٨٢٦.

قال: لو رضيته لم أبعه؛ وهذا إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه، وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين، التي هي من جملة الدين.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال: «أذنه»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال صلى الله عليه وسلم: «أتحبُّه لأُمَّك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لأُمَّهاتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لبناتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لأُختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لعممتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لعماتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لخاليتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم؟» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

قال ابن رجب: وينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من فوقه، وأن يتنافس في طلب ذلك جهده وطاقته، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين]؛ ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك، بل

(١) (٣٦/٤٤٠) برقم ٢٢٢١١، وقال محققوه: إسناده صحيح.

يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، وهذا من تمام أداء النصيحة للإخوان؛ فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية، اجتهد على لحاقه، وحزن على تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين: لا حسدًا لهم على ما آتاهم الله، بل منافسة لهم وغبطة وحرزًا على النفس، لتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين؛ وينبغي للمؤمن أن لا يزال يرى نفسه مقصرًا عن الدرجات العالية مستفيدًا بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص؛ وينشأ من هذا: أن يحب للمؤمنين أن يكونوا خيرًا منه، لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل هو يجتهد في إصلاحها.

وقد قال محمد بن واسع لابنه: أمّا أبوك فلا كثر الله في المسلمين مثله، فمن كان لا يرضى عن نفسه، فكيف يحب للمسلمين أن يكونوا مثله مع نصحه لهم؟! بل هو يحب للمسلمين أن يكونوا خيرًا منه، ويحب لنفسه أن يكون خيرًا مما هو عليه^(١). اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأمرُّ على الآية من كتاب الله، فأودُّ أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم».

وقال الشافعي رحمته الله: «وددت أن الناس تعلّموا هذا العلم، ولم يُنسب إليّ منه شيء».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم، ص ١٤٨-١٤٩.

الكلمة السابعة

علو الهمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً
رسول الله، وبعد:

فإن من الخصال الجميلة، والخلال الحميدة، والأخلاق العالية
الرفيعة: الهمة العالية، والناس إنما تعلقو أقدارهم، وترتفع منازلهم:
بحسب علو هممهم وشريف مقاصدهم، قال بعضهم: علو الهمة هو
استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، ومعنى ذلك: أن المؤمن
لا تنتهي إنجازاته في أمور دينه ودينه، بل كلما انتهى من إنجاز سعى
إلى آخر، وهكذا حال صاحب الهمة العالية.

وقد حث سبحانه عباده على علو الهمة، والمصارعة إلى الخيرات،
والتنافس في أعالي الدرجات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل
عمران]، وقال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات]،
وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين].

وبين تعالى فضل المجاهدين أصحاب الهمم العالية، على
القاعدين المؤثرين للراحة والدعة، فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾ [الحديد: ١٠].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه كما روى الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا»^(٢) أي: الحقير الرديء منها.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أعلى الناس همة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قِرَ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ؛ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يمثل لهذا التوجيه الرباني الكبير، فيقوم حتى تتفطر قدماه؛ وفي النهار جهاد، ودعوة، وقيادة للأمة، وكان في بيته تسع نسوة يقوم على شؤونهن، وكان يضع الحجر على بطنه من الجوع، وتمر الليالي تلو الليالي لا يوقد في بيت رسول الله نار إن هو إلا الأسودان - التمر والماء - لقد ولَّى عهد النوم والراحة، قال تعالى:

(١) (٢٩٦/٢٠) برقم ١٢٩٨١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) (١٣١/٣) برقم ٢٨٩٤، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/٣٨٤) برقم ١٨٩٠.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على الهمة العالية والمسابقة إلى الدرجات العالية، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في غزوة بدر، قال: فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبّوا المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، قال: يقول عمير بن الحمّام الأنصاري: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟!» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّىٰ أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ (١).

ومن الأمثلة على الهمة العالية ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم الأحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني

المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَلَ به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية [الأحزاب: ٢٣] (١).

وعلو الهمة على قسمين:

الأول: رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائم همته، وهذا ما يسمى (عظيم الهمة، أو: عظيم اليقين).

الثاني: رجل فيه الكفاية لعظائم الأمور، ولكنه يحتقر نفسه فيضع همه في سفاسف الأمور وصغائرها، وهذا ما يسمى صغير الهمة؛ قال المتنبي:

وَمَا أَرَى فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
ومن الأمثلة على علو الهمة:

ما قاله مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: واللّه ما أنزلت آية، إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم أحدًا

(١) صحيح البخاري ص ٥٤٢، برقم ٢٨٠٥؛ وصحيح مسلم ص ٧٩٠، برقم (١٩٠٣).

أعلم بكتاب الله مني، تبلغه المطايا، لأتيته.

وكان الإمام البخاري يقوم في الليلة الواحدة: ما يقارب عشرين مرة، لتدوين حديث أو فكرة، وقال الإمام أحمد بن حنبل: رحلت في طلب السنة إلى الثغور والشامات والسواحل، والمغرب والجزائر، ومكة والمدينة، واليمن وخراسان وفارس، وقال: حججت خمس حججات: منها ثلاث حجج راجلاً من بغداد إلى مكة، وقال ابن الجوزي: طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين، حتى جمع المسند وفيه ثلاثون ألف حديث.

وقال أيضاً: ولو أنني قلت: طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيها، وأحتقر همم الطلاب والله الحمد^(١). اهـ.

وقال ابن الجوزي - في ترجمة الطبراني -: هو العلامة سليمان ابن أحمد مُسند الدنيا، زادت مؤلفاته على خمسة وسبعين مؤلفاً، سئل عن كثرة أحاديثه؟! فقال: كنت أنام على الحصير ثلاثين سنة.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا
تَفْرِيجُ هَمِّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ
وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصَحْبَةٌ مَاجِدِ

ومن الأمثلة على علو الهمة في وقتنا المعاصر: ما أخبرني به أحد الإخوة أن هناك أعمى وأصم وأبكم لا تفوته تكبيرة الإحرام، والعجيب أن الذي يقوده إلى المسجد: ابنه وهو أصم وأبكم، ومع ذلك: الاثنان عندهما همة عالية للمبادرة إلى بيوت الله، والصلاة مع الجماعة، مع أنهما معذوران شرعاً.

وقال المتنبّي:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وقال أيضاً:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ

وقال أبو فراس الحمداني:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الهمة: فكيف يحسن بذي همة قد أزاح الله عنه عله، وعَرَفَهُ السعادة والشقاوة أن يرضى بأن يكون حيواناً وقد أمكنه أن يصير إنساناً، وبأن يكون إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وبأن يكون ملكاً وقد أمكنه أن يكون ملكاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتقوم الملائكة في خدمته، وتدخل عليهم من كل باب، قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤)

[الرعد : ٢٤].

وهذا الكمال إنما يُنالُ بالعلم ورعايته والقيام بموجبه وأعظم النقص نقص القادر على التمام وحسرتة على تفويته، فَثَبَّتَ أنه لا شيء أقبح بالإنسان من أن يكون غافلاً عن الفضائل الدينية، والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، فمن كان كذلك فهو من الهمج الرعاع الذين يكدرون الماء ويقلون، إن عاش عاش غير حميد، وإن مات مات غير فقيد، وفقدهم راحة للبلاد والعباد، ولا تبكي عليهم السماء، ولا تستوحش له الغبراء^(١).

الخلاصة: أنه ينبغي للمؤمن أن تكون همته عالية، يسعى إلى معالي الأمور وفيما يصلحه من أمر دينه ودنياه، وأن يبذل في ذلك الغالي والنفيس، وألا يكون ضعيف الهمة يحب الراحة والكسل، فإنه بقدر الكد تكتسب المعالي، ومن طلب العلا سهر الليالي^(٢).

قال الشاعر:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرُومُ الْعِزَّةَ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع الآداب من كلام ابن القيم بتحقيق يسري السيد محمد (١/٢١٨ - ٢١٩).

(٢) انظر: علو الهمة لأخينا الشيخ إسماعيل المقدم.

الكلمة الثامنة

فتنة المال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن من نعم الله العظيمة على عباده: نعمة المال، قال تعالى:
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى ممتنّاً على نبيّه بهذه النعمة: ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) [الضحى]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (١٤) [آل عمران].

قال عمر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه» (١).

والمال إما أن يستخدم في الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [التغابن]، وهو من الفتن العظيمة التي يُبتلى بها المؤمن، والقليل من الناس من يصبر عليها؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عياض بن

(١) ص ١٢٣٦ كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة».

حمار رضي عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»^(١)، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «ابتلينا بالضراء فصرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

والعبد يُسأل عن ماله يوم القيامة ماذا عمل فيه؟ روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ»^(٣).

وقد جُبلت النفوس على حب المال، قال تعالى: ﴿وَمُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر]، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَإِدْيَانٍ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ

(١) (٢١٥/٢٩) برقم ١٧٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) ص ٣٩٦، برقم ٢٤١٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ص ١٠٣٠ برقم ٥١٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥ برقم ٢٧٣٦.

(٤) ص ١٢٣٦ برقم ٦٤٣٦، وصحيح مسلم ص ٤٠٢ برقم ١٠٤٩.

وَطُولُ الْعُمُرِ» (١).

وقد حذر النبي ﷺ أمته من فتنة المال، فروى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن عوف رضي عنه: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «فَأَبْشُرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكْكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ» (٢).

والذي يتأمل في أحوال الناس في هذه الأيام، وانكبابهم على كسب هذا المال بأي وسيلة كانت: سواء كان في مساهمات مشبوهة، أو معاملات فيها مخالفات شرعية: كالربا، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها، ليتذكر قول النبي ﷺ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟» (٣).

وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى القناعة وعيشة الكفاف.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة

(١) ص ١٢٣٣ برقم ٦٤٢١، وصحيح مسلم ص ٤٠٢ برقم ١٠٤٧.

(٢) ص ٧٦٢ برقم ٤٠١٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١.

(٣) ص ٣٩٣، برقم ٢٠٨٣.

(٤) ص ٤٠٤، برقم ١٠٥٤.

أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(١) والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

قال الشاعر:

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْغِيهَا
وَغِنَى النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا

وقد ذمَّ الله ورسوله عبد المال: الذي إذا أُعْطِيَ رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «نَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمُ، وَالْقَطِيفَةُ، وَالْحَمِيصَةُ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(٢).

وهذا المال إن لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله وينفقه في سبيله، كان وبالاً وحسرة عليه، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري ص ١٢٣٨، برقم ٦٤٤٦؛ وصحيح مسلم ص ٤٠٢، برقم ١٠٥١.

(٢) ص ١٢٣٥، برقم ٦٤٣٥.

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اِثْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ : الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُهُ قَلَّةُ الْمَالِ، وَقَلَّةُ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِهِمْ : بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ»^(٢).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن البركة إنما تحل في هذا المال، إذا أخذه صاحبه بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح، فروى البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٣).

وقد أخبر عليه السلام أن المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد].

(١) (٣٦/٣٩)، برقم ٢٣٦٢٥؛ وقال محققوه: إسناده جيد.

(٢) (٢٠٨/١٤)، برقم ٨٥٢١؛ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) ص ٢٨٧ برقم ١٤٧٢، وصحيح مسلم ص ٣٩٨ برقم ١٠٣٥.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

وبعض الناس يغلط، ويظن أن من رزق مالا كثيرا، فإنه قد وُفق : وهو دليل على محبة الله له ! والأمر ليس كذلك، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب؛ وقد ذكر الله هذا عن الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن، قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفجر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .



(١) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١، وصحيح مسلم ص ١١٨٨ برقم ٢٩٦٠.

الكلمة التاسعة

فتنة النساء

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن العظيمة التي يواجهها المسلم في هذه الحياة: فتنة
النساء، وهذه الفتنة تواجهه في السوق وفي الطرقات وفي الأماكن
العامة، وفي الجرائد والمجلات وفي وسائل الإعلام، قال تعالى:
﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران].

وقد حذر النبي ﷺ أمته من فتنة النساء، روى البخاري ومسلم
من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكَتُ
بَعْدِي فِتْنَةٌ، أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء،
فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن
النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ

(١) ص ١٠١٠، برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥، برقم ٢٧٤٠.

كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنْ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن الصابر على هذه الفتنة: من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(٢)؛ قال القاضي عياض: «وخصَّ ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها؛ فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال - من أكمل المراتب وأعظم الطاعات، فرتب الله عليه أن يظله الله في ظله، وذات المنصب: هي ذات الحسب والنسب الشريف»^(٣)؛ قال تعالى - في هذا وأمثاله -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وقدوة هذا الصابر على فتنة النساء: نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الْوَاوِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ

(١) ص ١٠٩٦، برقم ٢٧٤٢.

(٢) ص ٢٧٧، برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧، برقم ١٠٣١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾ [يوسف]، بل إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ آثر السجن على أن ينقاد لهذه الفتنة، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [يوسف]، قال ابن القيم: « وقد ذكر الله تَعَالَى عن يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان شاباً والشباب مركب الشهوة، وكان عزباً ليس عنده ما يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله وأصحابه، يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم، فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال؛ والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمرادة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمين هجوم الداخل على بغته، وأتته بالرغبة والرغبة، ومع هذا كله عفَّ لله ولم يطعها، وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتلي به سواه لم يعلم كيف تكون حاله؟ » (١).

قال الشاعر:

(١) بدائع التفسير (٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦).

وإني لنتهاني خلائقُ أربَعُ عن الفحشِ فيها للكريمِ روادعُ
حياءٌ وإسلامٌ وشيبٌ وعفةٌ وما المرءُ إلا ما حبتُه الطبايعُ

والصبر على هذه الفتنة وإيثار رضا الله على هوى النفس: من
أفضل الأعمال التي تقرب العبد إلى ربه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَحَدُهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوَأَ إِلَى غَارٍ
فِي جَبَلٍ، فَاِنْحَطَّتْ عَلَيْهِ فَمَ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَاِنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ
تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجَهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي
ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا
فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَبِعْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِجَّتْهَا بِهَا،
فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ
إِلَّا بِحَقِّهِ! فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ،
فَأَفْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ»^(١) الحديث.

وقد أمر الله المؤمنين الذين لم يستطيعوا النكاح بالصبر والعفة،
قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾
[النور: ٣٣].

ومن أسباب دفع فتنة النساء: غض البصر وحفظ الفرج والنكاح

(١) ص ٤١٣ برقم ٢٢١٥، وصحيح مسلم ص ١٠٩٦ برقم ٢٧٤٣.

الحلال، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ - أي النكاح - فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظْرِ وَمَعْظَمُ النَّارِ مِنْ مَسْتَضْعِرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَتْ السِّهَامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
يَسُرُّ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرَهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرْرِ

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثواباً لمن حفظ فرجه، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٠٠٥ برقم ٥٠٦٦، وصحيح مسلم ص ٥٤٩ برقم ١٤٠٠.

(٢) ص ١٢٤٣، برقم ٦٤٧٤.

الكلمة العاشرة

فتنة الدنيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر الله ورسوله منها: فتنة الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [٤٥]

[الكهف].

وقال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [٢٠]

[الحديد].

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من فتنة الدنيا.

فروى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَرُدَّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» (١).

وقد نهى الله نبيه ﷺ عن التطلع إلى الدنيا وفتنتها، قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

وبين تعالى أن ما يعطيه الكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [٥٥] [التوبة]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [٥٥] سُرَاعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٥٦] [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [٢٣] وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرًّا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ [٣٤] وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٥] [الزخرف].

روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (٢).

(١) ص ٥٤٥، برقم ٢٨٢٢.

(٢) ص ٣٨٣، برقم ٢٣٢٠، قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ (أي: جانبه)، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَكَّ (أي: صغير الأذنين) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (١).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من فتنة الدنيا وزخرفها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتَهُمْ» (٢).

قال الشافعي رحمته الله:

إن لله عباداً فُطِنَا تركوا الدنيا وخافوا الفِتنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أنها ليست لِحَيٍّ وَطِنَا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

وقال ابن أبي حصينة المعري:

أحلامُ نومٍ أو كظل زائلٍ إن اللبيب بمثلها لا يُخدعُ

(١) ص ١١٨٧، برقم ٢٩٥٧.

(٢) ص ٧٦٢، برقم ٤٠١٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١.

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس بُعداً عن الدنيا وفتنتها، فروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: نام النبي ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث عمر: أنه رضي عنه صعد إلى مشربة النبي ﷺ لما آلى رضي عنه من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؛ وكان رسول الله ﷺ متكئاً، فجلس وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال رضي عنه: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، وفي رواية: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٢).

قال علي رضي عنه - وهو يصف الدنيا - : أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن حرص ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها (أي سعى إليها) فتنته، ومن قعد عنها أتمته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها (أي اعتبر بها) بصَّرتة، قال الشاعر أبو الحسن التهامي :

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

(١) ص ٣٨٩، برقم ٢٣٧٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ص ٩٦٩، برقم ٤٩١٣، وصحيح مسلم ص ٥٩٣، برقم ١٤٧٩.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالتقلل من الدنيا وزينتها، فروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»؛ وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(١).

وكان الصحابة يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اشتكى سلمان فعاده سعد فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي! أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟! أليس؟! أليس؟! قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضناً للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فما أراني إلا قد تعديت، قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إليّ أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت، قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نفقة كانت عنده^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٣٢، برقم ٦٤١٦.

(٢) ص ٤٤٤ برقم ٤١٠٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه

(٢/٣٩٢-٣٩٣) برقم ٣٣١٢.

الكلمة الحادية عشرة

النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات الذميمة التي ذمها الله ورسوله: السخرية بالناس واحتقارهم، قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة]، والويل: كلمة تهديد ووعيد لمن كانت هذه صفاته، قال المعلمي رَحِمَهُ اللهُ: الهمز هو السخرية من الناس بالإشارة؛ كتحرير اليد قرب الرأس: إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الإشارة بالعين: رمزاً للاستخفاف أو نحو ذلك.

واللمز: هو السخرية من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة، أو التعريض بذلك. اهـ^(١).

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ﴾ [الحجرات: ١١].

(١) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ليحيى المعلمي، ص ٣٣٣، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٦٠٤).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَمَّ بَنِيهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَسْخَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِجَمِيعِ مَعَانِي السَّخْرِيَّةِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ مُؤْمِنٍ لَا لِفَقْرِهِ وَلَا لَذَنْبِ رُكْبِهِ وَلَا لِغَيْرِ ذَلِكَ»^(١)؛ وَقَالَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: «أُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ: هُوَ دَعَاءُ الْمَرْءِ صَاحِبِهِ بِمَا يَكْرَهُهُ مِنْ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ، وَعَمَّ اللَّهُ بَنِيهِ ذَلِكَ وَلَمْ يَخْصِصْ بِهِ بَعْضَ الْأَلْقَابِ دُونَ بَعْضٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَنْبِزَ أَخَاهُ بِاسْمٍ يَكْرَهُهُ أَوْ صِفَةً يَكْرَهُهَا»^(٢).

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صِفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا - قَالَ غَيْرَ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةَ - فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكِيَّتُ لِي إِنْ سَأَلْتِ فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنْيَ حَكِيَّتِ إِنْ سَأَلْتِ، وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٣).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَعْرُورِ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَبِذَةِ وَعَلِيَهُ حَلَةٌ وَعَلَى غَلَامِهِ حَلَةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنْ سَأَلْتِ رَجُلًا فَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ،

(١) تفسير الطبري (١١/٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١١/٢٩٣).

(٣) ص ٥٢٩، برقم ٤٨٧٥، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ

(٣/٩٢٣) برقم ٤٠٨٠.

فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(١)؛ والسخرية بالناس من سمات الكفار والمنافقين، وقد نُهينا عن التشبه بهم، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٧٩) [التوبة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى المتصدقون لا يسلمون منهم؛ إن جاء أحدهم بمال كثير قالوا: مُرَاءٍ، وإن جاء بقليل قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا»^(٢). اهـ.

والسخرية تमित القلب وتورثه الغفلة، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساجر وتحسّر على فعله، قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴾^(٥٦) [الزمر].

والسخرية من الناس عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة، في الدنيا: قد يُبتلى الساجر بمثل ما سخر به، وفي الآخرة: عذاب الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾^(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ^(٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ^(٣١) [المطففين].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا

(١) ص ٢٩، برقم ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٧).

أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِينَنَا ﴿٥٨﴾ [الأحزاب].

والساخر بعيد عن ربه قريب من الشيطان، قال تعالى عن الكفار: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْرِبْنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

قال القرطبي: «يستفاد من هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم والإضرار عليهم، والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مبعد من الله ﷻ» (١).

ومما تقدّم، يتبيّن لنا: أن السخرية بالناس ذنب عظيم، منافٍ للدين والمروءة والأدب.

ومن صور هذا الاستهزاء في وقتنا المعاصر:

السخرية بالعلماء والمشايخ، والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وغيرهم من أهل الصلاح والخير، ولمزهم بالألقاب السيئة، وتأليف القصص المكذوبة التي تسمّى النكت عليهم؛ وقد نص بعض أهل العلم: على أن الساخر من العلماء أو الأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، إذا كان يسخر منهم لدينهم لا لذاتهم، فإن هذا من الكفر المخرج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

(١) تفسير القرطبي (٩٥/١٥).

ومنها: السخرية بالعمال المقيمين في هذه البلاد، أو الفقراء وضعفة الناس، واحتقارهم: لأن هذا من الجنسية أو البلد الفلاني؛ روى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أن يُستمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُستمع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١)؛ وما يدري هذا الساخر: لعل الذي سخر منه خير وأتقى لله منه! قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال محمود الغزنوي:

فَلَا تَحْقِرَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ وَلِيَّ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ وَمَا تَدْرِي
فَذُو الْقَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ خَافٍ عَنِ الْوَرَى كَمَا خَفِيَتْ عَنْ عِلْمِهِمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

ومنها السخرية بالجيران والأصدقاء والأقارب، وقد يكون الحامل على هذه السخرية والاحتقار: هو الحسد، فقد يبرز بعض الناس عند أقاربه أو أصدقائه: بتجارة أو علم أو دراسة، فيسخرون منه، ويلمزونه في المجالس، ليسقطوه من أعين الناس؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ

عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ! إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] ﴿[الحجر]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [٤٦] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [٤٧] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [٤٨] ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّنَا أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [٥٠] ﴿[الحجر].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] المتقون: هم الذين فعلوا الطاعات واجتنبوا المعاصي والذنوب، وجنات: أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة لأنها تجن من فيها: أي تسترهم لكثرة أشجارها وأغصانها.

والعيون هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل، وهذه الأنهار تجري من تحت القصور والأشجار، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي بسلامة من كل داء وآفة، وآمنين: أي من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع شيء من النعيم الذي أنتم فيه أو نقصانه، كالموت، والنوم، والمرض، والحزن، والهم، وسائر المكدرات، كما قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ [ق]؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف]»^(١)؛ والأمن مطلب لجميع الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى عن أهل الجنة: آمنين، حتى تكتمل السعادة والفرحة.

قال أمية بن الصلت:

وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارٍ صِدْقٍ وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظَّلَالِ
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنُّوا مِنَ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الحجر]، الغل: هو الحقد والعداوة، فبيّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه نزع ما في صدور أهل الجنة من الغل في حال كونهم إخوانًا، وبيّن هذا المعنى وزاد أنهم تجري من تحتهم

الأنهار في نعيم الجنة ، وذلك في قوله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) [الأعراف].

قال ابن كثير : وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» (١).

ولما دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعدما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وأدناه وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر] ، والحكمة في نزع الغل : حتى تكتمل السعادة والفرحة ، فإن الغل يفسد القلوب ويضيق به الصدر ، ولذلك شرح الله صدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأرسل الله له في صغره ملكين ، ونزعا ما في صدره من الغل والحقد وغسلا قلبه ؛ قوله : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧) السرر : جمع سرير مثل جديد وجدد ، وقيل : هو من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور ، قال ابن عباس : على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر . السرير ما

(١) صحيح البخاري ص ١٢٥٢ ، برقم ٦٥٣٥ .

بين صنعاء إلى الجابية وهي قرية بالشام، وما بين عدن إلى أيلة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقد وصف الله هذه السرر بأنها منسوجة بقضبان الذهب وهي: (الموضونة)، فقال: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ (١٦)﴾ [الواقعة].

وقيل الموضونة: المصفوفة، كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ [الطور].

وأيضاً هذه السرر مرفوعة، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)﴾ [الغاشية]، وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾ [الواقعة]، وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ [الرحمن].

قوله تعالى: ﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾: أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، وذلك دليل على تزاورهم واجتماعهم وحسن أديهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له، متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)﴾ [الحجر]: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب وهو التعب والإعياء، و﴿نَصَبٌ﴾: نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب، فدلّت الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والمشقة، وأكد هذا المعنى سبحانه، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَهْلْنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾

[فاطر]؛ لأن اللغوب هو التعب والإعياء، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ» (١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨): بين تعالى أن أهل الجنة لا يخرجون منها، فهم دائمون في نعيمها أبداً بلا انقطاع، وأوضح سبحانه هذا المعنى في مواضع أخرى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) خالدين فيها لا يبعثون عنها حولاً ﴿١٠٨﴾ [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٥٤) [ص]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿يَتَىٰ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر]، هذه الآية موازية لقوله صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ؛ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» (٢).

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، ويكون الخوف في الصحة أغلب عليه منه في المرض، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء

(١) ص ٧٢٦ برقم ٣٨٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٢.

(٢) ص ١١٠٢، برقم ٢٧٥٥.

والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها؛ فالقنوط من رحمة الله يأس، والرجاء مع التقصير إهمال، وخير الأمور أوسطها^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: تفسير ابن سعدي (ص ٤٠٧).

الكلمة الثالثة عشرة

الغُرُورُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات الذميمة التي نهى الله ورسوله عنها: الغرور، قال الراغب: الغرورُ هو كل ما يغرُّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك^(١)، وقال الكفوي: كل من غر شيئاً فهو غرورٌ بالفتح والغرورُ بالضم الباطل^(٢)، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَمَةٌ بِالْأَعْيُنِ﴾ [آل عمران].

وقد حذر سبحانه من الغرور فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر]، أي: لا يغرنكم الشيطان فيقول لكم: إن الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم لفضلكم أو رئاستكم وغناكم أو سعة رحمته لكم، فتسرعوا في المعاصي، وأخبر سبحانه أن الغرور من عمل الشيطان، فقال: ﴿وَأَسْتَفْرِزُّ مِنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء].

(١) المفردات للراغب ص ٣٥٩.

(٢) الكليات ص ٦٦٣.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول: ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها؛ والفرق بين وعده وتمنيته: أنه يعد الباطل ويمني المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذي بوعده وتمنيته، كما قال القائل:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا^(١)

قال حسان بن ثابت:

دَلَّاهُمْ^(٢) بَغْرورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ إِنْ الْخَبِيثَ لِمَنْ وَالَاهِ غَرَّارُ
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأُورِدُهُمْ شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ

والغرور على أقسام:

القسم الأول: «غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا بشهواتها وملذاتها، قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة، فالدنيا نقد والآخرة نسيئة، فإذن: الدنيا خير منها ولا بد من إتيانها؛ وقالوا: اليقين خير من الشك، ولذات الدنيا يقين ولذات

(١) إغاثة اللفهان (١/١٠٧).

(٢) قال القرطبي: يقال أدلى دلوه: أرسلها، ودلاها: أخرجها، وقيل دلاهم: دللهم من الدالة وهي الجرأة، أي جرأهم. الجامع لأحكام القرآن (٧/١١٦).

الآخرة شك، فلا نترك اليقين بالشك؛ ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، وبقوله: ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ [الضحى: ٤].

القسم الثاني: غرور العصاة من المؤمنين بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفوهُ، واتكالمهم على ذلك، وإهمالهم الأعمال، وتحسين ذلك بتسمية تمنيتهم واغترارهم: رجاء، وظنهم أن هذا هو الرجاء المحمود في الدين، وهذا جهل بالفرق بين الرجاء والغرة؛ وقد قيل للحسن: قوم يقولون: نرجو الله، ويضيعون العمل! فقال: هيهات هيهات، تلك أمانيتهم يترجحون^(١) فيها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه. اهـ.

وقد بين الله الرجاء المحمود فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

القسم الثالث: «غرور طوائف لهم طاعات ومعاص، إلا أن معاصيتهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة، ويظنون أنهم بذلك تترجح كفة حسناتهم، مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل؛ فترى الواحد يتصدق بدراهم من الحلال والحرام، وما يأكله من أموال المسلمين أضعاف ذلك، ويظن أن إنفاق عشرة في الصدقة يكفر عنه مائة من مشبوه المال، وذلك غاية في الجهل والاغترار»^(٢)؛

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب يترددون.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٧٦ - ٣٦٨) بتصرف.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١)، وروى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)؛ قال عبد الله بن المبارك : «لأن أردّ درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف» .

وقد أخبر سبحانه أن الغرور من شأن الظالمين والكفار، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنَّ يَعْذُubُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر].

فمن الناس من إذا أعطي مالا أو منصباً أو جاهاً، ظن أن هذا دليل على إكرام الله له ورضاه عنه، وأن هذا المنصب أو المال : إنما حصل عليه باجتهاده وتعبه ؛ وهذا يشبه قارون عندما قال عن ماله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [١٥] وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ [١٦] كلاً [الفجر] ، أي : ليس الأمر كذلك ؛ وآخرون إذا أعطي أحدهم نصيباً من العلم الشرعي أو الدعوة أو العبادة : اغتر بذلك ، وأعجب بعمله ، وترفعت نفسه عن الآخرين ، بل إن بعضهم يرى أن إخوانه ينبغي أن يخدموه ويوقروه ، تقديراً لعلمه أو

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم ص ٣٩١ ، برقم ١٠١٥ .

(٢) ص ٥٩٦ ، برقم ٣١١٨ .

لنشاطه في الدعوة، أو لعبادته: وهذا هو الغرور.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبان قال: أتيت عثمان بن عفان رضي الله عنه بطهور وهو جالس على المقاعد فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ وهو في هذا المجلس، فأحسن الوضوء ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَغْتَرُّوا»^(١).

قال الزهري: «من استطاع ألا يغتر فلا يغتر؛ ولما حضرت عبدالعزيز ابن مروان الوفاة وكان والياً على مصر قال: اثنوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: مالي كثير وما أخلف من الدنيا إلا هذا، ثم ولى ظهره وبكى وقال: أف لك من دار! إن كان كثير لقليل! وإن كان قليل لكثير! وإن كنا منك لفي غرور»^(٢).

وبالجملة فالناس على صنفين:

الأول: غرور أهل الدنيا بدنياهم حيث تلهيهم أموالها ومناصبها وزينتها وزخارفها، حتى يدركهم الموت وهم غافلون، قال تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۗ ۱ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ ۲ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ ۳ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ ۴ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۗ ۵ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۗ ۶

(١) ص ١٢٣٥ برقم ٦٤٣٣، وصحيح مسلم ص ١٢١ برقم ٢٣٢.

(٢) الدر المنثور (٤/١٩٣).

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
[التكاثر].

الثاني: غرور أهل العبادة والطاعة، وسببه إعجابهم بأعمالهم، فالواجب على العبد: أن يحمد الله على توفيقه، وأن يخلص له وأن يصدق معه، وأن يعلم أن المنة لله وحده، قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة عشرة

قسوة القلب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم العقوبات التي يتلى بها العبد: قسوة القلب، قال ابن منظور: القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه^(١).

وقال القرطبي: القسوة الصلابة والشدة واليأس وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى^(٢).

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَعَسَىٰٓ أَنْ يَكُونُوا قُلُوبُهُمْ غُلُوقًا فَفَسِحُوا ﴾ [الحديد].

قال ابن كثير: «يقول تعالى في هذه الآية: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، ففهمه وتنقاد له، وتسمع له وتطيعه»^(٣)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة

(١) لسان العرب (١٥/١٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢١).

من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية^(١). روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، إلا أربع سنين»^(٢).

فإذا كان الله قد حذر الصحابة، وهم خير القرون وأهل قيام الليل وصيام النهار والجهاد في سبيل الله، والوحي ينزل عليهم ليلاً ونهاراً، فكيف بنا نحن في هذا الزمن الذي تعلق فيه الكثير منا بالدنيا وانتشرت الفتن، وأصبح الواحد منا يعيش غربة الدين؟!!

لقد نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك: قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد^(٣).

وذكر أهل التفسير: أن سبب توبة الفضيل بن عياض - وكان من قطاع الطريق - أنه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؛ فرجع القهقهري وهو يقول: بلى والله قد آن! فأواه

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢١).

(٢) ص ١٢١١، برقم ٣٠٢٧.

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢٣).

الليل إلى خربة^(١) وفيها جماعة من السابلة^(٢)، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلاً يقطع الطريق، فقال الفضيل: أوَاه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني: اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام^(٣).

وقد توعدَّ الله أصحاب القلوب القاسية بالعذاب الأليم، وبين أن قسوة القلب سبب للضلال وانغلاق القلب، فلا يخشع ولا يعي ولا يفهم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ— فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وهذه الآية كقوله ﷺ: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الشاعر:

إذا قسا القلبُ لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطرُ
قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم.

وقد ذم الله في كتابه قسوة القلب، وأخبر أنها مانع عن قبول الحق والعمل به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

(١) خربة: موضع الخراب.

(٢) السابلة: المارون على الطرقات المترددون في حوائجهم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٦/٢٠).

يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ -: «أي من الحجارة لألين من قلوبكم، عمّا تدعون إليه من الحق فلا تستجيون» (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام]؛ أي الفقر والضييق في العيش، والضراء: وهي الأمراض والأسقام والآلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾: أي لعلهم يتضرعون إليه ويخشونه ويدعونه.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام]؛ أي فهلاً إذا ابتليناهم بذلك: تضرعوا إلينا، وتمسكنوا لدينا؟! ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي ما رقت ولا خشعت، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي من الشرك والمعاندة والمعاصي.

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أرق الناس قلباً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٥٧).

في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً
لِلْأُمِّيِّينَ، أنت عبدي ورسولي سَمَّيتُكَ المتوكِّلَ، ليس بفظ ولا غليظ
ولا سَخَّابٌ^(١) في الأسواق؛ ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو
ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا
إله إلا الله، فيفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صمًّا، وقلوباً غُلْفًا^(٢).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله - ابن مسعود رضي الله عنه -: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «اقْرَأْ عَلَيَّ؟» قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك
أُنزِلَ؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ»؛ فقرأتُ سورة النساء، حتى أتيت إلى
هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ
شَهِيدًا﴾ [٤١] [النساء]؛ قال: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فالتفتُ إليه: فإذا عيناه
تذرفان^(٣).

ومن أسباب لين القلب: الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، قال
تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾ [٢٨] [الرعد].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ومنها إطعام المسكين ومسح رأس اليتيم، روى الإمام أحمد في
مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ أَرَدْتَ تَلِينَ قَلْبِكَ

(١) وهو رفع الصوت بالخصام.

(٢) ص ٩٥٠ برقم ٤٨٣٨.

(٣) ص ١٠٠١، برقم ٥٠٥٠، وصحيح مسلم ص ٣١٣، برقم ٨٠٠.

فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»^(١).

وكذلك زيارة المقابر والمرضى، والزهد في الدنيا وتذكر الموت والآخرة، روى مسلم في صحيحه وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ»^(٣) يعني الموت، وفي رواية «فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سِعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»^(٤).

قال الشاعر:

دواء قلبك خمس عند قسوته فاذأب عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره كذا تضرع بالك ساعة السحر
ثم التهجد جنح الليل أوسطه وأن تجالس أهل الخير والخبر
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢/٢٦٣) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٥٣٣) برقم ٨٥٤.

(٢) ص ٣٧٧، برقم ٩٧٦، وابن ماجه ص ١٧١، برقم ١٥٦٩ - واللفظ له -.

(٣) ص ٣٨١، برقم ٢٣٠٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ص ٥٣٤ برقم ٢٩٨٢.

الكلمة الخامسة عشرة

العُجب

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن من عظام الأمور وكبائر الذنوب التي تهلك صاحبها، وتفسد عليه أعماله: تلك الخصلة الذميمة: العُجب^(١)؛ قال الراغب الأصفهاني: العجب ظن الإنسان في نفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها، قال بعضهم: هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم عليك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن دُؤُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٤﴾﴾ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠٦.

فلما أعجب بما عنده نسي أن هذا فضل الله عليه، وأن الذي أعطاه قادر على أن يأخذه فيعود فقيراً كما كان، فكانت عاقبته ما ذكره الله: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ [الكهف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ» (١)، إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ (٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٣).

وروى البزار من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذَبِّبُونَ، لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ: الْعُجْبُ» (٤).

وروى البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ» (٥).

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الهلاك في شيئين: العُجب والقنوط» (٦).

قال ابن قدامة رحمته الله: واعلم أن العُجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه فيتولد من العُجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة وهذا مع

(١) هي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين.

(٢) المراد أنه ينزل في الأرض مضطرباً متدافعاً.

(٣) ص ١١٣٢، برقم ٥٧٨٩، وصحيح مسلم ص ٨٦٦، برقم ٢٠٨٨.

(٤) كشف الأستار (٢٤٤/٤) برقم ٣٦٣٣، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

(٣/٥٤٥ - ٥٤٦): رواه البزار بإسناد جيد.

(٥) (٥٩/١) برقم ٨٠، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٠٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين: ص ٢٩٨، ٢٩٩.

الْخَلْقُ؛ فَأَمَّا مَعَ الْخَالِقِ: فَإِنَّ الْعُجْبَ بِالطَّاعَاتِ نَتِيجَةُ اسْتِعْظَامِهَا، فَكَأَنَّهُ يَمُنُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِفَعْلِهَا وَيَنْسِي نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لَهَا، وَيَعْمَى عَنْ آفَاتِهَا الْمَفْسُودَةِ لَهَا؛ وَإِنَّمَا يَتَفَقَدُ آفَاتِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَافِ رَدِّهَا دُونَ مَنْ رَضِيَهَا وَأَعْجَبَ بِهَا، وَالْعُجْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِوَصْفِ كِمَالٍ مِنْ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ؛ فَإِنَّ انْضِافَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَرَى حَقًّا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِدْلَالَ، فَالْعُجْبُ يَحْصُلُ بِاسْتِعْظَامِ مَا عُجِبَ بِهِ، وَالْإِدْلَالَ يُوجِبُ تَوَقُّعَ الْجَزَاءِ، مِثْلَ أَنْ يَتَوَقَّعَ إِجَابَةَ دَعَائِهِ وَيَنْكُرُ رَدَّهُ (١). اهـ.

وَعِلَّةُ الْعُجْبِ: الْجَهْلُ الْمَحْضُ، وَعِلَاجُهُ: الْمَعْرِفَةُ الْمُضَادَّةُ لِذَلِكَ الْجَهْلِ، أَيِ مَعْرِفَةِ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَثَارَ إِعْجَابِهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَقِّ سَبْقِ لَهُ، وَمِنْ غَيْرِ وَسِيلَةٍ يُدْلِي بِهَا، وَمَنْ ثَمَّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِعْجَابُهُ بِجُودِ اللَّهِ وَكِرْمِهِ وَفَضْلِهِ؛ وَإِذَا تَمَّ عِلْمُ الْإِنْسَانِ لَمْ يَرِ لِنَفْسِهِ عَمَلًا وَلَمْ يُعْجَبْ بِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي وَفَّقَهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا قِيسَ بِالنِّعَمِ لَمْ يَفِ بِمَعْشَارِ عُمْرِهَا، هَذَا إِذَا سَلِمَ مِنْ شَائِبَةِ وَسَلَمَ مِنْ غَفَلَةٍ، فَأَمَّا وَالْغَفَلَاتُ تَحِيطُ بِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُغْلَبَ الْحَذَرُ مِنْ رَدِّهِ، وَيَخَافُ الْعِقَابَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِيهِ: هَذَا فِي عِلَاجِ الْعُجْبِ إِجْمَالًا؛ أَمَّا عِلَاجُ حَالَاتِهِ تَفْصِيلًا: فَإِنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يَحْدُثُ بِهِ الْعُجْبُ، فَإِنَّ كَانَ نَاشِئًا عَنْ حَالَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ صَاحِبُهُ مِنَ الْجَمَالِ وَالْقُوَّةِ وَنَحْوِهِمَا، فَعِلَاجُهُ التَّفَكُّرُ فِي أَقْدَارِ بَاطِنِهِ، وَفِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآخِرِهِ، وَفِي الْوُجُوهِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَبْدَانِ النَّاعِمَةِ، كَيْفَ تَمَرَّغَتْ فِي التَّرَابِ وَأَنْتَنْتَ فِي الْقُبُورِ حَتَّى اسْتَقْدَرْتَهَا الطَّبَاعُ؟!!

وَإِنْ كَانَ الْعُجْبُ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْخُدَمِ وَالْأَقَارِبِ

(١) مختصر منهج القاصدين: ص ٢٩٨، ٢٩٩.

والأنصار، فعلاجه أن يعلم ضعفه وضعفهم، وأنَّ للمال آفات كثيرة وأنه غادٍ ورائح ولا أصل له.

ومر بالحسن البصري شاب عليه بزة له حسنة، فدعاه فقال له: «ابن آدم مُعجب بشبابه، محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داوِ قلبك فإن مراد الله من العباد صلاح قلوبهم!» وقال مسروق: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه»^(١).

قيل للحسن البصري: من شر الناس؟ قال: من يرى أنه أفضلهم، وقال بعضهم: الكاذب في نهاية البعد من الفضل والمرائي أسوأ حالاً منه لأنه يكذب بفعله وقوله، والمعجب أسوأ حالاً منهما فإنهما يريان نقص أنفسهما ويريدان إخفاءه، والمعجب عمي عن مساوئ نفسه ورآها محاسن وسُر بها، وقد قال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لا أطلبه غيرها: إذا عجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه^(٢).

والخلاصة: «أن العجب آفة كبيرة، ومرض خطير من أمراض القلوب، وإن لم يتداركه صاحبه فإنه يهلكه، ويكون سبباً في بطلان عمله وسقوطه من عين ربه».

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) بتصرف واختصار من كتاب نضرة النعيم (١١/٥٣٥٧ - ٥٣٥٨).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

الكلمة السادسة عشرة

شرح اسم الله الفتاح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن الأسماء الحسنی التي وردت في كتابه العظيم: الفتاح، وللفتاح معنيان:

الأول: يرجع إلى معنى الحكم الذي يفتح بين عباده، ويحكم بينهم بشرعه: بإثابة الطائعين، وعقوبة العاصين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٦) [سبأ]؛ وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٣٨) [الأعراف]، قال ابن كثير: «أي افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: أي خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً»^(٢).

(١) ص ٥٢٦، برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦، برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٠).

فالآية الأولى فتحة بين العباد يوم القيامة، وهذا في الدنيا بأن ينصر الحق وأهله، ويذل الباطل وأهله، ويوقع بهم العقوبات.

الثاني: فتحة لعباده جميع أبواب الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] الآية. يفتح لعباده منافع الدنيا والدين، فيفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويدرُّ عليها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يصلح أحوالها وتستقيم به على الصراط المستقيم، ويفتح لعباده أبواب الرزق وطرق الأسباب؛ ويهيئ للمتقين من الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويعطي المتوكلين فوق ما يطلبون ويؤمنون، وييسر لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة^(١).

ومن ذلك الفتح: ما يفتح الله ﷻ على نبيه يوم القيامة من أنواع المحامد، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهَمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ اذْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعَ»^(٢).

ومنها فتحة سبحانه لعباده باب التوبة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ»

(١) فتح الرحيم الملك العلام للشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٤٢ .

(٢) ص ١١٠، برقم ١٩٤، وصحيح البخاري ص ١٢٥٦، برقم ٦٥٦٥ .

اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

ومنها فتحه سبحانه أبواب السماء لنزول البركات وإجابة الدعوات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٦) [الأعراف].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَلَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(٢).

ومنها ما يفتح الله على العبد المؤمن قبل موته بعمل صالح، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عنبه الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ» قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ^(٣)؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^(٤).

ومن فوائد الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الفتح والنصر لا يكون إلا من الله؛ فهو الذي يفتح على

(١) ص ١١٠٤، برقم ٢٧٥٩.

(٢) (١٩١/٦) برقم ٣٦٧٣، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٣) قال الزمخشري في الفائق (٢/٤٢٩): هو من غسل الطعام يعسله، إذا جعل فيه العسل كأنه شبه ما رزقه الله تعالى من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذي يجعل في الطعام فيحلو به ويطيب.

(٤) (٣٢٣/٢٩)، برقم ١٧٧٨٤، قال محققوه: صحيح لغيره.

عباده، فينصر من يشاء ويخذل من يشاء، وقد نسب الله الفتح لنفسه: لينبئه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، وأن يعملوا بطاعته ليفتح لهم وينصرهم على أعدائهم، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح].

وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَلَّةٌ أَن يَأْتِيٰ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

ثانياً: ما يفتح الله سبحانه على عباده بأنواع الخيرات استدراجاً لهم: إذا تركوا ما أمروا ووقعوا فيما نُهوا عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام]^(٢).

(١) ص ٩٨٠، برقم ٢٤٠٦، وصحيح البخاري ص ٥٦٥، برقم ٢٩٤٢.

(٢) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

ثالثاً: ما يفتحه الله على من يشاء من عباده: من الحكمة والعلم والفقہ في الدين، بحسب التقوى والإخلاص والصدق، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر].

رابعاً: ما ينبغي للمؤمن أن يسأل ربه أن يفتح عليه أبواب رحمته. روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ؛ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْصِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(١).

خامساً: إن الله بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، قال سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى]، فما يفتحه من الخير للناس لا يملك أحد أن يغلقه عنهم، وما يغلقه فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر].

فلو فتح الله المطر على الناس، فمن ذا الذي يحبسهم عنهم؟! حتى لو أدى المطر إلى إغراقهم: مثل ما حدث لقوم نوح، فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال؛ ولو حبس عنهم المطر سنين عديدة، ما

(١) ص ٩٣، برقم ٧٧٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٢٩) برقم ٦٢٧.

استطاعوا أن يفتحوا ما أغلقه الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

والخلاصة: إن الفتح اسم عظيم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الحكم الذي يفتح بين عباده ويحكم بينهم بشرعه، ويفتح لعباده أبواب الخيرات والبركات؛ وينبغي للمؤمن أن يسأل ربه بهذا الاسم العظيم، فيقول: يا فتاح افتح علي بالعلم، يا فتاح افتح لي أبواب رحمتك، يا فتاح افتح لي أبواب رزقك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة عشرة

خطورة الكذب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات المذمومة التي حرمها الله ورسوله، وتوعد صاحبها بالعذاب الأليم في الآخرة: الكذب، قال تعالى:

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾ [١٦٢] [النحل].

وأخبر سبحانه أن الكذب من صفات الكفار والمنافقين، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١٠٧] [التوبة]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [١٧] [يونس].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوْتُمِنَ خان»^(١).

(١) ص ٣٠، برقم ٣٣ وصحيح مسلم ص ٥٦، برقم ٥٩.

وبيّن النبي ﷺ أن الكذب يقود صاحبه إلى النار. روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه : أن النبي ﷺ قال : «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» (١).

والكذاب يُعَذَّبُ في قبره قبل يوم القيامة. روى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي عنه : أن النبي ﷺ قال في حديث الرؤيا الطويل : «فَأْتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ» قال : «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى» فسأل عنه النبي ﷺ ف قيل له : «إِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ» (٢).

ورتب النبي ﷺ الثواب العظيم لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا. روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي عنه : أن النبي ﷺ قال : «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ

(١) ص ١١٧٧، برقم ٦٠٩٤ وصحيح مسلم ص ١٠٤٨، برقم ٢٦٠٧.

(٢) ص ١٣٤٦ - ١٣٤٨، برقم ٧٠٤٧.

كَانَ مُحِقًّا، وَبَيَّنَّتْ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَا زِحًا،
وَبَيَّنَّتْ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل^(٢)،
وقال أيضاً: يطبع المسلم على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الكذب متضمن لفساد نظام العالم، ولا
يمكن قيام العالم عليه لا في معاشهم ولا في معادهم، بل هو متضمن
لفساد المعاش والمعاد ومفاسد الكذب اللازمة له معلومة عند خاصة
الناس وعامتهم، كيف وهو منشأ كل شر، وفساد الأعضاء لسان
كذوب، وكم أزيلت بالكذب من دول وممالك، وخربت به من بلاد،
واستلبت به من نعم، وتقطعت به من معاش، وفسدت به مصالح،
وغرست به عداوات، وقطعت به مودات، وافتقر به غني، وذل به
عزيز، وهتكت به مصونة، ورميت به محصنة، وخلت به دور وقصور،
وعمرت به قبور، وأزيل به أنس، واستجلبت به وحشة، وأفسد به بين
الابن وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه، وأحال الصديق عدواً مبيناً ورد
الغني العزيز مسكيناً. وهل ملئت الجحيم إلا بأهل الكذب الكاذبين
على الله وعلى رسوله وعلى دينه، وعلى أوليائه، المكذبين بالحق
حمية وعصبية جاهلية^(٤).

(١) ص ٥٢٣، برقم ٤٨٠٠، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود
(٣/٩١١) برقم ٤٠١٥.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٣).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (٢/١٩٥).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٧٣).

قال الشاعر:

الكَذِبُ عَارٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالْحَقُّ مَا مَسَّهُ مِنْ بَاطِلٍ زَهَقًا

وقال آخر:

وَدَعَ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا إِنَّ الْكُذُوبَ لِبِئْسَ خَلًّا يُصْحَبُ

وكان النبي ﷺ يكره الكذب ويشدد إنكاره على فاعله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا كَانَ خُلُقَ أَبْغَضَ إِلَيَّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكُذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكِذْبَةَ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً^(١).

وذكر العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: أن أعظم الكذب: ما كان كذباً على الله أو على رسوله ﷺ؛ قال الذهبي رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله، في تحليل حرام أو تحريم حلال: كفر محض^(٢).

قال الذهبي: «إن الكذب في الحالتين السابقتين كبيرة: أي الكذب على الله أو على رسوله، وأن الكذب في غير ذلك أيضاً من الكبائر في أغلب أقواله»^(٣).

والصدق منجاة للعبد في الدنيا والآخرة؛ ففي الصحيحين في

(١) (١٠١/٤٢) برقم ٢٥١٨٣ وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) انظر: الكبائر (الكبيرة التاسعة) للذهبي.

(٣) انظر: الكبائر (الكبيرة الرابعة والعشرون) للذهبي.

قصة الإفك عند قبول توبة كعب بن مالك بشره النبي ﷺ بذلك، قال: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ، إلى يومي هذا، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي^(١)، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة].

وقد استثنى العلماء رحمهم الله: الكذب إذا كان لإصلاح بين متخاصمين، والكذب في الحرب، والكذب إذا كان لدفع الظلم؛ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وأخفى ماله وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها فإنه يكذب لإخفائها، والأحوط أن يُوري ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب؛ وقد استدل العلماء على جواز الكذب في هذا الحال: بما رواه البخاري ومسلم من حديث أم كلثوم رضي الله عنها: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». زاد مسلم: قال ابن شهاب رضي الله عنه: «ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته،

وحديث المرأة زوجها»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن النكت وهي قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين داخلة في الكذب المنهي عنه.

روى الترمذي في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيَلُّ لَهُ، وَيَلُّ لَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥١٣ برقم ٢٦٩٢، وصحيح مسلم ص ١٠٤٧ برقم ٢٦٠٥ - والزيادة له -.

(٢) ص ٣٨٢ برقم ٢٣١٤، وقال هذا حديث حسن.

الكلمة الثامنة عشرة

عصمة النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن سنة الله في خلقه أن الرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٣٤] ﴿[الأنعام].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن هرقل ملك الروم، سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ: هل قاتلتموه؟ فقال: إن الحرب بيننا وبينه سجال، فقال هرقل: وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة^(١).

ولقد لقي النبي ﷺ من أعدائه كثير الأذى وعظيم الشدة، منذ أن جهر بدعوته المباركة امثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٤] ﴿[الحجر]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ النَّاسُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد كان النبي ﷺ يحرس من قبل بعض أصحابه قبل نزول

(١) ص ٢٣، برقم ٧، وصحيح مسلم ص ٧٣٦، برقم ١٧٧٣، واللفظ له.

الآية الكريمة، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ، قَالَتْ عائشة رضي الله عنها: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيته ^(١)(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قَالَتْ: فَأَخْرَجَ النَّبِيَّ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقَبَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ» ^(٣).

قال ابن كثير: ومن عصمة الله لرسوله ﷺ حفظه له من أهل مكة وصناديدها، وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة؛ فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر

(١) الصوت الذي يخرج من النائم.

(٢) ص ٥٥٥، برقم ٢٨٨٥، وصحيح مسلم ص ٩٨١-٩٨٢، برقم ٢٤١٠. واللفظ له.

(٣) ص ٤٨٥، برقم ٣٠٤٦، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٤٦/٣)

هابوه واحترموه؛ فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى سيراً، ثم قيَّض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود؛ فكلما همَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء، كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخير، أعلمه الله به وحماه منه^(١). اهـ.

ومن الأمثلة على حفظ الله لرسوله ﷺ: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعقر محمد وجهه بين أظهركم؟^(٢)، قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطآن على رقبته، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فحجهم منه إلا وهو ينكص على عقبه^(٣)، ويتقي بيديه، قال فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»^(٤).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه في قصة الهجرة النبوية، قال: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٩١).

(٢) أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٣) أي رجع يمشي إلى ورائه.

(٤) ص ١١٢٥، برقم ٢٧٩٧؛ وصحيح البخاري: ص ٩٨٤، برقم ٤٩٥٨، مختصراً.

سراقةُ بن مالك، فقلت: أئينا يا رسول الله، فقال: «لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها - أرى - في جلدٍ من الأرض - شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقي أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما هنا، فلا يلقي أحداً إلا رده، قال: ووفى لنا^(١).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثيبي، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتواري عني فما دريتُ ما صنع؟! ونظرتُ إلى القوم فإذا هم قد طلّعوا من ثيبي أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ، فولّى صحابة النبي ﷺ وأرجع منهزماً وعليّ بُردتان مُتَزِرًا بإحدهما مُرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعاً، ومررتُ على رسول الله ﷺ منهزماً وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا» فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»؛ فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولّوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين^(٢).

(١) ص ٦٩١، برقم ٣٦١٥؛ وصحيح مسلم: ص ١٢٠٦، برقم ٢٠٠٩ مختصراً، وفي كتاب الزهد مطولاً.

(٢) ص ٧٣٩، برقم ١٧٧٧.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ قَبْلِ نَجْدٍ فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ، فَشَامَ^(١) السَّيْفَ، فَهِيَ هُوَ ذَا جَالِسٍ» ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم^(٢).

فهذه الأمثلة وغيرها تفيد كما سبق حفظه سبحانه لنيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك تصديقاً لوعده سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، حتى يبلغ هذه الدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [١] [الصف]، فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فشام أي سقط.

(٢) صحيح مسلم ص ٩٣٧ برقم ٨٤٣، وصحيح البخاري ص ٥٥٩ برقم ٢٩١٠.

الكلمة التاسعة عشرة

البشارة وفضائلها

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا لهذا اليوم عن البشارة، قال بعضهم: البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب^(١).

قال الرازي: والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة]. اهـ^(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة: فيها بشائر عظيمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [٦٣] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس]. [٦٤]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

(١) التعريفات للجرجاني ص ٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/١٦٣).

(٢) مختار الصحاح ص ٦٠.

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه:
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ -:
إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (١).

والكفار والمنافقون مبشرون بعذاب الله، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة].

والمسلم إذا مر بقبر الكافر بشره بالنار؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث سالم عن أبيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأعرابي: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»، قَالَ فَاسْأَلِمَ الْأَعْرَابِيَّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبًا: مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ (٢).

(١) ص ١٢٤٧ برقم ٦٥٠٧، وصحيح مسلم ص ١٠٧٧ برقم ٢٦٨٤.

(٢) ص ١٧٢ برقم ١٥٧٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١/٥٥) برقم ١٨.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه ألا وهي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مرَّ بقبره، ولا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره بخطورة جرم هذا الكافر، حيث ارتكب ذنباً عظيماً تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله ﷻ والإشراك به.

وإن الجهل بهذه الفائدة مما أدى ببعض المسلمين إلى الوقوع في خلاف ما أراد الشارع الحكيم منها فإننا نعلم أن كثيراً من المسلمين يأتون بلاد الكفار لقضاء بعض المصالح الخاصة أو العامة، فلا يكتفون بذلك حتى يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار! ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل ويقفون أمامها خاشعين محزونين، مما يشعر برضاهم عنهم، وعدم مقتهم إياهم»^(١).

وقد بشرَ الله المؤمنين الخائفين بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (١١) [يس].

وبشرَ الله المؤمنين الصابرين بالصلوات والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

وأمر النبي ﷺ بعض أصحابه أن يبشر الناس بالخير؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه : أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشِّرًا وَلَا تُبَشِّرًا» (١).

والأعمال الصالحة التي يعملها المؤمن، ويحمده الناس عليها: بشرى من الله له؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (٢).

والمؤمن الذي يمشي إلى المساجد في ظلمات الليل: مبشّر بالنور التام يوم القيامة.

روى أبو داود في سننه من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّ رضي عنه : عن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ: بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وبشّر النبي ﷺ من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً: بأن مصيره إلى الجنة؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي عنه : أن النبي ﷺ قال: «ذَاكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٤).

(١) ص ٥٨١، برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٢١، برقم ١٧٣٣.

(٢) ص ١٠٥٩، برقم ٢٦٤٢.

(٣) ص ٨٤، برقم ٥٦١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٤٥) برقم ٢٨٢٣.

(٤) ص ١٢٣٧، برقم ٦٤٤٣، وصحيح مسلم ص ٦٤، برقم ٩٤.

وبشّر النبي ﷺ أمته بأنهم أكثر أهل الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج ٢٠]»، فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ»؛ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمَدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»^(١).

والرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى للمؤمن؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُّؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُّؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ»^(٢).

ومن فوائد البشارة:

أولاً: استحباب التبشير بالخير؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢٦٣]، وفي الصحيحين في قصة توبة كعب بن

(١) ص ١٢٥١، برقم ٦٥٣٠، وصحيح مسلم ص ١١٨، برقم ٢٢٢.

(٢) ص ١٣٤١، برقم ٧٠١٧، وصحيح مسلم ص ٩٣٠، برقم ٢٢٦٣ واللفظ له.

مالك رضي الله عنه: قال له النبي ﷺ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» (١).

ثانياً: فضل الأعمال المبشّر بها مثل الصبر، والخوف من الله، والمشي إلى المساجد في ظلمات الليل، وغيرها مما سبق ذكره.

ثالثاً: البشارة تجلب الطمأنينة، وسكون النفس، وترفع الروح المعنوية، وتجلب السعادة والسرور.

رابعاً: تعود البشارة بالنعف العاجل للمبشّر، كما في حديث كعب بن مالك: عندما بشّره الرجل الذي صعد الجبل، وصاح بأعلى صوته: أبشريا كعب بن مالك، قال كعب: فنزعت له ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما (٢).

خامساً: فضل المبشّرين الذين يبشّرون الناس بالخير، ولذلك جاء في الحديث السابق: أن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه: «بَشِّرْ، وَلَا تُنْفِرْ» (٣).

سادساً: حب المبشّر لمن يبشّره، واستئناسه به؛ روى البخاري ومسلم - في قصة نزول الوحي على النبي ﷺ، في أول نزوله في غار حراء -: فرجع إلى خديجة يرجم فؤاده، فقال: «يَا خَدِيجَةَ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»؛ فقالت: كلا، أبشرا! فوالله لا يخزيك الله أبداً،

(١) ص ٨٣٤ - ٨٣٧، برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم ص ١١٠٩ - ١١١١، برقم ٢٧٦٩.

(٢) ص ٨٣٤ - ٨٣٧ برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم ص ١١٠٩ برقم ٢٧٦٩.

(٣) ص ٥٨١ برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٢١ برقم ١٧٣٣.

إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل. الحديث^(١).
 فسّر النبي ﷺ بكلامها، واطمأن قلبه؛ وكان ﷺ يحبها ويكثر من
 ذكرها، حتى بعد وفاتها؛ وقد بشرها بيت في الجنة من قصب^(٢): لا
 صخب^(٣) فيه، ولا نصب^{(٤)(٥)}.
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢١ برقم ٣، وصحيح مسلم ص ٨٨ برقم ١٦٠ - واللفظ له - .
 (٢) قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.
 (٣) الصخب: هو الصوت المختلط المرتفع.
 (٤) نصب: المشقة والتعب.
 (٥) ص ٧٢٦ برقم ٣٨٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٢ .

الكلمة العشرون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم: لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمد].

وعملاً بهذه الآية الكريمة: فلنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلنا من عفور رحيم (٣٢) [فصلت].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال ابن كثير: أي أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع لهم^(١). قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٣٤).

والله لله بطاعته، ولم يروغوا وروغان الثعالب^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»^(٢).

ولا يكون العبد على طريق الاستقامة: حتى تكون إراداته وأعماله وأقواله، وفق ما شرعه الله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] فقال: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ ولم يقل: كما أردت؛ فالمهتدي حقيقة: هو من كان سويًا في نفسه، ويسير على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك].

قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: يعني عند الموت، قائلين: ﴿أَلَا تَخَافُونَ﴾: أي مما تُقدمون عليه من أمر الآخرة، فإن للآخرة أهوالاً عظيمة تبدأ من القبر: فهو أول منازل الآخرة، فهناك القبر وظلمته وضمته ووحشته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، كل هذه الأهوال يهونها الله على أهل الاستقامة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي على ما خلفتموه من أمر الدنيا: من ولد وأهل ومال ودين، فإننا نخلفكم فيه.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٢٣٥).

(٢) ص ٤٩، برقم ٣٨.

قوله تعالى: ﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠)

[فصلت]: فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: أَخْرِجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أَخْرِجِي حَمِيدَةً، وَأَبشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غُضْبَانٍ» (١).

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى ثابت: أنه قرأ سورة حم السجدة، حتى بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن؛ فيؤمنُ الله خوفه ويقر عينه، فما من عظمة يخشى الناس منها يوم القيامة، إلا وهي للمؤمن قرّة عين: لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا (٢).

قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال له: إن ربك يقرئك السلام، وقال محمد بن كعب: يقول له ملك الموت: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم تلا: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ

(١) (٣٧٨/١٤)، برقم ٨٧٦٩؛ وصححه محققو المسند، وقالوا: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/١٢ - ٢٣٧) إلى ابن أبي حاتم، وقال محققوه: إسناده حسن.

تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل]؛ وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث، قال ابن كثير: وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جداً وهو الواقع^(١).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]، أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمْ أَفْزَعُ الْأَكْبَرُ وَنُنَاقِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء].

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ [فصلت] أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقر به العيون، قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ [الزخرف].

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٣٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) [فصلت]، أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٣٢) [فصلت]؛ أي ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم، رؤوف حيث غفر وستر، ورحم ولطف؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة].

ومن فوائد الآيات الكريمات:

- ١- أن الإيمان والاستقامة سببان لدخول الجنة.
- ٢- أن الملائكة تبشر المؤمن عند الاحتضار، وفي قبره، ويوم القيامة، وعلى أبواب الجنة، قال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [الرعد].
- ٣- إن العامل ينبغي أن يبشر بما يستحق من الثواب، فإن ذلك أبلغ في نشاطه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣٣) [البقرة].
- ٤- إن المؤمنين إنما يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته لا

(١) ص ٦٢٣ برقم ٣٢٤٤، وصحيح مسلم ص ١١٣٦ برقم ٢٨٢٤.

بأعمالهم؛ روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»^(١).

٥- إن المؤمنين إذا دخلوا الجنة أعطوا ما يريدون: مما تشتهيهِ نفوسهم وتلد به أعينهم، بل وزيادة على ذلك، قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٣٤، برقم ٢٨١٨، وصحيح البخاري ص ١٢٤١، برقم ٦٤٦٧.

الكلمة الحادية والعشرون

رؤية الله تعالى

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعظم نعيم لأهل الجنة: رؤية الله تعالى، وهي الغاية التي شَمَّر لها المشمِّرون وتنافس فيها المتنافسون، وحُرِّمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون؛ قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: «تنظر إلى ربها ﷻ» (١).

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق]، قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: «المزيد: هو النظر إلى الله ﷻ» (٢)، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس]، والحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ؛ روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا

(١) زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢١).

أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

وزاد: ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم؛ روى ذلك ابن جرير عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم (٢).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين)، احتج بها بعض السلف على الرؤية لأهل الجنة.

قال الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عندك يومئذ.

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله الشافعي رحمته الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دلَّ عليه منطوق قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) [القيامة]، وكما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عندك في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة (٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وعذاب الحجاب من رب العالمين المتضمن لسخطه وغضبه عليهم هو أعظم عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون

(١) ص ٩٩، برقم ١٨١.

(٢) جامع البيان (٥/٤١٩٨ - ٤٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٢٨٧).

بخطابه ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله ﷺ^(١). اهـ.

قال في شرح الطحاوية: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة: رواها أصحاب الصحاح والمسانيد، وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها يقطع بأن الرسول ﷺ قالها؛ بل في هذه الأحاديث - مع إثبات الرؤية - : أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمع من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك، إلى غير ذلك من الصفات التي ثبتت بالكتاب والسنة^(٢). اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَنَسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»^(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ: أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ: أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ: إِلَّا رِذَاءَ الْكَبِيرِ عَلَى

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨٧٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٩ - ٢١٠، بتصرف.

(٣) ص ١٢٥٧ برقم ٦٥٧٣، وصحيح مسلم ص ٩٩ برقم ٢٩٩.

وَجْهَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(١).

وقد ورد في حديث صهيب المتقدم: ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى: الحجاب، وأنه سبحانه يكشفه لأهل الجنة إكراماً لهم فيرونه سبحانه.

من الأسباب الموجبة لرؤية الله تعالى:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والإحسان أعلى مراتب الإيمان.

ثانياً: المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر؛ روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» يعني العصر والفجر؛ ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]^(٢).

ثالثاً: الابتعاد عن المعاصي والذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَفَرَّأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا

(١) ص ٩٥٩ برقم ٤٨٧٨، وصحيح مسلم ص ١٧٨ برقم ١٨٠.

(٢) ص ١٢٨ برقم ٥٧٣، وصحيح مسلم ص ٢٤٩ برقم ٦٣٣ واللفظ له.

وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعْتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(١).

رابعاً: الدعاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١٨٦) [البقرة].

روى النسائي في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَيَّ الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقُصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى؛ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٦٨، ٦٩، برقم ١٠٦.

(٢) ص ١٥٤ برقم ١٣٠٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع الصغير» برقم ١٣٠١.

الكلمة الثانية والعشرون

سترة المصلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم: أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين: أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة؛ فمن الأخطاء:

(١) ص ١٣٧، برقم ٦٣١.

(٢) (٢/٢٤٠)، برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ

عدم الاهتمام بالسترة، التي وردت النصوص الشرعية الكثيرة بالأمر بها؛ فروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا، مَا لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ»^(٢).

ومن فوائد هذه السترة:

أولاً: أنها سبب شرعي لعدم بطلان الصلاة بمرور المرأة البالغة، والحمار، والكلب الأسود؛ كما صح بذلك الحديث.

ثانياً: منع المرور بين يدي المصلي وإفساد خشوعه.

ثالثاً: أن السترة تمنع الشيطان من المرور بين يدي المصلي، كما جاء في الحديث: «لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

رابعاً: أن السترة تمنع المصلي من إطلاق نظره فيما أمامه: مما يذهب عليه خشوعه، وغير ذلك من الحكم الأخرى؛ وقد كان السلف الصالح يحرصون على السترة في صلاتهم، وكانوا ينكرون على من يصلي لغير سترة.

(١) ص ٢٠٦، برقم ٥٠٥.

(٢) (٩/٢٦) برقم ١٦٠٩٠، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

روى البخاري في صحيحه: أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يصلي بين أسطوانتين، فأدناه إلى سارية فقال: صل إليها^(١)؛ قال ابن حجر: أراد عمر بذلك أن تكون صلاته إلى سترة^(٢) اهـ.

فما فعله عمر يدل على أن السترة أمر مؤكد جداً؛ قال ابن مسعود: أربع من الجفاء - ذكر منها-: أن يصلي الرجل إلى غير سترة، أو يسمع المنادي لا يجيبه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيت كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتدرون السواري عند المغرب^(٣)، وفي رواية: أنها الركعتان اللتان قبل المغرب^(٤).

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على السترة في المسجد - مع ضيق الوقت -؛ روى ابن أبي شيبه من حديث نافع قال: كان ابن عمر إذا لم يجد سبيلاً إلى سارية من سواري المسجد، قال لي: ولّني ظهرك^(٥)؛ وروى ابن أبي شيبه من حديث سلمة بن الأكوع: أنه كان ينصب أحجاراً في البرية، فإذا أراد أن يصلي صلى إليها^(٦)؛ وهذا يدل على أنه لا فرق في السترة بين العمران والصحاري، كما يظهر من الأحاديث السابقة وفعل الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ص ١١٦.

(٢) فتح الباري (١/٥٧٧).

(٣) ص ١١٦ برقم (٥٠٣)، وصحيح مسلم ص ٣٢٥ برقم ٨٣٧.

(٤) صحيح مسلم ص ٣٢٥ برقم ٨٣٧.

(٥) (١٤١/٢) برقم ٢٨٩٢.

(٦) (١٣٨/٢) برقم ٢٨٧٧.

قال العلامة السفاريني: «واعلم أنه يستحب صلاة المصلي إلى سترة اتفاقاً، ولو لم يخش ماراً»^(١).

أما مقدار السترة المجزئة التي تستر المصلي، وتدفع عنه ضرر المار: فهي طول مؤخرة الرجل؛ روى مسلم في صحيحه من حديث طلحة رضي الله عنه قال: كنا نصلي والدواب تمر بين أيدينا، فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سترة المصلي، فقال: «مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ: الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ»^(٤).

والرجل مقداره ذراع كما صرح بذلك بعض السلف: مثل عطاء وقتادة والثوري، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد.

قال ابن قدامة: والظاهر أن هذا على سبيل التقريب لا التحديد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدرها بأخرة الرجل، وآخرة الرجل تختلف في الطول

(١) شرح ثلاثيات المسند (٢/٧٨٦).

(٢) ص ٢٠٤ برقم ٤٩٩.

(٣) ص ٢٠٤ برقم ٥٠٠.

(٤) ص ٢٠٧ برقم ٥١٠.

والقصر، فتارة تكون ذراعاً، وتارة أقل منه؛ فما قارب الذراع أجزاء الاستتار به، والله أعلم؛ فأما قدرها في الغلظ والدقة فلا حد له نعلمه، فإنه يجوز أن تكون دقيقة كالسهم والحربة، وغلظة كالحائط، فإن النبي ﷺ كان يستتر بالعنزة، وهي ما بين الرمح والعصا و به زج؛ قال أبو سعيد: كان يستتر بالسهم والحجر في الصلاة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «سُتْرَةُ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ السَّهْمُ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ بِسَهْمٍ»^(١)(٢).

تنبيهات:

أولاً: ما يفعله بعض الناس من اتخاذ الخط سترة في الصحراء لا يصلح، والحديث الوارد في ذلك ضعفه جمع من أهل العلم: كابن الصلاح والعراقي وغيرهم.

ثانياً: أن المأموم لا تجب عليه سترة، والسترة في صلاة الجماعة من مسؤولية الإمام، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقبلتُ راكباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بمني إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصف، وأرسلت الأتان ترتع، فدخلت في الصف، فلم ينكر ذلك أحد»^(٣).

ثالثاً: تحريم المرور بين يدي المصلي: لقول النبي ﷺ في

(١) (٥٩/٢٤) برقم ١٥٣٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) المغني (٣/٨٢-٨٣)، بتصرف.

(٣) ص ٤٠ برقم ٧٦، وصحيح مسلم ص ٢٠٦ برقم ٥٠٤.

الحديث المخرَج في الصحيحين - من حديث أبي جهيم - : «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ؟! لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ، خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(١).

الخلاصة:

أن السترة سنة مؤكدة وقال بعض أهل العلم بوجوبها وهو قول قوي، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص عليها وسواء كان ذلك في المسجد، أو البيت، أو الصحراء: ما دام يصلي منفردًا أو إمامًا، وعليه أن يمنع من مر بين يديه، ويجزئه من السترة مقدار مؤخرة الرحل^(٢).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٧ برقم ٥١٠، وصحيح مسلم ص ٢٠٧ برقم ٥٠٧.

(٢) انظر: كتاب «القول المبين في أخطاء المصلين»، للشيخ مشهور حسن سلمان (ص ٧٧-٨٨).

الكلمة الثالثة والعشرون

سيرة مصعب بن عمير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه سيرة عَلم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها: صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام ممن شهد بدرًا وأُحدًا، وكان حامل اللواء فيها، وممن هاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة؛ أسلم على يديه العشرات، وكان أول سفير في الإسلام، ويقال: إنه أول من صلى الجمعة في المدينة.

إنه الشهيد البطل: مصعب بن عمير بن هشام البدري القرشي العبدري، قال ابن سعد في طبقاته: لما بلغ مصعب بن عمير أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، دخل عليه فأسلم وصدق به، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه؛ وكان يأتي إلى رسول الله ﷺ سرّاً، وقد أسلم في السنوات الثلاث الأولى من الدعوة قبل أن يصدع النبي ﷺ بالدعوة، لكن الواشين من المشركين - لما علموا بإسلامه -، سارعوا إلى الوشاية به عند أمه وقومه؛ قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

[النساء]. فغضبوا عليه وحبسوه وأوثقوه، فلم يزل محبوسًا حتى فرَّ بدينه وهاجر إلى الحبشة^(١).

كان مصعب بن عمير فتى مكة المدلل، وكانت أمه من أغنى أهل مكة: تكسوه أحسن الثياب، وأجمل اللباس، وكان أعطر أهل مكة؛ فلما أسلم انخلع من ذلك كله، وأصابه من التعذيب والبلاء ما غير لونه، وأنهك جسمه؛ روى البخاري في صحيحه من حديث خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَصِرُّ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ؛ وَاللَّهِ لَيُتَمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعِجِلُونَ»^(٢).

قال ابن اسحاق: بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير مع النفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فكان منزله على أسعد بن زرارة وكان إنما يسمى بالمدينة: المقرئ؛ يقال: إنه أول من جمع الجمعة بالمدينة وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد ابن معاذ، وهما سيدا قومهما وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام^(٣). ١٥٥.

(١) الطبقات (٣/ ١١٦).

(٢) ص ٦٩٠ برقم ٣٦١٢.

(٣) نقلاً عن «أسد الغابة»، لابن الأثير (٤/ ١٣٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال: **أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرَأَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدُ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقْلَنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) فِي سُورَةٍ مِنَ الْمُفْصَلِ (١).**

ولما وقعت معركة أحد في العام الثالث من الهجرة النبوية، شارك فيها مصعب بن عمير مشاركة الأبطال، وأبلي فيها بلاء المؤمنين الصابرين، وحمّله المصطفى ﷺ راية المسلمين، وثبت مصعب بن عمير مع القلة المؤمنة التي أحاطت بالنبي ﷺ ودافعت المشركين عنه لما تخلخلت صفوف المسلمين، وأصبحت الجولة للمشركين، وبقي اللواء في يد مصعب بن عمير يمسكه بقوة وثبات ويدافع عن النبي ﷺ؛ وتدافع المشركون نحو اللواء، وأقبل ابن قمئة - عليه من الله ما يستحق - فشدّ على مصعب بن عمير، فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يردد قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) [آل عمران]. ثم أخذ اللواء بيده اليسرى حتى لا يقع، فضرب ابن قمئة يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه إلى صدره، ووقع مصعب بن عمير شهيداً

مُضَرَّجًا بِدَمَائِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ [الأحزاب].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي وائل قال: عُدْنَا خَبَابًا فَقَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ: قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمْرَةً؛ فَكُنَّا إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا^(١).

فارق مصعب بن عمير الدنيا شهيداً لم يخلف وراءه شيئاً من متاع الدنيا، ترك المال والجاه والنعيم، وآثر ما عند الله، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ ﴿١٦﴾ [النحل]؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

رضي الله عن مصعب، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته: مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٧٤٠ برقم ٣٨٩٧.

(٢) (١٧٠/٣٨) برقم ٢٣٠٧٤، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «السُّلْسَلَةُ الضَّعِيفَةُ» (١/١٩): وسنده صحيح على شرط مسلم؛ وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

الكلمة الرابعة والعشرون

السحر والمس والعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يُبتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء]. أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعمة تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يقنط ومن يصبر، ومن هذه الابتلاءات التي يصاب بها الناس: السحر والعين والمس وهي ثابتة بالشرع والحس، وقد كثر المتشكون منها في هذه الأزمان، وهذه الأمراض لها أسباب أذكر بعضاً منها:

١- ابتلاء من الله وهذا قد يحصل لبعض الصالحين والصالحات، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ وهو سيد البشر، كما روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى جَاءَهُ الْمَلِكُ وَأَخْبَرَاهُ

بموضع السحر، فَأَمَرَ بِهِ فَدْفِنَ (١).

والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أُغْمِيَ عَلَيْهِ ﷺ في مرضه ووقع حين انفكت قدمه، وُجِحَش شقته وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس يبدع أن يُبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلى وهو ساجد، وغير ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله (٢).

٢- المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء]. قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في نفسي ودابتي.

٣- الغفلة عن ذكر الله: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف]. روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِندَ عَيْنَيْهِ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا

(١) ص ١١٢٩ برقم ٥٧٦٦، وصحيح مسلم ص ٩٠١ برقم ٢١٨٩.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٤٢).

دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ وَالْعِشَاءَ»^(١).

٤- الحسد، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابُرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

والعائن والحاسد يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه، فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيبه المحسود وحضوره أيضاً، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق، مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]: إنه الإصابة بالعين، فأرادوا أن يُصيبوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر بهم الناقة والبقرة السمينة فَعَيْنُهَا ثم يقول لخدمته: خذ المِكتَلَ والدرهم وائتنا

(١) ص ٨٣٧ برقم ٢٠١٨.

(٢) ص ١٠٣٥ برقم ٢٥٦٤.

بشيء من لحمها ، فما تبرح حتى تقع فتنحر^(١).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
«العينُ حقٌّ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت عميس
أنها قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفنسترقى لهم؟
قال: «نعم، فلو كان شيءٌ يسبقُ القضاء، لسبقتُهُ العينُ»^(٣).

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال :
«إنَّ العينَ لتُدخلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، وتُدخلُ الجَمَلَ القِدْرَ»^(٤).

وأرشد النبي ﷺ المؤمن إذا رأى شيئاً أن يبرك أي يقول:
اللهم بارك عليه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن
حنيف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا
رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكْتَ؟»^(٥).

ومن أسباب الحفظ والوقاية من السحر أو العين أو غيرها:

أولاً: التوكل على الله فهو أعظم ما تدفع به الآفات وأنفع ما
تحصل به المطالب، فمن توكل على الله كفاه أموره كلها، قال تعالى:

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥١-٧٥٢).

(٢) ص ١١٢٥ برقم ٥٧٤٠، وصحيح مسلم ص ٩٠٠ برقم ٢١٨٧.

(٣) (٤٣٨/٦) وسنن الترمذي ص ٣٤٢ برقم ٢٠٥٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٢/٧٦١) برقم ٤١٤٤.

(٥) (٣٥٦/٢٥) برقم ١٥٩٨٠، وقال محققوه: حديث صحيح.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [٣] [الطلاق].

ثانياً: امثال أوامر الله واجتناب نواهيه، فمن حفظ الله في أوامره ونواهيه حفظه الله في دينه ودنياه وأهله وماله، قال تعالى: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [٦٤] [يوسف]. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ»^(١).

ثالثاً: كثرة ذكر الله عند دخول المنزل وعند الخروج وفي الصباح والمساء؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

رابعاً: تعويد الصبيان؛ فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّدُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»^(٣).

خامساً: أن يتصبح المؤمن بسبع تمرات عجوة، وهو نوع من تمر المدينة؛ روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

(١) ص ٤٠٩ برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ص ٦٢٩ برقم ٣٢٩٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨٠ برقم ٢٦٩١.

(٣) ص ٦٤٦ برقم ٣٣٧١.

أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ» (١).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: يرجى أن يعم ذلك جميع أنواع التمر، فإن المعنى موجود فيه (٢).

سادساً: المحافظة على صلاة الفجر جماعة مع المسلمين في المساجد، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» (٣)، ومن كان في ذمة الله لم يكن للشيطان عليه سبيل.

سابعاً: قراءة سورة البقرة في البيت، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: «اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ» (٥)، قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة.

ثامناً: المحافظة على قراءة المعوذتين في الصباح والمساء، وقد أوصى النبي ﷺ عقبه بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهما وقال له: «تَعَوَّذْ بِهِمَا

(١) ص ١١٣٠ برقم ٥٧٦٩، و صحيح مسلم ص ٨٤٧ برقم ٢٠٧٤.

(٢) نقلاً عن كتاب السحر والمس والعين للشيخ فهد القاضي، ص ٩.

(٣) ص ٣٥٨ برقم ٦٥٧.

(٤) جزء من حديث ص ٣٠٦ برقم ٧٨٠.

(٥) جزء من حديث ص ٣١٤ برقم ٨٠٤.

فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»^(١)، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس^(٢).

تاسعاً: الإكثار من التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البنيان أو الصحراء أو الجو أو البحر، روى مسلم في صحيحه من حديث خولة السلمية أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِيهِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»^(٣).

عاشراً: قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»^(٤).

الحادي عشر: قراءة آية الكرسي عند النوم، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَهَا إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»^(٥).

الثاني عشر: إمساك الصبيان ساعة الغروب، روى البخاري

(١) سنن أبي داود ص ١٧٦ برقم ١٤٦٣، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (٢٧٥/١) برقم ١٢٩٩.

(٢) بدائع الفوائد (٤٢٦/٢) نقلاً عن كتاب بائع دينه للدكتور/ عبد المحسن القاسم.

(٣) ص ١٠٨٦ برقم ٢٧٠٨.

(٤) ص ٩٩٥ برقم ٥٠٠٩، وصحيح مسلم ص ٣١٥ برقم ٨٠٧.

(٥) جزء من حديث ص ٤٣٣ - ٤٣٤ برقم ٢٣١١.

ومسلم من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا»^(١).

الثالث عشر: تطهير البيت من الصلبان والتمثيل وصور ذوات الأرواح والكلاب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»^(٢)، وفي رواية: «تَمَائِيلٌ»^(٣). وتطهيره من آلات اللهو والمعازف فإن الغناء مزار الشيطان.

قال ابن القيم رحمته الله: ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها أي الفاتحة آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع^(٤). اهـ.

ومن السور التي يُرقى بها: الفاتحة والمعوذتان وسورة الكرسي، ومن الأدعية الماثورة قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»^(٥).

(١) ص ٦٣ برقم ٢٣٠٤، وصحيح مسلم ص ٨٣٥ برقم ٢٠١٢.

(٢) ص ٦٢٠ برقم ٣٢٢٧، وصحيح مسلم ص ٨٧٢ برقم ٢١٠٦ واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم ص ٨٧٣ برقم ٢١٠٦.

(٤) الطب النبوي ص ٣٠١.

(٥) صحيح البخاري ص ١١٢٥ برقم ٥٧٤٣، وصحيح مسلم ص ٩٠٢ برقم ٢١٩١.

ومنها قوله ﷺ للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم ص ٩٠٥ برقم ٢٢٠٢.
(٢) انظر رسالة لطيفة لأخينا الشيخ/ فهد القاضي «السحر والمس والعين»، ورسالة د. عبد المحسن القاسم بعنوان «بائع دينه».

الكلمة الخامسة والعشرون

الأمن من مكر الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة عند الله: الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]. أي: عذابنا ونكالنا ليلاً وهم نائمون، ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف]. أي: في نهارهم وهم في شغلهم وغفلتهم، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف]. أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم؛ وذلك أن هؤلاء القوم المكذبين للرسول كقوم نوح وعاد وشمود أغدق الله عليهم النعم والخيرات مع عصيانهم لله، فاستبعدوا أن يكون مكرًا واستدراجًا من الله أو أن يأتيهم العذاب في أي لحظة؛ قال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا إلا عند سلوتهم وغرتهم ونقمتهم، فلا تغتروا بالله^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في تعليقه على قوله

تعالى -: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يُبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة^(١). اهـ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ دليل على أن لله مكرًا والمكر هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، ومنه جاء في الحديث: «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ»^(٢)؛ فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟! قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن نقول: إن الله ماكر، وإنما نذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحًا مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٠]. ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]. ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحًا يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحًا لا يوصف بها، وكذلك لا يسمى الله بها فلا يقال: إن

(١) تفسير ابن سعدي ص ٢٧٦.

(٢) صحيح البخاري ص ٥٧٩ برقم ٣٠٣٠، وصحيح مسلم ص ٧٢٣ برقم ١٧٣٩.

من أسماء الله الماكر^(١). اهـ.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»^(٢)؛ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٤٤) [الأنعام]. وقال إسماعيل بن رافع: الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة؛ وقد فسر بعض السلف المكر بأن الله يستدرجهم بالنعيم إذا عصوه: من صحة الأبدان ورغد العيش وغيرها، ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر^(٣).

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(١٠٢) [هود].

أما القنوط من رحمة الله: فهو استبعاد العبد الفرج واليأس منه وأن الله يغفر له ويرحمه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٥٦) [الحجر]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥٣) [الزمر].

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/٢٤٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨/٥٤٧) برقم ١١٣٧١، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) فتح المجيد ص ٤١٦.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد: قوله: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦)، مع قوله ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩): دليل على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً يخاف ذنوبه ويعمل بطاعة الله ويرجو رحمته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (٥٧) [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (٩) [الزمر] (١). قال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق خائف وجل، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن (٢).

وقال تعالى حاكياً عن خليته إبراهيم عليه السلام - لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق -: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ (٥٤) [الحجر]. لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته، استبعد أن يولد له منها، والله على كل شيء قدير؛ فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الذي لا ريب فيه، فإن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَظِيحِينَ﴾: أي من الآيسين، وقال تعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦) [الحجر]. فإنه يعلم من قدرته وحكمته: ما هو أبلغ من ذلك وأعظم.

روى عبد الرزاق في مصنفه من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه:

(١) فتح المجيد ص ٤١٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٥).

أنه سئل عن أكبر الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله^(١).

والشرك بالله أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء]. واليأس من روح الله أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه، فإذا كان في كربة أو شدة يستبعد زوالها، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته. قال تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [يوسف].

روى الترمذي في سننه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَحِدُّكَ؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»^(٢).

وفي هذا الحديث الجمع بين الخوف والرجاء، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس بل يرجو رحمة الله، وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة الخوف وفي المرض الرجاء. قال أبو سليمان الداراني: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فسد القلب^(٣). روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت

(١) (٤٦٠ - ٤٥٩/١٠).

(٢) ص ١٧٧ برقم ٩٨٣، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٨٩) برقم ٧٨٥.

(٣) فتح المجيد ص ٤١٧ - ٤١٩.

النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوًّا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّديقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٥٣ برقم ٢٨٧٧.

(٢) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الترمذي

(٣/٧٩-٨٠) برقم ٣٤٠١.

الكلمة السادسة والعشرون

شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب رضي عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثُلُثُ لِطْعَامِهِ، وَثُلُثُ لِشْرَابِهِ، وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ»^(١).

قال ابن رجب: هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت دكاكين الصيدلة^(٢). اهـ.

وذلك لأن أصل كل داء التخمة، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء؛ قال الغزالي: ذكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة، فقال: ما سمعت كلاماً في قلة الأكل

(١) ص ٣٩٠ برقم ٢٣٨٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في الفتح (٥٢٨/٩).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٣.

أحكم من هذا^(١).

هذا الحديث الشريف اشتمل على فوائد كثيرة:

أولاً: أن في تقليل الطعام منافع كثيرة للجسم، فمن ذلك: رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الأكل توجب ضد ذلك.

قال المروزي: جعل أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل - يعظم الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر يقول: ما شبعت منذ أربعة أشهر؛ قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع؟ قال: ما أرى؛ قال الشافعي: الشبع يثقل البدن ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة^(٢).

ثانياً: أن كثرة الأكل تسبب أمراضاً للبدن، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة، أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية وهي أكثر الأمراض، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة؛ فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك: أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال أو

(١) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٣؛ وفتح الباري (٩/٥٢٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٤-٥٠٦.

سريعه، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته: كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير.

قال ابن الرومي:

فَإِنْ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

وقال الشافعي :

ثَلَاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الْأَنْامِ وَدَاعِيَةُ الصَّحِيحِ إِلَى السَّقَامِ
دَوَامٌ مَدَامَةٌ وَدَوَامٌ وَطَاءٌ وَإِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ

ثالثاً: أن النبي ﷺ ذكر أن اللقيمات تكفي لحاجة الجسم فلا تسقط قوته ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس وهذا أنفع ما للبدن وللقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع^(١).

ويلاحظ هذا جيداً في رمضان، فإن من يكثر من تناول الطعام في فطوره، فإن صلاة العشاء والتراويح تصبح ثقيلة عليه.

رابعاً: الحث على التقليل من الأكل؛ ففي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ،

(١) انظر: الطب النبوي ص ١٠٥.

وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»^(١)، والمراد أن المؤمن يأكل بأدب الشرع فيأكل في معى واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشَّره والنهم فيأكل في سبعة أمعاء؛ وندب ﷺ مع التقلل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام إلى الإيثار بالباقي منه، روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»^(٢).

خامسًا: أن النبي ﷺ كما حثَّ على التقليل من الطعام فإنه كان يفعل ذلك هو وأصحابه وهذا في الغالب، وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام فإن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها؛ روى الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

سادسًا: أن هذا الحديث فيه الحث على الاقتصاد وعدم الإسراف، قال تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْتَكُمَّ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣١) [الأعراف].

سابعًا: أن هذا الحديث فيه تعويد على الصبر والتحمل والانتصار على النفس الشهوانية، ولذلك يسمى رمضان شهر الصبر. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٨٥٤ برقم ٢٠٦٢، وصحيح البخاري ص ١٠٦٧ برقم ٥٣٩٣.

(٢) ص ٨٥٣ برقم ٢٠٥٩، وصحيح البخاري ص ١٠٦٧ برقم ٥٣٩٢ واللفظ لمسلم.

(٣) ص ٤٠٤ برقم (٢٤٧٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الكلمة السابعة والعشرون

النصيحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن شعائر الإسلام العظيمة، ومن مقامات الدين العالية الرفيعة: النصيحة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص].

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

قال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء: إنه أحد أرباع الإسلام- أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام-، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده^(٢).

قال ابن حجر: قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» يحتمل أن يحمل على المبالغة، أي: معظم الدين النصيحة، كما قيل: «الحجُّ عرفة»؛

(١) ص ٥٤ برقم ٥٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/٣٧).

ويحتمل أن يحمل على ظاهره، لأن كل عمل لم يرد به عامله إلا خلاص، فليس من الدين.

قوله: النصيحة لله: هي وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهراً وباطناً، والرغبة في محابه: بفعل طاعته، والرغبة من مساخطه: بترك معصيته، والجهاد في رد العاصين إليه.

والنصيحة لكتاب الله: تعلمه، وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه.

والنصيحة لرسوله: تعظيمه ونصره حياً وميتاً، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والافتداء به في أقواله وأفعاله ومحبه ومحبة اتباعه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: إعاتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم؛ ومن أعظم نصيحتهم: وقفهم عن الظلم والتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين: أئمة الاجتهاد؛ وتقع النصيحة لهم ببث علومهم وتعليمهم ما ينفعهم، وكشف وجوه الأذى عنهم، وأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه^(١).

والنصيحة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: النصيحة للمسلمين عموماً وفيها أحاديث كثيرة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت

(١) فتح الباري (١/١٣٨).

النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا حَقَّ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢).

القسم الثاني: النصيحة لولاة الأمر. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِوَلَاةِ الْأَمْرِ» الحديث^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جبير بن مطعم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ»^(٤).

وأما نصح الولاة لرعاياهم؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَاعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(٥).

(١) ص ٣٥ برقم ٥٧، وصحيح مسلم ص ٥٤ برقم ٥٦.

(٢) ص ٨٩٣ برقم ٢١٦٢.

(٣) (١٤/٧٨-٧٩) برقم ٨٣٣٤؛ وأصله في صحيح مسلم دون قوله: «وأن تنصحو لولاة

الأمر» ص ٧١٢ برقم ١٧١٥. وقال محققوه: إسناده على شرط مسلم.

(٤) (٢٧/٣٠١) برقم ١٦٧٣٨، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٥) ص ١٣٦٤ برقم ٧١٥٠، وصحيح مسلم ص ٨١ برقم ١٤٢.

وقد ذكر الله في كتابه عن الرسل السابقين: أنهم كانوا ينصحون لأقوامهم، فذكر الله عن نبي الله نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ (٦٢) [الأعراف].

وقال تعالى عن نبي الله هود: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٦٨) [الأعراف].

ونبينا محمد بن عبد الله إمام الناصحين: بلغ الرسالة ونصح الأمة؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج - وذكر صفة حجه - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ (١).

وقد عذر الله من تخلف عن الجهاد لعذر إذا كان ناصحاً لله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) [التوبة].

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرّاً، حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه، والنصيحة سرّاً تشمل ولادة الأمر، والعلماء، وعامة الناس.

قال الشافعي رحمته الله:

تَعَمَدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ

فإنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
وإنَّ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي
من التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فلا تَجْزَعُ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ
ومن فوائد النصيحة:

أولاً: أنها من أعظم أسباب الثبات على الدين: لأن الذي ينصح يريد أن يطبّق ما نصح به، ولا يخالف فعله قوله، قال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ﴿٨٨﴾ [هود].

ثانياً: دليل حب الآخرين وبغض الشر لهم، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

ثالثاً: صلاح المجتمع، إذ تشاع فيه الفضيلة وتستر فيه الرذيلة.

رابعاً: القضاء على كثير من المنكرات، فكم من منكر زال بسبب نصيحة صادقة.

خامساً: تنفيذ أمر الله ورسوله الذي هو غاية سعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب].

سادساً: أنها من أعظم أسباب الهداية، فكم من كافر أسلم بسبب نصيحة! وكم من عاص مرتكب لكبائر الذنوب تاب واستقام

(١) ص ٢٦ برقم ١٣ وصحيح مسلم ص ٥٠ برقم ٤٥.

حاله بسبب نصيحة! روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي ﷺ قال لعلي: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

سابعًا: براءة الذمة، فقد تكون الذمة مشغولة، فإذا نصح العبد فقد أدى ما عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ [الشورى].
وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ الْمَيْتِ﴾ [العنكبوت].

وذكر ابن حزم أمرين يتعلقان بالنصيحة:

الأول: النصيحة مرتبتان: الأولى: فرض وديانة، والثانية تنبيه وتذكير؛ فواجب على المرء ترداد النصح رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ.

الثاني: لا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه فأنت ظالم لا ناصح^(٢)؛ فقد جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيظُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٩٨٠ برقم ٢٤٠٦.

(٢) الأخلاق والسير ص ٥١-٥٢.

(٣) ص ١١٧ برقم ٢٢٠.

الكلمة الثامنة والعشرون

الميزان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالميزان، والمقصود به: الميزان الذي يُوزن به أعمال العباد من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [٤٧] [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [١٠٣] [الأنبياء]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها،

(١) ص ١٤٤٤ برقم ٧٥٦٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨١ برقم ٢٦٩٤.

والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجِلًا^(١)، كُلُّ سَجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ [لَهُ]: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَلَاكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَبْهَتُ الرَّجُلُ^(٢)، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِلْطَاقَةٌ^(٣)، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِلْطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِلَّاتِ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السَّجِلَّاتُ^(٤)، وَثَقُلَتِ الْبِلْطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٥).

وقال أصحاب الأهواء: «الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام».

والجواب عن هذا أن يقال: إن الله تعالى يجعل هذه الأعمال أجسامًا، وليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل، وله نظير وهو الموت

(١) هو الكتاب الكبير.

(٢) فبهت الرجل: البهت: الانقطاع والحيرة.

(٣) البطاقة: رقعة صغيرة.

(٤) فطاشت السجلات: أي خفت.

(٥) (٥٧١/١١) برقم ٦٩٩٤، وقال محققوه: إسناده قوي.

فإنه يجعل على صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار، مع أن الموت معنى وليس بجسم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ (زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: «فِي وَقْفٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ) فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِيئُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرِيئُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلِدُوا فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلِدُوا فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قرَأَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٩] [مريم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا (١).

قد يقول قائل: ما فائدة الميزان؟! والله عز وجل يعلم أعمال العباد من خير أو شر.

قال ابن أبي العز الحنفي: ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله صلى الله عليه وسلم لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟! (٢)

قال القرطبي: إن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان (٣) اهـ.

(١) ص ١١٤٤ برقم ٢٨٤٩، وصحيح البخاري ص ٩١٤ برقم ٤٧٣٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٥.

(٣) المصدر السابق.

هكذا ترتيب مشاهد يوم القيامة، ومن آثار الإيمان بميزان الأعمال:

أولاً: الاجتهاد في الطاعات والمسارة إلى الخيرات، فإن من زادت حسناته على سيئاته أفلح ونجح، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة].

ثانياً: أن هناك أعمالاً صالحة ثقيلة في ميزان رب العالمين، كما تقدم في الحديث: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»^(٣).

ثالثاً: قال بعض أهل العلم: إن العامل يوزن مع عمله، روى

(١) سبق تخريجه.

(٢) ص ١١٩ برقم ٢٢٣.

(٣) ص ٢٥٨ برقم ١٣٢٥، وصحيح مسلم ص ٣٦٧ برقم ٩٤٦.

البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه: أنه كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَنْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (٢).

رابعاً: المحافظة على الحسنات مما يبطلها أو ينقصها؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (٣).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ

(١) ص ٩١٣ برقم ٤٧٢٩.

(٢) (٧/٩٩) برقم ٣٩٩١، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) ص ١٠٤٠ برقم ٢٥٨١.

جِبَالٍ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَبَاءً مُنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ أَنْتَهُكُوهَا»^(١).

خامسًا: بيان عدله تعالى، وأنه يضع الموازين العادلة التي يبين فيها مثاقيل الذر التي توزن بها الحسنات والسيئات، كما في الآية ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(٤٧) [الأنبياء]؛ ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨) [الزلزلة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٥٨ برقم ٤٢٤٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٣٣) برقم ٥٠٥.

الكلمة التاسعة والعشرون

مخالفات في لباس المرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي الرجل قيّم على المرأة، وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجّت^(١)، قال ابن عباس ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوَّامِينَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وللأسف أن البعض من الرجال تساهل مع زوجته وبناته ومن تحت يده وسلّم لهن القوامه، وترك لهن الحبل على الغارب، ولذلك نرى الكثير من ألبسة النساء التي تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة،

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢١).

وهي على قسمين:

القسم الأول: ما تلبسه المرأة عند النساء، وعند محارمها من الرجال، وفيه عدة محاذير:

أولاً: الملابس الشفافة وهذا كثيراً ما يشاهد في حفلات الزواج والمناسبات العامة، بل وصل شرها إلى داخل البيوت، فصارت المرأة تلبسه عند النساء ومحارمها من الرجال.

ثانياً: الملابس الضيقة التي تبين جسم المرأة وتفاصيل خلقتها.

ثالثاً: الملابس المفتوحة، أو الشبه عارية، أو القصيرة التي لا تستر بعض أعضائها.

رابعاً: البنطال والذي كثر لبسه في هذه الأيام بين النساء وخاصة داخل البيوت، وبعضهن تلبسه إذا خرجت وتضع العباءة فوق الكتف، مع أنه لباس الرجل.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ»^(١).

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢١٣٠٢) وجاء فيها: نظراً لكثرة الاستفتاءات الواردة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول حدود نظر المرأة إلى المرأة وما يلزمها من

(١) ص ٤٤٧ برقم ٤٠٩٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٩٠٧/٢) برقم ٥٠٩٥.

اللباس، فإن اللجنة تبين لعموم نساء المسلمين: أنه يجب على المرأة أن تتخلق بخلق الحياء الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه، وقد دل ظاهر القرآن على أن المرأة لا تبدي للمرأة إلا ما تبديه لمحارمها مما جرت العادة بكشفه في البيت وحال المهنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وإذا كان هذا هو نص القرآن وهو ما دلَّت عليه السنة، فإنه هو الذي جرى عليه عمل نساء الرسول ﷺ ونساء الصحابة ومن اتبعهنَّ بإحسان من نساء الأمة إلى عصرنا هذا؛ وما جرت العادة بكشفه للمذكورين في الآية الكريمة: هو ما يظهر من المرأة غالباً في البيت وحال المهنة، ويشق عليها التحرز منه: كانكشف الرأس واليدين والعنق؛ وأما التوسع في الكشف: فعلاوة على أنه لم يدل على جوازه دليل من كتاب أو سنة، هو أيضاً طريق لفتنة المرأة والافتتان بها من بنات جنسها، وهذا موجود بينهن؛ وفيه أيضاً قدوة سيئة لغيرهن من النساء، كما أن في ذلك تشبهاً بالكافرات والبغايا الماجنات في لباسهن؛ فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن

النبي ﷺ قال: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١) وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى عليه ثوبين مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسَهَا»^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٣).

ومعنى «كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»: وهي أن تكتسي المرأة ما لا يسترها، فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها؛ فالواجب على المسلمة الحرص على التستر والاحتشام، والتزام الهدي الذي عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة، والحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاشرات؛ كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة والفاتنة، وليعلم أنه راع ومسئول عن رعيته يوم القيامة^(٤) ا هـ .

(١) ص ٤٤١ برقم ٤٠٣١، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٩٨).

(٢) ص ٨٦٢ برقم ٢٠٧٧.

(٣) ص ٨٨١ برقم ٢١٢٨.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١٧/٢٩٠ - ٢٩٤) باختصار.

سُئِلَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: يَوْجَدُ ظَاهِرَةٌ عِنْدَ بَعْضِ النِّسَاءِ وَهِيَ لِبَسِّ الْمَلَابِسِ الْقَصِيرَةِ وَالضِّيْقَةِ الَّتِي تَبْدِي الْمَفَاتِنَ وَبِدُونِ أَكْمَامٍ وَمَبْدِيَةٌ لِلصَّدْرِ وَالظَّهْرِ وَتَكُونُ شَبَهَ عَارِيَةٍ تَمَامًا، وَعِنْدَمَا نَقُومُ بِنَصْحِهِنَّ يَقْلُنَّ: إِنَّهُنَّ لَا يَلْبَسْنَ هَذِهِ الْمَلَابِسَ إِلَّا عِنْدَ النِّسَاءِ وَإِنْ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ مَعَ الْمَرْأَةِ مِنَ السَّرَةِ إِلَى الرِّكْبَةِ، فَمَا حُكْمُ ذَلِكَ؟ وَمَا حُكْمُ لِبَسِّ هَذِهِ الْمَلَابِسِ عِنْدَ الْمُحَارِمِ؟

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: الْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا...»^(١) الْحَدِيثُ. وَفَسَّرَ أَهْلَ الْعِلْمِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ بِأَنَّهُنَّ اللَّاتِي يَلْبَسْنَ أَلْبَسَةَ ضَيْقَةً أَوْ أَلْبَسَةَ خَفِيفَةً لَا تَسْتُرُ مَا تَحْتَهَا أَوْ أَلْبَسَةَ قَصِيرَةً، وَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَنَّ لِبَاسَ النِّسَاءِ فِي بَيْوتِهِنَّ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَا بَيْنَ كَعْبِ الْقَدَمِ وَكَفِّ الْيَدِ كُلِّ هَذَا مُسْتَوْرٌ وَهِنَّ فِي الْبَيْوتِ، أَمَا إِذَا خَرَجْنَ إِلَى السُّوقِ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا ضَافِيَاتٍ يَسْحَبْنَ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَخِصَ لِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرُخِيْنَهُ إِلَى ذِرَاعٍ^(٢) وَلَا يَزِدْنَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ»^(٣). وَأَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالرِّكْبَةِ مِنْ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَقْصِيرِ الْمَرْأَةِ لِبَاسِهَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ: لِبَسِّ الْمَرْأَةِ مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالرِّكْبَةِ حَتَّى

(١) صحيح مسلم ص ٨٨١ برقم ٢١٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد (١٥٨/٩) برقم ٥١٧٣، وقال محققوه: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح مسلم ص ١٥٣ برقم ٣٣٨ .

يكون في ذلك حجة ولكنه قال: «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»،
فنهى الناظرة لأن اللابسة عليها لباس ضافي لكن أحياناً تكشف
عورتها لقضاء الحاجة أو غيره من الأسباب فنهى النبي ﷺ أن تنظر
المرأة إلى عورة المرأة، وهل يعقل الآن أن امرأة تخرج إلى النساء
ليس عليها من اللباس إلا ما يستر ما بين السرة والركبة؟ هذا لا يقوله
أحد، ولم يكن هذا إلا عند نساء الكفار، فهذا الذي فهمه بعض النساء
من هذا الحديث لا صحة له، والحديث معناه ظاهر.

فعلى النساء أن يتقين الله، وأن يتحلين بالحياء الذي هو من خلق
المرأة والذي هو من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
الْإِيمَانِ»^(١)، وكما تكون المرأة مضرب المثل فيقال: «أحيا من العذراء
في خدرها» ولم نعلم ولا عن نساء الجاهلية أنهن كن يسترن ما بين
السرة والركبة فقط، لا عند النساء ولا عند الرجال، فهل يردن هؤلاء
النساء أن تكون نساء المسلمين أبشع صورة من نساء الجاهلية!!
وأما محارمهن في النظر فكنظر المرأة إلى المرأة بمعنى أنه
يجوز للمرأة أن تكشف عند محرمها ما تكشفه عند النساء، تكشف
الرأس والرقبة والقدم والكف والذراع والساق وما أشبه ذلك لكن لا
تجعل اللباس قصيراً^(٢).

القسم الثاني: ما تلبسه المرأة في السوق والأماكن العامة:

١- لبس ما يسمى بالكاب أو العباءة المزركشة.

(١) صحيح البخاري ص ٢٥-٢٦ برقم ٩، وصحيح مسلم ص ٤٨ برقم ٣٥.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٢٧٤-٢٧٧).

٢- وضع العباءة على الكتف.

٣- لبس ما يسمى بالبرقع أو اللثام وتُخرج شيئاً من أنفها أو خدها أو شيئاً من محاسن الوجه، وقد سُئلت اللجنة الدائمة برقم (٢١٣٥٢) عن العباءة المفصلة على الجسم، وتكون ضيقة، وتتكون من طبقتين خفيفتين من قماش الكريب، ولها كُمٌ واسع وبها فصوص وتطريز، وهي توضع على الكتف؟ فأجابت اللجنة بأن العباءة الشرعية للمرأة وهي الجلباب وهي مما تحقق فيها قصد الشارع من كمال الستر والبعد عن الفتنة، ولا بد أن تتوفر فيها المواصفات التالية:

١- أن تكون سميكة لا تُظهر ما تحتها، ولا يكون لها خاصية الالتصاق.

٢- أن تكون ساترة لجميع الجسم، واسعة لا تبدي تقاطيعه وتفاصيله.

٣- أن تكون مفتوحة من الأمام فقط، وتكون فتحة الأكمام ضيقة.

٤- ألا يكون فيها زينة تلفت إليها الأنظار، وعليه فلا بد من أن تخلو من الرسوم والزخارف، والكتابات والعلامات.

٥- ألا تكون مشابهة للباس الكافرات أو الرجال.

٦- أن توضع العباءة على هامة الرأس ابتداء.

وبناء على ما تقدم: فإن العباءة المذكورة ليست عباءة شرعية، فلا يجوز لبسها لعدم توافر الشروط فيها، ولا يجوز بيعها واستيرادها،

لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان^(١) اهـ.

أما البرقع أو النقاب فقد سئل بعض أهل العلم المعاصرين عنه «فقال: البرقع أو النقاب الأصل فيها الجواز لقول النبي ﷺ: «لَا تَتَّقِبُ الْمُحَرِّمَةَ»، لكن لا يجوز للمحرمة توسعة النقاب بحيث يظهر بعض الوجه كالأنف والحاجبين وبعض الخدين، فإنها قد تفتن بذلك الناظرين؛ وينبغي أن تلبس فوق البرقع خمارًا خفيًا: لا يمنع النظر، يستر محاسن الوجه التي تظهر مع النقاب».

الخلاصة: أنه ينبغي للمسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته، فلا يتركهن يلبسن ما حرم الله ورسوله من الألبسة المحرمة، وأن يأخذ على أيديهن فإنه مسؤول عنهن يوم القيامة، قال ﷺ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفتوى بتاريخ ١٤٢١/٣/٩ هـ: نقلًا عن كتاب «العبادة لك أو عليك؟»، لأخينا الشيخ محمد الهبدان ص ٢٤ - ٢٦.

(٢) ص ١٧٩ برقم ٨٩٣، وصحيح مسلم ص ٧٦٣ برقم ١٨٢٩.

الكلمة الثلاثون

الإيمان بالكرام الكاتبين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد ذكر الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: الإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَنْتَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ فَعِيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾﴾. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيُّ لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَسَ بِاللَّيْلِ وَحَرَسَ بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ

ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحداً من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وَأَيَّايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» غير أن في حديث سفيان: « وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَ قَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ »^(٢).

وقد اختلف في معنى «أَسْلَمَ»؟ ف قيل: المعنى استسلم وانقاد وذل، وقيل: المعنى أسلم من الإسلام، قال النووي: وهذا هو الظاهر، قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه اه^(٣) فإن الجن فيهن المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يُسَمَّ شيطاناً. والذي ثبت بالنصوص: أن الملائكة تكتب القول والفعل والنية لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم قوله تعالى: ﴿يَعْمُونَ مَا نَفَعُونَ﴾^(١٢) [الانفطار]. قال تعالى: ﴿ هَذَا كَيْبُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا

(١) تفسير ابن كثير (٨/١١٥-١١٤).

(٢) ص ١١٣٢ برقم ٢٨١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم (٦/١٥٨).

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ [الجاثية]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ)، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ. فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايِ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»^(٢).

قال الشاعر :

وَأذْكَرُ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ يُحْصِي مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكَانِ حِينَ نَسِيْتَهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لِاهٍ تَلْعَبُ

من آثار الإيمان بالملائكة الكرام الكاتين:

أولاً: مراقبة الله في السر والعلن، وأن يحاسب المرء نفسه

(١) صحيح مسلم ص ٧٧ برقم ١٢٩، وقد خرج البخاري الشطر الأول منه ص ٣١ برقم ٤٢.

(٢) (٨/٢١٨-٢١٧) برقم ٧٧٦٥، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير

على كل فعل أو قول: صغيراً كان أو كبيراً؛ قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨] [ق]. وقال تعالى: ﴿ كِرَامًا كُنِينٍ ﴾ [١١] يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [١٢] [الانفطار].

ثانياً: الحياء من هؤلاء الملائكة الكاتبين: أن يروا المؤمن على معصية الله، ولذلك قال النبي ﷺ - في فضل عثمان رضي عنه -: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»^(١).

ثالثاً: الاجتهاد في الأعمال الصالحة، فإن الملائكة يرفعون إلى الله أعمال بني آدم، قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [١٠] [فاطر]. روى البخاري في صحيحه من حديث رفاعَةَ بنِ رَافِعِ الزُّرَقِيِّ رضي عنه قال: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» قَالَ: رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَبَدَّرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ؟!»^(٢).

رابعاً: حب هؤلاء الملائكة المكلفين بأعمال العباد، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [٢٦] لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦] [التحريم].

(١) صحيح مسلم ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

(٢) ص ٧٩٨ برقم ٧٩٩.

خامساً: عدم إيذاء هؤلاء الملائكة. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ)، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢٢٤ برقم ٥٦٤ واللفظ له ، وصحيح البخاري ص ١٧٤ برقم ٨٥٥.

الكلمة الحادية والثلاثون

رضوان الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعيم أهل الجنة أن الله يرضى عنهم فلا يسخط عليهم أبداً، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوان الله عليهم أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضاه عنهم؛ فرضا الله رب السماوات أكبر من نعيم الجنات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

من أسباب رضا الله عن العبد في الدنيا والآخرة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبُّهُ ﴿٨﴾ [البينة].

ثانياً: بذل النفس لله تعالى ولرسوله، والدَّبُّ عن دينه، والجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح].

ثالثاً: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - عن الذين اتصفوا بالصفات السابقة في الآية -: لهم أكبر النعيم وأفضله وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات ووافر المثوبات وجزيل الهبات ورفيع الدرجات، بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية^(١).

رابعاً: الكلمة الطيبة: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بلال بن الحارث رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

خامساً: الإحسان والصدقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا» الحديث، وفي آخره: قال الملك للأعمى: «أَمْسِكْ مَالِكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ، فَقَدْ

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨١١.

(٢) (١٨٠ / ٢٥) برقم ١٥٨٥٢، وقال محققوه: إسناده صحيح لغيره.

رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» (١).

سادساً: حمد الله وشكره على النعم؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» (٢).

سابعاً: رضا الوالدين، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضيما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ وَسَخِطَ الرَّبُّ فِي سَخِطِ الْوَالِدِ» (٣).

ثامناً: الرضا بقضاء الله وقدره، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» (٤).

تاسعاً: استعمال السواك، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن السواك: «مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ، مَرَضَاةٌ لِلرَّبِّ» (٥).

(١) ص ٦٦٧ برقم ٣٤٦٤، وصحيح مسلم ص ١١٨٩ برقم ٢٩٦٤.

(٢) ص ١٠٩٤ برقم ٢٧٣٤.

(٣) ص ٣٢١ برقم ١٨٩٩، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٥) برقم ٥١٥.

(٤) ص ٣٩٣ برقم ٢٣٩٦، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٢٢٠) برقم ١٢٢٠.

(٥) ص ٣٦٧ باب السواك الرطب واليابس للصائم.

ولو تتبعنا النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لوجدنا الكثير فيها .

وينبغي للعبد أن يسعى إلى رضا الله، ولو كان ذلك بسخط الناس؛ روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١) .
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .



(١) ص ٣٩٥ برقم ٢٤١٤، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٢/٥) برقم ٢٣١١ .

الكلمة الثانية والثلاثون

تفسير سورة القارعة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر: سورة القارعة؛ قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾ .

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾: المراد التي تفرع القلوب وتقرعها وذلك عند النفخ في الصور، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل]. فهي تفرع القلوب بعد قرع الأسماع، وهذه القارعة قارعة عظيمة لا نظير لها قبل ذلك، وهي من أسماء يوم القيامة؛ كما تسمى الغاشية، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾: استفهام بمعنى التعظيم

والتفخيم، يعني: ما هي القارعة التي ينوه عنها؟!

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٢): هذا زيادة في التفخيم والتعظيم والتهويل، يعني: أي شيء أعلمك عن هذه القارعة؟ أي ما أعظمها! وما أشدها! ثم بين متى تكون؟

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (٤): أي: أنها تكون في ذلك الوقت يوم يكون الناس كالفراش المبعوث حين يخرجون من قبورهم، قال العلماء: يكونون كالفراش المبعوث، والفراش هي الحشرات الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة وتكاد تمشي بدون هدى وتتراكم، وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري؛ فهم يشبهون الفرّاش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى؛ ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ يعني: المنتشر، فهو كقوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٧) [القمر]. يعني: لو تصوّرت هذا المشهد يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصوّرت أمراً عظيماً لا نظير له. هؤلاء العالم من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة: كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن غير القبور كالذي ألقى في لجة البحر، أو أكلته الحيتان، أو في فلوّات الأرض وأكلته السباع أو احترق جسده، أو ما أشبه ذلك: كلهم سيخرجون مرة واحدة إلى أرض الحشر.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (٥)، فهذه الجبال العظيمة الراسية تكون كالعهن أي الصوف، وقيل: القطن

المنفوش أي المبعثر سواء نفشته بيدك أو بالمنداف، فإنه يكون خفيفاً يتطاير مع أدنى ريح، كما قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۖ ﴾ [الواقعة] ﴿٦﴾. وكما قال تعالى: ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ ﴾ [طه] ﴿١٠٦﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ ﴿٦﴾ فهو في عيشته رَاضِيَةٌ ﴿٧﴾.

﴿ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾: فهو الذي رجحت حسناته على سيئاته ﴿ فهو في عيشته رَاضِيَةٌ ﴾ ﴿٧﴾ أي حياة طيبة ليس فيها نكد ولا صخب، بل هي كاملة من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ۚ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبَّهُ ۗ ﴿٨﴾ [البينة].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ ﴿٨﴾: وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليست له حسنات أصلاً كالكافر، لأنه يجازى على حسناته في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له عند الله نصيب؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا

أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: أي أن ماله إلى نار جهنم والهاوية من أسماء النار، وقيل: المراد بالأم هنا أم الدماغ، والمعنى أنه يلقي في النار على أم رأسه؛ ولا مانع من اجتماع الأمرين، فيقال: يرمى في النار على أم رأسه، وليس له مأوى ولا مقصد إلا النار.

قوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٠﴾، هذا من باب التفخيم والتعظيم لهذه الهاوية: يسأل ما هي؟ ثم يجيب: إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحرارة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»^(٢)؛ وإذا تأملت نار الدنيا كلها سواء نار الحطب أو الورق أو الفرن أو أشد من ذلك، فإن نار جهنم مفضلة عليها بتسعة وستين جزءًا، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أنه ينبغي للمؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون بفعل الخير ولو بأقل القليل؛ روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٨.

(٢) ص ٦٢٦-٦٢٥ برقم ٣٢٦٥، وصحيح مسلم ص ١١٤١ برقم ٢٨٤٣.

إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

ثانياً: أن السورة الكريمة سكتت عن تساوت حسناته وسيئاته، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار، وإنما يحبسون في مكان يقال له: الأعراف؛ وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَحْصَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤٧) [الأعراف].

ثالثاً: عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه السورة أخبر عن شدة حرارتها، وفي آية أخرى عن هولها وشدة عذابها، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾^(١٥) نَزَاعَةً لِلشَّوَى^(١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى^(١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى^(١٨) [المعارج].

وأخبر في آية أخرى أن حطب النار التي توقد بها جثث بني آدم هي حجارة من الكبريت الأسود، فقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٦) [التحريم]. وقال سبحانه ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣٠) [ق].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن

النبي ﷺ قال: « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٤١ برقم ٢٨٤٢.

(٢) انظر: تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٠٠-٣٠٤.

الكلمة الثالثة والثلاثون

خطر الرفضة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

وإن من أعظم المنكرات خطراً، وأفسدها للإيمان، وأضرها على الدين: فتنة الشيعة الروافض التي قام أبناؤها يدعون إليها في كل مكان، ويظهرون للناس أن باطلهم هذا هو الإسلام بعينه، بل وصل الأمر ببعض المغفلين إلى الدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة، وأن الخلاف بيننا وبينهم في أمور فرعية، مع أن الخلاف كبير يشمل أمهات العقائد؛ فإن الروافض عندهم من الشريكات

والكفریات ما يُخْرِجُ من دائرة الإسلام، وللأسف إن كثيراً من عوام السنة لا علم له بهذه الكفریات، لأن علماء الشيعة لا ينشرون كتبهم الأساسية التي عليها اعتماد مذهبهم بين عامة الناس^(١).

وأودُّ أن أبين بعضاً من معتقداتهم الباطلة إجمالاً، من خلال كتبهم ومراجعهم التي تُعتمَد عندهم:

أولاً: عقيدتهم في الأئمة الاثني عشر: ذكر الكليني في كتابه «أصول الكافي» - وهذا عندهم من أوثق الكتب، مثل «صحيح البخاري» عند أهل السنة - : أن الأئمة إذا شأؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم^(٢)؛ بل وصل الأمر إلى ادعاء الألوهية لهم، قال هاشم البحراني في كتابه «ينابيع المعاجز وأصول الدلائل» - وهو يتحدث عن الأئمة الاثني عشر -: «إن عندهم علم ما في السماء، وعلم ما في الأرض، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، وما يحدث بالليل والنهار، وساعة وساعة، وعندهم علم النبيين وزيادة»^(٣).

وقال شيخهم المعاصر - عبد الحسين الأميني النجفي - في كتابه «الغدير»: «إن الأئمة أولاد الله ومن صلب علي»^(٤)، وسمعت أحد مشايخهم في شريط مسجَّل وهو يقول: «إن المهدي المنتظر دخل

(١) بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية للعلامة محمد التونسي ص ٥-٦ .

(٢) (١/٢٥٨-٢٦٠).

(٣) الباب الخامس ص ٣٥-٤٢.

(٤) (١/٢١٤-٢١٦).

السرداب وهو صغير عمره خمس سنوات، وهو يعرف ماذا يحدث في ذرات الكون؟!».

ثانياً: عقيدتهم في القرآن الكريم: الرافضة يقولون: إن القرآن الذي عندنا ليس هو الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غُيِّرَ وبُدِّلَ وزيد فيه ونقص منه، وجمهور مشايخهم يعتقدون التحريف في القرآن، كما ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»^(١).

وذكر الكليني في كتابه «أصول الكافي»: أن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية، معنى هذا أن القرآن الذي تدعيه الرافضة أكثر من القرآن الموجود بين أيدينا^(٢)، لأن الذي بين أيدينا يزيد عن ستة آلاف قليلاً، وهو الذي تعهد الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر].

وما يعترفون به من القرآن يفسرونه بأهوائهم؛ فقد ذكر الصافي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾^(١١٦) يعني: أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي عليه السلام، وأما قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) يعني: لمن والى علياً^(٣).

ومن أمثلة تأويلهم للآيات بأهوائهم: ما جاء في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

(١) ت ١٣٢٠ هـ.

(٢) (٢/٢٤٢ - ١٣٤).

(٣) (١/١٥٦ - ٣٦١).

أَلْحَسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر]. قال: «لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام، ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين»^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّغُوتِ﴾^(٥١)، قالوا: «أبو بكر وعمر»^(٢).

ثالثاً: عقيدتهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته؛ تقوم عقيدة الرفض على سب وشتم وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، فهم يعتقدون كفر جميع الصحابة باستثناء ثلاثة منهم، ذكر ذلك الكليني في كتابه «الكافي» المعتمد عندهم، فقال: الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة! فقلت: من الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي^(٣)؛ وفي كتاب «مفتاح الجنان» لعباس القمي: دعاء شيوخ الشيعة المشهور على أبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة - رضي الله عنهن -، والذي هو من أذكار الصباح والمساء عندهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمَي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك... إلخ^(٤). ويسمونهما عليهما السلام بفرعون، وهامان^(٥)، وبالوثنيين^(٦)، وباللات والعزى^(٧)؛ وصرح شيوخ الشيعة بأن مهديهم

(١) تفسير الصافي (١/١٥٦ - ٣٦١)، وتفسير نور الثقلين (١/١٥١ - ٤٨٨).

(٢) فروع الكافي الذي بهامش مرآة العقول (٤/٤١٦).

(٣) رجال الكشي ص ٦، الكافي كتاب الروضة (١٢/٣١٢ - ٣٢٢) مع شرح جامع للمازندراني.

(٤) ص ١١٤.

(٥) قرّة العيون للكاشاني ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٦) تفسير العياشي (٢/١١٦)، بحار الأنوار ص ٢٧ - ٥٨.

(٧) إكمال الدين لابن بابويه القمي ص ٢٤٦، مقدمة البرهان لأبي الحسن العاملي ص ٢٩٤.

المنتظر يحيي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يصلبهما على جذع نخلة، ويقتلهما كل يوم ألف قتلة^(١)؛ وسمعت أحد مشايخهم في شريط مسجل وهو يقول: أبو بكر، عمر، عثمان، أصحاب العقبة الأولى، أصحاب العقبة الثانية، التسعة من العشرة كلهم في النار.

قال عبد الله بن محمد الأندلسي :

إن الروافض شرٌّ من وطئ الحصى
قدحوا النبي وخونوا أصحابه
حبوا قرابته وسبوا صحبه
وقال آخر:

من كل إنس ناطق أو جان
ورمهم بالظلم والعُدوان
جدلان عند الله منتقضان

ودع عنك داعي الرِّفضِ والبدع التي
وسر خلف أصحاب الرسول فإنهم
وعج عن طريق الرِّفضِ فهو مؤسس
هُمَا خَطَّتَانِ إِمَّا هُدَى وَسَعَادَةٌ
فَأَيُّ فَرِيقَيْنَا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ
أَمَّنْ سَبَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ وَخَا
أَمِ الْمُقْتَدِي بِالْوَحْيِ يَسْلُكُ مِنْهَجَ الصَّحَا

يقودك داعيها إلى النار والعار
نجوم هدى في ضوئها يهتدي الساري
على الكفر تأسيساً على جرف هار
وإما شقاء مع ضلالة كفار
وأهدى سبيلاً عندما يحكم الباري
لف الكتاب ولم يعبأ بثابت الأخبار
بمع حب القرابة الأطهار

رابعاً: عقيدتهم في أهل السنة: تقوم عقيدة الرافضة في استباحة أموال ودماء أهل السنة، جاء في كتاب «الأنوار النعمانية»: أنهم كفار أنجاس بإجماع شيوخ الشيعة الإمامية، وأنهم شر من

(١) إيقاظ من الهجعة بتفسير البرهان على الرجعة للحر العاملي ص ٢٨٧.

اليهود والنصارى^(١).

وفي الكتاب أيضًا: أن النَّاصِبِي حلال الدم ويقصدون به السُّنِّي، ويرشدون إلى قتل أهل السنَّة: إما بتغريقهم في ماء، أو هدم الحائط عليهم، أو غير ذلك من الطرق السَّرِيَّة حتى لا يشهد عليهم بذلك، ويرون أن أموالهم وأعراضهم حلال^(٢).

وأخيرًا: هل شیوخ الشيعة يجتمعون معنا نحن أهل السنة على رب واحد، ونبي واحد، وإمام واحد؟

أجاب إمامهم نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» بقوله: «إنا لم نجتمع معهم على إله^(٣)، ولا على نبي، ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمدًا نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»^{(٤)(٥)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الأنوار النعمانية للجزائري (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٢) رجال الكشي ص ٥٢٩، تهذيب الأحكام (١/٣٨٤)، وسائل الشيعة (٦/٣٤٠).

(٣) أي مع أهل السنة.

(٤) (٢/٢٧٨-٢٧٩).

(٥) الإحالات التي في الكلمة: نقلًا عن كتاب أخينا الشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري حفظه الله.

الكلمة الرابعة والثلاثون

شرح اسم الله تعالى اللطيف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العظيم: اللطيف، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام]. وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف].

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك]. قال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم من مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى].

وقال الشوكاني في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: «إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفي»^(١).

وجمع الشيخ عبد الرحمن بن سعدي بين التعريفين فقال:

(١) فتح القدير (٤/٢٣٩).

«اللطيف الذي لطف علمه وخبره حتى أدرك السرائر والضمائر،
الخبيا [والخفايا] [والغيوب]، وهو الذي ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

ومن معاني اللطيف: أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه
البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا
يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من [العبد]
على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة
والمقامات النبيلة»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إن الله ﷻ لا يفوته من العلم شيء، وإن دقَّ وصغر أو
خفي، وكان في مكان سحيق، قال تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي
صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [لقمان].

فالله لا يخفى عليه شيء، ولا الخردلة: وهي الحبة الصغيرة
التي لا وزن لها، فإنها - ولو كانت في صخرة في باطن الأرض أو في
السموات -، فإن الله يأتي بها وهو اللطيف الخبير.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٨.

فهذا علمه سبحانه في الجمادات وحركاتها وسكناتها، أما علمه سبحانه في الطيور والحيوانات وسائر الخلائق، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨) [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦) [هود].

فإذا كان هذا علمه بالجمادات والطيور والحيوانات، فكيف بالمكلفين من الجن والإنس الذين لم يخلقوا إلا للعبادة؟ قال تعالى عنهم: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩) [غافر]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) [يونس].

وقال تعالى لنبيه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠) [الشعراء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث جبريل: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (١).

ثانياً: أن العبد إذا علم أن ربه متصف بدقة العلم وإحاطته بكل

صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، واللَّه تعالى يجازي العباد على أعمالهم؛ فالمحسن لا يضيع من إحسانه مثقال ذرة، ولا المسيء يضيع من سيئاته مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة].

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) [الكهف]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٢) [طه]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء].

ثالثاً: إن الله تعالى من لطفه بعباده يضاعف أجور المؤمنين، ويعفو ويتجاوز عن ذنوب من شاء من عباده، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (١١٠) [الأنعام].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود]»^(١).

رابعًا: إن الله لطيف بعباده يريد لهم الخير واليسر، ويقيض لهم أسباب الصلاح والبر؛ ومن لطفه بعباده: أنه يسوق إليهم أرزاقهم، وما يحتاجونه في معاشهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٢﴾ [الطلاق].

ومن لطفه سبحانه بخلقه: خلق الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث: ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة؛ وهو في بطن أمه يتقلب في هذه الأطوار: نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم تكسى العظام لحماً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [المؤمنون].

ومن لطفه بخلقه: لطفه بأنبيائه المرسلين؛ فمن ذلك: لطفه بيوسف عليه السلام، حين أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، وجمع بينه وبين أبويه، بعد أن نزع الشيطان بينه وبين إخوته.

ومن ذلك: لطفه بنبيه موسى عليه السلام، حين أرسله إلى فرعون، وألقته أمه في البحر، ووصل إلى قصر فرعون، وقذف الله في قلب زوجة فرعون الرحمة لهذا الطفل، وطلبت من فرعون استبقاءه؛ فنجا من القتل، ثم منع من الرضاعة، ليرجع إلى أمه فيحصل على حنانها،

(١) ص ٤٦٠ برقم ٢٤٤١، وصحيح مسلم ص ١١٠٨ برقم ٢٧٦٨.

قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (١٢) [القصص]. ثم تربى في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره.

ومن لطفه بعبده: أن قيض له كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها، مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه أو على معصيته، صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه أمرهم بالعبادات الاجتماعية التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض^{(١)(٢)}.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٢٣.

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للنجدي (١/٢٥٩-٢٦٥).

الكلمة الخامسة والثلاثون

إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي من كان يقصد بعمل الآخرة عرض الدنيا وزينتها من مال، وولد، ومنصب، وغيرها، كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي نعته من الدنيا ما أراد إذا شئنا استدراجاً ومعاملة له بما قصد، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: أي لا ينقصون.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ﴾: بيان لعاقبتهم حيث ذكر أنهم يعطون في الدنيا ما أرادوا وما طلبوا، وأما في الآخرة فإنهم يحرمون من الثواب لأنهم لم يريدوا الآخرة، وهي إنما تحصل لمن أرادها كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَحَبِطْ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ﴿وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: في الآخرة حبط ما صنعوه في الدنيا؛ ﴿وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أعمالهم في الدنيا باطلة، لأنهم لا يريدون وجه الله.

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كانت الدنيا همه وطلبه ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها جزاء؛ وأما المؤمن فيُجازى بحسناته في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ، لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٦٣٢.

جَوَادًا، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١)، ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلُّ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود] ^(٢).

فهؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، فإن قال قائل: ما الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا والرياء؟ فالجواب: أنهما يجتمعان في العمل لغير وجه الله وفي أنهما شرك خفي، ويفترقان أن الرياء يراد به الجاه والشهرة، وأما طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل، كمن يجاهد من أجل المال فقط؛ والذي يعمل من أجل الطمع والعرض العاجل، أعقل من الذي يعمل للرياء، لأن الذي يعمل للرياء لا يحصل له شيء، وأما الذي يعمل من أجل الدنيا، فقد يحصل له طمع في الدنيا ومنفعة.

ولما سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب «عن قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾، ذكر أنها تشمل أنواعاً:

النوع الأول: المشرك والكافر الذي يعمل أعمالاً صالحة في هذه الدنيا: من إطعام الطعام، وإكرام الجار، وبر الوالدين، والصدقات

(١) صحيح مسلم ص ٧٩١ برقم (١٩٠٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١٣٨/٢) برقم ٤٠٨.

والتبرعات، ووجوه الإحسان، ولا يؤجر عليها في الآخرة، لأنها لم تُبْنَ على التوحيد، فهو داخل في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)؛ فالكافر إذا عمل حسنات فإنه قد يجازى بها في الدنيا، وأما في الآخرة فليس له جزاء عليها عند الله، لأنها لم تُبْنَ على التوحيد والإخلاص لله ﷻ.

النوع الثاني: المؤمن الذي يعمل أعمالاً من أعمال الآخرة، لكنه لا يريد بها وجه الله، وإنما يريد بها طمع الدنيا: كالذي يحج ويعتمر عن غيره، يريد أخذ العوض والمال؛ وكالذي يتعلم ويطلب العلم الشرعي، من أجل أن يحصل على وظيفة، فهذا عمله باطل في الدنيا، وحابط في الآخرة: وهو شرك أصغر.

النوع الثالث: مؤمن عمل العمل الصالح مخلصاً لله ﷻ، لا يريد به مالاً أو متاعاً من متاع الدنيا ولا وظيفة، لكن يريد أن يجازيه الله به، بأن يشفيه الله من المرض، ويدفع عنه العين ويدفع عنه الأعداء؛ فإذا كان هذا قصده، فهذا قصد سييء، ويكون عمله هذا داخلاً في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥). والمفروض في المسلم: أن يرجو ثواب الآخرة، يرجو أعلى مما في الدنيا، وتكون همته عالية، وإذا أراد الآخرة أعانه الله على أمور الدنيا، ويسرها له ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣) [الطلاق].

النوع الرابع: وهو أكبر من الذي قبله، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه؛ وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء

الناس! لا طلب ثواب الآخرة.

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس، والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما؛ وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص، ويسكت عن صاحب الشائبتين: وهو هذا وأمثاله^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - وهو يتحدث عن النوع الثاني الذي سبق ذكره -: وهو الذي يعمل أعمالاً صالحة لا يريد إلا الدنيا: كالذي يتعلم من أجل الوظيفة، أو يعتمر لغيره من أجل المال فقط؛ وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب؛ وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن - وإن كان ضعيف الإيمان - لا بد أن يريد الله والدار الآخرة؛ وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا - وإن كان مؤمناً -: فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً، لكنه

(١) كتاب الاستنباط/ للشيخ محمد عبد الوهاب ص ١٢٠ - ١٢٣، نقلاً عن كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣٧ - ٤٤١ بتصرف.

يأخذ على عمله جُعلًا معلومًا يستعين على العمل والدين: كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يرتب على جهاده غنيمة أو رزقًا، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد، والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها؛ فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده: لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له مُعينًا على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية - كالزكوات وأموال الفيء وغيرها - جزءًا كبيرًا: لمن يقوم بالوظائف الدينية والدينية النافعة^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) القول السديد ص ١٨٧ - ١٨٩.

الكلمة السادسة والثلاثون

كفارات الذنوب رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فقد ذكر شارح الطحاوية: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم، بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

أولاً: التوبة الصادقة ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر]. وهذا لمن تاب؛ ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ٥٤﴾.

ثانياً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال].

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ

إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ»^(١).

ثالثًا: الحسنات ، فإن الحسنات عشرة أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده عشراة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾^(١١٤) [هود]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

رابعًا: المصائب ، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(١٢٣) ، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَارْبُؤُوا وَسَدُّوْا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُهَا»^(٣).

خامسًا: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١٠) [الحشر]. وقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَنَا وَوَالِدَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢٨) [نوح].

سادسًا: ما يهدى الميت بعد الموت من ثواب صدقة، أو حج،

(١) ص ١٨٠ برقم ١٥١٧، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم ١٣٤٣.

(٢) ص ٣٣٢ برقم ١٩٨٧، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٤.

أو نحو ذلك؛ روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَيْتَ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتَ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(١).

وفي صحيح البخاري أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه - أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ - تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَاتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّيْ تُوَفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا^(٢).

سابعًا: عذاب القبر.

ثامنًا: أهوال يوم القيامة وشدائده.

تاسعًا: ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصَّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٣).

عاشرًا: شفاعة الشافعين؛ كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والنيبين، وشفاعة

الملائكة، وشفاعة المؤمنين.

(١) ص ٣٨٨ برقم ١٠٠٤، وصحيح البخاري ص ٢٧٠ برقم ١٣٨٨.

(٢) ص ٥٣٢ برقم ٢٧٦٢.

(٣) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٣٥.

يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ؛ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَفَبَضَّ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ: أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٣٢ برقم ٤٩٠١، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٩٢٦/٣) برقم ٤٠٩٧ .
(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٧ - ٣٧١ .

الكلمة السابعة والثلاثون

حكم الأسهم المختلطة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ قَالَ: وَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ! فَأَفَاقَ يَمْسَحُ عَنْهُ الرَّحْضَاءُ^(١)، وَقَالَ: «أَيْنَ هَذَا السَّائِلُ؟» - وَكَأَنَّهُ حَمَدُهُ - فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ^(٢)، إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرِ^(٣)، فَإِنَّهَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ حَاصِرَتَاهَا^(٤)، اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ^(٥)، وَبَالَتْ،

(١) أي العرق الكثير.

(٢) إذا قاربه ودنا منه.

(٣) ضروب من النبات وليس من أحرار البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول.

(٤) وهما جانبا البطن.

(٥) إذا ألقى البعير رجيعة سهلاً رقيقاً.

ثُمَّ رَتَعَتْ؛ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ:
لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمَسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَابْنَ السَّبِيلِ (أَوْ كَمَا قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)؛ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا
يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بِشَرِّهِ
وجوع نفس من حيث لا حَتُّ له، لا بقليل يقنع ولا بكثير يشبع، ولا
يحلل ولا يحرم، بل الحلال عنده: ما حل بيده وقدر عليه، والحرام
عنده: ما منع منه وعجز عنه، فهذا هو المتخوض في مال الله ورسوله
فيما شاءت نفسه، وليس له إلا النار يوم القيامة؛ وفي هذا تنبيه على
أن من تخوَّض من الدنيا في الأموال المحرَّم أكلها: كمال الربا، ومال
الأيتام، والمال المغصوب، والسرقة، والغش في البيوع، وغير ذلك،
فكل هذه الأموال وما أشبهها: يتوسع بها أهلها في الدنيا، ويتلذذون
بها، ويتوصلون بها إلى لذات الدنيا وشهواتها؛ ثم ينقلب ذلك بعد
موتهم، فتصير جمرًا من جمر جهنم في بطونهم، فما تفي لذتها
بتبعثها، قال الشاعر:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مَمَّنْ نَالَ لَذَّتْهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ مِنْ مَغْبَتِّهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

فلهذا شبّه النبي ﷺ من يأخذ الدنيا بغير حقها ويضعها في غير
حقها: بالبهايم الراحية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله،

(١) صحيح مسلم ص ٤٠٣ برقم ١٠٥٢، وصحيح البخاري ص ١٢٣٤ برقم ٦٤٢٧.

فإما أن يقتلها وإما أن يقارب قتلها، فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها، فقد يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه، ومن مات على ذلك من غير توبة منه وإصلاح حاله، فيستحق النار بعمله^(١). اهـ.

ومما يلاحظ في هذه الأيام: انكباب كثير من الناس على المساهمات المشبوهة والمحرمة، وهذا مصداق قول النبي ﷺ في الحديث - الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه -: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٣)؛ وهذه الشركات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الشركات ذات الأعمال المباحة، وليس من أنشطتها الاستثمار المحرّم، بل تعمل بالصناعة والتجارة: سواء تجارة العقار أو الزراعة أو النقل، ولا تتعامل بمحرّم؛ فلا تقترض ولا تُقرض بالربا، ولا تُودع أرباحها في بنوك تُعطي لها فوائد ربوية، ولا تستثمر أرباحها في محرّم، فهذه الأصل فيها الجواز.

ثانياً: الشركات ذات الأعمال المحرّمة: كالبنوك الربوية، أو

(١) لطائف المعارف ص ٥٣١ .

(٢) ص ٣٩٣ برقم ٢٠٨٣ .

(٣) ص ٣٨٥ برقم ٢٣٣٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

صناعة الخمر، أو آلات الطرب، أو التجارة بالخنزير، بحيث يكون أصل إنشائها محرّمًا، فهذا النوع لا يتنازع مسلم في حرمة؛ جاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي: بأنه لا خلاف في حرمة الإسهام في شركات، غرضها الأساسي محرّم: كالتعامل بالربا، أو إنتاج محرّمات، أو متاجرة بها^(١).

الثالث: الشركات ذات الأعمال المشروعة، وأنشئت من أجل الاستثمار في الأشياء المباحة: كصناعة الحديد والورق والزيت، والنقل وتجارة الأراضي وغيرها، إلا أنها تتعامل بالحرام أحيانًا: كالإيداع في البنوك وأخذ الفائدة منها، أو أن تجعل من ضمن رأس مالها الاقتراض بالربا أو الإقراض، فتضم هذه الأرباح إلى أرباح مساهميها، وهذه الشركات هي التي اشتهرت بين الناس بالأسهم المختلطة، أي اختلط فيها الحلال والحرام، وفيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يقول بالجواز وفق ضوابط معينة، ومنهم من يقول بالتحريم: وهو قول غالب العلماء.

فقد سئلت اللجنة الدائمة عن أسهم الشركات المختلطة، والتي أساس عملها الصناعة أو الخدمات أو التجارة أو غيرها، ولكنها تقع في مخالفات شرعية: كأن تضع فوائض أموالها في البنوك، أو تقترض من البنوك، أو غير ذلك من المخالفات؛ فأجابت اللجنة بالتحريم: لعموم الأدلة من الكتاب والسنة بتحريم الربا، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ

(١) في دورته الرابعة المنعقدة بمكة المكرمة، والتي بدأت في ٢٠/٨/١٤١٥هـ.

أَبِيعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ١٧٥، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ٢﴾ [المائدة]. وغير ذلك من الأدلة (١).

وعلى المسلم أن يتورع وأن يتعد عن الشبهات؛ روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَبَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ: كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» (٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه أن عبداً يقال له مدغم، كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة: هنيئاً له الشهادة! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشُّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لِتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا» (٤).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٣/٤٠٨) رقم (٨٧١٥).

(٢) ص ٣٨٨ برقم ٢٠٥١، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩ - واللفظ له -.

(٣) قطعة من حديث ص ١٢١ برقم ٦١٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/١٨٩) برقم ٥٠١.

(٤) قطعة من حديث ص ١٢٧٩ برقم ٦٧٠٧.

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام^(١).

اللَّهُمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.
وسبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك
وأتوب إليك.



(١) انظر: الأسهم المختلطة/ للشيخ صالح التميمي حفظه الله.

الكلمة الثامنة والثلاثون

الرفقة الصالحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الإنسان جُبِلَ على حب مخالطة الآخرين، وأن يتخذ له جليساً يعينه على مصالحه في دنياه وأخراه، والناس متفاوتون في دينهم وأخلاقهم؛ فمنهم الخير الفاضل الذي يُنتفع بصحبته وصداقته، ومنهم السيء الذي يتضرر بصداقته ومعاشرته.

ومصاحبة الصالحين خير وبركة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف].

ومصاحبة جلساء السوء حسرة وندامة يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ [٢٧]

يَتَوَلَّي لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ: كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا

أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَيْبَةً» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (٢).

قوله: «عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»: أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فلينظر أي: يتأمل ويتدبر من يخالل، فمن رضي دينه وخلقه خالقه ومن لا تجنبه فإن الطباع سراقه (٣).

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
والإنسان مجبول على التأثر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنود مجندة؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (٤).

وتألفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار،

(١) ص ١٠٩١ برقم ٥٥٣٤، وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ برقم ٢٦٢٨.
(٢) ص ٣٩٠ برقم ٢٣٧٨، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٦٣٣) برقم ٩٢٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٢٣/١٣).

(٤) ص ٦٣٦ برقم ٣٣٣٦ تعليقا، وصحيح مسلم ص ١٠٥٧ برقم ٢٦٣٨ عن أبي هريرة.

والأشرار إلى الأشرار^(١).

ومن ثمرات مجالسة الصالحين:

أولاً: الإعانة على الطاعات والبعد عن المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

ثانياً: المسارعة إلى الخيرات والتنافس في الطاعات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝١ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢١﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ۝٦١﴾ [المطففين].

ثالثاً: بركة المجالسة، فإن من جالسهم تشمله بركة مجالستهم، ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم، كما دل على ذلك: ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ»

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٢٤).

وفي آخر الحديث: «فَيَقُولُ اللَّهُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يُقُولُ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

يقول عمر: «لولا ثلاث، ما أحببت العيش في هذه الحياة الدنيا: ظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطياب الكلام، كما ينتقى أطياب التمر».

وكم من شخص اهتدى، وأصبح من المحافظين على الصلاة، وترك مجالسة السوء، وتوجّه إلى الدعوة؟! كل ذلك: بفضل الله، ثم الرفقة الصالحة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(٢).

قال الخطابي: إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة، وذلك أن الله سبحانه قال: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَتًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣) [الإنسان] ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفاراً غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر عليه السلام من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب^(٣).

ومن الآثار المترتبة على مجالسة أهل السوء، وهي كثيرة:

(١) ص ١٢٣٠ برقم ٦٤٠٨، وصحيح مسلم ص ١٢٣٠ برقم ٢٦٨٩.

(٢) ص ٣٩٢-٣٩٣، برقم ٢٣٩٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٢٣/١٣).

أولاً: أنه يصرف صاحبه وجليسه من الطاعة إلى المعصية،
 ويزين له عمل السوء؛ روى البخاري ومسلم من حديث سعيد
 ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا
 عِنْدَ اللَّهِ»؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرُغِبُ
 عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ
 لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ
 الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا
 وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنكَ»؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا
 تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [١١٣] [التوبة]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
 أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥٦] [القصص] (١).

ثانياً: أن غالب مجالس أهل الفسق لا يذكر الله تعالى فيها، بل
 يُعصى جلَّ وعلا، فتكون حسرة وندامة على أصحابها يوم القيامة .
 روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال:
 «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا

(١) صحيح البخاري (٣/٦٢، ٦٣) برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم (١/٥٤) برقم (٢٤)
 - واللفظ له -

كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ^(١)؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ^(٢).

قال الشافعي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً تَقِيًّا فَوَحْدَتِي الذُّ وَأَشْهَى مِنْ عَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ
وَأَجْلِسُ وَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِنًا أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَاذِرُهُ

ثالثاً: أن الجليس السوء يدعو جليسه إلى مماثلته في الوقوع في المحرّمات، ويخفّف وقع المعصية في قلبه، ويهوّن عليه التقصير في الطاعة، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ودّت الزانية لو زنى النساء كلهن».

وجليس السوء ينصرف عن صاحبه عند أدنى خلاف أو فوات مصلحة، بل وتحصل البغضاء بعد ذلك، قال عبدالله بن المعتز: إخوان السوء ينصرفون عند النكبة، ويقبلون مع النعمة.

لذا أنصح إخواني بإلحاق أبنائهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، فهي رفقة صالحة، وعندهم برامج مفيدة: يقضي فيها الشاب وقته، وتُبعده عن جلساء السوء. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي حسرة وندامة.

(٢) ص ٥٣٥ برقم ٣٣٨٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة التاسعة والثلاثون

نعمة العقل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل نعم الله على عباده: نعمة العقل، فلولا العقل لما عرف الإنسان دين الإسلام، والنبوة، والخير والشر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. فالله تعالى فضّل بني آدم على غيرهم من الجمادات، والحيوانات، والنباتات بهذا العقل.

قال تعالى - مادحاً عباده أصحاب العقول السليمة -: ﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. قال ابن كثير: أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦]. [يوسف: ١٠٦].

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٥).

وقد ذم الله تعالى أصحاب العقول الغافلة عن دينه، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٢) [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أَوَّلِيكَ كَأَلْفِ بَلِّ هُمْ أَضَلُّ أَوْلِيكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٩) [الأعراف].

فإذا فقد الإنسان العقل السليم الذي يقوده إلى الخير ويبعده عن الشر، فقد أصبح كالبهيمة التي تأكل وتشرب ولا تعقل شيئاً، بل إنها خير منه: كما في الآية الكريمة السابقة، روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرْمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا»^(١) أي: دنيتها و خسيسها .

قال ابن حبان: وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفسافها هو نفس العقل، فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله، وهو من أفضل مواهب الله لعباده، وهو دواء القلوب، ومطيئة المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب؛ ومن عدم العقل لم يزد السلطان عزاً، ولا المال يرفعه قدرًا، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه^(٢). اهـ.

(١) (١/٦٤)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع الصغير» (١/٣٨٤) برقم ١٨٨٩.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ ص ١٦ - ١٩، باختصار.

قال الشاعر:

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ

وقال الشاعر:

لَيْسَ الْجَمَالَ بِأَثْوَابٍ تُزِينُنَا إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ

قد يقول قائل: ما هو العقل؟ ومن هو العاقل؟

العقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتنب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجاته يسمى أديباً ثم أريباً، ثم لبيباً ثم عاقلاً^(١)؛ قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(١٥) أي: تنهى عقله، وكمل فهمه وحلمه، ويقال: إنه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين^(٢).

قال ابن حزم: وحد العقل: ينطوي فيه فعل الطاعات والفضائل واجتناب المعاصي والرذائل، وقد نصَّ الله تعالى في كتابه أن من عصاه لا يعقل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ^(١١) [الملك]. وحد الحمق: استعمال المعاصي والرذائل، وهو ضد العقل، ولا واسطة بين الحمق والعقل إلا السخف^(٣) ١ هـ.

(١) روضة العقلاء / لابن حبان ص ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/١٥).

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٦٥ - ٦٦ بتصرف.

قيل لابن المبارك: ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: غريزة عقل،
 قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن؛ قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح
 يستشير، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟
 قال: موت عاجل^(١).

والناس يحبون الرجل الذي جمع بين الصلاح ورجحان
 العقل، ونبينا محمد بن عبد الله أرجح الناس عقلاً، ففي الجاهلية
 لم يسجد لصنم قط، مع كثرتها وتعلق الناس بها: لعلمه أن هذه
 الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع؛ وكانت قريش تُودع أموالها عنده،
 ويستشيرونه في أمورهم: لرجحان عقله وسداد رأيه، وكان يعتزل
 الناس، ويتعبد في غار حراء يسأل ربه الهداية. وفي صحيح البخاري:
 أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد
 كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد:
 فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به
 من جمع القرآن^(٢).

وحكي أن جماعة من النصارى تحدثوا فيما بينهم، فقال قائل
 منهم: ما أقل عقول المسلمين، يزعمون أن نبيهم كان راعياً للغنم،
 فكيف يصلح راعي الغنم للنبوة؟! فقال له آخر من بينهم: أما هم
 فوالله أعقل منا، فإن الله بحكمته يسترعي النبي الحيوان البهيم فإذا
 أحسن رعايته والقيام عليه نقله منه إلى رعاية الحيوان الناطق، حكمة

(١) روضة العقلاء/ ص ١٧.

(٢) قطعة من حديث ص ٩٩٢ برقم ٤٩٨٦.

من الله وتدرجاً لعبده، ولكن نحن جننا إلى مولود خرج من امرأة يأكل ويشرب ويبول ويبكي فقلنا: هذا إلهنا الذي خلق السماوات والأرض فامسك القوم عنه^(١).

هناك بعض التنبيهات:

أولاً: إن محل العقل القلب وهو صريح قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج] ٤٦ قال الشيخ محمد الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: ومن الخطأ قول الفلاسفة: إن محل العقل الدماغ، وقد تبعهم في ذلك قليل من المسلمين، وعامة علماء المسلمين أن محل العقل القلب، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف] ١٧٦. فعابهم الله بأنهم لا يفقهون، والفقه - الذي هو الفهم - لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على أن محل العقل القلب، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأَيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات] ١٤.

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢). فإذا آمن القلب، آمنت الجوارح: بفعل المأمورات وترك المنهيات، لأن القلب أمير البدن؛ وذلك يدل دلالة واضحة: على أن القلب ما كان كذلك، إلا لأنه محل العقل الذي به

(١) جامع الآداب لابن القيم (١/٢١٨) من كلام ابن القيم تحقيق اليسري السيد محمد.

(٢) ص ٣٤ برقم ٥٢، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩.

الإدراك والفهم^(١).

ثانياً: ليس كل من ادّعى العقل يعتبر عاقلاً، فقد يدّعيه من هو سفيه أو أحمق، فالعقل - كما تقدّم - من ترفع عن السفاهات والمعاصي وخوارم المروءة كلها، وسما بنفسه إلى الطاعات ومكارم الأخلاق.

قال ابن حبان - بعد ما ذكر أقوال العلماء في تعريف المروءة - :
والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال، واستعمالهما هو العقل نفسه، وقد ورد في الأثر: إن مروءة المرء عقله^(٢).

ثالثاً: قد يكون الإنسان ذكياً، ولكنه ليس بعقل؛ فالذكاء: هو سرعة البديهة والفهم، والعقل: ما حجز الإنسان عن فعل ما لا ينبغي.

رابعاً: العقل نوعان؛ قال الشيخ ابن عثيمين: العقل هو مناط التكليف، وهو إدراك الأشياء وفهمها، وهو الذي تكلم عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات وغيرها، وعقل الرشد: وهو أن يحسن الإنسان التصرف، وسمي إحسان التصرف عقلاً؛ لأن الإنسان عقل تصرفه بما ينفعه^(٣).

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] وقال تعالى: ﴿آتَمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

(١) الرحلة إلى أفريقيا / ص ٢٥ - ٢٩ باختصار.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / ص ٢٣٢.

(٣) تفسير سورة البقرة (١/١٥٨) للشيخ ابن عثيمين.

وَتَسُونُ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [البقرة]. أفلا يكون لكم عقول تدركون بها خطاكم وضلالكم؟!

خامساً: قد يُعطى الإنسان القوة والذكاء والعقل، ولكن لا يوفق للهداية، وأمثلة هذا كثيرة، فأصحاب المخترعات العظيمة: كالكهرباء، والطائرات، والقنابل النووية، وغيرها كثير منهم من غير المسلمين: كاليهود والنصارى والملاحدة، بل ذكر الله عن قوم عاد: أنهم كانوا أصحاب قوة وذكاء، بنوا حضارة من أحسن الحضارات، قال تعالى عنها: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]. لكنهم لما جحدوا بآيات الله، ما نفعتهم عقولهم ولا قوتهم، بل صارت وبالاً عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحقاف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الأربعون

تفسير سورة الضحى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿كُنْ أَزْلَمَ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر: سورة الضحى.

روى البخاري ومسلم من حديث جناب رضي الله عنه قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الليل].

وجاء في بعض الروايات: أنها أم جميل زوجة أبي لهب.

قوله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾: هذا قسم منه تعالى بزمان الضحى وما جعل فيه من الضياء والنور، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي: سكن فأظلم وادلهم وهذا دليل على قدرة خالق هذا، وهذا كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل]. وقال: ﴿فَالِقُ

الإصباح وجعل أئيل سكتاً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز
العليم ﴿٩٦﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ ﴿٣﴾: أي
وما أبغضك، ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٤﴾ أي: وللدار الآخرة خير
لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهدهم الناس في الدنيا
وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم من سيرته، ولما خير ﷺ في
آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين لقاء ربه ﷻ،
اختار ما عند الله على هذه الدنيا الفانية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مويهبة رضي عنه: أن
النبي ﷺ قال: «يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا
والخلد فيها ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي ﷻ والجنة»،
قال: قلت: بأبي وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة! قال:
«لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل
البيع ثم انصرف، فبدئ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله ﷻ
فيه حين أصبح ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾، أي: في الدار
الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعدّه له من الكرامة، ومن جملته:
نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر.

(١) (٣٧٦/٢٥) برقم ١٥٩٩٧؛ وقال محققوه: إسناده ضعيف، لكن الحديث صحيح في
استغفاره لأهل البيع واختياره لقاء ربه.

روى ابن جرير في تفسيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: عُرِضَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٥)؛ فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم (١). قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف (٢)؛ ثم قال تعالى - يعدد نعمته على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم -: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ (٦)؛ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد صلى الله عليه وسلم، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب، وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه، بعد أن بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره هذا، وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدره وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل؛ فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، وكل هذا من حفظ الله له، وكلاءته وعنايته به (٣).

(١) (١٢/٦٢٤) برقم ٣٧٥١٣.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٣٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٣٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (٧)، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٤) [الشورى].

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٨)، أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر - صلوات الله وسلامه عليه -.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١)؛ وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَىٰ عَنِ النَّفْسِ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩)، أي: كما كنت يتيمًا فأواك الله، فلا تقهر اليتيم: أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠)، أي: كما كنت ضالًّا فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١)، أي: كما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٤.

(٢) ص ١٢٣٨ برقم ٦٤٤٦، وصحيح مسلم ص ٤٠٣ برقم ١٠٥١.

قال: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١)؛ وروى أبو داود في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٢٤ برقم ٤٨١١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٣) برقم ٤٠٢٦.
 (٢) ص ٥٢٤ برقم ٤٨١٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٤) برقم ٤٠٢٩.

الكلمة الحادية والأربعون

فضل الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: حب أصحاب رسول الله ﷺ، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ونحِبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»^(١).

فأهل السنة والجماعة يحبون أصحاب النبي ﷺ، ويفضلونهم على جميع الخلق بعد الأنبياء، لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله؛ وهم يثنون على الصحابة، ويتراضون عنهم، ويستغفرون لهم، وذلك للأمر التالية:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٨٩).

النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١).

ثانياً: هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، فمنهم تَلَقَّتِ الأُمَّةُ عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة: من الصدق والنصح والأخلاق والآداب، التي لا توجد عند غيرهم^(٢).

قال تعالى مُثْنِيًا عَلَيْهِمْ: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحَجِّرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١٠٠) [التوبة].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾^(٢٩) [الحجرات]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١٨) [الفتح].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣).

قالت عائشة رضي الله عنها - عندما قيل لها: إن ناسًا ينالون من أصحاب

(١) ص ٥٠٢ برقم ٢٦٥٢، وصحيح مسلم ص ١٠٢٣ برقم ٢٥٣٣.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٢/٢٤٨ - ٢٤٩).

(٣) ص ٧٠١ برقم ٣٦٧٣، وصحيح مسلم ص ١٠١٧ برقم ٢٥٤١.

رسول الله ﷺ، حتى أبا بكر وعمر - فقالت: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل، فأحبَّ الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.

وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ تُقَامْ أَحَدِهِمْ سَاعَةٌ، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (١)(٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته؛ ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه (٣).

وقال أيضاً مخاطباً أصحابه: أنتم أكثر صلاة وأكثر صياماً وأكثر جهاداً من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة (٤).

وقال الحسن البصري رحمته الله: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا أكياساً

(١) هو الإمام عبيد الله بن محمد الحنبلي: أبو عبد الله ابن بطه، صاحب كتاب الإبانة الكبرى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم (٢٠)، (١/٦٠ - ٦١) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٨٤) برقم ٣٦٠٠، والبغوي في شرح السنة (١/٢١٤) برقم (١٠٥). وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٥/١٤٥) برقم ١٠١٥٢، وقال محققه: إسناده صحيح.

عملوا صالحاً، وأكلوا طيباً، وقدموا فضلاً لم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يجزعوا من ذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاضمت في أنفسهم حسنة عملوها، ولا تصاغرت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها^(١).

قوله: ولا نفرط في حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان.

يقصد بذلك الرد على الروافض والنواصب: فإن الرافضة يكفرون أصحاب رسول الله ﷺ، ويعتقدون أنهم كفروا إلا ثلاثة منهم، بل يعتقدون أنه لا ولاء إلا لبراء: أي لا يتولّى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر؛ وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، والرافضة يغلون في علي ويرفعونه فوق منزلته، أما النواصب: فإنهم يسبون علياً، ويبغضون آل بيت رسول الله ﷺ^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين؟! بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى؛ وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا:

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٥/١٤٤) برقم ١٠١٤٩، وقال محققه: إسناده لا بأس به.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢.

أصحاب عيسى؛ وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة»^(١).

قوله: وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في الأنصار: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»^(٢).

قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل يتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق؛ وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن: أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا: ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة^(٣).

وقال يحيى بن معين في - تليد بن سليمان المحاربي الكوفي -: «كذاب، كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان، أو طلحة، أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ: دَجَّال، لَا يُكْتَبُ عَنْهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٤).

ولله دَرُّ القائل:

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢.

(٢) ص ٧٢٠ برقم ٣٧٨٣، وصحيح مسلم ص ٥٩ - ٦٠ برقم ٧٥.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٤٩، وانظر: الإصابة لابن حجر (١/١١).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٧/١٣٨)، وانظر: تهذيب التهذيب (١/٥٠٩).

لا تَرْكَنَنَّ إِلَى الرُّوَاظِضِ إِنَّهُمْ
لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ
شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانَ
وَوَدَّاهُمْ فَرَضَ عَلَى الْإِنْسَانِ
حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقِرَابَةِ سَنَةٌ
أَلْقَى بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي
أَحْذَرُ عِقَابَ اللَّهِ وَأَرْجُو ثَوَابَهُ
حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهْ قَلْبَانِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والأربعون

خطر الاختلاط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن البلايا العظيمة التي ابتليت بها الأمة في هذه الأيام: الاختلاط بين الرجال والنساء على أشكال وصور متعددة، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بجلب المصالح ودفع المفسدات.

ولا شك أن الاختلاط باب شر ومفتاح فتن على الأمة، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة بمنعه.

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير: أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية: الصلاة في المسجد بشرطه^(١)؛ كما قال رسول الله ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلِيَخْرُجَنَّ وَهِنَّ تَفَلَّاتٍ»^(٢)،^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١١/١٥٠).

(٢) أي غير متزيئات.

(٣) مسند الإمام أحمد (٨/٢٨١) برقم ٤٦٥٥، وقال محققوه: إسناده صحيح.

وفي رواية: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ»^(١)؛ وقال مجاهد: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ تَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الرَّجَالِ، فَذَلِكَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: «الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٣)؛ والحمو: هو قريب الزوج، شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالموت: لخطورته وتساوله الناس فيه.

وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول على النساء، وممنوعين من الخلوة بهن بطريق الأولى، كما ثبت بأحاديث أخر، صار سؤالهن متاعاً لا يكون إلا من وراء حجاب، ومن دخل عليهن فقد خرق الحجاب^(٤).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وكان النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم، ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذراً من فتنته، بل كان النساء في مسجده صلى الله عليه وسلم يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وكان يقول: «خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أَوْلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلُهَا»^(٥)، حذراً من افتتان آخر صفوف الرجال

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٠ / ٩) برقم ٥٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١١ / ١٥١).

(٣) ص ١٠٣٥ برقم ٥٢٣٢، وصحيح مسلم ص ٨٩٦ برقم ٢١٧٢.

(٤) حراسة الفضيلة/ للشيخ بكر أبو زيد رحمته الله، ص ٦٣.

(٥) ص ١٨٦ برقم ٤٤٠.

بأول صفوف النساء، وكان الرجال في عهده عليه الصلاة والسلام يؤمرون بالترئُّث في الانصراف، حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد، لئلا يختلط بهن الرجال في أبواب المسجد، مع ما هم عليه جميعاً رجالاً ونساءً من الإيمان والتقوى، فكيف بحال من بعدهم؟! وكان النبي ﷺ ينهاهن أن يمشين في وسط الطريق، ويؤمرن بلزوم حافات الطريق: حذرًا من الاحتكاك بالرجال، والفتنة بمماسة بعضهم بعضًا عند السير في الطريق (١) اهـ.

بل إن النبي ﷺ كان يخصص للنساء بابًا يخرجن منه (٢)؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ - ما خلاصته - : «ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء: في الأسواق والفرج ومجامع الرجال، فالإمام مسؤول عن ذلك، والفتنة به عظيمة.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ» (٣)، وفي حديث آخر: «عَلَيْكُنَّ بِحَاقَاتِ الطَّرِيقِ» (٤). ويجب عليه أن يمنع النساء من الخروج متزيَّئات متجمَّلات، ومنعهنَّ من الثياب التي يكنَّ بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة الرقاق، ومنعهنَّ من حديث

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/ ١٠٥٥).

(٢) سنن أبي داود ص ٧٤ برقم ٤٦٢، من حديث ابن عمر، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود (١/ ٩٢) برقم ٤٣٩.

(٣) ص ١٠١٠ برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥ برقم ٢٧٤٠.

(٤) سنن أبي داود برقم (٥٢٧٢)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح الجامع الصغير» برقم (٩٢٩).

الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك. وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولا سيَّما إذا خرجت متجمَّلة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهنَّ على الإثم والمعصية، واللَّه سائل ولي الأمر عن ذلك، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهن في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء: سبب لكثرة الفواحش والزنا^(١).

وبناء على ما تقدم؛ فإن ما حصل من اختلاط بين الرجال والنساء، سواء كان في اجتماع أو ندوة أو حفل أو تصوير بين الرجال والنساء، أو غير ذلك من صور الاختلاط، ونشره في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية: أمر محرّم لا يجوز، بل يجب إنكاره؛ فإنه بوابة شر، ومفتاح فتن وتعرض لعقوبة اللّٰه تعالى وسخطه، وإذا نزلت العقوبة عمت الجميع، نسأل اللّٰه اللطيف والعافية في الدنيا والآخرة.

ويجب على العلماء وطلبة العلم والدعاة: أن يبينوا للناس أمور دينهم، ولا يتركوهم حتى لا يلتبس الحق بالباطل، والمعروف بالمنكر. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

(١) الطرق الحكمية ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، ﴿١٨٧﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [البقرة]. وكتمان العلم إخفاؤه عندما يجب بيانه: إما جواباً لسؤال، أو لمقتضى الحال.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

ولذلك أوصي بالآتي:

أولاً: على من ولاه الله أمر المسلمين: أن يمنع الاختلاط بشتى صورته وأشكاله، حماية للأعراض، وقطعاً لدابر الشر، ونصرة للعبة والفضيلة.

ثانياً: على كل من ولاه الله أمر امرأة من الآباء والأزواج: أن يتقوا الله فيما ولوا من أمر النساء، وأن يعملوا الأسباب لحفظهن من التبرج والاختلاط، وليعلموا أن فساد النساء سببه تساهل الرجال.

ثالثاً: ننصح هؤلاء الكتاب الصحفيين الذين يمجدون الاختلاط والسفور ويستهنئون بالحجاب الشرعي: أن يتقوا الله ويحذروا من سخطه وعقابه، وألا يكونوا باب سوء على أهليهم وأمتهم، ومن

استمر في غيه وضلاله فعلى من ولاه الله أمر المسلمين أن يُحيله إلى المحاكم الشرعية، ليلقى جزاءه الرادع وفق شرع الله المطهر.

رابعاً: على كل مسلم الحذر من إشاعة الفاحشة ونشرها، وليعلم أن محبتها - كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَتَاوَى - لا تكون بالقول والفعل فقط، بل تكون بذلك وبالتحدث بها، وبالقلب والميل إليها، وبالسكوت عنها، فإن هذه المحبة تمكّن من انتشارها وتمكّن من الدفع في وجه من ينكرها من المؤمنين، فليثق الله امرؤ مسلم من محبة إشاعة الفاحشة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور].

قال الحافظ ابن رجب: «وقد روي عن الإمام أحمد أنه قيل له: إن عبدالوهاب الورّاق ينكر كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دام فينا من ينكر؛ ومن هذا الباب: قول عمر - لمن قال له: اتق الله يا امير المؤمنين - فقال: لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٤٣.

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ «حراسة الفضيلة» ص ١٤٩ - ١٥١.

الكلمة الثالثة والأربعون

قصة نبي الله يونس عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قص الله علينا في كتابه العزيز، قصص الأنبياء والمرسلين لناخذ منها الدروس والعبر، ولتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوية إيمان المؤمنين، وموعظة وذكرى للمؤمنين، وغير ذلك من الدروس والحكم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف]. وقال أيضاً: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود]. ومن هؤلاء الرسل: نبي الله يونس عليه السلام، وقد ذكر الله قصته في عدد من الآيات، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَأْءَامَتُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] فاستجبتنا له، ونجيتنا من الغمِّ وكذلك نُشجى المؤمنين [٨٨]. [الأنبياء].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصفافات].

ذكر أهل التفسير أن الله بعث يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله ﷻ فكذبوه، وأصروا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم فركب سفينة في البحر، فلجّت واضطربت وماجت بهم، وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون؛ فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به، فلما عادوها ثانية ف وقعت عليه أيضًا، فشمّر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة الثالثة ف وقعت عليه أيضًا لما يريده الله به من الأمر العظيم، وبعث الله ﷻ حوتًا عظيمًا من البحر فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحمًا ولا يهشم له عظمًا فليس له برزق، فأخذه فطاف به البحر، ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي فخر لله ساجدًا وقال: يا رب اتخذت لك مسجدًا، لم يعبدك أحد في مثله، فأمر الله الحوت فلقاه في أرض خالية من كل أحد ومن الأشجار والظلال، وهو مريض بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ الممعوط

من البيضة؛ وأنبت الله عليه شجرة تظله بظلالها الظليل وهي باردة، ثم لطف به فأرسله إلى مئة ألف من الناس أو يزيدون، فدعاهم إلى الله فآمنوا، فصاروا في موازين أعماله، فمنعهم الله بأن صرف عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه.

من الدروس والعبر المستفادة من هذه القصة العظيمة:

أولاً: أن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

قال المفسرون: الظلمات ثلاث: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.

قال تعالى: ﴿فَإِن مَّعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح]. قال الشاعر:

وَلرَّبِّ نَازِلَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذِرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثانياً: أن تقوى الله نجاة للعبد في الدنيا والآخرة ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ ﴿٧٢﴾ [مريم].

ثالثاً: استجابة الله لدعاء المؤمن؛ فإن يونس لما دعا ربه والتجأ إليه، كشف الله عنه هذه الغمة، قال تعالى: ﴿ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

رابعاً: لطف الله تعالى بعبده؛ فإن يونس - لما قذفه الحوت على الشاطئ وهو مريض - أنبت الله له شجرة اليقطين، قال بعضهم: هي القرع ورقها في غاية النعومة وكثير وظليل، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نيئاً ومطبوخاً وبقشره وبزره أيضاً.

خامساً: قدرة الله تعالى المطلقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس]. وهو سبحانه الذي أمر الحوت أن لا يأكل له لحماً، ولا يهشم له عظماً.

سادساً: أن المؤمن قد يعاقب على ذنبه في الدنيا، قال تعالى:

(١) ص ٥٥٢ برقم ٣٥٠٥، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٥.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [١٢٣] ﴿[النساء]. وَقَالَ أَيضًا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ
مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [٣٠] ﴿[الشورى].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والأربعون

سيرة طلحة بن عبيد الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها: صحابي من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة بدر، فقد غاب عنها لعارض ما، فضرب له النبي ﷺ أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه؛ وكان من السابقين إلى الإسلام، فهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وأبلى في معركة أحد بلاء عظيمًا، حتى إن النبي ﷺ قال: «أَوْجَبَ» - يعني وجبت له الجنة -، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد يقول: هذا اليوم كله لفلان - يعني طلحة -؛ ولما قدم النبي ﷺ المدينة، آخى بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض.

إنه فارس الإسلام: طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، ويكنى أبا محمد، ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، لكرمه وجوده؛ وصفه ابنه موسى فقال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة،

مربوعاً إلى القصر هو أقرب، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين وقد لقي في بداية إسلامه أذى شديداً، فقد أخذه نوفل ابن خويلد هو وأبو بكر الصديق فشدّهما في جبل واحد، ولم يمنعهما بنو تميم، وكان يعذبهما تعذيباً شديداً، فلم يجيباه إلى ما أراد من الرجوع عن الإسلام إلى الكفر.

وكانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن أعظم تلك المواقف: ما بذله يوم أحد من دفاع عن النبي ﷺ، فقد تكاثر المشركون على النبي ﷺ، فكان يحميه بجسده عن النبال والسيوف أن تصيبه، حتى إنه جرح يوم أحد أربعاً وعشرون جراحةً، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح، وشلت أصابعه.

روى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء^(١)، وقى بها النبي ﷺ^(٢) وكان النبي ﷺ قد كسرت رباعيته^(٣)، وجرحت شفته، وسال الدم على وجهه، فجعل طلحة يكر على المشركين حتى يدفعهم عن النبي ﷺ، ثم ينقلب إلى النبي ﷺ ليرقى به إلى الجبل.

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير رضي عنه قال: «كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانٌ، فَنَهَضَ إِلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ (من الثقل والإعياء)، فَأَقْعَدَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى

(١) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٤.

(٢) شلاء أي مشلولة.

(٣) الرباعية: هي السنة التي بين الناب والثنية.

الصَّخْرَةَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» أي وجبت له الجنة^(١). وروى البخاري ومسلم من حديث أبي عثمان قال: «لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ - عَنْ حَدِيثِهِمَا -»^(٢).

ومن فضائله العظيمة: ما رواه الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث موسى بن طلحة قال: دخلتُ على معاوية فقال: ألا أبشرك؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»^(٤).

قال شراح الحديث: أي بذل نفسه في سبيل الله، حتى لم يبق بينه وبين الهلاك شيء، فهو كمن قتل وإن كان حيًّا.

وقد اشتهر رضي الله عنه بالكرم والإنفاق والبذل، لذلك: سمي طلحة الخير، وطلحة الفياض.

يقول قبيصة بن جابر رضي الله عنه: صحبت طلحة فما رأيت أعطى لجزيل مال منه من غير مسألة، وذكر الحافظ في الإصابة: «أن قتله

(١) ص ٥٨٣ برقم ٣٧٣٨، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٢.

(٣) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٣٩، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢١٦/٣) برقم ٢٩٤٠.

(٤) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٤٠، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢١٦/٣) برقم ٢٩٤٢.

كان على يد مروان بن الحكم في معركة الجمل»، روى يعقوب بن سفيان في كتابه «المعرفة والتاريخ» عن قيس بن أبي حازم: أن مروان ابن الحكم رأى طلحة، وقال: هذا ممن أعان على قتل عثمان، فرماه بسهم فأثبته في ركبته، فجعل الدم ينزف منه حتى مات^(١). قال الذهبي: نشهد الله على بغض قتلة الصحابة أمثال طلحة والزبير وعلي، ونبراً إلى الله من فعلهم، ونكل أمرهم إلى الله^(٢). اهـ.

ودخل عمران بن طلحة بعد معركة الجمل على علي بن أبي طالب فرحّب به وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك والزبير بن العوام ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر].

وكان قتله سنة ست وثلاثين من الهجرة في جمادى الآخرة، وله أربع وستون سنة.

رضي الله عن طلحة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



(١) الإصابة (٣/٢٩٢)، وقال ابن حجر: إسناده صحيح.
 (٢) تاريخ الإسلام ص ٦٥٤، عهد الخلفاء الراشدين بتصرف.

الكلمة الخامسة والأربعون

الخوف من الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجملها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ^(١)﴾ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ^(٢٧)﴾ [الطور]. وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿٤١﴾ [النازعات]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمته الله: الخوف على

أقسام:

(١) أي خائفين.

(٢) ص ٢٧٧ برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.

الأول: خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، قال تعالى عن قوم هود إنهم قالوا: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر].

وهذا الواقع من عبادة القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، فهذا محرّم؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران]. وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فكان فيما قال: «ألا لا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ: أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ» قال: فبَكَى أَبُو سَعِيدٍ، وَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهَبْنَا^(١).

الثالث: الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، وهذا لا يذم؛ قال تعالى عن نبيه موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [٢١] [القصص]. ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]. وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

(١) ص ٤٣١ برقم ٤٠٠٧، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٦٨) برقم ٣٢٣٧.

أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم؛ فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة، أعطاهم ما يرجون، وأمَّنهم من مخاوف الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر].

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم، لئلا يجاهدوهم ولا يأمرهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد، زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء]. وكلما ضعف إيمانه، قوي خوفه منهم. فدلَّت هذه الآية على أن إخلاص الخوف: من شروط كمال الإيمان^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف ما حجزك عن محارم الله^(٢)؛ قال ابن رجب الحنبلي: القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات،

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٢) مدارج السالكين (١/٥٥١).

والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾^(٦٠)؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(٢).

وقال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت؛ وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل الموت فإن الرجاء أفضل^(٣).

ويشهد لذلك: ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيَّ شَابًّا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَحْدُكُ؟» قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا

(١) التخويف من النار/ لابن رجب، ص ٢١.

(٢) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٧٩/٣) برقم ٢٥٣٧.

(٣) التخويف من النار/ لابن رجب، ص ١٦.

الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ»^(١).

وقال عمر: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا هو.

وخرج عمر يوماً إلى السوق ومعه الجارود، فإذا امرأة عجوز فسلم عليها عمر فردت عليه، وقالت: هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سمعت عمر ثم قليل فسمعت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت، فبكى عمر، فقال الجارود: لقد أجتزأت على أمير المؤمنين وأبكيته، فأشار إليه عمر أن دعها، فلما فرغ قال: أما تعرف هذه؟ قال: لا. قال: هذه خولة ابنة حكيم التي سمع الله قولها، فعمر أخرى أن يسمع كلامها - أشار إلى قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) -.

وقال عمر رضي الله عنه لما طعن: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه^(٢)؛ وقال عمر بن عبد العزيز: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً

(١) ص ١٧٧ برقم ٩٨٣، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (١/٢٨٩) برقم ٧٨٥.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٥ رقم ٣٦٩٢.

في النار ولا يبالي؛ وقال يحيى بن معاذ الرازي: على قدر حبك لله
يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق؛ وقال الإمام
أحمد بن حنبل: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب، فلا
أشتهيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والأربعون

دروس وعبر من قوله تعالى:

﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

وعملاً بالآية الكريمة: لنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [١٩٦] مَتَّعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ [١٩٧] لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ [١٩٨] [آل عمران].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب والملذات، وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً، ويُعَذَّبُونَ عليه طويلاً، وهذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه، أما المتقون لربهم المؤمنون

به: فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فلو قُدِّرَ أنهم في دار الدنيا قد حصل لهم كل بؤس وشقاء، لكان هذا - بالنسبة إلى النعيم المقيم والعيش السليم - : نزرًا سيرًا ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبَرَارِ ﴾: الذين برت أقوالهم وأفعالهم فأثابهم البر الرحيم من بره أجرًا عظيمًا وعطاءً جسيمًا وفوزًا دائمًا. اهـ (١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: ألاَّ يَغْتَرَّ المؤمن بحال هؤلاء الكفار وما هم فيه من النعمة والغبطة والسرور، فهو متاع زائل يعقبه عذاب أبدي سرمدي، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [٦١] [القصص]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [٦٦] مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [٧٠]. [يونس].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ!

هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» (١).

ثانياً: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده، ليست دليلاً على محبته، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ سَارِعٌ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ؛ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] (٢).

ثالثاً: أن إمهال الله لهؤلاء الكفار وتتابع النعم والخيرات لهم، إنما هو زيادة لهم في عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

رابعاً: أن ما يعطيه الله للكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمْ طَبِيبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالِقَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف].

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٧.

(٢) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» (١).

وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم لما ألى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فراه متكئاً على رَمْلٍ حَصِيرٍ قَدْ أَثَرَ بِجَنْبِهِ، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس، وقال: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!» (٢).

خامساً: الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَيْرٌ وَابْتَىٰ ﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿ وَرُحْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف].

سادساً: بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله؛ روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (٣).

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٨.

(٢) جزء من حديث ص ٩٦٨ برقم ٤٩١٣، وصحيح مسلم ص ٥٩٥ برقم ١٤٧٩.

(٣) ص ٣٨٣ برقم ٢٣٢٠، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٩) برقم ١٨٨٩.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس عن جانيبه، فمر بجدي أسك - أي صغير الأذن - فقال: «أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسْكُ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ اللَّهُ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث مُسْتَوْرِدِ أَخِي بَنِي فَهْرٍ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟!»^(٢).

قال أبو العتاهية وهو يصف الدنيا :

إِذَا أَبَقَتِ الدُّنْيَا عَلَى المَرءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ
 إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا بِلَاغِكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ المُسَافِرِ
 وَإِنَّ امْرءًا يَبْتَاعُ دُنْيَا بَدِينِهِ لَمُنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرِ
 أَلَمْ تَرَهَا تُرْقِيهِ حَتَّى إِذَا سَمَا فَرَتَ حَلْقَهُ مِنْهَا بِمُدِيَةٍ^(٣) جَازِرِ
 وَلَا تَعْدِلُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَدَى اللَّهِ أَوْ مِعْشَارَ زَغْبَةٍ^(٤) طَائِرِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ١١٨٧ برقم ٢٩٥٦.

(٢) ص ١١٤٦ برقم ٢٨٥٨.

(٣) المُدِيَةُ: السكين.

(٤) زغبة طائر: الزغب صغار الريش، الواحدة زغبة، المعجم الوسيط ص ٣٩٤.

الكلمة السابعة والأربعون

أمراض القلوب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإنه ينبغي للمؤمن أن يعتني بسلامة قلبه وصحته من الأمراض، فإن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان، وهذا القلب هو محل نظر الله ﷻ لعبده، والجوارح تبع لصلاح القلب وفساده.

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۗ ﴾ [النور]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ» (١).

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٢).

(١) ص ١٠٣٥ برقم ٢٥٦٤.

(٢) ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩، وصحيح البخاري ص ٣٤ برقم ٥٢.

فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتباعه للشبهات بحسب صلاح قلبه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والشبهات بحسب اتباع هوى القلب؛ ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره يتابعونه في كل شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود سالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا»^(١). فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله وخشية ما يباعد منه^(٢).

والقلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قلب سليم، وقلب ميت، وقلب

مريض.

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٣٨/٢٨) برقم ١٧١١٤، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه.

(٢) جامع العلوم والحكم / لابن رجب، ص ٩٤ - ٩٥.

فالقلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «هو الذي سلم من الشرك والغل، والحقد والحسد، والشح والكبر، وحب الدنيا والرياسة، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، ومن كل شبهة تعارض خبره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله» (١).

القلب الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبد به وأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، وهذا هو قلب الكافر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ؕ أُولَئِكَ كَأَلْفِئَةٍ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف].

القلب الثالث: قلب له حياة وبه علة، فله مادتان تمده: هذه مرة وتمده هذه مرة أخرى، وهو لما غلبه عليه: وهو قلب المنافق وصاحب الهوى، قال تعالى عن الأصناف التالية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا

بِهِ فَتُخِيتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الحج].

ومن علامات مرض القلوب: إيثار الدنيا على الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

ومنها: القلق والخوف، قال تعالى: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا ارْغَبُوا أَلْزَمُوا بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ﴿١٥١﴾ [آل عمران].

ومنها: هوان القبائح عليه والرغبة في المعاصي، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الجاثية].

ومنها: الشعور بقسوة القلب. قال بعض السلف: ما ضرب الله عبداً بعقوبة، أعظم من قسوة القلب، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قَسْوَةٌ ﴿٧٤﴾ [البقرة]. وعلاج هذه الأمراض - أعني أمراض القلوب -:
 التوبة الصادقة والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، ففيهما الشفاء
 والنور؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
 دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ
 مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾
 [يونس].

وهذه القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، فينبغي للمؤمن أن يسأل
 ربه أن يثبتته على الإيمان والطاعة.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة رضي الله عنها:
 تحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكثر في دعائه أن يقول: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ
 الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالت: قلت يا رسول الله، أو إن
 القلوب لتتقلب؟! قال: «نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقٍ لِلَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا
 أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ، وَإِنْ
 شَاءَ اللَّهُ أَزَاغَهُ، فَسَأَلَ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسَأَلُهُ
 أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢٠١/٤٤) برقم ٢٦٥٧٦، وقال محققوه: بعضه صحيح بشواهده.

الكلمة الثامنة والأربعون

العشرة الزوجية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأمور التي اهتم بها الإسلام: أمر الأسرة داخل البيت وخارجه، ونظراً لأن أساس الأسرة الزوج والزوجة، فقد شرع لهما شرائع وحد لهما حدوداً وأوجب عليهما أموراً متى ما قام بها الزوجان صلحت الأسرة وسعدت، ومن ثم صلح المجتمع كله، وأشير هنا إلى بعض المعالم التي يهتدي بها الزوجان لإقامة الحياة الزوجية وإصلاحها.

فمن ذلك أن الله ﷻ خلق المرأة من الرجل ليناسبها فيسكن إليها وتم بذلك النعمة ويحصل بذلك السرور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

قال ابن كثير: «وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فراها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٣٣).

«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ» (١) ... الحديث.

ومن ذلك أن الله ﷻ جعل المرأة سكناً للرجل، قال تعالى:
 ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ فكما أن الإنسان يتخذ المسكن ليستتر به ويتقي به الحر والبرد وغير ذلك، فإن الزوجة تكون سكناً لزوجها ليطمئن إليها ويجد في قربها الأنس والراحة.

ومن ذلك أن الزوجين ستر لبعضهما ووقاية وجمال، وقد عبر عن ذلك ربنا ﷻ بهذا التعبير البليغ الجميل فقال: ﴿ هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن ذلك إكرام المرأة وعدم إهانتها أو تحقيرها، وقد أمر الله ﷻ أن يسكنها حيث يسكن وأن يطعمها مما يطعم ويكسوها إذا اكتسى، قال الله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق: ٦]، وقال النبي ﷺ عندما سأله معاوية بن حيدة ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكَتَسَيْتَ - أَوْ: اكَتَسَبْتَ - وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» (٢).

ومن ذلك المودة والرحمة بينهما، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(١) ص ٦٣٥ برقم ٣٣٣١، صحيح مسلم ص ٥٨٦ برقم ١٤٦٨.

(٢) سنن أبي داود ص ٢٤٣ برقم ٢١٤٢، قال أبو داود: ولا تقبح: أن تقول قَبْحِكِ اللَّهُ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٢/٢) برقم ١٨٧٥.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم].

قال أبو الأسود الدؤلي :

خُذِي الْعَفْوَ مِني تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَعْضَبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ومن المعالم التي يُهتدى بها في إصلاح الحياة الزوجية أن ما بينهما من حقوق وما يلزمهما من واجبات كل ذلك مبني على ما تعارف عليه الناس من كرائم الأخلاق وجميل الصفات حسب ما جرى به العرف في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال النبي ﷺ لهند بنت عتبة: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ»^(١)، وقد نص تعالى على أن للمرأة حقوقاً لزوجها وأن لها مثل الذي عليها مع اختصاص الرجل بالدرجة دونها، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد بين تعالى هذه الدرجة في آية أخرى فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، ومع أن هذه الحقوق والواجبات مبنية على ما جرت به عادات الناس الكريمة كما سبق بيانه فإن النصوص الشرعية قد نصت على أمور يجب التنبه لها وعدم الغفلة عنها، فمن ذلك:

أولاً: أن على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية الله، قال

(١) صحيح البخاري ص ١٠٦٢ برقم ٥٣٦٤، وصحيح مسلم ص ٧١٢ برقم ١٧١٤ .

تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اطَّعَنَكُم فَلَا تُبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»^(١)، وفي رواية: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كُنْتُ امْرَأًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا كُلَّهُ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا عَلَيْهَا كُلَّهُ، حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده أن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(٤).

ثانياً: التحبب والتودد إليه ، وتفقد حاجاته وخدمته في بيته

(١) ص ٦٢١ برقم ٣٢٣٧، وصحيح مسلم ص ٥٧٠ برقم ١٤٣٦.

(٢) صحيح مسلم ص ٥٧٠ برقم ١٤٣٦.

(٣) (١٤٥/٣٢) برقم ١٩٤٠٣، وقال محققوه: حديث جيد.

(٤) (١٩٩/٣) برقم ١٦٦١، وقال محققوه: حسن لغيره.

وتربية أولاده، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (١).

وقد وصفت المرأة الصالحة في حديث آخر رواه النسائي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَرَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (٣).

قال النووي رحمه الله: وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور، فلا يفوته بتطوع، ولا بواجب على التراخي (٤).

وقد ضربت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أروع الأمثلة في ذلك عندما كانت تتأخر بقضاء الصيام من شهر رمضان حتى يأتي شهر شعبان، وقد عللت ذلك بقولها: أنشغل من رسول الله ﷺ أو برسول الله ﷺ (٥).

(١) ص ٥٨٥ برقم ١٤٦٧.

(٢) ص ٣٤٢ برقم ٣٢٣١، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح (٩٧٦/٢) برقم ٣٢٧٢.

(٣) ص ١٠٢٩ برقم ٥١٩٥، وصحيح مسلم ص ٣٩٥-٣٩٦ برقم ١٠٢٦.

(٤) شرح صحيح مسلم (٣/١١٥).

(٥) صحيح البخاري ص ٣٧٠ برقم ١٩٥٠، وصحيح مسلم ص ٤٤٢ برقم ١١٤٦.

ثالثاً: حفظها نفسها والابتعاد عن كل ما يدخل الشكوك عليه، روى الترمذي في سننه من حديث عمرو بن الأحوص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ»^(١).

رابعاً: عدم الخروج إلا بإذنه حتى لو كان ذلك إلى المسجد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَذْنُوا لَهُنَّ»^(٢).

نقل ابن حجر عن النووي قوله: استدل به على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجه الأمر إلى الأزواج بالإذن، وتعقبه ابن دقيق العيد بأنه إن أخذ من المفهوم فهو مفهوم لقب وهو ضعيف لكن يتقوى بأن يقال: إن منع الرجال نساءهم أمر مقرر، وإنما علق الحكم بالمساجد لبيان محل الجواز فيبقى ما عداه على المنع، وفيه إشارة إلى أن الإذن المذكور لغير الوجوب لأنه لو كان واجباً لانتفى صفة الاستئذان لأن ذلك إنما يتحقق إذا كان المستأذن مخيراً في الإجابة أو الرد^(٣) اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عند شرحه حديث: «اسْتَوْصُوا

(١) ص ٢٠٧ برقم ١١٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) ص ١٧٥ برقم ٨٦٥، وصحيح مسلم ص ١٨٧ - ١٨٨ برقم ٤٤٢.

(٣) فتح الباري (٢/٣٤٧-٣٤٨).

بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»^(١). فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة^(٢).

كما أن على الزوج مع ما سبق ذكره التنبه لهذه الأمور التالية:

١- إيفائها مهرها الذي استحل به فرجها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

٢- الإنفاق عليها بطيب قلب وسخاء نفس، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال النبي ﷺ لسعد رضي الله عنه: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرْتَ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»^(٣).

٣- ترك مضاررتها وعدم إهانتها بقول أو فعل، قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

٤- إكرامها والثناء عليها فيما تقوم به من خدمة وتربية وغيرها، والتجاوز عن هفواتها، قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٤).

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي ص ٢٠٧ برقم ١١٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ومعنى قوله: (عوان عندكم) يعني: أسرى في أيديكم.

(٢) الفتاوى (٢٦٣/٣٢).

(٣) صحيح البخاري ص ١١٣ برقم ٥٦٦٨؛ وصحيح مسلم ص ٦٦٧ - ٦٦٨ برقم ١٦٢٨ واللفظ له.

(٤) سنن الترمذي ص ٦٠١ برقم ٣٨٩٥، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي آدَابِ الزَّفَافِ ص ٢٦٩.

قال الشاعر يمدح امرأة :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
فَمَا التَّانِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَيْلِ

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(١).

٥- إيعانتها على دينها وحثها على الخير وتعليمها ما ينفعها، فعلى سبيل المثال لا يدخل عليها شيء من آلات الطرب والأجهزة الإعلامية التي تبث الفساد وتنشر الرذيلة، وتهدم الأخلاق الفاضلة، وأن يتعاهدها بالحجاب، ويأمرها بأداء الصلاة في أوقاتها وسائر العبادات الأخرى ويعلمها الأخلاق الكريمة والآداب الإسلامية وغيرها من الأمور الشرعية، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم الخير، والحقوق والواجبات بين الزوجين كثيرة جداً، منها الواجب ومنها المستحب وما بين ذلك إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه في ختام هذه الكلمة أن على الزوجين أن يلتزم كل واحد منهما بالقيام

بما فرض الله عليه من الواجبات والحقوق تجاه الآخر، فلا تطلب الزوجة مثلاً أن تُساوي الرجل في جميع حقوقه، ولا يستغل الرجل ما فضله الله تعالى به عليها من السيادة والرياسة فيظلمها ويضربها بدون حق، قال تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) [البقرة: ٢٢٨].

قال شريح القاضي :

رَأَيْتُ رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَسُلِّتَ يَمِينِي حِينَ أَضْرَبُ زَيْنَبَ
أَضْرِبُهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ فَمَا الْعَدْلُ مِنِّي ضَرْبٌ مِنْ لَيْسَ مُذْنَبًا
وَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ كَوْكَبًا

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: آداب الزفاف للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٦٩ .

الكلمة التاسعة والأربعون

أضرار المخدرات والمسكرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

في هذه الآية الكريمة يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة ويخبر أنها من عمل الشيطان وأنها رجس والخمر كل ما خامر العقل أي غطاه بسكره.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: فدعي عمر فقرأت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: «أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانٌ»، فدعي عمر فقرأت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرأت عليه، فلما بلغ

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (١) قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا (١).

ولا شك أن الجميع يعرف أن الخمر وجميع المخدرات والمسكرات حرام ولكني انطلق في الكلام عن هذا الموضوع لحديث وجدته عن النبي ﷺ يقول فيه فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَّ» (٢) وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ» (٣).

فقوله: يستحلون تشير إلى أنه سيأتي أقوام لا يباليون بما حرم الله عليهم بل يتخذونه حلالاً كحل الطيبات. ومما جاء في الوعيد الشديد لمن شرب الخمر ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ - وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذَّرَّةِ يُقَالُ لَهُ: الْمَزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ

(١) (١/٤٤٣) برقم ٣٧٨ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) أي الزنا.

(٣) ص ١١٠١ برقم ٥٥٩٠.

(٤) ص ٨٣١ برقم ٢٠٠٣.

يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)،
وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُ، وَالذَّيْوُثُ
الَّذِي يُقَرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبْثُ»^(٢).

وشارب الخمر ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم روى أبو داود في
سننه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ: وَشَارِبَهَا
وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ
إِلَيْهِ»^(٣).

والخمر أم الخبائث، ومفتاح كل شر وفساد، ويلحق بالخمر
جميع أنواع المخدرات من الحشيش والكوكايين، والأفيون،
والهروين، وكذلك الحبوب التي دمرت كثيراً من شباب المسلمين
اليوم يدسها الأعداء لإضعاف قوة المسلمين، وإبعادهم عن دينهم،
مع أن هذه الحبوب حتى عند المجتمعات الكافرة ممنوعة ومتعاطيها
إن استمر عليها فلا بد أن يصيبه الجنون وهذا مشاهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن الحشيشة حرام يحد
متناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة
أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير
ذلك من الفساد، وقال في موضع آخر: هذه الحشيشة الملعونة هي

(١) ص ٥٤ برقم ٥٧ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٤٦٧ برقم ٢٤٧٥.

(٢) (١٠/٢٦٥) برقم ٦١١٣ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) ص ٤٠٦ برقم ٣٦٧٤.

وآكلوها ومستحلوها موجبة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين، المعرضة صاحبها لعقوبة الله، تشمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه تفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين، وتورث مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك، ما لا تورث الخمر ففيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولى، وقد أجمع المسلمون على أن المسكر منها حرام، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل مرتداً لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وأن القليل منها حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر»^(١) ١ هـ .

قال الشاعر:

قُلْ لِمَنْ يَأْكُلُ الْحَشِيشَةَ جَهْلًا عِشْتَ فِي أَكْلِهَا بِأَفْبَحِ عِيشَةٍ
قِيَمَةُ الْمَرءِ جَوْهَرٌ فَلِمَاذَا يَا أَخَا الْجَهْلِ بَعْتَهُ بِحَشِيشَةٍ

وقال قيس بن عاصم المنقري:

رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً وَفِيهَا خِصَالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْحَلِيمَا
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا صَحِيحًا وَلَا أَسْقِي بِهَا أَبَدًا سَقِيمًا
وَلَا أُعْطِي بِهَا ثَمَنًا حَيَاتِي وَلَا أَدْعُو لَهَا أَبَدًا نَدِيمًا
فَإِنَّ الْخَمْرَ تَفْضُحُ شَارِبِيهَا وَتَجْنِيهِمْ بِهَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَا

أما الأضرار والمآسي والقصص المحزنة التي حدثت بسبب المخدرات والمسكرات فهي معروفة لدى الجميع، بل إن النبي ﷺ

(١) الفتاوى (٢١٣/٣٤) بتصرف.

حرم التداوي بالخمير وما شابهها من المخدرات والمسكرات لأن الله تعالى لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا. روى مسلم في صحيحه من حديث طارق بن سويد: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ؟ فَهَأُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» (١).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً وهو يحتضر، فجعل يلقن الشهادتين، فيأبى ويقول: هو كافر بها، قال: فسالت عنه فإذا هو مدمن خمر.

وأختم بالتذكير بعظم الأمانة والمسؤولية الملقاة على الآباء والمسؤولين فإن هذه الفتنة قد كثرت وانتشرت حتى في بلاد المسلمين واضطرت الحكومات والدول أن تنشئ لها المصحات والمستشفيات.

وقد تبين أن من أعظم أسباب الوقوع فيها إهمال أولياء الأمور من الآباء والأمهات مراقبة الأولاد وضعف التربية وترك المجال لهم لمصاحبة رفقاء السوء، ودعاة الرذيلة، فليحذر من ذلك وليؤخذ بأسباب النجاة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخمسون

دروس وعبر من قصة استشهاد الخليفة عمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وهو يقول: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أُصيب، وكان إذا مر بين الصفيين قال: استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعه يقول: قتلني، أو أكلني الكلب. حين طعنه فطار العُجج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرُئساً، فلما ظن العُجج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من

قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال: إن شئت فعلتُ، أي: إن شئت قتلنا قال: كذبت بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم.

فاحتُمِل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتِي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتِي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببُشرى الله لك، من صُحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلمَّا أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردّوا عليّ الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنّه أبقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستّة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها

قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسِي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادخلوني، وإن ردّتي ردّوني إلى مقابر المسلمين^(١).

أولاً: رحمته ﷺ بالأمة وشفقته عليها القريب منهم والبعيد وها هو ﷺ يريد أن يرتب أموراً يستغني بها الضعفاء كالنساء اللاتي لا يستطعن إيصال حوائجهن إليه، ويكفون بها عن الاحتياج إلى غيره. ثانياً: حرص عمر أن يكون قاتله على غير الإسلام، وهذا من رحمته خوفاً أن يقتله مسلم فيهلك، فلما كان قاتله غير مسلم فرح بذلك وحمد الله.

روى البخاري في صحيحه أن عمر كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»^(٢). وجاء في رواية أخرى أن كعب الأحبار قال: يا أمير المؤمنين إنني أراك تقتل في التوراة شهيداً في جزيرة العرب فقال له: «يا كعب وأنى لي الشهادة في جزيرة العرب»^(٣).

(١) ص ٧٠٧ برقم ٣٧٠٠.

(٢) ص ٣٥٩ برقم ١٨٩٠.

(٣) ذكره ابن الجوزي في مناقب عمر ص ٢١٢.

ثالثاً: فضل عمر وكرامته على الله حيث استجاب الله دعاءه ورزقه الشهادة في المدينة مع أنه لا يخطر على البال أن يكون شهيداً لأنها دار الإسلام وليست بدار حرب.

رابعاً: شدة ورعه وخوفه من الله فمع ثناء الناس عليه وعلمه بما قدم في الإسلام إلا أنه لم يغتر بذلك وتمنى أن ذلك كفافاً لا له ولا عليه بل إنه قال: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه^(١).

خامساً: حرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمع أنه في سكرات الموت إلا أن ذلك لم يثنه عن النصيحة فإنه لما دخل عليه الشاب المسبل إزاره وأثنى عليه قال له: يا ابن أخي ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك.

سادساً: زهد عمر وعزوفه عن الدنيا، فمع أنه أمير المؤمنين إلا أنه فارق الحياة وهو مثقل بالدين يوصي بقضائه.

سابعاً: تواضع عمر فعندما أرسل ابنه عبد الله إلى عائشة لم يقل: أمير المؤمنين وإنما قال: يقرأ عليك عمر السلام.

ثامناً: اهتمامه بالصلاة وإتقانها فمع أنه في سكرات الموت إلا أنه قدم عبد الرحمن بن عوف ليتم الصلاة بالمسلمين.

تاسعاً: اهتمامه بتسوية الصفوف في الصلاة، وهذه سنة ينبغي على أئمة المساجد أن يحرصوا عليها.

(١) صحيح البخاري: ص ٧٠٥ برقم ٣٦٩٢.

عاشراً: حرصه على تطبيق السنة في إطالة القراءة في صلاة الفجر فقد كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بطوال المفصل.

الحادي عشر: حرصه على قضاء دينه ووصيته بذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدُّرُورُ الْمُنْقَذَةُ

مِنْ

الكَلِمَاتِ الْمُبْقَاةِ

فُرُوسِ يَوْمِيَّةٍ

(١٠٠) دَرَسٍ لِلشُّعَاةِ وَالخُطَبَاءِ وَأُمَّةِ الْمَسَاجِدِ لِلقِرَاءَةِ عَلَى الْمَصَلِّينِ

إِعْدَادُ

و. أَمِينُ بَرِّ عَبْدِ اللَّهِ الشَّقَاوِي

الجزء الخامس

الكلمة الواحدة والخمسون

القتل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فإن من أعظم الذنوب عند الله وأشدّها جرماً في الدنيا والآخرة بعد الشرك بالله القتل.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴾ [الفرقان]. وقد جعل سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار وغضب الجبار، ولعنته، وإعداد العذاب العظيم له، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ»، أَوْ قَالَ: «وَشَهَادَةُ الزُّورِ»^(١).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حال المؤمن بخير ما لم يصب دماً حراماً،

(١) ص ١٣١٠ برقم ٦٨٧١، ومسلم ص ٦٣ برقم ٨٨ بدون قوله: «أكبر الكبائر».

فروى البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»^(١). والدماء هي أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؛ روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»^(٢). وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَقَاتِ: - وَذَكَرَ مِنْهَا -: وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^(٣). وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٤).

والمعاهد من له عهد مع المسلمين سواء أكان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان مسلم.

قال ابن القيم: هذه عقوبة قاتل عدو الله إذا كان معاهداً في عهد وأمان فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن، وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً وعطشاً فرأها النبي ﷺ في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها، فكيف عقوبة من حبس مؤمناً حتى مات بغير جرم؟! وفي سنن النسائي من حديث عبد الله

(١) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٢.

(٢) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٤ وصحيح مسلم ص ٦٩٥ برقم ١٦٧٨.

(٣) ص ١٣٠٨ برقم ٦٨٥٧ وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٤) ص ١٣١٨ برقم ٦٩١٤.

ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (١)(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بِغَيْرِ حِلِّهِ» (٣).

وقد كثرت حوادث القتل في وقتنا المعاصر وللأسف، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك غاية التحذير؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٥).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن القتل من علامات الساعة؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ (٦).

(١) ص ٤٢١ برقم ٣٩٨٧، صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ٨٣٩) برقم ٣٧٢٢.

(٢) الجواب الكافي ص ١٠٤.

(٣) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٣.

(٤) ص ٣٠ برقم ٣٢، وصحيح مسلم ص ١١٥٧ برقم ٢٨٨٨.

(٥) قطعة من حديث ص ٣٣١ برقم ١٧٣٩، وصحيح مسلم ص ٦٩٥ برقم ١٦٧٩.

(٦) ص ٨٣ برقم ٨٥، وصحيح مسلم ص ١٠٧١ برقم ٢٦٧٢.

ولعل من أسباب القتل الذي كثر كما تقدم :

المشاجرة والخصام التي تحدث بين الطرفين، وتؤدي في النهاية إلى القتل، والشيطان يوجب ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٢).
ومنها الرغبة في الحصول على المال بأي طريقة كانت، فكم من حوادث قتل واختطاف واقتحام لبيوت المسلمين كل ذلك من أجل المال.

روى الترمذي في سننه من حديث عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٣).

ومنها استعمال الخمر والمخدرات فكم من أعراض قد انتهكت، وكم من دماء قد سفكت، وكم من أرحام قد قطعت بسببها،

(١) ص ١١٣١ برقم ٢٨١٢.

(٢) ص ٥٧ برقم ٦٤، وصحيح مسلم ص ٥٧ برقم ٦٤.

(٣) ص ٣٨٥ برقم ٢٣٣٦.

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [المائدة].

ومنها قلة الخوف من الله، فإن تقوى الله تبعث على فعل الطاعات وترك المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة، فكيف بالقتل؟! وهو من أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ [الأنعام]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» وذكر منها: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» ^(١).

ومنها اعتناق الأفكار الضالة التي تسوغ له الإقدام على قتل أخيه المسلم واستحلال دمه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١].

والأسباب كثيرة لمن أراد التبع والتقصي في ذلك.

وليعلم المؤمن أن القتل من أعظم الظلم عند الله، ولن يفلت القاتل من عقوبة الله تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ﴿٣٣﴾ [الإسراء]. قال ابن كثير: أي إن الولي منصور على القاتل شرعاً، وغالباً قدرأ ^(٢). اهـ.

(١) ص ١٣٠٨ برقم ٦٨٧٥، وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٩).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيئُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْحَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ؛ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٨٢ برقم ٣٠٢٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٤٠/٣) برقم ٢٤٢٥.

الكلمة الثانية والخمسون

شرح اسم الله الرزاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم: الرزاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥٨) [الذاريات]. وقال تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١١٤) [المائدة].

قال الخطابي: الرزاق هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيل له ولا مكتسب فيه كما يسوق إلى الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سبحانه: ﴿وَكَايُنَ مَنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]^(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦.

(٢) شأن الدعاء ص ٥٤.

عَلَى اللَّهِ رِزْقَهَا ﴿٦﴾ [هود: ٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ورزقه لعباده نوعان:

الأول: رزق عام شمل البر والفاجر والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان.

ثانياً: رزق خاص: وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته^(١).

وهذا أعظم رزق يمن الله به على العبد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ...» الحديث^(٢).

فإذا رزق الله العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه فقد تمت أموره واستقامت أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحته النصوص النبوية^(٣). اهـ.

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٣٠٢/٥).

(٢) البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٥، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الأدب المفرد

٢٠٩: صحيح موقوف في حكم المرفوع.

(٣) المجموعة الكاملة للشيخ السعدي (٣٨٨/٣).

ولذلك روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن المتفرد بالرزق هو الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١].

أي أمن هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك ربكم رزقه الذي يرزقكم.

وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

ثانياً: أنه ينبغي للعبد أن يعلق رجاءه بالله وحده وأن الله إذا قدر له سبباً من أسباب الرزق أن يحمدّه على ذلك ويسأله أن يبارك له فيه، فإذا انقطع أو تعذر ذلك السبب فلا يتشوش قلبه فإن هذا السبب لا يتوقف رزق العبد عليه بل يفتح له سبباً غيره وأحسن منه

(١) ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٤.

(٢) ص ١٢١٨ برقم ٦٣٣٠، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ برقم ٥٩٣.

وأُنفَع، وربما فتح له عدة أسباب، فعليه في أحواله كلها أن يجعل فضل ربه، والطمع في بره نصب عينيه وقبلة قلبه ويكثر من الدعاء المقرون بالرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) [آل عمران] (١).

وعليه أن يفرغ خاطره لله بما أمر به ولا يشغله بما ضمن له فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا تأمل العاقل اللبيب حال الناس في هذا الزمان تراهم يهتمون بما ضمنه الله لهم ولا يهتمون بما أمرهم به، ويفرحون بالدنيا ويحزنون على فوات حظهم منها ولا يحزنون على فوات الجنة وما فيها ولا يفرحون بالإيمان فرحهم بالدرهم والدينار» (٣). اهـ.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذَهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً
وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْغَوَامِقُ
وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

وقال آخر:

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥١.

(٢) فوائد الفوائد ص ٨٢.

(٣) الفوائد ص ٢٢٨.

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُنَالُ بِفِطْنَةٍ وَفَضْلٍ وَعَقْلٍ نِلْتُ أَعْلَى المَرَاتِبِ
وَلَكِنَّمَا الأَرْزَاقُ حِطٌّ وَقِسْمَةٌ بِفَضْلِ مَلِيكَ لا بِحِيلَةٍ طَالِبِ

ثالثاً: أن الله سبحانه متحكم في أرزاق عبادة فيجعل من يشاء غنياً كثير الرزق، ويقتصر على آخرين وله في ذلك حكم بالغة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً ﴾ [الإسراء: ٣٠]. قال ابن كثير: «أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً والفقر عقوبة عياداً بالله من هذا وهذا» (١). اهـ.

وإن من العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنى فإن أصابه الفقر فسد حاله ومنهم العكس.

رابعاً: كثرة الرزق في الدنيا لا تدل على محبة الله تعالى ولكن الكفار بجهلهم ظنوا ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥]. فظن هؤلاء الكفار أن كثرة الأموال والأولاد دليل على محبة الله لهم فرد الله ذلك بقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ۖ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٦]. [المؤمنون].

خامساً: أن أسباب الرزق إنما تنال بطاعة الله، فبعض الناس يتعامل بالربا أو بأكل أموال الناس بالباطل، أو الغش أو التحايل

(١) تفسير ابن كثير (٨/٤٧٩).

أو يتعامل بطرق محرمة أو مشبوهة، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. روى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

سادساً: أن من أعظم أسباب الرزق التوكل على الله روى الترمذي في سننه عن عمر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٢).

قال ابن رجب: «فقد دل هذا الحديث على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فكذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب ويجهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق إلى الطير أرزاقها»^(٣) بمجرد الغدو والرواح وهو نوع

(١) حليه الأولياء (٢٧/١٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٤٢٠) برقم ٢٠٨٥.

(٢) سنن الترمذي ص ٣٨٦ برقم ٢٣٤٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٢/١١١١) برقم ٦٥١٦.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

من الطلب ولكنه سعي يسير^(١). اهـ.
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: الأسماء الحسنى والصفات العلى، لأخينا الشيخ عبد الهادي بن حسن وهبي،
ص ٥٢ - ٦٠.

الكلمة الثالثة والخمسون

ما ينتفع به الميت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس]. قال سعيد بن جبير: «ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فإن كانت خيراً فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئاً»^(١). روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

فتبين من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الميت ينتفع من عمل غيره بأمور.

أولاً: دعاء المسلم له لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر].

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٤٨).

(٢) ص ٦٧٠ برقم ١٦٣١.

روى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكَ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»^(١).

وهذا يشمل دعاء المسلم لأخيه الغائب حياً أو ميتاً.

ثانياً: قضاء ولي الميت الصوم عنه وفيه أحاديث:

منها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ فَتَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا فَتَجَّاهَا اللَّهُ فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ فَجَاءَتْ ابْنَتُهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا»^(٣).

فهذه الأحاديث صريحة الدلالة في مشروعية صيام الولي عن الميت صوم النذر وقد اتفق العلماء على ذلك واختلفوا فيما سواه.

ثالثاً: قضاء الدين عنه من أي شخص ولياً كان أو غيره.

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر بن عبد الله قال: مات رجل فغسلناه وكفنناه وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث

(١) ص ١٠٩٤ برقم ٢٧٣٣.

(٢) ص ٣٧٠ برقم ١٩٥٢، وصحيح مسلم ص ٤٤٢ برقم ١١٤٧.

(٣) ص ٣٧٢ برقم ٣٣٠٨، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٣٥) برقم ٢٨٢٩.

توضع الجنائز عند مقام جبريل ثم أذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه فجاء معنا خطي ثم قال: «لَعَلَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ دَيْنًا» قالوا: نعم ديناران، فتخلف وقال: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»، فقال له رجل منا يقال له: أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هُمَا عَلَيْكَ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ» فقال: نعم، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبو قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، فقال: «الآن حِينَ بَرَّدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ»^(١) أي بسبب رفع العذاب عنه بعد وفاته.

فأفاد هذا الحديث أن الميت ينتفع بقضاء الدين عنه ولو كان من غير ولده، وأن القضاء يرفع العذاب عنه فهي من جملة المخصصات لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] (٢).

رابعاً: ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة فإن لوالديه مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعيهما وكسبهما والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم].

روى أحمد في مسنده من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»^(٣).

(١) مستدرک الحاکم (٢/ ٣٧٠) برقم ٢٣٩٣، ومسند الإمام أحمد (٤٠٦/٢٢). وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) أحكام الجنائز للألباني ص ٢٨.

(٣) (٣٤/٤٠) برقم ٢٤٠٣٢ وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: ويؤيد ما دلت عليه الآية والحديث أحاديث خاصة وردت في انتفاع الميت بعمل ولده الصالح: كالصدقة والصيام والعتق والحج ونحوه^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأَظْنُهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٢).

وفي رواية: فلي أجر أن أتصدق عنها؟ قال: «نعم»^(٣).

خامساً: ما خلفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية لقوله تعالى: ﴿وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ...»^(٤).

ولقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشْرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُضْحَفًا وَرَثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»^(٥).

(١) أحكام الجنائز ص ٢١٧.

(٢) ص ٢٧٠ برقم ١٣٨٨، وصحيح مسلم ص ٣٨٨ برقم ١٠٠٤.

(٣) صحيح مسلم ص ٦٦٩ برقم ١٤٠٠.

(٤) صحيح مسلم ص ٦٧٠ برقم ١٦٣١.

(٥) ص ٤١ برقم ٢٤٢، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ (٦/٢٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/١٢٨): إسناده صحيح.

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٣ برقم ١٠١٧.

(٢) انظر أحكام الجنائز للألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٢١٣ - ٢٢٦.

الكلمة الرابعة والخمسون

قضاء الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر رضي الله عنه قال: مات رجل فغسلناه وكفناه وحنظناه ووضعناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث توضع الجناز عند مقام جبريل ثم أذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فجاء معنا خطي ثم قال: «لَعَلَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ دِينًا» قالوا: نعم ديناران، فتخلف فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله يقول: «هُمَا عَلَيَّ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ» فقال: نعم فصلى عليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقي أبا قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآنَ حِينَ بَرَّدْتَ عَلَيْهِ جِلْدَهُ»^(١).

هذا الحديث وغيره من الأحاديث تدل على عظم شأن الدين وأنه لا يتساهل فيه وأنه خطير جداً فمع أن الدين كما في الحديث السابق لا يتجاوز درهمين إلا أن الميت لحقه كرب وشدة في قبره حتى يُقضى دينه.

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٧٠) برقم ٢٣٩٣، ومسند الإمام أحمد (٢٢/٤٠٦). وقال محققوه: إسناده حسن.

وكان النبي ﷺ يمتنع عن الصلاة على الميت المدين في بداية الإسلام لعظم شأن الدين، فلما فتح الله عليه الفتوح وكثرت الأموال صلى على من مات مديوناً وقضى عنه دينه.

والمؤمن نفسه معلقه بدينه حتى يُقضى عنه. روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(١).

قال الشوكاني: فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه حتى يُقضى عنه وهذا مقيد بمن له مال يقضى منه دينه، وأما من لا مال له ومات عازماً على القضاء فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله يقضي عنه^(٢).

والمؤمن قد يحبس عن الجنة بدينه: روى أبو داود في سننه من حديث سمرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ». فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ». فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَمَا إِنِّي لَمْ أَتُوهُ بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ». فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ^(٣). وفي رواية: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي

(١) ص ١٩١ برقم ١٠٧٨، ١٠٧٩، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٧٧٩.

(٢) نيل الأوطار (٥٣/٢).

(٣) ص ٣٧٥ برقم ٣٣٤١، وصححه الألباني رحمته في أحكام الجنائز ص ٢٦.

مَاتَ فِيكُمْ قَدْ اخْتَبَسَ عَنِ الْجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ الدَّيْنِ الَّذِي عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَاذُدُّوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ»^(١).

والشَّهيد تكفر عنه ذنوبه كلها إلا الدين. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمد بن عبد الله بن جحش: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِلَّا الدَّيْنَ سَارَّيْنِي بِهِ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آتِفًا»^(٣)، لأن دين الآدمي لا بد من إيفائه إما في الدنيا وإما في الآخرة، وحقوق العباد لا تسقط إلا بتنازلهم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والدين خطير جداً وهو هم بالليل وذل بالنهار فالإنسان مهما أمكنه يجب أن يتحرز من الدين وأن لا يسرف في الإنفاق، لأن كثيراً من الناس تجده فقيراً ثم يريد أن ينفق نفقة الأغنياء فيقترض من هذا ويقترض من هذا، ولو لم يكن لك إلا وجبة واحدة بالليل والنهار فلا تقترض واصبر وقل: اللهم أغني، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]^(٤).

(١) مستدرک الحاکم (٣٢٣/٢) برقم ٢٢٦١، وقال الحاکم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. قلت: ويشهد له ما قبله.

(٢) ص ٧٨٥ برقم ١٨٨٦ .

(٣) (٢٨/٤٩١ - ٤٩٢) برقم ١٧٢٥٣ . وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣٦٦/٥).

ومن الأمثلة على التساهل بالدين أن بعض الناس يقترض عشرات الآلاف من الريالات وليته لأمر ضروري إما للتجارة أو للتعامل بالأسهم، ثم يخسر هذا المسكين، وقد يدخل السجن من أجل هذا وتتراكم هذه الديون الضخمة على رقبته، فيعيش مهموماً حزيناً طول عمره وذمته مشغولة بهذا الدين، وما حوادث الأسهم الماضية عنا ببعيد فقد حصل فيها من المآسي ما يندى له الجبين ويتفطر منه القلب، كل ذلك بسبب ضعف الدين، وقلة المبالاة، لأن الدين لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله.

وينبغي للدائن عند إقراضه للآخرين أن يراعي الأمور التالية:

١- أن يُقرض من طيب ماله لا من رديئه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا

الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢- أن يحتسب الأجر بهذا الدين وألا يمن به فإن المن سبب

لإحباط أجره، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ

وَالْأَذَى﴾ [المائدة: ٢٦٤]، فإن أجر الدين كالصدقة، فقد روى الإمام

أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ

السَّلَفَ يَجْرِي مَجْرَى شَطْرِ الصَّدَقَةِ»^(١).

٣- أن يُنظر المدين ويخفف عنه الدين إذا رأى منه العسر

والرغبة في السداد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ

مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

(١) (٢٦/٧) برقم ٣٩١١، وقال محققوه: إسناده حسن .

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتِيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

٤- أن يقيد هذا الدين بالكتابة ويشهد عليه حتى لا يحصل الخلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أما المدين فإن عليه أن يراعي الأمور التالية:

١- أن ينوي السداد عند أخذه الدين.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٢).

٢- أن يسارع في قضاء الدين ويحذر المماطلة وأن يحسن القضاء، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ: «مَطَّلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي رافع: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسَلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ^(٤) فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا

(١) ص ٣٩٢ برقم ٢٠٧٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٢.

(٢) ص ٤٤٧ برقم ٢٣٨٧.

(٣) ص ٤٢٧ برقم ٢٢٨٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٤.

(٤) البكر هو الفتى من الإبل.

إِلَّا خِيَارًا رَبَاعِيًّا فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»^(١).

قال الشاعر، وهو يتوعد دائنه بالمماطلة وعدم السداد:

أَمَاطِلُكَ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى تَمَلَّنِي وَتَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

٣- أن يتعوذ بالله من الدين، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه: «أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ: أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صَيْرَ^(٣) دِينًا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟! قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٦٥٣ برقم ٢٢٨٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٤.

(٢) ص ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣.

(٣) معجم البلدان (٥/ ٢١٤). قال ياقوت الحموي: صير بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره راء، جبل بأجأ في ديار طيء فيه كهوف شبه البيوت، والصير جبل على الساحل بين سيراف وعمان.

(٤) ص ٥٥٩ - ٥٦٠ برقم ٣٥٦٣ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥١٢) برقم ٢٦٢٥.

الكلمة الخامسة والخمسون

الإعراض عن الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: لا أظلم أي لا أحد أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر أي: وعظ بآيات ربه وهي هذا القرآن العظيم فاعرض عنها أي: تولى وصد عنها ونسي ما قدمت يده من المعاصي والكفر؛ فالإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم، وله نتائج سيئة، وعواقب وخيمة.

فمن ذلك الأكنة على القلوب حتى لا تفقهه الحق وعدم الاهتمام أبداً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

ومنها انتقام الله ﷻ من المعرض عن التذكرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ومنها كون المعرض كالحمار كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ

مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴿المدثر﴾. أي: كأنهم الحمر الوحشية التي تفر من أسد يريد صيدها.

ومنها الأنداز عن الصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت].

ومنها المعيشة الضنك والعمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

ومنها إدخاله العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيهِ سَلَكَهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن].

ومنها تقييض القرناء من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

إلى غير من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة للإعراض عن التذكير بآيات الله^(١). ا هـ.

وهذا الإعراض الذي ذمه الله هو إعراض الكفار والمنافقين عن سماع القرآن والسنة.

وذكر أهل العلم أن من نواقص الإسلام العشرة التي تخرج العبد من دائرة الإسلام: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة]. والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم

(١) أضواء البيان (٤/ ١٨١ - ١٨٣)، بتصرف.

أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر فخمسة أنواع فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة^(١). اهـ.

وأما الأقسام الأخرى التي سأذكرها فإنها لا تصل إلى درجة الكفر ولكنه يخشى على صاحبها العقوبة والمشابهة للكفار والمنافقين في الإعراض عن سماع الذكر.

القسم الأول: إعراض بعض الناس عن سماع الكلمات أو المحاضرات أو الخطب أو غيرها بزعم أنه لا تقوم عليه الحجة إذا لم يسمع، وهذا وقع في أمر أعظم من الذي فر منه، وهذا جهل مركب فالإعراض أخطر من الاستماع والتساهل في العمل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الحارث بن عوف أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه: إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اِثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٢).

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) ص ٣٨ برقم ٦٤، وصحيح مسلم ص ٨٩٧ برقم ٢١٧٦.

القسم الثاني: الإعراض عن الذكر بسبب الاستغناء بما عنده، وفي الحقيقة أن هذا المسكين ليس عنده شيء من العلم وهذا من الغرور، وعلماء السلف رحمهم الله مع ما تلقوا من العلم الغزير إلا أن الواحد منهم كان إلى آخر لحظة من حياته يتمنى أن يسمع حديثاً يلقي الله تعالى وقد علمه وعمل به.

القسم الثالث: الإعراض لعدم معرفة أهمية ما يُلقى إليه مع أن العلم الشرعي هو غذاء القلوب، قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب: روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ الْعَقِيقِ^(١) فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ^(٢) فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِثْلِ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ

(١) بطحان والعقيق: واديان قرب المدينة.

(٢) ناقة كوما: أي عزيمة السنام، وهي من أفضل أموال العرب.

(٣) ص ٣١٤ برقم ٨٠٣.

لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ
 الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ
 وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ
 أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٦/٣٦) برقم ٢١٧١٤، وقال محققوه: حسن لغيره.

الكلمة السادسة والخمسون

شرح حديث أسرعوا بالجنابة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»^(١).

فحث النبي ﷺ في هذا الحديث على الإسراع بالجنابة في تجهيزها وتشيعها ودفنها وذلك أن الميت إما أن يكون صالحاً، وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحاً فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعد الله له من النعيم في قبره لأنه ينتقل من هذه الدنيا إلى دار خير منها وأفضل لأنه حين احتضاره ومنازعته للموت يبشر فيقال لروحه: «أَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ»، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة]. وإما إن كانت الجنابة غير صالحة فإنه ينبغي الإسراع بها كذلك لأنها شر يضعه المسلمون عن رقابهم وهي كذلك تبشر عند الاحتضار بغضب الله وسخطه فيعجل

(١) ص ٢٥٦ برقم ١٣١٥، وصحيح مسلم ص ٣٦٦ برقم ٩٤٤.

بها إلى العذاب، وفي الحديث: «أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ»^{(١)(٢)}.

ومن فوائد الحديث:

أولاً: الإسراع بالجنابة وألا تؤخر وما يفعله بعض الناس من نقل الجنابة إلى أماكن بعيدة، أو تأخير الدفن لأيام، هذا كله خلاف السنة وجناية على الميت؛ أما إذا كان التأخير يسيراً لاجتماع الناس للصلاة عليه أو غير ذلك من المصالح فلا بأس.

ثانياً: إن الرجل الصالح ينتقل إلى دارٍ أفضل من داره وأهلٍ خيرٍ من أهله: روى البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدُّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ،

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين (٤/٥٤٧).

(٢) (١٤/٣٧٧-٣٧٨) برقم ٨٧٦٩. وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١٢، وصحيح مسلم ص ٣٦٨ برقم ٩٥٠.

وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ^(١).

ثالثاً: إن العبد الفاجر ينتقل من شهوات الدنيا ولذاتها إلى العذاب والجحيم فيضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له بابٌ إلى النار كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة ولذلك يقول: يا ويلها أين يذهبون بها.

رابعاً: إن من رحمة الله بالعباد إخفاء العذاب عن الميت ولو سمعه الإنسان لصعق وما يهنأ بطعام ولا شراب ولا نكاح. ولذلك النبي ﷺ قال فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢٥٦ برقم ١٣١٦.

(٢) ص ١١٥٠ برقم ٢٨٦٧.

الكلمة السابعة والخمسون

المفهوم الخاطئ للدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الدين الإسلامي دين عام وشامل يشمل جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها من أمور الدنيا وأمور الآخرة وهذا المفهوم لا يأخذه ولا يمثل له إلا المؤمنون الذين خاطبهم الله تعالى بذلك بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»^(١). اهـ. ولهذا فإن أهل الكتابين اليهود والنصارى لما أخذوا بكتابهم ودينهم وشرعهم في بعض الجوانب ولم يأخذوا بذلك في جميع نواحي الحياة لم يكونوا مؤمنين وسماهم الله كفاراً وحكم عليهم بذلك فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣).

أَلْقِيْمَةَ يَرْدُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة].

ولنضرب أمثلة ثلاثة توضح لنا المفهوم الصحيح للدين الإسلامي والأخذ به ومن يستحق أن ينتسب ويؤجر عليه ومن لا يستحق .

المثال الأول: كفار قريش الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وأمر بقتالهم وخاطبهم بقوله: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ...»^(١) كانوا يراهنون على أن ما عندهم من الدين هو الحق ويكفي لقربهم من ربهم فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرزاق قال تعالى ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآذَىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وكانوا يستغفرون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وكانوا يصلون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: الحمس هم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قالت: كان الناس يفيضون من عرفات وكان الحمس^(٢) يفيضون من مزدلفة ويقولون: لا نفيض إلا من الحرم، فلما نزلت ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (١١/ ٦١٠-٦١١) برقم ٧٠٣٦، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) نعت قريش وكنانه وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية.

التَّكَاثُ ﴿ [البقرة: ۱۹۹]، رجعوا^(١) إلى عرفات.

وكانوا يقيمون الحج للناس يفعلون كل ذلك لله بل إن الورع بلغ بهم أن يطوفوا بالبيت عراة ويقولون: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها حتى إن تلبيتهم كانت لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ثم يزيدون إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

روى البخاري ومسلم من حديث عروة قال: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الخمس، (والخمسة قريش وما ولدت)، وكانت الخمسة يحتسبون على الناس، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الخمس طاف بالبيت عرياناً^(٢)، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «أن النبي ﷺ أمر أن لا يطوف بالبيت عريان»^(٣). حتى دعائهم كانوا يخلصون لله أحياناً فيه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ۶۵]. فهل نفعهم ذلك؟ أو عصم دمائهم وأموالهم، كلا. لأنهم إن أخلصوا لله أحياناً، أشركوا به أحياناً، وإن أطاعوا أحياناً عصوه أخرى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ۱۰۶]. قال عمر رضي الله عنه: يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية؛ فإذا كان الإنسان يجهل أمور الجاهلية

(١) ص ٤٨٦ برقم ١٢١٩، وصحيح البخاري ص ٨٥٥ برقم ٤٥٢٠.

(٢) ص ٣٢٠ رقم ١٦٦٥، وصحيح مسلم ص ٤٨٦ برقم ١٢١٩.

(٣) ص ٥٣٣ برقم ١٣٤٧.

فإنه حري أن يقع فيها لأن الشيطان ما نسيها ولا نام عنها بل يدعو إليها، قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِتَوْقِيهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ الخَيْرِ يَقَعُ فِيهِ
وقال آخر:

الضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

المثال الثاني: إبليس لعنه الله فقد كان يقر بثلاث كلها من أصول عقيدة أهل الإسلام: الإقرار بالرب، والإيمان بالبعث، ودعاء الله من غير واسطة وذلك بقوله سبحانه عنه: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤]. فهل نفعه ذلك.

الجواب معلوم لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. ليس الإسلام هوى متبعاً، أو رأياً ضعيفاً بل هو طريق مستقيم لا اعوجاج فيه فالدين الذي يقبله الله والإيمان الذي ينفع صاحبه، هو الذي لا يخالطه شرك ولا يناقضه كفر وأن يستمر عليه صاحبه حتى يلقي الله، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت ثم أمر بالوقوف عند حدوده ورسومه. فقال: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

المثال الثالث: طائفة من الناس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يصلون ويصومون ويزكون ويحجون مع المسلمين ويجاهدون معهم، ومع كل هذا فقد حكم الله عليهم بالخلود في نار

جهنم بل في أسفل السافلين، فمن هؤلاء الذين هم أشد عذاباً من الكفار؟! بل الكفار المخلدون في النار أحسن حالاً منهم.

إنهم المنافقون الذين أظهروا صورة الإسلام والإيمان وأبطنوا حقيقة الكفر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنُغُونَ عَلَيْهِمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

فما تقدم يتبين لنا الأمور التالية:

أولاً: إن الدين الحق الذي لا يقبل الله تعالى من العباد غيره هو دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ثانياً: إن الشرك لا تنفع معه طاعة ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها هذا حكم الله في كتابه وعلى لسان رسوله، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر].

ثالثاً: إن صورة الإيمان الظاهرة لا تكفي لنجاة العبد من عذاب ربه بل لا بد من صلاح القلوب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

رابعاً: إن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

خامساً: إن الملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام هي ملة نبينا وملتنا وقدوته وقدوتنا وهي مبنية على أصليين: إخلاص العبادة لله تعالى، والبراءة من الشرك وأهله.

سادساً: إن موالاتة المؤمنين ونصرتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، أصل من أصول الملة الحنيفية.

سابعاً: إن من أخذ بعض هذا الدين وترك بعضه كان كاليهود والنصارى الذين قال الله فيهم: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

(١) ص ٣٤ رقم ٥٢، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩.

ومن هذا يتبين أن من يأخذون الدين بالتشهي فيأخذون منه ما يوافق أهواءهم ويدعون ما يخالفها ليسوا مؤمنين وهم كالمنافقين الذين تقدم ذكرهم، ولهم في هذا العصر أسماء متنوعة كالعلمانيين والاشتراكيين والبعثيين والقوميين وغيرهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والخمسون

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «هذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ها هنا ولا رأي ولا قول كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].»

ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾ [الأحزاب]، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: ٦٣﴾ (١). روى الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث أبي برزة الأسلمي: أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيَلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيٌّ، فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ، قَالَ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ»، فَقَالَ: نَعِمٌ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَعَمَ عَيْنِي. فَقَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي» قَالَ فَلَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبِيٍّ» قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَاوِرُ أُمَّهَا. فَأَتَى أُمَّهَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. فَقَالَتْ: نَعِمٌ وَنِعْمَةٌ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ، إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيٍّ، فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيٌّ ابْنُهُ؟ أَجُلَيْبِيٌّ ابْنُهُ؟ أَجُلَيْبِيٌّ ابْنُهُ؟ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تُزَوِّجْهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمَّهَا، قَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرْتَهَا أُمَّهَا. فَقَالَتْ: أَتُرْدُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرُهُ، اذْفَعُونِي، فَإِنَّهُ لَمْ يُضِيعْنِي. فَاذْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرَهُ، قَالَ: شَأْنُكَ بِهَا. فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيًّا.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَفَقْدُ فُلَانًا، وَنَفَقْدُ فُلَانًا. قَالَ: «انظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقَدُ جُلَيْبِيًّا» قَالَ: «فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى». قَالَ: فَطَلَبُوهُ، فَوَجَدُوهُ إِلَى

جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةَ وَقَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ، وَحُفِرَ لَهُ، مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ. وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ.

قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا، قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَبِّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا». قَالَ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا^(١).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه يجب على المؤمن الانقياد التام لأمر الله ورسوله والمبادرة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

ثانياً: أن الصحابة رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ضربوا المثل في الاستجابة السريعة والامتثال لأمر الله ورسوله، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: «ما كانت لنا خمر غير فضيخكم^(٢) هذا الذي تسمونه الفضيخ، إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب

(١) مسند الإمام أحمد (٢٩/٣٣) برقم ١٩٧٨٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط

مسلم، وأصله في صحيح مسلم ص ١٠٠١ برقم ٢٤٧٢.

(٢) هو بسر وتمر.

رسول الله ﷺ في بيتنا إذا جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ قلنا: لا. قال: فإن الخمر قد حرمت. فقال: يا أنس، أرق هذه القلال قال: فما راجعوها ولا سألوا عنها بعد خبر الرجل»^(١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾^(٢) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [آل عمران: ١٧٢]. جاء في تفسير الآية الكريمة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ﴿أنها قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا قال: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا»، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير»^(٣).

ثالثاً: أن معصية الله ورسوله سبب لضلال العبد في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

رابعاً: أن المؤمن والمؤمنة إذا جاءهما الأمر من الله ورسوله فليس لهما الخيار بالفعل أو تركه بل عليهما أن يعلما أن الرسول أولى بهما من أنفسهما، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

(١) ص ٨٧٨ برقم ٤٦١٧، وصحيح مسلم ص ٨٢٢ برقم ١٩٨٠ واللفظ له.

(٢) القرحة: الجراح.

(٣) ص ٧٧٤ برقم ٤٠٧٧.

خامساً: في الآية الكريمة دليل بل نص على أن الكفاءة لا تعتبر في الأحساب وإنما تعتبر في الأديان وذلك أن الموالي من الصحابة تزوجوا من أشرف قريش، فقد تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وتزوج بلال بن رباح أخت عبدالرحمن بن عوف.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والخمسون

اليقين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن منازل الإيمان كثيرة، منها منزلة عظيمة هي من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد بها تفاضل العارفون، وتنافس المتنافسون، وإليها شمر العاملون بل قال بعض أهل العلم عن هذه المنزلة: إنها الإيمان كله إنها منزلة اليقين. قال الكفوي: اليقين هو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه^(١).

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْنها عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿١٥﴾﴾ [الواقعة]. روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرَعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ

النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءِ فِي قَبْرِهِ فَرِعًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (١).

واليقين على ثلاث درجات:

الأول: علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق، فالذي ظهر من الحق هو أوامره ونواهيه وشرعه ودينه الذي أظهره على السنة رسله، وقبول ما غاب للحق وهو الإيمان بالغيب كالجنة والنار والصراط والحساب وما قبل ذلك مثل تشقق السماء وانتشار الكواكب وما قبل ذلك من أمور البرزخ، أما الوقوف على ما قام بالحق أي من أسمائه وصفاته وأفعاله وهو علم التوحيد.

الثاني: عين اليقين وهو ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأن الدليل إنما يطلب للعلم بالمدلول فإذا كان المدلول

(١) ص ٤٦٠ رقم ٤٢٦٨، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ (٢/٤٢٢) برقم (٣٤٤٣).

مشاهداً له فلا حاجة حينئذ للاستدلال، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ﴾ [التكاثر].

الثالث: حق اليقين وهي منزلة الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد
رأى نبينا محمد ﷺ بعينه الجنة والنار وكلم الله موسى بلا واسطة
أما بالنسبة لنا فإن حق اليقين يتأخر إلى وقت اللقاء.

ومما يوضح ذلك أن يخبرك شخص أن عنده عسلاً وأنت
لا تشك في صدقه فهذا علم اليقين، فإذا أراك إياه فازددت يقيناً
فهذا عين اليقين، فإذا ذقت منه فهذا حق اليقين، فعلمنا الآن
بالجنة والنار علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين وشاهدها
الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعابنها الخلائق فذلك عين
اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حينئذ
حق اليقين^(١)، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ
وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال ابن
القيم رحمه الله: إذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما حصول الإمامة
في الدين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
وَكَانُوا بِيَاثِنَا يُوْقِنُونَ ۞ ﴾ [السجدة]. وقد خص ﷺ أهل اليقين
بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴾
[الذاريات]. وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٧-٢٩٩) بتصرف.

فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤) **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿ [البقرة: ٤ - ٥].

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَتِقِينَ﴾ (٣٢) [الجاثية]. فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره^(١).

وتأمل حال ذلك الصحابي الذي أخذ تمراته، وقعد يأكلها على حاجة وجوع وفاقة إليها، فلما عاين سوق الشهادة قامت، ألقى قوته من يده، وقال: «إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى أكل هذه التمرات»، وألقاها من يده وقاتل حتى قتل، وكذلك أحوال الصحابة رضي الله عنهم^(٢).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اليقين سبب لدخول الجنة روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِي فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

واليقين سبب لنجاة الأمة وصلاحتها في الدنيا والآخرة، روى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلَحَ أَمْرُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالرُّهْدِ وَالْيَقِينِ،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٩) بتصرف.

(٢) هو عمير بن الحمام رضي الله عنه يوم أحد.

(٣) (٢٧٢/١٤) برقم ٨٦٢٤ وقال محققوه: حديث صحيح.

وَهَلَكَ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس: عن النبي ﷺ: «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبِئْوُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبِئْوُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

قال الفيروزآبادي: ثلاثة من أعلام اليقين: قلة مخالطة الناس في العشرة، ترك المدح لهم في العطية، التنزه عن ذمهم عند المنع^(٣).

قال سفيان الثوري: «لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وحنناً وشوقاً إلى الجنة أو خوفاً من النار»^(٤).

ومن المعاني التي يُطلق عليها اليقين:

الموت: قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١١)
 [النحل]. وقال تعالى عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٤٣) قَالُوا لَوْلَا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ^(٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ^(٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْحَائِضِينَ^(٤٥) وَكُنَّا

(١) (٦٩/١٥) برقم ١٠٠٤٦ وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ

٣٨٤٥.

(٢) ص ١٢١٣ برقم ٦٣٠٦.

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٩٤).

(٤) المصدر السابق.

نَكَذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتِنَّا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿المدثر﴾.

ومنها أنه يُطلق ويراد به الظن وأن الظن قد يعبر عنه باليقين.

وقد ذكر المحققون ضوابط لتحديد المراد بالظن:

أحدها: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو يقين وحيث وُجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك (وهذا من جهة المعنى).

الثاني: أن كل ظن يتصل به أن (المخففة من الثقيلة) فهو شك وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين^(١).

قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله^(٢).

وقال عامر بن عبد القيس: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً^(٣).

والخلاصة: أن اليقين منزلة عظيمة من منازل الإيمان يزيد المسلم به من ربه قرباً وحباً ورضى، وهو لب الدين ومقصوده الأعظم، ويزيد العبد خضوعاً واستكانة لمولاه ويكسب صاحبه العزة والرفعة، ويباعده عن مواطن الذلة والضعفة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الكليات (٥٨٨) ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٧١٧/٨) - (٣٧١٨).

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الإيمان ص ٢٥.

(٣) مدارج السالكين (٢٩٦/٢).

الكلمة الستون

التحذير من الكسل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله صفة الكسل، قال الراغب: الكسل الثاقل عما لا ينبغي الثاقل عنه ولذلك صار مذموماً^(١). اهـ، كالثاقل عن الصلاة أو الجهاد أو الصيام أو غيرها من الطاعات.

والكسل من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٤]. وقال تعالى محذراً عباده المؤمنين من الكسل والركون إلى الدنيا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلُم إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل، روى

مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: المقصود أن النبي ﷺ استعاذ من الهم والحزن وهما قرينان، ومن العجز والكسل وهما قرينان، فإن تخلف كمال العبد وصلاحه عنه، إما أن يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادراً عليه لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين فوات كل خير وحصول كل شر، ومن ذلك الشر تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن وعن النفع بماله وهو البخل، ثم ينشأ له بذلك غلبتان غلبة بحق، وهي غلبة الدين، وغلبة بباطل وهي غلبة الرجال، وكل هذه المفاسد ثمرة العجز والكسل^(٢) اهـ.

وقال في موضع آخر: أصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها فيقع في المعاصي. فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته ﷺ أصول الشر وفروعه ومباده وغاياته وموارده ومصادره^(٣).

قال الشاعر:

وَاحْسَرَتَاهُ تَقْضَى الْعُمُرُ وَأَنْصَرَمَتْ
سَاعَاتُهُ بَيْنَ ذُلِّ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ

(١) ص ١٠٨٥ برقم ٢٧٠٦.

(٢) زاد المعاد (٢/٣٦٢ - ٣٦٤).

(٣) زاد المعاد (٢/٣٥٨).

والقومُ قد أخذوا دَرَبَ النِّجَاةِ وقد سَارُوا إِلَى المَطْلَبِ الأَعْلَى عَلَى مَهْلٍ
وقد حث النبي ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى العَمَلِ والمَسَارَعَةِ إِلَى الخِيَرَاتِ
والبَعْدِ عَنِ العِجْزِ وَالتَّكَاسَلِ، روى مسلم في صحيحه من حديث
أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ
المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتِعْنِ بِاللَّهِ
وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا
وَلَكِنِ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: والمراد بالقوة عزيمة النفس والقريحة في أمور
الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد
وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق
في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم، والأذكار وسائر
العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك. وقوله: «احرص
على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» معناه: احرص على طاعة الله
تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى ولا تعجز ولا
تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة^(٢) اهـ.

قال الراغب الأصفهاني: وتأمل حال مريم عليها السلام وقد
جعل لها من الرطب الجنى ما كفاها مؤونة الطلب، وفيه أعظم معجزة
فإنه لم يخلها من أن يأمرها بهزها، فقال تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ

(١) ص ١٠٦٩ برقم ٢٦٦٤ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢١٥).

أَلْتَخَلَّةَ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ [مريم] (١).

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أن كُفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز (٢).

والكسل على قسمين:

الأول: كسل العقل بعدم أعماله في التفكير والتدبر والنظر إلى آلاء الله ونعمه العظيمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]. ومن كسل العقل عدم أعماله بما يصلحه من شؤون الدنيا كالزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الحرف وما تأخرت الأمم إلا بكسل أصحاب العقول فيها وقلة اكتراثهم بالقوة الإبداعية المفكرة التي أودعها الله فيهم.

الثاني: كسل البدن: بما يشتمل عليه من الجوارح وينتج عن هذا الكسل تقصير بعض الأفراد في العبادات كأداء الصلوات في بيوت الله والدعوة إلى الله وطلب العلم الشرعي وغير ذلك من الطاعات (٣). روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله قال: ذكر عند النبي ﷺ: رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «ذَاكَ

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٨٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٨٢ - ٣٨٤ بتصرف. واختصار، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١١/٥٤٣٨ - ٥٤٣٩).

رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنَيْهِ»، أو قال: «فِي أُذُنَيْهِ»^(١).

وكذلك تأخر الأمم في مجال التقدم العلمي في الصناعة والتجارة وغيرها من الحرف التي تستغني بها عن الأمم الأخرى.

من أسباب طرد الكسل:

أولاً: الاستعانة بالله وَعَلَيْكُمْ فإنه المعين جلا وعلا كما ورد بذلك الحديث السابق: «اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ».

ثانياً: الاستعانة منه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ بالله منه.

ثالثاً: الوضوء والذكر والصلاة فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ»^(٢).

رابعاً: أن يتذكر العبد أن الله تعالى حث على الجد والمسارة إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [٨٤] وقال سبحانه لنبيه يحيى: ﴿يَبْعَثْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم].

(١) ص ٦٢٧ برقم ٣٢٧٠، وصحيح مسلم ص ٣٠٦٠ برقم ٧٧٤.

(٢) ص ٢٢٥ برقم ١١٤٢، وصحيح مسلم ص ٣٠٦ برقم ٧٧٦.

[١٢]، أي: التوراة بجد واجتهاد.

خامساً: أن يعلم العبد أن الكسل صفة ذميمة من صفات المنافقين ذمها الله ورسوله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والستون

معجزاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
فإن الله أجرى على يد أنبيائه ورسوله من المعجزات والدلائل القاطعات ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله ولكي تقوم الحجة فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، قال تعالى:
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والمعجزة على قسمين:

الأول: ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

الثاني: ضرب خارج عن قدرتهم لا يقدرّون على الإتيان بمثله كانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى، فيكون ذلك على يد النبي ﷺ من فعل الله تعالى وتحدي من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزاً له.

ومعجزات الرسول ﷺ التي ظهرت على يديه تشمل النوعين:

فهو ﷺ أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آية، فله من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى وقد أُلِّفت في معجزاته المؤلفات الكثيرة.

وقد أعطى الله ﷺ كل نبي من الأنبياء ﷺ معجزة خاصة لم يعطها بعينها لنبي غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فلما كان الغالب على زمان موسى ﷺ السحر وتعظيم السحرة بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل ساحر، قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۗ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ۗ ﴿١٠٨﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۗ ﴿٦٦﴾ [طه]. فلما استيقن السحرة أن هذا من عند الله انقادوا وأسلموا.

وأما عيسى ﷺ فقد بعثه الله في زمن الأطباء فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، قال تعالى: ﴿ وَأُزِّيْءُ الْأَكْمَمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ [آل عمران: ٤٩].

وكذلك نبينا محمد ﷺ بعث في زمن الفصحاء والبلغاء فأتاهم بكتاب من عند الله فاتهمه أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده فتحداهم ودعاهم أن يعارضوا ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا من ذلك فعجزوا، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ۗ ﴿٨٨﴾ [الإسراء].

ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور ثم بسورة واحدة ثم أخبر أنهم لا يستطيعون ذلك لا في الحال ولا في المال، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة].

ومن معجزاته العظيمة: الإسراء والمعراج فقد أُسري به إلى المسجد الأقصى على دابة يقال لها: البراق وهو أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل وصلى ركعتين في المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء والتقى بالأنبياء آدم وموسى وعيسى وهارون وغيرهم، حتى وصل إلى سدرة المنتهى وسمع صريف الأقلام وكلمه ربه وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم هبط إلى المسجد الأقصى وهبط الأنبياء معه^(١). قال ابن كثير: «والذي يظهر أنه صلى بهم صلاة الصبح وهنا ظهر شرفه وفضله على جميع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ثم أخبر قريش بالخبر فكذبوه وقالوا: إن كنت صادقاً فصف لنا بيت المقدس وكانوا يذهبون إليه ويعرفونه»^(٢)، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُبْتِهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي

(١) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٤٣١).

أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»^(١).

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام: انشقاق القمر، روى البخاري ومسلم من حديث أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما^(٢).

قال الخطابي: فكان هذا الانشقاق آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر^(٣) اهـ.

وقد ذكر الله هذه المعجزة على أن انشقاق القمر وقع في زمن النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات وأن الأحاديث قد وردت بذلك متواترة.

ومن معجزاته كذلك: تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه ولحمه ودمه.

قال القرطبي: قضية نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة تفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يُسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء ما بين عظمه

(١) ص ٩٦ برقم ١٧٢.

(٢) ص ٧٣٤ برقم ٣٨٦٨، وصحيح مسلم ص ١١٢٧ برقم ٢٨٠٢.

(٣) فتح الباري (٧/ ١٨٥).

وعصبه ولحمه ودمه^(١). ومن هذه المواطن ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة^(٢). فتوضأ فجهش^(٣) الناس نحوه فقال: «مَا لَكُمْ؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(٤).

ومن معجزاته ﷺ في أنواع الجمادات: حين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشفقاً من فراقه، وقد ورد ذلك كما قال الحافظ ابن كثير؛ من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة الشأن وفرسان هذا الميدان^(٥).

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال «إِنْ شِئْتُمْ» فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبى ﷺ فضمها إليه، تن أنين الصبي الذي يسكن، قال: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ

(١) فتح الباري (٦/٥٨٥).

(٢) إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) أن يفزع الإنسان إلى الإنسان.

(٤) ص ٦٨٤ برقم ٣٥٧٦، وصحيح مسلم ص ٧٧٦ برقم ١٨٥٦ مختصراً.

(٥) البداية والنهاية (٨/٦٧٩).

مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»^(١).

وفي رواية أخرى عن جابر قال: كان المسجد مستقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار^(٢)، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فَسَكَنْتَ^(٣). وفي رواية من حديث ابن عباس: «وَلَوْ لَمْ أَحْتَضِرْهُ لَحَنَّ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطي محمداً ﷺ فقيل له: أعطني عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطني محمد حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك^(٥) اهـ. وذلك لأن هذا إحياء ما ليس من نوعه الحياة مع ما فيه من الاشتياق والبكاء عليه، بخلاف ما أُعطي لعيسى، قال ابن حجر: في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان^(٦)، وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث يقول: «يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، وأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»^(٧).

(١) ص ٦٨٦ برقم ٣٥٨٤.

(٢) العشار: جمع عشاء وهي الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها؛ جامع الأصول (٣٣٣/١١).

(٣) ص ٦٨٦ برقم ٣٥٨٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٠٧/٤) برقم ٢٢٣٦، قال ابن كثير: هذا الإسناد على شرط مسلم؛ البداية والنهاية (٦٨١/٨).

(٥) فتح الباري (٦٠٣/٦).

(٦) فتح الباري (٦٠٣/٦).

(٧) فتح الباري (٦٠٢/٦ - ٦٠٣).

ومن معجزاته: انقياد الشجر بين يديه في مرات عدة:

فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالدَّمَاءِ، ضَرْبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «فَعَلَّ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فَقَالَ: ادْعُ بِتِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَسْبِي» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (١٦٥ / ١٩) برقم ١٢١١٢، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.
(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١ / ٥٢٠ - ٥٥٤).

الكلمة الثانية والستون

فضل الأعمال الصالحة في رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فإن من فضل الله ورحمته بعباده: أن يسر لهم مواسم خير يستكثرون فيها من الطاعات والقربات، تضاعف فيها الأجور، وتكفر فيها السيئات، وتقال فيها العثرات ويعتق الله فيها من شاء من عباده من النيران، ومن هذه المواسم شهر رمضان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وينبغي للمؤمن أن يستقبل أيامه ولياليه بالأعمال الصالحة فما هي إلا ليال معدودة ثم تنقضي، قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ومن هذه الأعمال الصالحة قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال بعض أهل العلم: إن الله عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال

القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ [القدر]. ومن المعلوم أن ليلة القدر إنما تكون في رمضان وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة^(١).

وكان الإمام مالك إذا أقبل رمضان توقف عن التأليف والدروس وقال: إنما هو إطعام طعام، وقراءة قرآن. كان بعض السلف يختم القرآن في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، فعلى أقل تقدير أن يختم الصائم القرآن ولو مرة واحدة في رمضان.

ومنها: الصدقة وهي باب عظيم من أبواب الخير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْمَانِ وَالسِّرِّ وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٤﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»، قال: فجئت فجلست فلم أتقار أن فُمت فقلت: فذاك أبي وأمي من هم؟ قال: «هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ»^(٢).

(١) ص ٢٢ برقم ٦.

(٢) ص ١٢٦٨ برقم ٦٦٣٨، وصحيح مسلم ص ٣٨٤ برقم ٩٩٠ واللفظ له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجبياً في شرح الصدر^(١). روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلُ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِذَيْنِ»^(٢).

وللصدقة في رمضان فضيلة ومزية على غيره ويدخل في ذلك إطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا^(٤) [الإنسان]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٥).

ومنها إفطار الصائم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن خالد الجهني أن النبي ﷺ قال: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ

(١) زاد المعاد (٢/٢٣-٢٢) بتصرف.

(٢) ص ١٢٣٧ برقم ٦٤٤٤، وصحيح مسلم ص ٣٨٤ برقم ٩٩١.

(٣) صحيح ابن حبان ص ١٣٩ برقم (٥٠٩).

أَجْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»^(١).

ومنها قيام الليل، قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾^(١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) [السجدة].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ»^(٢).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبُّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤). وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان فينبغي الحرص عليها والاعتناء

(١) (٢٦١/٢٨) برقم ١٧٠٣٣. وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) ص ٥٥٨ برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٨/٣) برقم (٣٨٠١).

(٣) (٣٠٦/٤) برقم: ٤٢٧٨، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): إسناده حسن.

(٤) ص ٣٨٠ برقم ٢٠٠٩، وصحيح مسلم ص ٢٩٩ برقم ٧٥٩.

بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها، وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجالس شهر رمضان ص ١٨.

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ص ١٥١ برقم ٨٠٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الثالثة والستون

شرح اسم الله الكافي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»^(١). وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتابه: الكافي ومعناه الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه»^(٣).

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نُؤَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة]. وقال

(١) ص ١٢٣١ برقم ٦٤١٠، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري ص ١٤٠٩ برقم ٧٣٩٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٣٠٤ - ٣٠٥).

تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْحَسِيبُ كِفَايَةً وَحِمَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَّانٍ^(١) وَالتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ سَبَبُ كِفَايَةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. أَي كَافِيَةٌ كُلِّ أُمُورِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَالتَّوَكَّلَ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ فِي حَصُولِ الْمَطْلُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ مَعَ الثِّقَةِ بِهِ وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا شَرْعاً^(٢)، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ عَمَلٍ جِزَاءً مِنْ جِنْسِهِ وَجَعَلَ جِزَاءَ التَّوَكَّلِ عَلَيْهِ نَفْسَ كِفَايَتِهِ لِعَبْدِهِ فَقَالَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: نَوْتَهُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْأَجْرِ كَمَا قَالَ فِي الْأَعْمَالِ بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ سَبْحَانَهُ كَافِي عِبْدِهِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ وَوَأَقِيهِ^(٣)، فَلَوْ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّهِ حَقَّ التَّوَكَّلِ بِأَنْ اعْتَمَدَ بِقَلْبِهِ عَلَى رَبِّهِ اعْتِمَاداً قَوِيّاً كَامِلاً فِي تَحْصِيلِ مَصَالِحِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ وَقَوِيَّتِ نَفْسَهُ وَحَسَنَ بَاطِنَهُ بِرَبِّهِ حَصَلَتْ لَهُ الْكِفَايَةُ، وَأَتَمَّ اللَّهُ لَهُ أَحْوَالَهُ وَسَدَدَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَكَفَاهُ هَمَّهُ وَجَلَا غَمَّهُ^(٤)، فَهَنَّاكَ لَا تَسْأَلُ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ تَيْسِرٌ وَصَعْبٌ يَتَسَهَّلُ وَخَطُوبٌ تَهْوَنُ وَكَرُوبٌ تَزُولُ وَأَحْوَالٌ وَحَوَائِجٌ تَقْضَى وَبَرَكَاتٌ تَنْزَلُ وَنَقْمٌ تَدْفَعُ وَشُرُورٌ تَرْفَعُ^(٥).

(١) النونية (٢/٢٣٣).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٢٨).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٧٦٦ - ٧٦٧).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٥٣ - ٥٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٢٠.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إذا علم العبد أن الله هو الكافي عباده رزقاً ومعاشاً وحفظاً وكلاءةً ونصراً وعزاً اكتفى بمعونته عمن سواه وإذا كان كذلك وجب ألا يكون الرجاء إلا فيه والرغبة إلا إليه: روى النسائي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ ﷻ»^(١) «فمن وقع في شدة وضيق فليطلب من الله الكفاية فإن الله يكفيه، وفي صحيح مسلم في قصة الغلام المؤمن لما أبى أن يرجع عن دينه دفعه الملك إلى نفر من أصحابه أي (جماعة من الناس) وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا جبل معروف عندهم شاهق رفيع وقال لهم: إذا بلغوا ذروته فاطرحوه يعني على الأرض، ليقع من رأس الجبل فيموت، بعد أن تعرضوا عليه أن يرجع عن دينه فإن رجع وإلا فاطرحوه.

فلما بلغوا قمة الجبل فطلبوا منه أن يرجع عن دينه أبى، لأن الإيمان قد وقر في قلبه ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: اللهم اكفنيهم بما شئت - دعوة مضطر مؤمن - أي: بالذي تشاء ولم يعين، فرجف الله بهم الجبل فسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلى الملك فقال: ما الذي جاء بك أين أصحابك؟ فقال: قد كفانيهم الله، ثم دفعه إلى جماعة آخرين وأمرهم أن يركبوا البحر في قُرُقُور (سفينة). فإذا بلغوا لجة البحر عرضوا

(١) جزء من حديث ص ٢٧٩ برقم ٢٥٩٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٢/٢٢٧).

عليه أن يرجع عن دينه فإن لم يفعل رموه في البحر، فلما توسطوا من البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه - وهو الإيمان بالله - فقال: لا! فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت: فانقلبت السفينة وغرقوا وأنجاه الله»^(١)(٢).

ثانياً: من كان عليه دين فليتضرع إلى الله تعالى ليكفيه هم الدين روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه: «أَنَّ مَكَاتِبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرَ دَيْنًا آدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(٣).

ثالثاً: أنه يشرع للعبد أن يسأل الله الكافي أن يكفيه شر الأعداء قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٣٧) [البقرة]. فيقول: يا كافي اكفني شر فلان الذي ظلمه أو آذاه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خاف من رجل أو من قوم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^(٤). وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام حين أُلقي في

(١) شرح رياض الصالحين (١/٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) انظر قصة الغلام في صحيح مسلم ص ١٢٠٢ برقم ٣٠٠٥.

(٣) ص ٥٥٩ - ٥٦٠ برقم ٣٥٦٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن الترمذي (٣/٤٦٤).

(٤) (٤٩٣/٣٢) برقم ١٩٧١٩ وقال محققوه: حديث حسن.

النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران] (١).

رابعاً: إن الله تعالى كفى المؤمنين شر أعدائهم في مواطن كثيرة فعلى سبيل المثال في غزوة بدر مع قلة عددهم ونقص عدتهم وضعفهم نصرهم الله وكفاهم الأعداء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ [آل عمران].

وكذلك في غزوة الخندق أو الأحزاب كفاهم الله شر الأحزاب التي تجمعت عليهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَم يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب].

الخلاصة: أن الكافي اسم من أسماء الله تعالى وهو بمعنى الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

ويشعر للمسلم أن يسأل ربه بهذا الاسم أن يكفيه شر من ظلمه وأذاه (٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٨٦٥ برقم ٤٥٦٣.

(٢) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الأسماء الحسنى والصفات العلى ص ٢١٧ - ٢٢١.

الكلمة الرابعة والستون

خطورة المجاهرة بالمعصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فإن الذنوب والمعاصي عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة قال تعالى مبيناً أضرارها على العباد: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأعظم هذه الذنوب المجاهرة بها ومعناها أن يرتكب الشخص الإثم علانية أو يرتكبه سراً فيستره الله ﷻ ولكنه يخبر به بعد ذلك مستهيناً بستر الله له، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]. جاء في تفسيرها: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا من ظلم فلا يكره له الجهر به^(١).

روى البخاري ومسلم من حديث سالم بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ

(١) تفسير القرطبي (١٩٩/٧).

مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَا فُلَانُ: عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(١).

قال ابن حجر: والمجاهر هو الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فيحدث بها، أما المجاهرون في الحديث الشريف فيحتمل أن يكون بمعنى من جهر بالمعصية وأظهرها ويحتمل أن يكون المراد الذين يجاهر بعضهم بعضاً بالتحديث بالمعاصي وبقية الحديث تؤكد المعنى الأول^(٢).

ومما سبق يتضح أن المجاهرة على أنواع ثلاثة.

١- المجاهرة بمعنى إظهار المعصية وذلك كما يفعل المُجَّان والمستهترون بحدود الله، والذي يفعل المعصية جهاراً يرتكب محذورين.

الأول: إظهار المعصية.

الثاني: تلبسه بفعل المُجَّان أي: (أهل المُجُون) وهو مذموم شرعاً وعرفاً.

٢- المجاهرة بمعنى إظهار ما ستر الله على العبد من فعله المعصية كأن يحدث بها تفاخراً أو استهتاراً بستر الله تعالى وهؤلاء هم الذين لا يتمتعون بمعافة الله ﷻ كحال الشباب الذين يسافرون

(١) ص ١١٧٣ برقم ٦٠٦٩، وصحيح مسلم ص ١١٩٧-١١٩٨ برقم ٢٩٩٠.

(٢) فتح الباري (٤٨٧/١٠) بتصرف.

إلى خارج البلاد، ويرتكب الواحد منهم الفواحش وشرب الخمر ثم يخبر بهذا أصدقاء السوء تفاخراً واستهتاراً بستر الله له.

٣- المجاهرة بمعنى أن يجاهر بعض الفساق بعضاً بالتحدث بالمعاصي^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن المظهر للمنكر يجب الانكار عليه علانية ولا تبقى له غيبة ويجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك وينبغي لأهل الخير أن يهجره ميتاً إذا كان فيه ردع لأمثاله فيتركون تشييع جنازته^(٢)».

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «إن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به»^(٣)، وقال ابن حجر: من قصد إظهار المعصية والمجاهرة أغضب ربه فلم يستره ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس من الله عليه بستره إياه^(٤) اهـ. قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحى المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف^(٥).

وأخبر النبي ﷺ أن المجاهرة بالمعاصي لها عقوبات في الدنيا قبل الآخرة. روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر قال: أقبَلْ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا

(١) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(٢) غذاء الألباب (١/٢٦١-٢٦٠).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(٤) فتح الباري (١٠/٤٨٨).

(٥) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

بَهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ
الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ
الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا
الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ
وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي
أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أُمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا
جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ» (١) الحديث.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ» فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله! متى ذاك؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَالْمَعَارِيفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ» (٢).

ومن الأمثلة على الجهر بالمعاصي في وقتنا المعاصر، انتشار الصحون الفضائية أو ما يسمى بالدش على السطوح في بيوت كثير من الناس.

ومنها انتشار البنوك الربوية في كثير من بلاد المسلمين بل والإعلان عبر الصحف ووسائل الإعلام الأخرى أن القروض منها أو المساهمة فيها ميسر وسهل.

(١) ص ٤٣٢ برقم ٤٠١٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (١٣٢١/٢) برقم (٧٩٧٨).

(٢) ص ٣٦٧ برقم ٢٢١٢، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٧٨٦/٢) برقم ٤٢٧٣.

ومنها تبرج النساء بشكل سافر في الأسواق والأماكن العامة.
ومنها بيع الحرمات كالمجلات الهابطة، والدخان، وأشرطة الفيديو، والأقراص التي تحتوي على أفلام هابطة، ومحلات بيع أشرطة الغناء.

ومنها انتشار النوادي التي تعرض فيها السينما والألعاب الرياضية المختلطة، والمسرحيات، ومحلات عرض الإنترنت.
ومنها خروج المغنيات والممثلات سافرات على شاشات القنوات الفضائية ليهيَّجنَ الغرائز ويفتنَّ الناس.

لذا ينبغي الإنكار على هؤلاء المجاهرين وإخبارهم بعظيم جرمهم، وأنهم يعرضون أنفسهم لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. فإذا كان مجرد الحب صاحبه مهدد بالعذاب فكيف بمن يجهر وينشر ويساعد على هذه الفواحش والمنكرات؟! ولذلك ينبغي على المسلم إذا ابتلي بالمعصية أن يستتر بستر الله وأن يبادر بالتوبة النصوح.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والستون

استقبال العام الجديد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

ففي هذه الأيام نودع عاماً مضى من أعمارنا، ونستقبل عاماً جديداً. فليت شعري ماذا أودعنا في العام الماضي، وبماذا نستقبل عامنا الجديد؟! قال الحافظ ابن كثير:

تَمُرُّ بِنَا الْأَيَّامُ تَتَرَى وَإِنَّمَا نُسَاقُ إِلَى الْأَجَالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ
فَلَا عَائِدُ ذَاكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَلَا زَائِلُ هَذَا الشَّيْبِ الْمُكَدَّرُ

وعلى المؤمن أن يحاسب نفسه ويتداركها فإن كان مستقيماً على طاعة الله فليحمد الله وليسأل ربه الثبات. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي

عَلَى دِينِكَ»^(١).

ومن كان منا مقصراً في طاعة الله فليتدارك نفسه قبل فوات الأوان وليبادر إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر على الله».

وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢).

فيسأل عن عمره على وجه العموم وعن شبابه على وجه الخصوص، لأن الشباب هو محور القوة والنشاط وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر.

وهذا الزمن من أفضل نعم الله على عباده، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ

(١) (١٦٠/١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم كما تقدم.

(٢) ص ٣٩٦ برقم ٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاعُ»^(١).

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأضعاف الثمن فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: إنه رجل مغبون.

وفي الحديث إشارة إلى أن الزمن نعمة كبرى لا يستفيد منها إلا الموفقون الأفاضل وأن المستفيد قليل والكثير مفرط ومغبون.

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضيما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» ذكر منها: «فَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ»^(٢).

قال محمد الطليطي:

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وبادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الْفُوتِ وَالنَّدَمِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ وَرَاقِبِ اللَّهَ وَاحْذَرِ زَلَّةَ الْقَدَمِ

قال ابن القيم رحمته الله: «إن الواردات سريعة الزوال تمر أسرع من السحاب وينقضي الوقت بما فيه فلا يعود عليك منه إلا أثره وحكمه فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك فإنه عائد عليك لا محالة، ولهذا يقال للسعداء: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة]، ويقال للأشقياء: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

(١) ص ١٢٣٢ برقم ٦٤١٢.

(٢) (٤٣٥/٥) برقم ٧٩١٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم

الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ [غافر]» (١).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «صحبت الصوفية، فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهم يقولون: الوقت سيف، فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل» (٢).

ومن تأمل أحوال السلف ومن سار على نهجهم وجدهم أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، قال عبد الله بن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك فقد ذهب بعضك، وقال: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم على دراهمكم ودنانيركم.

وقد ذكر الله موقفين للمرء يندم فيهما على إضاعة الوقت.

الأول: عند ساعة الاحتضار حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة يتمنى لو منح مهلة من الزمن وأُخِر إلى أجل قريب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٠) نقلاً عن كتاب جامع الآداب لابن القيم من كلام ابن القيم، تحقيق/ يسري السيد محمد (١/ ٣٨٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٩٧).

الثاني: في الآخرة حيث تُوفى كل نفس ما عملت ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٥ - ٥٦]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عَزَّ وَجَلَّ (١). وفي الصحيحين في قصة الكبش الذي يذبح بين الجنة والنار ويقال: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا (٢).

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير .

قال القاضي ابن أبي عصرون:

أَوْمَلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمْرُ بِي الْمَوْتَى تَهْزُنُ عَوْشَهَا
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنْ لِي بَقَايَا لِيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها

(١) تفسير ابن كثير (١٢/١٤٥).

(٢) ص ٩١٤ برقم ٤٧٣٠، وصحيح مسلم ص ١١٤٤ برقم ٢٨٤٩.

أماني والوقت ضائع بينهما»^(١)، روى البخاري في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفوائد ص ٤٨ .

(٢) ص ١٢٣٣ برقم ٦٤١٦ .

الكلمة السادسة والستون

الإيمان بالبعث بعد الموت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالبعث بعد الموت، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، ورد على منكرية في غالب سور القرآن.

قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]. وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٦ - ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١] (١).

ففي الآية الكريمة الأخيرة يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعبدين المعاد القائلين على وجه الإنكار: إذا كنا عظاماً

ورفاتاً أي تراباً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً، ثم أمر الله رسوله أن يُجيبهم فيقول: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٠﴾ إذ هما أشد امتناعاً من العظام والرفات ﴿أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني السماء والأرض والجبال ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ أي: من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] (١).

روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ» (٢).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ

(١) تفسير ابن كثير (٢٥/٩ - ٢٧).

(٢) ص ٣٥٧ برقم ٢١٤٥، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٧) برقم ١٧٤٤.

الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس].

قال بعضهم: لو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيحاز ووضع الأدلة وصحة البرهان ما قدر^(١).

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: إن الأجسام تتقلب من حال إلى حال فتسحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظماً ولحمًا ثم أنشأه خلقاً سويًا كذلك الإعادة يُعيد الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ»^(٣).

قد يقول قائل: ربما يُؤكل الإنسان من قبل السباع أو الحيتان في البحر أو يحترق تماماً فلا يبقى من جسده شيء فما الجواب عن ذلك؟ فيقال: إن الأمر هين على الله يقول: كن فيكون

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٣.

(٣) صحيح مسلم ص ١١٨٦ برقم ٢٩٥٥ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٩٧٦ برقم ٤٩٣٥.

وقدرة الله فوق ما نتصوره والله على كل شيء قدير، روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَسَسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَيَّ عَظْمِي فَامْتَحِشْتُمْ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَادْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

قال عبد الله الأندلسي:

والبعثُ بعد الموتِ وَعَدُّ صَادِقٌ بِإِعَادَةِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ
وقال أبو تمام:

فِيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمَبْعَثِي أَكُونُ رُفَاتًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

فإذا آمن المؤمن وصدق بالبعث بعد الموت وهو ركن من أركان الإيمان الستة وأن الله على كل شيء قدير، كما قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].
حاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة واستعد للقاء الله، قال تعالى: ﴿ فُورِيكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٣ ﴾ [الحجر]. وقال تعالى: ﴿ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٤ ﴾ [الصفات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمْرِهِ

فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟
وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟^(١). قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن
تُحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا وتهيؤوا للعرض الأكبر على الله».

قال الشاعر:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٦ برقم ٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة السابعة والستون

تفسير سورة المسد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة المسد، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأُمَّرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، قالوا: ما لك؟ قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد] (١).

وفي رواية أن أبا لهب قال: «تباً لك سائر اليوم» (٢).

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ الأول: دعاء

(١) ص ٩٣٨ برقم ٤٨٠١، وصحيح مسلم ص ١١٤ برقم ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري ص ٢٧١ برقم ١٣٩٤.

عليه، والثانية: خبر عنه وأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له والازدراء به والتقص له ولدينه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهلياً أسلم: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ (١).

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١)، التباب هو الخسار كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]. أي: خسار وبدأ بيديه قبل ذاته لأن اليدين هما آلتا العمل والحركة والأخذ والعطاء وما أشبه ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾ (٢) أي: ماله وما كسب لن يغني عنه شيئاً من عذاب الله والآية تشمل الأولاد وتشمل المال المكتسب الذي ليس في يده الآن وتشمل ما كسبه من شرف وجاه،

(١) (٤٠٤/٢٥ - ٤٠٥) برقم ١٦٠٢٣، وقال محققوه: صحيح لغيره.

وكل ما كسبه مما يزيد شرفاً وعزاً فإنه لا يغني عنه شيئاً كما قال تعالى:
﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّ ۚ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّهٖ ۗ ﴾ [الحاقة]. وكما قال تعالى:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۗ ﴾ [آل عمران].

قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۗ ﴾ [آي: ذات شرر ولهب وإحراق شديد والمعنى أن الله توعد به بأنه سيصلى ناراً ذات لهب عن قريب لأن متاع الدنيا والبقاء فيها مهما طال فإن الآخرة قريبة حتى الناس في البرزخ وإن مرت عليهم السنون الطوال فكأنها ساعة، قال تعالى: ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۗ ﴾ [الأحقاف]. وشيء مقدر بساعة من نهار فإنه قريب.

قوله تعالى: ﴿ وَأُمَّرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۗ ﴾ يعني كذلك امراته معه وهي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان من أشرف قريش لكن لم يغن عنها شرفها لكونها شاركت زوجها في العداة والإثم والبقاء على الكفر، وحمالة الحطب ذكروا أنها تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ، وقال بعض المفسرين: كما كانت عوناً على زوجها في كفره فإنها تحمل الحطب فتلقيه على زوجها في نار جهنم فتكون عوناً عليه في العذاب^(١).

قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۗ ﴾ [الجيد هو العنق

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٩٧).

والجبل معروف، والمسد هو الليف يعني أنها متقلدة حبلاً من الليف تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ^(١). قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار^(٢).

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس قال: لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا» فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمصدق؟! فلما ولت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال ﷺ: «لَا مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي حَتَّى وَلَّتْ»^(٣).

قال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٣) وأمراته، حَمَالَةَ الْحَطَبِ^(٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ^(٥). فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ولم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا

(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٥١.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٧/١٤).

(٣) (٦٨/١) برقم ١٥، وقال البزار: هذا الحديث حسن الإسناد، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧٣٨/٨).

ظاهراً ولا باطناً لا سراً ولا علناً فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة^(١). أما أبو لهب فقد مات شرميتة وانتقم الله لنبيه منه.

قال ابن إسحاق: بعد غزوة بدر بعدة ليال أُصيب بمرض العدسة^(٢). فمات وخاف أولاده أن يقتربوا منه ليدفنوه فيصابوا بالمرض فتركوه ثلاثاً حتى أنتن فقال رجل من قريش: ويحكم ألا تستحيان ادفنوا أباكم فقالوا: نخشى من هذه القرحة فقال: أنا أُعينكم فأخرجوه إلى الصحراء فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رموه بالحجارة^(٣)، وإلى جهنم وبئس المصير^(٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (٤٩٩/١٤).

(٢) بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد تقتل صاحبها غالباً وهي من البثور المعدية شبيهها بعض المعاصرين بمرض الجدري.

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس (١/٤١٠).

(٤) انظر تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٤٩ - ٣٥٢.

الكلمة الثامنة والستون

سيرة أبي عبيدة بن الجراح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فشهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، وكان من السابقين إلى الإسلام، فقد هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وقد أبلى في معركة أحد بلاءً عظيمًا، فقد نزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجه رسول الله ﷺ بأسنانه حتى انتزعت ثنيتاه، وهو أمين هذه الأمة، وهو أحد الرجلين اللذين عينهما أبو بكر للخلافة يوم السقيفة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة.

إنه فارس الإسلام أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً نحيفاً معروق الوجه، خفيف اللحية، أثرم الثنيتين، وقد اشتهر بحسن خلقه وتواضعه وحلمه.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته منها، ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيُّهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(٢).

وكان أول مشهد شهده أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله ﷺ معركة بدر وقاتل في هذه المعركة قتالاً شديداً.

وقال عمر يوماً لجلسائه: تمنوا فتمنوا فقال عمر: ولكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح^(٣).

ولما طعن عمر وأشرف على الموت قيل له: أوص يا أمير المؤمنين قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته^(٤).

ومن مواقفه العظيمة التي تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين ما حصل منه من دفاع عن النبي ﷺ في معركة أحد فقد كان من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في هذه المعركة، ولما دخلت حلقات المغفر في وجه رسول الله ﷺ نزعها بأسنانه فسقطت ثنيتاه فما رُئيَ هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة.

(١) ص ٧١٤ برقم ٣٧٤٤، وصحيح مسلم ص ٩٨٥ برقم ٢٤١٩.

(٢) ص ٩٨٥ برقم ٢٤١٨.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/١٠٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (١/٢٦٣) برقم (١٠٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

وقد عينه عمر بن الخطاب أخيراً على الجند في الشام.

وذكر ابن المبارك في الزهد أن عمر قدم الشام، فتلقيه الأمراء والعظماء فقال: أين أخي أبو عبيدة؟ قالوا: يأتيك الآن قال: ف جاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا ثم قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي، قال: فدخل فلم ير شيئاً قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدأً^(١) و صحيفة^(٢) و شناً^(٣) وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت: إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك ما يبلغك المقييل، قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة^(٤).

قال الذهبي: هذا والله هو الزهد الخالص، لا زهد من كان فقيراً معدماً^(٥).

ولما حصل طاعون عمواس بالشام مات منه الآلاف من المسلمين، وكان أبو عبيدة معه ستة وثلاثون ألف فلم يبق معه إلا ستة آلاف رجل، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن

(١) اللبدهي: الخرق.

(٢) الصحيفة: هي إناء مبسوط مثل القصعة.

(٣) الشن: هي قربة خرقة وهي التي تستخدم في السقاي.

(٤) أبو داود في الزهد ص ١٢٦ برقم ١٢٣، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥/١٤٠ - ١٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٠١)، وقال محقق كتاب الزهد لأبي داود:

أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (١١/٣١١) بإسناد صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء (١/١٧).

النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(١).

روى الحاكم من طريق طارق بن شهاب أن عمر كتب إلى أبي عبيدة لما انتشر الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إلي فلما قرأ الكتاب، قال: عرفت حاجة المؤمنين أنه يريد أن يستبقي من ليس بباق، فكتب: إني قد عرفت حاجتك، فحللني من عزيزتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكان قد^(٢). وقد حصلت لأبي عبيدة كرامة له ولجيشه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر أنه قال: بعث النبي ﷺ بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مئة وأنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله، فكان مزودي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمر تمر، فقلت: وما تغني تمر؟ فقال: لقد وجدنا فقدناها حين فني، قال: ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الضرب، فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنُصبا ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبهما^(٣).

وكانت وفاته سنة ثمانى عشرة من الهجرة وله ثمان وخمسون

(١) ص ٥٤٦ برقم (٢٨٣٠)، وصحيح مسلم ص ٧٩٤ برقم ١٩١٦.

(٢) (٢٩٤/٣) برقم ٥١٤٦، قال الذهبي: هو على شرط البخاري ومسلم.

(٣) ص ٤٧٠ برقم ٢٤٨٣، صحيح مسلم ص ٨٠٢ برقم ١٩٣٥.

الكلمة التاسعة والستون

شرح اسم الله الغني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتاب الله تعالى: «الغني». قال بعضهم ذكر «الغني» في كتاب الله في ثماني عشرة آية. قال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨]. والغني في كلام العرب الذي ليس بمحتاج إلى غيره، قال الخطابي: هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكة فليست به حاجة إليهم وهم إليه فقراء محتاجون كما وصف نفسه (٢) فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

(١) ص ١٤٠٩ برقم ٧٣٩٢، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) شأن الدعاء ص ٩٢ - ٩٣.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إن الله تعالى شأنه هو الغني بذاته الذي له الغنى التام من جميع الوجوه لكماله وكمال صفاته فيده خزائن السماوات والأرض وخزائن الدنيا والآخرة فالرب غني لذاته والعبد فقير لذاته محتاج إلى ربه لا غنى له عنه طرفة عين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْفَقْرُ لِي وَصَفُ ذَاتٍ لِأَزْمٍ أَبَدًا كَمَا أَنَّ الْغِنَى أَبَدًا وَصَفٌ لَهُ ذَاتِي (١)

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش أن النبي ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ، أَنِّي تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَيْتَكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَبَيْدٌ» (٢)، فَجَمَعْتَ وَمَنْعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِيَّ (٣)، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ» (٤).

فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين ولهذا كان من دعائه ﷺ: «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» (٥).

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٧.

(٢) الوئيد صوت شدة الوطء على الأرض، أي مشيت متكبراً وتركت النظر في أصلك وفي أمر خالقك.

(٣) التراقي عظام بين ثغرة النحر والعاتق.

(٤) (٣٨٥/٢٩) برقم ١٧٨٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٥) جزء من حديث أخرجه أبو داود ص ٥٤٩ برقم ٥٠٩٠، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٣٨٨.

وكان يدعو ﷺ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١).

يعلم عليه الصلاة والسلام أن قلبه بيد الرحمن لا يملك منه شيئاً وأن الله يصرفه كيف يشاء.

ثانياً: أن الله تعالى الغني له ملك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عَبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عَبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْ سَكُنْتُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عَبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْ سَكُنْتُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً»^(٢) فجميع الخلق مفتقرون إلى الله الغني الواسع في طلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم والعباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يَمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر].

فالله ﷻ هو الغني الذي يطعم ويسقي ويحيي ويميت ويُغني ويفقر، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله

في صحيح مسلم.

(٢) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴿[الشعراء].

وبالجملة: فإن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها، فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرة إليه في قيامها، فلا قوام لها إلا به، فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه، فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فالخالق له مطلق الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قال الشاعر:

وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ (١)

ثالثاً: أن الله تعالى غني عن عباده لا يريد منهم طعاماً ولا شراباً لم يخلقهم ليستكثر بهم من قلة، أو يستقوي بهم من ضعف، أو ليستأنس بهم من وحشة بل هم المحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم وسائر شؤونهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات].

رابعاً: أن يتعفف المؤمن عن أموال الناس وحاجاتهم وأن يسأل الغني الكريم من فضله، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿[النساء: ٣٢].

روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ

(١) معارج القبول (١/١٦٨).

عَمَّنْ سِوَاكَ» (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَسْتَعْفِفُ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» (٣)، فمن اجتهد واستعان بالله وألح عليه في السؤال لم يخيبه الله فإنه أمر بالدعاء ووعده عليه الإجابة في جميع الأدعية (٤).

خامساً: أن الله تعالى لكمال غناه واستغنائه عن خلقه قادر على أن يذهب الناس ويأت بخلق جديد وهذا ليس بعزيز على الله، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ (١٣٣) [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٢٨) [محمد].

سادساً: أن الله جل وعلا قرن غناه بالحمد، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر]، لأنه ليس كل غني نافعاً بغناه

(١) ص ٥٥٩ برقم ٣٥٦٣ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ص ٢٨٧ برقم ١٤٦٩، صحيح مسلم ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٣.

(٣) ص ١٠٩٠ برقم ٢٧٢١.

(٤) المجموعة الكاملة للشيخ السعدي (١/٤٩٦).

إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم، واستحق عليهم الحمد، وليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢١٥).

(٢) انظر الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبدالهادي وهبي ص ٦٢ - ٨٠.

الكلمة السبعون

المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يسارع في الخيرات فالعمر قصير والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يأتيه الموت وأعني بالمسارعة إلى الخيرات أي المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم تأخيرها، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]. وقال تعالى عن نبي الله زكريا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]. وكان عليه السلام يحث أمته على المسارعة إلى الأعمال الصالحة فإن المؤمن لا يدري ما يعرض له من مرض، أو فتنة، أو أجل. روى مسلم في صحيحه

من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ: يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا، أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال لرجل من أصحابه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»^(٣). وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم فيتسابقون إلى الأعمال الصالحة ويتنافسون في أعمال الآخرة كما أرشد إلى ذلك ربنا ﷻ فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين].

روى أبو داود في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَّا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلُهُ، قَالَ: وَآتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ

(١) ص ٧٢ برقم ١١٨.

(٢) (٣٤١/٤) برقم ٧٨٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم ١٠٧٧.

(٣) ص ٥٢٤ برقم (٤٨١٠)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٧٨) برقم ٣٠٠٩.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^(١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن للقلوب شهوة وإدباراً
فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها، قال
الإمام أحمد بن حنبل: كل شيء من الخير يبادر به.

وقال الشاعر:

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاغْتَنِمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سَكُونُ
وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَمَا تَدْرِي السَّكُونُ مَتَى يَكُونُ
وَإِنْ دَرَّتْ^(٢) نِيَّاقُكَ فَاحْتَلِبْهَا فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ^(٣) لِمَنْ يَكُونُ

ومن فوائد المسارعة إلى الخيرات:

أولاً: الفوز بجنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ^(١٠)﴾
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ^(١١)﴾ [الواقعة]. والسابقون هم المبادرون إلى فعل
الخيرات في الدنيا، وهم في الآخرة سبقوا إلى الجنات فإن سبق
هناك على قدر سبق في الدنيا، والجزاء من حسن العمل، قال تعالى:
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ^(٦٠)﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ
أَوْثَرْنَا الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ^(٣٢)﴾
[فاطر].

(١) ص ١٩٧ برقم ١٦٧٨، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣١٥/١)

برقم ١٤٧٢ .

(٢) در الضرع: امتلاً لبناً .

(٣) الفصيل: ولد الناقة، المعجم الوسيط (٢٧٩ - ٦٩١).

قال ابن كثير: «ومنهم سابق بالخيرات هو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات»، وقال ابن عباس: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعه محمد عليه الصلاة والسلام»^(١).

ثانياً: المسارعة بقضاء الفرائض والواجبات فيه إبراء للذمة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ تَضَلَّ الضَّالَّةَ وَيَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتَكُونُ الْحَاجَّةُ»^(٢).

ثالثاً: المبادرة بالأعمال الصالحة في أول أوقاتها أفضل من تأخيرها إلا لمن استثناه الدليل. ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٢٢-٣٢٣).

(٢) (٣/٣٣٢) برقم ١٨٣٣، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ١٢١ برقم ٥٢٧، وصحيح مسلم ص ٦٢ برقم ٨٥.

(٤) ص ١٣٤ برقم ٦١٥، وصحيح مسلم ص ١٨٦ برقم ٤٣٧.

«لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (١).

رابعاً: أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة فيها استجابة لأمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: فأنطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لَا يُقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَيَّ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». قال: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخَّ بَخَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخَّ بَخَّ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ: إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (٢).

وأختم هذه الكلمة بما ذكره الله في كتابه عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا قبل الفتح على الذين أسلموا بعد قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي

(١) ص ١٨٦ برقم ٤٣٨.

(٢) ص ٧٨٩ برقم (١٩٠١).

مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَ ﴿١٠﴾ [الحديد].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والسبعون

شرح حديث احفظ الله يحفظك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

هذا الحديث شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم شرحاً عظيماً، ومما جاء في كلامه رحمته الله:

«هذا الحديث تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيئ، فوأسفاً من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه».

قوله: «أحفظ الله»: يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره

(١) ص ٤٠٩ برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ونواهيه وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه. فقال: ﴿ هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٢]. وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامر الله وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة، وحفظ الإيمان وحفظ الرأس ويدخل فيه السمع والبصر واللسان وحفظ البطن ويدخل فيه عدم إدخال الحرام إليه من المآكل والمشرب.

قوله: «يَحْفَظُكَ»: يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

الأول: حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]. قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي
وَأْمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ
شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُعْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١).

كان بعض العلماء قد جاوز المئة عام وهو متمتع بقوته وعقله
فوثب يوماً وثبة شديدة فعُوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها
عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، وقد يحفظ الله
العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فإنهما حفظا بصلاح أبيهما.

النوع الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في
دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات
المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان. وفي
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَوَى
أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ»، ثم قال
في آخر الحديث: «وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي،
وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا
تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٢).

قوله: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ» وفي رواية: «أَمَامَكَ». معناه:
أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله

(١) ص ٥٤٧، برقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود
(٢/٢٤٨).

(٢) ص ١٢١٦، برقم ٦٣٢٠، وصحيح مسلم ص ١٠٨٨ برقم ٢٧١٤.

حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. قال قتادة: «من يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا مضل له».

قوله: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»: هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه والدعاء هو العبادة^(١).

فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله ﷻ ولا يسأل غيره وأن يستعان بالله دون غيره، فأما السؤال فقد أمر الله بمسألته، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٢ - ٣]. وفي النهي عن سؤال المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر وثوبان وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه.

قوله: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ

(١) حديث في سنن أبي داود ص ١٧٧ برقم ١٤٧٩، وانظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٤٠٧.

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ [الحديد: ٢٢]. وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»^(٢).

قال عبيد الله بن عتبة:

واصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَحْتُومِ وَاَرْضْ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ومدار جميع هذه الوصايا على هذا الأصل وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع فأوجب ذلك العبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب ذلك أفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً وأنه يتقي

(١) ص ١٠٦٥ برقم ٢٦٥٣.

(٢) ص ٣٥٧ برقم ٢١٤٤ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٦).

سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً وإفراده بالاستعانة والسؤال له وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، بخلاف ما كان عليه المشركون من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والسبعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيات من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر.

قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا (٢٢) [الإنسان: ١٣ - ٢٢].

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ الاتكاء هو التمكن من الجلوس في حال الرفاهية والطمأنينة،

والأرائك هي السرر التي عليها اللباس، ولا يرون فيها شمساً أي ليس يضرهم حر ولا زمهرير أي برد شديد بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل بحيث تلتذ به الأجساد ولا تتألم من حر ولا برد فهو مزاج واحد دائم سرمدي ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ! أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لِي أَنْتَفَسَ. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾: قريبة إليهم أغصانها ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما في قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وكما في قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر وإن قعد تذللت له.

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾: قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج.

(١) ص ٢٤٥ برقم ٦١٧ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ١٢٢ برقم ٥٣٧.

فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا﴾ أي على قدر ريبهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك وهو قول جمع من المفسرين وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، أي: ويسقون الأبرار فيها في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قال قتادة وغير واحد.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾، قال قتادة: اسم للعين التي يشربون بها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة، وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق، واختار هو أنها تعم ذلك كله، قال ابن كثير: وهو كما قال^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا﴾، أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان صغار من ولدان الجنة مخلدون أي على حالة واحدة لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٢١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٢١٤) وتفسير القرطبي (٢١/٤٧٧).

تلك السن. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لَوْلَا مَنُورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في النظر أحسن من الوَلْوُ المنثور على المكان الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، أي: إذا رأيت يا محمد هناك في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور رأيت نعيمًا وملكًا كثيرًا أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهراً، قال سفيان الثوري: بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم، دليله، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»^(١).

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس ﴿وَحُلُوتًا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ الذكور والإناث، هذه صفة الأبرار، أما المقربون فإنهم كما قال تعالى: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر].

قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الخلائق الرديّة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [السجدة: ١٧]. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما فتجري عليهم بنصرة النعيم فلا تتغير أبقارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبداً ثم يشربون من الأخرى فتخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال النخعي وأبو قلابة: إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسك وضمرت بطونهم^(٢).

(١) ص ١٠٥ برقم ١٨٩.

(٢) تفسير القرطبي (٢١ / ٤٨٤ - ٤٨٥).

قال الشاعر:

وَجَنَّاتٌ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُرْلِفَتْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسِنْدَسٌ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ
يُطَافُ عَلَيْهِم بِالَّذِي يَشْتَهَوْنَهُ

لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلُ
وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحَلُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرًا بَدَّلُوا

وقال آخر:

فَاعْمَلْ لِدَارٍ غَدًا رِضْوَانٌ خَازِنُهَا
قُصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِينَتُهَا
الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا
وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾. أي يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وكما قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي: جزاكم الله على القليل بالكثير كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

والحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والسبعون

الوفاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي حث عليها الشرع ورغب فيها: الوفاء، قال الراغب: الوفاء بالعهد إتمامه وعدم نقض حفظه^(١)، وللوفاء أنواع عديدة باعتبار الموفى به فهي قد تكون وفاء بالعهد وقد تكون وفاء بالعقد أو الميثاق، وقد تكون وفاء بالوعد. فالوفاء بالعهد كما ذكر الراغب إتمامه وعدم نقض حفظه، قال ابن عباس: العهود ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله^(٢). قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأما الوفاء بالعقد فالمراد به إما العهد وبذلك يتطابق مع التعريف الأول وقيل: العقود هي أوكد العهود، وقيل: هي عهود الإيمان والقرآن وقيل: هي ما يتعاقده الناس فيما بينهم^(٣)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. أما الوفاء بالوعد

(١) المفردات ص ٥٢٨.

(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر (٤/٦٢ - ٦٣).

(٣) مختصر تفسير البغوي (١/٢١٠).

فالمراد به أن يصبر الإنسان على أداء ما يعد به الغير ويبدله من تلقاء نفسه ويبرهنه به لسانه حتى وإن أضربه ذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه «أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة قال: وهذه صفة نبي»^(١).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح. روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَّتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»^(٢).

وأداء الدين من الوفاء، روى البخاري في صحيحه من حديث وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه أخبره أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: «جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ»، فجده بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣).

وأداء حقوق الله تعالى من الوفاء بالعهد. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ

(١) ص ٥١٠ برقم ٢٦٨١ وصحيح مسلم ص ٧٣٦ - ٧٣٧ برقم ١٧٧٣.

(٢) ص ٥٢٠ برقم ٢٧٢١ وصحيح مسلم ص ٥٥٨ برقم ١٤١٨.

(٣) ص ٤٤٩ برقم ٢٣٩٦.

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ أَفُضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»^(١).

والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى:
 ﴿وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].
 قال ابن كثير: فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلفه من الصفات الذميمة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].
 روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بضعها من صفات المؤمنين ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به.

وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال:
 «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي»^(٣)^(٤). اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما مات

(١) ص ٣٥٣ برقم ١٨٥٢.

(٢) ص ٣٠ برقم ٣٣، وصحيح مسلم ص ٥٦ برقم ٥٩.

(٣) ص ٥٩٥ برقم ٣١١٠، وصحيح مسلم ص ٩٩٤ برقم ٢٤٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير (٩/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

النبي ﷺ، جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي ﷺ دين، أو كانت له قبله عدة، فليأتنا. قال جابر: فقلت وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، قال جابر: فعد في يدي خمسمئة ثم خمسمئة ثم خمسمئة^(١).

وبين النبي ﷺ أن الوفاء بالوعد جزاؤه الجنة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اضْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٢).

قال الشاعر:

فَإِنْ تُجْمَعِ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلًا

ومما تقدم يتبين لنا فضل الوفاء وأنه من أوجب الواجبات. وإن من مظاهر عدم الوفاء التي انتشرت في بني آدم وهي كثيرة:

عدم الوفاء بعهد الله وميثاقه، فإن الله قد أخذ على بني آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١) ص ٥١٠ برقم ٢٦٨٣، وصحيح مسلم ص ٩٤٧ برقم ٢٣١٤.

(٢) (٤١٧ / ٣٧) برقم ٢٢٧٥٧، وقال محققوه: حسن لغیره.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ -: وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ»^(١).

ومنها عدم الوفاء مع الوالدين فإنهما السبب بعد الله في وجود الإنسان، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. ونسمع قصصاً عجيبة للتنكر لجميل الوالدين يندى لها الجبين، ويتفطر منها القلب.

ومنها عدم الوفاء بين الزوجين، فالمرأة ينبغي أن تكون وفية لزوجها، وكذلك الزوج يكون وفيًا لزوجته فإن النبي ﷺ مدح أم المؤمنين خديجة وكان وفيًا لها؛ فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله ﷻ بها خيراً منها، قال: «مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»^(٢).

(١) ص ١٢٥٥ برقم ٦٥٥٧، وصحيح مسلم ص ١١٢٨ برقم ٢٨٠٥.

(٢) (٣٥٦/٤١) برقم ٢٤٨٦٤ وقال محققوه: حديث صحيح.

ومن وفائه أنه كان يذبح الشاة ويقطع اللحم ويوزعه على أصدقاء خديجة وعندما دخلت أخت خديجة هاله رحب بها وأكرمها^(١)، وقال: «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيْمَانِ»^(٢).

وإن مما أشاع التفكك الأسري في مجتمعات المسلمين وأثار المشكلات بين الأزواج هو الإخلال بهذه الخلة.

ومنها عدم الوفاء بين الأصدقاء، فإن بعض الناس يكون له صديق إما في تجاره أو دراسة أو في عمل أو غير ذلك، فإذا ارتفع في دنياه إما بحصوله على منصب عال أو أصبح من أصحاب الأموال الطائلة أو غير ذلك، ترفع عن أصدقائه ولم يظهر لهم الود السابق وكأنه لا يعرفهم قبل ذلك وهذا ليس من الوفاء بل من التنكر للجميل، وليس من شيم الرجال ولا من أخلاقهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري ص ٧٢٥ رقم ٣٨١٦، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٥.
(٢) مستدرک الحاکم (١/ ١٦٥) رقم ٤١ وقال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال محقق المستدرک: وهو حديث حسن بشواهد إن شاء الله.

الكلمة الرابعة والسبعون

سيرة جعفر بن أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام، وممن هاجر الهجرتين الأولى للحبشة والثانية للمدينة، وكان أحد قادة المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة، وله قرابة من النبي ﷺ فهو ابن عم النبي ﷺ، قال عنه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «أشبهت خلقي وخلقِي»^(١)، قال الذهبي: وقد سر النبي ﷺ بقدومه من الحبشة، والله حزن كثيراً عند استشهاده^(٢).

إنه الشهيد البطل علم المجاهدين جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو عبد الله ويلقب بأبي المساكين شقيق علي بن أبي طالب وأكبر منه بعشر سنين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة موقوفاً عليه أنه قال: ما احتذى النعال، ولا

(١) ص ٥١٥ برقم ٢٦٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٦).

انتعل، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكور^(١) بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب^(٢)، يعني في الجود والكرم.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية تدل على شجاعته العظيمة ونصرته لهذا الدين، فمن تلك المواقف العظيمة أنه بعد رجوعه من هجرته من الحبشة التي دامت عشر سنين بعيداً عن أهله ووطنه، كان النبي ﷺ لتوّه قد انتهى من فتح خيبر وفرح بقدومه كثيراً، لكن هذه الفرحة لم تستمر طويلاً فالأعمال كثيرة، والوقت قصير، فقد أرسله النبي ﷺ مع جيش المسلمين المتجه إلى الشام لقتال الروم، وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليهم زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة وبدأت المعركة، ونظراً لعدم التكافؤ بين جيش المسلمين وعدوهم، فقد أظهر المسلمون بطولات وتضحيات عظيمة، ففي بداية المعركة وبعد قتال شديد قتل زيد بن حارثة فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فعقر جواده، وكان فارساً من فرسان العرب، قال ابن اسحاق: هو أول من عقر في الإسلام^(٣) فجعل ينشد هذه الأبيات.

يا حَبِّذا الجِنَّةُ واقترباُها طَيِّبَةٌ وباردُ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها عَلَيَّ إذ لاقيتها ضرابها

وكان يمسك الراية بيده اليمنى فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية

(١) والكور الرحل الذي في الناقة.

(٢) ص ٥٨٦ برقم ٣٧٦٤ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) السيرة النبوية (٣/ ٣٣٢).

بيده اليسرى فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره فتكاثروا عليه فقتلوه^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أروأحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن راحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن راحة فأصيب، وعيناه تذر فان حتى أخذ سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين، من طعنة

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٣٣).

(٢) ص ٧٨٥ برقم ١٨٨٧.

(٣) ص ٧١٦ برقم ٣٧٥٧.

ورمية^(١). وفي رواية: ليس منها شيء في دبره^(٢).

وصدق الله إذ يقول: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

روى الحاكم في المستدرک والترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَّ بِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مُخَضَّبُ الْجَنَاحَيْنِ بِالدَّمِّ، أَيْضُ الْفُؤَادِ»^(٣).

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لَهُ جَنَاحَانِ»^(٤).

فقد عوضه الله عن يديه المقطوعتين في المعركة بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه وأرضاه. وفي صحيح البخاري أن ابن عمر كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن الجناحين^(٥).

قال أبو عبد الله: الجناحان: «كل ناحيتين».

ومن مناقبه العظيمة: ما رواه البخاري في صحيحه من حديث

(١) ص ٨٠٦ برقم ٤٢٦١.

(٢) ص ٨٠٦ برقم ٤٢٦٠.

(٣) مستدرک الحاكم (٤/٢٢٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرح مسلم ولم يخرجاه وحسنه الحافظ في الفتح (٧/٧٦).

(٤) مستدرک الحاكم (٤/٢١٨) برقم ٤٩٨٨، وسنن الترمذي ص ٥٨٦ برقم ٣٧٦٣ وصححه الألباني رحمته الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٢٢٦) برقم ١٢٢٦.

(٥) ص ٧١٠ برقم ٣٧٠٩.

وبعد استشهاد جعفر ورجوع الجيش إلى المدينة دخل النبي ﷺ على أسماء بنت عميس زوجة جعفر ودعا بأبناء جعفر فشمهم وقبلهم وذرفت عيناه من الدموع حزناً على أخيه جعفر فقالت أسماء: يا رسول الله هل بلغك عن جعفر شيء؟ قال: «نعم، قُتِلَ» فقامت تبكي فقال: «لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَحْيَى بَعْدَ الْيَوْمِ».

ثم قال: «ادْعُوا لِي ابْنِي أَخِي» قال عبد الله بن جعفر: فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: «ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ» فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد، فشبيهه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله، فشبيهه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي، فأشالها^(٢). فقال: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أمنا، فذكرت له يَتَمَنَّا وجعلت تُفْرِحُ له^(٣)، فقال: «الْعَيْلَةُ»^(٤) تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!^(٥)

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل، قال النبي ﷺ: «اصْنَعُوا لِأَلِ جَعْفَرٍ

(١) ص ٥١٥ برقم ٢٦٩٩.

(٢) أي: رفعها.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٤٢٤/٣): إن كانت بالحاء فهو من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح وأفرحه الدين إذا أثقله، وإن كانت بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له فكأنها أرادت أن أباهم توفي ولا عشيرة له.

(٤) العيلة: الفقر والفاقة والحاجة.

(٥) (٣/ ٢٨٠) برقم ١٧٥٠ وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم من قوله: لا تبكوا على أخي.

طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»^(١).

ومن أخلاقه العظيمة: الكرم والبذل والسخاء ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال: كنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي، كي ينقلب بي فيطمعني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّةَ^(٢) التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها^(٣).

وكان قتله رضي الله عنه سنة ثمان من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، قال بعض المؤرخين: قتل وعمره بضع وثلاثون سنة، رضي الله عن جعفر وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣/ ٢٨٠) برقم ١٧٥١ وقال محققوه: إسناده حسن.
 (٢) العكَّة: وعاء من الجلد مستدير يوضع فيه السمن والعتل.
 (٣) ص ٧١٠ برقم ٣٧٠٨.

الكلمة الخامسة والسبعون

خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۗ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ۗ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فقد أخبر

سبحانه بكذب الشياطين فيما تلتته على ملك سليمان ونفى عنه ما نسبوه إليه من السحر بنفي الكفر عنه مما يدل على كون السحر كفراً، وأكد كفر الشياطين وذكر صورة من ذلك وهي تعليم الناس السحر، ومما يؤكد كفر متعلم السحر: قوله تعالى عن الملكين اللذين يعلمان الناس السحر ابتلاءً لمن جاء متعلماً: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تكفر بتعلم السحر، ثم أخبر سبحانه أن تعلم السحر ضرر لا نفع فيه فقال: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وما لا نفع فيه وضرره محقق لا يجوز تعلمه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي: لقد علم اليهود فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، قال ابن عباس: ليس له نصيب، وقال الحسن: ليس له دين فدللت الآية على تحريم السحر وعلى كفر الساحر وعلى ضرر السحر على الخلق، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اتَى﴾ [طه: ٦٩]. ففي هذه الآية الكريمة نفى الفلاح نفيًا عن الساحر عامًا في أي مكان وهذا دليل على كفره.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله ما هي: قال: «الشرك بالله، والسحر» ثم ذكر البقية الأخرى^(١). وهذا يدل على عظم جريمة السحر لأنه قرنه بالشرك وعده من السبع الموبقات التي نهى عنها لكونها تهلك فاعلها في الدنيا، لما يترتب عليها من الأضرار الحسية والمعنوية وتهلكه في الآخرة بما يناله بسببها من العذاب الأليم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٢). وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٣)، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت أناس

(١) ص ٥٣٣ رقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٢) (١٥ / ٣٣١) برقم ٩٥٣٦ وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ٩١٧ برقم ٢٢٣٠.

رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذِبَةٍ»^(١).

ففي هذه الأحاديث النهي عن إتيان العرافين والكهنة والسحرة وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك، وفيها دليل على كفر الكاهن والساحر لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه.

والساحر لا يتمكن من سحره إلا بالخروج من هذا الدين إما بالذبح للجن أو الاستغاثة بهم أو إهانة كلام الله أو غير ذلك من الموبقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يكتبون كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله، إما حروف الفاتحة، وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾^(١)، وإما غيرهما، إما بدم وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك»^(٢).

«ولهذا كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ولرسوله

(١) ص ١١٩٦ برقم ٦٢١٣، وصحيح مسلم ص ٩١٦ - ٩١٧ برقم ٢٢٢٨.

(٢) الفتاوى (٣٥/١٩).

ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ، ولهذا كان سحر عبادة الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام وهم الذين سحروا رسول الله ﷺ^(١).

والنصوص السابقة من الكتاب والسنة تدل على كفر الساحر كما تقدم مما يدل على أنه يُستتاب فإن تاب وإلا قتل، وذهب بعض العلماء إلى قتله بدون استتابة، روى الترمذي في سننه من حديث جندب رضي عنه موقوفاً عليه أنه قال: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»^(٢) وورد عن طائفة من صحابة رسول الله ﷺ قتل الساحر والأمر بذلك ولم يوجد بينهم خلاف في ذلك.

والسحر داء يؤثر فيمرض الأبدان، ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وشرع للمرء الذي أُصيب به ويسعى في علاجه الأخذ بالأسباب المباحة المؤدية إلى الشفاء لأن الله تعالى جعل لكل داء دواء. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»^(٣). ويعالج السحر بالقرآن والأدعية المشروعة والأدوية المباحة.

قال ابن القيم رحمته الله: «وقد رُوي عنه فيه عن النبي ﷺ أي في علاج السحر نوعان: أحدهما وهو أبلغها استخراجها وإبطاله كما صح عنه أنه سأل ربه سبحانه في ذلك فدل عليه. والنوع الثاني: الاستفراغ

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥٨).

(٢) ص ٢٥٧ برقم ١٤٦٠.

(٣) ص ١١١٦ برقم ٥٦٧٨.

في المحل الذي يصل إليه أذى السحر»^(١).

وقال أيضاً: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر، والدعاء، والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله معموراً بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له، قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية، لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها^(٢). اهـ.

قال ابن حجر: وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه، وملازمة ورده و لكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره - يعني ابن القيم - محمول على الغالب، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم^(٣). وأما علاج السحر بالسحر فهذا حرام لعموم النصوص الواردة في تحريم السحر لأنه من عمل الشيطان، ولا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون لأنهم كذبة فجرة يدعون علم الغيب ويلبسون على الناس.

(١) زاد المعاد (٤/١١٤).

(٢) الطب النبوي ص ٢٥٢ بتصرف.

(٣) فتح الباري (١٠/٢٣٥) يشير إلى الأحاديث الصحيحة التي تثبت أنه سحر عليه الصلاة والسلام.

روى الإمام أبو داود، من حديث جابر أن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١)، والنشرة هي حل السحر عن المسحور والمراد بالنشرة الواردة في الحديث النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية وهي سؤال الساحر لحل السحر بسحر مثله.

فإذا علم ما تقدم ذكره تبين أن ما يفعله بعض الناس من الاتصال ببعض القنوات الفضائية للسحرة وسؤالهم عما يحدث له من مشاكل، أو هموم، أو قضايا اجتماعية، أمر محرم بل هو في غاية الخطورة ويقدم بالعقيدة وكيف يقدم مسلم على ذلك، وهو يعلم الآيات والأحاديث الواردة في ذم السحرة والنهي عن إتيانهم وتصديقهم، ومن فعل ذلك فإنه يخشى على إيمانه وتوحيده.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٨٦٨)، وقال الحافظ في الفتح (١٠/٢٣٣): إسناده حسن.

الكلمة السادسة والسبعون

تفسير سورة الهمزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم الذي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الهمزة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۝٣ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ ويل كلمة تدل على ثبوت وعيد لمن اتصف بهذه الصفات، قال أهل العلم: الهمز بالفعل كأن يلوي وجهه أو يشير بيده ونحو ذلك لعيب شخص أو تنقصه، واللمز باللسان وهو من الغيبة المحرمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢﴾ هذه أيضاً من

أوصافه القبيحة جماع مناع. أي يجمع المال ويمنع العطاء فهو بخيل لا يعطي شيئاً. قال بعض المفسرين: أي إن الذي يحمله على الحط من أقدار الناس هو جمعه المال وتعيده أي عده مرة بعد أخرى شغفاً به وتلذذاً بإحصائه لأنه لا يرى عزاً ولا شرفاً ولا مجداً في سواه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾^(٢) أي: أيظن أن ماله الذي جمعه وأحصاه وبخل بإنفاقه مخلده في الدنيا فمزيل عنه الموت كلا، قال تعالى لنبيه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٣) [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لِيُبَدَّنَ فِي الْخَطْمَةِ﴾^(٤)، ﴿كَلَّا﴾: أي: فليرتدع عن هذا الحسبان فإن الأمر ليس كما يظن بل لا بد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال، و﴿لِيُبَدَّنَ فِي الْخَطْمَةِ﴾ أي: ليلقى ويلقى يوم القيامة في النار التي من شأنها أن تكسر كل ما يُلقى فيها وتحطمه

والنبذ تفيد التحقير والتصغير.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾. استفهام عنها لتهويل أمرها كأنها ليست من الأمور التي تدركها العقول ثم فسرها بقوله سبحانه: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ أي هي النار التي لا تنسب إلا إليه سبحانه لأنه هو منشئها في عالم لا يعلمه سواه، قال أبو السعود: وفي إضافتها إليه سبحانه ووصفها بالإيقاد أي المشتعلة من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه^(١).

قوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، قال ابن جرير: أي التي يطلع ألمها ووهجها على القلوب^(٢)، وقال الزمخشري: يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان أطف من الفؤاد ولا أشد تألماً منه بأذى يمسّه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه؟! ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة^(٣). قال بعض المفسرين: وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه أي أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون^(٤) كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ [الأعلى]. وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ

(١) تفسير أبي السعود (١٩٩/٩).

(٢) تفسير الطبري (٦٨٩/١٢).

(٣) الكشاف (٢٢٣/٤).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢٢٩/٩ - ٢٣٠).

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيَّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴿إبراهيم﴾.
وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ ﴿٣٦﴾ [فاطر].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾، أي: مغلقة مطبقة لا مخلص
لهم منها.

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾، قال الزمخشري: «المعنى أنه يؤكد
يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد
على العمدة استيثاقاً في استيثاق»^(١) وصدق الله إذ يقول: ﴿نَبِّئْ
عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾
[الحجر].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ
مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ [الحجر].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: تأمل الآن لو أن إنساناً كان في
حجرة أو في سيارة اتقدت النيران فيها وليس له مهرب الأبواب
مغلقة ماذا يكون؟ سيصبح في حسرة عظيمة لا تماثلها حسرة
وهكذا في النار ﴿عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾، أي: إن النار
مؤصدة وعليها أعمدة ممددة أي ممدودة على جميع النواحي
والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها أو الخروج منها.

وينبغي للمؤمن أن يحذر من هذه الصفات الذميمة، عيب الناس

الكلمة السابعة والسبعون

شرح اسم الله الشهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: الشهيد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

قال الزجاج: الشهيد الحاضر^(٢)، وقال الزجاجي: الشهيد في اللغة بمعنى الشاهد كما أن العليم بمعنى العالم والشاهد خلاف الغائب كقول العرب: فلان كان شاهداً لهذا الأمر أي لم يغب عنه^(٣).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير الأسماء للزجاج ص ٥٣.

(٣) اشتقاق الأسماء للزجاجي ص ١٣٢ نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٣٩) بتصرف.

أولاً: أن الله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر، فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم ليس بغائب عنهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف]. فينبغي لكل عامل أراد عملاً صغراً العمل أو كبراً أن يقف وقفة عند دخوله فيه فيعلم أن الله شهيد عليه فيحاسب نفسه فإن كان دخوله فيه لله مضي فيه، وإلا رد نفسه عن الدخول فيه وتركه^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرْلًا» ثم قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ [الأنبياء]. ثم قال: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِيحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١٧٧].

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٤٣): نقلًا عن كتاب الحجّة في بيان المحجّة لأصبهاني.

[المائدة] فَيُقَالُ: إِنَّ هُوَ لَا يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» (١).

ثانياً: أن الله ﷻ أعظم شيء شهادة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]. قال ابن جرير: يقول الله تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون بنبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب (٢).

ثالثاً: شهد الله ﷻ لنفسه بأنه واحد أحد، فرد صمد لا شريك له ولا وزير ولا ند ولا نظير، وشهدت ملائكته وأولو العلم بذلك كما في قوله جل شأنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران]. فتضمنت الآية أعظم شهادة من أعظم شهيد.

رابعاً: أن الله تعالى هو الشهيد على أفعال العباد وأقوالهم ويتجلى ذلك يوم القيامة عند محاسبتهم وتقرير أحوالهم. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قال: قلنا: الله ورسوله

(١) ص ٨٨٠ برقم ٤٦٢٥، وصحيح مسلم ص ١١٤٧ برقم ٢٨٦٠.

(٢) تفسير ابن جرير (١٦١/٥).

أعلم، قال: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ»، يقول: «يَا رَبِّ! أَلَمْ تُحِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟» قال: «يَقُولُ: بَلَى»، قال: «فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي»، قال: «فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا»، قال: «فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي»، قال: «فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ»، قال: «ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ» قال: «فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُّ»^(١).

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس].

خامساً: أن من أعظم ثمرات الإيمان بهذا الاسم أن يستحضر العبد شهود الله له عند كل عمل يعمله أو كلاماً يقوله أو نية يعقدها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة]^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٩١ برقم ٢٩٦٩.

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للنجدي (١/٤٣٩ - ٤٥١).

الكلمة الثامنة والسبعون

أحداث الدانمارك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن عداوة الكفار للمسلمين أزلية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَةً﴾ [التوبة: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وفي هذه الأيام تطاول هؤلاء النصارى بدعم من اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة على نبينا وحبينا محمد بن عبد الله ﷺ، ونشرت الصحف الدنماركية الصور والمقالات السيئة التي تتضمن السخرية والاستهزاء بهذا النبي الكريم كل هذا بحجة الديمقراطية والحرية.

ولا شك أن الاستهزاء بالنبي ﷺ استهزاء بالإسلام وبالرب تعالى الذي أرسله إلينا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨] [الأعراف].

ونحن نتساءل لماذا لا تكون الحرية في مهاجمة اليهود أو غيرهم ممن يخشونهم ويخافون منهم؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأمام هذا الحدث العظيم الذي حل بالأمة نقف هذه الوقفات:

أولاً: التأكيد على عقيدة الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين وإظهار عداوتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

ثانياً: استغلال هذا الحدث ودعوة الناس إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاستجابة لأوامرهما والانتها عما نهى الله ورسوله عنه فإن ذلك من أعظم أسباب نصرته، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(١)

ثالثاً: يجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الدفاع عنه عليه الصلاة والسلام والذب عن عرضه وأن يستخدموا

(١) مستدرک الحاكم (١/ ٢٨٤) برقم ٣٢٤، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦).

جميع الوسائل والإمكانات في ذلك، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧) [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة].

رابعاً: على تجار المسلمين أن يستبدلوا البضائع التي تأتينا من
الدانمارك والنرويج التي تتبعها في هذا الأمر ببضائع من دول أخرى
حتى لا يستغل أعداء الإسلام هذه الأموال في حملتهم الشرسة ضد
النبي ﷺ: «وَمَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ» (١).

خامساً: على المسلمين أن يكثرُوا من الدعاء أن الله ينصر دينه
ويذل أعدائه وينتقم لرسوله ممن آذوه وسبوه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) [غافر]. وروى أبو داود في سننه من حديث
النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (٢).

سادساً: أ بشروا وأملوا فإن النصر قريب بإذن الله، وسنة الله في
خلقه أن من آذى رسوله، أو سبه، ولم يجاز في الدنيا بيد المسلمين
فإن الله سبحانه ينتقم لنيبه منه ويكفيه إياه، والحوادث التي تشير إلى

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠): رواه
أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ
(١٩/١): وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ص ١٧٧ برقم ١٤٧٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ برقم
٣٤٠٧.

هذا في السيرة النبوية وبعهد النبوة كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) [الحجر]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «إنا كفيناك المستهزئين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزؤون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من العقوبة»^(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٢) [الكوثر]. فكل من شنأه أو أبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وقيل: إنها نزلت في العاص بن وائل، أو عقبة بن أبي معيط، أو في كعب ابن الأشرف، وجميعهم أخذوا أخذ عزيز مقتدر وقتلوا شر قتلة»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله معلقاً: وهذا أمر خارج عن

(١) تفسير ابن سعدي ص ٤١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٨٢/١٤ - ٤٨٣.

(٣) ص ٦٩١ برقم ٣٦١٧، وصحيح مسلم ص ١١٢٠ برقم ٢٧٨١.

العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون لا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثناه أعداء من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقية في عرضه فعجلنا فتحة وتيسر ولم يكذ يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، وتكون ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لتبشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه، وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين^(١) اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١١٦ - ١١٧ .

الكلمة التاسعة والسبعون

سيرة عثمان بن عفان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فهذه مقتطفات من سيره علم من أعلام هذه الأمة، وخليفة من خلفائها الأماجد، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، ولد هذا الصحابي قبل عام الفيل بست سنين على الصحيح وأسلم على يد أبي بكر الصديق، وكان من السابقين إلى الإسلام، وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجه أختها أم كلثوم، وكان يلقب بذي النورين قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، قال فيه النبي ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وقال فيه أيضاً: «بَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بِلْوَى تُصِيبُهُ»^(٢) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض. إنه الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو العاص القرشي الأموي وصفه أهل السير بأنه كان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، أبيض اللون، مشرباً بالحمرة، كثير اللحية بعيد

(١) صحيح مسلم ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٥ برقم ٣٦٩٣، وصحيح مسلم ص ٩٧٨ برقم ٢٤٠٣.

ما بين المنكبين، أحسن الناس ثغراً.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على فضله ونصرتة لهذا الدين فمن ذلك أنه هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وجhez جيش العسرة، وحفر بئر رومة وتصدق بها على المسلمين، كما قام بتوسعة المسجد النبوي، وفي عهد جمع القرآن الكريم، وتوسعت فتوحات المسلمين، ووصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها. روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضي عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار قال الحسن بن واقع: وكان في موضع آخر من كتابي في كُمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» مرتين^(١).

قال الزهري: جهز عثمان بن عفان جيش المسلمين في غزوة تبوك بتسعمائة وأربعين بغيراً وستين فرساً.

وروى الترمذي في سننه من حديث ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار، حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبكم اللذين ألباكم عليّ.

قال: فجيء بهما فكأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن

(١) ص ٥٧٩ برقم (٣٧٠١) وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٨).

رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رُومة، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلْ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر قالوا: اللّٰهُمَّ نعم.

قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ» فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين، قالوا: اللّٰهُمَّ نعم.

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟
قالوا: اللّٰهُمَّ نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر، وعمر، وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارتة بالحضيض، قال: فركضه برجله، فقال: «اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟».

قالوا: اللّٰهُمَّ نعم، قال: اللّٰهُمَّ أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة: أني شهيد ثلاثاً^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من

(١) ص ٥٧٩ برقم ٣٧٠٣ قال الترمذي: هذا حديث حسن.

هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا، قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فضرب بها على يده، فقال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك^(١). وفي صحيح البخاري من حديث قتادة أن أنساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، وقال: «اسْكُنْ أَحَدًا، - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ - فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»^(٢).

وقد كانت لهذا الصحابي من الخصال الحميدة، والشمائل العظيمة الشيء الكثير فقد كان شديد الحياء. روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة قال: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً

(١) ص ٧٠٦ برقم ٣٦٩٩.

(٢) ص ٧٠٦ برقم ٣٦٩٧.

عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه (قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد) فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!» (١).

وقد اشتهر ﷺ بالكرم والإنفاق في سبيل الله وقد تقدم ذكر شيء من ذلك.

أما عبادته فقد كان صواماً قواماً، قال ابن عمر في قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر]: ذاك عثمان، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
ومن أقواله العظيمة التي تدل على ورعه وتقواه أنه كان يقول: ما زينت ولا سرقت لا في جاهلية ولا في إسلام.

وقد قُتل ﷺ سنة خمس وثلاثين من الهجرة محصوراً في داره في الفتنة المشهورة وقد جاوز الثمانين من عمره.

وقد ضحى بنفسه وقتل شهيداً مظلوماً، وكان باستطاعته أن يستعين بالصحابة للدفاع عنه، ولكنه لم يرغب أن تراق قطرة دم من

أجله، وقد أخبره النبي ﷺ بقتله ظلماً في حياته، وكانت هذه علامة من علامات النبوة، فروى الترمذي في سننه من حديث ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فتنة، فقال: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا» لِعُثْمَانَ^(١)، وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ»^(٢).

رضي الله عن عثمان وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٨٠ برقم ٣٧٠٨، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/٢١٠) برقم ٢٩٢٥.
 (٢) ص ٥٧٩ برقم ٣٧٠٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/٢١٠) برقم ٢٩٢٣.

الكلمة الثمانون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٩٥)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به فقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) [محمد]، وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزئون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧) [البقرة]. والأمثلة على ذلك من السنة كثيرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي؟ أَيُّكُمْ

(١) تفسير ابن سعدي ص ٩٥.

يُقَوْمٌ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا^(١) وَدَمِهَا وَسَلَاهَا^(٢)، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يَمْهَلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ^(٣)، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ ابْنَ الْوَلِيدِ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً»^{(٤)(٥)}.

وفي رواية: فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة^(٦)، وكان من أشد الكفار عداوة لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما يقال له: عقبة بن أبي معيط، والآخر يقال له: النضر بن الحارث.

(١) هو بقايا الطعام في الكرش.
 (٢) السلا: هو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ويسمى المشيمة.
 (٣) جاء في رواية أخرى: أنه عقبة بن أبي معيط.
 (٤) ص ١١٩ برقم ٥٢٠، وصحيح مسلم ص ٧٤٦ برقم ١٧٩٤.
 (٥) قليب بدر: بئر مهجور والمسافة الآن بين بدر والمدينة ١٥٣ كيلو متر «غزوة بدر الكبرى» للأستاذ محمد باشميل.
 (٦) صحيح البخاري ص ٦٩ برقم ٢٤٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل (١).

وأذكر بعضاً من مواقف هذين الرجلين، التي تدل على حقدتهما وبغضهما للنبي ﷺ وللإسلام وأهله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» (٢).

وتقدم أن عقبة بن أبي معيط هو الذي وضع سلا الجزور على رسول الله ﷺ وهو ساجد.

أما النضر بن الحارث فقد قال عنه ابن إسحاق: كان من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً، فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلتم إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار (٣)، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ قال

(١) البداية والنهاية (٥/١٨٩).

(٢) ص ٧٠٢ برقم ٣٦٧٨.

(٣) هما حكيمان من حكماء الفرس.

ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله، قال ابن اسحاق: وكان ابن عباس يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله ﷻ: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا كَسَطِيطُ الْأُولِينَ﴾ وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن^(١).

وكان هذا الرجل حامل لواء المشركين في غزوة بدر، وقد أُسر هذان الرجلان عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث في غزوة بدر وجيء بهما مع الأسرى وفي مكان يقال له: الأثيل^(٢)، أمر النبي ﷺ بضرب عنق النضر بن الحارث فقتله علي بن أبي طالب ضرباً بالسيف، وأرغم الله أنف هذا الكافر وأذله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وأما عقبة بن أبي معيط فقد أمر النبي ﷺ بضرب عنقه في مكان يقال له: عرق الظبية^(٣).

وكان الذي أسره من المسلمين عبد الله بن سلمة، فقال عقبة حين أمر النبي ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ يستعطف النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «النَّارُ»، وكان الذي قتله عاصم بن ثابت^(٤).

(١) السيرة النبوية (١/٣٢٦).

(٢) الأثيل: موضع بين بدر والصفراء وفاء الوفا (٢/٢٤٢). قال الواقدي: الأثيل واد طوله ثلاثة أميال، بينه وبين بدر ميلان، مغازي الواقدي (١/١١٣).

(٣) مكان دون الروحاء بميلين، وفاء الوفا (٤/١٠٠٩/١٢٥٩).

(٤) السيرة النبوية (٢/٢٣٦) وأخرجه ابن جرير (٢/٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٣٢٣). وأخرجه أبو داود ص ٣٠٣ حديث رقم ٢٦٨٦، وصححه الألباني رحمه الله

في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٣٣٦.

وفي رواية الواقدي: أنه لما أقبل إليه عاصم بن ثابت ليقتله قال: يا معشر قريش، علام أُقتل من بين من هاهنا؟ قال: لعداوتك لله ولرسوله، فأمر به فضربت عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «بِئْسَ الرَّجُلُ كُنْتَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ كَافِرًا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ مُؤْذِيًا لِنَبِيِّهِ، فَأَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ قَتَلَكَ، وَأَقْرَّ عَيْنِي مِنْكَ»^(١).

والأمثلة كثيرة فيمن عاداه وأذاه عليه الصلاة والسلام وكيف كانت نهايته في الدنيا قبل الآخرة؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الحادية والثمانون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ رقم (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر]. وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كلمة سابقة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: استقبل رسول الله ﷺ البيت فدعا على ستة نفر من قريش، فيهم: أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً^(١). ولناخذ قصة مقتل اثنين من هؤلاء الكفرة الذين كانا يستهزئان به ﷺ ودعا عليهما وهما: أبو جهل رأس الكفر وفرعون هذه الأمة، وأمية بن خلف الذي عذب بلائاً رضي عنه، وكيف انتقم الله لنبيه منهما؟

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) ص ٧٤٦ برقم ١٧٩٤، وصحيح البخاري ص ١١٩ برقم ٥٢٠.

عبد الرحمن بن عوف قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يَجُولُ في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» قال كل واحد منهما: أنا قتلتُه، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح»، وكانا معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه؟ أو رجل قتلته قومه؟^(٢).

(١) ص ٦٠١ برقم ٣١٤١، وصحيح مسلم ص ٧٢٧ برقم ١٧٥٢.

(٢) ص ٧٥٣ برقم ٣٩٦٢، وصحيح مسلم ص ٧٢٧ برقم ١٧٥٢.

وقال أيضاً لابن مسعود: فلو غير أكار^(١) قتلني^(٢).

وفي رواية أخرى للبخاري: وهل أعمد^(٣) من رجل قتلتموه^(٤)؟

وقال أيضاً لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، وسأل قائلاً: لمن الدائرة اليوم؟ قال ابن مسعود: لله ولرسوله.

أما أمية بن خلف فقد روى البخاري في صحيحه قصة قتله من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظُهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبِنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ^(٥) حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبُوَا حَتَّى يَتَّبِعُونَا،

(١) الأكار الزراع وعني بذلك أن الأنصار أصحاب زرع فأشار إلى تنقيص من قتله منهم بذلك.

(٢) ص ٧٦٢ برقم ٤٠٢٠.

(٣) أعمد يريد أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لفعالهم به. قال الحافظ أبو ذر الخشني: وعميد القوم سيدهم شرح السنة النبوية ص ١٦٠.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٧).

(٥) أحرزت الشيء إذا حفظته وضممته إليك.

وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: اِبْرُكْ فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ (١).

وفي رواية لابن إسحاق وهي تتمه لهذه القصة: قال أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه أخذ بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل قال عبد الرحمن: فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء (٢) مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد فيقول بلال: أحد أحد قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال أبأسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا قال: قلت: أسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا قال: ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا قال: فأحاطوا بنا، حتى جعلونا في مثل المسكة (٣) أي جعلونا في حلقة كالسوار وأنا أذب عنه قال: فأخلف رجل السيف فضرب

(١) ص ٤٣ برقم ٢٣٠١.

(٢) الرمضاء: الرمل الحار من الشمس.

(٣) المسكة: السواد من الذيل، الذيل جلدة السلحفاة البرية.

رجل ابنه فوق وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط قال:
فقلت: انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً قال:
فهبروهما^(١) بأسيا فهم حتى فرغوا منهما قال: فكان عبد الرحمن
يقول: يرحم الله بلالاً ذهب أدراعي وفجعتني بأسيري^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فهبروهما: معناه: قطعوا اللحمهما يقال: هبرت اللحم إذا قطعتة قطعاً كبيراً.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٣).

الكلمة الثانية والثمانون

شرح اسم الله البصير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، قال بعضهم: ورد ذكر البصير في كتاب الله تعالى اثنتين وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال تعالى: ﴿مَا مَسِكُھُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]. قال ابن كثير: والله بصير بالعباد: أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وما ذاك إلا لحكمته ورحمته^(٢).

وإن سألت عن بصره فهو البصير جل جلاله الذي قد كمل في بصره أحاط بصره بجميع المُبصرات في أقطار الأرض والسموات حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٧).

وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من دون ذلك ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان ويرى ما تحت الأراضي السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْبَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَانِ
وَيَرَى مَجَارِيَ الْقَوْتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى عُرُوقَ بِيَاضِهَا بِعَيَانِ
وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعَيُونِ بِلِحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ^(٢)

وقال المؤيد في الدين:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ
وَيَرَى نِيَاطَ^(٣) عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمُخَّ مِنْ تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحْلِ
أَمُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة البصر لله لأنه وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه، وصفة البصر من صفات الكمال كصفة السمع فالمتصف بهما أكمل ممن لا يتصف بذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

(١) موارد الأمان ص ٢٧.

(٢) النونية (٢/٢١٥) لابن القيم بشرح ابن عيسى.

(٣) قال في اللسان: النياط: الفؤاد، والنياط عرق علق به القلب من الوتين (٧/٤١٨).

وقال تعالى موبخاً للكفار ومسفهاً عقولهم لعبادتهم الأصنام التي هي من الحجارة الجامدة: ﴿ اَللّٰهُمَّ اَرْجُلُ يَمْسُوْنَ بِهَا اَمَّ لَهْمُ اَيْدٍ يَّبْطِشُوْنَ بِهَا اَمَّ لَهْمُ اَعْيُنٌ يُّبْصِرُوْنَ بِهَا اَمَّ لَهْمُ اَاذَانٌ يَّسْمَعُوْنَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. أي أنتم أكمل من هذه الأصنام لأنكم تسمعون وتبصرون فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها؟!

ثانياً: أن الله تبارك وتعالى بصير بأحوال عباده خبير بصير بمن يستحق الهداية منهم، ممن لا يستحقها بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال وبمن يفسد حاله بذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْاَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ اِنَّهٗ بِعِبَادِهِ لَخَبِيْرٌ بَصِيْرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]. وهو بصير بالعباد شهيد عليهم الصالح منهم والفساق قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كٰفِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللّٰهُ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴾ [التغابن: ٢]. بصير خبير بأعمالهم وذنوبهم، قال تعالى: ﴿ وَكَفٰنِيْ بِرَبِّكَ بِذُنُوْبٍ عِبَادِهِ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]. وسيجزئهم عليها أتم الجزاء^(١).

ثالثاً: إذا علمنا أن الله بصير حملنا ذلك على حفظ الجوارح وخطرات القلوب عن كل ما لا يرضي الله، وحملنا أيضاً على خشيته في السرو العلانية في الغيب والشهادة لأنه يرانا على كل حال، فكيف نعصيه مع علمنا باطلاعه علينا؟! قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرٰكَ حِيْنَ تَقُوْمُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِيْنَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]. ومن علم أنه

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٣٧).

يراه أحسن عمله وعبادته. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

قال النووي رحمته الله: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات، واجتماعه بظاهره وبباطنه وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٦ برقم ٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٥٧-١٥٨).



شرح حديث

الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم، حتى آووا المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيءٍ يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرِهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك: ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج»، قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألفت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينارٍ على أن تخلي بيني

وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْضُرَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّلَاثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأَقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^(١).

وفي هذا الحديث فوائد وعبر كثيرة.

أولاً: فضيلة بر الوالدين وأنه من الأعمال الصالحة التي تُفْرَجُ بها الكربات، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَجْهِهَا» قال: ثم أي؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قال: ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

(١) ٤٢٣ - ٤٢٤ برقم ٢٢٧٢، وصحيح مسلم ص ١٠٩٦ رقم ٢٧٤٣.

(٢) ص ١٢١ برقم ٥٢٧، وصحيح مسلم ٦٢ برقم ٨٥.

ثانياً: فضيلة العفة عن الزنا وأن الإنسان إذا عف عن الزنا مع قدرته عليه فإن ذلك من أفضل الأعمال، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ» (١).

ثالثاً: في الحديث دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير فإن هذا الرجل كان بإمكانه لما جاءه الأجير أن يعطيه أجره ويقتي هذا المال له ولكن لأمانته وإخلاصه لأخيه ونصحه له أعطاه كل ما أثمر أجره له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

رابعاً: أن من أعظم الأسباب التي تدفع بها المكاره الدعاء فإن الله سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

خامساً: أن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات لأن كل واحد منهم يقول: اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه.

سادساً: مشروعية التوسل إلى الله بالعمل الصالح فإن كل واحد منهم توسل إلى الله بعمله الصالح أن الله يزيل عنهم ما بهم من الضر والشدة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة الرابعة والثمانون

قصة قارون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قص الله علينا قصص الأمم الماضية لناخذ منها الدروس والعبر، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قُرُونَكَ مِنَ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبغَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ وَءَايَنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَابِتُ اللَّهُ بِيَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنَّ مِنَ اللَّهِ

عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَتْهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص].

يخبر تعالى عن حال قارون وما فعل وما فعل به وأنه كان من بني إسرائيل الذين فضّلوا على العالمين ولكنه بغى على قومه وطغى بما أُوتيه من الأموال العظيمة المطغية، وأعطاه الله من كنوز الأموال شيئاً كثيراً ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والعصبة من العشرة إلى التسعة إلى السبعة ونحو ذلك أي حتى إن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها أي هذه المفاتيح فما ظنك بالخزائن؟ وقال له قومه: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة وتفتخر بها، فإن الله لا يحب الفرحين بها، ﴿وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فلا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك وأحسن إلى عباد الله ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله ورد قارون على قومه قائلاً: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب «وخرج ذات يوم على قومه بأحسن هيئة» جمعت زينة الدنيا وبهجتها وغضارتها ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وقال الذين أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿الَّذِينَ عَرَفُوا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَنظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ﴾ العاجل من لذة العبادة ومحبته والإنابة والإقبال عليه والآجل من الجنة وما فيها خير مما تمنيتم وورغبتم فيه ولا يوفق لذلك إلا الصابرون.

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر وازينت الدنيا عنده

بغته العذاب فخشف الله به وبداره الأرض، فما كان له من جماعة أو عصابة أو جنود ينصرونه فما نصر ولا انتصر، ثم عرف الذين تمنوا مكانه بالأمس من الذين يريدون الحياة الدنيا أن الله يضيق الرزق على من يشاء ويبسطه لمن يشاء، وعلموا أن بسطه لِقَارُونَ ليس دليلاً على محبته وأن الله مَنْ عَلَيْهِمْ فلم يعاقبهم على قولهم وإلا أصبح حالهم الهلاك كقارون لعنه الله.

ولما ذكر الله تعالى حال قارون وما صارت إليه عاقبة أمره رَغِبَ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وأخبر أنها دار الذين لا يريدون علواً أي رفعة وتكبراً على عباد الله ولا فساداً وهذا شامل لجميع المعاصي، وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحميدة كما قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] (١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن المال يكون وبالاً وحسرة على صاحبه إذا لم يستخدمه في طاعة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

ثانياً: إن كثرة المال ليست دليلاً على محبة الله ورضاه عن العبد،

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نَسَائِحِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].^(١)

ثالثاً: أن المعاصي قد تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة فقارون عاجله الله بالعذاب بالخسف فجعله عبرة للآخرين، قال تعالى: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

رابعاً: إن الله تعالى ييسر الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء لحكمة بالغة منه، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

خامساً: إن هذا المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ط وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١ وقال محققوه: حديث حسن.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١٤، وصحيح مسلم ص ١١٨٨ برقم ٢٩٦٠.

الكلمة الخامسة والثمانون

نزول المطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده: نزول هذه الأمطار المباركة، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه - وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها - أقلع عنها وأعقبه بالصحو فهما - أعني الصحو والتغيم - يعتقان على العالم لما فيه صلاحه، ولو دام أحدهما كان فيه فساد، فلو توالى الأمطار لأهلكت ما على الأرض، ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار، وعفنت الزروع والخضروات وأرخت الأبدان وخشرت الهواء، فحدثت ضروب من الأمراض، وفسد أكثر المآكل وتقطعت المسالك والسبل، ولو دام الصحو لجفت الأبدان وغيض الماء، وانقطع معين العيون والآبار والأنهار والأودية وعظم الضرر، واحتدم الهواء، فببس ما على الأرض، وجفت الأبدان،

وغلب اليُبْسُ، وأحدث ذلك ضرورياً من الأمراض عسرة الزوال، فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم، فاعتدل الأمر، وصح الهواء، ودفع كل واحد منهما عادية الآخر، واستقام أمر العالم وصلاح^(١).

ومن الأذكار التي تقال عند نزول المطر ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زيد بن خالد الجهني قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»^(٣). وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُوبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»^(٤)^(٥).

وميكائيل موكل بنزول المطر ففي الحديث الذي رواه

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٩٩).

(٢) ص ١٧٢ برقم ٨٤٦، وصحيح مسلم ص ٥٩ برقم ٧١.

(٣) ص ٢٠٥ برقم ١٠٣٢.

(٤) ص ٣٤٧ برقم ٨٩٨.

(٥) معناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن، عرفنا أنك نبي واتبعناك؛ وفي آخر الحديث قالوا: إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريلُ عليه السلام» قالوا: جبريل! ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^(١).

ويشرع للمسلم أن يكثر من الدعاء عند نزول المطر، لما رواه الشافعي في الأم من حديث مكحول مرسلًا أن النبي ﷺ قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث»^(٢).

ويشرع للمسلم الذكر عند سماع الرعد لما رواه مالك في الموطأ من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير موقوفاً عليه: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد^(٣).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الرعد ملك من ملائكة الله، موكَّل بالسحاب معه مخاريق من

(١) (٢٨٤/٤ - ٢٨٥) برقم ٢٤٨٣ وقال محققوه: إسناده حسن دون قصة الرعد.

(٢) (٢٥٣/١) وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤٥٣/٣) برقم ١٤٦٩.

(٣) ص ٦٥٥ برقم ٣٠٥٥ وقال محققوه: صحيح مقطوع أو موقوف.

نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»^(١)، وقد يسقي هذا الملك بأمر الله بلاداً دون بلاد، أو قرية دون أخرى، وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاحِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَاتَّصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ»^(٢).

وإذا نزل المطر وكان غزيراً وخيف منه الضرر فإنه يشرع للمسلم أن يدعو الله بتخفيفه. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا،

(١) ص ٤٩٦ برقم ٣١١٧، وصححه الألباني رحمته الله في سنن الترمذي (٦٤/٣) برقم ٢٤٩٢.

(٢) ص ١١٩٦ برقم ٢٩٨٤.

اللَّهُمَّ أَعِثْنَا، اللَّهُمَّ أَعِثْنَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً^(١)، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ^(٢) مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعْتُ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةً مِثْلَ الثُّرْسِ^(٣)، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا^(٤). ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ - يَعْنِي الْيَوْمَ الثَّانِي - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ^(٥) وَالظَّرَابِ^(٦) وَبُطُونِ الْأُودِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعْتُ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ^(٧).

قال النووي: وفي هذا الحديث الإخبار عن معجزة الرسول ﷺ وعظيم كرامته على ربه ﷻ بإنزال المطر سبعة أيام متواصلة بسؤاله من غير تقدم سحاب ولا قزع ولا سبب آخر ظاهر ولا باطن^{(٨)(٩)}.
والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) القطعة من السحاب.

(٢) جبل بقرب المدينة.

(٣) وهو ما يبقى له السيف.

(٤) أي أسبوعاً.

(٥) وهي دون الجبل وأعلى من الراية.

(٦) وهي الجبل المنبسط ليس بالعالي.

(٧) ص ٢٠٢ برقم ١٠١٤، وصحيح مسلم ص ٣٤٦ برقم ٨٩٧.

(٨) شرح صحيح مسلم (٢/١٩٢).

(٩) انظر: عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر الأشقر ص ٨٠-٨١.

الكلمة السادسة والثمانون

تواضع السلف وخوفهم من ربهم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله في تعليقه على الآيات المتقدمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي: وجلون مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية ربهم خوفاً أن يضع عليهم عدله فلا يُبقي

(١) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٩ - ٨٠) برقم ٢٥٣٧.

لهم حسنة وسوء ظن بأنفسهم أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله وخوفاً على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب والتقصير في الواجبات^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لئن أعلم أن الله تقبل مني ركعتين أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢٧).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري قال: قال عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: فقلت: لا، قال: قال أبي لأبيك: يا أبا موسى هل يسرك إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا وأن كل عمل عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس؟ فقال أبي: لا والله قد جاهدنا مع رسول الله ﷺ وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً وأسلم على أيدينا بشر كثير وإنما لندرجو ذلك، فقال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لو ددت أن ذلك برد لنا وأن كل شيء عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس فقلت: إن أباك والله خير من أبي^(٢).

قال ابن حجر: والقائل هو أبو بردة وخاطب بذلك ابن عمر فأراد

(١) تفسير ابن سعدي ص ٥٢٦ .

(٢) ص ٧٤٥ برقم ٣٩١٥ .

أن عمر خير من أبي موسى، فعمر أفضل من أبي موسى لأن مقام الخوف أفضل من مقام الرجاء، فالعلم محيط بالآدمي لا يخلو عن تقصير ما في كل ما يريد من الخير وإنما قال ذلك عمر هضماً لنفسه وإلا فمقامه في الفضائل والكمالات أشهر من أن تذكر^(١). اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والمراد أن المؤمن يخفي أحواله عن الخلق جهده كخشوعه وذله وانكساره لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، وكم قد اقتطع في هذه المفازة من سالك؟ والمعصوم من عصمه الله فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل؟ وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره وكان يقول كثيراً: ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكْدِي وابنُ المُكْدِي وهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي
وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: إني إلى الآن أُجدد إسلامي في كل وقت وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً^(٢).

ومن الناس إذا نصحته في أمر ما قال: نحن أحسن من غيرنا بكثير غيرنا لا يصلي، ويفعل الموبقات، ونحن نصلي ونصوم ونؤدي

(١) فتح الباري (٧/٢٥٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٩١).

فرائض الإسلام فيقول هذا معجباً بعمله، ومثل هذا يذكر بقول الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَانَكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلي من أسفل منكم ولا تنظروا إلي من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»^(١).

قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه ممن طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيصة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أحسن حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده^(٢). اهـ.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى في التواضع، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام»^(٣). وعمر رضي الله عنه كما في الأثر السابق الخليفة الثاني، ومن العشرة المبشرين بالجنة، يقول عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ

(١) ص ١٢٤٤ برقم ٦٤٩٠، وصحيح مسلم ص ١١٨٩ برقم ٢٩٦٣ واللفظ له.

(٢) فتح الباري (١١/٣٢٣).

(٣) ص ٩٦٣ برقم ٢٣٦٩.

عُمَرُ^(١)، ومع ذلك يقول: وددت أن أعمالي كفافاً لا لي ولا علي^(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث العلاء بن المسيب عن أبيه قال: «لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»^(٤).

يقول ابن المبارك: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرهاً^(٥). وهذا من تواضعه وإلا فهو العلامة الزاهد الورع؛ قال المروزي: سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل ذكر أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا أين نحن من هؤلاء؟ وقال صالح بن أحمد: كان أبي إذ دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها، وقال مرة: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي، وقال المروزي: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي

(١) سنن الترمذي ص ٥٧٧ برقم ٣٦٨٦ وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٤) برقم ٢٩٠٩.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٧ برقم ٣٧٠٠.

(٣) ص ٧٠١ برقم ٣٦٧١.

(٤) ص ٧٩٢ برقم ٤١٧٠.

(٥) مختصر منهاج القاصدين ص ٤٧٣.

عبد الله وكان رجلاً صالحاً فقال: إن أمي رأت لك مناماً هو كذا وكذا وذكرت الجنة فقال: يا أخي إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره، وقال له المروزي يوماً: كيف أصبحت يا أحمد؟ قال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة^(١).

وصدق الفرزدق عندما قال:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجمع

ولا شك أن ما تقدم من أقوال عن السلف فإنما مردها إلى أنهم كانوا يهضمون أنفسهم، ويتواضعون ويحتقر أحدهم نفسه ويمقتها في ذات الله وهذا هو حال المؤمن التقي حتى يلقي الله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦ - ٢٢٧).

الكلمة السابعة والثمانون

سيرة الزبير بن العوام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر ونقتدي به في جهاده وتضحيته لهذا الدين، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، يقول عنه المؤرخون: إنه يعد بألف فارس، أسلم هذا الصحابي وهو في ريعان شبابه لم يتجاوز السادسة عشر عاماً، قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - ذكر منهم - شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ»^(١) وهو أول من سل سيفه في الإسلام، وكان من السابقين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق، وقد هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، وهو حوارى^(٢)

(١) ص ٢٧٧ رقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.

(٢) الحوارى هو خالصة الإنسان وصفيه المختص به.

رسول الله ﷺ، قال عنه عمر بن الخطاب: إنه ركن من أركان هذا الدين، وعند وفاته لم يبق موضع في جسده إلا وبه جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى منه ذلك إلى الفرج، بل إن صدره الذي يقابل به الأعداء أصبح كأمثال العيون من الضربات والطعنات وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة بشره النبي ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة. إنه فارس الإسلام الزبير ابن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ويكنى أبا عبد الله، وله قرابة من النبي ﷺ من جهتين فأمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وأيضاً هو ابن أخي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً، فارغ الطول إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، خفيف اللحية والعارضين، يميل إلى السمرة، وهذا الصحابي نموذج فريد للتضحية والبذل والنصرة لهذا الدين.

فمن مواقفه العظيمة ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا ثم قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ»^(١). وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم: إن الزبير قال: لقد جمع لي رسول الله ﷺ يوماً أبويه، فقال: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^(٢).

ومن مواقفه العظيمة كذلك ما حدث في فتح مصر عندما استعصت على جيش المسلمين ودام الحصار سبعة أشهر فتقدم وقال:

(١) ص ٧٨١ برقم ٤١١٣، وصحيح مسلم ص ٩٨٤ برقم ٢٤١٥.

(٢) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٤ برقم ٢٤١٦.

أهب نفسي لله وللمسلمين فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن ثم صعد عليه وأمر بقية الجنود إذا سمعوا تكبيراته أن يجيئوه جميعاً، ثم رمى بنفسه في الحصن فلم يشعر الأعداء إلا والزبير داخل الحصن فبدأ يضرب بسيفه حتى وصل إلى الباب وفتحه وكبر المسلمون ودخلوا الحصن وكان الفتح الكبير.

وكان له موقف بطولي رائع في معركة اليرموك الشهيرة وكان عدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل كما يذكر المؤرخون. روى البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: «أَلَا تَشُدُّ فَتَشُدُّ مَعَكَ؟» فقال: إني إن شددت كذبتهم، فقالوا: لا تفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً^(١).

ولما حدثت معركة الجمل قال لابنه عبد الله كما في سنن الترمذي من حديث هشام بن عروة: ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذاك إلى فرجه^(٢). قال علي بن زيد: أخبرني

(١) ص ٧٥٥ برقم ٣٩٧٥.

(٢) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٤٦ وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث حماد بن زيد، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢١٧) برقم ٢٩٤٥.

من رأى الزبير أن في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي^(١).
وكان يوم بدر معتجراً بعمامة صفراء فنزلت الملائكة عليهم
عمائم صفر^(٢).

وهذه منقبة عظيمة له رضي عنه وأرضاه.

ومن مواقفه العظيمة التي تدل على شجاعته وقوته ما رواه
البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: قال
الزبير: لقيت يوم بدر عبدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى
منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش،
فحملت عليه بالعنزة^(٣) فطعته في عينه فمات، قال هشام: فأخبرت
أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطأت، فكان الجهد
أن نزعته وقد انثنى طرفاها، قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ
فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه،
فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها فلما قبض عمر أخذها،
ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي،
فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قُتل^(٤).

ومن مواقفه أن الزبير ضرب يوم الخندق عثمان بن المغيرة

(١) سير أعلام النبلاء (١/٥٢).

(٢) الحاكم في المستدرک (٤/٤٣٨) برقم ٥٦٠٨ وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) العنزة: أطول من العصا وأقصر من الرمح في أسفلها زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ
الكبير (القاموس ص ٦٣١).

(٤) ص ٧٥٩ برقم ٣٩٩٨.

بالسيف على مغفره^(١)، فقطعه إلى القربوس^(٢) فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير يريد أن العمل ليده لا للسيف^(٣) وكان رضي الله عنه رجلاً غنياً كريماً ينفق ولا يبالي له من الممالك ألف مملوك كلهم يؤدي إليه الخراج، فكان لا يدخل بيته منها شيئاً يتصدق به كله.

في صحيح البخاري أنه قال لابنه عبد الله يوم الجمل: يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه^(٤).

وكان قتله بعد معركة الجمل. ذكر أهل السير أنه انسحب من المعركة في مكان يقال له: وادي السباع^(٥).

وأنشد يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي أَنْ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ

فأدرکه في الوادي رجل يقال له: عمرو بن جرموز وهو نائم في

(١) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، فتح الباري (٤/٦٠).

(٢) القربوس: مقدم السرج ومؤخره.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٥١).

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري ص ٥٩٨-٥٩٩ برقم ٣١٢٩.

(٥) موضع قريب من البصرة على بعد سبعة فراسخ منها.

القائلة فهجم عليه فقتله، وقيل: إنه قتله وهو يصلي غيلة^(١)، ثم أخذ سيفه وذهب إلى علي لينال منزلة عنده فرفض علي أن يأذن له وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ حَوَارِيٌّ»^(٢)، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ.

قال ابن المديني: سمعت سفيان يقول: جاء ابن جرموز إلى مصعب بن الزبير يعني لما ولي إمرة العراق لأخيه الخليفة عبد الله بن الزبير، فقال: أقدني بالزبير، فكتب في ذلك يشاور ابن الزبير فجاءه الخبر: أنا أقتل ابن جرموز بالزبير؟ ولا بشسع نعله.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أكل المعثر يديه ندماً على قتله واستغفر لا كقاتل طلحة، وقاتل عثمان، وقاتل علي^(٣). قالت زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو في رثائه:

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً^(٤) يَوْمَ اللَّقَاءِ^(٥) وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ^(٦)
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا^(٧) رَعِشَ^(٨) الْبِنَانَ وَلَا الْيَدَ

(١) أي غدراً.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٨١) برقم ٧٩٩ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٤).

(٤) البُهْمَةُ: بضم الموحدة وسكون الهاء الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه.

(٥) اللقاء: الحرب لأنه تتلاقى فيه الأبطال.

(٦) المعرد: اسم فاعل من عرد تعريداً بمهملات إذا فر وهرب.

(٧) طاش يطيش إذا خف عقله من دهشة وخوف.

(٨) رعش: بكسر العين المهملة وصف من رعش كفرح ومنع - رعشاً ورعشاً: أخذته الرعدة.

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله
 كم غمرة^(١) قد خاضها لم يثنه
 فيما مضى مما تروح وتغتدي
 عنها طرادك يا ابن فقع^(٢) الفدغد^(٣)
 حلت عليك عقوبة المتعمد
 والله ربك إن قتلت لم مسلماً
 ولبعضهم:

إن الرزية من تضمّن قبره
 لَمَا أتى خبر الزبير تواضعت
 وادي السباع لكلّ جنب مضرع
 سور المدينة والجبال الخشع
 قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
 خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾^(١٣)
 [النساء]. وكان قتله كما قال البخاري وغيره: في رجب سنة ست
 وثلاثين من الهجرة وله أربع وستون سنة^(٤).

رضي الله عن الزبير، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير
 الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء
 والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) غمرة: بالفتح، الشدة.

(٢) الفقع: بفتح الفاء وكسرهما وسكون القاف، نوع أبيض من رديء الكمأة.

(٣) الفدغد: الأرض المستوية وفقع الفدغد مثل للدليل.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٦٨).

الكلمة الثامنة والثمانون

شرح اسم الله السميع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتابه: السميع، قال بعضهم: ورد ذكر اسم الله السميع خمساً وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وقال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وسمعه تعالى نوعان:

الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها.

الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدین فيجيهم ويشيهم ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

أي: مجيب الدعاء ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه كما قال النبي ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»^(١) وفي رواية: «يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ»^(٢) أي: يُجِيبُكُمْ، فالسماع هنا بمعنى الإجابة والقبول، وفي الحديث الذي رواه الترمذي في سننه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٣).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة السمع له سبحانه كما وصف الله نفسه بذلك قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وإن سألت عن سمعه فهو السميع الذي قد كمل في سمعه فاستوى في سمعه سر القول وجهره وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشبهه عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تُغَلِّطُه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحِين على الدوام، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة^(٤). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

(١) ص ١٦٣ برقم ٧٩٦، وصحيح مسلم ص ١٧٥ برقم ٤٠٩.

(٢) صحيح مسلم ص ١٧٤ برقم ٤٠٤.

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ص ٥٤٩ برقم ٣٤٨٢، وقال: هذا حديث حسن

صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) طريق الهجرتين ص ٧٦ نقلاً عن كتاب الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ

عبدالهادي وهبي ص ١٤٤.

وَضَجِيحٌ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ يَسْمَعُهُ وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ [لقمان:
 ٢٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾
 [الرحمن: ٢٩].

ثانياً: أن سمع الله ليس كسمع أحد من خلقه فإن الخلق وإن
 وُصِفُوا بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
 نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]. إِلَّا أَنْ سَمِعَهُمْ
 وَبَصَرَهُمْ لَيْسَ كَخَالِقِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ
 وَابْنُ خَالِيَةَ فِي صَحِيحِهِ تَعْلِيقًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 وَسِعَ سَمْعَهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمَجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَكَلَّمَهُ وَأَنَا
 فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي
 تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ ^(١).

وَرَوَى ابْنُ خَالِيَةَ فِي صَحِيحِهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى
 الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَرْنَا فَقَالَ
 النَّبِيُّ ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا
 غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا » ^(٢).

(١) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ١٧٤ ص ١٤٠٨، وأخرجه
 الإمام أحمد في مسنده (٢٢٨/٤٠) برقم ٢٤١٩٥ وقال محققوه: إسناده صحيح على
 شرط مسلم.

(٢) ص ١٢٢٦ برقم ٦٣٨٤، وصحيح مسلم ص ١٠٨٣-١٠٨٤ برقم ٢٧٠٤.

ثالثاً: أن الله قد أنكر على المشركين الذين ظنوا أن الله لا يسمع السر والنجوى. روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية^(١). وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

رابعاً: إذا علم العبد أن ربه يسمع كل شيء لا تخفى عليه خافية فيسمع حركاته وسكناته حملة ذلك الاعتقاد على المراقبة لله سبحانه في جميع الأحوال وفي جميع الأمكنة والأزمنة، فيمسك عن كل قول لا يرضي ربه، ويحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ بَجَّهْرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٨].

خامساً: أن الله هو السميع الذي يسمع المناجاة ويوجب الدعاء عند الاضطرار ويكشف السوء ويقبل الطاعة، وقد دعا الأنبياء والصالحون بهذا الاسم ليقبل منهم طاعتهم ويستجيب لدعائهم فإبراهيم وإسماعيل قالوا: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ودعا زكريا أن يرزقه الله ذرية صالحة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. فاستجاب الله

(١) صحيح البخاري برقم ٤٨١٧، وصحيح مسلم برقم ٢٧٧٥.

دعائه ودعا يوسف عليه السلام أن يصرف عنه كيد السوء ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٤].

سادساً: أن العبد إذا دعا ربه فسمع دعائه سماع إجابة وأعطاه ما سأله وعلى حسب مراده ومطلبه أو أعطاه خيراً منه حصل له بذلك سرور يمحو من قلبه آثار ما كان يجده من وحشة البعد فإن للعطاء والإجابة سروراً وأنساً وحلاوة، وللمنع وحشة ومرارة، فإذا تكرر منه الدعاء، وتكرر من ربه سماع وإجابة لدعائه، محاه عنه آثار الوحشة، وأبدله بها أنساً وحلاوة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تهذيب المدارج ص ٩٠١.

(٢) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الأسماء الحسنی والصفات العلی ص ١٤٤-١٤٦.

الكلمة التاسعة والثمانون

تفسير سورة الزلزلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذات (الر)» فقال الرجل: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ من ذات (حم)» فقال مثل مقالته الأولى، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة، فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ۝ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَذْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ الرَّوَيْجِلُ،

أَفْلَحَ الرَّوَّيْجِلُ»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^(١)، قال ابن عباس: أي: تحركت من أسفلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٢)، يعني: ألقته ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زِلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾^(٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ^(٤) [الانشقاق]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾^(٣) أي استنكر أمرها بعد ما كانت ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال وصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقته ما فيها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤٨) [إبراهيم].

(١) (١٣٩/١١) برقم ٦٥٧٥ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) ص ٣٩١ رقم ١٠١٣.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، قوله تعالى: ﴿يَأْنُ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: قال ابن عباس: أوحى لها أي أوحى إليها، قال ابن كثير: والظاهر أن هذا مضمن لمعنى أذن لها، وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: قال ربها: قولي، أي تكلمي بما حصل عليك من خير أو شر^(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي يخرجون إلى موقف الحساب أشتاتاً: أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، قال تعالى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾: أي ليجازوا بما عملوا في الدنيا من خير أو شر، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ» ثم سئل في آخر الحديث عن الحُمُر قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾»^(٢).

والذرة هي أصغر النمل، فالنبي ﷺ بين في هذا الحديث أن هذه السورة جامعة ومبينة للخير والشر فمن عمل خيراً أراد به وجه الله أثيب عليه، ومن عمل شراً عوقب عليه يوم القيامة، وفي

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٢٨ - ٤٢٩).

(٢) ص ١٤٠١ برقم ٧٣٥٦، وصحيح مسلم برقم ٩٨٧.

الصحيحين من حديث عدي مرفوعاً: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث صعصعة بن معاوية أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨) ﴿ قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها^(٢).

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن الأرض تخبر يوم القيامة بما فعل الناس عليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْمُؤَدِّنِ جَنُّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ثانياً: أن الناس يوم القيامة يصعدون أشتاتاً، أي: جماعات متفرقين بحسب أعمالهم كل يتجه إلى مأواه؛ فأهل الجنة - جعلنا الله منهم - يتجهون إليها، وأهل النار والعياذ بالله يساقون إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾^(٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا^(٨٦) ﴿ [مريم].

ثالثاً: أن الله تعالى يُري العباد أعمالهم يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(٣٠) [آل عمران: ٣٠]. وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ

(١) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٤٠ وصحيح مسلم ص ٣٩٢ برقم ١٠١٦.

(٢) (٢٠/٣٤) برقم ٢٠٥٩٣ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) ص ١٣٤ رقم الحديث ٦٠٩.

أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (١).

رابعاً: أن فيها الحث على الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة والبعد عن المعاصي وإن كانت صغيرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا» (٢) (٣).

وكذلك الخير لا يحقر المسلم منه شيئاً. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ» (٤).

قال تعالى: ﴿ وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧) [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠) [النساء]. وكانت عائشة رضي الله عنها تتصدق بعنبة وتقول كم فيها من مثقال ذرة (٥).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

(٢) (٤٧٨/٤٠) برقم ٢٤٤١٥ وقال محققوه: إسناده قوي.

(٣) قال السندي: قوله: فإن لها من الله طالباً، أي: فإن لها ملكاً يسألك يجيء من الله تعالى، كالمنكر والنكير في القبر مثلاً.

(٤) ص ١٠٥٤ برقم ٢٦٢٦.

(٥) تفسير ابن كثير (٤٣١/١٤).

الكلمة التسعون

شرح حديث: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
 روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» (١).

قوله: «اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ» اقسِم: بمعنى قَدَّر، والخشية هي الخوف المقرون بالعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والإنسان كلما خشي الله ﷻ

(١) ص ٥٥١ برقم ٣٥٠٢، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٣.

منعته خشيته من الله أن يتتهك محارم الله، ولهذا قال: «مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ».

قوله: «وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ»: يعني واقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك فإن الجنة طريقها طاعة الله ﷻ، فإذا وفق العبد بخشية الله واجتناب محارمه والقيام بطاعته نجا من النار ودخل الجنة بطاعته.

قوله: «وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا»، اليقين هو أعلى درجات الإيمان لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد من حضر بين يديك، قال ابن مسعود: اليقين هو الإيمان كله؛ فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالى من أمور الغيب فيما يتعلق بالله ﷻ أو بأسمائه أو صفاته أو اليوم الآخر وغير ذلك وصار ما أخبر الله به من الغيب عنده بمنزلة الشاهد فهذا هو كمال اليقين، والدنيا فيها مصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين تام أنه يكفر بها من سيئاته ويرفع بها من درجاته إذا صبر واحتسب الأجر من الله، هانت عليه المصائب وسهلت عليه المحن مهما عظمت سواء كانت في بدنه أو في أهله أو في ماله. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنَكَّبَهَا أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا»^(١).

قوله: «مَتَّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا»: أي اجعلنا ممتنعين وممتنعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أي بأن نستعملها في طاعتك.

قال ابن الملك: التمتع بالسمع والبصر إبقاؤهما صحيحين إلى الموت وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقها لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات القرآنية وذلك بطريق السمع أو من الآيات الكونية في الآفاق والأنفس بطريق البصر، والإنسان إذا تمتع بهذه الحواس حصل على خير كثير وإذا افتقدها فاته خير كثير، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [٢٣] [الملك].

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتنع بقوته وعقله فوثب يوماً وثبة شديدة فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر^(١).

قوله: «وَأَجَعَلَهُ الْوَارِثَ مِنَّا»: واجعله أي المذكور من الأسماع والأبصار والقوة، (الوارث) أي الباقي بأن يبقى إلى الموت.

قوله: «وَأَجَعَلْنَا ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا». أي اجعلنا نستأثر وتكون لنا الأثرة على من ظلمنا بحيث تقتص لنا منه إما بأشياء تصيبه في الدنيا أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [١٤٨] [النساء]. وفي الصحيحين

من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

قوله: «وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا»: من الأعداء وهم كثر من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين وغيرهم ومن أكبر أعدائنا وأشدّهم ضرراً علينا الشيطان الذي حذرنا الله منه فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالى عن الكفار: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]. وقال تعالى عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

والله تعالى ناصرنا عليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ ۗ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قوله: «وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا»: المصائب تكون في مال الإنسان أو بدنه أو مسكنه أو أهله فيمرضون أو يموتون أو غير ذلك وأعظم مصيبة هي مصيبة الدين وهي على قسمين إما أن يبتلى بالمعاصي كأكل الحرام واعتقاد السوء أو يبتلى بما هو أعظم من ذلك كالشرك والكفر والنفاق وما أشبه فهذه مهلكة مثل الموت للبدن.

قوله: «وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»: أي لا تجعل طلب المال والجاه أكبر قصدنا وهمنا، بل اجعل أكبر قصدنا مصروفاً

(١) جزء من حديث ص ٨٢١ برقم ٤٣٤٧، وصحيح مسلم ص ٤٢ برقم ١٩ واللفظ لمسلم.

في عمل الآخرة.

«وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»: أي لا تجعلنا حيث لا نعلم ولا نتفكر إلا في أمور الدنيا بل اجعلنا متفكرين في أحوال الآخرة، والمبلغ: أي الغاية التي يبلغها المشي والمحاسب فيقف عنده.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

قوله: «وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»: أي لا تجعلنا مغلوبين للكفار والظلمة أو لا تجعل الظالمين علينا حاكمين، فإن الظالم لا يرحم الرعية^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٠٣ برقم ٢٤٦٥.

(٢) تحفة الأحوذى (٩/٤٤٢) برقم ٣٥٠٢.

(٣) انظر شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٤/٣٦١-٣٦٦).

الكلمة الواحدة والتسعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) لِلطَّغِينِ مَثَابًا (٢٢) لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) .

يذكر الله في هذه الآيات الكريمات أحوال الأشقياء وما يحصل لهم من النكال والعذاب السرمدي في نار جهنم فيقول: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: مرصدة ومعدة للطاغين، وجهنم اسم من أسماء النار التي لها أسماء كثيرة وسميت بهذا الاسم لأنها ذات جهمة وظلمة بسوادها ومقرها أعادنا الله منها.

وقد أعدها الله ﷻ من الآن فهي موجودة كما قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ»

حَتَّىٰ أَنْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها - أي النار - حين عُرضت عليه في صلاة الكسوف، ورأى النار فيها امرأة تعذب في هرة ربطتها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض^(٢).

قوله تعالى: ﴿لِلطَّغِينِ مَأْبَأٌ﴾: الطاغون جمع طاغ والطغيان تجاوز الحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. والمراد بالطاغين الذين تجاوزوا حدود الله استكباراً على ربهم، ومآباً: أي مرجعاً يرجعون إليه ومسكناً يصيرون إليه.

قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي باقين فيها أحقاباً أي مدداً طويلة وقد وردت آيات كثيرة تدل على أنها مدد أبديه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾^(١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا^(١٦٩) [النساء]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(٦٤) خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(٦٥) [الأحزاب].

قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: نفى الله تعالى عنهم البرد الذي تكون به برودة ظاهر الجسد، والشراب الذي تكون به برودة داخل الجسد فإنهم إذا عطشوا واستغاثوا يغاثون بماء كالمهل، قال تعالى:

(١) ص ١١٤٢ برقم ٢٨٤٤.

(٢) ص ٣٥٢ برقم ٩٠٤.

﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢٩] [الكهف]. وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [١٩] يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ٢٠]. فمن كان حاله كذلك فإنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يطفى حرارة بطونهم، قال بعض السلف: عَجِبْتُ لِلنَّارِ كَيْفَ نَامَ هَارِبُهَا وَعَجِبْتُ لِلجَنَّةِ كَيْفَ نَامَ طَالِبُهَا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾: الحميم هو الماء الحار الذي انتهى حره وحموه.

وغساقاً: هو شراب منتن الرائحة شديدة البرودة، قال جمع من المفسرين: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من نتنه فهم يذوقون العذاب من ناحيتين الحرارة، والثاني البرودة فإذا اجتمعت الحرارة والبرودة كان ذلك زيادة في مضاعفة العذاب عليهم، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [٥٧] وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [٥٨] [ص]. أي ولهم أصناف وألوان من العذاب نسأل الله العافية.

قوله تعالى: ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾، يقول تعالى: هذا العقاب الذي عوقب به الكفار في الآخرة فعله بهم ربهم جزاء لهم على أفعالهم وأقوالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾: أي لا يؤملون أن

يحاسبوا بل كانوا ينكرون الحساب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُحْبُوحِهِمْ لَنْ نَرَاهُمْ فِي عَذَابِهِمْ لَنْ نَحْتَنَبَ إِلَيْهِمْ وَرَبِّ لِنُبَعِثَنَّهُمْ لِنُبَيِّنَهُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾: كانوا يكذبون بحجج الله ودلائله التي أنزلها على رسله فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ٩٠ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ ٩١ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالِغَهُ الْمَلَائِكَةُ فَبِلَا﴾ ٩٢ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ٩٣ [الإسراء: ٩٣].

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: يشمل ما يفعله الله ﷻ من الخلق والتدبير في الكون وما يعمله العباد من أقوال وأفعال ويشمل كل صغير وكبير، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ [الرحمن: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا إِلَّا كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٩ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٤٧ [الأنبياء: ٤٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِحَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (١).

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: هذا الأمر للإهانة والتوبيخ يقال لهم: ذوقوا عذاب النار فلن نخففه عنكم بل لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته، قال تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) [فاطر].

قال العلماء: إن هذه الآية أعظم آية في الترهيب.

قال عبد الله بن المبارك يصف هذه النار:

وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَّةً	فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تَطْلَعُ
فَكَيْفَ سَهْوِكَ وَالْأَنْبَاءُ وَقَعَةٌ	عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِي بِمَا يَقَعُ
أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ	أَمْ الْجَحِيمِ فَمَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ	إِذَا رَجَاوَا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ الْبِكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضْرَعُهُمْ	هِيهَاتَ لَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمَهُ	قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرَّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة الثانية والتسعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حُدَاقٍ وَاعْتَبَاءً ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَزَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ۝٣٥ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۝٣٩ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۝٤٠﴾ [النبا].

بعد أن ذكر تعالى حال الأشقياء ذكر حال المتقين السعداء ليكون المرء على بصيرة من أمره وبيّنة في دينه، فإن استقامة العبد في عبادته لربه لا تتم حتى يكون راجياً لرحمة ربه خائفاً من عذابه. قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي أن يكون الإنسان في عبادته لربه بين الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال ابن عباس والضحاك متنزهاً، وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار^(١). والمتقون

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

هم الذين اتقوا عقاب الله وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد أخبر الله ﷻ عن هذا الفوز بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح].

وأخبر سبحانه أن هذا الفوز كبير فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج].

قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾: حدائق جمع حديقة، أي: بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة، وأعناباً: جمع عنب وهي من جملة الحدائق لكنه خصصها بالذكر لشرفها.

قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾: جمع (١) كاعب وهي الناهد، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: كواعب أي: أن [تُدَيِّهَن نواهد] ليست متدلّية إلى أسفل لأنهن أبكار عُرب أتراب (٢).

و﴿أُنْرَابًا﴾ أي: في سن واحدة لا تختلف إحداهن عن الأخرى كما في نساء الدنيا.

كما في قوله تعالى «في سورة الواقعة»: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) عُرْبًا أُنْرَابًا﴾ [الواقعة].

قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: أي: كأساً ممتلئة والمراد هنا الخمر.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ

(١) تفسير ابن عثيمين لجزء عم ص ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

وخمر الآخرة ليست كخمر الدنيا يصيب الإنسان الصداع والقيء منها، فقد نفى الله تعالى عنها ذلك، قال تعالى: ﴿لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (١٩) [الواقعة].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبا: ٣٥]: أي لا يسمعون لغواً أي كلاماً باطلاً لا خيراً فيه ولا كذاباً: أي ولا كذباً فلا يكذبون ولا يكذب بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ [الواقعة]. وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧) [الحجر].

قوله تعالى: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾: أي أنهم يُجزون بهذا جزاء من الله ﷻ على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. وحساباً: أي كافياً وافراً شاملاً، تقول العرب: أعطاني فأحسبني أي كفاني ومنه حسبي الله أي أن الله كافيي.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾. يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ

لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٢٨) ﴿أَيُّ لَا أَحَدٍ يَتَكَلَّمُ لَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا غَيْرَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) [طه]. وقد اختلف المفسرون بالمراد بالروح فقيل: إنهم بنو آدم، وقيل: جبريل كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١١٤) [الشعراء]. وقيل: القرآن وقيل: ملك من الملائكة يقدر بجميع المخلوقات، وقيل غير ذلك ورجح جمع من المفسرين أنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾: أي بالكلام وقال قولاً صواباً وذلك بالشفاعة إذا أذن الله لأحد أن يشفع شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أذن له.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾. أي الكائن المتحقق لا محالة، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً. قال القرطبي: أي مرجعاً بالعمل الصالح كأنه إذا عمل خيراً رده إلى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وإذا عمل شراً عده منه ونظر إلى هذا المعنى في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ»

فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» تَادِباً مَعَ اللَّهِ (١)(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] أي تعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وكقوله تعالى: ﴿يَبْنُوْنَ الْإِنْسَانَ يَوْمِئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وجاء في وصف هذا العذاب بأنه قريب فكل ما هو آت فهو قريب، قال بعض المفسرين: إنه يشمل عذاب الآخرة والموت والقيامة لأن من مات فقد قامت قيامته فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة وإن كان من أهل النار رأى مقعده من النار (٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدنيا تراباً ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة. قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العادل الذي لا يجور حتى إنه ليقصص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤)، وذكر ابن جرير في تفسيره آثراً عن الصحابة

(١) تفسير القرطبي (٢٢/٣٣).

(٢) صحيح مسلم ص ٣٠٥ برقم ٧٧١.

(٣) تفسير القرطبي (٢٢/٣٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٢٣٧).

منهم عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن الله تعالى يقتص بين هذه البهائم يوم القيامة ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





وقفات مع الأزمة المالية العالمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة والجرائم الشنيعة التي حرمها الله ورسوله ولعن فاعلها: الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هُم سَوَاءٌ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب رضي عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وجاء فيه: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَنْفِرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِيهِ

حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي آتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ أَكَلُ الرَّبَا»^(١).

ومن صور الربا المحرم، شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، أو البطاقات الائتمانية التي تعطى للعميل لشراء الأغراض مقابل رسوم سنوية، وتسدد قيمتها خلال فترة محدودة فإن تأخر حاملها عن السداد تحسب عليه فائدة عن كل يوم تأخير أو غير ذلك من الصور.

وبناء على ما تقدم فإن ما حدث من الأزمة المالية العالمية وما نتج عنه من إفلاس شركات، وبنوك عالمية، في الدول الكافرة وأمام هذا الحدث العظيم فإننا نحتاج إلى وقفات:

الوقفة الأولى: أن ما حصل من انهيارات اقتصادية، وأزمات مالية في تلك الدول إنما هو بسبب الربا الذي حرمه الله ورسوله ولعن فاعله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]. وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].
والمحقوق بمعنى الإزالة أي يزيل الربا والإزالة يحتمل أن تكون إزالة حسية أو إزالة معنوية فالإزالة الحسية أن يسلط الله على المرابين ما

(١) جزء من حديث ص ١٣٤٧ برقم ٧٠٤٧.

يتلف به أموالهم والمعنوية أن ينزع منه البركة فلا يستفاد منه^(١). روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «الرَّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍّ»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ. وبذلك يعلم كل من له أدنى بصيرة أن البنوك الربوية ضد الاقتصاد السليم، وضد المصالح العامة، ومن أعظم أسباب الانهيار والبطالة ومحق البركات وتسيط الأعداء وحلول العقوبات المتنوعة والعواقب الوخيمة، فنسأل الله أن يعافي المسلمين من ذلك وأن يمنحهم البصيرة والاستقامة على الحق^(٣).

الوقف الثانية: أن ما أصاب هؤلاء الكفار إنما هو عقاب إلهي لما فعلوه من ظلم وجرائم ضد المسلمين كما حصل في أفغانستان، والعراق، وفلسطين والصومال، وغيرها من الدول، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».

(١) كأن يبتلي هذا المرابي بمرض فيستهلك من العلاج ما كسبه من أموال الربا أو يسرق ماله أو يُصاب بحادث أو غير ذلك.

(٢) (٣٣٩/٢) برقم ٢٣٠٩ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٣١٥/٤).

(٣) فتاوى ابن باز (٢٢١/١٩).

ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿٤٨﴾ [الحج].

وكم من المسلمين من يرفع يديه بالدعاء على هؤلاء الكفرة الظلمة؟! وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٢).

قال الشاعر:

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فالظلم مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبَهُ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ

الوقفه الثالثة: إن المعاصي والذنوب سبب لهلاك الأمم والشعوب، قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن

(١) ص ١٠٤٠ برقم ٢٠٨٣، وصحيح البخاري ص ٨٩٧ برقم ٤٦٨٦.

(٢) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم ٨٠٤٣ وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف].

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إِذَا ظَهَرَ الرَّبَا وَالزِّنَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»^(١).

الوقفه الرابعة: أن على الدول الإسلامية أن تأخذ الدروس والعبر مما حصل لهذه الدول الكافرة، وأن تمنع الربا بشتى صورته وأشكاله عن البنوك والمؤسسات ومحلات التجارة وغيرها، وأن تشجع على إقامة المصارف الإسلامية فهي الحل الشرعي لكثير من المشاكل الاقتصادية ولذلك الآن في الغرب ينادون بتطبيق الأنظمة الإسلامية في البنوك لعلها أن تنقذهم مما هم فيه. يقول أحد عقلائهم وهو رئيس تحرير مجلة في الغرب: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة المالية إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حلت بنا الكوارث والأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري».

الوقفه الخامسة: أن الأيام دول، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(٢) قال أبو البقاء الرندي:

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٣٩)، برقم ٢٣٠٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رضي الله عنه في صحيح الجامع الصغير (١/١٧٨) برقم ٦٧٩.
(٢) ص ٥٥٣ برقم ٢٨٧٢.

لكل شيءٍ إذا ما تمَّ نُقصانُ فلا يُغرُّ بطيب العيشِ إنسانُ
هيَ الأمورُ كما شاهدتها دُولُ من سرَّه زمنٌ ساءتُه أزمانُ

الوقفه السادسة: إن هؤلاء الكفار كانوا يتبجحون بقوة اقتصادهم وحرية التصرف لكل فرد منهم فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، قال تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب والملذات، وأنواع العز والغلية في بعض الأوقات فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً وهذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه^(١). اهـ.

الوقفه السابعة: أن على المؤمن أن يكون على يقين تام وعقيدة راسخة أن الله يمحق الربا، وينصر دعوة المظلومين، وأن الله ينصر دينه ويذل الكفر وأهله كما أخبر بذلك، سواء رأينا ذلك في حياتنا أم لم نره فقد يتأخر لحكمة إلهية.

لأن البعض من الناس يشكك ويقول: عشرات السنين وهؤلاء الكفار يرابون ولم نر إلا مزيداً من القوة الاقتصادية، وعشرات السنين وهم يذبحون المسلمين بل ويتفننون في تعذيبهم ولم ينتقم الله منهم، فأين دعوات المظلومين؟! فالجواب عن ذلك في قوله تعالى:

(١) تفسير ابن سعدي ص ١٤٤.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]. وكما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١) وكما قال النبي ﷺ لأصحابه عندما شكوا إليه ما يجدون من تعذيب المشركين: «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٢).

ونحن نرى العقوبات بأعيننا وقد تتبعها البشائر إن شاء الله ويشفي الله صدور قوم مؤمنين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ص ١٣٢٥ برقم ٦٩٤٣.

الكلمة الرابعة والتسعون

وقفات مع أحداث غزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فلا يزال إخواننا في غزة يخوضون معارك عنيفة مع اليهود عليهم لعائن الله المتتبعة إلى يوم القيامة، وهم يسطرون ملحمة من أعظم الملاحم في التاريخ، أحفاد خالد وسعد وطلحة والزبير وصلاح الدين الأيوبي.

وقد رأينا وسمعنا وقرأنا عن المآسي والقصص التي حدثت في غزة، ورأينا صور الجرحى والأشلاء الممزقة والإعاقات المستديمة، ورأينا البيوت وقد سويت بالأرض على أصحابها، والمساجد وقد هدمت على المصلين فيها، ورأينا الفساد والدمار والخراب الذي أحدثه اليهود في هذه المدينة، وصدق الله حيث قال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

مناظر يندى لها الجبين، وتتفطر منها القلوب، وتدمع لها العيون، مصائب عظيمة لو نزلت على الجبال لدكتها من هولها وعظمتها، قال أبو البقاء الرندي:

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ مُنَوَّعةٌ وللزمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلوَانٌ يُسهِّلُهَا وَمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلوَانٌ
وقال أيضاً:

لِمِثْلِ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنَّ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ
ومن الدروس والعبر المستفادة من هذا الحدث العظيم الذي
حل بأمة الإسلام:

أولاً: أن حربنا مع اليهود حرب عقيدة ليست حرباً من أجل
الوطن أو الحزب أو الحركة أو الأرض، أو غيرها، وإنما هي حرب
بين الإسلام والكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ
دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ثانياً: أن ما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل
مكان واتحادهم ضد المسلمين، فبالأمس العراق وقبلها أفغانستان
والشيشان والآن غزة إنما هو مصداق قول النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ
أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائل: أو
من قلة نحن يومئذ؟ قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ
السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي
قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حُبُّ
الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

(١) «سنن أبي داود» ص ٤٦٩ برقم ٤٢٩٧، صححه الألباني في سنن أبي داود (٣/ ٨١٠) برقم ٣٦١٠.

قال ابن رجب الحنبلي: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفة أمر الرسول ﷺ ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ: سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَيَّ دِينِكُمْ»^(٢).

قال أبو عبيدة الهروي: وقد تبلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاءً واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ثالثاً: يجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حكومات وشعوباً أن يناصروا إخوانهم المسلمين في غزة مادياً ومعنوياً، كُلُّ بما يستطيع وأن يقفوا معهم في محنتهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) شرح حديث «يتبع الميت ثلاثة» لابن رجب الحنبلي.

(٢) ص ٣٨٦ رقم ٣٤٦٢، صححه الألباني في سنن أبي داود (٢/٦٦٣) برقم ٢٩٥٦.

قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»^(١)، فكيف وهم مظلومون؟!

ومن وسائل نصرتهم: الدعاء لهم بظهر الغيب أن الله يشبهم ويربط على قلوبهم، ويسدد سهامهم، ويذل اليهود ومن ناصرهم.

قال الشاعر:

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكم وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَاتٌ لَهَا هِمَمٌ أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ

رابعاً: على المسلمين الأخذ بأسباب القوة والإعداد لذلك
امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. روى
مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ
الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»^(٣).

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب فإنها تخون
العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام

(١) ص ٤٦١ برقم ٢٤٤٣ .

(٢) ص ٧٩٥ برقم ١٩١٧ .

(٣) جزء من حديث ص ٢٧٣ برقم ١٥٥٥، وصححه ابن القطان كما نقل ذلك ابن حجر في كتابه: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة (٣٨٦/٧) برقم ٨٠٣١ .

بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

خامساً: أن الدعاء من أعظم أسباب النصر، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ﴿١﴾ [الأنفال: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦]. وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به كلما نزل به كرب أو شدة كما في معركة بدر وغيرها.

وكان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(١).

سادساً: أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة وهو من أفضل الأعمال وذروة سنام الدين لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وقمع الكافرين والمنافقين والظالمين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ

(١) صحيح مسلم ص ٧٢٣ برقم ١٧٤٢.

يَغْزُو وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ: بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

سابعاً: أن اليهود لن ينعموا بسلام وأمان، بل سيظلون في رعب وخوف إلى قيام الساعة مهما امتلكوا من الأسلحة النووية، وحماتهم دول الكفر، فالوعد الإلهي متحقق فيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. قال ابن كثير: «ويقال: إن موسى ﷺ ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجزى والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجزى. وقال جمع من المفسرين في الآية السابقة: يبعث الله عليهم هذا الحي من العرب فيقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك ذلة وصغاراً له، ثم يكون آخر أمرهم أنصار الدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم ﷺ في آخر الزمان»^(٣).

(١) ص ٧٩٢ برقم ١٩١٠.

(٢) ص ٧٩٢ برقم ١٩٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨ - ٤٢٩)، وتفسير ابن جرير (٦/١٠٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ: هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(١)، وهم الآن يزرعون الغرقد بشوارعهم بكثرة انتظاراً لمصيرهم المحتوم.

ثامناً: أنه لا بد من الابتلاء والتمحيص، قال تعالى: ﴿الْمَرْءُ (١) أَحْسَبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكَ أَنْ يَقُولَ ءَأَمَّنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت: ١٣٠١]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب، قال: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلِكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتَمِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاِكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٢).

(١) ص ١١٧١ برقم ٢٩٢٢ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٥٦١ - ٥٦٢ برقم ٢٩٢٦.

(٢) ص ٦٩٠ برقم ٣٦١٢.

وسأل رجل الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فقال: «يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرجل أن يُمكنَ فيشكر الله ﷻ، أو يُبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا يُمكن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم الله، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

تاسعاً: أن اليهود قد أصابهم القتل والجراح والرعب والخوف رغم تفوقهم في القوة العسكرية وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ^ط وَتَرْجُونَ مِن اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ث﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿إِن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ^ج﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابكم جراح، وقُتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي ندبل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة^(١). اهـ.

ولا يستوي الفريقان، قتلنا في الجنة وقتلهم في النار، والله مولانا ولا مولى لهم.

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٠٨).

عاشراً: أنه على الرغم من ضعف الإمكانيات العسكرية لإخواننا في غزة مقابل ترسانة اليهود العسكرية الضخمة واستخدامهم لجميع الأسلحة الممنوعة في أنظمة الدول الكافرة كالقنابل الفسفورية والعنقودية وغيرها، ودعم الدول الكبرى لهم في حربهم ضد المسلمين، وبالرغم من الحصار والبرد والجوع الذي يعاني منه إخواننا هناك، إلا أنهم منصورون بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والتسعون

موقف الحساب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
فإن من أعظم مواقف يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها: موقف الحساب، قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤]. أي: الجزاء والحساب، والمقصود بالحساب أن يُوقف العباد بين يدي رب العالمين ويعرفهم بأعمالهم وأقوالهم التي عملوها في الدنيا وما كانوا عليه من إيمان وكفر واستقامة وانحراف، ويُعطى العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا غير ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

سِيرًا؟! فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»^(١).

قال النووي في شرحه للحديث: «معنى نوقش الحساب: استقصي عليه، قال القاضي: وقوله: «عُذِّبَ» له معنيان، أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني أنه مفض إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: «هَلَكَ» مكان «عُذِّبَ» هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»^(٢).

ونقل ابن حجر عن القرطبي في معنى قوله: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ»، قال: إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوها عنها في الآخرة^(٣). اهـ.

والله تعالى يحاسب كل إنسان بمفرده، قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ

إِنَّمَا مَسْئُولُونَ﴾^(٢٤) [الصفافات: ٢٤]. روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا

(١) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٣٧، وصحيح مسلم ص ١١٥٣ برقم ٢٨٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢٠٨-٢٠٩).

(٣) فتح الباري (١١/٤٠٢).

النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

ومن المؤمنين من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ رأى أمته ومعهم سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلا حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، وَهُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتُونُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^(٢).

والحساب على مواقف منها:

عرض الأعمال على العباد، قال تعالى: ﴿يَبْنُوا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾^(١٣) [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١٤) [آل عمران: ٣٠].

ومنها أن يُعطى العبد كتابه ويُقال له: حاسب نفسك، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(١٣) أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(١٤) [الإسراء: ١٤]. المقصود من الآية أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، ثم يجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقيماً، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره، ثم يُقال له: اقرأ كتابك بنفسك لكي تعلم أنك لم تُظلم ولم يُكتب عليك إلا ما

(١) صحيح البخاري ص ٦٢٣ برقم ٣٢٤٧، وصحيح مسلم ص ١١٦ برقم ٢١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٥، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠.

عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي.

ومنها إحضار الشهود على العبد كالرسل والملائكة وأمة محمد ﷺ والأعضاء، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنِينًا﴾ (١١) ﴿يَعَامُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢) [الانفطار: ١٠ - ١٢].

قال نابغة بني شيبان:

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقِي فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١)، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا

أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥].

ومنها وزن الأعمال الحسنات والسيئات، فأما المؤمن فتوزن حسناته وسيئاته ليتبين مقدار ما عمله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

وأما الكافر فتوزن أعماله لإقامة الحجة عليه وتوبيخه وتقريعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات؛ فإن أُريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون، وإن أُريد به المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر»^(١). اهـ، وقال في موضع آخر: والنار دركات فإذا كان بعض الكفار أشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة^(٢) اهـ.

قال ابن كثير: وأما الكفار فتوزن أعمالهم وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بها كفرهم لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق^(٣) اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

(٣) النهاية لابن كثير (٢/٣٥).

«إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [هود]»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: أن المؤمن إذا علم أنه سيقف بين يدي الله ويحاسب حساباً دقيقاً استعد للقاء الله وحاسب نفسه في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنبياء: ١]. قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله».

ثانياً: قدرة الله العظيمة فهو يحاسب الخلائق جميعاً الجن والإنس مليارات البشر كل يحاسبه بنفسه، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [النحل: ٩٢].

ثالثاً: إن هذا الحساب دقيق، فيسأل العبد عن شركه وكفره، وعن الأنداد والشركاء الذين اتخذهم من دون الله أولياء، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنَّى مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ [الشعراء: ٩٢ - ٩٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ

(١) ص ٤٦٠ برقم ٢٤٤١، وصحيح مسلم ص ١١٠٨ برقم ٢٧٦٨.

الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ [القصص: ٦٥]. ويسأل عن صلاته، روى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(١).

ويُسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ ويُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويُسأل عن النعيم، ومن النعيم الشبع من الطعام والماء البارد والمركب الحسن وصحة الأبدان والزوجة والأولاد ورئاسة القوم، وغير ذلك من النعيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَصِحِّ لَكَ جِسْمَكَ؟ وَأَرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسْوَدَكَ^(٣)، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ

(١) (٢/٢٤٠) برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ ١٣٥٨.

(٢) (٤/١٥٤) برقم ٧٢٠٣، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٢/٧٦) بِرَقْمِ ٥٣٩.

(٣) أي أجعلك سيذاً على غيرك.

وَتَرْبِعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ:
فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(١).

ويُسأل عن العهود التي بينه وبين الناس، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

قال الشاعر:

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لِمَا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ عَيُونٌ فُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

وأختم بهذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث
أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا
عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ
خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٩) برقم ٢٩٦٨.

(٢) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

(٣) القيامة الكبرى للدكتور عمر الأشقر ص ١٩٣ - ٢٣١.

الكلمة السادسة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنی: الوارث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في الكتاب العزيز: «الوارث» قال الزجاج: الوارث كل باق بعد ذهاب فهو وارث^(٢)، وقال الحليمي: الوارث معناه الباقي بعد ذهاب غيره^(٣). قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر]. وقال تعالى عن نبي الله زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩]. [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّكَ مَسْكِنَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥٨].

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير الأسماء ص ٦٥.

(٣) المنهاج (١/ ١٨٩)، نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للنجدي (٢/ ٢٨٩).

[القصص]. قال ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نमित جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل^(١)، وقال الزجاجي: الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وارث الخلق أجمعين لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون، كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠) [مريم]. ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم^(٢):

أولاً: الله جل شأنه هو الباقي بعد فناء خلقه، الحي الذي لا يموت، الدائم الذي لا ينقطع، وإليه مرجع كل شيء ومصيره فإذا مات جميع الخلائق وزال عنهم ملكهم، كان الله تعالى هو الباقي الحق المالك لكل المملوكات وحده، وهو القائل: ﴿لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾، فيجيب سبحانه نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦) [غافر]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) [الرحمن]. وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانياً: بين الله تعالى لعباده أنه هو الوارث لما أهلك من القرى الظالمة التي كانت تعيش في أمن ودعة ورغد العيش حتى أصابهم الأشر والبطر فلم يقوموا بحق النعمة ولم يشكروا ربهم الذي وهبهم، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيحَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَمِنْهَا مَسَكْنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨) [القصص].

(١) جامع البيان (٥٠٧/٧).

(٢) اشتقاق الأسماء ص ١٧٣ نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/٢٨٨).

فقوله تعالى: ﴿لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم، وبقيت شاهدة على مصرع أهلها وفنائهم وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وأموالهم بل كان الله وحده الوارث لديارهم وأموالهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [٤٠] [مريم].

قال أبو البقاء الرندي:

أَيْنَ الْمَلُوكُ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ
وَأَيْنَ مَنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ؟
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرْمٍ؟
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبٍ
أَتَى عَلَى الْكَلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ
وَأَيْنَ مَنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ؟
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفَرَسِ سَاسَانُ؟
وَأَيْنَ عَادُ وَشَدَادُ وَقَحْطَانُ؟
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
كَمَا حَكَى عَنِ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ

ثالثاً: حث الله عباده المؤمنين على النفقة في سبيله وذكرهم أنهم مستخلفون فيما عندهم من الأموال لا يملكونها حقيقة وإنما المال مال الله، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [٧] [الحديد]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى،

أَوْ أُعْطِيَ فَاقْتَتَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(١).

رابعاً: دعوة زكريا عليه السلام ربه أن يهبه ولداً يكون من بعده نبياً وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقراً، وقد حكى الله ذلك في كتابه قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ^(٩٠) [الأنبياء]. أي: ارزقني وارثاً من آل يعقوب يرثني.

خامساً: أن الله تعالى هو الوارث فهو الذي يُورث الأرض من يشاء من عباده، قال تعالى عن نبي الله موسى وهو يخاطب قومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٢٨) [الأعراف].

وقال تعالى عن فرعون وقومه لما عصوا الله وخالفوا أمره: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ^(٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ^(٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ^(٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ^(٢٨)﴾ [الدخان]. وقال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ^(٥)﴾ [القصص].

سادساً: أن الله تعالى جعل الجنة ثواباً للمتقين وهو يورثهم إياها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا

بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأعراف].
 وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم].
 وقال تعالى عن المؤمنين بعدما ذكر بعضاً من صفاتهم: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون] ^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٢٨٧ - ٢٩١).

الكلمة السابعة والتسعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ٥١١]. أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به

أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه»^(١).

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيّه فلا يسخطه أبداً، وقال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بواحد وثمانين يوماً.

روى البخاري ومسلم من حديث طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾. قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة»^(٢).

وروى ابن جرير بسنده أن ابن عباس قرأ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد ويوم الجمعة^(٣).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن الدين قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة أبداً فما يفعله

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٤٦).

(٢) ص ٣٢ برقم ٤٥، وصحيح مسلم ص ١٢٠٧ برقم ٣٠١٧.

(٣) تفسير ابن جرير (٤/٤١٩).

أهل الضلالة من البدع إنما هو ابتداع في دين الله واتهام لهذا الدين بالنقص، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١) فما من خير إلا والنبي ﷺ دل أمته عليه وما من شر إلا حذر أمته منه، قال أبو ذر: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»^(٢).

ثانياً: أن الله أتم على المؤمنين نعمه الظاهرة والباطنة، ومن أعظم هذه النعم بعث النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٦٤) [آل عمران].

ثالثاً: أن الله تعالى رضي للمؤمنين هذا الدين العظيم دين الإسلام بل إن الله لا يقبل من الناس غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٦٥) [آل عمران].

فوجب على المؤمنين أن يرضوا بهذا الدين الذي رضي الله لهم، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ

(١) ص ٥١٤ برقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم ص ٧١٤ رقم ١٧١٨.

(٢) تفسير ابن جرير (١٨٨/٥).

قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (١).

رابعاً: أن أحكام هذا الدين وشرائعه قد كملت فلا تتغير ولا تبدل إلى يوم القيامة، فعلى سبيل المثال ذكر الله في كتابه اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار ونهانا عن موالاتهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ [المائدة: ١٥]. فلا يأتي أحد فيقول: إن الزمن قد تغير وأن اليهود والنصارى أصدقاء وبيننا وبينهم مصالح فلا بد من صداقتهم وأن هؤلاء ليسوا كأسلافهم من قبل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والتسعون

النفخ في الصور

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أهوال الآخرة العظيمة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها: النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا﴾ (١٩) [الكهف].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»^(١)، والنفخ في الصور أمر غيبي يكون عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة فينفخ الملك إسرافيل في القرن بأمر الله، فلا يبقى أحد من الخلق إلا مات إلا من استثناه الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨) [الزمر].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ما يحدث في آخر الزمان فقال: «ثُمَّ يُرْسَلُ اللَّهُ رِيحًا

(١) ص ٣٩٨ رقم ٢٤٣٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيِبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقَهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا»، قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبْلِهِ» قَالَ: «فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ»، أَوْ قَالَ: «يُنزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ»، أَوْ «الظِّلُّ» نُعْمَانُ الشَّاكُ «فَتَنبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)»، الْحَدِيثُ (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»: قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ»، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالَ: «ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) ص ١١٨٠ رقم ٢٩٤٠.

(٢) ص ٩٧٦ برقم ٤٩٣٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٦ برقم ٢٩٥٥.

يَسْأَلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَتَوَلَّنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ نَفْسًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ [يس]. ففي هذه الآيات والأحاديث المتقدمة يخبر الله تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فالنفخة الأولى تحدث وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما هو مصرح به في الآية السابقة، ثم يقبض الله سبحانه أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ويقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ الذي قهر كل شيء وحكم بالفناء على كل شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم]. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور مرة أخرى وهي النفخة الثانية نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر]. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر والنبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟

فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟! فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره: فغضب النبي ﷺ حتى رئي في وجهه ثم قال: «لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصَعَّقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أُدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟!»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: إن المؤمن ينبغي له أن يكون على استعداد للقاء ربه وألا يكون في غفلة فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمة فهناك الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان وغير ذلك من الأهوال، قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ [الأنبياء].
 روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْمَعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفَخُ؟» فقال أصحاب محمد: كيف نقول؟ قال: «فُؤُؤُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»^(٢).

قال الشافعي:

(١) ص ٦٥٦ - ٦٥٧ برقم ٣٤١٤، وصحيح مسلم ص ٩٦٦ برقم ٢٣٧٣.

(٢) (١٤٥/٥) برقم ٣٠٠٨ وقال محققوه: حسن لغيره.

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ وَضَمَّ الْقَبْرَ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ

ثانياً: أنه عند نفخة الصعق يذهل الناس عن كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس]. قال ابن كثير: أي على ما يملكونه فالأمر أهم من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون، فلا رجعة إلى الدنيا^(١).

ثالثاً: قدرة الله العظيمة على إماتة الخلق جميعاً بلحظة واحدة ثم إحيائهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٠].

رابعاً: إن الله وصف حال الناس عند خروجهم من الأجداث بأنهم مسرعين إجابة لدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُسْبٍ يُوَفُّونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج]. وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس]. والنسل هو الشيء السريع.

خامساً: العارفون بالله، المؤمنون بما سيكون من الأهوال العظيمة في الآخرة لا يغفلون عنها وهم منها مشفقون، قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى: ١٨]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ

(١) تفسير ابن كثير (٣٦٧/١١).

قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَيَّ اللَّهُ» (١).

سادساً: أن أهوال الآخرة من الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، مع شدتها وعظمتها، إلا أن الله بمنه وكرمه ولطفه يهونها على المؤمن التقي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَنُنَلِّقُهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]. قال بعض المفسرين: الفرع الأكبر النفخ في الصور، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر]. وقال تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٨٢ برقم ٢٣١٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٢/٢٦٨) برقم ١٨٨٢.

الكلمة التاسعة والتسعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. قال ابن جرير: «ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً فذع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية والنصرانية ضد اليهودية ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل»^(١).

(١) تفسير ابن جرير مختصراً (١/٥٦٥).

قوله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، أي قل: يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيه تهديد ووعيد للأمة من أتباع طرائق اليهود والنصارى والتشبه بهم بعد أن علموا القرآن والسنة عياداً بالله من ذلك فإن الخطاب للرسول ﷺ والأمر لأُمَّته.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي تفسيره فوائد للآية الكريمة.

أولاً: بيان عناد اليهود والنصارى فإنهم لن يرضوا عن أحد مهما تألفهم وبالغ في ذلك حتى يتبع ملتهم.

ثانياً: الحذر من اليهود والنصارى فإن من تألفهم وقدم لهم تنازلات فإنهم سيطلبون المزيد ولن يرضوا عنه إلا باتباع ملتهم.

ثالثاً: أن الكفار من اليهود والنصارى يتمنون أن المسلمين يكونون مثلهم في الكفر، حسداً لهم، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

رابعاً: استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حيث أفرد الملة على أن الكفر ملة واحدة كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم

يرث قريبه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة.

خامساً: أن ما عليه اليهود والنصارى ليس ديناً بل هو هوى لقوله تعالى: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: ملتهم كما في أول الآية ففي الأول: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ لأنهم يعتقدون أنهم على ملة ودين ولكن بين الله تعالى أن هذا ليس بدين ولا ملة بل هوى وليسوا على هدى، إذ لو كانوا على هدى لوجب على اليهود أن يؤمنوا بالمسيح عيسى ابن مريم ولوجب عليهم جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

سادساً: أن العقوبات إنما تقع على العبد بعد أن يأتيه العلم وأما الجاهل فلا عقوبة عليه لقوله تعالى: ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وهذا الأصل يشهد له آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. سابعاً: إن من اتبع الهوى بعد العلم فهو أشد ضلالة لقوله تعالى: ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

ثامناً: الرد على أهل الكفر بهذه الكلمة ﴿هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ والمعنى: إن كان معكم هدى الله فأنتم مهتدون وإلا فأنتم ضالون. تاسعاً: أن البدع ضلالة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. فليس بعد الهدى إلا الضلال ولقول النبي ﷺ:

«كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (١)

عاشراً: إن ما جاء إلى الرسول ﷺ سواء كان القرآن أو السنة فهو علم فالنبي ﷺ كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب كما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ولكن الله تعالى أنزل عليه هذا الكتاب حتى صار بذلك نبياً جاء بالعلم النافع والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

الحادي عشر: أنه لا أحد يمنع ما أراد الله من خير أو شر لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. روى البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» (٢).

أي: لا ينفع ذا الجدد أي الحظ والغنى حظه وغناه من الله، فالله محيط بكل شيء وقادر على كل شيء، ولا ينفع العبد إلا عمله الصالح.

الثاني عشر: إن هذا التحذير في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ موجهاً إلى

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم ص ٣٣٥ برقم ٨٦٧.

(٢) ص ١٧٢ برقم ٨٤٤، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ برقم ٥٩٣.

رسول الله ﷺ فكيف بمن دونه؟! فإن هذا التحذير يشملهم وأولى، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَدَّ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥].

الثالث عشر: أن ما عليه اليهود والنصارى من دين باطل منسوخ بشريعة الإسلام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١١٠] وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١). حتى عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد بل يحكم بشريعة الإسلام. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثم يقول أبو هريرة: «اقْرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

مَوْتِهِ^ط وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء] (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤١٤ برقم ٢٢٢٢، وصحيح مسلم ص ٨٦ برقم ١٥٥ واللفظ له.
(٢) تفسير سورة البقرة للشيخ ابن عثيمين (٢/٢٩ - ٣٤).

الكلمة المئة

صفات اليهود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

فأخبر جل وعلا أن اليهود من أشد الناس عداوة وحرماً على المسلمين كما أخبر أنهم يشعلون الفتن والحروب ضد المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

واليهود لم يسلم من شرهم أحد بل إنهم تطاولوا على رب العالمين سبحانه فقالوا: بأن لله الولد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنها قولهم: بأن الله فقير ونحن أغنياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وبهذه الأقوال الكفرية الشنيعة وغيرها من الأعمال كالكذب

على الله والصد عن سبيله استحقوا غضب الله ولعنته إلى يوم القيامة وجعل الله منهم القردة والخنازير عقوبة لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقد اشتهر اليهود بصفات ذميمة ذكرها الله في كتابه عنهم وهذه الصفات متأصلة في جميع اليهود إلى يوم القيامة وعلى المسلم أن يكون على حذر منها.

فمنها: الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [المائدة: ١٣]، والتاريخ يشهد بنقضهم العهود والمواثيق فقد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وحاولوا قتله أكثر من مرة، وفي آخرها وضعوا له السم في الشاة وقدموها هدية فمضغ منها مضغاً ثم مكث يعاني سنوات عديدة من هذا السم^(١). وما يحصل لإخواننا في فلسطين أكبر شاهد على نقض العهود، واليهود لا تنفع معهم العهود والمواثيق والاتفاقيات، وإنما يعرفون لغة الشدة والقوة، ولذلك لما نقضوا العهد مع النبي ﷺ حاصرهم عليه الصلاة والسلام ونزلوا على حكم سعد فأمر أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم الأموال، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري ص ١١٣١ برقم ٥٧٧٧.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٢٣ برقم ٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٣٤ برقم ١٧٦٨.

ومن صفاتهم الذميمة: أنهم قتلوا الأنبياء ﷺ فقد قتلوا يحيى
وزكريا وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفَوْنَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢]. روى الإمام
أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه أن النبي ﷺ قال:
«أشدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا»^(١).

ومن صفاتهم الذميمة: عصيانهم لله واعتدائهم على الخلق
وأنهم لا يتناهون عن المنكرات فيما بينهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

ومنها: أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ
الرَّبَّنَا يُنَوِّتُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾
[المائدة]. ولذلك يحرص اليهود على السيطرة على البنوك والاقتصاد
العالمي ليتحكموا في مصير الأمم والشعوب.

ومنها: كتمان العلم الذي أمرهم الله بتبليغه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيئْتُهُ لِنَاسٍ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيُسَّ مَا يَشْتُرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فأخبر جل

(١) (٤١٣/٦) برقم ٣٨٦٨ وقال محققو المسند: إسناده حسن.

وعلا أنهم يكتمون العلم اغتياظاً من إظهاره بعرض الدنيا الزائل.
ومنها: الحسد، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ومنها: الجبن الشديد من مقاتلة المسلمين في ساحات المعارك
قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]. وقال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُواكُمْ يُؤَلِّمُكُمُ الْآدِبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]. قال ابن كثير: وهكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم آنافهم وكذلك من قبلهم يهود المدينة، بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة كلهم أذلهم الله^(١). اهـ وأكبر شاهد على ذلك من الواقع أنك تشاهد الطفل الفلسطيني ومعه الحجر يقابل الجندي اليهودي المدجج بالسلاح وهو يفر هارباً منه خوفاً على حياته.

ومن صفاتهم الذميمة: نشر الفساد في الأرض ينشرون المخدرات والمسكرات ويُشيعون الفواحش والرذائل في أوساط الشعوب فهم تجار الرذيلة وسماسة البغاء، ويسيطرون على الإعلام بقنواته الفضائية المتعددة التي تنشر الأفلام الإباحية الخليعة، وتنشر كذلك الكفر والإلحاد وتشكك المسلمين في عقيدتهم ودينهم فهم يسعون إلى الإفساد في الأرض بكل وسيلة يملكونها، وصدق الله إذ يقول:

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومنها: أنهم من أحرص الناس على الحياة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (١٥) وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [البقرة].

ومعنى الآيات:

أي: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء لله من دون الناس وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافتراءهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته كما يعرفون أبناءهم، وسميت هذه المباهلة تمنياً لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، وكانت المباهلة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم». عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه، وقال أيضاً: لو تمنى اليهود الموت لماتوا»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٩٧) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٩٤)، وقال: هذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس.

ومنها: البخل، فهم قاتلهم الله اتهموا الله بالبخل، فعندما نزل قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قالوا: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فعاقبهم الله بنفس الصفة الذميمة التي اتهموه بها، قال تعالى: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. لذلك اليهود من أشد الناس بخلاً وأقلهم إنفاقاً وبذلاً.

ومنها: صفة الذل، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]. قال ابن جرير الطبري: «ألزم اليهود المكذبون لمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين، ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: بعهد من الله وعهد من الناس لهم والمراد بالحبل: السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذرائعهم من عهد وأمان، تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام»^(١).

وهم الآن تحت حماية النصارى الأمريكان وهم في ذلة وإن ملكوا الأسلحة النووية، والطائرات، والدبابات المتطورة، وتفوقوا على المسلمين في القوة العسكرية، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن جرير (٣/٣٩٤).

الفهرس الأول فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
			أ- (قسم العقيدة)
			توحيد العبادة
٣- خطورة السحر وتحريم		١- الأمن من مكر الله..... ١٦٥	
الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥		٢- الخوف من الله..... ٢٨٥	
التحذير من النفاق		٣- المفهوم الخاطيء للدين ٣٦٣	
والفرق الضالة		٤- اليقين..... ٣٧٧	
١- خطر الرافضة..... ٢١٣		٥- نزول المطر..... ٥٢٩	
٢- صفات اليهود..... ٦٢٧		٦- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى	
توحيد الأسماء والصفات		عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى	
١- شرح اسم الله الخالق..... ٤٣		تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿..... ٦٢١	
٢- شرح اسم الله الفتاح..... ١٠٧		خطر الشرك	
٣- شرح اسم الله اللطيف..... ٢١٩		١- إن من الشرك إرادة الإنسان	
٤- شرح اسم الله الرزاق..... ٣٣٣		بعمله الدنيا..... ٢٢٥	
٥- شرح اسم الله الكافي..... ٤٠٣		٢- الإعراض عن الدين ٣٥٣	
٦- شرح اسم الله الغني..... ٤٣٩			
٧- شرح اسم الله الشهيد..... ٤٨٧			

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
٨- شرح اسم الله البصير.....	٥١٥	الَّذِينَ كَفَرُوا فِي أَلْيَدِ ﴿١﴾.....	٢٩١
٩- شرح اسم الله السميع.....	٥٤٩	«سورة المائدة»	
١٠- شرح اسم الله الوارث.....	٦٠٥	١- تأملات في قوله	
الإيمان باليوم الآخر		تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ	
١- رؤية الله تعالى.....	١٣٩	دِينَكُمْ ﴿١﴾.....	٦١١
٢- الميزان.....	١٨١	«سورة هود»	
٣- الإيمان بالكرام الكاتبين.....	١٩٥	١- فوائد من قوله تعالى:	
٤- رضوان الله.....	٢٠١	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا	
٥- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿١﴾.....	١٥
٦- البعث بعد الموت.....	٤٢١	«سورة الحجر»	
٧- موقف الحساب.....	٥٩٧	١- تأملات في قوله تعالى:	
٨- النفخ في الصور.....	٦١٥	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ	
ب- (قسم التفسير)		وَعُيُونٍ ﴿١﴾.....	٨٥
سورة البقرة		٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا	
١- تأملات في قوله تعالى:		كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾.....	٥٠٣
﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا		٣- الوقفة الثانية مع قوله	
النَّصْرَىٰ ﴿١﴾.....	٦٢١	تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ	
«سورة آل عمران»		الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾.....	٥٠٩
١- دروس وعبر من قوله		«سورة الأحزاب»	
تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ		١- فوائد من قوله تعالى:	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٧	٧- المسد.....	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾..... ٣٧١	
	ج- قسم الحديث		
	١- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»... ٤٩	«سورة فصلت»	
	٢- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»..... ١٧١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾..... ١٣٣	
	٣- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»..... ٣٥٩	«سورة الدهر»	
	٤- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»..... ٤٥١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾..... ٤٥٧	
	٥- شرح حديث: «الثلاثة الذين أوامهم المبيت»..... ٥١٩	« جزء عم »	
	٦- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»..... ٥٦١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾..... ٥٦٧	
	« الفقه والصلاة »	٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾..... ٥٧٣	
	١- أخطاء في الصلاة رقم ٢..... ٣٧	٣- الضحى..... ٢٥٧	
	٢- سترة المصلي..... ١٤٥	٤- الزلزلة..... ٥٥٥	
	« الصيام »	٥- القارعة..... ٢٠٧	
	١- فضل الأعمال الصالحة في رمضان..... ٣٩٧	٦- الهمزة..... ٤٨١	

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
رفعها.....	٢٩	«الموت»	
٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾.....	١٥	١- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة».....	٣٥٩
٣- فتنة المال.....	٦١	٢- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١
٤- فتنة النساء.....	٦٧	المحرمات	
٥- السخرية بالناس واحتقارهم.....	٧٩	«المال»	
٦- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.....	٨٥	١- الأسهم المختلطة.....	٢٣٧
٧- الغرور.....	٩١	صيانة الأعراض	
٨- فتنة الدنيا.....	٧٣	«اللباس»	
٩- قسوة القلب.....	٩٧	١- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧
١٠- العجب.....	١٠٣	«محرمات عامة»	
١١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾.....	١٣٣	١- السحر والمس والعين.....	١٥٥
١٢- الأمن من مكر الله.....	١٦٥	٢- أضرار المخدرات والمسكرات.....	٣١٣
١٣- شرح حديث حسب ابن آدم لقيمات.....	١٧١	٣- القتل.....	٣٢٧
		٤- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة.....	٤٧٥
		«المواعظ والرقائق»	
		١- العقوبات الإلهية وأسباب	

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
١٤- النصيحة.....	١٧٥	٢- خطر الاختلاط.....	٢٦٩
١٥- كفارات الذنوب رقم ٢.....	٢٣١	٣- العشرة الزوجية.....	٣٠٣
١٦- الخوف من الله.....	٢٨٥	«الأخلاق المحمودة»	
١٧- أمراض القلوب.....	٢٩٧	١- علو الهمة.....	٥٣
١٨- قضاء الدين.....	٣٤٧	٢- الوفاء.....	٤٦٣
١٩- الإعراض عن الدين.....	٣٥٣	«الأخلاق المذمومة»	
٢٠- فضل الأعمال الصالحة		١- الذلة وأسبابها.....	٢١
في رمضان.....	٣٩٧	٢- النهي عن السخرية	
٢١- خطورة المجاهرة بالمعصية	٤٠٩	بالناس واحتقارهم.....	٧٩
٢٢- استقبال العام الجديد.....	٤١٥	٣- الغرور.....	٩١
٢٣- المسارعة إلى الخيرات.....	٤٤٥	٤- العجب.....	١٠٣
٢٤- نزول المطر.....	٥٢٩	٥- خطورة الكذب.....	١١٣
الفضائل		٦- التحذير من الكسل.....	٣٨٣
«الصيام»		«السير»	
١- فضل الأعمال الصالحة في		١- سيرة مصعب بن عمير.....	١٥١
رمضان.....	٣٩٧	٢- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small>	٢٧٥
«فضائل عامة»		٣- سيرة طلحة بن عبيد الله.....	٢٨١
١- فضل الصحابة.....	٢٦٣	٤- دروس وعبر من استشهاد	
«موضوعات تهتم المرأة»		الخليفة عمر.....	٣١٩
١- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٥- سيرة أبي عبيدة بن الجراح...	٤٣٣

<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>
٦- سيرة جعفر بن أبي طالب...	٤٦٩	٣- نعمة العقل.....	٢٤٩
٧- سيرة عثمان بن عفان....	٤٩٧	٤- أمراض القلوب.....	٢٩٧
٨- قصة قارون.....	٥٢٣	٥- أضرار المخدرات	
٩- سيرة الزبير بن العوام.....	٥٤١	والمسكرات.....	٣١٣
« قضايا اجتماعية »		« النبوات »	
١- السحر والمس والعين.....	١٥٥	١- عصمة النبي ﷺ.....	١١٩
٢- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٢- قصة نبي الله يونس عليه السلام....	٢٧٥
٣- الرفقة الصالحة.....	٢٤٣	٣- معجزاته عليه الصلاة والسلام	٣٨٩
٤- خطر الاختلاط.....	٢٦٩	« أحداث معاصرة »	
٥- العشرة الزوجية.....	٣٠٣	١- وقفات مع أحداث غزة... ٥٨٧	
٦- أضرار المخدرات		٢- وقفات مع الأزمة المالية	
والمسكرات.....	٣١٣	العالمية.....	٥٧٩
٧- قضاء الدين.....	٣٤٧	٣- أحداث الدانمارك.....	٤٩١
٨- المفهوم الخاطيء للدين.....	٣٦٣	٤- حكم الأسهم المختلطة....	٢٣٧
٩- التحذير من الكسل.....	٣٨٣		
١٠- خطورة السحر وتحريم		« توجيهات عامة »	
الذهاب إلى السحرة.....	٤٧٥	١- البشارة وفضائلها.....	١٢٥
« توجيهات عامة »		٢- النصيحة.....	١٧٥

الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
تقديم المشايخ.....	٥
المقدمة.....	١٣
١- فوائد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ..	١٥
٢- الذلة وأسبابها.....	٢١
٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها.....	٢٩
٤- أخطاء في الصلاة رقم (٢).....	٣٧
٥- شرح اسم الله الخالق المصور.....	٤٣
٦- شرح حديث: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ».....	٤٩
٧- علو الهمة.....	٥٣
٨- فتنة المال.....	٦١
٩- فتنة النساء.....	٦٧
١٠- فتنة الدنيا.....	٧٣
١١- السخرية بالناس واحتقارهم.....	٧٩
١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٨٥
١٣- الغرور.....	٩١

الموضوع	الصفحة
١٤- قسوة القلب	٩٧
١٥- العجب	١٠٣
١٦- شرح اسم الله الفتاح	١٠٧
١٧- خطورة الكذب	١١٣
١٨- عصمة النبي ﷺ	١١٩
١٩- البشارة وفضائلها	١٢٥
٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ..﴾	١٣٣
٢١- رؤية الله تعالى	١٣٩
٢٢- سترة المصلي	١٤٥
٢٣- سيرة مصعب بن عمير	١٥١
٢٤- السحر والمس والعين	١٥٥
٢٥- الأمن من مكر الله	١٦٥
٢٦- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»	١٧١
٢٧- النصيحة	١٧٥
٢٨- الميزان	١٨١
٢٩- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧
٣٠- الإيمان بالكرام الكاتبين	١٩٥
٣١- رضوان الله تعالى	٢٠١
٣٢- تفسير سورة القارعة	٢٠٧
٣٣- خطر الرافضة	٢١٣

الموضوع	الصفحة
٣٤- شرح اسم الله اللطيف	٢١٩
٣٥- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا	٢٢٥
٣٦- كفارات الذنوب رقم (٢)	٢٣١
٣٧- حكم الأسهم المختلطة	٢٣٧
٣٨- الرفقة الصالحة	٢٤٣
٣٩- نعمة العقل	٢٤٩
٤٠- تفسير سورة الضحى	٢٥٧
٤١- فضل الصحابة	٢٦٣
٤٢- خطر الاختلاط	٢٦٩
٤٣- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small>	٢٧٥
٤٤- سيرة طلحة بن عبيد الله	٢٨١
٤٥- الخوف من الله	٢٨٥
٤٦- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي	
أَلْبَدِ﴾	٢٩١
٤٧- أمراض القلوب	٢٩٧
٤٨- العشرة الزوجية	٣٠٣
٤٩- أضرار المخدرات والمسكرات	٣١٣
٥٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر	٣١٩



الجزء الخامس

- ٣٢٧ ٥١- القتل
- ٣٣٣ ٥٢- شرح اسم الله الرزاق
- ٣٤١ ٥٣- ما ينتفع به الميت
- ٣٤٧ ٥٤- قضاء الدين
- ٣٥٣ ٥٥- الإعراض عن الدين
- ٣٥٩ ٥٦- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»
- ٣٦٣ ٥٧- المفهوم الخاطيء للدين
- ٣٧١ ٥٨- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ...﴾
- ٣٧٧ ٥٩- اليقين
- ٣٨٣ ٦٠- التحذير من الكسل
- ٣٨٩ ٦١- معجزاته عليه الصلاة والسلام
- ٣٩٧ ٦٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان
- ٤٠٣ ٦٣- شرح اسم الله الكافي
- ٤٠٩ ٦٤- خطورة المجاهرة بالمعصية
- ٤١٥ ٦٥- استقبال العام الجديد
- ٤٢١ ٦٦- الإيمان بالبعث بعد الموت
- ٤٢٧ ٦٧- تفسير سورة المسد
- ٤٣٣ ٦٨- سيرة أبي عبيدة بن الجراح
- ٤٣٩ ٦٩- شرح اسم الله الغني

الموضوع	الصفحة
٧٠- المسارعة إلى الخيرات	٤٤٥
٧١- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»	٤٥١
٧٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾	٤٥٧
٧٣- الوفاء	٤٦٣
٧٤- سيرة جعفر بن أبي طالب	٤٦٩
٧٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة	٤٧٥
٧٦- تفسير سورة الهمزة	٤٨١
٧٧- شرح اسم الله الشهيد	٤٨٧
٧٨- أحداث الدانمارك	٤٩١
٧٩- سيرة عثمان بن عفان	٤٩٧
٨٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٥٠٣
٨١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢) ..	٥٠٩
٨٢- شرح اسم الله البصير	٥١٥
٨٣- شرح حديث: الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار	٥١٩
٨٤- قصة قارون	٥٢٣
٨٥- نزول المطر	٥٢٩
٨٦- تواضع السلف وخوفهم من ربهم	٥٣٥
٨٧- سيرة الزبير بن العوام	٥٤١
٨٨- شرح اسم الله السميع	٥٤٩
٨٩- تفسير سورة الزلزلة	٥٥٥

الموضوع	الصفحة
٩٠- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»	٥٦١
٩١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
٩٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
٩٣- وقفات مع الأزمة المالية العالمية	٥٧٩
٩٤- وقفات مع أحداث غزوة	٥٨٧
٩٥- موقف الحساب	٥٩٧
٩٦- شرح اسم من أسماء الله الحسنى الوارث	٦٠٥
٩٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	٦١١
٩٨- النفخ في الصور	٦١٥
٩٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾	٦٢١
١٠٠- صفات اليهود	٦٢٧
الفهرس حسب موضوعات الكتاب	٦٣٣
فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب	٦٣٩



البرهان والشفقة

مسن

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الرابع والخامس.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ٣ - الرياض، ١٤٣٤ هـ

٦٤٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ١٣٥١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ - العنوان

١٤٣٤ / ٤٠٧

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤ / ٤٠٧

ردمك: ٤ - ١٣٥١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

واللاطفه أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الثالثة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدروس المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومية

(١٠٠) دَرَسِ لِلدَّرْعَةِ وَالخُطْبَاءِ وَأُمَّةِ الْمَسَاجِدِ لِلقِرَاءَةِ عَالِي الصَّلَاةِ

إعداد

و. الأُمِينِ ب. عَمْرٍو الأَلَدِي الشَّقَاوِي

الجزء الرابع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة
من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن
عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم
والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة
في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا،
والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراس
واللباس، والمواعظ والرفائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية
كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور
الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي
مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً
يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعترين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله -:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم.

ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّنه مؤلفه مئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المتتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل.

فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فهذا هو المجلد الثاني من كتاب الدرر المنتقاة يشتمل على

الجزئين الرابع والخامس، حيث يحتوي كل جزء على خمسين كلمة وهو كسابقه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صحح فليطمئن قراء كتابي الأعزاء إلى ذلك، مع أنني قد يسرت للقارئ الكريم الوصول إلى مصادر الكتب إذا أحب الرجوع إليها.

وقد حرصت على ذكر بعض الموضوعات التي حدثت خلال السنوات الأخيرة، وقد قمت بضبط الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبية لطلبات قراء الكتاب.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب جامعه وقارئه وناشره وسامعه، وأن يجزي كل من أعاننا على إخراجه خير الجزاء، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه :

جاء في المجلد السابق في بعض المواضع عند ذكر علي وفاطمة قول: « عَلَيْهِمَا » والذي عليه عمل السلف الترضي عن أصحاب النبي ﷺ أهل البيت وغيرهم، وقد أدخلت هذه الكلمة بغير علمي حيث إن الكتاب طبع خارج المملكة ولم يُتنبه لها إلا بعد الطبع.

المؤلف

الرياض ١/٦/٣٠هـ ١٤٣٠

الكلمة الأولى

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وعملاً بهذه الآية الكريمة: لنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾. قال مجاهد: أي أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها، وقال قتادة: الطير أمة والإنس أمة، والجن أمة، وقال السدي: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي خلق أمثالكم^(١).

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي الجميع علمهم عند الله، لا ينسى واحداً من جميعهم من رزقه وتدبيره، سواء كان

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١).

برياً أو بحرياً، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]، أي: مُفْصِح بِأَسْمَائِهَا وَأَعْدَادِهَا وَمِظَانِهَا، وَحَاصِرَ لِحَرَكَاتِهَا وَسُكُنَاتِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) [العنكبوت]، أي: لَا تَطِيقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ، وَلَا تَدَّخِرُ شَيْئًا لَعَدٍ، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، أي: اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء (٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: روى ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حشرها: الموت».

القول الثاني: إن حشرها هو بعثها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير] روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَتَطَّحَانِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيْمَ تَتَطَّحَانِ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ ﷺ: «لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» (٣).

وروى عبد الرزاق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّمَ امْتَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والدواب والطير،

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢٦).

(٣) (٣٥/٣٤٥) برقم ٢١٤٣٨، وقال محققوه: حديث حسن.

وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ؛ أن يأخذ للجَمَاء من القرآن، قال: ثم يقول: «كوني ترابًا، فلذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ]» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه أنه قال: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ، إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا» (٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: عدل الله التام بين البهائم والطيور وسائر المخلوقات، وهذا العدل دقيق جداً حتى في مثقال الذرة الذي يحتقره الناس، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) [لقمان].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ» (٣).

ثانياً: إن الله قد تكفل برزق جميع الدواب والطيور والأسماك

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٠٦).

(٢) (٣٤٦/٣٥) برقم ٢١٤٣٩، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ١٠٤، حديث رقم ٢٥٨٢.

وسائر المخلوقات، من كان منها في الأرض أو الجو أو البحار والأنهار، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت].

قال حاتم بن الأصم:

وَكَيْفَ أَخَافَ الْفَقْرَ وَاللَّهُ رَازِقِي ورازقُ هذا الخلقِ في العسرِ واليسرِ
تَكْفَلُ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ وللضبِّ في البيداءِ والحوتِ في البحرِ

ثالثاً: أنه يجب على المؤمن أن يتوكل على الله الرزاق الذي رزق جميع المخلوقات فإن رزقه سبحانه لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار^(١)، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ: لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٢).

رابعاً: علمُ الله التام الشامل فلا يغيب عنه شيء، صغيراً كان أو

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢٦).

(٢) (١/٣٣٢) برقم ٢٠٥، وقال محققوه: إسناده قوي.

كبيراً، ولا ينسى أحداً من خلقه، سواء كان إنساناً أو دابة أو طيراً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) ﴿[مریم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) ﴿[يونس].

خامساً: إن المؤمن إذا استشعر عظمة الله وقدرته وإحاطته بكل شيء، حاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وأبرأ ذمته من حقوق العباد.

قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنَوِّلُنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) ﴿[الكهف].

سادساً: إثبات الحشر لجميع المخلوقات حتى الدواب والطيور بنص الآية، والحديث .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية

الذلة وأسبابها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»^(١).

قال الراغب: «الذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران]»^(٢) اهـ، وفيما عدا ذلك يكون مذموماً؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين».

ومن أسباب الذل الذي جعله الله عقوبة لمن عصاه، وخالف أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم:

أن من كفر به وحارب أوليائه أذله الله، قال تعالى عن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضِبِ

(١) جزء من حديث في مستدرك الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

(٢) المفردات ص ١٨١.

مَنْ اللَّهُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه: ألزم اليهود المكذبون بمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذرائعهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده، قبل أن يُثَقَّفُوا في بلاد الإسلام^(١).

وأخبر جل وعلا أنه كتب الذل والصغار عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

قال ابن كثير: «أي أذلاء حقيرون مهانون»^(٢).

ومن أسباب الذل والهوان:

التكبر على أوامر الله والاحتقار لعباد الله: روى الترمذي في

(١) تفسير ابن جرير (٣/١٩٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٧٦).

سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّي فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأُقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ» (١).

ومنها ترك الجهاد في سبيل الله والاشتغال بالدنيا: روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (٢).

ومنها النفاق: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]، وكما أن الذل عقوبة في الدنيا، فهو كذلك عقوبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وبالجمله فكل من عصى الله، وخالف أمر رسوله صلى الله عليه وسلم: أصابه الذل والصغار بقدر معصيته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» (٣).

(١) ص ٤٠٦ برقم ٢٤٩٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) ص ٣٨٦ برقم ٣٤٦٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤٢/١) برقم ١١.
(٣) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٩٢/٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٤٥-٥٤٦) رقم ٢٨٣١.

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا
وأهل المعصية يجدون الذل في قلوبهم، وإن حاولوا إخفائه.

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال^(١)، وهملجت^(٢) بهم البراذين^(٣)؛ إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أباي الله إلا أن يذل من عصاه»^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج].

وقد علمنا النبي ﷺ أن نستعيز بالله من الذل، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ»^(٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَمِنْ ضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٦).

والعزة لمن أطاع الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

(١) طقطقت البغال: صوتت حوافرها.

(٢) هملجت: أي مشت مشياً سهلاً.

(٣) البرذون: الفرس غير الأصيل.

(٤) الجواب الكافي، ص ٥٣.

(٥) ص ١٨٣ برقم ١٥٤٤، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٧/١) برقم ١٣٦٦.

(٦) ص ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨٥ برقم ١٣٦٥.

جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿ [فاطر: ١٠] ،
وقال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل
عمران] ، أي : تعز من تشاء بطاعتك ، وتذل من تشاء بمعصيتك ، كما
قال المفسرون .

والمؤمن هو العزيز وإن قل ماله أو جاهه ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] ، وكان من دعاء
السلف : «اللهم أعزنا بطاعتك ، ولا تذلنا بمعصيتك» (١) .

والمؤمنون أعزة وإن قلُّوا ، والله ناصرهم إذا صدقوا في إيمانهم
وطاعة ربهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران] .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه : أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ؟!» (٢) .

والذل له عدة معان :

التواضع : قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ
الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] .

(١) الجواب الكافي ، ص ٥٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨ / ١٠٥) برقم ١١٥٤٧ وقال محققوه : إسناده صحيح ، وأصله
في الصحيحين .

القلة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:

١٢٣].

السهولة: قال تعالى: ﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا بد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَّنَ لِي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]؛ ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله، كما فعل يوسف رَحِمَهُ اللهُ وغيره من الأنبياء رَحِمَهُمُ اللهُ والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة» وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيماً وسروراً، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التمتع بالذنوب ينقلب حزناً وثبوراً.

فيوسف رَحِمَهُ اللهُ خاف الله من الذنوب، ولم يخف من أذى الخلق وحبسهم إذا أطاع الله بل أثر الحبس والأذى مع الطاعة على الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة، وأكرمتها المرأة بالمال والرياسة وزوجها في طاعتها، فاختار يوسف الذل والحبس، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة مع الطاعة على العز والرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية^(١)، قال وهب بن منبه: لما مر يوسف على

(١) الفتاوى (١٣٢/١٥).

امرأة العزيز بعدما أصبح عزيز مصر قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، والملوك عبيداً بمعصيته^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن المستقبل لهذا الدين، وأن الله سيوصله إلى الناس كافة، ولو كره الكافرون. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، وَبِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وكان تميم الداري رضي عنه يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرطبي (١١/٣٨٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨/١٥٤) برقم ١٦٩٥٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط مسلم.

الكلمة الثالثة

العقوبات الإلهية وأسباب رفعها

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها وهذا نذير شر وهلاك للأمة، وقد ثبتلى بعقوبات في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى عن الأمم السابقة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت]، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْوَنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا

الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»^(١).

فبين النبي ﷺ بعضاً من العقوبات التي تصاب بها أمته في آخر الزمان، إذا وقعوا في المحرمات وجأهروا بها.

والذي يتأمل في أحوال الناس في هذه الأيام يجد أن العقوبات قد حصلت بالفعل، فما النكبات المالية التي وقعت وتقع على الدول والأفراد، وانتشار الأمراض الخطيرة في الإنسان والحيوان، وغلاء الأسعار، ونزع البركات، وقلة الأمطار والجو الخائق والغبار، والزلازل، والبراكين، والآثار الناتجة عن إشعال الحروب والفتن هنا وهناك، إلا دليل واضح وبرهان ساطع لمن تدبر وعقل، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٣٠)

[الشورى]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٤١) [الروم]، فإن سألت عن الدواء النافع والعلاج الناجع، فأليك بعضاً مما دل عليه القرآن والسنة: من الأسباب الواقية من هذه الشرور.

أولاً: الإقلاع عن المعاصي والتوبة الصادقة إلى الله، قال تعالى:

﴿ إِنِ اتَّبَعْتُمُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَا يَغْزِبْكُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ سَفْهَانًا لَّيْسَ لَكُم مِّنْ عِندِ اللَّهِ جُنَاحٌ مَّا سَفَّهْتُمُ الْبَالِغِينَ ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٩٦) [الأعراف].

(١) ص ٤٣٢ برقم (٤٠١٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ (٣٧٠ / ٢) برقم ٣٢٤٦.

قال بعض السلف: «لا تستبطئ الإجابة، وقد سددت طريقها بالمعاصي».

قال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كل كربٍ ثم ننساه عند كشف الكروبِ
كيف نرجو إجابةً لدعاءٍ قد سددنا طريقها بالذنوبِ

قال علي رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة».

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال أبو العتاهية:

لهونا لعمرُ الله حتى تتابعت ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توبتنا فنتوبُ

ثانياً: كثرة الاستغفار فهو سبب للإمداد بالأموال والبنيان ورغد العيش، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ [نوح].

قال الفضيل بن عياض: «استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين».
روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» (١)،

فإذا كان هذا حال سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين؟!

ثالثاً: البعد عن المال الحرام، ومن أعظمه: الربا الحرام الذي هو حرب على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

وللأسف: إن كثيراً من الناس يُودعون أموالهم في هذه البنوك، ويأخذون عليها ربا يسمونه فوائد، أو يقترضون بزيادة ربوية، أو يشترون ويبيعون بأسهم البنوك الربوية.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]؛ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغِذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!» (١).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أكل المال الحرام مانع من قبول الدعاء.

رابعًا: الابتعاد عن الشبهات ومنها الأسهم التي تهافت الناس عليها، وهي أشبه ما تكون بالقمار، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»^(١).

قال ابن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف، وقال عمر: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» قال بعض أهل العلم: إذا اشتبه عليك شيء هل هو من الحلال أو من الحرام فانظر إلى ثمرته ونتيجته، فإن الخير يأتي بالخير والشر لا ينتج عنه إلا شرًا.

قال صلى الله عليه وسلم: «اسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»^(٢).

خامسًا: إخراج الزكاة في وقتها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(٣).

وما أكثر الذين يمتنعون عن الزكاة أو يتحايلون على عدم إخراجها، وقد جاء في الحديث السابق ذكره قوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَمْ

(١) ص ٣٩٣، برقم (٢٠٨٣).

(٢) البخاري في التاريخ (١/١٤٤-١٤٥) من حديث وابصة، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١/٢٢٤) برقم ٩٤٨.

(٣) صحيح البخاري ص ٢٥ برقم ٨، وصحيح مسلم ص ٤٠ برقم ١٦.

يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا»^(١).

قال الشاعر:

وأحسبُ الناسَ لو أعطوا زكاتهمُ لَمَا رأيتَ بني الإعدامِ شاكينا
وكذلك الصدقة والإنفاق على الفقراء والمساكين والأقارب
والمحتاجين، فإن الله يدفع بذلك شرورًا عظيمة، قال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا تُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»^(٢).

سادسًا: إخراج القنوات الفضائية السيئة التي تنشر الرذائل وتدعو إليها وتحارب الفضائل وتقلل من شأنها فكم هتكت من أعراض، وكم ضيعت من صلوات بأسبابها؟!

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٣). وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله؛ يقول النبي ﷺ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٤)؛ وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئًا من صحون الاستقبال، «فإنه قد مات وهو غاش

(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث في سنن الترمذي ص ٤٢٥، برقم ٢٦١٦، قال الترمذي عنه: حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري ص ١٣٦٤، برقم ٧١٥، وصحيح مسلم ص ٨١، برقم ١٤٢، واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري ص ١٧٩، برقم ٨٩٣، وصحيح مسلم ص ٧٦٣، برقم ١٨٢٩.

لرعيته وسوف يحرم من الجنة، كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا (الدش) الذي ركبه الإنسان قبل موته، فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمان وكثرت المعاصي»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

الكلمة الرابعة

أخطاء في الصلاة (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن الصلاة عماد الدين والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، ولذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها: كما أمره النبي ﷺ بذلك، وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين: أحبت التذكير بها أداءً لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة؛ فمن ذلك:

أولاً: الصلاة بالثياب الضيقة أو البنطال الضيق، قال بعض أهل العلم: والمحذور في ذلك أن اللباس الضيق يجسّم العورة، وهذا

(١) ص ١٣٧، برقم ٦٣١.

(٢) (٢/٢٤٠) برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم ١٣٥٨.

على العموم منهي عنه، فكيف إذا كان في الصلاة؟! قال تعالى:
﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثانياً: الصلاة في الثياب الشفافة: فكما يحرم الصلاة في اللباس الضيق لأنه يجسّم العورة ويصف شكلها وحجمها، فكذلك تحرّم الصلاة في الثياب الرقيقة التي تشفّ عما وراءها من البدن.

قال الفقهاء في شروط صحة الصلاة: مبحث ستر العورة، ويشترط في الساتر: أن يكون كثيفاً، فلا يجزئ الساتر الرقيق^(١).

وهذا يحدث في الصيف: نجد أن بعض الناس يلبس الثياب الشفافة مع السراويل القصيرة، ثم يصلي فيها.

ثالثاً: الصلاة في ملابس النوم أو (البيجامات) أو ملابس العمل، وقد تكون متسخة وبها روائح كريهة تؤذي المصلين، والسبب يعود إلى الكسل: فيتكاسل عن تغييرها؛ بينما لو أراد أن يزور مسؤولاً أو رجلاً له مكانته، لاستعدّ لذلك؛ فربّ العالمين أولى بالتجمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

رابعاً: الإسبال في الصلاة ويشمل الثوب و«البشت» والبنطال، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قال:

(١) انظر: المغني (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»^(٢). فإذا كان هذا الوعيد الشديد لعموم المسبلين، ففي الصلاة أشد وأعظم؛ فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءَ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»^(٣).

خامساً: المواظبة على صلاة النافلة في المسجد وهذا خلاف السنة، والمستحب أن تكون صلاة النافلة في البيت؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حيث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُضِيَ أَحَدُكُمْ الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»^(٥).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن سعد رضي الله عنه

(١) ص ٦٨، برقم (١٠٦).

(٢) ص ١١٣٢، برقم ٥٧٨٧.

(٣) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦)، برقم ٥٩٥.

(٤) ص ١٠٤، برقم ٤٣٢، وصحيح مسلم ص ٣٠٧، برقم ٧٧٧.

(٥) ص ٣٠٧، برقم ٧٧٨.

قال: سألت رسول الله ﷺ أيما أفضل: الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ؟! فَلَا أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً»^(١)، ولا بأس أن يصلي النافلة في المسجد أحياناً إلا أن السنة الغالبة صلواتها في البيت وهو أفضل كما دلت على ذلك الأحاديث المتقدمة.

سادساً: رفع بعض المصلين أصواتهم في القراءة السرية أو في بعض أذكار الصلاة، وهذا يشوش على الباقيين صلواتهم، وقد ورد النهي عن ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١١٠) [الإسراء].

روى مالك في الموطأ من حديث البياضي رضي عنه: أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلُّون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ»^(٢).

سابعاً: إدخال بعض المصلين أجهزة الجوال إلى المساجد، وبها نعمات موسيقية، وهذه النعمات لا تجوز خارج المسجد، فكيف بالمسجد؟! قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٣٢) [الحج].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه:

(١) ص ١٥٢، برقم ١٣٧٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته في إرواء الغليل (٢/١٩٠).

(٢) ص ٥٣، برقم ٢١٨، وقال محققه: حديث صحيح.

أن النبي ﷺ قال: «لَيْكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»^(١).

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم النغمات الموسيقية الصادرة من هذه الجوانات^(٢)، ولا شك أن إدخالها إلى هذه المساجد انتهاك صريح لحرمتها، إضافة إلى إيذاء المصلين وإفساد صلاتهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب].

ثامناً: الصلاة في الملابس التي فيها صور، والصور منهي عنها على وجه العموم، فكيف بالمسجد؟! روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ، لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي: أن علياً رضي عنه قال له: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ؟ «لَا تَدْعُ تَمَثَّالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٠١، برقم ٥٥٩٠.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٢٦١) برقم ٢٠٨٤٢.

(٣) ص ١١٥٦ برقم ٥٩٦١، ومسلم ص ٨٧٥ برقم ٢١٠٧.

(٤) ص ٣٧٤، برقم ٩٦٩.

الكلمة الخامسة

شرح اسم الله الخالق المصوّر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتُرِّيْحُ الْوَتْرِ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

وقد ورد اسم الله الخالق المصوّر في آيات كثيرة، قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

(١) ص ١٢٣١، برقم ٦٤١٠، ومسلم ص ١٠٧٥، برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري، ص ١٤٠٩، برقم ٧٣٩٢.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار].

قال بعضهم: المصوّر هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة من الطول والقصر، والحسن والقبح، والذكورة والأنوثة: كل واحد بصورته الخاصة، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين العظيمين:

أولاً: إن الله تعالى هو الخالق وحده وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴿٣﴾﴾ [فاطر]، فكل ما سوى الله مخلوق محدث، وكل المخلوقات سبقها العدم؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان].

ثانياً: إن الله تعالى لم يزل خالقاً كيف شاء ومتى شاء ولا يزال، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٥﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج].

ثالثاً: إن الله تعالى ذكره خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر].

رابعاً: خلق الله عظيم، فلا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله، فضلاً عن أن يخلق أفضل منه، قال سبحانه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ لقمان: ١١﴾ .

وفي هذا تحدُّ لجميع الخلق من الجن والإنس وغيرهم .

وقد أثبت الله عجزهم عن خلق ضعيف حقير: كالذباب، ولو اجتمعوا على ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مَثَلًا فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج].

خامسًا: إن الله حرم على عباده أن يصوِّروا الصور ذوات الأرواح، لما فيها من مضاهاة لخلق الله، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ»^(٢)، وفي رواية: «يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٣)؛ وفي هذا دليل على تعذيب المصوِّر: وهو أن يكلف نفخ الروح في الصورة التي صوَّرها، وهو لا يقدر على ذلك، فيستمر تعذيبه.

سادسًا: خلق الله العظيم، فهو الذي خلق السماوات

(١) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥٣، وصحيح مسلم ص ٨٧٦، برقم ٢١١١.

(٢) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥٠، وصحيح مسلم ص ٨٧٥، برقم ٢١٠٩.

(٣) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥١، وصحيح مسلم ص ٨٧٥، برقم ٢١٠٨.

والأرض، وهما أعظم من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) [غافر]، ومن عظمة خلق الله: أن الكرسي وهو موضع القدمين - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - وسع السماوات والأرض جميعاً، والعرش أعظم من ذلك، والله تعالى مستوٍ على عرشه، وهو أعظم وأكبر من كل شيء.

سابعاً: إن الله تعالى ما خلق هذا الخلق عبثاً، وإنما لغاية عظيمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فتعالى الله المليك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكبير ﴿١١٦﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ (١٧) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) [الأنبياء].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق: أي بالعدل والقسط ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١) [النجم]، وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لهواً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٣٧) [ص] (١).

ثم بين سبحانه الحكمة في الخلق فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٩).

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی (١٦٩ - ١٧٤).

الكلمة السادسة

شرح حديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ
مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

هذا الحديث الشريف من الأحاديث العظيمة التي عليها مدار الدين، ولو عمل الناس به لقضى على كثير من المنكرات والخصومات بين الناس، ولعمم المجتمع الأمن والخير والسلام، وهذا يحصل عند كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله ويتفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك: وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص عليه من ذلك شيء^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ رضي عنه: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان، قال: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ

(١) ص ٢٦ برقم ١٣، وصحيح مسلم ص ٥٠ برقم ٤٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ص ١٤٧، بتصرف.

لِلَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ» قال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ»^(١).

وهذا من خصال الإيمان العظيمة، ولذلك رتب النبي ﷺ دخول الجنة على العمل بها، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث يزيد ابن أسد القسري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟» قلت: نعم، قال: «فَأَحِبِّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأْمَرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»^(٤).

وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه، وهو رضي الله عنه يحب هذا لكل ضعيف، وإنما كان يتولَّى أمور الناس لأن الله قوَّاه على ذلك، وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته، وأن يتولَّى سياسة دينهم ودنياهم.

وكان محمد بن واسع يبيع حمارًا له، فقال له رجل: أترضاه لي؟

(١) (٤٤٦/٣٦)، برقم ٢٢١٣٠، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) (٢١٦/٢٧)، برقم ١٦٦٥٥، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ٧٧٠، جزء من حديث رقم ١٨٤٤.

(٤) ص ٧٦٣، برقم ١٨٢٦.

قال: لو رضيته لم أبعه؛ وهذا إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه، وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين، التي هي من جملة الدين.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال: «أذنه»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال صلى الله عليه وسلم: «أتحبُّه لأُمَّك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لأُمَّهاتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لبناتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لأُختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لعممتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لعماتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لخاليتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم؟» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

قال ابن رجب: وينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من فوقه، وأن يتنافس في طلب ذلك جهده وطاقته، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين]؛ ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك، بل

(١) (٣٦/٤٤٠) برقم ٢٢٢١١، وقال محققوه: إسناده صحيح.

يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، وهذا من تمام أداء النصيحة للإخوان؛ فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية، اجتهد على لحاقه، وحزن على تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين: لا حسداً لهم على ما آتاهم الله، بل منافسة لهم وغبطة وحزناً على النفس، لتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين؛ وينبغي للمؤمن أن لا يزال يرى نفسه مقصراً عن الدرجات العالية مستفيداً بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص؛ وينشأ من هذا: أن يحب للمؤمنين أن يكونوا خيراً منه، لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل هو يجتهد في إصلاحها.

وقد قال محمد بن واسع لابنه: أمّا أبوك فلا كثر الله في المسلمين مثله، فمن كان لا يرضى عن نفسه، فكيف يحب للمسلمين أن يكونوا مثله مع نصحه لهم؟! بل هو يحب للمسلمين أن يكونوا خيراً منه، ويحب لنفسه أن يكون خيراً مما هو عليه^(١). اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأمرُّ على الآية من كتاب الله، فأودُّ أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم».

وقال الشافعي رحمته الله: «وددت أن الناس تعلّموا هذا العلم، ولم يُنسب إليّ منه شيء».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم، ص ١٤٨-١٤٩.

الكلمة السابعة

علو الهمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً
رسول الله، وبعد:

فإن من الخصال الجميلة، والخلال الحميدة، والأخلاق العالية
الرفيعة: الهمة العالية، والناس إنما تعلقو أقدارهم، وترتفع منازلهم:
بحسب علو هممهم وشريف مقاصدهم، قال بعضهم: علو الهمة هو
استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، ومعنى ذلك: أن المؤمن
لا تنتهي إنجازاته في أمور دينه ودينه، بل كلما انتهى من إنجاز سعى
إلى آخر، وهكذا حال صاحب الهمة العالية.

وقد حث سبحانه عباده على علو الهمة، والمصارعة إلى الخيرات،
والتنافس في أعالي الدرجات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل
عمران]، وقال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات]،
وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين].

وبين تعالى فضل المجاهدين أصحاب الهمم العالية، على
القاعدين المؤثرين للراحة والدعة، فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾ [الحديد: ١٠].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه كما روى الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا»^(٢) أي: الحقير الرديء منها.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أعلى الناس همة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قِرَ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ؛ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يمثل لهذا التوجيه الرباني الكبير، فيقوم حتى تتفطر قدماه؛ وفي النهار جهاد، ودعوة، وقيادة للأمة، وكان في بيته تسع نسوة يقوم على شؤونهن، وكان يضع الحجر على بطنه من الجوع، وتمر الليالي تلو الليالي لا يوقد في بيت رسول الله نار إن هو إلا الأسودان - التمر والماء - لقد ولَّى عهد النوم والراحة، قال تعالى:

(١) (٢٩٦/٢٠) برقم ١٢٩٨١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) (١٣١/٣) برقم ٢٨٩٤، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/٣٨٤) برقم ١٨٩٠.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على الهمة العالية والمسابقة إلى الدرجات العالية، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في غزوة بدر، قال: فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبّوا المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قال: يقول عمير بن الحمّام الأنصاري: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟!» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّىٰ أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ (١).

ومن الأمثلة على الهمة العالية ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم الأحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني

المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَلَ به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية [الأحزاب: ٢٣] (١).

وعلو الهمة على قسمين:

الأول: رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائم همته، وهذا ما يسمى (عظيم الهمة، أو: عظيم اليقين).

الثاني: رجل فيه الكفاية لعظائم الأمور، ولكنه يحتقر نفسه فيضع همه في سفاسف الأمور وصغائرها، وهذا ما يسمى صغير الهمة؛ قال المتنبي:

وَمَا أَرَى فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
ومن الأمثلة على علو الهمة:

ما قاله مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: واللَّه ما أنزلت آية، إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم أحدًا

(١) صحيح البخاري ص ٥٤٢، برقم ٢٨٠٥؛ وصحيح مسلم ص ٧٩٠، برقم (١٩٠٣).

أعلم بكتاب الله مني، تبلغه المطايا، لأتيته.

وكان الإمام البخاري يقوم في الليلة الواحدة: ما يقارب عشرين مرة، لتدوين حديث أو فكرة، وقال الإمام أحمد بن حنبل: رحلت في طلب السنة إلى الثغور والشامات والسواحل، والمغرب والجزائر، ومكة والمدينة، واليمن وخراسان وفارس، وقال: حججت خمس حججات: منها ثلاث حجج راجلاً من بغداد إلى مكة، وقال ابن الجوزي: طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين، حتى جمع المسند وفيه ثلاثون ألف حديث.

وقال أيضاً: ولو أنني قلت: طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيها، وأحتقر همم الطلاب والله الحمد^(١). اهـ.

وقال ابن الجوزي - في ترجمة الطبراني -: هو العلامة سليمان ابن أحمد مُسند الدنيا، زادت مؤلفاته على خمسة وسبعين مؤلفاً، سئل عن كثرة أحاديثه؟! فقال: كنت أنام على الحصير ثلاثين سنة.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا
تَفْرِيجُ هَمِّمْ وَاکْتِسَابُ مَعِيشَةٍ
وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصَحْبَةٌ مَاجِدِ

ومن الأمثلة على علو الهمة في وقتنا المعاصر: ما أخبرني به أحد الإخوة أن هناك أعمى وأصم وأبكم لا تفوته تكبيرة الإحرام، والعجيب أن الذي يقوده إلى المسجد: ابنه وهو أصم وأبكم، ومع ذلك: الاثنان عندهما همة عالية للمبادرة إلى بيوت الله، والصلاة مع الجماعة، مع أنهما معذوران شرعاً.

وقال المتنبّي:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وقال أيضاً:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ

وقال أبو فراس الحمداني:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الهمة: فكيف يحسن بذي همة قد أزاح الله عنه عله، وعَرَفَهُ السعادة والشقاوة أن يرضى بأن يكون حيواناً وقد أمكنه أن يصير إنساناً، وبأن يكون إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وبأن يكون ملكاً وقد أمكنه أن يكون ملكاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتقوم الملائكة في خدمته، وتدخل عليهم من كل باب، قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٤﴾

[الرعد : ٢٤].

وهذا الكمال إنما يُنالُ بالعلم ورعايته والقيام بموجبه وأعظم النقص نقص القادر على التمام وحسرتة على تفويته، فَثَبَّتَ أنه لا شيء أقبح بالإنسان من أن يكون غافلاً عن الفضائل الدينية، والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، فمن كان كذلك فهو من الهمج الرعاع الذين يكدرون الماء ويقلون، إن عاش عاش غير حميد، وإن مات مات غير فقيد، وفقدهم راحة للبلاد والعباد، ولا تبكي عليهم السماء، ولا تستوحش له الغبراء^(١).

الخلاصة: أنه ينبغي للمؤمن أن تكون همته عالية، يسعى إلى معالي الأمور وفيما يصلحه من أمر دينه ودنياه، وأن يبذل في ذلك الغالي والنفيس، وألا يكون ضعيف الهمة يحب الراحة والكسل، فإنه بقدر الكد تكتسب المعالي، ومن طلب العلاء سهر الليالي^(٢).

قال الشاعر:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرُومُ الْعِزَّةَ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع الآداب من كلام ابن القيم بتحقيق يسري السيد محمد (١/٢١٨ - ٢١٩).

(٢) انظر: علو الهمة لأخينا الشيخ إسماعيل المقدم.

الكلمة الثامنة

فتنة المال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فإن من نعم الله العظيمة على عباده: نعمة المال، قال تعالى:
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى ممتنّاً على نبيّه بهذه النعمة: ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) [الضحى]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (١٤) [آل عمران].

قال عمر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه» (١).

والمال إما أن يستخدم في الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [التغابن]، وهو من الفتن العظيمة التي يُبتلى بها المؤمن، والقليل من الناس من يصبر عليها؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عياض بن

(١) ص ١٢٣٦ كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة».

حمار رضي عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»^(١)، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «ابتلينا بالضراء فصرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

والعبد يُسأل عن ماله يوم القيامة ماذا عمل فيه؟ روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ»^(٣).

وقد جُبلت النفوس على حب المال، قال تعالى: ﴿وَمُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر]، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَإِدْيَانٍ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ

(١) (٢١٥/٢٩) برقم ١٧٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) ص ٣٩٦، برقم ٢٤١٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ص ١٠٣٠ برقم ٥١٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥ برقم ٢٧٣٦.

(٤) ص ١٢٣٦ برقم ٦٤٣٦، وصحيح مسلم ص ٤٠٢ برقم ١٠٤٩.

وَطُولُ الْعُمُرِ» (١).

وقد حذر النبي ﷺ أمته من فتنة المال، فروى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن عوف رضي عنه: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «فَأَبْشُرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكْكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ» (٢).

والذي يتأمل في أحوال الناس في هذه الأيام، وانكبابهم على كسب هذا المال بأي وسيلة كانت: سواء كان في مساهمات مشبوهة، أو معاملات فيها مخالفات شرعية: كالربا، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها، ليتذكر قول النبي ﷺ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟» (٣).

وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى القناعة وعيشة الكفاف.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة

(١) ص ١٢٣٣ برقم ٦٤٢١، وصحيح مسلم ص ٤٠٢ برقم ١٠٤٧.

(٢) ص ٧٦٢ برقم ٤٠١٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١.

(٣) ص ٣٩٣، برقم ٢٠٨٣.

(٤) ص ٤٠٤، برقم ١٠٥٤.

أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(١) والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

قال الشاعر:

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْغِيهَا
وَغِنَى النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ فَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا

وقد ذمَّ الله ورسوله عبد المال: الذي إذا أُعْطِيَ رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «نَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمُ، وَالْقَطِيفَةُ، وَالْحَمِيصَةُ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(٢).

وهذا المال إن لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله وينفقه في سبيله، كان وبالاً وحسرة عليه، قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري ص ١٢٣٨، برقم ٦٤٤٦؛ وصحيح مسلم ص ٤٠٢، برقم ١٠٥١.

(٢) ص ١٢٣٥، برقم ٦٤٣٥.

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اِثْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ : الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُهُ قِلَّةُ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ» (١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِهِمْ : بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ» (٢).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن البركة إنما تحل في هذا المال، إذا أخذه صاحبه بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح، فروى البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ» (٣).

وقد أخبر عليه السلام أن المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد].

(١) (٣٦/٣٩)، برقم ٢٣٦٢٥؛ وقال محققوه: إسناده جيد.
 (٢) (٢٠٨/١٤)، برقم ٨٥٢١؛ وقال محققوه: إسناده حسن.
 (٣) ص ٢٨٧ برقم ١٤٧٢، وصحيح مسلم ص ٣٩٨ برقم ١٠٣٥.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» (١).

وبعض الناس يغلط، ويظن أن من رزق مالا كثيرا، فإنه قد وُفق : وهو دليل على محبة الله له ! والأمر ليس كذلك، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب؛ وقد ذكر الله هذا عن الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن، قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَيْنَ ۙ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ ﴾ [الفجر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .



الكلمة التاسعة

فتنة النساء

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن العظيمة التي يواجهها المسلم في هذه الحياة: فتنة
النساء، وهذه الفتنة تواجهه في السوق وفي الطرقات وفي الأماكن
العامة، وفي الجرائد والمجلات وفي وسائل الإعلام، قال تعالى:
﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران].

وقد حذر النبي ﷺ أمته من فتنة النساء، روى البخاري ومسلم
من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكَتُ
بَعْدِي فِتْنَةً، أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء،
فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن
النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ

(١) ص ١٠١٠، برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥، برقم ٢٧٤٠.

كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن الصابر على هذه الفتنة: من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(٢)؛ قال القاضي عياض: «وخصَّ ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها؛ فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال - من أكمل المراتب وأعظم الطاعات، فرتب الله عليه أن يظله الله في ظله، وذات المنصب: هي ذات الحسب والنسب الشريف»^(٣)؛ قال تعالى - في هذا وأمثاله -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وقدوة هذا الصابر على فتنة النساء: نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الْوَجْوَىٰ ۗ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ

(١) ص ١٠٩٦، برقم ٢٧٤٢.

(٢) ص ٢٧٧، برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧، برقم ١٠٣١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾ [يوسف]، بل إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ آثر السجن على أن ينقاد لهذه الفتنة، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [يوسف]، قال ابن القيم: «وقد ذكر الله تَعَالَى عن يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان شاباً والشباب مركب الشهوة، وكان عزباً ليس عنده ما يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله وأصحابه، يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم، فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال؛ والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمرادة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمين هجوم الداخل على بغته، وأتته بالرغبة والرغبة، ومع هذا كله عفَّ لله ولم يطعها، وقَدَّمَ حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتلي به سواه لم يعلم كيف تكون حاله؟» (١).

قال الشاعر:

(١) بدائع التفسير (٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦).

وإني لتنهاني خلائقُ أربَعٍ عن الفحشِ فيها للكريمِ روادعُ
حياءٌ وإسلامٌ وشيبٌ وعفةٌ وما المرءُ إلا ما حبتُه الطبايعُ

والصبر على هذه الفتنة وإيثار رضا الله على هوى النفس: من
أفضل الأعمال التي تقرب العبد إلى ربه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَحَدُهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوَأَ إِلَى غَارٍ
فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ
تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجَهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي
ابْنَةٌ عَمَّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا
فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَبِعْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِجَّتْهَا بِهَا،
فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ
إِلَّا بِحَقِّهِ! فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ،
فَأَفْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ»^(١) الحديث.

وقد أمر الله المؤمنين الذين لم يستطيعوا النكاح بالصبر والعفة،
قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
[النور: ٣٣].

ومن أسباب دفع فتنة النساء: غض البصر وحفظ الفرج والنكاح

(١) ص ٤١٣ برقم ٢٢١٥، وصحيح مسلم ص ١٠٩٦ برقم ٢٧٤٣.

الحلال، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ - أي النكاح - فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظْرِ وَمَعْظَمُ النَّارِ مِنْ مَسْتَضْعِرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقْلِبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَتِ السِّهَامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتْرِ
يَسُرُّ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرَهُ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرْرِ

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثواباً لمن حفظ فرجه، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٠٠٥ برقم ٥٠٦٦، وصحيح مسلم ص ٥٤٩ برقم ١٤٠٠.

(٢) ص ١٢٤٣، برقم ٦٤٧٤.

الكلمة العاشرة

فتنة الدنيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر الله ورسوله منها: فتنة الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [٤٥]

[الكهف].

وقال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [٢٠]

[الحديد].

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من فتنة الدنيا.

فروى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَرُدَّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» (١).

وقد نهى الله نبيه ﷺ عن التطلع إلى الدنيا وفتنتها، قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

وبين تعالى أن ما يعطيه الكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [٢٣] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرًّا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ [٣٤] ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٥] [الزخرف].

روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (٢).

(١) ص ٥٤٥، برقم ٢٨٢٢.

(٢) ص ٣٨٣، برقم ٢٣٢٠، قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ (أي: جانبَهُ)، فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ (أي: صغير الأذنين) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ هَذَا عَلَيْكُمْ» (١).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من فتنة الدنيا وزخرفها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتَهُمْ» (٢).

قال الشافعي رحمته الله:

إن لله عباداً فُطِنَا تركوا الدنيا وخافوا الفِتنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أنها ليست لِحَيٍّ وَطِنَا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا

وقال ابن أبي حصينة المعري:

أحلامُ نومٍ أو كظل زائلٍ إن اللبيب بمثلها لا يُخدعُ

(١) ص ١١٨٧، برقم ٢٩٥٧.

(٢) ص ٧٦٢، برقم ٤٠١٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١.

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس بُعدًا عن الدنيا وفتنتها، فروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: نام النبي ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث عمر: أنه رضي عنه صعد إلى مشربة النبي ﷺ لما آلى رضي عنه من نسائه، فراه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؛ وكان رسول الله ﷺ متكئاً، فجلس وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال رضي عنه: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، وفي رواية: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»^(٢).

قال علي رضي عنه - وهو يصف الدنيا -: أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن حرص ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها (أي سعى إليها) فتنته، ومن قعد عنها أتمته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها (أي اعتبر بها) بصَّرته، قال الشاعر أبو الحسن التهامي:

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

(١) ص ٣٨٩، برقم ٢٣٧٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ص ٩٦٩، برقم ٤٩١٣، وصحيح مسلم ص ٥٩٣، برقم ١٤٧٩.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالتقلل من الدنيا وزينتها، فروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»؛ وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(١).

وكان الصحابة يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اشتكى سلمان فعاده سعد فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي! أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟! أليس؟! أليس؟! قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضناً للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فما أراني إلا قد تعديت، قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إليّ أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت، قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نفقة كانت عنده^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٣٢، برقم ٦٤١٦.

(٢) ص ٤٤٤ برقم ٤١٠٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه

(٢/٣٩٢-٣٩٣) برقم ٣٣١٢.

الكلمة الحادية عشرة

النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات الذميمة التي ذمها الله ورسوله: السخرية بالناس واحتقارهم، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) [الهمزة]، والويل: كلمة تهديد ووعيد لمن كانت هذه صفاته، قال المعلمي رَحِمَهُ اللهُ: الهمز هو السخرية من الناس بالإشارة؛ كتحرير اليد قرب الرأس: إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الإشارة بالعين: رمزاً للاستخفاف أو نحو ذلك.

واللمز: هو السخرية من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة، أو التعريض بذلك. اهـ (١).

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ﴾ [الحجرات: ١١].

(١) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ليحيى المعلمي، ص ٣٣٣، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٦٠٤).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَمَّ بَنَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَسْخَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِجَمِيعِ مَعَانِي السَّخْرِيَّةِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ مُؤْمِنٍ لَا لِفَقْرِهِ وَلَا لَذَنْبِ رُكْبِهِ وَلَا لِغَيْرِ ذَلِكَ»^(١)؛ وَقَالَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: «أُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ: هُوَ دَعَاءُ الْمَرْءِ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُهُ مِنْ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ، وَعَمَّ اللَّهُ بَنَيْهِ ذَلِكَ وَلَمْ يَخْصِصْ بِهِ بَعْضَ الْأَلْقَابِ دُونَ بَعْضٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَنْبِزَ أَخَاهُ بِاسْمٍ يَكْرَهُهُ أَوْ صِفَةً يَكْرَهُهَا»^(٢).

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صِفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا - قَالَ غَيْرَ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةَ - فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتِ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنْيَ حَكَيْتِ إِنْسَانًا، وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٣).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَعْرُورِ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَبِذَةِ وَعَلِيَهُ حَلَةٌ وَعَلَى غَلَامِهِ حَلَةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ،

(١) تفسير الطبري (١١/٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١١/٢٩٣).

(٣) ص ٥٢٩، برقم ٤٨٧٥، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣/٩٢٣) برقم ٤٠٨٠.

فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(١)؛ والسخرية بالناس من سمات الكفار والمنافقين، وقد نُهينا عن التشبه بهم، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٧٩) [التوبة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى المتصدقون لا يسلمون منهم؛ إن جاء أحدهم بمال كثير قالوا: مُرَاءٍ، وإن جاء بقليل قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا»^(٢). اهـ.

والسخرية تमित القلب وتورثه الغفلة، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساجر وتحسّر على فعله، قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾^(٥٦) [الزمر].

والسخرية من الناس عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة، في الدنيا: قد يُبتلى الساجر بمثل ما سخر به، وفي الآخرة: عذاب الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾^(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ^(٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ^(٣١) [المطففين].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا

(١) ص ٢٩، برقم ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٧).

أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِينَنَا ﴿٥٨﴾ [الأحزاب].

والساخر بعيد عن ربه قريب من الشيطان، قال تعالى عن الكفار: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذَتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

قال القرطبي: «يستفاد من هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم والإضرار عليهم، والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مبعد من الله ﷻ» (١).

ومما تقدّم، يتبيّن لنا: أن السخرية بالناس ذنب عظيم، منافٍ للدين والمروءة والأدب.

ومن صور هذا الاستهزاء في وقتنا المعاصر:

السخرية بالعلماء والمشايخ، والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وغيرهم من أهل الصلاح والخير، ولمزهم بالألقاب السيئة، وتأليف القصص المكذوبة التي تسمّى النكت عليهم؛ وقد نص بعض أهل العلم: على أن الساخر من العلماء أو الأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، إذا كان يسخر منهم لدينهم لا لذاتهم، فإن هذا من الكفر المخرج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

(١) تفسير القرطبي (٩٥/١٥).

ومنها: السخرية بالعمال المقيمين في هذه البلاد، أو الفقراء وضعفة الناس، واحتقارهم: لأن هذا من الجنسية أو البلد الفلاني؛ روى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أن يُسمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُسمع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١)؛ وما يدري هذا الساخر: لعل الذي سخر منه خير وأتقى لله منه! قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأْتِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال محمود الغزنوي:

فَلَا تَحْقِرَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ وَلِيَّ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ وَمَا تَدْرِي
فَذُو الْقَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ خَافٍ عَنِ الْوَرَى كَمَا خَفِيَتْ عَنْ عِلْمِهِمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

ومنها السخرية بالجيران والأصدقاء والأقارب، وقد يكون الحامل على هذه السخرية والاحتقار: هو الحسد، فقد يبرز بعض الناس عند أقاربه أو أصدقائه: بتجارة أو علم أو دراسة، فيسخرون منه، ويلمزونه في المجالس، ليسقطوه من أعين الناس؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ

عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ! إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] ﴿[الحجر]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [٤٦] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [٤٧] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [٤٨] ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّنَا أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [٥٠] ﴿[الحجر].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] المتقون: هم الذين فعلوا الطاعات واجتنبوا المعاصي والذنوب، وجنات: أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة لأنها تجن من فيها: أي تسترهم لكثرة أشجارها وأغصانها.

والعيون هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل، وهذه الأنهار تجري من تحت القصور والأشجار، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي بسلامة من كل داء وآفة، وآمنين: أي من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع شيء من النعيم الذي أنتم فيه أو نقصانه، كالموت، والنوم، والمرض، والحزن، والهم، وسائر المكدرات، كما قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ [ق]؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف]»^(١)؛ والأمن مطلب لجميع الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى عن أهل الجنة: آمنين، حتى تكتمل السعادة والفرحة.

قال أمية بن الصلت:

وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارٍ صِدْقٍ وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظُّلَالِ
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنَّوْا مِنْ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الحجر]، الغل: هو الحقد والعداوة، فبيّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه نزع ما في صدور أهل الجنة من الغل في حال كونهم إخوانًا، وبيّن هذا المعنى وزاد أنهم تجري من تحتهم

الأنهار في نعيم الجنة ، وذلك في قوله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) [الأعراف] .

قال ابن كثير : وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» (١) .

ولما دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعدما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وأدناه وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧) [الحجر] ، والحكمة في نزع الغل : حتى تكتمل السعادة والفرحة ، فإن الغل يفسد القلوب ويضيق به الصدر ، ولذلك شرح الله صدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأرسل الله له في صغره ملكين ، ونزعا ما في صدره من الغل والحقد وغسلا قلبه ؛ قوله : ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧) السرر : جمع سرير مثل جديد وجدد ، وقيل : هو من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور ، قال ابن عباس : على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر . السرير ما

(١) صحيح البخاري ص ١٢٥٢ ، برقم ٦٥٣٥ .

بين صنعاء إلى الجابية وهي قرية بالشام، وما بين عدن إلى أيلة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقد وصف الله هذه السرر بأنها منسوجة بقضبان الذهب وهي: (الموضونة)، فقال: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)﴾ [الواقعة].

وقيل الموضونة: المصفوفة، كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ [الطور].

وأيضاً هذه السرر مرفوعة، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)﴾ [الغاشية]، وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾ [الواقعة]، وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ [الرحمن].

قوله تعالى: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، وذلك دليل على تزاورهم واجتماعهم وحسن أديهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له، متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)﴾ [الحجر]: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب وهو التعب والإعياء، و﴿نَصَبٌ﴾: نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب، فدلّت الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والمشقة، وأكد هذا المعنى سبحانه، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَلْمَنَّا بِهٖ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾

[فاطر]؛ لأن اللغوب هو التعب والإعياء، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٤٨): بين تعالى أن أهل الجنة لا يخرجون منها، فهم دائمون في نعيمها أبداً بلا انقطاع، وأوضح سبحانه هذا المعنى في مواضع أخرى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^(١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾^(١٠٨) [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾^(٥٤) [ص]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٥٠) [الحجر]، هذه الآية موازية لقوله صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ؛ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(٢).

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، ويكون الخوف في الصحة أغلب عليه منه في المرض، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء

(١) ص ٧٢٦ برقم ٣٨٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٢.

(٢) ص ١١٠٢، برقم ٢٧٥٥.

والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها؛ فالقنوط من رحمة الله يأس، والرجاء مع التقصير إهمال، وخير الأمور أوسطها^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: تفسير ابن سعدي (ص ٤٠٧).

الكلمة الثالثة عشرة

الغرور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات الذميمة التي نهى الله ورسوله عنها: الغرور، قال الراغب: الغرورُ هو كل ما يغرُّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك^(١)، وقال الكفوي: كل من غر شيئاً فهو غرورٌ بالفتح والغرورُ بالضم الباطل^(٢)، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَمَةٌ غُرُورٍ﴾ [آل عمران].

وقد حذر سبحانه من الغرور فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر]، أي: لا يغرنكم الشيطان فيقول لكم: إن الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم لفضلكم أو رئاستكم وغناكم أو سعة رحمته لكم، فتسرعوا في المعاصي، وأخبر سبحانه أن الغرور من عمل الشيطان، فقال: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء].

(١) المفردات للراغب ص ٣٥٩.

(٢) الكلبيات ص ٦٦٣.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول: ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها؛ والفرق بين وعده وتمنيته: أنه يعد الباطل ويمني المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغذي بوعده وتمنيته، كما قال القائل:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا^(١)
قال حسان بن ثابت:

دَلَّاهُمْ^(٢) بَغْرورِ ثَمَّ أَسْلَمَهُمْ إِنْ الْخَبِيثَ لِمَنْ وَالَاهُ غَرَّارُ
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأُورِدُهُمْ شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ
والغرور على أقسام:

القسم الأول: «غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا بشهواتها وملذاتها، قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة، فالدنيا نقد والآخرة نسيئة، فإذن: الدنيا خير منها ولا بد من إتيانها؛ وقالوا: اليقين خير من الشك، ولذات الدنيا يقين ولذات

(١) إغائة اللفهان (١/١٠٧).

(٢) قال القرطبي: يقال أدلى دلوه: أرسلها، ودلاها: أخرجها، وقيل دلاهم: دللهم من الدالة وهي الجرأة، أي جرأهم. الجامع لأحكام القرآن (٧/١١٦).

الآخرة شك، فلا نترك اليقين بالشك؛ ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، وبقوله: ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ [الضحى: ٤].

القسم الثاني: غرور العصاة من المؤمنين بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفوهُ، واتكالمهم على ذلك، وإهمالهم الأعمال، وتحسين ذلك بتسمية تمنيتهم واغترارهم: رجاء، وظنهم أن هذا هو الرجاء المحمود في الدين، وهذا جهل بالفرق بين الرجاء والغرة؛ وقد قيل للحسن: قوم يقولون: نرجو الله، ويضيعون العمل! فقال: هيهات هيهات، تلك أمانيتهم يترجحون^(١) فيها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه. اهـ.

وقد بين الله الرجاء المحمود فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

القسم الثالث: «غرور طوائف لهم طاعات ومعاص، إلا أن معاصيتهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة، ويظنون أنهم بذلك تترجح كفة حسناتهم، مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل؛ فترى الواحد يتصدق بدراهم من الحلال والحرام، وما يأكله من أموال المسلمين أضعاف ذلك، ويظن أن إنفاق عشرة في الصدقة يكفر عنه مائة من مشبوه المال، وذلك غاية في الجهل والاغترار»^(٢)؛

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب يترددون.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٧٦ - ٣٦٨) بتصرف.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١)، وروى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)؛ قال عبد الله بن المبارك : «لأن أردّ درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف» .

وقد أخبر سبحانه أن الغرور من شأن الظالمين والكفار، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنَّهُمْ لَظَالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر].

فمن الناس من إذا أعطي مالا أو منصباً أو جاهاً، ظن أن هذا دليل على إكرام الله له ورضاه عنه، وأن هذا المنصب أو المال : إنما حصل عليه باجتهاده وتعبه؛ وهذا يشبه قارون عندما قال عن ماله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨]، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر]، أي : ليس الأمر كذلك؛ وآخرون إذا أعطي أحدهم نصيباً من العلم الشرعي أو الدعوة أو العبادة : اغتر بذلك، وأعجب بعمله، وترفعت نفسه عن الآخرين، بل إن بعضهم يرى أن إخوانه ينبغي أن يخدموه ويوقروه، تقديراً لعلمه أو

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم ص ٣٩١، برقم ١٠١٥ .

(٢) ص ٥٩٦، برقم ٣١١٨ .

لنشاطه في الدعوة، أو لعبادته: وهذا هو الغرور.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبان قال: أتيت عثمان بن عفان رضي الله عنه بطهور وهو جالس على المقاعد فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ وهو في هذا المجلس، فأحسن الوضوء ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَرَكَعَ رَكَعَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَغْتَرُّوا»^(١).

قال الزهري: «من استطاع ألا يغتر فلا يغتر؛ ولما حضرت عبدالعزيز ابن مروان الوفاة وكان والياً على مصر قال: اثنوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: مالي كثير وما أخلف من الدنيا إلا هذا، ثم ولى ظهره وبكى وقال: أف لك من دار! إن كان كثير لقليل! وإن كان قليل لكثير! وإن كنا منك لفي غرور»^(٢).

وبالجملة فالناس على صنفين:

الأول: غرور أهل الدنيا بدنياهم حيث تلهيهم أموالها ومناصبها وزينتها وزخارفها، حتى يدركهم الموت وهم غافلون، قال تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۗ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۗ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۗ ۝٦

(١) ص ١٢٣٥ برقم ٦٤٣٣، وصحيح مسلم ص ١٢١ برقم ٢٣٢.

(٢) الدر المنثور (٤/١٩٣).

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
[التكاثر].

الثاني: غرور أهل العبادة والطاعة، وسببه إعجابهم بأعمالهم، فالواجب على العبد: أن يحمد الله على توفيقه، وأن يخلص له وأن يصدق معه، وأن يعلم أن المنة لله وحده، قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة عشرة

قسوة القلب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم العقوبات التي يتلى بها العبد: قسوة القلب، قال ابن منظور: القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه^(١).

وقال القرطبي: القسوة الصلابة والشدة واليأس وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى^(٢).

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن كثير: «يقول تعالى في هذه الآية: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، ففهمه وتنقاد له، وتسمع له وتطيعه»^(٣)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة

(١) لسان العرب (١٥/١٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢١).

من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية^(١). روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، إلا أربع سنين»^(٢).

فإذا كان الله قد حذر الصحابة، وهم خير القرون وأهل قيام الليل وصيام النهار والجهاد في سبيل الله، والوحي ينزل عليهم ليلاً ونهاراً، فكيف بنا نحن في هذا الزمن الذي تعلق فيه الكثير منا بالدنيا وانتشرت الفتن، وأصبح الواحد منا يعيش غربة الدين؟!!

لقد نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك: قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد^(٣).

وذكر أهل التفسير: أن سبب توبة الفضيل بن عياض - وكان من قطاع الطريق - أنه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؛ فرجع القهقهري وهو يقول: بلى والله قد آن! فأواه

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢١).

(٢) ص ١٢١١، برقم ٣٠٢٧.

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢٣).

الليل إلى خربة^(١) وفيها جماعة من السابلة^(٢)، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلاً يقطع الطريق، فقال الفضيل: أوَاه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني: اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام^(٣).

وقد توعدَّ الله أصحاب القلوب القاسية بالعذاب الأليم، وبين أن قسوة القلب سبب للضلال وانغلاق القلب، فلا يخشع ولا يعي ولا يفهم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ— فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وهذه الآية كقوله ﷺ: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الشاعر:

إذا قسا القلبُ لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطرُ
قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم.

وقد ذم الله في كتابه قسوة القلب، وأخبر أنها مانع عن قبول الحق والعمل به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

(١) خربة: موضع الخراب.

(٢) السابلة: المارون على الطرقات المترددون في حوائجهم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٦/٢٠).

يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ -: «أي من الحجارة لألين من قلوبكم، عمّا تدعون إليه من الحق فلا تستجيون» (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنعام]؛ أي الفقر والضييق في العيش، والضراء: وهي الأمراض والأسقام والآلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾: أي لعلهم يتضرعون إليه ويخشونه ويدعونه.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام]؛ أي فهلاً إذا ابتليناهم بذلك: تضرعوا إلينا، وتمسكنوا لدينا؟! ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي ما رقت ولا خشعت، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي من الشرك والمعاندة والمعاصي.

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أرق الناس قلباً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٥٧).

في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً
لِلْأُمِّيِّينَ، أنت عبدي ورسولي سَمَّيتُكَ المتوكِّلَ، ليس بفظ ولا غليظ
ولا سَخَّابٌ^(١) في الأسواق؛ ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو
ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا
إله إلا الله، فيفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صمًّا، وقلوباً غُلْفًا^(٢).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله - ابن مسعود رضي الله عنه -: أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «اقْرَأْ عَلَيَّ؟» قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك
أُنزِلَ؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ»؛ فقرأتُ سورة النساء، حتى أتيت إلى
هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ
شَهِيدًا﴾ [٤١] [النساء]؛ قال: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فالتفتُ إليه: فإذا عيناه
تذرفان^(٣).

ومن أسباب لين القلب: الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، قال
تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ﴾ [٢٨] [الرعد].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ومنها إطعام المسكين ومسح رأس اليتيم، روى الإمام أحمد في
مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ أَرَدْتَ تَلِينَ قَلْبِكَ

(١) وهو رفع الصوت بالخصام.

(٢) ص ٩٥٠ برقم ٤٨٣٨.

(٣) ص ١٠٠١، برقم ٥٠٥٠، وصحيح مسلم ص ٣١٣، برقم ٨٠٠.

فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»^(١).

وكذلك زيارة المقابر والمرضى، والزهد في الدنيا وتذكر الموت والآخرة، روى مسلم في صحيحه وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ»^(٣) يعني الموت، وفي رواية «فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سِعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»^(٤).

قال الشاعر:

دواء قلبك خمس عند قسوته فاذأب عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره كذا تضرع بالك ساعة السحر
ثم التهجد جنح الليل أوسطه وأن تجالس أهل الخير والخبر
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢/٢٦٣) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٥٣٣) برقم

٨٥٤.

(٢) ص ٣٧٧، برقم ٩٧٦، وابن ماجه ص ١٧١، برقم ١٥٦٩ - واللفظ له -.

(٣) ص ٣٨١، برقم ٢٣٠٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ص ٥٣٤ برقم ٢٩٨٢.

الكلمة الخامسة عشرة

العُجب

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن من عظام الأمور وكبائر الذنوب التي تهلك صاحبها، وتفسد عليه أعماله: تلك الخصلة الذميمة: العُجب^(١)؛ قال الراغب الأصفهاني: العجب ظن الإنسان في نفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها، قال بعضهم: هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم عليك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن دُؤُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٤﴾﴾ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠٦.

فلما أعجب بما عنده نسي أن هذا فضل الله عليه، وأن الذي أعطاه قادر على أن يأخذه فيعود فقيراً كما كان، فكانت عاقبته ما ذكره الله: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ [الكهف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جَمَّتَهُ» (١)، إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ (٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٣).

وروى البزار من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْبِئُونَ، لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ: الْعُجْبَ» (٤).

وروى البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ» (٥).

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الهلاك في شيئين: العُجب والقنوط» (٦).

قال ابن قدامة رحمته الله: واعلم أن العُجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه فيتولد من العُجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة وهذا مع

(١) هي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين.

(٢) المراد أنه ينزل في الأرض مضطرباً متدافعاً.

(٣) ص ١١٣٢، برقم ٥٧٨٩، وصحيح مسلم ص ٨٦٦، برقم ٢٠٨٨.

(٤) كشف الأستار (٢٤٤/٤) برقم ٣٦٣٣، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

(٣/٥٤٥ - ٥٤٦): رواه البزار بإسناد جيد.

(٥) (٥٩/١) برقم ٨٠، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٠٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين: ص ٢٩٨، ٢٩٩.

الْخَلْقُ؛ فَأَمَّا مَعَ الْخَالِقِ: فَإِنَّ الْعُجْبَ بِالطَّاعَاتِ نَتِيجَةُ اسْتِعْظَامِهَا، فَكَأَنَّهُ يَمُنُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِفَعْلِهَا وَيَنْسِي نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لَهَا، وَيَعْمَى عَنْ آفَاتِهَا الْمَفْسُودَةَ لَهَا؛ وَإِنَّمَا يَتَفَقَدُ آفَاتِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَافِ رَدِّهَا دُونَ مَنْ رَضِيَهَا وَأَعْجَبَ بِهَا، وَالْعُجْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِوَصْفِ كِمَالٍ مِنْ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ؛ فَإِنَّ انْضِافَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَرَى حَقًّا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِدْلَالَ، فَالْعُجْبُ يَحْصُلُ بِاسْتِعْظَامِ مَا عُجِبَ بِهِ، وَالْإِدْلَالَ يُوجِبُ تَوْقِعَ الْجَزَاءِ، مِثْلَ أَنْ يَتَوَقَّعَ إِجَابَةَ دَعَائِهِ وَيَنْكُرُ رَدَّهُ^(١). اهـ.

وَعِلَّةُ الْعُجْبِ: الْجَهْلُ الْمَحْضُ، وَعِلَاجُهُ: الْمَعْرِفَةُ الْمُضَادَّةُ لِذَلِكَ الْجَهْلِ، أَيِ مَعْرِفَةِ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَثَارَ إِعْجَابَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَقِّ سَبْقِ لَهُ، وَمِنْ غَيْرِ وَسِيلَةٍ يُدْلِي بِهَا، وَمَنْ ثَمَّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِعْجَابُهُ بِجُودِ اللَّهِ وَكِرْمِهِ وَفَضْلِهِ؛ وَإِذَا تَمَّ عِلْمُ الْإِنْسَانِ لَمْ يَرِ لِنَفْسِهِ عَمَلًا وَلَمْ يُعْجَبْ بِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي وَفَّقَهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا قِيسَ بِالنِّعَمِ لَمْ يَفِ بِمَعْشَارِ عُمْرِهَا، هَذَا إِذَا سَلِمَ مِنْ شَائِبَةِ وَسَلَمَ مِنْ غَفَلَةٍ، فَأَمَّا وَالْغَفَلَاتُ تَحِيطُ بِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُغْلَبَ الْحَذَرُ مِنْ رَدِّهِ، وَيَخَافُ الْعِقَابَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِيهِ: هَذَا فِي عِلَاجِ الْعُجْبِ إِجْمَالًا؛ أَمَّا عِلَاجُ حَالَاتِهِ تَفْصِيلًا: فَإِنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يَحْدُثُ بِهِ الْعُجْبُ، فَإِنَّ كَانَ نَاشِئًا عَنْ حَالَةِ الْبَدَنِ وَمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ صَاحِبُهُ مِنَ الْجَمَالِ وَالْقُوَّةِ وَنَحْوِهِمَا، فَعِلَاجُهُ التَّفَكُّرُ فِي أَقْدَارِ بَاطِنِهِ، وَفِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآخِرِهِ، وَفِي الْوُجُوهِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَبْدَانِ النَّاعِمَةِ، كَيْفَ تَمَرَّغَتْ فِي التَّرَابِ وَأَنْتَنْتَ فِي الْقُبُورِ حَتَّى اسْتَقْدَرْتَهَا الطَّبَاعُ؟!!

وَإِنْ كَانَ الْعُجْبُ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْخُدَمِ وَالْأَقَارِبِ

(١) مختصر منهاج القاصدين: ص ٢٩٨، ٢٩٩.

والأنصار، فعلاجه أن يعلم ضعفه وضعفهم، وأنَّ للمال آفات كثيرة وأنه غادٍ ورائح ولا أصل له.

ومر بالحسن البصري شاب عليه بزة له حسنة، فدعاه فقال له: «ابن آدم مُعجب بشبابه، محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داوِ قلبك فإن مراد الله من العباد صلاح قلوبهم!» وقال مسروق: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه»^(١).

قيل للحسن البصري: من شر الناس؟ قال: من يرى أنه أفضلهم، وقال بعضهم: الكاذب في نهاية البعد من الفضل والمرائي أسوأ حالاً منه لأنه يكذب بفعله وقوله، والمعجب أسوأ حالاً منهما فإنهما يريان نقص أنفسهما ويريدان إخفاءه، والمعجب عمي عن مساوئ نفسه ورآها محاسن وسُر بها، وقد قال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لا أطلبه غيرها: إذا عجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه^(٢).

والخلاصة: «أن العجب آفة كبيرة، ومرض خطير من أمراض القلوب، وإن لم يتداركه صاحبه فإنه يهلكه، ويكون سبباً في بطلان عمله وسقوطه من عين ربه».

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) بتصرف واختصار من كتاب نضرة النعيم (١١/٥٣٥٧ - ٥٣٥٨).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

الكلمة السادسة عشرة

شرح اسم الله الفتاح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن الأسماء الحسنی التي وردت في كتابه العظيم: الفتاح، ولفتح معنيان:

الأول: يرجع إلى معنى الحكم الذي يفتح بين عباده، ويحكم بينهم بشرعه: بإثابة الطائعين، وعقوبة العاصين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٦) [سبأ]؛ وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٣٨) [الأعراف]، قال ابن كثير: «أي افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: أي خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً»^(٢).

(١) ص ٥٢٦، برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦، برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٠).

فالآية الأولى فتحة بين العباد يوم القيامة، وهذا في الدنيا بأن ينصر الحق وأهله، ويذل الباطل وأهله، ويوقع بهم العقوبات.

الثاني: فتحة لعباده جميع أبواب الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] الآية. يفتح لعباده منافع الدنيا والدين، فيفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويدرُّ عليها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يصلح أحوالها وتستقيم به على الصراط المستقيم، ويفتح لعباده أبواب الرزق وطرق الأسباب؛ ويهيئ للمتقين من الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويعطي المتوكلين فوق ما يطلبون ويؤمنون، وييسر لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة^(١).

ومن ذلك الفتح: ما يفتح الله ﷻ على نبيه يوم القيامة من أنواع المحامد، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعَ»^(٢).

ومنها فتحة سبحانه لعباده باب التوبة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ»

(١) فتح الرحيم الملك العلام للشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٤٢ .

(٢) ص ١١٠، برقم ١٩٤، وصحيح البخاري ص ١٢٥٦، برقم ٦٥٦٥ .

اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

ومنها فتحه سبحانه أبواب السماء لنزول البركات وإجابة الدعوات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٦) [الأعراف].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَلَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(٢).

ومنها ما يفتح الله على العبد المؤمن قبل موته بعمل صالح، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عنبه الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ» قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ^(٣)؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^(٤).

ومن فوائد الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الفتح والنصر لا يكون إلا من الله؛ فهو الذي يفتح على

(١) ص ١١٠٤، برقم ٢٧٥٩.

(٢) (١٩١/٦) برقم ٣٦٧٣، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٣) قال الزمخشري في الفائق (٢/٤٢٩): هو من عسل الطعام يعسله، إذا جعل فيه العسل كأنه شبه ما رزقه الله تعالى من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذي يجعل في الطعام فيحلوه به ويطيب.

(٤) (٣٢٣/٢٩)، برقم ١٧٧٨٤، قال محققوه: صحيح لغيره.

عباده، فينصر من يشاء ويخذل من يشاء، وقد نسب الله الفتح لنفسه: لينبئه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، وأن يعملوا بطاعته ليفتح لهم وينصرهم على أعدائهم، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح].

وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَلَّةٌ أَن يَأْتِيٰ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

ثانياً: ما يفتح الله سبحانه على عباده بأنواع الخيرات استدراجاً لهم: إذا تركوا ما أمروا ووقعوا فيما نُهوا عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام]^(٢).

(١) ص ٩٨٠، برقم ٢٤٠٦، وصحيح البخاري ص ٥٦٥، برقم ٢٩٤٢.

(٢) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

ثالثاً: ما يفتح الله على من يشاء من عباده: من الحكمة والعلم والفقہ في الدين، بحسب التقوى والإخلاص والصدق، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة)، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر).

رابعاً: ما ينبغي للمؤمن أن يسأل ربه أن يفتح عليه أبواب رحمته. روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ؛ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْصِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (١).

خامساً: إن الله بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، قال سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى)، فما يفتح من الخير للناس لا يملك أحد أن يغلقه عنهم، وما يغلقه فلا يملك أحد أن يفتح عليه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر).

فلو فتح الله المطر على الناس، فمن ذا الذي يحبسهم عنهم؟! حتى لو أدى المطر إلى إغراقهم: مثل ما حدث لقوم نوح، فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال؛ ولو حبس عنهم المطر سنين عديدة، ما

(١) ص ٩٣، برقم ٧٧٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٢٩) برقم ٦٢٧.

استطاعوا أن يفتحوا ما أغلقه الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

والخلاصة: إن الفتح اسم عظيم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الحكم الذي يفتح بين عباده ويحكم بينهم بشرعه، ويفتح لعباده أبواب الخيرات والبركات؛ وينبغي للمؤمن أن يسأل ربه بهذا الاسم العظيم، فيقول: يا فتاح افتح علي بالعلم، يا فتاح افتح لي أبواب رحمتك، يا فتاح افتح لي أبواب رزقك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة عشرة

خطورة الكذب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات المذمومة التي حرمها الله ورسوله، وتوعد صاحبها بالعذاب الأليم في الآخرة: الكذب، قال تعالى:

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾ [١٦٢] [النحل].

وأخبر سبحانه أن الكذب من صفات الكفار والمنافقين، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١٠٧] [التوبة]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [١٧] [يونس].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوْتُمِنَ خان»^(١).

(١) ص ٣٠، برقم ٣٣ وصحيح مسلم ص ٥٦، برقم ٥٩.

وبيّن النبي ﷺ أن الكذب يقود صاحبه إلى النار. روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه : أن النبي ﷺ قال : «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» (١).

والكذاب يُعَذَّبُ في قبره قبل يوم القيامة. روى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي عنه : أن النبي ﷺ قال في حديث الرؤيا الطويل : «فَأْتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلْبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ» قال : «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى» فسأل عنه النبي ﷺ ف قيل له : «إِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ» (٢).

ورتب النبي ﷺ الثواب العظيم لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا. روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي عنه : أن النبي ﷺ قال : «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ

(١) ص ١١٧٧، برقم ٦٠٩٤ وصحيح مسلم ص ١٠٤٨، برقم ٢٦٠٧.

(٢) ص ١٣٤٦ - ١٣٤٨، برقم ٧٠٤٧.

كَانَ مُحِقًّا، وَبَيَّنَّتْ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَا زِحًا،
وَبَيَّنَّتْ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل^(٢)،
وقال أيضاً: يطبع المسلم على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب^(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الكذب متضمن لفساد نظام العالم، ولا
يمكن قيام العالم عليه لا في معاشهم ولا في معادهم، بل هو متضمن
لفساد المعاش والمعاد ومفاسد الكذب اللازمة له معلومة عند خاصة
الناس وعامتهم، كيف وهو منشأ كل شر، وفساد الأعضاء لسان
كذوب، وكم أزيلت بالكذب من دول وممالك، وخربت به من بلاد،
واستلبت به من نعم، وتقطعت به من معاش، وفسدت به مصالح،
وغرست به عداوات، وقطعت به مودات، وافتقر به غني، وذل به
عزیز، وهتكت به مصونة، ورميت به محصنة، وخلت به دور وقصور،
وعمرت به قبور، وأزيل به أنس، واستجلبت به وحشة، وأفسد به بين
الابن وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه، وأحال الصديق عدواً مبيناً ورد
الغني العزيز مسكيناً. وهل ملئت الجحيم إلا بأهل الكذب الكاذبين
على الله وعلى رسوله وعلى دينه، وعلى أوليائه، المكذبين بالحق
حمية وعصبية جاهلية^(٤).

(١) ص ٥٢٣، برقم ٤٨٠٠، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود
(٣/٩١١) برقم ٤٠١٥.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٣).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (٢/١٩٥).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٧٣).

قال الشاعر:

الكَذِبُ عَارٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالْحَقُّ مَا مَسَّهُ مِنْ بَاطِلٍ زَهَقًا

وقال آخر:

وَدَعَ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا إِنَّ الْكُذُوبَ لِبِئْسَ خَلًّا يُصْحَبُ

وكان النبي ﷺ يكره الكذب ويشدد إنكاره على فاعله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا كَانَ خُلُقَ أَبْغَضَ إِلَيَّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكِذْبَةَ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً^(١).

وذكر العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ: أن أعظم الكذب: ما كان كذباً على الله أو على رسوله ﷺ؛ قال الذهبي رَحِمَهُمُ اللهُ: ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله، في تحليل حرام أو تحريم حلال: كفر محض^(٢).

قال الذهبي: «إن الكذب في الحالتين السابقتين كبيرة: أي الكذب على الله أو على رسوله، وأن الكذب في غير ذلك أيضاً من الكبائر في أغلب أقواله»^(٣).

والصدق منجاة للعبد في الدنيا والآخرة؛ ففي الصحيحين في

(١) (١٠١/٤٢) برقم ٢٥١٨٣ وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) انظر: الكبائر (الكبيرة التاسعة) للذهبي.

(٣) انظر: الكبائر (الكبيرة الرابعة والعشرون) للذهبي.

قصة الإفك عند قبول توبة كعب بن مالك بشره النبي ﷺ بذلك، قال: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ، إلى يومي هذا، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي^(١)، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة].

وقد استثنى العلماء رحمهم الله: الكذب إذا كان لإصلاح بين متخاصمين، والكذب في الحرب، والكذب إذا كان لدفع الظلم؛ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وأخفى ماله وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها فإنه يكذب لإخفائها، والأحوط أن يُوري ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب؛ وقد استدل العلماء على جواز الكذب في هذا الحال: بما رواه البخاري ومسلم من حديث أم كلثوم رضي الله عنها: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». زاد مسلم: قال ابن شهاب رضي الله عنه: «ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذباً إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته،

وحديث المرأة زوجها»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن النكت وهي قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين داخلة في الكذب المنهي عنه.

روى الترمذي في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥١٣ برقم ٢٦٩٢، وصحيح مسلم ص ١٠٤٧ برقم ٢٦٠٥ - والزيادة له -.

(٢) ص ٣٨٢ برقم ٢٣١٤، وقال هذا حديث حسن.

الكلمة الثامنة عشرة

عصمة النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن سنة الله في خلقه أن الرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَل لِّكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٣٤] ﴿[الأنعام].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن هرقل ملك الروم، سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ: هل قاتلتموه؟ فقال: إن الحرب بيننا وبينه سجال، فقال هرقل: وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة^(١).

ولقد لقي النبي ﷺ من أعدائه كثير الأذى وعظيم الشدة، منذ أن جهر بدعوته المباركة امثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٤] ﴿[الحجر]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ النَّاسُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد كان النبي ﷺ يحرس من قبل بعض أصحابه قبل نزول

(١) ص ٢٣، برقم ٧، وصحيح مسلم ص ٧٣٦، برقم ١٧٧٣، واللفظ له.

الآية الكريمة، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيظَهُ (١)(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قَالَتْ: فَأَخْرَجَ النَّبِيَّ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقَبَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصُرُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ» (٣).

قال ابن كثير: ومن عصمة الله لرسوله ﷺ حفظه له من أهل مكة وصناديدها، وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة؛ فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر

(١) الصوت الذي يخرج من النائم.

(٢) ص ٥٥٥، برقم ٢٨٨٥، وصحيح مسلم ص ٩٨١-٩٨٢، برقم ٢٤١٠. واللفظ له.

(٣) ص ٤٨٥، برقم ٣٠٤٦، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٤٦/٣)

برقم ٢٤٤٠.

هابوه واحترموه؛ فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى سيرا، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود؛ فكلما همَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء، كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخير، أعلمه الله به وحماه منه^(١). اهـ.

ومن الأمثلة على حفظ الله لرسوله ﷺ: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَقِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟^(٢)، قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطآن على رقبته، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فحجهم منه إلا وهو ينكص على عقبه^(٣)، ويتقي بيديه، قال فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»^(٤).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه في قصة الهجرة النبوية، قال: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٩١).

(٢) أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٣) أي رجع يمشي إلى ورائه.

(٤) ص ١١٢٥، برقم ٢٧٩٧؛ وصحيح البخاري: ص ٩٨٤، برقم ٤٩٥٨، مختصراً.

سراقة بن مالك، فقلت: أئينا يا رسول الله، فقال: «لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها - أرى - في جلدٍ من الأرض - شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقي أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما هنا، فلا يلقي أحداً إلا رده، قال: ووفى لنا^(١).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنيةً، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتواري عني فما دريتُ ما صنع؟! ونظرتُ إلى القوم فإذا هم قد طلّعوا من ثنيةٍ أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ، فولّى صحابة النبي ﷺ وأرجع منهزمًا وعليّ بُردتان مُتَزِرًا بإحدهما مُرتديًا بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعًا، ومررتُ على رسول الله ﷺ منهزمًا وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا» فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»؛ فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولّوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين^(٢).

(١) ص ٦٩١، برقم ٣٦١٥؛ وصحيح مسلم: ص ١٢٠٦، برقم ٢٠٠٩ مختصرًا، وفي كتاب الزهد مطولاً.

(٢) ص ٧٣٩، برقم ١٧٧٧.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ قَبَلٍ نَجْدٍ فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ قَالَ، فَشَامَ^(١) السَّيْفَ، فَهِيَ هِيَ ذَا جَالِسٍ» ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

فهذه الأمثلة وغيرها تفيد كما سبق حفظه سبحانه لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك تصديقاً لوعده سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، حتى يبلغ هذه الدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [١] [الصف]، فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فشام أي سقط.

(٢) صحيح مسلم ص ٩٣٧ برقم ٨٤٣، وصحيح البخاري ص ٥٥٩ برقم ٢٩١٠.

الكلمة التاسعة عشرة

البشارة وفضائلها

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا لهذا اليوم عن البشارة، قال بعضهم: البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب^(١).

قال الرازي: والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة]. اهـ^(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة: فيها بشائر عظيمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [٦٣] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس]. [٦٤]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

(١) التعريفات للجرجاني ص ٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/١٦٣).

(٢) مختار الصحاح ص ٦٠.

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه:
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ -:
إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (١).

والكفار والمنافقون مبشرون بعذاب الله، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة].

والمسلم إذا مر بقبر الكافر بشره بالنار؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث سالم عن أبيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأعرابي: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»، قَالَ فَاسْأَلِمَ الْأَعْرَابِيَّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبًا: مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ (٢).

(١) ص ١٢٤٧ برقم ٦٥٠٧، وصحيح مسلم ص ١٠٧٧ برقم ٢٦٨٤.

(٢) ص ١٧٢ برقم ١٥٧٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وصححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السلسلة الصحيحة (١/٥٥) برقم ١٨.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه ألا وهي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مرَّ بقبره، ولا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره بخطورة جرم هذا الكافر، حيث ارتكب ذنباً عظيماً تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله ﷻ والإشراك به.

وإن الجهل بهذه الفائدة مما أدى ببعض المسلمين إلى الوقوع في خلاف ما أراد الشارع الحكيم منها فإننا نعلم أن كثيراً من المسلمين يأتون بلاد الكفار لقضاء بعض المصالح الخاصة أو العامة، فلا يكتفون بذلك حتى يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار! ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل ويقفون أمامها خاشعين محزونين، مما يشعر برضاهم عنهم، وعدم مقتهم إياهم»^(١).

وقد بشر الله المؤمنين الخائفين بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (١١) [يس].

وبشر الله المؤمنين الصابرين بالصلوات والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٥٧).

وأمر النبي ﷺ بعض أصحابه أن يبشر الناس بالخير؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه : أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشِّرًا وَلَا تُبَشِّرًا» (١).

والأعمال الصالحة التي يعملها المؤمن، ويحمده الناس عليها: بشرى من الله له؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (٢).

والمؤمن الذي يمشي إلى المساجد في ظلمات الليل: مبشّر بالنور التام يوم القيامة.

روى أبو داود في سننه من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّ رضي عنه : عن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ: بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وبشّر النبي ﷺ من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً: بأن مصيره إلى الجنة؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي عنه : أن النبي ﷺ قال: «ذَاكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٤).

(١) ص ٥٨١، برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٢١، برقم ١٧٣٣.

(٢) ص ١٠٥٩، برقم ٢٦٤٢.

(٣) ص ٨٤، برقم ٥٦١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٤٥) برقم ٢٨٢٣.

(٤) ص ١٢٣٧، برقم ٦٤٤٣، وصحيح مسلم ص ٦٤، برقم ٩٤.

وبشّر النبي ﷺ أمته بأنهم أكثر أهل الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج]»، فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ»؛ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمَدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»^(١).

والرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى للمؤمن؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَىٰ مِنَ اللَّهِ، وَرُّؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُّؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ»^(٢).

ومن فوائد البشارة:

أولاً: استحباب التبشير بالخير؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة]، وفي الصحيحين في قصة توبة كعب بن

(١) ص ١٢٥١، برقم ٦٥٣٠، وصحيح مسلم ص ١١٨، برقم ٢٢٢.

(٢) ص ١٣٤١، برقم ٧٠١٧، وصحيح مسلم ص ٩٣٠، برقم ٢٢٦٣ واللفظ له.

مالك رضي الله عنه: قال له النبي ﷺ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» (١).

ثانياً: فضل الأعمال المبشّر بها مثل الصبر، والخوف من الله، والمشي إلى المساجد في ظلمات الليل، وغيرها مما سبق ذكره.

ثالثاً: البشارة تجلب الطمأنينة، وسكون النفس، وترفع الروح المعنوية، وتجلب السعادة والسرور.

رابعاً: تعود البشارة بالنعف العاجل للمبشّر، كما في حديث كعب بن مالك: عندما بشّره الرجل الذي صعد الجبل، وصاح بأعلى صوته: أبشريا كعب بن مالك، قال كعب: فنزعت له ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما (٢).

خامساً: فضل المبشّرين الذين يبشّرون الناس بالخير، ولذلك جاء في الحديث السابق: أن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه: «بَشِّرَا، وَلَا تُنْفِرَا» (٣).

سادساً: حب المبشّر لمن يبشّره، واستئناسه به؛ روى البخاري ومسلم - في قصة نزول الوحي على النبي ﷺ، في أول نزوله في غار حراء -: فرجع إلى خديجة يرجم فؤاده، فقال: «يَا خَدِيجَةَ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»؛ فقالت: كلا، أبشرا! فوالله لا يخزيك الله أبداً،

(١) ص ٨٣٤ - ٨٣٧، برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم ص ١١٠٩ - ١١١١، برقم ٢٧٦٩.

(٢) ص ٨٣٤ - ٨٣٧ برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم ص ١١٠٩ برقم ٢٧٦٩.

(٣) ص ٥٨١ برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٢١ برقم ١٧٣٣.

إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل. الحديث^(١).
 فسّر النبي ﷺ بكلامها، واطمأن قلبه؛ وكان ﷺ يحبها ويكثر من
 ذكرها، حتى بعد وفاتها؛ وقد بشرها بيت في الجنة من قصب^(٢): لا
 صخب^(٣) فيه، ولا نصب^{(٤)(٥)}.
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢١ برقم ٣، وصحيح مسلم ص ٨٨ برقم ١٦٠ - واللفظ له - .
 (٢) قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.
 (٣) الصخب: هو الصوت المختلط المرتفع.
 (٤) نصب: المشقة والتعب.
 (٥) ص ٧٢٦ برقم ٣٨٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٢ .

الكلمة العشرون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم: لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد].

وعملاً بهذه الآية الكريمة: فلنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [فصلت].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال ابن كثير: أي أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع لهم^(١). قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا

(١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٢٣٤).

والله لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»^(٢).

ولا يكون العبد على طريق الاستقامة: حتى تكون إراداته وأعماله وأقواله، وفق ما شرعه الله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] فقال: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ ولم يقل: كما أردت؛ فالمهتدي حقيقة: هو من كان سويًا في نفسه، ويسير على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك].

قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: يعني عند الموت، قائلين: ﴿أَلَا تَخَافُونَ﴾: أي مما تُقدمون عليه من أمر الآخرة، فإن للآخرة أهوالاً عظيمة تبدأ من القبر: فهو أول منازل الآخرة، فهناك القبر وظلمته وضمته ووحشته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، كل هذه الأهوال يهونها الله على أهل الاستقامة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي على ما خلفتموه من أمر الدنيا: من ولد وأهل ومال ودين، فإننا نخلفكم فيه.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٢٣٥).

(٢) ص ٤٩، برقم ٣٨.

قوله تعالى: ﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠)

[فصلت]: فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: أَخْرِجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أَخْرِجِي حَمِيدَةً، وَأَبشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غُضْبَانٍ» (١).

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى ثابت: أنه قرأ سورة حم السجدة، حتى بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن؛ فيؤمنُ الله خوفه ويقر عينه، فما من عظمة يخشى الناس منها يوم القيامة، إلا وهي للمؤمن قرّة عين: لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا (٢).

قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال له: إن ربك يقرئك السلام، وقال محمد بن كعب: يقول له ملك الموت: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم تلا: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ

(١) (٣٧٨/١٤)، برقم ٨٧٦٩؛ وصححه محققو المسند، وقالوا: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (٢٣٦/١٢ - ٢٣٧) إلى ابن أبي حاتم، وقال محققوه: إسناده حسن.

تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل]؛ وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث، قال ابن كثير: وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جداً وهو الواقع^(١).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]، أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمْ تَلَوُّنُ الْأَكْبَرِ وَلَا يُؤْتُونَ السَّلَامَةَ وَاللَّذِينَ الْأُولَىٰ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء].

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت] أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقر به العيون، قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٣٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) [فصلت]، أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٣٢) [فصلت]؛ أي ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم، رؤوف حيث غفر وستر، ورحم ولطف؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة].

ومن فوائد الآيات الكريمات:

- ١- أن الإيمان والاستقامة سببان لدخول الجنة.
- ٢- أن الملائكة تبشر المؤمن عند الاحتضار، وفي قبره، ويوم القيامة، وعلى أبواب الجنة، قال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) [الرعد].
- ٣- إن العامل ينبغي أن يبشر بما يستحق من الثواب، فإن ذلك أبلغ في نشاطه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣٣) [البقرة].
- ٤- إن المؤمنين إنما يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته لا

(١) ص ٦٢٣ برقم ٣٢٤٤، وصحيح مسلم ص ١١٣٦ برقم ٢٨٢٤.

بأعمالهم؛ روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»^(١).

٥- إن المؤمنين إذا دخلوا الجنة أعطوا ما يريدون: مما تشتهيهِ نفوسهم وتلد به أعينهم، بل وزيادة على ذلك، قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٣٤، برقم ٢٨١٨، وصحيح البخاري ص ١٢٤١، برقم ٦٤٦٧.

الكلمة الحادية والعشرون

رؤية الله تعالى

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعظم نعيم لأهل الجنة: رؤية الله تعالى، وهي الغاية التي شَمَّر لها المشمِّرون وتنافس فيها المتنافسون، وحُرِّمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون؛ قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: «تنظر إلى ربها وعليها» (١).

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق]، قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: «المزيد: هو النظر إلى الله وعليها» (٢)، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس]، والحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا

(١) زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢١).

أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

وزاد: ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم؛ روى ذلك ابن جرير عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم^(٢).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(١٥) [المطففين]، احتج بها بعض السلف على الرؤية لأهل الجنة.

قال الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عندك يومئذ.

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله الشافعي رحمته الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دلَّ عليه منطوق قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾^(٢٢) إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ^(٢٣) [القيامة]، وكما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عندك في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة^(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وعذاب الحجاب من رب العالمين المتضمن لسخطه وغضبه عليهم هو أعظم عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون

(١) ص ٩٩، برقم ١٨١.

(٢) جامع البيان (٥/٤١٩٨ - ٤٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٢٨٧).

بخطابه ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله ﷺ^(١). اهـ.

قال في شرح الطحاوية: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة: رواها أصحاب الصحاح والمسانيد، وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها يقطع بأن الرسول ﷺ قالها؛ بل في هذه الأحاديث - مع إثبات الرؤية - أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمع من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك، إلى غير ذلك من الصفات التي ثبتت بالكتاب والسنة^(٢). اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَنَسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»^(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ: أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ: أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ: إِلَّا رِذَاءَ الْكَبِيرِ عَلَى

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨٧٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٩ - ٢١٠، بتصرف.

(٣) ص ١٢٥٧ برقم ٦٥٧٣، وصحيح مسلم ص ٩٩ برقم ٢٩٩.

وَجْهَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»^(١).

وقد ورد في حديث صهيب المتقدم: ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى: الحجاب، وأنه سبحانه يكشفه لأهل الجنة إكراماً لهم فيرونه سبحانه.

من الأسباب الموجبة لرؤية الله تعالى:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والإحسان أعلى مراتب الإيمان.

ثانياً: المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر؛ روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» يعني العصر والفجر؛ ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]^(٢).

ثالثاً: الابتعاد عن المعاصي والذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَفَرَّأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا

(١) ص ٩٥٩ برقم ٤٨٧٨، وصحيح مسلم ص ١٧٨ برقم ١٨٠.

(٢) ص ١٢٨ برقم ٥٧٣، وصحيح مسلم ص ٢٤٩ برقم ٦٣٣ واللفظ له.

وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعْتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(١).

رابعاً: الدعاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١٨٦) [البقرة].

روى النسائي في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَيَّ الْخَلْقِ أَحْيَيْنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقُصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى؛ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَزِينَةَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٦٨، ٦٩، برقم ١٠٦.

(٢) ص ١٥٤ برقم ١٣٠٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع الصغير» برقم ١٣٠١.

الكلمة الثانية والعشرون

سترة المصلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم: أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ وبين صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(٢).

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين: أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة؛ فمن الأخطاء:

(١) ص ١٣٧، برقم ٦٣١.

(٢) (٢/٢٤٠)، برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ

عدم الاهتمام بالسترة، التي وردت النصوص الشرعية الكثيرة بالأمر بها؛ فروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا، مَا لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ»^(٢).

ومن فوائد هذه السترة:

أولاً: أنها سبب شرعي لعدم بطلان الصلاة بمرور المرأة البالغة، والحمار، والكلب الأسود؛ كما صح بذلك الحديث.

ثانياً: منع المرور بين يدي المصلي وإفساد خشوعه.

ثالثاً: أن السترة تمنع الشيطان من المرور بين يدي المصلي، كما جاء في الحديث: «لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

رابعاً: أن السترة تمنع المصلي من إطلاق نظره فيما أمامه: مما يذهب عليه خشوعه، وغير ذلك من الحكم الأخرى؛ وقد كان السلف الصالح يحرصون على السترة في صلاتهم، وكانوا ينكرون على من يصلي لغير سترة.

(١) ص ٢٠٦، برقم ٥٠٥.

(٢) (٩/٢٦) برقم ١٦٠٩٠، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

روى البخاري في صحيحه: أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يصلي بين أسطوانتين، فأدناه إلى سارية فقال: صل إليها^(١)؛ قال ابن حجر: أراد عمر بذلك أن تكون صلاته إلى سترة^(٢) اهـ.

فما فعله عمر يدل على أن السترة أمر مؤكد جداً؛ قال ابن مسعود: أربع من الجفاء - ذكر منها-: أن يصلي الرجل إلى غير سترة، أو يسمع المنادي لا يجيبه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيت كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتدرون السواري عند المغرب^(٣)، وفي رواية: أنها الركعتان اللتان قبل المغرب^(٤).

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على السترة في المسجد - مع ضيق الوقت -؛ روى ابن أبي شيبة من حديث نافع قال: كان ابن عمر إذا لم يجد سبيلاً إلى سارية من سواري المسجد، قال لي: ولّني ظهرك^(٥)؛ وروى ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع: أنه كان ينصب أحجاراً في البرية، فإذا أراد أن يصلي صلى إليها^(٦)؛ وهذا يدل على أنه لا فرق في السترة بين العمران والصحاري، كما يظهر من الأحاديث السابقة وفعل الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ص ١١٦.

(٢) فتح الباري (١/٥٧٧).

(٣) ص ١١٦ برقم (٥٠٣)، وصحيح مسلم ص ٣٢٥ برقم ٨٣٧.

(٤) صحيح مسلم ص ٣٢٥ برقم ٨٣٧.

(٥) (١٤١/٢) برقم ٢٨٩٢.

(٦) (١٣٨/٢) برقم ٢٨٧٧.

قال العلامة السفاريني: «واعلم أنه يستحب صلاة المصلي إلى سترة اتفاقاً، ولو لم يخش ماراً»^(١).

أما مقدار السترة المجزئة التي تستر المصلي، وتدفع عنه ضرر المار: فهي طول مؤخرة الرجل؛ روى مسلم في صحيحه من حديث طلحة رضي الله عنه قال: كنا نصلي والدواب تمر بين أيدينا، فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سترة المصلي، فقال: «مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ: الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ»^(٤).

والرجل مقداره ذراع كما صرح بذلك بعض السلف: مثل عطاء وقتادة والثوري، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد.

قال ابن قدامة: والظاهر أن هذا على سبيل التقريب لا التحديد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدَّرها بآخرة الرجل، وآخرة الرجل تختلف في الطول

(١) شرح ثلاثيات المسند (٢/٧٨٦).

(٢) ص ٢٠٤ برقم ٤٩٩.

(٣) ص ٢٠٤ برقم ٥٠٠.

(٤) ص ٢٠٧ برقم ٥١٠.

والقصر، فتارة تكون ذراعاً، وتارة أقل منه؛ فما قارب الذراع أجزاء الاستتار به، والله أعلم؛ فأما قدرها في الغلظ والدقة فلا حد له نعلمه، فإنه يجوز أن تكون دقيقة كالسهم والحربة، وغلظة كالحائط، فإن النبي ﷺ كان يستتر بالعنزة، وهي ما بين الرمح والعصا و به زج؛ قال أبو سعيد: كان يستتر بالسهم والحجر في الصلاة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «سُتْرَةُ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ السَّهْمُ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ بِسَهْمٍ»^(١)(٢).

تنبيهات:

أولاً: ما يفعله بعض الناس من اتخاذ الخط سترة في الصحراء لا يصلح، والحديث الوارد في ذلك ضعفه جمع من أهل العلم: كابن الصلاح والعراقي وغيرهم.

ثانياً: أن المأموم لا تجب عليه سترة، والسترة في صلاة الجماعة من مسؤولية الإمام، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقبلتُ راكباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بمني إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصف، وأرسلت الأتان ترتع، فدخلت في الصف، فلم ينكر ذلك أحد»^(٣).

ثالثاً: تحريم المرور بين يدي المصلي: لقول النبي ﷺ في

(١) (٥٩/٢٤) برقم ١٥٣٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) المغني (٣/٨٢-٨٣)، بتصرف.

(٣) ص ٤٠ برقم ٧٦، وصحيح مسلم ص ٢٠٦ برقم ٥٠٤.

الحديث المخرَج في الصحيحين - من حديث أبي جهيم -: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ؟! لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ، خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(١).

الخلاصة:

أن السترة سنة مؤكدة وقال بعض أهل العلم بوجوبها وهو قول قوي، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص عليها وسواء كان ذلك في المسجد، أو البيت، أو الصحراء: ما دام يصلي منفردًا أو إمامًا، وعليه أن يمنع من مر بين يديه، ويجزئه من السترة مقدار مؤخرة الرحل^(٢).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٧ برقم ٥١٠، وصحيح مسلم ص ٢٠٧ برقم ٥٠٧.

(٢) انظر: كتاب «القول المبين في أخطاء المصلين»، للشيخ مشهور حسن سلمان (ص ٧٧-٨٨).

الكلمة الثالثة والعشرون

سيرة مصعب بن عمير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فهذه سيرة عَلم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها: صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر. هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام ممن شهد بدرًا وأُحدًا، وكان حامل اللواء فيها، وممن هاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة؛ أسلم على يديه العشرات، وكان أول سفير في الإسلام، ويقال: إنه أول من صلى الجمعة في المدينة.

إنه الشهيد البطل: مصعب بن عمير بن هشام البدري القرشي العبدري، قال ابن سعد في طبقاته: لما بلغ مصعب بن عمير أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، دخل عليه فأسلم وصدق به، وخرج فكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه؛ وكان يأتي إلى رسول الله ﷺ سرًا، وقد أسلم في السنوات الثلاث الأولى من الدعوة قبل أن يصدع النبي ﷺ بالدعوة، لكن الواشين من المشركين - لما علموا بإسلامه -، سارعوا إلى الوشاية به عند أمه وقومه؛ قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾

[النساء]. فغضبوا عليه وحبسوه وأوثقوه، فلم يزل محبوسًا حتى فرَّ بدينه وهاجر إلى الحبشة^(١).

كان مصعب بن عمير فتى مكة المدلل، وكانت أمه من أغنى أهل مكة: تكسوه أحسن الثياب، وأجمل اللباس، وكان أعطر أهل مكة؛ فلما أسلم انخلع من ذلك كله، وأصابه من التعذيب والبلاء ما غير لونه، وأنهك جسمه؛ روى البخاري في صحيحه من حديث خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ رضي الله عنه قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَصِرُّ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ؛ وَاللَّهِ لَيُتَمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعِجِلُونَ»^(٢).

قال ابن اسحاق: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير مع النفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فكان منزله على أسعد بن زرارة وكان إنما يسمى بالمدينة: المقرئ؛ يقال: إنه أول من جمع الجمعة بالمدينة وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد ابن معاذ، وهما سيدا قومهما وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام^(٣). ١٥٥.

(١) الطبقات (٣/ ١١٦).

(٢) ص ٦٩٠ برقم ٣٦١٢.

(٣) نقلاً عن «أسد الغابة»، لابن الأثير (٤/ ١٣٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال: **أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرَأَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدُ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقْلَنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) فِي سُورَةٍ مِنَ الْمُفْصَلِ (١).**

ولما وقعت معركة أحد في العام الثالث من الهجرة النبوية، شارك فيها مصعب بن عمير مشاركة الأبطال، وأبلي فيها بلاء المؤمنين الصابرين، وحمّله المصطفى ﷺ راية المسلمين، وثبت مصعب بن عمير مع القلة المؤمنة التي أحاطت بالنبي ﷺ ودافعت المشركين عنه لما تخلخلت صفوف المسلمين، وأصبحت الجولة للمشركين، وبقي اللواء في يد مصعب بن عمير يمسكه بقوة وثبات ويدافع عن النبي ﷺ؛ وتدافع المشركون نحو اللواء، وأقبل ابن قمئة - عليه من الله ما يستحق - فشدّ على مصعب بن عمير، فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يردد قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) [آل عمران]. ثم أخذ اللواء بيده اليسرى حتى لا يقع، فضرب ابن قمئة يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه إلى صدره، ووقع مصعب بن عمير شهيداً

مضرباً بدمائه، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ [الأحزاب].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي وائل قال: عُدْنَا خَبَابًا فَقَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ: قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمْرَةً؛ فَكُنَّا إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا^(١).

فارق مصعب بن عمير الدنيا شهيداً لم يخلف وراءه شيئاً من متاع الدنيا، ترك المال والجاه والنعيم، وآثر ما عند الله، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ ﴿١٦﴾ [النحل]؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»^(٢).

رضي الله عن مصعب، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته: مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٧٤٠ برقم ٣٨٩٧.

(٢) (١٧٠/٣٨) برقم ٢٣٠٧٤، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السُّلْسَلَةُ الضَّعِيفَةُ» (١/١٩): وسنده صحيح على شرط مسلم؛ وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

الكلمة الرابعة والعشرون

السحر والمس والعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يُبتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء]. أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعمة تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يقنط ومن يصبر، ومن هذه الابتلاءات التي يصاب بها الناس: السحر والعين والمس وهي ثابتة بالشرع والحس، وقد كثر المتشكون منها في هذه الأزمان، وهذه الأمراض لها أسباب أذكر بعضاً منها:

١- ابتلاء من الله وهذا قد يحصل لبعض الصالحين والصالحات، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ وهو سيد البشر، كما روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى جَاءَهُ الْمَلِكُ وَأَخْبَرَاهُ

بموضع السحر، فَأَمَرَ بِهِ فَدْفِنَ (١).

والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أُغْمِيَ عَلَيْهِ ﷺ في مرضه ووقع حين انفكت قدمه، وُجِحَش شِقَقَهُ وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشم والحبس فليس يبدع أن يُبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلى وهو ساجد، وغير ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله (٢).

٢- المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء]. قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في نفسي ودابتي.

٣- الغفلة عن ذكر الله: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف]. روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِندَ عَيْنَيْهِ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا

(١) ص ١١٢٩ برقم ٥٧٦٦، وصحيح مسلم ص ٩٠١ برقم ٢١٨٩.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٤٢).

دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ وَالْعِشَاءَ»^(١).

٤- الحسد، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

والعائن والحاسد يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه، فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيبه المحسود وحضوره أيضاً، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق، مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]: إنه الإصابة بالعين، فأرادوا أن يُصيبوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر بهم الناقة والبقرة السمينة فَعَيْنُهَا ثم يقول لخدمته: خذ المِكتَلَ والدرهم وائتنا

(١) ص ٨٣٧ برقم ٢٠١٨.

(٢) ص ١٠٣٥ برقم ٢٥٦٤.

بشيء من لحمها ، فما تبرح حتى تقع فتنحر^(١) .

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
«العينُ حقُّ»^(٢) .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت عميس
أنها قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفنسترقى لهم؟
قال: «نعم، فلو كان شيءٌ يسبقُ القضاء، لسبقتهُ العينُ»^(٣) .

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال :
«إنَّ العينَ لتُدخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، وتُدخِلُ الجَمَلَ القِدرَ»^(٤) .

وأرشد النبي ﷺ المؤمن إذا رأى شيئاً أن يبرك أي يقول:
اللهم بارك عليه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن
حنيف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا
رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكَتْ؟»^(٥) .

ومن أسباب الحفظ والوقاية من السحر أو العين أو غيرها:

أولاً: التوكل على الله فهو أعظم ما تدفع به الآفات وأنفع ما
تحصل به المطالب، فمن توكل على الله كفاه أموره كلها، قال تعالى:

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥١-٧٥٢) .

(٢) ص ١١٢٥ برقم ٥٧٤٠، وصحيح مسلم ص ٩٠٠ برقم ٢١٨٧ .

(٣) (٤٣٨/٦) وسنن الترمذي ص ٣٤٢ برقم ٢٠٥٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٢/٧٦١) برقم ٤١٤٤ .

(٥) (٣٥٦/٢٥) برقم ١٥٩٨٠، وقال محققوه: حديث صحيح.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [٣] [الطلاق].

ثانياً: امثال أوامر الله واجتناب نواهيه، فمن حفظ الله في أوامره ونواهيه حفظه الله في دينه ودنياه وأهله وماله، قال تعالى: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [٦٤] [يوسف]. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ»^(١).

ثالثاً: كثرة ذكر الله عند دخول المنزل وعند الخروج وفي الصباح والمساء؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

رابعاً: تعويد الصبيان؛ فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّدُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»^(٣).

خامساً: أن يتصبح المؤمن بسبع تمرات عجوة، وهو نوع من تمر المدينة؛ روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

(١) ص ٤٠٩ برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ص ٦٢٩ برقم ٣٢٩٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨٠ برقم ٢٦٩١.

(٣) ص ٦٤٦ برقم ٣٣٧١.

أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ»^(١).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: يرجى أن يعم ذلك جميع أنواع التمر، فإن المعنى موجود فيه^(٢).

سادساً: المحافظة على صلاة الفجر جماعة مع المسلمين في المساجد، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»^(٣)، ومن كان في ذمة الله لم يكن للشيطان عليه سبيل.

سابعاً: قراءة سورة البقرة في البيت، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: «اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»^(٥)، قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة.

ثامناً: المحافظة على قراءة المعوذتين في الصباح والمساء، وقد أوصى النبي ﷺ عقبه بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهما وقال له: «تَعَوَّذْ بِهِمَا

(١) ص ١١٣٠ برقم ٥٧٦٩، و صحيح مسلم ص ٨٤٧ برقم ٢٠٧٤.

(٢) نقلاً عن كتاب السحر والمس والعين للشيخ فهد القاضي، ص ٩.

(٣) ص ٣٥٨ برقم ٦٥٧.

(٤) جزء من حديث ص ٣٠٦ برقم ٧٨٠.

(٥) جزء من حديث ص ٣١٤ برقم ٨٠٤.

فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»^(١)، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس^(٢).

تاسعاً: الإكثار من التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البنيان أو الصحراء أو الجو أو البحر، روى مسلم في صحيحه من حديث خولة السلمية أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِيهِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»^(٣).

عاشراً: قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»^(٤).

الحادي عشر: قراءة آية الكرسي عند النوم، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَهَا إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»^(٥).

الثاني عشر: إمساك الصبيان ساعة الغروب، روى البخاري

(١) سنن أبي داود ص ١٧٦ برقم ١٤٦٣، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (٢٧٥/١) برقم ١٢٩٩.

(٢) بدائع الفوائد (٤٢٦/٢) نقلاً عن كتاب بائع دينه للدكتور/ عبد المحسن القاسم.

(٣) ص ١٠٨٦ برقم ٢٧٠٨.

(٤) ص ٩٩٥ برقم ٥٠٠٩، وصحيح مسلم ص ٣١٥ برقم ٨٠٧.

(٥) جزء من حديث ص ٤٣٣ - ٤٣٤ برقم ٢٣١١.

ومسلم من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا»^(١).

الثالث عشر: تطهير البيت من الصلبان والتمثيل وصور ذوات الأرواح والكلاب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»^(٢)، وفي رواية: «تَمَائِيلٌ»^(٣). وتطهيره من آلات اللهو والمعازف فإن الغناء مزار الشيطان.

قال ابن القيم رحمته الله: ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها أي الفاتحة آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع^(٤). اهـ.

ومن السور التي يُرقى بها: الفاتحة والمعوذتان وسورة الكرسي، ومن الأدعية الماثورة قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»^(٥).

(١) ص ٦٣ برقم ٢٣٠٤، وصحيح مسلم ص ٨٣٥ برقم ٢٠١٢.

(٢) ص ٦٢٠ برقم ٣٢٢٧، وصحيح مسلم ص ٨٧٢ برقم ٢١٠٦ واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم ص ٨٧٣ برقم ٢١٠٦.

(٤) الطب النبوي ص ٣٠١.

(٥) صحيح البخاري ص ١١٢٥ برقم ٥٧٤٣، وصحيح مسلم ص ٩٠٢ برقم ٢١٩١.

ومنها قوله ﷺ للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم ص ٩٠٥ برقم ٢٢٠٢.
(٢) انظر رسالة لطيفة لأخينا الشيخ/ فهد القاضي «السحر والمس والعين»، ورسالة د. عبد المحسن القاسم بعنوان «بائع دينه».

الكلمة الخامسة والعشرون

الأمن من مكر الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة عند الله: الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]. أي: عذابنا ونكالنا ليلاً وهم نائمون، ﴿أَوْ أَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف]. أي: في نهارهم وهم في شغلهم وغفلتهم، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف]. أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم؛ وذلك أن هؤلاء القوم المكذبين للرسول كقوم نوح وعاد وشمود أغدق الله عليهم النعم والخيرات مع عصيانهم لله، فاستبعدوا أن يكون مكرًا واستدراجًا من الله أو أن يأتيهم العذاب في أي لحظة؛ قال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا إلا عند سلوتهم وغرتهم ونقمتهم، فلا تغتروا بالله^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في تعليقه على قوله

تعالى -: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يُبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة^(١). اهـ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ دليل على أن لله مكرًا والمكر هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، ومنه جاء في الحديث: «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ»^(٢)؛ فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟! قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن نقول: إن الله ماكر، وإنما نذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحًا مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٠]. ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]. ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحًا يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحًا لا يوصف بها، وكذلك لا يسمى الله بها فلا يقال: إن

(١) تفسير ابن سعدي ص ٢٧٦.

(٢) صحيح البخاري ص ٥٧٩ برقم ٣٠٣٠، وصحيح مسلم ص ٧٢٣ برقم ١٧٣٩.

من أسماء الله الماكر^(١). اهـ.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»^(٢)؛ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٤٤) [الأنعام]. وقال إسماعيل بن رافع: الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة؛ وقد فسر بعض السلف المكر بأن الله يستدرجهم بالنعيم إذا عصوه: من صحة الأبدان ورغد العيش وغيرها، ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر^(٣).

قال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(١٠٢) [هود].

أما القنوط من رحمة الله: فهو استبعاد العبد الفرج واليأس منه وأن الله يغفر له ويرحمه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٥٦) [الحجر]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥٣) [الزمر].

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/٢٤٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨/٥٤٧) برقم ١١٣٧١، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) فتح المجيد ص ٤١٦.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد: قوله: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦)، مع قوله ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩): دليل على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً يخاف ذنوبه ويعمل بطاعة الله ويرجو رحمته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (٥٧) [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَٰءَانًا أَلِيلَ سَاجِدًا وَفَاقِيمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (٩) [الزمر] (١). قال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق خائف وجل، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن (٢).

وقال تعالى حاكياً عن خليته إبراهيم عليه السلام - لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق -: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ (٥٤) [الحجر]. لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته، استبعد أن يولد له منها، والله على كل شيء قدير؛ فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الذي لا ريب فيه، فإن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَٰئِطِينَ﴾: أي من الآيسين، وقال تعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦) [الحجر]. فإنه يعلم من قدرته وحكمته: ما هو أبلغ من ذلك وأعظم.

روى عبد الرزاق في مصنفه من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه:

(١) فتح المجيد ص ٤١٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٥).

أنه سئل عن أكبر الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله^(١).

والشرك بالله أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء]. واليأس من روح الله أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه، فإذا كان في كربة أو شدة يستبعد زوالها، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته. قال تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [يوسف].

روى الترمذي في سننه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَحِدُّكَ؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»^(٢).

وفي هذا الحديث الجمع بين الخوف والرجاء، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس بل يرجو رحمة الله، وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة الخوف وفي المرض الرجاء. قال أبو سليمان الداراني: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فسد القلب^(٣). روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت

(١) (٤٦٠ - ٤٥٩/١٠).

(٢) ص ١٧٧ برقم ٩٨٣، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٨٩) برقم ٧٨٥.

(٣) فتح المجيد ص ٤١٧ - ٤١٩.

النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوًّا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّديقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٥٣ برقم ٢٨٧٧.

(٢) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الترمذي

(٣/٧٩-٨٠) برقم ٣٤٠١.

الكلمة السادسة والعشرون

شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب رضي عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثُلُثُ لِطْعَامِهِ، وَثُلُثُ لِشْرَابِهِ، وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ»^(١).

قال ابن رجب: هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت دكاكين الصيدلة^(٢). اهـ.

وذلك لأن أصل كل داء التخمة، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء؛ قال الغزالي: ذكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة، فقال: ما سمعت كلاماً في قلة الأكل

(١) ص ٣٩٠ برقم ٢٣٨٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في الفتح (٥٢٨/٩).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٣.

أحكم من هذا^(١).

هذا الحديث الشريف اشتمل على فوائد كثيرة:

أولاً: أن في تقليل الطعام منافع كثيرة للجسم، فمن ذلك: رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الأكل توجب ضد ذلك.

قال المروزي: جعل أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل - يعظم الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر يقول: ما شبعت منذ أربعة أشهر؛ قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع؟ قال: ما أرى؛ قال الشافعي: الشبع يثقل البدن ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة^(٢).

ثانياً: أن كثرة الأكل تسبب أمراضاً للبدن، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة، أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية وهي أكثر الأمراض، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة؛ فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك: أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال أو

(١) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٣؛ وفتح الباري (٩/٥٢٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٤-٥٠٦.

سريعه، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته: كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير.

قال ابن الرومي:

فَإِنْ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

وقال الشافعي :

ثَلَاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الْأَنَامِ وَدَاعِيَةُ الصَّحِيحِ إِلَى السَّقَامِ
دَوَامٌ مَدَامَةٌ وَدَوَامٌ وَطَاءٌ وَإِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ

ثالثاً: أن النبي ﷺ ذكر أن اللقيمات تكفي لحاجة الجسم فلا تسقط قوته ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس وهذا أنفع ما للبدن وللقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع^(١).

ويلاحظ هذا جيداً في رمضان، فإن من يكثر من تناول الطعام في فطوره، فإن صلاة العشاء والتراويح تصبح ثقيلة عليه.

رابعاً: الحث على التقليل من الأكل؛ ففي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يُأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ،

(١) انظر: الطب النبوي ص ١٠٥.

وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»^(١)، والمراد أن المؤمن يأكل بأدب الشرع فيأكل في معى واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشَّرَه والنهم فيأكل في سبعة أمعاء؛ وندب ﷺ مع التقلل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام إلى الإيثار بالباقي منه، روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»^(٢).

خامسًا: أن النبي ﷺ كما حثَّ على التقليل من الطعام فإنه كان يفعل ذلك هو وأصحابه وهذا في الغالب، وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام فإن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها؛ روى الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

سادسًا: أن هذا الحديث فيه الحث على الاقتصاد وعدم الإسراف، قال تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْتَكُمَّ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣١) [الأعراف].

سابعًا: أن هذا الحديث فيه تعويد على الصبر والتحمل والانتصار على النفس الشهوانية، ولذلك يسمى رمضان شهر الصبر. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٨٥٤ برقم ٢٠٦٢، وصحيح البخاري ص ١٠٦٧ برقم ٥٣٩٣.

(٢) ص ٨٥٣ برقم ٢٠٥٩، وصحيح البخاري ص ١٠٦٧ برقم ٥٣٩٢ واللفظ لمسلم.

(٣) ص ٤٠٤ برقم (٢٤٧٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الكلمة السابعة والعشرون

النصيحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن شعائر الإسلام العظيمة، ومن مقامات الدين العالية الرفيعة: النصيحة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ آمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوهُ فَأَخْرَجِ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [القصص].

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

قال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء: إنه أحد أرباع الإسلام- أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام-، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده^(٢).

قال ابن حجر: قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» يحتمل أن يحمل على المبالغة، أي: معظم الدين النصيحة، كما قيل: «الحجُّ عرفة»؛

(١) ص ٥٤ برقم ٥٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/٣٧).

ويحتمل أن يحمل على ظاهره، لأن كل عمل لم يرد به عامله إلا خلاص، فليس من الدين.

قوله: النصيحة لله: هي وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهراً وباطناً، والرغبة في محابه: بفعل طاعته، والرغبة من مساخطه: بترك معصيته، والجهاد في رد العاصين إليه.

والنصيحة لكتاب الله: تعلمه، وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه.

والنصيحة لرسوله: تعظيمه ونصره حياً وميتاً، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والافتداء به في أقواله وأفعاله ومحبه ومحبة اتباعه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: إعاتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم؛ ومن أعظم نصيحتهم: وقفهم عن الظلم والتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين: أئمة الاجتهاد؛ وتقع النصيحة لهم ببث علومهم وتعليمهم ما ينفعهم، وكشف وجوه الأذى عنهم، وأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه^(١).

والنصيحة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: النصيحة للمسلمين عموماً وفيها أحاديث كثيرة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت

(١) فتح الباري (١/١٣٨).

النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا حَقَّ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢).

القسم الثاني: النصيحة لولاة الأمر. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِوَلَاةِ الْأَمْرِ» الحديث^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جبير بن مطعم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ»^(٤).

وأما نصح الولاة لرعاياهم؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَاعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(٥).

(١) ص ٣٥ برقم ٥٧، وصحيح مسلم ص ٥٤ برقم ٥٦.

(٢) ص ٨٩٣ برقم ٢١٦٢.

(٣) (١٤/٧٨-٧٩) برقم ٨٣٣٤؛ وأصله في صحيح مسلم دون قوله: «وأن تنصحو لولاة

الأمر» ص ٧١٢ برقم ١٧١٥. وقال محققوه: إسناده على شرط مسلم.

(٤) (٢٧/٣٠١) برقم ١٦٧٣٨، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٥) ص ١٣٦٤ برقم ٧١٥٠، وصحيح مسلم ص ٨١ برقم ١٤٢.

وقد ذكر الله في كتابه عن الرسل السابقين: أنهم كانوا ينصحون لأقوامهم، فذكر الله عن نبي الله نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ (٦٢) [الأعراف].

وقال تعالى عن نبي الله هود: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٦٨) [الأعراف].

ونبينا محمد بن عبد الله إمام الناصحين: بلغ الرسالة ونصح الأمة؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج - وذكر صفة حجه - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ (١).

وقد عذر الله من تخلف عن الجهاد لعذر إذا كان ناصحاً لله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) [التوبة].

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرّاً، حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه، والنصيحة سرّاً تشمل ولاة الأمر، والعلماء، وعامة الناس.

قال الشافعي رحمته الله:

تَعَمَدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ

فإنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
وإنَّ خَالَفتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي
من التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
فلا تَجْزَعُ إِذَا لم تُعْطَ طَاعَهُ
ومن فوائد النصيحة:

أولاً: أنها من أعظم أسباب الثبات على الدين: لأن الذي ينصح يريد أن يطبّق ما نصح به، ولا يخالف فعله قوله، قال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ﴿٨٨﴾ [هود].

ثانياً: دليل حب الآخرين وبغض الشر لهم، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

ثالثاً: صلاح المجتمع، إذ تشاع فيه الفضيلة وتستر فيه الرذيلة.

رابعاً: القضاء على كثير من المنكرات، فكم من منكر زال بسبب نصيحة صادقة.

خامساً: تنفيذ أمر الله ورسوله الذي هو غاية سعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب].

سادساً: أنها من أعظم أسباب الهداية، فكم من كافر أسلم بسبب نصيحة! وكم من عاص مرتكب لكبائر الذنوب تاب واستقام

(١) ص ٢٦ برقم ١٣ وصحيح مسلم ص ٥٠ برقم ٤٥.

حاله بسبب نصيحة! روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لعلي: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

سابعًا: براءة الذمة، فقد تكون الذمة مشغولة، فإذا نصح العبد فقد أدى ما عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ [الشورى].
وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ الْمَيْتِ﴾ [العنكبوت].

وذكر ابن حزم أمرين يتعلقان بالنصيحة:

الأول: النصيحة مرتبتان: الأولى: فرض وديانة، والثانية تنبيه وتذكير؛ فواجب على المرء ترداد النصح رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذ.

الثاني: لا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه فأنت ظالم لا ناصح^(٢)؛ فقد جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيظُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٩٨٠ برقم ٢٤٠٦.

(٢) الأخلاق والسير ص ٥١-٥٢.

(٣) ص ١١٧ برقم ٢٢٠.

الكلمة الثامنة والعشرون

الميزان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالميزان، والمقصود به: الميزان الذي يُوزن به أعمال العباد من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [٤٧] [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [١٠٣] [الأنبياء]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها،

(١) ص ١٤٤٤ برقم ٧٥٦٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨١ برقم ٢٦٩٤.

والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجِلًا^(١)، كُلُّ سَجِلٍّ مَدُّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ [لَهُ]: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَلَاكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ^(٢)، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ^(٣)، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ فَيَقُولُ: أَحْضَرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِلَاتُ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجِلَاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السَّجِلَاتُ^(٤)، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٥).

وقال أصحاب الأهواء: «الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام».

والجواب عن هذا أن يقال: إن الله تعالى يجعل هذه الأعمال أجسامًا، وليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل، وله نظير وهو الموت

(١) هو الكتاب الكبير.

(٢) فبهت الرجل: البهت: الانقطاع والحيرة.

(٣) البطاقة: رقعة صغيرة.

(٤) فطاشت السجلات: أي خفت.

(٥) (٥٧١/١١) برقم ٦٩٩٤، وقال محققوه: إسناده قوي.

فإنه يجعل على صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار، مع أن الموت معنى وليس بجسم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ (زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: «فِي وَقْفٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ) فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قرَأَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٩] [مريم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا (١).

قد يقول قائل: ما فائدة الميزان؟! والله عَلَّمَكَ يعلم أعمال العباد من خير أو شر.

قال ابن أبي العز الحنفي: ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله تعالى لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟! (٢)

قال القرطبي: إن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان (٣) اهـ.

(١) ص ١١٤٤ برقم ٢٨٤٩، وصحيح البخاري ص ٩١٤ برقم ٤٧٣٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٥.

(٣) المصدر السابق.

هكذا ترتيب مشاهد يوم القيامة، ومن آثار الإيمان بميزان الأعمال:

أولاً: الاجتهاد في الطاعات والمسارة إلى الخيرات، فإن من زادت حسناته على سيئاته أفلح ونجح، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

ثانياً: أن هناك أعمالاً صالحة ثقيلة في ميزان رب العالمين، كما تقدم في الحديث: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»^(٣).

ثالثاً: قال بعض أهل العلم: إن العامل يوزن مع عمله، روى

(١) سبق تخريجه.

(٢) ص ١١٩ برقم ٢٢٣.

(٣) ص ٢٥٨ برقم ١٣٢٥، وصحيح مسلم ص ٣٦٧ برقم ٩٤٦.

البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه: أنه كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَنْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (٢).

رابعاً: المحافظة على الحسنات مما يبطلها أو ينقصها؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ» (٣).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ

(١) ص ٩١٣ برقم ٤٧٢٩.

(٢) (٧/٩٩) برقم ٣٩٩١، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) ص ١٠٤٠ برقم ٢٥٨١.

جِبَالٍ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَبَاءً مُنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ أَنْتَهُكُوهَا»^(١).

خامسًا: بيان عدله تعالى، وأنه يضع الموازين العادلة التي يبين فيها مثاقيل الذر التي توزن بها الحسنات والسيئات، كما في الآية ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(٤٧) [الأنبياء]؛ ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨) [الزلزلة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٥٨ برقم ٤٢٤٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٣٣) برقم ٥٠٥.

الكلمة التاسعة والعشرون

مخالفات في لباس المرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي الرجل قيّم على المرأة، وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجّت^(١)، قال ابن عباس ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوَّامِينَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وللأسف أن البعض من الرجال تساهل مع زوجته وبناته ومن تحت يده وسلّم لهن القوامه، وترك لهن الحبل على الغارب، ولذلك نرى الكثير من ألبسة النساء التي تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة،

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢١).

وهي على قسمين:

القسم الأول: ما تلبسه المرأة عند النساء، وعند محارمها من الرجال، وفيه عدة محاذير:

أولاً: الملابس الشفافة وهذا كثيراً ما يشاهد في حفلات الزواج والمناسبات العامة، بل وصل شرها إلى داخل البيوت، فصارت المرأة تلبسه عند النساء ومحارمها من الرجال.

ثانياً: الملابس الضيقة التي تبين جسم المرأة وتفاصيل خلقتها.

ثالثاً: الملابس المفتوحة، أو الشبه عارية، أو القصيرة التي لا تستر بعض أعضائها.

رابعاً: البنطال والذي كثر لبسه في هذه الأيام بين النساء وخاصة داخل البيوت، وبعضهن تلبسه إذا خرجت وتضع العباءة فوق الكتف، مع أنه لباس الرجل.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ»^(١).

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢١٣٠٢) وجاء فيها: نظراً لكثرة الاستفتاءات الواردة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول حدود نظر المرأة إلى المرأة وما يلزمها من

(١) ص ٤٤٧ برقم ٤٠٩٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٩٠٧/٢) برقم ٥٠٩٥.

اللباس، فإن اللجنة تبين لعموم نساء المسلمين: أنه يجب على المرأة أن تتخلق بخلق الحياء الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه، وقد دل ظاهر القرآن على أن المرأة لا تبدي للمرأة إلا ما تبديه لمحارمها مما جرت العادة بكشفه في البيت وحال المهنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وإذا كان هذا هو نص القرآن وهو ما دلّت عليه السنّة، فإنه هو الذي جرى عليه عمل نساء الرسول ﷺ ونساء الصحابة ومن اتبعهنّ بإحسان من نساء الأمة إلى عصرنا هذا؛ وما جرت العادة بكشفه للمذكورين في الآية الكريمة: هو ما يظهر من المرأة غالباً في البيت وحال المهنة، ويشق عليها التحرز منه: كانكشف الرأس واليدين والعنق؛ وأما التوسع في الكشف: فعلاوة على أنه لم يدل على جوازه دليل من كتاب أو سنة، هو أيضاً طريق لفتنة المرأة والافتتان بها من بنات جنسها، وهذا موجود بينهن؛ وفيه أيضاً قدوة سيئة لغيرهن من النساء، كما أن في ذلك تشبهاً بالكافرات والبغايا الماجنات في لباسهن؛ فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن

النبي ﷺ قال: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١) وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى عليه ثوبين مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسَهَا»^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٣).

ومعنى «كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»: وهي أن تكتسي المرأة ما لا يسترها، فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها؛ فالواجب على المسلمة الحرص على التستر والاحتشام، والتزام الهدي الذي عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة، والحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاشرات؛ كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة والفاتنة، وليعلم أنه راع ومسئول عن رعيته يوم القيامة^(٤) ا هـ .

(١) ص ٤٤١ برقم ٤٠٣١، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٩٨).

(٢) ص ٨٦٢ برقم ٢٠٧٧.

(٣) ص ٨٨١ برقم ٢١٢٨.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١٧/٢٩٠ - ٢٩٤) باختصار.

سُئِلَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: يَوْجَدُ ظَاهِرَةٌ عِنْدَ بَعْضِ النِّسَاءِ وَهِيَ لِبَسِّ الْمَلَابِسِ الْقَصِيرَةِ وَالضِّيْقَةِ الَّتِي تَبْدِي الْمَفَاتِنَ وَبِدُونِ أَكْمَامٍ وَمَبْدِيَةٍ لِلصَّدْرِ وَالظَّهْرِ وَتَكُونُ شَبَهَ عَارِيَةٍ تَمَامًا، وَعِنْدَمَا نَقُومُ بِنِصْحَتِهِمْ يَقْلُنَ: إِنَّهُمْ لَا يَلْبَسُونَ هَذِهِ الْمَلَابِسَ إِلَّا عِنْدَ النِّسَاءِ وَإِنْ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ مَعَ الْمَرْأَةِ مِنَ السَّرَةِ إِلَى الرِّكْبَةِ، فَمَا حُكْمُ ذَلِكَ؟ وَمَا حُكْمُ لِبَسِّ هَذِهِ الْمَلَابِسِ عِنْدَ الْمُحَارِمِ؟

فَأَجَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: الْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا...»^(١) الْحَدِيثُ. وَفَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ بِأَنَّهُنَّ اللَّاتِي يَلْبَسْنَ أَلْبَسَةَ ضَيْقَةً أَوْ أَلْبَسَةَ خَفِيفَةً لَا تَسْتُرُ مَا تَحْتَهَا أَوْ أَلْبَسَةَ قَصِيرَةً، وَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَنَّ لِبَاسَ النِّسَاءِ فِي بَيْوتِهِنَّ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَا بَيْنَ كَعْبِ الْقَدَمِ وَكَفِّ الْيَدِ كُلِّ هَذَا مُسْتَوْرٌ وَهُنَّ فِي الْبَيْوتِ، أَمَا إِذَا خَرَجْنَ إِلَى السُّوقِ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا ضَافِيَاتٍ يَسْحَبْنَ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَخِصَ لِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرُخِيْنَ إِلَى ذِرَاعٍ^(٢) وَلَا يَزِدْنَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ»^(٣). وَأَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالرِّكْبَةِ مِنْ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَقْصِيرِ الْمَرْأَةِ لِبَاسِهَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ: لِبَسِّ الْمَرْأَةِ مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالرِّكْبَةِ حَتَّى

(١) صحيح مسلم ص ٨٨١ برقم ٢١٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد (١٥٨/٩) برقم ٥١٧٣، وقال محققوه: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح مسلم ص ١٥٣ برقم ٣٣٨ .

يكون في ذلك حجة ولكنه قال: «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»،
فنهى الناظرة لأن اللابسة عليها لباس ضافي لكن أحياناً تكشف
عورتها لقضاء الحاجة أو غيره من الأسباب فنهى النبي ﷺ أن تنظر
المرأة إلى عورة المرأة، وهل يعقل الآن أن امرأة تخرج إلى النساء
ليس عليها من اللباس إلا ما يستر ما بين السرة والركبة؟ هذا لا يقوله
أحد، ولم يكن هذا إلا عند نساء الكفار، فهذا الذي فهمه بعض النساء
من هذا الحديث لا صحة له، والحديث معناه ظاهر.

فعلى النساء أن يتقين الله، وأن يتحلين بالحياء الذي هو من خلق
المرأة والذي هو من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
الْإِيمَانِ»^(١)، وكما تكون المرأة مضرب المثل فيقال: «أحيا من العذراء
في خدرها» ولم نعلم ولا عن نساء الجاهلية أنهن كن يسترن ما بين
السرة والركبة فقط، لا عند النساء ولا عند الرجال، فهل يردن هؤلاء
النساء أن تكون نساء المسلمين أبشع صورة من نساء الجاهلية!!
وأما محارمهن في النظر فكنظر المرأة إلى المرأة بمعنى أنه
يجوز للمرأة أن تكشف عند محرمها ما تكشفه عند النساء، تكشف
الرأس والرقبة والقدم والكف والذراع والساق وما أشبه ذلك لكن لا
تجعل اللباس قصيراً^(٢).

القسم الثاني: ما تلبسه المرأة في السوق والأماكن العامة:

١- لبس ما يسمى بالكاب أو العباءة المزركشة.

(١) صحيح البخاري ص ٢٥-٢٦ برقم ٩، وصحيح مسلم ص ٤٨ برقم ٣٥.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٢٧٤-٢٧٧).

٢- وضع العباءة على الكتف.

٣- لبس ما يسمى بالبرقع أو اللثام وتُخرج شيئاً من أنفها أو خدها أو شيئاً من محاسن الوجه، وقد سُئلت اللجنة الدائمة برقم (٢١٣٥٢) عن العباءة المفصلة على الجسم، وتكون ضيقة، وتتكون من طبقتين خفيفتين من قماش الكريب، ولها كُمٌ واسع وبها فصوص وتطريز، وهي توضع على الكتف؟ فأجابت اللجنة بأن العباءة الشرعية للمرأة وهي الجلباب وهي مما تحقق فيها قصد الشارع من كمال الستر والبعد عن الفتنة، ولا بد أن تتوفر فيها المواصفات التالية:

١- أن تكون سميكة لا تُظهر ما تحتها، ولا يكون لها خاصية الالتصاق.

٢- أن تكون ساترة لجميع الجسم، واسعة لا تبدي تقاطيعه وتفاصيله.

٣- أن تكون مفتوحة من الأمام فقط، وتكون فتحة الأكمام ضيقة.

٤- ألا يكون فيها زينة تلفت إليها الأنظار، وعليه فلا بد من أن تخلو من الرسوم والزخارف، والكتابات والعلامات.

٥- ألا تكون مشابهة للباس الكافرات أو الرجال.

٦- أن توضع العباءة على هامة الرأس ابتداء.

وبناء على ما تقدم: فإن العباءة المذكورة ليست عباءة شرعية، فلا يجوز لبسها لعدم توافر الشروط فيها، ولا يجوز بيعها واستيرادها،

لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان^(١) اهـ.

أما البرقع أو النقاب فقد سئل بعض أهل العلم المعاصرين عنه «فقال: البرقع أو النقاب الأصل فيها الجواز لقول النبي ﷺ: «لَا تَتَّقِبُ الْمُحَرِّمَةَ»، لكن لا يجوز للمحرمة توسعة النقاب بحيث يظهر بعض الوجه كالأنف والحاجبين وبعض الخدين، فإنها قد تفتن بذلك الناظرين؛ وينبغي أن تلبس فوق البرقع خمارًا خفيًا: لا يمنع النظر، يستر محاسن الوجه التي تظهر مع النقاب».

الخلاصة: أنه ينبغي للمسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته، فلا يتركهن يلبسن ما حرم الله ورسوله من الألبسة المحرمة، وأن يأخذ على أيديهن فإنه مسؤول عنهن يوم القيامة، قال ﷺ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفتوى بتاريخ ٩/٣/١٤٢١ هـ: نقلًا عن كتاب «العبادة لك أو عليك؟»، لأخينا الشيخ محمد الهبدان ص ٢٤ - ٢٦.

(٢) ص ١٧٩ برقم ٨٩٣، وصحيح مسلم ص ٧٦٣ برقم ١٨٢٩.

الكلمة الثلاثون

الإيمان بالكرام الكاتبين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد ذكر الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: الإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَنْتَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ فَعِيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾﴾. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيُّ لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَسَ بِاللَّيْلِ وَحَرَسَ بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ

ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحداً من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وَأَيَّايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» غير أن في حديث سفيان: « وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَ قَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ »^(٢).

وقد اختلف في معنى «أَسْلَمَ»؟ ف قيل: المعنى استسلم وانقاد وذل، وقيل: المعنى أسلم من الإسلام، قال النووي: وهذا هو الظاهر، قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه اه^(٣) فإن الجن فيهن المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يُسَمَّ شيطاناً. والذي ثبت بالنصوص: أن الملائكة تكتب القول والفعل والنية لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم قوله تعالى: ﴿يَعْمُونَ مَا نَفَعُونَ﴾^(١٢) [الانفطار]. قال تعالى: ﴿ هَذَا كَيْبُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا

(١) تفسير ابن كثير (٨/١١٥-١١٤).

(٢) ص ١١٣٢ برقم ٢٨١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم (٦/١٥٨).

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ [الجاثية]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ)، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ. فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايِ»^(١).

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةٌ»^(٢).

قال الشاعر :

وَأذْكَرُ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ يُحْصِي مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكَانِ حِينَ نَسِيْتَهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

من آثار الإيمان بالملائكة الكرام الكاتين:

أولاً: مراقبة الله في السر والعلن، وأن يحاسب المرء نفسه

(١) صحيح مسلم ص ٧٧ برقم ١٢٩، وقد خرج البخاري الشطر الأول منه ص ٣١ برقم ٤٢.

(٢) (٨/٢١٨-٢١٧) برقم ٧٧٦٥، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير

على كل فعل أو قول: صغيراً كان أو كبيراً؛ قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨] [ق]. وقال تعالى: ﴿ كِرَامًا كَنِينٍ ﴾ [١١] يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [١٢] [الانفطار].

ثانياً: الحياء من هؤلاء الملائكة الكاتبين: أن يروا المؤمن على معصية الله، ولذلك قال النبي ﷺ - في فضل عثمان رضي عنه -: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»^(١).

ثالثاً: الاجتهاد في الأعمال الصالحة، فإن الملائكة يرفعون إلى الله أعمال بني آدم، قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [١٠] [فاطر]. روى البخاري في صحيحه من حديث رفاعَةَ بنِ رَافِعِ الزُّرَقِيِّ رضي عنه قال: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» قَالَ: رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَبَدَّرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ؟!»^(٢).

رابعاً: حب هؤلاء الملائكة المكلفين بأعمال العباد، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [٢٦] لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦] [التحريم].

(١) صحيح مسلم ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

(٢) ص ٧٩٨ برقم ٧٩٩.

خامسًا: عدم إيذاء هؤلاء الملائكة. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ)، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢٢٤ برقم ٥٦٤ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ١٧٤ برقم ٨٥٥.

الكلمة الحادية والثلاثون

رضوان الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعيم أهل الجنة أن الله يرضى عنهم فلا يسخط عليهم أبداً، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوان الله عليهم أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضاه عنهم؛ فرضا الله رب السماوات أكبر من نعيم الجنات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [٧] جزاؤهم عند ربهم جنت عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه [٨] [البينة].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

من أسباب رضا الله عن العبد في الدنيا والآخرة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبُّهُ ﴿٨﴾ [البينة].

ثانياً: بذل النفس لله تعالى ولرسوله، والدَّبُّ عن دينه، والجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح].

ثالثاً: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(١) ص ١٢٥٤ برقم ٦٥٤٩، وصحيح مسلم ص ١١٣٧ برقم ٢٨٢٩.

الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - عن الذين اتصفوا بالصفات السابقة في الآية -: لهم أكبر النعيم وأفضله وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات ووافر المثوبات وجزيل الهبات ورفيع الدرجات، بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية^(١).

رابعاً: الكلمة الطيبة: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بلال بن الحارث رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

خامساً: الإحسان والصدقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا» الحديث، وفي آخره: قال الملك للأعمى: «أَمْسِكْ مَالِكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ، فَقَدْ

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨١١.

(٢) (١٨٠/٢٥) برقم ١٥٨٥٢، وقال محققوه: إسناده صحيح لغيره.

رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» (١).

سادساً: حمد الله وشكره على النعم؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» (٢).

سابعاً: رضا الوالدين، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضيما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ وَسَخَطَ الرَّبُّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» (٣).

ثامناً: الرضا بقضاء الله وقدره، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» (٤).

تاسعاً: استعمال السواك، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن السواك: «مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ، مَرُضَاةٌ لِلرَّبِّ» (٥).

(١) ص ٦٦٧ برقم ٣٤٦٤، وصحيح مسلم ص ١١٨٩ برقم ٢٩٦٤.

(٢) ص ١٠٩٤ برقم ٢٧٣٤.

(٣) ص ٣٢١ برقم ١٨٩٩، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٥) برقم ٥١٥.

(٤) ص ٣٩٣ برقم ٢٣٩٦، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٢٢٠) برقم ١٢٢٠.

(٥) ص ٣٦٧ باب السواك الرطب واليابس للصائم.

ولو تتبعنا النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لوجدنا الكثير فيها.

وينبغي للعبد أن يسعى إلى رضا الله، ولو كان ذلك بسخط الناس؛ روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَلْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَلْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٥ برقم ٢٤١٤، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٢/٥) برقم ٢٣١١.

الكلمة الثانية والثلاثون

تفسير سورة القارعة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر: سورة القارعة؛ قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾ .

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾: المراد التي تفرع القلوب وتقرعها وذلك عند النفخ في الصور، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل]. فهي تفرع القلوب بعد قرع الأسماع، وهذه القارعة قارعة عظيمة لا نظير لها قبل ذلك، وهي من أسماء يوم القيامة؛ كما تسمى الغاشية، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾: استفهام بمعنى التعظيم

والتفخيم، يعني: ما هي القارعة التي ينوه عنها؟!

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۚ ﴾: هذا زيادة في التفخيم والتعظيم والتهويل، يعني: أي شيء أعلمك عن هذه القارعة؟ أي ما أعظمها! وما أشدها! ثم بين متى تكون؟

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۚ ﴾ أي: أنها تكون في ذلك الوقت يوم يكون الناس كالفراش المبعوث حين يخرجون من قبورهم، قال العلماء: يكونون كالفراش المبعوث، والفراش هي الحشرات الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة وتكاد تمشي بدون هدى وتتراكم، وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري؛ فهم يشبهون الفرّاش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى؛ ﴿ الْمَبْثُوثِ ﴾ يعني: المنتشر، فهو كقوله تعالى: خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ [القمر]. يعني: لو تصوّرت هذا المشهد يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصوّرت أمراً عظيماً لا نظير له. هؤلاء العالم من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة: كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن غير القبور كالذي ألقى في لجة البحر، أو أكلته الحيتان، أو في فلوّات الأرض وأكلته السباع أو احترق جسده، أو ما أشبه ذلك: كلهم سيخرجون مرة واحدة إلى أرض الحشر.

قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۚ ﴾، فهذه الجبال العظيمة الراسية تكون كالعهن أي الصوف، وقيل: القطن

المنفوش أي المبعثر سواء نفشته بيدك أو بالمنداف، فإنه يكون خفيفاً يتطاير مع أدنى ريح، كما قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۖ ﴾ [الواقعة] ٦. وكما قال تعالى: ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ ﴾ [طه] ١٠٦.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ [٦] فهو في عيشته رَاضِيَةٌ ﴿٧﴾.

﴿ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾: فهو الذي رجحت حسناته على سيئاته ﴿ فهو في عيشته رَاضِيَةٌ ﴿٧﴾ ﴾ أي حياة طيبة ليس فيها نكد ولا صخب، بل هي كاملة من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [٣٤] الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ۚ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [البينة].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ [٨]: وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليست له حسنات أصلاً كالكافر، لأنه يجازى على حسناته في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له عند الله نصيب؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا

أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: أي أن ماله إلى نار جهنم والهاوية من أسماء النار، وقيل: المراد بالأم هنا أم الدماغ، والمعنى أنه يلقي في النار على أم رأسه؛ ولا مانع من اجتماع الأمرين، فيقال: يرمى في النار على أم رأسه، وليس له مأوى ولا مقصد إلا النار.

قوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٠﴾، هذا من باب التفخيم والتعظيم لهذه الهاوية: يسأل ما هي؟ ثم يجيب: إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحرارة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنهَا فَضَّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»^(٢)؛ وإذا تأملت نار الدنيا كلها سواء نار الحطب أو الورق أو الفرن أو أشد من ذلك، فإن نار جهنم مفضلة عليها بتسعة وستين جزءًا، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أنه ينبغي للمؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون بفعل الخير ولو بأقل القليل؛ روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٨.

(٢) ص ٦٢٦-٦٢٥ برقم ٣٢٦٥، وصحيح مسلم ص ١١٤١ برقم ٢٨٤٣.

إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

ثانياً: أن السورة الكريمة سكتت عن تساوت حسناته وسيئاته، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار، وإنما يحبسون في مكان يقال له: الأعراف؛ وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَحْصَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤٧) [الأعراف].

ثالثاً: عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه السورة أخبر عن شدة حرارتها، وفي آية أخرى عن هولها وشدة عذابها، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾^(١٥) نَزَاعَةً لِلشَّوَى^(١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى^(١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى^(١٨) [المعارج].

وأخبر في آية أخرى أن حطب النار التي توقد بها جثث بني آدم هي حجارة من الكبريت الأسود، فقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٦) [التحريم]. وقال سبحانه ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣٠) [ق].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن

النبي ﷺ قال: « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٤١ برقم ٢٨٤٢.

(٢) انظر: تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٠٠-٣٠٤.

الكلمة الثالثة والثلاثون

خطر الرفض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

وإن من أعظم المنكرات خطراً، وأفسدها للإيمان، وأضرها على الدين: فتنة الشيعة الروافض التي قام أبناؤها يدعون إليها في كل مكان، ويظهرون للناس أن باطلهم هذا هو الإسلام بعينه، بل وصل الأمر ببعض المغفلين إلى الدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة، وأن الخلاف بيننا وبينهم في أمور فرعية، مع أن الخلاف كبير يشمل أمهات العقائد؛ فإن الروافض عندهم من الشريكات

والكفریات ما يُخْرِجُ من دائرة الإسلام، وللأسف إن كثيراً من عوام السنة لا علم له بهذه الكفریات، لأن علماء الشيعة لا ينشرون كتبهم الأساسية التي عليها اعتماد مذهبهم بين عامة الناس^(١).

وأودُّ أن أبين بعضاً من معتقداتهم الباطلة إجمالاً، من خلال كتبهم ومراجعهم التي تُعتمَد عندهم:

أولاً: عقيدتهم في الأئمة الاثني عشر: ذكر الكليني في كتابه «أصول الكافي» - وهذا عندهم من أوثق الكتب، مثل «صحيح البخاري» عند أهل السنة - : أن الأئمة إذا شأؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم^(٢)؛ بل وصل الأمر إلى ادعاء الألوهية لهم، قال هاشم البحراني في كتابه «ينابيع المعاجز وأصول الدلائل» - وهو يتحدث عن الأئمة الاثني عشر -: «إن عندهم علم ما في السماء، وعلم ما في الأرض، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، وما يحدث بالليل والنهار، وساعة وساعة، وعندهم علم النبيين وزيادة»^(٣).

وقال شيخهم المعاصر - عبد الحسين الأميني النجفي - في كتابه «الغدير»: «إن الأئمة أولاد الله ومن صلب علي»^(٤)، وسمعت أحد مشايخهم في شريط مسجَّل وهو يقول: «إن المهدي المنتظر دخل

(١) بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية للعلامة محمد التونسي ص ٥-٦ .

(٢) (١/٢٥٨-٢٦٠).

(٣) الباب الخامس ص ٣٥-٤٢.

(٤) (١/٢١٤-٢١٦).

السرداب وهو صغير عمره خمس سنوات، وهو يعرف ماذا يحدث في ذرات الكون؟!».

ثانياً: عقيدتهم في القرآن الكريم: الرافضة يقولون: إن القرآن الذي عندنا ليس هو الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غُيِّرَ وبُدِّلَ وزيد فيه ونقص منه، وجمهور مشايخهم يعتقدون التحريف في القرآن، كما ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»^(١).

وذكر الكليني في كتابه «أصول الكافي»: أن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية، معنى هذا أن القرآن الذي تدعيه الرافضة أكثر من القرآن الموجود بين أيدينا^(٢)، لأن الذي بين أيدينا يزيد عن ستة آلاف قليلاً، وهو الذي تعهد الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر].

وما يعترفون به من القرآن يفسرونه بأهوائهم؛ فقد ذكر الصافي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾^(١١٦) يعني: أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي عليه السلام، وأما قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) يعني: لمن والى علياً^(٣).

ومن أمثلة تأويلهم للآيات بأهوائهم: ما جاء في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

(١) ت ١٣٢٠ هـ.

(٢) (٢/٢٤٢ - ١٣٤).

(٣) (١/١٥٦ - ٣٦١).

أَلْحَسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر]. قال: «لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام، ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين»^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّغُوتِ﴾^(٥١)، قالوا: «أبو بكر وعمر»^(٢).

ثالثاً: عقيدتهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته؛ تقوم عقيدة الرفض على سب وشتم وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، فهم يعتقدون كفر جميع الصحابة باستثناء ثلاثة منهم، ذكر ذلك الكليني في كتابه «الكافي» المعتمد عندهم، فقال: الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة! فقلت: من الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي^(٣)؛ وفي كتاب «مفتاح الجنان» لعباس القمي: دعاء شيوخ الشيعة المشهور على أبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة - رضي الله عنهن -، والذي هو من أذكار الصباح والمساء عندهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمَي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك... إلخ^(٤). ويسمونهما عليهما السلام بفرعون، وهامان^(٥)، وبالوثنيين^(٦)، وباللات والعزى^(٧)؛ وصرح شيوخ الشيعة بأن مهديهم

(١) تفسير الصافي (١/١٥٦ - ٣٦١)، وتفسير نور الثقلين (١/١٥١ - ٤٨٨).

(٢) فروع الكافي الذي بهامش مرآة العقول (٤/٤١٦).

(٣) رجال الكشي ص ٦، الكافي كتاب الروضة (١٢/٣١٢ - ٣٢٢) مع شرح جامع للمازندراني.

(٤) ص ١١٤.

(٥) قرّة العيون للكاشاني ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٦) تفسير العياشي (٢/١١٦)، بحار الأنوار ص ٢٧ - ٥٨.

(٧) إكمال الدين لابن بابويه القمي ص ٢٤٦، مقدمة البرهان لأبي الحسن العاملي ص ٢٩٤.

المنتظر يحيي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يصلبهما على جذع نخلة، ويقتلهما كل يوم ألف قتلة^(١)؛ وسمعت أحد مشايخهم في شريط مسجل وهو يقول: أبو بكر، عمر، عثمان، أصحاب العقبة الأولى، أصحاب العقبة الثانية، التسعة من العشرة كلهم في النار.

قال عبد الله بن محمد الأندلسي :

إن الروافض شرُّ من وطئ الحصى
قدحوا النبي وخونوا أصحابه
حبوا قرابته وسبوا صحبه
وقال آخر:

من كل إنس ناطقٍ أو جانٍ
ورمّوهم بالظلم والعُدوانِ
جدلان عند الله منتقضانِ

ودع عنك داعي الرّفصِ والبدعِ التي
وسر خلف أصحاب الرسول فإنهم
وعج عن طريق الرّفصِ فهو مؤسس
هُما خطتان إما هدى وسعادة
فأي فريقنا أحقُّ بأمنه
أمن سب أصحاب الرسول وخا
أم المقتدي بالوحي يسلك منهج الصحا

يقودك داعيها إلى النارِ والعارِ
نجوم هدى في ضوئها يهتدي الساري
على الكفر تأسيساً على جرف هارٍ
وإما شقاء مع ضلالة كفارٍ
وأهدى سبيلاً عندما يحكم الباري
لف الكتاب ولم يعبأ بثابت الأخبارِ
بمع حب القرابة الأطهارِ

رابعاً: عقيدتهم في أهل السنة: تقوم عقيدة الرافضة في استباحة أموال ودماء أهل السنة، جاء في كتاب «الأنوار النعمانية»: أنهم كفار أنجاس بإجماع شيوخ الشيعة الإمامية، وأنهم شر من

(١) إيقاظ من الهجعة بتفسير البرهان على الرجعة للحر العاملي ص ٢٨٧.

اليهود والنصارى^(١).

وفي الكتاب أيضًا: أن النَّاصِبِي حلال الدم ويقصدون به السُّنِّي، ويرشدون إلى قتل أهل السنَّة: إما بتغريقهم في ماء، أو هدم الحائط عليهم، أو غير ذلك من الطرق السَّرِيَّة حتى لا يشهد عليهم بذلك، ويرون أن أموالهم وأعراضهم حلال^(٢).

وأخيرًا: هل شیوخ الشيعة يجتمعون معنا نحن أهل السنة على رب واحد، ونبي واحد، وإمام واحد؟

أجاب إمامهم نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» بقوله: «إنا لم نجتمع معهم على إله^(٣)، ولا على نبي، ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمدًا نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»^{(٤)(٥)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الأنوار النعمانية للجزائري (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٢) رجال الكشي ص ٥٢٩، تهذيب الأحكام (١/٣٨٤)، وسائل الشيعة (٦/٣٤٠).

(٣) أي مع أهل السنة.

(٤) (٢/٢٧٨-٢٧٩).

(٥) الإحالات التي في الكلمة: نقلًا عن كتاب أخينا الشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري حفظه الله.

الكلمة الرابعة والثلاثون

شرح اسم الله تعالى اللطيف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العظيم: اللطيف، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام]. وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف].

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) [الملك]. قال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم من مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) [الشورى].

وقال الشوكاني في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: «إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفي» (١).

وجمع الشيخ عبد الرحمن بن سعدي بين التعريفين فقال:

(١) فتح القدير (٤/٢٣٩).

«اللطيف الذي لطف علمه وخبره حتى أدرك السرائر والضمائر،
الخبايا [والخفايا] [والغيوب]، وهو الذي ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾».

ومن معاني اللطيف: أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه
البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا
يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من [العبد]
على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة
والمقامات النبيلة^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إن الله ﷻ لا يفوته من العلم شيء، وإن دقَّ وصغر أو
خفي، وكان في مكان سحيق، قال تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي
صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾
[لقمان].

فالله لا يخفى عليه شيء، ولا الخردلة: وهي الحبة الصغيرة
التي لا وزن لها، فإنها - ولو كانت في صخرة في باطن الأرض أو في
السموات -، فإن الله يأتي بها وهو اللطيف الخبير.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٨.

فهذا علمه سبحانه في الجمادات وحركاتها وسكناتها، أما علمه سبحانه في الطيور والحيوانات وسائر الخلائق، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [٣٨] [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٦] [هود].

فإذا كان هذا علمه بالجمادات والطيور والحيوانات، فكيف بالمكلفين من الجن والإنس الذين لم يخلقوا إلا للعبادة؟ قال تعالى عنهم: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [١٩] [غافر]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٦١] [يونس].

وقال تعالى لنبيه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢١٧] [الذي يربك حين تقوم] ﴿ ٢١٨ ﴾ وَتَقَلِّبْ فِي السَّجْدِينَ ﴿ ٢١٩ ﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٢٢٠ ﴾ [الشعراء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث جبريل: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

ثانياً: أن العبد إذا علم أن ربه متصف بدقة العلم وإحاطته بكل

صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، واللَّه تعالى يجازي العباد على أعمالهم؛ فالمحسن لا يضيع من إحسانه مثقال ذرة، ولا المسيء يضيع من سيئاته مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة].

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) [الكهف]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٢) [طه]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء].

ثالثاً: إن الله تعالى من لطفه بعباده يضاعف أجور المؤمنين، ويعفو ويتجاوز عن ذنوب من شاء من عباده، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (١١٠) [الأنعام].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود]»^(١).

رابعًا: إن الله لطيف بعباده يريد لهم الخير واليسر، ويقيض لهم أسباب الصلاح والبر؛ ومن لطفه بعباده: أنه يسوق إليهم أرزاقهم، وما يحتاجونه في معاشهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٢﴾ [الطلاق].

ومن لطفه سبحانه بخلقه: خلق الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث: ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة؛ وهو في بطن أمه يتقلب في هذه الأطوار: نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم تكسى العظام لحماً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [المؤمنون].

ومن لطفه بخلقه: لطفه بأنبيائه المرسلين؛ فمن ذلك: لطفه بيوسف عليه السلام، حين أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، وجمع بينه وبين أبويه، بعد أن نزع الشيطان بينه وبين إخوته.

ومن ذلك: لطفه بنبيه موسى عليه السلام، حين أرسله إلى فرعون، وألقته أمه في البحر، ووصل إلى قصر فرعون، وقذف الله في قلب زوجة فرعون الرحمة لهذا الطفل، وطلبت من فرعون استبقاءه؛ فنجا من القتل، ثم منع من الرضاعة، ليرجع إلى أمه فيحصل على حنانها،

(١) ص ٤٦٠ برقم ٢٤٤١، وصحيح مسلم ص ١١٠٨ برقم ٢٧٦٨.

قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (١٢) [القصص]. ثم تربى في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره.

ومن لطفه بعبده: أن قيض له كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها، مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه أو على معصيته، صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه أمرهم بالعبادات الاجتماعية التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٢٣.

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للنجدی (١/٢٥٩-٢٦٥).

الكلمة الخامسة والثلاثون

إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي من كان يقصد بعمل الآخرة عرض الدنيا وزينتها من مال، وولد، ومنصب، وغيرها، كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي نعته من الدنيا ما أراد إذا شئنا استدراجاً ومعاملة له بما قصد، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: أي لا ينقصون.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ﴾: بيان لعاقبتهم حيث ذكر أنهم يعطون في الدنيا ما أرادوا وما طلبوا، وأما في الآخرة فإنهم يحرمون من الثواب لأنهم لم يريدوا الآخرة، وهي إنما تحصل لمن أرادها كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَحَبِطْ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ﴿وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: في الآخرة حبط ما صنعوه في الدنيا؛ ﴿وَبِطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أعمالهم في الدنيا باطلة، لأنهم لا يريدون وجه الله.

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كانت الدنيا همه وطلبه ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها جزاء؛ وأما المؤمن فيُجازى بحسناته في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ، لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٦٣٢.

جَوَادًا، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١)، ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود] ^(٢).

فهؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، فإن قال قائل: ما الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا والرياء؟ فالجواب: أنهما يجتمعان في العمل لغير وجه الله وفي أنهما شرك خفي، ويفترقان أن الرياء يراد به الجاه والشهرة، وأما طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل، كمن يجاهد من أجل المال فقط؛ والذي يعمل من أجل الطمع والعرض العاجل، أعقل من الذي يعمل للرياء، لأن الذي يعمل للرياء لا يحصل له شيء، وأما الذي يعمل من أجل الدنيا، فقد يحصل له طمع في الدنيا ومنفعة.

ولما سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب «عن قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾، ذكر أنها تشمل أنواعاً:

النوع الأول: المشرك والكافر الذي يعمل أعمالاً صالحة في هذه الدنيا: من إطعام الطعام، وإكرام الجار، وبر الوالدين، والصدقات

(١) صحيح مسلم ص ٧٩١ برقم (١٩٠٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١٣٨/٢) برقم ٤٠٨.

والتبرعات، ووجوه الإحسان، ولا يؤجر عليها في الآخرة، لأنها لم تُبْنَ على التوحيد، فهو داخل في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)؛ فالكافر إذا عمل حسنات فإنه قد يجازى بها في الدنيا، وأما في الآخرة فليس له جزاء عليها عند الله، لأنها لم تُبْنَ على التوحيد والإخلاص لله ﷻ.

النوع الثاني: المؤمن الذي يعمل أعمالاً من أعمال الآخرة، لكنه لا يريد بها وجه الله، وإنما يريد بها طمع الدنيا: كالذي يحج ويعتمر عن غيره، يريد أخذ العوض والمال؛ وكالذي يتعلم ويطلب العلم الشرعي، من أجل أن يحصل على وظيفة، فهذا عمله باطل في الدنيا، وحابط في الآخرة: وهو شرك أصغر.

النوع الثالث: مؤمن عمل العمل الصالح مخلصاً لله ﷻ، لا يريد به مالاً أو متاعاً من متاع الدنيا ولا وظيفة، لكن يريد أن يجازيه الله به، بأن يشفيه الله من المرض، ويدفع عنه العين ويدفع عنه الأعداء؛ فإذا كان هذا قصده، فهذا قصد سييء، ويكون عمله هذا داخلاً في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥). والمفروض في المسلم: أن يرجو ثواب الآخرة، يرجو أعلى مما في الدنيا، وتكون همته عالية، وإذا أراد الآخرة أعانه الله على أمور الدنيا، ويسرّها له ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣) [الطلاق].

النوع الرابع: وهو أكبر من الذي قبله، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه؛ وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء

الناس! لا طلب ثواب الآخرة.

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس، والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما؛ وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص، ويسكت عن صاحب الشائبتين: وهو هذا وأمثاله^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - وهو يتحدث عن النوع الثاني الذي سبق ذكره -: وهو الذي يعمل أعمالاً صالحة لا يريد إلا الدنيا: كالذي يتعلم من أجل الوظيفة، أو يعتمر لغيره من أجل المال فقط؛ وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب؛ وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن - وإن كان ضعيف الإيمان - لا بد أن يريد الله والدار الآخرة؛ وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا - وإن كان مؤمناً -: فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً، لكنه

(١) كتاب الاستنباط/ للشيخ محمد عبد الوهاب ص ١٢٠ - ١٢٣، نقلاً عن كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣٧ - ٤٤١ بتصرف.

يأخذ على عمله جُعلاً معلوماً يستعين على العمل والدين: كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يرتب على جهاده غنيمة أو رزقاً، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد، والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها؛ فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده: لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له مُعيناً على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية - كالزكوات وأموال الفيء وغيرها - جزءاً كبيراً: لمن يقوم بالوظائف الدينية والدينية النافعة^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) القول السديد ص ١٨٧ - ١٨٩.

الكلمة السادسة والثلاثون

كفارات الذنوب رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فقد ذكر شارح الطحاوية: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم، بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

أولاً: التوبة الصادقة ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر]. وهذا لمن تاب؛ ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ٥٤﴾.

ثانياً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال].

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ

إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ»^(١).

ثالثاً: الحسنات ، فإن الحسنات عشرة أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده عشراته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾^(١١٤) [هود]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

رابعاً: المصائب ، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(١٢٣) ، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَارْبُؤُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُهَا»^(٣).

خامساً: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١٠) [الحشر]. وقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَنَا مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢٨) [نوح].

سادساً: ما يهدى الميت بعد الموت من ثواب صدقة، أو حج،

(١) ص ١٨٠ برقم ١٥١٧، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم ١٣٤٣.

(٢) ص ٣٣٢ برقم ١٩٨٧، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٤.

أو نحو ذلك؛ روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَيْتَ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتَ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(١).

وفي صحيح البخاري أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه - أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ - تَوَفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَاتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّيْ تَوَفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا^(٢).

سابعاً: عذاب القبر.

ثامناً: أهوال يوم القيامة وشدائده.

تاسعاً: ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصَّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٣).

عاشراً: شفاعة الشافعين؛ كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والنيبين، وشفاعة

الملائكة، وشفاعة المؤمنين.

(١) ص ٣٨٨ برقم ١٠٠٤، وصحيح البخاري ص ٢٧٠ برقم ١٣٨٨.

(٢) ص ٥٣٢ برقم ٢٧٦٢.

(٣) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٣٥.

الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء].

قال شارح الطحاوية: فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير أي: (النار)، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه؛ فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى، أدنى، أدنى، أدنى، مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي عنه في الصحيحين.

وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة، غير من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة. ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم - أي من مكر الله -، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم - أي من رحمة الله - ^(١). ا هـ.

وعلى ذلك ، فقول بعض الناس: فلان لا يغفر الله له، أو فلان من أفجر الناس: هو من أهل النار، أو فلان طيب، ورجل صالح: هو من أهل الجنة؛ كل هذه الألفاظ لا تجوز، لمخالفتها للنصوص الشرعية، ولعقيدة أهل السنة والجماعة.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ

(١) (٢/٤٤٨ - ٤٥٦).

يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ؛ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّني وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَفَبَضَّ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ: أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٣٢ برقم ٤٩٠١، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٦) برقم ٤٠٩٧ .
(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٧ - ٣٧١ .

الكلمة السابعة والثلاثون

حكم الأسهم المختلطة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ قَالَ: وَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ! فَأَفَاقَ يَمْسَحُ عَنْهُ الرَّحْضَاءُ^(١)، وَقَالَ: «أَيْنَ هَذَا السَّائِلُ؟» - وَكَأَنَّهُ حَمَدُهُ - فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ^(٢)، إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرِ^(٣)، فَإِنَّهَا أَكَلَتْ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ حَاصِرَتَاهَا^(٤)، اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ^(٥)، وَبَالَتْ،

(١) أي العرق الكثير.

(٢) إذا قاربه ودنا منه.

(٣) ضروب من النبات وليس من أحرار البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول.

(٤) وهما جانبا البطن.

(٥) إذا ألقى البعير رجيعة سهلاً رقيقاً.

ثُمَّ رَتَعَتْ؛ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ:
لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمَسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَابْنَ السَّبِيلِ (أَوْ كَمَا قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)؛ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا
يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بِشَرِّهِ
وجوع نفس من حيث لا حَتُّ له، لا بقليل يقنع ولا بكثير يشبع، ولا
يحلل ولا يحرم، بل الحلال عنده: ما حل بيده وقدر عليه، والحرام
عنده: ما منع منه وعجز عنه، فهذا هو المتخوض في مال الله ورسوله
فيما شاءت نفسه، وليس له إلا النار يوم القيامة؛ وفي هذا تنبيه على
أن من تخوَّض من الدنيا في الأموال المحرَّم أكلها: كمال الربا، ومال
الأيتام، والمال المغصوب، والسرقة، والغش في البيوع، وغير ذلك،
فكل هذه الأموال وما أشبهها: يتوسع بها أهلها في الدنيا، ويتلذذون
بها، ويتوصلون بها إلى لذات الدنيا وشهواتها؛ ثم ينقلب ذلك بعد
موتهم، فتصير جمرًا من جمر جهنم في بطونهم، فما تفي لذتها
بتبعثها، قال الشاعر:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مَمَّنْ نَالَ لَذَّتْهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ مِنْ مَغْبَتِّهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

فلهذا شبَّه النبي ﷺ من يأخذ الدنيا بغير حقها ويضعها في غير
حقها: بالبهايم الراحية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله،

(١) صحيح مسلم ص ٤٠٣ برقم ١٠٥٢، وصحيح البخاري ص ١٢٣٤ برقم ٦٤٢٧.

فإما أن يقتلها وإما أن يقارب قتلها، فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها، فقد يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه، ومن مات على ذلك من غير توبة منه وإصلاح حاله، فيستحق النار بعمله^(١). اهـ.

ومما يلاحظ في هذه الأيام: انكباب كثير من الناس على المساهمات المشبوهة والمحرمة، وهذا مصداق قول النبي ﷺ في الحديث - الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه -: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٣)؛ وهذه الشركات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الشركات ذات الأعمال المباحة، وليس من أنشطتها الاستثمار المحرّم، بل تعمل بالصناعة والتجارة: سواء تجارة العقار أو الزراعة أو النقل، ولا تتعامل بمحرّم؛ فلا تقترض ولا تُقرض بالربا، ولا تُودع أرباحها في بنوك تُعطي لها فوائد ربوية، ولا تستثمر أرباحها في محرّم، فهذه الأصل فيها الجواز.

ثانياً: الشركات ذات الأعمال المحرّمة: كالبنوك الربوية، أو

(١) لطائف المعارف ص ٥٣١ .

(٢) ص ٣٩٣ برقم ٢٠٨٣ .

(٣) ص ٣٨٥ برقم ٢٣٣٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

صناعة الخمر، أو آلات الطرب، أو التجارة بالخنزير، بحيث يكون أصل إنشائها محرّمًا، فهذا النوع لا يتنازع مسلم في حرمة؛ جاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي: بأنه لا خلاف في حرمة الإسهام في شركات، غرضها الأساسي محرّم: كالتعامل بالربا، أو إنتاج محرّمات، أو متاجرة بها^(١).

الثالث: الشركات ذات الأعمال المشروعة، وأنشئت من أجل الاستثمار في الأشياء المباحة: كصناعة الحديد والورق والزيت، والنقل وتجارة الأراضي وغيرها، إلا أنها تتعامل بالحرام أحيانًا: كالإيداع في البنوك وأخذ الفائدة منها، أو أن تجعل من ضمن رأس مالها الاقتراض بالربا أو الإقراض، فتضم هذه الأرباح إلى أرباح مساهميها، وهذه الشركات هي التي اشتهرت بين الناس بالأسهم المختلطة، أي اختلط فيها الحلال والحرام، وفيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يقول بالجواز وفق ضوابط معينة، ومنهم من يقول بالتحريم: وهو قول غالب العلماء.

فقد سئلت اللجنة الدائمة عن أسهم الشركات المختلطة، والتي أساس عملها الصناعة أو الخدمات أو التجارة أو غيرها، ولكنها تقع في مخالفات شرعية: كأن تضع فوائض أموالها في البنوك، أو تقرض من البنوك، أو غير ذلك من المخالفات؛ فأجابت اللجنة بالتحريم: لعموم الأدلة من الكتاب والسنة بتحريم الربا، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ

(١) في دورته الرابعة المنعقدة بمكة المكرمة، والتي بدأت في ٢٠/٨/١٤١٥هـ.

أَبِيعَ وَحَرَّمَ الرِّبْوَا ^(١٧٥) ، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ^(٢)﴾ [المائدة]. وغير ذلك من الأدلة ^(١).

وعلى المسلم أن يتورع وأن يتعد عن الشبهات؛ روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَبَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ: كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» ^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ» ^(٣).

وروى البخاري في صحيحه أن عبداً يقال له مدغم، كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة: هنيئاً له الشهادة! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لِتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» ^(٤).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٣/٤٠٨) رقم (٨٧١٥).

(٢) ص ٣٨٨ برقم ٢٠٥١، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩ - واللفظ له -.

(٣) قطعة من حديث ص ١٢١ برقم ٦١٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/١٨٩) برقم ٥٠١.

(٤) قطعة من حديث ص ١٢٧٩ برقم ٦٧٠٧.

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام^(١).

اللَّهُمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.
وسبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك
وأتوب إليك.



(١) انظر: الأسهم المختلطة/ للشيخ صالح التميمي حفظه الله.

الكلمة الثامنة والثلاثون

الرفقة الصالحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الإنسان جُبِلَ على حب مخالطة الآخرين، وأن يتخذ له جليساً يعينه على مصالحه في دنياه وأخراه، والناس متفاوتون في دينهم وأخلاقهم؛ فمنهم الخير الفاضل الذي يُنتفع بصحبته وصداقته، ومنهم السيء الذي يتضرر بصداقته ومعاشرته.

ومصاحبة الصالحين خير وبركة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف].

ومصاحبة جلساء السوء حسرة وندامة يوم القيامة، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ [٢٧]

يَتَوَلَّي لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ: كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا

أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَيْبَةً» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (٢).

قوله: «عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»: أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فلينظر أي: يتأمل ويتدبر من يخالل، فمن رضي دينه وخلقه خالقه ومن لا تجنبه فإن الطباع سراقه (٣).

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
والإنسان مجبول على التأثر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنود مجندة؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (٤).

وتألفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار،

(١) ص ١٠٩١ برقم ٥٥٣٤، وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ برقم ٢٦٢٨.

(٢) ص ٣٩٠ برقم ٢٣٧٨، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٦٣٣) برقم ٩٢٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٢٣).

(٤) ص ٦٣٦ برقم ٣٣٣٦ تعليقا، وصحيح مسلم ص ١٠٥٧ برقم ٢٦٣٨ عن أبي هريرة.

والأشرار إلى الأشرار^(١).

ومن ثمرات مجالسة الصالحين:

أولاً: الإعانة على الطاعات والبعد عن المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

ثانياً: المسارعة إلى الخيرات والتنافس في الطاعات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝١ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢١﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ۝٦١﴾ [المطففين].

ثالثاً: بركة المجالسة، فإن من جالسهم تشمله بركة مجالستهم، ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم، كما دل على ذلك: ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ»

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٢٤).

وفي آخر الحديث: «فَيَقُولُ اللَّهُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يُقُولُ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

يقول عمر: «لولا ثلاث، ما أحببت العيش في هذه الحياة الدنيا: ظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطياب الكلام، كما ينتقى أطياب التمر».

وكم من شخص اهتدى، وأصبح من المحافظين على الصلاة، وترك مجالسة السوء، وتوجّه إلى الدعوة؟! كل ذلك: بفضل الله، ثم الرفقة الصالحة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(٢).

قال الخطابي: إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة، وذلك أن الله سبحانه قال: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣) [الإنسان] ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفاراً غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر عليه السلام من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب^(٣).

ومن الآثار المترتبة على مجالسة أهل السوء، وهي كثيرة:

(١) ص ١٢٣٠ برقم ٦٤٠٨، وصحيح مسلم ص ١٢٣٠ برقم ٢٦٨٩.

(٢) ص ٣٩٢-٣٩٣، برقم ٢٣٩٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٢٣/١٣).

أولاً: أنه يصرف صاحبه وجليسه من الطاعة إلى المعصية،
 ويزين له عمل السوء؛ روى البخاري ومسلم من حديث سعيد
 ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا
 عِنْدَ اللَّهِ»؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أترغب
 عن مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمَّ يَزُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ
 لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ
 الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا
 وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنكَ»؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا
 تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
 أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: (١)].

ثانياً: أن غالب مجالس أهل الفسق لا يذكر الله تعالى فيها، بل
 يُعصى جلَّ وعلا، فتكون حسرة وندامة على أصحابها يوم القيامة .
 روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال:
 «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا

(١) صحيح البخاري (٣/٦٢، ٦٣) برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم (١/٥٤) برقم (٢٤)
 - واللفظ له -

كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ^(١)؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ^(٢).

قال الشافعي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلًا تَقِيًّا فَوَّحِدْتِي أَلْدُّ وَأَشْهَى مِنْ عَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ
وَأَجْلِسُ وَخِدِي لِلْعِبَادَةِ آمِنًا أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَاذِرُهُ

ثالثًا: أن الجليس السوء يدعو جليسه إلى مماثلته في الوقوع في المحرّمات، ويخفّف وقع المعصية في قلبه، ويهوّن عليه التقصير في الطاعة، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ودّت الزانية لو زنى النساء كلهن».

وجليس السوء ينصرف عن صاحبه عند أدنى خلاف أو فوات مصلحة، بل وتحصل البغضاء بعد ذلك، قال عبدالله بن المعتز: إخوان السوء ينصرفون عند النكبة، ويقبلون مع النعمة.

لذا أنصح إخواني بإلحاق أبنائهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، فهي رفقة صالحة، وعندهم برامج مفيدة: يقضي فيها الشاب وقته، وتُبعده عن جلساء السوء. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي حسرة وندامة.

(٢) ص ٥٣٥ برقم ٣٣٨٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة التاسعة والثلاثون

نعمة العقل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل نعم الله على عباده: نعمة العقل، فلولا العقل لما عرف الإنسان دين الإسلام، والنبوة، والخير والشر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. فالله تعالى فضل بني آدم على غيرهم من الجمادات، والحيوانات، والنباتات بهذا العقل.

قال تعالى - مادحاً عباده أصحاب العقول السليمة -: ﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. قال ابن كثير: أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦]. [يوسف: ١٠٦].

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٥).

وقد ذم الله تعالى أصحاب العقول الغافلة عن دينه، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٢) [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أَوَّلِيكَ كَأَلْفِ بَلِّ هُمْ أَضَلُّ أَوْلِيكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٩) [الأعراف].

فإذا فقد الإنسان العقل السليم الذي يقوده إلى الخير ويبعده عن الشر، فقد أصبح كالبهيمة التي تأكل وتشرب ولا تعقل شيئاً، بل إنها خير منه: كما في الآية الكريمة السابقة، روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرْمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سِفْسَافَهَا»^(١) أي: دنيتها و خسيسها .

قال ابن حبان: وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفسافها هو نفس العقل، فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله، وهو من أفضل مواهب الله لعباده، وهو دواء القلوب، ومطيئة المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب؛ ومن عدم العقل لم يزد السلطان عزاً، ولا المال يرفعه قدرًا، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه^(٢). ا هـ.

(١) (١/٦٤)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع الصغير» (١/٣٨٤) برقم ١٨٨٩.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ ص ١٦ - ١٩، باختصار.

قال الشاعر:

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فليس من الخيراتِ شيءٌ يُقارِبُهُ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فقد كَمَلتْ أَخلاقُهُ ومارِبُهُ

وقال الشاعر :

لَيْسَ الْجَمَالَ بِأَثْوَابٍ تُزِينُنَا إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ

قد يقول قائل: ما هو العقل؟ ومن هو العاقل؟

العقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتنب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجاته يسمى أديباً ثم أريباً، ثم لبيباً ثم عاقلاً^(١)؛ قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(١٥) أي: تنهى عقله، وكمل فهمه وحلمه، ويقال: إنه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين^(٢).

قال ابن حزم: وحد العقل: ينطوي فيه فعل الطاعات والفضائل واجتناب المعاصي والرذائل، وقد نصَّ الله تعالى في كتابه أن من عصاه لا يعقل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ^(١١) [الملك]. وحد الحمق: استعمال المعاصي والرذائل، وهو ضد العقل، ولا واسطة بين الحمق والعقل إلا السخف^(٣) ١ هـ.

(١) روضة العقلاء / لابن حبان ص ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/١٥).

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٦٥ - ٦٦ بتصرف.

قيل لابن المبارك: ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: غريزة عقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن؛ قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشير، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل^(١).

والناس يحبون الرجل الذي جمع بين الصلاح ورجحان العقل، ونبينا محمد بن عبد الله أرجح الناس عقلاً، ففي الجاهلية لم يسجد لصنم قط، مع كثرتها وتعلق الناس بها: لعلمه أن هذه الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع؛ وكانت قريش تُودع أموالها عنده، ويستشيرونه في أمورهم: لرجحان عقله وسداد رأيه، وكان يعتزل الناس، ويتعبد في غار حراء يسأل ربه الهداية. وفي صحيح البخاري: أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن^(٢).

وحكي أن جماعة من النصارى تحدثوا فيما بينهم، فقال قائل منهم: ما أقل عقول المسلمين، يزعمون أن نبيهم كان راعياً للغنم، فكيف يصلح راعي الغنم للنبوة؟! فقال له آخر من بينهم: أما هم فوالله أعقل منا، فإن الله بحكمته يسترعي النبي الحيوان البهيم فإذا أحسن رعايته والقيام عليه نقله منه إلى رعاية الحيوان الناطق، حكمة

(١) روضة العقلاء/ ص ١٧.

(٢) قطعة من حديث ص ٩٩٢ برقم ٤٩٨٦.

من الله وتدرجاً لعبده، ولكن نحن جننا إلى مولود خرج من امرأة يأكل ويشرب ويبول ويبكي فقلنا: هذا إلهنا الذي خلق السماوات والأرض فامسك القوم عنه^(١).

هناك بعض التنبيهات:

أولاً: إن محل العقل القلب وهو صريح قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج] ٤٦. قال الشيخ محمد الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: ومن الخطأ قول الفلاسفة: إن محل العقل الدماغ، وقد تبعهم في ذلك قليل من المسلمين، وعامة علماء المسلمين أن محل العقل القلب، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف] ١٧٦. فعابهم الله بأنهم لا يفقهون، والفقهاء - الذي هو الفهم - لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على أن محل العقل القلب، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات] ١٤.

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢). فإذا آمن القلب، آمنت الجوارح: بفعل المأمورات وترك المنهيات، لأن القلب أمير البدن؛ وذلك يدل دلالة واضحة: على أن القلب ما كان كذلك، إلا لأنه محل العقل الذي به

(١) جامع الآداب لابن القيم (١/٢١٨) من كلام ابن القيم تحقيق اليسري السيد محمد.

(٢) ص ٣٤ برقم ٥٢، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩.

الإدراك والفهم^(١).

ثانياً: ليس كل من ادّعى العقل يعتبر عاقلاً، فقد يدّعيه من هو سفيه أو أحمق، فالعقل - كما تقدّم - من ترفع عن السفاهات والمعاصي وخوارم المروءة كلها، وسما بنفسه إلى الطاعات ومكارم الأخلاق.

قال ابن حبان - بعد ما ذكر أقوال العلماء في تعريف المروءة - :
والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال، واستعمالهما هو العقل نفسه، وقد ورد في الأثر: إن مروءة المرء عقله^(٢).

ثالثاً: قد يكون الإنسان ذكياً، ولكنه ليس بعقل؛ فالذكاء: هو سرعة البديهة والفهم، والعقل: ما حجز الإنسان عن فعل ما لا ينبغي.

رابعاً: العقل نوعان؛ قال الشيخ ابن عثيمين: العقل هو مناط التكليف، وهو إدراك الأشياء وفهمها، وهو الذي تكلم عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات وغيرها، وعقل الرشد: وهو أن يحسن الإنسان التصرف، وسمي إحسان التصرف عقلاً؛ لأن الإنسان عقل تصرفه بما ينفعه^(٣).

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] وقال تعالى: ﴿آتَمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

(١) الرحلة إلى أفريقيا / ص ٢٥ - ٢٩ باختصار.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / ص ٢٣٢.

(٣) تفسير سورة البقرة (١/١٥٨) للشيخ ابن عثيمين.

وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [البقرة]. أفلا يكون لكم عقول تدركون بها خطاكم وضلالكم؟!

خامساً: قد يُعطى الإنسان القوة والذكاء والعقل، ولكن لا يوفق للهداية، وأمثلة هذا كثيرة، فأصحاب المخترعات العظيمة: كالكهرباء، والطائرات، والقنابل النووية، وغيرها كثير منهم من غير المسلمين: كاليهود والنصارى والملاحدة، بل ذكر الله عن قوم عاد: أنهم كانوا أصحاب قوة وذكاء، بنوا حضارة من أحسن الحضارات، قال تعالى عنها: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]. لكنهم لما جحدوا بآيات الله، ما نفعتهم عقولهم ولا قوتهم، بل صارت وبالاً عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحقاف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الأربعون

تفسير سورة الضحى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿كُنْ أَزْلَمَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر: سورة الضحى.

روى البخاري ومسلم من حديث جناب رضي الله عنه قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الليل].

وجاء في بعض الروايات: أنها أم جميل زوجة أبي لهب.

قوله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾: هذا قسم منه تعالى بزمان الضحى وما جعل فيه من الضياء والنور، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي: سكن فأظلم وادلهم وهذا دليل على قدرة خالق هذا، وهذا كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل]. وقال: ﴿فَالِقُ

الإصباح وجعل أئيل سكتاً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز
العليم ﴿٩٦﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ ﴿٣﴾: أي
وما أبغضك، ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٤﴾ أي: وللدار الآخرة خير
لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهدهم الناس في الدنيا
وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم من سيرته، ولما خير ﷺ في
آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين لقاء ربه ﷻ،
اختار ما عند الله على هذه الدنيا الفانية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مويهبة رضي عنه: أن
النبي ﷺ قال: «يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خرائن الدنيا
والخلد فيها ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي ﷻ والجنة»،
قال: قلت: بأبي وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة! قال:
«لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل
البيع ثم انصرف، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله ﷻ
فيه حين أصبح (١).

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾، أي: في الدار
الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعدّه له من الكرامة، ومن جملته:
نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر.

(١) (٣٧٦/٢٥) برقم ١٥٩٩٧؛ وقال محققوه: إسناده ضعيف، لكن الحديث صحيح في
استغفاره لأهل البيع واختياره لقاء ربه.

روى ابن جرير في تفسيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٥)؛ فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم (١). قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف (٢)؛ ثم قال تعالى - يعدد نعمته على عبده ورسوله محمد ﷺ -: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ (٦)؛ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد ﷺ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب، وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه، بعد أن بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره هذا، وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدره وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل؛ فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، وكل هذا من حفظ الله له، وكلاءته وعنايته به (٣).

(١) (١٢/٦٢٤) برقم ٣٧٥١٣.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٣٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٣٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (٧)، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٤) [الشورى].

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٨)، أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر - صلوات الله وسلامه عليه -.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١)؛ وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَىٰ عَنِ النَّفْسِ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩)، أي: كما كنت يتيمًا فأواك الله، فلا تقهر اليتيم: أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠)، أي: كما كنت ضالًّا فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١)، أي: كما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٤.

(٢) ص ١٢٣٨ برقم ٦٤٤٦، وصحيح مسلم ص ٤٠٣ برقم ١٠٥١.

قال: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١)؛ وروى أبو داود في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٢٤ برقم ٤٨١١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٣) برقم ٤٠٢٦.
 (٢) ص ٥٢٤ برقم ٤٨١٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٤) برقم ٤٠٢٩.

الكلمة الحادية والأربعون

فضل الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: حب أصحاب رسول الله ﷺ، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ونحِبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»^(١).

فأهل السنة والجماعة يحبون أصحاب النبي ﷺ، ويفضلونهم على جميع الخلق بعد الأنبياء، لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله؛ وهم يثنون على الصحابة، ويتراضون عنهم، ويستغفرون لهم، وذلك للأمر التالية:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٨٩).

النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١).

ثانياً: هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، فمنهم تَلَقَّتِ الأُمَّةُ عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة: من الصدق والنصح والأخلاق والآداب، التي لا توجد عند غيرهم^(٢).

قال تعالى مُثْنِيًا عَلَيْهِم: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحَجِّرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١٠٠) [التوبة].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سُجَّدًا﴾^(٢٩) [الحجرات]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١٨) [الفتح].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣).

قالت عائشة رضي الله عنها - عندما قيل لها: إن ناسًا ينالون من أصحاب

(١) ص ٥٠٢ برقم ٢٦٥٢، وصحيح مسلم ص ١٠٢٣ برقم ٢٥٣٣.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٢/٢٤٨ - ٢٤٩).

(٣) ص ٧٠١ برقم ٣٦٧٣، وصحيح مسلم ص ١٠١٧ برقم ٢٥٤١.

رسول الله ﷺ، حتى أبا بكر وعمر - فقالت: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل، فأحبَّ الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.

وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ تُقَامْ أَحَدِهِمْ سَاعَةٌ، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (١)(٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته؛ ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه (٣).

وقال أيضاً مخاطباً أصحابه: أنتم أكثر صلاة وأكثر صياماً وأكثر جهاداً من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة (٤).

وقال الحسن البصري رحمته الله: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا أكياساً

(١) هو الإمام عبيد الله بن محمد الحنبلي: أبو عبد الله ابن بطه، صاحب كتاب الإبانة الكبرى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم (٢٠)، (١/٦٠ - ٦١) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٨٤) برقم ٣٦٠٠، والبغوي في شرح السنة (١/٢١٤) برقم (١٠٥). وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٥/١٤٥) برقم ١٠١٥٢، وقال محققه: إسناده صحيح.

عملوا صالحاً، وأكلوا طيباً، وقدموا فضلاً لم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يجزعوا من ذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاضمت في أنفسهم حسنة عملوها، ولا تصاغرت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها^(١).

قوله: ولا نفرط في حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان.

يقصد بذلك الرد على الروافض والنواصب: فإن الرافضة يكفرون أصحاب رسول الله ﷺ، ويعتقدون أنهم كفروا إلا ثلاثة منهم، بل يعتقدون أنه لا ولاء إلا لبراء: أي لا يتولّى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر؛ وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، والرافضة يغنون في علي ويرفعونه فوق منزلته، أما النواصب: فإنهم يسبون علياً، ويبغضون آل بيت رسول الله ﷺ^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين؟! بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى؛ وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا:

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٥/١٤٤) برقم ١٠١٤٩، وقال محققه: إسناده لا بأس به.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢.

أصحاب عيسى؛ وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة»^(١).

قوله: وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في الأنصار: «لا يُحِبُّهُمُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»^(٢).

قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل يتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق؛ وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن: أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا: ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة^(٣).

وقال يحيى بن معين في - تليد بن سليمان المحاربي الكوفي -: «كذاب، كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان، أو طلحة، أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ: دَجَّال، لا يُكْتَبُ عنه، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٤).

ولله دَرُّ القائل:

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢.

(٢) ص ٧٢٠ برقم ٣٧٨٣، وصحيح مسلم ص ٥٩ - ٦٠ برقم ٧٥.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٤٩، وانظر: الإصابة لابن حجر (١/١١).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٧/١٣٨)، وانظر: تهذيب التهذيب (١/٥٠٩).

لا تَرْكَنَنَّ إِلَى الرُّوَاغِضِ إِنَّهُمْ
لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ
شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانَ
وودادهم فرض على الإنسان
حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالقَرَابَةِ سُنَّةٌ
أَلْقَى بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي
أَحْذَرُ عِقَابَ اللَّهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ
حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهٗ قَلْبَانِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والأربعون

خطر الاختلاط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن البلايا العظيمة التي ابتليت بها الأمة في هذه الأيام: الاختلاط بين الرجال والنساء على أشكال وصور متعددة، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بجلب المصالح ودفع المفساد.

ولا شك أن الاختلاط باب شر ومفتاح فتن على الأمة، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة بمنعه.

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير: أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية: الصلاة في المسجد بشرطه^(١)؛ كما قال رسول الله ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلِيَخْرُجَنَّ وَهِنَّ تَفَلَاتٍ»^(٢)،^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١١/١٥٠).

(٢) أي غير متزيئات.

(٣) مسند الإمام أحمد (٨/٢٨١) برقم ٤٦٥٥، وقال محققوه: إسناده صحيح.

وفي رواية: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ»^(١)؛ وقال مجاهد: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ تَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الرَّجَالِ، فَذَلِكَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: «الْحَمُو الْمَوْتُ»^(٣)؛ والحمو: هو قريب الزوج، شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالموت: لخطورته وتساوله الناس فيه.

وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول على النساء، وممنوعين من الخلوة بهن بطريق الأولى، كما ثبت بأحاديث أخر، صار سؤالهن متاعاً لا يكون إلا من وراء حجاب، ومن دخل عليهن فقد خرق الحجاب^(٤).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وكان النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم، ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذراً من فتنته، بل كان النساء في مسجده صلى الله عليه وسلم يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وكان يقول: «خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أَوْلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلُهَا»^(٥)، حذراً من افتتان آخر صفوف الرجال

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٠ / ٩) برقم ٥٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١١ / ١٥١).

(٣) ص ١٠٣٥ برقم ٥٢٣٢، وصحيح مسلم ص ٨٩٦ برقم ٢١٧٢.

(٤) حراسة الفضيلة/ للشيخ بكر أبو زيد رحمته الله، ص ٦٣.

(٥) ص ١٨٦ برقم ٤٤٠.

بأول صفوف النساء، وكان الرجال في عهده عليه الصلاة والسلام يؤمرون بالترئُّث في الانصراف، حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد، لئلا يختلط بهن الرجال في أبواب المسجد، مع ما هم عليه جميعاً رجالاً ونساء من الإيمان والتقوى، فكيف بحال من بعدهم؟! وكان النبي ﷺ ينهاهن أن يمشين في وسط الطريق، ويؤمرن بلزوم حافات الطريق: حذرًا من الاحتكاك بالرجال، والفتنة بمماسة بعضهم بعضًا عند السير في الطريق^(١) اهـ.

بل إن النبي ﷺ كان يخصص للنساء بابًا يخرجن منه^(٢)؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ - ما خلاصته - : «ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء: في الأسواق والفرج ومجامع الرجال، فالإمام مسؤول عن ذلك، والفتنة به عظيمة.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ»^(٣)، وفي حديث آخر: «عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»^(٤). ويجب عليه أن يمنع النساء من الخروج متزيَّئات متجمَّلات، ومنعهنَّ من الثياب التي يكنَّ بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة الرقاق، ومنعهنَّ من حديث

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/١٠٥٥).

(٢) سنن أبي داود ص ٧٤ برقم ٤٦٢، من حديث ابن عمر، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود (١/٩٢) برقم ٤٣٩.

(٣) ص ١٠١٠ برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥ برقم ٢٧٤٠.

(٤) سنن أبي داود برقم (٥٢٧٢)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح الجامع الصغير» برقم (٩٢٩).

الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك. وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولا سيّما إذا خرجت متجمّلة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهنّ على الإثم والمعصية، واللّه سائل ولي الأمر عن ذلك، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهن في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء: سبب لكثرة الفواحش والزنا^(١).

وبناء على ما تقدم؛ فإن ما حصل من اختلاط بين الرجال والنساء، سواء كان في اجتماع أو ندوة أو حفل أو تصوير بين الرجال والنساء، أو غير ذلك من صور الاختلاط، ونشره في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية: أمر محرّم لا يجوز، بل يجب إنكاره؛ فإنه بوابة شر، ومفتاح فتن وتعرض لعقوبة اللّه تعالى وسخطه، وإذا نزلت العقوبة عمت الجميع، نسأل اللّه اللطف والعافية في الدنيا والآخرة.

ويجب على العلماء وطلبة العلم والدعاة: أن يبينوا للناس أمور دينهم، ولا يتركوهم حتى لا يلتبس الحق بالباطل، والمعروف بالمنكر. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

(١) الطرق الحكمية ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، ﴿١٨٧﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [البقرة]. وكتمان العلم إخفاؤه عندما يجب بيانه: إما جواباً لسؤال، أو لمقتضى الحال.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

ولذلك أوصي بالآتي:

أولاً: على من ولاه الله أمر المسلمين: أن يمنع الاختلاط بشتى صورته وأشكاله، حماية للأعراض، وقطعاً لدابر الشر، ونصرة للعبة والفضيلة.

ثانياً: على كل من ولاه الله أمر امرأة من الآباء والأزواج: أن يتقوا الله فيما ولوا من أمر النساء، وأن يعملوا الأسباب لحفظهن من التبرج والاختلاط، وليعلموا أن فساد النساء سببه تساهل الرجال.

ثالثاً: ننصح هؤلاء الكتاب الصحفيين الذين يمجدون الاختلاط والسفور ويستهنئون بالحجاب الشرعي: أن يتقوا الله ويحذروا من سخطه وعقابه، وألا يكونوا باب سوء على أهليهم وأمتهم، ومن

استمر في غيه وضلاله فعلى من ولاه الله أمر المسلمين أن يُحيله إلى المحاكم الشرعية، ليلقى جزاءه الرادع وفق شرع الله المطهر.

رابعاً: على كل مسلم الحذر من إشاعة الفاحشة ونشرها، وليعلم أن محبتها - كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَتَاوَى - لا تكون بالقول والفعل فقط، بل تكون بذلك وبالتحدث بها، وبالقلب والميل إليها، وبالسكوت عنها، فإن هذه المحبة تمكّن من انتشارها وتمكّن من الدفع في وجه من ينكرها من المؤمنين، فليثق الله امرؤ مسلم من محبة إشاعة الفاحشة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور].

قال الحافظ ابن رجب: «وقد روي عن الإمام أحمد أنه قيل له: إن عبدالوهاب الورّاق ينكر كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دام فينا من ينكر؛ ومن هذا الباب: قول عمر - لمن قال له: اتق الله يا امير المؤمنين - فقال: لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٤٣.

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ «حراسة الفضيلة» ص ١٤٩ - ١٥١.

الكلمة الثالثة والأربعون

قصة نبي الله يونس عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قص الله علينا في كتابه العزيز، قصص الأنبياء والمرسلين لناخذ منها الدروس والعبر، ولتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوية إيمان المؤمنين، وموعظة وذكرى للمؤمنين، وغير ذلك من الدروس والحكم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف]. وقال أيضاً: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود]. ومن هؤلاء الرسل: نبي الله يونس عليه السلام، وقد ذكر الله قصته في عدد من الآيات، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْرِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] فاستجبتنا له، ونجيتنا من الغمِّ وكذلك نُشجى المؤمنين [٨٨]. [الأنبياء].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصفوات].

ذكر أهل التفسير أن الله بعث يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله ﷻ فكذبوه، وأصروا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم فركب سفينة في البحر، فلجّت واضطربت وماجت بهم، وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون؛ فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به، فلما عادوها ثانية ف وقعت عليه أيضًا، فشمّر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة الثالثة ف وقعت عليه أيضًا لما يريده الله به من الأمر العظيم، وبعث الله ﷻ حوتًا عظيمًا من البحر فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحمًا ولا يهشم له عظمًا فليس له برزق، فأخذه فطاف به البحر، ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي فخر لله ساجدًا وقال: يا رب اتخذت لك مسجدًا، لم يعبدك أحد في مثله، فأمر الله الحوت فلقده في أرض خالية من كل أحد ومن الأشجار والظلال، وهو مريض بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ الممعوط

من البيضة؛ وأنبت الله عليه شجرة تظله بظلالها الظليل وهي باردة، ثم لطف به فأرسله إلى مئة ألف من الناس أو يزيدون، فدعاهم إلى الله فآمنوا، فصاروا في موازين أعماله، فمنعهم الله بأن صرف عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه.

من الدروس والعبر المستفادة من هذه القصة العظيمة:

أولاً: أن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

قال المفسرون: الظلمات ثلاث: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح]. قال الشاعر:

وَلرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذِرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثانياً: أن تقوى الله نجاة للعبد في الدنيا والآخرة ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ ﴿٧٢﴾ [مريم].

ثالثاً: استجابة الله لدعاء المؤمن؛ فإن يونس لما دعا ربه والتجأ إليه، كشف الله عنه هذه الغمة، قال تعالى: ﴿ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»^(١).

رابعاً: لطف الله تعالى بعبده؛ فإن يونس - لما قذفه الحوت على الشاطئ وهو مريض - أنبت الله له شجرة اليقطين، قال بعضهم: هي القرع ورقها في غاية النعومة وكثير وظليل، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نيئاً ومطبوخاً وبقشره وبزره أيضاً.

خامساً: قدرة الله تعالى المطلقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس]. وهو سبحانه الذي أمر الحوت أن لا يأكل له لحماً، ولا يهشم له عظماً.

سادساً: أن المؤمن قد يعاقب على ذنبه في الدنيا، قال تعالى:

(١) ص ٥٥٢ برقم ٣٥٠٥، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٥.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [١٢٣] ﴿[النساء]. وَقَالَ أَيضًا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ
مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [٣٠] ﴿[الشورى].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والأربعون

سيرة طلحة بن عبيد الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها: صحابي من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة بدر، فقد غاب عنها لعارض ما، فضرب له النبي ﷺ أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه؛ وكان من السابقين إلى الإسلام، فهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وأبلى في معركة أحد بلاء عظيمًا، حتى إن النبي ﷺ قال: «أَوْجَبَ» - يعني وجبت له الجنة -، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد يقول: هذا اليوم كله لفلان - يعني طلحة -؛ ولما قدم النبي ﷺ المدينة، آخى بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض.

إنه فارس الإسلام: طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، ويكنى أبا محمد، ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، لكرمه وجوده؛ وصفه ابنه موسى فقال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة،

مربوعاً إلى القصر هو أقرب، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين وقد لقي في بداية إسلامه أذى شديداً، فقد أخذه نوفل ابن خويلد هو وأبو بكر الصديق فشدّهما في جبل واحد، ولم يمنعهما بنو تميم، وكان يعذبهما تعذيباً شديداً، فلم يجيباه إلى ما أراد من الرجوع عن الإسلام إلى الكفر.

وكانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن أعظم تلك المواقف: ما بذله يوم أحد من دفاع عن النبي ﷺ، فقد تكاثر المشركون على النبي ﷺ، فكان يحميه بجسده عن النبال والسيوف أن تصيبه، حتى إنه جرح يوم أحد أربعاً وعشرون جراحةً، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح، وشلت أصابعه.

روى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء^(١)، وقى بها النبي ﷺ^(٢) وكان النبي ﷺ قد كسرت رباعيته^(٣)، وجرحت شفته، وسال الدم على وجهه، فجعل طلحة يكر على المشركين حتى يدفعهم عن النبي ﷺ، ثم ينقلب إلى النبي ﷺ ليرقى به إلى الجبل.

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير رضي الله عنه قال: «كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانٌ، فَنَهَضَ إِلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ (من الثقل والإعياء)، فَأَقْعَدَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى

(١) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٤.

(٢) شلاء أي مشلولة.

(٣) الرباعية: هي السنة التي بين الناب والثنية.

الصَّخْرَةَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» أي وجبت له الجنة^(١). وروى البخاري ومسلم من حديث أبي عثمان قال: «لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ - عَنْ حَدِيثِهِمَا -»^(٢).

ومن فضائله العظيمة: ما رواه الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث موسى بن طلحة قال: دخلتُ على معاوية فقال: ألا أبشرك؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»^(٤).

قال شراح الحديث: أي بذل نفسه في سبيل الله، حتى لم يبق بينه وبين الهلاك شيء، فهو كمن قتل وإن كان حيًّا.

وقد اشتهر رضي الله عنه بالكرم والإنفاق والبذل، لذلك: سمي طلحة الخير، وطلحة الفياض.

يقول قبيصة بن جابر رضي الله عنه: صحبت طلحة فما رأيت أعطى لجزيل مال منه من غير مسألة، وذكر الحافظ في الإصابة: «أن قتله

(١) ص ٥٨٣ برقم ٣٧٣٨، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٢.

(٣) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٣٩، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢١٦/٣) برقم ٢٩٤٠.

(٤) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٤٠، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢١٦/٣) برقم ٢٩٤٢.

كان على يد مروان بن الحكم في معركة الجمل»، روى يعقوب بن سفيان في كتابه «المعرفة والتاريخ» عن قيس بن أبي حازم: أن مروان ابن الحكم رأى طلحة، وقال: هذا ممن أعان على قتل عثمان، فرماه بسهم فأثبته في ركبته، فجعل الدم ينزف منه حتى مات^(١). قال الذهبي: نشهد الله على بغض قتلة الصحابة أمثال طلحة والزبير وعلي، ونبراً إلى الله من فعلهم، ونكل أمرهم إلى الله^(٢). اهـ.

ودخل عمران بن طلحة بعد معركة الجمل على علي بن أبي طالب فرحّب به وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك والزبير بن العوام ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّنْقَلَبِينَ﴾ [٤٧] [الحجر].

وكان قتله سنة ست وثلاثين من الهجرة في جمادى الآخرة، وله أربع وستون سنة.

رضي الله عن طلحة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



(١) الإصابة (٣/ ٢٩٢)، وقال ابن حجر: إسناده صحيح.
 (٢) تاريخ الإسلام ص ٦٥٤، عهد الخلفاء الراشدين بتصرف.

الكلمة الخامسة والأربعون

الخوف من الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجملها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ^(١)﴾ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ [الطور]. وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمته الله: الخوف على

أقسام:

(١) أي خائفين.

(٢) ص ٢٧٧ برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.

الأول: خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، قال تعالى عن قوم هود إنهم قالوا: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر].

وهذا الواقع من عبادة القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، فهذا محرّم؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران]. وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فكان فيما قال: «ألا لا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ: أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ» قال: فبَكَى أَبُو سَعِيدٍ، وَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهَبْنَا^(١).

الثالث: الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، وهذا لا يذم؛ قال تعالى عن نبيه موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [٢١] [القصص]. ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]. وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

(١) ص ٤٣١ برقم ٤٠٠٧، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٦٨) برقم ٣٢٣٧.

أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم؛ فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة، أعطاهم ما يرجون، وأمَّنهم من مخاوف الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر].

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم، لئلا يجاهدوهم ولا يأمرهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد، زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء]. وكلما ضعف إيمانه، قوي خوفه منهم. فدلَّت هذه الآية على أن إخلاص الخوف: من شروط كمال الإيمان^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف ما حجزك عن محارم الله^(٢)؛ قال ابن رجب الحنبلي: القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات،

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٢) مدارج السالكين (١/٥٥١).

والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾^(٦٠)؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(٢).

وقال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت؛ وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل الموت فإن الرجاء أفضل^(٣).

ويشهد لذلك: ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيَّ شَابًّا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَحْدُكُ؟» قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا

(١) التخويف من النار/ لابن رجب، ص ٢١.

(٢) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٧٩/٣) برقم ٢٥٣٧.

(٣) التخويف من النار/ لابن رجب، ص ١٦.

الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»^(١).

وقال عمر: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا هو.

وخرج عمر يوماً إلى السوق ومعه الجارود، فإذا امرأة عجوز فسلم عليها عمر فردت عليه، وقالت: هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سمعت عمر ثم قليل فسمعت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت، فبكى عمر، فقال الجارود: لقد أجتزأت على أمير المؤمنين وأبكيته، فأشار إليه عمر أن دعها، فلما فرغ قال: أما تعرف هذه؟ قال: لا. قال: هذه خولة ابنة حكيم التي سمع الله قولها، فعمر أخرى أن يسمع كلامها - أشار إلى قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) -.

وقال عمر رضي الله عنه لما طعن: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه^(٢)؛ وقال عمر بن عبد العزيز: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً

(١) ص ١٧٧ برقم ٩٨٣، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (١/٢٨٩) برقم ٧٨٥.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٥ رقم ٣٦٩٢.

في النار ولا يبالي؛ وقال يحيى بن معاذ الرازي: على قدر حبك لله
يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق؛ وقال الإمام
أحمد بن حنبل: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب، فلا
أشتهيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والأربعون

دروس وعبر من قوله تعالى:

﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١٩٦)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٦) [ص].

وعملاً بالآية الكريمة: لنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١٩٦) مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٨) [آل عمران].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب والملذات، وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً، ويُعَذَّبُونَ عليه طويلاً، وهذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه، أما المتقون لربهم المؤمنون

به: فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فلو قُدِّرَ أنهم في دار الدنيا قد حصل لهم كل بؤس وشقاء، لكان هذا - بالنسبة إلى النعيم المقيم والعيش السليم - : نزرًا سيرًا ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴾: الذين برت أقوالهم وأفعالهم فأثابهم البر الرحيم من بره أجرًا عظيمًا وعطاءً جسيمًا وفوزًا دائمًا. اهـ (١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: ألاَّ يَغْتَرَّ المؤمن بحال هؤلاء الكفار وما هم فيه من النعمة والغبطة والسرور، فهو متاع زائل يعقبه عذاب أبدي سرمدي، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [٦١] [القصص]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [٦٦] مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [٧٠]. [يونس].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ!

هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» (١).

ثانياً: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده، ليست دليلاً على محبته، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ سَارِعٌ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ؛ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] (٢).

ثالثاً: أن إمهال الله لهؤلاء الكفار وتتابع النعم والخيرات لهم، إنما هو زيادة لهم في عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

رابعاً: أن ما يعطيه الله للكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمْ طَبِيبَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالِقَوْمِ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف].

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٧.

(٢) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» (١).

وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم لما ألى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فراه متكئاً على رَمْلٍ حَصِيرٍ قَدْ أَثَرَ بِجَنْبِهِ، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس، وقال: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!» (٢).

خامساً: الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَيْثُ وَابَقَىٰ ﴾ [١٣١] طه. وقال تعالى: ﴿ وَرُحْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣٥] الزخرف].

سادساً: بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله؛ روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» (٣).

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٨.

(٢) جزء من حديث ص ٩٦٨ برقم ٤٩١٣، وصحيح مسلم ص ٥٩٥ برقم ١٤٧٩.

(٣) ص ٣٨٣ برقم ٢٣٢٠، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٩) برقم ١٨٨٩.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس عن جانيبه، فمر بجدي أسك - أي صغير الأذن - فقال: «أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قالوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسْكُ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ اللَّهُ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث مُسْتَوْرِدِ أَخِي بَنِي فَهْرٍ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟!»^(٢).

قال أبو العتاهية وهو يصف الدنيا :

إِذَا أَبَقَتِ الدُّنْيَا عَلَى المَرءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ
إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا بِلَاغِكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ المُسَافِرِ
وَإِنَّ امْرءًا يَبْتَاعُ دُنْيَا بَدِينِهِ لَمُنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرِ
أَلَمْ تَرَهَا تُرْقِيهِ حَتَّى إِذَا سَمَا فَرَتَ حَلْقَهُ مِنْهَا بِمُدِيَةٍ^(٣) جَازِرِ
وَلَا تَعْدِلُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَدَى اللَّهِ أَوْ مِعْشَارَ زَغْبَةٍ^(٤) طَائِرِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ١١٨٧ برقم ٢٩٥٦.

(٢) ص ١١٤٦ برقم ٢٨٥٨.

(٣) المُدِيَةُ: السكين.

(٤) زغبة طائر: الزغب صغار الريش، الواحدة زغبة، المعجم الوسيط ص ٣٩٤.

الكلمة السابعة والأربعون

أمراض القلوب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإنه ينبغي للمؤمن أن يعتني بسلامة قلبه وصحته من الأمراض، فإن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان، وهذا القلب هو محل نظر الله ﷻ لعبده، والجوارح تبع لصلاح القلب وفساده.

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِ قُلُوبَهُمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۗ ﴾ [النور]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١).

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٢).

(١) ص ١٠٣٥ برقم ٢٥٦٤.

(٢) ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩، وصحيح البخاري ص ٣٤ برقم ٥٢.

فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتباعه للشبهات بحسب صلاح قلبه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والشبهات بحسب اتباع هوى القلب؛ ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره يتابعونه في كل شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحه، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا»^(١). فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله وخشية ما يباعد منه^(٢).

والقلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قلب سليم، وقلب ميت، وقلب

مريض.

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٣٨/٢٨) برقم ١٧١١٤، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه.

(٢) جامع العلوم والحكم / لابن رجب، ص ٩٤ - ٩٥.

فالقلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو الذي سلم من الشرك والغل، والحقد والحسد، والشح والكبر، وحب الدنيا والرياسة، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، ومن كل شبهة تعارض خبره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله» (١).

القلب الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبد به وأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، وهذا هو قلب الكافر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف].

القلب الثالث: قلب له حياة وبه علة، فله مادتان تمده: هذه مرة وتمده هذه مرة أخرى، وهو لما غلبه عليه: وهو قلب المنافق وصاحب الهوى، قال تعالى عن الأصناف التالية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا

بِهِ فَتَخِيتَ لَهُ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الحج].

ومن علامات مرض القلوب: إيثار الدنيا على الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

ومنها: القلق والخوف، قال تعالى: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا ارْغَبُوا أَلْزَمُوا بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران].

ومنها: هوان القبائح عليه والرغبة في المعاصي، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [٢٤] وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [٢٥] [البقرة]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢٣] [الجاثية].

ومنها: الشعور بقسوة القلب. قال بعض السلف: ما ضرب الله عبداً بعقوبة، أعظم من قسوة القلب، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قَسْوَةٌ ﴿٧٤﴾ [البقرة]. وعلاج هذه الأمراض - أعني أمراض القلوب - :
 التوبة الصادقة والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، ففيهما الشفاء
 والنور؛ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
 دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ
 مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾
 [يونس].

وهذه القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، فينبغي للمؤمن أن يسأل
 ربه أن يثبتته على الإيمان والطاعة.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة رضي الله عنها:
 تحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكثر في دعائه أن يقول: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ
 الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالت: قلت يا رسول الله، أو إن
 القلوب لتتقلب؟! قال: «نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقٍ لِلَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا
 أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ، وَإِنْ
 شَاءَ اللَّهُ أَزَاغَهُ، فَسَأَلَ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسَأَلُهُ
 أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢٠١/٤٤) برقم ٢٦٥٧٦، وقال محققوه: بعضه صحيح بشواهده.

الكلمة الثامنة والأربعون

العشرة الزوجية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأمور التي اهتم بها الإسلام: أمر الأسرة داخل البيت وخارجه، ونظراً لأن أساس الأسرة الزوج والزوجة، فقد شرع لهما شرائع وحد لهما حدوداً وأوجب عليهما أموراً متى ما قام بها الزوجان صلحت الأسرة وسعدت، ومن ثم صلح المجتمع كله، وأشير هنا إلى بعض المعالم التي يهتدي بها الزوجان لإقامة الحياة الزوجية وإصلاحها.

فمن ذلك أن الله ﷻ خلق المرأة من الرجل ليناسبها فيسكن إليها وتم بذلك النعمة ويحصل بذلك السرور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

قال ابن كثير: «وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فراها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٣٣).

«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ» (١) ... الحديث.

ومن ذلك أن الله ﷻ جعل المرأة سكناً للرجل، قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ فكما أن الإنسان يتخذ المسكن ليستتر به ويتقي به الحر والبرد وغير ذلك، فإن الزوجة تكون سكناً لزوجها ليطمئن إليها ويجد في قربها الأُنس والراحة.

ومن ذلك أن الزوجين ستر لبعضهما ووقاية وجمال، وقد عبر عن ذلك ربنا ﷻ بهذا التعبير البليغ الجميل فقال: ﴿ هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لِهِنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن ذلك إكرام المرأة وعدم إهانتها أو تحقيرها، وقد أمر الله ﷻ أن يسكنها حيث يسكن وأن يطعمها مما يطعم ويكسوها إذا اكتسى، قال الله تعالى: ﴿ اسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق: ٦]، وقال النبي ﷺ عندما سأله معاوية بن حيدة ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اِكْتَسَيْتَ - أَوْ: اِكْتَسَبْتَ - وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» (٢).

ومن ذلك المودة والرحمة بينهما، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(١) ص ٦٣٥ برقم ٣٣٣١، صحيح مسلم ص ٥٨٦ برقم ١٤٦٨.

(٢) سنن أبي داود ص ٢٤٣ برقم ٢١٤٢، قال أبو داود: ولا تقبح: أن تقول قَبْحِكِ اللَّهُ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٢/٢) برقم ١٨٧٥.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم].

قال أبو الأسود الدؤلي :

خُذِي الْعَفْوَ مِني تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَعْضِبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ومن المعالم التي يُهتدى بها في إصلاح الحياة الزوجية أن ما بينهما من حقوق وما يلزمهما من واجبات كل ذلك مبني على ما تعارف عليه الناس من كرائم الأخلاق وجميل الصفات حسب ما جرى به العرف في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال النبي ﷺ لهند بنت عتبة: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ»^(١)، وقد نص تعالى على أن للمرأة حقوقاً لزوجها وأن لها مثل الذي عليها مع اختصاص الرجل بالدرجة دونها، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد بين تعالى هذه الدرجة في آية أخرى فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، ومع أن هذه الحقوق والواجبات مبنية على ما جرت به عادات الناس الكريمة كما سبق بيانه فإن النصوص الشرعية قد نصت على أمور يجب التنبه لها وعدم الغفلة عنها، فمن ذلك:

أولاً: أن على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية الله، قال

(١) صحيح البخاري ص ١٠٦٢ برقم ٥٣٦٤، وصحيح مسلم ص ٧١٢ برقم ١٧١٤ .

تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِن أَطَعْنَكُمْ فَلَا بُغْوَ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»^(١)، وفي رواية: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا كُلَّهُ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا عَلَيْهَا كُلَّهُ، حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده أن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(٤).

ثانياً: التحبب والتودد إليه ، وتفقد حاجاته وخدمته في بيته

(١) ص ٦٢١ برقم ٣٢٣٧، وصحيح مسلم ص ٥٧٠ برقم ١٤٣٦.

(٢) صحيح مسلم ص ٥٧٠ برقم ١٤٣٦.

(٣) (١٤٥/٣٢) برقم ١٩٤٠٣، وقال محققوه: حديث جيد.

(٤) (١٩٩/٣) برقم ١٦٦١، وقال محققوه: حسن لغيره.

وتربية أولاده، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (١).

وقد وصفت المرأة الصالحة في حديث آخر رواه النسائي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَرَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (٣).

قال النووي رحمته الله: وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور، فلا يفوته بتطوع، ولا بواجب على التراخي (٤).

وقد ضربت أم المؤمنين عائشة رضيها الله أروع الأمثلة في ذلك عندما كانت تتأخر بقضاء الصيام من شهر رمضان حتى يأتي شهر شعبان، وقد عللت ذلك بقولها: أنشغل من رسول الله ﷺ أو برسول الله ﷺ (٥).

-
- (١) ص ٥٨٥ برقم ١٤٦٧.
 (٢) ص ٣٤٢ برقم ٣٢٣١، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في مشكاة المصابيح (٩٧٦/٢) برقم ٣٢٧٢.
 (٣) ص ١٠٢٩ برقم ٥١٩٥، وصحيح مسلم ص ٣٩٥-٣٩٦ برقم ١٠٢٦.
 (٤) شرح صحيح مسلم (١١٥/٣).
 (٥) صحيح البخاري ص ٣٧٠ برقم ١٩٥٠، وصحيح مسلم ص ٤٤٢ برقم ١١٤٦.

ثالثاً: حفظها نفسها والابتعاد عن كل ما يدخل الشكوك عليه، روى الترمذي في سننه من حديث عمرو بن الأحوص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ»^(١).

رابعاً: عدم الخروج إلا بإذنه حتى لو كان ذلك إلى المسجد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَذْنُوا لَهُنَّ»^(٢).

نقل ابن حجر عن النووي قوله: استدل به على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجه الأمر إلى الأزواج بالإذن، وتعقبه ابن دقيق العيد بأنه إن أخذ من المفهوم فهو مفهوم لقب وهو ضعيف لكن يتقوى بأن يقال: إن منع الرجال نساءهم أمر مقرر، وإنما علق الحكم بالمساجد لبيان محل الجواز فيبقى ما عداه على المنع، وفيه إشارة إلى أن الإذن المذكور لغير الوجوب لأنه لو كان واجباً لانتفى صفة الاستئذان لأن ذلك إنما يتحقق إذا كان المستأذن مخيراً في الإجابة أو الرد^(٣) اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عند شرحه حديث: «اسْتَوْصُوا

(١) ص ٢٠٧ برقم ١١٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) ص ١٧٥ برقم ٨٦٥، وصحيح مسلم ص ١٨٧ - ١٨٨ برقم ٤٤٢.

(٣) فتح الباري (٢/٣٤٧ - ٣٤٨).

بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»^(١). فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة^(٢).

كما أن على الزوج مع ما سبق ذكره التنبه لهذه الأمور التالية:

١- إيفائها مهرها الذي استحل به فرجها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

٢- الإنفاق عليها بطيب قلب وسخاء نفس، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال النبي ﷺ لسعد رضي الله عنه: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرْتَ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»^(٣).

٣- ترك مضاررتها وعدم إهانتها بقول أو فعل، قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

٤- إكرامها والثناء عليها فيما تقوم به من خدمة وتربية وغيرها، والتجاوز عن هفواتها، قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٤).

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي ص ٢٠٧ برقم ١١٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ومعنى قوله: (عوان عندكم) يعني: أسرى في أيديكم.

(٢) الفتاوى (٢٦٣/٣٢).

(٣) صحيح البخاري ص ١١٣ برقم ٥٦٦٨؛ وصحيح مسلم ص ٦٦٧ - ٦٦٨ برقم ١٦٢٨ واللفظ له.

(٤) سنن الترمذي ص ٦٠١ برقم ٣٨٩٥، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في آداب الزفاف ص ٢٦٩.

قال الشاعر يمدح امرأة :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
فَمَا التَّانِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَيْلِ

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(١).

٥- إيعانتها على دينها وحثها على الخير وتعليمها ما ينفعها، فعلى سبيل المثال لا يدخل عليها شيء من آلات الطرب والأجهزة الإعلامية التي تبث الفساد وتنشر الرذيلة، وتهدم الأخلاق الفاضلة، وأن يتعاهدها بالحجاب، ويأمرها بأداء الصلاة في أوقاتها وسائر العبادات الأخرى ويعلمها الأخلاق الكريمة والآداب الإسلامية وغيرها من الأمور الشرعية، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا^(٥٥) [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم الخير، والحقوق والواجبات بين الزوجين كثيرة جداً، منها الواجب ومنها المستحب وما بين ذلك إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه في ختام هذه الكلمة أن على الزوجين أن يلتزم كل واحد منهما بالقيام

بما فرض الله عليه من الواجبات والحقوق تجاه الآخر، فلا تطلب الزوجة مثلاً أن تُساوي الرجل في جميع حقوقه، ولا يستغل الرجل ما فضله الله تعالى به عليها من السيادة والرياسة فيظلمها ويضربها بدون حق، قال تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) [البقرة: ٢٢٨].

قال شريح القاضي :

رَأَيْتُ رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَسُلِّتَ يَمِينِي حِينَ أَضْرِبُ زَيْنَبَ
أَضْرِبُهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ فَمَا الْعَدْلُ مِنِّي ضَرْبٌ مِنْ لَيْسَ مُذْنَبًا
وَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ كَوْكَبًا

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: آداب الزفاف للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٦٩ .

الكلمة التاسعة والأربعون

أضرار المخدرات والمسكرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

في هذه الآية الكريمة يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة ويخبر أنها من عمل الشيطان وأنها رجس والخمر كل ما خامر العقل أي غطاه بسكره.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: فدعي عمر فقرأت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: «أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانٌ»، فدعي عمر فقرأت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرأت عليه، فلما بلغ

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (١) قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا (١).

ولا شك أن الجميع يعرف أن الخمر وجميع المخدرات والمسكرات حرام ولكني انطلق في الكلام عن هذا الموضوع لحديث وجدته عن النبي ﷺ يقول فيه فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري (رضي الله عنه): «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَّ» (٢) وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ» (٣).

فقوله: يستحلون تشير إلى أنه سيأتي أقوام لا يبالون بما حرم الله عليهم بل يتخذونه حلالاً كحل الطيبات. ومما جاء في الوعيد الشديد لمن شرب الخمر ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر (رضي الله عنه): «أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ - وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذَّرَّةِ يُقَالُ لَهُ: الْمَزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ

(١) (١/٤٤٣) برقم ٣٧٨ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) أي الزنا.

(٣) ص ١١٠١ برقم ٥٥٩٠.

(٤) ص ٨٣١ برقم ٢٠٠٣.

يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)،
وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُ، وَالذَّيْوُثُ
الَّذِي يُقَرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبْثُ»^(٢).

وشارب الخمر ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم روى أبو داود في
سننه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ: وَشَارِبَهَا
وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ
إِلَيْهِ»^(٣).

والخمر أم الخبائث، ومفتاح كل شر وفساد، ويلحق بالخمر
جميع أنواع المخدرات من الحشيش والكوكايين، والأفيون،
والهروين، وكذلك الحبوب التي دمرت كثيراً من شباب المسلمين
اليوم يدسها الأعداء لإضعاف قوة المسلمين، وإبعادهم عن دينهم،
مع أن هذه الحبوب حتى عند المجتمعات الكافرة ممنوعة ومتعاطيها
إن استمر عليها فلا بد أن يصيبه الجنون وهذا مشاهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن الحشيشة حرام يحد
متناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة
أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير
ذلك من الفساد، وقال في موضع آخر: هذه الحشيشة الملعونة هي

(١) ص ٥٤ برقم ٥٧ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٤٦٧ برقم ٢٤٧٥.

(٢) (١٠/٢٦٥) برقم ٦١١٣ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) ص ٤٠٦ برقم ٣٦٧٤.

وآكلوها ومستحلوها موجبة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين، المعرضة صاحبها لعقوبة الله، تشمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه تفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين، وتورث مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك، ما لا تورث الخمر ففيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولى، وقد أجمع المسلمون على أن المسكر منها حرام، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل مرتداً لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وأن القليل منها حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر»^(١) ١ هـ .

قال الشاعر:

قُلْ لِمَنْ يَأْكُلُ الْحَشِيشَةَ جَهْلًا عِشْتَ فِي أَكْلِهَا بِأَفْبَحِ عِيشَةٍ
قِيَمَةُ الْمَرْءِ جَوْهَرٌ فَلِمَاذَا يَا أَخَا الْجَهْلِ بَعْتَهُ بِحَشِيشَةٍ

وقال قيس بن عاصم المنقري:

رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً وَفِيهَا خِصَالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْحَلِيمًا
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا صَحِيحًا وَلَا أَسْقِي بِهَا أَبَدًا سَقِيمًا
وَلَا أُعْطِي بِهَا ثَمَنًا حَيَاتِي وَلَا أَدْعُو لَهَا أَبَدًا نَدِيمًا
فَإِنَّ الْخَمْرَ تَفْضُحُ شَارِبِيهَا وَتَجْنِيهِمْ بِهَا الْأَمْرَ الْعَظِيمًا

أما الأضرار والمآسي والقصص المحزنة التي حدثت بسبب المخدرات والمسكرات فهي معروفة لدى الجميع، بل إن النبي ﷺ

(١) الفتاوى (٢١٣/٣٤) بتصرف.

حرم التداوي بالخمير وما شابهها من المخدرات والمسكرات لأن الله تعالى لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا. روى مسلم في صحيحه من حديث طارق بن سويد: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ؟ فَهَأُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ»^(١).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً وهو يحتضر، فجعل يلقن الشهادتين، فيأبى ويقول: هو كافر بها، قال: فسالت عنه فإذا هو مدمن خمر.

وأختم بالتذكير بعظم الأمانة والمسؤولية الملقاة على الآباء والمسؤولين فإن هذه الفتنة قد كثرت وانتشرت حتى في بلاد المسلمين واضطرت الحكومات والدول أن تنشئ لها المصحات والمستشفيات.

وقد تبين أن من أعظم أسباب الوقوع فيها إهمال أولياء الأمور من الآباء والأمهات مراقبة الأولاد وضعف التربية وترك المجال لهم لمصاحبة رفقاء السوء، ودعاة الرذيلة، فليحذر من ذلك وليؤخذ بأسباب النجاة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخمسون

دروس وعبر من قصة استشهاد الخليفة عمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وهو يقول: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أُصيب، وكان إذا مر بين الصفيين قال: استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعه يقول: قتلني، أو أكلني الكلب. حين طعنه فطار العُلاج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرئُساً، فلما ظن العُلاج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فممن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من

قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال: إن شئت فعلتُ، أي: إن شئت قتلنا قال: كذبت بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم.

فاحتُمِل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتِي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتِي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببُشرى الله لك، من صُحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلمَّا أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردّوا عليّ الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنّه أبقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستّة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها

قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسِي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادخلوني، وإن ردّتي ردّوني إلى مقابر المسلمين^(١).

أولاً: رحمته ﷺ بالأمة وشفقته عليها القريب منهم والبعيد وها هو ﷺ يريد أن يرتب أموراً يستغني بها الضعفاء كالنساء اللاتي لا يستطعن إيصال حوائجهن إليه، ويكفون بها عن الاحتياج إلى غيره. ثانياً: حرص عمر أن يكون قاتله على غير الإسلام، وهذا من رحمته خوفاً أن يقتله مسلم فيهلك، فلما كان قاتله غير مسلم فرح بذلك وحمد الله.

روى البخاري في صحيحه أن عمر كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»^(٢). وجاء في رواية أخرى أن كعب الأحبار قال: يا أمير المؤمنين إنني أراك تقتل في التوراة شهيداً في جزيرة العرب فقال له: «يا كعب وأنى لي الشهادة في جزيرة العرب»^(٣).

(١) ص ٧٠٧ برقم ٣٧٠٠.

(٢) ص ٣٥٩ برقم ١٨٩٠.

(٣) ذكره ابن الجوزي في مناقب عمر ص ٢١٢.

ثالثاً: فضل عمر وكرامته على الله حيث استجاب الله دعاءه ورزقه الشهادة في المدينة مع أنه لا يخطر على البال أن يكون شهيداً لأنها دار الإسلام وليست بدار حرب.

رابعاً: شدة ورعه وخوفه من الله فمع ثناء الناس عليه وعلمه بما قدم في الإسلام إلا أنه لم يغتر بذلك وتمنى أن ذلك كفافاً لا له ولا عليه بل إنه قال: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه^(١).

خامساً: حرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمع أنه في سكرات الموت إلا أن ذلك لم يثنه عن النصيحة فإنه لما دخل عليه الشاب المسبل إزاره وأثنى عليه قال له: يا ابن أخي ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك.

سادساً: زهد عمر وعزوفه عن الدنيا، فمع أنه أمير المؤمنين إلا أنه فارق الحياة وهو مثقل بالدين يوصي بقضائه.

سابعاً: تواضع عمر فعندما أرسل ابنه عبد الله إلى عائشة لم يقل: أمير المؤمنين وإنما قال: يقرأ عليك عمر السلام.

ثامناً: اهتمامه بالصلاة وإتقانها فمع أنه في سكرات الموت إلا أنه قدم عبد الرحمن بن عوف ليتم الصلاة بالمسلمين.

تاسعاً: اهتمامه بتسوية الصفوف في الصلاة، وهذه سنة ينبغي على أئمة المساجد أن يحرصوا عليها.

(١) صحيح البخاري: ص ٧٠٥ برقم ٣٦٩٢.

عاشراً: حرصه على تطبيق السنة في إطالة القراءة في صلاة الفجر فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في الفجر بطوال المفصل.

الحادي عشر: حرصه على قضاء دينه ووصيته بذلك فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدُّرَرُ الْمُنْقَاةُ

مِنْ

الكَلِمَاتِ الْمُبْقَاةِ

فُرُوسِ يَوْمِيَّةِ

(١٠٠) دَرَسِ لِلشُّعَاةِ وَالخُطَبَاءِ وَأُمَّةِ الْمَسَاجِدِ لِلقِرَاةِ عَلَى الْمَصَلِّينِ

إِعْدَادُ

و. أَمِينُ بَرِّ عَبْدِ اللَّهِ الشَّقَاوِي

مَجْمَعَةُ التَّحْقِيقِ

الكلمة الواحدة والخمسون

القتل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فإن من أعظم الذنوب عند الله وأشدّها جرماً في الدنيا والآخرة بعد الشرك بالله القتل.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ ﴾ [الفرقان]. وقد جعل سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار وغضب الجبار، ولعنته، وإعداد العذاب العظيم له، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۖ ﴾ [النساء]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ»، أَوْ قَالَ: «وَشَهَادَةُ الزُّورِ»^(١).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حال المؤمن بخير ما لم يصب دماً حراماً،

(١) ص ١٣١٠ برقم ٦٨٧١، ومسلم ص ٦٣ برقم ٨٨ بدون قوله: «أكبر الكبائر».

فروى البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»^(١). والدماء هي أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؛ روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»^(٢). وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ: - وَذَكَرَ مِنْهَا -: وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^(٣). وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٤).

والمعاهد من له عهد مع المسلمين سواء أكان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان مسلم.

قال ابن القيم: هذه عقوبة قاتل عدو الله إذا كان معاهداً في عهد وأمان فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن، وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً وعطشاً فرأها النبي ﷺ في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها، فكيف عقوبة من حبس مؤمناً حتى مات بغير جرم؟! وفي سنن النسائي من حديث عبد الله

(١) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٢.

(٢) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٤ وصحيح مسلم ص ٦٩٥ برقم ١٦٧٨.

(٣) ص ١٣٠٨ برقم ٦٨٥٧ وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٤) ص ١٣١٨ برقم ٦٩١٤.

ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (١)(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بِغَيْرِ حِلِّهِ» (٣).

وقد كثرت حوادث القتل في وقتنا المعاصر وللأسف، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك غاية التحذير؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٥).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن القتل من علامات الساعة؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ (٦).

(١) ص ٤٢١ برقم ٣٩٨٧، صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/٨٣٩) برقم ٣٧٢٢.

(٢) الجواب الكافي ص ١٠٤.

(٣) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٣.

(٤) ص ٣٠ برقم ٣٢، وصحيح مسلم ص ١١٥٧ برقم ٢٨٨٨.

(٥) قطعة من حديث ص ٣٣١ برقم ١٧٣٩، وصحيح مسلم ص ٦٩٥ برقم ١٦٧٩.

(٦) ص ٨٣ برقم ٨٥، وصحيح مسلم ص ١٠٧١ برقم ٢٦٧٢.

ولعل من أسباب القتل الذي كثر كما تقدم :

المشاجرة والخصام التي تحدث بين الطرفين، وتؤدي في النهاية إلى القتل، والشيطان يوجب ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٢).
ومنها الرغبة في الحصول على المال بأي طريقة كانت، فكم من حوادث قتل واختطاف واقتحام لبيوت المسلمين كل ذلك من أجل المال.

روى الترمذي في سننه من حديث عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٣).

ومنها استعمال الخمر والمخدرات فكم من أعراض قد انتهكت، وكم من دماء قد سفكت، وكم من أرحام قد قطعت بسببها،

(١) ص ١١٣١ برقم ٢٨١٢.

(٢) ص ٥٧ برقم ٦٤، وصحيح مسلم ص ٥٧ برقم ٦٤.

(٣) ص ٣٨٥ برقم ٢٣٣٦.

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [المائدة].

ومنها قلة الخوف من الله، فإن تقوى الله تبعث على فعل الطاعات وترك المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة، فكيف بالقتل؟! وهو من أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ [الأنعام]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» وذكر منها: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» ^(١).

ومنها اعتناق الأفكار الضالة التي تسوغ له الإقدام على قتل أخيه المسلم واستحلال دمه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١].

والأسباب كثيرة لمن أراد التبع والتقصي في ذلك.

وليعلم المؤمن أن القتل من أعظم الظلم عند الله، ولن يفلت القاتل من عقوبة الله تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ﴿٣٣﴾ [الإسراء]. قال ابن كثير: أي إن الولي منصور على القاتل شرعاً، وغالباً قدرأ ^(٢). اهـ.

(١) ص ١٣٠٨ برقم ٦٨٧٥، وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٩).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيئُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْحَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ؛ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٨٢ برقم ٣٠٢٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٤٠/٣) برقم ٢٤٢٥.

الكلمة الثانية والخمسون

شرح اسم الله الرزاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم: الرزاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥٨) [الذاريات]. وقال تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١١٤) [المائدة].

قال الخطابي: الرزاق هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيل له ولا مكتسب فيه كما يسوق إلى الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَمِّنُ عَلَى دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]^(٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦.

(٢) شأن الدعاء ص ٥٤.

عَلَى اللَّهِ رِزْقَهَا ﴿٦﴾ [هود: ٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ورزقه لعباده نوعان:

الأول: رزق عام شمل البر والفاجر والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان.

ثانياً: رزق خاص: وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته^(١).

وهذا أعظم رزق يمن الله به على العبد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ...» الحديث^(٢).

فإذا رزق الله العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه فقد تمت أموره واستقامت أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحته النصوص النبوية^(٣). اهـ.

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٣٠٢/٥).

(٢) البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٥، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الأدب المفرد

٢٠٩: صحيح موقوف في حكم المرفوع.

(٣) المجموعة الكاملة للشيخ السعدي (٣٨٨/٣).

ولذلك روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن المتفرد بالرزق هو الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١].

أي أمن هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك ربكم رزقه الذي يرزقكم.

وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

ثانياً: أنه ينبغي للعبد أن يعلق رجاءه بالله وحده وأن الله إذا قدر له سبباً من أسباب الرزق أن يحمده على ذلك ويسأله أن يبارك له فيه، فإذا انقطع أو تعذر ذلك السبب فلا يتشوش قلبه فإن هذا السبب لا يتوقف رزق العبد عليه بل يفتح له سبباً غيره وأحسن منه

(١) ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٤.

(٢) ص ١٢١٨ برقم ٦٣٣٠، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ برقم ٥٩٣.

وأنفع، وربما فتح له عدة أسباب، فعليه في أحواله كلها أن يجعل فضل ربه، والطمع في بره نصب عينيه وقبلة قلبه ويكثر من الدعاء المقرون بالرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) [آل عمران] (١).

وعليه أن يفرغ خاطره لله بما أمر به ولا يشغله بما ضمن له فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا تأمل العاقل اللبيب حال الناس في هذا الزمان تراهم يهتمون بما ضمنه الله لهم ولا يهتمون بما أمرهم به، ويفرحون بالدنيا ويحزنون على فوات حظهم منها ولا يحزنون على فوات الجنة وما فيها ولا يفرحون بالإيمان فرحهم بالدرهم والدينار» (٣). اهـ.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذَهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً
وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْغَوَامِقُ
وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

وقال آخر:

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥١.

(٢) فوائد الفوائد ص ٨٢.

(٣) الفوائد ص ٢٢٨.

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُنَالُ بِفِطْنَةٍ وَفَضْلٍ وَعَقْلٍ نِلْتُ أَعْلَى المَرَاتِبِ
وَلَكِنَّمَا الأَرْزَاقُ حِطٌّ وَقِسْمَةٌ بِفَضْلِ مَلِيكَ لا بِحِيلَةٍ طَالِبِ

ثالثاً: أن الله سبحانه متحكم في أرزاق عبادة فيجعل من يشاء غنياً كثير الرزق، ويقتصر على آخرين وله في ذلك حكم بالغة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ [الإسراء: ٣٠]. قال ابن كثير: «أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً والفقر عقوبة عياداً بالله من هذا وهذا» (١). اهـ.

وإن من العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنى فإن أصابه الفقر فسد حاله ومنهم العكس.

رابعاً: كثرة الرزق في الدنيا لا تدل على محبة الله تعالى ولكن الكفار بجهلهم ظنوا ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥]. فظن هؤلاء الكفار أن كثرة الأموال والأولاد دليل على محبة الله لهم فرد الله ذلك بقوله: ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُؤْتُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ سُرْعَةٌ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٦]. [المؤمنون].

خامساً: أن أسباب الرزق إنما تنال بطاعة الله، فبعض الناس يتعامل بالربا أو بأكل أموال الناس بالباطل، أو الغش أو التحايل

(١) تفسير ابن كثير (٨/٤٧٩).

أو يتعامل بطرق محرمة أو مشبوهة، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. روى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

سادساً: أن من أعظم أسباب الرزق التوكل على الله روى الترمذي في سننه عن عمر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرْوِحُ بِطَانًا»^(٢).

قال ابن رجب: «فقد دل هذا الحديث على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فكذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب ويجهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق إلى الطير أرزاقها»^(٣) بمجرد الغدو والرواح وهو نوع

(١) حليه الأولياء (١٠/٢٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٤٢٠) برقم ٢٠٨٥.

(٢) سنن الترمذي ص ٣٨٦ برقم ٢٣٤٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٢/١١١١) برقم ٦٥١٦.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

من الطلب ولكنه سعي يسير^(١). اهـ.
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: الأسماء الحسنى والصفات العلى، لأخينا الشيخ عبد الهادي بن حسن وهبي،
ص ٥٢ - ٦٠.

الكلمة الثالثة والخمسون

ما ينتفع به الميت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس]. قال سعيد بن جبير: «ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فإن كانت خيراً فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئاً»^(١). روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

فتبين من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الميت ينتفع من عمل غيره بأمور.

أولاً: دعاء المسلم له لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر].

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٤٨).

(٢) ص ٦٧٠ برقم ١٦٣١.

روى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكَ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»^(١).

وهذا يشمل دعاء المسلم لأخيه الغائب حياً أو ميتاً.

ثانياً: قضاء ولي الميت الصوم عنه وفيه أحاديث:

منها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ فَنَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا فَنَجَّاهَا اللَّهُ فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ فَجَاءَتْ ابْنَتُهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا»^(٣).

فهذه الأحاديث صريحة الدلالة في مشروعية صيام الولي عن الميت صوم النذر وقد اتفق العلماء على ذلك واختلفوا فيما سواه.

ثالثاً: قضاء الدين عنه من أي شخص ولياً كان أو غيره.

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر بن عبد الله قال: مات رجل فغسلناه وكفناه وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث

(١) ص ١٠٩٤ برقم ٢٧٣٣.

(٢) ص ٣٧٠ برقم ١٩٥٢، وصحيح مسلم ص ٤٤٢ برقم ١١٤٧.

(٣) ص ٣٧٢ برقم ٣٣٠٨، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٣٥) برقم ٢٨٢٩.

توضع الجنائز عند مقام جبريل ثم أذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه فجاء معنا خطي ثم قال: «لَعَلَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ دَيْنًا» قالوا: نعم ديناران، فتخلف وقال: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»، فقال له رجل منا يقال له: أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هُمَا عَلَيْكَ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ» فقال: نعم، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبو قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، فقال: «الآن حِينَ بَرَّدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ»^(١) أي بسبب رفع العذاب عنه بعد وفاته.

فأفاد هذا الحديث أن الميت ينتفع بقضاء الدين عنه ولو كان من غير ولده، وأن القضاء يرفع العذاب عنه فهي من جملة المخصصات لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] (٢).

رابعاً: ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة فإن لوالديه مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعيهما وكسبهما والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم].

روى أحمد في مسنده من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»^(٣).

(١) مستدرک الحاکم (٢/ ٣٧٠) برقم ٢٣٩٣، ومسند الإمام أحمد (٤٠٦/٢٢). وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) أحكام الجنائز للألباني ص ٢٨.

(٣) (٣٤/٤٠) برقم ٢٤٠٣٢ وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: ويؤيد ما دلت عليه الآية والحديث أحاديث خاصة وردت في انتفاع الميت بعمل ولده الصالح: كالصدقة والصيام والعتق والحج ونحوه^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأَظْنُهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٢).

وفي رواية: فلي أجرٌ أن أتصدق عنها؟ قال: «نعم»^(٣).

خامساً: ما خلفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية لقوله تعالى: ﴿وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ...»^(٤).

ولقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشْرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُضْحَفًا وَرَثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»^(٥).

(١) أحكام الجنائز ص ٢١٧.

(٢) ص ٢٧٠ برقم ١٣٨٨، وصحيح مسلم ص ٣٨٨ برقم ١٠٠٤.

(٣) صحيح مسلم ص ٦٦٩ برقم ١٤٠٠.

(٤) صحيح مسلم ص ٦٧٠ برقم ١٦٣١.

(٥) ص ٤١ برقم ٢٤٢، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ (٦/٢٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/١٢٨): إسناده صحيح.

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٣ برقم ١٠١٧.

(٢) انظر أحكام الجنائز للألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٢١٣ - ٢٢٦.

الكلمة الرابعة والخمسون

قضاء الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر رضي الله عنه قال: مات رجل فغسلناه وكفناه وحنظناه ووضعناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث توضع الجناز عند مقام جبريل ثم أذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فجاء معنا خطي ثم قال: «لَعَلَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ دِينًا» قالوا: نعم ديناران، فتخلف فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله يقول: «هُمَا عَلَيَّ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ» فقال: نعم فصلى عليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقي أبا قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآنَ حِينَ بَرَّدْتَ عَلَيْهِ جِلْدَهُ»^(١).

هذا الحديث وغيره من الأحاديث تدل على عظم شأن الدين وأنه لا يتساهل فيه وأنه خطير جداً فمع أن الدين كما في الحديث السابق لا يتجاوز درهمين إلا أن الميت لحقه كرب وشدة في قبره حتى يُقضى دينه.

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٧٠) برقم ٢٣٩٣، ومسند الإمام أحمد (٢٢/٤٠٦). وقال محققوه: إسناده حسن.

وكان النبي ﷺ يمتنع عن الصلاة على الميت المدين في بداية الإسلام لعظم شأن الدين، فلما فتح الله عليه الفتوح وكثرت الأموال صلى على من مات مديوناً وقضى عنه دينه.

والمؤمن نفسه معلقه بدينه حتى يُقضى عنه. روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(١).

قال الشوكاني: فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه حتى يُقضى عنه وهذا مقيد بمن له مال يقضى منه دينه، وأما من لا مال له ومات عازماً على القضاء فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله يقضي عنه^(٢).

والمؤمن قد يحبس عن الجنة بدينه: روى أبو داود في سننه من حديث سمرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ». فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ». فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَمَا إِنِّي لَمْ أَنْوِّهْ بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ». فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ^(٣). وفي رواية: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي

(١) ص ١٩١ برقم ١٠٧٨، ١٠٧٩، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٧٧٩.

(٢) نيل الأوطار (٥٣/٢).

(٣) ص ٣٧٥ برقم ٣٣٤١، وصححه الألباني رحمته في أحكام الجنائز ص ٢٦.

مَاتَ فِيكُمْ قَدْ اخْتَبَسَ عَنِ الْجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ الدَّيْنِ الَّذِي عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَاذُدُّوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ»^(١).

والشَّهيد تكفر عنه ذنوبه كلها إلا الدين. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمد بن عبد الله بن جحش: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِلَّا الدَّيْنَ سَارَّيْنِي بِهِ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آتِفًا»^(٣)، لأن دين الآدمي لا بد من إيفائه إما في الدنيا وإما في الآخرة، وحقوق العباد لا تسقط إلا بتنازلهم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والدين خطير جداً وهو هم بالليل وذل بالنهار فالإنسان مهما أمكنه يجب أن يتحرز من الدين وأن لا يسرف في الإنفاق، لأن كثيراً من الناس تجده فقيراً ثم يريد أن ينفق نفقة الأغنياء فيقترض من هذا ويقترض من هذا، ولو لم يكن لك إلا وجبة واحدة بالليل والنهار فلا تقترض واصبر وقل: اللهم أغني، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]^(٤).

(١) مستدرک الحاکم (٣٢٣/٢) برقم ٢٢٦١، وقال الحاکم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. قلت: ويشهد له ما قبله.

(٢) ص ٧٨٥ برقم ١٨٨٦ .

(٣) (٢٨/٤٩١ - ٤٩٢) برقم ١٧٢٥٣ . وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣٦٦/٥).

ومن الأمثلة على التساهل بالدين أن بعض الناس يقترض عشرات الآلاف من الريالات وليته لأمر ضروري إما للتجارة أو للتعامل بالأسهم، ثم يخسر هذا المسكين، وقد يدخل السجن من أجل هذا وتتراكم هذه الديون الضخمة على رقبته، فيعيش مهموماً حزيناً طول عمره وذمته مشغولة بهذا الدين، وما حوادث الأسهم الماضية عنا ببعيد فقد حصل فيها من المآسي ما يندى له الجبين ويتفطر منه القلب، كل ذلك بسبب ضعف الدين، وقلة المبالاة، لأن الدين لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله.

وينبغي للدائن عند إقراضه للآخرين أن يراعي الأمور التالية:

١- أن يُقرض من طيب ماله لا من رديئه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا

الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢- أن يحتسب الأجر بهذا الدين وألا يمن به فإن المن سبب

لإحباط أجره، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ

وَالْأَذَى﴾ [المائدة: ٢٦٤]، فإن أجر الدين كالصدقة، فقد روى الإمام

أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ

السَّلَفَ يَجْرِي مَجْرَى شَطْرِ الصَّدَقَةِ»^(١).

٣- أن يُنظر المدين ويخفف عنه الدين إذا رأى منه العسر

والرغبة في السداد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ

مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

(١) (٢٦/٧) برقم ٣٩١١، وقال محققوه: إسناده حسن .

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

٤- أن يقيد هذا الدين بالكتابة ويشهد عليه حتى لا يحصل الخلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمُؤُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أما المدين فإن عليه أن يراعي الأمور التالية:

١- أن ينوي السداد عند أخذه الدين.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٢).

٢- أن يسارع في قضاء الدين ويحذر المماطلة وأن يحسن القضاء، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ: «مَطَّلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي رافع: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسَلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ^(٤) فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا

(١) ص ٣٩٢ برقم ٢٠٧٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٢.

(٢) ص ٤٤٧ برقم ٢٣٨٧.

(٣) ص ٤٢٧ برقم ٢٢٨٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٤.

(٤) البكر هو الفتى من الإبل.

إِلَّا خِيَارًا رَبَاعِيًّا فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»^(١).

قال الشاعر، وهو يتوعد دائنه بالمماطلة وعدم السداد:

أُمَاطِلُكَ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى تَمَلَّنِي وَتَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

٣- أن يتعوذ بالله من الدين، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه: «أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ: أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرَ^(٣) دِينًا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟! قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٦٥٣ برقم ٢٢٨٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٤.

(٢) ص ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣.

(٣) معجم البلدان (٥/ ٢١٤). قال ياقوت الحموي: صير بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره راء، جبل بأجأ في ديار طيء فيه كهوف شبه البيوت، والصير جبل على الساحل بين سيراف وعمان.

(٤) ص ٥٥٩ - ٥٦٠ برقم ٣٥٦٣ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥١٢) برقم ٢٦٢٥.

الكلمة الخامسة والخمسون

الإعراض عن الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: لا أظلم أي لا أحد أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر أي: وعظ بآيات ربه وهي هذا القرآن العظيم فاعرض عنها أي: تولى وصد عنها ونسي ما قدمت يده من المعاصي والكفر؛ فالإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم، وله نتائج سيئة، وعواقب وخيمة.

فمن ذلك الأكنة على القلوب حتى لا تفقهه الحق وعدم الاهتمام أبداً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

ومنها انتقام الله ﷻ من المعرض عن التذكرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ومنها كون المعرض كالحمار كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرَةِ

مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴿المدثر﴾. أي:
كانهم الحمر الوحشية التي تفر من أسد يريد صيدها.

ومنها الأنداز عن الصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قال تعالى:
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت].

ومنها المعيشة الضنك والعمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

ومنها إدخاله العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ
يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن].

ومنها تقييض القرناء من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

إلى غير من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة للإعراض
عن التذكير بآيات الله^(١). ا هـ.

وهذا الإعراض الذي ذمه الله هو إعراض الكفار والمنافقين عن
سماع القرآن والسنة.

وذكر أهل العلم أن من نواقص الإسلام العشرة التي تخرج العبد
من دائرة الإسلام: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال
تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة]. والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم

(١) أضواء البيان (٤/ ١٨١ - ١٨٣)، بتصرف.

أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر فخمسة أنواع فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة^(١). اهـ.

وأما الأقسام الأخرى التي سأذكرها فإنها لا تصل إلى درجة الكفر ولكنه يخشى على صاحبها العقوبة والمشابهة للكفار والمنافقين في الإعراض عن سماع الذكر.

القسم الأول: إعراض بعض الناس عن سماع الكلمات أو المحاضرات أو الخطب أو غيرها بزعم أنه لا تقوم عليه الحجة إذا لم يسمع، وهذا وقع في أمر أعظم من الذي فر منه، وهذا جهل مركب فالإعراض أخطر من الاستماع والتساهل في العمل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الحارث بن عوف أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه: إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اِثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٢).

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) ص ٣٨ برقم ٦٤، وصحيح مسلم ص ٨٩٧ برقم ٢١٧٦.

القسم الثاني: الإعراض عن الذكر بسبب الاستغناء بما عنده، وفي الحقيقة أن هذا المسكين ليس عنده شيء من العلم وهذا من الغرور، وعلماء السلف رحمهم الله مع ما تلقوا من العلم الغزير إلا أن الواحد منهم كان إلى آخر لحظة من حياته يتمنى أن يسمع حديثاً يلقي الله تعالى وقد علمه وعمل به.

القسم الثالث: الإعراض لعدم معرفة أهمية ما يلقي إليه مع أن العلم الشرعي هو غذاء القلوب، قال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب: روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ الْعَقِيقِ^(١) فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ^(٢) فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمَ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِثْلِ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ

(١) بطحان والعقيق: واديان قرب المدينة.

(٢) ناقة كوما: أي عظمة السنام، وهي من أفضل أموال العرب.

(٣) ص ٣١٤ برقم ٨٠٣.

لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ
 الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ
 وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ
 أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٦/٣٦) برقم ٢١٧١٤، وقال محققوه: حسن لغيره.

الكلمة السادسة والخمسون

شرح حديث أسرعوا بالجنابة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»^(١).

فحث النبي ﷺ في هذا الحديث على الإسراع بالجنابة في تجهيزها وتشيعها ودفنها وذلك أن الميت إما أن يكون صالحاً، وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحاً فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعد الله له من النعيم في قبره لأنه ينتقل من هذه الدنيا إلى دار خير منها وأفضل لأنه حين احتضاره ومنازعته للموت يبشر فيقال لروحه: «أَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ»، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة]. وإما إن كانت الجنابة غير صالحة فإنه ينبغي الإسراع بها كذلك لأنها شر يضعه المسلمون عن رقابهم وهي كذلك تبشر عند الاحتضار بغضب الله وسخطه فيعجل

(١) ص ٢٥٦ برقم ١٣١٥، وصحيح مسلم ص ٣٦٦ برقم ٩٤٤.

بها إلى العذاب، وفي الحديث: «أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ»^{(١)(٢)}.

ومن فوائد الحديث:

أولاً: الإسراع بالجنابة وألا تؤخر وما يفعله بعض الناس من نقل الجنابة إلى أماكن بعيدة، أو تأخير الدفن لأيام، هذا كله خلاف السنة وجناية على الميت؛ أما إذا كان التأخير يسيراً لاجتماع الناس للصلاة عليه أو غير ذلك من المصالح فلا بأس.

ثانياً: إن الرجل الصالح ينتقل إلى دارٍ أفضل من داره وأهلٍ خيرٍ من أهله: روى البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدُّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ،

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين (٤/٥٤٧).

(٢) (١٤/٣٧٧-٣٧٨) برقم ٨٧٦٩. وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١٢، وصحيح مسلم ص ٣٦٨ برقم ٩٥٠.

وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ^(١).

ثالثاً: إن العبد الفاجر ينتقل من شهوات الدنيا ولذاتها إلى العذاب والجحيم فيضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له بابٌ إلى النار كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة ولذلك يقول: يا ويلها أين يذهبون بها.

رابعاً: إن من رحمة الله بالعباد إخفاء العذاب عن الميت ولو سمعه الإنسان لصعق وما يهنأ بطعام ولا شراب ولا نكاح. ولذلك النبي ﷺ قال فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢٥٦ برقم ١٣١٦.

(٢) ص ١١٥٠ برقم ٢٨٦٧.

الكلمة السابعة والخمسون

المفهوم الخاطئ للدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الدين الإسلامي دين عام وشامل يشمل جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها من أمور الدنيا وأمور الآخرة وهذا المفهوم لا يأخذه ولا يمثل له إلا المؤمنون الذين خاطبهم الله تعالى بذلك بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»^(١). اهـ. ولهذا فإن أهل الكتابين اليهود والنصارى لما أخذوا بكتابهم ودينهم وشرعهم في بعض الجوانب ولم يأخذوا بذلك في جميع نواحي الحياة لم يكونوا مؤمنين وسماهم الله كفاراً وحكم عليهم بذلك فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣).

أَلْقِيَمَةَ يَرُدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة].

ولنضرب أمثلة ثلاثة توضح لنا المفهوم الصحيح للدين الإسلامي والأخذ به ومن يستحق أن ينتسب ويؤجر عليه ومن لا يستحق .

المثال الأول: كفار قريش الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وأمر بقتالهم وخاطبهم بقوله: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ...»^(١) كانوا يراهنون على أن ما عندهم من الدين هو الحق ويكفي لقربهم من ربهم فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرزاق قال تعالى ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَآذَىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وكانوا يستغفرون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وكانوا يصلون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: الحُمس هم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قالت: كان الناس يفيضون من عرفات وكان الحُمس^(٢) يفيضون من مزدلفة ويقولون: لا نفيض إلا من الحرم، فلما نزلت ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (١١/ ٦١٠-٦١١) برقم ٧٠٣٦، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) نعت قريش وكنانه وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية.

التَّكَاثُ ﴿ [البقرة: ١٩٩]، رجعوا^(١) إلى عرفات.

وكانوا يقيمون الحج للناس يفعلون كل ذلك لله بل إن الورع بلغ بهم أن يطوفوا بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها حتى إن تلبيتهم كانت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ثم يزيدون إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

روى البخاري ومسلم من حديث عروة قال: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الخمس، (والخمسة قريش وما ولدت)، وكانت الخمسة يحتسبون على الناس، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الخمس طاف بالبيت عرياناً^(٢)، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «أن النبي ﷺ أمر أن لا يطوف بالبيت عريان»^(٣). حتى دعائهم كانوا يخلصون لله أحياناً فيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. فهل نفعهم ذلك؟ أو عصم دمائهم وأموالهم، كلا. لأنهم إن أخلصوا لله أحياناً، أشركوا به أحياناً، وإن أطاعوا أحياناً عصوه أخرى، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. قال عمر رضي الله عنه: يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية؛ فإذا كان الإنسان يجهل أمور الجاهلية

(١) ص ٤٨٦ برقم ١٢١٩، وصحيح البخاري ص ٨٥٥ برقم ٤٥٢٠.

(٢) ص ٣٢٠ رقم ١٦٦٥، وصحيح مسلم ص ٤٨٦ برقم ١٢١٩.

(٣) ص ٥٣٣ برقم ١٣٤٧.

فإنه حري أن يقع فيها لأن الشيطان ما نسيها ولا نام عنها بل يدعو إليها، قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِتَوْقِيهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ الخَيْرِ يَقَعُ فِيهِ
وقال آخر:

الضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

المثال الثاني: إبليس لعنه الله فقد كان يقر بثلاث كلها من أصول عقيدة أهل الإسلام: الإقرار بالرب، والإيمان بالبعث، ودعاء الله من غير واسطة وذلك بقوله سبحانه عنه: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤]. فهل نفعه ذلك.

الجواب معلوم لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. ليس الإسلام هوى متبعاً، أو رأياً ضعيفاً بل هو طريق مستقيم لا اعوجاج فيه فالدين الذي يقبله الله والإيمان الذي ينفع صاحبه، هو الذي لا يخالطه شرك ولا يناقضه كفر وأن يستمر عليه صاحبه حتى يلقي الله، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت ثم أمر بالوقوف عند حدوده ورسومه. فقال: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

المثال الثالث: طائفة من الناس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يصلون ويصومون ويزكون ويحجون مع المسلمين ويجاهدون معهم، ومع كل هذا فقد حكم الله عليهم بالخلود في نار

جهنم بل في أسفل السافلين، فمن هؤلاء الذين هم أشد عذاباً من الكفار؟! بل الكفار المخلدون في النار أحسن حالاً منهم.

إنهم المنافقون الذين أظهروا صورة الإسلام والإيمان وأبطنوا حقيقة الكفر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُونَ عَنْهُمْ غِيظًا فَإِنَّ الْغِيظَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

فما تقدم يتبين لنا الأمور التالية:

أولاً: إن الدين الحق الذي لا يقبل الله تعالى من العباد غيره هو دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ثانياً: إن الشرك لا تنفع معه طاعة ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها هذا حكم الله في كتابه وعلى لسان رسوله، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر].

ثالثاً: إن صورة الإيمان الظاهرة لا تكفي لنجاة العبد من عذاب ربه بل لا بد من صلاح القلوب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

رابعاً: إن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

خامساً: إن الملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام هي ملة نبينا وملتنا وقدوته وقدوتنا وهي مبنية على أصليين: إخلاص العبادة لله تعالى، والبراءة من الشرك وأهله.

سادساً: إن موالاتة المؤمنين ونصرتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، أصل من أصول الملة الحنيفية.

سابعاً: إن من أخذ بعض هذا الدين وترك بعضه كان كاليهود والنصارى الذين قال الله فيهم: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

(١) ص ٣٤ رقم ٥٢، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩.

ومن هذا يتبين أن من يأخذون الدين بالتشهي فيأخذون منه ما يوافق أهواءهم ويدعون ما يخالفها ليسوا مؤمنين وهم كالمنافقين الذين تقدم ذكرهم، ولهم في هذا العصر أسماء متنوعة كالعلمانيين والاشتراكيين والبعثيين والقوميين وغيرهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والخمسون

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «هذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ها هنا ولا رأي ولا قول كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].»

ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب]، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: ٦٣﴾ (١). روى الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث أبي برزة الأسلمي: أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيَلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمُ جُلَيْبِيٌّ، فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ، قَالَ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ»، فَقَالَ: نَعِمٌ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَعَمَ عَيْنِي. فَقَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي» قَالَ فَلَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبِيٍّ» قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَاوِرُ أُمَّهَا. فَأَتَى أُمَّهَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. فَقَالَتْ: نَعِمٌ وَنِعْمَةٌ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ، إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيٍّ، فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيٌّ ابْنُهُ؟ أَجُلَيْبِيٌّ ابْنُهُ؟ أَجُلَيْبِيٌّ ابْنُهُ؟ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تُزَوِّجْهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمَّهَا، قَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرْتَهَا أُمَّهَا. فَقَالَتْ: أَتُرُدُّونَ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرُهُ، اذْفَعُونِي، فَإِنَّهُ لَمْ يُضِيعْنِي. فَاذْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ، قَالَ: شَأْنُكَ بِهَا. فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيًّا.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَفَقْدُ فُلَانًا، وَنَفَقْدُ فُلَانًا. قَالَ: «انظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقَدُ جُلَيْبِيًّا» قَالَ: «فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى». قَالَ: فَطَلَبُوهُ، فَوَجَدُوهُ إِلَى

جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةَ وَقَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ، وَحُفِرَ لَهُ، مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ. وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ.

قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا، قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا». قَالَ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا^(١).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه يجب على المؤمن الانقياد التام لأمر الله ورسوله والمبادرة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

ثانياً: أن الصحابة رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ضربوا المثل في الاستجابة السريعة والامتثال لأمر الله ورسوله، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: «ما كانت لنا خمر غير فضيخكم^(٢) هذا الذي تسمونه الفضيخ، إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب

(١) مسند الإمام أحمد (٢٩/٣٣) برقم ١٩٧٨٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط

مسلم، وأصله في صحيح مسلم ص ١٠٠١ برقم ٢٤٧٢.

(٢) هو بسر وتمر.

رسول الله ﷺ في بيتنا إذا جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ قلنا: لا. قال: فإن الخمر قد حرمت. فقال: يا أنس، أرق هذه القلال قال: فما راجعوها ولا سألوها عنها بعد خبر الرجل»^(١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾^(٢) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [آل عمران: ١٧٢]. جاء في تفسير الآية الكريمة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ﴿أنها قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا قال: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا»، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير»^(٣).

ثالثاً: أن معصية الله ورسوله سبب لضلال العبد في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

رابعاً: أن المؤمن والمؤمنة إذا جاءهما الأمر من الله ورسوله فليس لهما الخيار بالفعل أو تركه بل عليهما أن يعلما أن الرسول أولى بهما من أنفسهما، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

(١) ص ٨٧٨ برقم ٤٦١٧، وصحيح مسلم ص ٨٢٢ برقم ١٩٨٠ واللفظ له.

(٢) القرحة: الجراح.

(٣) ص ٧٧٤ برقم ٤٠٧٧.

خامساً: في الآية الكريمة دليل بل نص على أن الكفاءة لا تعتبر في الأحساب وإنما تعتبر في الأديان وذلك أن الموالي من الصحابة تزوجوا من أشرف قريش، فقد تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وتزوج بلال بن رباح أخت عبدالرحمن بن عوف.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والخمسون

اليقين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن منازل الإيمان كثيرة، منها منزلة عظيمة هي من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد بها تفاضل العارفون، وتنافس المتنافسون، وإليها شمر العاملون بل قال بعض أهل العلم عن هذه المنزلة: إنها الإيمان كله إنها منزلة اليقين. قال الكفوي: اليقين هو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه^(١).

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْنها عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة]. روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرَعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ

النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءِ فِي قَبْرِهِ فَرِعًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ فَيُفْرَجُ لَهُ قَبْلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (١).

واليقين على ثلاث درجات:

الأول: علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق، فالذي ظهر من الحق هو أوامره ونواهيه وشرعه ودينه الذي أظهره على السنة رسله، وقبول ما غاب للحق وهو الإيمان بالغيب كالجنة والنار والصراط والحساب وما قبل ذلك مثل تشقق السماء وانتشار الكواكب وما قبل ذلك من أمور البرزخ، أما الوقوف على ما قام بالحق أي من أسمائه وصفاته وأفعاله وهو علم التوحيد.

الثاني: عين اليقين وهو ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأن الدليل إنما يطلب للعلم بالمدلول فإذا كان المدلول

(١) ص ٤٦٠ رقم ٤٢٦٨، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ (٢/٤٢٢) برقم (٣٤٤٣).

مشاهداً له فلا حاجة حينئذ للاستدلال، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ﴾ [التكاثر].

الثالث: حق اليقين وهي منزلة الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد
رأى نبينا محمد ﷺ بعينه الجنة والنار وكلم الله موسى بلا واسطة
أما بالنسبة لنا فإن حق اليقين يتأخر إلى وقت اللقاء.

ومما يوضح ذلك أن يخبرك شخص أن عنده عسلاً وأنت
لا تشك في صدقه فهذا علم اليقين، فإذا أراك إياه فازددت يقيناً
فهذا عين اليقين، فإذا ذقت منه فهذا حق اليقين، فعلمنا الآن
بالجنة والنار علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين وشاهدها
الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعابنها الخلائق فذلك عين
اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حينئذ
حق اليقين^(١)، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ
وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال ابن
القيم رحمه الله: إذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما حصول الإمامة
في الدين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
وَكَانُوا بِيَاثِنَا يُوْقِنُونَ ۞ ﴾ [السجدة]. وقد خص ﷺ أهل اليقين
بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴾
[الذاريات]. وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٧-٢٩٩) بتصرف.

فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ [البقرة: ٤ - ٥].

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَيْقِنِينَ﴾ (٣٢) [الجاثية]. فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره (١).

وتأمل حال ذلك الصحابي الذي أخذ تمراته، وقعد يأكلها على حاجة وجوع وفاقة إليها، فلما عاين سوق الشهادة قامت، ألقى قوته من يده، وقال: «إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى أكل هذه التمرات»، وألقاها من يده وقاتل حتى قتل، وكذلك أحوال الصحابة رضي الله عنهم (٢).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اليقين سبب لدخول الجنة روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِي فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣).

واليقين سبب لنجاة الأمة وصلاحها في الدنيا والآخرة، روى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلَحَ أَمْرُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالرُّهْدِ وَالْيَقِينِ،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٩) بتصرف.

(٢) هو عمير بن الحمام رضي الله عنه يوم أحد.

(٣) (٢٧٢/١٤) برقم ٨٦٢٤ وقال محققوه: حديث صحيح.

وَهَلَكَ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس: عن النبي ﷺ: «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبِوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبِوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

قال الفيروزآبادي: ثلاثة من أعلام اليقين: قلة مخالطة الناس في العشرة، ترك المدح لهم في العطية، التنزه عن ذمهم عند المنع^(٣).

قال سفيان الثوري: «لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وحنناً وشوقاً إلى الجنة أو خوفاً من النار»^(٤).

ومن المعاني التي يُطلق عليها اليقين:

الموت: قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١١)
 [النحل]. وقال تعالى عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٤٣) قَالُوا لَوْلَا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ^(٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ^(٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْحَائِضِينَ^(٤٥) وَكُنَّا

(١) (٦٩/١٥) برقم ١٠٠٤٦ وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ

٣٨٤٥.

(٢) ص ١٢١٣ برقم ٦٣٠٦.

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٩٤).

(٤) المصدر السابق.

نَكَذَّبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتِنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿المدثر﴾.

ومنها أنه يُطلق ويراد به الظن وأن الظن قد يعبر عنه باليقين.

وقد ذكر المحققون ضوابط لتحديد المراد بالظن:

أحدها: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو يقين وحيث وُجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك (وهذا من جهة المعنى).

الثاني: أن كل ظن يتصل به أن (المخففة من الثقيلة) فهو شك وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين^(١).

قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله^(٢).

وقال عامر بن عبد القيس: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً^(٣).

والخلاصة: أن اليقين منزلة عظيمة من منازل الإيمان يزيد المسلم به من ربه قرباً وحباً ورضى، وهو لب الدين ومقصوده الأعظم، ويزيد العبد خضوعاً واستكانة لمولاه ويكسب صاحبه العزة والرفعة، ويباعده عن مواطن الذلة والضعفة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الكليات (٥٨٨) ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣٧١٧/٨) - (٣٧١٨).

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الإيمان ص ٢٥.

(٣) مدارج السالكين (٢٩٦/٢).



التحذير من الكسل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله صفة الكسل، قال الراغب: الكسل الثاقل عما لا ينبغي الثاقل عنه ولذلك صار مذموماً^(١). اهـ، كالثاقل عن الصلاة أو الجهاد أو الصيام أو غيرها من الطاعات.

والكسل من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٤]. وقال تعالى محذراً عباده المؤمنين من الكسل والركون إلى الدنيا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفروا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُمْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ءَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل، روى

مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: المقصود أن النبي ﷺ استعاذ من الهم والحزن وهما قرينان، ومن العجز والكسل وهما قرينان، فإن تخلف كمال العبد وصلاحه عنه، إما أن يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادراً عليه لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين فوات كل خير وحصول كل شر، ومن ذلك الشر تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن وعن النفع بماله وهو البخل، ثم ينشأ له بذلك غلبتان غلبة بحق، وهي غلبة الدين، وغلبة بباطل وهي غلبة الرجال، وكل هذه المفاسد ثمرة العجز والكسل^(٢) اهـ.

وقال في موضع آخر: أصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها فيقع في المعاصي. فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته ﷺ أصول الشر وفروعه ومباده وغاياته وموارده ومصادره^(٣).

قال الشاعر:

وَاحْسَرَتَاهُ تَقْضَى الْعُمُرُ وَأَنْصَرَمَتْ
سَاعَاتُهُ بَيْنَ ذُلِّ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ

(١) ص ١٠٨٥ برقم ٢٧٠٦.

(٢) زاد المعاد (٢/٣٦٢-٣٦٤).

(٣) زاد المعاد (٢/٣٥٨).

والقومُ قد أخذوا دَرَبَ النِّجَاةِ وقد سَارُوا إِلَى المَطْلَبِ الأَعْلَى عَلَى مَهْلٍ
وقد حث النبي ﷺ أمته على العمل والمسارة إلى الخيرات
والبعد عن العجز والتكاسل، روى مسلم في صحيحه من حديث
أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ
المؤمنِ الضَّعِيفِ وفي كُلِّ خَيْرٍ احرص على ما ينفعك واستعن بالله
ولا تعجز وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا
ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: والمراد بالقوة عزيمة النفس والقريحة في أمور
الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد
وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق
في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم، والأذكار وسائر
العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظه عليها ونحو ذلك. وقوله: «احرص
على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» معناه: احرص على طاعة الله
تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى ولا تعجز ولا
تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة^(٢) اهـ.

قال الراغب الأصفهاني: وتأمل حال مريم عليها السلام وقد
جعل لها من الرطب الجنى ما كفاها مؤونة الطلب، وفيه أعظم معجزة
فإنه لم يخلها من أن يأمرها بهزها، فقال تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ

(١) ص ١٠٦٩ برقم ٢٦٦٤ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢١٥).

أَلْتَخَلَّةَ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ [مريم] (١).

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أن كُفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز (٢).

والكسل على قسمين:

الأول: كسل العقل بعدم أعماله في التفكير والتدبر والنظر إلى آلاء الله ونعمه العظيمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]. ومن كسل العقل عدم أعماله بما يصلحه من شؤون الدنيا كالزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الحرف وما تأخرت الأمم إلا بكسل أصحاب العقول فيها وقلة اكتراثهم بالقوة الإبداعية المفكرة التي أودعها الله فيهم.

الثاني: كسل البدن: بما يشتمل عليه من الجوارح وينتج عن هذا الكسل تقصير بعض الأفراد في العبادات كأداء الصلوات في بيوت الله والدعوة إلى الله وطلب العلم الشرعي وغير ذلك من الطاعات (٣). روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله قال: ذكر عند النبي ﷺ: رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «ذَاكَ

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٨٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٨٢ - ٣٨٤ بتصرف. واختصار، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١١/٥٤٣٨ - ٥٤٣٩).

رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنِهِ»، أو قال: «فِي أُذُنِهِ»^(١).

وكذلك تأخر الأمم في مجال التقدم العلمي في الصناعة والتجارة وغيرها من الحرف التي تستغني بها عن الأمم الأخرى.

من أسباب طرد الكسل:

أولاً: الاستعانة بالله وَعَلَيْكُمْ فإنه المعين جلا وعلا كما ورد بذلك الحديث السابق: «اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ».

ثانياً: الاستعاذة منه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ بالله منه.

ثالثاً: الوضوء والذكر والصلاة فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ»^(٢).

رابعاً: أن يتذكر العبد أن الله تعالى حث على الجد والمسارة إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [٨٤] وقال سبحانه لنبيه يحيى: ﴿يَتَّبِعُنِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم].

(١) ص ٦٢٧ برقم ٣٢٧٠، وصحيح مسلم ص ٣٠٦٠ برقم ٧٧٤.

(٢) ص ٢٢٥ برقم ١١٤٢، وصحيح مسلم ص ٣٠٦ برقم ٧٧٦.

[١٢]، أي: التوراة بجد واجتهاد.

خامساً: أن يعلم العبد أن الكسل صفة ذميمة من صفات المنافقين ذمها الله ورسوله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والستون

معجزاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
فإن الله أجرى على يد أنبيائه ورسوله من المعجزات والدلائل القاطعات ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله ولكي تقوم الحجة فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، قال تعالى:
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والمعجزة على قسمين:

الأول: ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

الثاني: ضرب خارج عن قدرتهم لا يقدرّون على الإتيان بمثله كانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى، فيكون ذلك على يد النبي ﷺ من فعل الله تعالى وتحدي من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزاً له.

ومعجزات الرسول ﷺ التي ظهرت على يديه تشمل النوعين:

فهو ﷺ أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آية، فله من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى وقد أُلِّفت في معجزاته المؤلفات الكثيرة.

وقد أعطى الله ﷺ كل نبي من الأنبياء ﷺ معجزة خاصة لم يعطها بعينها لنبي غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فلما كان الغالب على زمان موسى ﷺ السحر وتعظيم السحرة بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل ساحر، قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۗ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ۗ ﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۗ ﴾ [طه]. فلما استيقن السحرة أن هذا من عند الله انقادوا وأسلموا.

وأما عيسى ﷺ فقد بعثه الله في زمن الأطباء فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، قال تعالى: ﴿ وَأُزِّيْءُ الْأَكْمَمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وكذلك نبينا محمد ﷺ بعث في زمن الفصحاء والبلغاء فأتاهم بكتاب من عند الله فاتهمه أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده فتحداهم ودعاهم أن يعارضوا ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا من ذلك فعجزوا، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۗ ﴾ [الإسراء].

ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور ثم بسورة واحدة ثم أخبر أنهم لا يستطيعون ذلك لا في الحال ولا في المال، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ومن معجزاته العظيمة: الإسراء والمعراج فقد أُسري به إلى المسجد الأقصى على دابة يقال لها: البراق وهو أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل وصلى ركعتين في المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء والتقى بالأنبياء آدم وموسى وعيسى وهارون وغيرهم، حتى وصل إلى سدرة المنتهى وسمع صريف الأقلام وكلمه ربه وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم هبط إلى المسجد الأقصى وهبط الأنبياء معه^(١). قال ابن كثير: «والذي يظهر أنه صلى بهم صلاة الصبح وهنا ظهر شرفه وفضله على جميع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ثم أخبر قريش بالخبر فكذبوه وقالوا: إن كنت صادقاً فصف لنا بيت المقدس وكانوا يذهبون إليه ويعرفونه»^(٢)، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُبْتِهَا، فَكُرْبْتُ كُرْبَةً مَا كُرْبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي

(١) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٤٣١).

أَنْظُرْ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»^(١).

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام: انشقاق القمر، روى البخاري ومسلم من حديث أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما^(٢).

قال الخطابي: فكان هذا الانشقاق آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر^(٣) اهـ.

وقد ذكر الله هذه المعجزة على أن انشقاق القمر وقع في زمن النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات وأن الأحاديث قد وردت بذلك متواترة.

ومن معجزاته كذلك: تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه ولحمه ودمه.

قال القرطبي: قضية نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة تفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يُسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء ما بين عظمه

(١) ص ٩٦ برقم ١٧٢.

(٢) ص ٧٣٤ برقم ٣٨٦٨، وصحيح مسلم ص ١١٢٧ برقم ٢٨٠٢.

(٣) فتح الباري (٧/ ١٨٥).

وعصبه ولحمه ودمه^(١). ومن هذه المواطن ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة^(٢). فتوضأ فجهش^(٣) الناس نحوه فقال: «مَا لَكُمْ؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(٤).

ومن معجزاته ﷺ في أنواع الجمادات: حين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشفقاً من فراقه، وقد ورد ذلك كما قال الحافظ ابن كثير؛ من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة الشأن وفرسان هذا الميدان^(٥).

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال «إِنْ شِئْتُمْ» فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه، تن أنين الصبي الذي يسكن، قال: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ

(١) فتح الباري (٦/٥٨٥).

(٢) إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) أن يفزع الإنسان إلى الإنسان.

(٤) ص ٦٨٤ برقم ٣٥٧٦، وصحيح مسلم ص ٧٧٦ برقم ١٨٥٦ مختصراً.

(٥) البداية والنهاية (٨/٦٧٩).

مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»^(١).

وفي رواية أخرى عن جابر قال: كان المسجد مستقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار^(٢)، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فَسَكَنْتَ^(٣). وفي رواية من حديث ابن عباس: «وَلَوْ لَمْ أَحْتَضِنُهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطي محمداً ﷺ فقليل له: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمد حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك^(٥) اهـ. وذلك لأن هذا إحياء ما ليس من نوعه الحياة مع ما فيه من الاشتياق والبكاء عليه، بخلاف ما أُعطي لعيسى، قال ابن حجر: في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان^(٦)، وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث يقول: «يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه، وأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»^(٧).

(١) ص ٦٨٦ برقم ٣٥٨٤.

(٢) العشار: جمع عشاء وهي الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها؛ جامع الأصول (٣٣٣/١١).

(٣) ص ٦٨٦ برقم ٣٥٨٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٠٧/٤) برقم ٢٢٣٦، قال ابن كثير: هذا الإسناد على شرط مسلم؛ البداية والنهاية (٦٨١/٨).

(٥) فتح الباري (٦٠٣/٦).

(٦) فتح الباري (٦٠٣/٦).

(٧) فتح الباري (٦٠٢/٦ - ٦٠٣).

ومن معجزاته: انقياد الشجر بين يديه في مرات عدة:

فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالِدَّمَاءِ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «فَعَلَّ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فَقَالَ: ادْعُ بِتِلْكَ الشَّجَرَةِ، فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبِي (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (١٦٥/١٩) برقم ١٢١١٢، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.
(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/٥٢٠ - ٥٥٤).

الكلمة الثانية والستون

فضل الأعمال الصالحة في رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فإن من فضل الله ورحمته بعباده: أن يسر لهم مواسم خير يستكثرون فيها من الطاعات والقربات، تضاعف فيها الأجور، وتكفر فيها السيئات، وتقال فيها العثرات ويعتق الله فيها من شاء من عباده من النيران، ومن هذه المواسم شهر رمضان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وينبغي للمؤمن أن يستقبل أيامه ولياليه بالأعمال الصالحة فما هي إلا ليال معدودة ثم تنقضي، قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ومن هذه الأعمال الصالحة قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال بعض أهل العلم: إن الله عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال

القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر]. ومن المعلوم أن ليلة القدر إنما تكون في رمضان وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة^(١).

وكان الإمام مالك إذا أقبل رمضان توقف عن التأليف والدروس وقال: إنما هو إطعام طعام، وقراءة قرآن. كان بعض السلف يختم القرآن في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، فعلى أقل تقدير أن يختم الصائم القرآن ولو مرة واحدة في رمضان.

ومنها: الصدقة وهي باب عظيم من أبواب الخير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»، قال: فجئت فجلست فلم أتقار أن فُمت فقلت: فإدراك أبي وأمي من هم؟ قال: «هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ»^(٢).

(١) ص ٢٢ برقم ٦.

(٢) ص ١٢٦٨ برقم ٦٦٣٨، وصحيح مسلم ص ٣٨٤ برقم ٩٩٠ واللفظ له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجبياً في شرح الصدر^(١). روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلُ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِذَيْنِ»^(٢).

وللصدقة في رمضان فضيلة ومزية على غيره ويدخل في ذلك إطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٦﴾ [الإنسان]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٣).

ومنها إفطار الصائم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن خالد الجهني أن النبي ﷺ قال: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ

(١) زاد المعاد (٢/٢٣-٢٢) بتصرف.

(٢) ص ١٢٣٧ برقم ٦٤٤٤، وصحيح مسلم ص ٣٨٤ برقم ٩٩١.

(٣) صحيح ابن حبان ص ١٣٩ برقم (٥٠٩).

أَجْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»^(١).

ومنها قيام الليل، قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾^(١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٧) [السجدة].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ»^(٢).

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبُّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤). وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان فينبغي الحرص عليها والاعتناء

(١) (٢٦١/٢٨) برقم ١٧٠٣٣. وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) ص ٥٥٨ برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٨/٣) برقم (٣٨٠١).

(٣) (٣٠٦/٤) برقم: ٤٢٧٨، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): إسناده حسن.

(٤) ص ٣٨٠ برقم ٢٠٠٩، وصحيح مسلم ص ٢٩٩ برقم ٧٥٩.

بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها، وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف»^(١).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجالس شهر رمضان ص ١٨.

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ص ١٥١ برقم ٨٠٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الثالثة والستون

شرح اسم الله الكافي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتَرَ»^(١). وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتابه: الكافي ومعناه الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه»^(٣).

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة]. وقال

(١) ص ١٢٣١ برقم ٦٤١٠، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري ص ١٤٠٩ برقم ٧٣٩٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٣٠٤ - ٣٠٥).

تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْحَسِيبُ كِفَايَةً وَحِمَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَّانٍ^(١) وَالتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ سَبَبُ كِفَايَةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. أَي كَافِيَةٌ كُلِّ أُمُورِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَالتَّوَكَّلَ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ فِي حَصُولِ الْمَطْلُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ مَعَ الثِّقَةِ بِهِ وَفِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا شَرْعاً^(٢)، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ عَمَلٍ جِزَاءً مِنْ جِنْسِهِ وَجَعَلَ جِزَاءَ التَّوَكَّلِ عَلَيْهِ نَفْسَ كِفَايَتِهِ لِعَبْدِهِ فَقَالَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: نَوْتَهُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْأَجْرِ كَمَا قَالَ فِي الْأَعْمَالِ بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ سَبْحَانَهُ كَافِي عِبْدِهِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ وَوَأَقِيهِ^(٣)، فَلَوْ تَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّهِ حَقَّ التَّوَكَّلِ بِأَنْ اعْتَمَدَ بِقَلْبِهِ عَلَى رَبِّهِ اعْتِمَاداً قَوِيّاً كَامِلاً فِي تَحْصِيلِ مَصَالِحِهِ وَدَفْعِ مَضَارِهِ وَقَوِيَّتِ نَفْسَهُ وَحَسَنَ بَاطِنَهُ بِرَبِّهِ حَصَلَتْ لَهُ الْكِفَايَةُ، وَأَتَمَّ اللَّهُ لَهُ أَحْوَالَهُ وَسَدَدَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَكَفَاهُ هِمَّهُ وَجَلَا غَمَّهُ^(٤)، فَهَنَّاكَ لَا تَسْأَلُ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ تَيْسِرٌ وَصَعْبٌ يَتَسَهَّلُ وَخَطُوبٌ تَهْوَنُ وَكُرُوبٌ تَزُولُ وَأَحْوَالٌ وَحَوَائِجٌ تَقْضَى وَبَرَكَاتٌ تَنْزَلُ وَنَقْمٌ تَدْفَعُ وَشُرُورٌ تَرْفَعُ^(٥).

(١) النونية (٢/٢٣٣).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٢٨).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٧٦٦ - ٧٦٧).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٥٣ - ٥٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٢٠.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إذا علم العبد أن الله هو الكافي عباده رزقاً ومعاشاً وحفظاً وكلاءةً ونصراً وعزاً اكتفى بمعونته عمن سواه وإذا كان كذلك وجب ألا يكون الرجاء إلا فيه والرغبة إلا إليه: روى النسائي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ ﷻ»^(١) «فمن وقع في شدة وضيق فليطلب من الله الكفاية فإن الله يكفيه، وفي صحيح مسلم في قصة الغلام المؤمن لما أبى أن يرجع عن دينه دفعه الملك إلى نفر من أصحابه أي (جماعة من الناس) وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا جبل معروف عندهم شاهق رفيع وقال لهم: إذا بلغوا ذروته فاطرحوه يعني على الأرض، ليقع من رأس الجبل فيموت، بعد أن تعرضوا عليه أن يرجع عن دينه فإن رجع وإلا فاطرحوه.

فلما بلغوا قمة الجبل فطلبوا منه أن يرجع عن دينه أبى، لأن الإيمان قد وقر في قلبه ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: اللهم اكفنيهم بما شئت - دعوة مضطر مؤمن - أي: بالذي تشاء ولم يعين، فرجف الله بهم الجبل فسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلى الملك فقال: ما الذي جاء بك أين أصحابك؟ فقال: قد كفانيهم الله، ثم دفعه إلى جماعة آخرين وأمرهم أن يركبوا البحر في قُرُقُور (سفينة). فإذا بلغوا لجة البحر عرضوا

(١) جزء من حديث ص ٢٧٩ برقم ٢٥٩٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٢/٢٢٧).

عليه أن يرجع عن دينه فإن لم يفعل رموه في البحر، فلما توسطوا من البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه - وهو الإيمان بالله - فقال: لا! فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت: فانقلبت السفينة وغرقوا وأنجاه الله»^(١)(٢).

ثانياً: من كان عليه دين فليتضرع إلى الله تعالى ليكفيه هم الدين روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه: «أَنَّ مَكَاتِبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرَ دَيْنًا آدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(٣).

ثالثاً: أنه يشرع للعبد أن يسأل الله الكافي أن يكفيه شر الأعداء قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٣٧) [البقرة]. فيقول: يا كافي اكفني شر فلان الذي ظلمه أو آذاه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خاف من رجل أو من قوم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»^(٤). وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام حين أُلقي في

(١) شرح رياض الصالحين (١/٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) انظر قصة الغلام في صحيح مسلم ص ١٢٠٢ برقم ٣٠٠٥.

(٣) ص ٥٥٩ - ٥٦٠ برقم ٣٥٦٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن الترمذي (٣/٤٦٤).

(٤) (٤٩٣/٣٢) برقم ١٩٧١٩ وقال محققوه: حديث حسن.

النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران] (١).

رابعاً: إن الله تعالى كفى المؤمنين شر أعدائهم في مواطن كثيرة فعلى سبيل المثال في غزوة بدر مع قلة عددهم ونقص عدتهم وضعفهم نصرهم الله وكفاهم الأعداء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ [آل عمران].

وكذلك في غزوة الخندق أو الأحزاب كفاهم الله شر الأحزاب التي تجمعت عليهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب].

الخلاصة: أن الكافي اسم من أسماء الله تعالى وهو بمعنى الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

ويشعر للمسلم أن يسأل ربه بهذا الاسم أن يكفيه شر من ظلمه وأذاه (٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٨٦٥ برقم ٤٥٦٣.

(٢) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الأسماء الحسنى والصفات العلى ص ٢١٧ - ٢٢١.

الكلمة الرابعة والستون

خطورة المجاهرة بالمعصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فإن الذنوب والمعاصي عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة قال تعالى مبيناً أضرارها على العباد: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأعظم هذه الذنوب المجاهرة بها ومعناها أن يرتكب الشخص الإثم علانية أو يرتكبه سراً فيستره الله ﷻ ولكنه يخبر به بعد ذلك مستهيناً بستر الله له، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]. جاء في تفسيرها: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا من ظلم فلا يكره له الجهر به^(١).

روى البخاري ومسلم من حديث سالم بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ

(١) تفسير القرطبي (١٩٩/٧).

مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَا فُلَانُ: عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(١).

قال ابن حجر: والمجاهر هو الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فيحدث بها، أما المجاهرون في الحديث الشريف فيحتمل أن يكون بمعنى من جهر بالمعصية وأظهرها ويحتمل أن يكون المراد الذين يجاهر بعضهم بعضاً بالتحدث بالمعاصي وبقية الحديث تؤكد المعنى الأول^(٢).

ومما سبق يتضح أن المجاهرة على أنواع ثلاثة.

١- المجاهرة بمعنى إظهار المعصية وذلك كما يفعل المُجَّان والمستهترون بحدود الله، والذي يفعل المعصية جهاراً يرتكب محذورين.

الأول: إظهار المعصية.

الثاني: تلبسه بفعل المُجَّان أي: (أهل المُجُون) وهو مذموم شرعاً وعرفاً.

٢- المجاهرة بمعنى إظهار ما ستر الله على العبد من فعله المعصية كأن يحدث بها تفاخراً أو استهتاراً بستر الله تعالى وهؤلاء هم الذين لا يتمتعون بمعافة الله ﷻ كحال الشباب الذين يسافرون

(١) ص ١١٧٣ برقم ٦٠٦٩، وصحيح مسلم ص ١١٩٧-١١٩٨ برقم ٢٩٩٠.

(٢) فتح الباري (٤٨٧/١٠) بتصرف.

إلى خارج البلاد، ويرتكب الواحد منهم الفواحش وشرب الخمر ثم يخبر بهذا أصدقاء السوء تفاخراً واستهتاراً بستر الله له.

٣- المجاهرة بمعنى أن يجاهر بعض الفساق بعضاً بالتحدث بالمعاصي^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن المظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية ولا تبقى له غيبة ويجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك وينبغي لأهل الخير أن يهجره ميتاً إذا كان فيه ردع لأمثاله فيتركون تشييع جنازته^(٢)».

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «إن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به»^(٣)، وقال ابن حجر: من قصد إظهار المعصية والمجاهرة أغضب ربه فلم يستره ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس من الله عليه بستره إياه^(٤) اهـ. قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحى المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف^(٥).

وأخبر النبي ﷺ أن المجاهرة بالمعاصي لها عقوبات في الدنيا قبل الآخرة. روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر قال: أقبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا

(١) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(٢) غذاء الألباب (١/٢٦١-٢٦٠).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(٤) فتح الباري (١٠/٤٨٨).

(٥) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

بَهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ
الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ
الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا
الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ
وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي
أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا
جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ» (١) الحديث.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ
قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ» فقال رجل من المسلمين: يا
رسول الله! متى ذاك؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَالْمَعَارِيفُ، وَشُرِبَتِ
الْخُمُورُ» (٢).

ومن الأمثلة على الجهر بالمعاصي في وقتنا المعاصر، انتشار
الصحون الفضائية أو ما يسمى بالدش على السطوح في بيوت كثير
من الناس.

ومنها انتشار البنوك الربوية في كثير من بلاد المسلمين بل
والإعلان عبر الصحف ووسائل الإعلام الأخرى أن القروض منها أو
المساهمة فيها ميسر وسهل.

(١) ص ٤٣٢ برقم ٤٠١٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ
(١٣٢١/٢) برقم (٧٩٧٨).

(٢) ص ٣٦٧ برقم ٢٢١٢، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ
(٧٨٦/٢) برقم ٤٢٧٣.

ومنها تبرج النساء بشكل سافر في الأسواق والأماكن العامة.
ومنها بيع الحرمات كالمجلات الهابطة، والدخان، وأشرطة الفيديو، والأقراص التي تحتوي على أفلام هابطة، ومحلات بيع أشرطة الغناء.

ومنها انتشار النوادي التي تعرض فيها السينما والألعاب الرياضية المختلطة، والمسرحيات، ومحلات عرض الإنترنت.
ومنها خروج المغنيات والممثلات سافرات على شاشات القنوات الفضائية ليهيَّجنَ الغرائز ويفتنَّ الناس.

لذا ينبغي الإنكار على هؤلاء المجاهرين وإخبارهم بعظيم جرمهم، وأنهم يعرضون أنفسهم لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. فإذا كان مجرد الحب صاحبه مهدد بالعذاب فكيف بمن يجهر وينشر ويساعد على هذه الفواحش والمنكرات؟! ولذلك ينبغي على المسلم إذا ابتلي بالمعصية أن يستتر بستر الله وأن يبادر بالتوبة النصوح.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والستون

استقبال العام الجديد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

ففي هذه الأيام نودع عاماً مضى من أعمارنا، ونستقبل عاماً جديداً. فليت شعري ماذا أودعنا في العام الماضي، وبماذا نستقبل عامنا الجديد؟! قال الحافظ ابن كثير:

تَمُرُّ بِنَا الْأَيَّامُ تَتَرَى وَإِنَّمَا نُسَاقُ إِلَى الْأَجَالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ
فَلَا عَائِدٌ ذَاكَ الشَّبَابُ الَّذِي مَضَى وَلَا زَائِلٌ هَذَا الشَّيْبُ الْمُكَدَّرُ

وعلى المؤمن أن يحاسب نفسه ويتداركها فإن كان مستقيماً على طاعة الله فليحمد الله وليسأل ربه الثبات. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي

عَلَى دِينِكَ»^(١).

ومن كان منا مقصراً في طاعة الله فليتدارك نفسه قبل فوات الأوان وليبادر إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر على الله».

وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢).

فيسأل عن عمره على وجه العموم وعن شبابه على وجه الخصوص، لأن الشباب هو محور القوة والنشاط وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر.

وهذا الزمن من أفضل نعم الله على عباده، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ

(١) (١٦٠/١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم كما تقدم.

(٢) ص ٣٩٦ برقم ٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاعُ»^(١).

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأضعاف الثمن فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: إنه رجل مغبون.

وفي الحديث إشارة إلى أن الزمن نعمة كبرى لا يستفيد منها إلا الموفقون الأفاضل وأن المستفيد قليل والكثير مفرط ومغبون.

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضيما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» ذكر منها: «فَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ»^(٢).

قال محمد الطليطي:

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وبادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَالنَّدَمِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ وَرَاقِبِ اللَّهَ وَاحْذَرِ زَلَّةَ الْقَدَمِ

قال ابن القيم رحمته الله: «إن الواردات سريعة الزوال تمر أسرع من السحاب وينقضي الوقت بما فيه فلا يعود عليك منه إلا أثره وحكمه فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك فإنه عائد عليك لا محالة، ولهذا يقال للسعداء: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة]، ويقال للأشقياء: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

(١) ص ١٢٣٢ برقم ٦٤١٢.

(٢) (٤٣٥/٥) برقم ٧٩١٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ [غافر]» (١).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «صحبت الصوفية، فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهم يقولون: الوقت سيف، فإن قطعتة وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل» (٢).

ومن تأمل أحوال السلف ومن سار على نهجهم وجددهم أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، قال عبد الله بن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك فقد ذهب بعضك، وقال: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم على دراهمكم ودنانيركم.

وقد ذكر الله موقفين للمرء يندم فيهما على إضاعة الوقت.

الأول: عند ساعة الاحتضار حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة يتمنى لو منح مهلة من الزمن وأُخِرَ إلى أجل قريب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٠) نقلاً عن كتاب جامع الآداب لابن القيم من كلام ابن القيم، تحقيق/ يسري السيد محمد (١/ ٣٨٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٩٧).

الثاني: في الآخرة حيث تُوفى كل نفس ما عملت ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٥ - ٥٦]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عَزَّ وَجَلَّ (١). وفي الصحيحين في قصة الكبش الذي يذبح بين الجنة والنار ويقال: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا (٢).

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال القاضي ابن أبي عصرون:

أَوْمَلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمْرُ بِي الْمَوْتَى تَهْزُنُ نَعُوشَهَا
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنْ لِي بَقَايَا لِيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها

(١) تفسير ابن كثير (١٢/١٤٥).

(٢) ص ٩١٤ برقم ٤٧٣٠، وصحيح مسلم ص ١١٤٤ برقم ٢٨٤٩.

أمانى والوقت ضائع بينهما»^(١)، روى البخاري في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفوائد ص ٤٨ .

(٢) ص ١٢٣٣ برقم ٦٤١٦ .

الكلمة السادسة والستون

الإيمان بالبعث بعد الموت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالبعث بعد الموت، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، ورد على منكرية في غالب سور القرآن.

قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]. وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٦ - ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١] (١).

ففي الآية الكريمة الأخيرة يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعبدين المعاد القائلين على وجه الإنكار: إذا كنا عظاماً

ورفاتاً أي تراباً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً، ثم أمر الله رسوله أن يُجيبهم فيقول: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ إذ هما أشد امتناعاً من العظام والرفات ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني السماء والأرض والجبال ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ أي: من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] (١).

روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّيَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ» (٢).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ

(١) تفسير ابن كثير (٢٥/٩ - ٢٧).

(٢) ص ٣٥٧ برقم ٢١٤٥، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٧) برقم ١٧٤٤.

الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ * [يس].

قال بعضهم: لو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيحاز ووضع الأدلة وصحة البرهان ما قدر^(١).

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: إن الأجسام تتقلب من حال إلى حال فتسحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظماً ولحمياً ثم أنشأه خلقاً سويّاً كذلك الإعادة يُعيدها الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ»^(٣).

قد يقول قائل: ربما يُؤكل الإنسان من قبل السباع أو الحيتان في البحر أو يحترق تماماً فلا يبقى من جسده شيء فما الجواب عن ذلك؟ فيقال: إن الأمر هين على الله يقول: كن فيكون

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٣.

(٣) صحيح مسلم ص ١١٨٦ برقم ٢٩٥٥ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٩٧٦ برقم

وقدرة الله فوق ما نتصوره والله على كل شيء قدير، روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَسَسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي، وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحِشْتُمْ فَخُذُوهَا فَاطْحِنُوهَا، ثُمَّ انظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَادْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ» (١).

قال عبد الله الأندلسي:

والبعثُ بعد الموتِ وَعَدُّ صَادِقٌ بِإِعَادَةِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ
وقال أبو تمام:

فِيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمَبْعَثِي أَكُونُ رُفَاتًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

فإذا آمن المؤمن وصدق بالبعث بعد الموت وهو ركن من أركان الإيمان الستة وأن الله على كل شيء قدير، كما قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].
حاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة واستعد للقاء الله، قال تعالى: ﴿ فُورِيكَ لَسَأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر]. وقال تعالى: ﴿ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصفات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمْرِهِ

فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟
وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟^(١). قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن
تُحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا وتهيؤوا للعرض الأكبر على الله».

قال الشاعر:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٦ برقم ٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة السابعة والستون

تفسير سورة المسد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة المسد، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأُمَّرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، قالوا: ما لك؟ قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد] (١).

وفي رواية أن أبا لهب قال: «تباً لك سائر اليوم» (٢).

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ الأول: دعاء

(١) ص ٩٣٨ برقم ٤٨٠١، وصحيح مسلم ص ١١٤ برقم ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري ص ٢٧١ برقم ١٣٩٤.

عليه، والثانية: خبر عنه وأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له والازدراء به والتقص له ولدينه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهلياً أسلم: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ (١).

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١)، التباب هو الخسار كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]. أي: خسار وبدأ بيديه قبل ذاته لأن اليدين هما آلتا العمل والحركة والأخذ والعطاء وما أشبه ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾ (٢) أي: ماله وما كسب لن يغني عنه شيئاً من عذاب الله والآية تشمل الأولاد وتشمل المال المكتسب الذي ليس في يده الآن وتشمل ما كسبه من شرف وجاه،

(١) (٤٠٤/٢٥ - ٤٠٥) برقم ١٦٠٢٣، وقال محققوه: صحيح لغيره.

وكل ما كسبه مما يزيد شرفاً وعزاً فإنه لا يغني عنه شيئاً كما قال تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة]. وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [آل عمران].

قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾ أي: ذات شرر ولهب وإحراق شديد والمعنى أن الله توعد به بأنه سيصلى ناراً ذات لهب عن قريب لأن متاع الدنيا والبقاء فيها مهما طال فإن الآخرة قريبة حتى الناس في البرزخ وإن مرت عليهم السنون الطوال فكأنها ساعة، قال تعالى: ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف]. وشيء مقدر بساعة من نهار فإنه قريب.

قوله تعالى: ﴿ وَأُمَّرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾ يعني كذلك امراته معه وهي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان من أشرف قريش لكن لم يغن عنها شرفها لكونها شاركت زوجها في العداة والإثم والبقاء على الكفر، وحمالة الحطب ذكروا أنها تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ، وقال بعض المفسرين: كما كانت عوناً على زوجها في كفره فإنها تحمل الحطب فتلقيه على زوجها في نار جهنم فتكون عوناً عليه في العذاب^(١).

قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ الجيد هو العنق

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٩٧).

والجبل معروف، والمسد هو الليف يعني أنها متقلدة حبلاً من الليف تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ^(١). قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار^(٢).

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس قال: لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا» فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمصدق؟! فلما ولت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال ﷺ: «لَا مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي حَتَّى وَلَّتْ»^(٣).

قال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٣) وأمراته، حَمَالَةَ الْحَطَبِ^(٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ^(٥). فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ولم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا

(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٥١.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٧/١٤).

(٣) (٦٨/١) برقم ١٥، وقال البزار: هذا الحديث حسن الإسناد، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧٣٨/٨).

ظاهراً ولا باطناً لا سراً ولا علناً فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة^(١). أما أبو لهب فقد مات شرميتة وانتقم الله لنبيه منه.

قال ابن إسحاق: بعد غزوة بدر بعدة ليال أُصيب بمرض العدسة^(٢). فمات وخاف أولاده أن يقتربوا منه ليدفنوه فيصابوا بالمرض فتركوه ثلاثاً حتى أنتن فقال رجل من قريش: ويحكم ألا تستحيان ادفنوا أباكم فقالوا: نخشى من هذه القرحة فقال: أنا أُعينكم فأخرجوه إلى الصحراء فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رموه بالحجارة^(٣)، وإلى جهنم وبئس المصير^(٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (٤٩٩/١٤).

(٢) بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد تقتل صاحبها غالباً وهي من البثور المعدية شبيهها بعض المعاصرين بمرض الجدري.

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس (١/٤١٠).

(٤) انظر تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٤٩ - ٣٥٢.

الكلمة الثامنة والستون

سيرة أبي عبيدة بن الجراح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فشهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، وكان من السابقين إلى الإسلام، فقد هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وقد أبلى في معركة أحد بلاءً عظيمًا، فقد نزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجه رسول الله ﷺ بأسنانه حتى انتزعت ثنيتاه، وهو أمين هذه الأمة، وهو أحد الرجلين اللذين عينهما أبو بكر للخلافة يوم السقيفة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة.

إنه فارس الإسلام أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً نحيفاً معروق الوجه، خفيف اللحية، أثرم الثنيتين، وقد اشتهر بحسن خلقه وتواضعه وحلمه.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته منها، ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيُّهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»^(٢).

وكان أول مشهد شهده أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله ﷺ معركة بدر وقاتل في هذه المعركة قتالاً شديداً.

وقال عمر يوماً لجلسائه: تمنوا فتمنوا فقال عمر: ولكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح^(٣).

ولما طعن عمر وأشرف على الموت قيل له: أوص يا أمير المؤمنين قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته^(٤).

ومن مواقفه العظيمة التي تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين ما حصل منه من دفاع عن النبي ﷺ في معركة أحد فقد كان من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في هذه المعركة، ولما دخلت حلقات المغفر في وجه رسول الله ﷺ نزعها بأسنانه فسقطت ثنيتاه فما رُئيَ هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة.

(١) ص ٧١٤ برقم ٣٧٤٤، وصحيح مسلم ص ٩٨٥ برقم ٢٤١٩.

(٢) ص ٩٨٥ برقم ٢٤١٨.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/١٠٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (١/٢٦٣) برقم (١٠٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

وقد عينه عمر بن الخطاب أخيراً على الجند في الشام.

وذكر ابن المبارك في الزهد أن عمر قدم الشام، فتلقيه الأمراء والعظماء فقال: أين أخي أبو عبيدة؟ قالوا: يأتيك الآن قال: ف جاء على ناقه مخطومة بحبل، فسلم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا ثم قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي، قال: فدخل فلم ير شيئاً قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدأ^(١) و صحيفة^(٢) و شناً^(٣) وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت: إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك ما يبلغك المقييل، قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة^(٤).

قال الذهبي: هذا والله هو الزهد الخالص، لا زهد من كان فقيراً معدماً^(٥).

ولما حصل طاعون عمواس بالشام مات منه الآلاف من المسلمين، وكان أبو عبيدة معه ستة وثلاثون ألف فلم يبق معه إلا ستة آلاف رجل، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن

(١) اللبدهي: الخرق.

(٢) الصحيفة: هي إناء مبسوط مثل القصعة.

(٣) الشن: هي قربة خرقة وهي التي تستخدم في السقاي.

(٤) أبو داود في الزهد ص ١٢٦ برقم ١٢٣، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥/١٤٠ - ١٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٠١)، وقال محقق كتاب الزهد لأبي داود:

أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (٣١١/١١) بإسناد صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء (١٧/١).

النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(١).

روى الحاكم من طريق طارق بن شهاب أن عمر كتب إلى أبي عبيدة لما انتشر الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إلي فلما قرأ الكتاب، قال: عرفت حاجة المؤمنين أنه يريد أن يستبقي من ليس بباق، فكتب: إني قد عرفت حاجتك، فحللني من عزيزتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكان قد^(٢). وقد حصلت لأبي عبيدة كرامة له ولجيشه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر أنه قال: بعث النبي ﷺ بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مئة وأنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله، فكان مزودي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمر تمر، فقلت: وما تغني تمر؟ فقال: لقد وجدنا فقدناها حين فني، قال: ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الضرب، فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنُصبا ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبهما^(٣).

وكانت وفاته سنة ثمانى عشرة من الهجرة وله ثمان وخمسون

(١) ص ٥٤٦ برقم (٢٨٣٠)، وصحيح مسلم ص ٧٩٤ برقم ١٩١٦.

(٢) (٢٩٤/٣) برقم ٥١٤٦، قال الذهبي: هو على شرط البخاري ومسلم.

(٣) ص ٤٧٠ برقم ٢٤٨٣، صحيح مسلم ص ٨٠٢ برقم ١٩٣٥.

سنة. رضي الله عن أبي عبدة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير
الجزاء وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والستون

شرح اسم الله الغني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتاب الله تعالى: «الغني». قال بعضهم ذكر «الغني» في كتاب الله في ثماني عشرة آية. قال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨]. والغني في كلام العرب الذي ليس بمحتاج إلى غيره، قال الخطابي: هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكة فليست به حاجة إليهم وهم إليه فقراء محتاجون كما وصف نفسه (٢) فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

(١) ص ١٤٠٩ برقم ٧٣٩٢، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) شأن الدعاء ص ٩٢ - ٩٣.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إن الله تعالى شأنه هو الغني بذاته الذي له الغنى التام من جميع الوجوه لكماله وكمال صفاته فيده خزائن السماوات والأرض وخزائن الدنيا والآخرة فالرب غني لذاته والعبد فقير لذاته محتاج إلى ربه لا غنى له عنه طرفة عين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْفَقْرُ لِي وَصَفُ ذَاتٍ لَأَزِمٍ أَبَدًا كَمَا أَنَّ الْغِنَى أَبَدًا وَصَفٌ لَهُ ذَاتِي (١)

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش أن النبي ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ، أَنِّي تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَبَيْدٌ» (٢)، فَجَمَعْتَ وَمَنْعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِيَّ (٣)، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ» (٤).

فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين ولهذا كان من دعائه ﷺ: «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» (٥).

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٧.

(٢) الوئيد صوت شدة الوطء على الأرض، أي مشيت متكبراً وتركت النظر في أصلك وفي أمر خالقك.

(٣) التراقي عظام بين ثغرة النحر والعاتق.

(٤) (٣٨٥/٢٩) برقم ١٧٨٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٥) جزء من حديث أخرجه أبو داود ص ٥٤٩ برقم ٥٠٩٠، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٣٨٨.

وكان يدعو ﷺ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١).

يعلم عليه الصلاة والسلام أن قلبه بيد الرحمن لا يملك منه شيئاً وأن الله يصرفه كيف يشاء.

ثانياً: أن الله تعالى الغني له ملك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عَبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عَبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْ سَكُنْتُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عَبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْ سَكُنْتُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً»^(٢) فجميع الخلق مفتقرون إلى الله الغني الواسع في طلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم والعباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر].

فالله ﷻ هو الغني الذي يطعم ويسقي ويحيي ويميت ويُغني ويفقر، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله

في صحيح مسلم.

(٢) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ [الشعراء].

وبالجملة: فإن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها، فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرة إليه في قيامها، فلا قوام لها إلا به، فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه، فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فالخالق له مطلق الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قال الشاعر:

وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ
وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ (١)

ثالثاً: أن الله تعالى غني عن عباده لا يريد منهم طعاماً ولا شراباً لم يخلقهم ليستكثر بهم من قلة، أو يستقوي بهم من ضعف، أو ليستأنس بهم من وحشة بل هم المحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم وسائر شؤونهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات].

رابعاً: أن يتعفف المؤمن عن أموال الناس وحاجاتهم وأن يسأل الغني الكريم من فضله، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ

(١) معارج القبول (١/١٦٨).

عَمَّنْ سِوَاكَ» (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَسْتَعْفِفُ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» (٣)، فمن اجتهد واستعان بالله وألح عليه في السؤال لم يخيبه الله فإنه أمر بالدعاء ووعده عليه الإجابة في جميع الأدعية (٤).

خامساً: أن الله تعالى لكمال غناه واستغنائه عن خلقه قادر على أن يذهب الناس ويأت بخلق جديد وهذا ليس بعزيز على الله، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ (١٣٣) [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٢٨) [محمد].

سادساً: أن الله جل وعلا قرن غناه بالحمد، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر]، لأنه ليس كل غني نافعاً بغناه

(١) ص ٥٥٩ برقم ٣٥٦٣ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ص ٢٨٧ برقم ١٤٦٩، صحيح مسلم ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٣.

(٣) ص ١٠٩٠ برقم ٢٧٢١.

(٤) المجموعة الكاملة للشيخ السعدي (١/٤٩٦).

إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم، واستحق عليهم الحمد، وليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢١٥).

(٢) انظر الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبدالهادي وهبي ص ٦٢ - ٨٠.

الكلمة السبعون

المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يسارع في الخيرات فالعمر قصير والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يأتيه الموت وأعني بالمسارعة إلى الخيرات أي المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم تأخيرها، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]. وقال تعالى عن نبي الله زكريا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]. وكان عليه السلام يحث أمته على المسارعة إلى الأعمال الصالحة فإن المؤمن لا يدري ما يعرض له من مرض، أو فتنة، أو أجل. روى مسلم في صحيحه

من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال لرجل من أصحابه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»^(٣). وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم فيتسابقون إلى الأعمال الصالحة ويتنافسون في أعمال الآخرة كما أرشد إلى ذلك ربنا ﷻ فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين].

روى أبو داود في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَّا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَآتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ

(١) ص ٧٢ برقم ١١٨.

(٢) (٣٤١/٤) برقم ٧٨٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم ١٠٧٧.

(٣) ص ٥٢٤ برقم (٤٨١٠)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٧٨) برقم ٣٠٠٩.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^(١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن للقلوب شهوة وإدباراً
فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها، قال
الإمام أحمد بن حنبل: كل شيء من الخير يبادر به.

وقال الشاعر:

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَنِمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سَكُونُ
وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَمَا تَدْرِي السَّكُونُ مَتَى يَكُونُ
وَإِنْ دَرَّتْ^(٢) نِيَّاقُكَ فَاحْتَلِبْهَا فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ^(٣) لِمَنْ يَكُونُ

ومن فوائد المسارعة إلى الخيرات:

أولاً: الفوز بجنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ^(١٠)﴾
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ^(١١)﴾ [الواقعة]. والسابقون هم المبادرون إلى فعل
الخيرات في الدنيا، وهم في الآخرة سبقوا إلى الجنات فإن سبق
هناك على قدر سبق في الدنيا، والجزاء من حسن العمل، قال تعالى:
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ^(٦٠)﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ
أَوْثَرْنَا الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ^(٣٢)﴾
[فاطر].

(١) ص ١٩٧ برقم ١٦٧٨، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣١٥/١)

برقم ١٤٧٢ .

(٢) در الضرع: امتلاً لبناً .

(٣) الفصيل: ولد الناقة، المعجم الوسيط (٢٧٩ - ٦٩١).

قال ابن كثير: «ومنهم سابق بالخيرات هو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات»، وقال ابن عباس: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعه محمد عليه الصلاة والسلام»^(١).

ثانياً: المسارعة بقضاء الفرائض والواجبات فيه إبراء للذمة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ تَضَلَّ الضَّالَّةَ وَيَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتَكُونُ الْحَاجَّةُ»^(٢).

ثالثاً: المبادرة بالأعمال الصالحة في أول أوقاتها أفضل من تأخيرها إلا لمن استثناه الدليل. ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٢٢-٣٢٣).

(٢) (٣/٣٣٢) برقم ١٨٣٣، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ١٢١ برقم ٥٢٧، وصحيح مسلم ص ٦٢ برقم ٨٥.

(٤) ص ١٣٤ برقم ٦١٥، وصحيح مسلم ص ١٨٦ برقم ٤٣٧.

«لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (١).

رابعاً: أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة فيها استجابة لأمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: فأنطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لَا يُقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». قال: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخَّ بَخَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخَّ بَخَّ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ: إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (٢).

وأختم هذه الكلمة بما ذكره الله في كتابه عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا قبل الفتح على الذين أسلموا بعد قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي

(١) ص ١٨٦ برقم ٤٣٨.

(٢) ص ٧٨٩ برقم (١٩٠١).

مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴿١٠﴾ [الحديد].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والسبعون

شرح حديث احفظ الله يحفظك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

هذا الحديث شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم شرحاً عظيماً، ومما جاء في كلامه رحمته الله:

«هذا الحديث تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيئ، فوأسفاً من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه».

قوله: «أحفظ الله»: يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره

(١) ص ٤٠٩ برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ونواهيه وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه. فقال: ﴿ هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٢]. وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامر الله وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة، وحفظ الإيمان وحفظ الرأس ويدخل فيه السمع والبصر واللسان وحفظ البطن ويدخل فيه عدم إدخال الحرام إليه من المآكل والمشرب.

قوله: «يَحْفَظُكَ»: يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

الأول: حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]. قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي
وَأْمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ
شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُعْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١).

كان بعض العلماء قد جاوز المئة عام وهو متمتع بقوته وعقله
فوثب يوماً وثبة شديدة فعُوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها
عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، وقد يحفظ الله
العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فإنهما حفظا بصلاح أبيهما.

النوع الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في
دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات
المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان. وفي
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَوَى
أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ»، ثم قال
في آخر الحديث: «وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي،
وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا
تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٢).

قوله: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ» وفي رواية: «أَمَامَكَ». معناه:
أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله

(١) ص ٥٤٧، برقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود
(٢٤٨/٣).

(٢) ص ١٢١٦، برقم ٦٣٢٠، وصحيح مسلم ص ١٠٨٨ برقم ٢٧١٤.

حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. قال قتادة: «من يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا مضل له».

قوله: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»: هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه والدعاء هو العبادة^(١).

فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله ﷻ ولا يسأل غيره وأن يستعان بالله دون غيره، فأما السؤال فقد أمر الله بمسألته، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٢ - ٣]. وفي النهي عن سؤال المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر وثوبان وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه.

قوله: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ

(١) حديث في سنن أبي داود ص ١٧٧ برقم ١٤٧٩، وانظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٤٠٧.

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ [الحديد: ٢٢]. وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»^(٢).

قال عبيد الله بن عتبة:

واصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَحْتُومِ وَاَرْضْ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ومدار جميع هذه الوصايا على هذا الأصل وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع فأوجب ذلك العبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب ذلك أفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً وأنه يتقي

(١) ص ١٠٦٥ برقم ٢٦٥٣.

(٢) ص ٣٥٧ برقم ٢١٤٤ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٦).

سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً وإفراده بالاستعانة والسؤال له وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، بخلاف ما كان عليه المشركون من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والسبعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة نستمع إلى آيات من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر.

قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (٢٢) [الإنسان: ١٣ - ٢٢].

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ الاتكاء هو التمكن من الجلوس في حال الرفاهية والطمأنينة،

والأرائك هي السرر التي عليها اللباس، ولا يرون فيها شمساً أي ليس يضرهم حر ولا زمهرير أي برد شديد بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل بحيث تلتذ به الأجساد ولا تتألم من حر ولا برد فهو مزاج واحد دائم سرمدي ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ! أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأُذِنَ لِي أَنْتَفَسَ. فَأُذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾: قريبة إليهم أغصانها ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما في قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وكما في قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر وإن قعد تذللت له.

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾: قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج.

(١) ص ٢٤٥ برقم ٦١٧ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ١٢٢ برقم ٥٣٧.

فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا﴾ أي على قدر ريبهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك وهو قول جمع من المفسرين وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، أي: ويسقون الأبرار فيها في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قال قتادة وغير واحد.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾، قال قتادة: اسم للعين التي يشربون بها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة، وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق، واختار هو أنها تعم ذلك كله، قال ابن كثير: وهو كما قال^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا﴾، أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان صغار من ولدان الجنة مخلدون أي على حالة واحدة لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٢١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٢١٤) وتفسير القرطبي (٢١/٤٧٧).

تلك السن. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لَوْلَا مَنُورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في النظر أحسن من الوَلْوُ المنثور على المكان الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾، أي: إذا رأيت يا محمد هناك في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور رأيت نعيمًا وملاكًا كثيرًا أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهراً، قال سفيان الثوري: بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم، دليله، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»^(١).

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس ﴿وَحُلُوتًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ الذكور والإناث، هذه صفة الأبرار، أما المقربون فإنهم كما قال تعالى: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر].

قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الخلائق الرديّة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [السجدة: ١٧]. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما فتجري عليهم بنصرة النعيم فلا تتغير أبقارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبداً ثم يشربون من الأخرى فتخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال النخعي وأبو قلابة: إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسك وضمرت بطونهم^(٢).

(١) ص ١٠٥ برقم ١٨٩.

(٢) تفسير القرطبي (٢١ / ٤٨٤ - ٤٨٥).

قال الشاعر:

وَجَنَّاتٌ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُرْلِفَتْ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ
يُطَافُ عَلَيْهِم بِالَّذِي يَشْتَهَوْنَهُ

لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلُ
وَقُرَّةٌ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحَلُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرًا بَدَّلُوا

وقال آخر:

فَاعْمَلْ لِدَارٍ غَدًا رِضْوَانٌ خَازِنُهَا
قُصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِينَتُهَا
الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا
وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾. أي يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وكما قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي: جزاكم الله على القليل بالكثير كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

والحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والسبعون

الوفاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي حث عليها الشرع ورغب فيها: الوفاء، قال الراغب: الوفاء بالعهد إتمامه وعدم نقض حفظه^(١)، وللوفاء أنواع عديدة باعتبار الموفى به فهي قد تكون وفاء بالعهد وقد تكون وفاء بالعقد أو الميثاق، وقد تكون وفاء بالوعد. فالوفاء بالعهد كما ذكر الراغب إتمامه وعدم نقض حفظه، قال ابن عباس: العهود ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله^(٢). قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأما الوفاء بالعقد فالمراد به إما العهد وبذلك يتطابق مع التعريف الأول وقيل: العقود هي أوكد العهود، وقيل: هي عهود الإيمان والقرآن وقيل: هي ما يتعاقده الناس فيما بينهم^(٣)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. أما الوفاء بالوعد

(١) المفردات ص ٥٢٨.

(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر (٤/٦٢ - ٦٣).

(٣) مختصر تفسير البغوي (١/٢١٠).

فالمراد به أن يصبر الإنسان على أداء ما يعد به الغير ويبدله من تلقاء نفسه ويبرهنه به لسانه حتى وإن أضربه ذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه «أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة قال: وهذه صفة نبي»^(١).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح. روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَّتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»^(٢).

وأداء الدين من الوفاء، روى البخاري في صحيحه من حديث وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه أخبره أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: «جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ»، فجده بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣).

وأداء حقوق الله تعالى من الوفاء بالعهد. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ

(١) ص ٥١٠ برقم ٢٦٨١ وصحيح مسلم ص ٧٣٦ - ٧٣٧ برقم ١٧٧٣.

(٢) ص ٥٢٠ برقم ٢٧٢١ وصحيح مسلم ص ٥٥٨ برقم ١٤١٨.

(٣) ص ٤٤٩ برقم ٢٣٩٦.

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ أَفْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»^(١).

والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى:
 ﴿وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].
 قال ابن كثير: فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلفه من الصفات الذميمة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].
 روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بضعها من صفات المؤمنين ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به.

وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال:
 «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي»^(٣)^(٤). اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما مات

(١) ص ٣٥٣ برقم ١٨٥٢.

(٢) ص ٣٠ برقم ٣٣، وصحيح مسلم ص ٥٦ برقم ٥٩.

(٣) ص ٥٩٥ برقم ٣١١٠، وصحيح مسلم ص ٩٩٤ برقم ٢٤٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير (٩/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

النبي ﷺ، جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي ﷺ دين، أو كانت له قبله عدة، فليأتنا. قال جابر: فقلت وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، قال جابر: فعد في يدي خمسمئة ثم خمسمئة ثم خمسمئة^(١).

وبين النبي ﷺ أن الوفاء بالوعد جزاؤه الجنة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اضْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(٢).

قال الشاعر:

فَإِنْ تُجْمَعِ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلًا

ومما تقدم يتبين لنا فضل الوفاء وأنه من أوجب الواجبات. وإن من مظاهر عدم الوفاء التي انتشرت في بني آدم وهي كثيرة:

عدم الوفاء بعهد الله وميثاقه، فإن الله قد أخذ على بني آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١) ص ٥١٠ برقم ٢٦٨٣، وصحيح مسلم ص ٩٤٧ برقم ٢٣١٤.

(٢) (٤١٧ / ٣٧) برقم ٢٢٧٥٧، وقال محققوه: حسن لغیره.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ -: وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ»^(١).

ومنها عدم الوفاء مع الوالدين فإنهما السبب بعد الله في وجود الإنسان، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. ونسمع قصصاً عجيبة للتنكر لجميل الوالدين يندى لها الجبين، ويتفطر منها القلب.

ومنها عدم الوفاء بين الزوجين، فالمرأة ينبغي أن تكون وفية لزوجها، وكذلك الزوج يكون وفيًا لزوجته فإن النبي ﷺ مدح أم المؤمنين خديجة وكان وفيًا لها؛ فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله ﷻ بها خيراً منها، قال: «مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»^(٢).

(١) ص ١٢٥٥ برقم ٦٥٥٧، وصحيح مسلم ص ١١٢٨ برقم ٢٨٠٥.

(٢) (٣٥٦/٤١) برقم ٢٤٨٦٤ وقال محققوه: حديث صحيح.

ومن وفائه أنه كان يذبح الشاة ويقطع اللحم ويوزعه على أصدقاء خديجة وعندما دخلت أخت خديجة هاله رحب بها وأكرمها^(١)، وقال: «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيْمَانِ»^(٢).

وإن مما أشاع التفكك الأسري في مجتمعات المسلمين وأثار المشكلات بين الأزواج هو الإخلال بهذه الخلة.

ومنها عدم الوفاء بين الأصدقاء، فإن بعض الناس يكون له صديق إما في تجاره أو دراسة أو في عمل أو غير ذلك، فإذا ارتفع في دنياه إما بحصوله على منصب عال أو أصبح من أصحاب الأموال الطائلة أو غير ذلك، ترفع عن أصدقائه ولم يظهر لهم الود السابق وكأنه لا يعرفهم قبل ذلك وهذا ليس من الوفاء بل من التنكر للجميل، وليس من شيم الرجال ولا من أخلاقهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري ص ٧٢٥ رقم ٣٨١٦، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٥.
 (٢) مستدرک الحاکم (١/ ١٦٥) رقم ٤١ وقال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال محقق المستدرک: وهو حديث حسن بشواهد إن شاء الله.

الكلمة الرابعة والسبعون

سيرة جعفر بن أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام، وممن هاجر الهجرتين الأولى للحبشة والثانية للمدينة، وكان أحد قادة المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة، وله قرابة من النبي ﷺ فهو ابن عم النبي ﷺ، قال عنه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «أشبهت خلقي وخلقِي»^(١)، قال الذهبي: وقد سر النبي ﷺ بقدومه من الحبشة، والله حزن كثيراً عند استشهاده^(٢).

إنه الشهيد البطل علم المجاهدين جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو عبد الله ويلقب بأبي المساكين شقيق علي بن أبي طالب وأكبر منه بعشر سنين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة موقوفاً عليه أنه قال: ما احتذى النعال، ولا

(١) ص ٥١٥ برقم ٢٦٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٦).

انتعل، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكور^(١) بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب^(٢)، يعني في الجود والكرم.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية تدل على شجاعته العظيمة ونصرته لهذا الدين، فمن تلك المواقف العظيمة أنه بعد رجوعه من هجرته من الحبشة التي دامت عشر سنين بعيداً عن أهله ووطنه، كان النبي ﷺ لتوّه قد انتهى من فتح خيبر ففرح بقدومه كثيراً، لكن هذه الفرحة لم تستمر طويلاً فالأعمال كثيرة، والوقت قصير، فقد أرسله النبي ﷺ مع جيش المسلمين المتجه إلى الشام لقتال الروم، وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليهم زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة وبدأت المعركة، ونظراً لعدم التكافؤ بين جيش المسلمين وعدوهم، فقد أظهر المسلمون بطولات وتضحيات عظيمة، ففي بداية المعركة وبعد قتال شديد قتل زيد بن حارثة فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فعقر جواده، وكان فارساً من فرسان العرب، قال ابن اسحاق: هو أول من عقر في الإسلام^(٣) فجعل ينشد هذه الأبيات.

يا حَبِّذا الجِنَّةُ واقترباُها طَيِّبَةٌ وباردُ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها عَلَيَّ إذ لاقيتها ضرابها

وكان يمسك الراية بيده اليمنى فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية

(١) والكور الرحل الذي في الناقة.

(٢) ص ٥٨٦ برقم ٣٧٦٤ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) السيرة النبوية (٣/ ٣٣٢).

بيده اليسرى فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره فتكاثروا عليه فقتلوه^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟!»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن راحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن راحة فأصيب، وعيناه تذرفان حتى أخذ سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين، من طعنة

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٣٣).

(٢) ص ٧٨٥ برقم ١٨٨٧.

(٣) ص ٧١٦ برقم ٣٧٥٧.

ورمية^(١). وفي رواية: ليس منها شيء في دبره^(٢).

وصدق الله إذ يقول: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

روى الحاكم في المستدرک والترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَّ بِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مُخَضَّبُ الْجَنَاحَيْنِ بِالدَّمِّ، أبيضُ الفؤادِ»^(٣).

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لَهُ جَنَاحَانِ»^(٤).

فقد عوضه الله عن يديه المقطوعتين في المعركة بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، وهذه منقبة عظيمة له رضي عنه وأرضاه. وفي صحيح البخاري أن ابن عمر كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن الجناحين^(٥).

قال أبو عبد الله: الجناحان: «كل ناحيتين».

ومن مناقبه العظيمة: ما رواه البخاري في صحيحه من حديث

(١) ص ٨٠٦ برقم ٤٢٦١.

(٢) ص ٨٠٦ برقم ٤٢٦٠.

(٣) مستدرک الحاكم (٤/٢٢٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرح مسلم ولم يخرجاه وحسنه الحافظ في الفتح (٧/٧٦).

(٤) مستدرک الحاكم (٤/٢١٨) برقم ٤٩٨٨، وسنن الترمذي ص ٥٨٦ برقم ٣٧٦٣ وصححه الألباني رحمته الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٢٢٦) برقم ١٢٢٦.

(٥) ص ٧١٠ برقم ٣٧٠٩.

وبعد استشهاد جعفر ورجوع الجيش إلى المدينة دخل النبي ﷺ على أسماء بنت عميس زوجة جعفر ودعا بأبناء جعفر فشمهم وقبلهم وذرفت عيناه من الدموع حزناً على أخيه جعفر فقالت أسماء: يا رسول الله هل بلغك عن جعفر شيء؟ قال: «نعم، قُتِلَ» فقامت تبكي فقال: «لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَحِي بَعْدَ الْيَوْمِ».

ثم قال: «ادْعُوا لِي ابْنِي أَخِي» قال عبد الله بن جعفر: فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: «ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ» فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد، فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله، فشبيه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي، فأشالها^(٢). فقال: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أمنا، فذكرت له يَتَمَنَّا وجعلت تُفْرِحُ له^(٣)، فقال: «الْعَيْلَةُ»^(٤) تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!^(٥).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل، قال النبي ﷺ: «اصْنَعُوا لِأَلِ جَعْفَرَ

(١) ص ٥١٥ برقم ٢٦٩٩.

(٢) أي: رفعها.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٤٢٤/٣): إن كانت بالحاء فهو من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح وأفرحه الدين إذا أثقله، وإن كانت بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له فكأنها أرادت أن أباهم توفي ولا عشيرة له.

(٤) العيلة: الفقر والفاقة والحاجة.

(٥) (٣/ ٢٨٠) برقم ١٧٥٠ وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم من قوله: لا تبكوا على أخي.

طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»^(١).

ومن أخلاقه العظيمة: الكرم والبذل والسخاء ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال: كنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي، كي ينقلب بي فيطمعني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّةَ^(٢) التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها^(٣).

وكان قتله رضي الله عنه سنة ثمان من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، قال بعض المؤرخين: قتل وعمره بضع وثلاثون سنة، رضي الله عن جعفر وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣/ ٢٨٠) برقم ١٧٥١ وقال محققوه: إسناده حسن.
 (٢) العكَّة: وعاء من الجلد مستدير يوضع فيه السمن والعتل.
 (٣) ص ٧١٠ برقم ٣٧٠٨.

الكلمة الخامسة والسبعون

خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فقد أخبر

سبحانه بكذب الشياطين فيما تلتته على ملك سليمان ونفى عنه ما نسبوه إليه من السحر بنفي الكفر عنه مما يدل على كون السحر كفراً، وأكد كفر الشياطين وذكر صورة من ذلك وهي تعليم الناس السحر، ومما يؤكد كفر متعلم السحر: قوله تعالى عن الملكين اللذين يعلمان الناس السحر ابتلاءً لمن جاء متعلماً: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تكفر بتعلم السحر، ثم أخبر سبحانه أن تعلم السحر ضرر لا نفع فيه فقال: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وما لا نفع فيه وضرره محقق لا يجوز تعلمه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي: لقد علم اليهود فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، قال ابن عباس: ليس له نصيب، وقال الحسن: ليس له دين فدللت الآية على تحريم السحر وعلى كفر الساحر وعلى ضرر السحر على الخلق، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اتَى﴾ [طه: ٦٩]. ففي هذه الآية الكريمة نفى الفلاح نفيًا عن الساحر عامًا في أي مكان وهذا دليل على كفره.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله ما هي: قال: «الشرك بالله، والسحر» ثم ذكر البقية الأخرى^(١). وهذا يدل على عظم جريمة السحر لأنه قرنه بالشرك وعده من السبع الموبقات التي نهى عنها لكونها تهلك فاعلها في الدنيا، لما يترتب عليها من الأضرار الحسية والمعنوية وتهلكه في الآخرة بما يناله بسببها من العذاب الأليم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٢). وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٣)، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت أناس

(١) ص ٥٣٣ رقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٢) (١٥ / ٣٣١) برقم ٩٥٣٦ وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ٩١٧ برقم ٢٢٣٠.

رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذْبَةٍ»^(١).

ففي هذه الأحاديث النهي عن إتيان العرافين والكهنة والسحرة وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك، وفيها دليل على كفر الكاهن والساحر لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه.

والساحر لا يتمكن من سحره إلا بالخروج من هذا الدين إما بالذبح للجن أو الاستغاثة بهم أو إهانة كلام الله أو غير ذلك من الموبقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يكتبون كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله، إما حروف الفاتحة، وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾^(١)، وإما غيرهما، إما بدم وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك»^(٢).

«ولهذا كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ولرسوله

(١) ص ١١٩٦ برقم ٦٢١٣، وصحيح مسلم ص ٩١٦ - ٩١٧ برقم ٢٢٢٨.

(٢) الفتاوى (٣٥/١٩).

ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ، ولهذا كان سحر عبادة الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام وهم الذين سحروا رسول الله ﷺ^(١).

والنصوص السابقة من الكتاب والسنة تدل على كفر الساحر كما تقدم مما يدل على أنه يُستتاب فإن تاب وإلا قتل، وذهب بعض العلماء إلى قتله بدون استتابة، روى الترمذي في سننه من حديث جندب رضي عنه موقوفاً عليه أنه قال: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»^(٢) وورد عن طائفة من صحابة رسول الله ﷺ قتل الساحر والأمر بذلك ولم يوجد بينهم خلاف في ذلك.

والسحر داء يؤثر فيمرض الأبدان، ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وشرع للمرء الذي أُصيب به ويسعى في علاجه الأخذ بالأسباب المباحة المؤدية إلى الشفاء لأن الله تعالى جعل لكل داء دواء. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»^(٣). ويعالج السحر بالقرآن والأدعية المشروعة والأدوية المباحة.

قال ابن القيم رحمته الله: «وقد رُوي عنه فيه عن النبي ﷺ أي في علاج السحر نوعان: أحدهما وهو أبلغها استخراجها وإبطاله كما صح عنه أنه سأل ربه سبحانه في ذلك فدل عليه. والنوع الثاني: الاستفراغ

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥٨).

(٢) ص ٢٥٧ برقم ١٤٦٠.

(٣) ص ١١١٦ برقم ٥٦٧٨.

في المحل الذي يصل إليه أذى السحر»^(١).

وقال أيضاً: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر، والدعاء، والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله معموراً بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له، قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية، لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها^(٢). اهـ.

قال ابن حجر: وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه، وملازمة ورده و لكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره - يعني ابن القيم - محمول على الغالب، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم^(٣). وأما علاج السحر بالسحر فهذا حرام لعموم النصوص الواردة في تحريم السحر لأنه من عمل الشيطان، ولا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون لأنهم كذبة فجرة يدعون علم الغيب ويلبسون على الناس.

(١) زاد المعاد (٤/١١٤).

(٢) الطب النبوي ص ٢٥٢ بتصرف.

(٣) فتح الباري (١٠/٢٣٥) يشير إلى الأحاديث الصحيحة التي تثبت أنه سحر عليه الصلاة والسلام.

روى الإمام أبو داود، من حديث جابر أن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١)، والنشرة هي حل السحر عن المسحور والمراد بالنشرة الواردة في الحديث النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية وهي سؤال الساحر لحل السحر بسحر مثله.

فإذا علم ما تقدم ذكره تبين أن ما يفعله بعض الناس من الاتصال ببعض القنوات الفضائية للسحرة وسؤالهم عما يحدث له من مشاكل، أو هموم، أو قضايا اجتماعية، أمر محرم بل هو في غاية الخطورة ويقدم بالعقيدة وكيف يقدم مسلم على ذلك، وهو يعلم الآيات والأحاديث الواردة في ذم السحرة والنهي عن إتيانهم وتصديقهم، ومن فعل ذلك فإنه يخشى على إيمانه وتوحيده.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٨٦٨)، وقال الحافظ في الفتح (١٠/٢٣٣): إسناده حسن.

الكلمة السادسة والسبعون

تفسير سورة الهمزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم الذي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الهمزة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۝٣ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ ويل كلمة تدل على ثبوت وعيد لمن اتصف بهذه الصفات، قال أهل العلم: الهمز بالفعل كأن يلوي وجهه أو يشير بيده ونحو ذلك لعيب شخص أو تنقصه، واللمز باللسان وهو من الغيبة المحرمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَزَ مَسَاءً بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢﴾ هذه أيضاً من

أوصافه القبيحة جماع مناع. أي يجمع المال ويمنع العطاء فهو بخيل لا يعطي شيئاً. قال بعض المفسرين: أي إن الذي يحمله على الحط من أقدار الناس هو جمعه المال وتعيده أي عده مرة بعد أخرى شغفاً به وتلذذاً بإحصائه لأنه لا يرى عزاً ولا شرفاً ولا مجداً في سواه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾^(٢) أي: أيظن أن ماله الذي جمعه وأحصاه وبخل بإنفاقه مخلده في الدنيا فمزيل عنه الموت كلا، قال تعالى لنبيه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايُنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٣) [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾^(٤)، ﴿كَلَّا﴾ أي: فليرتدع عن هذا الحسبان فإن الأمر ليس كما يظن بل لا بد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال، و﴿لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ أي: ليلقى وليقذف يوم القيامة في النار التي من شأنها أن تكسر كل ما يُلقى فيها وتحطمه

والنبذ تفيد التحقير والتصغير.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾. استفهام عنها لتهويل أمرها كأنها ليست من الأمور التي تدركها العقول ثم فسرها بقوله سبحانه: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ أي هي النار التي لا تنسب إلا إليه سبحانه لأنه هو منشئها في عالم لا يعلمه سواه، قال أبو السعود: وفي إضافتها إليه سبحانه ووصفها بالإيقاد أي المشتعلة من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه^(١).

قوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، قال ابن جرير: أي التي يطلع ألمها ووهجها على القلوب^(٢)، وقال الزمخشري: يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان أطف من الفؤاد ولا أشد تألماً منه بأذى يمسّه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه؟! ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة^(٣). قال بعض المفسرين: وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه أي أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون^(٤) كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ [الأعلى]. وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ

(١) تفسير أبي السعود (٩/١٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١٢/٦٨٩).

(٣) الكشاف (٤/٢٢٣).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٩/٢٢٩ - ٢٣٠).

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيَّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴿إبراهيم﴾.
وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾، أي: مغلقة مطبقة لا مخلص لهم منها.

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾، قال الزمخشري: «المعنى أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على العمدة استيثاقاً في استيثاق»^(١) وصدق الله إذ يقول: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: تأمل الآن لو أن إنساناً كان في حجرة أو في سيارة اتقدت النيران فيها وليس له مهرب الأبواب مغلقة ماذا يكون؟ سيصبح في حسرة عظيمة لا تماثلها حسرة وهكذا في النار ﴿عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾، أي: إن النار مؤصدة وعليها أعمدة ممددة أي ممدودة على جميع النواحي والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها أو الخروج منها.

وينبغي للمؤمن أن يحذر من هذه الصفات الذميمة، عيب الناس

الكلمة السابعة والسبعون

شرح اسم الله الشهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: الشهيد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

قال الزجاج: الشهيد الحاضر^(٢)، وقال الزجاجي: الشهيد في اللغة بمعنى الشاهد كما أن العليم بمعنى العالم والشاهد خلاف الغائب كقول العرب: فلان كان شاهداً لهذا الأمر أي لم يغب عنه^(٣).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير الأسماء للزجاج ص ٥٣.

(٣) اشتقاق الأسماء للزجاجي ص ١٣٢ نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٣٩) بتصرف.

أولاً: أن الله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر، فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم ليس بغائب عنهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف]. فينبغي لكل عامل أراد عملاً صغراً العمل أو كبراً أن يقف وقفة عند دخوله فيه فيعلم أن الله شهيد عليه فيحاسب نفسه فإن كان دخوله فيه لله مضي فيه، وإلا رد نفسه عن الدخول فيه وتركه^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرْلًا» ثم قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ [الأنبياء]. ثم قال: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِيحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١٧٧].

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٤٣): نقلًا عن كتاب الحجّة في بيان المحجّة لأصبهاني.

[المائدة] فَيُقَالُ: إِنَّ هُوَ لَا يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» (١).

ثانياً: أن الله ﷻ أعظم شيء شهادة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]. قال ابن جرير: يقول الله تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون بنبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب (٢).

ثالثاً: شهد الله ﷻ لنفسه بأنه واحد أحد، فرد صمد لا شريك له ولا وزير ولا ند ولا نظير، وشهدت ملائكته وأولو العلم بذلك كما في قوله جل شأنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران]. فتضمنت الآية أعظم شهادة من أعظم شهيد.

رابعاً: أن الله تعالى هو الشهيد على أفعال العباد وأقوالهم ويتجلى ذلك يوم القيامة عند محاسبتهم وتقرير أحوالهم. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قال: قلنا: الله ورسوله

(١) ص ٨٨٠ برقم ٤٦٢٥، وصحيح مسلم ص ١١٤٧ برقم ٢٨٦٠.

(٢) تفسير ابن جرير (١٦١/٥).

أعلم، قال: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ»، يقول: «يَا رَبِّ! أَلَمْ تُحِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟» قال: «يَقُولُ: بَلَى»، قال: «فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي»، قال: «فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهودًا»، قال: «فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي»، قال: «فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ»، قال: «ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ» قال: «فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُّ»^(١).

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس].

خامساً: أن من أعظم ثمرات الإيمان بهذا الاسم أن يستحضر العبد شهود الله له عند كل عمل يعمله أو كلاماً يقوله أو نية يعقدها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة]^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٩١ برقم ٢٩٦٩.

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للنجدي (١/٤٣٩ - ٤٥١).

الكلمة الثامنة والسبعون

أحداث الدانمارك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن عداوة الكفار للمسلمين أزلية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وفي هذه الأيام تطاول هؤلاء النصارى بدعم من اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة على نبينا وحبينا محمد بن عبد الله ﷺ، ونشرت الصحف الدنماركية الصور والمقالات السيئة التي تتضمن السخرية والاستهزاء بهذا النبي الكريم كل هذا بحجة الديمقراطية والحرية.

ولا شك أن الاستهزاء بالنبي ﷺ استهزاء بالإسلام وبالرب تعالى الذي أرسله إلينا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨] [الأعراف].

ونحن نتساءل لماذا لا تكون الحرية في مهاجمة اليهود أو غيرهم ممن يخشونهم ويخافون منهم؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأمام هذا الحدث العظيم الذي حل بالأمة نقف هذه الوقفات:

أولاً: التأكيد على عقيدة الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين وإظهار عداوتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [المتحنة: ٤].

ثانياً: استغلال هذا الحدث ودعوة الناس إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاستجابة لأوامرهما والانتها عما نهى الله ورسوله عنه فإن ذلك من أعظم أسباب نصرته، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(١)

ثالثاً: يجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الدفاع عنه عليه الصلاة والسلام والذب عن عرضه وأن يستخدموا

(١) مستدرک الحاكم (١/٢٨٤) برقم ٣٢٤، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في مشكاة المصابيح (١/٦٦).

جميع الوسائل والإمكانات في ذلك، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٧) [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة].

رابعاً: على تجار المسلمين أن يستبدلوا البضائع التي تأتينا من
الدانمارك والنرويج التي تتبعها في هذا الأمر ببضائع من دول أخرى
حتى لا يستغل أعداء الإسلام هذه الأموال في حملتهم الشرسة ضد
النبي ﷺ: «وَمَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ» (١).

خامساً: على المسلمين أن يكثرُوا من الدعاء أن الله ينصر دينه
ويذل أعدائه وينتقم لرسوله ممن آذوه وسبوه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) [غافر]. وروى أبو داود في سننه من حديث
النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (٢).

سادساً: أ بشروا وأملوا فإن النصر قريب بإذن الله، وسنة الله في
خلقه أن من آذى رسوله، أو سبه، ولم يجاز في الدنيا بيد المسلمين
فإن الله سبحانه ينتقم لنيبه منه ويكفيه إياه، والحوادث التي تشير إلى

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠): رواه
أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ
(١٩/١): وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ص ١٧٧ برقم ١٤٧٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ برقم
٣٤٠٧.

هذا في السيرة النبوية وبعهد النبوة كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) [الحجر]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «إنا كفيناك المستهزئين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزؤون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من العقوبة»^(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٢) [الكوثر]. فكل من شنأه أو أبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وقيل: إنها نزلت في العاص بن وائل، أو عقبة بن أبي معيط، أو في كعب ابن الأشرف، وجميعهم أخذوا أخذ عزيز مقتدر وقتلوا شر قتلة»^(٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله معلقاً: وهذا أمر خارج عن

(١) تفسير ابن سعدي ص ٤١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١٤/٤٨٢ - ٤٨٣.

(٣) ص ٦٩١ برقم ٣٦١٧، وصحيح مسلم ص ١١٢٠ برقم ٢٧٨١.

العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون لا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثناه أعداء من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقعة في عرضه فعجلنا فتحة وتيسر ولم يكذ يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، وتكون ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لتبشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه، وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين^(١) اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١١٦ - ١١٧ .

الكلمة التاسعة والسبعون

سيرة عثمان بن عفان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
فهذه مقتطفات من سيره علم من أعلام هذه الأمة، وخليفة من خلفائها الأماجد، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، ولد هذا الصحابي قبل عام الفيل بست سنين على الصحيح وأسلم على يد أبي بكر الصديق، وكان من السابقين إلى الإسلام، وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجه أختها أم كلثوم، وكان يلقب بذي النورين قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، قال فيه النبي ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وقال فيه أيضاً: «بَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بِلْوَى تُصِيبُهُ»^(٢) وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض. إنه الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو العاص القرشي الأموي وصفه أهل السير بأنه كان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، أبيض اللون، مشرباً بالحمرة، كثير اللحية بعيد

(١) صحيح مسلم ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٥ برقم ٣٦٩٣، وصحيح مسلم ص ٩٧٨ برقم ٢٤٠٣.

ما بين المنكبين، أحسن الناس ثغراً.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على فضله ونصرته لهذا الدين فمن ذلك أنه هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وجhez جيش العسرة، وحفر بئر رومة وتصدق بها على المسلمين، كما قام بتوسعة المسجد النبوي، وفي عهد جمع القرآن الكريم، وتوسعت فتوحات المسلمين، ووصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها. روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضي عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار قال الحسن بن واقع: وكان في موضع آخر من كتابي في كُمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» مرتين^(١).

قال الزهري: جهز عثمان بن عفان جيش المسلمين في غزوة تبوك بتسعمائة وأربعين بغيراً وستين فرساً.

وروى الترمذي في سننه من حديث ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار، حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبكم اللذين ألباكم عليّ.

قال: فجيء بهما فكأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن

(١) ص ٥٧٩ برقم (٣٧٠١) وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٨).

رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلْ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر قالوا: اللّٰهُمَّ نعم.

قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدَهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ» فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين، قالوا: اللّٰهُمَّ نعم.

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟
قالوا: اللّٰهُمَّ نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر، وعمر، وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارتة بالحضيض، قال: فركضه برجله، فقال: «اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟».

قالوا: اللّٰهُمَّ نعم، قال: اللّٰهُمَّ أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة: أني شهيد ثلاثاً^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من

(١) ص ٥٧٩ برقم ٣٧٠٣ قال الترمذي: هذا حديث حسن.

هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا، قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فضرب بها على يده، فقال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك^(١). وفي صحيح البخاري من حديث قتادة أن أنساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، وقال: «اسْكُنْ أَحَدًا، - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ - فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»^(٢).

وقد كانت لهذا الصحابي من الخصال الحميدة، والشمائل العظيمة الشيء الكثير فقد كان شديد الحياء. روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة قال: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً

(١) ص ٧٠٦ برقم ٣٦٩٩.

(٢) ص ٧٠٦ برقم ٣٦٩٧.

عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه (قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد) فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»^(١).

وقد اشتهر رضي عنه بالكرم والإنفاق في سبيل الله وقد تقدم ذكر شيء من ذلك.

أما عبادته فقد كان صواماً قواماً، قال ابن عمر في قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَائِةَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر]: ذاك عثمان، قال حسان بن ثابت رضي عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

ومن أقواله العظيمة التي تدل على ورعه وتقواه أنه كان يقول: ما زنيت ولا سرقت لا في جاهلية ولا في إسلام.

وقد قُتل رضي عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة محصوراً في داره في الفتنة المشهورة وقد جاوز الثمانين من عمره.

وقد ضحى بنفسه وقتل شهيداً مظلوماً، وكان باستطاعته أن يستعين بالصحابة للدفاع عنه، ولكنه لم يرغب أن تراق قطرة دم من

أجله، وقد أخبره النبي ﷺ بقتله ظلماً في حياته، وكانت هذه علامة من علامات النبوة، فروى الترمذي في سننه من حديث ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فتنة، فقال: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا» لِعُثْمَانَ^(١)، وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ»^(٢).

رضي الله عن عثمان وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٨٠ برقم ٣٧٠٨، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/٢١٠) برقم ٢٩٢٥.
 (٢) ص ٥٧٩ برقم ٣٧٠٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/٢١٠) برقم ٢٩٢٣.

الكلمة الثمانون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٩٥)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به فقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) [محمد]، وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزئون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧) [البقرة]. والأمثلة على ذلك من السنة كثيرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمَعَ قُرَيْشٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي؟ أَيُّكُمْ

(١) تفسير ابن سعدي ص ٩٥.

يُقَوْمٌ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا^(١) وَدَمِهَا وَسَلَاهَا^(٢)، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يَمْهَلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ^(٣)، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ ابْنَ الْوَلِيدِ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً»^(٤)(٥).

وفي رواية: فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة^(٦)، وكان من أشد الكفار عداوة لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما يقال له: عقبة بن أبي معيط، والآخر يقال له: النضر بن الحارث.

(١) هو بقايا الطعام في الكرش.
 (٢) السلا: هو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ويسمى المشيمة.
 (٣) جاء في رواية أخرى: أنه عقبة بن أبي معيط.
 (٤) ص ١١٩ برقم ٥٢٠، وصحيح مسلم ص ٧٤٦ برقم ١٧٩٤.
 (٥) قليب بدر: بئر مهجور والمسافة الآن بين بدر والمدينة ١٥٣ كيلو متر «غزوة بدر الكبرى» للأستاذ محمد باشميل.
 (٦) صحيح البخاري ص ٦٩ برقم ٢٤٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل^(١).
وأذكر بعضاً من مواقف هذين الرجلين، التي تدل على حقدتهما وبغضهما للنبي ﷺ وللإسلام وأهله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»^(٢).

وتقدم أن عقبة بن أبي معيط هو الذي وضع سلا الجزور على رسول الله ﷺ وهو ساجد.

أما النضر بن الحارث فقد قال عنه ابن إسحاق: كان من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً، فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلتم إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار^(٣)، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ قال

(١) البداية والنهاية (٥/١٨٩).

(٢) ص ٧٠٢ برقم ٣٦٧٨.

(٣) هما حكيمان من حكماء الفرس.

ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله، قال ابن اسحاق: وكان ابن عباس يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله ﷻ: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا كَسَطِيطُ الْأُولِينَ﴾ وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن^(١).

وكان هذا الرجل حامل لواء المشركين في غزوة بدر، وقد أُسر هذان الرجلان عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث في غزوة بدر وجيء بهما مع الأسرى وفي مكان يقال له: الأثيل^(٢)، أمر النبي ﷺ بضرب عنق النضر بن الحارث فقتله علي بن أبي طالب ضرباً بالسيف، وأرغم الله أنف هذا الكافر وأذله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وأما عقبة بن أبي معيط فقد أمر النبي ﷺ بضرب عنقه في مكان يقال له: عرق الظبية^(٣).

وكان الذي أسره من المسلمين عبد الله بن سلمة، فقال عقبة حين أمر النبي ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ يستعطف النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «النَّارُ»، وكان الذي قتله عاصم بن ثابت^(٤).

(١) السيرة النبوية (١/٣٢٦).

(٢) الأثيل: موضع بين بدر والصفراء وفاء الوفا (٢/٢٤٢). قال الواقدي: الأثيل واد طوله ثلاثة أميال، بينه وبين بدر ميلان، مغازي الواقدي (١/١١٣).

(٣) مكان دون الروحاء بميلين، وفاء الوفا (٤/١٠٠٩/١٢٥٩).

(٤) السيرة النبوية (٢/٢٣٦) وأخرجه ابن جرير (٢/٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٣٢٣). وأخرجه أبو داود ص ٣٠٣ حديث رقم ٢٦٨٦، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود برقم ٢٣٣٦.

وفي رواية الواقدي: أنه لما أقبل إليه عاصم بن ثابت ليقتله قال: يا معشر قريش، علام أُقتل من بين من هاهنا؟ قال: لعداوتك لله ولرسوله، فأمر به فضربت عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «بِئْسَ الرَّجُلُ كُنْتَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ كَافِرًا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ مُؤْذِيًا لِنَبِيِّهِ، فَأَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ قَتَلَكَ، وَأَقْرَّ عَيْنِي مِنْكَ»^(١).

والأمثلة كثيرة فيمن عاداه وأذاه عليه الصلاة والسلام وكيف كانت نهايته في الدنيا قبل الآخرة؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الحادية والثمانون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ رقم (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر]. وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كلمة سابقة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فدعا على ستة نفر من قريش، فيهم: أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً^(١). ولناخذ قصة مقتل اثنين من هؤلاء الكفرة الذين كانوا يستهزئان به صلى الله عليه وسلم ودعا عليهما وهما: أبو جهل رأس الكفر وفرعون هذه الأمة، وأمية بن خلف الذي عذب بلائاً رضي عنه، وكيف انتقم الله لنبيه منهما؟

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) ص ٧٤٦ برقم ١٧٩٤، وصحيح البخاري ص ١١٩ برقم ٥٢٠.

عبد الرحمن بن عوف قال: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةً أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمٌّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتِكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلْبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ»، وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ يوم بدر: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، قَالَ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟ (٢).

(١) ص ٦٠١ برقم ٣١٤١، وصحيح مسلم ص ٧٢٧ برقم ١٧٥٢.

(٢) ص ٧٥٣ برقم ٣٩٦٢، وصحيح مسلم ص ٧٢٧ برقم ١٧٥٢.

وقال أيضاً لابن مسعود: فلو غير أكار^(١) قتلني^(٢).

وفي رواية أخرى للبخاري: وهل أعمد^(٣) من رجل قتلتموه^(٤)؟

وقال أيضاً لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، وسأل قائلاً: لمن الدائرة اليوم؟ قال ابن مسعود: لله ولرسوله.

أما أمية بن خلف فقد روى البخاري في صحيحه قصة قتله من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بِنَ خَلْفٍ كِتَابًا بِأَنَّ يَحْفَظُنِي فِي صَاغِيَّتِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظُهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبِنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ^(٥) حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أُمِّيَّةُ بِنُ خَلْفٍ لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتَّبِعُونَا،

(١) الأكار الزراع وعني بذلك أن الأنصار أصحاب زرع فأشار إلى تنقيص من قتله منهم بذلك.

(٢) ص ٧٦٢ برقم ٤٠٢٠.

(٣) أعمد يريد أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لفعلهم به. قال الحافظ أبو ذر الخشنى: وعميد القوم سيدهم شرح السنة النبوية ص ١٦٠.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٧).

(٥) أحرزت الشيء إذا حفظته وضممته إليك.

وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ (١).

وفي رواية لابن إسحاق وهي تتمه لهذه القصة: قال أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه أخذ بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل قال عبد الرحمن: فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضان (٢) مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد فيقول بلال: أحد أحد قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال أبأسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا قال: قلت: أسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا قال: ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا قال: فأحاطوا بنا، حتى جعلونا في مثل المسكة (٣) أي جعلونا في حلقة كالسوار وأنا أذب عنه قال: فأخلف رجل السيف فضرب

(١) ص ٤٣ برقم ٢٣٠١.

(٢) الرمضاء: الرمل الحار من الشمس.

(٣) المسكة: السواد من الذيل، الذيل جلدة السلحفاة البرية.

رجل ابنه فوق وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط قال:
فقلت: انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً قال:
فهبروهما^(١) بأسيا فهم حتى فرغوا منهما قال: فكان عبد الرحمن
يقول: يرحم الله بلالاً ذهب أدراعي وفجعتني بأسيري^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فهبروهما: معناه: قطعوا اللحمهما يقال: هبرت اللحم إذا قطعتة قطعاً كبيراً.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٣).

الكلمة الثانية والثمانون

شرح اسم الله البصير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، قال بعضهم: ورد ذكر البصير في كتاب الله تعالى اثنتين وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال تعالى: ﴿مَا مَسَّكُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]. قال ابن كثير: والله بصير بالعباد: أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وما ذاك إلا لحكمته ورحمته^(٢).

وإن سألت عن بصره فهو البصير جل جلاله الذي قد كمل في بصره أحاط بصره بجميع المُبصرات في أقطار الأرض والسموات حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٧).

وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من دون ذلك ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان ويرى ما تحت الأراضي السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْبَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَانِ
وَيَرَى مَجَارِيَ الْقَوْتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى عُرُوقَ بِيَاضِهَا بِعَيَانِ
وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعَيُونِ بِلِحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ^(٢)

وقال المؤيد في الدين:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ
وَيَرَى نِيَاطَ^(٣) عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمُخَّ مِنْ تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحْلِ
أَمُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُوبِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة البصر لله لأنه وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه، وصفة البصر من صفات الكمال كصفة السمع فالمتصف بهما أكمل ممن لا يتصف بذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

(١) موارد الأمان ص ٢٧.

(٢) النونية (٢/٢١٥) لابن القيم بشرح ابن عيسى.

(٣) قال في اللسان: النياط: الفؤاد، والنياط عرق علق به القلب من الوتين (٧/٤١٨).

وقال تعالى موبخاً للكفار ومسفهاً عقولهم لعبادتهم الأصنام التي هي من الحجارة الجامدة: ﴿ اَللّٰهُمَّ اَرْجُلُ يَمْسُوْنَ بِهَا اَمَّ لَهْمُ اَيْدٍ يَّبْطِشُوْنَ بِهَا اَمَّ لَهْمُ اَعْيُنٌ يُّبْصِرُوْنَ بِهَا اَمَّ لَهْمُ اَاذَانٌ يَّسْمَعُوْنَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. أي أنتم أكمل من هذه الأصنام لأنكم تسمعون وتبصرون فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها؟!

ثانياً: أن الله تبارك وتعالى بصير بأحوال عباده خبير بصير بمن يستحق الهداية منهم، ممن لا يستحقها بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال وبمن يفسد حاله بذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]. وهو بصير بالعباد شهيد عليهم الصالح منهم والفساق قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللّٰهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢]. بصير خبير بأعمالهم وذنوبهم، قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]. وسيجزئهم عليها أتم الجزاء^(١).

ثالثاً: إذا علمنا أن الله بصير حملنا ذلك على حفظ الجوارح وخطرات القلوب عن كل ما لا يرضي الله، وحملنا أيضاً على خشيته في السرو العلانية في الغيب والشهادة لأنه يرانا على كل حال، فكيف نعصيه مع علمنا باطلاعه علينا؟! قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]. ومن علم أنه

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٣٧).

يراه أحسن عمله وعبادته. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

قال النووي رحمته الله: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات، واجتماعه بظاهره وبباطنه وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به^(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٦ برقم ٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٥٧-١٥٨).



شرح حديث

الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم، حتى آووا المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيءٍ يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك: ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج»، قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينارٍ على أن تخلي بيني

وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّلَاثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبْلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأَقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^(١).

وفي هذا الحديث فوائد وعبر كثيرة.

أولاً: فضيلة بر الوالدين وأنه من الأعمال الصالحة التي تُفْرَجُ بها الكربات، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَجْهِهَا» قال: ثم أي؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قال: ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

(١) ٤٢٣ - ٤٢٤ برقم ٢٢٧٢، وصحيح مسلم ص ١٠٩٦ رقم ٢٧٤٣.

(٢) ص ١٢١ برقم ٥٢٧، وصحيح مسلم ٦٢ برقم ٨٥.

ثانياً: فضيلة العفة عن الزنا وأن الإنسان إذا عف عن الزنا مع قدرته عليه فإن ذلك من أفضل الأعمال، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ» (١).

ثالثاً: في الحديث دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير فإن هذا الرجل كان بإمكانه لما جاءه الأجير أن يعطيه أجره ويقتي هذا المال له ولكن لأمانته وإخلاصه لأخيه ونصحه له أعطاه كل ما أثمر أجره له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

رابعاً: أن من أعظم الأسباب التي تدفع بها المكاره الدعاء فإن الله سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

خامساً: أن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات لأن كل واحد منهم يقول: اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه.

سادساً: مشروعية التوسل إلى الله بالعمل الصالح فإن كل واحد منهم توسل إلى الله بعمله الصالح أن الله يزيل عنهم ما بهم من الضر والشدة. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة الرابعة والثمانون

قصة قارون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قص الله علينا قصص الأمم الماضية لناخذ منها الدروس والعبر، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ؕ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَيْكُم ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَتْهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص].

يخبر تعالى عن حال قارون وما فعل وما فعل به وأنه كان من بني إسرائيل الذين فضّلوا على العالمين ولكنه بغى على قومه وطغى بما أُوتيه من الأموال العظيمة المطغية، وأعطاه الله من كنوز الأموال شيئاً كثيراً ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والعصبة من العشرة إلى التسعة إلى السبعة ونحو ذلك أي حتى إن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها أي هذه المفاتيح فما ظنك بالخزائن؟ وقال له قومه: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة وتفتخر بها، فإن الله لا يحب الفرحين بها، ﴿وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فلا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك وأحسن إلى عباد الله ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله ورد قارون على قومه قائلاً: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب «وخرج ذات يوم على قومه بأحسن هيئة» جمعت زينة الدنيا وبهجتها وغضارتها ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿الَّذِينَ عَرَفُوا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَنظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا﴾ ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ﴾ العاجل من لذة العبادة ومحبته والإنابة والإقبال عليه والآجل من الجنة وما فيها خير مما تمنيتم وورغبتم فيه ولا يوفق لذلك إلا الصابرون.

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر وازينت الدنيا عنده

بغته العذاب فخشف الله به وبداره الأرض، فما كان له من جماعة أو عصابة أو جنود ينصرونه فما نصر ولا انتصر، ثم عرف الذين تمنوا مكانه بالأمس من الذين يريدون الحياة الدنيا أن الله يضيق الرزق على من يشاء ويبسطه لمن يشاء، وعلموا أن بسطه لِقَارُونَ ليس دليلاً على محبته وأن الله مَنْ عَلَيْهِمْ فلم يعاقبهم على قولهم وإلا أصبح حالهم الهلاك كقارون لعنه الله.

ولما ذكر الله تعالى حال قارون وما صارت إليه عاقبة أمره رَغِبَ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، وأخبر أنها دار الذين لا يريدون علواً أي رفعة وتكبراً على عباد الله ولا فساداً وهذا شامل لجميع المعاصي، وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحميدة كما قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] (١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن المال يكون وبالاً وحسرة على صاحبه إذا لم يستخدمه في طاعة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

ثانياً: إن كثرة المال ليست دليلاً على محبة الله ورضاه عن العبد،

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نَسَائِحِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: (١)].

ثالثاً: أن المعاصي قد تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة فقارون عاجله الله بالعذاب بالخسف فجعله عبرة للآخرين، قال تعالى: ﴿ فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

رابعاً: إن الله تعالى ييسر الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء لحكمة بالغة منه، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

خامساً: إن هذا المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ط وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١ وقال محققوه: حديث حسن.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١٤، وصحيح مسلم ص ١١٨٨ برقم ٢٩٦٠.

الكلمة الخامسة والثمانون

نزول المطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده: نزول هذه الأمطار المباركة، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه - وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها - أقلع عنها وأعقبه بالصحو فهما - أعني الصحو والتغيم - يعتقان على العالم لما فيه صلاحه، ولو دام أحدهما كان فيه فساد، فلو توالى الأمطار لأهلكت ما على الأرض، ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار، وعفنت الزروع والخضروات وأرخت الأبدان وخشرت الهواء، فحدثت ضروب من الأمراض، وفسد أكثر المآكل وتقطعت المسالك والسبل، ولو دام الصحو لجفت الأبدان وغيض الماء، وانقطع معين العيون والآبار والأنهار والأودية وعظم الضرر، واحتدم الهواء، فببس ما على الأرض، وجفت الأبدان،

وغلب اليُبْسُ، وأحدث ذلك ضرورياً من الأمراض عسرة الزوال، فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم، فاعتدل الأمر، وصح الهواء، ودفع كل واحد منهما عادية الآخر، واستقام أمر العالم وصلاح»^(١).

ومن الأذكار التي تقال عند نزول المطر ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زيد بن خالد الجهني قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»^(٣). وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُوبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»^(٤)^(٥).

وميكائيل موكل بنزول المطر ففي الحديث الذي رواه

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٩٩).

(٢) ص ١٧٢ برقم ٨٤٦، وصحيح مسلم ص ٥٩ برقم ٧١.

(٣) ص ٢٠٥ برقم ١٠٣٢.

(٤) ص ٣٤٧ برقم ٨٩٨.

(٥) معناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن، عرفنا أنك نبي واتبعناك؛ وفي آخر الحديث قالوا: إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريلُ عليه السلام» قالوا: جبريل! ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^(١).

ويشرع للمسلم أن يكثّر من الدعاء عند نزول المطر، لما رواه الشافعي في الأم من حديث مكحول مرسلًا أن النبي ﷺ قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث»^(٢).

ويشرع للمسلم الذكر عند سماع الرعد لما رواه مالك في الموطأ من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير موقوفاً عليه: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد^(٣).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الرعد ملك من ملائكة الله، موكّل بالسحاب معه مخاريق من

(١) (٢٨٤ - ٢٨٥) برقم ٢٤٨٣ وقال محققوه: إسناده حسن دون قصة الرعد.

(٢) (٢٥٣/١) وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤٥٣/٣) برقم ١٤٦٩.

(٣) ص ٦٥٥ برقم ٣٠٥٥ وقال محققوه: صحيح مقطوع أو موقوف.

نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»^(١)، وقد يسقي هذا الملك بأمر الله بلاداً دون بلاد، أو قرية دون أخرى، وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاحِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَاتَّصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ»^(٢).

وإذا نزل المطر وكان غزيراً وخيف منه الضرر فإنه يشرع للمسلم أن يدعو الله بتخفيفه. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا،

(١) ص ٤٩٦ برقم ٣١١٧، وصححه الألباني رحمته الله في سنن الترمذي (٦٤/٣) برقم ٢٤٩٢.

(٢) ص ١١٩٦ برقم ٢٩٨٤.

اللَّهُمَّ أَعِثْنَا، اللَّهُمَّ أَعِثْنَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً^(١)، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ^(٢) مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعْتُ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ^(٣)، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا^(٤). ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ - يَعْنِي الْيَوْمَ الثَّانِي - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ^(٥) وَالظَّرَابِ^(٦) وَبُطُونِ الْأُودِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعْتُ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ^(٧).

قال النووي: وفي هذا الحديث الإخبار عن معجزة الرسول ﷺ وعظيم كرامته على ربه ﷻ بإنزال المطر سبعة أيام متواصلة بسؤاله من غير تقدم سحاب ولا قزع ولا سبب آخر ظاهر ولا باطن^{(٨)(٩)}.
والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) القطعة من السحاب.

(٢) جبل بقرب المدينة.

(٣) وهو ما يبقى له السيف.

(٤) أي أسبوعاً.

(٥) وهي دون الجبل وأعلى من الراية.

(٦) وهي الجبل المنبسط ليس بالعالي.

(٧) ص ٢٠٢ برقم ١٠١٤، وصحيح مسلم ص ٣٤٦ برقم ٨٩٧.

(٨) شرح صحيح مسلم (٢/١٩٢).

(٩) انظر: عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر الأشقر ص ٨٠ - ٨١.

الكلمة السادسة والثمانون

تواضع السلف وخوفهم من ربهم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله في تعليقه على الآيات المتقدمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي: وجلون مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية ربهم خوفاً أن يضع عليهم عدله فلا يُبقي

(١) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٩ - ٨٠) برقم ٢٥٣٧.

لهم حسنة وسوء ظن بأنفسهم أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله وخوفاً على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب والتقصير في الواجبات^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لئن أعلم أن الله تقبل مني ركعتين أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري قال: قال عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: فقلت: لا، قال: قال أبي لأبيك: يا أبا موسى هل يسرك إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا وأن كل عمل عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس؟ فقال أبي: لا والله قد جاهدنا مع رسول الله ﷺ وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً وأسلم على أيدينا بشر كثير وإنما لندرجو ذلك، فقال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لو ددت أن ذلك برد لنا وأن كل شيء عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس فقلت: إن أباك والله خير من أبي^(٢).

قال ابن حجر: والقائل هو أبو بردة وخاطب بذلك ابن عمر فأراد

(١) تفسير ابن سعدي ص ٥٢٦ .

(٢) ص ٧٤٥ برقم ٣٩١٥ .

أن عمر خير من أبي موسى، فعمر أفضل من أبي موسى لأن مقام الخوف أفضل من مقام الرجاء، فالعلم محيط بالآدمي لا يخلو عن تقصير ما في كل ما يريد من الخير وإنما قال ذلك عمر هضماً لنفسه وإلا فمقامه في الفضائل والكمالات أشهر من أن تذكر^(١). اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والمراد أن المؤمن يخفي أحواله عن الخلق جهده كخشوعه وذلّه وانكساره لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، وكم قد اقتطع في هذه المفازة من سالك؟ والمعصوم من عصمه الله فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل؟ وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره وكان يقول كثيراً: ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكْدِي وإبنُ المُكْدِي وهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي
وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: إني إلى الآن أُجدد إسلامي في كل وقت وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً^(٢).

ومن الناس إذا نصحته في أمر ما قال: نحن أحسن من غيرنا بكثير غيرنا لا يصلي، ويفعل الموبقات، ونحن نصلي ونصوم ونؤدي

(١) فتح الباري (٧/٢٥٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٩١).

فرائض الإسلام فيقول هذا معجباً بعمله، ومثل هذا يذكر بقول الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلي من أسفل منكم ولا تنظروا إلي من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»^(١).

قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه ممن طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيصة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أحسن حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده^(٢). اهـ.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى في التواضع، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذَكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣). وعمر رضي الله عنه كما في الأثر السابق الخليفة الثاني، ومن العشرة المبشرين بالجنة، يقول عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ

(١) ص ١٢٤٤ برقم ٦٤٩٠، وصحيح مسلم ص ١١٨٩ برقم ٢٩٦٣ واللفظ له.

(٢) فتح الباري (١١/٣٢٣).

(٣) ص ٩٦٣ برقم ٢٣٦٩.

عُمَرُ^(١)، ومع ذلك يقول: وددت أن أعمالي كفافاً لا لي ولا علي^(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث العلاء بن المسيب عن أبيه قال: «لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»^(٤).

يقول ابن المبارك: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرهاً^(٥). وهذا من تواضعه وإلا فهو العلامة الزاهد الورع؛ قال المروزي: سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل ذكر أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا أين نحن من هؤلاء؟ وقال صالح بن أحمد: كان أبي إذ دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها، وقال مرة: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي، وقال المروزي: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي

(١) سنن الترمذي ص ٥٧٧ برقم ٣٦٨٦ وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٤) برقم ٢٩٠٩.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٧ برقم ٣٧٠٠.

(٣) ص ٧٠١ برقم ٣٦٧١.

(٤) ص ٧٩٢ برقم ٤١٧٠.

(٥) مختصر منهاج القاصدين ص ٤٧٣.

عبد الله وكان رجلاً صالحاً فقال: إن أمي رأت لك مناماً هو كذا وكذا وذكرت الجنة فقال: يا أخي إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره، وقال له المروزي يوماً: كيف أصبحت يا أحمد؟ قال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة^(١).

وصدق الفرزدق عندما قال:

أولئك آبائي فجيئي بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجمع

ولا شك أن ما تقدم من أقوال عن السلف فإنما مردها إلى أنهم كانوا يهضمون أنفسهم، ويتواضعون ويحتقر أحدهم نفسه ويمقتها في ذات الله وهذا هو حال المؤمن التقي حتى يلقي الله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦ - ٢٢٧).

الكلمة السابعة والثمانون

سيرة الزبير بن العوام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر ونقتدي به في جهاده وتضحيته لهذا الدين، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ شهد بدرًا وأحداً والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، يقول عنه المؤرخون: إنه يعد بألف فارس، أسلم هذا الصحابي وهو في ريعان شبابه لم يتجاوز السادسة عشر عاماً، قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - ذكر منهم - شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ»^(١) وهو أول من سل سيفه في الإسلام، وكان من السابقين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق، وقد هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، وهو حوارى^(٢)

(١) ص ٢٧٧ رقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.

(٢) الحوارى هو خالصة الإنسان وصفيه المختص به.

رسول الله ﷺ، قال عنه عمر بن الخطاب: إنه ركن من أركان هذا الدين، وعند وفاته لم يبق موضع في جسده إلا وبه جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى منه ذلك إلى الفرج، بل إن صدره الذي يقابل به الأعداء أصبح كأمثال العيون من الضربات والطعنات وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة بشره النبي ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة. إنه فارس الإسلام الزبير ابن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ويكنى أبا عبد الله، وله قرابة من النبي ﷺ من جهتين فأمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وأيضاً هو ابن أخي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً، فارغ الطول إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، خفيف اللحية والعارضين، يميل إلى السمرة، وهذا الصحابي نموذج فريد للتضحية والبذل والنصرة لهذا الدين.

فمن مواقفه العظيمة ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا ثم قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ»^(١). وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم: إن الزبير قال: لقد جمع لي رسول الله ﷺ يوماً أبويه، فقال: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^(٢).

ومن مواقفه العظيمة كذلك ما حدث في فتح مصر عندما استعصت على جيش المسلمين ودام الحصار سبعة أشهر فتقدم وقال:

(١) ص ٧٨١ برقم ٤١١٣، وصحيح مسلم ص ٩٨٤ برقم ٢٤١٥.

(٢) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٤ برقم ٢٤١٦.

أهب نفسي لله وللمسلمين فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن ثم صعد عليه وأمر بقية الجنود إذا سمعوا تكبيراته أن يجيئوه جميعاً، ثم رمى بنفسه في الحصن فلم يشعر الأعداء إلا والزبير داخل الحصن فبدأ يضرب بسيفه حتى وصل إلى الباب وفتحه وكبر المسلمون ودخلوا الحصن وكان الفتح الكبير.

وكان له موقف بطولي رائع في معركة اليرموك الشهيرة وكان عدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل كما يذكر المؤرخون. روى البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: «أَلَا تَشُدُّ فَتَشُدُّ مَعَكَ؟» فقال: إني إن شددت كذبتهم، فقالوا: لا تفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً^(١).

ولما حدثت معركة الجمل قال لابنه عبد الله كما في سنن الترمذي من حديث هشام بن عروة: ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذاك إلى فرجه^(٢). قال علي بن زيد: أخبرني

(١) ص ٧٥٥ برقم ٣٩٧٥.

(٢) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٤٦ وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث حماد بن زيد، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢١٧) برقم ٢٩٤٥.

من رأى الزبير أن في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي^(١).
وكان يوم بدر معتجراً بعمامة صفراء فنزلت الملائكة عليهم
عمائم صفر^(٢).

وهذه منقبة عظيمة له رضي عنه وأرضاه.

ومن مواقفه العظيمة التي تدل على شجاعته وقوته ما رواه
البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: قال
الزبير: لقيت يوم بدر عبدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى
منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش،
فحملت عليه بالعنزة^(٣) فطعته في عينه فمات، قال هشام: فأخبرت
أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطأت، فكان الجهد
أن نزعته وقد انثنى طرفاها، قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ
فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه،
فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها فلما قبض عمر أخذها،
ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي،
فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قُتل^(٤).

ومن مواقفه أن الزبير ضرب يوم الخندق عثمان بن المغيرة

(١) سير أعلام النبلاء (١/٥٢).

(٢) الحاكم في المستدرک (٤/٤٣٨) برقم ٥٦٠٨ وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) العنزة: أطول من العصا وأقصر من الرمح في أسفلها زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ
الكبير (القاموس ص ٦٣١).

(٤) ص ٧٥٩ برقم ٣٩٩٨.

بالسيف على مغفره^(١)، فقطعه إلى القربوس^(٢) فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير يريد أن العمل ليده لا للسيف^(٣) وكان رضي عنه وكان رجلاً غنياً كريماً ينفق ولا يبالي له من الممالك ألف مملوك كلهم يؤدي إليه الخراج، فكان لا يدخل بيته منها شيئاً يتصدق به كله.

في صحيح البخاري أنه قال لابنه عبد الله يوم الجمل: يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه^(٤).

وكان قتله بعد معركة الجمل. ذكر أهل السير أنه انسحب من المعركة في مكان يقال له: وادي السباع^(٥).

وأنشد يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي أَنْ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ

فأدركه في الوادي رجل يقال له: عمرو بن جرموز وهو نائم في

(١) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، فتح الباري (٤/٦٠).

(٢) القربوس: مقدم السرج ومؤخره.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٥١).

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري ص ٥٩٨-٥٩٩ برقم ٣١٢٩.

(٥) موضع قريب من البصرة على بعد سبعة فراسخ منها.

القائلة فهجم عليه فقتله، وقيل: إنه قتله وهو يصلي غيلة^(١)، ثم أخذ سيفه وذهب إلى علي لينال منزلة عنده فرفض علي أن يأذن له وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ حَوَارِيٌّ»^(٢)، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ.

قال ابن المديني: سمعت سفيان يقول: جاء ابن جرموز إلى مصعب بن الزبير يعني لما ولي إمرة العراق لأخيه الخليفة عبد الله بن الزبير، فقال: أقدني بالزبير، فكتب في ذلك يشاور ابن الزبير فجاءه الخبر: أنا أقتل ابن جرموز بالزبير؟ ولا بشسع نعله.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أكل المعثر يديه ندماً على قتله واستغفر لا كقاتل طلحة، وقاتل عثمان، وقاتل علي^(٣). قالت زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو في رثائه:

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةً^(٤) يَوْمَ اللِّقَاءِ^(٥) وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ^(٦)
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا^(٧) رَعِشَ^(٨) الْبَنَانَ وَلَا الْيَدَ

(١) أي غدراً.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٨١) برقم ٧٩٩ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٤).

(٤) البُهْمَةُ: بضم الموحدة وسكون الهاء الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه.

(٥) اللقاء: الحرب لأنه تتلاقى فيه الأبطال.

(٦) المعرد: اسم فاعل من عرد تعريداً بمهملات إذا فر وهرب.

(٧) طاش يطيش إذا خف عقله من دهشة وخوف.

(٨) رعش: بكسر العين المهملة وصف من رعش كفرح ومنع - رعشاً ورعشاً: أخذته الرعدة.

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله
 كم غمرة^(١) قد خاضها لم يثنه
 فيما مضى مما تروح وتغتدي
 عنها طرادك يا ابن فقع^(٢) الفدغد^(٣)
 حلت عليك عقوبة المتعمد
 والله ربك إن قتلت لم مسلماً
 ولبعضهم:

إن الرزية من تضمّن قبره
 لَمَا أتى خبر الزبير تواضعت
 وادي السباع لكلّ جنب مضرع
 سور المدينة والجبال الخشع
 قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
 خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾^(١٣)
 [النساء]. وكان قتله كما قال البخاري وغيره: في رجب سنة ست
 وثلاثين من الهجرة وله أربع وستون سنة^(٤).

رضي الله عن الزبير، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير
 الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء
 والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) غمرة: بالفتح، الشدة.

(٢) الفقع: بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف، نوع أبيض من رديء الكمأة.

(٣) الفدغد: الأرض المستوية وفقع الفدغد مثل للدليل.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٦٨).

الكلمة الثامنة والثمانون

شرح اسم الله السميع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في كتابه: السميع، قال بعضهم: ورد ذكر اسم الله السميع خمساً وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وقال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وسمعه تعالى نوعان:

الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها.

الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدین فيجيئهم ويشيئهم ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

أي: مجيب الدعاء ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه كما قال النبي ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»^(١) وفي رواية: «يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ»^(٢) أي: يُجِيبُكُمْ، فالسماع هنا بمعنى الإجابة والقبول، وفي الحديث الذي رواه الترمذي في سننه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٣).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة السمع له سبحانه كما وصف الله نفسه بذلك قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وإن سألت عن سمعه فهو السميع الذي قد كمل في سمعه فاستوى في سمعه سر القول وجهره وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشبهه عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تُغَلِّطُه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحِين على الدوام، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة^(٤). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

(١) ص ١٦٣ برقم ٧٩٦، وصحيح مسلم ص ١٧٥ برقم ٤٠٩.

(٢) صحيح مسلم ص ١٧٤ برقم ٤٠٤.

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ص ٥٤٩ برقم ٣٤٨٢، وقال: هذا حديث حسن

صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) طريق الهجرتين ص ٧٦ نقلاً عن كتاب الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ

عبدالهادي وهبي ص ١٤٤.

وَضَجِيحُ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ يَسْمَعُهُ وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ [لقمان:
 ٢٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾
 [الرحمن: ٢٩].

ثانياً: أن سمع الله ليس كسمع أحد من خلقه فإن الخلق وإن
 وُصِفُوا بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
 نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]. إِلَّا أَنْ سَمِعَهُمْ
 وَبَصَرَهُمْ لَيْسَ كَخَالِقِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ
 وَابْنُ خَالِيَةَ فِي صَحِيحِهِ تَعْلِيقاً عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 وَسِعَ سَمْعَهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمَجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَكَلَّمَهُ وَأَنَا
 فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي
 تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ ^(١).

وَرَوَى ابْنُ خَالِيَةَ فِي صَحِيحِهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى
 الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَرْنَا فَقَالَ
 النَّبِيُّ ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا
 غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا » ^(٢).

(١) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ١٧٤ ص ١٤٠٨، وأخرجه
 الإمام أحمد في مسنده (٢٢٨/٤٠) برقم ٢٤١٩٥ وقال محققوه: إسناده صحيح على
 شرط مسلم.

(٢) ص ١٢٢٦ برقم ٦٣٨٤، وصحيح مسلم ص ١٠٨٣ - ١٠٨٤ برقم ٢٧٠٤.

ثالثاً: أن الله قد أنكر على المشركين الذين ظنوا أن الله لا يسمع السر والنجوى. روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية^(١). وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

رابعاً: إذا علم العبد أن ربه يسمع كل شيء لا تخفى عليه خافية فيسمع حركاته وسكناته حملة ذلك الاعتقاد على المراقبة لله سبحانه في جميع الأحوال وفي جميع الأمكنة والأزمنة، فيمسك عن كل قول لا يرضي ربه، ويحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ بَجَّهْرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٨].

خامساً: أن الله هو السميع الذي يسمع المناجاة ويوجب الدعاء عند الاضطرار ويكشف السوء ويقبل الطاعة، وقد دعا الأنبياء والصالحون بهذا الاسم ليقبل منهم طاعتهم ويستجيب لدعائهم فإبراهيم وإسماعيل قالوا: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ودعا زكريا أن يرزقه الله ذرية صالحة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. فاستجاب الله

(١) صحيح البخاري برقم ٤٨١٧، وصحيح مسلم برقم ٢٧٧٥.

دعائه ودعا يوسف عليه السلام أن يصرف عنه كيد السوء ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٤].

سادساً: أن العبد إذا دعا ربه فسمع دعائه سماع إجابة وأعطاه ما سأله وعلى حسب مراده ومطلبه أو أعطاه خيراً منه حصل له بذلك سرور يمحو من قلبه آثار ما كان يجده من وحشة البعد فإن للعتاء والإجابة سروراً وأنساً وحلاوة، ولللمنع وحشة ومرارة، فإذا تكرر منه الدعاء، وتكرر من ربه سماع وإجابة لدعائه، محاه عنه آثار الوحشة، وأبدله بها أنساً وحلاوة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تهذيب المدارج ص ٩٠١.

(٢) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الأسماء الحسنی والصفات العلی ص ١٤٤-١٤٦.

الكلمة التاسعة والثمانون

تفسير سورة الزلزلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرئني يا رسول الله، قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذات (الر)» فقال الرجل: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ من ذات (حم)» فقال مثل مقالته الأولى، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة، فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ۝ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَذْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْلَحَ الرَّوَيْجِلُ،

أَفْلَحَ الرَّوَّيْحِلُ»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^(١)، قال ابن عباس: أي: تحركت من أسفلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٢)، يعني: ألقته ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾^(٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ^(٤) [الانشقاق]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾^(٣) أي استنكر أمرها بعد ما كانت ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال وصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقته ما فيها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤٨) [إبراهيم].

(١) (١٣٩/١١) برقم ٦٥٧٥ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) ص ٣٩١ رقم ١٠١٣.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، قوله تعالى: ﴿يَأْنُ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: قال ابن عباس: أوحى لها أي أوحى إليها، قال ابن كثير: والظاهر أن هذا مضمن لمعنى أذن لها، وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: قال ربها: قولي، أي تكلمي بما حصل عليك من خير أو شر^(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي يخرجون إلى موقف الحساب أشتاتاً: أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، قال تعالى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: أي ليجازوا بما عملوا في الدنيا من خير أو شر، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ» ثم سئل في آخر الحديث عن الحُمُر قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾»^(٢).

والذرة هي أصغر النمل، فالنبي ﷺ بين في هذا الحديث أن هذه السورة جامعة ومبينة للخير والشر فمن عمل خيراً أراد به وجه الله أثيب عليه، ومن عمل شراً عوقب عليه يوم القيامة، وفي

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٤٢٨ - ٤٢٩).

(٢) ص ١٤٠١ برقم ٧٣٥٦، وصحيح مسلم برقم ٩٨٧.

الصحيحين من حديث عدي مرفوعاً: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث صعصعة بن معاوية أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٨) قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها^(٢).

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن الأرض تخبر يوم القيامة بما فعل الناس عليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ حِنَّةً وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ثانياً: أن الناس يوم القيامة يصعدون أشتاتاً، أي: جماعات متفرقين بحسب أعمالهم كل يتجه إلى مأواه؛ فأهل الجنة - جعلنا الله منهم - يتجهون إليها، وأهل النار والعياذ بالله يساقون إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِْدًا﴾^(٨٦) [مريم].

ثالثاً: أن الله تعالى يُري العباد أعمالهم يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(٣٠) [آل عمران: ٣٠]. وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ

(١) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٤٠ وصحيح مسلم ص ٣٩٢ برقم ١٠١٦.

(٢) (٢٠/٣٤) برقم ٢٠٥٩٣ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) ص ١٣٤ رقم الحديث ٦٠٩.

أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (١).

رابعاً: أن فيها الحث على الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة والبعد عن المعاصي وإن كانت صغيرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا» (٢) (٣).

وكذلك الخير لا يحقر المسلم منه شيئاً. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (٤).

قال تعالى: ﴿ وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧) [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠) [النساء]. وكانت عائشة رضي الله عنها تتصدق بعنبة وتقول كم فيها من مثقال ذرة (٥).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

(٢) (٤٧٨/٤٠) برقم ٢٤٤١٥ وقال محققوه: إسناده قوي.

(٣) قال السندي: قوله: فإن لها من الله طالباً، أي: فإن لها ملكاً يسألك يجيء من الله تعالى، كالمنكر والنكير في القبر مثلاً.

(٤) ص ١٠٥٤ برقم ٢٦٢٦.

(٥) تفسير ابن كثير (٤٣١/١٤).

الكلمة التسعون

شرح حديث: اللهم اقسم لنا من خشيتك

ما يحول بيننا وبين معاصيك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» (١).

قوله: «اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ» اقسِم: بمعنى قَدَّر، والخشية هي الخوف المقرون بالعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والإنسان كلما خشي الله ﷻ

(١) ص ٥٥١ برقم ٣٥٠٢، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٣.

منعته خشيته من الله أن يتتهك محارم الله، ولهذا قال: «مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ».

قوله: «وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ»: يعني واقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك فإن الجنة طريقها طاعة الله ﷻ، فإذا وفق العبد بخشية الله واجتناب محارمه والقيام بطاعته نجا من النار ودخل الجنة بطاعته.

قوله: «وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا»، اليقين هو أعلى درجات الإيمان لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد من حضر بين يديك، قال ابن مسعود: اليقين هو الإيمان كله؛ فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالى من أمور الغيب فيما يتعلق بالله ﷻ أو بأسمائه أو صفاته أو اليوم الآخر وغير ذلك وصار ما أخبر الله به من الغيب عنده بمنزلة الشاهد فهذا هو كمال اليقين، والدنيا فيها مصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين تام أنه يكفر بها من سيئاته ويرفع بها من درجاته إذا صبر واحتسب الأجر من الله، هانت عليه المصائب وسهلت عليه المحن مهما عظمت سواء كانت في بدنه أو في أهله أو في ماله. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنَكَّبَهَا أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا»^(١).

قوله: «مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا»: أي اجعلنا ممتنعين وممتنعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أي بأن نستعملها في طاعتك.

قال ابن الملك: التمتع بالسمع والبصر إبقاؤهما صحيحين إلى الموت وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقها لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات القرآنية وذلك بطريق السمع أو من الآيات الكونية في الآفاق والأنفس بطريق البصر، والإنسان إذا تمتع بهذه الحواس حصل على خير كثير وإذا افتقدها فاته خير كثير، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [٢٣] [الملك].

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتنع بقوته وعقله فوثب يوماً وثبة شديدة فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر^(١).

قوله: «وَأَجَعَلُهُ الْوَارِثَ مِنَّا»: واجعله أي المذكور من الأسماع والأبصار والقوة، (الوارث) أي الباقي بأن يبقى إلى الموت.

قوله: «وَأَجَعَلْنَا عَلَيْنَا مَن ظَلَمْنَا». أي اجعلنا نستأثر وتكون لنا الأثرة على من ظلمنا بحيث تقتص لنا منه إما بأشياء تصيبه في الدنيا أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [١٤٨] [النساء]. وفي الصحيحين

من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

قوله: «وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا»: من الأعداء وهم كثر من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين وغيرهم ومن أكبر أعدائنا وأشدّهم ضرراً علينا الشيطان الذي حذرنا الله منه فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالى عن الكفار: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]. وقال تعالى عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

والله تعالى ناصرنا عليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ ۗ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قوله: «وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا»: المصائب تكون في مال الإنسان أو بدنه أو مسكنه أو أهله فيمرضون أو يموتون أو غير ذلك وأعظم مصيبة هي مصيبة الدين وهي على قسمين إما أن يبتلى بالمعاصي كأكل الحرام واعتقاد السوء أو يبتلى بما هو أعظم من ذلك كالشرك والكفر والنفاق وما أشبه فهذه مهلكة مثل الموت للبدن.

قوله: «وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»: أي لا تجعل طلب المال والجاه أكبر قصدنا وهمنا، بل اجعل أكبر قصدنا مصروفاً

(١) جزء من حديث ص ٨٢١ برقم ٤٣٤٧، وصحيح مسلم ص ٤٢ برقم ١٩ واللفظ لمسلم.

في عمل الآخرة.

«وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»: أي لا تجعلنا حيث لا نعلم ولا نتفكر إلا في أمور الدنيا بل اجعلنا متفكرين في أحوال الآخرة، والمبلغ: أي الغاية التي يبلغها المشي والمحاسب فيقف عنده.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»^(١).

قوله: «وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»: أي لا تجعلنا مغلوبين للكفار والظلمة أو لا تجعل الظالمين علينا حاكمين، فإن الظالم لا يرحم الرعية^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٠٣ برقم ٢٤٦٥.

(٢) تحفة الأحوذى (٩/٤٤٢) برقم ٣٥٠٢.

(٣) انظر شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٤/٣٦١-٣٦٦).

الكلمة الواحدة والتسعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) لِلطَّغِينِ مَثَابًا (٢٢) لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) ﴿

يذكر الله في هذه الآيات الكريمات أحوال الأشقياء وما يحصل لهم من النكال والعذاب السرمدي في نار جهنم فيقول: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: مرصدة ومعدة للطاغين، وجهنم اسم من أسماء النار التي لها أسماء كثيرة وسميت بهذا الاسم لأنها ذات جهمة وظلمة بسوادها ومقرها أعادنا الله منها.

وقد أعدها الله ﷻ من الآن فهي موجودة كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ

حَتَّىٰ أَنْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها - أي النار - حين عُرضت عليه في صلاة الكسوف، ورأى النار فيها امرأة تعذب في هرة ربطتها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض^(٢).

قوله تعالى: ﴿لِلطَّغِينِ مَأْبَأٌ﴾: الطاغون جمع طاغ والطغيان تجاوز الحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. والمراد بالطاغين الذين تجاوزوا حدود الله استكباراً على ربهم، ومآباً: أي مرجعاً يرجعون إليه ومسكناً يصيرون إليه.

قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي باقين فيها أحقاباً أي مدداً طويلة وقد وردت آيات كثيرة تدل على أنها مدد أبديه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾^(١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا^(١٦٩) [النساء]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(٦٥) [الأحزاب].

قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: نفى الله تعالى عنهم البرد الذي تكون به برودة ظاهر الجسد، والشراب الذي تكون به برودة داخل الجسد فإنهم إذا عطشوا واستغاثوا يغاثون بماء كالمهل، قال تعالى:

(١) ص ١١٤٢ برقم ٢٨٤٤.

(٢) ص ٣٥٢ برقم ٩٠٤.

﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢٩] [الكهف]. وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [١٩] يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ٢٠]. فمن كان حاله كذلك فإنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يطفى حرارة بطونهم، قال بعض السلف: عَجِبْتُ لِلنَّارِ كَيْفَ نَامَ هَارِبُهَا وَعَجِبْتُ لِلجَنَّةِ كَيْفَ نَامَ طَالِبُهَا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾: الحميم هو الماء الحار الذي انتهى حره وحموه.

وغساقاً: هو شراب منتن الرائحة شديدة البرودة، قال جمع من المفسرين: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من نتنه فهم يذوقون العذاب من ناحيتين الحرارة، والثاني البرودة فإذا اجتمعت الحرارة والبرودة كان ذلك زيادة في مضاعفة العذاب عليهم، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [٥٧] وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [٥٨] [ص]. أي ولهم أصناف وألوان من العذاب نسأل الله العافية.

قوله تعالى: ﴿ جَزَاءً وَفَاءً ﴾، يقول تعالى: هذا العقاب الذي عوقب به الكفار في الآخرة فعله بهم ربهم جزاء لهم على أفعالهم وأقوالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾: أي لا يؤملون أن

يحاسبوا بل كانوا ينكرون الحساب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْذَبَ قُلٌ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾: كانوا يكذبون بحجج الله ودلائله التي أنزلها على رسله فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعًا﴾ ٩٠ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ ٩١ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ ٩٢ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ٩٣ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: يشمل ما يفعله الله ﷻ من الخلق والتدبير في الكون وما يعمله العباد من أقوال وأفعال ويشمل كل صغير وكبير، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [الرحمن: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٩ [الكهف]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٤٧ [الأنبياء].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِحَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (١).

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: هذا الأمر للإهانة والتوبيخ يقال لهم: ذوقوا عذاب النار فلن نخففه عنكم بل لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته، قال تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) [فاطر].

قال العلماء: إن هذه الآية أعظم آية في الترهيب.

قال عبد الله بن المبارك يصف هذه النار:

وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَّةً	فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تَطْلَعُ
فَكَيْفَ سَهْوِكَ وَالْأَنْبَاءُ وَقَعَةٌ	عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِي بِمَا يَقَعُ
أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ	أَمْ الْجَحِيمِ فَمَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ	إِذَا رَجَاوَا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ الْبِكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضْرَعُهُمْ	هِيَهَاتَ لَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ	قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرَّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمة الثانية والتسعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠) ﴿ [النبا].

بعد أن ذكر تعالى حال الأشقياء ذكر حال المتقين السعداء ليكون المرء على بصيرة من أمره وبيّنة في دينه، فإن استقامة العبد في عبادته لربه لا تتم حتى يكون راجياً لرحمة ربه خائفاً من عذابه. قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي أن يكون الإنسان في عبادته لربه بين الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال ابن عباس والضحاك متنزهاً، وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار^(١). والمتقون

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

هم الذين اتقوا عقاب الله وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد أخبر الله ﷻ عن هذا الفوز بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح].

وأخبر سبحانه أن هذا الفوز كبير فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج].

قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾: حدائق جمع حديقة، أي: بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة، وأعناباً: جمع عنب وهي من جملة الحدائق لكنه خصصها بالذكر لشرفها.

قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾: جمع (١) كاعب وهي الناهد، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: كواعب أي: أن [تُدَيِّهَن نواهد] ليست متدلّية إلى أسفل لأنهن أبكار عُرب أتراب (٢).

و﴿أُنْرَابًا﴾ أي: في سن واحدة لا تختلف إحداهن عن الأخرى كما في نساء الدنيا.

كما في قوله تعالى «في سورة الواقعة»: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) عُرْبًا أُنْرَابًا﴾ [الواقعة].

قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: أي: كأساً ممتلئة والمراد هنا الخمر.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ

(١) تفسير ابن عثيمين لجزء عم ص ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

وخمر الآخرة ليست كخمر الدنيا يصيب الإنسان الصداع والقيء منها، فقد نفى الله تعالى عنها ذلك، قال تعالى: ﴿لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (١٩) [الواقعة].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبا: ٣٥]: أي لا يسمعون لغواً أي كلاماً باطلاً لا خيراً فيه ولا كذاباً: أي ولا كذباً فلا يكذبون ولا يكذب بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ [الواقعة]. وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧) [الحجر].

قوله تعالى: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾: أي أنهم يُجزون بهذا جزاء من الله ﷻ على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. وحساباً: أي كافياً وافراً شاملاً، تقول العرب: أعطاني فأحسبني أي كفاني ومنه حسبي الله أي أن الله كافيي.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾. يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ

لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٢٨) ﴿أَيُّ لَا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ لَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا غَيْرَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) [طه]. وقد اختلف المفسرون بالمراد بالروح فقيل: إنهم بنو آدم، وقيل: جبريل كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١١٤) [الشعراء]. وقيل: القرآن وقيل: ملك من الملائكة يقدر بجميع المخلوقات، وقيل غير ذلك ورجح جمع من المفسرين أنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾: أي بالكلام وقال قولاً صواباً وذلك بالشفاعة إذا أذن الله لأحد أن يشفع شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أذن له.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾. أي الكائن المتحقق لا محالة، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً. قال القرطبي: أي مرجعاً بالعمل الصالح كأنه إذا عمل خيراً رده إلى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وإذا عمل شراً عده منه ونظر إلى هذا المعنى في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ»

فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» تَادِباً مَعَ اللَّهِ (١)(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] أي تعرض عليه جميع أعماله خيرا وشرها قديمها وحديثها كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وكقوله تعالى: ﴿يَبْنُوْنَ الْإِنْسَانَ يَوْمِئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وجاء في وصف هذا العذاب بأنه قريب فكل ما هو آت فهو قريب، قال بعض المفسرين: إنه يشمل عذاب الآخرة والموت والقيامة لأن من مات فقد قامت قيامته فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة وإن كان من أهل النار رأى مقعده من النار (٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدنيا تراباً ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة. قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفارة الكرام البررة، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العادل الذي لا يجور حتى إنه ليقصص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤)، وذكر ابن جرير في تفسيره آثراً عن الصحابة

(١) تفسير القرطبي (٢٢/٣٣).

(٢) صحيح مسلم ص ٣٠٥ برقم ٧٧١.

(٣) تفسير القرطبي (٢٢/٣٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٢٣٧).

منهم عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن الله تعالى يقتص بين هذه البهائم يوم القيامة ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





وقفات مع الأزمة المالية العالمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة والجرائم الشنيعة التي حرمها الله ورسوله ولعن فاعلها: الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هُم سَوَاءٌ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب رضي عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وجاء فيه: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَآتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ - حسبت أنه كان يقول: - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ الْحِجَارَةَ، فَيَنْفِرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِيهِ

حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ أَكَلُ الرَّبَا»^(١).

ومن صور الربا المحرم، شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، أو البطاقات الائتمانية التي تعطى للعميل لشراء الأغراض مقابل رسوم سنوية، وتسدد قيمتها خلال فترة محدودة فإن تأخر حاملها عن السداد تحسب عليه فائدة عن كل يوم تأخير أو غير ذلك من الصور.

وبناء على ما تقدم فإن ما حدث من الأزمة المالية العالمية وما نتج عنه من إفلاس شركات، وبنوك عالمية، في الدول الكافرة وأمام هذا الحدث العظيم فإننا نحتاج إلى وقفات:

الوقفة الأولى: أن ما حصل من انهيارات اقتصادية، وأزمات مالية في تلك الدول إنما هو بسبب الربا الذي حرمه الله ورسوله ولعن فاعله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]. وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].
والمحوق بمعنى الإزالة أي يزيل الربا والإزالة يحتمل أن تكون إزالة حسية أو إزالة معنوية فالإزالة الحسية أن يسلط الله على المرابين ما

(١) جزء من حديث ص ١٣٤٧ برقم ٧٠٤٧.

يتلف به أموالهم والمعنوية أن ينزع منه البركة فلا يستفاد منه^(١). روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «الرَّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍّ»^(٢).

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ. وبذلك يعلم كل من له أدنى بصيرة أن البنوك الربوية ضد الاقتصاد السليم، وضد المصالح العامة، ومن أعظم أسباب الانهيار والبطالة ومحق البركات وتسيط الأعداء وحلول العقوبات المتنوعة والعواقب الوخيمة، فنسأل الله أن يعافي المسلمين من ذلك وأن يمنحهم البصيرة والاستقامة على الحق^(٣).

الوقف الثانية: أن ما أصاب هؤلاء الكفار إنما هو عقاب إلهي لما فعلوه من ظلم وجرائم ضد المسلمين كما حصل في أفغانستان، والعراق، وفلسطين والصومال، وغيرها من الدول، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».

(١) كأن يبتلي هذا المرابي بمرض فيستهلك من العلاج ما كسبه من أموال الربا أو يسرق ماله أو يُصاب بحادث أو غير ذلك.

(٢) (٣٣٩/٢) برقم ٢٣٠٩ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٣١٥/٤).

(٣) فتاوى ابن باز (٢٢١/١٩).

ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿٤٨﴾ [الحج].

وكم من المسلمين من يرفع يديه بالدعاء على هؤلاء الكفرة الظلمة؟! وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٢).

قال الشاعر:

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فالظلم مَرْتَعُهُ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبَهُ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ

الوقفه الثالثة: إن المعاصي والذنوب سبب لهلاك الأمم والشعوب، قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن

(١) ص ١٠٤٠ برقم ٢٠٨٣، وصحيح البخاري ص ٨٩٧ برقم ٤٦٨٦.

(٢) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم ٨٠٤٣ وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف].

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إِذَا ظَهَرَ الرَّبَا وَالزِّنَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»^(١).

الوقفة الرابعة: أن على الدول الإسلامية أن تأخذ الدروس والعبر مما حصل لهذه الدول الكافرة، وأن تمنع الربا بشتى صورته وأشكاله عن البنوك والمؤسسات ومحلات التجارة وغيرها، وأن تشجع على إقامة المصارف الإسلامية فهي الحل الشرعي لكثير من المشاكل الاقتصادية ولذلك الآن في الغرب ينادون بتطبيق الأنظمة الإسلامية في البنوك لعلها أن تنقذهم مما هم فيه. يقول أحد عقلائهم وهو رئيس تحرير مجلة في الغرب: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة المالية إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حلت بنا الكوارث والأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري».

الوقفة الخامسة: أن الأيام دول، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(٢) قال أبو البقاء الرندي:

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٣٩)، برقم ٢٣٠٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رضي الله عنه في صحيح الجامع الصغير (١/١٧٨) برقم ٦٧٩.

(٢) ص ٥٥٣ برقم ٢٨٧٢.

لكل شيءٍ إذا ما تمَّ نُقصانُ فلا يُغرَّبُ بطيبِ العيشِ إنسانُ
هيَ الأمورُ كما شاهدتها دُولُ من سرَّه زمنٌ ساءتُه أزمانُ

الوقفه السادسة: إن هؤلاء الكفار كانوا يتبجحون بقوة اقتصادهم وحرية التصرف لكل فرد منهم فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، قال تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۗ (١١٦) مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۗ (١١٧)﴾ [آل عمران]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب والملذات، وأنواع العز والغلية في بعض الأوقات فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً وهذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه^(١). اهـ.

الوقفه السابعة: أن على المؤمن أن يكون على يقين تام وعقيدة راسخة أن الله يمحق الربا، وينصر دعوة المظلومين، وأن الله ينصر دينه ويذل الكفر وأهله كما أخبر بذلك، سواء رأينا ذلك في حياتنا أم لم نره فقد يتأخر لحكمة إلهية.

لأن البعض من الناس يشكك ويقول: عشرات السنين وهؤلاء الكفار يرابون ولم نر إلا مزيداً من القوة الاقتصادية، وعشرات السنين وهم يذبحون المسلمين بل ويتفننون في تعذيبهم ولم ينتقم الله منهم، فأين دعوات المظلومين؟! فالجواب عن ذلك في قوله تعالى:

(١) تفسير ابن سعدي ص ١٤٤.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]. وكما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١) وكما قال النبي ﷺ لأصحابه عندما شكوا إليه ما يجدون من تعذيب المشركين: «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٢).

ونحن نرى العقوبات بأعيننا وقد تتبعها البشائر إن شاء الله ويشفي الله صدور قوم مؤمنين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ص ١٣٢٥ برقم ٦٩٤٣.

الكلمة الرابعة والتسعون

وقفات مع أحداث غزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:
فلا يزال إخواننا في غزة يخوضون معارك عنيفة مع اليهود عليهم لعائن الله المتتبعة إلى يوم القيامة، وهم يسطرون ملحمة من أعظم الملاحم في التاريخ، أحفاد خالد وسعد وطلحة والزبير وصلاح الدين الأيوبي.

وقد رأينا وسمعنا وقرأنا عن المآسي والقصص التي حدثت في غزة، ورأينا صور الجرحى والأشلاء الممزقة والإعاقات المستديمة، ورأينا البيوت وقد سويت بالأرض على أصحابها، والمساجد وقد هدمت على المصلين فيها، ورأينا الفساد والدمار والخراب الذي أحدثه اليهود في هذه المدينة، وصدق الله حيث قال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

مناظر يندى لها الجبين، وتتفطر منها القلوب، وتدمع لها العيون، مصائب عظيمة لو نزلت على الجبال لدكتها من هولها وعظمتها، قال أبو البقاء الرندي:

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ مُنَوَّعةٌ وللزمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلوَانٌ يُسهِّلُهَا وَمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلوَانٌ
وقال أيضاً:

لِمِثْلِ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنَّ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ
ومن الدروس والعبر المستفادة من هذا الحدث العظيم الذي
حل بأمة الإسلام:

أولاً: أن حربنا مع اليهود حرب عقيدة ليست حرباً من أجل
الوطن أو الحزب أو الحركة أو الأرض، أو غيرها، وإنما هي حرب
بين الإسلام والكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ
دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ثانياً: أن ما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل
مكان واتحادهم ضد المسلمين، فبالأمس العراق وقبلها أفغانستان
والشيشان والآن غزة إنما هو مصداق قول النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ
أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائل: أو
من قلة نحن يومئذ؟ قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ
السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي
قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حُبُّ
الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

(١) «سنن أبي داود» ص ٤٦٩ برقم ٤٢٩٧، صححه الألباني في سنن أبي داود (٣/ ٨١٠) برقم ٣٦١٠.

قال ابن رجب الحنبلي: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفة أمر الرسول ﷺ ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ: سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَيَّ دِينِكُمْ»^(٢).

قال أبو عبيدة الهروي: وقد تبلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاءً واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ثالثاً: يجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حكومات وشعوباً أن يناصروا إخوانهم المسلمين في غزة مادياً ومعنوياً، كلُّ بما يستطيع وأن يقفوا معهم في محنتهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ

(١) شرح حديث «يتبع الميت ثلاثة» لابن رجب الحنبلي.

(٢) ص ٣٨٦ رقم ٣٤٦٢، صححه الألباني في سنن أبي داود (٢/٦٦٣) برقم ٢٩٥٦.

قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»^(١)، فكيف وهم مظلومون؟!

ومن وسائل نصرتهم: الدعاء لهم بظهر الغيب أن الله يشبثهم ويربط على قلوبهم، ويسدد سهامهم، ويذل اليهود ومن ناصرهم.

قال الشاعر:

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكم وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَاتٌ لَهَا هِمَمٌ أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ

رابعاً: على المسلمين الأخذ بأسباب القوة والإعداد لذلك
امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. روى
مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ
الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»^(٣).

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب فإنها تخون
العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام

(١) ص ٤٦١ برقم ٢٤٤٣ .

(٢) ص ٧٩٥ برقم ١٩١٧ .

(٣) جزء من حديث ص ٢٧٣ برقم ١٥٥٥، وصححه ابن القطان كما نقل ذلك ابن حجر في كتابه: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة (٣٨٦/٧) برقم ٨٠٣١ .

بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

خامساً: أن الدعاء من أعظم أسباب النصر، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١﴾ [الأنفال: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦]. وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به كلما نزل به كرب أو شدة كما في معركة بدر وغيرها.

وكان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(١).

سادساً: أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة وهو من أفضل الأعمال وذروة سنام الدين لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وقمع الكافرين والمنافقين والظالمين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ

(١) صحيح مسلم ص ٧٢٣ برقم ١٧٤٢.

يَغْزُو وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ: بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٢).

سابعاً: أن اليهود لن ينعموا بسلام وأمان، بل سيظلون في رعب وخوف إلى قيام الساعة مهما امتلكوا من الأسلحة النووية، وحماتهم دول الكفر، فالوعد الإلهي متحقق فيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. قال ابن كثير: «ويقال: إن موسى ﷺ ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجزى والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجزى. وقال جمع من المفسرين في الآية السابقة: يبعث الله عليهم هذا الحي من العرب فيقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك ذلة وصغاراً له، ثم يكون آخر أمرهم أنصار الدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم ﷺ في آخر الزمان»^(٣).

(١) ص ٧٩٢ برقم ١٩١٠.

(٢) ص ٧٩٢ برقم ١٩٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨ - ٤٢٩)، وتفسير ابن جرير (٦/١٠٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ: هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(١)، وهم الآن يزرعون الغرقد بشوارعهم بكثرة انتظاراً لمصيرهم المحتوم.

ثامناً: أنه لا بد من الابتلاء والتمحيص، قال تعالى: ﴿الْمَرْءُ (١) أَحْسَبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكَ أَنْ يَقُولَ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت: ١٣٠١]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب، قال: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلِكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتَمِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاِكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»^(٢).

(١) ص ١١٧١ برقم ٢٩٢٢ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٥٦١ - ٥٦٢ برقم ٢٩٢٦.

(٢) ص ٦٩٠ برقم ٣٦١٢.

وسأل رجل الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فقال: «يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرجل أن يُمكنَ فيشكر الله ﷻ، أو يُبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا يُمكن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم الله، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

تاسعاً: أن اليهود قد أصابهم القتل والجراح والرعب والخوف رغم تفوقهم في القوة العسكرية وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُونَ ۗ وَرَجُونَ مِن اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿إِن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتمكم جراح، وقُتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي ندبل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة^(١). اهـ.

ولا يستوي الفريقان، قتلنا في الجنة وقتلهم في النار، والله مولانا ولا مولى لهم.

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٠٨).

عاشراً: أنه على الرغم من ضعف الإمكانيات العسكرية لإخواننا في غزة مقابل ترسانة اليهود العسكرية الضخمة واستخدامهم لجميع الأسلحة الممنوعة في أنظمة الدول الكافرة كالقنابل الفسفورية والعنقودية وغيرها، ودعم الدول الكبرى لهم في حربهم ضد المسلمين، وبالرغم من الحصار والبرد والجوع الذي يعاني منه إخواننا هناك، إلا أنهم منصورون بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والتسعون

موقف الحساب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فإن من أعظم مواقف يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها: موقف الحساب، قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤]. أي: الجزاء والحساب، والمقصود بالحساب أن يُوقف العباد بين يدي رب العالمين ويعرفهم بأعمالهم وأقوالهم التي عملوها في الدنيا وما كانوا عليه من إيمان وكفر واستقامة وانحراف، ويُعطى العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا غير ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

سِيرًا؟! فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»^(١).

قال النووي في شرحه للحديث: «معنى نوقش الحساب: استقصي عليه، قال القاضي: وقوله: «عُذِّبَ» له معنيان، أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني أنه مفض إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: «هَلَكَ» مكان «عُذِّبَ» هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»^(٢).

ونقل ابن حجر عن القرطبي في معنى قوله: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ»، قال: إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة^(٣). اهـ.

والله تعالى يحاسب كل إنسان بمفرده، قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ

إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢٤) [الصفات: ٢٤]. روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا

(١) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٣٧، وصحيح مسلم ص ١١٥٣ برقم ٢٨٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢٠٨-٢٠٩).

(٣) فتح الباري (١١/٤٠٢).

النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

ومن المؤمنين من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ رأى أمته ومعهم سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلا حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، وَهُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتُونُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ^(٢).

والحساب على مواقف منها:

عرض الأعمال على العباد، قال تعالى: ﴿يَبْنُوا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾^(١٣) [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١٤) [آل عمران: ٣٠].

ومنها أن يُعطى العبد كتابه ويُقال له: حاسب نفسك، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(١٣) أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(١٤) [الإسراء: ١٤]. المقصود من الآية أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، ثم يجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقيماً، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره، ثم يُقال له: اقرأ كتابك بنفسك لكي تعلم أنك لم تُظلم ولم يُكتب عليك إلا ما

(١) صحيح البخاري ص ٦٢٣ برقم ٣٢٤٧، وصحيح مسلم ص ١١٦ برقم ٢١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٥، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠.

عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي.

ومنها إحضار الشهود على العبد كالرسل والملائكة وأمة محمد ﷺ والأعضاء، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنِينًا﴾ (١١) ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) [الانفطار: ١٠ - ١٢].

قال نابغة بني شيبان:

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَذَّرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١)، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا

أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥].

ومنها وزن الأعمال الحسنات والسيئات، فأما المؤمن فتوزن حسناته وسيئاته ليتبين مقدار ما عمله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

وأما الكافر فتوزن أعماله لإقامة الحجة عليه وتوبيخه وتقريعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات؛ فإن أُريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون، وإن أُريد به المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر»^(١). اهـ، وقال في موضع آخر: والنار دركات فإذا كان بعض الكفار أشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة^(٢) اهـ.

قال ابن كثير: وأما الكفار فتوزن أعمالهم وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بها كفرهم لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق^(٣) اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

(٣) النهاية لابن كثير (٢/٣٥).

«إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [هود]»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: أن المؤمن إذا علم أنه سيقف بين يدي الله ويحاسب حساباً دقيقاً استعد للقاء الله وحاسب نفسه في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنبياء: ١]. قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله».

ثانياً: قدرة الله العظيمة فهو يحاسب الخلائق جميعاً الجن والإنس مليارات البشر كل يحاسبه بنفسه، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعُنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [النحل: ٩٢].

ثالثاً: إن هذا الحساب دقيق، فيسأل العبد عن شركه وكفره، وعن الأنداد والشركاء الذين اتخذهم من دون الله أولياء، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنَّى مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ [الشعراء: ٩٢ - ٩٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ

(١) ص ٤٦٠ برقم ٢٤٤١، وصحيح مسلم ص ١١٠٨ برقم ٢٧٦٨.

الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ [القصص: ٦٥]. ويسأل عن صلاته، روى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(١).

ويُسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ ويُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويُسأل عن النعيم، ومن النعيم الشبع من الطعام والماء البارد والمركب الحسن وصحة الأبدان والزوجة والأولاد ورئاسة القوم، وغير ذلك من النعيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَصِحِّ لَكَ جِسْمَكَ؟ وَأَرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسْوَدَكَ^(٣)، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ

(١) (٢/٢٤٠) برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ ١٣٥٨.

(٢) (٤/١٥٤) برقم ٧٢٠٣، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٢/٧٦) بِرَقْمِ ٥٣٩.

(٣) أي أجعلك سيذاً على غيرك.

وَتَرْبِعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ:
فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»^(١).

وَيُسْأَلُ عَنِ الْعُهُودِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

قال الشاعر:

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لِمَا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ عَيُونٌ فُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

وأختم بهذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث
أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا
عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ
خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٩) برقم ٢٩٦٨.

(٢) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

(٣) القيامة الكبرى للدكتور عمر الأشقر ص ١٩٣ - ٢٣١.

الكلمة السادسة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنی: الوارث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،
قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في الكتاب العزيز: «الوارث» قال الزجاج: الوارث كل باق بعد ذهاب فهو وارث^(٢)، وقال الحليمي: الوارث معناه الباقي بعد ذهاب غيره^(٣). قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣] وقال تعالى عن نبي الله زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩] [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّكَ مَسْكِنَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥٨].

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير الأسماء ص ٦٥.

(٣) المنهاج (١/ ١٨٩)، نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للنجدي (٢/ ٢٨٩).

[القصص]. قال ابن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نमित جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل^(١)، وقال الزجاجي: الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وارث الخلق أجمعين لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون، كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠) [مريم]. ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم^(٢):

أولاً: الله جل شأنه هو الباقي بعد فناء خلقه، الحي الذي لا يموت، الدائم الذي لا ينقطع، وإليه مرجع كل شيء ومصيره فإذا مات جميع الخلائق وزال عنهم ملكهم، كان الله تعالى هو الباقي الحق المالك لكل المملوكات وحده، وهو القائل: ﴿لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾، فيجيب سبحانه نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦) [غافر]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) [الرحمن]. وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانياً: بين الله تعالى لعباده أنه هو الوارث لما أهلك من القرى الظالمة التي كانت تعيش في أمن ودعة ورغد العيش حتى أصابهم الأشر والبطر فلم يقوموا بحق النعمة ولم يشكروا ربهم الذي وهبهم، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّاكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨) [القصص].

(١) جامع البيان (٥٠٧/٧).

(٢) اشتقاق الأسماء ص ١٧٣ نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/٢٨٨).

فقوله تعالى: ﴿لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم، وبقيت شاهدة على مصرع أهلها وفنائهم وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وأموالهم بل كان الله وحده الوارث لديارهم وأموالهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [٤٠] [مريم].

قال أبو البقاء الرندي:

أَيْنَ الْمَلُوكُ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ
وَأَيْنَ مَنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ؟
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرْمٍ؟
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبٍ
حَتَّى قَضَوْا فَكَانَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ
كَمَا حَكَى عَنِ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ

ثالثاً: حث الله عباده المؤمنين على النفقة في سبيله وذكرهم أنهم مستخلفون فيما عندهم من الأموال لا يملكونها حقيقة وإنما المال مال الله، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [٧] [الحديد]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى،

أَوْ أُعْطِيَ فَاقْتَتَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(١).

رابعاً: دعوة زكريا عليه السلام ربه أن يهبه ولداً يكون من بعده نبياً وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقراً، وقد حكى الله ذلك في كتابه قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ^(٩٠) [الأنبياء]. أي: ارزقني وارثاً من آل يعقوب يرثني.

خامساً: أن الله تعالى هو الوارث فهو الذي يُورث الأرض من يشاء من عباده، قال تعالى عن نبي الله موسى وهو يخاطب قومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٢٨) [الأعراف].

وقال تعالى عن فرعون وقومه لما عصوا الله وخالفوا أمره: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ^(٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ^(٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ^(٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ^(٢٨)﴾ [الدخان]. وقال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ^(٥)﴾ [القصص].

سادساً: أن الله تعالى جعل الجنة ثواباً للمتقين وهو يورثهم إياها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا

بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأعراف].
 وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم].
 وقال تعالى عن المؤمنين بعدما ذكر بعضاً من صفاتهم: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون] ^(١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٢٨٧ - ٢٩١).

الكلمة السابعة والتسعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ٥١١]. أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به

أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه»^(١).

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيّه فلا يسخطه أبداً، وقال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بواحد وثمانين يوماً.

روى البخاري ومسلم من حديث طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾. قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة»^(٢).

وروى ابن جرير بسنده أن ابن عباس قرأ: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد ويوم الجمعة^(٣).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن الدين قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة أبداً فما يفعله

(١) تفسير ابن كثير (٢٤٦/٥).

(٢) ص ٣٢ برقم ٤٥، وصحيح مسلم ص ١٢٠٧ برقم ٣٠١٧.

(٣) تفسير ابن جرير (٤١٩/٤).

أهل الضلالة من البدع إنما هو ابتداع في دين الله واتهام لهذا الدين بالنقص، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١) فما من خير إلا والنبي ﷺ دل أمته عليه وما من شر إلا حذر أمته منه، قال أبو ذر: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»^(٢).

ثانياً: أن الله أتم على المؤمنين نعمه الظاهرة والباطنة، ومن أعظم هذه النعم بعث النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١٦٤) [آل عمران].

ثالثاً: أن الله تعالى رضي للمؤمنين هذا الدين العظيم دين الإسلام بل إن الله لا يقبل من الناس غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٦٥) [آل عمران].

فوجب على المؤمنين أن يرضوا بهذا الدين الذي رضي الله لهم، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ

(١) ص ٥١٤ برقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم ص ٧١٤ رقم ١٧١٨.

(٢) تفسير ابن جرير (٥/١٨٨).

قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (١).

رابعاً: أن أحكام هذا الدين وشرائعه قد كملت فلا تتغير ولا تبدل إلى يوم القيامة، فعلى سبيل المثال ذكر الله في كتابه اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار ونهانا عن موالاتهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ [المائدة: ١٥]. فلا يأتي أحد فيقول: إن الزمن قد تغير وأن اليهود والنصارى أصدقاء وبيننا وبينهم مصالح فلا بد من صداقتهم وأن هؤلاء ليسوا كأسلافهم من قبل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والتسعون

النفخ في الصور

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أهوال الآخرة العظيمة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها: النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَهُمْ جَمْعًا ۝١٩﴾ [الكهف].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»^(١)، والنفخ في الصور أمر غيبي يكون عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة فينفخ الملك إسرافيل في القرن بأمر الله، فلا يبقى أحد من الخلق إلا مات إلا من استثناه الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ما يحدث في آخر الزمان فقال: «ثُمَّ يُرْسَلُ اللَّهُ رِيحًا

(١) ص ٣٩٨ رقم ٢٤٣٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضْتُهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلْتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيِبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقَهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا»، قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبْلِهِ» قَالَ: «فَيَضَعُ، وَيَضَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ»، أَوْ قَالَ: «يُنزِلُ اللَّهُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ»، أَوْ «الظِّلُّ» نُعْمَانُ الشَّاكُ «فَتَنبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)»، الْحَدِيثُ (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»: قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ»، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالَ: «ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) ص ١١٨٠ رقم ٢٩٤٠.

(٢) ص ٩٧٦ برقم ٤٩٣٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٦ برقم ٢٩٥٥.

يَسْأَلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَتَوَلَّنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلَيْكُمْ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ [يس]. ففي هذه الآيات والأحاديث المتقدمة يخبر الله تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فالنفخة الأولى تحدث وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما هو مصرح به في الآية السابقة، ثم يقبض الله سبحانه أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ويقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ الذي قهر كل شيء وحكم بالفناء على كل شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم]. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور مرة أخرى وهي النفخة الثانية نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر]. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر والنبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟

فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟! فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره: فغضب النبي ﷺ حتى رئي في وجهه ثم قال: «لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصَعَّقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أُدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟!»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: إن المؤمن ينبغي له أن يكون على استعداد للقاء ربه وألا يكون في غفلة فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمة فهناك الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان وغير ذلك من الأهوال، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَقَمَ الْقُرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْمَعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفَخُ؟» فقال أصحاب محمد: كيف نقول؟ قال: «فُؤُؤُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»^(٢).

قال الشافعي:

(١) ص ٦٥٦ - ٦٥٧ برقم ٣٤١٤، وصحيح مسلم ص ٩٦٦ برقم ٢٣٧٣.

(٢) (١٤٥/٥) برقم ٣٠٠٨ وقال محققوه: حسن لغيره.

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ وَضَمَّ الْقَبْرَ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ

ثانياً: أنه عند نفخة الصعق يذهل الناس عن كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس]. قال ابن كثير: أي على ما يملكونه فالأمر أهم من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون، فلا رجعة إلى الدنيا^(١).

ثالثاً: قدرة الله العظيمة على إماتة الخلق جميعاً بلحظة واحدة ثم إحيائهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٠].

رابعاً: إن الله وصف حال الناس عند خروجهم من الأجداث بأنهم مسرعين إجابة لدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُسْبٍ يُوَفُّونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج]. وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس]. والنسل هو الشيء السريع.

خامساً: العارفون بالله، المؤمنون بما سيكون من الأهوال العظيمة في الآخرة لا يغفلون عنها وهم منها مشفقون، قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى: ١٨]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ

(١) تفسير ابن كثير (٣٦٧/١١).

قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَيَّ اللَّهُ» (١).

سادساً: أن أهوال الآخرة من الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، مع شدتها وعظمتها، إلا أن الله بمنه وكرمه ولطفه يهونها على المؤمن التقي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَنُنَلِّقُهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]. قال بعض المفسرين: الفرع الأكبر النفخ في الصور، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر]. وقال تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٨٢ برقم ٢٣١٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٢/٢٦٨) برقم ١٨٨٢.

الكلمة التاسعة والتسعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. قال ابن جرير: «ليست اليهود يا محمد ولا النصرارى براضية عنك أبداً فذع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية والنصرانية ضد اليهودية ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل»^(١).

(١) تفسير ابن جرير مختصراً (١/٥٦٥).

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، أي قل: يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيه تهديد ووعيد للأمة من أتباع طرائق اليهود والنصارى والتشبه بهم بعد أن علموا القرآن والسنة عياداً بالله من ذلك فإن الخطاب للرسول ﷺ والأمر لأُمَّته.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره فوائد للآية الكريمة.

أولاً: بيان عناد اليهود والنصارى فإنهم لن يرضوا عن أحد مهما تألفهم وبالغ في ذلك حتى يتبع ملتهم.

ثانياً: الحذر من اليهود والنصارى فإن من تألفهم وقدم لهم تنازلات فإنهم سيطلبون المزيد ولن يرضوا عنه إلا باتباع ملتهم.

ثالثاً: أن الكفار من اليهود والنصارى يتمنون أن المسلمين يكونون مثلهم في الكفر، حسداً لهم، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

رابعاً: استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حيث أفرد الملة على أن الكفر ملة واحدة كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم

يرث قريبه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة.

خامساً: أن ما عليه اليهود والنصارى ليس ديناً بل هو هوى لقوله تعالى: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: ملتهم كما في أول الآية ففي الأول: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ لأنهم يعتقدون أنهم على ملة ودين ولكن بين الله تعالى أن هذا ليس بدين ولا ملة بل هوى وليسوا على هدى، إذ لو كانوا على هدى لوجب على اليهود أن يؤمنوا بالمسيح عيسى ابن مريم ولوجب عليهم جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

سادساً: أن العقوبات إنما تقع على العبد بعد أن يأتيه العلم وأما الجاهل فلا عقوبة عليه لقوله تعالى: ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وهذا الأصل يشهد له آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. سابعاً: إن من اتبع الهوى بعد العلم فهو أشد ضلالة لقوله تعالى: ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

ثامناً: الرد على أهل الكفر بهذه الكلمة ﴿هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ والمعنى: إن كان معكم هدى الله فأنتم مهتدون وإلا فأنتم ضالون.

تاسعاً: أن البدع ضلالة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. فليس بعد الهدى إلا الضلال ولقول النبي ﷺ:

«كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (١)

عاشراً: إن ما جاء إلى الرسول ﷺ سواء كان القرآن أو السنة فهو علم فالنبي ﷺ كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب كما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ولكن الله تعالى أنزل عليه هذا الكتاب حتى صار بذلك نبياً جاء بالعلم النافع والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

الحادي عشر: أنه لا أحد يمنع ما أراد الله من خير أو شر لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. روى البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» (٢).

أي: لا ينفع ذا الجدد أي الحظ والغنى حظه وغناه من الله، فالله محيط بكل شيء وقادر على كل شيء، ولا ينفع العبد إلا عمله الصالح.

الثاني عشر: إن هذا التحذير في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ موجهاً إلى

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم ص ٣٣٥ برقم ٨٦٧.

(٢) ص ١٧٢ برقم ٨٤٤، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ برقم ٥٩٣.

رسول الله ﷺ فكيف بمن دونه؟! فإن هذا التحذير يشملهم وأولى، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَفَدَّ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥].

الثالث عشر: أن ما عليه اليهود والنصارى من دين باطل منسوخ بشريعة الإسلام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ يُخْرَجْكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ١٢٠] وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١). حتى عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد بل يحكم بشريعة الإسلام. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثم يقول أبو هريرة: «اقْرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

مَوْتِهِ^ط وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء] (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤١٤ برقم ٢٢٢٢، وصحيح مسلم ص ٨٦ برقم ١٥٥ واللفظ له.
(٢) تفسير سورة البقرة للشيخ ابن عثيمين (٢/٢٩ - ٣٤).

الكلمة المئة

صفات اليهود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

فأخبر جل وعلا أن اليهود من أشد الناس عداوة وحرماً على المسلمين كما أخبر أنهم يشعلون الفتن والحروب ضد المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

واليهود لم يسلم من شرهم أحد بل إنهم تطاولوا على رب العالمين سبحانه فقالوا: بأن لله الولد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْتِ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنها قولهم: بأن الله فقير ونحن أغنياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وبهذه الأقوال الكفرية الشنيعة وغيرها من الأعمال كالكذب

على الله والصد عن سبيله استحقوا غضب الله ولعنته إلى يوم القيامة وجعل الله منهم القردة والخنازير عقوبة لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقد اشتهر اليهود بصفات ذميمة ذكرها الله في كتابه عنهم وهذه الصفات متأصلة في جميع اليهود إلى يوم القيامة وعلى المسلم أن يكون على حذر منها.

فمنها: الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [المائدة: ١٣]، والتاريخ يشهد بنقضهم العهود والمواثيق فقد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وحاولوا قتله أكثر من مرة، وفي آخرها وضعوا له السم في الشاة وقدموها هدية فمضغ منها مضغاً ثم مكث يعاني سنوات عديدة من هذا السم^(١). وما يحصل لإخواننا في فلسطين أكبر شاهد على نقض العهود، واليهود لا تنفع معهم العهود والمواثيق والاتفاقيات، وإنما يعرفون لغة الشدة والقوة، ولذلك لما نقضوا العهد مع النبي ﷺ حاصرهم عليه الصلاة والسلام ونزلوا على حكم سعد فأمر أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم الأموال، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري ص ١١٣١ برقم ٥٧٧٧.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٢٣ برقم ٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٣٤ برقم ١٧٦٨.

ومن صفاتهم الذميمة: أنهم قتلوا الأنبياء ﷺ فقد قتلوا يحيى
وزكريا وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفَوْنَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢]. روى الإمام
أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه أن النبي ﷺ قال:
«أشدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا»^(١).

ومن صفاتهم الذميمة: عصيانهم لله واعتدائهم على الخلق
وأَنَّهُمْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

ومنها: أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ
الرَّبَّنَا يُنَوِّتُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾
[المائدة]. ولذلك يحرص اليهود على السيطرة على البنوك والاقتصاد
العالمي ليتحكموا في مصير الأمم والشعوب.

ومنها: كتمان العلم الذي أمرهم الله بتبليغه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيئْتُهُ لِنَاسٍ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فأخبر جل

(١) (٤١٣/٦) برقم ٣٨٦٨ وقال محققو المسند: إسناده حسن.

وعلا أنهم يكتمون العلم اغتياظاً من إظهاره بعرض الدنيا الزائل.
ومنها: الحسد، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ومنها: الجبن الشديد من مقاتلة المسلمين في ساحات المعارك
قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]. وقال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُواكُمْ يُؤَلُّوكمُ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]. قال ابن كثير: وهكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم آنافهم وكذلك من قبلهم يهود المدينة، بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة كلهم أذلهم الله^(١). اهـ وأكبر شاهد على ذلك من الواقع أنك تشاهد الطفل الفلسطيني ومعه الحجر يقابل الجندي اليهودي المدجج بالسلاح وهو يفر هارباً منه خوفاً على حياته.

ومن صفاتهم الذميمة: نشر الفساد في الأرض ينشرون المخدرات والمسكرات ويُشيعون الفواحش والرذائل في أوساط الشعوب فهم تجار الرذيلة وسماسة البغاء، ويسيطرون على الإعلام بقنواته الفضائية المتعددة التي تنشر الأفلام الإباحية الخليعة، وتنشر كذلك الكفر والإلحاد وتشكك المسلمين في عقيدتهم ودينهم فهم يسعون إلى الإفساد في الأرض بكل وسيلة يملكونها، وصدق الله إذ يقول:

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومنها: أنهم من أحرص الناس على الحياة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (١٥) وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [البقرة].

ومعنى الآيات:

أي: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء لله من دون الناس وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافتراءهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته كما يعرفون أبناءهم، وسميت هذه المباهلة تمنياً لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، وكانت المباهلة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم». عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه، وقال أيضاً: لو تمنى اليهود الموت لماتوا»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٩٧) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٩٤)، وقال: هذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس.

ومنها: البخل، فهم قاتلهم الله اتهموا الله بالبخل، فعندما نزل قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قالوا: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فعاقبهم الله بنفس الصفة الذميمة التي اتهموه بها، قال تعالى: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. لذلك اليهود من أشد الناس بخلاً وأقلهم إنفاقاً وبذلاً.

ومنها: صفة الذل، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقِفُوا إِلَّا ابْحَبِلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]. قال ابن جرير الطبري: «الزِّمَّ اليهود المكذبون لمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين، ﴿إِلَّا ابْحَبِلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: بعهد من الله وعهد من الناس لهم والمراد بالحبل: السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذرائعهم من عهد وأمان، تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام»^(١).

وهم الآن تحت حماية النصارى الأمريكان وهم في ذلة وإن ملكوا الأسلحة النووية، والطائرات، والدبابات المتطورة، وتفوقوا على المسلمين في القوة العسكرية، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن جرير (٣/٣٩٤).

الفهرس الأول فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
			أ- (قسم العقيدة)
			توحيد العبادة
٣- خطورة السحر وتحريم		١- الأمن من مكر الله..... ١٦٥	
الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥		٢- الخوف من الله..... ٢٨٥	
التحذير من النفاق		٣- المفهوم الخاطيء للدين ٣٦٣	
والفرق الضالة		٤- اليقين..... ٣٧٧	
١- خطر الرافضة..... ٢١٣		٥- نزول المطر..... ٥٢٩	
٢- صفات اليهود..... ٦٢٧		٦- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى	
توحيد الأسماء والصفات		عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى	
١- شرح اسم الله الخالق..... ٤٣		تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿..... ٦٢١	
٢- شرح اسم الله الفتح..... ١٠٧		خطر الشرك	
٣- شرح اسم الله اللطيف..... ٢١٩		١- إن من الشرك إرادة الإنسان	
٤- شرح اسم الله الرزاق..... ٣٣٣		بعمله الدنيا..... ٢٢٥	
٥- شرح اسم الله الكافي..... ٤٠٣		٢- الإعراض عن الدين ٣٥٣	
٦- شرح اسم الله الغني..... ٤٣٩			
٧- شرح اسم الله الشهيد..... ٤٨٧			

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
٨- شرح اسم الله البصير.....	٥١٥	الَّذِينَ كَفَرُوا فِي أَلْيَدِ ﴿١﴾.....	٢٩١
٩- شرح اسم الله السميع.....	٥٤٩	«سورة المائدة»	
١٠- شرح اسم الله الوارث.....	٦٠٥	١- تأملات في قوله	
الإيمان باليوم الآخر		تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ	
١- رؤية الله تعالى.....	١٣٩	دِينَكُمْ ﴿١﴾.....	٦١١
٢- الميزان.....	١٨١	«سورة هود»	
٣- الإيمان بالكرام الكاتبين.....	١٩٥	١- فوائد من قوله تعالى:	
٤- رضوان الله.....	٢٠١	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا	
٥- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿١﴾.....	١٥
٦- البعث بعد الموت.....	٤٢١	«سورة الحجر»	
٧- موقف الحساب.....	٥٩٧	١- تأملات في قوله تعالى:	
٨- النفخ في الصور.....	٦١٥	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ	
ب- (قسم التفسير)		وَعُيُونٍ ﴿١﴾.....	٨٥
سورة البقرة		٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا	
١- تأملات في قوله تعالى:		كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾.....	٥٠٣
﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا		٣- الوقفة الثانية مع قوله	
النَّصْرَىٰ ﴿١﴾.....	٦٢١	تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ	
«سورة آل عمران»		الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾.....	٥٠٩
١- دروس وعبر من قوله		«سورة الأحزاب»	
تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ		١- فوائد من قوله تعالى:	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٧	٧- المسد.....	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾..... ٣٧١	
	ج- قسم الحديث		
	١- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»... ٤٩	«سورة فصلت»	
	٢- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»..... ١٧١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾..... ١٣٣	
	٣- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»..... ٣٥٩	«سورة الدهر»	
	٤- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»..... ٤٥١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾..... ٤٥٧	
	٥- شرح حديث: «الثلاثة الذين أوامهم المبيت»..... ٥١٩	« جزء عم »	
	٦- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»..... ٥٦١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾..... ٥٦٧	
	« الفقه والصلاة »	٢- تأملات في قوله تعالى:	
	١- أخطاء في الصلاة رقم ٢..... ٣٧	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾..... ٥٧٣	
	٢- سترة المصلي..... ١٤٥	٣- الضحى..... ٢٥٧	
	« الصيام »	٤- الزلزلة..... ٥٥٥	
	١- فضل الأعمال الصالحة في رمضان..... ٣٩٧	٥- القارعة..... ٢٠٧	
		٦- الهمزة..... ٤٨١	

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
«الموت»		رفعها.....	٢٩
١- شرح حديث: «أسرعوا		٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا	
بالجنازة».....	٣٥٩	مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ	
٢- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ﴾.....	١٥
المحرمات		٣- فتنة المال.....	٦١
«المال»		٤- فتنة النساء.....	٦٧
١- الأسهم المختلطة.....	٢٣٧	٥- السخرية بالناس واحتقارهم.	٧٩
صيانة الأعراض		٦- تأملات في قوله	
«اللباس»		تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ	
١- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾.....	٨٥
«محرمات عامة»		٧- الغرور.....	٩١
١- السحر والمس والعين.....	١٥٥	٨- فتنة الدنيا.....	٧٣
٢- أضرار المخدرات		٩- قسوة القلب.....	٩٧
والمسكرات.....	٣١٣	١٠- العجب.....	١٠٣
٣- القتل.....	٣٢٧	١١- تأملات في قوله تعالى:	
٤- خطورة السحر		﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ	
وتحريم الذهاب إلى		ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾.....	١٣٣
السحرة.....	٤٧٥	١٢- الأمن من مكر الله.....	١٦٥
«المواعظ والرقائق»		١٣- شرح حديث حسب ابن	
١- العقوبات الإلهية وأسباب		آدم لقيمات.....	١٧١

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
١٤- النصيحة.....	١٧٥	٢- خطر الاختلاط.....	٢٦٩
١٥- كفارات الذنوب رقم ٢.....	٢٣١	٣- العشرة الزوجية.....	٣٠٣
١٦- الخوف من الله.....	٢٨٥	«الأخلاق المحمودة»	
١٧- أمراض القلوب.....	٢٩٧	١- علو الهمة.....	٥٣
١٨- قضاء الدين.....	٣٤٧	٢- الوفاء.....	٤٦٣
١٩- الإعراض عن الدين.....	٣٥٣	«الأخلاق المذمومة»	
٢٠- فضل الأعمال الصالحة		١- الذلة وأسبابها.....	٢١
في رمضان.....	٣٩٧	٢- النهي عن السخرية	
٢١- خطورة المجاهرة بالمعصية	٤٠٩	بالناس واحتقارهم.....	٧٩
٢٢- استقبال العام الجديد.....	٤١٥	٣- الغرور.....	٩١
٢٣- المسارعة إلى الخيرات.....	٤٤٥	٤- العجب.....	١٠٣
٢٤- نزول المطر.....	٥٢٩	٥- خطورة الكذب.....	١١٣
الفضائل		٦- التحذير من الكسل.....	٣٨٣
«الصيام»		«السير»	
١- فضل الأعمال الصالحة في		١- سيرة مصعب بن عمير.....	١٥١
رمضان.....	٣٩٧	٢- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small>	٢٧٥
«فضائل عامة»		٣- سيرة طلحة بن عبيد الله.....	٢٨١
١- فضل الصحابة.....	٢٦٣	٤- دروس وعبر من استشهاد	
«موضوعات تهتم المرأة»		الخليفة عمر.....	٣١٩
١- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٥- سيرة أبي عبيدة بن الجراح... ..	٤٣٣

<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>
٦- سيرة جعفر بن أبي طالب... ٤٦٩	٤٦٩	٣- نعمة العقل..... ٢٤٩	٢٤٩
٧- سيرة عثمان بن عفان... ٤٩٧	٤٩٧	٤- أمراض القلوب..... ٢٩٧	٢٩٧
٨- قصة قارون..... ٥٢٣	٥٢٣	٥- أضرار المخدرات	
٩- سيرة الزبير بن العوام... ٥٤١	٥٤١	والمسكرات..... ٣١٣	٣١٣
« قضايا اجتماعية »		« النبوات »	
١- السحر والمس والعين..... ١٥٥	١٥٥	١- عصمة النبي ﷺ..... ١١٩	١١٩
٢- مخالفات في لباس المرأة... ١٨٧	١٨٧	٢- قصة نبي الله يونس عليه السلام... ٢٧٥	٢٧٥
٣- الرفقة الصالحة..... ٢٤٣	٢٤٣	٣- معجزاته عليه الصلاة والسلام ٣٨٩	٣٨٩
٤- خطر الاختلاط..... ٢٦٩	٢٦٩	« أحداث معاصرة »	
٥- العشرة الزوجية..... ٣٠٣	٣٠٣	١- وقفات مع أحداث غزة... ٥٨٧	٥٨٧
٦- أضرار المخدرات		٢- وقفات مع الأزمة المالية	
والمسكرات..... ٣١٣	٣١٣	العالمية..... ٥٧٩	٥٧٩
٧- قضاء الدين..... ٣٤٧	٣٤٧	٣- أحداث الدانمارك..... ٤٩١	٤٩١
٨- المفهوم الخاطيء للدين..... ٣٦٣	٣٦٣	٤- حكم الأسهم المختلطة... ٢٣٧	٢٣٧
٩- التحذير من الكسل..... ٣٨٣	٣٨٣		
١٠- خطورة السحر وتحريم		« توجيهات عامة »	
الذهاب إلى السحرة... ٤٧٥	٤٧٥	١- البشارة وفضائلها..... ١٢٥	١٢٥
« توجيهات عامة »		٢- النصيحة..... ١٧٥	١٧٥

الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
تقديم المشايخ.....	٥
المقدمة.....	١٣
١- فوائد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ..	١٥
٢- الذلة وأسبابها.....	٢١
٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها.....	٢٩
٤- أخطاء في الصلاة رقم (٢).....	٣٧
٥- شرح اسم الله الخالق المصور.....	٤٣
٦- شرح حديث: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ».....	٤٩
٧- علو الهمة.....	٥٣
٨- فتنة المال.....	٦١
٩- فتنة النساء.....	٦٧
١٠- فتنة الدنيا.....	٧٣
١١- السخرية بالناس واحتقارهم.....	٧٩
١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٨٥
١٣- الغرور.....	٩١

الموضوع	الصفحة
١٤- قسوة القلب	٩٧
١٥- العجب	١٠٣
١٦- شرح اسم الله الفتاح	١٠٧
١٧- خطورة الكذب	١١٣
١٨- عصمة النبي ﷺ	١١٩
١٩- البشارة وفضائلها	١٢٥
٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾	١٣٣
٢١- رؤية الله تعالى	١٣٩
٢٢- سترة المصلي	١٤٥
٢٣- سيرة مصعب بن عمير	١٥١
٢٤- السحر والمس والعين	١٥٥
٢٥- الأمن من مكر الله	١٦٥
٢٦- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»	١٧١
٢٧- النصيحة	١٧٥
٢٨- الميزان	١٨١
٢٩- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧
٣٠- الإيمان بالكرام الكاتبين	١٩٥
٣١- رضوان الله تعالى	٢٠١
٣٢- تفسير سورة القارعة	٢٠٧
٣٣- خطر الرافضة	٢١٣

الموضوع	الصفحة
٣٤- شرح اسم الله اللطيف	٢١٩
٣٥- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا	٢٢٥
٣٦- كفارات الذنوب رقم (٢)	٢٣١
٣٧- حكم الأسهم المختلطة	٢٣٧
٣٨- الرفقة الصالحة	٢٤٣
٣٩- نعمة العقل	٢٤٩
٤٠- تفسير سورة الضحى	٢٥٧
٤١- فضل الصحابة	٢٦٣
٤٢- خطر الاختلاط	٢٦٩
٤٣- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small>	٢٧٥
٤٤- سيرة طلحة بن عبيد الله	٢٨١
٤٥- الخوف من الله	٢٨٥
٤٦- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي	
أَلْبَدِ﴾	٢٩١
٤٧- أمراض القلوب	٢٩٧
٤٨- العشرة الزوجية	٣٠٣
٤٩- أضرار المخدرات والمسكرات	٣١٣
٥٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر	٣١٩



الجزء الخامس

- ٣٢٧ ٥١- القتل
- ٣٣٣ ٥٢- شرح اسم الله الرزاق
- ٣٤١ ٥٣- ما ينتفع به الميت
- ٣٤٧ ٥٤- قضاء الدين
- ٣٥٣ ٥٥- الإعراض عن الدين
- ٣٥٩ ٥٦- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»
- ٣٦٣ ٥٧- المفهوم الخاطيء للدين
- ٣٧١ ٥٨- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ...﴾
- ٣٧٧ ٥٩- اليقين
- ٣٨٣ ٦٠- التحذير من الكسل
- ٣٨٩ ٦١- معجزاته عليه الصلاة والسلام
- ٣٩٧ ٦٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان
- ٤٠٣ ٦٣- شرح اسم الله الكافي
- ٤٠٩ ٦٤- خطورة المجاهرة بالمعصية
- ٤١٥ ٦٥- استقبال العام الجديد
- ٤٢١ ٦٦- الإيمان بالبعث بعد الموت
- ٤٢٧ ٦٧- تفسير سورة المسد
- ٤٣٣ ٦٨- سيرة أبي عبيدة بن الجراح
- ٤٣٩ ٦٩- شرح اسم الله الغني

الموضوع	الصفحة
٧٠- المسارعة إلى الخيرات	٤٤٥
٧١- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»	٤٥١
٧٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾	٤٥٧
٧٣- الوفاء	٤٦٣
٧٤- سيرة جعفر بن أبي طالب	٤٦٩
٧٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة	٤٧٥
٧٦- تفسير سورة الهمزة	٤٨١
٧٧- شرح اسم الله الشهيد	٤٨٧
٧٨- أحداث الدانمارك	٤٩١
٧٩- سيرة عثمان بن عفان	٤٩٧
٨٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٥٠٣
٨١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢) ..	٥٠٩
٨٢- شرح اسم الله البصير	٥١٥
٨٣- شرح حديث: الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار	٥١٩
٨٤- قصة قارون	٥٢٣
٨٥- نزول المطر	٥٢٩
٨٦- تواضع السلف وخوفهم من ربهم	٥٣٥
٨٧- سيرة الزبير بن العوام	٥٤١
٨٨- شرح اسم الله السميع	٥٤٩
٨٩- تفسير سورة الزلزلة	٥٥٥

الموضوع	الصفحة
٩٠- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»	٥٦١
٩١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
٩٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
٩٣- وقفات مع الأزمة المالية العالمية	٥٧٩
٩٤- وقفات مع أحداث غزوة	٥٨٧
٩٥- موقف الحساب	٥٩٧
٩٦- شرح اسم من أسماء الله الحسنى الوارث	٦٠٥
٩٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	٦١١
٩٨- النفخ في الصور	٦١٥
٩٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾	٦٢١
١٠٠- صفات اليهود	٦٢٧
الفهرس حسب موضوعات الكتاب	٦٣٣
فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب	٦٣٩



الدرر المنقاة

من

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء السادس والسابع.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - الرياض، ١٤٣٣ هـ

٨١٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ١١١١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ - العنوان

١٤٣٣/٩١٨٥

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٩١٨٥

ردمك: ٤ - ١١١١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإله أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الحظية

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

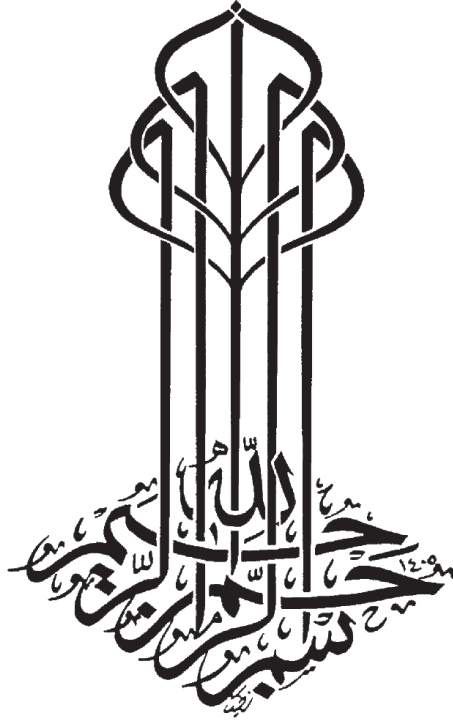
فروع يومية

(١١٠) درسا للترغاة والمُطَبَّاءِ وَأُمَّةِ الْمَسَاجِدِ لِلْقِرَاءَةِ عَلَى الصَّلَاتِ

إعداد

و. إمامة بن محمد آل نوري الشقاوي

مجتمع النشأة النبوية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة
من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين ابن
عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم
والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة
في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا،
والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراس
واللباس، والمواعظ والرفائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية
كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شكّ أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من
أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة
الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها
على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعترين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٤٢٧/٤/١٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله - :
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم.
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّنه مؤلفه عشرة وعشرون مئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المتتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل.

فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فهذا هو المجلد الثالث من كتاب الدرر المنتقاة يشتمل

على الجزأين السادس والسابع، حيث يحتوي كل جزء على خمسة وخمسين كلمة وهو كسابقه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صحح فليطمئن قراء كتابي الأفاضل إلى ذلك، مع أنني قد يسرت للقارئ الكريم الوصول إلى مصادر الكتب إذا أحب الرجوع إليها.

وقد ضبطت الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبية لطلبات قراء الكتاب.

وإنني أشكر المشايخ الذين ساعدوني في هذا الكتاب ومنهم: شيخنا حمد بن عبد الله الجمعة، والشيخ غالب المطيري.. وغيرهم ممن لم يرغب بذكر اسمه.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب جامعه وقارئه وناشره وسامعه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ١٤٣٣/١١/١٨ هـ

الكلمة الأولى

الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها، وفوائدها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أرسل نبينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ونجاة لمن آمن به من الموحدين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، وشفيعاً في المحشر، أرسله الله على فترة من الرسل، فهدى به لأقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه والصلاة عليه والتسليم، قال بعض العلماء: ومن خواصه ﷺ أنه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله على غيره، فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الأنبياء^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي العالية قال: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) انظر: خطبة السخاوي في كتابه القول البديع ص ٥ بتصرف، ومرشد المحتار إلى خصائص المختار لمحمد بن طولون ص ٣٩٧. نقلاً عن كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ ص ٥.

«يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ» هكذا علقه البخاري عنهما^(١). قال ابن كثير: «المقصود من الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الشناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً»^(٢).

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة على النبي ﷺ منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي، فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ،

(١) صحيح البخاري ص ٩٣٧ باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

(٢) تفسير ابن كثير (١١/٢١٠).

(٣) (١٩/٥٧) برقم ١١٩٩٨ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٤) برقم ٢٠٤٢ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣٨٣) برقم

قَالَ: «مَا سُئِتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سُئِلَ شَيْخُنَا^(٢) رَحِمَهُ اللهُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: كَانَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ دَعَاءٌ يَدْعُو بِهِ لِنَفْسِهِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ يَجْعَلُ لَهُ مِنْهُ رُبْعَهُ صَلَاةً عَلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَقَالَ لَهُ: النِّصْفَ، فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، أَيِ أَجْعَلُ دَعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً عَلَيْكَ، قَالَ: إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ، لِأَنَّ مِنْ صَلَاتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ كَفَاهُ هَمَّهُ وَغَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ^(٣) رَحِمَهُ اللهُ. اهـ.

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ:

أولاً: امتثال أمر الله ﷻ.

ثانياً: موافقته ﷺ في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال و صلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

ثالثاً: أنها ترفع الدرجات وتكفر السيئات كما وردت بذلك الأحاديث السابقة.

رابعاً: أنه يرجى إجابة دعاء السائل إذا ختم بها، فيها يصعد الدعاء

(١) برقم ٢٤٥٧ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام ص ٧٦.

إلى رب العالمين. روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ» (١).

خامساً: أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه، ففي حديث أبي السابق لما قال للنبي ﷺ: «أجعل لك صلاتي كلها»، قال له إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك، ومن القصص في هذا الباب وهي كثيرة أن أحد الإخوان كان يعاني من مشكلات كثيرة مع زملائه، وفي بيته حمل هموماً وغموماً، فدل على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ فلازم ذلك، فتبدلت حاله إلى أفراح ومسرات في وقت قليل.

سادساً: أن الصلاة عليه ﷺ من حقوقه على أمته مقابل الخير العظيم الذي حصل لهم بسببه.

وأما صيغ الصلاة عليه، فهي كثيرة، أكتفي باثنتين منها:

أولاً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِينِي كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ (رضي عنه) فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: بَلَى فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى

(١) مسند الفردوس (٤٧٥٤) وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٥/٥٧) برقم ٢٠٣٥، وورد موقوفاً عن علي وضعفه آخرون، وقال الألباني الموقوف أصح.

آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ
مَّجِيدٌ»^(١).

ثانياً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ»^(٢).

أما المواطن التي يُصلى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة أذكر منها:

- ١- بعد التشهد في جميع الصلوات، وهو ركن بعد التشهد الأخير عند جمع من أهل العلم.
- ٢- في التشهد الأول وآخر القنوت.
- ٣- في صلاة الجنائز بعد التكبير الثانية.
- ٤- عند دخول المسجد، وعند الخروج منه.
- ٥- عند اجتماع القوم، وقبل تفرقهم للحديث: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»^(٣)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٤).

(١) برقم ٣٣٧٠ وصحيح مسلم برقم ٤٠٦.

(٢) برقم ٣٣٦٩ وصحيح مسلم برقم ٤٠٧.

(٣) ترة: يعني حسرة وندامة.

(٤) سنن الترمذي برقم ٣٣٨٠ وقال: حديث حسن صحيح.

- ٦- عند الهم والشدائد وطلب المغفرة في الدعاء.
- ٧- عند استفتاح الخطب للدروس وغيرها مقروناً بالثناء على الله تعالى وعند ختمها.
- ٨- في أول النهار وآخره مع أذكار الصباح والمساء.
- ٩- بعد الأذان وذلك من وسائل الشفاعة.
- ١٠- عند ذكره ﷺ، فقد جاء في الحديث: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١).
- وغير ذلك من المواضع.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم ٣٥٤٦ وقال: حديث حسن صحيح غريب.

الكلمة الثانية

تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بالآية الكريمة نستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [٢١] وجاء ربك والملك صفاً صفاً [٢٢] وجاء يومئذ بجهنم يومئذ يندكر الإنسان وأنى له الذكرى [٢٣] يقول يلبتني قدمت ليحياتي [٢٤] فيومئذ لا يعذب عذابه أحد [٢٥] ولا يؤثق وثاقه أحد [٢٦] يتأيتها النفس المطمئنة [٢٧] أرجعي إلى ربك راضية مرضية [٢٨] فأدخلني في عبادي [٢٩] وأدخلني جنتي [٣٠]. [الحجر: ٢١ - ٣٠].

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فيقول: ﴿ كَلَّا ﴾: أي: حقاً ﴿ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا ﴾ أي: وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ [طه: ١٠٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [٢٢] أي وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ بعد ما يسألون أولي العزم

من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذلك حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها، فيذهب فيشفع عند الله ثم يجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً^(١)، فيأله من موقف عظيم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِلَ الْمَلَكُوتُ تَنْزِيلًا ۝٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونها»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم الدهر وحديثه، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾: أي: وكيف تنفعه الذكرى، يقول نادماً: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: أي: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَدَا بًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ رَبًّا ۝٤٠﴾ [النبأ: ٤٠].

أما إذا كان طائعاً فإنه يود لو ازداد من الطاعات، روى الإمام

(١) الحديث مخرج في الصحيحين أخرجه البخاري برقم ٣٣٤٠؛ ومسلم في صحيحه برقم ١٩٤.

(٢) برقم ٢٨٤٢.

أحمد في مسنده من حديث محمد بن أبي عميرة رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَحَقِرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوْ دَأَّ أَنْهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَّادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ» (١).

قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴾ أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٥٠]. ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: ليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم ﷻ، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فإنهم يُقَرَّنُونَ بسلاسل من نار ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [٤٩] سَرَابِيلُهُمْ مِّن قِطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمْ نَارًا ﴿ ٥٠ ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ خذُوهُم فُغْلًا ﴾ [٣٠] ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوَةً ﴿ ٣١ ﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿ ٣٢ ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿ ٣٣ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٣].

قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [٢٧] أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ ﴿ أي: النفس الزكية والمطمئنة هي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: ارجعي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، ﴿ رَاضِيَةً ﴾: أي: في نفسها مرضية، أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، كما قال تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة: ٨].

(١) برقم ١٧٦٥٠ وقال محققوه: إسناده صحيح.

قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾: أي في جملة عبادي ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾، وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ». قَالَ: «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ..» ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «ثُمَّ يَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مِثْلَ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ» (١).

وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دُفن تليت هذه الآية على شفير القبر ما يدرى من تلاها: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿رُجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾ (٣٠) ﴿[الفجر: ٢٧ - ٣٠]﴾ (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٧٨/١٤) برقم ٨٧٦٩ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) (٢٣٦/١٠) برقم ١٠٥٨١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٥/٩) ورجاله رجال الصحيح.

الكلمة الثالثة

من مشاهد القيامة (الحشر وأهواله)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن أعظم أهوال يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها موقف الحشر. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ - ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

والله ﷻ يحشر الناس ويجمعهم ليوم القيامة سواء من كان منهم في قبره، أو أكلته السباع، أو احترق، أو غرق في البحار، أو مات بأي مية كانت، قال تعالى: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

والله ﷻ يحشر الخلائق جميعاً لا ينسى منهم أحداً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ

نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ [الكهف: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿إِنْ كُئِلَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٤].

وهذه النصوص تدل على حشر الخلائق جميعاً الجن والانس والبهائم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُعْرَفُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ [التكوير: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]. وحرف إذا إنما يكون لما يأتي لا محالة^(١).

ويحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين كما ولدتهم أمهاتهم. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^(٢).

وكل إنسان يُبعث على الحال التي مات عليها من التقوى والإيمان والكفر والعصيان، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٨).

(٢) برقم ٦٥٢٧ وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٩ واللفظ له.

النبي ﷺ قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١).

وفي الحديث: «الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرَمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًّا»^(٢)،
وَ«الشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرْحُهُ يَتَعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ
المِسْكِ»^(٣).

والحشر مواقف:

فمن ذلك أن الكفار يحشرون على وجوههم، قال تعالى:
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا
خَبِثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٤٧) [الإسراء: ٩٧]. وروى البخاري ومسلم في
صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يُحْشَرُ
الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ
فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!»^(٤).

ومن ذلك أن الناس يُحشرون على طرائق. روى الإمام أحمد
في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ
رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ
يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ؟ وَقَالَ عَفَّانٌ: يَمْشُونَ - قَالَ: «إِنَّ الَّذِي
أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ

(١) برقم ٢٨٧٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٨٥١ وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٥٣٣ وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

(٤) برقم ٤٧٦٠ وصحيح مسلم برقم ٢٨٠٦.

يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»^(١).

ومنها أن المتقين يُحشرون على أحسن مركب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾^(٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا^(٨٦) ﴿[مریم: ٨٥ - ٨٦]. أي عطاشاً، وقال جمع من المفسرين: إنهم يُحشرون - أي المتقين - على الإبل النجائب تكريماً لهم، ويُحشر الناس يوم القيامة على أرض غير هذه الأرض. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤٨) ﴿[إبراهيم: ٤٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل ابن سعد رضي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ»^(٢)، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ^(٣) قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن الوقت الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات هو وقت مرور الناس على الصراط. روى مسلم في صحيحه

(١) (٢٨٩/١٤) برقم ٨٦٤٧ وقال محققوه حسن لغیره، قوله: صنف مشاة، وصنف ركبان، قال السندي: هم أهل الإيمان عوامه وخواصهم. يتقون بوجوههم كل حدب، الحدب بفتح الحاء الغليظ المرتفع من الأرض، أي يجعلون وجوههم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق، وقد غلت أيديهم وأرجلهم، وذلك لما لم يجعلوها ساجدة لخالقها.

(٢) عفرَاء: قال الخطابي العفر بياض ليس بناصع، وقال ابن فارس: معنى عفرَاء خالصة البياض، والنقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخالة، والمعلم: هو العلامة التي يهتدي بها إلى الطريق كالجبل والصخرة، فتح الباري (١١/٣٧٥).

(٣) برقم ٦٥٢١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٩٠.

من حديث ثوبان رضي الله عنه أن حبراً من أحبار اليهود سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِجْرِ»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: أن الله أخبر عباده بأهوال هذا اليوم - وهم في الدنيا - ليعلموا ما هم صائرون إليه، وليكونوا على بينة من أمرهم، وليستعدوا لذلك ويحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، قال أحدهم:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(٣٠) [آل عمران: ٣٠].

أما المجرمون فيقولون: ﴿يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٣١) [الكهف: ٤٩].

ثانياً: أن الناس يذهلون من هول المحشر عن كل شيء. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ^(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ^(٣٥) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ^(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ^(٣٧)﴾ [عيس: ٣٤ - ٣٧]. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١٧) [المزمل: ١٧].

ثالثاً: قدرة الله العظيمة على جمعهم وحشرهم في صعيد واحد

ومحاسبتهم. قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

رابعاً: في يوم الحشر تظهر حقيقة الدنيا لأهلها وحقارتها. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ [يونس: ٤٥]. وقال عن المجرمين: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَّيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ﴿١٠٣﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٣].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة

من أسماء الله الحسنى
(الحليم)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]. روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١) ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة الحليم، قال بعضهم ذكر هذا الاسم في كتاب الله إحدى عشرة مرة، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).

قال ابن جرير: حليم ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم^(٢)، وقال الخطابي: هو ذو الصفح، والأناة الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص. ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة والمتأني الذي لا يعاجل بالعقوبة، قال الشاعر:

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مَسْفِرَةً لَا صَفْحَ ذُلٌّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ^(٣)

قال ابن كثير: «حَلِيمٌ غَفُورٌ» أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر ويُنظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر^(٤).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة الحلم لله عز وجل وهي الصفح عن العصاة من العباد وتأجيل عقوبتهم لعلهم يتوبوا ويرجعوا.

ثانياً: سؤال المؤمن ربه بهذه الصفة العظيمة الحلم فيقول: يا حليم اعف عني، واصفح واستر.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢٧٣٠ واللفظ له.

(٢) جامع البيان (٢/١٣٥٨).

(٣) شأن الدعاء ص ٦٣-٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير (١١/٣٣٨).

ثالثاً: حلم الله سبحانه على عباده وتركه المعاجلة لهم بالعقوبة^(١).

قال الشاعر:

مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أَمَهَلَنِي وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي
«وإن سألت عن حلمه، فهو الحليم الذي قد كمل في حلمه، فله
الحلم الكامل الذي وسع السماوات والأرض. وسع حلمه أهل الكفر
والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافهم
ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم، إنه هو التواب الرحيم. وهو يتحبب
إليهم بالنعيم مع كمال غناه، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها
منهم، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. قال جل جلاله:
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنَّ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ
بَصِيرًا﴾ [٤٥: ٤٥]»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان^(٣)
ولولا حلمه ومغفرته، لزلت السماوات والأرض من معاصي
العباد. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا
وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٧٦).

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٢٢٢).

(٣) الكافية الشافية (ص ٢٠٩).

فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه وهما (الحليم والغفور) كيف تجد تحت ذلك أنه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة، لما استقرت السماوات والأرض؟^(١).

وفي الآية إشعار بأن السماوات والأرض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد، فيمسكهما بحلمه ومغفرته^(٢).

رابعاً: حلم الله عظيم يتجلى في صبره سبحانه على خلقه، والصبر داخل تحت الحلم فكل حليم صابر، وقد جاء في السنة وصف الله تعالى بالصبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًّا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(٣).

وهو سبحانه أعظم العظماء، وملك الملوك، وأكرم الأكرمين وإحسانه فوق كل إحسان مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويعافيه ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته ويقبل توبته إذا تاب إليه ويبدله بسيئاته حسنات، ويتلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله إليه ويأمرهم بأن يُلَيِّنُوا له القول ويرفقوا به، فأَيُّ حلم أعظم من هذا؟!^(٤).

(١) الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) عدة الصابرين (ص ٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٠٩٩، وصحيح مسلم برقم ٢٨٠٤.

(٤) شفاء العليل (٢/٦٥٤).

وقد أخبر سبحانه عن تأخيره لعقاب من أذنب من عباده في الدنيا، وأنه لو كان يؤاخذهم بذنوبهم لما بقي على ظهر الأرض أحد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، أي لأهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم، ولكن الرب يحلم، ويستر وينظر، إلى أجل مسمى، ولا يعاجلهم بالعقوبة، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحداً^(١).

وقد تحصل هذه العقوبة في الدنيا كما يحدث في بعض الدول الكافرة أو التي تماثلها في الفساد والانحلال من الفيضانات والأعاصير المدمرة والزلازل المهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

خامساً: يجوز إطلاق صفة الحلم على الخلق، فقد وصف الله أنبياءه بذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]. وقال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٠).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، فَهُوَ يَمَسُحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

والحلم من الصفات العظيمة التي يريد الله من عباده أن يتحلوا بها. روى مسلم في صحيحه من حديث الأشج بن عبد القيس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٢).

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أكثر الناس حلماً. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(٣).

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والصفات التي يشترك فيها الخالق والمخلوق تكون في الخالق سبحانه على قدر عظمته وجلاله وفي المخلوق بحسبه والله سبحانه وتعالى يحب من اتصف بهذه الصفات فهو حليم يحب العلماء، وكريم يحب الكرماء، وصبور يحب الصابرين.

(١) برقم ٦٩٢٩؛ وصحيح مسلم برقم ١٧٩٢.

(٢) برقم ١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٤٩؛ وصحيح مسلم برقم ١٠٥٧.

قال القرطبي: فمن الواجب على من عرف أن ربه حلیم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى حتى يكون حلیماً فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه ويرفع الانتقام عن من أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سجية، وكما تحب أن يحلم عنك مالِكُكَ، فاحلِّمْ أنتِ عمَّن تملك لأنك متعبد بالحلم مثاب عليه^(١).

قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٤٣).

روى الخطيب في تاريخ بغداد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّرَ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) (١٢٧/٩) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢.

الكلمة الخامسة

تأملات في قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ (١٧٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلِ لَمْ يَمَسَّ سُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) [آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

قال أهل السير: بعدما انتهت معركة أحد وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص وقتل سبعون من أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وشُج رأسه، وسال الدم على وجهه، رجع المشركون من أحد، قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، بئس ما صنعتهم ارجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة

ليريهم أن بهم قوة وجلداً على ما بهم من جراح وآلام طاعة لله ورسوله، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [١٧٢] قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في أثرهم، فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير (٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما سمعوا أن أبا سفيان قد جمع الجموع لقتالهم زادهم إيماناً وتصديقاً، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي أن الله كافينا نعم المولى ونعم النصير.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) برقم ٤٠٧٧ وصحيح مسلم برقم ٢٤١٨ مختصراً.

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم لم يمسسهم سوء ما أضمر لهم عدوهم.

قال المفسرون: أعطاهم الله من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع رضوان الله، فرضي عنهم ورضوا عنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾: أي يخوف أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، فلا تخافوهم إن كنتم مؤمنين، أي إذا سول لكم وأوهمكم، فتوكلوا عليّ والجرؤوا إليّ فإني كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ [النساء: ٧٦].

ومن فوائد الآيات الكريمات:

١- أن المؤمن إذا كان في كرب وشدة فتوكل على الله وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فإن الله يكفيه ما أهمه ويصرف عنه كيد عدوه، وهذا ما حدث لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه عندما أُلقي في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت عاقبة ذلك ما ذكره الله بقوله: ﴿قُلْنَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]. قال أبو العالية: لو لم يقل سلاماً لكان بردها أشد عليه من حرها^(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يُتبع بردها سلاماً لَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهَا^(٢).

وهذا يشبه ما حدث لإخواننا في غزة عندما حاصروهم اليهود برّاً وبحراً وجوّاً، وساعدهم النصارى والمنافقون وضيقوا عليهم الخناق، فقالوا: لن نركع ولا نستسلم إلا لله، حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت العاقبة للمؤمنين، ورد الله كيد اليهود في نحورهم ورجعوا خائبين لم يحققوا شيئاً مما أرادوا.

٢- أن الله تعالى قذف في قلوب المشركين الرعب، حين سمعوا أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه خرجوا لملاحقتهم، فانهزموا وعادوا خائبين.

والرعب من أقوى أسباب النصر، قال صلى الله عليه وآله: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»^(٣). وقد اختلف أهل العلم هل هو خاص بالرسول صلى الله عليه وآله أو يشمل ما يحصل لأعداء أتباعه إلى يوم القيامة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وإذا كان الرعب يُلقى في قلوب الذين كفروا لإشراكهم، قال تعالى: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]. فإن الأمن يُلقى في قلوب الذين آمنوا لتوحيدهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

(١) تفسير ابن جرير (٧/٥٧١٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم ٣٣٥ وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وكلما كان الإنسان أشد إيماناً وتوحيداً كان أشد أمناً واستقراراً، وهذا شيء مجرب لأن من كان أشد إيماناً وتوحيداً كان أقوى توكلاً. ومن أقوى أسباب الأمن ومصابرة الأعداء التوكل على الله، وبعض الناس يكون عنده قوة توكل على الله ويشفى بدون علاج بسبب قوة توكله، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حينما ذكر أن الدواء المحرم ليس ضرورياً حتى يُقال: إن الدواء بالمحرم جائز للضرورة، قال: هذا ليس للضرورة لأن المريض قد يُشفى بدواء آخر، وقد يشفى بالقراءة، قال: وقد يشفى بقوة التوكل على الله^(١). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرآن العظيم للشيخ ابن عثيمين بتصرف (٢/٣٠٠-٣٠١).

الكلمة السادسة

صيام يوم عاشوراء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم مواسم خير يستكثرون فيها من الأعمال الصالحة، وخصها بمزيد من الفضل، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قري الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت: فكننا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى

(١) برقم ٢٠٠٤ وصحيح مسلم برقم ١١٣٠ واللفظ لمسلم.

يَكُونُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما افترض رمضان قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» (٢).

فهذه الأحاديث الشريفة تدل على أن يوم عاشوراء كان معظماً عند أهل الجاهلية، وكذلك اليهود والنصارى كما جاء ذلك في الأحاديث الأخرى، وقد دل حديث ابن عمر السابق أن صيامه كان واجباً أول الإسلام، فلما فرض رمضان صار صومه مستحباً، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على صيامه تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يصومون أبناءهم الصغار تعويداً لهم على أداء العبادات منذ الصغر. كما قال الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِثْيَانِ فِينَا عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبُوهُ

وقوله صلى الله عليه وسلم لليهود: «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه أولى الناس بالأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بموسى من اليهود، لأن اليهود كفروا به وكفروا بعبسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (٣).

(١) برقم ١٩٦٠ وصحيح مسلم برقم ١١٣٦.

(٢) برقم ١٨٩٣ وصحيح مسلم برقم ١١٢٦.

(٣) رياض الصالحين بشرح الشيخ ابن عثيمين (٣٠٥/٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، قَالَ: فَلَمَّ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

وقد استدل بهذا الحديث من ذهب إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقل صوم عاشوراء من العاشر إلى التاسع، وأن فضائل صيام عاشوراء صارت لتاسوعاء، كما استدل به جماهير العلماء على استحباب صوم التاسع مع العاشر لتحصل المخالفة لليهود والنصارى بذلك.

ومما ورد في فضل صيامه، ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ، وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي رَمَضَانَ (٣).

وينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أنه يُسَنُّ الإكثار من صيام شهر الله المحرم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) برقم ١١٣٤.

(٢) برقم ١١٦٢.

(٣) برقم ١١٣٢.

قال: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»^(١).

الثاني: أن فضل عاشوراء يكون بصيامه للنصوص الواردة في ذلك، وأما ما ذكره بعضهم من فضل التوسعة على الأهل في يوم عاشوراء، واحتجوا على ذلك بحديث «مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ». فهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ.

سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْهُ فَلَمْ يَرَهُ شَيْئاً، وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وَرَوَوْا فِي حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ مَكْذُوبٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ». وَرَوَايَةٌ هَذَا كُلُّهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَذَبٌ.

ولم يسن رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من شعائر السرور والفرح أو الحزن والترح، فأهل البدع يوسعون النفقات على العيال ويطبخون الأطعمة الخارجة عن العادة ويتخذونه عيداً، والرافضة يتخذونه مأتماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين جانبت الصواب، وكذلك لا يُستحب تخصيصه بأي عبادة غير الصيام^(٢). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١١٦٣.

(٢) الفتاوى (٢٥/٣٠٠-٣٠١) بتصرف.

الكلمة السابعة

مكائد الشيطان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

«فإن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإنسان بعدو لا يفارقه طرفه عين، وصاحب لا ينام ولا يغفل عنه، يراه هو وقبيله من حيث لا يراه، يبذل جهده في معاداته في كل حال، ولا يدع أمراً يكيده به يقدر على إيصاله إليه إلا أوصله إليه، ذلكم الشيطان الذي أخبرنا الله بعداوته لنا، وأكثر في كتابه من ذكر خدعه ومكائده وخطواته التي يستدرج بها الناس للخروج عن الصراط المستقيم وكرر قصته مع أبينا آدم عليه السلام لتكون نصب أعيننا دائماً»^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال البغوي رحمته الله: «أي: لا تسلكوا الطُّرُقَ التي يدعوكم إليها

(١) الداء والدواء لابن القيم (١٤٨-١٤٩) بتصرف.

الشیطان، فإنه یُورِدُكُمْ مَوَارِدَ الْعَطْبِ»^(١).

ومن شره أنه یوسوس للعبد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ
 ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤﴾ [الناس: ١ - ٥]. فذكر وسوسته
 أولاً ثم ذكر محلها ثانياً وأنها في صدور الناس.

والوسوسة أظهر صفات الشيطان، وأشدّها شراً، وأقواها تأثيراً،
 وهي أصل كل معصية وبلاء، روى أبو داود في سننه من حديث ابن
 عباس رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا
 يَجِدُ فِي نَفْسِهِ يُعْرَضُ بِالشَّيْءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً^(٢) أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ
 يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ
 كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَاسَةِ»^(٣).

ولهذا يعرض للناس في صلاتهم ليفسد عليهم عبادتهم، روى
 البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا
 يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُوبَّ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى
 إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا
 اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟ »^(٤).

(١) شرح السنة للبخاري رحمته الله (٤٠٤/١٤).

(٢) حُمَمَةٌ: أي فحماً.

(٣) برقم ٥١١٢ وصححه الألباني في سنن أبي داود (٩٦٢/٣) برقم ٤٢٦٤.

(٤) برقم ٦٠٨ وصحيح مسلم برقم ٣٨٩.

ومن شره الإفساد بين المؤمنين بكل طريقة وحيلة، فقد نزع بين يوسف عليه السلام وإخوته، قال تعالى ذاكراً اعتراف نبي الله يوسف بما من الله عليه: ﴿وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(١). قال النووي: وهذا الحديث من معجزات النبوة، ومعناه أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتنة ونحوها^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»^(٣).

والتحصن من الشيطان له طرق منها:

أولاً: الإخلاص: لما علم إبليس أنه لا سبيل على أهل الإخلاص استنهام من شرطه التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال تعالى: ﴿قَالَ

(١) برقم ٢٨١٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٦/٦٠).

(٣) برقم ٢٨١٣.

فَبِعَزِّكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣]. وقال تعالى في حق الصِّدِّيقِ يوسُفَ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ [يوسف: ٢٤]. فالإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان، وأهل الإخلاص أعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فالله تعالى يتلي عبده المؤمن ليطهره من الذنوب والمعائب، ومن رحمته بعبده المخلص أن يصرف عنه ما يغار عليه منه، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾» (١). «فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا» (٢)، «فلما أخلص يوسف رَحِمَهُ اللهُ لربه، صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فالإخلاص هو سبيل الخلاص» (٣).

ثانياً: قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ مَرَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهُمَا يُصَلِّيَانِ اللَّيْلَ.. وجاء في آخر الحديث: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَهُ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سَبَبِ رَفْعِ صَوْتِهِ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ: أَوْقِظُ الْوَسْطَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ (٤).

ثالثاً: قراءة سورة البقرة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ

(١) الاستقانة لابن تيمية ج ٢ ص ٥٩.

(٢) إغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٤١.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٧٥).

(٤) برقم ١٣٢٩ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٦-٢٤٧) برقم ١١٨٠.

يُنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(١).

رابعاً: قراءة آية الكرسي عند النوم: روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قصة قبضه على الشيطان.. وفي آخر الحديث علمه أن يقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فلما أخبر أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»^(٢).

خامساً: قراءة المعوذتين: روى أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقراءة المعوذتين وقال له: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذْ بِمِثْلِهِمَا»^(٣).

ومن المواضع التي ثبت في السنة أنها تُقرأ فيها: حين يصبح المؤمن، وحين يُمسي، وعند النوم، وأدبار الصلوات، والرقية بهما على المسحورين، والمرضى وغير ذلك.

سادساً: التهليل مائة مرة: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ

(١) برقم ٧٨٠.

(٢) برقم ٢٣١١.

(٣) برقم ١٤٦٣ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٧٥) برقم

مِائَةٌ سَيِّئَةٌ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ» (١).

سابعاً: التسمية عند الخروج من البيت، وعند الجماع، وعند الدخول إلى الخلاء، وعند الطعام: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ» (٢)(٣).

ثامناً: وهو من أهمها معرفة تفاصيل عداوته وطرق خداعه التي جاء بيانها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاستعانة في ذلك بكتب أهل العلم الشارحة لهذه الأمور، ومنها: كتاب ابن القيم إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وكتاب ابن الجوزي المسمى تلبيس ابليس.. وغيرها.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٩٣ وصحيح مسلم برقم ٢٦٩١.

(٢) برقم ٢٠١٨.

(٣) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الحصن الحصين من الشيطان الرجيم.

الكلمة الثامنة

تأملات في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً

بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيتين من كتاب الله ونتدبر ما فيهما

من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦-٥٧]. يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم

من كفر بآياته وصدَّ عن سبيله فيقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ

نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾؛ أي ندخلهم فيها دخولاً بحيث بجميع أجزامهم كما

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ

عِبَادَهُ يُعْبَادُ فَاتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ١٦].

قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾: أي احترقت احتراقاً تاماً

بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب. أي ليدوم لهم، قال بعضهم: الحكمة من ذلك أن الجلد موضع الإحساس بالألم فإذا احترق لم يعد هناك ألم فيبدل لهم جلوداً غيرها، قال بعض المفسرين: إنهم يبدلون في اليوم أو الساعة مرات عديدة حتى يذوقوا العذاب^(١)، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضَرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»^(٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ، مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»^(٣)، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضَرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرَضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَفَخْدُهُ مِثْلُ وَرْقَانَ»^(٤)، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ»^(٥).

قال النووي: «هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدورٌ لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به»^(٦).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٥٦): أي لا يمتنع عليه ما

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢١-١٢٢).

(٢) برقم ٢٨٥١.

(٣) برقم ٢٨٥٢.

(٤) ورقان جبل عظيم من جبال تهامة بين مكة والمدينة، والربذة قرية من قرى المدينة بها مات الصحابي الجليل أبو ذر رضي عنه.

(٥) (١٤/ ٨٧) برقم ٨٣٤٥ وقال محققوه إسناده حسن.

(٦) شرح صحيح مسلم (٦/ ١٨٦).

يريد، حكيماً فيما يقضيه، ثم لما ذكر تعالى حال الأشقياء ذكر حال السعداء، فقال:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: أي الذين آمنوا بمحمد ﷺ، والقرآن، وجملة الكتب المرسلة، وبالقدر خيره وشره، وأطاعوا ربهم سندخلهم جنات، وهي البساتين الجامعة للأشجار تجري من تحتها الأنهار، أنهار الخمر واللبن والماء والعسل، ﴿خَالِدِينَ﴾: أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: قال جمع من المفسرين: المطهَّرة من طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا^(١). وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً، مِنْ

(١) تفسير ابن كثير (١/٦٣).

(٢) برقم ٢٧٩٦.

لَوْلَوْةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ^(١)،
يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٢).

وروى الدارمي في سننه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: وصف سبحانه في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنه ظليل، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم، قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾^(٣٥) [الرعد: ٣٥]. ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود. قال تعالى: ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٍ﴾^(٣٠) [الواقعة: ٣٠]. وبيّن في مواضع أخرى أنها ظلال متعددة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾^(٤١) [المرسلات: ٤١]. وبيّن في موضع آخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك. قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ﴾^(٥٦) [يس: ٥٦]. والأرائك جمع أريكة وهي السرير في الحجلة، والحجلة بيت يزين للعروس بجميع أنواع الزينة.

وبيّن تعالى أن ظل أهل النار ليس كذلك. قال تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا

(١) أي زوجات.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٤٣؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣٨ واللفظ له.

(٣) (٤٣١/٢) برقم ٢٨٢٥ وقال الألباني رحمته الله في المشكاة (٣/١٥٦٧): إسناده صحيح.

إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي
 مِنْ أَلْهَبٍ ﴿٣١﴾ ﴿المرسلات: ٢٩-٣١﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا
 أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾
 [الواقعة: ٤١-٤٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي
 هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ
 الرَّابِئُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَأَقْرَبُهَا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَقَالَ مَدْدُودٌ
 ﴿٣٠﴾﴾» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة

الابتلاء بالمرض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من حكمة الله تعالى أن يبتلي عبده المؤمن بأنواع البلاء، ومن هذا الابتلاء الذي يُبتلى به الممرض، قال تعالى:

﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١-٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه»^(١). اهـ.

وقد يبتلى المؤمن بالمرض لتقصيره ببعض ما أمر الله به فيكون الممرض تكفيراً لسيئاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) البداية والنهاية (١/٥١٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زهير قال: أخبرت أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فكل سوء عملنا جزينا به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ^(١)؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَهُوَ مَا تُجْزُونَ بِهِ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذَى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس،

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٢) (١/ ٢٣٠) برقم ٦٨ وقال محققوه حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) برقم ٥٦٤٢ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٣.

(٤) برقم ٢٣٩٦ وقال الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/ ٢٨٥) برقم ١٩٥٣ حديث

وكان السلف يفرح أحدهم بالبلاء، كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ومنها أن يكون الممرض سبباً لرفع منزلة المريض في الآخرة، روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبِعُهُ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ذَلِكَ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيطِ» (٢).

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين، والمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ابتلي بالمرض رفعةً لدرجاته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ وَعَگًا شَدِيدًا، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَگًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ» (٣).

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه أغمي عليه ثلاث مرات،

(١) صحيح ابن حبان برقم ٢٨٩٧ والحاكم (١/٦٦٤) برقم ١٣١٤ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٩٩.

(٢) برقم ٢٤٠٢ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٨٧) برقم ١٩٦٠.

(٣) برقم ٥٦٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧١ واللفظ له.

قالت عائشة رضي الله عنها كما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١).

وقد يُجمَعُ للمريض الأمان، فيكون المرض تكفيراً لسيئاته، ورفعاً لدرجاته، وينبغي للمريض أن يتنبه لأمرين إذا تأملهما هانت عليه مصيبته وخفَّ همه وغمه:

١- أن هذه المصيبة لم تكن في دينه؛ لأن المصيبة في الدين يجني صاحبها الآثام والعقوبات.

٢- أن مصيبته أخفُّ وأهون من مصيبة غيره، فلو سأل أو نظر إلى من حوله من المرضى لرأى من هو أشد منه ألماً.

قال شريح: ما أصابتنى مصيبة إلا حمدت الله تعالى عليها لأربع:

١- أن الله رزقني الصبر عليها.

٢- أن الله رزقني الاسترجاع عندها.

٣- أن الله لم يجعلها أكبر منها.

٤- أن الله لم يجعلها في ديني.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلَ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) برقم ٥٦٤٦ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٠.

ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (١).

ومن الوصايا التي يُوصى بها المريض:

أولاً: إحسان الظن بالله تعالى: وأن من أحسن ظنه بالله رزقه الله الراحة النفسية، وطمأنينة القلب، روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ شَرًّا فَلَهُ» (٢).

ثانياً: الإكثار من ذكر الله ودعائه والإلحاح عليه في الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال ابن حجر: إن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العقاقير الطبية، وأن تأثير ذلك وانفصال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل (٣). اهـ.

(١) برقم ٩١٨.

(٢) صحيح ابن حبان برقم ٦٣٨ وأصله في الصحيحين.

(٣) فتح الباري (١٠/١١٥).

ثالثاً: أن على المريض ألا يتعلق بالأسباب كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلق القلب بالذي أنزل الداء ولا يرفعه إلا هو، فإنه سبحانه هو الشافي لا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى:

﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وقال تعالى عن نبي الله أيوب عليه السلام:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

رابعاً: الصبر والاحتساب، وعدم الجزع والسخط، فإنه على قدر إيمان المؤمن يكون ابتلاؤه، روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ ضَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١).

خامساً: على المريض أن يرقى نفسه بالرقية الشرعية، كالفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي، ومن الأدعية الماثورة قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ

(١) برقم ٢٣٩٨ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

رَبِّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١). ومنها قوله ﷺ للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»^(٢).

سادساً: على المريض ألا ييأس من الشفاء، فالله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٧) [يوسف: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨٢) [يس: ٨٢]. وأيوب عليه السلام مكث في البلاء ثماني عشرة سنة ثم كشف الله عنه وشفاه^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٤٣ وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٢٠٢.

(٣) انظر كتاب لا بأس طهور إن شاء الله للشيخ عبد العزيز السدحان.

الكلمة العاشرة

الشفاعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالشفاعة. وتنقسم إلى قسمين:

- ١- شفاعة باطلة.
- ٢- شفاعة صحيحة.

الشفاعة الباطلة: هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم، حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [١٨]. وقال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [٣]. لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [٤٨]. [القيامة: ٤٨].

الشفاعة الصحيحة: وهي التي جمعت شروطاً ثلاثة:

الأول: رضا الله عن الشافع، الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف، عامة لجميع الناس من رضي عنهم ومن لم يرض عنهم، الثالث: إذنه في الشفاعة، والإذن لا

يكون إلا بعد الرضا عن الشافع والمشفوع له. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى ﴾ [النجم: ٢٦]. ولم يقل عن الشافع ولا المشفوع له ليكون أشمل. قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. والآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً.

وللنبي ﷺ شفاعات كثيرة:

الشفاعة الأولى: شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يعتذر عنها الأنبياء (آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، عليهم الصلاة والسلام) حتى تنتهي إليه، وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبداً إلا للرسول ﷺ وهي أعظم الشفاعات لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم.

الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط ووقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، ولكنهم إذا أتوا الجنة لا يجدونها مفتوحة حتى يشفع النبي ﷺ لهم أن يدخلوها. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةً أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ». وفي آخر الحديث:

«يَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُومُ فَيُؤَذِّنُ لَهُ» (١).

الشفاعة الثالثة: وهي خاصة به ﷺ وهي لعمه أبي طالب فيشفع له في تخفيف العذاب. فقد ورد في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رضي عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «مَا أَغْنَيْتَ عَنِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَعْضُبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ (٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٣).

الشفاعة الرابعة: شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهي له ولسائر النبيين، والصدّيقين والمؤمنين، قال بعض أهل العلم: وهذه تُستفاد من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم، فإن من لازم ذلك أن لا يدخل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُقْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَائِبِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (٤).

الشفاعة الخامسة: شفاعته صلى الله عليه وسلم لأناس قد دخلوا النار أن يخرجوا منها وهي له ولسائر النبيين، والصدّيقين وغيرهم، والأحاديث في هذا كثيرة ومتواترة. روى الترمذي في سننه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي،

(١) برقم ١٩٥.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٨٨٣ وصحيح مسلم برقم ٢٠٩.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٢٠.

فَخَيْرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخَلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» (١)(٢).

وقد ذكر ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في شرح العقيدة الطحاوية أنواعاً أخرى، فمن ذلك:

الشفاعة السادسة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الشفاعة السابعة: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

الشفاعة الثامنة: الشفاعة في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب، ولا عذاب وهم السبعون ألفاً.

ويُخرج الله أقواماً بغير شفاعة بل بفضلِهِ ورحمته، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ

(١) برقم ٢٤٤١ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٥) برقم ١٩٨٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/١٦٨-١٧٩).

كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفِرُّ وَأُخْيِضُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ»، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ؟ قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٤٥٨١ وصحيح مسلم برقم ١٨٣ واللفظ له.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي (١/٢٨٣-٢٩٤).

الكلمة الحادية عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿١٩﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هَؤُمٌ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ﴿١٩﴾
 إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
 قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ
 أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ فيقول يَلْتَنِنِي لَمْ أُوتِ كِتَابَهُ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ يَلْتَنِنُهَا كَانَتْ
 الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ
 الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا
 طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ [الحاقة: ١٩-٣٧].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هَؤُمٌ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ﴿١٩﴾
 ﴿١٩﴾ يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه بيمينه وفرحه بذلك،
 وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه ﴿أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾؛ لأنه يعلم أن
 الذي فيه خير وحسنات محضه راجحة، روى البخاري ومسلم في
 صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن النجوى، فقال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾^(٢٠) أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٢١) أي مرضية، قد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(٢٢) أي رفيعة قصورها، حسان حورها، ناعمة دورها، دائم حبورها، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»، أَرَاهُ قَالَ: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) برقم ٢٤٤١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٨.

(٢) برقم ٢٧٩٠.

قوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) قال البراء بن عازب (رضي الله عنه): أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهَنِيئًا مِمَّا اسَلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) أي يُقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» (١).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْبَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً﴾ (٢٥) هذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: يا ليتني لم أوت كتابيه لأنه يُبشر بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً﴾ (٢٦) أي يا ليتني كنت نسياً منسياً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) قال الضحاك: يعني مودة لا حياة بعدها، وقال قتادة: تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء أكره إليه منه.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةً﴾ (٢٨) أي لم يدفع عني مالي

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٨١٨.

عذاب الله وبأسه، بل خالص الأمر إليّ وحدي فلا معين لي ولا مجير.
قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩) ﴿أي ذهب واضمحلاً فلم تنفع الجنود الكثيرة ولا العدد ولا الجاه العريض، بل ذهب كله أدراج الحياة، وفاتته بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والأحزان.

قوله تعالى: ﴿حُذُوهُ فَغُلُوهُ﴾ (٣٠) ﴿أي يأمر الله الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى جهنم فتصليه إياها أي تغمره فيها، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيَّ أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢) [غافر: ٧١-٧٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) ﴿قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد النار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بذراع الملك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاسلكوه أي انظموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه ويعلق فيها، فلا يزال يُعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَيَّ مِثْلَ جُمُجْمَةٍ (١) - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ

(١) المراد بالجمجمة: جمجمة الرأس.

رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾^(٣٢) أي كافرًا معاندًا لرسله رادًا ما جاؤوا به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(٣٤) ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾^(٣٥) أي قريب أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(١٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾^(٣٦) الغسلين: صديد أهل النار، وهو غاية في الحرارة، وبتن الريح، وقبح الطعم ومرارته.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾^(٣٧) أي: الذين أخطؤوا الصراط المستقيم وسلكوا سبل الجحيم، فلذلك استحقوا العذاب الأليم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٤٤/١١) برقم ٦٨٥٦ وقال محققوه إسناده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن يزيد، وصححه ووافقه الذهبي.

الكلمة الثانية عشرة

الكبر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله صفة الكبر، قال الغزالي رحمته الله: «هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير»^(١)، وقال بعضهم: «الكبر: هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له»^(٢).

والتعريفان يصبان في معنى واحد.

«قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١٨) [لقمان: ١٨]. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: أي تميله وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم، والمرح: التبختر، وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٢٧) [غافر: ٢٧].»

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٣٢.

أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ» (١) وَغَمَطُ النَّاسِ (٢) «(٣)».

ففي هذا الحديث بيان أن الكبر على نوعين:

الأول: الاستكبار على الله وعلى دينه وعلى رسوله ﷺ، كاستكبار فرعون وأمثاله ممن استنكف أن يكون عبداً لله، قال تعالى: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] ﴿غافر: ٢٧﴾. فإن نبي الله موسى دعا إلى الهدى فاستكبر، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [٢٤] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [٢٥] ﴿النازعات ٢٤-٢٥﴾. وجعله لمن بعده عبرة وآية، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْيَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [١٢] ﴿يونس ٩٢﴾. وهذا المصير هو مصير كل جبار ومعاند قبل فرعون وبعده، يشتركون كلهم في ذلك المصير المخزي كما اشتركوا في التكبر على الله وعلى رسوله، قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [٣٣] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [٣٤] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٣٥] ﴿الصفات: ٣٣-٣٥﴾.

والكبرياء من خصائص الجبار سبحانه كما جاء في الحديث

(١) بطل الحق: دفعه وردده على قائله.

(٢) غمط الناس: احتقارهم.

(٣) برقم ٩١.

المخرج في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ» (١).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكبر من صفات أهل النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِخْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف قال: التقي عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو بن العاص على المروة، فتحدثا، ثم مضى عبد الله ابن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن، قال هذا: يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ» (٣).

والمتكبرون شر خلق الله، ويحشرون يوم القيامة وعلى وجوههم الذل والصغار، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ

(١) برقم ٢٦٢٠ وسنن أبي داود برقم ٤٠٩٠ واللفظ له.

(٢) برقم ٧٤٤٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٦.

(٣) (٥٩٠/١١) برقم ٧٠١٥ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط البخاري.

كذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَتَرْتُهُم يَعْزُبُونَ عَلَىٰهَا خَشِيعَةً مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»^(١). وجاء في تفسيرها بأنها صديد أهل النار. ومن هذا النوع أن يبلغ الإنسان الحق من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقاد له، بل يعرض عنه أنفةً واستكباراً، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وفي مثل هذا نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي عنه: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ^(٢).

(١) برقم ٢٤٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم ٢٠٢١.

النوع الثاني: التكبر على الخلق وقد مر بيانه بأنه غمط الناس: أي احتقارهم وازدراؤهم، وهذا إنما ينشأ عند أهل النقص والدناءة، فيريدون تعويض ذلك بإظهار ما ليسوا بأهله، وحينئذ ينشأ الكبر عندهم، ولهذا جاء التوجيه النبوي الكريم بالأمر بالتواضع قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١).

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وإنما صار حجاباً دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وفيه شيء من الكبر، فما من خُلِقَ ذميمة إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره، وما من خُلِقَ محموداً إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه، والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض، وشر أنواع الكبر ما يمنع من الاستفادة من العلم، وقبول الحق، والانقياد له»^(٢). اهـ.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الكبر يشمل تزكية النفس والإعجاب

(١) برقم ٢٨٦٥.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٥).

بها عند الآخرين، والتكبر بالنسب، والمال، والجاه، والقوة، والجمال. فصاحب النسب الشريف يتكبر على من ليس كذلك، وإن كان أرفع منه عملاً، والغني يتكبر بما له على الفقير، وصاحب المنصب يتكبر على من ليس كذلك، والمرأة الجميلة تتكبر على المرأة التي ليست كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَلَكُمْ﴾ [١٣] ﴿الحجرات: ١٣﴾. وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهِدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٩٥٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٥٤) برقم ٣١٠٠.

الكلمة الثالثة عشرة

الجنة والنار كأنها رأي العين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويوحدوه ويطيعوه، ووعد من أطاعه بالجنة فضلاً منه، وتوعد من عصاه بالنار عدلاً منه.

والجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى في الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال في النار: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»^(١).

فالجنة ثواب أولياء الله المطيعين له ولرسله، والنار عقاب أعداء الله العاصين له ولرسله، ولا يظلم ربك أحداً، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها أو يعفو الله عنها.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن شدة حر هذه النار فقال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءً مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»^(٢) متفق عليه.

(١) برقم ٢٦٦٢.

(٢) برقم ٣٢٦٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

وجهنم عظيمة مخيفة، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا»^(١).

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]. وجهنم قعرها بعيد، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»^(٢).

والعصاة في النار على دركات، روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن النار: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ»^(٣)، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوتِهِ»^(٤)^(٥). والحجزة مقعد الإزار.

روى البزار وأبو يعلى في مسنديهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةٌ (أَلْفٍ) أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ

(١) برقم ٢٨٤٢.

(٢) برقم ٢٨٤٤.

(٣) الحجزة: مقعد الإزار.

(٤) التروقة: العظم الذي عند ثغرة النحر وللإنسان ترقوتان جانبي النحر.

(٥) برقم ٢٨٤٥.

من (أهل) النارِ فتنفس فأصاب نفسه، لا حترق المسجدَ ومن فيه»^(١).
و«أهونُ أهلِ النارِ عذاباً من يلبسُ نعلينِ يغلي منهما دماغه».

روى مسلم في صحيحه من حديث العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أهونُ أهلِ النارِ عذاباً أبو طالبٍ وهو مُنتعلٌ بنعلينِ يغلي منهما دماغه»^(٢). وطعام أهل النار الضريع، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾ [الغاشية: ٦]. والضريع شجر ذو شوك عظيم قد بلغ غاية الحرارة والمرارة وقبح الرائحة، وكذلك الزقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوَمِ طَعَامٌ الْأَثِيمِ﴾ [٤٣] ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [٤٥] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [٤٦] [الدخان: ٤٣-٤٦]. والزقوم: شجرة خبيثة المنظر، كريهة الرائحة، مرة الطعم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مجاهد: أن الناس كانوا يطوفون وابن عباس جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢]، وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقْوَمِ قَطَرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزَّقْوَمُ؟!»^(٣).

وكذلك طعامهم الغسلين: وهو صديد أهل النار، والقيح، والدم، والعرق.

(١) (البيزار) البحر الزخار برقم ٩٦٢٣، وأبو يعلى برقم ٦٦٧٠ واللفظ له، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٥٠٩.

(٢) برقم ٣٨٨٣ وصحيح مسلم برقم ٢٠٩.

(٣) (٤/٤٦٧) برقم ٢٧٣٥، وقال محققوه إسناداه صحيح على شرط الشيخين.

قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۗ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧].

وشراب أهل النار الحميم الذي بلغ غاية الحرارة إذا قُرب من وجوههم شواها حتى يتساقط اللحم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم: ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩].

والماء المهل كالزيت المحروق أسود غليظ منتن، قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد: ١٥]. وكذلك الغساق، قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]. والغساق: قال ابن الأثير: الغساق: بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل: ما يسيل من دموعهم، وقيل: هو الزمهير^(١)، فهو بارد لا يُستطاع من برده، ولا يُواجه من نتنه^(٢)، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَأُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا»^(٣) فجهنم لها ألوان من العذاب، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ص: ٥٧-٥٨].

وأما الجنة فإن نعيمها يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/٣٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٢٣٣).

(٣) (١٧/٢٣١) برقم ١١٢٣٠، وقال محققوه حديث حسن لغيره.

لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ، هِيَ وَاللَّهُ نُورٌ يَتَلَأَلُ
وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَرِّدٌ، وَفَاكِهَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ
حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلٌّ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ
بَهِيَّةٍ. وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ عَنْ صِفَةِ بِنَائِهَا، قَالَ: «لَبِنَةٌ ذَهَبٌ وَلَبِنَةٌ فِضَّةٌ،
وَمِلَاطُهَا^(١) الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا
الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبُؤُسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، وَلَا تَبْلَى
ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠].

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة عظيم لا تدركه العقول ولا تصل إلى
كنهه الأفكار، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي
هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ
مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَافْرُؤُوا إِنِ
شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»^(٣).

وأول من يدخل هذه الجنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، روى مسلم في
صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آتِي
بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ:
مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٤).

(١) الملاط: المادة التي توضع بين اللبتين.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم ٨٠٤٣ وقال محققوه حديث صحيح بطرقه
وشواهد.

(٣) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

(٤) برقم ١٩٧.

وأول زمرة يدخلون الجنة جاء وصفهم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا»^(٢) مُرْدًا بِيضًا جِعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «وفي هذا الطول والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي

(١) برقم ٣٢٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣٤.

(٢) جرداً مرداً: قال السندي: الأول جمع أجرد وهو من لا شعر على جسده، والثاني جمع أمرد وهو من لا شعر على ذقنه، والجعد في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً، فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخلق، أو يكون جعد الشعر وهو ضد السبيط لأن السبوطه أكثرها في شعور العجم، وأما الظم فهو القصير المتردد الخلق. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٥٦-٢٥٧).

(٣) (٣١٥/١٣) برقم ٧٩٣٣ وقال محققوه حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ١٠٤ بتصرف.

وقاص رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ مَا يُقَلُّ (١) ظُفْرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَزَخَّرَتْ (٢) لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ (٣) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَأَ أَساوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ، كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ» (٤).

ومكان هذه الجنة كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]. قال ابن عباس رضيما: الجنة، وقيل: عليون في السماء السابعة تحت العرش، وذكر بعض السلف آثاراً تدل على أن الجنة فوق السماء السابعة كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» (٥).

والجنة لا موت فيها، ولا همٌّ، ولا حزن، بل قال بعض أهل العلم: أهل الجنة لا ينامون لأن النوم أخو الموت، ولا يكون إلا من تعب، والجنة لا تعب فيها ولا نصب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٣٤] الَّذِي أَلْطَمَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ [٣٥] [فاطر: ٣٥-٣٤].

(١) يُقَلُّ: أي يحمل.

(٢) تزخرفت: تزينت.

(٣) خوافق: جمع خافق وهو الأفق.

(٤) (٥٧/٣) برقم ١٤٤٩ وقال محققوه حسن.

(٥) برقم ٧٤٢٣.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش» (٢).

والجنة درجات بعضها فوق بعض وأهلها متفاضلون بحسب منازلهم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَى ﴾ (٧٥). [طه: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٦١) [الإسراء: ٢١].

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ

(١) برقم ٢٨٣٧.

(٢) الفتاوى (٤/٣١٢).

فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيَتْ رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيَتْ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشِيرٌ^(١)، قَالَ: وَمُصَدِّقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

أما حورها فإن الله تعالى قال عنهن: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٢٢) كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ^(٢٣) [الواقعة ٢٢-٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾^(٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾^(٣٦) ﴿عُرْبًا أَرْبَابًا﴾^(٣٧) [الواقعة ٣٥-٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾^(٢٥) [البقرة: ٢٥]. قال جمع من المفسرين: مطهرة من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، وغير ذلك من الأقدار والأذى^(٢). روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٣).

أما رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ورضاه عنهم، فإن ذلك من أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في

(١) برقم ١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٣).

(٣) برقم ٢٧٩٦.

صحيحه من حديث صهيب الرومي رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ وعليكم»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٢).

وبعد ما عرف المؤمن ما أعد الله للكفرة والعصاة من العذاب والنكال، وما أعد له كذلك للمؤمنين المتقين من الكرامة والنعيم، فإنه يجب عليه أن يسعى لفكاك نفسه من النار، قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣). والمسارعة بالطاعات والقربات لينال الدرجات العلى، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ

(١) برقم ١٨١.

(٢) برقم ٧٥١٨ وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٩.

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ١٠١٦.

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة عشرة

فوائد من قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٦٠] وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون [٦١] ثم رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴾ [الأنعام: ٦٠-٦٢].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾: قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يتوفى عباده المؤمنين في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الأصغر، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِي الرُّبُوعِ ﴾ [آل عمران: ٥٥]. قال جمع من المفسرين: المراد وفاة النوم، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَا ضَرَبْتَ رُكُوبًا ﴾ [الأنعام: ٦١].

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٢﴾ [الزمر: ٤٢].
فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من النوم قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه بخلقه في ليلهم ونهارهم، وفي حال سكونهم وحال حركتهم كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦٠) أي: في النهار، و﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: أجل كل واحد من الناس، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازيكم على ذلك؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء،

(١) برقم ٧٣٩٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٣.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله تعالى: ﴿لَهُ، مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] ﴿١١﴾ وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [١٠] ﴿كِرَامًا كَنِينٍ﴾ [١١] ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [١٢] ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١١-١٢]. وكقوله: ﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [١٧] ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] ﴿[ق: ١٧-١٨].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: احتضر وحن أجله ﴿تَوَفَّاتَهُ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الموكلون بذلك، قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ أي: في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله ﷻ إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين، عياداً بالله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾، قيل: الملائكة، وقيل الخلائق كلهم يردون إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا أَوْلَاؤِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ [٤٩] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٥٠] ﴿[الواقعة: ٤٩-٥٠]. ولهذا قال: ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ نَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ قَالُوا: اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ

أَخْرَجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرَحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، إِذْ خَلِيَ حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءِ قَالُوا: أَخْرَجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، أَخْرَجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا تَزَالُ تَخْرُجُ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرَحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا يَفْتَحُ لِكَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السُّوءِ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ»^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن الله تعالى هو المحيي المميت سبحانه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا بَلْ لَبِثْنَا مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(١) (١٤/٣٧٧-٣٧٨) برقم ٨٧٦٩ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وقال سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ ٧٩ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

ثانياً: أن المحتضر إما أن يبشر بالنعيم أو بالعذاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠) [فصلت: ٣٠]. قال بعض المفسرين: تبشرهم الملائكة ألا تخافوا مما تقدمون عليه في الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أهل ومال وولد، فنحن نخلفكم فيه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٥٠) [الأنفال: ٥٠].

ثالثاً: الإيمان بالملائكة وهم على أصناف، منهم الموكلون بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١) [السجدة: ١١]. وما يظنه بعض الناس من أن ملك الموت اسمه (عزرائيل) فليس بصحيح ولم يثبت بالكتاب والسنة.

رابعاً: أن القهار على الحقيقة هو الله وحده هو الذي قهر وغلب عباده أجمعين، حتى إن أعنى الخلق يتضاءل ويتلاشى أمام قهر الله وجبروته، فهذا الموت الذي كتبه على عباده لا يستطيع الخلق رده أو دفعه عن أنفسهم ولو أوتوا من القوة

والجبروت ما أوتوا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ۗ﴾ [الجمعة: ٨]. وقال سبحانه للمنافقين: ﴿قُلْ فَأَدْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة عشرة

قوة الإرادة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع «قوة الإرادة» وهي تهيو القلب والعقل بشدة وعزم لإحداث الفعل أو تركه^(١).

وهي قوة العزيمة التي تحمل صاحبها على استسهال الصعاب واقتحام الشدائد لنيل الغرض المطلوب، قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ

ولا تكون هذه الصفة إلا في الكُمَّلِ من الرجال أهل القوة والعزم، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

﴿٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وأصحاب العزائم القوية يتحقق لهم ما يشبه

المستحيل من غيرهم، قال المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

أما أصحاب الإرادات الضعيفة والعزائم الرخوة فإنه لا يكاد

(١) موسوعة نضرة النعيم (١/٣١٩٦).

يتحقق لهم مراد، فكلما هموا بأمر ورأوا ما دونه من الصعاب والشدائد ارتخت عزائمهم وضعفت إرادتهم، وحال إيثارهم للراحة والדعة دون تحقيقه، قال الشاعر:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرُومُ الْعِزَّةَ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وقد أثنى الله تعالى في كتابه في غير ما موضع على أصحاب الإرادة القوية والعزيمة النافذة، فقال تعالى لنبيه ﷺ منبهاً له في الاقتداء بهم: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصِرِ﴾ ﴿٤٥﴾ [ص: ٤٥]. وبها أمر ربنا تعالى نبي الله يحيى ﷺ فقال: ﴿يَنِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. وَمِنْ قَبْلُ أَمَرَ نَبِيَهُ مُوسَى ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ فَقَالَ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وفي العموم يقول تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ ﴿١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١].

وقد أخبرنا جل وعلا في قصة أبينا آدم أنه أدخله الجنة وأذن له في التمتع بما فيها من النعيم إلا شجرة واحدة نهاه عن الأكل منها، فوسوس له إبليس وخادعه حتى أضعف إرادته، وحل من عزمته، فأكل منها، فكان جزاؤه أن أُخْرِجَ مِنْ دَارِ النِّعَمِ وَالْحَبُورِ وَالسَّرُورِ، وَأُهْبِطَ إِلَى دَارِ الْأَحْزَانِ وَالنَّكَدِ وَالْهَمُومِ وَالْغَمُومِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥].

ولقد ضرب نبينا ﷺ أروع الأمثلة في قوة الإرادة ونفاذ العزيمة، فقد أتت قريش إلى أبي طالب عم النبي ﷺ فقالت: يا

أبا طالب؛ رأيت محمد يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا، فانهه عن أذانا، فقال: يا عقيل ائني بمحمد، فذهبت فأتيته به، فقال: يا ابن أخي! إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم وفي مسجدهم، فانهه عن ذلك، قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره (وفي رواية: فعلق رسول الله ﷺ ببصره) إلى السماء، فقال: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَرُدَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً - يعني: الشمس -» قال: فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي قط، فارجعوا^(١).

وروى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن النبي ﷺ قال في صلح الحديبية: «يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ، دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا^(٢)، قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةً، فَمَاذَا تَنْظُنُّ قُرَيْشُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَأُلُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ لَهُ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ^(٣)»^(٤).

ومن مواقف أصحاب الإرادات القوية التي تُذكر وتُشكر، موقف

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥١/٧) برقم (٢٣٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٩٢.

(٢) أي ما دخلوا في الإسلام عند غلبتي على سائر العرب، بل اختاروا القتال على دخول الإسلام.

(٣) السالفة: صفحة العنق، والمراد أو أموت.

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٧٣١-٢٧٣٢) ومسند الإمام أحمد (٢١٢/٣١) برقم ١٨٩١٠ وقال محققوه إسناده حسن واللفظ له.

الصديق رضي عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارتدت قبائل العرب ومنعوا الزكاة وأشرأب النفاق، قالت عائشة: فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها - أي: لكسرها بعد جبرها -، وقال كلمته المشهورة: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ^(١).

ومن المشهور أيضاً موقف الإمام الجليل أحمد بن حنبل رحمته الله في فتنة القول بخلق القرآن، وللعلماء والأخيار مواقف جليلة تطلب في مظانها من كتب التواريخ والتراجم.

تنبيهات:

الأول: الإرادة القوية؛ منها المحمود والمذموم، فالمذموم أن تكون في الإقدام على أمور لم يتحقق فيها رضا الله سبحانه وتعالى أو أغراض شرعية، والممدوح عكس ذلك وركناه الذي لا يقوم إلا بهما: التقوى والصبر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والتقوى لا بد أن تكون عن بصيرة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]. فالأبصار البصيرة في الدين الناتجة عن العلم والتقوى، والأيدي هي القوة.

الثاني: على من آتاه الله قوة الإرادة أن يعلم أن ذلك فضل من الله،

(١) صحيح البخاري برقم ١٤٠٠ وصحيح مسلم برقم ٢٠.

الْمِنَّةُ لَهُ فِيهَا وَحْدَهُ، فَلِيُشْكِرَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ وَلِيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ، بِهَذَا جَاءَ التَّوْجِيهُ الْكَرِيمَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثالث: الحذر من التردد وغالباً ما يكون سببه نقص البصيرة، فإذا تحقق من الأمر الذي يريده فليعزم ولا يتردد، قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وفي غزوة أحد كان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة ومنازلة المشركين فيها، فلما أكثر عليه شباب الصحابة وعزم الخروج ولبس لامته للحرب، أُشير عليه بترك ذلك فأبى لما في التردد من فساد الأمور وضياع الرأي، فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ^(١) أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) واللامنة: الدرع، وقيل السلاح.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣/١٠٠) برقم ١٤٧٨٧ وقال محققوه صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم.

الكلمة السادسة عشرة

فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، وكانت من أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، حتى إذا بلغت عُرفت بالطاهرة لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية، وكانت تاجرة ذات شرف ومال، وقد تزوجها النبي ﷺ وعمرها أربعون سنة، وسنه خمس وعشرون سنة، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت لفضلها ومكانتها عنده فإنها كانت نعم القرين، وقد ولدت له القاسم وبه كان يُكنى ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وكان يُلقب بالطيب والظاهر، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فأدركن الإسلام فأسلمن، وهاجرن، إلا أن الوفاة أدركتهن في حياته سوى فاطمة، فقد ماتت بعده بأشهر، وهي أول من آمن به وصدقته قبل كل أحد، وثبتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

إنها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية، وهي من أفضل نساء الأمة، قال الذهبي رحمته الله: «كانت عاقلة جليلة

دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يُشني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، حتى إن عائشة كانت تقول: «ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي ﷺ لها»^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»^(٢). والقصب: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، والصخب: اختلاط الأصوات، والنصب: التعب.

قال السهيلي: «وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً»^(٣).

قال ابن إسحاق: «تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت خديجة وزيرة صدق، أبوها يجتمع مع النبي ﷺ في جده الرابع قُصي بن كلاب، وأمها تجتمع مع النبي ﷺ في جده الثامن لؤي بن غالب، وكانت ذات مال، فعرضت على النبي ﷺ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٠).

(٢) برقم ٣٨٢٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣١٧).

أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها ميسرة، فلما قدم باعت خديجة ما جاء به فأضعف، فرغت فيه، فعرضت نفسها عليه، فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة»^(١)(٢).

ومن مواقفها العظيمة رضي عنها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها قالت: «أول ما بُدئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،... ثم قال في آخر الحديث: فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فقالت: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِه خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِه وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فقالت له خديجة: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فقال له ورقة: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فقال له ورقة: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟»، قال: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ

(١) الفتى من الإبل، والأنثى يطلق عليها بكرة.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٣٦)، (٢/٢٦) بتصرف.

رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُؤَفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ^(١).

ومن مواقفها العظيمة أنها شاركت النبي صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء، ودخلت معه في حصار الشعب الذين اشتد عليهم فيه الجوع والعطش حتى ذكر بعض أهل العلم أنهم أكلوا أوراق الشجر، وفي السنة التي خرجوا فيها من الشعب توفيت خديجة.

وكانت رضيها الله من أفضل نساء الأمة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن جعفر رضي عنه قال: سمعت علياً بالكوفة وهو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ »^(٢).

ومن حب النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة ووفائه لها، ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضيها الله قالت: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتَهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»^(٣). وفي رواية في الصحيح: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»^(٤).

(١) برقم ٣ وصحيح مسلم برقم ١٦٠.

(٢) برقم ٣٤٣٢ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٠.

(٣) برقم ٣٨١٨ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٤ بقطعة ليست هنا.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٤٣٥.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاع، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»، فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين^(١)، هلك في الدهر، فأبدلك الله خيراً منها^(٢). وفي رواية: «ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وآستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٣).

وكانت وفاتها بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين في شهر رمضان، وقيل: بثمان، وقيل: بسبع، فأقامت معه خمساً وعشرين سنة، ودُفنت بالحجون^(٤)، ويذكر بالسير عام الحزن، لشدة حزن النبي صلى الله عليه وسلم على فراق زوجته الوفية خديجة، رضي الله عن أم المؤمنين خديجة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حمراء الشدين: قال السندي: حمراء الشدق: أي سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت الحمرة في شدقها، وهذا كناية عن كونها عجوزة نقلاً عن مسند الإمام أحمد (٣٥٨/٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٨٢١ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٧.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٥٦/٤١) برقم ٢٤٨٦٤ وقال محققوه حديث صحيح.

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان (١٢٣/٥).

الكلمة السابعة عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ (١٢٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا عَائِيَّتَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٢٩) [ص: ٢٩]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢) [الأنعام: ١٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي في الضلالة هالكاً حائراً فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه ووفقه لاتباع رسوله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن وقيل الإسلام، وكلاهما صحيح».

قوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾: أي الجهالات، والأهواء، والضلالات المتفرقة ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: أي: لا يهتدي إلى منقذ

ولا مخلص مما هو فيه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ النُّورُ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ» ^(١). كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۗ﴾ ^(١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ^(٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ^(٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يُشَاءُ ۗ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ^(٢٢)﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

قيل: المراد بهذا المثل: رجلان معنيان؛ عمر بن الخطاب، وهو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وقيل: عمار بن ياسر، وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله، والصحيح: أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر ^(٢). اهـ.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١- إن هذا النور الذي يحصل عليه المؤمن إنما هو نور الإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ﴾ [الزمر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ

(١) (١١/٢٢٠) برقم ٦٦٤٤ وقال محققوه إسناداه صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١٥٩-١٦٠).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

٢- إن هذا النور يُحَرِّمُ منه المنافق والكافر لكفرهم وإجرامهم، قال تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ [النور: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ﴿١٣﴾ [الحديد: ١٣].

٣- إن هذا النور الذي يعطيه الله للمؤمن ليس خاصًا بالدنيا، بل هو في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»^(١). قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر حال المؤمنين يوم القيامة قال: «فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى

(١) (١٤/١٥) برقم ٩٠٣٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طَفِيَ قَامَ، قَالَ: وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السِّيفِ دَخُضَ مَزَلَّةٍ، قَالَ: وَيَقُولُ: مُرُوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلُقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ...» الحديث (١).

٤- أن القرآن نور، والسنة نور، والصلاة نور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ

(١) جزء من حديث (٣٥٧-٣٥٨) برقم ٩٧٦٣ ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/٣٦٥-٣٦٧) بطوله وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده وقال هذا إسناد صحيح متصل رجاله ثقات، وحسنه شيخنا د. سعد الحميد في مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک الحاكم (٧/٣٥٤٣-٣٥٤٩) برقم ١١٧٤.

عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»^(١).

٥- إن الله تعالى هو نور السماوات والأرض وما فيها، ويهب نوره لمن يشاء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده أشرفت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تُكْوَرُ، والقمر يُخَسَفُ، ويذهب نورهما^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن، فإن نور الإيمان في قلبه، ومدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، ومشيته في الناس نور، وكلامه نور، ومصيره إلى نور، والكافر بالضد، ولما كان النور من أسمائه الحسنی وصفاته كان دينه نوراً، ورسوله نوراً، وكلامه نوراً، وداره نوراً يتلألاً، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجري على ألسنتهم، ويظهر على وجوههم، وكذلك لما كان الإيمان واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه إليه، وكذلك الإحسان صفته وهو يحب المحسنين وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك، وأعطاه من هذه الصفات ما شاء وأمسكها عن من يبغضه وجعله على أضدادها، فهذا عدله وذلك فضله والله ذو الفضل العظيم»^(٣).

(١) برقم ٢٢٣.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم ص ١١٧.

(٣) شفاء العليل لابن القيم (١/١٠٥).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم:
إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(١).

٦- أن المؤمن كلما ازداد من الأعمال الصالحة والطاعات
والقربات كان نوره أعظم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في صلاته بالليل
فيقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي
نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا
وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا»^(٢). وفي رواية لمسلم:
«وَأَعْطِنِي نُورًا»^(٣).

٧- أن النور صفة من صفات الله تعالى، روى مسلم في صحيحه
من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حِجَابُهُ النُّورُ»^(٤).

«وهذا النور لا يمكن التعبير عنه إلا بمثل هذه العبارة النبوية
المؤدية للمعنى العظيم، وأنه لا تُطِيقُ المخلوقات كلها الثبوت لنور
وجهه لو تَبَدَّى لها، ولولا أن أهل دار القرار يعطيهم الرب حياة كاملة
ويعينهم على ذلك لما تمكنوا من رؤية الرب العظيم، وجميع الأنوار
في السماوات العلوية كلها من نوره، بل نور جنات النعيم - التي

(١) برقم ٦٣١٧ وصحيح مسلم برقم ٧٦٩.

(٢) برقم ٦٣١٦ وصحيح مسلم برقم ٧٦٣.

(٣) برقم ٧٦٣.

(٤) برقم ١٧٩.

عرضها السماوات والأرض وسعتها لا يعلمه إلا الله - من نوره،
فنور العرش، والكرسي، والجنات من نوره، فضلاً عن نور الشمس،
والقمر، والكواكب»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح الرحيم الملك العلام للشيخ عبد الرحمن السّعدي (ص ٦٦ - ٦٧).

الكلمة الثامنة عشرة

من أسماء الله الحسنى (الحفيظ والحافظ)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١) ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العزيز (الحفيظ والحافظ)، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

وأما الحافظ فقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الخطابي: هو الحافظ يحفظ السماوات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تندثر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

(١) برقم ٢٧٣٦؛ وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٧.

مَارِدٍ ﴿٧﴾ [الصفات: ٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١]. وهو سبحانه يحفظ عبده من المهالك ومن مصارع السوء كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١]. أي بأمره، ويحفظ على الخلق أعمارهم ويحصي عليهم أقوالهم ويحفظ أوليائه فيعصمهم عن مَوَاقِعَةِ الذنوب ويحرسهم من مكائد الشيطان ليسلموا من فتنته وشره^(١).

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين العظيمين:

أولاً: أن الحافظ لهذه السماوات السبع والأرضين وما فيها هو الله وحده لا شريك له، وهو سبحانه يحفظ السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج: ٦٥].

ثانياً: أن الله سبحانه يحفظ أعمال عباده فلا يضيع منها شيئاً ويوافيهم بها يوم الحساب، وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا»^(٢). وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ [سبأ: ٢٩]. وقد وكل بهذه الأعمال حَفَظَةً كراماً من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ

(١) شأن الدعاء ص ٦٧-٦٨.

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ٢٥٧٧.

﴿١١﴾ يَعمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. ولا يسقط من الصحف شيئاً ولو صغر، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

ثالثاً: أن الله تعالى هو الذي يحفظ العبد من الشرور والآفات ويحفظه من عقابه وعذابه إن هو حفظ حدود الله واجتنب محارمه، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَدَتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤]. فبحفظهن لدين الله، ولحفظهن بالغيب حقوق أزواجهن من عرض، أو مال، أو ولد، أو غير ذلك حفظهن الله، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» (١).

رابعاً: مدح الله سبحانه الذين يحفظون حقوقه وحدوده، فقال بعدما ذكر بعضاً من صفاتهم: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿هَذَا مَا توعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾ ﴿٣٢﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ يَالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ [ق: ٣٢-٣٣]. ومما يلزم المؤمن حفظه رأسه، وبطنه، وحفظ الرأس يدخل فيه حفظ السمع، والبصر، واللسان، من المحرمات، وحفظ البطن يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على مُحَرَّم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ﴿٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقد جمع الله ذلك كله في قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(١) برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويدخل في حفظ البطن حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات. ومما يجب حفظه من المنهيات حفظ اللسان والفرج، قال تعالى: ﴿وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَقْمِيهِ وَفَرْجِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

خامساً: أن من أعظم ما يجب على المسلم حفظه من حقوق الله (التوحيد) فإن من حفظ هذا الحق حفظه الله يوم القيامة وأمنه من عذابه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: «هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»^(٢).

وبالجملة فإن المؤمن مأمور بحفظ دينه أجمع، وكلما كان المؤمن لدينه أحفظ كان حفظ الله له أعظم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا

(١) (٣٢/٣٣٠) برقم ١٩٥٥٩ وقال محققوا المسند صحيح لغيره.

(٢) برقم ٢٨٥٦؛ وصحيح مسلم برقم ٣٠.

بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴿٤٠﴾ [البقرة: ٤٠].

سادساً: أن المحفوظ هو ما حفظه الله ﷻ و شاء له أن يُحفظ،
وأما من شاء الله أن يضيع أو يتغير فإنه ضائع لا محالة، وقد تكفل الله
بحفظ كتابه العزيز من التغيير، والتبديل إلى يوم القيامة، قال تعالى:
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٣٣٩-٣٥٤).

الكلمة التاسعة عشرة

مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه وطهوره، وسواكه، ووساده^(١)، وسره، وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، وبعد الهجرة آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ، وقال عن نفسه: لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا، وقال أيضاً: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لأتيته^(٢)، وقال أيضاً: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب

(١) أي فراشه.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠٠٢ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٣.

النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم (١).

إنه الإمام الحبر فقيه الأمة عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي المهاجري أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، كان رضي عنه رجلاً نحيفاً قصيراً، شديد الأدمة (٢)، قال عنه الذهبي: كان معدوداً في أذكىاء العلماء، وقد روى عبد الله الكثير من الأحاديث عن النبي ﷺ.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبين فضله ومكانته العظيمة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي عنه قال: «قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ فَمَكَّثْنَا حِينًا وَمَا نَرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلَزُومِهِمْ لَهُ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن يزيد رضي عنه قال: سَأَلْنَا حُذَيْفَةَ عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ وَالْهَدْيِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَأْخُذَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الأحوص رضي عنه قال: «شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتْرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ ذَاكَ، إِنْ كَانَ لِيُؤْذَنُ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٠٠٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٢.

(٢) أي السواد.

(٣) برقم ٣٧٦٣ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٠.

(٤) برقم ٣٧٦٢.

لَهُ إِذَا حُجِبْنَا وَيَشْهَدُ إِذَا غَبْنَا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علقمة قال: دَخَلْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيْسًا، فَرَأَيْتُ شَيْخًا مُقْبِلًا فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اسْتَجَابَ، قَالَ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَفَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ، وَالْوَسَادِ، وَالْمِطْهَرَةِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ الَّذِي أُجِيرَ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ السَّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، كَيْفَ قَرَأَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)؟ فَقَرَأْتُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَالذِّكْرِ وَالْأُنْثَى، قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا النَّبِيُّ ﷺ فَاهِ إِلَى فَيَّ، فَمَا زَالَ هُوَ لَا حَتَّى كَادُوا يَرُدُّونِي (٢).

وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وقرائهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، - فَبَدَأَ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ» (٣).

وقد حصل رضي الله عنه علماً كثيراً بملازمة النبي ﷺ، فروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْتَمَعَ سِوَايَ حَتَّى أَنْهَاكَ» (٤).

(١) برقم ٢٤٦١.

(٢) برقم ٣٧٦١ وصحيح مسلم برقم ٨٢٤ مختصراً.

(٣) برقم ٣٧٦٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٤ واللفظ له.

(٤) برقم ٢١٦٩.

ومما يدل على علمه وأمانته ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه قال: كُنْتُ أَرَعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ»، فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلِيمٌ مُعَلَّمٌ»^(١).

وقال عمر رضي عنه: كَيْفَ مُلِيَءَ عِلْمًا^(٢).

وكان الصحابة رضي عنهم يتعجبون من دقة ساقيه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلته عند ربه، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٣).

وكان مستجاب الدعوة، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله رضي عنه: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَدْعُو، فَقَالَ: «سَلْ تُعْطَهُ»، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا

(١) (١٢/٦) برقم ٣٥٩٨ وقال محققوه إسناده حسن.

(٢) الكنيف: الوعاء، وقال هذا نظراً لصغر سنه مع أنه من أعلم الصحابة.

(٣) (٩٩/٧) برقم ٣٩٩١ وقال محققوه صحيح لغيره.

لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَى غُرْفِ الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْدِ^(١).

ومن أقواله العظيمة: أنه كان يقول: «حَبَّذَا الْمَكْرُوهَانَ: الْمَوْتُ وَالْفَقْرُ، إِنْ كَانَ الْفَقْرُ إِنْ فِيهِ الصَّبْرُ، وَإِنْ كَانَ الْغِنَى إِنْ فِيهِ اللَّعَظْفُ؛ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاجِبٌ»^(٢).

ومنها أنه كان يقول إذا قعد: «إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يُدركُ حريص ما لم يُقدَّر له، فمن أُعطي خيراً، فالله أعطاه، ومن وُقِيَ شراً، فالله وقاه، الْمُتَّقُونَ سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»^(٣).

وكان يقول: «من أراد الآخرة أضرَّ بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضرَّ بالآخرة، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي».

وكان يقول: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً، ليس في عمل آخرة ولا دنيا».

ولما مرض عبد الله عاده عثمان فقال: «مما تشكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعطاء، قال: لا حاجة لي فيه»^(٤).

(١) (٣٤٦/٦) برقم ٣٧٩٧ وقال محققوه صحيح لغيره.

(٢) أبو نعيم في الحلية (١/١٣٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٦-٤٩٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٨).



قال ابن حجر، وعند البخاري في تاريخه بسند صحيح من حديث ابن ظهير، قال: «جاء نعي عبد الله بن مسعود إلى أبي الدرداء، فقال: ما ترك بعده مثله»^(١). قال عبيد الله بن عبد الله: مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنين وثلاثين من الهجرة^(٢).

رضي الله عن عبد الله بن مسعود، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تاريخ البخاري الصغير (١/٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٩).

الكلمة العشرون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكون كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٢﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بعودهم بعد خروجه، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا: أي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر، وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار، فلماذا قالوا: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، فقال تعالى: قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها لمخالفتكم أشد حراً مما فررتم منه من الحر، بل أشد حراً من النار في الدنيا لو كانوا يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول ﷺ في سبيل الله في الحر ليتقوا به حر جهنم الذي هو أضعاف أضعاف هذا، ولكنهم كما قال الآخر: كالمستجير

من الرمضاء بالنار»^(١).

ثم قال سبحانه: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت الدنيا، وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً»^(٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن المنافقين في كل عصر وزمان ديدنهم تشييط المؤمنين عن الجهاد، وأداء الطاعات مهما كانت يسيرة، كما قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧].
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ثانياً: أن الله ذم المنافقين ليس بقعودهم عن الجهاد فقط، ولكن بفرحهم أيضاً بهذا التخلف، فإن الفرح بالمعصية أعظم من المعصية.

ثالثاً: أن الله قدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في هذه الآية، وفي آيات أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. قال العلماء: وذلك لأهمية المال في دعم الجهاد، ولا يمكن أن يقوم الجهاد بدون مال.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٥٥).

رابعاً: دلت الآية الكريمة أن الفقيه هو الذي يتقي البلاء الأكبر بالأصغر، والمنافقون لما كانوا لا يفقهون عكسوا ذلك بفرارهم من حر الرمضاء إلى حر جهنم، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَ مِنْ يَقُولِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (١٠) [العنكبوت: ١٠].

فناز جهنم أشد وحرها أعظم من حر الدنيا، بل هي أضعاف نار الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، قالوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(١).

خامساً: أن من الكفار والعصاة من يرتكبون المعاصي والذنوب، وهم يضحكون، ويلعبون، ولكن هذا الضحك ينقلب يوم القيامة بكاء وحسرات، روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن قيس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَّتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ - يعني مكان الدمع -»^(٢).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٦٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

(٢) (٥/٨٣١) برقم ٨٨٢٧ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٧٩.

الكلمة الحادية والعشرون

من أحكام السفر وآدابه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الإنسان بطبعه يحتاج إلى السفر في أرض الله لقضاء مصالحه الدينية والدنيوية، والسياحة في الأرض والتأمل في عجائب المخلوقات مما يزيد العبد إيماناً و يقيناً بربه، قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] (١).

قال الشافعي مادحاً للسفر وحاتماً عليه:

سافر تجد عوضاً عمن تُفارقه وأنصب فإن لزيد العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سأل طاب وإن لم يجز لم يطب
والشمس لو بقيت في الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب

وقد وردت السنة النبوية ببعض الآداب الشرعية التي ينبغي للمسافر أن يلتزم بها، فمن ذلك:

أولاً: الاستخارة الشرعية قبل السفر، فيستخير في موعد السفر ووجهته، روى البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي

(١) المنهاج للحاج والمعتمر للشيخ سعود الشريم ص ١١-١٢.

في سننهما من حديث جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا
 الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ:
 «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ:
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ
 فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ
 الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، خَيْرٌ
 لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ،
 فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ،
 وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ وَيُسَمِّيهِ، شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ
 قَالَ: «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ
 لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»^(١).

ثانياً: أن يحرص على دعاء السفر عند خروجه وعودته،
 فقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ
 قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
 لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ
 الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ،
 اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي
 الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيْبُونَ، تَائِبُونَ،

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٢ وسنن الترمذي برقم ٤٨٠ والنسائي برقم ٣٢٥٣.

عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(١). وفي رواية لمسلم: «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ - وَهُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ أَوْ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ -، وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ»^(٢).

ثالثاً: أن يحرص أيضاً على الذكر عند الركوب فقد روى الترمذي في سننه من حديث علي بن ربيعة قال: شهدنا علياً أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بِاسْمِ اللَّهِ» ثلاثاً، فلما استوى على ظهرها قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثلاثاً، و«اللَّهُ أَكْبَرُ» ثلاثاً، «سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ثم ضحك، قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعَجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ»^(٣).

رابعاً: كان النبي ﷺ إذا ودَّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم: «أَسْتَوِدُّعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(٤). والسنة أن يرد

(١) برقم ١٣٤٢.

(٢) برقم ١٣٤٣.

(٣) برقم ٣٤٤٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم ٣٤٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٥) برقم

عليه المسافر فيقول: «أَسْتَوِدُّعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»^(١).

خامساً: استحباب الخروج يوم الخميس، روى البخاري في صحيحه من حديث كعب بن مالك رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ»^(٢).

ويُستحب أن يكون أول النهار أو بالليل لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»^(٣)، ولما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ»^(٤).

سادساً: استحباب طلب الرفقة الصالحة وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُوا، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ»^(٥). وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الرَّاكِبُ

(١) سنن ابن ماجه برقم ٢٨٢٥ وحسنه العراقي كما نقل ذلك الألباني رحمته الله في الكلم الطيب ص ٥٩.

(٢) برقم ٢٩٥٠.

(٣) (٣/٤١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٧٨) برقم ١٣٠٠.

(٤) برقم ٢٥٧١ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٨) برقم ٢٢٤١.

(٥) برقم ٢٩٩٨.

شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ» (١).

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «ولعل الحديث أراد السفر في الصحاري والفلوات التي قلما يرى المسافر فيها أحداً من الناس، فلا يدخل فيه السفر اليوم في الطرق المعبدة الكثيرة المواصلات. والله أعلم» (٢). اهـ.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» (٣).

سابعاً: استحباب تكبير المسافر إذا صعد الثنانيا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا» (٤).

ثامناً: كان النبي ﷺ ينهى المرأة أن تسافر لوحدها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً، وَإِنِّي اكْتَتَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ:

(١) برقم ٢٦٠٧ والترمذي برقم ١٦٧٤ وقال حديث حسن.

(٢) السلسلة الصحيحة حديث رقم ٦٢.

(٣) برقم ٢٦٠٨ وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود حسن صحيح (٢/٤٩٤) برقم ٢٢٧٢.

(٤) برقم ٢٩٩٤.

«انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»^(١).

تاسعاً: من السنة أن يصلي المسافر التطوع على دابته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ، يَوْمِيْ إِيْمَاءً، صَلَاةَ اللَّيْلِ إِلَّا الْفَرَائِضَ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ»^(٢).

عاشراً: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذر من السفر إلى بلاد الكفار، فروى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا»^(٣).

وقد استثنى العلماء من ذلك: المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين، أو للتجارة، وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهراً لدينه عالماً بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادراً على إقامة شعائره مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

الحادي عشر: إذا ذهب المسافر إلى المتنزهات أو البراري عليه أن يلزم زوجته وبناته بالحجاب، وعليه أن يبتعد عن الأماكن المختلطة، أو التي تحتوي على مخالفات شرعية، وأن يحافظ على

(١) برقم ١٨٦٢ وصحيح مسلم ١٣٤١ واللفظ له.

(٢) برقم ١٠٠٠ وصحيح مسلم برقم ٧٠٠.

(٣) برقم ١٦٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم ١٣٠٧.

الصلاة في أوقاتها، ويأمر أهله بذلك، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

الثاني عشر: كان النبي ﷺ يَحُثُّ أُمَّتَهُ إِذَا نَزَلَ أَحَدُهُمْ مَنْزِلًا فِي سَفَرِهِ، أَوْ غَيْرِهِ أَنْ يَقُولَ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(١).

الثالث عشر: كان النبي ﷺ يأمر المسافر إذا قضى حاجته أن يعجل بالرجوع إلى أهله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعْجِلْ إِلَى أَهْلِهِ»^(٢).

الرابع عشر: كان النبي ﷺ ينهى أن يَطْرُقَ الرَّجُلَ أَهْلَهُ لَيْلًا إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلَ أَهْلَهُ طُرُوقًا»^(٤).

(١) صحيح مسلم برقم ٢٧٠٨.

(٢) برقم ١٨٠٤ وصحيح مسلم برقم ١٩٢٧.

(٣) برقم ٥٢٤٤.

(٤) برقم ٥٢٤٣.

وينبغي للمسافر أن يحرص على الدعاء، فإن دعوته مستجابة،
روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ،
وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٥٣٦ وقال الترمذي حديث حسن.

الكلمة الثانية والعشرون

من أهوال يوم القيامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن أعظم أهوال يوم القيامة اجتماع الناس في المحشر وانتظارهم فصل القضاء بينهم، وموقفهم فيه طويل، وشديد ومفزع، قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقومون حفاة عراة غرلاً^(١)^(٢) في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»^(٤). وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا،

(١) أي كما ولدتهم أمهاتهم غير مختونين.

(٢) ثبت ذلك في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨١).

(٤) برقم ٦٥٣١ وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٢.

وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»^(١).

ويكون عرق الناس في ذلك اليوم على قدر أعمالهم. روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةٌ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ^(٢).

قال ابن أبي جمرة: فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار^(٣).

قال ابن حجر: ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرونها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا مما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة، ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس

(١) برقم ٦٥٣٢؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٨٦٣.

(٣) فتح الباري (١١/٣٩٤-٣٩٥) بتصرف.

للعقل فيها مجال، ولا يُعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يُؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسارته، وحرمانه، وفائدة الإخبار بذلك أن ينتبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه^(١).

وهذا الموقف مع شدته وكرب الناس فيه فهو أيضاً موقف طويل جداً مقداره خمسين ألف سنة.

قال ابن كثير: وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون، وقيل: يقومون ثلاث مئة سنة، وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويُقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [٣٨] ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ [النبا: ٣٨-٣٩].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ...» الحديث^(٢).

(١) فتح الباري (١١/٣٩٤-٣٩٥).

(٢) جزء من حديث (٣٥٧/٩) برقم ٩٧٦٣ وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/٣٦٧-٣٦٥) بطوله وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال هذا إسناد صحيح متصل رجال ثقات، وقال ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ص ٢١٥، هذا حديث كبير حسن، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب (٣/٤١٨) برقم ٣٥٩١.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(١).

وساق ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: يوم القيامة، قال ابن كثير: وهذا إسناده صحيح^(٢).

وكان النبي ﷺ يتعوذ من ضيق هذا اليوم وكرهته. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة الجرشي رضي عنه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ وَبِمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ؟ قَالَتْ: كَانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَسْبِحُ عَشْرًا، وَيَهْلُلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّيْقِ يَوْمَ الْحِسَابِ» عَشْرًا»^(٣).

ومن ثمرات الإيمان بهذا الموقف العظيم:

أولاً: أن المؤمن ينبغي أن يكون على استعداد للقاء ربه، وألاً يكون في غفلة، فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمة، فهناك

(١) برقم ٩٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/١٢٨).

(٣) (٣٧-٣٨) برقم ٢٥١٠٢ وقال محققوه حديث حسن.

الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرضات يوم القيامة، والميزان، والصراط والنار، قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» (٢).

ثانياً: أن الكفار وأصحاب المعاصي يُشَدَّدُ عليهم في ذلك اليوم. قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦]. وتقدم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أن مانعي الزكاة يُعَذَّبُونَ، وأن هذه البهائم تَطْوُهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا وتنطحهم بقرونها.

ثالثاً: ومن البشائر أن أهوال الآخرة مع شدتها وكرباتها من القبر وظلماته، والنفخ في الصور، وعرضات يوم القيامة، والصراط وغيرها، أن الله بِمَنِّهِ وَكْرَمِهِ يَخَفِّفُهَا عَلَى الْمُؤْمِنِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

(١) برقم ٢٣١٢ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٨) برقم ١٨٨٢.

(٢) برقم ٢٤٣١ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

لَهُمْ مِمَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُسْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]. قال بعض المفسرين: الفزع الأكبر: النفخ في الصور.

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يَهَوُّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»^(١).

ومن البشائر أيضاً قول الله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن: إنما هي ضحوة، فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين، وكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في قراءة له: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾، وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: يفرغ الله من الحساب نصف النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قرأ الآية: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]^(٢).

رابعا: إنه في ذلك الموقف العظيم والناس في حر شديد، وبلاء عظيم لا يطاق، يُظِلُّ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ سَبْعَةً: «إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ،

(١) برقم ٧٢٨٩ وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٣/٤١٧) برقم ٣٥٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/٢٩٨)، وتفسير القرطبي (١٥/٣٩٨).

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

خامساً: إنه ينبغي للمؤمن أن يكثر من الأعمال الصالحة ويخفيها عن الناس، كان عبد الله بن المبارك يأتي إلى ماء زمزم ويقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ»^(٢) وأنا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شرب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٦٠ وصحيح مسلم برقم ١٠٣١.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٣٠٦٢ وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٣٢٠/٤) برقم ١١٢٣.

الكلمة الثالثة والعشرون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى انكفافاً عن المحارم، فإن خوف الله أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع، ويحضرُونَ قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب؛ ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات وازدجاراً من المعاصي، وكل هذا مما يزيد به الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي يعتمدون في قلوبهم على ربهم وحده لا شريك له في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم الدينية والدينية، ويثقون بأن الله سيفعل ذلك، والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ أي من فرائض ونوافل بأعمالها الظاهرة، والباطنة، كحضور القلب فيها الذي هو روح الصلاة ولبها.

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات، والنفقة على الزوجات، والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.

قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أي الذين اتصفوا بتلك الصفات هم المؤمنون حقاً؛ لأنهم جمعوا بين الإسلام، والإيمان، بين الأعمال الظاهرة، والأعمال الباطنة، وبين العلم، والعمل.

قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: درجات عالية في الجنة بحسب أعمالهم، ومغفرة لذنوبهم، ورزق كريم وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن البكاء من خشية الله هو شعار المؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا

عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١). وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله، وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوَلِّيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فيها التصريح بزيادة الإيمان، وقد صرح تعالى بذلك في مواضع أخرى، كقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَتِغْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَبَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. وتدل هذه الآيات بدلالة الالتزام على أنه ينقص أيضاً؛ لأن كل ما يزيد ينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وجاء مصرحاً بنقصه كما في أحاديث الشفاعة في الصحيحين كقوله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»^(٢).

(١) برقم ١٦٣٩ وقال حديث ابن عباس حديث حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤١١٣.

(٢) صحيح البخاري رقم ٧٥١٠ وصحيح مسلم برقم ١٩٢.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فالإيمان ثلاثة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وقد جمعت هاتان الآيتان ذلك كله، فعمل القلب: مما تقدم من التوكل وزيادة الإيمان وغيره، وعمل اللسان: ذكر الله وتلاوة القرآن، وعمل الجوارح: قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .

رابعاً: الآيات تدل على أن من لم يزد سماع القرآن إيماناً زاده بعداً، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

خامساً: التوكل من خصال الإيمان العظام لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [التوبة: ٢].

سادساً: لطف الله بعباده، حيث ذكرهم بأن ما ينفقونه إنما هو من رزقه الذي أعطاهم، فكيف يبخلون بعد هذا؟

سابعاً: قد يكون من الناس من يدعي الإيمان، ولكن المؤمنين حقاً هم الذين اجتمعت فيهم تلك الصفات لقوله تعالى بعد ما ذكر صفاتهم: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ .

ثامناً: منازل المؤمنين درجات بعضها فوق بعض، ومنازل الكافرين درجات بعضها تحت بعض، لقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]. وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

تاسعاً: من فضل ثواب المؤمنين: قربهم من الله لقوله تعالى:
﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

عاشراً: أن المؤمنين قبل دخول الجنة يطهرون من النقائص والذنوب، لقوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

الحادي عشر: رزق المؤمنين في الجنة لا تبعة فيه مع سعته، وحسنه، ودوامه، لقوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والعشرون

فضائل الأعمال الصالحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يكثُر من الأعمال الصالحة، فإن العمر قصير والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يُفاجئُهُ الأجل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) [الأعراف: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (١٠٥) [التوبة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (١١٤) [هود: ١١٤].

ومن فضائل الأعمال الصالحة:

الحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١) [البروج: ١١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا

أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) (١).

ومنها ذهاب الخوف والحزن عنهم: ولو علم كثير من الناس ممن يعانون من الهم، والقلق، والاكتئاب، والمشكلات الأسرية، ما للأعمال الصالحة من انشراح الصدر، ونعيم القلب لاستغنوا عن المستشفيات والعيادات النفسية، ولصلح حالهم واستقام أمرهم.

ومنها محبة الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) ﴿مريم: ٩٦﴾. أي محبة ومودة في قلوب عباده، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» (٢).

ومنها الدرجات والمنازل العالية في الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) ﴿طه: ٧٥﴾. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ

(١) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

(٢) برقم ٣٢٠٨ وصحيح مسلم برقم ٢٦٣٧.

الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

ومنها رضوان الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ. ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

ومنها سعة الرزق في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الحج: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١]. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطِعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»^(٢).

ومنها تكفير السيئات، وإصلاح البال، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) برقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣١.

(٢) برقم ٢٨٠٨.

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ [محمد: ٢]. أي يصلح شأنهم وحالهم مع أولادهم، وزوجاتهم، وفي أرزاقهم، وفي شئونهم كلها.

ومنها إعطائهم الأجر تاماً ومضاعفته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣] ﴿١٧٣﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] ﴿١١٢﴾ وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ﴿١٦٠﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَن يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَن يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا» (١).

ومنها الدخول في رحمة الله، والفوز بذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠] ﴿٣٠﴾.

ومنها الخروج من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١١] ﴿١١﴾.

ومنها الاستخلاف والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ

(١) صحيح مسلم برقم ١٢٩ وقد خرج البخاري الجزء الأول منه برقم ٤٢.

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

ومنها الأجر الكبير والحسن غير المنقطع، قال تعالى: ﴿إِنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
 أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تعالى: ﴿فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
 مِّمَّن لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
 ﴿٢﴾ [الكهف: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٦].

ومنها زيادة الله تعالى لهم من فضله، وهدايته لهم، قال
 تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
 ﴿٤٥﴾ [الروم: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴿٢٦﴾ [الشورى: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ [يونس: ٩]. أي يزيدهم هداية، وتوفيقاً وأجراً
 في الدنيا والآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة صغيرة لأخي ن. د. صالح الصياح بعنوان المبشرات لمن يعمل الصالحات.

الكلمة الخامسة والعشرون

خطورة دور السينما

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فالحديث في هذا اليوم عن فتنة عظيمة، ومعصية كبيرة، يدعو إليها أصحاب الشهوات والملذات، ألا وهي افتتاح دور السينما، وسيكون الكلام فيها في العناصر التالية: المخالفات الشرعية، أقوال العلماء، شبهة والجواب عنها. فمن تلك المخالفات:

أولاً: ما يتعلق بالعقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهي تعرض صور الكفار وحضارتهم، وأحوال معيشتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم مع أن حياتهم حياة البهائم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلً ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وبالمقابل تزهد في أخلاق المسلمين، ولباسهم، وطرق معيشتهم، والاحتقار لعلماء الإسلام، وأبطال المسلمين، وتمثيلهم بالصور المنفرة، والمسلم مأمور بموالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين، قال تعالى: ﴿لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ثانياً: تصوير الاختلاط على أنه أمر عادي لا حرمة فيه، والإكثار من قصص الحب، والغرام والعشق بين الجنسين، ودعوة المرأة إلى خلع حجابها والتمرد على دينها وأهلها، ومعاشرة الرجال الأجانب دون حياء أو خجل، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة في مجتمعات المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٩) [النور: ١٩].

ثالثاً: الغناء: قال تعالى: ﴿وَمَنْ التَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٦) [لقمان: ٦]. وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف بالله أن لهو الحديث هو الغناء^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْكَ وَرَجِلِكَ﴾^(٦٤) [الإسراء: ٦٤].

رابعاً: المعازف: وهي حرام بجميع أنواعها، وأشكالها. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم ١٨٥٢٤ وقال محققوه حديث حسن بشواهد.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦/١١).

«لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ»^(١).
فإخبار النبي ﷺ أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

خامساً: أن عرض السينما في مكان عام مع ما فيها من المنكرات والمخالفات الشرعية السابق ذكرها يعتبر مجاهرة بالمعصية، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»^(٢).

سادساً: أثارها السيئة على مرتاديهها، ومنها تعليمهم طرق المكر والخداع، والسرقة وحياسة المؤامرات والقتل، وقد ذكرت الإحصائيات العالمية أن كثيراً من حالات القتل، والاعتصاب والطلاق، والخيانات الزوجية كانت بسبب أفلام العنف والجنس، السينمائية والتلفزيونية.

أقوال العلماء فيها: قال الشيخ عبد الله بن حميد: «ومن أهم ما يجب المبادرة إلى رفعه وإزالته، أو دفعه وعدم إقراره هو وجود هذه السينما التي انتشرت في أكثر الأماكن، وما يُعرض فيها من صور خليعة، وأمراض أخلاقية فتاكة تقتل ما في الإنسان من رجولية، أو مروءة، أو ديانة، وإنها والله فح نصبه لنا أعداؤنا ليذهبوا ما فينا من حماسة أخلاقية امتاز المسلمون فيها على غيرهم، وقد أدركوا ما يريدون من كثير من أبناء المسلمين بسببها، فلا حول ولا قوة إلا بالله»^(٣).

(١) برقم ٥٥٩٠.

(٢) برقم ٦٠٦٩ وصحيح مسلم برقم ٢٩٩٠.

(٣) الرسالة الثالثة من الشيخ عبد الله بن حميد إلى الملك فيصل رحمهما الله، نُشرت في كتاب الدرر السنوية المجلد الخامس عشر.

وسُئلت اللجنة الدائمة: هل يجوز للمسلم أن يبنى سينما ويدير أعماله بيده؟

فأجابت: «لا يجوز لمسلم أن يبنى سينما، ولا أن يدير أعمال سينما له، أو لغيره لما فيها من اللغو المحرم؛ ولأن السينمات المعروفة عنها في العالم اليوم أنها تعرض صوراً خليعة، ومناظر فتانة، تثير الغرائز الجنسية، وتدعو للمجون، وفساد الأخلاق، وكثيراً ما تجمع بين نساء، ورجال غير محارم لهن»^(١).

وجاء في خطاب الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ إِلَى وزير الإعلام: «وأما السينمات فلا يسمح لذويها بعرضها في أماكن عامة مطلقاً، وَمَنْ يُقْبَضَ عَلَيْهِ يُجَازَ بمصادرة الآلة، والأفلام، والسجن، والجلد»^(٢)»^(٣).

العنصر الثالث: شبهة والجواب عنها.

قد يقول قائل: إن السينما التي تُعرض الآن ليس فيها إثارة جنسية ولا اختلاط واضح بين الرجال، والنساء، ومن الممكن أن تكون تحت ضوابط إسلامية.

فالجواب عن ذلك: أن أهل الشر يتدرجون شيئاً فشيئاً، قد يتنازلون عن بعض الأمور حتى يحصلون بعد ذلك على ما يريدون، وهذا دَيْدَنُهُمْ دائماً، شيئاً فشيئاً حتى تصبح السينما عندنا كبقية الدول

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٢٧٧) برقم ٣٥٠١.

(٢) الدرر السنوية المجلد السادس عشر.

(٣) انظر: ما كتبه أخونا د. سليمان الجربوع في كتابه عندما يكون الترفيه مصيدة - السينما أنموذجاً فقد أجاد وأفاد.

الأخرى تُعرَضُ بكل ما فيها من اختلاط بين الرجال، والنساء، وفسق، وإضاعة للصلوات، ومشاهد فاضحة.. وغير ذلك من الشرور والمفاسد مما ينكره كل مسلم عاقل يرجو الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والعشرون

فوائد من قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

وَإِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... الآية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى إخباراً عاماً يعلم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [٦١] وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٧] [الرحمن: ٢٦-٢٧]. فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، ويتفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة، وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم، وانتهت البرية، أقام الله القيامة، وجازى الخلائق بأعمالها، جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها،

كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوقَفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١٨٥) ﴿١﴾.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن الإنسان مهما طال عمره في هذه الحياة، فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر: ٣٠].

قال الشاعر:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ مَحْمُولٍ
وقال آخر:

الموتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جاء جبريل، فقال: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٢).

ثانياً: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، بل يُوفِّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٨٤-٢٨٥).

(٢) معجم الطبراني في الأوسط (٤/٣٠٦) برقم ٤٢٧٨ وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥) برقم ٩١٨ إسناده حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٨٣١.

﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢].

ثالثاً: أن الفوز الذي يحصل بالنجاة من النار، ودخول الجنة له من الأعمال سببٌ يوصل إليه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ، الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(١).

رابعاً: دلت الآية الكريمة على حقارة الدنيا وأنها متاعٌ زائلٌ فانٍ، وما يؤثرها على الآخرة الباقية إلا مبخوس الحظ، ضعيف العقل، قال الله تعالى عن هؤلاء: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿٦٠﴾ [القصص: ٦٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ (وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ) فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجَعُ»^(٢). وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ قال: هي متاعٌ متروكةٌ أو شكت، والله الذي لا إله إلا هو، أن تَضْمَحِلَّ عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

(١) جزء من حديث برقم ١٨٤٤.

(٢) برقم ٢٨٥٨.

خامساً: أن الفوز الحقيقي هو دخول الجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦]. وقال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

سادساً: في الآية الكريمة إخباره تعالى - وهو حقٌ وصدقٌ - أن الموت حقٌ على كل نفس، فاليقين بذلك والإكثار من ذكره دأب الأكياس من المؤمنين؛ لأن ذلك يحملهم على الاستعداد له، وعدم الاغترار بالدنيا، والتخلص من الذنوب والسيئات، فروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي عنهما أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ»^(٢).

سابعاً: في قوله تعالى: ﴿وَلِئِنَّمَا تُوَفَّقَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم ١٨٧٧.

(٢) برقم ٤٢٥٩ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٨٤.

تسلية للمؤمنين فيما يصيبهم في الدنيا، وما يصبرون عليه من فعل الخير، ومجاهدة النفس، والصبر على الأذى، والرضى بالقضاء، فإن الوفاء الأعظم إنما يكون يوم القيامة، وفيها أيضاً تحذير الكفار والظالمين والعاصين من عاقبة الإمهال، فإن الوفاء الأعظم إنما يكون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة والعشرون

البكاء من خشية الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن البكاء من خشية الله دليل على إيمان العبد وخوفه من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۗ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۗ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْرٰءِيْلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايٰتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ۗ﴾ [مريم: ٥٨].

وقد أثنى الله على المؤمنين أصحاب القلوب الرقيقة، الذين لا يملكون أنفسهم من الدمع عند سماع آيات الرحمن، أو خوف فوات عمل صالح يُجِبُونَهُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ۗ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۗ﴾ [التوبة: ٩٢].

والبكاء من خشية الله سببٌ للاستئلال بعرش الرحمن، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - ذَكَرَ مِنْهُمْ: - وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

والبكاء من خشية الله من أحب الأعمال إلى الله، روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»^(٢).

والبكاء من خشية الله سببٌ للنجاة، روى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابِكْ عَلَى حَاطِيَّتِكَ»^(٣).

والبكاء من خشية الله من أسباب التحريم على النار، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»^(٤). فقوله: «لَا يَلِجُ»: أي

(١) برقم ١٤٢٣ وصحيح مسلم برقم ١٠٣١ وقال الحافظ في الفتح (١٤٤/٢) وعند سعيد بن منصور بإسناد حسن عن سلمان رضي عنه سبعة يظلهم الله في ظل عرشه.

(٢) برقم ١٦٦٩ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١٣٣/٢) برقم ١٣٦٣.

(٣) برقم ٢٤٠٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٤) برقم ١٦٣٣ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

لا يدخل، «حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»: كناية عن استحالة ذلك.

من أسباب البكاء من خشية الله:

١- ذكر الموت: روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ -» (١). فإذا ذكر المؤمن الموت رقق قلبه، ودمعت عينه، وزهد في دنياه.

٢- قراءة القرآن بتدبر، والاستماع إليه بخشوع: روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير رضي عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ» (٢). وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأَتِ النِّسَاءُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُولَاءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، رَفَعَتْ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ (٣).

٣- زيارة القبور، وتذكر الآخرة: روى الحاكم في المستدرک من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَرُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ

(١) برقم ٢٣٠٧ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) برقم ٩٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٧٠) برقم ٧٩٩.

(٣) برقم ٤٥٨٢ وصحيح مسلم برقم ٨٠٠ واللفظ له.

العَيْنُ، وَتُذَكَّرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا» (١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث البراء رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَيَّ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا» (٢). فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي حتى تبل دموعه الثرى وهو سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين؟ نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه ولطفه.

وروى الترمذي في سننه من حديث هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: «كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكَّرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ» (٣).

٤- التباكي: وهو منزلة دون البكاء وهو مجاهدة النفس في البكاء، قال ابن القيم رحمته الله بعد ذكره أنواع البكاء: «وما كان منه مستدعى متكلفاً وهو التباكي، وهو نوعان: محمود ومذموم،

(١) (٧١١/١) برقم ١٤٣٣ وقال محقق المستدرک حديث حسن صحيح وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٥٨٤.

(٢) برقم ٤١٩٥ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٨٣.

(٣) برقم ٢٣٠٨ وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم ١٨٧٨.

فالمحمود يُستجلبُ لرقّة القلب وخشية الله لا للرياء والسمعة، والمذموم: أن يجتلب لأجل الخلق، وقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر: «أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما»، ولم يُنكر عليه ﷺ (١) (٢).

ولعل من أعظم أسباب جفاف العين، وعدم البكاء من خشية الله قسوة القلب، وما ضربَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظم من قسوة القلب، بل ما خُلقت النار إلا لإذابة القلوب القاسية، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

فعلى العبد أن يُذيب هذه القسوة بذكر الله، وزيارة القبور، وتذكر الموت والآخرة وأهوالها (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم ١٧٦٣.

(٢) زاد المعاد (١/١٧٨).

(٣) انظر رسالة أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي «البكاء من خشية الله»، فقد أجاد وأفاد.

الكلمة الثامنة والعشرون

الأخوة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أقوى الروابط بين الناس الأخوة الإسلامية، فإنها تجمع بين المسلمين، وإن كانوا من أماكن متفرقة، وبلاد بعيدة، وجنسيات مختلفة، وقبائل شتى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال النبي ﷺ: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

والأخوة الإسلامية لها حقوق وواجبات، منها:

أولاً: أن يكون المسلم نصيراً، ومعيناً لأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ التَّنَصُّرُ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

(١) مسند الإمام أحمد (٤٧٤ / ٣٨) برقم ٢٣٤٨٩ وقال محققوه إسناده صحيح.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»^(١).

ثانياً: أن لا يظلم المسلم أخاه بأي نوع من أنواع الظلم وإن قلَّ،
روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ»^(٣) وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٤).

ثالثاً: من لوازم الأخوة الإسلامية أن يرحم بعضهم بعضاً ويحب بعضهم بعضاً، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً في غاية البيان على أن الأخوة الإسلامية لا نظير لها في جميع العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض.

ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ،

(١) برقم ٢٤٤٣.

(٢) برقم ٤٤٠٣ وصحيح مسلم برقم ٦٦ مختصراً.

(٣) أي يترك نصرته.

(٤) برقم ٢٥٦٤.

إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (٢).

رابعاً: النصح: فينصح المسلم أخاه المسلم في أمر دينه ودنياه، ومن ذلك: تعليم الجاهل والمشورة عليه بالخير، والنصح له في ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم أبوابه الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جرير رضي عنه قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (٣). وهذه النصيحة هي التواصي بالحق الذي جاء في سورة العصر إذ يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

خامساً: رد السلام عليه، وإجابة دعوته، وتشميته إذا عطس، وزيارته عند المرض، واتباع جنازته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ»، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا

(١) برقم ٦٠١١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٢) برقم ٤٨١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٥ واللفظ له.

(٣) برقم ٥٧ وصحيح مسلم برقم ٥٦.

دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمَّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» (١).

سادساً: أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (٢).

وقد جاء في الكتاب والسنة الحث على الأمور التي تقوي الروابط بين المسلمين، وتجلب المودة، وتزيل الأحقاد، وتذهب سخائم النفوس، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمْهُ إِيَّاهُ» (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ» (٥).

(١) برقم ٢١٦٢.

(٢) برقم ١٣ وصحيح مسلم برقم ٤٥.

(٣) برقم ٥٤.

(٤) برقم ٢٣٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) برقم ٢٧٣٣.

وفي التنزيل المبارك: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].
 وإخواننا في فلسطين، وأفغانستان، والعراق، والشيشان، وكشمير،
 وغيرها من بلاد المسلمين يعانون من القتل، والتشريد، والتعذيب،
 وسلب الممتلكات، فدعو الله أن يكشف ما بهم من ضر، وأن يرد كيد
 الأعداء في نحورهم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،
 وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
 وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال،
 ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة
 والإرشاد، ومواساة بالدعاء، والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم،
 وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت
 المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة
 لأصحابه بذلك كله، فَلَاتَّبَاعِهِ مِنَ الْمَوَاسَاةِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ»^(٢).

والحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبناهما
 على أمرين:

أولهما: الإخلاص لله وثانيهما: الموالاتة، والمعاداة فيه،

(١) جزء من حديث صحيح البخاري برقم ٢٤٤٢ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٠.

(٢) الفوائد (٢٤٦-٢٤٧).

فالمسلم أخو المسلم، وإن كان من أقصى الأرض، والكافر عدو، وإن كان من أمه وأبيه، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ووصف الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقد خالف هذا النهج القويم بعض المنتسبين للإسلام فأبعدوا المسلم وأقصوه، وقربوا الكافر وأدنوه، ومن ذلك ما يحدث في بعض الشركات والمؤسسات، فتكون المرتبة والراتب الأعظم للكافر، وإن كان المسلم أحسن أداءً، وأفضل عملاً، بل ربما جعل الكافر رئيساً للمسلم.. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وقد بين تعالى أن هذا الفعل سبب لنشر الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:

١٤١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والعشرون

فوائد من قوله تعالى

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾: أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال، والسعر، والسحب على النار على وجوههم مع التوبيخ والتفريع والتهديد»^(١). اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه»^(٢).

قوله: ﴿ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة لأنها تُجِنُّ من فيها أي تستره لكثرة أشجارها، وأغصانها، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار على أربعة أصناف، ذكرها الله بقوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٣١٠).

(٢) الفتاوى (١٠/٦٦٧).

ءَاسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى
وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥] (١).

قوله: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي في دار كرامة الله ورضوانه عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ صلى الله عليه وسلم، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن التقوى سبب للفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ [مريم: ٦٣].

ثانياً: أن كلمة جنات، جاءت بصيغة الجمع، وهذا يدل على أنها أكثر من جنة، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أم حارثة رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةِ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين ص ١٢٨.

(٢) برقم ١٨٢٧.

كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» (١).

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يشبه شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء» (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَافْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]» (٣).

رابعاً: أن الله تعالى وصف حال المتقين بأنهم في مقعد صدق، قال القرطبي: «﴿مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾: أي مجلس حق لا لغوفيه ولا تأثيم، وهو الجنة كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦]».

خامساً: إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩) [البقرة: ٢٥٩]. روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود في قصة الرجل الذي هو

(١) برقم ٢٨٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(٣) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

آخر من يدخل الجنة، وجاء فيه أن الله تعالى يقول له: «أَيْرُضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا..» وفي رواية البخاري: «عَشْرَةُ أَمْثَالِهَا، قَالَ يَا رَبِّ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنَّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٧١ وصحيح مسلم برقم ١٨٦.

الكلمة الثلاثون

قبول العمل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم، وألا تُقبل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال عبد الله بن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من

(١) برقم ٣١٧٥ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٧٩/٣) برقم ٢٥٣٧.

أصحاب النبي ﷺ كلهم يخشى النفاق على نفسه ما منهم من أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل^(١)، قال أبو الدرداء: لئن أستيقن أن الله تَقَبَّلَ مني صلاةً واحدةً أَحَبُّ إِلَيَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) [المائدة: ٢٧]»^(٢).

قال علي رضي الله عنه: «كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾». قال ابن عطية: «المراد بالتقوى: اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة». وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول، والختم بالرحمة علم ذلك بأخبار الله تعالى^(٣).

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٢) [الملك: ٢]. قال الفضيل بن عياض: «﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»^(٤).

قال أهل العلم: إن العمل لا يُقبل إلا بشرطين:

الأول: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٦/٥) وقال محققوه ورواه ابن أبي حاتم وإسناده حسن.

(٣) تفسير القرطبي (٤١١/٧).

(٤) مدارج السالكين (٦٩/٢).

قال: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١). أي مردود غير مقبول، وروى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث العرباض ابن سارية رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٢).

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٣).

ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعند أهل السنة والجماعة يُتَقَبَّلُ العمل مِمَّنْ اتقى الله فيه، فَعَمَلَهُ خَالِصًا لِلَّهِ مُوَافِقًا لِأَمْرِ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ فِي عَمَلٍ تَقَبَّلَهُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ عَاصِيًا فِي غَيْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِهِ فِيهِ لَمْ يُتَقَبَّلْهُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا فِي غَيْرِهِ»^(٤)، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنة لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

(١) برقم ٢٦٩٧ وصحيح مسلم برقم ١٧١٨ واللفظ له.
 (٢) برقم ٤٦٠٧ والترمذي برقم ٢٦٧٦ وقال حديث حسن صحيح.
 (٣) رقم ١ وصحيح مسلم برقم ١٩٠٧.
 (٤) مجموع الفتاوى ١٠/٣٢٢.

ولا ينبغي للمؤمن أن يحتقر العمل وإن كان قليلاً، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: «لَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا»^(١)، فقد يُقبل هذا العمل ويكون سبباً لدخوله الجنة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ فَعُفِرَ لَهَا بِهِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»^(٣).

قال ابن حجر: «ينبغي للمرء أن لا يزهّد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنه التي يرحمه الله بها، ولا السيئه التي يسخط عليه بها»^(٤).

وقد لا يُقبَلُ العمل وإن كان كثيراً في نظر صاحبه، إما لعجب، أو رياء، أو غرور، أو منة صاحبت ذلك العمل، فكانت سبباً لردّه، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٣٦٤) [البقرة: ٢٦٤].

وأعظم موانع قبول العمل: الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٢٦.

(٢) برقم ٣٤٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٢٤٥.

(٣) برقم ١٩١٤ وأخرجه البخاري برقم ٢٤٧٢ بنحوه.

(٤) فتح الباري (١١/٣٢١).

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ ۚ ﴿٩١﴾ [آل عمران: ٩١]. فمن تَعَبَّدَ لله بدين غير دين الإسلام فلن تقبل منه أعماله ولو كثرت، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن أسباب قبول العمل: الدعاء، قال تعالى عن نبي الله إبراهيم: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومنها الاستغفار، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: «اسْتَغْفِرَ اللَّهُ» ثلاثاً، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).

ومن علامات قبول العمل أن يتبع الحسنة بحسنة مثلها، كما قال بعض السلف: «الحسنة تقول أختي أختي، والمعصية تقول أختي أختي». ومصدق هذا في قوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

ومنها استشعار المؤمن لتقصيره في عمله ومنة الله عليه، وتوفيقه لهذا العمل، وأنه لولاه لما حصل، قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۗ

(١) صحيح مسلم برقم ٥٩١.

(٢) برقم ٦٠٩٤ وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٧ واللفظ له.

قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾
[الحجرات: ١٧].

ومنها أن يحسَّ العبد بلذة العبادة فتكون أنسه وراحته، كما قال ﷺ: «قُمْ يَا بَلَاءُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(١). وقد ذكر الله ﷻ ذلك فقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِيِّينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال بعض أهل العلم: خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرّة عين المحب في طاعة المحبوب، ففي الحديث: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢). لما فيها من المؤانسة، ولذة القرب وأنس المناجاة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم ٤٩٨٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١) برقم ٤١٧١.

(٢) سنن النسائي برقم ٣٩٣٩ وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي برقم (٣/٨٢٧) برقم ٣٦٨٠.

الكلمة الحادية والثلاثون

بِرُّ الوالدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن بِرَّ الوالدين من أعظم الفرائض والواجبات، ولذلك قرَّنه الله بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [٢٤] [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وأخبر النبي ﷺ أن بِرَّ الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَفِتْنَتُهَا»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن

عمرو رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(١).

وفي رواية لأبي داود عنه قال: جِئْتُ أَبَايُعِكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا»^(٢).

قال جمهور العلماء: «يحرم الجهاد إذا امتنع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين؛ لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن»^(٣). اهـ.

والوالد أوسط أبواب الجنة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»^(٤).

وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخسارة من أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخله الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٥).

وقد ذكر الله وَعَلَّمَ عن أنبيائه أنهم كانوا بررة بوالديهم، قال

(١) برقم ٣٠٠٤ وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٩.

(٢) برقم ٢٥٢٨ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٠-٤٨١) برقم ٢٢٠٥.

(٣) فتح الباري (٦/١٤٠-١٤١).

(٤) برقم ١٩٠٠ وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

(٥) برقم ٢٥٥١.

تعالى عن نبي الله يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤) [مريم: ١٤]، وقال تعالى عن نبي الله عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) [مريم: ٣٢].

والأم لها أعظم الحقوق بعد حق الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ وبين العلة في ذلك حثاً للأولاد على الاعتناء بهذه الوصية، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً على ضعف، ومشقة على مشقة في الحمل، وعند الولادة، ثم حضنه في حجرها وإرضاعه قبل فطامه، فقال تعالى: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤) [لقمان: ١٤] (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوك» (٢).

وروى النسائي وابن ماجه في سننهما من حديث معاوية ابن جاهمة رضي الله عنه: «أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ أَحْيَةُ أُمُّكَ؟!»، قلت: نعم، قال: «ارْجِعْ فَبِرِّهَا..» وفي آخر الحديث قال: «وَيْحَكَ الزَّمُّ رَجُلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ» (٣).

(١) خطب الشيخ ابن عثيمين (٥/٢٩٤).

(٢) برقم ٥٩٧١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٨.

(٣) برقم ٣١٠٤ وسنن ابن ماجه برقم ٢٧٨١ واللفظ له وصححه الألباني رحمته الله في صحيح

سنن النسائي (٢/٦٥١) برقم ٢٩٠٨.

ولقد أوصى الله تعالى بصحبة الوالدين بالمعروف، وإن كانا كافرين، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥)، وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»^(١).

ومهما قدم الولد من إحسان فلا يستطيع رد جميل الوالدين، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(٢).

ورضا الله في رضا الوالدين، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»^(٣).

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر لما فيه من عدم الوفاء ونكران الجميل، ويكفي أن النبي ﷺ قرنه بالشرك، وهو أعظم الذنوب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»^(٤).

(١) برقم ٢٦٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٠٠٣.

(٢) برقم ١٥١٠.

(٣) برقم ١٨٩٩ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤/٢) برقم ٥١٦.

(٤) برقم ٢٦٥٤ وصحيح مسلم برقم ٨٧.

وعقوق الوالدين سبب لدخول العبد النار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»^(١).

«وبر الوالدين يكون ببذل المعروف، والإحسان إليهما بالقول، والفعل، والمال، أما الإحسان إليهما بالقول: بأن يخاطبا باللين واللفظ مستصحباً كل لفظ يدل على اللين والتكريم، وأما الإحسان بالفعل، بأن تخدمهما ببدنك ما استطعت من قضاء الحوائج، والمساعدة على شئونهما، وتيسير أمورهما، وطاعتهما في غير ما يضرك في دينك أو دنياك، ثم الإحسان بالمال بأن تبذل لهما من مالك كل ما يحتاجان إليه طيبة به نفسك، منشراحاً به صدرك، غير متبع له بمنة، بل تبذله وأنت ترى أن المنة لهما في قبوله والانتفاع به»^(٢).

ومن بر الوالدين بعد موتهما: الدعاء لهما، قال تعالى عن نبي الله نوح: ﴿ رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾^(٢٨) [نوح: ٢٨] روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٣).

ومنها الصدقة عنهما، روى البخاري ومسلم في صحيحهما

(١) (٣٧٣/٣١) برقم ١٩٠٢٧ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٢) خطب الشيخ ابن عثيمين (٥/٢٩٦-٢٩٧).

(٣) برقم ١٦٣١.

من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُمَّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا، وَأَظْنَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» (١).

ومنها صلة أصدقائهما، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضُونَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبَرِّ: صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٣٨٨ وصحيح مسلم برقم ١٠٠٤.

(٢) برقم ٢٥٥٢.

الكلمة الثانية والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ... ﴾ الآية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

يقول تعالى أمراً رسوله أن يتوعد من آثر أهله، وقرابته، وعشيرته على الله ورسوله، وجهاد في سبيله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ [٢٤] ثم قال: ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: أي اكتسبتموها وحصلتموها، ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: أي فسادها، ونقصها، وهذا يشمل جميع أنواع التجارات، والمكاسب، والأنعام، وغيرها، ﴿ وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا ﴾: أي تحبونها لطيبها وحسنها، أي إن كانت هذه الأشياء ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾، ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾: أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله، ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي الخارجين عن

طاعته، المُقَدِّمِينَ عَلَى محبة الله شيئاً من المذكورات، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله»^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام رضي عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس ابن مالك رضي عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن محبة الله ورسوله دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَالَاوَةً

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٣٠٩ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٦٣٢.

(٣) برقم ١٥ وصحيح مسلم برقم ٤٤.

الإيمان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١).

ثانياً: أن طاعة الله ورسوله مقدمة على الأهل، والمال، والولد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثالثاً: أن ترك الجهاد في سبيل الله والخلود إلى الأرض سبب لغضب الله ووقوع الذل على المسلمين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٣٨].

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(٢).

رابعاً: أن التكاثر عن الجهاد من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُتَلِّوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ

(١) برقم ١٦ وصحيح مسلم برقم ٤٣.

(٢) برقم ٣٤٦٢ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢/١) برقم ١١.

بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ [آل عمران: ١٦٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(١).

خامساً: أن الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله سبب لنجاة العبد من عذاب الله، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَحَرُّقٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١١].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن جبر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»^(٢).

سادساً: أن الجهاد من أفضل الأعمال؛ ولذلك قرنه الله بمحبة الله ورسوله كما في الآية السابقة: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ

(١) برقم ١٩١٠.

(٢) برقم ٢٨١١.

الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(١).

سابعاً: أن فيها الترغيب في الجهاد والزهد في الدنيا، فإن الأهل والعشيرة والأموال والتجارات والمساكن، إنما هي متاع الدنيا الزائل، قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [١٦٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٧٨٧ وصحيح مسلم ١٨٧٦ مختصراً آخره.

الكلمة الثالثة والثلاثون

تواضعه عليه الصلاة والسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة والخصال الحميدة التي حث عليها الشرع ورغب فيها التواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

والتواضع: هو خفض الجناح، ولين الجانب، ولا يكون فاعله محموداً إلا إذا فعله ابتغاء وجه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فلو تواضع ليرفعه الله سبحانه لم يكن متواضعاً، فإنه يكون مقصوده الرفعة، وذلك ينافي التواضع»^(١). روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ» تنبيه على حسن القصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن كثيراً من الناس قد

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٢٧٩).

(٢) برقم ٢٥٨٨.

يُظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مطلوبه، وقد يُظهر التواضع رياء وسمعة، وكل هذه أغراض فاسدة، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقرباً إليه، وطلباً لثوابه وإحسانه إلى الخلق، فكمال الإحسان، وروحه الإخلاص لله»^(١)(٢).

ونبينا محمد ﷺ إمام المتواضعين، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انظُرِي أَيَّ السَّكِّ شِئْتِ؛ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ»: فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا»^(٣).

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٤).

وروى البغوي في شرح السنة من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»^(٥).

وروى البغوي في شرح السنة من حديث عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار (ص ٩٢).

(٢) الإخلاص طريق الخلاص لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ٦٦-٦٧.

(٣) برقم ٢٣٢٦.

(٤) برقم ٦٠٧٢.

(٥) (٢٤٨/١٣) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم ٥٤٤.

حُجْرَتُهُ^(١) لَتَسَاوِي الكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَنَظَرْتُ إِلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعُ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا...» الحديث^(٢).

ولما سُئِلت عائشة رضي الله عنها: «هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»^(٣).

وكان يقول: «اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

ولما جاءه رجل فقال: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(٦). وهذا من تواضعه، وإلا فقد ابتلي النبي صلى الله عليه وسلم بما لم يُبْتَلْ به أحد غيره.

(١) الحجرة: موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار حجرة للمجاورة، يقال: احتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٣٤٤).

(٢) (١٣/٣٤٨) برقم ٣٦٨٣ وقال محققوه حديث صحيح.

(٣) شرح السنة للبخاري (١٣/٢٤٢) برقم ٣٦٧٥ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٤) سنن الترمذي ٢٣٥٢ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٥) برقم ١٩١٧.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٣٦٩.

(٦) برقم ٣٣٧٢ وصحيح مسلم برقم ١٥١.

وفي الصحيحين من حديث أبي بردة قال: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ» (١).

والتواضع من صفات أنبياء الله، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَيَّ قَرَارِيطًا لِأَهْلِ مَكَّةَ» (٢).

وحث النبي ﷺ أمته على التواضع وخفض الجناح، روى مسلم في صحيحه من حديث عياض المجاشعي رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ» (٣).

قال أبو بكر الصديق رضي عنه: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع»، وقالت عائشة رضي عنها: «تُغْفَلُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعَ».

ومن فوائد التواضع:

- ١- أنه طريق موصل إلى الجنة.
- ٢- إن الله يرفع قدر المتواضع في قلوب الناس، ويطيب ذكره في الأفواه، ويرفع درجته في الآخرة.

(١) برقم ٥٨١٨ وصحيح مسلم ٢٠٨٠.

(٢) برقم ٢٢٦٢.

(٣) برقم ٢٨٦٥.

- ٣- أن التواضع المحمود يكون للمؤمنين، أما أهل الدنيا والظلمة فإن التواضع لهم ذل.
- ٤- أن التواضع دليل على حسن الخلق وطيب المعشر.
- ٥- أن التواضع صفة الأنبياء والمرسلين^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٤/١٢٦٨).

الكلمة الرابعة والثلاثون

النسيان آفته، وفوائده

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] قال المفسرون: إنه الترك، والمعنى: ترك ما أمر به، وقيل: من النسيان الذي يخالف الذكر.

روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدِّينِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ عليه السلام، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيٌّ^(١) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْزِضُ عَلَيْهِ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ^(٢)، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، كَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ: سِتُّونَ عَامًا، قَالَ: رَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمُرِكَ، وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ، فَزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَكَتَبَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ، فَلَمَّا اخْتَضَرَ آدَمُ، وَأَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لَتَقْبِضَهُ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ

(١) والذاري: من صفات الله ﷻ، وهو الذي ذرأ الخلق، أي خلقهم.

(٢) أي يضيء وجهه حسناً.

مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ عَامًا، فَقِيلَ: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ، وَأَبْرَزَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ»^(١)، وفي رواية الترمذي: «وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ»^(٢). وفي رواية: «فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ»^(٣).

قال بعض أهل اللغة: «النسيان ضد الذكر، والحفظ، وهو ترك الشيء على زهول وغفلة»^(٤).

والنسيان أيضاً يُطلق على الترك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا تتركوا، وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه: ١٢٦].

قال ابن كثير: «أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك اليوم نعاملك معاملة من نسيك، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. فالجزاء من جنس العمل»^(٥). قال ابن جرير وغيره: «﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾، فكذلك اليوم نساك، فتركك في النار»^(٦).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلم

(١) مسند الإمام أحمد (٤/١٢٨) برقم ٢٢٧٠ وقال محققوه حسن لغيره.

(٢) برقم ٣٠٧٦ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح ابن حبان برقم ٦١٣٤.

(٤) مختار الصحاح للرازي ص ٦٥٨ والمعجم الوسيط ص ٩٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير (٩/٣٧٩).

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (٧/٥٦٥٦).

قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأَسَوِّدَكَ، وَأَرْوِّجَكَ، وَأَسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي» (١).

والنسيان صفة نقص، ولذلك نزه الله ﷻ عنها نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وقد رفع الله الحرج عن أمة محمد ﷺ فيما حصل لهم فيه نسيان، فعلمنا أن ندعو فنقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: «قَدْ فَعَلْتُ» (٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ» (٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) برقم ٢٩٦٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٢٥.

(٣) برقم ٢٠٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٧) برقم ١٦٦٢.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٩٧ وصحيح مسلم ٦٨٤..

«مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» (١).

وأفة العلم النسيان، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان»، وقال الزهري: «آفة العلم النسيان وترك المذاكرة».

روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَامَ فِيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلَ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَهُ» (٢).

وينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد دائم للقاء ربه، وألا يكون في غفلة ونسيان، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (٢٤) [الكهف: ٢٤]. والشيطان يُنسى المؤمن الخير والطاعة، قال نبي الله موسى فيما حكاه الله عنه: ﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ (٦٣) [الكهف: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (١٩) [المجادلة: ١٩]. وقال تعالى: ﴿فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٤٢) [يوسف: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨) [الأنعام: ٦٨].

من الفوائد:

أولاً: رحمة الله بعباده عامة، وبأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، حيث عُفي لها عن النسيان.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٦٩ وصحيح مسلم ١١٥٥..

(٢) برقم ٣١٩٢.

ثانياً: من ترك شيئاً من الواجبات نسياناً، رُفِعَ عنه الإثم، وعليه أدائه إذا ذكر.

ثالثاً: النسيان من صفات النقص، والله تعالى مُنَزَّهُ عنه.

رابعاً: النسيان سبب لضياع الحقوق، وذهاب العلم، من أجل ذلك أمر الله بكتابة الحقوق، والإشهاد عليها، وأمر الرسول ﷺ بكتابة العلم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ»، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: «كِتَابَتُهُ»^(١).

خامساً: من صفات المؤمن أنه يذكر ذنوبه، ويتوب منها، ويذكر الحقوق فيؤديها، ومن صفات الظالم أنه ينسى الذنوب، ويضيع الحقوق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

سادساً: الخوف على العلم أن ينسى من صفات الأنبياء والصالحين، ولما خاف النبي ﷺ من نسيان القرآن طمأنه ربه

(١) (٣٠٣/١) برقم ٣٦٩ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٤١) برقم

فقال: ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [٦] وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١٧] [القيامة: ١٧].

سابعاً: نسيان القرآن ونحوه مذمة؛ ولذلك أرشد النبي ﷺ: «أَنْ لَا يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: نُسِيتُ» (١).

ثامناً: النسيان من وسائل الشيطان، ومن فضائل الرحمن، والفرق بينهما: أن الذي من الشيطان؛ نسيان الذكر والقرآن والخير، وما إلى ذلك من الحقوق، والذي يحبه الرحمن؛ نسيان الأحقاد وإساءة الأقارب، والأصدقاء، وسائر المؤمنين.

تاسعاً: إن النسيان يأتي بمعنى الترك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [٢٣٧] [البقرة: ٢٣٧]. وقال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [٦٧] [التوبة: ٦٧].

قال ابن جرير وغيره: «تركوا الله أن يطيعوه، ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته» (٢).

اللهم ذكرنا ما نسينا، وعلمنا ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا يا كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٣٢ وصحيح مسلم برقم ٧٩٠.

(٢) تفسير ابن جرير (٤٠٤٠/٥).

الكلمة الخامسة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ [الإسراء: ١٨-٢١].

«يبين تعالى حال الفريقين، ومصير الطائفتين، فأما الذين يريدون العاجلة وهي الدنيا، فإن الله تعالى يعطيهم فيها ما يشاء، ثم مصيرهم في الآخرة إلى جهنم ذليلين، خائبين؛ لأنهم لم يرجوا ثواب الله تعالى، ولم يخافوا عقابه، وأما الذين يريدون الآخرة، ويسعون لها سعيها، وذلك بالأعمال الصالحة وهم مع ذلك مؤمنين بالآخرة، وحسن ثواب الله لمن آمن به، وعمل صالحاً، فهؤلاء يشكر الله سعيهم، فيعطيهم ما سألوا، ويؤمّنهم مما خافوا، ويدخلهم الجنة برحمته وفضله، ثم أخبر تعالى أنه فضل بعض العباد على بعض في

الدنيا بسعة الأرزاق، وقلتها، واليسر، والعسر، والعلم، والجهل، والعقل، والسفه، وغير ذلك من الأمور، ثم بين سبحانه أن الآخرة أكبر درجات، وأكبر تفضيلاً فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه، فكم بين من هو في الغرف العاليات والذات المتنوعات، والسرور، والخيرات، ممن هو يتقلب في الجحيم، ويعذب العذاب الأليم، وقد حلَّ عليه سخط الرب العظيم، وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحداً عدُّه»^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن من أراد الدنيا وسعى لها، وترك الآخرة فلم يعمل لها، فإنه قد يُعطى سُؤْلَهُ، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له عند الله نصيب، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٤٣٠ بتصرف.

يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» (١).

ثانياً: أن التفاضل الحقيقي في الآخرة وليس في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١) [الإسراء: ٢١]. وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٤) [الأنفال: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) [طه: ٧٥].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ أَوْسَطَهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا مَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ» (٢).

ورواه أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِئَةٌ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ مِئَةٌ عَامًا»، وَقَالَ عَفَّانُ: «كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِ»

(١) برقم ٢٤٦٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٠/٢) برقم ٢٠٠٥.
 (٢) برقم ٤٣٣١ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦/٢) برقم ٣٤٩٦ وفي الصحيحة برقم ٩٢٢.
 (٣) (٣٦٩/٣٧) برقم ٢٢٦٩٥ وقال محققوه حديث صحيح.

مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

ثالثاً: أن النار دركات، كما أن الجنة درجات، قال تعالى:
﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^(١٤٥)
[النساء: ١٤٥].

رابعاً: أن من أراد الآخرة وسعى لها سعيها، فإن الله يثيبه على ذلك في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٩٧) [النحل: ٩٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي
الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا،
حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣١.

(٢) برقم ٢٨٠٨.

الكلمة السادسة والثلاثون

عيادة المريض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأعمال الصالحة التي أمر الشارع بها، ورتب على ذلك الثواب العظيم عيادة المريض، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي عنه قال: **أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعِ: «أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ»** (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى رضي عنه قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْعَمُوا الْجَائِعَ، وَعَوَّدُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي»** (٢) (٣).

وعيادة المريض من حقوق المسلم على أخيه المسلم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ»**: قِيلَ: مَا هُنَّ يَا

(١) صحيح البخاري رقم ١٢٣٩ وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٦.

(٢) العاني: يعني الأسير.

(٣) برقم ٥٣٧٣.

رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(١).

وبين النبي ﷺ أن عيادة المسلم لأخيه المريض طريق إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا»^(٢). قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ أَنَّهُ يَجْنِي مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ مَدَّةَ دَوَامِهِ جَالِسًا عِنْدَ هَذَا الْمَرِيضِ»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن عيادة المسلم لأخيه المريض سبب لصلاة الملائكة عليه، روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدُوَةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٤). والغدوة ما بين الفجر وطلوع الشمس، والمراد أول النهار، والعشية من زوال الشمس إلى الغروب، والخريف أي بستان، وهو

(١) برقم ١٢٤٠ وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢ واللفظ له.

(٢) برقم ٢٥٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/٤٧٠).

(٤) برقم ٩٦٩ قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد روي عن علي هذا الحديث من غير وجه منهم من وقفه ولم يرفعه وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٤٧ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٨٦) برقم ٧٧٥.

في الأصل الثمر المخروف، أي: المجتنى.

قال القاضي عياض: وعبادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر، وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره، وقد يكون من فروض الكفاية لا سيما المريض من الغرباء، ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تُرِكَت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضراً، وعطشاً وجوعاً، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معונتهم وإعانتهم، وهي كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق، ومن حضرها لزمته، فمتى لم يُعَادُوا لم يعلم حالهم في ذلك^(١). اهـ.

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالرحمة والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية.

وللنبي ﷺ دعوات ينبغي على العائد أن يدعو بها لأنها صدرت من المعصوم ﷺ وقد أوتي مجامع الكلم^(٢).

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ»^(٣) إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٤).

ومن دعواته أيضاً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٣٥).

(٢) كنوز رياض الصالحين (١١/ ٥٦١).

(٣) طهور: بفتح أوله أي مرضك مطهرٌ لذنبك إن شاء الله.

(٤) برقم ٣٦١٦.

من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانَ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا: «بِاسْمِ اللَّهِ تَرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا» (١).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَى الْمَرِيضَ يَدْعُو لَهُ قَالَ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا لَهُ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا - ثَلَاثَ مَرَارٍ -» (٣).

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص عندما شكاه إليه وجعاً، يجده في جسده منذ أسلم، فقال له: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَحْدُ وَأَحَادِرُ» (٤).

ومن الأدعية التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم عند عيادة المريض، ما روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(١) برقم ٥٧٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢١٩٤ واللفظ له.

(٢) برقم ٥٦٧٥ وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري برقم ٥٦٥٩ وصحيح مسلم برقم ١٦٢٨.

(٤) برقم ٢٢٠٢.

«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجْلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»^(١).

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ»^(٢).

ولعيادة المريض فوائد، فمن ذلك:

أولاً: الأجر العظيم من الله كما تقدّم ذلك في الأحاديث السابقة.

ثانياً: تنشيط قوى المريض بزيارة من يحبه.

ثالثاً: الدعاء له وتفقد أحواله التي لا تتحقق بغير العيادة.

رابعاً: تذكُّر العائد نعمة الله عليه بالعافية التي حُرِمَ غيره منها.

خامساً: دعوته إلى الإسلام إذا كان من غير المسلمين، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) برقم ٣١٠٦ وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٦٤ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٠٠/٢) برقم ٢٦٦٣.

(٢) برقم ٣١٠٧ وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٦٣ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٠٠/٢) برقم ٢٦٦٤.

أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

سادساً: في بعض الأحيان يحصل وصف لبعض الأدوية التي يحتاجها المريض، فيكون في ذلك نفع وفائدة له.

سابعاً: إدخال السرور إلى قلب المريض بذكر بعض البشائر والأخبار السارة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمد ابن خالد عن أبيه عن جده وكان لجده صحبة، أنه خرج زائراً لرجل من إخوانه فبلغه شكاته، قال: فدخل عليه، فقال: أتيتك زائراً، عائداً، ومبشراً، قال: كيف جمعت هذا كله؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغتني شكائك، فكانت عيادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ الْمَنَزَلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ»^(٢).

ثامناً: بث روح المودة، والمحبة والتآلف بين المجتمع، وذلك بمواساة المريض، وأهله وإشعارهم بأن المجتمع معهم يواسيهم، ويشاركهم ما هم فيه من تعب ومحنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٣٥٦.

(٢) (٢٩/٣٧) برقم ٢٢٣٣٨ وقال محققوه حسن لغيره.

الكلمة السابعة والثلاثون

الرياء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله الشرك به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [٥] الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ [٦] وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [٧] [الماعون: ٤-٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الشرك بحر لا ساحل له، وقَلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته، ونيته، والإخلاص: أن يخلص لله في أقواله، وأفعاله، ونيته، وإرادته، فإن هذه هي الملة الحنيفية، ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء» (٣). اهـ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جندب ابن عبد الله رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» (١).

والرياء من الرؤية، وهو أن يحب الإنسان أن يراه الناس وهو يعمل العمل الصالح من أجل أن يمدحوه، والفرق بينه وبين السمعة، أن الرياء فيما يُرى من الأعمال التي ظاهرها لله وباطنها لغيره كالصلاة والصدقة، أما السمعة فهي لما يسمع من الأقوال التي ظاهرها لله والقصد منها لغير الله، كالقراءة، والذكر، والوعظ، وغير ذلك من الأقوال، وقصد المتكلم أن يسمع الناس كلامه فيثنوا عليه ويقولوا: هو جيد في الكلام والمحاورة، حسن الصوت في القرآن، إذ كان يُحسن صوته بالقرآن لأجل ذلك، أو بليغ في خطبته إذا كان يُحسن خطبته لأجل ذلك.. وهكذا (٢).

ومعنى راءى الله به، وسمّع، قال بعض أهل العلم: إن الله يفضحه يوم القيامة، كما في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هند الداري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمِعَ، رَأَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمِعَ» (٣).

والرياء يحصل إما من أجل مدح الناس وثنائهم، أو فراراً من ذمهم، كأن يُحسن صلاته حتى لا يُقال: مُسرِعٌ في صلاته، أو طمعاً مما

(١) برقم ٦٤٩٩ وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٧.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (٢/٩٠).

(٣) (٧/٣٧) برقم ٢٢٣٢٢ وقال محققوه صحيح لغيره.

في أيديهم، ويشهد لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعةً، ويُقاتل حميةً، ويُقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»^(١).

«فقوله: (شجاعةً): أي ليذكر ويشتهر بالشجاعة، ويُقاتل حمية: أي من أجل الأهل، والعشيرة، والصاحب، ويحتمل أن يفسر القتال للحمية بدفع المضرة، ويقاتل رياءً: أي ليرى مكانه، فمرجع الذي قبله إلى السمعة، ومرجع هذا إلى الرياء، وكلاهما مذموم»^(٢).

والرياء هو الشرك الخفي، روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس إياكم وشرك السرائر»، فقالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»^(٣).

«وإنما سمي الرياء شركاً خفياً؛ لأن صاحبه يظهر عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله، والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى»^(٤).

(١) برقم ٢٨١٠ وصحيح مسلم برقم ١٩٠٤.

(٢) فتح الباري (٦/٢٨).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم ٩٣٧ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٩/١) برقم ٣١.

(٤) الدين الخالص (٢/٣٨٥).

والرياء شرك أصغر، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قالوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»^(١). يعني أنه يبطل أعمال المرئيين، وأنه يحيلهم على الذين رآوهم في الدنيا فيقال: انظروا هل يشيبونكم، أي أولئك الذين تزينتم عندهم ورآيتموهم في الدنيا، هل تجدون عندهم ثواباً؟! قال الشاعر:

وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ

والرياء سبب لدخول النار، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ

(١) (٣٩/٣٩) برقم ٢٣٦٣٠ وقال محققوه حديث حسن.

أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

قال ابن رجب: «أول من تُسعر به النار من الموحدين العباد المراءون بأعمالهم، وأولهم العالم، والمجاهد، والمتصدق للرياء؛ لأن يسير الرياء شرك، ما نظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق»^(٢).

وينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن سرور العبد عند ثناء الناس عليه وهو لا يقصد ذلك، لا يقدر في إخلاصه، ما دام بدأه بإخلاص، وخرج منه مخلصاً، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٣).

قال ابن رجب: «إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر

(١) صحيح مسلم برقم ١٩٠٥.

(٢) كلمة الإخلاص ص ٣٩.

(٣) برقم ٢٦٤٢.

بذلك لم يضيره ذلك»^(١).

الثاني: أن لا يترك المؤمن العمل من أجل الناس: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى، أو قيام ليل، أو غير ذلك، فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعل سرّاً لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء، ومفسدات الإخلاص»^(٢).

الخلاصة:

أن الرياء مُحِبَطٌ للأعمال، وسبب لمقت الله، ولعنته، وطرده، وأنه من كبائر المهلكات، ومن الشرك الأصغر الذي لا يُغفر لصاحبه إذا مات عليه، بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤٨) [النساء: ٤٨]. فجدير بالمسلم أن يُشَمَّرَ عَن سَاعِدِ الْجِدِّ، وأن يجاهد نفسه بإزالته، وإخلاص العمل لله في أقواله، وأفعاله، وإرادته، وأموره كلها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(١٦٣) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع العلوم والحكم (١/٨٣).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣).

(٣) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي: الإخلاص طريق الخلاص ص ٧٣-٩٠.

الكلمة الثامنة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) [التوبة: ٧١-٧٢].

قوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ذكورهم، وإناثهم بعضهم أولياء بعض في المحبة، والموالاتة، والانتماء والنصرة، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة،

والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

قوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله، ورسوله على الدوام.

قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي قوي قاهر مع قوته، فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به، الذي يُحمد على ما خلقه وأمر به، ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب.

فقال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وهذه الجنة جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ قد زخرت، وحسنت، وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية، ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فهذه المساكن الأنيقة التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح لأنها في جنات عدن، أي إقامة لا يظعنون عنها ولا يتحولون منها، ورضوان من الله يُحِلُّهُ على أهل الجنة أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، وهذا هو الفوز العظيم حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم

كل محذور - جعلنا الله معهم -^(١).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن من صفات المؤمنين أنهم متناصرون، ومتعاضدون فيما بينهم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٢).

ثانياً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٣).

ثالثاً: عظم شأن الصلاة، والزكاة ومكانتهما العظيمة في الإسلام، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(٤).

رابعاً: أن طاعة الله ورسوله سبب لرحمة الله عز وجل، والفوز

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٣٤٣-٣٤٤ بتصرف.

(٢) برقم ٦٠١١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٣) برقم ٤٩.

(٤) برقم ٨ وصحيح مسلم برقم ١٦.

والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

خامساً: أن هذه المساكن الطيبة في جنات عدن حسنة البناء، طيبة القرار، وهي درجات، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَبِيرِ عَلَيَّ وَجْهَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه وأصله في الصحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ أَوْسَطَهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا مَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ»^(٢). ورواه أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ مِائَةٌ عَامٍ»^(٣).

سادساً: أن رضا الله عز وجل عنهم أكبر، وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ

(١) برقم ٧٤٤٤ وصحيح مسلم برقم ١٨٠.

(٢) برقم ٤٣٣١ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦/٢) برقم ٣٤٩٦ وفي الصحيحة برقم ٩٢٢.

(٣) (٣٦٩/٣٧) برقم ٢٢٦٩٥ وقال محققوه حديث صحيح.

لَأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضَيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

سابعاً: أن دخول المؤمنين الجنة، وخلودهم فيها، ورضا الله ﷻ عنهم هو الفوز العظيم، لا ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا، فإنه سرعان ما يزول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

روى البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بَيْرٍ مَعُونَةَ، قَالَ بِاللَّحْمِ هَكَذَا: فَضَحَّهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»^(٢)، وفي رواية في الصحيحين قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَيْرٍ مَعُونَةَ قُرْآنًا قَرَأْنَاهُ حَتَّى نُسَخَ بَعْدُ: أَنْ بَلَّغُوا قَوْمَنَا، أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٥٤٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٩.

(٢) برقم ٤٠٩٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٠٩١ وصحيح مسلم برقم ٦٧٧.

الكلمة التاسعة والثلاثون

التناقضات في حياة بعض الناس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن النصوص الشرعية تحث المسلم على الاستقامة، والثبات على المنهج الصحيح، وتحذره من التناقض سواء كان ذلك في أقواله، أو أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا ۗ﴾ [النحل: ٩٢]. قال بعض المفسرين: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه، وقال مجاهد وقتادة: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا نُنْقِضُ الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ۗ﴾ [النحل: ٩١].

وهذا التناقض ليس من صفات المؤمن التقي، قال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ ۗ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ [البقرة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ [الصف: ٢-٣]. وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۗ﴾ [البقرة: ٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٤٩).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة ابن زيد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»^(١) فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!»^(٣).

قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأَ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَا يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

ومن صور هذا التناقض ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عز وجل

(١) أي أمعاؤه.

(٢) برقم ٣٢٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٩.

(٣) (٢٤٤/١٩) برقم ١٢٢١١ وقال محققوه حديث صحيح.

هَبَاءً مَنُشُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ: إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(١).

وهذه صورة من صور التناقض، يصلون آخر الليل ولكنهم ينقضون هذه الأعمال بانتهاك حرمت المسلمين.

ومن صورهِ كذلك النفاق، والمنافق ظاهرٌ حالهِ الصَّلَاحُ فهو يصلي، ويحج، ويجاهد، ويتصدق، ومع ذلك يبطن الكفر والحرب على الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] ﴿١﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

ومن صورهِ ما ذكره ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ، والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر الحرام وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم

(١) برقم ٤٢٤٥ قال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السلسلة الصحيحة (٣٣/٢) برقم ٥٠٥.

ترى من رجل متورع عن الفواحش، والظلم، ولسانه يقطع، ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول»^(١). اهـ.

وأسابب التناقض كثيرة، أذكر من ذلك:

١- النفاق: فحتى لا ينكشف أمر المنافق ويفتضح يلجأ إلى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ﴿١١٩﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢- الرياء: روى البخاري في صحيحه من حديث زيد ابن عبد الله بن عمر عن أبيه: قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»^(٢).

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»^(٣).

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الرِّيَاءُ شِرْكًَا خَفِيًّا؛ لِأَن صَاحِبَهُ يَظْهَرُ عَمَلَهُ لِلَّهِ، وَقَدْ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٤٠.

(٢) برقم ٧١٧٨.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم ٩٣٧ وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٩/١) برقم ٣١.

قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله، والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله ﷻ (١).

٣- ضعف الإرادة: فإذا كان الإنسان إرادته ضعيفة فإنه يتناقض، فنجده يعمل العمل، ثم بعد مدة يتراجع عنه، فعلى سبيل المثال: إذا كان يشرب الدخان، ثم نُصِحَ، وعلم بحرمته فيتركه زمناً طويلاً، ثم تجده يضعف شيئاً فشيئاً، حتى يرجع إليه.

٤- الكبر: فترى أن بعض الناس يعمل أعمالاً كثيرة ولكن يأتي إلى عملٍ مُعَيَّن أمر به الشارع، فلا يفعله ويرى أن هذا يُنقص من قدره، فعلى سبيل المثال: إذا نصح في إعفاء اللحية، أو تقصير الثياب قال: هذا صعب وكيف يكون حالي أمام الناس؟ مع أن سيد الأولين والآخرين كانت لحيته إلى صدره، وإزاره إلى نصف ساقه.

٥- المجاملة للآخرين: تجد أن بعض الناس يجامل ولو على حساب الشرع، فقد يُطلب منه أمر فيه مخالفة للشرع فيتنازل حياءً، أو إرضاءً للآخرين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

٦- حب الشهرة والظهور: نجد أن بعض الناس يسأل عن الحكم الشرعي في مسألة معينة، فيهون من الأمر خشية سقوطه من أعين الناس، فالجماهير لا تريد الفتاوى المتشددة، وإنما تريد الفتاوى المتساهلة. قال عبد الله بن المبارك: قال لي سفيان: «إياك والشهرة، فما أتيت أحداً

(١) الدين الخالص (٢/ ٣٨٥).

إلا وقد نهاني عن الشهرة»^(١).

أما العلاج لهذا التناقض فيتلخص بالآتي:

١- أن يعلم المرء أن التناقض ليس من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى لنبيه: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ ﴾^(١١٢) [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت، وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾^(٢٠٨) [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»^(٣). والاستقامة: لزوم طاعة الله.

٢- الصدق والإخلاص لله في الأعمال كلها، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(١١٦) [التوبة: ١١٦]. وفي الحديث: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»^(٤).

٣- مجاهدة النفس والصبر على المشاق، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٣/٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣).

(٣) برقم ٣٨.

(٤) قطعة من حديث في سنن النسائي برقم ١٩٥٣ وصححه في صحيح سنن النسائي برقم

جَهْدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٤- أن يعلم المؤمن أن السعي إلى رضا الله سيؤدي إلى رضا الناس، روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٤١٤ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٣١١.

الكلمة الأربعون

مجالس الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا في هذا اليوم عن مجالس الصحابة، وكيف حالهم إذا التقى بعضهم ببعض، فقد كانوا يتذكرون الصيام، والقيام، وقراءة القرآن، وغيرها من الأعمال الصالحات.

ولننظر إلى أحوالنا وأحوالهم، فإذا التقى بعضنا ببعض فإن الحديث يكون عن أمور الدنيا، أما أولئك القوم فإن قلوبهم كانت متعلقة بالآخرة، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر: ١-٣]. روى الطبراني في الأوسط من طريق عبيد الله بن حصن قال: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقْيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ سُورَةَ الْعَصْرِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ (١)،

(١) (٥/٢١٥) برقم ٥١٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/٢١٧) برقم ٨٦٣٩ وقال محققه سنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ٢٦٤٨.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُمْ (١).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتمثلون لهذا التوجيه الرباني في هذه السورة الكريمة، فيذكر بعضهم بعضاً ويتواصون بالحق والشواهد في هذا كثيرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بردة قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ (٢)، قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِّرَا»، فَاَنْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحَدَثَ بِهِ عَهْدًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرٌ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَيَّ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَاَنْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. وَفِي رِوَايَةٍ: قَائِمًا، وَقَاعِدًا، وَعَلَى رَاحِلَتِي (٣). قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ فَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

(٢) أي إقليم.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٣٤٥.

فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي (١).

فهذا الأثر يدل على هدي الصحابة حين يلقي بعضهم بعضاً فيتذاكرون الإيمان والأعمال وينتفع بعضهم من بعض. روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه من حديث حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ وَكَانَ مِنْ كُتَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا كَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاَنْطَلَفْنَا، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟»، قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» (٢).

والشاهد في هذا الحديث مراقبة الصحابة لأنفسهم، وتفقدتهم لإيمانهم واستشارة بعضهم لبعض لاستصلاح النفوس، وتربيتها، ومداواة ما يجدونه من ضعف الإيمان، والتقصير في العمل ونحو ذلك.

ومن الأمثلة كذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث

(١) برقم ٤٣٤٢ وصحيح مسلم برقم ١٧٣٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٧٥٠ وسنن الترمذي برقم ٢٥١٤ واللفظ له.

عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١).

وإن للعالم الرباني من التأثير والنفع لطلابه ومريديه أثراً بالغاً في تربية النفوس، وحثها على الخير، وإن مجلساً واحداً من هذه المجالس يبقى أثره وَنَفْعُهُ سِنِينَ، وقد ذكر ابن القيم حاله حينما أُدخل السجن مع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، فقال: ومع ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا الأرض، واشتد بنا الكرب أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من طيبها، وريحها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها^(٢). اهـ.

(١) برقم ١٩٦٨.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٢.

فالعاقل الكيس هو الذي يحسب أرباحه وخسائره في هذه المجالس، فما وجد نفعه حرص عليه، وما سوى ذلك أعرض عنه، روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ^(١)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي نقصاً.

(٢) برقم ٣٣٨٠ وقال هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الحادية والأربعون

تفسير أواخر سورة البقرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(١). قيل: كفتاه أي دفعنا عنه الشر، والمكروه، وقيل: كفتاه من كل شيطان، فلا يقربه ليلته، وقيل: حسبه بها فضلاً وأجراً، ويحتمل من الجميع^(٢).

(١) برقم ٥٠٠٩ وصحيح مسلم برقم ٨٠٨.

(٢) فتح الباري (٩/٥٦).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى﴾ [النجم: ١٦]، قَالَ: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثًا، أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحَمَاتُ^(٢)»^(٣).

قال النووي: «أريدَ بالمغفرة أنه لا يخلد صاحبها في النار لا أنه لا يعذب أصلاً، وإلا فقد جاء عذاب العصاة، أو المراد أنه يغفر لبعض الأمة الكبائر، وهو مخصوص بهذه الأمة»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ

(١) (٤٤٦/٣٥) برقم ٢١٥٦٤ وقال محققوه صحيح لغيره.

(٢) أي الكبائر.

(٣) برقم ١٧٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٢) بتصرف.

مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أَوْتِيَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»^(١).

قوله: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على ﴿الرَّسُولُ﴾ ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾، فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء، والرسول، والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون، بَارُونَ راشدون، مهديون هادون إلى سبل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمتة على الحق ظاهرين»^(٢).

قوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه، وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، سؤال للمغفرة والرحمة، واللفظ، ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: المرجع والمآب يوم الحساب.

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ روى مسلم في صحيحه

(١) برقم ٨٠٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٢٥-٥٢٦).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ: كُفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَأْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ»^(١).

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، وإحسانه إليهم.

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي من خير و﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي من شر، وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» (١).

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، أو فعلنا حراماً كذلك، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي الصواب، جهلاً منا بوجهه الشرعي، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٢).

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة، وإن أطقناها كما شرعته للأمم الماضية من قبلنا من الأغلال، والأصار التي كانت عليهم التي بعث نبيك محمداً ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح.

قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: من التكليف، والمصائب والبلاء، لا تبتلنا بما لا قبل لنا به.

قوله: ﴿وَأَعْفُفْنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ أي: فيما بيننا وبينك، مما تعلمه من تقصيرنا، وزللنا، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ أي: فيما بيننا وبين عبادك، فلا

(١) برقم ٥٢٦٩ وصحيح مسلم برقم ١٢٧.

(٢) برقم ٢٠٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٧) برقم ١٦٦٢.

تظهرهم على مساوئنا وأعمالنا القبيحة، ﴿وَأَرْحَمَنَّا﴾ أي: فيما يستقبل، فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر.

قوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أنت وليُّنا، وناصِرُنَا، وعليك توكلنا، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك، ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك من عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٢١-٥٢٨).

الكلمة الثانية والأربعون

فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، أخبر النبي ﷺ أنها من أحب نسائه إليه، بل من أحب الناس إليه، ولم يتزوج بكرة غيرها، أنزل الله في براءتها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ولم ينزل عليه الوحي في فراش امرأة سواها، وكان لها شرف خدمة النبي ﷺ وتمريضه في أيام حياته الأخيرة، فما أن نزل به المرض حتى كان يسأل عن ليلتها، وتوفي ورأسه في حجرها وبين سحرها ونحرها، وقبض النبي ﷺ وهو راض عنها، ودُفن في بيتها.

إنها الصديقة بنت الصديق، الطاهرة العفيفة عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي وأمها أم رومان الكنانية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث هشام عن أبيه قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ: وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا نُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا

إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمَّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا» (١).

قال الذهبي رحمته الله: هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنين منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهي بنت تسع سنين، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها، وهي زوجة نبينا في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكَتُ فَتَمَرَّقَ شَعْرِي (٣) فَوَفَى (٤) جُمَيْمَةً، فَأَتْتَنِي أُمِّي أُمَّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوْحَةٍ (٥) وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي، فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذْتُ

(١) برقم ٣٧٧٥ وصحيح مسلم برقم ٢٤٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥-١٤٠) بتصرف.

(٣) أي تقطع.

(٤) أي كثر والجميمة بالجميم مصغر الجمعة بالضم، وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جمعة، إذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة.

(٥) أرجوحة: بضم أوله معروفة وهي التي تلعب بها الصبيان.

بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهَجُ (١) حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَحَدْتُ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَا: عَلَى الْخَيْرِ، وَالْبَرَكَاتِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ (٢)، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُحِّي، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ (٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِيهِ» (٤). وفي رواية الترمذي: «إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة أنه سأل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» (٦).

قال الذهبي رحمه الله: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض،

(١) أنهج: أي أتنفس تنفساً عالياً.

(٢) على خير طائر: أي على خير حظ ونصيب، فتح الباري (٧/ ٢٢٤).

(٣) برقم ٣٨٩٤ ومسلم في صحيحه برقم ١٤٢٢.

(٤) برقم ٥١٢٥ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٨.

(٥) برقم ٣٨٨٠.

(٦) برقم ٣٦٦٢ وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٤.

وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً، وقال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّنِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ» (١). فَأَحَبَّ أَفْضَلَ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَفْضَلَ امْرَأَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَمَنْ أَبْغَضَ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ بَغِيضًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحَبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَائِشَةَ كَانَتْ أَمْرًا مُسْتَفِيزًا، أَلَا تَرَاهُمْ يَتَحَرُونَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَهَا تَقَرُّبًا إِلَى مَرْضَاتِهِ (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الشَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا» (٤).

قال الذهبي: «وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي ﷺ، لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ»

(١) صحيح البخاري برقم ٤٦٦ وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٤٢).

(٣) برقم ٣٧٦٩ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣١.

(٤) برقم ٣٨١٧ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٥ مختصراً.

لها وميله إليها، فرضي الله عنها وأرضاها»^(١).

وقد أنزل الله براءتها بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال ابن حجر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ - بعد ما ذكر حديث الإفك -: «عَلِمَ من حديث الإفك المُشَارُ إليه أن من نَسَبَ عائشة إلى الزنا كان كافراً، وقد صرح بذلك أئمتنا وغيرهم، لأن في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية، ومكذبها كافر بإجماع المسلمين، وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قَاتَلَهُمُ اللهُ أنى يؤفكون»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن سليمان التميمي نقلاً عن بعض أهل البيت: وأما قذفها الآن فهو كفر، وارتداد، ولا يكفي فيه الجلد؛ لأنه تكذيب لسبع عشرة آية في كتاب الله - كما مر - فيقتل ردة، ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين^(٣). اهـ.

وكان النبي ﷺ يحب عائشة كثيراً ولا يحب إلا طيباً، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]. وقد نالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شرف خدمته ﷺ وتمريضه في آخر أيامه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٦٥).

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي (١/١٩٣).

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد التميمي ص ٢٤-٢٥ نقلاً عن كتاب أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب.

وَيَوْمِي، بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكَ رَطْبٌ، فَنظَرَ إِلَيْهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ فِيهِ حَاجَةٌ، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهُ فَمَضَعْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنًّا قَطُّ، ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو لَهُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرَضَ، فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ، فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، يَعْنِي وَفَاضَتْ نَفْسُهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا»^(١).

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح عائشة:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(٢)
عَقِيلَةٌ^(٣) حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ^(٤) قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى أَنْامِلِي^(٥)
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيَّيْتُ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنُ الْمَحَافِلِ^(٦)

(١) (٤٠ / ٢٦١ - ٢٦٢) برقم ٢٤٢١٦ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) الحصان هنا: العفيفة، والرزان: اللازمة موضعها التي لا تتصرف كثيراً، ما تنزن: أي ما تُتهم، وغرثي: أي جائعة، والغوافل: جمع غافلة. ومعنى هذا الكلام أنها كافة عن أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة، والمساعي: جمع مسعاة، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم.

(٤) مهذبة: أي صافية مخلصمة، والخيم: الطبع والأصل.

(٥) الأنامل: أطراف الأصابع، وقد يعبر بها عن الأصابع كلها.

(٦) المحافل: جمع محفل وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس.

وكانت رضيها رضيها عالمة بأنساب العرب، وأشعارها، فقيهة، يرجع إليها كبار الصحابة ويستفتونها، قال الزهري: لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علماً، وكانت عالمة بالطب، قال هشام بن عروة: ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة، فقلت: يا خالة: ممن تعلمت الطب، قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.

وكانت من أكرم أهل زمانها، ولها في السخاء أخبار كثيرة، أرسل لها معاوية رضي عنه مئة ألف درهم فما غربت شمس ذلك اليوم وعندها منه شيء^(١).

وكانت شديدة التواضع، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن أبي مليكة: «أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى عَائِشَةَ قَبْلَ مَوْتِهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَبَّاسٍ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْتَدُّوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكَ، قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ، قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَنْكِحْ بَكْرًا غَيْرَكَ، وَنَزَلَ عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسِيًا مَنْسِيًا»^(٢).

وقد دُفنت بالبقيع بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة وذلك في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان بعد الوتر، فأمرت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥-١٨٧).

(٢) برقم ٤٧٥٣.

أن تُدفن من ليلتها، وقد أوصت عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء أن يدفنها مع صواحبها في البقيع، ونزل معها إلى القبر ولدا أختها أسماء، عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد، وعبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، وصلى عليها أبو هريرة وكان أميراً على المدينة لمروان بن الحكم، وكان عمرها آنذاك ثلاثة وستون عاماً وبضعة أشهر.

رضي الله عن أم المؤمنين عائشة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والأربعون

دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة عَلمٍ من أعلام هذه الأمة، وبطلٍ من أبطالها، وعالمٍ من علمائها، الصحابي الجليل معاذ بن جبل ابن عمرو الأنصاري الخزرجي المدني البصري أبو عبد الرحمن، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان من أفضل شباب الأنصار حلماً، وحياءً، وسخاءً، قال عبد الصمد بن سعيد: كان طويلاً، حسناً، جميلاً، قال المدائني: كان طويلاً حسن الشعر، عظيم العينين، أبيض، جعد ققط، وقد أسلم وعمره ثماني عشرة سنة، وشهد بدراً، وله عشرون أو إحدى وعشرون سنة^(١)، روى معاذ أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، وبعثه أميراً على اليمن، ومات في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي

(١) سير أعلام النبلاء (١/٤٤٤-٤٤٥).

رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ إِلَى ذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ»^(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل معاذ ومكانته العظيمة، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث راشد بن سعد وغيرهما قالوا: لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سُرْعَ^(٣) حُدِّثَ أَنَّ بِالشَّامِ وَبَاءً شَدِيدًا قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ شِدَّةَ الْوَبَاءِ فِي الشَّامِ، فَقُلْتُ: إِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَقَدْ تُوِّفِيَ أَبُو عُبَيْدَةَ اسْتَخْلَفْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي عز وجل: لِمَ اسْتَخْلَفْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ نَبَذَةً»^(٤). وفي رواية الطبراني: «بِرْتَوَةِ»^(٥)^(٦).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث مسروق قال: قرأت عند عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾

(١) برقم ١٤٥٨ وصحيح مسلم برقم ١٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٧٥٨ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٤ واللفظ له.

(٣) سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيثة وتبوك، من منازل حاج الشام، وانظر معجم البلدان للحموي (٣٩/٥).

(٤) قطعة من حديث (٢٦٣/١) برقم ١٠٨ وقال محققوه حسن لغیره.

(٥) رتوة: أي رمية بسهم، وقيل: مد البصر.

(٦) معجم الطبراني الكبير (٣٠/٢٠) برقم ٤١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

[النحل: ١٢٠]، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا، قَالَ: فَاعَادُوا عَلَيْهِ، فَاعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْأُمَّةُ؟ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ: الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١).

وعن سهل بن أبي حنمة قال: كَانَ الَّذِينَ يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ، وَزَيْدٌ^(٢).

وكان رضي عنه من فقهاء الصحابة، روى الحاكم في المستدرک من حديث علي بن رباح، قال: خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ^(٣).

وكان النبي ﷺ يحب معاذ كثيراً، فروى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه أن النبي ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٤).

ومرت الأيام، والسنون، ودنت ساعة الفراق بين الأحبة، وما أصعبها. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته، فلما فرغ

(١) (١٠٤/٣) برقم ٣٤١٨ وقال محققه إسناده جيد.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٥١-٤٥٢).

(٣) (٣٠٨/٤) برقم ٥٢٣٦؛ وقال الحافظ في الفتح (٧/١٢٦) صح عن عمر فذكره.

(٤) برقم ١٥٢٢ وقال النووي إسناده صحيح.

قال: «يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي»، فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا^(١) لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ التَفَّتْ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»^(٢)، وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «لَا تَبُكُ يَا مُعَاذُ، إِنَّ الْبُكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

ولما حضرت معاذ الوفاة قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبَّ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا لِكُرِّي الْأَنْهَارِ، وَلَا لِعَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَحِبُّ الْبَقَاءَ لِمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَلِظَمِّ الْهَوَاجِرِ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَلِمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حِلْقِ الذُّكْرِ.

وقد توفي رضي الله عنه بمرض الطاعون في بلاد الشام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مُنِيبِ الْأَحْدَبِ قَالَ: خَطَبَ مُعَاذٌ بِالشَّامِ، فَذَكَرَ الطَّاعُونَ فَقَالَ: إِنَّهَا رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ. اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيَّ آلَ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ. ثُمَّ نَزَلَ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(١٤٧)، فَقَالَ مُعَاذٌ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٢) [الصفات: ١٠٢] ^(٤).

(١) جشعاً: قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٤) الجشع: الفرع لفراق الإلف.

(٢) (٣٧٦/٣٦) برقم ٢٢٠٥٢ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٣) (٣٧٨/٣٦) برقم ٢٢٠٥٤ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٤) (٤٠٤/٣٦) برقم ٢٢٠٨٥ وقال محققوه حسن.

ومن الدروس والعبر المستفادة من سيرة هذا البطل، وأكتفي
بأثنتين منها:

١- علو همته، وحرصه الشديد على تحصيل العلم، فما بين إسلامه
ووفاته لا يتجاوز ست عشرة سنة، قال ابن حجر: عاش معاذ ثلاثاً وثلاثين
سنة على الصحيح^(١)، وقد بلغ فيها مبلغاً عظيماً حتى عدَّ من كبار المُفتين
من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يدل على أنَّ الأعمار لا تقاس بالسنين وإنما
بالإنجازات، وقد أنجز معاذ في سنوات ما لم ينجزه غيره في عشرات السنين.

٢- شدته في الحق وفي تنفيذ أحكام الله على الكفرة،
والمعاندين. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بُرْدَةَ،
قَالَ: قَدِمَ عَلَى أَبِي مُوسَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، بِالْيَمَنِ، فَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ،
قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، وَنَحْنُ نُرِيدُهُ
عَلَى الْإِسْلَامِ مُنْذُ، قَالَ: أَحْسَبُهُ، شَهْرَيْنِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى
تَضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ: أَنَّ مَنْ رَجَعَ
عَنْ دِينِهِ فَأَقْتُلُوهُ أَوْ قَالَ: مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ^(٢).

رضي الله عن معاذ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،
وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتح الباري (٧/١٢٦).

(٢) (٣٦/٣٤٣-٣٣٤) برقم ٢٢٠١٥ وقال محققوه إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

الكلمة الرابعة والأربعون

فضائل غزوة بدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد كانت غزوة بدر المعركة الأولى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، فيها فرق الله بين الحق والباطل، وخذل الكفر وأهله، وقُتل فيها صناديد قريش ومجرميها، وهي الحدث الذي غير مجرى التاريخ، وكانت البوابة الأولى لغزوات متتابعة أدت في النهاية للفتح الكبير - فتح مكة - واندحار الكفر ورفعة الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١] [الإسراء: ٨١].

وقد وردت نصوص كثيرة تبين فضل غزوة بدر وأهل بدر من القرآن والسنة، فمن ذلك:

أولاً: تسمية الله لها بيوم الفرقان، قال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ تَلَقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤١] [الأنفال: ٤١]. قال ابن

كثير: ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، ويُسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على

كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه (١).

ثانياً: نصر الله تعالى لهم بالرعب، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢) [الأنفال: ١٢]. والنصر بالرعب من خصائص نبينا محمد ﷺ كما في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (٢).

ثالثاً: إمداد الله تعالى لهم بالملائكة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوِّجِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةَ السَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدَمَ حَيْزُومٌ^(٣)؛ فَظَنَّ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهَهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ،

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٣).

(٢) برقم ٢٣٥ وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

(٣) في النهاية لغريب الحديث لابن الأثير حديث بدر أقدم حيزوم، جاء في التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام أراد أقدم يا حيزوم (١/٤٦٧).

فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ^(١).

رابعاً: فضل من شهد بدرًا من الصحابة، والملائكة على غيرهم، روى البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن رفاعه ابن رافع عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر قال: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ، - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(٢).

خامساً: أن من قُتل منهم نال الفردوس الأعلى، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنِكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^(٣).

قال ابن كثير: «وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا لم يكن في بحبحة^(٤) القتال، ولا في حومة الوغى^(٥)،

(١) برقم ١٧٦٣.

(٢) برقم ٣٩٩٢.

(٣) برقم ٢٨٠٩.

(٤) البحبوحة من كل شيء وسطه، النهاية في غريب الحديث (٩٨/١).

(٥) حومة الوغى: أشد موضع في الحرب أو القتال، المعجم الوسيط (٢١٠/١).

بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسأله إياها، فإذا كان هذا حال هذا، فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً»^(١). اهـ.

سادساً: أن أهلها مغفور لهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه وأصله في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢). قال ابن حجر: «وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم»^(٣).

سابعاً: رجاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بدر ألا يدخلوا النار، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: «أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْدُخَنَّ حَاطِبُ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ»^(٤).

ثامناً: إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لولا أهل بدر لم يصلنا الإسلام، ولقضي عليه معهم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر ابن

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٥/٢٥٨).

(٢) (٣/٣٢٢-٣٢٣) برقم ٧٩٤٠ قلت وإسناده حسن.

(٣) فتح الباري (٧/٣٠٥).

(٤) برقم ٢٤٩٥.

الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ» (١).

تاسعاً: أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة في هذه الغزوة، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩]. روى الطيالسي في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ تَعَجَّلَ النَّاسُ إِلَى الْغَنَائِمِ فَأَصَابُوهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْغَنِيمَةَ لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ سِوَايَ (٢) الرَّؤُوسِ غَيْرِكُمْ»، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ (٣) إِذَا غَنِمُوا غَنِيمَةً جَمَعُوهَا، وَنَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلْتَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لَوْلَا كُنْتُمْ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ» (٤).

عاشراً: إخباره تعالى عن نتيجة المعركة قبل بدئها، وذلك بالنصر للمؤمنين على الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطْلَ

(١) برقم ١٧٦٣ ورواه البخاري من حديث ابن عباس بنحوه برقم ٣٩٥٣.

(٢) سود الرؤوس: المراد بها بنو آدم لأن رؤوسهم سود.

(٣) أي الأنبياء السابقين.

(٤) (١٩/٢) وأخرجه الترمذي برقم ٣٠٨٥ وقال حديث حسن صحيح غريب.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ [الأنفال: ٧-٨].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَعَ مِنْ بَدْرٍ: عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا شَيْءٌ». قَالَ: فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَكَ، قَالَ: «وَلِمَ؟» قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ إِنَّمَا وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٦٦/٣) برقم ٢٠٢٢ والحديث من رواية سماك عن عكرمة، وفيها اضطراب ومع ذلك فقد قال الترمذي حديث رقم ٣٠٨٠ حديث حسن صحيح وجود إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٢٨٨).

(٢) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٩-٤٩.

الكلمة الخامسة والأربعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ... ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد تقدّم الحديث عن فضل غزوة بدر، وأهلها الذين شاركوا فيها، وسيكون الكلام في هذه الكلمة عن الآيات التي تحدثت عن خروج النبي ﷺ ومن معه إلى هذه الغزوة المباركة.

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ٥ ﴾ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بُيِّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٦ ﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ٧ ﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطِّلَ الْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ٨ ﴾ [الأنفال: ٥-٨].

يقول الله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ يا محمد إلى لقاء المشركين في بدر ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الذي يحبه، وقدره وقضاه، وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين

عدوهم قتال، فحين تبين لهم أن ذلك واقع جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي ﷺ في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾، والحال أن هذا لا ينبغي منهم خصوصاً بعد ما تبين لهم أن خروجهم بالحق ومما أمر الله به، ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدل محل فيها؛ لأن الجدل محله وفائده عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان، هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم الله انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله وَقَيَّضَ لَهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا تَطْمِئِنُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ.

وكان أصل خروجهم أنهم يتعرضون لِعَيْرٍ خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمع برجوعها من الشام ندب النبي ﷺ الناس، فخرج معه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً يعتقون عليها ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عَيْرِهِمْ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ، وَعِدَّةٍ وَافِرَةٍ مِنَ السَّلَاحِ، وَالخَيْلِ، وَالرِّجَالِ، بَلَغَ عَدْدُهُمْ قَرِيباً مِنَ الْأَلْفِ.

فوعده الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير أي الجيش، فأحبوا العير لِقَلَّةِ ذَاتِ يَدِ الْمُسْلِمِينَ؛ ولأنها غير ذات الشوكة، ولكن الله تعالى أَحَبَّ لَهُمْ وَأَرَادَ أَمْرًا أَعْلَى مِمَّا أَحْبَبُوا، أَرَادَ أَنْ يَظْفُرُوا بِالنَّفِيرِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ كِبْرَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَصِنَادِيدِهِمْ، ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾، فینصر أهله، ﴿ وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكُفْرِينَ ﴾

أي يستأصل أهل الباطل، ويُري عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطر ببالهم.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فلا يبالي الله بهم^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن كعب رضي الله عنه قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عَيْرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ»^(٢).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من المدينة كان بالحق، وخروج المشركين من مكة كان بالباطل، ففي الأولين قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]. وفي الآخرين قال: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. فَشَتَّانَ ما بين الفريقين.

ثانياً: مع علمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن خروجه كان بأمر ربه، إلا أنه كان يستشير أصحابه مراعاة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للطبيعة البشرية - فليتبته دعاة الإسلام لهذا، وليقدموه للناس ليناً سهلاً.

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي ص ٣١٦.

(٢) برقم ٣٩٥١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٩.

ثالثاً: في المؤمنين من هو كامل الإيمان يقدم الأوامر الشرعية ولا يبالي بما يخالفها، ومنهم من هو دون ذلك، له نظرة للأسباب المادية، وهذا الفريق لا ينبغي أن يُضرب بالأوامر الشرعية بل يؤخذ بالمجادلة الحسنة حتى ينقاد إلى الحق بطيب نفس، ورغبة، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال: ٥].

رابعاً: أن اللفظ قد يطلق، ويراد به بعض معانيه، فالذين كرهوا لقاء العدو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾، لم يكن ذلك جبنًا، ولا كراهية للموت، ولكنهم لم يكونوا يرون الدخول في معركة لم يستعدوا لها، ولم يحسبوا حسابها، وربما كانت النتائج أسوأ مما لو عادوا في هذه الحال، فلما تبين لهم الحق بعد المجادلة انساقوا إليه مسرعين.

خامساً: فضل أصحاب بدر، وكمال إيمانهم، حيث انقادوا للنبي ﷺ لخوض المعركة مع قريش مع أن ذلك بالحسابات المادية والخطط العسكرية هو الإقدام على الموت، قال تعالى وهو يصور ذلك أحسن وأبلغ تصوير: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال: ٦].

سادساً: الوعد بالخير ممن طبعته الوفاء من أخلاق القرآن لما في ذلك من راحة القلب واطمئنانه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٧].

سابعاً: وعد الله أصحاب بدر إحدى الطائفتين، ولم يعين مع

علمه بما سيكون ليكشف خفايا النفس البشرية، وذلك من مقتضيات حكمته جل وعلا.

ثامناً: بذل جهد أكبر لتحصيل مقصود أعظم أولى من ضده، قال تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧].

تاسعاً: المقارنة بين المصالح والمفاسد، والموازنة بين الأمور مع بُعد النظر يتبين بها حقيقة الأشياء، وهذا ما جعل النبي ﷺ، وأصحابه يقررون اللقاء مع العدو ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾، وهي مصلحة، غير أن هذه المصلحة تتلاشى عند النظر إلى ما في اللقاء من المصالح، وإن كلف جهداً إذ إن إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإذلال الكفر؛ مصالح عظيمة لا يعدلها شيء، قال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧] لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ ٨ ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

عاشراً: يجب على المؤمنين أن يُقَدِّمُوا ما يريد الله على ما يريدون، فإنهم متى فعلوا ذلك أعطاهم ما يتمنون، وَبَلَغَهُمْ ما لم يكونوا يحتسبون، وهذا ما وقع لأهل بدر، لَمَّا قَدَّمُوا ما يريد الله على ما يريدون.

الحادي عشر: من الجرائم العظيمة أن يكره الإنسان ظهور الحق، أو سقوط الباطل، قال تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾.

الثاني عشر: عظمة الباري وقدرته، إذ إن ما يريده يقع منه بكلمة، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾.

وهذه الكلمة هي ما ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس: ٨٢] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والأربعون

فوائد من قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ...﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد كان الكلام في الكلمة السابقة عن الآيات التي تتحدث عن خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى بدر، ولا زال الحديث موصولاً في ذلك، قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٢-٤٤].

من فوائد الآيات السابقة:

الفائدة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ

الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴿ العُدوة هي: طرف الوادي، والركب المراد به عير أبي سفيان، وهذا التصوير البليغ له من الفوائد:

أ- بيان الحال لمن بعد، ولم يستطع الوقوف على موقع المعركة، فهذا الوصف العجيب يجعله كأنه يرى ويُشاهد.

ب- قوله تعالى: ﴿الدُّنْيَا﴾ أي الأقرب إلى المدينة، و﴿الْقُصْوَى﴾ أي الأبعد بالنسبة للمدينة، وبالتالي فهي الأقرب إلى مكة، والمعنى أن كل فريق يستطيع العودة إلى بلده، ليس بينه وبينها حائل يمنعه، ومع ذلك نفذت مشيئة الله بالتقاء الفريقين: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الفائدة الثانية: قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، قال الرازي: « لا شك أن عسكر الرسول ﷺ في أول الأمر كانوا في غاية الخوف، والضعف؛ بسبب القلة، وعدم الأهبة، ونزلوا بعيدين عن الماء، وكانت الأرض التي نزلوا فيها أرضاً رملية تغوص فيها أرجلهم، وأما الكفار فكانوا في غاية القوة؛ بسبب الكثرة في العدد؛ وبسبب حصول الآلات، والأدوات؛ لأنهم كانوا قريبين من الماء؛ ولأن الأرض التي نزلوا فيها كانت صالحة للمشية، ولأن العير كانت خلف ظهورهم، وكانوا يتوقعون مجيء المدد من العير إليهم ساعة فساعة. ثم إنه تعالى قلب القصة، وعكس القضية، وجعل الغلبة للمسلمين، والدمار على الكافرين، فصار ذلك من أعظم المعجزات، وأقوى البيانات على صدق محمد ﷺ فيما أخبر عن ربه من وعد النصر والفتح والظفر.

الفائدة الثالثة: قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ إشارة إلى هذا المعنى، وهو أن الذين هلكوا إنما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة، والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة، والمراد من البينة هذه المعجزة^(١).

الفائدة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يحتمل أن المراد بذلك الزمان، والمكان، ويحتمل أن المراد الزمان فقط، والثاني أرجح.

الفائدة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فيه من الفوائد أن الله تعالى قدر الأشياء قبل وقوعها، وهو صريح قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]. وهذه إحدى مراتب القدر التي يجب الإيمان بها.

الفائدة السادسة: أن الأخذ بالأسباب المشروعة أمر مشروع، كل بحسبه، فإن الرب جل وعلا مع علمه بما سيقع، لم يمنعهم من أخذ الأسباب التي يرونها.

الفائدة السابعة: قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، أراد كأن يظهر بوقوع هذه المعركة على هذا النحو، أن محمداً وأصحابه على الحق، وأن عدوهم على الباطل؛ إقامة للحجة، وقطعاً للأعداء.

الفائدة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيها:

(١) التفسير الكبير للرازي (١٦٨/١٥).

أ- إثبات اسمين لله تعالى من أسمائه الحسنی التي يُدعى بها.
 ب- أن هذين الاسمين الكريمين تضمننا صفتين عظيمتين، الأولى:
 السمع، الثانية: العلم.

الفائدة التاسعة: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾^ط
 فيها من الفوائد:

أ- إن الرؤيا الصالحة من الله.
 ب- رؤيا الأنبياء وحي من الله.
 ج- إن رؤية النبي ﷺ لهم كانت في المنام لا في اليقظة^(١).
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٤٧-٣٤٩.

الكلمة السابعة والأربعون

المعجزات والكرامات في غزوة بدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فلقد كانت غزوة بدر من معارك الإسلام الفاصلة، وقد تجلّت فيها الكثير من المعجزات والكرامات العظيمة، فمن ذلك:

أولاً: سماع المشركين كلام النبي ﷺ وخطابه وهم أموات في القليب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي طلحة رضي الله عنه: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ (١) مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ (٢)، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بَنَ فُلَانٍ: «أَيَسَّرْكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

(١) الأطواء: جمع طوي وهو البئر التي طويت وبنيت بالحجارة، لتثبت ولا تنهار، فتح الباري (٧/٣٠٢).

(٢) أي طرف البئر، الفتح (٧/٣٠٢).

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا
أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيحًا
وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا»^(١).

ثانياً: تحديد مصارع القوم: روى مسلم في صحيحه من
حديث أنس رضي الله عنه قال: كان عمر يحدثنا عن أهل بدر فقال:
«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرِ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ:
«هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي
بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَوْوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
فَجُعِلُوا فِي بَيْتٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
انْتَهَى إِلَيْهِمْ»^(٢).

ثالثاً: نزول المطر عليهم بالقدر الذي يحتاجونه من غير زيادة
ولا نقصان: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وهو
يحدث عن ليلة بدر: «أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طُشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَاَنْطَلَقْنَا
تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ - أي الترس - نَسْتِظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ،
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «أنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطراً واحداً،
فكان على المشركين وابلاً شديداً منعهم من التقدم، وكان على

(١) برقم ٣٩٧٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٧٥.

(٢) برقم ٢٨٧٣.

(٣) (٢/٢٦٠) برقم ٩٤٨ وقال محققوه إسناده صحيح.

المسلمين طلاً طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل»^(١).

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «لولا هذا المطر لما أمكن المسلمين القتال؛ لأنهم كانوا رجالاً ليس فيهم إلا فارس واحد هو المقداد - كما تقدّم - وكانت الأرض دهاساً تسبخ فيها الأقدام أو لا تثبت عليها»^(٢).

رابعاً: استجابة الله لدعاء نبيه على من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم الكفرة بدر: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْتِهَا ^(٣) وَدَمِهَا وَسَلَاهَا ^(٤) فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمِهُلُهُ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَاثْبَعَتْ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَّتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَاثْبَعَتْ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَّتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) زاد المعاد (٣/١٧٥).

(٢) تفسير المنار (٩/٥٠٩-٥١٠).

(٣) الفرت: بقايا الطعام في الكرش، انظر المعجم الوسيط (٢/٦٧٨).

(٤) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه، وقيل هو في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة. النهاية في غريب الحديث (٢/٣٩٦).

الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمِّيَةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلْبِ، قَلْبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاتَّبَعِ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً»^(١).

خامساً: إعانة بعض المسلمين بالملائكة على أسر العدو: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وفيه: «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَنِي، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ^(٢) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ^(٣) مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسْرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَلِكٍ كَرِيمٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَأَسْرَنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسَ وَعَقِيلًا وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ»^(٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ

(١) برقم ٥٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٧٩٤.

(٢) قال في النهاية (٢٨٤/١) الأجلح من الناس: الذي انحشر الشعر عن جانبي رأسه.

(٣) أبلق: وهو ما كان فيه سواد وبياض. المعجم الوسيط (٧٠/١).

(٤) (٢/٢٦٠-٢٦١) برقم ٩٤٨، وقال محققوه إسناده صحيح، وقال الشيخ أحمد شاکر في تخريجه للمسند (١٩٤/٢) إسناده صحيح.

الْحَرْبِ»^(١). وفي رواية: «عَلَى ثَنَائِهِ النَّقْعُ»^(٢) (٣).

سادساً: إنزال النعاس عليهم: قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]. روى أبو يعلى في مسنده من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: «لَقَدْ سَقَطَ السَّيْفُ مِنِّي يَوْمَ بَدْرٍ لِّمَا غَشَيْنَا مِنْ النَّعَاسِ. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾» [الأنفال: ١١] (٤).

قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقاء النعاس عليهم أماناً آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم، وقلة عددهم... إلخ»^(٥).

سابعاً: أن الله تعالى أراهم العدو أقل مما هم عليه: لتقوى قلوبهم على حربهم، ويشجعهم على مواجهتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

قال ابن جرير: «إِذْ يُرِي اللَّهُ نَبِيَّهُ فِي مَنَامِهِ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلاً، وَإِذْ يُرِيهِمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ لَقَوْهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلاً، وَهُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ،

(١) برقم ٣٩٩٥.

(٢) الثنايا: إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، ثنتان من فوق، وثنان من تحت. المعجم الوسيط (١/١٠٢).

(٣) النقع: الغبار. النهاية في غريب الحديث (٥/١٠٩).

(٤) (٣/١٩) برقم ٤٢٨ وقال محققه حسين سليم أسد إسناده صحيح.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢٩١).

ويقلل المؤمنين في أعينهم لتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم»^(١).

ثامناً: اختصاص أبي بكر وعلي بكرامة من الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: «قِيلَ لِعَلِيِّ وَالْأَبِيِّ بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جَبْرِيْلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيْلُ، وَإِسْرَافِيْلُ مَلَكٌ عَظِيْمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ، أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن جرير (٦/٢٥٩).

(٢) (٢/٤١١) برقم ١٢٥٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٥٧-٦٤.

الكلمة الثامنة والأربعون

غزوة بدر

مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

كان يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة يوم بدر الأغر، اليوم الذي دارت فيه رحى الحرب بين حزب الله وحزب الشيطان، فحين أصبح النبي ﷺ وطلع الفجر نادى في أصحابه: «الصَّلَاةُ عِبَادَ اللَّهِ»، فصلى بهم صلاة الصبح، ثم حَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وصف أصحابه صفوفاً، وألقى إليهم التوجيهات التي يلقيها القائد عادة إلى الجيش قبل اللقاء، بعد ذلك انصرف ﷺ إلى مقر القيادة، وهو العريش الذي بُني له، والذي يعتبر بمثابة غرفة العمليات اليوم، ينتظر إقبال جيش العدو، تاركاً له فرصة التفكير في مصير هذا اللقاء أو البدء بالقتال والبغي والاعتداء، حيث علم ﷺ أن البادي بالظلم مغلوب، وأن الباغي مهزوم، وأن المظلوم مُعان ومنصور^(١).

وكان النبي ﷺ قبل ذلك أمر بالآبار التي حول بدر فدفنت، ثم

(١) قال أحد الصالحين لابنه يوصيه: لا تدعو أحداً للبراز، فإن الداعي باغ، والباغي مهزوم، وإذا دُعيت فأجب.

بنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه ومُليء ماءً، وكانت بدر مقراً لاجتماع الناس، وبها سوق من أسواق الجاهلية، وتقع على مفترق طرق، حيث يتوارد لها العرب من كل ناحية، وتبعد عن المدينة في وقتنا المعاصر مائة وثلاثة وخمسين كيلو متر تقريباً.

بداية المعركة:

خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً، سىء الخلق، فقال: أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ، أَوْ لَأُهْدِمَنَّهٗ، أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ؛ خَرَجَ إِلَيْهِ حَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْرَةُ فَاطَنَّ^(١) قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشْخُبُ^(٢) رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ، يُرِيدُ - زعم - أَنْ يَبْرَّ يَمِينَهُ، وَأَتْبَعَهُ حَمْرَةُ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ^(٣).

ثم أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُمْ»، فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَجَّانِي مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ^(٤).

(١) فاطن قدمه: أي أطارها. شرح السيرة النبوية ص ١٥٧.

(٢) تشخب: معناه تسيل بصوت. المصدر السابق ص ١٥٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٤).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٢).

وكانت المبارزة أول شيء بدئ فيه من القتال يوم بدر، وجرت العادة أنه لا يخرج للمبارزة إلا الشجعان من الرجال، وهذا ما حصل في بدر. قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»^(١). وروى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: «فينا نزلت هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾»^(٢). وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يُقسِمُ فيها: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نَزَلَتْ فِي حَمْزَةَ وَصَاحِبِيهِ، وَعُتْبَةَ وَصَاحِبِيهِ، يَوْمَ بَرَزُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ»^(٣). وروى البخاري بسنده إلى أبي إسحاق، سأل رجُل البراء وأنا أسمع، قال: أشهد عليَّ بَدْرًا؟ قال: بَارَزَ وَظَاهَرَ^{(٤)(٥)}.

وروى أبو داود من حديث علي رضي الله عنه قال: «تَقَدَّمَ عُتْبَةُ ابْنَ رَبِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنادَى: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا

(١) برقم ٤٧٤٤.

(٢) برقم ٣٩٦٧.

(٣) برقم ٤٧٤٣ وصحيح مسلم برقم ٣٠٣٣.

(٤) برقم ٣٩٧٠.

(٥) ظاهر يعني لبس درعاً على درع، فتح الباري (٧/١٩٨) وانظر: المعجم الوسيط (٥٧٨/٢).

أَرَدْنَا بَنِي عَمَّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ»، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ، فَأَثَخْنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ» (١).

من مشاهد وأحداث المعركة:

مقتل أبي جهل لعنه الله: وأبو جهل عمرو بن هشام ما هو إلا حلقة من حلقات الظلم والطغيان ضد الحق، فمثله كثير. إن فرعون موسى انتهى بالغرق، وقوم هود، وصالح، ولوط هلكوا، وكل ظالم متكبر لا بد أن ينتهي تلك النهاية المؤلمة.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وانتهى أبو جهل، ورمي بالقليب بعد تلك الكبرياء التي أرادها للباطل على الحق، ولكن التاريخ البشري يشهد أن الحق هو الذي يبقى، وقديماً قيل: «دَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ، وَدَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ

(١) برقم ٢٦٦٥ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٥٠٧) برقم ٢٣٢١.

(٢) انظر: مرويات غزوة بدر للعليمي ص ٢٢٢.

بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله»، قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «كلاكما قتله»، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو ابن الجموح» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو رجل قتلته قومه» (٢).

قال: وقال أبو مجلز: قال أبو جهل: لو غير أكار قتلني» (٣)،

(١) برقم ٣١٤١ ومسلم برقم ١٧٥٢.

(٢) برقم ٤٠٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٨٠٠.

(٣) برقم ٤٠٢٠، وأكار: زراع، قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٥): وعنى بذلك أن الأنصار أصحاب زرع، فأشار إلى تنقيص من قتله منهم بذلك.

وفي رواية أخرى للبخاري: وَهَلْ أَعْمَدُ^(١) مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ^(٢).
 وقال أيضاً لابن مسعود: لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقَى صَعْبًا يَا رُوَيْعِي الْغَنَمِ،
 وَسَأَلَ قَائِلًا: لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ^(٣).
 ومن المشاهد والأحداث: قتل رأس الكفر أمية بن خلف: قُتِلَ
 أمية بن خلف السيد المطاع على يد بلال الحبشي الذي طالما عذبه
 بمكة، تلك الأنات التي يطلقها بلال: أَحَدٌ، أَحَدٌ، لم تذهب سدى، إنها
 سياط في وجه الظلم الكالح في كل زمان ومكان، ويثأر بلال، ولكن
 الثأر لم يكن لنفسه، وإنما هو للحق الذي يحمله بين جنبيه، وينتهي
 العدوان، ويرى أهله مصيرهم، والعاقبة للمتقين. رحم الله بلالاً، فقد
 أعطى القدوة مرتين:

الأولى: لتحمله العذاب والقهر في دين الله، فكان أقوى من
 الحديد، وأشد من الفولاذ.

الثانية: إذاقته لأعداء الله كأس المنيّة من يده، ليثبت للدنيا كلها،
 وللتاريخ البشري انتصار الحق والإيمان على الكفر والعدوان^(٤).

قال الشاعر:

هَنِيئاً زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا لَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ يَا بِلَالَ

(١) أعمد: يريد أكبر من رجل قتلتموه، على سبيل التحقير منه لفعلمهم به، قال الحافظ أبو ذر
 الخشني: وعميد القوم سيدهم. شرح السيرة النبوية ص ١٦٠.

(٢) برقم ٣٩٦١.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٧).

(٤) مرويات غزوة بدر ص ٢٢٦.

ولقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بقتل أمية بن خلف، فكان كما قال، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كِتَابًا، بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي بِمَكَّةَ، وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ، قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، كَاتَبَنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ: عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأَحْرِزُهُ^(١) حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٍ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتَبَعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ، فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَحَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ»^(٢)(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حرز: يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرزاً إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ. النهاية في غريب الحديث (١/٣٦٦).

(٢) برقم ٢٣٠١.

(٣) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٢٣٨-٢٤٦.

الكلمة التاسعة والأربعون

غزوة بدر

مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

تقدم في الكلمة السابقة الحديث عن مشاهد وأحداث من غزوة بدر المباركة، ولا زال الحديث موصولاً في ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبّقوا المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُقدّمَنَّ أحدٌ منكم إليَّ شيءٍ حتى أكونَ أنا دونهُ»، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلي جنة عرّضها السموات والأرض»، قال: يقول عمير بن الحُمّام: يا رسول الله، جنة عرّضها السموات والأرض؟! قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمراتٍ من قرنيه ^(١) فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويّلة، قال: فرمى بما

(١) أي جعبته. النهاية في غريب الحديث (٤/٥٥).

كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» (١).

ومن المشاهد والأحداث:

ما روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «قَالَ الزُّبَيْرُ: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرِ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ مُدَجَّجٌ لَا يَرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكُرْشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ (٢) فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ، فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا، وَقَدْ انْتَنَى طَرْفَاهَا. قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة رضي الله عنه قال: «كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرْبَاتٍ بِالسَّيْفِ، إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ، قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ أَصَابِعِي فِيهَا، قَالَ: ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرِ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ. قَالَ عُرْوَةُ: وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ

(١) برقم ١٩٠١.

(٢) العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً، وفيها سنان مثل سنان الرمح. والعكازة قريب منها. النهاية في غريب الحديث (٤/٣٠٨).

(٣) برقم ٣٩٩٨.

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ: هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ: فِيهِ فَلَّةٌ^(١) فَلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: صَدَقْتَ، بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(٢)، ثُمَّ رَدَّهَ عَلَى عُرْوَةَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ^(٣).

قال الحافظ في الفتح: «قوله: صدقت بهن فلول من قراع الكتاب هذا شطر من بيت مشهور من قصيدة مشهورة للنابغة الذبياني، وأولها: كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب وهو من المدح في معرض الذم، لأن الفل في السيف نقص حسي لكنه لما كان دليلاً على قوة ساعد صاحبه، كان من جملة كماله»^(٤).

وفي رواية أخرى عن عروة رضي الله عنه قال: «كَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ مُحَلَّى بِفِضَّةٍ»^(٥).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه: «أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدُّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا،

(١) الفلة: الثملة في السيف وجمعها: فلول. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٧٢).

(٢) أي قتال الجيوش ومحاربتها.

(٣) برقم ٣٩٧٣.

(٤) فتح الباري (٧/ ٣٠٠).

(٥) صحيح البخاري برقم ٣٩٧٣.

فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضَرَبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرْبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ، قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ، وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا» (١).

ومنها شجاعة حمزة رضي الله عنه: روى ابن إسحاق بسنده: «أَنَّ أُمِّيَةَ بْنَ خَلْفٍ سَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعَلَّمُ بِرِيْشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قُلْتُ: ذَلِكَ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ» (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث وحشي قال: «إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ يَوْمَ بَدْرٍ» (٣).

لقد انتهت معركة بدر بنصر حاسم للمسلمين، فقد قتلوا سبعين من قادة قريش وساداتهم وأسروا سبعين، وحصلت في هذه المعركة المعجزات والكرامات العظيمة التي أيد الله بها المؤمنين، وجاء دور الغنائم، فلقد خلفت قريش الكثير منها، ومن هذه الغنائم أموال المهاجرين التي تركوها في مكة، وانتزعها المشركون منهم، وهذه الغنيمة التي حصلت للمسلمين هي فضل من الله يعطيه لأوليائه إذ مكنهم من رقاب أعدائهم قتلاً وأسراً، ومن أموالهم غنيمة طيبة للمؤمنين.

(١) برقم ٣٩٧٥.

(٢) السيرة النبوية (٢/٢٢٣) وسنده حسن وأخرجه البزار (٣/١) برقم ٢٢٧.

(٣) برقم ٤٠٧٢.

وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس عند الغروب من يوم الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يُطَارِدُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَغْنَمِ يَحُوزُونَ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يُصِيبُ الْعَدُوَّ مِنْهُ غَرَّةٌ، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٧/٤٢٢) برقم ٢٢٧٦٢ وقال محققوه حسن لغیره.
 (٢) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٢٤٦-٢٥٣.

الكلمة الخمسون

اتباع الهوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فمن الخصال المذمومة التي تلقي بصاحبها في مهاوي الردى، وتعمي بصيرته، فيصبح لا يفرق بين حق ولا باطل، ولا خير وشر.. اتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال ابن كثير: «أي: مهما استحسن من شيء ورأه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه^(١) كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]».

وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حال هؤلاء المتبعين لأهوائهم، وأن الحال يصل بهم إلى أن يكونوا كالأنعام بل أضل، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ^٤ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٤٤]. [الفرقان: ٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٩/١٠).

وإن من اتباع الهوى ما يفعله بعض الناس من البحث عن الرُّخصِ المخالفة للشرع والفتاوى الشاذة، وزلات العلماء، ويلوون أعناق النصوص من أجل ذلك، وإذا كانت النصوص توافق أهواءهم رضوا وسَلَّمُوا ولم يجادلوا، وقد ذكر الله في كتابه هذا الصنف فقال: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ [النور: ٤٧-٥٠].

لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته، فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقضها هدم القوانين والدساتير جميعاً فالقانون المرعي - عنده في الحقيقة - هو مقتضيات هذه المصلحة الخاصة فحسب^(١).

والهوى يُعْمِي وَيُصِمُّ صاحبه عن الحق، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا»^(٢)، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا^(٣) نُكِتَ^(٤) فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٢٣١.

(٢) ومعنى تعرض: أي كأنها تلتصق، بعرض القلوب أي جانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به، قال: وقوله عوداً، عوداً: أي تعاد وتكرر عليه شيئاً بعد شيء.

(٣) أي حلت فيه محل الشراب.

(٤) أي نقطة نقطة.

فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أْبَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا^(١) كَالْكُوزِ مُجَحِّيًا^(٢)، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ^(٣).

وقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه عن اتباع الهوى، فقال سبحانه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥]. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من اتباع الهوى، فروى الترمذي في سننه من حديث قطبة بن مالك رضي عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ»^(٤).

وأخبر النبي ﷺ أن اتباع الهوى من المهلكات، روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي عنهما أن النبي ﷺ قال: «المُهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ»^(٥).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي عنه: «إِنَّ أَخُوفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ: طُولُ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُصَدُّ عَنِ الْحَقِّ»^(٦).

(١) المراد شدة البياض في سواد.

(٢) أي منكوساً مائلاً.

(٣) برقم ١٤٤.

(٤) برقم ٣٥٩١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم ٢٨٤٠.

(٥) مسند البزار (٨/ ٢٩٥) برقم ٣٣٦٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٠٢.

(٦) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٥٣٠) برقم ٨٨١.

وقد وردت أقوال كثيرة عن السلف تحذر من تتبع زلات العلماء، والأقوال الشاذة، قال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله»^(١)، وقال الإمام الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء (أي الأقوال النادرة) خرج من الإسلام»^(٢)، وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ: زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجَدَالُ الْمُنَافِقِ، وَأُمَّةٌ مُضِلُّونَ»^(٣)، وقال ابن حزم الأندلسي: «وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين، وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل، فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم»^(٤) اهـ.

وروى البيهقي عن إسماعيل القاضي قال: «دخلت على المعتضد بالله فدفعت إليّ كتاباً فنظرت فيه فإذا قد جمع له من الرخص من زلل العلماء وما احتج به كل واحد منهم، فقلت: مصنف هذا زنديق، فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر - النبيذ - لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح المسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب»^(٥) اهـ.

وقد شدد العلماء في الإنكار على من تتبع الرخص وشواذ

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/ ٩١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٥).

(٣) سنن الدارمي (١/ ٧١).

(٤) الأحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٥).

الأقوال، حيث وصفوه مرة بأنه شر عباد الله كما ذكر ذلك عبد الرزاق عن معمر^(١)، وتارة وصفوه بالفسق كما نص عليه ابن النجار، فقال: يحرم على العامي تتبع الرخص ويُفسق به^(٢)، وقال الغزالي: ليس للعامي أن ينتقي من المذاهب في كل مسألة أطيبها عنده فيتوسع^(٣).

وبعض الناس إذا أراد أن يستفتي يسأل في كل مسألة من عُرف بالتساهل فيها، والإفتاء بغير ما عليه جماهير العلماء، فإذا دُلَّ على العلماء الذين يفتون بالكتاب والسنة؛ قال: إن هؤلاء لا يعرفون إلا لغة التحريم، كل شيء عندهم حرام، فهذا وأمثاله اتخذوا دينهم لعباً ولهواً والله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، ولم يقل كما أردت، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع العلماء على أن العامي لا يجوز له تتبع الرخص»^(٤).

قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»^(٥).

أما قول بعضهم: ضع بينك وبين النار مُطَوِّعاً، فهذا القول لا يكون صحيحاً إلا بسؤال أهل العلم المعروفين بالتقوى، وأن يكون القصد

(١) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (١/٢٠٩).

(٢) مختصر التحرير ص ٢٥٢.

(٣) المستصفي (٢/٤٦٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩١).

(٥) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٤.

من السؤال معرفة الحق والعلم الذي يرضي الله تعالى^(١).

ومن الأمثلة على تتبع زلات العلماء وترك ما قال به جمهور أهل العلم، ودلت عليه النصوص الصريحة: الذين يأخذون بقول من قال بإباحة الغناء، ويتركون من قال بتحريمه، كأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد، وجماهير أهل العلم من المتقدمين، والمتأخرين.

ومنهم: الذين يأخذون بقول من قال من المعاصرين بجواز حلق اللحية، ويتركون النصوص الصريحة التي وردت في الصحيحين وغيرها من الكتب الستة بالأمر بإعفائها، وهو قول جمهور أهل العلم من المتقدمين، والمتأخرين، بل لم يعرف حلق اللحية إلا في العصور المتأخرة.

ومنهم: الذين يأخذون بقول من قال من المعاصرين بجواز إسبال الثياب من غير خيلاء، ويتركون النصوص الصريحة التي وردت في الصحيح وغيره بتحريم ما أسفل من الكعبين من الإزار.

وما ذكرته غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، أسأل الله تعالى أن يرزقنا التجرد للحق، وأن يبعدنا عن اتباع الهوى، وأن يجعلنا ممن يسارعون إلى تنفيذ أمر الله ورسوله راضين مسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف التويجري بعنوان: تتبع الرخص بين الشرع والواقع، فقد أجاد وأفاد.

الكلمة الواحدة والخمسون

الفقه في الدين وفضله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تحث المسلم على التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). قال بعض أهل العلم: مَنْ لَمْ يُفَقِّهْ فِي الدِّينِ، لَمْ يُرِدْ بِهِ اللَّهُ خَيْرًا.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ

(١) برقم ٧١ وصحيح مسلم برقم ١٠٣٧.

أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِّكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً. فَذَلِكَ مَثَلٌ مِّنْ فِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعُهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مِّنْ لَّمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

قال العلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ: «والفقه في دين الله هو الفهم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكان الفقيه في سلف هذه الأمة من اتصف بفهمها»^(٢). اهـ. مختصراً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا»^(٣).

ومن الفقه في الدين الوصول إلى الأجر العظيم بالعمل القليل، أو بمعنى آخر: معرفة الطرق للحصول على الأجر الجزيل، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَوَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»^(٤).

ففي هذا الحديث بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ لِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ أَنَّ الْعِتْقَ مَعَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ إِلَّا أَنْ الْأَفْضَلَ مِنْهُ أَنْ تُعْطِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ

(١) برقم ٧٩ وصحيح مسلم برقم ٢٢٨٢.

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص ٤٠٢.

(٣) برقم ٣٣٥٣ وصحيح مسلم برقم ٢٣٧٨.

(٤) برقم ٢٥٩٢ وصحيح مسلم برقم ٩٩٩.

لأحوالها فتخدمهم، فإن ذلك فيه صلة رحم.

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عَنْ جُوَيْرِيَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

هذا الحديث يبين أن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها كانت تذكر الله من صلاة الصبح إلى وقت الضحى وهو وقت طويل، فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكلمات يسيرة لا تتجاوز دقائق معدودة قد حصل على أجر أعظم من أجرها في ذلك الوقت الطويل.

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ، فَأَعَادَا أَحَدُهُمَا الصَّلَاةَ وَالْوُضُوءَ وَلَمْ يُعِدِ الْآخَرُ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ: «أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْرَاتُكَ صَلَاتُكَ»، وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: «لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ»^(٢).

(١) برقم ٢٧٢٦.

(٢) برقم ٣٣٨ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٦٩) برقم ٣٢٧.

الشاهد أن الذي أعاد الوضوء والصلاة عمل عملاً أكثر من صاحبه الذي لم يُعَدِّ واقتصر على صلاة واحدة، ومع ذلك كان أعظم أجراً بإصابته السنة.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ من مداخل الشيطان على المؤمن إشغاله بالمفضول على الفاضل، بمعنى أن هناك أعمالاً صالحة أجرها عظيم فيشغله بأعمال صالحة أخرى أقل أجراً من الأولى.

ومن الفقه في الدين معرفة الفاضل وتقديمه على المفضول، ومن ذلك ورود عملان صالحان في وقت واحد، فمن الفقه تقديم ما يفوت وقته أو حاله على ما لا يفوت، وذلك كمن سمع الأذان وهو يقرأ القرآن فمن الفقه في الدين تقديم متابعة الأذان على القراءة لأن الأذان يفوت وقته، وقراءة القرآن يمكن تداركها.

ومن ذلك تقديم ما نفعه مُتَعَدِّ إلى الغير على ما نفعه قاصر على صاحبه، كتعليم العلم وتفضيله على العبادة، وفي الحديث: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(١)، وقوله ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»^(٢).

ومن الفقه في الدين تقديم ما هو أساس لغيره وغيره يُبنى عليه، كتقديم طلب العلم على نوافل الصلاة والصيام وغيرها.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم ٢٦٨٥ وقال الترمذي حسن غريب صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٢١٣.

(٢) مستدرک الحاکم (١/٢٨٣) برقم ٣٢٠ وقال محققه الحديث عندي أنه حسن وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٢١٤.

ومن الفقه تقديم ما تنشط له النفس ويكون إقبالها على فعله أعظم،
ومن ذلك إفطار يوم عرفة للحاج مع ما جاء في صيامه من الفضل.

ومنه الاختيار المناسب للحال، قال تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا
الصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
[البقرة: ٢٧١].

قال العلماء: إن صدقة السر أفضل، فإذا كان في إظهارها مصلحة
كاقتداء الغير ونحوه كان الإظهار أفضل، وقس على ذلك موقفاً.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والخمسون

خطر الطائفة النصيرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعداء المسلمين من الكفار يمكرون ويخططون الليل والنهار للقضاء على الإسلام وأهله، ومن خططهم الخبيثة زرع الفرق الضالة في بلاد المسلمين حتى يضعفوا شوكتهم ويسيطروا على ثرواتهم ويبعدوهم عن دينهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن هذه الفرق الباطنية التي غرسها الاستعمار في بلاد المسلمين فرقة النصيرية وهي من أخطر الفرق الباطنية، وسأذكر بعضاً من معتقداتها وأهدافها ونشأتها وخطرها على الإسلام والمسلمين للعلم والحذر.

أما تعريف النصيرية: فهم اتباع محمد بن نصير النميري، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه، وهم من غلاة الشيعة الذين ألَّهوا علي بن أبي طالب، وقد انبثقوا من الاثني عشرية الراضية.

نشأتها: لما توفي الحسن العسكري الذي تدعى الراضية أنه إمامها الحادي عشر، اجتمع الغلاة من الممتمين إليه، وادَّعوا أن له ولداً اختفى في سرداب بمنزل أبيه (سامراء) وأنه الإمام بعد أبيه، وخرج مجموعة من

غلاة الشيعة كل يدّعي أنه هو الواسطة بين هذا الإمام الغائب في السرداب في زعمهم وبين الشيعة، ومن هؤلاء: محمد بن نصير الذي سمي أتباعه فيما بعد بالنصيرية نسبة إليه، ونشأت النصيرية من ذلك الوقت.

أسماءها: كانوا يدعون بالنميرية، ثم اتخذوا اسم النصيرية منذ عهد شيخهم الخصي وكانوا يسمون أنفسهم المؤمنين، وفي فترة الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام تسموا بالعلويين.

مواطنهم: يسكن النصيرية في جبال اللاذقية، وحماه، وحمص من سوريا، وفي لواء الإسكندرونة، وطرسوس، وأدنه أو أطنه (في تركيا حالياً) وفي كردستان وغيرها.

طوائفهم: ينقسم النصيرية إلى أربع طوائف:

١- الحيدرية: نسبة إلى حيدر لقب علي بن أبي طالب.
٢- الشمالية: وهم يقولون إن علياً يسكن في الشمس، ويقال لهم: الشمسية.

٣- الكلازية أو القمرية: ويعتقدون أن علياً يقيم في القمر.

٤- الغيبية: يقولون إن الله تجلّى ثم اختفى، والزمان الحالي هو زمان الغيبية، ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

[الكهف: ٥].

وليس بين هذه الطوائف اختلاف في أصول العقيدة الباطنية كتأليه علي والتناسخ والحلول، فالاختلاف بينهم في مَقَرِّه، بعضهم يجعل مَقَرِّه القمر، وبعضهم الشمس.

أشهر رجالاتها: مؤسس المذهب النصيري هو محمد بن نصير النميري، ثم تولى المذهب بعده محمد بن جندب، ثم الحسين ابن حمدان الخصيبي الذي يعتبر الشيخ الأعظم عند النصيرية.

عقائدهم الأساسية: تتلخص عقائدهم الأساسية فيما يلي:

١- علي بن أبي طالب إله عندهم يسكن السحاب، والرعد صوته، والبرق ضحكته، وهم بهذا يعظمون السحاب، ومنهم من يعتقد أن علياً حال في القمر أو الشمس - كما مر -.

٢- تناسخ الأرواح عندهم عقيدة من عقائدهم، فالذين لا يعبدون علياً يولدون في زعمهم من جديد على شكل إبل وحمير، أما المؤمن وهو عندهم من يعبد علياً فيتحول سبع مرات ثم يأخذ مكانه بين النجوم، ومن ينحرف منهم يولد من جديد حتى يتطهر أو يكفر عن سيئاته.

٣- إنكار البعث، والنشور، والجنة، والنار، والقول بقدوم العالم كما يعتقد الدهرية الزنادقة.

عبادتهم وأركان الإسلام عندهم:

١- الشهادة هي أن تشير إلى صيغة (ع-م-س) وهي رمز لعلي، ومحمد وسلمان، وهي أشبه بعقيدة التثليث عند النصارى.

٢- الصلوات الخمس عبارة عن خمس أسماء وهي علي، وحسن، وحسين ومحمد، وفاطمة، وذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة، والوضوء وبقية شروط الصلاة، وواجباتها.

٣- الزكاة ويرمز لها بشخصية سلمان.

٤- الصوم وهو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً من رجالهم تمثلهم أيام رمضان، وثلاثين امرأة من نساءهم تمثلهم ليالي رمضان.

٥- الجهاد وهو صب اللعنات على الأعداء ويقولون: إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب ويليه في رتبة الإبلسية أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنه أجمعين.. إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة.

فضائح النصيرية: النصيرية يبيحون شرب الخمر والزنا، ولهم ليلة يختلط فيها الرجال والنساء، ويحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت وَيُخَطِّئُونَ مَنْ يلعنه.

تاريخ النصيرية: حافل بالمؤامرات والمكائد للمسلمين، فقد كانوا مع الأعداء دائماً ضد المسلمين كما حصل في أيام التتار وغزو بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]. وقد رأينا وسمعنا وقرأنا عبر وسائل الإعلام ما يحصل لإخواننا أهل السنة في بلاد الشام من قتل، وسجن، وتعذيب، وانتهاك للحرمات، وتمزيق المصاحف، وضرب المساجد على أيدي النظام النصيري الحاقد، وما مجازر المسلمين في سجن تدمر وحماة وغيرها من بلاد الشام والتي قُتل فيها الآلاف من المسلمين؛ أكبر شاهد على جرائمهم الخبيثة، وحقدهم على الإسلام والمسلمين.

وقد اتفق علماء الإسلام على كفر النصيرية، وأنه لا تجوز مناكحتهم، ولا تحل ذبائحهم، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربيين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاته أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر، ولا نهى، ولا ثواب، ولا عقاب، ولا جنة، ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السابقة، وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، ولا يحل لأحد من المسلمين أن يكتفم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بأمر الله ورسوله، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتعاون على كشف شرهم، وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]»^(٢).

وقال في موضع آخر: «وهذه الطائفة الملعونة استولت على

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة تأليف الشيخ ناصر القفاري، والشيخ ناصر العقل ص ١٣٦-١٤٠.

(٢) الفتاوى (١٤٥-١٦٠) بتصرف.

جانب كبير من بلاد الشام (وهم) معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب، وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم، ومن عامة الناس أيضاً في هذا الزمان، لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الإفرنج المخذولين على البلاد الساحلية، فلما جاءت أيام الإسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم، والابتلاء بهم كثير جداً»^(١). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والخمسون

التحذير من الغفلة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله: الغفلة، قال تعالى عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ۗ﴾ (٧) [الروم: ٧]، وقال تعالى عن فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغٰفِلُونَ ۗ﴾ (١١) [يونس: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غٰفِلُونَ ۗ﴾ (٧) أُولَٰئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس: ٧-٨].

قال ابن فارس: «الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۗ﴾ (١) [الأنبياء: ١]»^(١).

وقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه عن الغفلة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغٰفِلِينَ ۗ﴾ (٢٠٥) [الأعراف: ٢٠٥].

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٦) بتصرف.

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطَعٍ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٤٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد تكون الغفلة عن الله عقوبة من الله للعبد على معصيته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عَلَى أَعْوَادٍ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» ^(١).

قد يقول قائل: ما هي أسباب الغفلة حتى يجتنبها المؤمن؟
أقول: إن من هذه الأسباب:

أولاً: الانقطاع الكثير عن زيارة القبور، وتذكر الموت والدار الآخرة: قال تعالى: ﴿الْهَكْمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ [التكاثر: ١-٢]. قال ابن كثير رحمته الله: «أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]» ^(٢).

(١) برقم ٨٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٤٢/١٤).

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ - يَعْنِي الْمَوْتِ -»^(١). وروى مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٢).

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعدادٍ للقاء ربه وألا يكون في غفلةٍ فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمةً فهناك الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، وغير ذلك من الأهوال العظيمة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾^(٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ^(٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ^(٢٢) ﴿ [ق: ٢٠-٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ»^(٣) تَجَارُونَ^(٤) إِلَى اللَّهِ»^(٥).

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم ١٨٧٧.

(٢) برقم ٩٧٦ وابن ماجه برقم ١٥٦٩ واللفظ له.

(٣) الصعدات: قال ابن الأثير (٣/٢٩) هي الطرق وهي جمع صُعد، وصُعد جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات، وقيل: هي جمع صُعدة كظلمة وهي فناء باب الدار وممر الناس بين يديه.

(٤) تجارون: قال في النهاية (١/٢٣٢) الجوار: رفع الصوت والاستغاثة، جار يجار.

(٥) (٣٥/٤٠٥) برقم ٢١٥١٦، وقال محققوه حسن لغيره وأصله في صحيح البخاري برقم ٦٦٣٧.

قال الشاعر:

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لَمَّا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرِ لَوْ رَأَتْهُ عُيُونٌ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
مَمَاتُ ثُمَّ قَبْرُكُمْ حَشْرٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

ثانياً: الانغماس في المباحات، والانشغال بالدنيا وشهواتها وملذاتها والسعي في التجارات وجني الأرباح، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتِنَ»^(١).

ثالثاً: الانقطاع عن مجالس الذكر وعدم المحافظة على الأذكار الشرعية في الصباح والمساء وعند دخول المسجد والخروج منه وعند الدخول إلى المنزل والخروج منه وغير ذلك من المواضع، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرَّ رَبَّنَا فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢) [الأعراف: ٢٠٥].

قال ابن القيم رحمته الله: «على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله»^(٢)، وقال أيضاً: «إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليختر العبد أعجبها إليه وأولاها به،

(١) برقم ٢٢٥٦ وقال الترمذي حديث حسن (صحيح) غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٥٥) برقم ١٨٤٠.

(٢) الوابل الصيب ص ٩٥.

فهو مع أهله في الدنيا والآخرة»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث يسيرة رضي الله عنها وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيرِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفَلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ»^(٢).

رابعاً: الانقطاع عن بيوت الله وهجر صلاة الجماعة وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ ﴾^(٣٦) رِجَالٌ لَا نُفِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۗ ﴾^(٣٧) [النور: ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۗ ﴾^(٣٠) [الفرقان: ٣٠]. روى ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(٣). والمراد بهذا الحديث صلاة الليل وتعاهد القرآن حتى لا يكون من الغافلين.

الخلاصة: أن من أراد أن ينجو من الغفلة: فعليه تجنب الأسباب

(١) الوابل الصيب ص ٩٩.

(٢) (٣٥/٤٥) برقم ٢٧٠٨٩ وقال محققوه إسناده محتمل للتحسين.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/١٨١) برقم ٤٨٣ والحاكم في المستدرک (٢/٢٥٧) برقم ٢٠٨٥ واللفظ له وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٢٤٥) برقم ٦٤٢.

السابقة، والإكثار من ذكر الله حتى يكون من الذاكرين، ومن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والخمسون

محظورات الإحرام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أراد العمرة أو الحج فإن عليه أن يتجنب محظورات الإحرام، والمقصود بها الأشياء التي تحرم بالدخول في النسك، وهي:

أولاً: إزالة الشعر من الرأس بحلق أو غيره: وألحق به جمهور أهل العلم شعر بقية الجسد لأن كل ذلك أخذه من الترفه، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 1٩٦]. وأما اللحية فإن حلقها حرام في حال الإحرام وغيره لما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى» (١).

ثانياً: تقليم الأظافر: قال ابن المنذر في الإجماع، وأجمعوا على أن المَحْرَمَ ممنوعٌ من أخذ أظفاره (٢)، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو وضع

(١) برقم ٥٨٩٣ وصحيح مسلم ٢٥٩ واللفظ له.

(٢) الإجماع ص ٥٧.

الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك»^(١)، وألحقه جمهور العلماء بحلق الشعر بجامع الترفه.

ثالثاً: استعمال الطيب بعد الإحرام: فَيَمْنَعُ الْمُحْرِمُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الطَّيِّبِ فِي بَدَنِهِ، أَوْ ثَوْبِهِ، لِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحِينَ فِيمَا يُمْنَعُ مِنْهُ الْمَحْرَمُ مِنَ اللِّبَاسِ وَفِيهِ: «وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ»^(٢)، وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا»^(٣).

فهذه الأحاديث تدل على أن المحرم لا يستعمل الطيب في حال إحرامه لأنه من الترفه، وله قبل الإحرام أن يستعمل الطيب في بدنه دون لباسه ولا يضره بقاء ذلك بعد إحرامه وهذا يدخل تحت قاعدة: «يجوز في الاستدامة ما لا يجوز في الابتداء»، ويدل لذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أُطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ وَلِحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»^(٤). ولحديثها الآخر: «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى وَبِصِ الطَّيِّبِ فِي مَفْرِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ»^(٥).

(١) تفسير ابن كثير (٤٨/١٠).

(٢) برقم ١٥٤٢ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

(٣) برقم ١٨٥١ وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٤) برقم ١٥٣٨ وصحيح مسلم برقم ١١٨٩.

(٥) برقم ٢٧١ وصحيح مسلم برقم ١١٩٠.

رابعاً: تغطية المحرم رأسه ووجهه بملاصق: للحديث السابق فيما يمنع المحرم من اللباس وفيه: «وَلَا يَلْبَسُ الْقُمُصَّ وَلَا الْعَمَائِمَ»^(١)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الذي وقصته ناقته وهو محرم قال: «اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفّنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً»^(٢).

وأما الاستظلال بغير ملاصق كالشمسية، وسقف السيارة، أو الخيمة، أو غير ذلك فلا حرج فيه، ففي صحيح مسلم أن أسامة بن زيد رضي الله عنه وبلاً رضي الله عنه كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم أثناء رمي جمرة العقبة، أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة^(٣).

ولحديث جابر رضي الله عنه في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: أنه صلى الله عليه وسلم نزل في القبة التي ضربت له بنمرة حتى زاغت الشمس^(٤).

خامساً: لبس المخيط: فلا يجوز للذكر أن يلبس مخيطاً على جملته، يعني على هيئته التي فصل وخيط عليها كالقميص، أو على بعضه كالفانلة والسراويل والخفين والجوربين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا الْبُرُنْسَ وَلَا السَّرَاوِيلَ»^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٢ وصحيح مسلم برقم ١١١٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم ١٢٩٨.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٣٤ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

إلا إذا لم يجد إزاراً جاز له لبس السراويل، وكذا من لم يجد نعلين جاز له لبس الخفين من غير قطع لحديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَاراً فَلْيَلْبَسِ السَّرَاوِيلَ»^(١).

ويحرم على المرأة المحرمة أن تلبس مخيطةً لوجهها كالبرقع، والنقاب، أو ليديها، كالفازين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَنْتَقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ وَلَا تَلْبَسِ الْقُقَاذَيْنِ»^(٢)، والقُفَّازان هما ما يخاط أو ينسج من الصوف، أو القطن، أو غيرهما على قدر اليدين، ويباح لها من المخيط ما سوى ذلك كالقميص والسراويل والخفين والجوارب ونحو ذلك، وكذلك يباح لها سدل خمارها على وجهها إذا احتاجت إلى ذلك بلا عصابة، وإن مس الخمار وجهها فلا شيء عليها لحديث فاطمة بنت المنذر أنها قالت: «كُنَّا نُخَمِّرُ وَجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»^(٣).

سادساً: قتل صيد البر: لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، وقوله: ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

(١) برقم ٥٨٥٢ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٨٣٨.

(٣) موطأ مالك ص ٢١٣ حديث رقم ٩٧٣ وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٠٤/٢) برقم ١٧١١ وصححه ووافقه الذهبي وقال محققه سنده صحيح.

وهذه الآيات تدل على أن المحرم من حين دخوله في الإحرام بالحج أو العمرة إلى تحلله يجب عليه الامتناع من قتل صيد البر، بل لا يجوز له المساعدة في قتله ولا دلالة غير المحرم عليه، لِحَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي سَفَرٍ وَهُمْ مُحْرِمُونَ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَرَأَوْا حُمْرَ وَحْشٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، وَأَكَلُوا مِنْهَا، وَفِيهِ: ثُمَّ قُلْنَا: أْنَاكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ؟ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا»^(١).

سابعاً: عقد النكاح أو الخطبة: فلا يتزوج المحرم ولا يزوج غيره بولاية ولا وكالة ولا يخطب النساء، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ»^(٢).

ثامناً: وطء يوجب الغسل: لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ فُزَّ فِيهِتَ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والرَفَثُ: هو الجماع كما في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فمن جامع قبل التحلل الأول متعمداً فسد نسكه.

تاسعاً: المباشرة فيما دون الفرج قبل التحلل الأول بتقبيل أو غيره: وفي هذه الحالة لا يفسد نسكه ولكن قد ارتكب مُحْرَمًا ويجب

(١) صحيح البخاري برقم ١٨٢٤ وصحيح مسلم برقم ١١٩٦.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٤٠٩.

عليه التوبة والاستغفار، وأوجب بعض أهل العلم الفدية عليه.
ومن فعل إحدى المحظورات الخمس السابقة فإن حاله لا يخلو
من ثلاث:

الأول: أن يفعل المحذور بلا عذر ولا حاجة، فهذا آثم وعليه
الفدية.

الثاني: أن يفعل المحذور لحاجة إلى ذلك، فعليه الفدية
ولا إثم عليه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ
فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ولما رواه البخاري
ومسلم في صحيحيهما من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه صلى الله عليه وسلم وأنه يسقط على وجهه القمل، فقال: «أَيُّ ذِيكَ
هَؤُمُوكَ؟»، قال: نعم، فأمره أن يحلق وهو بالحديبية، ولم يتبين
لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله
الفدية، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا بين ستة أو يهدي شاة
أو يصوم ثلاثة أيام^(١).

الثالثة: أن يفعل المحذور: إما جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً،
فلا إثم عليه، ولا فدية لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ
اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢)،

(١) برقم ١٨١٧ وصحيح مسلم برقم ١٢٠١.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٢٠٤٥ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٨).

لكن متى زال العذر فعلم بالمحذور، أو ذكره، أو زال إكراهه، أو استيقظ من نومه وجب عليه التخلي عن المحذور فوراً.

أما بقية المحظورات الأربعة الباقية فإنها تختلف بحسب كل حالة وهذه تراجع في كتب الفقه ففيها تفصيل ذلك^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ص ٣٣-٣٩، صفة الحج للشيخ ابن عثيمين ص ٣٣-٣٧، تبصير الناسك بإحكام المناسك للشيخ عبد المحسن البدر ص ٤٩-٦٥، والعمرة والحج والزيارة للشيخ سعيد القحطاني ص ٨٠-٩١، وكيف يحج المسلم ويعتمر للشيخ عبد الله الطيار ص ٤٢-٤٥.

الكلمة الخامسة والخمسون

فضل العمرة وصفتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضل العمرة وأنها من مكفرات الذنوب، وأما وجوبها فقد اختلف أهل العلم في ذلك، ومن أدلة القائلين بالوجوب: ما رواه الإمام أحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»^(١).

قال ابن خزيمة: قوله في الحديث: «عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ» بيان أن العمرة واجبة كالحج، إذ ظاهر قوله «عَلَيْهِنَّ» أنه واجب إذ غير جائز أن يقال: «على المرء ما هو تطوع غير واجب»^(٢).

ومنها ما رواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال جبريل إياه عن الإسلام فقال: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،

(١) (١٩٨/٤٢) برقم ٢٥٣٢٢ وقال محققوه إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) (صحيح ابن خزيمة ٣٥٩/٤).

وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُحِجَّ وَتَعْتَمِرَ، وَتُغْتَسِلَ مِنْ الْجَنَابَةِ، وَأَنْ تُتِمَّ الْوُضُوءَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقْتَ»^(١).

ومما يدل على فضل العمرة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢).

ومنها ما رواه النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

وصفة العمرة أن يُحْرِمَ المعتمرُ من الميقات سواء كان ذلك عن طريق البحر، أو الجو، أو البر، ومن كان من دون هذه المواقيت أُحْرِمَ من موضعه كأهل جدة أو بحرة أو غيرها.

وإذا كان المعتمر عن طريق الجو وخشي من تجاوز الميقات أحرم قبله بمدة كافية ليتيقن أنه أحرم عند الميقات أو قبله، ويستحب له أن يغتسل كما يغتسل للجنابة ويتطيب بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين، والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير ألا

(١) (٣٥٦/٤) برقم ٣٠٦٥ وسنن الدارقطني (٢/٢٨٣) برقم ٢٠٧ وقال هذا إسناد ثابت صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٧٧٣ وصحيح مسلم برقم ١٣٤٩.

(٣) برقم ٢٦٣٠ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٥٨) برقم ٢٤٦٧.

تتبرج بزينة، ثم يصلي الفريضة إن كان وقت فريضة، ليحرم بعدها، فإن لم يكن وقت فريضة ووافق صلاة التطوع أحرم بعدها.

ثم إذا فرغ من الصلاة نوى الدخول في العمرة فيقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ^(١)، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ عُمْرَةً...». يرفع الرجل صوته بذلك وتخفيه المرأة، فقد روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِيَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ»^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ أَوْ لَا تُسَاوِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حِجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةً»^(٣).

ويستمر على هذه التلبية حتى تكون شعاره حتى يبدأ الطواف بالبيت، ثم يمسك عن التلبية ليتفرغ للاشتغال بأذكار الطواف والسعي وغيرها، ومن تيسر له الاغتسال قبل دخول مكة فإنه يستحب له ذلك، لما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث نافع عن ابن عمر رضي عنهما: «أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحِجْلِ أَمَسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طُوًى، ثُمَّ يُصَلِّي بِهِ الصُّبْحَ وَيَغْتَسِلُ، وَيُحَدِّثُ

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٩ وصحيح مسلم برقم ١١٨٤.

(٢) برقم ١٨١٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٣٤١) برقم ١٥٩٩.

(٣) برقم ٢٨٩٠ وأصله في صحيح البخاري برقم ١٥١٧، وفيه: «حج النبي ﷺ على رحل وكانت زاملته»، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦١٧.

أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ»^(١).

وله أن يدخل مكة من أي طريق شاء لقوله ﷺ: «كُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ»^(٢)، والنبي ﷺ دخلها من أعلاها لأن الداخل يأتي من قِبَلِ وَجْهِهَا، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ مَكَّةَ، دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَتَى مَكَّةَ جَازَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، لَكِنِ الْأَفْضَلُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ وَجْهِ الْكَعْبَةِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُ دَخَلَهَا مِنْ وَجْهِهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُلْيَا الَّتِي فِيهَا الْيَوْمَ بَابُ الْمَعْلَاةِ»^(٤).

ويستحب له إذا أراد الدخول للمسجد الحرام أن يقدم رجله اليمنى ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ.. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ..»^(٥)، «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»^(٦)، ويقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٧).

(١) برقم ١٥٧٣ وصحيح مسلم برقم ١٢٥٩ واللفظ للبخاري.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٣٠٤٨ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠/٢) برقم ٢٤٧٣.

(٣) برقم ١٥٧٧ وصحيح مسلم برقم ١٢٥٨.

(٤) الفتاوى (١١٩/٢٦).

(٥) ابن السني في عمل اليوم واللييلة برقم ٨٨ وحسنه الألباني في الكلم الطيب برقم ٦٣.

(٦) صحيح مسلم برقم ٧١٣.

(٧) سنن أبي داود برقم ٤٦٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣/١) برقم

وهذا الدعاء يقال في جميع المساجد، ولم يثبت عن النبي ﷺ عند رؤية الكعبة دعاء خاص، فيدعو بما تيسر وإن دعا بدعاء أمير المؤمنين عمر رضي عنه: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، فَحِينًا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ^(١)، فحسن لثبوته عنه.

ثم يبادر إلى الحجر الأسود ويُقبله إن استطاع وإلا فيستلمه بيده أو عصا، وَيُقْبَلُ ما استلمه منه، فإن شق ذلك فإنه يستقبل الحجر ويشير إليه بيده ويقول: «الله أكبر» وثبت عن ابن عمر موقوفاً عليه أنه كان يسمي ويكبر^(٢)، ويجعل الكعبة عن يساره أثناء الطواف، فإذا بلغ الركن اليماني استلمه من غير تقبيل، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي عنهما قال: «لَمْ أَرِ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيِّينِ»^(٣)، فإن لم تيسر فلا يزاحم عليه، ويسن له أن يستلمه بيمينه، فإن لم يستلمه فإنه يتركه ويمضي، ولا يشير إليه، ولا يكبر لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ.

ولا تُقْبَلُ جدران الكعبة وبقية أركانها ولا تستلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين - الصحابة وأهل البيت وغيرهم - أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا

٤٤١ والكلم الطيب برقم ٦٥.

(١) سنن البيهقي (٧٢/٥) وحسنه الألباني في مناسك الحج والعمرة ص ٢٠.

(٢) سنن البيهقي (٧٩/٥) وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٤٧/٢) سنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري ١٦٠٩ وصحيح مسلم برقم ١٢٦٧.

من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ^(١). ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت اللذين يليان الحَجَرَ ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين ^(٢).

وقد حُفِظَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول بين الركنين اليماني والأسود: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» ^(٣).

ثم يبدأ بالطواف حول الكعبة يجعلها عن يساره، فيطوف من وراء الحَجَرِ سبعة أشواط من الحَجَرِ إلى الحَجَرِ شوط، يضطبع ^(٤) فيها كلها، ويرمل في الأشواط الثلاثة الأول منها، من الحجر إلى الحجر، ويمشي في سائرها ^(٥)، وليس للطواف ذكر خاص، فله أن يقرأ من القرآن أو الذكر ما شاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس فيه ذكر محدود عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية» ^(٦).

(١) برقم ١٦١٠ وصحيح مسلم برقم ١٢٧٠.

(٢) الفتاوى (٧٩/٢٧).

(٣) سنن أبي داود برقم ١٨٩٢ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٤/١) برقم ١٦٦٦.

(٤) الاضطباع أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على يساره وييدي منكبه الأيمن، ويغطي الأيسر.

(٥) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٦) منسك شيخ الإسلام شرح الشيخ ابن جبرين (ص ٨٣ - ٨٤).

فإذا فرغ من طوافه انطلق إلى مقام إبراهيم وقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وصلى خلف المقام ركعتين، ويسن له أن يقرأ في الركعتين بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١) في الركعة الأولى، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) في الركعة الثانية^(١)، فإذا فرغ من الصلاة ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصب على رأسه، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن زمزم: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامٌ طُعِمَ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ»^(٢)، ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيكبر ويستلمه على التفصيل المتقدم، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، ثم رجع إلى الركن فاستلمه^(٣).

ثم ينطلق ليسعى بين الصفا والمروة، فإذا دنا من الصفا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ويقول: نبدأ بما بدأ الله به، ثم يصعد على الصفا فيستقبل الكعبة فيوحده الله ويكبره، فيقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ

(١) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧/٥) برقم ٩٩٣٩ وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٠٥٦.

(٣) برقم ١٢١٨.

وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْجَزَ وَعَدَّهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ (ثلاثاً)... ويدعو بين ذلك»^(١)، ثم يمشي إلى العلم (الموضوع) عن اليمين واليسار وهو المعروف بالميل الأخضر، ثم يسعى منه سعيًا شديدًا إلى العلم الآخر الذي بعده، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر الطويل وفيه: «ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا أَنْصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى»^(٢). وقال بعض أهل العلم: إن المرأة لا يشرع في حقها الإسراع. ثم يمشي حتى يأتي المروة فيرتقي عليها ويصنع فيها ما صنع على الصفا من استقبال القبلة والتكبير والتوحيد والدعاء فهذا شوط، ثم يعود حتى يرقى على الصفا يمشي موضع مشيه، ويسعى موضع سعيه وهذا شوط ثان، وهكذا حتى يتم له سبعة أشواط، تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة، ويجوز أن يطوف بينهما راكباً لأن النبي ﷺ ابتداء السعي ماشياً، فلما كثر عليه الناس ركب.. ويستحب له الإكثار من الذكر والدعاء بما تيسر ولو دعا في السعي بقوله: «رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ»، فحسن لثبوته عن بعض الصحابة^(٣).

فإذا انتهى من الشوط السابع على المروة قص شعر رأسه، أو

(١) صحيح مسلم ١٢١٨.

(٢) برقم ١٢١٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٣٢/٥) الأول ١٥٧٩٠ والثاني ١٥٧٩١، عن ابن مسعود وابن عمر قال الألباني في مناسك الحج والعمرة بإسنادين صحيحين ص ٢٨.

حلق إذا كان بين عمرته وحجه فترة كافية يطول الشعر خلالها، ولا بد في التقصير من تعميم جميع جوانب الرأس، وأما المرأة فإنها تقصر من كل ضفيرة قدر أنملة، والأنملة هي رأس الأصبع. وبذلك تنتهي العمرة، وحل للمحرم ما حرم عليه بالإحرام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومية

(١١٠) درر للترغاة والمطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

و. أمينة بن محمد آل نوري الشقاوي

مجتمع الباحثين

الكلمة السادسة والخمسون

شروط وجوب الحج

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن الحج ركنٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ من فرائضه العظام، وفضائله كثيرة ويجب على كل مسلم في العمر مرة واحدة.

وقرّر أهل العلم أن الحج يجب بخمسة شروط:

الشرط الأول: الإسلام: فالكافر والمشرک لا يصح حجهما ولا يُمكنُ من دخول المسجد الحرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أخبره أن أبا بكر الصديق بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»^(١).

الشرط الثاني: العقل: فالمجنون لا يؤمر بالحج والعمرة ولا يصحان منه لو أتى بهما لفقده عقله، روى أبو داود في سننه من

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٦٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤٧).

حَدِيثِ عَلِيٍّ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»^(١).

الشرط الثالث: البلوغ: فلا يجب الحج على الصبي حتى يبلغ للحديث السابق، ولكن لو حج الصبي صح حجه ولا يجزئه عن حجة الإسلام، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي عنهما: أَنَّ امْرَأَةً رَفَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ»^(٢)، وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ فَعَلِيهِ حِجَّةٌ أُخْرَى، وَأَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عُتِقَ فَعَلِيهِ حِجَّةٌ أُخْرَى»^(٣).

قال الترمذي: «وقد أجمع أهل العلم أن الصبي إذا حج قبل أن يدرك فعلية الحج إذا أدرك لا تجزي عنه تلك الحجة عن حجة الإسلام، وكذلك المملوك إذا حج في رِقِّهِ ثُمَّ أُعْتِقَ فَعَلِيهِ الْحَجُّ إِذَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَلَا يَجْزِي عَنْهُ مَا حَجَّ فِي حَالِ رِقِّهِ، وَهُوَ قَوْلُ سَفِيَّانَ، الثَّوْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ»^(٤).

الشرط الرابع: كمال الحرية: فلا يجب الحج على المملوك،

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٤٠٣)، وقال الألباني: صحيح كما في «الإرواء» (٤/٢) (برقم ٢٩٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٣٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣٤٩/٤)، والحاكم في «المستدرک» (١٤٤/٢) (برقم ١٨١٢). وقال الحافظ في «الفتح» (٧١/٤): إسناده صحيح.

(٤) «سنن الترمذي» (ص ١٦٩).

ولكنه لو حج فحجه صحيح، ولا يجزئه عن حجة الإسلام، لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: «وَأَيَّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عَتَقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى»^(١).

الشرط الخامس: الاستطاعة: فالحج إنما يجب على من استطاع إليه سبيلاً بنص القرآن والسنة، والمراد بالمستطيع القادر ببدنه وماله لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فمن عجز عن الحج والعمرة لهرم أو مرض لا يرجى برؤه، أو كان قادراً ببدنه وليس عنده مال يحج به أو يعتمر لم يجب عليه، ومن عجز ببدنه وعنده مال لزمه أن ينيب من يحج عنه ويعتمر.

والنيابة في الحج والعمرة مشروعة لحديث أبي رزين العُقَيْلِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ وَلَا الظَّنَّ، قَالَ: حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ»^(٢).

ولحديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحْجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ»^(٣).

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٩٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٥١٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٣٤).

ومن مات وهو لم يُحجَّ وله مال، أخرج من تركته ما يُحجُّ به عنه، ولغيره أن يحج عنه لِحَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: أَنَّ امْرَأَةً مَاتَتْ أُمَّهَا، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ فَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: حُجِّي عَنْهَا»^(١).

وتزيد المرأة شرطاً سادساً: وهو وجود محرمٍ أو زوجٍ يرافقها إلى الحج، لما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرَجَ فِي جَيْشٍ كَذَا وَكَذَا، وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الْحَجَّ؟ فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَهَا»^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ١١٤٩).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٦٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤١). انظر: «تبصير الناسك بأحكام المناسك» للشيخ عبد المحسن البدر، و«العمرة والحج والزيارة» للشيخ سعيد بن علي القحطاني.

الكلمة السابعة والخمسون

صفة الحج وواجباته

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد وردت النصوص الدالة على فضل الحج وأنه من مكفرات الذنوب، ومنها قوله ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١)، والحج المبرور هو الذي يجتمع فيه ثلاثة أمور: الأول: الإخلاص لله ﷻ، والثاني: أن يكون وفق السنة لقوله ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(٢)، والثالث: سلامته مما يفسده أو ينقصه.

وصفته على سبيل الاختصار:

١- إذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، استحب للذين أحلوا بعد العمرة وهم المتمتعون أن يُحْرِمُوا بالحج ضحى من محالِّهم، وكذلك من أراد الحج من أهل مكة، أما القارن والمفرد الذين لم يحلوا من إحرامهم فهم باقون على إحرامهم الأول.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٧٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤٩).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩٧).

أما الحجاج الذين قدموا إلى مكة اليوم الثامن، فلا بد أن يُحرموا من الميقات، وهذا واجب من واجبات الحج، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»^(١).

والمقصود بالإحرام: هو نية الدخول في النسك وهو ركن من أركان الحج، فمن ترك هذه النية لم ينعقد حجه، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٢).

سواء كان الميقات عن طريق الجو، أو البحر، أو البر، ومن كان من دون هذه المواقيت أحرم من موضعه كأهل جدّة، أو بحرة، أو غيرها، وإذا كان الحاج عن طريق الجو وخشي من تجاوز الميقات أحرم قبله بمدة كافية ليتيقن أنه أحرم عند الميقات أو قبله، ويستحب له أن يغتسل كما يغتسل للجنابة ويتطيب بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ويلبس إزارًا ورداءً أبيضين، والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير ألا تتبرج بزينة، ثم يصلي الفريضة إن كان وقت فريضة ليحرم بعدها، فإن لم يكن وقت فريضة، ووافق صلاة التطوع أحرم بعدها، ثم إذا فرغ من الصلاة نوى الدخول في الحج.

٢- ثم يقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ حَجًّا» يرفعُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١١٨١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩٠٧).

الرجل صوته بالتلبية وتخفيه المرأة، ويسن الإكثار من التلبية ولا يقطعها حتى يرمي جمرة العقبة يوم العيد.

٣- ثم يخرج إلى منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، يقصر الرباعية إلى ركعتين ولا يجمع، والمكوث في منى اليوم الثامن سنة.

٤- فإذا طلعت الشمس من اليوم التاسع سار إلى عرفة فينزل بنمرة إن تيسر له إلى الزوال وإلا نزل بعرفة، فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر قصرًا وجمعًا، ثم تفرغ لذكر الله ودعائه يستقبل القبلة في ذلك ولو كان الجبل خلفه حتى تغرب الشمس، والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لأن الله قال: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾، فإن الإفاضة من عرفة إنما تكون بعد الوقوف وهو الركن الذي يفوت الحج بفواته لحديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه قال: «شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَقِفُ بَعْرَةَ، وَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الْحَجُّ؟ قَالَ: الْحَجُّ عَرَفَةٌ، فَمَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ لَيْلَةَ جَمْعٍ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ»^(١). قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: «وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ فَرُضٌ، لَا حَجَّ لِمَنْ فَاتَهُ الْوُقُوفُ بِهَا»^(٢).

وذكر أهل العلم أن مَنْ فَاتَهُ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ يَوْمَ التَّاسِعِ وَلَيْلَةَ

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ٣٠١٥)، وإسناده على شرط البخاري ومسلم، إلا بكير بن عطاء وهو ثقة.

(٢) «الإجماع لابن المنذر» (ص ٦٤).

العيد، فليس له حج وعليه أن يجعل نسكه عمرة ويقضي حجه .

أَمَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ لِمَنْ وَقَفَ بِهَا نَهَارًا، فَهُوَ
 وَاجِبٌ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَجِّ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي صِفَةِ حَجَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَفِيهِ: «فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا
 حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ» ^(١)، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا
 أَذْرِي لِعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» ^(٢).

٥- فإذا غربت الشمس سار إلى مزدلفة فصلى بها المغرب
 ثلاثاً والعشاء ركعتين ويبيت بها، فإذا صلى الفجر اشتغل بذكر الله
 ودعائه حتى يسفر جداً، والمبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج
 لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ
 عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والمشعر الحرام مزدلفة، ولأنَّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بات بها حتى أصبح ورخص للضعفة من النساء والصبيان
 بالإفاضة إلى منى في آخر الليل، والترخيص منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم يدل على
 وجوب المبيت؛ لأنه لو لم يكن واجباً لم يحتج فيه إلى الترخيص .

٦- فإذا أسفر جداً سار إلى منى، فإذا وصل إليها بدأ برمي
 جمرة العقبة وهي أقرب الجمرات إلى مكة، فيرميها بسبع حصيات
 متعاقبات، كل حصة فوق الحمصة قليلاً ويكبر مع كل حصة
 بخشوع وتعظيم لله تعالى .

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩٧).

والرمي يوم النحر قبل الزوال أو بعده إلى الليل لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُسْأَلُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى فَيَقُولُ: لَا حَرَجَ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبَحَ؟ قَالَ: اذْبَحْ لَا حَرَجَ، فَقَالَ رَجُلٌ: رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أُمْسَيْتُ؟ قَالَ: لَا حَرَجَ»^(١).

٧- فإذا فرغ من رميها نحر هديه، وهو شاة أو سُبُع بدنة، أو سُبُع بقرة، وهو واجب على المتمتع والقارن، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَ تَمْنَعُ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وإذا عجز عن الهدى وجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

ويستحب أن يأكل من الهدى ويهدي ويتصدق، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]. ويمتد وقت الذبح على الصحيح إلى غروب شمس اليوم الثالث عشر من أيام التشريق، ويجوز له أن ينحر في أي مكان آخر من منى وكذلك في مكة، لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «مِنَى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ، وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ، وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ»^(٢).

٨- فإذا فرغ من نحر هديه حلق رأسه كله أو قصره، والحلق أفضل إلا المرأة فتقصر من رأسها بقدر أنملة، لِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا بِالرَّحْمَةِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٣٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٠٦).

(٢) «سنن ابن ماجه» (برقم ٣٠٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»

(١٨٠/٢) (برقم ٢٤٧٣).

وَالْمَغْفِرَةَ لِلْمُحَلِّقِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ مَرَّةً وَاحِدَةً^(١).

وبعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير، يباح للمحرم كل شيء حُرِّمَ عليه بالإحرام إلا النساء، ويُسمى هذا التحلل الأول، فإذا تحلل التحلل الأول استحَبَّ له أن يتطَيَّبَ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أَطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»^(٢).

٩- ثم ينزل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. ولما جاء في الصحيحين من حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا حَاضَتْ صَفِيَّةُ قَالَتْ: «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَاضَتْ بَعْدَ الْإِفَاضَةِ؟ قَالَ: فَلَا إِذَا^(٣). وفي رواية مسلم: «لَا بَأْسَ أَنْفِرِي»^(٤).

فدل ذلك على أن هذا الطواف لا بد منه وأنه حابس لمن لم يأت به، قال ابن قدامة: «وهو ركن من أركان الحج لا يتم إلا به لا نعلم فيه خلافاً، ولأن الله ﻋَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٥) [الحج: ٢٩]. ولا يشرع الرمل والاضطباع في طواف الإفاضة فإنهما

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٢٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٣٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١١٨٩).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٥٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٢١١).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١١).

(٥) «المغني» (٣١١/٥).

في طواف القدوم، ثم يسعى بعد ذلك سعي الحج إن كان متمتعاً لأن سعيه الأول لعمرته، وهذا سعي الحج وهو ركن من أركانه لقول النبي ﷺ: «اسْعُوا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»^(١).

أما القارن والمفرد فليس عليه إلا سعي واحد، فإن كان قد سעה بعد طواف القدوم كفاه ذلك عن السعي بعد طواف الإفاضة وإلا سعى بعد طواف الإفاضة، وبعد الطواف والسعي يتحلل الحاج التحلل الثاني فيحل له كل ما أحلَّ الله له قبل الإحرام حتى النساء.

وخلاصة ما يفعل الحاج يوم العيد ما يلي: (رمي جمرة العقبة، نحر الهدى، الحلق أو التقصير، الطواف، السعي)، والسنة أن يرتبها هكذا وإن لم يتيسر له فقدم بعضها على بعض فلا حرج.

١٠- ثم بيت بمنى ليالي أيام التشريق الثلاث للمتأخرين وليلتين للمتعجلين، لقول الله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولأن النبي ﷺ بات بها ليالي أيام التشريق الثلاث.

وهذا المبيت واجب من واجبات الحج إلا على السقاة والرعاة، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه: «أنه استأذن النبي ﷺ أن يبيت بمكة ليالي مني من أجل سقايته فأذن له»^(٢)، ولحديث عاصم بن عدي رضي الله عنه: «أن

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٦٧/٤٥) (برقم ٢٧٣٦٨)، وصحح إسناده الحافظان المزي وابن عبد الهادي. انظر: «إرواء الغليل» (٢٧٠/٤) (برقم ١٠٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٦٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣١٥).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَخَّصَ لِلرَّعَاةِ فِي الْبَيْتُوتَةِ يَرْمُونَ يَوْمَ النَّحْرِ، وَالْيَوْمَيْنِ
اللَّذِينَ بَعْدَهُ يَجْمَعُونَهُمَا فِي أَحَدِهِمَا^(١)، فدلَّت هذه الرخصة على
أن المبيت بمنى هذه الليالي واجب على غير السقاة والرعاة، ومثلهم
من تدعو الحاجة إلى بقائهم في غير منى.

١١- ثم يرمي الحاج الجمرات الثلاث في هذين اليومين بعد
الزَّوَالِ، وهذا الرمي واجب من واجبات الحج، ولا يجوز الرمي
قبل الزوال لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْمِ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ، ولو كان ذلك
جائزاً لرمى قبل الزوال تيسيراً على أمته، ولهذا قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما
كما صحیح البخاري: «كُنَّا نَتَحَيَّنُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ رَمَيْنَا»^(٢)،
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «لَا تُرْمَى الْجِمَارُ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى
تَزُولَ الشَّمْسُ»^(٣).

ويبدأ برمي الجمرة الصغرى وهي أبعد الجمرات عن مكة
فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، ويكبر مع كل حصاة، ولا بد أن
يقع الحصى في الحوض، فإن لم يقع في الحوض لم يجز، ثم يتقدم
قليلاً عن الزحام ويستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو الله تعالى بما أحب
من دعاء، ثم يرمي الجمرة الوسطى ويقف بعدها للدعاء كما فعل
في الأولى سواء، ثم يرمي الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة التي

(١) «سنن النسائي» (برقم ٣٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح «سنن النسائي» (٢/٦٤٢)
(برقم ٢٨٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٤٦).

(٣) «موطأ مالك» (برقم ١٢٧٩)، وقال محققه: صحيح موقوف.

رماها يوم العيد كما في الجمرتين قبلها ولا يقف بعدها للدعاء.

ثم يرمي الجمرات في اليوم الثاني من أيام التشريق بعد الزوال كما رماها في اليوم الأول تمامًا، ويفعل عند الأولى والثانية كما فعل في اليوم الأول من أيام التشريق، فإن شاء تأخر في منى لليوم الثالث عشر ورمى الجمار فيه بعد الزوال وهو أفضل؛ لأنه فعل النبي ﷺ، وفيه زيادة عمل صالح وإن شاء تعجل في يومين فخرج من منى في اليوم الثاني عشر قبل الغروب، ومن عجز عن الرمي كالكبير، والمريض، والصغير، والمرأة الحامل، ونحوهم جاز أن يوكل من يرمي عنه، لقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وينبغي أن يكثر من التكبير والذكر في تلك الأيام والليالي، لقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولقول النبي ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَبًا»^(١).

١٢- إذا أنهى الحاج جميع أفعال الحج السابقة وأراد الرجوع إلى بلده، فإنه لا يخرج من مكة حتى يطوف بالبيت طواف الوداع ويجعله آخر أموره قبل سفره وهو من واجبات الحج، لأن النبي ﷺ طاف للوداع عند خروجه، ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أَمَرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُ خَفَّفَ عَنِ الْحَائِضِ»^(٢).

والترخيص للحائض في ترك طواف الوداع يدل على وجوبه،

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١١٤١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٢٨).

ومثل الحائض في ذلك النفساء، وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَاضَتْ صَفِيَّةُ قَالَ: «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهَا أَفَاضَتْ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: اخْرُجُوا»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثامنة والخمسون

فضائل مكة وحرمتها^(١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الخالق عَزَّوَجَلَّ لجميع المخلوقات فَضَّلَ بعضها على بعض واختار منها ما شاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص: ٦٨]. ومن الأماكن الفاضلة التي فَضَّلَهَا اللهُ على غيرها مكة، البلد الأمين مهبط الوحي ومنبع الرسالة، وهي البلد الذي أقسم الله به فقال: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)﴾ [البلد: ١-٢]. قال ابن كثير: هذا قسم من الله تعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال سُبْحَانَكَ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)﴾ [التين: ٣]^(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها وحرمتها فمن ذلك:

أن فيها بيت الله العتيق أول بيت وضع للناس، قَالَ تَعَالَى:

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ليس في الدنيا شيءٌ حَرَمٌ إلا هذان الحرمان: حرم مكة وحرم المدينة، أما ما يقال: حرم الأقصى والحرم الإبراهيمي، فلا صحّة ولا أصل له [«الشرح الممتع» (٧/٢١٥)].

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٥٣).

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذرٍّ رضي عنه قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا»^(١).

ومنها: أن الله جعلها حرماً آمناً لا يُسْفِكُ فيه دم، ولا تعضد به شجرة^(٢)، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه^(٣)، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي شريح رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةٌ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذُنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٣٦٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٢٠). قال ابن القيم: وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، وهذا من جهل هذا القائل، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده، ولا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق - صلى الله عليهما وسلم - بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار. «زاد المعاد» (١/ ٥٠).

(٢) لا يعضد شجره: لا يقطع.

(٣) الخلا: النبات الرطب، واختلاؤه: قطعه.

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(١).

ومن فضائلها: ما ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ»^(٢).

وقد بحث أهل العلم هنا مضاعفة الصلاة هل هي في الحرم كله؟ وهل سائر الحسنات كذلك؟ فأما المسألة الأولى، ففي الحديث السابق وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ»^(٣). ونصوص القرآن والسنة التي ذُكِرَ فيها المسجد الحرام إنما عُنِيََ به الحرم كله، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]. وإنما أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ رضي الله عنها. ومن أدلة السنة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا كَانَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، دَخَلَ الْحَرَمَ وَصَلَّى فِيهِ^(٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٥٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٦/٢٣) (برقم ١٤٦٩٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٢٠/٣١) (برقم ١٨٩١٠)، وقال محققوه:

إسناده حسن.

وأما المسألة الثانية: فقد وردت آثار عن السلف بالمضاعفة لجميع الأعمال الصالحة، ومن تأمل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بُظْلًا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، أيقن أن تعظيم حرمة الحرم تدل على فضله، والمسألة طويلة البحث أشرت إليها إشارة.

ومنها: أن الله أخبر أنها أم القرى كما في قوله تعالى: ﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]. فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها.

ومنها: أنها قبلة لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ، رَكَعَ فِي قُبْلِ الْبَيْتِ رَكَعَتَيْنِ، وَقَالَ: «هَذِهِ الْقِبْلَةُ» (١).

ومنها: الأمن لداخل الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وهذا إما خبر بمعنى الأمر لاستحالة الخلف في خبره تعالى، وإما خبر عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه، وإما إخبار عن الأمر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٣٣١) مختصراً.

أَفِالْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وَقَالَ تَعَالَى:
﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا
يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧] (١).

ومنها: أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة
دون سائر البقاع، لقوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي
أيوب الأنصاري رضي عنه: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا
تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرُّوْا أَوْ غَرَّبُوا» (٢).

ومنها: أن الله اختارها لمناسك الحج وجعل القصد إليها
عبادة تُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ وتُمَحَى بِهَا السَّيِّئَاتُ، كما جاء في
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَّ
لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ» (٣).

ومنها: أن مكة خير البلاد وأحبها إلى الله ورسوله ﷺ،
فقد روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عدي رضي عنه:
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ
إِلَى اللَّهِ، وَلَوْ لَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» (٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما قَالَ: قَالَ:

(١) زاد المعاد (٣/٤٤٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٤) واللفظ له.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٢١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٥٠).

(٤) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٢٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ! وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»^(١).

ومنها: أن الله جعلها مسرى نبيه محمد ﷺ إلى السماء، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

ومنها: أن الرحال لا تُشَدُّ للسفر إلى غير المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٢).

ومنها: أن الله ﷻ أضاف البيت الحرام في مكة إلى نفسه، فقال: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٧]. فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه لنفسه لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً^(٣).

ومنها: أن الله تعالى عطف القلوب إلى بيته الحرام وجعله مثابة للناس، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٢٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٧).

(٣) «زاد المعاد» (٥٣/١)، و«بدائع الفوائد» (٦/٢).

[١٢٥]. أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا زيارة له، ازدادوا له اشتياقاً، قال الشاعر:

لَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقًا
وكم أنفق في حبه من الأموال والأرواح، ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل، والأحباب والأوطان؟! مقدماً بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطف والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه^(١). اهـ.

ومما يدل على فضلها ومكانتها: ما جاء في المعاقبة على الهم بالسيئة فيها وإن لم تُفعل، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاكِمِ يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِي: «فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد موجب للعذاب وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، وفي الآية الكريمة: وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها»^(٢).

وكان لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فسطان: أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلى في الحرم، وفي هذا تحذير شديد

(١) «زاد المعاد» (١/٥١-٥٢).

(٢) «تفسير الشيخ السعدي» مختصراً (ص ٦٧١).

لمن يرتكب المنكرات العظيمة والكبائر الموبقة في مكة كالربا،
والزنا، واستعمال المخدرات ونشر القنوات الفضائية السيئة،
والاستماع إلى الغناء.. وغير ذلك من المعاصي والمنكرات^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) انظر: «أحكام الحرم المكي» للشيخ سامي الصقير (ص ٢١-٢٤).

الكلمة التاسعة والخمسون

فضائل المدينة وحرمتها

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن مدينة الرسول ﷺ طيبة الطيبة، مَأْرَزُ الْإِيمَانِ، وَمُلتَقَى الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمُتَنَزَّلُ جَبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

هذه المدينة المباركة قد شرفها الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة، وقد وردت النصوص الكثيرة في فضلها، وحرمتها، ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا^(١).

فمنها: أن الله جعلها حرمًا، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزَمِيهَا^(٢)، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ»^(٣).

(١) «فضل المدينة وآداب الزيارة»، د. سليمان الغصن (ص ٩).

(٢) المأزم: المضيق في الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه، «النهاية لابن الأثير» (٤/٢٨٨). وقد يطلق على الجبل نفسه ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٤/٨٣).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

وحرم المدينة هو ما بين الحرتين شرقاً وغرباً وما بين عير إلى ثور يمناً وشاماً، روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ»^(١). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ»^(٢)»^(٣).

ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهَا طَيْبَةً وَطَابَةً، روى مسلم في صحيحه من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث الجساسة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ»^(٤).

وفي رواية البخاري: «هَذِهِ طَابَةٌ»^(٥)، قال ابن حجر رحمته الله: «والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل من طيب العيش بها، قال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها»^(٦).

وقد حدثني من سكن المدينة سنوات أنه لم يجد الروائح

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٢).

(٣) لابتيتها: قال الأصمعي: اللابة الأرض ذات الحجارة السود، قال القاضي عياض: قال ابن حبيب: اللابتان الحرتان الشرقية والغربية. «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٤/٤٥٠).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٤٢).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٢).

(٦) «فتح الباري» (٤/٨٩).

الكريهة التي توجد عادة في غيرها، كما حدثني أيضًا أنه لا يوجد بها الإزعاج والصخب الذي يوجد في المدن التي يكثر بها السكان، وأنه جرى بحث هذه المسألة مع بعض أهل المدينة، فكان مما قيل في تعليل ذلك اجتهادًا: إنه ربما كان من خصوصيتها وعظيم بركة أرضها امتصاص الأصوات المزعجة ليعم السكون والهدوء والطمأنينة، ومما حدثني أيضًا أن أرضها وجبالها يبدو للناظر إليها حسنًا، وجمالًا، وبهاءً لا يُرى في غيرها.

ومنها: أن الإيمان يَأْرِزُ إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ^(١) إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»^(٢).

ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَثَّ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشَدَّتْهَا، ووعد على ذلك أعظم الثواب.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد مولى المهري: أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ لِيَالِي الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَا وَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا أَمْرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»^(٣).

(١) أي: ينضم إلى المدينة ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٧).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ! هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ! وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(١).

قال ابن حجر: «والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حرم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجواره، ومهبط الوحي، ومنزل البركات، لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يُسْتَحَقَّرُ دونها ما يجدونه من الحظوظ الغائبة العاجلة بسبب الإقامة في غيرها»^(٢).

ومنها ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه وصفها بأنها قَرْيَةٌ تَأْكُلُ الْقُرَى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرُبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣). والمراد بـ«تَأْكُلُ الْقُرَى» أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها^(٤).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٨١).

(٢) «فتح الباري» (٤/٩٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٢).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/٤٣٤)، و«شرح السنة للبغوي» (٧/٣٢٠)، و«جامع الأصول» (٩/٣٢٠).

ومنها: ما جاء عن النبي ﷺ من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدُنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ الْمَدِينَةِ شَعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا» (١).

ومن المشهور لدى الكثيرين الذين انتقلوا إلى مكة أو المدينة من مدن أخرى: أن ما يصرفونه لا يكاد يبلغ النصف مما كانوا يصرفونه في المدن التي انتقلوا منها، فهذا أمر معلوم.

ومن فضائلها: أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَالُ» (٢).

ومنها: أن في المدينة مسجد الرسول ﷺ وهو من المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (٣). والصلاة فيه مضاعفة، روى البخاري ومسلم في

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٨٠)، و«صحيح مسلم» (رقم ١٣٧٩).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٧).

صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» (١).

ومنها: أن في المدينة مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عمرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن حنيف رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ يَعْنِي مَسْجِدَ قُبَاءَ فَيُصَلِّي فِيهِ، كَانَ كَعَدَلِ عُمْرَةٍ» (٢).

ومنها: فضل الروضة الشريفة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» (٣).

قال ابن حجر: «وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة. وقوله: «رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، أي: في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدية إلى الجنة، أو أن المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة» (٤).

ومنها: أن فيها جبل أحد، روى البخاري ومسلم في

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١١٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٥٨/٢٥) (برقم ١٥٩٨١)، وقال محققوه: صحيح بشواهده.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩١).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٦١/٣)، و«فتح الباري» (٤/١٠٠).

صحيحهما من حديث أبي حميد رضي عنه قال: «أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه» (١).

ومنها: أن فيها وادي العقيق، روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة» (٢).

ومنها: أن فيها العجوة (نوع من تمر المدينة) روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سعد رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» (٣).

ومنها: أن المدينة تنفي خبثها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه: أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى الأعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله أقلني بيعتي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٣٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٤٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٤٧).

إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبْثَهَا وَيَنْصَعُ طَيْبَهَا» (١) «(٢).

ومنها: أن من أراد أهلها بسوء أهلكه الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ» (٣).

وفي رواية لمسلم: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ» (٤).

قال القاضي عياض: «قوله: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ»، هذه الزيادة ترفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها وأن هذا حكمه في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بسوءٍ اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله في الحديث: «كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»، ويحتمل أن يكون المراد: لمن أرادها في الدنيا فلا يمهلها الله ولا يمكن سلطانه، ويذهب عن قرب، كما انقضى من شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة، وهلاكه منصرفه عنها، ثم هلاك يزيد بن

(١) ومعنى «وَيَنْصَعُ طَيْبَهَا»: أي تخلصه، والمعنى: أنها إذا نفت الخبث تميز الطيب واستقر فيها. «الفتح» (٩٧/٤)، و«النهاية لابن الأثير» (٥/٦٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٧٢١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٧) واللفظ له.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٦٣).

معاوية على إثر ذلك، وغيرهم ممن صنع مثل صنيعهم.

ويحتمل أن يكون المراد: من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها في غفلة، فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهاراً، كما استباحها مسلم بن عقبة وغيره»^(١). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث السائب بن خلاد رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»^(٢)»^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/٤٥٣).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٩٢/٢٧) (برقم ١٦٥٥٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) انظر: «فضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها» د. عبد المحسن البدر، «الأحاديث الواردة في فضل المدينة» د. صالح الرفاعي، «فضل المدينة وآداب الزيارة» د. سليمان الغصن.

الكلمة الستون

فوائد وحكم من سورة العاديات

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وسورة العاديات من السور القصيرة التي تتكرر على أسماعنا كثيراً ويحفظها أكثر المسلمين، ويتأكد فهم معناها وما تضمنته من الحكم العظيمة، قال تعالى: ﴿ وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا ١ ﴾ **فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢** **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣** **فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ٤** **فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥** **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦** **وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧** **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨** **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَاسُهُ فِي الْقُبُورِ ٩** **وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠** **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١** ﴾ [العاديات: ١-١١].

قوله تعالى: ﴿ وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا ١ ﴾ **الواو: واو القسم، والمقسم به هو العاديات، وهي الخيل المسرعات في سيرها، والضبح: صوت أجوافها عند جريها.**

قوله تعالى: ﴿ **فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢** ﴾ **أي: أنها تُوري النار إذا سارت ليلاً بانقذاح النار بوقع حوافرها على الحجارة لقوتها وصلابتها.**

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ (٣) ❀ أي: الخيل تغير على العدو وقت الصباح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَثَرُنَا بِهِ نَقَعًا﴾ (٤) ❀ النقع: هو الغبار تثيره بحوافرها عند عدوها، قال الشاعر:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقَعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (٥) ❀ أي: أنها تعدو بالفرسان حتى تنتهي بهم ميدان المعركة ومجتمع الجيوش، قال الشاعر:

فَوَسَطْنَ جَمْعَهُمْ وَأَفَلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) ❀ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ

﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ❀ هذا هو جواب القسم، والكنود:

الكفور الجحود لنعم الله، قاله ابن عباس، وقال الحسن: هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم^(١)، قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَ

إِلَىٰ مَتَىٰ أَنْتَ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَمَ

وحال الإنسان شاهد عليه بذلك وإن أنكره بلسانه، والخير

هو المال ومحبة الإنسان له شديدة كقوله تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ

حُبًّا جَمًّا﴾ (٢٠) ❀ [الفجر: ٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (٩) ❀ قال

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٣٦/١٤).

الزمخشري: هذه الكلمة وهي ﴿بُعْثَرٌ﴾، مأخوذة من أصلين: البعث والنثر، فالبعث خروجهم أحياء، والنثر: الانتشار كنثر الحب، فهي تدل على بعثهم منتشرين^(١)، كقوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَشَرٌّ﴾ [القمر: ٧]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي: ظهر وبان ما فيها من كمائن الخير والشر فصار السر علانية والباطن ظاهراً^(٢)، قال الشاعر:

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيُهُ إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة المتقدم ذكره في قوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾. والخبير: هو الله تعالى، وهو أخص من العليم لأنه في ذلك يقع الجزاء على ما اشتملت عليه القلوب من الأسرار والخفايا التي لا يعلمها إلا هو، وقد جمع الله بينهما في قوله تَعَالَى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

ومن فوائد السورة الكريمة وحكمها العظيمة:

أولاً: أقسم الله تعالى بالخيل العاديات، والله لا يقسم إلا

(١) «تتمة أضواء البيان» (٢٤٨/٩) [دار الكتب العلمية]، لعطية سالم. ولم أجده في تفسير الزمخشري.

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٨٩٢).

بعضهم من مخلوقاته التي تدل على عظمته، وفي ذكر الخيل وشدتها وسرعة عدوها واقتحامها ميادين المعارك تحت بوارق السيوف تنبيهٌ إلى فضل الجهاد وعظيم مكانته.

ثانياً: الإشارة إلى إعداد الخيل للجهاد في سبيل الله، وفي الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وفي الحديث: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

ثالثاً: فيه إشارة أن ما يعانیه الفرسان المجاهدون في سبيل الله: من نقع الغبار الذي تثيره الخيل، محل عناية الله وحسن جزائه، قَالَ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»^(٢).

رابعاً: الآيات الكريمة إشارة إلى العناية بالخيل واقتناء الجياد منها والاهتمام بتدريبها وتهيئتها لكل المهام التي يحتاج إليها فيها، ومن ذلك: تضميرها، والمسابقة بينها، وتحذيتها وقاية لها من الحفاء، وذكر القدح في الآية الكريمة يشير إلى ذلك، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْحَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثِنِيَّةَ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثِنِيَّةِ الْوَدَاعِ»^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٥٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٧١).

(٢) قطعة من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ١٦٣٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٧٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٧٠).

خامسًا: أن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان وجعله محل الابتلاء، فطبعه على بعض الصفات الذميمة، وكلفه بالمجاهدة على التخلص منها وتهذيب نفسه من أوضارها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (١) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

سادسًا: في الآيات الكريمة إثبات البعث بعد الموت، وأن هذه الأجساد التي بليت في القبور وصارت ترابًا سوف يحييها الله ويجازيها على ما أضمرت قلوبها، فذلك حين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

سابعًا: أن القلوب عليها مدار صلاح الإنسان وفساده، فإذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله (١).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أكثر مصادر هذه الكلمة: من «تفسير أضواء البيان» للشيخ عطية بن محمد سالم، تلميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٦/١١٩-١٤٢).

الكلمة الواحدة والستون

الكفر وأنواعه

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك والكفر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والكفر ضده الإيمان وهو جحد الدين الحق، وسمي كفرًا لأن فيه سترًا للحق وجحدًا له. والكفر قسمان: كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر لا يخرج من الملة، والكفر الأكبر أنواع منها:

النوع الأول: كفر التكذيب: فمن كذَّبَ بالقرآن أو بشيء منه أو بسنة النبي ﷺ الثابتة عنه وهو يعلم، فهو كافر كفر أكبر يخرج منه من ملة الإسلام ويحل دمه وماله، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقد بين تعالى في كتابه سبب هلاك الأمم السابقة وأنه

تكذيبهم للرسول، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء: ١٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١]. ومن كَذَّبَ برسولٍ واحدٍ فقد كَذَّبَ الرسل جميعاً، ولا يكون الإيمان بهم مقبولاً حتى يؤمن بجميعهم ولا يفرق بين أحد منهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ يَدَيْكَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

النوع الثاني: كفر الجحود^(١): فالكافر عنده معرفة بالحق ويقين به، ولكن يجحده ظاهراً إما كبراً أو حسداً أو طمعاً في رئاسة أو دنيا أو غيره، وعلى هذا غالب الكفار، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجْحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿٣٣﴾﴾ [النمل: ٣٣]. فأخبر سبحانه أنها استيقنتها أنفسهم ولكن جحدوا ظلمًا وعلوًّا أي من أجل الظلم والعلو على الناس، وقال موسى ﷺ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]. فعلم فرعون أن ما جاء به موسى هو الحق ولكنه يتظاهر بإنكاره ظلمًا وعلوًّا وإبقاءً على

(١) وبينه وبين النوع الأول فوارق من وجوه، انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، و«مدارج السالكين لابن القيم»، و«الخفاجي في حاشيته على كتاب الشفاء للقاضي عياض».

ملكه، ولهذا قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].
والعقلاء يقرون جميعاً بأن هذا الخلق له خالق مدبر وأن
فرعون لم يخلق شيئاً ولم يدبر شيئاً، فالذي حمله على ذلك
الكبر والإبقاء على ملكه، ومثل ما حصل مع إبليس لعنه الله
عندما أمره الله بالسجود لآدم رفض كبراً وحسداً لآدم، قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

النوع الثالث: كفر الشك والظن: بأن يكون شاكاً فيما جاءت
به الرسل ويظن أنهم على غير حق، وذلك كما في قصة الرجلين،
فحكى الله عن أحدهما أنه قال: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [الكهف:
٣٦]. ثم حكى الله رد الآخر عليه وهو يحاوره قال: ﴿ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيْتِكِ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧].

النوع الرابع: كفر الإعراض: والمراد به الإعراض عن تعلم أصل
الدين الذي لا يكون المرء مسلماً حتى يتعلمه ويعمل به، قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾
[السجدة: ٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ
[الأحقاف: ٣]. فسمّاهم كافرين لإعراضهم عما أُنذِرُوا به.

النوع الخامس: كفر النفاق، والمقصود الاعتقادي، وهو على
سته أنواع:

تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض

الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ، فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر كافر الباطن، أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي، ويصوم، ويحج، ويجاهد، ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوراً، وأما كفره باطناً فيما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ورسوله وللمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ١-٣].

أي: آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، والمنافق إنما يظهر الإيمان نفاقاً من أجل أن يعيش مع المؤمنين لأنه لا يقدر على مجابهة المؤمنين ولا يقدر على مفارقتهم فاضطر إلى أن ينافق.

أما الكفر الأصغر: فهو إتيان الذنوب التي سمّاها رسول الله ﷺ كُفْرًا ولم تصل إلى الكفر الأكبر، مثل قوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١). فالمراد بالكفر هنا الكفر الأصغر لأن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب لكنه لا يخرج به صاحبه من الإسلام، والدليل على ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿وَأِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٣٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٧٩).

أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقْتَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. فأخبر عن المقتتلين بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة، فدل على أن القتل بغير حق وإن كان كبيرة وجريمة عظيمة إلا أنه لا يخرج القاتل من الإيمان إلى الكفر ما لم يستحله.

ومثله كفر النعم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثانية والستون

صلاة الكسوف

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالنَّاسِ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ آخِرٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِنِي عَبْدُهُ أَوْ تَزِنِي أُمَّتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(١). وفي رواية: «إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لِمَوْتِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٠١).

بَشَرٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ، مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعِدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُحْجَنِ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمُحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمُحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتَهَا فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَأَوَّلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعِدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله مخلوقان من مخلوقات الله، ينجليان بأمره، وينكسفان بأمره ورحمته، فإذا أراد الله تعالى أن يخوف عباده من عقوبة معاصيهم ومخالفتهم، كسفهما باختفاء ضوءهما كله، أو بعضه، إنذارًا للعباد، وتذكيرًا لهم لعلهم يُحَدِّثُونَ تَوْبَةً فيقومون بما يجب عليهم من أوامر ربهم ويبتعدون عما حرم عليهم من نواهي الله ﷻ، ولذلك كثر الكسوف في هذا العصر فلا تكاد تمضي السنة حتى يحدث كسوف في الشمس أو القمر أو فيهما جميعًا وذلك لكثرة المعاصي والفتن في هذا الزمن، فلقد انغمس

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠٤).

أكثر الناس في شهوات الدنيا، ونسوا أهوال الآخرة وأترفوا
أبدانهم، وأتلفوا أديانهم، أقبلوا على الأمور المادية المحسوسة،
وأعرضوا عن الأمور الغيبية الموعودة التي هي المصير الحتمي،
والغاية الأكيدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

إن كثيراً من أهل هذا العصر تهاونوا بأمر الكسوف، فلم يقيموا
له وزناً، ولم يحرك منهم ساكناً وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وجهلهم
بما جاء عن رسول الله ﷺ واعتمادهم على ما علم من أسباب
الكسوف الطبيعية، وغفلتهم عن الأسباب الشرعية، والحكمة
البالغة التي من أجلها يحدث الله الكسوف بأسبابه الطبيعية،
فالكسوف له أسباب طبيعية يقر بها المؤمنون والكافرون، وله
أسباب شرعية يقر بها المؤمنون وينكرها الكافرون، ويتهاون بها
ضعيفوا الإيمان، فلا يقومون بما أمرهم به رسول الله ﷺ من الفرع
إلى الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق^(١). اهـ.

وينبغي للمؤمن عند حدوث الكسوف أن يفرع للأمور التالية:

أولاً: الصلاة على الصفة المتقدم ذكرها لقوله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ
شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ»^(٢). والسنة إطالة القراءة في
الصلاة، فقد كانت قراءته ﷺ في الركوع الأول من الركعة الأولى

(١) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» (ص ٢٧٠-٢٧١) مختصراً.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠٧).

قريباً من سورة البقرة، والركوع الثاني من الركعة الأولى قريباً من سورة آل عمران، وَتَقُولُ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا حَتَّى تَجَلَّانِي الْعَشْيُ» (١).

وكذلك الركوع والسجود كان قريباً من قراءته ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم من حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَكَعْتُ رُكُوعًا قَطُّ وَلَا سَجَدْتُ سُجُودًا قَطُّ كَانَ أَطْوَلَ مِنْهُ» (٢).

ثانياً: الذكر والدعاء والاستغفار، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَيَّ ذِكْرَهُ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ» (٣). وفي رواية: «فَاذْكُرُوا حَتَّى يَنْجَلِيَا» (٤).

وفي الصحيحين من حَدِيثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ، وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ» (٥).

ثالثاً: العتق والصدقة: روى البخاري في صحيحه من حَدِيثِ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ» (٦).

-
- (١) «صحيح البخاري» (برقم ٨٦)، و«صحيح مسلم» (رقم ٩٠٥).
 (٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٠).
 (٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٥٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٢).
 (٤) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠١).
 (٥) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٥).
 (٦) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٥٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا» (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٢/١٩١) (برقم ٢٥٣١٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

الكلمة الثالثة والستون

التفكير أحواله وفوائده

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل.

قال ابن القيم رحمته الله: «أصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة، والطلب في الأخذ، والترك، والحب، والبغض، وأنفع الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أصل الأفكار ويليهما أربعة، فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثانية دارت أفكار العقلاء ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام

الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد، وبإزاء هذه الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر الخلق، كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أُعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه، أو الفكر في الشهوات والملذات وطرق تحصيلها، أو الفكر فيما لم يكن لو كان كيف يكون؟ كالفكر فيما إذا وجد كنزاً أو ملك ضيعة ماذا يصنع؟ أو غيرها من الأفكار السفلى»^(١). اهـ.

ومراد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الكلام السابق أن الفكر على قسمين: الأول فكر في أمور الدنيا، ويشتمل على أربعة أنواع هي: الأخذ، والترك، والحب، والبغض والثاني: فكر في أمور الآخرة، ويشتمل أيضاً على أربعة أنواع: الأخذ، والترك، والحب، والبغض.

- فالأخذ يكون لما في الدنيا والآخرة من الخير.
 - والترك لما فيهما من الشر.
 - والحب لما في الدنيا والآخرة من الأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة.
 - والبغض لما فيهما من الأعمال السيئة، والأخلاق القبيحة.
- فعلى هذه الأقسام الثمانية تدور أفكار الخلق جميعاً.

(١) «الفوائد» (ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

خطوات التفكير:

- ١- تدريب العقل على التفكير المثمر والمفيد، فإن كثيرًا من المشاريع والمخترعات العظيمة كانت بدايتها فكرة.
 - ٢- تدوين الأفكار والخواطر وعدم تأجيلها، ويشمل ذلك الأفكار الجزئية والتفصيلية، فإذا لم تدون هذه التفاصيل ضاع الوقت والجهد بلا فائدة.
 - ٣- إفراد كل فكرة مهمة بملف مستقل حتى تكتمل وتصبح واضحة، فالمرء قد يفكر في أكثر من موضوع في وقت واحد، وقد يتوقف تفكيره في موضوع ما برهة من الزمن لسبب أو لآخر ثم يعاود التفكير فيه.
 - ٤- عرض هذه الأفكار في مراحلها الأولى على أصحاب الشأن المتخصصين، فقد يكون لأحدهم أثرٌ مفيدٌ في توجيه الفكرة وتصحيحها أو تطويرها.
 - ٥- عدم الربط بين الفكرة وتنفيذها، فقد يأتي شخص بالفكرة وينفذها غيره.
 - ٦- عدم الربط بين التفكير ووقت التنفيذ أو مكانه، فقد تكون الفكرة ناجحة لكن الوقت أو الزمان غير مناسبين لتنفيذها، فلا يصح إهمالها فقد يحتاج إليها في يوم أو في بلد ما.
- ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيرًا من القرارات التي لم تدرس ولم يفكر فيها تفكيرًا جيدًا كان مصيرها الفشل، وهذا يدل على

أهمية التفكير في مراحلها السابقة في أي قرار مشروع يتخذه المرء. وذكر أحد الباحثين أن الدراسات تثبت أن الذين يفكرون تفكيرًا صحيحًا من أجل أمتهم ومن أجل القيام بالواجب عليهم لا يتجاوز (٢٪) فقط، وهذا رقم متدن للغاية، وأما (٩٨٪) الباقون فإن تفكيرهم في حدود المألوف في الأكل والشرب، والوظيفة، والزواج، والبيت، ونحو ذلك، وهذا يدل على خطورة التفكير وأهميته، فماذا لو كانت نسبة المفكرين تفكيرًا مفيدًا زاد على (٧٠٪) أو (٨٠٪) ثم أتبع هذا التفكير بعمل مثمر، هل ستبقى الأمة على ما هي عليه اليوم؟

وهذا يستدعي من كل مسلم أن يقف مع نفسه وقفة جادة ليحاسبها، فينظر فيما قدمه لأتمته منذ بلغ، وما أمضاه من قوته فيما ينفعها أو فيما يجب عليه فعله.

ومما يذكر في هذا المقام أن قيام دولة اليهود التي زُرِعَتْ في قلب الأمة كالخنجر المسموم، إنما بدأ بفكرة، أُتبعَتْ بتخطيط وعمل دؤوب لتنفيذها وإخراجها إلى أرض الواقع، ففي المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد ببازل السويسرية عام ألف وثمانمائة وسبعة وتسعين ميلادية، وضع قادة اليهود مخططاتهم لقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وبرغم أنهم يهود جنباء، إلا أنهم فكَّروا وخطَّطوا وعملوا وتأمروا، فحقَّقوا من الدنيا بعض ما خطَّطوا له، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، قَالَ عُمَرُ: «اللَّهِمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ جَلَدَ الْفَاجِرِ

وَعَجَزَ الثَّقَةَ» (١)(٢).

وينبغي للمسلمين أن يجتهدوا في وضع الخطط التي ترفع شأن الأمة ويعتز بها دينهم، فإنهم إن فعلوا ذلك مخلصين لله عملهم واجتهادهم فسيكون النجاح حليفهم بإذن الله ومعونته وتوفيقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٥٤).

(٢) انظر: «منهج التفكير ضوابط ومحاذير» للشيخ ناصر العمر (ص ٣١-٣٢، ١٣٦).

الكلمة الرابعة والستون

تأملات في سورة الانفطار

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَ رَبِّيَ** : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [٢٤] ﴿ [محمد: ٢٤] ، ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الانفطار. وهذه السورة الكريمة تتحدث عن يوم القيامة وما فيه من أهوال، وأمور عظام تشيب لها الولدان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ [١] ﴿ [الانفطار: ١] ، أي: انشقت السماء، كما قال تَعَالَى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ [١] ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴾ [٢] ﴿ [الانشقاق: ١-٢] ، قال بعض المفسرين: تشققت بأمر الله لنزول الملائكة كما قال تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزُلِ الْمَلَكِيَّةِ ﴾ [٢٥] ﴿ تَنْزِيلًا ﴾ [٢٥] ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [٢٦] ﴿ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴾ [٢] ﴿ [الانفطار: ٢] ، أي: تناثرت نجومها صغیرها، وكبیرها تنثر، وتفرق وتتساقط لأن العالم انتهى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الانفطار: ٣]، أي: فُجِّرَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَمَلَأَتِ الْأَرْضَ، وهذه البحار تُشَكِّلُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْأَرْضِ تَقْرِيْبًا أَوْ أَكْثَرُ، هذه البحار يوم القيامة تَفْجَرُ ثُمَّ تَسْجَرُ أَي تَشْتَعِلُ نَارًا عَظِيمَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: ٤]، أي: أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار: ٥]، وذلك عند نشر الصحف المكتوب فيها جميع الأعمال، وذلك حين يقول الغافل: أين المفر؟ فيجيب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٢] يُنْبِئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣-١٢].

والغرض من هذا تحذير العباد بأن أعمالهم محصاة عليهم، وستعرض على كل عبد صحيفة عمله ويقال له: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦]، أي: ما الذي خدعك حتى أقدمت على معصية ربك الكريم الذي أوجدك من العدم وأحسن خلقك، وعلمك ما لم تكن تعلم، وفضلك على كثير من خلقه؟! فقابلت نعمه بالنكران، وإحسانه بالإساءة، فإن كان الذي غرَّكَ شَبَابِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْهَرَمِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ غَنَاكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى زَوَالٍ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ صِحَّتَكَ

فاعلم أن مصيرها إلى سقم، والموت من وراء ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ [الانفطار: ٧]، أي: جعلك سويًا معتدل القامة منتصبًا في أحسن الهيئات والأشكال، فلو اجتمع الخلق كلهم وأرادوا أن يضعوا عين الإنسان في مكان أحسن من الذي خلقه الله عليه لم يجدوا، وكذلك الأنف والأذن والرجل وسائر الأعضاء، فصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٨]، يعني: أن الله رَكَّبَكَ في أي صورة شاء، فمن الناس من هو جميل ومنهم من هو قبيح ومنهم المتوسط، ومنهم الأبيض ومنهم الأحمر ومنهم الأسود ومنهم بين ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الانفطار: ٩]، أي: بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم، ومقابلته بالمعاصي، تكذيبًا في قلوبكم بالمعاد، والجزاء، والحساب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، أي: أن كل إنسان عليه حفظة يكتبون أعماله، وهؤلاء الحفظة كرام عدول لا يظلمون أحدًا، فلا يكتبون عليه ما لم يعمل، ولا يتركوا كتابة شيء من أعماله الصالحة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٢]: إما بالمشاهدة

إن كان فعلاً، وإما بالسمع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم الله عليه فيكتبونه، كما قال النبي ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا. وفي رواية: إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١٣]: هم القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبر في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إِنَّ فِي الدُّنْيَا لَجَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ»^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [١٤]: الفجار هم الكفار لهم عذاب أليم في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [١٥]: أي: يوم الحساب والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [١٦]: أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩). وقد خرَّج البخاري الشطر الأول منه (برقم ٤٢).

(٢) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص ١٠٩).

يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [١٧] ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿ [الانفطار: ١٧-١٨]: هذا الاستفهام للتفخيم والتعظيم، يعني:
أي شيء أعلمك بيوم الدين؟ والمعنى: أعلم هذا اليوم وأقدره قدره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [١٩]
[الانفطار: ١٩]، أي: لا يقدر أحدٌ على نفع أحدٍ ولا خلاصه مما هو فيه
إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، كما روى البخاري ومسلم في
صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ ابْنَ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [١٩]
[الانفطار: ١٩]: فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم
حقه من ظالمه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «فإن قال قائل: أليس الأمر لله
تعالى في يوم الدين وفيما قبله؟ الجواب: أن الأمر لله تعالى يوم
الدين وفيما قبله، لكن ظهور أمره في ذلك اليوم أكثر بكثير من

(١) جزء من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٤٧٧١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٦).

ظهور أمره في الدنيا، ففي الدنيا يخالف الإنسان أوامر الله ﷻ ويطيع أمر سيده، فلا يكون الأمر لله بالنسبة لهذا ولكن في الآخرة ليس فيه إلا أمر الله ﷻ، وهذا كقوله تَعَالَى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦] [غافر: ١٦]. والملك لله في الدنيا وفي الآخرة، لكن في ذلك اليوم يظهر ملكوت الله ﷻ وأمره، ويتبين أنه ليس هناك أمر في ذلك اليوم إلا لله ﷻ»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «تفسير ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ لجزء عم» (ص ٨٨-٩٢).

الكلمة الخامسة والستون

الترغيب في الزواج

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن نعم الله علينا كثيرة متتابعة بتتابع الليل والنهار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ومن هذه النعم العظيمة نعمة الزواج وهو آية من آيات الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وهو من سنن المرسلين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وَقَدْ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَكْثَرِ مِنْ امْرَأَةٍ، وَقَالَ: «إِنِّي أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وقال تعالى مُرْغَبًا فِي النِّكَاحِ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقد حثَّ عليه الشارع، لما يترتب عليه من مصالح دينية

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٦٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٠١).

ودنيوية، فمن ذلك:

أولاً: تكثير نسل أمة محمد ﷺ: فالأمة كلما كثرت حصل لها من العزة والهيبة ما لا يحصل لها في حال القلة، ولهذا امتن الله على بني إسرائيل بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾ [الإسراء: ٦]، وذكر شعيب قومه بذلك فقال سبحانه عنه: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۗ﴾ [الأعراف: ٨٦]، روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم»^(١).

ثانياً: إحصان الزوجين: فالزواج حصن للرجل والمرأة من الوقوع فيما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۗ﴾ [الإسراء: ٣٢]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٢).

ثالثاً: أن الزواج ستر للزوجين ووقاية وجمال: قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٢٠٥٠)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٦/٢) (برقم ١٨٠٤): حسن صحيح.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٠٠).

رابعًا: أن المرأة سكن للرجل: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فكما أن الإنسان يتخذ المسكن ليستتر به ويتقي به الحر والبرد وغير ذلك، فإن الزوجة تكون سكنًا لزوجها يطمئن إليها ويجد في قربها الأُنس والراحة.

خامسًا: المودة والرحمة بين الزوجين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

سادسًا: السعادة والإعانة على الطاعة، والخير: روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٢).

سابعًا: سبب للغنى وكثرة الرزق: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، وقد كان بعض السلف ينصح من أصابته فاقة بالزواج لهذه الآية، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ

(١) «صحيح ابن حبان» (برقم ٤٠٢١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٧١ / ١) (برقم ٢٨٢٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٧).

النِّكَاحِ، يُنْجِزُ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى»^(١)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «رَغَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّزْوِيجِ، وَأَمَرَ بِهِ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهِ الْغِنَى، فَقَالَ: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»^(٢). والناكح الذي يريد العفاف مُعَانَ في نكاحه، روى الترمذي في سننه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعِفَافَ»^(٣).

ثامناً: إنجاب الذرية الصالحة: قال تعالى عن زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٤).

وقال العلماء: إن التزوج مع الشهوة أفضل من نوافل العبادات لما يترتب عليه من المصالح الكثيرة، وقد يكون النكاح واجباً في بعض الأحيان كما إذا كان الرجل قوي الشهوة ويخاف على نفسه من الحرام إن لم يتزوج، فهنا يجب عليه أن يتزوج لإعفاف نفسه وكفها عن الحرام، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حَدِيثِ

(١) «تفسير ابن كثير» (١٠/٢٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٠/٢٢٦).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ١٦٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٦٣١).

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»^(١). والذي يُنصَحُ به الشباب: التبكير بالزواج ما دام قادرًا عليه، تنفيذًا لوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما فيه من الفوائد والمنافع العظيمة السابق ذكرها.

صفات الزوجة التي ينبغي اختيارها:

أولاً: أن تكون ذات خلق ودين: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٣).

وقد وصفت المرأة الصالحة في حديث رواه النسائي في سننه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(٤).

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «سنن النسائي» (١٢/٣٨٣-٣٨٤) (برقم ٧٤٢١)، وقال محققوه: إسناده قوي.

ثانياً: أن تكون بكرًا: لقول النبي ﷺ في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه: «فَهَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟» (١). لكن لو تزوج ثيباً رغبة في الإحسان إليها أو لأي مصلحة يراها فهذا طيب، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قَالَ لِجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟ قَالَ جَابِرٌ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشِيَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ» (٢).

ثالثاً: أن تكون ودودة ولودة: كما روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ» (٣) (٤).

قال بعضهم: يعرف ذلك بالنظر في حال أمها، وجدتها، وخالاتها، وعماتها، فإذا كن ولودات فهي في الغالب ستكون مثلهن.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٠٩٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٧١٥).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٢٠٥٠)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: حسن صحيح (٣٨٦/٢) (برقم ١٨٠٤).

(٤) انظر: «كتاب على عتبة الزواج» للشيخ محمد المنجد.

الكلمة السادسة والستون

وقفه مع سورة الكوثر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن من سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها، ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الكوثر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣].

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قَالَ: أَعْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتًا سُرُورَةً فَقَرَأْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنََّّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴿٢﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكُوثَرُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيْتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ؟» (١).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٤٠٠)، و«مسند الإمام أحمد» (١٩/٥٤-٥٥) (برقم ١١٩٩٦) واللفظ له.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر في اللغة العربية هو الخير الكثير، والنبى ﷺ أعطاه الله خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أَنْسَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرَ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمَجْوْفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طَيْبُهُ - شَكَّ هُدْبَةً - مِسْكٌ أَذْفَرُ» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» (٣).

والكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ قَالَ: «يَشْحَبُ فِيهِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٧٨).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٣٠٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٥٧/٩) (برقم ٥٣٥٥)، وقال محققوه: إسناده قوي. و«سنن الترمذي» (برقم ٣٣٦١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. واللفظ له.

مِيزَابَانٍ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ»^(١).

قال ابن حجر: «الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض»^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾^(٢) أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم وصفه، فأخلص لربك صلاتك ونحرك وابعده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۗ ﴾^(١٦٣) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال ابن جرير بعد ما ذكر الأقوال في تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾^(٢): والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والأضداد، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصّك به من إعطائه إياك الكوثر^(٣).

وخصّ هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل العبادات وأجلُّ القربات، ولأن الصلاة تتضمّن الخضوع في القلب والجوارح لله

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣٠٠).

(٢) «فتح الباري» (١١/٤٦٦).

(٣) «تفسير الطبري» (١٠/٨٨٠٩).

وتنقله في أنواع العبودية وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج المال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ۙ هُوَ الْأَبْتَرُ ۙ﴾، أي: إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى، والحق والبرهان الساطع، والنور المبين هو الأبتَر، والأبتَر قال أهل اللغة: الأبتَر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتَر^(٢). اهـ.

وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبتَر، فيقال: إن العاص وقف مع النبي ﷺ يكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفاً؟ فقال: مع ذلك الأبتَر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ وكان من خديجة، فأنزل الله جل شأنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ۙ هُوَ الْأَبْتَرُ ۙ﴾، أي: المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة.

وقيل: إن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده: قد بتر فلان، فلما مات لرسول الله ﷺ ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة؛ قالوا: بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت هذه الآية^(٣).

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ١١٦٨).

(٢) «مختار الصحاح» (ص ٤٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٢٩).

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ، أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنْصَبِ الْمُنْبَتِّ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السَّقَايَةِ. فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّ شَأْنَكَ ① هُوَ الْأَبْتَرُ ②﴾ (١).

قال ابن كثير: وهو إسناد صحيح، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا، فقد أبقى الله ذكره، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد إلى يوم الحشر، صوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد (٢). اهـ.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④﴾ [الشرح: ٤]. قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «مختصر زوائد البزار» (٢/١٢١) ١٥٣٨، ورجَّح بعضهم إرساله.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٨٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٨٩).

الكلمة السابعة والستون

الاعتصام بالكتاب والسنة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ قِيلَ: بِعَهْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ الْجَمَاعَةُ»^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة.
 وقد وردت النصوص الكثيرة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٧١٥).

والاعتصام بالكتاب والسنة هو التمسك بهما على فهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥) [النساء: ١١٥]. روى أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (١).
أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَنَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ» (٢). ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلَيْسَتْ بِيَمَن مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِلِقَامَةِ دِينِهِ،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦٤١)، و«مسند الإمام أحمد» (١٤٢/١٤) (برقم ٨٣٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (برقم ٣٩٩٢). وصححه البوصيري، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (برقم ١٤٩٢) و(برقم ٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٣١).

فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيرِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»^(١).

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) [الأعراف: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣) [الزخرف: ٤٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) [الجاثية: ١٨].

والتمسك بالقرآن والسنة عصمة للعبد من الضلالة وهداية له، روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^{(٢)(٣)}.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٩٧/٢).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٣) «مستدرک الحاكم» (٢٨٤/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٥/١) (برقم ٤٠).

(٤) «مستدرک الحاكم» (٢٨٤/١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (برقم ٢٩٣٧).

في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستنير فهذا أصل أهل السنة^(١).

وقد دلت الأحاديث أن من تمسك بما كان عليه ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين كان من الناجين، روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث العرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) «الفتاوى» (١٣/٦٢-٦٣).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ٤٦٠٧)، و«سنن الترمذي» (برقم ٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه جماعة، منهم: الضياء المقدسي في «اتباع السنن واجتنب البدع».

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:
 أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ
 أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَعَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ
 فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيَضَاءٍ
 نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذَّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ
 فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا
 أَنْ يَتَّبِعَنِي» (١).

ومن المعلوم أن نبي الله عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر
 الزمان لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم،
 روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
 قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا
 مُقْسَطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضَ
 الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» (٢).

قال النووي: «قوله: وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، فالصواب في معناه أنه لا
 يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم
 يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام
 أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء» (٣).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٢٣) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله
 كما في «إرواء الغليل» (٣٤/٦) (برقم ١٥٨٩). ومعنى مُتَهَوِّكُونَ: التَّهَوُّكُ هو الوقوعُ
 في الأمر بغير رَوِيَّة. «النهاية في غريب الحديث» (٢٨٢/٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٥).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١/١٩٠).

قال الإمام مالك: «لَا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا، وَمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ». روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّه مَرَّ عَلَى أَنَسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبِّحُوا مِئَّةً فَيَسْبِّحُونَ، كَبَّرُوا مِئَّةً فَيَكَبِّرُونَ، هَلَّلُوا مِئَّةً فَيَهَلِّلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هُوَ لَاءِ صَحَابَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ وَأَنِيتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟!»^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ»^(٢).

ومن فوائد الاعتصام بالكتاب والسنة:

- ١- الاعتصام بالكتاب والسنة نجاة للعبد من مضلات الفتن.
- ٢- الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة للعبد من الوقوع في الشهوات المحرمة.

(١) «المعجم الكبير» (٩/١٢٧) رقم ٨٦٣٦. وَرُويَ بِالْفَاظِ كَثِيرَةً.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/١٣٩).

- ٣- الاعتصام بالكتاب والسنة عزة للأمة، وقوة لها.
 - ٤- الاعتصام بالكتاب والسنة يكشف حيل الشيطان ومداخله.
 - ٥- الاعتصام بالكتاب والسنة دليل على صحة العقل، واستقامة الفطرة.
 - ٦- الاعتصام بالكتاب والسنة يثمر اطمئنان القلب، وراحة النفس.
 - ٧- الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة من الوقوع في البدع ومحدثات الأمور.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثامنة والستون

من آداب النوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله تعالى جعل الليل سكناً وراحة للناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النبأ: ١٠-١١]. والنوم وفاة بعدها حياة لمن شاء الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيم_Sِكِّ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

وللنوم آداب نبوية، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك:

١- إطفاء النار، والمصابيح، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧٣٩٥).

الْأَبْوَابِ» (١).

والعلة في إطفاء النار والمصابيح: أن الفأرة ربما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت، كما جاء في الصحيحين من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَمَّرُوا الْآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَحْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَحَدَّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ النَّارُ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ» (٣).

وأما إغلاق الأبواب قبل النوم، فقد جاء في رواية مسلم من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا» (٤).

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدنيوية، حراسة الأنفس والأموال من أهل العبث والفساد، ولا سيما الشياطين، وأما قوله: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً» فإشارة إلى أن الأمر بالإغلاق لمصلحة إبعاد

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٦).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

الشیطان عن الاختلاط بالإنسان، وخصه بالتعلیل تنبیهاً علی ما یخفی مما لا یطلعُ علیهِ إلا من جانب النبوة»^(١).

٢- تغطية الآنية: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»^(٢).

٣- استحباب الوضوء قبل النوم: لما جاء في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْبَجَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»^(٣).

٤- نفث الفراش قبل الاضطجاع عليه والتسمية: كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ»^(٤). وفي رواية مسلم: «وَلَيْسَمَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا

(١) «فتح الباري» (١١/٨٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣١١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٠).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ» (١).

٥- النوم على الشق الأيمن، ووضع اليد اليمنى تحت الخد:
لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ السَّابِقِ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ
وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ» (٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث حفصة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرُقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قِنِي
عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» (٣).

٦- قراءة بعض السور والأذكار قبل النوم: أذكر بعضاً منها:
روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ
فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿١﴾
وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ،
يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ» (٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي
مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٥٠٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»
(٩٥١/٣) (برقم ٤٢١٨).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠١٧).

الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(١).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي عنه: في قصة الشيطان وجاء فيه: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ عِنْدَ نَوْمِهِ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٣).

وفي سنن أبي داود من حديث نوفل الأشجعي رضي عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ»^(٤).

وفي صحيح البخاري من حديث حذيفة رضي عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٥).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٠٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٨٠٧-٨٠٨).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠١٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

(٤) «سنن أبي داود» (برقم ٥٠٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٥٤/٣) (برقم ٤٢٢٧).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٤).

٧- استحباب الوضوء عند الجنابة قبل النوم: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ»^(١).

وإن اغتسل للجنابة فهو أفضل، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن أبي قيس قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِي الْجَنَابَةِ؟ أَكَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ أَمْ يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ؟ قَالَتْ: كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا اغْتَسَلَ فَنَامَ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ فَنَامَ، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً»^(٢).

٨- ومن الآداب أن من استيقظ من النوم استحبه له أن يقول هذا الذكر: روى البخاري في صحيحه من حديث عبادة ابن الصَّامِتِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ^(٣) مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٤).

وهذا حديث عظيم القدر، كثير المنافع لمن عود نفسه كلما

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٣٠٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٣٠٧).

(٣) التعار: استيقاظ يصحبه كلام.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ١١٥٤).

استيقظ من نومه جرى لسانه بتوحيد الله، وذكره، فكان جزاؤه أن تقبل صلاته وتستجاب دعوته، فكم فرجت به من هموم، وكم قضيت به من ديون، وكم صلحت به أحوال فاسدة، والموفق من وفقه الله.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة، إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتني العمل به ويخلص نيته لربه رَحِمَهُ اللهُ»^(١).

٩- كراهية النوم على البطن: روى الترمذي في سننه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللهُ»^(٢).

١٠- التبكير في النوم: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»^(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها

(١) «فتح الباري» (٣/٤١).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٧٦٨)، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: حسن صحيح (٢/٣٥٩) (برقم ٢٢٢١).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٦٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٤٧).

عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن صلاة الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل، وكانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ: أَسْمَرًا أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَنَوْمًا آخِرَهُ؟!»^(١)(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «فتح الباري» (٧٣/٢).

(٢) انظر: «منتقى الآداب الشرعية»، للشيخ ماجد العوشن (ص ١٨٨ - ١٩١).

الكلمة التاسعة والستون

التحذير من الغيبة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فلقد شاع بين كثير من المسلمين داء عظيم حذر الله ورسوله منه وهو معولٌ هدم، يفرق بين الأحاب، ويورث العداوة والبغضاء، ونص أهل العلم على أنه كبيرة من كبائر الذنوب^(١)، وَقَلَّ من يسلم منه إلا من رحم الله، إنه الغيبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٢).

قال التهانوي: «الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصاناً في بدنه، أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/٤٧٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٩).

داره، أو في دابته، قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضًا في الفعل كالحركة والإشارة والكتابة»^(١). اهـ.

وقد شبه الله تعالى الغيبة بأكل اللحم للإنسان الميت، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: كما تكرهون هذا طبعًا، فاكرهوا ذلك شرعًا فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ جَيْفَةٌ مُنْتِنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرَّيْحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

والمغتتاب يعذب في قبره قبل يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَمَرَّ عَلَيَّ قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِجَرِيدَةٍ نَحْلُ؟ قَالَ: فَاسْتَبَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ، فَجِئْنَا بِعَسِيبٍ، فَشَقَّهُ بِأَثْنَيْنِ، فَجَعَلَ عَلَيَّ هَذَا وَاحِدَةً، وَعَلَيَّ هَذَا وَاحِدَةً، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا كَانَ فِيهِمَا مِنْ بُلُوتَيْهِمَا شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ فِي الْغَيْبَةِ وَالْبَوْلِ»^(٣)، وفي الصحيحين: «أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَالْآخَرُ كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ»^(٤).

(١) «كشاف اصطلاحات الفنون» (٣/١٠٩١) مختصرًا.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٩٧) (برقم ١٤٧٨٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٤/٥٣) (برقم ٢٠٤١١)، وقال محققوه: حديث قوي.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ١٣٧٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٢).

قال ابن حجر: «والغيبة قد توجد في بعض صور النسيئة، وهو أن يذكره في غيبته بما فيه مما يسؤوه قاصداً بذلك الإفساد، فيحتمل أن تكون قصة الذي كان يعذب في قبره كذلك، ويحتمل أن يكون أشار إلى ما ورد في بعض طرقه بلفظ الغيبة صريحاً كما في الحديث السابق، والظاهر اتحاد القصة ويحتمل التعدد»^(١).

والمغتابون يعذبون يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٢).

وهذه الغيبة التي يتساهل بها كثير من الناس حتى أصبحت فاكهة المجالس هي عند الله عظيمة، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١٥) [النور: ١٥].

روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيْرَةٌ؛ فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْي حَكَيْتُ

(١) «فتح الباري» (١٠/٤٧٠-٤٧١).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥٣/٢١) (برقم ١٣٣٤٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذًا وَكَذًا»^(١).

ومن أسباب هذه الغيبة مجاملة الأقران والرفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه، وشفاء المغتاب غيظه بذكر مساوئ من يغتابه، والاستهزاء والسخرية واحتقار الآخرين، وحسد من يثني عليه الناس ويذكرونه بخير^(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد، ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر»^(٣). اهـ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يتلاقون بالبشر ولا يغتابون غائبًا ويرون ذلك أفضل الأعمال، ويرون خلافه عادة المنافقين»^(٤)، وقال بعضهم: «أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس»^(٥).

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٨٧٥)، و«سنن الترمذي» (برقم ٢٥٠٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) «إحياء علوم الدين» (ص ١٥٥-١٥٦)، بتصرف.

(٣) «الأذكار للنووي» (ص ٣٠٤).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/١٥٢)، بتصرف.

(٥) نفس المصدر.

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا»^(١).

قال الذهبي: «صدق رَحِمَهُ اللهُ، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وَقَلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو: كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر؛ فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا، وهذا هو والله غاية الورع»^(٢).

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: «وسمعته يقول: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»^(٣).

وقد استثنى العلماء جواز الغيبة لستة أسباب، وهي كما قال النووي:

١- التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني بكذا.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩-٤٤١).

(٣) نفس المصدر.

فازجره عنه، ونحو هذا، ويكون مقصده التوصل إلى إزالة المنكر.

٣- الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفْع الظلم؟ ونحو ذلك.

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين.

ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بِنِيَّةِ النصيحة.

ومنها إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة.

ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما أن يكون فاسقًا أو مغفلًا، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من صلح.

٥- أن يكون مجاهرًا بفسقه، أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، وأخذ المكس وجباية الأموال، فيجوز ذكره بما يجهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٦- التعريف: فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة النقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك لكان أولى^(١).

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء، وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة.

قال الجمهور من العلماء: «طريق المغتاب في توبته أن يُقلع عن ذلك، ويعزم على ألا يعود، وأن يتحلل من الذي اغتابه، وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله، فإنه إذا أعلمه بذلك ربّما تأذى أشد ممّا إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذاً أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، فتكون تلك بتلك»^(٢).

تنبيه: من أعظم ما يردع المؤمن عن الغيبة، إضافة إلى الآيات والأحاديث المشهورة التي فيها الوعيد الشديد لمن وقع في الغيبة؛ أن يتذكر أنه يُهدي حسناته: من صلاة، وصوم، وحج، وغيرها إلى الذي اغتابه أو يتحمل أوزاره وذنوبه إذا لم تكفي حسناته التي ذهبت منه، وهذا هو أعظم الخسارة والإفلاس التي أخبر عنها النبي ﷺ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «رياض الصالحين» (ص ٤٨٨-٤٩٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٦٧/١٣)، بتصرف.

الكلمة السبعون

تأملات في سورة النصر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قَالَ تَعَالَى:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩)

[ص: ٢٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رضي عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ^(١) أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ^(٢) فِي غَيْرِ إِيْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٣).

ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا سورة

(١) بطحان والعقيق: واديان بالمدينة.

(٢) هي الناقة العظيمة السمينة.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٨٠٣).

النصر وتسمى سورة التوديع، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

وهذه السورة آخر ما نزل من القرآن، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ قَالَ: صَدَقْتَ (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَابُ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٣٠٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٧٠).

قَالَتْ: «مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» (١).

وفي رواية عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْتَهَا، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَتَحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾» (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال الطبري: «المراد بالنصر نصر الله لنبيه على قريش» (٤). قال ابن كثير: «والمراد بالفتح فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٦٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٤) «تفسير الطبري» (٨٨١٥/١٠).

تُلَوِّحُ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ ظَهَرَ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سِنْتَانِ حَتَّى اسْتَوْثَقَتْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ إِيمَانًا وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مَظْهَرٌ لِلْإِسْلَامِ»^(١). اهـ.

وكان فتح مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، وقد أخبر النبي ﷺ أن المراد بالفتح فتح مكة كما في حديث عائشة السابق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾، قال القرطبي: «فإن قيل: فماذا يغفر للنبي ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار؟ فقيل: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدِمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

فكان ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم الله به عليه، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبًا، ويحتمل أن يكون بمعنى كن متعلقًا به، سائلًا راغبًا، متضرعًا على رؤية التقصير في أداء الحقوق، لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال، وقيل: الاستغفار تعبد يجب إتيانه،

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٩٤/١٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٩).

لا للمغفرة بل تعبدًا، وقيل: ذلك تنبيه لأُمَّته، لكي لا يأمّنوا ويتركوا الاستغفار، وقيل: ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾، أي: استغفر لأُمَّتك^(١).

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، أي: على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم، وإذا كان ﷺ وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره؟! روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ الْأَخْرِ الْمُرْنِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(٢).

قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِمَنَى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فَعَاشَ بَعْدَهُمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ثَمَانِينَ يَوْمًا^(٣)، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٤٢-٥٤٣).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧٠٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٤٣).

الكلمة الواحدة والسبعون

أحوال الموتى والمحتضرين

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

المراد: ساعة الاحتضار، ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ ﴿٨٦﴾ بعلمنا وقدرتنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرونهم^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَمَا كَانَ مُتَصِلًا بِهَا غِيًّا وَحَجْبًا عَنِ إِدْرَاكِ الْمَكْلُفِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ حِكْمَتِهِ وَلِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأُولَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَتَجْلِسُ قَرِيبًا مِنْهُ وَيَشَاهِدُهُمْ عِيَانًا وَيَتَحَدَّثُونَ عِنْدَهُ وَمَعَهُمُ الْأَكْفَانُ وَالْحَنُوطُ، إِمَّا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِمَّا مِنَ النَّارِ، وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دَعَاءِ الْحَاضِرِينَ بِالْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَقَدْ يَسْلَمُونَ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ تَارَةً بَلْفِظِهِ وَتَارَةً بِإِشَارَتِهِ وَتَارَةً بِقَلْبِهِ، حَيْثُ لَا يَتِمَّكَنُ

(١) «تفسير ابن كثير» (٣٩٥/١٣).

من نطق ولا إشارة، وقد سُمع بعض المحتضرين يقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه، وأخبرنا شيخنا عن بعض المحتضرين فلا أدري أشاهده أو أخبر عنه أنه سُمع وهو يقول: عليك السلام ها هنا فاجلس، وعليك السلام ها هنا فاجلس»^(١). اهـ.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: «أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت (ثلاث مرات) ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحَدَ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، ثم قرأ الآية: ﴿ تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِٰ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعِقبَةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قبض»^(٢).

وقال فضالة بن دينار: حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّيَ للموت فجعل يقول: مرحباً بملائكة ربي ولا حول ولا قوة إلا بالله، وشممت رائحة طيبة لم أشم رائحة قط أطيب منها، ثم شَخَصَ بصره فمات، والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر وأبلغ^(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أَقْبِرٍ، فلما فرغ منها اضطجع ليسترى فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبِرِ فقال أحدهما لصاحبه: اكتب

(١) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٣ - ١٨٤).

(٢) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٤).

(٣) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٤).

فرسخاً في فرسخ - والفرسخ ثلاثة أميال وهو ما يساوي أربع كيلو ونصف تقريباً - ثم وقفا على الثاني فقال: اكتب ميلاً في ميل، ثم وقفا على الثالث فقال: اكتب فترًا في فتر، ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول، ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني، ثم جيء بامرأة مُتْرَفَةٍ من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول فترًا في فتر - والفتر ما بين الإبهام والسبابة -».

وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزيز الحراني: أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان، قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج^(١)، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنا نائم أم يقظان؟ ثم التفتُّ إلى سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن أكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر؟ فإذا به مكَّاس^(٢) وقد توفي ذلك اليوم.

فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك، فإذا شاء الله سُبْحَانَهُ أن يُطَّلَعَ على ذلك بعض عبیده أَطَّلَعَهُ وَغَيَّبَهُ عن غيره، إذ لو أُطِّلَعَ عليه العباد كلهم لزال

(١) كوز الزجاج: موقد نار ملتهب يستعمله صانع الزجاج، فنقلب فيه كتلة الزجاج جمرة مُتَّقَدَةً.

(٢) مكَّاس: صاحب المكس، وهو الذي يجبي الضرائب من الناس.

كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» (١) (٢).

ومن أحوال المحتضرين أن أحدهم قيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقن: لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه؟ فإذا هو مدمن خمر، فكان يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه (٣).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٤).

قال ابن كثير رحمته الله: «والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٦٧).

(٢) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٥ - ١٨٧)، بتصرف.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص ١٧٣)؛ و«الجواب الكافي» (ص ١٤٧).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٧٨).

مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «البداية والنهاية» (٩/١٦٣).

الكلمة الثانية والسبعون

دروس وعبر من الهجرة النبوية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

لقد كانت الهجرة النبوية الحدث الإسلامي الكبير الذي غير مجرى التاريخ، واللبنة الأولى لقيام الدولة الإسلامية المباركة، والمتأمل في حدث الهجرة النبوية يجد الكثير من الدروس والعبر التي تستفيد منها الأجيال المسلمة إلى يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ».

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاغِلَتَيَّ هَاتَيْنِ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِالثَّمَنِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفُ لِقْنٌ، فَيُدَلِّجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحْرِ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَزْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِ، وَهُوَ لَبَنٌ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خَرِيَّتَا، وَالْخَرِيْتُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَايِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمَّنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَا حِلَّتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَا حِلَّتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثِ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالِدَلِيلِ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلِ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ،
فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ
مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ
أَنِفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ
أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا وَفُلَانًا،
انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ،
فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ، فَتَحْبِسَهَا
عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْهِ
الْأَرْضِ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ
بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ
فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقَسَمْتُ
بِهَا: أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَارَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ
الْأَزْلَامَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا
يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ،
حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَّتْ، فَلَمْ تَكُدْ
تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثْرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي
السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقَسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ،
فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا، فَارَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ
فِي نَفْسِي حِينَ لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ
أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ

يَرْزَانِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ»^(١).

من الدروس والعبر:

أولاً: إن الهجرة زمنًا ومكانًا وحيٍّ من الله ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «إِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ، فإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ»^(٣).

ثانياً: التنظيم والتخطيط الدقيق للهجرة حتى نجحت رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات.

ثالثاً: حفظ الله لِنَبِيِّهِ ﷺ من أول بعثته إلى أن وصل إلى المدينة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وحكى الله تعالى قول نبيه لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي الصحيحين من حديثِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥-٣٩٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٢٢).

النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بَصْرَهُ رَأَى، قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ ائْتِنَا اللَّهَ ثَالِثُهُمَا» (١).

رَابِعًا: لَمَّا عَفَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ، عَرَضَ عَلَيْهِ سُرَاقَةُ الْمُسَاعَدَةَ وَقَالَ: هَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا».

فحين يزهد الدعوة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس منهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله.

خَامِسًا: أَنَّ الدَّورَ الَّذِي قَامَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْهَجْرَةِ يُعَدُّ مَنْقَبَةً كُبْرَى لَهُ، وَيَكْفِيهِ تَكْرِيمًا أَنْ يَذَكَرَ فِي قُرْآنٍ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

سَادِسًا: قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِي اسْتِئْجَارِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرَيْقَطِ الدَّوْلِيِّ هَادِيًا فِي وَقْتِ الْهَجْرَةِ - وَهُوَ كَافِرٌ - دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الرَّجُوعِ إِلَى الْكَافِرِينَ فِي الطَّبِّ وَالْأَدْوِيَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهَا مَا لَمْ يَكُنْ وَلَايَةٌ تَتَضَمَّنُ عَدَالَةً، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ مَجْرَدِ كَوْنِهِ كَافِرًا أَنْ لَا يُوثَقَ بِهِ فِي شَيْءٍ أَصْلًا، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْطَرُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٨١).

من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة»^(١).

٧- أن حكم الهجرة لم ينسخ بل هو باق إلى يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: «حَدَّثَهُ أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ»^(٢)^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «بدائع الفوائد» (٣/٢٠٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٧/١٤٢) (برقم ١٦٥٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) انظر: «فقه السيرة» د. زيد بن عبد الكريم الزيد (ص ٢٩٢-٣٢١).

الكلمة الثالثة والسبعون

السَّوَاكُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن السنن المؤكدة التي غفل عنها كثير من الناس: السواك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
 روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» (١).

والسواك طهارة لضم الإنسان مما يصيبه من بقايا الطعام، ومرضاة للرب، روى البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رضي عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» (٢).

وقد حثَّ النبي صلوات الله عليه أمته على السواك، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» (٣).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٢٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٨٨٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٢) واللفظ له.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنسٍ رضي عنه رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث واثلة رضي عنه رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»^(٢).

ويتأكد السواك في مواضع عديدة منها:

أولاً: عند كل صلاة فرضاً كان أم نفلاً، لما تقدم من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ورد فيه: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٣).

ثانياً: عند كل وضوء لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ»^(٤).

ثالثاً: عند القيام من نوم الليل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ^(٥) فَاهُ بِالسَّوَاكِ»^(٦).

رابعاً: عند دخول البيت، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٨٨٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٨٩ / ٢٥) (برقم ١٦٠٠٧)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٥) الشَّوْصُ: الدَّلْكُ.

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٥).

شَرِيحُ بِنِ هَانِيٍّ قَالَ: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسَّوَاكِ» (١).

خَامِسًا: تَغْيِيرُ رَائِحَةِ الْفَمِ مَطْلَقًا لِعُمُومِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» (٢).

سَادِسًا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ اسْتِعْمَالَ السَّوَاكِ وَهُوَ صَائِمٌ، فَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أُحْصِي وَلَا أَعُدُّ» (٣).

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ فِي حَالِ النَّبِيِّ ﷺ يَجِدُهُ يَحْرُسُ عَلَى السَّوَاكِ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى عِنْدَ احْتِضَارِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصْرَهُ، فَأَخَذْتُ السَّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ثَلَاثًا ثُمَّ قَضَى» (٤).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم، مُعَلَّقًا بِصِيغَةِ التَّمْرِيزِ.

(٤) صحيح البخاري» (برقم ٤٤٣٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٤٣).

قال الصنعاني: «قد ذكر في السواك زيادة على مائة حديث، فَوَاعَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يَهْمَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَهَذِهِ خِيبةٌ عَظِيمَةٌ»^(١). اهـ.

ومن أسباب حرص النبي ﷺ على كثرة استعمال السواك؛ أنه ﷺ كان يكره أن توجد منه الرائحة، وإن مما يؤسف له تفريط البعض في التنبه لهذا الأمر مما ينتج عنه أذى المحادث والمجالس، والمصلي بسبب النتن الذي يخرج من أفواه هؤلاء وخاصة المدخنين ومن يتناول الأطعمة ذات الروائح الكريهة، مع توفر وسائل التطهر وسهولة الحصول عليها. وعلى هؤلاء أن يعلموا أنه لا يحل لهم الصلاة في المساجد مع جماعة المسلمين فضلاً عن غيرها من المجالس والاجتماعات، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ - الثُّومَ - (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ)، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(٢).

وأفضل أنواع السواك ما أخذ من شجر الأراك.

وقد قام باحثون بعمل أبحاث وتوصلوا إلى أن عصارة السواك تحتوي على مضادات طبيعية للبكتيريا المسببة لتسوس الأسنان، وأمراض اللثة، وأن الذين يستخدمون السواك أقل عرضة للإصابة

(١) «سبل السلام» (١/١٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٨٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٦٤) واللفظ له.

بتسوس الأسنان وأمراض اللثة من الذين لا يستخدمونه ... وغيرها من الفوائد^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) انظر: «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب»، للشيخ عبد الله بن محمد اليوسف.

الكلمة الرابعة والسبعون

وقفات مع سورة الفيل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل القرآن الكريم لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٤]. ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الفيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ [الفيل: ١-٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله، وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قومًا نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاب والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول:

لم نصركم «يا معشر قريش» على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأُمِّي محمد ﷺ خاتم الأنبياء»^(١).

وقصة أصحاب الفيل على وجه الاختصار: أن ملك اليمن أبرهه أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعى الناس إلى حجه، ليصدهم عن حج بيت الله، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة، ولطخ جدرانه بالقدر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وعلم أن ذلك من فعل العرب، فقدم بجيش عظيم إلى مكة، وكان معه الفيلة، وفي طريقه بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه، فقاتلوه، فهزمهم أبرهه، وأسر نفيل بن حبيب الخثعمي، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز، ولما تهيأ أبرهه لدخول مكة وهياً فيله (محمود) أكبر الفيلة وعبأ جيشه ووجهوا الفيل نحو مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين^(٢) وأدخلوا محاجنهم في مَراقه^(٣) وبزغوه^(٤) بها

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٥٥/١٤).

(٢) نوع من السياط.

(٣) المواضع الرقيقة من جسده.

(٤) طعنوه بها.

ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هارين يتدرون الطريق، ويسألون عن نفيْل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيْل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيْل من النعمة وجعل نفيْل يقول:

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالْإِلَهُ الْغَالِبُ وَالْأَشْرُمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ

وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً وكان بعض الذين شهدوا ذلك أحياء عند البعثة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ ﴿٢﴾ أي: ألم يجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة ضلالاً منهم أدى بهم إلى الهلاك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ ﴿٣﴾ أي: جماعات متفرقة وهي طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره لا يصيب شيئاً إلا هشمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ﴿٤﴾ قالوا: هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم،

فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدي، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل، وقيل: المعنى صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه التبن.

والمعنى أن الله ﷻ أهلكتهم ودمرهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهه، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن هذه نهاية كل طاغية يحارب الله ويستحل حرماته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمْ نُدْقَهُ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ [الحج: ٢٥]. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود: ١٠٢]» (١).

ثانياً: قدرة الله العظيمة، فهو القادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٨٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٣).

[٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [٤٤].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الخامسة والسبعون

خطر النيمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن النيمة من الذنوب العظيمة التي حذر الله ورسوله منها، وهي مرض عضال، وداء خبيث، يفسد في المجتمعات ويورث العداوة والبغضاء فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۗ﴾ (١٠) هَمَازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم: ١٠-١١].

قال ابن كثير: «﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: الذي يمشي بين الناس وَيُحَرِّشُ بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة^(١).
والنيمة كما بيّنها النبي ﷺ هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟»^(٢) هِيَ النَّيْمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٨٩).

(٢) العضة: رُوِيَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْعِضَّةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْعِدَّةِ وَهِيَ الْأَشْهُرُ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ، وَالثَّانِي: الْعَضَّةُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْوَجْهِ وَهُوَ الْأَشْهُرُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ. وَالْمَعْنَى: «أَلَا أُنبئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟» الفاحش الغليظ التحريم.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٠٦).

قال أبو السعادات: «الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»: أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس.

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد المنام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة^(١).

والنمام متوعد بعدم دخول الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقِيلَ لِحُدَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ - إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٢).

قال ابن حجر: «الْقَتَاتُ هُوَ النَّمَامُ، ووقع بلفظ: «نَمَامٌ» في رواية أبي وائل عن حذيفة عند مسلم^(٣)، وقيل: الفرق بين القتات والنمام، أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يُعلم به ثم ينقل ما سمعه»^(٤).

والنمام يعذب في قبره قبل يوم القيامة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى،

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ٣٢٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٠٥).

(٤) «فتح الباري» (١٠/٤٧٣).

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُوْدًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاِثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»^(١).

والنمام شر عباد الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعَنْتَ»^(٢).

والفرق بين الغيبة والنميمة: أن الغيبة هي التكلم خلف إنسان مستور بما هو فيه مما يكرهه، أما النميمة فهي نقل كلام صادر عن الغير بغية الإفساد، وعلى ذلك تكون الغيبة صادرة عن المغتاب في الأصل، أما النميمة فهي كلام صادر عن الغير، وكذلك الغيبة قد تباح في بعض الأحيان لغرض شرعي، أما النميمة فلم ينقل جواز إباحتها أحد.

قال الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النميمة من الكبائر، وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، وقد أجاب عما يوهم أنها من الصغائر، وَهِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُعَدُّ بَانَ فِي كَبِيرٍ»، بأن المراد ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قيل في رواية أخرى: «بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ»^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٣٧٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥٢١/٢٩) (برقم ١٧٩٩٨)، وقال محققوه: حسن بشواهد.

(٣) «الكبائر» (ص ١٦٠)، بتصرف.

قال ابن حجر: «وجه كونه أي (النم) كبيرة ما فيه من الإفساد، وما يترتب عليه من المضار، والحكم على ما هو كذلك بأنه كبير ظاهر جلي»^(١).

قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم الغيبة، والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر»^(٢).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «كل من حُمِلت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان: كذا وكذا؛ لزمه ستة أحوال:

الأول: ألا يصدقه لأنه نمام فاسق وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنه يبغض عند الله، والبغض في الله واجب.

الرابع: ألا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: ألا يحمله ما حُكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميته.

(١) «الزواجر» (٢/ ٥٧٢).

(٢) «مراتب الإجماع» (ص ١٥٦).

وتكمن خطورة المنام في أنه يقل الاحتراز منه؛ لأنه يأتي في صورة الناصح المشفق، فإن صدقته تحقق حينئذ ما يريده المنام من الإفساد، قال ابن حزم: «من جاء إليك بباطل رجع من عندك بحق، وذلك أن من نقل إليك كذباً عن إنسان حرك طبعك فأجبتة فرجع عنك بحق، فتحفظ من هذا ولا تجب إلا عن كلام صح عندك عن قائله»^(١).

والنمامون كثيرون ومن أشدهم خطراً: طائفة جعلت مهنتها الوقيعة بين العلماء والحكام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا^(٢).

وهذا المعنى الذي أثر ابن مسعود المصير إليه؛ جاء في حديث ضعفه بعض أهل العلم وجاء فيه: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ

(١) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم (ص ٣٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٥٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٦٢) واللفظ له.

أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمٌ الصَّدْرِ»^(١).

وطائفة أخرى أكل الحسد قلوبها، فلا تكاد ترى زوجين أو صديقين متآلفين إلا سعت للتفريق بينهما بالنميمة، كل ذلك في لباس النصح والإشفاق.

وروي عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(١١)، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا^(٢).

قال الحسن البصري: من نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ.

ومما تعالج به النميمة: أن يعلم النمام أنه معرض نفسه لسخط الله تعالى وعقوبته، وأنها تحبط الحسنات، وأن يتدبر المرء في عيوبه ويجتهد في التطهر منها، وأن يعلم أن تأذي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأذيه بها فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به، قال الشاعر:

نَحَّ عَنِ النَّمِيمَةِ وَاجْتَنِبَهَا فَإِنَّ النَّمَّ يُحْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ
يُثِيرُ أَخَوِ النَّمِيمَةِ كُلَّ شَرٍّ وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلَّ سِرٍّ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٨٦٠).

(٢) «الكبائر» للذهبي (ص ١٦٠).

وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمًا وَلَيْسَ النَّمُّ مِنْ أَفْعَالِ حُرِّ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة والسبعون

الفأل وحسن الظن بالله

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الفأل وحسن الظن بالله من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها، فإنها تعطيه دافعاً للعمل والتقدم إلى الأمام، فإن المتفائل عنده أمل أن يكون حاله في مستقبله خيراً من يومه، وبأن يعوض فيه ما فاته، وأن يتجاوز العقبات والمحن، وأن يحقق المصالح والمنافع التي ليست في حوزته اليوم.

قال الماوردي: «الفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجِدِّ، ومعونة على الظفر، فقد تفاعل رسول الله ﷺ في غزواته وحرابه^(١)، والمراد بالتفاؤل انشراح قلب المؤمن، وإحسانه الظن، وتوقع الخير».

قال ابن الأثير: «التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طلب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته»^(٢).

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣١٩).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٤٠٦/٣)، بتصرف.

وَالنَّبِيُّ ﷺ حُوصِرَ وَأُوذِيَ وَأُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، وَمَاتَ لَهُ سِتَّةٌ مِنَ الْوَلَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَتَفَاءَلُ وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ الْحَسَنُ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ الْحَسَنُ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب فَحَدَّثَنِي أَنَّ جَدَّهُ (حَزَنًا) قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيَّرٍ اسْمًا سَمَانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ»^(٣).

وفي صلح الحديبية عندما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة المسلمين، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «سَهْلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»^(٤).

قال ابن عباس رضي عنهما: الفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء^(٥)، فكذلك

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٧٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٢٢٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٦٩/٤) (برقم ٢٣٢٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٩٣).

(٤) «صحيح البخاري» (رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٥) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

كرهت، قال الحليمي: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء الظن بالله تعالى، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»^(١)، قال البغوي: «وإنما أحب النبي ﷺ الفأل لأن فيه رجاءَ الخير والفائدة، ورجاءَ الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير»^(٢). اهـ.

والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال^(٣)، وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى حسن الظن بالله تعالى.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْحُبُ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ»^(٥).

قال العلماء: حسن الظن بالله تعالى، أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه^(٦)، والذي يتأمل في أحوال الرسل عليهم السلام، والصالِحون

(١) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٢) «شرح السنة» (١٢/١٧٥).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (برقم ٩٠٧٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٥) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٧٧).

(٦) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/٢١٠).

من بعدهم يجد أنهم متفائلون في أحلك الظروف، والشدائد، فهذا موسى عليه السلام ومن معه عندما لحق بهم فرعون وجنوده وأصبح البحر أمامهم، والعدو خلفهم كان متفائلاً ومحسناً للظن بربه، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

وأم إسماعيل هاجر عندما تركها إبراهيم عليه السلام في مكة مع ابنها إسماعيل، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم مضى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا^(١).

وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، لما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إليها خائفاً يقول: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»^(٢).

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان من أعظم الناس تفاؤلاً وحسن ظن

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٣٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣).

بالله، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله يريد قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(١)، فقال له رسول الله ﷺ: بل أزوجو أن يخرج الله من أضلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، عندما كان أبو بكر في جوار ابن الدغنة فابتنى أبو بكر مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، فشكت قريشُ أبا بكرٍ إلى ابن الدغنة وقالوا: خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر وقال: إما أن تمتنع عما تفعل وإما أن ترد عليَّ جوارِي، فإنني أكره أن تتحدث العرب أني أخفرت في رجلٍ عقدت له، قال أبو بكر:

(١) هما جبلان بمكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٥).

فإِنِّي أَرَدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ ﷻ^(١).

ومن التفاؤل الذي يُذكر في هذا المجال: ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ففي سنة (٧٠٢هـ) تحرك التتار لغزو بلاد الشام فأخبر ابن تيمية الناس والأمرء أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، قال ابن القيم: وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا عَلَيَّ قلت: لا تكثروا، كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمت بعض الأمرء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكان النصر حليف المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]^(٢).

ومن ذلك أن الشيخ شمس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني رَحِمَهُ اللهُ كان يأخذ السلطان محمداً بيده ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح في الأفق من بعيد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى هذه المدينة التي تلوح في الأفق، إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه ويضمها إلى أمة التوحيد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلْنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلْنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥).

(٢) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٤١٥).

الْجَيْشِ»^(١). ثم تفاعل الأمير الصبي وعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذي بشر به الصادق المصدوق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما جاء اليوم الموعود وتولى الخلافة شرع السلطان محمد الفاتح يفاوض الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة قال بكل تفاؤل: حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر، حاصر السلطان محمد الفاتح القسطنطينية واحداً وخمسين يوماً، تعددت خلالها المعارك العنيفة وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله، سقطت على يد بطل شاب له من العمر ثلاثة وعشرون عاماً.

ومن ذلك ما ذكره الشيخ المقرئ عبد الله بن أحمد ابن سعيد قال: «مرضت بدمشق مرضاً شديداً، فجاءني ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض فدعاني، ثم قال: جاءت العافية فما كان إلا أن قام، وإذا بالعافية قد جاءت، وَشُفِيتُ لوقتِي»^(٢).

ومن فوائد الفأل وحسن الظن بالله:

أولاً: يجلب السعادة والسرور إلى القلب، ويذهب عنه الهم

(١) هذا الحديث الذي ورد في سياق كلام الشيخ شمس الدين، واستدل به على فضل فاتح القسطنطينية. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» [٣١/٢٨٧] (برقم ١٨٩٥٧) [١٨٩٥٧] مِنْ حَدِيثِ بَشْرِ الخُثَعَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد ضَعَفَهُ بعض أهل العلم، وفضل فتح القسطنطينية ثابت بأحاديث أخرى تراجع في مظانها.

(٢) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٦٨٨).

والحزن، وهذا مطلوب شرعاً، ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الِهَمِّ وَالْحَزَنِ» (١).

ثانياً: فيه تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجد والعمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (٢).

ثالثاً: فيه اقتداء بالسنة النبوية، فقد حثَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٩٣).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

الكلمة السابعة والسبعون

مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة الهدى، نصر الله به الدين، وحفظ به السنة، ولد سنة (١٦٤هـ)، ونشأ يتيماً، فقد مات والده وهو طفل صغير، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان طويلاً أسمر شديد السمرة، تزوج وهو ابن أربعين سنة، قال أبو زرعة الرازي: كان يحفظ ألف ألف حديث «يعني مليون حديث»، ولما سُئل أبو زرعة عن ذلك قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

قال الذهبي: وهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ ذلك^(١).

إنه إمام أهل السنة والجماعة، شيخ الإسلام أحمد ابن

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٨٧).

محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ويكنى بأبي عبد الله.

قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم ولا أتقى، من أحمد بن حنبل، وقال إسحاق بن راهوية: أحمد حجة بين الله وخلقه.

قال الذهبي: كان أحمد عظيم الشأن، رأساً في الحديث، وفي الفقه، وفي التأله، أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بإخوانه وأقرانه؟ وكان مهيباً في ذات الله، حتى قال أبو عبيد: ما هبت أحداً في مسألة ما هبت أحمد بن حنبل.

وكان يجتمع في مجلس أحمد خمسة آلاف، أو يزيدون؛ نحو خمس مائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت، وسأله أحد أصحابه ذات يوم: إلى متى تستمر في طلب العلم وقد أصبحت إماماً للمسلمين؟ فقال له: من المحبرة إلى المقبرة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ متفقهاً زاهداً في الدنيا، قال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، والصبر، وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت ذكر الدنيا قط.

قال أحمد بن سنان: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم فلم يقبلها.

قال المروزي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت هان عليّ كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ما أعدل بالفقر شيئاً، ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر، وقال: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بُليت بالشهرة.

وكان تقياً، ورعاً متواضعاً، قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك، قال أخاف أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هداً الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله ولقد رمي عنه بحجر، والعلاج على الحصن متترس بدرقة فذهب برأسه وبالدرقه، قال: فتغير وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجاً، قلت: كلا، ودخل عليه رجل وأثنى عليه وقال: جزاك الله عن الإسلام خيراً؛ فاغتم وقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً، من أنا وما أنا؟

قال صالح بن أحمد: كان أبي إذا دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها.

وقال المروزي: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف

أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبیه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة.

قال المروزي: لما ذكر الإمام أحمد أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟ وهذا من تواضعه وإلا فهو إمام في ذلك.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصادعين بالحق والصابرين عليه، وقد ابْتُلِيَ فِي ذلك، قال الذهبي: «الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، قال: فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخْذَلُ، فمن قام بهما كاملاً فهو صديق، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله»^(١).

قال علي بن المديني: أعز الله الدين برجلين: أبو بكر الصديق في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَ ۙ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۗ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۗ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٣٤).

قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»^(١).

لما حصلت فتنة خلق القرآن في عهد المأمون قال صالح: ثم امتحن القوم ووجه بمن امتنع إلى السجن، فأجاب القوم جميعاً إلا أربعة: أبي ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد، ثم أجاب هذان وبقي أبي ومحمد في الحبس أياماً، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين، وتوفي محمد بن نوح في الطريق، وصلى عليه الإمام أحمد.

قال عباس الدوري: سمعت أبا جعفر يقول: لما أخذ أحمد إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، قال: يا أبا جعفر تعנית، قلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبته إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت فاتق الله ولا تجب، وجعل أحمد يبكي ويقول له: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر أعد عليّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.

قال إبراهيم بن عبد الله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها، قال: يا أحمد إن

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يقتلك الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً، فقوي قلبي.

قال محمد بن إبراهيم: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله بالرقعة في التقية، وما روي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب؟ «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاِثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ، أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ»^(١). فأيسنا منه، وقال: لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّيَ عنه.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنه^(٢) ورحلنا منها في جوف الليل وفتح لنا بابها إذا رجل قد دخل فقال: البشري، قد مات الرجل - يعني المأمون -، قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه، وبقي أحمد محبوساً بالرقعة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، وقد أمر بتعذيبه، وجلده بالسياط حتى أُغمي عليه عدة مرات، قال صالح: ثم حُلِّيَ عنه فصار إلى منزله، وكان مُكْتَهُ في السجن منذ أُخِذَ إلى أن ضرب: ثمانية وعشرين شهراً.

ومن أخلاقه العظيمة: عفوه وتسامحه حتى مع أشد خصومه

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦١٢).

(٢) بلد مشهور من الثغور قرب المصيصة.

ممن عذبه، فمن ذلك أنه قال: كل من ذكرني ففي حلٍّ إلا مُبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حلٍّ، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يُعذب أخاك المسلم بسبيك؟ ولتعف، وتصفح فيغفر الله لك كما وعدك، وكان يقول لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية، ولا الإسلام مثله - يعني من شهد الجنابة -، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحرز على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف - يعني مليون - وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع، والدروب، ينادون: من أراد الوضوء^(١).

وكان وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول يوم الجمعة سنة (٢٤١هـ)، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وجزاه عن الإسلام، والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٧٧-٣٥٦).

الكلمة الثامنة والسبعون

الرفق

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي وصف الله بها نبيه محمداً ﷺ الرفق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا لِّمَا تُكْفِرُونَ لَأَلْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(١). وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٢).

والرفق هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف، وقد يجيء الرفق أيضاً بمعنى التمهل في الأمور

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٦٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٣).

والتأني فيها، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ومن أسمائه تعالى (الرفيق) في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق، وشرع الأحكام شيئاً بعد شيء وجريانها على وجه السداد، واليسر، ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة، إذ خلق الخلق أطواراً ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرار لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده: أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت^(١).

قال ابن القيم:

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانٍ
والرفق من أفضل الأخلاق، وأجلها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، فلا يكون في شيء إلا زينته وجمّله، وحسنه، ولا ينزع من شيء إلا شانه، وعابه وقبحه، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

ومن آتاه الله الرفق فقد أعطاه خيرًا عظيمًا من الثناء الحسن، والتوفيق، وصلاح البال، وطمأنينة النفس، ونيل المطالب،

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٤).

وتحقيق المآرب، وفي الآخرة أجر عظيم، وثواب جزيل، ذلك بأن المتأني الذي يأتي الأمور بسكينته، ورفق اتباعاً لسنن الله في الكون، واتباعاً لنبيه محمد ﷺ، فإنَّ من كان هذا هديه وطريقه؛ تيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس، ونهيهم، وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين.

وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة، وصان لسانه عن مشاتمهم ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة، والطمأنينة، والرزانة، والحلم، فما أطيب عيشه! وما أنعم باله! وما أقر عينه! (١).

وأخبر النبي ﷺ أن دخول الرفق على أهل بيت علامة خير، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، دَلَّهْمُ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ» (٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ رَفْقًا بِأَصْحَابِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهْلِينَا قَالَ: ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا،

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي»، قسم العقيدة (٦/٥٣٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤١/٢٥٥) (برقم ٢٤٧٣٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ» (١).

وكان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الرفق بالناس، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» (٢).

وَلَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنهما إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُمَا: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» (٣). قال الإمام أحمد بن حنبل: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه (٤).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَحْتُ أَهْلَ بَيْتِهِ عَلَى الرَّفْقِ، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ يَهُودَ أَتَوَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعْنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» (٥).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٢٨).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٣٣).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٩٥) [دار الريان للتراث].

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٦٥).

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ وَوَلَاةَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ،
 روى مسلم في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
 «اللَّهُمَّ مَنْ وَليَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ
 وَليَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (١).

بل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ، روى مسلم
 في صحيحه من حديثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ،
 وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» (٢).

الخلاصة: أنه ينبغي على المؤمن أن يكون رفيقًا في جميع
 شؤونه، رفيقًا في معاملة أهله، وأولاده، وإخوانه، وأصدقائه، وفي
 معاملة عامة للناس، يرفق بهم، ومن كان هذا حاله فالنفوس ترتاح له،
 والقلوب تأنس به، والصدور تنشرح له، ويحصل على محبة الناس،
 وينبغي أن يكون الرفق ملازمًا للمؤمن في بيته، وسوقه، ومسجده،
 وفي كل مكان يخالط فيه الناس، فإذا فعل ذلك فقد أُعطي خيرًا
 كثيرًا، روى مسلم في صحيحه من حديثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ» (٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٢٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٩٥٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٢).

الكلمة التاسعة والسبعون

وقفات مع سورة قريش

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة قريش، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ: ﴿١﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٢﴾ فَالْعَبْدُ لِرَبِّهِ كَذِبٌ أُولَىٰ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١-٤].

هذه السورة لها صلة بالسورة التي قبلها وهي سورة الفيل، إذ أن سورة الفيل بيان منة الله ﷻ على أهل مكة بما فعل بأصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة، فبين الله في هذه السورة نعمة أخرى كبيرة على أهل مكة وهي رحلة الشتاء والصيف.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ: ﴿١﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٢﴾ فَالْعَبْدُ لِرَبِّهِ كَذِبٌ أُولَىٰ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام؛ لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف مع مناسبة الجو البارد، فهي

نعمة من الله **سُبْحَانَهُ** على قريش في هاتين الرحلتين؛ لأنه يحصل منهما فوائد كثيرة ومكاسب تجارية، إضافة إلى أنهم يرجعون إلى بلدهم مكة آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، بل من سار معهم آمن بهم، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتاتهم، وصيفهم، وأما في حال إقامتهم، فكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أرشدهم إلى شكر هذه النعم بعبادة رب البيت والمراد الكعبة، وهنا أضاف ربوبيته إليه، فقال: ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم^(١).

أي: فليوحِّدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١]. فلا يعبدوا صنماً ولا نداً ولا وثناً، ومن استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: أي

(١) «تفسير الشيخ ابن عثيمين» (ص ٣٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤٦٦/١٤).

من بعد الجوع، وكان يتعوذ بالله من الجوع.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِشَسِّ الضَّجِيعِ» (١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» * وَذَلِكَ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ» * [البقرة: ١٢٦] (٢).

قال ابن زيد: «كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها من بعض، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم، ثم قرأ قوله تعالى: «أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا» * [القصص: ٥٧]» (٣).

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن نعم الله على عباده كثيرة ومن أعظمها بعد الإيمان: الأمن والغذاء، قَالَ تَعَالَى: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّتَ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفَارٌ» * [إبراهيم: ٣٤]. وقال تعالى ممتنًا على عباده بنعمة الغذاء: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ» * (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * (٢٦) فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جِبًّا * (٢٧) وَعَيْنًا وَقَضْبًا * (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا * (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبًّا * (٣١) مَتَّعْنَاكُمْ وَلِنَنْعِمَكُمْ * (٣٢) [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال تعالى ممتنًا على عباده بنعمة الأمن: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٨/١) (برقم ١٣٦٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٥٠٨/٢٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥٠٨/٢٢).

يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].
 وقال تعالى ممتنًا على أهل سبأ بهذه النعمة: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي
 وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [سبأ: ١٨].

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخَطَمِيِّ رضي الله عنه وكانت له صحبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(١).

ثانيًا: أن دوام هذه النعم وبقائها إنما يكون بشكرها وذلك بإخلاص العبادة له وطاعته واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجْسًا لِنِ شَكْرَتِهِمْ لَا زَيْدَنَّاكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧].

ثالثًا: أن شكر هذه النعم يكون بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢]. وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]. وذهاب هذه النعم إنما يكون بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٧٤).

(برقم ١٩١٣).

الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا
وَبِسْ أَلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟
فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ
وَحُطُّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ١١٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٨٢٠).

الكلمة الثمانون

محاسبة النفس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن القيم: «دلت الآية على وجوب محاسبة النفس، فيقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال، أم من الصالحات التي تنجيه؟ أم من السيئات التي توبقه؟»^(١).

قال الحسن البصري: «لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردتِ عملين؟ وماذا أردتِ تأكلين؟ وماذا أردتِ تشربين؟ وإن الفاجر يمضي قدمًا قدمًا ما يعاتب نفسه»^(٢).

قال الماوردي: «محاسبة النفس أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه، وأتبعه بما شاكلة، وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل»^(٣).

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٥٢).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/١٤٥).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣٦٠-٣٦١).

ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته فينظر: هل العمل موافقٌ لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أم لا؟ فإن كان موافقاً أقدم، وإن كان مخالفاً ترك، ثم ينظر: هل فعله خير له من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني: تركه ولم يقدم عليه، ثم ينظر: فإن كان لله مضي، وإن كان للجاه، والثناء، والمال من المخلوق ترك.

أما النوع الثاني: فهو محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

أولاً: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله في الطاعة ستة أمور: الإخلاص لله في العمل، النصيحة لله فيه، متابعة الرسول ﷺ، شهود مشهد الإحسان فيه، شهود منة الله عليه، شهود تقصيره فيه، بعد ذلك كله يحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

ثانياً: أن يحاسب نفسه على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية.

ثالثاً: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

رابعاً: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد، لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا

وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر^(١).

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا، أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، وَتَزِينُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»^(٢).

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا وَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ، وَاللَّهُ لَتَتَّقِينَ اللَّهَ ابْنَ الْخَطَّابِ أَوْ لِيُعَذِّبَنَّكَ»^(٣).

قال إبراهيم التيمي: «مَثَلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ: آكَلٌ مِنْ ثَمَارِهَا، وَأَشْرَبٌ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأَعَانِقُ أَبْكَارِهَا، ثُمَّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ: آكَلٌ مِنْ زَقُومِهَا، وَأَشْرَبٌ مِنْ صَدِيدِهَا، وَأَعَالِجُ سِلَاسِلِهَا، وَأَغْلَالِهَا، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَيُّ نَفْسِي أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدِينَ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ صَالِحًا، قُلْتُ: فَأَنْتِ فِي الْأَمْنِيَةِ فَاعْمَلِي»^(٤).

قال الغزالي: «عرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق (١/١٤٥).

(٣) «موطأ الإمام مالك» (١٨٠٠).

(٤) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (ص ٢٦).

بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته»^(١).

وأضر ما على المسلم الإهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويمشي الحال ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه موقعة الذنوب وأنس بها، وعسر عليه فطامها ولو حضر رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام، وترك المألوف والمعتاد^(٢).

فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر، أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها، وسكناتها، وخطراتها، وخطواتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبدا الآباد، فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه، خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس، وأحمقهم، وأقلهم

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/٤١٨).

(٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/١٤٧-١٥٠).

عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] (١).

ومن فوائد محاسبة النفس:

أولاً: الاطلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

ثانياً: دليل على الخوف من الله والاستعداد للقاءه.

ثالثاً: تبين للمؤمن حقيقة الربح والخسران.

رابعاً: محاسبة النفس في الدنيا تريح المؤمن يوم القيامة.

خامساً: فيه امتثال لأمر الله تعالى.

سادساً: تبعد عن الغفلة، والاستمرار في المعاصي، والذنوب.

سابعاً: تعين المؤمن، وتساعد في استدراك ما نقص من الفرائض، والنوافل.

ثامناً: تثمر محبة الله ورضوانه.

تاسعاً: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه، فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة المنفعة جداً.

عاشراً: أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/١٤٧-١٥٠).

والاسترسال معها^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٥٦)، و«نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (٨/٣٣١٧، ٣٣٢٤).

الكلمة الحادية والثمانون

الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة الهدى، نصر الله به الدين، وحفظ به السنة. قال عنه الذهبي: شيخ الإسلام وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ الغازي عبد الله بن المبارك الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، ولد سنة (١١٨هـ)، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وأكثر من الترحال والتطواف في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج، قال شعيب بن حرب: سمعت أبا أسامة يقول: ابن المبارك في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس، وكان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، ف قيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟

قال أشعث بن شعبة: قدم الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من [برج من] قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم، قالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان.

قال محمد بن أعين: سمعت عبد الرحمن بن مهدي واجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: جالست الثوري وسمعت منه ومن ابن المبارك، فأيهما أرجح؟ قال: لو أن سفيان جهد على أن يكون يوماً مثل عبد الله لم يقدر، وقال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

وقال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ، وغزوهم معه.

قال ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام فذهبت على أن أردّه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

واجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف مع أصحابه.

وقيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه.

وروى غير واحد أن ابن المبارك قيل له: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد.

وكان عبد الله غنياً شاكراً كريماً، قال سلمة بن سليمان: جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مئة درهم، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضاً قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي.

وكان يقول للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتجرت، وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مئة ألف درهم.

قال علي بن الفضيل: سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا.

قال محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى

طرسوس؛ وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة فلم يره فخرج في النفير مستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشاب فقيل: محبوبس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم ووزن له عشرة آلاف وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش، فأخرج الرجل وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت لم أرك؟ قال: يا أبا عبد الله كنت محبوبساً بدين، قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني ولم أدر، قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله.

وكان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو فيجصص بيوتهم، وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسرُّوا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى

كل رجل منهم صرته عليها اسمه.

ولما عوتب فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: إنني أعرف مكان قوم لهم فضل، وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بيت العلم.

وهذه رسالة لكل تاجر أن ينفق من ماله للفقراء، والمحتاجين، وطلبة العلم، والمشاريع الخيرية، فإن في ذلك بركة وخير له في ماله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٣).

ومن أقواله العظيمة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: رَبِّ عَمَلٍ صَغِيرٍ

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٩٩/٢٩) (برقم ١٧٧٦٣)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٨).

تُكثِرُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَثِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ.

وقال أيضًا: مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأُمَرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوَّتُهُ.

قال علي بن الحسن: سمعت ابن المبارك، وسأله رجل عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقال: عالجتها بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به، فقال له: اذهب، فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ.

قال سويد بن سعيد: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم فاستسقى شربة ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن أبي الموالم حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَاءٌ زَمَزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» ^(١) وهذا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شربه.

قال محمد بن إبراهيم: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ فَنَحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ فَخِيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ

(١) «سنن ابن ماجة» (برقم ٣٠٦٢)، وصححه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٤/ ٣٢٠) (برقم ١١٢٣).

رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَيْرُنَا رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطِيبُ (١)
 وَلَقَدْ أَنَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يُكْذَبُ
 لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
 هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يُكْذَبُ

فألفت الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.

وقد رآه أحد أصحابه في المنام بعد وفاته فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحمتي في الحديث، عليك بالقرآن، عليك بالقرآن.

وكانت وفاته سنة (١٨١هـ) وله من العمر ثلاثة وستون عاماً، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) الرهج: الغبار، والسنايك: جمع سنك، طرف حافر الخيل وجانباه من قدام.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/٣٧٨-٤٢١).

الكلمة الثانية والثمانون

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالقضاء والقدر، وهو الركن السادس من أركان الإيمان، ففي حديث جبريل المخرج في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ»^(١). قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢٣) [الحديد: ٢٢-٢٣].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٥٣).

يخبر تعالى في هذه الآيات الكريمات أن جميع ما يقع من المقادير والمصائب وغيرها في الأنفس والآفاق، كل ذلك قد كتب الله وقوعه قبل وجوده بمدد طويلة، وذلك لسعة علمه المحيط بكل شيء، ما كان وما يكون، ثم يبين تعالى أن في إخباره لنا بذلك حكمتين عظيمتين وفائدتين جليلتين:

الأولى: ألا نحزن حين فوات شيء من الدنيا ومصالحها، إذ إن ما لم يقدر ينقطع الطمع فيه، والحزن والأسى عليه من الحمق، والله لا يريد لنا أن نقع في ذلك لما ينتج عن الحزن من الآثار السيئة على فكر المرء وتصرفاته.

الثانية: أن الناس عند حدوث النعم ينقسمون إلى قسمين، فضعيف الإيمان بالقضاء والقدر يطير فرحاً، ويمتلىء فخراً وكبراً وكأنه والعياذ بالله لم يصدق بما حصل له، أما قوي الإيمان الذي يعلم أن تقدير الله ﷻ سبق وجود هذه النعم فإنه لا يتغير عنده شيء لعلمه وإيمانه أن ما وقع كائن لا محالة فكما أن كتابته سبقت وجوده فكذلك إيمانه سبق وقوعه.

وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؟^(١).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٣١/١٣).

ومن فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

أولاً: الرضا واليقين بالعوض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١) [التغابن: ١١]. قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله، وقدره فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، وبقينا صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: يَهْدِي قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَقَالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ، وفي الحديث المخرج في صحيح مسلم من حديث صُهَيْبٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١)، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، ﴾ - يَعْنِي يَسْتَرْجِعُ - يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٩٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٠/١٤).

مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» (١).

ثانيًا: انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا أَلَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ثالثًا: الحصول على الأجر الكبير، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦] وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١٥٧] ﴿ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، قال أمير المؤمنين: نعم العدلان، ونعمت العلاوة؛ ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذاان العدلان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ هذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا.

رابعًا: غنى النفس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ» (٢).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٩١٨).

(٢) قطعة من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٠٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٩٣٠).

خامسًا: عدم الخوف من ضرر البشر، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

سادسًا: الشجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأجل مقدر لا يزيد فيه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، لا يهاب الموت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٣٤] [الأعراف: ٣٤]. قال الشافعي:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءٌ
سابعًا: عدم الندم على ما فات، والتحسر على الماضي، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

ثامناً: أن الخيرة فيما اختاره الله، فقد يقدر على المؤمن مصيبة فيحزن ولا يدري كم من المصالح العظيمة التي تحصل له بسببها وكم صُرف عنه من شرور، والعكس كذلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال ابن عَوْنٍ: ارْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْلٌ لِهَمِّكَ، وَأَبْلَغُ فِيمَا تَطْلُبُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ لَنْ يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّىٰ يَكُونَ رِضَاهُ عِنْدَ الْفَقْرِ وَالْبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِنْدَ الْغِنَى وَالرِّخَاءِ؛ كَيْفَ تَسْتَقْضِي اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، ثُمَّ تَسْخَطُ إِنْ رَأَيْتَ قَضَاءً مُخَالَفاً لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِنْ ذَلِكَ، لَوْ وَفَّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرْضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَفَّقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عِلْمِكَ بِالْغَيْبِ؟! إِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ^(١).

تاسعاً: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبَلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٢٢ - ٥٢٣).

غَيْرَ هَذَا لَدَخَلَتِ النَّارَ»^(١).

عاشراً: زهاب الهم والغم والحزن.

الحادي عشر: من الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدَتْ تبين مدى الإيمان بذلك، فْقَوِيَّ الإيمان لا يفرح بما أُوتِي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٦٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٩٠/٣) (برقم ٣٩٣٢).

الكلمة الثالثة والثمانون

قضاء حوائج الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد حث الشرع الحنيف على نفع الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي إلى تفريج كرباتهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، تحقيقاً لدوام المودة، وبقاء الألفة، وزيادة في روابط الأخوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَفْعَ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ وَالْقُرْبَاتِ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٠).

جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ» (٣).

قال النووي: «وفي هذا الحديث الحث على الصدقة، والجود، والمواساة، والإحسان إلى الرفقة، والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يُكْتَفَى في حاجة المحتاج بتعرضه للعتاء وتحريضه من غير سؤال» (٤).

وأبواب نفع الناس كثيرة: كقضاء ديونهم، أو الصدقة على الفقراء منهم، أو تفريج كربهم، أو الصلح بينهم، أو إدخال السرور عليهم،.. وغيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٣٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٢٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢١٩٩).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٢٨).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٣٣/٤).

سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد دل العقل والنقل والفترة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها، ومللها، ونحلها، على أن التقرب إلى رب العالمين، والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه، بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه» (٢). اهـ

ونفع الناس، والسعي في كشف كرباتهم، من صفات الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام، فالكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما فعله إخوته به جهزهم بجهازهم ولم يبخسهم شيئاً منه، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، فرفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٧٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٠٩) واللفظ له.

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩).

وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (١).

وَكَانَ ﷺ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَاجَةٍ لَمْ يَرُدَّ السَّائِلَ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ؟ فَقَالَ: لَا» (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرَضَانًا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُؤَاسِنَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ» (٣).

وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى مَنَهْجِهِ ﷺ، فَيُخْدَمُونَ النَّاسَ وَيَنْفَعُونَهُمْ، فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، فَأَنْفَقَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَعْتَقَ سَبْعَةَ كُلِّهِمْ يَعْذَّبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَعْتَقَ بِلَالًا، وَعَامِرَ بْنَ فَهِيرَةَ، وَزَنْبِرَةَ، وَالنَّهْدِيَةَ وَابْتَتَهَا، وَجَارِيَةَ بْنَ مَوْمِلٍ، وَأُمَّ عُبَيْسٍ، وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَانَ يَتَعَاهَدُ الْأَرَامِلَ يَسْقِي لَهْنَ الْمَاءِ لَيْلًا، وَرَأَاهُ طَلْحَةَ بِاللَّيْلِ يَدْخُلُ بَيْتَ امْرَأَةٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا طَلْحَةَ نَهَارًا، فإِذَا عَجُوزٌ عَمِيَاءُ مَقْعَدَةٌ، فَسَأَلَهَا: مَا يَصْنَعُ هَذَا الرَّجُلُ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: هَذَا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا يَتَعَاهَدُنِي يَأْتِينِي بِمَا يَصْلِحُنِي وَيُخْرِجُنِي مِنَ الْأَذَى، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ اشْتَرَى بَتْرَ رُومَةَ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، وَجَعَلَهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣١١).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٣٢/١) (برقم ٥٠٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حلاً
 إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ولست أبغي بما قد قلته بدلاً
 إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبلا
 لا تزهدي الدهر في خير توافقه فكل عبد سيجزى بالذي عملاً

قال علي: علي بالدنانير، فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار، قال: نعم.

قال الذهبي عن شيخ الإسلام رحمته الله ابن تيمية: «وله محبوبون من العلماء، والصلحاء، ومن الجند، والأمراء، ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لرفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه» (٤).

وذكر أحد المشايخ نقلاً عن كاتب الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله أن الشيخ كان يترك صيام النافلة في بعض الأيام ويقول: لأنه يضعفني عن القيام بحوائج الناس، فالصيام نفعه للشيخ

(٤) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٦٧٢).

والأعمال الأخرى المتعدية تنفع الناس.

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي أمامة رضي عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ
 السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» (١).

قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ رضي عنه: مَا أَصَبْتُ وَلَيْسَ عَلَيَّ بِأَبِي صَاحِبُ
 حَاجَةٍ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ، فَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ صَاحِبَ الْحَاجَةِ
 هُوَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ حِينَ أَنْزَلَ حَاجَتَهُ
 بِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي عنه: ثَلَاثَةٌ لَا أَكْفَاهُمْ: رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ،
 وَرَجُلٌ وَسَّعَ لِي فِي الْمَجْلِسِ، وَرَجُلٌ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي الْمَشْيِ إِلَيَّ
 إِرَادَةَ التَّسْلِيمِ عَلَيَّ، فَأَمَّا الرَّابِعُ فَلَا يَكْفِيهِ عَنِّي إِلَّا اللَّهُ، قِيلَ: وَمَنْ
 هُوَ؟ قَالَ: رَجُلٌ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يُفَكِّرُ بِمَنْ يُنْزِلُهُ ثُمَّ رَأَى أَهْلًا
 لِحَاجَتِهِ فَأَنْزَلَهَا بِي.

وليحذر صاحب المعروف من المن، فإنه يفسد العمل،
 ويوغر الصدر ويحبط الأجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
 يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ١٦٤]. قال الشاعر:

أَفْسَدَتْ بِالْمَنِّ مَا أَسَدَيْتَ مِنْ حُسْنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسَدَى بِمَنَّانٍ
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) «المعجم الكبير» (٢٦١/٨) (برقم ٨٠١٤)، وقال المنذري في كتابه «الترغيب
 والترهيب» (٦٧٩/١): إسناده حسن. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»
 (برقم ١٩٠٨).

قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». ذَكَرَ مِنْهُمْ: «الْمَنَانُ الَّذِي لَا يُعْطَى شَيْئًا إِلَّا مِنْهُ» (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن تعليم الناس العلم الشرعي هو من أعظم النفع، فإن حاجتهم إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وفي الحديث: «إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ» (٢). وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَيَّ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» (٣).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٠٦).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ٣٦٤١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/٦٩٤) (برقم ٣٠٩٦).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦٨٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

الكلمة الرابعة والثمانون

ذم الجبن

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله (الجبن)، قال الفيروزآبادي: الجبن ضعف القلب عما يحق أن يقوى فيه^(١)، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجُبْنِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ»^(٢).

قال القاضي عياض: «وكذلك استعاذته ﷺ من الجبن والبخل لما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام في حقوق الله، والغلظة على أهل المعاصي، وتغيير المنكرات، وأداء حقوق المال، إذ بشجاعة النفس المعتدلة يقيم الحقوق، وينصر المظلوم، وبسخاء النفس يؤدي حقوق المال، ويواسي منه ويلم به

(١) «بصائر ذوي التمييز» (١/٣٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٦٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٠٦).

عند الضرورات شعث المساكين، ويؤدي واجب المضطرين»^(١).

وبين النبي ﷺ أن الجبن من شر الصفات التي تكون في المرء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحٌّ»^(٢) هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»^(٣).

والجبن من صفات المنافقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. قال ابن كثير: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالأسنة حداد: أي فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة، والنجدة وهم يكذبون في ذلك^(٤). اهـ.

قال الشاعر:

أَفِي السَّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَمْثَالَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ،
روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢٠٥/٨).

(٢) الشح: أشد البخل وهو البخل مع الحرص. وخالع: أي: شديد، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٨٥/١٣) (برقم ٨٠١٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) «تفسير ابن كثير» (١٣٢-١٣٣).

وَاللَّهُ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسَ نَتَقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ -
يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ومدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل، والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم إلا بالشجاعة والكرم بين الله ﷻ وبينهم، أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]» (٢).

ومما يدل على أن الجبن مما ينافي مكارم الأخلاق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَحِدُونِي بِخِيَلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا» (٣).

قال ابن حجر: «فيه ذم الخصال المذكورة وهي: البخل والكذب

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

(٢) «الاستقامة» (٢/٢٦٣ - ٢٧٠)، باختصار.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٤٨).

والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها»^(١).
 قَالَ أَبُو الزُّنَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ
 بَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ
 ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمحٍ، أَوْ رَمِيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَذَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى
 فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعَيْرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبْنَاءِ»^(٢).

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الشُّجَاعَةَ وَالْجُبْنَ غَرَائِزُ
 يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ شَاءَ، تَجِدُ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ لَا يُبَالِي أَلَّا يَأْتِيَ إِلَى
 أَهْلِهِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ ابْتِغَاءً
 وَجِهَ اللَّهِ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ».

قال الشاعر:

يَفِرُّ جَبَانَ الْقَوْمِ عَنِ ابْنِ أُمِّهِ وَيَحْمِي شُجَاعَ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُلَازِمُهُ

ومن قصص الشجاعة التي تُذكر: ما حصل في غزوة بدر،
 قَالَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَعَلْتُ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ شَأْنِي، فَلَمَّا
 أَمَكَّنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرَبْتُهُ فَقَطَعْتُ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَضْرَبَنِي
 ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي فَطَرَحَ يَدِي وَبَقِيَتْ مُعَلَّقَةً بِجِلْدَةِ بَجْنِي،
 وَأَجْهَضَنِي عَنْهَا الْقِتَالُ، فَقَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي، وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي،
 فَلَمَّا آذَنِي، وَضَعْتُ قَدَمِي عَلَيْهَا، ثُمَّ تَمَطَّاتُ عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا.

قَالَ الدَّهَبِيُّ بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ: هَذِهِ وَاللَّهِ الشُّجَاعَةُ، لَا كَاخِرَ مَنْ

(١) «فتح الباري» (٦/٢٥٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٨٢).

خُدْشَ بِسَهْمٍ، يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ، وَتَخَوُّرُ قِوَاهُ^(١).

قيل لعبد الملك: من أشجع العرب في شعره؟ فقال: عباس ابن مرداس حين يقول:

أَشَدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمَّ سِوَاهَا
وهذا أشجع بيت قالته العرب.

وهذه أبيات في ذم الجبن، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَحِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

وقال آخر:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

وغزالة امرأة شبيب الخارجي، قال ابن كثير: كانت أيضًا شديدة البأس تقاتل قتالًا شديدًا يعجز عنه الأبطال من الرجال، وكان الحجاج يخاف منها أشد الخوف، حتى قال فيه بعض الشعراء وذكر البيتين^(٢).

ومن مفاصد الجبن:

أولاً: أنه من صفات المنافقين التي ينبغي للمؤمن أن يترفع عنها.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٥١).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/٢٧٦).

ثانيًا: أنه لا يؤخر أجلاً، ولا يقرب رزقاً، ونفعاً، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ لَنَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثالثًا: أنه يدل على ضعف الإيمان، والتوكل على الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبِنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) [التوبة: ٥١].

رابعًا: أنه يؤدي إلى التقصير في أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله، ومن أعظمها مجاهدة أهل الباطل، وتغيير المنكرات.

خامسًا: أنه يورث الذل، وضيق الصدر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الشجاع منشرح الصدر، وامتسع القلب، والجبان أضيق الناس صدرًا وأحصرهم قلبًا لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل»^(١). اهـ

سادسًا: أنه يؤدي إلى احتلال الأوطان، وسرقة الأموال، وانتهاك الحرمات.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الخامسة والثمانون

وقفات مع سورة الكافرون

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به فقال **سُبْحَانَ رَبِّيَ**:
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [٢٤] ﴿ [محمد: ٢٤]. ومن

سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الكافرون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴾ (١) ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢) ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (٣) ﴿ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴾ (٤) ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (٥) ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٦) ﴿ [الكافرون: ١-٦].

هذه السورة من السور العظيمة في كتاب الله، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها ومكانتها، وأنها تعدل ربع القرآن، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴾ عُدَّتْ لَهُ بِرْبُعِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عُدَّتْ لَهُ بِثُلْثِ الْقُرْآنِ» (١).

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٨٩٣)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي» (٦/٣) (برقم ٢٣١٧).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ مِنْ قِرَاءَتِهَا، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكَعَتِي الطَّوَافِ (١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ فَرْوَةَ بْنِ نُوْفَلٍ عَنِ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ عِنْدَ مَنْامِكَ﴾ ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ﴾، قَالَ: ثُمَّ نَمَّ عَلَيَّ خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ» (٤).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْقِي نَفْسَهُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٧٢٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٠٩-٥١٠/٩) (برقم ٥٦٩٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٤/٣٩) (برقم ٢٣٨٠٧)، وقال الحافظ في «نتائج الأفكار» (٣/٦١-٦٢) [دار ابن كثير]: حديث حسن وفي سنده اختلاف كثير على أبي اسحاق السبيعي، فلذا اقتصر على تحسينه، وحسنه محققو المسند.

الْعَقْرَبَ لَا تَدْعُ مُصَلِّيًا وَلَا غَيْرَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ وَمِلْحٍ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١).

قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَعْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيَزُوجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطُؤُوا عَقْبَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلاَحٌ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتُ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) يعني: من الأصنام والأنداد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣) وهو الله وحده لا شريك له.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (٤) أي في المستقبل لا أعبد عبادتكم، أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على

(١) «المعجم الصغير» (ص ١١٧)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٨٠) (برقم ٥٤٨).

(٢) «تفسير ابن جرير الطبري» (١٠/ ٨٨١٣).

الوجه الذي يحبه ويرضاه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٥)، أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣) [النجم: ٢٣]، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كانت كلمة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي لا معبود بحق إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به رسول الله ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٦)، وهو كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١) [يونس: ٤١]، وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

قال البخاري: يُقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الكفر، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الإسلام، ولم يقل: ديني لأن الآيات بالنون فحذف الياء، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]^(١).

ومن فوائد السورة الكريمة:

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٨٦/١٤-٤٨٧).

أولاً: أن فيها الإخلاص لله في العبادة وعدم الإشراك به كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ثانياً: البراءة من الشرك والمشركين، كما قال تعالى عن نبي الله إبراهيم: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [المتحنة: ٤].

ثالثاً: أن الكفار يريدون من المسلمين التنازل والمداهنة في دينهم، ولكن على المسلمين الثبات والاستقامة كما قال تعالى: ﴿ وَدُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَبُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

رابعاً: ظن البعض أن السورة منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يُقرُّون على دينهم وهم أهل الكتاب، قال ابن القيم رحمه الله: «وكلا القولين غلط محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة وعمومها نص محفوظ، وهي من السورة التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم.

ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم، أو إقراراً على دينهم أبداً، فلم يزل رسول الله ﷺ من أول الأمر وأشدّه عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه، والتهديد والوعيد لهم كل وقت، وفي كل ناد، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مضياً على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إن الآية اقتضت تقريراً لهم؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً فإنه دين باطل، فهو مختص بكم لا نشارككم فيه ولا أنتم تشاركونا في ديننا الحق وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار؟ حتى يدعوا النسخ أو التخصيص، أفنرى إذا جاهدوا بالسيف كما جاهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم عباده وبلاده، وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله ﷺ أهل سننه وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: (لكم دينكم ولنا ديننا) لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم بل يقولون لهم هذا براءة منهم ومن بدعتهم، وهم مع هذا متنصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان»^(١).

(١) «بدائع الفوائد» (٥/٣٥٥).

خامسًا: عصمة الله لنبيه من الوقوع في عبادة الأصنام، وإجابة المشركين إلى اقتراحهم الباطل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة والثمانون

فضائل معاوية بن أبي سفيان

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فحديثنا اليوم عن صحابي جليل، وملك من ملوك الإسلام، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وهو أول من غزا البحر، قال عنه النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهِدًا بِهِ»، وهو خال المؤمنين، وكتب وحي رسول رب العالمين، وقد أسلم عام الفتح.

إنه أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة، وكان معاوية أبيض طويلاً جميلاً، حليماً، وقوراً، سيداً في قومه، كريماً، عادلاً، شهماً، قَالَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ: كَانَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ يَمْشِي مَعَ أُمِّهِ هِنْدٍ فَعَثَرَ فَقَالَتْ: قُمْ لَا رَفَعَكَ اللَّهُ، وَأَعْرَابِيٌّ يَنْظُرُ فَقَالَ: لِمَ تَقُولِينَ لَهُ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّهُ سَيَسُودُ قَوْمَهُ، قَالَتْ: تُكَلِّتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِّ إِلَّا قَوْمَهُ.

كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية، وتفرد فيهم بالسؤدد بعد يوم بدر، ثم لما أسلم حسن إسلامه، وكانت له مواقف شريفة،

وأثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله، وما بعده^(١).

وكانت لهذا الصحابي الجليل فضائل عديدة عامة، وخاصة، أما العامة فهي التي وردت في فضائل الصحابة، ولا شك أن معاوية داخل في هذا الفضل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما صحَّ في مناقب الصحابة على العموم ومناقب قريش، فمعاوية رَحِمَهُ اللهُ داخل فيه»^(٢).

أما الأدلة الخاصة: فمنها دعاء النبي ﷺ له، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ»^(٣).

ومن مناقبه: أنه أول من غزا البحر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ خَالَتِهِ أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ، قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»^(٤).

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٧).

(٢) «المنار المنيف» (ص ١١٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٤٢٦/٢٩) (برقم ١٧٨٩٥)، وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا سعيد بن عبد العزيز. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/٦١٦).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٨٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩١٢).

هذا الحديث فيه منقبة لها وله رضي عنه: فإنه أول من غزا البحر في زمن عثمان بن عفان (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم حرام بنت ملحان رضي عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا» (٢). ومعنى «أوجبوا»: أي: وجبت لهم الجنة.

ومن مناقبه: أنه أحد كتاب الوحي، ففي صحيح مسلم: «أن أبا سفيان والد معاوية طلب من النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور، منها: أن يجعل معاوية كاتباً، وقد أجابه صلى الله عليه وسلم» (٣).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أذهب فادع لي معاوية. وكان كاتبه» (٤).

قال ابن كثير: صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب (٥).

ومن مناقبه: أنه خال المؤمنين، قال الإمام أحمد في السنة:

-
- (١) «فتح الباري» (٦/٧٧).
 (٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٩٢٤).
 (٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٠١).
 (٤) «مسند الإمام أحمد» (٤/٣٩٧-٣٩٨) (برقم ٢٦٥١)، وقال محققوه: إسناده حسن.
 (٥) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٧).

سائل يقول: «أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين؟ قال: نعم معاوية أخو أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ورحمهما، وابن عمر أخو حفصة زوج النبي ﷺ ورحمهما»^(١).

ومنها: أنه شهد مع رسول الله ﷺ حُنَيْنًا، والطائف، وتبوك، وحج معه حجة الوداع.

ومنها: أن عمر رضي الله عنه ولَّاه على الشام، وأمره عثمان رضي الله عنه على الشام عشرين سنة فضبطه، ولم يعرف عنه عجز، ولا خيانة.

قال الذهبي: حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرةً منه وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعد. وكان محببًا إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك^(٢).

(١) «السنة» (٢/٤٣٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٣٢-١٣٣).

ومنها: أنه من خير الملوك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم، ونفع المسلمين ما يُعلم أنه كان خيراً من مُلكِ غيره»^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين»^(٢). وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من دهاة العرب، وقد اشتهر بالحكمة والحلم والمروءة، وسياسة الأمور.

فمن أقواله العظيمة أنه كَانَ يَقُولُ: المُرُوَّةُ فِي أَرْبَعٍ: العَفَافُ فِي الإِسْلَامِ، وَاسْتِصْلَاحُ المَالِ، وَحِفْظُ الإِخْوَانِ، وَحِفْظُ الجَارِ، وَقَالَ أَيضًا: أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَقَلَ وَحَلَّمَ، وَمَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ، وَإِذَا قَدِرَ غَفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ: مَنْ أَسْوَدُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: أَسْخَاهُمْ نَفْسًا حِينَ يُسْأَلُ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي المَجَالِسِ خُلُقًا، وَأَحْلَمُهُمْ حِينَ يُسْتَجْهَلُ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيرًا:

فَمَا قَتَلَ السَّفَاهَةَ مِثْلُ حِلْمٍ يَعُودُ بِهِ عَلَى الجَهْلِ الحَلِيمِ
فَلَا تَسْفَهُ وَإِنْ مُلِئْتَ غَيْظًا عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الفُحْشَ لَوْمٌ

(١) «الفتاوى» (٤/٤٧٨).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/٣٠٢).

وَلَا تَقْطَعِ أَخَاكَ عِنْدَ ذَنْبٍ فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الْكَرِيمُ
وكتب معاوية إلى نائبه زياد: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَسُوسَ النَّاسَ
سِيَاسَةً وَاحِدَةً، بِاللَّيْنِ فَيَمْرَحُوا، وَلَا بِالشَّدَّةِ فَتَحْمَلَ النَّاسَ عَلَى
الْمَهَالِكِ، وَلَكِنْ كُنْ أَنْتَ لِلشَّدَّةِ، وَالْفَظَاظَةِ، وَالغِلْظَةِ، أَكُنْ أَنَا لِلَّيْنِ
وَالأُلْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَافَ خَائِفٌ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُهُ^(١).

وسئل الإمام أحمد عن رجل انتقص معاوية، وعمرو بن
العاص: أيقال له: رافضي؟ قال: إنه لم يجترىء عليهما إلا وله
خبية سوء، ما انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا له
داخلة سوء^(٢)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: «مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا
بَكْرٍ، أَوْ عُمَرَ، أَوْ عُثْمَانَ، أَوْ عَلِيًّا، أَوْ مُعَاوِيَةَ، أَوْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ،
فَإِنَّ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قَتْلٍ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ
مُشَاتِمَةِ النَّاسِ نُكَلَّ نَكَالًا شَدِيدًا»^(٤).

وأما ما حصل بين معاوية وعلي من قتال، فقد قال شيخ الإسلام
ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم
أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين، إما مصيبين

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٦-٤٦٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/٤٥٠).

(٣) قطعة من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٥١)، و«صحيح مسلم» (برقم
٢٥٣٣).

(٤) «الشفاء في حقوق المصطفى» للفاضي عياض (٢/٣٠٨).

لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح، مغفور لهم خطوهم، وما كان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفر لهم: إما بتوبة، أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة»^(١) كَمَا قَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي الَّذِينَ بَقِيَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٢).

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومن السنة تولى أصحاب رسول الله، ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم»^(٣). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٤)»^(٥).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «الفتاوى» (٤٠٦/٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «لمعة الاعتقاد» (ص ٣١).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٧٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٤١).

(٥) انظر: كتاب أخينا الشيخ سعد السبيعي: «سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)».

الكلمة السابعة والثمانون

من مشاهد القيامة
القنطرة بين الجنة والنار

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ»: أي: بعدما ينجون من الصراط الذي يمرون عليه بحسب أعمالهم، قال القرطبي: «هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم»^(٢). اه، لأنه إذا استنفذ القصاص حسناتهم لم يبق لهم حسنات يدخلون بها الجنة.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٣٥).

(٢) «التذكرة» (ص ٢٩٢).

وقال ابن حجر: «لعل أصحاب الأعراف منهم على القول المرجح وهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله»^(١).

قوله ﷺ: «فِيْحَبْسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»: القنطرة هي جسر مقوس مبني فوق النهر يُعبر عليه^(٢).

قد يقول قائل: كيف القنطرة وكيف يكون القصاص فيها، وهل هناك قصاص آخر غير القصاص الذي في عرصات يوم القيامة؟ الجواب عن ذلك: أن هذه أمور غيبية نؤمن بها ولا نطلب العلم بكيفيتها، فلا نعلم كيفية الصراط وحقيقته، ولا القنطرة، وكيف يحبسون عليها؟ فحقائق الآخرة لا يعلمها إلا الله، وسيدرك الناس ذلك يوم القيامة إذا رأوا هذه الأمور وعابنوها.

قال ابن كثير: «القنطرة تكون بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، ولا نعلمه نحن. والله أعلم»^(٣).

قال ابن حجر: «وقد اختلف العلماء هل القنطرة هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أو هي جسر مستقل، ورجح القرطبي الثاني»^(٤).

(١) «فتح الباري» (١١/٣٩٩).

(٢) «المعجم الوسيط» (ص ٧٦٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٢٠/١٠١).

(٤) «فتح الباري» (١١/٣٩٩).

قوله ﷺ: «فَيَقْصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»: قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص لأجل أن يذهب الغل، والحقد، والبغضاء التي في قلوب الناس فيكون هذا بمنزلة التنقية، والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل»^(١). كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «النفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد أو غير ممكن، بل إذا كان في النفس خبث طهرت، وهذبت حتى تصلح لسكنى الجنة، والتهديب التخليص كما يهذب الذهب فيخلص من الغش، يشير إلى قوله ﷺ: «حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا» فتبين أن الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهديب والتنقية من بقايا الذنوب، فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط»^(٢). اهـ

فإذا دخل المؤمنون الجنة توجهوا إلى قصورهم ومنازلهم فرحين بما أعطاهم الله، يعرفون مواضعها، ويستدلون على مكانها أكثر مما يستدلون على بيوتهم في الدنيا.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٦٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/٣٤٥).

ومن فوائد الحديث:

١- عدل الله التام: فلا يدخل المؤمن الجنة وله مظلمة عند أخيه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن أنيس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاءَ غُرْلًا بُوْهُمَا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُوْهُمَا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ [بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ بِزُجْرَانٍ عُرَاءَ غُرْلًا بُوْهُمَا؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»^(١). بل حتى البهائم يقتص من بعضها البعض، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَوُدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(٢).

٢- أنه يجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة حيث لا درهم، ولا دينار، وإنما هي الحسنات والسيئات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ»

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٣٢/٢٥) (برقم ١٦٠٤٢)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٢).

لأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحَمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

٣- أن الجنة لا تدخلها نفس خبيثة وإنما نفس طيبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢) [النحل: ٣٢].

٤- أن من لوازم نعيم الجنة ذهاب ما في القلوب من الغل، والحقد والبغضاء حتى تكتمل اللذة، وتحصل السعادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثامنة والثمانون

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالملائكة وهو ركن من أركان الإيمان الستة، والملائكة عالم مخلوقون من نور، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(١).

والملائكة عباد الله، مكلفون بالعبادة، وهم خاضعون لله أتم الخضوع، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فنؤمن بأسماء من علمنا بأسمائهم ونؤمن بوظائف من علمنا بوظائفهم، وهم أجساد، بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاث، وأربعة، وأكثر من ذلك، خلافاً لمن قال: إنهم أرواح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)
[فاطر: ١]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٩٦).

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»^(١). وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يملون، ولا يتعبون، يقومون بعبادة الله وطاعته والتقيد بأوامره بلا كل ولا ملل، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصفهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ومعنى لا يفترون: أي لا يَصْعُقُونَ عن ذلك، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. أي: لَا يَمْلُونَ.

ولكل واحد منهم وظائف خصه الله بها، أخلاقهم، وأفعالهم بارة طاهرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [١٥] كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿[١٦]﴾ [عبس: ١٥-١٦]. جبلهم الله على الحياء، روى مسلم في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»^(٢).

فجبريل: موكل بالوحي ينزل به من الله تعالى إلى الرسل، وإسرافيل: موكل بنفخ الصور، وميكائيل: موكل بالقطر والنبات.... وهؤلاء الثلاثة كلهم موكلون بما فيه حياة، فجبريل: موكل بالوحي، وفيه حياة القلوب، وميكائيل بالقطر والنبات، وفيه حياة الأرض، وإسرافيل بنفخ الصور وفيه حياة الأجساد يوم المعاد...

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٨٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٤).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٤٠١).

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَسَّلُ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُمْ فِي دُعَاءِ
الِاسْتِفْتَاخِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،
وَإِسْرَافِيلَ... الحديث» (١).

ومنهم من وُكِّلَ بقبض أرواح بني آدم، أو بقبض روح كل ذي
روح وهم ملك الموت، وأعوانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ
الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (٦١) ﴿[الأنعام: ٦١].

ومنهم ملائكة سيّاحون في الأرض يلتمسون حلق الذكر،
وكذلك ملائكة يكتبون أعمال الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) ﴿كِرَامًا كَنِينِينَ﴾ (١١) ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) ﴿[الانفطار: ١٠-١٢].

ومنهم ملائكة يتعاقبون على بني آدم بالليل والنهار، روى
البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ،
وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ» (٢).

وآخرون موكلون بالنار وعددهم تسعة عشر، قَالَ تَعَالَى:
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) ﴿[المدثر: ٣٠]. وكبيرهم اسمه مالك خازن النار.

وملك الجبال الذي ورد ذكره في صحيح مسلم عندما سَلَّمَ
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ.. (٣). والملائكة الذين في

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٧٧٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٣٢).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٥).

كل سماء، وهم في صنوف من العبادات، منهم من هو قائم لله أبداً، ومنهم من هو راعٍ له أبداً، ومنهم من هو ساجد أبداً، ومنهم من هو في ألوان من الطاعات أحر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات: ١٦٤]. أي: موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة، لا يتجاوزه ولا يتعداه (١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ (٣) تَجَارُونَ (٤) إِلَى اللَّهِ» (٥).

وهم على درجات ومقامات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات: ١٦٤]. ومنهم الملائكة المقربون، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]. وأفضلهم جبريل عليه السلام، وصفه الله بأنه روح القدس،

(١) «تفسير ابن كثير» (١٢/٦٣).

(٢) أَطَّتْ: قال ابن الأثير في «النهاية» (١/٥٤): الأَطِيطُ: صوت الأَقْتَابِ، والقَتَبُ: صوت الرجل.

(٣) الصُّعْدَاتُ: أي الطرقات.

(٤) تجارون: قال في النهاية في غريب الحديث: الجوّار: رفع الصوت والاستغاثة (١/٢٣٢).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٣٥/٤٠٥) (برقم ٢١٥١٦)، وقال محققوه: حسن لغيره.

وأنه الروح الأمين، وأنه ذو قوة مكين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]. أي: له مكانة، ومنزلة عالية رفيعة عند الله.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام مُنْهَبِطًا قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ، مُعَلَّقًا بِهِ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣-١٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحَ يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقِيلُ - أَيِ الْأَشْيَاءِ الْمَخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ - الدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ» (٢).

وأفضل الملائكة من شهد بدرًا، روى البخاري في صحيحه من حديث مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ: أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَيُكْمُ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ» (٣).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٧٨/٤١) (برقم ٢٤٨٨٥)، وقال محققوه: صحيح دون قوله: «عليه ثياب سندس، مُعَلَّقًا بِهِ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ»، فصحيح لغيره.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣١/٧) (برقم ٣٩١٥). قال ابن كثير: إسناده جيد قوي، «تفسير ابن كثير» (٢٦١/١٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٩٢).

أما خلقهم فهو خلق عظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]. روى أبو داود في سننه من حَدِيثِ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ أَحَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(١).

أما عددهم فخلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

وفي رواية مسلم: «لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ». قال ابن حجر: واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر^(٣). اهـ.

والملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور، أو تماثيل، أو كلاب، كما روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ»^(٤)، وفي رواية:

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٧٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٢/١) (برقم ١٥١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٢).

(٣) «فتح الباري» (٧/٢١٥).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٦).

«التَّمَاثِيلُ» (١).

والملائكة يُؤْمِنُونَ على قراءة المصلي ويقولون: ربنا ولك الحمد، ويدعون لمنتظر الصلاة، ويستغفرون للمؤمنين، ويدعون لهم بدخول الجنان، ويلعنون الكفرة ومن آوى محدثًا، أو رفع على أخيه السلاح، والمرأة التي تهجر فراش زوجها، ويصلون على معلمي الناس الخير كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة.

الخلاصة: أن على المؤمن أن يؤمن بهؤلاء الملائكة ويحبهم، ويعرف لهم قدرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]. وعليه أن يجتنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم، وأعظم ذلك الكفر، والشرك، والمعاصي، وهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم: من الرائحة الكريهة، والأقذار، والأوساخ، والبصق على اليمين في الصلاة، وقد صحت الأدلة بذلك (٢)(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٧).

(٢) انظر: «عالم الملائكة» للشيخ عمر الأشقر.

(٣) «الخطب المنبرية» د. عبد المحسن القاسم (١/٢٢-٢٧).

الكلمة التاسعة والثمانون

فضائل الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن لبلاد الشام مناقب كثيرة ثبتت في الكتاب والسنة، وذكرها أهل العلم في كتبهم، فمن تلك المناقب:

أولاً: البركة فيها وثبت ذلك في خمس آيات:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قال جمع من المفسرين: إنها بلاد الشام.

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وحوله أرض الشام، وكان هذا في الإسراء.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [٧٠] وَتَجَنَّبَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ [٧١]. [الإسراء: ١] ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام، مهاجرًا من أرض العراق.

٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ ﴿٨١﴾ [الأنبياء: ٨١]. وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ سَبَأَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [سبأ: ١٨]، قال جمع من المفسرين: يعني قرى الشام، فكانوا يسيرون من اليمن إلى الشام، والقرى التي بورك فيها الشام، والأردن، وفلسطين، ومعنى ظاهرة: أي متواصلة.

فهذه خمس آيات في بركة الشام، الأولى في انتقال بني إسرائيل إليها، والثانية مسرى الرسول ﷺ إليها، والثالثة هجرة إبراهيم إليها، والرابعة مملكة سليمان بها، والخامسة مسير سبأ إليها، وصفها ﷺ بأنها الأرض التي بارك فيها.

وفيها أيضًا الطور الذي كلم الله عليه موسى، والذي أقسم الله به في سورة الطور، فقال: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ [التين: ١-٢]. وذكر المفسرون أن المراد بالبركة بركة الدنيا، وذلك بكثرة الأقوات، والثمار، والأنهار والزرع، وسعة الأرزاق، وقال بعضهم: بركة الدين لأنها مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة والوحي، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيًا»^(١)، والصحيح أن ذلك يشمل الأمرين معًا، وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ

(١) «شرح النووي» (٦/٢٠٦).

رَبَّهُ لِلشَّامِ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا»^(١).

ثانياً: أن الشام أرض المحشر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]. استدل بهذه الآية جمع من أهل العلم (القرطبي، وابن كثير، وابن حجر) على أن الشام أرض المحشر، فالحشر الأول حصل لليهود بنفيهم إلى الشام، والثاني سيكون للناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنِ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، ثَلَاثًا، رُكْبَانًا، وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ.. ثم آخر الحديث، قَالَ ابْنُ بَكَيْرٍ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ: إِلَى هَا هُنَا تُحْشَرُونَ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقد دل الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس، والعقل، وكشوفات العارفين أن الخلق، والأمر، ابتداء من مكة أم القرى فهي أم الخلق، وفيها ابتدئت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون، ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٣٧).

(٢) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢١٤/٣٣) (برقم ٢٠٠١١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها في بيت المقدس وما حوله يعود الخلق، والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام»^(١). اهـ.

ثالثاً: أن الملائكة باسطو أجنحتها للشام:

وهذا في حال السلم، فكيف بحال الحرب، روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ، قُلْتُ: مَا بَالُ الشَّامِ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ»^(٢).

رابعاً: أن الله تكفل بالشام وأهله:

روى أبو داود في سننه من حديث ابن حوالة رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ. قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَدْرَكَتُ ذَلِكَ. فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ لِلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْتُوا مِنْ عُذْرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ

(١) الفتاوى (٢٧/٤٣-٤٤).

(٢) طوبى: قال المباركفوري: أي: راحة وطيب عيش حاصل لها ولأهلها.

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٥٤). و«مسند الإمام أحمد» (٤٨٣/٣٥) (برقم ٢١٦٠٦)،

وقال محققوه: حديث صحيح.

وَأَهْلِهِ» (١).

خامساً: أن عمود الكتاب والإسلام بالشام:

روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتَزَعَتْ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي، فَانْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بِالشَّامِ» (٢). وَعَمُودُ الْكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَهُمْ حَمَلَتُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ (٣).

سادساً: أن الطائفة المنصورة من الشام:

روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده من حديث معاوية ابن قرة، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٢٤٨٣). قوله: «فَعَلَيْكُمْ بِيَمِينِكُمْ»: أي: فالزموا اليمن، مِنْ عُدْرِكُمْ: كصرد جمع غدير وهو الحوض، تَوَكَّلْ: أي تكفل وضمن (لي) بِالشَّامِ) بِأَنْ لَا يَخْرِبُهُ بِالْفِتْنَةِ، (وَأَهْلِهِ) أي: تكفل لي بأهل الشام بِأَنْ لَا تَصِيبَهُ الْفِتْنَةُ، وَلَا يَهْلِكُ اللَّهُ بِالْفِتْنَةِ مَنْ أَقَامَ بِهَا. «عون المعبود» لشمس الحق العظيم آبادي (١١٦/٧).

(٢) «مستدرک الحاكم» (٧١٢-٧١٣/٥) (برقم ٨٦٠١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لأحاديث «فضائل الشام للربيعي» (ص ٨٥).

(٣) «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢/٢٧).

(٤) مسند أحمد (٣٦٣/٢٤) (برقم ١٥٥٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح. و«سنن الترمذي» (برقم ٢١٩٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١). وَأَهْلُ الْغَرْبِ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَيَّدَهُ فِي ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ^(٢).

سابعًا: وصية النبي ﷺ بالتوجه إلى الشام:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتِ، أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتِ تَحْشُرُ النَّاسَ. قَالُوا: فِيمَ تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلَيْنَا بِالشَّامِ»^(٣).

ثامنًا: مدح النبي ﷺ للشام وأنها خير المنازل:

روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ^(٤) الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»^(٥).

وفي رواية: «يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٩٢٥).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٩-٨٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٤٥/٩) (برقم ٥١٤٦)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الفسطاط بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وكذلك الخيمة الكبيرة ومنها فسطاط مصر، فإن البلد أقيم مكان فسطاط (خيمة) عمرو بن العاص فاتح مصر رضي الله عنه. «المعجم الوسيط» (ص ٦٨٨)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤٤٥/٣).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٤١٢/٣٩) (برقم ٢٣٩٨٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. و«سنن أبي داود» (برقم ٤٢٩٨).

بَأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ»^(١).

تاسعاً: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالشام:

روى مسلم في صحيحه من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»^(٢).

عاشراً: هلاك المسيح الدجال يكون في الشام:

روى مسلم في صحيحه من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا ذَكَرَ وُصُولَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ، قَالَ: «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»^(٣).

الحادي عشر: أنها عُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»^(٤). قال ابن الأثير: عُقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ الشَّامُ، أَي: أَصْلُهُ وَمَوْضِعُهُ، كَأَنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى وَقْتِ

(١) مستدرک الحاكم (٥/٦٨٤) (برقم ٨٥٤٣)، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٩٧).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٨/١٦٥) (برقم ١٦٩٦٥)، وقال محققه: إسناده حسن.

الفتن أي يكون الشام يومئذ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم^(١).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على المناقب السابقة من
الكتاب والسنة وآثار العلماء: «وهي أحد ما اعتمده في تحضيبي
للمسلمين على غزو التتار وأمري لهم بلزوم دمشق ونهبي لهم عن
الفرار إلى مصر، واستدعائي للعسكر المصري إلى الشام، وتثبيت
العسكر الشامي فيه، وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على
أكمل الوجوه في جهادنا للتتار، وأظهر الله للمسلمين صدق ما
وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به، وكان ذلك فتحاً عظيماً ما رأى
المسلمون مثله مثل صرح مملكة التتار التي أذلت أهل الإسلام فإنهم
لم يهزموا أو يغلّبوا كما غلبوا على باب دمشق في الغزوة الكبرى
التي أنعم الله علينا فيها من النعم بما لا نحصيه خصوصاً وعموماً.

يشير بذلك إلى معركة شقحب^(٢) سنة (٧٠٢هـ) في شهر
رمضان التي انتصرت فيها الجيوش المصرية والشامية بقيادة الملك
الناصر قلاوون وحضور الخليفة وسكان دمشق على التتار^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٢٧١).

(٢) شقحب: عين ماء حولها مرج جنوبي دمشق على يمين الذهاب إلى حوران بعد الكسوة.

(٣) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٨٦-٨٧).

الكلمة التسعون

تأملات في سورة التين

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل القرآن العظيم لتدبره والعمل به قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤] ﴿ محمد: ٢٤ ﴾، ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم العظيمة والفوائد الجليلة سورة التين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ٨ ﴾ [التين: ١-٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ»^(١). فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ ١ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٦٤).

ومجاهدٌ وغيرهم: «هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَبْنُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]»^(١).

قال القرطبي: «﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يريدُ شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار»^(٢).

وقال بعض المفسرين: وإنما أقسم الله بالتين لأنه كان ستر آدم في الجنة لقوله تَعَالَى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وكان ورق التين والزيتون شجرة مباركة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وينتفع به في الدهن والاصطباغ كما يسرج به فهو أضوأ وأصفى الأدهان، ويستعمل حطب هذه الشجرة للوقود، كما أن للزيتون فوائد طبية عظيمة، وقد ذكر في مزاياها أنها شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها، وأن زيتها لا يحتاج في استخراجها إلى إعصار، بل كل أحد يستخرجه بسهولة، كما أنه يُعالج القروح والجراحات^(٣).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣٦٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٧/١٥).

(٣) «تفسير البغوي» (٢/٤٧)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٦/٤٣)، «التبرك أنواعه وأحكامه» (ص ١٨٨).

روى الترمذي في سننه من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُوا مِنَ الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةِ
 مُبَارَكَةٍ» (١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه
 موسى عليه السلام، وإنما أقسم بالجبل لأنه بالشام وبالأرض المقدسة
 وقد بارك الله فيهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا
 مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ هو مكة، قال ابن كثير:
 ولا خلاف في ذلك، وقد أقسم الله بمكة لأنها أحب البقاع إلى الله،
 وأشرف البقاع عند الله.

وقد أقسم الله بهذه الأشياء الأربعة: التين، والزيتون، وطور
 سينين، والبلد الأمين.

قال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد
 منها نبياً مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول:
 محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى
 ابن مريم، والثاني: طور سينين، وهو الذي كلم الله فيه موسى بن
 عمران، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ١٨٥١)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة
 (٧٢٤/٢) (برقم ٣٧٩).

وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ (١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ﴿﴾ هذا جواب القسم، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنهما، قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿﴾ [الإنسان: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٥) ﴿﴾ أي: إلى النار، قال ابن كثير: ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦) ﴿﴾ أي: غير منقوص ولا منقطع.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾ (٧) ﴿﴾ أي: فأي شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذا البيان لا تصدق بيوم الحساب وقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٩٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٢/٣٦٨-٣٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٩٥).

الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا.

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٨) أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧) [الأنبياء: ٤٧].

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(١).

اللهم اجعل هذا القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وقائدنا ودليلنا إلى جناتك جنات النعيم، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يرضيك عنا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٢).

الكلمة الحادية والتسعون

الفقراء والضعفاء

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله بحكمته وعلمه فاضل بين عباده بالفقر، والغنى، فأغنى من شاء وأفقر من شاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِ وَالْأَخْسَرُ فَتَنَةٌ وَاللَّيْنَاءُ تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَي: نبتليكم بالشر والخير أي بالشدة والرخاء، والصحة، والسقم، والغنى، والفقر، والحلال، والحرام، والطاعة، والمعصية، والهدى، والضلال، وهذا من تمام حكمته ورحمته بخلقه، فلو أغنى الناس جميعاً لبغوا في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

والفقراء هم أول من يدخل الجنة، روى الإمام أحمد في مسنده من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الشُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ

أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ» (٢).

والفقراء هم أكثر أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمران رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النَّسَاءَ» (٣).

والفقراء هم أتباع الأنبياء والرسول: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ هِرَقْلَ مَلِكَ الرُّومِ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَلْ هُمْ أَشْرَافُ النَّاسِ، أَوْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ فَقَالَ: بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ، فَقَالَ: هُمْ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ» (٤).

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بملازمة الفقراء، والضعفاء، والمكث معهم، فإن ذلك أبعد عن مظاهر الدنيا وفتنتها، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سِتَّةِ نَفَرٍ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ:

(١) «مسند الإمام أحمد» (١١/١٣١) (برقم ٦٥٧٠)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥١٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٣٧).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٧).

وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسِيتُ
اسْمَيْهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ
نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْتَثِلُ أَمْرَ رَبِّهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا،
وَأَمْتِنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وقد ابتلي النبي ﷺ وأصحابه بالجوع الشديد فصبروا حتى
أغناهم الله، روى مسلم في صحيحه من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ الْيَوْمَ يَتَلَوَّى، مَا يَجِدُ دَقْلًا (٣) يَمَلَأُ
بَطْنَهُ (٤).

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضِعْفَاءَ
الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرَضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ (٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ، يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٤١٣).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٥٢)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي»
(٢/٢٧٥) (برقم ١٩١٧).

(٣) الدَّقْلُ: التمر الرديء.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٨).

(٥) «مستدرک الحاكم» (٣/٢٧٠) (برقم ٣٧٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع
الصغير» (برقم ٤٨٧٧).

قُبْضٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

قال ابن كثير في قوله تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) [الضحى: ٨]. أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ، وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمُصُّ الْجِلْدَ، وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ (٣).

وَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ (٤).

وَيَقُولُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنْ أَحَدْنَا لِيَضْعُ كَمَا يَضْعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ، قَالَ الشُّرَّاحُ: أَي: لِجَفَافِهِ وَيُسْبِهِ (٥).

وقد يحتقر الفقير في مجتمعه ولكنه عند الله بمنزلة عظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديثِ سَهْلِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٣٧٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٠) واللفظ له.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٨٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٥٩).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٥٢).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٣٧٢٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٦٦).

قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلِ هَذَا» (٦).

وأخبر النبي ﷺ أن الرزق والنصر يكون بسبب الضعفاء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزُقُونَ، وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ» (٧).

وبين النبي ﷺ أن الساعي على الأرملة، والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالصائم القائم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ، وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْطُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ» (٨).

وبين النبي ﷺ أن شر الطعام طعام الوليمة التي لا يدعى إليها

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٤٧).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٦٠/٣٦) (برقم ٢١٧٣١)، وقال محققوه: إسناده صحيح. وأصل الحديث في البخاري (برقم ٢٨٩٦).

(٨) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٠٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٨٢) واللفظ له.

الفقراء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ» (١).

وما تقدم ذكره من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتضمن التنبيه على حال طائفة من المسلمين ابتلوا بالفقر، والضعف، فصبروا، واحتسبوا، ورضوا بما كتب الله لهم، أما المسألة المشهورة وهي التفضيل بين الغنى والفقر فقد اختلف فيها أهل العلم، والذي يترجح فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، ولتفصيل ذلك مكان آخر (٢).

وخيرُ الفقراءِ الْمُتَعَفِّفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، قَالُوا: فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» (٣).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٤٣٢).

(٢) انظر: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم رحمته الله.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٧٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٣٩).

فَأْتَتْهُ: يُرَوَى عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: صَحِبْتُ
الْأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرْ أَحَدًا أَكْبَرَ هَمًّا مِنِّي، أَرَى دَابَّةً خَيْرًا مِنْ دَابَّتِي، وَثَوْبًا
خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي، وَصَحِبْتُ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتُ^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن الترمذي» (ص ٣٠٤).

الكلمة الثانية والتسعون

الإيمان بالكتب السابقة وآثاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن أركان الإيمان الستة التي يجب على المؤمن الإيمان بها: الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والإيمان بالكتب المنزلة على الرسل هو التصديق بأن هذه الكتب من عند الله أرسل بها رسله إلى الخلق لهدايتهم، وإقامة العدل بينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَفَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمي الله تعالى منها في كتابه من التوراة، والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله،

وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتهم من عند الله، وأنها حق، وهدى، ونور، وبيان، وشفاء»^(١).

قال تعالى عن التوراة وهي أعظم كتب بني إسرائيل أنزلها الله على موسى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، قال جمع من المفسرين: إنها التوراة^(٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: المكتوب فيها من التوراة من كلام رب العالمين، وفيه ﴿ هُدًى ﴾ أي: دلالة وإرشاد إلى الخير، ورحمة تقي عذاب الله، وسخطه لمن عمل به^(٣)، وقيل: إن التوراة هي صحف موسى».

أما الإنجيل فهو الذي أنزل على عيسى وهو مصدق للتوراة، و متمم لها، قال تعالى عنه: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦]، قال ابن

(١) «العقيدة الطحاوية» (٢/٤٢٤-٤٢٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٢٨).

(٣) «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٤/١٩٠).

كثير: «وجعلنا الإنجيل هدىً يهتدى به، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: وزاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم»^(١).

والزبور هو الكتاب الذي أنزله الله على داود، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. وصحف إبراهيم هي الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [١٨] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [١٩] ﴿[الأعلى: ١٨-١٩].

والكتب السماوية السابقة أصابها التحريف، والتبديل، والتغيير، قال تعالى عن اليهود الذين نزلت عليهم التوراة: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوْتُوهُ فَأَحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «الصحیح أنها نزلت في اليهوديين اللذین زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم، فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم، والإركاب على حمار مقلوبين»^(٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. وساق القرطبي في تفسيره إلى يحيى ابن

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٢٠).

أكرم، قال: كان للمأمون - وهو أمير إذا ذاك - مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثياب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: فتكلم، فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم، قال له: أسلم حتى أفعل لك وأصنع، ووعدته، فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف، قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون وقال: ألت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها، فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكرم: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله ﷻ، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله ﷻ: ﴿بِمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال ﷻ عن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

لَهُ لِحَفْظُونَ ﴿٩﴾ [الحجر: ٩]، فحفظه الله ﷻ علينا فلم يضع (١).
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
 تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ
 لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

والكتب السابقة كانت وقتية، وخاصة بالأمم التي نزلت فيها،
 ولذلك لم تأخذ صفة الدوام، ولا تكفل الله بحفظها.

وقد بشرت الكتب السابقة بالنبى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قال ابن كثير: «وهذه صفة محمد ﷺ
 في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثته، وأمروهم بمتابعتة، ولم تنزل
 صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماءهم، وأخبارهم» (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾
 [البقرة: ١٤٦]. ففي هذه الآية يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب
 يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم
 ولده (٣). روى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار
 قَالَ: «لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ
 صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ١٨٠-١٨١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٠٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢١).

التَّوْرَةَ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا. وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِطْرٍ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» (١).

والقرآن آخر هذه الكتب وهو كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود، وبه نسخت جميع الرسالات، والكتب التي قبله، وقد أنزله الله على نبينا محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولا ينبغي للمؤمن الاشتغال بالكتب السابقة، والقراءة فيها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَعُضِبَ وَقَالَ: أُمَّتَهُوْكَونَ (٢) فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذَّبُوا بِهِ، أَوْ بِاطِلٍ فَتُصَدَّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢١٢٥).

(٢) قال أبو عبيدة: يقول: أُمَّتَحَيَّرُونَ أَنْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ، لَا تَعْرِفُونَ دِينَكُمْ حَتَّى تَأْخُذُونَهُ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؟! «غريب الحديث» (٢٩/٣).

بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

من آثار الإيمان بالكتب السابقة:

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

٢- ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم، مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

٣- المستند لهذه الأمة في شهادتها على الأمم السابقة، أن الله أقام عليها الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

٤- أن الإيمان بالكتب السابقة المنزلة على الرسل لا يقتضي إقرار ما يوجد بأيدي اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل، فإنها بدلت وحرقت، والذي لم يصل إليه التحريف نسخ بالقرآن وهذا بيان من اللجنة الدائمة لموقف المسلم من هذه الكتب والأديان السماوية السابقة، وقد اشتمل على إيضاح أن الدعوة إلى وحدة الأديان كفر صريح وردة عن الإسلام:



(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٢٣) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ «(٦/٣٤-٣٦) (برقم ١٥٨٩).

وحدة الأديان الفكر الهدام

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى «وحدة الأديان»: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن، والإنجيل في غلاف واحد إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يُعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق، والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: فإن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة: والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل، والشرائع، فلم يبق على وجه

الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإسلام بعد بعثة محمد هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى «القرآن الكريم» هو آخر كتب الله نزولاً: وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة، والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب يُتعبد به سوى «القرآن الكريم». قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثاً: يجب الإيمان بأن «التوراة» و«الإنجيل» قد نُسخا بالقرآن الكريم: وأنه قد لحقهما التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم.

منها: قول الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَّا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله ﴿بِجَانِّ وَعِيَالٍ﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله ﴿بِجَانِّ﴾: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ الْأَسِنَّةَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ

الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرّف، أو مبدّل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ غَضِبَ حِينَ رَأَى مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِيفَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّوْرَةِ، وَقَالَ ﷺ: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أَلَمْ آتِ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً؟! لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» (١).

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبًا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه - وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك - كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ونبي الله عيسى ﷺ إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد وحاكمًا بشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام: من اليهود، والنصارى، وغيرهم وتسميته كافرًا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ١]، وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦] وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» (١).

ولهذا: فمن لم يُكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: «مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ».

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية: فإن الدعوة إلى «وحدة الأديان» والتقارب بينها، وصهرها في قالب

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٥٣).

واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله **سُبْحَانَكَ**: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله **جِيلٌ وَجِيلٌ**: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام، والكفر، والحق، والباطل، والمعروف، والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء، ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول **جِيلٌ وَجِيلٌ**: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

ثامنًا: أن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم: فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن، وسنة، وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن في غلاف واحد! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق «القرآن الكريم» والمحرّف أو الحق المنسوخ «التوراة» و«الإنجيل».

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يُعبد الله به غير الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاث، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس «بيوت الله» وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، نعوذ

بالله من الكفر، وأهله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ليست - أي: البيع والكنائس - بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار»^(١).

عاشراً: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامه، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان، والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. أما مجادلتهم، واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاهد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله ﷺ والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أَلَّا يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرّر ذلك وتبيّنه للناس، فإنها توصي المسلمين

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/١٦٢).

بعامه، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى، ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال، ودعاته، والكفر وأهله، وتحذره من هذه الدعوة الكفرية الضالة «وحدة الأديان» ومن الوقوع في حباثلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم. نسأل الله سُبْحَانَهُ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيدنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثالثة والتسعون

الجزء من جنس العمل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد وردت آيات كريمة، وأحاديث شريفة، ذكر فيها جزاء المحسنين، والمسيئين من جنس أعمالهم ترغيباً في الأعمال الصالحة، وترهيباً من الأعمال السيئة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْدُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي [١٢٦] ﴿ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

ومن ذب عن عرض أخيه المسلم، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه:

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٠).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ومن ولي من أمر المسلمين شيئاً فشقَّ عليهم شقَّ الله عليه،
ومن رفق بهم رفق الله به، روى مسلم في صحيحه من حديث
عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا
فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفَقَ بِهِمْ
فَارْفُقْ بِهِ»^(٢).

ومن احتجب من الولاية عن ذوي الحاجة والمسكنة
احتجب الله عن خلته، وحاجته، روى الإمام أحمد في مسنده من
حديث عمرو بن مَرَّةَ أَنَّهُ قَالَ: يَا مُعَاوِيَةَ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ، وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكِنَةِ،
إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ، وَحَاجَّتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ، فَجَعَلَ
مُعَاوِيَةَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ»^(٣).

ومن أنفق أنفق الله عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحهما
من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ
آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»^(٤).

ومن بخل بماله عما أوجب الله عليه من الحقوق، أتلف الله

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥٢٨/٤٥) (برقم ٢٧٥٤٣)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٢٨).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٦٥/٢٩) (برقم ١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٨٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٩٣).

ماله، ومحق بركته، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ
 فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ
 مُمْسِكًا تَلْفًا» (١).

وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي مَلَأٍ
 ذَكَرَهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما
 من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا
 عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ
 فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» (٢).

وَمَنْ بَنَى مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، روى مسلم في
 صحيحه من حديث عثمان رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا
 لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ» (٣).

وَمَنْ تَبَعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ تَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَفَضَحَهُ فِي بَيْتِهِ،
 روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ברزّة الأسلمي رضي عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ،
 لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ،
 يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٧٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٥٣٣).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/٣٣) (برقم ١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

قال بعض السلف: أدركت أقوامًا لم تكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم.. أو كما قال (١).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرَّجَالِ وَتَابِعَا طُرُقَ الْفَسَادِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَا جِدِ مَا كُنْتَ هَتَاكَ لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
مَنْ يَزِنُ فِي قَوْمٍ بِالْفِي دِرْهِمٍ فِي أَهْلِهِ يُزْنَى بِرُبْعِ الدَّرْهِمِ
إِنَّ الزَّنَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَعْلَمِ

ومن شرب الخمر في الدنيا حُرْمَهَا فِي الْآخِرَةِ، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرُبْهَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ» (٢).

ومن عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث هشام بن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» (٣).

ومن الوقائع التي تبين أن الجزاء كان من جنس العمل، ما بشر به النبي ﷺ زوجته خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقد روى البخاري

(١) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ١٧٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٥٤ / ٨) (برقم ٤٧٢٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦١٣).

ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(١).

والصخب: ارتفاع الأصوات، والنصب: التعب، قال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين، -أعني المنازعة والتعب- أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً فلم تحوجه إلى رفع صوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعالها^(٢). اهـ

وجعفر بن أبي طالب لما قاتل في معركة مؤتة، وقطعت يداه عوضه الله بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان»^(٣).

ومن أشهر ما يقع، وحكاياته منتشرة بين الناس، بر الوالدين وعقوقهما، فقد تداول الناس حكايات كثيرة فيمن بر والديه فرزقه الله أولاداً بروه في حياته، وكذلك العكس فيمن عقوق والديه،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٨٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٣٢).

(٢) «فتح الباري» (١٣٨/٧).

(٣) «مستدرک الحاكم» (٢١٨/٤) (برقم ٤٩٨٨)، و«سنن الترمذي» (برقم ٣٧٦٣).

وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٢٦/٣) (برقم ١٢٢٦).

ومما يُحكى في هذا الباب: أن رجلاً كان له أولاد هم به بارون، فإذا أرادوا أن يردوا لجلب الماء من البئر أخذوا أباهم معهم وكان شيخاً كبيراً ليستأنس بذلك، فإذا ما وصلوا إلى مكان البئر أنزلوا أباهم برفق عن ظهر البعير وهيئوا له مكاناً، وأوقدوا له ناراً ليستدفئ بها ويصنعون له القهوة عليها، وفي إحدى المرات شاهدوا على البئر شيخاً كبيراً وابنه يريدان أن يستقيا من البئر، وجرت العادة أن الشخصين عند الاستسقاء يكون أحدهما في أسفل البئر وعمله أشق، والآخر في أعلى البئر، وكان ذلك الابن يأمر أباه بالنزول إلى أسفل البئر ويتهدده بالقوة، وأبوه يتلطف أن يقوم هو بالنزول ولكن دون جدوى، حتى أنزله مكرهاً، فأراد أبناء الرجل البار أن يقوموا بتأديب ذلك الابن العاق إنكاراً لفعله، فقال لهم أبوه: لو حفرتم في الأرض حولنا لوجدتم آثار موقد النار التي كنت أضعها لوالدي، وقد رزقت بركم جزاء لما كنت أصنعه به، وأما ذاك الرجل فقد شهدته وهو يصنع بأبيه ما يصنع به ابنه الآن، والجزء من جنس العمل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الرابعة والتسعون

خطورة الغضب

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الغضب من الصفات الذميمة التي وردت النصوص في ذمها والتحذير منها، فكم سبب من عداوات، وأحقاد، وفرقة بين الأزواج، وتشتت الأسر وضياع الأولاد، وقطع الأرحام، وكم حصل بسببه من حروب، وفتن، وسفك للدماء؟!!

إن الغضب يجمع الشر كله، يغضب الرحمن، ويرضي الشيطان. قال البخاري رَضِيَ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ: باب الحذر من الغضب لقول الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(١).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «لَا تَغْضَبْ»: اجتنب أسباب الغضب، ولا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٦).

تعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه، لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة^(١).

وقال ابن التين: جمع ﷺ في قوله: «لَا تَغْضَبْ» خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين^(٢).

قال ابن حجر: بعدما ذكر مفاصد الغضب ومن تأمل هذه المفاصد في مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: «لَا تَغْضَبْ» من الحكمة، واستجلاب المصلحة، ودرء المفسدة، مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الديني لا الغضب الديني^(٣). اهـ

وأخبر النبي ﷺ أن القوي ليس الذي يصرع الرجال، ولكنه الذي يمسك نفسه عند غضبه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٤).

وَوَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ بِالْجَنَّةِ، روى الطبراني في مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء رضي عنه أَنَّهُ قَالَ:

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠-٥٢١).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٠٩).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ» (١).

الأسباب التي يُدفع بها الغضب:

١- أن يتأمل الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَيْرَةَ بِنْتِ حِصْنٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» (٣).

٢- أن يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، لما جاء في الصحيحين من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) «مسند الشاميين» (٣٦/١) (برقم ٢١)، وقال المنذري: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما

صحيح. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (برقم ٧٣٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٤٢).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٩٨/٢٤) (برقم ١٥٦٣٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ أَحْمَرَ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ^(١).

قال الطوفي: أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه **بِجَلٍّ وَعِلا** وهو خلاف العبودية^(٢).

قال ابن حجر: وبهذا يظهر السرف في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيز من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك^(٣). اهـ

٣- الجلوس، روى أبو داود في سننه من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ»^(٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦١٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٢١).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٢١).

(٤) «سنن أبي داود» (برقم ٤٧٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٩٨).

قال الخطابي: القائم متهييء للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالعود لئلا يندر منه في حال قيامه وعوده بادرة يندم عليها فيما بعد^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «دخل الناس النار من ثلاثة أبواب، باب شبهة أورثت شكًا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه»^(٢).

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم^(٣).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز خمسة عشر سوطاً^(٤).

ومن تأمل أحوال الناس لم يجد أحداً غضب لغير الله إلا كان الندم حليفه، والعجب أن الكثير منهم يرى عواقب الغضب الوخيمة ثم لا ينتهي عنه.

(برقم ٤٠٠٠).

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٩٧/٧).

(٢) «الفوائد» (ص ٧٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢٤٣/١٢).

(٤) «إحياء علوم الدين» (١٧٧/٣).

ومما ينبغي أن يُعلم أن الغضب منه ما كان محموداً وهو الغضب لله، وذلك عند انتهاك حرماته ومخالفة أوامره وفي جهاد أعدائه، قال تعالى عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. قال ابن كثير: ولما سكن عن موسى الغضب - أي: غضبه على قومه - أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل، غيرَ الله وغضباً له^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فُلَانٍ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ»^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/٣٩٥)

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣٢٨).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٦٦).

الكلمة الخامسة والتسعون

تأملات في سورة الانشراح

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد العظيمة سورة الانشراح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ [الانشراح: ١-٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ممتناً عليه بإحسانه إليه حاضاً له بذلك على شكره على ما أنعم عليه ليستوجب بذلك المزيد منه: ألم نشرح لك صدرك يا محمد فنورناه وجعلناه فسيحاً واسعاً، وسعناه لشرائع الدين، والدعوة إلى الله والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقاً حرجاً لا يكاد ينقاد لخير ولا تكاد تجده منبسطةً كما قال تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكان من دعاء نبي الله موسى ﷺ:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [٢٥: طه].

ومن جملة شرح الله صدر نبيه: ما فعل به ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأْتَيْتُ فَاَنْطَلَقَ بِي، فَأْتَيْتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ فَشَرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا^(١)، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي فَعَسَلَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حُشِيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً»^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾^(٢)، أي: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها، كما قال تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾^(٣)، أي: أثقله حتى سمع نقيضه أي صوته، قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمع له صرير من شدة الحمل وثقله، قال بعضهم: وإنما وضعت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾^(٤)، قال مجاهد: يعني التآذين

(١) أي: شق صدري إلى كذا وكذا.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٤) واللفظ له.

وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَصَمَّ إِلَاهُهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذْ قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يقول له: لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً، وقيل: أي أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الأرض عند المؤمنين وנرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات، والظاهر أن الآية عامة تشمل ذلك كله»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته»^(٢).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٢/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٨٨٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ هذه بشارة من الله لرسوله ولأمته، وجرى على الرسول ﷺ عسر حينما كان بمكة يضيق عليه، وفي الطائف وكذلك في المدينة مع المنافقين، وقد أنجز الله له ما وعده ويسر أمره فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز، واليمن، ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المئین من الإبل ويهب الهبات العظيمة ويدخر لأهله قوت سنة.

فهذا اليسر الذي حصل للنبي ﷺ سيكون لأمته، كذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧]، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «خَلَقْتُ عُسْرًا وَاحِدًا، وَخَلَقْتُ يُسْرَيْنِ، وَلَكِنْ يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»^(٢).

وتوجيه كلامه مع أن العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين، قال أهل البلاغة: إن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ إن مع الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ العسر الأول أعيد في الثانية بأل، فأل هنا للعهد الذكري وأما يسر فإنه لم يأت معرفاً بل جاء منكرًا، والقاعدة أنه إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (١٩/٥) (برقم ٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) «تفسير القرطبي» (٣٥٨/٢٢).

مرتين بصيغة التنكير فالثاني غير الأول لأن الثاني نكرة، إذاً في الآيتين الكريمتين يسران وفيهما عسر واحد، قال الشاعر:

وَإِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَصَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَأَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتْ وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْضُوعٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

وقال آخر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
كَمَلْتُ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتُ حَلَقَانُهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧)، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، قال ابن عباس وقتادة: فإذا فرغت من صلاتك ﴿فَانصَبْ﴾ أي: بالغ في الدعاء وسله حاجتك.

قال ابن مسعود: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ، فَانصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٨)، قال الثوري: اجعل نيتك ورجبتك إلى الله عز وجل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الكلمة السادسة والتسعون

الإِنَابَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الإِنَابَةَ من العبادات العظيمة التي وصف الله بها أنبيائه وعباده المؤمنين، قال تعالى عن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ﴾ (ص: ٢٤). وقال تعالى عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۗ﴾ (ص: ٣٤). وقال تعالى عن نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۗ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى عن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۗ﴾ [الشورى: ١٠]. وأثنى الله على خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تصافه بالإِنَابَةَ إليه والرجوع إليه في كل أمر، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۗ﴾ [هود: ٧٥]. وأمر الله بها عباده فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ﴾ [الزمر: ٥٤]. والصالِحون من عباد الله يقولون: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۗ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِنَابَةُ: الإسراع في مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له، وقال أيضًا: الإِنَابَةُ إلى الله إنابتان: الأولى: إنابة إلى ربوبيته وهي إنابة المخلوقات

كلها، المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣]. والثانية: إنابة أوليائه، وهي: إنابة لألوهيته، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه^(١). اهـ مختصراً

والإنابة إلى الله ﷻ هي مفتاح السعادة، والهداية، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ (٢٧) [الرعد: ٢٧]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ»^(٢)، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطْوَلَ عُمُرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ»^(٣).

وأخبر ﷻ أن ثوابه، وجنته لأهل الخشية والإنابة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْقِبِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) [ق: ٣١-٣٣].

وأخبر ﷻ أن البشرية لأهل الإنابة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) «مدارج السالكين» (١/٤٣٤).

(٢) قوله: «فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ»: قَالَ السَّنْدِيُّ: مَكَانُ الإِطْلَاعِ مِنْ مَوْضِعِ عَالٍ، يُقَالُ: مُطَّلَعٌ هَذَا الْجَبَلُ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا، أَي: مَا تَأْتَاهُ وَمَصْعَدُهُ، يُرِيدُ بِهِ: مَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِدِهِ، فَشُبِّهَ بِالْمُطَّلَعِ، وَعَلَّلَ النَّهْيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ لِقَلَّةِ صَبْرِهِ وَضَجْرِهِ، فَإِذَا جَاءَ مُتَمَنِّئًا، أَزْدَادَ ضَجْرًا عَلَى ضَجْرٍ، وَيَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ مَزِيدَ سَخَطٍ، وَلِأَنَّ السَّعَادَةَ فِي طُولِ الْعُمُرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِإِكْتِسَابِ السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ، وَرَأْسُ مَالِهِ الْعُمُرُ. هَلْ رَأَيْتَ تَاجِرًا يُضَيِّعُ رَأْسَ مَالِهِ؟! «مسند الإمام أحمد» (٢٢/٤٢٧).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٢/٤٢٦) (برقم ١٤٥٦٤)، وقال محققوه: حسن لغيره.

اجْتَبُوا الطَّعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴿١٧﴾ [الزمر: ١٧].

ومن صفات العبد المنيب: الاعتبار بالآيات الدالة على عظمة الله تعالى، وعزته وسلطانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

والإنابة إلى الله مانعة من العذاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

وقد أمر الله جميع الخلق بالإنابة والرجوع إليه، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠-٣١]. وَأَقِمْوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٠].

وكان من دعاء النبي ﷺ أن يرزقه الله الإنابة، روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي، وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْهَا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي،

وَاعْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا؟ فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ - أَوْ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ»^(٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ إِنْابَةً إِلَى رَبِّهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٠). و«مسند الإمام أحمد» (٤٥٢/٣) (برقم ١٩٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٦/٣٨) (برقم ٢٢٩٥٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

المُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(١).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣١٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٧٦٩).

الكلمة السابعة والتسعون

مواقف مؤثرة

من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وإمام من أئمة الهدى، جدّد الله به الدين وقمع به البدعة، كان إمام الدنيا في زمانه، وأحد أذكى العالم وأفراده في الحفظ والعلم والعمل، إنه شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحلیم ابن مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني ابن تيمية وهو لقب لجده الأعلى، ولد في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، والحرّاني نسبة إلى بلدة مشهورة بين الشام والعراق، كان أبيض البشرة، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، إليه كان المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، حفظ القرآن وهو في الصغر، وأتقن علم الشريعة والعربية والمنطق وغيرها، ولم يتزوج ولا تسرّى، لا رغبة عن النكاح، فهو سنة النبي ﷺ وإنما انشغلاً بالعلم والتعليم

والدعوة والجهاد، كان يقضي وقته كله في البحث، والقراءة والمطالعة، فلا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تمل من الانشغال ولا تكمل من البحث.

قال الذهبي: ما رأيتُهُ إلا بطن كتاب.

وقد بدأ التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان من أفراد الدهر في كثرة تأليفه، فلا يعلم في الإسلام من صنف نحو ما صنف، وقدرت مؤلفاته بخمسمائة مجلد، وبأربعة آلاف كراس أو أكثر، وقد بلغ ما يكتبه في اليوم واللييلة أربع كرايس، وكان يكتب مؤلفاته من حفظه، وكان ذا قلم سريع الكتابة إذا رقم يكاد يسبق البرق إذا لمع، وكانت مؤلفاته في غاية الإبداع وقوة الحجج وحسن التصنيف والترتيب، وشرع بالتدريس وهو في الحادية والعشرين من عمره بعد وفاة أبيه، وأما درس التفسير فقد بدأ به وعمره ثلاثون سنة، واستمر مدة سنين متطاولة، وقد انعقدت له الإمامة في التفسير وعلوم القرآن الكريم، وقد أقبل عليه إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق ويقال: إنه وضع تفسيراً مطولاً أتى فيه بالغريب العجيب وكان مشهوراً بقوة حفظه، وقلما حفظ شيئاً فَنسيه، كان الحافظ المزي يبالغ في تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم ير مثله منذ أربعمئة سنة.

وكانت قوته في حياته الجادة التي لا تعرف الهزل فضلاً عن سافل الأخلاق من الغيبة والنميمة، فقد كان في غاية التنزه من الغيبة، والنميمة، وما عُرفت عشرة له في شيء من ذلك، وكانت

مجالسه عامرة بالخير، لا يجروا المغتابون على غشيانها.
 وكان رَحِمَهُ اللهُ زاهداً في الدنيا غيرَ مبالٍ بها، كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى، فينفقه جميعه آلافاً ومئين، لا يلمس منه درهماً بيده، ولا ينفقه في حاجة له، وكان يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألف القلوب، وله محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه، عرضت عليه المناصب والولايات فرفض وقال: يقوم بها غيري، أما نشر العلم وتصحيح الاعتقاد ورد الناس إلى الله ورسوله فالناس أحوج ما يكونون إليه، وعُرضت عليه المرتبات والأعطيات فأباها؛ لأنه يعلم أنه إذا أخذت اليد ضعفت مقاومة الباطل واهتز موقف الناصح وهذا هو منهج الإمام أحمد بن حنبل، فقد قيل في ترجمته: أتته الدنيا فأباها، هذا مع انصراف شيخ الإسلام عن أمور الدنيا انصرافاً كلياً، إذ ليس له من المعلوم إلا اليسير، وقد تكفل أخوه شرف الدين بشؤونه، قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: وهذا يفيد الدرس الآتي وهو عدم اجتماع الضدين فكما أن:
 حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا فِي قَلْبٍ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
 فحب العلم وإشغال القلب والبدن بالمال وجمعه وتنميته والمكاثرة فيه لا يجتمعان، فكلما منحت هذا من جهدك ووقتك ضاع من ذاك، فَلَنْبِكَ عَلَى حَالِنَا؟^(١).

(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٢٦-٢٧).

أما مواقفه مع الولاة، فقد كانت قوية في النصح، والأمر، والنهي، فمن ذلك مواقفه العظيمة في كسر شوكة الملاحدة، والباطنية كما في وقعة شقحب والكسروان، وموقفه مع غازان حتى وصفت شجاعته بأنها خالدية نسبة إلى سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد حدث سنة (٦٩٩هـ) أن ملك التتر غازان قدم إلى دمشق، فخرج إليه شيخ الإسلام واجتمع به وكلمه بغلظة، فكف الله يد غازان عنه، وذلك أنه قال لترجمان الملك غازان قل له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا، وأبوك وجدك هولاءكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت؛ عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت.

وجرت له مع غازان وقطلوشاه، وبولاي، أمور قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله، وحضر قضاة دمشق وأعيانها إلى مجلس غازان، فقدم إليهم غازان طعامًا فأكلوا إلا ابن تيمية، فقيل: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهادًا في سبيلك فأيده وانصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فافعل به واصنع.. يدعو عليه، وغازان يؤمن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفًا أن يبطش به غازان فيصيبهم من دمه، فلما خرجوا قال قاضي القضاة ابن الصصري لابن تيمية: كدت تهلكنا معك ونحن

ما نصحبك من هنا، فقال: ولا أنا أصحابكم.

وقد سجن بقلعة دمشق في آخر حياته، فبقي يؤلف الكتب، ويرسل الرسائل لأصحابه ويذكر ما فتح الله عليه من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، فقال: قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثيراً من العلماء يتمنونها وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم إنه مُنع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة والمناجاة والذكر، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، قال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحمت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة». وكان في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير.. ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليها وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وكان كثير التعبد ومداومة الذكر والأوراد، لا يشغله عن هذا

شاغل ولا يصرفه صارف، قال ابن القيم: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي ولو لم أتخذ هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته لأستعدّ بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاماً هذا معناه.

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف وهو مع ذلك كان أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون وضافت بنا الأرض أتيناه؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمانينةً، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. اهـ وكان يقول: أحللت كل من آذاني، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، قال القاضي ابن مخلوف وكان من أعدائه: ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا.

كانت وفاته في قلعة دمشق في سحر ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، وقد حُرم رحمه الله سبعة عشر يومًا، وقد قبض في الثلث الأخير من الليل، فاجتمع في القلعة خلق كثير من أصحابه يبكون ويشنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن

أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين فانتهاها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقد اجتمع خلق كثير للصلاة عليه وحزر الرجال بستين ألفاً أو أكثر إلى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك قول الإمام أحمد بن حنبل لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، وقد رئيت له منامات كثيرة صالحة، وصُلِّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد المسلمين القريبة والبعيدة حتى في اليمن، والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة (الصلاة على ترجمان القرآن)^(١).

رحم الله شيخ الإسلام. وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» للشيخ محمد عزيز شمس، والشيخ علي العمران، بإشراف: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ.

الكلمة الثامنة والتسعون

ذم البخل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله البخل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ولا يظن الذين يبخلون أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال، والجاه، والعلم.. وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه وضمنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم بل هو شر لهم في دينهم، ودنياهم، وعاجلهم، وآجلهم»^(١). اهـ

وأشد البخل الشح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. قال الرازي: الشح هو البخل مع

(١) «تفسير الشيخ ابن سعدي» (ص ١٤١).

حرص^(١)، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:
 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،
 حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٢).

ويؤيد ذلك ما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ، وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٣).

وأشكال البخل كثيرة: فمنها بخل بالمال، أو الجسد، أو العلم،
 أو الجاه، أو السلام، أو الصلاة على النبي ﷺ. وقد وردت بذلك
 نصوص كثيرة، منها ما رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث
 أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ
 عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث حسين بن علي رضي الله عنه: «أَنَّ
 النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٥).

والبخل درجات فأعظمه البخل بالواجبات، والفرائض، مثل
 البخل بالزكاة، أو النفقة على الأهل، أو الضيافة الواجبة، روى

(١) «مختار الصحاح» (ص ٣٣١).

(٢) جزء من حديث في «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٧٨).

(٣) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٤٥٠ / ١٢) (برقم ٧٤٨٠)، وقال محققوه:
 حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) «شعب الإيمان» (٢٢ / ١٣) (برقم ٨٣٩٢)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة
 الصحيحة» (برقم ٦٠١). ورجَّح بعضهم وقفه.

(٥) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥٤٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مَثَلٌ لَهُ مَالُهُ سُجَاعًا أَقْرَعٌ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ، يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ، يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قَالَتْ هِنْدُ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَخَذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِيَّ؟ قَالَ: خُذِي بِالْمَعْرُوفِ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي شريح العَدَوِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ»^(٣).

قال ابن قدامة المقدسي: «البخل والسخاء درجات، وأشد درجات البخل أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة إليه، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة، والأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء»^(٤). اهـ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٨٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٣٧٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٧).

(٤) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٢٦٥).

الدرجة الثانية: البخل بما يستحب كالبخل بالصدقات، أو إقراض الآخرين، أو الضيافة المستحبة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن مسعود رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى الصَّدَقَةِ»^(٢). وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة، والكرم، بين الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٦/٧) (برقم ٣٩١١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٩٣).

به من يقوم بذلك، فقال: ﴿هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) [محمد: ٣٨] (١). اهـ

ومما يدل على مقت البخل وأنه مما ينافي مكارم الأخلاق، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَحِدُونِي بِخِيَلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا» (٢).

قال ابن حجر: «وفيه ذم الخصال المذكورة وهي البخل، والكذب، والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها» (٣).

وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَكْرَمَ النَّاسِ، فَقَدْ أُعْطِيَ يَوْمَ حُنَيْنِ الْأَقْرَعَ ابْنَ حَابِسٍ وَعَيْيْنَةَ بْنَ حَصْنٍ أُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَمَّا جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ أُعْطَاهُ وَادِيًّا مِنَ الْغَنَمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ

(١) «الاستقامة» (٢/٢٦٣-٢٧٠)، باختصار.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٤٨).

(٣) «فتح الباري» (٦/٢٥٤).

وهو يقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الجبن والبخل قرينان، فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل»^(٢).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ جَمَاعًا لِمَالِكَ مُمَسِّكًا فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينٌ
تُؤَدِّيهِ مَذْمُومًا إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ فَيَأْكُلُهُ عَفْوًا وَأَنْتَ دَفِينٌ

وقال آخر:

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تَذَهَبُ

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: «عجباً للبخیل المتعجل للفقير الذي منه هرب، والمؤخر للسعة التي إياها طلب، ولعله يموت بين هربه وطلبه، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، مع أنك لم تر بخيلاً إلا غيره أسعد بماله منه لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة آثم بمنعه، وغيره آمن في الدنيا من همه، وناج في الآخرة من إثمه»^(٣). اهـ

قال حبیب الثقفی: «قعدت مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ٨٥).

(٣) «الآداب الشرعية» (٣/٣١٨).

والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً»^(١).

قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: «قد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة، وإن كان ذريعة إلى كل مذمة، أربعة أخلاق، ناهيك بها ذمًا وهي: الحرص والشره، وسوء الظن، ومنع الحقوق، وإذا آل البخل إلى ما وصفناه من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللئيمة، لم يبق معه خير مرجو، ولا صلاح مأمول»^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «طبقات الحنابلة» (١/١٤٧).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٦-١٨٧)، بتصرف.

الكلمة التاسعة والتسعون

فضائل العفو

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن العفو من الأخلاق الجميلة، والصفات الحميدة التي أمر الله بها نبيه وعباده المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

قال الكفوي: «العفو: كف الضرر مع القدرة عليه»^(١)، وكل من استحق عقوبة وتركها فهذا الترك عفو، والفرق بين الصفح والعفو مع أنهما متقاربان في المعنى فيقال: صفحت عنه أعرضت عن ذنبه وعن تثريبه، إلا أن الصفح أبلغ من العفو، فقد يعفوا الإنسان ولا يصفح، وصفح عنه أوليته صفحة جميلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْفَحْ

(١) «الكليات» (ص ٥٣، ٥٩٨).

عَنْهُمْ وَقَالَ سَلَّمَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩]» (١).

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، هذه الآية نزلت في الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثانة بنافعة، بعدما قال في عائشة، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تعالى، وله الفضل والمنة يعطف الصِّدِّيق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثانة ابن خالة الصِّدِّيق وكان مسكيناً لا مال له، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها، وكان الصِّدِّيق رضي الله عنه، معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيدي على الأقارب، والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: كان الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر [ذنب من أذنب] إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، فعند ذلك قَالَ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنَ النَّفَقَةِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا فِي مُقَابَلَةٍ مَا كَانَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْفَعُهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا. فَلِهَذَا كَانَ الصِّدِّيقُ هُوَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه» (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ:

(١) «بصائر ذوي التمييز» (٣/٤٢١)، بتصرف.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٠/١٩٨). والحديث في «صحيح البخاري» (برقم ٤٧٥٧).

«دَخَلَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»^(١).

قال الشافعي رحمه الله:

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ
فَالْعَفْوُ عَنِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ
إِنَّ الْأَسْوَدَ لَتُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ
إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحٌ
وَفِيهِ أَيْضًا لَصَوْنِ الْعَرِضِ إِصْلَاحٌ
وَالْكَلْبُ يُحْشَى^(٢) وَيُرْمَى وَهُوَ نُبَاحٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿^(١٣٤)﴾
[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٤٢).

(٢) يُرْمَى بِالْحَصَى.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٨).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ عَفْوًا وَتَسَامِحًا، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ رَأْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتَا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يَعْضُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١). وفي رواية: ثُمَّ لَمْ يَعْاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزُعَمَاءِ قُرَيْشِ الَّذِينَ آذَوْهُ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»^(٣).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَئِنْ كَانَ لَنَا يَوْمٌ مِثْلَ هَذَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَنُرَبِّينَ عَلَيْهِمْ^(٤)، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَمِنَ^(٥) الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا، نَاسًا سَمَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦)

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٩١٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٨٤٣).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤١٣٥).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢٧/٤). ورؤي في السيرة.

(٤) لَنُرَبِّينَ: قال السندي: من الإرباء، يُقال: أربى على كذا: إذا زاد عليه، أي: لَنَزِيدَنَّ عَلَى مَا قَتَلُوا مِنَّا.

(٥) أَمِنَ: بفتح فكسر من الأمان، أي: الكل آمنون لا يقتل أحد منهم.

[النحل: ١٢٦]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَصْبِرُ وَلَا نُعَاقِبُ»^(١).

والعفو من صفاته ﷺ التي وصف بها في التوراة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ سَأَلَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ»^(٢).

والعفو من صفات الأنبياء السابقين، قال تعالى عن يوسف ﷺ وهو يخاطب إخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

والعفو من صفات الصالحين من عباد الله.

ففي عهد الخليفة المعتصم سجن الإمام أحمد بن حنبل

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٥٢/٣٥) (برقم ٢١٢٢٩)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢١٢٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٢).

وضرب بالسياط حتى أُغمي عليه، وسال الدم من جسده، وكان يقول: قد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حل، وعفا عنه، وسجن الإمام مالك، وضرب بالسياط حتى انخلعت يده من كتفه، فعفا عن ضربه. والمواقف في العفو كثيرة عند التبع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: **فَلَا أَحَبُّ أَنْ يُتَّصَرَ مِنْ أَحَدٍ بِسَبَبِ كَذِبِهِ عَلَيَّ، أَوْ ظُلْمِهِ، وَعُدْوَانِهِ، فَإِنِّي قَدْ أَخَلَلْتُ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَأَنَا أَحَبُّ الْخَيْرِ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَحَبُّهُ لِنَفْسِي. وَالَّذِينَ كَذَبُوا وَظَلَمُوا فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ جِهَتِي** (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العفو مشروط بالإصلاح، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كبيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به، وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، كما يحب أن يعفو الله عنه فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل» (٢). اهـ

ومن وصل إلى هذه الحالة فليحمد الله على هذه النعمة الكبرى، وعلى راحة الضمير، وعلى كثرة ما يجني من الخير.

(١) «الفتاوى» (٢٨/٥٥).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٧٢٧).

ويشعر للمسلم أن يكثر من سؤال الله العفو، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

قال الشاعر:

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

فوائد العفو:

- ١- امتثال أمر الله تعالى.
 - ٢- إزالة ما في النفس من الأحقاد والبغضاء.
 - ٣- راحة النفس، وطمأنينة القلب.
 - ٤- الأجر العظيم من الله تعالى.
 - ٥- الرفعة في الدنيا والآخرة.
 - ٦- نشر المحبة والأخوة بين المسلمين.
 - ٧- أنه طريق موصل إلى الجنة.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

مقتطفات من سيرة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة عَلمٍ من أعلام هذه الأمة، وبطلٍ من أبطالها وفارسٍ من فرسانها، ولدَ رَحِمَهُ اللهُ سنة (٥٣٢هـ)، في تكريت في العراق، وكان خليقًا للإمارة، مهيبًا شجاعًا حازمًا، مجاهدًا كثير الغزو، عالي الهمة، إنه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي أبو المظفر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي ابن مروان بن يعقوب الدويني^(١) ثم التكريتي المولد.

قال الذهبي: «كانت له همة في إقامة الجهاد، وإبادة الأضداد ما سمع بمثلهما في دهر، وكانت له اليد البيضاء، ببذل الأموال، والخيال المثمنة لجنده، وله عقل جيد، وفهم، وحزم، وعزم، كان نور الدين زنكي قد أمره وبعثه في عسكره إلى مصر مع عمه أسد

(١) دَوِين: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء المثناة من تحت ساكنة وآخره نون. بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس. «معجم البلدان للحموي» (٤/٣٢٨).

الدين شيركوه، فحكم شيركوه مصر ثم توفي، فقام بعده صلاح الدين ودانت له العساكر، وقهر بني عبيد ومحي دولتهم، وفي سنة (٥٨٣هـ) فتح طبرية، ونازل عسقلان ثم كانت وقعة حطين بينه وبين الفرنج، وكانوا أربعين ألفاً فحال بينهم وبين الماء على تل وسلموا أنفسهم وأُسرَت ملوكهم، وبادر فأخذ عكا، وبيروت، وكوكب، وسار فحاصر القدس وَجَدَ في ذلك، فأخذها بالأمان، ثم إن الإفرنج قامت قيامتهم على بيت المقدس وأقبلوا كقطع الليل المظلم بَرًّا وبحرًّا، وأحاطوا بعكا ليستردوها وطال حصارهم لها وبنوا على أنفسهم خندقًا فأحاط بهم السلطان ودام الحصار لهم وعليهم نيفًا وعشرين شهرًا، وجرى في غضون ذلك ملاحم، وحروب تشيب لها النواصي^(١).

ومن أخباره التي تدل على شدته على الكفار، وغيرته على الإسلام، أنه لما أسر ملوك الأفرنج في معركة حطين، كان قد نذر أن يقتل أرناط وهو صاحب الكرك، فأسره يومئذ وكان قد مر به قوم من مصر في حال الهدنة، فغدر بهم، فناشدوه الصلح، فقال ما فيه استخفاف بالنبي ﷺ وقتلهم، فاستحضر صلاح الدين الملوك، ثم ناول الملك جفري شربة جلاب ثلج، فشرب، فناول أرناط، فشرب، فقال السلطان للترجمان: قل لجفري: أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته، ثم استحضر البرنس أرناط في مجلس آخر وقال: أنا أنتصر لمحمد ﷺ منك، ثم عرض عليه الإسلام فأبى،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٨٠-٢٨١).

فحل كتفه بالنيمجاه^(١)، وافتتح عامه ما لم يفتحه ملك، وطار صيته في الدنيا، وهابته الملوك.

قال ابن كثير: «كان السلطان صلاح الدين من أشجع الناس وأقواهم قلباً وبدناً مع ما كان يعترى جسمه من الأمراض والأسقام، ولا سيما وهو مرابط مصابر مثابر عند عكا، فإنه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل ويقال: ستمائة ألف، وكان جملة من قُتل منهم مائة ألف مقاتل، ولما انفصل الحال وتسلموا عكا وقتلوا أكثر من كان بها، وساروا برمتهم نحو بيت المقدس جعل يسايرهم منزلة منزلة ومرحلة مرحلة وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه، ومع هذا نصره الله، وخذلهم، وأيده وقتلهم، وسبقهم إلى بيت المقدس فصانه وحماه وشيد بنيانه، ولم يزل بجيشه مقيماً به، يرهبهم، ويرعبهم ويكسرهم، ويأسرهم، حتى تضرعوا إليه وخضعوا لديه ودخلوا عليه أن يصالحهم ويتاركهم وتضع الحرب أوزارها بينهم وبينه، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أراده لا ما يريدونه، وكان ذلك من جملة الرحمة التي خص بها المؤمنون».

وكان رَحِمَهُ اللهُ سخيًّا، كريماً، حبيباً، ضحوك الوجه، كثير البشر، لا يتضجر من خير يفعله، شديد المصابرة والمثابرة على الخيرات

(١) النيمجاه: خنجر مقوس يشبه السيف القصير وهو معرب نيمجه. «سير أعلام النبلاء» (٢٨٥/٢١).

قال العماد: أطلق في مدة حصار عكا اثني عشر ألف فرس، وما حضر اللقاء إلا استعار فرسًا، نَزَّه المجالس من الهزل، ومحافله أهلة بالفضلاء، حليمًا، مقيلاً للعثرة، تقيًا، نقيًا، وفيًا صفيًا، يُغْضِي ولا يغضب، ما رد سائلًا ولا خَجَّل قائلًا، كثير البر والصدقات.

قال الموفق عبد اللطيف: أتيت صلاح الدين بالقدس فرأيت ملكًا يملأ العيون روعة، والقلوب محبة قريبًا بعيدًا سهلًا محببًا وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف كما قال تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حافلًا بأهل العلم يتذكرون وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتمًا في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه ويتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به الخلق. اهـ.

وكان السلطان صلاح الدين متقللاً في ملبسه ومأكله ومشربه ومركبه، فلا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، ولا يعرف أنه تخطى مكروهاً بعد أن أنعم عليه بالملك بل كان همه الأكيد ومقصوده الأعظم نصر الإسلام وكسر الأعداء اللئام، ويعمل فكره في ذلك ورأيه وحده مع من يثق برأيه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهراً، ومع هذه الفضائل والآداب، فقد كان مواظبًا على الصلوات في

(١) «البداية والنهاية» (١٦/٦٥٧-٦٥٨).

أوقاتها جماعة، يقال إنه لم تفتحه الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل حتى ولا في مرض موته، بل كان يدخل الإمام فيصلي به، فكان يتجشم القيام مع ضعفه، وكان رقيق القلب سريع الدمعة، وكان يحب سماع القرآن العظيم ويواظب على سماع الحديث حتى إنه سمع في بعض المصافات جزءاً وهو بين الصفين للقتال وكان يقول: هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً.

قال ابن كثير: «وفي سنة (٥٨٩هـ) اشتد به المرض ثم حصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض، وعندما ظهرت مخايل الضعف الشديد وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات استدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في غمرات الموت: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢] فقال: وهو كذلك صحيح، فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق، فلما قرأ القارئ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩] تبسم، وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرمه وجعل جنة الفردوس مأواه، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة، فقد كان رداءً للإسلام، وحرزاً وكهفاً من كيد الكفرة اللئام، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه، وود كل منهم لو فداه بأولاده وأحبابه وأصحابه، وغلقت الأسواق، وأخذ الناس في البكاء»^(١).

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/٦٥١-٦٥٢).

وكانت وفاته بقلعة دمشق بعد الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة، قال الذهبي: فوجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه على الأنبياء، وما رأيت ملكاً حزن الناس لموته سواه، لأنه كان محبباً، يحبه البر والفاجر، والمسلم والكافر، ولقد صدق العماد في مدحه حيث يقول:

وَلِلنَّاسِ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ الصَّلَا حِ صَالِحٌ وَنَصْرٌ كَبِيرٌ
هُوَ الشَّمْسُ أَفْلَاكُهُ فِي الْبِلَا دِ وَمَطْلَعُهُ سَرْجُهُ وَالسَّرِيرُ
إِذَا مَا سَطَا أَوْ حَبَا وَاحْتَبَى فَمَا اللَّيْثُ مِنْ حَاتِمٍ مَا ثَبِيرٌ^(١)

قال العماد وغيره: لم يترك في خزانته من الذهب سوى دينار واحد، وستة وثلاثين درهماً، وقال غيره: سبعة وأربعين ديناراً، ولم يترك داراً ولا عقاراً، ولا مزرعة، ولا بستاناً، ولا شيئاً من أنواع الأملاك، وإنما لم يخلف أموالاً، ولا أملاكاً لكثرة عطاياه وهباته وصدقاته وإحسانه إلى أمرائه ووزرائه وأوليائه حتى إلى أعدائه.

وكتب القاضي الفاضل تعزية إلى صاحب حلب ابن صلاح الدين الأيوبي: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) كتبت إلى مولانا الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف من السلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزلاً شديداً، وقد حضرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/٢٨٣).

الحناجر، وقد ودعت أباك مخدومي وداعاً لا تلاقِي بعده، وَقَبَلْتُ
 وَجْهَهُ عَنِّي وَعَنْكَ وَأَسَلَمْتَهُ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ مَغْلُوبَ الْحِيلَةِ، ضَعِيفَ
 الْقُوَّةِ، رَاضِيًا عَنِ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَبِالْبَابِ مِنْ
 الْجُنُودِ الْمَجْنُدَةِ وَالْأَسْلِحَةِ الْمَغْمَدَةِ مَا لَمْ يَدْفَعِ الْبَلَاءَ وَلَا مَا يَرُدُّ
 الْقَضَاءَ، تَدْمَعُ الْعَيْنَ، يَخْشَعُ الْقَلْبَ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضِي الرَّبَّ:
 وَإِنَّا عَلَى فِرَاقِكَ يَا يُوْسُفَ (صَلَاحَ الدِّينِ) لِمَحْزُونُونَ»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٧٨/٢١-٢٩٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/٦٥١-٦٥٨).

الكلمة الواحدة بعد المائة

من أسماء الله الحسنى الغافر - الغفار - الغفور

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ومن أسمائه تعالى: (الغافر - الغفار - الغفور)، وقد أخبرنا ربنا تعالى أنه غافر الذنوب، وغفارها، وغفورها، كما قال عز وجل:
 ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر: ٣]. وقال تعالى فيما حكاه عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال بعضهم قد سمي الله نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه الغفار فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار، والغفار أبلغ من الغفور، قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. أما الغفار ففي قوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٦٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠].

وأما الغافر فقد ورد مرة واحدة في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

قال الزَّجَّاج: معنى الغفر في حق الله سُبْحَانَهُ: هو الذي يستر ذنوب عباده، ويغطيهم بستره^(١)، وقال الحلبي: الغافر هو الذي يستر على المذنب، ولا يؤاخذة في شهره ويفضحه، وأما الغفور فهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته^(٢).

ومن كرم الله، وعظيم مغفرته قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]. قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيا لها من بشارة تروح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاضمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل به سُبْحَانَهُ هذا الكلام قائلاً: إنه هو الغفور الرحيم، أي كثير المغفرة، والرحمة

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٣٨).

(٢) «المنهاج» (١/١٠٢).

عظيمهما بليغهما واسعهما، ومن أبى هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنين عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنين هو الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ^(١).

ومن آثار الإيمان بهذه الأسماء العظيمة:

أولاً: وصف الله ﷻ نفسه بأنه غفار، وغفور للذنوب والخطايا صغیرها، وكبیرها، حتى الشرك إذا تاب منه الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله أعظم منها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ:

(١) «فتح البيان» (١٢/١٢٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٧/٣٣٧) (برقم ١١٢٣٧)، وقال محققوه: حديث حسن.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا أَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (١).

قال الشاعر:

وَهُوَ الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
لَأَتَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِثْلَ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

بل إن الله من فضله وكرمه يبدل سيئات العبد إلى حسنات إذا صدق في توبته، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠) [الفرقان: ٧٠].

ثانيًا: لا يجوز للمسلم أن يتساهل بالمعاصي والذنوب بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٣٥) [الإسراء: ٢٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢) [طه: ٨٢]. فاشترط تَوْبَتَهُ تَغْيِيرَ الْحَالِ مِنْ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ إِلَى عَمَلِ الصَّالِحَاتِ لِكَيْ تَحْصَلَ الْمَغْفِرَةُ.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٧٥/٣) (برقم ٢٨٠٥).

ثالثاً: إذا علم المؤمن أن الله غفور رحيم، فإنه يشرع له أن يحرص على فعل مكفرات الذنوب وهي الأقوال، والأعمال التي شرعها الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ حتى تكفر عنه الخطايا والسيئات.

رابعاً: أنه يشرع للمؤمن أن يكثر من الاستغفار حتى تحصل له المغفرة التي وعد الله بها المستغفرين، والنبى ﷺ كان يستغفر الله في جميع الأحوال، ومن تلك الصيغ ما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث زيد مولى النبى ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الزَّحْفِ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣/١) (برقم ١٣٤٢).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣/١) (برقم ١٣٤٣).

أَنْتَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلَاثًا» (١)(٢).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن أبي داود» (برقم ٩٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (برقم ٨٦٩).

(٢) انظر: «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (١/١٧٥-١٨٠).

الكلمة الثانية بعد المئة

من آداب اللباس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده، لستر العورات ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد وردت النصوص الشرعية بأحكامه مفصلة مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس والمحرم، والمكروه، والمباح مقدارًا وكيفية.

وقد ذكر أهل العلم آداب اللباس في كتبهم والأدلة على ذلك فمنها: وجوب ستر العورة؛ وهي ما يجب تغطيته ويقبح ظهوره، ويستحيا منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦]. فتغطيته باللباس أمر واجب، وحد عورة الرجل الذكر: من السرة إلى الركبة، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حَدِيثِ جَرَهْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ وَقَدْ كَشَفَ عَن فَخِذِهِ، فَقَالَ: «يَا جَرَهْدُ! غَطِّ فَخِذَكَ، فَإِنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ»^(١). قَالَ

(١) أخرجه البخاري معلقًا، ورواه مالك والترمذي وأحمد، وقال محققو المسند (٢٨٠/٢٥) (برقم ١٥٩٣٢): حسن بشواهد.

البخاري بعد ذكر الخلاف في المسألة: حديث جرهد أحوط^(١).
 أما المرأة: فقد وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ»^(٢)،
 وقد تقدم التفصيل في كلمة خاصة بلباس المرأة.

ومنها الابتعاد عن اللباس الرقيق الذي يصف بياض الجلد،
 وسواده وحمرة والذي يصف الخلقة أي الحجم لرجل وامرأة، قال
 ابن تميم: يكره الثوب الرقيق إذا وصف البدن^(٣)، قال المروذي:
 أمروني في منزل أبي عبد الله أن أشتري لهم ثوبًا، فقال: لا يكون
 رقيقًا أكره الرقيق للحي والميت، فإن الفخذ عورة^(٤).

ومنها: ألا يتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس^{رضي الله عنهما} قَالَ:
 لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ
 مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ^(٥).

ومنها: تحريم الإسبال للرجال، سواء كان ما يلبس إزارًا
 أو ثوبًا أو بشتًا أو سراويل أو قميصًا، روى أبو داود في سننه
 من حديث ابن عمر^{رضي الله عنهما}: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ،

(١) «فتح الباري» (١/٤٧٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١١٧٣)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/٩٣٣) (برقم ٣١٠٩).

(٣) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٧).

(٤) نفس المصدر (ص ٤٣٧).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٥٨٨٥).

وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خِيَلًا، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَأَيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٢).

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس ذلك، وقد ورد الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِى النَّارِ»^(٣).

ومنها تحريم ارتداء الملابس التي عليها صلبان، أو تصاوير، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٧٧١/٢) (برقم ٣٤٥٠).

(٢) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٣٨/٣٤) (برقم ٢٠٦٣٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٧٨٧).

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيْبٌ إِلَّا نَقَضَهُ^(٢).

قال الحجاوي: «فإذا منع من نصبه ستراً على الحائط وتعليقه فلا أن يكون ممنوعاً لبسه أولى، لأن ذلك أكثر إكراماً، وهذا أحد الوجهين في التحريم»^(٣).

ومنها تحريم لباس الشهرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

قال الحجاوي: «لأنه يزري بصاحبه وينقص مروءته، وفي الغنية من اللباس المنزه عنه: كل لبسة يكون بها مشتهراً بين الناس كالخروج عن عادة أهل بلده، وعشيرته فينبغي أن يلبس ما يلبسون، لئلا يشار إليه بالأصابع ويكون ذلك سبباً إلى حملهم على غيبتهم له فيشركهم في إثم الغيبة له»^(٥).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٩٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٩٥٢).

(٣) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٤٠-٤٤١).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤٧٦/٩) (برقم ٥٦٦٤)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٥) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وتكره الشهرة من الثياب وهو الترفع الخارج عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة، فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المرتفع والمنخفض»^(١). اهـ.

قال ابن عبد البر: «كان يقال: كل من الطعام ما اشتهيت، والبس من الثياب ما اشتهى الناس»^(٢). قال الشاعر:

إِنَّ الْعُيُونَ رَمَتْكَ مُذْ فَاجَأَتْهَا وَعَلَيْكَ مِنْ شَهْرِ الثِّيَابِ لِبَاسُ
أَمَّا الطَّعَامُ فَكُلْ لِنَفْسِكَ مَا اشْتَهَتْ وَاجْعَلْ لِبَاسِكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ

ومنها: تحريم الذهب والحريير على الرجال إلا لعذر، روى أبو داود في سننه من حديث عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَيَّ ذُكُورِ أُمَّتِي»^(٣).

ومنها: أن السنة التيامن عند لبس اللباس، روى البخاري ومسلم من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ فِي طَهُورِهِ وَتَرْجُلِهِ وَتَنْعُلِهِ^(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي أَنَّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ وَالتَّشْرِيفِ كَلْبَسِ الثَّوْبِ، وَالسَّرَاوِيلِ،

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/١٣٨).

(٢) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٣).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (برقم ٣٤٢٢).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٥٨٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٨).

والخف، وغير ذلك مما هو في معناه، يستحب التيامن فيه وذلك كله لكرامة اليمين وشرفها»^(١). اهـ

ومنها: أن السنة عند لبس الجديد أن يقول الدعاء الوارد في ذلك: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»^(٢).

ومنها استحباب لبس البياض، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا خَيْرٌ ثِيَابِكُمْ، وَكَفُّنَا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»^(٣).

ومنها النهي عن لبس الثوب المعصفر وهو المصبوغ بعصفر، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»^(٤).

قال ابن حجر في فتح الباري بعدما ذكر أقوال أهل العلم في لبس الثوب الأحمر: «والتحقيق في هذا المقام: أن النهي عن لبس الأحمر إن كان من أجل أنه لبس الكفار، فالقول فيه كالقول في

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/١٦٠)، بتصرف.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي» (برقم ١٤٤٦).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٦١)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (٧٦٦/٢) (برقم ٣٤٢٦).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠٧٧).

الميشرة الحمراء^(١)، وإن كان من أجل أنه زي النساء فهو راجع إلى الزجر عن التشبه بالنساء فيكون النهي عنه لا لذاته، وإن كان من أجل الشهرة، أو خرم المروءة فيمنع حيث يقع ذلك، وإلا فيقوى ما ذهب إليه مالك من التفرقة بين المحافل والبيوت^(٢).

ومنها استحباب إظهار النعمة في الملبس ونحوه، روى أبو داود في سننه من حديث أبي الأحوص عن أبيه رضي عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوبٍ دون، فقال: «ألك مال؟» قال: نعم، قال: «من أي المال؟» قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: «فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته»^(٣).

ومنها الطيب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، فقد روى النسائي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب»^(٤). وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرذ الطيب^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) يشير بذلك إلى حديث البخاري في النهي عن المياثر الحمر.

(٢) «فتح الباري» (٣٠٦/١٠).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٦٣)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (برقم ٣٤٢٨).

(٤) «سنن النسائي» (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (برقم ٣٦٨٠).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٢٥٨٢).

الكلمة الثالثة بعد المئة

خطر الرشوة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الرشوة من الأمور المنكرة التي ابتليت بها مجتمعات المسلمين وهي مرض عضال، وداء خطير، يفسد المجتمعات، ويضيع الحقوق، ويخل بالأمانة وهي كبيرة من كبائر الذنوب، قال الله تعالى في ذم اليهود: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، والرشوة: من السحت كما فسر الآية ابن مسعود وغيره^(١). روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ^(٢). واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

قال الجرجاني: «الرشوة ما يُعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل»^(٣). قال الذهبي: الكبيرة الثانية والثلاثون: أخذ الرشوة

(١) «تفسير القرطبي» (٧/٤٨٥).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٣٣٧)، وقال: حسن صحيح.

(٣) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٤٨)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص ٣٦٥).

على الحكم، واستدل على ذلك بقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الذهبي: «لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام: أي: لا تصنعوهم بها، ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقًا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم».

وبعد أن ذكر الأحاديث الدالة على التحريم، قال: إنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، أو ليدفع عن نفسه ظلمًا، فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام، أبطل بها حقًا، أو دفع بها ظلمًا، والرائش: هو الوسيط بالرشوة، تابع للراشي في قصده إن قصد خيرًا لم تلحقه اللعنة، وإلا لحقته^(١). اهـ

وصور الرشوة كثيرة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فمنها أنها تكون في الحكم فيقضى من أجلها لمن لا يستحق، أو يمنع من يستحق، أو يُقَدَّمُ مَنْ غَيْرُهُ أَحَقُّ بالتقديم، وتكون الرشوة في تنفيذ الحكم فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراضي في التنفيذ، أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة، والرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها فيُقَدَّمُ من أجلها من لا ينجح، أو تُعطى له الأسئلة

(١) «الكبائر» للذهبي (ص ١٣١)، بتصرف.

قبل الامتحان فيؤلى الوظيفة مَنْ غَيْرُهُ أَحَقُّ مِنْهُ، وأغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم والثقافة، فينجح من أجلها من لا يستحق النجاح، أو تقدم له أسئلة الامتحان، أو يشار إلى أماكنها من المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها، فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه العلمي ويتأخر من هو أحق منه لقوة مستواه العلمي، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال جمع من المفسرين: الأمانة كل ما ائتمن عليه المؤمن، ومن الأمانة أن يولى الأجر والأحق بالوظيفة. اهـ

والرشوة تكون في تنفيذ المشاريع فحينما يأتي مشروع، وتعمل مناقصة فيدفع أحدهم رشوة فيحصل على هذا المشروع مع أن غيره أتقن منه عملاً وأقل سعراً، والرشوة تكون في التحقيقات الجنائية، أو الحوادث، أو غيرها فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة^(١) اهـ، أو يُعين مسئول في موقع ما فيأخذ هدية مقابل أن يسهل على صاحبها بعض الأمور، أو يقدمه على غيره، أو يعفيه من بعض الالتزامات، أو غير ذلك، وهذا غلول ورسوة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِنْ حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّتْبِيَةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِي

(١) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» (٤/٤٤٥-٤٤٦)، بتصرف.

لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ سُفْيَانُ أَيُّضًا: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خَوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ؛ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ثَلَاثًا» (١).

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ (رضي عنه) لِيُخْرِصَ نَخْلَ يَهُودِ خَيْبَرَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ شَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِدَّةَ خَرْصِهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَرِشُوهُ فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ أَتَطْعُمُونِي السُّحْتَ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَنْتُمْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ، وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر (رضي عنه) أَنَّهُ قَالَ: أَفَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧١٧٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٣٢).

(٢) «صحيح السيرة النبوية» للشيخ إبراهيم العلي (ص ٤٥٠).

فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا، فَأَخْرَجُوا عَنَّا^(١).

وتأمل هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم حبيبة بنت العرْبَاضِ عَنِ أَبِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْخُذُ الْوَبْرَةَ مِنْ فِيءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: «مَا لِي مِنْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ مَا لِأَحَدِكُمْ إِلَّا الْخُمْسُ، وَهُوَ مَرْدُودٌ فِيكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ فَمَا فَوْقَهُمَا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ، فَإِنَّهُ عَارٌّ وَشَنَارٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

والواجب أن لا يُعطى المرتشي شيئاً فهو يأخذ أجرة من بيت المال وهو أمين على عمله، وقد وضع لخدمة الناس، وإعطائه الرشوة من التعاون على الإثم والعدوان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. ومن صورها: أن تكون على شكل هدية في الظاهر وهي رشوة كموظف يُهدي لرئيسه من أجل ترقيته، أو محاباته على حساب العمل، أو طالب يهدي لمعلمه من أجل إنجاحه، وأهل البلد يهدون لقاضيهم من أجل الحكم لهم^(٣).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/ ٢١٠) (برقم ١٤٩٥٣)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٨/ ٣٨٥) (برقم ١٧١٥٤)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) «حصاد المحابر من خطب المنابر» للشيخ سعد الحجري (ص ٦٨٧-٦٨٨).

والرشوة من صفات اليهود والنصارى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]. والأحبار علماء اليهود، والرهبان عبّاد النصارى.

من مفسد الرشوة:

أولاً: أنها مال سحت على صاحبها لا بركة فيه، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»^(١).

ثانياً: أنها إفساد للمجتمع حكماً ومحكومين.

ثالثاً: تبطل حقوق الضعفاء وتشر الظلم.

رابعاً: الراشي والمرتشي كلهم ملعونون عند الله ورسوله.

خامساً: الرشوة في تولي القضاء، والوظائف العامة، تفسد المجتمع وتشر الفساد.

سادساً: الرشوة في أمور الجند تجعل الكفاءة فيهم غير معتبرة، ويؤول الأمر إلى أن يتولى الدفاع عن البلاد من هم غير أهل لذلك فتحقيق بهم الهزيمة ويلحق العار البلاد بأسرها.

سابعاً: أن الرشوة إذا فشت في جهة من الجهات انتشرت في بقية الجهات، وصار على من عمل بها أولاً وزرها ووزر من عمل

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٤٢٥) (برقم ١٥٢٨٤)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

بها مقتدياً به إلى يوم القيامة.

ثامناً: فقد الأمانة، وفشو الخيانة فلا يأمن الإنسان على نفسه،
ولا ماله، ولا أهله.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الرابعة بعد المئة

مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن
عبد الله بن عباس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة المسلمين، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

وُلِدَ ﷺ بِشَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ ^(١) قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَتَوَفَّى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَقِيلَ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً، كَانَ وَسِيمًا جَمِيلًا، مَدِيدَ الْقَامَةِ، مَهِيْبًا، كَامِلَ الْعَقْلِ، زَكِي النَّفْسِ، مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ، وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ»، وَقَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، وَرَوَى عَنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَهُ مَفْرَدَاتٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ لِاتْسَاعِ عِلْمِهِ، وَكَثْرَةِ فَهْمِهِ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ، وَنَبْلِ أَصْلِهِ، وَلَهُ قَرَابَةٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ، إِنَّهُ تَرْجِمَانُ الْقُرْآنِ وَحَبْرُ هَذِهِ

(١) وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم، لما تحالفت قريش على بني هاشم.

الأمة والمفسر لكتاب الله، فقيه العصر أبو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وهو والد الخلفاء العباسيين، وهو أحد إخوة عشرة ذكور للعباس من أم الفضل وهو آخرهم مولدًا، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد من الآخر جدًّا.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي، - شَكَ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّوِيلَ»^(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلِنَسْأَلِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: يَا عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فِيهِمْ؟ قَالَ: فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ أَنَا أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ كَانَ لِيَبْلُغَنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أُرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتَيْكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتَيْكَ. قَالَ: فَاسْأَلْهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٢٢٥) (برقم ٢٣٩٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

رَأَيْتُ وَقَدْ اجْتَمَعَ حَوْلِي النَّاسُ يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: هَذَا الْفَتَى كَانَ
أَعْقَلَ مِنِّي (١).

وَتَبَّتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ
أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ (٢)، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَنَّهُ تَلَا: ﴿إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٩٨]، قَالَ: كُنْتُ أَنَا
وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ (٣).

وَهَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ قَبْلَ الْفَتْحِ فَاتَّفَقَ لِقْيَاهُمَا النَّبِيُّ صلوات الله وسلامه بِالْجَحْفَةِ
وَهُوَ ذَاهِبٌ لِفَتْحِ مَكَّةَ فَشَهِدَ الْفَتْحَ وَحَنِينًا وَالطَّائِفَ عَامَ ثَمَانَ
وَقِيلَ: كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَحِجَّةِ الْوُدَاعِ سَنَةَ عَشْرٍ، وَصَحِبَ النَّبِيَّ صلوات الله وسلامه
مِنْ حِينِئذٍ وَلِزْمِهِ، وَأَخَذَ عَنْهُ وَحَفِظَ، وَضَبَطَ الْأَقْوَالَ، وَالْأَفْعَالَ،
وَالْأَحْوَالَ، وَأَخَذَ عَنِ الصَّحَابَةِ عِلْمًا عَظِيمًا مَعَ الْفَهْمِ الثَّاقِبِ،
وَالْبَلَاغَةِ، وَالْفَصَاحَةِ، وَالْجَمَالَ وَالْمَلَاحَةَ، وَالْأَصَالَ، وَالْبَيَانَ (٤).

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ:
«كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ،
فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ
عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ
إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٥٨٧).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٤٥٨٨).

(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨١).

اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ، ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٢﴾، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ ﴿١﴾.

وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ لِعُمَرَ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: ذَاكُمْ فَتَى الْكُهُولِ؛ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَوْوَلًا، وَقَلْبًا عَقُولًا ﴿٢﴾.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ: يَا بُنَيَّ! إِنَّ عُمَرَ يُدِينِكَ، فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تُفْشِينَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ﴿٣﴾. قَالَ الشَّعْبِيُّ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ.

قال ابن كثير: وقد استنابه علي بن أبي البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة، وفسر فيها سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، قال من سمعه: فسر ذلك تفسيرًا لو سمعته الروم، والترك، والديلم لأسلموا، ويقول عن نفسه: إِنَّ كُنْتُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٧٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٦).

لَأَسْأَلَ عَنِ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

قال طاووس: ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمة الله من ابن عباس، وقال أبو رجاء: رأيت ابن عباس، وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

قال الواقدي: حدثني داود بن جبير قال: سمعت ابن المسيب يقول: ابن عباس أعلم الناس، وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم من سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر، وعمر، وعثمان منه، ولا أفاقه في رأي منه ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ولا أعلم بما مضى ولا أثبت رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً، ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سألته إلا وجد عنده علماً، قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً.

وقال مجاهد: كان ابن عباس يُسَمَّى البحر لكثرة علمه، وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً، ولا أعظم هيبه، أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه،

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٩٠).

وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في واد واسع.
وقال مغيرة عن الشعبي: قيل لابن عباس: إني أصبت هذا العلم قال: بلسان سئول، وقلب عقول.

ومن أقواله ووصاياه العظيمة رضي الله عنه: أن رجلاً يقال له: جندب؛ قال له: أوصني، قال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتية بعد ذلك مقبول، وإلى الله مرفوع، إنك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصل صلاة مؤدع، وأصبح في الدنيا كأنك غريبٌ مسافرٌ فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شسع نعلك، وكان قد فارقتهَا وصدرت إلى عدل الله، ولكن تتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلماتٍ خيرٍ من الخيل الذهب ^(١)، قال: لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً، ولا تمارين سفيهاً، ولا حلماً فإن الحلیم يعلبك، والسفيه يزدريك، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. فقال رجل عنده: يا ابن عباس، هذا خيرٌ من عشرة آلاف، فقال ابن عباس: كلمةٌ منه خيرٌ من عشرة آلاف.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره،

(١) خيل دهم وجيش دهم، يعني: كثير.

يَعْنِي: أَنْ تُعَجِّلَ الْعَطِيَّةَ لِلْمُعْطَى، وَأَنْ تَصْغُرَ فِي عَيْنِ الْمُعْطِي، وَأَنْ تَسْتَرَّهَا عَنِ النَّاسِ فَلَا تُظْهِرُهَا؛ فَإِنَّ فِي إِظْهَارِهَا فَتْحَ بَابِ الرِّيَاءِ، وَكَسَرَ قَلْبِ الْمُعْطَى، وَاسْتِحْيَاءَهُ مِنَ النَّاسِ.

وَقَالَ: أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيَّ جَلِيسٌ لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا يَقَعَ الذُّبَابُ عَلَيَّ وَجْهَهُ لَفَعَلْتُ، وَقَالَ أَيْضًا: لَا يُكَافِيُنِي مَنْ أَتَانِي يَطْلُبُ حَاجَةً فَرَأَيْتُ لَهَا مَوْضِعًا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَا رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ، أَوْ أَوْسَعَ لِي فِي مَجْلِسٍ، أَوْ قَامَ لِي عَنِ الْمَجْلِسِ، أَوْ رَجُلٌ سَقَانِي شَرْبَةَ مَاءٍ عَلَيَّ ظَمًا، أَوْ رَجُلٌ حَفِظَنِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ.

قال عبد الله بن بريدة: شتم رجل ابن عباس فقال: إِنَّكَ لَتَشْتُمْنِي وَفِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِنِّي لَأَتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَوَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ عَلِمُوا مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَعْلَمُ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَقْضِي بِالْعَدْلِ، فَأَفْرُحُ بِهِ، وَلَعَلِّي لَا أَقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ يُصِيبُ الْأَرْضَ مِنْ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرُحُ بِهِ، وَمَا لِي بِهَا مِنْ سَائِمَةٍ أَبَدًا.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؟ فَقَالَ: كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُمَطَّرُ، وَالْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ، فَفَتَقَ هَذِهِ بِالْمَطَرِ، وَهَذِهِ بِالنَّبَاتِ.

وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَنَحَلَ جِسْمَهُ، فَلَمَّا أُصِيبَتْ الْأُخْرَى عَادَ إِلَيْهِ لَحْمُهُ فَقِيلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَصَابَنِي مَا رَأَيْتُمْ فِي الْأُولَى

شَفَقَةً عَلَى الْأُخْرَى، فَلَمَّا ذَهَبَتَا اطْمَأَنَّ قَلْبِي.

رَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ وَقَعَ فِي عَيْنِهِ الْمَاءُ، فْقِيلَ لَهُ: نَنْزِعُ مِنْ عَيْنِكَ الْمَاءَ، عَلَى أَنَّكَ لَا تُصَلِّي سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: نُزِيلُ هَذَا الْمَاءَ مِنْ عَيْنِكَ عَلَى أَنْ تَبْقَى خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا تُصَلِّي إِلَّا عَلَى عُوْدٍ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَّا مُسْتَلْقِيًا، فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ وَلَا رَكْعَةً وَاحِدَةً، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. وَقَدْ أَنْشَدَ الْمَدَائِنِيُّ لِابْنِ عَبَّاسٍ حِينَ عَمِيَ:

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا فِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسِّيفِ مَأْثُورُ

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ، وَقَالَ: مَاتَ الْيَوْمَ حَبْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ بِسَنَدِهِ إِلَى سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَجَاءَ طَيْرٌ لَمْ يَرِ عَلَى خَلْقِهِ فَدَخَلَ نَعْشَهُ^(١)، ثُمَّ لَمْ يَرِ خَارِجًا مِنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ تَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، مَا يُدْرَى مَنْ تَلَاهَا^(٢): ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ ۗ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي

(١) فكانوا يرون أنه علمه.

(٢) «المعجم الكبير» (١٠/٢٣٦) (برقم ١٠٥٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٨٥): ورجاله رجال الصحيح.

إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].
قال الذهبي: فهذه قضية متواترة^(١).

قال ابن كثير: وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ مَاتَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، رضي الله عن ابن عباس، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٣١-٣٥٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٨٧-١١١).

الكلمة الخامسة بعد المئة

مخاطر الابتعاث وضوابطه

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الأمور التي ابتليت بها أمة الإسلام في هذه الأيام، ابتعاث أبناء وبنات المسلمين إلى بلاد الكفار للدراسة دون مراعاة الضوابط الشرعية التي ذكرها أهل العلم، وما يتضمن هذا الابتعاث من المخاطر والمفاسد الشرعية الكثيرة التي يجب على العلماء، وطلبة العلم والدعاة التنبيه عليها وتحذير الناس منها، مع العلم أنه قد كتب جمع من علماء الإسلام ودعاته من مختلف البلاد الإسلامية محذرين من الابتعاث ومخاطره على الدين والأخلاق.

وحيث إن الموضوع واسع لمن أراد الكلام فيه، فسيقتصر حديثي على ذكر المخالفات الشرعية المترتبة على الابتعاث مع إلحاق فتوى هيئة كبار العلماء في ذلك، فمن تلك المفاسد المترتبة على الابتعاث:

أولاً: إضعاف عقيدة الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين والعداوة للكافرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأمر الله بالهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد الإسلام، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهрани المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكباً حراماً بالإجماع» (١).

روى الترمذي في سننه من حديث جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَأَى نَارَهُمَا» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين، أو الإقامة بين ظهرايينهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلتة الشرعية يستطيع الدعوة إليه، والذب عن الشبه التي ترد عليه، ويقوم بأداء الواجبات الشرعية» (٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٢٢٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١١٩/٢) (برقم ١٣٠٧).

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (٤/١٩٨).

ثانياً: اعتناق النصرانية، والردة عن الإسلام، وهذا من أخطر وأشد المخالفات الشرعية في الذهاب إلى هناك، وللأسف أنه قد حصلت حالات ردة من بعض المبتعثين هناك، وذكرت بعض الصحف الالكترونية أن ثلاثين من المبتعثين من بلاد الجزيرة قد ارتدوا عن الإسلام، ودخلوا في النصرانية، وهذا العدد من تم تعميدهم رسمياً في الكنيسة، أما من لم يتم تعميدهم في الكنيسة، فقد يزيد عن هذا العدد.

وقد ذكر الشيخ المحدث أحمد بن محمد شاكر: أن كثيراً من المبتعثات ممن سافرن إلى بلاد الكفر، والإلحاد في زمانه ارتددن عن دينهن، وتزوجن برجال من أمريكا، أو أوروبا من اليهود والنصارى^(١).

ثالثاً: كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش، والمحرمات وخاصة فتنة النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٢).

وَقَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»^(٣). لا سيما وأن الدراسة مختلطة في بلاد الكفار.

(١) التعليق على «مسند الإمام أحمد» (٦/٢٨٢). نقلاً عن كتاب «الابتعاث: تاريخه وآثاره»، للدكتور عبد العزيز البداح (ص ٣٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٤٠).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧٤٠).

وقد نَشَرَتِ الصُّحُفُ الإِلِكْتِرُونِيَّةُ شَكْوَى بَعْضِ النِّسَاءِ الْمُبْتَعَثَاتِ مِنْ مِضَايِقَةِ الرِّجَالِ لِهِنَّ، فَبَعْضُهُنَّ يَرْجِعُ الْمَحْرَمَ الَّذِي سَافَرَ مَعَهَا، وَتَبْقَى هَذِهِ الْمَسْكِينَةُ لَوْحَدَهَا فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ تَتَعَرَّضُ لِلْفِتْنَةِ، وَالْإِغْرَاءِ، فِإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكِي.

كَمَا نَشَرَتِ بَعْضُ الْمَوَاقِعِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ صُورًا جَمَاعِيَّةً لِبَعْضِ الْمُبْتَعَثِينَ وَالْمُبْتَعَثَاتِ: مِنَ الشَّبَابِ وَالْفَتَيَاتِ، وَهُمْ فِي أَوْضَاعٍ مُخْتَلِطَةٍ، وَالْمُبْتَعَثَاتُ فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا: مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ؛ مِمَّا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ، وَيَتَفَطَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ كَمَدًّا وَحَسْرَةً، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

رابعًا: أن المسافر هناك لا يسلم من انحراف عقدي، أو خلقي، أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد، والتبرج، والخلاعة، وتباع فيها الخمور علناً، وتوجد فيها أماكن للبغياء في الطرقات في ذاكرته وكفى بها مفسدة.

خامسًا: تأثر المسلم بالكثير من تقاليد الكفار، وعاداتهم السيئة، وهذا يؤدي إلى التشبه بهم، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

سادسًا: التعود على عدم الاكتراث بالدين، وعدم الالتفات لأدابه وأوامره، ونواهيها.

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (١٢٣/٩)، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥٠٩/١٥): إسناده صالح.

سابعًا: أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١). إلى غير ذلك من المفاسد.

وقد صدر قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية برقم ٨٨ في ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ وهذا نصه:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثامنة عشرة المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من يوم ٢٩ / ١٠ / ١٤٠١ هـ إلى نهاية يوم الأربعاء الموافق ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ استعرض بعض ما استهدفت به الأمة الإسلامية عامة من بث للمذاهب الهدامة، والمبادئ الأخلاقية المنحرفة، وما قصدت به شبيبة الدولة السعودية خاصة، وما أريد لها من انحراف في الأخلاق، والعقيدة لما لهذه الدولة، وشعبها من مكانة عالية في نفوس الشعوب الإسلامية، ولما هي

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٤٩).

عليه من التمسك بعقيدة الإسلام الصافية، والتخلق بآدابه النبيلة، ولأن شعب هذه البلاد ركيزة الإسلام، فإذا أُفسدوا سهل إفساد سواهم، وقد استعرض المجلس وسائل أعداء الإسلام في إفساد الشبيبة، واستمع إلى شرح كثير من الوقائع، واستعاد استعراض بعض ما سبق أن أبداه في مجال إصلاح وسائل الإبقاء على كيان الأمة، وحماية شبابها من التفسخ، والانحلال والانحراف الفكري.

ونظرًا لأن أعظم أسباب انحراف الشباب في مسالك الرذيلة، والوقوع في شرك أعداء الإسلام، والتنكر لما عليه أمتنا في عقيدتها، وأخلاقها، وعاداتها والانقلاب على أوضاعها الإسلامية، ومعاداة سلطاتها، والنظر إليها بالازدراء والوقوف موقف العداء إرسالهم في حال طراوتهم، وخلو أنفسهم من الحصانة الدينية بمبادئ الشريعة، وعدم التسلح بالعلم لمواجهة التيارات الفكرية، والخلقية المتربصة بهم، وإخراجهم من جوهم الإسلامي قبل بلوغهم المرحلة التي يصعب فيها على أعداء الإسلام إغراؤهم، وتحويلهم إلى أعداء لأمتهم، ودينهم، وولاية الأمر في بلادهم.

ولقد ذكر للمجلس - إضافة إلى ما سبق له معرفته - حوادث أليمة، وقضايا مزعجة، سببها خروج الشباب المتوقد حيوية، وفتوة، وقوة من جو محتشم محافظ على قيمه، وعفته إلى جو مملوء بالإغراء مشبع بالانحلال يتصيد مجتمعه شباب المسلمين عن قصد وتعمد، فيدفعهم إلى إشباع رغباتهم الجنسية، وإمتاع نفوسهم بشهوات خبيثة دفعًا عنيفًا، ويسلط عليهم أنواعًا من

الإغراء، ويحاول تشكيكهم بدينهم، وتضخيم عيوب السياسة في أوطانهم، فإن وجدهم بوضع من التأهيل العلمي الشرعي بحيث يتعسر عليه انحلالهم وتشكيكهم، التمس إبراز عيوب حكوماتهم، وابتعادها عن أحكام الإسلام إلا من شاء الله، واختلاق عيوب غير موجودة، واستغل حماسة الشباب المتدينين لدينهم ليتوجهوا إلى التطرف فيخرجوا بأنفسهم عن العمل الإصلاحي إلى عمل تفريق الأمة، وزعزعة كيانها، وتفريق صفها، والعمل على قلب أنظمة الحكم فيها، ونظرًا لأن ولاة الأمر هم الأمناء على الأمة وعليهم مسئولية الأخذ بأيدي الناس إلى الوجهة السليمة، وإصلاح ما يرونه خطرًا على أمن البلاد، ودينها، ولأن الشباب هم ركيزة الأمة، ورجال غدها، وحراس كيانها، فجدير أن يحتاط لهم بكل ما يمكن من السعي في دفع أسباب انحرافهم، وجلب ما يصلحهم، ومن القواعد الشرعية الهامة أن دفع المفسد مقدم على جلب المصالح، ولأن كثيرًا ممن يخرجون من البلاد للدراسة في بلاد الغرب يفاجؤون بحضارة صاخبة، ومفانن منتشرة، وفتن متعددة، فتن الجنس، والشراب، والتشكيك، وقل أن يعود الطالب إلا وفي نفسه ما فيها من تأثير بما رأى، وسمع، ومارس، كل على حسب حاله ونظره للأمر فيعود وقد احتقر أوضاع بلاده، وأحب ما عليه أهل تلك البلاد من انطلاق بلا حدود، ولا قيود، ومن تقدم في ميدان العلوم العصرية بمختلف أنواعها مع غفلتهم عما عليه أولئك من بُعد عن الأخلاق، والشيم، والعفة، والحياء، واستمتاع

بكافة ما تريده الأنفس المنحلة بلا رقيب، ولا محاسب، فيكون هذا الطالب قد جلب على وطنه، وأمته، شرًّا، وجر عليهم بلاءً، ودمارًا، وصار داعية سوء، ومعول هدم للأخلاق، والقيم.

ونظرًا لأن البلاد بحمد الله قد توافر فيها التعليم في كافة مراحلها ولا تفتقر إلا إلى بعض التخصصات العلمية العصرية؛ ولأن ولي الأمر عليه أن يدل رعيته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم؛ ولأن النساء يخرجن إلى الغرب يرين ما عليه النساء هناك من التهتك، والعري، والعلاقات بالرجال الأجانب، ولو كن ذوات أزواج مع ما يحصل من اختلاط في الدراسة لمن رغبت منهن في دراسة عامة أو خاصة، أما اللاتي لم يتزوجن وإنما ذهبن للدراسة فالعلاقة بين الطالب والطالبة هناك أمر غير مستنكر، ولا مستغرب، تزوره، ويزورها، وقد حدثت أمور لا يرضى الله عنها، ولا رسوله، وإذا كان سفر المرأة بدون محرم محرماً ومعصية لله عز وجل، ولو كان لحج بيت الله الحرام، فكيف بسفر يفضي إلى اختلاط وخلوات، وشرور لا نهاية لها.

ولهذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى أن النصح لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم يقضي بأن يتخذ ولاة الأمر وفقهم الله لإرضاء الله سُبْحَانَهُ، وحماية عباده من الفساد، وحماية هذه الأمة من التفكك ما يلي:

١- منع ابتعاث البنات للخارج منعاً باتاً لا استثناء فيه، ومن كانت متجاوزة مرحلة الدراسة العالية وفي تخصصها مصلحة

محققة للأمة، فإن على الدولة وفقها الله تهيئة الوسائل اللازمة لذلك في داخل المملكة، وقد منحها الله سبحانه إمكانيات مادية يسهل معها بإذن الله كل صعب؛ لأن سفر المرأة للدراسة في الغالب تربو مفسده على مصالحه، ودفع المفسد مقدم على جلب المصالح، ويتعين عدم السماح لأي إنسان أن يبعث بنته، أو من له عليها ولاية للدراسة في الخارج، سواء في البلاد المجاورة، أو بلاد الغرب، ولو على حسابه الخاص؛ لأن الأخذ على يد مثل هؤلاء فيه نجاة الجميع، كما في حديث: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ...» الحديث^(١).

٢- عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين والعسكريين على حساب الدولة، أو على الحساب الخاص إلا بعد مرحلة الجامعة، وبعد الزواج، والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته، ويعرف عقيدة السلف، والمذاهب الهدامة والمنحرفة، ويعرف زيفها لئلا يسهل صده عن دين الله.

٣- عدم إرسال أي شخص للتخصص في أعمال نظرية كالإدارة واللغات، والاقتصاد، ونحوها، أما في علوم الإسلام وتاريخه فيجب منعه في كل مرحلة، وأن يعاقب من أرسل أولاده للدراسة، وأن لا تعتبر شهادته في البلاد.

٤- يجب إجراء تحريات كاملة عن كل شخص يراد ابتعاثه

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٩٣).

للتخصص لِيُعرَفَ مدى حفاظه على دينه، وأخلاقه، وثباته على ولائه لدولته، وإعطاؤه دورة يدرس فيها أحوال تلك البلاد التي سوف يذهب إليها.

٥- أن يقتصر في التخصصات على ما لا يمكن حصوله في البلاد كعلوم بعض الصناعات التي لا يوجد لها نظير في بلادنا كعلوم الذرة، ومتى أمكن جلبها إلى البلاد وجب ذلك حتى يستغنى عن الابتعاث.

٦- عدم تمكين أي جهة حكومية، عسكرية كانت أو مدنية، وأية مؤسسة حكومية، أو تجارية، بابتعاث منسوبيها سواء لدورات دراسية، أو لدراسة نظامية لنيل شهادة إلا عن طريق جهة الاختصاص في التعليم بعد توافر الشروط للتخصص وصفة المبتعث، وسنه، وأن يكون حسن السيرة معروفاً بالعقل الراجح.

٧- أن يجلب كل من لا تتوفر فيه الشروط السابقة، ويعاد لإكمال دراسته في الداخل، سواء من كان على حساب نفسه وذويه، أو على حساب الحكومة، أو إحدى المؤسسات.

٨- يوكل إلى جهة حق الرقابة على مخالفة ما تقدم، وجعل مخبرين في السفارات، والملحقيات التعليمية، لترفع تقاريراتها عن كل مخالفة، وتعمد وزارة التعليم العالي، وجميع الوزارات، والمصالح، بإبلاغ الجهة المختصة عن كل مخالفة، وإذا تم ذلك على الوجه المطلوب حصل به إن شاء الله الخير العظيم للأمة في

دينها، وديناها، والسلامة في عقيدتها، وأخلاقها، والله الموفق.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

رئيس الدورة:

عبد الله خياط

عبد العزيز بن صالح

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عبد الله بن محمد بن حميد

محمد بن علي الحركان

سليمان بن عبيد

راشد بن خنين

عبد الرزاق عفيفي

إبراهيم بن محمد آل الشيخ

محمد بن جبير

صالح بن غصون

عبد الله بن غديان

عبد الله بن قعود

عبد المجيد حسن

صالح بن لحيدان

عبد الله بن منيع

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة بعد المئة

مجالس الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»^(١).

قال القاضي عياض: ومعنى «قِيلَ وَقَالَ»: الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعني من أحوالهم؛ قيل: كذا، وقال فلان: كذا، فقيل: كذا، وعلى هذا نقول^(٢).

وهذا الحديث ينطبق على طائفة من الناس ليس لهم شغل إلا الحديث عن الناس، وأحوالهم، والتفاصيل الدقيقة في ذلك، والذي يتأمل في مجالس الناس واجتماعاتهم، يجد أن الكثير منها يتحدثون فيه بشتى الموضوعات، فمن السياسة إلى الاقتصاد إلى المسائل الشرعية التي لا يصلح أن يتكلم فيها إلا كبار العلماء، إلى الخوض في أعراض الناس، إلى نقل الشائعات والنكت المكذوبة،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٩٣).

(٢) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٥/٥٩١).

إلى التفصيل في أحوال الناس ومعيشتهم، فلان طلق زوجته، فلان طرد من وظيفته، فلان خسر في تجارته، وهكذا يذهب الوقت في قيل وقال.

ولا شك أن ما سبق يوقع المسلم في عدد من المخالفات الشرعية، فمن ذلك:

أولاً: أن هذا من لغو الكلام الذي ينبغي الإعراض عنه والاشتغال عنه بما يفيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «ذكر بَجَلٌ وَعَبَلٌ في هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين إعراضهم عن اللغو وأصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل وما توجب المروءة تركه».

وما أثنى الله به على المؤمنين المفلحين في هذه الآية أشار له في غير هذا الموضع كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوْا لَهُ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. ومن مرورهم به كراماً: إعراضهم عنه وعدم مشاركتهم أصحابه فيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]^(١).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات ينقسمون أقساماً ثلاثة، أحدهما: من لا يبالي فيما أنفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق إلى

(١) «أضواء البيان للشنقيطي» (٥/ ٨٢٧-٨٢٨).

لسانه غير محقق نصر حق، ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس. والثاني: أن يتكلم ناصرًا لما وقع في نفسه أنه حق، ودافعًا لما توهم أنه باطل، غير محقق لطلب الحقيقة، لكن لجأً فيما التزم، وهذا كثيرٌ وهو دون الأول. والثالث: واضح الكلام في موضعه، وهذا أعز من الكبريت الأحمر^(١).

ثانيًا: أنه ورد الترغيب من السلف الصالح في ترك ما لا يعني، وورد بذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ ضعفه بعض أهل العلم، وحسنه بعضهم: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٢).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ: لَا تَكَلِّمَنَّ فِيْمَا لَا يَعْنِيكَ، حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: مَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ شُغْلَ عَنِ النَّاسِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيْمَا يَعْنِيهِ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعُدُّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ فَيُجَازِفُ وَلَا يَتَحَرَّى، وَقَدْ خَفِيَ هَذَا عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حَتَّى سَأَلَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَنْؤَاخِذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّمُكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»^(٣).

(١) «تبويب كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم، للدكتور علي يحيى (ص ٢٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣١٧).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد نفى الله الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الفرقان: ٧٢] (١).

قال ابن رجب: «ودخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين، وقال الحسن: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، وقال سهل بن عبد الله التستري: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله ﷻ (٢). وقال عبد الله ابن مسعود: أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي شريح العَدَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (٤). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» (٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٣٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٣٩).

(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ٨٠).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٧).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (١٩/١١) (برقم ٦٤٨١)، وقال محققوه: حديث حسن.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(١).

قال الإمام النووي: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة، والسلامة^(٢) لا يعدلها شيء. اهـ

قال الشاعر:

إِنْ كَانَ يُعْجِبُكَ السُّكُوتُ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يُعْجِبُ قَبْلَكَ الْأَخْيَارَا
وَلَيْنَ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا
إِنَّ السُّكُوتَ سَلَامَةٌ وَلَرُبَّمَا زَرَعَ الْكَلَامُ عَدَاوَةً وَضِرَارًا
وَإِذَا تَقَرَّبَ خَاسِرٌ مِنْ خَاسِرٍ زَادَا بِذَلِكَ خَسَارَةً وَتَبَارًا

ثالثًا: أن هذه الأخبار التي تتناقل بين الناس ويحدث بعضهم بعضًا بها لا تسلم من الكذب والشائعات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(٣).

رابعًا: أن هذا قد يدخل في تتبع عورات المسلمين وزلاتهم،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٤٠٦)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٩/٢).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٥).

وهو أمر منهي عنه، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(١).

وقد يؤدي ذلك إلى الوقوع في الغيبة فإن الناس في الغالب يكرهون نقل أخبارهم، وأسرارهم إلا ما حسن منها، وتكلم رجل في حق رجل، فقال له صاحبه: أغزوت الروم؟ قال: لم أفعل، قال: سلم منك النصراري ولم يسلم منك أخوك المسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٢).

خامساً: أن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مَنِ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ [الزمر: ٢٢]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»^(٣)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٤).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/٣٣) (برقم ١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٢).

(٣) تِرَةٌ: يعني: حسرة وندامة.

(٤) «سنن الترمذي» (برقم ٣٣٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

سادسًا: أن هذا من إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وسيسأل المرء عن كل لحظة من لحظات حياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: ذَكَرَ مِنْهَا: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟»^(١).

الخلاصة: أنه ينبغي للمؤمن أن يكون جادًا في حياته، حافظًا لوقته، مشغولًا بما ينفعه، كما ورد في الحديث: «أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ»^(٢)، وأن يكون بعيدًا عن سفاسف الأمور، مترفعًا عن الرذائل، وحوارم المروءة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

الكلمة السابعة بعد المئة

مواقف مؤثرة

من سيرة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وإمام من أئمة الدين، نصر الله به السنة، وقمع به البدعة.

ولد رَحِمَهُ اللهُ بغزة وهي مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر جنوب فلسطين سنة (١٥٠هـ) من شهر رجب، واشتهر بالذكاء والحفظ منذ صغره، يقول عن نفسه: كنت في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: لا يحل لي أن آخذ منك شيئاً، واستمر على ذلك، حتى جمع القرآن وهو ابن سبع سنين.

نشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة فتحولت به إلى مكة وهناك تعلم العربية، والشعر، ثم حُبب إليه الفقه فساد أهل زمانه، وصنف التصانيف العظيمة في الفقه، وأصوله، والأنساب، والأدب وغيرها.

إنه إمام الدنيا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن

شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلب الشافعي المكي الغزي المولد نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، كان أبيض جسيماً، طويلاً جميلاً مهيباً يخضب بالحناء مخالفة للشيعة، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيماً، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «ما أحد مس بيده محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في رقبتة منة، ولولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث، وكان الفقه مقفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي».

وقال أيضًا عندما سأله ابنه فقال له: يا أبت أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر الدعاء له، فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض.

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحوًا من أربعين سنة وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١)، قال: فعمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لما نظرت الرسالة للشافعي

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٢٩١)، وصححه ابن حجر والعراقي. كما في «سنن أبي داود» (ص ٤٦٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٣٥).

أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل، فصيح نصيح، فإني أكثر الدعاء له، وما ظننت أن الله خلق مثل هذا الرجل».

وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي: «لشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، من شرف نسبه، وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظه الكتاب والسنة، وسيرة الخلفاء، وحسن التصنيف، وجودة الأصحاب والتلامذة، مثل أحمد ابن حنبل في زهده وورعه وإقامته على السنة».

وكان الشافعي يقول: «العلم علمان: علم الدين وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعيب، وأنشد يقول:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأُسُ الشَّيَاطِينِ»

وسئل: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان، فقيل له: فكيف حرصك؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

سَأَضْرِبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا أَنْأَلُ مُرَادِي أَوْ أَمُوتُ غَرِيبًا

فَإِنْ تَلَفَتْ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ سَلِمَتْ كَانَ الرَّجُوعُ قَرِيبًا

وكان يقول: «قراءة الحديث خير من صلاة التطوع، وطلب العلم أفضل من صلاة النافلة». وكان يقول: «من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه». وقال: «وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأُوجِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمَدُونِي».

وقال أيضًا: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي، وَإِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ.

وكان من العباد الزهَّاد، قال الربيع بن سليمان: «كان الشافعي قد جزأ الليل، فثلثه الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام، وكان يختم القرآن في كل رمضان ستين ختمة، وفي كل شهر ثلاثين ختمة».

ومن أقواله العظيمة: «العلم ما نفع وليس العلم ما حفظ». وقال: «ما شبت منذ ست عشرة سنة إلا مرة، فأدخلت يدي فتقيأتها؛ لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف العبادة». وقال: «لا يكمل الرجل إلا بأربع: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة». وقال: «العاقل من عقله عقله عن كل مذموم». وقال: «من لم تعزه التقوى فلا عز له». وقال: «وما فزعت من الفقر قط، طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد».

وقيل له: ما لك تكثر من إمساك العصا، ولست بضعيف؟ قال: لأذكر أني مسافر، وقال: من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا، وقال: الخير في خمسة: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، والتقوى، والثقة بالله، وقال: اجتناب المعاصي، وترك ما لا يعينك ينور القلب، عليك بالخلوة وقلة الأكل، وإيالك ومخالطة السفهاء، ومن لا ينصفك.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا تكلمت فيما لا يعينك ملكتك الكلمة ولم تملكها، وقال: المروءة أركان أربعة: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك، وقال أيضاً: والتواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة».

وقال أيضاً: إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله.

آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة.

وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله.

وهذه الأقوال السابقة تدل على كمال عقله وفصاحته، فقد كانوا يعدونه من عقلاء الرجال.

قال الذهبي: «لا نلأم والله على حب هذا الإمام؛ لأنه من رجال

الكمال في زمانه». فرحم الله الشافعي، وأين مثله في صدقه، وشرفه، ونبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه، وقال الربيع بن سليمان: «لو وزن عقل الشافعي بنصف عقل أهل الأرض لرجحهم، ولو كان من بني إسرائيل لاحتاجوا إليه».

وكان رَحِمَهُ اللهُ كريماً يُضرب به المثل مع أنه كان في أكثر حياته فقيراً، فإذا أتاه مقدار من المال أنفقه، وتصدق به على الفقراء والمحتاجين، قال الحميدي: قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار، فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها، قال أبو ثور: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال، فقلت له: لو اشتريت به ضيعة لولدك، وكان قل أن يمسك شيئاً من سماحته، فخرج ثم قدم، فسألته فقال: لم أجد بمكة ضيعة يمكنني شراؤها بمعرفتي ولكني بنيت بمنى مضرّباً يكون لأصحابنا إذا حجوا نزلوا فيه، قال أبو ثور: فرآني كأني اهتمت بذلك فأنشد:

إِذَا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمِي فَخَلَّ اللَّهُ عَنِّي يَا سَعِيدُ
وَلَا تَخْطُرُ هُمُومٌ غَدٍ بِبَالِي فَإِنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ

قال المزني: «دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وعلى الله واردًا، ما أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوِكَ سَلَمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا»

وكانت وفاته بمصر يوم الخميس، وقيل: يوم الجمعة في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة رَحِمَهُ اللهُ، وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه.

قال الربيع: «رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب»^(١).

رحم الله الشافعي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنه الدرجات العلى.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٠٠-٩٩)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٣٢-١٤٠).

الكلمة الثامنة بعد المئة

التحايل على الأحكام الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد جاء في الأخبار الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَيَكُونُ فِيهَا مَنْ يَتَّبِعُ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَيَقْلُدُهُمْ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ. ففِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟»^(١).

وقد ارتكبوا من الضلالات، وانتهاك الحرمات، ما استحقوا به غضب الله ولعنته، ومن أعظم ذلك استحلال المحرمات بالحيل وهو فعل اليهود، وقد ذكر الله عز وجل عنهم ذلك وأنهم لما حرم عليهم صيد السمك في يوم السبت جعلوا الشباك يوم السبت وأخذوه يوم الأحد فكانت عقوبتهم المسخ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٩).

وفي مسألة أخرى أخبر النبي ﷺ: أنه لما حرمت عليهم الشحوم أذابوها وباعوها وأكلوا ثمنها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»^(١). كل ذلك مخادعة لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من يخادع الله يخدعه.

قال ابن القيم رحمته الله: «ولا ريب أن من تدبر القرآن، والسنة، ومقاصد الشارع جزم بتحريم الحيل وبطلانها، فإن القرآن دل على أن المقاصد والنيات معتبرة في التصرف، والعادات، كما هي معتبرة في القربات، والعبادات، فيجعل الفعل حلالاً أو حراماً، وصحيحاً أو فاسداً، وصحيحاً من وجه وفساداً من وجه، كما أن القصد والنية في العبادات تجعلها كذلك، وشواهد هذه القاعدة كثيرة جداً في الكتاب والسنة»^(٢).

كما أخبر رضي الله عنه أنه نهاهم عن خصلتين من الضلال طالما فعلوهما وهما: كتم الحق عمن يجهله، ولبس الحق بالباطل على من يعرفه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وإن من مظاهر اتباعهم ومجاراتهم في هذه الضلالات، ما يقوم به بين الحين والآخر بعض المنافقين من بني جلدتنا من محاولات لاستحلال المحرمات

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٢٣٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٨١).

(٢) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/٥١٥).

التي ينتج عنها نشر الرذائل في المجتمع بحيل شيطانية يهودية، أو نصرانية، فإذا أرادوا نشر شيء من تلك القبائح توسلوا إلى استحلاله بأنه سيكون وفق الضوابط الشرعية هكذا يزعمون وهم في الحقيقة يكذبون، ويخادعون، وتصرفاتهم ولحن أقوالهم تدل على أنه لا اعتبار للشرع عندهم ولا لضوابطه.

برهان ذلك: أنهم لا يرجعون إلى العلماء ولا يقبلون ما يفتون به، وهؤلاء المنافقون يعلمون أنه لا يمكنهم هدم الدين الذي ينتسبون إليه ظاهراً ويعادونه باطناً مباشرة كما يعلمون أن أكبر المعاول لهدمه هو هدم الأخلاق، فيسعون إلى هدمها، ويستخدمون في ذلك أكبر معاول الهدم وأشدّها فتكاً وهي المرأة، بالسعي إلى الأخذ من خطط إبليس اللعين الذي يمدّهم بتعاليمه الخبيثة وهي كشف العورات، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧]. لذلك فإني أوجه التحذير والإنذار إلى طائفتين:

الأولى: الطائفة التي سبق وصف حالهم، أن يتقوا الله فإنهم إنما يخادعون الله، والله خادعهم، وأنه لا ينفعهم التسمي باسم الإسلام، أو العيش بين ظهрани أهله، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ تَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فلتتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وعرثكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعرثكم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا

مَأْوَانِكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَيَسَّرَ الْمَصِيدُ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

وَلَا يَغُرَّتْهُمْ إِنْفَاقُهُمْ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ، أَوْ صَدَقَةٍ عَلَى مَحْتَاجٍ، فَهَذِهِ أَمْوَالٌ أُخِذَتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ أَنْفَقُوا فِي عِدَاوَةِ رَبِّهِمْ، وَمِحَارِبَةِ دِينِهِ أَضْعَافَ ذَلِكَ كَثِيرًا، رَوَى ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا أَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلَالًا هَبَاءً مَنْشُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(١).

وَلَا يَغُرَّتْهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمْهَلَهُمْ وَلَمْ يَعْجَلْ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ وَبِمِثْلِ هَذَا اغْتَرَّ سَادَتُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: ﴿لَوْلَا يَعِدُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، قَالَ اللَّهُ: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فَيَسَّرَ الْمَصِيدُ﴾ ﴿٨﴾ [المجادلة: ٨].

الطائفة الثانية: قوم مشوا في ركاب هؤلاء وأيدوهم جهلاً، أو تجاهلاً، غفلة، أو تغافلاً، فطبقتوا تعاليمهم ومارسوا ما يملونه عليهم، وهم يقودونهم إلى مهاوي الردى، شعروا أم لم يشعروا، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الطائفتين جميعاً، الداعي والمستجيب،

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ٤٢٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣/٢) (برقم ٥٠٥).

فيما حذر الأمة منه مما يقع من الفتن في آخر الزمان فقال: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»^(١).

وما الدعوات التي نسمعها هنا وهناك من فتح دور السينما، وقيادة المرأة للسيارة، وفتح النوادي النسائية، وتأسيس المحلات التجارية، والاختلاط في مقاعد الدراسة بين الذكور والإناث، ومشاركة المرأة في الكشافة وغيرها، مما تم لهم تطبيقه أو يسعون إلى تنفيذه إلا أمثلة على خطتهم الماكرة التي يسعون من خلالها إلى إيقاع الفتنة بين ولاية الأمر وشعوبهم، بدلاً من إطفائها، والسعي إلى جمع الشمل، وتوحيد الكلمة، وتنفيذ توجيهات علماء الأمة، والالتفاف حولهم.

وهذه فتاوى العلماء في بعض ما ذكر:

بيان اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حول ما نُشر في الصحف عن المرأة^(٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فمما لا يخفى على كل مسلم بصير بدينه، ما تعيشه المرأة المسلمة تحت ظلال الإسلام، وفي هذه البلاد خصوصاً، من كرامة، وحشمة، وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي

(١) قطعة من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٧٠٨٤).

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (١٧/٢٤٤)، بتاريخ ٢٥/١/١٤٢٠هـ.

أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه في الجاهلية، وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لأداب الإسلام، من تسيب وضياع وظلم.

وهذه نعمة نشكر الله عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلا أن هناك فئات من الناس ممن تلوثت ثقافتهم بأفكار الغرب، لا يُرضيهم هذا الوضع المشرف، الذي تعيشه المرأة في بلادنا من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة، والبلاد العلمانية، فصاروا يكتبون في الصحف، ويُطالبون باسم المرأة بأشياء تلخص في:

١- هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وبقوله تعالى: ﴿وَلِيَضْرِبْنَ بِمِحْرَمٍ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقول عائشة رضي الله عنها في قصة تخلفها عن الركب، ومرور صفوان بن المعطل رضي الله عنه عليها، وتخميمها لوجهها لما أحست بالرجال، قالت: «وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ»^(١) وقولها: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا مَرَّ بِنَا الرَّجَالِ سَدَلَتْ إِحْدَانَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٦٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٧٠).

خِمَارَهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزْنَا كَشَفْنَاهُ»^(١).

إلى غير ذلك مما يدل على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة من الكتاب والسنة، ويريد هؤلاء منها أن تُخالف كتاب ربها وسنة نبيها، وتصبح سافرة يتمتع بالنظر إليها كل طامع وكل من في قلبه مرض.

٢- ويُطالبون بأن تُمكّن المرأة من قيادة السيارة، رغم ما يترتب على ذلك من مفاسد وما يُعرضها له من مخاطر لا تخفى على ذي بصيرة.

٣- ويُطالبون بتصوير وجه المرأة، ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي، ويطمع فيها كل من في قلبه مرض، ولا شك أن ذلك وسيلة إلى كشف الحجاب.

٤- يُطالبون باختلاط المرأة بالرجال، وأن تتولى الأعمال التي هي من اختصاص الرجال، وأن تترك عملها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعمون أن في اقتصرها على العمل اللائق بها تعطيلاً لها.

ولا شك أن ذلك خلاف الواقع، فإن توليتها عملاً لا يليق بها هو تعطيّلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة من منع

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٨٣٣)، وفي سنده ضعف؛ ويشهد له حَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُا قَالَتْ: كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. رواه مالك في «الموطأ» (برقم ٩٧٣)، وقال محققه: أثر صحيح.

الاختلاط بين الرجال، والنساء، ومنع خلوة المرأة بالرجل الذي لا تحل له، ومنع سفر المرأة بدون محرم، لما يترتب على هذه الأمور من المحاذير التي لا تُحمد عقباها.

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَيُؤْتِهِنَّ خَيْرَ لِهْنٍ»^(١) كل ذلك من أجل المحافظة على كرامة المرأة، وإبعادها عن أسباب الفتنة.

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على كرامة نساءهم، وأن لا يلتفتوا إلى تلك الدعايات المضللة، وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدعايات، وانخدعت بها من عواقب وخيمة، فالسعيد من وعظ بغيره.

كما يجب على ولاة الأمور في هذه البلاد أن يأخذوا على أيدي هؤلاء السفهاء، وأن يمنعوهم من نشر أفكارهم السيئة، حماية للمجتمع من آثارها السيئة، وعواقبها الوخيمة، فقد قال النبي ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٢)، وقال ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٣)، ومن الخير لهن المحافظة

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٨١ / ٨) (برقم ٤٦٥٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح. ورواه في موضع آخر (٣٤٠ / ٩) (برقم ٥٤٧١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥١٨٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٨).

على كرامتهن، وعفتهن، وإبعادهن عن أسباب الفتنة.
 وفق الله الجميع لما فيه الخير، والصلاح، وصلى الله وسلم
 على نبينا محمد وآله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو
عبد الله بن غديان	بكر أبو زيد صالح الفوزان
الرئيس	نائب الرئيس
عبد العزيز بن باز	عبد العزيز آل الشيخ
بيان المشايخ العلماء: الجبرين، والبراك، والراجحي	
في حكم الأندية الرياضية النسائية	

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد: فإن المطالبة بفتح أندية رياضية للنساء مخالفة
 ظاهرة لما جاءت به الشريعة - شريعة الله لا الشريعة الدولية - من
 أحكام قويمة فيها صيانة كرامة المرأة المسلمة عن التدنس بأخلاق
 الجاهلية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
 الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي لزوم المرأة المسلمة وإلزامها بالآداب الشرعية، سلامة
 المجتمع من شر فتنة النساء، وطهارته من شيوع الفاحشة، وأسبابها،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩].

ولا ريب أن الذين يطالبون بفتح هذه الأندية النسائية لهم نصيب من هذا الذم، والوعيد، فإن فتح هذه الأندية من أعظم الأسباب، وأوسع الأبواب لإشاعة الفاحشة، ولهذا نُحذِرُ عموم المسلمين من الانخداع بالدعايات المُضِلَّة لهذه الأندية، ونُحذِرُ أولئك المطالبين، من سخط الله وعقابه لما يتسببون فيه من شر على هذه الأمة، وما يجنونه على المرأة، والمجتمع من مفسد هذه الأندية عاجلة، وأجلة.

وإننا نذكر الجميع بالله الذي سنقدم عليه، ونقف بين يديه، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ»^(١).

ووالله الذي لا إله إلا هو: إن افتتاح هذه النوادي ليس عملاً صالحاً، بل هو حرام لما يُفْضِي إليه من المفسد المحققة، فالمرأة في كل زمان ولا سيما هذا الزمان أحوج ما تكون إلى القرار الذي أمر الله به نساء نبيه ﷺ في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

وما يُذَكِّرُ من شبهة خروج بعض النساء للرياضة بالدوران على بعض المباني هو خطأ من قلة من النساء، لا يصح أن يعالج بخطأ أعظم منه، وهو فتح أبواب واسعة لخروج المرأة في كل

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٠١٦).

نواحي المملكة.

ومعلوم أن هذه الأندية لا تحقق الرياضة إلا للمشاركة في المباريات، وهذا لا يُتاح إلا لقلّة من النساء كما هو الشأن في أندية الشباب، وسائرهن يحضر للتفرّج والتشجيع كلّ لفريقه، كما أن من المعلوم أنه لن يرتاد هذه الأندية من النساء إلا من تكون قليلة الحياء، أو عديمته.

وعلى هذا: فهذه الأندية حقيقتها ملاعب، وملاهي، وستضاف مفسد هذه الأندية النسائية، أخلاقية وأمنية إلى ما تعانيه الأمة من مفسد أندية الشباب.

هذا ويجب أن يُعلم: أن تحريم فتح هذه الأندية ليس تحريمًا لجنس الرياضة، فللمرأة أن تمارس الرياضة في بيتها بالوسائل المتاحة لها وهي كثيرة، ولها أن تُسابق زوجها في مكان خال كالبرية ونحوها كما سابق النبي ﷺ عائشة رضيها مرّتين، رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد^(١). ومن العجب أن يُجعل ذلك دليلًا على فتح الأندية.

نسأل الله أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه الخير، والصالح لهم، ولرعيّتهم، وأن يرزق الجميع البصيرة في الدين، والاستقامة عليه،

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ١٩٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٤٠/١٤٤-١٤٥) (برقم ٢٤١١٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه^(١).

الموقَّعون

عبد الرحمن بن ناصر البراك

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

رسالة من الإمام عبد الله بن حميد إلى الملك فيصل رحمهما الله

نشرت في كتاب الدرر السنوية المجلد الخامس عشر، وفيها:

ومن أهم ما يجب المبادرة إلى رفعه وإزالته، أو دفعه وعدم إقراره، هو: وجود هذه السينمات التي انتشرت في أكثر الأماكن، وما يعرض فيها من صور خليعة، وأمراض أخلاقية فتاكة، تقتل ما في الإنسان من رجولية، أو مروءة، أو ديانة، إنها والله فح نصبه لنا أعداؤنا، ليذهبوا ما فينا من حماسة أخلاقية، امتاز بها المسلمون على غيرهم، وقد أدركوا ما يريدون من كثير من أبناء المسلمين بسببها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فتاوى تحريم توظيف النساء محال بيع المستلزمات النسائية:

قال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: «إن توظيف النساء في محال بيع المستلزمات النسائية، وجعل المرأة في مواجهة الرجال تحاسب، وتبيع بلا حياء ولا خجل، تترتب عليه مصائب كثيرة

(١) «البيان» بتاريخ ١٣/٥/١٤٢٨هـ، المصدر: مكتب الشيخ عبد العزيز الراجحي.

يتحمل أوزارها التجار أصحاب هذه المحال، وأكد أن التساهل في توظيف النساء في أعمال يكن فيها في مقابلة الرجال جرم ومخالف للشرع»^(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «قرأت ما نشرته الصحف ما جاء في خطبة الجمعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - حَفِظَهُ اللهُ - من تحريم جعل المرأة موظفة في المحلات التجارية تباع المستلزمات النسائية على رواد المحلات من الرجال، وغيرهم، وتقابلهم مما يتنافى مع حشمتها وحياتها، وقد صدر سابقاً من اللجنة الدائمة للإفتاء فتوى بتحريم عمل الكاشيرات في المحلات التجارية، كما أن هذا العمل يتنافى مع القرارات الصادرة من ولاية الأمر في ضوابط عمل المرأة. وأضاف: وإذا كان أصحاب هذه المحلات بحاجة إلى عمال فليكونوا من الرجال، وهم كثيرون وبحاجة إلى العمل، والواجب التقيد بأوامر الشرع وبقرارات ولاية الأمر الموافقة لها تجنباً للفتنة ومحافظة على العفة، وفق الله الجميع لصالح القول والعمل»^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «خطبة الجمعة» بتاريخ ٦/٢/١٤٣٣هـ، المصدر: موقع المسلم.

(٢) بتاريخ ٩/٢/١٤٣٣هـ، المصدر: موقع المسلم.

الكلمة التاسعة بعد المائة

الإيمان بالرسول عليهم السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالرسول عليهم السلام، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، والرسول هم الذين أوحى الله إليهم بالشرائع وأمرهم بتبليغها، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨]. فمن قصه الله علينا وعرفناه أننا به بعينه، ومن لم يقصص علينا ولم نعرفه نؤمن به إجمالاً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ شارح الطحاوية: «وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصاً محمداً ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأول الرسل نوح ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ ۖ [النساء: ١٦٣]. يعني وحياً كإيحائنا إلى نوح والنبیین من بعده وهو وحي الرسالة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما حديث الشفاعة وفيه: «أن أهل الموقف يقولون لنوح: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١). أما آدم ﷺ فهو نبي وليس برسول.

وآخرهم، وخاتمهم، وأفضلهم محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وكل رسول كان يرسل إلى قومه، أما نبينا محمد ﷺ فقد أرسل إلى الناس جميعاً، العرب، والعجم، والجن، والإنس، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢).

والرسل درجات، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وأفضلهم الخمسة أولي العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٦٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩٢).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٥٣).

وإبراهيمَ وموسىَ وعيسىَ ابنَ مريمَ وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧]. وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والرسل ﷺ بعثهم الله جميعًا مبشرين، ومنذرين، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له هو دعوة الرسل جميعًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ولقد وصى الأنبياء بنبيهم بالثبات على الدين الصحيح حتى الممات، قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. ومكث النبي ﷺ عشر سنين يدعو إلى التوحيد في مكة قبل أن تُفرض الفرائض.

وشرائع الأنبياء مختلفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(١). العلات: هم أولاد الضرائر من صلب رجل واحد، والأمهات مختلفة، فكذلك الأنبياء دينهم واحد وهو التوحيد وشرائعهم مختلفة، شرع الله لكل أمة على لسان رسولها ما يناسبها، وأكمل الشرائع وأتمها شريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٦٥).

والأنبياء على درجة عظيمة من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ آفْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]. أبر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأوسعهم حلمًا، بر بالوالدين، وصدق في الوعد، وحلم وأناة وشجاعة، وكرم، وعفة، وحفظ للجميل، ووفاء لمعروف الآخرين، وإحسان إلى الناس، وإليك النصوص فتدبر:

قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [١٤] ﴿[مريم: ١٤]. وقال تعالى عن إسماعيل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [٥٤] ﴿[مريم: ٥٤]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (١).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [٧٥] ﴿[هود: ٧٥]. وهو أول من أضاف الضيف، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [٣٥] ﴿[الذاريات: ٢٤-٢٦]. وَسَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُ قَطِيعًا مِنَ الْغَنَمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَآتَى قَوْمَهُ فَقَالَ:

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٢).

أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ (١).
 وَيَقُولُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَيَحَازِيهِ. وَقَالَ يُوسُفُ ﷺ عِنْدَمَا رَاوَدَتْهُ امْرَأَةٌ
 الْعَزِيزِ: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾
 [يوسف: ٢٣]. وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ
 وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزُعَمَاءِ قُرَيْشٍ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ» (٢).
 وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا
 سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ١٧٩].

الأنبياء أشد الناس بلاء، وصبراً في الدعوة إلى الله، روى
 الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّهُ
 سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ،
 فَالْأَمْثَلُ» (٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من
 أممهم بما ابتلوا به من القتل، والضرب، والشتم، والحبس، فلا
 نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم
 عند الله» (٤). اهـ.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/٢٧). ورؤي في السيرة.

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) «بدائع الفوائد» (ص ٥٦٧)، بتصرف.

فهذا نبينا ﷺ ابتليَ بأنواع من البلاء، فقد شجَّ رأسه، وكسرت رباعيته، وشجر، ووضِعَ سلى الجزور على ظهره، ومات له ستة من الولد، وقُتِلَ أصحابه وأقاربه، ورُمِيَ بالحجارة، وقالوا: ساحر ومجنون، وحُوصِرَ في شعب أبي طالب سنوات حتى أكل هو وأصحابه أوراق الشجر، وأُخْرِجَ من بلده.

ونوح ﷺ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً، وجهراً، ويحياً، وزكريا، ابتلياً بالقتل، وأيوب ﷺ ابتلى بأنواع من البلاء في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، كان يذكر الله بهما ويسبح ليلاً، ونهاراً، صباحاً، ومساءً، وهذا الابتلاء لم يزد الأنبياء، والرسول عليهم السلام إلا صبراً وحمداً وشكراً^(١).

فالواجب على المؤمن الإيمان بهم، ومحبتهم، ومن كذب برسول منهم فقد كذب بجميع الرسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) [الشعراء: ١٢٣].

وجميع الرسل السابقين نسخت شرائعهم بشريعة النبي ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران: ٨٥]. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(٢).

(١) «الخطب المنبرية» د. عبد المحسن القاسم (١/ ٣٣-٣٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/ ٣٤٩) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني كما في «إرواء الغليل» (٦/ ٣٤) (برقم ١٥٨٩).

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد، بل يحكم بشريعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية^(١)، قال النووي: أي لا يقبل إلا الإسلام أو السيف^(٢).

ومما تقدم يتبين عظيم الإيمان بالرسول وأن الله أقام الحجة على خلقه بإرسالهم، نوؤمن بذلك، ونشهد به في الدنيا ويوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

كما يتبين رحمة الله تعالى بعباده بإرساله الرسل إلى كل أمة يبشرون وينذرون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. فله الحمد وله الشكر حتى يرضى، وصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته على جميع أنبيائه ورسله، نشهد أنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا لأممهم، كما نشهد ونؤمن أن أكملهم في ذلك كله هو خاتمهم وسيدهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٥).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٩٠).

الكلمة العاشرة بعد المئة

مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، ففتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، والواجب على المسلم أن يكون على علم بأخلاقه وسيرته العطرة ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد أثنى الله تعالى على خلق نبيه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤]، وقد كان ﷺ أحسن الناس خلقاً، فلم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً ولا سباباً ولا لعاناً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فيكون أبعد الناس عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، كان يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويكون في مهنة أهله، ويمشي مع الأرامل والمساكين، ويجيب دعوتهم، ويقضي حاجتهم، ولا يعيب على الخدم ولا يوبخهم، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه

قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتُهُ، وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لَمْ تَرَكْتُهُ؟ (١).

وَكَانَ يُوقِّرُ الْكِبَارَ، وَيَرْحَمُ الصُّغَارَ.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٢).

وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِعِبَادِ اللَّهِ، فَكَانَ إِذَا صَافَحَهُ الرَّجُلُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ يَدَهُ (٣).

وَكَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ (٤).

قال ابن حجر: المقصود من الأخذ باليد لازمة وهو الرفق والالقياد، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ (٥).

وَكَانَ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٠١٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأصله في الصحيحين.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٦).

(٣) جزء من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ٢٤٩٠). وقال الألباني: ضعيف، إلا جملة المصافحة فهي ثابتة (ص ٤٠٦).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٧٢).

(٥) «فتح الباري» (١٠/٤٩٠).

عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ^(١).

وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَرَدَّ طَالِبُهُ^(٢)، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ خَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ^(٣)، وَكَانَ يَمُرُّ الْهَلَالَ تَلُو الْهَلَالَ، وَمَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ^(٤).

وَبَيْتُ اللَّيَالِي طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً^(٥)، وَكَانَ يَقُولُ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا وَرَاحَ»^(٦). قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ يَلْتَوِي مِنَ الْجُوعِ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ^(٧) مَا يَمَلَأُ بَطْنَهُ^(٨). وَمَاتَ وَلَمْ يُخَلَّفْ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا سِلَاحَهُ، وَبَعْلَتَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً^(٩). وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(١٠).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣١١).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٧٦/٢٥) (برقم ١٥٩٩٧)، وقال محققوه: إسناده ضعيف؛ لكن الحديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع، واختياره لقاء ربه.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٥٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٢).

(٥) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٦٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) «سنن ابن ماجه» (برقم ٤١٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٩٤/٢) (برقم ٣٣١٧).

(٧) التمر الرديء.

(٨) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٨).

(٩) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٦١).

(١٠) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٠٣).

جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَيَّ بَعْضَ نِسَائِهِ،
فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَيَّ أُخْرَى،
فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَا كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

وَفِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ:
كَيْفَ تَصْنَعُ ذَلِكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟
فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(٢).

قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفِطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ
أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفِطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا
تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًّا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ^(٣).

وَفِي مَقَامِ الشَّجَاعَةِ كَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَصْبَرَهُمْ، قَالَ الْبَرَاءُ ابْنُ
عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا
لَلَّذِي يُحَازِي بِهِ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -»^(٤).

ولقد ولَّى الناس كلهم يوم حنين وكانوا اثني عشر ألفاً ولم
يبق معه إلا نحو مئة من أصحابه وهو راكب بغلته يركض بها نحو
العدو ويقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»^(٥). وما
زال كذلك حتى نصره الله، وَقَدْ أُوْذِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَذًى

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٧٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٥٤) واللفظ له.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٨٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٤١).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٦٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

عَظِيمًا؛ فَكَسِرَتْ رُبَاعِيَّتَهُ، وَشَجَّ رَأْسُهُ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَيَّ وَجْهَهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلَا لِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ» (١).

وَكَانَ ﷺ حَسَنَ الصُّحْبَةِ، جَمِيلَ الْمُعَاشِرَةِ، يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ، وَكَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا (٢)، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ (٣)، وَكَانَ يَنْهَى أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْفَعُوهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي» (٤) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (٥).

أحبه الصحابة حبًّا جمًّا، إن قال، استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره (٦)، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٧)، جمع من الأخلاق أطيبيها، ومن الآداب أزكاها،

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٤٣/٢١) (برقم ١٤٠٥٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٦٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٠٣٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٧٥).

(٤) الإطراء: هو حسن الثناء. أي: لا تبالغوا في مدحي، كما بالغت النصارى في مدح عيسى ﷺ، فجعلوه إلهًا أو ابن إله.

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٥).

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٣٦٧/١٩) (برقم ١٢٣٧٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا تحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من أمن وخوف وغنى وفقر، وقلة وكثرة»^(١).

وكان ﷺ أفصح الناس وأبلغهم بياناً، صلى ذات يوم صلاة الفجر، فصعد المنبر فخطب الناس حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرهم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة^(٢).

كان ﷺ أبهى الناس وأحسنهم منظراً، إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، قال البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمْ أَرْ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ^(٣)، وكان طيب الجسد، زكي الرائحة، قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا شَمِمْتُ عَبْرًا قَطُّ، وَلَا مَسْكَاً، وَلَا شَيْئاً أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئاً قَطُّ دِيْبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ»^(٤).

ويجب على المؤمن أن يعرف للنبي ﷺ منزلته وقدره، فلا يرفعه فوق منزلته، ولا ينقص من منزلته، وعليه اتباعه، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤٣٩/٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٩٢).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٥١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٣٧).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٣٠).

يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴿ آل عمران: ٣١ ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «ويحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أوامره، واجتناب نواهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاته من عمل به، ومعاداة من خالفه، ومحبة مقدمة على المال والأهل والولد»^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ،
 وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص ٢٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٤).

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	٣- من أسماء الله الحسنى (الغافر -		كتاب العلم
٦٨٧	الغفار - الغفور).....	٣٢٥	١- الفقه في الدين وفضله
	أركان الإيمان		«أ- قسم العقيدة»
٥٨٥	١- الإيمان بالملائكة عليهم السلام		توحيد الربوبية
٦١٥	٢- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره .	٥٦٣	١- وقفات مع سورة الكافرون.....
	٣- الإيمان بالرسل الكرام عليهم		توحيد العبادة
٧٦١	السلام		١- الإنابة
٥٤١	٤- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر ..	٦٤٩	خطر الشرك
	الإيمان باليوم الآخر		١- الكفر وأنواعه
	١- من مشاهد القيامة (الحشر	٤٠١	٢- الرياء
٢٥	وأهواله)	٢٣٧	التحذير من الفرق الضالة والتمسك
١٤٩	٢- من أهوال يوم القيامة		بالكتاب والسنة
٦٩	٣- الشفاعة		١- خطر النصيرية
	٤- من مشاهد القيامة (القنطرة بين	٣٣١	٢- الاعتصام بالكتاب والسنة.....
٥٧٩	الجنة والنار).....	٤٣٧	توحيد الأسماء والصفات
٨٧	٥- الجنة والنار كأنها رأي عين		١- من أسماء الله الحسنى (الحليم) ..
	«ب- قسم التفسير»		من أسماء الله الحسنى (الحفيظ،
	سورة البقرة		الحافظ)
٢٦٣	١- وقفات مع أواخر سورة البقرة..	١٢٥	

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	سورة آل عمران		
٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ		
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ٢٤٣	أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ٣٩		
٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا	٢- فوائد من قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ		
لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ ١٣٧	ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ١٧٥		
سورة الرحمن	سورة النساء		
١- فوائد من قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ		
فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ ١٩٣	كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا ﴾ ٥٥		
سورة الحاقة	سورة الأنعام		
١- تأملات في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ	١- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي		
أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ٧٥	يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ ﴾ ٩٩		
جزء عم	٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ أَوْ مَن كَانَ		
١- وقفات مع سورة الكافرون..... ٥٦٣	مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ ١١٧		
٢- تأملات في سورة النصر ٤٦١	سورة الأنفال		
٣- وقفات مع سورة قريش ٥٢١	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا		
٤- تأملات في سورة الكوثر..... ٤٣١	الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾ ١٥٧		
٥- تأملات في سورة الفيل ٤٨٥	٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَمَا		
٦- فوائد وحكم من سورة العاديات ٣٩٥	أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ٢٨٩		
٧- تأملات في سورة الانشراح ٦٤٣	٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ إِذْ أَنْتُمْ		
٨- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا	بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا ﴾ ٢٩٥		
دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّادًا ﴾ ٢١	سورة التوبة		
٩- تأملات في سورة الانفطار ٤١٩	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ		
« ج - قسم الفقه »	كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ ٢٠٩		
١- الفقه في الدين وفضله ٣٢٥			

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
٢- من أحكام وآداب السفر	١٤١	٨- التحذير من الغيبة	٤٥٣
٤- اتباع الهوى	٣١٩	٩- خطر النميمة	٤٩١
٣- التحايل على الأحكام الشرعية .	٧٤٧	١٠- محاسبة النفس	٥٢٧
الصلاة			
١- صلاة الكسوف	٤٠٧	١١- البكاء من خشية الله	١٨١
الصيام			
١- صيام يوم عاشوراء	٤٥	الفضائل	
العمرة والحج			
١- محظورات الإحرام	٣٤٣	١- فضائل الأعمال الصالحة	١٦٣
٢- فضل العمرة وصفتها	٣٥١	٢- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها وفوائدها	١٥
٣- شروط الحج	٣٦٣	٣- فضائل غزوة بدر	٢٨٣
٤- صفة الحج وواجباته	٣٦٧	٤- فضائل مكة وحرمتها	٣٧٧
آداب عامة			
١- من آداب النوم	٤٤٥	٥- فضائل المدينة وحرمتها	٣٨٥
٢- من آداب اللباس	٦٩٣	٦- فضائل الشام	٥٩٣
المواعظ والرفائق			
١- مجالس الصحابة	٢٥٧	٧- فضائل العفو	٦٧١
٢- أحوال وقصص المحتضرين ...	٤٦٧	الأخلاق المحمودة	
٣- مكائد الشيطان	٤٩	١- قوة الإرادة	١٠٥
٤- التحذير من الغفلة	٣٣٧	٢- الرفق	٥١٥
٥- الجزاء من جنس العمل	٦٣١	٣- تواضعه عليه الصلاة والسلام ..	٢١٥
٦- مجالس الناس	٧٣١	الأخلاق المذمومة	
٧- التناقضات في حياة بعض الناس .	٢٤٩	١- ذم البخل	٦٦٣
		٢- ذم العجب	٥٥٧
		٣- الكبير	٨١
السير			
١- دروس وعبر من الهجرة النبوية	٤٧٣		
٢- المعجزات والكرامات في			
غزوة بدر	٢٩٩		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
١٦	مقتطفات من سيرة صلاح	٣	عزوة بدر مشاهد وأحداث من
٦٧٩	الدين الأيوبي	٣٠٥	أرض المعركة رقم (١)
	قضايا اجتماعية	٤	عزوة بدر مشاهد وأحداث من
٥٤٩	١- قضاء حوائج الناس	٣١٣	أرض المعركة رقم (٢)
٤٢٥	٢- الترغيب في الزواج	٥	أخلاق النبي ﷺ وشيء من
٦٠٧	٣- الفقراء والضعفاء	٧٦٩	سيرته العطرة
٧٣١	٤- مجالس الناس	١١١	٦- فضائل أم المؤمنين خديجة <small>رضي الله عنها</small>
٧١٩	٥- مخاطر الابتعاث وضوابطه	٢٦٩	٧- فضائل أم المؤمنين عائشة <small>رضي الله عنها</small>
٧٠١	٦- خطر الرشوة	٨	مواقف مؤثرة من سيرة الإمام
٢٠٣	٧- بر الوالدين	٥٠٧	أحمد بن حنبل
١٦٩	٨- خطورة دور السينما	٩	الإمام عبدالله بن المبارك وشيء
٢٣١	٩- عيادة المريض	٥٣٣	من أخباره
	توجيهات عامة	١٠	فضائل معاوية بن أبي سفيان .
١٨٧	١- الأخوة الإسلامية	١١	مقتطفات من سيرة عبدالله ابن
١٩٧	٢- قبول العمل	١٣١	مسعود
٢٢١	٣- النسيان آفته وفوائده	١٢	مقتطفات من سيرة ترجمان
٤٧٩	٤- السواك	٧٠٩	القرآن عبدالله بن عباس
٤١٣	٥- التفكير أحواله وفوائده	١٣	مواقف مؤثرة من سيرة الإمام
٦٣٧	٦- خطورة الغضب	٧٣٩	الشافعي
٤٩٩	٧- الفأل وحسن الظن بالله	١٤	مواقف مؤثرة من سيرة شيخ
٦١	٨- الابتلاء بالمرض	الإسلام ابن تيمية	٦٥٥
		١٥	دروس وعبر من سيرة معاذ ابن
		٢٧٧	جبل

الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة

الموضوع

الجزء السادس

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها، وفوائدها ١٥
- ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١
- ٣- من مشاهد القيامة (الحشر وأهواله) ٢٥
- ٤- من أسماء الله الحسنى (الحليم) ٣١
- ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ ٣٩
- ٦- صيام يوم عاشوراء ٤٥
- ٧- مكائد الشيطان ٤٩
- ٨- تأملات في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ ٥٥
- ٩- الابتلاء بالمرض ٦١
- ١٠- الشفاعة ٦٩

الموضوع الصفحة

- ١١- تأملات في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرَيْبِنِهِ﴾ ٧٥
- ١٢- الكبر ٨١
- ١٣- الجنة والنار كأنها رأي العين ٨٧
- ١٤- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِأَلْتِيلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ ٩٩
- ١٥- قوة الإرادة ١٠٥
- ١٦- فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١١١
- ١٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ .. ١١٧
- ١٨- من أسماء الله الحسنی (الحفيظ والحافظ) ١٢٥
- ١٩- مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٣١
- ٢٠- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ١٣٧
- ٢١- من أحكام السفر وآدابه ١٤١
- ٢٢- من أهوال يوم القيامة ١٤٩
- ٢٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ١٥٧
- ٢٤- فضائل الأعمال الصالحة ١٦٣
- ٢٥- خطورة دور السينما ١٦٩
- ٢٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ١٧٥

الموضوع الصفحة

- ٢٧- البكاء من خشية الله ١٨١
- ٢٨- الأخوة الإسلامية ١٨٧
- ٢٩- فوائد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ ١٩٣
- ٣٠- قبول العمل ١٩٧
- ٣١- برُّ الوالدين ٢٠٣
- ٣٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾ ٢٠٩
- ٣٣- تواضعه عليه الصلاة والسلام ٢١٥
- ٣٤- النسيان آفته، وفوائده ٢٢١
- ٣٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ ٢٢٧
- ٣٦- عيادة المريض ٢٣١
- ٣٧- الرياء ٢٣٧
- ٣٨- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ٢٤٣
- ٣٩- التناقضات في حياة بعض الناس ٢٤٩
- ٤٠- مجالس الصحابة ٢٥٧
- ٤١- تفسير أواخر سورة البقرة ٢٦٣
- ٤٢- فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢٦٩

الموضوع	الصفحة
---------	--------

- | | |
|---|-----|
| ٤٣- دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small> | ٢٧٧ |
| ٤٤- فضائل غزوة بدر | ٢٨٣ |
| ٤٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ... ﴾ | ٢٨٩ |
| ٤٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... ﴾ | ٢٩٥ |
| ٤٧- المعجزات والكرامات في غزوة بدر | ٢٩٩ |
| ٤٨- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١) | ٣٠٥ |
| ٤٩- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢) | ٣١٣ |
| ٥٠- اتباع الهوى | ٣١٩ |
| ٥١- الفقه في الدين وفضله | ٣٢٥ |
| ٥٢- خطر الطائفة النصيرية | ٣٣١ |
| ٥٣- التحذير من الغفلة | ٣٣٧ |
| ٥٤- محظورات الإحرام | ٣٤٣ |
| ٥٥- فضل العمرة وصفتها | ٣٥١ |

الجزء السابع

- | | |
|------------------------------|-----|
| ٥٦- شروط وجوب الحج | ٣٦٣ |
| ٥٧- صفة الحج وواجباته | ٣٦٧ |
| ٥٨- فضائل مكة وحرماتها | ٣٧٧ |

الموضوع	الصفحة
٥٩- فضائل المدينة وحرمتها	٣٨٥
٦٠- فوائد وحكم من سورة العاديات	٣٩٥
٦١- الكفر وأنواعه	٤٠١
٦٢- صلاة الكسوف	٤٠٧
٦٣- التفكير أحواله وفوائده	٤١٣
٦٤- تأملات في سورة الانفطار	٤١٩
٦٥- الترغيب في الزواج	٤٢٥
٦٦- وقفة مع سورة الكوثر	٤٣١
٦٧- الاعتصام بالكتاب والسنة	٤٣٧
٦٨- من آداب النوم	٤٤٥
٦٩- التحذير من الغيبة	٤٥٣
٧٠- تأملات في سورة النصر	٤٦١
٧١- أحوال الموتى والمحتضرين	٤٦٧
٧٢- دروس وعبر من الهجرة النبوية	٤٧٣
٧٣- السواك	٤٧٩
٧٤- وقفات مع سورة الفيل	٤٨٥
٧٥- خطر النسيمة	٤٩١
٧٦- الفأل وحسن الظن بالله	٤٩٩
٧٧- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل	٥٠٧
٧٨- الرفق	٥١٥

الموضوع	الصفحة
٧٩- وقفات مع سورة قريش	٥٢١
٨٠- محاسبة النفس	٥٢٧
٨١- الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره	٥٣٣
٨٢- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر	٥٤١
٨٣- قضاء حوائج الناس	٥٤٩
٨٤- ذم الجبن	٥٥٧
٨٥- وقفات مع سورة الكافرون	٥٦٣
٨٦- فضائل معاوية بن أبي سفيان	٥٧١
٨٧- من مشاهد القيامة القنطرة بين الجنة والنار	٥٧٩
٨٨- الإيمان بالملائكة عليهم السلام	٥٨٥
٨٩- فضائل الشام	٥٩٣
٩٠- تأملات في سورة التين	٦٠١
٩١- الفقراء والضعفاء	٦٠٧
٩٢- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره	٦١٥
٩٣- الجزاء من جنس العمل	٦٣١
٩٤- خطورة الغضب	٦٣٧
٩٥- تأملات في سورة الانشراح	٦٤٣
٩٦- الإنابة	٦٤٩
٩٧- مواقف مؤثرة من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية	٦٥٥
٩٨- ذم البخل	٦٦٣

- ٩٩- فضائل العفو ٦٧١
- ١٠٠- مقتطفات من سيرة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي ٦٧٩
- ١٠١- من أسماء الله الحسنى الغافر - الغفار - الغفور ٦٨٧
- ١٠٢- من آداب اللباس ٦٩٣
- ١٠٣- خطر الرشوة ٧٠١
- ١٠٤- مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ٧٠٩
- ١٠٥- مخاطر الابتعاث وضوابطه ٧١٩
- ١٠٦- مجالس الناس ٧٣١
- ١٠٧- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام الشافعي رحمته الله ٧٣٩
- ١٠٨- التحايل على الأحكام الشرعية ٧٤٧
- ١٠٩- الإيمان بالرسول عليهم السلام ٧٦١
- ١١٠- مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم ٧٦٩
- فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب ٧٧٧
- فهرس الكلمات حسب ترتيب الكتاب ٧٨١

فهرس الجزء (٤ - ٥) فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
			أ- (قسم العقيدة)
			توحيد العبادة
٣- خطورة السحر وتحريم		١- الأمن من مكر الله..... ١٦٥	
الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥		٢- الخوف من الله..... ٢٨٥	
التحذير من النفاق		٣- المفهوم الخاطيء للدين ٣٦٣	
والفرق الضالة		٤- اليقين..... ٣٧٧	
١- خطر الرافضة..... ٢١٣		٥- نزول المطر..... ٥٢٩	
٢- صفات اليهود..... ٦٢٧		٦- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى	
توحيد الأسماء والصفات		عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى	
١- شرح اسم الله الخالق..... ٤٣		تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿..... ٦٢١	
٢- شرح اسم الله الفتاح..... ١٠٧		خطر الشرك	
٣- شرح اسم الله اللطيف..... ٢١٩		١- إن من الشرك إرادة الإنسان	
٤- شرح اسم الله الرزاق..... ٣٣٣		بعمله الدنيا..... ٢٢٥	
٥- شرح اسم الله الكافي..... ٤٠٣		٢- الإعراض عن الدين ٣٥٣	
٦- شرح اسم الله الغني..... ٤٣٩			
٧- شرح اسم الله الشهيد..... ٤٨٧			

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
٨- شرح اسم الله البصير.....	٥١٥	الَّذِينَ كَفَرُوا فِي أَلْيَدِ ﴿١﴾ ٢٩١	
٩- شرح اسم الله السميع.....	٥٤٩	«سورة المائدة»	
١٠- شرح اسم الله الوارث.....	٦٠٥	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ٦١١	
الإيمان باليوم الآخر		«سورة هود»	
١- رؤية الله تعالى.....	١٣٩	١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ١٥	
٢- الميزان.....	١٨١	«سورة الحجر»	
٣- الإيمان بالكرام الكاتبين.....	١٩٥	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٨٥	
٤- رضوان الله.....	٢٠١	٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ٥٠٣	
٥- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	٣- الوقفة الثانية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ٥٠٩	
٦- البعث بعد الموت.....	٤٢١	«سورة الأحزاب»	
٧- موقف الحساب.....	٥٩٧	١- فوائد من قوله تعالى:	
٨- النفخ في الصور.....	٦١٥		
ب- (قسم التفسير)			
سورة البقرة			
١- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ﴾ ٦٢١			
«سورة آل عمران»			
١- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ			

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٧	٧- المسد.....	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾	٣٧١
	ج- قسم الحديث	«سورة فصلت»	
	١- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»... ٤٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾	١٣٣
	٢- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»..... ١٧١	«سورة الدهر»	
	٣- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»..... ٣٥٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْأَيْكِ﴾	٤٥٧
	٤- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»..... ٤٥١	«جزء عم»	
	٥- شرح حديث: «الثلاثة الذين آواهم المبيت»..... ٥١٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
	٦- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»..... ٥٦١	٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
	«الفقه والصلاة»	٣- الضحى..... ٢٥٧	
	١- أخطاء في الصلاة رقم ٢..... ٣٧	٤- الزلزلة..... ٥٥٥	
	٢- سترة المصلي..... ١٤٥	٥- القارعة..... ٢٠٧	
	«الصيام»	٦- الهمزة..... ٤٨١	
	١- فضل الأعمال الصالحة في رمضان..... ٣٩٧		

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
«الموت»		رفعها.....	٢٩
١- شرح حديث: «أسرعوا		٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا	
بالبجنازة».....	٣٥٩	مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ	
٢- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿.....	١٥
المحرمات		٣- فتنة المال.....	٦١
«المال»		٤- فتنة النساء.....	٦٧
١- الأسهم المختلطة.....	٢٣٧	٥- السخرية بالناس واحتقارهم.	٧٩
صيانة الأعراس		٦- تأملات في قوله	
«اللباس»		تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ	
١- مخالفات في		فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿.....	٨٥
لباس المرأة....	١٨٧	٧- الغرور.....	٩١
«محرمات عامة»		٨- فتنة الدنيا.....	٧٣
١- السحر والمس والعين.....	١٥٥	٩- قسوة القلب.....	٩٧
٢- أضرار المخدرات		١٠- العجب.....	١٠٣
والمسكرات.....	٣١٣	١١- تأملات في قوله تعالى:	
٣- القتل.....	٣٢٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ	
٤- خطورة السحر وتحريم		ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴿.....	١٣٣
الذهاب إلى السحرة.....	٤٧٥	١٢- الأمن من مكر الله.....	١٦٥
«المواعظ والرفائق»		١٣- شرح حديث حسب ابن	
١- العقوبات الإلهية وأسباب		آدم لقيمات.....	١٧١

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
١٤- النصيحة.....	١٧٥	٢- خطر الاختلاط.....	٢٦٩
١٥- كفارات الذنوب رقم ٢.....	٢٣١	٣- العشرة الزوجية.....	٣٠٣
١٦- الخوف من الله.....	٢٨٥	«الأخلاق المحمودة»	
١٧- أمراض القلوب.....	٢٩٧	١- علو الهمة.....	٥٣
١٨- قضاء الدين.....	٣٤٧	٢- الوفاء.....	٤٦٣
١٩- الإعراض عن الدين.....	٣٥٣	«الأخلاق المذمومة»	
٢٠- فضل الأعمال الصالحة		١- الذلة وأسبابها.....	٢١
في رمضان.....	٣٩٧	٢- النهي عن السخرية	
٢١- خطورة المجاهرة بالمعصية	٤٠٩	بالناس واحتقارهم.....	٧٩
٢٢- استقبال العام الجديد.....	٤١٥	٣- الغرور.....	٩١
٢٣- المسارعة إلى الخيرات.....	٤٤٥	٤- العجب.....	١٠٣
٢٤- نزول المطر.....	٥٢٩	٥- خطورة الكذب.....	١١٣
الفضائل		٦- التحذير من الكسل.....	٣٨٣
«السيام»		«السير»	
١- فضل الأعمال الصالحة في		١- سيرة مصعب بن عمير.....	١٥١
رمضان.....	٣٩٧	٢- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small>	٢٧٥
«فضائل عامة»		٣- سيرة طلحة بن عبيد الله.....	٢٨١
١- فضل الصحابة.....	٢٦٣	٤- دروس وعبر من استشهاد	
«موضوعات تهم المرأة»		الخليفة عمر.....	٣١٩
١- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٥- سيرة أبي عبيدة بن الجراح... ..	٤٣٣

<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>
٦- سيرة جعفر بن أبي طالب...	٤٦٩	٣- نعمة العقل.....	٢٤٩
٧- سيرة عثمان بن عفان....	٤٩٧	٤- أمراض القلوب.....	٢٩٧
٨- قصة قارون.....	٥٢٣	٥- أضرار المخدرات	
٩- سيرة الزبير بن العوام.....	٥٤١	والمسكرات.....	٣١٣
« قضايا اجتماعية »		« النبوات »	
١- السحر والمس والعين.....	١٥٥	١- عصمة النبي ﷺ.....	١١٩
٢- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٢- قصة نبي الله يونس عليه السلام....	٢٧٥
٣- الرفقة الصالحة.....	٢٤٣	٣- معجزاته عليه الصلاة والسلام	٣٨٩
٤- خطر الاختلاط.....	٢٦٩	« أحداث معاصرة »	
٥- العشرة الزوجية.....	٣٠٣	١- وقفات مع أحداث غزة...٥٨٧	
٦- أضرار المخدرات		٢- وقفات مع الأزمة المالية	
والمسكرات.....	٣١٣	العالمية.....	٥٧٩
٧- قضاء الدين.....	٣٤٧	٣- أحداث الدانمارك.....	٤٩١
٨- المفهوم الخاطيء للدين.....	٣٦٣	٤- حكم الأسهم المختلطة....	٢٣٧
٩- التحذير من الكسل.....	٣٨٣		
١٠- خطورة السحر وتحريم			
الذهاب إلى السحرة.....	٤٧٥	« توجيهات عامة »	
« توجيهات عامة »		١- البشارة وفضائلها.....	١٢٥
٢- النصيحة.....	١٧٥		

فهرس الجزء (٤ - ٥) فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع	الصفحة
الجزء الرابع	
تقديم المشايخ.....	٥
المقدمة.....	١٣
١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ..	١٥
٢- الذلة وأسبابها.....	٢١
٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها.....	٢٩
٤- أخطاء في الصلاة رقم (٢).....	٣٧
٥- شرح اسم الله الخالق المصور.....	٤٣
٦- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه».....	٤٩
٧- علو الهمة.....	٥٣
٨- فتنة المال.....	٦١
٩- فتنة النساء.....	٦٧
١٠- فتنة الدنيا.....	٧٣
١١- السخرية بالناس واحتقارهم.....	٧٩
١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ..	٨٥
١٣- الغرور.....	٩١

الموضوع	الصفحة
١٤- قسوة القلب	٩٧
١٥- العجب	١٠٣
١٦- شرح اسم الله الفتاح	١٠٧
١٧- خطورة الكذب	١١٣
١٨- عصمة النبي ﷺ	١١٩
١٩- البشارة وفضائلها	١٢٥
٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	١٣٣
٢١- رؤية الله تعالى	١٣٩
٢٢- سترة المصلي	١٤٥
٢٣- سيرة مصعب بن عمير	١٥١
٢٤- السحر والمس والعين	١٥٥
٢٥- الأمن من مكر الله	١٦٥
٢٦- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»	١٧١
٢٧- النصيحة	١٧٥
٢٨- الميزان	١٨١
٢٩- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧
٣٠- الإيمان بالكرام الكاتيين	١٩٥
٣١- رضوان الله تعالى	٢٠١
٣٢- تفسير سورة القارعة	٢٠٧
٣٣- خطر الرافضة	٢١٣

- ٣٤- شرح اسم الله اللطيف ٢١٩
- ٣٥- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢٢٥
- ٣٦- كفارات الذنوب رقم (٢) ٢٣١
- ٣٧- حكم الأسهم المختلطة ٢٣٧
- ٣٨- الرفقة الصالحة ٢٤٣
- ٣٩- نعمة العقل ٢٤٩
- ٤٠- تفسير سورة الضحى ٢٥٧
- ٤١- فضل الصحابة ٢٦٣
- ٤٢- خطر الاختلاط ٢٦٩
- ٤٣- قصة نبي الله يونس عليه السلام ٢٧٥
- ٤٤- سيرة طلحة بن عبيد الله ٢٨١
- ٤٥- الخوف من الله ٢٨٥
- ٤٦- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
- أَلْبَدِ﴾ ٢٩١
- ٤٧- أمراض القلوب ٢٩٧
- ٤٨- العشرة الزوجية ٣٠٣
- ٤٩- أضرار المخدرات والمسكرات ٣١٣
- ٥٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر ٣١٩



الجزء الخامس

- ٣٢٧ ٥١- القتل
- ٣٣٣ ٥٢- شرح اسم الله الرزاق
- ٣٤١ ٥٣- ما ينتفع به الميت
- ٣٤٧ ٥٤- قضاء الدين
- ٣٥٣ ٥٥- الإعراض عن الدين
- ٣٥٩ ٥٦- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»
- ٣٦٣ ٥٧- المفهوم الخاطيء للدين
- ٣٧١ ٥٨- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ...﴾
- ٣٧٧ ٥٩- اليقين
- ٣٨٣ ٦٠- التحذير من الكسل
- ٣٨٩ ٦١- معجزاته عليه الصلاة والسلام
- ٣٩٧ ٦٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان
- ٤٠٣ ٦٣- شرح اسم الله الكافي
- ٤٠٩ ٦٤- خطورة المجاهرة بالمعصية
- ٤١٥ ٦٥- استقبال العام الجديد
- ٤٢١ ٦٦- الإيمان بالبعث بعد الموت
- ٤٢٧ ٦٧- تفسير سورة المسد
- ٤٣٣ ٦٨- سيرة أبي عبيدة بن الجراح
- ٤٣٩ ٦٩- شرح اسم الله الغني

- ٧٠- المسارعة إلى الخيرات ٤٤٥
- ٧١- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك» ٤٥١
- ٧٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ ٤٥٧
- ٧٣- الوفاء ٤٦٣
- ٧٤- سيرة جعفر بن أبي طالب ٤٦٩
- ٧٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة ٤٧٥
- ٧٦- تفسير سورة الهمزة ٤٨١
- ٧٧- شرح اسم الله الشهيد ٤٨٧
- ٧٨- أحداث الدانمارك ٤٩١
- ٧٩- سيرة عثمان بن عفان ٤٩٧
- ٨٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ٥٠٣
- ٨١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢) .. ٥٠٩
- ٨٢- شرح اسم الله البصير ٥١٥
- ٨٣- شرح حديث: الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار ٥١٩
- ٨٤- قصة قارون ٥٢٣
- ٨٥- نزول المطر ٥٢٩
- ٨٦- تواضع السلف وخوفهم من ربهم ٥٣٥
- ٨٧- سيرة الزبير بن العوام ٥٤١
- ٨٨- شرح اسم الله السميع ٥٤٩
- ٨٩- تفسير سورة الزلزلة ٥٥٥

الموضوع الصفحة

- ٩٠- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك» ٥٦١
- ٩١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ٥٦٧
- ٩٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ٥٧٣
- ٩٣- وقفات مع الأزمة المالية العالمية ٥٧٩
- ٩٤- وقفات مع أحداث غزّة ٥٨٧
- ٩٥- موقف الحساب ٥٩٧
- ٩٦- شرح اسم من أسماء الله الحسنى الوارث ٦٠٥
- ٩٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ٦١١
- ٩٨- النفخ في الصور ٦١٥
- ٩٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ٦٢١
- ١٠٠- صفات اليهود ٦٢٧
- الفهرس حسب موضوعات الكتاب ٦٣٣
- فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب ٦٣٩



فهرس الجزء (١ - ٣) فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤١	٥ - الولاء والبراء		كتاب العلم
٢٨٥	٦ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج	٨١٩	١ - طلب العلم الشرعي
	خطر الشرك	٤٢١	٢ - وصايا لطلبة العلم
١٣٣	١ - التحذير من الشرك	٦٩٣	٣ - كلمة توجيهية للمدرسين
٢٧٣	٢ - نواقض الإسلام العشرة		أ - (قسم العقيدة)
	التحذير من النفاق		توحيد الربوبية
٧٣٩	١ - خطر النفاق	٨٤٧	١ - تفسير سورة الفاتحة
٢٩٧	٢ - مبطلات الأعمال	٦١١	٢ - تفسير آية الكرسي
٣٦٣	٣ - خطورة الاستهزاء بالدين	٧٩١	٣ - قدرة الله
	توحيد الأسماء والصفات	٥٨٣	٤ - نعمة الهداية
٥٠٧	١ - شرح اسم من أسماء الله العزيز	٣٩٥	٥ - أسباب الثبات على الدين
٥٤٧	٢ - شرح اسم من أسماء الله الشافي	٣٠٣	٦ - الأجل والرزق
٥٧٧	٣ - شرح اسم من أسماء الله الحكيم	٥٣٥	٧ - الأسباب الجالبة لمحبة الله ...
	علامات الساعة		توحيد العبادة
٥٧١	١ - فتنة الدجال	١٥	١ - الإخلاص
	الإيمان باليوم الآخر	٨٢٥	٢ - معنى لا إله إلا الله
٣٤٥	١ - عذاب القبر ونعيمه	١٨١	٣ - أصل الدين وقاعدته
٥٤١	٢ - حوض النبي ﷺ	٢٩١	٤ - التوكل

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
			ب - التفسير
٦٥٩	٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٨٤٧	سورة الفاتحة
	سورة طه		سورة البقرة
	١ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا﴾	٢٢٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
١٩٩	سورة يس	٢٣٥	٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقْتَ﴾
	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾		سورة آل عمران
٤٩١	سورة الزخرف		١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾
	١ - دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	٤٠٣	٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾
١٨٩	سورة الطور	١٥١	٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
	١ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾	٢٠٣	٤ - تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
٤٩٧	سورة الصف	٦١١	٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
	١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا﴾	٨٤١	سورة الكهف
١٤٥	سورة التحريم		١ - فوائد من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٢٥٧	١ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنْفُسِكُمْ﴾	١٨٥	سورة مريم
	جزء عم		١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾
٢١٣	١ - سورة التكاثر	١٦٩	
٣٧٩	٢ - سورة العصر		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٥٩٣	٤ - صلاة الجماعة	٦٨٧	٣ - سورة الماعون
٣٠٩	٥ - الخشوع في الصلاة	٢١٩	٤ - سورة الإخلاص
٥٥٩	٦ - فضل صلاة الفجر	٨٣١	٥ - سورة الفلق
٧٧	٧ - فضل قيام الليل	ج - الحديث	
١١٧	٨ - سنن صلاة العيد	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان	يظلمهم الله	
٤٨٧	١٠ - الاستخارة	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	
الزكاة		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	
٥٨٩	١ - الزكاة	الساعة	
٣٧٥	٢ - زكاة الفطر	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	
الصيام		٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	
٧١	١ - فضل الصيام	النبي ﷺ فقال: عش ما شئت	
٦٧	٢ - فضل رمضان	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة	
٣	٣ - مخالفات تقع من بعض	٧ - فوائد من حديث حبيب بن عدي	
٩٧	الصائمين	٨ - شاب نشأ في عبادة الله	
الحج		٩ - الأجل والرزق	
٢٦٧	١ - وجوبه وفضله	١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	
٤٢٩	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج	سربه...» الحديث	
الوصايا		الفقه	
٤٣	١ - كتابة الوصية	الطهارة والصلاة	
البدع		١ - أخطاء في الطهارة	
٧٨٥	١ - النهي عن البدع	٢ - أخطاء في الصلاة	
		٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	محرمات عامة		الأدعية والأذكار
٦٦٥	١ - تحريم الدخان	٨٣	١ - الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢ - تحريم التصوير	٥٠١	٢ - الاستغفار
٤٥٧	٣ - الحسد		الطعام
٧٤٥	٤ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١ - آداب الطعام
	المواعظ والرقائق		المحرمات
٢٦٣	١ - آفة السهر		المال
٤٥١	٢ - كفارات الذنوب	١٩٣	١ - أكل المال الحرام
٤٦٣	٣ - المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢ - التحذير من الربا
٤٦٩	٤ - التقوى	٢٥١	٣ - النهي عن الإسراف
٥١٧	٥ - الورع	١٦٣	٤ - النهي عن المسألة
٦١٧	٦ - حفظ اللسان	٧٢٥	٥ - ذم الترف
٦٢٣	٧ - الحور العين		صيانة الأعراض
٦٢٩	٨ - الابتلاء	٤٨١	١ - تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩ - الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢ - غض البصر
٦٩٩	١٠ - غض البصر	٤٧٥	٣ - تحريم الغناء
٢٧٩	١١ - سوء الخاتمة	٥٥٣	٤ - خطر الدش
٧٢٥	١٢ - ذم الترف	٧١٩	٥ - خطر التلفاز
٧٩٥	١٣ - علامات حسن الخاتمة		اللباس
٧٦٧	١٤ - الموت وعظاته	٧٥١	١ - تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		الزينة
٣٨٩	١٦ - لذة العبادة		١ - تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧ - المواظبة على العبادة	٧٠٥	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	فضائل عامة	٣٩	١٨ - العجلة
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله	٥٧	١٩ - طول الأمل
٩١	٢ - فضل الصدقة	٤٣٥	٢٠ - التوبة
	موضوعات تهم المرأة		الفضائل
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام		الأذكار
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته
٤١٣	٣ - مفسدات العنوسة	١٠٧	٢ - فضل الذكر
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء	٥٠١	٣ - الاستغفار
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز		الصلاة
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح	٤٤٣	١ - فضل التبكير إلى الصلاة
	الأخلاق	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر
٣٣	١ - حسن الخلق	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة
١٣٩	٢ - الحياء	٧٧	٤ - فضل قيام الليل
١٥٧	٣ - القناعة	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان
٣٣٩	٤ - الصبر	١٠٣	
٦٧٥	٥ - الأمانة		الصيام
٦٨١	٦ - صلة الأرحام	٧١	١ - فضل الصيام
	السير	٦٧	٢ - فضل رمضان
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small>		الحج
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق <small>رضي عنه</small>	٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله
٧٧٣			عشر ذي الحجة
	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي عنه</small>	٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠ - الحسد	٤	٤ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١ - النكت	٣٣٣	٥ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢ - آفة السهر	٢٤٥	٦ - مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣ - علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
توجيهات عامة			
٢٩	١ - التوفيق	قضايا اجتماعية	
٣٩	٢ - العجلة	١	١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٧	٣ - البركة	٣١٧	٢ - مفسد العنوسة
١٢١	٤ - الرؤيا	٤١٣	٣ - الطلاق
٤٠٩	٥ - نصائح عامة	٣٨٣	٤ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٤٧	٦ - أسباب انشراح الصدر	٣٥٧	٥ - تربية الأبناء
٥١٣	٧ - شكر النعم	٧١٩	٦ - خطر التلفاز
٥٢٣	٨ - علاج الهموم والغموم	٥٥٣	٧ - خطر الدش
٥٦٥	٩ - السعادة	٥٩٣	٨ - صلاة الجماعة
٨٠١	١٠ - وفاته عليه الصلاة والسلام ..	٦٨١	٩ - صلة الأرحام
٨٠٧	١١ - أسباب النصر على الأعداء ..		
٦٤١	١٢ - العافية		
٥١٧	١٣ - الورع		



فهرس الجزء (١ - ٣) فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة

الموضوع

الجزء الأول

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١ - الإخلاص ١٥
- ٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ٢١
- ٣ - التوفيق ٢٩
- ٤ - حسن الخلق ٣٣
- ٥ - العجلة ٣٩
- ٦ - كتابة الوصية ٤٣
- ٧ - البركة ٤٧
- ٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ٥٣
- ٩ - طول الأمل ٥٧
- ١٠ - فضل القرآن وقراءته ٦٣
- ١١ - فضل رمضان ٦٧
- ١٢ - فضل الصيام ٧١
- ١٣ - فضل قيام الليل ٧٧
- ١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه ٨٣
- ١٥ - فضل الصدقة ٩١
- ١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين ٩٧
- ١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣
- ١٨ - فضل الذكر ١٠٧

الموضوع الصفحة

- ١٩ - المواظبة على العبادة ١١٣
- ٢٠ - سنن العيد ١١٧
- ٢١ - الرؤيا ١٢١
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ١٢٧
- ٢٣ - التحذير من الشرك ١٣٣
- ٢٤ - الحياء ١٣٩
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ١٤٥
- ٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ١٥١
- ٢٧ - الفناعة ١٥٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ١٦٣
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ١٦٩
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٧٣

الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ١٨١
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ١٨٥
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ١٨٩
- ٣٤ - أكل المال الحرام ١٩٣
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ ١٩٩
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ٢٠٣
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ٢٠٧
- ٣٨ - سورة التكاثر ٢١٣
- ٣٩ - سورة الإخلاص ٢١٩
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ٢٢٥
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٢٩
- ٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ٢٣٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ٢٤١
- ٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ٢٥١

- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ٢٥٧
- ٤٧ - آفة السهر ٢٦٣
- ٤٨ - الحج: وجوبه وفضله ٢٦٧
- ٤٩ - نواقض الإسلام العشرة ٢٧٣
- ٥٠ - سوء الخاتمة ٢٧٩
- ٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج ٢٨٥
- ٥٢ - التوكل ٢٩١
- ٥٣ - مبطلات الأعمال ٢٩٧
- ٥٤ - الأجل والرزق ٣٠٣
- ٥٥ - الخشوع في الصلاة ٣٠٩
- ٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧
- ٥٧ - الصلاة ومكاتها في الإسلام ٣٢٣
- ٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩
- ٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب ٣٣٣
- ٦٠ - الصبر ٣٣٩
- ٦١ - عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥
- ٦٢ - فضل الدعوة إلى الله ٣٥١
- ٦٣ - تربية الأبناء ٣٥٧
- ٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين ٣٦٣
- ٦٥ - وقفة مع حديث شريف ٣٦٩
- ٦٦ - زكاة الفطر ٣٧٥
- ٦٧ - سورة العصر ٣٧٩
- ٦٨ - الطلاق ٣٨٣
- ٦٩ - لذة العبادة ٣٨٩
- ٧٠ - أسباب الثبات على الدين ٣٩٥

الجزء الثالث

- ٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ﴾ ٤٠٣
- ٧٢ - نصائح عامة ٤٠٩

الموضوع	الصفحة
٧٣- مفاسد العنوسة.....	٤١٣
٧٤- النكت.....	٤١٧
٧٥- وصايا لطلبة العلم.....	٤٢١
٧٦- مخالفات يقع فيها بعض الحجاج.....	٤٢٩
٧٧- التوبة.....	٤٣٥
٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة).....	٤٣٩
٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة.....	٤٤٣
٨٠- أسباب انشراح الصدر.....	٤٤٧
٨١- كفارات الذنوب.....	٤٥١
٨٢- الحسد.....	٤٥٧
٨٣- المعاصي وعقوباتها.....	٤٦٣
٨٤- التقوى.....	٤٦٩
٨٥- تحريم الغناء.....	٤٧٥
٨٦- تحريم الزنا وأسبابه.....	٤٨١
٨٧- الاستخارة.....	٤٨٧
٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾.....	٤٩١
٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾.....	٤٩٧
٩٠- الاستغفار.....	٥٠١
٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز).....	٥٠٧
٩٢- شكر النعم.....	٥١٣
٩٣- الورع.....	٥١٧
٩٤- علاج الهموم والغموم.....	٥٢٣
٩٥- قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.....	٥٢٩
٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله.....	٥٣٥
٩٧- حوض النبي ﷺ.....	٥٤١
٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی).....	٥٤٧
٩٩- خطر الدش.....	٥٥٣
١٠٠- فضل صلاة الفجر.....	٥٥٩

- ١٠١ - السعادة..... ٥٦٥
- ١٠٢ - فتنة الدجال..... ٥٧١
- ١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم)..... ٥٧٧
- ١٠٤ - نعمة الهداية..... ٥٨٣
- ١٠٥ - الزكاة..... ٥٨٩
- ١٠٦ - صلاة الجماعة..... ٥٩٣
- ١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح..... ٥٩٩
- ١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)..... ٦٠٥
- ١٠٩ - تفسير آية الكرسي..... ٦١١
- ١١٠ - حفظ اللسان..... ٦١٧
- ١١١ - الحور العين..... ٦٢٣
- ١١٢ - الابتلاء..... ٦٢٩
- ١١٣ - الزهد في الدنيا..... ٦٣٥
- ١١٤ - العافية..... ٦٤١
- ١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام..... ٦٤٧
- ١١٦ - التحذير من الربا..... ٦٥٣
- ١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ﴾..... ٦٥٩
- ١١٨ - تحريم الدخان..... ٦٦٥
- ١١٩ - فضل يوم الجمعة..... ٦٦٩
- ١٢٠ - الأمانة..... ٦٧٥
- ١٢١ - صلة الأرحام..... ٦٨١
- ١٢٢ - سورة الماعون..... ٦٨٧
- ١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين..... ٦٩٣
- ١٢٤ - غض البصر..... ٦٩٩
- ١٢٥ - تحريم حلق اللحية..... ٧٠٥
- ١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة..... ٧١١
- ١٢٧ - خطر التلفاز..... ٧١٩
- ١٢٨ - ذم الترف..... ٧٢٥

الصفحة	الموضوع
٧٢٩	١٢٩ - أخطاء في الطهارة
٧٣٣	١٣٠ - أخطاء في الصلاة
٧٣٩	١٣١ - خطر النفاق
٧٤٥	١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة
٧٥١	١٣٣ - تحريم الإسبال
٧٥٧	١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي
٧٦١	١٣٥ - تحريم التصوير
٧٦٧	١٣٦ - الموت وعظاته
٧٧٣	١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق
٧٧٩	١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب
٧٨٥	١٣٩ - النهي عن البدع
٧٩١	١٤٠ - قدرة الله
٧٩٥	١٤١ - علامات حسن الخاتمة
٨٠١	١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام
٨٠٧	١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء
٨١٣	١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة
٨١٩	١٤٥ - طلب العلم الشرعي
٨٢٥	١٤٦ - معنى لا إله إلا الله
٨٣١	١٤٧ - سورة الفلق
٨٣٧	١٤٨ - آداب الطعام
٨٤١	١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾
٨٤٧	١٥٠ - سورة الفاتحة



الدرر المنقاة

من

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء السادس والسابع.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - الرياض، ١٤٣٣ هـ

٨١٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ١١١١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ - العنوان

١٤٣٣/٩١٨٥

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٩١٨٥

ردمك: ٤ - ١١١١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإله أراد طباعته وتوزيعه مجاناً بعد موافقة المؤلف الخيرية

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

حوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

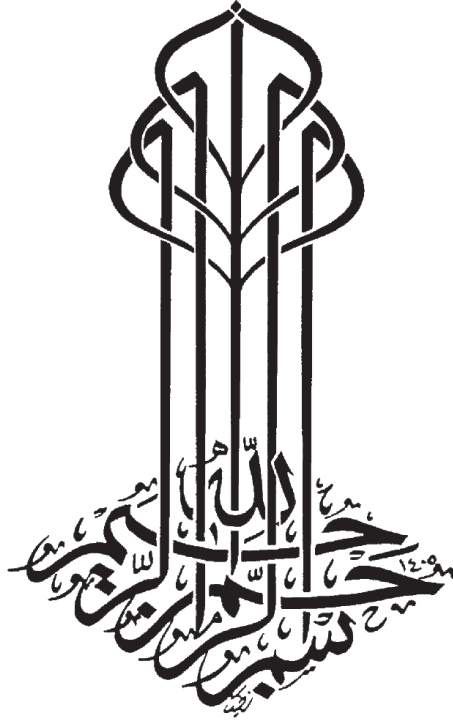
فروع يومئذ

(١١٠) درر للترغاة والمطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

و. أمينة بن محمد آل نوري الشقاوي

مجتمع النشأة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة
من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين ابن
عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم
والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة
في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا،
والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراض
واللباس، والمواعظ والرفائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية
كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شكّ أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من
أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة
الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها
على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعترين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٤٢٧/٤/١٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله - :
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم.
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّنه مؤلفه عشرة وعشرون مئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل.

فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فهذا هو المجلد الثالث من كتاب الدرر المنتقاة يشتمل

على الجزأين السادس والسابع، حيث يحتوي كل جزء على خمسة وخمسين كلمة وهو كسابقه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صحح فليطمئن قراء كتابي الأفاضل إلى ذلك، مع أنني قد يسرت للقارئ الكريم الوصول إلى مصادر الكتب إذا أحب الرجوع إليها.

وقد ضبطت الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبية لطلبات قراء الكتاب.

وإنني أشكر المشايخ الذين ساعدوني في هذا الكتاب ومنهم: شيخنا حمد بن عبد الله الجمعة، والشيخ غالب المطيري.. وغيرهم ممن لم يرغب بذكر اسمه.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب جامعه وقارئه وناشره وسامعه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ١٤٣٣/١١/١٨ هـ

الكلمة الأولى

الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها، وفوائدها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أرسل نبينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ونجاة لمن آمن به من الموحدين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، وشفيعاً في المحشر، أرسله الله على فترة من الرسل، فهدى به لأقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه والصلاة عليه والتسليم، قال بعض العلماء: ومن خواصه ﷺ أنه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله على غيره، فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الأنبياء^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي العالية قال: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) انظر: خطبة السخاوي في كتابه القول البديع ص ٥ بتصرف، ومرشد المحتار إلى خصائص المختار لمحمد بن طولون ص ٣٩٧. نقلاً عن كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ ص ٥.

«يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ» هكذا علقه البخاري عنهما^(١). قال ابن كثير: «المقصود من الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الشناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً»^(٢).

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة على النبي ﷺ منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي، فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ،

(١) صحيح البخاري ص ٩٣٧ باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۗ﴾.

(٢) تفسير ابن كثير (١١/٢١٠).

(٣) (١٩/٥٧) برقم ١١٩٩٨ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٤) برقم ٢٠٤٢ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣٨٣) برقم

قَالَ: «مَا سُئِتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سُئِلَ شَيْخُنَا^(٢) رَحِمَهُ اللهُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: كَانَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ دَعَاءٌ يَدْعُو بِهِ لِنَفْسِهِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ يَجْعَلُ لَهُ مِنْهُ رُبْعَهُ صَلَاةً عَلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَقَالَ لَهُ: النِّصْفَ، فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، أَي أَجْعَلُ دَعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً عَلَيْكَ، قَالَ: إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ، لِأَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ كَفَاهُ هَمَّهُ وَغَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ^(٣) رَحِمَهُ اللهُ. اهـ.

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ:

أولاً: امتثال أمر الله ﷻ.

ثانياً: موافقته ﷻ في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

ثالثاً: أنها ترفع الدرجات وتكفر السيئات كما وردت بذلك الأحاديث السابقة.

رابعاً: أنه يرجى إجابة دعاء السائل إذا ختم بها، فيها يصعد الدعاء

(١) برقم ٢٤٥٧ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام ص ٧٦.

إلى رب العالمين. روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ» (١).

خامساً: أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه، ففي حديث أبي السابق لما قال للنبي ﷺ: «أجعل لك صلاتي كلها»، قال له إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك، ومن القصص في هذا الباب وهي كثيرة أن أحد الإخوان كان يعاني من مشكلات كثيرة مع زملائه، وفي بيته حمل هموماً وغموماً، فدل على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ فلازم ذلك، فتبدلت حاله إلى أفراح ومسرات في وقت قليل.

سادساً: أن الصلاة عليه ﷺ من حقوقه على أمته مقابل الخير العظيم الذي حصل لهم بسببه.

وأما صيغ الصلاة عليه، فهي كثيرة، أكتفي باثنتين منها:

أولاً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِينِي كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ (رضي عنه) فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: بَلَى فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى

(١) مسند الفردوس (٤٧٥٤) وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٥/٥٧) برقم ٢٠٣٥، وورد موقوفاً عن علي وضعفه آخرون، وقال الألباني الموقوف أصح.

آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ
مَّجِيدٌ»^(١).

ثانياً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ»^(٢).

أما المواطن التي يُصلى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة أذكر منها:

- ١- بعد التشهد في جميع الصلوات، وهو ركن بعد التشهد الأخير عند جمع من أهل العلم.
- ٢- في التشهد الأول وآخر القنوت.
- ٣- في صلاة الجنائز بعد التكبير الثانية.
- ٤- عند دخول المسجد، وعند الخروج منه.
- ٥- عند اجتماع القوم، وقبل تفرقهم للحديث: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»^(٣)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٤).

(١) برقم ٣٣٧٠ وصحيح مسلم برقم ٤٠٦.

(٢) برقم ٣٣٦٩ وصحيح مسلم برقم ٤٠٧.

(٣) ترة: يعني حسرة وندامة.

(٤) سنن الترمذي برقم ٣٣٨٠ وقال: حديث حسن صحيح.

- ٦- عند الهم والشدائد وطلب المغفرة في الدعاء.
- ٧- عند استفتاح الخطب للدروس وغيرها مقروناً بالثناء على الله تعالى وعند ختمها.
- ٨- في أول النهار وآخره مع أذكار الصباح والمساء.
- ٩- بعد الأذان وذلك من وسائل الشفاعة.
- ١٠- عند ذكره ﷺ، فقد جاء في الحديث: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١).
- وغير ذلك من المواضع.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم ٣٥٤٦ وقال: حديث حسن صحيح غريب.

الكلمة الثانية

تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٢٤) [محمد: ٢٤]. وعملاً بالآية الكريمة نستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ (٢١) وجاء ربك والملك صفاً صفاً (٢٢) وجاء يومئذ بجهنم يومئذ يندكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣) يقول يلبتني قدمت ليحياتي (٢٤) فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يؤثق وثاقه أحد (٢٦) يتأيتها النفس المطمئنة (٢٧) أرجعني إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فأدخلني في عبادي (٢٩) وأدخلني جنتي (٣٠) [الحجر: ٢١ - ٣٠].

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ (٢١) يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فيقول: ﴿ كَلَّا ﴾: أي: حقاً ﴿ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا ﴾ أي: وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ (١٠٥) [طه: ١٠٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢٢) أي وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ بعد ما يسألون أولي العزم

من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذلك حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها، فيذهب فيشفع عند الله ثم يجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً^(١)، فيأله من موقف عظيم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِلَ الْمَلَكُوتُ تَنْزِيلًا﴾ (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونها»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم الدهر وحديثه، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾: أي: وكيف تنفعه الذكرى، يقول نادماً: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: أي: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَدَا بًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ: ٤٠].

أما إذا كان طائعاً فإنه يود لو ازداد من الطاعات، روى الإمام

(١) الحديث مخرج في الصحيحين أخرجه البخاري برقم ٣٣٤٠؛ ومسلم في صحيحه برقم ١٩٤.

(٢) برقم ٢٨٤٢.

أحمد في مسنده من حديث محمد بن أبي عميرة رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله قال: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَحَقِرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوْ دَأَّ أَنْهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَّادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ» (١).

قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴾ أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٥٠]. ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ أي: ليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم صلى الله عليه وآله، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فإنهم يُقَرَّنُونَ بسلاسل من نار ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [٤٩] سَرَابِيلُهُمْ مِّن قِطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿ ٥٠ ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ خذُوهُم فُغْلَةً ﴾ [٣٠] ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿ ٣١ ﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿ ٣٢ ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿ ٣٣ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٣].

قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [٢٧] أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴿ أي: النفس الزكية والمطمئنة هي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: ارجعي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، ﴿ رَاضِيَةً ﴾: أي: في نفسها مرضية، أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، كما قال تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة: ٨].

(١) برقم ١٧٦٥٠ وقال محققوه: إسناده صحيح.

قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾: أي في جملة عبادي ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾، وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ». قَالَ: «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ..» ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «ثُمَّ يَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مِثْلَ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ» (١).

وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دُفن تليت هذه الآية على شفير القبر ما يدرى من تلاها: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿رُجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾ (٣٠) ﴿[الفجر: ٢٧ - ٣٠]﴾ (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٧٨/١٤) برقم ٨٧٦٩ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.
 (٢) (٢٣٦/١٠) برقم ١٠٥٨١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٥/٩) ورجاله رجال الصحيح.

الكلمة الثالثة

من مشاهد القيامة (الحشر وأهواله)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن أعظم أهوال يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها موقف الحشر. قال تعالى: ﴿قُلِ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ - ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

والله ﷻ يحشر الناس ويجمعهم ليوم القيامة سواء من كان منهم في قبره، أو أكلته السباع، أو احترق، أو غرق في البحار، أو مات بأي مية كانت، قال تعالى: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

والله ﷻ يحشر الخلائق جميعاً لا ينسى منهم أحداً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ

نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ [الكهف: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿إِنْ كُئِلَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٤].

وهذه النصوص تدل على حشر الخلائق جميعاً الجن والانس والبهائم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُعْرَفُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ [التكوير: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]. وحرف إذا إنما يكون لما يأتي لا محالة^(١).

ويحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين كما ولدتهم أمهاتهم. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^(٢).

وكل إنسان يُبعث على الحال التي مات عليها من التقوى والإيمان والكفر والعصيان، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٨).

(٢) برقم ٦٥٢٧ وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٩ واللفظ له.

النبي ﷺ قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١).

وفي الحديث: «الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرَمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًّا»^(٢)،
وَ«الشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرْحُهُ يَتَعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ
المِسْكِ»^(٣).

والحشر مواقف:

فمن ذلك أن الكفار يحشرون على وجوههم، قال تعالى:
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا
خَبِثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٤٧) [الإسراء: ٩٧]. وروى البخاري ومسلم في
صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يُحْشَرُ
الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ
فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!»^(٤).

ومن ذلك أن الناس يُحشرون على طرائق. روى الإمام أحمد
في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ
رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ
يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ؟ وَقَالَ عَفَّانٌ: يَمْشُونَ - قَالَ: «إِنَّ الَّذِي
أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ

(١) برقم ٢٨٧٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٨٥١ وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٥٣٣ وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

(٤) برقم ٤٧٦٠ وصحيح مسلم برقم ٢٨٠٦.

يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»^(١).

ومنها أن المتقين يُحشرون على أحسن مركب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾^(٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا^(٨٦) ﴿[مریم: ٨٥ - ٨٦]. أي عطاشاً، وقال جمع من المفسرين: إنهم يُحشرون - أي المتقين - على الإبل النجائب تكريماً لهم، ويُحشر الناس يوم القيامة على أرض غير هذه الأرض. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤٨) ﴿[إبراهيم: ٤٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل ابن سعد رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ»^(٢)، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ «قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(٣).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الوقت الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات هو وقت مرور الناس على الصراط. روى مسلم في صحيحه

(١) (٢٨٩/١٤) برقم ٨٦٤٧ وقال محققوه حسن لغیره، قوله: صنف مشاة، وصنف ركبان، قال السندي: هم أهل الإيمان عوامه وخواصهم. يتقون بوجوههم كل حدب، الحدب بفتح الحاء الغليظ المرتفع من الأرض، أي يجعلون وجوههم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق، وقد غلت أيديهم وأرجلهم، وذلك لما لم يجعلوها ساجدة لخالقها.

(٢) عفرَاء: قال الخطابي العفر بياض ليس بناصع، وقال ابن فارس: معنى عفرَاء خالصة البياض، والنقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخالة، والمعلم: هو العلامة التي يهتدي بها إلى الطريق كالجبل والصخرة، فتح الباري (١١/٣٧٥).

(٣) برقم ٦٥٢١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٩٠.

من حديث ثوبان رضي الله عنه أن حبراً من أحبار اليهود سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِجْرِ»^(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: أن الله أخبر عباده بأهوال هذا اليوم - وهم في الدنيا - ليعلموا ما هم صائرون إليه، وليكونوا على بينة من أمرهم، وليستعدوا لذلك ويحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، قال أحدهم:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(٣٠) [آل عمران: ٣٠].

أما المجرمون فيقولون: ﴿يُوَيْلِنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٣١) [الكهف: ٤٩].

ثانياً: أن الناس يذهلون من هول المحشر عن كل شيء. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ^(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ^(٣٥) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ^(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ^(٣٧)﴾ [عيس: ٣٤ - ٣٧]. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١٧) [المزمل: ١٧].

ثالثاً: قدرة الله العظيمة على جمعهم وحشرهم في صعيد واحد

ومحاسبتهم. قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

رابعاً: في يوم الحشر تظهر حقيقة الدنيا لأهلها وحقارتها. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ [يونس: ٤٥]. وقال عن المجرمين: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَّيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ﴿١٠٣﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٣].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة

من أسماء الله الحسنى
(الحليم)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف: ١٨٠]. روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١) ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة الحليم، قال بعضهم ذكر هذا الاسم في كتاب الله إحدى عشرة مرة، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).

قال ابن جرير: حليم ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم^(٢)، وقال الخطابي: هو ذو الصفح، والأناة الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص. ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة والمتأني الذي لا يعاجل بالعقوبة، قال الشاعر:

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مَسْفِرَةً لَا صَفْحَ ذُلٌّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ^(٣)

قال ابن كثير: «حَلِيمٌ غَفُورٌ» أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر ويُنظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر^(٤).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة الحلم لله عز وجل وهي الصفح عن العصاة من العباد وتأجيل عقوبتهم لعلهم يتوبوا ويرجعوا.

ثانياً: سؤال المؤمن ربه بهذه الصفة العظيمة الحلم فيقول: يا حليم اعف عني، واصفح واستر.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢٧٣٠ واللفظ له.

(٢) جامع البيان (٢/١٣٥٨).

(٣) شأن الدعاء ص ٦٣-٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير (١١/٣٣٨).

ثالثاً: حلم الله سبحانه على عباده وتركه المعاجلة لهم بالعقوبة^(١).

قال الشاعر:

مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أَمَهَلَنِي وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي
«وإن سألت عن حلمه، فهو الحليم الذي قد كمل في حلمه، فله
الحلم الكامل الذي وسع السماوات والأرض. وسع حلمه أهل الكفر
والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافهم
ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم، إنه هو التواب الرحيم. وهو يتحبب
إليهم بالنعيم مع كمال غناه، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها
منهم، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. قال جل جلاله:
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ
بَصِيرًا﴾ [٤٥: ٤٥]»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان^(٣)
ولولا حلمه ومغفرته، لزلت السماوات والأرض من معاصي
العباد. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا
وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٧٦).

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٢٢٢).

(٣) الكافية الشافية (ص ٢٠٩).

فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه وهما (الحليم والغفور) كيف تجد تحت ذلك أنه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة، لما استقرت السماوات والأرض؟^(١).

وفي الآية إشعار بأن السماوات والأرض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد، فيمسكهما بحلمه ومغفرته^(٢).

رابعاً: حلم الله عظيم يتجلى في صبره سبحانه على خلقه، والصبر داخل تحت الحلم فكل حليم صابر، وقد جاء في السنة وصف الله تعالى بالصبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًّا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(٣).

وهو سبحانه أعظم العظماء، وملك الملوك، وأكرم الأكرمين وإحسانه فوق كل إحسان مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويُعَافِيهِ ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته ويقبل توبته إذا تاب إليه ويبدله بسيئاته حسنات، ويتلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله إليه ويأمرهم بأن يَلِينُوا له القول ويرفقوا به، فأَيُّ حلم أعظم من هذا؟!^(٤).

(١) الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) عدة الصابرين (ص ٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٠٩٩، وصحيح مسلم برقم ٢٨٠٤.

(٤) شفاء العليل (٢/٦٥٤).

وقد أخبر سبحانه عن تأخيره لعقاب من أذنب من عباده في الدنيا، وأنه لو كان يؤاخذهم بذنوبهم لما بقي على ظهر الأرض أحد، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، أي لأهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم، ولكن الرب يحلم، ويستر وينظر، إلى أجل مسمى، ولا يعاجلهم بالعقوبة، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحداً^(١).

وقد تحصل هذه العقوبة في الدنيا كما يحدث في بعض الدول الكافرة أو التي تماثلها في الفساد والانحلال من الفيضانات والأعاصير المدمرة والزلازل المهلكة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ ﴾ [الرعد: ٣١].

خامساً: يجوز إطلاق صفة الحلم على الخلق، فقد وصف الله أنبياءه بذلك، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]. وقال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧]. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٠).

عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، فَهُوَ يَمَسُحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

والحلم من الصفات العظيمة التي يريد الله من عباده أن يتحلوا بها. روى مسلم في صحيحه من حديث الأشج بن عبد القيس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس حلماً. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه أنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(٣).

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والصفات التي يشترك فيها الخالق والمخلوق تكون في الخالق سبحانه على قدر عظمته وجلاله وفي المخلوق بحسبه والله سبحانه وتعالى يحب من اتصف بهذه الصفات فهو حليم يحب العلماء، وكريم يحب الكرماء، وصبور يحب الصابرين.

(١) برقم ٦٩٢٩؛ وصحيح مسلم برقم ١٧٩٢.

(٢) برقم ١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٤٩؛ وصحيح مسلم برقم ١٠٥٧.

قال القرطبي: فمن الواجب على من عرف أن ربه حلیم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى حتى يكون حلیماً فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه ويرفع الانتقام عن من أساء إليه، بل يتعود الصّبح حتى يعود الحلم له سجية، وكما تحب أن يحلم عنك مالِكُكَ، فاحلّم أنت عمّن تملك لأنك متعبد بالحلم مثاب عليه^(١).

قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٤٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٤٣).

روى الخطيب في تاريخ بغداد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّرَ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) (١٢٧/٩) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢.

الكلمة الخامسة

تأملات في قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ (١٧٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلِ لَمْ يَمَسَّ سُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) [آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

قال أهل السير: بعدما انتهت معركة أحد وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص وقتل سبعون من أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وشُج رأسه، وسال الدم على وجهه، رجع المشركون من أحد، قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، بئس ما صنعتهم ارجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة

ليريهم أن بهم قوة وجلداً على ما بهم من جراح وآلام طاعة لله ورسوله، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [١٧٢] قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في أثرهم، فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير (٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما سمعوا أن أبا سفيان قد جمع الجموع لقتالهم زادهم إيماناً وتصديقاً، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي أن الله كافينا نعم المولى ونعم النصير.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) برقم ٤٠٧٧ وصحيح مسلم برقم ٢٤١٨ مختصراً.

فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم لم يمسسهم سوء ما أضمر لهم عدوهم.

قال المفسرون: أعطاهم الله من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع رضوان الله، فرضي عنهم ورضوا عنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾: أي يخوف أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، فلا تخافوهم إن كنتم مؤمنين، أي إذا سول لكم وأوهمكم، فتوكلوا عليّ والجرؤوا إليّ فإني كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ [النساء: ٧٦].

ومن فوائد الآيات الكريمات:

١- أن المؤمن إذا كان في كرب وشدة فتوكل على الله وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فإن الله يكفيه ما أهمه ويصرف عنه كيد عدوه، وهذا ما حدث لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه عندما أُلقي في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت عاقبة ذلك ما ذكره الله بقوله: ﴿قُلْنَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]. قال أبو العالية: لو لم يقل سلاماً لكان بردها أشد عليه من حرها^(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يُتبع بردها سلاماً لَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهَا^(٢).

وهذا يشبه ما حدث لإخواننا في غزة عندما حاصروهم اليهود برّاً وبحراً وجوّاً، وساعدهم النصارى والمنافقون وضيقوا عليهم الخناق، فقالوا: لن نركع ولا نستسلم إلا لله، حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت العاقبة للمؤمنين، ورد الله كيد اليهود في نحورهم ورجعوا خائبين لم يحققوا شيئاً مما أرادوا.

٢- أن الله تعالى قذف في قلوب المشركين الرعب، حين سمعوا أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه خرجوا لملاحقتهم، فانهزموا وعادوا خائبين.

والرعب من أقوى أسباب النصر، قال صلى الله عليه وآله: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»^(٣). وقد اختلف أهل العلم هل هو خاص بالرسول صلى الله عليه وآله أو يشمل ما يحصل لأعداء أتباعه إلى يوم القيامة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وإذا كان الرعب يُلقى في قلوب الذين كفروا لإشراكهم، قال تعالى: ﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران: ١٥١]. فإن الأمن يُلقى في قلوب الذين آمنوا لتوحيدهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

(١) تفسير ابن جرير (٧/٥٧١٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم ٣٣٥ وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأَنْعَامُ: ٨٢].

وكلما كان الإنسان أشد إيماناً وتوحيداً كان أشد أمناً واستقراراً، وهذا شيء مجرب لأن من كان أشد إيماناً وتوحيداً كان أقوى توكلاً. ومن أقوى أسباب الأمن ومصابرة الأعداء التوكل على الله، وبعض الناس يكون عنده قوة توكل على الله ويشفى بدون علاج بسبب قوة توكله، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حينما ذكر أن الدواء المحرم ليس ضرورياً حتى يُقال: إن الدواء بالمحرم جائز للضرورة، قال: هذا ليس للضرورة لأن المريض قد يُشفى بدواء آخر، وقد يشفى بالقراءة، قال: وقد يشفى بقوة التوكل على الله^(١). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرآن العظيم للشيخ ابن عثيمين بتصرف (٢/٣٠٠-٣٠١).

الكلمة السادسة

صيام يوم عاشوراء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم مواسم خير يستكثرون فيها من الأعمال الصالحة، وخصها بمزيد من الفضل، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلَيْتَمَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً فَلَيْصُمْ، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصُومُ صِبْيَانِنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى

(١) برقم ٢٠٠٤ وصحيح مسلم برقم ١١٣٠ واللفظ لمسلم.

يَكُونُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما افترض رمضان قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» (٢).

فهذه الأحاديث الشريفة تدل على أن يوم عاشوراء كان معظماً عند أهل الجاهلية، وكذلك اليهود والنصارى كما جاء ذلك في الأحاديث الأخرى، وقد دل حديث ابن عمر السابق أن صيامه كان واجباً أول الإسلام، فلما فرض رمضان صار صومه مستحباً، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على صيامه تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يصومون أبناءهم الصغار تعويداً لهم على أداء العبادات منذ الصغر. كما قال الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِثْيَانِ فِينَا عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبُوهُ

وقوله صلى الله عليه وسلم لليهود: «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه أولى الناس بالأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بموسى من اليهود، لأن اليهود كفروا به وكفروا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (٣).

(١) برقم ١٩٦٠ وصحيح مسلم برقم ١١٣٦.

(٢) برقم ١٨٩٣ وصحيح مسلم برقم ١١٢٦.

(٣) رياض الصالحين بشرح الشيخ ابن عثيمين (٣٠٥/٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

وقد استدل بهذا الحديث من ذهب إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقل صوم عاشوراء من العاشر إلى التاسع، وأن فضائل صيام عاشوراء صارت لتاسوعاء، كما استدل به جماهير العلماء على استحباب صوم التاسع مع العاشر لتحصل المخالفة لليهود والنصارى بذلك.

ومما ورد في فضل صيامه، ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ، وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي رَمَضَانَ (٣).

وينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أنه يُسَنُّ الإكثار من صيام شهر الله المحرم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) برقم ١١٣٤.

(٢) برقم ١١٦٢.

(٣) برقم ١١٣٢.

قال: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»^(١).

الثاني: أن فضل عاشوراء يكون بصيامه للنصوص الواردة في ذلك، وأما ما ذكره بعضهم من فضل التوسعة على الأهل في يوم عاشوراء، واحتجوا على ذلك بحديث «مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ». فهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ.

سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْهُ فَلَمْ يَرَهُ شَيْئاً، وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وَرَوَوْا فِي حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ مَكْذُوبٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ». وَرَوَايَةٌ هَذَا كُلَّهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَذِبٌ.

ولم يسن رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من شعائر السرور والفرح أو الحزن والترح، فأهل البدع يوسعون النفقات على العيال ويطبخون الأطعمة الخارجة عن العادة ويتخذونه عيداً، والرافضة يتخذونه مأتماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين جانب الصواب، وكذلك لا يُستحب تخصيصه بأي عبادة غير الصيام^(٢). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١١٦٣.

(٢) الفتاوى (٢٥/٣٠٠-٣٠١) بتصرف.

الكلمة السابعة

مكائد الشيطان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

«فإن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإنسان بعدو لا يفارقه طرفة عين، وصاحب لا ينام ولا يغفل عنه، يراه هو وقبيله من حيث لا يراه، يبذل جهده في معاداته في كل حال، ولا يدع أمراً يكيده به يقدر على إيصاله إليه إلا أوصله إليه، ذلكم الشيطان الذي أخبرنا الله بعداوته لنا، وأكثر في كتابه من ذكر خدعه ومكائده وخطواته التي يستدرج بها الناس للخروج عن الصراط المستقيم وكرر قصته مع أبينا آدم عليه السلام لتكون نصب أعيننا دائماً»^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال البغوي رحمته الله: «أي: لا تسلكوا الطُّرُقَ التي يدعوكم إليها

(١) الداء والدواء لابن القيم (١٤٨-١٤٩) بتصرف.

الشیطان، فإنه یُورِدُكُمْ مَوَارِدَ الْعَطْبِ»^(١).

ومن شره أنه یوسوس للعبد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ
 ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤﴾ [الناس: ١ - ٥]. فذكر وسوسته
 أولاً ثم ذكر محلها ثانياً وأنها في صدور الناس.

والوسوسة أظهر صفات الشيطان، وأشدّها شراً، وأقواها تأثيراً،
 وهي أصل كل معصية وبلاء، روى أبو داود في سننه من حديث ابن
 عباس رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا
 يَجِدُ فِي نَفْسِهِ يُعْرَضُ بِالشَّيْءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً^(٢) أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ
 يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ
 كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَاسَةِ»^(٣).

ولهذا يعرض للناس في صلاتهم ليفسد عليهم عبادتهم، روى
 البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا
 يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُوبَّ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى
 إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا
 اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟ »^(٤).

(١) شرح السنة للبخاري رحمته الله (٤٠٤/١٤).

(٢) حُمَمَةٌ: أي فحماً.

(٣) برقم ٥١١٢ وصححه الألباني في سنن أبي داود (٩٦٢/٣) برقم ٤٢٦٤.

(٤) برقم ٦٠٨ وصحيح مسلم برقم ٣٨٩.

ومن شره الإفساد بين المؤمنين بكل طريقة وحيلة، فقد نزع بين يوسف عليه السلام وإخوته، قال تعالى ذاكراً اعتراف نبي الله يوسف بما من الله عليه: ﴿وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي^١﴾ [يوسف: ١٠٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(١). قال النووي: وهذا الحديث من معجزات النبوة، ومعناه أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتنة ونحوها^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فَتَنَةً، يَحِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»^(٣).

والتحصن من الشيطان له طرق منها:

أولاً: الإخلاص: لما علم إبليس أنه لا سبيل على أهل الإخلاص استنابهم من شرطه التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال تعالى: ﴿قَالَ

(١) برقم ٢٨١٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٦/٦٠).

(٣) برقم ٢٨١٣.

فَبِعَزِّكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣]. وقال تعالى في حق الصِّدِّيقِ يوسُفَ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ [يوسف: ٢٤]. فالإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان، وأهل الإخلاص أعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فالله تعالى يتلي عبده المؤمن ليطهره من الذنوب والمعائب، ومن رحمته بعبده المخلص أن يصرف عنه ما يغار عليه منه، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾» (١). «فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا» (٢)، «فلما أخلص يوسف رَحِمَهُ اللهُ لربه، صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فالإخلاص هو سبيل الخلاص» (٣).

ثانياً: قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ مَرَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهُمَا يُصَلِّيَانِ اللَّيْلَ.. وجاء في آخر الحديث: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَهُ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سَبَبِ رَفْعِ صَوْتِهِ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ: أَوْقِظُ الْوَسْطَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ (٤).

ثالثاً: قراءة سورة البقرة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ

(١) الاستقانة لابن تيمية ج ٢ ص ٥٩.

(٢) إغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٤١.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٧٥).

(٤) برقم ١٣٢٩ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٦-٢٤٧) برقم ١١٨٠.

يُنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(١).

رابعاً: قراءة آية الكرسي عند النوم: روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قصة قبضه على الشيطان.. وفي آخر الحديث علمه أن يقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فلما أخبر أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»^(٢).

خامساً: قراءة المعوذتين: روى أبو داود في سننه من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقراءة المعوذتين وقال له: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذْ بِمِثْلِهِمَا»^(٣).

ومن المواضع التي ثبت في السنة أنها تُقرأ فيها: حين يصبح المؤمن، وحين يُمسي، وعند النوم، وأدبار الصلوات، والرقية بهما على المسحورين، والمرضى وغير ذلك.

سادساً: التهليل مائة مرة: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدَّةٌ عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ

(١) برقم ٧٨٠.

(٢) برقم ٢٣١١.

(٣) برقم ١٤٦٣ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٧٥) برقم

مِائَةٌ سَيِّئَةٌ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ» (١).

سابعاً: التسمية عند الخروج من البيت، وعند الجماع، وعند الدخول إلى الخلاء، وعند الطعام: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ» (٢)(٣).

ثامناً: وهو من أهمها معرفة تفاصيل عداوته وطرق خداعه التي جاء بيانها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاستعانة في ذلك بكتب أهل العلم الشارحة لهذه الأمور، ومنها: كتاب ابن القيم إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وكتاب ابن الجوزي المسمى تلبيس ابليس.. وغيرها.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٩٣ وصحيح مسلم برقم ٢٦٩١.

(٢) برقم ٢٠١٨.

(٣) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الحصن الحصين من الشيطان الرجيم.

الكلمة الثامنة

تأملات في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً

بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيتين من كتاب الله ونتدبر ما فيهما

من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ

نَارًا كُلَّمَا نَفِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦]. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا

﴿ [النساء: ٥٦-٥٧]. يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم

من كفر بآياته وصدَّ عن سبيله فيقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ

نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾؛ أي ندخلهم فيها دخولاً بحيث بجميع أجزامهم كما

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ

عِبَادَهُ يُعْبَادُ فَاتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ١٦].

قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَفِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾: أي احترقت احتراقاً تاماً

بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب. أي ليدوم لهم، قال بعضهم: الحكمة من ذلك أن الجلد موضع الإحساس بالألم فإذا احترق لم يعد هناك ألم فيبدل لهم جلوداً غيرها، قال بعض المفسرين: إنهم يبدلون في اليوم أو الساعة مرات عديدة حتى يدوقوا العذاب^(١)، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضَرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»^(٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ، مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»^(٣)، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضَرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَفَخْدُهُ مِثْلُ وَرْقَانَ»^(٤)، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ»^(٥).

قال النووي: «هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدورٌ لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به»^(٦).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٥٦): أي لا يمتنع عليه ما

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢١-١٢٢).

(٢) برقم ٢٨٥١.

(٣) برقم ٢٨٥٢.

(٤) ورقان جبل عظيم من جبال تهامة بين مكة والمدينة، والربذة قرية من قرى المدينة بها مات الصحابي الجليل أبو ذر رضي عنه.

(٥) (١٤/ ٨٧) برقم ٨٣٤٥ وقال محققوه إسناده حسن.

(٦) شرح صحيح مسلم (٦/ ١٨٦).

يريد، حكيماً فيما يقضيه، ثم لما ذكر تعالى حال الأشقياء ذكر حال السعداء، فقال:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: أي الذين آمنوا بمحمد ﷺ، والقرآن، وجملة الكتب المرسلة، وبالقدر خيره وشره، وأطاعوا ربهم سندخلهم جنات، وهي البساتين الجامعة للأشجار تجري من تحتها الأنهار، أنهار الخمر واللبن والماء والعسل، ﴿خَالِدِينَ﴾: أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا أزواجٌ مطهرة﴾: قال جمع من المفسرين: المطهّرة من طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا^(١). وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها - يعني الخمار - على رأسها خير من الدنيا وما فيها»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة، من

(١) تفسير ابن كثير (١/٦٣).

(٢) برقم ٢٧٩٦.

لَوْلَوْةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ^(١)،
يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٢).

وروى الدارمي في سننه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَالشَّهْوَةِ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: وصف سبحانه في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنه ظليل، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم، قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾^(٣٥) [الرعد: ٣٥]. ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود. قال تعالى: ﴿وَزَلَّ مَمْدُودٌ﴾^(٣٠) [الواقعة: ٣٠]. وبيّن في مواضع أخرى أنها ظلال متعددة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾^(٤١) [المرسلات: ٤١]. وبيّن في موضع آخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك. قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ﴾^(٥٦) [يس: ٥٦]. والأرائك جمع أريكة وهي السرير في الحجلة، والحجلة بيت يزين للعروس بجميع أنواع الزينة.

وبيّن تعالى أن ظل أهل النار ليس كذلك. قال تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا

(١) أي زوجات.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٤٣؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣٨ واللفظ له.

(٣) (٤٣١/٢) برقم ٢٨٢٥ وقال الألباني رحمته الله في المشكاة (٣/١٥٦٧): إسناده صحيح.

إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي
 مِنْ أَلْهَبٍ ﴿٣١﴾ ﴿المرسلات: ٢٩-٣١﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا
 أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾
 [الواقعة: ٤١-٤٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي
 هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ
 الرَّابِئُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَأَقْرَبُهَا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَقَالَ مَدْدُودٌ
 ﴿٣٠﴾﴾» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة

الابتلاء بالمرض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من حكمة الله تعالى أن يبتلي عبده المؤمن بأنواع البلاء، ومن هذا الابتلاء الذي يُبتلى به المرض، قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّآ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١-٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه»^(١). اهـ.

وقد يبتلى المؤمن بالمرض لتقصيره ببعض ما أمر الله به فيكون المرض تكفيراً لسيئاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) البداية والنهاية (١/٥١٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زهير قال: أخبرت أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فكل سوء عملنا جزينا به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ^(١)؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَهُوَ مَا تُجْزُونَ بِهِ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذَى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس،

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٢) (١/ ٢٣٠) برقم ٦٨ وقال محققوه حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) برقم ٥٦٤٢ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٣.

(٤) برقم ٢٣٩٦ وقال الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/ ٢٨٥) برقم ١٩٥٣ حديث

وكان السلف يفرح أحدهم بالبلاء، كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ومنها أن يكون المرض سبباً لرفع منزلة المريض في الآخرة، روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبِعُهُ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ذَلِكَ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيطِ» (٢).

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين، والمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ابتلي بالمرض رفعةً لدرجاته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ وَعَگًا شَدِيدًا، فَمَسَّسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَگًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ» (٣).

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه أغمي عليه ثلاث مرات،

(١) صحيح ابن حبان برقم ٢٨٩٧ والحاكم (١/٦٦٤) برقم ١٣١٤ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٩٩.

(٢) برقم ٢٤٠٢ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٨٧) برقم ١٩٦٠.

(٣) برقم ٥٦٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧١ واللفظ له.

قالت عائشة رضي الله عنها كما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١).

وقد يُجمَعُ للمريض الأمان، فيكون المرض تكفيراً لسيئاته، ورفعاً لدرجاته، وينبغي للمريض أن يتنبه لأمرين إذا تأملهما هانت عليه مصيبته وخفَّ همه وغمه:

١- أن هذه المصيبة لم تكن في دينه؛ لأن المصيبة في الدين يجني صاحبها الآثام والعقوبات.

٢- أن مصيبته أخفُّ وأهون من مصيبة غيره، فلو سأل أو نظر إلى من حوله من المرضى لرأى من هو أشد منه ألماً.

قال شريح: ما أصابني مصيبة إلا حمدت الله تعالى عليها لأربع:

١- أن الله رزقني الصبر عليها.

٢- أن الله رزقني الاسترجاع عندها.

٣- أن الله لم يجعلها أكبر منها.

٤- أن الله لم يجعلها في ديني.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلَ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) برقم ٥٦٤٦ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٠.

ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (١).

ومن الوصايا التي يُوصى بها المريض:

أولاً: إحسان الظن بالله تعالى: وأن من أحسن ظنه بالله رزقه الله الراحة النفسية، وطمأنينة القلب، روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ شَرًّا فَلَهُ» (٢).

ثانياً: الإكثار من ذكر الله ودعائه والإلحاح عليه في الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦). وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

قال ابن حجر: إن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العقاقير الطبية، وأن تأثير ذلك وانفصال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل (٣). اهـ.

(١) برقم ٩١٨.

(٢) صحيح ابن حبان برقم ٦٣٨ وأصله في الصحيحين.

(٣) فتح الباري (١٠/١١٥).

ثالثاً: أن على المريض ألا يتعلق بالأسباب كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلق القلب بالذي أنزل الداء ولا يرفعه إلا هو، فإنه سبحانه هو الشافي لا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى:

﴿ وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۗ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وقال تعالى عن نبي الله أيوب عليه السلام:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۗ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

رابعاً: الصبر والاحتساب، وعدم الجزع والسخط، فإنه على قدر إيمان المؤمن يكون ابتلاؤه، روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ ضَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(١).

خامساً: على المريض أن يرقى نفسه بالرقية الشرعية، كالفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي، ومن الأدعية المأثورة قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ

(١) برقم ٢٣٩٨ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

رَبِّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١). ومنها قوله ﷺ للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»^(٢).

سادساً: على المريض ألا ييأس من الشفاء، فالله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٧) [يوسف: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨٢) [يس: ٨٢]. وأيوب عليه السلام مكث في البلاء ثماني عشرة سنة ثم كشف الله عنه وشفاه^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٤٣ وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٢٠٢.

(٣) انظر كتاب لا بأس طهور إن شاء الله للشيخ عبد العزيز السدحان.

الكلمة العاشرة

الشفاعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالشفاعة. وتنقسم إلى قسمين:

- ١- شفاعة باطلة.
- ٢- شفاعة صحيحة.

الشفاعة الباطلة: هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم، حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [١٨]. وقال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [٣]. لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [٤٨]. [القيامة: ٤٨].

الشفاعة الصحيحة: وهي التي جمعت شروطاً ثلاثة:

الأول: رضا الله عن الشافع، الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف، عامة لجميع الناس من رضي عنهم ومن لم يرض عنهم، الثالث: إذنه في الشفاعة، والإذن لا

يكون إلا بعد الرضا عن الشافع والمشفوع له. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى ﴾ [النجم: ٢٦]. ولم يقل عن الشافع ولا المشفوع له ليكون أشمل. قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَى لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى ﴾ [٢٨] [الأنبياء: ٢٨]. والآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً.

وللنبي ﷺ شفاعات كثيرة:

الشفاعة الأولى: شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يعتذر عنها الأنبياء (آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، عليهم الصلاة والسلام) حتى تنتهي إليه، وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبداً إلا للرسول ﷺ وهي أعظم الشفاعات لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم.

الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط ووقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، ولكنهم إذا أتوا الجنة لا يجدونها مفتوحة حتى يشفع النبي ﷺ لهم أن يدخلوها. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةً أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ». وفي آخر الحديث:

«يَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُومُ فَيُؤَذِّنُ لَهُ» (١).

الشفاعة الثالثة: وهي خاصة به ﷺ وهي لعمه أبي طالب فيشفع له في تخفيف العذاب. فقد ورد في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رضي عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «مَا أَغْنَيْتَ عَنِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَعْضُبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ (٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٣).

الشفاعة الرابعة: شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهي له ولسائر النبيين، والصدّيقين والمؤمنين، قال بعض أهل العلم: وهذه تُستفاد من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم، فإن من لازم ذلك أن لا يدخل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَائِبِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (٤).

الشفاعة الخامسة: شفاعته صلى الله عليه وسلم لأناس قد دخلوا النار أن يخرجوا منها وهي له ولسائر النبيين، والصدّيقين وغيرهم، والأحاديث في هذا كثيرة ومتواترة. روى الترمذي في سننه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي،

(١) برقم ١٩٥.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٨٨٣ وصحيح مسلم برقم ٢٠٩.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٢٠.

فَخَيْرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخَلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» (١)(٢).

وقد ذكر ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في شرح العقيدة الطحاوية أنواعاً أخرى، فمن ذلك:

الشفاعة السادسة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الشفاعة السابعة: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

الشفاعة الثامنة: الشفاعة في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب، ولا عذاب وهم السبعون ألفاً.

ويُخرج الله أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ

(١) برقم ٢٤٤١ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٥) برقم ١٩٨٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/١٦٨-١٧٩).

كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفِرُّ وَأُخْيِضُرُّ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ؟ قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٤٥٨١ وصحيح مسلم برقم ١٨٣ واللفظ له.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي (١/٢٨٣-٢٩٤).

الكلمة الحادية عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (١٩)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هَؤُمٌ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٌ (٢٠) فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ فيقول يَلْتَنِنِي لَمْ أُوتِ كِتَابَهُ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ (٢٦) يَلْتَنِنَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٩) خَذُوهُ فَعُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) [الحاقة: ١٩-٣٧].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هَؤُمٌ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ (١٩) يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه ﴿أَقْرَأُوا كِتَابَهُ﴾؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة راجحة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن النجوى، فقال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾^(٢٠) أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٢١) أي مرضية، قد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾^(٢٢) أي رفيعة قصورها، حسان حورها، ناعمة دورها، دائم حبورها، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»، أَرَاهُ قَالَ: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) برقم ٢٤٤١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٨.

(٢) برقم ٢٧٩٠.

قوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) قال البراء بن عازب (رضي الله عنه): أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهَنِيئًا مِمَّا اسَلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) أي يُقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» (١).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِي﴾ (٢٥) هذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: يا ليتني لم أوت كتابه لأنه يُبشر بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِي﴾ (٢٦) أي يا ليتني كنت نسياً منسياً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيِّنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿يَلَيَّتْهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) قال الضحاك: يعني موتة لا حياة بعدها، وقال قتادة: تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء أكره إليه منه.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) أي لم يدفع عني مالي

عذاب الله وبأسه، بل خالص الأمر إليّ وحدي فلا معين لي ولا مجير.
قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٩) أي ذهب واضمحلاً فلم تنفع الجنود الكثيرة ولا العدد ولا الجاه العريض، بل ذهب كله أدراج الحياة، وفاتته بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والأحزان.

قوله تعالى: ﴿حُدُوهُ فَغُلُوهُ﴾ (٣٠) أي يأمر الله الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى جهنم فتصليه إياها أي تغمره فيها، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيَّ أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ [غافر: ٧١-٧٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد النار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بذراع الملك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاسلكوه أي انظموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه ويعلق فيها، فلا يزال يُعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَيَّ مِثْلَ جُمُجْمَةٍ (١) - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ

(١) المراد بالجمجمة: جمجمة الرأس.

رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا»^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾^(٣٢) أي كافرًا معاندًا لرسله رادًا ما جاؤوا به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(٣٤) ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾^(٣٥) أي قريب أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(١٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾^(٣٦) الغسلين: صديد أهل النار، وهو غاية في الحرارة، وبتن الريح، وقبح الطعم ومرارته.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُمْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾^(٣٧) أي: الذين أخطؤوا الصراط المستقيم وسلكوا سبل الجحيم، فلذلك استحقوا العذاب الأليم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٤٤/١١) برقم ٦٨٥٦ وقال محققوه إسناده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن يزيد، وصححه ووافقه الذهبي.

الكلمة الثانية عشرة

الكبر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله صفة الكبر، قال الغزالي رحمته الله: «هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير»^(١)، وقال بعضهم: «الكبر: هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له»^(٢).

والتعريفان يصبان في معنى واحد.

«قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: أي تميله وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم، والمرح: التبختر، وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].»

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٣٢.

أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ» (١) وَغَمَطُ النَّاسِ (٢) «(٣)».

ففي هذا الحديث بيان أن الكبر على نوعين:

الأول: الاستكبار على الله وعلى دينه وعلى رسوله ﷺ، كاستكبار فرعون وأمثاله ممن استنكف أن يكون عبداً لله، قال تعالى: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧] ﴿غافر: ٢٧﴾. فإن نبي الله موسى دعا إلى الهدى فاستكبر، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [٢٤] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [٢٥] ﴿النازعات ٢٤-٢٥﴾. وجعله لمن بعده عبرة وآية، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْيَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [١٢] ﴿يونس ٩٢﴾. وهذا المصير هو مصير كل جبار ومعاند قبل فرعون وبعده، يشتركون كلهم في ذلك المصير المخزي كما اشتركوا في التكبر على الله وعلى رسوله، قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [٣٣] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [٣٤] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٣٥] ﴿الصفات: ٣٣-٣٥﴾.

والكبرياء من خصائص الجبار سبحانه كما جاء في الحديث

(١) بطر الحق: دفعه ورده على قائله.

(٢) غمط الناس: احتقارهم.

(٣) برقم ٩١.

المخرج في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ» (١).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكبر من صفات أهل النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِخْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف قال: التقي عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو بن العاص على المروة، فتحدثا، ثم مضى عبد الله ابن عمرو وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن، قال هذا: يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ» (٣).

والمتكبرون شر خلق الله، ويحشرون يوم القيامة وعلى وجوههم الذل والصغار، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ﴾

(١) برقم ٢٦٢٠ وسنن أبي داود برقم ٤٠٩٠ واللفظ له.

(٢) برقم ٧٤٤٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٦.

(٣) (٥٩٠/١١) برقم ٧٠١٥ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط البخاري.

كذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾
 [الزمر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَتَرْتُهُم يَعْزُبُونَ عَلَىٰهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدُّلِّ
 يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ﴿٤٥﴾ [الشورى: ٤٥].

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو ابن
 العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ
 الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الدُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسَاقُونَ إِلَى
 سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ
 أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»^(١). وجاء في تفسيرها بأنها صديد أهل النار.
 ومن هذا النوع أن يبلغ الإنسان الحق من كتاب الله أو سنة
 رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقاد له، بل يعرض عنه أنفةً واستكباراً، قال تعالى:
 ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
 ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣].

وفي مثل هذا نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ
 يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا
 قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي عنه: أَنَّ
 أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ
 بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا
 الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ^(٢).

(١) برقم ٢٤٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم ٢٠٢١.

النوع الثاني: التكبر على الخلق وقد مر بيانه بأنه غمط الناس: أي احتقارهم وازدراؤهم، وهذا إنما ينشأ عند أهل النقص والدناءة، فيريدون تعويض ذلك بإظهار ما ليسوا بأهله، وحينئذ ينشأ الكبر عندهم، ولهذا جاء التوجيه النبوي الكريم بالأمر بالتواضع قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١).

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وإنما صار حجاباً دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وفيه شيء من الكبر، فما من خُلِقَ ذميمة إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره، وما من خُلِقَ محموداً إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه، والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض، وشر أنواع الكبر ما يمنع من الاستفادة من العلم، وقبول الحق، والانقياد له»^(٢). اهـ.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الكبر يشمل تزكية النفس والإعجاب

(١) برقم ٢٨٦٥.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٥).

بها عند الآخرين، والتكبر بالنسب، والمال، والجاه، والقوة، والجمال. فصاحب النسب الشريف يتكبر على من ليس كذلك، وإن كان أرفع منه عملاً، والغني يتكبر بما له على الفقير، وصاحب المنصب يتكبر على من ليس كذلك، والمرأة الجميلة تتكبر على المرأة التي ليست كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَلَكُمْ﴾ [١٣] ﴿الحجرات: ١٣﴾. وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهِدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٩٥٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٥٤) برقم ٣١٠٠.

الكلمة الثالثة عشرة

الجنة والنار كأنها رأي العين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويوحدوه ويطيعوه، ووعد من أطاعه بالجنة فضلاً منه، وتوعد من عصاه بالنار عدلاً منه.

والجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى في الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال في النار: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»^(١).

فالجنة ثواب أولياء الله المطيعين له ولرسله، والنار عقاب أعداء الله العاصين له ولرسله، ولا يظلم ربك أحداً، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها أو يعفو الله عنها.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن شدة حر هذه النار فقال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءً مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»^(٢) متفق عليه.

(١) برقم ٢٦٦٢.

(٢) برقم ٣٢٦٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

وجهنم عظيمة مخيفة، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا»^(١).

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]. وجهنم قعرها بعيد، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»^(٢).

والعصاة في النار على دركات، روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن النار: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ»^(٣)، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوتِهِ»^(٤)^(٥). والحجزة مقعد الإزار.

روى البزار وأبو يعلى في مسنديهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةٌ (أَلْفٍ) أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ

(١) برقم ٢٨٤٢.

(٢) برقم ٢٨٤٤.

(٣) الحجزة: مقعد الإزار.

(٤) التروقة: العظم الذي عند ثغرة النحر وللإنسان ترقوتان جانبي النحر.

(٥) برقم ٢٨٤٥.

من (أهل) النارِ فتنفس فأصاب نفسه، لا حترق المسجدَ ومن فيه»^(١).
و«أهونُ أهلِ النارِ عذابًا من يلبسُ نعلينِ يغلي منهما دماغه».

روى مسلم في صحيحه من حديث العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أهونُ أهلِ النارِ عذابًا أبو طالبٍ وهو مُنتعلٌ بنعلينِ يغلي منهما دماغه»^(٢). وطعام أهل النار الضريع، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦]. والضريع شجر ذو شوك عظيم قد بلغ غاية الحرارة والمرارة وقبح الرائحة، وكذلك الزقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [٤٣] ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [٤٥] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [٤٦] [الدخان: ٤٣-٤٦]. والزقوم: شجرة خبيثة المنظر، كريهة الرائحة، مرة الطعم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مجاهد: أن الناس كانوا يطوفون وابن عباس جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢]، وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُومِ قَطَرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزَّقُومُ؟!«^(٣).

وكذلك طعامهم الغسلين: وهو صديد أهل النار، والقيح، والدم، والعرق.

(١) (البيزار) البحر الزخار برقم ٩٦٢٣، وأبو يعلى برقم ٦٦٧٠ واللفظ له، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٥٠٩.

(٢) برقم ٣٨٨٣ وصحيح مسلم برقم ٢٠٩.

(٣) (٤/٤٦٧) برقم ٢٧٣٥، وقال محققوه إسناداه صحيح على شرط الشيخين.

قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧].

وشراب أهل النار الحميم الذي بلغ غاية الحرارة إذا قُرب من وجوههم شواها حتى يتساقط اللحم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم: ﴿وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩) [الكهف: ٢٩].

والماء المهل كالزيت المحروق أسود غليظ منتن، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (١٥) [محمد: ١٥]. وكذلك الغساق، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]. والغساق: قال ابن الأثير: الغساق: بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل: ما يسيل من دموعهم، وقيل: هو الزمهير^(١)، فهو بارد لا يُستطاع من برده، ولا يُواجه من نتنه^(٢)، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَأُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا»^(٣) فجهنم لها ألوان من العذاب، قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ (٥٧) وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ [ص: ٥٧-٥٨].

وأما الجنة فإن نعيمها يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/٣٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٢٣٣).

(٣) (١٧/٢٣١) برقم ١١٢٣٠، وقال محققوه حديث حسن لغيره.

لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ، هِيَ وَاللَّهُ نُورٌ يَتَلَأَلُ
وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ
حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ، وَحُلٌّ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ
بَهِيَّةٍ. وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ عَنْ صِفَةِ بِنَائِهَا، قَالَ: «لَبِنَةٌ ذَهَبٌ وَلَبِنَةٌ فِضَّةٌ،
وَمِلَاطُهَا^(١) الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا
الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبُوسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، وَلَا تَبْلَى
ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠].

وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة عظيم لا تدركه العقول ولا تصل إلى
كنهه الأفكار، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي
هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ
مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَافْرُؤُوا إِنِ
شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»^(٣).

وأول من يدخل هذه الجنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، روى مسلم في
صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آتِي
بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ:
مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٤).

(١) الملاط: المادة التي توضع بين اللبتين.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم ٨٠٤٣ وقال محققوه حديث صحيح بطرقه
وشواهد.

(٣) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

(٤) برقم ١٩٧.

وأول زمرة يدخلون الجنة جاء وصفهم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا^(٢) مُرْدًا بِيضًا جِعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «وفي هذا الطول والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي

(١) برقم ٣٢٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣٤.

(٢) جرداً مرداً: قال السندي: الأول جمع أجرد وهو من لا شعر على جسده، والثاني جمع أمرد وهو من لا شعر على ذقنه، والجعد في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً، فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخلق، أو يكون جعد الشعر وهو ضد السبيط لأن السبوطه أكثرها في شعور العجم، وأما الدم فهو القصير المتردد الخلق. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٥٦-٢٥٧).

(٣) (٣١٥/١٣) برقم ٧٩٣٣ وقال محققوه حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ١٠٤ بتصرف.

وقاص رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ مَا يُقَلُّ (١) ظُفْرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَزَخَرَفَتْ (٢) لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ (٣) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَأَ أَساوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ، كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ» (٤).

ومكان هذه الجنة كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]. قال ابن عباس رضيما: الجنة، وقيل: عليون في السماء السابعة تحت العرش، وذكر بعض السلف آثاراً تدل على أن الجنة فوق السماء السابعة كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» (٥).

والجنة لا موت فيها، ولا همٌّ، ولا حزن، بل قال بعض أهل العلم: أهل الجنة لا ينامون لأن النوم أخو الموت، ولا يكون إلا من تعب، والجنة لا تعب فيها ولا نصب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٣٤] الَّذِي أَلْطَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [٣٥] [فاطر: ٣٥-٣٤].

(١) يُقَلُّ: أي يحمل.

(٢) تزخرفت: تزينت.

(٣) خوافق: جمع خافق وهو الأفق.

(٤) (٥٧/٣) برقم ١٤٤٩ وقال محققوه حسن.

(٥) برقم ٧٤٢٣.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش» (٢).

والجنة درجات بعضها فوق بعض وأهلها متفاضلون بحسب منازلهم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَى ﴾ [طه: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١].

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ

(١) برقم ٢٨٣٧.

(٢) الفتاوى (٤/٣١٢).

فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيَتْ رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيَتْ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشِيرٌ^(١)، قَالَ: وَمُضَدَّاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

أما حورها فإن الله تعالى قال عنهم: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٢٢) كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ^(٢٣) [الواقعة ٢٢-٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾^(٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾^(٣٦) ﴿عُرْبًا أَرْبَابًا﴾^(٣٧) [الواقعة ٣٥-٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾^(٢٥) [البقرة: ٢٥]. قال جمع من المفسرين: مطهرة من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، وغير ذلك من الأقدار والأذى^(٢). روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصَيْفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(٣).

أما رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ورضاه عنهم، فإن ذلك من أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في

(١) برقم ١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٣).

(٣) برقم ٢٧٩٦.

صحيحه من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ وعَلَيْكُمْ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٢).

وبعد ما عرف المؤمن ما أعد الله للكفرة والعصاة من العذاب والنكال، وما أعد له كذلك للمؤمنين المتقين من الكرامة والنعيم، فإنه يجب عليه أن يسعى لفكاك نفسه من النار، قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣). والمسارعة بالطاعات والقربات لينال الدرجات العلى، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ

(١) برقم ١٨١.

(٢) برقم ٧٥١٨ وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٩.

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ١٠١٦.

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة عشرة

فوائد من قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَانِ ﴾ [الأنعام: ٦٠-٦٢].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾: قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يتوفى عباده المؤمنين في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الأصغر، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنِي مَرْيَمَ لَا تَهْزَبِ عَنكَ إِلَهِي﴾ [آل عمران: ٥٥]. قال جمع من المفسرين: المراد وفاة النوم، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَا ضَرَبْتَ

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٢﴾ [الزمر: ٤٢].
فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من النوم قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه بخلقه في ليلهم ونهارهم، وفي حال سكونهم وحال حركتهم كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦٠) أي: في النهار، و﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: أجل كل واحد من الناس، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازيكم على ذلك؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء،

(١) برقم ٧٣٩٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٣.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله تعالى: ﴿لَهُ، مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] ﴿١١﴾ وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [١٠] ﴿كِرَامًا كُنِينٍ﴾ [١١] ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [١٢] ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١١-١٢]. وكقوله: ﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [١٧] ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] ﴿[ق: ١٧-١٨].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ أي: احتضر وحن أجله ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الموكلون بذلك، قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ أي: في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله ﷻ إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين، عياداً بالله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾، قيل: الملائكة، وقيل الخلائق كلهم يردون إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ [٤٩] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٥٠] ﴿[الواقعة: ٤٩-٥٠]. ولهذا قال: ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ نَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ قَالُوا: اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ

أَخْرَجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرَحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، إِذْ خَلِيَ حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءِ قَالُوا: أَخْرَجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، أَخْرَجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا تَزَالُ تَخْرُجُ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرَحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا يَفْتَحُ لِكَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تُصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَيَجْلِسُ الرَّجُلُ السُّوءِ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ»^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن الله تعالى هو المحيي المميت سبحانه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا بَلْ لَبِثْنَا مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(١) (١٤/٣٧٧-٣٧٨) برقم ٨٧٦٩ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وقال سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

ثانياً: أن المحتضر إما أن يبشر بالنعيم أو بالعذاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠]. قال بعض المفسرين: تبشرهم الملائكة ألا تخافوا مما تقدمون عليه في الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أهل ومال وولد، فنحن نخلفكم فيه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٠].

ثالثاً: الإيمان بالملائكة وهم على أصناف، منهم الموكلون بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١]. وما يظنه بعض الناس من أن ملك الموت اسمه (عزرائيل) فليس بصحيح ولم يثبت بالكتاب والسنة.

رابعاً: أن القهار على الحقيقة هو الله وحده هو الذي قهر وغلب عباده أجمعين، حتى إن أعتى الخلق يتضاءل ويتلاشى أمام قهر الله وجبروته، فهذا الموت الذي كتبه على عباده لا يستطيع الخلق رده أو دفعه عن أنفسهم ولو أوتوا من القوة

والجبروت ما أوتوا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ۗ﴾ [الجمعة: ٨]. وقال سبحانه للمنافقين: ﴿قُلْ فَأَدْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة عشرة

قوة الإرادة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع «قوة الإرادة» وهي تهيو القلب والعقل بشدة وعزم لإحداث الفعل أو تركه^(١).

وهي قوة العزيمة التي تحمل صاحبها على استسهال الصعاب واقتحام الشدائد لنيل الغرض المطلوب، قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ

ولا تكون هذه الصفة إلا في الكُمَّلِ من الرجال أهل القوة والعزم، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

﴿٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وأصحاب العزائم القوية يتحقق لهم ما يشبه

المستحيل من غيرهم، قال المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

أما أصحاب الإرادات الضعيفة والعزائم الرخوة فإنه لا يكاد

(١) موسوعة نضرة النعيم (١/٣١٩٦).

يتحقق لهم مراد، فكلما هموا بأمر ورأوا ما دونه من الصعاب والشدائد ارتخت عزائمهم وضعفت إرادتهم، وحال إيثارهم للراحة والدعة دون تحقيقه، قال الشاعر:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرُومُ الْعِزِّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وقد أثنى الله تعالى في كتابه في غير ما موضع على أصحاب الإرادة القوية والعزيمة النافذة، فقال تعالى لنبيه ﷺ منبهاً له في الاقتداء بهم: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]. وبها أمر ربنا تعالى نبي الله يحيى ﷺ فقال: ﴿يَنِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. وَمِنْ قَبْلُ أَمَرَ نَبِيَهُ مُوسَى ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ فَقَالَ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وفي العموم يقول تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وقد أخبرنا جل وعلا في قصة أبينا آدم أنه أدخله الجنة وأذن له في التمتع بما فيها من النعيم إلا شجرة واحدة نهاه عن الأكل منها، فوسوس له إبليس وخادعه حتى أضعف إرادته، وحل من عزمته، فأكل منها، فكان جزاؤه أن أُخْرِجَ مِنْ دَارِ النِّعَمِ وَالْحَبُورِ وَالسَّرُورِ، وَأُهْبِطَ إِلَى دَارِ الْأَحْزَانِ وَالنَّكَدِ وَالْهَمُومِ وَالْغَمُومِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

ولقد ضرب نبينا ﷺ أروع الأمثلة في قوة الإرادة ونفاز العزيمة، فقد أتت قريش إلى أبي طالب عم النبي ﷺ فقالت: يا

أبا طالب؛ رأيت محمد يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا، فانهه عن أذانا، فقال: يا عقيل ائني بمحمد، فذهبت فأتيته به، فقال: يا ابن أخي! إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم وفي مسجدهم، فانهه عن ذلك، قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره (وفي رواية: فعلق رسول الله ﷺ ببصره) إلى السماء، فقال: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَرُدَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً - يعني: الشمس -» قال: فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي قط، فارجعوا^(١).

وروى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن النبي ﷺ قال في صلح الحديبية: «يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ، دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا^(٢)، قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةً، فَمَاذَا تَنْظُنُّ قُرَيْشُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَأُلُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ لَهُ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ^(٣)»^(٤).

ومن مواقف أصحاب الإرادات القوية التي تُذكر وتُشكر، موقف

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥١/٧) برقم (٢٣٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٩٢.

(٢) أي ما دخلوا في الإسلام عند غلبتي على سائر العرب، بل اختاروا القتال على دخول الإسلام.

(٣) السالفة: صفحة العنق، والمراد أو أموت.

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٧٣١-٢٧٣٢) ومسند الإمام أحمد (٢١٢/٣١) برقم ١٨٩١٠ وقال محققوه إسناده حسن واللفظ له.

الصديق رضي عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارتدت قبائل العرب ومنعوا الزكاة وأشرأب النفاق، قالت عائشة: فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها - أي: لكسرها بعد جبرها -، وقال كلمته المشهورة: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ^(١).

ومن المشهور أيضاً موقف الإمام الجليل أحمد بن حنبل رحمته الله في فتنة القول بخلق القرآن، وللعلماء والأخيار مواقف جليلة تطلب في مظانها من كتب التواريخ والتراجم.

تنبيهات:

الأول: الإرادة القوية؛ منها المحمود والمذموم، فالمذموم أن تكون في الإقدام على أمور لم يتحقق فيها رضا الله سبحانه وتعالى أو أغراض شرعية، والممدوح عكس ذلك وركناه الذي لا يقوم إلا بهما: التقوى والصبر، قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والتقوى لا بد أن تكون عن بصيرة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]. فالأبصار البصيرة في الدين الناتجة عن العلم والتقوى، والأيدي هي القوة.

الثاني: على من آتاه الله قوة الإرادة أن يعلم أن ذلك فضل من الله،

(١) صحيح البخاري برقم ١٤٠٠ وصحيح مسلم برقم ٢٠.

الْمِنَّةُ لَهُ فِيهَا وَحْدَهُ، فَلِيُشْكِرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَلِيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ، بِهَذَا جَاءَ التَّوْجِيهُ الْكَرِيمَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثالث: الحذر من التردد وغالباً ما يكون سببه نقص البصيرة، فإذا تحقق من الأمر الذي يريده فليعزم ولا يتردد، قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وفي غزوة أحد كان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة ومنازلة المشركين فيها، فلما أكثر عليه شباب الصحابة وعزم الخروج ولبس لامته للحرب، أُشير عليه بترك ذلك فأبى لما في التردد من فساد الأمور وضياع الرأي، فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ^(١) أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتَلَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) واللامنة: الدرع، وقيل السلاح.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣/١٠٠) برقم ١٤٧٨٧ وقال محققوه صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم.

الكلمة السادسة عشرة

فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، وكانت من أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، حتى إذا بلغت عُرفت بالطاهرة لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية، وكانت تاجرة ذات شرف ومال، وقد تزوجها النبي ﷺ وعمرها أربعون سنة، وسنه خمس وعشرون سنة، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت لفضلها ومكانتها عنده فإنها كانت نعم القرين، وقد ولدت له القاسم وبه كان يُكنى ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وكان يُلقب بالطيب والظاهر، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فأدركن الإسلام فأسلمن، وهاجرن، إلا أن الوفاة أدركتهن في حياته سوى فاطمة، فقد ماتت بعده بأشهر، وهي أول من آمن به وصدقته قبل كل أحد، وثبتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

إنها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية، وهي من أفضل نساء الأمة، قال الذهبي رحمته الله: «كانت عاقلة جليلة

دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يُشني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، حتى إن عائشة كانت تقول: «ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي ﷺ لها»^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»^(٢). والقصب: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، والصخب: اختلاط الأصوات، والنصب: التعب.

قال السهيلي: «وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً»^(٣).

قال ابن إسحاق: «تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت خديجة وزيرة صدق، أبوها يجتمع مع النبي ﷺ في جده الرابع قُصي بن كلاب، وأمها تجتمع مع النبي ﷺ في جده الثامن لؤي بن غالب، وكانت ذات مال، فعرضت على النبي ﷺ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٠).

(٢) برقم ٣٨٢٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣١٧).

أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها ميسرة، فلما قدم باعت خديجة ما جاء به فأضعف، فرغت فيه، فعرضت نفسها عليه، فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة»^(١)(٢).

ومن مواقفها العظيمة رضي عنها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها قالت: «أول ما بُدئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،... ثم قال في آخر الحديث: فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيحَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فقالت: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاَنْطَلَقَتْ بِه خَدِيحَةُ حَتَّى أَتَتْ بِه وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنِ عَمِّ خَدِيحَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فقالت له خديجة: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فقال له ورقة: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبْرَ مَا رَأَى، فقال له ورقة: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟»، قال: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ

(١) الفتى من الإبل، والأنثى يطلق عليها بكرة.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٣٦)، (٢/٢٦) بتصرف.

رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُؤَفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ^(١).

ومن مواقفها العظيمة أنها شاركت النبي صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء، ودخلت معه في حصار الشعب الذين اشتد عليهم فيه الجوع والعطش حتى ذكر بعض أهل العلم أنهم أكلوا أوراق الشجر، وفي السنة التي خرجوا فيها من الشعب توفيت خديجة.

وكانت رضي الله عنها من أفضل نساء الأمة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: سمعت علياً بالكوفة وهو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ »^(٢).

ومن حب النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة ووفائه لها، ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتَهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»^(٣). وفي رواية في الصحيح: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»^(٤).

(١) برقم ٣ وصحيح مسلم برقم ١٦٠.

(٢) برقم ٣٤٣٢ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٠.

(٣) برقم ٣٨١٨ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٤ بقطعة ليست هنا.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٤٣٥.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرَف استئذان خديجة فارتاع، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»، فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين^(١)، هلك في الدهر، فأبدلك الله خيراً منها^(٢). وفي رواية: «ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وآستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٣).

وكانت وفاتها بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين في شهر رمضان، وقيل: بثمان، وقيل: بسبع، فأقامت معه خمساً وعشرين سنة، ودُفنت بالحجون^(٤)، ويذكر بالسير عام الحزن، لشدة حزن النبي صلى الله عليه وسلم على فراق زوجته الوفية خديجة، رضي الله عن أم المؤمنين خديجة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حمراء الشدين: قال السندي: حمراء الشدق: أي سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت الحمرة في شدقها، وهذا كناية عن كونها عجوزة نقلاً عن مسند الإمام أحمد (٣٥٨/٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٨٢١ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٧.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٥٦/٤١) برقم ٢٤٨٦٤ وقال محققوه حديث صحيح.

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان (١٢٣/٥).

الكلمة السابعة عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ (١٢٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَّبُوا عَائِيَّتَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٢٩) [ص: ٢٩]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢) [الأنعام: ١٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي في الضلالة هالكاً حائراً فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه ووفقه لاتباع رسوله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن وقيل الإسلام، وكلاهما صحيح».

قوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾: أي الجهالات، والأهواء، والضلالات المتفرقة ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: أي: لا يهتدي إلى منقذ

ولا مخلص مما هو فيه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ النُّورُ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ» ^(١). كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ﴾ ^(١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ^(٢٠) وَلَا الظُّلْمَ وَلَا الْحُرُورَ ^(٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ^(٢٢)﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

قيل: المراد بهذا المثل: رجلان معنيان؛ عمر بن الخطاب، وهو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وقيل: عمار بن ياسر، وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله، والصحيح: أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر ^(٢). اهـ.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١- إن هذا النور الذي يحصل عليه المؤمن إنما هو نور الإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ﴾ ^(٢٢) [الزمر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ

(١) (١١/٢٢٠) برقم ٦٦٤٤ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١٥٩-١٦٠).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

٢- إن هذا النور يُحَرِّمُ منه المنافق والكافر لكفرهم وإجرامهم، قال تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ [النور: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ﴿١٣﴾ [الحديد: ١٣].

٣- إن هذا النور الذي يعطيه الله للمؤمن ليس خاصًا بالدنيا، بل هو في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»^(١). قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر حال المؤمنين يوم القيامة قال: «فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى

(١) (١٤/١٥) برقم ٩٠٣٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طَفِيَ قَامَ، قَالَ: وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السِّيفِ دَخُضَ مَزَلَّةً، قَالَ: وَيَقُولُ: مُرُوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلُقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ...» الحديث (١).

٤- أن القرآن نور، والسنة نور، والصلاة نور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ

(١) جزء من حديث (٣٥٧-٣٥٨) برقم ٩٧٦٣ ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/٣٦٥-٣٦٧) بطوله وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده وقال هذا إسناد صحيح متصل رجاله ثقات، وحسنه شيخنا د. سعد الحميد في مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک الحاكم (٧/٣٥٤٣-٣٥٤٩) برقم ١١٧٤.

عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»^(١).

٥- إن الله تعالى هو نور السماوات والأرض وما فيها، ويهب نوره لمن يشاء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده أشرفت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تُكْوَرُ، والقمر يُخَسَفُ، ويذهب نورهما^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن، فإن نور الإيمان في قلبه، ومدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، ومشيته في الناس نور، وكلامه نور، ومصيره إلى نور، والكافر بالضد، ولما كان النور من أسمائه الحسنی وصفاته كان دينه نوراً، ورسوله نوراً، وكلامه نوراً، وداره نوراً يتلألاً، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجري على ألسنتهم، ويظهر على وجوههم، وكذلك لما كان الإيمان واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه إليه، وكذلك الإحسان صفته وهو يحب المحسنين وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك، وأعطاه من هذه الصفات ما شاء وأمسكها عن من يبغضه وجعله على أضدادها، فهذا عدله وذلك فضله والله ذو الفضل العظيم»^(٣).

(١) برقم ٢٢٣.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم ص ١١٧.

(٣) شفاء العليل لابن القيم (١/١٠٥).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم:
إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(١).

٦- أن المؤمن كلما ازداد من الأعمال الصالحة والطاعات
والقربات كان نوره أعظم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في صلاته بالليل
فيقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي
نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا
وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا»^(٢). وفي رواية لمسلم:
«وَأَعْطِنِي نُورًا»^(٣).

٧- أن النور صفة من صفات الله تعالى، روى مسلم في صحيحه
من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حِجَابُهُ النُّورُ»^(٤).

«وهذا النور لا يمكن التعبير عنه إلا بمثل هذه العبارة النبوية
المؤدية للمعنى العظيم، وأنه لا تُطِيقُ المخلوقات كلها الثبوت لنور
وجهه لو تَبَدَّى لها، ولولا أن أهل دار القرار يعطيهم الرب حياة كاملة
ويعينهم على ذلك لما تمكنوا من رؤية الرب العظيم، وجميع الأنوار
في السماوات العلوية كلها من نوره، بل نور جنات النعيم - التي

(١) برقم ٦٣١٧ وصحيح مسلم برقم ٧٦٩.

(٢) برقم ٦٣١٦ وصحيح مسلم برقم ٧٦٣.

(٣) برقم ٧٦٣.

(٤) برقم ١٧٩.

عرضها السماوات والأرض وسعتها لا يعلمه إلا الله - من نوره،
فنور العرش، والكرسي، والجنات من نوره، فضلاً عن نور الشمس،
والقمر، والكواكب»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح الرحيم الملك العالم للشيخ عبد الرحمن السّعدي (ص ٦٦ - ٦٧).

الكلمة الثامنة عشرة

من أسماء الله الحسنى (الحفيظ والحافظ)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١) ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العزيز (الحفيظ والحافظ)، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

وأما الحافظ فقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الخطابي: هو الحافظ يحفظ السماوات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تندثر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

(١) برقم ٢٧٣٦؛ وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٧.

مَارِدٍ ﴿٧﴾ [الصفات: ٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١]. وهو سبحانه يحفظ عبده من المهالك ومن مصارع السوء كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١]. أي بأمره، ويحفظ على الخلق أعمارهم ويحصي عليهم أقوالهم ويحفظ أوليائه فيعصمهم عن مَوَاقِعَةِ الذنوب ويحرسهم من مكائد الشيطان ليسلموا من فتنته وشره^(١).

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين العظيمين:

أولاً: أن الحافظ لهذه السماوات السبع والأرضين وما فيها هو الله وحده لا شريك له، وهو سبحانه يحفظ السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج: ٦٥].

ثانياً: أن الله سبحانه يحفظ أعمال عباده فلا يضيع منها شيئاً ويوافيهم بها يوم الحساب، وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا»^(٢). وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ [سبأ: ٢٩]. وقد وكل بهذه الأعمال حَفَظَةً كراماً من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ

(١) شأن الدعاء ص ٦٧-٦٨.

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ٢٥٧٧.

﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. ولا يسقط من الصحف شيئاً ولو صغر، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

ثالثاً: أن الله تعالى هو الذي يحفظ العبد من الشرور والآفات ويحفظه من عقابه وعذابه إن هو حفظ حدود الله واجتنب محارمه، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤]. فيحفظهن لدين الله، ولحفظهن بالغيب حقوق أزواجهن من عرض، أو مال، أو ولد، أو غير ذلك حفظهن الله، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» (١).

رابعاً: مدح الله سبحانه الذين يحفظون حقوقه وحدوده، فقال بعدما ذكر بعضاً من صفاتهم: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿هَذَا مَا توعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ﴿٣٢﴾ مِّنْ خَشْيِ الرَّحْمَنِ الْيَغِيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ [ق: ٣٢-٣٣]. ومما يلزم المؤمن حفظه رأسه، وبطنه، وحفظ الرأس يدخل فيه حفظ السمع، والبصر، واللسان، من المحرمات، وحفظ البطن يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على مُحَرَّم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ﴿٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقد جمع الله ذلك كله في قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(١) برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويدخل في حفظ البطن حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات. ومما يجب حفظه من المنهيات حفظ اللسان والفرج، قال تعالى: ﴿وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَقْمِيهِ وَفَرْجِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

خامساً: أن من أعظم ما يجب على المسلم حفظه من حقوق الله (التوحيد) فإن من حفظ هذا الحق حفظه الله يوم القيامة وأمنه من عذابه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: «هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»^(٢).

وبالجملة فإن المؤمن مأمور بحفظ دينه أجمع، وكلما كان المؤمن لدينه أحفظ كان حفظ الله له أعظم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا

(١) (٣٢/٣٣٠) برقم ١٩٥٥٩ وقال محققوا المسند صحيح لغيره.

(٢) برقم ٢٨٥٦؛ وصحيح مسلم برقم ٣٠.

بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴿٤٠﴾ [البقرة: ٤٠].

سادساً: أن المحفوظ هو ما حفظه الله ﷻ و شاء له أن يُحفظ،
وأما من شاء الله أن يضيع أو يتغير فإنه ضائع لا محالة، وقد تكفل الله
بحفظ كتابه العزيز من التغيير، والتبديل إلى يوم القيامة، قال تعالى:
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٣٣٩-٣٥٤).

الكلمة التاسعة عشرة

مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه وطهوره، وسواكه، ووساده^(١)، وسره، وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، وبعد الهجرة آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ، وقال عن نفسه: لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا، وقال أيضاً: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لأتيته^(٢)، وقال أيضاً: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب

(١) أي فراشه.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠٠٢ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٣.

النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم (١).

إنه الإمام الحبر فقيه الأمة عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي المهاجري أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، كان رضي عنه رجلاً نحيفاً قصيراً، شديد الأدمة (٢)، قال عنه الذهبي: كان معدوداً في أذكى العلماء، وقد روى عبد الله الكثير من الأحاديث عن النبي ﷺ.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبين فضله ومكانته العظيمة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي عنه قال: «قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ فَمَكَّنَا حِينًا وَمَا نَرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلَزُومِهِمْ لَهُ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن يزيد رضي عنه قال: سَأَلْنَا حُذَيْفَةَ عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ وَالْهَدْيِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَأْخُذَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الأحوص رضي عنه قال: «شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتْرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ ذَاكَ، إِنْ كَانَ لِيُؤْذَنُ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٠٠٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٢.

(٢) أي السواد.

(٣) برقم ٣٧٦٣ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٠.

(٤) برقم ٣٧٦٢.

لَهُ إِذَا حُجِبْنَا وَيَشْهَدُ إِذَا غَبْنَا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علقمة قال: دَخَلْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيْسًا، فَرَأَيْتُ شَيْخًا مُقْبِلًا فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اسْتَجَابَ، قَالَ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَفَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ، وَالْوَسَادِ، وَالْمِطْهَرَةِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ الَّذِي أُجِيرَ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ السَّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، كَيْفَ قَرَأَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)؟ فَقَرَأْتُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَالذِّكْرِ وَالْأُنْثَى، قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا النَّبِيُّ ﷺ فَاهِ إِلَى فَيَّ، فَمَا زَالَ هُوَ لَا يَحْتَى كَادُوا يَرُدُّونِي (٢).

وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وقرائهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، - فَبَدَأَ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ» (٣).

وقد حصل رضي الله عنه علماً كثيراً بملازمة النبي ﷺ، فروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْتَمَعَ سِوَايَ حَتَّى أَنْهَاكَ» (٤).

(١) برقم ٢٤٦١.

(٢) برقم ٣٧٦١ وصحيح مسلم برقم ٨٢٤ مختصراً.

(٣) برقم ٣٧٦٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٤ واللفظ له.

(٤) برقم ٢١٦٩.

ومما يدل على علمه وأمانته ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه قال: كُنْتُ أَرَعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ»، فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلِيمٌ مُعَلَّمٌ»^(١).

وقال عمر رضي عنه: كَيْفَ مُلِيَءَ عِلْمًا^(٢).

وكان الصحابة رضي عنهم يتعجبون من دقة ساقيه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلته عند ربه، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سَوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحَدٍ»^(٣).

وكان مستجاب الدعوة، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله رضي عنه: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَدْعُو، فَقَالَ: «سَلْ تُعْطَهُ»، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا

(١) (١٢/٦) برقم ٣٥٩٨ وقال محققوه إسناده حسن.

(٢) الكنيف: الوعاء، وقال هذا نظراً لصغر سنه مع أنه من أعلم الصحابة.

(٣) (٩٩/٧) برقم ٣٩٩١ وقال محققوه صحيح لغيره.

لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَى غُرْفِ الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْدِ^(١).
ومن أقواله العظيمة: أنه كان يقول: «حَبَّذَا الْمَكْرُوهَانَ: الْمَوْتُ
وَالْفَقْرُ، إِنْ كَانَ الْفَقْرُ إِنْ فِيهِ الصَّبْرُ، وَإِنْ كَانَ الْغِنَى إِنْ فِيهِ اللَّعَظْفُ؛ لِأَنَّ
حَقَّ اللَّهِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاجِبٌ»^(٢).

ومنها أنه كان يقول إذا قعد: «إنكم في ممر الليل والنهار، في
آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيراً
يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل
زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يُدركُ حريص ما لم يُقدَّر
له، فمن أُعطي خيراً، فالله أعطاه، ومن وُقِيَ شراً، فالله وقاه، الْمُتَّقُونَ
سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»^(٣).

وكان يقول: «من أراد الآخرة أضرَّ بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضرَّ
بالآخرة، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي».

وكان يقول: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً، ليس في عمل
آخرة ولا دنيا».

ولما مرض عبد الله عاده عثمان فقال: «مما تشكي؟ قال: ذنوبي،
قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال:
الطبيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعتاء، قال: لا حاجة لي فيه»^(٤).

(١) (٣٤٦/٦) برقم ٣٧٩٧ وقال محققوه صحيح لغيره.

(٢) أبو نعيم في الحلية (١/١٣٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٦-٤٩٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٨).



قال ابن حجر، وعند البخاري في تاريخه بسند صحيح من حديث ابن ظهير، قال: «جاء نعي عبد الله بن مسعود إلى أبي الدرداء، فقال: ما ترك بعده مثله»^(١). قال عبيد الله بن عبد الله: مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنين وثلاثين من الهجرة^(٢).

رضي الله عن عبد الله بن مسعود، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تاريخ البخاري الصغير (١/٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٩).

الكلمة العشرون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكون كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٢﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بعودهم بعد خروجه، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا: أي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر، وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار، فلماذا قالوا: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، فقال تعالى: قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها لمخالفتكم أشد حراً مما فررتم منه من الحر، بل أشد حراً من النار في الدنيا لو كانوا يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول ﷺ في سبيل الله في الحر ليتقوا به حر جهنم الذي هو أضعاف أضعاف هذا، ولكنهم كما قال الآخر: كالمستجير

من الرمضاء بالنار»^(١).

ثم قال سبحانه: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت الدنيا، وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً»^(٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن المنافقين في كل عصر وزمان ديدنهم تشييط المؤمنين عن الجهاد، وأداء الطاعات مهما كانت يسيرة، كما قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧].
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ثانياً: أن الله ذم المنافقين ليس بقعودهم عن الجهاد فقط، ولكن بفرحهم أيضاً بهذا التخلف، فإن الفرح بالمعصية أعظم من المعصية.

ثالثاً: أن الله قدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في هذه الآية، وفي آيات أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. قال العلماء: وذلك لأهمية المال في دعم الجهاد، ولا يمكن أن يقوم الجهاد بدون مال.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٥٥).

رابعاً: دلَّت الآية الكريمة أن الفقيه هو الذي يتقي البلاء الأكبر بالأصغر، والمنافقون لما كانوا لا يفقهون عكسوا ذلك بفرارهم من حر الرمضاء إلى حر جهنم، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَ مِنْ يَقُولِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (١٠) [العنكبوت: ١٠].

فناز جهنم أشد وحرها أعظم من حر الدنيا، بل هي أضعاف نار الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، قالوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(١).

خامساً: أن من الكفار والعصاة من يرتكبون المعاصي والذنوب، وهم يضحكون، ويلعبون، ولكن هذا الضحك ينقلب يوم القيامة بكاء وحسرات، روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن قيس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَّتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ - يعني مكان الدمع -»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٦٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

(٢) (٥/٨٣١) برقم ٨٨٢٧ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٧٩.

الكلمة الحادية والعشرون

من أحكام السفر وآدابه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الإنسان بطبعه يحتاج إلى السفر في أرض الله لقضاء مصالحه الدينية والدنيوية، والسياحة في الأرض والتأمل في عجائب المخلوقات مما يزيد العبد إيماناً ويقيناً بربه، قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] (١).

قال الشافعي مادحاً للسفر وحاتماً عليه:

سافر تجد عوضاً عمن تُفارقه وأنصب فإن لزيد العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سأل طاب وإن لم يجز لم يطب
والشمس لو بقيت في الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب

وقد وردت السنة النبوية ببعض الآداب الشرعية التي ينبغي للمسافر أن يلتزم بها، فمن ذلك:

أولاً: الاستخارة الشرعية قبل السفر، فيستخير في موعد السفر ووجهته، روى البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي

(١) المنهاج للحاج والمعتمر للشيخ سعود الشريم ص ١١-١٢.

في سننهما من حديث جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا
 الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ:
 «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ:
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَحِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ
 فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ
 الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، خَيْرٌ
 لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ،
 فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ،
 وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ وَيُسَمِّيهِ، شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ
 قَالَ: «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ
 لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»^(١).

ثانياً: أن يحرص على دعاء السفر عند خروجه وعودته،
 فقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ
 قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
 لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ
 الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرِنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ،
 اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي
 الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ،

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٢ وسنن الترمذي برقم ٤٨٠ والنسائي برقم ٣٢٥٣.

عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(١). وفي رواية لمسلم: «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ - وَهُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ أَوْ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ -، وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ»^(٢).

ثالثاً: أن يحرص أيضاً على الذكر عند الركوب فقد روى الترمذي في سننه من حديث علي بن ربيعة قال: شهدنا علياً أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بِاسْمِ اللَّهِ» ثلاثاً، فلما استوى على ظهرها قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثلاثاً، و«اللَّهُ أَكْبَرُ» ثلاثاً، «سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ثم ضحك، قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعَجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ»^(٣).

رابعاً: كان النبي ﷺ إذا ودَّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم: «أَسْتَوِدُّعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(٤). والسنة أن يرد

(١) برقم ١٣٤٢.

(٢) برقم ١٣٤٣.

(٣) برقم ٣٤٤٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم ٣٤٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٥) برقم

عليه المسافر فيقول: «أَسْتَوِدُّعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»^(١).

خامساً: استحباب الخروج يوم الخميس، روى البخاري في صحيحه من حديث كعب بن مالك رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ»^(٢).

ويُستحب أن يكون أول النهار أو بالليل لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»^(٣)، ولما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالذُّلْحَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ»^(٤).

سادساً: استحباب طلب الرفقة الصالحة وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُوا، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ»^(٥). وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الرَّاكِبُ

(١) سنن ابن ماجه برقم ٢٨٢٥ وحسنه العراقي كما نقل ذلك الألباني رحمته الله في الكلم الطيب ص ٥٩.

(٢) برقم ٢٩٥٠.

(٣) (٣/٤١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٧٨) برقم ١٣٠٠.

(٤) برقم ٢٥٧١ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٨) برقم ٢٢٤١.

(٥) برقم ٢٩٩٨.

شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ» (١).

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «ولعل الحديث أراد السفر في الصحاري والفلوات التي قلما يرى المسافر فيها أحداً من الناس، فلا يدخل فيه السفر اليوم في الطرق المعبدة الكثيرة المواصلات. والله أعلم» (٢). اهـ.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» (٣).

سابعاً: استحباب تكبير المسافر إذا صعد الثنانيا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا» (٤).

ثامناً: كان النبي ﷺ ينهى المرأة أن تسافر لوحدها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً، وَإِنِّي اكْتَتَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ:

(١) برقم ٢٦٠٧ والترمذي برقم ١٦٧٤ وقال حديث حسن.

(٢) السلسلة الصحيحة حديث رقم ٦٢.

(٣) برقم ٢٦٠٨ وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود حسن صحيح (٢/٤٩٤) برقم ٢٢٧٢.

(٤) برقم ٢٩٩٤.

«انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»^(١).

تاسعاً: من السنة أن يصلي المسافر التطوع على دابته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ، يَوْمِيْ إِيْمَاءً، صَلَاةَ اللَّيْلِ إِلَّا الْفَرَائِضَ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ»^(٢).

عاشراً: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذر من السفر إلى بلاد الكفار، فروى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا»^(٣).

وقد استثنى العلماء من ذلك: المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين، أو للتجارة، وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهراً لدينه عالماً بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادراً على إقامة شعائره مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

الحادي عشر: إذا ذهب المسافر إلى المتنزهات أو البراري عليه أن يلزم زوجته وبناته بالحجاب، وعليه أن يبتعد عن الأماكن المختلطة، أو التي تحتوي على مخالفات شرعية، وأن يحافظ على

(١) برقم ١٨٦٢ وصحيح مسلم ١٣٤١ واللفظ له.

(٢) برقم ١٠٠٠ وصحيح مسلم برقم ٧٠٠.

(٣) برقم ١٦٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم ١٣٠٧.

الصلاة في أوقاتها، ويأمر أهله بذلك، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

الثاني عشر: كان النبي ﷺ يَحُثُّ أُمَّتَهُ إِذَا نَزَلَ أَحَدُهُمْ مَنْزِلًا فِي سَفَرِهِ، أَوْ غَيْرِهِ أَنْ يَقُولَ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَمْ يُضِرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (١).

الثالث عشر: كان النبي ﷺ يأمر المسافر إذا قضى حاجته أن يعجل بالرجوع إلى أهله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعْجِلْ إِلَى أَهْلِهِ» (٢).

الرابع عشر: كان النبي ﷺ ينهى أن يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا» (٤).

(١) صحيح مسلم برقم ٢٧٠٨.

(٢) برقم ١٨٠٤ وصحيح مسلم برقم ١٩٢٧.

(٣) برقم ٥٢٤٤.

(٤) برقم ٥٢٤٣.

وينبغي للمسافر أن يحرص على الدعاء، فإن دعوته مستجابة،
روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ،
وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٥٣٦ وقال الترمذي حديث حسن.

الكلمة الثانية والعشرون

من أهوال يوم القيامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن أعظم أهوال يوم القيامة اجتماع الناس في المحشر وانتظارهم فصل القضاء بينهم، وموقفهم فيه طويل، وشديد ومفزع، قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقومون حفاة عراة غرلاً^(١)^(٢) في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»^(٤). وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا،

(١) أي كما ولدتهم أمهاتهم غير مختونين.

(٢) ثبت ذلك في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٢٨١).

(٤) برقم ٦٥٣١ وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٢.

وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ» (١).

ويكون عرق الناس في ذلك اليوم على قدر أعمالهم. روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةٌ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ (٢).

قال ابن أبي جمرة: فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار (٣).

قال ابن حجر: ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرونها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا مما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة، ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس

(١) برقم ٦٥٣٢؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٨٦٣.

(٣) فتح الباري (١١/٣٩٤-٣٩٥) بتصرف.

للعقل فيها مجال، ولا يُعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يُؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسارته، وحرمانه، وفائدة الإخبار بذلك أن ينتبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه^(١).

وهذا الموقف مع شدته وكرب الناس فيه فهو أيضاً موقف طويل جداً مقداره خمسين ألف سنة.

قال ابن كثير: وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون، وقيل: يقومون ثلاث مئة سنة، وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويُقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [٣٨] ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ [النبا: ٣٨-٣٩].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ...» الحديث^(٢).

(١) فتح الباري (١١/٣٩٤-٣٩٥).

(٢) جزء من حديث (٣٥٧/٩) برقم ٩٧٦٣ وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/٣٦٧-٣٦٥) بطوله وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال هذا إسناد صحيح متصل رجال ثقات، وقال ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ص ٢١٥، هذا حديث كبير حسن، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب (٣/٤١٨) برقم ٣٥٩١.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»^(١).

وساق ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: يوم القيامة، قال ابن كثير: وهذا إسناده صحيح^(٢).

وكان النبي ﷺ يتعوذ من ضيق هذا اليوم وكرهته. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة الجرشي رضي عنه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ وَبِمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ؟ قَالَتْ: كَانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَسْبِحُ عَشْرًا، وَيَهْلُلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّيْقِ يَوْمَ الْحِسَابِ» عَشْرًا»^(٣).

ومن ثمرات الإيمان بهذا الموقف العظيم:

أولاً: أن المؤمن ينبغي أن يكون على استعداد للقاء ربه، وألاً يكون في غفلة، فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمة، فهناك

(١) برقم ٩٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/١٢٨).

(٣) (٤٢/٣٧-٣٨) برقم ٢٥١٠٢ وقال محققوه حديث حسن.

الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرضات يوم القيامة، والميزان، والصراط والنار، قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) قال [الأنبياء: ١]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» (٢).

ثانياً: أن الكفار وأصحاب المعاصي يُشَدَّدُ عليهم في ذلك اليوم. قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٣٦) [الفرقان: ٢٦]. وتقدم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أن مانعي الزكاة يُعَذَّبُونَ، وأن هذه البهائم تَطْوُهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا وتنطحهم بقرونها.

ثالثاً: ومن البشائر أن أهوال الآخرة مع شدتها وكرباتها من القبر وظلماته، والنفخ في الصور، وعرضات يوم القيامة، والصراط وغيرها، أن الله بِمَنِّهِ وَكْرَمِهِ يَخَفِّفُهَا عَلَى الْمُؤْمِنِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

(١) برقم ٢٣١٢ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٨) برقم ١٨٨٢.

(٢) برقم ٢٤٣١ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

لَهُمْ مِمَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُسْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتُنَلَّقَهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]. قال بعض المفسرين: الفزع الأكبر: النفخ في الصور.

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يَهَوُّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»^(١).

ومن البشائر أيضاً قول الله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن: إنما هي ضحوة، فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين، وكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في قراءة له: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾، وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: يفرغ الله من الحساب نصف النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قرأ الآية: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]^(٢).

رابعا: إنه في ذلك الموقف العظيم والناس في حر شديد، وبلاء عظيم لا يطاق، يُظِلُّ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ سَبْعَةً: «إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ،

(١) برقم ٧٢٨٩ وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٣/٤١٧) برقم ٣٥٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/٢٩٨)، وتفسير القرطبي (١٥/٣٩٨).

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

خامساً: إنه ينبغي للمؤمن أن يكثر من الأعمال الصالحة ويخفيها عن الناس، كان عبد الله بن المبارك يأتي إلى ماء زمزم ويقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَاءُ زَمَزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ»^(٢) وأنا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شرب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٦٠ وصحيح مسلم برقم ١٠٣١.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٣٠٦٢ وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٣٢٠/٤) برقم ١١٢٣.

الكلمة الثالثة والعشرون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى انكفافاً عن المحارم، فإن خوف الله أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع، ويحضرُونَ قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب؛ ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلون، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات وازدجاراً من المعاصي، وكل هذا مما يزيد به الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي يعتمدون في قلوبهم على ربهم وحده لا شريك له في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم الدينية والدينية، ويثقون بأن الله سيفعل ذلك، والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ أي من فرائض ونوافل بأعمالها الظاهرة، والباطنة، كحضور القلب فيها الذي هو روح الصلاة ولبها.

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات، والنفقة على الزوجات، والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.

قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أي الذين اتصفوا بتلك الصفات هم المؤمنون حقاً؛ لأنهم جمعوا بين الإسلام، والإيمان، بين الأعمال الظاهرة، والأعمال الباطنة، وبين العلم، والعمل.

قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: درجات عالية في الجنة بحسب أعمالهم، ومغفرة لذنوبهم، ورزق كريم وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن البكاء من خشية الله هو شعار المؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا

عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١). وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله، وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوَلِّيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فيها التصريح بزيادة الإيمان، وقد صرح تعالى بذلك في مواضع أخرى، كقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَتِغْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَبَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. وتدل هذه الآيات بدلالة الالتزام على أنه ينقص أيضاً؛ لأن كل ما يزيد ينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وجاء مصرحاً بنقصه كما في أحاديث الشفاعة في الصحيحين كقوله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»^(٢).

(١) برقم ١٦٣٩ وقال حديث ابن عباس حديث حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤١١٣.

(٢) صحيح البخاري رقم ٧٥١٠ وصحيح مسلم برقم ١٩٢.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فالإيمان ثلاثة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وقد جمعت هاتان الآيتان ذلك كله، فعمل القلب: مما تقدم من التوكل وزيادة الإيمان وغيره، وعمل اللسان: ذكر الله وتلاوة القرآن، وعمل الجوارح: قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .

رابعاً: الآيات تدل على أن من لم يزد سمع القرآن إيماناً زاده بعداً، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

خامساً: التوكل من خصال الإيمان العظام لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [التوبة: ٢].

سادساً: لطف الله بعباده، حيث ذكرهم بأن ما ينفقونه إنما هو من رزقه الذي أعطاهم، فكيف يبخلون بعد هذا؟

سابعاً: قد يكون من الناس من يدعي الإيمان، ولكن المؤمنين حقاً هم الذين اجتمعت فيهم تلك الصفات لقوله تعالى بعد ما ذكر صفاتهم: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ .

ثامناً: منازل المؤمنين درجات بعضها فوق بعض، ومنازل الكافرين درجات بعضها تحت بعض، لقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]. وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (١).

تاسعاً: من فضل ثواب المؤمنين: قربهم من الله لقوله تعالى:
﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

عاشراً: أن المؤمنين قبل دخول الجنة يطهرون من النقائص والذنوب، لقوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

الحادي عشر: رزق المؤمنين في الجنة لا تبعة فيه مع سعته، وحسنه، ودوامه، لقوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والعشرون

فضائل الأعمال الصالحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يكثُر من الأعمال الصالحة، فإن العمر قصير والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يُفاجئُهُ الأجل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) [الأعراف: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (١٠٥) [التوبة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (١١٤) [هود: ١١٤].

ومن فضائل الأعمال الصالحة:

الحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١) [البروج: ١١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا

أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِنِ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) (١).

ومنها ذهاب الخوف والحزن عنهم: ولو علم كثير من الناس ممن يعانون من الهم، والقلق، والاكتئاب، والمشكلات الأسرية، ما للأعمال الصالحة من انشراح الصدر، ونعيم القلب لاستغنوا عن المستشفيات والعيادات النفسية، ولصلح حالهم واستقام أمرهم.

ومنها محبة الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) ﴿مريم: ٩٦﴾. أي محبة ومودة في قلوب عباده، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» (٢).

ومنها الدرجات والمنازل العالية في الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) ﴿طه: ٧٥﴾. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ

(١) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

(٢) برقم ٣٢٠٨ وصحيح مسلم برقم ٢٦٣٧.

الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

ومنها رضوان الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ۗ﴾ [البينة: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۗ﴾ [التوبة: ٧٢].

ومنها سعة الرزق في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۗ﴾ [الحج: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۗ﴾ [الطلاق: ١١]. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطِعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»^(٢).

ومنها تكفير السيئات، وإصلاح البال، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) برقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣١.

(٢) برقم ٢٨٠٨.

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ [محمد: ٢]. أي يصلح شأنهم وحالهم مع أولادهم، وزوجاتهم، وفي أرزاقهم، وفي شئونهم كلها.

ومنها إعطائهم الأجر تاماً ومضاعفته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ ﴿١٧٣﴾ [النساء: ١٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا» (١).

ومنها الدخول في رحمة الله، والفوز بذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣٠﴾ [الجاثية: ٣٠].

ومنها الخروج من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿١١﴾ [الطلاق: ١١].
ومنها الاستخلاف والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ

(١) صحيح مسلم برقم ١٢٩ وقد خرج البخاري الجزء الأول منه برقم ٤٢.

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

ومنها الأجر الكبير والحسن غير المنقطع، قال تعالى: ﴿إِنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
 أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تعالى: ﴿فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا
 مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
 ﴿٢﴾ [الكهف: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٦].

ومنها زيادة الله تعالى لهم من فضله، وهدايته لهم، قال
 تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
 ﴿٤٥﴾ [الروم: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ ﴿٢٦﴾ [الشورى: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ [يونس: ٩]. أي يزيدهم هداية، وتوفيقاً وأجراً
 في الدنيا والآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة صغيرة لأخي ن. د. صالح الصياح بعنوان المبشرات لمن يعمل الصالحات.

الكلمة الخامسة والعشرون

خطورة دور السينما

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فالحديث في هذا اليوم عن فتنة عظيمة، ومعصية كبيرة، يدعو إليها أصحاب الشهوات والملذات، ألا وهي افتتاح دور السينما، وسيكون الكلام فيها في العناصر التالية: المخالفات الشرعية، أقوال العلماء، شبهة والجواب عنها. فمن تلك المخالفات:

أولاً: ما يتعلق بالعبادة، وهو أخطر ما يكون، فهي تعرض صور الكفار وحضارتهم، وأحوال معيشتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم مع أن حياتهم حياة البهائم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآنَعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وبالمقابل تزهد في أخلاق المسلمين، ولباسهم، وطرق معيشتهم، والاحتقار لعلماء الإسلام، وأبطال المسلمين، وتمثيلهم بالصور المنفرة، والمسلم مأمور بموالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين، قال تعالى: ﴿لَا يَحِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»^(١).

ثانياً: تصوير الاختلاط على أنه أمر عادي لا حرمة فيه، والإكثار من قصص الحب، والغرام والعشق بين الجنسين، ودعوة المرأة إلى خلع حجابها والتمرد على دينها وأهلها، ومعاشرة الرجال الأجانب دون حياء أو خجل، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة في مجتمعات المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٩) [النور: ١٩].

ثالثاً: الغناء: قال تعالى: ﴿وَمَنْ التَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٦) [لقمان: ٦]. وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف بالله أن لهو الحديث هو الغناء^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْكَ وَرَجِلِكَ﴾^(٦٤) [الإسراء: ٦٤].

رابعاً: المعازف: وهي حرام بجميع أنواعها، وأشكالها. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم ١٨٥٢٤ وقال محققوه حديث حسن بشواهد.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦/١١).

«لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ»^(١).
فإخبار النبي ﷺ أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

خامساً: أن عرض السينما في مكان عام مع ما فيها من المنكرات والمخالفات الشرعية السابق ذكرها يعتبر مجاهرة بالمعصية، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»^(٢).

سادساً: أثارها السيئة على مرتاديهها، ومنها تعليمهم طرق المكر والخداع، والسرقة وحياسة المؤامرات والقتل، وقد ذكرت الإحصائيات العالمية أن كثيراً من حالات القتل، والاعتصاب والطلاق، والخيانات الزوجية كانت بسبب أفلام العنف والجنس، السينمائية والتلفزيونية.

أقوال العلماء فيها: قال الشيخ عبد الله بن حميد: «ومن أهم ما يجب المبادرة إلى رفعه وإزالته، أو دفعه وعدم إقراره هو وجود هذه السينما التي انتشرت في أكثر الأماكن، وما يُعرض فيها من صور خليعة، وأمراض أخلاقية فتاكة تقتل ما في الإنسان من رجولية، أو مروءة، أو ديانة، وإنها والله فح نصبه لنا أعداؤنا ليذهبوا ما فينا من حماسة أخلاقية امتاز المسلمون فيها على غيرهم، وقد أدركوا ما يريدون من كثير من أبناء المسلمين بسببها، فلا حول ولا قوة إلا بالله»^(٣).

(١) برقم ٥٥٩٠.

(٢) برقم ٦٠٦٩ وصحيح مسلم برقم ٢٩٩٠.

(٣) الرسالة الثالثة من الشيخ عبد الله بن حميد إلى الملك فيصل رحمهما الله، نُشرت في كتاب الدرر السنوية المجلد الخامس عشر.

وسُئلت اللجنة الدائمة: هل يجوز للمسلم أن ينيي سينما ويدير أعماله بيده؟

فأجابت: «لا يجوز لمسلم أن ينيي سينما، ولا أن يدير أعمال سينما له، أو لغيره لما فيها من اللهو المحرم؛ ولأن السينمات المعروفة عنها في العالم اليوم أنها تعرض صوراً خليعة، ومناظر فتانة، تثير الغرائز الجنسية، وتدعو للمجون، وفساد الأخلاق، وكثيراً ما تجمع بين نساء، ورجال غير محارم لهن»^(١).

وجاء في خطاب الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ إِلَى وزير الإعلام: «وأما السينمات فلا يسمح لذويها بعرضها في أماكن عامة مطلقاً، وَمَنْ يُقْبَضَ عَلَيْهِ يُجَازَ بمصادرة الآلة، والأفلام، والسجن، والجلد»^(٢)»^(٣).

العنصر الثالث: شبهة والجواب عنها.

قد يقول قائل: إن السينما التي تُعرض الآن ليس فيها إثارة جنسية ولا اختلاط واضح بين الرجال، والنساء، ومن الممكن أن تكون تحت ضوابط إسلامية.

فالجواب عن ذلك: أن أهل الشر يتدرجون شيئاً فشيئاً، قد يتنازلون عن بعض الأمور حتى يحصلون بعد ذلك على ما يريدون، وهذا دَيْدَنُهُمْ دائماً، شيئاً فشيئاً حتى تصبح السينما عندنا كبقية الدول

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٢٧٧) برقم ٣٥٠١.

(٢) الدرر السنوية المجلد السادس عشر.

(٣) انظر: ما كتبه أخونا د. سليمان الجربوع في كتابه عندما يكون الترفيه مصيدة - السينما أنموذجاً فقد أجاد وأفاد.

الأخرى تُعرَضُ بكل ما فيها من اختلاط بين الرجال، والنساء، وفسق، وإضاعة للصلوات، ومشاهد فاضحة.. وغير ذلك من الشرور والمفاسد مما ينكره كل مسلم عاقل يرجو الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والعشرون

فوائد من قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

وَإِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... الآية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى إخباراً عاماً يعلم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [٢٦] وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٧] [الرحمن: ٢٦-٢٧]. فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، ويتفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة، وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم، وانتهت البرية، أقام الله القيامة، وجازى الخلائق بأعمالها، جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها،

كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١٨٥) ﴿١﴾.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن الإنسان مهما طال عمره في هذه الحياة، فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر: ٣٠].

قال الشاعر:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ
وقال آخر:

الموتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جاء جبريل، فقال: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٢).

ثانياً: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، بل يُوفِّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٨٤-٢٨٥).

(٢) معجم الطبراني في الأوسط (٤/٣٠٦) برقم ٤٢٧٨ وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥) برقم ٩١٨ إسناد حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٨٣١.

﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢].

ثالثاً: أن الفوز الذي يحصل بالنجاة من النار، ودخول الجنة له من الأعمال سببٌ يوصل إليه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ، الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(١).

رابعاً: دلت الآية الكريمة على حقارة الدنيا وأنها متاعٌ زائلٌ فانٍ، وما يؤثرها على الآخرة الباقية إلا مبخوس الحظ، ضعيف العقل، قال الله تعالى عن هؤلاء: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿٦٠﴾ [القصص: ٦٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ (وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ) فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجَعُ»^(٢). وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ قال: هي متاعٌ متروكةٌ أو شكت، والله الذي لا إله إلا هو، أن تَصْمَحِلَّ عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

(١) جزء من حديث برقم ١٨٤٤.

(٢) برقم ٢٨٥٨.

خامساً: أن الفوز الحقيقي هو دخول الجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٦]. وقال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

سادساً: في الآية الكريمة إخباره تعالى - وهو حقٌ وصدقٌ - أن الموت حقٌ على كل نفس، فاليقين بذلك والإكثار من ذكره دأب الأكياس من المؤمنين؛ لأن ذلك يحملهم على الاستعداد له، وعدم الاغترار بالدنيا، والتخلص من الذنوب والسيئات، فروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ»^(٢).

سابعاً: في قوله تعالى: ﴿وإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم ١٨٧٧.

(٢) برقم ٤٢٥٩ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٨٤.

تسلية للمؤمنين فيما يصيبهم في الدنيا، وما يصبرون عليه من فعل الخير، ومجاهدة النفس، والصبر على الأذى، والرضى بالقضاء، فإن الوفاء الأعظم إنما يكون يوم القيامة، وفيها أيضاً تحذير الكفار والظالمين والعاصين من عاقبة الإمهال، فإن الوفاء الأعظم إنما يكون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة والعشرون

البكاء من خشية الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن البكاء من خشية الله دليلٌ على إيمان العبد وخوفه من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۗ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۗ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْرٰءِيْلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايٰتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ۗ﴾ [مريم: ٥٨].

وقد أثنى الله على المؤمنين أصحاب القلوب الرقيقة، الذين لا يملكون أنفسهم من الدمع عند سماع آيات الرحمن، أو خوف فوات عمل صالح يُجِبُونَهُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ۗ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۗ﴾

والبكاء من خشية الله سببٌ للاستئلال بعرش الرحمن، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - ذَكَرَ مِنْهُمْ: - وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

والبكاء من خشية الله من أحب الأعمال إلى الله، روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»^(٢).

والبكاء من خشية الله سببٌ للنجاة، روى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابِكْ عَلَى حَاطِيَّتِكَ»^(٣).

والبكاء من خشية الله من أسباب التحريم على النار، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»^(٤). فقوله: «لَا يَلِجُ»: أي

(١) برقم ١٤٢٣ وصحيح مسلم برقم ١٠٣١ وقال الحافظ في الفتح (١٤٤/٢) وعند سعيد بن منصور بإسناد حسن عن سلمان رضي عنه سبعة يظلهم الله في ظل عرشه.

(٢) برقم ١٦٦٩ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١٣٣/٢) برقم ١٣٦٣.

(٣) برقم ٢٤٠٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٤) برقم ١٦٣٣ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

لا يدخل، «حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»: كناية عن استحالة ذلك.

من أسباب البكاء من خشية الله:

١- ذكر الموت: روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ -» (١). فإذا ذكر المؤمن الموت رقق قلبه، ودمعت عينه، وزهد في دنياه.

٢- قراءة القرآن بتدبر، والاستماع إليه بخشوع: روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير رضي عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ» (٢). وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُولَاءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ (٣).

٣- زيارة القبور، وتذكر الآخرة: روى الحاكم في المستدرک من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَرُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ

(١) برقم ٢٣٠٧ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) برقم ٩٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٧٠) برقم ٧٩٩.

(٣) برقم ٤٥٨٢ وصحيح مسلم برقم ٨٠٠ واللفظ له.

العين، وتُذَكَّرُ الآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا» (١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث البراء رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَيَّ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا» (٢). فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي حتى تبل دموعه الثرى وهو سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين؟ نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه ولطفه.

وروى الترمذي في سننه من حديث هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: «كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكَّرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ» (٣).

٤- التباكي: وهو منزلة دون البكاء وهو مجاهدة النفس في البكاء، قال ابن القيم رحمته الله بعد ذكره أنواع البكاء: «وما كان منه مستدعى متكلفاً وهو التباكي، وهو نوعان: محمود ومذموم،

(١) (٧١١/١) برقم ١٤٣٣ وقال محقق المستدرک حديث حسن صحيح وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٥٨٤.

(٢) برقم ٤١٩٥ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٨٣.

(٣) برقم ٢٣٠٨ وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم ١٨٧٨.

فالمحمود يُستجلبُ لرقّة القلب وخشية الله لا للرياء والسمعة، والمذموم: أن يجتلب لأجل الخلق، وقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر: «أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما»، ولم يُنكر عليه ﷺ (١) (٢).

ولعل من أعظم أسباب جفاف العين، وعدم البكاء من خشية الله قسوة القلب، وما ضربَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظم من قسوة القلب، بل ما خُلقت النار إلا لإذابة القلوب القاسية، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

فعلى العبد أن يُذيب هذه القسوة بذكر الله، وزيارة القبور، وتذكر الموت والآخرة وأهوالها (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم ١٧٦٣.

(٢) زاد المعاد (١/١٧٨).

(٣) انظر رسالة أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي «البكاء من خشية الله»، فقد أجاد وأفاد.

الكلمة الثامنة والعشرون

الأخوة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أقوى الروابط بين الناس الأخوة الإسلامية، فإنها تجمع بين المسلمين، وإن كانوا من أماكن متفرقة، وبلاد بعيدة، وجنسيات مختلفة، وقبائل شتى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال النبي ﷺ: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

والأخوة الإسلامية لها حقوق وواجبات، منها:

أولاً: أن يكون المسلم نصيراً، ومعيناً لأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ التَّنَصُّرُ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

(١) مسند الإمام أحمد (٤٧٤ / ٣٨) برقم ٢٣٤٨٩ وقال محققوه إسناده صحيح.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»^(١).

ثانياً: أن لا يظلم المسلم أخاه بأي نوع من أنواع الظلم وإن قلَّ،
روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ»^(٣) وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٤).

ثالثاً: من لوازم الأخوة الإسلامية أن يرحم بعضهم بعضاً ويحب بعضهم بعضاً، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً في غاية البيان على أن الأخوة الإسلامية لا نظير لها في جميع العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض.

ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ،

(١) برقم ٢٤٤٣.

(٢) برقم ٤٤٠٣ وصحيح مسلم برقم ٦٦ مختصراً.

(٣) أي يترك نصرته.

(٤) برقم ٢٥٦٤.

إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (٢).

رابعاً: النصح: فينصح المسلم أخاه المسلم في أمر دينه ودنياه، ومن ذلك: تعليم الجاهل والمشورة عليه بالخير، والنصح له في ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم أبوابه الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جرير رضي عنه قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (٣). وهذه النصيحة هي التواصي بالحق الذي جاء في سورة العصر إذ يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

خامساً: رد السلام عليه، وإجابة دعوته، وتشميته إذا عطس، وزيارته عند المرض، واتباع جنازته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ»، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا

(١) برقم ٦٠١١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٢) برقم ٤٨١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٥ واللفظ له.

(٣) برقم ٥٧ وصحيح مسلم برقم ٥٦.

دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمَّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» (١).

سادساً: أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (٢).

وقد جاء في الكتاب والسنة الحث على الأمور التي تقوي الروابط بين المسلمين، وتجلب المودة، وتزيل الأحقاد، وتذهب سخائم النفوس، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمْهُ إِيَّاهُ» (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ» (٥).

(١) برقم ٢١٦٢.

(٢) برقم ١٣ وصحيح مسلم برقم ٤٥.

(٣) برقم ٥٤.

(٤) برقم ٢٣٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) برقم ٢٧٣٣.

وفي التنزيل المبارك: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].
 وإخواننا في فلسطين، وأفغانستان، والعراق، والشيشان، وكشمير،
 وغيرها من بلاد المسلمين يعانون من القتل، والتشريد، والتعذيب،
 وسلب الممتلكات، فدعو الله أن يكشف ما بهم من ضر، وأن يرد كيد
 الأعداء في نحورهم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،
 وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
 وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال،
 ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة
 والإرشاد، ومواساة بالدعاء، والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم،
 وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت
 المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة
 لأصحابه بذلك كله، فَلَاتَّبَاعِهِ مِنَ الْمَوَاسَاةِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ»^(٢).

والحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبناهما
 على أمرين:

أولهما: الإخلاص لله وثانيهما: الموالاتة، والمعاداة فيه،

(١) جزء من حديث صحيح البخاري برقم ٢٤٤٢ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٠.

(٢) الفوائد (٢٤٦-٢٤٧).

فالمسلم أخو المسلم، وإن كان من أقصى الأرض، والكافر عدو، وإن كان من أمه وأبيه، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]. ووصف الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. وقد خالف هذا النهج القويم بعض المنتسبين للإسلام فأبعدوا المسلم وأقصوه، وقربوا الكافر وأدنوه، ومن ذلك ما يحدث في بعض الشركات والمؤسسات، فتكون المرتبة والراتب الأعظم للكافر، وإن كان المسلم أحسن أداءً، وأفضل عملاً، بل ربما جعل الكافر رئيساً للمسلم.. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وقد بين تعالى أن هذا الفعل سبب لنشر الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء:

١٤١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والعشرون

فوائد من قوله تعالى

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾: أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال، والسعر، والسحب على النار على وجوههم مع التوبيخ والتفريع والتهديد»^(١). اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه»^(٢).

قوله: ﴿جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة لأنها تُجَنُّ من فيها أي تستره لكثرة أشجارها، وأغصانها، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار على أربعة أصناف، ذكرها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٣١٠).

(٢) الفتاوى (١٠/٦٦٧).

ءَاسِنٍ وَأَنْهَرٍ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٍ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٍ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى
وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥] (١).

قوله: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي في دار كرامة الله ورضوانه عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ صلى الله عليه وسلم، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن التقوى سبب للفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ [مريم: ٦٣].

ثانياً: أن كلمة جنات، جاءت بصيغة الجمع، وهذا يدل على أنها أكثر من جنة، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أم حارثة رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةِ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين ص ١٢٨.

(٢) برقم ١٨٢٧.

كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» (١).

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يشبه شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء» (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَافْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]» (٣).

رابعاً: أن الله تعالى وصف حال المتقين بأنهم في مقعد صدق، قال القرطبي: «﴿مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾: أي مجلس حق لا لغوف فيه ولا تأثيم، وهو الجنة كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ (٢٦) [الواقعة: ٢٥-٢٦]».

خامساً: إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩) [البقرة: ٢٥٩]. روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود في قصة الرجل الذي هو

(١) برقم ٢٨٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(٣) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

آخر من يدخل الجنة، وجاء فيه أن الله تعالى يقول له: «أَيْرُضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا..» وفي رواية البخاري: «عَشْرَةُ أَمْثَالِهَا، قَالَ يَا رَبِّ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٧١ وصحيح مسلم برقم ١٨٦.

الكلمة الثلاثون

قبول العمل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم، وألا تُقبل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال عبد الله بن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من

(١) برقم ٣١٧٥ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٧٩/٣) برقم ٢٥٣٧.

أصحاب النبي ﷺ كلهم يخشى النفاق على نفسه ما منهم من أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل^(١)، قال أبو الدرداء: لئن أستيقن أن الله تَقَبَّلَ مني صلاةً واحدةً أَحَبُّ إِلَيَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) [المائدة: ٢٧]»^(٢).

قال علي رضي الله عنه: «كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾». قال ابن عطية: «المراد بالتقوى: اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة». وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول، والختم بالرحمة علم ذلك بأخبار الله تعالى^(٣).

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٢) [الملك: ٢]. قال الفضيل بن عياض: «﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»^(٤).

قال أهل العلم: إن العمل لا يُقبل إلا بشرطين:

الأول: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٦/٥) وقال محققوه ورواه ابن أبي حاتم وإسناده حسن.

(٣) تفسير القرطبي (٤١١/٧).

(٤) مدارج السالكين (٦٩/٢).

قال: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١). أي مردود غير مقبول، وروى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث العرباض ابن سارية رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٢).

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٣).

ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعند أهل السنة والجماعة يُتَقَبَّلُ العمل مِمَّن اتقى الله فيه، فَعَمَلُهُ خَالِصًا لِلَّهِ مُوَافِقًا لِأَمْرِ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ فِي عَمَلٍ تَقَبَّلَهُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ عَاصِيًا فِي غَيْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِهِ فِيهِ لَمْ يُتَقَبَّلْهُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا فِي غَيْرِهِ»^(٤)، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنة لا تُقبل من صاحب السيئة لم تَمْحُهَا.

(١) برقم ٢٦٩٧ وصحيح مسلم برقم ١٧١٨ واللفظ له.
 (٢) برقم ٤٦٠٧ والترمذي برقم ٢٦٧٦ وقال حديث حسن صحيح.
 (٣) رقم ١ وصحيح مسلم برقم ١٩٠٧.
 (٤) مجموع الفتاوى ١٠/٣٢٢.

ولا ينبغي للمؤمن أن يحتقر العمل وإن كان قليلاً، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: «لَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا»^(١)، فقد يُقبل هذا العمل ويكون سبباً لدخوله الجنة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ فَعُفِرَ لَهَا بِهِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»^(٣).

قال ابن حجر: «ينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها»^(٤).

وقد لا يُقبَلُ العمل وإن كان كثيراً في نظر صاحبه، إما لِعُجْبٍ، أو رِيَاءٍ، أو غُرُورٍ، أو مَنَةِ صاحبت ذلك العمل، فكانت سبباً لِرَدِّهِ، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٣٦٤) [البقرة: ٢٦٤].

وأعظم موانع قبول العمل: الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٢٦.

(٢) برقم ٣٤٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٢٤٥.

(٣) برقم ١٩١٤ وأخرجه البخاري برقم ٢٤٧٢ بنحوه.

(٤) فتح الباري (١١/٣٢١).

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴿٩١﴾ [آل عمران: ٩١]. فمن تَعَبَّدَ لله بدين غير دين الإسلام فلن تقبل منه أعماله ولو كثرت، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن أسباب قبول العمل: الدعاء، قال تعالى عن نبي الله إبراهيم: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومنها الاستغفار، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: «اسْتَغْفِرَ اللَّهَ» ثلاثاً، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).

ومن علامات قبول العمل أن يتبع الحسنة بحسنة مثلها، كما قال بعض السلف: «الحسنة تقول أختي أختي، والمعصية تقول أختي أختي». ومصدق هذا في قوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

ومنها استشعار المؤمن لتقصيره في عمله ومنة الله عليه، وتوفيقه لهذا العمل، وأنه لولاه لما حصل، قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا

(١) صحيح مسلم برقم ٥٩١.

(٢) برقم ٦٠٩٤ وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٧ واللفظ له.

قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات: ١٧].

ومنها أن يحسَّ العبد بلذة العبادة فتكون أنسه وراحته، كما قال ﷺ: «قُمْ يَا بَلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(١). وقد ذكر الله ﷻ ذلك فقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِيِّينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال بعض أهل العلم: خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرّة عين المحب في طاعة المحبوب، ففي الحديث: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢). لما فيها من المؤانسة، ولذة القرب وأنس المناجاة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم ٤٩٨٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١) برقم ٤١٧١.

(٢) سنن النسائي برقم ٣٩٣٩ وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي برقم (٣/٨٢٧) برقم ٣٦٨٠.

الكلمة الحادية والثلاثون

بِرُّ الوالدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن بِرَّ الوالدين من أعظم الفرائض والواجبات، ولذلك قرَّنه الله بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [٢٤] [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وأخبر النبي ﷺ أن بِرَّ الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَفِتْنَتُهَا»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن

عمرو رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(١).

وفي رواية لأبي داود عنه قال: جِئْتُ أَبَايُعْكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»^(٢).

قال جمهور العلماء: «يحرم الجهاد إذا امتنع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين؛ لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن»^(٣). اهـ.

والوالد أوسط أبواب الجنة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»^(٤).

وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخسارة من أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخله الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٥).

وقد ذكر الله وَعَلَّمَ عن أنبيائه أنهم كانوا بررة بوالديهم، قال

(١) برقم ٣٠٠٤ وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٩.

(٢) برقم ٢٥٢٨ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٠-٤٨١) برقم ٢٢٠٥.

(٣) فتح الباري (٦/١٤٠-١٤١).

(٤) برقم ١٩٠٠ وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

(٥) برقم ٢٥٥١.

تعالى عن نبي الله يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤) [مريم: ١٤]، وقال تعالى عن نبي الله عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ فِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) [مريم: ٣٢].

والأم لها أعظم الحقوق بعد حق الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ وبين العلة في ذلك حثاً للأولاد على الاعتناء بهذه الوصية، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً على ضعف، ومشقة على مشقة في الحمل، وعند الولادة، ثم حضنه في حجرها وإرضاعه قبل فطامه، فقال تعالى: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤) [لقمان: ١٤] (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» (٢).

وروى النسائي وابن ماجه في سننهما من حديث معاوية ابن جاهمة رضي الله عنه: «أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ أَحْيَةُ أُمُّكَ؟!»، قلت: نعم، قال: «ارْجِعْ فَبِرِّهَا..» وفي آخر الحديث قال: «وَيْحَكَ الزَّمُّ رَجُلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ» (٣).

(١) خطب الشيخ ابن عثيمين (٥/٢٩٤).

(٢) برقم ٥٩٧١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٨.

(٣) برقم ٣١٠٤ وسنن ابن ماجه برقم ٢٧٨١ واللفظ له وصححه الألباني رحمته الله في صحيح

سنن النسائي (٢/٦٥١) برقم ٢٩٠٨.

ولقد أوصى الله تعالى بصحبة الوالدين بالمعروف، وإن كانا كافرين، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ٱلْحَيَاتِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [لقمان: ١٥]، وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ»^(١).

ومهما قدم الولد من إحسان فلا يستطيع رد جميل الوالدين، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(٢).

ورضا الله في رضا الوالدين، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»^(٣).

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر لما فيه من عدم الوفاء ونكران الجميل، ويكفي أن النبي ﷺ قرنه بالشرك، وهو أعظم الذنوب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»^(٤).

(١) برقم ٢٦٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٠٠٣.

(٢) برقم ١٥١٠.

(٣) برقم ١٨٩٩ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤/٢) برقم ٥١٦.

(٤) برقم ٢٦٥٤ وصحيح مسلم برقم ٨٧.

وعقوق الوالدين سبب لدخول العبد النار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»^(١).

«وبر الوالدين يكون ببذل المعروف، والإحسان إليهما بالقول، والفعل، والمال، أما الإحسان إليهما بالقول: بأن يخاطبا باللين واللفظ مستصحباً كل لفظ يدل على اللين والتكريم، وأما الإحسان بالفعل، بأن تخدمهما ببدنك ما استطعت من قضاء الحوائج، والمساعدة على شئونهما، وتيسير أمورهما، وطاعتهما في غير ما يضرك في دينك أو دنياك، ثم الإحسان بالمال بأن تبذل لهما من مالك كل ما يحتاجان إليه طيبة به نفسك، منشراحاً به صدرك، غير متبع له بمنة، بل تبذله وأنت ترى أن المنة لهما في قبوله والانتفاع به»^(٢).

ومن بر الوالدين بعد موتهما: الدعاء لهما، قال تعالى عن نبي الله نوح: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾^(٣) [نوح: ٢٨] روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٣).

ومنها الصدقة عنهما، روى البخاري ومسلم في صحيحهما

(١) (٣٧٣/٣١) برقم ١٩٠٢٧ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٢) خطب الشيخ ابن عثيمين (٥/٢٩٦-٢٩٧).

(٣) برقم ١٦٣١.

من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُمَّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا، وَأَظْنَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» (١).

ومنها صلة أصدقائهما، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضُونَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبَرِّ: صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٣٨٨ وصحيح مسلم برقم ١٠٠٤.

(٢) برقم ٢٥٥٢.

الكلمة الثانية والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ... ﴾ الآية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

يقول تعالى أمراً رسوله أن يتوعد من آثر أهله، وقرابته، وعشيرته على الله ورسوله، وجهاد في سبيله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ [٢٤] ثم قال: ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: أي اكتسبتموها وحصلتموها، ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: أي فسادها، ونقصها، وهذا يشمل جميع أنواع التجارات، والمكاسب، والأنعام، وغيرها، ﴿ وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا ﴾: أي تحبونها لطيبها وحسنها، أي إن كانت هذه الأشياء ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾، ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾: أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله، ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي الخارجين عن

طاعته، المُقَدِّمِينَ عَلَى محبة الله شيئاً من المذكورات، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله»^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديث زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام رضي عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس ابن مالك رضي عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن محبة الله ورسوله دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَالَاوَةً

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٣٠٩ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٦٣٢.

(٣) برقم ١٥ وصحيح مسلم برقم ٤٤.

الإيمان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» (١).

ثانياً: أن طاعة الله ورسوله مقدمة على الأهل، والمال، والولد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثالثاً: أن ترك الجهاد في سبيل الله والخلود إلى الأرض سبب لغضب الله ووقوع الذل على المسلمين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (٢).

رابعاً: أن التكاثر عن الجهاد من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُتَلِّوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ

(١) برقم ١٦ وصحيح مسلم برقم ٤٣.

(٢) برقم ٣٤٦٢ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢/١) برقم ١١.

بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ [آل عمران: ١٦٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(١).

خامساً: أن الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله سبب لنجاة العبد من عذاب الله، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَحَرُّقٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١١].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن جبر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»^(٢).

سادساً: أن الجهاد من أفضل الأعمال؛ ولذلك قرنه الله بمحبة الله ورسوله كما في الآية السابقة: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ

(١) برقم ١٩١٠.

(٢) برقم ٢٨١١.

الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(١).

سابعاً: أن فيها الترغيب في الجهاد والزهد في الدنيا، فإن الأهل والعشيرة والأموال والتجارات والمساكن، إنما هي متاع الدنيا الزائل، قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَابْنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [١٦٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٧٨٧ وصحيح مسلم ١٨٧٦ مختصراً آخره.

الكلمة الثالثة والثلاثون

تواضعه عليه الصلاة والسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة والخصال الحميدة التي حث عليها الشرع ورغب فيها التواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

والتواضع: هو خفض الجناح، ولين الجانب، ولا يكون فاعله محموداً إلا إذا فعله ابتغاء وجه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فلو تواضع ليرفعه الله سبحانه لم يكن متواضعاً، فإنه يكون مقصوده الرفعة، وذلك ينافي التواضع»^(١). روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ» تنبيه على حسن القصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن كثيراً من الناس قد

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٢٧٩).

(٢) برقم ٢٥٨٨.

يُظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مطلوبه، وقد يُظهر التواضع رياء وسمعة، وكل هذه أغراض فاسدة، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقرباً إليه، وطلباً لثوابه وإحسانه إلى الخلق، فكمال الإحسان، وروحه الإخلاص لله»^(١)(٢).

ونبينا محمد ﷺ إمام المتواضعين، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انظُرِي أَيَّ السَّكِّ شِئْتِ؛ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ»: فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا»^(٣).

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٤).

وروى البغوي في شرح السنة من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»^(٥).

وروى البغوي في شرح السنة من حديث عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار (ص ٩٢).

(٢) الإخلاص طريق الخلاص لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ٦٦-٦٧.

(٣) برقم ٢٣٢٦.

(٤) برقم ٦٠٧٢.

(٥) (٢٤٨/١٣) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم ٥٤٤.

حُجْرَتُهُ^(١) لَتَسَاوِي الكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعُ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا...» الحديث^(٢).

ولما سُئِلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»^(٣).

وكان يقول: «اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

ولما جاءه رجل فقال: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(٦). وهذا من تواضعه، وإلا فقد ابتلي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لم يُبْتَلْ به أحد غيره.

(١) الحجرة: موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار حجرة للمجاورة، يقال: احتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٣٤٤).

(٢) (١٣/٣٤٨) برقم ٣٦٨٣ وقال محققوه حديث صحيح.

(٣) شرح السنة للبخاري (١٣/٢٤٢) برقم ٣٦٧٥ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٤) سنن الترمذي ٢٣٥٢ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٥) برقم ١٩١٧.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٣٦٩.

(٦) برقم ٣٣٧٢ وصحيح مسلم برقم ١٥١.

وفي الصحيحين من حديث أبي بردة قال: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ» (١).

والتواضع من صفات أنبياء الله، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَيَّ قَرَارِيطًا لِأَهْلِ مَكَّةَ» (٢).

وحث النبي ﷺ أمته على التواضع وخفض الجناح، روى مسلم في صحيحه من حديث عياض المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ» (٣).

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «تُغْفَلُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعَ».

ومن فوائد التواضع:

- ١- أنه طريق موصل إلى الجنة.
- ٢- إن الله يرفع قدر المتواضع في قلوب الناس، ويطيب ذكره في الأفواه، ويرفع درجته في الآخرة.

(١) برقم ٥٨١٨ وصحيح مسلم ٢٠٨٠.

(٢) برقم ٢٢٦٢.

(٣) برقم ٢٨٦٥.

- ٣- أن التواضع المحمود يكون للمؤمنين، أما أهل الدنيا والظلمة فإن التواضع لهم ذل.
- ٤- أن التواضع دليل على حسن الخلق وطيب المعشر.
- ٥- أن التواضع صفة الأنبياء والمرسلين^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٤/١٢٦٨).

الكلمة الرابعة والثلاثون

النسيان آفته، وفوائده

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] قال المفسرون: إنه الترك، والمعنى: ترك ما أمر به، وقيل: من النسيان الذي يخالف الذكر.

روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدِّينِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ عليه السلام، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيٌّ^(١) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ^(٢)، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، كَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ: سِتُّونَ عَامًا، قَالَ: رَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمُرِكَ، وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ، فَزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَكَتَبَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا اخْتَضَرَ آدَمُ، وَأَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِتَقْبِضَهُ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ

(١) والذاري: من صفات الله ﷻ، وهو الذي ذرأ الخلق، أي خلقهم.

(٢) أي يضيء وجهه حسناً.

مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ عَامًا، فَقِيلَ: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ، وَأَبْرَزَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ»^(١)، وفي رواية الترمذي: «وَنُسِّيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ»^(٢). وفي رواية: «فَمِنْ يَوْمٍ أُدْمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ»^(٣).

قال بعض أهل اللغة: «النسيان ضد الذكر، والحفظ، وهو ترك الشيء على زهول وغفلة»^(٤).

والنسيان أيضاً يُطلق على الترك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا تتركوا، وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه: ١٢٦].

قال ابن كثير: «أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك اليوم نعاملك معاملة من نسيك، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. فالجزاء من جنس العمل»^(٥). قال ابن جرير وغيره: «﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾، فكذلك اليوم نساك، فتركك في النار»^(٦).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله وسلامته عليه

(١) مسند الإمام أحمد (٤/١٢٨) برقم ٢٢٧٠ وقال محققوه حسن لغيره.

(٢) برقم ٣٠٧٦ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح ابن حبان برقم ٦١٣٤.

(٤) مختار الصحاح للرازي ص ٦٥٨ والمعجم الوسيط ص ٩٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير (٩/٣٧٩).

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (٧/٥٦٥٦).

قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأَسَوِّدَكَ، وَأَرْوِّجَكَ، وَأَسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي» (١).

والنسيان صفة نقص، ولذلك نزه الله ﷻ عنها نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وقد رفع الله الحرج عن أمة محمد ﷺ فيما حصل لهم فيه نسيان، فعلمنا أن ندعو فنقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: «قَدْ فَعَلْتُ» (٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ» (٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) برقم ٢٩٦٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٢٥.

(٣) برقم ٢٠٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٧) برقم ١٦٦٢.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٩٧ وصحيح مسلم ٦٨٤..

«مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»^(١).

وأفة العلم النسيان، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن لكل شيء أفة، وأفة العلم النسيان»، وقال الزهري: «أفة العلم النسيان وترك المذاكرة».

روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَامَ فِيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَهُ»^(٢).

وينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد دائم للقاء ربه، وألا يكون في غفلة ونسيان، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾^(٢٤) [الكهف: ٢٤]. والشيطان يُنسى المؤمن الخير والطاعة، قال نبي الله موسى فيما حكاه الله عنه: ﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^(٦٣) [الكهف: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿أَسْتَحْذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاُنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾^(١٩) [المجادلة: ١٩]. وقال تعالى: ﴿فَاُنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾^(٤٢) [يوسف: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُنْسِنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٦٨) [الأنعام: ٦٨].

من الفوائد:

أولاً: رحمة الله بعباده عامة، وبأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، حيث عُفي لها عن النسيان.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٦٩ وصحيح مسلم ١١٥٥..

(٢) برقم ٣١٩٢.

ثانياً: من ترك شيئاً من الواجبات نسياناً، رُفِعَ عنه الإثم، وعليه أدائه إذا ذكر.

ثالثاً: النسيان من صفات النقص، والله تعالى مُنَزَّهُ عنه.

رابعاً: النسيان سبب لضياع الحقوق، وذهاب العلم، من أجل ذلك أمر الله بكتابة الحقوق، والإشهاد عليها، وأمر الرسول ﷺ بكتابة العلم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ﴾ (٣٨٢) [البقرة: ٢٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (٣٨٢) [البقرة: ٢٨٢].

روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ»، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: «كِتَابَتُهُ»^(١).

خامساً: من صفات المؤمن أنه يذكر ذنوبه، ويتوب منها، ويذكر الحقوق فيؤديها، ومن صفات الظالم أنه ينسى الذنوب، ويضيع الحقوق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (٥٧) [الكهف: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤) [الأنعام: ٤٤].

سادساً: الخوف على العلم أن ينسى من صفات الأنبياء والصالحين، ولما خاف النبي ﷺ من نسيان القرآن طمأنه ربه

(١) (٣٠٣/١) برقم ٣٦٩ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٤١) برقم

فقال: ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]. وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧].

سابعاً: نسيان القرآن ونحوه مذمة؛ ولذلك أرشد النبي ﷺ: «أَنْ لَا يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: نُسِيتُ» (١).

ثامناً: النسيان من وسائل الشيطان، ومن فضائل الرحمن، والفرق بينهما: أن الذي من الشيطان؛ نسيان الذكر والقرآن والخير، وما إلى ذلك من الحقوق، والذي يحبه الرحمن؛ نسيان الأحقاد وإساءة الأقارب، والأصدقاء، وسائر المؤمنين.

تاسعاً: إن النسيان يأتي بمعنى الترك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وقال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

قال ابن جرير وغيره: «تركوا الله أن يطيعوه، ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته» (٢).

اللهم ذكرنا ما نسينا، وعلمنا ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا يا كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٣٢ وصحيح مسلم برقم ٧٩٠.

(٢) تفسير ابن جرير (٤٠٤٠/٥).

الكلمة الخامسة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ [الإسراء: ١٨-٢١].

«يبين تعالى حال الفريقين، ومصير الطائفتين، فأما الذين يريدون العاجلة وهي الدنيا، فإن الله تعالى يعطيهم فيها ما يشاء، ثم مصيرهم في الآخرة إلى جهنم ذليلين، خائبين؛ لأنهم لم يرجوا ثواب الله تعالى، ولم يخافوا عقابه، وأما الذين يريدون الآخرة، ويسعون لها سعيها، وذلك بالأعمال الصالحة وهم مع ذلك مؤمنين بالآخرة، وحسن ثواب الله لمن آمن به، وعمل صالحاً، فهؤلاء يشكر الله سعيهم، فيعطيهم ما سألوا، ويؤمّنهم مما خافوا، ويدخلهم الجنة برحمته وفضله، ثم أخبر تعالى أنه فضل بعض العباد على بعض في

الدنيا بسعة الأرزاق، وقلتها، واليسر، والعسر، والعلم، والجهل، والعقل، والسفه، وغير ذلك من الأمور، ثم بين سبحانه أن الآخرة أكبر درجات، وأكبر تفضيلاً فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه، فكم بين من هو في الغرف العاليات والذات المتنوعات، والسرور، والخيرات، ممن هو يتقلب في الجحيم، ويعذب العذاب الأليم، وقد حلَّ عليه سخط الرب العظيم، وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحداً عدُّه»^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن من أراد الدنيا وسعى لها، وترك الآخرة فلم يعمل لها، فإنه قد يُعطى سُؤْلَهُ، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له عند الله نصيب، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٤٣٠ بتصرف.

يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» (١).

ثانياً: أن التفاضل الحقيقي في الآخرة وليس في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١) [الإسراء: ٢١]. وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٤) [الأنفال: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) [طه: ٧٥].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ أَوْسَطَهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا مَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ» (٢).

ورواه أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِئَةٌ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ مِئَةٌ عَامٌ»، وَقَالَ عَفَّانُ: «كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِ

(١) برقم ٢٤٦٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٠/٢) برقم ٢٠٠٥.
 (٢) برقم ٤٣٣١ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦/٢) برقم ٣٤٩٦ وفي الصحيحة برقم ٩٢٢.
 (٣) (٣٦٩/٣٧) برقم ٢٢٦٩٥ وقال محققوه حديث صحيح.

مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١).

ثالثاً: أن النار دركات، كما أن الجنة درجات، قال تعالى:
﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^(١٤٥)
[النساء: ١٤٥].

رابعاً: أن من أراد الآخرة وسعى لها سعيها، فإن الله يثيبه على ذلك في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٩٧) [النحل: ٩٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي
الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا،
حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣١.

(٢) برقم ٢٨٠٨.

الكلمة السادسة والثلاثون

عيادة المريض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأعمال الصالحة التي أمر الشارع بها، ورتب على ذلك الثواب العظيم عيادة المريض، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي عنه قال: **أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ: «أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ»** (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى رضي عنه قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْعَمُوا الْجَائِعَ، وَعَوَّدُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي»** (٢) (٣).

وعيادة المريض من حقوق المسلم على أخيه المسلم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ»**: قِيلَ: مَا هُنَّ يَا

(١) صحيح البخاري رقم ١٢٣٩ وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٦.

(٢) العاني: يعني الأسير.

(٣) برقم ٥٣٧٣.

رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(١).

وبين النبي ﷺ أن عيادة المسلم لأخيه المريض طريق إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا»^(٢). قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أي أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالساً عند هذا المريض»^(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن عيادة المسلم لأخيه المريض سبب لصلاة الملائكة عليه، روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٤). والغدوة ما بين الفجر وطلوع الشمس، والمراد أول النهار، والعشية من زوال الشمس إلى الغروب، والخريف أي بستان، وهو

(١) برقم ١٢٤٠ وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢ واللفظ له.

(٢) برقم ٢٥٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/٤٧٠).

(٤) برقم ٩٦٩ قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد روي عن علي هذا الحديث من غير وجه منهم من وقفه ولم يرفعه وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٤٧ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٨٦) برقم ٧٧٥.

في الأصل الثمر المخروف، أي: المجتنى.

قال القاضي عياض: وعبادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر، وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره، وقد يكون من فروض الكفاية لا سيما المريض من الغرباء، ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تُرِكَت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضراً، وعطشاً وجوعاً، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معונتهم وإعانتهم، وهي كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق، ومن حضرها لزمته، فمتى لم يُعَادُوا لم يعلم حالهم في ذلك^(١). اهـ.

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالرحمة والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية.

وللنبي ﷺ دعوات ينبغي على العائد أن يدعو بها لأنها صدرت من المعصوم ﷺ وقد أوتي مجامع الكلم^(٢).

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ»^(٣) إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٤).

ومن دعواته أيضاً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٣٥).

(٢) كنوز رياض الصالحين (١١/٥٦١).

(٣) طهور: بفتح أوله أي مرضك مطهرٌ لذنبك إن شاء الله.

(٤) برقم ٣٦١٦.

من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانَ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا: «بِاسْمِ اللَّهِ تَرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا» (١).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَى الْمَرِيضَ يَدْعُو لَهُ قَالَ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا لَهُ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا - ثَلَاثَ مَرَارٍ -» (٣).

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص عندما شكاه إليه وجعاً، يجده في جسده منذ أسلم، فقال له: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَحْدُ وَأَحَادِرُ» (٤).

ومن الأدعية التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم عند عيادة المريض، ما روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(١) برقم ٥٧٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢١٩٤ واللفظ له.

(٢) برقم ٥٦٧٥ وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري برقم ٥٦٥٩ وصحيح مسلم برقم ١٦٢٨.

(٤) برقم ٢٢٠٢.

«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»^(١).

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ»^(٢).

ولعيادة المريض فوائد، فمن ذلك:

أولاً: الأجر العظيم من الله كما تقدّم ذلك في الأحاديث السابقة.

ثانياً: تنشيط قوى المريض بزيارة من يحبه.

ثالثاً: الدعاء له وتفقد أحواله التي لا تتحقق بغير العيادة.

رابعاً: تذكّر العائد نعمة الله عليه بالعافية التي حُرِمَ غيره منها.

خامساً: دعوته إلى الإسلام إذا كان من غير المسلمين، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) برقم ٣١٠٦ وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٦٤ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٠٠/٢) برقم ٢٦٦٣.

(٢) برقم ٣١٠٧ وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٦٣ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٠٠/٢) برقم ٢٦٦٤.

أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

سادساً: في بعض الأحيان يحصل وصف لبعض الأدوية التي يحتاجها المريض، فيكون في ذلك نفع وفائدة له.

سابعاً: إدخال السرور إلى قلب المريض بذكر بعض البشائر والأخبار السارة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمد ابن خالد عن أبيه عن جده وكان لجده صحبة، أنه خرج زائراً لرجل من إخوانه فبلغه شكاته، قال: فدخل عليه، فقال: أتيتك زائراً، عائداً، ومبشراً، قال: كيف جمعت هذا كله؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغتني شكائك، فكانت عيادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ الْمَنَزَلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ»^(٢).

ثامناً: بث روح المودة، والمحبة والتآلف بين المجتمع، وذلك بمواساة المريض، وأهله وإشعارهم بأن المجتمع معهم يواسيهم، ويشاركهم ما هم فيه من تعب ومحنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٣٥٦.

(٢) (٢٩/٣٧) برقم ٢٢٣٣٨ وقال محققوه حسن لغيره.

الكلمة السابعة والثلاثون

الرياء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله الشرك به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [٥] الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ [٦] وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [٧] [الماعون: ٤-٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الشرك بحر لا ساحل له، وقَلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته، ونيته، والإخلاص: أن يخلص لله في أقواله، وأفعاله، ونيته، وإرادته، فإن هذه هي الملة الحنيفية، ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء» (٣). اهـ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جندب ابن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» (١).

والرياء من الرؤية، وهو أن يحب الإنسان أن يراه الناس وهو يعمل العمل الصالح من أجل أن يمدحوه، والفرق بينه وبين السمعة، أن الرياء فيما يُرى من الأعمال التي ظاهرها لله وباطنها لغيره كالصلاة والصدقة، أما السمعة فهي لما يسمع من الأقوال التي ظاهرها لله والقصد منها لغير الله، كالقراءة، والذكر، والوعظ، وغير ذلك من الأقوال، وقصد المتكلم أن يسمع الناس كلامه فيثنوا عليه ويقولوا: هو جيد في الكلام والمحاورة، حسن الصوت في القرآن، إذ كان يُحسن صوته بالقرآن لأجل ذلك، أو بليغ في خطبته إذا كان يُحسن خطبته لأجل ذلك.. وهكذا (٢).

ومعنى راءى الله به، وسمّع، قال بعض أهل العلم: إن الله يفضحه يوم القيامة، كما في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هند الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمِعَ، رَأَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمِعَ» (٣).

والرياء يحصل إما من أجل مدح الناس وثنائهم، أو فراراً من ذمهم، كأن يُحسن صلاته حتى لا يُقال: مُسرِعٌ في صلاته، أو طمعاً مما

(١) برقم ٦٤٩٩ وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٧.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (٢/٩٠).

(٣) (٧/٣٧) برقم ٢٢٣٢٢ وقال محققوه صحيح لغيره.

في أيديهم، ويشهد لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعةً، ويُقاتل حميةً، ويُقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»^(١).

«فقوله: (شجاعةً): أي ليذكر ويشتهر بالشجاعة، ويُقاتل حمية: أي من أجل الأهل، والعشيرة، والصاحب، ويحتمل أن يفسر القتال للحمية بدفع المضرة، ويقاتل رياءً: أي ليرى مكانه، فمرجع الذي قبله إلى السمعة، ومرجع هذا إلى الرياء، وكلاهما مذموم»^(٢).

والرياء هو الشرك الخفي، روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس إياكم وشرك السرائر»، فقالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ»^(٣).

«وإنما سمي الرياء شركاً خفياً؛ لأن صاحبه يظهر عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله، والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى»^(٤).

(١) برقم ٢٨١٠ وصحيح مسلم برقم ١٩٠٤.

(٢) فتح الباري (٢٨/٦).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم ٩٣٧ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٩/١) برقم ٣١.

(٤) الدين الخالص (٣٨٥/٢).

والرياء شرك أصغر، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قالوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»^(١). يعني أنه يبطل أعمال المرئيين، وأنه يحيلهم على الذين رآوهم في الدنيا فيقال: انظروا هل يشيبونكم، أي أولئك الذين تزينتم عندهم ورآيتموهم في الدنيا، هل تجدون عندهم ثواباً؟! قال الشاعر:

وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ

والرياء سبب لدخول النار، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ

(١) (٣٩/٣٩) برقم ٢٣٦٣٠ وقال محققوه حديث حسن.

أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

قال ابن رجب: «أول من تُسعر به النار من الموحدين العباد المراءون بأعمالهم، وأولهم العالم، والمجاهد، والمتصدق للرياء؛ لأن يسير الرياء شرك، ما نظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق»^(٢).

وينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن سرور العبد عند ثناء الناس عليه وهو لا يقصد ذلك، لا يقدر في إخلاصه، ما دام بدأه بإخلاص، وخرج منه مخلصاً، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٣).

قال ابن رجب: «إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر

(١) صحيح مسلم برقم ١٩٠٥.

(٢) كلمة الإخلاص ص ٣٩.

(٣) برقم ٢٦٤٢.

بذلك لم يضيره ذلك»^(١).

الثاني: أن لا يترك المؤمن العمل من أجل الناس: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى، أو قيام ليل، أو غير ذلك، فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعل سرّاً لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء، ومفسدات الإخلاص»^(٢).

الخلاصة:

أن الرياء مُحِبَطٌ للأعمال، وسبب لمقت الله، ولعنته، وطرده، وأنه من كبائر المهلكات، ومن الشرك الأصغر الذي لا يُغفر لصاحبه إذا مات عليه، بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤٨) [النساء: ٤٨]. فجدير بالمسلم أن يُشَمَّرَ عَنِ سَاعِدِ الْجِدِّ، وأن يجاهد نفسه بإزالته، وإخلاص العمل لله في أقواله، وأفعاله، وإرادته، وأموره كلها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(١٦٣) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع العلوم والحكم (١/٨٣).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣).

(٣) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي: الإخلاص طريق الخلاص ص ٧٣-٩٠.

الكلمة الثامنة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) [التوبة: ٧١-٧٢].

قوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ذكورهم، وإناثهم بعضهم أولياء بعض في المحبة، والموالاتة، والانتماء والنصرة، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة،

والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

قوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله، ورسوله على الدوام.

قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي قوي قاهر مع قوته، فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به، الذي يُحمد على ما خلقه وأمر به، ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب.

فقال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وهذه الجنة جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ قد زخرت، وحسنت، وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية، ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فهذه المساكن الأنيقة التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح لأنها في جنات عدن، أي إقامة لا يظعنون عنها ولا يتحولون منها، ورضوان من الله يُحِلُّهُ على أهل الجنة أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، وهذا هو الفوز العظيم حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم

كل محذور - جعلنا الله معهم -»^(١).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن من صفات المؤمنين أنهم متناصرون، ومتعاضدون فيما بينهم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٢).

ثانياً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٣).

ثالثاً: عظم شأن الصلاة، والزكاة ومكانتهما العظيمة في الإسلام، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(٤).

رابعاً: أن طاعة الله ورسوله سبب لرحمة الله عز وجل، والفوز

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٣٤٣-٣٤٤ بتصرف.

(٢) برقم ٦٠١١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٣) برقم ٤٩.

(٤) برقم ٨ وصحيح مسلم برقم ١٦.

والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

خامساً: أن هذه المساكن الطيبة في جنات عدن حسنة البناء، طيبة القرار، وهي درجات، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَبِيرِ عَلَيَّ وَجْهَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه وأصله في الصحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ أَوْسَطَهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا مَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ»^(٢). ورواه أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ مِائَةٌ عَامٍ»^(٣).

سادساً: أن رضا الله عز وجل عنهم أكبر، وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ

(١) برقم ٧٤٤٤ وصحيح مسلم برقم ١٨٠.

(٢) برقم ٤٣٣١ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦/٢) برقم ٣٤٩٦ وفي الصحيحة برقم ٩٢٢.

(٣) (٣٦٩/٣٧) برقم ٢٢٦٩٥ وقال محققوه حديث صحيح.

لَأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضَيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

سابعاً: أن دخول المؤمنين الجنة، وخلودهم فيها، ورضا الله ﷻ عنهم هو الفوز العظيم، لا ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا، فإنه سرعان ما يزول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

روى البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بَيْرٍ مَعُونَةَ، قَالَ بِاللَّحْمِ هَكَذَا: فَضَحَّهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»^(٢)، وفي رواية في الصحيحين قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَيْرٍ مَعُونَةَ قُرْآنًا قَرَأْنَاهُ حَتَّى نُسَخَ بَعْدُ: أَنْ بَلَّغُوا قَوْمَنَا، أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٥٤٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٩.

(٢) برقم ٤٠٩٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٠٩١ وصحيح مسلم برقم ٦٧٧.

الكلمة التاسعة والثلاثون

التناقضات في حياة بعض الناس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن النصوص الشرعية تحث المسلم على الاستقامة، والثبات على المنهج الصحيح، وتحذره من التناقض سواء كان ذلك في أقواله، أو أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]. قال بعض المفسرين: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه، وقال مجاهد وقتادة: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وهذا التناقض ليس من صفات المؤمن التقي، قال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣]. وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]. وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٤٩).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»^(١) فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!»^(٣).

قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأَ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَا يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

ومن صور هذا التناقض ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عز وجل

(١) أي أمعاؤه.

(٢) برقم ٣٢٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٩.

(٣) (٢٤٤/١٩) برقم ١٢٢١١ وقال محققوه حديث صحيح.

هَبَاءً مَنُشُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ: إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(١).

وهذه صورة من صور التناقض، يصلون آخر الليل ولكنهم ينقضون هذه الأعمال بانتهاك حرمت المسلمين.

ومن صورهِ كذلك النفاق، والمنافق ظاهرٌ حالهِ الصَّلَاحُ فهو يصلي، ويحج، ويجاهد، ويتصدق، ومع ذلك يبطن الكفر والحرب على الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

ومن صورهِ ما ذكره ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ، والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر الحرام وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم

(١) برقم ٤٢٤٥ قال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السلسلة الصحيحة (٣٣/٢) برقم ٥٠٥.

ترى من رجل متورع عن الفواحش، والظلم، ولسانه يقطع، ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول»^(١). اهـ.

وأسابغ التناقض كثيرة، أذكر من ذلك:

١- النفاق: فحتى لا ينكشف أمر المنافق ويفتضح يلجأ إلى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢- الرياء: روى البخاري في صحيحه من حديث زيد ابن عبد الله بن عمر عن أبيه: قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»^(٢).

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»^(٣).

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الرِّيَاءُ شِرْكًَا خَفِيًّا؛ لِأَن صَاحِبَهُ يَظْهَرُ عَمَلَهُ لِلَّهِ، وَقَدْ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٤٠.

(٢) برقم ٧١٧٨.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/٦٧) برقم ٩٣٧ وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٩٩) برقم ٣١.

قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله، والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله ﷻ (١).

٣- ضعف الإرادة: فإذا كان الإنسان إرادته ضعيفة فإنه يتناقض، فنجده يعمل العمل، ثم بعد مدة يتراجع عنه، فعلى سبيل المثال: إذا كان يشرب الدخان، ثم نُصِحَ، وعلم بحرمته فيتركه زمناً طويلاً، ثم تجده يضعف شيئاً فشيئاً، حتى يرجع إليه.

٤- الكبر: فترى أن بعض الناس يعمل أعمالاً كثيرة ولكن يأتي إلى عملٍ مُعَيَّن أمر به الشارع، فلا يفعله ويرى أن هذا يُنقص من قدره، فعلى سبيل المثال: إذا نصح في إعفاء اللحية، أو تقصير الثياب قال: هذا صعب وكيف يكون حالي أمام الناس؟ مع أن سيد الأولين والآخرين كانت لحيته إلى صدره، وإزاره إلى نصف ساقه.

٥- المجاملة للآخرين: تجد أن بعض الناس يجامل ولو على حساب الشرع، فقد يُطلب منه أمر فيه مخالفة للشرع فيتنازل حياءً، أو إرضاءً للآخرين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

٦- حب الشهرة والظهور: نجد أن بعض الناس يسأل عن الحكم الشرعي في مسألة معينة، فيهون من الأمر خشية سقوطه من أعين الناس، فالجماهير لا تريد الفتاوى المتشددة، وإنما تريد الفتاوى المتساهلة. قال عبد الله بن المبارك: قال لي سفيان: «إياك والشهرة، فما أتيت أحداً

(١) الدين الخالص (٢/٣٨٥).

إلا وقد نهاني عن الشهرة»^(١).

أما العلاج لهذا التناقض فيتلخص بالآتي:

١- أن يعلم المرء أن التناقض ليس من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى لنبيه: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ ﴾^(١١٢) [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾^(٢٠٨) [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»^(٣). والاستقامة: لزوم طاعة الله.

٢- الصدق والإخلاص لله في الأعمال كلها، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(١١٦) [التوبة: ١١٦]. وفي الحديث: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»^(٤).

٣- مجاهدة النفس والصبر على المشاق، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٣/٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣).

(٣) برقم ٣٨.

(٤) قطعة من حديث في سنن النسائي برقم ١٩٥٣ وصححه في صحيح سنن النسائي برقم

جَهْدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٤- أن يعلم المؤمن أن السعي إلى رضا الله سيؤدي إلى رضا الناس، روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٤١٤ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٣١١.

الكلمة الأربعون

مجالس الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا في هذا اليوم عن مجالس الصحابة، وكيف حالهم إذا التقى بعضهم ببعض، فقد كانوا يتذكرون الصيام، والقيام، وقراءة القرآن، وغيرها من الأعمال الصالحات.

ولننظر إلى أحوالنا وأحوالهم، فإذا التقى بعضنا ببعض فإن الحديث يكون عن أمور الدنيا، أما أولئك القوم فإن قلوبهم كانت متعلقة بالآخرة، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]. روى الطبراني في الأوسط من طريق عبيد الله بن حصن قال: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقِيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ سُورَةَ الْعَصْرِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ (١)،

(١) (٥/٢١٥) برقم ٥١٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/٢١٧) برقم ٨٦٣٩ وقال محققه سنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ٢٦٤٨.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُمْ (١).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتمثلون لهذا التوجيه الرباني في هذه السورة الكريمة، فيذكر بعضهم بعضاً ويتواصون بالحق والشواهد في هذا كثيرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بردة قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ (٢)، قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِّرَا»، فَاَنْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحَدَثَ بِهِ عَهْدًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرٌ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَيَّ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَاَنْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. وَفِي رِوَايَةٍ: قَائِمًا، وَقَاعِدًا، وَعَلَى رَاحِلَتِي (٣). قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ فَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

(٢) أي إقليم.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٣٤٥.

فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي (١).

فهذا الأثر يدل على هدي الصحابة حين يلقي بعضهم بعضاً فيتذاكرون الإيمان والأعمال وينتفع بعضهم من بعض. روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه من حديث حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ وَكَانَ مِنْ كُتَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا كَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاَنْطَلَفْنَا، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟»، قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» (٢).

والشاهد في هذا الحديث مراقبة الصحابة لأنفسهم، وتفقدهم لإيمانهم واستشارة بعضهم لبعض لاستصلاح النفوس، وتربيتها، ومداواة ما يجدونه من ضعف الإيمان، والتقصير في العمل ونحو ذلك.

ومن الأمثلة كذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث

(١) برقم ٤٣٤٢ وصحيح مسلم برقم ١٧٣٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٧٥٠ وسنن الترمذي برقم ٢٥١٤ واللفظ له.

عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١).

وإن للعالم الرباني من التأثير والنفع لطلابه ومريديه أثراً بالغاً في تربية النفوس، وحثها على الخير، وإن مجلساً واحداً من هذه المجالس يبقى أثره وَنَفْعُهُ سِنِينَ، وقد ذكر ابن القيم حاله حينما أُدخل السجن مع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، فقال: ومع ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا الأرض، واشتد بنا الكرب أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من طيبها، وريحها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها^(٢). اهـ.

(١) برقم ١٩٦٨.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٢.

فالعاقل الكيس هو الذي يحسب أرباحه وخسائره في هذه المجالس، فما وجد نفعه حرص عليه، وما سوى ذلك أعرض عنه، روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ^(١)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي نقصاً.

(٢) برقم ٣٣٨٠ وقال هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة الحادية والأربعون

تفسير أواخر سورة البقرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ءَأْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(١). قيل: كفتاه أي دفعنا عنه الشر، والمكروه، وقيل: كفتاه من كل شيطان، فلا يقربه ليلته، وقيل: حسبه بها فضلاً وأجراً، ويحتمل من الجميع^(٢).

(١) برقم ٥٠٠٩ وصحيح مسلم برقم ٨٠٨.

(٢) فتح الباري (٩/٥٦).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه، أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى﴾ [النجم: ١٦]، قَالَ: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا، أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحَمَاتُ^(٢)»^(٣).

قال النووي: «أريدَ بالمغفرة أنه لا يخلد صاحبها في النار لا أنه لا يعذب أصلاً، وإلا فقد جاء عذاب العصاة، أو المراد أنه يغفر لبعض الأمة الكبائر، وهو مخصوص بهذه الأمة»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما قال: «بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ

(١) (٤٤٦/٣٥) برقم ٢١٥٦٤ وقال محققوه صحيح لغيره.

(٢) أي الكبائر.

(٣) برقم ١٧٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٢) بتصرف.

مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلِّمْ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أَوْتِيَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»^(١).

قوله: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على ﴿الرَّسُولُ﴾ ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾، فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء، والرسول، والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون، بَارُونَ راشدون، مهديون هادون إلى سبل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمتة على الحق ظاهرين»^(٢).

قوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه، وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه، ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، سؤال للمغفرة والرحمة، واللفظ، ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: المرجع والمآب يوم الحساب.

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ روى مسلم في صحيحه

(١) برقم ٨٠٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٢٥-٥٢٦).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاتُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ: كُفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ»^(١).

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، وإحسانه إليهم.

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي من خير و﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي من شر، وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» (١).

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، أو فعلنا حراماً كذلك، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي الصواب، جهلاً منا بوجهه الشرعي، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٢).

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة، وإن أطقناها كما شرعته للأمم الماضية من قبلنا من الأغلال، والأصار التي كانت عليهم التي بعث نبيك محمداً ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح.

قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: من التكليف، والمصائب والبلاء، لا تبتلنا بما لا قبل لنا به.

قوله: ﴿وَأَعْفُفْنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ أي: فيما بيننا وبينك، مما تعلمه من تقصيرنا، وزللنا، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ أي: فيما بيننا وبين عبادك، فلا

(١) برقم ٥٢٦٩ وصحيح مسلم برقم ١٢٧.

(٢) برقم ٢٠٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٧/١) برقم ١٦٦٢.

تظهرهم على مساوئنا وأعمالنا القبيحة، ﴿وَأَرْحَمَنَّا﴾ أي: فيما يستقبل، فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر.

قوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أنت وليُّنا، وناصِرُنَا، وعلينا توكلنا، وأنت المستعان، وعلينا التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك، ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك من عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٢١-٥٢٨).

الكلمة الثانية والأربعون

فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، أخبر النبي ﷺ أنها من أحب نسائه إليه، بل من أحب الناس إليه، ولم يتزوج بكرة غيرها، أنزل الله في براءتها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ولم ينزل عليه الوحي في فراش امرأة سواها، وكان لها شرف خدمة النبي ﷺ وتمريضه في أيام حياته الأخيرة، فما أن نزل به المرض حتى كان يسأل عن ليلتها، وتوفي ورأسه في حجرها وبين سحرها ونحرها، وقبض النبي ﷺ وهو راض عنها، ودُفن في بيتها.

إنها الصديقة بنت الصديق، الطاهرة العفيفة عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي وأمها أم رومان الكنانية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث هشام عن أبيه قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ: وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا

إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمَّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا» (١).

قال الذهبي رحمته الله: هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنين منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهي بنت تسع سنين، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها، وهي زوجة نبينا في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكَتُ فَتَمَرَّقَ شَعْرِي (٣) فَوَفَى (٤) جُمَيْمَةً، فَأَتْتَنِي أُمِّي أُمَّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوْحَةٍ (٥) وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي، فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذْتُ

(١) برقم ٣٧٧٥ وصحيح مسلم برقم ٢٤٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥-١٤٠) بتصرف.

(٣) أي تقطع.

(٤) أي كثر والجميمة بالجميم مصغر الجمة بالضم، وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جممة، إذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة.

(٥) أرجوحة: بضم أوله معروفة وهي التي تلعب بها الصبيان.

بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهَجُ (١) حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَحَدْتُ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَا: عَلَى الْخَيْرِ، وَالْبَرَكَاتِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ (٢)، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُحِّي، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ (٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِيهِ» (٤). وفي رواية الترمذي: «إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة أنه سأل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» (٦).

قال الذهبي رحمه الله: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض،

(١) أنهج: أي أتنفس تنفساً عالياً.

(٢) على خير طائر: أي على خير حظ ونصيب، فتح الباري (٧/ ٢٢٤).

(٣) برقم ٣٨٩٤ ومسلم في صحيحه برقم ١٤٢٢.

(٤) برقم ٥١٢٥ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٨.

(٥) برقم ٣٨٨٠.

(٦) برقم ٣٦٦٢ وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٤.

وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً، وقال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّنِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ» (١). فَأَحَبَّ أَفْضَلَ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَفْضَلَ امْرَأَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَمَنْ أَبْغَضَ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ حَرِي أَنْ يَكُونَ بَغِيضًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحَبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْرًا مُسْتَفِيزًا، أَلَا تَرَاهُمْ يَتَحَرُونَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَهَا تَقَرُّبًا إِلَى مَرْضَاتِهِ (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا» (٤).

قال الذهبي: «وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي ﷺ، لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ»

(١) صحيح البخاري برقم ٤٦٦ وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٤٢).

(٣) برقم ٣٧٦٩ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣١.

(٤) برقم ٣٨١٧ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٥ مختصراً.

لها وميله إليها، فرضي الله عنها وأرضاها»^(١).

وقد أنزل الله براءتها بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال ابن حجر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ - بعد ما ذكر حديث الإفك -: «عَلِمَ من حديث الإفك المُشَارُ إليه أن من نَسَبَ عائشة إلى الزنا كان كافراً، وقد صرح بذلك أئمتنا وغيرهم، لأن في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية، ومكذبها كافر بإجماع المسلمين، وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قَاتَلَهُمُ اللهُ أنى يؤفكون»^(٢).

وقال الشيخ محمد بن سليمان التميمي نقلاً عن بعض أهل البيت: وأما قذفها الآن فهو كفر، وارتداد، ولا يكفي فيه الجلد؛ لأنه تكذيب لسبع عشرة آية في كتاب الله - كما مر - فيقتل ردة، ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين^(٣). اهـ.

وكان النبي ﷺ يحب عائشة كثيراً ولا يحب إلا طيباً، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]. وقد نالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شرف خدمته ﷺ وتمريضه في آخر أيامه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٦٥).

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي (١/١٩٣).

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد التميمي ص ٢٤-٢٥ نقلاً عن كتاب أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب.

وَيَوْمِي، بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكَ رَطْبٌ، فَنظَرَ إِلَيْهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ فِيهِ حَاجَةٌ، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهُ فَمَضَعْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنًّا قَطُّ، ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو لَهُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرَضَ، فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ، فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، يَعْنِي وَفَاضَتْ نَفْسُهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا»^(١).

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح عائشة:

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(٢)
عَقِيلَةٌ^(٣) حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ^(٤) قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعَتْ سَوَاطِي إِلَى أَنْامِلِي^(٥)
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيَّيْتُ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنُ الْمَحَافِلِ^(٦)

(١) (٤٠ / ٢٦١ - ٢٦٢) برقم ٢٤٢١٦ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) الحصان هنا: العفيفة، والرزان: اللازمة موضعها التي لا تتصرف كثيراً، ما تنزن: أي ما تُتهم، وغرثي: أي جائعة، والغوافل: جمع غافلة. ومعنى هذا الكلام أنها كافة عن أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة، والمساعي: جمع مسعاة، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم.

(٤) مهذبة: أي صافية مخلصمة، والخيم: الطبع والأصل.

(٥) الأنامل: أطراف الأصابع، وقد يعبر بها عن الأصابع كلها.

(٦) المحافل: جمع محفل وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس.

وكانت رضيها رضيها عالمة بأنساب العرب، وأشعارها، فقيهة، يرجع إليها كبار الصحابة ويستفتونها، قال الزهري: لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علماً، وكانت عالمة بالطب، قال هشام بن عروة: ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة، فقلت: يا خالة: ممن تعلمت الطب، قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.

وكانت من أكرم أهل زمانها، ولها في السخاء أخبار كثيرة، أرسل لها معاوية رضي عنه مئة ألف درهم فما غربت شمس ذلك اليوم وعندها منه شيء^(١).

وكانت شديدة التواضع، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن أبي مليكة: «أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى عَائِشَةَ قَبْلَ مَوْتِهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَبَّاسٍ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذِنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكَ، قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ، قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَنْكِحْ بَكْرًا غَيْرَكَ، وَنَزَلَ عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسِيًا مَنْسِيًا»^(٢).

وقد دُفنت بالبقيع بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة وذلك في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان بعد الوتر، فأمرت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥-١٨٧).

(٢) برقم ٤٧٥٣.

أن تُدفن من ليلتها، وقد أوصت عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء أن يدفنها مع صواحبها في البقيع، ونزل معها إلى القبر ولدا أختها أسماء، عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد، وعبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، وصلى عليها أبو هريرة وكان أميراً على المدينة لمروان بن الحكم، وكان عمرها آنذاك ثلاثة وستون عاماً وبضعة أشهر.

رضي الله عن أم المؤمنين عائشة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خيراً الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والأربعون

دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة عَلمٍ من أعلام هذه الأمة، وبطلٍ من أبطالها، وعالمٍ من علمائها، الصحابي الجليل معاذ بن جبل ابن عمرو الأنصاري الخزرجي المدني البصري أبو عبد الرحمن، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان من أفضل شباب الأنصار حلماً، وحياءً، وسخاءً، قال عبد الصمد بن سعيد: كان طويلاً، حسناً، جميلاً، قال المدائني: كان طويلاً حسن الشعر، عظيم العينين، أبيض، جعد ققط، وقد أسلم وعمره ثماني عشرة سنة، وشهد بدراً، وله عشرون أو إحدى وعشرون سنة^(١)، روى معاذ أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، وبعثه أميراً على اليمن، ومات في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي

(١) سير أعلام النبلاء (١/٤٤٤-٤٤٥).

رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ إِلَى ذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ»^(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل معاذ ومكانته العظيمة، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث راشد بن سعد وغيرهما قالوا: لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سُرْعَ^(٣) حَدَّثَ أَنَّ بِالشَّامِ وَبَاءً شَدِيدًا قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ شِدَّةَ الْوَبَاءِ فِي الشَّامِ، فَقُلْتُ: إِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَقَدْ تُوِّفِيَ أَبُو عُبَيْدَةَ اسْتَخْلَفْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي عز وجل: لِمَ اسْتَخْلَفْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ نَبَذَةً»^(٤). وفي رواية الطبراني: «بِرْتَوَةِ^(٥)»^(٦).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث مسروق قال: قرأت عند عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾

(١) برقم ١٤٥٨ وصحيح مسلم برقم ١٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٧٥٨ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٤ واللفظ له.

(٣) سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيثة وتبوك، من منازل حاج الشام، وانظر معجم البلدان للحموي (٣٩/٥).

(٤) قطعة من حديث (٢٦٣/١) برقم ١٠٨ وقال محققوه حسن لغیره.

(٥) رتوة: أي رمية بسهم، وقيل: مد البصر.

(٦) معجم الطبراني الكبير (٣٠/٢٠) برقم ٤١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

[النحل: ١٢٠]، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا، قَالَ: فَاعَادُوا عَلَيْهِ، فَاعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْأُمَّةُ؟ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ: الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(١).

وعن سهل بن أبي حنمة قال: كَانَ الَّذِينَ يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ، وَزَيْدٌ^(٢).

وكان رضي عنه من فقهاء الصحابة، روى الحاكم في المستدرک من حديث علي بن رباح، قال: خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ^(٣).

وكان النبي ﷺ يحب معاذ كثيراً، فروى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه أن النبي ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٤).

ومرت الأيام، والسنون، ودنت ساعة الفراق بين الأحبة، وما أصعبها. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته، فلما فرغ

(١) (١٠٤/٣) برقم ٣٤١٨ وقال محققه إسناده جيد.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٥١-٤٥٢).

(٣) (٣٠٨/٤) برقم ٥٢٣٦؛ وقال الحافظ في الفتح (٧/١٢٦) صح عن عمر فذكره.

(٤) برقم ١٥٢٢ وقال النووي إسناده صحيح.

قال: «يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي»، فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا^(١) لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ التَفَّتْ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»^(٢)، وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «لَا تَبُكْ يَا مُعَاذُ، إِنَّ الْبُكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

ولما حضرت معاذ الوفاة قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبَّ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا لِكُرِّي الْأَنْهَارِ، وَلَا لِعَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَحِبُّ الْبَقَاءَ لِمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَلِظَمِّ الْهَوَاجِرِ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَلِمُزَاحِمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حِلْقِ الذُّكْرِ.

وقد توفي رضي الله عنه بمرض الطاعون في بلاد الشام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مُنِيبِ الْأَحْدَبِ قَالَ: خَطَبَ مُعَاذٌ بِالشَّامِ، فَذَكَرَ الطَّاعُونَ فَقَالَ: إِنَّهَا رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ. اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيَّ آلَ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ. ثُمَّ نَزَلَ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(١٤٧)، فَقَالَ مُعَاذٌ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٢) [الصفات: ١٠٢] ^(٤).

(١) جشعاً: قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٤) الجشع: الفرع لفراق الإلف.

(٢) (٣٧٦/٣٦) برقم ٢٢٠٥٢ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٣) (٣٧٨/٣٦) برقم ٢٢٠٥٤ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٤) (٤٠٤/٣٦) برقم ٢٢٠٨٥ وقال محققوه حسن.

ومن الدروس والعبر المستفادة من سيرة هذا البطل، وأكتفي
بأثنتين منها:

١- علو همته، وحرصه الشديد على تحصيل العلم، فما بين إسلامه
ووفاته لا يتجاوز ست عشرة سنة، قال ابن حجر: عاش معاذ ثلاثاً وثلاثين
سنة على الصحيح^(١)، وقد بلغ فيها مبلغاً عظيماً حتى عدَّ من كبار المُفتين
من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يدل على أنَّ الأعمار لا تقاس بالسنين وإنما
بالإنجازات، وقد أنجز معاذ في سنوات ما لم ينجزه غيره في عشرات السنين.

٢- شدته في الحق وفي تنفيذ أحكام الله على الكفرة،
والمعاندين. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بُرْدَةَ،
قَالَ: قَدِمَ عَلَى أَبِي مُوسَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، بِالْيَمَنِ، فَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ،
قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، وَنَحْنُ نُرِيدُهُ
عَلَى الْإِسْلَامِ مُنْذُ، قَالَ: أَحْسَبُهُ، شَهْرَيْنِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى
تَضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ: أَنَّ مَنْ رَجَعَ
عَنْ دِينِهِ فَأَقْتُلُوهُ أَوْ قَالَ: مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ^(٢).

رضي الله عن معاذ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،
وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتح الباري (٧/١٢٦).

(٢) (٣٦/٣٤٣-٣٣٤) برقم ٢٢٠١٥ وقال محققوه إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

الكلمة الرابعة والأربعون

فضائل غزوة بدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد كانت غزوة بدر المعركة الأولى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، فيها فرق الله بين الحق والباطل، وخذل الكفر وأهله، وقُتل فيها صناديد قريش ومجرميها، وهي الحدث الذي غير مجرى التاريخ، وكانت البوابة الأولى لغزوات متتابعة أدت في النهاية للفتح الكبير - فتح مكة - واندحار الكفر ورفعته الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١] [الإسراء: ٨١].

وقد وردت نصوص كثيرة تبين فضل غزوة بدر وأهل بدر من القرآن والسنة، فمن ذلك:

أولاً: تسمية الله لها بيوم الفرقان، قال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ تَلَقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤١] [الأنفال: ٤١]. قال ابن كثير: ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، ويُسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على

كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه (١).

ثانياً: نصر الله تعالى لهم بالرعب، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢) [الأنفال: ١٢]. والنصر بالرعب من خصائص نبينا محمد ﷺ كما في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (٢).

ثالثاً: إمداد الله تعالى لهم بالملائكة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) [آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةَ السَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدَمَ حَيْزُومٌ (٣)؛ فَظَنَّ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهَهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ،

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٣).

(٢) برقم ٢٣٥ وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

(٣) في النهاية لغريب الحديث لابن الأثير حديث بدر أقدم حيزوم، جاء في التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام أراد أقدم يا حيزوم (١/٤٦٧).

فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ^(١).

رابعاً: فضل من شهد بدرًا من الصحابة، والملائكة على غيرهم، روى البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن رفاعه ابن رافع عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر قال: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ، - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(٢).

خامساً: أن من قُتل منهم نال الفردوس الأعلى، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنِكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»^(٣).

قال ابن كثير: «وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا لم يكن في بحبحة^(٤) القتال، ولا في حومة الوغى^(٥)،

(١) برقم ١٧٦٣.

(٢) برقم ٣٩٩٢.

(٣) برقم ٢٨٠٩.

(٤) البحبوحة من كل شيء وسطه، النهاية في غريب الحديث (٩٨/١).

(٥) حومة الوغى: أشد موضع في الحرب أو القتال، المعجم الوسيط (٢١٠/١).

بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسأله إياها، فإذا كان هذا حال هذا، فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً»^(١). اهـ.

سادساً: أن أهلها مغفور لهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه وأصله في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢). قال ابن حجر: «وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم»^(٣).

سابعاً: رجاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بدر ألا يدخلوا النار، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: «أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْدُخَنَّ حَاطِبُ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ»^(٤).

ثامناً: إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لولا أهل بدر لم يصلنا الإسلام، ولقضي عليه معهم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر ابن

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٥/٢٥٨).

(٢) (٣/٣٢٢-٣٢٣) برقم ٧٩٤٠ قلت وإسناده حسن.

(٣) فتح الباري (٧/٣٠٥).

(٤) برقم ٢٤٩٥.

الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ» (١).

تاسعاً: أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة في هذه الغزوة، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩]. روى الطيالسي في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ تَعَجَّلَ النَّاسُ إِلَى الْغَنَائِمِ فَأَصَابُوهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْغَنِيمَةَ لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ سُوْدٍ» (٢) الرَّؤُوسِ غَيْرِكُمْ»، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ (٣) إِذَا غَنِمُوا غَنِيمَةً جَمَعُوهَا، وَنَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلْتَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لَوْلَا كُنْتُمْ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ» (٤).

عاشراً: إخباره تعالى عن نتيجة المعركة قبل بدئها، وذلك بالنصر للمؤمنين على الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطْلَ

(١) برقم ١٧٦٣ ورواه البخاري من حديث ابن عباس بنحوه برقم ٣٩٥٣.

(٢) سود الرؤوس: المراد بها بنو آدم لأن رؤوسهم سود.

(٣) أي الأنبياء السابقين.

(٤) (١٩/٢) وأخرجه الترمذي برقم ٣٠٨٥ وقال حديث حسن صحيح غريب.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ [الأنفال: ٧-٨].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ فَرَعَ مِنْ بَدْرٍ: عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا شَيْءٌ». قَالَ: فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَكَ، قَالَ: «وَلِمَ؟» قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ عز وجل إِنَّمَا وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٦٦/٣) برقم ٢٠٢٢ والحديث من رواية سماك عن عكرمة، وفيها اضطراب ومع ذلك فقد قال الترمذي حديث رقم ٣٠٨٠ حديث حسن صحيح وجود إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٢٨٨).

(٢) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٩-٤٩.

الكلمة الخامسة والأربعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ... ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد تقدّم الحديث عن فضل غزوة بدر، وأهلها الذين شاركوا فيها، وسيكون الكلام في هذه الكلمة عن الآيات التي تحدثت عن خروج النبي ﷺ ومن معه إلى هذه الغزوة المباركة.

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ٥ ﴾ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بُيِّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٦ ﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ٧ ﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطِّلَ الْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ٨ ﴾ [الأنفال: ٥-٨].

يقول الله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ يا محمد إلى لقاء المشركين في بدر ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الذي يحبه، وقدره وقضاه، وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين

عدوهم قتال، فحين تبين لهم أن ذلك واقع جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي ﷺ في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾، والحال أن هذا لا ينبغي منهم خصوصاً بعد ما تبين لهم أن خروجهم بالحق ومما أمر الله به، ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدل محل فيها؛ لأن الجدل محله وفائده عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان، هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم الله انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله وَقَيَّضَ لَهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا تَطْمِئِنُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ.

وكان أصل خروجهم أنهم يتعرضون لِعَيْرٍ خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمع برجوعها من الشام ندب النبي ﷺ الناس، فخرج معه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً يعتقون عليها ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عَيْرِهِمْ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ، وَعِدَّةٍ وَافِرَةٍ مِنَ السَّلَاحِ، وَالخَيْلِ، وَالرِّجَالِ، بَلَغَ عَدَدُهُمْ قَرِيباً مِنَ الْأَلْفِ.

فوعده الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير أي الجيش، فأحبوا العير لِقَلَّةِ ذَاتِ يَدِ الْمُسْلِمِينَ؛ ولأنها غير ذات الشوكة، ولكن الله تعالى أَحَبَّ لَهُمْ وَأَرَادَ أَمْرًا أَعْلَى مِمَّا أَحْبَبُوا، أَرَادَ أَنْ يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم، ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ فينصر أهله، ﴿ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾

أي يستأصل أهل الباطل، ويُري عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطر ببالهم.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فلا يبالي الله بهم^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن كعب رضي الله عنه قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ عَيْرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ»^(٢).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة كان بالحق، وخروج المشركين من مكة كان بالباطل، ففي الأولين قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]. وفي الآخرين قال: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

ثانياً: مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن خروجه كان بأمر ربه، إلا أنه كان يستشير أصحابه مراعاة منه صلى الله عليه وسلم - للطبيعة البشرية - فليتبته دعاة الإسلام لهذا، وليقدموه للناس ليناً سهلاً.

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي ص ٣١٦.

(٢) برقم ٣٩٥١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٩.

ثالثاً: في المؤمنين من هو كامل الإيمان يقدم الأوامر الشرعية ولا يبالي بما يخالفها، ومنهم من هو دون ذلك، له نظرة للأسباب المادية، وهذا الفريق لا ينبغي أن يُضرب بالأوامر الشرعية بل يؤخذ بالمجادلة الحسنة حتى ينقاد إلى الحق بطيب نفس، ورغبة، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال: ٥].

رابعاً: أن اللفظ قد يطلق، ويراد به بعض معانيه، فالذين كرهوا لقاء العدو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾، لم يكن ذلك جبنًا، ولا كراهية للموت، ولكنهم لم يكونوا يرون الدخول في معركة لم يستعدوا لها، ولم يحسبوا حسابها، وربما كانت النتائج أسوأ مما لو عادوا في هذه الحال، فلما تبين لهم الحق بعد المجادلة انساقوا إليه مسرعين.

خامساً: فضل أصحاب بدر، وكمال إيمانهم، حيث انقادوا للنبي ﷺ لخوض المعركة مع قريش مع أن ذلك بالحسابات المادية والخطط العسكرية هو الإقدام على الموت، قال تعالى وهو يصور ذلك أحسن وأبلغ تصوير: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال: ٦].

سادساً: الوعد بالخير ممن طبعته الوفاء من أخلاق القرآن لما في ذلك من راحة القلب واطمئنانه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٧].

سابعاً: وعد الله أصحاب بدر إحدى الطائفتين، ولم يعين مع

علمه بما سيكون ليكشف خفايا النفس البشرية، وذلك من مقتضيات حكمته جل وعلا.

ثامناً: بذل جهد أكبر لتحصيل مقصود أعظم أولى من ضده، قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

تاسعاً: المقارنة بين المصالح والمفاسد، والموازنة بين الأمور مع بُعد النظر يتبين بها حقيقة الأشياء، وهذا ما جعل النبي ﷺ، وأصحابه يقررون اللقاء مع العدو ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، وهي مصلحة، غير أن هذه المصلحة تتلاشى عند النظر إلى ما في اللقاء من المصالح، وإن كلف جهداً إذ إن إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإذلال الكفر؛ مصالح عظيمة لا يعدلها شيء، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

عاشراً: يجب على المؤمنين أن يُقدِّموا ما يريد الله على ما يريدون، فإنهم متى فعلوا ذلك أعطاهم ما يتمنون، وبلغهم ما لم يكونوا يحتسبون، وهذا ما وقع لأهل بدر، لَمَّا قَدَّمُوا ما يريد الله على ما يريدون.

الحادي عشر: من الجرائم العظيمة أن يكره الإنسان ظهور الحق، أو سقوط الباطل، قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الثاني عشر: عظمة الباري وقدرته، إذ إن ما يريده يقع منه بكلمة، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾.

وهذه الكلمة هي ما ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس: ٨٢] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والأربعون

فوائد من قوله تعالى:

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ... ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد كان الكلام في الكلمة السابقة عن الآيات التي تتحدث عن خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى بدر، ولا زال الحديث موصولاً في ذلك، قال تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلِنَنْزَعْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ [الأنفال: ٤٢-٤٤].

من فوائد الآيات السابقة:

الفائدة الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ

الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴿ العُدوة هي: طرف الوادي، والركب المراد به عير أبي سفيان، وهذا التصوير البليغ له من الفوائد:

أ- بيان الحال لمن بعد، ولم يستطع الوقوف على موقع المعركة، فهذا الوصف العجيب يجعله كأنه يرى ويُشاهد.

ب- قوله تعالى: ﴿الدُّنْيَا﴾ أي الأقرب إلى المدينة، و﴿الْقُصْوَى﴾ أي الأبعد بالنسبة للمدينة، وبالتالي فهي الأقرب إلى مكة، والمعنى أن كل فريق يستطيع العودة إلى بلده، ليس بينه وبينها حائل يمنعه، ومع ذلك نفذت مشيئة الله بالتقاء الفريقين: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الفائدة الثانية: قوله: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، قال الرازي: « لا شك أن عسكر الرسول ﷺ في أول الأمر كانوا في غاية الخوف، والضعف؛ بسبب القلة، وعدم الأهبة، ونزلوا بعيدين عن الماء، وكانت الأرض التي نزلوا فيها أرضاً رملية تغوص فيها أرجلهم، وأما الكفار فكانوا في غاية القوة؛ بسبب الكثرة في العدد؛ وبسبب حصول الآلات، والأدوات؛ لأنهم كانوا قريبين من الماء؛ ولأن الأرض التي نزلوا فيها كانت صالحة للمشى، ولأن العير كانت خلف ظهورهم، وكانوا يتوقعون مجيء المدد من العير إليهم ساعة فساعة. ثم إنه تعالى قلب القصة، وعكس القضية، وجعل الغلبة للمسلمين، والدمار على الكافرين، فصار ذلك من أعظم المعجزات، وأقوى البيانات على صدق محمد ﷺ فيما أخبر عن ربه من وعد النصر والفتح والظفر.

الفائدة الثالثة: قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ إشارة إلى هذا المعنى، وهو أن الذين هلكوا إنما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة، والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة، والمراد من البينة هذه المعجزة^(١).

الفائدة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يحتمل أن المراد بذلك الزمان، والمكان، ويحتمل أن المراد الزمان فقط، والثاني أرجح.

الفائدة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فيه من الفوائد أن الله تعالى قدر الأشياء قبل وقوعها، وهو صريح قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]. وهذه إحدى مراتب القدر التي يجب الإيمان بها.

الفائدة السادسة: أن الأخذ بالأسباب المشروعة أمر مشروع، كل بحسبه، فإن الرب جل وعلا مع علمه بما سيقع، لم يمنعهم من أخذ الأسباب التي يرونها.

الفائدة السابعة: قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، أراد كأن يظهر بوقوع هذه المعركة على هذا النحو، أن محمداً وأصحابه على الحق، وأن عدوهم على الباطل؛ إقامة للحجة، وقطعاً للأعداء.

الفائدة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيها:

(١) التفسير الكبير للرازي (١٦٨/١٥).

أ- إثبات اسمين لله تعالى من أسمائه الحسنی التي يُدعى بها.
 ب- أن هذين الاسمين الكريمين تضمننا صفتين عظيمتين، الأولى:
 السمع، الثانية: العلم.

الفائدة التاسعة: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾^ط
 فيها من الفوائد:

أ- إن الرؤيا الصالحة من الله.
 ب- رؤيا الأنبياء وحي من الله.
 ج- إن رؤية النبي ﷺ لهم كانت في المنام لا في اليقظة^(١).
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٤٧-٣٤٩.

الكلمة السابعة والأربعون

المعجزات والكرامات في غزوة بدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:
فلقد كانت غزوة بدر من معارك الإسلام الفاصلة، وقد تجلّت فيها الكثير من المعجزات والكرامات العظيمة، فمن ذلك:

أولاً: سماع المشركين كلام النبي ﷺ وخطابه وهم أموات في القليب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي طلحة رضي الله عنه: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ (١) مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ (٢)، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بَنَ فُلَانٍ: «أَيَسْرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

(١) الأطواء: جمع طوي وهو البئر التي طويت وبنيت بالحجارة، لتثبت ولا تنهار، فتح الباري (٧/٣٠٢).

(٢) أي طرف البئر، الفتح (٧/٣٠٢).

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا
أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيحًا
وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا»^(١).

ثانياً: تحديد مصارع القوم: روى مسلم في صحيحه من
حديث أنس رضي الله عنه قال: كان عمر يحدثنا عن أهل بدر فقال:
«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ:
«هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي
بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَوْا وَالْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
فَجُعِلُوا فِي بَيْتٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
انْتَهَى إِلَيْهِمْ»^(٢).

ثالثاً: نزول المطر عليهم بالقدر الذي يحتاجونه من غير زيادة
ولا نقصان: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وهو
يحدث عن ليلة بدر: «أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طُشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَاَنْطَلَقْنَا
تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ - أي الترس - نَسْتِظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ،
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَطَرًا وَاحِدًا،
فَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَابِلًا شَدِيدًا مَنَعَهُمْ مِنَ التَّقَدُّمِ، وَكَانَ عَلَى

(١) برقم ٣٩٧٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٧٥.

(٢) برقم ٢٨٧٣.

(٣) (٢/٢٦٠) برقم ٩٤٨ وقال محققوه إسناده صحيح.

المسلمين طلاً طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل»^(١).

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «لولا هذا المطر لما أمكن المسلمين القتال؛ لأنهم كانوا رجالة ليس فيهم إلا فارس واحد هو المقداد - كما تقدم - وكانت الأرض دهاساً تسبخ فيها الأقدام أو لا تثبت عليها»^(٢).

رابعاً: استجابة الله لدعاء نبيه على من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم الكفرة بدر: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمَعَ قُرَيْشٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْتِهَا^(٣) وَدَمِهَا وَسَلَاهَا^(٤) فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمِهُلُهُ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَاثْبَعَتْ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَاثْبَعَتْ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاظِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبِيهِمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) زاد المعاد (٣/١٧٥).

(٢) تفسير المنار (٩/٥٠٩-٥١٠).

(٣) الفرت: بقايا الطعام في الكرش، انظر المعجم الوسيط (٢/٦٧٨).

(٤) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه، وقيل هو في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة. النهاية في غريب الحديث (٢/٣٩٦).

الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلْبِ، قَلْبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاتَّبَعَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً»^(١).

خامساً: إعانة بعض المسلمين بالملائكة على أسر العدو: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وفيه: «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَنِي، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ^(٢) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ^(٣) مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسْرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَلِكٍ كَرِيمٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَأَسْرَنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسَ وَعَقِيلًا وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ»^(٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ

(١) برقم ٥٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٧٩٤.

(٢) قال في النهاية (٢٨٤/١) الأجلح من الناس: الذي انحشر الشعر عن جانبي رأسه.

(٣) أبلق: وهو ما كان فيه سواد وبياض. المعجم الوسيط (٧٠/١).

(٤) (٢/٢٦٠-٢٦١) برقم ٩٤٨، وقال محققوه إسناده صحيح، وقال الشيخ أحمد شاکر في تخريجه للمسند (٢/١٩٤) إسناده صحيح.

الْحَرْبِ»^(١). وفي رواية: «عَلَى ثَنَائِهِ النَّقْعُ»^(٢) (٣).

سادساً: إنزال النعاس عليهم: قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]. روى أبو يعلى في مسنده من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: «لَقَدْ سَقَطَ السَّيْفُ مِنِّي يَوْمَ بَدْرٍ لِّمَا غَشَيْنَا مِنَ النُّعَاسِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾» [الأنفال: ١١] (٤).

قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقاء النعاس عليهم أماناً آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم، وقلة عددهم... إلخ»^(٥).

سابعاً: أن الله تعالى أراهم العدو أقل مما هم عليه: لتقوى قلوبهم على حربهم، ويشجعهم على مواجهتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

قال ابن جرير: «إِذْ يُرِي اللَّهُ نَبِيَّهٖ فِي مَنَامِهِ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلاً، وَإِذْ يُرِيهِمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ لَقَوْهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قَلِيلاً، وَهُمْ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ،

(١) برقم ٣٩٩٥.

(٢) الثنايا: إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، ثنتان من فوق، وثنان من تحت. المعجم الوسيط (١/١٠٢).

(٣) النقع: الغبار. النهاية في غريب الحديث (٥/١٠٩).

(٤) (٣/١٩) برقم ٤٢٨ وقال محققه حسين سليم أسد إسناده صحيح.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢٩١).

ويقلل المؤمنين في أعينهم لتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم»^(١).

ثامناً: اختصاص أبي بكر وعلي بكرامة من الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: «قِيلَ لِعَلِيِّ وَالْأَبِيِّ بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جَبْرِيْلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيْلُ، وَإِسْرَافِيْلُ مَلَكٌ عَظِيْمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ، أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن جرير (٦/٢٥٩).

(٢) (٢/٤١١) برقم ١٢٥٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٥٧-٦٤.

الكلمة الثامنة والأربعون

غزوة بدر

مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

كان يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة يوم بدر الأغر، اليوم الذي دارت فيه رحى الحرب بين حزب الله وحزب الشيطان، فحين أصبح النبي ﷺ وطلع الفجر نادى في أصحابه: «الصَّلَاةُ عِبَادَ اللَّهِ»، فصلى بهم صلاة الصبح، ثم حَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وصف أصحابه صفوفاً، وألقى إليهم التوجيهات التي يلقيها القائد عادة إلى الجيش قبل اللقاء، بعد ذلك انصرف ﷺ إلى مقر القيادة، وهو العريش الذي بُني له، والذي يعتبر بمثابة غرفة العمليات اليوم، ينتظر إقبال جيش العدو، تاركاً له فرصة التفكير في مصير هذا اللقاء أو البدء بالقتال والبغي والاعتداء، حيث علم ﷺ أن البادي بالظلم مغلوب، وأن الباغي مهزوم، وأن المظلوم مُعان ومنصور^(١).

وكان النبي ﷺ قبل ذلك أمر بالآبار التي حول بدر فدفنت، ثم

(١) قال أحد الصالحين لابنه يوصيه: لا تدعو أحداً للبراز، فإن الداعي باغ، والباغي مهزوم، وإذا دُعيت فأجب.

بنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه ومُليء ماءً، وكانت بدر مقراً لاجتماع الناس، وبها سوق من أسواق الجاهلية، وتقع على مفترق طرق، حيث يتوارد لها العرب من كل ناحية، وتبعد عن المدينة في وقتنا المعاصر مائة وثلاثة وخمسين كيلو متر تقريباً.

بداية المعركة:

خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً، سىء الخلق، فقال: أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ، أَوْ لَأُهْدِمَنَّهٗ، أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ؛ خَرَجَ إِلَيْهِ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْرَةُ فَاطَنَّ^(١) قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشْخَبُ^(٢) رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ، يُرِيدُ - زعم - أَنْ يَبْرَّ يَمِينَهُ، وَأَتْبَعَهُ حَمْرَةُ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ^(٣).

ثم أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُمْ»، فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَجَّانِي مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ^(٤).

(١) فاطن قدمه: أي أطارها. شرح السيرة النبوية ص ١٥٧.

(٢) تشخب: معناه تسيل بصوت. المصدر السابق ص ١٥٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٤).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٢).

وكانت المبارزة أول شيء بدئ فيه من القتال يوم بدر، وجرت العادة أنه لا يخرج للمبارزة إلا الشجعان من الرجال، وهذا ما حصل في بدر. قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»^(١). وروى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: «فينا نزلت هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾»^(٢). وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يُقسِمُ فيها: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نَزَلَتْ فِي حَمْزَةٍ وَصَاحِبِيهِ، وَعُتْبَةَ وَصَاحِبِيهِ، يَوْمَ بَرَزُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ»^(٣). وروى البخاري بسنده إلى أبي إسحاق، سأل رجل البراء وأنا أسمع، قال: أشهد عليٌّ بدرًا؟ قال: بَارَزَ وَظَاهَرَ^{(٤)(٥)}.

وروى أبو داود من حديث علي رضي الله عنه قال: «تَقَدَّمَ عُتْبَةُ ابْنَ رَبِيعَةَ وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا

(١) برقم ٤٧٤٤.

(٢) برقم ٣٩٦٧.

(٣) برقم ٤٧٤٣ وصحيح مسلم برقم ٣٠٣٣.

(٤) برقم ٣٩٧٠.

(٥) ظاهر يعني لبس درعاً على درع، فتح الباري (٧/١٩٨) وانظر: المعجم الوسيط (٥٧٨/٢).

أَرَدْنَا بَنِي عَمَّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ»، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ، فَأَثَخْنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ» (١).

من مشاهد وأحداث المعركة:

مقتل أبي جهل لعنه الله: وأبو جهل عمرو بن هشام ما هو إلا حلقة من حلقات الظلم والطغيان ضد الحق، فمثله كثير. إن فرعون موسى انتهى بالغرق، وقوم هود، وصالح، ولوط هلكوا، وكل ظالم متكبر لا بد أن ينتهي تلك النهاية المؤلمة.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وانتهى أبو جهل، ورمي بالقليب بعد تلك الكبرياء التي أرادها للباطل على الحق، ولكن التاريخ البشري يشهد أن الحق هو الذي يبقى، وقديماً قيل: «دَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ، وَدَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ

(١) برقم ٢٦٦٥ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٥٠٧) برقم ٢٣٢١.

(٢) انظر: مرويات غزوة بدر للعليمي ص ٢٢٢.

بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله»، قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «كلاكما قتله»، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو ابن الجموح»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو رجل قتلته قومه»^(٢).

قال: وقال أبو مجلز: قال أبو جهل: لو غير أكار قتلني^(٣)،

(١) برقم ٣١٤١ ومسلم برقم ١٧٥٢.

(٢) برقم ٤٠٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٨٠٠.

(٣) برقم ٤٠٢٠، وأكار: زراع، قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٥): وعنى بذلك أن الأنصار أصحاب زرع، فأشار إلى تقيص من قتله منهم بذلك.

وفي رواية أخرى للبخاري: وَهَلْ أَعْمَدُ^(١) مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ^(٢).
 وقال أيضاً لابن مسعود: لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقَى صَعْبًا يَا رُوَيْعِي الْغَنَمِ،
 وَسَأَلَ قَائِلًا: لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ^(٣).
 ومن المشاهد والأحداث: قتل رأس الكفر أمية بن خلف: قُتِلَ
 أمية بن خلف السيد المطاع على يد بلال الحبشي الذي طالما عذبه
 بمكة، تلك الأنات التي يطلقها بلال: أَحَدٌ، أَحَدٌ، لم تذهب سدى، إنها
 سياط في وجه الظلم الكالح في كل زمان ومكان، ويثأر بلال، ولكن
 الثأر لم يكن لنفسه، وإنما هو للحق الذي يحمله بين جنبيه، وينتهي
 العدوان، ويرى أهله مصيرهم، والعاقبة للمتقين. رحم الله بلالاً، فقد
 أعطى القدوة مرتين:

الأولى: لتحمله العذاب والقهر في دين الله، فكان أقوى من
 الحديد، وأشد من الفولاذ.

الثانية: إذاقته لأعداء الله كأس المنيّة من يده، ليثبت للدنيا كلها،
 وللتاريخ البشري انتصار الحق والإيمان على الكفر والعدوان^(٤).

قال الشاعر:

هَنِيئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا لَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ يَا بِلَالُ

(١) أعمد: يريد أكبر من رجل قتلتموه، على سبيل التحقير منه لفعلمهم به، قال الحافظ أبو ذر
 الخشني: وعميد القوم سيدهم. شرح السيرة النبوية ص ١٦٠.

(٢) برقم ٣٩٦١.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٧).

(٤) مرويات غزوة بدر ص ٢٢٦.

ولقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بقتل أمية بن خلف، فكان كما قال، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ كِتَابًا، بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي بِمَكَّةَ، وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ، قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، كَاتَبَنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ: عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأَحْرِزِهِ^(١) حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالٍ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتَبَعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ، فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَحَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ»^(٢)(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حرز: يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرزاً إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ. النهاية في غريب الحديث (١/٣٦٦).

(٢) برقم ٢٣٠١.

(٣) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٢٣٨-٢٤٦.

الكلمة التاسعة والأربعون

غزوة بدر

مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

تقدم في الكلمة السابقة الحديث عن مشاهد وأحداث من غزوة بدر المباركة، ولا زال الحديث موصولاً في ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبّقوا المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُقدّمَنَّ أحدٌ منكم إليَّ شيءٍ حتى أكونَ أنا دونهُ»، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلي جنة عرّضها السموات والأرض»، قال: يقول عمير بن الحُمّام: يا رسول الله، جنة عرّضها السموات والأرض؟! قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمراتٍ من قرنيه ^(١) فجعل يأكل منهنّ، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويّلة، قال: فرمى بما

(١) أي جعبته. النهاية في غريب الحديث (٤/٥٥).

كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» (١).

ومن المشاهد والأحداث:

ما روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «قَالَ الزُّبَيْرُ: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرِ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ مُدَجَّجٌ لَا يَرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكُرْشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ (٢) فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبَرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ، فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا، وَقَدْ انْتَنَى طَرْفَاهَا. قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة رضي الله عنه قال: «كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرْبَاتٍ بِالسَّيْفِ، إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ، قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ أَصَابِعِي فِيهَا، قَالَ: ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرِ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ. قَالَ عُرْوَةُ: وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ

(١) برقم ١٩٠١.

(٢) العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً، وفيها سنان مثل سنان الرمح. والعكازة قريب منها. النهاية في غريب الحديث (٤/٣٠٨).

(٣) برقم ٣٩٩٨.

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ: هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ: فِيهِ فَلَّةٌ^(١) فَلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: صَدَقْتَ، بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٢)، ثُمَّ رَدَّهٗ عَلَى عُرْوَةَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ^(٣).

قال الحافظ في الفتح: «قوله: صدقت بهن فلول من قراع الكتائب هذا شطر من بيت مشهور من قصيدة مشهورة للنبغة الذبياني، وأولها: كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وهو من المدح في معرض الذم، لأن الفل في السيف نقص حسي لكنه لما كان دليلاً على قوة ساعد صاحبه، كان من جملة كماله»^(٤).

وفي رواية أخرى عن عروة رضي الله عنه قال: «كَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ مُحَلَّى بِفِضَّةٍ»^(٥).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه: «أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدُّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا،

(١) الفلة: الثملة في السيف وجمعها: فلول. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٧٢).

(٢) أي قتال الجيوش ومحاربتها.

(٣) برقم ٣٩٧٣.

(٤) فتح الباري (٧/ ٣٠٠).

(٥) صحيح البخاري برقم ٣٩٧٣.

فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضَرَبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرْبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ، قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ، وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا»^(١).

ومنها شجاعة حمزة رضي الله عنه: روى ابن إسحاق بسنده: «أَنَّ أُمِّيَةَ بْنَ خَلْفٍ سَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعَلَّمُ بِرِيْشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قُلْتُ: ذَلِكَ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَبِيُّ اللَّهِ. ذَلِكَ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث وحشي قال: «إِنَّ حَمَزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ يَوْمَ بَدْرٍ»^(٣).

لقد انتهت معركة بدر بنصر حاسم للمسلمين، فقد قتلوا سبعين من قادة قريش وساداتهم وأسروا سبعين، وحصلت في هذه المعركة المعجزات والكرامات العظيمة التي أيد الله بها المؤمنين، وجاء دور الغنائم، فلقد خلفت قريش الكثير منها، ومن هذه الغنائم أموال المهاجرين التي تركوها في مكة، وانتزعها المشركون منهم، وهذه الغنيمة التي حصلت للمسلمين هي فضل من الله يعطيه لأولياءه إذ مكنهم من رقاب أعدائهم قتلاً وأسراً، ومن أموالهم غنيمة طيبة للمؤمنين.

(١) برقم ٣٩٧٥.

(٢) السيرة النبوية (٢/٢٢٣) وسنده حسن وأخرجه البزار (٣/١) برقم ٢٢٧.

(٣) برقم ٤٠٧٢.

وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس عند الغروب من يوم الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يُطَارِدُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَغْنَمِ يَحُوزُونَ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصِيبُ الْعَدُوَّ مِنْهُ غَرَّةٌ، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٧/٤٢٢) برقم ٢٢٧٦٢ وقال محققوه حسن لغیره.
 (٢) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٢٤٦-٢٥٣.

الكلمة الخمسون

اتباع الهوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فمن الخصال المذمومة التي تلقي بصاحبها في مهاوي الردى، وتعمي بصيرته، فيصبح لا يفرق بين حق ولا باطل، ولا خير وشر.. اتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال ابن كثير: «أي: مهما استحسن من شيء ورأه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه^(١) كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]».

وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حال هؤلاء المتبعين لأهوائهم، وأن الحال يصل بهم إلى أن يكونوا كالأنعام بل أضل، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٤٤]. [الفرقان: ٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٩/١٠).

وإن من اتباع الهوى ما يفعله بعض الناس من البحث عن الرُّخصِ المخالفة للشرع والفتاوى الشاذة، وزلات العلماء، ويلوون أعناق النصوص من أجل ذلك، وإذا كانت النصوص توافق أهواءهم رضوا وسَلَّمُوا ولم يجادلوا، وقد ذكر الله في كتابه هذا الصنف فقال: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ [النور: ٤٧-٥٠].

لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته، فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقضها هدم القوانين والدساتير جميعاً فالقانون المرعي - عنده في الحقيقة - هو مقتضيات هذه المصلحة الخاصة فحسب^(١).

والهوى يُعْمِي وَيُصِمُّ صاحبه عن الحق، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا»^(٢)، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا^(٣) نُكِتَ^(٤) فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٢٣١.

(٢) ومعنى تعرض: أي كأنها تلتصق، بعرض القلوب أي جانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به، قال: وقوله عوداً، عوداً: أي تعاد وتكرر عليه شيئاً بعد شيء.

(٣) أي حلت فيه محل الشراب.

(٤) أي نقطة نقطة.

فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أْبَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا^(١) كَالْكُوزِ مُجَحِّيًا^(٢)، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ^(٣).

وقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه عن اتباع الهوى، فقال سبحانه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥]. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من اتباع الهوى، فروى الترمذي في سننه من حديث قطبة بن مالك رضي عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ»^(٤).

وأخبر النبي ﷺ أن اتباع الهوى من المهلكات، روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي عنهما أن النبي ﷺ قال: «الْمُهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ»^(٥).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي عنه: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ: طُولُ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ»^(٦).

(١) المراد شدة البياض في سواد.

(٢) أي منكوساً مائلاً.

(٣) برقم ١٤٤.

(٤) برقم ٣٥٩١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم ٢٨٤٠.

(٥) مسند البزار (٨/ ٢٩٥) برقم ٣٣٦٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٠٢.

(٦) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٥٣٠) برقم ٨٨١.

وقد وردت أقوال كثيرة عن السلف تحذر من تتبع زلات العلماء، والأقوال الشاذة، قال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله»^(١)، وقال الإمام الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء (أي الأقوال النادرة) خرج من الإسلام»^(٢)، وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ: زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجَدَالُ الْمُنَافِقِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ»^(٣)، وقال ابن حزم الأندلسي: «وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين، وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل، فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم»^(٤) اهـ.

وروى البيهقي عن إسماعيل القاضي قال: «دخلت على المعتضد بالله فدفعت إليّ كتاباً فنظرت فيه فإذا قد جمع له من الرخص من زلل العلماء وما احتج به كل واحد منهم، فقلت: مصنف هذا زنديق، فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر - النبيذ - لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح المسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب»^(٥) اهـ.

وقد شدد العلماء في الإنكار على من تتبع الرخص وشواذ

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/ ٩١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٥).

(٣) سنن الدارمي (١/ ٧١).

(٤) الأحكام في أصول الأحكام (٥/ ٦٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٥).

الأقوال، حيث وصفوه مرة بأنه شر عباد الله كما ذكر ذلك عبد الرزاق عن معمر^(١)، وتارة وصفوه بالفسق كما نص عليه ابن النجار، فقال: يحرم على العامي تتبع الرخص ويُفسق به^(٢)، وقال الغزالي: ليس للعامي أن ينتقي من المذاهب في كل مسألة أطيبها عنده فيتوسع^(٣).

وبعض الناس إذا أراد أن يستفتي يسأل في كل مسألة من عُرفَ بالتساهل فيها، والإفتاء بغير ما عليه جماهير العلماء، فإذا دُلَّ على العلماء الذين يفتون بالكتاب والسنة؛ قال: إن هؤلاء لا يعرفون إلا لغة التحريم، كل شيء عندهم حرام، فهذا وأمثاله اتخذوا دينهم لعباً ولهواً والله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، ولم يقل كما أردت، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع العلماء على أن العامي لا يجوز له تتبع الرخص»^(٤).

قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»^(٥).

أما قول بعضهم: ضع بينك وبين النار مُطَوِّعاً، فهذا القول لا يكون صحيحاً إلا بسؤال أهل العلم المعروفين بالتقوى، وأن يكون القصد

(١) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (١/٢٠٩).

(٢) مختصر التحرير ص ٢٥٢.

(٣) المستصفي (٢/٤٦٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩١).

(٥) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٤.

من السؤال معرفة الحق والعلم الذي يرضي الله تعالى^(١).

ومن الأمثلة على تتبع زلات العلماء وترك ما قال به جمهور أهل العلم، ودلت عليه النصوص الصريحة: الذين يأخذون بقول من قال بإباحة الغناء، ويتركون من قال بتحريمه، كأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد، وجماهير أهل العلم من المتقدمين، والمتأخرين.

ومنهم: الذين يأخذون بقول من قال من المعاصرين بجواز حلق اللحية، ويتركون النصوص الصريحة التي وردت في الصحيحين وغيرها من الكتب الستة بالأمر بإعفائها، وهو قول جمهور أهل العلم من المتقدمين، والمتأخرين، بل لم يعرف حلق اللحية إلا في العصور المتأخرة.

ومنهم: الذين يأخذون بقول من قال من المعاصرين بجواز إسبال الثياب من غير خيلاء، ويتركون النصوص الصريحة التي وردت في الصحيح وغيره بتحريم ما أسفل من الكعبين من الإزار.

وما ذكرته غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، أسأل الله تعالى أن يرزقنا التجرد للحق، وأن يبعدنا عن اتباع الهوى، وأن يجعلنا ممن يسارعون إلى تنفيذ أمر الله ورسوله راضين مسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف التويجري بعنوان: تتبع الرخص بين الشرع والواقع، فقد أجاد وأفاد.

الكلمة الواحدة والخمسون

الفقه في الدين وفضله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تحث المسلم على التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). قال بعض أهل العلم: مَنْ لَمْ يُفَقِّهْ فِي الدِّينِ، لَمْ يُرِدْ بِهِ اللَّهُ خَيْرًا.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ

(١) برقم ٧١ وصحيح مسلم برقم ١٠٣٧.

أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِّكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً. فَذَلِكَ مَثَلٌ مِّنْ فِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعُهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مِّنْ لَّمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

قال العلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ: «والفقه في دين الله هو الفهم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكان الفقيه في سلف هذه الأمة من اتصف بفهمها»^(٢). اهـ. مختصراً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقُوهَا»^(٣).

ومن الفقه في الدين الوصول إلى الأجر العظيم بالعمل القليل، أو بمعنى آخر: معرفة الطرق للحصول على الأجر الجزيل، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنْ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَوَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»^(٤).

ففي هذا الحديث بَيَّنَّ النَّبِيَّ ﷺ لِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ أَنَّ الْعَتَقَ مَعَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ إِلَّا أَنْ الْأَفْضَلَ مِنْهُ أَنْ تُعْطِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ

(١) برقم ٧٩ وصحيح مسلم برقم ٢٢٨٢.

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص ٤٠٢.

(٣) برقم ٣٣٥٣ وصحيح مسلم برقم ٢٣٧٨.

(٤) برقم ٢٥٩٢ وصحيح مسلم برقم ٩٩٩.

لأحوالها فتخدمهم، فإن ذلك فيه صلة رحم.

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عَنْ جُوَيْرِيَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

هذا الحديث يبين أن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها كانت تذكر الله من صلاة الصبح إلى وقت الضحى وهو وقت طويل، فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكلمات يسيرة لا تتجاوز دقائق معدودة قد حصل على أجر أعظم من أجرها في ذلك الوقت الطويل.

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ، فَأَعَادَا أَحَدُهُمَا الصَّلَاةَ وَالْوُضُوءَ وَلَمْ يُعِدِ الْآخَرُ، ثُمَّ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ: «أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْرَاتُكَ صَلَاتُكَ»، وَقَالَ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: «لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ»^(٢).

(١) برقم ٢٧٢٦.

(٢) برقم ٣٣٨ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٦٩) برقم ٣٢٧.

الشاهد أن الذي أعاد الوضوء والصلاة عمل عملاً أكثر من صاحبه الذي لم يُعَدِّ واقتصر على صلاة واحدة، ومع ذلك كان أعظم أجراً بإصابته السنة.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ من مداخل الشيطان على المؤمن إشغاله بالمفضول على الفاضل، بمعنى أن هناك أعمالاً صالحة أجرها عظيم فيشغله بأعمال صالحة أخرى أقل أجراً من الأولى.

ومن الفقه في الدين معرفة الفاضل وتقديمه على المفضول، ومن ذلك ورود عملان صالحان في وقت واحد، فمن الفقه تقديم ما يفوت وقته أو حاله على ما لا يفوت، وذلك كمن سمع الأذان وهو يقرأ القرآن فمن الفقه في الدين تقديم متابعة الأذان على القراءة لأن الأذان يفوت وقته، وقراءة القرآن يمكن تداركها.

ومن ذلك تقديم ما نفعه مُتَعَدِّ إلى الغير على ما نفعه قاصر على صاحبه، كتعليم العلم وتفضيله على العبادة، وفي الحديث: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(١)، وقوله ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»^(٢).

ومن الفقه في الدين تقديم ما هو أساس لغيره وغيره يُبنى عليه، كتقديم طلب العلم على نوافل الصلاة والصيام وغيرها.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم ٢٦٨٥ وقال الترمذي حسن غريب صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٢١٣.

(٢) مستدرک الحاکم (١/٢٨٣) برقم ٣٢٠ وقال محققه الحديث عندي أنه حسن وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٢١٤.

ومن الفقه تقديم ما تنشط له النفس ويكون إقبالها على فعله أعظم،
ومن ذلك إفطار يوم عرفة للحاج مع ما جاء في صيامه من الفضل.

ومنه الاختيار المناسب للحال، قال تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
[البقرة: ٢٧١].

قال العلماء: إن صدقة السر أفضل، فإذا كان في إظهارها مصلحة
كاقتداء الغير ونحوه كان الإظهار أفضل، وقس على ذلك موقفاً.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والخمسون

خطر الطائفة النصيرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعداء المسلمين من الكفار يمكرون ويخططون الليل والنهار للقضاء على الإسلام وأهله، ومن خططهم الخبيثة زرع الفرق الضالة في بلاد المسلمين حتى يضعفوا شوكتهم ويسيطروا على ثرواتهم ويبعدوهم عن دينهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن هذه الفرق الباطنية التي غرسها الاستعمار في بلاد المسلمين فرقة النصيرية وهي من أخطر الفرق الباطنية، وسأذكر بعضاً من معتقداتها وأهدافها ونشأتها وخطرها على الإسلام والمسلمين للعلم والحذر.

أما تعريف النصيرية: فهم اتباع محمد بن نصير النميري، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه، وهم من غلاة الشيعة الذين ألَّهوا علي بن أبي طالب، وقد انبثقوا من الاثني عشرية الراضية.

نشأتها: لما توفي الحسن العسكري الذي تدعى الراضية أنه إمامها الحادي عشر، اجتمع الغلاة من الممتمين إليه، وادَّعوا أن له ولداً اختفى في سرداب بمنزل أبيه (سامراء) وأنه الإمام بعد أبيه، وخرج مجموعة من

غلاة الشيعة كل يدّعي أنه هو الواسطة بين هذا الإمام الغائب في السرداب في زعمهم وبين الشيعة، ومن هؤلاء: محمد بن نصير الذي سمي أتباعه فيما بعد بالنصيرية نسبة إليه، ونشأت النصيرية من ذلك الوقت.

أسماءها: كانوا يدعون بالنميرية، ثم اتخذوا اسم النصيرية منذ عهد شيخهم الخصي وكانوا يسمون أنفسهم المؤمنين، وفي فترة الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام تسموا بالعلويين.

مواطنهم: يسكن النصيرية في جبال اللاذقية، وحماه، وحمص من سوريا، وفي لواء الإسكندرونة، وطرسوس، وأدنه أو أطنه (في تركيا حالياً) وفي كردستان وغيرها.

طوائفهم: ينقسم النصيرية إلى أربع طوائف:

١- الحيدرية: نسبة إلى حيدر لقب علي بن أبي طالب.
٢- الشمالية: وهم يقولون إن علياً يسكن في الشمس، ويقال لهم: الشمسية.

٣- الكلازية أو القمرية: ويعتقدون أن علياً يقيم في القمر.

٤- الغيبية: يقولون إن الله تجلّى ثم اختفى، والزمان الحالي هو زمان الغيبية، ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

[الكهف: ٥].

وليس بين هذه الطوائف اختلاف في أصول العقيدة الباطنية كتأليه علي والتناسخ والحلول، فالاختلاف بينهم في مَقَرِّه، بعضهم يجعل مَقَرَّه القمر، وبعضهم الشمس.

أشهر رجالاتها: مؤسس المذهب النصيري هو محمد بن نصير النميري، ثم تولى المذهب بعده محمد بن جندب، ثم الحسين ابن حمدان الخصبي الذي يعتبر الشيخ الأعظم عند النصيرية.

عقائدهم الأساسية: تتلخص عقائدهم الأساسية فيما يلي:

١- علي بن أبي طالب إله عندهم يسكن السحاب، والرعد صوته، والبرق ضحكته، وهم بهذا يعظمون السحاب، ومنهم من يعتقد أن علياً حال في القمر أو الشمس - كما مر -.

٢- تناسخ الأرواح عندهم عقيدة من عقائدهم، فالذين لا يعبدون علياً يولدون في زعمهم من جديد على شكل إبل وحمير، أما المؤمن وهو عندهم من يعبد علياً فيتحول سبع مرات ثم يأخذ مكانه بين النجوم، ومن ينحرف منهم يولد من جديد حتى يتطهر أو يكفر عن سيئاته.

٣- إنكار البعث، والنشور، والجنة، والنار، والقول بقدوم العالم كما يعتقد الدهرية الزنادقة.

عبادتهم وأركان الإسلام عندهم:

١- الشهادة هي أن تشير إلى صيغة (ع-م-س) وهي رمز لعلي، ومحمد وسلمان، وهي أشبه بعقيدة التثليث عند النصارى.

٢- الصلوات الخمس عبارة عن خمس أسماء وهي علي، وحسن، وحسين ومحمد، وفاطمة، وذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة، والوضوء وبقية شروط الصلاة، وواجباتها.

٣- الزكاة ويرمز لها بشخصية سلمان.

٤- الصوم وهو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً من رجالهم تمثلهم أيام رمضان، وثلاثين امرأة من نساءهم تمثلهم ليالي رمضان.

٥- الجهاد وهو صب اللعنات على الأعداء ويقولون: إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنه أجمعين.. إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة.

فضائح النصيرية: النصيرية يبيحون شرب الخمر والزنا، ولهم ليلة يختلط فيها الرجال والنساء، ويحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت وَيُخَطِّئُونَ مَنْ يَلْعَنُهُ.

تاريخ النصيرية: حافل بالمؤامرات والمكائد للمسلمين، فقد كانوا مع الأعداء دائماً ضد المسلمين كما حصل في أيام التتار وغزو بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]. وقد رأينا وسمعنا وقرأنا عبر وسائل الإعلام ما يحصل لإخواننا أهل السنة في بلاد الشام من قتل، وسجن، وتعذيب، وانتهاك للحرمان، وتمزيق المصاحف، وضرب المساجد على أيدي النظام النصيري الحاقد، وما مجازر المسلمين في سجن تدمر وحماة وغيرها من بلاد الشام والتي قُتل فيها الآلاف من المسلمين؛ أكبر شاهد على جرائمهم الخبيثة، وحقدهم على الإسلام والمسلمين.

وقد اتفق علماء الإسلام على كفر النصيرية، وأنه لا تجوز مناكحتهم، ولا تحل ذبائحهم، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربيين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاته أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر، ولا نهى، ولا ثواب، ولا عقاب، ولا جنة، ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السابقة، وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، ولا يحل لأحد من المسلمين أن يكتفم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بأمر الله ورسوله، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتعاون على كشف شرهم، وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]»^(٢).

وقال في موضع آخر: «وهذه الطائفة الملعونة استولت على

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة تأليف الشيخ ناصر القفاري، والشيخ ناصر العقل ص ١٣٦-١٤٠.

(٢) الفتاوى (١٤٥-١٦٠) بتصرف.

جانب كبير من بلاد الشام (وهم) معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب، وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم، ومن عامة الناس أيضاً في هذا الزمان، لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الإفرنج المخذولين على البلاد الساحلية، فلما جاءت أيام الإسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم، والابتلاء بهم كثير جداً»^(١). اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والخمسون

التحذير من الغفلة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله: الغفلة، قال تعالى عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ۗ﴾ (٧) [الروم: ٧]، وقال تعالى عن فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يٰئِنَّا لَغٰفِلُونَ ۗ﴾ (١١) [يونس: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنَّا يٰئِنَّا غٰفِلُونَ ۗ﴾ (٧) [أولئك ماؤنهم النار بما كانوا يكسبون] (٨) [يونس: ٧-٨].

قال ابن فارس: «الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۗ﴾ (١) [الأنبياء: ١]»^(١).

وقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه عن الغفلة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغٰفِلِينَ ۗ﴾ (٢٠٥) [الأعراف: ٢٠٥].

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٦) بتصرف.

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعَنَّ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٤٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد تكون الغفلة عن الله عقوبة من الله للعبد على معصيته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عَلَى أَعْوَادٍ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(١).

قد يقول قائل: ما هي أسباب الغفلة حتى يجتنبها المؤمن؟
أقول: إن من هذه الأسباب:

أولاً: الانقطاع الكثير عن زيارة القبور، وتذكر الموت والدار الآخرة: قال تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ [التكاثر: ١-٢]. قال ابن كثير رحمته الله: «أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]»^(٢).

(١) برقم ٨٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٤٢/١٤).

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ -»^(١). وروى مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٢).

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعدادٍ للقاء ربه وألا يكون في غفلةٍ فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمةً فهناك الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، وغير ذلك من الأهوال العظيمة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾^(٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ^(٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ^(٢٢) ﴿ [ق: ٢٠-٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ»^(٣) تَجَارُونَ^(٤) إِلَى اللَّهِ»^(٥).

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم ١٨٧٧.

(٢) برقم ٩٧٦ وابن ماجه برقم ١٥٦٩ واللفظ له.

(٣) الصعدات: قال ابن الأثير (٢٩/٣) هي الطرق وهي جمع صُعد، وصُعدُ جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات، وقيل: هي جمع صُعدة كظلمة وهي فناء باب الدار وممر الناس بين يديه.

(٤) تجارون: قال في النهاية (١/٢٣٢) الجوار: رفع الصوت والاستغاثة، جار يجار.

(٥) (٤٠٥/٣٥) برقم ٢١٥١٦، وقال محققوه حسن لغيره وأصله في صحيح البخاري برقم ٦٦٣٧.

قال الشاعر:

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لَمَّا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرِ لَوْ رَأَتْهُ عُيُونَ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
مَمَاتُ ثُمَّ قَبْرُكُمْ حَشْرٌ وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

ثانياً: الانغماس في المباحات، والانشغال بالدنيا وشهواتها وملذاتها والسعي في التجارات وجني الأرباح، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتِنَ»^(١).

ثالثاً: الانقطاع عن مجالس الذكر وعدم المحافظة على الأذكار الشرعية في الصباح والمساء وعند دخول المسجد والخروج منه وعند الدخول إلى المنزل والخروج منه وغير ذلك من المواضع، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرَّ رَبَّنَا فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢) [الأعراف: ٢٠٥].

قال ابن القيم رحمته الله: «على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله»^(٢)، وقال أيضاً: «إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليختر العبد أعجبها إليه وأولاها به،

(١) برقم ٢٢٥٦ وقال الترمذي حديث حسن (صحيح) غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٥٥) برقم ١٨٤٠.

(٢) الوابل الصيب ص ٩٥.

فهو مع أهله في الدنيا والآخرة»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث يسيرة رضي الله عنها وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيرِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفَلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ»^(٢).

رابعاً: الانقطاع عن بيوت الله وهجر صلاة الجماعة وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ (٣٦) رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَجِزَةُ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۗ (٣٧) ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۗ (٣٠) ﴾ [الفرقان: ٣٠]. روى ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(٣). والمراد بهذا الحديث صلاة الليل وتعاهد القرآن حتى لا يكون من الغافلين.

الخلاصة: أن من أراد أن ينجو من الغفلة: فعليه تجنب الأسباب

(١) الوابل الصيب ص ٩٩.

(٢) (٣٥/٤٥) برقم ٢٧٠٨٩ وقال محققوه إسناده محتمل للتحسين.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/١٨١) برقم ٤٨٣ والحاكم في المستدرک (٢/٢٥٧) برقم ٢٠٨٥ واللفظ له وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٢٤٥) برقم ٦٤٢.

السابقة، والإكثار من ذكر الله حتى يكون من الذاكرين، ومن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والخمسون

محظورات الإحرام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أراد العمرة أو الحج فإن عليه أن يتجنب محظورات الإحرام، والمقصود بها الأشياء التي تحرم بالدخول في النسك، وهي:

أولاً: إزالة الشعر من الرأس بحلق أو غيره: وألحق به جمهور أهل العلم شعر بقية الجسد لأن كل ذلك أخذه من الترفه، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 1٩٦]. وأما اللحية فإن حلقها حرام في حال الإحرام وغيره لما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»^(١).

ثانياً: تقليم الأظافر: قال ابن المنذر في الإجماع، وأجمعوا على أن المَحْرَمَ ممنوعٌ من أخذِ أَظْفَارِهِ^(٢)، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو وضع

(١) برقم ٥٨٩٣ وصحيح مسلم ٢٥٩ واللفظ له.

(٢) الإجماع ص ٥٧.

الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك»^(١)، وألحقه جمهور العلماء بحلق الشعر بجامع الترفه.

ثالثاً: استعمال الطيب بعد الإحرام: فيمنع المَحْرَمُ من استعمال الطيب في بدنه، أو ثوبه، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين فيما يُمنع منه المحرم من اللباس وفيه: «وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ»^(٢)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقصته ناقته وهو مُحْرِمٌ فمات، فقال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفّنوه في ثوبيه، وَلَا تَمْسُوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا»^(٣).

فهذه الأحاديث تدل على أن المحرم لا يستعمل الطيب في حال إحرامه لأنه من الترفه، وله قبل الإحرام أن يستعمل الطيب في بدنه دون لباسه ولا يضره بقاء ذلك بعد إحرامه وهذا يدخل تحت قاعدة: «يجوز في الاستدامة ما لا يجوز في الابتداء»، ويدل لذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كُنْتُ أُطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ وَلِحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»^(٤). ولحديثها الآخر: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِ الطَّيِّبِ فِي مَفْرِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُحْرِمٌ»^(٥).

(١) تفسير ابن كثير (٤٨/١٠).

(٢) برقم ١٥٤٢ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

(٣) برقم ١٨٥١ وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٤) برقم ١٥٣٨ وصحيح مسلم برقم ١١٨٩.

(٥) برقم ٢٧١ وصحيح مسلم برقم ١١٩٠.

رابعاً: تغطية المحرم رأسه ووجهه بملاصق: للحديث السابق فيما يمنع المحرم من اللباس وفيه: «وَلَا يَلْبَسُ الْقُمُصَّ وَلَا الْعَمَائِمَ»^(١)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الذي وقصته ناقته وهو محرم قال: «اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفّنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً»^(٢).

وأما الاستظلال بغير ملاصق كالشمسية، وسقف السيارة، أو الخيمة، أو غير ذلك فلا حرج فيه، ففي صحيح مسلم أن أسامة بن زيد رضي الله عنه وبلاً رضي الله عنه كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم أثناء رمي جمرة العقبة، أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة^(٣).

ولحديث جابر رضي الله عنه في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: أنه صلى الله عليه وسلم نزل في القبة التي ضربت له بنمرة حتى زاغت الشمس^(٤).

خامساً: لبس المخيط: فلا يجوز للذكر أن يلبس مخيطاً على جملته، يعني على هيئته التي فصل وخيط عليها كالقميص، أو على بعضه كالفانلة والسراويل والخفين والجوربين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا الْبُرْنُسَ وَلَا السَّرَاوِيلَ»^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٢ وصحيح مسلم برقم ١١١٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم ١٢٩٨.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٣٤ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

إلا إذا لم يجد إزاراً جاز له لبس السراويل، وكذا من لم يجد نعلين جاز له لبس الخفين من غير قطع لحديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَاراً فَلْيَلْبَسِ السَّرَاوِيلَ»^(١).

ويحرم على المرأة المحرمة أن تلبس مخيطاً لوجهها كالبرقع، والنقاب، أو ليديها، كالفازين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَنْتَقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةُ وَلَا تَلْبَسِ الْقُقَاذِينَ»^(٢)، والقُفَّازان هما ما يخاط أو ينسج من الصوف، أو القطن، أو غيرهما على قدر اليدين، ويباح لها من المخيط ما سوى ذلك كالقميص والسراويل والخفين والجوارب ونحو ذلك، وكذلك يباح لها سدل خمارها على وجهها إذا احتاجت إلى ذلك بلا عصابة، وإن مس الخمار وجهها فلا شيء عليها لحديث فاطمة بنت المنذر أنها قالت: «كُنَّا نُخَمِّرُ وَجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»^(٣).

سادساً: قتل صيد البر: لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، وقوله: ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

(١) برقم ٥٨٥٢ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٨٣٨.

(٣) موطأ مالك ص ٢١٣ حديث رقم ٩٧٣ وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٠٤/٢) برقم

١٧١١ وصححه ووافقه الذهبي وقال محققه سنده صحيح.

وهذه الآيات تدل على أن المحرم من حين دخوله في الإحرام بالحج أو العمرة إلى تحلله يجب عليه الامتناع من قتل صيد البر، بل لا يجوز له المساعدة في قتله ولا دلالة غير المحرم عليه، لِحَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي سَفَرٍ وَهُمْ مُحْرِمُونَ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَرَأَوْا حُمْرَ وَحْشٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، وَأَكَلُوا مِنْهَا، وَفِيهِ: ثُمَّ قُلْنَا: أْنَاكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ؟ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا»^(١).

سابعاً: عقد النكاح أو الخطبة: فلا يتزوج المحرم ولا يزوج غيره بولاية ولا وكالة ولا يخطب النساء، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ»^(٢).

ثامناً: وطء يوجب الغسل: لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ فُرِضَ فِيهِتِ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والرَفَثُ: هو الجماع كما في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فمن جامع قبل التحلل الأول متعمداً فسد نسكه.

تاسعاً: المباشرة فيما دون الفرج قبل التحلل الأول بتقبيل أو غيره: وفي هذه الحالة لا يفسد نسكه ولكن قد ارتكب مُحْرَمًا ويجب

(١) صحيح البخاري برقم ١٨٢٤ وصحيح مسلم برقم ١١٩٦.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٤٠٩.

عليه التوبة والاستغفار، وأوجب بعض أهل العلم الفدية عليه.
ومن فعل إحدى المحظورات الخمس السابقة فإن حاله لا يخلو
من ثلاث:

الأول: أن يفعل المحذور بلا عذر ولا حاجة، فهذا آثم وعليه
الفدية.

الثاني: أن يفعل المحذور لحاجة إلى ذلك، فعليه الفدية
ولا إثم عليه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ
فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ولما رواه البخاري
ومسلم في صحيحيهما من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه صلى الله عليه وسلم وأنه يسقط على وجهه القمل، فقال: «أَيُّ ذِيكَ
هَوَامُّكَ؟»، قال: نعم، فأمره أن يحلق وهو بالحديبية، ولم يتبين
لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله
الفدية، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا بين ستة أو يهدي شاة
أو يصوم ثلاثة أيام^(١).

الثالثة: أن يفعل المحذور: إما جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً،
فلا إثم عليه، ولا فدية لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ
اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢)،

(١) برقم ١٨١٧ وصحيح مسلم برقم ١٢٠١.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٢٠٤٥ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٨).

لكن متى زال العذر فعلم بالمحذور، أو ذكره، أو زال إكراهه، أو استيقظ من نومه وجب عليه التخلي عن المحذور فوراً.

أما بقية المحظورات الأربعة الباقية فإنها تختلف بحسب كل حالة وهذه تراجع في كتب الفقه ففيها تفصيل ذلك^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ص ٣٣-٣٩، صفة الحج للشيخ ابن عثيمين ص ٣٣-٣٧، تبصير الناسك بإحكام المناسك للشيخ عبد المحسن البدر ص ٤٩-٦٥، والعمرة والحج والزيارة للشيخ سعيد القحطاني ص ٨٠-٩١، وكيف يحج المسلم ويعتمر للشيخ عبد الله الطيار ص ٤٢-٤٥.

الكلمة الخامسة والخمسون

فضل العمرة وصفتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضل العمرة وأنها من مكفرات الذنوب، وأما وجوبها فقد اختلف أهل العلم في ذلك، ومن أدلة القائلين بالوجوب: ما رواه الإمام أحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»^(١).

قال ابن خزيمة: قوله في الحديث: «عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ» بيان أن العمرة واجبة كالحج، إذ ظاهر قوله «عَلَيْهِنَّ» أنه واجب إذ غير جائز أن يقال: «على المرء ما هو تطوع غير واجب»^(٢).

ومنها ما رواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال جبريل إياه عن الإسلام فقال: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،

(١) (١٩٨/٤٢) برقم ٢٥٣٢٢ وقال محققوه إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) (صحيح ابن خزيمة ٣٥٩/٤).

وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُحِجَّ وَتَعْتَمِرَ، وَتُغْتَسِلَ مِنْ الْجَنَابَةِ، وَأَنْ تُتِمَّ الْوُضُوءَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقْتَ»^(١).

ومما يدل على فضل العمرة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢).

ومنها ما رواه النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣).

وصفة العمرة أن يُحْرِمَ المعتمرُ من الميقات سواء كان ذلك عن طريق البحر، أو الجو، أو البر، ومن كان من دون هذه المواقيت أُحْرِمَ من موضعه كأهل جدة أو بحرة أو غيرها.

وإذا كان المعتمر عن طريق الجو وخشي من تجاوز الميقات أحرم قبله بمدة كافية ليتيقن أنه أحرم عند الميقات أو قبله، ويستحب له أن يغتسل كما يغتسل للجنابة ويتطيب بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين، والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير ألا

(١) (٣٥٦/٤) برقم ٣٠٦٥ وسنن الدارقطني (٢/٢٨٣) برقم ٢٠٧ وقال هذا إسناد ثابت صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٧٧٣ وصحيح مسلم برقم ١٣٤٩.

(٣) برقم ٢٦٣٠ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٥٨) برقم ٢٤٦٧.

تتبرج بزينة، ثم يصلي الفريضة إن كان وقت فريضة، ليحرم بعدها، فإن لم يكن وقت فريضة ووافق صلاة التطوع أحرم بعدها.

ثم إذا فرغ من الصلاة نوى الدخول في العمرة فيقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ^(١)، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ عُمْرَةً...». يرفع الرجل صوته بذلك وتخفيه المرأة، فقد روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِيَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ»^(٢).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ أَوْ لَا تُسَاوِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حِجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةً»^(٣).

ويستمر على هذه التلبية حتى تكون شعاره حتى يبدأ الطواف بالبيت، ثم يمسك عن التلبية ليتفرغ للاشتغال بأذكار الطواف والسعي وغيرها، ومن تيسر له الاغتسال قبل دخول مكة فإنه يستحب له ذلك، لما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث نافع عن ابن عمر رضي عنهما: «أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحِجْلِ أَمَسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طُوًى، ثُمَّ يُصَلِّي بِهِ الصُّبْحَ وَيَغْتَسِلُ، وَيُحَدِّثُ

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٩ وصحيح مسلم برقم ١١٨٤.

(٢) برقم ١٨١٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٤١/١) برقم ١٥٩٩.

(٣) برقم ٢٨٩٠ وأصله في صحيح البخاري برقم ١٥١٧، وفيه: «حج النبي ﷺ على رحل وكانت زاملته»، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦١٧.

أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ» (١).

وله أن يدخل مكة من أي طريق شاء لقوله ﷺ: «كُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ» (٢)، والنبي ﷺ دخلها من أعلاها لأن الداخل يأتي من قِبَلِ وَجْهِهَا، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ مَكَّةَ، دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا» (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَتَى مَكَّةَ جَازَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، لَكِنِ الْأَفْضَلُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ وَجْهِ الْكَعْبَةِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُ دَخَلَهَا مِنْ وَجْهِهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُلْيَا الَّتِي فِيهَا الْيَوْمَ بَابُ الْمَعْلَاةِ» (٤).

ويستحب له إذا أراد الدخول للمسجد الحرام أن يقدم رجله اليمنى ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ.. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ..» (٥)، «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» (٦)، ويقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (٧).

(١) برقم ١٥٧٣ وصحيح مسلم برقم ١٢٥٩ واللفظ للبخاري.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٣٠٤٨ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠/٢) برقم ٢٤٧٣.

(٣) برقم ١٥٧٧ وصحيح مسلم برقم ١٢٥٨.

(٤) الفتاوى (١١٩/٢٦).

(٥) ابن السني في عمل اليوم واللييلة برقم ٨٨ وحسنه الألباني في الكلم الطيب برقم ٦٣.

(٦) صحيح مسلم برقم ٧١٣.

(٧) سنن أبي داود برقم ٤٦٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٣/١) برقم

وهذا الدعاء يقال في جميع المساجد، ولم يثبت عن النبي ﷺ عند رؤية الكعبة دعاء خاص، فيدعو بما تيسر وإن دعا بدعاء أمير المؤمنين عمر رضي عنه: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، فَحِينًا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ^(١)، فحسن لثبوته عنه.

ثم يبادر إلى الحجر الأسود ويُقبله إن استطاع وإلا فيستلمه بيده أو عصا، وَيُقْبَلُ ما استلمه منه، فإن شق ذلك فإنه يستقبل الحجر ويشير إليه بيده ويقول: «الله أكبر» وثبت عن ابن عمر موقوفاً عليه أنه كان يسمي ويكبر^(٢)، ويجعل الكعبة عن يساره أثناء الطواف، فإذا بلغ الركن اليماني استلمه من غير تقبيل، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي عنهما قال: «لَمْ أَرِ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيِّينِ»^(٣)، فإن لم تيسر فلا يزاحم عليه، ويسن له أن يستلمه بيمينه، فإن لم يستلمه فإنه يتركه ويمضي، ولا يشير إليه، ولا يكبر لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ.

ولا تُقْبَلُ جدران الكعبة وبقية أركانها ولا تستلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين - الصحابة وأهل البيت وغيرهم - أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا

٤٤١ والكلم الطيب برقم ٦٥.

(١) سنن البيهقي (٧٢/٥) وحسنه الألباني في مناسك الحج والعمرة ص ٢٠.

(٢) سنن البيهقي (٧٩/٥) وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٤٧/٢) سنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري ١٦٠٩ وصحيح مسلم برقم ١٢٦٧.

من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ^(١). ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت اللذين يليان الحَجَرَ ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين ^(٢).

وقد حُفِظَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول بين الركنين اليماني والأسود: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» ^(٣).

ثم يبدأ بالطواف حول الكعبة يجعلها عن يساره، فيطوف من وراء الحَجَرِ سبعة أشواط من الحَجَرِ إلى الحَجَرِ شوط، يضطبع ^(٤) فيها كلها، ويرمل في الأشواط الثلاثة الأول منها، من الحجر إلى الحجر، ويمشي في سائرها ^(٥)، وليس للطواف ذكر خاص، فله أن يقرأ من القرآن أو الذكر ما شاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس فيه ذكر محدود عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية» ^(٦).

(١) برقم ١٦١٠ وصحيح مسلم برقم ١٢٧٠.

(٢) الفتاوى (٧٩/٢٧).

(٣) سنن أبي داود برقم ١٨٩٢ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٤/١) برقم ١٦٦٦.

(٤) الاضطباع أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على يساره وييدي منكبه الأيمن، ويغطي الأيسر.

(٥) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٦) منسك شيخ الإسلام شرح الشيخ ابن جبرين (ص ٨٣ - ٨٤).

فإذا فرغ من طوافه انطلق إلى مقام إبراهيم وقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وصلى خلف المقام ركعتين، ويسن له أن يقرأ في الركعتين بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١) في الركعة الأولى، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) في الركعة الثانية^(١)، فإذا فرغ من الصلاة ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصب على رأسه، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن زمزم: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامٌ طُعِمَ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ»^(٢)، ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيكبر ويستلمه على التفصيل المتقدم، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، ثم رجع إلى الركن فاستلمه^(٣).

ثم ينطلق ليسعى بين الصفا والمروة، فإذا دنا من الصفا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ويقول: نبدأ بما بدأ الله به، ثم يصعد على الصفا فيستقبل الكعبة فيوحده الله ويكبره، فيقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ

(١) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧/٥) برقم ٩٩٣٩ وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٠٥٦.

(٣) برقم ١٢١٨.

وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْجَزَ وَعَدَّهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ (ثلاثاً)... ويدعو بين ذلك»^(١)، ثم يمشي إلى العلم (الموضوع) عن اليمين واليسار وهو المعروف بالميل الأخضر، ثم يسعى منه سعيًا شديدًا إلى العلم الآخر الذي بعده، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر الطويل وفيه: «ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى»^(٢). وقال بعض أهل العلم: إن المرأة لا يشرع في حقها الإسراع. ثم يمشي حتى يأتي المروة فيرتقي عليها ويصنع فيها ما صنع على الصفا من استقبال القبلة والتكبير والتوحيد والدعاء فهذا شوط، ثم يعود حتى يرقى على الصفا يمشي موضع مشيه، ويسعى موضع سعيه وهذا شوط ثان، وهكذا حتى يتم له سبعة أشواط، تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة، ويجوز أن يطوف بينهما راكباً لأن النبي ﷺ ابتداء السعي ماشياً، فلما كثر عليه الناس ركب.. ويستحب له الإكثار من الذكر والدعاء بما تيسر ولو دعا في السعي بقوله: «رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ»، فحسن لثبوته عن بعض الصحابة^(٣).

فإذا انتهى من الشوط السابع على المروة قص شعر رأسه، أو

(١) صحيح مسلم ١٢١٨.

(٢) برقم ١٢١٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٣٢/٥) الأول ١٥٧٩٠ والثاني ١٥٧٩١، عن ابن مسعود وابن عمر قال الألباني في مناسك الحج والعمرة بإسنادين صحيحين ص ٢٨.

حلق إذا كان بين عمرته وحجه فترة كافية يطول الشعر خلالها، ولا بد في التقصير من تعميم جميع جوانب الرأس، وأما المرأة فإنها تقصر من كل ضفيرة قدر أنملة، والأنملة هي رأس الأصبع. وبذلك تنتهي العمرة، وحل للمحرم ما حرم عليه بالإحرام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومية

(١١٠) درر للترغاة والمطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

و. أمينة بن محمد آل نوري الشقاوي

مجتمع الباحثين

الكلمة السادسة والخمسون

شروط وجوب الحج

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن الحج ركنٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ من فرائضه العظام، وفضائله كثيرة ويجب على كل مسلم في العمر مرة واحدة.

وقرّر أهل العلم أن الحج يجب بخمسة شروط:

الشرط الأول: الإسلام: فالكافر والمشرک لا يصح حجهما ولا يُمكنُ من دخول المسجد الحرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أخبره أن أبا بكر الصديق بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»^(١).

الشرط الثاني: العقل: فالمجنون لا يؤمر بالحج والعمرة ولا يصحان منه لو أتى بهما لفقده عقله، روى أبو داود في سننه من

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٦٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤٧).

حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»^(١).

الشرط الثالث: البلوغ: فلا يجب الحج على الصبي حتى يبلغ للحديث السابق، ولكن لو حج الصبي صح حجه ولا يجزئه عن حجة الإسلام، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً رَفَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ»^(٢)، وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى، وَأَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عُتِقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى»^(٣).

قال الترمذي: «وقد أجمع أهل العلم أن الصبي إذا حج قبل أن يدرك فعلية الحج إذا أدرك لا تجزي عنه تلك الحجة عن حجة الإسلام، وكذلك المملوك إذا حج في رِقِّهِ ثم أُعْتِقَ فَعَلَيْهِ الْحَجُّ إِذَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَلَا يَجْزِي عَنْهُ مَا حَجَّ فِي حَالِ رِقِّهِ، وَهُوَ قَوْلُ سَفِيَّانَ، الثَّوْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ»^(٤).

الشرط الرابع: كمال الحرية: فلا يجب الحج على المملوك،

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٤٠٣)، وقال الألباني: صحيح كما في «الإرواء» (٤/٢) (برقم ٢٩٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٣٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣٤٩/٤)، والحاكم في «المستدرک» (١٤٤/٢) (برقم ١٨١٢). وقال الحافظ في «الفتح» (٧١/٤): إسناده صحيح.

(٤) «سنن الترمذي» (ص ١٦٩).

ولكنه لو حج فحجه صحيح، ولا يجزئه عن حجة الإسلام، لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: «وَأَيَّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عَتَقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى» (١).

الشرط الخامس: الاستطاعة: فالحج إنما يجب على من استطاع إليه سبيلاً بنص القرآن والسنة، والمراد بالمستطيع القادر ببدنه وماله لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فمن عجز عن الحج والعمرة لهرم أو مرض لا يرجى برؤه، أو كان قادراً ببدنه وليس عنده مال يحج به أو يعتمر لم يجب عليه، ومن عجز ببدنه وعنده مال لزمه أن ينيب من يحج عنه ويعتمر.

والنيابة في الحج والعمرة مشروعة لحديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ وَلَا الظَّنَّ، قَالَ: حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ» (٢).

ولحديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثَمِ عَامِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحْجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ» (٣).

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٩٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٥١٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٣٤).

ومن مات وهو لم يحج وله مال، أخرج من تركته ما يحج به عنه، ولغيره أن يحج عنه لحديث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رضي الله عنه، وفيه: أَنَّ امْرَأَةً مَاتَتْ أُمَّهَا، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: «إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: حُجِّي عَنْهَا»^(١).

وتزيد المرأة شرطاً سادساً: وهو وجود محرم أو زوج يرافقها إلى الحج، لما جاء في الصحيحين من حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرَجَ فِي جَيْشٍ كَذَا وَكَذَا، وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الْحَجَّ؟ فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَهَا»^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ١١٤٩).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٦٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤١). انظر: «تبصير الناسك بأحكام المناسك» للشيخ عبد المحسن البدر، و«العمرة والحج والزيارة» للشيخ سعيد بن علي القحطاني.

الكلمة السابعة والخمسون

صفة الحج وواجباته

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد وردت النصوص الدالة على فضل الحج وأنه من مكفرات الذنوب، ومنها قوله ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١)، والحج المبرور هو الذي يجتمع فيه ثلاثة أمور: الأول: الإخلاص لله ﷻ، والثاني: أن يكون وفق السنة لقوله ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(٢)، والثالث: سلامته مما يفسده أو ينقصه.

وصفته على سبيل الاختصار:

١- إذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، استحب للذين أحلوا بعد العمرة وهم المتمتعون أن يُحْرِمُوا بالحج ضحى من محالِّهم، وكذلك من أراد الحج من أهل مكة، أما القارن والمفرد الذين لم يحلوا من إحرامهم فهم باقون على إحرامهم الأول.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٧٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤٩).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩٧).

أما الحجاج الذين قدموا إلى مكة اليوم الثامن، فلا بد أن يُحرموا من الميقات، وهذا واجب من واجبات الحج، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»^(١).

والمقصود بالإحرام: هو نية الدخول في النسك وهو ركن من أركان الحج، فمن ترك هذه النية لم ينعقد حجه، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى»^(٢).

سواء كان الميقات عن طريق الجو، أو البحر، أو البر، ومن كان من دون هذه المواقيت أحرم من موضعه كأهل جدّة، أو بحرة، أو غيرها، وإذا كان الحاج عن طريق الجو وخشي من تجاوز الميقات أحرم قبله بمدة كافية ليتيقن أنه أحرم عند الميقات أو قبله، ويستحب له أن يغتسل كما يغتسل للجنابة ويتطيب بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ويلبس إزارًا ورداءً أبيضين، والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير ألا تتبرج بزينة، ثم يصلي الفريضة إن كان وقت فريضة ليحرم بعدها، فإن لم يكن وقت فريضة، ووافق صلاة التطوع أحرم بعدها، ثم إذا فرغ من الصلاة نوى الدخول في الحج.

٢- ثم يقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ حَجًّا» يرفعُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١١٨١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩٠٧).

الرجل صوته بالتلبية وتخفيه المرأة، ويسن الإكثار من التلبية ولا يقطعها حتى يرمي جمرة العقبة يوم العيد.

٣- ثم يخرج إلى منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، يقصر الرباعية إلى ركعتين ولا يجمع، والمكوث في منى اليوم الثامن سنة.

٤- فإذا طلعت الشمس من اليوم التاسع سار إلى عرفة فينزل بنمرة إن تيسر له إلى الزوال وإلا نزل بعرفة، فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر قصرًا وجمعًا، ثم تفرغ لذكر الله ودعائه يستقبل القبلة في ذلك ولو كان الجبل خلفه حتى تغرب الشمس، والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لأن الله قال: ﴿فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾، فإن الإفاضة من عرفة إنما تكون بعد الوقوف وهو الركن الذي يفوت الحج بفواته لحديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه قال: «شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَقِفُ بَعْرَةَ، وَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الْحَجُّ؟ قَالَ: الْحَجُّ عَرَفَةٌ، فَمَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ لَيْلَةَ جَمْعٍ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ»^(١). قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: «وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ فَرُضَ، لَا حَجَّ لِمَنْ فَاتَهُ الْوُقُوفُ بِهَا»^(٢).

وذكر أهل العلم أن مَنْ فَاتَهُ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ يَوْمَ التَّاسِعِ وَلَيْلَةَ

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ٣٠١٥)، وإسناده على شرط البخاري ومسلم، إلا بكير بن عطاء وهو ثقة.

(٢) «الإجماع لابن المنذر» (ص ٦٤).

العيد، فليس له حج وعليه أن يجعل نسكه عمرة ويقضي حجه.

أَمَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ لِمَنْ وَقَفَ بِهَا نَهَارًا، فَهُوَ
 وَاجِبٌ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَجِّ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي صِفَةِ حَجَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَفِيهِ: «فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا
 حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ»^(١)، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا
 أَذْرِي لِعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(٢).

٥- فإذا غربت الشمس سار إلى مزدلفة فصلى بها المغرب
 ثلاثاً والعشاء ركعتين ويبيت بها، فإذا صلى الفجر اشتغل بذكر الله
 ودعائه حتى يسفر جداً، والمبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج
 لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ
 عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والمشعر الحرام مزدلفة، ولأنَّ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بات بها حتى أصبح ورخص للضعفة من النساء والصبيان
 بالإفاضة إلى منى في آخر الليل، والترخيص منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم يدل على
 وجوب المبيت؛ لأنه لو لم يكن واجباً لم يحتج فيه إلى الترخيص.

٦- فإذا أسفر جداً سار إلى منى، فإذا وصل إليها بدأ برمي
 جمرة العقبة وهي أقرب الجمرات إلى مكة، فيرميها بسبع حصيات
 متعاقبات، كل حصة فوق الحمصة قليلاً ويكبر مع كل حصة
 بخشوع وتعظيم لله تعالى.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩٧).

والرمي يوم النحر قبل الزوال أو بعده إلى الليل لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُسْأَلُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى فَيَقُولُ: لَا حَرَجَ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبَحَ؟ قَالَ: اذْبَحْ لَا حَرَجَ، فَقَالَ رَجُلٌ: رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أُمْسَيْتُ؟ قَالَ: لَا حَرَجَ»^(١).

٧- فإذا فرغ من رميها نحر هديه، وهو شاة أو سُبُع بدنة، أو سُبُع بقرة، وهو واجب على المتمتع والقارن، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَ تَمْنَعُ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ﴾ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿ [البقرة: ١٩٦]. وإذا عجز عن الهدي وجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

ويستحب أن يأكل من الهدي ويهدي ويتصدق، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]. ويمتد وقت الذبح على الصحيح إلى غروب شمس اليوم الثالث عشر من أيام التشريق، ويجوز له أن ينحر في أي مكان آخر من منى وكذلك في مكة، لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «مِنَى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ، وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ، وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ»^(٢).

٨- فإذا فرغ من نحر هديه حلق رأسه كله أو قصره، والحلق أفضل إلا المرأة فتقصر من رأسها بقدر أنملة، لِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا بِالرَّحْمَةِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٣٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٠٦).

(٢) «سنن ابن ماجه» (برقم ٣٠٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»

(١٨٠/٢) (برقم ٢٤٧٣).

وَالْمَغْفِرَةَ لِلْمُحَلِّقِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ مَرَّةً وَاحِدَةً^(١).

وبعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير، يباح للمحرم كل شيء حُرِّمَ عليه بالإحرام إلا النساء، ويُسمى هذا التحلل الأول، فإذا تحلل التحلل الأول استحَبَّ له أن يتطَيَّبَ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أَطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»^(٢).

٩- ثم ينزل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. ولما جاء في الصحيحين من حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا حَاضَتْ صَفِيَّةُ قَالَتْ: «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَاضَتْ بَعْدَ الْإِفَاضَةِ؟ قَالَ: فَلَا إِذَا^(٣). وفي رواية مسلم: «لَا بَأْسَ أَنْفِرِي»^(٤).

فدل ذلك على أن هذا الطواف لا بد منه وأنه حابس لمن لم يأت به، قال ابن قدامة: «وهو ركن من أركان الحج لا يتم إلا به لا نعلم فيه خلافاً، ولأن الله ﻋَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٥) [الحج: ٢٩]. ولا يشرع الرمل والاضطباع في طواف الإفاضة فإنهما

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٢٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٣٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١١٨٩).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٥٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٢١١).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١١).

(٥) «المغني» (٣١١/٥).

في طواف القدوم، ثم يسعى بعد ذلك سعي الحج إن كان متمتعاً لأن سعيه الأول لعمرته، وهذا سعي الحج وهو ركن من أركانه لقول النبي ﷺ: «اسْعُوا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»^(١).

أما القارن والمفرد فليس عليه إلا سعي واحد، فإن كان قد سעה بعد طواف القدوم كفاه ذلك عن السعي بعد طواف الإفاضة وإلا سعى بعد طواف الإفاضة، وبعد الطواف والسعي يتحلل الحاج التحلل الثاني فيحل له كل ما أحلَّ الله له قبل الإحرام حتى النساء.

وخلاصة ما يفعل الحاج يوم العيد ما يلي: (رمي جمرة العقبة، نحر الهدى، الحلق أو التقصير، الطواف، السعي)، والسنة أن يرتبها هكذا وإن لم يتيسر له فقدم بعضها على بعض فلا حرج.

١٠- ثم بيت بمنى ليالي أيام التشريق الثلاث للمتأخرين وليلتين للمتعجلين، لقول الله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولأن النبي ﷺ بات بها ليالي أيام التشريق الثلاث.

وهذا المبيت واجب من واجبات الحج إلا على السقاة والرعاة، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه: «أنه استأذن النبي ﷺ أن يبيت بمكة ليالي مني من أجل سقايته فأذن له»^(٢)، ولحديث عاصم بن عدي رضي الله عنه: «أن

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٦٧/٤٥) (برقم ٢٧٣٦٨)، وصحح إسناده الحافظان المزي وابن عبد الهادي. انظر: «إرواء الغليل» (٢٧٠/٤) (برقم ١٠٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٦٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣١٥).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَخَصَ لِلرَّعَاةِ فِي الْبَيْتُوتَةِ يَرْمُونَ يَوْمَ النَّحْرِ، وَالْيَوْمَيْنِ اللَّذَيْنِ بَعْدَهُ يَجْمَعُونَهُمَا فِي أَحَدِهِمَا^(١)، فدلَّت هذه الرخصة على أن المبيت بمنى هذه الليالي واجب على غير السقاة والرعاة، ومثلهم من تدعو الحاجة إلى بقائهم في غير منى.

١١- ثم يرمي الحاج الجمرات الثلاث في هذين اليومين بعد الزوال، وهذا الرمي واجب من واجبات الحج، ولا يجوز الرمي قبل الزوال لأن النبي ﷺ لم يرم إلا بعد الزوال، ولو كان ذلك جائزاً لرمى قبل الزوال تيسيراً على أمته، ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما كما صحیح البخاري: «كُنَّا نَتَحَيَّنُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ رَمِينَا»^(٢)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «لَا تُرْمَى الْجِمَارُ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ»^(٣).

ويبدأ برمي الجمرة الصغرى وهي أبعد الجمرات عن مكة فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، ويكبر مع كل حصاة، ولا بد أن يقع الحصى في الحوض، فإن لم يقع في الحوض لم يجز، ثم يتقدم قليلاً عن الزحام ويستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو الله تعالى بما أحب من دعاء، ثم يرمي الجمرة الوسطى ويقف بعدها للدعاء كما فعل في الأولى سواء، ثم يرمي الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة التي

(١) «سنن النسائي» (برقم ٣٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح «سنن النسائي» (٢/٦٤٢) (برقم ٢٨٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٤٦).

(٣) «موطأ مالك» (برقم ١٢٧٩)، وقال محققه: صحيح موقوف.

رماها يوم العيد كما في الجمرتين قبلها ولا يقف بعدها للدعاء.

ثم يرمي الجمرات في اليوم الثاني من أيام التشريق بعد الزوال كما رماها في اليوم الأول تمامًا، ويفعل عند الأولى والثانية كما فعل في اليوم الأول من أيام التشريق، فإن شاء تأخر في منى لليوم الثالث عشر ورمى الجمار فيه بعد الزوال وهو أفضل؛ لأنه فعل النبي ﷺ، وفيه زيادة عمل صالح وإن شاء تعجل في يومين فخرج من منى في اليوم الثاني عشر قبل الغروب، ومن عجز عن الرمي كالكبير، والمريض، والصغير، والمرأة الحامل، ونحوهم جاز أن يوكل من يرمي عنه، لقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وينبغي أن يكثر من التكبير والذكر في تلك الأيام والليالي، لقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولقول النبي ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَبًا»^(١).

١٢- إذا أنهى الحاج جميع أفعال الحج السابقة وأراد الرجوع إلى بلده، فإنه لا يخرج من مكة حتى يطوف بالبيت طواف الوداع ويجعله آخر أموره قبل سفره وهو من واجبات الحج، لأن النبي ﷺ طاف للوداع عند خروجه، ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أَمَرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُ خَفَّفَ عَنِ الْحَائِضِ»^(٢).

والترخيص للحائض في ترك طواف الوداع يدل على وجوبه،

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١١٤١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٢٨).

ومثل الحائض في ذلك النفساء، وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَاضَتْ صَفِيَّةُ قَالَ: «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهَا أَفَاضَتْ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: اخْرُجُوا»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثامنة والخمسون

فضائل مكة وحرمتها^(١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الخالق عَزَّوَجَلَّ لجميع المخلوقات فَضَّلَ بعضها على بعض واختار منها ما شاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص: ٦٨]. ومن الأماكن الفاضلة التي فَضَّلَهَا اللهُ على غيرها مكة، البلد الأمين مهبط الوحي ومنبع الرسالة، وهي البلد الذي أقسم الله به فقال: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)﴾ [البلد: ١-٢]. قال ابن كثير: هذا قسم من الله تعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)﴾ [التين: ٣]^(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها وحرمتها فمن ذلك:

أن فيها بيت الله العتيق أول بيت وضع للناس، قَالَ تَعَالَى:

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ليس في الدنيا شيءٌ حَرَمٌ إلا هذان الحرمان: حرم مكة وحرم المدينة، أما ما يقال: حرم الأقصى والحرم الإبراهيمي، فلا صحّة ولا أصل له [«الشرح الممتع» (٧/٢١٥)].

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٥٣).

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا»^(١).

ومنها: أن الله جعلها حرماً آمناً لا يُسْفِك فيه دم، ولا تعضد به شجرة^(٢)، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه^(٣)، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي شريح رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذُنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٣٦٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٢٠). قال ابن القيم: وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، وهذا من جهل هذا القائل، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده، ولا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق - صلى الله عليهما وسلم - بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار. «زاد المعاد» (١/ ٥٠).

(٢) لا يعضد شجره: لا يقطع.

(٣) الخلا: النبات الرطب، واختلاؤه: قطعه.

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (١).

ومن فضائلها: ما ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ» (٢).

وقد بحث أهل العلم هنا مضاعفة الصلاة هل هي في الحرم كله؟ وهل سائر الحسنات كذلك؟ فأما المسألة الأولى، ففي الحديث السابق وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ» (٣). ونصوص القرآن والسنة التي ذُكِرَ فيها المسجد الحرام إنما عُنِيََ به الحرم كله، كقوله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]. وإنما أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ومن أدلة السنة: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، دَخَلَ الْحَرَمَ وَصَلَّى فِيهِ (٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٥٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٦/٢٣) (برقم ١٤٦٩٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٢٠/٣١) (برقم ١٨٩١٠)، وقال محققوه:

إسناده حسن.

وأما المسألة الثانية: فقد وردت آثار عن السلف بالمضاعفة لجميع الأعمال الصالحة، ومن تأمل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، أيقن أن تعظيم حرمة الحرم تدل على فضله، والمسألة طويلة البحث أشرت إليها إشارة.

ومنها: أن الله أخبر أنها أم القرى كما في قوله تعالى: ﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]. فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها.

ومنها: أنها قبلة لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ، رَكَعَ فِي قُبُلِ الْبَيْتِ رَكَعَتَيْنِ، وَقَالَ: «هَذِهِ الْقِبْلَةُ» (١).

ومنها: الأمن لداخل الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وهذا إما خبر بمعنى الأمر لاستحالة الخلف في خبره تعالى، وإما خبر عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه، وإما إخبار عن الأمر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٣٣١) مختصرًا.

أَفِالْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وَقَالَ تَعَالَى:
﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا
يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧] (١).

ومنها: أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة
دون سائر البقاع، لقوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي
أيوب الأنصاري رضي عنه: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا
تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرُّوْا أَوْ غَرَّبُوا» (٢).

ومنها: أن الله اختارها لمناسك الحج وجعل القصد إليها
عبادة تُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ وتُمَحَى بِهَا السَّيِّئَاتُ، كما جاء في
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَّ
لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ» (٣).

ومنها: أن مكة خير البلاد وأحبها إلى الله ورسوله ﷺ،
فقد روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عدي رضي عنه:
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ
إِلَى اللَّهِ، وَلَوْ لَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» (٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما قَالَ: قَالَ:

(١) زاد المعاد (٣/٤٤٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٤) واللفظ له.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٢١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٥٠).

(٤) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٢٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ! وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»^(١).

ومنها: أن الله جعلها مسرى نبيه محمد ﷺ إلى السماء، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

ومنها: أن الرحال لا تُشَدُّ للسفر إلى غير المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٢).

ومنها: أن الله ﷻ أضاف البيت الحرام في مكة إلى نفسه، فقال: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٧]. فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه لنفسه لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً^(٣).

ومنها: أن الله تعالى عطف القلوب إلى بيته الحرام وجعله مثابة للناس، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٢٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٧).

(٣) «زاد المعاد» (٥٣/١)، و«بدائع الفوائد» (٦/٢).

[١٢٥]. أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا زيارة له، ازدادوا له اشتياقاً، قال الشاعر:

لَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقًا
وكم أنفق في حبه من الأموال والأرواح، ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل، والأحباب والأوطان؟! مقدماً بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطف والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه^(١). اهـ.

ومما يدل على فضلها ومكانتها: ما جاء في المعاقبة على الهم بالسيئة فيها وإن لم تُفعل، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِي: «فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد موجب للعذاب وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، وفي الآية الكريمة: وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها»^(٢).

وكان لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فسطان: أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلى في الحرم، وفي هذا تحذير شديد

(١) «زاد المعاد» (١/٥١-٥٢).

(٢) «تفسير الشيخ السعدي» مختصراً (ص ٦٧١).

لمن يرتكب المنكرات العظيمة والكبائر الموبقة في مكة كالربا،
والزنا، واستعمال المخدرات ونشر القنوات الفضائية السيئة،
والاستماع إلى الغناء.. وغير ذلك من المعاصي والمنكرات^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) انظر: «أحكام الحرم المكي» للشيخ سامي الصقير (ص ٢١-٢٤).

الكلمة التاسعة والخمسون

فضائل المدينة وحرمتها

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن مدينة الرسول ﷺ طيبة الطيبة، مَأْرَزُ الْإِيمَانِ، وَمُلْتَقَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمُتَنَزَّلُ جَبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

هذه المدينة المباركة قد شرفها الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة، وقد وردت النصوص الكثيرة في فضلها، وحرمتها، ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا^(١).

فمنها: أن الله جعلها حرمًا، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزَمِيهَا^(٢)، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ»^(٣).

(١) «فضل المدينة وآداب الزيارة»، د. سليمان الغصن (ص ٩).

(٢) المأزم: المضيق في الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه، «النهاية لابن الأثير» (٤/٢٨٨). وقد يطلق على الجبل نفسه ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٤/٨٣).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

وحرَم المدينة هو ما بين الحرتين شرقاً وغرباً وما بين عير إلى ثور يمناً وشاماً، روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ»^(١). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ»^(٢)»^(٣).

ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهَا طَيْبَةً وَطَابَةً، روى مسلم في صحيحه من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث الجساسة قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ»^(٤).

وفي رواية البخاري: «هَذِهِ طَابَةٌ»^(٥)، قال ابن حجر رحمته الله: «والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل من طيب العيش بها، قال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها»^(٦).

وقد حدثني من سكن المدينة سنوات أنه لم يجد الروائح

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٢).

(٣) لابتيتها: قال الأصمعي: اللابة الأرض ذات الحجارة السود، قال القاضي عياض: قال ابن حبيب: اللابتان الحرتان الشرقية والغربية. «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٤/٤٥٠).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٤٢).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٢).

(٦) «فتح الباري» (٤/٨٩).

الكريهة التي توجد عادة في غيرها، كما حدثني أيضًا أنه لا يوجد بها الإزعاج والصخب الذي يوجد في المدن التي يكثر بها السكان، وأنه جرى بحث هذه المسألة مع بعض أهل المدينة، فكان مما قيل في تعليل ذلك اجتهادًا: إنه ربما كان من خصوصيتها وعظيم بركة أرضها امتصاص الأصوات المزعجة ليعم السكون والهدوء والطمأنينة، ومما حدثني أيضًا أن أرضها وجبالها يبدو للناظر إليها حسنًا، وجمالًا، وبهاءً لا يُرى في غيرها.

ومنها: أن الإيمان يَأْرِزُ إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ^(١) إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»^(٢).

ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَثَّ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى لِأَوَائِهَا وَشَدَّتْهَا، ووعد على ذلك أعظم الثواب.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد مولى المهري: أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ لِيَالِي الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَا وَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا أَمْرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لِأَوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»^(٣).

(١) أي: ينضم إلى المدينة ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٧).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ! هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ! وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^(١).

قال ابن حجر: «والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حرم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجواره، ومهبط الوحي، ومنزل البركات، لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يُسْتَحَقَّرُ دونها ما يجدونه من الحظوظ الغائبة العاجلة بسبب الإقامة في غيرها»^(٢).

ومنها ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه وصفها بأنها قَرْيَةٌ تَأْكُلُ الْقُرَى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرُبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»^(٣). والمراد بـ«تَأْكُلُ الْقُرَى» أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها^(٤).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٨١).

(٢) «فتح الباري» (٩٣/٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٢).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/٤٣٤)، و«شرح السنة للبغوي» (٣٢٠/٧)، و«جامع الأصول» (٣٢٠/٩).

ومنها: ما جاء عن النبي ﷺ من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدُنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ الْمَدِينَةِ شَعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا» (١).

ومن المشهور لدى الكثيرين الذين انتقلوا إلى مكة أو المدينة من مدن أخرى: أن ما يصرفونه لا يكاد يبلغ النصف مما كانوا يصرفونه في المدن التي انتقلوا منها، فهذا أمر معلوم.

ومن فضائلها: أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَالُ» (٢).

ومنها: أن في المدينة مسجد الرسول ﷺ وهو من المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (٣). والصلاة فيه مضاعفة، روى البخاري ومسلم في

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٨٠)، و«صحيح مسلم» (رقم ١٣٧٩).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٧).

صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»^(١).

ومنها: أن في المدينة مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عمرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن حنيف رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ يَعْنِي مَسْجِدَ قُبَاءَ فَيُصَلِّي فِيهِ، كَانَ كَعَدَلِ عُمْرَةٍ»^(٢).

ومنها: فضل الروضة الشريفة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»^(٣).

قال ابن حجر: «وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة. وقوله: «رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، أي: في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدية إلى الجنة، أو أن المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة»^(٤).

ومنها: أن فيها جبل أحد، روى البخاري ومسلم في

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١١٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٥٨/٢٥) (برقم ١٥٩٨١)، وقال محققوه: صحيح بشواهده.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩١).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٦١/٣)، و«فتح الباري» (١٠٠/٤).

صحيحهما من حديث أبي حميد رضي عنه قال: «أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه» (١).

ومنها: أن فيها وادي العقيق، روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة» (٢).

ومنها: أن فيها العجوة (نوع من تمر المدينة) روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سعد رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» (٣).

ومنها: أن المدينة تنفي خبثها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه: أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى الأعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله أقلني بيعتي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٣٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٤٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٤٧).

إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبْثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبَهَا» (١) «(٢).

ومنها: أن من أراد أهلها بسوء أهلكه الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ» (٣).

وفي رواية لمسلم: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ» (٤).

قال القاضي عياض: «قوله: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ»، هذه الزيادة ترفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها وأن هذا حكمه في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بسوءٍ اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله في الحديث: «كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»، ويحتمل أن يكون المراد: لمن أرادها في الدنيا فلا يمهلها الله ولا يمكن سلطانه، ويذهب عن قرب، كما انقضى من شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة، وهلاكه منصرفه عنها، ثم هلاك يزيد بن

(١) ومعنى «وَيَنْصَعُ طَيِّبَهَا»: أي تخلصه، والمعنى: أنها إذا نفت الخبث تميز الطيب واستقر فيها. «الفتح» (٩٧/٤)، و«النهاية لابن الأثير» (٥/٦٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٧٢١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٧) واللفظ له.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٦٣).

معاوية على إثر ذلك، وغيرهم ممن صنع مثل صنيعهم.

ويحتمل أن يكون المراد: من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها في غفلة، فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهاراً، كما استباحها مسلم بن عقبة وغيره»^(١). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث السائب بن خلاد رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»^(٢)»^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/٤٥٣).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٩٢/٢٧) (برقم ١٦٥٥٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) انظر: «فضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها» د. عبد المحسن البدر، «الأحاديث الواردة في فضل المدينة» د. صالح الرفاعي، «فضل المدينة وآداب الزيارة» د. سليمان الغصن.

الكلمة الستون

فوائد وحكم من سورة العاديات

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وسورة العاديات من السور القصيرة التي تتكرر على أسماعنا كثيراً ويحفظها أكثر المسلمين، ويتأكد فهم معناها وما تضمنته من الحكم العظيمة، قال تعالى: ﴿ وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ١ ﴾ **فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢** **فَالْمُغِيرَتِ صَبْحًا ٣** **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤** **فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥** **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦** **وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧** **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨** **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَاسُهُ فِي الْأَقْبُورِ ٩** **وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠** **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١** [العاديات: ١-١١].

قوله تعالى: ﴿ وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ١ ﴾ **الواو: واو القسم، والمقسم به هو العاديات، وهي الخيل المسرعات في سيرها، والضبح: صوت أجوافها عند جريها.**

قوله تعالى: ﴿ **فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢** ﴾ **أي: أنها تُوري النار إذا سارت ليلاً بانقذاح النار بوقع حوافرها على الحجارة لقوتها وصلابتها.**

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمَغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣﴾ أي: الخيل تغير على العدو وقت الصباح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَثَرُنَا بِهِ نَقَعًا ۝٤﴾ النقع: هو الغبار تثيره بحوافرها عند عدوها، قال الشاعر:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقَعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ أي: أنها تعدو بالفرسان حتى تنتهي بهم ميدان المعركة ومجتمع الجيوش، قال الشاعر:

فَوَسَطْنَ جَمْعَهُمْ وَأَفَلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ

﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ هذا هو جواب القسم، والكنود:

الكفور الجحود لنعم الله، قاله ابن عباس، وقال الحسن: هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم^(١)، قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَ

إِلَىٰ مَتَىٰ أَنْتَ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَمَ

وحال الإنسان شاهد عليه بذلك وإن أنكره بلسانه، والخير

هو المال ومحبة الإنسان له شديدة كقوله تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ

حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر: ٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩﴾ قال

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٣٦/١٤).

الزمخشري: هذه الكلمة وهي ﴿بُعْثَرٌ﴾، مأخوذة من أصلين: البعث والنثر، فالبعث خروجهم أحياء، والنثر: الانتشار كنثر الحب، فهي تدل على بعثهم منتشرين^(١)، كقوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَشَرٌّ﴾ [القمر: ٧]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي: ظهر وبان ما فيها من كمائن الخير والشر فصار السر علانية والباطن ظاهراً^(٢)، قال الشاعر:

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيُهُ إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة المتقدم ذكره في قوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾. والخبير: هو الله تعالى، وهو أخص من العليم لأنه في ذلك يقع الجزاء على ما اشتملت عليه القلوب من الأسرار والخفايا التي لا يعلمها إلا هو، وقد جمع الله بينهما في قوله تَعَالَى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

ومن فوائد السورة الكريمة وحكمها العظيمة:

أولاً: أقسم الله تعالى بالخيل العاديات، والله لا يقسم إلا

(١) «تتمة أضواء البيان» (٢٤٨/٩) [دار الكتب العلمية]، لعطية سالم. ولم أجده في تفسير الزمخشري.

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٨٩٢).

بعضهم من مخلوقاته التي تدل على عظمته، وفي ذكر الخيل وشدتها وسرعة عدوها واقتحامها ميادين المعارك تحت بوارق السيوف تنبيهٌ إلى فضل الجهاد وعظيم مكانته.

ثانياً: الإشارة إلى إعداد الخيل للجهاد في سبيل الله، وفي الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وفي الحديث: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

ثالثاً: فيه إشارة أن ما يعانیه الفرسان المجاهدون في سبيل الله: من نقع الغبار الذي تثيره الخيل، محل عناية الله وحسن جزائه، قَالَ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»^(٢).

رابعاً: الآيات الكريمة إشارة إلى العناية بالخيل واقتناء الجياد منها والاهتمام بتدريبها وتهيئتها لكل المهام التي يحتاج إليها فيها، ومن ذلك: تضميرها، والمسابقة بينها، وتحذيتها وقاية لها من الحفاء، وذكر القدح في الآية الكريمة يشير إلى ذلك، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْحَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثِنِيَّةَ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثِنِيَّةِ الْوَدَاعِ»^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٥٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٧١).

(٢) قطعة من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ١٦٣٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٧٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٧٠).

خامسًا: أن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان وجعله محل الابتلاء، فطبعه على بعض الصفات الذميمة، وكلفه بالمجاهدة على التخلص منها وتهذيب نفسه من أضرارها، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

سادسًا: في الآيات الكريمة إثبات البعث بعد الموت، وأن هذه الأجساد التي بليت في القبور وصارت ترابًا سوف يحييها الله ويجازيها على ما أضمرت قلوبها، فذلك حين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

سابعًا: أن القلوب عليها مدار صلاح الإنسان وفساده، فإذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله^(١).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أكثر مصادر هذه الكلمة: من «تفسير أضواء البيان» للشيخ عطية بن محمد سالم، تلميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٦/١١٩-١٤٢).

الكلمة الواحدة والستون

الكفر وأنواعه

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك والكفر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والكفر ضده الإيمان وهو جحد الدين الحق، وسمي كفرًا لأن فيه سترًا للحق وجحدًا له. والكفر قسمان: كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر لا يخرج من الملة، والكفر الأكبر أنواع منها:

النوع الأول: كفر التكذيب: فمن كذَّبَ بالقرآن أو بشيء منه أو بسنة النبي ﷺ الثابتة عنه وهو يعلم، فهو كافر كفر أكبر يخرج من ملة الإسلام ويحل دمه وماله، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقد بين تعالى في كتابه سبب هلاك الأمم السابقة وأنه

تكذيبهم للرسول، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء: ١٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١]. ومن كَذَّبَ برسولٍ واحدٍ فقد كَذَّبَ الرسل جميعاً، ولا يكون الإيمان بهم مقبولاً حتى يؤمن بجميعهم ولا يفرق بين أحد منهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

النوع الثاني: كفر الجحود^(١): فالكافر عنده معرفة بالحق ويقين به، ولكن يجحده ظاهراً إما كبراً أو حسداً أو طمعاً في رئاسة أو دنيا أو غيره، وعلى هذا غالب الكفار، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجْحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿٣٣﴾﴾ [النمل: ٣٣]. فأخبر سبحانه أنها استيقنتها أنفسهم ولكن جحدوا ظلمًا وعلوًّا أي من أجل الظلم والعلو على الناس، وقال موسى ﷺ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعَوْنَ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]. فعلم فرعون أن ما جاء به موسى هو الحق ولكنه يتظاهر بإنكاره ظلمًا وعلوًّا وإبقاءً على

(١) وبينه وبين النوع الأول فوارق من وجوه، انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، و«مدارج السالكين لابن القيم»، و«الخفاجي في حاشيته على كتاب الشفاء للقاضي عياض».

ملكه، ولهذا قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].
والعقلاء يقرون جميعاً بأن هذا الخلق له خالق مدبر وأن
فرعون لم يخلق شيئاً ولم يدبر شيئاً، فالذي حمّله على ذلك
الكبر والإبقاء على ملكه، ومثل ما حصل مع إبليس لعنه الله
عندما أمره الله بالسجود لآدم رفض كبراً وحسداً لآدم، قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

النوع الثالث: كفر الشك والظن: بأن يكون شاكاً فيما جاءت
به الرسل ويظن أنهم على غير حق، وذلك كما في قصة الرجلين،
فحكى الله عن أحدهما أنه قال: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [الكهف:
٣٦]. ثم حكى الله رد الآخر عليه وهو يحاوره قال: ﴿ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧].

النوع الرابع: كفر الإعراض: والمراد به الإعراض عن تعلم أصل
الدين الذي لا يكون المرء مسلماً حتى يتعلمه ويعمل به، قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾
[السجدة: ٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ
[الأحقاف: ٣]. فسمّاهم كافرين لإعراضهم عما أُنذِرُوا به.

النوع الخامس: كفر النفاق، والمقصود الاعتقادي، وهو على
سته أنواع:

تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض

الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ، فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر كافر الباطن، أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي، ويصوم، ويحج، ويجاهد، ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوراً، وأما كفره باطناً فيما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ورسوله وللمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ١-٣].

أي: آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، والمنافق إنما يظهر الإيمان نفاقاً من أجل أن يعيش مع المؤمنين لأنه لا يقدر على مجابهة المؤمنين ولا يقدر على مفارقتهم فاضطر إلى أن ينافق.

أما الكفر الأصغر: فهو إتيان الذنوب التي سمّاها رسول الله ﷺ كُفْرًا ولم تصل إلى الكفر الأكبر، مثل قوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١). فالمراد بالكفر هنا الكفر الأصغر لأن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب لكنه لا يخرج به صاحبه من الإسلام، والدليل على ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿وَأِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٣٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٧٩).

أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. فأخبر عن المقتتلين بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة، فدل على أن القتل بغير حق وإن كان كبيرة وجريمة عظيمة إلا أنه لا يخرج القاتل من الإيمان إلى الكفر ما لم يستحله.

ومثله كفر النعم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثانية والستون

صلاة الكسوف

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالنَّاسِ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ آخِرٍ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِنِي عَبْدُهُ أَوْ تَزِنِي أُمَّتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(١). وفي رواية: «إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لِمَوْتِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٠١).

بَشَرٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِي، مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُحْجَنِ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمُحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمُحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتَهَا فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَأَوَّلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله مخلوقان من مخلوقات الله، ينجليان بأمره، وينكشفان بأمره ورحمته، فإذا أراد الله تعالى أن يخوف عباده من عقوبة معاصيهم ومخالفتهم، كسفهما باختفاء ضوءهما كله، أو بعضه، إنذارًا للعباد، وتذكيرًا لهم لعلهم يُحَدِّثُونَ تَوْبَةً فيقومون بما يجب عليهم من أوامر ربهم ويبتعدون عما حرم عليهم من نواهي الله ﷻ، ولذلك كثر الكسوف في هذا العصر فلا تكاد تمضي السنة حتى يحدث كسوف في الشمس أو القمر أو فيهما جميعًا وذلك لكثرة المعاصي والفتن في هذا الزمن، فلقد انغمس

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠٤).

أكثر الناس في شهوات الدنيا، ونسوا أهوال الآخرة وأترفوا
أبدانهم، وأتلفوا أديانهم، أقبلوا على الأمور المادية المحسوسة،
وأعرضوا عن الأمور الغيبية الموعودة التي هي المصير الحتمي،
والغاية الأكيدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

إن كثيراً من أهل هذا العصر تهاونوا بأمر الكسوف، فلم يقيموا
له وزناً، ولم يحرك منهم ساكناً وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وجهلهم
بما جاء عن رسول الله ﷺ واعتمادهم على ما علم من أسباب
الكسوف الطبيعية، وغفلتهم عن الأسباب الشرعية، والحكمة
البالغة التي من أجلها يحدث الله الكسوف بأسبابه الطبيعية،
فالكسوف له أسباب طبيعية يقر بها المؤمنون والكافرون، وله
أسباب شرعية يقر بها المؤمنون وينكرها الكافرون، ويتهاون بها
ضعفوا الإيمان، فلا يقومون بما أمرهم به رسول الله ﷺ من الفرع
إلى الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق^(١). اهـ.

وينبغي للمؤمن عند حدوث الكسوف أن يفرع للأمور التالية:

أولاً: الصلاة على الصفة المتقدم ذكرها لقوله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ
شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ»^(٢). والسنة إطالة القراءة في
الصلاة، فقد كانت قراءته ﷺ في الركوع الأول من الركعة الأولى

(١) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» (ص ٢٧٠-٢٧١) مختصراً.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠٧).

قريباً من سورة البقرة، والركوع الثاني من الركعة الأولى قريباً من سورة آل عمران، وَتَقُولُ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا حَتَّى تَجَلَّانِي الْعَشْيُ» (١).

وكذلك الركوع والسجود كان قريباً من قراءته ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم من حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَكَعْتُ رُكُوعًا قَطُّ وَلَا سَجَدْتُ سُجُودًا قَطُّ كَانَ أَطْوَلَ مِنْهُ» (٢).

ثانياً: الذكر والدعاء والاستغفار، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ» (٣). وفي رواية: «فَاذْكُرُوا حَتَّى يَنْجَلِيَا» (٤).

وفي الصحيحين من حَدِيثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ، وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ» (٥).

ثالثاً: العتق والصدقة: روى البخاري في صحيحه من حَدِيثِ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ» (٦).

-
- (١) «صحيح البخاري» (برقم ٨٦)، و«صحيح مسلم» (رقم ٩٠٥).
 (٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٠).
 (٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٥٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٢).
 (٤) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠١).
 (٥) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٥).
 (٦) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٥٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا» (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٢/١٩١) (برقم ٢٥٣١٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

الكلمة الثالثة والستون

التفكير أحواله وفوائده

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة، والطلب في الأخذ، والترك، والحب، والبغض، وأنفع الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أصل الأفكار ويليهما أربعة، فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثانية دارت أفكار العقلاء ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام

الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد، وبإزاء هذه الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر الخلق، كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أُعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه، أو الفكر في الشهوات والملذات وطرق تحصيلها، أو الفكر فيما لم يكن لو كان كيف يكون؟ كالفكر فيما إذا وجد كنزاً أو ملك ضيعة ماذا يصنع؟ أو غيرها من الأفكار السفلى»^(١). اهـ.

ومراد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الكلام السابق أن الفكر على قسمين: الأول فكر في أمور الدنيا، ويشتمل على أربعة أنواع هي: الأخذ، والترك، والحب، والبغض والثاني: فكر في أمور الآخرة، ويشتمل أيضاً على أربعة أنواع: الأخذ، والترك، والحب، والبغض.

- فالأخذ يكون لما في الدنيا والآخرة من الخير.
 - والترك لما فيهما من الشر.
 - والحب لما في الدنيا والآخرة من الأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة.
 - والبغض لما فيهما من الأعمال السيئة، والأخلاق القبيحة.
- فعلى هذه الأقسام الثمانية تدور أفكار الخلق جميعاً.

(١) «الفوائد» (ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

خطوات التفكير:

- ١- تدريب العقل على التفكير المثمر والمفيد، فإن كثيرًا من المشاريع والمخترعات العظيمة كانت بدايتها فكرة.
 - ٢- تدوين الأفكار والخواطر وعدم تأجيلها، ويشمل ذلك الأفكار الجزئية والتفصيلية، فإذا لم تدون هذه التفاصيل ضاع الوقت والجهد بلا فائدة.
 - ٣- أفراد كل فكرة مهمة بملف مستقل حتى تكتمل وتصبح واضحة، فالمرء قد يفكر في أكثر من موضوع في وقت واحد، وقد يتوقف تفكيره في موضوع ما برهة من الزمن لسبب أو لآخر ثم يعاود التفكير فيه.
 - ٤- عرض هذه الأفكار في مراحلها الأولى على أصحاب الشأن المتخصصين، فقد يكون لأحدهم أثرٌ مفيدٌ في توجيه الفكرة وتصحيحها أو تطويرها.
 - ٥- عدم الربط بين الفكرة وتنفيذها، فقد يأتي شخص بالفكرة وينفذها غيره.
 - ٦- عدم الربط بين التفكير ووقت التنفيذ أو مكانه، فقد تكون الفكرة ناجحة لكن الوقت أو الزمان غير مناسبين لتنفيذها، فلا يصح إهمالها فقد يحتاج إليها في يوم أو في بلد ما.
- ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيرًا من القرارات التي لم تدرس ولم يفكر فيها تفكيرًا جيدًا كان مصيرها الفشل، وهذا يدل على

أهمية التفكير في مراحلها السابقة في أي قرار مشروع يتخذه المرء. وذكر أحد الباحثين أن الدراسات تثبت أن الذين يفكرون تفكيرًا صحيحًا من أجل أمتهم ومن أجل القيام بالواجب عليهم لا يتجاوز (٢٪) فقط، وهذا رقم متدن للغاية، وأما (٩٨٪) الباقون فإن تفكيرهم في حدود المألوف في الأكل والشرب، والوظيفة، والزواج، والبيت، ونحو ذلك، وهذا يدل على خطورة التفكير وأهميته، فماذا لو كانت نسبة المفكرين تفكيرًا مفيدًا زاد على (٧٠٪) أو (٨٠٪) ثم أتبع هذا التفكير بعمل مثمر، هل ستبقى الأمة على ما هي عليه اليوم؟

وهذا يستدعي من كل مسلم أن يقف مع نفسه وقفة جادة ليحاسبها، فينظر فيما قدمه لأتمته منذ بلغ، وما أمضاه من قوته فيما ينفعها أو فيما يجب عليه فعله.

ومما يذكر في هذا المقام أن قيام دولة اليهود التي زُرِعَتْ في قلب الأمة كالخنجر المسموم، إنما بدأ بفكرة، أُتبعَتْ بتخطيط وعمل دؤوب لتنفيذها وإخراجها إلى أرض الواقع، ففي المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد ببازل السويسرية عام ألف وثمانمائة وسبعة وتسعين ميلادية، وضع قادة اليهود مخططاتهم لقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وبرغم أنهم يهود جنباء، إلا أنهم فكَّروا وخطَّطوا وعملوا وتأمروا، فحقَّقوا من الدنيا بعض ما خطَّطوا له، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، قَالَ عُمَرُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ جَلَدَ الْفَاجِرِ

وَعَجَزَ الثِّقَةَ» (١)(٢).

وينبغي للمسلمين أن يجتهدوا في وضع الخطط التي ترفع شأن الأمة ويعتز بها دينهم، فإنهم إن فعلوا ذلك مخلصين لله عملهم واجتهادهم فسيكون النجاح حليفهم بإذن الله ومعونته وتوفيقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢٥٤).

(٢) انظر: «منهج التفكير ضوابط ومحاذير» للشيخ ناصر العمر (ص ٣١-٣٢، ١٣٦).

الكلمة الرابعة والستون

تأملات في سورة الانفطار

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَ رَبِّيَ**: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الانفطار. وهذه السورة الكريمة تتحدث عن يوم القيامة وما فيه من أهوال، وأمور عظام تشيب لها الولدان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [١] [الانفطار: ١]، أي: انشقت السماء، كما قال تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ [١] وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ [الانشقاق: ١-٢]، قال بعض المفسرين: تشققت بأمر الله لنزول الملائكة كما قال تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِلِ الْمَلَكِئِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [٢٥] أَلْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [٢] [الانفطار: ٢]، أي: تناثرت نجومها صغیرها، وكبیرها تنثر، وتفرق وتتساقط لأن العالم انتهى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الانفطار: ٣]، أي: فُجِّرَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَمَلَأَتِ الْأَرْضُ، وهذه البحار تُشَكِّلُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْأَرْضِ تَقْرِيْبًا أَوْ أَكْثَرُ، هذه البحار يوم القيامة تَفْجَرُ ثُمَّ تَسْجَرُ أَي تَشْتَعِلُ نَارًا عَظِيمَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: ٤]، أي: أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار: ٥]، وذلك عند نشر الصحف المكتوب فيها جميع الأعمال، وذلك حين يقول الغافل: أين المفر؟ فيجواب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٢] يُنْبِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣-١٢].

والغرض من هذا تحذير العباد بأن أعمالهم محصاة عليهم، وستعرض على كل عبد صحيفة عمله ويقال له: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦]، أي: ما الذي خدعك حتى أقدمت على معصية ربك الكريم الذي أوجدك من العدم وأحسن خلقك، وعلمك ما لم تكن تعلم، وفضلك على كثير من خلقه؟! فقابلت نعمه بالنكران، وإحسانه بالإساءة، فإن كان الذي غرَّكَ شَبَابِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْهَرَمِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ غَنَاكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى زَوَالٍ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ صِحَّتَكَ

فاعلم أن مصيرها إلى سقم، والموت من وراء ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٧]، أي: جعلك سويًا معتدل القامة منتصبًا في أحسن الهيئات والأشكال، فلو اجتمع الخلق كلهم وأرادوا أن يضعوا عين الإنسان في مكان أحسن من الذي خلقه الله عليه لم يجدوا، وكذلك الأنف والأذن والرجل وسائر الأعضاء، فصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٨]، يعني: أن الله رَكَّبَكَ في أي صورة شاء، فمن الناس من هو جميل ومنهم من هو قبيح ومنهم المتوسط، ومنهم الأبيض ومنهم الأحمر ومنهم الأسود ومنهم بين ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار: ٩]، أي: بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم، ومقابلته بالمعاصي، تكذيبًا في قلوبكم بالمعاد، والجزاء، والحساب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، أي: أن كل إنسان عليه حفظة يكتبون أعماله، وهؤلاء الحفظة كرام عدول لا يظلمون أحدًا، فلا يكتبون عليه ما لم يعمل، ولا يتركوا كتابة شيء من أعماله الصالحة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢]: إما بالمشاهدة

إن كان فعلاً، وإما بالسمع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم الله عليه فيكتبونه، كما قال النبي ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا. وفي رواية: إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١٣]: هم القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبر في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إِنَّ فِي الدُّنْيَا لَجَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ»^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [١٤]: الفجار هم الكفار لهم عذاب أليم في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [١٥]: أي: يوم الحساب والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [١٦]: أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩). وقد خرَّج البخاري الشطر الأول منه (برقم ٤٢).

(٢) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص ١٠٩).

يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [١٧] ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿ [الانفطار: ١٧-١٨]: هذا الاستفهام للتفخيم والتعظيم، يعني:
أي شيء أعلمك بيوم الدين؟ والمعنى: أعلم هذا اليوم وأقدره قدره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [١٩]
[الانفطار: ١٩]، أي: لا يقدر أحدٌ على نفع أحدٍ ولا خلاصه مما هو فيه
إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، كما روى البخاري ومسلم في
صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ ابْنَ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [١٩]
[الانفطار: ١٩]: فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم
حقه من ظالمه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «فإن قال قائل: أليس الأمر لله
تعالى في يوم الدين وفيما قبله؟ الجواب: أن الأمر لله تعالى يوم
الدين وفيما قبله، لكن ظهور أمره في ذلك اليوم أكثر بكثير من

(١) جزء من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٤٧٧١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٦).

ظهور أمره في الدنيا، ففي الدنيا يخالف الإنسان أوامر الله ﷻ ويطيع أمر سيده، فلا يكون الأمر لله بالنسبة لهذا ولكن في الآخرة ليس فيه إلا أمر الله ﷻ، وهذا كقوله تَعَالَى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦] [غافر: ١٦]. والملك لله في الدنيا وفي الآخرة، لكن في ذلك اليوم يظهر ملكوت الله ﷻ وأمره، ويتبين أنه ليس هناك أمر في ذلك اليوم إلا لله ﷻ»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «تفسير ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ لجزء عم» (ص ٨٨-٩٢).

الكلمة الخامسة والستون

الترغيب في الزواج

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن نعم الله علينا كثيرة متتابعة بتتابع الليل والنهار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ومن هذه النعم العظيمة نعمة الزواج وهو آية من آيات الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وهو من سنن المرسلين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وَقَدْ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَكْثَرِ مِنْ امْرَأَةٍ، وَقَالَ: «إِنِّي أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وقال تعالى مُرْغَبًا فِي النِّكَاحِ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقد حثَّ عليه الشارع، لما يترتب عليه من مصالح دينية

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٦٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٠١).

ودنيوية، فمن ذلك:

أولاً: تكثير نسل أمة محمد ﷺ: فالأمة كلما كثرت حصل لها من العزة والهيبة ما لا يحصل لها في حال القلة، ولهذا امتن الله على بني إسرائيل بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء: ٦]، وذكر شعيب قومه بذلك فقال سبحانه عنه: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم»^(١).

ثانياً: إحصان الزوجين: فالزواج حصن للرجل والمرأة من الوقوع فيما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٢).

ثالثاً: أن الزواج ستر للزوجين ووقاية وجمال: قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٢٠٥٠)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٦/٢) (برقم ١٨٠٤): حسن صحيح.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٠٠).

رابعًا: أن المرأة سكن للرجل: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فكما أن الإنسان يتخذ المسكن ليستتر به ويتقي به الحر والبرد وغير ذلك، فإن الزوجة تكون سكنًا لزوجها يطمئن إليها ويجد في قربها الأُنس والراحة.

خامسًا: المودة والرحمة بين الزوجين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

سادسًا: السعادة والإعانة على الطاعة، والخير: روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعدٍ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٢).

سابعًا: سبب للغنى وكثرة الرزق: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، وقد كان بعض السلف ينصح من أصابته فاقة بالزواج لهذه الآية، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه: «أَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ

(١) «صحيح ابن حبان» (برقم ٤٠٢١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٧١ / ١) (برقم ٢٨٢٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٧).

النِّكَاحِ، يُنْجِزُ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى»^(١)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «رَغَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّزْوِيجِ، وَأَمَرَ بِهِ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهِ الْغِنَى، فَقَالَ: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»^(٢). والناح الذي يريد العفاف مُعَانَ فِي نِكَاحِهِ، رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّائِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعِفَّافَ»^(٣).

ثامناً: إنجاب الذرية الصالحة: قال تعالى عن زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٤).

وقال العلماء: إن التزوج مع الشهوة أفضل من نوافل العبادات لما يترتب عليه من المصالح الكثيرة، وقد يكون النكاح واجباً في بعض الأحيان كما إذا كان الرجل قوي الشهوة ويخاف على نفسه من الحرام إن لم يتزوج، فهنا يجب عليه أن يتزوج لإعفاف نفسه وكفها عن الحرام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) «تفسير ابن كثير» (١٠/٢٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٠/٢٢٦).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ١٦٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٦٣١).

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (١). والذي يُنصَحُ به الشباب: التبكير بالزواج ما دام قادرًا عليه، تنفيذًا لوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما فيه من الفوائد والمنافع العظيمة السابق ذكرها.

صفات الزوجة التي ينبغي اختيارها:

أولاً: أن تكون ذات خلق ودين: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُنكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٣).

وقد وصفت المرأة الصالحة في حديث رواه النسائي في سننه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ» (٤).

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «سنن النسائي» (١٢/٣٨٣-٣٨٤) (برقم ٧٤٢١)، وقال محققوه: إسناده قوي.

ثانياً: أن تكون بكرًا: لقول النبي ﷺ في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه: «فَهَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟»^(١). لكن لو تزوج ثيباً رغبة في الإحسان إليها أو لأي مصلحة يراها فهذا طيب، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر رضي الله عنه: «هَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟ قَالَ جَابِرٌ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشِيَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْنَّ»^(٢).

ثالثاً: أن تكون ودودة ولودة: كما روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»^(٣)^(٤).

قال بعضهم: يعرف ذلك بالنظر في حال أمها، وجدتها، وخالاتها، وعماتها، فإذا كن ولودات فهي في الغالب ستكون مثلهن.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٠٩٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٧١٥).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٢٠٥٠)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: حسن صحيح (٣٨٦/٢) (برقم ١٨٠٤).

(٤) انظر: «كتاب على عتبة الزواج» للشيخ محمد المنجد.

الكلمة السادسة والستون

وقفه مع سورة الكوثر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن من سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها، ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الكوثر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣].

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: أَعْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتًا سُرُورَةً فَقَرَأْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنََّّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴿٢﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكُوثَرُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيْتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ؟» (١).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٤٠٠)، و«مسند الإمام أحمد» (١٩/٥٤-٥٥) (برقم ١١٩٩٦) واللفظ له.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر في اللغة العربية هو الخير الكثير، والنبى ﷺ أعطاه الله خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أَنْسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرَ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طَيْبُهُ - شَكَّ هُدْبَةٌ - مِسْكٌ أَذْفَرٌ» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» (٣).

والكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ قَالَ: «يَشْحَبُ فِيهِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٧٨).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٣٠٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٥٧/٩) (برقم ٥٣٥٥)، وقال محققوه: إسناده قوي. و«سنن الترمذي» (برقم ٣٣٦١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. واللفظ له.

مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ»^(١).

قال ابن حجر: «الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض»^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾^(٢) أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم وصفه، فأخلص لربك صلاتك ونحرك واعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۗ ﴾^(١٦٣) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال ابن جرير بعد ما ذكر الأقوال في تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾^(٢): والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والأضداد، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصّك به من إعطائه إياك الكوثر^(٣).

وخصّ هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل العبادات وأجلُّ القربات، ولأن الصلاة تتضمّن الخضوع في القلب والجوارح لله

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣٠٠).

(٢) «فتح الباري» (١١/٤٦٦).

(٣) «تفسير الطبري» (١٠/٨٨٠٩).

وتنقله في أنواع العبودية وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج المال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ۙ هُوَ الْأَبْتَرُ ۙ﴾، أي: إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى، والحق والبرهان الساطع، والنور المبين هو الأبتَر، والأبتَر قال أهل اللغة: الأبتَر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتَر^(٢). اهـ.

وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبتَر، فيقال: إن العاص وقف مع النبي ﷺ يكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفاً؟ فقال: مع ذلك الأبتَر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ وكان من خديجة، فأنزل الله جل شأنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ۙ هُوَ الْأَبْتَرُ ۙ﴾، أي: المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة.

وقيل: إن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده: قد بتر فلان، فلما مات لرسول الله ﷺ ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة؛ قالوا: بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت هذه الآية^(٣).

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ١١٦٨).

(٢) «مختار الصحاح» (ص ٤٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٢٩).

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ، أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنْصَبِ الْمُنْبَتِّ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السَّقَايَةِ. فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّ شَأْنَكَ ۝ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ (١).

قال ابن كثير: وهو إسناد صحيح، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتري الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا، فقد أبقى الله ذكره، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد إلى يوم الحشر، صوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد (٢). اهـ.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ [الشرح: ٤]. قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «مختصر زوائد البزار» (٢/١٢١) ١٥٣٨، ورجَّح بعضهم إرساله.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٨٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٨٩).

الكلمة السابعة والستون

الاعتصام بالكتاب والسنة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ قِيلَ: بِعَهْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ الْجَمَاعَةُ»^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة.
 وقد وردت النصوص الكثيرة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٧١٥).

والاعتصام بالكتاب والسنة هو التمسك بهما على فهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝۱۱۵ ﴾ [النساء: 115]. روى أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَفَّتْ رِقْقَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (١).

أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَنَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ» (٢). ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلَيْسَتْ بِي مَنْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِلِقَامَةِ دِينِهِ،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦٤١)، و«مسند الإمام أحمد» (١٤٢/١٤) (برقم ٨٣٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (برقم ٣٩٩٢). وصححه البوصيري، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (برقم ١٤٩٢) و(برقم ٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٣١).

فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيرِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»^(١).

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) [الأعراف: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣) [الزخرف: ٤٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) [الجاثية: ١٨].

والتمسك بالقرآن والسنة عصمة للعبد من الضلالة وهداية له، روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^{(٢)(٣)}.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٩٧/٢).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٣) «مستدرک الحاكم» (٢٨٤/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٥/١) (برقم ٤٠).

(٤) «مستدرک الحاكم» (٢٨٤/١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (برقم ٢٩٣٧).

في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستنير فهذا أصل أهل السنة^(١).

وقد دلت الأحاديث أن من تمسك بما كان عليه ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين كان من الناجين، روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) «الفتاوى» (١٣/٦٢-٦٣).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ٤٦٠٧)، و«سنن الترمذي» (برقم ٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه جماعة، منهم: الضياء المقدسي في «اتباع السنن واجتنب البدع».

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:
 أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ
 أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَعَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ
 فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيَضَاءٍ
 نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذَّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ
 فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا
 أَنْ يَتَّبِعَنِي» (١).

ومن المعلوم أن نبي الله عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر
 الزمان لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم،
 روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم
 قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا
 مُقْسَطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضَ
 الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» (٢).

قال النووي: «قوله: وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، فالصواب في معناه أنه لا
 يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم
 يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام
 أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء» (٣).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٢٣) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله
 كما في «إرواء الغليل» (٣٤/٦) (برقم ١٥٨٩). ومعنى مُتَهَوِّكُونَ: التَّهَوُّكُ هو الوقوعُ
 في الأمر بغير رَوِيَّة. «النهاية في غريب الحديث» (٢٨٢/٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٥).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١/١٩٠).

قال الإمام مالك: «لَا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا، وَمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ». روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّه مَرَّ عَلَى أَنَسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبِّحُوا مِئَّةً فَيَسْبِّحُونَ، كَبَّرُوا مِئَّةً فَيَكَبِّرُونَ، هَلَّلُوا مِئَّةً فَيَهَلِّلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هُوَ لَاءِ صَحَابَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ وَأَنِيتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟!»^(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ»^(٢).

ومن فوائد الاعتصام بالكتاب والسنة:

- ١- الاعتصام بالكتاب والسنة نجاة للعبد من مضلات الفتن.
- ٢- الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة للعبد من الوقوع في الشهوات المحرمة.

(١) «المعجم الكبير» (٩/١٢٧) رقم ٨٦٣٦. وَرُويَ بِالْفَاظِ كَثِيرَةً.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/١٣٩).

- ٣- الاعتصام بالكتاب والسنة عزة للأمة، وقوة لها.
 - ٤- الاعتصام بالكتاب والسنة يكشف حيل الشيطان ومداخله.
 - ٥- الاعتصام بالكتاب والسنة دليل على صحة العقل، واستقامة الفطرة.
 - ٦- الاعتصام بالكتاب والسنة يثمر اطمئنان القلب، وراحة النفس.
 - ٧- الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة من الوقوع في البدع ومحدثات الأمور.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثامنة والستون

من آداب النوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله تعالى جعل الليل سكناً وراحة للناس، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ۝ ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ ١١ ﴾ [النبأ: ١٠-١١]. والنوم وفاة بعدها حياة لمن شاء الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر: ٤٢].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

وللنوم آداب نبوية، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك:

١- إطفاء النار، والمصابيح، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧٣٩٥).

الْأَبْوَابِ» (١).

والعلة في إطفاء النار والمصابيح: أن الفأرة ربما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت، كما جاء في الصحيحين من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَمَّرُوا الْآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: «أَحْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَحَدَّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ» (٣).

وأما إغلاق الأبواب قبل النوم، فقد جاء في رواية مسلم من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا» (٤).

قال ابن دقيق العيد رحمته الله: «في الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدنيوية، حراسة الأنفس والأموال من أهل العبث والفساد، ولا سيما الشياطين، وأما قوله: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً» فإشارة إلى أن الأمر بالإغلاق لمصلحة إبعاد

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٦).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

الشیطان عن الاختلاط بالإنسان، وخصه بالتعلیل تنبیهاً علی ما یخفی مما لا یطلعُ علیهِ إلا من جانب النبوة»^(١).

٢- تغطية الآنية: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»^(٢).

٣- استحباب الوضوء قبل النوم: لما جاء في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْبَجَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْنِي آخِرَ مَا تَقُولُ»^(٣).

٤- نفث الفراش قبل الاضطجاع عليه والتسمية: كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ»^(٤). وفي رواية مسلم: «وَلَيْسَمَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا

(١) «فتح الباري» (١١/٨٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣١١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٠).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ»^(١).

٥- النوم على الشق الأيمن، ووضع اليد اليمنى تحت الخد:
لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ السَّابِقِ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ
وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديثِ حَفْصَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله
إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرُقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قِنِي
عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»^(٣).

٦- قراءة بعض السور والأذكار قبل النوم: أذكر بعضاً منها:
روى البخاري في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله
كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفِيهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ
فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٢)
و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٣) ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ،
يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثِ أَبِي
مَسْعُودٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٥٠٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»
(٩٥١/٣) (برقم ٤٢١٨).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠١٧).

الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» (١).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي عنه: في قصة الشيطان وجاء فيه: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ عِنْدَ نَوْمِهِ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» (٣).

وفي سنن أبي داود من حديث نوفل الأشجعي رضي عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ نَمْ عَلَيَّ خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ» (٤).

وفي صحيح البخاري من حديث حذيفة رضي عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (٥).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٠٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٨٠٧-٨٠٨).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠١٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

(٤) «سنن أبي داود» (برقم ٥٠٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٥٤/٣) (برقم ٤٢٢٧).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٤).

٧- استحباب الوضوء عند الجنابة قبل النوم: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ»^(١).

وإن اغتسل للجنابة فهو أفضل، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن أبي قيس قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِي الْجَنَابَةِ؟ أَكَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ أَمْ يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ؟ قَالَتْ: كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا اغْتَسَلَ فَنَامَ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ فَنَامَ، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً»^(٢).

٨- ومن الآداب أن من استيقظ من النوم استحبه له أن يقول هذا الذكر: روى البخاري في صحيحه من حديث عبادة ابن الصَّامِتِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ^(٣) مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٤).

وهذا حديث عظيم القدر، كثير المنافع لمن عود نفسه كلما

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٣٠٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٣٠٧).

(٣) التعار: استيقاظ يصحبه كلام.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ١١٥٤).

استيقظ من نومه جرى لسانه بتوحيد الله، وذكره، فكان جزاؤه أن تقبل صلاته وتستجاب دعوته، فكم فرجت به من هموم، وكم قضيت به من ديون، وكم صلحت به أحوال فاسدة، والموفق من وفقه الله.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة، إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه رَحِمَهُ اللهُ»^(١).

٩- كراهية النوم على البطن: روى الترمذي في سننه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللهُ»^(٢).

١٠- التبكير في النوم: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»^(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها

(١) «فتح الباري» (٣/٤١).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٧٦٨)، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: حسن صحيح (٢/٣٥٩) (برقم ٢٢٢١).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٦٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٤٧).

عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن صلاة الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل، وكانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ: أَسْمَرًا أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَنَوْمًا آخِرَهُ؟!»^(١)(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «فتح الباري» (٧٣/٢).

(٢) انظر: «منتقى الآداب الشرعية»، للشيخ ماجد العوشن (ص ١٨٨ - ١٩١).

الكلمة التاسعة والستون

التحذير من الغيبة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فلقد شاع بين كثير من المسلمين داء عظيم حذر الله ورسوله منه وهو معولٌ هدم، يفرق بين الأحاب، ويورث العداوة والبغضاء، ونص أهل العلم على أنه كبيرة من كبائر الذنوب^(١)، وَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّهُ الْغَيْبَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٢).

قال التهانوي: «الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصاناً في بدنه، أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/٤٧٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٩).

داره، أو في دابته، قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضًا في الفعل كالحركة والإشارة والكتابة»^(١). اهـ.

وقد شبه الله تعالى الغيبة بأكل اللحم للإنسان الميت، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: كما تكرهون هذا طبعًا، فاكرهوا ذلك شرعًا فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ جَيْفَةٌ مُنْتِنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرَّيْحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

والمغتتاب يعذب في قبره قبل يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ عَلَيَّ قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِجَرِيدَةٍ نَخْلٍ؟ قَالَ: فَاسْتَبَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ، فَجِئْنَا بِعَسِيبٍ، فَشَقَّهُ بِأَثْنَيْنِ، فَجَعَلَ عَلَيَّ هَذَا وَاحِدَةً، وَعَلَيَّ هَذَا وَاحِدَةً، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا كَانَ فِيهِمَا مِنْ بُلُوتَيْهِمَا شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ فِي الْغَيْبَةِ وَالْبَوْلِ»^(٣)، وفي الصحيحين: «أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَالْآخَرُ كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ»^(٤).

(١) «كشاف اصطلاحات الفنون» (٣/١٠٩١) مختصرًا.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٩٧) (برقم ١٤٧٨٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٤/٥٣) (برقم ٢٠٤١١)، وقال محققوه: حديث قوي.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ١٣٧٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٢).

قال ابن حجر: «والغيبة قد توجد في بعض صور النسيئة، وهو أن يذكره في غيبته بما فيه مما يسؤوه قاصداً بذلك الإفساد، فيحتمل أن تكون قصة الذي كان يعذب في قبره كذلك، ويحتمل أن يكون أشار إلى ما ورد في بعض طرقه بلفظ الغيبة صريحاً كما في الحديث السابق، والظاهر اتحاد القصة ويحتمل التعدد»^(١).

والمغتابون يعذبون يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٢).

وهذه الغيبة التي يتساهل بها كثير من الناس حتى أصبحت فاكهة المجالس هي عند الله عظيمة، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١٥) [النور: ١٥].

روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيْرَةً؛ فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجْتَهُ، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْي حَكَيْتُ

(١) «فتح الباري» (١٠/٤٧٠-٤٧١).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥٣/٢١) (برقم ١٣٣٤٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذًا وَكَذًا»^(١).

ومن أسباب هذه الغيبة مجاملة الأقران والرفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه، وشفاء المغتاب غيظه بذكر مساوي من يغتابه، والاستهزاء والسخرية واحتقار الآخرين، وحسد من يثني عليه الناس ويذكرونه بخير^(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد، ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر»^(٣). اهـ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يتلاقون بالبشر ولا يغتابون غائبًا ويرون ذلك أفضل الأعمال، ويرون خلافه عادة المنافقين»^(٤)، وقال بعضهم: «أدر كنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس»^(٥).

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٨٧٥)، و«سنن الترمذي» (برقم ٢٥٠٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) «إحياء علوم الدين» (ص ١٥٥-١٥٦)، بتصرف.

(٣) «الأذكار للنووي» (ص ٣٠٤).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/١٥٢)، بتصرف.

(٥) نفس المصدر.

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا»^(١).

قال الذهبي: «صدق رَحِمَهُ اللهُ، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وَقَلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو: كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر؛ فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا، وهذا هو والله غاية الورع»^(٢).

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: «وسمعته يقول: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»^(٣).

وقد استثنى العلماء جواز الغيبة لستة أسباب، وهي كما قال النووي:

١- التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني بكذا.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩-٤٤١).

(٣) نفس المصدر.

فازجره عنه، ونحو هذا، ويكون مقصده التوصل إلى إزالة المنكر.

٣- الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفْع الظلم؟ ونحو ذلك.

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين.

ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بِنِيَّةِ النصيحة.

ومنها إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة.

ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما أن يكون فاسقًا أو مغفلًا، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من صلح.

٥- أن يكون مجاهرًا بفسقه، أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، وأخذ المكس وجباية الأموال، فيجوز ذكره بما يجهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٦- التعريف: فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة النقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك لكان أولى^(١).

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء، وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة.

قال الجمهور من العلماء: «طريق المغتاب في توبته أن يُقلع عن ذلك، ويعزم على ألا يعود، وأن يتحلل من الذي اغتابه، وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله، فإنه إذا أعلمه بذلك ربّما تأذى أشد ممّا إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذاً أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، فتكون تلك بتلك»^(٢).

تنبيه: من أعظم ما يردع المؤمن عن الغيبة، إضافة إلى الآيات والأحاديث المشهورة التي فيها الوعيد الشديد لمن وقع في الغيبة؛ أن يتذكر أنه يُهدي حسناته: من صلاة، وصوم، وحج، وغيرها إلى الذي اغتابه أو يتحمل أوزاره وذنوبه إذا لم تكفي حسناته التي ذهبت منه، وهذا هو أعظم الخسارة والإفلاس التي أخبر عنها النبي ﷺ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «رياض الصالحين» (ص ٤٨٨-٤٩٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٦٧/١٣)، بتصرف.

الكلمة السبعون

تأملات في سورة النصر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قَالَ تَعَالَى:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩)

[ص: ٢٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رضي عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ^(١) أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ^(٢) فِي غَيْرِ إِيْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٣).

ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا سورة

(١) بطحان والعقيق: واديان بالمدينة.

(٢) هي الناقة العظيمة السمينة.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٨٠٣).

النصر وتسمى سورة التوديع، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

وهذه السورة آخر ما نزل من القرآن، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ قَالَ: صَدَقْتَ (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَابُ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٣٠٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٧٠).

قَالَتْ: «مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» (١).

وفي رواية عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْتَهَا، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَتَحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾» (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال الطبري: «المراد بالنصر نصر الله لنبيه على قريش» (٤). قال ابن كثير: «والمراد بالفتح فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٦٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٤) «تفسير الطبري» (٨٨١٥/١٠).

تُلَوِّحُ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ ظَهَرَ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سِنْتَانِ حَتَّى اسْتَوْثَقَتْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ إِيمَانًا وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مَظْهَرٌ لِلْإِسْلَامِ»^(١). اهـ.

وكان فتح مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، وقد أخبر النبي ﷺ أن المراد بالفتح فتح مكة كما في حديث عائشة السابق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾، قال القرطبي: «فإن قيل: فماذا يغفر للنبي ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار؟ فقيل: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

فكان ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم الله به عليه، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبًا، ويحتمل أن يكون بمعنى كن متعلقًا به، سائلًا راغبًا، متضرعًا على رؤية التقصير في أداء الحقوق، لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال، وقيل: الاستغفار تعبد يجب إتيانه،

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٩٤/١٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٩).

لا للمغفرة بل تعبدًا، وقيل: ذلك تنبيه لأُمَّته، لكي لا يأمّنوا ويتركوا الاستغفار، وقيل: ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾، أي: استغفر لأُمَّتك^(١).

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، أي: على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم، وإذا كان ﷺ وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره؟! روى مسلم في صحيحه من حديث الأغرّ المزني^(٢): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(٣).

قال ابن عمر^(٤): «نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِمَنَى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فَعَاشَ بَعْدَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ ثَمَانِينَ يَوْمًا^(٥)، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى». وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٤٢-٥٤٣).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧٠٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٤٣).

الكلمة الواحدة والسبعون

أحوال الموتى والمحتضرين

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

المراد: ساعة الاحتضار، ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ ﴿٨٦﴾ بعلمنا وقدرتنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرونهم^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَمَا كَانَ مُتَصِلًا بِهَا غِيًّا وَحَجْبًا عَنِ إِدْرَاكِ الْمَكْلُفِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ حِكْمَتِهِ وَلِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأُولَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَتَجْلِسُ قَرِيبًا مِنْهُ وَيَشَاهِدُهُمْ عِيَانًا وَيَتَحَدَّثُونَ عِنْدَهُ وَمَعَهُمُ الْأَكْفَانُ وَالْحَنُوطُ، إِمَّا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِمَّا مِنَ النَّارِ، وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دَعَاءِ الْحَاضِرِينَ بِالْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَقَدْ يَسْلَمُونَ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ تَارَةً بَلْفِظِهِ وَتَارَةً بِإِشَارَتِهِ وَتَارَةً بِقَلْبِهِ، حَيْثُ لَا يَتِمَكَّنُ

(١) «تفسير ابن كثير» (٣٩٥/١٣).

من نطق ولا إشارة، وقد سُمع بعض المحتضرين يقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه، وأخبرنا شيخنا عن بعض المحتضرين فلا أدري أشاهده أو أخبر عنه أنه سُمع وهو يقول: عليك السلام ها هنا فاجلس، وعليك السلام ها هنا فاجلس»^(١). اهـ.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: «أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت (ثلاث مرات) ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدَّ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، ثم قرأ الآية: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقبَةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قبض»^(٢).

وقال فضالة بن دينار: حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّيَ للموت فجعل يقول: مرحباً بملائكة ربي ولا حول ولا قوة إلا بالله، وشممت رائحة طيبة لم أشم رائحة قط أطيب منها، ثم شَخَصَ بصره فمات، والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر وأبلغ^(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أَقْبِرٍ، فلما فرغ منها اضطجع ليسترى فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبِرِ فقال أحدهما لصاحبه: اكتب

(١) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٣ - ١٨٤).

(٢) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٤).

(٣) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٤).

فرسخاً في فرسخ - والفرسخ ثلاثة أميال وهو ما يساوي أربع كيلو ونصف تقريباً - ثم وقفا على الثاني فقال: اكتب ميلاً في ميل، ثم وقفا على الثالث فقال: اكتب فترًا في فتر، ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول، ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني، ثم جيء بامرأة مُتْرَفَةٍ من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول فترًا في فتر - والفتر ما بين الإبهام والسبابة -».

وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزيز الحراني: أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان، قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج^(١)، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنا نائم أم يقظان؟ ثم التفتُّ إلى سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن أكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر؟ فإذا به مكَّاس^(٢) وقد توفي ذلك اليوم.

فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك، فإذا شاء الله سُبْحَانَهُ أن يُطَّلَعَ على ذلك بعض عبیده أطلعه وَغَيْبَهُ عن غيره، إذ لو اطلَّع عليه العباد كلهم لزال

(١) كوز الزجاج: موقد نار ملتهب يستعمله صانع الزجاج، فنقلب فيه كتلة الزجاج جمرة مُتَّقَدَةٌ.

(٢) مكَّاس: صاحب المكس، وهو الذي يجبي الضرائب من الناس.

كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» (١) (٢).

ومن أحوال المحتضرين أن أحدهم قيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقن: لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه؟ فإذا هو مدمن خمر، فكان يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه (٣).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٤).

قال ابن كثير رحمته الله: «والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٦٧).

(٢) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٥ - ١٨٧)، بتصرف.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص ١٧٣)؛ و«الجواب الكافي» (ص ١٤٧).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٧٨).

مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثانية والسبعون

دروس وعبر من الهجرة النبوية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

لقد كانت الهجرة النبوية الحدث الإسلامي الكبير الذي غير مجرى التاريخ، واللبنة الأولى لقيام الدولة الإسلامية المباركة، والمتأمل في حدث الهجرة النبوية يجد الكثير من الدروس والعبر التي تستفيد منها الأجيال المسلمة إلى يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهْيَرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُتَقَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ».

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحِلَتِي هَاتَيْنِ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِالثَّمَنِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفُ لِقْنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحْرِ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَزْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِ، وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتَهُمَا وَرَضِيفَهُمَا، حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيِّ، هَادِيَا خَرِيَّتَا، وَالْخَرِيْتُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمَّنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَا حِلْتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَا حِلْتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثِ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالِدَّيْلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلِ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ،
فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِّجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ
مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ
أَنِفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ
أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا وَفُلَانًا،
انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ،
فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ، فَتَحْبِسَهَا
عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْجِهِ
الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ
بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ
فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقَسَمْتُ
بِهَا: أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَارَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ
الْأَزْلَامَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا
يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ،
حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكُدْ
تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي
السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقَسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ،
فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا، فَارَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ
فِي نَفْسِي حِينَ لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ
أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ

يَرْزَانِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ»^(١).

من الدروس والعبر:

أولاً: إن الهجرة زمنًا ومكانًا وحيٍّ من الله ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «إِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ، فإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ»^(٣).

ثانياً: التنظيم والتخطيط الدقيق للهجرة حتى نجحت رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات.

ثالثاً: حفظ الله لِنَبِيِّهِ ﷺ من أول بعثته إلى أن وصل إلى المدينة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وحكى الله تعالى قول نبيه لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي الصحيحين من حديثِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥-٣٩٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٢٢).

النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بَصْرَهُ رَأَى، قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ ائْتِنَانِ اللَّهَ ثَالِثُهُمَا» (١).

رَابِعًا: لَمَّا عَفَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ، عَرَضَ عَلَيْهِ سُرَاقَةُ الْمُسَاعَدَةَ وَقَالَ: هَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا».

فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس منهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله.

خَامِسًا: أَنَّ الدَّورَ الَّذِي قَامَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْهَجْرَةِ يُعَدُّ مَنْقَبَةً كُبْرَى لَهُ، وَيَكْفِيهِ تَكْرِيمًا أَنْ يَذَكَرَ فِي قُرْآنٍ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

سَادِسًا: قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي اسْتِئْجَارِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرَيْقَطِ الدَّوْلِيِّ هَادِيًا فِي وَقْتِ الْهَجْرَةِ - وَهُوَ كَافِرٌ - دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الرَّجُوعِ إِلَى الْكَافِرِينَ فِي الطَّبِّ وَالْأَدْوِيَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهَا مَا لَمْ يَكُنْ وَلَايَةٌ تَتَضَمَّنُ عَدَالَةً، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ مَجْرَدِ كَوْنِهِ كَافِرًا أَنْ لَا يُوثَقَ بِهِ فِي شَيْءٍ أَصْلًا، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْطَرُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٨١).

من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة»^(١).

٧- أن حكم الهجرة لم ينسخ بل هو باق إلى يوم القيامة،
 روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: «حَدَّثَهُ
 أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ
 انْقَطَعَتْ، فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ»^(٢)^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «بدائع الفوائد» (٣/٢٠٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٧/١٤٢) (برقم ١٦٥٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) انظر: «فقه السيرة» د. زيد بن عبد الكريم الزيد (ص ٢٩٢-٣٢١).

الكلمة الثالثة والسبعون

السواك

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن السنن المؤكدة التي غفل عنها كثير من الناس: السواك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» (١).

والسواك طهارة لخم الإنسان مما يصيبه من بقايا الطعام، ومرضاة للرب، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» (٢).

وقد حث النبي ﷺ أمته على السواك، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» (٣).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٢٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٨٨٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٢) واللفظ له.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنسٍ رضي عنه رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث واثلة رضي عنه رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»^(٢).

ويتأكد السواك في مواضع عديدة منها:

أولاً: عند كل صلاة فرضاً كان أم نفلاً، لما تقدم من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ورد فيه: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٣).

ثانياً: عند كل وضوء لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ»^(٤).

ثالثاً: عند القيام من نوم الليل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ^(٥) فَاهُ بِالسَّوَاكِ»^(٦).

رابعاً: عند دخول البيت، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٨٨٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٨٩ / ٢٥) (برقم ١٦٠٠٧)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٥) الشَّوْصُ: الدَّلْكُ.

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٥).

شَرِيحُ بِنِ هَانِيٍّ قَالَ: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسَّوَاكِ» (١).

خَامِسًا: تَغْيِيرُ رَائِحَةِ الْفَمِ مُطْلَقًا لِعُمُومِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» (٢).

سَادِسًا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ اسْتِعْمَالَ السَّوَاكِ وَهُوَ صَائِمٌ، فَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أُحْصِي وَلَا أَعُدُّ» (٣).

وَالَّذِي يَتَأَمَّلُ فِي حَالِ النَّبِيِّ ﷺ يَجِدُهُ يَحْرُسُ عَلَى السَّوَاكِ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى عِنْدَ احْتِضَارِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصْرَهُ، فَأَخَذْتُ السَّوَاكَ فَفَقَصَمْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ثَلَاثًا ثُمَّ قَضَى» (٤).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم، مُعَلَّقًا بِصِيغَةِ التَّمْرِيزِ.

(٤) صحيح البخاري» (برقم ٤٤٣٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٤٣).

قال الصنعاني: «قد ذكر في السواك زيادة على مائة حديث، فَوَاعَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يَهْمَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَهَذِهِ خِيبةٌ عَظِيمَةٌ»^(١). اهـ.

ومن أسباب حرص النبي ﷺ على كثرة استعمال السواك؛ أنه ﷺ كان يكره أن توجد منه الرائحة، وإن مما يؤسف له تفريط البعض في التنبه لهذا الأمر مما ينتج عنه أذى المحادث والمجالس، والمصلي بسبب النتن الذي يخرج من أفواه هؤلاء وخاصة المدخنين ومن يتناول الأطعمة ذات الروائح الكريهة، مع توفر وسائل التطهر وسهولة الحصول عليها. وعلى هؤلاء أن يعلموا أنه لا يحل لهم الصلاة في المساجد مع جماعة المسلمين فضلاً عن غيرها من المجالس والاجتماعات، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ - الثُّومَ - (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ)، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(٢).

وأفضل أنواع السواك ما أخذ من شجر الأراك.

وقد قام باحثون بعمل أبحاث وتوصلوا إلى أن عصارة السواك تحتوي على مضادات طبيعية للبكتيريا المسببة لتسوس الأسنان، وأمراض اللثة، وأن الذين يستخدمون السواك أقل عرضة للإصابة

(١) «سبل السلام» (١/١٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٨٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٦٤) واللفظ له.

بتسوس الأسنان وأمراض اللثة من الذين لا يستخدمونه ... وغيرها من الفوائد^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) انظر: «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب»، للشيخ عبد الله بن محمد اليوسف.

الكلمة الرابعة والسبعون

وقفات مع سورة الفيل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل القرآن الكريم لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٤]. ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الفيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ [الفيل: ١-٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله، وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قومًا نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاب والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول:

لم نصركم «يا معشر قريش» على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأُمِّي محمد ﷺ خاتم الأنبياء»^(١).

وقصة أصحاب الفيل على وجه الاختصار: أن ملك اليمن أبرهه أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعى الناس إلى حجه، ليصدهم عن حج بيت الله، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة، ولطخ جدرانه بالقدر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وعلم أن ذلك من فعل العرب، فقدم بجيش عظيم إلى مكة، وكان معه الفيلة، وفي طريقه بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه، فقاتلوه، فهزمهم أبرهه، وأسر نفيل بن حبيب الخثعمي، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز، ولما تهيأ أبرهه لدخول مكة وهياً فيله (محمود) أكبر الفيلة وعبأ جيشه ووجهوا الفيل نحو مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين^(٢) وأدخلوا محاجنهم في مَراقه^(٣) وبزغوه^(٤) بها

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٥٥/١٤).

(٢) نوع من السياط.

(٣) المواضع الرقيقة من جسده.

(٤) طعنوه بها.

ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هارين يتدرون الطريق، ويسألون عن نُفيل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة وجعل نفيل يقول:

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالْإِلَهُ الْغَالِبُ وَالْأَشْرُمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ

وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً وكان بعض الذين شهدوا ذلك أحياء عند البعثة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ ﴿٢﴾ أي: ألم يجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة ضلالاً منهم أدى بهم إلى الهلاك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ ﴿٣﴾ أي: جماعات متفرقة وهي طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره لا يصيب شيئاً إلا هشمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ﴿٤﴾ قالوا: هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم،

فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدي، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿٥٥﴾ أي: كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل، وقيل: المعنى صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه التبن.

والمعنى أن الله ﷻ أهلكهم ودمرهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهه، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن هذه نهاية كل طاغية يحارب الله ويستحل حرماته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمْ نُدْقَهُ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ [الحج: ٢٥]. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود: ١٠٢]» (١).

ثانياً: قدرة الله العظيمة، فهو القادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٨٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٣).

[٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الخامسة والسبعون

خطر النيمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن النيمة من الذنوب العظيمة التي حذر الله ورسوله منها، وهي مرض عضال، وداء خبيث، يفسد في المجتمعات ويورث العداوة والبغضاء فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۗ﴾ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم: ١٠-١١].

قال ابن كثير: «﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: الذي يمشي بين الناس وَيُحَرِّشُ بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة^(١).
والنيمة كما بيّنها النبي ﷺ هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟»^(٢) هِيَ النَّيْمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»^(٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٨٩).

(٢) العضة: رُوِيَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْعِضَّةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْعِدَّةِ وَهِيَ الْأَشْهُرُ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ، وَالثَّانِي: الْعَضَّةُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْوَجْهِ وَهُوَ الْأَشْهُرُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ. وَالْمَعْنَى: «أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟»
الفاحش الغليظ التحريم.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٠٦).

قال أبو السعادات: «الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»: أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس.

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد المنام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة^(١).

والنمام متوَعَّد بعدم دخول الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقِيلَ لِحُدَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ - إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٢).

قال ابن حجر: «الْقَتَاتُ هُوَ النَّمَامُ، ووقع بلفظ: «نَمَامٌ» في رواية أبي وائل عن حذيفة عند مسلم^(٣)، وقيل: الفرق بين القتات والنمام، أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يُعلم به ثم ينقل ما سمعه»^(٤).

والنمام يعذب في قبره قبل يوم القيامة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى،

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ٣٢٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٠٥).

(٤) «فتح الباري» (١٠/٤٧٣).

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُوْدًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاِثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»^(١).

والنمام شر عباد الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعَنْتَ»^(٢).

والفرق بين الغيبة والنميمة: أن الغيبة هي التكلم خلف إنسان مستور بما هو فيه مما يكرهه، أما النميمة فهي نقل كلام صادر عن الغير بغية الإفساد، وعلى ذلك تكون الغيبة صادرة عن المغتاب في الأصل، أما النميمة فهي كلام صادر عن الغير، وكذلك الغيبة قد تباح في بعض الأحيان لغرض شرعي، أما النميمة فلم ينقل جواز إباحتها أحد.

قال الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «النميمة من الكبائر، وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، وقد أجاب عما يوهم أنها من الصغائر، وَهِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُعَدُّ بَانَ فِي كَبِيرٍ»، بأن المراد ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قيل في رواية أخرى: «بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ»^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٣٧٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥٢١/٢٩) (برقم ١٧٩٩٨)، وقال محققوه: حسن بشواهد.

(٣) «الكبائر» (ص ١٦٠)، بتصرف.

قال ابن حجر: «وجه كونه أي (النم) كبيرة ما فيه من الإفساد، وما يترتب عليه من المضار، والحكم على ما هو كذلك بأنه كبير ظاهر جلي»^(١).

قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم الغيبة، والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر»^(٢).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «كل من حُمِلت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان: كذا وكذا؛ لزمه ستة أحوال:

الأول: ألا يصدقه لأنه نمام فاسق وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنه يبغض عند الله، والبغض في الله واجب.

الرابع: ألا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: ألا يحمله ما حُكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميته.

(١) «الزواجر» (٢/٥٧٢).

(٢) «مراتب الإجماع» (ص ١٥٦).

وتكمن خطورة المنام في أنه يقل الاحتراز منه؛ لأنه يأتي في صورة الناصح المشفق، فإن صدقته تحقق حينئذ ما يريده المنام من الإفساد، قال ابن حزم: «من جاء إليك بباطل رجع من عندك بحق، وذلك أن من نقل إليك كذباً عن إنسان حرك طبعك فأجبتة فرجع عنك بحق، فتحفظ من هذا ولا تجب إلا عن كلام صح عندك عن قائله»^(١).

والنمامون كثيرون ومن أشدهم خطراً: طائفة جعلت مهنتها الوقيعة بين العلماء والحكام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمٌ حُنِينٌ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا^(٢).

وهذا المعنى الذي أثر ابن مسعود المصير إليه؛ جاء في حديث ضعفه بعض أهل العلم وجاء فيه: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ

(١) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم (ص ٣٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٥٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٦٢) واللفظ له.

أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»^(١).

وطائفة أخرى أكل الحسد قلوبها، فلا تكاد ترى زوجين أو صديقين متآلفين إلا سعت للتفريق بينهما بالنميمة، كل ذلك في لباس النصح والإشفاق.

وروي عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(١١)، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا^(٢).

قال الحسن البصري: من نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ.

ومما تعالج به النميمة: أن يعلم النمام أنه معرض نفسه لسخط الله تعالى وعقوبته، وأنها تحبط الحسنات، وأن يتدبر المرء في عيوبه ويجتهد في التطهر منها، وأن يعلم أن تأذي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأذيه بها فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به، قال الشاعر:

نَحَّ عَنِ النَّمِيمَةِ وَاجْتَنِبَهَا فَإِنَّ النَّمَّ يُحْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ
يُثِيرُ أَخَوِ النَّمِيمَةِ كُلَّ شَرٍّ وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلَّ سِرٍّ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٨٦٠).

(٢) «الكبائر» للذهبي (ص ١٦٠).

وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمًا وَلَيْسَ النَّمُّ مِنْ أَفْعَالِ حُرِّ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة والسبعون

الفأل وحسن الظن بالله

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الفأل وحسن الظن بالله من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها، فإنها تعطيه دافعاً للعمل والتقدم إلى الأمام، فإن المتفائل عنده أمل أن يكون حاله في مستقبله خيراً من يومه، وبأن يعوض فيه ما فاته، وأن يتجاوز العقبات والمحن، وأن يحقق المصالح والمنافع التي ليست في حوزته اليوم.

قال الماوردي: «الفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجد، ومعونة على الظفر، فقد تفاعل رسول الله ﷺ في غزواته وحرابه^(١)، والمراد بالتفاؤل انشراح قلب المؤمن، وإحسانه الظن، وتوقع الخير».

قال ابن الأثير: «التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طلب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته»^(٢).

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣١٩).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٤٠٦/٣)، بتصرف.

وَالنَّبِيُّ ﷺ حُوصِرَ وَأُوذِيَ وَأُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، وَمَاتَ لَهُ سِتَّةٌ مِنَ الْوَلَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَتَفَاءَلُ وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ الْحَسَنُ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»^(١). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ الْحَسَنُ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب فَحَدَّثَنِي أَنَّ جَدَّهُ (حَزَنًا) قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيَّرٍ اسْمًا سَمَانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ»^(٣).

وفي صلح الحديبية عندما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة المسلمين، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «سَهْلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»^(٤).

قال ابن عباس رضي عنهما: الفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء^(٥)، فكذلك

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٧٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٢٢٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٦٩/٤) (برقم ٢٣٢٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٩٣).

(٤) «صحيح البخاري» (رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٥) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

كرهت، قال الحليمي: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجِبُهُ الْفَأَلُ؛ لِأَنَّ التَّشَاؤْمَ سَوْءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّفَاؤُلُ حَسَنُ ظَنِّ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(١)، قال البغوي: «وإنما أحب النبي ﷺ الفأل لأن فيه رجاء الخير والفائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير»^(٢). اهـ.

والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال^(٣)، وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى حسن الظن بالله تعالى.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْحُبُ بِقَوْلِي: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ يَرْحُبُ»^(٥).

قال العلماء: حسن الظن بالله تعالى، أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه^(٦)، والذي يتأمل في أحوال الرسل عليهم السلام، والصالِحون

(١) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٢) «شرح السنة» (١٢/١٧٥).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (برقم ٩٠٧٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٥) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٧٧).

(٦) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/٢١٠).

من بعدهم يجد أنهم متفائلون في أحلك الظروف، والشدائد، فهذا موسى عليه السلام ومن معه عندما لحق بهم فرعون وجنوده وأصبح البحر أمامهم، والعدو خلفهم كان متفائلاً ومحسناً للظن بربه، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْأَجْمَعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

وأم إسماعيل هاجر عندما تركها إبراهيم عليه السلام في مكة مع ابنها إسماعيل، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم مضى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا^(١).

وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، لما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إليها خائفاً يقول: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»^(٢).

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان من أعظم الناس تفاؤلاً وحسن ظن

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٣٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣).

بالله، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله يريد قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(١)، فقال له رسول الله ﷺ: بل أزوجو أن يخرج الله من أضلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، عندما كان أبو بكر في جوار ابن الدغنة فابتنى أبو بكر مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، فشكت قريشُ أبا بكرٍ إلى ابن الدغنة وقالوا: خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر وقال: إما أن تمتنع عما تفعل وإما أن ترد عليَّ جوارِي، فإنني أكره أن تتحدث العرب أني أخفرت في رجلٍ عقدت له، قال أبو بكر:

(١) هما جبلان بمكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٥).

فإِنِّي أَرَدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ ﷻ^(١).

ومن التفاؤل الذي يُذكر في هذا المجال: ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ففي سنة (٧٠٢هـ) تحرك التتار لغزو بلاد الشام فأخبر ابن تيمية الناس والأمرء أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، قال ابن القيم: وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا عَلَيَّ قلت: لا تكثروا، كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمت بعض الأمرء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكان النصر حليف المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]^(٢).

ومن ذلك أن الشيخ شمس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني رَحِمَهُ اللهُ كان يأخذ السلطان محمداً بيده ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح في الأفق من بعيد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى هذه المدينة التي تلوح في الأفق، إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه ويضمها إلى أمة التوحيد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلْنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلْنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥).

(٢) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٤١٥).

الْجَيْشِ»^(١). ثم تفاعل الأمير الصبي وعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذي بشر به الصادق المصدوق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما جاء اليوم الموعود وتولى الخلافة شرع السلطان محمد الفاتح يفاوض الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة قال بكل تفاؤل: حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر، حاصر السلطان محمد الفاتح القسطنطينية واحداً وخمسين يوماً، تعددت خلالها المعارك العنيفة وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله، سقطت على يد بطل شاب له من العمر ثلاثة وعشرون عاماً.

ومن ذلك ما ذكره الشيخ المقرئ عبد الله بن أحمد ابن سعيد قال: «مرضت بدمشق مرضاً شديداً، فجاءني ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض فدعاني، ثم قال: جاءت العافية فما كان إلا أن قام، وإذا بالعافية قد جاءت، وَشُفِيتُ لوقتِي»^(٢).

ومن فوائد الفأل وحسن الظن بالله:

أولاً: يجلب السعادة والسرور إلى القلب، ويذهب عنه الهم

(١) هذا الحديث الذي ورد في سياق كلام الشيخ شمس الدين، واستدل به على فضل فاتح القسطنطينية. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» [٣١/٢٨٧] (برقم ١٨٩٥٧) [١٨٩٥٧] مِنْ حَدِيثِ بَشْرِ الخُثَعَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد ضَعَفَهُ بعض أهل العلم، وفضل فتح القسطنطينية ثابت بأحاديث أخرى تراجع في مظانها.

(٢) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٦٨٨).

والحزن، وهذا مطلوب شرعاً، ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الِهَمِّ وَالْحَزَنِ» (١).

ثانياً: فيه تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجد والعمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» (٢).

ثالثاً: فيه اقتداء بالسنة النبوية، فقد حثَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٩٣).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

الكلمة السابعة والسبعون

مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة الهدى، نصر الله به الدين، وحفظ به السنة، ولد سنة (١٦٤هـ)، ونشأ يتيماً، فقد مات والده وهو طفل صغير، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان طويلاً أسمر شديد السمرة، تزوج وهو ابن أربعين سنة، قال أبو زرعة الرازي: كان يحفظ ألف ألف حديث «يعني مليون حديث»، ولما سُئل أبو زرعة عن ذلك قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

قال الذهبي: وهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ ذلك^(١).

إنه إمام أهل السنة والجماعة، شيخ الإسلام أحمد ابن

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٨٧).

محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ويكنى بأبي عبد الله.

قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم ولا أتقى، من أحمد بن حنبل، وقال إسحاق بن راهوية: أحمد حجة بين الله وخلقه.

قال الذهبي: كان أحمد عظيم الشأن، رأساً في الحديث، وفي الفقه، وفي التأله، أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بإخوانه وأقرانه؟ وكان مهيباً في ذات الله، حتى قال أبو عبيد: ما هبت أحداً في مسألة ما هبت أحمد بن حنبل.

وكان يجتمع في مجلس أحمد خمسة آلاف، أو يزيدون؛ نحو خمس مائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت، وسأله أحد أصحابه ذات يوم: إلى متى تستمر في طلب العلم وقد أصبحت إماماً للمسلمين؟ فقال له: من المحبرة إلى المقبرة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ متفقهاً زاهداً في الدنيا، قال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، والصبر، وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت ذكر الدنيا قط.

قال أحمد بن سنان: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم فلم يقبلها.

قال المروزي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت هان عليّ كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ما أعدل بالفقر شيئاً، ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر، وقال: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بُليت بالشهرة.

وكان تقياً، ورعاً متواضعاً، قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك، قال أخاف أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هداً الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله ولقد رمي عنه بحجر، والعلاج على الحصن متترس بدرقة فذهب برأسه وبالدرقه، قال: فتغير وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجاً، قلت: كلا، ودخل عليه رجل وأثنى عليه وقال: جزاك الله عن الإسلام خيراً؛ فاغتم وقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً، من أنا وما أنا؟

قال صالح بن أحمد: كان أبي إذا دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها.

وقال المروزي: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف

أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة.

قال المروزي: لما ذكر الإمام أحمد أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟ وهذا من تواضعه وإلا فهو إمام في ذلك.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصادعين بالحق والصابرين عليه، وقد ابْتُلِيَ فِي ذلك، قال الذهبي: «الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، قال: فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخَذَلُ، فمن قام بهما كاملاً فهو صديق، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله»^(١).

قال علي بن المديني: أعز الله الدين برجلين: أبو بكر الصديق في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَ ۙ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۚ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٣٤).

قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»^(١).

لما حصلت فتنة خلق القرآن في عهد المأمون قال صالح: ثم امتحن القوم ووجه بمن امتنع إلى السجن، فأجاب القوم جميعاً إلا أربعة: أبي ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد، ثم أجاب هذان وبقي أبي ومحمد في الحبس أياماً، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين، وتوفي محمد بن نوح في الطريق، وصلى عليه الإمام أحمد.

قال عباس الدوري: سمعت أبا جعفر يقول: لما أخذ أحمد إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، قال: يا أبا جعفر تعנית، قلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبته إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت فاتق الله ولا تجب، وجعل أحمد يبكي ويقول له: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر أعد عليّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.

قال إبراهيم بن عبد الله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها، قال: يا أحمد إن

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يقتلك الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً، فقوي قلبي.

قال محمد بن إبراهيم: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله بالرقعة في التقية، وما روي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب؟ «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاِثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ، أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ»^(١). فأيسنا منه، وقال: لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّيَ عنه.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنه^(٢) ورحلنا منها في جوف الليل وفتح لنا بابها إذا رجل قد دخل فقال: البشري، قد مات الرجل - يعني المأمون -، قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه، وبقي أحمد محبوساً بالرقعة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، وقد أمر بتعذيبه، وجلده بالسياط حتى أُغمي عليه عدة مرات، قال صالح: ثم حُلِّيَ عنه فصار إلى منزله، وكان مُكْتَهُ في السجن منذ أُخِذَ إلى أن ضرب: ثمانية وعشرين شهراً.

ومن أخلاقه العظيمة: عفوه وتسامحه حتى مع أشد خصومه

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦١٢).

(٢) بلد مشهور من الثغور قرب المصيصة.

ممن عذبه، فمن ذلك أنه قال: كل من ذكرني ففي حلٍّ إلا مُبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حلٍّ، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يُعذب أخاك المسلم بسبيك؟ ولتعف، وتصفح فيغفر الله لك كما وعدك، وكان يقول لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية، ولا الإسلام مثله - يعني من شهد الجنابة -، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحرز على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف - يعني مليون - وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع، والدروب، ينادون: من أراد الوضوء^(١).

وكان وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول يوم الجمعة سنة (٢٤١هـ)، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وجزاه عن الإسلام، والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٧٧-٣٥٦).

الكلمة الثامنة والسبعون

الرفق

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي وصف الله بها نبيه محمداً ﷺ الرفق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا لِّمَا تُكْفِرُونَ لَأَلْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(١). وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(٢).

والرفق هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف، وقد يجيء الرفق أيضاً بمعنى التمهّل في الأمور

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٦٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٣).

والتأني فيها، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ومن أسمائه تعالى (الرفيق) في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق، وشرع الأحكام شيئاً بعد شيء وجريانها على وجه السداد، واليسر، ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة، إذ خلق الخلق أطواراً ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرار لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده: أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت^(١).

قال ابن القيم:

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانٍ
والرفق من أفضل الأخلاق، وأجلها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، فلا يكون في شيء إلا زينته وجمّله، وحسنه، ولا ينزع من شيء إلا شانه، وعابه وقبحه، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

ومن آتاه الله الرفق فقد أعطاه خيرًا عظيمًا من الثناء الحسن، والتوفيق، وصلاح البال، وطمأنينة النفس، ونيل المطالب،

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٤).

وتحقيق المآرب، وفي الآخرة أجر عظيم، وثواب جزيل، ذلك بأن المتأني الذي يأتي الأمور بسكينته، ورفق اتباعاً لسنن الله في الكون، واتباعاً لنبيه محمد ﷺ، فإنَّ من كان هذا هديه وطريقه؛ تيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس، ونهيهم، وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين.

وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة، وصان لسانه عن مشاتمهم ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة، والطمأنينة، والرزانة، والحلم، فما أطيب عيشه! وما أنعم باله! وما أقر عينه! (١).

وأخبر النبي ﷺ أن دخول الرفق على أهل بيت علامة خير، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، دَلَّهْمُ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ» (٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ رَفَقًا بِأَصْحَابِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهْلِينَا قَالَ: ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا،

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي»، قسم العقيدة (٦/٥٣٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤١/٢٥٥) (برقم ٢٤٧٣٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ» (١).

وكان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الرفق بالناس، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ» (٢).

وَلَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنهما إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُمَا: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» (٣). قال الإمام أحمد بن حنبل: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه (٤).

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَحُثُّ أَهْلَ بَيْتِهِ عَلَى الرَّفْقِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ يَهُودَ أَتَوَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» (٥).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٢٨).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٣٣).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٩٥) [دار الريان للتراث].

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٦٥).

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ وَوَلَاةَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ،
 روى مسلم في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
 «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ
 وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (١).

بل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ، روى مسلم
 في صحيحه من حديثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ،
 وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّدْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ فليُرْحَ ذَبِيحَتَهُ» (٢).

الخلاصة: أنه ينبغي على المؤمن أن يكون رفيقاً في جميع
 شؤونه، رفيقاً في معاملة أهله، وأولاده، وإخوانه، وأصدقائه، وفي
 معاملة عامة للناس، يرفق بهم، ومن كان هذا حاله فالنفوس ترتاح له،
 والقلوب تأنس به، والصدور تنشرح له، ويحصل على محبة الناس،
 وينبغي أن يكون الرفق ملازماً للمؤمن في بيته، وسوقه، ومسجده،
 وفي كل مكان يخالط فيه الناس، فإذا فعل ذلك فقد أُعطي خيراً
 كثيراً، روى مسلم في صحيحه من حديثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ» (٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٢٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٩٥٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٢).

الكلمة التاسعة والسبعون

وقفات مع سورة قريش

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة قريش، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ١-٤].

هذه السورة لها صلة بالسورة التي قبلها وهي سورة الفيل، إذ أن سورة الفيل بيان منة الله ﷻ على أهل مكة بما فعل بأصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة، فبين الله في هذه السورة نعمة أخرى كبيرة على أهل مكة وهي رحلة الشتاء والصيف.

قوله: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ والإلف بمعنى الجمع والضم، ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام؛ لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف مع مناسبة الجو البارد، فهي

نعمة من الله **سُبْحَانَهُ** على قريش في هاتين الرحلتين؛ لأنه يحصل منهما فوائد كثيرة ومكاسب تجارية، إضافة إلى أنهم يرجعون إلى بلدهم مكة آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، بل من سار معهم آمن بهم، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم، وصيفهم، وأما في حال إقامتهم، فكما قال تعالى: ﴿أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أرشدهم إلى شكر هذه النعم بعبادة رب البيت والمراد الكعبة، وهنا أضاف ربوبيته إليه، فقال: ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم^(١).

أي: فليوحِّدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١]. فلا يعبدوا صنماً ولا نداً ولا وثناً، ومن استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: أي

(١) «تفسير الشيخ ابن عثيمين» (ص ٣٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤٦٦/١٤).

من بعد الجوع، وكان ﷺ يتعوذ بالله من الجوع.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِشَسِّ الضَّجِيعِ» (١). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» * وَذَلِكَ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ» * [البقرة: ١٢٦] (٢).

قال ابن زيد: «كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها من بعض، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم، ثم قرأ قوله تعالى: «أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا» * [القصص: ٥٧]» (٣).

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن نعم الله على عباده كثيرة ومن أعظمها بعد الإيمان: الأمن والغذاء، قَالَ تَعَالَى: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» * [إبراهيم: ٣٤]. وقال تعالى ممتنًا على عباده بنعمة الغذاء: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ» * [٢٤] «أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا» * [٢٥] ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * [٢٦] فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * [٢٧] وَعِنَبًا وَقَضْبًا * [٢٨] وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * [٢٩] وَحَدَائِقَ غُلْبًا * [٣٠] وَفِكَهَةً وَأَبًا * [٣١] مَنَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِ لَكُمْ * [٣٢] * [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال تعالى ممتنًا على عباده بنعمة الأمن: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٨/١) (برقم ١٣٦٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٥٠٨/٢٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥٠٨/٢٢).

يَلْسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].
وقال تعالى ممتنًا على أهل سبأ بهذه النعمة: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي
وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ: ١٨].

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخَطَمِيِّ رضي الله عنه وكانت له صحبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَ مَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» (١).

ثانيًا: أن دوام هذه النعم وبقائها إنما يكون بشكرها وذلك بإخلاص العبادة له وطاعته واجتناب نواهيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجْبُكُمْ لِيِنَّ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيِنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

ثالثًا: أن شكر هذه النعم يكون بالقلب والقول والفعل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]. وذهاب هذه النعم إنما يكون بالمعاصي والذنوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٧٤).
(برقم ١٩١٣).

الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا
وَبِسْ أَلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟
فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(١).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ
وَحُطُّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ١١٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٨٢٠).

الكلمة الثمانون

محاسبة النفس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن القيم: «دلت الآية على وجوب محاسبة النفس، فيقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال، أم من الصالحات التي تنجيه؟ أم من السيئات التي توبقه؟»^(١).

قال الحسن البصري: «لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردتِ عملين؟ وماذا أردتِ تأكلين؟ وماذا أردتِ تشربين؟ وإن الفاجر يمضي قدمًا قدمًا ما يعاتب نفسه»^(٢).

قال الماوردي: «محاسبة النفس أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه، وأتبعه بما شاكلة، وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل»^(٣).

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٥٢).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/١٤٥).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣٦٠-٣٦١).

ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته فينظر: هل العمل موافقٌ لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أم لا؟ فإن كان موافقاً أقدم، وإن كان مخالفاً ترك، ثم ينظر: هل فعله خير له من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني: تركه ولم يقدم عليه، ثم ينظر: فإن كان لله مضي، وإن كان للجاه، والثناء، والمال من المخلوق ترك.

أما النوع الثاني: فهو محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

أولاً: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله في الطاعة ستة أمور: الإخلاص لله في العمل، النصيحة لله فيه، متابعة الرسول ﷺ، شهود مشهد الإحسان فيه، شهود منة الله عليه، شهود تقصيره فيه، بعد ذلك كله يحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

ثانياً: أن يحاسب نفسه على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية.

ثالثاً: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

رابعاً: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد، لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا

وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر^(١).

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا، أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»^(٢).

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا وَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ، وَاللَّهِ لَتَتَّقِينَ اللَّهَ ابْنَ الْخَطَّابِ أَوْ لِيُعَذِّبَنَّكَ»^(٣).

قال إبراهيم التيمي: «مَثَلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ: آكَلٌ مِنْ ثَمَارِهَا، وَأَشْرَبٌ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأَعَانِقُ أَبْكَارِهَا، ثُمَّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ: آكَلٌ مِنْ زَقُومِهَا، وَأَشْرَبٌ مِنْ صَدِيدِهَا، وَأَعَالِجُ سِلَاسِلِهَا، وَأَغْلَالِهَا، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَيُّ نَفْسِي أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدِينَ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ صَالِحًا، قُلْتُ: فَأَنْتِ فِي الْأَمْنِيَةِ فَاعْمَلِي»^(٤).

قال الغزالي: «عرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق (١/١٤٥).

(٣) «موطأ الإمام مالك» (١٨٠٠).

(٤) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (ص ٢٦).

بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته»^(١).

وأضر ما على المسلم الإهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويمشي الحال ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه موقعة الذنوب وأنس بها، وعسر عليه فطامها ولو حضر رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام، وترك المألوف والمعتاد^(٢).

فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر، أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها، وسكناتها، وخطراتها، وخطواتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبدا الآباد، فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه، خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس، وأحمقهم، وأقلهم

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/٤١٨).

(٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/١٤٧-١٥٠).

عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] (١).

ومن فوائد محاسبة النفس:

أولاً: الاطلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

ثانياً: دليل على الخوف من الله والاستعداد للقاءه.

ثالثاً: تبين للمؤمن حقيقة الربح والخسران.

رابعاً: محاسبة النفس في الدنيا تريح المؤمن يوم القيامة.

خامساً: فيه امتثال لأمر الله تعالى.

سادساً: تبعد عن الغفلة، والاستمرار في المعاصي، والذنوب.

سابعاً: تعين المؤمن، وتساعد في استدراك ما نقص من الفرائض، والنوافل.

ثامناً: تثمر محبة الله ورضوانه.

تاسعاً: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه، ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه، فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة المنفعة جداً.

عاشراً: أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/١٤٧-١٥٠).

والاسترسال معها^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٥٦)، و«نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (٨/٣٣١٧، ٣٣٢٤).

الكلمة الحادية والثمانون

الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة الهدى، نصر الله به الدين، وحفظ به السنة. قال عنه الذهبي: شيخ الإسلام وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ الغازي عبد الله بن المبارك الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، ولد سنة (١١٨هـ)، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وأكثر من الترحال والتطواف في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج، قال شعيب بن حرب: سمعت أبا أسامة يقول: ابن المبارك في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس، وكان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، ف قيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟

قال أشعث بن شعبة: قدم الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من [برج من] قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم، قالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان.

قال محمد بن أعين: سمعت عبد الرحمن بن مهدي واجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: جالست الثوري وسمعت منه ومن ابن المبارك، فأيهما أرجح؟ قال: لو أن سفيان جهد على أن يكون يوماً مثل عبد الله لم يقدر، وقال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

وقال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ، وغزوهم معه.

قال ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام فذهبت على أن أردّه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

واجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف مع أصحابه.

وقيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه.

وروى غير واحد أن ابن المبارك قيل له: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد.

وكان عبد الله غنياً شاكراً كريماً، قال سلمة بن سليمان: جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مئة درهم، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضاً قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي.

وكان يقول للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتجرت، وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مئة ألف درهم.

قال علي بن الفضيل: سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا.

قال محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى

طرسوس؛ وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة فلم يره فخرج في النفير مستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشاب فقيل: محبوبس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم ووزن له عشرة آلاف وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش، فأخرج الرجل وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت لم أرك؟ قال: يا أبا عبد الله كنت محبوبساً بدين، قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني ولم أدر، قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله.

وكان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو فيجصص بيوتهم، وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسرُّوا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى

كل رجل منهم صرته عليها اسمه.

ولما عوتب فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: إنني أعرف مكان قوم لهم فضل، وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بيت العلم.

وهذه رسالة لكل تاجر أن ينفق من ماله للفقراء، والمحتاجين، وطلبة العلم، والمشاريع الخيرية، فإن في ذلك بركة وخير له في ماله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(٣).

ومن أقواله العظيمة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: رَبِّ عَمَلٍ صَغِيرٍ

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٩٩/٢٩) (برقم ١٧٧٦٣)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٨).

تُكثِرُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَثِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ.

وقال أيضًا: مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأُمَرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوَّتُهُ.

قال علي بن الحسن: سمعت ابن المبارك، وسأله رجل عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقال: عالجتها بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به، فقال له: اذهب، فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ.

قال سويد بن سعيد: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم فاستسقى شربة ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن أبي الموالم حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَاءٌ زَمَزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» ^(١) وهذا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شربه.

قال محمد بن إبراهيم: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ فَنَحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ فَخِيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ

(١) «سنن ابن ماجة» (برقم ٣٠٦٢)، وصححه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٤/ ٣٢٠) (برقم ١١٢٣).

رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَيْرُنَا رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطِيبُ (١)
 وَلَقَدْ أَنَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يُكْذَبُ
 لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
 هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يُكْذَبُ

فألفت الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.

وقد رآه أحد أصحابه في المنام بعد وفاته فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحمتي في الحديث، عليك بالقرآن، عليك بالقرآن.

وكانت وفاته سنة (١٨١هـ) وله من العمر ثلاثة وستون عاماً، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِينَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) الرهج: الغبار، والسنايك: جمع سنك، طرف حافر الخيل وجانباه من قدام.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/٣٧٨-٤٢١).

الكلمة الثانية والثمانون

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالقضاء والقدر، وهو الركن السادس من أركان الإيمان، ففي حديث جبريل المخرج في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ»^(١). قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٢٣) [الحديد: ٢٢-٢٣].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٥٣).

يخبر تعالى في هذه الآيات الكريمات أن جميع ما يقع من المقادير والمصائب وغيرها في الأنفس والآفاق، كل ذلك قد كتب الله وقوعه قبل وجوده بمدد طويلة، وذلك لسعة علمه المحيط بكل شيء، ما كان وما يكون، ثم يبين تعالى أن في إخباره لنا بذلك حكمتين عظيمتين وفائدتين جليلتين:

الأولى: ألا نحزن حين فوات شيء من الدنيا ومصالحها، إذ إن ما لم يقدر ينقطع الطمع فيه، والحزن والأسى عليه من الحمق، والله لا يريد لنا أن نقع في ذلك لما ينتج عن الحزن من الآثار السيئة على فكر المرء وتصرفاته.

الثانية: أن الناس عند حدوث النعم ينقسمون إلى قسمين، فضعيف الإيمان بالقضاء والقدر يطير فرحاً، ويمتلىء فخراً وكبراً وكأنه والعياذ بالله لم يصدق بما حصل له، أما قوي الإيمان الذي يعلم أن تقدير الله ﷻ سبق وجود هذه النعم فإنه لا يتغير عنده شيء لعلمه وإيمانه أن ما وقع كائن لا محالة فكما أن كتابته سبقت وجوده فكذلك إيمانه سبق وقوعه.

وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؟^(١).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٣١/١٣).

ومن فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

أولاً: الرضا واليقين بالعوض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١) [التغابن: ١١]. قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله، وقدره فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، وبقينا صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: يَهْدِي قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَقَالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ، وفي الحديث المخرج في صحيح مسلم من حديث صُهَيْبٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١)، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، ﴾ - يَعْنِي يَسْتَرْجِعُ - يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٩٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٠/١٤).

مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» (١).

ثانيًا: انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا أَلَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

ثالثًا: الحصول على الأجر الكبير، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١٥٦] وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [١٥٧] [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، قال أمير المؤمنين: نعم العدلان، ونعمت العلاوة؛ ﴿ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فهذاان العدلان، ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ هذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا.

رابعًا: غنى النفس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ» (٢).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٩١٨).

(٢) قطعة من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٠٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٩٣٠).

خامسًا: عدم الخوف من ضرر البشر، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

سادسًا: الشجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأجل مقدر لا يزيد فيه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، لا يهاب الموت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٣٤] [الأعراف: ٣٤]. قال الشافعي:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءٌ
سابعًا: عدم الندم على ما فات، والتحسر على الماضي، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢).

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

ثامناً: أن الخيرة فيما اختاره الله، فقد يقدر على المؤمن مصيبة فيحزن ولا يدري كم من المصالح العظيمة التي تحصل له بسببها وكم صُرف عنه من شرور، والعكس كذلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: ارْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْلٌ لِهَمِّكَ، وَأَبْلَغُ فِيمَا تَطْلُبُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ لَنْ يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّى يَكُونَ رِضَاهُ عِنْدَ الْفَقْرِ وَالْبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِنْدَ الْغِنَى وَالرِّخَاءِ؛ كَيْفَ تَسْتَقْضِي اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، ثُمَّ تَسْخَطُ إِنْ رَأَيْتَ قَضَاءً مُخَالَفاً لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِنْ ذَلِكَ، لَوْ وَفَّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرْضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَفَّقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عِلْمِكَ بِالْغَيْبِ؟! إِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ^(١).

تاسعاً: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبَلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٢٢ - ٥٢٣).

غَيْرَ هَذَا لَدَخَلَتِ النَّارَ»^(١).

عاشراً: ذهاب الهم والغم والحزن.

الحادي عشر: من الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدَتْ تبين مدى الإيمان بذلك، فْقَوِيَّ الإيمان لا يفرح بما أُوتِي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٦٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٩٠/٣) (برقم ٣٩٣٢).

الكلمة الثالثة والثمانون

قضاء حوائج الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد حث الشرع الحنيف على نفع الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي إلى تفريج كرباتهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، تحقيقاً لدوام المودة، وبقاء الألفة، وزيادة في روابط الأخوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَفْعَ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ وَالْقُرْبَاتِ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٠).

جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي عنه: قَالَ: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ»^(٣).

قال النووي: «وفي هذا الحديث الحث على الصدقة، والجود، والمواساة، والإحسان إلى الرفقة، والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يُكْتَفَى في حاجة المحتاج بتعرضه للعتاء وتحريضه من غير سؤال»^(٤).

وأبواب نفع الناس كثيرة: كقضاء ديونهم، أو الصدقة على الفقراء منهم، أو تفريج كربهم، أو الصلح بينهم، أو إدخال السرور عليهم،.. وغيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٣٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٢٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢١٩٩).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٢٨).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٣٣/٤).

سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها، ومللها، ونحلها، على أن التقرب إلى رب العالمين، والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه، بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه» (٢). اهـ

ونفع الناس، والسعي في كشف كرباتهم، من صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فالكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما فعله إخوته به جهزهم بجهازهم ولم يبخسهم شيئاً منه، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، فرفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٧٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٠٩) واللفظ له.

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩).

وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (١).

وَكَانَ ﷺ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَاجَةٍ لَمْ يَرِدْ السَّائِلَ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ؟ فَقَالَ: لَا» (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرَضَانًا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ» (٣).

وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم كَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى مَنَهْجِهِ رضي الله عنه، فَيُخْدَمُونَ النَّاسَ وَيَنْفَعُونَهُمْ، فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَسْلَمَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، فَأَنْفَقَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَعْتَقَ سَبْعَةَ كِلْهُم يَعَذَّبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَعْتَقَ بِلَالًا، وَعَامِرَ بْنَ فَهِيرَةَ، وَزَنْبِرَةَ، وَالنَّهْدِيَةَ وَابْتَتَهَا، وَجَارِيَةَ بْنَ مَوْمِلٍ، وَأُمَّ عَبِيسٍ، وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَانَ يَتَعَاهَدُ الْأَرَامِلَ يَسْقِي لَهْنَ الْمَاءِ لَيْلًا، وَرَأَاهُ طَلْحَةَ بِاللَّيْلِ يَدْخُلُ بَيْتَ امْرَأَةٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا طَلْحَةُ نَهَارًا، فإِذَا عَجُوزٌ عَمِيَاءُ مَقْعَدَةٌ، فَسَأَلَهَا: مَا يَصْنَعُ هَذَا الرَّجُلُ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: هَذَا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا يَتَعَاهَدُنِي يَأْتِينِي بِمَا يَصْلِحُنِي وَيُخْرِجُنِي مِنَ الْأَذَى، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ اشْتَرَى بَتْرَ رُومَةَ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، وَجَعَلَهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣١١).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٣٢/١) (برقم ٥٠٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حلالاً
 إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمةً ولست أبغي بما قد قلته بدلاً
 إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبلا
 لا تزهدي الدهر في خير توافقه فكل عبد سيجزى بالذي عملاً

قال علي: علي بالدنانير، فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار، قال: نعم.

قال الذهبي عن شيخ الإسلام رحمته الله ابن تيمية: «وله محبوبون من العلماء، والصلحاء، ومن الجند، والأمراء، ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لرفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه» (٤).

وذكر أحد المشايخ نقلاً عن كاتب الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله أن الشيخ كان يترك صيام النافلة في بعض الأيام ويقول: لأنه يضعفني عن القيام بحوائج الناس، فالصيام نفعه للشيخ

(٤) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٦٧٢).

والأعمال الأخرى المتعدية تنفع الناس.

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي أمامة رضي عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ
 السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» (١).

قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ رضي عنه: مَا أَصَبْتُ وَلَيْسَ عَلَيَّ بِأَبِي صَاحِبُ
 حَاجَةٍ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ، فَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ صَاحِبَ الْحَاجَةِ
 هُوَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ حِينَ أَنْزَلَ حَاجَتَهُ
 بِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي عنه: ثَلَاثَةٌ لَا أَكْفَاهُمْ: رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ،
 وَرَجُلٌ وَسَّعَ لِي فِي الْمَجْلِسِ، وَرَجُلٌ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي الْمَشْيِ إِلَيَّ
 إِرَادَةَ التَّسْلِيمِ عَلَيَّ، فَأَمَّا الرَّابِعُ فَلَا يَكْفِيهِ عَنِّي إِلَّا اللَّهُ، قِيلَ: وَمَنْ
 هُوَ؟ قَالَ: رَجُلٌ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يُفَكِّرُ بِمَنْ يُنْزِلُهُ ثُمَّ رَأَى أَهْلًا
 لِحَاجَتِهِ فَأَنْزَلَهَا بِي.

وليحذر صاحب المعروف من المن، فإنه يفسد العمل،
 ويوغر الصدر ويحبط الأجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
 تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ١٦٤]. قال الشاعر:

أَفْسَدَتِ بِالْمَنِّ مَا أَسَدَيْتَ مِنْ حُسْنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسَدَى بِمَنَانٍ

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

(١) «المعجم الكبير» (٢٦١/٨) (برقم ٨٠١٤)، وقال المنذري في كتابه «الترغيب
 والترهيب» (٦٧٩/١): إسناده حسن. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»
 (برقم ١٩٠٨).

قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». ذَكَرَ مِنْهُمْ: «الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطَى شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ» (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن تعليم الناس العلم الشرعي هو من أعظم النفع، فإن حاجتهم إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وفي الحديث: «إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ» (٢). وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَيَّ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» (٣).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٠٦).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ٣٦٤١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/٦٩٤) (برقم ٣٠٩٦).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦٨٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

الكلمة الرابعة والثمانون

ذم الجبن

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله (الجبن)، قال الفيروزآبادي: الجبن ضعف القلب عما يحق أن يقوى فيه^(١)، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجُبْنِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٢).

قال القاضي عياض: «وكذلك استعاذته ﷺ من الجبن والبخل لما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام في حقوق الله، والغلظة على أهل المعاصي، وتغيير المنكرات، وأداء حقوق المال، إذ بشجاعة النفس المعتدلة يقيم الحقوق، وينصر المظلوم، وبسخاء النفس يؤدي حقوق المال، ويواسي منه ويلم به

(١) «بصائر ذوي التمييز» (١/٣٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٦٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٠٦).

عند الضرورات شعث المساكين، ويؤدي واجب المضطرين»^(١).

وبيّن النبي ﷺ أن الجبن من شر الصفات التي تكون في المرء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحٌّ»^(٢) هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»^(٣).

والجبن من صفات المنافقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. قال ابن كثير: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالأسنة حداد: أي فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة، والنجدة وهم يكذبون في ذلك^(٤). اهـ.

قال الشاعر:

أَفِي السَّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَمْثَالِ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ،
روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢٠٥/٨).

(٢) الشح: أشد البخل وهو البخل مع الحرص. وخالع: أي: شديد، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٨٥/١٣) (برقم ٨٠١٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) «تفسير ابن كثير» (١٣٢-١٣٣).

وَاللَّهُ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسَ نَتَقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ -
يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ومدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل، والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم إلا بالشجاعة والكرم بين الله ﷻ وبينهم، أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]» (٢).

ومما يدل على أن الجبن مما ينافي مكارم الأخلاق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَحِدُونِي بِخِيَلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا» (٣).

قال ابن حجر: «فيه ذم الخصال المذكورة وهي: البخل والكذب

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

(٢) «الاستقامة» (٢/٢٦٣ - ٢٧٠)، باختصار.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٤٨).

والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها»^(١).
 قَالَ أَبُو الزُّنَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ
 بَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ
 ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمحٍ، أَوْ رَمِيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَذَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى
 فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعَيْرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبْنَاءِ»^(٢).

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْجُبْنَ غَرَائِزُ
 يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ شَاءَ، تَجِدُ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ لَا يُبَالِي أَلَّا يَأْتِيَ إِلَى
 أَهْلِهِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ ابْتِغَاءً
 وَجِهَ اللَّهِ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ».

قال الشاعر:

يَفِرُّ جَبَانَ الْقَوْمِ عَنِ ابْنِ أُمِّهِ وَيَحْمِي شُجَاعَ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُلَازِمُهُ

ومن قصص الشجاعة التي تُذكر: ما حصل في غزوة بدر،
 قَالَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَعَلْتُ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ شَأْنِي، فَلَمَّا
 أَمَكَّنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرَبْتُهُ فَقَطَعْتُ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَضْرَبَنِي
 ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي فَطَرَحَ يَدِي وَبَقِيَتْ مُعَلَّقَةً بِجِلْدَةِ بَجْنِي،
 وَأَجْهَضَنِي عَنْهَا الْقِتَالُ، فَقَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي، وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي،
 فَلَمَّا آذَنِي، وَضَعْتُ قَدَمِي عَلَيْهَا، ثُمَّ تَمَطَّاتُ عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا.

قَالَ الدَّهَبِيُّ بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ: هَذِهِ وَاللَّهِ الشَّجَاعَةُ، لَا كَاخِرَ مَنْ

(١) «فتح الباري» (٦/٢٥٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٨٢).

خُدْشَ بِسَهْمٍ، يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ، وَتَخَوُّرُ قِوَاهُ^(١).

قيل لعبد الملك: من أشجع العرب في شعره؟ فقال: عباس ابن مرداس حين يقول:

أَشَدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمَّ سِوَاهَا
وهذا أشجع بيت قالته العرب.

وهذه أبيات في ذم الجبن، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَحِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

وقال آخر:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

وغزالة امرأة شبيب الخارجي، قال ابن كثير: كانت أيضًا شديدة البأس تقاتل قتالًا شديدًا يعجز عنه الأبطال من الرجال، وكان الحجاج يخاف منها أشد الخوف، حتى قال فيه بعض الشعراء وذكر البيتين^(٢).

ومن مفاصد الجبن:

أولاً: أنه من صفات المنافقين التي ينبغي للمؤمن أن يترفع عنها.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٥١).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/٢٧٦).

ثانيًا: أنه لا يؤخر أجلاً، ولا يقرب رزقاً، ونفعاً، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ لَنَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثالثًا: أنه يدل على ضعف الإيمان، والتوكل على الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبِنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) [التوبة: ٥١].

رابعًا: أنه يؤدي إلى التقصير في أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله، ومن أعظمها مجاهدة أهل الباطل، وتغيير المنكرات.

خامسًا: أنه يورث الذل، وضيق الصدر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الشجاع منشرح الصدر، وامتسع القلب، والجبان أضيق الناس صدرًا وأحصرهم قلبًا لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل»^(١). اهـ

سادسًا: أنه يؤدي إلى احتلال الأوطان، وسرقة الأموال، وانتهاك الحرمات.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الخامسة والثمانون

وقفات مع سورة الكافرون

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به فقال ﷺ:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [٢٤] ﴿ [محمد: ٢٤]. ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الكافرون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبَهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [١] ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [٢] ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [٣] ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ [٤] ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [٥] ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [٦] ﴿ [الكافرون: ١-٦].

هذه السورة من السور العظيمة في كتاب الله، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها ومكانتها، وأنها تعدل ربع القرآن، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ يَتَّيِبَهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ عُدَّتْ لَهُ بِرُّعِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ عُدَّتْ لَهُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ» ^(١).

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٨٩٣)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي» (٦/٣) (برقم ٢٣١٧).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ مِنْ قِرَاءَتِهَا، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكَعَتِي الطَّوَافِ (١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكَعَتِي الْفَجْرِ (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ فَرْوَةَ بِنِ نَوْفَلٍ عَنِ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ عِنْدَ مَنْامِكَ﴾ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾، قَالَ: ثُمَّ نَمَّ عَلَيَّ خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ» (٤).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْقِي نَفْسَهُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٧٢٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٠٩-٥١٠/٩) (برقم ٥٦٩٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٤/٣٩) (برقم ٢٣٨٠٧)، وقال الحافظ في «نتائج الأفكار» (٣/٦١-٦٢) [دار ابن كثير]: حديث حسن وفي سنده اختلاف كثير على أبي اسحاق السبيعي، فلذا اقتصر على تحسينه، وحسنه محققو المسند.

الْعَقْرَبَ لَا تَدْعُ مُصَلِّيًا وَلَا غَيْرَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ وَمِلْحٍ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١).

قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَعْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيَزُوجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطُؤُوا عَقْبَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلاَحٌ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتُ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) يعني: من الأصنام والأنداد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣) وهو الله وحده لا شريك له.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ (٤) أي في المستقبل لا أعبد عبادتكم، أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على

(١) «المعجم الصغير» (ص ١١٧)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٨٠) (برقم ٥٤٨).

(٢) «تفسير ابن جرير الطبري» (١٠/ ٨٨١٣).

الوجه الذي يحبه ويرضاه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٥)، أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣) ﴿[النجم: ٢٣]، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كانت كلمة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي لا معبود بحق إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به رسول الله ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٦)، وهو كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١) ﴿[يونس: ٤١]، وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

قال البخاري: يُقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الكفر، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الإسلام، ولم يقل: ديني لأن الآيات بالنون فحذف الياء، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨] (١).

ومن فوائد السورة الكريمة:

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٨٦-٤٨٧).

أولاً: أن فيها الإخلاص لله في العبادة وعدم الإشراك به كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ثانياً: البراءة من الشرك والمشركين، كما قال تعالى عن نبي الله إبراهيم: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [المتحنة: ٤].

ثالثاً: أن الكفار يريدون من المسلمين التنازل والمداهنة في دينهم، ولكن على المسلمين الثبات والاستقامة كما قال تعالى: ﴿ وَدُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَبُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

رابعاً: ظن البعض أن السورة منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يُقرُّون على دينهم وهم أهل الكتاب، قال ابن القيم رحمه الله: «وكلا القولين غلط محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة وعمومها نص محفوظ، وهي من السورة التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم.

ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم، أو إقراراً على دينهم أبداً، فلم يزل رسول الله ﷺ من أول الأمر وأشدّه عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه، والتهديد والوعيد لهم كل وقت، وفي كل ناد، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مضياً على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إن الآية اقتضت تقريراً لهم؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً فإنه دين باطل، فهو مختص بكم لا نشارككم فيه ولا أنتم تشاركوننا في ديننا الحق وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار؟ حتى يدعوا النسخ أو التخصيص، أفنرى إذا جاهدوا بالسيف كما جاهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم عباده وبلاده، وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله ﷺ أهل سننه وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: (لكم دينكم ولنا ديننا) لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم بل يقولون لهم هذا براءة منهم ومن بدعتهم، وهم مع هذا متنصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان»^(١).

(١) «بدائع الفوائد» (٥/٣٥٥).

خامسًا: عصمة الله لنبيه من الوقوع في عبادة الأصنام، وإجابة المشركين إلى اقتراحهم الباطل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة والثمانون

فضائل معاوية بن أبي سفيان

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فحديثنا اليوم عن صحابي جليل، وملك من ملوك الإسلام، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وهو أول من غزا البحر، قال عنه النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهِدًا بِهِ»، وهو خال المؤمنين، وكتب وحي رسول رب العالمين، وقد أسلم عام الفتح.

إنه أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة، وكان معاوية أبيض طويلاً جميلاً، حليماً، وقوراً، سيداً في قومه، كريماً، عادلاً، شهماً، قَالَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ: كَانَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ يَمْشِي مَعَ أُمِّهِ هِنْدٍ فَعَثَرَ فَقَالَتْ: قُمْ لَا رَفْعَكَ اللَّهُ، وَأَعْرَابِيٌّ يَنْظُرُ فَقَالَ: لِمَ تَقُولِينَ لَهُ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّهُ سَيَسُودُ قَوْمَهُ، قَالَتْ: تَكَلِّتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِّ إِلَّا قَوْمَهُ.

كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية، وتفرد فيهم بالسؤدد بعد يوم بدر، ثم لما أسلم حسن إسلامه، وكانت له مواقف شريفة،

وأثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله، وما بعده^(١).

وكانت لهذا الصحابي الجليل فضائل عديدة عامة، وخاصة، أما العامة فهي التي وردت في فضائل الصحابة، ولا شك أن معاوية داخل في هذا الفضل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما صحَّ في مناقب الصحابة على العموم ومناقب قريش، فمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ داخل فيه»^(٢).

أما الأدلة الخاصة: فمنها دعاء النبي ﷺ له، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ»^(٣).

ومن مناقبه: أنه أول من غزا البحر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ خَالَتِهِ أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ، قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: فَارْكَبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»^(٤).

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٧).

(٢) «المنار المنيف» (ص ١١٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٤٢٦/٢٩) (برقم ١٧٨٩٥)، وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا سعيد بن عبد العزيز. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في «الصحيح» (٤/٦١٦).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٨٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩١٢).

هذا الحديث فيه منقبة لها وله رضي عنه: فإنه أول من غزا البحر في زمن عثمان بن عفان (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم حرام بنت ملحان رضي عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا» (٢). ومعنى «أوجبوا»: أي: وجبت لهم الجنة.

ومن مناقبه: أنه أحد كتاب الوحي، ففي صحيح مسلم: «أن أبا سفيان والد معاوية طلب من النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور، منها: أن يجعل معاوية كاتباً، وقد أجابه صلى الله عليه وسلم» (٣).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أذهب فادع لي معاوية. وكان كاتبه» (٤).

قال ابن كثير: صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب (٥).

ومن مناقبه: أنه خال المؤمنين، قال الإمام أحمد في السنة:

(١) «فتح الباري» (٦/٧٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٩٢٤).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٠١).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤/٣٩٧-٣٩٨) (برقم ٢٦٥١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٥) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٧).

سائل يقول: «أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين؟ قال: نعم معاوية أخو أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ورحمهما، وابن عمر أخو حفصة زوج النبي ﷺ ورحمهما»^(١).

ومنها: أنه شهد مع رسول الله ﷺ حُنَيْنًا، والطائف، وتبوك، وحج معه حجة الوداع.

ومنها: أن عمر رضي الله عنه ولَّاه على الشام، وأمره عثمان رضي الله عنه على الشام عشرين سنة فضبطه، ولم يعرف عنه عجز، ولا خيانة.

قال الذهبي: حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرةً منه وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعود. وكان محببًا إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك^(٢).

(١) «السنة» (٢/٤٣٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٣٢-١٣٣).

ومنها: أنه من خير الملوك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم، ونفع المسلمين ما يُعلم أنه كان خيراً من مُلكِ غيره»^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين»^(٢). وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من دهاة العرب، وقد اشتهر بالحكمة والحلم والمروءة، وسياسة الأمور.

فمن أقواله العظيمة أنه كَانَ يَقُولُ: المُرُوَّةُ فِي أَرْبَعٍ: العَفَافُ فِي الإِسْلَامِ، وَاسْتِصْلَاحُ المَالِ، وَحِفْظُ الإِخْوَانِ، وَحِفْظُ الجَارِ، وَقَالَ أَيضًا: أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَقَلَ وَحَلَّمَ، وَمَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ، وَإِذَا قَدِرَ غَفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ: مَنْ أَسْوَدُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: أَسْخَاهُمْ نَفْسًا حِينَ يُسْأَلُ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي المَجَالِسِ خُلُقًا، وَأَحْلَمُهُمْ حِينَ يُسْتَجْهَلُ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيرًا:

فَمَا قَتَلَ السَّفَاهَةَ مِثْلُ حِلْمٍ يَعُودُ بِهِ عَلَى الجَهْلِ الحَلِيمِ
فَلَا تَسْفَهُ وَإِنْ مُلِئْتَ غَيْظًا عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الفُحْشَ لَوْمٌ

(١) «الفتاوى» (٤/٤٧٨).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/٣٠٢).

وَلَا تَقْطَعِ أَخَاكَ عِنْدَ ذَنْبٍ فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الْكَرِيمُ
 وكتب معاوية إلى نائبه زياد: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَسُوسَ النَّاسَ
 سِيَاسَةً وَاحِدَةً، بِاللَّيْنِ فَيَمْرَحُوا، وَلَا بِالشَّدَّةِ فَتَحْمَلَ النَّاسَ عَلَى
 الْمَهَالِكِ، وَلَكِنْ كُنْ أَنْتَ لِلشَّدَّةِ، وَالْفَظَاظَةِ، وَالغِلْظَةِ، أَكُنْ أَنَا لِلَّيْنِ
 وَالْأُلْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَافَ خَائِفٌ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُهُ^(١).

وسئل الإمام أحمد عن رجل انتقص معاوية، وعمرو بن
 العاص: أيقال له: رافضي؟ قال: إنه لم يجترىء عليهما إلا وله
 خبيثة سوء، ما انتقص أحد أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا له
 داخله سوء^(٢)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»^(٣).

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: «مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا
 بَكْرٍ، أَوْ عُمَرَ، أَوْ عُثْمَانَ، أَوْ عَلِيًّا، أَوْ مُعَاوِيَةَ، أَوْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ،
 فَإِنَّ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ
 مُشَاتِمَةِ النَّاسِ نُكِّلَ نَكَالًا شَدِيدًا»^(٤).

وأما ما حصل بين معاوية وعلي من قتال، فقد قال شيخ الإسلام
 ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم
 أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين، إما مصيبين

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٦-٤٦٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/٤٥٠).

(٣) قطعة من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٥١)، و«صحيح مسلم» (برقم
 ٢٥٣٣).

(٤) «الشفاء في حقوق المصطفى» للفاضي عياض (٢/٣٠٨).

لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح، مغفور لهم خطوهم، وما كان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفر لهم: إما بتوبة، أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة»^(١) كَمَا قَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي الَّذِينَ بَقِيَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٢).

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومن السنة تولى أصحاب رسول الله، ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم»^(٣). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٤)»^(٥).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «الفتاوى» (٤٠٦/٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «لمعة الاعتقاد» (ص ٣١).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٧٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٤١).

(٥) انظر: كتاب أخينا الشيخ سعد السبيعي: «سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)».

الكلمة السابعة والثمانون

من مشاهد القيامة القنطرة بين الجنة والنار

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ»: أي: بعدما ينجون من الصراط الذي يمرون عليه بحسب أعمالهم، قال القرطبي: «هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم»^(٢). اه، لأنه إذا استنفذ القصاص حسناتهم لم يبق لهم حسنات يدخلون بها الجنة.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٣٥).

(٢) «التذكرة» (ص ٢٩٢).

وقال ابن حجر: «لعل أصحاب الأعراف منهم على القول المرجح وهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله»^(١).

قوله ﷺ: «فِيْحَبْسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»: القنطرة هي جسر مقوس مبني فوق النهر يُعبر عليه^(٢).

قد يقول قائل: كيف القنطرة وكيف يكون القصاص فيها، وهل هناك قصاص آخر غير القصاص الذي في عرصات يوم القيامة؟ الجواب عن ذلك: أن هذه أمور غيبية نؤمن بها ولا نطلب العلم بكيفيتها، فلا نعلم كيفية الصراط وحقيقته، ولا القنطرة، وكيف يحبسون عليها؟ فحقائق الآخرة لا يعلمها إلا الله، وسيدرك الناس ذلك يوم القيامة إذا رأوا هذه الأمور وعابنوها.

قال ابن كثير: «القنطرة تكون بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، ولا نعلمه نحن. والله أعلم»^(٣).

قال ابن حجر: «وقد اختلف العلماء هل القنطرة هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أو هي جسر مستقل، ورجح القرطبي الثاني»^(٤).

(١) «فتح الباري» (١١/٣٩٩).

(٢) «المعجم الوسيط» (ص ٧٦٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٢٠/١٠١).

(٤) «فتح الباري» (١١/٣٩٩).

قوله ﷺ: «فَيَقْصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»: قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص لأجل أن يذهب الغل، والحق، والبغضاء التي في قلوب الناس فيكون هذا بمنزلة التنقية، والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل»^(١). كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «النفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد أو غير ممكن، بل إذا كان في النفس خبث طهرت، وهذبت حتى تصلح لسكنى الجنة، والتهديب التخليص كما يهذب الذهب فيخلص من الغش، يشير إلى قوله ﷺ: «حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا» فتبين أن الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهديب والتنقية من بقايا الذنوب، فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط»^(٢). اهـ

فإذا دخل المؤمنون الجنة توجهوا إلى قصورهم ومنازلهم فرحين بما أعطاهم الله، يعرفون مواضعها، ويستدلون على مكانها أكثر مما يستدلون على بيوتهم في الدنيا.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٦٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/٣٤٥).

ومن فوائد الحديث:

١- عدل الله التام: فلا يدخل المؤمن الجنة وله مظلمة عند أخيه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن أنيس رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاءَ غُرْلًا بُوْهُمَا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُوْهُمَا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ [بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ بِزُجْرَانٍ عُرَاءَ غُرْلًا بُوْهُمَا؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»^(١). بل حتى البهائم يقتص من بعضها البعض، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَوُدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(٢).

٢- أنه يجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة حيث لا درهم، ولا دينار، وإنما هي الحسنات والسيئات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٣٢/٢٥) (برقم ١٦٠٤٢)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٢).

لأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحَمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

٣- أن الجنة لا تدخلها نفس خبيثة وإنما نفس طيبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢) [النحل: ٣٢].

٤- أن من لوازم نعيم الجنة ذهاب ما في القلوب من الغل، والحقد والبغضاء حتى تكتمل اللذة، وتحصل السعادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثامنة والثمانون

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالملائكة وهو ركن من أركان الإيمان الستة، والملائكة عالم مخلوقون من نور، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(١).

والملائكة عباد الله، مكلفون بالعبادة، وهم خاضعون لله أتم الخضوع، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فنؤمن بأسماء من علمنا بأسمائهم ونؤمن بوظائف من علمنا بوظائفهم، وهم أجساد، بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاث، وأربعة، وأكثر من ذلك، خلافاً لمن قال: إنهم أرواح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)
[فاطر: ١]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٩٦).

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»^(١). وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يملون، ولا يتعبون، يقومون بعبادة الله وطاعته والتقيد بأوامره بلا كل ولا ملل، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصفهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ومعنى لا يفترون: أي لا يَصْعُقُونَ عن ذلك، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. أي: لَا يَمْلُونَ.

ولكل واحد منهم وظائف خصه الله بها، أخلاقهم، وأفعالهم بارة طاهرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [١٥] كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ [عبس: ١٥-١٦]. جبلهم الله على الحياء، روى مسلم في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»^(٢).

فجبريل: موكل بالوحي ينزل به من الله تعالى إلى الرسل، وإسرافيل: موكل بنفخ الصور، وميكائيل: موكل بالقطر والنبات.... وهؤلاء الثلاثة كلهم موكلون بما فيه حياة، فجبريل: موكل بالوحي، وفيه حياة القلوب، وميكائيل بالقطر والنبات، وفيه حياة الأرض، وإسرافيل بنفخ الصور وفيه حياة الأجساد يوم المعاد...

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٨٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٤).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٤٠١).

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَسَّلُ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُمْ فِي دُعَاءِ
الِاسْتِفْتَاكِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،
وَإِسْرَافِيلَ... الْحَدِيثُ» (١).

ومنهم من وُكِّلَ بقبض أرواح بني آدم، أو بقبض روح كل ذي
روح وهم ملك الموت، وأعوانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ
الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (١١) ﴿الأنعام: ٦١﴾.

ومنهم ملائكة سيّاحون في الأرض يلتمسون حلق الذكر،
وكذلك ملائكة يكتبون أعمال الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) ﴿كِرَامًا كَنِينِينَ﴾ (١١) ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) ﴿الانفطار: ١٠-١٢﴾.

ومنهم ملائكة يتعاقبون على بني آدم بالليل والنهار، روى
البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ،
وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ» (٢).

وآخرون موكلون بالنار وعددهم تسعة عشر، قَالَ تَعَالَى:
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) ﴿المدثر: ٣٠﴾. وكبيرهم اسمه مالك خازن النار.

وملك الجبال الذي ورد ذكره في صحيح مسلم عندما سَلَّمَ
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ.. (٣). والملائكة الذين في

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٧٧٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٣٢).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٥).

كل سماء، وهم في صنوف من العبادات، منهم من هو قائم لله أبداً، ومنهم من هو راعٍ له أبداً، ومنهم من هو ساجد أبداً، ومنهم من هو في ألوان من الطاعات أحر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات: ١٦٤]. أي: موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة، لا يتجاوزه ولا يتعداه (١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ (٢) السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ (٣) تَجَارُونَ (٤) إِلَى اللَّهِ» (٥).

وهم على درجات ومقامات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات: ١٦٤]. ومنهم الملائكة المقربون، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]. وأفضلهم جبريل عليه السلام، وصفه الله بأنه روح القدس،

(١) «تفسير ابن كثير» (١٢/٦٣).

(٢) أَطَّتْ: قال ابن الأثير في «النهاية» (١/٥٤): الأيطط: صوت الأقتاب، والقَتَب: صوت الرجل.

(٣) الصعدات: أي الطرقات.

(٤) تجارون: قال في النهاية في غريب الحديث: الجوار: رفع الصوت والاستغاثة (١/٢٣٢).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٣٥/٤٠٥) (برقم ٢١٥١٦)، وقال محققوه: حسن لغيره.

وأنه الروح الأمين، وأنه ذو قوة مكين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]. أي: له مكانة، ومنزلة عالية رفيعة عند الله.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام مُنْهَبَطًا قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَيْهِ ثِيَابُ سُنْدُسٍ، مُعَلَّقًا بِهِ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣-١٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحَ يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتُ - أَيِ الْأَشْيَاءِ الْمَخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ - الدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ» (٢).

وأفضل الملائكة من شهد بدرًا، روى البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن رفاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ عَنِ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ: أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَيُكْفَمُ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ» (٣).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٧٨/٤١) (برقم ٢٤٨٨٥)، وقال محققوه: صحيح دون قوله: «عليه ثياب سندس، معلقًا به اللؤلؤ والياقوت»، فصحيح لغيره.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣١/٧) (برقم ٣٩١٥). قال ابن كثير: إسناده جيد قوي، «تفسير ابن كثير» (٢٦١/١٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٩٢).

أما خلقهم فهو خلق عظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]. روى أبو داود في سننه من حَدِيثِ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ أَحَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(١).

أما عددهم فخلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

وفي رواية مسلم: «لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ». قال ابن حجر: واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر^(٣). اهـ.

والملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور، أو تماثيل، أو كلاب، كما روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ»^(٤)، وفي رواية:

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٧٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٢/١) (برقم ١٥١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٢).

(٣) «فتح الباري» (٧/٢١٥).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٦).

«التَّمَاثِيلُ» (١).

والملائكة يُؤْمِنُونَ على قراءة المصلي ويقولون: ربنا ولك الحمد، ويدعون لمنتظر الصلاة، ويستغفرون للمؤمنين، ويدعون لهم بدخول الجنان، ويلعنون الكفرة ومن آوى محدثاً، أو رفع على أخيه السلاح، والمرأة التي تهجر فراش زوجها، ويصلون على معلمي الناس الخير كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة.

الخلاصة: أن على المؤمن أن يؤمن بهؤلاء الملائكة ويحبهم، ويعرف لهم قدرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]. وعليه أن يجتنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم، وأعظم ذلك الكفر، والشرك، والمعاصي، وهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم: من الرائحة الكريهة، والأقذار، والأوساخ، والبصق على اليمين في الصلاة، وقد صحت الأدلة بذلك (٢)(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٧).

(٢) انظر: «عالم الملائكة» للشيخ عمر الأشقر.

(٣) «الخطب المنبرية» د. عبد المحسن القاسم (١/٢٢-٢٧).

الكلمة التاسعة والثمانون

فضائل الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن لبلاد الشام مناقب كثيرة ثبتت في الكتاب والسنة، وذكرها أهل العلم في كتبهم، فمن تلك المناقب:

أولاً: البركة فيها وثبت ذلك في خمس آيات:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قال جمع من المفسرين: إنها بلاد الشام.

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وحوله أرض الشام، وكان هذا في الإسراء.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [٧٠] وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ [٧١]. [الإسراء: ١] ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطًا إلى أرض الشام، مهاجرًا من أرض العراق.

٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ ﴿٨١﴾ [الأنبياء: ٨١]. وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ سَبَأَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [سبأ: ١٨]، قال جمع من المفسرين: يعني قرى الشام، فكانوا يسيرون من اليمن إلى الشام، والقرى التي بورك فيها الشام، والأردن، وفلسطين، ومعنى ظاهرة: أي متواصلة.

فهذه خمس آيات في بركة الشام، الأولى في انتقال بني إسرائيل إليها، والثانية مسرى الرسول ﷺ إليها، والثالثة هجرة إبراهيم إليها، والرابعة مملكة سليمان بها، والخامسة مسير سبأ إليها، وصفها ﷺ بأنها الأرض التي بارك فيها.

وفيها أيضًا الطور الذي كلم الله عليه موسى، والذي أقسم الله به في سورة الطور، فقال: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ [التين: ١-٢]. وذكر المفسرون أن المراد بالبركة بركة الدنيا، وذلك بكثرة الأقوات، والثمار، والأنهار والزرع، وسعة الأرزاق، وقال بعضهم: بركة الدين لأنها مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة والوحي، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيًا»^(١)، والصحيح أن ذلك يشمل الأمرين معًا، وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ

(١) «شرح النووي» (٦/٢٠٦).

رَبَّهُ لِلشَّامِ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا»^(١).

ثانياً: أن الشام أرض المحشر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]. استدل بهذه الآية جمع من أهل العلم (القرطبي، وابن كثير، وابن حجر) على أن الشام أرض المحشر، فالحشر الأول حصل لليهود بنفيهم إلى الشام، والثاني سيكون للناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنِ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، ثَلَاثًا، رُكْبَانًا، وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ.. ثم آخر الحديث، قَالَ ابْنُ بَكَيْرٍ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ: إِلَى هَا هُنَا تُحْشَرُونَ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقد دل الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس، والعقل، وكشوفات العارفين أن الخلق، والأمر، ابتداء من مكة أم القرى فهي أم الخلق، وفيها ابتدئت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون، ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٣٧).

(٢) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢١٤/٣٣) (برقم ٢٠٠١١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها في بيت المقدس وما حوله يعود الخلق، والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام»^(١). اهـ.

ثالثاً: أن الملائكة باسطو أجنحتها للشام:

وهذا في حال السلم، فكيف بحال الحرب، روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ، قُلْتُ: مَا بَالُ الشَّامِ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ»^(٢).

رابعاً: أن الله تكفل بالشام وأهله:

روى أبو داود في سننه من حديث ابن حوالة رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ. قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَدْرَكَتُ ذَلِكَ. فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ لِلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْتُوا مِنْ عُذْرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ

(١) الفتاوى (٢٧/٤٣-٤٤).

(٢) طوبى: قال المباركفوري: أي: راحة وطيب عيش حاصل لها ولأهلها.

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٥٤). و«مسند الإمام أحمد» (٤٨٣/٣٥) (برقم ٢١٦٠٦)،

وقال محققوه: حديث صحيح.

وَأَهْلِهِ» (١).

خامساً: أن عمود الكتاب والإسلام بالشام:

روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتَزَعَتْ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي، فَانْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بِالشَّامِ» (٢). وَعَمُودُ الْكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَهُمْ حَمَلَتُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ (٣).

سادساً: أن الطائفة المنصورة من الشام:

روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده من حديث معاوية ابن قرة، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٢٤٨٣). قوله: «فَعَلَيْكُمْ بِبَيْمَنِكُمْ»: أي: فالزموا اليمن، مِنْ عُدْرِكُمْ: كصرد جمع غدير وهو الحوض، تَوَكَّلْ: أي تكفل وضمن (لي) بالشام) بأن لا يخربه بالفتنة، (وَأَهْلِهِ) أي: تكفل لي بأهل الشام بأن لا تصيبه الفتنة، ولا يهلك الله بالفتنة من أقام بها. «عون المعبود» لشمس الحق العظيم آبادي (٧/١١٦).

(٢) «مستدرک الحاكم» (٧١٢-٧١٣/٥) (برقم ٨٦٠١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لأحاديث «فضائل الشام للربيعي» (ص ٨٥).

(٣) «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/٤٢).

(٤) مسند أحمد (٣٦٣/٢٤) (برقم ١٥٥٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح. و«سنن الترمذي» (برقم ٢١٩٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١). وَأَهْلُ الْغَرْبِ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَيَّدَهُ فِي ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ^(٢).

سابعًا: وصية النبي ﷺ بالتوجه إلى الشام:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتِ، أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتِ تَحْشُرُ النَّاسَ. قَالُوا: فِيمَ تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلَيْنَكُمْ بِالشَّامِ»^(٣).

ثامنًا: مدح النبي ﷺ للشام وأنها خير المنازل:

روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ^(٤) الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»^(٥).

وفي رواية: «يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٩٢٥).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٩-٨٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٤٥/٩) (برقم ٥١٤٦)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الفسطاط بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وكذلك الخيمة الكبيرة ومنها فسطاط مصر، فإن البلد أقيم مكان فسطاط (خيمة) عمرو بن العاص فاتح مصر رضي الله عنه. «المعجم الوسيط» (ص ٦٨٨)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤٤٥/٣).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٤١٢/٣٩) (برقم ٢٣٩٨٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. و«سنن أبي داود» (برقم ٤٢٩٨).

بَأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ»^(١).

تاسعاً: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالشام:

روى مسلم في صحيحه من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»^(٢).

عاشراً: هلاك المسيح الدجال يكون في الشام:

روى مسلم في صحيحه من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا ذَكَرَ وُصُولَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ، قَالَ: «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»^(٣).

الحادي عشر: أنها عُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»^(٤). قال ابن الأثير: عُقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ الشَّامُ، أَي: أَصْلُهُ وَمَوْضِعُهُ، كَأَنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى وَقْتِ

(١) مستدرک الحاكم (٥/٦٨٤) (برقم ٨٥٤٣)، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٩٧).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٨/١٦٥) (برقم ١٦٩٦٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

الفتن أي يكون الشام يومئذ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم^(١).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على المناقب السابقة من
الكتاب والسنة وآثار العلماء: «وهي أحد ما اعتمده في تحضيبي
للمسلمين على غزو التتار وأمري لهم بلزوم دمشق ونهبي لهم عن
الفرار إلى مصر، واستدعائي للعسكر المصري إلى الشام، وتثبيت
العسكر الشامي فيه، وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على
أكمل الوجوه في جهادنا للتتار، وأظهر الله للمسلمين صدق ما
وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به، وكان ذلك فتحاً عظيماً ما رأى
المسلمون مثله مثل صرح مملكة التتار التي أذلت أهل الإسلام فإنهم
لم يهزموا أو يغلّبوا كما غلبوا على باب دمشق في الغزوة الكبرى
التي أنعم الله علينا فيها من النعم بما لا نحصيه خصوصاً وعموماً.

يشير بذلك إلى معركة شقحب^(٢) سنة (٧٠٢هـ) في شهر
رمضان التي انتصرت فيها الجيوش المصرية والشامية بقيادة الملك
الناصر قلاوون وحضور الخليفة وسكان دمشق على التتار^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٢٧١).

(٢) شقحب: عين ماء حولها مرج جنوبي دمشق على يمين الذهاب إلى حوران بعد الكسوة.

(٣) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٨٦-٨٧).

الكلمة التسعون

تأملات في سورة التين

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل القرآن العظيم لتدبره والعمل به قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤] ﴿ محمد: ٢٤ ﴾، ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم العظيمة والفوائد الجليلة سورة التين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ٨ ﴾ [التين: ١-٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ»^(١). فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ ١ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٦٤).

ومجاهدٌ وغيرهم: «هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]»^(١).

قال القرطبي: «﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يريدُ شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار»^(٢).

وقال بعض المفسرين: وإنما أقسم الله بالتين لأنه كان ستر آدم في الجنة لقوله تَعَالَى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وكان ورق التين والزيتون شجرة مباركة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وينتفع به في الدهن والاصطباغ كما يسرج به فهو أضوأ وأصفى الأدهان، ويستعمل حطب هذه الشجرة للوقود، كما أن للزيتون فوائد طبية عظيمة، وقد ذكر في مزاياها أنها شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها، وأن زيتها لا يحتاج في استخراجها إلى إعصار، بل كل أحد يستخرجه بسهولة، كما أنه يُعالج القروح والجراحات^(٣).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣٦٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/٢٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٢/٤٧)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٦/٤٣)، «التبرك أنواعه وأحكامه» (ص ١٨٨).

روى الترمذي في سننه من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُوا مِنَ الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ
 مُبَارَكَةٍ» (١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴾ (٢) هو الجبل الذي كلم الله عليه
 موسى عليه السلام، وإنما أقسم بالجبل لأنه بالشام وبالأرض المقدسة
 وقد بارك الله فيهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا
 مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (٣) هو مكة، قال ابن كثير:
 ولا خلاف في ذلك، وقد أقسم الله بمكة لأنها أحب البقاع إلى الله،
 وأشرف البقاع عند الله.

وقد أقسم الله بهذه الأشياء الأربعة: التين، والزيتون، وطور
 سينين، والبلد الأمين.

قال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد
 منها نبياً مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول:
 محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى
 ابن مريم، والثاني: طور سينين، وهو الذي كلم الله فيه موسى بن
 عمران، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ١٨٥١)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة
 (٧٢٤/٢) (برقم ٣٧٩).

وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٤) هذا جواب القسم، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنهما، قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٥) [الإنسان: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٥) أي: إلى النار، قال ابن كثير: ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(٦) أي: غير منقوص ولا منقطع.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾^(٧) أي: فأي شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذا البيان لا تصدق بيوم الحساب وقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٩٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٢/٣٦٨ - ٣٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٩٥).

الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا.

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٨) أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧) [الأنبياء: ٤٧].

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(١).

اللهم اجعل هذا القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وقائدنا ودليلنا إلى جناتك جنات النعيم، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يرضيك عنا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٢).

الكلمة الحادية والتسعون

الفقراء والضعفاء

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله بحكمته وعلمه فاضل بين عباده بالفقر، والغنى، فأغنى من شاء وأفقر من شاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الْقَرْيَةِ وَالْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَي: نبتليكم بالشر والخير أي بالشدة والرخاء، والصحة، والسقم، والغنى، والفقر، والحلال، والحرام، والطاعة، والمعصية، والهدى، والضلال، وهذا من تمام حكمته ورحمته بخلقه، فلو أغنى الناس جميعاً لبغوا في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

والفقراء هم أول من يدخل الجنة، روى الإمام أحمد في مسنده من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الشُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ

أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ»^(٢).

والفقراء هم أكثر أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمران رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النَّسَاءَ»^(٣).

والفقراء هم أتباع الأنبياء والرسول: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ هِرَقْلَ مَلِكَ الرُّومِ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هَلْ هُمْ أَشْرَافُ النَّاسِ، أَوْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ فَقَالَ: بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ، فَقَالَ: هُمْ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ»^(٤).

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بملازمة الفقراء، والضعفاء، والمكث معهم، فإن ذلك أبعد عن مظاهر الدنيا وفتنتها، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سِتَّةِ نَفَرٍ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ:

(١) «مسند الإمام أحمد» (١١/١٣١) (برقم ٦٥٧٠)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥١٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٣٧).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٧).

وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسِيتُ
اسْمَيْهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ
نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْتَثِلُ أَمْرَ رَبِّهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا،
وَأَمْتِنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وقد ابتلي النبي ﷺ وأصحابه بالجوع الشديد فصبروا حتى
أغناهم الله، روى مسلم في صحيحه من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ الْيَوْمَ يَتَلَوَّى، مَا يَجِدُ دَقْلًا (٣) يَمَلَأُ
بَطْنَهُ (٤).

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضِعْفَاءَ
الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ (٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ، يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٤١٣).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٥٢)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي»
(٢/٢٧٥) (برقم ١٩١٧).

(٣) الدَّقْلُ: التمر الرديء.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٨).

(٥) «مستدرک الحاكم» (٣/٢٧٠) (برقم ٣٧٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع
الصغير» (برقم ٤٨٧٧).

قُبْضُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

قال ابن كثير في قوله تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) [الضحى: ٨]. أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ، وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمُصُّ الْجِلْدَ، وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ (٣).

وَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ (٤).

وَيَقُولُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنْ أَحَدْنَا لِيَضْعُ كَمَا يَضْعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خَلْطٌ، قَالَ الشُّرَّاحُ: أَي: لِحِفَافِهِ وَيُسْبِهِ (٥).

وقد يحتقر الفقير في مجتمعه ولكنه عند الله بمنزلة عظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديثِ سَهْلِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٣٧٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٠) واللفظ له.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٨٥/١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٥٩).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٥٢).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٣٧٢٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٦٦).

قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلِ هَذَا» (٦).

وأخبر النبي ﷺ أن الرزق والنصر يكون بسبب الضعفاء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغُونِي ضِعْفَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزُقُونَ، وَتُنْصَرُونَ بِضِعْفَائِكُمْ» (٧).

وبين النبي ﷺ أن الساعي على الأرملة، والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالصائم القائم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ، وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْطُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ» (٨).

وبين النبي ﷺ أن شر الطعام طعام الوليمة التي لا يدعى إليها

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٤٧).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٦٠/٣٦) (برقم ٢١٧٣١)، وقال محققوه: إسناده صحيح. وأصل الحديث في البخاري (برقم ٢٨٩٦).

(٨) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٠٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٨٢) واللفظ له.

الفقراء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ»^(١).

وما تقدم ذكره من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتضمن التنبيه على حال طائفة من المسلمين ابتلوا بالفقر، والضعف، فصبروا، واحتسبوا، ورضوا بما كتب الله لهم، أما المسألة المشهورة وهي التفضيل بين الغنى والفقر فقد اختلف فيها أهل العلم، والذي يترجح فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، ولتفصيل ذلك مكان آخر^(٢).

وخيرُ الفقراءِ الْمُتَعَفِّفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، قَالُوا: فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا»^(٣).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٤٣٢).

(٢) انظر: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم رحمته الله.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٧٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٣٩).

فَأْتَتْهُ: يُرَوَى عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: صَحِبْتُ
الْأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَكْبَرَ هَمًّا مِنِّي، أَرَى دَابَّةً خَيْرًا مِنْ دَابَّتِي، وَثَوْبًا
خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي، وَصَحِبْتُ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتُ^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن الترمذي» (ص ٣٠٤).

الكلمة الثانية والتسعون

الإيمان بالكتب السابقة وآثاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن أركان الإيمان الستة التي يجب على المؤمن الإيمان بها: الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والإيمان بالكتب المنزلة على الرسل هو التصديق بأن هذه الكتب من عند الله أرسل بها رسله إلى الخلق لهدايتهم، وإقامة العدل بينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَفَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمي الله تعالى منها في كتابه من التوراة، والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله،

وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتهم من عند الله، وأنها حق، وهدى، ونور، وبيان، وشفاء»^(١).

قال تعالى عن التوراة وهي أعظم كتب بني إسرائيل أنزلها الله على موسى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، قال جمع من المفسرين: إنها التوراة^(٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: المكتوب فيها من التوراة من كلام رب العالمين، وفيه ﴿ هُدًى ﴾ أي: دلالة وإرشاد إلى الخير، ورحمة تقي عذاب الله، وسخطه لمن عمل به^(٣)، وقيل: إن التوراة هي صحف موسى».

أما الإنجيل فهو الذي أنزل على عيسى وهو مصدق للتوراة، و متمم لها، قال تعالى عنه: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦]، قال ابن

(١) «العقيدة الطحاوية» (٢/٤٢٤-٤٢٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٢٨).

(٣) «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٤/١٩٠).

كثير: «وجعلنا الإنجيل هدىً يهتدى به، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: وزاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم»^(١).

والزبور هو الكتاب الذي أنزله الله على داود، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. وصحف إبراهيم هي الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [١٨] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [١٩] ﴿[الأعلى: ١٨-١٩].

والكتب السماوية السابقة أصابها التحريف، والتبديل، والتغيير، قال تعالى عن اليهود الذين نزلت عليهم التوراة: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُوْتُوهُ فَأَحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «الصحیح أنها نزلت في اليهودیین اللذین زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم، فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم، والإركاب على حمار مقلوبين»^(٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. وساق القرطبي في تفسيره إلى يحيى ابن

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٢٠).

أكرم، قال: كان للمأمون - وهو أمير إذا ذاك - مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثياب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: فتكلم، فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم، قال له: أسلم حتى أفعل لك وأصنع، ووعدته، فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف، قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون وقال: ألت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها، فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكرم: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله ﷻ، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله ﷻ: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال ﷻ عن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

لَهُ لِحَفْظُونَ ﴿٩﴾ [الحجر: ٩]، فحفظه الله ﷻ علينا فلم يضع (١).
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
 تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ
 لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

والكتب السابقة كانت وقتية، وخاصة بالأمم التي نزلت فيها،
 ولذلك لم تأخذ صفة الدوام، ولا تكفل الله بحفظها.

وقد بشرت الكتب السابقة بالنبى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قال ابن كثير: «وهذه صفة محمد ﷺ
 في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثته، وأمروهم بمتابعتة، ولم تنزل
 صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماءهم، وأخبارهم» (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾
 [البقرة: ١٤٦]. ففي هذه الآية يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب
 يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم
 ولده (٣). روى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار
 قَالَ: «لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ
 صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ١٨٠-١٨١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٠٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢١).

التَّوْرَةَ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا. وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِطْرٍ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» (١).

والقرآن آخر هذه الكتب وهو كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود، وبه نسخت جميع الرسالات، والكتب التي قبله، وقد أنزله الله على نبينا محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولا ينبغي للمؤمن الاشتغال بالكتب السابقة، والقراءة فيها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَعُضِبَ وَقَالَ: أُمَّتَهُوْكَونَ (٢) فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذَّبُوا بِهِ، أَوْ بِاطِلٍ فَتُصَدَّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢١٢٥).

(٢) قال أبو عبيدة: يقول: أُمَّتَحَيَّرُونَ أَنْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ، لَا تَعْرِفُونَ دِينَكُمْ حَتَّى تَأْخُذُونَهُ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؟! «غريب الحديث» (٢٩/٣).

بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

من آثار الإيمان بالكتب السابقة:

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

٢- ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم، مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

٣- المستند لهذه الأمة في شهادتها على الأمم السابقة، أن الله أقام عليها الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

٤- أن الإيمان بالكتب السابقة المنزلة على الرسل لا يقتضي إقرار ما يوجد بأيدي اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل، فإنها بدلت وحرفت، والذي لم يصل إليه التحريف نسخ بالقرآن وهذا بيان من اللجنة الدائمة لموقف المسلم من هذه الكتب والأديان السماوية السابقة، وقد اشتمل على إيضاح أن الدعوة إلى وحدة الأديان كفر صريح وردة عن الإسلام:



(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٢٣) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ «(٦/٣٤-٣٦) (برقم ١٥٨٩).

وحدة الأديان الفكر الهدام

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى «وحدة الأديان»: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن، والإنجيل في غلاف واحد إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يُعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق، والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: فإن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة: والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل، والشرائع، فلم يبق على وجه

الأرض دين يُتَعَبَدُ اللهُ به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإسلام بعد بعثة محمد هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى «القرآن الكريم» هو آخر كتب الله نزولًا: وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة، والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبقَ كتابٌ يُتَعَبَدُ به سوى «القرآن الكريم». قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يجب الإيمان بأن «التوراة» و«الإنجيل» قد نُسخَا بالقرآن الكريم: وأنه قد لحقهما التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم.

منها: قول الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله ﴿بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله ﴿بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [البقرة: ٧٩]، وإنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ

الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرّف، أو مبدّل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ غَضِبَ حِينَ رَأَى مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِيفَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّوْرَةِ، وَقَالَ ﷺ: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أَلَمْ آتِ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً؟! لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» (١).

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبًا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه - وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك - كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ونبي الله عيسى ﷺ إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد وحاكمًا بشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿ قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام: من اليهود، والنصارى، وغيرهم وتسميته كافرًا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ١]، وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦] وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» (١).

ولهذا: فمن لم يُكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: «مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ».

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية: فإن الدعوة إلى «وحدة الأديان» والتقارب بينها، وصهرها في قالب

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٥٣).

واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله **سُبْحَانَهُ**: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله **جِيلٌ وَجِيلٌ**: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام، والكفر، والحق، والباطل، والمعروف، والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء، ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول **جِيلٌ وَجِيلٌ**: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

ثامناً: أن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم: فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن، وسنة، وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليتها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن في غلاف واحد! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق «القرآن الكريم» والمحرّف أو الحق المنسوخ «التوراة» و«الإنجيل».

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يُعبد الله به غير الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاث، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس «بيوت الله» وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، نعوذ

بالله من الكفر، وأهله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ليست - أي: البيع والكنائس - بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار»^(١).

عاشراً: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامه، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان، والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. أما مجادلتهم، واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاهد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله ﷺ والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرّر ذلك وتبيّنه للناس، فإنها توصي المسلمين

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/١٦٢).

بعامه، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى، ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال، ودعاته، والكفر وأهله، وتحذره من هذه الدعوة الكفرية الضالة «وحدة الأديان» ومن الوقوع في حباثلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم. نسأل الله سُبْحَانَهُ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيدنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثالثة والتسعون

الجزء من جنس العمل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد وردت آيات كريمة، وأحاديث شريفة، ذكر فيها جزاء المحسنين، والمسيئين من جنس أعمالهم ترغيباً في الأعمال الصالحة، وترهيباً من الأعمال السيئة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْدُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي [١٢٦] ﴿ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

ومن ذب عن عرض أخيه المسلم، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه:

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٠).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ومن ولي من أمر المسلمين شيئاً فشق عليهم شقَّ الله عليه،
ومن رفق بهم رفق الله به، روى مسلم في صحيحه من حديث
عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا
فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفُقْ بِهِمْ
فَارْفُقْ بِهِ»^(٢).

ومن احتجب من الولاية عن ذوي الحاجة والمسكنة
احتجب الله عن خلته، وحاجته، روى الإمام أحمد في مسنده من
حديث عمرو بن مرة أَنَّهُ قَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ، وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكِنَةِ،
إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ، وَحَاجَّتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ، فَجَعَلَ
مُعَاوِيَةَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ»^(٣).

ومن أنفق أنفق الله عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحهما
من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ
آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»^(٤).

ومن بخل بماله عما أوجب الله عليه من الحقوق، أتلف الله

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥٢٨/٤٥) (برقم ٢٧٥٤٣)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٢٨).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٦٥/٢٩) (برقم ١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٨٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٩٣).

ماله، ومحق بركته، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ
 فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ
 مُمْسِكًا تَلْفًا» (١).

وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي مَلَأٍ
 ذَكَرَهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما
 من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا
 عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ
 فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» (٢).

وَمَنْ بَنَى مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، روى مسلم في
 صحيحه من حديث عثمان رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا
 لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ» (٣).

وَمَنْ تَبَعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ تَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَفَضَحَهُ فِي بَيْتِهِ،
 روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ברزّة الأسلمي رضي عنه:
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ،
 لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ،
 يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٧٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٥٣٣).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/٣٣) (برقم ١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

قال بعض السلف: أدركت أقوامًا لم تكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم.. أو كما قال (١).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرَّجَالِ وَتَابِعَا طُرُقَ الْفَسَادِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَا جِدِ مَا كُنْتَ هَتَاكَ لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
مَنْ يَزِنُ فِي قَوْمٍ بِالْفِي دِرْهِمٍ فِي أَهْلِهِ يُزْنَى بِرُبْعِ الدَّرْهِمِ
إِنَّ الزَّنَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَعْلَمِ

ومن شرب الخمر في الدنيا حُرْمَهَا فِي الْآخِرَةِ، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرُبْهَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ» (٢).

ومن عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث هشام بن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» (٣).

ومن الوقائع التي تبين أن الجزاء كان من جنس العمل، ما بشر به النبي ﷺ زوجته خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقد روى البخاري

(١) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ١٧٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٥٤ / ٨) (برقم ٤٧٢٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦١٣).

ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ ^(١).

والصخب: ارتفاع الأصوات، والنصب: التعب، قال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين، -أعني المنازعة والتعب- أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً فلم تحوجه إلى رفع صوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعالها ^(٢). اهـ

وجعفر بن أبي طالب لما قاتل في معركة مؤتة، وقطعت يداه عوضه الله بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لَهُ جَنَاحَانِ» ^(٣).

ومن أشهر ما يقع، وحكاياته منتشرة بين الناس، بر الوالدين وعقوقهما، فقد تداول الناس حكايات كثيرة فيمن بر والديه فرزقه الله أولاداً بروه في حياته، وكذلك العكس فيمن عقوق والديه،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٨٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٣٢).

(٢) «فتح الباري» (١٣٨/٧).

(٣) «مستدرک الحاكم» (٢١٨/٤) (برقم ٤٩٨٨)، و«سنن الترمذي» (برقم ٣٧٦٣).

وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٢٦/٣) (برقم ١٢٢٦).

ومما يُحكى في هذا الباب: أن رجلاً كان له أولاد هم به بارون، فإذا أرادوا أن يردوا لجلب الماء من البئر أخذوا أباهم معهم وكان شيخاً كبيراً ليستأنس بذلك، فإذا ما وصلوا إلى مكان البئر أنزلوا أباهم برفق عن ظهر البعير وهيئوا له مكاناً، وأوقدوا له ناراً ليستدفئ بها ويصنعون له القهوة عليها، وفي إحدى المرات شاهدوا على البئر شيخاً كبيراً وابنه يريدان أن يستقيا من البئر، وجرت العادة أن الشخصين عند الاستسقاء يكون أحدهما في أسفل البئر وعمله أشق، والآخر في أعلى البئر، وكان ذلك الابن يأمر أباه بالنزول إلى أسفل البئر ويتهدده بالقوة، وأبوه يتلطف أن يقوم هو بالنزول ولكن دون جدوى، حتى أنزله مكرهاً، فأراد أبناء الرجل البار أن يقوموا بتأديب ذلك الابن العاق إنكاراً لفعله، فقال لهم أبوه: لو حفرتم في الأرض حولنا لوجدتم آثار موقد النار التي كنت أضعها لوالدي، وقد رزقت بركم جزاء لما كنت أصنعه به، وأما ذاك الرجل فقد شهدته وهو يصنع بأبيه ما يصنع به ابنه الآن، والجزء من جنس العمل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الرابعة والتسعون

خطورة الغضب

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الغضب من الصفات الذميمة التي وردت النصوص في ذمها والتحذير منها، فكم سبب من عداوات، وأحقاد، وفرقة بين الأزواج، وتشتت الأسر وضياع الأولاد، وقطع الأرحام، وكم حصل بسببه من حروب، وفتن، وسفك للدماء؟!!

إن الغضب يجمع الشر كله، يغضب الرحمن، ويرضي الشيطان. قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ: بَابُ الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(١).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «لَا تَغْضَبْ»: اجتنب أسباب الغضب، ولا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٦).

تعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه، لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة^(١).

وقال ابن التين: جمع ﷺ في قوله: «لَا تَغْضَبْ» خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين^(٢).

قال ابن حجر: بعدما ذكر مفاصد الغضب ومن تأمل هذه المفاصد في مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: «لَا تَغْضَبْ» من الحكمة، واستجلاب المصلحة، ودرء المفسدة، مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الديني لا الغضب الديني^(٣). اهـ

وأخبر النبي ﷺ أن القوي ليس الذي يصرع الرجال، ولكنه الذي يمسك نفسه عند غضبه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٤).

وَوَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ بِالْجَنَّةِ، روى الطبراني في مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء رضي عنه أَنَّهُ قَالَ:

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠-٥٢١).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٠٩).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ» (١).

الأسباب التي يدفع بها الغضب:

١- أن يتأمل الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَيْرَةَ بِنْتِ حِصْنٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن معاذٍ عن أبيه رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» (٣).

٢- أن يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، لما جاء في الصحيحين من حديث سليمان بن صردٍ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) «مسند الشاميين» (٣٦/١) (برقم ٢١)، وقال المنذري: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما

صحيح. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (برقم ٧٣٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٤٢).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٩٨/٢٤) (برقم ١٥٦٣٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ أَحْمَرَ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ^(١).

قال الطوفي: أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه **بِجَلٍّ وَعِزًّا** وهو خلاف العبودية^(٢).

قال ابن حجر: وبهذا يظهر السرف في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيز من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبسًا متمكنًا من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك^(٣). اهـ

٣- الجلوس، روى أبو داود في سننه من حديث أبي ذرٍّ **رضي الله عنه**: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ»**^(٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦١٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٢١).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٢١).

(٤) «سنن أبي داود» (برقم ٤٧٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٩٨).

قال الخطابي: القائم متهييء للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالعود لئلا يندر منه في حال قيامه وعوده بادرة يندم عليها فيما بعد^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «دخل الناس النار من ثلاثة أبواب، باب شبهة أورثت شكًا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه»^(٢).

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم^(٣).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز خمسة عشر سوطاً^(٤).

ومن تأمل أحوال الناس لم يجد أحداً غضب لغير الله إلا كان الندم حليفه، والعجب أن الكثير منهم يرى عواقب الغضب الوخيمة ثم لا ينتهي عنه.

(برقم ٤٠٠٠).

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٩٧/٧).

(٢) «الفوائد» (ص ٧٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢٤٣/١٢).

(٤) «إحياء علوم الدين» (١٧٧/٣).

ومما ينبغي أن يُعلم أن الغضب منه ما كان محموداً وهو الغضب لله، وذلك عند انتهاك حرماته ومخالفة أوامره وفي جهاد أعدائه، قال تعالى عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. قال ابن كثير: ولما سكن عن موسى الغضب - أي: غضبه على قومه - أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل، غيرةً لله وغضباً له^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فُلَانٍ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ»^(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/٣٩٥)

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣٢٨).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٦٦).

الكلمة الخامسة والتسعون

تأملات في سورة الانشراح

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد العظيمة سورة الانشراح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ [الانشراح: ١-٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ممتناً عليه بإحسانه إليه حاضاً له بذلك على شكره على ما أنعم عليه ليستوجب بذلك المزيد منه: ألم نشرح لك صدرك يا محمد فنورناه وجعلناه فسيحاً واسعاً، وسعناه لشرائع الدين، والدعوة إلى الله والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقاً حرجاً لا يكاد ينقاد لخير ولا تكاد تجده منبسطاً كما قال تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكان من دعاء نبي الله موسى ﷺ:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [٢٥: طه].

ومن جملة شرح الله صدر نبيه: ما فعل به ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأَتَيْتُ فَاَنْطَلَقَ بِي، فَأَتَيْتُ بَطَسَتْ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ فَشَرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا^(١)، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي فَعَسَلَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حُشِيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً»^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾^(٢)، أي: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها، كما قال تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾^(٣)، أي: أثقله حتى سمع نقيضه أي صوته، قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمع له صرير من شدة الحمل وثقله، قال بعضهم: وإنما وضعت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾^(٤)، قال مجاهد: يعني التآذين

(١) أي: شق صدري إلى كذا وكذا.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٤) واللفظ له.

وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَيْهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذْ قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يقول له: لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً، وقيل: أي أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الأرض عند المؤمنين وנرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات، والظاهر أن الآية عامة تشمل ذلك كله»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته»^(٢).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٢/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٨٨٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ هذه بشارة من الله لرسوله ولأمته، وجرى على الرسول ﷺ عسر حينما كان بمكة يضيق عليه، وفي الطائف وكذلك في المدينة مع المنافقين، وقد أنجز الله له ما وعده ويسر أمره فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز، واليمن، ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المئین من الإبل ويهب الهبات العظيمة ويدخر لأهله قوت سنة.

فهذا اليسر الذي حصل للنبي ﷺ سيكون لأمته، كذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧]، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «خَلَقْتُ عُسْرًا وَاحِدًا، وَخَلَقْتُ يُسْرَيْنِ، وَلَكِنْ يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»^(٢).

وتوجيه كلامه مع أن العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين، قال أهل البلاغة: إن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ إن مع الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ العسر الأول أعيد في الثانية بآل، فال هنا للعهد الذكري وأما يسر فإنه لم يأت معرفاً بل جاء منكرًا، والقاعدة أنه إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (١٩/٥) (برقم ٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) «تفسير القرطبي» (٣٥٨/٢٢).

مرتين بصيغة التكرير فالثاني غير الأول لأن الثاني نكرة، إذاً في الآيتين الكريمتين يسران وفيهما عسر واحد، قال الشاعر:

وَإِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَصَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَأَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتْ وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْضُوعٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

وقال آخر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
كَمَلْتُ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتُ حَلَقَانُهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧)، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، قال ابن عباس وقتادة: فإذا فرغت من صلاتك ﴿فَانصَبْ﴾ أي: بالغ في الدعاء وسله حاجتك.

قال ابن مسعود: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ، فَانصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٨)، قال الثوري: اجعل نيتك ورجبتك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الكلمة السادسة والتسعون

الإِنَابَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الإِنَابَةَ من العبادات العظيمة التي وصف الله بها أنبيائه وعباده المؤمنين، قال تعالى عن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ﴾ (٢٤) وقال تعالى عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۗ﴾ (٣٤). وقال تعالى عن نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۗ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى عن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۗ﴾ [الشورى: ١٠]. وأثنى الله على خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تصافه بالإِنَابَةَ إليه والرجوع إليه في كل أمر، قال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أُوَّاهٌ مُنِيبٌ ۗ﴾ [هود: ٧٥]. وأمر الله بها عباده فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ﴾ [الزمر: ٥٤]. والصالِحون من عباد الله يقولون: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۗ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِنَابَةُ: الإسراع في مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له، وقال أيضًا: الإِنَابَةُ إلى الله إنباتان: الأولى: إنباة إلى ربوبيته وهي إنباة المخلوقات

كلها، المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣]. والثانية: إنابة أوليائه، وهي: إنابة لألوهيته، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه^(١). اهـ مختصراً

والإنابة إلى الله ﷻ هي مفتاح السعادة، والهداية، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ [٢٧] ﴿[الرعد: ٢٧]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ»^(٢)، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطْوَلَ عُمُرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ»^(٣).

وأخبر ﷻ أن ثوابه، وجنته لأهل الخشية والإنابة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْقِبِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [٣١] ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [٣٢] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [٣٣] ﴿[ق: ٣١-٣٣].

وأخبر ﷻ أن البشرية لأهل الإنابة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) «مدارج السالكين» (١/٤٣٤).

(٢) قوله: «فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ»: قَالَ السَّنْدِيُّ: مَكَانُ الإِطْلَاعِ مِنْ مَوْضِعِ عَالٍ، يُقَالُ: مُطَّلَعٌ هَذَا الْجَبَلُ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا، أَي: مَا تَأْتَاهُ وَمَصْعَدُهُ، يُرِيدُ بِهِ: مَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِدِهِ، فَشُبِّهَ بِالْمُطَّلَعِ، وَعَلَّلَ النَّهْيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ لِقَلَّةِ صَبْرِهِ وَضَجْرِهِ، فَإِذَا جَاءَ مُتَمَنِّئًا، أَزْدَادَ ضَجْرًا عَلَى ضَجْرٍ، وَيَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ مَزِيدَ سَخَطٍ، وَلِأَنَّ السَّعَادَةَ فِي طُولِ الْعُمُرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِإِكْتِسَابِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَرَأْسُ مَالِهِ الْعُمُرُ. هَلْ رَأَيْتَ تَاجِرًا يُضَيِّعُ رَأْسَ مَالِهِ؟! «مسند الإمام أحمد» (٢٢/٤٢٧).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٢/٤٢٦) (برقم ١٤٥٦٤)، وقال محققوه: حسن لغيره.

أَجْتَبُوا الطَّعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴿١٧﴾ [الزمر: ١٧].

ومن صفات العبد المنيب: الاعتبار بالآيات الدالة على عظمة الله تعالى، وعزته وسلطانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

والإنابة إلى الله مانعة من العذاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

وقد أمر الله جميع الخلق بالإنابة والرجوع إليه، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَئِمَّةُ وَلَكِبَ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ مَنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣٠-٣١].

وكان من دعاء النبي ﷺ أن يرزقه الله الإنابة، روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي، وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْهَا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي،

وَاعْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا؟ فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ - أَوْ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ»^(٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ إِنْابَةً إِلَى رَبِّهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٠). و«مسند الإمام أحمد» (٤٥٢/٣) (برقم ١٩٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٦/٣٨) (برقم ٢٢٩٥٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(١).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣١٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٧٦٩).

الكلمة السابعة والتسعون

مواقف مؤثرة

من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وإمام من أئمة الهدى، جدّد الله به الدين وقمع به البدعة، كان إمام الدنيا في زمانه، وأحد أذكى العالم وأفراده في الحفظ والعلم والعمل، إنه شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحلیم ابن مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني ابن تيمية وهو لقب لجده الأعلى، ولد في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، والحرّاني نسبة إلى بلدة مشهورة بين الشام والعراق، كان أبيض البشرة، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، إليه كان المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، حفظ القرآن وهو في الصغر، وأتقن علم الشريعة والعربية والمنطق وغيرها، ولم يتزوج ولا تسرّى، لا رغبة عن النكاح، فهو سنة النبي ﷺ وإنما انشغلاً بالعلم والتعليم

والدعوة والجهاد، كان يقضي وقته كله في البحث، والقراءة والمطالعة، فلا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تمل من الانشغال ولا تكلم من البحث.

قال الذهبي: ما رأيتُهُ إلا بطن كتاب.

وقد بدأ التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان من أفراد الدهر في كثرة تأليفه، فلا يعلم في الإسلام من صنف نحو ما صنف، وقدرت مؤلفاته بخمسمائة مجلد، وبأربعة آلاف كراس أو أكثر، وقد بلغ ما يكتبه في اليوم واللييلة أربع كرايس، وكان يكتب مؤلفاته من حفظه، وكان ذا قلم سريع الكتابة إذا رقم يكاد يسبق البرق إذا لمع، وكانت مؤلفاته في غاية الإبداع وقوة الحجج وحسن التصنيف والترتيب، وشرع بالتدريس وهو في الحادية والعشرين من عمره بعد وفاة أبيه، وأما درس التفسير فقد بدأ به وعمره ثلاثون سنة، واستمر مدة سنين متطاولة، وقد انعقدت له الإمامة في التفسير وعلوم القرآن الكريم، وقد أقبل عليه إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق ويقال: إنه وضع تفسيراً مطولاً أتى فيه بالغريب العجيب وكان مشهوراً بقوة حفظه، وقلما حفظ شيئاً فَنسيه، كان الحافظ المزي يبالغ في تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم ير مثله منذ أربعمئة سنة.

وكانت قوته في حياته الجادة التي لا تعرف الهزل فضلاً عن سافل الأخلاق من الغيبة والنميمة، فقد كان في غاية التنزه من الغيبة، والنميمة، وما عُرفت عشرة له في شيء من ذلك، وكانت

مجالسه عامرة بالخير، لا يجروا المغتابون على غشيانها.
 وكان رَحِمَهُ اللهُ زاهداً في الدنيا غيرَ مبالٍ بها، كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى، فينفقه جميعه آلافاً ومئين، لا يلمس منه درهماً بيده، ولا ينفقه في حاجة له، وكان يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألف القلوب، وله محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه، عرضت عليه المناصب والولايات فرفض وقال: يقوم بها غيري، أما نشر العلم وتصحيح الاعتقاد ورد الناس إلى الله ورسوله فالناس أحوج ما يكونون إليه، وعُرضت عليه المرتبات والأعطيات فأباها؛ لأنه يعلم أنه إذا أخذت اليد ضعفت مقاومة الباطل واهتز موقف الناصح وهذا هو منهج الإمام أحمد بن حنبل، فقد قيل في ترجمته: أتته الدنيا فأباها، هذا مع انصراف شيخ الإسلام عن أمور الدنيا انصرافاً كلياً، إذ ليس له من المعلوم إلا اليسير، وقد تكفل أخوه شرف الدين بشؤونه، قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: وهذا يفيد الدرس الآتي وهو عدم اجتماع الضدين فكما أن:
 حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا فِي قَلْبٍ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
 فحب العلم وإشغال القلب والبدن بالمال وجمعه وتنميته والمكاثرة فيه لا يجتمعان، فكلما منحت هذا من جهدك ووقتك ضاع من ذاك، فَلَنْبِكَ عَلَى حَالِنَا؟^(١).

(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٢٦-٢٧).

أما مواقفه مع الولاة، فقد كانت قوية في النصح، والأمر، والنهي، فمن ذلك مواقفه العظيمة في كسر شوكة الملاحدة، والباطنية كما في وقعة شقحب والكسروان، وموقفه مع غازان حتى وصفت شجاعته بأنها خالدية نسبة إلى سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد حدث سنة (٦٩٩هـ) أن ملك التتر غازان قدم إلى دمشق، فخرج إليه شيخ الإسلام واجتمع به وكلمه بغلظة، فكف الله يد غازان عنه، وذلك أنه قال لترجمان الملك غازان قل له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا، وأبوك وجدك هولاءكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت؛ عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت.

وجرت له مع غازان وقطلوشاه، وبولاي، أمور قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله، وحضر قضاة دمشق وأعيانها إلى مجلس غازان، فقدم إليهم غازان طعامًا فأكلوا إلا ابن تيمية، فقيل: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهادًا في سبيلك فأيده وانصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فافعل به واصنع.. يدعو عليه، وغازان يؤمن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفًا أن يبطش به غازان فيصيبهم من دمه، فلما خرجوا قال قاضي القضاة ابن الصصري لابن تيمية: كدت تهلكنا معك ونحن

ما نصحبك من هنا، فقال: ولا أنا أصحابكم.

وقد سجن بقلعة دمشق في آخر حياته، فبقي يؤلف الكتب، ويرسل الرسائل لأصحابه ويذكر ما فتح الله عليه من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، فقال: قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثيراً من العلماء يتمنونها وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم إنه مُنع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة والمناجاة والذكر، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، قال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحمت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة». وكان في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير.. ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليها وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وكان كثير التعبد ومداومة الذكر والأوراد، لا يشغله عن هذا

شاغل ولا يصرفه صارف، قال ابن القيم: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي ولو لم أتخذ هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته لأستعدّ بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاماً هذا معناه.

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف وهو مع ذلك كان أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون وضافت بنا الأرض أتيانه؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً و يقينًا وطمأنينةً، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. اه
وكان يقول: أحللت كل من آذاني، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، قال القاضي ابن مخلوف وكان من أعدائه: ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا.

كانت وفاته في قلعة دمشق في سحر ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، وقد حُمّ رحمه الله سبعة عشر يومًا، وقد قبض في الثلث الأخير من الليل، فاجتمع في القلعة خلق كثير من أصحابه يبكون ويشنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن

أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين فانتهاها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقد اجتمع خلق كثير للصلاة عليه وحزر الرجال بستين ألفاً أو أكثر إلى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك قول الإمام أحمد بن حنبل لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، وقد رئيت له منامات كثيرة صالحة، وصُلِّيَ عليه صلاة الغائب في غالب بلاد المسلمين القريبة والبعيدة حتى في اليمن، والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة (الصلاة على ترجمان القرآن)^(١).

رحم الله شيخ الإسلام. وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» للشيخ محمد عزيز شمس، والشيخ علي العمران، بإشراف: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ.

الكلمة الثامنة والتسعون

ذم البخل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله البخل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ولا يظن الذين يبخلون أي: يمتنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال، والجاه، والعلم.. وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه وضمنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم بل هو شر لهم في دينهم، ودنياهم، وعاجلهم، وآجلهم»^(١). اهـ

وأشد البخل الشح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. قال الرازي: الشح هو البخل مع

(١) «تفسير الشيخ ابن سعدي» (ص ١٤١).

حرص^(١)، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:
 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،
 حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٢).

ويؤيد ذلك ما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
 «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ، وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٣).

وأشكال البخل كثيرة: فمنها بخل بالمال، أو الجسد، أو العلم،
 أو الجاه، أو السلام، أو الصلاة على النبي ﷺ. وقد وردت بذلك
 نصوص كثيرة، منها ما رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث
 أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ
 عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث حسين بن علي رضي الله عنه: «أَنَّ
 النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٥).

والبخل درجات فأعظمه البخل بالواجبات، والفرائض، مثل
 البخل بالزكاة، أو النفقة على الأهل، أو الضيافة الواجبة، روى

(١) «مختار الصحاح» (ص ٣٣١).

(٢) جزء من حديث في «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٧٨).

(٣) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٤٥٠ / ١٢) (برقم ٧٤٨٠)، وقال محققوه:
 حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) «شعب الإيمان» (٢٢ / ١٣) (برقم ٨٣٩٢)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة
 الصحيحة» (برقم ٦٠١). ورجَّح بعضهم وقفه.

(٥) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥٤٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مَثَلٌ لَهُ مَالُهُ سُجَاعًا أَقْرَعٌ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ، يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ، يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قَالَتْ هِنْدُ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَخْذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِيَّ؟ قَالَ: خُذِي بِالْمَعْرُوفِ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي شريح العَدَوِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ»^(٣).

قال ابن قدامة المقدسي: «البخل والسخاء درجات، وأشد درجات البخل أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة إليه، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة، والأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء»^(٤). اهـ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٨٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٣٧٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٧).

(٤) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٢٦٥).

الدرجة الثانية: البخل بما يستحب كالبخل بالصدقات، أو إقراض الآخرين، أو الضيافة المستحبة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن مسعود رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى الصَّدَقَةِ»^(٢). وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة، والكرم، بين الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٦/٧) (برقم ٣٩١١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٩٣).

به من يقوم بذلك، فقال: ﴿هَآأَنُتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) [محمد: ٣٨] (١). اهـ

ومما يدل على مقت البخل وأنه مما ينافي مكارم الأخلاق، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقبلًا من حنين علق رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمره فخطفت ردائه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاء نعمة لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا» (٢).

قال ابن حجر: «وفيه ذم الخصال المذكورة وهي البخل، والكذب، والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها» (٣).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكرم الناس، فقد أعطى يوم حنين الأقرع ابن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل واحد منهم مائة من الإبل، ولما جاءه أعرابي أعطاه واديًا من الغنم بين جبلين، فرجع إلى أصحابه

(١) «الاستقامة» (٢/٢٦٣-٢٧٠)، باختصار.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٤٨).

(٣) «فتح الباري» (٦/٢٥٤).

وهو يقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الجبن والبخل قرينان، فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل»^(٢).

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ جَمَاعًا لِمَالِكَ مُمَسِكًا فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينُ
تُؤَدِّيهِ مَذْمُومًا إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ فَيَأْكُلُهُ عَفْوًا وَأَنْتَ دَفِينُ

وقال آخر:

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تَذَهَبُ

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: «عجباً للبخیل المتعجل للفقير الذي منه هرب، والمؤخر للسعة التي إياها طلب، ولعله يموت بين هربه وطلبه، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، مع أنك لم تر بخيلاً إلا غيره أسعد بماله منه لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة آثم بمنعه، وغيره آمن في الدنيا من همه، وناج في الآخرة من إثمه»^(٣). اهـ

قال حبیب الثقفی: «قعدت مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ٨٥).

(٣) «الآداب الشرعية» (٣/٣١٨).

والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً»^(١).
 قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: «قد يحدث عن البخل من الأخلاق
 المذمومة، وإن كان ذريعة إلى كل مذمة، أربعة أخلاق، ناهيك بها
 ذمًا وهي: الحرص والشره، وسوء الظن، ومنع الحقوق، وإذا آل
 البخل إلى ما وصفناه من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللئيمة،
 لم يبق معه خير مرجو، ولا صلاح مأمول»^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «طبقات الحنابلة» (١/١٤٧).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٦-١٨٧)، بتصرف.

الكلمة التاسعة والتسعون

فضائل العفو

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن العفو من الأخلاق الجميلة، والصفات الحميدة التي أمر الله بها نبيه وعباده المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

قال الكفوي: «العفو: كف الضرر مع القدرة عليه»^(١)، وكل من استحق عقوبة وتركها فهذا الترك عفو، والفرق بين الصفح والعفو مع أنهما متقاربان في المعنى فيقال: صفحت عنه أعرضت عن ذنبه وعن تثريبه، إلا أن الصفح أبلغ من العفو، فقد يعفوا الإنسان ولا يصفح، وصفح عنه أوليته صفحة جميلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْفَحْ

(١) «الكليات» (ص ٥٣، ٥٩٨).

عَنْهُمْ وَقَالَ سَلَمٌ سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩]» (١).

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، هذه الآية نزلت في الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثانة بنافعة، بعدما قال في عائشة، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تعالى، وله الفضل والمنة يعطف الصِّدِّيق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثانة ابن خالة الصِّدِّيق وكان مسكيناً لا مال له، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها، وكان الصِّدِّيق رضي الله عنه، معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيدي على الأقارب، والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: كان الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر [ذنب من أذنب] إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، فعند ذلك قَالَ الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنَ النَّفَقَةِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا فِي مُقَابَلَةٍ مَا كَانَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْفَعُهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا. فَلِهَذَا كَانَ الصِّدِّيقُ هُوَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه» (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ:

(١) «بصائر ذوي التمييز» (٣/٤٢١)، بتصرف.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٠/١٩٨). والحديث في «صحيح البخاري» (برقم ٤٧٥٧).

«دَخَلَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»^(١).

قال الشافعي رحمه الله:

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ
فَالْعَفْوُ عَنِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ
إِنَّ الْأَسْوَدَ لَتُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ
إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحٌ
وَفِيهِ أَيْضًا لَصَوْنِ الْعَرِضِ إِصْلَاحٌ
وَالْكَلْبُ يُحْشَى^(٢) وَيُرْمَى وَهُوَ نُبَاحٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿^(١٣٤)﴾
[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٤٢).

(٢) يُرْمَى بِالْحَصَى.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٨).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ عَفْوًا وَتَسَامُحًا، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ رَأْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتَا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يَعْضُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١). وفي رواية: ثُمَّ لَمْ يَعْاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزُعَمَاءِ قُرَيْشِ الَّذِينَ آذَوْهُ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»^(٣).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَئِنْ كَانَ لَنَا يَوْمٌ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَنُرَبِّينَ عَلَيْهِمْ^(٤)، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَمِنَ^(٥) الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا، نَاسًا سَمَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(١٦٦)

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٩١٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٨٤٣).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤١٣٥).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢٧/٤). ورؤي في السيرة.

(٤) لَنُرَبِّينَ: قال السندي: من الإرباء، يُقال: أربى على كذا: إذا زاد عليه، أي: لَنَزِيدَنَّ عَلَى مَا قَتَلُوا مِنَّا.

(٥) أمن: بفتح فكسر من الأمن، أي: الكل آمنون لا يقتل أحد منهم.

[النحل: ١٢٦]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَصْبِرُ وَلَا نُعَاقِبُ»^(١).

والعفو من صفاته ﷺ التي وصف بها في التوراة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ سَأَلَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتِكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ»^(٢).

والعفو من صفات الأنبياء السابقين، قال تعالى عن يوسف ﷺ وهو يخاطب إخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

والعفو من صفات الصالحين من عباد الله.

ففي عهد الخليفة المعتصم سجن الإمام أحمد بن حنبل

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٥٢/٣٥) (برقم ٢١٢٢٩)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢١٢٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٢).

وضرب بالسياط حتى أُغمي عليه، وسال الدم من جسده، وكان يقول: قد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حل، وعفا عنه، وسجن الإمام مالك، وضرب بالسياط حتى انخلعت يده من كتفه، فعفا عن ضربه. والمواقف في العفو كثيرة عند التبع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: **فَلَا أَحِبُّ أَنْ يُتَّصَرَ مِنْ أَحَدٍ بِسَبَبِ كَذِبِهِ عَلَيَّ، أَوْ ظُلْمِهِ، وَعُدْوَانِهِ، فَإِنِّي قَدْ أَخَلَلْتُ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَأَنَا أَحِبُّ الْخَيْرَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَحْبُّهُ لِنَفْسِي. وَالَّذِينَ كَذَبُوا وَظَلَمُوا فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ جِهَتِي** (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العفو مشروط بالإصلاح، قال تعالى: **﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾** [الشورى: ٤٠]. قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كبيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به، وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، كما يحب أن يعفو الله عنه فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل» (٢). اهـ

ومن وصل إلى هذه الحالة فليحمد الله على هذه النعمة الكبرى، وعلى راحة الضمير، وعلى كثرة ما يجني من الخير.

(١) «الفتاوى» (٢٨/٥٥).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٧٢٧).

ويشعر للمسلم أن يكثر من سؤال الله العفو، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

قال الشاعر:

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

فوائد العفو:

- ١- امتثال أمر الله تعالى.
 - ٢- إزالة ما في النفس من الأحقاد والبغضاء.
 - ٣- راحة النفس، وطمأنينة القلب.
 - ٤- الأجر العظيم من الله تعالى.
 - ٥- الرفعة في الدنيا والآخرة.
 - ٦- نشر المحبة والأخوة بين المسلمين.
 - ٧- أنه طريق موصل إلى الجنة.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

مقتطفات من سيرة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة عَلمٍ من أعلام هذه الأمة، وبطلٍ من أبطالها وفارسٍ من فرسانها، ولدَ رَحِمَهُ اللهُ سنة (٥٣٢هـ)، في تكريت في العراق، وكان خليقًا للإمارة، مهيبًا شجاعًا حازمًا، مجاهدًا كثير الغزو، عالي الهمة، إنه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي أبو المظفر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي ابن مروان بن يعقوب الدويني^(١) ثم التكريتي المولد.

قال الذهبي: «كانت له همة في إقامة الجهاد، وإبادة الأضداد ما سمع بمثلهما في دهر، وكانت له اليد البيضاء، ببذل الأموال، والخيال المثمنة لجنده، وله عقل جيد، وفهم، وحزم، وعزم، كان نور الدين زنكي قد أمره وبعثه في عسكره إلى مصر مع عمه أسد

(١) دَوِين: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء المثناة من تحت ساكنة وآخره نون. بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس. «معجم البلدان للحموي» (٤/٣٢٨).

الدين شيركوه، فحكم شيركوه مصر ثم توفي، فقام بعده صلاح الدين ودانت له العساكر، وقهر بني عبيد ومحي دولتهم، وفي سنة (٥٨٣هـ) فتح طبرية، ونازل عسقلان ثم كانت وقعة حطين بينه وبين الفرنج، وكانوا أربعين ألفاً فحال بينهم وبين الماء على تل وسلموا أنفسهم وأُسرَت ملوكهم، وبادر فأخذ عكا، وبيروت، وكوكب، وسار فحاصر القدس وَجَدَ في ذلك، فأخذها بالأمان، ثم إن الإفرنج قامت قيامتهم على بيت المقدس وأقبلوا كقطع الليل المظلم بَرًّا وبحرًّا، وأحاطوا بعكا ليستردوها وطال حصارهم لها وبنوا على أنفسهم خندقًا فأحاط بهم السلطان ودام الحصار لهم وعليهم نيفًا وعشرين شهرًا، وجرى في غضون ذلك ملاحم، وحروب تشيب لها النواصي»^(١).

ومن أخباره التي تدل على شدته على الكفار، وغيرته على الإسلام، أنه لما أسر ملوك الأفرنج في معركة حطين، كان قد نذر أن يقتل أرناط وهو صاحب الكرك، فأسره يومئذ وكان قد مر به قوم من مصر في حال الهدنة، فغدر بهم، فناشدوه الصلح، فقال ما فيه استخفاف بالنبي ﷺ وقتلهم، فاستحضر صلاح الدين الملوك، ثم ناول الملك جفري شربة جلاب ثلج، فشرب، فناول أرناط، فشرب، فقال السلطان للترجمان: قل لجفري: أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته، ثم استحضر البرنس أرناط في مجلس آخر وقال: أنا أنتصر لمحمد ﷺ منك، ثم عرض عليه الإسلام فأبى،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٨٠-٢٨١).

فحل كتفه بالنيمجاه^(١)، وافتتح عامه ما لم يفتحه ملك، وطار صيته في الدنيا، وهابته الملوك.

قال ابن كثير: «كان السلطان صلاح الدين من أشجع الناس وأقواهم قلباً وبدناً مع ما كان يعترى جسمه من الأمراض والأسقام، ولا سيما وهو مرابط مصابر مثابر عند عكا، فإنه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل ويقال: ستمائة ألف، وكان جملة من قُتل منهم مائة ألف مقاتل، ولما انفصل الحال وتسلموا عكا وقتلوا أكثر من كان بها، وساروا برمتهم نحو بيت المقدس جعل يسايرهم منزلة منزلة ومرحلة مرحلة وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه، ومع هذا نصره الله، وخذلهم، وأيده وقتلهم، وسبقهم إلى بيت المقدس فصانه وحماه وشيد بنيانه، ولم يزل بجيشه مقيماً به، يرهبهم، ويرعبهم ويكسرهم، ويأسرهم، حتى تضرعوا إليه وخضعوا لديه ودخلوا عليه أن يصالحهم ويتاركهم وتضع الحرب أوزارها بينهم وبينه، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أراده لا ما يريدونه، وكان ذلك من جملة الرحمة التي خص بها المؤمنون».

وكان رَحِمَهُ اللهُ سخيًّا، كريماً، حبيباً، ضحوك الوجه، كثير البشر، لا يتضجر من خير يفعله، شديد المصابرة والمثابرة على الخيرات

(١) النيمجاه: خنجر مقوس يشبه السيف القصير وهو معرب نيمجه. «سير أعلام النبلاء» (٢٨٥/٢١).

قال العماد: أطلق في مدة حصار عكا اثني عشر ألف فرس، وما حضر اللقاء إلا استعار فرسًا، نزه المجالس من الهزل، ومحافله أهلة بالفضلاء، حليمًا، مقيلاً للعثرة، تقيًا، نقيًا، وفيًا صفيًا، يُغضي ولا يغضب، ما رد سائلًا ولا خجل قائلًا، كثير البر والصدقات.

قال الموفق عبد اللطيف: أتيت صلاح الدين بالقدس فرأيت ملكًا يملأ العيون روعة، والقلوب محبة قريبًا بعيدًا سهلًا محببًا وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حافلًا بأهل العلم يتذكرون وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتمًا في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه ويتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به الخلق. اهـ.

وكان السلطان صلاح الدين متقللاً في ملبسه ومأكله ومشربه ومركبه، فلا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، ولا يعرف أنه تخطى مكروهاً بعد أن أنعم عليه بالملك بل كان همه الأكيد ومقصوده الأعظم نصر الإسلام وكسر الأعداء اللئام، ويعمل فكره في ذلك ورأيه وحده مع من يثق برأيه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهراً، ومع هذه الفضائل والآداب، فقد كان مواظبًا على الصلوات في

(١) «البداية والنهاية» (١٦/٦٥٧-٦٥٨).

أوقاتها جماعة، يقال إنه لم تفتحه الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل حتى ولا في مرض موته، بل كان يدخل الإمام فيصلي به، فكان يتجشم القيام مع ضعفه، وكان رقيق القلب سريع الدمعة، وكان يحب سماع القرآن العظيم ويواظب على سماع الحديث حتى إنه سمع في بعض المصافات جزءاً وهو بين الصفين للقتال وكان يقول: هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً.

قال ابن كثير: «وفي سنة (٥٨٩هـ) اشتد به المرض ثم حصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض، وعندما ظهرت مخايل الضعف الشديد وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات استدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في غمرات الموت: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢] فقال: وهو كذلك صحيح، فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق، فلما قرأ القارئ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩] تبسم، وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرمه وجعل جنة الفردوس مأواه، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة، فقد كان ردةً للإسلام، وحرزاً وكهفًا من كيد الكفرة اللئام، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه، وود كل منهم لو فداه بأولاده وأحبابه وأصحابه، وغلقت الأسواق، وأخذ الناس في البكاء»^(١).

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/٦٥١-٦٥٢).

وكانت وفاته بقلعة دمشق بعد الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة، قال الذهبي: فوجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه على الأنبياء، وما رأيت ملكاً حزن الناس لموته سواه، لأنه كان محبباً، يحبه البر والفاجر، والمسلم والكافر، ولقد صدق العماد في مدحه حيث يقول:

وَلِلنَّاسِ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ الصَّلَا حِ صَالِحٌ وَنَصْرٌ كَبِيرٌ
هُوَ الشَّمْسُ أَفْلَاكُهُ فِي الْبِلَا دِ وَمَطْلَعُهُ سَرْجُهُ وَالسَّرِيرُ
إِذَا مَا سَطَا أَوْ حَبَا وَاحْتَبَى فَمَا اللَّيْثُ مِنْ حَاتِمٍ مَا ثَبِيرٌ^(١)

قال العماد وغيره: لم يترك في خزانته من الذهب سوى دينار واحد، وستة وثلاثين درهماً، وقال غيره: سبعة وأربعين ديناراً، ولم يترك داراً ولا عقاراً، ولا مزرعة، ولا بستاناً، ولا شيئاً من أنواع الأملاك، وإنما لم يخلف أموالاً، ولا أملاكاً لكثرة عطاياه وهباته وصدقاته وإحسانه إلى أمرائه ووزرائه وأوليائه حتى إلى أعدائه.

وكتب القاضي الفاضل تعزية إلى صاحب حلب ابن صلاح الدين الأيوبي: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١) كتبت إلى مولانا الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف من السلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزلاً شديداً، وقد حضرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/٢٨٣).

الحناجر، وقد ودعت أباك مخدومي وداعاً لا تلاقِي بعده، وَقَبَلْتُ
وَجْهَهُ عَنِّي وَعَنكَ وَأَسَلَمْتَهُ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ مَغْلُوبَ الْحِيلَةِ، ضَعِيفَ
الْقُوَّةِ، رَاضِيًا عَنِ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَبِالْبَابِ مِنْ
الْجُنُودِ الْمَجْنُدَةِ وَالْأَسْلِحَةِ الْمَغْمَدَةِ مَا لَمْ يَدْفَعِ الْبَلَاءَ وَلَا مَا يَرُدُّ
الْقَضَاءَ، تَدْمَعُ الْعَيْنَ، يَخْشَعُ الْقَلْبَ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضِي الرَّبَّ:
وَإِنَّا عَلَى فِرَاقِكَ يَا يُوسُفَ (صَلَاحَ الدِّينِ) لِمَحْزُونُونَ»^(١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/٢٧٨-٢٩٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/٦٥١-٦٥٨).

الكلمة الواحدة بعد المائة

من أسماء الله الحسنى الغافر - الغفار - الغفور

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ومن أسمائه تعالى: (الغافر - الغفار - الغفور)، وقد أخبرنا ربنا تعالى أنه غافر الذنوب، وغفارها، وغفورها، كما قال عز وجل:
 ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر: ٣]. وقال تعالى فيما حكاه عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال بعضهم قد سمي الله نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه الغفار فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار، والغفار أبلغ من الغفور، قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. أما الغفار ففي قوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٦٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠].

وأما الغافر فقد ورد مرة واحدة في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

قال الزَّجَّاج: معنى الغفر في حق الله سُبْحَانَهُ: هو الذي يستر ذنوب عباده، ويغطيهم بستره^(١)، وقال الحلبي: الغافر هو الذي يستر على المذنب، ولا يؤاخذة في شهره ويفضحه، وأما الغفور فهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته^(٢).

ومن كرم الله، وعظيم مغفرته قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]. قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيا لها من بشارة تروح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاضمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل به سُبْحَانَهُ هذا الكلام قائلاً: إنه هو الغفور الرحيم، أي كثير المغفرة، والرحمة

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٣٨).

(٢) «المنهاج» (١/١٠٢).

عظيمهما بليغهما واسعهما، ومن أبى هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنين عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنين هو الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ^(١).

ومن آثار الإيمان بهذه الأسماء العظيمة:

أولاً: وصف الله ﷻ نفسه بأنه غفار، وغفور للذنوب والخطايا صغيرها، وكبيرها، حتى الشرك إذا تاب منه الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله أعظم منها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ:

(١) «فتح البيان» (١٢/١٢٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٧/٣٣٧) (برقم ١١٢٣٧)، وقال محققوه: حديث حسن.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا أَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (١).

قال الشاعر:

وَهُوَ الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
لَأَتَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِثْلَ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

بل إن الله من فضله وكرمه يبدل سيئات العبد إلى حسنات إذا صدق في توبته، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠) [الفرقان: ٧٠].

ثانيًا: لا يجوز للمسلم أن يتساهل بالمعاصي والذنوب بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٣٥) [الإسراء: ٢٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢) [طه: ٨٢]. فاشترط تَوَابًا وَتَوْبَةً تغيير الحال من عمل السيئات إلى عمل الصالحات لكي تحصل المغفرة.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٧٥/٣) (برقم ٢٨٠٥).

ثالثاً: إذا علم المؤمن أن الله غفور رحيم، فإنه يشرع له أن يحرص على فعل مكفرات الذنوب وهي الأقوال، والأعمال التي شرعها الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ حتى تكفر عنه الخطايا والسيئات.

رابعاً: أنه يشرع للمؤمن أن يكثر من الاستغفار حتى تحصل له المغفرة التي وعد الله بها المستغفرين، والنبى ﷺ كان يستغفر الله في جميع الأحوال، ومن تلك الصيغ ما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث زيد مولى النبى ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الزَّحْفِ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣/١) (برقم ١٣٤٢).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣/١) (برقم ١٣٤٣).

أَنْتَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلَاثًا» (١)(٢).
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن أبي داود» (برقم ٩٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (برقم ٨٦٩).

(٢) انظر: «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (١/١٧٥-١٨٠).

الكلمة الثانية بعد المئة

من آداب اللباس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده، لستر العورات ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد وردت النصوص الشرعية بأحكامه مفصلة مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس والمحرم، والمكروه، والمباح مقدارًا وكيفية.

وقد ذكر أهل العلم آداب اللباس في كتبهم والأدلة على ذلك فمنها: وجوب ستر العورة؛ وهي ما يجب تغطيته ويقبح ظهوره، ويستحيا منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦]. فتغطيته باللباس أمر واجب، وحد عورة الرجل الذكر: من السرة إلى الركبة، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حَدِيثِ جَرَهْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ وَقَدْ كَشَفَ عَن فَاخِذِهِ، فَقَالَ: «يَا جَرَهْدُ! غَطِّ فَاخِذَكَ، فَإِنَّ الْفَاخِذَ عَوْرَةٌ»^(١). قَالَ

(١) أخرجه البخاري معلقًا، ورواه مالك والترمذي وأحمد، وقال محققو المسند (٢٨٠/٢٥) (برقم ١٥٩٣٢): حسن بشواهد.

البخاري بعد ذكر الخلاف في المسألة: حديث جرهد أحوط^(١).
 أما المرأة: فقد وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ»^(٢)،
 وقد تقدم التفصيل في كلمة خاصة بلباس المرأة.

ومنها الابتعاد عن اللباس الرقيق الذي يصف بياض الجلد،
 وسواده وحمرة والذي يصف الخلقة أي الحجم لرجل وامرأة، قال
 ابن تميم: يكره الثوب الرقيق إذا وصف البدن^(٣)، قال المروذي:
 أمروني في منزل أبي عبد الله أن أشتري لهم ثوبًا، فقال: لا يكون
 رقيقًا أكره الرقيق للحي والميت، فإن الفخذ عورة^(٤).

ومنها: ألا يتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس^{رضي الله عنهما} قَالَ:
 لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ
 مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ^(٥).

ومنها: تحريم الإسبال للرجال، سواء كان ما يلبس إزارًا
 أو ثوبًا أو بشتًا أو سراويل أو قميصًا، روى أبو داود في سننه
 من حديث ابن عمر^{رضي الله عنهما}: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ،

(١) «فتح الباري» (١/٤٧٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١١٧٣)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/٩٣٣) (برقم ٣١٠٩).

(٣) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٧).

(٤) نفس المصدر (ص ٤٣٧).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٥٨٨٥).

وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خِيَلًا، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَأَيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيَلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيَلَةَ»^(٢).

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس ذلك، وقد ورد الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِى النَّارِ»^(٣).

ومنها تحريم ارتداء الملابس التي عليها صلبان، أو تصاوير، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٧٧١/٢) (برقم ٣٤٥٠).

(٢) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٣٨/٣٤) (برقم ٢٠٦٣٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٧٨٧).

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيْبٌ إِلَّا نَقَضَهُ^(٢).

قال الحجاوي: «فإذا منع من نصبه ستراً على الحائط وتعليقه فلا أن يكون ممنوعاً لبسه أولى، لأن ذلك أكثر إكراماً، وهذا أحد الوجهين في التحريم»^(٣).

ومنها تحريم لباس الشهرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

قال الحجاوي: «لأنه يزري بصاحبه وينقص مروءته، وفي الغنية من اللباس المنزه عنه: كل لبسة يكون بها مشتهراً بين الناس كالخروج عن عادة أهل بلده، وعشيرته فينبغي أن يلبس ما يلبسون، لئلا يشار إليه بالأصابع ويكون ذلك سبباً إلى حملهم على غيبتهم له فيشركهم في إثم الغيبة له»^(٥).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٩٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٩٥٢).

(٣) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٤٠-٤٤١).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤٧٦/٩) (برقم ٥٦٦٤)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٥) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وتكره الشهرة من الثياب وهو الترفع الخارج عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة، فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المرتفع والمنخفض»^(١). اهـ.

قال ابن عبد البر: «كان يقال: كل من الطعام ما اشتهيت، والبس من الثياب ما اشتهى الناس»^(٢). قال الشاعر:

إِنَّ الْعُيُونَ رَمَتْكَ مُذْ فَاجَأَتْهَا وَعَلَيْكَ مِنْ شَهْرِ الثِّيَابِ لِبَاسُ
أَمَّا الطَّعَامُ فَكُلْ لِنَفْسِكَ مَا اشْتَهَتْ وَاجْعَلْ لِبَاسَكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ

ومنها: تحريم الذهب والحريير على الرجال إلا لعذر، روى أبو داود في سننه من حديث عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَيَّ ذُكُورِ أُمَّتِي»^(٣).

ومنها: أن السنة التيامن عند لبس اللباس، روى البخاري ومسلم من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ فِي طُهُورِهِ وَتَرْجُلِهِ وَتَنْعَلِهِ^(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب، والسراويل،

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/١٣٨).

(٢) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٣).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (برقم ٣٤٢٢).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٥٨٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٨).

والخف، وغير ذلك مما هو في معناه، يستحب التيامن فيه وذلك كله لكرامة اليمين وشرفها»^(١). اهـ

ومنها: أن السنة عند لبس الجديد أن يقول الدعاء الوارد في ذلك: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»^(٢).

ومنها استحباب لبس البياض، روى أبو داود في سننه من حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا خَيْرٌ ثِيَابِكُمْ، وَكَفُّنَا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»^(٣).

ومنها النهي عن لبس الثوب المعصفر وهو المصبوغ بعصفر، روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»^(٤).

قال ابن حجر في فتح الباري بعدما ذكر أقوال أهل العلم في لبس الثوب الأحمر: «والتحقيق في هذا المقام: أن النهي عن لبس الأحمر إن كان من أجل أنه لبس الكفار، فالقول فيه كالقول في

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/١٦٠)، بتصرف.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي» (برقم ١٤٤٦).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٦١)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (٧٦٦/٢) (برقم ٣٤٢٦).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠٧٧).

الميشرة الحمراء^(١)، وإن كان من أجل أنه زي النساء فهو راجع إلى الزجر عن التشبه بالنساء فيكون النهي عنه لا لذاته، وإن كان من أجل الشهرة، أو خرم المروءة فيمنع حيث يقع ذلك، وإلا فيقوى ما ذهب إليه مالك من التفرقة بين المحافل والبيوت^(٢).

ومنها استحباب إظهار النعمة في الملبس ونحوه، روى أبو داود في سننه من حديث أبي الأحوص عن أبيه رضي عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوبٍ دون، فقال: «ألك مال؟» قال: نعم، قال: «من أي المال؟» قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: «فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته»^(٣).

ومنها الطيب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، فقد روى النسائي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ»^(٤). وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرُدُّ الطَّيِّبَ^(٥).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) يشير بذلك إلى حديث البخاري في النهي عن المياثر الحمر.

(٢) «فتح الباري» (٣٠٦/١٠).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٦٣)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (برقم ٣٤٢٨).

(٤) «سنن النسائي» (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (برقم ٣٦٨٠).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٢٥٨٢).

الكلمة الثالثة بعد المئة

خطر الرشوة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الرشوة من الأمور المنكرة التي ابتليت بها مجتمعات المسلمين وهي مرض عضال، وداء خطير، يفسد المجتمعات، ويضيع الحقوق، ويخل بالأمانة وهي كبيرة من كبائر الذنوب، قال الله تعالى في ذم اليهود: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، والرشوة: من السحت كما فسر الآية ابن مسعود وغيره^(١). روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ^(٢). واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

قال الجرجاني: «الرشوة ما يُعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل»^(٣). قال الذهبي: الكبيرة الثانية والثلاثون: أخذ الرشوة

(١) «تفسير القرطبي» (٧/٤٨٥).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٣٣٧)، وقال: حسن صحيح.

(٣) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٤٨)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص ٣٦٥).

على الحكم، واستدل على ذلك بقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَثَمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الذهبي: «لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام: أي: لا تصنعوهم بها، ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقًا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم».

وبعد أن ذكر الأحاديث الدالة على التحريم، قال: إنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، أو ليدفع عن نفسه ظلمًا، فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام، أبطل بها حقًا، أو دفع بها ظلمًا، والرائش: هو الوسيط بالرشوة، تابع للراشي في قصده إن قصد خيرًا لم تلحقه اللعنة، وإلا لحقته^(١). اهـ

وصور الرشوة كثيرة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فمنها أنها تكون في الحكم فيُقضَى من أجلها لمن لا يستحق، أو يمنع من يستحق، أو يُقدَّم مَنْ غَيْرُهُ أَحَقُّ بالتقديم، وتكون الرشوة في تنفيذ الحكم فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراضي في التنفيذ، أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة، والرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها فيُقدَّم من أجلها من لا ينجح، أو تُعطى له الأسئلة

(١) «الكبائر» للذهبي (ص ١٣١)، بتصرف.

قبل الامتحان فيؤلى الوظيفة من غيره أحق منه، وأغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم والثقافة، فينجح من أجلها من لا يستحق النجاح، أو تقدم له أسئلة الامتحان، أو يشار إلى أماكنها من المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها، فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه العلمي ويتأخر من هو أحق منه لقوة مستواه العلمي، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال جمع من المفسرين: الأمانة كل ما ائتمن عليه المؤمن، ومن الأمانة أن يولى الأجر والأحق بالوظيفة. اهـ

والرشوة تكون في تنفيذ المشاريع فحينما يأتي مشروع، وتعمل مناقصة فيدفع أحدهم رشوة فيحصل على هذا المشروع مع أن غيره أتقن منه عملاً وأقل سعراً، والرشوة تكون في التحقيقات الجنائية، أو الحوادث، أو غيرها فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة^(١) اهـ، أو يُعين مسئول في موقع ما فيأخذ هدية مقابل أن يسهل على صاحبها بعض الأمور، أو يقدمه على غيره، أو يعفيه من بعض الالتزامات، أو غير ذلك، وهذا غلول ورشوة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يُقال له: ابن اللببية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي

(١) «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» (٤/٤٤٥-٤٤٦)، بتصرف.

لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ سُفْيَانُ أَيضًا: فَصَعِدَ الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خَوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ؛ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ثَلَاثًا»^(١).

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُخْرِصَ نَخْلَ يَهُودِ خَيْبَرَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ شَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِدَّةَ حَرْصِهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَرِشُوهُ فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ أَتَطْعَمُونِي السُّحْتِ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَنْتُمْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ، وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧١٧٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٣٢).

(٢) «صحيح السيرة النبوية» للشيخ إبراهيم العلي (ص ٤٥٠).

فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا، فَأَخْرَجُوا عَنَّا^(١).

وتأمل هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم حبيبة بنت العرْبَاضِ عَنِ أَبِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْخُذُ الْوَبْرَةَ مِنْ فِيءِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيقول: «مَا لِي مِنْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ مَا لِأَحَدِكُمْ إِلَّا الْخُمْسُ، وَهُوَ مَرْدُودٌ فِيكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ فَمَا فَوْقَهُمَا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ، فَإِنَّهُ عَارٌّ وَشَنَارٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

والواجب أن لا يُعطى المرتشي شيئاً فهو يأخذ أجرة من بيت المال وهو أمين على عمله، وقد وضع لخدمة الناس، وإعطائه الرشوة من التعاون على الإثم والعدوان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. ومن صورها: أن تكون على شكل هدية في الظاهر وهي رشوة كموظف يُهدي لرئيسه من أجل ترقيته، أو محاباته على حساب العمل، أو طالب يهدي لمعلمه من أجل إنجاحه، وأهل البلد يهدون لقاضيهم من أجل الحكم لهم^(٣).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/ ٢١٠) (برقم ١٤٩٥٣)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٨/ ٣٨٥) (برقم ١٧١٥٤)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) «حصاد المحابر من خطب المنابر» للشيخ سعد الحجري (ص ٦٨٧-٦٨٨).

والرشوة من صفات اليهود والنصارى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]. والأحبار علماء اليهود، والرهبان عبّاد النصارى.

من مفسد الرشوة:

أولاً: أنها مال سحت على صاحبها لا بركة فيه، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»^(١).

ثانياً: أنها إفساد للمجتمع حكامًا ومحكومين.

ثالثاً: تبطل حقوق الضعفاء وتشر الظلم.

رابعاً: الراشي والمرتشي كلهم ملعونون عند الله ورسوله.

خامساً: الرشوة في تولي القضاء، والوظائف العامة، تفسد المجتمع وتشر الفساد.

سادساً: الرشوة في أمور الجند تجعل الكفاءة فيهم غير معتبرة، ويؤول الأمر إلى أن يتولى الدفاع عن البلاد من هم غير أهل لذلك فتحقيق بهم الهزيمة ويلحق العار البلاد بأسرها.

سابعاً: أن الرشوة إذا فشت في جهة من الجهات انتشرت في بقية الجهات، وصار على من عمل بها أولاً وزرها ووزر من عمل

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٤٢٥) (برقم ١٥٢٨٤)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

بها مقتدياً به إلى يوم القيامة.

ثامناً: فقد الأمانة، وفشو الخيانة فلا يأمن الإنسان على نفسه،
ولا ماله، ولا أهله.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الرابعة بعد المئة

مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن
عبد الله بن عباس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة المسلمين، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

وُلِدَ ﷺ بِشَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ ^(١) قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَتَوَفَّى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً وَقِيلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، كَانَ وَسِيمًا جَمِيلًا، مَدِيدَ الْقَامَةِ، مَهِيْبًا، كَامِلَ الْعَقْلِ، زَكِي النَّفْسِ، مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ، وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ»، وَقَدْ صَحَبَ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، وَرَوَى عَنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَهُ مَفْرَدَاتٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ لِاتْسَاعِ عِلْمِهِ، وَكَثْرَةِ فَهْمِهِ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ، وَنَبْلِ أَصْلِهِ، وَلَهُ قَرَابَةٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ، إِنَّهُ تَرْجِمَانُ الْقُرْآنِ وَحَبْرُ هَذِهِ

(١) وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم، لما تحالفت قريش على بني هاشم.

الأمة والمفسر لكتاب الله، فقيه العصر أبو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وهو والد الخلفاء العباسيين، وهو أحد إخوة عشرة ذكور للعباس من أم الفضل وهو آخرهم مولدًا، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد من الآخر جدًّا.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي، - شَكَ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّوِيلَ» (١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلِنَسْأَلِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: يَا عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فِيهِمْ؟ قَالَ: فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ أَنَا أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ كَانَ لِيَبْلُغَنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أُرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتَيْكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتَيْكَ. قَالَ: فَاسْأَلْهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٢٢٥) (برقم ٢٣٩٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

رَأَيْتُ وَقَدْ اجْتَمَعَ حَوْلِي النَّاسُ يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: هَذَا الْفَتَى كَانَ
أَعْقَلَ مِنِّي (١).

وَتَبَّتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ
أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ (٢)، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَنَّهُ تَلَا: ﴿إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٩٨]، قَالَ: كُنْتُ أَنَا
وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ (٣).

وَهَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ قَبْلَ الْفَتْحِ فَاتَّفَقَ لِقْيَاهُمَا النَّبِيُّ صلوات الله وسلامه بِالْجَحْفَةِ
وَهُوَ ذَاهِبٌ لِفَتْحِ مَكَّةَ فَشَهِدَ الْفَتْحَ وَحَنِينًا وَالطَّائِفَ عَامَ ثَمَانَ
وَقِيلَ: كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَحِجَّةِ الْوُدَاعِ سَنَةَ عَشْرٍ، وَصَحِبَ النَّبِيَّ صلوات الله
مِنْ حِينِئذٍ وَلِزْمِهِ، وَأَخَذَ عَنْهُ وَحَفِظَ، وَضَبَطَ الْأَقْوَالَ، وَالْأَفْعَالَ،
وَالْأَحْوَالَ، وَأَخَذَ عَنِ الصَّحَابَةِ عِلْمًا عَظِيمًا مَعَ الْفَهْمِ الثَّاقِبِ،
وَالْبَلَاغَةِ، وَالْفَصَاحَةِ، وَالْجَمَالَ وَالْمَلَاحَةَ، وَالْأَصَالَ، وَالْبَيَانَ (٤).

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:
«كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ،
فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ
عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ
إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٥٨٧).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٤٥٨٨).

(٤) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨١).

اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجْلِكَ، ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٢﴾، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ ﴿١﴾.

وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ لِعُمَرَ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: ذَاكُمْ فَتَى الْكُهُولِ؛ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَوْوَلًا، وَقَلْبًا عَقُولًا ﴿٢﴾.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ: يَا بُنَيَّ! إِنَّ عُمَرَ يُدِينِكَ، فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تُفْشِينَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ﴿٣﴾. قَالَ الشَّعْبِيُّ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ.

قال ابن كثير: وقد استنابه علي بن أبي البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة، وفسر فيها سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، قال من سمعه: فسر ذلك تفسيرًا لو سمعته الروم، والترك، والديلم لأسلموا، ويقول عن نفسه: إِنَّ كُنْتُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٧٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٦).

لَأَسْأَلَ عَنِ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

قال طاووس: ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمان الله من ابن عباس، وقال أبو رجاء: رأيت ابن عباس، وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

قال الواقدي: حدثني داود بن جبير قال: سمعت ابن المسيب يقول: ابن عباس أعلم الناس، وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم من سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر، وعمر، وعثمان منه، ولا أفاقه في رأي منه ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ولا أعلم بما مضى ولا أثبت رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً، ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سألته إلا وجد عنده علماً، قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً.

وقال مجاهد: كان ابن عباس يُسَمَّى البحر لكثرة علمه، وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً، ولا أعظم هيبه، أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه،

(١) «البداية والنهاية» (١٢/٩٠).

وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في واد واسع.

وقال مغيرة عن الشعبي: قيل لابن عباس: إني أصبت هذا العلم قال: بلسان سئول، وقلب عقول.

ومن أقواله ووصاياه العظيمة رضي الله عنه: أن رجلاً يقال له: جندب؛ قال له: أوصني، قال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتية بعد ذلك مقبول، وإلى الله مرفوع، إنك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصل صلاة مؤدع، وأصبح في الدنيا كأنك غريبٌ مسافرٌ فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شسع نعلك، وكان قد فارقتها وصدرت إلى عدل الله، ولكن تتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلماتٍ خيرٍ من الخيل الذهب ^(١)، قال: لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً، ولا تمارين سفيهاً، ولا حلماً فإن الحلیم يعلبك، والسفيه يزدريك، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. فقال رجل عنده: يا ابن عباس، هذا خيرٌ من عشرة آلاف، فقال ابن عباس: كلمةٌ منه خيرٌ من عشرة آلاف.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره،

(١) خيل دهم وجيش دهم، يعني: كثير.

يَعْنِي: أَنْ تُعَجِّلَ الْعَطِيَّةَ لِلْمُعْطَى، وَأَنْ تَصْغُرَ فِي عَيْنِ الْمُعْطِي، وَأَنْ تَسْتَرَهَا عَنِ النَّاسِ فَلَا تُظْهِرُهَا؛ فَإِنَّ فِي إِظْهَارِهَا فَتْحَ بَابِ الرِّيَاءِ، وَكَسَرَ قَلْبِ الْمُعْطَى، وَاسْتِحْيَاءَهُ مِنَ النَّاسِ.

وَقَالَ: أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيَّ جَلِيسٌ لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا يَقَعَ الذُّبَابُ عَلَيَّ وَجْهَهُ لَفَعَلْتُ، وَقَالَ أَيْضًا: لَا يُكَافِي مَنْ أَتَانِي يَطْلُبُ حَاجَةً فَرَأَيْ لَهَا مَوْضِعًا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَا رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ، أَوْ أَوْسَعَ لِي فِي مَجْلِسٍ، أَوْ قَامَ لِي عَنِ الْمَجْلِسِ، أَوْ رَجُلٌ سَقَانِي شَرْبَةَ مَاءٍ عَلَيَّ ظَمًا، أَوْ رَجُلٌ حَفِظَنِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ.

قال عبد الله بن بريدة: شتم رجل ابن عباس فقال: إِنَّكَ لَتَشْتُمْنِي وَفِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِنِّي لَأَتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَوَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ عَلِمُوا مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَعْلَمُ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَقْضِي بِالْعَدْلِ، فَأَفْرُحُ بِهِ، وَلَعَلِّي لَا أَقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ يُصِيبُ الْأَرْضَ مِنْ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرُحُ بِهِ، وَمَا لِي بِهَا مِنْ سَائِمَةٍ أَبَدًا.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَنَّاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؟ فَقَالَ: كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُمَطَّرُ، وَالْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ، فَفَتَقَ هَذِهِ بِالْمَطَرِ، وَهَذِهِ بِالنَّبَاتِ.

وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَنَحَلَ جِسْمَهُ، فَلَمَّا أُصِيبَتِ الْأُخْرَى عَادَ إِلَيْهِ لَحْمُهُ فَقِيلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَصَابَنِي مَا رَأَيْتُمْ فِي الْأُولَى

شَفَقَةً عَلَى الْأُخْرَى، فَلَمَّا ذَهَبَتَا اطْمَأَنَّ قَلْبِي.

رَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ وَقَعَ فِي عَيْنِهِ الْمَاءُ، فَقِيلَ لَهُ: نَنْزِعُ مِنْ عَيْنِكَ الْمَاءَ، عَلَى أَنَّكَ لَا تُصَلِّي سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: نُزِيلُ هَذَا الْمَاءَ مِنْ عَيْنِكَ عَلَى أَنْ تَبْقَى خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا تُصَلِّي إِلَّا عَلَى عُوْدٍ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَّا مُسْتَلْقِيًا، فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ وَلَا رُكْعَةً وَاحِدَةً، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. وَقَدْ أَنْشَدَ الْمَدَائِنِيُّ لِابْنِ عَبَّاسٍ حِينَ عَمِيَ:

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا فِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذِكِّي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسِّيفِ مَأْثُورُ

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ، وَقَالَ: مَاتَ الْيَوْمَ حَبْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ بِسَنَدِهِ إِلَى سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَجَاءَ طَيْرٌ لَمْ يَرِ عَلَى خَلْقِهِ فَدَخَلَ نَعْشَهُ^(١)، ثُمَّ لَمْ يَرِ خَارِجًا مِنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ تَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، مَا يُدْرَى مَنْ تَلَاهَا^(٢): ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي

(١) فكانوا يرون أنه علمه.

(٢) «المعجم الكبير» (١٠/٢٣٦) (برقم ١٠٥٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٨٥): ورجاله رجال الصحيح.

إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].
قال الذهبي: فهذه قضية متواترة^(١).

قال ابن كثير: وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ مَاتَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، رضي الله عن ابن عباس، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصدّيقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٣١-٣٥٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨٧-١١١).

الكلمة الخامسة بعد المئة

مخاطر الابتعاث وضوابطه

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الأمور التي ابتليت بها أمة الإسلام في هذه الأيام، ابتعاث أبناء وبنات المسلمين إلى بلاد الكفار للدراسة دون مراعاة الضوابط الشرعية التي ذكرها أهل العلم، وما يتضمن هذا الابتعاث من المخاطر والمفاسد الشرعية الكثيرة التي يجب على العلماء، وطلبة العلم والدعاة التنبيه عليها وتحذير الناس منها، مع العلم أنه قد كتب جمع من علماء الإسلام ودعاته من مختلف البلاد الإسلامية محذرين من الابتعاث ومخاطره على الدين والأخلاق.

وحيث إن الموضوع واسع لمن أراد الكلام فيه، فسيقتصر حديثي على ذكر المخالفات الشرعية المترتبة على الابتعاث مع إلحاق فتوى هيئة كبار العلماء في ذلك، فمن تلك المفاسد المترتبة على الابتعاث:

أولاً: إضعاف عقيدة الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين والعداوة للكافرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿ [المجادلة: ٢٢].

وأمر الله بالهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد الإسلام، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ [النساء: ٩٧].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهрани المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكباً حراماً بالإجماع» (١).

روى الترمذي في سننه من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَأَى نَارَهُمَا» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين، أو الإقامة بين ظهرا نبيهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلته الشرعية يستطيع الدعوة إليه، والذب عن الشبه التي ترد عليه، ويقوم بأداء الواجبات الشرعية» (٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٢٢٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١١٩/٢) (برقم ١٣٠٧).

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ» (٤/١٩٨).

ثانياً: اعتناق النصرانية، والردة عن الإسلام، وهذا من أخطر وأشد المخالفات الشرعية في الذهاب إلى هناك، وللأسف أنه قد حصلت حالات ردة من بعض المبتعثين هناك، وذكرت بعض الصحف الالكترونية أن ثلاثين من المبتعثين من بلاد الجزيرة قد ارتدوا عن الإسلام، ودخلوا في النصرانية، وهذا العدد من تم تعميدهم رسمياً في الكنيسة، أما من لم يتم تعميدهم في الكنيسة، فقد يزيد عن هذا العدد.

وقد ذكر الشيخ المحدث أحمد بن محمد شاكر: أن كثيراً من المبتعثات ممن سافرن إلى بلاد الكفر، والإلحاد في زمانه ارتددن عن دينهن، وتزوجن برجال من أمريكا، أو أوروبا من اليهود والنصارى^(١).

ثالثاً: كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش، والمحرمات وخاصة فتنة النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ»^(٢).

وَقَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ»^(٣). لا سيما وأن الدراسة مختلطة في بلاد الكفار.

(١) التعليق على «مسند الإمام أحمد» (٦/٢٨٢). نقلاً عن كتاب «الابتعاث: تاريخه وآثاره»، للدكتور عبد العزيز البداح (ص ٣٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٤٠).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧٤٠).

وقد نَشَرَتِ الصُّحُفُ الإِلِكْتِرُونِيَّةُ شَكْوَى بَعْضِ النِّسَاءِ الْمُبْتَعَثَاتِ مِنْ مِضَايِقَةِ الرِّجَالِ لِهِنَّ، فَبَعْضُهُنَّ يَرْجِعُ الْمَحْرَمَ الَّذِي سَافَرَ مَعَهَا، وَتَبْقَى هَذِهِ الْمَسْكِينَةُ لَوْحَدَهَا فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ تَتَعَرَّضُ لِلْفِتْنَةِ، وَالْإِغْرَاءِ، فِإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكِي.

كَمَا نَشَرَتِ بَعْضُ الْمَوَاقِعِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ صُورًا جَمَاعِيَّةً لِبَعْضِ الْمُبْتَعَثِينَ وَالْمُبْتَعَثَاتِ: مِنَ الشَّبَابِ وَالْفَتِيَّاتِ، وَهُمْ فِي أَوْضَاعٍ مُخْتَلِطَةٍ، وَالْمُبْتَعَثَاتُ فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا: مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ؛ مِمَّا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ، وَيَتَفَطَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ كَمَدًّا وَحَسْرَةً، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

رَابِعًا: أَنَّ الْمَسَافِرَ هُنَاكَ لَا يَسْلَمُ مِنْ انْحِرَافِ عَقَدِيٍّ، أَوْ خُلُقِيٍّ، أَوْ عَمَلِيٍّ فِي الْعِبَادَةِ وَغَيْرِهَا، وَإِنْ سَلِمَ فَرُبَّمَا تَبْقَى مَنَاطِرُ هَذِهِ الْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا الْكُنَائِسُ وَأَمَاكِنُ الْفَسَادِ، وَالتَّبَرُّجِ، وَالخِلَاعَةِ، وَتَبَاعِ فِيهَا الْخُمُورِ عَلَنًا، وَتَوْجُدِ فِيهَا أَمَاكِنَ لِلْبَغَاةِ فِي الطَّرِيقَاتِ فِي ذَاكِرَتِهِ وَكُفَى بِهَا مَفْسُودَةٌ.

خَامِسًا: تَأْثُرُ الْمَسْلَمَ بِالْكَثِيرِ مِنْ تَقَالِيدِ الْكُفَّارِ، وَعَادَاتِهِمُ السَّيِّئَةِ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِهِ بِهِمْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهُ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

سَادِسًا: التَّعُودُ عَلَى عَدَمِ الْإِكْتِرَاطِ بِالدِّينِ، وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ لِأَدَابِهِ وَأَوَامِرِهِ، وَنَوَاهِيهِ.

(١) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ فِي «مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» (٩/١٢٣)، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (١٥/٥٠٩): إِسْنَادُهُ صَالِحٌ.

سابعًا: أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١). إلى غير ذلك من المفاسد.

وقد صدر قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية برقم ٨٨ في ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ وهذا نصه:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثامنة عشرة المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من يوم ٢٩ / ١٠ / ١٤٠١ هـ إلى نهاية يوم الأربعاء الموافق ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ استعرض بعض ما استهدفت به الأمة الإسلامية عامة من بث للمذاهب الهدامة، والمبادئ الأخلاقية المنحرفة، وما قصدت به شبيبة الدولة السعودية خاصة، وما أريد لها من انحراف في الأخلاق، والعقيدة لما لهذه الدولة، وشعبها من مكانة عالية في نفوس الشعوب الإسلامية، ولما هي

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٤٩).

عليه من التمسك بعقيدة الإسلام الصافية، والتخلق بآدابه النبيلة، ولأن شعب هذه البلاد ركيزة الإسلام، فإذا أُفسدوا سهل إفساد سواهم، وقد استعرض المجلس وسائل أعداء الإسلام في إفساد الشبيبة، واستمع إلى شرح كثير من الوقائع، واستعاد استعراض بعض ما سبق أن أبداه في مجال إصلاح وسائل الإبقاء على كيان الأمة، وحماية شبابها من التفسخ، والانحلال والانحراف الفكري.

ونظرًا لأن أعظم أسباب انحراف الشباب في مسالك الرذيلة، والوقوع في شرك أعداء الإسلام، والتنكر لما عليه أمتنا في عقيدتها، وأخلاقها، وعاداتها والانقلاب على أوضاعها الإسلامية، ومعاداة سلطاتها، والنظر إليها بالازدراء والوقوف موقف العداء إرسالهم في حال طراوتهم، وخلو أنفسهم من الحصانة الدينية بمبادئ الشريعة، وعدم التسلح بالعلم لمواجهة التيارات الفكرية، والخلقية المتربصة بهم، وإخراجهم من جوهم الإسلامي قبل بلوغهم المرحلة التي يصعب فيها على أعداء الإسلام إغراؤهم، وتحويلهم إلى أعداء لأمتهم، ودينهم، وولاية الأمر في بلادهم.

ولقد ذكر للمجلس - إضافة إلى ما سبق له معرفته - حوادث أليمة، وقضايا مزعجة، سببها خروج الشباب المتوقد حيوية، وفتوة، وقوة من جو محتشم محافظ على قيمه، وعفته إلى جو مملوء بالإغراء مشبع بالانحلال يتصيد مجتمعه شباب المسلمين عن قصد وتعمد، فيدفعهم إلى إشباع رغباتهم الجنسية، وإمتاع نفوسهم بشهوات خبيثة دفعًا عنيفًا، ويسلط عليهم أنواعًا من

الإغراء، ويحاول تشكيكهم بدينهم، وتضخيم عيوب السياسة في أوطانهم، فإن وجدهم بوضع من التأهيل العلمي الشرعي بحيث يتعسر عليه انحلالهم وتشكيكهم، التمس إبراز عيوب حكوماتهم، وابتعادها عن أحكام الإسلام إلا من شاء الله، واختلاق عيوب غير موجودة، واستغل حماسة الشباب المتدينين لدينهم ليتوجهوا إلى التطرف فيخرجوا بأنفسهم عن العمل الإصلاحي إلى عمل تفريق الأمة، وزعزعة كيانها، وتفريق صفها، والعمل على قلب أنظمة الحكم فيها، ونظرًا لأن ولاية الأمر هم الأمناء على الأمة وعليهم مسئولية الأخذ بأيدي الناس إلى الوجهة السليمة، وإصلاح ما يرونه خطرًا على أمن البلاد، ودينها، ولأن الشباب هم ركيزة الأمة، ورجال غدها، وحراس كيانها، فجدير أن يحتاط لهم بكل ما يمكن من السعي في دفع أسباب انحرافهم، وجلب ما يصلحهم، ومن القواعد الشرعية الهامة أن دفع المفسد مقدم على جلب المصالح، ولأن كثيرًا ممن يخرجون من البلاد للدراسة في بلاد الغرب يفاجؤون بحضارة صاخبة، ومفانن منتشرة، وفتن متعددة، فتن الجنس، والشراب، والتشكيك، وقل أن يعود الطالب إلا وفي نفسه ما فيها من تأثير بما رأى، وسمع، ومارس، كل على حسب حاله ونظره للأمر فيعود وقد احتقر أوضاع بلاده، وأحب ما عليه أهل تلك البلاد من انطلاق بلا حدود، ولا قيود، ومن تقدم في ميدان العلوم العصرية بمختلف أنواعها مع غفلتهم عما عليه أولئك من بُعد عن الأخلاق، والشيم، والعفة، والحياء، واستمتاع

بكافة ما تريده الأنفس المنحلة بلا رقيب، ولا محاسب، فيكون هذا الطالب قد جلب على وطنه، وأمته، شرًّا، وجر عليهم بلاءً، ودمارًا، وصار داعية سوء، ومعول هدم للأخلاق، والقيم.

ونظرًا لأن البلاد بحمد الله قد توافر فيها التعليم في كافة مراحلها ولا تفتقر إلا إلى بعض التخصصات العلمية العصرية؛ ولأن ولي الأمر عليه أن يدل رعيته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم؛ ولأن النساء يخرجن إلى الغرب يرين ما عليه النساء هناك من التهتك، والعري، والعلاقات بالرجال الأجانب، ولو كن ذوات أزواج مع ما يحصل من اختلاط في الدراسة لمن رغبت منهن في دراسة عامة أو خاصة، أما اللاتي لم يتزوجن وإنما ذهبن للدراسة فالعلاقة بين الطالب والطالبة هناك أمر غير مستنكر، ولا مستغرب، تزوره، ويزورها، وقد حدثت أمور لا يرضى الله عنها، ولا رسوله، وإذا كان سفر المرأة بدون محرم محرماً ومعصية لله عز وجل، ولو كان لحج بيت الله الحرام، فكيف بسفر يفضي إلى اختلاط وخلوات، وشرور لا نهاية لها.

ولهذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى أن النصح لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم يقضي بأن يتخذ ولاية الأمر وفقهم الله لإرضاء الله سُبْحَانَهُ، وحماية عباده من الفساد، وحماية هذه الأمة من التفكك ما يلي:

١- منع ابتعاث البنات للخارج منعاً باتاً لا استثناء فيه، ومن كانت متجاوزة مرحلة الدراسة العالية وفي تخصصها مصلحة

محققة للأمة، فإن على الدولة وفقها الله تهيئة الوسائل اللازمة لذلك في داخل المملكة، وقد منحها الله سبحانه إمكانيات مادية يسهل معها بإذن الله كل صعب؛ لأن سفر المرأة للدراسة في الغالب تربو مفسده على مصالحه، ودفع المفسد مقدم على جلب المصالح، ويتعين عدم السماح لأي إنسان أن يبعث بنته، أو من له عليها ولاية للدراسة في الخارج، سواء في البلاد المجاورة، أو بلاد الغرب، ولو على حسابه الخاص؛ لأن الأخذ على يد مثل هؤلاء فيه نجاة الجميع، كما في حديث: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ...» الحديث^(١).

٢- عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين والعسكريين على حساب الدولة، أو على الحساب الخاص إلا بعد مرحلة الجامعة، وبعد الزواج، والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته، ويعرف عقيدة السلف، والمذاهب الهدامة والمنحرفة، ويعرف زيفها لئلا يسهل صده عن دين الله.

٣- عدم إرسال أي شخص للتخصص في أعمال نظرية كالإدارة واللغات، والاقتصاد، ونحوها، أما في علوم الإسلام وتاريخه فيجب منعه في كل مرحلة، وأن يعاقب من أرسل أولاده للدراسة، وأن لا تعتبر شهادته في البلاد.

٤- يجب إجراء تحريات كاملة عن كل شخص يراد ابتعاثه

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٩٣).

للتخصص لِيُعرَفَ مدى حفاظه على دينه، وأخلاقه، وثباته على ولائه لدولته، وإعطاؤه دورة يدرس فيها أحوال تلك البلاد التي سوف يذهب إليها.

٥- أن يقتصر في التخصصات على ما لا يمكن حصوله في البلاد كعلوم بعض الصناعات التي لا يوجد لها نظير في بلادنا كعلوم الذرة، ومتى أمكن جلبها إلى البلاد وجب ذلك حتى يستغنى عن الابتعاث.

٦- عدم تمكين أي جهة حكومية، عسكرية كانت أو مدنية، وأية مؤسسة حكومية، أو تجارية، بابتعاث منسوبيها سواء لدورات دراسية، أو لدراسة نظامية لنيل شهادة إلا عن طريق جهة الاختصاص في التعليم بعد توافر الشروط للتخصص وصفة المبتعث، وسنه، وأن يكون حسن السيرة معروفاً بالعقل الراجح.

٧- أن يجلب كل من لا تتوفر فيه الشروط السابقة، ويعاد لإكمال دراسته في الداخل، سواء من كان على حساب نفسه وذويه، أو على حساب الحكومة، أو إحدى المؤسسات.

٨- يوكل إلى جهة حق الرقابة على مخالفة ما تقدم، وجعل مخبرين في السفارات، والملحقيات التعليمية، لترفع تقاريراتها عن كل مخالفة، وتعمد وزارة التعليم العالي، وجميع الوزارات، والمصالح، بإبلاغ الجهة المختصة عن كل مخالفة، وإذا تم ذلك على الوجه المطلوب حصل به إن شاء الله الخير العظيم للأمة في

دينها، وديناها، والسلامة في عقيدتها، وأخلاقها، والله الموفق.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

رئيس الدورة:

عبد الله خياط

عبد العزيز بن صالح

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عبد الله بن محمد بن حميد

محمد بن علي الحركان

سليمان بن عبيد

راشد بن خنين

عبد الرزاق عفيفي

إبراهيم بن محمد آل الشيخ

محمد بن جبير

صالح بن غصون

عبد الله بن غديان

عبد الله بن قعود

عبد المجيد حسن

صالح بن لحيدان

عبد الله بن منيع

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة بعد المئة

مجالس الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»^(١).

قال القاضي عياض: ومعنى «قِيلَ وَقَالَ»: الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعني من أحوالهم؛ قيل: كذا، وقال فلان: كذا، فقيل: كذا، وعلى هذا نقول^(٢).

وهذا الحديث ينطبق على طائفة من الناس ليس لهم شغل إلا الحديث عن الناس، وأحوالهم، والتفاصيل الدقيقة في ذلك، والذي يتأمل في مجالس الناس واجتماعاتهم، يجد أن الكثير منها يتحدثون فيه بشتى الموضوعات، فمن السياسة إلى الاقتصاد إلى المسائل الشرعية التي لا يصلح أن يتكلم فيها إلا كبار العلماء، إلى الخوض في أعراض الناس، إلى نقل الشائعات والنكت المكذوبة،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٩٣).

(٢) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٥/٥٩١).

إلى التفصيل في أحوال الناس ومعيشتهم، فلان طلق زوجته، فلان طرد من وظيفته، فلان خسر في تجارته، وهكذا يذهب الوقت في قيل وقال.

ولا شك أن ما سبق يوقع المسلم في عدد من المخالفات الشرعية، فمن ذلك:

أولاً: أن هذا من لغو الكلام الذي ينبغي الإعراض عنه والاشتغال عنه بما يفيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «ذكر بَجَلٌ وَعَبَلٌ في هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين إعراضهم عن اللغو وأصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل وما توجب المروءة تركه».

وما أثنى الله به على المؤمنين المفلحين في هذه الآية أشار له في غير هذا الموضع كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوْا لَهُ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. ومن مرورهم به كراماً: إعراضهم عنه وعدم مشاركتهم أصحابه فيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]^(١).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات ينقسمون أقساماً ثلاثة، أحدهما: من لا يبالي فيما أنفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق إلى

(١) «أضواء البيان للشنقيطي» (٥/ ٨٢٧-٨٢٨).

لسانه غير محقق نصر حق، ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس. والثاني: أن يتكلم ناصرًا لما وقع في نفسه أنه حق، ودافعًا لما توهم أنه باطل، غير محقق لطلب الحقيقة، لكن لجأً فيما التزم، وهذا كثيرٌ وهو دون الأول. والثالث: واضح الكلام في موضعه، وهذا أعز من الكبريت الأحمر^(١).

ثانيًا: أنه ورد الترغيب من السلف الصالح في ترك ما لا يعني، وورد بذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ ضعفه بعض أهل العلم، وحسنه بعضهم: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٢).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ: لَا تَكَلِّمَنَّ فِيْمَا لَا يَعْنِيكَ، حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: مَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ شُغِلَ عَنِ النَّاسِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيْمَا يَعْنِيهِ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعُدُّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ فَيُجَازِفُ وَلَا يَتَحَرَّى، وَقَدْ خَفِيَ هَذَا عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حَتَّى سَأَلَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَنْؤَاخِذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّمَكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»^(٣).

(١) «تبويب كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم، للدكتور علي يحيى (ص ٢٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣١٧).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد نفى الله الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الفرقان: ٧٢] (١).

قال ابن رجب: «ودخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين، وقال الحسن: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، وقال سهل بن عبد الله التستري: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله ﷻ (٢). وقال عبد الله ابن مسعود: أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته» (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي شريح العَدَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (٤). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» (٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٣٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٣٩).

(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ٨٠).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٧).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (١٩/١١) (برقم ٦٤٨١)، وقال محققوه: حديث حسن.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعُكَ بَيْتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(١).

قال الإمام النووي: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة، والسلامة^(٢) لا يعدلها شيء. اهـ

قال الشاعر:

إِنْ كَانَ يُعْجِبُكَ السُّكُوتُ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يُعْجِبُ قَبْلَكَ الْأَخْيَارَا
وَلَيْنَ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا
إِنَّ السُّكُوتَ سَلَامَةٌ وَلَرُبَّمَا زَرَعَ الْكَلَامُ عَدَاوَةً وَضِرَارًا
وَإِذَا تَقَرَّبَ خَاسِرٌ مِنْ خَاسِرٍ زَادَا بِذَلِكَ خَسَارَةً وَتَبَارًا

ثالثًا: أن هذه الأخبار التي تتناقل بين الناس ويحدث بعضهم بعضًا بها لا تسلم من الكذب والشائعات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(٣).

رابعًا: أن هذا قد يدخل في تتبع عورات المسلمين وزلاتهم،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٤٠٦)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٩/٢).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٥).

وهو أمر منهي عنه، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(١).

وقد يؤدي ذلك إلى الوقوع في الغيبة فإن الناس في الغالب يكرهون نقل أخبارهم، وأسرارهم إلا ما حسن منها، وتكلم رجل في حق رجل، فقال له صاحبه: أغزوت الروم؟ قال: لم أفعل، قال: سلم منك النصراري ولم يسلم منك أخوك المسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٢).

خامساً: أن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَلْسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»^(٣)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٤).

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/٣٣) (برقم ١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٢).

(٣) تِرَةٌ: يعني: حسرة وندامة.

(٤) «سنن الترمذي» (برقم ٣٣٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

سادسًا: أن هذا من إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وسيسأل المرء عن كل لحظة من لحظات حياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: ذَكَرَ مِنْهَا: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟»^(١).

الخلاصة: أنه ينبغي للمؤمن أن يكون جادًا في حياته، حافظًا لوقته، مشغولًا بما ينفعه، كما وردَ في الحديث: «أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ»^(٢)، وأن يكون بعيدًا عن سفاسف الأمور، مترفعًا عن الرذائل، وحوارم المروءة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

الكلمة السابعة بعد المئة

مواقف مؤثرة

من سيرة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وإمام من أئمة الدين، نصر الله به السنة، وقمع به البدعة.

ولد رَحِمَهُ اللهُ بغزة وهي مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر جنوب فلسطين سنة (١٥٠هـ) من شهر رجب، واشتهر بالذكاء والحفظ منذ صغره، يقول عن نفسه: كنت في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها، فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: لا يحل لي أن آخذ منك شيئاً، واستمر على ذلك، حتى جمع القرآن وهو ابن سبع سنين.

نشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة فتحولت به إلى مكة وهناك تعلم العربية، والشعر، ثم حُبب إليه الفقه فساد أهل زمانه، وصنف التصانيف العظيمة في الفقه، وأصوله، والأنساب، والأدب وغيرها.

إنه إمام الدنيا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن

شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلب الشافعي المكي الغزي المولد نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، كان أبيض جسيماً، طويلاً جميلاً مهيباً يخضب بالحناء مخالفة للشيععة، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيماً، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «ما أحد مس بيده محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في رقبتة منة، ولولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث، وكان الفقه مقفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي».

وقال أيضًا عندما سأله ابنه فقال له: يا أبت أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر الدعاء له، فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض.

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحوًا من أربعين سنة وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١)، قال: فعمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لما نظرت الرسالة للشافعي

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٢٩١)، وصححه ابن حجر والعراقي. كما في «سنن أبي داود» (ص ٤٦٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٣٥).

أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل، فصيح نصيح، فإني أكثر الدعاء له، وما ظننت أن الله خلق مثل هذا الرجل».

وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي: «لشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، من شرف نسبه، وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظه الكتاب والسنة، وسيرة الخلفاء، وحسن التصنيف، وجودة الأصحاب والتلامذة، مثل أحمد ابن حنبل في زهده وورعه وإقامته على السنة».

وكان الشافعي يقول: «العلم علمان: علم الدين وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث، وأنشد يقول:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَأُسُ الشَّيَاطِينِ»

وسئل: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان، فقيل له: فكيف حرصك؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

سَأَضْرِبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا أَنْأَلُ مُرَادِي أَوْ أَمُوتُ غَرِيبًا

فَإِنْ تَلَفَتْ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ سَلِمَتْ كَانَ الرَّجُوعُ قَرِيبًا

وكان يقول: «قراءة الحديث خير من صلاة التطوع، وطلب العلم أفضل من صلاة النافلة». وكان يقول: «من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه». وقال: «وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأُوجِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمَدُونِي».

وقال أيضًا: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي، وَإِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ.

وكان من العباد الزهَّاد، قال الربيع بن سليمان: «كان الشافعي قد جزأ الليل، فثلثه الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام، وكان يختم القرآن في كل رمضان ستين ختمة، وفي كل شهر ثلاثين ختمة».

ومن أقواله العظيمة: «العلم ما نفع وليس العلم ما حفظ». وقال: «ما شبت منذ ست عشرة سنة إلا مرة، فأدخلت يدي فتقيأتها؛ لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف العبادة». وقال: «لا يكمل الرجل إلا بأربع: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة». وقال: «العاقل من عقله عقله عن كل مذموم». وقال: «من لم تعزه التقوى فلا عز له». وقال: «وما فزعت من الفقر قط، طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد».

وقيل له: ما لك تكثر من إمساك العصا، ولست بضعيف؟ قال: لأذكر أني مسافر، وقال: من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا، وقال: الخير في خمسة: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، والتقوى، والثقة بالله، وقال: اجتناب المعاصي، وترك ما لا يعينك ينور القلب، عليك بالخلوة وقلة الأكل، وإياك ومخالطة السفهاء، ومن لا ينصفك.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا تكلمت فيما لا يعينك ملكتك الكلمة ولم تملكها، وقال: المروءة أركان أربعة: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك، وقال أيضاً: والتواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة».

وقال أيضاً: إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله.

آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة.

وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله.

وهذه الأقوال السابقة تدل على كمال عقله وفصاحته، فقد كانوا يعدونه من عقلاء الرجال.

قال الذهبي: «لا نلأم والله على حب هذا الإمام؛ لأنه من رجال

الكمال في زمانه». فرحم الله الشافعي، وأين مثله في صدقه، وشرفه، ونبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه، وقال الربيع بن سليمان: «لو وزن عقل الشافعي بنصف عقل أهل الأرض لرجحهم، ولو كان من بني إسرائيل لاحتاجوا إليه».

وكان رَحِمَهُ اللهُ كريماً يُضرب به المثل مع أنه كان في أكثر حياته فقيراً، فإذا أتاه مقدار من المال أنفقه، وتصدق به على الفقراء والمحتاجين، قال الحميدي: قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار، فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها، قال أبو ثور: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال، فقلت له: لو اشتريت به ضيعة لولدك، وكان قل أن يمسك شيئاً من سماحته، فخرج ثم قدم، فسألته فقال: لم أجد بمكة ضيعة يمكنني شراؤها بمعرفتي ولكنني بنيت بمنى مضرّباً يكون لأصحابنا إذا حجوا نزلوا فيه، قال أبو ثور: فرآني كأني اهتمت بذلك فأنشد:

إِذَا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمِي فَخَلَّ اللَّهُ عَنِّي يَا سَعِيدُ
وَلَا تَخْطُرُ هُمُومٌ غَدٍ بِبَالِي فَإِنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ

قال المزني: «دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وعلى الله واردًا، ما أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوِكَ سَلَمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمًا»

وكانت وفاته بمصر يوم الخميس، وقيل: يوم الجمعة في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة رَحِمَهُ اللهُ، وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه.

قال الربيع: «رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب»^(١).

رحم الله الشافعي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنه الدرجات العلى.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٠٠-٩٩)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٣٢-١٤٠).

الكلمة الثامنة بعد المئة

التحايل على الأحكام الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد جاء في الأخبار الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَيَكُونُ فِيهَا مَنْ يَتَّبِعُ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَيَقْلُدُهُمْ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ. ففِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟»^(١).

وقد ارتكبوا من الضلالات، وانتهاك الحرمات، ما استحقوا به غضب الله ولعنته، ومن أعظم ذلك استحلال المحرمات بالحيل وهو فعل اليهود، وقد ذكر الله ﷻ عنهم ذلك وأنهم لما حرم عليهم صيد السمك في يوم السبت جعلوا الشباك يوم السبت وأخذوه يوم الأحد فكانت عقوبتهم المسخ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٩).

وفي مسألة أخرى أخبر النبي ﷺ: أنه لما حرمت عليهم الشحوم أذابوها وباعوها وأكلوا ثمنها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»^(١). كل ذلك مخادعة لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من يخادع الله يخدعه.

قال ابن القيم رحمته الله: «ولا ريب أن من تدبر القرآن، والسنة، ومقاصد الشارع جزم بتحريم الحيل وبطلانها، فإن القرآن دل على أن المقاصد والنيات معتبرة في التصرف، والعادات، كما هي معتبرة في القربات، والعبادات، فيجعل الفعل حلالاً أو حراماً، وصحيحاً أو فاسداً، وصحيحاً من وجه وفساداً من وجه، كما أن القصد والنية في العبادات تجعلها كذلك، وشواهد هذه القاعدة كثيرة جداً في الكتاب والسنة»^(٢).

كما أخبر رضي الله عنه أنه نهاهم عن خصلتين من الضلال طالما فعلوهما وهما: كتم الحق عمن يجهله، ولبس الحق بالباطل على من يعرفه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وإن من مظاهر اتباعهم ومجاراتهم في هذه الضلالات، ما يقوم به بين الحين والآخر بعض المنافقين من بني جلدتنا من محاولات لاستحلال المحرمات

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٢٣٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٨١).

(٢) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/٥١٥).

التي ينتج عنها نشر الرذائل في المجتمع بحيل شيطانية يهودية، أو نصرانية، فإذا أرادوا نشر شيء من تلك القبائح توسلوا إلى استحلاله بأنه سيكون وفق الضوابط الشرعية هكذا يزعمون وهم في الحقيقة يكذبون، ويخادعون، وتصرفاتهم ولحن أقوالهم تدل على أنه لا اعتبار للشرع عندهم ولا لضوابطه.

برهان ذلك: أنهم لا يرجعون إلى العلماء ولا يقبلون ما يفتون به، وهؤلاء المنافقون يعلمون أنه لا يمكنهم هدم الدين الذي ينتسبون إليه ظاهراً ويعادونه باطناً مباشرة كما يعلمون أن أكبر المعاول لهدمه هو هدم الأخلاق، فيسعون إلى هدمها، ويستخدمون في ذلك أكبر معاول الهدم وأشدّها فتكاً وهي المرأة، بالسعي إلى الأخذ من خطط إبليس اللعين الذي يمدّهم بتعاليمه الخبيثة وهي كشف العورات، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧]. لذلك فإني أوجه التحذير والإنذار إلى طائفتين:

الأولى: الطائفة التي سبق وصف حالهم، أن يتقوا الله فإنهم إنما يخادعون الله، والله خادعهم، وأنه لا ينفعهم التسمي باسم الإسلام، أو العيش بين ظهрани أهله، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ تَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فلتنم أنفسكم وتريصتم وآرتبتم وعركتم الأمانى حتى جاء أمر الله وعركم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا

مَأْوَانِكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

وَلَا يَغُرَّتْهُمْ إِنْفَاقُهُمْ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ، أَوْ صَدَقَةٍ عَلَى مَحْتَاجٍ، فَهَذِهِ أَمْوَالٌ أُخِذَتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ أَنْفَقُوا فِي عِدَاوَةِ رَبِّهِمْ، وَمِحَارِبَةِ دِينِهِ أَضْعَافَ ذَلِكَ كَثِيرًا، رَوَى ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا أَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلَالًا هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(١).

وَلَا يَغُرَّتْهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمْهَلَهُمْ وَلَمْ يَعْجَلْ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ وَبِمِثْلِ هَذَا اغْتَرَّ سَادَتُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: ﴿لَوْلَا يَعِدُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، قَالَ اللَّهُ: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَسَّ الْمَصِيدُ﴾ ﴿٨﴾ [المجادلة: ٨].

الطائفة الثانية: قوم مشوا في ركاب هؤلاء وأيدوهم جهلاً، أو تجاهلاً، غفلة، أو تغافلاً، فطبقتوا تعاليمهم ومارسوا ما يملونه عليهم، وهم يقودونهم إلى مهاوي الردى، شعروا أم لم يشعروا، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الطائفتين جميعاً، الداعي والمستجيب،

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ٤٢٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣/٢) (برقم ٥٠٥).

فيما حذر الأمة منه مما يقع من الفتن في آخر الزمان فقال: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»^(١).

وما الدعوات التي نسمعها هنا وهناك من فتح دور السينما، وقيادة المرأة للسيارة، وفتح النوادي النسائية، وتأسيس المحلات التجارية، والاختلاط في مقاعد الدراسة بين الذكور والإناث، ومشاركة المرأة في الكشافة وغيرها، مما تم لهم تطبيقه أو يسعون إلى تنفيذه إلا أمثلة على خطتهم الماكرة التي يسعون من خلالها إلى إيقاع الفتنة بين ولاية الأمر وشعوبهم، بدلاً من إطفائها، والسعي إلى جمع الشمل، وتوحيد الكلمة، وتنفيذ توجيهات علماء الأمة، والالتفاف حولهم.

وهذه فتاوى العلماء في بعض ما ذكر:

بيان اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حول ما نُشر في الصحف عن المرأة^(٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فمما لا يخفى على كل مسلم بصير بدينه، ما تعيشه المرأة المسلمة تحت ظلال الإسلام، وفي هذه البلاد خصوصاً، من كرامة، وحشمة، وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي

(١) قطعة من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٧٠٨٤).

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (١٧/٢٤٤)، بتاريخ ٢٥/١/١٤٢٠هـ.

أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه في الجاهلية، وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لأداب الإسلام، من تسيب وضياع وظلم.

وهذه نعمة نشكر الله عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلا أن هناك فئات من الناس ممن تلوثت ثقافتهم بأفكار الغرب، لا يُرضيهم هذا الوضع المشرف، الذي تعيشه المرأة في بلادنا من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة، والبلاد العلمانية، فصاروا يكتبون في الصحف، ويُطالبون باسم المرأة بأشياء تلخص في:

١- هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وبقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقول عائشة رضي الله عنها في قصة تخلفها عن الركب، ومرور صفوان بن المعطل رضي الله عنه عليها، وتخميمها لوجهها لما أحست بالرجال، قالت: «وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ»^(١) وقولها: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا مَرَّ بِنَا الرَّجَالِ سَدَلَتْ إِحْدَانَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٦٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٧٠).

خِمَارَهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزْنَا كَشَفْنَاهُ»^(١).

إلى غير ذلك مما يدل على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة من الكتاب والسنة، ويريد هؤلاء منها أن تُخالف كتاب ربها وسنة نبيها، وتصبح سافرة يتمتع بالنظر إليها كل طامع وكل من في قلبه مرض.

٢- ويُطالبون بأن تُمكّن المرأة من قيادة السيارة، رغم ما يترتب على ذلك من مفاسد وما يُعرضها له من مخاطر لا تخفى على ذي بصيرة.

٣- ويُطالبون بتصوير وجه المرأة، ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي، ويطمع فيها كل من في قلبه مرض، ولا شك أن ذلك وسيلة إلى كشف الحجاب.

٤- يُطالبون باختلاط المرأة بالرجال، وأن تتولى الأعمال التي هي من اختصاص الرجال، وأن تترك عملها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعمون أن في اقتصرها على العمل اللائق بها تعطيلاً لها.

ولا شك أن ذلك خلاف الواقع، فإن توليتها عملاً لا يليق بها هو تعطيّلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة من منع

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٨٣٣)، وفي سنده ضعف؛ ويشهد له حَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُا قَالَتْ: كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. رواه مالك في «الموطأ» (برقم ٩٧٣)، وقال محققه: أثر صحيح.

الاختلاط بين الرجال، والنساء، ومنع خلوة المرأة بالرجل الذي لا تحل له، ومنع سفر المرأة بدون محرم، لما يترتب على هذه الأمور من المحاذير التي لا تُحمد عقباها.

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَبُيُوتَهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ»^(١) كل ذلك من أجل المحافظة على كرامة المرأة، وإبعادها عن أسباب الفتنة.

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على كرامة نساءهم، وأن لا يلتفتوا إلى تلك الدعايات المضللة، وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدعايات، وانخدعت بها من عواقب وخيمة، فالسعيد من وعظ بغيره.

كما يجب على ولاة الأمور في هذه البلاد أن يأخذوا على أيدي هؤلاء السفهاء، وأن يمنعوهم من نشر أفكارهم السيئة، حماية للمجتمع من آثارها السيئة، وعواقبها الوخيمة، فقد قال النبي ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٢)، وقال ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٣)، ومن الخير لهن المحافظة

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٨١ / ٨) (برقم ٤٦٥٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح. ورواه في موضع آخر (٣٤٠ / ٩) (برقم ٥٤٧١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥١٨٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٨).

على كرامتهن، وعفتهن، وإبعادهن عن أسباب الفتنة.
 وفق الله الجميع لما فيه الخير، والصلاح، وصلى الله وسلم
 على نبينا محمد وآله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو
 بكر أبو زيد صالح الفوزان
 عضو
 عبد الله بن غديان

نائب الرئيس
 عبد العزيز آل الشيخ
 الرئيس
 عبد العزيز بن باز

بيان المشايخ العلماء: الجبرين، والبراك، والراجحي

في حكم الأندية الرياضية النسائية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد: فإن المطالبة بفتح أندية رياضية للنساء مخالفة
 ظاهرة لما جاءت به الشريعة - شريعة الله لا الشريعة الدولية - من
 أحكام قويمة فيها صيانة كرامة المرأة المسلمة عن التدنس بأخلاق
 الجاهلية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
 الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي لزوم المرأة المسلمة وإلزامها بالآداب الشرعية، سلامة
 المجتمع من شر فتنة النساء، وطهارته من شيوع الفاحشة، وأسبابها،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩].

ولا ريب أن الذين يطالبون بفتح هذه الأندية النسائية لهم نصيب من هذا الذم، والوعيد، فإن فتح هذه الأندية من أعظم الأسباب، وأوسع الأبواب لإشاعة الفاحشة، ولهذا نُحذر عموم المسلمين من الانخداع بالدعايات المضللة لهذه الأندية، ونُحذر أولئك المطالبين، من سخط الله وعقابه لما يتسببون فيه من شر على هذه الأمة، وما يجنونه على المرأة، والمجتمع من مفسد هذه الأندية عاجلة، وأجلة.

وإننا نذكر الجميع بالله الذي سنقدم عليه، ونقف بين يديه، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلَّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ»^(١).

ووالله الذي لا إله إلا هو: إن افتتاح هذه النوادي ليس عملاً صالحاً، بل هو حرام لما يُفضي إليه من المفسد المحققة، فالمرأة في كل زمان ولا سيما هذا الزمان أحوج ما تكون إلى القرار الذي أمر الله به نساء نبيه ﷺ في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

وما يُذكر من شبهة خروج بعض النساء للرياضة بالدوران على بعض المباني هو خطأ من قلة من النساء، لا يصح أن يعالج بخطأ أعظم منه، وهو فتح أبواب واسعة لخروج المرأة في كل

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٠١٦).

نواحي المملكة.

ومعلوم أن هذه الأندية لا تحقق الرياضة إلا للمشاركة في المباريات، وهذا لا يُتاح إلا لقلّة من النساء كما هو الشأن في أندية الشباب، وسائرهن يحضر للتفرّج والتشجيع كل لفريقه، كما أن من المعلوم أنه لن يرتاد هذه الأندية من النساء إلا من تكون قليلة الحياء، أو عديمته.

وعلى هذا: فهذه الأندية حقيقتها ملاعب، وملاهي، وستضاف مفسد هذه الأندية النسائية، أخلاقية وأمنية إلى ما تعانيه الأمة من مفسد أندية الشباب.

هذا ويجب أن يُعلم: أن تحريم فتح هذه الأندية ليس تحريمًا لجنس الرياضة، فللمرأة أن تمارس الرياضة في بيتها بالوسائل المتاحة لها وهي كثيرة، ولها أن تُسابق زوجها في مكان خال كالبرية ونحوها كما سَابقَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرَّتَيْنِ، رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد^(١). ومن العجب أن يُجعل ذلك دليلًا على فتح الأندية.

نسأل الله أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه الخير، والصالح لهم، ولرعيتهم، وأن يرزق الجميع البصيرة في الدين، والاستقامة عليه،

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ١٩٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٤٠/١٤٤-١٤٥) (برقم ٢٤١١٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه^(١).

الموقَّعون

عبد الرحمن بن ناصر البراك

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

رسالة من الإمام عبد الله بن حميد إلى الملك فيصل رحمهما الله

نشرت في كتاب الدرر السنوية المجلد الخامس عشر، وفيها:

ومن أهم ما يجب المبادرة إلى رفعه وإزالته، أو دفعه وعدم إقراره، هو: وجود هذه السينمات التي انتشرت في أكثر الأماكن، وما يعرض فيها من صور خليعة، وأمراض أخلاقية فتاكة، تقتل ما في الإنسان من رجولية، أو مروءة، أو ديانة، إنها والله فح نصبه لنا أعداؤنا، ليذهبوا ما فينا من حماسة أخلاقية، امتاز بها المسلمون على غيرهم، وقد أدركوا ما يريدون من كثير من أبناء المسلمين بسببها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فتاوى تحريم توظيف النساء محال بيع المستلزمات النسائية:

قال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: «إن توظيف النساء في محال بيع المستلزمات النسائية، وجعل المرأة في مواجهة الرجال تحاسب، وتبيع بلا حياء ولا خجل، تترتب عليه مصائب كثيرة

(١) «البيان» بتاريخ ١٣/٥/١٤٢٨هـ، المصدر: مكتب الشيخ عبد العزيز الراجحي.

يتحمل أوزارها التجار أصحاب هذه المحال، وأكد أن التساهل في توظيف النساء في أعمال يكن فيها في مقابلة الرجال جرم ومخالف للشرع»^(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «قرأت ما نشرته الصحف ما جاء في خطبة الجمعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - حَفِظَهُ اللهُ - من تحريم جعل المرأة موظفة في المحلات التجارية تباع المستلزمات النسائية على رواد المحلات من الرجال، وغيرهم، وتقابلهم مما يتنافى مع حشمتها وحياتها، وقد صدر سابقاً من اللجنة الدائمة للإفتاء فتوى بتحريم عمل الكاشيرات في المحلات التجارية، كما أن هذا العمل يتنافى مع القرارات الصادرة من ولاية الأمر في ضوابط عمل المرأة. وأضاف: وإذا كان أصحاب هذه المحلات بحاجة إلى عمال فليكونوا من الرجال، وهم كثيرون وبحاجة إلى العمل، والواجب التقيد بأوامر الشرع وبقرارات ولاية الأمر الموافقة لها تجنباً للفتنة ومحافظة على العفة، وفق الله الجميع لصالح القول والعمل»^(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «خطبة الجمعة» بتاريخ ٦/٢/١٤٣٣هـ، المصدر: موقع المسلم.

(٢) بتاريخ ٩/٢/١٤٣٣هـ، المصدر: موقع المسلم.

الكلمة التاسعة بعد المائة

الإيمان بالرسول عليهم السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالرسول عليهم السلام، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، والرسول هم الذين أوحى الله إليهم بالشرائع وأمرهم بتبليغها، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. فمن قصه الله علينا وعرفناه آمنًا به بعينه، ومن لم يُقصص علينا ولم نعرفه نؤمن به إجمالاً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ شارح الطحاوية: «وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصًا محمدًا ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأول الرسل نوح ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ [النساء: ١٦٣]. يعني وحياً كإيحائنا إلى نوح والنبیین من بعده وهو وحي الرسالة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما حديث الشفاعة وفيه: «أن أهل الموقف يقولون لنوح: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١). أما آدم ﷺ فهو نبي وليس برسول.

وآخرهم، وخاتمهم، وأفضلهم محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وكل رسول كان يرسل إلى قومه، أما نبينا محمد ﷺ فقد أرسل إلى الناس جميعاً، العرب، والعجم، والجن، والإنس، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢).

والرسل درجات، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وأفضلهم الخمسة أولي العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٦٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩٢).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٥٣).

وإبراهيمَ وموسىَ وعيسىَ ابنَ مريمَ وأخذنا منهم ميثقًا غليظًا ﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧]. وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والرسل ﷺ بعثهم الله جميعًا مبشرين، ومنذرين، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له هو دعوة الرسل جميعًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ولقد وصى الأنبياء بنبيهم بالثبات على الدين الصحيح حتى الممات، قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئَ إِنْ أَلَّاهُ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. ومكث النبي ﷺ عشر سنين يدعو إلى التوحيد في مكة قبل أن تُفرض الفرائض.

وشرائع الأنبياء مختلفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(١). العلات: هم أولاد الضرائر من صلب رجل واحد، والأمهات مختلفة، فكذلك الأنبياء دينهم واحد وهو التوحيد وشرائعهم مختلفة، شرع الله لكل أمة على لسان رسولها ما يناسبها، وأكمل الشرائع وأتمها شريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٦٥).

والأنبياء على درجة عظيمة من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ آقَدَتْهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. أبر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأوسعهم حلمًا، بر بالوالدين، وصدق في الوعد، وحلم وأناة وشجاعة، وكرم، وعفة، وحفظ للجميل، ووفاء لمعروف الآخرين، وإحسان إلى الناس، وإليك النصوص فتدبر:

قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [١٤] ﴿[مريم: ١٤]. وقال تعالى عن إسماعيل: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [٥٤] ﴿[مريم: ٥٤]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (١).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [٧٥] ﴿[هود: ٧٥]. وهو أول من أضاف الضيف، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [٣٥] ﴿[الذاريات: ٢٤-٢٦]. وَسَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُ قَطِيعًا مِنَ الْغَنَمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَآتَى قَوْمَهُ فَقَالَ:

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٢).

أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ (١).
 وَيَقُولُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَيَحَازِيهِ. وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا رَاوَدَتْهُ امْرَأَةٌ
 الْعَزِيزِ: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾
 [يوسف: ٢٣]. وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ
 وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزُعَمَاءِ قُرَيْشٍ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ» (٢).
 وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا
 سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ١٧٩].

الأنبياء أشد الناس بلاء، وصبراً في الدعوة إلى الله، روى
 الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّهُ
 سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ،
 فَالْأَمْثَلُ» (٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من
 أممهم بما ابتلوا به من القتل، والضرب، والشتم، والحبس، فلا
 نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم
 عند الله» (٤). اهـ.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/٢٧). ورؤي في السيرة.

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) «بدائع الفوائد» (ص ٥٦٧)، بتصرف.

فهذا نبينا ﷺ ابتليَ بأنواع من البلاء، فقد شجَّ رأسه، وكُسرت رباعيته، وسُجِرَ، ووُضِعَ سلى الجزور على ظهره، ومات له ستة من الولد، وقُتِلَ أصحابه وأقاربه، ورُمِيَ بالحجارة، وقالوا: ساحر ومجنون، وحُوصِرَ في شعب أبي طالب سنوات حتى أكل هو وأصحابه أوراق الشجر، وأُخْرِجَ من بلده.

ونوح ﷺ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً، وجهراً، ويحياً، وزكريا، ابتليا بالقتل، وأيوب ﷺ ابتلى بأنواع من البلاء في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، كان يذكر الله بهما ويسبح ليلاً، ونهاراً، صباحاً، ومساءً، وهذا الابتلاء لم يزد الأنبياء، والرسول عليهم السلام إلا صبراً وحمداً وشكراً^(١).

فالواجب على المؤمن الإيمان بهم، ومحبتهم، ومن كذب برسول منهم فقد كذب بجميع الرسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣].

وجميع الرسل السابقين نسخت شرائعهم بشريعة النبي ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(٢).

(١) «الخطب المنبرية» د. عبد المحسن القاسم (١/ ٣٣-٣٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/ ٣٤٩) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني كما في «إرواء الغليل» (٦/ ٣٤) (برقم ١٥٨٩).

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد، بل يحكم بشريعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية^(١)، قال النووي: أي لا يقبل إلا الإسلام أو السيف^(٢).

ومما تقدم يتبين عظيم الإيمان بالرسول وأن الله أقام الحجة على خلقه بإرسالهم، نوؤمن بذلك، ونشهد به في الدنيا ويوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

كما يتبين رحمة الله تعالى بعباده بإرساله الرسل إلى كل أمة يبشرون وينذرون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. فله الحمد وله الشكر حتى يرضى، وصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته على جميع أنبيائه ورسله، نشهد أنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأممهم، كما نشهد ونؤمن أن أكملهم في ذلك كله هو خاتمهم وسيدهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٥).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٩٠).

الكلمة العاشرة بعد المئة

مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، ففتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، والواجب على المسلم أن يكون على علم بأخلاقه وسيرته العطرة ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد أثنى الله تعالى على خلق نبيه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤]، وقد كان ﷺ أحسن الناس خلقاً، فلم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً ولا سباباً ولا لعاناً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فيكون أبعد الناس عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، كان يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويكون في مهنة أهله، ويمشي مع الأرامل والمساكين، ويجيب دعوتهم، ويقضي حاجتهم، ولا يعيب على الخدم ولا يوبخهم، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه

قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتُهُ، وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لَمْ تَرَكْتُهُ؟ (١).

وَكَانَ يُوقِّرُ الْكِبَارَ، وَيَرْحَمُ الصُّغَارَ.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٢).

وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِعِبَادِ اللَّهِ، فَكَانَ إِذَا صَافَحَهُ الرَّجُلُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ يَدَهُ (٣).

وَكَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ (٤).

قال ابن حجر: المقصود من الأخذ باليد لازمة وهو الرفق والالقياد، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ (٥).

وَكَانَ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٠١٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأصله في الصحيحين.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٦).

(٣) جزء من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ٢٤٩٠). وقال الألباني: ضعيف، إلا جملة المصافحة فهي ثابتة (ص ٤٠٦).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٧٢).

(٥) «فتح الباري» (١٠/٤٩٠).

عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ^(١).

وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَرَدَّ طَالِبُهُ^(٢)، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ خَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ^(٣)، وَكَانَ يَمُرُّ الْهَلَالَ تَلُو الْهَلَالَ، وَمَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ^(٤).

وَبَيْتُ اللَّيَالِي طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً^(٥)، وَكَانَ يَقُولُ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا وَرَاحَ»^(٦). قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ يَلْتَوِي مِنَ الْجُوعِ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ^(٧) مَا يَمَلَأُ بَطْنَهُ^(٨). وَمَاتَ وَلَمْ يُخَلَّفْ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا سِلَاحَهُ، وَبَعْلَتَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً^(٩). وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ^(١٠).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣١١).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٧٦/٢٥) (برقم ١٥٩٩٧)، وقال محققوه: إسناده ضعيف؛ لكن الحديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع، واختياره لقاء ربه.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٥٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٢).

(٥) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٦٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) «سنن ابن ماجه» (برقم ٤١٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٩٤/٢) (برقم ٣٣١٧).

(٧) التمر الرديء.

(٨) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٨).

(٩) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٦١).

(١٠) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٠٣).

جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ،
فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى،
فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

وَفِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ:
كَيْفَ تَصْنَعُ ذَلِكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟
فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»^(٢).

قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفِطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ
أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفِطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا
تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ^(٣).

وَفِي مَقَامِ الشَّجَاعَةِ كَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَصْبَرَهُمْ، قَالَ الْبَرَاءُ ابْنُ
عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا
لَلَّذِي يُحَازِي بِهِ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -»^(٤).

ولقد ولَّى الناس كلهم يوم حنين وكانوا اثني عشر ألفاً ولم
يبق معه إلا نحو مئة من أصحابه وهو راكب بغلته يركض بها نحو
العدو ويقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»^(٥). وما
زال كذلك حتى نصره الله، وَقَدْ أُوْذِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَذًى

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٧٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٥٤) واللفظ له.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٨٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٤١).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٦٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

عَظِيمًا؛ فَكَسِرَتْ رُبَاعِيَّتَهُ، وَشَجَّ رَأْسُهُ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَيَّ وَجْهَهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلَا لِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»^(١).

وَكَانَ ﷺ حَسَنَ الصُّحْبَةِ، جَمِيلَ الْمُعَاشِرَةِ، يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ، وَكَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا^(٢)، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ^(٣)، وَكَانَ يَنْهَى أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْفَعُوهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي»^(٤) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٥).

أحبه الصحابة حبًّا جمًّا، إن قال، استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره^(٦)، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٧)، جمع من الأخلاق أطيبيها، ومن الآداب أزكاها،

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٤٣/٢١) (برقم ١٤٠٥٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٦٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٠٣٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٧٥).

(٤) الإطراء: هو حسن الثناء. أي: لا تبالغوا في مدحي، كما بالغت النصارى في مدح عيسى ﷺ، فجعلوه إلهًا أو ابن إله.

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٥).

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٣٦٧/١٩) (برقم ١٢٣٧٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا تحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من أمن وخوف وغنى وفقر، وقلة وكثرة»^(١).

وكان ﷺ أفصح الناس وأبلغهم بياناً، صلى ذات يوم صلاة الفجر، فصعد المنبر فخطب الناس حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرهم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة^(٢).

كان ﷺ أبهى الناس وأحسنهم منظراً، إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، قال البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمْ أَرْ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ^(٣)، وكان طيب الجسد، زكي الرائحة، قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا شَمِمْتُ عَبْرًا قَطُّ، وَلَا مَسْكَاً، وَلَا شَيْئاً أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئاً قَطُّ دِيْبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ»^(٤).

ويجب على المؤمن أن يعرف للنبي ﷺ منزلته وقدره، فلا يرفعه فوق منزلته، ولا ينقص من منزلته، وعليه اتباعه، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤٣٩/٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٩٢).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٥١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٣٧).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٣٠).

يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴿ [آل عمران: ٣١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «ويحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أوامره، واجتناب نواهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاته من عمل به، ومعاداة من خالفه، ومحبة مقدمة على المال والأهل والولد»^(١).

روى البخاري في صحيحه من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص ٢٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٤).

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٣- من أسماء الله الحسنى (الغافر -			كتاب العلم
الغفار - الغفور)..... ٦٨٧		٣٢٥	١- الفقه في الدين وفضله
أركان الإيمان			«أ- قسم العقيدة»
١- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ٥٨٥			توحيد الربوبية
٢- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره . ٦١٥			١- وقفات مع سورة الكافرون..... ٥٦٣
٣- الإيمان بالرسل الكرام عليهم			توحيد العبادة
السلام ٧٦١			١- الإنابة ٦٤٩
٤- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر .. ٥٤١			خطر الشرك
الإيمان باليوم الآخر			١- الكفر وأنواعه ٤٠١
١- من مشاهد القيامة (الحشر			٢- الرياء ٢٣٧
وأهواله) ٢٥			التحذير من الفرق الضالة والتمسك
٢- من أهوال يوم القيامة ١٤٩			بالكتاب والسنة
٣- الشفاعة ٦٩			١- خطر النصيرية ٣٣١
٤- من مشاهد القيامة (القنطرة بين			٢- الاعتصام بالكتاب والسنة..... ٤٣٧
الجنة والنار)..... ٥٧٩			توحيد الأسماء والصفات
٥- الجنة والنار كأنها رأي عين ٨٧			١- من أسماء الله الحسنى (الحليم) .. ٣١
«ب- قسم التفسير»			- من أسماء الله الحسنى (الحفيظ،
سورة البقرة			الحافظ) ١٢٥
١- وقفات مع أواخر سورة البقرة.. ٢٦٣			

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤٣	٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	٣٩	سورة آل عمران
١٣٧	٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾	١٧٥	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
	سورة الرحمن		٢- فوائد من قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾
١٩٣	١- فوائد من قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾		سورة النساء
	سورة الحاقة	٥٥	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا ﴾
٧٥	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾		سورة الأنعام
	جزء عم	٩٩	١- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾
٥٦٣	١- وقفات مع سورة الكافرون.....		٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾
٤٦١	٢- تأملات في سورة النصر.....	١١٧	سورة الأنفال
٥٢١	٣- وقفات مع سورة قريش.....		١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾
٤٣١	٤- تأملات في سورة الكوثر.....		٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾
٤٨٥	٥- تأملات في سورة الفيل.....	٢٨٩	٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا ﴾
٣٩٥	٦- فوائد وحكم من سورة العاديات	٢٩٥	سورة التوبة
٦٤٣	٧- تأملات في سورة الانشراح....		١- تأملات في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ ﴾
	٨- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴾		١- الفقه في الدين وفضله.....
٤١٩	٩- تأملات في سورة الانفطار.....		١- الفقه في الدين وفضله.....
	«ج - قسم الفقه»		
٣٢٥	١- الفقه في الدين وفضله.....	٢٠٩	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٣	٨- التحذير من الغيبة.....	١٤١	٢- من أحكام وآداب السفر
٤٩١	٩- خطر النميمة.....	٣١٩	٤- اتباع الهوى
٥٢٧	١٠- محاسبة النفس.....	٧٤٧	٣- التحايل على الأحكام الشرعية.
١٨١	١١- البكاء من خشية الله.....		الصلاة
	الفضائل		١- صلاة الكسوف.....
١٦٣	١- فضائل الأعمال الصالحة.....		الصيام
	٢- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها وفوائدها.....	٤٥	١- صيام يوم عاشوراء.....
٢٨٣	٣- فضائل غزوة بدر.....		العمرة والحج
٣٧٧	٤- فضائل مكة وحرمتها.....	٣٤٣	١- محظورات الإحرام.....
٣٨٥	٥- فضائل المدينة وحرمتها.....	٣٥١	٢- فضل العمرة وصفتها.....
٥٩٣	٦- فضائل الشام.....	٣٦٣	٣- شروط الحج.....
٦٧١	٧- فضائل العفو.....	٣٦٧	٤- صفة الحج وواجباته.....
	الأخلاق المحمودة		آداب عامة
١٠٥	١- قوة الإرادة.....	٤٤٥	١- من آداب النوم.....
٥١٥	٢- الرفق.....	٦٩٣	٢- من آداب اللباس.....
٢١٥	٣- تواضعه عليه الصلاة والسلام..		المواعظ والرفائق
	الأخلاق المذمومة		١- مجالس الصحابة.....
٦٦٣	١- ذم البخل.....	٢٥٧	٢- أحوال وقصص المحتضرين... ٤٦٧
٥٥٧	٢- ذم العجب.....	٤٩	٣- مكائد الشيطان.....
٨١	٣- الكبر.....	٣٣٧	٤- التحذير من الغفلة.....
	السير		٥- الجزاء من جنس العمل.....
٤٧٣	١- دروس وعبر من الهجرة النبوية	٦٣١	٦- مجالس الناس.....
	٢- المعجزات والكرامات في	٧٣١	٧- التناقضات في حياة بعض الناس.
٢٩٩	غزوة بدر.....	٢٤٩	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
١٦- مقتطفات من سيرة صلاح	٣- عزوة بدر مشاهد وأحداث من	٣٠٥	أرض المعركة رقم (١)
الدين الأيوبي ٦٧٩	٤- عزوة بدر مشاهد وأحداث من	٣١٣	أرض المعركة رقم (٢)
قضايا اجتماعية	٥- أخلاق النبي ﷺ وشيء من	٧٦٩	سيرته العطرة.....
١- قضاء حوائج الناس ٥٤٩	٦- فضائل أم المؤمنين خديجة <small>رضي الله عنها</small> ١١١	٢٦٩	٧- فضائل أم المؤمنين عائشة <small>رضي الله عنها</small> .
٢- الترغيب في الزواج ٤٢٥	٨- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام	٥٠٧	أحمد بن حنبل
٣- الفقراء والضعفاء ٦٠٧	٩- الإمام عبدالله بن المبارك وشيء	٥٣٣	من أخباره.....
٤- مجالس الناس ٧٣١	١٠- فضائل معاوية بن أبي سفيان .	٥٧١	١١- مقتطفات من سيرة عبدالله ابن
٥- مخاطر الابتعاث وضوابطه ٧١٩	١١- مقتطفات من سيرة عبدالله ابن	١٣١	مسعود.....
٦- خطر الرشوة..... ٧٠١	١٢- مقتطفات من سيرة ترجمان	٧٠٩	القرآن عبدالله بن عباس
٧- بر الوالدين ٢٠٣	١٣- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام	٧٣٩	الشافعي
٨- خطورة دور السينما..... ١٦٩	١٤- مواقف مؤثرة من سيرة شيخ	٦٥٥	الإسلام ابن تيمية
٩- عيادة المريض ٢٣١	١٥- دروس وعبر من سيرة معاذ ابن	٢٧٧	جبل
توجيهات عامة			
١- الأخوة الإسلامية..... ١٨٧			
٢- قبول العمل..... ١٩٧			
٣- النسيان آفته وفوائده ٢٢١			
٤- السواك..... ٤٧٩			
٥- التفكير أحواله وفوائده..... ٤١٣			
٦- خطورة الغضب ٦٣٧			
٧- الفأل وحسن الظن بالله..... ٤٩٩			
٨- الابتلاء بالمرض..... ٦١			

الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة

الموضوع

الجزء السادس

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها، وفوائدها ١٥
- ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١
- ٣- من مشاهد القيامة (الحشر وأهواله) ٢٥
- ٤- من أسماء الله الحسنى (الحليم) ٣١
- ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ ٣٩
- ٦- صيام يوم عاشوراء ٤٥
- ٧- مكائد الشيطان ٤٩
- ٨- تأملات في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ ٥٥
- ٩- الابتلاء بالمرض ٦١
- ١٠- الشفاعة ٦٩

الموضوع	الصفحة
١١- تأملات في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ بِيَمِينِهِ﴾	٧٥
١٢- الكبر	٨١
١٣- الجنة والنار كأنها رأي العين	٨٧
١٤- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾	٩٩
١٥- قوة الإرادة	١٠٥
١٦- فضائل أم المؤمنين خديجة <small>رضي الله عنها</small>	١١١
١٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ ..	١١٧
١٨- من أسماء الله الحسنى (الحفيظ والحافظ)	١٢٥
١٩- مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	١٣١
٢٠- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾	١٣٧
٢١- من أحكام السفر وآدابه	١٤١
٢٢- من أهوال يوم القيامة	١٤٩
٢٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾	١٥٧
٢٤- فضائل الأعمال الصالحة	١٦٣
٢٥- خطورة دور السينما	١٦٩
٢٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ..	١٧٥

الموضوع الصفحة

- ٢٧- البكاء من خشية الله ١٨١
- ٢٨- الأخوة الإسلامية ١٨٧
- ٢٩- فوائد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ ١٩٣
- ٣٠- قبول العمل ١٩٧
- ٣١- برُّ الوالدين ٢٠٣
- ٣٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾ ٢٠٩
- ٣٣- تواضعه عليه الصلاة والسلام ٢١٥
- ٣٤- النسيان آفته، وفوائده ٢٢١
- ٣٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ ٢٢٧
- ٣٦- عيادة المريض ٢٣١
- ٣٧- الرياء ٢٣٧
- ٣٨- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ٢٤٣
- ٣٩- التناقضات في حياة بعض الناس ٢٤٩
- ٤٠- مجالس الصحابة ٢٥٧
- ٤١- تفسير أواخر سورة البقرة ٢٦٣
- ٤٢- فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢٦٩

الموضوع	الصفحة
---------	--------

- | | |
|--|-----|
| ٤٣- دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small> | ٢٧٧ |
| ٤٤- فضائل غزوة بدر | ٢٨٣ |
| ٤٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ...﴾ | ٢٨٩ |
| ٤٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ...﴾ | ٢٩٥ |
| ٤٧- المعجزات والكرامات في غزوة بدر | ٢٩٩ |
| ٤٨- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١) | ٣٠٥ |
| ٤٩- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢) | ٣١٣ |
| ٥٠- اتباع الهوى | ٣١٩ |
| ٥١- الفقه في الدين وفضله | ٣٢٥ |
| ٥٢- خطر الطائفة النصيرية | ٣٣١ |
| ٥٣- التحذير من الغفلة | ٣٣٧ |
| ٥٤- محظورات الإحرام | ٣٤٣ |
| ٥٥- فضل العمرة وصفتها | ٣٥١ |

الجزء السابع

- | | |
|------------------------------|-----|
| ٥٦- شروط وجوب الحج | ٣٦٣ |
| ٥٧- صفة الحج وواجباته | ٣٦٧ |
| ٥٨- فضائل مكة وحرماتها | ٣٧٧ |

الموضوع	الصفحة
٥٩- فضائل المدينة وحرمتها	٣٨٥
٦٠- فوائد وحكم من سورة العاديات	٣٩٥
٦١- الكفر وأنواعه	٤٠١
٦٢- صلاة الكسوف	٤٠٧
٦٣- التفكير أحواله وفوائده	٤١٣
٦٤- تأملات في سورة الانفطار	٤١٩
٦٥- الترغيب في الزواج	٤٢٥
٦٦- وقفة مع سورة الكوثر	٤٣١
٦٧- الاعتصام بالكتاب والسنة	٤٣٧
٦٨- من آداب النوم	٤٤٥
٦٩- التحذير من الغيبة	٤٥٣
٧٠- تأملات في سورة النصر	٤٦١
٧١- أحوال الموتى والمحتضرين	٤٦٧
٧٢- دروس وعبر من الهجرة النبوية	٤٧٣
٧٣- السواك	٤٧٩
٧٤- وقفات مع سورة الفيل	٤٨٥
٧٥- خطر النسيمة	٤٩١
٧٦- الفأل وحسن الظن بالله	٤٩٩
٧٧- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل	٥٠٧
٧٨- الرفق	٥١٥

الموضوع	الصفحة
٧٩- وقفات مع سورة قريش	٥٢١
٨٠- محاسبة النفس	٥٢٧
٨١- الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره	٥٣٣
٨٢- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر	٥٤١
٨٣- قضاء حوائج الناس	٥٤٩
٨٤- ذم الجبن	٥٥٧
٨٥- وقفات مع سورة الكافرون	٥٦٣
٨٦- فضائل معاوية بن أبي سفيان	٥٧١
٨٧- من مشاهد القيامة القنطرة بين الجنة والنار	٥٧٩
٨٨- الإيمان بالملائكة عليهم السلام	٥٨٥
٨٩- فضائل الشام	٥٩٣
٩٠- تأملات في سورة التين	٦٠١
٩١- الفقراء والضعفاء	٦٠٧
٩٢- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره	٦١٥
٩٣- الجزاء من جنس العمل	٦٣١
٩٤- خطورة الغضب	٦٣٧
٩٥- تأملات في سورة الانشراح	٦٤٣
٩٦- الإنابة	٦٤٩
٩٧- مواقف مؤثرة من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية	٦٥٥
٩٨- ذم البخل	٦٦٣

- ٩٩- فضائل العفو ٦٧١
- ١٠٠- مقتطفات من سيرة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي ٦٧٩
- ١٠١- من أسماء الله الحسنى الغافر - الغفار - الغفور ٦٨٧
- ١٠٢- من آداب اللباس ٦٩٣
- ١٠٣- خطر الرشوة ٧٠١
- ١٠٤- مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ٧٠٩
- ١٠٥- مخاطر الابتعاث وضوابطه ٧١٩
- ١٠٦- مجالس الناس ٧٣١
- ١٠٧- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام الشافعي رحمته الله ٧٣٩
- ١٠٨- التحايل على الأحكام الشرعية ٧٤٧
- ١٠٩- الإيمان بالرسول عليهم السلام ٧٦١
- ١١٠- مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم ٧٦٩
- فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب ٧٧٧
- فهرس الكلمات حسب ترتيب الكتاب ٧٨١

فهرس الجزء (٤ - ٥) فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
			أ- (قسم العقيدة)
	٣- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥		توحيد العبادة
	التحذير من النفاق والفرق الضالة	١- الأمن من مكر الله..... ١٦٥	٢- الخوف من الله..... ٢٨٥
	١- خطر الرافضة..... ٢١٣	٣- المفهوم الخاطيء للدين ٣٦٣	٤- اليقين..... ٣٧٧
	٢- صفات اليهود..... ٦٢٧	٥- نزول المطر..... ٥٢٩	٦- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ٦٢١
	توحيد الأسماء والصفات		خطر الشرك
	١- شرح اسم الله الخالق..... ٤٣		١- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا..... ٢٢٥
	٢- شرح اسم الله الفتاح..... ١٠٧		٢- الإعراض عن الدين ٣٥٣
	٣- شرح اسم الله اللطيف..... ٢١٩		
	٤- شرح اسم الله الرزاق..... ٣٣٣		
	٥- شرح اسم الله الكافي..... ٤٠٣		
	٦- شرح اسم الله الغني..... ٤٣٩		
	٧- شرح اسم الله الشهيد..... ٤٨٧		

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
٨- شرح اسم الله البصير.....	٥١٥	الَّذِينَ كَفَرُوا فِي أَلْيَدِ ﴿١﴾.....	٢٩١
٩- شرح اسم الله السميع.....	٥٤٩	«سورة المائدة»	
١٠- شرح اسم الله الوارث.....	٦٠٥	١- تأملات في قوله	
الإيمان باليوم الآخر		تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ	
١- رؤية الله تعالى.....	١٣٩	دِينَكُمْ ﴿١﴾.....	٦١١
٢- الميزان.....	١٨١	«سورة هود»	
٣- الإيمان بالكرام الكاتبين.....	١٩٥	١- فوائد من قوله تعالى:	
٤- رضوان الله.....	٢٠١	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا	
٥- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿١﴾.....	١٥
٦- البعث بعد الموت.....	٤٢١	«سورة الحجر»	
٧- موقف الحساب.....	٥٩٧	١- تأملات في قوله تعالى:	
٨- النفخ في الصور.....	٦١٥	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ	
ب- (قسم التفسير)		وَعُيُونٍ ﴿١﴾.....	٨٥
سورة البقرة		٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا	
١- تأملات في قوله تعالى:		كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾.....	٥٠٣
﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا		٣- الوقفة الثانية مع قوله	
النَّصْرَىٰ ﴿١﴾.....	٦٢١	تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ	
«سورة آل عمران»		الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾.....	٥٠٩
١- دروس وعبر من قوله		«سورة الأحزاب»	
تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ		١- فوائد من قوله تعالى:	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٧	٧- المسد.....	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾	٣٧١
	ج- قسم الحديث	«سورة فصلت»	
	١- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»... ٤٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾	١٣٣
	٢- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»... ١٧١	«سورة الدهر»	
	٣- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»... ٣٥٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾	٤٥٧
	٤- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»... ٤٥١	«جزء عم»	
	٥- شرح حديث: «الثلاثة الذين آواهم المبيت»... ٥١٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
	٦- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»... ٥٦١	٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
	«الفقه والصلاة»	٣- الضحى	٢٥٧
	١- أخطاء في الصلاة رقم ٢..... ٣٧	٤- الزلزلة	٥٥٥
	٢- سترة المصلي..... ١٤٥	٥- القارعة	٢٠٧
	«الصيام»	٦- الهمزة	٤٨١
	١- فضل الأعمال الصالحة في رمضان..... ٣٩٧		

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
«الموت»		رفعها.....	٢٩
١- شرح حديث: «أسرعوا		٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا	
بالبجنازة».....	٣٥٩	مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ	
٢- ما ينتفع به الميت.....	٣٤١	يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿.....	١٥
المحرمات		٣- فتنة المال.....	٦١
«المال»		٤- فتنة النساء.....	٦٧
١- الأسهم المختلطة.....	٢٣٧	٥- السخرية بالناس واحتقارهم.	٧٩
صيانة الأعراض		٦- تأملات في قوله	
«اللباس»		تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ	
١- مخالفات في		فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿.....	٨٥
لباس المرأة....	١٨٧	٧- الغرور.....	٩١
«محرمات عامة»		٨- فتنة الدنيا.....	٧٣
١- السحر والمس والعين.....	١٥٥	٩- قسوة القلب.....	٩٧
٢- أضرار المخدرات		١٠- العجب.....	١٠٣
والمسكرات.....	٣١٣	١١- تأملات في قوله تعالى:	
٣- القتل.....	٣٢٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ	
٤- خطورة السحر وتحريم		ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴿.....	١٣٣
الذهاب إلى السحرة.....	٤٧٥	١٢- الأمن من مكر الله.....	١٦٥
«المواعظ والرفائق»		١٣- شرح حديث حسب ابن	
١- العقوبات الإلهية وأسباب		آدم لقيمات.....	١٧١

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
١٤- النصيحة.....	١٧٥	٢- خطر الاختلاط.....	٢٦٩
١٥- كفارات الذنوب رقم ٢.....	٢٣١	٣- العشرة الزوجية.....	٣٠٣
١٦- الخوف من الله.....	٢٨٥	«الأخلاق المحمودة»	
١٧- أمراض القلوب.....	٢٩٧	١- علو الهمة.....	٥٣
١٨- قضاء الدين.....	٣٤٧	٢- الوفاء.....	٤٦٣
١٩- الإعراض عن الدين.....	٣٥٣	«الأخلاق المذمومة»	
٢٠- فضل الأعمال الصالحة		١- الذلة وأسبابها.....	٢١
في رمضان.....	٣٩٧	٢- النهي عن السخرية	
٢١- خطورة المجاهرة بالمعصية	٤٠٩	بالناس واحتقارهم.....	٧٩
٢٢- استقبال العام الجديد.....	٤١٥	٣- الغرور.....	٩١
٢٣- المسارعة إلى الخيرات.....	٤٤٥	٤- العجب.....	١٠٣
٢٤- نزول المطر.....	٥٢٩	٥- خطورة الكذب.....	١١٣
الفضائل		٦- التحذير من الكسل.....	٣٨٣
«السيار»		«السير»	
١- فضل الأعمال الصالحة في		١- سيرة مصعب بن عمير.....	١٥١
رمضان.....	٣٩٧	٢- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small>	٢٧٥
«فضائل عامة»		٣- سيرة طلحة بن عبيد الله.....	٢٨١
١- فضل الصحابة.....	٢٦٣	٤- دروس وعبر من استشهاد	
«موضوعات تهم المرأة»		الخليفة عمر.....	٣١٩
١- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٥- سيرة أبي عبيدة بن الجراح... ..	٤٣٣

<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>
٦- سيرة جعفر بن أبي طالب...	٤٦٩	٣- نعمة العقل.....	٢٤٩
٧- سيرة عثمان بن عفان....	٤٩٧	٤- أمراض القلوب.....	٢٩٧
٨- قصة قارون.....	٥٢٣	٥- أضرار المخدرات	
٩- سيرة الزبير بن العوام.....	٥٤١	والمسكرات.....	٣١٣
« قضايا اجتماعية »		« النبوات »	
١- السحر والمس والعين.....	١٥٥	١- عصمة النبي ﷺ.....	١١٩
٢- مخالفات في لباس المرأة....	١٨٧	٢- قصة نبي الله يونس عليه السلام....	٢٧٥
٣- الرفقة الصالحة.....	٢٤٣	٣- معجزاته عليه الصلاة والسلام	٣٨٩
٤- خطر الاختلاط.....	٢٦٩	« أحداث معاصرة »	
٥- العشرة الزوجية.....	٣٠٣	١- وقفات مع أحداث غزة... ٥٨٧	
٦- أضرار المخدرات		٢- وقفات مع الأزمة المالية	
والمسكرات.....	٣١٣	العالمية.....	٥٧٩
٧- قضاء الدين.....	٣٤٧	٣- أحداث الدانمارك.....	٤٩١
٨- المفهوم الخاطيء للدين.....	٣٦٣	٤- حكم الأسهم المختلطة....	٢٣٧
٩- التحذير من الكسل.....	٣٨٣		
١٠- خطورة السحر وتحريم			
الذهاب إلى السحرة.....	٤٧٥	« توجيهات عامة »	
« توجيهات عامة »		١- البشارة وفضائلها.....	١٢٥
٢- النصيحة.....	١٧٥		

فهرس الجزء (٤ - ٥) فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع	الصفحة
الجزء الرابع	
تقديم المشايخ.....	٥
المقدمة.....	١٣
١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ..	١٥
٢- الذلة وأسبابها.....	٢١
٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها.....	٢٩
٤- أخطاء في الصلاة رقم (٢).....	٣٧
٥- شرح اسم الله الخالق المصور.....	٤٣
٦- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه».....	٤٩
٧- علو الهمة.....	٥٣
٨- فتنة المال.....	٦١
٩- فتنة النساء.....	٦٧
١٠- فتنة الدنيا.....	٧٣
١١- السخرية بالناس واحتقارهم.....	٧٩
١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ..	٨٥
١٣- الغرور.....	٩١

الموضوع	الصفحة
١٤- قسوة القلب	٩٧
١٥- العجب	١٠٣
١٦- شرح اسم الله الفتاح	١٠٧
١٧- خطورة الكذب	١١٣
١٨- عصمة النبي ﷺ	١١٩
١٩- البشارة وفضائلها	١٢٥
٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	١٣٣
٢١- رؤية الله تعالى	١٣٩
٢٢- سترة المصلي	١٤٥
٢٣- سيرة مصعب بن عمير	١٥١
٢٤- السحر والمس والعين	١٥٥
٢٥- الأمن من مكر الله	١٦٥
٢٦- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»	١٧١
٢٧- النصيحة	١٧٥
٢٨- الميزان	١٨١
٢٩- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧
٣٠- الإيمان بالكرام الكاتبين	١٩٥
٣١- رضوان الله تعالى	٢٠١
٣٢- تفسير سورة القارعة	٢٠٧
٣٣- خطر الرافضة	٢١٣

- ٣٤- شرح اسم الله اللطيف ٢١٩
- ٣٥- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢٢٥
- ٣٦- كفارات الذنوب رقم (٢) ٢٣١
- ٣٧- حكم الأسهم المختلطة ٢٣٧
- ٣٨- الرفقة الصالحة ٢٤٣
- ٣٩- نعمة العقل ٢٤٩
- ٤٠- تفسير سورة الضحى ٢٥٧
- ٤١- فضل الصحابة ٢٦٣
- ٤٢- خطر الاختلاط ٢٦٩
- ٤٣- قصة نبي الله يونس عليه السلام ٢٧٥
- ٤٤- سيرة طلحة بن عبيد الله ٢٨١
- ٤٥- الخوف من الله ٢٨٥
- ٤٦- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
- أَلْبَدِ﴾ ٢٩١
- ٤٧- أمراض القلوب ٢٩٧
- ٤٨- العشرة الزوجية ٣٠٣
- ٤٩- أضرار المخدرات والمسكرات ٣١٣
- ٥٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر ٣١٩



الجزء الخامس

- ٣٢٧ ٥١- القتل
- ٣٣٣ ٥٢- شرح اسم الله الرزاق
- ٣٤١ ٥٣- ما ينتفع به الميت
- ٣٤٧ ٥٤- قضاء الدين
- ٣٥٣ ٥٥- الإعراض عن الدين
- ٣٥٩ ٥٦- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»
- ٣٦٣ ٥٧- المفهوم الخاطيء للدين
- ٣٧١ ٥٨- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ...﴾
- ٣٧٧ ٥٩- اليقين
- ٣٨٣ ٦٠- التحذير من الكسل
- ٣٨٩ ٦١- معجزاته عليه الصلاة والسلام
- ٣٩٧ ٦٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان
- ٤٠٣ ٦٣- شرح اسم الله الكافي
- ٤٠٩ ٦٤- خطورة المجاهرة بالمعصية
- ٤١٥ ٦٥- استقبال العام الجديد
- ٤٢١ ٦٦- الإيمان بالبعث بعد الموت
- ٤٢٧ ٦٧- تفسير سورة المسد
- ٤٣٣ ٦٨- سيرة أبي عبيدة بن الجراح
- ٤٣٩ ٦٩- شرح اسم الله الغني

- ٧٠- المسارعة إلى الخيرات ٤٤٥
- ٧١- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك» ٤٥١
- ٧٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ ٤٥٧
- ٧٣- الوفاء ٤٦٣
- ٧٤- سيرة جعفر بن أبي طالب ٤٦٩
- ٧٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة ٤٧٥
- ٧٦- تفسير سورة الهمزة ٤٨١
- ٧٧- شرح اسم الله الشهيد ٤٨٧
- ٧٨- أحداث الدانمارك ٤٩١
- ٧٩- سيرة عثمان بن عفان ٤٩٧
- ٨٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ٥٠٣
- ٨١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢) .. ٥٠٩
- ٨٢- شرح اسم الله البصير ٥١٥
- ٨٣- شرح حديث: الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار ٥١٩
- ٨٤- قصة قارون ٥٢٣
- ٨٥- نزول المطر ٥٢٩
- ٨٦- تواضع السلف وخوفهم من ربهم ٥٣٥
- ٨٧- سيرة الزبير بن العوام ٥٤١
- ٨٨- شرح اسم الله السميع ٥٤٩
- ٨٩- تفسير سورة الزلزلة ٥٥٥

الموضوع الصفحة

- ٩٠- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك» ٥٦١
- ٩١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ٥٦٧
- ٩٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ٥٧٣
- ٩٣- وقفات مع الأزمة المالية العالمية ٥٧٩
- ٩٤- وقفات مع أحداث غزوة ٥٨٧
- ٩٥- موقف الحساب ٥٩٧
- ٩٦- شرح اسم من أسماء الله الحسنى الوارث ٦٠٥
- ٩٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ٦١١
- ٩٨- النفخ في الصور ٦١٥
- ٩٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ٦٢١
- ١٠٠- صفات اليهود ٦٢٧
- الفهرس حسب موضوعات الكتاب ٦٣٣
- فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب ٦٣٩



فهرس الجزء (١ - ٣) فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب (١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤١	٥ - الولاء والبراء		كتاب العلم
٢٨٥	٦ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج	٨١٩	١ - طلب العلم الشرعي
	خطر الشرك	٤٢١	٢ - وصايا لطلبة العلم
١٣٣	١ - التحذير من الشرك	٦٩٣	٣ - كلمة توجيهية للمدرسين
٢٧٣	٢ - نواقض الإسلام العشرة		أ - (قسم العقيدة)
	التحذير من النفاق		توحيد الربوبية
٧٣٩	١ - خطر النفاق	٨٤٧	١ - تفسير سورة الفاتحة
٢٩٧	٢ - مبطلات الأعمال	٦١١	٢ - تفسير آية الكرسي
٣٦٣	٣ - خطورة الاستهزاء بالدين	٧٩١	٣ - قدرة الله
	توحيد الأسماء والصفات	٥٨٣	٤ - نعمة الهداية
٥٠٧	١ - شرح اسم من أسماء الله العزيز	٣٩٥	٥ - أسباب الثبات على الدين
٥٤٧	٢ - شرح اسم من أسماء الله الشافي	٣٠٣	٦ - الأجل والرزق
٥٧٧	٣ - شرح اسم من أسماء الله الحكيم	٥٣٥	٧ - الأسباب الجالبة لمحبة الله ...
	علامات الساعة		توحيد العبادة
٥٧١	١ - فتنة الدجال	١٥	١ - الإخلاص
	الإيمان باليوم الآخر	٨٢٥	٢ - معنى لا إله إلا الله
٣٤٥	١ - عذاب القبر ونعيمه	١٨١	٣ - أصل الدين وقاعدته
٥٤١	٢ - حوض النبي ﷺ	٢٩١	٤ - التوكل

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
			ب - التفسير
٦٥٩	٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٨٤٧	سورة الفاتحة
	سورة طه		سورة البقرة
	١ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا﴾	٢٢٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
١٩٩	سورة يس	٢٣٥	٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقْتَ﴾
	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ﴾		سورة آل عمران
٤٩١	سورة الزخرف		١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾
	١ - دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	٤٠٣	٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾
١٨٩	سورة الطور	١٥١	٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
	١ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِمْئِنٍ﴾	٢٠٣	٤ - تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
٤٩٧	سورة الصف	٦١١	٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
	١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا﴾	٨٤١	سورة الكهف
١٤٥	سورة التحريم		١ - فوائد من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٢٥٧	جزء عم	١٨٥	سورة مريم
	١ - سورة التكاثر		١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾
٢١٣	٢ - سورة العصر	١٦٩	
٣٧٩			

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٥٩٣	٤ - صلاة الجماعة	٦٨٧	٣ - سورة الماعون
٣٠٩	٥ - الخشوع في الصلاة	٢١٩	٤ - سورة الإخلاص
٥٥٩	٦ - فضل صلاة الفجر	٨٣١	٥ - سورة الفلق
٧٧	٧ - فضل قيام الليل	ج - الحديث	
١١٧	٨ - سنن صلاة العيد	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان	يظلمهم الله	٢١
٤٨٧	١٠ - الاستخارة	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	٥٣
الزكاة		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	
٥٨٩	١ - الزكاة	الساعة	٢٠٧
٣٧٥	٢ - زكاة الفطر	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	٢٢٩
الصيام		٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	
٧١	١ - فضل الصيام	النبي ﷺ فقال: عش ما شئت	٣٦٩
٦٧	٢ - فضل رمضان	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة	٤٣٩
٣	٣ - مخالفات تقع من بعض	٧ - فوائد من حديث خبيب بن عدي	٧٥٧
٩٧	الصائمين	٨ - شاب نشأ في عبادة الله	١٢٧
الحج		٩ - الأجل والرزق	٣٠٣
٢٦٧	١ - وجوبه وفضله	١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	
٤٢٩	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج	سربه...» الحديث	٦٠٥
الوصايا		الفقه	
٤٣	١ - كتابة الوصية	الطهارة والصلاة	
البدع		١ - أخطاء في الطهارة	٧٢٩
٧٨٥	١ - النهي عن البدع	٢ - أخطاء في الصلاة	٧٣٣
		٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	٣٢٣

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	محرمات عامة		الأدعية والأذكار
٦٦٥	١ - تحريم الدخان	٨٣	١ - الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢ - تحريم التصوير	٥٠١	٢ - الاستغفار
٤٥٧	٣ - الحسد		الطعام
٧٤٥	٤ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١ - آداب الطعام
	المواعظ والرقائق		المحرمات
٢٦٣	١ - آفة السهر		المال
٤٥١	٢ - كفارات الذنوب	١٩٣	١ - أكل المال الحرام
٤٦٣	٣ - المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢ - التحذير من الربا
٤٦٩	٤ - التقوى	٢٥١	٣ - النهي عن الإسراف
٥١٧	٥ - الورع	١٦٣	٤ - النهي عن المسألة
٦١٧	٦ - حفظ اللسان	٧٢٥	٥ - ذم الترف
٦٢٣	٧ - الحور العين		صيانة الأعراض
٦٢٩	٨ - الابتلاء	٤٨١	١ - تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩ - الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢ - غض البصر
٦٩٩	١٠ - غض البصر	٤٧٥	٣ - تحريم الغناء
٢٧٩	١١ - سوء الخاتمة	٥٥٣	٤ - خطر الدش
٧٢٥	١٢ - ذم الترف	٧١٩	٥ - خطر التلفاز
٧٩٥	١٣ - علامات حسن الخاتمة		اللباس
٧٦٧	١٤ - الموت وعظاته	٧٥١	١ - تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج		الزينة
٣٨٩	١٦ - لذة العبادة		١ - تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧ - المواظبة على العبادة	٧٠٥	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	فضائل عامة	٣٩	١٨ - العجلة
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله	٥٧	١٩ - طول الأمل
٩١	٢ - فضل الصدقة	٤٣٥	٢٠ - التوبة
	موضوعات تهم المرأة		الفضائل
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام		الأذكار
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته
٤١٣	٣ - مفسدات العنوسة	١٠٧	٢ - فضل الذكر
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء	٥٠١	٣ - الاستغفار
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز		الصلاة
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح	٤٤٣	١ - فضل التبكير إلى الصلاة
	الأخلاق	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر
٣٣	١ - حسن الخلق	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة
١٣٩	٢ - الحياء	٧٧	٤ - فضل قيام الليل
١٥٧	٣ - القناعة	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان
٣٣٩	٤ - الصبر	١٠٣	
٦٧٥	٥ - الأمانة		الصيام
٦٨١	٦ - صلة الأرحام	٧١	١ - فضل الصيام
	السير	٦٧	٢ - فضل رمضان
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small>		الحج
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق <small>رضي عنه</small>	٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله
٧٧٣			عشر ذي الحجة
	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي عنه</small>	٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠ - الحسد	٤	٤ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١ - النكت	٣٣٣	٥ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢ - آفة السهر	٢٤٥	٦ - مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣ - علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
توجيهات عامة			
٢٩	١ - التوفيق	قضايا اجتماعية	
٣٩	٢ - العجلة	١	١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٧	٣ - البركة	٣١٧	٢ - مفسد العنوسة
١٢١	٤ - الرؤيا	٤١٣	٣ - الطلاق
٤٠٩	٥ - نصائح عامة	٣٨٣	٤ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٤٧	٦ - أسباب انشراح الصدر	٣٥٧	٥ - تربية الأبناء
٥١٣	٧ - شكر النعم	٧١٩	٦ - خطر التلفاز
٥٢٣	٨ - علاج الهموم والغموم	٥٥٣	٧ - خطر الدش
٥٦٥	٩ - السعادة	٥٩٣	٨ - صلاة الجماعة
٨٠١	١٠ - وفاته عليه الصلاة والسلام	٦٨١	٩ - صلة الأرحام
٨٠٧	١١ - أسباب النصر على الأعداء		
٦٤١	١٢ - العافية		
٥١٧	١٣ - الورع		



فهرس الجزء (١ - ٣) فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة

الموضوع

الجزء الأول

- تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ٥
- تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر ٧
- تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد ٩
- تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد ١١
- المقدمة ١٣
- ١ - الإخلاص ١٥
- ٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ٢١
- ٣ - التوفيق ٢٩
- ٤ - حسن الخلق ٣٣
- ٥ - العجلة ٣٩
- ٦ - كتابة الوصية ٤٣
- ٧ - البركة ٤٧
- ٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ٥٣
- ٩ - طول الأمل ٥٧
- ١٠ - فضل القرآن وقراءته ٦٣
- ١١ - فضل رمضان ٦٧
- ١٢ - فضل الصيام ٧١
- ١٣ - فضل قيام الليل ٧٧
- ١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه ٨٣
- ١٥ - فضل الصدقة ٩١
- ١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين ٩٧
- ١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣
- ١٨ - فضل الذكر ١٠٧

الموضوع الصفحة

- ١٩ - المواظبة على العبادة ١١٣
- ٢٠ - سنن العيد ١١٧
- ٢١ - الرؤيا ١٢١
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ١٢٧
- ٢٣ - التحذير من الشرك ١٣٣
- ٢٤ - الحياء ١٣٩
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ١٤٥
- ٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ١٥١
- ٢٧ - القناعة ١٥٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ١٦٣
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ١٦٩
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٧٣

الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ١٨١
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ١٨٥
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ١٨٩
- ٣٤ - أكل المال الحرام ١٩٣
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ ١٩٩
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ٢٠٣
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ٢٠٧
- ٣٨ - سورة التكاثر ٢١٣
- ٣٩ - سورة الإخلاص ٢١٩
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ٢٢٥
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٢٩
- ٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ٢٣٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ٢٤١
- ٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ٢٥١

- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ٢٥٧
- ٤٧ - آفة السهر ٢٦٣
- ٤٨ - الحج: وجوبه وفضله ٢٦٧
- ٤٩ - نواقض الإسلام العشرة ٢٧٣
- ٥٠ - سوء الخاتمة ٢٧٩
- ٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج ٢٨٥
- ٥٢ - التوكل ٢٩١
- ٥٣ - مبطلات الأعمال ٢٩٧
- ٥٤ - الأجل والرزق ٣٠٣
- ٥٥ - الخشوع في الصلاة ٣٠٩
- ٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧
- ٥٧ - الصلاة ومكاتها في الإسلام ٣٢٣
- ٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩
- ٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب ٣٣٣
- ٦٠ - الصبر ٣٣٩
- ٦١ - عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥
- ٦٢ - فضل الدعوة إلى الله ٣٥١
- ٦٣ - تربية الأبناء ٣٥٧
- ٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين ٣٦٣
- ٦٥ - وقفة مع حديث شريف ٣٦٩
- ٦٦ - زكاة الفطر ٣٧٥
- ٦٧ - سورة العصر ٣٧٩
- ٦٨ - الطلاق ٣٨٣
- ٦٩ - لذة العبادة ٣٨٩
- ٧٠ - أسباب الثبات على الدين ٣٩٥

الجزء الثالث

- ٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ﴾ ٤٠٣
- ٧٢ - نصائح عامة ٤٠٩

الموضوع	الصفحة
٧٣- مفاسد العنوسة.....	٤١٣
٧٤- النكت.....	٤١٧
٧٥- وصايا لطلبة العلم.....	٤٢١
٧٦- مخالفات يقع فيها بعض الحجاج.....	٤٢٩
٧٧- التوبة.....	٤٣٥
٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة).....	٤٣٩
٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة.....	٤٤٣
٨٠- أسباب انشراح الصدر.....	٤٤٧
٨١- كفارات الذنوب.....	٤٥١
٨٢- الحسد.....	٤٥٧
٨٣- المعاصي وعقوباتها.....	٤٦٣
٨٤- التقوى.....	٤٦٩
٨٥- تحريم الغناء.....	٤٧٥
٨٦- تحريم الزنا وأسبابه.....	٤٨١
٨٧- الاستخارة.....	٤٨٧
٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾.....	٤٩١
٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾.....	٤٩٧
٩٠- الاستغفار.....	٥٠١
٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز).....	٥٠٧
٩٢- شكر النعم.....	٥١٣
٩٣- الورع.....	٥١٧
٩٤- علاج الهموم والغموم.....	٥٢٣
٩٥- قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.....	٥٢٩
٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله.....	٥٣٥
٩٧- حوض النبي ﷺ.....	٥٤١
٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی).....	٥٤٧
٩٩- خطر الدش.....	٥٥٣
١٠٠- فضل صلاة الفجر.....	٥٥٩

- ١٠١ - السعادة..... ٥٦٥
- ١٠٢ - فتنة الدجال..... ٥٧١
- ١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم)..... ٥٧٧
- ١٠٤ - نعمة الهداية..... ٥٨٣
- ١٠٥ - الزكاة..... ٥٨٩
- ١٠٦ - صلاة الجماعة..... ٥٩٣
- ١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح..... ٥٩٩
- ١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه)..... ٦٠٥
- ١٠٩ - تفسير آية الكرسي..... ٦١١
- ١١٠ - حفظ اللسان..... ٦١٧
- ١١١ - الحور العين..... ٦٢٣
- ١١٢ - الابتلاء..... ٦٢٩
- ١١٣ - الزهد في الدنيا..... ٦٣٥
- ١١٤ - العافية..... ٦٤١
- ١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام..... ٦٤٧
- ١١٦ - التحذير من الربا..... ٦٥٣
- ١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ ﴾..... ٦٥٩
- ١١٨ - تحريم الدخان..... ٦٦٥
- ١١٩ - فضل يوم الجمعة..... ٦٦٩
- ١٢٠ - الأمانة..... ٦٧٥
- ١٢١ - صلة الأرحام..... ٦٨١
- ١٢٢ - سورة الماعون..... ٦٨٧
- ١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين..... ٦٩٣
- ١٢٤ - غض البصر..... ٦٩٩
- ١٢٥ - تحريم حلق اللحية..... ٧٠٥
- ١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة..... ٧١١
- ١٢٧ - خطر التلفاز..... ٧١٩
- ١٢٨ - ذم الترف..... ٧٢٥

الموضوع	الصفحة
١٢٩ - أخطاء في الطهارة	٧٢٩
١٣٠ - أخطاء في الصلاة	٧٣٣
١٣١ - خطر النفاق	٧٣٩
١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٧٤٥
١٣٣ - تحريم الإسبال	٧٥١
١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي	٧٥٧
١٣٥ - تحريم التصوير	٧٦١
١٣٦ - الموت وعظاته	٧٦٧
١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق	٧٧٣
١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب	٧٧٩
١٣٩ - النهي عن البدع	٧٨٥
١٤٠ - قدرة الله	٧٩١
١٤١ - علامات حسن الخاتمة	٧٩٥
١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام	٨٠١
١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء	٨٠٧
١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة	٨١٣
١٤٥ - طلب العلم الشرعي	٨١٩
١٤٦ - معنى لا إله إلا الله	٨٢٥
١٤٧ - سورة الفلق	٨٣١
١٤٨ - آداب الطعام	٨٣٧
١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾	٨٤١
١٥٠ - سورة الفاتحة	٨٤٧



الدرر المنقاة

من

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

موسوعة الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الثامن.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ١ - الرياض، ١٤٣٥ هـ

٥٢٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٧-٤٦٤٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - أ - العنوان

١٤٣٥/٢٩٩٠

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٩٩٠

ردمك: ٧-٤٦٤٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإله أراد طباعته وتوزيعه مجاناً بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

جوال رقم: ٥٠٤٤٦٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

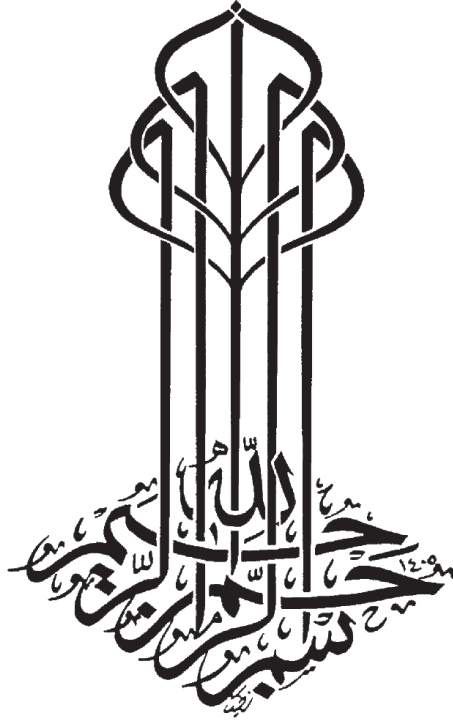
فروع يومية

(٤٠) درر للترغاة والمُطَبَّاءِ وَأُمَّةِ الْمَسَاجِدِ لِلْقِرَاءَةِ عَلَى الصَّلَاتِ

إعداد

و. إمامة بن محمد آل نوري الشقاوي

الجزء الثامن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «موسوعة الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي، عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ، وهو من الدعاة المعروفين بالعلم والبصيرة، وقد سمعتُ عددًا من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الموسوعة وجدتها متنوعة تشمل موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، وفي العلم، وفي الوصايا، والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراس، واللباس، والمواعظ والرقائق، والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية كقضية المرأة وغيرها، وتوجيهات عامة، وغيرها.

ولا شكّ أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور الدين،

(١) تنويه: اقتصرْتُ على تقديم الشيخ عبد العزيز الراجحي لهذه الموسوعة التي تمّ اطلاعه عليها، أمّا المشايخ الذين قدّموا للكتاب في مجلده الأول، فلم نتمكّن من عرضها عليهم، مع الشكر للجميع، جزاهم الله خيرًا.

الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروسًا يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذه الموسوعة والاستفادة منها، وأوصي أيضًا أئمة المساجد، والخطباء، والدعاة، بالاستفادة منها على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة، والتابعين، وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير، وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسِّير، فجاءت هذه الموسوعة - بحمد الله - وافيةً بالغرض نافعةً، يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذه الموسوعة وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلّى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٤٣٥/٣/٢٨ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

[آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فهذا هو المجلد الرابع من كتاب الدرر المنتقاة، يحتوي على

أربعين كلمةً متنوعةً، وبهذا يصل العدد الإجمالي لموضوعات كتاب الدرر أربع مئة موضوع، وقد سميتها موسوعة «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة»، والتي استغرق العمل فيها ما يقارب ثماني سنوات، وقد بذلتُ جهدي في اختيار الموضوعات لتشمل جميع أبواب الدين، والقضايا التي يحتاجها المجتمع، وهو كسابقيه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صُحِّحَ، وقد ضبطت الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل؛ ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبيةً لطلبات قراء الكتاب.

كما آمل من إخواني القراء إفادتي بأي ملاحظات ترفع من مستوى الموسوعة العلمي، وتحقق الفائدة المطلوبة منها.

أسأل الله تعالى أن ينفع بها الجميع، والحمد لله رب العالمين،
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ١١ / ٤ / ١٤٣٥ هـ



الكلمة الأولى

الغيرة على الأعراض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد.. فإن الشريعة الإسلامية جاءت بكل ما يصلح الأفراد والمجتمعات، في دينهم ودنياهم.

ومن الأمور العظيمة التي اهتم بها الإسلام (الغيرة على الأعراض)، وهي فطرة في الإنسان.

قال القاضي عياض: «الغيرة مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين»^(١).

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «ذكر الله المحرمات التي حرمها الله في كل شريعة من الشرائع، فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾، أي: الذنوب الكبار التي تستفحش، وتستقبح

(١) فتح الباري (٩/ ٣٢٠).

لشناعتها وقبحها»^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها:
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ
 أَوْ أُمَّتَهُ تَزْنِي، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا
 وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله
 ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ
 حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ
 مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»^(٣).

والغيرة من الأخلاق التي أيدها الإسلام لدى المتصنفين بها، ومن
 المبالغات في الغيرة: أن أعرابياً طلق زوجته عندما رأى أناساً ينظرون
 إليها، فعوتب في ذلك، فقال في ذلك شعراً رائعاً منه:

وَأَتْرُكُ حُبَّهَا مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَذَاكَ لِكثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فِيهِ
 إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى طَعَامٍ مَنَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ
 وَتَجْتَنِبُ الْأَسْوَدَ وَرُودَ مَاءٍ إِذَا كَانَ الْكِلَابُ وَلَغْنَ فِيهِ

وكلما كان إيمان العبد أقوى كانت غيرته أشد، وأشد الناس
 غيرة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه يغار لله ولدينه، ففي حديث سعد بن

(١) تفسير ابن سعدي، ص ٢٦٥ باختصار.

(٢) برقم ٥٢٢١، وصحيح مسلم برقم ٩٠١ مطولاً.

(٣) برقم ٤٦٣٧، وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٠.

عبادة عندما قال: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ^(١). فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغَيْرُ مِنِّي»^(٢). وقال علي رضي الله عنه يخاطب المسلمين: «بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق، أما تغارون؟ لا خير فيمن لا يغار»^(٣).

ومن صور ضعف الغيرة عند بعض الناس: ترك الرجل امرأته أو من تحت ولايته من النساء تسافر بدون محرم. فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تُسَافِرَنَّ الْمَرْأَةُ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتْ امْرَأَتِي حَاجَةً؟ قَالَ: «أَذْهَبَ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»^(٤).

فهذا مجاهد في سبيل الله أمره النبي ﷺ أن يعدل عن الغزو في سبيل الله، كي يرافق امرأته التي خرجت في سفر طاعة وهو الحج، فكيف بمن سمح بسفر ابنته إلى بلاد الكفار للدراسة وهي في سن الشباب، وعرضها للفتنة والرذيلة؟! فإلى الله المشتكى.

(١) للسيف صفحان، واحداً، أراد أنه يضربه بحدّه لا بعرضه، والذي يضرب بالحد يقصد إلى القتل بخلاف الذي يضرب بالصفح فإنه يقصد التأديب. فتح الباري (٣٢١/٩).

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٨٤٦، وصحيح مسلم برقم ١٤٩٩ مطوّلًا.

(٣) الغيرة على المرأة، للشيخ عبد الله المانع ص ١٠٤.

(٤) البخاري برقم ٣٠٠٦، وصحيح مسلم برقم ١٣٤١.

ومنها: جلوس الرجل مع زوجته وبناته أمام شاشات القنوات الفضائية السيئة، التي تعرض مشاهد فاضحة وصورًا خليعة.

ومنها: سماح الرجل لابنته، أو زوجته، أو من تحت ولايته بالعمل بالأماكن المختلطة مع الرجال؛ كالمستشفيات، والشركات، والأسواق.. وغيرها.

ومنها: السماح للمرأة سواء كانت زوجة، أو بنتًا بالركوب مع السائق بمفردها. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»^(١).

ومنها: سماح الرجل لامرأته، أو ابنته، أو من تحت ولايته بخروج صورتها للرجال الأجانب عبر وسائل الإعلام؛ كالقنوات الفضائية، أو المجلات والجرائد، أو الإنترنت،.. أو غيرها من الوسائل. فإلى الله المشتكى.

ومنها: انتشار لبس القصير، والبنطال للبنات الصغيرات اللائي تجاوزن سن التمييز، ويحتج أبائهن بأنهن صغيرات، مع أن النبي ﷺ تزوج عائشة وبنى بها وسنها تسع سنين.

ومنها: ترك الرجل امرأته، ومن تحت ولايته تلبس الملابس التي تظهر البدن عند خروجها للأسواق، أو المناسبات كالملابس الضيقة، أو الشفافة، أو المفتوحة، أو العارية، أو تضع العباءة على الكتف، أو

(١) سنن الترمذي برقم ٢١٦٥. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

تلبس البرقع وتظهر جزءاً من وجهها، وهو لا يحرك ساكناً ولا ينهاها،
فأين القوامة والغيرة؟!

وصور ضعف الغيرة كثيرة لمن تتبعها.

أما أسباب ضعف الغيرة فهي كثيرة، فمن ذلك:

أولاً: ضعف الإيمان، لأن المسلم كلما ضعف إيمانه ضعفت
غيرته. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن
عبادة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ،
وَاللَّهُ أَغَيْرُ مِنِّي» (١).

ثانياً: التقليد الأعمى للكفار، فكثير من الذين لا يغارون قد تأثروا
بالسفر إلى بلاد الكفار، أو بمشاهدة الأفلام، والقنوات الغربية الفاسدة.
ثالثاً: حياة الترف التي يعيشها كثير من الناس، أدت في النهاية
إلى الكسل وحب الراحة، والاعتماد على الغير من السائقين،
والخدم، وغيرهم.

رابعاً: الاختلاط بالأمم الوافدة، وفيهم من هو من غير
المسلمين، أو من المسلمين الذين ضعفت عندهم الغيرة،
واستمرؤوا الانحلال والتفسخ.

خامساً: ضعف شخصية بعض الرجال، لأن الواجب عليهم
القوامة والإرشاد للنساء، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٤٦، وصحيح مسلم برقم ١٤٩٩.

[النساء: ٣٤]. قال ابن كثير: أي: الرجل قيّم على المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها ومؤدّبها إذا اعوجّت^(١).

سادسًا: جهل بعض المسلمين بأحكام الشرع.

سابعًا: صدور الفتاوى المتساهلة من بعض المحسوبين على أهل العلم إلى العامة فيما يتعلق بأمور النساء، والاختلاط، والخلوة، والسفر وغيرها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير، (٤/٢٠).

الكلمة الثانية

إصلاح البيوت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن إصلاح البيوت أمانة في عنق كل مسلم ومسلمة، يريدان رضا الله بتربية ذرية صالحة تساهم في بناء المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم].

ومن هذه الخطوات التي تساعد على إصلاح البيوت:

١- الاهتمام بغرس العقيدة الصحيحة في قلوب أفراد الأسرة، وتحذيرهم من الشرك بأنواعه، كما قال تعالى عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم]. فإبراهيم إمام الموحدين، ومع ذلك خاف على نفسه من الشرك، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام؟! (١).

٢- حث أفراد الأسرة على الصلاة في أوقاتها بالرفق والحسنى،

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ١٠١.

فالأولاد يؤمرون بصلاة الجماعة، والنساء صلاتهن في بيوتهن أفضل، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وقال تعالى عن نبي الله إسماعيل: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]. روى أبو داود في سننه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم يتنفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا. اهـ^(٢).

٣- إخراج المنكرات من البيوت من الصور، والتمائيل، والتمائم والصلبان، وغيرها. روى مسلم في صحيحه من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ: أَلَا أْبْعَثُكَ؟ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ لَا تَدَعَ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»^(٣).

والواجب على المسلم أن يتلف الصور، وأن يُخلى بيته منها ما أمكنه

(١) برقم ٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٧/١) برقم ٤٦٦.

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود، ص ٨٠.

(٣) برقم ٩٦٩.

ذلك، وإذا كان في منزله صور معلقة على الحيطان، أو منصوبة سواء كانت تماثيل، أو كانت رسوماً على أوراق من صور ذوات الأرواح كالبهائم، والطيور والآدميين، وكل ما فيه روح، فإنه يجب إزالتها، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى سترًا وضعت عائشة على الجدران فيه تصاوير^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي طلحة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ»^(٢). حتى لو احتاج رب الأسرة إلى الكلب للحراسة، فإنه يوضع في مكان خاص خارج البيت.

٤- الحرص على جمع شمل الأسرة، وعدم تشتتها والترابط بينها وذلك باحترام الكبير، والرحمة بالصغير، والبر بالوالدين؛ فإنه من أعظم القربات، والأدب واللطف عند التعامل بين أفرادها، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، دَلَّهْمُ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ»^(٣).

وتربية الأولاد على الكلام الحسن، وتجنبيهم الألفاظ القبيحة، وأن يتحلَّى رب الأسرة بالصبر، والحلم، والحكمة، والرفق، فإن أعظم

(١) صحيح البخاري برقم ٥٩٦١، وصحيح مسلم برقم ٢١٠٧.

(٢) البخاري رقم ٣٢٢٥، وصحيح مسلم برقم ٢١٠٦.

(٣) (٢٥٥/٤١) برقم ٢٤٧٣٤، وقال محققوه: إسناده صحيح.

ما يشنت الأسر ويؤدي إلى ضياع الأولاد، وتقطع وشائج الأرحام، ويولد العداوة والبغضاء الطلاق.

٥- الحذر من دخول الرجال الأجانب على المرأة في البيت، وخاصة أقارب زوجها وأبويها، فإنهم يترددون غالباً وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَمُ؟ قَالَ: «الْحَمَمُ الْمَمُوتُ»^(١). والحمم قريب الزوج، شَبَّهَ النبي ﷺ بالموت لخطورته وتساهل الناس فيه، والحرص كذلك على منع اختلاط الرجال بالنساء في المناسبات والزيارات العائلية، والذي تساهل به بعض الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الشيخ بكر أبو زيد: «وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول على النساء، وممنوعين من الخلوة بهن بطريق الأولى، كما ثبت بأحاديث أخرى؛ صار سؤالهن متاعاً لا يكون إلا من وراء حجاب، ومن دخل عليهن فقد خرق الحجاب»^(٢).

٦- توجيه النساء والأخذ على أيديهن، وخاصة عند خروجهن

(١) البخاري برقم ٥٢٣٢، وصحيح مسلم برقم ٢١٧٢.

(٢) حراسة الفضيلة، ص ٦٣.

للزيارات والمناسبات، فإن بعضهن تلبس اللباس الضيق، أو العاري، أو المفتوح، أو البنطال، وهذا لا يجوز سواء كان عند محارمها من الرجال، أو النساء مثلها، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. وفي الحديث: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجْنَ رِيحُهَا، وَإِنْ رِيحُهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(١).

٧- إخراج القنوات الفضائية السيئة التي تنشر الرذائل وتدعو إليها، وتحارب الفضائل وتقلل من شأنها، فكم هتكت من أعراض؟! وكم ضيعت من صلوات بأسبابها؟! وكذلك آلات المعازف والطرب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢). ومن الغش للأسرة: إدخال هذه الأجهزة، التي تفسد عليهم دينهم وأخلاقهم.

٨- الانتباه لخطورة السائقين، والخدمات في البيوت،

(١) صحيح مسلم برقم ٢١٢٨.

(٢) البخاري برقم ٧١٥، وصحيح مسلم برقم ١٤٢ واللفظ له.

وخاصة أن كثيراً من الخادِمات تكون في سن الشباب، وفي البيت مراهقون، وقد يختلي أحدهم بهذه الخادِمة فتحصل الفتنة والشر، والبعض يجلب الخدم والسائقين من شتى ملل الكفر، وهذا فيه مخالفة صريحة لقول النبي ﷺ حيث قال: «لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا»^(١).

إضافة إلى تبلُّد إحساس المسلم بكثرة مخالطة الكفار، وهذا يقضي تدريجياً على مفهوم الولاء والبراء في قلب المؤمن، ولذلك ينبغي أن يكون استقدام الخدم والسائقين من المسلمين وفق الحاجة، مع مراعاة الجوانب الشرعية الأخرى.

٩- التعاون بين أفراد الأسرة على تنظيم الحياة الأسرية داخل المنزل وخارجه، وذلك بترتيب الأوقات، حيث يكون النوم في وقته، والاستيقاظ، مع التعاون على الاقتصاد في المعيشة، وترك الإسراف في النفقات، والحث على النظافة.. ونحو ذلك من الأمور التي حث عليها الشرع، ودعت إليها الأخلاق، وتوافقت مع الجوانب الصحية للحياة السليمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة

فضل بناء المساجد ورعايتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل المساجد، وبنائها، ورعايتها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عثمان ابن عفان رضي عنه قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ» (١).

وروى البزار في مسنده من حديث أنس: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَبْعُ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بَيْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» (٢).

(١) البخاري برقم ٤٥٠، وصحيح مسلم برقم ٥٣٣.

(٢) البحر الزخار (١٣/٤٨٤) برقم ٧٢٨٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير

برقم (٣٦٠٢).

والمساجد يجب أن تنظف، وتطيب، وتجنب الأقدار،
والروائح الكريهة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي عنها قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ» (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ عَنْهَا؟ فَقَالُوا: مَاتَتْ، فَقَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ أَذْنُتُمُونِي؟» قَالَ: فَكَانَتْهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ: «دُلُونِي عَلَى قَبْرِهَا»، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ» (٢). وفي رواية: «كَانَتْ تَلْتَقِطُ الْخِرْقَ، وَالْعِيدَانَ مِنَ الْمَسْجِدِ» (٣).

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» (٤).

ويلحق بهذا الأطعمة ذات الروائح الكريهة، وأعظم من ذلك

(١) (٣٩٧/٤٣) برقم ٢٦٣٨٦، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٥٨، وصحيح مسلم برقم ٩٥٦.

(٣) صحيح ابن خزيمة ٢/٢٧٢ برقم ١٢٩٩.

(٤) صحيح البخاري برقم ٨٥٥، وصحيح مسلم برقم ٥٦٤ واللفظ له.

وأولى بالنهي التدخين، أو ما يسمى الشيثة، وقد جاء النهي أيضاً عن نشد الضالة، والبيع والشراء في المسجد. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيُقِلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»^(٢).

ويلحق بذلك سؤال الناس أموالهم في المساجد، وإشغالهم عن التسبيح والتكبير، والتهليل، والذكر عموماً بحجة الفقر والحاجة. وقد اختلف أهل العلم في حكم التَّسْوُلِ في المساجد؟ فذهب المالكية ومن وافقهم إلى تحريم السؤال، واستدلوا على ذلك بنهيه ﷺ عن إنشاد الضوال في المسجد، ويلحق به ما في معناه من البيوع، والشراء، والإجارة ونحوها، وكراهة رفع الصوت في المساجد بالعلم، وغيره.

وذهب آخرون إلى الكراهة وهم الشافعية، واستدلوا بحديث عبد الله بن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا بِسَائِلٍ، فَوَجَدْتُ كِسْرَةَ خُبْزٍ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ

فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ^(١).

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هذه المسألة؟ فأجاب بما نصه: «أصل السؤال محرم في المسجد وخارج المسجد إلا لضرورة، فإن كان به ضرورة وسأل في المسجد، ولم يؤذ أحدًا بتخطيه رقاب الناس، ولا بغير تخطيه، ولم يكذب فيما يرويه، ويذكر من حاله، ولم يجهر جهراً يضر الناس، مثل أن يسأل والخطيب يخطب، أو هم يسمعون علماً يشغلهم به.. ونحو ذلك. جاز والله أعلم»^(٢). اهـ

وقد وردت كذلك الأحاديث الكثيرة بالنهي عن زخرفة المساجد، والمبالغة في صرف الأموال في ذلك. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ»^(٤). وقال ابن عباس: لَتَزْخُرْفُنَّهَا كَمَا زَخُرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى^(٥).

وروى سعيد بن منصور في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) سنن أبي داود برقم ٦٧٠، قال الألباني: ضعيف، وهو صحيح دون قصة السائل.

انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ١٤٥٨.

(٢) الفتاوى (٢٢/٢٠٦).

(٣) (٣٧٢/١٩) برقم ١٢٣٧٩، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) برقم ٤٤٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٠/١) برقم ٤٣١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب بنیان المسجد، رقم ٦٢.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زَخَرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ، فَالِدَّمَارُ عَلَيْكُمْ» (١).

وكان مسجده ﷺ متواضعاً، لم يكن به شيء من الزخارف والزينة، فروى البخاري في صحيحه من حديث نافع: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنِيًّا بِاللَّبَنِ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ، وَعُمْدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئاً (٢).

وفي صحيح البخاري: أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: أَكِنَّ (٣) النَّاسَ مِنَ الْمَطْرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمَّرَ أَوْ تُصَفَّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ (٤). وَقَالَ أَنَسٌ: يَتْبَاهُونَ بِهَا، ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلاً (٥).

وعمارة المساجد ليست مقتصرة على بنائها فقط، بل تكون بالصلاة والذكر، والدعاء، والاستغفار، وحلق العلم، قال تعالى:

﴿ فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ

(١) سنن سعيد بن منصور (٤٨٦/٢) برقم ١٦٥، وقال شيخنا د. سعد الحميد: والحديث بمجموع هذه الطرق يكون حسناً لغيره، لكنه موقوف على هؤلاء الصحابة الذين رووه وهم أبو هريرة، وأبو الدرداء، وأبو ذر، وأما رفعه فلا يصح إلا أن يقال: إنه مما يدخل في عداد ما له حكم الرفع، لأنه لا مجال للرأي فيه. والله أعلم. اهـ. سنن سعيد بن منصور (٤٨٦/٢ - ٤٩١).

(٢) برقم ٤٤٦.

(٣) من الكن، وهو ما يرد الحر، والبرد من الأبنية والمسكن، ومعنى أكن الناس من المطر: أي: صنهم واحفظهم. النهاية في غريب الحديث (٢٠٦/٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب بيان المسجد.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب بيان المسجد.

﴿٣٦﴾ رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ^(١) فِي غَيْرِ إِيْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٣).

ومكانة المسجد في الإسلام عظيمة، ولذلك النبي ﷺ لما وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد، وهو ساحة العبادة، ومدرسة العلم، ومنطلق الجيوش لمقارعة الأعداء، ويجتمع الناس في المساجد كل يوم خمس مرات، الغني والفقير، والأمير والمأمور، والصغير والكبير، جنباً إلى جنب، فيشعرون بالمواساة والمحبة

(١) الناقة الكوماء: عظيمة السنام.

(٢) برقم ٨٠٣.

(٣) برقم ٢٦٩٩.

والمودة، ويتفقد بعضهم بعضاً، وفي نهاية الأسبوع يكون لخطبة الجمعة الأثر البالغ في نفوسهم.

وفي المساجد تُعقد حلقُ العلم التي خرَّجت الآلاف من العلماء، وطلبة العلم من شتى البقاع، وكذلك حلق تحفيظ القرآن الكريم، والدروس والمحاضرات، والكلمات،.. ونحوها.

وبين سبحانه أن من أعظم الجرائم صد الناس عن بيوت الله والسعي في خرابها، وأن الجزاء في ذلك خزي في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة].

والمساجد أحب البقاع إلى الله. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحبُّ البلادِ إلى اللهِ مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها»^(١).

قال النووي رحمته الله: أحب البلاد إلى الله مساجدها لأنها بيوت خصت بالذكر، وبقع أسست للتقوى والعمل الصالح، فالمساجد مواضع نزول رحمة الله وفضله، والأسواق على الضد منها^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعةٌ يظلمهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلهُ»، وذكر منهم: «ورجلٌ

(١) برقم ٦٧١.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٥٨٤)، باختصار وتصرف.

قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ»^(١).

والمساجد بيوت الله من دخلها فقد حل ضيفاً على ربه، فلا قلب أطيب، ولا نفس أسعد من رجل حل ضيفاً على ربه، وفي بيته، وتحت رعايته. روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ قال: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة، والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة في الجنة. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم برقم ١٠٣١.

(٢) حلية الأولياء (٦/١٧٦)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٢٩٨): رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري وقال: إسناده حسن، وهو كما قال ﷺ. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٧١٦.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٦٢، وصحيح مسلم برقم ٦٦٩ واللفظ له.

الكلمة الرابعة

الانتحار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
ففي كل عام يموت الآلاف من الناس منتحرين بعمليات مختلفة، إما بالحرق، أو الشنق، أو الرمي من مكان شاهق، أو تناول السم والمواد الضارة، أو إطلاق النار،.. أو غير ذلك.

وهذه الظاهرة الخطيرة التي انتشرت في بلاد العالم، تحتاج منا إلى وقفات وتأملات للاطلاع على الأسباب، والعلاج، والحكم الشرعي فيها.

وقد دلت النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الانتحار من أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ [النساء].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ

جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

والمنتحر مصيره إلى النار والجنة عليه حرام. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ بَرَجُلٍ جَرَّاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ اللَّهُ: بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (٤).

وبعد التأمل والاطلاع على الإحصائيات العالمية وأحوال الناس، يتبين أن من أسباب الانتحار:

أولاً: الهم والقلق النفسي والضيق الذي يشعر به الإنسان المُقَدَّم على الانتحار، حيث تصبح الحياة لا قيمة لها عنده، ويريد التخلص مما يعانيه، والغالب ذلك

(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٧٨، وصحيح مسلم برقم ١٠٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٣٦٤، وصحيح مسلم برقم ١٠٩ مطولاً باختلاف.

(٣) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٦١٠٥، وصحيح مسلم برقم ١١٠.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٣٦٤، وصحيح مسلم برقم ١١٣ مطولاً وبدون ذكر «بدرني

في الكفار، وقد يحصل من بعض المسلمين عند ضعف الإيمان. وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ [١٢٦] ﴿ [طه].

ثانياً: تراكم الديون والحقوق ومطالبة أصحابها بها والخوف من عواقب ذلك، وفقدان الوظيفة أو عدم الحصول عليها بعد البحث والانتظار لسنوات عديدة، والبقاء عاطلاً بلا عمل.

ثالثاً: الخسارة المالية الكبيرة التي تسبب الصدمة العنيفة لصاحبها على سبيل المثال (خسارة الأسهم المشهورة في السنوات الماضية).

رابعاً: الأمراض النفسية المزمنة، كحالات الاكتئاب الشديدة، أو انفصام الشخصية، وأثبتت الدراسات أن (٩٠٪) من حالات الانتحار كانت بسبب الاكتئاب.

خامساً: استعمال المخدرات والمسكرات، فإنها تسبب تلف خلايا المخ، وبالتالي يصبح المدمن عرضة للانتحار في أي وقت.

سادساً: المشاكل الأسرية والتي تؤدي إلى الطلاق، وتشتت الأسر، والعزلة عن الناس.

سابعاً: السجن لسنوات طويلة مع شعور السجين بالظلم، والإهمال لحقوقه.

ثامناً: تسجيل بعض المواقف السياسية، أو الاحتجاج على بعض الأوضاع المعيشية الصعبة، كحالات الفقر الشديدة، أو البطالة، أو غيرها، ويكون هذا أمام المقررات الرسمية المهمة في الدول.

تاسعاً: سجلت حالات انتحار لأطفال لم يبلغوا الحلم، إما بسبب تقليد الأفلام الكرتونية، أو لعدم احتواء مشاكلهم، واضطراباتهم السلوكية، أو لغير ذلك.

عاشراً: ويلحق بهذه الأسباب قيادة السيارات بطريقة غير صحيحة، كمن يسرع سرعة شديدة تؤدي إلى عدم السيطرة على السيارة تحت أي ظرف يتعرض له، أو القيادة بشكل معاكس للطريق، أو التفحيط أو المسابقة بالسيارات.. أو غير ذلك مما يفعله السفهاء.

ولعل من الحلول المناسبة لهذه الجريمة الخطيرة:

أولاً: تقوية الوازع الديني لدى الناس وتذكيرهم بالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. والصبر على البلاء، وأن يسعوا في الرزق، فليس مرتبطاً بالوظيفة، أو الشهادة الدراسية، فكم من أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يملك الأموال الطائلة؟! قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

ثانياً: الاقتصاد في المعيشة، والبعد عن الإسراف، وأن يقتصر

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١)

[الأعراف].

ثالثاً: التداوي بالقرآن، فإن فيه الشفاء لكل الأمراض النفسية والعضوية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]. واستعمال العقاقير الطبية الموصوفة من الأطباء المتخصصين الموثوق بهم.

رابعاً: بث الوعي الديني بخطورة العجلة في قيادة السيارات، والالتزام بأنظمة المرور، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وبيان فوائد الالتزام بأداب القيادة، وما فيها من المصالح وما يدرأ بها من المفسد، وإحالة المخالفين إلى المحاكم الشرعية لمعاقبتهم بما يقتضيه الحكم الشرعي.

خامساً: إبعاد الأفلام، والمسلسلات الكرتونية، أو التلفزيونية التي تحتوي على العنف، أو الانتحار عن الأطفال، واستبدالها بما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة

حقوق الجار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من محاسن هذا الدين العظيم التي جاء بها: الوصية بالجار، والمجتمع كله عبارة عن أسر كثيرة يتجاور بعضها مع بعض، فإذا أحسن كل منهم عشرة جاره صلح المجتمع، وساده الحب، والرحمة، والتعاون، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ» (١).

قال العلماء: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم، وأما الذي له حقان: فالجار المسلم له حق الجوار، وحق الإسلام، وأما الذي له

(١) صحيح البخاري برقم ٦٠١٥، وصحيح مسلم برقم ٢٦٢٥ واللفظ له.

حق واحد فالجار المشرك»^(١)، قال ابن عباس: الجار ذي القربى، أي: القريب؛ والجار الجنب، أي: الغريب^(٢).

قال ابن حجر: «واسم الجار يشمل المسلم، والكافر، والعابد، والفاسق، والصديق، والعدو، والغريب، والبلدي، والنافع، والضار، والقريب، والأجنبي، والأقرب دارًا، والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها، ثم أكثرها وهلم جرًّا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيُعطى كل حقه بحسب حاله»^(٣).

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية، والسلام، وطلاق الوجه عند لقاءه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت، أو معنوية»^(٤).

فعلى سبيل المثال عدم رمي الأوساخ بجوار بيته، أو إيقاف السيارات أمام منزله إذا كان ذلك يؤذيه، أو تتبع عوراته، أو النظر إلى محارمه، أو غير ذلك مما يسبب له الأذى، ولا يكفي هذا بل لا بد من تحمل الأذى الذي يصدر منه.

(١) فتح الباري (١٠/٤٤٢) بتصرف. وقد رُوي في هذا حديث، ولا يصح.

(٢) تفسير الطبري (٣/٢٣١١ - ٢٣١٣).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٤١ - ٤٤٢).

(٤) فتح الباري (١٠/٤٤٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي شريح قال: قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ»، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ»، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»^(١). والبوائق: جمع بائقة وهي الداهية، والشيء المهلك، والأمر الشديد الذي يُوافي بغته.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»^(٢).

وأخبر النبي ﷺ أن الإحسان إلى الجار سبب لدخول الجنة، كما أن إيذائه سبب لدخول النار. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فُلَانَةٌ يُذَكَّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةً يُذَكَّرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ^(٣) مِنَ الْأَقْطِ^(٤)، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»^(٥).

وأخبر النبي ﷺ أن حرمة الجار أعظم من حرمة غيره من

(١) صحيح البخاري برقم ٦٠١٦، وصحيح مسلم برقم ٤٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦١٣٦، وصحيح مسلم برقم ٤٧.

(٣) الأثوار: جمع ثور، وهي قطعة من الأقط.

(٤) الأقط: بفتح الهمزة وكسر القاف وبضمها أيضًا، وبكسر الهمزة والقاف معًا وبفتحهما، هو شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمي.

(٥) (١٥/٤٢١ - ٤٢٢) برقم ٩٦٧٥، وقال محققوه: إسناده حسن.

الناس، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةٍ جَارِهِ»، قَالَ: فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟» قَالُوا: حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أُنْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُقْتَلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(٢).

ومن حقوقه أيضًا: الإحسان وبذل المعروف له، وإكرامه. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي شريح العدوي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»^(٣). وفي رواية: «فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»^(٤).

وحدث النبي ﷺ على إطعام الجار، فروى مسلم في صحيحه

(١) (٢٧٧/٣٩) برقم ٢٣٨٥٤، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٤٧٧، وصحيح مسلم برقم ٨٦ واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٠١٩، وصحيح مسلم برقم ٤٧.

(٤) صحيح مسلم برقم ٤٨.

من حديث أبي ذر: أن النبي ﷺ قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ! إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» (١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حق الجار أن تبسط إليه معروفك، وتكف عنه أذاك (٢).

قال شراح الحديث: «ففي الحديث الحض على مكارم الأخلاق، والإرشاد لمحاسنها لما يترتب عليه من المحبة، والألفة ولما يحصل به من المنفعة، ودفع الحاجة والمفسدة، فقد يتأذى الجار برائحة قدر جاره ووعيله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل إلى ذلك فتهيج من صغارهم شهية الطعام، ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة، وربما كان يتيمًا، أو أرملة، فتكون المشقة أعظم، وتشتد منهم الحسرة والألم، فلا أقبح من منع هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير، وكل ذلك يندفع بتشريكهم في شيء من الطبخ» (٣).

ومنها: بذل النصيحة له في دينه، ودنياه، والمشورة عليه بالخير، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جرير بن عبد الله قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٢٥.

(٢) الآداب الشرعية (٢/١٥)، لابن مفلح.

(٣) دليل الفالحين (٣/١٧٥)، بتصرف.

وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي صلوات الله وسلامه قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٢).

ومن أهم ذلك: حثُّه وترغيبه على المحافظة على الصلاة في جماعة المسلمين، وكذلك تحذيره من تقصيره في تربية أولاده، وإهماله لمن تحت يده، وتحذيره من اقتناء آلات اللهو، والقنوات الفضائية الفاسدة، وبيان خطر جلساء السوء، ومصاحبتهم.

ومنها: زيارته، وتفقد أحواله والسؤال عنه، وإجابة دعوته. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلوات الله وسلامه قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» - ذكر منها - «وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ»^(٣). هذه الحقوق على وجه العموم، ويتأكد ذلك في حق الجار، وهو نص قوله صلوات الله وسلامه: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»^(٤).

وكلما كان الجار أقرب كان حقه أعظم. روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا»^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم ٤٨١، وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٥ واللفظ له.

(٢) برقم ٥٥. (٣) برقم ٢١٦٢.

(٤) صحيح مسلم برقم ٤٨، وروى البخاري بعضه.

(٥) برقم ٢٢٥٩.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ»^(١).

ولا يحتقر المسلم الهدية التي يهديها لجاره وإن كانت قليلة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ! لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً»^(٢).

ومنها: إظهار محاسنه، وستر عيوبه وخاصة عند الأهل، والأولاد، فإن ذلك ينتج عنه انتشار المحبة، والمودة بين الجيران، وهذه الخصلة السابقة في غاية الأهمية، ليكون ذلك داعياً إلى عدم المجاهرة بالأخلاق السيئة.

قال الغزالي رحمته الله مُلَخَّصًا حقوق الجار: «أن يبدأه بالسلام، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا يضيق طرقة إلى الدار، ويستر ما يتكشف له من عوراته، وينعشه من صرعه إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظته عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمة، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه، ودنياه»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٦٣، وصحيح مسلم برقم ١٦٠٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٥٦٦، وصحيح مسلم برقم ١٠٣٠.

(٣) إحياء علوم الدين (٢/٢١٣)، مختصرًا.

ومن القصص التي تُذكر في هذا المجال، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: لَهُ أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ»^(١). وفي رواية: فَلَمَّا مَاتَ قَالَ: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ١٣٥٦.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٢٦٠)، والرواية له.

الكلمة السادسة

تأملات في سورة الناس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد]. ومن سور القرآن التي تتكرر على أسماعنا ونحتاج إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الفوائد الجليلة والحكم العظيمة سورة الناس ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه الصفات من صفات الربِّ عَزَّ وَجَلَّ الربوبية والملك والإلهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستغيث أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال. والمعصوم من عصمه الله»^(١). اهـ.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود: أن

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٥٢٩).

النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»،
قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ
فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أنس في قصة زيارة صفة
للنبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها،
فلقيه رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ ثم تعدا،
فقال لهما رسول الله ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا
رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ
يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا
شَيْئًا»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي تيممة الهجيمي
عمن كان رديف النبي ﷺ قال: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى حِمَارٍ، فَعَثَرَ
الْحِمَارُ، فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ
الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ:
صَرَغْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، حَتَّى
يَكُونَ أَصْغَرَ مِنَ الذُّبَابِ»^(٣).

قال ابن كثير: «وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر

(١) برقم ٢٨١٤.

(٢) برقم ٣١٠١، وصحيح مسلم برقم ٢١٧٥.

(٣) (١٩٨/٣٤) برقم ٢٠٥٩١، وقال محققوه: حديث صحيح، وقال ابن كثير: إسناده

الشیطان، وغلب، وإن لم يذكر الله تعظم وغلب»^(١).

قوله: ﴿الْوَسْوَسِ الْخَنَاسِ﴾ الوسوسة هي ما يلقيه الشيطان من الأفكار والأوهام، والتخيلات التي لا حقيقة لها، والخناس الذي يخنس، ويهزم، ويولي عند ذكر الله وهو الشيطان^(٢)، قال سعيد ابن جبیر عن ابن عباس في قوله: ﴿الْوَسْوَسِ الْخَنَاسِ﴾، قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟!»^(٤).

قوله: ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ظاهر الآيات أن الذي يسوس يكون من شياطين الجن، ويكون من شياطين الإنس، وجاء التوجيه الإلهي الكريم بالاستعاذة من النوعين جميعاً، وقد ورد في الكتاب العزيز أنهما يشتركان في الوحي الشيطاني، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٥٢٩).

(٢) تفسير جزء عم، للشيخ ابن عثيمين ص ٣٥٩ بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٥٢٩).

(٤) البخاري برقم ٦٠٨، وصحيح مسلم برقم ٣٨٧.

إِلَى بَعْضِ زُخْرَفِ الْقَوْلِ غَمُورًا ﴿ [الأنعام: ١١٢] ^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً ^(٢) أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ» ^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَتَكَلَّمَ» ^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: «وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ^(٤) الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿، ولم يقل: من شر وسوسته، لتعم الاستعاذة شره جميعه، فإن قوله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ تعم كل شره، ووصفه بأعظم صفاته، وأشدّها شراً، وأقواها تأثيراً، وأعمها فساداً، وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة، فإن القلب يكون فارغاً من الشر، والمعصية فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها، ويخيلها له في خياله،

(١) بدائع التفسير، لابن القيم (٥/٤٦٣ - ٤٦٤) باختصار.

(٢) حممة: أي فحماً.

(٣) برقم ٥١١٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٦٢) برقم ٤٢٦٤.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٢٦٩، وصحيح مسلم برقم ١٢٧.

حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة، ثم لا يزال يمثل له ويخيل، ويمني ويشهي، وينسى علمه بضررها، ويطوي عنها سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث الجنود في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم، وعوناً، فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تُوْزِعُهُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [مريم]. أي: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً، كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين، وأزتهم، وأثارتهم، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم وتسهل الاجتماع بالظف حيلة وأتم مكيدة، فأصل كل معصية، وبلاء إنما هو الوسوسة، فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه، وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضاً^(١).

ومن فوائد السورة الكريمة:

١- إثبات الربوبية، والملك، والألوهية لله تعالى، فهو رب كل شيء ومليكه والخلق كلهم عبيده، وتحت ملكه، قال تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰنِ نٰزِعٌ فَاَسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطٰنِ ﴾ [١٧] وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ [١٨] [المؤمنون]. وهذه الاستعاذة لها مواضع عند القراءة، والغضب، وفي الصلاة.. وغيرها.

(١) بدائع التفسير (٥/ ٤٥٢ - ٤٥٣) مختصراً.

٢- استحباب قراءة المعوذتين والإخلاص صباحاً ومساءً ثلاث مرات وعند المبيت، وعلى المرضى، والمسحورين. روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن حبيب رضي عنه أنه قال: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطَلْبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَذْرَكَنَا، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمَسِّي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٣).

وقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقبه بن عامر بهما وقال: «تَعَوَّذُ بِهِمَا،

(١) سنن أبي داود برقم ٥٠٨٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٧ - ٩٥٨) برقم ٤٢٤١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠١٦، وصحيح مسلم برقم ٢١٩٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٥٠١٧.

فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»^(١). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كَلَامِهِ عَلَى
 الْمَعَوِّذَتَيْنِ: «الْمَقْصُودُ الْكَلَامُ عَلَى هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ وَبَيَانُ عَظِيمِ
 مَنَفَعَتِهِمَا، وَشِدَّةُ الْحَاجَةِ بِلِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهِمَا، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي
 عَنْهُمَا أَحَدٌ قَطُّ، وَأَنَّ لَهُمَا تَأْثِيرًا خَاصًّا فِي دَفْعِ السَّحْرِ، وَالْعَيْنِ،
 وَسَائِرِ الشُّرُورِ، وَأَنَّ حَاجَةَ الْعَبْدِ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِهِاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ
 أَكْبَرُ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى النَّفْسِ، وَالطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَاللِّبَاسِ»^(٢).
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) سنن أبي داود برقم ١٤٦٣، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَّانِ أَبِي دَاوُدَ
 (٢٧٥/١) برقم ١٢٩٩.
 (٢) بدائع الفوائد ص ٥٣٦.

الكلمة السابعة

آداب الطريق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من الآداب العظيمة التي حث عليها الإسلام ورغب فيها: آداب الطريق. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فقالوا: مَا لَنَا بُدُّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١).

فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث جملة من الآداب، التي ينبغي أن يتحلَّى بها من جلس في الطريق، فمن تلك الآداب:

غض البصر، وقد أمر الله به في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. روى مسلم في صحيحه من حديث جرير ابن عبد الله قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٦٥، وصحيح مسلم برقم ٢١٢١.

فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي (١).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه قال:
قال رسول الله ﷺ قال: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ
الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ» (٢).

قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدُوهَا مِنَ النَّظْرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْعِرِ الشَّرْرِ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتَكَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
يَسْرُ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ لَا مَرَحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

وقال آخر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتِكَ الْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنَ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

ومنها: كَفِ الْأَذَى، وَإِزَالَتَهُ مِنَ الطَّرِيقِ. روى البخاري ومسلم
في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا
رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَذَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ
لَهُ، فَعَفَّرَ لَهُ» (٣). وفي رواية لمسلم: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ
فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ» (٤).

(١) برقم ٢١٥٩.

(٢) برقم ٢١٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٣/٢) برقم ١٨٨١.

(٣) برقم ٢٤٧٢، وصحيح مسلم برقم ١٩١٤.

(٤) برقم ١٩١٤، وأخرجه البخاري بنحوه برقم ٢٤٧٢.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي بَرزَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ؟ قَالَ: «اعْرِزِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»^(١).

وإمطة الأذى عن الطريق من الإيمان. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

ومن كف الأذى: عدم قضاء الحاجة في طريق الناس، أو ظلهم. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَانِينَ»، قَالُوا: وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»^(٣).

ومن الأذى الذي يجب كفه: الالتزام بأنظمة المرور في السير، والوقوف، وكذلك استعمال المنبه في غير حاجة.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٤).

ومنها: هداية السائل. روى البخاري في صحيحه من حديث

(١) برقم ٢٦١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٩، وصحيح مسلم برقم ٣٥.

(٣) برقم ٢٦٩.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٤٨٤، وصحيح مسلم برقم ٤٠ مختصراً

أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَدَلَّ الطَّرِيقَ صَدَقَةً»^(١).

ومنها: إعانة الرجل في حمله على دابته، أو رفع متاعه عليها. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةً، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ»^(٢).

ومنها: رد السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُسَلِّمُ الرَّابِئُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٤). وفي رواية: «الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ»^(٥).

ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٢٨٩١.

(٢) برقم ٢٨٩١، وصحيح مسلم برقم ١٠٠٩ ببعض الاختلاف.

(٣) برقم ٦٢٣٦، وصحيح مسلم برقم ٣٩.

(٤) برقم ٦٢٣٣، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٠.

(٥) صحيح البخاري برقم ٦٢٣١.

[١١٠]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة، لأن المسلمين منهم أكثر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى»^(١).

وأخبر سُبْحَانَ اللهِ أَنْ الناجين من الأمم هم الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [١٧] ﴿هود﴾. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر، والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه»^(٢). اهـ

وقال أيضاً: «وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر، ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر وهذا نعت النبي ﷺ والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. وهذا واجب كل مسلم قادر وهو فرض الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره»^(٣).

ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يحث من رآه متخلفاً عن صلاة الجماعة إليها، وإذا رأى من يشرب الدخان، أو يستمع إلى الغناء والموسيقى نهاه عن ذلك، وإن مرَّ على من يغشُّ في بيعه وشرائه،

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٦١).

(٢) الفتاوى (٧ / ٤١).

(٣) الفتاوى (٢٨ - ٦٥ - ٦٦).

أنكر عليه ذلك، ومن المنكرات الفاشية التي يجب التعاون على إنكارها لعظيم ضررها، تبرج النساء في الأسواق، والطرق واختلاطهن بالرجال، فالمنكرات إذا كثرت إنكارها زالت أو تلاشت، وإن سكت عنها فشت وانتشرت، وبهذا امتازت أمة محمد ﷺ وفُضِّلَتْ على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة

فضل الوضوء والتيمم وصفتهما

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

«فالأية الكريمة أوجبت الوضوء للصلاة وبينت الأعضاء التي يجب غسلها، أو مسحها في الوضوء، وحددت مواضع الوضوء منها، ثم بين النبي ﷺ صفة الوضوء بقوله، وبفعله، بيانا كافيا.

أحدها: غسل الوجه بكامله ومنه المضمضة، والاستنشاق، فمن غسل وجهه وترك المضمضة والاستنشاق أو أحدهما، لم يصح وضوؤه، لأن الفم والأنف من الوجه، والله تعالى يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فأمر بغسل الوجه كله، فمن ترك شيئا منه لم يكن ممثلا

لأمر الله تعالى، والنبي ﷺ تَمْضُضٌ وَاسْتِنْشَاقٌ»^{(١)(٢)}.

الثاني: غسل اليدين مع المرفقين لقوله تعالى: ﴿وَأَيِّدِكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فإن (إلى) هنا بمعنى مع، فلا بد أن يصل الماء إلى نهاية المرفقين، يدل على ذلك حديث أبي هريرة: أَنَّهُ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَسْرَعَ فِي الْعُضْدِ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَسْرَعَ فِي الْعُضْدِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ^(٣).

الثالث: مسح الرأس كله، ومنه الأذنان لقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾. وفي حديث ابن عباس: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ وَأُذُنَيْهِ، بَاطِنَهُمَا بِالسَّبَّاحَتَيْنِ^(٤) وَظَاهِرَهُمَا بِإِبْهَامِيهِ^(٥)، وَقَالَ ﷺ «الْأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ»^(٦). قال الشيخ ناصر الدين الألباني: «وهذا الحديث يدل على وجوب مسح الأذنين وأنها في ذلك كالرأس، وحسبك في هذا المذهب إمام السنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وسلفه في ذلك جماعة من الصحابة.

وأما المسألة الثانية: فهل يكفي في مسح الأذنين ماء الرأس،

(١) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم ١٥٩، وصحيح مسلم برقم ٢٢٦.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٤٦.

(٤) السباحة والمسبحة: الأصبع التي تلي الإبهام، سميت بذلك لأنها يُشار بها عند التسبيح.

(٥) سنن النسائي برقم ١٠٢، وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (١/٢٤) برقم ٩٩.

(٦) سنن الترمذي برقم ٣٧، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم ٣٦.

أم لا بد لذلك من جديد؟ قال المناوي كما في فيض القدير في شرح الحديث: «الأذنان من الرأس، لا من الوجه، ولا مستقلتان، يعني فلا حاجة إلى أخذ ماء جديد منفرد لهما غير ماء الرأس في الوضوء، بل يجزئ مسحهما بل ماء الرأس، وإلا لكان بياناً للخلة فقط، والمصطفى لم يبعث لذلك، وبه قال الأئمة الثلاثة»^(١).

الرابع: غسل الرجلين مع الكعبين لقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ وإلى بمعنى (مع)، وذلك للأحاديث الواردة في صحة الوضوء، فإنها تدل على دخول الكعبين في الغسل.

الخامس: الترتيب بأن يغسل الوجه أولاً ثم اليدين، ثم يمسح الرأس، ثم يغسل رجليه لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

ولأن النبي ﷺ رتب الوضوء على هذه الكيفية. قال ابن عباس بعدما ذكر صفة رسول الله ﷺ: «هَذَا وُضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

السادس: «الموالاتة وهي أن يكون غسل الأعضاء المذكورة متواليًا، بحيث لا يفصل بين غسل عضو وغسل العضو الذي قبله، بل يتابع غسل الأعضاء الواحد تلو الآخر حسب الإمكان»^(٣).

وقد وردت نصوص كثيرة في فضل الوضوء. روى البخاري

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٩١).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١/ ٢٠٦) برقم ٣١٩، وأصله في صحيح البخاري.

(٣) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/ ٤٢ - ٤٣).

ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا^(١) مُحَجَّلِينَ^(٢) مِنْ أَثَارِ الْوُضُوءِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عثمان رضي الله عنه أنه قال: ألا أحدثكم حديثاً لولا آية ما حدثكموه، سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا»^(٥). قال عروة: الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ)، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ، كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ)، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ، (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ)، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الدُّنُوبِ»^(٦).

(١) غُرًّا: لمعة بيضاء في جبهة الفرس.

(٢) التحجيل: بياض يكون في ثلاث قوائم الفرس.

(٣) برقم ١٣٦، وصحيح مسلم برقم ٢٤٦ مطولاً.

(٤) برقم ٢٢٣.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٦٠، وصحيح مسلم برقم ٢٢٧.

(٦) برقم ٢٤٤.

وقد تعرض حالات يكون الماء فيها معدماً، أو في حكم المعدوم، أو موجوداً لكن يتعذر استعماله لعذر من الأعذار الشرعية، وقد جعل الله ما ينوب عنه وهو التيمم بالتراب تيسيراً على الخلق، ورفعاً للحرَج، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

والتيمم في اللغة: القصد، وشرعاً: مسح الوجه واليدين بصعيد، على وجه مخصوص.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر ابن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ»^(١). وفي رواية: «جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»^(٢). ونقل ابن قدامة في المغني الإجماع على جواز التيمم في الجملة^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا التيمم المأمور به في الآية هو من خصائص المسلمين، ومما فضلهم الله به على غيرهم من الأمم»^(٤).

وينوب التيمم عن الماء في أحوال:

أولاً: إذا عدم الماء لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

(١) برقم ٣٣٥، وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٥٢٢. (٣) المغني (١/٣١٠).

(٤) الفتاوى (٢١/٣٤٧).

طَيِّبًا ﴿ سواء عدمه في الحضر، أو السفر وطلبه فلم يجده.

ثانياً: إذا كان معه ماء يحتاج لشرب، وطبخ فلو تطهر منه لأضر حاجته بحيث يخاف العطش على نفسه، أو عطش غيره من آدمي، أو بهيمة.

ثالثاً: إذا خاف باستعمال الماء الضرر في بدنه بمرض، أو تأخر براء، أو شدة برودة، وكان عاجزاً عن تسخينه لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

رابعاً: إذا عجز عن استعمال الماء لمرض لا يستطيع معه الحركة، وليس عنده من يوضئه، وخاف خروج الوقت.

ففي تلك الأحوال يتيمم ويصلي، وإن وجد ماء يكفي بعض طهره استعماله فيما يمكنه من أعضائه، أو بدنه، وتيمم عن الباقي الذي قصر عنه الماء لقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وإن كان به جرح يتضرر بغسله، أو مسحه بالماء، تيمم له وغسل الباقي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. وإن كان جرحه لا يتضرر بالمسح مسح الضماد الذي فوقه بالماء، وكفاه المسح عن التيمم.

«ويجوز التيمم بما على وجه الأرض من تراب، وسبخة، ورمل، وغيره، هذا هو الصحيح من قولي العلماء لقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾. وكان النبي ﷺ وأصحابه إذا أدركتهم الصلاة تيمموا بالأرض التي يصلون عليها تراباً أو غيره، ولم يكونوا يحملون معهم التراب»^(١).

(١) زاد المعاد، لابن القيم (١/١٩٣) بتصرف.

وصفة التيمم أن يضرب التراب بيديه ضربة واحدة، ثم يمسح وجهه بباطن أصابعه، ويمسح كفيه براحتيه، ويعمم الوجه والكفين بالمسح، وقد وردت هذه الصفة في الصحيحين من حديث عمار ابن ياسر^(١) رضي الله عنه.

ويبطل التيمم عن حدث أصغر بمبطلات الوضوء، وعن حدث أكبر بموجبات الغسل من جنابة، أو حيض، أو نفاس، وكذلك يبطل بوجود الماء إن كان التيمم لعدمه، وبزوال العذر الذي من أجله شرع التيمم من مرض ونحوه، ومن عدم الماء والتراب، أو وصل إلى حال لا يستطيع الوضوء، ولا التيمم، فإنه يصلي على حسب حاله بلا وضوء ولا تيمم، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يعيد هذه الصلاة لأنه أتى بما أمر به، لقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقوله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٧، وصحيح مسلم برقم ٣٦٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٢٨٨، وصحيح مسلم برقم ١٣٣٧.

الكلمة التاسعة

التحذير من قذف المؤمنين والمؤمنات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن القذف من كبائر الذنوب التي حرمها الله ورسوله، ورتب عليها الحد في الدنيا، والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور].

«ومعنى الآية الكريمة: أن الذين يقذفون بالزنى المحصنات الحرائر العفيفات العاقلات، ثم لم يأت هؤلاء القذفة بأربعة شهداء على ما رموهن به، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا فرق بين كون المقدوف ذكراً، أو أنثى، وإنما خص النساء بالذكر، لخصوص الواقعة ولأن قذف النساء أشنع، وأغلب، وإنما استحق القاذف هذه العقوبة صيانة لأعراض المسلمين عن التدنيس، ولأجل كف الألسن عن هذه الألفاظ القذرة التي تلتخ أعراض الأبرياء، وصيانة للمجتمع الإسلامي من شيوخ الفاحشة فيه»^(١).

(١) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (٢/٥٣٦).

والقذف من السبع الموبقات التي حذر النبي ﷺ منها. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبِّقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

والمقصود بالقذف هو الرمي بالزنا، أو اللواط، سواء كان المقدوف رجلاً أو امرأة، قال الشيخ محمد صديق بن حسن خان: «التحقيق أن المراد من رمي المحصنات المذكور في كتاب الله ﷻ هو أن يأتي القاذف بلفظ يدل لغة، أو شرعاً، أو عرفاً، على الرمي بالزنا ويظهر من قرائن الأحوال أن المتكلم لم يرد إلا ذلك، ولم يأت بتأويل مقبول يصح حمل الكلام عليه، فهذا يوجب حد القذف بلا شك، أو شبهة، وكذلك لو جاء بلفظ لا يحتمل الزنا أو يحتمله احتمالاً مرجوحاً وأقر أنه أراد الرمي بالزنا فإنه يجب عليه الحد، وأما إذا عرض بلفظ محتمل ولم تدل قرينة حال، ولا مقال على أنه قصد الرمي بالزنا فلا شيء عليه لأن لا يسوغ إيلاجه بمجرد الاحتمال»^(٢) اهـ. والمراد بلا شيء عليه يعني الحد، أما التعزير فلا بد منه، ويرجع ذلك إلى تقدير القاضي.

ويثبت حد القذف بأمرين:

(١) برقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم برقم ٨٩.

(٢) الروضة الندية (٢/٦٠٨).

١ - إقرار القاذف، ويثبت ذلك بإقراره مرة لكون إقرار المرء لازماً له.

٢ - شهادة عدلين كسائر ما تمضي فيه الشهادة، كما أطلقه القرآن.

أما عقوبة القاذف الدنيوية والأخرية إذا لم يقم بينة على صحة ما قال:

١- أن يجلد ثمانين جلدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]. روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا نَزَلَ عُنْدِي، قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ وَتَلَا تَعْنِي الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْمِنْبَرِ أَمَرَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ فَضْرَبُوا حَدَّهُمْ^(١).

٢- أن ترد شهادته دائماً إلا إذا تاب وأصلح لقوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [النور].

٣- أن يكون من الفاسقين، قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

٤- يكون عند الله من الكاذبين، لقوله تعالى: ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٧)﴾ [النور].

٥- أنه ملعون في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣].

٦- أن له عذاباً عظيماً ادخره الله له يوم القيامة، لقوله تعالى:

(١) برقم ٤٤٧٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٤٦) برقم ٣٧٥٦.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) [النور].

٧- تشهد عليه جوارحه زيادة في الخزي، والعار على رؤوس الأَشهاد، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) [النور].

٨- إن الله تعالى يوفيهم جزاء فعلهم، ويجزيهم حساب عملهم من القدر المستحق من أنواع العذاب في نار جهنم لقوله تعالى: ﴿يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥) [النور].

أما شروط القاذف والمقذوف والتفاصيل في ذلك، فتراجع في مظانها في كتب الفقه.

وعلى المسلم أن يحفظ لسانه عن القذف، والسب، والغيبة، وسائر الذنوب، فإن الحد إذا لم يؤخذ في الدنيا من صاحبه أخر إلى يوم القيامة. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ» (١).

وعندما ذكر الله قصة قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كما في سورة النور، قال بعدها: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [النور]. وإذا اجتمع القذف مع الذنوب الأخرى كان مهلكاً لصاحبه. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٥٨، وصحيح مسلم برقم ١٦٦٠ واللفظ له.

قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة العاشرة

خطر الفتوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الفتوى في الإسلام لها أهمية عظيمة لأنها إخبار عن الله، أو عن رسوله ﷺ بأن الله أو رسوله أحلّ كذا، أو حرّم كذا، ولأن القول على الله بغير علم من الكذب على الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف].

وقد عرف العلماء الفتوى بأنها بيان الحكم الشرعي من غير إلزام، فالمفتي يترك العمل بالفتوى، أو عدم العمل بها لما يكون من ورع المستفتي وتقواه فلا يُسأل عن ذلك، «والفتوى مكانها عند الله عظيم، تولاها الله بنفسه في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٧].

وتولاها الرسول ﷺ فكان المسلمون يسألونه ﷺ ويفتيهم ثم بعد ذلك تولاها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بعد الرسول ﷺ وكان عمر بن الخطاب إذا عرضت مشكلة، جمع لها المهاجرون والأنصار

يستشيرهم فيها، فبعد الرسول ﷺ يرجع إلى أهل العلم الصحيح وليس العلم المزيف أو العلم المدعى أو التسمي بالعلم، أو الثقافة كما يسمونها أو المفكر الإسلامي فلان، أو من كان حاصلًا على شهادة دراسية، ليس هذا من أهل الفتوى. فالذي يتولّى الفتوى ويصدرها هو العالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ المطلع على أقوال العلماء ليختار منها ما قام عليه الدليل، ولا يفتي إلا عند الحاجة قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ [٤٣] [النحل]. وأهل الذكر هم العلماء، والذكر هو الوحي»^(١).

أما الفتوى فإن خطرها عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [١١٦] [النحل].

قال الشافعي: «ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب، أو في السنة، أو في الإجماع، أو القياس على هذه الأصول، وما في معناها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا أَدْرِكُ لَكُمْ أَمْرًا عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [٥٩] وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [يونس]»^(٢).

قال ابن كثير: «وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله،

(١) آداب المفتي والمستفتي، للشيخ صالح الفوزان (ص ١٢ - ١٣)، أعدها للنشر: فهد ابن إبراهيم الفعيم.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٥٩/٢).

أو أحل ما حرم، بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها، ولا دليل عليها، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة»^(١). وفي هذا العصر تساهل الناس في تلقي الفتوى، فصار لكل قناة من القنوات الإذاعية مفت أو أكثر، والقنوات الفضائية صار لها مفت أو أكثر، وكذلك الجرائد والمجلات التي تنشر الفسق، والفجور لها مفت، والذين يفتون المثقفون، والأطباء، والصحفيون، والمهندسون.. وغيرهم من الجهال^(٢). روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٣).

ولذلك كان السلف يكرهون الجرأة على الفتيا والحرص عليها والمسارعة إليها، والإكثار منها، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أدركت مئة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل أحدهم عن المسألة، ما منهم من أحد إلا ودَّ أن أخاه كفاه. وفي رواية: فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول»^(٤).

قال الإمام أحمد: «من عرض نفسه للفتيا، فقد عرضها لأمر

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٧٣).

(٢) الفتوى بين مطابقة الشرع، ومسايرة الأهواء، للشيخ صالح آل الشيخ ص ٩.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٠٠، وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٣.

(٤) سنن الدارمي (١/٥٣)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١٦٣).

عظيم إلا أنه قد تلجئ إليها الضرورة، قيل له: فأیما أفضل الكلام أو السكوت؟ قال: الإمساك أحبُّ إليَّ، قيل له: فإذا كانت ضرورة؟ فجعل يقول: الضرورة الضرورة، وقال: الإمساك أسلم له.

وليعلم المفتي أنه يوقَّع عن الله أمره، ونهيه، وأنه موقوف، ومسؤول عن ذلك، وكان الإمام مالك إذا سُئِلَ عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار، «وجاءه رجل مسافر فسأله عن أربعين مسألة، فأجابه عن خمس مسائل، وقال عن البقية: (لا أدري)، فقال الرجل: جئتكَ من كذا وكذا، وتقول: (لا أدري)، قال: نعم، اركب راحلتك، وقل للناس: سألت مالكا؟ وقال: (لا أدري)»^(١). وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَعْضِ الْمُفْتِينَ: «إِذَا سُئِلْتَ عَن مَسْأَلَةٍ، فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ تَخْلِيصَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ تَخْلِيصَ نَفْسِكَ أَوَّلًا»^(٢).

ومن الأسباب التي أدت إلى التساهل في الفتوى:

أولاً: حب الظهور وبريق الشهرة، فصاحب الفتاوى المتساهلة تزداد شعبيته، وتكثر جماهيره، ويثنى عليه بأنه معتدل، وأنه يمثل المنهج الوسطي... وغير ذلك من العبارات البراقة، بينما صاحب الورع والفتوى المستندة إلى الأدلة الشرعية يوصف بأنه متشدد، وأنه لا يعرف إلا لغة التحريم، وأنه يشق على الناس ويثقل عليهم.

ثانياً: الجهل وعدم دراسة الأحكام الشرعية دراسة منهجية مؤصلة:

(١) سير أعلام النبلاء (٧٧ / ٨).

(٢) ذم المال والجاه، للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ٣٨.

وإنما الاعتماد على الثقافة العامة، والدراسة السطحية للمسائل.

ثالثاً: عدم استشعار مسؤولية الفتوى وما يترتب عليها، فيسأل بعضهم عن مسألة معينة، ويشاهده الملايين من البشر، ومع ذلك يجيب مباشرة ولو عرضت مسأله على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

رابعاً: العجلة وعدم التأني والنظر والتأمل، فبعض المفتين في القنوات الفضائية يُسأل عن أربع، أو خمس مسائل دفعة واحدة، ثم يجيب إجابة سريعة، «ويذكرون عن الشيخ محمد بن إبراهيم أنه كان لا يفتي وهو واقف إلا ما ندر، ولا يفتي وهو في السيارة، وإنما كان إذا أراد أن يفتي تربع واستحضر ذهنه واستجمع فتواه، وطلب من السائل أن يلقي عليه المسألة، فعند ذلك يفتي، وكان المشايخ يروون عنه أنه ربما أحرّ الفتوى شهراً إذا كان لها صلة بأمر عظيم حتى ينظر فيها، ويستخير»^(١).

خامساً: إرضاء الكفار، والظلمة، وأهل الفسق والفجور، وذلك لأجل الحصول على شيء من متاع الدنيا وحطامها الفاني، إما منصب، أو مال، أو غير ذلك، وهذا حال علماء السوء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة].

ومن صور التساهل في الفتوى: أن بعضهم يرى إباحة الربا المنتشر لدى البنوك اليوم بكل صورته وأشكاله، وآخر يرى جواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة، وثالث يرى أنه لا ينبغي إقامة

(١) الفتوى بين مطابقة الشرع ومسيرة الأهواء، للشيخ صالح آل الشيخ ص ١١.

حد الردة على المرتد في هذا الوقت لعدم مناسبته، ورابع يرى إباحة الغناء والمعازف، وخامس يرى جواز إرضاع الكبير بدون ضوابط، وسادس يرى جواز نكاح المرأة نفسها بدون ولي ولا شهود وذلك وسيلة إلى انتشار الزنا، بل وصل الأمر بأحدهم إلى أن قال: ما المانع أن يُبنى كنيسة، ومعبد، ومسجد في مكان واحد، وكل يعبد ربه بطريقته الخاصة؟! وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ»^(١).

الخلاصة: أن المؤمن يجب عليه أن يحتاط لدينه، فإذا أُشكِلَ عليه شيء سأل العالم الذي يثق به في دينه، ولا يسأل من هب ودب ممن لا تبرا الذمة بسؤالهم، فإن الأمر دين، وكما قال محمد بن سيرين: إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون دينكم^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم ٢٢٢٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٨٢.

(٢) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٤.

الإتقان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد أخبر سبحانه أنه خلق هذا الكون بسمائه، وأرضه، وجباله، ونجومه وخلقته من الجن والإنس، وأتقن ذلك كله، قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال تعالى عن الإنسان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. وقال تعالى عن الخلق: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧].

وقال عن كتابه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

والإتقان هو عمل الشيء على أحسن وجه، وقد وردت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تحث المسلم على الإتقان في عبادته، وعمله وسائر شؤونه الدينية، والدينية، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. روى أبو يعلى في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتِقَنَهُ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَفَنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ»^(٢).

والمتمأمل في عبادة النبي ﷺ يَجِدُ أَنْ عِبَادَتَهُ مُتَقَنَةٌ. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضيها قالت: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ^(٣).

وَحَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى إِتْقَانِ الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عثمان رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا»^(٥).

وكان الصحابة رضيهم إذا حفظوا آيات من القرآن لم ينتقلوا إلى

(١) برقم ٤٣٨٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١١١٣.

(٢) برقم ٩٤٣.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٥٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٣٨).

(٤) سنن أبي داود برقم (٧٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٥١/١) برقم (٧١٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (١٦٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٧).

غيرها حتى يتقونها شرحاً وعملاً.

روى ابن جرير الطبري في تفسيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ^(١).

وفرق النبي صلى الله عليه وسلم بين العمل المتقن وغير المتقن. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»^(٢).

وليعلم أن الأجير لا يستحق أجرته، إلا إذا أدى عملاً كاملاً متقناً، فإن نقص الإتقان نقصت الأجرة.

وأداء العمل كاملاً متقناً من الأمانة التي أُؤتمن عليها المؤمن ولا يلزم من إتقان العمل أن يأخذ وقتاً طويلاً، فقد يتقن العمل بوقت قصير، وقد حدث هذا لزيد بن ثابت. روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث خارجة بن زيد: أن أباه أخبره أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال زيد: ذهب بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمَ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»

(١) تفسير الطبري (١/٩٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٨) واللفظ له.

قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ، وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ (١).

وقد يحتاج الإتقان إلى وقت طويل بحسب طبيعة العمل، فقد مكث ابن حجر في تأليف كتابه (فتح الباري) خمسة وعشرين عامًا، وابن عبد البر مكث في تأليف كتابه (التمهيد) ثلاثين عامًا، وطاف ابن حنبل الدنيا مرتين من أجل جمع المسند وأحاديثه ثلاثون ألف حديث، وقد انتقاه من سبع مئة ألف حديث، والبخاري رَحِمَهُ اللهُ أَتَقَنَ تَرْتِيبَ كِتَابِهِ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ عَلَى الْأَبْوَابِ الْفَقْهِيَّةِ أَيَّمَا إِتْقَانٍ، وَكَانَ لَا يَضَعُ حَدِيثًا حَتَّى يَصِلِي رَكْعَتَيْنِ.

ومن فوائد الإتقان:

- ١- براءة الذمة بالقيام بالعمل متقناً من غير نقص، ولا خلل.
- ٢- الحصول على محبة الله لأن الله يحب العمل المتقن.
- ٣- أن كل إنسان مؤمن لو قام بالعمل الذي كُلف به متقناً له، لما وصلت الأمة الإسلامية إلى التأخر الذي نعيشه هذه الأيام.
- ٤- أن كل إنسان يعمل بجد يجد ثمرة عمله، والكفار لما أتقنوا أمورهم الدنيوية من صناعة الأجهزة، والأسلحة الحديثة، وغيرها وصلوا إلى ما يريدون، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء].

(١) سنن أبي داود برقم (٣٦٤٥)، ومسند الإمام أحمد (٤٩٠/٣٥) برقم (٢١٦١٨) واللفظ له، وقال محققوه: إسناده حسن.

٥- أن العمل القليل المتقن خير من العمل الكثير الذي لم يتقن، فالإتقان أهم من الكثرة، وهذا ينطبق على كل عمل من أعمال الدنيا والآخرة.

٦- استحقاق الأجرة ظاهرًا وباطنًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية عشرة

السرقه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الذنوب العظيمة التي حرّمها الله ورسوله، ورتب عليها الحد في الدنيا، والعقوبة في الآخرة (السرقه)، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة].

والسارق ملعون على لسان النبي ﷺ. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ» (١)(٢). قال ابن حجر: «عدُّ السرقه من الكبائر، وهو ما اتفق عليه العلماء وصرحت به الأحاديث» (٣).

والسارق من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ ما لا لغيره (٤).

(١) برقم (٦٧٨٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦٨٧).

(٢) قال القاضي عياض: والصواب تأويله على ما تقدم من تقليل أمره، وتهجين فعله، وأنه إن لم يقطع في هذا القدر جرته عادته إلى ما هو أكثر منه، فتح الباري (١٢/٨٣).

(٣) الزواجر (٥٦٤)، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم لمجموعة من المختصين (١٠/٤٦٢٦).

(٤) القاموس المحيط (ص ٨٩٢ - ٨٩٣).

ومما يدل على عظم جريمة السرقة: أن النبي ﷺ أخذ البيعة من أصحابه ألا يقعوا فيها. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُسْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أن السرقة منافية للإيمان. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢).

قال القرطبي: «والحديث يتضمن التحرز من ثلاثة أمور وهي من أعظم أصول المفسد، وأضدادها من أصول المصالح وهي استباحة الفروج المحرمة، وما يؤدي إلى اختلال العقل، وخص الخمر بالذكر لكونها أغلب الوجوه في ذلك، والسرقة بالذكر لكونها أغلب الوجوه التي يؤخذ بها مال الغير بغير حق»^(٣).

والسارق مُتَوَعَّدٌ بالنار. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ عندما كان في صلاة الكسوف قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتَهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيَءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكَ

(١) صحيح البخاري برقم (١٨)، وصحيح مسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٧٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

(٣) فتح الباري (١٢/٦٢).

حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا^(١)، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُحْجَنِ^(٢) يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ^(٣).

كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به^(٤).

والناس سواسية في إقامة حد السرقة وهو القطع. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةً تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ تُقَطَعَ يَدُهَا، فَآتَى أَهْلَهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَلَّمُوهُ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟!»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(٥).

وإذا رُفِعَتِ السَّرِقَةُ إِلَى الْإِمَامِ، وَجِبَ الْحَدُّ وَلَمْ يَنْفَعِ التَّنَازُلُ. روى النسائي في سننه من حديث صفوان بن أمية رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَرَقَ بُرْدَةً لَهُ، فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) أي: من ضرب لهابها.

(٢) المحجن: عصا معقفة الطرف.

(٣) القصب بالضم: المَعِي وجمعه أقصاب، وقيل: القصب اسم للأمعاء كلها، وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء (النهاية في غريب الحديث ٤/ ٦٧).

(٤) ومعنى هذا: أنه يحتال للإفلات من العقوبة عند التنبه إليه باستخدام العصا المعقفة في السرقة، صحيح مسلم برقم (٩٠٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٧٨٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٨٨) واللفظ له.

قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْهُ، فَقَالَ أَبَا وَهْبٍ، أَفَلَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِينَا بِهِ، فَقَطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

وقد اعترض بعضهم على قطع يد السارق في ربع دينار، فقال:

يَدُ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ وَوَدِيْتٍ مَا بِأَلْهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَنَاقُضُ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ وَنَسْتَجِيرُ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ

فأجابه بعض أهل العلم (القاضي عبد الوهاب المالكي) لما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت، وهناك بيت شعر منسوب إلى علم الدين السخاوي في الرد على أبي العلاء وهو يقول:

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصُهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

ومن أعظم أنواع السرقة: (السرقة من بيت المال سواء كان ذلك مالاً أو عقاراً.. أو غير ذلك من الممتلكات)، وبيت مال المسلمين ملك للمسلمين جميعاً، وليس لفئة معينة من الناس، والقائمون عليه إنما هم أمناء في حفظه وتحصيله، وصرف لأهله، فلا يحل لأحد أن يعتدي عليه، أو يأخذ منه ما لا يستحق، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَنَّاتٍ يَأْتِي بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران]. روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

(١) برقم (٤٨٧٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١٠٧) برقم (٤٥٣٢).

(٢) برقم (٣١١٨).

قال ابن حجر: «يتخوضون أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل وهو أعم من أن يكون بالقسمة وبغيرها، وفيه ردع للولاية أن يأخذوا من المال شيئاً بغير حقه أو يمنعوه من أهله»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: بيت مال المسلمين أعظم من مُلْكٍ واحدٍ معين، وذلك لأن سرقة خيانة لكل مسلم، بخلاف سرقة، أو خيانة رجل معين، فإنه بإمكانك أن تتحلَّلَ مِنْهُ وَتَسَلَّمَ^(٢).

ومنها سرقة الكهرباء، والماء، وذلك بإيقاف العداد لأن بعض الناس يظن أن له الحق في التهرب من ذلك، بحجة أنه لم يعط حقه من بيت المال.

ومنها استعمال الأجهزة الكهربائية، والسيارات، وغيرها التي تخص بيت المال لأغراض شخصية، ولا يكفي التوبة، بل لا بد من رد الحقوق إلى بيت مال المسلمين.

سُئِلَت اللجنة الدائمة للإفتاء عن حكم استعمال السيارات الحكومية للأعمال الخاصة بالموظفين؟ مع الإحاطة أنه يُصْرَفُ لمستعملها جميع متطلباتها من محروقات، ويُعْمَلُ لها صيانة دورية، ويُصْرَفُ لمستعملها بدل نقل شهري مع الراتب؟ أمل من فضيلتكم توضيح المسألة شرعاً، وتوجيه نصيحة لمستعملها.

فكانت الإجابة: «لا يجوز استعمال السيارات الحكومية

(١) فتح الباري (٦/٢١٩)، باختصار.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستنقع (١٤/٣٥٤)، مختصراً.

المخصصة للدوائر في أغراض الشخص الخاصة، وإنما تستعمل فيما خصصت له من العمل الحكومي لأن استعمالها في غير ما خصصت له استعمال بغير حق»^(١).

ومنها: سرقة المشاريع الحكومية إما بالتحايل على عدم تنفيذها، أو تنفيذها بشكل سيئ، أو تقدير تكاليفها بأضعاف القيمة الحقيقية.

ومنها: الاعتداء على الأراضي المخصصة للمرافق الحكومية، والاستيلاء عليها بطريقة، أو بأخرى.

ومنها: أخذ بعض الموظفين بدل خارج دوام، أو انتداب وهم لم يعملوا، أو يسافروا، سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن هذا، قال السائل: أنا موظف أعمل في إحدى الدوائر الحكومية وأحياناً يصرف لنا بدل خارج وقت الدوام من إدارتنا بدون تكليفنا بالعمل خارج وقت الدوام، وبدون حضورنا للإدارة، ويعتبرونه مكافأة للموظفين بين الحين والآخر، مع العلم أن رئيس الإدارة يعلم عنه ويقره، فهل يجوز أخذ هذا المال؟ وإذا كان لا يجوز، فكيف أعمل فيما استعملته من أموال في السابق، مع العلم أنني قد تصرفت فيها؟ جزاكم الله خيراً.

الجواب: إذا الواقع ما ذكرت فذلك منكر لا يجوز، بل هو من الخيانة، والواجب رد ما قبضت من هذا السبيل إلى خزينة الدولة، فإن لم تستطع فعليك الصدقة به في فقراء المسلمين، وفي المشاريع الخيرية مع التوبة إلى الله سبحانه، والعزم الصادق ألا تعود في ذلك،

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء برقم (١٦٥٩٤).

لأنه لا يجوز للمسلم أن يأخذ شيئاً من بيت مال المسلمين إلا بالطرق الشرعية التي تعلمها الدولة وتقرها^(١). اهـ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (٣٤٤ / ١٩) برقم (٢٠٧).

الكلمة الثالثة عشرة

فضل الأذان والمؤذنين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
فمن شعائر الإسلام العظيمة التي جاء بها، الأذان، وهو الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة^(١).

قال القرطبي وغيره: الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة، لأنه بدأ بالأكبرية وهي تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد ونفي الشرك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيداً، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل سهولة القول وتيسره لكل أحد في كل زمان ومكان^(٢). اهـ

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر أنه كان يقول: «كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا

(١) فتح الباري (٢/ ٧٧).

(٢) فتح الباري (٢/ ٧٧).

مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوْقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ لَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ! قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن زيد رضي عنه، وفيه: فأري عبد الله بن زيد الأذان في المنام، فأخبر النبي ﷺ بما رأى، فقال النبي ﷺ: «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ، فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فليؤذّنْ به، فَإِنَّهُ أُنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»، قَالَ: فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ، فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ، وَيُؤذّنْ به، قَالَ: فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجْرُ رِدَاءَهُ، يَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ»^(٢).

وقد دلّت النُّصُوصُ على فضل الأذان، ووجوبه. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ^(٣).

قال الخطابي رحمته الله: وفيه أن الأذان شعار الإسلام وأنه لا يجوز تركه، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٣٧٧).

(٢) برقم (٤٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٤٦٩.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٠)، وصحيح مسلم برقم (٣٨٢).

(٤) فتح الباري (٢/٩٠).

ومما ورد في فضل الأذان والمؤذنين: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوبَ (١) بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ» (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ، وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ، لَأَسْتَهَمُوا» (٣).

وفي صحيح مسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه: أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ لِلصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥)، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُؤَذِّنِينَ وَالْأئِمَّةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ارْشِدِ الْأئِمَّةَ، وَاعْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ» (٦).

(١) قال الجمهور: المراد بالتثويب هنا الإقامة.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٣٨٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم برقم (٣٨٧).

(٤) برقم (٣٨٧). (٥) برقم (٣٢٩٦).

(٦) سنن أبي داود برقم (٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٧).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر مرفوعاً: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أذَّنَ اثْنَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ سِتُّونَ حَسَنَةً، وَبِإِقَامَتِهِ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»^(١).

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: «وفي هذا الحديث فضل ظاهر للمؤذن على أذانه هذه المدة المذكورة فيه، ولا يخفى أن ذلك مشروط بمن أذَّن خالصاً لوجه الله تعالى، لا يتبغي من ورائه رزقاً، ولا رياءً، ولا سمعةً، للأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة، التي تفيد أن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له، وإن مما يؤسف له حقاً أن هذه العبادة العظيمة، والشعيرة الإسلامية قد انصرف أكثر علماء المسلمين عنها في بلادنا، فلا تكاد ترى أحداً منهم يؤذن في مسجد ما، إلا ما شاء الله، بل ربما خجلوا من القيام بها، بينما تراهم يتهافتون على الإمامة، بل ويتخاصمون، فإلى الله المشتكى من غربة هذا الزمان»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنْظِرُوا إِلَيَّ عَبْدِي هَذَا يُؤذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ»^(٣).

ومن الآداب التي ينبغي أن يتصف بها المؤذن:

١- أن يحتسب في أذانه ولا يأخذ على أذانه أجراً. روى

(١) برقم ٧٢٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤٢.

(٢) السلسلة الصحيحة (١/١٠٤).

(٣) برقم ١٢٠٣، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٤١.

الترمذي في سننه من حديث عثمان بن أبي العاص قال: **إِنَّ مِنْ آخِرِ مَا عَهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ اتَّخِذَ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا**^(١). قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا أن يأخذ المؤذن على الأذان أجراً، واستحبوا للمؤذن أن يحتسب في أذانه^(٢). اهـ. والأجر المنهي عن أخذه هو ما يؤخذ من شخص، أو أشخاص على سبيل المعاوضة، وأما الذي يعطى للأئمة والمؤذنين من بيت مال المسلمين فهو رزق حلال.

٢- أن يكون على طهارة، وأن يؤذن قائماً، وأن يستقبل القبلة، وأن يضع إصبعيه في أذنيه، وأن يلتفت يميناً وشمالاً التفافاً يسيراً يلوي به عنقه، ولا يحول صدره عن القبلة عند قوله (حي على الصلاة، حي على الفلاح)، وأن يؤذن في مكان مرتفع، وأن يرفع صوته بالأذان، وأن يتمهل في أذانه ويطرسل.

٣- أن يكون دقيقاً في تحري وقت الأذان، لأنه مؤتمن على صلاة الناس وصيامهم، وفطرهم، قال النبي ﷺ: «الإمام ضامنٌ والمؤذن مؤتمنٌ»^(٣). وأن يواظب على أداء الأذان في أوقاته، وعدم توكيل الغير إلا عند الحاجة إلى ذلك،

(١) برقم (٢٠٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) سنن الترمذي ص ٥٥.

(٣) سنن أبي داود برقم ٥١٧، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

وإذا احتاج إلى التوكيل فلا يوكل إلا من كان أهلاً لذلك.

ومن المخالفات والأخطاء التي يقع فيها بعض المؤذنين:

١- اللحن في الأذان، وهو أن ينطق كلمات الأذان نطقاً يتغير به المعنى، أو نطقاً غير صحيح، فمن الأول: أن يمد الباء في الله أكبر، وقد نهى العلماء عنه نهياً شديداً لأن أكبار هو الطبل، والواجب أن يجزم فيصل الراء بالباء من غير مد، ومن الثاني: أن يستبدل بالهاء الحاء، وبالبدال الطاء في «أشهد»، فيقول: أشحط، وهذا يكثر في إخواننا الأعاجم الذين لم يتعلموا النطق العربي الصحيح، وكذلك يوجد في بعض الأعراب من يقول: زدزامت الصلاة، بدلاً من «قد قامت الصلاة». ومن اللحن أيضاً: ترك إدغام النون في اللام من قوله: «أشهد أن لا». ومنها أيضاً: ترك التنوين في حرف الدال من «أشهد أن محمداً»، ويستبدل به إسكان الدال.

ومنها عدم تحقيق الحاء في كلمة الفلاح وتسمع وكأنها هاء.. ونحو ذلك.

٢- التغني والتمطيط الخارج عن لحن العرب إلى درجة التكلف، وكراهية ذلك عند السلف، قال عمر بن عبد العزيز: أذن أذاناً سمحاً وإلا فاعتزلنا^(١). وقد ذُكر أنه كان بالحرم المكي مُؤذِّنٌ يُؤذِّنُ أذاناً سمحاً من غير تكلفٍ، بخلاف سائر مؤذني الحرم الذين جعلوا لأذان الحرم قواعد للتطريب، وإخراج الحروف كما هو الحال الآن،

(١) صحيح البخاري، باب رفع الصوت بالنداء.

فبعث الشيخ محمد ابن إبراهيم مفتي الديار السعودية في ذلك الوقت بكتاب إلى رئيس مؤذني المسجد الحرام بأن يُؤذّنوا على نحو ذلك المؤذن ويتركوا ما هم عليه، وهذا نص الفتوى: «من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم رئيس مؤذني المسجد الحرام بمكة المكرمة.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد، بعد أن تبلغوا جميع مؤذني المسجد الحرام أن يؤذّنوا أذانًا سمحًا سهلًا، ويجتنبوا المد والتمديد، إن هذا التمديد والمط الذي يستعملونه الآن في الأذان مخل بشرعيته، فعليهم اجتناب ذلك والتمشي بما يوافق الشرع، وأن يكون أذانهم مثل المؤذن الذي يؤذّن في زمزم حاليًا، وعليكم إخبارهم بذلك، ومراقبتهم عن الإخلال به. والسلام عليكم»^(١).

وقد سأل أحد الإخوة اللجنة الدائمة للإفتاء فقال: «أحب الطريقة التي يؤدي بها أذان الحرم المعروف، والمسجل على مقدمة أشرطة القرآن بالمملكة، وأستطيع أن أقوم بأدائه بنفس الطريقة، وأخبرني بعض من سمعه مني بالمسجد بأنهم يحبون ذلك، وأنه يثير في نفوسهم الشوق والحنين إلى أرض الحرمين، وبعض الناس يدعون لي حين يسمعه مني، ويستحسن ذلك الأذان، غير أن بعض إخواننا ذكر لي أن هذه الطريقة فيها لحن، وتمطيظ، ومد زائد عن المعروف في قواعد التجويد، فأصبحت متحرجًا عندما أقوم بالتأذين بطريقة مؤذن الحرم المشهورة، فهل علي إثم في ذلك؟ أم أن هذه الطريقة لا بأس بها، ولا حرج فيها؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا».

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٢/٩٤).

فكانت الإجابة: «الأذان من شعائر المسلمين العظيمة، فهو محض عبودية من العبد لله تعالى، ولهذا فعلى المؤذن أدائه كما شرع بصوت سمح، سهل، غير متكلف، ولا ملحون، ولا يخرج مخرج الغناء، ولا يمدّه مدًّا يخرج عن المقصود منه، بل يؤديه المؤذن بصوته، مراعيًا شروطه وآدابه الشرعية، وتكلف أداء الأذان بتقليد صوت مؤذن آخر، غير معروف في هدي السلف الصالح»^(١).

٣- زيادة لفظة (سيدنا وحبينا) وأمثالهما في تشهدي الأذان والإقامة، فلا تجوز الزيادة على ألفاظ الأذان بأدكار أخرى لا قبله ولا بعده يرفع بها المؤذن صوته، فكل ما يفعل غير الأذان الثابت عن رسول الله ﷺ، فهو بدعة محرمة، يحرم فعله، ويجب إنكاره على من فعله.

٤- زيادة حي علي خير العمل، فهي وإن كان معناها صحيحًا، إلا أنها لم تثبت في حديث صحيح عن النبي ﷺ، وحي على الصلاة، حي على الفلاح تغني عنها، والواجب على الخلق أن يستقيموا كما أراد الله، لا كما يريدون، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، ولم يقل: كما أردت.

٥- الأذان المسجل الذي يعلن عبر مكبرات الصوت في عدد من المساجد، وهو من البدع المنكرة التي أحدثت في العالم الإسلامي.

٦- رفع المؤذن صوته بالتبليغ من غير حاجة إلى ذلك، فبعضهم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (٥/٥٥ - ٥٦) برقم (٢٠٥٧٩).

بالرغم من صغر المسجد أو ارتفاع صوت الإمام، ومع ذلك يقوم بالتبليغ، وأما تبليغ أبي بكر عن رسول الله ﷺ، فقد كان للحاجة إلى ذلك.

تنبيه.. ينبغي أن يكون المؤذن عدلاً، أهلاً لما وُكِّل إليه، لأنه مؤتمن على ذلك، وعليه سوى واجبات الأذان، حقوق الإمامة وواجباتها، لأنه تشمله لقيامه بالإمامة عند غياب الإمام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة عشرة

شرح حديث ما ذئبان جائعان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا ذئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(١).

هذا الحديث الشريف شرحه الحافظ ابن رجب في رسالة لطيفة بعنوان (ذم المال والجاه)، وقد نقلت من كلامه ما تيسر لي في هذه الكلمة.

فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المؤمن بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين ضارين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاتها ليلاً، فهما يأكلان الغنم ويفترسانها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه قليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا.

والحرص على المال نوعان: أحدهما: شدة محبة المال مع شدة

(١) (٦٢/٢٥) برقم ١٥٧٨٤، وقال محققوه: إسناده صحيح.

طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة في طلبه، والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة، فالحريص يضيع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره، ويبقى حسابه عليه، فيجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره، قال الشاعر:

وَمَنْ يُنْفِقِ الْأَيَّامَ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْفَقْرَ فَقْرًا مِنَ الْغِنَى وَلَكِنَّ فَقْرَ الدِّينِ مِنْ أَعْظَمِ الْفَقْرِ

النوع الثاني من الحرص على المال: أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول، حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة، ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشح المذموم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر].

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُحْلِ فَبُخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»^(١).

قال طائفة من العلماء: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلها، ويمنعها حقوقها، وحقيقته أن تتشوف النفس إلى ما حرم الله، ومنع منه، وأن لا يقنع الإنسان بما أحل الله له من مال، أو فرج، أو غيرهما.

(١) برقم ١٦٩٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١٨/١) برقم ١٤٨٩.

وأما حرص المرء على الشرف، فهو أشد هلاكاً من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعلو في الأرض، أضر على العبد من طلب المال وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف، وهو قسمان:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية، والسلطان، والمال، وهذا خطر جداً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها، وكرامتها، وعزها، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٨٣] [القصص]. وقل من حرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات أن يوفق، بل يوكل إلى نفسه كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: « لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا » (١).

والحرص على الشرف بطلب الولايات يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالخطر العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر.. وغير ذلك من المفساد، ومن هذا الباب أيضاً أن يحب ذو الشرف والولاية أن يُحمد على أفعاله ويُثنى عليها، ويطلب من الناس ذلك ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه، وربما أظهر أمراً حسناً في الظاهر وأحب المدح عليه، وقصد به في الباطن شراً.

النوع الثاني: من الحرص على الجاه: طلب الشرف والعلو على

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٢٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٥٢.

الناس بالأمور الدينية كالعلم، والعمل، والزهد، فهذا أفحش من الأول وأقبح وأشد فسادًا وخطرًا، فإن العلم والعمل والزهد إنما يُطلب بها ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه. قال الثوري: إنما فضل العلم لأنه يُتقى به الله، وإلا كان كسائر الأشياء.

وطلب العلم للدنيا على نوعين: فإذا طلب بشيء من هذا عرض الدنيا الفاني، فهو أيضًا نوعان أحدهما:

الأول: أن يطلب به المال، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة. روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَحِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي رِيحَهَا -»^(١).

الثاني: من يطلب بالعمل، والعلم، والزهد، الرئاسة على الخلق والتعاضم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعوا له ويصرفوا وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على العلماء، أو ليعلوا به عليهم ونحو ذلك، فهذا وعيده النار لأن قصده التكبر على الخلق في نفسه محرم، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة، كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان. روى الترمذي في سننه من حديث كعب بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) برقم (٣٦٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٧) برقم (٣١١٢).

«مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(١).

ومن هذا الباب كراهة أن يشعر الإنسان بالعلم، والزهد، والدين، أو بإظهار الأعمال والأقوال حتى يراود وتلتبس بركته ودعاؤه وتقبل يده، وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى في أسبابه، ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم: أيوب، والنخعي، وسفيان وأحمد.. وغيرهم، كان أويس وغيره من الزهاد إذا عُرفوا في مكان ارتحلوا عنه، وكان خالد بن معدان إذا كثرت حلقاته قام مخافة الشهرة، وقال الإمام أحمد بن حنبل: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف قد بليت بالشهرة، وكان كثير منهم يكره أن يُطلب منه الدعاء ويقول لمن يسأله الدعاء: أي شيء أنا؟ وكتب رجل إلى أحمد يسأله الدعاء، فقال أحمد: إذا دعونا نحن لهذا، فمن يدعو لنا.

وأما تسابق وتنافس بعض الناس على الظهور الإعلامي سواء كان في القنوات، أو شبكات التواصل، أو غيرها من الوسائل وحب التكاثر في أعداد المتابعين والحرص على ذلك، فإنه يخشى على صاحبه مما سبق ذكره عن السلف.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٦٥٤، وحسنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/٧٧) برقم ٢٢٥.

الكلمة الخامسة عشرة

فضل العبد التقي الخفي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التي تبين فضل العبد التقي الغني الخفي. فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عامر بن سعد قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكِيبِ، فَنَزَلَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ» (١).

والمراد بالتقي: هو من اتقى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، والغني: هو الذي يستغني عن الناس ويقنع بما رزقه الله، والخفي: هو الذي يبتعد عن مواضع الظهور والشهرة.

روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن عبد الله قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ:

ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»^(٢).

وقد وردت آثار عن السلف بالتحذير من طلب الشهرة، لأنه يخشى على صاحبها من الرياء، والعجب، والغرور، وأن المحمود خمول الذكر إلا من شهره الله لنشر دينه من غير حرص منه. قال القاضي عياض: من أحب أن يُذكر لم يذكر، ومن يكره أن يُذكر ذُكِرَ^(٣). قال علي بن أبي طالب: تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم، واصمت تسلم، تسر الأبرار، وتغيظ الفجار^(٤).

وقال أيوب السخيتاني: والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه^(٥). وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبد أحب الشهرة. قال الذهبي معلقاً عليه: علامة المخلص الذي قد يحب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك لا يحدرد (أي: لا يغضب)، ولا يُبرئ نفسه، بل يعترف ويقول: رحم الله من أهدى إلي عيوبي، ولا يكن معجباً بنفسه، لا يشعر بعيوبها، فإن هذا داء مزمن^(٦). وقال المروزي: قال لي

(١) برقم (٥٠٩١).

(٢) برقم (٢٦٢٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٤٣٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢١٤٥).

(٥) إحياء علوم الدين (٣/٢١٤٦).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧/٣٩٣).

أحمد: قل لعبد الوهاب: أحمل ذكرك فإني قد بُليت بالشهرة^(١). وقال محمد بن الحسن بن هارون: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد^(٢).

وقال سليم بن حنظلة: بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه، إذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال: إن هذه ذلة للتابع، وفتنة للمتبع^(٣).

وقال الثوري: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة، والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعاً. وقال رجل لبشر بن الحارث: أوصني، فقال: أحمل ذكرك، وطيب مطعمك^(٤).

قال الذهبي: إيثار الخمول، والتواضع، وكثرة الوجل، من علامات التقوى والفلاح^(٥). روى مسلم في صحيحه من حديث أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢١٤٦).

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢١٤٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦).

عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرُ لِي، فَاسْتَغْفِرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عُمَّالِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

فَأَتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفِرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَاَنْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كَلَّمَا رَأَهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟^(١).

والآثار في هذا كثيرة لمن تتبعها وهي تدل على إخلاصهم، وحرصهم على إخفاء أعمالهم، وحمول ذكركم عند الناس، فإن ذلك أقرب إلى القبول.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة عشرة

ولي الأمر.. حقوق، وواجبات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله تعالى شرع لعباده على لسان أفضل رسله شريعة كاملة في نظامها وتنظيمها كاملة في العبادات، والحقوق، والمعاملات كاملة في السياسة، والتدبير والولايات، وجعل الله تعالى الولاية فيها فرض كفاية سواء كانت في الشريعة كالقضاء بين الناس بما يقتضيه الشرع، أم في التنفيذ كالإمارة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. فأولو الأمر صنفان من الناس: أحدهما العلماء والثاني الأمراء، فلا بد للأمة من علماء يقودونها إلى شريعة الله بياناً، وإيضاحاً، تعليمًا، وتربية، ولا بد للأمة من أمراء يطاعون في غير معصية الله، وإذا لم يكن للأمة علماء، ولم يكن لهم أمراء، صارت في جهل عميق، وفوضى شديدة، وفسدت الأمة، قال الشاعر:

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَا لَهُمْ سَادُوا
وقال النبي ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»^(١).

(١) سنن أبي داود برقم ٢٦٠٨، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود (٢/٤٩٤) برقم ٢٢٧٢: حسن صحيح.

فأوجب النبي ﷺ التأمير في السفر مع أنه اجتماع عارض غير مستقر، فكيف في الاجتماع المستقر، إذا لا بد للأمة من ولي أمر يبين لها الحق وذلك هم العلماء، ولا بد للأمة من ولي أمر يلزمها بتنفيذ شريعة الله، ويسوسها بما تقتضيه المصلحة وهم الأمراء^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فالمقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراً مبيناً، ولم ينفعهم ما نَعَمُوا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم^(٢). اهـ

ومما ورد في فضل الوالي العادل، ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».. وذكر منهم: «إِمَامٌ عَادِلٌ»^(٣). وروى مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار: أن النبي ﷺ قال: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، مُتَّصِدِّقٌ، مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»^(٤).

وقد دلت النصوص الشرعية أن الولاية أمانة يجب القيام بها حق القيام، وإلا فإن صاحبها في خطر عظيم. فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر: أن النبي ﷺ قال له: «إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) خطب الشيخ ابن عثيمين (٤/ ٧٠ - ٧١).

(٢) السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٧.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ٢٨٦٥.

خِزْيٍ وَنَدَامَةٍ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إِلَّا أَتَى اللَّهُ عز وجل مَغْلُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَهُ بِرُءُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلَهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث معقل بن يسار: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (٣).

أما حقوق ولي أمر المسلمين وواجباته، فقد لخصها أبو يعلى الفراء رحمته الله فقال: ويلزم الإمام من أمور الأمة عشرة أشياء: أولاً: حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل.

ثانياً: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بينهم حتى تظهر النصفة؛ فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

ثالثاً: حماية البيضة، والذب عن الحوزة، ليتصرف الناس في

(١) برقم (١٨٢٥).

(٢) (٦٣٥/٣٦) برقم ٢٢٣٠٠، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ له.

المعايش وينتشروا في الأسفار آمين.

رابعًا: إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف، واستهلاك.

خامسًا: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرّمًا، ويسفكون فيها دمًا لمسلم، أو معاهد.

سادسًا: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم، أو يدخل في الذمة.

سابعًا: جباية الفبيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًّا، واجتهادًا من غير عسف.

ثامنًا: تقدير العطاء وما يُستحق في بيت المال من غير سرف، ولا تقصير فيه، ودفعه في وقت لا تقديم فيه، ولا تأخير.

تاسعًا: استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال مضبوطة، والأموال محفوظة.

عاشرًا: أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور، وتصفح الأحوال بينهم بسياسة الأمة، وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة، أو عبادة، فقد يخون الأمين، ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]. فلم يقتصر سُبْحَانَهُ على التفويض دون المباشرة،

وقد قال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).
وإذا قام بحقوق الأمة وجب له عليهم حقان: الطاعة، والنصرة ما
لم يوجد من جهته ما يخرج به عن الإمامة، والذي يخرج به عن
الإمامة شيئان: الجرح في عدالته، والنقص في بدنه^(٢). اهـ^(٣)

ومن الأمثلة على الخلفاء الذين تولوا أمور المسلمين، فقاموا
بها حق القيام: الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد روى
ابن أبي شيبة من حديث عائشة قالت: قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي
مَاتَ فِيهِ: انظُرُوا مَا زَادَ فِي مَالِي مُنْذُ دَخَلْتُ فِي الْخِلَافَةِ، فابْعَثُوا
بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِي، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَسْتَحِلُّهُ، وَقَدْ كُنْتُ أَصَبْتُ
مِنَ الْوَدَكِ نَحْوًا مِمَّا كُنْتُ أَصَبْتُ مِنَ التَّجَارَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا
مَاتَ نَظَرْنَا، فَإِذَا عَبْدٌ نُوبِيٌّ يَحْمِلُ صَبِيَانَهُ، وَنَاضِحٌ كَانَ يَسْقِي عَلَيْهِ،
قَالَتْ: فَبَعَثْنَا بِهِمَا إِلَى عُمَرَ، قَالَتْ: فَأَخْبَرَنِي جَدِّي، أَنَّ عُمَرَ بَكَى
وَقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا^(٤).

ومنها: الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففي إحدى
السنوات أصيب الناس في عهده بمجاعة شديدة أجذبت الأرض،
واسودت، وانقطع المطر، وسمي ذلك العام عام الرمادة، فكان يأكل
الخبز والزيت، وينقر بطنه بأصبعيه، ويقول: إنه ليس عندنا غيره حتى

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

(٢) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء (ص ٢٧ - ٢٨).

(٣) وتنزيل ذلك على الواقع راجع لأهل الحل والعقد من العلماء وذوي الشأن.

(٤) (١٥/٧) برقم (٢٢٦١٩)، وقال الحافظ في فتح الباري (٤/٣٠٤): إسناده صحيح.

يحيا الناس^(١).

وكان يقول: «لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه»^(٢).

قال محمد بن سيرين: قدم صهر لعمر عليه، فطلب أن يعطيه من بيت المال، فانتهره عمر، وقال: أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً؟ ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم^(٣).

وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأنصاري أنه قال: شهدت عمر قبل موته بأيام وهو يقول: لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، فما أتت عليه رابعة إلا وقد أصيب^(٤).

ومنها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد روى الإمام أحمد في كتابه الزهد من حديث ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان عليه بغلة، وخلفه غلامه نائل وهو خليفة^(٥).

وكذلك ما أخرجه من حديث الهمداني قال: رأيت عثمان بن عفان نائماً في المسجد في ملحفه ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين^(٦)، كما أخرج من حديث شرحبيل بن مسلم: أن عثمان بن عفان كان يطعم

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٠٣.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/٣٠٥).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤) برقم (٣٧٠٠).

(٥) كتاب الزهد (ص ١٢٧).

(٦) كتاب الزهد (ص ١٢٧).

الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت^(١).

ومنها: الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زُرَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَوْمَ الْأَضْحَى، فَقَرَّبَ إِلَيْنَا خَزِيرَةً^(٢)، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، لَوْ قَرَّبْتَ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الْبَطِّ - يَعْنِي: الْوَزَّ - فَإِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ قَدْ أَكْثَرَ الْخَيْرِ. فَقَالَ: يَا ابْنَ زُرَيْرٍ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ: قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْ النَّاسِ»^(٣).

ومنها: الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وقد كان في مرض موته، فقيل له: يا أمير المؤمنين! أقفرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتهم فقراء لا شيء لهم، فقال: أدخلوهم علي، فأدخلوهم بضعة عشر ذكراً ليس فيهم بالغ، فلما رأهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني! والله ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله، قوموا عني، قال الراوي: فلقد رأيت بعض ولده حمل على مئة فرس في سبيل الله أغناه الله، وأعطى من ماله مئة فرس يجاهد عليها في سبيل الله.

(١) كتاب الزهد (ص ١٢٧)، وكتاب عثمان بن عفان. شخصيته، وعصره، للدكتور علي الصلابي (ص ١٠٦).

(٢) لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق.

(٣) (١٩/٢)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٦٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه يثبته الله، ويحفظه الله في أهله، وفي ماله بعده، والمطيع لهواه بالعكس^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية بشرح الشيخ ابن عثيمين ص ٢٩.

التعليم: قواعد، وفوائد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

قال شيخ الإسلام: «العلم الموروث عن النبي ﷺ هو الذي يستحق أن يسمى علمًا، وما سواه إما أن يكون علمًا فلا يكون نافعًا، وإما أن لا يكون علمًا وإن سُمي به، ولئن كان علمًا نافعًا فلا بد أن يكون في ميراث محمد ﷺ ما يغني عنه مما هو مثله، وخير منه»^(١).

والعلم النافع هو الذي أمر الله نبيه بالاستزادة منه، فعلمه أن يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١١٤] [طه]. روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا،

(١) الفتاوى (١٠/٦٦٤).

وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ»^(١).

وهذا النوع من العلم هو الذي أنزله الله لهداية البشر، فمن تمسك به اهتدى ومن تركه ضل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

ومنه: ما تعلمه والعمل به فريضة، كالعلم بالتوحيد، ومعنى الشهادتين وأركان الإسلام، والإيمان، ونحو ذلك مما هو داخل في قوله ﷺ فيما رواه ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ»^(٢). وما سوى ذلك من العلم ففرض على الكفاية، أو فضيلة من الفضائل.

ويجب لهذا العلم الإخلاص لله في تعلمه، فروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَحِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). يعني: رِيحَهَا.

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ،

(١) برقم (٣٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٤) برقم (٣٠٩٦).

(٢) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٧٢٧) برقم (٣٩١٤).

(٣) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٧) برقم (٣١١٢٢).

أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(١).

أما علوم الدنيا فمنها ما هو مرتبط ببعض علوم الدين كالعلم بالحساب لمعرفة قسمة الموارث، والوصايا، وحكم هذا النوع حكم أصله.

ومنها: ما لا تقوم مصالح الناس إلا به كالطب، والزراعة، والصناعة ونحوها، وحكم هذا النوع يختلف باختلاف ضرورة الناس له وحاجتهم إليه، وهذه العلوم الدنيوية ينبغي فيها ملاحظة أمرين:

الأول: استحضار النية الصالحة لتعلمها، وتعليمها، لما فيه خير الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام].

الثاني: أن يُراعى في تعلُّمها وتطبيقها أحكام الشريعة الإسلامية.

ومن قواعد التعليم وأسسها التي يحصل بتطبيقها نيل ثمرة العلم: اختيار المعلم ولا سيما في مراحل التعليم الأولى، بأن يكون ديناً فاضلاً ذا مروءة، وحسن خلق ليكون قدوة لطلابه، ويكون مربباً خبيراً، وأفضل معلِّمي البشر هم الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، هياً الله لهم اكتساب الخبرة، والتجربة في ذلك. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(٢). يعني: القيراط الذي هو

(١) برقم (٢٦٥٤) وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٧٧) برقم ٢٢٥.

(٢) برقم (٢٢٦٢).

جزء من الدينار، أو الدرهم.

قال العلماء: «والحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة: أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم، والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها، وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع، وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها فجبوا كسرهما، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك، أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعي الغنم»^(١).

ومنها: البدء بالأسهل من العلوم، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. الرباني: هو الذي يعلم الناس صغار العلم قبل كبارهم^(٢). قال العلامة ابن خلدون: «ومن المذاهب الجميلة، والطرق الواجبة في التعليم: ألا يُخلط على المتعلم علمان معاً، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال، وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر، فيستغلقان معاً، ويُستصعبان، ويعود منهما بالخيبة، وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرًا عليه، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله»^(٣).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٤/٤٤١). (٢) تفسير القرطبي (٥/١٨٤).

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٩٩).

وقد جرت عادة المسلمين في جميع الأقطار والأمصار، البدء في تعليم الولدان بالقرآن الكريم. قال العلامة ابن خلدون: «إن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك: أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعد، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات»^(١).

وعلى هذا فإنه لا يلزم السير على ترتيب سور القرآن، فإذا تعلم الطفل الفاتحة، وبعض السور القصيرة التي يقيم بها صلاته كالإخلاص، والمعوذتين، فإنه ينبغي أن يختار له من مقاطع الآيات ما يسهل فهمه وحفظه، وما هو مشتمل على الآداب التي يحتاج إليها، كوصية لقمان لابنه، وكالوصية بالوالدين ونحو ذلك.

«ومنها: التدرج في التعليم للمتعلمين شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا، يُلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يُورد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسأله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان،

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٦٠٢).

ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته، ثم يرجع به، وقد شدا فلا يترك عويصًا، ولا مبهمًا، ولا منغلقًا، إلا وضحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته.

هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاثة تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه^(١).

ومنها: أن يُعلم الطفل علم الحساب، لما في ذلك من رياضة الذهن، والتعود على الصدق.

ومنها: الفهم والرسوخ فيما يتعلمه الطالب، فلا ينقل من علم إلى علم إلا بعد إتقان الأول، وإدراكه إدراكًا جديدًا.

ومنها: قرن العلم بالعمل، وأقل ذلك أن يفهم ماذا يراد منه؟ قال عبد الله بن مسعود: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ^(٢).

«وكذلك ينبغي أن لا يطول على المتعلم في الفن الواحد، والكتاب الواحد، بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها، لأنه ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريقها، وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانية

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٩٧ - ٥٩٨.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٩٥/١).

للنسيان، كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً، وأقرب صبغة، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه، قال تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٩) [البقرة] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة عشرة

الأسواق: نصائح وأحكام رقم (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فما زالت الأسواق منذ القدم هي مجامع الناس يتبادلون فيها البضائع والسلع، وقد تطورت في العهد الجاهلي، خصوصاً الأسواق السنوية كسوق عكاظ، فأصبحت محلاً لتبادل الثقافات وإظهار المناقب، والافتخار بالفضائل، ومع ذلك فقد كانت مضبوطة بقوانين وآداب تكفل الحقوق لمرتاديها، حتى إن الرجل ليلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يهجه، فلما جاء الله بالإسلام كان النبي ﷺ يمر بأهل السوق فيأمرهم وينهاهم ويقول: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١). ويأمر بترجيح الميزان، وقد كان الصحابة في عصره والسلف من بعدهم يحتسبون على أهل الأسواق حتى صار ذلك سنة متبعة في أسواق المسلمين، ثم كثرت الأسواق في أزمان متأخرة، وتغيرت الحال، وارتكبت المحرمات، وجرى الخلل في الآداب، وصار الاحتساب على أهل الأسواق من التدخل في الأمور الخاصة، وعظم الأمر إلى أحياء أسواق الجاهلية لكن دون ضوابطها الأخلاقية، فأصبحت مجمعةً للرقص

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١).

والغناء واختلاط الرجال بالنساء، فالله المشتكى من غربة الدين، وقلة الناصرين، وتغلب المفسدين، وإقصاء المصلحين.

وحيث إن الأصل في وجود الأسواق هو التجارة، وفيها ما يحل ويحرم، فإن ما حرم الله منها ممحوق البركة، وخيم العاقبة، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة: أن النبي ﷺ قال: «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»^(١).

ومن أنواع البيوع المحرمة: ما يختص بالنساء من الملابس الظاهرة التي تلبس خارج بيتها كالملابس الشفافة، أو العارية، أو المفتوحة، أو الضيقة كالبنطال، أو القصيرة التي تكشف بعض جسدها، أو الأحذية ذات الكعوب العالية.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لُبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لُبْسَةَ الرَّجُلِ^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ،

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢٣/٤٢٥) برقم (١٥٢٨٤)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) برقم (٤٠٩٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٢/٩٠٧) برقم (٥٠٩٥).

رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحْدَنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(١).

ورد في فتوى اللجنة الدائمة في معنى قوله ﷺ: (كَاسِيَاتُ عَارِيَاتٍ): هي أن تكتسي المرأة ما لا يسترها فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها، فالواجب على المسلمة الحرص على التستر والاحتشام، والتزام الهدي الذي عليه أمهات المؤمنين، ونساء الصحابة والحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاهرات، كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة والفاتنة، وليعلم أنه راع ومسؤول عن رعيته يوم القيامة^(٢). اهـ

ومنها: ما يسمى بالكاب، أو العباءة المزركشة، أو المخصرة.

«والعباءة الشرعية للمرأة وهي الجلباب، لا بد أن يتحقق فيها قصد الشارع من كمال الستر، والبعد عن الفتنة، وذلك أن تتوفر فيها المواصفات التالية:

١- أن تكون سميكة لا تظهر ما تحتها، ولا يكون لها خاصية الالتصاق.

(١) برقم (٢١٢٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٧/ ٢٩٠ - ٢٩٤)، باختصار.

٢- أن تكون ساترة لجميع الجسم، واسعة لا تبدي تقاطيعه وتفصيله.

٣- أن تكون مفتوحة من الأمام فقط، وتكون فتحة الأكمام ضيقة.

٤- ألا يكون فيها زينة تلفت إليها الأنظار، وعليه فلا بد من أن تخلو من الرسوم والزخارف، والكتابات، والعلامات.

٥- ألا تكون مشابهة للباس الكافرات أو الرجال.

٦- أن توضع العباءة على هامة الرأس ابتداء.

وعلى ذلك، فلا يجوز استيراد هذه العباءة، ولا تصنيعها، ولا بيعها وترويجها بين المسلمين؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]»^(١).

تنبيه: كل ما يستعمل على وجه محرم أو يغلب على الظن ذلك، فإنه يحرم تصنيعه، واستيراده، وبيعه، وترويجه بين المسلمين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كل لباس يغلب على الظن أنه يستعان بلبسه على معصية فلا يجوز بيعه، وخياطته لمن يستعين به على المعصية والظلم، ولهذا كره بيع الخبز، واللحم لمن يعلم أنه يشرب عليه الخمر، وبيع الرياحين لمن يعلم أنه يستعين بها على الخمر، والفاحشة، وكذلك كل مباح في الأصل عُلِمَ أنه يستعان به على المعصية»^(٢).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٧/١٣٩ - ١٤٠) برقم (٢١٣٥٢).

(٢) شرح العمدة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٨٦) باختصار.

ومن البيوع المحرمة ما يحرم لذاته، كبيع الدخان، ويلحق به ما يسمى بالشيشة أو الجراك، وآلات الطرب والمخدرات، والمسكرات، وصور ذات الأرواح، فلا يجوز التصوير إلا لضرورة، كصورة البطاقة، أو جواز السفر، أو غيره مما تدعو الضرورة والحاجة إليه. روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: أن رجلاً جاء إليه وقال: إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها، فقال له: ادن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: آتيك بما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ تُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»^(١). وقال: إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له. قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ، وَلَا إِضْرَارَ»^(٢).

وإن من كبائر الذنوب المتاجرة بالجرائد، والمجلات، والأجهزة التي تحتوي على الأغاني الماجنة، والصور العارية، والتمثيلات المنحطة التي يختلط فيها الرجال والنساء مما ذاع وانتشر، حتى أفسد على الناس أخلاقهم، وأديانهم، المسلمون منهم والكفار كلهم على حد سواء، فبلغت بهم تلك الرذائل في الانحطاط إلى أنه لم يبق لديهم من الإنسانية إلا صورتها فقط، فأصبحوا محل السخرية، والاستدلال،

(١) صحيح مسلم برقم (٢١١٠).

(٢) (٥٥/٥) برقم (٢٨٦٥)، وقال محققوه: حسن.

والإهانة من قبل إبليس وجنوده، الذي كان أول البنود في قانونه الذي وضعه لإغواء البشر، كشف العورات، ونزع الحياء منهم، قال تعالى عنه: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرَاهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

ومن البيوع المحرمة: ما يباع على الكفار من اليهود، والنصارى، والرافضة وأعداء الإسلام مما يُستعان به على حرب المسلمين وأذيتهم، وقد يمثل ذلك ببيع العقارات، والأراضي، وغيرها من الممتلكات على الرافضة، أو اليهود، أو النصارى.. أو غيرهم من أعداء المسلمين مما يشكل تمكيناً لهم، وبسطاً لنفوذهم، وتقوية لهم في داخل بلاد المسلمين، وبالتالي يكون عوناً لهم في المستقبل على احتلال بلاد المسلمين، والقضاء عليهم كما يخططون، وقد أفتى الشيخ عبد الله ابن جبرين رَحِمَهُ اللهُ بِعَدَمِ جَوَازِ بَيْعِ الْعُقَارَاتِ لِلرَّافِضَةِ إِذَا كَانَتْ فِي مَحِيطِ أَهْلِ السَّنَةِ، وَفِي الْقُرَى، وَالْمَدَنِ الَّتِي أَهْلُهَا مِنَ السَّنَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَعِينُهُمْ عَلَى إِقَامَةِ شَعَائِرِهِمُ الْبَاطِلَةَ، وَشُرُكِهِمْ، وَبَدْعِهِمْ، وَيُمْكِنُهُمْ مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ^(١)، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن البيوع المحرمة: ما كان فيه غش، أو كذب، أو تدليس على المشتري، أو يمين كاذبة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).

(١) الفتوى بختم وتوقيع الشيخ بتاريخ ١/٧/١٤٢٩ هـ.

(٢) برقم (١٠١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»^(١).

ومنها: ما كان فيه دعايات لجذب المشتريين إلى المحلات، والأسواق، ويشترى الشخص السلعة لا لأجلها ولكن طمعاً في الحصول على الجائزة، وهو القمار الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. وكذلك هو أكل لأموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

«سئلت اللجنة الدائمة عن حكم الجوائز التي تعملها المحلات وبعض الأسواق لجذب الزبائن، فكانت الإجابة: إذا كان الواقع كما ذكر، فجعل ما يُعطى للمشتريين باسم هدايا على هذا النظام حرام، لما فيه من المقامرة من أجل توزيع البضاعة وتنمية رأس المال بكثرة البيع، ولو كان ذلك بالأسعار التي تباع بها البضاعة عادة، ولما فيه من المضاربة بالتجار الآخرين إلا إذا سلكوا نفس الطريقة فيكون في ذلك إغراء بالمقامرة من أجل رواج التجارة، وزيادة الكسب، ويتبع ذلك الشحناء، وإيقاد نار العداوة والبغضاء، وأكل المال بالباطل.

فمثلاً يشتري بعض الناس بمئتي ريال، ويواتيه حظه في الكرت

المسحوب (بمسجل/ أو مكيف/ أو ثلاجة) ويشترى آخر بنفس القيمة ويكون حظه في الكرت المسحوب (ولاعة/ أو زجاجة عطر قيمتها عشرة ريالات أو عشرون ريالاً)»^(١).

وبعد.. فقد جرت عادة الدول بإنشاء وزارة تُعنى بأمور التجارة وتسهيل مهمتها فيما يعود على الناس بالنفع، والخير، ومنع ما يضرهم، فعليهم القيام بما يجب عليهم من ذلك، فإن المسؤولية عظيمة أمام الله، قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]. وقال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^{(٢)(٣)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٥/ ١٩٣) برقم (٤٠٠٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) ومن أراد التوسع في الموضوع، فليراجع رسالة المؤلف (التجارة والأسواق. نصائح وأحكام).

الكلمة التاسعة عشرة

الأسواق: نصائح وأحكام رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله قد أحل البيع وحرم الربا، والأسواق هي مكان تجمع الناس للبيع والشراء، وتبادل المنافع، وهي مكان الفتن، وانتشار الشياطين لكثرة المنكرات فيها، وانشغال الناس بالدنيا، وهي أبغض الأماكن إلى الله. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»^(١).

قال النووي رحمته الله: وقوله: «أَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»، لأنها مخصوصة بطلب الدنيا، ومخادعة العباد، والإعراض عن ذكر الله، ومظان الإيمان الفاجر، فالمساجد مواضع نزول رحمة الله وفضله، والأسواق على الضد منها^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عثمان عن سلمان قال: لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ

(١) برقم (٦٧١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٥٨٤)، باختصار وتصرف.

يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيَتَهُ^(١).

وكثرة الأسواق من علامات الساعة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْكُذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ»، قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»^(٢).

والأسواق تنتشر فيها منكرات، ينبغي للمؤمن معرفتها للحد من الوقوع فيها، وإنكارها بحسب الاستطاعة، فمن تلك المنكرات:

١- خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وقد وضعن المساحيق وأدوات التجميل، وهذا الفعل باب عظيم من أبواب الفتن التي تؤدي إلى شيوع الفواحش وانتشارها، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٢- الاختلاط بين الرجال والنساء، قال ابن القيم رحمته الله: «ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال، فالإمام مسؤول عن ذلك، والفتنة به عظيمة. روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَرَكَتُ

(١) برقم (٢٤٥١).

(٢) (٤٢٢/١٦) برقم (١٠٧٢٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال

بَعْدِي فِتْنَةٌ، أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ»^(١). وفي حديث آخر: «عَلَيْكُمْ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»^(٢). ويجب عليه أن يمنع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن فيها كاسيات عاريات كالثياب الواسعة الرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك، وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولا سيما إذا خرجت متجملة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية، والله سائل ولي الأمر عن ذلك، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال والاختلاط بهن في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك»^(٣).

٣- تسكع الشباب في الأسواق، والقصات، والألبسة الغربية، والسلاسل التي يتزينون بها، والبناطيل الضيقة التي يلبسونها، وغير ذلك من الميوعة والتخث مما فيه تشبه بالنساء. روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لُبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لُبْسَةَ الرَّجُلِ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٠).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٢٧٢)، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم (٩٢٩).

(٣) الطرق الحكمية (ص ٢٨٠ - ٢٨١)، باختصار.

(٤) برقم (٤٠٩٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٢/٩٠٧) برقم (٥٠٩٥).

٤- لبس بعض الفتيات الملابس القصيرة، أو البناطيل، وولي أمرها يتساهل في ذلك بحجة أنها صغيرة، فالنبي ﷺ تزوج عائشة وعمرها تسع سنين، فالواجب تعويد الفتيات وتنشئتهن منذ الصغر على الحياء والحشمة، ومن شب على شيء شاب عليه، قال الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِثْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبُوهُ

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يوماً يقسم تمر الصدقة، فأخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كَيْخ، كَيْخ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!»^(١). ورأى علي بن عبد الله بن عمرو ثوبين معصفرين فقال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسَهَا»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أرى أنه لا ينبغي للإنسان أن يلبس ابنته هذا اللباس وهي صغيرة؛ لأنها إذا اعتادته بقيت عليه، وهان عليها أمره، أما لو تعودت الحشمة من صغرها، بقيت على تلك الحال في كبرها، والذي أنصح به أخواتنا المسلمات أن يتركن لباس أهل الخارج من أعداء الدين، وأن يعودن بناتهن على اللباس الساتر، وعلى الحياء، فالحياء من الإيمان»^(٣).

٥- الصور، والمجسمات المعلقة على زجاج المحلات، وهو ما

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٩١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٧٧).

(٣) من فتاوى الشيخ ابن عثيمين في جملة الدعوة (١٧٠٩) ص ٣٥.

يسمى بـ (المانيكان) كدعاية لتلك المحلات، مع ما فيها من التعري والفتنة مما ينافي الحشمة والحياء، وبعضها فاضحة لا يشك مؤمن بحرمتها، وأضرارها على الشباب، والفتيات.. فإلى الله المشتكى.

٦- الميوعة واللين في الكلام من النساء عند البيع، والشراء مع أصحاب المحلات مما يؤدي إلى الفتنة بهن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٧- بيع السحر، والشعوذة ومنها سحر الصرف، والعطف، والغالب أن البيع يكون للنساء.

٨- المغازلات، وترتيب المواعيد بين الشباب، والفتيات وأكثر حالات الإركاب إنما تكون في الأسواق كما حدثني بذلك بعض رجال الهيئة.

٩- بقاء أصحاب المحلات وقت الصلاة داخل المحلات، والأشد من ذلك المجاهرة بعدم إغلاق المحل وقت الصلاة.

١٠- توظيف الفتيات بائعات في داخل المحلات يبعن على الرجال والنساء، ويشمل ذلك الملابس، والعبايات، وأدوات الزينة.. وغيرها، وقد صدرت فتاوى من علمائنا في هذه البلاد بتحريم بيع النساء على الرجال لما فيه من تعريض المرأة للفتنة^(١).

(١) فتوى سماحة مفتي عام المملكة في خطبته بتاريخ ٦/٢/١٤٣٣هـ، وفتوى العلامة الشيخ صالح الفوزان بتاريخ ٩/٢/١٤٣٣هـ.

ومن الوصايا التي يُوصى بها في الأسواق:

١- تكثيف رجال الهيئة في الأسواق، والمجمعات التجارية لتغيير تلك المنكرات.

٢- توجيه النساء وإرشادهن للقرار في بيوتهن، وألا تكثر من الخروج لغير حاجة تدعو لذلك، وإذا خرجت فيقتصر الخروج على حاجتها والحذر من التجول لوقت طويل، فكثير من النساء تتجول في السوق لساعات طويلة تنتقل بين المحلات التجارية بحجة البحث عن الأرخص والأجود، وهذا الوقت تُسأل عنه يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟»^(١). وفي رواية: «وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»^(٢).

إضافة إلى اختلاطها بالرجال وفتنتها لهم، وعليها ألا تسرف في شراء الملابس وأدوات الزينة، وألا تتبع الموضة في ذلك، فبعضهن تشتري الملابس بشكل مستمر في كل مناسبة أو عرس، حتى لو كان هذا الثوب لم يستعمل إلا مرة واحدة، وتدفع في ذلك المبالغ المالية الطائلة، بل وصل الأمر إلى شراء حقائب اليد والنعال بآلاف الريالات. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣١)

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦).

[الأعراف]. وروى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ». ولتحرص ألا تكون وحدها في السوق، مع التستر والحشمة حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، ولتحذر من التطيب عند الذهاب إلى الأسواق، فقد روى الترمذي في سننه من حديث أبي موسى: عن النبي ﷺ قال: «كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا»، يَعْنِي: زَانِيَةٌ^(١).

سُئِلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَثِيمِ بْنِ رَجَاءٍ عَنْ خُرُوجِ الْمَرْأَةِ فِي الْأَسْوَاقِ مِنْ غَيْرِ مُحْرَمٍ جَائِزٍ أَمْ لَا؟ وَمَتَى يَجُوزُ؟ وَمَتَى يَحْرَمُ؟

فكان الجواب: «خروج المرأة إلى السوق في الأصل جائز، لا يشترط أن يكون معها محرم إلا أن تخشى الفتنة، فإنه يجب عليها ألا تخرج إلا بمحرم يحميها، ويصونها، ويحفظها، ويشترط لجواز خروجها إلى الأسواق أن تخرج غير متبرجة، ولا متطيبة، فإن خرجت متبرجة أو متطيبة فإنها لا يحل لها ذلك، لقول النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلْيَخْرُجْنَ تَفَلَاتٍ»^(٢)،^(٣)»^(٤).

٣- على من دخل إلى السوق أن يحرص على كثرة الذكر،

(١) برقم (٢٧٨٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) معنى تفلات: غير متطيبات، ولا متجملات.

(٣) سنن أبي داود برقم (٥٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٣/١) برقم (٥٢٩).

(٤) مطوية بعنوان (أسئلة مهمة تخص نساء الأمة)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

وغيض البصر، وعلى إفشاء السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَٰلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

٤- على المسؤولين إيقاع العقوبات الشديدة لمن يثبت عليه إيذاء النساء ومعاكستهن أو البيع وقت الصلاة؟ أو وضع الصور، أو المجسمات الخليعة، أو غير ذلك من المنكرات حماية للأعراض، وقطعاً لدابر الشر.

٥- على الآباء أن يمنعوا بناتهم من الألبسة القصيرة، أو البنطال، وأن يعودوهن على الحجاب والستر منذ الصغر.

تنبيه: انتشر في الآونة الأخيرة خروج النساء إلى الأسواق، وهن يلبسن النقاب، أو ما يسمى بالثام، وتكتفي بوضع جزء منه على وجهها، ويخرجن العينين والخددين، سئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله عن النقاب الذي فيه التوسع السابق، فقال: «الواجب على المرأة المسلمة التزام الحجاب الساتر على وجهها وسائر بدنها درءاً للفتنة عنها وعن غيرها، والنقاب الذي تعمله كثير من النساء اليوم نوع من السفور، بل هو

تدرج إلى ترك الحجاب، فالواجب على المسلمة أن تُبقي على حجابها الساتر، وترك هذا العبث الذي تفعله بعض السفهات من النساء اللاتي تضايقن من الحجاب الشرعي، فأخذن يتحايلن على التخلص منه»^(١).

وبعد.. فكل ما جاء في التحذير منه في هذه الكلمة، وغيرها إنما هو من كيد أعداء الله متمثلاً ذلك بالغزو الصليبي اليهودي لإفساد المسلمين، ليسهل عليهم السيطرة علينا، واستعمارنا فكرياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وأعانهم على ذلك قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، وقلوبهم مع أعدائنا، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٥ / ٣٣١) برقم (٤٤٦).
 (٢) ومن أراد التوسع في الموضوع، فليراجع رسالة المؤلف (التجارة والأسواق. نصائح وأحكام).

الكلمة العشرون

المستشفيات: واقعها ووسائل إصلاحها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من حكمة الله تعالى أن يبتلي عبده المؤمن بالمرض تكفيراً لسيئاته، أو رفعا لدرجاته، وما كتب الله من مرض إلا وله شفاء. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»^(١). قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٨٠﴾ [الشعراء].

والذي يتأمل في واقع المستشفيات في هذه الأيام يرى فيها الكثير من المنكرات التي تحتاج إلى علاج، وإلى جهود كبيرة في الإصلاح، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿٨٨﴾ [هود].

ومن هذه المنكرات:

أولاً: الاختلاط بين الرجال والنساء. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمَوُ الْمَوْتُ»^(١). وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول على النساء، وممنوعين من الخلوة بهن بطريق الأولى، كما ثبت بأحاديث أخرصار سؤالهن متاعاً لا يكون إلا من وراء حجاب، ومن دخل عليهن فقد خرق الحجاب^(٢).

والاختلاط له مواضع عدة كالاختلاط بين الأطباء والطبيبات والممرضات أثناء العمل، أو في الاجتماعات، والمحاضرات والندوات، أو أن يكون للطبيب ممرضة ملازمة له في أقسام العمليات، أو غير ذلك. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»^(٣).

ثانياً: لبس العاملات في المستشفيات، والمراكز الصحية، من الطبيبات والممرضات، والموظفات اللباس الخفيف، أو المفتوح، أو البنطال الضيق وهو لباس الرجل. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢١٧٢).

(٢) حراسة الفضيلة، للشيخ بكر أبو زيد رحمته الله (ص ٦٣).

(٣) برقم (١٨٦٢)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤١).

لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ»^(٢).

ثالثاً: تبرج العاملات في المستشفيات من الطبيبات، والموظفات، وذلك بكشف شعر الرأس، والوجه، ووضع أدوات الزينة والتجميل.
رابعاً: كشف الطبيب على المرأة المريضة، مع عدم وجود الحاجة إلى ذلك.

خامساً: إلزام الطبيبة بالكشف على الرجال.

سادساً: نظر الطبيب إلى عورة المريض بلا ضرورة، أو حاجة ملحة، وتعظم الحرمة مع اختلاف الجنسين.

سابعاً: إلباس المريض، أو المريضة، في غرفة العمليات اللباس العاري أو المفتوح، أو كشف عورته أمام الكوادر الطبية من غير حاجة ملحة إلى ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»^(٣).

ثامناً: توظيف النساء في الاستقبال، وفي بعض الأحيان يكن

(١) برقم (٢١٢٨).

(٢) برقم (٤٠٩٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٩٠٧/٢) برقم ٥٠٩٥.

(٣) برقم (٣٣٨).

متبرجات، وقد وضعت أدوات التجميل على وجههن يفتن بذلك الرجال، ورد في قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن ضوابط كشف العورة أثناء علاج المريض ما نصه: الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين: «فإن مجلس المجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الرابعة عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة والتي بدأت يوم السبت العشرون من شعبان عام ألف وأربع مئة وخمس عشرة للهجرة، وقد نظر في هذا الموضوع وأصدر القرار الآتي: الأصل الشرعي أنه لا يجوز كشف عورة المرأة للرجل، ولا العكس ولا كشف عورة المرأة للمرأة، ولا عورة الرجل للرجل، يؤكد المجمع على ما صدر من مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بقراره رقم (١٥/١٢/د/٨) وتاريخ ١/٧/١٤١٤هـ، وهذا نصه: «الأصل أنه إذا توافرت طبيبة مسلمة متخصصة يجب أن تقوم بالكشف على المريضة، وإذا لم يتوافر ذلك فتقوم طبيبة غير مسلمة، فإن لم يتوافر ذلك يقوم به طبيب مسلم وإن لم يتوافر طبيب مسلم يمكن أن يقوم مقامه طبيب غير مسلم على أن يطلع من جسم المرأة على قدر الحاجة في تشخيص المرض ومداواته، وألا يزيد عن ذلك وأن يغض الطرف قدر استطاعته، وأن تتم معالجة الطبيب للمرأة هذه بحضور محرم، أو زوج، أو امرأة ثقة خشية الخلوة.

في جميع الأحوال المذكورة، لا يجوز أن يشترك مع الطبيب إلا من دعت الحاجة الطبية الملحة لمشاركته، ويجب عليه كتمان الأسرار إن وجدت.

ويجب على المسؤولين في الصحة، والمستشفيات حفظ عورات المسلمين والمسلمات من خلال وضع لوائح وأنظمة خاصة تحقق هذا الهدف، وتعاقب كل من لا يحترم أخلاق المسلمين، وترتيب ما يلزم لستر العورة وعدم كشفها أثناء العمليات إلا بقدر الحاجة من خلال اللباس المناسب شرعاً^(١).

ويوصي المجمع بما يلي:

(أ) أن يقوم المسؤولون عن الصحة بتعديل السياسة الصحية فكراً، ومنهجاً وتطبيقاً، بما يتفق مع ديننا الإسلامي الحنيف، وقواعده الأخلاقية السامية، وأن يولوا عنايتهم الكاملة لرفع الحرج عن المسلمين، وحفظ كرامتهم، وصيانة أعراضهم.

(ب) العمل على وجود موجه شرعي في كل مستشفى للإرشاد والتوجيه للمرضى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اهـ

وقد وقع القرار جمع من العلماء، وعلى رأسهم رئيس المجلس سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

ومن الوصايا التي يُوصى بها إضافة إلى وصايا المجمع الفقهي الإسلامي:

١- «يجب على الأطباء ومساعدتهم من الممرضين وغيرهم

(١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٤٥٤/٨).

القيام بالواجبات الشرعية في كل حال من أحوالهم، وعدم التساهل فيها، ومن ذلك أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي الصلاة، فلا يجوز التفريط فيها، ولا تأخيرها عن وقتها، خاصة عند وجود ما قد يشغل ويصد، فإن داعي الشر قد يوسوس للإنسان بالأعذار الواهية، والحجج الفاسدة ما يرر له تقصيره، والصلاة لا تسقط عن المسلم ما دام عقله معه، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها»^(١).

٢- إيجاد مستشفى خاص بالنساء، وآخر بالرجال، ويبدأ ذلك من دراسة الطب، كلية خاصة للنساء، وأخرى للرجال، ومستشفى تعليمي للنساء وآخر للرجال، وقد برزت في هذه الأيام بعض المستشفيات والمستوصفات الخاصة بالنساء، وأثبتت نجاحها، وما المانع من أن يعم ذلك جميع مستشفيات المسلمين، قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ مفتي الديار السعودية سابقاً: وذلك أن الرجال والنساء الذين يرتادون المستشفيات للعلاج ينبغي أن يكون لكل منهم قسم خاص من المستشفى، فقسم الرجال لا يقربه النساء بحال، ومثله قسم النساء حتى تؤمن المفسدة، وتسير مستشفيات البلاد على وضع سليم من كل شبهة موافقاً لبيئة البلاد ودينها، وطبائع أهلها، وهذا لا يكلف شيئاً، ولا يوجب التزامات مالية أكثر مما كان، فإن الإدارة واحدة والتكاليف واحدة،

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٤٠٣) برقم (١٨٥٨٩).

- مع أن ذلك متعين شرعاً مهما كلف^(١). اهـ
- ٣- إلزام العاملات في المستشفيات، والمراكز الصحية من طبيبات، وممرضات وموظفات باللباس الشرعي الساتر البعيد عن الفتنة، مع تغطية الوجه والكفين والرأس كاملاً.
- ٤- الحرص على توفير كوادر نسائية للكشف عن النساء، وخدمتهن دون الحاجة لمخاطبة الرجال ومخالطتهم، والعكس كذلك توفير كوادر رجالية من موظف الاستقبال، والطبيب، وغيره.
- ٥- الحرص التام على عدم الاختلاط بين المراجعين، والمراجعات، والموظفين والموظفات.
- ٦- الحرص على تنبيه الجميع لأوقات الصلاة، وتوفير مصلى مناسب للرجال والنساء.
- ٧- عدم السماح لجميع العاملات بأخذ الزينة وقت العمل سواء في اللباس أو الشعر أو الوجه، بل يُكتفى باللباس الشرعي الساتر لجميع البدن.
- ٨- «يجب على جميع العاملين في المستشفيات عدم إفشاء أسرار المرضى، ولزوم الكتمان في هذه الأمور، فإن إفشاءها مع أنه خيانة للأمانة، وهتك للأسرار، فإنه يجز من الشر ما لا يخفى.

٩- يجب على جميع العاملين عدم التشبه بالكفار، وقد ورد النهي صريحاً في تحريم ذلك، وعلى المسلم أن يعتز بدينه وانتمائه إليه، فلا يضعف ولا ينهزم.

١٠- عدم خضوع العاملات في المستشفيات بالقول عند حاجتهن للتحدث مع الرجال غير محارمهن، على أنه لا يجوز لهن التحدث معهن إلا من وراء حجاب، ودون اختلاط^(١).

١١- الحرص على الكوادر المسلمة من العاملين، والعاملات، وعدم استقدام الأطباء، والممرضات، والعاملين، والعاملات من النصارى، والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر، لقول النبي ﷺ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»^(٢)؛ إلا من دعت الحاجة إليه، وتقدر الضرورة بقدرها.

١٢- أن يُدرس في كليات الطب، العلوم الشرعية التي تبين الحقوق الشرعية للمرضى، والأحكام والقواعد الشرعية لأحكام التداوي، وضوابطه.

١٣- الحرص على افتتاح مكتب للشؤون الدينية في كل مستشفى حكومي أو أهلي، وتكون مهمته إزالة المنكرات ومعالجتها بالطرق المناسبة، والمراقبة الدقيقة لتطبيق الأنظمة واللوائح التي تمنع الألبسة المنافية للحياء والاختلاط، وأخذ الزينة للعاملات وقت العمل... وغير ذلك، وكذلك توزيع الكتب،

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (١/٤٠٣)، برقم (١٨٥٨٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦٣٧).

والأشرطة لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، من العاملين
والعاملات، وترتيب المحاضرات، والإجابة على أسئلة
المرضى... وما إلى ذلك.

١٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وهذا التعاون مطلوب من
الجميع، الطبيب، والموظف، والمراجع، والمرأة على
بنات جنسها.

من رأى منكراً مما سبق ذكره، عليه إنكار ذلك، كما قال تعالى:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: كتاب أخينا الشيخ د. يوسف الأحمد (الاختلاط، وكشف العورات في
المستشفيات. الواقع، والعلاج)، فقد أجاد وأفاد.

الكلمة لحادية والعشرون

خطبة الجمعة: فوائد، وتنبهات رقم (١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

«فإن لخطبة الجمعة في الإسلام أهمية عظيمة، فقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه، ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض أمر أو نهى، كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين ويذكر معالم الشرائع في الخطبة، والجنة، والنار، والمعاد، فيأمر بتقوى الله، ويحذر من غضبه، ويرغب في موجبات رضاه، ويذكرهم بأيام الله»^(١).

وخطبة الجمعة من أعظم الوسائل المعينة على إصلاح المجتمع وحل قضاياها.

وقد أمر الله المؤمنين بحضور ذلك الاجتماع واستماع الخطبة، وإقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [الجمعة].

(١) زاد المعاد، لابن القيم (١/٤١٢).

قال الشيخ علي الطنطاوي: «إني أحاول أن ألقى اليوم خطبة فلا تقولوا: قد شعبنا من الخطب، إنكم قد شعبتم من الكلام الفارغ الذي يلقيه أمثالي من مساكين الأدباء، أما الخطب فلم تسمعوها إلا قليلاً، الخطب العبقريات الخالدات التي لا تنسج من حروف، ولا تؤلف من كلمات، ولكنها تنسج من خيوط النور الذي يضيء طريق الحق لكل قلب، وتحاك من أسلاك النار التي تبعث لهب الحماسة في كل نفس ولا تقولوا: ماذا تصنع الخطب؟»

فخطبة طارق هي التي فَتَحَتِ الأندلس، وأُقيمتَ بها دولة الإسلام قروناً عديدة^(١). ومعركة الإسلام الفاصلة «بدر الكبرى» قامت على كلمات معدودة، ألقاها سيد الأوس سعد بن معاذ رضي عنه. فعندما استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الذهاب إلى ملاقاته المشركين في بدر قام سعد بن معاذ خطيباً فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» قال: فقد آمنَّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا، وموآثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض بنا يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيرُوا وَأَبْشِرُوا،

(١) هتاف المجد للشيخ علي الطنطاوي (ص ٢٣)، بتصرف.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»^(١).

ولما ارتدت العرب عند وفاة النبي ﷺ، قام سهيل بن عمرو خطيباً في مكة، وكان من عقلائهم وخطبائهم، فخطب خطبة عصماء، ومما قال فيها: «يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم، وأول من ارتدَّ، والله إن هذا الدين ليمتدّن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما»^(٢)، فكانت تلك الخطبة من أعظم أسباب ثباتهم على الدين، والأمثلة على ذلك كثيرة.

قال ابن كثير: «إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة بالمساجد الكبار، وفيه كَمُل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح»^(٣).

وقد وردت النصوص الكثيرة بوجوب الإنصات لخطبة الجمعة والفضل العظيم في ذلك. قال البخاري: باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، وإذا قال لصاحبه: (أنصت) فقد لغا، وقال سلمان عن النبي ﷺ: ينصت إذا تكلم الإمام، ثم روى عن

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٢٠٦).

(٢) أسد الغابة (٢/٣٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٥٥٨)، بتصرف.

أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ»^(١). أي: قلت اللغو، واللغو الإم، فإذا كان الذي يقول للمتكلم: (أنصت) - وهو في الأصل يأمر بمعروف - قد لغا، فغير ذلك من الكلام من باب أولى.

قال ابن حجر: «واستدل به على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة، وبه قال الجمهور في حق من سمعها»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى رَكَعَ مَا شَاءَ أَنْ يَرْكَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو: عن النبي ﷺ قال: «يُحْضَرُ الْجُمُعَةُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ: رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ وَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَبَةَ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَزِيَادَةٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٨٥١).

(٢) فتح الباري (٢/٤١٥).

(٣) (٢٩٢/١٨) برقم (١١٧٦٨)، وقال محققوه: إسناده حسن.

أَمْثَالُهَا ﴿ [الأنعام: ١٦٠] ﴾^(١).

بل إن صلاة الركعتين في المسجد والإمام يخطب تكون خفيفة، حتى يتمكن من إدراك الخطبة والاستفادة منها. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: «يَا سَلِيكُ! قُمْ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»، ثم قال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، وَيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»^(٢).

وقد جاء الدَّمُّ الشديد لمن خرج وترك الإمام يخطب. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتْ عَيْرٌ مِنَ الشَّامِ، فَانْفَتَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَوْ نَفْسًا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ [الجمعة: ١١]»^(٣).

ورتب الشارع الفضل العظيم لمن دنا من الإمام وأنصت ليمكن من استيعاب ما يلقيه الخطيب. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس بن أبي أوس: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَعَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ وَاعْتَسَلَ، ثُمَّ عَدَا أَوْ ابْتَكَّرَ، ثُمَّ دَنَا فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا كَصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامِ سَنَةٍ»^(٤).

(١) برقم (١١١٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٧٢٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٧٥) واللفظ له.

(٣) برقم (٨٦٣).

(٤) (٨٣/٢٦) برقم (١٦١٦١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

وهذه الأمور السابقة كلها من أجل تهيئة السامع، فعلى الخطيب أن يستشعر أن هذا كله من أجله فليهتم لذلك، وليبذل غاية جهده على ضوء ما يأتي التنبيه عليه والإشارة إليه.

فمن ذلك: الإخلاص لله تعالى، لا يقال: فلان خطيب مصقع، أو خطب فلان خطبة عصماء.. ونحو ذلك، واسمع إلى موسى نبي الله فيما حكاه الله عنه حين دعا ربه فقال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه]، فغاية مراده أن يفهموا عنه ما يريد وحسب.

ومنها: أن يكون الخطيب قدوة حسنة ظاهراً وباطناً، وأن يصدق قوله فعلة لتكون خطبته أبلغ تأثيراً في قلوب السامعين، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف]. وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ ^(٥) مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟! ^(٦)».

وذكر بعض أهل العلم أن من شروط صحتها: حمد الله

(٥) يعني: آلات القطع والقص.

(٦) (٢٤٤/١٩) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

والشهادتين، والصلاة على رسول الله ﷺ، والوصية بتقوى الله، والموعظة وقراءة شيء من القرآن ولو آية^(١). «وللأسف أن البعض من الخطباء يختصر في الخطبة الثانية اختصاراً مُخِلاً، وتصبح الخطبة الثانية ألفاظاً تُردد وتعاد ويقتصر فيها على الدعاء، مع أن الخطبة الثانية لا تختلف في أصل السنة عن الأولى، وينبغي أن يتنبه لهذا الأمر وينوع الخطيب، فتارة يجعل الخطبة الثانية مكملة للخطبة الأولى، وتارة مساوية لها، وتارة أنقص منها، وتارة في موضوع آخر، كل هذا لا بأس به وإن ما يخشى هو التزام طريقة واحدة يفهم عامة الناس من خلالها أنها هي السنة وما عداها مخالف لها»^(٢).

والدعاء في آخر الخطبة ليس شرطاً من شروطها ولا كان السلف يواظبون عليه، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن الدعاء في آخر الخطبة: «وكون الدعاء للمسلمين فيه مصلحة عظيمة موجودة في عهد النبي ﷺ، وما وجد سببه في عهد النبي ﷺ ولم يفعله فتركه هو السنة، إذ لو كان شرعاً لفعله النبي ﷺ، فلا بد من دليل خاص يدل على أن النبي ﷺ كان يدعو للمسلمين، فإن لم يوجد دليل خاص فإننا لا نأخذ به، ولا نقول: إنه من سنن الخطبة، وغاية ما نقول: إنه من الجائز، وحينئذ لا يتخذ سنة راتبه يواظب عليه، لأنه إذا اتخذ سنة راتبه يواظب عليه فهم الناس أنه سنة، وكل شيء يوجب أن يفهم الناس منه خلاف

(١) ومن أراد التفصيل في الأقوال والأدلة، فليراجع كتاب الشامل في فقه الخطيب والخطبة (ص ١٨٧ - ١٩٤).

(٢) الشامل في فقه الخطيب والخطبة، للشيخ سعود الشريم (ص ٢٧٢).

حقيقة الواقع، فإنه ينبغي تجنبه»^(١). اهـ

وأما التزام كثير من الخطباء بعض الألفاظ في الخطبة على سبيل الديمومة فلا ينبغي، لأن ذلك يجعل بعض السامعين يظن أن هذه الألفاظ من صلب الخطبة، أو أن الخطبة ناقصة من دون إيرادها، وربما حصل النكير من بعضهم إذا تُرِكَت لكثرة مداومة الخطباء عليها، فمن تلك الألفاظ على سبيل المثال وليس الحصر.

اختتام آخر الخطبة الأولى بآية، وقبل أن يختم بهذه الآية يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، في حين أنه لا يستعيد بالله في إيراد غيرها من الآيات.

ومنها: المواظبة على ختم الخطبة الأولى بقول: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ومنها: الأمر بالصلاة على النبي ﷺ في آخر الخطبة على سبيل الديمومة.

ومنها: قول بعضهم في آخر الخطبة الثانية على سبيل الديمومة: عباد الله، اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.. إلخ.

ومنها: المواظبة على قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] في آخر الخطبة الثانية.

(١) الشرح الممتع (٥/ ٨٧) باختصار. وللتفصيل في مسائل الدعاء، يراجع: كتاب الشامل في فقه الخطيب والخطبة، للشيخ سعود الشريم (ص ٣١٩ - ٣٥٩).

فالذي ينبغي للخطيب أن ينوع في مثل هذا، لئلا يظن الناس أن هذا من الواجب، بل لو ترك السنة أحياناً إذا ظن بعض الناس من خلال المواظبة عليها أنها واجبة، فإن هذا الترك يكون مستحباً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإنه إذا ظن العامة أن المواظبة على قراءة السجدة، والإنسان في فجر الجمعة من الواجب، فإنه يستحب تركها أحياناً لإزالة اللبس»^{(١)(٢)}.

ومنها: مغايرة بعض الخطباء صوته عند تلاوة الآيات من القرآن، لنسق صوته في وعظه وخطبه.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا لم يعرف عن السالفين ولا الأئمة المتبوعين، ولا تجده لدى أجلاء العلماء في عصرنا، بل يتكبرونه، وكثير من السامعين لا يرتضونه، والأمزجة مختلفة، ولا عبرة بالفساد منها، كما أنه لا عبرة بالمخالف لطريقة صدر هذه الأمة وسلفها»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٠٦).

(٢) الشامل في فقه الخطيب والخطبة، للشيخ سعود الشريم (ص ٢٧٠ - ٢٧٢).

(٣) انظر: تصحيح الدعاء، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص ٣٢٠).

الكلمة الثانية والعشرون

خطبة الجمعة: فوائد وتنبهات رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد.. فاستكمالاً للحديث السابق عن مكانة خطبة الجمعة وتأثيرها في الناس وما ينبغي للخطيب أن يتجنبه، ومن ذلك أن يحرص على موافقة السنة في خطبته وذلك بالآتي:

١- تقصير الخطبة: روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي وَائِلٍ قَالَ: حَطَبْنَا عَمَارًا، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانَ، لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنْفَسْتَ؟! فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ، مَعْنَةٌ مِنْ فَهْمِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، واقْصُرُوا الخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن سمرة السوائي قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطِيلُ المَوْعِظَةَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ^(٢).

٢- رفع الصوت في الخطبة على نحو ما كان عليه النبي ﷺ،

(١) برقم (٨٦٩).

(٢) برقم (١١٠٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٩٧٩).

دون التشنج والصراخ المفزع الذي يذهب بجمال الخطبة ووقعها في نفس المستمع. روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»^(١). قال الشاعر:

وَإِذَا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هَزَّةٌ تَعْرُو النَّدِيَّ وَلِلْقُلُوبِ بُكَاءٌ

كما أنه لا يراد به أن يكون احمرار العين وشدة الغضب في كل شيء^(٢). قال القاضي عياض: «هذا حكم المحذر والمنذر، وأن تكون حركات الواعظ والمذكر وحالاته في وعظه، بحسب الفصل الذي يتكلم فيه ومطابق له حتى لا يأتي بالشيء وضده، وأما اشتداد غضبه فيحتمل أنه عند نهيهِ عن أمر خولف فيه شرعه، أو يريد أن صفته صفة الغضبان عند إنذاره»^(٣).

٣- وعلى الخطيب أن يضمن خطبته الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والحكم المأثورة عن السلف الصالح، والابتعاد عن الكلام الإنشائي المنمق والسجع المتكلف إلا ما لا بد منه، فتأثير النصوص الشرعية أبلغ في القلوب وأبقى أثراً، وأدوم ذكراً، وما سواها فإنه وإن أثر نوعاً ما فلا بقاء له، وقد كان النبي ﷺ يخطب بالقرآن. روى مسلم في صحيحه من حديث أمِّ

(١) برقم (٨٦٧).

(٢) الشامل في فقه الخطيب والخطبة (ص ٢٢٧).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/٣٦٨).

هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: ما أخذت ﴿ق﴾ والقرءان المجيد ﴿١﴾ [ق]، إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس^(١). «ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب ﷻ، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه، ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد، وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها، وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها»^(٢).

قال الشيخ صالح الفوزان: «هذا ما قاله الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في طابع الخطب في عصره، وقد زاد الأمر على ما وصف، حتى صار الغالب على الخطب اليوم أنها حشو من الكلام قليلة الفائدة، فبعض الخطباء يجعل الخطبة كأنها موضوع إنشاء مدرسي يرتجل فيه ما

(١) برقم (٨٧٣).

(٢) زاد المعاد، لابن القيم (١/٤٠٩ - ٤١٠).

حضره من الكلام بمناسبة وبدون مناسبة، حتى إن بعضهم يهمل شروط الخطبة، أو بعضها، ولا يتقيد بضوابطها الشرعية، فهبطوا بالخطب إلى هذا المستوى الذي لم تعد معه مؤدية للغرض المطلوب من التأثير، والتأثر والفائدة، وبعض الخطباء يقحم في الخطبة مواضيع لا تتناسب مع موضوعها، وليس من الحكمة ذكرها في هذا المقام، وقد لا يفهمها غالب الحضور.

فيا أيها الخطباء، عودوا بالخطبة إلى الهدى النبوي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ركّزوا موضوعاتها على نصوص من القرآن والسنة التي تتناسب مع المقام، ضمّنها الوصية بتقوى الله والموعظة الحسنة، عالجوا بها أمراض مجتمعاتكم بأسلوب واضح مختصر، أكثروا فيها من قراءة القرآن العظيم الذي به حياة القلوب، ونور البصائر»^(١).

٤- وعلى الخطيب إعداد الخطبة مسبقاً، وإعادة النظر فيها حيناً بعد حين، ووعظ الخطيب نفسه بخطبته، فبعض الخطباء هداهم الله ينقل الخطبة من غيره دون تفهم وإدراك، وأعظم من ذلك من يقطع الورقة قبل الخطبة بوقت يسير من أي كتاب تيسر له، أو أي موقع من المواقع الإلكترونية.

٥- وعليه أن يختار العبارات الفصيحة الواضحة، التي يفهمها السامع، والجمل القصيرة التي يدرك فهمها.

(١) الملخص الفقهي (١/ ٢٦١)، للشيخ صالح الفوزان (بتصرف).

٦- أن يلقيها إلقاء مفصلاً، فيقف على معاني جمل الآيات، ويفصل بين الآية والحديث، وبين جملة وأخرى، فقد كان هدي النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة: أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ، وَقَالَتْ: لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ^(١).

٧- أن يبين ما يشكل من الكلمات، أو معاني النصوص التي يضطر إلى ذكرها.

٨- أن يضرب الأمثال المقربة للمعاني دون غلو، فإنه ينبغي أن تركز جميع الخطب على تعظيم الله وإجلاله، وذكر مبادئه، وحمده، وتمجيده، والثناء عليه، وبهذا أمر الله نبيه ﷺ في أول ما أنزل إليه، فقال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر].

٩- أما الموضوعات التي ينبغي للخطيب أن يحرص عليها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت؛ فإن هذا أمر لا يُحْصَلُ في القلب إيماناً بالله ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم

(١) برقم (٣٥٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٩٣).

يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويُبلي التراب أجسامهم، فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا؟ وأي توحيد، ومعرفة، وعلم نافع حصل به؟»^(١).

وكلام ابن القيم محمولاً على ذكر الموت مجرداً، أما ربطه بما أمر الله بفعله، أو تركه فهو أمر محمود، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ» يَعْنِي: الْمَوْتَ^(٢).

«ولذلك ينبغي للخطيب أن يعمل لإصلاح الأفراد، وإصلاح الأسر والبيوت، ثم يبحث في الإصلاح العام ويبدأ في كل ذلك بما بدأ الله به من تحقيق التوحيد وتثبيت الإيمان في القلوب، ثم يعظ الناس بترغيبهم في فعل الفرائض، وترك المناهي، والمحرمات، وبيان ذلك لا بيان الفقيه الذي يعدد الشروط، والأركان، والسنن، والمكروهات، بل بيان المرشد الذي يذكر صالح الأعمال، وما فيها من الفضائل، وما أُعِدَّ لها من الأجور، والأعمال السيئة وما يترتب عليها من العقوبات الدنيوية، والأخروية»^(٣).

وعلى الخطيب أن يتجنب توجيه الخطاب للسامعين حال ذكر ما يذم من الأمور، وعليه ألا يخاطبهم مخاطبة المدرّس لطلابه، والأفضل أن يقول لهم: إن كثيراً منكم يعرف هذا الأمر، وإنما أردت

(١) زاد المعاد (١/٤٠٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم (١٨٧٧).

(٣) مقتضب من كلام الشيخ علي الطنطاوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

التذكير، وعليه أن يجتنب الأحاديث الموضوعية، والضعيفة، والقصاص الخرافية، أو التي لم توثق، أو فيها غرابة، أو كذب، أو بترك ما لا يدركه عامة السامعين.

قال علي رضي الله عنه: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ (١).

وقال ابن مسعود: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ» (٢).

ومن أوجب ما يجب اجتنابه: ما يفعله بعض الخطباء من إلقاء الطُّرف المضحكة في الخطبة، ويخشى أن يكون هذا مفسداً لها.

وعليه أن يجتنب الموضوعات التي تدل على المنكر، والمواقف التي فيها إشاعة الفواحش، وإن ظن أن ذلك مؤثر في السامعين.

«وعليه أن يجتنب الحديث عن موضوعات كثيرة في خطبته، فبعض الخطباء يخوض في الخطبة الواحدة في كل شيء ينتقل من موضوع إلى موضوع، فلا يوفي موضوعاً منها حقه من البحث، فإذا جاءت الجمعة الثانية عاد إلى مثل ما كان منه في الجمعة الأولى، فتكون الخطب كلها متشابهة متماثلة، وكلها لا ثمرة لها، ولا يخرج السامع له بنتيجة عملية، ولو أن الخطيب اقتصر على موضوع واحد - جل أو دق، كبير أو صغر - فتكلم فيه ولم يجاوزه إلى غيره، لكان

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ العلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفقهوا.

(٢) مقدمة صحيح مسلم، في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (ص ٢٣).

لخطبته معنى، ولأخذ السامع منها عبرة، وحصل منها فائدة.

ومن ذلك: أن بعضهم يريد أن يصلح الدنيا كلها بخطبة واحدة، فلا يخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا يكلمهم على مقتضى أحوالهم، ولا يسير بهم في طريق الصلاح خطوة خطوة، بل يريد أن يبلغوا الكمال بقفزة واحدة»^(١).

وعلى الخطيب أن يجتنب التكلف في الإلقاء، والتشدد في الألفاظ، وخير الإلقاء ما كان طبيعياً لا تكلف فيه، والرسول ﷺ كره المتشدين وذمهم، وكذلك يتعد عن التمطيط، وتلحين الخطبة والترنم فيها. قال النووي: يستحب كون الخطبة فصيحة، بليغة، مرتبة، مبينة من غير تمطيط، ولا تعجير^(٢).

وقال البغوي: «ولا يمد الكلمات مدًّا يجاوز الحد، ويحترز عن التغني وتقطيع الكلام»^(٣).

«وعلى الخطيب أن يتذكَّر أنه يقوم مقام الرسول ﷺ، ويتكلم بلسان الشرع، وأن عليه أن يبين حكم الله فقط لا آراءه هو وخطرات ذهنه، ويحرص على رضا الله وحده لا على رضا الناس، ولا يتزلف إلى أحد، ولا يجعل الخطبة وسيلة إلى الدنيا وسبباً للقبول عند أهلها»^(٤).

وعليه أن يتعد عن الخلافات الفقهية، ويقتصر على المسائل

(١) فصول إسلامية، للشيخ علي الطنطاوي (ص ١٠١)، بتصرف.

(٢) المجموع (٤/٣٥٨). (٣) التهذيب (٢/٣٤٢).

(٤) فصول إسلامية، للشيخ علي الطنطاوي (ص ١٠٣)، بتصرف.

الواضحة بأدلتها الشرعية، ولا يخرج بالخطبة عن أصل موضوعها وهو الوعظ والتذكير، فإذا احتاج إلى ذكر حكم من أحكام الفقه بين الحكمة في ذلك التشريع.

تنبيهات:

١- «إن كان الخطيب لديه القدرة على الارتجال والتحدث بطلاقة دون التلعثم، واللحن في اللغة، وتكرار الكلام، والخروج عن الموضوع إلى موضوعات كثيرة، فلا شك أن الارتجال أفضل وأقوى تأثيراً في السامعين، وهو فعل النبي ﷺ وخلفائه ومن جاء من بعدهم؛ أما إن كان الأمر غير ذلك، فإن الإلقاء بالورق هو الأنفع حتى لا يزل الخطيب، أو يلحن، أو يخرج عن الموضوع»^(١).

٢- الأصل في خطبة الجمعة عدم التفات الخطيب يميناً وشمالاً. روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمِنْبَرِ اسْتَقْبَلَنَا بِوُجُوهِنَا^(٢). قال الشافعي: ولا أحب أن يلتفت يميناً ولا شمالاً لِيُسْمِعَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ، لَأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَا يَسْمَعُ أَحَدَ الشَّقِيَيْنِ إِذَا قَصَدَ بِوَجْهِهِ تَلْقَاءَهُ، فَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ نَاحِيَةَ يَسْمَعُ أَهْلِهَا، إِلَّا خَفِيَ كَلَامُهُ عَلَى النَّاحِيَةِ الَّتِي تَخَالَفَهَا، مَعَ سُوءِ الْأَدَبِ مِنَ التَّلْفِتِ^(٣).

(١) الشامل في فقه الخطيب، للشيخ سعود الشريم (ص ١٠٦ - ١٠٧).

(٢) برقم (٥٠٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/١٥٧) برقم (٤٢٠).

(٣) الشافعي في الأم (١/٣٣٤).

وقد ذكر ابن قدامة وغيره أن من سنن الخطبة أن يقصد الخطيب تلقاء وجهه، لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، ولأنه أبلغ في سماع الناس، وأعدل بينهم؛ فإنه لو التفت إلى أحد جانبيه، لأعرض عن الجانب الآخر^(١).

٣- الأصل في خطبة الجمعة عدم تحريك اليدين، فإن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ. قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ليس في السنة أن يحرك يديه، وإن كان بعض الخطباء بلغني أنهم يفعلون ذلك.. إلى أن قال: أما خطبة الجمعة فإن المغلب فيها التعبد، ولهذا أنكر الصحابة على بشر بن مروان حيث رفع يديه في الدعاء، مع أن الأصل في الدعاء رفع اليدين، فلا يشرع فيها إلا ما جاء عن النبي ﷺ»^(٢). «وبذلك يتضح أن الأصل في اليدين عدم الحركة بالنسبة لخطبة الجمعة، وأنه لا يشغلها أو يشغل إحداها إلا في الأمور التالية:

أ- أن يشير بالسبابة حال الدعاء، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك. فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ قَالَ: رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمُنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ، فَقَالَ: فَبَحَّ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ بِإِدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبَّحَةِ^(٣).

ب- أن يمسك العصا بإحدى اليدين على القول بسنيتها،

(٢) الشرح الممتع (٥/ ٨٥).

(١) المغني (٣/ ١٧٨).

(٣) برقم (٨٧٤).

ويمسك بالأخرى الورقة إن كان غير مرتجل، أو يممسك بحرف المنبر.

ج- إذا أراد الخطيب أن يمثل بيديه عن شيء ما، كما كان النبي ﷺ يفعل حينما قرن بين السبابة والوسطى في خطبته، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وفيه يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى (١)(٢).

٤- «على المصلين أن يعلموا أن سماع الخطبة ليس للبركة فقط، بل للاتعاظ بها والعمل بما يتعلمه منها، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٨٦٧).

(٢) الشامل في فقه الخطيب والخطبة (ص ٢٦٢ - ٢٦٣).

(٣) فصول إسلامية، للشيخ علي الطنطاوي (ص ١٠٥).

الكلمة الثالثة والعشرون

أحكام العقيقة وفضائلها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الأمور التي حث عليها الشرع ورغب فيها: العقيقة، وهي من حق الولد على والده، وفيها شكر لله على تجدد نعمته على الوالدين بولادة المولود، وتقرب إلى الله تعالى، وتصديق على الفقراء، وفداء للمولود.

والمراد بالعقيقة: ما يذبح أو ينحر من بهيمة الأنعام يوم السابع بنية العقيقة شكراً لله تعالى على نعمة الولد، وسميت عقيقة لأنها تقطع عروقها عند الذبح. قال النووي: «العقيقة: الشاة المذبوحة عن المولود يوم سابعه»^(١). وعند العامة تسمى العقيقة تميمة يقولون لأنها تتمم أخلاق المولود.

«فَقَدْ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ عَقَّ عَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ بِكَبْشَيْنِ كَبْشَيْنِ»^(٢)، وفعل ذلك صحابته الكرام فكانوا يذبحون

(١) تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي (ص ١٦٢).

(٢) سنن النسائي برقم (٤٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ٨٨٥)

عن أولادهم، وفعله التابعون»^(١). وذهب بعض أهل العلم إلى وجوبها، لما رواه أبو داود من حديث سمرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى»^(٢). قال الإمام أحمد معناه: «أنه محبوب عن الشفاعة لوالديه»^(٣). والرهن في اللغة: الحبس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر]. فظاهر الحديث أنه رهينة في نفسه، ممنوع محبوب عن خير يُراد به.

وقيل: المعنى أن العقيقة لازمة لا بد منها، فشبه لزومها للمولود بلزوم الرهن للمرهون في يد المرتهن»^(٤)، وهذا يؤيد القول بالوجوب. وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا لم يكن عنده ما يعق فاستقرض، أرجو أن يخلف الله عليه، فقد أحيا سنة، قال ابن المنذر: صدق أحمد، إحياء السنن واتباعها أفضل»^(٥). قال الشيخ عبد الله البسام: «والمهم أن مثل هذه التشبيهات تدل على تأكيد هذه الشعيرة، وأنه لا ينبغي إهمالها، فمن أحياها فقد أحيا سنة أمر بها ﷺ وعمل بها»^(٦).

وقال آخرون: إنها سنة مؤكدة، قال الإمام مالك: «الأمرُ

(١) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/٤٥٢).

(٢) برقم (٢٨٣٨)، والترمذي برقم ١٥٢٢ وقال: حديث حسن صحيح، وصححه

الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٥٤٧) برقم ٢٤٦٣.

(٣) زاد المعاد (٢/٢٩٧ - ٢٩٨).

(٤) زاد المعاد (٢/٢٩٧)، فتح الباري (٩/٥٠٨) بتصرف.

(٥) توضيح الأحكام، للشيخ عبد الله البسام (٦/٨٩ - ٩٠).

(٦) توضيح الأحكام، للشيخ عبد الله البسام (٦/٨٩ - ٩٠).

عِنْدَنَا فِي الْعَقِيْقَةِ: أَنَّ مَنْ عَقَّ فَإِنَّمَا يَعُقُّ عَنِّ وَلَدِهِ بِشَاةٍ شَاةٍ الذُّكُورِ
وَالْإِنَاثِ، وَلَيْسَتْ الْعَقِيْقَةُ بِوَاجِبَةٍ، وَلَكِنَّهَا يُسْتَحَبُّ الْعَمَلُ بِهَا، وَهِيَ
مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ النَّاسُ عِنْدَنَا» (١).

قال ابن القيم الجوزية: «فأما أهل الحديث قاطبةً وفقهاؤهم،
وجمهور أهل السنة فقالوا: هي من سنة رسول الله ﷺ، واحتجوا
على ذلك بما روى البخاري في صحيحه من حديث عمار
الضبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَعَ الْغُلَامِ عَقِيْقَةٌ، فَأَهْرِيْقُوا
عَنْهُ دَمًا، وَأَمِيْطُوا عَنْهُ الْأَذَى» (٢)(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه
أراه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ
فَلْيَنْسُكْ، عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ» (٤)، فقالوا:
«فهنا علق العقيقة بمحبة فاعلها، فقال من أحب أن ينسك، وهذا
يقضي عدم الوجوب لتفويضه إلى الاختيار فيكون قرينة صارفة
لأوامر عن الوجوب إلى الندب» (٥). وقالوا أيضًا: «لو كانت
واجبة لكان وجوبها معلومًا من الدين؛ لأن ذلك مما تدعو الحاجة
إليه، وتعم به البلوى، فكان رسول الله ﷺ يبين وجوبها للأمة بيانًا

(١) موطأ مالك ص ٣٢٠.

(٢) تحفة المودود، لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (ص ٦٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٤٧٢).

(٤) جزء من حديث برقم (٢٨٤٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٤٧/٢)

برقم ٢٤٦٧.

(٥) تحفة المودود (ص ٧٧)، ونيل الأوطار للشوكاني (١٣٢/٥).

عامًا كافيًا تقوم به الحجة، وينقطع معه العذر»^(١)، وينبغي للمؤمن أن يحرص عليها ويبادر إلى ذلك خروجًا من خلاف العلماء.

«والحكمة من العقيقة أنها مشروعة بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين، وفيها سر بديع موروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذُبح عنه، وفداه الله به، فصار سنة في أولاده بعده أن يفدي أحدهم عند ولادته بذبح عنه، ولا يستنكر أن يكون هذا حرزًا له من الشيطان بعد ولادته، كما كان ذكر اسم الله عند وضعه الرحم حرزًا له من ضرر الشيطان»^(٢). اهـ

ومقدار ما يذبح عن الذكر شاتان متقاربتان سنًا، وشبهًا، وعن الأنثى شاة واحدة، لحديث أمِّ كُرْزِ الكَعْبِيَّةِ رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ»^(٣). قال أبو داود: سمعت أحمد يقول: مكافئتان، أي: مستويتان أو مقاربتان.

«والحكمة في الفرق بين الذكر والأنثى في مقدار العقيقة أنها على النصف من أحكام الذكر، والنعمة على الوالد بالذكر أتم، والسرور والفرحة به أكمل، فكان الشكر عليه أكثر»^(٤).

«ووقت ذبح العقيقة: ينبغي أن يكون في اليوم السابع للحديث

(١) تحفة المودود (ص ١٠٦).

(٢) تحفة المودود (ص ٧٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٢٨٣٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٥٤٦/٢) برقم ٢٤٦٠.

(٤) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/٤٥٣).

السابق تذبح عنه يوم سابعة، فإذا ولد يوم السبت فتذبح يوم الجمعة، يعني قبل يوم الولادة بيوم هذه هي القاعدة، وإذا ولد يوم الخميس فهي يوم الأربعاء.. وهلم جرًّا»^(١).

«وقيل: الحكمة في ذلك أن الطفل حين يولد يكون أمره مترددًا بين السلامة والعطب ولا يُدرى هل هو من أصل الحياة أو لا؟ إلى أن تأتي عليه مدة يُستدل بها بشاهد من أحواله فيها على سلامة بنيته، وصحة خلقته، وأنه قابل للحياة، وجعل مقدار تلك المدة أيام الأسبوع، فإنه دور يومي كما أن السنة دور شهري»^(٢).

لكن إن خرج الطفل ميتًا قبل نفخ الروح فيه فلا عقيقة له، وإن خرج ميتًا بعد نفخ الروح فيه، فالراجح أنه يُعق عنه، لكن من لم يُعق عنه أبواه هل يعق عن نفسه إذا بلغ؟ قال الإمام البغوي: قال الحسن: إذا علمت أنه لم يُعق عنك فعق عن نفسك. وقال ابن سيرين: عقلت عن نفسي ببختية^(٣)^(٤) بعد أن كنت رجلًا. وقال الإمام أحمد: ذلك على الأب واستدل من قال: بأن الكبير يعق عن نفسه إذا لم يُعق عنه، بأن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد البعثة^(٥). قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فالأفضل أن يعق عن نفسه، إذا لم

(١) الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين (٤٩٣/٧).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٩٧) وما بعده.

(٣) الأثني من الجمال البخت، وهي جمال طوال الأعناق.

(٤) شرح السنة، للبغوي (٢٦٤/١١).

(٥) سنن البيهقي (٣٧٩/١٩) برقم (١٩٣٠٠). وقد اختلف العلماء في تصحيحه،

وتضعيفه. انظر: السلسلة الصحيحة، للشيخ الألباني برقم (٢٧٢٦).

يعق عنه والده، ولو كان كبيراً، هذا هو السنة»^(١).

«ويجزى في العقيقة ما يجزى في الأضحية من حيث السن، والصفة، فيختار السليمة من العيب، والأمراض، والكاملة في خلقتها، المناسبة في سنها وسمنها»^(٢).

قال ابن عبد البر: «ويتقي في العقيقة من العيوب ما يتقي في الضحايا ويسلك بها مسلك الضحايا يؤكل منها، ويتصدق، ويُهدى إلى الجيران»^(٣).

وأما هل يجوز العقيقة بغير الغنم من الإبل والبقر؟

«اختلف العلماء في ذلك، فقال جمهور أهل العلم: يجوز بغير الغنم من الإبل والبقر لقوله في الحديث: «أَهْرِيْقُوا عَنْهُ دَمًا»^(٤) ولم ينص على الغنم، وقال آخرون: بل يقتصر على الغنم لقوله ﷺ: «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ»^(٥). وأجيب عن ذلك بأن ما ورد محمول على قصد التخفيف، وقالوا: لا يخفى أن مجرد ذكر الشاة في الأحاديث لا ينفي أجزاء غيرها، والذي يرجح القول الأول، والله أعلم»^(٦).

واختلف أهل العلم: هل يصح تشريك العقيقة في البدنة والبقرة أم لا؟ على قولين:

(١) الدرر البازية، لابن باز (٥).

(٢) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/٤٥٥).

(٣) التمهيد (٢/٤٣١)، وتحفة المودود (ص ٨٧).

(٤) سبق تخريجه (٥) سبق تخريجه

(٦) أحكام العقيقة، للشيخ مازن بن محمد (ص ١٥٩ - ١٦٠).

القول الأول: تجزئ البدنة والبقرة عن سبعة، قياساً على جوازها في الهدى والأضاحي، وهو اختيار الشافعية. قال النووي: «ولو ذبح بقرة، أو بدنة عن سبعة أولاد، أو اشترك فيها جماعة، جاز، سواء كلهم أرادوا العقيقة، أو أراد بعضهم العقيقة، وبعضهم اللحم كما في الأضحية»^(١).

القول الثاني: لا تجزئ البدنة والبقرة إلا عن واحد، بخلاف الهدى والأضاحي، هو مذهب فقهاء المالكية والحنابلة. قال الشوكاني: ونص أحمد على أنه يشترط بدنة، أو بقرة كاملة، قال ابن القيم: «وهذا مما تخالف فيه العقيقة الهدى، والأضاحي، ثم قال: ولما كانت هذه الذبيحة جارية مجرى فداء المولود، كان المشروع فيه دمًا كاملاً لتكون نفس فداء عن نفس، وأيضاً لو صح الاشتراك لما حصل المقصود من إراقة الدم عن الولد، فإنه إراقة الدم عن واحد ويحصل لباقي الولد إخراج اللحم فقط، والمقصود نفس إراقة الدم عن الولد، وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه من منع الاشتراك في الهدى، والأضحية، ولكن سنة الرسول ﷺ أحق وأولى أن تُتبع، وهو الذي شرع الاشتراك في الهدايا، وشرع في العقيقة عن الغلام دمين مستقلين لا يقوم مقامهما جزور، ولا بقرة»^(٢).

ورجح هذا القول الشيخ ابن عثيمين^(٣) رَحِمَهُ اللهُ.

ويستحب أن يأكل منها، ويهدي، ويتصدق، أثلاثاً كالأضحية،

(١) المجموع شرح المذهب (٨/٤٢٩).

(٢) نيل الأوطار للشوكاني (٣/٢٣١)، وتحفة المودود ص ١٣٥.

(٣) انظر الشرح الممتع (٧/٤٢٩).

وأما حلق رأس الغلام الذكر، فإنه يكون في اليوم السابع، لقوله في الحديث: «تُدْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ»^(١). قال الخطابي: «ومن السنة حلق رأس المولود في اليوم السابع»^(٢).

وقال بعض أهل العلم: يوزن شعر المولود، ويتصدق بوزنه فضة، واستدلوا على ذلك بما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي رافع: أن النبي ﷺ قال لفاطمة لما ولدت الحسن: «أَحْلِقِي رَأْسَهُ، وَتَصَدَّقِي بِوِزْنِ شَعْرِهِ فَضَّةً عَلَى الْمَسَاكِينِ»^(٣).

ويُسَمَّى يوم سابعه للحديث السابق، وإن سَمَّاه في يوم ولادته فلا بأس، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس: أن النبي ﷺ دخل ذات يوم على أهله فقال: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ وَلَدٌ، سَمَّيْتُهُ إِبْرَاهِيمَ» فسمَّاه من حين ولادته^(٤).

وعليه أن يختار لابنه الاسم الحسن، فقد كَانَ ﷺ يُحِبُّ الإِسْمَ الْحَسَنَ^(٥) وَيَغَيِّرُ الْقَبِيحَ^(٦)، وهذا من حق الولد على والده. وأحب الأسماء إلى الله (عبد الله وعبد الرحمن)، وأصدقها همام

(١) سبق تخريجه.

(٢) معالم السنن للخطابي (٤/٢٦٥).

(٣) (٤٥/١٦٣) برقم (٢٧١٨٣)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل برقم (١١٧٥)، وضعفه آخرون.

(٤) برقم (٢٣١٥).

(٥) هذا معلوم بالاستقراء ذكره، ابن القيم في زاد المعاد (٢/٣٣٦).

(٦) سنن الترمذي برقم (٢٨٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٧٢) برقم ٢٢٧٥.

والحارث. روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا: حَارِثٌ، وَهَمَامٌ، وَأَقْبَحُهَا: حَرْبٌ، وَمُرَّةٌ»^(٢). ويحرم أن يسمه بالأسماء المعبدة لغير الله: كأن يسمي عبد الكعبة، وعبد النبي، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢١٣٢).

(٢) برقم (٤٩٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٣٥) برقم ٤١٤٠.

(٣) انظر: الهدي، والأضحية، والعقيقة، للشيخ عبد الإله الطيار.

الكلمة الرابعة والعشرون

أحكام الأضحية وفضائلها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من شعائر الإسلام العظيمة التي أمر الله بها، وحثَّ عليها النبي ﷺ الأضحية، وهي ما يذبح في يوم النحر، وأيام التشريق من الإبل، والبقر، والغنم تقرباً إلى الله تعالى، وسميت بذلك لأنها تذبح ضحى بعد صلاة العيد.

وشرعت الأضحية إحياء لسنة خليل الله إبراهيم ﷺ، إذ أوحى الله إليه أن يذبح ولده إسماعيل ثم فداه بكبش فذبحه بدلاً عنه، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧) [الصافات]. وشكراً لله على ما سخر لنا من بهيمة الأنعام، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣٦) لن ينال الله لحومها ولا ديماءها ولكن يناله التقوى منكم [الحج]. وأجمع المسلمون على مشروعيتها لقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]. فهي مشروعة في جميع الملل.

واختلف أهل العلم هل هي سنة أم واجبة؟

فذهب أهل القول الأول: إلى أنها سنة، واستدلوا على ذلك

بما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلْتَ الْعَشْرَ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ، فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا»^(١). وذلك لأنه قال: وأراد أحدكم أن يضحي، فجعله مفوضاً إلى إرادته، ولو كانت التضحية واجبة لم يذكر ذلك.

ومما استدلوا به أيضاً: أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحيان السنة والسنتين، مخافة أن يرى ذلك واجباً^(٢).

والقول الثاني: أن الأضحية واجبة وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن الإمام أحمد رحمهما الله، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، حيث قال: إن الظاهر وجوبها، وإن من قدر عليها فلم يفعل فهو آثم، لأن الله ﻻ ﻳﺤﺪﺙ ﺷﻲﺀاً ﻭﺃﻧﺸﺂ ﻟﻪ ﺷﻲﺀاً ذكرها مقرونة بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ ۚ ﴾ [الكوثر]، وفي قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام].

واستدلوا بأن النبي ﷺ داوم عليها وضحي عشر سنوات، وكان يظهرها على أنها شعيرة من شعائر الإسلام، حتى إنه يخرج بأضحيتها ويذبحها بالمصلّى.

قال الشيخ ابن عثيمين: «والقول بالوجوب أظهر من القول بعدم الوجوب لكن بشرط القدرة، وأما العاجز الذي ليس عنده إلا مؤنة أهله، أو المدين فإنه لا تلزمه الأضحية، بل إن كان عليه دين ينبغي له

(١) برقم (١٩٧٧).

(٢) الفقه الميسر (٤/١٢٠)، لمجموعة من المشايخ.

أن يبدأ بالدين قبل الأضحية»^(١). وينبغي للمؤمن أن يحرص عليها، ويبادر إلى ذلك خروجًا من خلاف العلماء.

والأضحية لها شروط، فمن ذلك:

١- أن تكون من بهيمة الأنعام وهي الإبل، والبقر، والغنم، لقول الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]. وأفضلها الإبل، ثم البقر، ثم الغنم، ويشمل الضأن والمعز، فإن أخرج بعيرًا كاملاً فهو أفضل من الشاة، وأما لو أخرج بعيرًا عن سبع شياه فالسبع الشياه أفضل من البعير.

٢- بلوغ السن المعتبرة شرعًا، لقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر: «لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً^(٢)، إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ»^(٣).

فالإبل خمس سنين، والبقر سنتان، والمعز سنة، والضأن ستة أشهر^(٤). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأمرهم أن يذبحوا الجذع من الضأن، والثني مما سواه وهي المسنة»^(٥).

٣- السلامة من العيوب المانعة من الإجزاء، فلا يجزي في

(١) الشرح الممتع (٧/٤٢٢ - ٤٢٣).

(٢) أي: ثنية. (٣) برقم (١٩٦٣).

(٤) ذهب بعض أهل العلم في تعريف الجذع إلى أنه ما بلغ من السن ستة أشهر فما فوق، وذهب آخرون إلى أنه العظيم السمين من غير تحديد سنٍّ معيَّنة.

(٥) زاد المعاد (٢/٣١٧).

الأضحية سوى السليمة من كل نقص في خلقها، فلا تجزي العوراء، ولا العرجاء، ولا العصباء، وهي مكسورة القرن من أصلها، أو مقطوعة الأذن من أصلها، ولا المريضة ولا العجفاء (وهي الهزيلة التي لا مخ فيها)، لقوله ﷺ: «أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِيِّ: الْعُورَاءُ بَيْنَ عَوْرَتَيْهَا، وَالْمَرِيضَةُ بَيْنَ مَرَضَتَيْهَا، وَالْعَرْجَاءُ بَيْنَ ظَلْعَيْهَا، وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تَنْقَى»^(١).
أي: لا مخ في عظامها، وهي الهزيلة العجفاء.

٤- أن تكون في وقت الذبح، وهو من صباح العيد بعد الصلاة إلى آخر أيام التشريق، فلا تجزئ قبل صلاة العيد، لقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: «مَنْ ضَحَّى قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر، فقال: «لَا يَذْبَحَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يُصَلِّيَ»^(٣)(٤).

الأحكام التي تتعلق بالأضحية:

أولاً: من دخلت عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي،

(١) سنن أبي داود برقم (٢٨٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٣٩/٢) برقم ٢٤٣١.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٩٦٢).

(٣) برقم (١٩٦١).

(٤) الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين (٤٢٤ - ٤٢٧).

فلا يأخذ من شعره وأظفاره حتى يضحى في وقت الأضحية، لما روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ، فَلْيُمْسِكْ عَن شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ»^(١). وقيل: الحكمة في النهي أن يبقى كامل الأجزاء ليعتق من النار، وقيل: التشبه بالمحرم.

ثانيًا: أفضلها ما كانت كبشًا أملح أقرن، وهو الوصف الذي استحبه الرسول صلى الله عليه وسلم وضحى به، كما أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَيْنِ^(٢). وفسر الأملح بأنه الأبيض الذي يخالطه سواد، كما جاء عند مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ^(٣). قال القاضي عياض: «معناه أن قوائمه، وبطنه، وما حول عينيه أسود.. والله أعلم»^(٤).

ثالثًا: تجزي الشاة عن واحد، أي: يضحى الإنسان بالشاة عن نفسه، وتجزى من حيث الثواب عنه، وعن أهل

(١) برقم ١٩٧٧.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩٦٦).

(٣) برقم (١٩٦٧).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٤١٨/٦).

بيته، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يُضَحِّي بِالشَّاةِ الْوَاحِدَةِ
عَنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ^(١). ولحديث أبي أيوب الأنصاري:
كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يُضَحِّي وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ،
فَيَأْكُلُونَ، وَيُطْعَمُونَ^(٢). والبدنة، والبقرة عن سبعة،
والدليل حديث جابر بن عبد الله قال: نَحَرْنَا فِي عَامِ
الْحُدَيْبِيَّةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقْرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ^(٣).

رابعاً: ما يستحب عند ذبحها: أن توجه إلى القبلة مع التسمية،
لما رواه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله:
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَبَحَ يَوْمَ الْعِيدِ كَبْشَيْنِ، ثُمَّ قَالَ حِينَ
وَجَّهَهُمَا: «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْأَوَّلِ الْمُسْلِمِينَ، بِاسْمِ اللَّهِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ»^(٤).
وفي صحيح مسلم أنه قال: «بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ
مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ»^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم ٧٢١٠.

(٢) سنن الترمذي برقم (١٥٠٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم برقم (١٣١٨).

(٤) (٢٦٧/٢٣) برقم (١٥٠٢٢)، وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين. وحسنه

الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٤/٣٥٠).

(٥) برقم (١٩٦٧).

فقوله حين وجهها، يعني: إلى القبلة، وهذا يدل على أن التوجيه سنة، وورد في فتوى اللجنة الدائمة: «ويستحب أن يتوجه الذابح إلى القبلة، ويوجه الذبيحة كذلك إلى القبلة لأنها أشرف الجهات، ولأن الاستقبال مستحب في القربات، إلا ما دَلَّ الدليل على خلافه، ويتأكد الاستحباب إذا كانت الذبيحة هدياً، أو أضحية»^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وأما ما يفعله بعض العامة عندنا يسميها في ليلة العيد، ويمسح ظهرها من ناحيتها إلى ذنبها، وربما يكرر ذلك، هذا عني، هذا عن أهل بيتي، هذا عن أمي.. وما أشبه ذلك، فهذا من البدع، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، وإنما كان يسمي من هي له عند الذبح»^(٢).

خامساً: صفة الذبح. روى البخاري ومسلم من حديث أنس:
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ، أَمْلَحَيْنِ، أَقْرَيْنِ، فَرَأَيْتُهُ
 وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا، قَالَ: وَسَمَّى وَكَبَّرَ^(٣).

قال ابن حجر: «وفيه استحباب التكبير مع التسمية، واستحباب وضع الرجل على صفحة عنق الأضحية الأيمن، واتفقوا على أن إضجاعها يكون على الجانب الأيسر فيضع رجله على الجانب الأيمن ليكون أسهل على الذابح في أخذ السكين باليمين، وإمساك رأسها بيده اليسار»^(٤).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٦٧) برقم (٢٠٧٨٦).

(٢) الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين (٧/٤٥٤ - ٤٥٥).

(٣) برقم (٥٥٦٤)، وصحيح مسلم برقم (١٩٦٦).

(٤) فتح الباري (١٠/١٨).

أما الإبل فتنحر قائمة معقولة يدها اليسرى، هذه هي السنة لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]. وجبت يعني سقطت على الأرض، وتكون اليسرى هي المعقولة لأن الذابح سوف يأتيها من الجهة اليمنى وسيمسك الحربة بيده اليمنى، وإذا نحرها فسوف تسقط على الجانب الأيسر الذي به اليد المعقولة^(١).

أما البقر فقد جاء في القرآن ذكر ذبحها، وفي السنة نحرها^(٢). قال القرطبي: «والذبح أولى في الغنم، والنحر أولى في الإبل، والتنحير في البقر، وقيل: الذبح أولى، لأنه الذي ذكره الله تعالى»^(٣).

والذبح يكون بقطع الأوداج^(٤)، والأوداج جمع ودج بفتح الدال المهملة والجيم وهو العرق الذي في الأخدع وهما عرقان متقابلان^(٥)^(٦).

وفي الحديث المخرج في الصحيحين من حديث رافع ابن خديج: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنَهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ فَكُلْ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ»^(٧) الحديث.

(١) الشرح الممتع (٧/ ٤٤٠ - ٤٤١).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٦٤٠ - ٦٤١).

(٣) المفهم للقرطبي (٥/ ٣٧٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب (٢٤).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٦٤٠).

(٦) الودج محرقة: عرق في العنق، القاموس المحيط (ص ٢٦٧).

(٧) صحيح البخاري (٢٤٨٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩٦٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: ففي هذا الحديث تصريح بأنه يشترط في الذكاة ما يقطع ويجري الدم، وقال ابن المنذر: أجمع العلماء على أنه إذا قطع الحلقوم والمريء، والودجين، وأسال الدم حصلت الذكاة، وقوله: (مَا أَنَهَرَ الدَّمَ) قال بعض العلماء: دليل على جواز ذبح المنحور، ونحر المذبوح، وقد جوزه العلماء كافة إلا داود»^(١).

ويجوز الذبح بغير السكين إن لم تيسر، إما بحجر ونحوه. روى البخاري في صحيحه من حديث مُعَاذِ بْنِ سَعْدٍ أَوْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ جَارِيَةَ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَانَتْ تَرَعَى غَنَمًا بِسَلْعٍ، فَأَصِيبَتْ شَاةٌ مِنْهَا، فَأَذْرَكَتْهَا فَذَبَحَتْهَا بِحَجَرٍ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقَالَ: «كُلُّوْهَا»^(٢).

وفي حديث: «مَا أَنَهَرَ الدَّمَ فَكُلْ» دليل على جواز الذبح بكل محدد يقطع إلا الظفر، والسن، وسائر العظام فيدخل في ذلك السيف، والسكين، والسنان والحجر، والخشب، والزجاج، والقصب، والخزف، والنحاس، وسائر الأشياء المحددة فكلها تحصل بها الذكاة إلا السن، والظفر، والعظام كلها»^(٣).

سادسًا: الإحسان حتى في الذبح: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأمر الناس إذا ذبحوا أن يحسنوا الذبح»^(٤). روى مسلم في

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٣/١٢٥ - ١٢٦).

(٢) برقم (٥٥٠٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٣/١٢٦).

(٤) زاد المعاد (٢/٢٩٥).

صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذَبِيحَتَهُ»^(١).

سابعاً: وقد دلت الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة على

أنه ينبغي أن يأكل من أضحيته، ويتصدق، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ (٢٨) [الحج]. فإن أهدى منها لجيرانه، وأقاربه، فهو أفضل، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُوا، وَادَّخِرُوا، وَتَصَدَّقُوا»^(٢). وفي رواية: «كُلُوا، وَأَطْعِمُوا، وَاحْبِسُوا، أَوْ ادَّخِرُوا»^(٣).

ثامناً: لا يُعطى الجزار أجره عمله من الأضحية، فقد روى

البخاري ومسلم من حديث علي رضي عنه قال: أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أَنْ أَقُومَ عَلَى الْبُذْنِ، وَلَا أُعْطِيَ عَلَيْهَا شَيْئًا فِي جِزَارَتِهَا^(٤). وفي رواية مسلم: «نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا»^(٥).

(٢) برقم (١٩٧١).

(١) برقم ١٩٥٥.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٩٧٣).

(٤) برقم (١٧١٦)، وصحيح مسلم برقم (١٣١٧).

(٥) برقم (١٣١٧).

قال العلماء: «إعطاء الجزار على سبيل الأجرة ممنوع لكونه معاوضة، قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: وأما إذا أُعطي أجرته كاملة، ثم تصدق عليه إذا كان فقيراً كما يتصدق على الفقراء، فلا بأس بذلك»^(١).

تاسعاً: يستحب أن يذبح أضحيته بنفسه. قال ابن قدامة: «وإن ذبحها بيده كان أفضل لأن النبي ﷺ ضحى بكبشين أقرنين أملحين ذبحهما بيده وسمّى وكبر، ولأن في فعله قربة وفعل القربة أولى من استنابته فيها، فإن استناب فيها جاز، لأن النبي ﷺ استناب من نحر ما بقي من بدنه بعد ثلاث وستين»^(٢).

تنبيه: هل الأضحية مشروعة عن الأموات أم عن الأحياء؟

«لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة أنهم ضحّوا عن الأموات استقلالاً، فإن رسول الله ﷺ مات له أولاد من بنين وبنات في حياته، ومات له زوجات وأقارب يحبهم، ولم يضحّ عن واحد منهم، فلم يضحّ عن عمه حمزة ولا عن زوجته خديجة ولا عن غيرهم من الأبناء والبنات، ولو كان هذا من الأمور المشروعة لبينه الرسول ﷺ في سنته قولاً أو فعلاً، وإنما يضحى الإنسان عنه وعن أهل بيته، وأما إدخال الميت تبعاً، فهذا قد يستدل له بأن النبي ﷺ ضحّى عنه وعن أهل بيته، وأهل بيته يشمل زوجاته اللاتي متن واللاتي على قيد الحياة، وكذلك ضحّى عن أمته وفيهم من هو ميت، وفيهم من لم يوجد»^(٣)، لكن الأضحية عنهم

(١) فتح الباري (٣/٥٥٦). (٢) المغني (١٣/٣٩٠ - ٣٩١).

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٣/١٣٣ - ١٣٤) برقم ١٤٨٣٧، وقال محققوه: صحيح لغيره.

استقلالاً ليس عليها دليل»^(١). فإن أوصى بشيء من ماله يُضحى عنه به فلا حرج.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين (٧/٤٢٣) باختصار.

الكلمة الخامسة والعشرون

فضائل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، فأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات لنا في الإكرام، والاحترام، والتوقير، والإعظام، وهذه فضيلة عظيمة لهن. قال تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد أجمع المسلمون على تحريم نكاحهن بعد موته صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب احترامهن، فهن أمهات المؤمنين في الحرمة، والتحريم، ولسن أمهات المؤمنين في المحرمية»^(١).

«فنحن نتولاهن بالنصرة والدفاع عنهن، واعتقاد أنهن أفضل أزواج أهل الأرض لأنهن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي

(١) منهاج السنة (٤/٢٠٧)، لابن تيمية باختصار.

وَعَدَّتْهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ [غافر]. فأثبت الزوجية لهن بعد دخول الجنة، وهذا
يدل على أن زوجة الإنسان في الدنيا تكون زوجته في الآخرة إذا كانت
من أهل الجنة»^(١).

روى الطبراني في الأوسط من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ
قال: «الْمَرْأَةُ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا»^(٢). وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله
عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ
الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ،
فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِهِ»^(٣). وفي رواية
الترمذي: «إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٤).

قال ابن كثير رحمه الله: «فإنهن - أي أزواج النبي ﷺ - في الجنة، في
منازل رسول الله ﷺ في أعلى عِلين، فوق منازل جميع الخلائق، في
الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش»^(٥).

وقال أيضاً: «ومن فضائلهن أن الله تعالى أمر رسوله أن يخير نساءه
بين أن يفارقهن فيذهب إلى غيره ممن يُحصَل لهن من عنده الحياة

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/٢٧٨).

(٢) (٢٧٥/٣) برقم (٣١٣٠)، وقواه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٢٧٥)
برقم ١٢٨١.

(٣) برقم (٥١٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٣٨).

(٤) برقم (٣٨٨٠).

(٥) تفسير ابن كثير (١١/١٥٠).

الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل فاخرن - ﷺ وأرضاهن - الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة»^(١). قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتَن تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَ كُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتَن تَرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب].

ومنها: ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَمَن يَقْنَتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهِنَّ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب]. فهن قنتن لله ورسوله وعملن صالحًا، فاستحققن الأجر مرتين. قال الزمخشري: «وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ، ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة، والجزاء يتبع الفعل، وإنما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله ﷺ بحسن الخلق، وطيب المعاشرة، والقناعة، وتوفرهن على عبادة الله، والتقوى»^(٢).

ومنها: ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿يَلْبَسْنَ النَّبِيَّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال مخاطبًا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن فإنهن لا يشبههن أحد من

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ١٤٥)

(٢) الكشاف (٥/ ٦٥)، بتصرف. قال في المصباح المنير (٢/ ٦٦٦): وتوفر على كذا: صرف همته إليه.

النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة»^(١).

ومنها: أن الله اختارهن لرسول الله ﷺ وحرّم نكاحهن بعده، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الأحزاب].

ومنها: أن الوحي ينزل في بيوتهن دون سائر الناس، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير: «ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَأَذْكُرَكُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. أي: اعملن بما نزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة بنت الصديق أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة، فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك ﷺ»^(٢).

وأفضل أزواجه ﷺ خديجة وعائشة - جميعاً - أما خديجة

(٢) تفسير ابن كثير (١١/ ١٦٠)

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ١٥٠)

فهي أول من آمن بالنبي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من آمن به باتفاق أهل الأرض أربعة، أول من آمن به من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد، وكان أنفع الجماعة في الدعوة باتفاق الناس أبو بكر ثم خديجة»^(١).

ومن فضائلها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»^(٢).

وأما عائشة فكانت أحب أزواجه إليه، وأعلمهن، وأعظمهن حرمة عند المسلمين. روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «فُضِّلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ، كَفُضِّلَ الثَّرِيدُ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(٣). وبين دلالة على فضلها بقوله: «كَفُضِّلَ الثَّرِيدُ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»، والثريد هو أفضل الأطعمة وهو خبز ولحم، قال الشاعر:

إِذَا مَا الْخُبْزُ تَأْدُمُهُ بِلَحْمٍ فَذَلِكَ أَمَانَةُ اللَّهِ الثَّرِيدُ

فإذا كان اللحم سيد الإدام، والبر سيد الأقوات، ومجموعهما

(١) منهاج السنة (١٥/٧).

(٢) برقم (٣٨٢٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٣٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٧٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٣١).

الشريد كان الشريد أفضل الطعام.

ومن زوجاته أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي عنها بالله.

ومن فضائلها: أنها وهبت يومها لعائشة لعلمها لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم الشديدة لها. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي عنها قالت: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَسَلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبُرَتْ جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ^(١).

ومنهن: أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشي العدوي رضي عنها وعن أبيها، ومن فضائلها: تعلمها القرآن، والكتابة. فقد روى أبو داود في سننه من حديث الشفاء بنت عبد الله قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ، فَقَالَ لِي: «أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقِيَةَ النَّمْلَةَ^(٢)، كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ»^(٣).

وقد روت الكثير من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان المصحف الذي اجتمع عليه المسلمون في عهد عثمان في بيتها، وقد اشتهرت

(١) برقم (٥٢١٢)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٣) واللفظ له.

(٢) النملة: قروح تخرج في الجنين، ويقال: إنها تخرج أيضاً في غير الجنين، وهو داء معروف، وسمي نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/١٢٠).

(٣) برقم (٣٨٨٧)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (ص ١٧٨).

بكثرة الصيام، فقد روى ابن سعد في الطبقات من حديث نافع قال: ما ماتت حفصة حتى ما تظفر^(١).

ومنهن أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، لم تلبث عند النبي ﷺ إلا أشهر يسيرة، ولذلك لم يصل إلينا من أخبارها إلا القليل، ومن فضائلها: أنها كانت تلقب بأم المساكين، قال ابن كثير: وذلك لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم، وإحسانها إليهم^(٢).

ومنهن أم سلمة هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة القرشية. ومن فضائلها: أنها هاجرت إلى الحبشة مع زوجها، وكذلك هجرتها الثانية إلى المدينة، وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وكانت فقيهة حافظة لأحاديث الرسول ﷺ، وقد نالت شرف صحبة النبي ﷺ في بعض مغازيه كغزوة المريسيع، وخيبر، وفتح مكة.

ولها موقف في غزوة الحديبية لا ينسى، فبعد الصلح الذي حصل بين النبي ﷺ وقريش، قال النبي ﷺ لأصحابه: «قُومُوا، فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَيَّ أُمُّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بَدْنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ: نَحَرَ

(١) الطبقات الكبرى (٨/ ٢٨٧)، وقال ابن حجر في الإصابة (١٣/ ٢٨٧): إسناده صحيح.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (٥/ ٥٨١).

بِدْنِهِ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا^(١).

ومنهن أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب، وهي ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكانت تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٢).

ومن فضائلها: أن الله ﷻ كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سماواته، وكانت أولاً عند زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ تبناه، فلما طلقها زيد زوجه الله تعالى إياها لتتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فالذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه خوفاً من لغط الناس عندما يجدون نظام التبني كما ألفوه قد انهار، عند ذلك نزل الوحي على الرسول ﷺ يحضه على إمضاء رغبة زيد في فراق امرأته ويكلفه بتزوجها^(٣)، ثم قال ﷺ في آخر الآية: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب].

ومنهن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن المصطلق، تزوجها النبي ﷺ وجعل عتقها صداقها.

ومن فضائلها: أنها كانت امرأة مباركة، ففي سنن أبي داود من

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٢١).

(٣) فقه السيرة (ص ٤٧٣ - ٤٧٤).

حديث عائشة قالت: فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها «أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِئَةٌ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ»^(١). وكانت كثيرة الصيام والذكر، ففي صحيح البخاري من حديث جويرية بنت الحارث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» قَالَتْ: لَا، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لَا، قَالَ: «فَأَفْطِرِي»^(٢).

ومنهن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

ومن فضائلها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَأَبْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ، وَإِنَّكَ تَحْتَ نَبِيٍّ»^(٣). وقد اشتهرت بالإنفاق والبذل، قال ابن كثير: «كانت من سيدات النساء عبادة، وورعاً، وزهادة، وبراً، وصدقة»^(٤).

ومنهن أم المؤمنين أم حبيبة رَمْلَةٌ بِنْتُ أَبِي سَفِيَانَ بْنِ صَخْرٍ بْنِ حَرْبِ الْأُمَوِيَّةِ الْقُرَشِيَّةِ، وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها. ومن فضائلها: هجرتها إلى الحبشة مع زوجها، وقد قال النبي ﷺ لأهل الهجرة إلى الحبشة: «لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»^(٥). وقد روت الكثير من الأحاديث عن النبي ﷺ. قال

(١) برقم ٣٩٣١، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٣٢٧.

(٢) برقم (١٩٨٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٨٩٤)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٤٤) برقم (٣٠٥٥).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١١/٢٢٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٨٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٠٢).

ابن كثير: «كانت أم حبيبة من سيدات أمهات المؤمنين، ومن العابدات الورعات»^(١).

ومنهن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وهي أخت زينب بنت خزيمة لأمها أم المؤمنين وأم المساكين.

ومن فضائلها: أنها روت الكثير من الأحاديث عن النبي ﷺ. قالت عائشة عنها: أما إنها كانت من أتقانا، وأوصلنا للرحم^(٢).

وكانت ميمونة آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ممن دخل بهن. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع، وكان يقسم منهن لثمان عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وحبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية، وأول نسائه لحوفاً به بعد وفاته زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتاً أم سلمة سنة اثنين وستين في خلافة يزيد»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية (١١/١٦٦) باختصار.

(٢) مستدرک الحاکم (٥/٤٢) برقم ٦٨٧٨، والطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١٣٨).

(٣) زاد المعاد (١/١١٠).

الكلمة السادسة والعشرون

سورة العلق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد]. ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم العظيمة والفوائد الجليلة: (سورة العلق)، وهي أول ما نزل من القرآن، فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه السلام بالرسالة وأمره أن يقرأ فامتنع وقال: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَرَأَ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى

(١) تفسير الشيخ السعدي (ص ٨٨٩).

خَدِجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ»، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق]» (١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فأول شيء نزل من القرآن الآيات الكريمة المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها تنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقته، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني، ولفظي، ورسمي، والرسمي يستلزمها من غير عكس، فلهذا قال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق]. وفي الحديث: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ»، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: «كِتَابَتُهُ» (٢)(٣).

قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ أي: من دم، والعلقة الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح، وخص الإنسان بالذكر تشريفًا له، وقيل: أراد أن يبين قدر نعمته عليه بأن خلقه من علقته مهينة حتى صار بشرًا سويًا،

(١) صحيح البخاري برقم (٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

(٢) مستدرک الحاكم (٣٠٣/١) برقم (٣٦٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٤١) برقم (٢٠٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٣٩٨).

وعاقلاً مميزاً^(١).

قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾^(٢)، أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود الذي من كرمه أن علّم بالقلم^(٢).

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾^(٤)، «يعني: علّم الإنسان الخط بالقلم، قال قتادة: القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقيم دين ولم يصلح عيش. فدل على كمال كرمه بِحُكْمِهِ بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو؛ وما دُوِّنَتِ الْعُلُومُ، وَلَا قِيَّدَتِ الْحِكْمُ، وَلَا صُبِطَتْ أَخْبَارُ الْأَوَّلِينَ وَمَقَالَاتِهِمْ، وَلَا كُتِبَ اللَّهُ الْمُنْزَلَةُ إِلَّا بِالْكِتَابَةِ، وَلَوْلَا هِيَ مَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا»^(٣).

روى أبو داود في سننه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٤).

قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٥)، فإنه تعالى أخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع، والبصر، والفؤاد ويسر له أسباب العلم، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

(١) تفسير القرطبي (٢٢ / ٣٧٧).

(٢) تفسير الشيخ السعدي ص ٨٨٩.

(٣) تفسير القرطبي (٢٢ / ٣٧٧).

(٤) برقم (٤٧٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٩٣٣).

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَّةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

قوله: ﴿كَلَّا﴾، أي: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان أن ينعم عليه ربه بتسويته خلقه، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وإنعامه بما لا كفاء له، ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك ويطغى.

قوله تعالى: ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَبَ﴾ ﴿٧٧﴾، «فالإنسان - لجهله وظلمه - إذا رأى نفسه غنياً طغى وبغى وتجبر عن الهدى، ونسي أن إلى ربه الرجعى، ولم يخف الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان»^(١)، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ ﴿٨﴾ أي المصير والمرجع وسيحاسبك على ما فعلت.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ ﴿١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾، نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعْفِرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَاتَىٰ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَّأَ رَقَبَتَهُ، قَالَ: فَمَا فَجِحْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقْبِيهِ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ ﴿١﴾، إلى قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص ٨٨٩).

وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ ، يعني: أبا جهل ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ﴿١٤﴾ ، إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١﴾ .

وفي رواية عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَسْتُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، لَا تَبِيْنَهُ حَتَّىٰ أَطَأَ عَلَيَّ عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَيَانًا» ﴿٢﴾ .

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُدَيِّ﴾ ﴿١١﴾ ، أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله ﴿أَوْ أَمْرًا بِالنَّقْوَىٰ﴾ ﴿١٢﴾ بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ﴿١٤﴾ ، أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه، ويسمع كلامه، وسيجزيه على فعله أتم الجزاء؟!

«ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ﴿١٥﴾ ، أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد، ﴿لَنَسْفَعًا﴾ ﴿١٥﴾ أي: لنأخذن، بالناصية: وهي شعر مقدم الرأس، وقد يعبر بها عن جملة الإنسان، كما يقال هذه ناصية مباركة إشارة إلى جميع الإنسان، وخصَّ الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله وإهانته أخذوا بناصيته، وهل المراد الأخذ بالناصية في الدنيا أو في الآخرة يجز بناصيته إلى النار؟ يحتمل هذا وهذا، وقد أخذ بناصيته في يوم بدر حين قُتِلَ مع من قُتِلَ من المشركين ويحتمل أن يكون يؤخذ بناصيته يوم القيامة فيقذف في النار، كما قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾

(١) برقم (٢٧٩٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/٩٨ - ٩٩) برقم (٢٢٢٥)، وقال محققوه: صحيح.

فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ [الرحمن]. وإذا كانت الآية تحتل معنيين لا ينافي أحدهما الآخر، فالواجب الأخذ بالمعنيين جميعاً^(١).

قوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾، يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها.

قوله تعالى: ﴿ فليدع ناديه ﴾ ﴿١٧﴾، أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله ليعينوه على ما نزل به، وكان أبو جهل معظمًا في قريش، وله نادٍ يجتمع الناس إليه فيه ويتكلمون في شؤونهم، فهنا يقول الله ﷻ: إن كان صادقًا فليدع ناديه، وهذا تحدُّ له. روى الترمذي في سننه وابن جرير في تفسيره من حديث ابن عباس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ وَتَوَعَّدَهُ، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْتَهَرَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَّا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ فليدع ناديه ﴾ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴿١٨﴾، قال ابن عباس: لَو دَعَا نَادِيَهُ، أَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ^(٢).

قوله: ﴿ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴾ ﴿١٨﴾، يعني: عندنا من هم أعظم من نادي هذا الرجل وهم الزبانية ملائكة النار، وقد وصفهم الله بأنهم غلاظ شداد،

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٦٨).
 (٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٤٩)، وابن جرير في تفسيره (١٠/٨٧١٦) برقم (٣٧٥٦٤) واللفظ له. وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٣٢) برقم ٢٦٦٨.

فقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم]. وقيل: إنهم أعظم الملائكة خلقاً، وأشدهم بطشاً، والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه، قال الشاعر:

مَطَاعِيْمٌ فِي الْقَصْوَى مَطَاعِيْنُ فِي الْوَعَى
زَبَانِيَّةٌ غُلِبُ^(١) عِظَامٌ حُلُوْمُهَا

فسندع الزبانية حتى يعلم من يغلب: أحزبنا أم حزبه؟ وهذه حالة الناهي وما تُوعد به من العقوبة، وأما حالة المنهي فأمره الله أن لا يصغي إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنتيجه، فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾، يعني: يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت ولا تباله، فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس.

«قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [١١] منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات، والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه، وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وعبث به وآذاه»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أنه قال: سَجَدَ

(١) الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة، وهم يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها. اللسان (غلب).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٨٨٩). (٣) برقم (٤٨٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ وَ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴿١﴾﴾.

هذه السورة (العلق) سورة عظيمة، ابتدأها الله تعالى بما منَّ به على رسوله ﷺ من الوحي، ثم اختتمها بالسجود والاقتراب من الله ﷻ.

وقد اشتملت هذه السورة على فوائد كثيرة، لعل الله ييسر بيانها في كلمة مستقلة، ومن أعظمها: اشتمالها على الأمور الثلاثة التي بمعرفتها يستقيم حال العبد في دنياه وأخراه، وهي:

١- مما خُلق.

٢- لما خُلق.

٣- إلى أين مصيره.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا القيام بطاعته، والقرب منه، وأن يجعلنا من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين، إنه على كل شيء قدير (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٥٧٨).

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٧١).

الكلمة السابعة والعشرون

شرح حديث: اعدد ستا بين يدي الساعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِرِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» (١)(٢).

في هذا الحديث إخبار من النبي ﷺ - وهو الصادق المصدوق - عن حوادث تقع بعده، وقد وقع بعضها، وسيقع الباقي قطعاً وهي في هذا الحديث ستة أمور:

أولها: موت النبي ﷺ، وقد كان ذلك من أعظم المصائب التي ابتلي بها المسلمون، ولن يُبتلوا بمصيبة أعظم من وفاته. روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك قال: لَمَّا كَانَ

(١) برقم ٣١٧٦.

(٢) جملة العدد تسع مئة وستون ألف مقاتل.

اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ، حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمَّ أَيْمَنَ، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ! فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا (٢).

وروى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ» (٣).

ثانيها: فتح بيت المقدس، ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم فتح بيت المقدس سنة (١٦هـ)، كما ذكر ذلك أئمة السير، فقد ذهب عمر بنفسه وصالح أهلها، وفتحها وطهرها من اليهود والنصارى، وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس.

(١) برقم (٣٦١٨)، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٢) برقم ٢٤٥٤.

(٣) (٥٣/١) برقم ٨٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٤٧.

ثالثها: موت يصيب الأمة كقصاص^(١) الغنم، قال ابن حجر: «يُقال إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس^(٢) في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس^(٣)، ففي سنة (١٨هـ) وقع طاعون عمواس في بلاد الشام فمات فيه خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم، ومن غيرهم، قيل عدد من مات فيه خمسة وعشرون ألفاً من المسلمين»^(٤).

رابعها: استفاضة المال حتى يُعطي الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً: وقد تحقق كثير مما أخبرنا به الصادق عليه السلام فكثر المال في عهد الصحابة بسبب ما وقع من الفتوح، واقتسموا أموال الفرس» والروم، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان الرجل يعرض المال للصدقة فلا يجد من يقبله.

ويكثر المال في آخر الزمان كما جاء في الحديث الآخر المخرج في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهَمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ»^(٥).

قال ابن حجر رضي الله عنه: «وهذا إشارة إلى ما سيقع في زمن عيسى ابن

(١) قُصاص: بالضم، داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة. النهاية في غريب الحديث (٤/٨٨)، وفتح الباري (٦/٢٧٨).

(٢) عمواس: بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة، على طريق بيت المقدس. معجم البلدان (٤/١٥٧).

(٣) فتح الباري (٦/٢٧٨).

(٤) البداية والنهاية (٧/٩٤).

(٥) برقم ٧١٢١ مختصراً.

مريم، فيكون في هذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال: الأولى: إلى كثرة المال فقط، وقد كان ذلك في زمن الصحابة. الحالة الثانية: الإشارة إلى فيضه من الكثرة بحيث أن يحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره، وكان ذلك في آخر عصر الصحابة وأول عصر من بعدهم، ومن ثم قيل: (يهم رب المال)، وذلك ينطبق على ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز. الحالة الثالثة: فيه الإشارة إلى فيضه وحصول الاستغناء لكل أحد، حتى يهتم صاحب المال بكونه لا يجد من يقبل صدقته، ويزداد بأنه يعرضه على غيره ولو كان ممن لا يستحق الصدقة، فيأبى أخذه فيقول: لا حاجة لي فيه، وهذا في زمن عيسى عليه السلام. ويحتمل أن يكون هذا الأخير عند خروج النار، واشتغال الناس بأمر الحشر، فلا يلتفت أحد حينئذ إلى المال، بل يقصد أن يتخفف ما استطاع»^(١).

خامسها: فتنة لا تدع بيتاً من العرب إلا دخلته، أما تخصيص العرب هنا فلأن الخطاب خطاب إخبار يخص المخاطبين، وليس خطاب أحكام يعم الأمة كلها، وعلى هذا أكثر أحاديث الفتن، إلا ما جاء النص بوقوعه خارج جزيرة العرب، وهذه الفتنة تقع قبل الملحمة الكبرى.

سادسها: قوله ﷺ: «ثُمَّ هُدْنَةُ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ»، أما بنو الأصفر فهم الروم، والخطاب يخص المخاطبين وهم العرب، ولعل هذه الهدنة المذكورة هنا أنها الصلح المذكور في حديث ذي مخبر الآتي، وقد جاء تفصيلها وبيان القدر الذي يقع

(١) فتح الباري (١٣/٨٧ - ٨٨).

بعدها، وما يتبع ذلك من قيام الملحمة الكبرى في جملة أحداث أجملها هنا على وجه التقريب، فأقول وبالله أستعين، والعلم كله لديه: يصلح العرب المسلمون الروم، ثم ينشأ عدوًا مشتركًا بينهما فيجتمع الطرفان على قتاله فيتصرون عليه، وفي نشوة النصر يقوم قائم من الروم ويرفع راية الصليب زاعمًا أن انتصارهم به، فينتبه بعض المسلمين الذين كانوا يقاتلون، ويغضب من هذه الدعوى الشركية فيكسر الصليب، ويعلن أن النصر من الله وحده، فيقوم النصارى إلى كاسر الصليب فيقتلونه، فتقع بعد ذلك مناوشة بين النصارى والفرق المسلمة القريبة منهم، فيقتلهم النصارى، وحينئذ يقع الخلاف بين العرب المسلمين والنصارى، فيذهب النصارى فيجتمعون في الأعماق، وهو سهل فسيح يقع بالقرب من حلب، وفي أثناء استعداد الروم لجمع ذلك الجيش يقوم خليفة صالح للمسلمين ولعله المهدي لإعداد جيش قوامه سبعون ألف هم خير جيش على وجه الأرض، ويخرج ذلك الجيش من المدينة النبوية فيصطدم بجيش الروم، وبعد قتال عظيم وعمليات فدائية ينتصر عليهم، فيسير ذلك الخليفة بجيشه المنتصر حتى يفتح القسطنطينية، وروما التي تسمى اليوم الفاتيكان، بعد ذلك يُشاع فيهم أن الدجال خلفكم، فيعودون إلى دمشق معقل الإسلام، فبينما هم محصورون إذ جاءهم الفرج بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيأتي المسلمين المجاهدين فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، ويصلي معهم خلف

إمامهم، وبعدها ينطلق عَلَيْهِ السَّلَامُ لقتل الدجال فيدركه وقد هرب منه إلى باب لد^(١)، فيقتله هناك ويقتل المسلمون أتباعه اليهود ويعينهم الحجر، والشجر حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، وإليك الأحاديث فتأمل:

١- روى أبو داود في سننه من حديث جبير بن نفير عن الهدنة قال: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلَقُ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهُدْنَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَرْجِعُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجِ ذِي ثُلُولٍ^(٢)؛ فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ»^(٣).

٢- روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن

(١) باب لد: هو باب من أبواب مدينة القدس يتجه نحو مدينة الد، أو أن يكون المقصود أن يقتل في مدينة لد بالقرب من المطار الرئيس لليهود.

(٢) بمرج ذي ثلول: مرج وهو الموضع الذي ترعى فيه الدواب، وفي النهاية: أرض واسعة ذات نبات كثير (وذي ثلول) بضم التاء، جمع تل وبفتحها وهو موضع مرتفع، قال الفاري: وقال السندي: كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل. عون المعبود (٢٦٩/١١).

(٣) برقم (٤٢٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٨٠٩/٣) برقم

العاص رضي عنه الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تقوم الساعة والرؤم أكثر الناس» (١).

٣- روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الرؤم بالأعماق أو بدابق» (٢)، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الرؤم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلوهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية؛ فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فنزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته» (٣).

٤- روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه الله:

(١) (٥٤٩/٢٩) برقم (١٠٨٢٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الصحيح.

(٢) موضعان بالشام بالقرب من حلب.

(٣) برقم (٢٨٩٧).

قال: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا (وَنَحَاهَا نَحْوَ الشَّامِ)، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ^(١)، قُلْتُ: الرُّومُ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةً شَدِيدَةً، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ^(٢)، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ؛ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ^(٣) بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ^(٤)، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ: لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلَهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتًا، فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِّ كَانُوا مِئَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلَ الْوَاحِدَ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟

(١) أي: للحرب والقتال وهذا إنما يكون بعد غدر الروم المشار إليه في الحديث السابق.

(٢) الشرطة بضم الشين: أول طائفة من الجيش يشهد الواقعة ويتقدم.

(٣) أي: تقدموا إليهم ونهضوا.

(٤) الدبرة، أي: الدولة والظفر والنصرة، وتفتح الباء وتسكن، ويقال: على من الدبرة

أيضًا، أي: الهزيمة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (٢/٩٨).

أَوْ أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسِ
هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ
فِي ذَرَارِيهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ
عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ
أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ
فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى
ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»^(١).

قال ابن المنير: «أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن، ولا بلغنا
أنهم غزوا في البر في هذا العدد، فهي من الأمور التي لم تقع بعد، وفيه
بشارة ونذارة، وذلك أنه دلَّ على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك
الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما
هو عليه»^(٢). قال المهلب: «وفيه أن الغدر من أشراط الساعة»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٨٩٩).

(٢) فتح الباري (٦/٢٧٨).

(٣) المصدر السابق (٦/٢٧٩).

الكلمة الثامنة والعشرون

الإمامة: حقوق وواجبات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) [الفرقان]. قال ابن عباس والحسن وغيرهم: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أئمة يقتدى بنا في الخير^(١).

وقال تعالى عن خليل الله إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤) [البقرة]، أي: جعلناك للناس إماماً يأتون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون^(٢).

والإمامة وظيفة الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) [السجدة]. والحديث في هذه الكلمة سيكون عن الإمامة الصغرى، وهي إمامة الناس في الصلاة، فلا شك أن الإمامة لها واجبات، وحقوق، وصفات، فإمامة الناس في الصلاة مرتبة عالية، وشرف عظيم.

وقد وردت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بفضلها

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٣٤).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٦٧).

ومكانتها، فمن ذلك: ما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الإمام ضامنٌ، والمؤذن مؤتمنٌ، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين»^(١).

وقد ذكر الفقهاء - رحمهم الله - أن للإمام صفات لا بد من توفرها، فمن ذلك: أن يكون رجلاً عدلاً، فقيهاً، سليم اللفظ من نقص أو لتغ، فإن كان صبيّاً، أو عبداً، أو فاسقاً، صحت إمامته، وقد أمر رسول الله ﷺ عمرو بن سلمة أن يصلي بقومه، وكان صغيراً، لأنه كان أقرأهم^(٢).

ولا يجوز أن يكون الإمام امرأة، ولا خنثى، ولا أخرس، ولا ألتغ، وأقل ما على الإمام من القراءة، والفقهاء، أن يكون حافظاً لأم القرآن - الفاتحة - وما تيسر من القرآن، عالمًا بأحكام الصلاة لأنه القدر المستحق فيها، وأولى الجماعة بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله تعالى، ثم أفقههم في دين الله، ثم الأكثر تقوى، ثم الأكبر سنًا لقوله ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ^(٣) لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةَ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا»^(٤). وفي رواية: مكان «سِلْمًا»، «سِنًّا»^(٥).

ما لم يكن الرجل سلطاناً أو صاحب منزل، فيكون أولى

(١) سنن أبي داود برقم (٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٠١). (٣) أي: أكثرهم قرأنا وحفظاً وجمعاً له.

(٤) أي: إسلامًا. (٥) صحيح مسلم برقم (٦٧٣).

من غيره بالإمامة لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُؤْمَنُ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ، وَلَا فِي سُلْطَانِهِ»^(١).

«ومن الصفات التي يستحب توفرها في الإمام، ولا سيما إن كان هو الخطيب: أن يكون عالمًا بالعقائد الصحيحة وأمور الإيمان حتى لا يزيغ ويضلل الناس، وعلى علم ومعرفة بالأحكام الفقهية كي يصحح العبادات، ويجيب عن أسئلة المأمومين، عارفاً باللغة العربية كي يؤلف الكلام البليغ والموعظة الحسنة، وأن يكون نبياً فطناً، وجيهاً، تهابه القلوب، وتجله العيون، صالحاً، تقياً، مهذباً، ورعاً، قنوعاً، زاهداً، غير مجاهر بمعصية، يفعل ما يقول، فذلك أدعى إلى قبول الموعظة منه والإرشاد»^(٢)؛ وألاً يأخذ أجراً على إمامته، ولا يقصد به الرزق الذي يؤخذ من بيت المال، ويحسن إلى جماعة مسجده قدر المستطاع، ويتفقد أحوالهم، ويجتهد في التأليف بينهم.

ومن واجبات الإمام ومسؤولياته: أن يتحرى إتمام الصلاة وعدم إنقاص شيء منها. روى ابن ماجه في سننه من حديث عقبه بن عامر: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ، فَالصَّلَاةُ لَهُ وَلَهُمْ، وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهِمْ»^(٣).

وليحرص أن تكون صلاته مثل صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كان أخف الناس صلاة في تمام. روى البخاري ومسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) صحيح مسلم برقم (٦٧٣).

(٢) المسجد في الإسلام، لخير الدين وانلي (ص ٩٤) بتصرف.

(٣) برقم (٩٨٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٦٢) برقم (٨٢٠).

قال: «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ، أَخَفَّ صَلَاةً، وَلَا أَتَمَّ صَلَاةً، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (١).

فلا يطيل الصلاة فيتجاوز بذلك صلاة النبي ﷺ، ولا يجعلها كنفر الديك، بل يطمئن في صلاته ويعتدل فيها، ويرتل القرآن ترتيباً حسناً، ويقف على رؤوس الآي فلا يصلها بما بعدها، ويحسن صوته بالقرآن، ولا يتعمر، ولا يجعله غناء، أو يتكلف في قراءته؛ ويحرص على التنوع في قراءته فلا يقتصر على سور معينة، بل كلما حرص على أسماعهم أكبر عدد من السور فهو أفضل، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٤٥) [ق].

ومنها: أن يحرص على إقامة الصفوف وتسويتها، كما كان نبينا محمد ﷺ يفعل ذلك. ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» (٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا إِذَا قُمْنَا لِلصَّلَاةِ، فَإِذَا اسْتَوَيْنَا كَبَّرَ» (٣).

ومنها: تعليم الناس العلم الشرعي وخصوصاً التوحيد والإسلام، والإيمان، وأمور الدين العظام كالولاء والبراء، ونواقض الإسلام،

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٤٦٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٢٣)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٣).

(٣) برقم (٦٦٥)، وأصله في صحيح مسلم برقم (٤٣٦).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك أمور العبادة كأحكام الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما يحتاجونه في معاملاتهم، ونكاحهم، كما عليه الحرص على حلق تحفيظ القرآن الكريم والرقي بها إلى أفضل حال.. وغيرها، فإن حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب. روى البخاري في صحيحه من حديث عثمان رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (١).

ومنها: تفقد الفقراء، والمرضى، والمتهاونين بالصلاة، وخاصة صلاة الفجر، ومساعدة من يحتاج منهم إلى زيارة، أو نصح، فإن لذلك الأثر الكبير في قلوبهم. وفي الحديث: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (٢).

ومنها: الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطهير الحي من المنكرات الظاهرة، والتعاون مع جماعة المسجد على ذلك.

ومنها: الحرص على استضافة العلماء والدعاة لإلقاء الدروس والمحاضرات، والكلمات، ففي ذلك إحياء للمساجد، وتذكير وتعليم للمصلين، وهو من أعظم أنواع عمارته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة].

ومنها: المواظبة على الإمامة في الصلوات كلها، وعدم توكيل

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٧). (٢) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

الغير إلا عند الحاجة إلى ذلك، وإذا احتاج إلى التوكيل فلا يوكل إلا من كان أهلاً لذلك، وعليه مراعاة أحوال الناس؛ فإن بكر إلى الصلاة واجتمعوا، بادر بالصلاة، وإلا انتظر.

سُئلت اللجنة الدائمة، يقول السائل: إننا أئمة ومؤذنو مساجد تهامة قحطان، نبتعد عن المساجد التي نقوم بها لصعوبة أرضنا، ولبعد إسكاننا عن المساجد، وإذا تركنا القيام بها فلا يوجد من يقوم بها غيرنا، فنسأل عن المكافأة التي نحصل عليها ونحن لا نواظب عليها كل فرض، هل علينا فيها إثم أم لا؟ أمل من الله ثم منكم إفتاءنا.

الجواب: «لا يجوز للإنسان أن يتولى الأذان، أو الإمامة، أو غيرها من شؤون المساجد، أو أي عمل آخر وهو لا يقوم بالعمل، ولا يحل له الراتب الذي يدفع في مقابل ذلك، وعليه أن يترك العمل لمن يقوم به على الوجه المطلوب. وبالله التوفيق»^(١).

ومنها: العناية بالمسجد، وما يحتاجه من صيانة ونظافة، وما أشبه ذلك، وأن يتعاون الإمام والمؤذن في خدمة بيت الله.

وأما حقوق الإمام فإن مكانته كبيرة، وحقوقه كثيرة، إذا كان مؤدياً لواجباته، ولذلك ينبغي احترامه وتقديره، وإعانتة على تحمل أمانة المسجد ومسؤولياته، وكذلك استشارته بما يحصل في الحي من أحداث وطرق علاجها، ونصحه عند تقصيره في واجبات الإمامة لقول النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟

(١) فتاوى اللجنة الدائمة برقم (١٩٨٦٥).

قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(١).
 ويكون ذلك بالرفق وسراً. روى مسلم في صحيحه من حديث
 عائشة: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا
 يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢). قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي أَنْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
 فَإِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ
 وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلَا تَجْزَعُ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ

وينبغي إحسان الظن به، وعدم تتبع زلاته وعثراته، أو غيبته في
 المجالس، بل إن ذكر فيذكر بخير ويدعى له، قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

(١) صحيح مسلم برقم (٥٥).

العزلة والاختلاط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص من الكتاب والسنة تحث على مخالطة الناس لتعليمهم الخير ودعوتهم إليه، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والصبر عليهم، كما وردت النصوص تحث على اعتزالهم، وترك مخالطتهم.

ولذا اختلف العلماء أيهما أفضل: العزلة أم الاختلاط؟

استدل أصحاب القول الأول بما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَمَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ، يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(١).

وبما رواه الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٨).

(٢) برقم (٢٤٠٦)، وقال: هذا حديث حسن.

وبالحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حذيفة بن اليمان: أن النبي ﷺ قال له في آخر الحديث: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

وبما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ عِنَّمَا يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٢). وقال عمر: خذوا بحظكم من العزلة. وقال سعد بن أبي وقاص: لوددت أن بيني وبين الناس باباً من حديد، لا يكلمني أحد ولا أكلمه، حتى ألقى الله سبحانه^(٣).. وغيرها من الأدلة.

واستدل أصحاب القول الثاني بقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]. فقد كان ﷺ يخالط الناس في أسواقهم، ويأمرهم، وينهاهم، ويأكل معهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

روى الترمذي وابن ماجه في سننهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى آذَانِهِمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٧).

(٢) برقم (٧٠٨٨).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٤٢).

أَذَاهُمْ»^(١). كما استدلوا بما أوجه الله على المسلمين من حضور الجمع والجماعات، وعبادة مرضاهم، وتشجيع جنازتهم، وإجابة دعوتهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ولا يتحقق ذلك إلا بمخالطتهم والصواب هو التفصيل في ذلك: فمن آتاه الله العلم والقوة، واستطاع القيام بحق المخالطة من تعليم العلم، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلامة من الفتن، فالاختلاط في حق هذا أفضل؛ ومن لم يكن قادرًا على ذلك ويخشى الفتنة في دينه، فالعزلة في حقه أولى، والأول أفضل من الثاني كما جاء النص بذلك في الحديث المتقدم أنه ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». ولي هنا تنبيهان: الأول: أن بعضًا ممن ينتسب إلى الدعوة ويزعم أنه من أهلها، يخالطون الناس ويسايرونهم على ما هم عليه، بل يداهنونهم ويسمونهم مجاملة، أو سياسة الدعوة، ويستدلون على ذلك بهذا الحديث؛ والحديث نص في الرد عليهم، فإن فيه تعرضهم للأذى، ولا يكون ذلك إلا بسبب الأمر والنهي والصدع بالحق، وتحقيق الولاء والبراء، ولذا أمروا بالصبر على ذلك؛ أما هؤلاء المخالطون فإن حقيقة أمرهم سياسة معاشهم والحفاظ على وجاهتهم، والابتعاد عن مواطن الأذى في ذات الله، ولو كان ذلك على حساب دينهم، ودعوة إبراهيم ﷺ

(١) سنن الترمذي برقم ٢٥٠٧، وابن ماجه رقم ٤٠٣٢ واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٦/٢) برقم (٢٠٣٥).

الذي هو قدوة نبينا محمد ﷺ وقدوتنا، غير ما يذهب إليه هؤلاء، فإن دعوته مبنية على أمرين: الأول: تحقيق التوحيد والشهادة لله بالوحدانية المطلقة، مع التعظيم والإجلال والمحبة له بِحَبْلٍ وَجَلِيلٍ، والكفر بكل ما يعبد من دونه. الأمر الثاني: تحقيق الموالاة والمعاداة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولم تكن دعوة النبي ﷺ غايتها جمع الناس على حق أو باطل، بل كان ﷺ فرق بين الناس، وهذا ما فهمه أصحاب النبي ﷺ وعملوا به، فعندما جاء الأنصار لمبايعته في العقبة، قال لهم أسعد بن زرارة: يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم^(١) جبينة، فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا له: أمط عنا يدك يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسليها^(٢) أبداً^(٣).

(١) وفي رواية: خيفة.

(٢) وفي رواية: لا نستقيلها.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٢/٣٤٨) برقم ١٤٤٥٦، وقال محققوه: إسناده على شرط

وقد جاء في حديث الشفاعة: أن المؤمنين يقولون لربهم يوم القيامة: «يَا رَبَّنَا! فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ»^(١).

التنبه الثاني: قد يضطر المسلم الحريص على سلامة دينه إلى حال وسط بين الاختلاط المطلق والعزلة التامة، فيقتصر من الشرائع على فرائضها كحضور الجمع والجماعات، ومن الأحوال على الضروري منها، كتحصيل القوت لنفسه ومن يلزمه؛ ثم اعلموا أيها الدعاة إلى الله! أن الاختلاف بينكم ليس في نشر الخير بين عامة الناس، وتحذيرهم من الشر، وإنما الخلاف في بيان الموقف الحق من أصحاب الشوكة والنفوذ، الذين يقفون في طريق الدعوة ويحاربون الحق وأهله، ويسلكون في ذلك طرق التلبيس والنفاق، تارة بالإغراء والترغيب، وتارات بالقوة والتهديد.

ثم اعلموا أن الغاية من دعوة النبي ﷺ أمران: أحدهما: إقامة دولة الإسلام، وثانيهما: بيان الحق للناس كافة، وقد تحقق ذلك له ﷺ ولأصحابه على أكمل الوجوه وأتمها، ويزيد آخر الزمان أمر ثالث، وهو طلب النجاة من الفتن، وتفصيل كل ما تقدم له مكان آخر، وإلى بيان بعض فوائد العزلة والاختلاط:

«الفائدة الأولى: الفراغ للعبادة، والاستئناس بمنجاة الله سبحانه، فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إلى ذلك.

(١) صحيح مسلم برقم ١٨٣.

الفائدة الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبًا بالمخالطة وهي أربعة:

١- الغيبة: فإن عادة الناس الخوض بالأعراض والتفكه بها، فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى، وإن سكتَ كنت شريكًا في الإثم.

٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من خالط الناس لم يخلُ عن مشاهدة المنكرات، فإن سكت عصي الله، وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر، وفي العزلة سلامة من هذا.

٣- الرياء: وهو الداء العضال الذي يعسر الأضرار منه، وأول ما في مخالطة الناس إظهار التشوق إليهم، ولا يخلو ذلك عن الكذب، إما في الأصل، وإما في الزيادة. وقد كان السلف يحترزون في جواب قول السائل: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ كما قال بعضهم، وقد قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، ونتنظر آجالنا.

واعلم أنه إذا كان سؤال السائل لأخيه: كيف أصبحت؟ لا يبعثه عليه شفقة ولا محبة، كان تكلفًا ورياء، وربما سأله وفي القلب ضغن وحقد يورث أن يعلم فساد حاله، وفي العزلة الخلاص عن هذا؛ لأنه من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم، مقتوه واستثقلوه واغتابوه، ويذهب دينهم فيه، ويذهب دينه وديناه في الانتقام منهم.

٤- مسارقة الطبع من أخلاقهم الرديئة، وهو داء دفين قلما ينتبه له العقلاء فضلًا عن الغافلين، وذلك أنه قلَّ أن يجالس الإنسان

فاسقاً مرة، مع كونه منكرًا عليه في باطنه، إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته، لوجد فرقاً في النفور عن الفساد، لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هيناً على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه.

الفائدة الثالثة: الخلاص من الفتن والخصومات، وصيانة الدين عن الخوض فيها، فإنه كلما تخلو البلاد من العصبية، والخصومات، والمعتزل عنهم سليم. روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمرو رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن ووصفها وقال: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ^(١)، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي؟ فَقَالَ: «الزَّمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»^(٢).

الفائدة الرابعة: الخلاص من شر الناس، فإنهم يؤذونك مرة بالغبية، ومرة بالنميمة، ومرة بسوء الظن، ومرة بالأطماع الكاذبة، ومن خالط الناس لم ينفك من حاسد، وعدو، وغير ذلك من أنواع الشر التي يلقاها الإنسان من معارفه، وفي العزلة خلاص من ذلك، كما قال بعضهم:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

وقال عمر رضي عنه: في العزلة راحة من خلطاء السوء. وقال رجل

(١) أي: اضطربت وقل الوفاء بها.

(٢) سنن أبي داود برقم ٤٣٤٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٥.

لأخيه: أصحبك إلى الحج، فقال: دعنا نعيش في ستر الله، فإننا نخاف أن يرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه. وهذه فائدة أخرى في العزلة، وهي بقاء الستر على الدين والمروءة، وسائر العورات.

الفائدة الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك، وطمعك عنهم، أما طمعهم، فإن رضاهم غاية لا تدرك، فالمنقطع عنهم قاطع لطمعهم في حضور ولائهم وإملاكاتهم. وأما انقطاع الطمع، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا تحرك حرصه، وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر المطامع فيتأذى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]. وفي الحديث: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»^(١).

الفائدة السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء الحمقى، ومقاساة أخلاقهم، وإذا تأذى الإنسان بالثقلاء، لم يلبث أن يغتابهم، فإن آذوه بالقدح فيه كفأهم، فانجر الأمر إلى فساد الدين، وفي العزلة سلامة من ذلك.

أما فوائد المخالطة:

الفائدة الأولى: التعلم والتعليم، وهو من أعظم الأعمال والقربات، فإن حاجة الناس إلى العلم الشرعي، أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب. وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتُ،

(١) صحيح البخاري رقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» (١).

الفائدة الثانية: النفع والانتفاع، أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة، والمحتاج إلى ذلك مضطر إلى ترك العزلة، وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله، أو ببدنه لقضاء حوائجهم، ومن قدر على ذلك فهو أفضل من العزلة.

الفائدة الثالثة: التأديب والتأدب، والمراد الارتياض بمقاساة الناس، والمجاهدة في تحمل أذاهم وكسر النفس، وقهر الشهوة؛ وذلك أفضل من العزلة في حق من لم تتهدب أخلاقه، وأما التأديب فهو أن يؤدب غيره.

الفائدة الرابعة: الاستئناس والإيناس، وقد يكون مستحباً كالأستئناس بأهل التقوى، وقد يقصد به ترويح القلوب من كرب الوحدة، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين.

الفائدة الخامسة: في نيل الثواب وإنالته، أما الأول: فبحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وحضور الزواجات والدعوات، ففيها ثواب من جهة إدخال السرور على المؤمن. أما الثاني: فهو أن يفتح بابه للناس ليعزوه، أو يهنئوه، أو يعودوه، فإنهم بذلك ينالون ثواباً.

الفائدة السادسة: التواضع، ولا يقدر على ذلك في الوحدة، فقد يكون الكبر سبباً في اختياره العزلة، ويمنعه في المحافل

(١) سنن الترمذي برقم ٢٦٨٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

التقصير في إكرامه وتقديمه، وربما ترفع عن مخالطتهم لارتفاع محله عند نفسه، أو نحو ذلك»^(١).

فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها؟ إما نزاعاً كلياً، وإما حالياً، فحقيقة الأمر أن الخلطة تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة وجماع ذلك: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستقساء، ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار، والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجاراً، وإن كان في تلك الجماعات فجاراً، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيماناً إما لانتماعه به، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكره ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذا يحتاج فيها إلى انفراد بنفسه، إما في بيته، كما قال طاووس: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره، ولسانه، وإما في غير بيته.

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة باختصار (ص ١٤١ - ١٥٠).

فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا، وهذا وما هو الأصلاح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثلاثون

صلاة الاستسقاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإنه لا حياة للعالم على وجه الأرض إلا بالماء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وبدونه هلاك العالم، وانعدام الحياة، وطلبه من الله تعالى القادر على منحه ومنعه هو الاستسقاء، وكما أن في منعه ونقصه هلاكهم، فكذلك في زيادته، والله هو الذي يقدره لمصالح عباده، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]. وقد شرع الاستسقاء لهذا ولهذا، وهو سنة الماضين واللاحقين، فالقلوب السليمة، والفطرة المستقيمة، تعلم أنه لا غنى لها عن الله، تستغيث به، فيغيثها، ويكشف ضرها، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: ٦٠].

«وشرع النبي ﷺ لأُمَّته الاستسقاء عند حصول الجذب، وتأخر نزول المطر عن وقته، واستسقى النبي ﷺ على وجوه متعددة.

الوجه الأول: يوم الجمعة على المنبر في أثناء خطبته، وقال: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٣) ورقم (١٠١٤)، وصحيح مسلم برقم (١٩٧).

قال ابن حزم: «إن قحط الناس أو اشتد المطر حتى يؤذي الناس، فليدعُ المسلمون في أدبار صلواتهم، وسجودهم، وعلى كل حال، ويدعو الإمام في خطبة الجمعة»^(١).

الوجه الثاني: أنه وعد الناس يوماً يخرجون فيه إلى المصلى، فخرج لما طلعت الشمس متواضعاً، متبذلاً، متخشعاً، مترسلاً، متضرعاً^(٢)، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنِ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ». ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطِيهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ (أَوْ: حَوَّلَ) رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً، فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَأَلَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ، ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٣).

(١) المحلي (٩٣/٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (١١٦٥)، والترمذي برقم (٥٥٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (١١٧٣)، وقال أبو داود: وهذا حديث غريب إسناده جيد، وحسنه الشيخ

الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٧/١) برقم (١٠٤٠).

الوجه الثالث: أنه ﷺ استسقى على منبر المدينة استسقاء مجرداً في غير يوم جمعة، ولم يحفظ عنه ﷺ في هذا الاستسقاء صلاة^(١).

الوجه الرابع: أنه ﷺ استسقى وهو جالس في المسجد فرفع يديه ودعا الله ﷻ، وحفظ من دعائه حينئذ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا^(٢)، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ»، قَالَ: فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ^(٣).

الوجه الخامس: أنه ﷺ استسقى عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء^(٤)، وهي خارج باب المسجد الذي يدعى اليوم باب السلام نحو قذفة حجر ينعطف عن يمين الخارج من المسجد^(٥).

الوجه السادس: أنه ﷺ استسقى في بعض غزواته لما سبقه المشركون إلى الماء، فأصاب المسلمين العطش فشكوا إلى رسول الله ﷺ، وقال بعض المنافقين: لو كان نبياً لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أَوْ قَدْ

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٢٦٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢١٣) - (٢١٤) برقم ١٠٤٨.

(٢) مريئاً: أي: ذا مراعاة وخصب، يقال: أمرعت البلاد إذا أخضبت ويروى: مربعاً بالباء، أي: منبتاً للربيع.

(٣) سنن أبي داود برقم (١١٦٩)، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٢١٦/١) برقم ١٠٣٦.

(٤) هي إحدى صحاري المدينة، أحجار الزيت هي حجارة شديدة السواد، لها بريق، وقد دخلت هذه الأماكن في المدينة الآن. صحيح سنن أبي داود (٢١٦/١).

(٥) سنن أبي داود برقم (١١٦٨)، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٢١٦/١) برقم ١٠٣٥.

قَالُوهَا؟ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُسْقِيَكُمْ» ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى أظلم السحاب، وأمطروا، فأفعم السيل الوادي فشرب الناس فارتووا، وحفظ من دعائه في الاستسقاء: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَاَنْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»^(١).

ولما كثر المطر سألوه الاستسقاء؟ فاستصحى لهم، وقال: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْأَكَامِ^(٢) وَالْجِبَالِ وَالظَّرَابِ^(٣)، وَبُطُونِ الْأُودِيَةِ وَمَنَايِبِ الشَّجَرِ^(٤)»^(٥).

وصفة صلاة الاستسقاء الوارد ذكرها في الوجه الثاني، كصلاة العيد في عدد الركعات، والجهر بالقراءة، وفي التكبيرات الزوائد في الركعة الأولى، والثانية قبل القراءة، ومن غير أذان ولا إقامة البتة. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مُبْتَدِلًا مُتَوَاضِعًا، مُتَضَرِّعًا، حَتَّى أَتَى الْمُصَلَّى، فَلَمْ يَخْطُبْ خُطْبَتَكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّكْبِيرِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدَيْنِ»^(٦).

قال ابن قدامة: «وإذا أراد الإمام الخروج لصلاة الاستسقاء فإنه

(١) سنن أبي داود برقم (١١٧٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٨/١) برقم ١٠٤٣.

(٢) الأكام: وهي دون الجبل وأعلى من الراية.

(٣) وهي الجبل المنبسط ليس بالعلي.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٠١٤)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٧).

(٥) زاد المعاد، لابن القيم (٤٣٩/١ - ٤٤٤).

(٦) برقم (٥٥٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

ينبغي أن يتقدم ذلك تذكير الناس بما يلين قلوبهم من ذكر ثواب الله وعقابه، ويأمرهم بالتوبة من المعاصي، والخروج من المظالم، والصيام، والصدقة، وترك التشاحن، لأن المعاصي سبب لمنع القطر من السماء، وانقطاع البركات، والتوبة، والاستغفار، والطاعة سبب لإجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف]. ويأمرهم بالصدقة على الفقراء، والمساكين، لأن ذلك سبب للرحمة ثم يعين لهم يوماً يخرجون فيه ليتهيؤوا ويستعدوا لهذه المناسبة، ثم يخرجون إلى المصلى.

وينبغي ألا يتأخر أحد من المسلمين يستطيع الخروج، حتى الصبيان والنساء اللاتي لا تُخشى الفتنة بخروجهن، ولا يستحب إخراج البهائم، لأن النبي ﷺ لم يفعله، وليس لصلاة الاستسقاء وقت معين، إلا أنها لا تفعل في وقت النهي بغير خلاف، لأن وقتها متسع، فلا حاجة إلى فعلها وقت النهي، والأولى فعلها وقت العيد، لما روت عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، ولأنها تشبهها في الموضع، والصفة، فكذلك في الوقت إلا أن وقتها لا يفوت بزوال الشمس لأنها ليس لها يوم معين فلا يكون لها وقت معين^(١).

«ويكثر في خطبة الاستسقاء من الاستغفار، وقراءة الآيات التي فيها الأمر به لأن ذلك سبب لنزول الغيث»^(٢)، ويكثر من

(١) المغني، لابن قدامة (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

(٢) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/ ٢٨٩).

الدعاء بطلب الغيث من الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

والسنة أن تكون الخطبة قبل الصلاة لما روى البخاري في صحيحه من حديث عباد بن تميم عن عمه قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي، فَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو، وَحَوْلَ رِدَاءِهِ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ»^(١).

وفي رواية ابن خزيمة عن عباد بن تميم قال: قال عبد الله بن زيد: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، فَخَطَبَ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَدَعَا، وَاسْتَسْقَى، وَحَوْلَ رِدَاءِهِ وَصَلَّى بِهِمْ»^(٢)، ولما رواه أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه قالت: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ»... وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ^(٣).

وكان النبي ﷺ يرفع يديه في دعاء الاستسقاء ويبالغ في ذلك حتى يرى بياض إبطيه، وكان من شدة هذا الرفع ترى ظهور كفيه إلى السماء، وهذا والله أعلم هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْقَى، فَأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ^(٤).

(١) برقم (١٠٢٤)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٤) بدون الجهر بالقراءة.

(٢) صحيح ابن خزيمة (٣٣٢/٢) برقم ١٤٠٦.

(٣) تقدم تخريجه. (٤) برقم ٨٩٦.

وليس معنى ذلك أنه يقلب يديه في دعاء الاستسقاء، وكان ﷺ إذا دعا ورفع يديه، رفع الناس أيديهم معه يدعون، ومعنى يدعون، أي: يؤمنون على دعائه إذا جهر بالدعاء، وإن أسرَّ دعا كل لنفسه، وينبغي للداعي إذا دعا أن يدعو بما كان يدعو به النبي ﷺ، فذلك أفضل الدعاء، وأجمعه لكل خير في الدنيا والآخرة.

ويسنُّ أن يستقبل القبلة في آخر الدعاء، ويحوّل رداءه، قال ابن حجر: «محل هذا التحويل بعد فراغ الموعظة وإرادة الدعاء»^(١).

وصفة قلب الرداء أن يجعل ما على اليمين على اليسار، وما على اليسار على اليمين، أو أن يقلبه ظهرًا لبطن، لما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة وفيه: ثُمَّ قَلَبَ رِدَاءَهُ، فَجَعَلَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ، وَالْأَيْسَرَ عَلَى الْأَيْمَنِ^(٢)، ولما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن زيد: تَحَوَّلَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ، فَقَلَبَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَتَحَوَّلَ النَّاسُ مَعَهُ^(٣).

وفي زماننا هذا قل لبس الأردنية، بل كاد أن يكون معدومًا، وحل مكانه (البشت، أو المشلح، أو الفروة)، أما الغترة أو الشماع فقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن الشماع هل يكون بديلاً للرداء؟ فأجاب بقوله: «لا ليس بديلاً له وربما الفروة، أو المشلح نعم لأن الشماع أقرب ما

(١) فتح الباري (٣/٢٠٨).

(٢) (٧٣/١٤) برقم (٨٣٢٧)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) (٣٨٨/٢٦) برقم (١٦٤٦٥)، وقال محققوه: حديث صحيح دون قوله: «وتحول

الناس معه»، فهو حسن.

يكون للعمامة فلا يدخل في الحديث»^(١).

أما قلب الرداء للمؤمنين، فقد قال ابن حجر: «واستحب الجمهور أن يحول الناس بتحويل الإمام، ويشهد له ما رواه أحمد في مسنده من حديث عباد بلفظ: وَحَوَّلَ النَّاسَ مَعَهُ^(٢)، واستثنى ابن الماجشون النساء فقال: لا يستحب في حقهن»^(٣).

وقيل: الحكمة في ذلك التفاؤل بتحويل الحال عما هي: من الشدة إلى الرخاء، ونزول الغيث.. والله أعلم.

وإذا طلب الإمام أو عامة الناس ممن ظهر صلاحه وتقواه أن يدعو لهم في الاستسقاء جاز. روى البخاري في صحيحه من حديث عمر قال: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيَسْقُونَ^(٤).

وفي رواية: فَقَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: قُمْ فَاسْتَسْقِ وَادْعُ رَبَّكَ^(٥).

وروي أن معاوية خرج يستسقى، فلما جلس على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فقام يزيد، فدعاه معاوية، فأجلسه عند رجله ثم قال: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الله تعالى، فثارت في الغرب سحابة مثل

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٦ / ٣٦٠).

(٢) سبق تخريجه. (٣) فتح الباري (٣ / ١٨٧).

(٤) برقم (١٠١٠).

(٥) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٢٦ / ٣٥٧).

الترس، وهب لها ريح فسقوا حتى كادوا لا يلقون منازلهم^(١).
ثم إن سقى الله المسلمين، وإلا أعادوا الاستسقاء حتى يفرج الله
لهم بالغيث.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المغني، لابن قدامة (٣/٣٤٦ - ٣٤٧).

الكلمة الواحدة والثلاثون

المسح على الخفين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من رحمة الله بعباده ولطفه بهم أن يسّر عليهم أمور دينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ومن ذلك: ما شرع لهم من المسح على الخفين^(١) والجوربين^(٢) تسهيلاً وتحقيقاً عليهم من مشقة البرد، والسفر.. وغير ذلك.

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة متواترة عن جمع من الصحابة في مسحه ﷺ في الحضر، والسفر وأمره بذلك، وترخيصه فيه، قال الحسن: «حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين»^(٣).

قال الإمام أحمد: «ليس في نفسي من المسح شيء، فيه أربعون حديثاً عن النبي ﷺ»^(٤)، ونقل ابن المنذر وغيره إجماع العلماء على جوازه^(٥)، واتفق عليه أهل السنة والجماعة، بخلاف المبتدعة الذين لا يرون جوازه.

(١) المقصود بالخفاف: ما يلبس على الرجلين من جلد ونحوه.

(٢) المقصود بالجوارب: ما يلبس على الرجلين من قطن ونحوه، وما يعرف بالشراب.

(٣) المغني، لابن قدامة (١/٣٥٩). (٤) المغني، لابن قدامة (١/٣٥٩).

(٥) الإجماع، لابن المنذر (ص ٥).

«والمسح عليهما هو السنة التي جاءت عن رسول الله ﷺ، فمن كان لابسا لهما فالمسح عليهما أفضل من خلعهما لغسل الرجل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. فإن قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فيها قراءتان سبعيتان صحيحتان عن رسول الله ﷺ.

إحدهما: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفًا على قوله: ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، فتكون الرجلان مغسولتين، والثانية: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالجر عطفًا على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، فتكون الرجلان ممسوحتين. والذي بين أن الرجل تكون ممسوحة أو مغسولة هي السنة، فكان الرسول ﷺ إذا كانت رجلاه مكشوفتين يغسلهما، وإذا كانتا مستورتين بالخفاف يمسح عليهما^(١).

ومن الأحاديث الواردة في ذلك: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عروة بن المغيرة عن أبيه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزَعِ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام بن الحارث قال: رَأَيْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَسُئِلَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ صَنَعَ

(١) فتاوى في المسح على الخفين، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٣ - ٢٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤).

مِثْلَ هَذَا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَكَانَ يُعْجِبُهُمْ لِأَنَّ جَرِيرًا كَانَ مِنْ آخِرِ مَنْ أَسْلَمَ (١)(٢).

قال الناظم:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
وَرُؤْيَا شَفَاعَةَ وَالْحَوْضِ وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذَا بَعْضُ

وأما المسح على الجوربين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث المغيرة بن شعبة رضي عنه قال: تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَمَسَحَ عَلَى الْجَوْرَبَيْنِ (٣) وَالنَّعْلَيْنِ، قَالَ يَحْيَى الْبَكَّاءُ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: الْمَسْحُ عَلَى الْجَوْرَبَيْنِ كَالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ (٤).

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة عن أنس: أَنَّهُ كَانَ يَمَسْحُ عَلَى الْجَوْرَبَيْنِ مِثْلَ الْخُفَّيْنِ (٥).

وذكر ابن حزم عددًا كبيرًا من السلف قالوا بالمسح على الجوربين منهم: ابن عمر، وعطاء، وإبراهيم النخعي.. وغيرهم، وأورد عددًا من

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٢).

(٢) وفي صحيح مسلم قال إبراهيم: كان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة، وفيها آية الوضوء التي تفيد وجوب غسل الرجلين. وفي صحيح سنن النسائي (١١٤): كان إسلام جرير قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بيسير.

(٣) سنن أبي داود برقم (١٥٩)، وصححه الألباني في الإرواء برقم (١٠١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١/١٩٠) برقم (٢٠٠٦)، وصححه الألباني في تحقيقه لرسالة المسح على الخفين، للشيخ جمال الدين القاسمي ص ٥٤.

(٥) برقم ٧٧٩، وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لرسالة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ص ٥٤.

الآثار المتعلقة بذلك^(١). أحكام المسح على الخفين:

(١) مدة المسح على الخفين:

الراجح من أقوال أهل العلم: أن مدة مسح المقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن، لما روى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه قال: «جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ»^(٢).

واختلف أهل العلم في ابتداء مدة المسح: هل هي من أول مسح بعد الحدث؟ أم تبدأ من أول حدث بعد اللبس؟ فذهب جمهور أهل العلم على أن ابتداء المدة من أول حدث بعد اللبس، وقال آخرون: من أول مسح بعد الحدث. قال النووي: «وقال الأوزاعي، وأبو ثور: ابتداء المدة من حين يمسح بعد الحدث، وهو رواية عن أحمد وداود وهو المختار الراجح دليلاً، واختاره ابن المنذر وحكى نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه»^(٣) اهـ. روى عبد الرزاق في المصنف من حديث أبي عثمان النهدي قال: حضرت سعداً وابن عمر يختصمان إلى عمر في المسح على الخفين، فقال عمر: يمسح عليهما إلى مثل ساعته من يومه وليلته^(٤).

(١) قال الشيخ الألباني في تعليقه على رسالة الشيخ القاسمي المسح على الخفين (ص ٥٤): هذه الآثار أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (٧٤٥، ٧٧٣، ٧٧٩، ٧٨١ - ٧٨٢)، وابن أبي شيبة في المصنف، وكثير من أسانيدنا صحيح عنهم، وبعضها له أكثر من طريق واحد.

(٢) برقم (٢٧٦).

(٣) المجموع (١/ ٤٧٠).

(٤) (١/ ٢٠٩، ٨٠٧)، وقال الألباني: وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال الألباني: «وهو صريح في أن المسح يبتدىء من ساعة إجرائه على الخف إلى مثلها من اليوم واللييلة، وهو ظاهر كل الآثار المروية عن الصحابة في مدة المسح فيما علمنا»^(١).

«فلو فرضنا أن شخصًا تطهر لصلاة الفجر يوم الثلاثاء، وبقي على طهارته حتى صلى العشاء من ليلة الأربعاء، ونام ثم قام لصلاة الفجر يوم الأربعاء، ومسح في الساعة الخامسة صباحًا؛ فإن ابتداء المدة يكون من الساعة الخامسة من صباح يوم الأربعاء، إلى الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس، فلو قدر أنه مسح يوم الخميس قبل تمام الساعة الخامسة، فإن له أن يصلي الفجر أي فجر يوم الخميس بهذا المسح، ويصلي ما شاء أيضًا ما دام على طهارته، لأن الوضوء لا ينتقض إذا تمت المدة، على القول الراجح من أقوال أهل العلم»^(٢).

وقد اختلف أهل العلم: هل انتهاء مدة المسح ينقض الوضوء؟ على أقوال أشهرها قولان في مذهب الشافعية:

الأول: يجب استئناف الوضوء، الثاني: يكفي غسل القدمين، الثالث: لا شيء عليه، بل طهارته صحيحة يصلي بها ما لم يحدث^(٣).

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا القول الذي لا يجوز غيره، لأنه ليس في شيء من الأخبار أن الطهارة تنتقض عن أعضاء الوضوء ولا عن بعضها بانقضاء وقت المسح، وإنما نهى ﷺ عن أن يمسخ

(١) كتاب تمام النصح في أحكام المسح، للألباني ص ٩٢.

(٢) بحوث وفتاوى في المسح على الخفين، للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٨ - ٢٩).

(٣) تمام النصح في أحكام المسح ص ٩٢.

أحد أكثر من ثلاث للمسافر، أو يوم وليلة للمقيم، فمن قال غير هذا فقد أقحم في الخبر ما ليس فيه، وقول رسول الله ﷺ ما لم يقل، والطهارة لا ينقضها إلا الحدث، وهذا قد صحت طهارته، ولم يحدث فهو طاهر، والطاهر يصلي ما لم يحدث، أو ما لم يأت نص جلي في أن طهارته انتقضت وإن لم يحدث، وهذا الذي انقضى وقت مسحه لم يحدث، ولا جاء نص في أن طهارته انتقضت لا عن بعض أعضائه، ولا عن جميعها، فهو طاهر يصلي حتى يحدث فيخلع خفيه حينئذ، وما على قدميه ويتوضأ ثم يستأنف المسح توقيتاً آخر، وهكذا أبداً»^(١).

(٢) شروط المسح على الخفين فهي كالتالي:

- أ- أن يلبسهما على طهارة، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «دَعُهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»^(٢). ولقول صفوان بن عسال رضي الله عنه: فَأَمَرْنَا - يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَنْ نَمْسَحَ عَلَى الْخُفَيْنِ، إِذَا نَحْنُ أَدْخَلْنَاهُمَا عَلَى طَهْرٍ^(٣).
- ب- أن تكون الخفاف أو الجوارب طاهرة، فإن كانت نجسة فإنه لا يجوز المسح عليها، ودليل ذلك: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ بِأَصْحَابِهِ وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ، فَخَلَعَهُمَا فِي أَثْنَاءِ

(١) المحلي، لابن حزم (٢/٩٤) بتصرف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٦/٣٠) برقم (١٨٠٩٣)، وقال محققوه: إسناده حسن.

صَلَاتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ فِيهِمَا أَدَى أَوْ قَدْرًا^(١).
وهذا يدل على أنه لا يجوز الصلاة فيما فيه نجاسة.

ج- أن يكون مسحهما في الحدث الأصغر، لا في الجنابة أو ما يوجب الغسل، ودليل ذلك: حديث صفوان بن عسال رضي عنه قال: أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا كُنَّا سَفَرًا، أَلَّا نَنْزِعَ خِفَانًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ^(٢).

د- أن يكون المسح في الوقت المحدد شرعاً وهو يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، لما روى مسلم في صحيحه من حديث علي قال: جَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِلْمُتَمِّمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَلِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، يَعْنِي: فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ^(٣).

ه- أن يكون الخف ونحوه مباحاً، فإن كان مغصوباً أو حريراً بالنسبة للرجل، لم يجز المسح عليه، لأن المحرم لا تستباح به الرخصة.

«وهذا هو قول المالكية والحنابلة، وذهب الشافعية في الأصح عندهم إلى جواز المسح على الخف ولو لم يكن مباحاً، والصحيح

(١) سنن أبي داود برقم (٦٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٨) برقم ٦٠٥.

(٢) رواه النسائي برقم (١٢٧)، والترمذي برقم (٩٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

أنه لا يشترط كون الخف مباحًا، لكن مع ثبوت الإثم على الغاصب، والسارق، وغيرهم ممن لبس خفًا غير مباح»^(١).

(٣) صفة المسح على الخفين:

«أن يضع أصابع يديه مبلولتين بالماء على أصابع رجليه، ثم يمددهما إلى ساقه فقط، يمسح الرجل اليمنى باليد اليمنى، والرجل اليسرى باليد اليسرى، والذي يُمسح هو أعلى الخف لقول المغيرة بن شعبة: فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا، ولم يقل: بدأ باليمنى، بل قال: مَسَحَ عَلَيْهِمَا، فظاهر السنة هو هذا»^(٢).

مسائل تتعلق بالمسح على الخفين:

١- هل يجوز المسح على الخف، أو الجورب المخرق؟

«الصحيح أنه يجوز، فإن اسم الخف أو الجورب ما دام باقياً فإنه يجوز المسح عليه، لأن السنة جاءت بالمسح على الخف على وجه مطلق، وما أطلقه الشارع فإنه ليس لأحد أن يقيده، إلا إذا كان لديه نص من الشارع أو قاعدة شرعية يتبين بها التقييد»^(٣).

وقال الثوري: «وهل كانت خفاف المهاجرين والأنصار إلا مخرقة مشققة، مرقعة؟!»^(٤). وهذا القول قال به جمع من أهل العلم منهم: إسحاق والثوري، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بجوازه، ما دام

(١) الكافي لابن قدامة (١/٧٧)، والفقهاء الميسر لمجموعة من المشايخ (١/٩٢).

(٢) بحوث وفتاوى في المسح على الخفين (ص ٣٨ - ٣٩)، للشيخ ابن عثيمين.

(٣) بحوث وفتاوى في المسح على الخفين، للشيخ ابن عثيمين (ص ٣٨ - ٣٩).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٧٥٣).

اسم الخف باقياً والمشى به ممكناً^(١).

٢- هل خلع الممسوح من الجورب أو الخف ينقض الوضوء؟

«فيه خلاف بين أهل العلم على عدة أقوال:

(أ) أن وضوئه صحيح ولا شيء عليه.

(ب) أن عليه غسل رجله فقط.

(ج) أن عليه إعادة الوضوء.

وبكل هذه الأقوال قال طائفة من السلف، ورجح بعض أهل العلم القول الأول لأنه المناسب، لكون المسح رخصة وتيسيراً من الله، والقول بغيره ينافي ذلك إضافة إلى مرجحين آخرين:

الأول: أنه موافق لعمل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، فقد ثبت عنه: أَنَّهُ أَحَدَثَ ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَمَسَحَ عَلَى نَعْلَيْهِ، ثُمَّ خَلَعَهُمَا وَصَلَّى^(٢).

الثاني: موافقته للنظر الصحيح، فإنه لو مسح على رأسه ثم حلق لم يجب عليه أن يعيد المسح، بل له الوضوء، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣).

فقد قال: «ولا ينتقض وضوء الماسح على الخف، والعمامة بنزعها، ولا يجب عليه مسح رأسه، ولا غسل قدميه، وهو مذهب الحسن البصري، كإزالة الشعر الممسوح على الصحيح من مذهب

(١) اختيارات شيخ الإسلام (ص ٣٣).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٧٨٣ - ٧٨٤)، قال الألباني: صحيح.

(٣) اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٥)، باختصار.

أحمد، وقول الجمهور»^{(١)(٢)}.

٣- إذا تغيرت حال اللابس من إقامة إلى سفر، أو بالعكس، فأيهما يعتبر؟

وهذا له ثلاث حالات:

«الحالة الأولى: أن يكون التغير قبل الحدث، مثل أن يلبس الخفين مقيماً، ثم يسافر قبل أن يُحدث، أو يلبسهما مسافراً ثم يقدم بلده قبل أن يحدث، ففي المسألة الأولى: يمسح مسح مسافر، قال النووي: بالإجماع^(٣)، وفي المسألة الثانية: يمسح مسح مقيم، ولا إشكال في ذلك.

الحالة الثانية: أن يكون التغير بعد الحدث وقبل المسح، مثل أن يلبس الخفين مقيماً، ثم يُحدث ثم يسافر قبل أن يمسح أو يلبسهما مسافراً، ثم يحدث ثم يقدم بلده قبل أن يمسح، ففي المسألة الأولى: يمسح مسح مسافر، قال ابن قدامة: لا نعلم خلافاً أنه يتم مسح مسافر، وفي المسألة الثانية: يمسح مسح مقيم، ولم أر في ذلك خلافاً^(٤).

الحالة الثالثة: أن يكون التغير بعد الحدث والمسح، مثل أن يلبس الخفين ويمسح عليهما مقيماً، ثم يسافر أو يلبس الخفين ويمسح عليهما مسافراً، ثم يقدم بلده بعد ذلك، وفي ذلك خلاف بين أهل العلم. أما المسألة الأولى: فلا يخلو إما أن تكون مدة مسح المقيم قد انتهت أو

(١) اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٥)، باختصار.

(٢) تمام النصح في أحكام المسح، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ص ٨٧).

(٣) المجموع (٢/٤٧٢). (٤) المغني، لابن قدامة (١/٢٩٠).

لا، فإن كانت قد انتهت فلا مسح، وإن كانت مدة مسح المقيم باقية ففي ذلك خلاف، والصحيح أنه يتم مسح مسافر. أما المسألة الثانية: فلا يخلو إما أن تكون مدة مسح المسافر قد انتهت أو لا، فإن كانت قد انتهت فلا مسح، وإن كانت باقية أتم مسح مقيم إن بقي من مدته شيء، وهذا على الصحيح من أقوال أهل العلم^(١).

١- إذا لبس جورباً أو خفّاً، ثم لبس عليه آخر قبل أن يحدث، فله مسح أيهما شاء.

٢- إذا لبس جورباً أو خفّاً، ثم أحدث، ثم لبس عليه آخر قبل أن يتوضأ، فالحكم للأول.

٣- إذا لبس جورباً أو خفّاً، ثم أحدث ومسحه، ثم لبس عليه آخر، فله مسح الثاني على القول الصحيح.

٤- إذا لبس خفّاً على خف أو جورب، ومسح الأعلى ثم خلعه، فهل يمسح بقية المدة على الأسفل؟ فيجوز أن يمسح على الأسفل، حتى تنتهي المدة من مسحه على الأعلى^(٢).

٥- رجل مسح بعد انتهاء مدة المسح ثم صلى، فما حكم صلاته؟ إذا مسح بعد انتهاء مدة المسح سواء كان مقيماً، أو مسافراً، فإن ما صلاه بهذه الطهارة يكون باطلاً، لأن وضوءه باطل، حيث إن مدة المسح انتهت، فيجب عليه أن يتوضأ من جديد

(١) انظر: المغني، لابن قدامة (١/٣٦٩ - ٣٧١).

(٢) بحوث وفتاوى في المسح على الخفين، للشيخ ابن عثيمين ص ١٩ - ٢٠.

وضوءاً كاملاً بغسل رجليه، وأن يعيد الصلوات التي صلاها
بهذا الوضوء الذي مسح به بعد انتهاء المدة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) بحوث وفتاوى في المسح على الخفين، للشيخ ابن عثيمين (٣٤ - ٣٥).

الكلمة الثانية والثلاثون

سجود السهو

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

لما كان الإنسان عرضة للنسيان والذهول، وكان الشيطان يحرص على أن يشوش عليه صلاته ببعث الأفكار وانشغال باله بها عن صلاته، وربما ترتب على ذلك نقص في الصلاة، أو زيادة فيها بدافع النسيان والذهول، شرع الله للمصلي أن يسجد في آخر صلاته تفاديًا لذلك، وإرغامًا للشيطان، وجبرًا للنقصان، وإرضاء للرحمن، وهذا السجود هو ما يسميه العلماء سجود السهو^(١).

والسهو هو النسيان، وقد سها النبي ﷺ في الصلاة وكان سهوه من تمام نعمة الله على أمته، وإكمال دينهم، ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو. قال الإمام أحمد بن حنبل: يحفظ عن النبي ﷺ خمسة أشياء سلم من اثنتين فسجد^(٢)، وسلم من ثلاث فسجد^(٣)،

(١) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (١/١٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٢٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٥٧٤).

وفي الزيادة والنقص^(١)، وقام من اثنتين ولم يشهد^(٢). وقال الخطابي: المعتمد عند أهل العلم، هذه الأحاديث الخمسة، يعني: حديثي ابن مسعود، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وابن بحنة، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ»^(٣)(٤).

حكمه: سجود السهو واجب لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، من ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا شَكَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ»^(٥). وهو قول جمهور العلماء.

ويشرع سجود السهو لأسباب ثلاثة:

أولاً: إذا زاد في الصلاة سهواً.

ثانياً: إذا نقص منها سهواً.

ثالثاً: إذا حصل عنده شك في زيادة أو نقص.

فإن زاد أو نقص من الأركان أو الواجبات عمداً، بطلت صلاته بإجماع أهل العلم، أما إن ترك مسنوناً سهواً، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه سجد للسهو استحباباً.

«مثال ذلك: لو أن إنساناً ترك الفاتحة، يجب عليه سجود السهو، ولكن يجب عليه شيء آخر غير سجود السهو، وهو الإتيان بالركن،

(١) صحيح البخاري برقم (٤٨٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٢٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٠).

(٣) ابن قدامة (٢/٤٠٣). (٤) صحيح مسلم برقم ٥٧٢.

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٠١)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٢).

وسياتي ماذا يصنع عند نسيانه للركن؟ وكيف يأتي به؟

مثال ثانٍ: لو أن إنساناً ترك التشهد الأول نسياناً، يجب عليه السجود فقط، ولا يجب عليه الإتيان به، لأنه واجب يسقط بالسهو.

مثال ثالث: لو أن إنساناً ترك دعاء الاستفتاح، لا يجب عليه سجود السهو، لأنه لو تعمد تركه لم تبطل صلاته ولكن هل يسن، الصحيح أنه إذا تركه نسياناً يسن السجود لأنه قول مشروع، فيجبره بسجود السهو، ولا يكون سجود السهو واجباً، لأن الأصل الذي وجب له السجود ليس بواجب، فلا يكون الفرع واجباً، فإذا ترك الإنسان سهواً سنة من عاداته أن يأتي بها، فسجود السهو لها سنة، أما لو ترك السنة عمداً، فهنا لا يشرع له السجود لعدم وجود السبب وهو السهو.

«ويشرع سجود السهو إذا وُجد سببه، سواء كانت الصلاة فريضة أو نافلة، لعموم الأدلة بشرط أن تكون الصلاة ذات ركوع، وسجود احترازاً من صلاة الجنابة، فإن صلاة الجنابة لا يشرع فيها سجود السهو، لأنها ليست ذات ركوع وسجود.

فإن قال قائل: كيف توجبون سجود السهو في صلاة النافلة، وصلاة النفل أصلاً غير واجبة؟! فنقول: إنه لما تلبس بها وجب عليه أن يأتي بها على وفق الشريعة، وإلا كان مستهزئاً، وإذا كان لا يريد الصلاة فمن الأصل لا يصلي، أما أن يتلاعب فيأتي بالنافلة ناقصة ثم يقول: لا أجبرها، فهذا لا يُوافق عليه»^(١).

(١) الشرح الممتع (٣/٣٩٢)، (٣/٣٣٨ - ٣٣٩).

وبوب البخاري باب السهو في الفرض، والتطوع، وروى عن ابن عباس: أَنَّهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ وِثْرِهِ^(١).

السبب الأول الذي يشرع فيه سجود السهو: الزيادة في الصلاة، وهي إما زيادة أفعال، أو زيادة أقوال.

أما زيادة الأفعال إذا كانت زيادة من جنس الصلاة: كالقيام في محل القعود، والقعود في محل القيام، أو زاد ركوعاً، أو سجوداً، فإذا فعل ذلك سهواً فإنه يسجد للسهو، لقوله ﷺ في حديث ابن مسعود: «إِذَا زَادَ الرَّجُلُ أَوْ نَقَصَ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ»^(٢). ولأن الزيادة في الصلاة نقص من هيئتها في المعنى، فشرع السجود لها لينجبر النقص. وكذا لو زاد ركعة سهواً ولم يعلم إلا بعد فراغه منها، فإنه يسجد للسهو، أما إن علم في أثناء الركعة الزائدة، فإنه يجلس في الحال ويتشهد إن لم يكن تشهد، ثم يسجد للسهو ويسلم.

ويجب على من علم بزيادة الإمام أو نقصه تنبيهه، لحديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»^(٣). وتنبيه الرجال بالتسبيح والنساء بالتصفيق، لحديث سهل بن سعد الساعدي: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نَابَكُمْ^(٤) أَمْرٌ، فَلْيُسَبِّحِ الرَّجَالَ، وَلْتُصَفِّقِ النِّسَاءُ»^(٥). ويلزم

(١) صحيح البخاري، كتاب السهو، باب السهو في الفرض والتطوع.

(٢) صحيح مسلم برقم (٥٧٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٠١)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٢).

(٤) أي: أصابه شيء يحتاج فيه إلى إعلام غيره.

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٨٤).

الإمام حينئذ الرجوع إلى تنبيههم، إذا لم يجزم بصواب نفسه، لأنه رجوع إلى الصواب، وكذا يلزمهم تنبيهه على النقص.

وأما زيادة الأقوال، فهي على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يأتي بقول مشروع في الصلاة في غير محله، كالقراءة في الركوع والسجود والجلوس، وكالتشهد في القيام، فإذا فعل ذلك سهواً استحب له السجود للسهو، لعموم حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَادَ الرَّجُلُ أَوْ نَقَصَ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ»^(١). إلا إذا جاء بهذا الذكر مكان الذكر الواجب، ولم يقل الواجب كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه يجب عليه أن يسجد لتركه الواجب، إلا إذا جمع بينهما فلا يجب، بل يستحب لعموم الأدلة^(٢).

الحالة الثانية: أن يسلم قبل إتمام الصلاة، فإن كان عمداً بطلت صلاته لأنه تكلم فيها، وإن كان سهواً وطال الفصل أو نقص الوضوء بطلت صلاته وأعادها، أما إن ذكر قبل أن يطول الفصل أتم صلاته ثم سجد للسهو، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ذي اليمين قال: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ^(٣) رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشَبَةٍ فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهَا، وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَابَاهُ أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَخَرَجَ سَرْعَانَ النَّاسِ، فَقَالُوا: أَقْصَرْتَ

(١) صحيح مسلم برقم (٥٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ ابن باز رحمته الله (١١ / ٢٧٠).

(٣) الظهر والعصر.

الصَّلَاةُ؟ وَرَجُلٌ يَدْعُوهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَا الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ؟ فَقَالَ: «لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ»، قَالَ: بَلَى، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ ثُمَّ سَلَّمَ (١).

الحالة الثالثة: الكلام من غير جنس الصلاة، فإن كان عمداً بطلت الصلاة إجماعاً، لحديث زيد بن أرقم قال: كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ، وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ [البقرة]، فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنَهَيْنَا عَنِ الْكَلَامِ (٢).

وإن تكلم ناسياً أو جاهلاً بتحريمه، ففيه روايتان إحداهما: يبطلها لأنه كلام من غير جنس الصلاة، فأشبهه العمل الكثير، والثانية: لا يفسدها لما روى معاوية بن الحكم رضي عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلَأُ أُمَّيَاهُ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَابِي هُوَ وَآمِي! مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ! مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ

(١) صحيح البخاري برقم (١٢٢٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٥٣٩).

لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»^(١)، فلم يأمره النبي ﷺ بالإعادة لجهله، والناس في معناه^(٢).

وهذا ما رجحته اللجنة الدائمة للإفتاء^(٣).

السبب الثاني: النقص.

النوع الأول: ترك ركن، كركوع أو سجود، فإن كان عمداً بطلت صلاته، وإن كان سهواً، وكان الترك لتكبيرة الإحرام، لم تنعقد صلاته، ولا يغني عنه سجود السهو شيئاً، أما إن كان ركناً غير تكبيرة الإحرام، فله ثلاثة أحوال:

الحال الأول: أن يذكره قبل أن يصل إلى محله، وفي هذه الحالة عليه أن يرجع ويأتي بالناقص ويتم عليه.

الحال الثاني: أن يذكره بعد أن يصل إلى محله، وفي هذه الحالة يلغي الركعة الناقصة، وتقوم التي هو فيها محلها^(٤).

الحال الثالث: أن يذكره بعد أن يسلم، وفي هذه الحالة عليه أن يأتي بالركن المتروك وما بعده^(٥).

(١) برقم ٥٣٧.

(٢) الكافي، لابن قدامة (١/٣٦٨ - ٣٦٩).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث (١/ المجموعة الثانية ٤٣٥) برقم ١٧٢١١.

(٤) هذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين في رسالة سجود السهو، مع التنبيه إلى أن هناك قول يعتبر كل ما عمل بعد السهو لاغياً.

(٥) هذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

النوع الثاني: ترك واجب من واجبات الصلاة، كالتكبير لغير الإحرام، أو تسبيح الركوع والسجود.. وغير ذلك من الواجبات، فإن كان عمداً بطلت الصلاة، وإن تركه سهواً فعلى أحوال:

الحال الأول: إن ذكره قبل الوصول إلى الركن الذي يليه: وجب عليه الرجوع ويأتي به.

الحال الثاني: إن ذكره بعد أن وصل إلى الركن الذي يليه: فلا يرجع وعليه سجود السهو، أما ترك التشهد الأول فله أربع صور:

١- أن يذكره قبل أن تفارق فخذه ساقيه، وبعضهم قال: قبل أن تفارق ركبته الأرض، والمعنى متقارب، ففي هذه الحال يستقر وليس عليه سجود، لأنه لم يزد شيئاً في صلاته.

٢- إذا نهض ولكن في أثناء النهوض ذكر قبل أن يستتم قائماً، فإنه يرجع ويأتي بالتشهد وعليه سجود السهو.

٣- إذا نهض واستتم قائماً فقد وصل إلى الركن الذي يليه، فيكره له الرجوع، فإن رجع لم تبطل صلاته، وعليه سجود السهو، لحديث المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فَلَمْ يَسْتَتِمَّ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ، وَإِذَا اسْتَتَمَّ قَائِمًا فَلَا يَجْلِسْ، وَيَسْجُدُ سَجْدَتِي السَّهْوِ»^(١).

٤- إذا ذكر بعد الشروع في القراءة فلا يرجع، فإن رجع عمداً

(١) مسند الإمام أحمد (٣٠/١٦٢) برقم (١٨٢٢٣)، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه.

عالمًا حرم عليه ذلك وبطلت صلاته، لأنه تعمد المفسد وهو زيادته فعلاً من جنسها.

النوع الثالث: ترك مسنون، فإذا ترك مسنوناً لم تبطل الصلاة بتركه عمداً ولا سهواً، ولا سجود عليه.

السبب الثالث: الشك

فإذا كان بعد السلام فلا يلتفت إليه، إلا إذا تيقن النقص أو الزيادة، وإذا كان الشك وهمًا بحيث طرأ على الذهن ولم يستقر فلا يلتفت إليه، وإذا كثرت الشكوك لا يلتفت إليها، وإن لم يكن الشك كذلك فالشك إما أن يكون في زيادة ركن، أو واجب في غير المحل الذي هو فيه فلا يلتفت له، وأما الشك في الزيادة وقت فعلها فيسجد له، وأما الشك في نقص الأركان فكثر كبرها، فيأتي بالركن على التفصيل الذي سبق في إكمال الأركان، إلا إذا غلب على ظنه أنه فعل فلا يرجع ولكن عليه سجود السهو، والشك في ترك الواجب بعد أن فارق محله لا يوجب سجود السهو^(١).

وإذا حصل له شك بنى على اليقين وهو الأقل، إلا إذا كان عنده غلبة ظن فإنه يتحرى ويبني على غالب ظنه فيأخذ به. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى،

(١) وقيل: الشك في ترك الواجب كتركه وعليه سجود السهو، إلا إذا غلب على ظنه أنه جاء به فلا سجود عليه، واختار هذا القول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، كما في الشرح الممتع

ثَلَاثًا، أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ، وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدْ
سَجْدَتَيْنِ، قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا، شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ،
وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ، كَانَتْ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود:
أن النبي ﷺ قال: «إِذَا شَكَ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ». وفي رواية:
«فَلْيَنْظُرْ أُخْرَى ذَلِكَ إِلَى الصَّوَابِ». وفي أُخْرَى: «فَلْيَنْظُرِ الَّذِي يَرَى
أَنَّهُ الصَّوَابُ». وفي أُخْرَى: «فَلْيَتَحَرَّ أَقْرَبَ ذَلِكَ إِلَى الصَّوَابِ، فَلْيَمِّمْ
عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ»^(٢)^(٣).

«ولا سجود على مأموم دخل مع الإمام من أول الصلاة إلا تبعًا
لإمامه، فإن قام المأموم المسبوق لقضاء ما فاته بعد سلام إمامه،
فسجد إمامه للسهو بعد السلام، فحكمه حكم القائم عن التشهد الأول
إن سجد إمامه قبل انتصابه قائمًا لزمه الرجوع، وإن انتصب قائمًا ولم
يشرع في القراءة لم يرجع، وإن رجع جاز، وإن شرع في القراءة لم يكن
له الرجوع، ويسجد للسهو بعد قضاء ما عليه^(٤) بعد السلام»^(٥).

(١) برقم ٥٧١.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٠١)، وصحيح مسلم برقم (٥٧٢)، وأبو عوانه في صحيحه
برقم (١٩٢٧)، والرواية الثانية والثالثة لهم إلا البخاري، والرابعة للنسائي برقم
(١٢٤٤).

(٣) وانظر: تمام المنة في التعليق على فقه السنة، للشيخ الألباني؛ فقد أجاد رَحِمَهُ اللهُ فِي
الكلام على هذه المسألة (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

(٤) نقل ذلك الشيخ سعيد القحطاني في كتابه سجود السهو (ص ٢٦)، عن الشيخ ابن
باز رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه على الروض المربع (٢/ ١٧١).

(٥) المغني لابن قدامة (٢/ ٤٤١)، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين (٣/ ٥٢٦).

مسائل تتعلق بسجود السهو:

١- هل السجود قبل السلام أم بعده؟

ثبت أن النبي ﷺ سجد للسهو قبل السلام في مواضع، وبعده في مواضع^(١)، فما سجد فيه النبي ﷺ قبل السلام أو أمر به يسجد فيه قبله، كسجود السهو لمن ترك التشهد الأول، وسجود السهو لمن شك وبني علي اليقين، وما سجد فيه النبي ﷺ بعد السلام أو أمر به يسجد فيه بعده، كسجود السهو لمن سلم قبل تمام الصلاة، أو ذكر بالزيادة في صلاته بعد السلام، أو شك وبني علي غالب ظنه، كما دلت على ذلك الأحاديث، فصارت الحالات عندنا على أربع صور:

الأولى: الزيادة في الصلاة ويسجد لها بعد السلام.

الثانية: النقص في الصلاة، ويسجد لها قبل السلام.

الثالثة: الشك في الزيادة أو النقصان مع الترجيح، يسجد بعد السلام.

الرابعة: الشك مع عدم الترجيح، يبني على الأقل، ويسجد قبل السلام.

حكم السجود قبل السلام أو بعده على الأفضلية.

قال القاضي عياض: «ولا خلاف بين هؤلاء المختلفين وغيرهم من العلماء - بعد أن ذكر أقوالهم - أنه لو سجد قبل

(١) زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٢٨١).

السلام، أو بعده للزيادة أو النقص، أنه يجزئه ولا تفسد صلاته، وإنما اختلافهم في الأفضل»^(١).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن ما جاءت به السنة في كونه قبل السلام فإنه يجب قبله، وما جاءت به بعد السلام فإنه يجب بعده، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والثلاثون

صلاة أهل الأعذار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من رحمة الله بعباده وتيسيره عليهم أن رفع عنهم الحرج في دينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١).

ومن هؤلاء الذين خفف الله عنهم في طهارتهم وصلاتهم: أصحاب الأعذار كالمريض، والمسافر، والخائف، ليمكنوا من عبادة ربهم من غير حرج ولا مشقة.

أولاً: المريض

١- يجب عليه أن يتوضأ من الحدث الأصغر (نواقض الوضوء)، وأن يغتسل من الحدث الأكبر (موجبات الغسل).

٢- يجب عليه أن يزيل ما على السبيلين من النجاسة بالماء - كالبول والغائط - قبل الوضوء، لأن النبي ﷺ كان يستنجي

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨)، وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

بالماء^(١)، والاستجمار بالحجارة أو ما يقوم مقامها يقوم مقام الاستنجاء بالماء، ويقوم مقام الحجارة ما في معناها من كل جامد طاهر ليس له حرمة كالخشب، والخرق، والمناديل وكل ما أنقى به فهو كالحجارة على الصحيح^(٢)، لقوله ﷺ: «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ، فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ يَسْتَطِيبُ بِهِنَّ، فَإِنَّهَا تُجْزِي عَنْهُ»^(٣).

ولا بد من الاستجمار من ثلاثة أحجار أو ما يقوم مقامها فأكثر، لحديث سلمان رضي الله عنه أنه قال: نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بِيُولٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ^(٤) أَوْ بِعَظْمٍ^(٥). والأفضل أن تكون وترًا، لقول النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ»^(٦).

فإن لم تكف ثلاثة أحجار زاد رابعًا، وخامسًا، حتى يُنقى المحل، والأفضل أن يستجمر الإنسان بالحجارة ثم يتبعها الماء، لأن الحجارة تزيل عين النجاسة والماء يطهر المحل فيكون أبلغ في الطهارة، وهو مخير فيها أو الجمع بينها وهو الأفضل، والاستنجاء يكون من الخارج من السيلين؛ أما النوم، والريح، وأكل لحم الإبل، ومس الفرج، فلا يستنجي منها.

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧١).

(٢) المغني، لابن قدامة (١/٢١٣).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١/١٠) برقم ٣١.

(٤) الرجيع: الروث، والعدرة.

(٥) صحيح البخاري برقم (١٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧).

(٦) صحيح البخاري برقم (١٦١)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧).

٣- إذا كان المريض لا يستطيع الحركة، فإنه يوضئه شخص آخر، وإذا كان عليه حدث أكبر ساعده في الاغتسال.

٤- إذا كان المريض لا يستطيع أن يتطهر بالماء لخوفه تلف النفس، أو تلف عضو، أو حدوث مرض، أو بعجزه، أو خوف زيادة المرض، أو تأخر برئه، فإنه يتيمم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء].

وصفة التيمم: أن يضرب التراب ضربة واحدة ثم يمسح وجهه وباطن أصابعه، ويمسح كفيه براحتيه، ويعمم الوجه والكفين بالمسح، وقد وردت هذه الصفة في الصحيحين من حديث عمار بن ياسر^(١)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ [النساء].

٥- فإن لم يستطع أن يتيمم بنفسه، فإنه ييممه من عنده من المرافقين.

٦- من به جروح، أو كسر، أو مرض يضره استعمال الماء، فإنه يتيمم سواء كان محدثاً حدثاً أصغر، أو أكبر، لكن لو أمكنه أن يغسل الصحيح من جسده أو أعضائه وجب عليه ذلك، وتيمم للباقي لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٦٨).

٧- إذا كان في بعض أعضاء الطهارة جرح يستطيع أن يغسله بالماء غسله، فإن كان الغسل بالماء يؤثر عليه مسحه بالماء مسحًا، فإن كان المسح يؤثر عليه أيضًا فإنه يشد عليه جبيرة أو لزقة ويمسح عليها، فإن عجز فحينئذ تيمم عنه بعد الطهارة، أما إذا كان الجرح مستورًا بجبس، أو لزقة، أو جبيرة، أو ما أشبه ذلك، ففي هذه الحال يمسح على الساتر ويغنيه عن الغسل. ولا يشترط لبس الجبيرة على طهارة على القول الراجح، وليس للمسح على الجبيرة توقيت، لأن مسحها لضرورة فيقدر بقدرها، ويمسح عليها في الحدث الأكبر والأصغر، والصواب أنه إذا مسح على العضو يكفيه عن التيمم، فلا يجمع بين المسح والتيمم، إلا إذا كان هناك عضو آخر لم يستطع المسح عليه^(١).

٨- إذا تيمم لصلاته وبقي على طهارته إلى وقت الصلاة الأخرى، فإنه يصلّيها بالتيمم الأول، ولا يعيد التيمم للصلاة الثانية، لأنه لم يزل على طهارته، ولم يحصل ما يبطلها من نواقض الطهارة، ولم يجد الماء، لأن التيمم لا يبطل إلا بكل ما يبطل الوضوء، وهذا على الصحيح من قولي العلماء^(٢).

٩- يجب على المريض أن يطهر بدنه، وثيابه وموضع

(١) مجموع فتاوى ومقالات للشيخ عبد العزيز بن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٢/٢٤٠)، وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (١١/١٥٥ - ١٧٢).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٥/٣٤٤) برقم ٦٤٢٠.

صلاته من النجاسات، فإن عجز عن شيء من ذلك، ولم يجد من يقوم بتطهير النجاسة صلى على حسب حاله، وصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه لقوله تعالى: ﴿فَأَنقُؤْا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

١٠- لا يجوز للمريض أن يؤخر الصلاة عن وقتها من أجل العجز عن الطهارة، بل يتطهر بقدر ما يستطيع، ويطهر بدنه، وثوبه، والبقعة التي يصلي عليها، فإن عجز عن استعمال الماء تيمم، فإن عجز عن التيمم سقطت عنه الطهارة، وصلى على حسب حاله^(١).

١١- المريض المصاب بسلس البول، أو استمرار خروج الدم، أو الريح ولم يبرأ بمعالجته، عليه أن يتوضأ لكل صلاة بعد دخول وقتها ويغسل ما يصيب بدنه، وثوبه، أو يجعل للصلاة ثوباً طاهراً إن تيسر له ذلك، ويحتاط لنفسه احتياطاً يمنع انتشار البول، أو الدم في ثوبه، أو جسمه، أو مكان صلاته، وله أن يفعل في الوقت ما تيسر من صلاة، وقراءة في المصحف حتى يخرج الوقت، فإذا خرج الوقت وجب عليه أن يعيد الوضوء، أو التيمم إن كان لا يستطيع الوضوء، لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ الْمُسْتَحَاضَةَ أَنْ تَتَوَضَّأَ لِقَوْلِ كُلِّ صَلَاةٍ، قال الله تعالى: ﴿فَأَنقُؤْا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٢٣٩/١٢)، وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (١٥٦/١١).

كيفية صلاة المريض:

١- يجب على المريض الذي لا يخاف زيادة مرضه أن يصلي الفريضة قائماً، لقوله تعالى: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَلْبَيْنَ﴾ (البقرة).

٢- إن قدر المريض على القيام بأن يتكئ على عصا، أو يستند إلى حائط، أو يعتمد على أحد جانبيه، لزمه القيام، لحديث وابصة رضي الله عنها، عن أم قيس رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَسَنَّ وَحَمَلَ اللَّحْمَ، اتَّخَذَ عَمُودًا فِي مَصَلَّاهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ^(١). ولأنه قادر على القيام من غير ضرر، لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(٢).

٣- إن قدر المريض على القيام إلا أنه يكون منحياً على هيئة الراكع كالأحدب، أو الكبير الذي انحنى ظهره وهو يستطيع القيام، لزمه القيام لحديث عمران بن حصين.

٤- المريض الذي يقدر على القيام لكنه يعجز عن الركوع أو السجود لا يسقط عنه القيام، وعليه أن يصلي قائماً ويومئ بالركوع قائماً إن عجز عنه، وإن لم يمكنه أن يحنى ظهره حنى رقبته، وإن تقوس ظهره فصار كأنه راعع زاد في

(١) سنن أبي داود برقم (٩٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٧٨) برقم ٨٣٥.

(٢) صحيح البخاري برقم ١١١٧.

انحنائه قليلاً، ثم يجلس فيومئ بالسجود جالساً إن عجز عنه، ويقرب وجهه إلى الأرض في السجود أكثر ما يمكنه، لقول الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة]. ولقول النبي ﷺ لعمران بن حصين: «صَلِّ قَائِماً»^(١). ولأن القيام ركن قدر عليه، فلزمه الإتيان به.

٥- المريض الذي يزيد القيام في مرضه، أو يشق عليه مشقة شديدة، أو يضره يصلي قاعداً، لقول الله تعالى: ﴿فَأَقْوَ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. ولحديث عمران بن حصين رضي الله عنه «صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً»^(٢). ولحديث أنس رضي الله عنه قال: سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَرَسٍ، فَجَحَشَ شِقُّهُ الْأَيْمَنُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا قَاعِداً^(٣). وقد أجمع العلماء على أن من لا يطيق القيام، له أن يصلي جالساً^(٤).

٦- الأفضل للمريض إذا صلى جالساً أن يكون متربعا في موضع القيام، وإذا ركع يركع وهو متربع على الصحيح، لأن الراكع قائم لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي مُتْرَبِعاً^(٥). والسنة له أن يجعل يديه على ركبتيه في

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٤١١).

(٤) المغني، لابن قدامة (٥٧٠ / ٢).

(٥) سنن النسائي برقم (١٦٦١)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٦٥ / ١) برقم

حال الركوع، أما في حال السجود فالواجب أن يسجد على الأرض، فإن لم يستطع وجب عليه أن يجعل يديه على الأرض وأوماً بالسجود، لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: عَلَى الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ»^(١). فإن لم يستطع جعل يديه على ركبتيه، وأوماً بالسجود، وجعله أخفض من الركوع، ومن عجز عن ذلك فصلى على الكرسي، فلا حرج في ذلك، لقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢).

٧- إن عجز المريض عن الصلاة قاعداً، صلى على جنبه مستقبل القبلة بوجهه، والأفضل أن يصلي على جنبه الأيمن، لحديث عمران بن حصين وفيه: «صَلَّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(٣). ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْمَنُ فِي تَنْعُلِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ^(٤).

٨- فإن عجز المريض عن الصلاة على جنبه، صلى مستلقياً رجلاه إلى القبلة، لحديث عمران بن حصين: «صَلَّ

(١) صحيح البخاري برقم (٨١٢)، وصحيح مسلم برقم (٤٩٠).

(٢) المغني لابن قدامة (٢/٥٧٢)، ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٢/٢٤٢ - ٢٤٧)، وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (١١/٣٢٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٦٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٨).

قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ صَلَى مُسْتَلْقِيًّا»^(١). وإن قال ثقات من علماء الطب: إن صليت مستلقيًا أمكن مداواتك، وإلا فلا، فله أن يصلي مستلقيًا^(٢).

٩- فإن عجز المريض عن الصلاة إلى القبلة، ولم يوجد من يوجهه إليها، صلى على حسب حاله، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

١٠- فإن عجز عن الصلاة مستلقيًا، صلى على حسب حاله على أي حال كان، لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

١١- فإن عجز المريض عن جميع الأحوال السابقة، صلى بقلبه فيكبر ويقرأ، وينوي الركوع، والسجود، والقيام، والقعود بقلبه، فإن الصلاة لا تسقط عنه ما دام عقله ثابتًا، بأي حال من الأحوال، للأدلة السابقة^(٣).

١٢- إذا قدر المريض في أثناء صلاته على ما كان عاجزًا عنه من قيام أو قعود، أو ركوع، أو سجود، أو إيما، انتقل إليه وبنى على ما مضى من صلاته، وهكذا لو كان قادرًا فعجز أثناء الصلاة أتم صلاته على حسب حاله، لأن ما مضى من

(١) هذه الزيادة عزها جماعة من أهل العلم للنسائي، ولم أجدها في المطبوع منه.

(٢) المغني، لابن قدامة (٢/٥٧٤).

(٣) المغني لابن قدامة (٢/٥٧٦)، ومجموع فتاوى ابن باز (١٢/٢٤٣)، ومجموع

فتاوى ابن عثيمين (١١/٢٣٢).

الصلاة كان صحيحًا فبنى عليه كما لو لم يتغير حاله^(١).

١٣- إن عجز المريض عن السجود على الأرض، فإنه يومئ بالسجود في الهواء، ولا يتخذ شيئًا يسجد عليه، لحديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ مَرِيضًا، فَرَأَهُ يُصَلِّي عَلَى وَسَادَةٍ، فَأَخَذَهَا فَرَمَى بِهَا، فَأَخَذَ عُودًا لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ فَرَمَى بِهِ، وَقَالَ: «صَلِّ عَلَى الْأَرْضِ إِنْ اسْتَطَعْتَ، وَإِلَّا فَأَوْمِئْ إِيْمَاءً، وَاجْعَلْ سُجُودَكَ أَخْفَضَ مِنْ رُكُوعِكَ»^(٢).

١٤- يجب على المريض أن يصلي كل صلاة في وقتها، ويفعل كل ما يقدر عليه مما يجب فيها، فإن شق عليه فعل كل صلاة في وقتها، فله الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، إما جمع تقديم بحيث يقدم العصر مع الظهر، والعشاء مع المغرب، وإما جمع تأخير بحيث يؤخر الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء حسبما يكون أيسر له؛ أما صلاة الفجر فلا تجمع مع ما قبلها ولا بعدها، فقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لَمَّا كَانَتْ مُسْتَحَاضَةً - بِتَأْخِيرِ الظُّهْرِ وَتَعْجِيلِ العَصْرِ،

(١) المغني لابن قدامة (٢/٥٧٦)، ومجموع فتاوى ابن باز (١٢/٢٤٣).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٤/٤٤١) برقم (٣٧١٨). قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام: رواه البيهقي بسند قوي، ولكن صحح أبو حاتم وقفه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢٣)، وقال: والذي لا شك فيه أن الحديث بمجموع طرقه صحيح.

وَتَأخِيرِ الْمَغْرِبِ وَتَعْجِيلِ الْعِشَاءِ^(١).

١٥- ولا يجوز ترك الصلاة بأي حال من الأحوال، بل يجب على المكلف أن يحرص على الصلاة أيام مرضه أكثر من حرصه عليها أيام صحته، فلا يجوز له ترك المفروضة حتى يفوت وقتها ولو كان مريضاً ما دام عقله ثابتاً، بل عليه أن يؤديها في وقتها حسب استطاعته؛ فإذا تركها عامداً وهو عاقل عالم بالحكم الشرعي، مكلف يقوى على أدائها ولو إيماء فهو آثم، وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى كفره بذلك، لقول النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(٢).

١٦- إذا نام المريض عن صلاته، أو نسيها وجب عليه أن يصلّيها حال استيقاظه، أو ذكره لها، ولا يجوز له تركها إلى دخول وقت مثلها ليصلّيها فيه، لما جاء في الصحيحين من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»^(٣). ويقضي الصلاة المغمى عليه ثلاثة أيام فأقل، لأنه يلحق بالنائم، أما إذا كانت المدة أكثر من ذلك، فلا قضاء عليه، لأنه يلحق بالمجنون لجامع زوال العقل^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٢٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٦ - ٥٧) برقم ٢٦٧.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٦٢١)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٨٤) واللفظ له.

(٤) المغني لابن قدامة (٢/٥٠ - ٥٢)، وفتاوى الشيخ ابن باز (١٢/٢٥٢).

كيفية صلاة المسافر:

١- يصلي المسافر الصلاة الرباعية قصرًا فيصلّي الظهر، والعصر، والعشاء ركعتين ما دام مسافرًا، أما صلاة المغرب فيصلّيها ثلاثًا سفرًا، وحضرًا، وهكذا صلاة الفجر يصلّيها ركعتين سفرًا، وحضرًا، وكذلك سنة الفجر قبلها ركعتين، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْعُهُمَا أَبَدًا^(١).
ويصلي الوتر كذلك، لحديث ابن عمر قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاِحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ، يَوْمِيَّ إِيمَاءً، صَلَاةَ اللَّيْلِ إِلَّا الْفَرَائِضَ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاِحِلَتِهِ^(٢). أما السنن الرواتب، فالسنة أن لا يصلّيها في السفر، لحديث ابن عمر قال: صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكَعَتَيْنِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ^(٣).

أما التطوع المطلق فمشروع في الحضر، والسفر مطلقًا: مثل صلاة الضحى، وصلاة الليل. قال النووي: اتفق العلماء على استحباب النوافل المطلقة في السفر^(٤).

الصلاة في السفينة والطائرة والقطار:

١- تصح صلاة الفرض في السفينة والقطار قائمًا عند القدرة. روى البيهقي في سننه من حديث عبد الله بن أبي عتبة قال: صَحِبْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَأَبَا

(١) صحيح البخاري برقم (١١٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٠٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٦٨٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٠٥).

هَرِيرَةٌ فِي سَفِينَةٍ، فَصَلُّوا قِيَامًا فِي جَمَاعَةٍ أُمَّهُمْ بَعْضُهُمْ،
وَهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْجُدِّ^(١)(٢).

قال الشوكاني: «المراد أنهم يقدرون على الصلاة في البر وقد صحت صلاتهم في السفينة مع اضطرابها، وفيه جواز الصلاة في السفينة وإن كان الخروج إلى البر ممكناً^(٣) اهـ. ولا تصح صلاة الفرض في السفينة قاعدًا لقادر على القيام، فإن عجز عن القيام صلى جالسًا، لقول الله تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فيصلي على حسب حاله، ويأتي بما يقدر عليه من القيام وغيره على ما تقدم، ويصلون فيها جماعة على حسب استطاعتهم، ويستقبلون القبلة في الفرض، وكلما انحرفت السفينة عن القبلة اتجهوا إليها^(٤)».

٢- صلاة الفريضة في الطائرة صحيحة فحكمها كحكم السفينة، ويجب على المسلم أن يفعل ما يجب عليه في الصلاة من القيام بالأركان، والواجبات والشروط مثل الطهارة، واستقبال القبلة، ونحو ذلك؛ وإذا كان لا يستطيع القيام بذلك، فلا يصلي بالطائرة، بل ينتظر، إلا إذا علم أن الهبوط سيكون بعد خروج الوقت، وكانت الصلاة التي أدركته في الجو لا يمكن جمعها مع ما بعدها مثل العصر، والفجر، ففي هذه الحال يصلها ولا يؤخرها عن وقتها، فيصليها كما تقدم في صلاة المريض،

(١) الجُدُّ: شاطئ البحر.

(٢) سنن البيهقي (١٨٢/٦) برقم (٥٥٦٠)، وابن أبي شيبة برقم (٦٦٢٣).

(٣) نيل الأوطار (٢/٢٤٤). (٤) الإنصاف مع الشرح الكبير (٥/٢٠).

- أما إذا أمكن الجمع سواء جمع تقديم أو تأخير، فإنه يفعله.
- ٣- الصلاة في السيارة إذا كانت كبيرة وفيها مكان للصلاة يستطيع أن يصلي الفرض قائماً مع استقبال القبلة، وأداء الشروط، والواجبات فلا حرج كما في السفينة، والطائرة، أما إذا كان لا يستطيع، فإنه لا يصلي في السيارة، إلا إذا لم يستطع الخروج منها، وخشي خروج الوقت، صلى على حسب حاله، أما الصلاة على الرواحل كالإبل، والخيول ونحو ذلك، فلا تصح إلا عند خشيته التأذي بمطر، أو وحل إذا نزل على الأرض، ولكن إذا خشي على نفسه عند النزول من عدو، أو فوات رفقة، فإن عليه أن يستقبل القبلة إن قدر على ذلك، وعليه أن يركع ويجعل سجوده أخفض من ركوعه، لقول الله تعالى: ﴿فَأَنقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].
- ٤- صلاة النافلة في السفر تصح على جميع وسائل النقل، سواء كانت من السفن، أو الطائرات، أو السيارات.. ونحو ذلك، لكن الأفضل للمصلي أن يستقبل القبلة عند تكبيرة الإحرام، ثم يصلي حيث توجهت به السفينة أو الطائرة، أو السيارة، فقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى الرَّاحِلَةِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ (١)(٢).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: رسالة الشيخ سعيد بن وهف القحطاني صلاة المريض، فقد أجاد وأفاد.

الكلمة الرابعة والثلاثون

فضائل أهل البيت وحقوقهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن لآل بيت النبي ﷺ مكانة رفيعة، وفضائل كثيرة ثبتت بالكتاب والسنة، فقد أوصى النبي ﷺ بهم فقال: «أذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(١). قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: اذكروا الله، اذكروا خوفه وانتقامه إن أضعتم حق آل البيت، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم في حقهم، فنحن نحبهم لقربانهم من رسول الله ﷺ ولايمانهم بالله، فإن كفروا فإننا لا نحبهم ولو كانوا من أقارب الرسول ﷺ، فأبو لهب عم الرسول ﷺ لا يجوز أن نحبه بأي حال من الأحوال، بل يجب أن نكرهه لكفره ولايذائه النبي ﷺ»^(٢).

وقد اختلف العلماء في المراد بآل بيت النبي ﷺ؟ على عدة أقوال: والصحيح أنهم الذين حُرِّمَتْ عليهم الصدقة، وهو قول جمهور

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٢) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بشرح الشيخ ابن عثيمين بتصرف (٢/ ٢٧٤

العلماء من المذاهب الأربعة وغيرهم، ورجحه ابن حزم، وابن تيمية، وابن حجر، وغيرهم. واختلفوا في تحديد من تحرم عليه الصدقة؟ على أقوال أشهرها قولان:

القول الأول: إنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهو قول ابن حزم، وابن حجر.

القول الثاني: إنهم بنو هاشم فقط، وهو مذهب أبي حنيفة، ومالك، وابن تيمية.

«والمراد ببني هاشم على الصحيح: آل العباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، وأزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلن في مفهوم آل محمد، بدليل قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب].

فإن هذه الآية تدل على دخولهن حتمًا، لأن سياق الآيات قبلها، وبعدها خطاب لهن»^(١).

ولما رواه ابن أبي شيبعة بسنده عن ابن أبي مليكة: أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ بَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ بِبَقْرَةٍ مِنَ الصَّدَقَةِ فَرَدَّتْهَا، وَقَالَتْ: إِنَّا آلُ

(١) فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، للشيخ عبد المحسن البدر (ص ٨).

مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ^(١). واستدلوا أيضًا بما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهما السلام يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ؟»^(٢). وفي رواية: «لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ؟»^(٣).

وبما رواه مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِيْنَا خَطِيْبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ^(٤) مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ. أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ^(٥): أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَعَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ

(١) (٤٢٩/٢) برقم (١٠٧٠٨)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٤١٦/٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٨٥)، وصحيح مسلم برقم ١٦٩.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٠٦٩.

(٤) خم اسم موضع غدیر، وقال الزمخشري: غدیر خم بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة. اه معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٤٨/٣). وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

(٥) سميا ثقلين لأن الأخذ بهما ثقيل والعمل بهما ثقيل. قال: وأصل الثقل أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون: ثقل، فسماهما ثقلين إعظامًا لقدرهما، وتفخيماً لشأنهما. النهاية في غريب الحديث (٢١٦/١)، ولسان العرب (٩٠/٧).

فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمِ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ (١).

ويدخل في ذلك موالى القوم، لما روى الترمذي في سننه من حديث أَبِي رَافِعٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لِأَبِي رَافِعٍ: اضْحَبْنِي كَيْمَا تُصِيبُ مِنْهَا، فَقَالَ: لَا، حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْأَلَهُ، فَاذْهَبْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا، وَإِنَّ مَوَالِيَ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» (٢).

وبما رواه الشيخان من حديث عائشة: أَنَّ فَاطِمَةَ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ - يَعْنِي: مَالِ اللَّهِ -، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكُلِ» (٣).

قال ابن القيم: «فآله ﷺ لهم خواص، منها حرمان الصدقة، ومنها أنهم لا يرثونه» (٤).

(١) برقم (٢٤٠٨).

(٢) برقم (٦٥٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٣٧١٢)، وصحيح مسلم برقم ١٧٥٩.

(٤) جلاء الأفتام (ص ٣٢٨).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث الهاشمي: أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ائْتِيَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُولَا لَهُ: اسْتَعْمِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الصَّدَقَاتِ؟ فذكر الحديث، وفيه: فَقَالَ لَنَا: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فبين أن ولد العباس وولد الحارث بن عبد المطلب من آل محمد، تحرم عليهم الصدقة.

وأما من أدخل بني المطلب في مفهوم الآل، فاستدل بما روى البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ، وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ». قَالَ جُبَيْرٌ: وَلَمْ يَقْسِمِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ^(٢). وعند أبي داود: «إِنَّا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ، لَا نَفْتَرِقُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ»، وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ^(٣).

أما فضائل أهل البيت في كتاب الله فهي كثيرة، فمن ذلك:

(١) برقم (١٠٧٢).

(٢) برقم (٣١٤٠).

(٣) برقم (٢٩٨٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٥٧٧/٢) برقم

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) [الأحزاب]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ولما بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ الرِّجْسَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيُطَهِّرَهُمْ تَطْهِيرًا، دَعَا النَّبِيَّ ﷺ لِأَقْرَبِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَعْظَمِهِمْ اخْتِصَاصًا بِهِ وَهُمْ: عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، جَمَعَ اللهُ لَهُمْ بَيْنَ أَنْ قَضَى لَهُمْ بِالتَّطْهِيرِ، وَبَيْنَ أَنْ قَضَى لَهُمْ بِكَمَالِ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا دَلَّنَا عَلَى أَنَّ إِذْهَابَ الرِّجْسِ عَنْهُمْ، وَتَطْهِيرَهُمْ، نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ لَيْسَبْغُهَا عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَةٌ مِنَ اللهِ، وَفَضْلٌ، لَمْ يَبْلُغُوهَا بِمَجْرَدِ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ» (١).

وهو يشير إلى حديث مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرْحَلٌ (٢) مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣). وذكر أيضًا أنه قد يكون من تمام تطهيرهم: صيانتهم عن الصدقة، التي هي أوساخ الناس (٤).

ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ

(١) جامع المسائل (٣/٧٥-٧٦).

(٢) قال النووي: المرحل بالحاء وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل، أما المرط فبكسر الميم وهو كساء جمعه مروط. شرح صحيح مسلم (١٥/٥٦٦).

(٣) برقم ٢٤٢٤. (٤) منهاج السنة (٧/٨١).

لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ [آل عمران].

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا، وَفَاطِمَةَ، وَحَسَنًا، وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي» (١).

«وهذه المباهلة كانت لما قدم وفد نجران بعد فتح مكة سنة تسع أو عشر، والآية تدل على كمال اتصالهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما دلَّ على ذلك حديث الكساء» (٢).

وقد عدَّ بعض أهل العلم حديث المباهلة من فضائل أهل البيت، قال الزمخشري: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام» (٣).

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلنَّبِيِّ قُلِّ لَأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّكَ وَأَسْرَحَنَّكَ سَرَلًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب].

فالآيات دلت على فضائل زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بأنهن خيرن بين إرادة الدنيا وزينتها، وبين إرادة الله ورسوله، والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة عليهن السلام.

ويدل على فضلهن أيضًا: قوله تعالى في آية أخرى: ﴿التَّيِّبَاتُ الْأُولَى

(٢) منهاج السنة (٤/١٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).

(٣) الكشاف (١/٥٦٦).

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتِهِمْ ﴿ [الأحزاب: ٦]. فقد وصفهن بأنهن أمهات المؤمنين.

أما فضائل أهل البيت من السنة فهي كثيرة، فمن ذلك:

١- ما رواه مسلم في صحيحه من حديث واثلة الأسقع رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ^(١)، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ^(٢)، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ^(٣) بَنِي هَاشِمٍ^(٤)، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٥).

«والذي عليه أهل السنة والجماعة أن قريشاً أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم، فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً، وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم، لمجرد كون النبي منهم، وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً والإلزام الدور»^(٦).

٢- روى أحمد في مسنده من حديث العباس رضي عنه قال: بَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعْضُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالُوا:

(١) إسماعيل هو ابن إبراهيم الخليل وهو الذي أمر الله إبراهيم بذبحه وقصته في سورة الصافات.

(٢) كنانة هو الأب الرابع عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) قريش هو الأب الحادي عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فهر بن مالك؛ وقيل: الأب الثالث عشر، وهو النضر بن كنانة.

(٤) هاشم هو الأب الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٦).

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤١٩ - ٤٢٠).

أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلَهُمْ بِيوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا»^(١).

٣- روى البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة: أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢). فالصلاة والسلام على آل محمد وأهل بيته، تقتضي أن يكونوا أفضل من سائر أهل البيوت.

٤- حديث غدير خم وسبق الكلام عليه.

«أما حقوقهم، فلا شك أن لأهل بيت النبي ﷺ حقوقاً لا يشاركهم فيها أحد من الأمة، وخصائص امتازوا بها على غيرهم، وذلك لمنزلتهم من النبي ﷺ مع الإيمان به، وقد كانت تلك الحقوق والخصائص محط اهتمام علماء السنة والجماعة، وألفوا في ذلك المؤلفات»^(٣).

فمن تلك الحقوق: محبتهم، وتقديرهم، وموالاتهم، تنفيذاً لوصية النبي ﷺ عندما قال: «أذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(٤).

(١) (٣/٣٠٧) برقم (١٧٨٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٦٩)، وصحيح مسلم (٤٠٧).

(٣) أهل البيت عند شيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور عمر القرموشي (ص ١٨٨).

(٤) سبق تخريجه.

ولا ينزلونهم فوق منزلتهم، بل يتبرؤون ممن يغلون فيهم حتى يوصلوهم إلى حد الألوهية، كما فعل عبد الله بن سبأ في علي بن أبي طالب حين قال له: أنت الله!!

قال القرطبي: «وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله، وإبرارهم، وتوقيرهم، ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها»^(١).

وكان أول من امثل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، وفي مقدمتهم الشيخان أبو بكر، وعمر. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه أنه قال: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٢)، والمعنى: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي بكر أنه قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»^(٤).

وكان عمر يقدمهم في العطاء على جميع الناس، ويفضلهم في العطاء على جميع الناس، حتى إنه لما وضع الديوان للعطاء كتب أسماء الناس، قالوا: نبدأ بك؟ قال: لا، ابدؤوا بأقارب رسول الله ﷺ، وضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ ببني هاشم، وضم إليهم بني المطلب^(٥).

(١) المفهم (٦/٣٠٤).

(٢) برقم (٣٧١٣).

(٣) فتح الباري (٧/٧٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧١٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٥٩).

(٥) منهاج السنة (٦/٣٣)، وتاريخ الطبري (٢/٥٧٠).

ومن حقوقهم: الصلاة عليهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس، والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ، فالصلاة على آل محمد ﷺ حق لهم عند المسلمين، وذلك سبب لرحمة الله تعالى لهم بهذا السبب^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقد تقدم حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه في الصلاة على النبي ﷺ.

ومن حقوقهم: ما تقدم أن الله جعل لهم حقاً في الخمس، والفيء، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

فالله تعالى لما حرّم الصدقة على آل محمد تطهيراً لهم، عوّضهم بما يغنيهم من خمس الغنائم، ومن الفيء الذي جعل منه رزق محمد، حيث قال ﷺ، فيما رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيَّ السَّاعَةَ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ

(١) مجموع الفتاوى (٣/٤٠٧)، ومنهاج السنة (٤/٦٠٦).

عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المسند (٩٢/٢)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٠٩/١٥): إسناده صالح.
وصححه العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (٤٢٠/١).

الكلمة الخامسة والثلاثون

الإيمان بالله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من أعظم ما أمر الله به عباده: الإيمان به وحده، والكفر بما سواه، وهو العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا وفاز، ومن تركها خاب وخسر، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والآيات في الأمر بالإيمان بالله، والترغيب فيه، وبيان فضله، والتحذير من تركه كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة].

وأركان الإيمان ستة، أعظمها الإيمان بالله تعالى، ففي حديث جبريل أن النبي ﷺ قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

والإيمان محله القلب، وآثاره الأقوال، والأعمال الصالحة،

(١) صحيح مسلم برقم (٨).

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

«أولاً: الإيمان بوجود الله تعالى

وقد دل على وجوده الفطرة، والعقل، والشرع، والحس، أما دلالة الفطرة، فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه، من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة، إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الَّذِي الْقَبِيْرُ﴾ [الروم: ٣٠] (١).

وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى، فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة، ولا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من مُحدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض، يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨).

فكذلك هذه الطيور، والجبال، والشمس والقمر، والنجوم، والرمال، والبحار.. وغير ذلك لا يمكن أن توجد صدفة أبداً، فتعين أن يكون لها مُوجِدٌ وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله هذا الدليل العقلي، فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [٣٥] [الطور]. يعني: أنهم لم يُخلَقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعيّن أن يكون خالقهم هو الله ﷻ. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [٣٥] أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [٣٦] [الطور]، كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ ^(١).

وأما دلالة الحس على وجود الله، فمن وجهين: أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، ﴾ [الأنبياء: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك قال: إنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِثْنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا»، قَالَ أَنَسُ: فَمَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا ^(٢)، حَتَّى جَاءَ

(١) برقم (٤٨٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٤٦٣) مختصراً.

(٢) أي: أسبوعاً.

الأعرابيُّ الجُمعةَ القادمةً، فقال: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا»، فَتَوَقَّفَ الْمَطْرُ^(١). وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تأييداً لرسله، ونصرة لهم، مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينهما كالجبال، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء].

مثال آخر: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

ومثال ثالث: لنبينا محمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ أَقْرَبَتْ إِلَى السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿ (٢) [القمر]. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصرة لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

أما دلالة الشرع، فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك،

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٤)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٧).

وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به»^(١).

ثانياً: الإيمان بربوبيته

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله وحده لا شريك له، الخالق الرازق، المدبر للعالم كله والمتصرف فيه، وأنه خالق العباد ورازقهم ومحبيهم ومميتهم، وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بربوبيته سبحانه، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات]. وهذا النوع من التوحيد لم يخالف فيه كفار قريش، فكانوا يقرون به مع إشراكهم في توحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلِئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٨٥] قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون].

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠٨/٥).

ويجب أن يعلم أن ما ذكره الله عن الكفار من الاعتراف، إنما هو إقرار وليس هو المعرفة لله، والعلم به التي تدعو إلى محبة الله، وحمده، وشكره، وأنه وحده المستحق للعبادة، وأن التقليل من شأن هذا النوع من التوحيد - أعني: توحيد الربوبية - بناءً على اعتراف الكفار به، وأنه لم ينفعهم، دليل على أن قائل ذلك لم يفهم توحيد الربوبية كما أراد الله، وقد أبدى الله تعالى وأعاد في كتابه الكريم في بيان هذا النوع، وعرف نفسه إلى خلقه حتى يعبدوه على بصيرة، ويوحدوه على علم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالعلماء هم العارفون بالله، وقد جاءت هذه الآية بعد ذكر الآيات التي تعرفه إلى خلقه، وإليك الآيات فتدبر: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ [فاطر: ٢٧].

وتوحيد العبادة لا يتحقق على وجه الكمال إلا بمعرفة توحيد الربوبية، ولذا نجد أن الله تعالى إذا أمر بتوحيده ذكر قبله أو بعده توحيد الربوبية برهاناً على استحقاقه لذلك، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ طه ١ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ ﴾ إلى قوله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه].

وهذه المعرفة هي التي تنفع صاحبها حين يدخل قبره، فيسأل من ربك؟ فمن عرف الله معرفة صحيحة أجاب إجابة صحيحة، فقال: (ربي الله)، ومن كانت معرفته معرفة الكفار، لا يتجاوز الإقرار القهري، فإنه لا يستطيع الإجابة.

ثالثاً: الإيمان بألوهيته:

وهو توحيد العبادة التي هي سر الوجود، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات]، ومعنى ذلك: أن تكون العبادة بجميع أنواعها، والطاعة المطلقة لله تعالى لا يصرف منها شيء لغيره، فكما أنه المتوحد بالخلق، فالأمر الواجب طاعته، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) [الأعراف].

إن العبادة التي يريد منا ربنا عز وجل إفراده بها، هي التي تكون ناتجة عن طبيعتين فطر الله الإنسان عليهما، وهما الإعجاب بالعظمة، والاعتراف بالجميل، والعبد إذا نظر إلى آيات الله في نفسه وما حوله، تبين له عظمة الله تعالى وجلاله، وقدسيته، وكماله، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) [الذاريات]، كما أنه إذا نظر إلى ما أنعم الله به عليه، وعنايته به، وأنه لا يطعم إلا من رزقه، ولا يكسي إلا من ستره، ولا ينجو من كرب وشدة إلا بإنقاذه دعاه ذلك إلى الاعتراف بنعمائه، والشكر لإحسانه، فيقوم بالعبادة، ويتفانى فيها حباً له، وتعظيماً لشأنه، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٥٣) [النحل]، على هذا الأساس تربي محمد ﷺ وربى أصحابه، فأول ما نزل عليه من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) إلى قوله مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [العلق]، وأول ما أمر به من دعوة الخلق تعظيم ربه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ (١) قُمْ فَاذْذَرِي (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرِي (٣)﴾ [المدثر].

رابعاً: الإيمان بأسماء الله وصفاته:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمِيهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف]، فأسماءه بِحُجَّتِ وَيَلَّا حَسَنِي، وصفاته عليا، وما من اسم من أسمائه إلا وهو يتضمن صفة أو أكثر من صفاته، فاسمه الرحمن يتضمن صفة الرحمة، واسمه الكريم يتضمن صفة الكرم، والإيمان بها يستلزم إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله من الأسماء والصفات على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى]، فأثبت لنفسه اسمين عظيمين وهما السميع والبصير، وقد تضمنت صفتين كريمتين وهما: أنه يسمع ويرى، وهاتان الصفتان لا تشبهان صفات المخلوقين، ولذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وما يريد الله من حين علمنا أن هذين الاسمين من أسمائه وما تضمنت من الصفات هي صفاته، هو أن نعلم أنه يرانا فلا نأتي إلا ما يرضيه، ونحذر أن يسمع منا ما يسخطه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ [المجادلة]، وهكذا سائر الأسماء والصفات.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والثلاثون

من أحكام الأطعمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

لما كان الطعام يتغذى به جسم الإنسان، وينعكس أثره على أخلاقه وسلوكه، فالأطعمة الطيبة يكون أثرها طيباً على الإنسان، والأطعمة الخبيثة بضد ذلك، ولذلك أمر الله العباد بالأكل من الطيبات، ونهاهم عن الخبائث، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وجاء في وصف النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. والأطعمة: جمع طعام، وهو ما يؤكل ويشرب.

والأصل في الأطعمة الحل، فلا يحرم منها إلا ما جاء الدليل بتحريمه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأصل فيها الحل لمسلم عمل صالحاً، لأن الله تعالى إنما أحل الطيبات لمن يستعين بها على

(١) الملخص الفقهي، للشيخ صالح الفوزان (٢/٥٧٧).

طاعته، لا على معصيته، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]. ولهذا لا يجوز أن يستعان بالمباح على المعصية، كمن يعطي اللحم، والخبز من يشرب عليه الخمر، ويستعين به على الفواحش^(١).

فالله تعالى أباح لعباده المؤمنين الطيبات لكي ينتفعوا بها، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]. فكل ما لم يبين الله ولا رسوله تحريمه من المطاعم، والمشارب فلا يجوز تحريمه، فإن الله قد فصل لنا ما حرم، فما كان حراماً فلا بد أن يكون تحريمه مفصلاً، فكما أنه لا يجوز إباحة ما حرم الله، فكذلك لا يجوز تحريم ما عفا الله عنه ولم يحرمه، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، فما لم يبين تحريمه فهو حلال. روى الحاكم في مستدركه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَهُوَ حَالِلٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا»^(٢). ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

فقد ذكر أهل العلم قواعد في بيان ما يحرم من الأطعمة، وبعض

(١) فتاوى شيخ الإسلام (٧/٤٤)، والاختيارات الفقهية ص ٤٦٤.

(٢) (٣/١٢٧) برقم (٢٤٧١). وأخرجه البزار في مسنده برقم (١١٧)، وقال عقبه: إسناده صالح، وحسنه الألباني في كتابه غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ١٤) برقم (٢).

هذه المحرمات يدخل تحت أكثر من قاعدة:

القاعدة الأولى: ما جاء النص بتحريمه، وهي أنواع، وينقسم إلى

قسمين:

(أ) نصوص عامة تشمل أفرادًا كثيرة: كالنص على تحريم كل ذي ناب من السباع^(١) وهي التي تفترس بنابها^(٢)، مثل: الأسد، والفهد، والسَّنور (الهر)، والهدهد، والكلب، والنمر، ونحوه.

وكل ذي مخلب^(٣) من الطير، وهي سباع الطير التي تصيد بمخلبها: كالعقاب، والباز، والصقر، والحدأة، والبومة، والنسر، والرخم. روى البخاري ومسلم من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ^(٥).

قال ابن القيم رحمته الله: «قد تواترت الآثار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهي

(١) السباع: قال في القاموس: السبع بضم الباء المفترس من الحيوان، ص ٩٣٨.

(٢) الناب: السن الذي خلف الرباعية، جمعه أنياب، وكل ذي ناب يتقوى به ويصاد، قال في النهاية في غريب الحديث: ما يفترس الحيوان ويأكله قهراً كالأسد، والنمر، والذئب (٢/٣٣٧).

(٣) المخلب: بكسر الميم وفتح اللام، قال أهل اللغة: المراد به ما هو في الطير بمنزلة الظفر للإنسان، ويباح منه الحمام، والعصفور لأنهما من المستطاب. تهذيب اللغة للأزهري (٧/٤١٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٥٣٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣٢).

(٥) برقم ١٩٣٤.

عن أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وصحت صحة لا مطعن فيها من حديث علي، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي ثعلبة الخنسي»^(١).

(ب) ما جاء النص في تحريمه بخصوصه:

١- الخنزير: لأنه يتغذى على القاذورات، وكل شيء من الخنزير حرام، وتخصيص اللحم بالذكر لأنه يقصد في العادة، والخنزير حيوان مسخ بصورته قوم، وقد جمع الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الثلاث في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

٢- الدم: المراد به الدم المسفوح، لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصحيح أنه إنما يحرم الدم المسفوح المصبوب المهرق، فأما ما يبقى في عروق اللحم فلم يحرمه أحد من العلماء»^(٢).

٣- الحمار الأهلي: لما ورد في الصحيحين من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ^(٣). قال ابن المنذر: «لا خلاف بين أهل العلم اليوم في تحريمها»^(٤).

(ج) ما جاء النص بالنهي عن بيعه، وشرائه كالكلب، والهر.

(١) إعلام الموقعين (٢/١١٨)، (٤/٣٨٠).

(٢) حاشية الروض المربع (٧/٤١٧).

(٣) صحيح البخاري برقم ٥٢٠٤، وصحيح مسلم برقم ١٩٤١.

(٤) حاشية الروض المربع (٧/٤١٨).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود الأنصاري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ (١). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير قال: سَأَلْتُ جَابِرًا عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسِّنُورِ؟ قَالَ: زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ (٢).

٢- ما لم يُذَكَّ ذكاة شرعية من الحيوان المباح، أو الطير، كالميتة، والمنخنقة، والموقوذة، والمرتدية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما أهل لغير الله به، وما ذبح على النصب، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّيْتَةٌ وَالِدٌ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

أ- الميتة: وهي ما مات حتف أنفه، وفارقت الحياة بدون ذكاة شرعية، وحرمت لما فيها من المضرة بسبب الدم المحتقن، وخبث التغذية، وتجوز للمضطر بقدر الحاجة.

ب- ﴿مَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: أي: ذبح على غير اسمه تعالى، وهذا حرام لما فيه من الشرك المنافي للتوحيد، فإن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١٦) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣)﴾ [الأنعام].

ج- المنخنقة: هي التي تخنق فتموت إما قصداً، أو بغير قصد.

د- الموقوذة: هي التي تضرب بعضاً، أو شيء ثقيل فتموت.

(١) صحيح البخاري برقم ٢٢٣٧، وصحيح مسلم برقم ١٥٦٧.

(٢) برقم ١٥٦٩.

هـ- المتردية: هي التي تتردى من مكان عال فتموت.

و- النطيحة: هي التي تنطحها أخرى فتقتلها.

ز- ما أكل السبع: هي التي يعدو عليها أسد، أو نمر، أو ذئب أو كلب، فيأكل بعضها فتموت بسبب ذلك، فما أدرك من هذه الخمسة الأخيرة وبه حياة فذكي فإنه حلال الأكل لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

ن- ما ذبح على النصب: وهي حجارة كانت منصوبة حول الكعبة وكانوا في الجاهلية يذبحون عندها، فهذه لا يحل أكلها، وذلك لأن المذبوح عند النصب معتد به تعظيم الطاغوت دلالة وإن لم يتلفظ باسمه فهو بمنزلة ما أهل لغير الله به^(١).

٣- الجلالة: وهي كل حيوان، أو طائر حلال يتغذى على النجاسات، ولا تحل إلا تحبس على طعام طيب مدة تكفي لزوال أثر ذلك الطعام الخبيث. روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلَالَةِ وَالْبَانِهَاتِ^(٢). وسواء في ذلك الإبل، والبقر، والغنم، والدجاج، ونحوها.

قال ابن القيم رحمته الله: «أجمع المسلمون على أن الدابة إذا علقت بالنجاسة ثم حبست، وعلقت الطاهرات، حل لبنها، ولحمها، وكذا الزرع، والثمار إذا سقيت بالماء النجس ثم سقيت بالطاهر حلت،

(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، لمجموعة من العلماء (ص ٤٠٠ - ٤٠١)؛ الروضة الندية شرح الدرر البهية، للشيخ محمد صديق حسن خان (٢/ ٣٨٥).

(٢) برقم ٣٧٨٥، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٤٩) برقم ٢٥٠٣.

لاستحالة وصف الخبيث وتبدله بالطيب»^(١).

٤- ما كان ضارًا كالسموم، والمخدرات، والمسكرات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَعِقَابًا عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٣).

٥- ما قطع من البهيمة. روى أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ، فَهُوَ مَيْتَةٌ»^(٤).

٦- ما تولد من حيوان مباح، وحرام، كالبغل المتولد من الخيل، والحرر الأهلية.

(١) إعلام الموقعين (١/٤٠).

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٧٨، وصحيح مسلم برقم ١٠٩.

(٣) برقم ٢٠٠٣.

(٤) سنن أبي داود برقم ٢٨٥٨، ومسند أحمد (٣٦/٢٣٥) برقم ٢١٩٠٤، وقال محققوه:

حديث حسن.

القاعدة الثانية: ما جاء النص بالنهي عن قتله من الحيوانات، والطيور، والحشرات.

روى أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه من حديث ابن عباس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ النَّحْلَةِ، وَالنَّمْلَةِ، وَالصُّرْدِ، وَالْهُدْهِدِ^(١)، وفي رواية لابن ماجه: وَالصُّفْدَعِ^(٢).

وروى أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن عثمان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ طَبِيبٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَوَاءً، وَذَكَرَ الصُّفْدَعِ يُجْعَلُ فِيهِ، فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ الصُّفْدَعِ^(٣).

القاعدة الثالثة: ما جاء النص في الأمر بقتله من الحيوانات والطيور، إذ لو كان حلالاً لما أمر بقتله، وترك ذلك للحاجة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَمْسٌ فَوَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ^(٤)، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحَدِيَّاءُ»^(٥).

«والحق بعض أهل العلم أنواعاً أخرى من الغربان بالأبقع، مثل

(١) سنن أبي داود برقم ٥٢٦٧، ومسند أحمد (٥/٢٩٥) برقم ٣٢٤٢، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) برقم ٣٢٢٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٢١٧) برقم ٢٦٠٨.

(٣) (٣٦/٢٥) برقم ١٥٧٥٧، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) الأبقع: هو الذي في ظهره أو بطنه بياض. شرح صحيح مسلم للنووي (٨/٣٥٣).

(٥) صحيح البخاري برقم (١٨٢٩)، وصحيح مسلم برقم (١١٩٨) واللفظ له.

غراب البين، وهو أكبر الغربان، والعقق^(١)، والأعصم^(٢)، وعللوا ذلك بأنها مستقبحة لأكلها الخبائث، واتفق العلماء على إخراج الغراب الصغير الذي يأكل الحب من ذلك، ويقال له: غراب الزرع، ويقال له: الزاغ، وأفتوا بجواز أكله، وبقي ما عداه ملتحقاً بالأبقع^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم شريك رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ، وَقَالَ: «كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٤).

القاعدة الرابعة: ما كان في أكله ضرر من الحيوانات السامة.

كالحيات، والعقارب، والسموم الموجودة في الأعشاب، والمخدرات، والمسكرات. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا ضَرَرَ، وَلَا ضِرَارَ»^(٥).

القاعدة الخامسة: ما يستخبثه أصحاب الفطر السليمة.

كل خبيث حرام، وبهذا بعث الله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن تلك الخبائث المحرمة: الحشرات، الزنابير، والخنافس،

(١) وهو على قدر الحمامة على شكل الغراب، قيل: سمي بذلك لأنه يعق فراخه فيتركها بلا طعام، وبهذا يظهر أنه نوع من الغربان. فتح الباري (٣٨/٤).

(٢) وهو الذي في رجليه أو في جناحيه أو بطنه بياض أو حمرة. فتح الباري (٣٨/٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٣٨/٤).

(٤) صحيح البخاري برقم ٣٣٥٩، وصحيح مسلم برقم ٢٢٣٨.

(٥) (٥٥/٥) برقم ٢٨٦٥، وقال محققوه: حسن.

والفراش، والصراصير، وأم حبيب،.. وغيرها، وكل ما لم يدخل تحت هذه القواعد السابقة فهو حلال، سواء من الحيوانات البرية أو البحرية، أو الأطعمة، أو الأشربة، وقد أحلَّ الله لعباده الطيبات وهي كثيرة جدًا تغنيهم عما حَرَّمَ من الخبائث، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- صيد البحر، وطعامه، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٦]. وصيده ما صيد حيًّا، وطعامه ما مات فيه من حيتانه وأسماكه. روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال في البحر: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»^(١).

وكل ما يعيش إلا في البحر فإنه حلال، سواء صيد حيًّا أو لفظه البحر ميتًا، ولا يستثنى من ذلك إلا ما كان ضارًّا لكونه سامًّا، أو ما وقع الخلاف في حله، وهي الحيوانات البحرية المحرم جنسها في البر، مثل الخنزير، والكلب؛ أما التمساح، والضفدع ونحوهما مما يعيش في البر والبحر، فلا تدخل في صيد البحر، ولا طعامه، ويطبق عليها القواعد السابقة.

٢- الجراد: روى الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(٢).

٣- الكبد والطحال، فهما وإن كانا دمين، فقد جاء النص بحلِّهما كما سبق.

(١) سنن أبي داود برقم ٨٣، وسنن الترمذي برقم ٦٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٦/١٠) برقم ٥٧٢٣، وقال محققوه: حديث حسن، وابن ماجه برقم ٣٣١٤.

- ٤- بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.
- ٥- الخيل. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ^(١).
- ولحديث جابر رضي الله عنه قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَن لُحُومِ الْحُمُرِ، وَرَخَّصَ فِي الْخَيْلِ^(٢).
- ٦- الحمار الوحشي: وهو غير المستأنس، لحديث أبي قتادة: أَنَّهُ رَأَى حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَعَقَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ؟» قَالَ: مَعَنَا رِجْلُهُ، فَأَخَذَهَا، فَأَكَلَهَا^(٣).
- ٧- الضب: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَكَلَ الضَّبُّ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤)، ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا فَإِنَّهُ حَلَالٌ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي»^(٥).
- ٨- الجربوع.
- ٩- الأرنب: روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّهُ أَخَذَ أَرْنَبًا، فَذَبَحَهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَبَعَثَ بِوَرِكِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبِلَهُ^(٦).
- ١٠- الضبع: لما رواه الترمذي في سننه من حديث ابن أبي

(١) صحيح البخاري برقم ٥٥١٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٤٢.
 (٢) صحيح البخاري برقم ٥٥٢٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٤١.
 (٣) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٠، وصحيح مسلم برقم ١١٩٦.
 (٤) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٥، وصحيح مسلم برقم ١٩٤٧.
 (٥) صحيح البخاري برقم ٧٢٦٧، وصحيح مسلم برقم ١٩٤٤.
 (٦) صحيح البخاري برقم (٢٥٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٩٥٣).

عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرٍ: الضَّبْعُ صَيْدٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَكُلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَقَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ^(١).
قال ابن حجر: وقد ورد في الضبع أحاديث لا بأس بها^(٢).

١١- الطيور الطيبة: مثل الحجل، والدارج، والقمري،... ونحوها.

١٢- الدجاج: روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ دَجَاجًا^(٣).

١٣- الوبر.

هذه بعض الأحكام المتعلقة بالأطعمة، والأمثلة الواردة على سبيل المثال لا الحصر، وبقيت أحكام أخرى يستكمل الحديث عنها في كلمة قادمة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٧٩١، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) فتح الباري (٩/٥٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٥١٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٤٩).

الكلمة السابعة والثلاثون

شهادة الزور والتحذير منها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
فإن من أعظم الذنوب عند الله تعالى بعد الشرك به سبحانه: شهادة الزور، ففيها مفسدة للدين، والدنيا، ولل فرد والمجتمع، وكذب، وبهتان، وأكل للمال بالباطل، وسبب لانتهاك الأعراس، وإزهاق النفوس. قال القرطبي: «شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال»^(١).

وقد جاء التحذير الشديد من شهادة الزور، فقال تعالى:
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ﴿٣٠﴾
[الحج]. كما جاء المدح لمجتنبيها، فقال تعالى في صفات عباد الرحمن:
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوْرِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿٧٢﴾ [الفرقان].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكره رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ

(١) فتح الباري (٥/٤٢٦).

النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» (ثلاثاً)، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ». قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ (٢).

«ففي هذين الحديثين الصحيحين عظم النبي ﷺ شهادة الزور غاية التعظيم، وحذر منها غاية التحذير بقوله، وفعله، حيث كان يتحدث عن الشرك والعقوق متكئًا، فلما ذكر شهادة الزور جلس ليبين فداحتها وعظمتها، وجعل يكرر القول بها حتى قال الصحابة: لَيْتَهُ سَكَتَ، وعظمتها أيضًا حين صدر القول عنها بأداة التنبيه: (أَلَا؟)، وحين فصلها في الحديث السابق عما قبلها من الكبائر وقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» (٣).

قوله: وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا، قال الحافظ ابن حجر: «يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه، وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور، أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإِشْرَاكُ ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرفه عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٧).

(٣) الضياء اللامع من الخطب الجوامع، للشيخ ابن عثيمين (٤/٤٥١) بتصرف.

كالعداوة، والحسد، وغيرهما؛ فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً»^(١). اهـ

وشهادة الزور قرينة الشرك بالله، قال عبد الله بن مسعود: تُعدل شهادة الزور بالشرك، وقرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج] (٣٠). ومن الفتن التي أخبر النبي ﷺ أنها تقع في آخر الزمان: شهادة الزور.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوءَ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكَيْتَمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمْنُ»^(٤).

وفي رواية: «ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ،

(١) فتح الباري (٥/٢٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢).

(٣) (٤١٦/٦) برقم (٣٨٧٠)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٦٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٣٥).

وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ». قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ^(١).

وقد استشكل هذا الحديث مع قول النبي ﷺ، كما في صحيح مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَها»^(٢).

ذكر العلماء - رحمهم الله - وجوهاً كثيرةً للجمع بين الحديثين السابقين، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وأحسن الأجوبة أن المراد بحديث زيد: من عنده شهادة لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها، فيأتي إليه فيخبره بها، أو يموت صاحبها العالم بها ويخلف ورثة، فيأتي الشاهد إليهم، أو إلى من يتحدث عنهم فيعلمهم بذلك»^(٣).

«ومن شهادة الزور: أن يشهد الإنسان بما لا يعلمه علمًا يقينًا مثل الشمس، أو بما يعلم أن الواقع بخلافه، سواء شهد للشخص، أو عليه»^(٤).

وليست شهادة الزور مقتصرة على الشهادة بالكذب أمام القضاة في المحاكم الشرعية، فإن شهادة الزور صورها كثيرة، ويتساهل كثير من الناس فيها، فمن ذلك:

«أن يشهد المدير لأحد موظفيه بأنه من أحسنهم ويؤدي عمله بجدارة وإخلاص، وقصده بذلك ترقية هذا الموظف إلى مرتبة

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٥٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٣٣).

(٢) برقم (١٧١٩). (٣) فتح الباري (٥/٢٦٠).

(٤) الضياء اللامع من الخطب الجوامع، للشيخ ابن عثيمين (٤/٤٥١).

أعلى، وهذه الشهادة تقدم للمسؤول الأعلى، أو يشهد للموظف المهمل لوظيفته بمبررات لإهماله لا حقيقة لها، فيشهد له بالمرض وهو غير مريض، أو يشهد له بشغل قاهر وهو غير مشغول، أو يشهد له بنقل أهله إلى مقر عمله الجديد وهو لم ينقلهم، أو باستئجار سيارة وهو لم يستأجرها، أو يشهد بأجرة أكثر مما استأجرها به، أو يشهد بأنه قام بالوظيفة منذ وقت كذا وهو لم يقم بها ولم يباشرها، يزعم الشاهد بذلك أنه يريد الإصلاح بنفع المشهود له، ولم يدر أنه بهذه الشهادة ضر نفسه وضر المشهود له، وأفسد على نفسه، وعلى المشهود له دينه»^(١).

ومنها: ما يحصل عليه بعض الناس من الشهادات الدراسية مثل البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، يأخذونها زورًا وبهتانًا بغير حق، وبعضهم للأسف تكون شهادته في الشريعة الإسلامية مع جهله بأبسط الأحكام الشرعية، وقد ينال بهذه الشهادة منصبًا، أو مركزًا اجتماعيًا، فيفتي الناس بغير علم ويضلهم.

ومنها: الشهادة للشركة، أو المؤسسة التجارية الفلانية بأنها من أفضل الشركات، وأنها أجدر من غيرها، وذلك للحصول على المناقصة الحكومية وإرساء المشروع عليها.

ومنها: الشهادة أن فلانًا من الناس يصلح أن يزوج، أو يؤتمن، أو يشارك في تجارة ونحوها، وهو ليس كذلك.

(١) الضياء اللامع مع الخطب الجوامع (٤/٤٥٠)، للشيخ ابن عثيمين.

ومن مفسد شهادة الزور:

أولاً: أن صاحبها قد بنى حاله على الكذب، والافتراء، وطمس الحقائق.

ثانياً: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله، وعرضه، وروحه (أحياناً).

ثالثاً: أنه ظلم الذي شهد له، بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته، فوجبت له النار، مصداقاً لقوله ﷺ: «فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»^(١).

رابعاً: أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه: من المال، والدم، والعرض^(٢).

خامساً: أن شهادة الزور سبب لزرع الأحقاد، والضغائن في القلوب.

سادساً: أنها تعين الظالم على ظلمه، وتعطي الحق لغير مستحقه.

سابعاً: أنها سبب لسيطرة الفساق، وتمكنهم، وإبعاد الأخيار عن مواقع التأثير، والإصلاح.

ثامناً: أنها سبب لفساد البلاد، والعباد.

تاسعاً: أن فيها زعزعة للثقة، والأمانة بين الناس.

(١) صحيح البخاري برقم ٧١٦٩، وصحيح مسلم برقم ١٧١٣.

(٢) الكبائر، للذهبي (ص ٧٩).

عاشراً: «أن الشاهد بالزور إذا شهد مرة، هانت عليه الشهادة ثانية، وإذا شهد بالصغير، هانت عليه الشهادة بالكبير؛ لأن النفوس بمقتضى الفطرة، تنفر من المعصية وتهابها؛ فإذا وقعت فيها، هانت عليها، وتدرجت من الأصغر إلى ما فوقه»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٤/٤٥٣)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

الكلمة الثامنة والثلاثون

الحث على التجارة، وبيان بركتها، وحلول لمشكلة البطالة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص من الكتاب والسنة تحث على التجارة وتبين فضلها وبركتها، والاستغناء بها عما في أيدي الناس، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [١٥] [المك]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

قال البغوي: أي: إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم^(١). كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث رافع بن خديج قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ،

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٥٦٣).

(١) تفسير البغوي (٢/٩٤٥).

وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث المقدم بن معد يكرب رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٢). وفي رواية: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث الزبير بن العوام رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيُكْفَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(٤).

وكما تقدم أن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، فكذلك كان غيره من الأنبياء. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَارًا»^(٥). وموسى عليه السلام عمل عند شعيب عشر سنوات يرعى الغنم، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم رعى الغنم. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(٦). والقراريط دراهم يسيرة.

(١) (٥٠٢/٢٨) برقم (١٧٢٦٥)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) برقم (٢٠٧٢).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٣٥٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (١٤٧١). (٥) صحيح مسلم برقم (٢٣٧٩).

(٦) برقم (٢٢٦٢).

ومن الأدلة على فضل التجارة وبركتها: ما ورد في الصحيحين من حديث أنس: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنَى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأَزْوَجَكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، ذُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقْطًا وَسَمْنَا^(١).. الحديث.

فعبد الرحمن بن عوف تعفف عن مال أخيه، ثم سعى في التجارة فبارك الله له وفتح عليه بها، فتزوج بعد ذلك، ثم أصبح من تجار المدينة. قال أيوب السخيتاني: قال لي أبو قلابة: الزم السوق فإن الغنى من العافية^(٢).. يعني: الغنى عن الناس.

قال علي بن الفضيل: سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد، والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي إنما أفعل ذا؛ لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي^(٣).

سئل الإمام أحمد بن حنبل: ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده، وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي ﷺ: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ

(١) صحيح البخاري برقم ٣٧٨٠، وصحيح مسلم برقم ١٤٢٧.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٩٤٣). (٣) تاريخ بغداد (١٠/١٦٠).

رُمحِي» (١)(٢).

أيضاً قوله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (٣). فقوله ﷺ حين ذكر الطير: «تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق (٤).

وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه، فقال له عمر رضي الله عنه: أصبت، استغن عن الناس، يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم. قال أبو قلابة البصري لرجل: لأن أراك تطلب معاشك، أحب إلي من أراك في زاوية المسجد.

وقال أبو سليمان الداراني: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد.

قال الغزالي: «فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الأغيار» (٥)، ومن ليس له مال موروث، فلا ينجيه من ذلك بعد الله إلا

(١) مسند الإمام أحمد (٩٢/٢)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٠٩/١٥): إسناده صالح.

(٢) إحياء علوم الدين (٦٠/٢) [طبعة دار الكتب العلمية الثالثة - بيروت].

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٤)، وقال: حديث حسن صحيح؛ ومسند الإمام أحمد (٣٣٢/١) برقم (٢٠٥)، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٤) أي: أنها تذهب في أول النهار جائعة، وترجع في آخر النهار، وقد امتلأت بطونها بالطعام.

(٥) الأغيار: جمع غير، والمراد الغير من الناس.

الكسب والتجارة»^(١).

وكما وردت النصوص الكثيرة في فضل التجارة والاستغناء عما في أيدي الناس، فقد وردت نصوص وآثار تذم البطالة وتحذر منها، فمن ذلك: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ»، وَفِيهِ: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ^(٢)، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا».. الحديث^(٣).

ومن ذلك قول عمر بن الخطاب: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة^(٤). وقال ابن مسعود: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغًا، لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته»^(٥).

ومما تقدم من النصوص والآثار السابقة، يتبين لنا الآتي:

١- أن الإنسان يسعى لرزقه ويبدل الأسباب المشروعة كما أمر، والله تعالى يبارك في هذا السعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥٨) [الذاريات]. وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٢٢) [الذاريات].

٢- أن الرزق ليس مرتبطًا بالشهادة الدراسية أو الذكاء، أو

(١) إحياء علوم الدين (٢/٩٤٢ - ٩٤٤) بتصرف.

(٢) قيل: الذي لا مال له. شرح صحيح مسلم، للنووي (١٧/١٩٦).

(٣) برقم (٢٨٦٥). (٤) إحياء علوم الدين (٢/٩٤٢).

(٥) نفس المصدر السابق.

الحصول على وظيفة حكومية، فكم من رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يملك الأموال الطائلة؟!!

٣- أن المجالات والفرص المتاحة كثيرة، ولكن يحتاج الإنسان لتشغيل الذهن، والتفكير المثمر، والعمل الجاد مع الاستعانة بالله.

وهذه بعض الأسباب التي تعين على نجاح التجارة، أخذت من النصوص الشرعية، وسؤال المختصين في ذلك:

١- حسن النية في التجارة وأن يقصد الاستعفاف والاستغناء عن سؤال الناس. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»^(١).

٢- الجرأة في الإقدام على العمل التجاري، قال ابن خلدون: وأما من كان فاقداً للجرأة والإقدام من نفسه، فينبغي أن يجتنب الاحتراف بالتجارة^(٢).

٣- الوعي والإدراك لما يقدم عليه من أمور التجارة وتفصيلها الدقيقة، فالبعض يقدم على التجارة ولكن للأسف لا يتابع أمورها، وإنما يكل الأمور للآخرين من موظفين أو عمال فتحصل الخسارة.

٤- بذل الأسباب الشرعية من الاستخارة التي علمها النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٤١٠).

أمته، والتوكل على الله، والاعتماد عليه، وكذلك الاستشارة للمختصين في هذا المجال قبل البدء في العمل التجاري، ودراسة المشروع والجدوى الاقتصادية منه، والاستمرار في الاستشارة، حتى يصل المشروع إلى تحقيق أهدافه.

٥- تقوى الله ومراقبته في هذه التجارة، فما اتقى الله امرؤ في أي أمر من أموره، إلا بارك الله له فيه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق].

والبعد عن بيع أو شراء ما فيه مخالفات شرعية أو محرمات والتورع عن الشبهات. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(١).

قال ابن حجر: «وفيه أن المكتسب للمال من غير حلّه لا يبارك له فيه، لتشبيهه بالذي يأكل ولا يشبع»^(٢).

٦- الاكتفاء بالربح القليل، وعدم النظر إلى الغير من التجار، والاستعجال للحاق بهم، فمن استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه، وقد قيل: قليل دائم خير من كثير منقطع.

(١) برقم (٦٤٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٤) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (١١/٢٤٩).

٧- الترتيب المالي للعمل التجاري فيعرف ما له وما عليه؟
وكم سينفق على هذا المشروع من مال؟ وما هي الثمرة
المتوقعة منه؟ وما مقدار هذه الأرباح؟ وغير ذلك من
التفاصيل الدقيقة التي توضح له الأمور، وتساعده على
تجاوز العقبات، ونجاح المشروع.

٨- الصدق في المعاملة من بيع، وشراء، وشراكة والنصح
للمشتري، لما ورد في الصحيحين من حديث حكيم بن
حزام: أن النبي ﷺ قال: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا،
فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا
مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُمَا»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله قال:
«بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ
مُسْلِمٍ»^(٢). فَكَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا أَوْ بَاعَ، يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ: «اعْلَمْ أَنَّ مَا أَخَذْنَا مِنْكَ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا أَعْطَيْنَاكَ، فَاخْتَرْ».
وروى الطبراني في ترجمته: أن غلامه اشترى له فرسًا بثلاث مئة،
فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاث مئة، فلم
يزل يزيده حتى أعطاه ثمان مئة درهم^(٣).

٩- التبكير في البيع، والشراء. روى أبو داود في سننه من

(١) برقم (٢١١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٥٣٢)..

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٥٦).

(٣) فتح الباري (١/١٣٩).

حديث صخر الغامدي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية أو جيشاً، بعثهم من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله^(١).

١٠- أن يرضى التاجر بما قسم الله له من رزق. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي العلاء بن الشخير قال: حدثني أحد بني سليم، ولا أحسبه إلا قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبتلي عبده بما أعطاه، فمن رضي بما قسم الله له، بارك الله له فيه، ووسعه؛ ومن لم يرض، لم يبارك له»^(٢).

١١- أداء الزكاة في وقتها، ووضعها في مواضعها الشرعية، فهي الركن الثالث من أركان الدين، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فالزكاة طهرة ونماء للمال.

١٢- وضع جزء من الربح للصدقة وهذا من أسباب البركة ونماء المال. روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) سنن أبي داود برقم ٢٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٩٤) برقم (٢٢٧٠).

(٢) (٤٠٣/٣٣) برقم (٢٠٢٧٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاحِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ، لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ» (١).

١٣- الدعاء، فيكثر من الدعاء بأن يبارك الله له في تجارته ويوسع له فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة].

روى البخاري في صحيحه من حديث عُرْوَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي لَهُ بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ، وَكَانَ لَوْ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ (٢).

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (١٤٧٩)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٤٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ومن أراد التوسع في الموضوع، فليراجع رسالة المؤلف (التجارة والأسواق. نصائح وأحكام).

الكلمة التاسعة والثلاثون

تعظيم شعائر الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوا شَعِيرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَلْبَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ١].

في هذه الآية الكريمة ينهي عز وجل عباده المؤمنين عن استحلال شعائر الله التي حرمها، وقد تضمن هذا النهي الأمر بتعظيمها وذلك بفعل ما يجب لله تعالى فيها.

وقد وردت الآيات الكريمات مصرحة بتعظيمها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُٗ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].
كما بين تعالى أن من علامات صلاح القلوب واستقامتها تعظيم تلك الشعائر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمِ شَعِيرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وشعائر الله هي أوامره ونواهيه، وتعظيمها يكون بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، وبإجلالها بالقلب ومحبتها، وتكميل العبودية فيها غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متناقل.
وشعائر الله هي أعلام دينه الظاهرة التي أمر بتعظيمها، ومن

أخصها: بيت الله المحرم، ومناسك الحج، وقد وردت النصوص من الكتاب والسنة تبين بإيضاح كيف يكون تعظيم شعائر الله، وما يترتب على انتهاكها من العقوبات، وحلول سخط الله وغضبه على فاعل ذلك، فمن ذلك:

أن الله تعالى أمر أبانا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل بتطهير بيته، فقال تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الحج].

وفي هاتين الآيتين الكريمتين بيان لحكمة التطهير الذي أمر الله به، وتطهيره بإزالة النجاسات، والأقذار من التعظيم الذي أمر الله به، غير أن المقصود الأعظم تطهيره من الشرك والمشركين، والزنادقة الملحدين، وتخليصه لعباد الله الموحدين الطائفين، والعاكفين، والقائمين، والركع السجود، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكر: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَهَدَ إِلَيْهِ فِي حَجَّةِ الْعَامِ التَّاسِعِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ: «أَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» (١).

(١) صحيح البخاري برقم (١٦٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤٧).

وإن مما يرى من مشاهد التبرج والسفور في المسجد الحرام، لهو شبيه بما نهى عنه رسول الله ﷺ مع فارق بينهما من جهة القصد، فالمشركون كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها، فهم بذلك يقصدون تعظيم الله، فلم ينفعهم ذلك القصد الحسن لأن عملهم مبتدع غير مشروع؛ أما المتبرجات اللاتي يشاهدن عند بيت الله الحرام، وفي مناسك الحج والعمرة، فقد انعدم لديهن الأمران جميعاً، وهما حسن القصد، وصحة العمل، فإلى الله المشتكى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن شعائر الله العظيمة ومناسك عبادته: الصفا والمروة التي شرع الله السعي بينهما، وجعله ركناً لا يتم الحج إلا به، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) [البقرة].

وإن من تعظيم شعائر الله تعالى: أداء المناسك على الوجه الموافق لسنة النبي ﷺ من طواف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة، ووقوف بعرفة في يوم عرفة مع عموم المسلمين، ومبيت بمزدلفة والصدح بذكر الله، وتوحيده عند المشعر الحرام، ورمي الجمار اقتداءً بإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام، وبخاتم النبيين محمد ﷺ في غير غلو، ولا تفريط. وقد كان ﷺ يؤكد ويكرر في حجته التي حجها عند كل منسك الاقتداء به والالتيان بما يفعله، فيقول: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ، فَلَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا» (١).

(١) صحيح مسلم برقم (١٢٩٧).

فبأبي هو وأمي، فلقد بلغ رسالته، وأدى أمانته، ونصح أمته، فأين منا من يستجيب له؟ فيحيا سعيداً، ويموت راضياً مرضياً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال].

لقد خاب وخسر من لم يعظم شعائر الله، وانتهك حرماته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَاةِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِنَّ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (١).

فكل ما حرم الله على عباده فهو في مكة أعظم حرمة، وأشد جرمًا، وأكبر خطيئة، فمكة بلد حرمها الله واختارها بحكمته، وجعل فيها بيته، الذي هو أول بيت وضع للناس ليفدوا إليه ويطوفوا به، فهي أم القرى بنص كتاب الله وإن رغمت أنوف الحاقدين الضالين، فمن زعم أن أم القرى هي قم أو غيرها فقد كذب القرآن، ومن كذب القرآن فهو من الكافرين، وعليه لعنة الله،

(١) صحيح البخاري برقم (١٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١٣٥٤).

والملائكة والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوَى الْأَلْبَابُ لِعَلَّكُمْ تَفْحَحُونَ ﴿١٠٠﴾ [المائدة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الأربعون

خطر الإلحاد وانتشاره في بلاد المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من المصائب العظمى، والبلايا الكبرى التي ابتلي بها العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة: ظهور الإلحاد ونشره من قبل أعداء الإسلام وأعني بالإلحاد الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان، والرشد، وظهور التكذيب بالخالق، وبالبعث، والجنة، والنار، والتطاول على الله أو على النبي ﷺ، أو على دين الإسلام، ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومواقع نشر الإلحاد كثيرة كالقنوات الفضائية، والمواقع الإلكترونية والمقاهي الليلية المغلقة، وشبكة التواصل الاجتماعي، والفيسبوك، وتويتر والكتب، والمقالات، والصحف، والمجلات.. وغيرها. وللأسف أن هؤلاء الملاحدة قد زاد شرهم في الآونة الأخيرة، وبدؤوا يصرحون بكفرهم وزندقتهم عبر الوسائل الإعلامية السابقة، مع أنهم وُلِدُوا في بيئة مسلمة، ومن أبوين مسلمين، ولكن الشياطين اجتالتهم عن الدين القويم إلى هذا المسلك المنحرف، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء].

روى مسلم في صحيحه من حديث عياض المجاشعي: أن النبي ﷺ قال: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»^(١).

ومن أقوال هؤلاء الملاحدة قبّحهم الله:

قول أحدهم: الله والشيطان وجهان لعملة واحدة، وقال أيضًا: الانتحار نصر على الله.

وقال آخر: عليك أن تثبت وجود الله علميًا وبالصور، وبعدها تثبت أنه هو من خلق الذبابة التي تتحدّون فيها العالم.

وقال آخر: بالنسبة للقرآن فهو لون أدبي معروف لدى العرب، قبل الإسلام، وبعد الإسلام.

وقال آخر: أنا لا أوّمن بحديث شرب أبوال إبل، وحديث الذبابة لأنها تتنافى مع العقل الصحيح، والفترة السليمة.

وقال آخر: أعتقد أن الأديان مجرد تراث وفلكلور.

وقالت إحدهن: إن كان الله في قسوته يتمثل بوجه أمي، فهو غاضب على الدوام علينا، قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف].

وقد سبق هؤلاء الملحدون مثلهم كثير، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَاعْنُوا قَالُوا ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١].

وحكى الله عن فرعون قوله: ﴿ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

وحكى الله عنهم قولهم في القرآن: ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان]. فهؤلاء هم قذوتهم ومثلهم الذي يتبعونه، وأخطر ما في هؤلاء الملحدين، زعم بعضهم أنه مسلم، بل ربما ادعى الصلاح والإصلاح، كما حكى الله عن قائدهم فرعون لعنه الله عندما قال: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر].

وبناءً على ما سبق، فقد تمت دراسة هذه الظاهرة من بعض الدعاة، والمصلحين، وتبينت لهم أسبابها، وأذكر هنا بعضاً من تلك الأسباب، للحذر من سلوكها وإنكارها:

١- الابتعاث إلى بلاد الكفار للدراسة دون التقيد بالضوابط الشرعية، ويبقى الطالب هناك سنوات عديدة، فينبره بالحضارة الغربية الزائفة، ويختلط بالكفرة والملحدين من اليهود والنصارى وغيرهم، مع ضعف العلم الشرعي للرد على شبهاتهم وضلالتهم، فيبقى متشككاً في دينه وعقيدته، وفي النهاية قد ينتهي به الأمر إلى الإلحاد والزندقة، كما

حصل لبعضهم عند عودته إلى بلاده، وتكره لدينه، وعقيدته، بل إن بعضهم آثر البقاء في بلاد الكفار، وعدم العودة إلى ديار المسلمين. قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «السفر إلى البلاد التي فيها الكفر، والضلال، والحرية، وانتشار الفساد من الزنا، وشرب الخمر وأنواع الكفر، والضلال، فيه خطر كبير وعظيم على الرجل، والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسداً؟! وكم من مسلم رجع كافراً؟!»^(١).

٢- القراءة فيما يسمى بكتب الفكر والفلسفة، أو الحداثة التي تحوي الإلحاد والزندقة، ورد الأحاديث الصحيحة بحجة أنها تنافي العقل، وفي هذه الكتب أيضاً تمجيد لحضارة الغرب الزائفة، وأن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بدينهم وأخلاقهم، والتعرض للذات الإلهية بالتنقص، فالقراءة في مثل هذه الكتب المسمومة يؤثر على عقيدة القارئ، ومع كثرة القراءة، وتنوع الكتب، قد ينشأ عنده الفكر الإلحادي، كما صرَّح بعضهم بأن سبب اعتناقه لفكر الإلحاد هو القراءة في كتب النصارى المستشرقين، والعلمانيين المحسوبين على المسلمين.

٣- الاطلاع والتصفح والنظر للمواقع الإلكترونية، أو القنوات الفضائية اليهودية، أو النصرانية التي تدعو لعقيدة التثليث، أو الشيوعية الإباحية، وقد تكون البداية الاطلاع من باب الفضول، ومعرفة ما عند الغير، فيقع المحذور.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/ ١٩٥)، للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

٤- حب الشهوات والملذات، والتخلص من التكاليف الشرعية والانطلاق في عالم الإباحية، والمجون، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

٥- إهمال الآباء تربية أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة. روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد، إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم يتنفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً»^(٢).

٦- مخالطة رفقاء السوء، والإنسان مجبول على التأثر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنود مجنودة. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكَبِيرِ، إِمَّا

(١) سنن أبي داود برقم ٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٩٧) برقم ٤٦٦.

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود، ص ٨٠.

أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١). فجلس
السوء يؤثّر على صاحبه، ويدعوه إلى البعد عن الدين
ومماثلته في الوقوع في المحرمات. قال أمير المؤمنين
عثمان بن عفان رضي الله عنه: ودت الزانية لو زنى النساء كلهن.
وصدق الله القائل: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾
[النساء: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ
تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾^(٢) [النساء].

٧- التفكك الأسري، وذكرت إحدى الطبيبات النفسية أنه
بعد عدة نقاشات مع هؤلاء الملاحدة، تقول: «تكونت
لدي قناعات بأنهم من أسر مفككة، ومن الفاشلين في
التكيف مع الحياة والمجتمع، وناقمين على الظروف
التي وجدوا أنفسهم فيها، وأنهم لجؤوا للإلحاد وغيره من
التوجهات الفكرية، هروباً من الواقع الذي يعيشونه لضعف
شخصياتهم، وأحياناً التقليد الأعمى للمجتمع الغربي
بكل آفاته، وأمراضه النفسية التي ترسخت في العقلية
الملحدة»^(٢).

٨- العجب والغرور بالنفس، واستحقار الناس كما حصل
لأحدهم: كان يؤلّف المؤلّفات العظيمة في الدفاع عن
العقيدة والدين، حتى أعجب بنفسه، وأصابه الغرور، حتى

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٨).

(٢) د. سناء المجذوب استشارية الطب النفسي في تصريح لصحيفة سبق الإلكترونية.

استحقر الأنبياء، وقال: إن العلم الذي عنده والفضل، لو قسم على الخلق، لأغنى عما عند الرسل، وألف كتابه المعروف: (هذه هي الأغلال)، يعني بها ثوابت الإسلام، وتكلم في الأنبياء، وكذب أشياء في القرآن.. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أما طرق العلاج فمنها:

١- إحالة هؤلاء العابثين من الزنادقة وغيرهم إلى القضاء الشرعي، وتنفيذ أحكام الشريعة فيهم، وفي الحديث: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

٢- أن يقوم حكام المسلمين بواجبهم، وذلك بمنع أسباب الإلحاد وعدم السماح بنشرها بين المسلمين، سواء كان كتباً، أو مواقع، أو قنوات، أو برامج إذاعية، أو فضائية، أو مقالات، أو تجمعات.

٣- توجيه الوزارات المعنية كالإعلام، والشؤون الإسلامية، ووزارة التعليم العالي، والمؤسسات التعليمية، والمدارس الحكومية، والقنوات الإسلامية ببث البرامج النافعة التي تغرس الإيمان، وترد على شبه الإلحاد والتشكيك في الدين، وتعظم الدين في قلوب الناس، وتربية النشء من طلاب وطالبات على العقيدة الصحيحة، والتأكيد على الخطباء

(١) صحيح البخاري برقم ٦٩٢٢.

والدعاة والمشايخ بمواجهة بوادر الإلحاد الآخذة في التوسع، وإقامة المحاضرات، والدروس، والندوات، وتوزيع الكتب والمقالات التي تحارب الفكر الإلحادي.

٤- التواصل مع الشباب الذين ابتلوا بمثل هذه الشكوك ودلائلهم على الحق، والرد على كل الشبهات التي تعترضهم، فالعلماء هم أقدر الناس على الرد عليها، وعليهم أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من نشر هذا العلم، بكل ما يستطيعون عبر الوسائل الحديثة، وفتح أبواب مجالسهم لهم.

٥- على الآباء والأمهات، والمعلمين، والمعلمات، أن يقوموا بواجبهم في تربية الجيل على الإيمان، والخير والهدى، وتحذيرهم من الكفر، والفسوق والعصيان، والمسؤولية في ذلك كبيرة.. وفي الحديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

جاء في قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية:

١- عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين، والعسكريين على حساب الدولة، أو على الحساب الخاص إلا بعد مرحلة الجامعة، وبعد الزواج، والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته، ويعرف عقيدة السلف، والمذاهب الهدامة والمنحرفة، ويعرف زيفها لئلا يسهل صده عن دين الله.

(١) صحيح البخاري برقم ٢٥٥٨، وصحيح مسلم برقم ١٨٢٩.

٢- أن يُجلب كل من لا تتوفر فيه الشروط السابقة، ويعاد لإكمال دراسته في الداخل سواء من كان على حساب نفسه وذويه، أو على حساب الحكومة، أو إحدى المؤسسات^(١).

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصراً وللمراجعة رقم القرار ٨٨، وتاريخ ١١/١١/١٤٠١هـ.

فهارس الجزء (٨)

الفهرس الأول فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	« د- قسم الفقه »		كتاب العلم
١٧٧	١- أحكام العقيدة وفنائها ...	١١٩	١- التعليم. قواعد، وفوائد
١٨٧	٢- أحكام الأضحية وفنائها ..	٧١	٢- خطر الفتوى
٣١٥	٣- من أحكام الأطعمة		« أقسم العقيدة »
	« الطهارة والصلاة »		توحيد الربوبية
٥٧	١- فضل الوضوء والتميم وصفتها .	٣٠٧	١- الإيمان بالله
	٢- خطبة الجمعة. فوائد	٣٤٧	٢- تعظيم شعائر الله
١٥٥	وتنبيهات (١)		٣- خطر الإلحاد، وانتشاره في
	٣- خطبة الجمعة. فوائد	٣٥٣	بلاد المسلمين
١٦٥	وتنبيهات (٢)		« بدقسم التفسير »
٢٥٧	٤- المسح على الخفين		١- تأملات في سورة الناس
٢٦٩	٥- سجود السهو	٢٠٩	٢- سورة العلق
٢٤٧	٦- صلاة الاستسقاء		« ج- الحديث »
٢٨١	٧- صلاة أهل الأعذار		١- شرح حديث «ما ذئبان جائعان» ١٠١
٢٢٧	٨- الإمامة. حقوق وواجبات ...		٢- شرح حديث «اعدد ستاً بين
	« آداب عامة »		يدي الساعة» ٢١٧
٥١	١- آداب الطريق		

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	« المحرمات »		
٥- فضائل أمهات المؤمنين		٢٩	١- الانتحار
رضي الله عنهن ١٩٩		٨٣	٢- السرقة
٦- فضائل أهل البيت، وحقوقهم. ٢٩٥		٣٢٧	٣- شهادة الزور، والتحذير منها.
« السير »			
١- فضائل أمهات المؤمنين			« صيانة الأعراض »
رضي الله عنهن ١٩٩		٩	١- الغيرة على الأعراض
٢- فضائل أهل البيت، وحقوقهم. ٢٩٥		١٥	٢- إصلاح البيوت
« قضايا اجتماعية »			٣- التحذير من قذف المؤمنين
١- حقوق الجار..... ٣٥		٦٥	والمؤمنات
٢- آداب الطريق ٥١			« المواعظ والرقائق »
٣- الأسواق. نصائح		١٠٧	١- فضل العبد التقي الخفي
وأحكام (١)..... ١٢٧		٧٧	٢- الإتيان
٤- الأسواق. نصائح			« الفضائل »
وأحكام (٢)..... ١٣٥			الطهارة
٥- العزلة والاختلاط..... ٢٣٥		٥٧	١- فضل الوضوء، والتيمم،
٦- الحث على التجارة، وبيان			وصفتيها
بركتها، وحلول لمشكلة البطالة ٣٣٥			فضائل عامة
٧- المستشفيات. واقعها		٢١	١- فضل بناء المساجد ورعايتهما
ووسائل إصلاحها ١٤٥		٩١	٢- فضل الأذان والمؤذنين
« توجيهات عامة »			٣- أحكام العقيقة وفضائلها ١٧٧
١- ولي الأمر. حقوق وواجبات ١١١		١٨٧	٤- أحكام الأضحية وفضائلها ..

الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز الراجحي	٥
المقدمة	٧
الغيرة على الأعراض	٩
إصلاح البيوت	١٥
فضل بناء المساجد ورعايتها	٢١
الانتحار	٢٩
حقوق الجار	٣٥
تأملات في سورة الناس	٤٣
آداب الطريق	٥١
فضل الوضوء والتميم وصفتهما	٥٧
التحذير من قذف المؤمنين والمؤمنات	٦٥
خطر الفتوى	٧١
الإتقان	٧٧
السرقه	٨٣
فضل الأذان والمؤذنين	٩١
شرح حديث «ما ذئبان جائعان»	١٠١
فضل العبد التقي الخفي	١٠٧
ولي الأمر. حقوق وواجبات	١١١
التعليم. قواعد وفوائد	١١٩
الأسواق. نصائح وأحكام رقم (١)	١٢٧
الأسواق. نصائح وأحكام رقم (٢)	١٣٥

الصفحة	الموضوع
١٤٥	المستشفيات. واقعها، ووسائل إصلاحها
١٥٥	خطبة الجمعة. فوائد وتنبهات رقم (١)
١٦٥	خطبة الجمعة. فوائد وتنبهات رقم (٢)
١٧٧	أحكام العقيقة، وفضائلها
١٨٧	أحكام الأضحية، وفضائلها
١٩٩	فضائل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
٢٠٩	سورة العلق
٢١٧	شرح حديث «اعدد ستاً بين يدي الساعة»
٢٢٧	الإمامة حقوق، وواجبات
٢٣٥	العزلة والاختلاط
٢٤٧	صلاة الاستسقاء
٢٥٧	المسح على الخفين
٢٦٩	سجود السهو
٢٨١	صلاة أهل الأعذار
٢٩٥	فضائل أهل البيت، وحقوقهم
٣٠٧	الإيمان بالله
٣١٥	من أحكام الأطعمة
٣٢٧	شهادة الزور، والتحذير منها
٣٣٥	الحث على التجارة، وبيان بركتها، وحلول لمشكلة البطالة
٣٤٧	تعظيم شعائر الله
٣٥٣	خطر الإلحاد، وانتشاره في بلاد المسلمين



الفهرس التقريبي لموضوعات الموسوعة

من (١ - ٨)

فهرس الكلمات حسب موضوعات الموسوعة من الجزء الأول إلى الجزء الثامن (١)

الموضوع الجزء / الصفحة

كتاب العلم

- ١- طلب العلم الشرعي ٨١٩ / ٣-١
- ٢- وصايا لطلبة العلم ٨١٩ / ٣-١
- ٣- كلمة توجيهية للمدرسين ٤٢١ / ٣-١
- ٤- الفقه في الدين وفضله ٦٩٣ / ٣-١
- ٥- التعليم قواعد، وفوائد ٣٢٥ / ٧-٦
- ٦- خطر الفتوى ٧١ / ٨

أ- (قسم العقيدة)

توحيد الربوبية والعبادة

- ١- تفسير سورة الفاتحة ٨٤٧ / ٣-١
- ٢- تفسير سورة الكرسي ٦١١ / ٣-١
- ٣- قدرة الله ٧٩١ / ٣-١
- ٤- نعمة الهداية ٥٨٣ / ٣-١
- ٥- الأجل والرزق ٣٠٣ / ٣-١
- ٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله ٥٣٥ / ٣-١
- ٧- وقفات مع سورة الكافرون ٥٦٣ / ٣-١
- ٨- الإيمان بالله ٣٠٧ / ٨

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

- ٩- تعظيم شعائر الله ٣٤٧ / ٨
- ١٠- خطر الإلحاد وانتشاره في بلاد المسلمين ٣٥٣ / ٨
- ١١- الإخلاص ١٥ / ٣-١
- ١٢- معنى لا إله إلا الله ٨٢٥ / ٣-١
- ١٣- أصل الدين وقاعدته ١٨١ / ٣-١
- ١٤- التوكل ٢٩١ / ٣-١
- ١٥- الولاء والبراء ٢٤١ / ٣-١
- ١٦- الأمن من مكر الله ١٦٥ / ٥-٤
- ١٧- الخوف من الله ١٨٥ / ٥-٤
- ١٨- الإنابة ٦٤٩ / ٧-٦
- ١٩- المفهوم الخاطئ للدين ٣٦٣ / ٥-٤
- ٢٠- اليقين ٣٧٧ / ٥-٤
- ٢١- نزول المطر ٥٢٩ / ٥-٤
- ٢٢- قوله تعالى ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ... ٦٢١ / ٥-٤

خطر الشرك والكفر

- ١- التحذير من الشرك ١٣٣ / ٣-١
- ٢- نواقض الإسلام العشرة ٢٧٣ / ٣-١
- ٣- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢٢٥ / ٥-٤
- ٤- الإعراض عن الدين ٣٥٣ / ٥-٤
- ٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة ٤٧٥ / ٥-٤
- ٦- الكفر وأنواعه ٤٠١ / ٧-٦
- ٧- الرياء ٢٣٧ / ٧-٦

التحذير من النفاق والفرق الضالة والتمسك بالكتاب والسنة

- ١- خطر النفاق ٧٣٩ / ٣-١
- ٢- مبطلات الأعمال ٢٩٧ / ٣-١
- ٣- خطورة الاستهزاء بالدين ٣٦٣ / ٥-٤
- ٤- خطر الرافضة ٢١٣ / ٥-٤
- ٥- صفات اليهود ٦٢٧ / ٥-٤
- ٦- خطر النصرانية ٣٣١ / ٧-٦
- ٧- الاعتصام بالكتاب والسنة ٤٠٧ / ٧-٦

توحيد الأسماء والصفات

- ١- شرح اسم الله العزيز ٥٠٧ / ٣-١
- ٢- شرح اسم الله الشافي ٥٤٧ / ٣-١
- ٣- شرح اسم الله الحكيم ٥٧٧ / ٣-١
- ٤- شرح اسم الله الخالق ٤٣ / ٥-٤
- ٥- شرح اسم الله الفتح ١٠٧ / ٥-٤
- ٦- شرح اسم الله اللطيف ٢١٩ / ٥-٤
- ٧- شرح اسم الله الرزاق ٣٣٣ / ٥-٤
- ٨- شرح اسم الله الكافي ٤٠٣ / ٥-٤
- ٩- شرح اسم الله الغني ٤٣٩ / ٥-٤
- ١٠- شرح اسم الله الشهيد ٤٨٧ / ٥-٤
- ١١- شرح اسم الله البصير ٥١٥ / ٥-٤
- ١٢- شرح اسم الله السميع ٥٤٩ / ٥-٤
- ١٣- شرح اسم الله الوارث ٦٠٥ / ٥-٤
- ١٤- شرح اسم الله الحليم ٣١ / ٧-٦

- ١٥- شرح اسم الله الحفيظ، الحافظ ١٢٥ / ٧-٦
 ١٦- شرح اسم الله الغافر، الغفار، الغفور ٦٨٧ / ٧-٦

أركان الإسلام

- ١- معنى لا إله إلا الله ٨٢٥ / ٣-١
 ٢- الصلاة ومكانتها في الإسلام ٣٢٣ / ٣-١
 ٣- الزكاة ٥٨٩ / ٣-١
 ٤- فضل رمضان ٦٧ / ٣-١
 ٥- الحج وجوبه ٢٦٧ / ٣-١

أركان الإيمان

- ١- الإيمان بالله ٣٠٧ / ٨
 ٢- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ٥٨٥ / ٧-٦
 ٣- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره ٦١٥ / ٧-٦
 ٤- الإيمان بالرسول الكرام ﷺ ٧٦١ / ٧-٦
 ٥- البعث بعد الموت ٤٢١ / ٥-٤
 ٦- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر ٥٤١ / ٧-٦

الإيمان باليوم الآخر

- ١- عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥ / ٣-١
 ٢- حوض النبي ﷺ ٥٤١ / ٣-١
 ٣- رؤية الله تعالى ١٣٩ / ٥-٤
 ٤- الميزان ١٨١ / ٥-٤
 ٥- الإيمان بالكرام الكاتبين ١٩٥ / ٥-٤
 ٦- رضوان الله ٢٠١ / ٥-٤
 ٧- ما ينتفع به الميت ٣٤١ / ٥-٤

- ٨- البعث بعد الموت ٤-٥ / ٤٢١
- ٩- موقف الحساب ٤-٥ / ٥٩٧
- ١٠- النفخ في الصور ٤-٥ / ٦١٥
- ١١- الحشر وأهواله ٦-٧ / ٢٥
- ١٢- من أهوال يوم القيامة ٦-٧ / ١٤٩
- ١٣- الشفاعة ٦-٧ / ٦٩
- ١٤- القنطرة بين الجنة والنار ٦-٧ / ٥٧٩
- ١٥- الجنة والنار كأنها رأي عين ٦-٧ / ٨٧

الفتن وأشراط الساعة

- ١- فتنة المال ٤-٥ / ٦١
- ٢- فتنة النساء ٤-٥ / ٦٧
- ٣- فتنة الدنيا ٤-٥ / ٧٣
- ٤- فتنة الدجال ١-٣ / ٥٧١
- ٥- شرح حديث «اعدد ستاً بين يدي الساعة» ٨ / ٢١٧

ب- قسم التفسير

- ١- سورة الفاتحة ١-٣ / ٨٤٧

سورة البقرة

- ١- وقفة مع قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .. ١-٣ / ٢٢٥
- ٢- وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مَلَّتْهُمْ﴾ .. ٤-٥ / ٦٢١
- ٣- تفسير آية الكرسي ١-٣ / ٦١١
- ٤- تأملات في قوله تعالى ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأُصَدِّقْتُمْ فَنِعْمًا هِيَ﴾ ١-٣ / ٢٣٥
- ٥- وقفات مع أواخر سورة البقرة ٦-٧ / ٢٦٣

سورة آل عمران

- ١- وقفة مع قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ٤٠٣ / ٣-١
- ٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ١٥١ / ٣-١
- ٣- وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ٢٠٣ / ٣-١
- ٤- وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ٨٤١ / ٣-١
- ٥- تأملات في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ٣٩ / ٧-٦
- ٦- فوائد من قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ١٧٥ / ٧-٦
- ٧- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴾ ٢٩١ / ٥-٤

سورة النساء

- ١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا ﴾ ... ٥٥ / ٧-٦

سورة المائدة

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ٦١١ / ٥-٤

سورة الأنعام

- ١- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ ٩٩ / ٧-٦
- ٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ ١١٧ / ٧-٦

سورة هود

- ١- فوائد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ... ١٥ / ٥-٤

سورة الأنفال

- ١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾ ١٥٧ / ٧-٦
- ٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ٢٨٩ / ٧-٦

٣- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ ٢٩٥ / ٧-٦

سورة التوبة

١- تأملات في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ ٢٠٩ / ٧-٦

٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ... ٢٤٣ / ٧-٦

٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ ١٣٧ / ٧-٦

سورة الحجر

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِبْرَئِيمَ الَّذِي وَاعَىٰ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٨٥ / ٥-٤

٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ٥٠٣ / ٥-٤

٣- الوقفة الثانية مع قوله تعالى ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٢) ٥٠٩ / ٥-٤

سورة الإسراء

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ ٢٢٧ / ٧-٦

سورة الكهف

١- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ... ١٨٥ / ٣-١

سورة مريم

١- وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ١٦٩ / ٣-١

٢- وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ ﴾ ٦٥٩ / ٣-١

سورة طه

١- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ١٩٩ / ٣-١

سورة الأحزاب

١- فوائد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ ٣٧١ / ٥-٤

سورة يس

١- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ﴾ ١-٣ / ٤٩١

سورة فصلت

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِّبْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ٤-٥ / ١٣٣

سورة الزخرف

١- دروس وعبر من قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ١-٣ / ١٨٩

سورة الطور

١- تأملات في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ١-٣ / ٤٩٧

سورة الرحمن

١- فوائد من قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ٦-٧ / ١٩٣

سورة الصف

١- وقفة مع آيتين من كتاب الله ١-٣ / ١٤٥

سورة التحريم

١- وقفة مع قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ١-٣ / ٢٥٧

سورة الحاقة

١- تأملات في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ٦-٧ / ٧٥

سورة الإنسان

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ ٤-٥ / ٤٥٧

جزء عم

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ٤-٥ / ٥٦٧

- ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ٥٧٣ / ٥-٤
- ٣- تأملات في سورة الانفطار ٤١٩ / ٧-٦
- ٤- تأملات في قوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١ / ٧-٦
- ٥- تأملات في سورة الضحى ٢٥٧ / ٥-٤
- ٦- تأملات في سورة الشرح ٦٤٣ / ٧-٦
- ٧- تأملات في سورة التين ٦٠١ / ٧-٦
- ٨- تأملات في سورة العلق ٢٠٩ / ٨
- ٩- تأملات في سورة الزلزلة ٥٥٥ / ٥-٤
- ١٠- فوائد وحكم من سورة العاديات ٣٩٥ / ٧-٦
- ١١- وقفات مع سورة القارعة ٢٠٧ / ٥-٤
- ١٢- وقفات مع سورة التكاثر ٢١٣ / ٣-١
- ١٣- وقفات مع سورة العصر ٣٧٩ / ٣-١
- ١٤- وقفات مع سورة الهمزة ٤٨١ / ٥-٤
- ١٥- وقفات مع سورة الفيل ٤٨٥ / ٧-٦
- ١٦- وقفات مع سورة قريش ٥٢١ / ٧-٦
- ١٧- وقفات مع سورة الماعون ٦٨٧ / ٣-١
- ١٨- وقفات مع سورة الكوثر ٤٣١ / ٧-٦
- ١٩- وقفات مع سورة الكافرون ٥٦٣ / ٧-٦
- ٢٠- وقفات مع سورة النصر ٤٦١ / ٧-٦
- ٢١- وقفات مع سورة المسد ٤٢٧ / ٥-٤
- ٢٢- وقفات مع سورة الإخلاص ٢١٩ / ٣-١
- ٢٣- وقفات مع سورة الفلق ٨٣١ / ٣-١
- ٢٤- وقفات مع سورة الناس ٤٣ / ٨

ج- الحديث

- ١- شرح حديث السبعة الذين يظلمهم الله ٢١ / ٣-١
- ٢- شرح حديث من ترك شيئاً لله ٥٣ / ٣-١
- ٣- شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة ٢٠٧ / ٣-١
- ٤- وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ٢٢٩ / ٣-١
- ٥- وقفة مع حديث جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: عش ما شئت .. ٣٦٩ / ٣-١
- ٦- شرح حديث يتبع الميت ثلاثة ٤٣٩ / ٣-١
- ٧- فوائد من حديث خبيب بن عدي ٧٥٧ / ٣-١
- ٨- وقفة مع قوله ﷺ: شاب نشأ في عبادة الله ١٢٧ / ٣-١
- ٩- شرح حديث إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه ٣٠٣ / ٣-١
- ١٠- شرح حديث من أصبح آمناً في سربه ٦٠٥ / ٣-١
- ١١- شرح حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ٤٩ / ٥-٤
- ١٢- شرح حديث حسب ابن آدم لقيمات ١٧١ / ٥-٤
- ١٣- شرح حديث أسرعوا بالجنابة ٣٥٩ / ٥-٤
- ١٤- شرح حديث احفظ الله يحفظك ٤٥١ / ٥-٤
- ١٥- شرح حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت ٥١٩ / ٥-٤
- ١٦- شرح حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ٥٦١ / ٥-٤
- ١٧- شرح حديث ما ذئبان جائعان ١٠١ / ٨
- ١٨- شرح حديث اعدد ستاً بين يدي الساعة ٢١٧ / ٨

د- الفقه

- ١- الفقه في الدين وفضله ٣٢٥ / ٧-٦
- ٢- من أحكام وآداب السفر ١٤١ / ٧-٦
- ٣- اتباع الهوى ٣١٩ / ٧-٦

- ٤- التحايل على الأحكام الشرعية ٧٤٧ / ٧-٦
- ٥- أحكام العقيقة وفضائلها ١٧٧ / ٨
- ٦- أحكام الأضحية وفضائلها ١٨٧ / ٨
- ٧- من أحكام الأطعمة ٣١٥ / ٨
- ٨- خطر الفتوى ٧١ / ٨

الطهارة والصلاة

- ١- فضل الوضوء والتيمم وصدفتها ٥٧ / ٨
- ٢- أخطاء في الطهارة ٧٢٩ / ٣-١
- ٣- المسح على الخفين ٢٥٧ / ٨
- ٤- أخطاء في الصلاة رقم (١) ٧٣٣ / ٣-١
- ٥- أخطاء في الصلاة رقم (٢) ٣٧ / ٥-٤
- ٦- الصلاة ومكانتها في الإسلام ٣٢٣ / ٣-١
- ٧- صلاة الجماعة ٥٩٣ / ٣-١
- ٨- الخشوع في الصلاة ٣٠٩ / ٣-١
- ٩- فضل صلاة الفجر ٥٥٩ / ٣-١
- ١٠- فضل قيام الليل ٧٧ / ٣-١
- ١١- سنن صلاة العيد ١١٧ / ٣-١
- ١٢- فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣ / ٣-١
- ١٣- الاستخارة ٤٨٧ / ٣-١
- ١٤- سترة المصلي ١٤٥ / ٥-٤
- ١٥- صلاة الكسوف ٤٠٧ / ٧-٦
- ١٦- خطبة الجمعة فوائدها وتنبهات (١) ١٥٥ / ٨
- ١٧- خطبة الجمعة فوائدها وتنبهات (٢) ١٦٥ / ٨

- ١٨- سجود السهو ٢٦٩ / ٨
- ١٩- صلاة الاستسقاء ٢٤٧ / ٨
- ٢٠- صلاة أهل الأعذار ٢٨١ / ٨
- ٢١- الإمامة حقوق وواجبات ٢٢٧ / ٨

الزكاة

- ١- الزكاة ٥٨٩ / ٣-١
- ٢- زكاة الفطر ٣٧٥ / ٣-١

الصيام

- ١- فضل الصيام ٧١ / ٣-١
- ٢- فضل رمضان ٦٧ / ٣-١
- ٣- فضل الأعمال الصالحة في رمضان ٣٩٧ / ٣-١
- ٤- مخالفات تقع من بعض الصائمين ٩٧ / ٣-١
- ٥- صيام يوم عاشوراء ٤٥ / ٧-٦

العمرة والحج

- ١- الحج وجوبه وفضله ٢٦٧ / ٣-١
- ٢- شروط الحج ٣٦٣ / ٧-٦
- ٣- صفة الحج وواجباته ٣٦٧ / ٧-٦
- ٤- فضل العمرة وصفتها ٣٥١ / ٧-٦
- ٥- محظورات الإحرام ٣٤٣ / ٧-٦
- ٦- مخالفات تقع من بعض الحجاج ٤٢٩ / ٣-١

الوصايا

- ١- كتابة الوصية ٤٣ / ٣-١

البدع

- ١- النهي عن البدع ٧٨٥ / ٣-١

آداب عامة

- ١- آداب الطعام ٨٣٧ / ٣-١
 ٢- من آداب النوم ٤٤٥ / ٧-٦
 ٣- من آداب اللباس ٦٩٣ / ٧-٦
 ٤- من أحكام السفر وآدابه ١٤١ / ٧-٦
 ٥- آداب الطريق ٥١ / ٨
 ٦- السواك ٤٧٩ / ٧-٦

المحرمات

المال

- ١- أكل المال الحرام ١٩٣ / ٣-١
 ٢- التحذير من الربا ٦٥٣ / ٣-١
 ٣- النهي عن الإسراف ٢٥١ / ٣-١
 ٤- النهي عن المسألة ١٦٣ / ٣-١
 ٥- ذم الترف ٧٢٥ / ٣-١
 ٦- الأسهم المختلطة ٢٣٧ / ٥-٤
 ٧- السرقة ٨٣ / ٨
 ٨- خطر الرشوة ٧٠١ / ٧-٦
 ٩- فتنه المال ٦١ / ٥-٤

صيانة الأعراض

- ١- تحريم الزنا وأسبابه ٤٨١ / ٣-١
 ٢- غض البصر ٦٩٩ / ٣-١

- ٣- تحريم الغناء ٤٧٥ / ٣-١
- ٤- خطر الدش ٥٥٣ / ٣-١
- ٥- خطر التلفاز ٧١٩ / ٣-١
- ٦- مخالفات في لباس المرأة ١٨٧ / ٥-٤
- ٧- الغيرة على الأعراض ٩ / ٨
- ٨- إصلاح البيوت ١٥ / ٨
- ٩- خطورة دور السينما ١٦٩ / ٧-٦
- ١٠- خطر الاختلاط ٢٦٩ / ٥-٤
- ١١- التحذير من قذف المؤمنين والمؤمنات ٦٥ / ٨

اللباس

- ١- تحريم الإسبال ٧٥١ / ٣-١
- ٢- من آداب اللباس ٦٩٣ / ٧-٦
- ٣- مخالفات في لباس المرأة ١٨٧ / ٥-٤

محرمات عامة

- ١- تحريم الدخان ٦٦٥ / ٣-١
- ٢- تحريم التصوير ٧٦١ / ٣-١
- ٣- الحسد ٤٥٧ / ٣-١
- ٤- الظلم وعواقبه الوخيمة ٧٤٥ / ٣-١
- ٥- السحر والمس والعين ١٥٥ / ٥-٤
- ٦- أضرار المخدرات والمسكرات ٣١٣ / ٥-٤
- ٧- القتل ٣٢٧ / ٥-٤
- ٨- تحريم حلق اللحية ٧٠٥ / ٣-١
- ٩- السخرية بالناس واحتقارهم ٧٩ / ٥-٤

- ١٠- خطورة الكذب ١١٣ / ٥-٤
- ١١- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة ٤٧٥ / ٣-١
- ١٢- الانتحار ٢٩ / ٨
- ١٣- شهادة الزور والتحذير منها ٣٢٧ / ٨

الأطعمة

- ١- آداب الطعام ٨٣٧ / ٣-١
- ٢- من أحكام الأطعمة ٣١٥ / ٨
- ٣- أحكام العقيقة وفضائلها ١٧٧ / ٨
- ٤- أحكام الأضحية وفضائلها ١٨٧ / ٨

المواعظ والرقائق

- ١- آفة السهر ٢٦٣ / ٣-١
- ٢- كفارات الذنوب ٤٥١ / ٣-١
- ٣- المعاصي وعقوباتها ٤٦٣ / ٣-١
- ٤- التقوى ٤٦٩ / ٣-١
- ٥- الورع ٥١٧ / ٣-١
- ٦- حفظ اللسان ٦١٧ / ٣-١
- ٧- الحور العين ٦٢٣ / ٣-١
- ٨- الابتلاء ٦٢٩ / ٣-١
- ٩- عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥ / ٣-١
- ١٠- الزهد في الدنيا ٦٣٥ / ٣-١
- ١١- غض البصر ٦٩٩ / ٣-١
- ١٢- سوء الخاتمة ٢٧٩ / ٣-١
- ١٣- ذم الترف ٧٢٥ / ٣-١

- ١٤- علامات حسن الخاتمة ١-٣ / ٧٩٥
- ١٥- الموت وعظاته ١-٣ / ٧٦٧
- ١٦- الوقت وخطر السفر إلى الخارج ١-٣ / ٢٨٥
- ١٧- لذة العبادة ١-٣ / ٣٨٩
- ١٨- المواظبة على العبادة ١-٣ / ١١٣
- ١٩- العجلة ١-٣ / ٣٩
- ٢٠- طول الأمل ١-٣ / ٥٧
- ٢١- التوبة ١-٣ / ٤٣٥
- ٢٢- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها ٤-٥ / ٢٩
- ٢٣- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ٤-٥ / ١٥
- ٢٤- فتنة المال ٤-٥ / ٦١
- ٢٥- فتنة النساء ٤-٥ / ٦٧
- ٢٦- السخرية بالناس واحتقارهم ٤-٥ / ٧٩
- ٢٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٤-٥ / ٨٥
- ٢٨- الغرور ٤-٥ / ٩١
- ٢٩- فتنة الدنيا ٤-٥ / ٧٣
- ٣٠- قسوة القلب ٤-٥ / ٩٧
- ٣١- العجب ٤-٥ / ١٠٣
- ٣٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ٤-٥ / ١٣٣
- ٣٣- الأمن من مكر الله ٤-٥ / ١٦٥
- ٣٤- شرح حديث حسب ابن آدم لقيمات ٤-٥ / ١٧١
- ٣٥- النصيحة ٤-٥ / ١٧٥
- ٣٦- كفارات الذنوب رقم (١) ١-٣ / ٤٥١

- ٣٧- كفارات الذنوب رقم (٢) ٤-٥ / ٢٣١
- ٣٨- الخوف من الله ٤-٥ / ٢٨٥
- ٣٩- أمراض القلوب ٤-٥ / ٢٩٧
- ٤٠- قضاء الدين ٤-٥ / ٣٤٧
- ٤١- الإعراض عن الدين ٤-٥ / ٣٥٣
- ٤٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان ٤-٥ / ٣٩٧
- ٤٣- خطورة المجاهرة بالمعصية ٤-٥ / ٤٠٩
- ٤٤- استقبال العام الجديد ٤-٥ / ٤١٥
- ٤٥- المسارعة إلى الخيرات ٤-٥ / ٤٤٥
- ٤٦- نزول المطر ٤-٥ / ٥٢٩
- ٤٧- مجالس الصحابة ٦-٧ / ٢٥٧
- ٤٨- أحوال الموتى والمحضرين ٦-٧ / ٤٦٧
- ٤٩- مكائد الشيطان ٦-٧ / ٤٩
- ٥٠- التحذير من الغفلة ٦-٧ / ٣٣٧
- ٥١-جزاء من جنس العمل ٦-٧ / ٦٣١
- ٥٢- مجالس الناس ٦-٧ / ٧٣١
- ٥٣- التناقضات في حياة بعض الناس ٦-٧ / ٢٤٩
- ٥٤- التحذير من الغيبة ٦-٧ / ٤٥٣
- ٥٥- خطر النسيمة ٦-٧ / ٤٩١
- ٥٦- محاسبة النفس ٦-٧ / ٥٢٧
- ٥٧- البكاء من خشية الله ٦-٧ / ١٨١
- ٥٨- فضل العبد التقي الخفي ٨ / ١٠٧
- ٥٩- الابتلاء ١-٣ / ٦٢٩

- ٦٠- الابتلاء بالمرض ٦-٧ / ٦١
- ٦١- قبول العمل ٦-٧ / ١٩٧
- ٦٢- أسباب الثبات على الدين ١-٣ / ٣٩٥
- ٦٣- الإتيان ٨ / ٧٧
- ٦٤- ما ينتفع به الميت ٤-٥ / ٣٤١
- ٦٥- تواضع السلف وخوفهم من ربهم ٤-٥ / ٥٣٥
- ٦٦- الحسد ١-٣ / ٤٥٧
- ٦٧- شكر النعم ١-٣ / ٥١٣

الفضائل

الأدعية والأذكار

- ١- فضل القرآن وقراءته ١-٣ / ٦٣
- ٢- فضل الذكر ١-٣ / ١٠٧
- ٣- الاستغفار ١-٣ / ٥٠١
- ٤- الدعاء آدابه وموانعه ١-٣ / ٨٣
- ٥- الصلاة على النبي ﷺ فضائلها وفوائدها ٦-٧ / ١٥

الطهارة

الصلاة

- ١- فضل الوضوء والتيمم وصفتهما ٨ / ٥٧
- ٢- فضل التبكير إلى الصلوات ١-٣ / ٤٤٣
- ٣- فضل صلاة الفجر ١-٣ / ٥٥٩
- ٤- فضل يوم الجمعة ١-٣ / ٦٦٩
- ٥- فضل قيام الليل ١-٣ / ٧٧

٦- فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣ / ٣-١

الصيام

١- فضل الصيام ٧١ / ٣-١

٢- فضل رمضان ٦٧ / ٣-١

٣- فضل الأعمال الصالحة في رمضان ٣٩٧ / ٥-٤

فضائل الحج وعشر ذي الحجة

١- الحج وجوبه وفضله ٢٦٧ / ٣-١

٢- فضل أيام عشر ذي الحجة ٨١٣ / ٣-١

فضائل أهل البيت

١- فضائل أهل البيت وحقوقهم ٢٩٥ / ٨

٢- فضائل أمهات المؤمنين ١٩٩ / ٨

٣- فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١١١ / ٧-٦

٤- فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢٦٩ / ٧-٦

فضائل عامة

١- فضل الدعوة إلى الله ٣٥١ / ٣-١

٢- فضل الصدقة ٩١ / ٣-١

٣- فضل الصحابة ٢٦٣ / ٥-٤

٤- فضائل الأعمال الصالحة ١٦٣ / ٧-٦

٥- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضائلها - وفوائدها ١٥ / ٧-٦

٦- فضائل غزوة بدر ٢٨٣ / ٧-٦

٧- فضائل مكة وحرمتها ٣٧٧ / ٧-٦

٨- فضائل المدينة وحرمتها ٣٨٥ / ٧-٦

- ٩- فضائل الشام ٥٩٣ / ٧-٦
- ١٠- فضائل العفو ٦٧١ / ٧-٦
- ١١- فضل بناء المساجد ورعايتها ٢١ / ٨
- ١٢- فضل الأذان والمؤذنين ٩١ / ٨
- ١٣- أحكام العقيقة وفضائلها ١٧٧ / ٨
- ١٤- أحكام الأضحية وفضائلها ١٨٧ / ٨
- ١٥- فضل العبد التقي الخفي ١٠٧ / ٨

موضوعات تهم الأسرة والمرأة

- ١- مكانة المرأة في الإسلام ٦٤٧ / ٣-١
- ٢- كلمة توجيهية للمرأة ٧١١ / ٣-١
- ٣- مفسدات العنوسة ٤١٣ / ٣-١
- ٤- تربية الأبناء ٣٥٧ / ٣-١
- ٥- خطر التلفاز ٧١٩ / ٣-١
- ٦- خطر الدش ٥٥٣ / ٣-١
- ٧- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح ٥٩٩ / ٣-١
- ٨- مخالفات في لباس المرأة ١٨٧ / ٥-٤
- ٩- خطر الاختلاط ٢٦٩ / ٥-٤
- ١٠- العشرة الزوجية ٣٠٣ / ٥-٤
- ١١- الغيرة على الأعراس ٩ / ٨
- ١٢- إصلاح البيوت ١٥ / ٨
- ١٣- الطلاق ٣٨٣ / ٣-١
- ١٤- الترغيب في الزواج ٤٢٥ / ٧-٦
- ١٥- التحذير من قذف المؤمنين والمؤمنات ٦٥ / ٨
- ١٦- ذم الترف ٧٢٥ / ٣-١

الأخلاق

الأخلاق المحمودة

- ١- حسن الخلق ٣٣ / ٣-١
- ٢- الحياء ١٣٩ / ٣-١
- ٣- القناعة ١٥٧ / ٣-١
- ٤- الصبر ٣٣٩ / ٣-١
- ٥- الأمانة ٦٧٥ / ٣-١
- ٦- صلة الأرحام ٦٨١ / ٣-١
- ٧- علو الهمة ٥٣ / ٥-٤
- ٨- الوفاء ٤٦٣ / ٥-٤
- ٩- قوة الإرادة ١٠٥ / ٧-٦
- ١٠- الرفق ٥١٥ / ٧-٦

الأخلاق المذمومة

- ١- الذلة وأسبابها ٢١ / ٥-٤
- ٢- النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم ٧٩ / ٥-٤
- ٣- الغرور ٩١ / ٥-٤
- ٤- العجب ١٠٣ / ٥-٤
- ٥- خطورة الكذب ١١٣ / ٥-٤
- ٦- التحذير من الكسل ٣٨٣ / ٥-٤
- ٧- ذم البخل ٦٦٣ / ٧-٦
- ٨- ذم الجبن ٥٥٧ / ٧-٦
- ٩- الكبر ٨١ / ٧-٦
- ١٠- العجلة ٣٩ / ٣-١

١١- النهي عن المسألة ١٦٣ / ٣-١

السير

- ١- مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٧٧٣ / ٣-١
- ٢- مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧٧٩ / ٣-١
- ٣- مقتطفات من سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٤٩٧ / ٥-٤
- ٤- مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٣٣ / ٣-١
- ٥- مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥ / ٣-١
- ٦- مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ ١٧٣ / ٣-١
- ٧- مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩ / ٣-١
- ٨- مقتطفات من سيرة مصعب بن عمير ١٥١ / ٥-٤
- ٩- مقتطفات من سيرة طلحة بن عبيد الله ٢٨١ / ٥-٤
- ١٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣١٩ / ٥-٤
- ١١- مقتطفات من سيرة أبي عبيدة بن الجراح ٤٣٣ / ٥-٤
- ١٢- مقتطفات من سيرة جعفر بن أبي طالب ٤٦٩ / ٥-٤
- ١٣- مقتطفات من سيرة الزبير بن العوام ٥٤١ / ٥-٤
- ١٤- دروس وعبر من الهجرة النبوية ٤٧٣ / ٧-٦
- ١٥- المعجزات والكرامات في غزوة بدر ٢٩٩ / ٧-٦
- ١٦- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١) ٣٠٥ / ٧-٦
- ١٧- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢) ٣١٣ / ٧-٦
- ١٨- فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١١١ / ٧-٦
- ١٩- فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢٦٩ / ٧-٦
- ٢٠- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل ٥٠٧ / ٧-٦
- ٢١- الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره ٥٣٣ / ٧-٦

- ٢٢- فضائل معاوية بن أبي سفيان ٥٧١ / ٧-٦
- ٢٣- مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود ١٣١ / ٧-٦
- ٢٤- مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ٧٠٩ / ٧-٦
- ٢٥- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام الشافعي ٧٣٩ / ٧-٦
- ٢٦- مواقف مؤثرة من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٥٥ / ٧-٦
- ٢٧- دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل ٢٧٧ / ٧-٦
- ٢٨- مقتطفات من سيرة صلاح الدين الأيوبي ٦٧٩ / ٧-٦
- ٢٩- فضائل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ١٩٩ / ٨
- ٣٠- فضائل أهل البيت وحقوقهم ٢٩٥ / ٨

قضايا اجتماعية

- ١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣١٧ / ٣-١
- ٢- مفاسد العنوسة ٤١٣ / ٣-١
- ٣- الطلاق ٣٨٣ / ٣-١
- ٤- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح ٥٩٩ / ٣-١
- ٥- تربية الأبناء ٣٥٧ / ٣-١
- ٦- خطر التلفاز ٧١٩ / ٣-١
- ٧- خطر الدش ٥٥٣ / ٣-١
- ٨- صلاة الجماعة ٥٩٣ / ٣-١
- ٩- صلة الأرحام ٦٨١ / ٣-١
- ١٠- الحسد ٤٥٧ / ٣-١
- ١١- النكت ٤١٧ / ٣-١
- ١٢- آفة السهر ٢٦٣ / ٣-١
- ١٣- علاج الهموم والغموم ٥٢٣ / ٣-١

- ١٤- السحر والمس والعين ١٥٥ / ٥-٤
- ١٥- مخالقات في لباس المرأة ١٨٧ / ٥-٤
- ١٦- الرفقة الصالحة ٢٤٣ / ٥-٤
- ١٧- خطر الاختلاط ٢٦٩ / ٥-٤
- ١٨- العشرة الزوجية ٣٠٣ / ٥-٤
- ١٩- أضرار المخدرات والمسكرات ٣١٣ / ٥-٤
- ٢٠- قضاء الدين ٣٤٧ / ٥-٤
- ٢١- التحذير من الكسل ٣٨٣ / ٥-٤
- ٢٢- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة ٤٧٥ / ٥-٤
- ٢٣- قضاء حوائج الناس ٥٤٩ / ٧-٦
- ٢٤- الترغيب في الزواج ٤٢٥ / ٧-٦
- ٢٥- التحذير من الغيبة ٤٥٣ / ٧-٦
- ٢٦- خطر النميمة ٤٩١ / ٧-٦
- ٢٧- الفقراء والضعفاء ٦٠٧ / ٧-٦
- ٢٨- مجالس الناس ٧٣١ / ٧-٦
- ٢٩- مخاطر الابتعاث وضوابطه ٧١٩ / ٧-٦
- ٣٠- خطر الرشوة ٧٠١ / ٧-٦
- ٣١- بر الوالدين ٢٠٣ / ٧-٦
- ٣٢- خطورة دور السينما ١٦٩ / ٧-٦
- ٣٣- عيادة المريض ٢٣١ / ٧-٦
- ٣٤- حقوق الجار ٣٥ / ٨
- ٣٥- آداب الطريق ٥١ / ٨
- ٣٦- الأسواق نصائح وأحكام (١) ١٢٧ / ٨

- ٣٧- الأسواق نصائح وأحكام (٢) ١٣٥ / ٨
- ٣٨- العزلة والاختلاط ٢٣٥ / ٨
- ٣٩- الحث على التجارة وبيان بركتها ٣٣٥ / ٨
- ٤٠- المستشفيات. واقعها ووسائل إصلاحها ١٤٥ / ٨

توجيهات عامة

- ١- التوفيق ٢٩ / ٣-١
- ٢- العجلة ٣٩ / ٣-١
- ٣- البركة ٤٧ / ٣-١
- ٤- الرؤيا ١٢١ / ٣-١
- ٥- نصائح عامة ٤٠٩ / ٣-١
- ٦- أسباب انشراح الصدر ٤٤٧ / ٣-١
- ٧- شكر النعم ٥١٣ / ٣-١
- ٨- علاج الهموم والغموم ٥٢٣ / ٣-١
- ٩- السعادة ٥٦٥ / ٣-١
- ١٠- أسباب النصر على الأعداء ٨٠٧ / ٣-١
- ١١- العافية ٦٤١ / ٣-١
- ١٢- الورع ٥١٧ / ٣-١
- ١٣- الأخوة الإسلامية ١٨٧ / ٧-٦
- ١٤- النسيان آفته وفوائده ٢٢١ / ٧-٦
- ١٥- التفكير. أحواله وفوائده ٤١٣ / ٧-٦
- ١٦- الفأل وحسن الظن بالله ٤٩٩ / ٧-٦
- ١٧- ولي الأمر. حقوق وواجبات ١١١ / ٨
- ١٨- البشارة وفضائلها ١٢٥ / ٥-٤

- ١٩- نعمة العقل ٢٤٩ / ٥-٤
 ٢٠- النصيحة ١٧٥ / ٥-٤

أحداث معاصرة

- ١- وقفات مع أحداث غزة ٥٨٧ / ٥-٤
 ٢- وقفات مع الأزمة المالية العالمية ٥٧٩ / ٥-٤
 ٣- أحداث الدانمارك ٤٩١ / ٥-٤
 ٤- حكم الأسهم المختلطة ٢٣٧ / ٥-٤
 ٥- الابتعاث وضوابطه ٧١٩ / ٧-٦
 ٦- خطورة دور السينما ١٦٩ / ٧-٦

الشمال المحمدية

- ١- مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ ٧٦٩ / ٧-٦
 ٢- تواضعه ﷺ ٢١٥ / ٧-٦
 ٣- عصمة النبي ﷺ ١٩٩ / ٥-٤
 ٤- الصلاة على النبي ﷺ وفضائلها ١٥ / ٧-٦
 ٥- معجزاته ﷺ ٣٨٩ / ٥-٤
 ٦- وفاته ﷺ ٨٠١ / ٣-١

قصص الأنبياء وغيرهم

- ١- قصة نبي الله أيوب ﷺ ٥٢٩ / ٣-١
 ٢- قصة نبي الله يونس ﷺ ٢٧٥ / ٥-٤
 ٣- قصة قارون ٥٢٣ / ٥-٤



**الفهرس الهجائي التقريبي للموسوعة
(الأحاديث والآثار)**

أولاً: فهرس الأحاديث

الجزء / الصفحة	الحديث
٨ / ٨٦	«أَبَا وَهْبٍ، أَفَلَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِينَا بِهِ؟»
١-٣ / ٥٥	«أَبَا يَحْيَى رِبِيعَ الْبَيْعِ»
٤-٥ / ١٣٠	«أَبَشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ»
٦-٧ / ٦١١	«أَبْغُونِي ضِعْفَاءَ كُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرَزَقُونَ»
٦-٧ / ٧٢	«أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ»
٦-٧ / ٣٩١	«أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي»
١-٣ / ٦٥٣	«أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي»
٤-٥ / ٥٧٩	
٦-٧ / ٣٥٣	«أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي»
٤-٥ / ٥٠	«أَتَجِبُ الْجَنَّةَ؟»
٤-٥ / ٥١	«أَتَجِبُهُ لِأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا»
٦-٧ / ٤٥٣	«أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»
٨ / ٦٩	«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ»
٤-٥ / ١٨٥	
٤-٥ / ٥٦٧	«أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟»
٦-٧ / ٤٥٤	«أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟»
٦-٧ / ٢٦٦	«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»
٨ / ٨٥	«أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدَّ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ؟!»
١-٣ / ٥٥٥	«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! لَأَنَا أَغَيْرُ مِنْهُ»
٨ / ١٣، ١١	
١-٣ / ٣٤	«أَتَقَّ اللَّهُ حَيْثُمَا كُنْتَ»
٤٢٦	

- ٦٦٤ / ٧-٦ «اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»
- ٧٤٦ / ٣-١ «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
- ٥٣ / ٨ «اتَّقُوا اللِّعَانِينَ، قَالُوا: وَمَا اللِّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»
- ٥٥٨ / ٥-٤ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»
- ٩٦ / ٧-٦
- ٣٦١ / ٣-١ «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا»
- ٦٥٢ / ٧-٦ «أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا؟»
- ٣٤٣ / ٣-١ «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»
- «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ،
- مَعَهَا إِنَاءٌ» ٨٩ / ٥-٤
- ١١٢ / ٧-٦
- ٦٣٥
- «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتِحْ فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ:
- مُحَمَّدٌ» ٩١ / ٧-٦
- ٦٥ / ٥-٤ «أَتْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ»
- ٦٥٤ / ٣-١ «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟»
- ٣٢٨ / ٥-٤
- ٤٧٦، ٣٣١
- ٦٦ / ٨
- ٤٣٠ / ٣-١ «أَجْعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟!»
- ٣٩ / ٥-٤ «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ»
- ٦٧٥ / ٧-٦ «أَجَلٌ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِيَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ»
- ٦٣١ / ٣-١ «أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعِّدُكَ كَمَا يُوعِّدُكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»
- ٦٣ / ٧-٦
- «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟» ٣٧٢ / ٧-٦
- ٣٧٦

- « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » ١١٥ / ٣-١
- « أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا » ١٣٥ / ٨-٢٧، ١٣٥
- « اِحْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلْنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: » ٨٣ / ٧-٦
- « أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ » ٧٥ / ٣-١
- « احرص على ما ينفعك » ٧٣٧ / ٧-٦
- « أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ » ٧٦٧ / ٣-١
- ١٧٨ / ٧-٦
- « احْضَرُوا الذَّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ » ٤٤٥ / ٣-١
- « احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ تُجَاهَكَ » ١٥٩ / ٥-٤
- ١٢٧ / ٧-٦
- « أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ » ٤٦٤ / ٥-٤
- « أَحِلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ وَدِمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ فَالْحَوْتُ وَالْجَرَادُ » ٣٢٤ / ٨
- « احْلِقِي رَأْسَهُ، وَتَصَدَّقِي بِوَزْنِ شَعْرِهِ فِضَّةً » ١٨٤ / ٨
- « أَحْيِي وَالِدَاكَ؟ » ٢٠٤ / ٧-٦
- « أَخَذَ أَرْنَبًا، فَذَبَحَهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَبَعَثَ بِوَرَكِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَبِلَهُ » ٣٢٥ / ٨
- « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ » ٤٧١ / ٥-٤
- « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » ٤٧٣ / ٧-٦
- « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » ١٥٢ / ٨
- « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ » ٨٦ / ٣-١
- « ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ » ٧٧٤ / ٣-١
- « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ » ٤٤٧ / ٧-٦، ٤٤٨
- « إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ » ٣٨١ / ٧-٦
- « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمْهُ إِيَّاهُ » ١٩٠ / ٧-٦

- «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبْهُ، فَيُجِبُهُ جِبْرِيلُ» ١٦٤ / ٧-٦
- «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا» ٦٢ / ٧-٦
- «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ» ١٠٩ / ٥-٤
- «إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً» ٥٤ / ٣-١
- «إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ» ٣٠٨ / ٥-٤
- «إِذَا اسْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي» ٥١٠ / ٣-١
- «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي» ٣٤٣ / ٣-١، ٨٠٥
- ٢١٨ / ٨
- «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا» ١٤٧ / ٧-٦
- «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» ١٢٢ / ٣-١
- «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ» ٨٣٧ / ٣-١
- «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ» ٨٣٨ / ٣-١
- «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» ٣٢٩ / ٥-٤
- «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ٢٨١ / ٦٣، ٨
- «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ» ٣١٢ / ٣-١
- «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ» ٤٥٣ / ٥-٤
- ٤٤٧ / ٧-٦
- «إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ» ٦١٥ / ٣-١
- ٤٤٩ / ٧-٦
- «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ» ٢١٠ / ٣-١، ٦٥٥
- ٢٣ / ٥-٤
- ٥٨٩
- ٢١١ / ٧-٦

- «إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً» ٤٢٢ / ٧-٦
- «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ» ٥٧٤ / ٣-١
- «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ» ٦٠ / ٨
- «إِذَا تَوَضَّأَتْ فَخَلَّلَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ» ٧٣٢ / ٣-١
- «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ» ١٥٩ / ٨
- «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ:» ٢٣٥ / ٧-٦
- «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٩٨ / ٣-١
- «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ» ٢٩٣ / ٣-١
- «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» ١٤٥ / ٧-٦
- ١١١ / ٨
- «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ» ٤١٣ / ٣-١،
- ٤٨٤
- «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَسَلِّمْ» ١١٨ / ٣-١
- ١١١ / ٥-٤
- «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ» ١٥٦ / ٥-٤
- ٥٤ / ٧-٦
- «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟» ٤٩٤ / ٣-١
- ١٣٩ / ٥-٤
- ٩٦ / ٧-٦
- «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ» ٦٨ / ٣-١
- «إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ» ١٨٨ / ٨
- «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ» ٣٠٦ / ٥-٤
- «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ» ٢٨٢ / ٨
- «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا» ١٢٣ / ٣-١

- «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْاصِيهِ مَا يُحِبُّ» ١٩١ / ٣-١
 ١١٠ / ٥-٤
 ١٦٧، ٢٩٣
 ٥٢٦
- «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَتْ أَمَانَاتُهُمْ» ٢٤١ / ٨
- «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ يَتَّاعُ فِي الْمَسْجِدِ» ٢٣ / ٨
- «إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ» ١٩١ / ٨
- «إِذَا رَكَعَ بَسَطَ ظَهْرَهُ وَسَوَّاهُ، حَتَّى لَوْ صُبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِ لَأَسْتَقَرَّ» ٧٣٤ / ٣-١
- «إِذَا زَادَ الرَّجُلُ أَوْ نَقَصَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» ٢٧٢ / ٨
- «إِذَا زَخَرْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ» ٢٥ / ٨
- «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» ٥٦٨ / ٣-١
 ٥٤٥ / ٧-٦
- «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ، لَمْ يَبْلُغَهَا» ٢٣٦ / ٧-٦
- «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَأَمُّشُوا إِلَى الصَّلَاةِ» ٤٤٥ / ٣-١
- «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ» ٨٣٩ / ٣-١
- «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ» ٢٧٨، ٢٧٠ / ٨
- «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى؟» ٢٧٧ / ٨
- «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا» ٦٥٠ / ٣-١
 ٣٠٦ / ٥-٤
- «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا» ١٤٦ / ٥-٤
- «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» ٦٧٧ / ٣-١
- «إِذَا ظَهَرَ الرَّبَا وَالرَّنَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ» ٥٨٣ / ٥-٤
- «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ» ٦٤٠ / ٧-٦
- «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ» ٥٩٧ / ٧-٦
- «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ فَقُولُوا» ٥٥٠ / ٥-٤
- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فَلَمْ يَسْتَتِمَّ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ» ٢٧٦ / ٨

- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ» ١٤٨ / ٥-٤
- «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ» ٣٩ / ٥-٤
- «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ» ١٥٨ / ٨
- «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ» ١٤٦ / ٥-٤
- «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ» ٦٨ / ٣-١، ١١٣
- «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي» ١٠٨ / ٥-٤
- «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِيبَانَكُمْ» ١٦٢ / ٥-٤
- «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَغَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ» ٦٧٣ / ٣-١، ١٥٩ / ٨
- «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفْنَهُ» ٧٨ / ٨
- «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ» ٩٥ / ٣-١، ٤٤٠، ١٢٩، ٨٢١، ٤٩٨، ٣٤١ / ٥-٤، ٤٢٨، ٢٠٧ / ٧-٦
- «إِذَا نَابَكُمْ أَمْرٌ فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالَ وَلْيُصَفِّقِ النِّسَاءَ» ٢٧٢ / ٨
- «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذِينَ» ٥٠ / ٧-٦، ٩٣، ٤٥ / ٨
- «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ» ٥١ / ٣-١، ١٤٢ / ٧-٦
- «إِذَا وُضِعَتِ الْحِنَاةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ» ٣٦٠ / ٥-٤
- «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا» ٨٣٨ / ٣-١
- «أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ٣٠٣، ٢٩٥ / ٨، ٥٩٠ / ٧-٦
- «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ أَحَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ» ٥٩٠ / ٧-٦

- ٦١٤ / ٣-١ «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ»
- ١٣٣ / ٧-٦ «إِذْنَكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي حَتَّىٰ أَنْهَاكَ»
- ٥٤٧ / ٣-١ «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ»
- ٢٣٤ / ٧-٦
- ٥٧٣ / ٧-٦ «أَذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»
- ٣١٣ / ٣-١ «أَذْهَبُوا بِهِذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَىٰ أَبِي جَهْمٍ»
- ٦٧٤ / ٧-٦ «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ»
- ٤٢٧ / ٥-٤ «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ الْعُدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ»
- ٣٢٤ / ٣-١ «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ»
- ١٩٠ / ٨ «أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِيِّ»
- ٥٦٦ / ٣-١ «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ»
- ٤٢٧ / ٧-٦
- ٧٤٢ / ٣-١ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا»
- ٦٩٠ / ٣-١ «أَرْبَعُونَ خِصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ»
- ٥٧٣ / ٣-١ «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَنَتْ، وَيَوْمَ كَشَهَرٍ»
- ٢٠٤ / ٧-٦ «أَرْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»
- ٧٣١ / ٣-١ «أَرْجِعْ فَأَحْسِنْ وَضُوءَكَ»
- ٤٢ / ٣-١ «أَرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»
- ٧٣٥
- ٥١٧ / ٧-٦ «أَرْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا»
- ٣٧٠ / ٣-١ «أَرْسَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ»
- ٢٤٧ / ٣-١ «أَرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»
- ٤٧١ / ٥-٤ «أَرَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ»
- ٨٤٢ / ٣-١
- ١٠٥ / ٣-١ «أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَّخِرِ»

- «أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ» ٢٧١ / ٧-٦
٢٠٠ / ٨
- «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عَضَلَةِ سَاقِيهِ، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ» ٧٥٢ / ٣-١
- «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ» ٦٣٩ / ٣-١
- «أَسَأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا» ٢٩٨ / ٥-٤
- «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا» ٢٣٠ / ٣-١،
٥٠٢
- «اسْتَعِيدَنِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا» ٨٣٢ / ٣-١
- «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» ٣٤٨ / ٣-١
- «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ» ٣٧٣ / ٣-١
- «اسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ» ٣٣ / ٥-٤
- «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَحَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» ١٤٣ / ٧-٦
- «اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ» ٣٨٣ / ٣-١،
٦٤٩
- ٣٠٤ / ٥-٤
- ٧٥٤ / ٧-٦
- «اسْتَوْوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» ٥٩٧ / ٣-١
- «أَسْرِعُوا بِالْحِجَارَةِ» ٣٥٩ / ٥-٤
- «أَسْعِدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٨٢٧ / ٣-١
- «اسْعَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ» ٣٧٣ / ٧-٦
- «اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم» ٣٠٢ / ٧-٦
- «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا» ٤٧٧ / ٧-٦
- «اسْكُنْ أَحَدًا، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ» ٥٠٠ / ٥-٤
- «اسْكُنْ نَبِيرًا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ» ٤٩٩ / ٥-٤
- «أَسْلِمِ نَمَّ قَاتِلٍ» ٣٢ / ٣-١
- «أَسْلِمِ» ٣١ / ٣-١

- «أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» ٧٣٤ / ٣-١
- «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» ٤٦٩ / ٥-٤ ، ٤٧٣
- «أَشْتَكِي النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً» ٢٥٧ / ٥-٤
- «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٢٩ / ٥-٤
- «اشْفَعُوا تُوجَرُوا» ٥٥٠ / ٧-٦
- «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍ» ٨٢٧ / ٣-١
- «أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْرَاتِكَ صَلَاتِكَ» ٣٢٧ / ٧-٦
- «أَصْبَحْكُمْ وَمَسَاكُمْ» ١٦٦ / ٨
- «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ» ٤٤٠ / ٥-٤
- «أَصَلَيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا» ٢٢٣ / ٣-١ ، ٤٨ / ٨
- «اصْنَعُوا لِأَلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَنَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ» ٤٧٤ / ٥-٤
- «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا» ٦٦٩ / ٣-١
- «أَضْمِنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمِنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ» ٤٦٦ / ٥-٤
- «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ» ٢٣١ / ٧-٦
- «أَطْفِنُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ» ٤٤٥ / ٧-٦
- «اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ التَّقَاءِ الْجِيُوشِ» ٥٣١ / ٥-٤
- «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ» ٦٠٨ / ٧-٦
- «أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ» ٥٤٥ / ٣-١
- «اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ» ٦٨٢ / ٣-١
- «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي» ٢١٧ / ٨
- «اعْزِلِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ» ٥٣ / ٨
- «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً» ٣٥٢ / ٥-٤

- «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ» ٥٥٩ / ٧-٦
٦٦٧
- «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي» ٦١ / ٨
- «أُعْطِيَتْ حَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي» ٢٦٤ / ٧-٦
- «اعْقَلْهَا وَتَوَكَّلْ» ٢٩٤ / ٣-١
- «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ» ٣٥٤ / ٧-٦
- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» ١٤٧ / ٧-٦
- «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» ٢٤ / ٣-١
- ٢٨٦، ١٢٩
٤٢٥
٤١٧ / ٥-٤
٤٤٦
- «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ» ٣٤٤ / ٧-٦
٣٤٥
- «أَفَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٧٠٤ / ٧-٦
- «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» ٤٣٨ / ٧-٦
- «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ وَتُبْعِضَ فِي اللَّهِ» ٥٠ / ٥-٤
- «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» ٧٩ / ٣-١
- «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ» ٧٤ / ٣-١
١١٥
٤٨ / ٧-٦
- «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٧٧٢ / ٧-٦
- «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟» ٢٢ / ٨
- «أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا» ٦٣ / ٥-٤
- «أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ» ٢٣٣ / ٥-٤
- «أَفْنِي شَكُّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» ٦٢٥ / ٧-٦

- «أقرأ ثلاثًا مِنْ ذَاتِ (الر)» ٥٥٥ / ٥-٤
- «أقرأ عَلَيَّ؟ قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟!» ١-٣ / ٦٦،
١٠١ / ٥-٤
- ١٨٣ / ٧-٦
- «أقرأ عِنْدَ مَنْامِكَ قل يا أيها الكافرون، ثم نم على خاتمتها» ٥٦٤ / ٧-٦
- «اقرأ قل يا أيها الكافرون، ثم نم على خاتمتها» ٤٤٩ / ٧-٦
- «أقربُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ ساجِدٌ» ٢١٥ / ٨
- «أقروا القرآن» ٦٥ / ٣-١
- «أقروا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَإِنَّ أَحَدَهَا بَرَكَةٌ» ١٦٠ / ٥-٤
- «أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟» ٧٠٩ / ٣-١
- «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ» ٣٢٧ / ٥-٤
- «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السُّوَالِ» ٤٨٠ / ٧-٦
- «أَكْثَرْنَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ كَنْ حَطَبُ جَهَنَّمَ» ٧١٧ / ٣-١
- «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمُعَةِ» ٦٧٢ / ٣-١
١٧٠ / ٨
- «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ المَوْتِ» ١٠٢ / ٥-٤
١٧٨ / ٧-٦
٣٣٩، ١٨٣
- «أَكَلْ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ، وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ» ٢١٦ / ٧-٦
- «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا» ٣٤ / ٣-١
٤٢٦، ٤١٢
- «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَحَدْتُمْ بِهِ» ١٠٩ / ٣-١
- «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟» ٣٣٧ / ٣-١
- «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ» ١١١ / ٣-١
- «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قلت: بلى يا نبي الله ٦١٧ / ٣-١
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ» ١٠٨ / ٣-١

- ٣٣٠ / ٨ «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ»
- ٣٥٥ / ٥-٤ «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟»
- ٩٤ / ٣-١ «أَلَا أَذْكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟»
- ٤٥٤
- ٤٥٣ / ٣-١ «أَلَا أَذْكَكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»
- ٥٩٤
- ١٩٨ / ٥-٤ «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»
- ٤٩٧
- ٥٨٦ / ٧-٦
- «أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَكَحْرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»
- ١٨٨ / ٧-٦ «أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»
- ٥٩٩ / ٧-٦ «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ (ثَلَاثًا)»
- ٢٠٦ / ٧-٦ «أَلَا أَنْبِئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟»
- ٣٢٨، ٣٢٧ / ٨
- ٤٩١ / ٧-٦ «أَلَا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ»
- ١٥٩ / ٣-١ «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟»
- ١٦٧ / ٣-١ «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ؟»
- ٤٠ / ٥-٤ «أَلَا تَعْلَمِينَ هَذِهِ رُقِيَّةُ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ»
- ٢٠٤ / ٨ «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ»
- ١٨٧ / ٧-٦ «أَلَا لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»
- ٣٦٣ / ٧-٦ «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْئَةُ النَّاسِ»
- ٢٨٦ / ٥-٤ «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ»
- ٣٠٩ / ٣-١ «أَلَا وَأَنْبِئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟»
- ٢٥٣ / ٥-٤
- ٣٦٨، ٢٩٧

- «أَلَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» ٣٤٨ / ٨
- «الْأَذْنَانِ مِنَ الرَّأْسِ» ٥٨ / ٨
- «الْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَفَ» ٢٤٤ / ٥-٤
- «الْإِسْبَالُ فِي الْإِرَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ» ٧٥١ / ٣-١
- ٦٩٤ / ٧-٦
- «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» ٣٥١ / ٧-٦
- «الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَدِّنُ مُؤْتَمَنٌ» ٢٢٨، ٩٥ / ٨
- «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ» ٧٦٣ / ٧-٦
- «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا مِثْلُ» ٣٤٢ / ٣-١
- ٦٣١، ٥٣٢
- ٦٦ / ٧-٦
- ٥١١، ٧٦٥
- «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ٣٠٧ / ٨
- «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» ١٤٠ / ٣-١
- ٥٣ / ٨
- «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ» ٥٦٦ / ٣-١
- ٣٠٧ / ٥-٤
- ٤٢٩ / ٧-٦
- «الْحَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ» ٥٥٧ / ٥-٤
- «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ٣٤٥ / ٨
- «الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرِمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا» ٢٧ / ٧-٦
- «الْظُّوَا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ٨٤ / ٣-١
- «الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ» ٢٧١ / ٣-١
- «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» ٦٧٢ / ٣-١
- «أَلَلَّكَ مَالٌ؟» ٦٩٩ / ٧-٦
- «الْكُوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ» ٤٣٢ / ٧-٦

- «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ» .. ٥٠ / ٧-٦
- «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ» ٣٥٧ / ٧-٦
- «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ» ٤٦ / ٨
- «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ» ٢٥٠ / ٨
- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوًّا» ١٦٠ / ٣-١، ٦٠٨
- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا» ١٢٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهِدِي بِهِ» ٥٧١ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ أَحْسِنِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» .. ٢١٧ / ٧-٦، ٦٠٩
- «اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأُمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَدِّينَ» ٩٣ / ٨
- «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍ» ٢٤٩ / ٨
- «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» ٢٣٤ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ» ٧٨٠ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا» ٥٣٢ / ٥-٤، ٢٤٧ / ٨، ٣٠٩
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ» ٧١ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ٦٧٥ / ٧-٦، ٧٦٤
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَائِي وَذُنُوبِي كُلَّهَا» ٥٨٤ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» ١٥٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» ٣٥٤ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ» ٥٦١ / ٥-٤

- «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ» ٣٥٢ / ٥-٤
٤٤٢
- «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ، اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» ٢٧٤ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا» ٣٨٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ٥٠٣ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي» ٢٨٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ» ٨٩ / ٣-١
١٠٦
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ» ٤٠٦ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ٦٠٦ / ٣-١
٦٤٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ» ٤٥٢ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالْتَقَى» ٥٨٥ / ٣-١
٤٤٣ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ٥١٠ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» ٨٢٣ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ» ٦٠٦ / ٣-١
٦٤٥
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ» ٧٣ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ» ٦٠٨ / ٣-١
٥٢٣ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ» ٣٨٤ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ» ٢٤ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» ٥٢٦ / ٣-١
٣٥٢ / ٥-٤
٥٠٦ / ٧-٦
٦٦٦، ٥٥٧

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ» ٣٢١ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأَنْتَ بِهِمْ» ٥٨٥ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» ٨٨ / ٣-١،
٥٨٥
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» ٥٠ / ٣-١
- ١٤٤ / ٧-٦
- ٣٤٣ / ٨
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا» ٥٩٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا» ٤٩ / ٣-١
- ٣٨٩ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ» ٤٩ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ» ٤٩ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ» ١٤٣ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» ٥٨٥ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ حِجَّةً لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةً» ٣٥٣ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ حَوَالِنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْحِبَالِ» ٣١٠، ٢٥٠ / ٨
- «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسِ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي» ١٦٢ / ٥-٤
- ٦٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَيْلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ» ٥٨٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» ١٥٥ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» ٥٣٠ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصْرِي» ٧٠٣ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَعْمَرُ بْنُ هِشَامٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، وَأُمِّيَّةٌ» ٣٠٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَقْرِيشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَقْرِيشٍ» ٥٠٤ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ فَكِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّوَالِيلَ» ٧٠٩ / ٧-٦

- «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» ٤٤٨ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» ٦٢٤ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ» ٦٩٨ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ» ١٢٢ / ٧-٦ ، ٦٥٢
- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» ١٧٢ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ مَقْلَبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ٣٠١ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَّيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ» ٥١٩ / ٧-٦ ، ٦٣٢
- «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ» ٨١٠ / ٣-١ ، ٥٩١ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» ١١٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ هَوْلَاءِ أَهْلِي» ٣٠١ / ٨
- «أَلَمْ أَحْدِكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟» ٥٨٣ / ٣-١
- «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلْتَ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟» ٨٣٢ / ٣-١
- «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً» ٢٥ / ٥-٤
- «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» ٨٤٧ / ٣-١ ، ٦٥ / ٣-١ ، ٧١ / ٨
- «الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ» ٤٢٧ / ٣-١
- «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ» ٣٩١ / ٣-١
- «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرِ» ٣٨٦ / ٧-٦
- «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» ٢٠٥ / ٣-١
- «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ» ٦٩٤ / ٧-٦
- «الْمَرْأَةُ لِأَخْرِ أَرْوَاجِهَا» ٢٠٠ / ٨
- «الْمَسْحِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟» ٣٧٨ / ٧-٦

- «الْمُسْجِدَ بَيْتُ كُلِّ نَقِيٍّ» ٢٤/٣-١
 ٣٢٧
 ٢٨/٨
- «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا» .. ٤٢٠/٣-١
 ١٨٨/٧-٦
- «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» ٧٣٦/٧-٦
 ٥٣/٨
- «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ» ٤٤٤/٣-١
 ٣٢١/٧-٦
- «الْمُؤَدَّبُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٩٣/٨
- «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» ٣٨٢/٣-١
 ٢٣٧/٨
- «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ٣٨٥/٥-٤
 ٥٠٦/٧-٦
 ٥٤٥
- «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ١٨٩/٧-٦
- «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ» ١٧٤/٥-٤
- «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ» ٨٤٠/٣-١
- «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بَعْرَقِ الْجَبِينِ» ٧٩٧/٣-١
- «النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٢٦٩/٣-١
- «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شَتَّ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ» ٢٠٤/٧-٦
- «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!» ٢٧/٧-٦
- «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ» ٣٢٥/٣-١
- «أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَالْآخَرُ» ٤٥٤/٧-٦
- «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ» ٣٢٦/٧-٦

- «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي» ١٤٨ / ٣-١
- «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا» ١٤٢ / ٥-٤
- «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ» ١٣٤ / ٣-١
- «أَمَا بَعْدُ. أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ» ٢٩٧ / ٨
- «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ» ٣٣٣ / ٣-١
- «أَمَا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا» ٣٣٢ / ٣-١
- «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ؟» ٢٩٧ / ٨
- «أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!» ٦٤٣ / ٣-١
- «أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ» ٧٣٦ / ٣-١
- «إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ» ١٥٥ / ٧-٦
- «أُمَّتَهُو كُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ٤٤١ / ٧-٦، ٦٢٠
- «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ الطَّوَّافِ» ٣٧٥ / ٧-٦
- «أُمِرَ ﷺ حَمْتَةُ بِنْتُ جَحْشٍ لَمَّا كَانَتْ مُسْتَحَاضَةً بِتَأْخِيرِ الظُّهْرِ» ٢٩٠ / ٨
- «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ» ٧٣٤ / ٣-١
- ٢٨٨ / ٨
- «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٥٨٩ / ٣-١
- «أُمِرْتُ بِالسُّوَالِكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ» ٤٨٠ / ٧-٦
- «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى» ٣٨٨ / ٧-٦
- «أَمَرْنَا - يَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَنْ نَمْسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ» ٢٦٢ / ٨
- «أَمَرْنَا النَّبِيَّ ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ» ٢٣١ / ٧-٦
- «أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا كُنَّا سَفْرًا، أَلَّا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ» ٢٦٣ / ٨
- «أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدَّوْرِ» ٢٢ / ٨

- «أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى الْبُذْنِ» ١٩٦ / ٨
- «أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَنْزِلُوا مِنَ الْجَبَلِ» ٤٦٥ / ٣-١
- «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعَكَ يَتُّكَ، وَابِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ» ٦١٨ / ٣-١
- ١٨٢ / ٧-٦
- ٧٣٥
- ٢٣٥ / ٨
- «أَمِنَكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَيْهَا» ٣٤٧ / ٧-٦
- «آمِينَ، أَنَانِي جِبْرِيْلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ» ٧٠ / ٣-١
- «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَالِدَ مُعَاوِيَةَ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ» ٥٧٣ / ٧-٦
- «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ» ١٥٩ / ٥-٤
- «إِنَّ أَبَرَ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَالِدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» ٢٠٨ / ٧-٦
- «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ» ٣٨٤ / ٣-١
- ٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ» ٩٩ / ٣-١
- ٥٦١، ٣٢٦
- «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ» ١٨٥ / ٨
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ» ٣٤٥ / ٣-١
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» ٣٠٣ / ٣-١
- «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ» ١٣٧ / ٣-١
- ٢٩٩
- ٢٤٠ / ٧-٦
- «إِنَّ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَاطْطِعِ الْمَسْكِينَ» ١٠٢ / ٥-٤
- «أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَبِلَالًا كَانَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَثْنَاءَ رَمِي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ» ٤٣٠ / ٣-١
- ٧٦١، ٦٠١
- ٤٥ / ٥-٤
- «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ» ٣٤٣ / ٥-٤

- «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ» ٣٣٦ / ٨
- «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ
بِالسَّلَامِ» ٦٦٤ / ٧-٦
- «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ» ٨١٤ / ٣-١
- «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرَّجَالِ» ٦٧٧ / ٣-١
- «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ» ٣٨٧ / ٧-٦
- «إِنَّ النَّبِيَّ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ» ٤١ / ٥-٤
- «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ» ٥١٧ / ٣-١
- ٢٤١ / ٥-٤
- «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَصْرَةٌ» ٦٩٩ / ٣-١
- ٦٧ / ٥-٤
- «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٧٦١ / ٣-١
- «إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا
يَكْرَهُ» ٦٣ / ٧-٦
- «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ٢٠٣ / ٥-٤
- «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِئَةِ عَذَاءٍ» ٦٢٦ / ٣-١
- «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةٍ» ٤٩٣ / ٣-١
- «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ» ٣٦١ / ٣-١
- ٥١٦ / ٧-٦
- ٢٣٣ / ٨
- «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى الصَّدَقَةِ» ٦٦٦ / ٧-٦
- «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى شَطْرِ الصَّدَقَةِ» ٣٥٠ / ٥-٤
- «أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بِيضَاءً» ١٠٥ / ٣-١
- «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» ٤٠٧ / ٧-٦
- ٤١١
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ» ٦٨٩ / ٧-٦

- «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» ٣٣٠ / ٥-٤
- ٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ١٦٠ / ٥-٤
- «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا، وَإِنْ مَوَالِيَ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ٢٩٨ / ٨
- «إِنَّ الْعَالِمَ لَيْسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» ٥٥٥ / ٧-٦
- «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً» ٤٦٨ / ٣-١
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ - فِيمَا يَرَى النَّاسَ » ٢٧٩ / ٣-١
- «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ» ٨٣٤ / ٣-١
- ١٥٨ / ٥-٤
- «إِنَّ الْغَنِيمَةَ لَا تَحِلُّ لِأَحَدِ سُودِ الرُّؤُوسِ غَيْرِكُمْ» ٢٨٧ / ٧-٦
- «إِنَّ الْقَبْرَ أَوْلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ» ٣٤٨ / ٣-١
- ١٨٤ / ٧-٦
- «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أَطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا» ١٦٥ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ خَلْقَ خَلْقِهِ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ» ١١٨ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ» ١٠٨ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨٢ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ٥٨١ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا» ١٧ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ» ٣٠٢ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَيَّ أَهْلَ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ» ٢٨٦ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ» ٣٣٩ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ» ٢١٨ / ٧-٦

- «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» ٨٥ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» ٢٠٢ / ٥-٤
- ٢٤٦ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنُّ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسِيَانَ» ٢٢٣ / ٧-٦، ٣٤٨
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنُّ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» ٢٦٧ / ٧-٦
- ٤٦ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ» ٥٤ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٠٣ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ٤١٦ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» ٥١٥ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ» ٥١٥ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا» ٩٤ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ» ١٩٦ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا» ١٧٧ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَامَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ» ٢٥٠ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا» ٢٠٩ / ٥-٤، ٢٩٤
- ٢٣٠ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَتَّزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ» ٧٣ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ» ٢٩٧ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» ٢٠٤ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنُّ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسِيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» ٢٦٧ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا» ٥٥٥ / ٧-٦
- ٢٤٢ / ٨

- «إِنَّ اللَّهَ يُبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ» ٣٤٣ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُثِقَنَهُ» ٧٨ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْحَفِيَّ» ١٠٧ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟» ٢٢٢ / ٥-٤
- ٦٠٢
- ٧٦ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا» ٤٣٧ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا» ٦٤ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ» ٦٣٤ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ» ٩٦ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكْدُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ» ١٦٥ / ٣-١
- «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً» ١٦٥ / ٣-١
- «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» ... ٢٣٢ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ» ٤٠ / ٥-٤
- «إِنَّ الْمُفْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» ٢٢ / ٣-١
- ١٩٤ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ» ٥٩٠ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ» ١٣٥ / ٥-٤
- ٢٤ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي» .. ١٠١ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرِحٍ» ... ٣٧٧ / ٥-٤
- «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ» ٣٢٠ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي لَه بِهِ شَاةً» ٣٤٤ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عَرِيَانًا» ٣٦٥ / ٥-٤

- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشِ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ» ١٩١ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهَا الْعَوَاتِقُ» ١١٩ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْحَمِيسِ فِي عَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ» ١٤٤ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ» ١١٨ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: أَصُمْتِ» ٢٠٧ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَاهَا - أَي النَّارَ - حِينَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ» ٥٦٨ / ٥-٤
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جَبْرِيْلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ» ٥٨٦ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُنَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ» ٥٦٣ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْحَيْلِ» ٣٩٨ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ» ١٩٣، ١٩١ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ» ٢٢٠ / ٣-١، ٨٣١
- ٤٨ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ» ١٠٣ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرُ» ٩٢ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ» ٢٥٤ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ» ١٠٤ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» ٧٣٢ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿الْمَ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ» ٦٧١ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ» ٢٦٣ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِبٌ» ٦٩٦ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ مَكَّةَ، دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا» ٣٥٤ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ رَكَعَ فِي قِبَلِ الْبَيْتِ» ٣٨٠ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَانَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ» ٣٧٩ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لِحُومِ الْحَمْرِ الْأَهْلِيَّةِ» ٣١٨ / ٨

- «إِنَّ الْهَجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ» ٤٧٨ / ٧-٦
- «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ» ٦٠ / ٨
- «أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ فَتَدَّرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ» ٣٤٢ / ٥-٤
- «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصَحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ» ٧٧٤ / ٣-١
- «إِنَّ أُمَّيَ أَفْتَلَيْتَ نَفْسَهَا، وَأَظْنُهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ» ٢٠٨ / ٧-٦
- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ» ٢٠٥ / ٣-١
- ١٦١ / ٧-٦ ، ٢٢٩ ، ١٦٤
- «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ» ٧٧٥ / ٣-١
- «أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ يَقُولُونَ لِنُوحٍ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ» ٧٦٢ / ٧-٦
- «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ» ١٣٩ / ٧-٦
- «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» ٣٩٢ / ٥-٤
- «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحَبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» ٥٥٣ / ٣-١ ، ٧٢٠
- ١٧٠ / ٧-٦
- «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ» ١٨ / ٣-١
- ٢٢٦ / ٥-٤
- ٢٤٠ / ٧-٦
- «إِنَّ أَوَّلَ رُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ٩٢ / ٧-٦
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةُ» ٤١٠ / ٣-١ ، ٦٧٧
- ٢١١ / ٨
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» ٥١٥ / ٣-١
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ» ٦٠٣ / ٥-٤

- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢١٦ / ٣-١
- «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ ﷺ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ» ... ٢٢١ / ٧-٦
- «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَ التَّجَارَةَ» ٣٢٩ / ٨
- «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» ٤٦٤ / ٣-١
- ٣٨ / ٨
- «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ» ٩٣ / ٣-١
- «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصُدِّقْ» ٢٥٤ / ٧-٦
- «أَنْ تَطْعَمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ» ٣٠٤ / ٥-٤
- «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» ٢٢١ / ٥-٤
- ٥١٨
- «أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ٥٤١ / ٧-٦
- «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى» ٢٠٣ / ٥-٤
- «أَنْ جَبْرِيلُ أَخْبَرَهُ بِأَنْ فِيهِمَا أَدَى أَوْ قَدْرًا» ٢٦٣ / ٨
- «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ» ١٤٣ / ٧-٦
- «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ» ١٩٧ / ٣-١
- ٢٥٥
- ٩٤ / ٥-٤
- ٨٦ / ٨
- «إِنَّ رِجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ» ١٢٣ / ٥-٤
- ٦٧٤ / ٧-٦
- «إِنَّ رِجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ» ٤٢٤ / ٥-٤
- «أَنْ رِجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ» ٣٦٥ / ٣-١
- «إِنَّ رِجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ» ٣٠١ / ٣-١
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْقَى، فَأَشَارَ بظَهْرِهِ كَفَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ» ٢٥٢ / ٨
- «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اغْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ» ١٠٤ / ٣-١

- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَعِ» ٣٢٣ / ٨
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَخَّصَ لِلرَّعَاةِ» ٣٧٤ / ٧-٦
- «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا» ٥٩ / ٣-١
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ» ٥٦٤ / ٧-٦
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» ٥٦٤ / ٧-٦
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ» ٤٨ / ٨
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ» ٨٣٨ / ٣-١
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ» ٤٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ» ٤٢ / ٣-١، ٢٩٦
- ٣٣٨ / ٥-٤
- «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرُفَعُ الْقَلَمَ سِتِّ سَاعَاتٍ» ١٩٧ / ٥-٤
- «إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ» ١٦٥ / ٨
- «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» ٤٦ / ٧-٦
- «أَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ مِنْ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ» ٥٤٣ / ٣-١
- «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ» ٢٠٤ / ٥-٤
- «أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ سَبَبِ رَفَعِ صَوْتِهِ بِالْقُرْآنِ» ٥٢ / ٧-٦
- «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوْطَةِ» ٥٩٨ / ٧-٦
- «إِنَّ فَلَانَةَ يُذَكَّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا» ٣٧ / ٨
- «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ» ٦٧٠ / ٣-١
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ» ٧٢ / ٣-١
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِحُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» ٥٩ / ٧-٦
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا» ٧٨ / ٣-١
- ٣٩٩ / ٥-٤
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ» ٦٢٧ / ٣-١

- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ١٨٤٤ / ٣-١
٧٦ / ٧-٦
- «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» ٣٦ / ٧-٦
- «إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةٌ» ٥٤ / ٥-٤
- «إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا» ٥٦٥ / ٧-٦
- «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» ٢٨٣ / ٣-١
٣٩٦
٤١٥ / ٥-٤
- «أَنْ لَا تَدَعَ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ» ١٦ / ٨
- «أَنْ لَا يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: نَسِيتُ» ٢٢٦ / ٧-٦
- «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ» ٥٠٠ / ٥-٤
- «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنْ أَمِينُنَا آيَّتُهَا الْأُمَّةُ» ٤٣٤ / ٥-٤
- «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ» ١٩٣ / ٣-١
٦٢ / ٥-٤
٣٣٠ ، ٢٣٩
- «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا» ٥٤٦ / ٥-٤
- «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًّا» ١٧٦ / ٣-١
٣٤٨
- «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ» ٦٢٦ / ٣-١
٥٧ / ٧-٦
- «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ١٠٧ / ٥-٤
٤٨٧ ، ٣٣٣
٣١ / ٧-٦
٦٨٧ ، ١٢٥
- «إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِتْقَاءَ مِنَ النَّارِ» ٦٩ / ٣-١
- «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الدَّكْرِ» ٢٤٥ / ٥-٤
- «إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَيَالِي أَيُّهُمَا أَهْدِي» ٤٠ / ٨

- «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ» ٣٧٨ / ٧-٦
 ٣٥٠ / ٨
- «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ» ٢٣٧ / ٥-٤
 «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى» ١٣٩ / ٣-١،
 ٥٥٨
- «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ» ٣٤٤ / ٥-٤
- «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٧٨ / ٣-١
- «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أَجُورِ أَوْلِيهِمْ» ٣١٨ / ٣-١
- «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ» ٧٣٣ / ٧-٦
- «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» ٤٢٠ / ٣-١
- «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ» ٣٤١ / ٣-١،
 ٤٢٧، ٣٩٨
- «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبَثَ بِهِ بِلَاؤُهُ» ٥٣١ / ٣-١
- «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ» ٦٧٠ / ٣-١
- «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا» ٣٤٨ / ٣-١
 ٣٦١ / ٥-٤
 ٤٧٠ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ رَوْحَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ١٨٦ / ٧-٦
 ٢٧١
- «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاحُ النَّاسِ» ٢٩٩ / ٨
- «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ» ٢٧٤ / ٨
- «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظِلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يَنْوِّرُهَا بِصَلَاتِي» ١١٩ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ» ٤٤٦ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ ضَجَعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ» ٤٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسَهَا» ١٩٠ / ٥-٤
 ٦٩٨ / ٧-٦
 ١٣٨ / ٨

- «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَيَّ ذُكُورِ أُمَّتِي» ٦-٧ / ٦٩٧
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ» ١-٣ / ٤٣٨
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ» ١-٣ / ٧٤٧
- «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» ١-٣ / ٤٥
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» ١-٣ / ٤٩٤
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١-٣ / ٢١٦،
٥١٥
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا» ١-٣ / ٢٦٨
- «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ» ١-٣ / ٧٧٩
- «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ٦-٧ / ٦٥
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ» ١-٣ / ٦٨٣
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ
أَهْلًا» ٦-٧ / ٨٧
- «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ» ١-٣ / ٨٠١
- «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ» ١-٣ / ٣٩٣،
٥٣٦
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» ٦-٧ / ٥١٩
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا» ٦-٧ / ٧٣١
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً» ١-٣ / ١٩٠
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ» ١-٣ / ٤٢٢،
٨٢٣
- «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ١-٣ / ٦٦٢
- «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» ١-٣ / ٥٨١
- «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ» ٦-٧ / ٧٤٠
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ» ١-٣ / ٢٤٨
- «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا» ١-٣ / ١٩٢

- «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ» ٧٤٩ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغِرْ» ٤٣٧ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ٥٠١ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ» ٤٩٨ / ٣-١،
٥٠٢
- «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ٧٧٢ / ٧-٦
- «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ» ٢٥٥ / ٣-١،
٦٠٤، ٢٨٧
١٤٦ / ٧-٦
٤٢٠
- «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ» ١١٤ / ٥-٤
- «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» ٥٤٥ / ٣-١
- «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي
خَيْرِ خَلْقِهِ» ٣٠٣ / ٨
- «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ» ٥٥٢ / ٧-٦
- «إِنَّا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ لَا نَفْتَرُقُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ» ٢٩٩ / ٨
- «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» ٦٨٩ / ٣-١
- «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ» ٤٢٧ / ٣-١
- «أَنْصُرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» ٥٩٠ / ٥-٤
١٨٨ / ٧-٦
- «أَنْطَلِقُ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ٥١٩ / ٥-٤
- «أَنْظُرُوا إِلَيَّ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ مَنْ فَوْقَكُمْ» ١٥٨ / ٣-١،
٥١٥
- ٥٣٨ / ٥-٤
٢٤٢ / ٨
- «أَنْفُذْ عَلَيَّ رِسَالِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ» ٣٥٢ / ٣-١

- «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ... ٤٢٤ / ٣-١
- ٢٧٧ / ٧-٦
- «إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لَا جَالَ مَضْرُوبَةٍ» ٣٠٥ / ٣-١
- «إِنَّكَ لَا بِنْتُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ» ٢٠٧ / ٨
- «إِنَّكَ لَنْ تَدْعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ» ٥٣ / ٣-١
- ١٥٤ / ٥-٤
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ» ٥٦١ / ٣-١
- «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِخَارَ الْمَطَرَ» ٢٤٨ / ٨
- «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ» ٥١ / ٣-١
- «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ؟» ٨٣٨ / ٣-١
- «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ» ٤٦٥ / ٣-١
- «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضَلِّينَ» ٧٦ / ٨
- «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ» ١٧ / ٣-١
- ٦٩٤، ٣٥٨
- ١٩٩ / ٧-٦
- ٣٦٨
- «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا» ٧٩٥ / ٣-١
- «إِنَّمَا الصِّيَامُ جُنَّةٌ» ٧٢ / ٣-١
- «إِنَّمَا الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ» ٦٠٣ / ٣-١
- «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» ٣٧ / ٧-٦
- «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ» ٣٩٢ / ٧-٦
- «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» ٦٤٩ / ٣-١
- «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ» ٢٧٢ / ٨
- «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا» ٤٨٤ / ٣-١
- «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» ٢٩٩ / ٨

- «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ» ٤٢٢ / ٧-٦
- «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ» ٣٥٠ / ٣-١
- «أَنَّهُ ﷺ نَزَلَ فِي الْقُبَّةِ الَّتِي ضُرِبَتْ لَهَا بِنَمْرَةَ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانٍ» ٣٢٥ / ٣-١
- ٤١٨
- «أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحُلِّ أَمْسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ» ٣٥٣ / ٧-٦
- «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَبِيَّتَ بِمَكَّةَ فَأُذِنَ لَهُ» ٣٧٣ / ٧-٦
- «أَنَّهُ أَمَرَ بِإِخْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ» ٧٠٧ / ٣-١
- «إِنَّهُ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آئِفًا سُورَةَ فَقَرَأُ» ٤٣١ / ٧-٦
- «إِنَّهُ سَيِّحَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا» ٤٣٠ / ٥-٤
- «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ» ٤٦٦ / ٣-١
- «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ» ٢٠٤ / ٣-١
- ٨٠٤
- «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨٥ / ٥-٤
- «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» ٣١٧ / ٥-٤
- «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ» ١٠٩ / ٧-٦
- «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ» ٥٠١ / ٣-١
- ٣١ / ٥-٤
- ٤٦٥ / ٧-٦
- «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ» ٨١ / ٣-١
- ٤٠١ / ٥-٤
- «أَنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ٤٨ / ٧-٦
- «إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ الْعُلَمَاءِ نَبْدَةً» ٢٧٨ / ٧-٦
- «إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزِيٌّ وَنَدَامَةٌ» ١١٢ / ٨
- «إِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا» ٢١٠ / ٥-٤
- «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» ١١٤ / ٧-٦

- ٩٢ / ٨ «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فُقِمَ مَعَ بِلَالٍ»
- ٣٥٧ / ٧-٦ «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامٌ طُعِمَ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ»
- ٧٠٧ / ٣-١ «أَنَّهُكُوا الشَّوَارِبَ»
- ٤٩٢ / ٧-٦ «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ»
- ٤٢٥ / ٧-٦ «إِنِّي أَنزَوْتُ النَّسَاءَ»
- ٥٨٨ / ٧-٦ «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ»
- ٥٧١ / ٣-١ «إِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ»
- ٥٩٧ / ٧-٦ «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ أَنْتَزَعَ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي»
- ٥٤٢ / ٣-١ «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ»
- ٥٤٤ / ٣-١ «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا»
- ٤٩٢ / ٥-٤
- ٤٣٩ / ٧-٦
- ١١٤ / ٧-٦ «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»
- ٢٢٥ / ٨ «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ»
- ٦٤٠ / ٧-٦ «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَدَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ»
- ٥١٩ / ٣-١ «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً»
- ١٩٢ / ٨ «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا»
- ٥٤٣ / ٣-١ «آيَاتُهُ كُنُجُومُ السَّمَاءِ»
- ١٧٦ / ٣-١ «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»
- ١٧٩ / ٨ «أَهْرَيْقُوا عَنْهُ دَمًا»
- ١١٢ / ٨ «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، مُتَّصِدٌّ، مُوَفَّقٌ»
- ٨٩ / ٧-٦
- ٢٣١ / ٣-١ «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ»
- ٨٩ / ٧-٦
- ٦٨٥ / ٣-١ «أَوْ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ»

- «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ١٩٠ / ٣-١
٧٢٧
- «أَوْ قَدْ قَالُوهَا؟ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُسْقِيَكُمْ» ٢٤٩ / ٨
- «أَوْ مُسَكَّرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ» ٣١٤ / ٥-٤
- «أَوْ جَبَّ طَلْحَةُ» ٢٨٣ / ٥-٤
- «أَوْ ذِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ» ٧٧٣ / ٧-٦
- «أَوْ صَانِي خَلِيلِي ﷺ ثَلَاثٌ» ٧٥ / ٣-١
- «أَوْ صِيكَ أَنْ تَسْتَحِي اللَّهَ ﷻ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا» ١٣٩ / ٣-١
٧٠٠
- «أَوْ صِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» ٦٩٥ / ٣-١
٤٤٠ / ٧-٦
- «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا» ٥٧٣ / ٧-٦
- «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ٦٢٤ / ٣-١
- «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ» ٢٠٩ / ٨
- «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ» ١٢٢ / ٣-١
- «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الصَّلَاةُ» ٣٢٣ / ٣-١
٤٠٩
٣٧ / ٥-٤
٦٠٣، ١٤٥
- «أَوَّلُ مَا يُفْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٣٢٨ / ٥-٤
- «أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طِبَابَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ٧٦ / ٥-٤
٢٩٤
- «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ» ٢٧١ / ٧-٦
- «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرَقَاتِ» ٥١ / ٨

«إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ» ٤٨٣ / ٣-١

٦٠١

٢٧٠ / ٥-٤

١٤٥، ١٨ / ٨

«إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ» ١٠٢ / ٨

«إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» ٢٥٢ / ٧-٦

«إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ» ٤١١ / ٣-١

٤٦٥

«أَيَّامَ التَّشْرِيقِ أَيَّامَ أَكْلٍ وَشَرْبٍ» ٣٧٥ / ٧-٦

«آيَةُ الْمُتَنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ» ١٤٧ / ٣-١

٦٧٨

١١٣ / ٥-٤

٤٦٥

«أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ» ٣٦٠ / ٥-٤

«أَيُّسْرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ

وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ» ٢٩٩ / ٧-٦

«أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ٢٢٠ / ٣-١

«أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» ٤٤١ / ٣-١

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» ١٩١ / ٣-١

٧٥ / ٥-٤

٢٩٥

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو كُلُّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ» ٨٢٢ / ٣-١

٣٥٦ / ٥-٤

٤٦١ / ٧-٦

٢٦ / ٨

«أَيُّكُمْ قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ» ٥١٠ / ٥-٤

٣٠٩ / ٧-٦

- «أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى» ٣٦٤ / ٧-٦
- «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» ٢٦٩ / ٣-١
- «أَيْنَ أَنَا عَدَا؟ أَيْنَ أَنَا عَدَا؟» ٨٠٢ / ٣-١
- «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ» ٥٥١ / ٥-٤
- «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ» ١٢١ / ٣-١
- «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» ١٣٦ / ٣-١،
٢٩٩
- ٢٣٩ / ٧-٦
- «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ» ٢٦٧ / ٣-١
- «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» ٣٢ / ٥-٤
- «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ» ٧٣٦ / ٣-١
- «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ» ٨٧ / ٣-١
- «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَمَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ» ٨٠٩ / ٣-١
- «أَيُّوْذِيكَ هَوَامُّكَ؟» ٣٤٨ / ٧-٦
- «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» ٣٠٠ / ٥-٤،
٤٤٦
- «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ» ٤٩ / ٣-١
- «بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا» ٢٣٤ / ٧-٦
- «بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ» ١٩٢ / ٨
- «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا» ٤٤٩ / ٧-٦
- «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنِيَّ» ٤٤٩ / ٧-٦
- «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ» ٣٩ / ٨
- «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» ١٨٩ / ٧-٦
- «بَايَعُونِي عَلَيَّ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا» ٤٨٣ / ٣-١
- ٨٤ / ٨

- «بَخ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ» ٩٢ / ٣-١
- «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا» ٤٢٧ / ٣-١
- «بِرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتِكَ وَأَخَاكَ» ٦٨٥ / ٣-١
- «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بَرِيقَةُ بَعْضِنَا» ٥٤٩ / ٣-١
- «بِسْمِ اللَّهِ.. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ» ٣٥٤ / ٧-٦
- «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ» ٥٦٠ / ٣-١
- ١٢٨ / ٥-٤
- «بَشِّرَا، وَلَا تَنْفَرَا» ١٣٠ / ٥-٤
- «بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» ٤٩٧ / ٥-٤
- «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا» ٧٥٧ / ٣-١
- ١٧٥ / ٨
- «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ١٧٥ / ٨
- «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ١٥٤ / ٣-١
- ٨١٠، ٢٠٧
- ٣٠٥ / ٨
- «بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا، أَنَا لَقِينَا رَبَّنَا، فَارْضِي عَنَّا» ٨٤٣ / ٣-١
- «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» ٣٥٥ / ٣-١
- ٤٢٣
- «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» ٢٦٧ / ٣-١
- ٧١٤، ٥٨٩
- ٣٣ / ٥-٤
- ٢٤٥ / ٧-٦
- «بِئْسَ الرَّجُلُ كُنْتُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ كَافِرًا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ مُؤَدِيًا
لِنَبِيِّهِ» ٥٠٧ / ٥-٤
- «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ» ٦١٢ / ٧-٦
- «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ» ٣٢٤ / ٣-١
- ٤١٠

- «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ» ٦-٧ / ٦٤٤
- «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرْضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ» ١-٣ / ٧٨١
- «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتَنِي فِي الْجَنَّةِ» ١-٣ / ٧٨٠
- «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ» ٤-٥ / ٥٣٢
- ٣٤٤ / ٨
- «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ» ١-٣ / ٥٤١
- ٤٣٢ / ٧-٦
- «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْبَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ» ١-٣ / ٥٣١
- «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَحَدَهُمُ الْمَطْرُ» ١-٣ / ٢٧
- ٧٠ / ٥-٤
- «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ» ٨ / ٥٢
- «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ» ٤-٥ / ١٠٤
- «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرُكْبَةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا» ٦-٧ / ٢٠٠
- «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ» ١-٣ / ٢٧٠،
- ٤٥٤
- ٣٥٢ / ٧-٦
- «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ» ١-٣ / ١٠٤
- «تَحَوَّلَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ فَقَلَبَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ» ٨ / ٢٥٣
- «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا» ٦-٧ / ٨٨
- «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» ١-٣ / ١٢٨
- ١٥٠ / ٧-٦
- «تُدْبِحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحَلِّقُ» ٨ / ١٧٨
- «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ» ١-٣ / ٤٠٤
- ٤٢٦ / ٧-٦،
- ٤٣٠

- ١٨٥ / ٨ «تَسَمُّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ».
- ٥٤ / ٨ «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرَأُ السَّلَامَ»
- ٦٦ / ٣-١ «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ».
- ٥٩٠ / ٣-١ «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ».
- ٢٦٨ / ٣-١ «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يعني الفريضة»
- ٧٥ / ٣-١ «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ»
- ٣٢٠ / ٧-٦ «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا» ...
- ٦٤ / ٥-٤ «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ»
- ٤٨٢
- ١٦١ / ٥-٤ «تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»
- ٤٨ / ٨
- ٤٥٢ / ٣-١ «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ»
- ٢٢٣ / ٨ «تُقَوْمُ السَّاعَةِ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»
- ٥٥٦ / ٥-٤ «تُقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأَسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ»
- ٨٠٩ / ٣-١ «تُكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ»
- ٤٧٧ / ٥-٤ «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ»
- ٦٨٨ / ٣-١ «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ»
- ١٢٨ / ٥-٤ «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»
- ٢٤١ / ٧-٦
- ٣٥٧ / ٣-١ «تُنكِحُ الْمَرْأَةُ لِارْبَعٍ: لِمَالِهَا»
- ٤٢٩ / ٧-٦
- ٢٥٩ / ٨ «تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ عَلَى الْجَوْرَيْنِ»
- ٨٠٥ / ٣-١ «تُوْفِّي وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِنِثْلَيْنِ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»
- ٧٣٣ / ٧-٦ «تُكَلِّتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ»
- «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»
- ١٤٨ / ٧-٦

- «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» ١٧٧ / ٥-٤
- «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» ٣٩٠ / ٣-١
- ٥٣٥
- ٢١٠ / ٧-٦
- «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحُّ مَطَاعٍ» ١٠٤ / ٥-٤
- «ثَلَاثَةٌ أَثْوَابٌ بِيضٌ سَحُولِيَّةٌ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ» ٧٧٧ / ٣-١
- «ثَلَاثَةٌ أُفْسِمُ عَلَيْهِنَّ» ١٦٦ / ٣-١
- «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ» ٤٢٨ / ٧-٦
- «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ» ٣١٥ / ٥-٤
- «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ» ٧٤٨ / ٣-١
- «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» ٣٠٠ / ٣-١
- ٧٣٧
- ٥٥٥ / ٧-٦
- ١٣٣ / ٨
- «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ» ٣٣٠ / ٣-١
- «ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾» ٧٩١ / ٣-١
- «ثُمَّ قَلَبَ رِدَاءَهُ، فَجَعَلَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ» ٢٥٣ / ٨
- «ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَذْبَرَ» ٧٣١ / ٣-١
- «ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ» ٣٢٩ / ٨
- «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا» ٦١٥ / ٥-٤
- «ثُمَّ يُضْرَبُ الْحِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ» ٦٦٠ / ٣-١
- «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ» ١٠٨ / ٥-٤
- «جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» ٢٨٥ / ٧-٦

- «جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ: فقال: يا مُحَمَّدُ» ٢٦٤ / ٣-١
- «جاء جبريلُ، فقال: يا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ» ٤٣٩ / ٣-١
- ١٧٦ / ٧-٦
- «جاءهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ» ٧٧٢ / ٧-٦
- «جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ» ٤٦٤ / ٥-٤
- «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللَّحَى» ٧٠٧ / ٣-١
- «جَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جَبْرِيلَ» ٤٧٢ / ٥-٤
- «جَعَلَ النبيُّ ﷺ لِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً» ٢٦٣ / ٨
- «جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمَسَافِرِ» ٢٦٠ / ٨
- «جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهْرًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ» ٦١ / ٨
- «جَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ: أُنْيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا» ١٤١ / ٥-٤
- ٢٤٦ / ٧-٦
- «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ» ٣١١ / ٣-١
- ٦٩٩ / ٧-٦
- «حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ، فيقول: أنا لها» ٢٢ / ٧-٦
- «حج عن أبيك واعتمر» ٣٦٥ / ٧-٦
- «حِجَابُهُ النُّورُ» ١٢٢ / ٧-٦
- «حُجِّي عَنْهَا» ٣٦٦ / ٧-٦
- «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي» ٤٦٥ / ٥-٤
- «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ» ٤٦٨ / ٥-٤
- «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» ١٧٧ / ٥-٤
- ١٨٩ / ٧-٦
- ٢٣١
- ٤٠ / ٨
- «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» ٥٨٣ / ٥-٤
- «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ» ١٢٦ / ٥-٤

- «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ» ٤٣٣ / ٣-١
- ٣٤٣ / ٧-٦
- «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُوا اللَّحَى» ٧٠٧ / ٣-١
- «حَدَّمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ» ٤١٢ / ٣-١
- ٧٧٠ / ٧-٦
- «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، - فَبَدَأَ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمٍ» ١٣٣ / ٧-٦
- ٢٧٨
- «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَعَلِي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا» ٣٤٩ / ٨
- «خُذِي بِالْمَعْرُوفِ» ٦٦٥ / ٧-٦
- «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكَ بِالْمَعْرُوفِ» ٣٠٥ / ٥-٤
- «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ» ٣٠٠ / ٨
- «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مُبْتَدِلًا مُتَوَاضِعًا، مُتَضَرِّعًا» ٢٥٠ / ٨
- «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو» ٢٥٢ / ٨
- «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا» ٣١٧ / ٧-٦
- «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْاسْتِسْقَاءِ، فَخَطَبَ» ٢٥٢ / ٨
- «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي» ٣١٠ / ٣-١
- «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ» ٥٨٥ / ٧-٦
- «خَمَرُوا الْآيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ» ٤٤٦ / ٧-٦
- «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ» ٧١٤ / ٣-١
- «خَمْسُ فَوَاسِقٍ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ» ٣٢٢ / ٨
- «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ» ٤٩٣ / ٧-٦
- «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا» ٣٢٦ / ٧-٦
- «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ» ٥٩٩ / ٣-١
- «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي الَّذِينَ بَقِيَتْ فِيهِمْ» ٥٧٦ / ٧-٦
- ٥٧٧

- «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ٢٦٤ / ٥-٤
- «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا» ٢٧٠ / ٥-٤
- «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ» ١١٤ / ٧-٦
- «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ٦٦٩ / ٣-١
- «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» ٦٤٩ / ٣-١
- ٣٠٩ / ٥-٤
- «خيركم قرني ثم الذين يلونهم» ٣٢٩ / ٨
- «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» ٣٦٠ / ٣-١
- ٥٠٠
- ٢٣١ / ٨
- «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ» ٤٦٠ / ٣-١
- «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا» ٤٦٥ / ٣-١
- «دَعَّ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ» ٥١٨ / ٣-١
- «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ» ٧٥١ / ٧-٦
- «دَعُوهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ» ١٤١ / ٣-١
- «دَعُوهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا» ٢٦٢، ٢٥٨ / ٨
- «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو» ٣٠ / ٣-١
- ٥٢٦
- «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ» ٣٤٢ / ٥-٤
- ١٩٠ / ٧-٦
- «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعِمَامِ» ٨٨ / ٣-١
- ٥٨٢ / ٥-٤
- «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ» ٨٩ / ٣-١
- ٢٧٨ / ٥-٤
- «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ» ٥١٨ / ٧-٦

- «دَعَوْهُمْ، فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ» ٣٠٦ / ٧-٦
- «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا» ٣٩٤ / ٣-١
- «ذَاقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ٥٣٨ / ٥-٤
- «ذَاقَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ» ١٢٨ / ٥-٤
- «ذَاقَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ» ٥٦٢ / ٣-١
- ٣٨٧ / ٥-٤
- «ذَاقَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكَ» ٨٠٢ / ٣-١
- «ذَكَرَ طَبِيبٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَوَاءً، وَذَكَرَ الضَّفْدَعُ» ٣٢٢ / ٨
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ دَجَاجًا» ٣٢٦ / ٨
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَصْلِي مَتْرَبًا» ٢٨٧ / ٨
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبِعُ الدُّبَاءَ» ٨٤٠ / ٣-١
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ» ٣١٣ / ٣-١
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْحَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ» ٥٨٥ / ٣-١
- «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْهَبِطًا» ٥٨٩ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ» ٥٨٩ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ» ٢٥٨ / ٨
- «رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جِبْرِيلَ» ٦٣٥ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ» ١٢٥ / ٣-١
- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ» ٧٣٢ / ٣-١
- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَاكُ» ٤٨١ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ» ١٨٣ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصْلِي فَوَضِعَ رِجْلَيْهِ» ٥٠٥ / ٥-٤
- «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ» ٤٧٦ / ٧-٦
- «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ» ١٠٨ / ٨
- «رَبُّ أَعْنِي وَلَا تَعْنُ عَلَيَّ، وَأَنْصُرُنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَأَمْكُرُ لِي وَلَا تَمْكُرْ» ٦٥١ / ٧-٦

- «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري» ٤٦٤ / ٧-٦
- «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ» ٥٠١ / ٣-١
- ٦٩١ / ٧-٦
- «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ» ٩٧ / ٣-١
- «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» ٣٥٦ / ٧-٦
- «رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ» ٢٣٥ / ٨
- «رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا» ٤٤٥ / ٣-١
- «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطَ الرَّبُّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» ٢٠٤ / ٥-٤
- ٢٠٦ / ٧-٦
- «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» ٢٠٤ / ٧-٦
- «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ» ٣٦٤ / ٧-٦
- «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٤٤٥ / ٣-١
- ٥٦١
- «رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ مَرَّةً» ٥٦٤ / ٧-٦
- «زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ» ٣٧٥ / ٣-١
- «زَمَّلُونِي زَمَّلُونِي، لَقَدْ حَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» ١١٣ / ٧-٦
- ٥٠٢
- «زَوَّجَنِي ابْنَتَكَ، فَقَالَ: نِعَمَّ وَكَرَامَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ» ٣٧٢ / ٥-٤
- «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ» ١٠٢ / ٥-٤
- ٣٣٩ / ٧-٦
- «سَابِقِ النَّبِيَّ ﷺ عَائِشَةَ مَرَّتَيْنِ» ٧٥٧ / ٧-٦
- «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟» ٤٩٥ / ٣-١
- ٤٦٠ / ٥-٤
- ٩٤ / ٧-٦
- «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي» ٧٠٠ / ٣-١
- ٥١ / ٨

- «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» ٤٥٠ / ٧-٦
- «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» ٣٣٠ / ٥-٤
- «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» ٤٦٣ / ٧-٦
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» ٤٦٣ / ٧-٦
- «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ٤٦٣ / ٧-٦
- «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ» ٢١ / ٨
- «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ٢١ / ٣-١، ١٢٧
- ٦٨ / ٥-٤
- ٥٢١، ٢٨٥
- ١٨٢ / ٧-٦
- ١١٢، ٢٧ / ٨
- «سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ» ٥٩٨ / ٧-٦
- «سُتْرَةُ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ السَّهْمُ» ١٤٩ / ٥-٤
- «سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةَ شَدِيدَةٍ» ٥٤٦ / ٣-١
- «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا فَتَغْرُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ» ٢٢٢ / ٨
- «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» ١٣٨ / ٥-٤
- ٧٧ / ٧-٦
- «سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَرَسٍ، فَجَحِشَ شِقُّهُ الْأَيْمَنُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُوذُهُ» .. ٢٨٧ / ٨
- «سَلْ تُعْطَهُ» ١٣٤ / ٧-٦
- «سَلْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ» ٢٠٥ / ٣-١
- «سَلُّوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ» ٦٠٧ / ٣-١
- ٦٤٢
- «سَلُّوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا» ٨٢٣ / ٣-١
- «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ» ١٩٨ / ٥-٤
- «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ» ٣٠٩ / ٨

- «سنة الفجر قبلها ركعتين لأن النبي ﷺ لم يكن يدعهما أبداً» ٢٩٢ / ٨
- «سَهْلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» ٥٠٠ / ٧-٦
- «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» ٢٣٠ / ٨
- «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ١١١ / ٣-١، ٥٠٣
- «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ٣٨١ / ٥-٤
- «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ» ١٠٨ / ٣-١
- «سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» ١٥٧ / ٨
- «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً» ٥٩٦ / ٧-٦
- «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحُّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ» ٥٥٨ / ٧-٦
- «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ» ٣٩٩ / ٣-١
- «صَحَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى يَقْبِضَهُ اللَّهُ» ٢٩٢ / ٨
- «صَدَقَ سَلْمَانُ» ٢٦٠ / ٧-٦
- «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» ٢٣٧ / ٣-١
- «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ» ٢٨٥ / ٧-٦
- «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» ٥٣ / ٧-٦
- «صل على الأرض إن استطعت وإلا فأومئ إيماءً واجعل سجودك أخفض» ٢٩٠ / ٨
- «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» ٢٨٨، ٢٨٦ / ٨
- «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا» ٥٩٣ / ٣-١
- «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى، مَثْنَى» ٨٠ / ٣-١
- «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَا سِوَاهُ» ٣٧٩ / ٧-٦، ٣٩٠
- «صَلِّحْ أَمْرَ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ» ٣٨٠ / ٥-٤
- «صَلِّحْ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ» ٦٠ / ٣-١

- «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ٧٣٠ / ٣-١
 ٣٧ / ٥-٤
 ١٤٥
- «صلى ذات يوم صلاة الفجر فصعد المنبر» ٧٧٤ / ٧-٦
 «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَحَ الْبَقْرَةَ» ٧٩ / ٣-١
 «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ» ٥٥٤ / ٧-٦
 «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرْهَمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ» ٦٠٢ / ٣-١
 ٧٤٧، ٧١٧
 ١٩٠ / ٥-٤
 ١٢٨، ١٩ / ٨
 ١٤٦
- «صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» ٨١٥ / ٣-١
 «ضَرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغَلَطُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ» ٥٦ / ٧-٦
 «ضَرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرَضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا» ٥٦ / ٧-٦
 «ضَعَّ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ» ١٦٣ / ٥-٤
 ٦٧ / ٧-٦
 ٢٣٤
- «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ ١٧٤ / ٥-٤
 «طَلَّبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ٧٣٠ / ٣-١
 ١٢٠ / ٨
- «طَلْحَةُ مِمَّنْ فَضَى نَحْبُهُ» ٢٨٣ / ٥-٤
 «طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ» ٥٩٦ / ٧-٦
 «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ» ٥٢٤ / ٣-١
 ٥٤٣ / ٧-٦
- «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيْطُ» ١٨٠ / ٥-٤
 «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ» ٧٠٦ / ٣-١

- «عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَحَاهُ؟» ١٥٨ / ٥-٤
- «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ» ٣٥٨ / ٣-١
- «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ» ٣٨٩ / ٧-٦
- «عَلَى رَسُولِكُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ» ٤٤ / ٨
- «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ» ٧٢ / ٣-١
- «عَلَيْكُمْ بِالذُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ» ١٤٤ / ٧-٦
- «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» ٤١٧ / ٣-١
- ١١٤ / ٥-٤
- ٢٠١ / ٧-٦
- «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا» ١٩٩ / ٧-٦
- «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ» ٧٨ / ٣-١
- ٣٧٢
- ٤٠٠ / ٥-٤
- «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ» ٣٤١ / ٧-٦
- «عَلَيْكُمْ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ» ٢٧١ / ٥-٤
- ١٣٧ / ٨
- «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» ٣٣٥ / ٨
- «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ» ١٧٩ / ٨
- «عَهْدٌ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبِ» ١٦٠ / ٣-١
- ٧٧ / ٥-٤
- «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٢٨ / ٣-١
- ١٥٩ / ٧-٦
- «عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ» ٤٤٧ / ٧-٦
- «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْرُزُ؟» ٦٢ / ٧-٦
- «غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ، فَصَاحَ النِّسْوَةَ وَبَكِينَ» ٧٩٨ / ٣-١

- «فَابْشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَحْشَى عَلَيْكُمْ» ٤-٥ / ٦٣
- «فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَفَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمَ» ٦-٧ / ٢٣٥
- «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» ٦-٧ / ٧٢١
- «فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ» ٤-٥ / ١١٤
- «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا» ٦-٧ / ٤٠٩
- «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزِعُوا إِلَى ذِكْرِهِ» ٦-٧ / ٤١٠
- «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ» ٦-٧ / ٤١٠
- «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» ٦-٧ / ٩٣
- «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» ٦-٧ / ٤٧
- «فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» ٨ / ٢٧٠
- «فَادْكُرُوا حَتَّى يَنْجَلِيَا» ٦-٧ / ٤١٠
- «فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جَدًّا حَتَّى تَجْلَانِي الْغَشْيُ» ٦-٧ / ٤١٠
- «فَاعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا» ٨ / ٢٣٦
- «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ» ٤-٥ / ٣٠٨
- «فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَعْطِيَ رَأْسَهُ» ٤-٥ / ١٥٤
- «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ» ١-٣ / ٧٨٦
- «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ» ١-٣ / ١٢٣
- «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ صَلَى مُسْتَلْقِيًّا» ٨ / ٢٨٩
- «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ» ١-٣ / ٦١٢
- «فَأَنْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ» ١-٣ / ٤٨٢
- «فَإِنِّي قَدْ أَدْنُ لِي فِي الْخُرُوجِ» ٦-٧ / ٤٧٦
- «فَأَيْنَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ» ١-٣ / ١٧٥
- «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ» ٦-٧ / ٥٩٩
- «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» ٦-٧ / ٥٩٩

- ٧٣ / ٣-١ «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ»
- ٢٥٢ / ٨ «فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ»
- ٣٧٥ / ٣-١ «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ»
- ٣٢٨ / ٧-٦ «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ»
- ٥١٨ / ٣-١ «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»
- ٣٢٨ / ٧-٦
- ٢٠٣ / ٨ «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»
- ٣٩٥ / ٥-٤ .. «فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ ﷺ: «أَتَحِبُّ أَنْ أُرِيكَ»
- ١٦ / ٧-٦ «فَقَالَ: مَا شِئْتُ، قُلْتُ: الرَّبِيعُ، قَالَ: مَا شِئْتُ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»
- ٨٣٥ / ٣-١ «فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أُرِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ»
- ٢٠٤ / ٨ «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَئِذٍ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ»
- ٣١٣ / ٥-٤ «فَكَانَ مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى»
- ٧٩٩ / ٣-١ «فَلَا تُعْطِهِ مَالِكَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتِلُهُ»
- ٥١ / ٣-١ «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ»
- ٨٣٩ / ٣-١ «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ»
- ٢٠٣ / ٣-١ «فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيلُ بِهِدَايَةِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾
- ٢٧١ / ٧-٦ «فَلَمْ يَرْعِنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى»
- ٢٧٨ / ٨ «فَلْيَنْظُرْ آخَرَى ذَلِكَ إِلَى الصَّوَابِ»
- ٢٧٨ / ٨ «فَلْيَنْظُرِ الَّذِي يَرَى أَنَّهُ الصَّوَابُ»
- ٥٠ / ٥-٤ «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْحَزَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأَنَّهُ مَنِيَّتَهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ»
- ١٧٧ / ٧-٦
- ٣٧٧ / ٣-١ «فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ»
- ٣٣٢ / ٨ «فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ»
- ٥٠٦ / ٥-٤ «فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ النَّارُ»

- «فَمَنْ يَأْخُذُ مَا لَا بَحَقَّهُ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ» ٣٤١ / ٨
- «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!» ٤٩٥ / ٧-٦
- «فَمِنْ يَوْمٍ مَعِدُكُمْ أَمْرٌ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ» ٢٢٢ / ٧-٦
- «فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقَتْ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ» ٣٤٤ / ٥-٤
- «فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحْجَ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ» ٣٦٥ / ٧-٦
- «فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقَتْ بِهِ عَنْهَا؟» ٢٣٣ / ٥-٤
- «فَهَلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ؟» ٤٣٠ / ٧-٦
- «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا» ٥٨٤ / ٣-١
- ٦٥٢
- ١٨٠ / ٥-٤
- ٧٥ / ٥-٤ «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ»
- ٥٩٠ / ٧-٦ «فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ»
- ٥٤٩ / ٣-١ «فِي الْحَبَّةِ السُّودَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»
- ٤٨١ / ٧-٦ «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»
- ٤١٢ / ٥-٤ «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ»
- ٤٧٦ / ٣-١ «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَذْفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْحٌ»
- «فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ» ١١٩ / ٧-٦
- ٧٤٨ / ٧-٦ «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ»
- ٤٥٤ / ٣-١ «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ»
- ٢٣٢ / ٥-٤
- ٥٦٢
- ٢١٣ / ٨ «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَيْنَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي»
- ٢١٢ / ٨ «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»

- «قَالَ اللَّهُ ﷻ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ» ١٩٧ / ٥-٤
- ١٦٦ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي» ٦٩٠ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ» .. ١٩٥ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ٢٢٧ / ٣-١
- ٤٩٤
- ١٣٧ / ٥-٤
- ٩١ / ٧-٦
- ١٦٣
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَيْرَضِيكَ أَنْ أُعْطِيكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا» ١٩٦ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوْنِي» ٤٤١ / ٥-٤
- «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» ٦٣٢ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ، أَنِّي تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ» ٤٤٠ / ٥-٤
- «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟!» ٧٦١ / ٣-١
- ٤٥ / ٥-٤
- «قَالَ اللَّهُ ﷻ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، فَدَفْتُهُ» ٨٣ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ» ٩١ / ٣-١
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ» ٢٣٢ / ٣-١
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ» ٢٢١ / ٣-١
- «قَالَ: الْجَنَّةُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِلَّا الدِّينَ» ٣٤٩ / ٥-٤
- «قَالَ: أُمَّكَ» ٢٠٥ / ٧-٦
- «قال: نعم، قُتِلَ، فقامت تبكي فقال: لا تَبْكُوا عَلَيَّ أَخِي» ٤٧٣ / ٥-٤
- «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ» ١٩٧ / ٥-٤

- «قَالَ النَّارُ: رَبِّ! أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا» ٤-٥ / ٤٥٨
- «قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ» ٦-٧ / ٢٢٤
- «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَفَنَعَهُ اللَّهُ» ١-٣ / ١٥٨
- ٤-٥ / ٢٦٠،
٣٣٥
- «قَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأَنْسَيْتُهَا» ١-٣ / ١٠٥
- «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ الْبَلَاءَ» ١-٣ / ٣٤٤
- «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ» ٦-٧ / ٦٩٢
- «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيَحْمَرُّ لَهُ» ١-٣ / ٣٥٤
- «قَدَّرُ حَوْضِي» ١-٣ / ٥٤٣
- «قَرْنٌ يَنْفَحُ فِيهِ» ٤-٥ / ٦١٥
- «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ» ١-٣ / ١١٤
- ٤-٥ / ١٣٤
- ٦-٧ / ٢٥٤
- «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ» ١-٣ / ٦١٨
- «قلت لجابر الضبع أكلها، قال: نعم، قال: قلت له: أقاله رسول الله ﷺ؟»
- ٨ / ٣٢٦
- «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟» ٦-٧ / ٤٨١
- «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ» ١-٣ / ٣١١،
٣٨٩
- ٦-٧ / ٢٠٢
- «قُمْ يَا حَمْرَةَ، قُمْ يَا عَلِيَّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ» ٦-٧ / ٣٠٨
- «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا» ٤-٥ / ٦٢
- «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» ٦-٧ / ١٩
- ٨ / ٣٠٣

- «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» ١٨ / ٧-٦
- «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ» ٦٧٧ / ٧-٦
- «قُومُوا، فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا» ٢٠٥ / ٨
- «قَيِّدُوا الْعِلْمَ، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: كِتَابَتُهُ» ٢٢٥ / ٧-٦
- ٢١٠ / ٨
- «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَّغَ مِنْ بَدْرِ: عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا» ٢٨٨ / ٧-٦
- «كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» ١٤٣ / ٧-٦
- «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَفْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ» ٨٣١ / ٣-١
- «كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا» ٤٤٨ / ٧-٦
- ٤٨ / ٨
- «كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ» ٦٣٠ / ٣-١
- ١٥٢ / ٥-٤
- ٥٩٣
- ٥١٢ / ٧-٦
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدٍ» ١١٨ / ٣-١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا إِذَا قُمْنَا لِلصَّلَاةِ» ٢٣٠ / ٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاِحَلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتُ بِهِ، يَوْمِي إِيْمَاءً» ١٤٦ / ٧-٦
- ٢٩٢ / ٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا» ٤٤٥ / ٣-١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجِبُهُ التَّيْمَنُ فِي تَنْعَلِهِ وَتَرْجَلِهِ» ٦٩٧ / ٧-٦
- ٢٨٨ / ٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجِبُهُ الْفَأَلُ» ٥٠١ / ٧-٦
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا» ٤٨٧ / ٣-١

- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ» ٨١ / ٣-١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُقًا» ١٤٧ / ٧-٦
- «كَانَ بَرَجْلٌ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ» ٣٠ / ٨
- «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ» ٣٥١ / ٥-٤
- «كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ» ٤٩٤ / ٥-٤
- «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ» ٢٣٤ / ٥-٤
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ» ٦٨ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمُنْبَرِ اسْتَقْبَلَنَا بِوَجْهِهِ» ١٧٣ / ٨
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ» ٤٧١ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اغْتَدَلَ» ٧٣٤ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِمَّا ظَهَرَهُ» ٧٣٦ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ» ٤٨٠ / ٧-٦
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ» ٧٠٩ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئًا» ١١٩ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ» ١٦٥ / ٨
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ» ١١٨ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ» ٦٠٩ / ٧-٦
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَفَاءَلُ» ٥٠٠ / ٧-٦
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ» ١٠٣ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ إِلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ» ١٥٥ / ٥-٤
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ» ٢١٤ / ٨
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحِي بِالشَّاةِ الْوَاحِدَةِ عَنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ» ١٧٨ / ٧-٦
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ» ٧٧٢ / ٧-٦
- «كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَارًا» ٣٣٦ / ٨

- «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا» ٨٢١ / ٣-١
- «كَانَ مَلِكٌ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ٤٠٦ / ٥-٤
- «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ» ١٤٣ / ٧-٦
- «كَانَ يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ» ١٦٩ / ٨
- «كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» ٣٥٧ / ٧-٦
- «كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لِتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» ٢١٦ / ٧-٦
- «كَانَتْ تَبْكِي عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ» ٣٩٣ / ٥-٤
- «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَيِصِّصِ الطَّيِّبِ فِي مَفْرَقِ النَّبِيِّ ﷺ» ٣٤٤ / ٧-٦
- «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» ٣٠٣ / ٣-١
- ٤٥٥ / ٥-٤ ،
٥٧١
- ٥٤١ / ٧-٦
- «كُتِبَ عَلَيَّ ابْنُ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزُّنَا» ٧٠٠ / ٣-١
- «كَيْخِ، كَيْخِ لِيَطْرَحَهَا» ٣٥٩ / ٣-١
- ١٣٨ / ٨
- «كَذَّبَتْ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدَيْبِيَّةَ» ٢٨٦ / ٧-٦
- «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا» ١٧٤ / ٥-٤
- «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» ٧٣٥ / ٧-٦
- «كَفَى بِنَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَيَّ رَأْسِهِ فِتْنَةً» ٧٦٨ / ٣-١
- «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ» ٤٢٣ / ٥-٤
- «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» ١٤٢ / ٣-١ ،
٥٥٧
- ٤١٠ / ٥-٤
- ١٧١ / ٧-٦
- «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» ٦٢٤ / ٥-٤

- «كُلُّ بَيْمِينِكَ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ» ٨٣٧ / ٣-١
- ٨٤ / ٧-٦
- «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٍ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ» ١٨ / ٧-٦
- «كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ» ٥٤ / ٨
- «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ» ٥٥١ / ٧-٦
- «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ» ٧٣، ٦٩ / ٣-١
- «كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٍ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ» ١٤١ / ٨
- «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ» ١٧٨ / ٨
- «كُلُّ فِجَاجٍ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ» ٣٥٤ / ٧-٦
- «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ ﷻ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ» ٣٢١ / ٨
- «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ» ١٣١ / ٨
- «كَلَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَحَدَهَا يَوْمَ خَيْرٍ» ١٩٥ / ٣-١
- ٢٤١ / ٥-٤
- «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ٤٨٥ / ٣-١
- ١١٥ / ٨
- ٣٦٠، ١٣٤
- «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» ١٨١ / ٥-٤
- ١٨٤
- «كُلُوا فَإِنَّهُ حَلَالٌ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي» ٣٢٥ / ٨
- «كُلُّوا مِنَ الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ» ٦٠٣ / ٧-٦
- «كُلُّوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُؤُوا» ٢٥٢ / ٣-١
- ١٤١ / ٨
- «كُلُّوا، وَادَّخِرُوا، وَتَصَدَّقُوا» ١٩٦ / ٨
- «كُلُّوا، وَأَطْعِمُوا، وَاحْبِسُوا، أَوْ ادَّخِرُوا» ١٩٦ / ٨
- «كُلُّوْهَا» ١٩٥ / ٨

- «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ،
وَأَسِيَّةُ» ٢٧٢ / ٧-٦
- «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» ٥٩ / ٣-١
- ٧٧ / ٥-٤
- «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ» ١٨٥ / ٣-١
- ٦٠٨ / ٧-٦
- «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ» ٧٥٢ / ٧-٦
- «كُنَّا نُعْطِيهَا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ» ٣٧٦ / ٣-١
- «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ تَتَّقِي بِهِ» ٥٥٩ / ٧-٦
- ٧٧٢
- «كنت أطيّب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم» ٣٤٤ / ٧-٦
- «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ
الْعَيْنُ» ١٨٣ / ٧-٦
- «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ
بِالنَّفْخِ» ٦١٨ / ٥-٤
- ١٥٣ / ٧-٦
- «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ» ١٠ / ٨
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» ٣١ / ٧-٦
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» ٣٣٥ / ٥-٤
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ٧٦٩ / ٣-١
- ٨٠٣
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ» ٣٢٠ / ٣-١
- «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ٢٣٣ / ٧-٦
- «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا» ٤٥٧ / ٣-١
- «لَا تَبْكُ يَا مُعَاذُ، إِنَّ الْبُكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ» ٢٨٠ / ٧-٦
- «لَا تُجْزِي صَلَاةً لِأَحَدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ» ٧٣٤ / ٣-١

- «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا» ١٦ / ٧-٦
 «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ
 الْبَقَرَةِ» ٥٣ / ٧-٦
 «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا» ٨٣ / ٥-٤
 ١٥٧
 «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» ١٢٢ / ٥-٤
 «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا» ٥٥٩ / ٥-٤
 ٢٠٠ / ٧-٦
 «لَا تَدْخُلِ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ» ١٦٢ / ٥-٤
 ١٧ / ٨
 «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا» ٣٨١ / ٣-١
 ٥٩٦
 ١٩٠ / ٧-٦
 «لَا تَدْعُ تِمْنًا إِلَّا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» ٤١ / ٥-٤
 «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ» ٤١ / ٣-١
 ٣٦٢
 ١٨٩ / ٨
 «لَا تَدْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسَرَ عَلَيْكُمْ»
 «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» ٣٢٩ / ٥-٤
 ٤٠٤ / ٧-٦
 «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» ٤٢٢ / ٣-١
 «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ» ٨٢١ / ٣-١
 «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٢٩ / ٣-١
 «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ» ١٠٠ / ٣-١
 ٤٢٠، ٢٥٥
 ٦٢ / ٥-٤
 ٤٢٤، ٤١٦
 ٧٣٧ / ٧-٦
 ١٤٠ / ٨

- «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» ٣٦٦ / ٧-٦
- «لَا تُسَالِ الْإِمَارَةَ، فَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكُلْتَ إِلَيْهَا» ١٠٣ / ٨
- «لَا تُسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا» ٢٦٤ / ٥-٤
- ٥٧٧ / ٧-٦
- «لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ» ٣٨٢ / ٧-٦
- ٣٨٩
- «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» ١٨٧ / ٣-١
- ٢٤٦ / ٥-٤
- «لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» ٧٧٣ / ٧-٦
- «لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» ٦٧٠ / ٣-١
- «لَا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ» ٦٣٩ / ٧-٦
- «لَا تَغْضَبْ» ٦٣٧ / ٧-٦
- «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بغيرِ طُهُورٍ» ٧٢٩ / ٣-١
- «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» ٧٢٩ / ٣-١
- «لَا تُقُلْ: تَعَسَّ الشَّيْطَانُ» ٤٤ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْكُذْبُ» ١٣٦ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ» ٢٤ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ» ٥٩٣ / ٥-٤
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ» ٢١٩ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَائِقِ» ٢٢٣ / ٨
- «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» ٢٦٩ / ٥-٤
- ٧٥٤ / ٧-٦
- ١٤١ / ٨
- «لَا تَمَنُّوا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوَلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ» ٦٥٠ / ٧-٦
- «لَا تَتَّقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةَ» ١٩٤ / ٥-٤
- ٣٤٦ / ٧-٦

- «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا الرَّجُلُ» ١٩١ / ٥-٤
- «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ» ٦٢٧ / ٣-١
- «لَا تَوْمَنُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ» ٢٢٩ / ٨
- «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا» ٤٧٧ / ٧-٦
- «لَا حَرَجَ» ٣٧١ / ٧-٦
- «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا» ٤٥٨ / ٣-١، ٥٨٠
- «لَا سَمَرَ بَعْدَ الصَّلَاةِ - يَعْنِي الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ» ٢٦٦ / ٣-١
- «لَا شَيْءَ لَهُ» ١٩ / ٣-١
- «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ» ٣١٢ / ٣-١
- «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ» ١٣١ / ٨
- «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» ٣٢٣ / ٨
- «لَا نُورُثُ، مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ» ٢٩٨ / ٨
- «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» ٥٣٧ / ٣-١
- ٢١٠ / ٧-٦
- «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ» ٢٩٧ / ٣-١، ١٧٠ / ٥-٤، ٥٣٥
- ١٩٧ / ٧-٦
- «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا» ٤٩٥ / ٧-٦
- «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ» ٧٧٠ / ٣-١
- «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ» ٧٧٠ / ٣-١
- «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ» ٧٨، ٦٠ / ٨
- «لَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ، وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» ٦٦٤ / ٧-٦
- «لَا يَجْتَمِعُ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» ٣٩٨ / ٧-٦

- «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ» ١٦٩ / ٥-٤
٢٨٨
- «لَا يَجْزِي وِلْدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَحِدَّهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيهِ فَيُعْتِقَهُ» ٢٠٦ / ٧-٦
- «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ» ٢٦٧ / ٥-٤
- «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٤٨٢ / ٣-١
- «لَا يَحِلُّ لِلْحَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قِصْعَتَانِ» ٣٣٦ / ٣-١
١١٧ / ٨
- «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» ٣٨٦ / ٣-١
- «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ» ١٢ / ٨
- «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» ١٤٦ / ٨
- «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» ١٤٥ / ٧-٦
- «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تُسَافِرِنِ الْمَرْأَةُ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ» ١١ / ٨
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» ٦٨٣ / ٣-١
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» ٤٩٢ / ٧-٦
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» ٨٢ / ٧-٦
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لِحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ» ٧٠٦ / ٧-٦
- «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» ٦٦١ / ٣-١
- «لَا يَذْبَحَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يُصَلِّيَ» ١٩٠ / ٨
- «لَا يَرُدُّ الْقِضَاءَ إِلَّا الدَّعَاءُ» ٨٤ / ٣-١
- «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» ٥٩٧ / ٧-٦
- «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ» ٥٨ / ٣-١
- «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ» ٤٤٦ / ٣-١
- ٤٤٩ / ٥-٤
- «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ» ٨٥ / ٣-١
- «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ» ٣١٢ / ٣-١

- «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ٤٨٢ / ٣-١
- ٣١٤ / ٥-٤
- ٨٤ / ٨
- «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» ٧٦٢ / ٧-٦
- «لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٌ» ٥٥٨ / ٥-٤
- «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا» ٨٤٠ / ٣-١
- «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» ٢٦١ / ٥-٤
- «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَيَّ لِأَوَائِهَا فَيَمُوتَ» ٣٨٧ / ٧-٦
- «لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ» ٥٣٣ / ٣-١
- «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا» ٣١٠ / ٥-٤
- «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» ٥٥٥ / ٥-٤
- ٤٤٩
- ٣١٣ / ٧-٦
- «لَا يَلْبَسُ الْمُحْرَمُ الْقَمِيصَ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» ١٨٢ / ٧-٦
- «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ» ٤١ / ٨
- «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ» ٣٢٠ / ٣-١
- «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ» ٦٦١ / ٣-١
- «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ» ١٧٠ / ٥-٤
- ٥٠١ / ٧-٦
- «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ» ١٤٧ / ٨
- «لَا يَنْكُحُ الْمُحْرَمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ» ٣٤٧ / ٧-٦
- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ٥٣٧ / ٣-١
- ٢١٠ / ٧-٦
- ٧٧٥

- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» ٢٤٤ / ٣-١
 ٤-٥ / ٤٩٩،
 ١٧٩
 ١٩٠ / ٧-٦
- «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ» ٤٢٢ / ٥-٤
 «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ٤٥٥ / ٥-٤
 «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» ٢٠ / ٨
 «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» ٣٣٤ / ٣-١
 ١١٠ / ٥-٤
 «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨٥ / ٥-٤
 ٢٥٠ / ٧-٦
 ٧٥٠
- «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ» ١٠٨ / ٣-١
 ١٨٧
- «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» ١١٠ / ٣-١
 ١٨٧
- «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حُبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا» ١٦٦ / ٣-١
 ٣٣٦ / ٨
- «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» ٤٢٣ / ٣-١
 ٢٣١ / ٨
- «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ» ٥٧٣ / ٣-١
 «لَأِنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِرَبِّهِ تَعَالَى» ٥٣٠ / ٥-٤
 «لَبَنَةٌ ذَهَبٌ وَلَبَنَةٌ فِضَّةٌ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَضْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ
 وَالْبِاقُوتُ» ٩١ / ٧-٦
- «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» ٤٢٩ / ٣-١
 ٧٣٠
 ٣٦٧ / ٧-٦
 ٣٧٠

- «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ» ٧٤٧ / ٧-٦
- «لَتَفْتَحَنَّ الْقُسْطَنطِينِيَّةُ» ٥٠٤ / ٧-٦
- «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٧ / ٥-٤
- ٥٨٢ / ٧-٦
- ٦٠٥
- «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٢٢٦ / ٣-١
- ٦٢٥ ، ٤٩٣
- «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» ٣٢٩ / ٥-٤
- «لَعَلَّ عَلَى صَاحِبِكُمْ دِينًا» ٣٤٣ / ٥-٤
- «لَعَنَ اللَّهُ الْخُمْرَ: وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا» ٣١٥ / ٥-٤
- «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ» ٨٣ / ٨
- «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ» ١٣٧ ، ١٢٨ / ٨
- ١٤٧
- «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي» ٧٠١ / ٧-٦
- «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله» ٥٧٩ / ٥-٤
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ» ٦٥٣ / ٣-١
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ» ١٨٨ / ٥-٤
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ» ٧٥٣ / ٣-١
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» ٦٩٤ / ٧-٦
- «لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ لَا تَدْعُ مُصَلِّيًا وَلَا غَيْرَهُ» ٥٦٥ / ٧-٦
- «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ» ٧٠٦ / ٣-١
- «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» ٤٣٠ / ٣-١
- «لقد أمر النبي ﷺ بالعتاقة في كسوف الشمس» ٤١٠ / ٧-٦
- «لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت» ٥٥١ / ٥-٤
- «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ» ٦٢٨ / ٥-٤
- «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَرَعًا» ١٢٢ / ٥-٤

- «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ» ٢٠٠ / ٧-٦
- ٥٢ / ٨
- «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطْلُ الْيَوْمَ يَتَلَوَّى» ٦٠٩ / ٧-٦
- «لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ يَلْتَوِي مِنَ الْجُوعِ» ٧٧١ / ٧-٦
- «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَفُرَيْشُ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ» ٣٩١ / ٥-٤
- «لَقَدْ سَأَلَتِ اللَّهُ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» ٢٢٢ / ٣-١
- «لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» ٨٠ / ٥-٤
- ٤٥٥ / ٧-٦
- «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ» ٤٠ / ٣-١
- ٥٠٣ / ٧-٦
- «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ فُتْقَامَ» ٥٦٢ / ٣-١
- «لَقَدْ وَفَّقَ، أَوْ لَقَدْ هَدَيْ» ٦٨٢ / ٣-١
- «لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هَجْرَتَانِ» ٢٠٧ / ٨
- «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ» ٤٣٦ / ٣-١
- «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا» ٤٣ / ٥-٤
- ٤٠٣
- «لَمْ أَرِ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا الرُّكْنَيْنِ» ٣٥٥ / ٧-٦
- «لَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» ٧٧٤ / ٧-٦
- «لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ» ٢٧٤ / ٨
- «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ» ٦١٨ / ٥-٤
- «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّي» ٢٦٤ / ٧-٦
- «لَمَّا أَسَنَّ وَحَمَلَ اللَّحْمَ اتَّخَذَ عَمُودًا فِي مُصَلَّاهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ» ٢٨٦ / ٨
- «لَمَّا جَاءَهُ أَعْرَابِي أَعْطَاهُ وَادِيًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ» ٦٦٧ / ٧-٦
- «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ» ٤٥٥ / ٧-٦
- «لَمَّا نَزَلَ عُنْدِي، قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ الْمُنْبِرِ» ٦٧ / ٨

- «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ» ٣٢٨ / ٥-٤
- «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ» ٥٩٠ / ٥-٤
- «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» ٢٦٤ / ٣-١ ، ٥٦٠
- «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ» ٥٦٧ / ٣-١
- ٥٤٦ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا» ٩٥ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَاقٍ يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَتَتْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا» ٩٠ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ جُمُوحَةٍ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» ٧٨ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ مَا يُقَلُّ ظَفْرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَزَخَّرَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ٩٣ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» ٧٦٦ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ» ٢٩٢ / ٣-١ ، ١٨ / ٥-٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٨ / ٨
- «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحَّتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى» ٦٢٠ / ٥-٤ ، ١٥٣ / ٧-٦ ، ٣٣٩
- «لَوْ دَنَا مِنِّي لِأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ» ١٢١ / ٥-٤
- «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ٧٨٠ / ٣-١ ، ٥٣٨ / ٥-٤
- «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةٌ (أَلْفٍ) أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنْ (أَهْلِ)» ٨٩ / ٧-٦ ، ٦٢ / ٥-٤

- «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ١٩١ / ٣-١
 ٧٤ / ٥-٤
 ٢٩٤
- «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ» ٣٠٦ / ٥-٤
 «لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ
 وَمَوَدَّتَهُ» ٢٧٢ / ٧-٦
- «لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ» ٢١٧ / ٧-٦
- «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ، لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ» ١٠٤ / ٥-٤
- «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ؟!» ١٥٠ / ٥-٤
- «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ» ٨٤٩ / ٣-١
 ٨٩ / ٥-٤
- «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ» ٤٤٤ / ٣-١
 ٤٤٨ / ٥-٤
 ٩٣ / ٨
- «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ» ١٤٤ / ٧-٦
 «لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ» ٤٧٩ / ٧-٦
 ٤٨٠
- «لَوْلَا أَنْ تَعِيرَنِي قَرِيشٌ» ٢٢٩ / ٣-١
 «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ» ٨٦ / ٣-١
 ١٩٣
 ٣٣ / ٥-٤
 ٢٣٩
- «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» ٥١١ / ٣-١
 ٢٧ / ٥-٤
- «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي» ١٢٠ / ٥-٤
- «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» ٥٩٧ / ٥-٤

- «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» ٣٤ / ٧-٦
- «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ» ٦٣٨ / ٧-٦
- «لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ» ١٥٧ / ٣-١
- ٦٤ / ٥-٤
٢٦٠
- «لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ» ١١٧ / ٥-٤
- «لَيْسَ الْمُسْكِينُ بِهَذَا الطَّوْفِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَىٰ النَّاسِ» ١٦٣ / ٣-١
- ٦١٢ / ٧-٦
- «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي» ٦٨٣ / ٣-١
- «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ» ١٨٢ / ٧-٦
- «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنَ الدُّعَاءِ» ٨٤ / ٣-١
- «لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» ٧٦٩ / ٣-١
- «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ» ٧٤٦ / ٣-١
- «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» ٤٧٦ / ٣-١
- ٧٢٢
٤١ / ٥-٤
٣١٤
- ١٧١ / ٧-٦
- «لَئِنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتِ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ» ٦٨٤ / ٣-١
- «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ» ٦٧٤ / ٣-١
- ٣٣٨ / ٧-٦
- «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ» ٨٦ / ٧-٦
- «مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا» ٤٦٧ / ٥-٤

- «مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ» ١١٥ / ٧-٦
- «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلُهُ» ٧٧٥ / ٣-١
- ٤٤٦ / ٥-٤
- «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ» ٢٦ / ٨
- «مَا أَحَدٌ أَضْبِرُّ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ» ٢٢١ / ٣-١
- «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ» ٧٩٦ / ٣-١
- «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ» ٣١٦ / ٨
- «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» ٢١٥ / ٣-١
- «مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرَّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكِّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾» ٦٤٨ / ٣-١
- «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ» ٧٥٢ / ٣-١
- ٣٩ / ٥-٤
- ٦٩٥ / ٧-٦
- «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ» ٥٠٠ / ٧-٦
- «مَا أَطْيَبُكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبُّكَ إِلَيَّ!» ٣٨٢ / ٧-٦
- «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَسَّهُ النَّارُ» ٢١٢ / ٧-٦
- «مَا أَعْيَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؟» ٢٣١ / ٣-١
- «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ» ٢٤ / ٨
- «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَائِبٍ» ٦٣٦ / ٣-١
- «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» ٥٤٨ / ٣-١
- ٤٧٨ / ٥-٤
- ١٤٥ / ٨
- «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فَكُلُّ» ١٩٤ / ٨

- «مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ:» ٧-٦ / ٧٠٤
- «مَا بَالُ هَذِهِ النَّمْرُوقَةِ؟ فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتَهَا لَكَ لِتَتَّعِدَ عَلَيْهَا» ٣-١ / ٧٦٢
- ٧-٦ / ٦٩٥
- «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» ٧-٦ / ٢١٨
- ٨ / ٣٣٦، ١٢١
- «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» ٥-٤ / ٦١٦
- «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» ٧-٦ / ٣٩٠
- «مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ» ٣-١ / ٥٤٣
- «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ» ٧-٦ / ٣٨٦
- «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةَ» ٣-١ / ٥٤٤
- «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دَرَهَمًا وَلَا دِينَارًا» ٣-١ / ٦٣٩
- «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» ٥-٤ / ٦٦،
- ٢٧١
- ٧-٦ / ٧٢١،
- ٧٥٤
- ٨ / ١٣٦
- «مَا تَقُولُونَ فِي الزَّيْنَاءِ؟ قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ٨ / ٣٨
- «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» ٥-٤ / ٨٣
- ٨ / ١٠٧
- «مَا جَاءَ بِكَ؟» ٣-١ / ٢٤٧
- «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ» ٥-٤ / ٢٤٧
- ٧-٦ / ١٩،
- ٢٦١، ٧٣٦
- «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ» ٣-١ / ٤٤
- «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ» ٣-١ / ٢١٠
- «مَا ذُتْبَانِ جَائِعَانِ أَرْسَلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ» ٨ / ١٠١

- «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ» ٧٧٣ / ٧-٦
- «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ» ١٨٤ / ٧-٦
- «مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا؟» ٦١١ / ٧-٦
- «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ» ٣٥ / ٨
- «مَا زِلْتِ عَلَيَّ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا» ١١١ / ٣-١
- ٣٢٧ / ٧-٦
- «مَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ؟ فَقَالَ: لَا» ٥٥٢ / ٧-٦
- «مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» ١٥٩ / ٣-١
- «مَا شَمِمْتُ غَيْرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكَ» ٧٧٤ / ٧-٦
- «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٣٣ / ٣-١، ٤٢٥، ٤١٢
- «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ، أَخَفَّ صَلَاةً، وَلَا أَتَمَّ صَلَاةً» ٢٣٠ / ٨
- «مَا ضَرَبَ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» ٤٩٨ / ٥-٤
- «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ» ٦٤٢ / ٧-٦
- «مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ، فَهُوَ مَيْتَةٌ» ٣٢١ / ٨
- «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَيَّ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً» ٧٨ / ٨
- «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ» ١٤١ / ٣-١
- «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ» ٧٧٤ / ٣-١
- «مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةَ؟» ٢٥٩ / ٧-٦
- «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!» ٢٦٩ / ٣-١
- «مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ» ٣٩٣ / ٥-٤
- «مَا لِي مِنْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ مَا لِأَحَدِكُمْ» ٧٠٥ / ٧-٦
- «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا» ٧٦ / ٥-٤
- ٧٧١ / ٧-٦

- «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» ٢٥٢ / ٣-١
 ٣٩٢
 ١٧١ / ٥-٤
 «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا» ٨٤٢ / ٣-١
 «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ» ٨٢٧ / ٣-١
 «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَاٍ» ٢٣ / ٣-١
 «مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ» ٦٣٢ / ٧-٦
 «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ» ٣١٣ / ٣-١
 «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ» ٨١٤ / ٣-١
 «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ» ٨١٤ / ٣-١
 «مَا مِنْ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنْ قَلْبُهُ» ٣٠١ / ٥-٤
 «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ» ٦٤٢ / ٣-١
 «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا» ٦٨٣ / ٣-١
 «مَا مِنْ ذَنْبٍ آخَرَ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ ﷻ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا» ٧٤٨ / ٣-١
 «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا آتَى اللَّهُ ﷻ مَغْلُوبًا» ... ١١٣ / ٨
 «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ» ٢٣ / ٣-١
 «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ» ٨٤ / ٨
 «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ» ٥٩٠ / ٣-١
 ١٥٢ / ٧-٦
 «مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أَحْمِي عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ٥٩٠ / ٣-١
 «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ، رَعِيَّةً يَمُوتُ، يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ» .. ٢٣ / ٣-١
 ٣٦٠
 ٣٤ / ٥-٤
 ١٧٧
 ١١٣، ١٩ / ٨

- «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٧١ / ٣-١
- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ٣٤٣ / ٣-١،
٥٣٣
- ٦٤ / ٧-٦
- ٥٤٣
- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غَدْوَةً» ٢٣٢ / ٧-٦
- «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ» ٣٠٨ / ٨
- «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ» ٨١٤ / ٣-١
- «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا» ٥٣٧ / ٧-٦،
٦٦٦، ٦٣٣
- «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ حَجَّجْتِ مَعَنَا؟» ٦٩ / ٣-١
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ» ٢٦٠ / ٣-١
- ٢١١ / ٥-٤
- ٥٩٨
- ٧٥٦ / ٧-٦
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْحِنِّ» ١٩٦ / ٥-٤
- ٤٤ / ٨
- «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» ٥٠ / ٣-١
- ٥١٠، ٩٤
- ٥٣٧ / ٧-٦
- ٦٧٣
- «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ» ٧٠٩ / ٣-١
- «مَا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي تَصُومُونَ؟» ٤٥ / ٧-٦
- «مَا هَذَا؟ مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا الْأَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ» ٦٠ / ٣-١
- «مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا» ٢٣٢ / ٣-١
- «مَا يَسْرُنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا» ٣٩٩ / ٥-٤
- «مَا يَسْرُنِي أَنَّ لِي أَحَدًا ذَهَبًا» ٩٣ / ٣-١

- «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَدَى، وَلَا غَمٍّ» ٥٢٤ / ٣-١
- ٦٢ / ٧-٦
- «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا» ٥٢٤ / ٣-١
- «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ» ١٦٨ / ٣-١
- ٣٧٣
- «مَاءٌ زَمَزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ» ٥٤٩ / ٣-١
- ١٥٥ / ٧-٦
- ٥٣٨
- «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكَلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» ٣٣٦ / ٨
- «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي» ٧٦٩ / ٣-١
- «مَأْوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» ٥٤٣ / ٣-١
- «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ» ٤٤٩ / ٣-١
- «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ» ٧١٨ / ٣-١
- ٢٤٣ / ٥-٤
- ٣٥٧ / ٨
- «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ» ١٤٨ / ٣-١
- «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ» ٧٢٧ / ٧-٦
- «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» ٢١٣ / ٧-٦
- «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ» ١٨٨ / ٧-٦
- ٢٤٥
- «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ» ٨٢٣ / ٣-١
- ٣٢٥ / ٧-٦
- «مَثَلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ» ١٤٨ / ٥-٤
- «مَرَّ بِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» ٤٧٢ / ٥-٤

- «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي» ٢٣٨ / ٣-١
- «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ» ١٤٦ / ٣-١
- ٢٥٠ / ٧-٦
- ١٦٠ / ٨
- «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ» ٢٥٨ / ٣-١
- ٥٠٠، ٣٥٨
- ٣٥٧، ١٦ / ٨
- «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» ٥٢٥ / ٣-١
- ٣٦٠ / ٥-٤
- «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» ٧٤٧ / ٣-١
- ٣٥١ / ٥-٤
- «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» ٢٠٤ / ٥-٤
- «مَعَ الْغُلَامِ عَقِيْقَةٌ فَأَهْرِيْقُوا عَنْهُ دَمًا» ١٧٩ / ٨
- «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» ١٨٥ / ٥-٤
- ١٣٤ / ٧-٦
- «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ» ٢٥٩ / ٣-١
- «مَنْ أَبْلِيَ بِلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ» ٢٦١ / ٥-٤
- «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مِثْلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعٌ، لَهُ زَبِيْتَانِ» ... ٦٦٥ / ٧-٦
- «مَنْ آتَى عَرَفَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ» ٤٧٦ / ٥-٤
- «مَنْ آتَى عَرَفَا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» ٧١٣ / ٣-١
- ٤٧٦ / ٥-٤
- «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ» ٣٠٧ / ٣-١
- ٦٨٣
- «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ» ١٢٦ / ٥-٤
- «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ» ٢٥ / ٣-١

- «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» ١-٣/٤٣١،
٧٨٥
- ٤-٥/٦١٣
- «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٤-٥/٤٣
- «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ» ٦-٧/٣٩٣
- «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ آدَاءَهَا» ٤-٥/٣٥١
- «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ
وَأَسْحَقَهُ» ٦-٧/٢٠٧
- «مَنْ أَدَّنَ أُذُنِي عَشْرَةَ سَنَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» ٨/٩٤
- «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ تَضَلَّ الضَّلَالَةَ» ٤-٥/٤٤٨
- «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ سُوءًا» ٦-٧/٣٩٢
- «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءً» ٤-٥/٣٩
- «مَنْ اسْتَجَمَرَ فَلْيُوتِرْ» ٨/٢٨٢
- «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعِ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» ٦-٧/٥٥٠
- «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمِّمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُصِمْ» ٦-٧/٤٥
- «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ أَمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ» ١-٣/١٥٨،
٦٤١، ٦٠٥
- ٦-٧/٥٢٤
- «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ١-٣/٨١٠
- «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ» ١-٣/٦٧٣
- «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طَيْبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ» ١-٣/٦٧٢
- ٨/١٥٨
- «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» ٦-٧/٥٨٩
- «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ﷺ» ١-٣/٦٧١
- «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا» ١-٣/٦٦٨
- ٨/٢٢

- «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ، الثُّومِ» ١٩٩ / ٥-٤
 ٤٨٢ / ٧-٦
- «مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ» ٢٢٤ / ٧-٦
 ٢٠٤ / ٥-٤ «مَنْ التَّمَسَ رِضًا لِلَّهِ بَسَخَطِ النَّاسِ»
 ٢٥٥ / ٧-٦
- «مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» ٧٤ / ٣-١
 ٢٢٩ / ٨ «مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ فَالصَّلَاةُ لَهُ وَلَهُمْ»
 ٣٩٤ / ٣-١ «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ»
 ٢٨١ / ٧-٦ «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ»
 ٣٥٩ / ٨
- «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ» ٦٣٣ / ٧-٦
 ٢١ / ٨
- «مَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمَهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ٦٦٦ / ٣-١
 ٣٢١ / ٨
- «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ» ١٢٤ / ٣-١
 ٢٩ / ٨ «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»
 ٣٠١ / ٣-١ «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ»
 ١٩٠ / ٥-٤ «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»
 ١٦٠ / ٥-٤ «مَنْ نَصَبَحَ سَبْعَ تَمْرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ»
 ٣٩١ / ٧-٦
- «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ» ٩٣ / ٣-١
 ٤٥٠ / ٧-٦ «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»
 «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا
 مِنَ الدُّنْيَا» ٨٢٣ / ٣-١
 ، ١٠٤ / ٨
 ١٢٠

- «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا التَّوَضُّوءِ» ٩٥ / ٥-٤
- «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» ٤٥٣ / ٣-١
- «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ» ٢٤٣ / ٣-١
- «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» ٥٠٥ / ٣-١
- «مَنْ حَافَظَ عَلَيَّ أَرْبَعَ قَبْلِ الظُّهْرِ» ٤٤٥ / ٣-١
- «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ» ٢٦٩ / ٣-١
- ٣٨١ / ٧-٦
- «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» ٥٧٥ / ٣-١
- «مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ قَمِيهِ وَفَرْجِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ١٢٨ / ٧-٦
- «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ» ٨٠ / ٣-١
- «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ» ٣٩٠ / ٧-٦
- «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ» ٣٥٢ / ٣-١
- «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى» ١٢٤ / ٣-١
- «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ» ١٤٣ / ٣-١
- ٢١٣ / ٥-٤
- ٢٧٣
- ١٤٢ / ٨
- «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ» ٦٣٢ / ٧-٦
- «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ» ٥٩٢ / ٥-٤
- «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا» ١٦٤ / ٣-١
- «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ» ١٦٦ / ٣-١
- «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ» ٣٣١ / ٣-١
- ٧٩٦
- «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَحِيبَ اللَّهَ لَهُ عِنْدَ السَّيِّئِ» ٨٣ / ٣-١
- «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» ٢٨٣ / ٥-٤
- «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَاً» ٣٤٠ / ٧-٦

- «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» ٣٥٦ / ٥-٤
١١٩ / ٨
- «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ» .. ٨١٩ / ٣-١
٨٢١
- «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُذْرًا» ٥٩٥ / ٣-١
- «مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيَنَأْ عَنْهُ» ٥٧٥ / ٣-١
- «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَتَشَدُّ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ» ٢٣ / ٨
- «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ» ٤٣٠ / ٣-١
٦٩٠
- ٢٣٨ / ٧-٦
- «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا» ٣٤٥ / ٥-٤
- «مَنْ شَرِبَ الْحَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ» ٦٣٤ / ٧-٦
- «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ» ١٨٤ / ٥-٤
- «مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ» ٤٣٢ / ٣-١
- «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» ٧٤ / ٣-١
٤٥٤
- «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ» ٧٤ / ٣-١
- «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» ٨١٦ / ٣-١
- «مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٥٦٠ / ٣-١
- «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» ٢٦٤ / ٣-١
٦٠٣، ٥٥٩
- ١٦٠ / ٥-٤
- «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ» ٥٦١ / ٣-١
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ» ١٦ / ٧-٦
- «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ» ٤٤٤ / ٣-١
- «مَنْ صَمَتَ نَجًّا» ٧٣٤ / ٧-٦

- «مَنْ صَحَّى قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ» ١٩٠ / ٨
- «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ» ١٢٠، ١٠٥ / ٨
- «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» ٧٤٦ / ٣-١
- «مَنْ ظَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يَنْفِقَهُ» ١١٠ / ٣-١
- «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ» ٥٤٨ / ٣-١
- ٢٣٥ / ٧-٦
- «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ٧٨٥ / ٣-١
- ١٩٩ / ٧-٦
- «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ» ٢٥ / ٣-١
- ٢٨ / ٨
- «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» ١٣٢، ١٢٧ / ٨
- «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ» ٣٩٩ / ٥-٤
- «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ١٨ / ٣-١
- ٨٤٥، ٨١١
- ٢٣٩ / ٧-٦
- «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ» ٦١٤ / ٥-٤
- «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» ١٥٩ / ٥-٤
- «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» ٨٢٨ / ٣-١
- «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٣٨٠ / ٥-٤
- «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» ٤٥٣ / ٣-١
- ٥٠٣
- ٢٣١ / ٥-٤
- ٦٩١ / ٧-٦
- «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ٨٢٨ / ٣-١
- «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ٥٣ / ٧-٦

- «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفَعْتُهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ» ٨٢٩ / ٣-١
- «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ١٠٩ / ٣-١
- «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» ٨٠ / ٣-١
- «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» ٨١ / ٣-١،
٤٥٥
- ٤٠٠ / ٥-٤
- «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» ٧٠، ٦٨ / ٣-١
- «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ» ٢٣٨ / ٧-٦
- «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً» ٨٤٥ / ٣-١
- «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» ٧٩٨ / ٣-١
- «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» ٣٢٨ / ٥-٤
- «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٦٦ / ٣-١
- ٣٠ / ٨
- «مَنْ قَدَّفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٨ / ٨
- «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتِينَ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ» ١٦١ / ٥-٤
- ٢٦٣ / ٧-٦،
٤٤٨
- «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ» ٦٤ / ٣-١
- «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ» ٦٧٣ / ٣-١
- «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ» ٣٤١ / ٧-٦
- «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، عَدِلَتْ لَهُ بِرْبَعِ الْقُرْآنِ» ٥٦٣ / ٧-٦
- «مَنْ قَرَأَهَا إِذَا أُوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ» ١٦١ / ٥-٤
- «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٧٩٦ / ٣-١،
٨٢٩
- «مَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ» ٣٩٠ / ٣-١

- «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ» ١٩١ / ٧-٦
٦٣١، ٥٤٩
- «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ» ٨٣ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ» ٥٥٠ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» ٣٧ / ٨
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ» ٤٠ / ٨
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا» ٥٣٩ / ٣-١
٧٣٤ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ» ٦٦٥ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» ٣٨ / ٨
- «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ» ٣٠٦ / ٣-١
٥٢٥
- ٥٦٥ / ٥-٤
- ٢٢٨ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ» ٧٥٠ / ٣-١
٥٨٢ / ٧-٦
- «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ» ٦٣٩ / ٧-٦
- «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا» ٦٩٦ / ٧-٦
- «مَنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخَفَيْنِ» ٣٤٦ / ٧-٦
- «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ» ١٠٠ / ٣-١
- «مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ» ٢٠٤ / ٣-١
- «مَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ» ٧٩٧ / ٣-١
- «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيِّهِ» ٣٤٢ / ٥-٤
- «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» ... ٥٩١ / ٥-٤
٢١٢ / ٧-٦

- «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ١-٣/٨٢٦
- «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ النَّامَاتِ» ٤-٥/١٦١
- «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا» ٨/٢٩١
- «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا» ٦-٧/٢٢٣
- «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُنْسِكَ» ٨/١٧٩
- «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبْرٍ الْقَوْمِ؟» ٤-٥/٥٤٢
- «مَنْ يَأْتِينِي بِجَرِيدَةٍ نَخْلٍ؟» ٦-٧/٤٥٤
- «مَنْ يَتَصَبَّرَ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ» ١-٣/٣٤٠،
٣٩٨
- «مَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» ١-٣/١٦٧
- «مَنْ يُحْرَمَ الرَّفْقَ يُحْرَمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ» ٦-٧/٥١٩
- «مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ» ١-٣/٣٩٧
- «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا» ٤-٥/٣٧٤
٦-٧/٤٠
- «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» ١-٣/٦٣٢
- «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ١-٣/٤٢١،
٧١٥
- ٣٢٥/٧-٦
- «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» ٤-٥/٤٤٣
٨/٣٤٠
- «مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ» ٤-٥/٤٩٩
- «مَنْ يَشْتَرِي بئرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ» ٤-٥/٤٩٩
- «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ» ١-٣/٦١٨
٤-٥/٧١
- «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» ٤-٥/٥١٠
٦-٧/٣٠٩

- «مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ» ٢٧٠ / ٣-١
 «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ» ٨٨ / ٧-٦
- «مِنِّي كُلُّهَا مَنْحَرٌ» ٣٧١ / ٧-٦
- «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ» ٥١٨ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ» ٢٢٣ / ٧-٦
- «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» ٨٧ / ٧-٦
- «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ، جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» ٢٦٠ / ٣-١
- ١٣٩ / ٧-٦
- «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٥٧٢ / ٧-٦
- «نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ» ٣٢٥ / ٨
- «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» ٤٦ / ٧-٦
- «نَحْنُ نَعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا» ١٨٣ / ٧-٦
- «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟» ٣٤٧ / ٣-١
- «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ» ٨٤٤ / ٣-١
- «نَضْبِيرٌ وَلَا نَعَاقِبُ» ٦٧٥ / ٧-٦
- «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» ٤٢ / ٧-٦،
 ٢٨٤
- «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ» ٧٩ / ٣-١
- «نِعْمَ صِلِي أُمَّكَ» ٢٠٦ / ٧-٦
- «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ» ٣٢٩ / ٣-١
- «نِعْمَ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» ٣٤٧ / ٣-١
- «نِعْمَ عَلَيْنَ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ» ٣٥١ / ٧-٦
- «نِعْمَ وَلَكَ أَجْرٌ» ٣٦٤ / ٧-٦
- «نِعْمَ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيَّ أُمَّكَ دَيْنٌ» ٤٦٥ / ٥-٤

- «نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ الْقَضَاءَ» ١٥٨ / ٥-٤
- «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ» ٢١٨ / ٧-٦
- «نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» ٥٣٧ / ٧-٦
- «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» ،٢٨٦ / ٣-١
- ٤٢٠ ، ٣٨١
- ٤١٧ / ٥-٤
- «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ» ٤٣ / ٣-١
- ٣٤٨ / ٥-٤
- «نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَبُولٍ» ٢٨٢ / ٨
- «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُتَنَفَسَ فِي الْإِنَاءِ» ٨٣٩ / ٣-١
- «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ» ٣٢٥ / ٨
- «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلَالَةِ وَالْبَانِهَاءِ» ٣٢٠ / ٨
- «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ» ٣١٧ / ٨
- «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ» ١٠٠ / ٣-١
- «نِيَّ أَرَاكَ تُحِبُّ الْعَنَمَ وَالْبَادِيَةَ» ٩٣ / ٨
- «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ» ٣٤٨ / ٥-٤
- «هَاهُنَا تُحْشِرُونَ» ٥٩٥ / ٧-٦
- «هَذَا الْأَمَلُ» ٥٧ / ٣-١
- «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ» ،١٧٦ / ٣-١
- ٣٤٩
- «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ» ٤٣٤ / ٥-٤
- «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ» ٣١٠ / ٣-١
- «هَذَا أَوَّلُ طَعَامِ أَكْلِهِ أَبُوكَ» ١٥٩ / ٣-١
- «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ» ٨٤٨ / ٣-١
- «هَذَا جَبْرِيْلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ» ٣٠٢ / ٧-٦
- «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ» ٢٤٦ / ٣-١

- «هَذَا مَصْرَعٌ فَلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ٣٠٠ / ٧-٦
- «هَذَا وَضُوءٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٥٩ / ٨
- «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» ٧٧٥ / ٣-١
- «هَذِهِ الْقَبْلَةُ» ٣٨٠ / ٧-٦
- «هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أَحَدُ جَبَلٍ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ٣٨٦ / ٧-٦
- ٣٩١
- «هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ» ٣٨٦ / ٧-٦
- «هَرَيْقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ، لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ» ٧٦٩ / ٣-١
- «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ» ٢٥٤ / ٣-١
- ٧٣٢
- «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟» ٦٠٧ / ٧-٦
- «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» ٥٣٠ / ٥-٤
- «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَصْحَاكُ؟» ٧٠١ / ٣-١
- ٤٨٩ / ٥-٤
- «هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» ١٢٨ / ٧-٦
- «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» ٥٩٥ / ٣-١
- «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» ١٤١ / ٥-٤
- «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ» ٣٧٢ / ٥-٤
- «هل معكم من لحمه شيء؟» ٣٢٥ / ٨
- «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى! هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ!» ٤٠٦ / ٣-١
- «هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» ٢٣ / ٨
- «هَلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ؟» ٤٣٠ / ٧-٦
- «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ» ٩٢ / ٣-١
- ٣٩٨ / ٥-٤
- «هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِسْرِ» ٢٩ / ٧-٦

- «هُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ» ٤٣١ / ٣-١
- ٣٦٨ / ٧-٦
- «هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ، الْحَلُّ مِيتَتُهُ» ٣٢٤ / ٨
- «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» .. ٧١ / ٧-٦
- «هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا» ١٢٢ / ٣-١
- «هِيَ مَا بَيَّنَّ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» ٦٧٠ / ٣-١
- «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» ٤٨٠ / ٥-٤
- «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمُحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ» ٢٣٢ / ٥-٤
- «وَأَتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ٥٦٤ / ٥-٤
- «وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ» ٧٠٤ / ٧-٦
- «وَأَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ» ٥٤٤ / ٧-٦
- «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ» ٨١٢ / ٣-١
- ٥٩٠ / ٥-٤
- «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا» ٨١١ / ٣-١
- ٦٤٤ / ٧-٦
- «وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ» ٤٤٦ / ٧-٦
- «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ» ١٥٢ / ٣-١
- ٥٧٧ / ٥-٤
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ» ٢٢٧ / ٣-١
- ٥٨ / ٧-٦
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» ٦٢٥ / ٥-٤
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ مَنَادَيْلَ سَعِدِ بْنِ مُعَاذٍ» ١٧٥ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَدُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ» ٥٤٦ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا» ٢٥ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ» ٨٧ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ» ٨٤٧ / ٣-١

- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» ٦-٧ / ٦٢٦
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا» ٤-٥ / ٦٢٥
- ٦-٧ / ٤٤١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا» ١-٣ / ٧٧٩
- «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ٤-٥ / ٣٤،
- ١٩٤
- «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» ١-٣ / ٣٤٠
- «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الحَخِيطَةَ كَمَا تُطْفِئُ المَاءُ» ٤-٥ / ٣٤
- «وَاللَّهُ إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضَ اللَّهِ» ٦-٧ / ٣٨١
- «وَاللَّهُ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ» ... ١-٣ / ٦٢٠
- «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» ٨ / ٣٧
- «وَاللَّهُ لَيُبَعِّثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١-٣ / ٢٧١
- «وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّاهُ هَذَا الْأَمْرَ» ١-٣ / ٣٩٨
- «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ» ١-٣ / ١٩١،
- ٦٣٦
- ٤-٥ / ٢٩٥
- ٦-٧ / ١٧٧
- «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ» ١-٣ / ٣١١
- ٨ / ٧٨
- «وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ - وفي رواية: الفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا» .. ١-٣ / ٧٧٠
- «وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ» ١-٣ / ٤٢١
- «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ» ٤-٥ / ١٧٨
- «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ» ٨ / ٣٥٤
- «وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ» ٦-٧ / ٦٩٥
- «وَإِنَّمَا عَبْدٌ حَجَّ ثُمَّ عَتِقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى» ٦-٧ / ٣٦٥
- «وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ» ٦-٧ / ٣٠٠

- «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» ٤٦٦ / ٣-١
٢٣ / ٥-٤
- «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي» ٣٣٧ / ٨
- «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» ٢٠٢ / ٧-٦
- «وَدَلَّ الطَّرِيقَ صَدَقَةً» ٥٤ / ٨
- «وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْلِي بِنَمِي إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ» ١٤٩ / ٥-٤
- «وَوَشَّرَ الْأُمُورَ مُحَدَّثَاتِهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ» ٧٨٥ / ٣-١
- «وَعَزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» ٥٨٥ / ٥-٤
- «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَصِلُوا بَعْدَهُ» ٤٣٩ / ٧-٦
- «وَكَانَ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَكَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» ٧٧٣ / ٧-٦
- «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: اسْتَغْفَرَ اللَّهُ ثَلَاثًا» ٢٠١ / ٧-٦
- «وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِعِبَادِ اللَّهِ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «وَكَانَ يَمُرُّ الْهَلَالَ تَلُوَ الْهَلَالَ، وَمَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَكَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لِتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ» ٣٤٤ / ٧-٦
- «وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعًا» ٥٩١ / ٣-١
- «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسُلُ» ٥٧٦ / ٥-٤
- «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ» ٣٩٢ / ٧-٦
- «وَلَا يَقْضُهَا إِلَّا عَلَيَّ وَادًّا» ١٢٤ / ٣-١
- «وَلَا يَلْبَسُ الْقُمُصَّ وَلَا الْعَمَائِمَ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ وَلَدًا، سَمَّيْتُهُ إِبْرَاهِيمَ» ١٨٤ / ٨
- «وَلَسْتُ تَنْفُقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ» ٣٠٩ / ٥-٤
- «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» ٣٤٦ / ٣-١
- «وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَذِبَةَ» ١١٦ / ٥-٤

- «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ» ٥٨٥ / ٥-٤
- «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ» ٣٤ / ٥-٤
- «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَصَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا» ٥٧ / ٧-٦
- «وَلَوْ أَنَّ قِطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ قَطَرَتْ لِأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ» ٨٩ / ٧-٦
- «وَلَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ٣٩٤ / ٥-٤
- «وَلَيْسَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ» ٤٤٧ / ٧-٦
- «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» ٢١٥ / ٧-٦
- «وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ ﷺ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَرَدَّ طَالِبَهُ» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَمَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِينَارًا» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ ﷻ» ٤٠٥ / ٥-٤
- «وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ» ٤٩٣ / ٥-٤
- «وَنَسِيَ آدَمَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتَهُ» ٢٢٢ / ٧-٦
- «وَيَبِيتُ اللَّيَالِي طَاوِيًا» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَيَحْكُ أَحْيَةَ أُمَّكَ؟!» ٢٠٥ / ٧-٦
- «وَيُلُّ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» ٧٣٠ / ٣-١
- «وَيُلُّ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ» ١١٨ / ٥-٤
- «وَيُلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ» ٣٤١ / ٣-١
- «وَيَلِكُمَا، مَنْ أَمَرَ كَمَا بِهِذَا؟» ٧٠٨ / ٣-١
- «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ؟» ٦١٤ / ٣-١
- «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا» ٣٩ / ٨
- «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا» ٥٠ / ٥-٤
- «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى» ١٥٨ / ٣-١
- «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعْيَرْتَهُ بِأُمَّهِ؟» ٨٠ / ٥-٤

- «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ» ٦٧٩ / ٣-١
- «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَتَطَّحَانِ؟» ١٦ / ٥-٤
- «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا» ٢٥٨ / ٥-٤
- «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» ١٦٠ / ٣-١
- «يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ» ٥٠ / ٣-١
- «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا» ١٨٤ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنِكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» .. ١٩٥ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنِكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» . ٨٤٥ / ٣-١
- ٢٨٥ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ» ٢٧٠ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ فُلَانٍ أَنْظِرِي أَيَّ السِّكِّكِ شِئْتَ؛ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ» ٢١٦ / ٧-٦
- «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أُمَّتَهُ تَزْنِي» ١٠ / ٨
- «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ٤١٩ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» ١٩٦ / ٣-١
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْصِرُوا» ١٢٠ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاءً» ٤٨٨ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ» ٦٤٢ / ٧-٦
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» ٤٢٨ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا» ٢٦ / ٣-١
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ» ٤٧١ / ٣-١
- «يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ» ٩٢ / ٨
- «يَا جَرَهْدُ! عَطِّ فَخِذَكَ» ٦٩٣ / ٧-٦
- «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلُوءَةٌ» ٤٩ / ٣-١
- ١٦٧
- ٦٥ / ٥-٤

- «يَا حَدِيحَةَ، لَقَدْ حَشَيْتُ عَلَى نَفْسِي» ١٣٠ / ٥-٤
- «يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصابهم» ٢٣٩ / ٨
- «يا رسول الله إن الله إنما أنجانى بالصدق» ١١٧ / ٥-٤
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ حَدِيحَةٌ قَدْ آتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ» ٢٠٣ / ٨
- «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» ٧٩ / ٨
- «يَا عَائِشَةُ ارْفُئِي» ٥١٧ / ٧-٦
- «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٧٩ / ٣-١، ٥١٦
- «يَا عَائِشَةُ أَيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ» ٥٥٩ / ٥-٤
- «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْرَتَهُ» ٢١٧ / ٧-٦
- «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ» ٨٣٣ / ٣-١
- «يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٥٢٥ / ٧-٦
- «يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالَ أَجْدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ» ٨٠١ / ٣-١
- «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِكُمْ بِهَا» ٥٥٨ / ٥-٤، ٦٠٤
- ١٢٦ / ٧-٦
- «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» ٧٤٥ / ٣-١
- «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» ٤٥٣ / ٣-١
- «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ» ١١٥ / ٣-١
- «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا» ٥٠٢ / ٥-٤
- «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذْ مَتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِمَا» ٥٣ / ٧-٦
- «يا علي أبشر فما تصير إليه» ٣٣٨ / ٣-١
- «يَا عَلِيُّ، لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى» ٧٠٠ / ٣-١
- ٥٢ / ٨
- «يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا» ٢٢٩ / ٣-١
- ٢٤٧ / ٥-٤

- «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ» ٤-٥ / ٤٥١
- «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟» ٦-٧ / ١٣٤
- «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهَ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ» ١-٣ / ٨٣٧
- «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي» ١-٣ / ٨٤٩
- «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ» ١-٣ / ٢٢٠
- «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرُبُّو لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتٍ» ٤-٥ / ٢٤١
- «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ» ١-٣ / ١٩٥
- ١٢٨ / ٨
- «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟» ١-٣ / ٤٥٨
- «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ» ١-٣ / ٧٨،
- ٣٦٩
- ٤-٥ / ٤٠٠
- «يَا مُعَاذُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ» ٦-٧ / ٢٧٩
- «يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ
- بِمَسْجِدِي» ٦-٧ / ٢٨٠
- «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ تَكُونُوا أَدَلَّةً» ١-٣ / ٤٦٧
- «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ» ١-٣ / ٤١٣،
- ٤٨٤، ٥٩٩
- ٧٠٢
- ٤-٥ / ٧١
- ٦-٧ / ٤٢٦،
- ٤٢٩
- «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ» ٤-٥ / ٢٩،
- ٤١١
- «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ» ١-٣ / ٢٣٣
- «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ» ٤-٥ / ٣٦٤

- «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ» ٦-٧ / ٦٣٣،
٧٣٦
- «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ١-٣ / ٨٨،
١٧٢، ٣٩٦،
٤٢٦، ٥٨٦،
٤-٥ / ٤١٦،
٤٤١
- «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لِحَارَتِهَا» ٨ / ٤١
- «يَا وَيْحَ فُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ
النَّاسِ» ٦-٧ / ١٠٧
- «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ» ٦-٧ / ٣٨٨
- «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ» ٨ / ١٠٩
- «يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ» ٦-٧ / ٤٢٣
- «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» ١-٣ / ٢٨٢،
٦-٧ / ٢٧،
٤٧٠
- «يُتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ» ١-٣ / ٣٤٩،
٣٧١، ٤٣٩،
٤-٥ / ٦٦،
٥٢٧
- «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ» ١-٣ / ٥٦٠،
٤-٥ / ١٩٥،
٦-٧ / ٥٨٧
- «يَنْزَلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ» ١-٣ / ٨٠
- «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ» ١-٣ / ١٤٦،
٦-٧ / ٢٥٠
- «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشُّ أَمْلَحٍ» ١-٣ / ١٧٠،
٥-٥ / ١٨٣

- «يَجْمَعُ اللَّهُ ﷻ النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تَزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ» ٧٠ / ٧-٦
- «يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ» ١٥١ / ٧-٦
- «يَحْيِيءُ الْمَقْتُولَ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيئَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ» ٣٣٢ / ٥-٤
- «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذَّلُّ» ٢٣ / ٥-٤
- ٨٤ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاءَ غُرْلًا بَعْثًا» ٥٨٢ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاءَ غُرْلًا» ٢٦ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ» ٢٨ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ» ٢٧ / ٧-٦
- «يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ» ١٥٨ / ٨
- «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» ١٥٩ / ٧-٦
- «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» ٨٧ / ٥-٤
- ٢٣٣
- ٥٧٩ / ٧-٦
- «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ» ٦٠٨ / ٧-٦
- «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا بَيْضًا جِعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ» ٩٢ / ٧-٦
- «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ» ٦٥ / ٥-٤
- «يَرُدُّ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَاهُمْ كَلِمَةُ الْبَرِّقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ» ٦٥٩ / ٣-١
- «يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ؛ قَالَ: إِيَّايَ؛ قَالَ: نَعَمْ» ١٧٤ / ٣-١
- «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ» ٨٥ / ٣-١، ٤١

- «يَسْرًا وَلَا تُعْسِرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِّرًا» ١٢٨ / ٥-٤
 ،٢٥٨ / ٧-٦
 ٥١٨
- «يُسَلِّمُ الرَّابِحُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ» ٥٤ / ٨
 «يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ» ٥٤١ / ٣-١
 ٤٣٣ / ٧-٦
- «يَطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ٤٦٠ / ٣-١
 «يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ» ٩٤ / ٨
 «يُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» ٥٠٠ / ٧-٦
 «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْفُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا» ١٢٨ / ٣-١
 ١٢٨
 ١٤٩ / ٧-٦
- «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ» ٥٦٢ / ٣-١
 ٣٨٧ / ٥-٤
- «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» ٦٠٠ / ٣-١
 «يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يُمَدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ» ٥٤٢ / ٣-١
 «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ» ٣٢٣ / ٥-٤
 ٣٤٩
- «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ» ٦٥ / ٣-١
 «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ» ٣٢٩ / ٥-٤
 «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا» ٥٠٢ / ٥-٤
 «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي» ٢١٣ / ٣-١
 ٤٤١
- «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ» ٦٠٧ / ٥-٤
 «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» ٧٢ / ٧-٦

- «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا» ٤-٥/٤٦٧
- «يقول الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ١-٣/١٠٧،
٥٣٦
٦٣٣/٧-٦
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ» ٤-٥/١٢٩
- «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَايِي وَعَظَمَتِي!» ١-٣/٨٢٩
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ» ١-٣/١٧٢
- «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» ٦-٧/١٤٩
- «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يُهَوِّنُ ذَلِكَ» ٦-٧/١٥٤
- «يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ» ٤-٥/٦٢
- «يُكْفِرُ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» ١-٣/١١٥
- «يُكْفِرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» ١-٣/٧٥
- ٤٧/٧-٦
- «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١-٣/٢٣٢،
٤٩٩
- «يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ» ٤-٥/٦٠٠
- «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا» ٤-٥/٨٦
- ٩٤/٧-٦
- «يُنزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ١-٣/٥٣٨
- «يُنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ» ٦-٧/٢٦٤
- «يُوتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١-٣/٧٢٦
- ٢٩٢/٥-٤

«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونها»

٢٦٠ / ٣-١

٢١٢ / ٥-٤

٢٢٢ / ٧-٦

٨٨

«يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ»

٥٥٠ / ٣-١

٦٣ / ٧-٦

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»

٦٣٢ / ٣-١

٥٨٨ / ٥-٤

«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ»

٢٣٦ / ٨

«يَوْمَ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً»

٦٧١ / ٣-١

«يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»

٢٢٨ / ٨

«يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فَسَطَاطُ الْمُسْلِمِينَ»

٥٩٨ / ٧-٦



ثانياً: فهرس الآثار

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«ابدؤوا بأقرب رسول الله ﷺ»	عمر بن الخطاب	٣٠٤ / ٨
«أبو بكر الصديق أسلم وله أربعون ألفاً، فأنفقها في سبيل الله»	_____	٥٥٢ / ٧-٦
«أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ»	عبدالله بن عمرو بن العاص	٣٥ / ٣-١
«أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتِكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟»	عبدالله بن عباس	١٠٠ / ٥-٤
«أَخْبَرَنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ»	عمر بن الخطاب	٦٧٦ / ٣-١
«أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحٌ»	عبدالله بن عباس	٤٦٤ / ٥-٤
«أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ»	عائشة بنت أبي بكر	١٨٥ / ٧-٦
«أدبوهم وعلموهم الخير، والحقوق»	عائشة بنت أبي بكر	٢١٨ / ٧-٦
«إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ»	علي بن أبي طالب	٢٧٥ / ٧-٦
«إِذَا تَوَجَّهَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ مَرَوْا بِشَجْرَةٍ»	علي بن أبي طالب	٣٥٧ / ٣-١
«ارتحلت الدنيا مدبرة»	عبدالله بن مسعود	٣١٠ / ٥-٤
«أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً؟»	علي بن أبي طالب	٥٨ / ٣-١
«ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»	عمر بن الخطاب	٤٦١ / ٥-٤
	أبو بكر الصديق	١٣٥ / ٥-٤
		٤٢٠ / ٥-٤
		١١٦ / ٨
		٣٠٤ / ٨

		«أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله ﷺ من المنافقين؟»
٧٤٣ / ٣-١	عمر بن الخطاب	«استقاموا والله لله بطاعته»
١٣٤ / ٥-٤	عمر بن الخطاب	«أسخاهم نفسًا حين يسأل»
٥٧٥ / ٧-٦	معاوية بن أبي سفيان	«أسمرًا أول الليل ونومًا آخره»
٢٦٣ / ٣-١	عمر بن الخطاب	«أصابنا من الليل طش من مطر، فأنطلقنا تحت الشجر والحجف»
٣٠٠ / ٧-٦	علي بن أبي طالب	«أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى»
٧١٦ / ٧-٦	عبدالله بن عباس	«أصبت، استغن عن الناس يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم»
٣٣٨ / ٨	عمر بن الخطاب	«أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح»
٤٢٧ / ٧-٦	أبو بكر الصديق	«أعز الناس علي جليس لو استطعت أن لا يقع»
٧١٥ / ٧-٦	عبدالله بن عباس	«أقسامك مالي نصفين وأزوجك»
٣٣٧ / ٨	سعد الأنصاري	«اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال»
٥٥٣ / ٧-٦	علي بن أبي طالب	«أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر»
٢٥ / ٨	عمر بن الخطاب	«ألا لا تغالوا صدقة النساء»
٦٠٠ / ٣-١	عمر بن الخطاب	«البياض نصف الحسن»
٦٢٤ / ٣-١	عائشة بنت أبي بكر	«التقوى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل»
١٦١ / ٣-١	علي بن أبي طالب	«التمسنا جعفر بن أبي طالب في القتلى»
١٣٠ / ٣-١	عبدالله بن عمر	«الجار ذي القربى أي القريب»
٣٦ / ٨	عبدالله بن عباس	

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات» ...	عائشة بنت أبي بكر	٥٥١ / ٥-٤
«الحُمس هم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾»	عائشة بنت أبي بكر	٣٦٤ / ٥-٤
«الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا»	عبد الله بن عباس	١٣٨ / ٧-٦
«الرباني هو الذي يعلم الناس صغار العلم» ..	عبد الله بن عباس	١٢٢ / ٨
«السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب»	عبد الله بن عباس	٦٦٣ / ٣-١
«السلام عليك يا ابن الجناحين»	عبد الله بن عمر	٤٧٢ / ٥-٤
«الشیطان: جاثم على قلب ابن آدم»	عبد الله بن عباس	٤٥ / ٨
«الصبر عند الغضب»	عبد الله بن عباس	٦٤١ / ٧-٦
«العصر هو الزمن»	عبد الله بن عباس	٢٨٥ / ٣-١
«الغناء يُنبئُ التفاق»	عبد الله بن مسعود	٤٧٥ / ٣-١
«أَلَكِ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ»	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦٠٩ / ٣-١
«الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره»	عبد الله بن عباس	٦١٣ / ٣-١
«الكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» ...	عبد الله بن عباس	٥٤١ / ٣-١
«اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتَ لِأَعْتَمِدَ بِكَبِدِي»	أبو هريرة	٦١٠ / ٧-٦
«اللهم أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني»	عراك بن مالك	٣٣٥ / ٨
«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ»	عمر بن الخطاب	٧٨٢ / ٣-١
«اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتسقيننا»	عمر بن الخطاب	٣٢١ / ٥-٤
«اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا»	عمر بن الخطاب	٢٥٤ / ٨
	عمر بن الخطاب	٦١ / ٥-٤

الأثر قائل الأثر الجزء / الصفحة

- «اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد
بن الأسود» معاوية بن أبي سفيان ٢٥٤ / ٨
- «اللهم أنت السلام، ومنك السلام» عمر بن الخطاب ٣٥٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبَّ الْبَقَاءِ فِي
الدُّنْيَا» معاذ بن جبل ٢٨٠ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا
يَنْفَدُ» عبد الله بن مسعود ١٣٥ / ٧-٦
- «المروءة في أربع: العفاف في الإسلام،
واستصلاح المال» معاوية بن أبي سفيان ٥٧٥ / ٧-٦
- «المزيد هو النظر إلى الله» علي بن أبي طالب
وأنس بن مالك ١٣٩ / ٥-٤
- «الْمَسْحُ عَلَى الْجَوْرَيْنِ كَالْمَسْحِ عَلَى
الْحَقَيْنِ» عبد الله بن عمر ٢٥٩ / ٨
- «الهلاك في شيئين» عبد الله بن مسعود ١٠٤ / ٥-٤
- «اليقين هو الإيمان كله» عبد الله بن مسعود ٥٦٢ / ٥-٤
- «أما إنها كانت من ألقانا، وأوصلنا للرحم» ..
عائشة بنت أبي بكر ٢٠٨ / ٨
- «أما تعرف هذه؟» عمر بن الخطاب ٢٨٩ / ٥-٤
- «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب» ابن عباس ٣٤ / ٣-١
- «أَمَرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ» ...
عبد الله بن عباس ٣٧٥ / ٧-٦
- «إِنَّ أَخَوْفَ مَا اتَّخَوْفُ عَلَيْكُمْ: طُولُ الْأَمَلِ» .
علي بن أبي طالب ٣٢١ / ٧-٦
- «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الْهَوَى» ...
علي بن أبي طالب ٦٠ / ٣-١
- «أن الزبير ضرب يوم الخندق عثمان بن
المغيرة» الزبير بن العوام ٥٤٥ / ٥-٤

٢٢٤ / ٨	عبد الله بن مسعود	«إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ»
٥٦٠ / ٧-٦	عمر بن الخطاب	«إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْجُبْنَ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ شَاءَ»
١٦٠ / ٣-١	عمر بن الخطاب	«إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى»
٩٧ / ٥-٤	عبد الله بن عباس	«إِنَّ اللَّهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ عَشْرَةِ سَنَةٍ»
٣٣٤ / ٥-٤	عبد الله بن مسعود	«إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ»
٢٦٥ / ٥-٤	عبد الله بن مسعود	«إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ»
٢٥ / ٨	عبد الله بن عمر	«أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنِيًّا بِالْبَلْبَنِ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ»
٢٩٩، ١٣٤ / ٣-١	عبد الله بن عباس	«إِنَّ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعْطَوْنَ بِحَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا» .
٣١٦ / ٧-٦	وحشي	«إِنَّ حَمْرَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بِنَ عَدِيٍّ»
٦٣٩ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«أَنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ»
٥٦٥ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«إِنْ قَرِيشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا»
٦٣٩ / ٣-١	عائشة بنت أبي بكر	«إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَيْلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ»
٢٢٤ / ٧-٦	عبد الله بن مسعود	«إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ، وَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ»
٤٦٧ / ٣-١	عبد الله بن عباس	«إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ»
٤٤٧ / ٥-٤	عبد الله بن مسعود	«إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِدْبَارًا»
٢٧٩ / ٧-٦	عبد الله بن مسعود	«إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا»
٣٢٩ / ٥-٤	عبد الله بن عمر	«إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ»

- «إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ»
- علي بن أبي طالب ٥٤٦ / ٥-٤
- «إن هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبٍ﴾ نزلت»
- أبو ذر الغفاري ٣٠٧ / ٧-٦
- «إن هذه ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع»
- عمر بن الخطاب ١٠٩ / ٨
- «أَنَّ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ»
- عبدالله بن عباس ٦٠٨ / ٧-٦
- «أن هرقل ملك الروم، سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ: هل قاتلتموه»
- أبو سفيان ١١٩ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَيَرَفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ» ..
- عبدالله بن عباس ٤٩٧ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ»
- عبدالله بن مسعود ٤٣٨ / ٧-٦
- «أنا أقتل ابن جرموز بالزبير؟»
- عبدالله بن الزبير ٥٤٦ / ٥-٤
- «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة»
- عائشة بنت أبي بكر ٢٩٦ / ٨
- «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
- علي بن أبي طالب ٣٠٧ / ٧-٦
- «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله»
- عمر بن الخطاب ٢١ / ٥-٤
- «أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ فَضِيتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ»
- معاذ بن جبل ٢٥٨ / ٧-٦
- «أندرتكم فضول الكلام»
- عبدالله بن مسعود ٦١٨ / ٣-١
- «أنزل الله ﷻ في الذين قتلوا بيئر معونة» ..
- أنس بن مالك ٢٤٧ / ٧-٦
- «أنشغل من رسول الله ﷺ»
- عائشة بنت أبي بكر ٣٠٧ / ٥-٤
- «انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة»
- أبو بكر الصديق ٧٧٦ / ٣-١
- ١١٥ / ٨

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك»	أبو بكر الصديق	٢٥٢ / ٥-٤
«إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي وَفِيَّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنِّي لَأَتِي» «إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال	عبدالله بن عباس	٧١٥ / ٧-٦
منقوصة»	عبد الله بن مسعود	١٣٥ / ٧-٦
«إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ»	أنس بن مالك	٧٤٣ / ٣-١
«إنما أبكي على ظمأ الهواجر»	معاذ بن جبل	٣٨٩ / ٣-١
«إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ»	علي بن أبي طالب	٢٨٢ / ٣-١
«إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوَاهُ»	عمر بن الخطاب	٥٢٠ / ٣-١
«إنما هي ضحوة، فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور»	عبد الله بن عباس	١٥٤ / ٧-٦
«إنه ركن من أركان هذا الدين»	عمر بن الخطاب	٥٤٢ / ٥-٤
«أنه سئل عن أكبر الكبائر؟ فقال: الشرك بالله»	عبدالله بن مسعود	١٦٩ / ٥-٤
«أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّمَ امْتَالِكُمْ﴾ يحشر الله الخلق»	أبو هريرة	١٦ / ٥-٤
«إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك» «أنه كان يقسم أن هذه الآية: ﴿هَذَا نِ خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيْبِهِمْ﴾، نزلت في حمزة وصاحبيه»	عمر بن الخطاب	٤٣٦ / ٥-٤
«أنه كان ينصب أحجارًا في البرية»	أبو ذر	٣٠٧ / ٧-٦
«إنه لا ينبغي أن نسوس الناس»	سلمة بن الأكوع	١٤٧ / ٥-٤
«إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس»	معاوية بن أبي سفيان	٥٧٦ / ٧-٦
«إنه نزلت فيه آيات من القرآن»	عمر بن الخطاب	١١٥ / ٨
«إنه نزلت فيه آيات من القرآن»	سعد بن أبي وقاص	٢٤٦ / ٣-١

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«إِنَّهَا رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ»	معاذ بن جبل	٢٨٠ / ٧-٦
«إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي»	عاصم بن ثابت	٧٥٩ / ٣-١
«إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ»	الزبير بن العوام	٥٤٣ / ٥-٤
«إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك»	علي بن أبي طالب	٣١٥ / ٧-٦
«إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً، ليس في عمل»	عبد الله بن مسعود	٢٨٤، ٨٧ / ٥-٤
«إني لأمر على الآية من كتاب الله»	عبد الله بن عباس	١٣٥ / ٧-٦
«إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»	سعد بن أبي وقاص	٣٣٩ / ٨
«إني والله لا أزرأ من مالكم»	علي بن أبي طالب	٤٥٩ / ٣-١
«أَوْصِيكَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَالْعَمَلِ»	عبد الله بن عباس	٥٢ / ٥-٤
«أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»	عبد الله بن عباس	٢٤٧ / ٣-١
«أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ»	البراء بن عازب	٣٣٦ / ٣-١
«أولها عناء وآخرها فناء»	علي بن أبي طالب	٧١٤ / ٧-٦
«أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ»	أم سلمة	٨٠ / ٣-١
«أي بني ما يبكيك»	سعد بن أبي وقاص	١٥٣ / ٥-٤
«أئتوني بصاحبكم اللذين ألباكم علي»	عثمان بن عفان	٧٦ / ٥-٤
«أين أخي أبو عبيدة؟ قالوا: يأتيك»	عمر بن الخطاب	٦٥ / ٧-٦
«أيها الناس والله الذي لا إله إلا هو»	علي بن أبي طالب	٢٤٨ / ٣-١
«بارز وظاهر»	البراء بن عازب	٤٩٨ / ٥-٤
		٤٣٥ / ٥-٤
		٣٣٥ / ٣-١
		٣٠٦ / ٧-٦

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة»	جرير بن عبدالله	١٧٦ / ٥-٤
«بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»	جرير	١٨٩ / ٧-٦
«بِحَبْلِ اللَّهِ»، قال ابن عباس: تمسكوا	عبد الله بن عباس	٤٣٧ / ٧-٦
بدين الله	عبد الله بن مسعود	٤٣٧ / ٧-٦
«بِحَبْلِ اللَّهِ»، قال ابن مسعود: هو الجماعة.	عبد الله بن عباس	٧١٤ / ٧-٦
«بلسان سؤال، وقلب عقول»	أبو سعيد الخدري	٦٦٠ / ٣-١
«بَلَّغْنِي أَنَّ الْحِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»	عمر بن الخطاب	٢٧٨ / ٧-٦
«بَلَّغْنِي أَنَّ شِدَّةَ الْوَبَاءِ فِي الشَّامِ»	علي بن أبي طالب	١١ / ٨
«بلغني أن نساء كم يزاحمن العلوج في	أبو بكر الصديق	٦٧٢ / ٧-٦
الأسواق»	علي بن أبي طالب	١٠٨ / ٨
«بَلَى وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا»	عمر بن الخطاب	١١٠ / ٨
«تبدل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر»	عمر بن الخطاب	٥٢٠ / ٣-١
«تركته رث البيت، قليل المتاع»	عائشة بنت أبي بكر	٢٧٠ / ٧-٦
«تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا»	عبد الله بن عمر	٥٠٠ / ٥-٤
«تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ» ...	عبد الله بن عباس	٤٦٢ / ٧-٦
«تعالى أبين لك، أما فراره يوم أحد»	عائشة بنت أبي بكر	٢١٨ / ٧-٦
«تَعَلَّمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟»	عبد الله بن مسعود	٦٢٠ / ٣-١
«تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ» ...	عمر بن الخطاب	٢١٨ / ٨
«تم فتح بيت المقدس، فقد ذهب عمر بنفسه		
وصالح أهلها»		

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«تَمَامُ الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُهُ وَتَصْغِيرُهُ وَسَتْرُهُ» ...	عبدالله بن عباس	٧-٦ / ٧١٤
«ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ»	عمر بن الخطاب	٧-٦ / ٣٢٢
«ثَلَاثَةٌ لَا أَكْفِيَهُمْ»	عبدالله بن عباس	٧-٦ / ٥٥٤
«جزاء المعصية الوهن في العبادة»	علي بن أبي طالب	٣-١ / ٣٣٧
«جَعَلْتُ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ شَأْنِي»	معاذ بن عمرو	٧-٦ / ٥٦٠
«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»	عمر بن الخطاب	٥-٤ / ٤١٦، ٦٠٢
«حَبْدًا الْمَكْرُوهَانَ: الْمَوْتُ وَالْفَقْرُ»	عبد الله بن مسعود	٧-٦ / ١٣٥
«حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»	جندب بن عبدالله	٥-٤ / ٤٧٨
«حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ» «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟»	الحسن بن علي	٨ / ٢٥٧
«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»	علي بن أبي طالب	٨ / ١٧١
«حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزُنُّ بِرِيَّةٍ»	عبدالله بن عباس	٥-٤ / ٤٠٦
«حِينَ تَبْيَضُ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»	حسان بن ثابت	٧-٦ / ٢٧٤
«خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ»	عبدالله بن عباس	٧-٦ / ٤٤٢
«خذوا بحظكم من العزلة»	أنس بن مالك	٣-١ / ٣٥
«خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا»	عمر بن الخطاب	٨ / ٢٣٦
«خمس خذوهن عني: لا يرجو عبد إلا ربه» .	عبادة بن الصامت	٧-٦ / ٣١٧
«دَخَلَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ»	علي بن أبي طالب	٣-١ / ٣٣٦
«ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا»	عبدالله بن عباس	٧-٦ / ٦٧٣
«ذَاكُمْ فَتَى الْكُھُولِ؛ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَوُوْلًا، وَقَلْبًا»	عبدالرحمن بن عوف	٥-٤ / ٥١٢
	عبدالله بن عباس	٧-٦ / ٧١٢

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«ذَلِكَ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»	عبدالرحمن بن عوف	٣١٦ / ٧-٦
«ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ لِلَّهِ بِالْحَيْرِ»	أبو بكر الصديق	١٠٩ / ٣-١
«رَأَى عَثْمَانَ بْنَ عَفَانَ عَلَيْهِ بَغْلَةٌ، وَخَلْفَهُ غَلَامُهُ نَائِلٌ وَهُوَ خَلِيفَةٌ»	عثمان بن عفان	١١٦ / ٨
«رَأَيْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَسْفَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ مِثْلَ الشَّرَاكِ الْبَالِيِّ مِنَ الْبِكَاءِ»	أبورجاء	٧١٣ / ٧-٦
«رَأَيْتَ رُؤْيَا لَا أَرَاهَا إِلَّا لِحَضُورِ أَجْلِي»	عمر بن الخطاب	٧٨٢ / ٣-١
«رَأَيْتَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَانَ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فِي مَلْحَفِهِ»	الهمداني	١١٦ / ٨
«رَأَيْتَ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصْلِي»	عبد الله بن عمرو	٥٠٥ / ٥-٤
«رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ»	ابن مسعود وابن عمر	٣٥٨ / ٧-٦
«رَجُلٌ كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ»	أبو موسى الأشعري	٢٨١ / ٧-٦
«رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ»	عمر بن الخطاب	٣٣٢ / ٣-١
«رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ لَقَدْ أَتَعَبَ مِنْ بَعْدِهِ»	عمر بن الخطاب	٧٧٦ / ٣-١
«رَغَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّرْوِيجِ»	عبد الله بن عباس	٤٢٨ / ٧-٦
«رَزَوَجُكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَرَزَوَجِنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»	زينب بنت جحش	٢٠٦ / ٨
«سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا»	أنس بن مالك	٥٢٩ / ٧-٦
«شَغَلَهُمْ افْتِضَاضُ الْأَبْكَارِ»	عبد الله بن مسعود وابن عباس	٦٢٦ / ٣-١
«شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَابْنَ مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ»	أبي الأحوص	١٣٢ / ٧-٦

		«صحبت جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة في سفينة فصلوا قيامًا»
٢٩٢ / ٨	جابر بن عبد الله	«صحبت طلحة فما رأيت أعطى»
٢٨٣ / ٥-٤	قيصة بن جابر	«عثمان بن عفان اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم»
٥٥٢ / ٧-٦	_____	«عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَإِنَّا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ»
٧٨٧ / ٣-١	عبد الله بن مسعود	«عُرِّضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»
٤٤٢ / ٧-٦	_____	«عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرَّتْ عَلَيَّ خَدِيجَةَ»
٢٥٩ / ٥-٤	عبد الله بن عباس	«غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر»
١١٤ / ٧-٦	عائشة بنت أبي بكر	«فاسلكوه أي انظموه فيها بأن تدخل في دبره»
٥٥ / ٥-٤	أنس بن مالك	«فإنها نزلت في يوم عيدين»
٧٨ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ﷻ»
٦١٢ / ٥-٤	عبد الله بن عباس	«فحلها، فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم»
٥٠٤ / ٧-٦	أبو بكر الصديق	«فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصُومُ صَبِيَانَنَا»
٣٣٨ / ٣-١	علي بن أبي طالب	«فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها»
٤٥ / ٧-٦	الربيع بنت معوذ	«فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»
٧٧٦ / ٣-١	عائشة بنت أبي بكر	«فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ»
٢٠٧ / ٨	عائشة بنت أبي بكر	
٥٠٤ / ٥-٤	عبد الله بن مسعود	

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«في العزلة راحة من خلطاء السوء»	عمر بن الخطاب	٢٤١ / ٨
«في قراءة له: ﴿ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم﴾»	عبد الله بن مسعود	١٥٤ / ٧-٦
«في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، أي: بذراع الملك»	عبد الله بن عباس	٧٨ / ٧-٦
«في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال: يوم القيامة»	عبد الله بن عباس	١٥٢ / ٧-٦
«في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ أي من الحجارة لألين من قلوبكم»	عبد الله بن عباس	١٠٠ / ٥-٤
«في كم كفتم النبي ﷺ؟»	أبو بكر الصديق	٧٧ / ٣-١
«فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيهِمْ﴾»	علي بن أبي طالب	٣٠٧ / ٧-٦
«قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا»	عبد الله بن عمر	٢٥٢ / ٧-٦
«قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾»	عبد الله بن عمر	٥٠١ / ٥-٤
«قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ: يَا بُنَيَّ! إِنَّ عُمَرَ يُدْنِيكَ»	عبد الله بن عباس	٧١٢ / ٧-٦
«قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر»	علي بن أبي طالب	٥٣٩ / ٥-٤
«قَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»	عبد الله بن عباس	٢٩٣ / ٣-١
«قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم»	عبد الله بن عباس	٤٠ / ٧-٦
«قبح الله هاتين اليدين»	عمارة بن رؤيبة	١٧٤ / ٨
«قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْحَيْرُ»	تميم الداري	٥١١ / ٣-١
		٢٧ / ٥-٤

- «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه
على النبي ﷺ»
عمر بن الخطاب ٦١٢ / ٥-٤
- «قد نظر إلي، فقالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما
أريد»
أبو بكر الصديق ٧٧٧ / ٣-١
- «قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ»
عبد الله بن عباس ٤٣٥ / ٧-٦
- «قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ فَمَكَّنْتُنَا حِينًا وَمَا
نَرَى ابْنَ مَسْعُودٍ»
أبو موسى الأشعري ١٣٢ / ٧-٦
- «قم فاستسق وادع ربك»
عمر بن الخطاب ٢٥٤ / ٨
- «قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، قال: متنزهاً»
عبد الله بن عباس ٥٧٣ / ٥-٤
- «قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو
الإسلام»
عبد الله بن عباس ٦١٢ / ٥-٤
- «قِيلَ لِعَلِيِّ وَلِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا
جَبْرِيلُ، وَمَعَ»
علي بن أبي طالب ٣٠٤ / ٧-٦
- «كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بِنَ خَلْفِ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي
صَاغِيَّتِي»
عبدالرحمن بن عوف ٥١١ / ٥-٤
- ٣١١ / ٧-٦
- «كان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه
لله»
عبد الله بن عمر ٤٤١ / ٣-١
- «كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول: هذا اليوم
كله لفلان - يعني طلحة»
أبو بكر الصديق ٢٨١ / ٥-٤
- «كان أبي أبيض نحيفاً خفيف العارضين»
عائشة بنت أبي بكر ٧٧٤ / ٣-١
- «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم
يجاوزهن حتى يعرف معانيهن»
عبد الله بن مسعود ١٢٤، ٧٩ / ٨

الأثر قائل الأثر الجزء / الصفحة

- «كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقِيَا» عبيد الله بن حصن ٢٥٧ / ٧-٦
- «كَانَ الصَّحَابَةُ يَتَلَقَّوْنَ بِالْبَشْرِ، وَلَا يَغْتَابُونَ غَائِبًا، وَيُرُونَ ذَلِكَ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ» الغزالي ٤٥٦ / ٧-٦
- «كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً» عائشة بنت أبي بكر ٦٠٠ / ٣-١
- «كَانَ عَمْرٌ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ» عبدالله بن عباس ٧١١، ٤٦٢ / ٧-٦
- «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ» أبو بكر الصديق ٥١٩ / ٣-١
- «كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُضَ الْجِهَادَ» عبدالله بن عباس ١٤٠ / ٣-١
- «كَانَ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» أبو بكر ٤٨ / ٣-١
- «كَانَ يَخْرُجُ لِلْعِيدَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ» عبدالله بن عمر ١١٩ / ٣-١
- «كَانَ يَطْعَمُ النَّاسَ طَعَامَ الْإِمَارَةِ، وَيَدْخُلُ إِلَى بَيْتِهِ فَيَأْكُلُ الْخَلَّ وَالزَّيْتَ» عثمان بن عفان ١١٦ / ٨
- «كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ» عبدالله بن مسعود ١١٩ / ٣-١
- «كَانَ يَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ فِي الْعِيدَيْنِ» عبد الله بن عمر ١١٧ / ٣-١
- «كَانَ يَمْسَحُ عَلَى الْجَوْرِبِينَ مِثْلَ الْخَفِينِ» أنس بن مالك ٢٥٩ / ٨
- «كَانَ يَسْمَى وَيَكْبَرُ» عبدالله بن عمر ٣٥٥ / ٧-٦
- «كَانَتْ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُمْطِرُ، وَالْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ، فَفُتِقَتْ» عبدالله بن عباس ٧١٥ / ٧-٦
- «كَانُوا أَثَلَاتًا: ثَلُثُ نَهْوًا» عبدالله بن عباس ٣١٨ / ٣-١
- «كَانِي أَنْظِرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا» عبدالله بن مسعود ٣٦ / ٧-٦
- «كُلُّ النَّاسِ أَقْدَرُ عَلَى رِضَاهِ إِلَّا» معاوية بن أبي سفيان ٤٥٩ / ٣-١
- «كُلُّ مَا شِئْتَ وَالْبَسُ مَا شِئْتَ» عبدالله بن عباس ٢٥٢ / ٣-١

الأثر قائل الأثر الجزء / الصفحة

- «كم فيها من مثقال ذرة» عائشة بنت أبي بكر ٥٥٩ / ٥-٤
- «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا» جابر بن عبد الله ١٤٥ / ٧-٦
- «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي الْعِشَاءِ، وَفِي الْفَجْرِ، أَسَانًا بِهِ الظَّنَّ» عبد الله بن عمر ٥٦١ / ٣-١
- «كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ، وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ» المغيرة بن شعبة ٦١٠ / ٧-٦
- «كنا مع النبي ﷺ ونحن محرمات» عائشة بنت أبي بكر ٧٥٢ / ٧-٦
- «كُنَّا نَتَحَيَّنُ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ رَمِينًا» عبد الله بن عمر ٣٧٤ / ٧-٦
- «كُنَّا نُخَمَّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ» فاطمة بنت المنذر ٣٤٦ / ٧-٦
- «كنا ندع تسعة أعشار الحلال» عمر بن الخطاب ١٦ / ٥-٤
- «كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا» عبد الله بن عمر ٧٤٣ / ٣-١
- «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَاذِي بِهِ» البراء بن عازب ٨١٠ / ٣-١
- «كنت أسمع الناس ينعث بعضهم لبعض» ... عائشة بنت أبي بكر ٢٧٥ / ٧-٦
- «كُنْتُ أَطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ» عائشة بنت أبي بكر ٣٧٢، ٣٤٤ / ٧-٦
- «كنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع» أبو هريرة ٤٧٤ / ٥-٤
- «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ» أنس بن مالك ٣٦ / ٧-٦
- «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ» عبد الله بن عباس ٧١١ / ٧-٦
- «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ» عبد الله بن عباس ٧١١ / ٧-٦
- «كنت فيهم في تلك الغزوة» عبد الله بن عمر ٤٧١ / ٥-٤
- «كُنْتُ لِأَسْأَلَ عَنِ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابٍ» عبد الله بن عباس ٧١٣ / ٧-٦
- «كُنْتُ مُلِيَّ عِلْمًا» عمر بن الخطاب ١٣٤ / ٧-٦

١٩٨ / ٧-٦	علي بن أبي طالب	«كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل»
٧١٦ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«لا، إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها، لقي الله وهو عليه غضبان»
٢٦٥ / ٥-٤	عبد الله بن عمر	«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ»
٧١٤ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«لَا تَكَلِّمَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا»
١٣٥ / ٨	سلمان	«لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ»
٥٣٥ / ٣-١	عبد الله بن مسعود	«لا تنثروه كثر الدقل، ولا تهذوه كهذ الشعر»
٢٧٤ / ٥-٤	عمر بن الخطاب	«لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا»
٣٠٦ / ٧-٦	حكيم بن حزام	«لا، والذي نجاني يوم بدر»
٤٩٤ / ٣-١	عبد الله بن عباس	«لا يشبه شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء»
١٩٥ / ٧-٦		
٣٣٩ / ٨	عمر بن الخطاب	«لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق»
٧١٥ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«لَا يُكَافِي مَنْ أَتَانِي يَطْلُبُ حَاجَةً فَرَأَيْتُ لَهَا مَوْضِعًا»
٧٧٦ / ٣-١	أبو بكر الصديق	«لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ»
١٠٨ / ٧-٦		
٢٩٧ / ٣-١	أبو الدرداء	«لَأَنَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي رَكْعَتَيْنِ»
٢٤ / ٨	عبد الله بن عباس	«لتزخر فيها كما زخرت اليهود والنصارى» .
٣٢٩ / ٣-١	خالد بن الوليد	«لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف»

- «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ» .. أبو ذر الغفاري ٤-٥/١٧، ٦١٣
- «لَقَدْ تُوِّفِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ» .. عائشة بنت أبي بكر ١-٣/٤٨
- «لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِي» .. أنس بن مالك ٤-٥/١٤٧
- «لَقَدْ رَأَيْتَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ، وَمَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مُسَلِمٌ غَيْرُنَا» .. عبدالله بن مسعود ٦-٧/١٣١
- «لَقَدْ سَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ لِمَا عَشِينَا مِنَ النَّعَاسِ» .. أبي طلحة ٦-٧/٣٠٣
- «لَقَدْ شَهِدْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَعَارِكِ» .. خالد بن الوليد ١-٣/٣٣١
- «لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنْ حَرَفْتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَوْوَنَةِ أَهْلِي» .. أبو بكر الصديق ١-٣/٧٧٦
- «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أْبْعَثَ رَجُلًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ» .. عمر بن الخطاب ١-٣/٢٦٨
- «لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحَبُّ إِلَيَّ» .. أبو بكر الصديق ٨/٣٠٤
- «لَقِيتُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ» .. سعد بن أبي وقاص ١-٣/٢٤٩
- «لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ» .. الزبير بن العوام ٤-٥/٥٤٤
- «لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءٌ» .. أبو الدرداء ١-٣/١٠٩
- «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ» .. عبدالله بن مسعود ٦-٧/٣١٠
- «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي» .. كعب بن مالك ٦-٧/٢٩١
- «لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ» .. سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله ١-٣/٢٤٧

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«لَمَّا طَعِنَ حَرَامٌ بْنُ مَلْحَانَ، وَكَانَ خَالَه»	أنس بن مالك	٢٤٧ / ٧-٦
«لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ»	عبدالله بن عباس	٧١٠ / ٧-٦
«لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ»	أنس بن مالك	٨٠٥ / ٣-١
«لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين»	عمر بن الخطاب	٧٨٢ / ٣-١
«لو أن بغلة عثرت في طريق العراق لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة»	عمر بن الخطاب	٧٨٢ / ٣-١
«لو أن عبداً خرَّ على وجهه من يوم وُلِدَ»	محمد بن أبي عميرة	٢٣ / ٧-٦
«لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان»	عبدالله بن مسعود	٧٨١ / ٣-١
«لو أن لي طلاع الأرض ذهباً»	عمر بن الخطاب	٢٨٩ / ٥-٤
«لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه»	عبدالله بن عباس	٦٣١ / ٥-٤
«لو تمنى اليهود الموت لماتوا»	عبدالله بن عباس	٦٣١ / ٥-٤
«لو دعا نادية، أخذته زبانية العذاب من ساعته»	عبدالله بن عباس	٢١٤ / ٨
«لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته»	عمر بن الخطاب	٤٣٤ / ٥-٤
«لو لم يتبع بردها سلاًماً لمات إبراهيم من شدة بردها»	عبدالله بن عباس	٤٢ / ٧-٦
«لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه»	عمر بن الخطاب	١١٦ / ٨
«لو نادى منادٍ من السماء»	عمر بن الخطاب	٢٨٩ / ٥-٤
«لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح إيمانه» ...	عمر بن الخطاب	٧٧٣ / ٣-١
«لو ددت أن بيني وبين الناس باباً من حديد» ..	سعد بن أبي وقاص	٢٣٦ / ٨
«لو لا ثلاث ما أحببت العيش في هذه الدنيا» ..	عمر بن الخطاب	٨٠ / ٣-١
		٢٤٦ / ٥-٤

الأثر / قائل الأثر / الجزء / الصفحة

- «ليس الخير أن يكثر مالك» علي بن أبي طالب ٣٣٦ / ٣-١
- «لَيْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ» سعد بن أبي وقاص ٦٨٨، ٩٨ / ٣-١
- «لئن أستيقن أن الله تقبَّلَ مني صلاةً واحدةً» . أبو الدرداء ١٩٨ / ٧-٦
- «لَئِن سَلَّمَنِي اللهُ لَأَدْعَنَّ أَرَامِلَ الْعِرَاقِ لَأَ يَحْتَجْنَ إِلَيَّ رَجُلٌ بَعْدِي أَبَدًا» عمر بن الخطاب ٧٨٢ / ٣-١
- ٣١٩ / ٥-٤
- ١١٦ / ٨
- «مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ» أم أيمن ٢١٨ / ٨
- «ما احتذى النعال، ولا انتعل، ولا ركب المطايا» أبو هريرة ٤٦٩ / ٥-٤
- «مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ» سعد بن أبي وقاص ٢٤٥ / ٣-١
- «ما أصف لكم من دار» علي بن أبي طالب ٣٣٦ / ٣-١
- «مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ» حذيفة بن اليمان ١٣٢ / ٧-٦
- «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه» أبو الدرداء ٤٥٩ / ٣-١
- «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم» عبدالله بن مسعود ١٧١ / ٨
- «ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك» علي بن أبي طالب ٢٥٣ / ٣-١
- «ما ترك بعده مثله» أبو الدرداء ١٣٦ / ٧-٦
- «ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها» عدي بن حاتم ٤٤٣ / ٣-١
- «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» عائشة بنت أبي بكر ٨٠٣ / ٣-١
- ٦٤ / ٧-٦
- «مَا زِلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» عبدالله بن مسعود ٧٨٠ / ٣-١

		«ما زנית ولا سرقت لا في جاهلية ولا في إسلام»
٥٠١ / ٥-٤	عثمان بن عفان	«مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْرٍ شَعِيرٍ»
٦٠٩ / ٧-٦	عائشة بنت أبي بكر	«ما شبت منذ أربعة أشهر»
١٧٢ / ٥-٤	عبد الله بن عمر	«مَا صَلَّيْتُ، وَلَوْ مَتَّ مَتَّ عَلَيَّ غَيْرَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَّرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا»
٧٣٥ / ٣-١	حذيفة بن اليمان	«مَا عُيِدَ اللَّهُ جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ هَذَا الرَّجُلُ» ...
٧٨٠ / ٣-١	عبد الله بن مسعود	«مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ»
٤٧ / ٧-٦	عبد الله بن عباس	«ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي ﷺ»
٢٧٢، ١١٢ / ٧-٦	عائشة بنت أبي بكر	«ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله»
٩٨ / ٥-٤	عبد الله بن مسعود	«ما كانت لنا خمر غير فضيخكم»
٣٧٣ / ٥-٤	أنس بن مالك	«ما ماتت حفصة حتى ما تفطر»
٢٠٥ / ٨	نافع	«ما من ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب»
٣٣١ / ٣-١	خالد بن الوليد	«ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ»
٥٤٣ / ٥-٤	الزبير بن العوام	«مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمِي عَلَى يَوْمٍ»
٢٨٦ / ٣-١	عبد الله بن مسعود	«مَا نَزَلَ بِلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ»
٥٠٤ / ٣-١	علي بن أبي طالب	«ما يصنع هذا الرجل عندك»
٥٥٢ / ٧-٦	طلحة بن عبيد الله	«مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي وَيَوْمِي، بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي»
٢٧٤ / ٧-٦	عائشة بنت أبي بكر	«مما تشكي؟ قال: ذنوبي»
١٣٥ / ٧-٦	عبد الله بن مسعود	

الأثر قائل الأثر الجزء / الصفحة

- «من أراد الآخرة أضرب بالدينا، ومن أراد الدنيا أضرب» عبد الله بن مسعود ١٣٥ / ٧-٦
- «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَلْيَأْتِ مُعَاذًا» عمر بن الخطاب ٢٧٩ / ٧-٦
- «من أين أنت؟ قلت: من الكوفة، قال: أفلم يكن فيكم صاحب النعلين» أبو الدرداء ١٣٣ / ٧-٦
- «من حق الجار أن تبسط إليه معروفك» عمر بن الخطاب ٣٩ / ٨
- «من سره أن يكون من هذه الأمة» عمر بن الخطاب ٣١٧ / ٣-١
- «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَيَّ هُوَ لِأَيِّ الصَّلَوَاتِ» عبد الله بن مسعود ٥٩٥ / ٣-١
- «مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ» عمر بن الخطاب ١٤٠ / ٣-١
- «من كان له على النبي ﷺ دين، أو كانت له قبله عدة، فليأتنا» جابر بن عبد الله ٤٦٥ / ٥-٤
- «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِيَمَنِ مَاتَ» عبد الله بن مسعود ٤٣٨ / ٧-٦
- «منعني الجهاد كثيراً من تعلم القرآن الكريم ..» خالد بن الوليد ٣٣١ / ٣-١
- «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ» عمر بن الخطاب ٥٠٩، ١٥٣ / ٣-١
- «نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِمَنَى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ» ... عبد الله بن عمر ٤٦٥ / ٧-٦
- «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ» عائشة بنت أبي بكر ٧١٥ / ٣-١
- «هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بيئة» عبد الله بن عباس ١٩٣ / ٣-١
- «هل تدري ما قال أبي لأبيك؟» أبي بردة بن أبي موسى ٥٣٦ / ٥-٤
- «هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله» خباب بن الأرت ١٥٤ / ٥-٤
- «هم الملائكة يحفظونه بأمر الله» عبد الله بن عباس ٤٥٢ / ٥-٤
- «هُوَ أَنْتَقَى لِثَوْبِكَ، وَأَنْتَقَى لِرَبِّكَ» عمر بن الخطاب ٧٥٣ / ٣-١

الأثر	قائل الأثر	الجزء / الصفحة
«هو تينكم الذي تأكلون»	عبدالله بن عباس	٦-٧ / ٦٠٢
«هو وضع الإحرام من حلق الرأس»	عبدالله بن عباس	٦-٧ / ٣٤٣
«وَأَبُو بَكْرٍ كَانَ رَجُلًا بَكَاءً»	عائشة بنت أبي بكر	١-٣ / ٣١٣
«وَأَفْقَتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّيًّا؟»	عمر بن الخطاب	١-٣ / ٧٨١
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ»	أبو هريرة	٤-٥ / ٢٣٥
«وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾»	عبدالله بن مسعود	١-٣ / ٤٧٥
«وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَيَّ طُولَ سَجْنٍ مِنْ هَذَا اللَّسَانِ»	عبدالله بن مسعود	١-٣ / ٦١٩
«والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله»	عبدالله بن مسعود	٦-٧ / ١٣١
«وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا»	عمر بن الخطاب	١-٣ / ٦٤٨
«وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ»	عمر بن الخطاب	٦-٧ / ٣٥٦
«والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة»	عبدالله بن مسعود	٦-٧ / ١٣١
«والله ما أنزلت آية، إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟»	عبدالله بن مسعود	٤-٥ / ٥٦
«وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع»	أبو بكر الصديق	٦-٧ / ٢١٨
«وجدنا خير عيشنا بالصبر»	عمر بن الخطاب	١-٣ / ٣٤٠
«وَدَّتْ الزَّانِيَةُ لَوْ زَنَى النِّسَاءُ كُلَّهُنَّ»	عثمان بن عفان	٤-٥ / ٢٤٨
«وددت أن أعمالي كفافاً»	عمر بن الخطاب	٨ / ٣٥٨
«وددت أن أعمالي كفافاً»	عمر بن الخطاب	٤-٥ / ٥٣٩

- ﴿الْوَسْوَسُ الْخَنَّاسُ﴾، قال: الشيطان جاثم
 على قلب ابن آدم عبد الله بن عباس ٤٥ / ٨
- «وَعَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ» عبد الله بن عمر ٧٧١ / ٣-١
- «وَعُمَرُ رضي الله عنه صَلَّى بِالنَّاسِ وَقَرَأَ سُورَةَ
 يُوسُفَ» عبد الله بن شداد ٣١٤ / ٣-١
- «وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا شَرِبَ مَاءَ زَمْزَمَ قَالَ:
 «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا» عبد الله بن عباس ٥٥٠ / ٣-١
- «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى
 السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ» عبد الله بن عمر
 وأبو هريرة ٨١٨ / ٣-١
- «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا» عبد الله بن عمر ٣٧٧ / ٣-١
- «وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ» عائشة بنت أبي بكر ٧٥٢ / ٧-٦
- «وَكَانَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ» الزبير بن العوام ٥٤٤ / ٥-٤
- «وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَالْنَا» سعد بن أبي وقاص ٦١٠ / ٧-٦
- «وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومٌ
 النَّفَاقِ» عبد الله بن مسعود ٥٦١ / ٣-١
- «وَلَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتًا مَمْتَلئًا رِجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ
 بْنِ الْجِرَاحِ» عمر بن الخطاب ٤٣٤ / ٥-٤
- «وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَكْرَهُ أَنْ أَهْرِيقَ دَمَكَ» علي بن أبي طالب ٣٣٤ / ٣-١
- «وَلَنِي ظَهْرُكَ» عبد الله بن عمر ١٤٧ / ٥-٤
- «وَمَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟! انْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَمَلُ.» عائشة بنت أبي بكر ٢٦٥ / ٥-٤
- «وَمُصْعَبٌ يَرُدُّ قَوْلَ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ: ﴿وَمَا
 مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾» مصعب بن عمير ١٥٣ / ٥-٤

- ٨٠٤ / ٣-١ فاطمة «يا أبتاه أجب رباً دعاه»
- بنت رسول الله ﷺ
- ٣٢٢ / ٥-٤ عمر بن الخطاب «يا ابن أخي ارفع إزارك»
- ٥٣٩ / ٥-٤ البراء بن عازب .. «يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»
- ٢٤٦ / ٣-١ سعد بن أبي وقاص . «يا أمه تعلمين، والله لو كانت لك مئة نفس»
- ٣٣٥ / ٣-١ علي بن أبي طالب «يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى:
- ﴿وَحَمَلُهُ وَفَضَلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾؟»
- «يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْشُوا عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟!»
- ٨٠٦ / ٣-١ فاطمة
- بنت رسول الله ﷺ
- ٢٣٨ / ٨ أسعد بن زراره «يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله»
- ٥٤٥ / ٥-٤ الزبير بن العوام .. «يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم»
- ١٧٤ / ٣-١ سعد بن معاذ «يا بني عبداً الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟»
- ٣٢١ / ٥-٤ عمر بن الخطاب «يا كعب وأنى لي الشهادة؟»
- ٢٥ / ٨ أنس بن مالك «يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً»
- ١٦ / ٧-٦ عبدالله بن عباس «يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ»
- ٦٥٠ / ٣-١ عبد الله بن عباس «يعني أمراء عليهن»
- ٦٤٥ / ٧-٦ عبدالله بن عباس «يقول له: لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان»
- ٦٤٦ / ٧-٦ عبدالله بن عباس «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: خَلَقْتُ عُسْرًا وَاحِدًا، وَخَلَقْتُ يُسْرَيْنِ»

		«يمسح عليهما إلى مثل ساعته من يومه وليلته»
٢٦٠ / ٨	عمر بن الخطاب
		«يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه»
٥٤٣ / ٧-٦	عبد الله بن عباس
٣٦٥ / ٥-٤	عمر بن الخطاب «يوشك أن تنقض عرى الإسلام»



صدر للمؤلف

- ١- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه الثقات والمجروحين - رسالة ماجستير، مطبوع.
- ٢- حدث غير مجرى التاريخ - رسالة دكتوراه، مطبوع.
- ٣- الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (١ - ٣)، مطبوع.
- ٤- الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (٤ - ٥)، مطبوع.
- ٥- الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (٦ - ٧)، مطبوع.
- ٦- الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (٨)، مطبوع.
- ٧- البركة كيف يحصل عليها المسلم في ماله ووقته وسائر شؤونه، مطبوع.
- ٨- كيف تلقى خطبة أو كلمة مؤثرة، مطبوع.
- ٩- التجارة والأسواق نصائح وأحكام، مطبوع.
- ١٠- خطبة الجمعة فوائد وتنبهات، مطبوع.



موسى
الذليل المستقاة

أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشقاوي، أمين بن عبد الله
موسوعة الدرر المنتقاة دروس يومية: الجزء التاسع. / أمين بن عبد الله
الشقاوي - الرياض، ١٤٣٧ هـ
٤٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم.
ردمك: ٢-١٨٠٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨
١- الوعظ والإرشاد ١- الاسلام- مجموعات أ- العنوان
ديوي ٢١٣ / ١٤٣٧ / ٨٤٥٣

رقم الإيداع: ١٤٣٧ / ٨٤٥٣
ردمك: ٢-١٨٠٤-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والله أعلم بأراد طبعه وتوزيعه تجاناً بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

حوال رقم: ٥٠٤٤٢٠٥٦٠

موسى عليه السلام
الدُّرَرُ السُّقَاةُ

دروس يومية

(٥٠) درسا للترعة والمطباو وأئمة المساهد للقراءة على الصلبي

إعداد

الدكتور زامين بن عبد الله الشقاوي

الجزء التاسع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فهذا هو الجزء التاسع من كتابي «موسوعة الدرر المنتقاة»، وقد اشتمل على خمسين كلمة نهجت في إعدادها نفس المنهج الذي سلكته في الكلمات السابقة كما بينت ذلك في مقدمة الجزء الأول من هذه الموسوعة، وقد اشتمل هذا الجزء على موضوعات في غاية الأهمية، منها: أسباب تفرق المسلمين، التشبه بالكفار، التلبس على الناس، الصراط المستقيم والأمة الوسط.. وغيرها.

وليس بخافٍ عليّ أن هذه الموضوعات وأمثالها تحتاج في بيانها وتفصيلها إلى ما هو أوسع من ذلك، غير أنني أحببت ألا يخلو الكتاب منها لأهميتها، وحاجة واقع المسلمين إليها، مع بذل الجهد إلى ذكر أصولها والإشارة إلى مراجعها، فهذا عذري للقارئ الكريم، وأملي أن يكون عذرًا مقبولًا مع انشراح صدري بقبول ما يتفضل به كل من اطلع على كتابي هذا من نصائح وتنبهات، والمسلم مرآة أخيه، والتعاون على البر والتقوى توجيه رباني كريم، والبدال على الخير كفاعله.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في أقوالنا، والصواب في أعمالنا، والإخلاص في نياتنا، وأن يردنا وإخواننا المسلمين إليه ردًا جميلًا، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر عباده المجاهدين الصادقين، وأن يقينا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ٨/٧/١٤٣٧هـ

الكلمة الأولى

«فوائد من حديث: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا استودع الله شيئاً حفظه»^(١). وفي الحديث فوائد منها:

١- مشروعية الدعاء بالحفظ، قال تعالى عن نبي الله يعقوب عليه السلام، ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٤٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند نومه: «بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنَبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٢).

(١) صحيح ابن حبان برقم ٢٦٨٢، وصححه ابن حجر العسقلاني في الفتوحات الربانية (٥/١١٣)، ورواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لقمان الحكيم كان يقول: «إن الله يرزقنا إذا استودع شيئاً حفظه» وقال محققوه: إسناده صحيح (٩/٤٣١) برقم ٥٦٠٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٣٢٠، وصحيح مسلم برقم ٢٧١٤.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوات المكروب: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

٢- مشروعية الدعاء بالاستيداع، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ودّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(٢). والسنة أن يرد عليه المسافر: «أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه»، فقد روى الطبراني في كتاب الدعاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ، فَلْيُقِلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ: أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»^(٣).

قوله: أستودع الله دينك: «أي أطلب منه حفظ دينك وأمانتك، أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر، وقيل: المراد بالأمانة: الأهل والأولاد الذين خلفهم، وقيل: المراد بالأمانة: التكاليف كلها»^(٤).

وقوله: وخواتيم عملك: قال القاري: «والأظهر أن المراد به

(١) سنن أبي داود برقم ٥٠٩٠، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٣٨٨.

(٢) سنن الترمذي برقم ٣٤٤٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث سالم بن عبد الله.

(٣) الدعاء للطبراني برقم ٥٥٧، وسنن ابن ماجه برقم ٥٢٨٢، وحسنه العراقي كما نقل ذلك الألباني رحمته الله في الكلم الطيب، ص ٩٥.

(٤) تحفة الأحوذى للمباركفوري (٩/٣٧٤).

حسن الخاتمة لأن المدار عليها في أمر الآخرة وأن التقصير فيما قبلها مجبور بحسنها»^(١).

وكان النبي ﷺ يقول في دعاء السفر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»^(٢).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه عن رسول الله ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: أَتَيْتَنِي بِالشَّهَدَاءِ أَشْهَدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَاتَّيَّنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي كَانَ أَجَلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي اسْتَوَدَعْتُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَيَّ بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ

(١) المرقاة (٤/ ١٦٩٠).

(٢) صحيح مسلم برقم ١٣٤٢.

الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِأَتِيكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ هَذَا الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»^(١).

٣- أن الله ما استودع شيئاً إلا حفظه؛ ولذلك شرع لنا نبينا ﷺ أن نستودع الله أنفس الأشياء لدينا وهي الدين والأمانة، وخواص الأعمال.

ومن القصص التي تُذكر في هذا الشأن: أن الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز لما كان في مرض موته قيل له: يا أمير المؤمنين، أفقرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم، فقال: أدخلوهم عليّ، فأدخلوهم بضعة عشر ذكراً ليس فيهم بالغ، فلما رأهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني! والله ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين، إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا أخلف له مما يستعين به على معصية الله، قوموا عني، قال الراوي: فلقد رأيت بعض ولده حمل على مئة فرس في سبيل الله، أغناه الله وأعطى من ماله مئة فرس يُجاهد عليها في سبيل الله.

(١) برقم (٢٢٩١).

ومن القصص المعاصرة: ما حدثني أحد المشايخ أن امرأتين من أقاربه كانتا على سفر، وفي بيت واحد، إحداهن وضعت الأغراض في دولابها ونسيت المفتاح، فتذكرت بعد السفر، فقالت: أستودعه الله، أما الأخرى فوضعت الأغراض وقفلت عليها بالمفتاح، فجاء اللصوص وسرقوا الأغراض المقفل عليها، ولم يسرقوا الأغراض المستودعة.

قصة أخرى: حدثني أحد أئمة المساجد أنه ذهب بسيارته إلى إحدى المحلات لشراء ما يلزم، وأوقف سيارته أمام المحل، ونظرًا لاستعجال الأمر فقد تركها تشتغل ونزل يشتري ما يلزم، فتنبه لذلك أحد اللصوص فركب السيارة وانطلق بها، يقول: فجعلت أنادي سيارتي.. سيارتي ولكن دون جدوى، فعند ذلك قلت: اللهم إني استودعتك سيارتي، وبعد فترة اتصل بي من أخبرني أن سيارتي في المكان الفلاني القريب من مكان السرقة وهي بحالة سليمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية

فوائد من حديث بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فإن البركة ما حلت في قليل إلا كثير، ولا كثير إلا نفع، وكثرة الشيء لا تدل على خيريته، بل الخير في الشيء المبارك وإن كان قليلاً، فالمبارك وإن كان قليلاً في نظر العين فإنه أفضل من الكثير في نظر العين إذا لم يكن مباركاً، وإن الكثير ليعجب إلا أنهما لا يستويان، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وهذه الحقائق العظيمة التي لا ينتفع بها إلا صاحب الفهم الثاق، واليقين الصادق، فإن البركة في الوقت كثرة الأعمال الصالحة فيه، وفي العمل العمل به وتعميم نفعه، وفي المال كفايته والقناعة به، وفي الصحة تمامها وسلامتها، وفي الأولاد صلاحهم وبرّهم، وفي الزوجة صلاحها وحسن تبعلها لزوجها، وتربيتها لأولادها، وطيب عشرتها، وحسن تدبيرها.

قال البخاري في صحيحه: باب بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا مع النبي ﷺ وولاية الأمر، ثم ذكر حديثاً أن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف أبي الزبير بن العوام يوم الجمل دعاني،

فقلت إلى جنبه، فقال: يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم،
وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني،
أفترى يُبقي دَيْننا من مالنا شيئاً، فقال: يا بني، بع ما لنا فاقض
ديني، وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير،
يقول: ثلث الثلث - فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين شيء
فثلثه لولدك، قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض
بني الزبير خبيب وعباد - وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات، قال
عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عنه في
شيء فاستعن عليه مولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت:
يا أبة من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من
دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه، فقتل الزبير
ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرّضين منها الغابة، وإحدى عشرة
داراً بالمدينة ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، قال:
وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه
إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. وما
ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوة مع
النبي ﷺ، أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، قال عبد الله بن
الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف،
قال: فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال: يا ابن أخي، كم
على أخي من الدين؟ فكتمه فقال: مائة ألف، فقال حكيم: والله
ما أرى أموالكم تسع لهذه، فقال له عبد الله: أفرأيتك إن كانت
ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم

عن شيء منه فاستعينوا بي، وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، ثم قام فقال: من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة، فاتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربع مائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئت تركتها لكم، قال عبد الله: لا، قال: فإن شئت جعلتموها فيما تؤخرون إن أحرتم، فقال عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال: لك من ها هنا إلى ها هنا، قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زمعة، فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف، قال: كم بقي، قال: أربعة أسهم ونصف، قال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، قال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، وقال ابن زمعة: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، فقال معاوية كم بقي؟ فقال: سهم ونصف، قال: قد أخذته بخمسين ومائة ألف، قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بست مائة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا، قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، قال: فكان للزبير أربع نسوة، ورفع الثلث، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئتا ألف - يعني مليونًا ومئتي ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومئتا ألف، يعني خمسين مليونًا ومئتي ألف^(١).

(١) برقم (٣١٢٩).

من فوائد الحديث السابق:

١- البركة العظيمة التي حصلت في مال الزبير بن العوام: فبعد أن توفي وهو مثقل بالدين، يفيض ماله وتكون تركته خمسون ألف ألف، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران].

٢- قوة توكل الزبير على ربه: فقد كان يوصي ابنه عبد الله ويقول: إن عجزت عن شيء من الدين فقل: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافيته.

٣- بر عبد الله بن الزبير بوالده، وحرصه على قضاء دينه، وإبراء ذمته، فقد حبس التركة أربع سنوات حتى يتأكد من عدم وجود مطالبات مالية على والده.

٤- أن المال الحلال وإن كان قليلاً في نظر العين، فإن الله يكثره ويبارك فيه، وأن المال الحرام وإن كان كثيراً في نظر العين فإن الله يمحقه، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

٥- أنه ينبغي للمؤمن أن يدعو ربه أن يبارك له في ماله، ووقته، وزوجته، وأولاده، وسائر شؤونه، وأن يجعله مباركاً أينما كان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]،

ودعا النبي ﷺ لمن أطعمه فقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ»^(١).

٦- أن من أفضل الأموال وأكثرها بركة ما يحصل من الغزو في سبيل الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٦٤٨).

الكلمة الثالثة

التحذير من اللعن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد.. فمن الذنوب العظيمة التي حَرَّمها الله ورسوله، وتوعد فاعلها في الآخرة: اللعن، واللعن: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

روى أبو داود في سننه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ»^(١).

ومن لعن مؤمناً فكأنما قتله، روى البخاري ومسلم من حيث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِناً فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^(٢).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أن قد أتى باباً من الكبائر^(٣).

(١) برقم ٤٩٠٦ وحسنه الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٧) برقم ٤١٠٠.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٠٤٧، وصحيح مسلم برقم ١١٠ مختصراً.

(٣) (٦/٣٨٠) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦٤٩.

وبين النبي ﷺ أن اللعنة إذا لم تجد لها طريقاً رجعت إلى صاحبها، روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(٢).

وبين النبي ﷺ أن اللعن ليس من صفات المؤمنين المتقين، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ

(١) برقم ٤٩٠٥ وحسنه الألباني رحمته في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٧) برقم ٤٠٩٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٩٧٣، وصحيح مسلم برقم ٩٠.

(٣) برقم ١٩٧٧ وصححه الألباني رحمته في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٩) برقم ١٦١٠.

الْقِيَامَةِ»^(١). معناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا شهداء، فيه ثلاثة أقوال أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله^(٢).

ولما قيل للنبي ﷺ ادع على المشركين، قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٣).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع العلماء»^(٤)، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإجماع منعقد على تحريم لعن المعين من أهل الفضل»^(٥).

وفي هذا الباب قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في شرحه لصحيح مسلم: قوله ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لِعَانًا، وَلَا يَكُونَ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٦). فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى

(١) برقم ٢٥٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٣٦٤).

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٩٩.

(٤) الأذكار للنووي (١/٣٥٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/١٨٥).

(٦) صحيح مسلم برقم ٢٥٩٧ ورقم ٢٥٩٨.

وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهو الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابير، وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر، ويدعو عليه، ولهذا جاء في الحديث الصحيح «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»^(١). لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى، وقيل: معنى لعن المؤمن كقتله في الإثم، وهذا أظهر^(٢).

وبين النبي ﷺ أن لعن العاصي يعين الشيطان عليه، روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»^(٣). وفي رواية: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيك»^(٤).

ونهى النبي ﷺ عن لعن أي شيء من الدواب، أو الحيوانات، أو الجمادات كالريح والحمى، والدهر، روى مسلم في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقه فضجرت فلعننها، فسمع ذلك

(١) سبق تخريجه ص ١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦ / ٣٦٤).

(٣) برقم ٦٧٨٠.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٧٨١.

رسول الله ﷺ فقال: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» (١).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً لعن الريح، وقال مسلم: أن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها، فقال النبي ﷺ: «لَا تَلْعَنَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ» (٢).

ومما تقدم يتبين لنا أن اللعن كبيرة من كبائر الذنوب، ويخشى على فاعلها من العقوبة في الدنيا والآخرة، وأن ما يفعله بعض شبابنا اليوم من تبادل بعضهم التحية بالتلاعن هو أمر منكر وخطير جداً، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] [ق].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (٣). ولذلك فإن من الواجب على الآباء والأمهات تحذير الأطفال منه حتى لا يعتادوا عليه إذا كبروا، وكثير من الناس في البادية وغيرها يكتنون عن اللعنة بقولهم: الكلمة الشينة، تنزيهاً لألسنتهم عن النطق بها، وهذا دليل على سلامة الفطرة، وتزكية النفس، وتطهير اللسان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٥٩٥.

(٢) سنن أبي داود برقم ٤٩٠٨، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٧) برقم ٤١٠٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٤٧٧، وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٨.

الكلمة الرابعة

تأملات في حديث النبي ﷺ: أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»^(١).

وروى أبو يعلى في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مُعْتَرِكُ^(٢) الْمَنَايَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ»^(٣).

وإذا بلغ الإنسان الستين، فقد أعذر الله إليه في العمر، قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٧٣]. وبوب البخاري: باب من بلغ ستين فقد أعذر الله إليه في العمر، ثم ساق بسنده إلى أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى أَمْرِي آخِرَ أَجَلِهِ حَتَّى بَلَغَهُ سِتِينَ سَنَةً»^(٤).

(١) برقم ٣٥٥٠، وحسنه ابن حجر رحمته كما في فتح الباري (١١/ ٢٤٠).

(٢) أي موضع القتال أو موضع العراك والمعاركة، فكأن هذا السن ميدان حرب يكثر فيها الموت.

(٣) برقم ١٥٤٢ وصححه الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٢).

(٤) برقم ٦٤١٩.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي: «اختلف أهل التفسير في المراد بالنذير، فالأكثر على أنه المشيب؛ لأنه يأتي في سن الكهولة فما بعدها، وهو علامة لمفارقة سن الصبي الذي هو مظنة اللهو.

وقوله في الحديث: أعذر الله: «الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، يقال: أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكته منه، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية»^(١).

قال ابن بطال: «وإنما كانت الستون حدًا لهذا لأنها قريبة من المعتكرك وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية، فهذا إعذار بعد إعذار لطفًا من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمثلوا ما أمروا به من الطاعة، وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية، وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل»^(٢).

قال بعض الحكماء: «الأسنان أربعة: سن الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان، وغالب

(١) فتح الباري (١١/٢٣٩).

(٢) فتح الباري (١١/٢٤٠).

ما يكون ما بين الستين والسبعين، وحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة»^(١).

وخير الناس من طال عمره وحسن عمله، روى الترمذي في سننه من حديث نفيح بن الحارث رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أي الناس خير؟ قال: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ»، قِيلَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرُّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه، قال: كان رجلان من بلي حي من قضاة أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله رضي عنه: فأريت الجنة فرأيت فيها المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، أو ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافٍ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ»^(٣).

ومن فوائد الحديث:

١- أن من بلغ الستين فقد أعذر الله إليه في العمر، فإن أعظم حدث في حياة الإنسان الموت، وانقضاء الأجل، ومفارقة الأهل والمال والولد، ولذلك عليه أن يكثر من الطاعات والقربات والاستغفار لعله يختم له بعمل صالح.

(١) فتح الباري (١١/٢٤٠).

(٢) برقم ٢٣٣٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٤/١٢٧) برقم ٨٣٩٩ وقال محققوه: إسناده حسن.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عتبة الخولاني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ^(١)؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»^(٢). وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(٣).

٢- من مد الله له في العمر فزاد على الستين، فهذه نعمة من الله تستوجب الشكر، ويكون ذلك بالإقبال على الله والدار الآخرة والحرص على كثرة الذكر والبعد عن المعاصي.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن شداد رضي الله عنه، أن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي ﷺ فأسلموا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَكْفِينِيهِمْ؟»، قَالَ طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُمْ فَاسْتَشْهَدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا فَبَعَثَ فِيهِمْ آخَرَ فَاسْتَشْهَدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّلَاثُ عَلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: قَالَ طَلْحَةَ: فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ أَحْيَا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ أَوْلَاهُمْ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ

(١) قال ابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٣٠٢): قوله عسله: أراه مأخوذاً من العسل، شبه العمل الصالح الذي يفتح للبعد حتى يرضى الناس عنه ويطيب ذكره فيهم بالعسل.

(٢) (٣٢٣/٢٩) برقم ١٧٧٨٤ وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٤٩٣، وصحيح مسلم برقم ٢٦٥١ واللفظ للبخاري.

اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ» (١).

وهذا يدل على عظم فضل من طال عمره، وحسن عمله، ولم يزل لسانه رطباً من ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (٤٦) [الكهف].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ». قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «التَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (٢).

فَاتِنْدَةٌ:

قال الشيخ العلامة الألباني رحمته الله عن نفسه بعد أن تجاوز الرابعة والثمانين في تعليقه على حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ» (٣) قال ابن عرفة: وأنا من ذلك الأقل، فعلق الشيخ رحمته الله قائلاً: «وأنا أيضاً من ذلك الأقل، فقد تجاوزت الرابعة والثمانين سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن أكون ممن طال عمره وحسن عمله، ومع ذلك فإني أكاد أتمنى الموت لما أصاب المسلمين من الانحراف عن الدين والذل الذي نزل بهم حتى من الأذلين، ولكن حاشا أن أتمنى، وحديث أنس ما يزال

(١) مسند الإمام أحمد (٣/١٩) برقم ١٤٠١، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) (١٨/٢٤١) برقم ١١٧١٣، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٣) سبق تخريجه.

أمامي منذ نعومة أظفاري، فليس لي إلا أن أقول كما أمرني
نبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا
كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(١)، وداعياً بما علمنيه ﷺ: «اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا
بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا»^(٢).

وقد تفضل سبحانه فاستجاب ومتعني بكل ذلك، فهذا أنا
لا أزال أبحث وأحقق وأكتب بنشاط قل مثيله، وأصلي النوافل
قائماً، وأسوق السيارة بنفسي المسافات الشاسعة.

أقول ذلك من باب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿١١﴾ [الضحى]،
راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن يزيدني من فضله فيجعل
ذلك كله الوارث مني، وأن يتوفاني مسلماً على السنة التي نذرت
لها حياتي دعوة وكتابة، ويلحقني بالشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقاً»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٥١ وصحيح مسلم برقم ٢٦٨٠.
(٢) سنن الترمذي برقم ٣٥٠٢ وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ
(٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٣.
(٣) صحيح الموارد إلى زوائد ابن حبان للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٢/٤٦٤) باختصار.

الكلمة الخامسة

نواقض الوضوء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

فالآية الكريمة أوجبت الوضوء للصلاة، وبينت الأعضاء التي يجب غسلها أو مسحها في الوضوء، وبين النبي ﷺ صفة الوضوء بقوله وبفعله بيانًا كافيًا.

«والوضوء له نواقض: وهي إما أحداث تنقض الوضوء بنفسها كالبول والغائط، وإما أسباب للأحداث بحيث إذا وقعت تكون مظنة لحصول الأحداث، كزوال العقل، والنوم، والإغماء، فإن زائل العقل لا يحس بما يحصل منه، فأقيمت المظنة مقام الحدث، فإلى التفاصيل:

١- الخارج من السبيلين: أي من مخرج البول والغائط، والخارج من السبيلين إما أن يكون بولاً أو منياً، أو مذيًا، أو دم استحاضة، أو غائطًا، أو ريحًا، فإن كان الخارج بولاً، أو غائطًا فهو ناقض للوضوء بالنص والإجماع، قال تعالى في موجبات

الوضوء: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦].

روى النسائي والترمذي في سننهما من حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَلَّا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ»^(١)، وإن كان منياً أو مذيّاً فهو ينقض الوضوء بدلالة الأحاديث الصحيحة، وحكى الإجماع على ذلك ابن المنذر وغيره.

روى البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه قال: كنت رجلاً مذاءً، فأمرت رجلاً أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمكان ابنته، فسأل فقال: «تَوَضَّأَ وَاغْسَلَ ذَكَرَكَ»^(٢)، وفي رواية الترمذي: «مِنَ الْمَذْيِ الْوُضُوءُ، وَمِنَ الْمَنِيِّ الْغُسْلُ»^(٣).

وكذلك ينقض الوضوء خروج دم الاستحاضة وهو دم فاسد، لا دم حيض، لحديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي، فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ»^(٤)، وكذلك السائل الذي يخرج من المرأة، فهو وإن كان طاهرًا إلا أنه يجب الوضوء منه لأنه خارج من السبيل.

وكذلك ينقض الوضوء خروج الريح بدلالة الأحاديث الصحيحة وعليه الإجماع، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما

(١) سنن النسائي برقم ١٢٧، والترمذي برقم ٩٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦٩، وصحيح مسلم برقم ٣٠٣.

(٣) برقم ١١٤ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم ٣٠٦، وصحيح مسلم برقم ٣٣٣.

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم فيمن شك هل خرج منه ريح أم لا: «لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا»^(٢)، أما ما يظنه بعض العامة أنه عند الحدث بخروج الريح لا بد له من الاستنجاء فهذا ليس بصحيح، وإنما يكفي بالوضوء فقط.

وأما الخارج من البدن من غير السبيلين كالدم، والقيء، والرعاف، فموضع خلاف بين أهل العلم، هل ينقض الوضوء أم لا؟ على قولين: والراجع أنه لا ينقض، لكن لو توضأ خروجًا من الخلاف فهو حسن»^(٣).

٢- من النواقض زوال العقل أو تغطيته، وزوال العقل يكون بالجنون ونحوه، وتغطيته يكون بالنوم أو الإغماء ونحوهما، فمن زال عقله أو غُطي بنوم ونحوه انتقض وضوؤه لأن ذلك مظنة خروج الحدث وهو لا يحس به، إلا يسير النوم، فإنه لا ينقض الوضوء لأن الصحابة رضي الله عنهم كان يصيبهم النعاس وهم ينتظرون الصلاة، وإنما ينقضه النوم المستغرق جمعًا بين الأدلة.

٣- ومن نواقض الوضوء أكل لحم الإبل سواء كان قليلاً أو كثيراً، نياً أو مطبوخاً، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر ابن سمرة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ». قَالَ: أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٥، وصحيح مسلم برقم ٢٢٥.

(٢) صحيح مسلم برقم ٣٦١.

(٣) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٦١).

الإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ. فَتَوَضَّأَ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ»^(١). قال الإمام أحمد: فيه حديثان صحيحان عن رسول الله ﷺ.

٤- مس الفرج باليد قبلاً كان أو دبراً من نفسه أو من غيره من غير حائل؛ لأنه مع الحائل لا يعد مساً، واختلف العلماء في ذلك، فقال الجمهور: مس الذكر ناقض للوضوء سواء كان بشهوة أو بغير شهوة ذكرًا كان أو أنثى، واحتجوا بحديث بسرة بنت صفوان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(٢).

وروى ابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَفْضَى أَحَدُكُمْ بِيَدِهِ إِلَى فَرْجِهِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا سِتْرٌ وَلَا حِجَابٌ، فَلْيَتَوَضَّأْ»^(٣).

وروى أبو داود من حديث طلق بن علي رضي الله عنه قال: سُئِلَ النبي ﷺ عن مس الرجل ذكره بعدما يتوضأ؟ قال: «هَلْ هُوَ إِلا بَضْعَةٌ مِنْهُ؟»^(٤).

قال ابن حجر نقلاً عن البيهقي قوله: «يكفي في ترجيح حديث بسرة على حديث طلق بن علي أنه لم يخرجها صاحبها الصحيح ولم يحتجوا بأحدٍ من رواته، وقد احتجوا بجميع رواة حديث بسرة،

(١) برقم ٣٦٠.

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٥/٢٧٠) برقم ٢٧٢٩٤، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) برقم ١١١٥ وحسنه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة ١٢٣٥.

(٤) سنن أبي داود برقم ١٨٢، وقال الشيخ الألباني رحمته الله في المشكاة ٣٢٠:

إلا أنهما لم يخرجاه للاختلاف فيه على عروة، وعلى هشام بن عروة^(١).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «قد سألنا عن قيس بن طلق فلم نجد من يعرفه بما يكون لنا قبول خبره»، وقال أبو حاتم: «قيس بن طلق ليس فيمن تقوم به حجة، ووهاه»^(٢).

وقالوا: إن حديث طلق موافق لما كان الأمر عليه قبل ورود بسرة بنت صفوان من البراءة الأصلية، وحديث بسرة ناقل عنها.

وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة، فقد سُئِلت عن هذه المسألة، فكان الجواب: الراجح من أقوال العلماء في هذه المسألة قول الجمهور وهو نقض وضوء من مس ذكره؛ لأن حديث «مَا هُوَ إِلَّا بَضْعَةٌ مِنْكَ» ضعيف، لا يقوى على معارضة الأحاديث الصحيحة الدالة على أن من مس ذكره فعليه الوضوء، والأصل أن الأمر للوجوب وعلى تقدير عدم ضعفه فهو منسوخ بحديث: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(٣).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	عضو	عضو
عبدالعزیز بن باز	عبدالرزاق عقیفی	عبد الله بن غديان

(١) تلخیص الحبیر لابن حجر العسقلانی رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٤٧).

(٢) تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی رَحِمَهُ اللهُ (٣/٤٥٠).

(٣) فتاوی اللجنة الدائمة (٥/٢٦٤-٢٦٥) برقم ٦٩٩٠.

وأما مس المرأة فالراجح أنه لا ينقض الوضوء إذا لم ينزل منه شيء، فقد ثبت في سنن أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَبَّلَهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ^(١).

وأما خروج الهواء أو الرطوبة من فرج المرأة، فالصحيح أنه لا ينقض الوضوء اعتماداً على البراءة الأصلية، ولم يرد دليل على أنه ينقض الوضوء.

وأما الودي، وهو السائل الذي يخرج من الذكر بعد البول مباشرة، لا يوجب الغسل، ولكنه نجس لأنه يخرج من سبيل الحدث، وحكمه كالبول يجب الوضوء منه.

وأما خلع الخف، فهل ينقض الوضوء؟ فيه خلاف بين أهل العلم، والراجح أن الوضوء صحيح ولا شيء عليه، والدليل على ذلك أنه موافق لعمل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد ثبت عنه أنه أحدث ثم توضعاً ومسح على نعليه، ثم خلعهما وصلى^(٢).

ومن الأدلة أيضاً موافقته للنظر الصحيح، فإنه لو مسح على رأسه ثم حلق لم يجب عليه أن يعيد المسح، بل له الوضوء، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله^(٣).

أما القسطرة البولية، وهي أن يوضع للمريض في مجرى

(١) برقم ١٧٩ وصححه الألباني رحمته الله في سنن أبي داود برقم ١٦٥.

(٢) مصنف عبدالرزاق (٣٨٧-٤٨٧)، قال الألباني رحمته الله: صحيح.

(٣) اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ص ١٥ باختصار.

البول قسطار، ومعنى القسطار: ماسور بلاستيكي حتى يخرج البول عن طريقه، وذلك بسبب احتباس البول وعدم خروجه، فهذا يجب عليه أن يتوضأ لوقت كل صلاة، ولا بأس أن يصلي وهو حامل لذلك الكيس، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وكذلك ينقض الوضوء مس الأم لفرج ابنها الصغير، سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء، تقول السائلة: هل لمس عورة صغيري أثناء تغيير ملابسه ينقض وضوئي؟

الجواب: لمس العورة بدون حائل ينقض الوضوء، سواء كان الملموس صغيراً أو كبيراً، لما ثبت أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(١)، وَفَرَجِ الْمَمْسُوسِ مِثْلُ فَرَجِ الْمَاسِ^(٢).

وبقيت مسألة مهمة وهي: من تيقن الطهارة ثم شك في حصول ناقض من نواقضها ماذا يفعل؟

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخْرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا؟ فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا»^(٣).

«فدل هذا الحديث الشريف وما في معناه على أن المسلم إذا تيقن الطهارة وشك في انتقاضها أنه يبقى على الطهارة لأنها

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٥/ ٢٦٥) برقم ١٠٤٤٧.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٧٦، وصحيح مسلم برقم ٣٦٢ واللفظ له.

الأصل ولأنها متيقنة، وحصول الناقض مشكوك فيه، واليقين لا يزول بالشك، وهذه قاعدة في جميع الأشياء أنها تبقى على الأصل حتى يتيقن خلافها، وكذلك العكس، فإذا تيقن الحدث وشك في الطهارة فإنه يتوضأ لأن الأصل بقاء الحدث فلا يرتفع بالشك»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٦٢-٦٣).

آداب قضاء الحاجة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الدين الإسلامي دين كامل ما ترك شيئاً مما يحتاجه الناس في دينهم وديناهم إلا بينه، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٨٣]. ومن ذلك آداب قضاء الحاجة لتمييز الإنسان الذي كرمه الله عن الحيوان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وهناك آداب شرعية تُفعل عند دخول الخلاء، وحال قضاء الحاجة، فمن ذلك:

١- أن يقول عند دخول الخلاء: «بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»، فقد روى الترمذي في سننه من حديث علي بن أبي طالب رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنَّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»^(١).

(١) برقم ٦٠٦ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير ٣٦١٠.

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ (١) وَالْخَبَائِثِ» (٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: «عُفْرَانِكَ» (٣).

٢- إذا أراد أن يقضي حاجته في فضاء -أي في محل غير مُعد لقضاء الحاجة- فإنه يستحب له أن يبعد عن الناس بحيث يكون في مكان خال، ويستتر عن الأنظار بحائط، أو شجرة، أو غير ذلك.

فقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ (٤) (٥).

٣- عليه ألا يستقبل القبلة أو يستدبرها حال قضاء الحاجة، بل ينحرف عنها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا

(١) الخبث: ذكران الشياطين وإناثهم، قاله الخطابي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (١/ ١٢)، والخبائث: المعاصي، وقيل مطلق الأفعال المذمومة.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٤٢، وصحيح مسلم برقم ٣٧٥.

(٣) سنن أبي داود برقم ٣٠ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٩) برقم ٢٣.

(٤) برقم ١ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤) برقم ١.

(٥) ومعناه: إذا أراد قضاء حاجته أكثر المشي حتى يبعد عن الناس في موضع ذهابه.

الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا»^(١).

قال أبو أيوب: فقدمنا الشام، فوجدنا مراحيض قد بنيت قبل القبلة، فنحرف عنها ونستغفر الله؟ قال: نعم^(٢).

٤- لا يجوز له أن يمس فرجه بيمينه، وكذلك لا يجوز له أن يقضي حاجته في طريق الناس، أو في ظلهم، أو موارد مياههم، لنهي النبي ﷺ عن ذلك لما فيه من الأضرار بالناس وأذيتهم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَمَسَّحُ بِيَمِينِهِ»^(٣).

ولما روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لظهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَانِينَ»، قالوا: وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»^(٥).

ولا يدخل موضع الخلاء بشيء فيه ذكر الله تعالى، أو فيه

(١) صحيح البخاري برقم ٣٩٤، وصحيح مسلم برقم ٢٦٤.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٦٤.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٥٣، وصحيح مسلم برقم ٢٦٧.

(٤) سنن أبي داود برقم ٣٣ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود

(٩/١) برقم ٢٦.

(٥) برقم ٢٦٩.

قرآن، فإن خاف على ما معه مما فيه ذكر الله جاز له الدخول ويغطيه، ولا ينبغي له أن يتكلم حال قضاء الحاجة، فقد ورد في الحديث الذي حسنه بعض أهل العلم النهي عن ذلك، ويحرم عليه قراءة القرآن، ولا يشرع له رد السلام، فقد روى أبو داود في سننه من حديث المهاجر بن قنفذ رضي عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبُول، فسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ، ثُمَّ اعْتَدَرَ، فَقَالَ: «إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ، أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارَةٍ»^(١).

٥- عليه أن ينظف المخرج بالاستنجاء بالماء، أو الاستجمار بالأحجار، أو ما يقوم مقامهما، وإن جمع بينهما فهو أفضل، وإن اقتصر على أحدهما كفى، والاستجمار يكون بالأحجار أو ما يقوم مقامهما من الورق الخشن، أو المناديل أو الخرق ونحوهما مما ينقي المخرج وينشفه.

ويشترط ثلاث مسحات متعينة فأكثر إذا أراد الزيادة، ولا يجوز الاستجمار بالعظام ورجيع الدواب أي: روثها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنها طعام إخواننا من الجن، فقد روى أبو داود في سننه من حديث خزيمة بن ثابت رضي عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستطابة^(٢)، فقال: «بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ لَيْسَ فِيهَا رَجِيعٌ»^(٣).

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للجن: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ

(١) برقم ١٧ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم (١٣).

(٢) الاستجمار.

(٣) برقم ٤١ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١١/١) برقم ٣٢.

ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ، أَوْ فَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ
بَعْرَةٍ عَافٍ لِدَوَابِّكُمْ»^(١).

٦- عليه أن يتنزه من البول، ويبحث عن المكان الذي ليس
بصلب حتى لا يرتد عليه، فإن عامة عذاب القبر من عدم التنزه
من البول، فقد ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ
مِنْ كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا
أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»^(٢)^(٣)، وفي رواية: «لَا يَسْتَنْزَهُ عَنِ
الْبَوْلِ»^(٤).

وهنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أن بعض العوام يظن أن
الاستنجاء من الوضوء، فإذا أراد أن يتوضأ بدأ بالاستنجاء، ولو
كان قد استنجى سابقاً بعد قضاء الحاجة، وهذا خطأ، فإنه ليس
من الوضوء، والاستنجاء فعله بعد الفراغ من قضاء الحاجة،
ولا داعي لتكراره، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾
[الحج: ٨٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



- (١) صحيح البخاري برقم ٣٨٥٩، وصحيح مسلم برقم ٤٥٠.
(٢) صحيح البخاري برقم ١٣٧٨، وصحيح مسلم برقم ٢٩٢.
(٣) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٢٩-٣٣) بتصرف.
(٤) صحيح مسلم برقم ٢٩٢.

الكلمة السابعة

من آداب المجالس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد ذكر أهل العلم آداباً للمجالس ينبغي تعلمها وتطبيقها لأنها مستمدة من الوحيين: الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم]. وهي كثيرة نقتصر على ذكر أهمها، فمن ذلك:

١- أن المؤمن إذا دُعي إلى طعام فينبغي ألا يثقل على صاحب الوليمة بالجلوس، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والمرجع إليه في تحديد ذلك وغيره مما سيأتي، ما تعارف عليه العرب من العادات الفاضلة والأخلاق الكريمة، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف].

وقال النبي ﷺ لما سُئل عن معادن العرب: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم ٤٦٨٩، وصحيح مسلم برقم ٢٣٧٨.

٢- السلام على أهل المجلس عند القدوم والانصراف،
 روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ
 فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ فَلْيَسِتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(١).

٣- ألا يقيم أحد من مجلسه ثم يجلس مكانه، روى البخاري
 ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم
 نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرٌ، وَلَكِنْ تَفْسَحُوا
 وَتَوَسَّعُوا، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي عنهما يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم
 يجلس مكانه^(٢).

٤- ألا يفرق بين اثنين، روى أبو داود في سننه من حديث
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا»^(٣).

٥- أن يجلس حيث يجلسه صاحب المنزل، فهو أعرف
 بما يناسب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود
 الأنصاري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَا يَوْمُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ فِي
 سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»^(٤).

(١) برقم ٢٧٠٦، وقال: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٢٧٠، وصحيح مسلم برقم ٢١٧٧.

(٣) سنن أبي داود برقم ٤٨٤٥، وحسنه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم
 ٢٣٨٥.

(٤) جزء من حديث برقم ٦٧٣.

٦- من رجع إلى مجلسه بعد أن قام منه فهو أحق به، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ»^(١).

٧- النهي عن الاتكاء على راحة اليد اليسرى خلف الظهر، روى أبو داود في سننه من حديث الشريد بن سويد رضي عنه قال: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِي الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ: «لَا تَقْعُدُ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»^(٢).

٨- حفظ السمع والبصر واللسان، فلا ينظر إلى ما لا يحل، ولا يتجسس على أهل الدار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا»^(٣)، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما أن

(١) (٢١٨/١٣) برقم ٧٨١٠، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) سنن أبي داود برقم ٤٨٤٨، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٩١٩/٣) برقم ٤٠٥٨.

(٣) الفرق بين التجسس والتحسس، قيل التجسس بالجيم: البحث عن عورات النساء، وبالحاء الاستماع لحديث القوم، ويروى عن ابن عباس رضي عنه أنه سئل عن الفرق بينهما فقال: لا يبعد أحدهما عن الآخر التحسس في الخير، والتجسس في الشر. موسوعة الأخلاق، الدرر السنية.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٣.

النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكَ»^(١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٣).

٩- مراعاة أدب الحديث، كحسن الاستماع والإنصات، وعدم المقاطعة أو الاستئثار بالحديث، أو رفع الصوت، أو كثرة الضحك، أو الانشغال عن الضيوف بالجوال أو غيره من الأمور التافهة.

١٠- عدم إفشاء أسرار المجالس، روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا حَدَّثَ الْإِنْسَانُ حَدِيثًا، وَالْمُحَدَّثُ يَلْتَفِتُ حَوْلَهُ، فَهُوَ أَمَانَةٌ»^(٤).

١١- وينبغي للجالس إذا سمع درسًا علميًا، أو موعظة، أو حديثًا نافعًا أن يصغي إليه ويحسن الاستماع ولا ينشغل عنه بالحديث بمن حوله، أو جواله، أو يشوش المجلس بالاتصالات أو باستقبالها.

١٢- الاستفادة من أهل الفضل الذين في المجلس، سواء

(١) الآنك: الرصاص المذاب.

(٢) برقم ٧٠٤٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦١٣٦، وصحيح مسلم برقم ٤٧.

(٤) برقم ٤٨٦٨، وحسنه الألباني رحمته في صحيح سنن أبي داود (٩٢٢ / ٣) برقم

كانوا من المشايخ أو طلبة العلم، أو من كبار السن، أو ممن لهم تجارب في الحياة، فقد لا تتيسر الفرصة للالتقاء بهم مرة أخرى، وقد ينفع الله بذلك المجلس، كان الإمام البخاري في مجلس إسحاق بن راهويه أمير المؤمنين في الحديث، فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال البخاري: فوقع في قلبي فأخذت في جمع الصحيح^(١).

١٣- ترك التفاخر، ومدح النفس، وحب الظهور في المجالس، والتواضع في ذلك، لا كما يفعل بعضهم فيحدث الناس بما يملك من أموال، وكم بلد سافر إليه، وكم من كتاب قرأه، أو التنقص من بعض الناس أو بعض المدن أو القبائل، أو الفخر بالأحساب، أو غير ذلك مما لا فائدة فيه إلا كسر قلوب الآخرين، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عياض المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠١).

(٢) برقم ٢٣٥٢، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٥) برقم ١٩١٧.

(٣) برقم ٢٨٦٥.

قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير^(١).

١٤- كفارة المجلس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١١/١٧٧-٣٥٦).

(٢) برقم ٣٤٣٣ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٣) برقم ٢٧٣٠.

فضل الإصلاح بين الناس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الأعمال العظيمة التي حث عليها الإسلام ورغب فيها: الصلح بين الناس، فالإسلام دين المحبة، والاجتماع، والتألف بين المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، قال: «هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به» (١).

وأخبر النبي ﷺ أن الذي يصلح بين الناس يكتب له أجراً عظيماً، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِن دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟» فَأُلُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ

(١) تفسير الطبري رَحِمَهُ اللهُ (٤/٢٥٣٩).

فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»^(١). وفي رواية: «لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»^(٢).

وبالإصلاح تحقق أخوة الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣).

ومعنى: تعدل بين الاثنيين أي تصلح بين الاثنيين، والإصلاح يشمل الصلح بين القبائل والأقارب والجيران والأزواج والعمال ومكفوليتهم والآباء وأبنائهم، سواء كان ذلك في الأموال، أو الدماء، أو الأقوال والأفعال أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ٨٢١].

والنبي صلى الله عليه وسلم ضرب المثل الأعلى في الصلح بين المسلمين، وهذه بعض الأمثلة: روى البخاري في صحيحه أن أهل قباء

(١) (٥٠٠/٤٥) برقم ٢٧٥٠٨ وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) سنن الترمذي برقم ٢٥١٠، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير ٣٣٦١.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٨٩١، وصحيح مسلم برقم ١٠٠٩ واللفظ له.

اقتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث كعب ابن مالك رضي الله عنه أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَدَرْدٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ: «يَا كَعْبُ»، قَالَ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشُّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، قَالَ كَعْبُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ فَأَقْضِهِ»^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضى الله سبحانه ورضى الخصمين، فهذا أعدل

(١) برقم ٢٦٩٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٧٠٥، وصحيح مسلم برقم ١٥٥٧.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٧١، وصحيح مسلم برقم ١٥٥٨.

الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل فيكون المصلح عالماً بالوقائع، عارفاً بالواجب، قاصداً للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم»^(١).

وقد رخص الشارع بالكذب في الصلح لإزالة الوحشة بين المتخاصمين، وعودة المحبة والألفة بين المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث أم كلثوم رضي عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». زاد مسلم قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس كذبا إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها^(٢).

قال الخطابي: «هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق طلباً للسلامة ودفعاً للضرر، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد لما يرجى فيه من الإصلاح الكبير»^(٣).

«فأما الكذب في الحرب فهو أن يظهر في نفسه قوة ويتحدث بما يقوي به أصحابه ويكيد به عدوه، وأما الكذب بين الزوجين فمثل أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٠٩-١١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦٩٢، وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٥، والزيادة له.

(٣) معالم السنن (٤/٣٢١).

لتصلح العلاقة بينهما وهي كذلك»^(١).

ومن فوائد الصلح:

- ١- تحل المودة محل القطيعة، والمحبة محل الكراهية.
 - ٢- الإصلاح بين الناس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو والمغفرة.
 - ٣- اكتساب الحسنات ورفع الدرجات.
 - ٤- تستقيم حياة المجتمع، ويتفرغ للعمل المثمر.
 - ٥- سعادة القلوب، وراحة النفوس من الشحناء والغل والحقد.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) منهل الفوائد، موضوعات متنوعة للشيخ صالح الخضير، ص ٣٠٩.

وقفات مع حديث: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» ^(١).

قال ابن التين: «هو سبحانه خصم لجميع الظالمين، إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح» ^(٢).

هذا الحديث اشتمل على أمور ثلاث:

الأولى: قوله في الحديث: رجل أعطى بي ثم غدر: المراد أعطى بيمينه أي عاهد عهداً وحلف عليه بالله ثم نقضه، والغدر من الصفات الذميمة، لا يتحلى بها إلا فاقد الإيمان من كافر مشرك، ويهودي، ونصراني ومنافق، ومن أخذ صفاتهم من المسلمين.

(١) برقم ٢٢٢٧.

(٢) فتح الباري (٤/٤١٨).

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ حَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١). وقال مسلم في صحيحه: «إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»^(٢) مكان: إذا أُوْتِمِنَ خان.

والغادر يحمل لواء غدرة يوم القيامة خزيًا وعارًا بين الخلائق، ويكفيه أن الله خصمه يوم القيامة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةٌ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»^(٣). وفي رواية مسلم: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

والغادر يعامله الله بعكس مقصوده، فلا يتم له أمر، والجزاء من جنس العمل، لما حلف محمد الأمين للمؤمنون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول: خذني الله إن خذلت، فقال ذلك ثلاث مرات، قال الفضل بن الربيع: قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله الحرام: يا أبا العباس أجد نفسي أن أمري لا يتم، فقلت له: ولم ذلك أعز الله الأمير؟ قال: لأنني

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤، وصحيح مسلم برقم ٥٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ٥٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٨٨، وصحيح مسلم برقم ١٧٣٥ واللفظ له.

(٤) برقم ١٧٣٨.

كنت أحلف وأنا أنوي الغدر، وكان كذلك لم يتم أمره^(١).

قال الأشبهي: «كم أوقع الغدر في المهالك من غادر، وضافت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر، وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر»^(٢)، ويكفي الغادر سخطاً وغضباً أن يكون الله خصمه يوم القيامة.

الثانية: قوله ﷺ: «ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه»: قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود»^(٣)، قال المهلب: «وإنما كان إثمه شديداً لأن المسلمين أكفاء في الحرية، فمن باع حرّاً فقد منعه التصرف فيما أباح الله له وألزمه الذل الذي أنقذه الله منه»^(٤).

الثالثة: قوله ﷺ: «ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»: قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وهو في معنى من باع حرّاً فأكل ثمنه؛ لأنه استوفى منفعتة بغير عوض، وكأنه أكلها؛ ولأنه استخدمه بغير أجره وكأنه استعبده»^(٥).

ولذلك نجد أن بعض الناس عنده أناس يعملون عنده، إما خدام أو سائقين أو موظفين، أو غير ذلك من المهن الأخرى، ويمكن

(١) المستطرف (١/ ٣٠١).

(٢) المستطرف (١/ ٢٩٩).

(٣) فتح الباري (٤/ ٤١٨).

(٤) فتح الباري (٤/ ٤١٨).

(٥) فتح الباري (٤/ ٤١٨).

بعضهم أشهر أو ربما سنوات وله استحقاقات مالية من رواتبه لم تُصرف له، وربما تحايل عليه، أو هدهد بإرجاعه إلى بلده إذا اشتكى إلى الجهات المختصة.. أو غير ذلك من الحيل، كل هذا سحت يأكله صاحبه سحتًا.

وعلى خلاف ذلك، فإن الله يبارك لمن وفي الأجرء أجرهم ويخلف عليهم أفضل مما أنفقوا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممَّن كان قبلكم، حتى أوا المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنحيكُم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم،... فقال أحدُهم: اللهم إني استأجرتُ أجراء فأعطيتُهُم أجرهم غير رجلٍ واحد ترك الذي له وذهب فثمرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إليّ أجري، فقلتُ له: كلُّ ما ترى من أجرك؛ من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلتُ: إني لا أستهزئ بك فأخذه كله، فاستأفه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءً وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فأنفرت الصخرة، فخرجوا يمشون»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم ٢٢٧٢، وصحيح مسلم برقم ٢٧٤٣.

من فوائد الحديث :

- ١- أن الغدر دليل على خسة النفس وحقارتها.
 - ٢- أن من كان الله خصمه يوم القيامة هلك وخسر.
 - ٣- أن الغادر ممقوت من الله والملائكة والناس أجمعين.
 - ٤- أن أكل المال الحرام من أعظم الذنوب عند الله؛ ولذلك كان وعيده أن الله تعالى خصمه يوم القيامة.
- والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



فضل الرباط في سبيل الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
فإن من أفضل الطاعات، وأجل القربات التي يدفع الله بها عن المسلمين الشرور الكثيرة، وتتحقق بها المصالح العظيمة، الرباط في سبيل الله.

والمقصود بالرباط: «هو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من أعداء الإسلام، والمرابط هو المقيم فيها، المعد نفسه للجهاد في سبيل الله والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين»^(١).

قال ابن عطية: «والقول الصحيح هو أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سُمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً، فارساً كان أو راجلاً»^(٢).

قال في فتح الباري: «والرباط هو: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار وحراسة المسلمين منهم»^(٣).

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٨ / ٨١ - ٨٢).

(٢) المحرر الوجيز (١ / ٥٦٠).

(٣) (٦ / ٨٥).

وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل الرباط في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

قال بعض المفسرين: «المرابطة هنا: مرابطة المجاهدين في نحر العدو، وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين»^(١).

والرباط من أفضل الأعمال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رِبَاطٌ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رِبَاطٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ»^(٣).

والميت يختم له على عمله إلا المرابط في سبيل الله، روى الترمذي في سننه من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمَّنُ مِنْ فِتَانِ الْقَبْرِ»^(٤).

قال القرطبي: «وفي هذين الحديثين دليل على أن الرباط

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير رحمته الله ص ٢٦٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٨٩٢، وصحيح مسلم برقم ١٨٨١.

(٣) برقم ١٩١٣.

(٤) برقم ١٦٢١ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١)، فإن الصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه؛ ينقطع ذلك بنفاد الصدقات، وذهاب العلم، وموت الولد، والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة؛ لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يُتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين، وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة»^(٢).

والمرابط يؤمن من الفزع الأكبر، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، وَوَقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَأُؤْمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ وَرِيحٌ بَرِّزِقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ»^(٣) وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُرَابِطِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

وعينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين

(١) برقم ١٦٣١.

(٢) تفسير القرطبي (٥/٤٨٩).

(٣) أي يؤتى له برزقه من الجنة في أول النهار وآخره.

(٤) (١٣٧/١٥) برقم ٩٢٤٤، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

باتت تحرس في سبيل الله، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنُ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: هل الأفضل المجاورة بمكة أو بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو بمسجد الأقصى؟ أو بثغر من الثغور لأجل الغزو؟

فأجاب رحمته الله: «المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة، وقال أيضًا: ما أعلم في ذلك خلافًا بين العلماء^(٢)، وليست هذه المسألة عند من يعرف دين الإسلام، ولكن لكثرة ظهور البدع في العبادات وفساد في الأعمال صار يخفى مثل هذه المسألة عن كثير من الناس، فالثغور هي البلاد المتاخمة^(٣) للعدو من المشركين وأهل الكتاب، التي يخيف العدو أهلها، ويخيف أهلها العدو، والمرابطة بها أفضل من المجاورة بالحرمين باتفاق المسلمين، كيف والمرابطة بها -أي في ثغور المسلمين- فرض على المسلمين، إما على الأعيان، وإما على الكفاية، وأما المجاورة فليست واجبة على المسلمين^(٤). أ هـ

(١) برقم ١٦٣٩ وقال: حديث ابن عباس رضي الله عنهما حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٤١١٣.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٤١٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧).

قال عبد الله بن المبارك:

يَا عَابِدَ الْحَرَمِينَ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
 مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ
 أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ
 رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
 وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِينَا
 لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي
 هَذَا كِتَابِ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا
 لَعَلَّمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
 فَنُحُورُنَا بِدُمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
 فَخِيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
 رَهْجِ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارِ الْأَطْيَبِ
 قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
 أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانِ نَارٍ تَلْهَبُ
 لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

ونذكر إخواننا المرابطين في سبيل الله بالأمر التالية:

١- الإخلاص لله: فيخلص المرابط نيته لله وينوي بمرابطته الدفاع عن دين الله وإعلاء كلمته، ودحر الكفرة والمشركين، والدفاع عن مقدسات المسلمين وأعراضهم، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وإن مات فترجى له الشهادة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١١٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

(١) صحيح البخاري برقم ٢٨١٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٤.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران].

روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سألتنا عبد الله «هو ابن مسعود رضي الله عنه» عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألتنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيءٍ نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا»^(١).

٢- الثبات عند لقاء العدو، والإكثار من ذكر الله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأنفال].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ: لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَاصْبِرُوا، وَعَلِّمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٢) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ،

(١) برقم ١٨٨٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٩٦٦، وصحيح مسلم برقم ١٧٤٢.

اهزهم، وانصرنا عليهم»^(١).

٣- لزوم طاعة الله ورسوله، ومن ذلك المحافظة على الصلوات في أوقاتها، والفرائض التي أمر الله بها، والحذر من المعاصي والتنازع، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال].

ولا نتساهل بالمعصية، فمعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة رضي الله عنهم في أحد، وكذلك طاعة الأمير والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(٢).

٤- الحذر من العجب والاعتزاز بالكثرة والقوة، فما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وُلِّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران].

(١) صحيح البخاري برقم ٢٩٣٣، وصحيح مسلم برقم ١٧٤٢ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧١٣٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٣٥ واللفظ له.

فَاتِيَةٌ

قال محمد بن الفضيل بن عياض: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: أي العلم أفضل، قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد، قال: نعم، قلت: فما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكان رَحِمَهُ اللهُ يحج عاماً، ويجاهد عاماً، ويتاجر عاماً^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (٨/٤١٩).

الخوارج صفاتهم وخطرهم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن أمته ستفترق على فرق كثيرة كلها في النار، واستثنى واحدة، وهي ما كانت على المنهج الصحيح؛ وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ومن فرق الضلال التي خرجت على أمة الإسلام «الخوارج» وقد عانت منها الأمة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وكان بداية خروجهم أن ذا الخويصرة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً

(١) سنن الترمذي (٢٦٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٤٢/١٤) برقم ٨٣٩٦، وسنن ابن ماجه برقم ٣٩٩٢، وصححه البوصيري والشيخ الألباني رحمهما الله في الصحيحة برقم ١٤٩٢، ورقم ٢٠٣، ٢٠٤.

يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اَعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ... الْحَدِيثُ،
وسياتي ذكره.

«فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى، كما
طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه»^(١).

وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خرجوا
عليه وقتلوه واستحلوا دمه، كما خرجوا في عهد أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
يناظرهم ويدعوهم إلى الحق، وترك ما هم عليه من الضلال،
فرجع منهم قريباً من أربعة آلاف، وبقيت منهم بقية، قتلهم
علي رضي الله عنه في معركة النهروان بعد أن قتلوا عبد الله بن خباب بن
الأرت، وقتلوا جاريتته، وبقروا بطنها. وما زالوا يخرجون في كل
عصر ومصر.

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بدمهم، والتحذير منهم،
والأمر بقتالهم، واستئصال شأفتهم، روى مسلم في صحيحه من
حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ يَقْسِمُ قَسَمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ
يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اَعْدِلْ، فَقَدْ خَبَتْ وَخَسِرَتْ إِنْ لَمْ اَعْدِلْ». فَقَالَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ:
«دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (٣/ ٣٥٠).

مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ
كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيَتْهُمُ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في وصفهم: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَسِنَّ أَدْرَكْتَهُمْ لِأَقْتَلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» (٣).

وفي رواية: «لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ» (٤). وفي رواية مسلم: «هُمُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ» (٥). وفي رواية: «مُحَلَّقَةٌ رُؤُوسُهُمْ» (٦).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما أن معاذة قالت:

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦١٠، وصحيح مسلم برقم ١٠٦٤ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٦١١، وصحيح مسلم برقم ١٠٦٦ واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٣٤٤، وصحيح مسلم برقم ١٠٦٤.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٩٣٠.

(٥) صحيح مسلم برقم ١٠٦٧.

(٦) صحيح مسلم برقم ١٠٦٦.

سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا بَأْسُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحْرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ، قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ^(١).

فتبين مما تقدم أن من صفات الخوارج ما يلي:

- ١- حدثاء الأسنان.
 - ٢- سفهاء الأحلام: أي لم تكتمل عقولهم، ولم تنضج أفكارهم.
 - ٣- ضعف العلم الشرعي لديهم.
 - ٤- يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان.
 - ٥- الغلو في الدين على جهل.
 - ٦- مفارقة جماعة المسلمين.
 - ٧- تأويل نصوص الكتاب والسنة بأهوائهم.
 - ٨- أنهم لا يقبلون من الإسلام إلا ما وافق أهواءهم.
- وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا عرف أصل البدع، فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنباً ما ليس

(١) صحيح البخاري برقم ٣٢١، وصحيح مسلم برقم ٣٣٥ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب، وإن كانت متواترة، ويكفرون من خالفهم، ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي، كما قال النبي ﷺ فيهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»، ولهذا كفروا عثمان وعلياً وشيعتهما، وكفروا أهل صفين-الطائفتين- في نحو ذلك من المقالات الخبيثة»^(١). أهـ

ومما يجب علمه والإحاطة به، هو معرفة سبب الضلال عند هذه الطائفة وغيرها من الطوائف الأخرى، ومختصر ذلك أن سبب الضلال هو الأخذ ببعض نصوص الكتاب والسنة وترك البعض الآخر اتباعاً لطريقة المغضوب عليهم، قال الله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥].

فالخوارج ومن شاكلهم أخذوا بنصوص الوعيد، وقابلهم طائفة أخذوا بنصوص الوعد وهم المرجئة، فضلت الطائفتان، وأهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والمتبعين لهم بإحسان جمعوا بين النصوص كلها، فاهتدوا بذلك إلى الطريق المستقيم، وهو طريق الوسط الذي رضيه الله، فأثنى على أهله فقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد علم خاصة المسلمين وعامتهم أن ما يقع من هؤلاء الضُّلال من قتل المصلين الذين عصم الله دماءهم، والتفجير في بيوت الله التي أمر الله بتعظيمها وتطهيرها، وغير ذلك من

(١) الفتاوى (٣/٣٥٥).

الأفعال الشنيعة، قد وقع ذلك تصديقاً بما أخبر به النبي ﷺ عن هؤلاء بقوله: «يقتلون أهل الإسلام»، وأنهم وإن كانوا يقرؤون القرآن فإن قلوبهم لا تنقاد لأوامره، ولا تنزجر بزواجره، ولا تهتدي بهداه، وكما أخبر عنهم ﷺ: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم».

فعلى المسلم الذي يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه أن يتمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وأن يحذر من اتباع الهوى، وأن يرجع إلى العلماء الربانيين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]. وكما أمر الله بقوله: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء].

ونصيحتي للمسلمين عامة، وللشباب خاصة أن يحذروا من داءين خطيرين؛ أولهما: الفتنة في الدين، ومثاله التكفير، وثانيهما: الإخلال بالأمن، ومثاله التفجير، فما وقع هذان الداءان في بلد إلا أفسده.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية عشرة

جمع الكلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن المقاصد العظيمة للشرع، الحث على جمع الكلمة ووحدة الصف بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما لسماك الحنفي: «يا حنفي! الجماعة الجماعة، وإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقتها، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾»^(١).

وقد وردت النصوص الكثيرة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والاتلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فبرأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كما نهانا عن التفرق والاختلاف، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]^(٢).

(١) تفسير القرطبي (٥/٢٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/١٧١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١).

قال النووي رحمته الله: «قوله: إن الله يرضى لكم ثلاثًا، فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام»^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الحارث الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا» الحديث، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَأَنَا أَمُرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ»^(٣).

قال البغوي رحمته الله: «بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة»^(٤).

وكان السلف الصالح يحثون الناس على لزوم الجماعة

(١) برقم (١٧١٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/٢٣٧).

(٣) (٤٠٠٦/٢٨) برقم ١٧١٧٠ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٤) معالم التنزيل (٤/١٢٢).

ويحذرونهم الفرقة، روى الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس بالجابية فقال: يا أيها الناس! إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنة فليؤزم الجماعة...» الحديث^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»^(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»^(٣).

قال الطحاوي رحمته الله في العقيدة الطحاوية: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً»^(٤).

(١) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٨-٢٦٩) برقم ١١٤، والترمذي في سننه برقم ٢١٦٥ واللفظ له، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٨-١٥٩).

(٣) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٢) برقم ١٦٠، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في تعليقه على مشكاة المصابيح (١/ ٦١).

(٤) متن العقيدة الطحاوية.

وأخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: «الجماعة»، وفي رواية «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا التفريق الذي حصل من الأمة - علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها - هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوهُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب»^(٢).

ومن أمثلة السلف الصالح التي تبين حرصهم على جمع الكلمة، ووحدة الصف، وتأليف القلوب، وعدم الفرقة والخلاف، وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة، ما حصل من تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حيث سُمي ذلك عام الجماعة؛ لاجتماع كلمة

(١) سنن الترمذي ٢٦٤١، ومسند الإمام أحمد (١٤٢/١٤) برقم ٨٣٩٦، وسنن ابن ماجه برقم ٣٩٩٢، وصححه البوصيري والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ١٤٩٢.

(٢) الفتاوى (٤٢١/٣) بتصرف.

المسلمين على معاوية، وكان هذا مصداقاً لقول النبي ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١).

ومنها ما حصل بين ابن عمر ومعاوية رضي الله عنهما، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: «دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يُجعل لي من الأمر شيء، فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبتة؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيب: حفظت وعصمت»^(٢).

ومنها ما حصل بين عبد الله بن مسعود وعثمان رضي الله عنهما، وذلك أن أمير المؤمنين عثمان حج عام ٢٩هـ وهو خليفة، وأتم الصلاة في منى، ولم يقصرها، فعاتبه في ذلك عبدالرحمن بن عوف، واعتذر له عثمان بأنه قد تزوج بمكة فكان في حكم المقيم لا المسافر، وبأن أناساً من أهل اليمن ظنوا أن الصلاة للمقيم

(١) صحيح البخاري برقم ٢٧٠٤.

(٢) برقم ٤١٠٨.

ركعتان، فأتم عثمان رضي الله عنه لذلك.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يصلي معه أربعاً وهو لا يرى ذلك، وكان يقول: ليت حظي من أربع ركعتين متقبلتين، ف قيل له: لماذا تصلي خلفه إتماماً وأنت ترى القصر، قال: الخلاف شر.

وفي الختام.. فإن وصيتي لعموم المسلمين وخاصتهم: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولزوم جماعة المسلمين، والابتعاد عن أسباب التفرق والاختلاف، والسير على منهج السلف الصالح في تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة فيما يحقق التعاون على البر والتقوى، واجتناب الإثم والعدوان.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَالنَّصِيحَةُ لَوْلِيِّ الْأَمْرِ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢٧/٣٠١) برقم ١٦٧٣٨، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

أحكام التعزية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن مقاصد الشرع العظيمة تكاتف المسلمين، ومواساتهم لبعضهم البعض، ولذلك شرع للمسلم أن يعزي أخاه المسلم بمصابه، والتعزية هي: الأمر بالصبر والحث عليه، والدعاء للميت والمصاب.

من الأدلة على مشروعيتها العمومات التي تحث المسلم على إعانة أخيه، وبذل المعروف له، وتفريج كربته، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وهي مستحبة، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي أيضاً داخلة في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]. وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية»^(١)؛ ولأن التعزية مواساة له وجبر لمصيبته، وتخفيف عنه.

ومن الأدلة الخاصة في ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَجِبُهُ؟» فَقَالَ: يَا

(١) الأذكار ص ٢٥٨-٢٥٩.

رَسُولَ اللَّهِ، أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ^(١)، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ حَاصَةٌ أَمْ لِكُلَّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ»^(٢).

وأما ألفاظ التعزية التي تقال للمصاب فهي كثيرة، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وأما لفظة التعزية فلا حرج فيها، فبأي لفظ عزاه حصلت^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وإن عزی بغير هذا اللفظ مثل أن يقول: أعظم الله لك الأجر، وأعانك على الصبر.. وما أشبهه، فلا حرج لأنه لم يرد شيء معين لا بد منه»^(٤).

ومن ألفاظ التعزية الواردة عن النبي ﷺ ما جاء في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلْتُ ابْنَةَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْ ابْنًا لِي قُبِضَ. فَأَتَيْنَا فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ

(١) قال السندي: قوله: أحبك الله، بيان شدة محبته بابنه، أو أنه كان يعرف قدر محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فضلاً عن سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، حاشية السندي على المسند نقلاً عن محققي المسند (٢٤/٣٦١).

(٢) (٢٤/٣٦١) برقم ١٥٥٩٥، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) الأذكار ص ٢٦٠.

(٤) مجموع الفتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (١٧/٣٤٦).

تُقَسِّمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِيُّ
ابْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ، فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ
وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقِعُ، قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا سَنٌ. ففَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ
سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي
قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرَحِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(١).

«فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على
مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب، والصبر على
النوازل كلها، والهموم، والأسقام، وغير ذلك من الأغراض،
ومعنى: إن لله تعالى ما أخذ، أي أن العالم كله ملك لله
تعالى، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في
معنى العارية، ومعنى: له ما أعطى، أن ما وهبه لكم ليس
خارجاً عن ملكه، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء، وكل
شيء عنده بأجل مسمى، فلا تجزعوا، فإن من قبضه قد انقضى
أجله المسمى، فمحال تأخره، أو تقدمه عنه، فإذا علمتم هذا
كله فاصبروا، واحتسبوا ما نزل بكم، والله أعلم»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت:
دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ فَأَغْمَضَهُ،
ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصْرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ،
فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ

(١) صحيح البخاري برقم ١٢٨٤، وصحيح مسلم برقم ٩٢٣.

(٢) الأذكار للنووي ص ٢٦١.

عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (١). وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ» (٢).

ويروى عن الشافعي أنه قال:

إِنِّي مُعَزِّيكَ لَا أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ الْخُلُودِ وَلَكِنْ سُنَّةَ الدِّينِ
فَمَا الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَلَا الْمُعَزِّيَ وَلَوْ عَاشَا إِلَى حِينِ (٣).

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه: «أما بعد: فإن الولد على والده ما عاش حُزْنٌ وَفِتْنَةٌ، فإذا قدمه فصلاة ورحمة، فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله ﷻ من صلاته ورحمته».

ومات ابن للإمام الشافعي فأنشده من الطويل:]

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا هَكَذَا فَاصْطَبِرْ لَهُ رِزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ (٤).

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عون بن عبد الله يعزيه على ابنه: أما بعد! فإننا من أهل الآخرة سكننا الدنيا أموات أبناء أموات، فالعجب من ميت كتب إلى ميت يعزيه عن ميت.. والسلام (٥).

(١) برقم ٩٢٠.

(٢) قطعة من حديث، مسند الإمام أحمد (٢٠٨/٣) برقم ١٧٥٠، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم من قوله: لا تبكوا على أخي.

(٣) الأذكار للنووي ص ٢٦٢.

(٤) الأذكار للنووي ص ٢٦٤.

(٥) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٣٦٢/١٤) قال محققه: إسناده جيد.

وأما مكان التعزية، فإنها تكون في أي مكان لقي فيه المسلم أخاه، فيعزي المسلم أهل المصاب في أي مكان قابلهم فيه، سواء في المسجد عند الصلاة على الجنازة أو في المقبرة أو في الشارع أو السوق أو في منزلهم، أو يتصل بهم بالهاتف، ويستحب أن يُعد لأهل الميت طعامًا يبعث به إليهم، لقوله ﷺ: «اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ، أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»^(١).

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، يقول السائل:

اعتاد أهل بلادنا الجلوس للتعزية عند وفاة شخص منهم أسبوعًا أو أكثر، وغلوا في ذلك، فأنفقوا كثيرًا من الأموال في الذبائح وغيرها، وتكلف المعزون فجاءوا وافدين من مسافات بعيدة، ومن تخلف عن التعزية خاضوا فيه ونسبوه إلى البخل، وإلى ترك ما يظنونه واجبًا، فأفتونا في ذلك.

فكأن الجواب: التعزية مشروعة، وفيها تعاون على الصبر على المعصية، ولكن الجلوس للتعزية على الصفة المذكورة واتخاذ ذلك عادة لم يكن من عمل النبي ﷺ، ولم يكن من عمل أصحابه، فما اعتاده الناس من الجلوس للتعزية حتى ظنوه دينًا، وأنفقوا فيه الأموال الطائلة، وقد تكون التركة ليتامى، وعطلوا فيه مصالحهم، ولا مواء فيه من لم يشاركهم ويفد إليهم كما يلومون من ترك شعيرة إسلامية، هذا من البدع المحدثه التي ذمها رسول الله ﷺ في عموم قوله: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٢٠٨) برقم ١٧٥١، وقال محققوه: إسناده حسن.

لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(١). وفي الحديث: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢). فأمر باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وهم لم يكونوا يفعلون ذلك، وحذر من الابتداع والإحداث في الدين، وبيّن أنه ضلال، فعلى المسلمين أن يتعاونوا على إنكار هذه العادات السيئة، والقضاء عليها، اتباعاً للسنة وحفظاً للأموال، والأوقات، وبعداً عن مثار الأحزان، وعن التباهي بكثرة الذبائح، ووفود المعزين، وطول الجلسات، وليسعهم ما وسع الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح من تعزية أهل الميت وتسليتهم والصدقة عنه، والدعاء له بالمغفرة والرحمة^(٣).

وسئلت اللجنة الدائمة عن صنع الطعام في التعزية من قبل أهل الميت.

فكانت الإجابة: أما صنع أهل الميت طعاماً للناس واتخاذهم ذلك عادة لهم فغير معروف فيما نعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين، بل هو بدعة فينبغي تركها، لما فيها من شغل أهل الميت إلى شغلهم، ولما فيها من التشبه بصنع أهل الجاهلية

(١) صحيح البخاري برقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم برقم ١٧١٨.
(٢) جزء من حديث رواه أبو داود في سننه برقم ٤٦٠٧، وسنن الترمذي برقم ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/١٣٧-١٣٨) برقم ٣٤.

والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة^(١).

ومن بدع ومخالفات العزاء:

١- استئجار المقرئين لتلاوة القرآن على روح المتوفى، ويتحملون في ذلك تكاليف مالية بحجة إيصال الثواب إلى الميت.

٢- استئجار الخيام والاستراحات وإضاءتها لاستقبال المعزين.

٣- تكلف أقارب الميت أو أهل الحي في جمع الأموال لاستئجار الأماكن المعدة لاستقبال المعزين، أو الصدقة عن الميت أو أهله.

٤- «الإعلان عن وفاة الميت بشكل يشبه النعي المذموم عنه، ودفع تكاليف مالية في ذلك»^(٢).

٥- «عمل ما يسمى بالتأبين، وهي ذكرى الأربعين بعد وفاة الميت، وهي بدعة فرعونية كانت لدى الفراعنة قبل الإسلام، وفي هذا التأبين يتم مدح الميت والثناء عليه

(١) (٥٠٥ / ١١) برقم ٦٩٠٥ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١٤٢ / ٩) برقم ٤٢٧٦.

وذكر أعماله الجليلة»^(١).

٦- عمل وليمة بعد وفاة الميت بسبعة أيام.

٧- لبس النساء الثياب السوداء حزنًا على المتوفى.

٨- كثرة الضحك والمزاح في مجلس العزاء.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ١٥٤) برقم ٢٦١٢.

زيارة القبور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى الحاكم في المستدرک من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وأصله في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبَ، وَتَدْمَعُ الْعَيْنَ، وَتَذَكُرُ الْآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هَجْرًا»^(١).

«فهذا الحديث يدل على مشروعية زيارة القبور للاتعاظ، وتذكر الآخرة، شريطة ألا يقول عندها ما يغضب الرب سبحانه كدعاء المقبور، والاستغاثة به من دون الله تعالى أو تزكيته والقطع له بالجنة»^(٢).

قال النووي رحمته الله: «الهجر كلام الباطل، وكان النهي أولاً لقرب عهدهم من الجاهلية، فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرت قواعد الإسلام، وتمهدت أحكامه، واشتهرت معالمه، أُبيح لهم الزيارة، واحتاط صلى الله عليه وسلم

(١) (١/ ٧١١) برقم ١٤٣٣، وقال محققوه: هو حديث حسن صحيح.

(٢) أحكام الجنائز وبدعها للشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله ص ٢٢٧.

بقوله: «ولا تقولوا هجرًا»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً، وَلَا تَقُولُوا مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ»^(٢).

قال الصنعاني عقب أحاديث الزيارة: «الكل دال على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها، وأنها للاعتبار، فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعًا»^(٣).

وذهب بعض أهل العلم إلى جواز زيارة القبور للرجال والنساء، فقد ورد في الصحيحين من حديث أنس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، مَرَّ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ، وَاصْبِرِي»»^(٤).

قال الحافظ في فتح الباري رحمته الله: «وموضع الدلالة منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة»^(٥) أه

وذهب جمع من أهل العلم إلى المنع، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه

(١) المجموع (٥/٣١٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٣٨) ومستدرك الحاكم (١/٧٠٨) برقم ١٤٢٦، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز وبدعها، ص ٢٢٨: وهو كما قال.

(٣) سبل السلام (٣/٣٢٠-٣٢١).

(٤) صحيح البخاري برقم ١٢٨٣، وصحيح مسلم برقم ٩٢٦.

(٥) فتح الباري (٣/١٤٨-١٤٩).

الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ»^(١).

وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلّة صبرهن، وكثرة جزعهن، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية^(٢).

والمقصود من زيارة القبور شيئا :

« ١- انتفاع الزائر بذكر الموت والموتى، وأن مآلهم إما إلى جنة، وإما إلى نار، وهو الغرض الأول من الزيارة كما يدل عليه ما سبق من الأحاديث.

٢- نفع الميت والإحسان إليه بالسلام عليه، والدعاء والاستغفار له، وهذا خاص بالمسلم وفيه أحاديث أشير إلى بعضها:

الأول: رواه أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى البقيع فيدعو لهم، فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك، فقال: «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَدْعُو لَهُمْ»^(٣).

والثاني عنها أيضا: أنها قالت: يا رسول الله، كيف أقول لهم؟ أي عند زيارة القبور - قال: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ

(١) برقم ١٠٥٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/١٠٢-١٠٣) برقم ١٩٨١.

(٣) (٤٣/٢٤٠) برقم ٢٦١٤٨، وقال محققوه: حديث حسن.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلْآحِقُونَ»^(١).

والثالث: رواه مسلم في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول: «السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلْآحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»^(٢)^(٣).

ومن فاتته الصلاة على الميت قبل دفنه صلى على قبره، لما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها؟ فقالوا ماتت، فقال: «أفلا كنتم آذنتموني؟» قال: فكانهم صغروا أمرها، فقال: دلوني على قبرها، فدلوه، فصلى عليها، ثم قال: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»^(٤).

ومن البدع والشركيات التي تحصل عند القبور، وأشير إلى بعضها:

١- الذبح والنحر عند القبور، وهو من أعظمها، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس: «لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ»^(٥).

(١) صحيح مسلم برقم ٩٧٤.

(٢) صحيح مسلم برقم ٩٧٥.

(٣) أحكام الجنائز وبدعها للشيخ الألباني رحمته الله، ص ٢٣٩-٢٤٠ بتصرف.

(٤) صحيح البخاري برقم ٤٥٨، وصحيح مسلم برقم ٩٥٦.

(٥) سنن أبي داود برقم ٣٢٢٢، وأحمد في مسنده (٣/١٩٧)، قال الألباني في =

قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة، أو شاة، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الذبح والعقر عند القبر فمذموم لحديث أنس هذا»^(١) أه

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا إذا كان الذبح هناك لله تعالى، وأما إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهال فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]»^(٢).

٢- رفع القبور زيادة على التراب الخارج منها، وطيها بالكلس وهو مادة طلاء، وفي صحيح مسلم من حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته^(٣).

٣- الكتابة عليها.

٤- البناء عليها وتزيينها بالرخام ونحوه لأن ذلك من وسائل الشرك والتعلق بالأضرحة؛ لأن الجهال إذا رأوا البناء والزخرفة على القبر تعلقوا به.

٥- القعود عليها، وفي ذلك أحاديث منها ما رواه مسلم

= أحكام الجنائز ص ١٢٥٩: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(١) المجموع (٥/ ٣٢٠).

(٢) أحكام الجنائز وبدعها، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) برقم ٩٦٩.

في صحيحه من حديث جابر رضي عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُجصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ^(١)، أو يزداد عليه^(٢) [أو يكتب عليه -^(٣)] لأن تعظيم القبور بالبناء عليها ونحوه هو أصل شرك العالم.

٦- الصلاة عندها ولو بدون استقبال القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»^(٤).

٧- بناء المساجد عليها لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٥).

٨- السفر وشد الرحال لزيارة القبور لقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٦).

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «والحديث عام يشمل المساجد وغيرها من المواطن التي تقصد لذاتها، أو لفضل يدعى فيها،

(١) صحيح مسلم برقم ٩٧٠.

(٢) سنن أبي داود برقم ٣٢٢٦ وصححه الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٢١) برقم ٢٧٦٣.

(٣) سنن أبي داود برقم ٣٢٢٦، وصححه الألباني رحمته الله كما في سنن أبي داود (٢/٦٢١) برقم ٣٧٦٣.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٧٠.

(٥) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم ٥٣١.

(٦) صحيح البخاري برقم ١١٨٩، وصحيح مسلم برقم ١٣٩٧ واللفظ له.

ألا ترى أن أبا بصرة رضي عنه قد أنكر على أبي هريرة سفره إلى الطور وليس هو مسجداً يصلى فيه، وإنما هو جبل كلم الله فيه موسى عليه السلام، فهو جبل مبارك، ومع ذلك أنكر أبو بصرة السفر إليه»^(١).

٩- إيقاد السرج عندها: أي إضاءتها بالأنوار الكهربائية وغيرها، والدليل على ذلك أنه بدعة محدثة لا يعرفها السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٌ فِي النَّارِ»^(٢)، وفيه أيضاً إضاعة المال وهو منهي عنه، قال ابن حجر الفقيه: «وصرح أصحابنا بحرمة السراج على القبور وإن قل، حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف، وإضاعة المال، والتشبه بالمجوس، فلا يبعد أن يكون كبيرة»^(٣).

١٠- تحرم إهانة القبور بالمشي عليها ووطئها بالنعال لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ»^(٤).

١١- قراءة القرآن عند القبر وهو من البدع لم يفعله

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٤٣).

(٢) سنن النسائي برقم ١٥٧٨ وصححه الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن النسائي

(٣/ ١) (٣٤٦-٣٤٥) برقم ١٤٨٧ وأصله في صحيح مسلم.

(٣) الزواجر (١/ ١٣٤).

(٤) برقم ٩٧١.

رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام، وكل بدعة ضلالة.

١٢- تخصيص المواسم والأعياد والجُمع لزيارة القبور،
وهو من البدع، وكل بدعة ضلالة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



التحذير من الفتن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنفال]. «هذه الآية وإن كان المخاطب بها هم صحابة رسول الله ﷺ لكنها عامة لكل مسلم؛ لأن النبي ﷺ كان يحذر من الفتن»^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»، قالوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ^(٢).

وهذه الفتن تُعرض على القلوب فتؤثر فيها، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا^(٣)، فَأَيُّ قَلْبٍ

(١) انظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٥٣٣.

(٢) برقم ٢٨٦٧.

(٣) ومعنى تعرض: أي كأنها تلصق بعرض القلوب، أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به، قال: وقوله عودًا عودًا: أي تعاد وتكرر عليه شيئًا بعد شيء.

أَشْرِبَهَا نُكِتَ^(١) فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ»^(٢).

والفتن كثيرة لا تدع بيتًا إلا دخلته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»^(٣). وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أسامة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»^(٤).

وفي آخر الزمان تكثر الفتن، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ»^(٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَحِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْتَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا»^(٦)، وَتَحِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ

(١) أي حلت فيه محل الشراب.

(٢) برقم ١٤٤.

(٣) برقم ١٨٨.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٨٧٨، وصحيح مسلم برقم ٢٨٨٥.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٠٣٦.

(٦) قوله يرتق: هذا الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة، يرتق بضم الياء وفتح الراء وبقافين أن يصير بعضها رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقاً، وقيل: معناه يشبه بعضها بعضاً، وقيل يدور بعضها في بعض =

تَنكشِفُ، وَتَحِيءُ الْفِتْنَةَ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(١).

والفتن خطرها كبير، من دنا منها أخذته، ومن حام حول حماها أوقعته، والبعد عنها عصمة منها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَتَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُدُّ بِهِ»^(٢).

قال ابن حجر رحمته الله: «في هذا الحديث التحذير من الفتنة، والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها»^(٣). والفتن درجات، منها الصغير والكبير، ومنها من يخرج المرء من دينه، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتْنَ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدَنَ يَدْرَنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ»^(٤).

= ويذهب ويجيء، وقيل معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. صحيح مسلم بشرح النووي (٤٣٦/١٢).

(١) برقم ١٨٤٤.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٦٠١، وصحيح مسلم برقم ٢٨٨٦.

(٣) فتح الباري (٣١/١٣).

(٤) برقم ٢٨٩١.

ومن الفتن العظيمة فتنة الشرك، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ومعنى الآية: أن ما يقوم به المشركون من صد عن سبيل الله مستقبح كذلك، ومنع المؤمنين عن المسجد الحرام وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام، والشرك الذي هم فيه أعظم من القتل.

ومنها كثرة القتل في آخر الزمان، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ»^(١).

ومن كثرة القتل سفك الدم من غير سبب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»^(٢).

ومنها فتنة المال، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم ٧١٢١، وصحيح مسلم برقم ١٥٧.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٩٠٨.

(٣) (٢٩/٢١٥) برقم ١٧٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ»^(٢).

ومن فتنة المال جمعه سواء من حلال أو حرام، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٣).

ومنها فتنة النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضُرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ

(١) برقم ١١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٣٦٨، وصحيح مسلم برقم ٥٨٧.

(٣) برقم ٢٠٨٣.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم برقم ٢٧٤٠.

فِتْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(١).

والأولاد زينة الحياة الدنيا جعلهم الله فتنه، قال تعالى:
﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]. ومن الفتنه بهم
التفريط في تربيتهم أو الانشغال بهم عن واجبات الدين.

ومنها فتنه الدنيا بشهواتها وملذاتها، روى البخاري في
صحيحه من حديث سعد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
فِتْنَةِ الدُّنْيَا»^(٢).

ومنها فتنه الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحهما
من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ،
فَلْيُسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ
جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ
فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٣).

والسعيد من جنب الفتن، روى أبو داود في سننه من حديث
المقداد بن الأسود رضي عنه قال: أيم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ،
إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا»^(٤).

(١) صحيح مسلم برقم ٢٧٤٢.

(٢) برقم ٢٨٢٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣٧٧، وصحيح مسلم برقم ٥٨٨ واللفظ له.

(٤) رقم ٤٢٦٣ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود

(٣/٨٠٣) برقم ٣٥٨٥.

والمخرج من هذه الفتن الاستعاذة بالله منها والبعث عنها واجتنابها، والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسؤاله سبحانه الثبات على الدين، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^{(٣)(٤)}.

فائدة مهمة :

سئل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كيف يعرف الرجل منا هل أصابته الفتنة أم لا؟ فأجاب: «إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا؟ فلينظر، فإن كان رأى حلالاً كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً فقد أصابته»^(٥).

(١) مستدرک الحاكم (١/ ٢٨٤) وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٢٩٣٧.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/ ١٦٠)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٣) برقم ٢٦٥٤.

(٤) خطب الشيخ د. عبدالمحسن القاسم (٣/ ٢١٠-٢١٧).

(٥) مستدرک الحاكم (٤/ ٤١٥) برقم ٣٤٤٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط =

وقال الحسن: «إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم،
وإذا أدبرت عرفها كل جاهل»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



= الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(١) التاريخ الكبير للبخاري (٤/٣٢١).

الكلمة السادسة عشرة

التلبية وأحكامها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن شعائر الحج العظيمة التلبية، وقد وردت بها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن خالد الجهني رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جَاءَنِي جَبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ أَصْحَابَكَ فَلْيَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ فَإِنَّهَا مِنْ شِعَارِ الْحَجِّ»^(١).

وكان الصحابة أسرع الناس استجابة لأمر الله ورسوله، فقد روى ابن أبي شيبة عن يعقوب بن زيد قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغون الروحاء حتى تبح أصواتهم من شدة تلبيتهم^(٢).

والتلبية للرجال والنساء، ولكن المرأة لا ترفع صوتها إذا خشيت الفتنة، روى أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي عنها أنها قالت: إني لأعلم كيف كانت تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سمعتها بعد ذلك لبت: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن

(١) (١١ / ٣٦) برقم ٢١٦٧٨ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) (٢٧٣ / ٣) برقم ١٥٠٥١.

الحمد والنعمة لك^(١).

والذي عليه جمهور العلماء، أن الجهر بالتلبية خاص بالرجال، ونقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك، فقال: «وأجمع العلماء على أن السنة في المرأة ألا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تسمع نفسها»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها، وعليه يُحمل فعل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا»^(٣).

والتلبية من لبي بمعنى أجاب، فلفظة لبيك مثناة على قول سيبويه، والجمهور تثبتها للتكثير، أي إجابة لك بعد إجابة، أو إجابة لازمة^(٤).

وقد وردت الأحاديث في فضلها، فروى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلِّيَّ إِلَّا لَبَّى مَنْ عَن يَمِينِهِ، أَوْ عَن شِمَالِهِ مِنْ حَجْرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدْرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا»^(٥).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ

(١) (٢٢١/٤١) برقم ٢٤٦٩٠، وقال محققوه: حديث صحيح وأصله في البخاري.

(٢) التمهيد (١٧/٢٤٢).

(٣) الفتاوى (٢٦/١١٥).

(٤) الموسوعة الكويتية (١٣/٢٦١).

(٥) برقم ٨٢٨ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن الترمذي (١/٢٤٩) برقم ٦٦٢.

النَّبِيُّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعَجُّ وَالشَّجُّ»^(١). والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والشج سيلان دماء الهدى.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا أَهْلٌ مُهَلُّ قَطُّ، وَلَا كَبَرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٢).

ويُسن أن يستقبل القبلة عند التلبية، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي عنهما: أَنَّهُ إِذَا صَلَّى بِالْغَدَاةِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ أَمَرَ بِرَأِحِلَّتِهِ فَرُحِلَتْ، ثُمَّ رَكِبَ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ قَائِمًا، ثُمَّ يَلْبِي حَتَّى يَبْلُغَ الْحَرَمَ، ثُمَّ يُمْسِكُ حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَا طُوًى بَاتَ بِهِ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ اغْتَسَلَ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَ ذَلِكَ^(٣).

وينبغي الإكثار من التلبية، وبخاصة كلما علا شرفاً أو هبط وادياً، لما روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الشَّيْبَةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ»^(٤).

(١) برقم ٨٢٧ وصححه الألباني رحمته في صحيح سنن الترمذي (١/٢٤٩) برقم ٦٦١.

(٢) (٧/٣٧٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير برقم ٥٥٦٩.

(٣) برقم ١٥٥٣.

(٤) برقم ١٦٦.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الحديث أن التلبية في بطون الأودية من سنن المرسلين، وأنها تتأكد عند الهبوط كما تتأكد عند الصعود»^(١).

وله أن يخلطها بالتكبير والتهيل لقول ابن مسعود: «خرجت مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى رمى جمرة العقبة، إلا أن يخلطها بتكبير أو تهليل»^(٢)، وفي صحيح مسلم من حديث محمد ابن أبي بكر قال: قلت لأنس بن مالك غداة يوم عرفة: ما تقول في التلبية هذا اليوم؟ قال: سِرْتُ هَذَا الْمَسِيرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمِنَّا الْمُكَبِّرُ، وَمِنَّا الْمُهْلُ، وَلَا يَعِيبُ أَحَدُنَا عَلَى صَاحِبِهِ^(٣).

«ومن معاني التلبية أنها مأخوذة من لب بالمكان إذا أقام به، والملبي عند الحج أو العمرة يخبر أنه يقيم على عبادة الله ويلازمها، والمراد تلك العبادة التي دخل فيها سواء كانت حجاً أو عمرة»^(٤).

وأما ألفاظ التلبية فهي كثيرة، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ

(١) فتح الباري (٣/ ٤١٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٤١٧) وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ (٤/ ٢٩٦): إسناده جيد.

(٣) برقم ١٢٨٥.

(٤) تهذيب السنن لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٥/ ١٧٥-١٧٦).

لَكَ»^(١). قال نافع: وكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها: لبيك وسعديك والخير بيديك، لبيك والرغباء إليك والعمل^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر رضي الله عنه قال: أهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر، قال: والناس يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام، والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع فلا يقول لهم شيئاً^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من تلبية النبي صلى الله عليه وسلم: «لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ»^(٤).

قال ابن حجر رحمته الله: «والاقتصار على التلبية المرفوعة أفضل لمداومته هو عليها، وأنه لا بأس بالزيادة لكونه لم يردّها عليهم وأقرهم عليها، وهو قول الجمهور»^(٥).

وروى ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، إِنَّمَا الْخَيْرُ خَيْرُ الْآخِرَةِ»^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٩، وصحيح مسلم برقم ١١٨٤.

(٢) صحيح مسلم برقم ١١٨٤.

(٣) برقم ١٨١٣ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٣٤١/١) برقم ١٥٩٨.

(٤) (١٤٤/١٤) برقم ٨٤٩٧ وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٥) فتح الباري (٣/٤١٠).

(٦) صحيح ابن خزيمة برقم ٢٨٣١، ومستدرك الحاكم (٢/١٢٠) برقم ١٧٥٠، =

وكان المشركون يلبون في حجهم ولكن تلبيتهم فيها شرك، يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «وَيْلَكُمْ! قَدْ قَدَّ»، فيقولون: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والتلبية هي إجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم إلى حج بيته على لسان خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والملبي هو المستسلم المنقاد لغيره كما ينقاد الذي لبب وأخذ بلبته، والمعنى: إنا مجيبوك لدعوتك مستسلمون لحكمتك، مطيعون لأمرك مرة بعد مرة، لا نزال على ذلك، والتلبية شعار الحج، فأفضل الحج العج والشج، فالعج رفع الصوت بالتلبية، والشج إراقة دماء الهدى، ولهذا يستحب رفع الصوت بها للرجل، بحيث لا يجهد نفسه، والمرأة ترفع صوتها بحيث تُسمع رفيقتها، ويستحب الإكثار منها عند اختلاف الأحوال مثل: أدبار الصلوات، ومثل ما إذا صعد نشزًا، أو هبط واديًا، أو سمع ملبياً، أو أقبل الليل والنهار، أو التقت الرفاق، وكذلك إذا فعل ما نُهي عنه، وقد روي أنه من لبى حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفوراً له، وإن دعا عقيب التلبية، وصلى على النبي ﷺ، وسأل الله رضوانه والجنة، واستعاذ برحمته من سخطه والنار؛ فحسن^(٢). أه

= واللفظ له، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في حجة النبي ﷺ ص ٧٤: إسناده حسن.

(١) صحيح مسلم برقم ١١٨٥.

(٢) الفتاوى (٢٦/ ١١٥-١١٦).

ويبدأ وقت التلبية حين الإحرام، فمن نوى أحد النسكين يهل بما نوى، ثم يلبي، والمعتمر يلبي حتى يشرع في الطواف، وهو قول جمهور العلماء، وأن قطع التلبية يكون بالشروع في الطواف لأنه شعار إقامة العبادة التي لبي إليها^(١).

وأما الحاج فيلبي حتى يرمي جمرة العقبة الكبرى يوم النحر، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الفضل رضي الله عنه أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ^(٢).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح مناسك الحج والعمرة بصحيح الخبر والأثر للألباني رحمته الله، د. فخر الدين المحسي ص ١٧٥.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٥٤٤، وصحيح مسلم برقم ١٢٨١.

إسلام الكافر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

إن طريقة الرسول ﷺ في دعوة الكفار إلى الإسلام أن يدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوه إلى ذلك دعاهم إلى بقية شرائع الإسلام حسب أهميتها، وما تقتضيه الأحوال.

ومما ورد في ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ..» (١).

وقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسَالِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٩٥، وصحيح مسلم برقم ١٩.

مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»^(١).

وعلى ذلك يقال أن من أسلم من الكفار يُطلب منه أن ينطق الشهادتين، ويُشرح له معناهما، أي لا معبود بحق إلا الله، وأن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، أُرسِل إلى العرب والعجم، فتؤمن به وتطيعه فيما يأمر به، وتجتنب ما نهى عنه، ثم يؤمر بالاغتسال، فقد روى الترمذي في سننه من حديث قيس بن عاصم رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ»^(٢).

ثم بعد ذلك يُبين له أن التوبة تجب ما قبلها، والإسلام يجب ما قبله، وأن أعظم نعمة أنعم الله بها عليه هدايته لهذا الدين، ونجاته من النار، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»^(٣).

ثم بعد ذلك يُبين له أركان الإسلام والإيمان، ومعنى الإيمان باليوم الآخر والقدر، ويبين له بطلان قول النصارى في عيسى عليه السلام

(١) صحيح مسلم برقم ٢٤٠٦.

(٢) سنن الترمذي برقم ٦٠٥ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/١٨٧)

برقم ٤٩٥.

(٣) برقم ١٥٣.

أنه ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، والصحيح أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وهو بشر مثله كمثل إخوانه من الرسل، وليس له شيء من خصائص الألوهية والربوبية، وأنه لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفعه الله إلى السماء حين أراد اليهود قتله، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

وسوف ينزل في آخر الزمان، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يأتي بشرع جديد، بل يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت كسائر البشر.

وإن كان الذي يريد الإسلام وثنيًا أو على غير دين، أو يصرف العبادات لأهل القبور.. أو غير ذلك، فيبين له أن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، المستحق للعبادة، وأن عليه أن يخلص جميع العبادات لله كالدعاء، والنذر، والذبح، والاستغاثة.. وغيرها، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وأن يبرأ من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي الختام يُوصى بتقوى الله، والثبات على الدين، وأن يسأل الله دائماً الثبات على دينه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ويوصى بدعوة زوجته وأبنائه ووالديه وأقاربه، وأن يحرص على الرفقة الصالحة التي تعينه

على الخير، وأن يتفقه في دينه، ثم إن هناك أمرًا مهمًّا وهو أنه قد يرى تصرفات سيئة من بعض المسلمين من كذب، أو أخلاق سيئة.. أو غير ذلك، فهذه التصرفات لا يقرها الدين الإسلامي، فالإسلام يأمر بكل خير وينهي عن كل شر، والأخطاء تُنسب للأشخاص وليس للإسلام.

أما بالنسبة للختان، فواجب على الرجال، ومكرمة في حق النساء، لكن لو أختان بعض الوقت حتى يتمكن الإسلام في قلبه، ويطمئن إليه، لكان حسنًا، خشية أن تكون المبادرة إلى دعوته إلى الختان منفرة له من الإسلام.

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية السعودية، يقول السائل :

ما حكم الكافر الذي في فراش المستشفى وهناك سمعناه يقول: لا إله إلا الله محمدًا رسول الله ﷺ حتى وافاه الأجل. هل نحكم عليه بأنه أسلم أم لا؟

الجواب: من نطق بالشهادتين قبل بلوغ الروح الحلقوم، ولم يكن يقولها في صحته ويتعاطى أنواع الشرك الأكبر، ثم مات فإنه يعد بذلك مسلمًا، ويعامل معاملة المسلمين من حيث التغسيل والصلاة عليه، والدفن والدعاء له بالمغفرة والرحمة، يدل لذلك قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»^(١) رواه

(١) مسند الإمام أحمد (٣٠٠/١٠) برقم ٦١٦٠، وقال محققوه: إسناده حسن.

أحمد والترمذي وغيرهما.

وكذلك قصته عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب، وعرضه الشهادة عليه وهو على فراش الموت، لكنه أبى النطق بها كما في الصحيح. وفي الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ عاد غلاماً يهودياً في مرضه، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ»^(١).

أما من كان ينطق بالشهادتين في حال صحته، ويعبد غير الله، كسؤال الأموات والاستغاثة بهم، وينذر ويذبح لهم، فإن هذا لا يعتبر مسلماً بمجرد نطقه بالشهادتين عند الموت، إلا إذا صرح بتوبته من شركه السابق^(٢).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس

عضو

عضو

عضو

عبد العزيز بن باز

عبد العزيز آل الشيخ

صالح الفوزان

بكر أبو زيد

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٦).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (١/٣٥٢) برقم ١٩٦٠٣.

الكلمة الثامنة عشرة

الإقامة في بلاد الكفار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

١- فإن «كلام أهل العلم المتقدمين وبحوثهم بوجوب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وما يستحب من ذلك أو يباح كان في واقع غير الواقع المعاصر، فقد كانت الخلافة الإسلامية التي يأوي إليها كل مسلم قائمة، وبلاد المسلمين كلها بلد واحد، فأينما تيمم المسلم في بلاد الإسلام فهو في بلده لا يحس بغربة ولا يشعر بوحشة.

أما اليوم فإن بعض المسلمين يفر بدينه من بلده لما يقع عليه من الاضطهاد في دينه ودنياه، وربما وجد في تلك البلاد التي فر إليها حياة كريمة وتمتعاً في الحقوق، وحرية في إقامة شعائر دينه قد لا توجد في غالب الدول الإسلامية»^(١)، فإلى الله المشتكى من غربة الدين، وقلّة الناصرين، وتسلط الظالمين.

٢- إن هذه المسألة وما شابهها لا يمكن تنزيل حكمها على

(١) فقه النوازل للأقليات المسلمة للدكتور محمد يسري (٢/ ١٠٩٤) بتصرف.

العموم لاختلاف أحوال الناس، فلكل فرد حكمه الذي يخصه بحسب واقعه وحاله على حد قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء]. فوجد الحيلة غير فاقدها، والقوي غير الضعيف، والغني غير الفقير، وذو العصبية غير الكلاله^(١). وهكذا تختلف الأحكام باختلاف الأحوال، وتختلف من جانب آخر، وهو أنها ترجع إلى قواعد تحتاج في تطبيقها على الوقائع إلى النظر الدقيق والفهم الثاقب، والإلمام التام مثل قاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» وقاعدة «دفع أعظم الضررين بفعل أدناهما».. وغيرها.

٣- مما يعين على الوصول إلى معرفة القول الصائب، المقارنة بين حال الشخص في تلك البلاد الكافرة، وحاله في بلده، فيرجح منهما أكثر الحالين نفعاً وأقلهما ضرراً.

٤- مما يعين على ذلك معرفة حال تلك الدول الكافرة، فمنها دولٌ المسلمون فيها كثير لهم ثقلهم واعتبارهم، مساجدهم عامرة، وشعائرتهم ظاهرة، ومنها دول بخلاف ذلك.

٥- النظر الدقيق والفهم العميق للنصوص الشرعية والسيرة النبوي يقضي بالتفريق بين من كان من تلك البلاد الكافرة أصلاً ومولداً، وبين الطارئ عليها، فلا يستوي من إذا خرج من تلك البلاد رجوع إلى بلده بين أهله وذويه، وبين من إذا خرج فإنما

(١) ذو العصبية هو الذي له أقارب من قومه أو من بلده يعينونه ويحمونه، والكلالة: الذي ليس له أحد يمنعه.

يخرج من بلده إلى بلاد أخرى لا يمكنه دخولها، فضلاً عن الإقامة فيها إلا بشروط والتزامات لا تنهياً إلا للقليل، فمن لاحظ ما تقدم وأمعن النظر لم يفته الصواب إن شاء الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت].

سُئِلَتِ اللّجْنَةُ الدّائِمَةُ للْبَحْوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ بِالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، يَقُولُ السَّائِلُ :

ولدت في فرنسا وأعيش فيها إلى الآن، حيث أبلغ من العمر ٢٦ سنة، أبواي تونسيان وأنا الآن متزوج ولي طفلان، الأول أربع سنوات، والثاني تسعة أشهر، أريد الهجرة إلى بلاد عربية من أجل مستقبل أبنائي خاصة، وللحفاظ على دينهم ولغتهم، كنت أنوي الاستقرار في تونس لأن جميع عائلتي هناك، وأبواي ينويان الرجوع إلى هناك، لكن المشكلة أن الحجاب هناك ممنوع منعاً باتاً على المرأة المسلمة حتى في الشارع، وجميع أفراد عائلتي هناك قد استكروها على نزع الحجاب، كما أنه لا يجوز هناك اللقاءات أو الاجتماعات ذات الصبغة الدينية، حتى ولو كان ضمن حفلة زواج أو غيرها، والمسلمون هناك خاصة الشباب منهم مضطرون للعيش فرادى وفي خوف دائم، حتى لمجرد الصلاة الدائمة في المسجد.

لذلك فالعيش هناك بالنسبة لي ولزوجتي التي ترتدي الحجاب يعتبر مستحيلاً؛ لأنه حتى بالنسبة لأبنائي لا أضمن لهم أن يتعلموا دينهم هناك على قواعد صحيحة، وعندما أرجع وأفكر

في وضعي الحالي وكيف أني أعيش في بلاد الكفار أجد نفسي معلقاً بين الأرض والسماء، ولا عندي حل يريحني؛ لأنني لا أعرف هل الهجرة في هذه الحال واجبة أم لا؟ أرجو إفادتي جزاكم الله كل خير بأحاديث وآيات قرآنية أتخذ على أساسها القرار السليم، حتى لا أندم بعد ذلك أو أحس أنني أخطأت؟

الجواب: نشكرك أيها الأخ على هذا الإحساس والشعور الديني الذي هو واجب على كل مسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ونوصيك بتقوى الله تعالى في جميع أمورك، كما نفيدك بأن الإقامة في بلاد الكفار محرمة في الشريعة الإسلامية إلا لحاجة معتبرة شرعاً، كعلاج لا يوجد عند المسلمين أو دعوة إلى الإسلام.. ونحو ذلك، وعليك بالاجتهاد وبذل الأسباب التي تخلصك من البقاء في بلاد الكفار والانتقال إلى بلاد المسلمين، ولو إلى غير بلدك التي هي مسقط رأسك، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وإذا كان حالك في فرنسا وتونس كما ذكرت ولم تيسر لك الهجرة، فعليك تقوى الله في نفسك والتمسك بدينك والثبات عليه والمحافظة على شعائر الدين كالصلوات الخمس وغيرها، ودوام الالتجاء إلى الله أن يثبت قلبك، وعليك البعد عن مشاركة أهل السوء ومجالستهم، وإن وجدت أحداً من المسلمين فلازم صحبته، كما عليك الدعوة إلى الله حسب الاستطاعة. نسأل الله الكريم لك التوفيق وأن ييسر لك الخير

أينما كنت، إنه ولي ذلك والقادر عليه^(١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	نائب الرئيس	عضو	عضو
عبد العزيز بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	صالح الفوزان	بكر أبو زيد

كما سأل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، يقول السائل:

ما هي نصيحتكم للإخوة والأخوات المقيمين في إنجلترا ولا يعملون ويتلقون معونة مالية من الحكومة؟ وأحياناً هم يحصلون على عمل ولكن لا يخبرون الحكومة، فهل عملهم هذا يعتبر عملاً صحيحاً؟

الجواب: «الواجب على جميع المسلمين المقيمين في بلاد الكفر، أن يهاجروا إلى البلاد الإسلامية التي تقام فيها شعائر الله إذا استطاعوا ذلك، فإن لم يتيسر ذلك فالى البلاد التي هي أقل شراً، كما هاجر جماعة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بأمر النبي ﷺ من مكة إلى الحبشة؛ لأن بلاد الحبشة ذاك الوقت أقل شراً مما يقع على المسلمين في مكة من الشر قبل فتح مكة، فإن لم يستطيعوا فعليهم أن يتقوا الله في محلهم، وأن يحذروا ما حرم الله عليهم، وأن يؤدوا ما أوجب الله عليهم، ولا حرج عليهم في قبول المعاونة والمساعدة

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/٤٥٥-٤٥٦) برقم ١٩٥٨١.

من الدولة الكافرة، إذا لم يترتب على ذلك ترك واجب، أو فعل محذور، وليس لهم أخذ المساعدة إلا على الطريقة الرسمية التي قررتها الدولة، وليس لهم أن يكذبوا للحصول عليها، وعليهم جميعاً أن يتقوا الله في كل شيء، وأن يحذروا ما نهى الله عنه، وأن يتفقهوا في القرآن والسنة فيما بينهم، وأن يسألوا أهل العلم عما أشكل عليهم، ولو بالمكاتبة أو من طريق الهاتف، أصلح الله أحوال المسلمين جميعاً وحفظ عليهم دينهم ومنحهم الفقه فيه، وكفاهم شر أنفسهم وشر أعدائهم، إنه جواد كريم»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (٢٨/٢٣٨-٢٣٩).

الكلمة التاسعة عشرة

العمل أو الدراسة لدى الكفار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

قال ابن بطال في شرحه على ما بَوَّبَ البخاري رَحِمَهُ اللهُ بِابٍ «هل يؤاجر المسلم نفسه من مشرك في أرض الحرب؟» وذكر فيه حديث خباب قال: «كُنْتُ قَيْنًا - أي حدادًا-، فَعَمَلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَاجْتَمَعَ لِي عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ لَا أَفْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ، حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ فَلَا. قَالَ: وَإِنِّي لَمَيْتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ؟ قَالَ: نَعَمْ.. الحديث»^(١).

قال المهلب: «كره العلماء أن يؤاجر المسلم نفسه من مشرك في دار الحرب أو دار الإسلام؛ لأن في ذلك ذلة للمسلمين، إلا أن تدعو إلى ذلك ضرورة، فلا يخدمه فيما يعود على المسلمين بضر، ولا فيما لا يحل مثل: عصر خمر، أو رعاية خنازير، أو عمل سلاح أو شبه ذلك، فلا يصح لمسلم أن يهين نفسه بالخدمة لمشرك إلا عند الضرورة، فإن وقع ذلك فهو جائز،.... ألا ترى أن خبابًا عمل للعاص بن وائل وهو كافر، وجاز له ذلك»^(٢).

(١) برقم ٢٢٧٥، ورواه مسلم في صحيحه برقم ٥٩٧٢.

(٢) فتح الباري (٦/٤٠٣).

قال المهلب: «كره أهل العلم ذلك إلا لضرورة بشرطين: أحدهما أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله، والآخر ألا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين، قال ابن المنير: استقرت المذاهب على أن الصناعات في حوائجهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة، ولا يعد ذلك من الذلة، بخلاف أن يخدمه في منزله، وبطريق التبعية له. والله أعلم، والمقصود بالتبعية أن يكون ذليلاً عنده»^(١).

قال ابن قدامة: «فإما إن أجر نفسه منه في عمل معين في الذمة، كخياطة ثوب جاز بغير خلاف نعلمه، لأن علياً رضي الله عنه أجر نفسه من يهودي يستقي له كل دلو بتمرة، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فلم ينكره، وكذلك الأنصاري، ولأنه عقد معاوضة لا يتضمن إذلال المسلم ولا استخدامه فأشبهه بمبايعته، فإن أجر نفسه منه لغير الخدمة مدة معلومة جاز» أهـ^(٢)

والخلاصة: «أج إجارة المسلم نفسه للكافر ثلاثة أنواع:

الأولى: إجارة على عمل في الذمة، فهذه جائزة، والثانية: إجارة للخدمة، فهذه الصحيح فيها المنع؛ لأن إجارة الخدمة تتضمن حبس نفسه على خدمته مدة الإجارة، وذلك فيه إذلال للمسلم وإهانة له تحت يد الكافر، فلم يجز كبيع العبد المسلم له، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١٤١) [النساء]. والثالثة: إجارة عينه منه لغير الخدمة، فهذه جائزة،

(١) فتح الباري (٤/٤٥٢).

(٢) المغني (٦/٣٩).

كما حدث لخباب رضي الله عنه مع العاص بن وائل وهو كافر، فقد عمل قيناً عنده كما تقدم.

هذا كله إذا كان الإيجار لعمل لا يتضمن تعظيم دينهم وشعائرهم، فإن كانت الإجارة لعمل يتضمن ذلك لم يجز^(١)، أو كان هذا العمل يتضمن مخالفات شرعية، كأن يكون العمل في فندق، أو مطعم يبيع المحرمات كالخنزير أو الخمر، أو يعرض القنوات الفضائية السيئة لساكنيه، أو الاختلاط بين الرجال والنساء، أو يمنع فيه من أداء الصلوات، أو غير ذلك.

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية السعودية، يقول السائل:

ما حكم العمل في دول الكفر، كدول أوروبا وأمريكا، وهل يتغير الحكم لو عمل عند مسلم في مؤسسات مسلمة، ولكن في نفس البلد الكافر؟

الجواب: يجب على المسلم أن يهاجر من ديار الكفر إلى ديار الإسلام محافظة على دينه، وتكثيراً لجماعة المسلمين، وليتعاون معهم على إقامة شعائر الإسلام، وسيجد لنفسه بإذن الله طرقاً عدة للكسب والمعيشة المباركة بين المسلمين مع الأمن على دينه إن اتقى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ [الطلاق].

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/١٩٩) بتصرف.

ومن هذا يعلم أن عمل المسلم في بلاد الكفر وهو يقوى على الهجرة منها إلى بلاد الإسلام لا يجوز، سواء كان عمله في محل كافر أم مسلم، إلا أن عمله في محل كافر أشد منعاً، لما يتوقع في ذلك من مزيد الخطر والذل، لكن إذا كان عالمًا وله نشاط في الدعوة إلى الإسلام، ويرجى أن يتأثر الكفار بدعوته، وتقوم به الحجة عليهم ولا تخشى عليه فتنة في دينه، أو نفسه، فله أن يقيم بينهم للقيام بواجب الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، ومن كان مستضعفًا لا يقوى على الهجرة، فهو معذور في إقامته بين الكفار، وعلى إخوانه المسلمين أن يساعده، ليتمكن من الهجرة إلى بلد يأمن فيه على دينه»^(١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزيز بن باز

وسُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، يقول السائل:

إني قاطن في فرنسا، متزوج ولي أبناء، ومشكلتي هي كالاتي: العمل تقريباً معدوم عندنا، وهذه ليست حجة أنجو

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٤ / ٤٧٥-٤٧٦) برقم

بها عند ربي، والمصيبة الكبرى وهي أنني أعيش في محيط غير مسلم، زوجتي مثلاً تصلي وتصوم، وهذا بعد جهد طويل ومديد وقاس ومر، ولا أظن إن واجهتها بالحقيقة أنها ستقتنع وترضى بحكم الله، وهذا سيؤدي لا محالة إلى الطلاق وتخريب البيت، وقانون الدولة عندنا يعطي حضانة الأولاد إلى الأم، وأخشى عليهم ترك دين أبيهم.

والسؤال هو: هل أتوقف عن العمل في هذا المحل الذي فيه لحوم الخنزير وغيرها، وإن أدى ذلك إلى الطلاق إذا اقتضى الأمر، أم أواصل عملي؟ أفيدوني أفادكم الله، وفقنا الله وإياكم؟

الجواب: إذا كان الأمر كما ذكر، فإنه لا يجوز لك الاستمرار في العمل المذكور؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان الذي نهى الله عنه، لقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢﴾ [المائدة]. ونوصيك بالتماس عمل غير العمل المذكور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿ [الطلاق: ٢-٣]. ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه^(١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد العزيز آل الشيخ	عبد العزيز بن باز

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٤/٤٣٦-٤٣٧) برقم ١٧٦٨٧.

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، يقول السائل :

ما حكم من يشتغل عند شخص غير مسلم، هذه النقود التي يقبضها من عنده هل هي حلال أم حرام؟

الجواب: تأجير المسلم نفسه للكافر لا بأس به إذا كان العمل الذي يقوم به مباحًا، كبناء جدار أو بيع سلعة مباحة أو ما أشبه ذلك من الأعمال المباحة؛ لأن عليًّا رضي الله عنه أجر نفسه ليهودي بتمرات على نضح الماء له من البئر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أَنَّ عَلِيًّا أَجَرَ نَفْسَهُ مِنْ يَهُودِيٍّ يَسْقِي لَهُ كُلَّ دَلْوٍ بِتَمْرَةٍ»^(١)(٢).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن باز

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، يقول السائل :

يوجد بعض الإخوة المسلمين الدارسين في أمريكا لا يستطيعون أداء الصلاة في وقتها سواء مع الجماعة أو منفردين،

(١) سنن ابن ماجه برقم ٢٤٤٦ وضعفه الألباني رحمته الله في سنن ابن ماجه ص ١٩٣ برقم ٥٣٥.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٤/ ٤٨٥-٤٨٦) برقم ١٥٩٢١.

وذلك بسبب أوقات المحاضرات الدراسية هنا في الجامعات الأمريكية، كما أن بعض الإخوة لا يستطيعون أداء صلاة الجمعة لمدة طويلة قد تصل إلى فصل دراسي كامل، فما الحكم في ذلك جزاكم الله خيراً؟

الجواب: يجب على المسلم أن يصلي الصلاة في وقتها، ولا يجوز تأخيرها عن وقتها من أجل بعض الدروس أو المحاضرات، إلا أن يكون مسافراً يجوز له الجمع، أو مريضاً يشق عليه أن يصلي كل صلاة في وقتها، وأنت وأمثالك ليس لكم حكم المسافرين، لعزمكم على الإقامة لمدة طويلة، فالواجب على كل مسلم في أي مكان أن يراقب الله سبحانه، وأن يصلي الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، وأن يحذر التساهل في ذلك، أو الترخص في الجمع بغير عذر شرعي، وعليه أن يصلي صلاة الجمعة مع المسلمين إذا كان في مكان تقام فيه صلاة الجمعة، ولا يجوز له التساهل في ذلك^(١).

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، يقول السائل:

هل يجوز لي شرعاً أن أعمل في عمل يقوم عليه شخص كافر لا يمكنني من أداء الصلاة في وقتها، ولا يمكنني من أداء صلاة الجمعة؟

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٠/٣٧٦-٣٧٧) بتصرف.

الجواب: إذا كان الواقع كما ذكرت، فإنه لا يجوز لك أن تعمل في هذا العمل الذي يصدك صاحبه عن الصلاة المفروضة في وقتها المحدد لها، وعن أداء الجمعة المكتوبة عليك^(١).

ومن الحلول: البحث عن عمل لدى المؤسسات أو الشركات التي يملكها أناس متسامحون، ولا يعارضون المسلمين عند ذهابهم لصلاة الجمعة أو التوقف عن العمل لأداء صلاة الجماعة، وهذا موجود في بعض الدول، ويعتبرون هذا من الحرية الدينية، بل بعضهم يحترم المسلم الذي يتوقف عن العمل لأداء صلاة الجمعة أو الجماعة، ولعل من المناسب أن يشترط المسلم عند كتابة عقد العمل لدى المؤسسة أو الشركة أن من حقه التوقف عن العمل لأداء صلاة الجمعة، أو الجماعة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٤ / ٤٧٨) برقم ٤٠٤٧.

الزواج من الكتابيات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ذهب جماهير أهل العلم إلى حلِّ الزواج بالكتابية، وخالف في ذلك بعضهم واستدلوا بما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر: كان إذا سئل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية قال: «إن الله حرم المشركات على المؤمنين، ولا أعلم من الإشراف شيئاً أكبر من أن تقول المرأة: ربها عيسى وهو عبد من عباد الله»^(١).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]. ووجه الدلالة أن الله تعالى حرم نكاح المشركات، والكتابية مشركة، فيحرم نكاحها.

وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ﴾ [المتحنة: ١٠]. وهذا نهى عن إبقاء الكافرة في عصمة المسلم، فاقتضى النهي عن ابتداء نكاحها، والكتابية داخلية في مسمى الكوافر.

«وقالوا أنه يُشترط بأن توحد الله ولا تشرك به شيئاً، ولكنها

لا تتبع إلا موسى عليه الصلاة والسلام، إن كانت يهودية، أو عيسى عليه الصلاة والسلام، إن كانت نصرانية، فإن خالفت الإسلام وأشركت فإنها لا تحل، وهؤلاء راموا الجمع بين آية المائدة وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. وبين آية البقرة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فقالوا: إذا أشركت بالله ولو كانت يهودية أو نصرانية فلا تحل، وأما إذا كانت غير مشركة بالله، وإن لم تدن بالإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فإنها تحل، وتكون الفائدة من قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] أنها غير مسلمة وحلت لا أنها مشركة وحلت.

وإلى هذا ذهب كثير من أهل العلم من السلف والخلف، وعلى هذا الرأي إذا كانت النصرانية تقول: إن الله ثالث ثلاثة فإنها لا تحل ولو تدين بدين النصارى، وكذلك اليهودية إذا قالت: عزير ابن الله فإنها لا تحل لأنها مشركة.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الآية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] عامة فكل من انتمى إلى دين أهل الكتاب فهو منهم، وقالوا: إن هذا مخصص لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، لأن آية البقرة متقدمة على آية المائدة، ثم هذا التعليل في الحقيقة

عليل: لأن التخصيص لا فرق فيه بين المتقدم والمتأخر، لكن الدليل الواضح هو أن الله ذكر في سورة المائدة حل نساء أهل الكتاب، وحكى عنهم الشرك وكفرهم أيضاً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يُؤَفِّكُوكَ﴾ [التوبة] (١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تزوج جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من نساء النصارى ولم يروا بذلك بأساً، أخذوا بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فجعلوا هذه مخصصة للآية التي في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]. إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها وإلا فلا معارضة بينها وبينها؛ لأن أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكرهم عن المشركين في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة]، وكقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [آل عمران: ٢٠]» (٢).

(١) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢/١٤٧-١٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٨٣-٨٤).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فالحاصل والذي عليه جمهور أهل العلم أن من تدين بدين أهل الكتاب وانتسب إليهم ولو كان يقول بالتثليث فإنه تحل ذبيحته ويحل نكاحه»^(١).

وهذا مشروط بما في الآية الكريمة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، وقد اختلف أهل العلم في المراد بالإحصان، فقيل: أراد بالمحصنات الحرائر دون الإماء، وقيل المراد: العفيفات.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «والقول الأخير هو قول الجمهور، وهو الأشبه لئلا يجتمع فيها أن تكون ذمية، وهي مع ذلك غير عفيفة، فيفسد حالها بالكلية ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل «حشفاً وسوء كيله»، والظاهر من الآية: أن المراد بالمحصنات: العفيفات عن الزنا، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]»^(٢).

«والذي يطلع على حقوق الزوجين في الغرب يخجل في الحقيقة من هذا القانون، ويرفع عن مقارنته، لا بالإسلام الذي هو شريعة ربانية، بل بالنظم البشرية في العصور الحجرية إذ كلها تأنف من جعل الزوج ديوثاً يرى من يجامع زوجته فيباركه، أو يرى من يحبلها ولا حق له سوى نفقات الولادة. في الحقيقة إن الغرب فرغوا الزواج من معناه الحقيقي، وجعلوه رسمًا بلا

(١) الشرح الممتع (١٢/١٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٨٢).

معنى وصورة بلا روح، وإلا فقولوا لي: بماذا تمتاز الزوجة عن الأجنبية بالنسبة للرجل؟

فالزوجة لا يلزمها في القانون الغربي أن تقدم لزوجها فنجاناً من القهوة والأجنبية كذلك، ولا يمكن لزوجها أن يجامعها إلا برضاها والأجنبية كذلك، وليس عليه أن يملي عليها رأيه والأجنبية كذلك، وليس له أن يمنعها الخروج من البيت والأجنبية كذلك، وليس له أن يمنعها معاشره الرجال والأجنبية كذلك.

وليس له أن يمنعها استضافة عشيقها في البيت والأجنبية كذلك، ولها أن تدعي أن هذا الولد من عشيقها لا من زوجها فينسب للعشيق، فأين حقوق الزوج في الغرب.

كل هذا سببه نظريتهم في المساواة بين الرجل والمرأة ونظريتهم في احترام الحرية الشخصية، إضافة إلى أن القوانين الغربية فتحت باباً عظيماً من أبواب الفساد في صميم الجالية المسلمة، فإن الرجل لم يعد يستطيع أن يكلم زوجته كلمة واحدة إذ بيدها تطليقه، وأخذ نصف ثروته، وأكثر من نصف راتبه الشهري، إلى جانب استئثارها بحضانة أولاده وإذلاله في المحاكم.

هذا بالنسبة للزوج، أما بالنسبة للأولاد، فإن الرجل مهما دفع لهم فإنه أبوهم ومسؤول عنهم، وعن تأمين العيش الكريم لهم، ولكن المشكلة لا تكمن هنا، وإنما صلب المشكلة أن هذا

الأب ليس له حظ من أولاده إلا أن يراهم ساعة في الأسبوع، ثم تستأثر الأم بسائر أوقاتهم. وتكون المشكلة أعظم إن كان المطلق مسلمًا والمطلقة كتابية، فإنها ستأثر بتربيتهم على الكفر وعادات الكافرين فيدفع هذا المسكين نصف ثروته لامرأته الكافرة، وينفق عليها أكثر من نصف راتبه الشهري لتربي أولاده على الكفر وعلى عداوة أبيهم وبغضه وهو محروم من رؤيتهم وتربيتهم ومن أنسهم ومودتهم، حقًا إنها طامة لا يعرفها إلا من ذاقها.

وللأسف هذا حال كثير من المسلمين في أوروبا والذين بادروا بالزواج من كتابيات طمعًا بالإقامة والجنسية والعمل، ورغبة بجمالها وشقارها، فانقلبوا بعد حين ليدوقوا مرارة الطلاق ويدفعوا مالهم ودين أولادهم ثمنًا لهذا الزواج.

ومنهم من تورط في الزواج ثم أدرك مغبة الطلاق وما يجره عليه من خسارة في ماله وولده، فأثر الصبر على أخلاق الزوجة الغربية وصار خادمًا عندها تسيره كيف تشاء، يتجرع كأس الذل والمهانة كل يوم، ولا يستطيع أن يشكو همه لأحد.

لقد رأيت في ألمانيا من مآسي المسلمين العرب ما يبعث على الحزن ويوجع القلب، ولقد رأيت من يرى ابنته تصاحب الألماني الكافر، ولا يستطيع أن يتدخل في شأنها، ومن تأتي ابنته والصليب على رقبتها ولا يستطيع أن يتكلم، ومن تزوجت ابنته من كافر وليس له إلا أن يبارك هذا الزواج، ومن اتخذت امرأته عشيقًا ولا يستطيع إلا أن يكرمه.

نعم يا إخواني إن ما أخذه الغرب من المسلمين المهاجرين، كان أكثر مما أعطاهم، ولو بدا لهم لأول وهلة أنه أعطاهم الكثير، وإن من ارتد وانحرف من أولاد المسلمين أكثر من الغربيين الذين دخلوا في الإسلام، وكان تأثيرهم فينا أكثر من تأثيرنا فيهم، وإن كان ديننا أعظم من دينهم لأننا جعلنا الدين من غير صدق، وهم صدقوا من غير دين.

ومن القصص المحزنة في ذلك: قبل حوالي شهر حصل في برلين أن صاحب محل تجاري من المسلمين انتحر بسبب الطلاق، فرضت عليه المحكمة أن يدفع أكثر من نصف مدخوله الشهري لمطلقاته وأولاده، كما فرضت عليه أن يتخلى عن محله التجاري، حتى يباع وتأخذ مطلقته نصيبها، أي تقسيم ثروته المالية بينه وبينها على السواء، فلم يستطع تحمل هذا الأمر فأقدم على الانتحار. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن هذه الحالات: صديق لي تزوج بامرأة نصرانية، ولم يكن حسن الالتزام بدينه، وكانت هي أيضاً بعيدة عن دينها، ويسر الله لهذا الرجل أن تعرف على المسلمين الملتزمين على المسجد حتى أصبح من رواده، وأصبح داعية للإسلام، وكان له من زوجته خمسة أولاد لا تتجاوز أعمارهم السبع سنوات، وصار يحضرهم إلى المسجد ويعلمهم الإسلام، وبدأت العداوة تكبر في صدر امرأته حتى اشتعل صدرها ببغض هذا الدين، ودفعها هذا البغض إلى الاقتراب من الكنيسة والدفاع عنها، وكانت تثور في البيت المجادلات الدينية والتي لم تنته إلا بطلب

المرأة الطلاق، وصدر الحكم بالطلاق، وكانت الأم قد أطلعت القاضي على سبب العداوة بينها وبين زوجها الذي انقلب إلى رجل متعصب - بزعمها - ويريد أن يربي أولاده على الإسلام ويأخذهم إلى المسجد، فمال القاضي إليها وحكم لها بحضانة الأطفال الخمسة، ولم يعد يسمح للأب أن يزور أولاده إلا مرة واحدة في الأسبوع.

وحرصت الأم بعد ذلك على غرس الكفر في نفوس الأطفال، فصارت تصحبهم إلى الكنيسة بعد أن كانت الكنيسة لا تعني شيئاً لها، وبدأت تطبخ لهم الخنزير وتنفرهم من الإسلام، وكان الأب في غضون زيارة الأولاد له يحرص على تعليمهم الصلاة ويحببهم فيها، فلما علمت الأم بذلك أخبرت القاضي الذي قام بإنذار الأب بحرمانه من زيارة أطفاله له إذا حدثهم عن الإسلام أو الصلاة أو حتى صلى إحدى الصلوات أمامهم.

وهذا غيظ من فيض مما يجري في بلاد الغرب، من حرب على الإسلام وأهله، والاعتداء على أبناء المسلمين لإبعادهم عن دينهم.

ومنذ أيام قلائل اتصل بي أحد الإخوة، وأخبرني أن صديقاً له من المسلمين العرب توفي وله زوجة ألمانية، فأراد أهله وأصدقائه دفنه في مقبرة المسلمين فرفضت زوجته، وأصررت على أن يدفن في مقابر النصارى، فذهب بعض الإخوة يترجونها للسماح بدفنه في مقابر المسلمين، فلم تقبل ودُفن في مقابر النصارى.

فالمزوجة في القانون الألماني هي التي تأخذ هذا القرار، وليس لأهله أو أسرته أي حق في التدخل بهذا الشأن.

والذي أنصح به أنه لا ينبغي الإقدام على الزواج من الكتابية إلا إذا رجا إسلامها، وغلب ذلك على ظنه بما يتوسمه من حسن صفاتها، وحبها للخير؛ لأنه حين يعقد عليها في بلاد الغرب يخضع زواجهما للقوانين الغربية، وفي هذه القوانين من السوء والعار ما لا يجوز للمسلم أن يرضى به، كانهدام قوامة الرجل في بيته، وحرية الزوجة في معاشره الأجنب، واصطحاب العشيق إلى البيت.. وغير ذلك من المخازي.

والإسلام حين أجاز الزواج بالكتابية كان ذلك مبنياً على الخضوع لأحكامه، فالرجل هو القوام على المرأة وعلى البيت، ولا يدع للمرأة تأثيراً في تسيير البيت وتوجيهه نحو الانحلال أو تربية الأطفال على الكفر وعادات الكافرين، فهذه القوامة التي منحه الشارع إياها، يزول المحذور الذي يخشى وقوعه من قبل امرأته الكافرة، وأما مع عدم الخضوع لأحكام الإسلام وعدم القوامة فالأمر يختلف.

فينبغي على المسلم أن ينظر في المحذورات المتوقعة من هذا الزواج، ويتفق مع المرأة على تفاديها، كأن يتفق معها على قوامته على البيت، وتربية الأولاد وفق شرع الله، وفي حال الطلاق تكون حضانتهم له، فإن وافقت أقدم على الزواج بعد توثيق هذا الاتفاق في المركز الإسلامي، وإن أبت فلا يقدم عليه؛ لأن في

الإقدام عليه تفريطاً في حق نفسه وحق أولاده، وتضييع للأمانة التي حمَّله الله إياها، وسيسأل عن ذلك يوم القيامة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أحكام الأحوال الشخصية للمسلمين في الغرب، د. سالم الرافي، (ص ٤١٦-٤١٨، ٦٠٦-٦٠٨) بتصرف.

شرح اسم من أسماء الله تعالى: الرحمن، الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لله تسعة وتسعون اسماً، مئةٌ إلا واحداً لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة، وهو وترٌ يحب الوتر»^(١). وفي رواية: «من أحصاها دخل الجنة»^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى: الرحمن، والرحيم، قال بعضهم: ذُكِرَ الرحمن في القرآن سبعاً وخمسين مرة، وذُكِرَ الرحيم مئة وأربع عشرة مرة، والرحمن دال على أن الرحمة صفته القائمة به كعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤١٠، وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٣٩٢.

والرحيم دال على أنه يرحم خلقه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: ٢١].

«ورحمة الله عامة وخاصة، فأما العامة فهي لجميع الخلق، فكل الخلق مرحومون برحمة الله، ولولا رحمة الله ما أكلوا وما شربوا، وما اكتسوا، وما سكنوا، ولكن الله رحمهم، فهيأ لهم ما تقوم به أبدانهم من المعيشة الدنيوية، وأما رحمته الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين»^(١)، «حيث وفقهم للإيمان وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة وما به يدركون غاية الأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله أن لا يحرمنا خيرهِ بِشْرًا ما عندنا»^(٢).

«وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم تقتضي التوفيق للإيمان والعلم والعمل وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية والفلاح والنجاح وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق»^(٣).

ورحمة الله واسعة وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، وقال

(١) أحكام من القرآن للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٦ للشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ السعدي (٣/٢٥٥).

تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا»^(١). يريد رحمة الله، يعني: ضيقت واسعًا على فضل الله سبحانه وجوده، وقلت ما ليس لك قوله، وسألت ما لا يحسن سؤاله، فإن السيول الدوافع قد تكف، والبحور الزواجر قد تقبض، ولكن فضل الله وجوده على خلقه لا يكف ولا يقبض ولا يقلع أبدًا^(٢).

ومن آثار الإيمان بهذين الإسمين العظيمين:

أولاً: أن رحمة الله تغلب غضبه، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»^(٣).

قال ابن القيم رحمته الله: «وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخلية كلها بالرحمة لهم، والعفو والصفح عنهم، والمغفرة والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة، فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب، الذي

(١) صحيح البخاري برقم ٦٠١٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢٩٣/٧).

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٩٤، وصحيح مسلم برقم ٢٧٥١.

لولا له لكان للخلق شأن آخر، ولولا ذلك لخرب العالم، وسقطت السموات على الأرض، وخرت الجبال»^(١).

ثانياً: أن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الأم بولدها، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» فَقُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا»^(٢).

ثالثاً: أن الله جلّ وعلا عنده مئة رحمة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً». وفي رواية: «فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَرَّاحِمُ الْخَلَائِقِ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ

(١) شفاء العليل (٢/٦٩٩).

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٩٩٩، وصحيح مسلم برقم ٢٧٥٤.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٠٠٠، وصحيح مسلم برقم ٢٧٥٢.

الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(١).

رابعًا: أنه ينبغي للمؤمن أن يكون رحيماً بالناس، فالرحمة من الأخلاق العظيمة التي حض الله سبحانه عباده على التخلق بها، فقد مدح بها أشرف رسله، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١٠٧) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٢٨) [التوبة].

وبين النبي ﷺ أن الرحمة إنما تنال عباد الله الرحماء، فقال ﷺ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»^(٢). وقال أيضاً: «لَا تُنَزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»^(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٤). وفي رواية: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٥).

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٦٩، وصحيح مسلم برقم ٢٧٥٥ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٢٨٤، وصحيح مسلم برقم ٩٢٣.

(٣) سنن أبي داود برقم ٤٩٤٢، وحسنه الألباني رَحْمَلَهُ فِي صحيح الجامع برقم ٧٤٦٧.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٩٩٧، وصحيح مسلم برقم ٢٣١٨.

(٥) صحيح البخاري برقم ٥٩٩٨، وصحيح مسلم برقم ٢٣١٧.

خامساً: أن طاعة الله تعالى ورسوله سبب لرحمة الله، فكلما كان الإنسان أقرب إلى الله تعالى كانت رحمة الله أولى به، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢) [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [الأعراف].

سادساً: أن الله تعالى من رحمته بعباده يتليهم بالمصائب والآلام تطهيراً لهم وتكفيراً لذنوبهم، ورفعاً لدرجاتهم، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ ذَلِكَ» (٢). فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه، كما قيل:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

سابعاً: أن المؤمنين إنما يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته لا بأعمالهم، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) برقم ٢٣٩٦، وقال الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/ ٢٨٥) برقم

١٩٥٣: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح ابن حبان برقم ٢٨٩٧، والحاكم (١/ ٦٦٤) برقم ١٣١٤، وحسنه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٩٩.

أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا»^(١).

ثامناً: أنه يُشرع للمؤمن أن يسأل ربه الرحمة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبيه رضي عنه أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي - وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٥٦٧٣، وصحيح مسلم برقم ٢٨١٦.

(٢) برقم ٢٦٩٧.

الكلمة الثانية والعشرون

صفة الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال الشيخ صالح الفوزان: «بعد أن بينا أركان الصلاة وواجباتها وسننها القولية والفعلية، نريد أن نذكر صفة الصلاة المشتملة على تلك الأركان والواجبات والسنن، حسبما وردت به النصوص من صفة صلاة النبي ﷺ؛ لتكون قدوة للمسلم، عملاً بقوله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(١)، وإليك سياق ذلك:

- كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة؛ استقبل القبلة، ورفع يديه، واستقبل ببطون أصابعهما القبلة، وقال: الله أكبر.

- ثم يُمسك شماله بيمينه، ويضعهما على صدره.

- ثم يستفتح، ولم يكن ﷺ يداوم على استفتاح واحد، فكل الاستفتاحات الثابتة عنه يجوز الاستفتاح بها، ومنها: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

- ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

- ثم يقرأ بفاتحة الكتاب، فإذا ختمها، قال: آمين.

- ثم يقرأ بعد ذلك سورة: طويلة تارة، وقصيرة تارة، ومتوسطة تارة، وكان يطيل قراءة الفجر أكثر من سائر الصلوات، وكان يجهر بالقراءة في الفجر والأولين من المغرب والعشاء، ويُسرُّ القراءة فيما سوى ذلك، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطيل الركعة الأولى من كل صلاة على الثانية.

- ثم يرفع يديه كما رفعهما في الاستفتاح، ثم يقول: الله أكبر، وَيَخِرُّ رَاكِعًا، ويضع يديه على ركبتيه مُفَرَّجَتِي الْأَصَابِعِ، وَيُمَكِّنُهُمَا، ويمد ظهره، ويجعل رأسه حياله: لا يرفعه ولا يخفضه، ويقول: سبحان ربي العظيم.

- ثم يرفع رأسه قائلاً: سمع الله لمن حمده، ويرفع يديه كما يرفعهما عند الركوع.

- فإذا اعتدل قائماً؛ قال: ربنا لك الحمد، وكان يطيل هذا الاعتدال.

- ثم يكبر، ويخر ساجداً، ولا يرفع يديه، فيسجد على جبهته وأنفه ويديه وركبتيه وأطراف قدميه، ويستقبل بأصابع يديه ورجليه القبلة، ويعتدل في سجوده، ويمكِّن جبهته وأنفه من الأرض، ويعتمد على كفيه، ويرفع مرفقيه، ويجافي عضديه عن جنبيه، ويرفع بطنه عن فخذه، وفخذه عن ساقه، وكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى.

- ثم يرفع رأسه قائلاً: الله أكبر، ثم يفرش رجله اليسرى، ويجلس عليها، وينصب اليمنى، ويضع يديه على فخذه، ثم يقول: اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني.

- ثم يكبر ويسجد، ويصنع في الثانية مثلما صنع في الأولى.

- ثم يرفع رأسه مكبراً، وينهض على صدور قدميه، معتمداً على ركبتيه وفخذه.

- فإذا استتم قائماً، أخذ في القراءة، ويصلي الركعة الثانية كالأولى.

- ثم يجلس للتشهد الأول مفترشاً كما يجلس بين السجدين، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، ويده اليسرى على فخذه اليسرى، ويضع إبهام يده اليمنى على أصبعه الوسطى كهيئة الحلقة، ويشير بأصبعه السبابة، وينظر إليها^(١)، ويقول: التحيات لله، والصلوات، والطيبات، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وكان ﷺ يخفف هذه الجلسة^(٢).

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: دلت السنة على أنه يشير بها عند الدعاء؛ لأن لفظ الحديث (يحركها يدعو بها) فكلما دعوت حرك إشارة إلى علو المدعو سبحانه وتعالى. الشرح الممتع (٣/١٤٦).

(٢) قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بعد كلامه على التشهد الأول: ثم يصلي على النبي الصلاة الإبراهيمية لعموم الأحاديث الواردة في الأمر بالصلاة على النبي ﷺ في التشهد، وإن تركها في التشهد الأول فلا حرج؛ لأنه قد ثبت =

- ثم ينهض مكبراً، فيصلي الثالثة والرابعة، ويخففهما على الأوليين، ويقرأ فيهما بفاتحة الكتاب.

- ثم يجلس في تشهده الأخير متوركاً، يفرش رجله اليسرى، بأن يجعل ظهرها على الأرض، وينصب رجله اليمنى أو يخرج رجله اليسرى عن يمينه، ويجعل أليته على الأرض.

- ثم يتشهد التشهد الأخير، وهو كالتشهد الأول ويزيد عليه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

- ويستعيد بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ويدعو بما ورد من الأدعية في الكتاب والسنة.

- ثم يسلم عن يمينه، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله، وعن يساره كذلك؛ يبتدئ السلام متوجهاً إلى القبلة، ويُنيه مع تمام الالتفات.

- فإذا سلم قال: أستغفر الله ثلاثاً، اللهم إنك أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يذكر الله بما ورد.

= عن النبي ﷺ في بعض الأحاديث أنه نهض إلى الثالثة بعد الشهادتين ولم يصل على النبي ﷺ. انظر صفة الصلاة للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.

أيها المسلم، هذه جملة مختصرة في صفة الصلاة حسبما ورد في النصوص، فعليك أن تهتم بصلاتك غاية الاهتمام، وأن تكون صلاتك متفقة حسب الإمكان مع صلاة النبي ﷺ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والعشرون

فضائل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن بسر رضي عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»^(١).

ومن الأذكار العظيمة التي وردت النصوص بفضلها: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فمن فضائل هذه الكلمات :

أنهن أحب الكلام إلى الله، روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحبُّ الكلامِ إلى الله تعالى أَرْبَعٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»^(٢).

(١) برقم ٣٣٧٥ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٣٩)

برقم ٢٦٨٧.

(٢) برقم ٢١٣٧.

ومنها: أنهم أحب إلى النبي ﷺ مما طلعت عليه الشمس، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» (١).

ومنها: أنهم مكفرات للذنوب، فقد ثبت في سنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كَفَّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبَهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» (٢).

ومنها: أنهم غراس الجنة، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ» (٣)، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (٤).

ومنها: أنه ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يُعمر في الإسلام يكثر تكبيره وتسبيحه وتهليله وتحميده، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن شداد رضي عنه، أن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا

(١) برقم ٢٦٩٥.

(٢) برقم ٣٤٦٠، وحسنه الألباني رحمته في صحيح الجامع برقم ٥٦٣٦.

(٣) القيعان: جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء، فيمسكه ويستوي نباته. النهاية في غريب الحديث (٤/١٣٢).

(٤) برقم ٣٤٦٢ وحسنه الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٥.

النبي ﷺ فأسلموا، قال: فقال النبي ﷺ: «مَنْ يَكْفِينِيهِمْ؟» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا آخَرَ، فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّلَاثُ عَلَى فِرَاشِهِ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ آخِرًا إِلَيْهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ»^(١).

وقد دل هذا الحديث العظيم على عظم فضل من طال عمره، وحسن عمله، ولم يزل لسانه رطباً من ذكر الله^(٢).

ومنها: أن الله اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهن لعباده، ورتب على ذلك أجوراً عظيمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ

(١) المسند (٣/ ١٩) برقم ١٤٠١، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) فقه الأديعية والأذكار للدكتور عبدالرزاق البدر ص ١٣٩.

سَيِّئَةٌ» (١).

ومنها: أنهم جنة لقائلهن من النار، ويأتين يوم القيامة منجيات لقائلهن، ومقدمات له، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ عَدُوِّ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْجِيَاتٌ وَمُقَدَّمَاتٌ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» (٢).

وفي الآية الكريمة: ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [٤٦] [الكهف]. أي التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها.

ومنها: أنهم يعظفن حول عرش الرحمن، ولهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ، وَتَحْمِيدِهِ، وَتَكْبِيرِهِ، وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟» (٣).

(١) (٣٨٧/١٣) برقم ٨٠١٢، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) المستدرک (٢٣٥/٢) برقم ٢٠٢٩، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع برقم ٣٢١٤.

(٣) (٣١٢/٣٠) برقم ١٨٣٦٢، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

ومنها: أنهن ثقيات في الميزان، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سلام رضي عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بخ بخ لِحَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ»^(١).

ومنها: أن للعبد بقول كل واحدة منهن له صدقة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَفَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ..»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٣٠/٢٤) برقم ١٥٦٦٢، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.
(٢) برقم ١٠٠٦.

الكلمة الرابعة والعشرون

من آداب الضيافة واستقبال الضيوف والزوار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد ذكر أهل العلم آداباً للضيافة واستقبال الضيوف ينبغي تعلمها وتطبيقها لأنها مستمدة من الوحيين (الكتاب والسنة) والعادات الكريمة التي توارثها العرب وتمسكوا بها جيلاً بعد جيل دفعهم إلى ذلك حبهم إكرام الضيف وتنافسهم في ذلك، وهي مكارم جاء الإسلام بإتمامها، قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١)، وهي كثيرة أطال العلماء في ذكر تفاصيلها، فليرجع إليها من أراد الاستزادة، حيث إنني اقتصر في هذه الكلمة على بعضها تنبيهاً على ما سواها، فمن ذلك:

أولاً: إكرام الضيف لقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(٢). ومدة الضيافة ثلاثة أيام لما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي شريح العدوي أن

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في الأدب برقم ٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٠١٨، وصحيح مسلم برقم ٤٨.

النبي ﷺ قال: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»^(١).

وفي الحديث الآخر: «وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْتِمَّهُ، قَالَ: يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيه بِهِ»^(٢).

ثانياً: استحباب الترحيب بالضيوف لما روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما قدم وفد عبد القيس قال: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»^(٣).

ثالثاً: قال أبو الليث السمرقندي: «على الضيف أربعة أشياء، أولها: أن يجلس حيث يُجلس، وثانيها: أن يرضى إذا جاد له صاحب الدار بموجوده، وثالثها: ألا يقوم إلا بإذن رب البيت، ورابعها: أن يدعو له إذا خرج»^(٤).

قال ابن الجوزي رحمته الله: «ومن آداب الزائر ألا يقترح طعاماً بعينه، وإن خير بين طعامين اختار الأيسر، إلا أن يعلم أن مضيفه يُسر بذلك»^(٥).

رابعاً: إذا تبع الضيف من لم يدع يستأذن المضيف في

(١) صحيح مسلم برقم ٤٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ٤٨.

(٣) برقم ٦١٧٦.

(٤) الفتاوى الهندية - لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي (٥ / ٣٤٤).

(٥) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣ / ٢٠٨).

حضوره، للحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود رضي عنه قال: كان من الأنصار رجل يقال له أبو شعيب: وكان له غلام لحام، فقال: اصنع لي طعامًا، وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس خمس، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس خمس، فتبعهم رجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكَ دَعَوْتَنَا خَامِسَ خَمْسَةٍ وَهَذَا رَجُلٌ قَدْ تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَذْنْتُ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَهُ»، قَالَ: بَلْ أَذْنْتُ لَهُ ^(١).

خامسًا: لا ينبغي التكلف للضيف، ومرجع ذلك إلى العرف، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث قيس أن سلمان دخل عليه رجل فدعا له بما كان عنده، فقال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا - أو أننا نهينا - أن يتكلف أحدنا لصاحبه، لتكلفنا لك ^(٢).

سادسًا: الاستئذان عند الدخول والانصراف بعد الفراغ من الطعام حتى لا يثقل على مضيفه إلا إذا كان رب البيت يرغب في بقائهم، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ^ط وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴿﴾ [الأحزاب: ٥٣].

سابعًا: دعاء الضيف لمن استضافه بعد الفراغ من الطعام

(١) برقم ٥٤٣٤.

(٢) (١٣٦/٣٩) برقم ٢٣٧٣٣ وقال محققوه: حديث محتمل للتحسين بمجموع طرقه.

لما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عباد رضي عنه فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

ولما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن بسر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن أطعمهم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ مِنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»^(٣).

ثامنًا: أن يؤثر الضيف على نفسه وعياله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَيَّ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتٌ صَبْيَانِي، قَالَ: فَعَلَّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا أَصْبِحِي السَّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلْ فَتُومِي إِلَى السَّرَاجِ

(١) برقم ٣٨٥٤.

(٢) برقم ٢٠٤٢.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٠٥٥.

حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَفَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ»^(١).

تاسعًا: من آداب المضيف أن يخدم أضيافه، ويظهر لهم بسط الوجه والفرح والسرور بقدمهم، وأن يحدثهم بما تميل إليه أنفسهم، وأن يقرب إليهم الطعام، قال تعالى حاكياً ضيافة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات].

عاشراً: أن يبدأ بالأكبر عند التقديم، ثم الأيمن فالأيسر، فقد كان النبي ﷺ إذا سقى قوم قال: «ابْدءُوا بِالْكَبِيرِ»^(٢)، أما إذا كانوا متساويين فيقدم الأيمن، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِنَا هَذِهِ، فَاسْتَسْقَى، فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً لَنَا، ثُمَّ شُبْتُهُ مِنْ مَاءِ بَيْتِنَا هَذِهِ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ، وَعُمَرُ تُجَاهَهُ، وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَمَّا فَرِغَ قَالَ عُمَرُ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ فَضَلَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «الْأَيْمُنُونَ الْأَيْمُنُونَ، أَلَا فَيَمِّنُوا»^(٣). قال أنس رضي الله عنه: فهي سنة، فهي سنة ثلاث مرات^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم ٣٧٩٨ وصحيح مسلم برقم ٢٠٥٤.

(٢) مسند أبي يعلى (٣١٥/٤) برقم ٢٤٢٥، قال الحافظ: وسنده قوي، فتح الباري (٨٩/١٠).

(٣) وذهب بعض أهل العلم إلى تقديم الأيمن مطلقاً، ولتفصيل ذلك انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٧٦/٤).

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٥٧١، وصحيح مسلم برقم ٢٠٢٩ دون قوله: أَلَا فَيَمِّنُوا.

الحادي عشر: استحباب الخروج مع الضيف إلى باب الدار، فقد زار أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام أحمد بن حنبل -رحمهما الله- ، قال أبو عبيد: فلما أردت القيام قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ويؤخذ من قصة أبي طلحة -يعني في حديث أنس عن أبي طلحة - سمعت صوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، قال فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه حتى دخلا... الحديث، وفيه أن من أدب من يضيف أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار تكرامة له»^(١).

الثاني عشر: على المضيف أن يدعو لضيافته الأتقياء دون الفساق، لما رواه الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(٢).

الثالث عشر: السمر مع الضيف والأهل، وترجم له البخاري باب السمر مع الضيف والأهل، وذكر حديث أبي بكر وفيه: أنه

(١) فتح الباري (٩/٥٢٨).

(٢) برقم ٢٣٩٥ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٨٥) برقم ١٩٥٢.

ذهب إلى النبي ﷺ ثم عاد إلى أضيافه وتعشى معهم^(١).

الرابع عشر: عدم إيذاء الضيف بأي نوع من أنواع الأذى سواء كان قولاً، أو فعلاً، وأن ينصرف الضيف طيب النفس، وأن يغفر لصاحب الدار أي تقصير حدث له^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦١٤٠.

(٢) منتقى الآداب الشرعية للشيخ ماجد العوشن ص ١٠٨-١٠٩.

من أحكام الغسل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الحدث الأكبر سواء كان جنابة، أو حيضاً، أو نفاساً لا يطهر المسلم منه إلا بالغسل، قال الحافظ في الفتح: «حقيقة الاغتسال: غسل جميع الأعضاء مع تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية^(١) أه، والدليل على وجوبه قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ [المائدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣].

وقد ذكروا أن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية وهو من بقايا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيهم.

موجبات الغسل: ستة إذا حصل واحد منها وجب الاغتسال:

١- خروج المنى من مخرجه من الذكر أو الأنثى، ولا يخلو إما أن يخرج في حال اليقظة أو حال النوم، فإن خرج في حال اليقظة اشترط وجود اللذة بخروجه، فإن خرج بدون لذة لم يوجب

(١) فتح الباري (١/ ٣٦٠).

الغسل، كالذي يخرج بسبب مرض أو عدم إمساك، وإن خرج في حال النوم، وهو ما يسمى بالاحتلام، وجب الغسل مطلقاً، لفقد إدراكه فقد لا يشعر باللذة، فالنائم إذا استيقظ ووجد أثر المنى وجب عليه الغسل، وإن احتلم ولم يخرج منه ولم يجد له أثراً لم يجب عليه الغسل.

روى البخاري ومسلم من حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا هِيَ اِحْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ»^(١).

قال ابن قدامة: «فخروج المنى الدافق بشهوة يوجب الغسل من الرجل والمرأة في يقظة أو في نوم، وهو قول عامة الفقهاء، قال الترمذي: ولا نعلم فيه خلافاً»^(٢).

٢- من موجبات الغسل: إيلاج الذكر في الفرج ولو لم يحصل إنزال، للحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ، وَمَسَّ الْخِتَانَ الْخِتَانَ، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»^(٣).

فيجب الغسل على المرأة والرجل ولو لم يحصل إنزال لهذا

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٠، وصحيح مسلم برقم ٣١٣.

(٢) المغني (١/٢٦٦).

(٣) صحيح البخاري برقم ١٨٠، وصحيح مسلم برقم ٣٤٣.

الحديث، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أن الأمة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع وإن لم يكن معه إنزال، وعلى وجوبه بالإنزال، وكان جماعة من الصحابة على أنه لا يجب إلا بالإنزال ثم رجع بعضهم، وانعقد الإجماع بعد الآخرين»^(١).

٣- من موجبات الغسل عند طائفة من العلماء: إسلام الكافر، فإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل؛ لأن النبي ﷺ أمر بعض الذين أسلموا أن يغتسلوا، فروى أبو داود في سننه من حديث قيس بن عاصم قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيدُ الْإِسْلَامَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ»^(٢). لأنه طهر باطنه من نجس الشرك، فمن الحكمة أن يطهر ظاهره بالغسل.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن اغتسال الكافر إذا أسلم مستحب، وليس بواجب، لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه كان يأمر به كل من أسلم، فيحمل الأمر على الاستحباب جمعاً بين الأدلة. والله أعلم

٤- الموت، فيجب تغسيل الميت، غير الشهيد لما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «بَيْنَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصْتُهُ»^(٣)، أو قال: «فَأَقَعَصْتُهُ»^(٤).

(١) شرح مسلم للنووي (٣٦/٤).

(٢) سنن أبي داود برقم ٣٥٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الْإِرْوَاءِ (١/١٦٣).

(٣) الوقص: كسر العنق.

(٤) القعص: أن يضرب الإنسان فيقتل قتلاً سريعاً. النهاية في غريب الحديث (٨٨/٤).

وقال ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفونوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تحمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة - قال أيوب: يلبي، وقال عمرو: ملبياً»^(١).

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللهُ: «وأجمعوا أن الميت يغسل غسل الجنابة»^(٢).

٥- الحيض والنفاس: لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَإِذَا أَقْبَلَتْ حَيْضَتِكَ فَدَعِي الصَّلَاةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنكَ الدَّمَ ثُمَّ صَلِّي»^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، يعني الحيض، يتطهرن بالاغتسال بعد انتهاء الحيض.

وصفة الغسل الكامل: أن ينوي بقلبه الغسل، ثم يسمي ويغسل يديه ثلاثاً ويغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً، ثم يحشي الماء على رأسه ثلاث مرات، يروي أصول شعره، ثم يعم بدنه بالغسل، ويدلك بدنه بيديه ليصل الماء إليه، والمرأة الحائض أو النفساء تنقض رأسها للغسل من الحيض والنفاس، وأما الجنابة فلا تنقضه حين تغتسل لمشقة التكرار، ولكن يجب عليها أن تروي أصول شعرها بالماء، ويجب على المغتسل رجلاً كان أو امرأة أن يتفقد أصول شعره ومغابن بدنه، وما تحت حلقه وإبطيه وسرته وطي ركبتيه، وإن كان لابساً ساعة

(١) صحيح البخاري برقم ١٢٦٨، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٢) الإجماع ص ٤٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٢٨، وصحيح مسلم برقم ٣٣٣.

أو خاتماً، فإنه يحركهما ليصل الماء إلى ما تحتهما.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ، فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ، فَيَدْخُلُ أَصَابِعَهُ فِي أَصُولِ الشَّعْرِ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدِ اسْتَبْرَأَ، حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ»^(١).

ويجب أن يهتم بإسباغ الغسل، بحيث لا يبقى من بدنه شيء لا يصل إليه الماء.

ولا ينبغي له أن يسرف في صب الماء، فالمشروع تقليل الماء مع الإسباغ، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع. ولا يجوز للمغتسل أن يغتسل عرياناً بين الناس للحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سِتِيرٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَغْتَسِلَ فَلْيَتَوَارَى بِشَيْءٍ»^(٢).

ويجب على المسلم أن يهتم بأحكام الغسل، ليؤديه على الوجه المطلوب شرعاً، وما أشكل عليه من أحكامه وموجباته سأل عنه، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) [النحل].

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٨، وصحيح مسلم برقم ٣١٦.

(٢) (٤٨٤/٢٩) برقم ١٧٩٧ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٦٤-٦٨) بتصرف.

وذكر أهل العلم الأغسال المستحبة :

أولاً: غسل الجمعة، وذهب بعضهم إلى وجوبه لقول النبي ﷺ: «غُسِّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(١). وذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أنه مستحب، واستدلوا بقول النبي ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا وَنِعَمْتُ، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ»^(٢).

ثانياً: غسل العيدين، فروى البيهقي من طريق الشافعي عن زاذان قال: سأل رجل علياً رضي الله عنه عن الغسل، فقال: اغْتَسِلْ كُلَّ يَوْمٍ إِنْ شِئْتَ، فَقَالَ: لَا، الْغُسْلُ الَّذِي هُوَ الْغُسْلُ، فَقَالَ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ^(٣) وَيَوْمَ النَّحْرِ، وَيَوْمَ الْفِطْرِ^(٤).

ثالثاً: غسل يوم عرفة: لأثر عليٍّ السابق.

رابعاً: غسل الإحرام: لما رواه الترمذي في سننه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ تجرد لإهلاله^(٥) واغتسل^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم ٨٧٩، وصحيح مسلم برقم ٨٤٦.

(٢) سنن أبي داود برقم ٣٥٤ وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن أبي داود (٧٢ / ١) برقم ٣٤١.

(٣) وهذا خاص بالحاج دون غيره.

(٤) سنن البيهقي (٥٣٤ / ٦) برقم ٦١٩٣ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في الإرواء ١٤٦.

(٥) الإهلال: رفع الصوت بالتلبية، يقال: أهل المحرم بالحج يهل إهلالاً، إذا لبي ورفع صوته. النهاية في غريب الحديث (٥ / ٢٧١).

(٦) سنن الترمذي برقم ٨٣٠ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في سنن الترمذي (١ / ٢٥٠) برقم ٦٦٤.

خامساً: الاغتسال عند دخول مكة، لما روى البخاري ومسلم من حديث نافع أنه قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية، ثم بيت بذي طوى^(١)، ثم يصلي به الصبح ويغتسل، ويحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك^(٢).

سادساً: غُسل من غَسَلَ مَيْتًا: لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَسَلَ مَيْتًا فَلْيَغْتَسِلْ، وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(٣).

قال الشيخ الألباني رحمته الله: فظاهر الأمر يفيد الوجوب، وإنما لم نقل به لحديثين:

الأول: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ فِي غُسل مَيْتِكُمْ غُسلٌ إِذَا غَسَلْتُمُوهُ، فَإِنْ مَيْتِكُمْ لَيْسَ بِنَجَسٍ، فَحَسْبُكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا أَيْدِيَكُمْ»^(٤).

الثاني: قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نمس الميت، فمنا من يغتسل، ومنا من لا يغتسل»^(٥).

(١) واد معروف بقرب مكة.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٥٧٣، وصحيح مسلم برقم ١٢٥٩.

(٣) سنن أبي داود برقم ٣١٦١ وصححه ابن القطان وقال الشيخ الألباني رحمته الله: صحيح، كما في أحكام الجنائز وبدعها ص ٧١.

(٤) مستدرک الحاكم (١/٧٢٤) برقم ١٤٦٦ وقال الشيخ الألباني رحمته الله: ثم ترجح عندي أن الصواب في هذا الحديث الوقف كما بينه في الضعيفة ٦٣٠٤، انظر أحكام الجنائز ص ٧٢.

(٥) سنن الدارقطني (٢/٧٢) برقم ٤، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: إسناده صحيح. انظر أحكام الجنائز للشيخ الألباني رحمته الله ص ٧٢.

قال في الدراري: «وذهب الجمهور إلى أنه مستحب»^(١).

سابعًا: الاغتسال عند كل جماع لحديث أبي رافع أن النبي ﷺ طاف ذات يوم على نسائه، يغتسل عند هذه وعند هذه، قال: فقلت: يا رسول الله! ألا تجعله واحدًا؟ قال: «هَذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ»^(٢).

ثامنًا: اغتسال المستحاضة لكل صلاة، أو للظهر والعصر معًا غسلًا، وللمغرب والعشاء معًا غسلًا، ولل فجر غسلًا؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ اسْتُحِيضَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَهَا بِالْغُسْلِ لِكُلِّ صَلَاةٍ»^(٣).

وفي رواية: «اسْتُحِيضَتْ امْرَأَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُمِرَتْ أَنْ تُعْجَلَ الْعَصْرَ وَتُؤَخَّرَ الظُّهْرَ وَتَغْتَسِلَ لهُمَا غُسْلًا وَاحِدًا، وَتُؤَخَّرَ الْمَغْرِبَ وَتُعْجَلَ الْعِشَاءَ وَتَغْتَسِلَ لهُمَا غُسْلًا، وَتَغْتَسِلَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ غُسْلًا»^(٤).

روى أبو داود في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «أَذْهَبُ فَوَارِ

(١) (١ / ٧٧).

(٢) سنن أبي داود برقم ٢١٩ قال: الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: سنده حسن وقواه الحافظ ابن حجر. انظر: آداب الزفاف ص ١٠٨.

(٣) سنن أبي داود برقم ٢٩٢ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن أبي داود (١ / ٥٨) برقم ٢٧٤.

(٤) سنن أبي داود برقم ٢٩٤ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: كما في صحيح سنن أبي داود (١ / ٥٩) برقم ٢٨١.

أَبَاكَ ثُمَّ لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي»، فَذَهَبَتْ فَوَارَيْتُهُ وَجِئْتَهُ، فَأَمَرَنِي فَأَغْتَسَلْتُ، وَدَعَا لِي (١).

تاسعاً: الاغتسال من الإغماء: روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عتبة قال: «دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «ضِعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» (٢)، قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَأَغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيُنُوءَ (٣) فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟»، قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضِعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ»، قَالَتْ: فَفَعَدَ فَأَغْتَسَلَ... الحديث» (٤).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ بعد هذا الحديث: «وقد ساقه المصنف ها هنا للاستدلال به على استحباب الاغتسال للمغمى عليه، وقد فعله النبي ﷺ ثلاث مرات وهو مثقل بالمرض، فدل ذلك على تأكد استحبابه» (٥) (٦).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) برقم ٣٢١٤ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن أبي داود (٦١٩/٢) برقم ٢٧٥٣.

(٢) المخضب: شبه المركز، وهو إناء تغسل فيه الثياب.

(٣) أي: لينهض بجهد.

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٦٨٧، وصحيح مسلم برقم ٤١٨.

(٥) نيل الأوطار (١/٣٠٦).

(٦) الموسوعة الفقهية الميسرة للشيخ حسين العوايشة (١/١٩٣-١٩٧).

الكلمة السادسة والعشرون

فضل كفالة الأيتام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الأمور التي أوصى بها الإسلام، وحث عليها، ورتب على ذلك الثواب العظيم، الوصية باليتيم.

واليتيم هو من مات أبوه وهو دون سن البلوغ، سواء كان ذكراً أو أنثى، ويستمر وصفه باليتيم حتى يبلغ، لقول النبي ﷺ: «لا يُتَمَّ بَعْدَ احْتِلَامٍ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اليتيم في الأدميين من فقد أباه؛ لأن أباه هو الذي يهذبه، ويرزقه، وينصره بموجب الطبع المخلوق، ولهذا كان تابعاً في الدين لوالده، وكان نفقته عليه وحضانته عليه، والإنفاق هو الرزق، والحضانة هي النصر لأنها الإيواء، ودفع الأذى، فإذا عدم أبوه طمعت النفوس فيه؛ لأن الإنسان ظلوم جهول، والمظلوم عاجز ضعيف، فتقوى جهة الفساد من جهة قوة المقتضي، ومن جهة ضعف المانع، ويتولد

(١) سنن أبي داود برقم ٢٨٧٣ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن أبي داود (٢/٥٥٥) برقم ٢٤٩٧.

عنه فسادان: ضرر اليتيم الذي لا دافع عنه، ولا يحسن إليه، وفجور الأدمي الذي لا وازع له»^(١).

قال بعضهم: ورد ذكر اليتيم في كتاب الله اثنتين وعشرين مرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِأُولَادِئِنَّ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣].

وجعل سبحانه البذل لهم من خصال البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ووبخ سبحانه من لم يكرم يتيماً، فقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر]، وقرن دعه وهو قهره وظلمه بالتكذيب بيوم الدين، فقال سبحانه: ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ﴾ [الماعون]، ونهى الله صفوة خلقه أن يقهر أحداً منهم، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۚ﴾ [الضحى].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا تذله، وتنهره، وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به»^(٢).

وقد أمر الله بحفظ أموالهم، ونهى عن قربها إلا بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ولا يتولى أموالهم إلا القوي الأمين.

(١) مجموع الفتاوى (١٠٨/٣٤)

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٣٨٥/١٤).

ونهى النبي ﷺ الضعيف أن يتولى شيئاً من أموالهم، فقال ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ أَثْنَيْنِ، وَلَا تَوْلَيْنَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أنه وكافل اليتيم في الجنة سواء، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا^(٢).

والسبابة هي: الأصبع التي تلي الإبهام، وتسمى المسبحة لأنه يسبح بها في الصلاة.

ومعنى كافل اليتيم: أي هو القيم بأمره ومصالحه، قال النووي رحمته الله: «كافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية.. وغير ذلك»^(٣).

قال ابن بطال: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك»^(٤).

وَإِطْعَامَ الْيَتَامِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ، مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٨) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا^(٩) [الإنسان].

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٢٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٣٠٤).

(٣) شرح صحيح مسلم (١١٨/١٣).

(٤) فتح الباري (٤٣٦/١٠).

روى البخاري في الأدب المفرد: أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه ^(١) يتيم ^(٢).

ومن أراد تليين قلبه فليطعم المسكين، وليمسح رأس اليتيم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَنَّ قَلْبُكَ، فَاطْعِمِ الْمَسْكِينِ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ» ^(٣).

وأطيب المال ما أُعطي منه اليتيم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَابْنَ السَّبِيلِ» ^(٤).

وعد الشارع الاعتداء على مال اليتيم من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ^(٥) [النساء].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ ^(٥)، وذكر منها: أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ»، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابتلي باليتيم، فقد توفي والده وأمه حمل به، ثم

(١) المقصود على مائدته.

(٢) صحيح الأدب المفرد تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله (١٣٦/١٠٢).

(٣) (٢/٢٦٣) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة

(٢/٥٣٣) برقم ٨٥٤.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٤٦٥) وصحيح مسلم برقم (١٠٥٢).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٨٥٧) وصحيح مسلم برقم (٨٩).

توفيت أمه وعمره ست سنين، قال تعالى ممتناً على نبيه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

ويجب على الأم والأوصياء على الأيتام الإحسان إلى اليتيم بالتربية والرحمة، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ومن ذلك تعليمه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والفقهاء في الدين، وإبعاده عن جلساء السوء، وحثه على الرفقة الصالحة، وتعليمه الأخلاق الكريمة والآداب الحسنة، وليعلم كافل اليتيم أن الإنفاق عليه، وتعليمه، وتربيته، باب عظيم من أبواب الخير والرزق والبركة في الدنيا والآخرة، والقصص في هذا كثيرة ومستفيضة.

ومن النماذج المشرقة لصغار عاشوا حياة اليتيم، ونفع الله بهم، وأصبحوا من علماء الأمة، وجهابذة العلم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، فقد أباه وهو دون العامين، فنشأ في حجر أمه في قلة من العيش، وضيق من الحال، يقول: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام. وقد حفظ القرآن، وجالس العلماء، حتى ساد أهل زمانه.

ومنهم الإمام أحمد بن حنبل مات والده وهو حمل في بطن والدته، وعاش حياة فقر وفاقة، فحضنته أمه وأدبته، وأحسن تربيته، قال رَحِمَهُ اللهُ: كانت أمي توقظني قبل الفجر بوقت طويل وعمري عشر سنين، وتدفع لي الماء في الشتاء، ثم نصلي أنا وإياها

ما شئنا من صلاة التهجد، ثم تنطلق بي إلى المسجد في طريق بعيد مظلم موحش لتصلي معي صلاة الفجر في المسجد، وتبقى معي حتى منتصف النهار تنتظر فراغي من طلب العلم وحفظ القرآن.

ومنهم الإمام البخاري صاحب الصحيح، فقد نشأ يتيماً في صغره، وقرأ على ألف شيخ، وصنف كتابه الصحيح، وغيره من الكتب النافعة.

فبصبر الأمهات وجهادهن خرج هؤلاء العلماء الأفاضل^(١).

تنبيه:

«الرحمة باليتيم لا تمنع تأديبه ولو بالضرب المناسب عند الحاجة إلى ذلك، فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأضرب اليتيم حتى ينسط»^(٢).

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أسماء بن عبيد قال: «قلت لابن سيرين: عندي يتيم، قال: اصنع به ما تصنع بولدك، اضربه ما تضرب ولدك»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الخطب المنبرية للشيخ عبدالمحسن القاسم (٣/ ١٨٢-١٨٣).

(٢) صحيح الأدب المفرد بتحقيق: الشيخ الألباني رحمته الله برقم (١٠٥/١٤٢).

(٣) صحيح الأدب المفرد بتحقيق: الشيخ الألباني رحمته الله برقم (١٠٤/١٤٠).

الكلمة السابعة والعشرون

من أحكام الأطعمة رقم ٢

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حُلًّا لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حُلًّا لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥]. دلت الآية الكريمة على حل ذبائح أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ما لم يكن ذبحهم على غير الوجه الشرعي كالذبح بالخنق، أو الضرب على الرأس، أو الصعق بالكهرباء.. ونحو ذلك من الوجوه المحرمة، فإن لم تعلم الطريقة التي ذُبحت بها، فقد قيل بالحل أخذًا بعموم الآية السابقة ونحوها من النصوص العامة، ولا دليل في الآية على ذلك، إذ لو أخذ بعموم اللفظ لحل لنا طعام أهل الكتاب من أي جنس كان، وعلى أي حال ذبح ولا قائل بذلك، مع التنبيه إلى أن هذا القول لو أخذ به فغاية ذلك رفع الإثم وتبقى تلك اللحوم المذبوحة على غير الوجه الشرعي غير صالحة للأكل بما تحتوي من أضرار، وأمراض.

والقول بالمنع على هذا هو المترجح حكماً المتعين حالاً وواقعاً، وهو قول لبعض أهل العلم من المتقدمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بعد كلام في الجمع بين قوله ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ﴾

لِغَيْرِ اللَّهِ ﴿ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾ قال: «والأشبهه بالكتاب والسنة ما دل عليه كلام أحمد من الحظر، وإن كان من متأخري أصحابنا من لا يذكر هذه الرواية بحال، وذلك لأن قوله: ﴿ وَمَا أَهْلَ لِيغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمَنْخَنَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ ﴾ [المائدة: ٣] عموم محفوظ لم تخص منه صورة، بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب، فإنه يشترط له الذكاة المبيحة، فلو ذكى الكتابي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته، ولأن غاية الكتابي أن تكون ذكاته كالمسلم، والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يباح، وإن كان يكفر بذلك فكذلك الذمي لأن قوله: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ٥] سواء، وهم وإن كانوا يستحلون هذا، ونحن لا نستحله، فليس كل ما استحلوه يحل لنا، ولأنه قد تعارض دليلان حازر ومبيح، فالحاضر أولى أن يُقدم، ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره، قد علمنا يقيناً أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام، فهو من الشرك الذي قد أحدثوه، فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم منتف في هذا. والله أعلم أه^(١).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وما أصله الحظر كالأبضاع، ولحوم الحيوان، فلا يحل إلا بيقين حله من التذكية والعقد، فإن تردد في شيء من ذلك لسبب آخر رجع إلى الأصل فبنى عليه، فما أصله الحرمة بنى على التحريم، ولهذا نهى النبي ﷺ عن أكل الصيد الذي يجد فيه الصائد أثر سهم أو كلب غير كلبه»^(٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٠).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٨٨-٨٩.

وقد فصل حكم هذه المسألة سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللهُ رئيس مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية في فتوى مخطوطة نقلها عنه الشيخ صالح الفوزان في كتابه الأظعمة وأحكام الصيد والذبائح، وهذا نصها:

يقول السائل: ما حكم اللحوم المستوردة من الخارج معلبة وغير معلبة والتي كثر انتشارها في المدن والقرى وعمت البلوى بها، فلا يكاد بيت يسلم منها، هل الأصل فيها الإباحة أم الحظر؟ نرجو بيان ذلك مفصلاً ولكم الأجر.

وهذا نص الفتوى: الأصل في الأضباع^(١) والحيوانات التحريم، فلا يحل البضع إلا بعقد صحيح مستجمع لأركانه وشروطه، كما لا يباح أكل لحوم الحيوانات إلا بعد تحقق تذكيتها من أهل التذكية، فإن الله سبحانه وتعالى حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، وحرّم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع إلا ما ذكى، فهذا يدل على أن الأصل في الحيوان التحريم إلا ما ذكاه المسلمون أو أهل الكتاب بقطع الحلقوم، وهو مجرى النفس، والمريء وهو مجرى الطعام والماء مع قطع الودجين في قول طائفة من أهل العلم، فما يرد من اللحوم المعلبة إن كان استيراده من بلاد إسلامية أو من بلاد أهل الكتاب أو معظمهم وأكثرهم أهل كتاب وعاداتهم يذبحون بالطريقة الشرعية فلا شك في حله، وإن

(١) الأضباع: أي الفروج.

كانت تلك اللحوم المستوردة تستورد من بلاد جرت عاداتهم أو أكثرهم أنهم يذبحون بالخنق أو بضرب الرأس أو بالصاعقة الكهربائية.. ونحو ذلك، فلا شك في تحريمها وكذلك ما يذبحه غير المسلمين وغير أهل الكتاب من وثني أو مجوسي أو قادياني أو شيعي ونحوهم فلا يباح ما ذكوه؛ لأن التذكية المبيحة لأكل ما ذكى لا بد أن تكون من مسلم أو كتابي عاقل له قصد وإرادة، وغير هؤلاء لا يباح تذكيتهم.

أما إذا جهل الأمر في تلك اللحوم ولم يعلم عن حالة أهل البلد التي وردت منها تلك اللحوم هل يذبحون بالطريقة الشرعية أم غيرها ولم يعلم حالة المذكين وجهل الأمر، فلا شك في تحريم ما يرد من تلك البلاد المجهول أمر عاداتهم في الذبح تغليياً لجانب الحظر وهو أنه إذا اجتمع مبيح وحاضر فيغلب جانب الحظر سواء أكان في الذبائح أو الصيد، ومثله النكاح كما قرره أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، والعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، والحافظ ابن رجب وغيرهم من الحنابلة وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني، والإمام النووي وغيرهم كثير، مستدلين بما في الصحيحين وغيرهما من حديث عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال له: «إِذَا أُرْسِلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمِ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ، فَإِنْ وَجَدْتَ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ فَلَا تَأْكُلْ»^(١).

فالحديث يدل على أنه إذا وجد مع كلبه المعلم كلباً آخر أنه

(١) صحيح البخاري برقم (٥٤٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢٩) وله ألفاظ كثيرة.

لا يأكل تغليياً لجانب الحظر، فقد اجتمع في هذا الصيد مبيح وهو إرسال الكلب المعلم إليه، وغير مبيح وهو اشتراك الكلب الآخر، لذا منع الرسول ﷺ من أكله، وقال ﷺ أيضاً: «إِذَا أَصَبْتَهُ بِسَهْمِكَ فَوْقَ فِي الْمَاءِ فَلَا تَأْكُلْ»^(١). متفق عليه.

وفي رواية عند الترمذي: «إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ سَهْمَكَ قَتَلَهُ وَلَمْ تَرِ فِيهِ أَثَرَ سَبْعِ فِكْلٍ»^(٢). وقال: حسن صحيح عن عدي بن حاتم.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّيْدِ: «إِنِ الْأَثَرَ الَّذِي يَوْجَدُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ سَهْمِ الرَّامِي أَعْمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَثَرُ سَهْمِ رَامٍ آخَرَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْقَاتِلَةِ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ مَعَ التَّرَدُّدِ، وَقَالَ أَيْضًا عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَإِنْ وَقَعَ فِي الْمَاءِ فَلَا تَأْكُلْ» لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَقَعُ التَّرَدُّدُ هَلْ قَتَلَهُ السَّهْمُ أَوْ الْغُرُقُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَحَقَّقَ أَنَّ السَّهْمَ أَصَابَهُ فَمَاتَ فَلَمْ يَقَعْ فِي الْمَاءِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ السَّهْمُ فَهَذَا يَحِلُّ أَكْلُهُ»^(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: «إِذَا وَجَدَ الصَّيْدَ فِي الْمَاءِ غَرِيقًا حَرَمَ بِالِاتِّفَاقِ. أَه. وَقَدْ صَرَّحَ الرَّافِعِيُّ بِأَنَّ مَحَلَّهُ مَا لَمْ يَنْتَهِ الصَّيْدُ بِتِلْكَ الْجِرَاحَةِ إِلَى حَرَكَةِ الْمَذْبُوحِ، فَإِنْ انْتَهَى إِلَيْهَا بِقَطْعِ الْحَلْقُومِ مَثَلًا فَقَدْ تَمَّتْ ذَكَاتُهُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْمَاءَ قَتَلَهُ، أَوْ سَهْمَكَ»^(٤). فدل على أنه إذا علم أن سهمه هو الذي قتله أنه يحل. انتهى ملخصاً من فتح الباري.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٤٨٤) وصحيح مسلم برقم (١٩٢٩).

(٢) برقم (٨٦٤١) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) فتح الباري (٩/٦١١).

(٤) شرح صحيح مسلم (٨١/١٣).

وقال الخطابي: «إنما نهاه عن أكله إذا وجده في الماء لإمكان أن يكون الماء قد غرقه فيكون هلاكه من الماء لا من قتل الكلب الذي هو آلة الذكاة، وكذلك إذا وجد فيه أثرًا لغير سهمه، والأصل أن الرخص تراعى شرائطها التي بها وقعت الإباحة فمهما أخل بشيء منها عاد الأمر إلى التحريم الأصلي^(١)». أ.هـ.

قال الشيخ صالح الفوزان -عضو هيئة كبار العلماء-: وبالنظر في القولين السابقين في حكم هذا النوع من اللحوم يتضح رجحان القول بالتحريم لقوة مبناه ووضوح أدلته وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن الله حرم لحوم الحيوانات التي تموت بغير ذكاة شرعية في قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]. فما لم تتحقق في هذه اللحوم الذكاة الشرعية فهي محرمة بناء على الأصل.

الوجه الثاني: أن النصوص الشرعية التي ساقها سماحة الشيخ في فتواه تبين بوضوح أنه إذا اجتمع مبيح وحاضر غلب جانب الحظر، وهذه اللحوم كذلك ترددت بين كونها مذكاة الذكاة المبيحة فتحل وكونها غير مذكاة فلا تحل فيغلب جانب التحريم، وكما قرر ذلك كبار الأئمة الذين ساق الشيخ أقوالهم في الفتوى.

الوجه الثالث: أن هذه الكميات الهائلة التي تمتلئ بها الأسواق العالمية من الدجاج وغيره يستبعد أن تأتي الذكاة الشرعية بشروطها

(١) معالم السنن (٤/ ٢٩١).

(٢) انتهى المقصود من فتوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد.

على أفرادها كلها لأنها تذبح وتعلب آلياً.

الوجه الرابع: أن الإلحاد والتحلل من العهد الديني والأحكام الشرعية قد غلب على الناس في هذا الزمان، وقلَّت الأمانة والصدق فلا يعتمد على أقوال هؤلاء المصدرين لهذه اللحوم، ولا على كتابتهم على ظهر أغلفتها بأنها ذكيت على الطريقة الإسلامية لا سيما وقد وجد بعض الدجاج برأسه لم يقطع شيء من رقبتة كما وجدت هذه العبارة مكتوبة على أغلفة ما لا يحتاج إلى ذكاة كالسمك، مما يدل على أن هذه الكتابة إنما هي عبارة عن دعاية مكذوبة يقصد بها مجرد ترويح هذه اللحوم وابتزاز الأموال بالباطل.

الوجه الخامس: أنه لم يكن لقول من أباح هذا النوع من اللحوم من مستند سوى التمسك بعموم الآية الكريمة: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ﴾ وهذا العموم مخصوص بالنصوص الكثيرة كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. وبالنصوص التي تدل على أنه إذا اجتمع حظر وإباحة غلب جانب الحظر والله أعلم!!^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الأطعمة وأحكام الصيد والذبائح للشيخ صالح الفوزان، ص (١٦٢-١٦٦).

التحذير من اليمين الكاذبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد عظم الإسلام شأن اليمين، وحذر من التساهل بها؛ لأنها عهد وميثاق يجب أن يُعطى حقه، قال تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال القرطبي: «المعنى: أقلوا الأيمان لما فيه من البر والتقوى، فإن الإكثار يكون معه الحنث وقلة رعي لحق الله تعالى»^(١) أهـ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم]، يعني كثير الحلف، قال تعالى عن المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]. وقال تعالى عنهم أيضاً: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لَمَنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦]، فبين سبحانه في هذه الآيات أن الحلف الكاذب من صفات المنافقين^(٢).

ومن أشد أنواع الأيمان الكاذبة اليمين الغموس، وهي التي

(١) تفسير القرطبي (٤/١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/١٤).

تغمس صاحبها في الإثم ومن ثم في النار^(١)، قال العلماء: هي التي يحلفها على أمر ماضٍ كاذبًا عالمًا، وعدوها من كبائر الذنوب.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران]. فَجَاءَ الْأَشْعَثُ، فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فِيَّ أَنْزَلْتَ، كَانَتْ لِي بِنْتٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمِّ لِي، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «بَيْتُكَ أَوْ يَمِينُهُ»، قُلْتُ: إِذَا يَحْلِفُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»^(٢).

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ»^(٣).

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/٧٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٥٧)، وصحيح مسلم برقم (١٣٨).

(٣) برقم (١٣٧).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص، أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْيَمِينُ الْغَمُوسُ»، قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»^(١).

واليمين الغموس من الكبائر الموجبة للنار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

جاء في فتوى اللجنة الدائمة: «اليمين الغموس من كبائر الذنوب، ولا تجدي فيها الكفارة لعظيم إثمها، ولا تجب فيها الكفارة على الصحيح من قولي العلماء، وإنما تجب فيها التوبة والاستغفار»^(٢) أهـ.

«ومن الأيمان الكاذبة، اليمين التي تتخذ وسيلة لترويج السلع، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»^(٣). ومعناه: أن يحلف صاحب السلعة أنه أعطي فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا،

(١) برقم (٦٩٢٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٣/١٣٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠٦).

وهو كاذب في ذلك، وإنما يريد التغرير بالمشتري ليصدقه بموجب اليمين، فيكون هذا الحالف عاصياً لله آخذاً للزيادة بغير حق، فيعاقبه الله بمحق البركة من كسبه، وربما يتلف الله ماله كله»^(١).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ آعَطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ أُعْطِيتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]»^(٢).

قال الخطابي: «وخص وقت العصر لتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت، لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه، وهو وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها، فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤاً، فإن من تجرأ عليها فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر وجاء ذلك في الحديث أيضاً»^(٣).

ومن القصص التي تُذكر في هذا الشأن ما حدثني به أحد المشايخ نقلًا عن أحد القضاة، يقول: تخاصم لدي رجلان كبيران في السن،

(١) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ صالح الفوزان (٢/٢٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٣٥٨، وصحيح مسلم برقم ١٠٨.

(٣) فتح الباري (١٣/٢٠٣).

تنازعا وليس لأحدهما بينة، فقلت للمُدعى عليه: هل تحلف أن هذا المال هو مالك؟ فقال: نعم، فذكرته بالله وأن اليمين الغموس أمرها عظيم، فأصر على موقفه، ثم حلف على ذلك، قال القاضي: وأنهيت الجلسة ثم خرجا، أما المُدعى عليه فإنه لما فتح الباب ليخرج سقط عند الباب فأسرعنا إليه، وإذا به قد فارق الحياة.

أما القصة الثانية: فحدثني أحد المشايخ نقلاً عن أحد موظفي المحكمة في مدينة من مدن المملكة، يقول: جاء رجل كبير في السن يشتكي إلى القاضي رجلاً آخر أخذ منه مالاً، فقال له القاضي: هل لديك بينة؟ فقال: لا، فقال: إذا يحلف المدعى عليه، فحلف المُدعى عليه ثم خرج من المحكمة، فجعل المدعي كبير السن يدعو عليه دعاءً عظيماً يهز الجبال من شدته، فما هي إلا أياماً معدودة لم تتجاوز العشرة أيام إلا ويحصل حادث للمُدعى عليه فيموت من ساعته.

والقصص في هذا كثيرة، ولعل فيما ذكر عبرة لمن تفكر.

ونسأل الله تعالى ألا يجعل لنا عند أحد من المسلمين مظلمة، وأن يجعلنا من أوليائه وأحبابه الذين ينفعون إخوانهم المسلمين، وأن يتوفانا وهو راض عنا غير غضبان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المسارعة في الاستجابة لأمر الله ورسوله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٢٤] [الأنفال]. في هذه الآية يأمر الله

عباده المؤمنين بالاستجابة لما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ، بامثال ما يأمرهم والانتهاز عما ينهاهم عنه، لأنه لا يدعوهم إلا لما فيه حياة قلوبهم وأبدانهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. والاستجابة هنا هي سرعة المبادرة بالامتثال والتسليم لأمر الله ورسوله، وألا يكون عند المؤمن تردد أو إبطاء، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ وعيد عظيم لمن بلغه الحق وعرفه، فتردد في قبوله ولم يمثل له فوراً، فهو في خطر عظيم أن يحول الله بينه وبين قلبه، فهو يريد أن يعمل بالحق فلا يستطيع ذلك، وما حال بعض المسلمين الذين تتكرر منهم المعاصي ويستمرون عليها ولا يقلعون عنها، كالذين يحلقون لحاهم، أو يشربون الدخان، أو يسبلون ثيابهم، أو يستمعون إلى الأغاني.. أو غيرها من المعاصي، إلا لعدم امتثالهم لهذه الآية الكريمة، فقد بلغهم الأمر والنهي، ودُعوا إلى الخير فلم يستجيبوا، وقد ذكر عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ هذا المعنى في آية

أخرى متطابقة تمامًا مع هذه الآية، فقال سبحانه: ﴿وَنَقَلْبُ أَفْعَدْتَهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١٠) [الأنعام]. فقولته تعالى: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ أي بسبب أنهم لم يؤمنوا به أول ما جاءهم، وهذا معنى الاستجابة في الآية السابقة، فكانت عقوبتهم ﴿وَنَقَلْبُ أَفْعَدْتَهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾، وفي الآية السابقة يقول تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

وقد ورد في السنة المطهرة كيفية الاستجابة لله ورسوله، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» (١).

وقد تضمنت الآيتان الكريمتان أن من سارع في قبول الحق عند سماعه سعد ونجا، ومن لم يستجب خسر وهلك، والأمثلة على ذلك كثيرة لكلا الفريقين.

فمن ذلك ما حصل للنبي ﷺ عندما أُسري به إلى السماء، وكذبتة قريش، فكيف أُسري به من مكة إلى الشام ثم إلى السماء وعاد في ليلة واحدة، وهم يذهبون ويعودون في مدة شهرين؟ أما أبو بكر رضي الله عنه فعندما أخبر الخبر صدقه دون تردد.

فقد روى الحاكم في المستدرک من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٧٤).

«لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَى رِجَالٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوْقَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْنُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبْرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنْ سَبَبَ تَسْمِيَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالصِّدِّيقِ، إِنَّمَا هُوَ سَبَقَهُ النَّاسُ إِلَى تَصْدِيقِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إْتْيَانِهِ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مَكَّةَ، وَرَجُوعِهِ مِنْهُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِمَكَّةَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَشْهَدُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِذَا وَقَفُوا عَلَيْهِ»^(٢).

المثال الثاني: قصة جليبيب :

روى الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا، فَقَالَ:

(١) مستدرک الحاكم (٤/٢٥) برقم (٤٥١٥)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فإن محمد بن كثير الصنعاني صدوق ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في السلسلة الصحيحة برقم (٣٠٦).

(٢) شرح مشكل الآثار (٣/٣٩٣).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «زَوْجِنِي ابْنَتَكَ»، فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنُعْمَ عَيْنِي. فَقَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي» قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجَلِيْبِ» قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَاوِرُ أُمَّهَا. فَأَتَى أُمَّهَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. فَقَالَتْ: نِعِمَّ وَنُعْمَةٌ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ، إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجَلِيْبِ، فَقَالَتْ: أَجَلِيْبِ إِيَّاهُ؟ أَجَلِيْبِ إِيَّاهُ؟ أَجَلِيْبِ إِيَّاهُ؟ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا نَزْوَجُهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمَّهَا، قَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرْتَهَا أُمَّهَا. فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ، ادْفَعُونِي، فَإِنَّهُ لَمْ يُضِيعْنِي. فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: شَأْنُكَ بِهَا. فَزَوَّجَهَا جَلِيْبًا.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَفَقِدُ فُلَانًا، وَنَفَقِدُ فُلَانًا. قَالَ: «انظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جَلِيْبِيًّا» قَالَ: «فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلِ». قَالَ: فَطَلَبُوهُ، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ، وَحَفَرَ لَهُ، مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ. وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ.

قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيُّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ

إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا، قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا». قَالَ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيُّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا^(١).

ومن الأمثلة على خسارة من لم يستجب للحق، ويمثل لأمر الله ورسوله:

المثال الأول: قال القرطبي: ورؤي أن الزيال بن حرمة قال: [قال جابر بن عبد الله]: قال الملاء من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره؛ فقال عتبة بن ربيعة: والله، لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر، وعلمت من ذلك علمًا لا يخفى عليّ إن كان كذلك، فقالوا: اتته فحدثه، فأتى النبي ﷺ فقال له: يا محمد، أنت خير أم قصي بن كلاب؟ أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا، وتُضلل آباءنا، وتُسفه أحلامنا، وتدم ديننا؟ فإن كنت إنما تريد الرياسة عقدنا إليك ألويتنا، فكنت رئيسنا ما بقيت، وإن كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من أي بنات قريش شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا

(١) مسند الإمام أحمد (٢٩/٣٣) برقم (١٩٧٨٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم برقم (٢٤٧٢).

في طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك، والنبى ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «أَفَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟» قال: نعم، قال: «اسْمَعْ»:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ حَمْدٌ ﴿٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٩﴾ قُلْ أَيِّنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٤﴾ [فصلت]. فوثب عتبة ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله والرحم ليسكتنَّ، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش؛ فجاءه أبو جهل فقال: أصبوت إلى محمد؟ أم أعجبك طعامه؟ فغضب عتبة وأقسم ألا يكلم محمدًا أبدًا، ثم قال: والله، لقد تعلمون أني من أكثر قريش مالًا، ولكني لما قصصت عليه القصة أجابني بشيء -والله- ما هو بشعر ولا

كهانة ولا سحر؛ ثم تلا عليهم ما سمع منه إلى قوله: ﴿مِثْلَ صَبْعَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ وأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فوالله، لقد خفت أن ينزل بكم العذاب؛ يعني الصاعقة»^(١).

فهذه القصة تدل على أن عتبة عرف أن ما جاء به النبي ﷺ الحق، لكنه استكبر عن قبوله وأعرض عنه، فقتل يوم بدرٍ كافراً، نعوذ بالله من خاتمة السوء.

المثال الثاني: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله فقال النبي ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ^(٢).

فهذا الرجل تكبر على أمر رسول الله ﷺ فكانت عاقبته أن سُلت يده.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢١-٣٢٢) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: هذه القصة أخرجها ابن إسحاق في المغازي (١/ ١٨٥) من سيرة ابن هشام، بسند حسن عن محمد ابن كعب القرظي مرسلًا، ووصله عبد بن حميد وأبو يعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر رضي الله عنه كما في تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٤/ ٩-٩١) وسنده حسن إن شاء الله. فقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، ص ١١٣.

(٢) برقم (٢٠٢١).

الكلمة الثلاثون

من آداب القرآن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد ذكر أهل العلم آداباً لقراءة القرآن ينبغي تعلمها وتطبيقها لأنها مستمدة من الوحيين: الكتاب والسنة. والمقصود بالآداب، ما يجب فعله أو يستحب عند التلاوة أو قبلها، فمن ذلك:

« ١ - الإخلاص لله في قراءته، وأن يريد بها وجه الله، وألا يقصد بها توصلاً إلى شيء سوى ذلك، وأن يتأدب مع القرآن، ويستحضر في ذهنه أنه يناجي الله سبحانه وتعالى، ويتلو كتابه، فيقرأ على حال من يرى الله تعالى، فإنه إن لم يره، فإن الله تعالى يراه»^(١)، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) الأذكار للنووي رحمته الله ص ١٩٦.

عَلَيْهِ... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

٢- العمل بالقرآن: روى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الطويل، وجاء فيه: «أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَالَا: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُشَدِّخُ رَأْسَهُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَالَا: هَذَا رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وفي الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»^(٣).

٣- تدبر القرآن عند قراءته أو استماعه: قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد].

قال النووي رحمته الله: «ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تُحصَر، وأشهر

(١) برقم (١٩٠٥).

(٢) برقم (١٣٨٦).

(٣) برقم (٢٢٣).

من أن تُذكر، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة يتدبرها»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فردها حتى أصبح: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة] ^(٢).

٤- الحث على مراجعة الحفظ وتعاهده: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي مَحْمَدٌ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»^(٣).

٥- يُشرع تلاوته قائماً و ماشياً ومضطجعاً وراكباً لحديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن^(٤).

٦- الطهارة من الحدث قبل القراءة أو مس المصحف لحديث: «إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أذْكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ»^(٥)، أَوْ قَالَ: عَلَى طَهَارَةٍ.

(١) الأذكار للنووي رحمته الله ص ١٩٧ بتصرف.

(٢) (٣١٠/٣٥) برقم (٢١٣٨٨)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٧٩١) واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٠١).

(٥) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم (١٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٦/١) برقم (١٣).

٧- التسوك قبل تلاوة القرآن للحديث الذي رواه البزار في مسنده من طريق علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلِكُ خَلْفَهُ، فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلِكِ، فَطَهَّرُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقُرْآنِ»^(١).

قال النووي رحمته الله: «وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وغيره، والاختيار في السواك أن يكون بعود الأراك ويجوز بغيره من العيدان، وبالسعد والأشنان والخرقة الخشنة.. وغير ذلك مما ينظف»^(٢).

٨- الاستعاذة قبل التلاوة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل]. والبسملة إذا كانت القراءة من أول السورة عدا سورة التوبة.

٩- الترتيل عند القراءة لقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٣).

١٠- الإمساك عن القراءة عند غلبة النعاس لقوله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ

(١) مسند البحر الزخار (٢/ ٢١٤)، قال الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة ص (٢١٥): إسناده جيد رجاله رجال البخاري، وفي العقيل بن سليمان كلام لا يضر، وقال: فظاهره أنه موقوف ويحتمل أنه مرفوع.

(٢) الأذكار للنووي رحمته الله ص (١٩٦-١٩٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (١٤٦٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٧٥) برقم (١٣٠٣).

مَا يَقُولُ فَلْيُضْطَحِعْ»^(١).

١١- الخشوع عند سماعه وتلاوته، وعليه أن يجتنب الضحك، واللغظ، والحديث خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه، ومن التساهل الذي ابتلي به بعض الناس، أن الإمام يقرأ القرآن في الصلاة وبعض الجوات التي بها نغمات الموسيقى يتصل أصحابها، فيجتمع كلام الرحمن ومزمار الشيطان في آن واحد، وفي هذا انتهاك لحرمت المساجد، وقلة تعظيم لشعائر الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٢٠٤] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [٣٢] [الحج].

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَأَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: «نَعَمْ». فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُولَاءٍ شَهِيدًا﴾ [٤١] [النساء]، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ^(٢).

١٢- ينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلاً ونهاراً، سفرًا وحضرًا، وقد كانت للسلف رضي عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فمنهم من يختم في شهر، ومنهم في عشر ليال، ومنهم في أسبوع، ومنهم في ثلاث ليال، وقد ورد النهي في ختمه أقل من

(١) صحيح مسلم برقم (٧٨٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٠٠).

ثلاث؛ وأن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ، فَمَا زَالَ حَتَّى قَالَ: «فِي ثَلَاثٍ»^(١). قال ابن قدامة: «ويكره أن يؤخر ختمة القرآن أكثر من أربعين يوماً»^(٢)، وقال القرطبي: «والأربعون مدة الضعفاء، وأولي الأشغال»^(٣).

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين؛ ولأن تأخيرها أكثر من ذلك يفضي إلى نسيان القرآن والتهاون به، فكان ما ذكرنا أولى»^(٤).

وليحذر من هجر القرآن، قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان].

قال ابن القيم رحمته الله: وهجر القرآن على أنواع:

«**الأول:** هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

الثاني: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

الثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٧٨)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٢) المغني (٢/٦١١).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار (٨٤).

(٤) المغني لابن قدامة (٢/٦١١-٦١٢).

الرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠) وإن كان بعض المهجر أهون من بعض»^(١).

١٣- يشرع الإسرار بالقرآن والجهر به، وقد وردت الأحاديث بفضيلة رفع الصوت بالقرآن، وأخرى بفضيلة الإسرار، قال العلماء والجمع بينهما: «أن الإسرار أبعد من الرياء، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل، بشرط أن لا يؤدي غيره من مصل، أو نائم، أو غيرهما، ودليل فضيلة الجهر: أن العمل فيه أكثر، ولأنه يتعدى نفعه إلى غيره، ولأنه يوقظ قلب القاري، ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه، ولأنه يطرد النوم، ويزيد في النشاط، ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه، فمتى حضره شيء من هذه النيات، فالجهر أفضل»^(٢).

١٤- ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا فيه قوم يقرؤون القرآن، قال: «اقرؤوا القرآن، وابتعوا به الله من قبل

(١) الفوائد ص (١١٠-١١١).

(٢) الأذكار للنووي رحمته الله ص ١٩٩.

أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»^(١).
 معناه: يتعجلون أجره أي يطلبون بقراءته العاجلة من عرض الدنيا والرفعة فيها، ولا يتأجلونه: أي لا يريدون منه الآجلة وهو جزاء الآخرة، فمن أراد بها الدنيا فهو متعجل، وإن ترسل في قراءته، ومن أراد بها الآخرة فهو متأجل وإن سرد في قراءته بعد إعطاء الحروف حقها، وهذه معجزة لوقوع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام^(٢).

١٥- لا ينبغي أن يقول المسلم: نسيت آية كذا، ولكن يقول أنسيت، لحديث ابن مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ هُوَ نُسِّي»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢٣/١٤٤) برقم (١٤٨٥٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (٥٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٨).

من آداب المساجد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد ذكر أهل العلم آداباً للمساجد، وهذه الآداب مستمدة من الوحيين الكتاب والسنة، والمقصود بالآداب الأوامر والنواهي والمستحبات التي تفعل عند دخول المساجد أو قبل ذلك، وهي كثيرة أكتفي ببعضها:

١- استحباب لبس الثياب الحسنة واستعمال السواك عند الذهاب إلى المسجد، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(١). وبعض الناس يأتي إلى المسجد بثياب النوم أو البيجامات أو ملابس العمل، وقد تكون متسخة وبها روائح كريهة تؤذي المصلين والسبب يعود إلى الكسل، فيتكاسل عن تغييرها، بينما لو أراد أن يزور مسؤولاً أو رجلاً له مكانته لاستعد لذلك، فرب العالمين أولى بالتجمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

(١) صحيح البخاري برقم (٨٨٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٢) واللفظ له.

روى أبو داود في سننه من حديث محمد بن يحيى بن حبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ، أَوْ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدْتُمْ، أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ»^(١).

٢- النهي عن حضور المساجد لمن أكل الثوم أو البصل ونحوهما، ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(٢).

والثوم والكراث ليسا محرمين، ولكن نهي عنهما لرائحتهما التي تؤذي المصلين، وعليه فإن النهي يكون أشد لمن يتعاطى الدخان ونحوه.

٣- يستحب المشي إلى المساجد لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فتوجعنا له، فقلت له: يا فلان! لو أنك اشتريت حماراً يقيق من الرمضاء ويقيق من هوام الأرض! قال: أم والله! ما أحب أن بيتي مطنب ببيت محمد صلى الله عليه وسلم، قال: فحملت به حملاً حتى أتيت

(١) سنن أبي داود برقم (١٠٧٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٢٠١/١) برقم (٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٥٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٦٤) واللفظ له.

نبي الله ﷺ فأخبرته، قال: فدعاه، فقال له مثل ذلك، وذكر له أنه يرجو في أثره الأجر، فقال له النبي ﷺ: «إن لك ما احتسبت»^(١)، وفي رواية: «قد جمع الله لك ذلك كله»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ»^(٤).

٤- يستحب التبكير إلى المساجد لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ»^(٥).

(١) برقم (٦٦٣).

(٢) برقم (٦٦٣).

(٣) سنن أبي داود برقم (٣٤٥)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود

(٧٠ / ١) برقم (٣٣٣).

(٤) برقم ٢٥١.

(٥) صحيح البخاري برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٧).

٥- المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَاْمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا»^(١).

٦- ذكر الدعاء المأثور الوارد في ذلك عند الذهاب إلى المسجد، فيذكر الدعاء الوارد عند الخروج من المنزل ثم يضيف إليه هذا الدعاء الذي رواه مسلم في صحيحه في قصة مبيت ابن عباس عند خالته ميمونة، وذكر تهجد النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فأذن المؤذن يعني للصبح، فخرج إلى الصلاة وهو يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»^(٢).

قال العلماء: سأل النور في أعضائه وجهاته، والمراد به بيان الحق وضيائه والهداية إليه، فسأل النور في جميع أعضائه وجسمه وتصرفاته وتقلباته وحالاته وجملته في جهاته الست حتى لا يزيغ شيء منها عنه^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).

(٢) برقم (٧٦٣).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢٨٧)، وذكر النووي في كتاب الأذكار حديث بلال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا... إلى آخر الحديث، ثم قال: أحد رواة الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث.

٧- ورد النهي عن تشبيك الأصابع وذلك في أربع مواضع:

الأول: النهي عن تشبيك الأصابع عند الذهاب إلى المسجد، فقد روى أبو داود في سننه من حديث كعب بن عجرة رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ»^(١).

الثاني: إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة، روى ابن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ، فَلَا يَقُلْ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»^(٢).

الثالث: النهي عن التشبيك فرضاً أو نفلاً في الصلاة، وهو من باب أولى للأحاديث السابقة وغيرها.

الرابع: بعد صلاة الفريضة لعموم الأحاديث السابقة.

وإنما يجوز للحاجة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ذي اليدين، فقد شبك بين أصابعه بعد الصلاة، وأجازه بعضهم مطلقاً.

(١) برقم (٥٦٢)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/١١٢) برقم (٥٢٦).

(٢) صحيح ابن خزيمة (١/٢٢٩) برقم ٤٤٧، ومستدرك الحاكم (١/٤٥٨) برقم ٧٧٢، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٩٤).

٨- عند دخوله إلى المسجد يقول الأدعية الواردة في ذلك، روى مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه من حديث أبي حميد رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَسَلْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَبِسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ... فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حَفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»^(٢).

٩- ويستحب له أن يتابع المؤذن فيقول مثل ما يقول إلا في قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول عند كل لفظة منها: لا حول ولا قوة إلا بالله، لحديث: «فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٧١٣)، وسنن أبي داود برقم (٤٦٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٦٦)، قال النووي رحمته الله في كتابه الأذكار ص (٧٨):

رواه أبو داود بإسناد جيد.

(٣) صحيح مسلم برقم (٣٨٥).

ويقول بعد الشهادتين ما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(١).

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لما روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَأَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، وَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

ثم يسأل الله له الوسيلة، فيقول ما جاء في حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ويشرع له الدعاء بين الأذان والإقامة لما روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله،

(١) صحيح مسلم برقم (٣٨٦)، وفي رواية من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد، كما في صحيح مسلم، قال النووي رحمته الله: وفيه أنه يستحب أن يقول بعد قوله: وأنا أشهد أن محمداً رسول الله، رضىت بالله رباً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، شرح صحيح مسلم (٣٠٩/٤).

(٢) برقم (٣٨٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٤).

إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا أَنْتَهَيْتَ فَسَلِّ تَعَطُّهُ»^(١).

١٠ - يستحب الإكثار في المسجد من ذكر الله تعالى، بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها من الأذكار، وكذلك الإكثار من قراءة القرآن، ومن المستحب فيه قراءة حديث رسول الله ﷺ وعلم الفقه، وسائر العلوم الشرعية، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(٣٦) رِجَالٌ لَا نُلهِيهِمْ تِجْرَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»^(٢). وفي رواية أخرى: «إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»^(٣). ويجتنب اللغو واللغط، والخوض في أعراض الناس، وكثرة الحديث في أمور الدنيا مما يقسي القلب، ويبعد عن الله.

١١ - إذا دخل المسجد يصلي ركعتين، وهما تحية المسجد لما روى البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٥٢٤)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١٠٦/١) برقم ٤٩٢.

(٢) برقم (٥٦٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٧١٤).

١٢- النهي عن البيع والشراء وإنشاد الضالة في المسجد، لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ يَبْتَاغُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»^(٢).

ويلحق بذلك سؤال الناس أموالهم في المساجد، وإشغالهم عن التسبيح والتكبير والتهليل والذكر عموماً بحجة الفقر والحاجة.

١٣- النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لضرورة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الشعثاء قال: «كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة رضي الله عنه فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم»^(٣).

تنبيه:

قال النووي رحمته الله: «وينبغي للجالس فيه أن يأمر بما يراه من المعروف، وينهى عما يراه من المنكر، وهذا وإن كان الإنسان

(١) برقم (٥٦٨).

(٢) برقم (١٣٢١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٣٤/٢) برقم (١٠٦٦).

(٣) برقم (٦٥٥).

مأمورًا به في غير المسجد، إلا أنه يتأكد القول به في المسجد
صيانة له، وإعظامًا وإجلالًا واحترامًا»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والثلاثون

من آداب الاستئذان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الآداب العظيمة التي شرعها الإسلام أدب الاستئذان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، قال ابن الجوزي: «لا يجوز أن يدخل بيت غيره إلا بالاستئذان لهذه الآية، يعني: يجب الاستئذان إذا أراد الدخول إلى بيت غيره، ومعنى تستأنسوا: تستأذنوا»^(١).

والاستئذان: هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن، والآداب كثيرة أكتفي ببعضها، فمن ذلك:

أولاً: السنة تقديم السلام قبل الاستئذان، فيقول: السلام عليكم، أَدْخَلَ، فإن لم يجبه أحد، قال ذلك ثانياً وثالثاً، فإن لم يجبه أحد انصرف، روى أبو داود في سننه من حديث ربعي بن خراش قال: حدثنا رجل من بني عامر، أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أَلْج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اُخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلَّمَهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟» فَسَمِعَهُ

(١) الآداب الشرعية للحجاوي ص (٢١٢).

الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَدَخَلَ (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ» (٢).

ثانياً: أن يقف المستأذن عن يمين أو شمال الباب حتى لا تقع عينه على شيء في الدار لا يرغب صاحبها أن يراه أحد، وإنما جعل الاستئذان من أجل البصر، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تَلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ أَوْ الْأَيْسَرِ وَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» (٣).

ثالثاً: أن يُعرِّف المستأذن بنفسه، فإذا قيل له: من أنت؟ يقول: فلان بن فلان، أو فلان المعروف بكذا، أو ما أشبه ذلك بحيث يحصل التعريف التام به، ويكره أن يقتصر على قوله: أنا أو الخادم أو بعض المحبين.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: استأذنت على النبي ﷺ، فقال: «مَنْ هَذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا، أَنَا»، وحدثني عبد الرحمن بن بشر حدثنا بهز كلهم عن شعبة بهذا الإسناد، وفي حديثهم: كَأَنَّهُ كَرِهَ

(١) برقم (٥١٧٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله (٣/٩٧٢-٩٧٣) برقم (٤٣١٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢١٥٤).

(٣) برقم (٥١٨٦)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٧٤) برقم (٤٣١٨).

ذَلِكَ^(١).

وروى البخاري ومسلم في حديث الإسراء المشهور، قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ صَعِدَ بِي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَسَائِرُهُنَّ، وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ، وَيُقَالُ: وَمَنْ مَعَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ...»^(٢).

رابعاً: ينبغي للمستأذن ألا يدق الباب بعنف لما رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أنس بن مالك أنه قال: أن أبواب النبي ﷺ كانت تفرع بالأظافر^(٣).

خامساً: ينبغي للرجل إذا سافر وطال سفره ألا يطرق أهله ليلاً، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ، فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا»^(٤). وفي رواية: نهى أن يطرق أهله ليلاً يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم^(٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح مسلم: معنى هذه الروايات كلها أنه يُكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلاً بغتة، فأما من كان سفره قريباً تتوقع امرأته إتيانه ليلاً فلا بأس^(٦) أ هـ.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٥٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٩)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢) واللفظ له.

(٣) صحيح الأدب المفرد ص (٤١٨) ورقم (٨٢٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٩٢).

(٤) برقم (٥٢٤٤).

(٥) صحيح مسلم برقم (٧١٥).

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي (٧٤/١٣).

وفي عصرنا الحاضر تنتفي هذه العلة بوجود وسائل الاتصال، حيث يمكن عن طريقها معرفة قدومه.

سادساً: يحرم نظر الرجل في بيت غيره إلا بإذنه، روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: **اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»^(١).**

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَحَدَفْتَهُ بِحِصَاةٍ، فَفَقَاتَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ»**^(٢). وفي رواية للنسائي: **«فَلَا دِيَةَ وَلَا قِصَاصَ»**^(٣).

سابعاً: إذا لم يؤذن للمستأذن فليرجع، فربما كان صاحب البيت لا يستطيع الاستقبال، قال تعالى: **﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [النور].

ثامناً: إذا كان المكان غير البيوت المسكونة، فإن كان للمسلم فيها متاع يحتاج إليه فقد قال تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾** [النور]. مثل الأسواق والفنادق، والمحلات.. وغيرها.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٢٤)، وصحيح مسلم (٢١٥٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٩٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢١٥٨).

(٣) برقم (٤٨٦٠).

تاسعاً: أن من دعي أو أرسل له رسول فإنه لا يحتاج إلى الاستئذان للحديث الذي رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَجَاءَ مَعَ الرَّسُولِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ»^(١). واستثنى بعض أهل العلم ما إذا تأخر المدعو عن الدعوة، أو كان في مكان يحتاج معه في العادة إلى الإذن فإنه يستأذن.

عاشراً: الاستئذان على المحارم من النساء كالأم، والأخت وغيرهن فلا يدخل عليهن في أماكن راحتهن وغرفهن حتى يستأذن عليهن بطرق الباب أو أي وسيلة أخرى.

روى البخاري في الأدب المفرد أن رجلاً سأل حذيفة رضي عنه فقال: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: إِنْ لَمْ تَسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا رَأَيْتَ مَا تَكْرَهُ^(٢).

الحادي عشر: استئذان الأطفال: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْبُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور].

(١) برقم (٥١٩٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في إرواء الغليل (١٩٥٥).

(٢) صحيح الأدب المفرد برقم (٨١٠)، وحسنه الألباني رحمته الله في تحقيقه عليه.

قال المفسرون: «يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماءكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام ثلاث مرات في ثلاثة أوقات، وذلك في غرف النوم وأماكن الراحة: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهر حين تضعون ثيابكم للقيولة، وبعد صلاة العشاء لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة ولبس ثوب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثير و التطواف، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منعهم من الدخول في كل وقت إلا بالاستئذان»^(١).

الثاني عشر: الاستئذان عند الخروج لما رواه أبو الشيخ في تاريخ أصبهان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ، فَلَا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المختصر في التفسير بإشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية ص (٣٥٧).

(٢) تاريخ أصبهان (١١٣)، نقلاً عن الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم (١٨٢).

آداب السلام رقم ١

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
فمن الآداب العظيمة التي شرعها الإسلام إفشاء السلام بين المسلمين لتسود المحبة والألفة والأخوة بينهم.

والسلام اسم من أسماء الله، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر].

روى البخاري في الأدب المفرد من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

فقوله: السلام عليك، أي: اسم الله عليك، أي أنت في حفظه كما يقال: الله معك والله يصحبك، وقيل: السلام بمعنى السلامة، أي: السلامة ملازمة لك^(٢).

والسلام هو التحية التي شرعها الله لعباده، وهي تحية

(١) الأدب المفرد للبخاري برقم (٩٨٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في الأدب.

(٢) شرح الآداب الشرعية للحجاوي ص ١٩٥.

الملائكة، وتحية أهل الجنة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أَوْلِيَّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيِيونَكَ تَحِيَّتِكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ»^(١).

وأول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أمر الصحابة بأن يفشوا السلام، روى ابن ماجه في سننه من حديث عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَيَّ شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَيَّ السَّلَامُ وَالتَّأْمِينِ»^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن سلام رضي عنه، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤١).

(٢) برقم (٨٥٦)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٤٢) برقم (٦٩٧).

(٣) برقم (٢٤٨٥)، وقال الترمذي: حديث صحيح.

وقد وردت النصوص الكثيرة في فضل السلام والأمر بإفشائه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَتَوَمَّنُوا، وَلَا تَوَمَّنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (١٢)، وصحيح مسلم برقم (٣٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٢٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٦٦).

(٣) برقم (٥٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٢٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٦٢).

ويجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم، روى أبو داود في سننه من حديث علي بن أبي طالب رضي عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزَى عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»^(١).

أما كيفية السلام، فيستحب أن يقول المبتدئ بالسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيأتي بصيغة الجمع وإن كان المسلم عليه واحداً، ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بواو العطف في قوله: وعليكم.

روى أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين رضي عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «عَشْرٌ»، ثُمَّ جَاءَ آخِرٌ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جَاءَ آخِرٌ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»^(٢).

وينبغي الرد على من حمل السلام، فيقال له: وعليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا جَبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(٣).

(١) برقم (٥٢١٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٩٧٨/٣) برقم (٤٣٤٢).

(٢) برقم (٥١٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٩٧٦/٣) برقم (٤٣٢٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٢١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٧).

وروى أبو داود في سننه من حديث غالب، قال: إنا لجلوس باباب الحسن، إذ جاء رجل فقال: حدثني أبي عن جدي قال: بعثني أبي إلى رسول الله ﷺ فقال: ائتته فأقرئه السلام، قال: فأتيته فقلت: إن أبي يقرئك السلام، فقال: «عَلَيْكَ السَّلَامُ وَعَلَى أَيْبِكَ السَّلَامُ»^(١).

ويخفض المسلم صوته إذا سلم على من كان نائمًا فيسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد رضي عنه قال: كنا نرفع للنبي ﷺ نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل، فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان، فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلم^(٢).

وورد في السنة أن الصغير يسلم على الكبير، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٣). وفي رواية للبخاري: «وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ»^(٤).

ومن السنة السلام على من عرف المسلم ومن لم يعرف، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى

(١) برقم (٥٢٣١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٨٢) برقم (٤٣٥٨).

(٢) برقم (٨٥٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٢٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢١٦٠).

(٤) برقم ٦٢٣١.

الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»^(١).

وكره الشارع ابتداء السلام بقوله: عليك، أو عليكم السلام، فقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي جري جابر ابن سليم رضي عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: عليك السلام يا رسول الله، قال: «لا تقل: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى»^(٢).

وقد ورد النهي عن ابتداء الكافر بالسلام، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «لأن معنى السلام هو السلامة من الآفات، فإذا قلت لإنسان: السلام عليك، فمعنى ذلك أن تسأل الله تعالى أن يسلمه من الآفات الحسية والمعنوية، فالسلامة الحسية سلامة البدن، والعرض، والمال، والسلامة المعنوية سلامة الدين»^(٣).

وهذا دعاء له، وقد نهينا عن الاستغفار للمشركين، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «لَا تَبَدَّؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(٤).

وإذا كتب كتاباً إلى مشرك، وكتب فيه سلاماً، فينبغي أن يكتب ما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن

(١) (٣٩٨/٦) برقم (٣٨٤٨)، وقال محققوه: حديثه حسن.

(٢) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم (٤٠٨٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٧٢٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/٣٢٧)، للشيخ ابن عثيمين رحمته الله.

(٤) برقم (٢١٦٧).

النبي ﷺ كتب: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى»^(١).

ويشعر رد السلام على الكافر الذي ابتدأ به لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حِجَّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]. هذا إن كان اللفظ صريحاً واضحاً بالسلام، أما إن تلاعبوا بالألفاظ بقصد السخرية والحقد، فيقال: وعليكم، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ، فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ»^(٢).

وإذا مر المسلم على جماعة فيها مسلمون وكفار، فيجوز السلام عليهم ويقصد بذلك المسلمين، ففي صحيح البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى أَخْلَاطٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَعَبْدَةَ الْأَوْثَانِ، وَالْيَهُودِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»^(٣). قال ابن حجر رحمته الله: «يؤخذ منه جواز السلام على المسلمين إذا كان معهم كفار، وينوي حينئذ بالسلام على المسلمين»^(٤).

وإذا كان لا يجوز ابتداء الكافر بالسلام، فهل يجوز ابتداءه بتحية غير السلام، كصباح الخير، أو أهلاً وسهلاً.. وغيرها من العبارات، الصحيح أنه يجوز ابتداءهم بتحية غير السلام وهو اختيار ابن تيمية، والنهي الوارد إنما هو في السلام الذي معناه

(١) صحيح البخاري برقم (٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) برقم (٦٢٥٧)، والسام هو الموت.

(٣) برقم (٤٥٦٦).

(٤) فتح الباري (٨/٢٣٢).

السلامة من الآفات والرحمة والبركات، ولا يصلح هذا غير المسلم، ولا يصفح الكافر ابتداءً، لكن لو مديده للمصافحة فيصافحه المسلم لأن النهي إنما ورد في ابتدائهم بالسلام»^(١)

ومن السنة إلقاء السلام قبل مفارقة المجلس، لما رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/٢٤١).

(٢) برقم (٥٢٠٨)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٧٨) برقم (٤٣٤٠).

آداب السلام رقم ٢

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فلا زال الحديث عن آداب السلام، فمن ذلك:

أنه يشرع السلام على النساء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها إحدى نساء بني عبد الأشهل تقول: مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في نسوة، فسلم علينا وقال: «إِيَّاكُنَّ وَكُفَرَ الْمُنْعَمِينَ»، فقلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا كُفَرَ الْمُنْعَمِينَ؟ قَالَ: «لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ أَيْمَتَهَا بَيْنَ أَبْوَيْهَا وَتَعُسَّ، فَيَرْزُقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ زَوْجًا، وَيَرْزُقَهَا مِنْهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَتَغْضَبَ الْغَضْبَةَ، فَرَأَتْ مِنْهُ يَوْمًا خَيْرًا قَطُّ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مولى أم هانئ بنت أبي طالب أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها تقول: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يغتسل، وفاطمة رضي الله عنها ابنته تستره، فسلمت عليه فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» قُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمَّ هَانِيٍّ»^(٢).

(١) (٥٤٢/٤٥) برقم (٢٧٥٦١)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٧١)، وصحيح مسلم برقم (٣٣٦).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه قال: «كنا نفرح يوم الجمعة، قلت لسهل: ولم؟ قال: كانت لنا عجوز ترسل إلى بُضاعة - قال ابن مسلمة: نخل بالمدينة - فتأخذ من أصول السلق فتطرحه في قدر، وتكرر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا، ونسلم عليها فتقدمه إلينا فنفرح من أجله»^(١).

وروى البيهقي في الشعب من طريق مبارك بن فضالة قال: سئل الحسن عن السلام على النساء؟ قال: لم يكن الرجال يسلمون على النساء، ولكن النساء هن من يسلمن على الرجال^(٢).

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «وتعليقاً على هذا الاثر أقول: لقد ثبت سلامه ﷺ على النساء كما في حديث أسماء السابق، كما ثبت سلام أم هانئ عليه في الحديث السابق وهي ليست من محارمه، فهذا كله ثابت عنه ﷺ فهذا هو الأصل، وأما الآثار فهي مختلفة فبعضها تطلق الجواز، ولا تفرق بين الشابة والعجوز فهي على الأصل، وبعضها تمنع مطلقاً، وبعضها تجيزه على العجوز دون الشابة، وبعضهم يفرق تفريقاً آخر فيمنع تسليم الرجال على النساء مطلقاً، ويجيز لهن السلام عليهم مطلقاً كما في أثر الحسن هذا، والذي يتبين لي والله أعلم البقاء على الأصل؛ ولأنه داخل في عموم الأدلة الآمرة بإفشاء السلام، مع مراعاة قاعدة «دفع المفسدة قبل جلب المصلحة» ما أمكن، وإليه جنح الحلبي فيما نقله البيهقي عنه، قال: «إن النبي ﷺ لم يكن يخشى الفتنة،

(١) برقم ٦٢٤٨.

(٢) (١٣/١٠٥) برقم ٨٥٠٨، وقال محققه: إسناده حسن.

فلذلك سلم عليهن، فمن وثق من نفسه بالتماسك فليسلم، ومن لم يأمن نفسه فلا يسلم، فإن الحديث ربما جر بعضه بعضاً والصمت أسلم»^(١). وأقره البيهقي ثم العسقلاني»^(٢)^(٣).

ويشرع كذلك السلام على الصبيان، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ^(٤).

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر على غلمان فسلم عليهم^(٥).

ويشرع للمسلم أن يسلم إذا دخل بيتاً أن يسلم سواء كان فيه آدمي أم لا، فإن كان غيره فليستأذن وليسلم لعموم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِكَ فَسَلِّمْ تَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ»^(٦).

فإن لم يكن في البيت أحد فقد قال نافع: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(١) (١٠٦/١٣)، طبعة وزارة الأوقاف القطرية.

(٢) فتح الباري لابن حجر رحمته الله (١١/٣٣-٣٤).

(٣) صحيح الأدب المفرد ص (٣٩٩) بتصرف.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٢٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨٦).

(٥) برقم (٢١٨٦).

(٦) برقم (٢٦٩٨)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

يقول: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»^(١).

وكان ابن عمر يذهب إلى السوق ليس له حاجة إلا السلام، روى البخاري في الأدب المفرد من حديث الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق، لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا يسلم عليه، قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً، فاستتبعتني إلى السوق فقلت: ما تصنع بالسوق؟ وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق، فاجلس بنا هنا نتحدث، فقال لي عبد الله: يا أبا بطن! - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقينا^(٢).

أما المصافحة فقد وردت الأحاديث بفضلها وتشرع عند كل لقاء، فقد روى أبو داود في سننه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيُنْحَنِي

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري ص (٤٠٧) برقم (١٠٥٥)، وحسن إسناده الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الأدب، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٢٠ / ١١).

(٢) الأدب المفرد للإمام البخاري بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله ص (٣٨٥) - (٣٨٦) برقم (١٠٠٦)، وقال: حديث صحيح.

(٣) برقم (٥٢١٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٩٧٩ / ٣) برقم (٤٣٤٣).

لَهُ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: أَفِيَلْتَرَمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(١).

وفي الحديث الآخر عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: هل كانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ قال: نعم^(٢).
أما المعانقة، فتشرع عند القدوم من السفر، أو بعد العهد.. ونحو ذلك.

سُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن المعانقة^(٣) والقيام؟ فقال: أما إذا قدم من سفر فلا أعلم به بأساً إذا كان على التدين يحبه في الله، أرجو لحديث جعفر أن النبي ﷺ اعتنقه وقبل بين عينيه^(٤).

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «ويكره من المعانقة والتقبيل ما كان على

(١) برقم (٢٧٢٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٢٦٣).

(٣) العناق: بكسر العين، الالتزام وهو المعانقة، وقد عانقه إذا جعل يده على عنقه وضمه إلى نفسه، قاله الجوهري، الآداب الشرعية للحجاوي ص (٢٤٠).

(٤) مستدرک الحاكم (٣/٥٢٩) برقم (٤٣٠٨) وهو مرسل، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: هذا وقد كنت منذ بعيد لا أرى تقبيل ما بين العينين لضعف حديث جعفر هذا بسبب الإرسال، وعدم وقوفي على شاهد معتبر له، فلما طبع المعجم الكبير ووقفت فيه على إسناده من طريق أنس بن سليم، وعلى ترجمته عند ابن عساكر وتبين لي أنه شاهد قوي للحديث المرسل، رأيت أنه من الواجب علي نشره في هذه السلسلة أداءً للأمانة العلمية، ولعلمي أن الكثيرين من أمثالي لم تقع أعينهم عليه فضلاً عن غيرهم، فأحببت لهم أن يكونوا على بصيرة منه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، السلسلة الصحيحة (٦/٣٣٨) برقم (٢٦٥٧).

وجه الملقِّ والتعظيم، وفي الحضرة.

فأما المأذون فيه، فعند التوديع وعند القدوم من السفر، وطول العهد بالصاحب، وشدة الحب في الله.

وَمَنْ قَبَّلَ، فلا يقبل الفم، ولكن اليد والرأس والجبهة، وإنما كره ذلك في الحضرة، فيما يُرى؛ لأنه يكثر، ولا يستوجهه كل أحد، فإن فعله الرجل ببعض الناس دون بعض، وجد عليه الذين تركهم وظنوا أنه قد قصر بحقوقهم، وآثر عليهم، وتمايم التحية المصافحة»^(١).

وقال إسماعيل بن إسحاق الثقفى: سألت أبا عبد الله قلت: ترى أن يقبل الرجل رأس الرجل أو يده؟ قال: نعم^(٢).

روى أبو داود في سننه من حديث زارع رضي عنه وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

وأما تقبيل الأطفال أو المحارم من النساء على وجه الشفقة والرحمة واللفظ ومجبة القرابة، فقد وردت الأدلة بجوازه.

روى أبو داود في سننه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي عنها أنها قالت: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا - وَقَالَ

(١) شرح السنة للبيهقي (١٢/٢٩٣).

(٢) الآداب الشرعية للحجاوي ص (٢٣٩).

(٣) برقم (٥٢٢٥)، وقال الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٨١) برقم (٤٣٥٣): حسن دون ذكر الرجل الواردة في بعض روايات الحديث.

الْحَسَنُ^(١): حَدِيثًا وَكَلَامًا، وَلَمْ يَذْكَرْ الْحَسَنُ السَّمْتَ وَالْهَدْيَ وَالِدَلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فدخلت مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها فقبل خدها وقال: كيف أنت يا بنية^(٣).

قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكان دخول البراء على أهل أبي بكر قبل أن ينزل الحجاب قطعاً، وأيضاً فكان حينئذ دون البلوغ وكذلك عائشة»^(٤).

أما مصافحة النساء غير المحارم، فقد ورد النهي عن ذلك، فروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمَخِيطٍ^(٥) مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ تَمَسَّهُ امْرَأَةٌ لَا تَحِلُّ لَهُ»^(٦).

وقبل النبي ﷺ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وعنده الأقرع بن حابس

(١) أحد رواة الحديث.

(٢) برقم (٥٢١٧)، وصححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٧٩) برقم (٤٣٤٧).

(٣) برقم (٣٩١٨).

(٤) فتح الباري (٧/٢٥٦).

(٥) المخيط: هو ما يخاط به كالإبرة والمسلة ونحوهما.

(٦) معجم الطبراني الكبير (٢٠/٢١٠) برقم (٧٨٦)، وحسنه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غاية المرام برقم (١٩٦).

التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم واحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(١).

وقال ثابت عن أنس رضي عنه: أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه^(٢).

ولا بأس بتقبيل وجه الميت، ففي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي عنها في الحديث الطويل في وفاة رسول الله ﷺ قالت: «دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى»^(٣).

وقد ورد النهي عن السلام بالإشارة، فقد روى الترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكْفِ»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٣١٨).

(٢) صحيح البخاري، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٣) برقم (١٢٤١-١٢٤٢).

(٤) برقم (٢٦٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته كما في صحيح سنن الترمذي برقم (٣٤٦/٢) برقم (٢١٦٨).

آداب السلام رقم ٣

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن آداب السلام، أنه يشرع تكراره إذا كان الجمع كثيراً، أو شك في سماع المسلم عليه، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا»^(١).

قال النووي رحمته الله: «يشرع تكراره إذا كان الجمع كثيراً ولم يسمع بعضهم وقصد الاستيعاب»^(٢).

قال ابن حجر رحمته الله: «وكذا لو سلم وظن أنه لم يسمع فتسن الإعادة، فيعيد مرة ثانية، وثالثة، ولا يزيد على الثالثة»^(٣).

ويشرع السلام على المصلي بصوت لا يشوش على المصلين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث صهيب رضي عنه أنه قال: «مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ إِلَيَّ إِشَارَةً، قَالَ: وَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٩٥).

(٢) فتح الباري (١١/٢٧).

(٣) فتح الباري (١١/٢٧).

أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: إِشَارَةً بِأَصْبُعِهِ»، وهذا لفظ حديث قتيبة^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء يصلي فيه، قال: فجاءته الأنصار فسلموا عليه وهو يصلي. قال: فقلت لبلال رضي الله عنه: كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قَالَ: يَقُولُ هَكَذَا، وَبَسَطَ كَفَّهُ، وَبَسَطَ جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ كَفَّهُ، وَجَعَلَ بَطْنَهُ أَسْفَلَ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ إِلَى فَوْقٍ»^(٢).

ففي حديث صهيب أشار بأصبعه، وفي حديث ابن عمر أشار باليد، قال العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي في شرحه على سنن أبي داود: «ويجمع بين هذه الروايات بأنه صلى الله عليه وسلم فعله هذا مرة وهذا مرة، فيكون جميع ذلك جائزاً، والله أعلم»^(٣).

ومن المواضع التي لا يُشرع فيها رد السلام إذا كان المُسَلَّم عليه مشغلاً بقضاء الحاجة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَبُوءُ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ^(٤).

ومنها أنه لا يشرع السلام على المصلين يوم الجمعة والإمام

(١) برقم (٩٢٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١٧٤/١) برقم (٨١٨).

(٢) برقم (٩٢٧)، وذكره الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١٧٤/١) برقم (٨٢٠) وقال: حسن صحيح.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣٨/٣) بتصرف.

(٤) برقم (٣٧٠).

يخطب، سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء يقول السائل: ما حكم من دخل المسجد والإمام يخطب بالمصلين فسلم على الحاضرين، هل يرد الجماعة عليه التحية؟

الجواب: لا يجوز لمن دخل والإمام يخطب يوم الجمعة إذا كان يسمع الخطبة أن يبدأ بالسلام على من في المسجد، وليس لمن في المسجد أن يرد عليه والإمام يخطب، لكن إذا رد عليه بالإشارة جاز، ولا يجوز له أن يطلب من أحد أن يجلس، ولا أن يطلب من المتكلم أن يسكت إذا كان يسمع الخطبة، والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخُطُّ فَقَدْ لَغَوْتَ» (١)(٢).

وجاء في الفتوى الثانية، سائل يقول: الرجل يكون منصتاً لخطبة الجمعة ثم يفاجأ بأحد المجاورين له في المسجد يمد يده للمصافحة والإمام يخطب، فهل يتركه أو يصافحه؟

الجواب: يصافحه بيده ولا يتكلم، ويرد عليه السلام بعد انتهاء الخطيب من الخطبة الأولى إذا سلم عليه والإمام يخطب الخطبة الأولى، وإن سلم والإمام يخطب الخطبة الثانية فأنت تسلم عليه بعد انتهاء الخطيب من الثانية (٣).

ويستحب لمن دخل المسجد أن يقدم تحية المسجد قبل

(١) صحيح البخاري برقم (٩٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٨٥١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٨/٢٤٣-٢٤٤) برقم (٥١٣٧).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٨/٢٤٦) برقم (٣٧٧٤).

السلام، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن هديه ﷺ يبتدئ بركعتين تحية المسجد، ثم يجيء فيسلم على القوم، فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق هو حق لهم، وحق الله في مثل هذا أحق بالتقديم بخلاف الحقوق المالية، فإن فيها نزاعاً معروفاً، والفرق بينهما حاجة الآدمي، وعدم اتساع الحق المالي لأداء الحقين، بخلاف السلام.

وكانت عادة القوم معه هكذا، يدخل أحدهم المسجد فيصلي ركعتين، ثم يجيء فيسلم على النبي ﷺ، ولهذا جاء في حديث رفاعة بن رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا - قَالَ رِفَاعَةُ: وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ كَالْبَدَوِيِّ فَصَلَّى، فَأَخْفَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَعَلَيْكَ، ازْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»^(١). وذكر الحديث. فأنكر عليه صلته، ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه ﷺ إلى ما بعد الصلاة»^(٢).

هل يشرع السلام على أهل المحاصي والبدع؟

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما المبتدع ومن اقترف ذنباً عظيماً ولم يتب، فينبغي ألا يُسَلَّم عليهم ولا يرد عليهم السلام، كذا قاله البخاري وغيره من العلماء»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٩٧).

(٢) زاد المعاد لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٢/٣٧٧-٣٧٨).

(٣) الأذكار للنووي رَحِمَهُ اللهُ ص ٤١٩.

واحتج الإمام أبو عبد الله البخاري في صحيحه في هذه المسألة بما روينا في صحيح البخاري ومسلم في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك هو ورفيقان له، قال: ونهى صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، قال: «وكنتم آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليكم، فأقول: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟»^(١).

قال البخاري رحمته الله: «وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: لا تسلموا على شربة الخمر»^(٢).

وذكر الشيخ تقي الدين في فتاويه: «أنه لا ينبغي أن يسلم على من لا يصلي - يعني تارك الصلاة - ولا يجيب دعوته»^(٣).

قال النووي رحمته الله: «فإن اضطر إلى السلام على الظلمة بأن دخل عليهم وخاف ترتب مفسدة في دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يسلم.. سلم عليهم، قال الإمام أبو بكر ابن العربي، قال العلماء: يسلم وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، المعنى: الله عليكم رقيب»^(٤).

وإن حيي المسلم صاحبه بغير السلام كقوله: أسعد الله صباحك أو مساءك.. أو غير ذلك من العبارات ففيه تفصيل.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤١٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٦٩).
 (٢) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً ولم يرد سلامه حتى تبين توبته.
 (٣) الآداب الشرعية للحجاوي ص ١٩١.
 (٤) الأذكار للنووي رحمته الله ص ٤١٩.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ لصدقة وهم في جنازة: يا أبا محمد! كيف أمسيت؟ فقال: مساك الله بالخير.

وقال أيضًا للمروزي: كيف أصبحت يا أبا بكر؟ فقال له: صبَّحَكَ اللهُ بخير يا أبا عبد الله^(١).

وإن قال (مرحبًا) فلا حرج، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لما قدم وفد عبد القيس على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»^(٢).

ولكن ينبغي أن تكون التحية بعد السلام؛ لأن السلام تحية المسلمين.

أما إذا كانت العبارة من تحية أهل الجاهلية كقوله أنعم صباحًا أو أطال الله بقاءك، أو أمتع الله بك.. أو غيرها من العبارات فلا ينبغي التشبه بهم.

ويشرع السلام على الأصم والأبكم، ويجمع بين اللفظ والإشارة في السلام.

أما الموتى فإنه يشرع السلام عليهم، لما روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله! كيف أقول لهم - أي: عند زيارة القبور - قال: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ

(١) الآداب الشرعية للحجاوي ص (٢٠٩-٢١٠) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٨).

مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْحَقُونِ»^(١).

فَأَكْتَدَةُ:

روى البخاري في صحيحه تعليقا: أن عمارا رضي الله عنه قال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»^(٢).

قال النووي رحمته الله: «وقد جمع في هذه الكلمات الثلاث خيرات الآخرة والدنيا، فإن الإنصاف يقتضي أن يؤدي إلى الله تعالى جميع حقوقه وما أمر به، ويجتنب جميع ما نهاه عنه، وأن يؤدي إلى الناس حقوقهم، ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف أيضا نفسه فلا يوقعها في قبيح أصلا.

وأما بذل السلام للعالم - فمعناه لجميع الناس - فيتضمن ألا يتكبر على أحد، وألا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع بسببه من السلام عليه.

وأما الإنفاق من الإقتار، فيقتضي كمال الوثوق بالله تعالى والتوكل عليه والشفقة على المسلمين... وغير ذلك، نسأل الله الكريم التوفيق للجميع»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٩٧٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام.

(٣) الأذكار للنووي ص (٣٩٨-٣٩٩).

صلاة التطوع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الصلاة من أفضل الطاعات وأجل العبادات، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْضُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(١).

وقد شرع الله لعبادة صلاة التطوع لتكمل الفرائض، وتجبر نقصها، ورفعة في الدرجات، وتكفيراً للخطايا والسيئات، وسبباً لمحبة الله، روى أبو داود في سننه من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ، قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ: انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا، أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً، كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَتْ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

(١) برقم (٢٧٧)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/٥١) برقم (٢٢٤).

(٢) برقم (٨٦٤)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/١٦٣-١٦٤) =

وروى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلوات الله عليه أن النبي صلوات الله عليه قال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

والتطوع يجلب محبة الله، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»^(٢). الحديث.

قال الفاكهاني: «معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرها، أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى»^(٣).

وقال ابن حجر رحمته الله: «وفي الحديث عظم قدر الصلاة، فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها، وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربّه، ولا شيء أقر لعين العبد منها، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه النسائي بسند صحيح: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٤)، ومن كانت قرة عينه

= برقم (٧٧٠).

(١) برقم (٤٨٨).

(٢) برقم (٦٥٠٢).

(٣) فتح الباري (٣٤٣/١١).

(٤) برقم (٣٩٣٩)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي (٨٢٧/٣) =

في شيء، فإنه يود ألا يفارقه ولا يخرج منه؛ لأن فيه نعيمه، وبه تطيب حياته»^(١).

والتطوع أنواع:

الأول: ما يسميه العلماء فرض كفاية: إذا قام به البعض سقط عن الباقي، مثل صلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف.

الثاني: رواتب الفرائض: الاثنا عشر على ما رجحه بعض أهل العلم، روى مسلم في صحيحه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢). وفي لفظ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

وجاء تفسيرها في سنن الترمذي من حديث أم حبيبة الأخر: «أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ»^(٤).

الثالث: ما قيل أنه واجب، وإن لم يصل إلى حد الفريضة، كصلاة الوتر، وفي الحديث: أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «يَا

= برقم (٣٦٨٠).

(١) فتح الباري (١١/٣٤٥).

(٢) برقم (٧٢٨).

(٣) برقم (٧٢٨).

(٤) برقم (٤١٥) وقال: حديث حسن صحيح.

أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْ تَرَوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَبْرِكُ لَكُمْ وَتُرِيحُ الْوِثْرَ»^(١)، ولم يتركه النبي ﷺ لا في حضر ولا سفر.

الرابع: نوافل الفرائض:

١- أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، لما رواه أبو داود في سننه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَافِظَ عَلَيَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعَ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٢).

٢- أربع ركعات قبل العصر، لما روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»^(٣).

٣- ركعتان قبل المغرب، للحدِيث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس، وفيه: وكنا نصلي على عهد رسول الله ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب^(٤)، ولحدِيث عبد الله بن مغفل في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ قَالَ

(١) سنن النسائي برقم (١٦٧٦)، وصححه الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن النسائي (٣٦٨/١) برقم ١٥٨١.

(٢) برقم (١٢٦٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١٠٥/١) برقم (٤٨٩).

(٣) برقم (١٢٧١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٢٣٦/١) برقم (١١٣٢).

(٤) برقم (٨٣٦).

في الثالثة: لِمَنْ شَاءَ»^(١).

٤- ركعتان قبل صلاة العشاء لحديث عبد الله بن مغفل رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، وَبَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: لِمَنْ شَاءَ»^(٢).

الخامس: صلاة الحاجة أو السبب، ومنها صلاة الاستخارة لقول جابر رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ... الحديث»^(٣).

ومنها صلاة التوبة، لما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ - أَوْ أَرْبَعًا شَكَّ سَهْلٌ - يُحْسِنُ فِيهِمَا الذِّكْرَ

(١) برقم (١١٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٢٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٨٢).

(٤) برقم (١٥٢١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم ١٣٤٦.

وَالْخُشُوعَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، غَفَرَ لَهُ»^(١).

ومنها تحية المسجد لما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ»^(٢).

ومنها سنة الوضوء، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَغُفِرَ لَهُ»^(٣).

السادس: التطوع المطلق في أي وقت عدا وقت النهي، ويُسن الإكثار منه لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، قَالَ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٤).

مثل صلاة الضحى، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا بَنَ آدَمَ! اكْفِنِي أَوَّلَ النَّهَارِ بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ بِهِنَّ آخِرَ يَوْمِكَ»^(٥).

قال السندي: «قوله بأربع ركعات، قيل: يحتمل أن يراد بها

(١) برقم (٢٧٥٤٦)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٧١٤).

(٣) (٢٨/٥٤٩-٥٥٠) برقم (١٧٣١٤) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٤) صحيح مسلم برقم (٤٨٩).

(٥) (٢٨/٦١٣) برقم (١٧٣٩٠) وقال محققوه: إسناده صحيح.

فرض الصبح وركعتا الفجر، ويحتمل أن يراد بها صلاة الضحى، وهذا هو الظاهر من الحديث، وصنيع أبي داود وغيره في السنن قوله: بهن أي بجزائهن، قيل: يحتمل أن يراد كفايته من الآفات والحوادث الضارة، وأن يراد حفظه من الذنوب أو العفو عما وقع منه في ذلك اليوم، أو أعم من ذلك، والله أعلم»^(٦).

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن السائب أن النبي ﷺ كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأَحَبُّ أَنْ يَضَعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»^(٧).

فهذه الصلاة كانت بعد وقت النهي ودخول وقت الزوال، قال بعض أهل العلم إنها راتبة فريضة الظهر.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ: صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»^(٨). قال بعض أهل العلم: ركعتين، وقال آخرون ثمان، والصحيح أنه لا حد لأكثرها؛ لأن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ»^(٩).

(٦) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد (٢٨/٦١٣).

(٧) برقم (٤٧٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/١٤٧) برقم (٣٩٦).

(٨) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٩) صحيح مسلم برقم (٧١٩).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ولو صلى من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبل الزوال أربعين ركعة مثلاً لكان هذا كله داخلياً في صلاة الضحى»^(١).

روى ابن ماجه في سننه من حديث عاصم بن ضمرة السلولي قال: سألتنا علياً عن تطوع رسول الله ﷺ بالنهار، فقال: إنكم لا تطيقونه، فقلنا: أخبرنا به نأخذ منه ما استطعنا، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر يمهل حتى إذا كانت الشمس من هاهنا- يعني من قبل المشرق- بمقدارها من صلاة العصر من هاهنا- يعني من قبل المغرب- قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من هاهنا- يعني من قبل المشرق- مقدارها من صلاة الظهر من هاهنا قام فصلى أربعاً، وأربعاً قبل الظهر إذا زالت الشمس وركعتين بعدها، وأربعاً قبل العصر يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبیین، ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين، قال علي: فتلك ست عشرة ركعة تطوع رسول الله ﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها، قال وكيع: زاد فيه أبي: فقال حبيب بن أبي ثابت: يا أبا إسحاق ما أحب أن لي بحديثك هذا ملء مسجدك هذا ذهباً^(٢).

ومنها صلاة الليل، وتبدأ من صلاة العشاء إلى أذان الفجر، لقول النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»^(٣).

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ٨٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (١١٦١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٩٥٢)، والصحيح برقم ٢٣٧.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»^(١).

قد يقول قائل: هل تقضى هذه الرواتب إذا فاتت المسلم؟ وكذلك الوتر؟

الذي يترجح أنه من فاتته هذه الرواتب لعذر، فإنه يُسن قضاؤها، فقد ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأبي قتادة في قصة نوم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم في السفر عن صلاة الفجر، حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم راتبة الفجر أولاً ثم الفريضة ثانياً^(٢).

وكذلك أيضاً حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم انشغل عن الركعتين بعد صلاة الظهر فقضاهما بعد صلاة العصر^(٣). وهذا نص في قضاء الرواتب.

وأيضاً حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا لم يصل أربعاً قبل الظهر صلاهن بعدها^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَامَ عَنِ وِثْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ، فَلْيُصَلِّهِ إِذَا

(١) صحيح البخاري برقم (١١٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (٦٨١) ورقم (٣١١).

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٣٤ و ٢٩٧).

(٤) سنن الترمذي برقم (٤٢٦) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن الترمذي (١/١٣٤) برقم (٣٥٠).

ذَكَرَهُ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة^(٢).

تنبيه:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي النوافل أحياناً في المسجد والأكثر كان يصليها في بيته، وحث ورغب أمته في ذلك فقال في الصحيحين من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٤٣١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٢٦٨/١) برقم (١٢٦٨).

(٢) برقم ٧٤٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٣١)، وصحيح مسلم برقم (٧٨١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٧٧٧).

أوقات النهي عن الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد جاء في السنة النبوية النهي عن الصلاة في بعض الأوقات، بعضها معلومة السبب، والبعض الآخر غير معلوم، ومن هذه الأوقات ما النهي فيه مغلظاً وشديداً، أي أن الصلاة لا تجوز فيه بحال، ومنها ما النهي فيه مخففاً، وذلك لجواز بعض الصلوات المخصوصة فيه.

فأما الأوقات المغلظة، فهي ثلاثة: عند طلوع الشمس حتى ترتفع، وحين تكون الشمس في كبد السماء، وعند غروب الشمس حتى تغيب، فهذه الأوقات الثلاث تُنهي عن الصلاة فيها نهياً شديداً، وكذلك نهى النبي ﷺ أن نقبر فيها الموتى، وإليك الأحاديث:

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي عنه قال: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبَرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ^(١) حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيِّقُ الشَّمْسُ

(١) قائم الظهيرة: حال استواء الشمس، ومعناه: حين لا يبقى للقاء في الظهيرة =

لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ»^(١)(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَأَخِّرُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني عن الصلاة؟ قال: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِيلَ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»^(٤).

وقد أوضح صلى الله عليه وسلم الحكم في النهي عن الصلاة في هذه

= ظل في المشرق ولا في المغرب، شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٣٥٤).
(١) برقم (٨٣١).

(٢) قال النووي رحمته الله نقلاً عن القاضي عياض: المراد بالطلوع في قوله ثلاث ساعات، ارتفاعها وإشراقها، وإضاءتها لا مجرد ظهور قرصها، وهذا الذي قاله القاضي صحيح متعين لا عدول عنده للجمع بين الروايات، شرح صحيح مسلم (٦/ ٣٥٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٢٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٨٢٩).

(٤) برقم (٨٣٢).

الأوقات وهي:

١- أن الكفار الذين يعبدون الشمس من دون الله يسجدون للشمس في هذه الأوقات، وقد نهينا عن التشبه بهم، قال ﷺ: «وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

٢- أن الشمس تطلع وتغرب بين قرني شيطان، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قيل: المراد بقرني الشيطان: ناحيتا الرأس، وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى، قالوا: ومعناه أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة، وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر، وتمكن من أن يُلبَّسُوا على المصلين صلاتهم، فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها، كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان»^(٢).

وهذا من المغيبات التي لا تُعلم إلا بالوحي، وفيها التحذير من كل فعل أو قول يرضى به الشيطان في ظاهره، وإن كان فاعله لم ينو ذلك.

٣- أن النهي عن الصلاة إذا قام قائم الظهيرة له سبب آخر من أمور الغيب التي لا تُعلم إلا بالوحي؛ وهو أن جهنم تسجر^(٣)

(١) سنن أبي داود برقم (٤٠٣١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: هذا إسناد جيد، كما حسنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في فتح الباري (٩٨/٦) وستأتي كلمة مفصلة في النهي عن التشبه بالكفار.

(٢) شرح صحيح مسلم (٣٥٣/٦).

(٣) أي: يوقد عليها إيقاداً بليغاً، شرح صحيح مسلم للنووي (٣٥٦/٦).

في ذلك الوقت، ويزول النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، أما عند طلوع الشمس فحتى ترتفع قيد رمح^(١)، وأما حين تكون في كبد السماء فحتى تزول الشمس ويظهر في الزوال، وأما عند غروبها فحتى يغيب حاجب الشمس وتختفي عن الأنظار.

أما الأوقات التي ورد النهي فيها عن الصلاة نهياً مخففاً، فمنها: بعد طلوع الفجر حتى إقامة الصلاة، فلا يصلى في هذا الوقت غير سنة الفجر، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «لَا صَلَاةَ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلَّا سَجْدَتَيْنِ»^(٢).

وكذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث يسار مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأني ابن عمر رضي الله عنهما وأنا أصلي بعد ما طلع الفجر، فقال: يا يسار كم صليت؟ قلت: لا أدري! قال: لا دريت! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج علينا ونحن نصلي هذه الصلاة فقال: «أَلَا لِيُبَلِّغَ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ: أَنْ لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ إِلَّا سَجْدَتَانِ»^(٣).

(١) أي: من طلوع قرص الشمس (قيد رمح) يعني قيد برأي العين، هذا هو الوقت الثاني، فإذا طلعت الشمس فانظر إليها، فإذا ارتفعت قيد رمح، يعني قيد متر تقريباً في رأي العين فحينئذ خرج وقت النهي، ويقدر بالنسبة للساعات باثنتي عشرة دقيقة إلى عشر دقائق، أي ليس بطويل، ولكن الاحتياط أن يزيد إلى ربع ساعة، فنقول بعد طلوع الشمس بربع ساعة ينتهي وقت النهي. الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٤/١١٢-١١٣).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤١٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في الإرواء برقم (٤٧٨).

(٣) (٧٢/١٠) برقم (٥٨١١) وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»^(١).

ومنها بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، فلا يصلي في هذا الوقت إلا سنة الفجر، فقد رخص في ذلك لمن لم يتمكن من صلاتها قبل الفريضة، وكذلك من دخل المسجد والناس يصلون الفريضة، وقد صلاها قبل ذلك فإنه يلزمه أن يصلي معهم وتكون له نافلة.

روى ابن ماجه في سننه من حديث قيس بن عمرو رضي الله عنه قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَصَلَاةُ الصُّبْحِ مَرَّتَيْنِ؟»، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنِّي لَمْ أَكُنْ صَلَّيْتُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم^(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث يزيد بن الأسود رضي الله عنه قال: شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجه فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف، فلما قضى صلاته انحرف فإذا هو برجلين في أخرى القوم لم يصليا معه فقال: «عَلَيَّ بِهِمَا» فجيء بهما ترعد فرائضهما، فقال: «مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَنَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا قَدْ صَلَّيْنَا فِي رِحَالِنَا، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلَا، إِذَا صَلَّيْتُمَا فِي رِحَالِكُمَا ثُمَّ أَتَيْتُمَا مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَصَلِّيَا مَعَهُمْ، فَإِنَّهَا لَكُمَا نَافِلَةٌ»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٨٤) واللفظ له.

(٢) برقم (١١٥٤)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٩٠) برقم (٩٤٨).

(٣) برقم (٢١٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن الترمذي =

ولقضاء سنة الفجر وقت آخر، وهو أن يصلّيها من الضحى بعد ارتفاع الشمس وهو أفضل لما روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فَلْيُصَلِّيْهُمَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ»^(١).

قال الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمته الله: «إذا لم يتيسر للمسلم أداء سنة الفجر قبل الصلاة، فإنه يخير بين أدائها بعد الصلاة أو تأجيلها إلى ما بعد ارتفاع الشمس، لأن السنة قد ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأمرين جميعاً، لكن تأجيلها أفضل إلى ما بعد ارتفاع الشمس لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، أما فعلها بعد الصلاة فقد ثبت من تقريره عليه الصلاة والسلام ما يدل على ذلك»^(٢).

ومنها بعد صلاة العصر حتى تضيف^(٣) الشمس للغروب، فقد نُهي عن الصلاة في هذا الوقت، واستثنى من ذلك قضاء سنة الظهر لمن فاتته، والدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ»^(٤) وفي رواية البخاري: «لَا صَلَاةَ بَعْدَ صَلَاتَيْنِ: بَعْدَ

= (١/٧٠) برقم ١٨١.

(١) برقم (٤٢٣) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٣٣) برقم (٣٤٧).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١١/٣٧٣).

(٣) أي: تميل.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٨٦)، وصحيح مسلم برقم (٨٢٧).

العَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُصَلَّى بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ بَيَضَاءً مُرْتَفِعَةً»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وحكى أبو الفتح اليعمري عن جماعة من السلف أنهم قالوا: إن النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر إنما هو إعلام بأنهما لا يتطوع بعدهما، ولم يقصد الوقت بالنهي كما قصد به وقت الطلوع ووقت الغروب، ويؤيد ذلك ما رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تُصَلُّوا بَعْدَ الصُّبْحِ، وَلَا بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ نَقِيَّةً»^(٣) وفي رواية: مرتفعة، فدل على أن المراد بالبعدية ليس على عمومها، وإنما المراد وقت الطلوع، ووقت الغروب وما قاربهما. والله أعلم»^(٤). أهـ

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم سلمة رضيها الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فسألته عنهما فقال: «إِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهَمَّا هَاتَانِ»^(٥)

(١) برقم (١٨٦٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٦/٢) برقم (٦١٠)، وسنن أبي داود برقم (١٢٧٤)، وقال محققو المسند: رجاله ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٢/٦١-٦٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري (٢/٦١-٦٢).

(٥) صحيح البخاري برقم (١٢٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٣٤).

ومنها الصلاة حال خطبة الجمعة، فقد دلت الأدلة على أن الواجب الإنصات للخطبة والاستماع لها، وترك كل ما يشغل عنها، وإنما جازت الصلاة لمن دخل المسجد والإمام يخطب أن يصلي ركعتين خفيفتين تحية المسجد، للحديث المخرج في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله قال: جَاءَ سُلَيْكُ الْغَطَفَانِيُّ رضي عنه يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا سُلَيْكُ! قُمْ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»^(١).

تنبيهات:

الأول: أن النهي عن الصلاة في هذه الأوقات السابق ذكرها لا يشمل المسجد الحرام، سواء كانوا من أهله أو من الزائرين له على الراجح من أقوال أهل العلم، لما رواه أبو داود والترمذي في سننهما من حديث جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ، وَصَلَّى أَيَّةَ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ»^(٢).

الثاني: اختلف أهل العلم في جواز الصلاة في هذه الأوقات عند الحاجة إلى ذلك، كتحية المسجد ونحوها، فأما الأوقات

(١) صحيح البخاري برقم (٩٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٧٥) واللفظ له.

(٢) سنن أبي داود برقم (١٨٩٤)، ورواه الترمذي برقم (٨٦٨) وقال: حديث جبير حديث حسن صحيح.

المخففة، فالقول في الجواز فيها ظاهر لما تقدم، وأما الأوقات المغلظة فقد منع من ذلك بعض أهل العلم لأنه وقت يسير والنهي فيه شديد، والحكمة فيه ظاهرة معلومة، وهؤلاء أسعد بالصواب فيما يظهر. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تنظيم النسل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص من الكتاب والسنة تحث على الزواج وتكثير النسل لما في ذلك من المصالح العظيمة الدينية والدنيوية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(١).

فالأمة كلما كثرت حصل لها من العزة والهيبة ما لا يحصل لها في حال القلة، ولهذا من الله على بني إسرائيل بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

وذكر شعيب قومه بذلك فقال سبحانه عنه: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. روى أبو داود في

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٥)، وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

سننه من حديث معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا»، ثم أتاه الثانية، فنهأه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الودود، فإني مكاتير بكم الأمم»^(١).

«والأولاد منذ القديم كانوا أمنية الناس حتى الأنبياء المرسلين، وسائر عباد الله الصالحين، وسيظلون كذلك ما سلمت فطرة الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتَ بِهِ فَلَمَّا أَثَقَلَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف].

ولما دعا إبراهيم قومه إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، وصبر على أذاهم وثابر على دعوتهم، ألقوه في النار وأنجاه الله منها، واعتزلهم وما يعبدون من دون الله؛ فوهب الله له إسماعيل ثم إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب استجابة لقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات]. بشره بإسماعيل أولاً، ولما بلغ معه السعي ابتلاه فيه وأمره بذبحه، وأثر امتثال أمر ربه على حبه لولده، وصدق في تنفيذ أمره، فبشره ثانياً بإسحاق نبياً من الصالحين، وجعل النبوة في ذرية خليله من بعده، جزاء كريماً لصبره على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله، ونجاحه فيما ابتلاه الله به من الكلمات.

فالأولاد نعمة تتعلق بها قلوب البشر وترجوها، لتأنس

(١) برقم (٢٠٥٠)، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٨٦/٢) برقم (١٨٠٤): حسن صحيح.

بها من الوحشة، وتقوى بها عند الوحدة، وتكون قرّة عين لها في الدنيا والآخرة، ولذلك طلبها إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات]. وطلبها زكريا من ربه، قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء]. وأثنى سبحانه على عباده الصالحين، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان].

الفرق بين منع الحمل وتنظيمه وتحديد النسل:

١- منع الحمل: هو استعمال الوسائل التي يظن أنها تحول بين المرأة وبين الحمل، كالعزل، وتناول العقاقير، ووضع اللبوس ونحوه في الفرج، وترك الوطء في وقت الإخصاب.. ونحو ذلك.

٢- تحديد النسل: هو الوقوف بالنسل عند الوصول إلى عدد معين من الذرية باستعمال وسائل يُظن أنها تمنع من الحمل.

٣- تنظيم الحمل: هو استعمال وسائل معروفة لا يراد من استعمالها إحداث العقم أو القضاء على وظيفة جهاز التناسل، بل يراد بذلك الوقوف عن الحمل فترة من الزمن لمصلحة ما يراها الزوجان، أو من يثقان به من أهل الخبرة.

ولا شك أن الدعوة إلى تحديد النسل، أو منع الحمل من الأمور التي أثارها أعداء الإسلام في الأزمنة الأخيرة لإضعاف شوكة المسلمين والسيطرة على ثرواتهم، واستعمار بلادهم، مع ما في تلك الدعوة من أضرار كثيرة دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية، ومنافاتها للفطرة والإسلام»^(١).

وقد صدر قرار من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية برقم ٤٢ وتاريخ ١٣ / ٤ / ١٣٩٦ هـ يوضح الحكم الشرعي في منع الحمل، وتحديد النسل، وتنظيمه، وهذا نصه: «نظرًا إلى أن الشريعة الإسلامية ترغب في انتشار النسل وتكثيره، وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة من الله بها على عباده، فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله مما أوردته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في بحثها المعد للهيئة والمقدم لها.

ونظرًا إلى أن القول بتحديد النسل، أو منع الحمل، مصادم للفطرة الإنسانية التي فطر الله الخلق عليها، وللشريعة الإسلامية التي ارتضاها الرب تعالى لعباده، ونظرًا إلى أن دعاة القول بتحديد النسل أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين بصفة عامة وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة، حتى تكون

(١) بحث من إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء مقدم لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في دورتها المنعقدة في النصف الأول من شهر شعبان لعام ١٣٩٥ هـ في مدينة الطائف. أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/ ٥٠٣-٥٢٨) بتصرف.

لهم القدرة على استعمار البلاد وأهلها، وحيث أن في الأخذ بذلك ضرباً من أعمال الجاهلية، وسوء ظن بالله تعالى، وإضعافاً للكيان الإسلامي المتكون من كثرة اللبنة البشرية وترابطها.

لذلك كله فإن المجلس يقرر بأنه لا يجوز تحديد النسل مطلقاً، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

أما إذا كان منع الحمل لضرورة محققة، ككون المرأة لا تلد ولادة عادية، وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان، فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره، عملاً بما جاء في الأحاديث الصحيحة، وما روي عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم من جواز العزل، وتمشياً مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرورة المحققة^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٥٢٩-٥٣٠).

الإحداد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

والمقصود بالإحداد: اجتناب المرأة المتوفى عنها زوجها الزينة والطيب والتجمل، وقيل: اجتناب كل ما تتزين به النساء، والعبرة بما يعتبر زينة عادة من الثياب والحلي والطيب والخضاب ونحو ذلك^(١).

وكان الحداد في الجاهلية في غاية الصعوبة والمشقة والعنت على المرأة، فجاء الإسلام بسماحته ويسره فأبطل ذلك كله، روى البخاري في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها، وقد اشتكت عينها، أفنكحلها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ»^(٢).

قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس

(١) الفقه الميسر لمجموعة من المشايخ (٥ / ١٧٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٣٣٦).

الحوول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً^(١)، ولبست شرثيابها، ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة، حمار، أو شاة، أو طائر فتفتض به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطي بعرة، فترمي، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره، سئل مالك: ما تفتض به؟ قال: تمسح به جلدها^(٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من تمام محاسن هذه الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح العباد على أكمل الوجوه، فإن الإحدا على الميت من تعظيم مصيبة الموت التي كان أهل الجاهلية يبالغون فيها أعظم مبالغة.... وتمكث المرأة في أضيق بيت وأوحشه لا تمس طيباً ولا تدهن ولا تغتسل إلى غير ذلك مما هو تسخط على الرب وأقداره، فأبطل الله سبحانه برحمته ورأفته سنة الجاهلية، وأبدلنا بها الصبر والحمد والاسترجاع، ولما كانت مصيبة الموت لا بد أن تحدث للمصاب من الجزع والألم والحزن مما تتقاضاه الطباع، سمح لها الحكيم الخبير في السير من ذلك -يعني لغير الزوجة- وهو ثلاثة أيام، تجد بها نوع راحة وتقضي بها وطراً من الحزن... وما زاد على الثلاث، فمفسدته راجحة، فمنع منه، والمقصود أنه أباح للنساء الإحدا على موتاهن ثلاثة أيام، وأما الإحدا على

(١) الحفش: البيت الصغير الذليل القريب السمك، سُمي به لضيقه، النهاية في غريب الحديث (٤٠٧/١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٣٣٧)، وصحيح مسلم برقم (١٤٨٩).

الزوج فإنه تابع للعدة هو من مقتضياتها ومكملاتها»^(١).

روى البخاري ومسلم من حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^(٢).

ولعدة المتوفى عنها زوجها أحكام تختص بها، فمن ذلك:

أولاً: أنه يجب أن تعد المتوفى عنها في المنزل الذي ماتت زوجها، وهي فيه، فلا يجوز لها أن تتحول عنه إلا لعذر، لما رواه أبو داود والترمذي في سننهما من حديث زينب بنت كعب أن الفريفة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خُدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي، فإنني لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم»، قالت: فخرجت، حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد، دعاني أو أمر بي، فدعيت له، فقال: «كيف قلت؟» فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، قالت: فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله»، قالت: فاعتدت فيه أربعة أشهر وعشراً^(٣). قالت:

(١) انظر أعلام الموقعين (٢/١٦٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩١).

(٣) سنن أبي داود برقم (٢٣٠٠)، وسنن الترمذي برقم ٥٠٠١، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي برقم (٣٥٥٨) بلفظ: اعتدي حيث بلغك الخبر، وابن ماجه برقم (٢٠٣١) ولفظه: (امكثي في بيتك الذي جاء فيه =

فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به.

قال ابن قدامة رحمته الله: «فإن خافت هدمًا أو غرقًا أو عدوًا أو نحو ذلك، أو حولها صاحب المنزل لكونه عارية رجع فيه، أو بإجارة انقضت مدتها أو منعها السكن تعديًا، أو امتنع من إجارته، أو طلب به أكثر من أجره المثل، أو لم تجد ما تكتري به أو لا تجد إلا من مالها فلها أن تنتقل لأنها حال عذر ولا يلزمها بذل أجر المسكن، وإنما الواجب عليها فعل السكنى لا تحصيل المسكن، وإذا تعذرت السكنى سقطت ولها أن تسكن حيث شاءت»^(١).

«ويجوز للمعتدة من وفاة الزوج الخروج من البيت لحاجتها في النهار لا في الليل لأنه مظنة الفساد»^(٢)، لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: طُلِّقَت خالتي فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «بَلَى، فَجَدِّي نَخْلِكَ، فَإِنَّكَ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا»^(٣).

ثانيًا: تمتنع الحادة عن الملابس الجميلة، وتلبس ما سواها، وقد ذكر ابن المنذر الإجماع على منعها من لبس المعصفر^(٤)،

= نعي زوجك حتى يبلغ الكتاب أجله).

(١) المغني (١١/٢٩١-٢٩٢).

(٢) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٤٢٤).

(٣) صحيح مسلم برقم ١٤٨٣.

(٤) الإجماع لابن المنذر ص (١٢٤).

فتحرم عليها الثياب المصبغة للتحسين كالمعصفر^(١)، والمزعفر، والأحمر، وسائر الملون للتحسين^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم عطية رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُحِدُّ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا إِلَّا ثَوْبَ عَضْبٍ، وَلَا تَكْتَحِلُ، وَلَا تَمَسُّ طِيْبًا، إِلَّا إِذَا طَهَّرَتْ نُبْدَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ»^(٣).

ثالثًا: تمتنع عن جميع أنواع الطيب ونحوها إلا إذا طهرت من حيضها فلا بأس أن تتبخر بالبخور لحديث أم عطية رضي الله عنها وفيه: «وَلَا تَمَسُّ طِيْبًا، إِلَّا إِذَا طَهَّرَتْ نُبْدَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ»^(٤).

قال النووي رحمته الله في شرح القسط والأظفار: «نوعان معروفان من البخور وليس من مقصود الطيب، رخص فيه للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة تتبع به أثر الدم لا للتطيب. والله أعلم»^(٥).

قوله ﷺ: «وَلَا تَمَسُّ طِيْبًا»: «يشمل جميع أنواع الأطياب والأدهان المطيبة والمياه المعتصرة من الأدهان المطيبة كماء الورد، وماء القرنفل وغيره، فهذه كلها من الطيب الممنوع، ولا

(١) الثوب المعصفر هو المصبوغ.

(٢) المغني لابن قدامة (١١/٢٨٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٣٤١)، وصحيح مسلم برقم (٩٣٨).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٣٥٧).

يدخل فيه الزيت والسمن ولا تمتنع من الأدهان التي ليس فيها طيب»^(١).

رابعاً: تمتنع الحادة من الحلبي: الذهب والفضة والماس، وغيرها سواء كان ذلك قلائد، أو أسورة، أو خواتم أو غير ذلك لحديث أم سلمة زوج النبي ﷺ أنه قال عن المتوفى عنها زوجها: «لا تلبس المِعْضَفَرِ مِنَ الثِّيَابِ، وَلَا المُمَشَّقَةَ^(٢)، وَلَا الحُلِيَّ، وَلَا تَخْتَضِبُ وَلَا تَكْتَحِلُ»^(٣).

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللهُ: «وأجمعوا على أن منع المرأة المعتدة من لبس الحلبي؛ لأن الحلبي يزيد في حسننها ويدعو إلى مباشرتها»^(٤).

خامساً: تمتنع الحادة عن الخضاب بالحناء لحديث أم عطية أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُحِدُّ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ، إِلَّا عَلَى زَوْجِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَضْبُوعًا إِلَّا ثَوْبَ عَضْبٍ، وَلَا تَكْتَحِلُ، وَلَا تَمَسُّ طَيْبًا، إِلَّا إِذَا طَهَّرَتْ نُبْدَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ»^(٥). زاد أبو داود: «وَلَا تَخْتَضِبُ»^(٦). ولحديث أم سلمة السابق.

(١) زاد المعاد لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٦٢٣/٥) بتصرف.

(٢) الممشقة: أي المصبوغة بالمشق بكسر الميم وهو الطين الأحمر الذي يُسمى مغرة، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٩٥/٦).

(٣) سنن أبي داود برقم (٢٣٠٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (٤٣/٢).

(٤) الإجماع لابن المنذر ص ١٢٥.

(٥) سبق تخريجه، المغني لابن قدامة (٨٩/٣) والشرح الكبير مع المغني والأنصاف (١٤٠/٢٤).

(٦) برقم ٢٣٠٣.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فيحرم عليها الخضاب والنقش والتطريف»^(١) والحمرة، فإن النبي ﷺ نص على الخضاب منبهاً به على هذه الأنواع»^(٢).

سادساً: تمتنع الحادة عن الكحل لما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها، وقد اشتكت عينها، أفنكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَا»، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ»^(٣).

وقال جمهور أهل العلم: «إن اضطرت إلى الكحل بالإثم تدأويًا لا زينة فلها أن تكتحل به ليلاً وتمسحه نهارًا»^(٤)، واستدلوا على ذلك بما رواه أبو داود في سننه من حديث أم حكيم بنت أسيد عن أمها أن زوجها توفي وكانت تشتكي عينها فتكتحل بالجلء، قال أحمد: الصواب بكحل الجلاء، فأرسلت مولاة لها إلى أم سلمة فسألتها عن كحل الجلاء فقالت: لا تكتحلي به إلا من أمر لا بد منه يشتد عليك فتكتحلي بالليل وتمسحينه بالنهار، ثم قالت عند ذلك أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ

(١) التطريف: خضاب الأصابع وتزيينها، انظر المعجم الوسيط ص ٥٥٥.

(٢) زاد المعاد (٥/٦٢٣) بتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٣٣٤)، وصحيح مسلم برقم (١٤٨٦) واللفظ له.

(٤) زاد المعاد (٥/٦٢٤).

تُوفِّي أَبُو سَلَمَةَ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَلَى عَيْنِي صَبْرًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ؟» فَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ صَبْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ فِيهِ طَيْبٌ، قَالَ: «إِنَّهُ يَشُبُّ الْوَجْهَ، فَلَا تَجْعَلِيهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ، وَلَا تَمْتَشِطِي بِالطَّيِّبِ وَلَا بِالْحِنَاءِ، فَإِنَّهُ خِضَابٌ»، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَمْتَشِطُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِالسِّدْرِ تُغْلَفِينَ بِهِ رَأْسَكَ»^(١).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تمتنع من التنظيف، بتقليم الأظفار، وبتف الإبط، وحلق الشعر المندوب إلى حلقه، ولا من الاغتسال بالسدر، والامتشاط به»^(٢)، «ولها أن تكلم من شاءت من محارمها، وتجلس معهم وتقدم الطعام والشراب ونحو ذلك. ولها أن تعمل في بيتها وأسطح منزلها ليلاً ونهاراً، في جميع أعمالها البيتية كالطبخ، والخياطة، وكنس البيت، وغسل الملابس»^(٣).

وهذه بعض فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء فيما يتعلق بمسائل الإحدا التي يكثر السؤال عنها:

السؤال الأول من الفتوى رقم ١٤٤٦٣: لنا إخوة في الكويت أثناء الغزو وخرج هؤلاء الجماعة، إلا أن أبا العائلة رفض الخروج والعائلة الباقية خرجت إلى السعودية، وبعد فترة ٥ شهور، اتصل بنا أحد الإخوة يقول: فقد أبوكم، وبعد فترة التحرير

(١) برقم (٢٣٠٥)، وحسن الحديث ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في زاد المعاد (٥/٦٢٥).

(٢) المغني (١١/٢٨٨).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٠/٤٥٤-٤٥٥) بتصرف.

ذهبنا للكويت لنبحث عن هذا الرجل، ذكر لنا شخص ما أنه في المستشفى منوم، فذهبنا إلى المستشفى ووجدناه متوفى، وسألنا متى توفي؟ فقال: منذ أربعة أشهر ونصف، استلمنا الرجل وصلينا عليه ودفناه، هذه قصة الرجل، والسؤال هو: زوجة هذا الرجل هل تحد أم ماذا تفعل؟ مع العلم أن فترة الحداد أربعة أشهر وعشر، وقد مضت مدة طويلة على موته. وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

الجواب: إذا لم تعلم الزوجة بوفاة زوجها إلا بعد مضي العدة والإحداد، فإنه لا يلزمها عدة ولا إحداد، وبعد مضي أربعة أشهر وعشر على وفاة الزوج لا شيء عليها؛ لعدم علمها بالوفاة إذا لم تكن حاملاً، فإن كانت فبوضع الحمل.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس

نائب الرئيس

عضو

عبدالعزیز بن باز^(١)

عبدالرزاق عفيفي

عبد الله بن غديان

السؤال الأول من الفتوى رقم ٥٧٧٥: في جزيرتنا فرسان عادة، وهي: إذا مات الميت تعدت عليه زوجته أربعة أشهر وعشرة أيام، وهذا واجب عليها، ولكن العادة هي: أنها تعتزل في البيت بشرط

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٠/٤١٦-٤١٧).

ألا يراها أحد ولا ترى أحدًا، وإذا رأت أحدًا قضت اليوم الذي رأت فيه الإنسان ولو كان صديقها، وتستمر على ذلك حتى تقضي عدتها، فهل هذا التصرف صحيح؟ أفيدونا مع التفسير، وهل المرأة العجوز لم يجئها الحيض عليها عدة إذا كان العدة جاءت موضحة للحمل في هذه الفترة؟ أفيدونا ولكم الشكر الجزيل.

الجواب: ما ذكرته من عزلة المحادة حيث لا يراها أحد غلو في الحداد، وقضاؤها يومًا أو أيامًا حدادًا عن اليوم أو الأيام التي رآها فيها أحد وهي في حدادها خطأ، وهو من التزام ما لا يلزم، وبهذا يتبين أن عملها هذا غير صواب، فإنه لا مانع من اختلاطها بمحارمها وبالنساء.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

عبد الله بن قعود عبد الله بن غديان عبدالرزاق عفيفي عبدالعزيز بن باز^(١)

الفتوى رقم ١٨٨٧٥: والدتي حاليًا تقضي مدة الحداد بعد وفاة والدي -يرحمه الله- وفي أثناء هذه المدة ترغب والدتي في الذهاب إلى والدتها الكبيرة في السن، وذلك لزيارتها في منزلها، حيث إنها لا تستطيع الخروج لكبر سنها، علمًا بأن جدي أم والدتي منزلها ليس

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٠/٤٥٧).

ببعيد، وهو في نفس منطقتنا السكنية. والسؤال: هل يجوز لوالدي الخروج من المنزل لزيارة والدتها، علماً بأن والدي سبق لها الذهاب لوالدتها عدة مرات أثناء مدة الحداد؟ وهل عليها إثم في ذلك؟ أرجو بعد تكريم سماحتكم بالإجابة على هذا السؤال.

الجواب: لا مانع من خروج المحدة من بيتها لقضاء حاجتها نهاراً لا ليلاً، وزيارة أمها التي تحتاج لزيارتها من أعظم الحاجات إذا كان ذلك لا يحتاج إلى سفر؛ لأنه قد روي عن النبي ﷺ أنه رخص للمحدمات أن يجتمعن في النهار للمؤانسة فيما بينهن، ويرجعن إلى بيوتهن في الليل، فعن مجاهد قال: استشهد رجال يوم أحد، فجاء نساؤهم رسول الله ﷺ وقلن: يا رسول الله: نستوحش بالليل أفنبيت عند إحدانا، فإذا أصبحنا بادرنا إلى بيوتنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تَحَدَّثْنَ عِنْدَ إِحْدَاكُنَّ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُنَّ النَّوْمَ فَلْتُؤَبِّ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى بَيْتِهَا»^(١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن باز^(٢)

(١) عبدالرزاق في المصنف (٣٦/٧) برقم (١٢٠٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣٦/٧) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ بِرَقْمِ (٢١٣٠) وقال: الحديث مرسل.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٤٧٧/٢٠).

السؤال الرابع من الفتوى رقم ١٨٠٨٣: ما حكم عمل ولائم للمرأة بعد خروجها من فترة الحداد؟

الجواب: الولايم التي تعمل للمرأة بعد خروجها من عدة الوفاة إن كانت من باب العادة، وإكرام المرأة، فلا بأس بها، وإن كانت من باب التدين واعتقاد أنها مشروعة، فإنها لا تجوز لأنها بدعة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد عبدالعزيز آل الشيخ صالح الفوزان عبدالعزيز بن باز^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الأربعون

أشراط الساعة الكبرى العشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: «مَا تَذَاكُرُونَ؟»، قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَالذَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ^(١).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الساعة لا تقوم حتى تخرج هذه الآيات العشر، وإذا خرجت واحدة تلتها الأخرى، روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُرُوجُ الْآيَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ تَتَابَعْنَ كَمَا تَتَابَعُ الْخَرَزُ»^(٢).

(١) برقم (٢٩٠١).

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٦٧٩٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢١٠).

ومن هذه الآيات التي تخرج كما في الحديث السابق «الدجال» وهو من أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة.

وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الألباب، فقد ورد أن معه جنة ونارًا، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث استدبرته الريح... إلى غير ذلك من الخوارق، وكل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة، وهو أعور العين اليسرى مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.

ومن وسائل دفع فتنته: التعوذ بالله منه وخاصة في الصلاة، وحفظ آيات من سورة الكهف كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١). وفي بعض الروايات خواتمها وغير ذلك.

قوله في الحديث: نزول عيسى عليه السلام: بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض، يبعث الله عيسى عليه السلام فينزل إلى الأرض ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وعليه مهرودتان^(٢)، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأ رأسه قطر، وإذا رفعه

(١) برقم (٨٠٩).

(٢) لابس مهرودتين أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران.

تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات،
ونفسه تنتهي حيث ينتهي طرفه^(١).

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق،
وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل وقت إقامة الصلاة يصلي
خلف أمير تلك الطائفة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه
على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب
أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فلعل هذا هو
المحفوظ، وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية، سوى التي إلى
جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق
لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله
تقدم، فيقول: تقدم أنت فإنه أقيمت لك، وفي رواية: بعضكم على
بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»^{(٢)(٣)}.

وزمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ زمن أمن وسلام ورخاء، يرسل الله فيه
المطر الغزير، وتخرج الأرض ثمراتها وبركتها، ويفيض المال،
وتذهب الشحناء والبغض والتحاسد، ويحكم بشريعة النبي ﷺ،
فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا
الإسلام كما صحت بذلك الأحاديث.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٣٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٥٦).

(٣) الفتن والملاحم لابن كثير (١/١٤٩).

وأما مدة بقاءه، فقد جاء في صحيح مسلم: يمكث سبع سنين، وفي رواية صحيح مسلم: أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون.

قوله في الحديث: ويأجوج وماجوج: اسمان أعجميان، وقيل عربيان، وهم من ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد وردت روايات ضعيفة في صفاتهم لا تصح، والذي عليه الروايات الصحيحة: أنهم رجال أقوياء، لا طاقة لأحد بقتالهم، ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءً». وفي رواية: «ثم يسيرون إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم^(١) إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا»^(٢).

«ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف^(٣) في رقابهم،

(١) يطلق على النبل والسهام.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٣٧).

(٣) النغف بالتحريك دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدها نغفة. النهاية في غريب =

فيصبحون فرسى^(١) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ونتاجهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطردهم حيث شاء الله^(٢).

قوله في الحديث: ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

«وهذه الخسوفات الثلاثة لم تقع بعد كغيرها من الأشراف الكبرى التي لم يظهر شيء منها، وهي خسوفات عظيمة وعامة لأماكن كثيرة من الأرض في مشارقها، ومغاربها، وفي جزيرة العرب^(٣)».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وُجد، كأن يكون أعظم منه مكانًا وقدرًا^(٤)».

قوله في الحديث: الدخان: ظهور الدخان من علامات الساعة الكبرى، قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان].

= الحديث (٨٧/٥).

(١) فرسى: بفتح الفاء، أي قتلى، الواحد: فريس، من فرس الذئب الشاة، وافترسها إذا قتلها. النهاية في غريب الحديث (٢٢٨/٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٣٧).

(٣) أشراف الساعة للشيخ يوسف الوابل ص (٣٣١).

(٤) فتح الباري (٨٤/١٣).

قال بعض أهل العلم: إنه الدخان الذي أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا عليهم فقال: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبَعِ يُوسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ^(١).

وذهب آخرون إلى أن الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تجئ بعد، وسيقع قرب قيام الساعة، فقد روى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرقت، فما نمت حتى أصبحت^(٢).

قال ابن كثير رحمته الله: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس جبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا من وافقه من الصحابة والتابعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (١٠٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨).

(٢) تفسير الطبري (٧٣٣٨/٩).

(٣) تفسير ابن كثير رحمته الله (٢٣٥/٧).

«وجمع آخرون من أهل العلم بأنها أكثر من دخان، ظهرت الأولى، وبقيت الأخرى، وهي التي ستقع في آخر الزمان»^(١)، فأما التي ظهرت فهي ما كانت تراه قريش كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالُ، وَالدُّخَانُ.. الحديث»^(٣).

قوله في الحديث: طلوع الشمس من مغربها: هذا من علامات الساعة الكبرى، ودل على ذلك القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ودلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين^(٤).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٨/ ٢٣٥).

(٢) انظر أشراط الساعة للشيخ يوسف الوابل ص (٣٣٤ - ٣٣٦).

(٣) برقم (٢٩٤٧).

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٧-٢٣٦)، وتفسير الطبري (٤/ ٣٤١٠-٣٤١٨).

مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبْتَ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالُ، والدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

قوله في الحديث: الدابة: ظهور دابة الأرض في آخر الزمان علامة على قرب الساعة ثابت بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢) [النمل].

«فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض - قيل من مكة - وقيل من غيرها، فتكلم الناس على ذلك»^(٣).

قال الشيخ أحمد شاكر: «والآية صريحة بالقول العربي، أنها دابة، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح لا يحتاج إلى تأويل، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (١٥٧)، وجملة: لم تكن آمنت... لمسلم.

(٢) برقم (٢٩٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٠/٤٣٠).

هذه الدابة، وأنها تخرج في آخر الزمان، ووردت آثار أخرى في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلغ عن ربه، والمبين آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها، ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذين فشا فيهم المنكر من القول والباطل من الرأي الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم ملحدو أوروبا الإباحيون، المتحللون من كل خلق ودين، هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً فيجتمعون^(١) ويحاورون ويذاورون ثم يتأولون، فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب يجعلونه أشبه بالرموز، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرَهَا قَرِيبًا»^(٣). وفي رواية: «دَابَّةُ الْأَرْضِ»^(٤).

وروى الإمام أحمد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) الجمجمة: هو أن لا يبين كلامه. القاموس المحيط (١/٥٣٣).

(٢) شرح أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد (١٥/٨٢).

(٣) برقم (٢٩٤١).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

«تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ»^(١)، ثُمَّ يَغْمُرُونَ^(٢) حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ، فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتَهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ، وَقَالَ يُونُسُ - يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ: «ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ»، وَلَمْ يَشْكْ، قَالَ: فَرَفَعَهُ.^(٣)

قوله في الحديث: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم:
وهي آخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، وردت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن من قعدة عدن^(٤)، وتخرج من بحر حضرموت كما في روايات أخرى.

روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة الكبرى، وفيه: «وَأَخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»^(٥)، وفي رواية: «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدَنَ، تَرْحَلُ النَّاسَ»^(٦).

وجاء في مسند الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ، أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ»^(٧).

(١) الخرطوم: الأنف، وقيل مقدم الأنف. انظر لسان العرب (١٢/١٧٣).

(٢) الغمرة: الزحمة من الناس. انظر لسان العرب.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٦/٦٤٧) برقم (٢٢٣٠٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) عدن: هي المدينة المعروفة في اليمن جنوب الجزيرة العربية، وهي واقعة على بحر حضرموت، ويسمى اليوم البحر العربي.

(٥) برقم (٢٩٠١).

(٦) برقم (٢٩٠١).

(٧) (٩/١٤٥) برقم (٥١٤٦) وقال محققوه: إسناده صحيح.

وعند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن تنتشر في الأرض وتسوق الناس إلى المحشر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَتُحْشَرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُضْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»^(١).

والمحشر هو الشام كما ورد في مسند الإمام أحمد من حديث حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه رضي عنه فذكر الحديث.

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، ثَلَاثًا رُكْبَانًا، وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ».

قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام فقال: «إِلَى هَاهُنَا تُحْشَرُونَ»^(٢). وفي حديث ابن عمر السابق في ذكر خروج النار قال: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٢٢ وصحيح مسلم برقم (٢٨٦١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٣/٢١٤) برقم (٢٠٠١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) سبق تخريجه.

الكلمة الواحدة والأربعون

صفات أهل الفردوس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩) [ص]. وقد ذكر الله في كتابه صفات أهل الفردوس في أول سورة المؤمنون، فما هي يا ترى صفاتهم؟ وكيف وصلوا إلى هذه المرتبة العظيمة؟

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١ ﴾ [المؤمنون].

قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف.

«قوله: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ قال علي بن أبي

طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الخشوع، خشوع القلب، قال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها.

وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه النسائي في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجَعَلْتَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «صلاة بلا خشوع ولا حضور، كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره، فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ولا يثيبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»^(٣).

روى أبو داود في سننه من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ، وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ،

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٧/١٠)

(٢) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صحيح سنن النسائي (٣/٨٢٧) برقم (٣٦٨٠).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ١١.

تُسَعُّهَا، تُمْنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا»^(١).

قال بعضهم: «إن الرجلين ليكونان في الصلاة، وإن ما بينهما كما بين السماء والأرض»^(٢).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم، والمعاصي كما قاله آخرون، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٧٢) [الفرقان]، ومن مرورهم به كرامًا: إعراضهم عنه وعدم مشاركتهم أصحابه فيه، قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ما وقدهم عن ذلك»^(٣).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ «الأكثر من على أن المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال، ويحتمل أن يكون المراد بالزكاة هنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾^(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا^(١٠) [الشمس]، وكقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» [فصلت: ٦-٧]، على أحد القولين في تفسيرها، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا. والله أعلم»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٧٩٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم (٧١٤).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٦٧).

(٣) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٠/١٠٨) بتصرف.

(٤) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٠/١٠٨) بتصرف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ «أي الذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من الفواحش، ومن تمام حفظ الفروج، تجنب ما يدعو إلى ذلك كالنظر واللمس ونحوهما، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أي غير الأزواج والإماء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ أي المعتدون.

وعموم هذه الآية يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقية مقصودًا بقاؤها، ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك»^(١).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ «أي إذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم النبي ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ أي: مراعون لها، ضابطون حافظون

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٠/١٠٨-١٠٩) وتفسير ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص (٥٢٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، وكذلك يدخل في ذلك أمانات آدميين، كأمانات الأموال، والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين وأداء الأمانتين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(١) [النساء: ٥٨].

«وكذلك العهد يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم، والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها»^(٢).

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾^(١) «أي يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراطها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها؛ لأنه لا يتم أمرهم إلا بأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع أو على الخشوع من دون محافظة عليها فإنه مذموم ناقص»^(٣).

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾^(١٠) «أي من عمل بما ذكر في هذه الآيات فهم الوارثون، أي يرثون منازل أهل النار من الجنة، روى

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٠٩/١٠-١١٠).

(٢) تفسير الشيخ ابن سعدي ص (٥٢٠).

(٣) تفسير الشيخ ابن سعدي ص (٥٢٠).

ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ، مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرَثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾»^(١).

«فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك، لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضًا، وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»^(٢).

وفي الحديث الآخر، قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عز وجل إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَائِكَ مِنَ النَّارِ»^(٣).

والآية السابقة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^(٦٣) [مريم]، وكقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٧٢).

(١) سنن ابن ماجه برقم (٤٣٤١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٧٩).

(٢) برقم (٢٧٦٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٧٦٦).

[الزخرف] (١) .

وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ﴿المؤمنون﴾، «الفردوس: هو البستان الذي يجمع كل شيء» (٢) .

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ؛ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» (٣) .

قال ابن حبان رحمته الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «فإنه أوسط الجنة؛ يريد أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، وهو أعلى الجنة؛ يريد في الارتفاع» (٤) .

قوله: ﴿هُمَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ﴿المؤمنون﴾ لا يظعنون عنها، ولا يبغون عنها حولاً؛ لاشتغالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه من غير مكدر ولا منغص .

ومن فوائد الآيات الكريمات :

١- «علق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه، فلا سبيل إلى الفلاح بدونه، وهذا يتضمن ثلاثة أمور: أن من لا يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين، وأنه من الملوّمين، ومن العادين، ففاته الفلاح، واستحق اسم العدوان، ووقع

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٠/١١١) .

(٢) فتح الباري (٦/١٣) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠) .

(٤) فتح الباري (٦/١٣) .

في اللوم. فمقاساة ألم الشهوة، ومعاناتها أيسر من بعض ذلك»^(١).

٢- افتتح الله الآيات بذكر الصفات الحميدة للمؤمنين: ومن أولها: الصلاة، واختتمها بالصلاة، فدل على أفضليتها ومكانتها العظيمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تُحْضُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(٢).

٣- عظم شأن التوحيد ومكانته العظيمة، فالمسلم يُزَفُّ إلى الجنة، والكافر يرث مكان المسلم في النار، والله الفضل والمنة.

٤- أن المسلم ينبغي أن تكون همته عالية، فلا يطلب الجنة فقط، وإنما الفردوس أعلى مكان في الجنة كما ورد في الحديث السابق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجواب الكافي لابن القيم رحمته الله ص (٢٢٧).

(٢) (٦٠/٣٧) برقم (٢٢٣٧٨) وقال محققوه: حديث صحيح، وصححه الشيخ

الألباني رحمته الله كما في تمام المنة برقم (٢٣٤).

الكلمة الثانية والأربعون

تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد سبق الكلام في كلمة سابقة عن معنى لا إله إلا الله، والكلام سيكون هنا عن شهادة أن محمداً رسول الله، قال تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقوله: من أنفسكم: أي من جنسكم، بل هو منكم أيضاً كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]. يشق عليه ما شق عليكم، أي على منفعتكم ودفعت الضر عنكم، وذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقاً كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومعنى ذلك الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله، أرسله الله إلى جميع الخلق من الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وفي الحديث: «أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي.. ذَكَرَ مِنْهَا: وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً»^(١).

«ولا يكفي الاعتراف بالقلب، بل لا بد من أمر ثالث وهو الاتباع، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾» [الأعراف: ١٥٧].

على سبيل المثال: أبو طالب دافع عن الرسول ﷺ، وهو يعرف أنه رسول الله، لكن لم يتبعه، فلذلك لم يحسب من المسلمين، ومات على الكفر، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع»^(٢)، فلا بد من الاعتراف برسالته ظاهراً وباطناً واعتقاداً، ولا بد من اتباعه ﷺ.

ويتلخص ذلك في هذه الأربع كلمات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

الأولى: طاعته فيما أمر: قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٢) شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح الفوزان ص (١٨١-١٨٢).

لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ [النساء: ٦٤]. فقرن طاعة الرسول مع طاعته سبحانه، وقرن معصية الرسول مع معصيته، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ ﴿٢٣﴾ [الجن].

فالذي يشهد أنه رسول الله، تلزمه طاعته فيما أمر لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»^(١).

والطاعة درجات، فمنها ما هو واجب على كل مسلم، ومنها ما هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، ومنها ما هو سنة يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، روى ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة رضي الله عنها قالت: فذكرن نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي الله عنها: «إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور ﴿ وَلِيَصْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى

(١) برقم (٧٢٨٠).

كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان»^(١).

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن نساء المهاجرات صنعن ذلك»^(٢). قال الحافظ ابن حجر: ويمكن الجمع بين الروایتين بأن نساء الأنصار بادرن إلى ذلك^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك حديث جليبيب كما في مسند الإمام أحمد، وجاء فيه أن النبي ﷺ لما خطب لجليبيب من حي من الأنصار، واعتذرت والدتها قالت الجارية: أتردون على رسول الله ﷺ أمره، ادفعوني فإنه لن يضيعني، فاستجابت لأمر رسول الله ﷺ وأطاعته فكان في ذلك لها الخير الكثير^(٤).

الثانية: تصديقه فيما أخبر: لأن الرسول ﷺ أخبر عن أمور كثيرة مغيبة، أخبر عن الله وعن ملائكته، وأخبر عن أمور مستقبلية من قيام الساعة، وأشراطها، وأخبر عن أمور ماضية من أحوال الأمم السابقة، فلا بد من تصديقه فيما أخبر، لأنه صدق لا كذب

(١) ابن أبي حاتم (٢٥٧٥/٨)، ورواه أبو داود في سننه من حديث أم سلمة قالت: لما نزلت (يدنين عليهن من جلابيبهن) خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية، برقم (٤١٠١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٧٧٣/٢) برقم (٤١٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٨).

(٣) فتح الباري (٨/٤٩٠).

(٤) (٢٩/٣٣) برقم (١٩٧٨٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم برقم (٢٤٧٢).

فيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤) [النجم]. ومن لم يصدقه فيما أخبر فليس بمؤمن ولا صادق في شهادته أنه رسول الله، كيف يشهد أنه رسول الله ويكذبه في أخباره، كيف يشهد أنه رسول الله ولا يطيع أمره؟

قال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٨) [التغابن]، وقال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨) [الأعراف].

وقال النبي ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ»^(١). ومن الأمثلة على ذلك:

ما رواه الحاكم في المستدرک من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْسَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوْ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه»^(٢).

(١) صحيح مسلم برقم (٢١).

(٢) مستدرک الحاكم (٢٥ / ٤) برقم (٤٥١٥)، وقال الحاكم: حديث صحيح على =

ومن الأمثلة كذلك ما أخبر به النبي ﷺ من الأمور المستقبلية مما وقع ومما سيقع في آخر الزمان، روى البخاري في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فقال: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظِلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(١).

وقد حدث بعض من هذه الأمور المستقبلية منها: موته ﷺ، وفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ، ثم الموت الذي حصل في طاعون عمواس والشام سنة ١٨هـ، وكذلك استفاضة المال كما في عهد الصحابة بسبب ما وقع من الفتوح واقتسام أموال الفرس والروم، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فكان الرجل يعرض المال فلا يجد من يقبله، والباقي سيقع كما أخبر به النبي ﷺ.

الثالثة: اجتناب ما نهى عنه وزجر: من أقوال أو أفعال أو صفات، فلا ينهى عليه الصلاة والسلام عن شيء إلا وفيه ضرر، ولا يأمر بشيء إلا وفيه خير وبر، فإذا لم يجتنب العبد ما نهى

= شرط الشيخين ولم يخرجاه، فإن محمد بن كثير الصنعاني صدوق، ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني رضي الله عنه كما في السلسلة الصحيحة برقم (٣٠٦).
(١) برقم (٣١٧٦).

عنه رسول الله ﷺ صار متناقضًا، كيف يشهد أنه رسول الله ولا يجتنب ما نهاه عنه، قال تعالى: ﴿ وَمَا ءَأَنكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ »^(١).

وهذا النهي درجات، فمنه ما جاء به الشرع على وجه الجزم، وهو النهي المحرم، ومنه ما هو على سبيل الكراهة ومنه ما هو على وجه الأولى تركه، ويمثل ذلك بالنهي عن أكل الثوم والبصل، ففي الحديث المخرج في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ »^(٢). فإذا أكله على سبيل التهرب من صلاة الجماعة فهو محرم، وإذا أكله قبل الصلاة بقليل فهو مكروه خشية أن يكون سببًا في التأخر عن صلاة الجماعة، وإذا أكله في أي وقت غير وقت الصلاة فإن الأولى تركه خشية أن يؤذي الآخرين برائحته، أو أن تبقى رائحته إلى وقت الصلاة.

الرابعة: ألا يُعبد الله إلا بما شرع: فالعبادات توقيفية لا يجوز الإتيان بأي عبادة لم يشرعها رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨)، وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٥٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٦٤) واللفظ له.

«مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الجمعة: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^(٢).

«ومثال البدعة: الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة ولا القرون المفضلة، وإنما أحدثته الدولة العبيدية الرافضية لما حكمت مصر في القرن العاشر»^(٣).

«ومن ابتدع شيئاً في الدين لم يأت به الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لم يشهد أنه رسول الله، ولم يشهد الشهادة الحقيقية؛ لأن الذي يشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقيد بما شرعه، ولا يحدث شيئاً من عنده، أو يتبع شيئاً محدثاً ممن سبقه»^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

(٢) برقم (٨٦٧).

(٣) رسالة الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ ابن عثيمين رحمته الله ص (٢٠-٢٣).

(٤) شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح الفوزان ص (١٧٨-١٨٦).

الفطرة السليمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةَ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١).

وخطب النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: ... وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق، وقد جاء ذلك صريحاً في الصحيح، جبل الله الخلق على معرفته، فاجتالهم الشياطين، وقد دل على صحة هذا المعنى بقية الخبر، حيث قال: كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ يعني: أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلق، سليماً من الآفات، فلو نزل على أصل تلك الخلقة لبقى خالياً من العيوب، لكن يُتصرف فيه فيجدع أذنه، ويوسم وجهه، فتطراً عليه الآفات والنقائص، فيخرج عن الأصل، وكذلك الإنسان. وهو تشبيهه واقع، ووجهه واضح^(١). أه

وقد ضرب الله تعالى مثلاً للفطر السليمة بالزيت الصافي النقي الذي يشع نوراً من صفائه، فإذا أُوقد به السراج التقى فيه النوران فأصبح نوراً على نور، وهذا مثل ضربه الله لنور الفطرة إذا التقى مع نور الوحي، وإليك الآيات فتدبر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور].

(١) المفهم للقرطبي (٦/٦٧٦) بتصرف.

وبهذا يتبين عظيم ما أنعم الله به على عباده إذ خلقهم حنفاء يحبون الحق ويؤثرونه ويميلون إليه ويقبلونه، لا يعرفون رباً إلا الله، ولا يعبدون إلا هو سبحانه، وهذا من عظيم رحمة الله وفضله، إذ قذف في قلوبهم هذا النور، ثم أمرهم بنور آخر هو نور الوحي يهدي الله لنوره من يشاء، ويتبع ذلك أن الله فطرهم على حب التنظيف والتطهر وحسن الهيئة والسمت.. وغير ذلك من الأخلاق الجميلة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفُ الْآبَاطِ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَاسْتِنشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ»^(٢)، وَتَنْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ». قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة، زاد قتيبة: وقال وكيع: انتقاص الماء: يعني الاستنجاء^(٣).

(١) برقم (٥٨٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٧).

(٢) غسل البراجم: قال النووي رحمته الله: سنة مستقلة ليست مختصة بالوضوء، والبراجم بفتح الباء، وبالجم، جمع برجمة بضم الباء والجم، وهي عقد الأصابع ومفاصلها كلها، قال العلماء: ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح لأنه ربما أضرت كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع في داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أي موضع كان من البدن بالعرق والغبار، ونحوهما. والله أعلم. شرح صحيح مسلم (٣/١٤١).

(٣) برقم (٢٦١).

وهذه السنن التي فطر الله الناس عليها من جملة ما أنعم الله به على الإنسان ولا يخالفها إلا من فسدت فطرته، وتلوثت جبلته، قال النبي ﷺ قال الله تعالى: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءً، فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ.. الحديث». ومثال ذلك:

مثل رجل لديه عبيد فأمرهم أن يعملوا في مزرعته فيعتنوا بأشجارها المثمرة، ويقطعوا منها الأشجار ذات الشوك والتي لا فائدة من بقائها، والأصلح للمزرعة إزالتها، فعكس هؤلاء العبيد الأمر، فجعلوا يقطعون الأشجار المثمرة ويربون الأشجار الشوكية الضارة، فما ظنك ما يكون جزاؤهم عند سيدهم ومولاهم، فالذين يعفون لحاهم ويقصون شواربهم استجابة لنداء الفطرة وامتثالاً لأمر نبيهم ﷺ فهؤلاء عباد الله حقاً، وأما الذين عكسوا الأمر فمثلهم مثل أولئك العبيد الذين يقطعون الأشجار المثمرة ويتركون الضارة، فهذا دليل على فساد الفطرة، وإن الشياطين استهوتهم فاستحلوا الحرام، وحرموا الحلال، فليتوبوا وليرجعوا إلى ربهم ما داموا في زمن المهلة قبل انتهاء الأجل، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والأربعون

من محاسن الدين الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ أكمل الأديان وأفضلها، وأعلىها وأجلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة ما يشهد لله تعالى بالكمال المطلق وسعة العلم والحكمة، ويشهد لنبيه ﷺ أنه رسول الله حقاً، وأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم].

فهذا الدين الإسلامي أعظم برهان، وأجل شاهد لله بالتفرد بالكمال المطلق كله، ولنبيه ﷺ بالرسالة والصدق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ومحاسن الدين الإسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع، والأمثلة على ذلك كثيرة:

المثال الأول: إن دين الإسلام مبني على أصول الإيمان المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ

إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

[البقرة]. فهذه الأصول العظيمة التي أمر الله عباده بها هي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وهي محتوية على أجل المعارف والاعتقادات من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه على السنة رسله، وعلى بذل الجهد في سلوك مرضاته، فدين أصله الإيمان بالله وثمرته السعي في كل ما يحبه ويرضاه، وإخلاص ذلك لله، هل يتصور أن يكون دين أحسن منه وأجل وأفضل؟ ودين أمر بالإيمان بكل ما أوتيه الأنبياء والتصديق برسالاتهم، والاعتراف بالحق الذي جاءوا به من عند ربهم، وعدم التفريق بينهم، وأنهم كلهم رسل الله الصادقون، وأمناءؤه المخلصون، يستحيل أن يتوجه إليه أي اعتراض وقدح.

فهو يأمر بكل حق، ويعترف بكل صدق، ويقرر الحقائق الدينية المستندة إلى وحي الله لرسله، ويجري مع الحقائق العقلية الفطرية النافعة، ولا يرد حقًا بوجه من الوجوه، ولا يصدق بكذب، ولا يروج عليه الباطل، فهو مهيمن على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

المثال الثاني: شرائع الإسلام الكبار: الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، وحج البيت، فالذي يتأمل الصلاة يجد أنها من أفضل

الأعمال، ومع ذلك لا تجب في اليوم واللييلة إلا خمس مرات، سبع عشرة ركعة، من لم يستطع القيام يصل قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب، يتطهر بالماء، فإن عدمه أو تضرر باستعماله تطهر بالتراب، وأما الصيام فإنه يصوم المقيم القادر، فإن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام آخر.

والزكاة فيها إصلاح حال الفقراء، وسد حاجة المسكين، وقضاء دين المدين، والتخلق بأخلاق الكرام من السخاء والجود، والبعد عن أخلاق اللئام: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].

وفي الحج بذل الأموال وتحمل المشقات، طلبًا لرضا الله، وفيه التعظيم والخضوع التام لله، والتذكر لأحوال الأنبياء والمرسلين والأصفياء والمخلصين، وتقوية الإيمان بهم، وشدة التعلق بمحبتهم، والتعارف بين المسلمين والسعي في جمع كلمتهم، واتفاقهم على مصالحهم الخاصة والعامة مما لا يمكن تعدادها، فإنه من أعظم محاسن الدين وأجل الفوائد الحاصلة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [٢٧] لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ ﴾ [الحج].

المثال الثالث: ما أمر به الشارع وحث عليه من وجوب الاجتماع والائتلاف ونهيه وتحذيره عن التفرق والاختلاف، على هذا الأصل الكبير من نصوص الكتاب والسنة شيء كثير، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقد علم كل من له أدنى معرفة منفعة هذا الأمر، وما يترتب عليه من المصالح الدينية والدنيوية، وما يندفع به من المضار والمفاسد، ولا يخفى أن القوة المعنوية المبنية على الحق هذا أصلها الذي تدور عليه، كما أنه قد علم ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام من استقامة الدين، وصلاح الأحوال والعزة التي لم يصل إليها أحد سواهم إذ كانوا مستمسكين بهذا الأصل، قائمين به حق القيام، موقنين أشد اليقين أنه روح دينهم يزيد هذا بيانًا وإيضاحًا قول عمر رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»^(١).

المثال الرابع: أن دين الإسلام دين رحمة وبركة وإحسان، وحث على منفعة الإنسان، فما عليه هذا الدين من الرحمة وحسن المعاملة والدعوة إلى الإحسان، والنهي عن كل ما يضاد ذلك، هو الذي صيره نورًا وضياءً بين ظلمات الظلم والبغي وسوء المعاملة، وانتهاك الحرمات.

وهو الذي جذب قلوب من كانوا قبل معرفته ألد أعدائه

(١) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦-٢٣٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: إسناده صحيح.

حتى استظلوا بظله الظليل.

وهو الذي عطف وحننا على أهله حتى صارت الرحمة والعفو والإحسان تتدفق من قلوبهم على أقوالهم وأعمالهم، وتتخطاهم إلى أعدائهم، حتى صاروا من أعظم أوليائه، فمنهم من دخل فيه بحسن بصيرة وقوة وجدان، ومنهم من خضع له ورغب في أحكامه وفضلها على أحكام دينه لما فيها من العدل والرحمة، قال تعالى:

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [٨] [الممتحنة]، وقال تعالى:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] [الأنبياء]. وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(١).

المثال الخامس: أن من محاسن الدين الإسلامي أنه ما حرم شيئاً عليهم إلا عوضهم خيراً منه، مما يسد مسده ولا يغني عنه كما بين ذلك ابن القيم رحمته الله.

حرم عليهم الاستقسام بالأزلام، وعوضهم منه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا، وعوضهم التجارة الربحية.

وحرم عليهم القمار وعوضهم منه أكل المال بالمسابقة بالخيال والإبل والسهام، وحرم عليهم الحرير، وعوضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن، وحرم

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (١٢٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٣).

عليهم شرب المسكرات، وعضهم عنه بالأشربة اللذيذة والنافعة للروح والبدن، وحرَم عليهم الخبائث من المطعومات، وعضهم عنها بالمطاعم والطيبات.

المثال السادس: دين الإسلام هو دين الحكمة ودين العقل والفترة والصلاح والفلاح، يوضح هذا الأصل ما هو محتوٍ عليه من الأحكام الأصولية والفروعية التي تقبلها الفطر والعقول، وتنقاد لها بوازع الحق والصواب، وما هي عليه من الأحكام وحسن الانتظام، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، فأخباره كلها حق وصدق، لم يأت - ويستحيل أن يأتي - علم سابق أو لاحق بما ينقضها أو يكذبها، وإنما العلوم الحقة كلها تؤازرها وتؤيدها، وهي أعظم برهان على صدقها، قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت].

وقد حقق المحققون المنصفون أن كل علم نافع ديني أو دنيوي أو سياسي فقد دل عليه القرآن دلالة لا ريب فيها، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام].

فليس في شريعة الإسلام ما تحيله العقول، وإنما فيه ما تشهد العقول الزكية بصدقته ونفعه وصلاحه، وكذلك أوامره ونواهيه كلها عدل لا ظلم فيها، فما أمر بشيء إلا وهو خير أو راجح، وما نهى إلا عن الشر الخالص، أو الذي مفسدته تزيد على مصلحته، وكلما تدبر اللبيب أحكامه ازداد إيماناً بهذا الأصل، أو علم أنه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿الرَّكَابُ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ

مِن لَّدُن حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ
اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ [الملك].

وهذا الدين قد أكمله الله، فلا يحتاج إلى زيادة أو استدراك
من البشر إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن فوائد معرفة هذا العلم «محاسن الدين»:

١- أن الاشتغال في هذا الموضوع الذي هو أشرف المواضيع وأجلها
من أفضل الأعمال الصالحة، فمعرفة والبحث عنه والتفكير فيه،
وسلوك كل طريق يحصل إلى معرفته خير ما شغل العبد به نفسه،
والوقت الذي ينفق في ذلك هو للعبد لا عليه.

٢- أن الناس يتفاوتون في الإيمان وكماله تفاوتاً عظيماً، وكلما
كان العبد أعرف بهذا الدين وأشد تعظيماً له وسروراً به
وابتهاجاً، كان أكمل إيماناً وأصح يقيناً، فإنه برهان على
جميع أصول الإيمان وقواعده.

٣- أن من أكبر الدعوة إلى دين الإسلام شرح ما احتوى عليه
من المحاسن التي يقبلها ويتقبلها كل صاحب عقل وفطرة
سليمة، فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون
حقائقه ويبينون للخلق مصالحه لكان ذلك كافياً كفاية
تامة في جذب الخلق إليه لما يرون من موافقته للمصالح
الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة

إلى التعرض لدفع شبه المعارضين والطعن في أديان المخالفين، فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح، والبراهين الموصلة إلى اليقين، فإذا كشف عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داع إلى قبوله ورجحانه على غيره.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فعلى جميع الأمة حكماء وعلماء وتجار وغيرهم أن يبلغوا عن الله وعن رسوله ﷺ هذا الدين، وأن يشرحوه للناس بشتى اللغات الحية المستعملة بأساليب واضحة، وأن يشرحوا محاسن الإسلام وحكمه وفوائده وحقيقته حتى يعرفه أعداؤه، وحتى يعرفه الجاهلون فيه، وحتى يعرفه الراغبون فيه»^(١).

وقال أيضًا: «والله لو عرفه الناس اليوم، ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجًا اليوم، كما دخلوا فيه أفواجًا بعدما فتح الله على نبيه مكة عليه الصلاة والسلام»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (٢/٤٥٣).
 (٢) كلمة في المؤتمر الأول للدعوة والدعاة المنعقد في المدينة النبوية عام ١٣٩٧هـ.
 (٣) الدر المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للشيخ عبدالرحمن السعدي ص (٣٨٩-٣٩٥)؛ والضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٠٥-٢٠٦)؛ ومن محاسن الدين الإسلامي للشيخ عبدالعزيز السلطان ص (٨٣-٨٤).

الكلمة الخامسة والأربعون

وقفات مع قوله تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء: ١٣].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد]. ومن الآيات التي تحتاج منا إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم العظيمة، والفوائد الجليلة قول الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ [١٣] أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء].

«قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ هذه الآية لها وجهان معروفان من التفسير:

الأول: أن المراد بالطائر: العمل، من قولهم: طار له سهم، إذا خرج له، أي: ألزمناه ما طار له من عمله.

الثاني: أن المراد بالطائر: ما سبق له في علم الله من شقاوة أو سعادة، والقولان متلازمان؛ لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة، أو السعادة.

والوجهان المذكوران في تفسير هذه الآية الكريمة كلاهما شهد له القرآن، أما على القول الأول بأن المراد بطائره عمله، فالآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازم له كثيرة جدًا، كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ (٨) [الزلزلة].

وأما على القول بأن المراد بطائره الذي طار له في الأزل من الشقاوة أو السعادة، فالآيات الدالة على ذلك أيضًا كثيرة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، وقال تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٧) [الشورى]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ أي جعلنا عمله أو ما سبق له من شقاوة أو سعادة في عنقه، أي: لازمًا له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه، وإنما ذكر العنق لأنه عضو لا نظير له في الجسد، ومنه قول العرب: تقلدها طوق الحمامة، وقولهم: الموت في الرقاب. ومنه قول الشاعر:

أَذْهَبَ بِهَا أَذْهَبَ بِهَا طَوَّقْتُهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةَ

فالمعنى في ذلك كله اللزوم وعدم الانفكاك.

قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن ذلك العمل الذي ألزم الإنسان إياه يخرج له يوم القيامة مكتوباً في كتاب يلقاه منشوراً^(١)، أي مفتوحاً يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره، قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) [القيامة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠) [التكوير].

قال مقاتل: «إذا مات المرء طويت صحيفته عمله، فإذا كان يوم القيامة نشرت»^(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي فتحت بعد أن كانت مطوية، والمراد صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير أو شر تطوى بالموت، وتُنشر في القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها»^(٣)، ولهذا قال تعالى: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي: أنك تعلم أنك لم تُظلم، ولم يكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «قد عدل [والله] من جعلك حسيب نفسك». قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من حُسن كلام الحسن رَحِمَهُ اللهُ»^(٤).

(١) أضواء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٣/٥٥٠-٥٥٤) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٢٢/١٠٥).

(٣) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٢٢/١٠٥).

(٤) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٨/٤٤٤-٤٤٥).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ إِلَّا وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَرَضَ الْمُؤْمِنُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، عَبْدُكَ فُلَانٌ قَدْ حَبَسْتَهُ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: اخْتِمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَمُوتَ»^(١) (٢).

وبين تعالى في آيات أخرى صفات هذا الكتاب الذي يلقاه العبد منشورًا، بأن من صفاته أن المجرمين مشفقون أي خائفون مما فيه، وأنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأنهم يجدون فيه جميع ما عملوا حاضرًا ليس منه شيء غائبًا، وأن الله تعالى لا يظلمهم في الجزاء عليه شيئًا، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٤٩) [الكهف].

«وبين في موضع آخر أن بعض الناس يؤتى هذا الكتاب بيمينه - جعلنا الله وإخواننا المسلمين منهم - وأن من أوتيه بيمينه يحاسب حسابًا يسيرًا، ويرجع إلى أهله مسرورًا، وأنه في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا^(٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا^(٩) [الانشقاق]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾

(١) (٥٥٣/٢٨-٥٥٤) برقم ١٧٣١٦ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) قال السندي: ومعنى الختم على مثله أن يقرر ذلك عملاً له فيكتب له ذلك وإن لم يعمل، والمقصود الحث على تحسين عمل كل يوم، حيث يحتمل أن يكون مختوماً عليه. حاشية السندي على المسند (٥٥٤/٢٨).

فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴿[الحاقة].

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مِنْ أَوْتِيهِ بِشِمَالِهِ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ، وَأَنَّهُ يُؤَمَّرُ بِهِ فَيَصَلِّي الْجَحِيمَ، وَيَسْلُكُ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ سِلَاسِلِ النَّارِ ذُرْعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيهِ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴿[الحاقة].

أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مِنْ أَوْتِي كِتَابِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَصَلِّي السَّعِيرَ، وَيَدْعُو الثُّبُورَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق].

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ شَهِدَتْ عَلَيْهِ جَوَارِحُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت].

وَفِي الْحَدِيثِ: «فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انطِقي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا،

فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .



(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٩).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٥٥٠-٥٥٤).

الكلمة السادسة والأربعون

التوسل المشروع والممنوع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

فأما الآية الأولى: فقد قال إمام المفسرين ابن جرير في تفسيرها: «يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم، ووعد من الثواب وأوعد من العقاب، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، يقول: أجبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»^(١).

ونقل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن معنى الآية: الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد والحسن، ونقل عن قتادة قوله فيها: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه، والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى

(١) تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ٢٨٦٤).

تحصيل المقصود»^(١).

وأما الآية الثانية، فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها، فقال: «نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المعتمد في تفسير الآية»^(٣).

«والذي يظهر بعد تتبع ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة أن هناك ثلاثة أنواع للتوسل شرعها الله تعالى، وحث عليها، ورد بعضها في القرآن، واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم وحض عليها، وليس في هذه الأنواع التوسل بالذوات، أو الجهات، أو الحقوق، أو المقامات، فدل ذلك على عدم مشروعيته وعدم دخوله في عموم الوسيلة المذكورة في الآيتين السابقتين، أما الأنواع المشار إليها من التوسل المشروع فهي:

١- التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنی، أو صفة من صفاته العلیا، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير، أن تعافيني،

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٣/١٠٣) بتصرف.

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٣٠).

(٣) فتح الباري (١٠/١٢-١٣).

أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، ومثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد ﷺ فإن الحب من صفاته تعالى.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا ﷺ داخله في هذا الطلب؛ لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له، خصت به تبارك وتعالى.

ومن الأدلة أيضاً قول النبي ﷺ في أحد أدعيته الثابتة عنه فيما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أنه ﷺ سمع رجلاً يقول في تشهده: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْأَسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(١).

٢- التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي، كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، ومحبتني لك، واتباعي لرسولك، اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، ومنه أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا بال، فيه خوفه من الله سبحانه وتقواه إياه، وإيثار مرضاته على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه ليكون أرجى لقبوله

(١) برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٢٧٩/١) برقم (١٣٢٤).

وإجابته، وهذا توسل جيد وجميل قد شرعه الله تعالى وارتضاه، ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) [آل عمران]، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَعْمَانَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٣) [آل عمران]، وأمثال هذه الآيات الكريمة.

ومن الأدلة: حديث قصة أصحاب الغار المشهورة والمخرجة في الصحيحين، فإن كل واحد منهم توسل إلى الله بعمله الصالح، فالأول توسل إلى الله بیره بوالديه، والثاني بعفته عن الزنا بابنة عمه، والثالث بحفاظه على حق أجيره الذي ترك أجرته التي كانت فرقاً من أرز فنهاها حتى كانت منها الشاة والبقر والإبل والرقيق^(١).

٣- التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تعالى، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربته، ويزيل عنه همه، فهذا نوع آخر من التوسل المشروع دلت عليه الشريعة المطهرة.

وقد وردت أمثلة على ذلك، فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال:

(١) صحيح البخاري برقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٣).

«اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقُونَ^(١).

وفي رواية: «فقال عمر للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قم فاستسق وادع ربك»^(٢). ومعنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ، وإنا نتوسل إليك بعمة نبينا، أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ونطلب منه أن يدعو لنا، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ: اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم»^(٣).

النوع الثاني: التوسل الممنوع:

«التوسل الممنوع وهو ما يسمى بالتوسل البدعي الذي لا أصل له في الدين، ولا دليل عليه من الكتاب والسنة، ولا من عمل السلف الصالح.

فمن ذلك سؤاله تبارك وتعالى بجاه أحد من خلقه، كقول أحدهم: اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بجاه عبدك فلان أن

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٠).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥٧/٢٦).

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ١٣-٤٤ بتصرف.

ترحمني، وتغفر لي.

أو سؤال الله تعالى بحق نبيه، أو بحق أحد من عباده كقولهم:
اللهم إني أسألك بحق نبيك عليك، أو بحق فلان عندك أن ترحمني،
وتغفر لي»^(١).

«أو سؤال الله تعالى بحق البيت الحرام مغفرة الذنوب،
أو قوله: اللهم بجاه الأولياء والصالحين، ومثل فلان بن فلان،
أو بكرامة رجال الله عندك، وبجاه من نحن بحضرتة فرج الهم
عنا وعن المهمومين، واللهم إنا قد بسطنا إليك أكف الضراعة،
متوسلين إليك بصاحب الوسيلة والشفاعة أن تنصر الإسلام
والمسلمين»^(٢).

«أو الإقسام على الله بالتوسل به كقولهم: اللهم إني أقسم
عليك بفلان أن تقضي حاجتي.

وغيرها من الأسئلة والتوسلات غير الجائزة والممنوعة
شرعاً، وهذا النوع من التوسل لم يرد في كتاب الله أو سنة
رسوله ﷺ، ولم يرد في فعل الصحابة رضوان الله عليهم الذين
نقلوا لنا كل أقوال وأحوال رسول الله ﷺ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

(١) أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع للشيخ عبد الله الأثري
ص (٧٣، ٧٩) بتصرف.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله ص (٩).

(٣) أنواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع للشيخ عبد الله الأثري
ص (٧٣-٧٩) بتصرف.

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وقال ﷺ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

تنبيه:

إذا وقع التوسل بمخلوق أو بجاه فلان مهما كانت منزلته مع الاعتقاد أن له شيئاً من الأمر من جلب نفع أو دفع ضرر فهذا من الشرك الأكبر المخرج من دائرة الإسلام، بل هو من الشرك في ربوبية الله سبحانه، وأما بدون اعتقاد ذلك فهو ممنوع شرعاً لسد ذريعة الشرك.

وكذلك إذا وصل الأمر إلى الدعاء أو النذر أو الذبح لأرواح الأولياء والصالحين، والعكوف حول قبورهم، فلا شك أن هذا كفر أكبر مخرج من دائرة الإسلام، وصاحبه مخلد في النار إن لم يتب منه حتى لو زعم صاحبه أنه من المسلمين وصلى وصام.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٧١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

أسباب تفرق المسلمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..
فإن من ركائز الدين الإسلامي ودعائمه العظام؛ اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، ونبذ الفرقة والخلاف.

وذكر سبحانه نعمته على المؤمنين باجتماعهم وتآلف قلوبهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ ، أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء، فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران]»^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢١١٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فبرأ الله نبيه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كما نهى عن التفرق والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول ولا ينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزاباً» ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم لم يزدتهم الهدى إلا ضلالاً، ولا البصيرة إلا عمى، مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد»^(١).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب الأنصار قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي»، فكلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ^(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة - قال سفيان مرة: في جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص (٨٩٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦١).

بِأَلْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟!» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَهَةٌ»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: فَعَلَوْهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(١).

وفي الصحيحين أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدر أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ». قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: «فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أَلْصِقَ بَابَهُ فِي الْأَرْضِ»^(٢).

فهذه الأحاديث السابقة تدل على حرصه ﷺ على تأليف قلوب الناس، وجمع الكلمة، ومراعاة المصالح والمفاسد، بل إن الكذب وهو من كبائر الذنوب أجزى في حالات معينة، منها تأليف القلوب، وجمع الكلمة، والإصلاح بين الناس، فكما جاء في الحديث: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»^(٣).

قال الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وانظر في

(١) برقم (٣٥١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٢٤٣) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٠٥).

حكمة الله ومحبهه لاجتماع القلوب كيف حرم النميمة - وهي صدق - لما فيها من إفساد القلوب، وتوليد العداوة والوحشة، وأباح الكذب - وإن كان حرامًا - إذا كان لجمع القلوب وجلب المودة وإذهاب العداوة»^(١).

ولذلك يجب الدعوة إلى هذه الركيزة العظيمة - أعني اجتماع الكلمة - والتحذير من الأسباب التي توقع في الفرقة والخلاف وهي أسباب كثيرة وفروعها متشعبة، إلا أنها ترجع في نهاية المطاف إلى أمرين اثنين:

الأول: عدم توحيد المصدر الصحيح الذي يرجع فيه إلى تطبيق شعائر الدين، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه السلف الصالح، وذلك بكثرة من يفتي وهو غير مؤهل للفتوى، وفي هذا العصر تساهل الناس في تلقي الفتوى، فصار لكل قناة من القنوات الإذاعية مفتٍ أو أكثر، والقنوات الفضائية صار لها مفتٍ أو أكثر، وكذلك الجرائد والمجلات التي تنشر الفسق والفجور لها مفتٍ، والذين يفتون المثقفون والأطباء والصحفيون والمهندسون وغيرهم من الجهال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَاسْتَلُّوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

(١) سبل السلام (٨/٢٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٣٦٧٣).

«ولذلك ينبغي لمن ولاه الله أمر المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين، فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها.

وقد كان الخلفاء من بني أمية ينصبون للفتوى بمكة في أيام الموسم قوماً يعينونهم، ويأمرون بأن لا يُستفتى غيرهم، قال ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك: «ولبعض من يفتيها هنا أحق بالسجن من السراق»^(١).

وفي السابق كان العلماء يمنعون من ليس من أهل الفتوى من التصدر لها، ويذكر في هذا المقام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ الذي كان يمنع المتطاولين، ويؤدب المتجاوزين، جاء في كتاب له لأحد المتصدرين للفتيا ممن ليس من أهلها: «الداعي إلى الكتابة لكم أنه تكرر منكم تدخلكم فيما أنتم في غنى عنه، فضلاً عما فيه من التنافي مع ما يقتضيه التقى والورع من وجوب استبراء العبد لدينه وعرضه، وذلك رأيكم في التصديق للعامة بإفتائهم في مسائل الطلاق بما هو خلاف ما عليه الفتوى، وما اشتهر القول به لدى جمهور العلماء، ومرجوحيته ظاهرة لدى المحققين من أهل العلم.

فنأمل منك بارك الله فيك الكف عن إرباك العامة بفتاوى شاذة، أو مرجوحة، ومتى تقدم إليكم من يطلب الفتوى فعليك بالإشارة لهم إلى الجهة المختصة بالفتاوى، ونرجو أن يكون

(١) بدائع الفوائد (٣/١٢٨٧).

لديك من أسباب احترامك لنفسك، ما يغنيننا من إجراء ما يوقفك عند حدك»^(١).

ولما أعلن أحدهم إباحة الغناء رد عليه بعض العلماء كالشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ صالح الفوزان»^(٢).

الثاني: حب النفس وتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة، وقد كان السلف على خلاف ذلك يؤثرون غيرهم على أنفسهم ويقدمون مصالح المسلمين على مصالح أنفسهم.

فمن ذلك ما حصل من تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، حيث سمي ذلك عام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين على معاوية، وكان هذا مصداقاً لقول النبي ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٣).

«قد يقول قائل: إذا كان الاختلاف في الدين منهياً عنه، فماذا تقولون في اختلاف الصحابة والأئمة من بعدهم؟ وهل ثمة فرق بين اختلافهم واختلاف غيرهم من المتأخرين؟

الجواب: نعم، هناك فرق كبير بين الاختلافين، ويظهر ذلك

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١١/٣٦).

(٢) الانحراف في الأمة. أسبابه، وآثاره، وسبل مواجهته للدكتور عبد العزيز البداح، ص (٢٣٠-٢٣١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٦٢٩).

في شيئين: الأول سببه، والآخر أثره.

فأما اختلاف الصحابة، فإنما كان عن ضرورة واختلاف طبيعي منهم في الفهم، لا اختياراً منهم للخلاف، يضاف إلى ذلك أمور أخرى كانت في زمنهم استلزمت اختلافهم ثم زالت من بعدهم، ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كلياً، ولا يلحق أهله الذم الوارد في الآيات السابقة وما في معناها، لعدم تحقق شرط المؤاخذة وهو القصد أو الإصرار عليه.

وأما الاختلاف القائم بين المقلدة، فلا عذر لهم فيه غالباً، فإن بعضهم قد تبين له الحجة من الكتاب والسنة، وأنها تؤيد المذهب الآخر الذي لا يتمذهب به عادة فيدعها لا لشيء إلا لأنها خلاف مذهبه، فكأن المذهب عنده هو الأصل، أو هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، والمذهب الآخر هو دين آخر منسوخ.

وآخرون منهم على النقيض من ذلك، فإنهم يرون هذه المذاهب - على ما بينها من اختلاف واسع - كشرائع متعددة؛ كما صرح بذلك بعض متأخريهم^(١): لا حرج على المسلم أن يأخذ من أيها شاء، ويدع ما شاء، إذ الكل شرع! وقد يحتج هؤلاء وهؤلاء على بقائهم في الاختلاف بذلك الحديث الباطل: «اختلاف أمتي رحمة»، وكثيراً ما سمعناهم يستدلون به على ذلك.

ويعلل بعضهم هذا الحديث ويوجهونه بقولهم: إن الاختلاف

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (١/٢٠٩)، أو سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٧٦-٧٧).

إنما كان رحمة؛ لأن فيه توسعة على الأمة! ومع أن هذا التعليل مخالف لصريح الآيات المتقدمة، وفحوى كلمات الأئمة السابقة؛ فقد جاء النص عن بعضهم برده.

قال ابن القاسم: «سمعت مالكا والليث يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناس: فيه توسعة ليس كذلك، إنما هو خطأ و صواب»^(١).

وقال أشهب: «سئل مالك عن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ أترأه من ذلك في سعة، فقال: لا والله حتى يصيب الحق، ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صواباً جميعاً؟! ما الحق والصواب إلا واحد»^(٢).

فثبت أن الخلاف شرُّ كله، وليس رحمة، ولكن منه ما يؤخذ عليه الإنسان؛ كخلاف المتعصبة للمذاهب، ومنه ما لا يؤخذ عليه؛ كخلاف الصحابة ومن تابعهم من الأئمة؛ حشرنا الله في زمرتهم، ووقفنا لاتباعهم، فظهر أن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم هو غير اختلاف المقلدة.

وخلصته: أن الصحابة اختلفوا اضطراراً، ولكنهم كانوا ينكرون الاختلاف، ويفرون منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وأما المقلدة - فمع إمكانهم الخلاص منه ولو في قسم كبير منه - فلا يتفقون ولا يسعون إليه؛ بل يقرونه، فشتان إذن بين الاختلافين، ذلك هو الفرق

(١) ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٨١-٨٢).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨٢، ٨٨-٨٩).

من جهة السبب.

وأما الفرق من جهة الأثر؛ فهو أوضح، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم - مع اختلافهم المعروف في الفروع - كانوا محافظين أشد المحافظة على مظهر الوحدة، بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة، ويصدع الصفوف، فقد كان فيهم مثلاً من يرى مشروعية الجهر بالبسملة، ومن يرى عدم مشروعيتها، وكان فيهم من يرى استحباب رفع اليدين، ومن لا يراه، وفيهم من يرى نقض الوضوء بمس المرأة، ومن لا يراه؛ ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعاً وراء إمام واحد، ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلافٍ مذهبي.

وأما المقلدون؛ فاختلف فهم على النقيض من ذلك تماماً، فقد كان من آثاره أن تفرق المسلمون في أعظم ركن بعد الشهادتين؛ ألا وهو الصلاة، فهم يأبون أن يصلوا جميعاً وراء إمام واحد، بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو مكروهة على الأقل بالنسبة إلى المخالف له في مذهبه، وقد سمعنا ذلك ورأيناه كما رآه غيرنا^(١)، كيف لا وقد نصت كتب بعض المذاهب المشهورة اليوم على الكراهة أو البطلان؟! وكان من نتيجة ذلك أن تجد أربعة محاريب في المسجد الجامع، يصلي فيها أئمة أربعة متعاقبين، وتجد أناساً ينتظرون إمامهم بينما الإمام الآخر قائم يصلي.

(١) راجع الفصل الثامن من كتاب: ما لا يجوز فيه الخلاف، ص ٦٥-٧٢، تجد أمثلة عديدة مما أشرنا إليه وقع بعضها من بعض علماء الأزهر.

بل لقد وصل الخلاف إلى ما هو أشد من ذلك عند بعض المقلدين، مثاله منع التزاوج بين الحنفي والشافعية، ثم صدرت فتوى من بعض المشهورين عند الحنفية - وهو الملقب بـ «مفتي الثقلين» - فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلل ذلك بقوله: تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب^(١)، ومفهوم ذلك - ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم - أنه لا يجوز العكس، وهو تزوج الشافعي بالحنفية؛ كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة!؟

هذان مثالان من أمثلة كثيرة توضح للعاقل الأثر السيئ الذي كان نتيجة اختلاف المتأخرين وإصرارهم عليه؛ بخلاف اختلاف السلف، فلم يكن له أي أثر سيئ في الأمة، ولذلك فهم في منجاة من أن تشملهم آيات النهي عن التفرق في الدين - بخلاف المتأخرين - هدايا الله جميعاً إلى صراطه المستقيم.

وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرره فيما بينهم، ولم يتعد إلى غيرهم من أمة الدعوة؛ إذن لهان الخطب بعض الشيء، ولكنه - ويا للأسف - تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار، فصدوهم بسبب اختلافهم، عن الدخول في دين الله أفواجاً^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/٤٩).

(٢) مقدمة كتاب صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٦٠-٦٦ بتصرف.

التشبه بالكفار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت الأدلة من الكتاب والسنة في النهي عن التشبه بالكفار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]. «فأخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض، ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته، وأهواؤهم كل ما يهوونه وما هم عليه من الهدى الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين لهم في بعض أمورهم، ويودون لو يبذلون مالا عظيماً لتحصيل ذلك، ولو فرض أن الفعل ليس من اتباع أهوائهم فمخالفتهم فيه أحسم لمتابعتهم في أهوائهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها»^(١).

(١) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٢٢) =

«ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٩-١٥٠].

قال غير واحد من السلف: «معناه: لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة، فيقولون: قد وافقونا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، فبين سبحانه أن من حكمة تنحي القبلة وتغييرها، مخالفة الناس الكافرين في قبلتهم، ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكافر إذا أتبع في شيء من أمره، كان له الحجة مثل ما كان - أو قريب مما كان - لليهود من الحجة في القبلة»^(١).

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وأقل أحواله يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فقد يحمل هذا على

= بتحقيق د. ناصر العقل بتصرف.

(١) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣/١) بتحقيق د. ناصر العقل.

(٢) برقم ٤٠٣١، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: هذا إسناد جيد، كما حسنه الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٩٨/٦).

التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرًا أو معصية أو شعارًا للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك»^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَتَبْعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا ذِرَاعًا، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسِ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلِيكَ»^(٣).

«ومشابهة بعض طوائف اليهود والنصارى، وفارس والروم، مما ذمه الله ورسوله وهو المطلوب، ولا يقال: فإذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك، فما فائدة النهي عنه؟ لأن الكتاب والسنة - أيضًا - قد دلا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ففي النهي عن ذلك تكثير هذه الطائفة المنصورة وتثبيتها، وزيادة إيمانها، فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها»^(٤). أهـ

(١) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم ص (٨٨-٨٩) بتحقيق د. ناصر العقل.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٢٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٦٩).

(٣) صحيح البخاري برقم ٧٣١٩.

(٤) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بتحقيق: د. ناصر =

وأما الإجماع، فمن ذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكذلك الصحابة والأئمة من بعده وسائر الفقهاء جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم: أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم، كسوة أو عمامة، أو نعلين^(١).. إلى آخر الشروط.

وروى الحافظ أبو الشيخ الأصفهاني في شروط أهل الذمة بإسناده: أن عمر رضي الله عنه كتب: أن لا تكاتبوا أهل الذمة، فيجري بينكم وبينهم المودة، ولا تُكنوهم وأذلوهم ولا تظلموهم^(٢).

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «من بنى ببلاد الأعاجم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك، حشر معهم يوم القيامة»^(٣). وغير

= العقل ص ٤٩.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٦٣-٣٦٥): رواه حرب [وهو الكرمانى] بإسناد جيد، وقال محققه د. ناصر العقل: أخرج البيهقي أكثره مع اختلاف في السياق بسنده في السنن الكبرى، كتاب الجزية باب الإمام يكتب كتاب الصلح على الجزية (٩/٢٠٢). وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ص ٤٥٢-٤٥٣، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا (١/٣٦٥): وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة.

(٢) نقلًا عن اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٦٧)، وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم رحمته الله ص ٤٥٢-٤٥٥.

(٣) سنن البيهقي الكبرى (٩/٢٣٤)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وروي =

ذلك من الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

«والتشبه بالظاهر يقود إلى التشبه بالباطن؛ لأن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالة في الباطن كما. أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعوا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين، وذاك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن اقتضاءها إلى نوع من الموالة أكثر وأشد، والمحبة والموالة لهم تنافي الإيمان، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]»^(١).

بل إن التشبه في الظاهر دليل على التشبه باطنًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

والحال شاهد على ذلك، فمن تزيبا بزى أهل العلم

= بإسناد صحيح عن أبي أسامة حدثنا عون عن أبي المغيرة عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه قال: من بنى ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حُشر معهم يوم القيامة. اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٠).

(١) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله. تحقيق د. ناصر العقل ص ٢٢٠-٢٢١.

والصالحين وجد من نفسه قوة على الاقتداء بهم، والابتعاد عن خلاف ذلك، والعكس أن من تزييا بزى السفهاء وأهل الفسق، سهل على نفسه متابعتهم وتقليدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفرة من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام»^(١).

والتشبه منهي عنه وإن لم يقصده فاعله، فعلى سبيل المثال: لو حلق لحيته ولم يقصد التشبه بالكفار، فإن فعله تشبه لقول النبي ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»^(٢).

كما يحصل التشبه وإن لم يكن من عمل الإنسان، ويمثل ذلك بالتشبيب، قال ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ»^(٣). فالتشبيب من فعل الله وخلقه لا من فعل العبد، ومع ذلك فتركه وعدم تغييره من التشبه المنهي عنه، فما بالك إذن بمن يختار ما عليه أهل الكفر والفسوق على ما عليه أهل الهدى والصلاح.

وحين جاء أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأبيه أبي قحافة يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ورأى رأسه كأنها

(١) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: د. ناصر العقل ص ٢٢٠.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢١٠٣).

الثغامة بياضاً، قال: «غَيَّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ»^(١)، وفي رواية: «وَاجْتَبُوا السَّوَادَ»^(٢)؛ ولذلك على المسلم أن يغير هذا الشيب بالحناء والكتم، كما ورد بذلك الحديث حتى تحصل المخالفة لليهود والنصارى.

أحكام التشبه:

قد يصل التشبه بصاحبه إلى الكفر، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مَنْ تَوَلَّى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُمْ بِتَوَلِيهِ إِيَاهُمْ»^(٣).

وبين في موضع آخر: «أَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ فِيمَا إِذَا لَمْ تَكُنِ الْمَوَالَاةُ بِسَبَبِ خَوْفٍ وَتَقِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ فَصَاحِبُهَا مَعْذُورٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقٰةً﴾ [ال عمران: ٢٨]، فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً، وإيضاح أن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٠١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٠١).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (١٣٢/٢).

التي يُكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة:

وَمَنْ يَأْتِي الْأُمُورَ عَلَى اضْطِرَّارٍ فَلَيْسَ كَمِثْلِ آتِيهَا اخْتِيَارًا
 ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً
 اختياراً رغبة فيهم أنه كافر مثلهم»^(١).

وقد يصل التشبه إلى البدعة، فكل من جاء بعبادة لم يأت بها الشرع فقد شابه اليهود والنصارى، قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع، والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]»^(٢).
 ومثال ذلك بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وقد تشبه مبتدعوها بالنصارى حذو القذة بالقذة.

ومن التشبه ما يكون كبيرة من الكبائر، مثل تهنتة الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم بأعيادهم، لما في ذلك من إعانتهم

(١) أعضاء البيان للشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (٢/١٣٣).

(٢) رسالة للشيخ بعنوان التحذير من البدع ص ١١.

وإقرارهم على ما هم عليه من الفجور والضلال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما التهئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرام بالاتفاق مثل أن تهئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهناً بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهئ بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام.. ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك وهو لا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة، أو كفر، فقد تعرض لمقت الله وسخطه، وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهئة الظلمة بالولايات، وتهئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء تجنباً لمقت الله وسقوطهم من عينه»^(١). أه.

ومن التشبه ما يدخل به المتشبه في المعصية لله ورسوله، وإن كان لا يُستطاع الجزم بوقوعه في الكبيرة، فقد روى الترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكْفِ»^(٢).

ومن التشبه ما لا يقطع بتحريمه إلا أن تركه أولى، والآثار

(١) أحكام أهل الذمة (١/١٤٤).

(٢) برقم (٢٨٤٨)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٦٨).

على ذلك من السلف الصالح كثيرة جدًا، فقد كره بعضهم الرمي بالقوس الفارسية، وكان بعضهم يكره الشرب في الكأس الذي له ساق، وكان بعضهم يكره الصمت عند الأكل حتى لا يتشبه بالأعاجم.. وغير ذلك كثير.

سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، يقول

السائل: شاع في كثير من بلاد المسلمين لبس البدلة؛ ذلك اللباس المكون من جاكيت وبنطلون، وقد تقتصر الملابس على بنطلون وقميص أو فانيلا بكم أو بنصف كم في الصيف لشدة الحر، فهل لبس هذا اللباس يدخل تحت باب التشبه بغير المسلمين؟ أو لا؟

الجواب: الأصل في أنواع اللباس الإباحة؛ لأنه من أمور العادات، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ويستثنى من ذلك ما دل الدليل الشرعي على تحريمه أو كراهته كالحريير للرجال، والذي يصف العورة؛ لكونه شفافاً يُرى من ورائه لون الجلد، أو لكونه ضيقاً يحدد العورة؛ لأنه حينئذ في حكم كشفها وكشفها لا يجوز، وكالملايس التي هي من سيما الكفار الخاصة بهم، فلا يجوز لبسها لا للرجال ولا للنساء؛ لنهي النبي ﷺ عن التشبه بهم، ولبس الرجال ملابس النساء ولبس النساء ملابس الرجال؛ لنهي النبي ﷺ عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال. وليس اللباس المسمى بالبنطلون والقميص مما يختص لبسه بالكفار، بل هو لباس عام في المسلمين والكافرين في كثير من البلاد والدول، وإنما تنفر النفوس من لبس ذلك في بعض البلاد لعدم الألف ومخالفة عادة سكانها في اللباس، وإن كان ذلك موافقاً لعادة غيرهم من المسلمين،

لكن الأولى بالمسلم إذا كان في بلد لم يعتد أهلها ذلك اللباس ألا يلبسه في الصلاة ولا في المجمع العامة ولا في الطرقات»^(١).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو نائب الرئيس الرئيس

عبد الله بن قعود عبد الله بن غديان عبدالرزاق عفيفي عبدالعزيز بن باز

ومن مظاهر التشبه بالكفار ما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال - وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّثُ مَا صَنَعُوا^(٢).

وفي الصحيحين من حديث عائشة أن أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهن ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة، رأيتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وذكرتا من حسننها وتصاوير فيها، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(٣).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٤/٣٨-٣٩) برقم (١٦٢٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٤١)، وصحيح مسلم برقم (٥٢٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المساجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة في هذا، ودليل على الحذر من جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس، ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة، من بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة»^(١).

ومن مظاهر التشبه بالكفار ما يحصل من شباب وفتيان المسلمين من التشبه بالكفار في ملابسهم وهيئاتهم ولبس السلاسل، ووصل الشعر، وكذلك قصات الشعر الخاصة بهم، ومشاهدة حياتهم اليومية في الأفلام والمسلسلات، والإعجاب بهم والتحدث بلغتهم من غير حاجة إلى ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ، فَلَا تَلْبَسْهَا»^(٢).

«علل النهي عن لبسها بأنها من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار بأنهم يستمتعون بخلاقتهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك، كما في الحديث قال ﷺ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا

(١) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بتحقيق: د. ناصر العقل ص ١٠٦، ١٠٧.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٧٧).

تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ»^(١).
ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة
تشبهًا بالكفار»^(٢).

ومنها التشبه بالكفار في إقامة الأعياد، فمن الاحتفال
بالمولد النبوي، إلى الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، وهذه
كلها أحدثت محاكاة للكفار، وكذلك الأعياد الوطنية والقومية،
ورأس السنة، وعيد الميلاد، ومن آخرها ما يسمى بعيد الحب،
يرتدي فيها الشباب والفتيات الملابس الحمراء، ويتبادلون
الورود الحمراء.

ومنها الاعتماد في التاريخ على الميلاد والأشهر الإفرنجية،
أي ميلاد عيسى عليه السلام متابعة للنصارى، ويريدون من
المسلمين أن يتركوا التاريخ الهجري، ويعتمدون على التاريخ
الميلادي النصراني.

ومنها تربية الكلاب واقتنائها لغير حاجة، ولا شك في
حرمة ذلك، إلا كلب الصيد والماشية والحرث، كما وردت
بذلك النصوص، بل ويشترون هذه الكلاب بأثمان غالية؛ كل
هذا تقليدًا ومحاكاة للكفار.

ومنها حلق اللحى، وفيه تشبه بالمشركين والمجوس
واليهود والنصارى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من

(١) صحيح البخاري برقم (٥٤٢٦)، صحيح مسلم برقم (٢٠٦٧).

(٢) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، للمحقق: د. ناصر
العقل ص ١٢٠.

حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جُرِّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ»^(٢).

ومما يشبه الأمر بمخالفة الكفار، الأمر بمخالفة الشياطين، لما روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا»^(٣).

فإنه علل النهي عن الأكل والشرب بالشمال، بأن الشيطان يفعل ذلك، فعلم أن مخالفة الشيطان أمر مقصود مأمور به، ونظائره كثيرة^(٤).

والمظاهر كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم]، فإنه كتاب عظيم النفع والفائدة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٩٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٩).

(٢) برقم (٢٦٠).

(٣) برقم (٢٠٢٠).

(٤) مختصر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ص ١٤٧ بتحقيق د. ناصر العقل.

الكلمة التاسعة والأربعون

التلبيس على الناس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يتعمدون من تلبيس الحق بالباطل وتمويهه به وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطل»^(١). أهـ

«فوبخهم على لبس الحق بالباطل، وعلى كتمان الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل، فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهماً، وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفة حتى يؤثروه، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به، ويميزوا الحق من الباطل،

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٧٩).

ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال من الحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة ليهتدي المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ، لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تُمْنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران].

فمن عمل بما سبق من بيان الحق وتمييزه من الباطل وإقامة الحجة على الخلق، فهو من خلفاء الرسل، وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، وكتّم الحق الذي يعلمه وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين»^(١).

فإن قيل: ما الفرق بين هاتين الصفتين المذمومتين اللتين اتصف بها اليهود وقد نهانا الله عنهما، وهما لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق، فيقال: إن الناس منهم العالم والجاهل، واليهود لعنهم الله يسعون لإضلال هؤلاء وهؤلاء، فمن وجدوا لديه علماً لا يقدر على كتمانته عنه، اجتهدوا في إضلاله بالتلبيس عليه، إما بإظهار الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق.. أو غير ذلك من صور المكر والدهاء، ومن وجدوه جاهلاً كتّموا عنه الحق وحالوا بينه وبين الوصول إليه، إما بمنعه من الاتصال بأهل العلم، أو إخفاء كتب الحق عنه.

والمقصود الأعظم من ذكر هذه الصفات تحذير أمة الإسلام

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي ص ٣٦-١١٨ بتصرف.

ممن اتصف بها ممن يدعي الإسلام ويزعم أنه من أهله، يظهر ذلك حين نقرأ قوله ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا ذِرَاعًا، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(١).

وقد رأينا من أهل الأهوال والبدع ما هو مطابق تمامًا لهذه الصفات المذمومة، فتجد بعضهم لا يذكر النصوص الشرعية التي تخالف مذهبه الباطل، فإن لم يستطع إخفاءها اجتهد في إبطال معناها بالتأويلات الباطلة، فإن وجد ما يوافق هواه طار به كل مطار، وإن كان أوهى من خيوط العنكبوت، فكتاباتهم محشوة بالأحاديث المكذوبة، والأقاويل الواهية، وما كثرة الفرق الضالة في الأمة المحمدية إلا بسبب اتباعهم لهؤلاء واغترارهم بهم. ومن أظهر طرق التلبيس وأعظمها فتنة، وأكثرها انتشارًا في الأمة تتبع رخص العلماء وزلاتهم، قال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله»^(٢).

وقال ابن حزم الأندلسي: «وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين، وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل، فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله وعن رسوله ﷺ»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٢٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٦٩).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٩١/٢).

(٣) الأحكام في أصول الأحكام (٦٥/٥).

وروى البيهقي عن إسماعيل القاضي قال: دخلت على المعتضد بالله فدفعت إليّ كتاباً فنظرت فيه، فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء وما احتج به كل واحد منهم، فقلت: مصنف هذا زنديق، فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر - النبيذ - لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح المسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب^(١).

وقد شدد العلماء في الإنكار على من تتبع الرخص وزلات العلماء، حيث وصفوه مرة بأنه شر عباد الله كما ذكر ذلك عبدالرزاق عن معمر^(٢)، وتارة وصفوه بالفسق كما نص عليه ابن النجار، فقال: يحرم على العامي تتبع الرخص ويفسق به^(٣)، وقال الغزالي: «ليس للعامي أن يستقي من المذاهب في كل مسألة أطيبها عنده فيتوسع»^(٤).

وبعض الناس إذا أراد أن يستفتي يسأل في كل مسألة مَنْ عُرِفَ بالتساهل فيها، والإفتاء بغير ما عليه جماهير العلماء، فإذا دُلَّ على العلماء الذين يفتون بالكتاب والسنة قال: إن هؤلاء لا يعرفون إلا

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٥٦/١٠) برقم (٢٠٩٢١)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٤٦٥/١٣).

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (٢٠٩/١).

(٣) مختصر التحرير ص ٢٥٢.

(٤) المستصفي (٤٦٩/٢).

لغة الحرام، كل شيء عندهم حرام، فهذا وأمثاله اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، والله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع العلماء على أن العامي لا يجوز له تتبع الرخص»^(١).

وأما قول بعضهم: ضع بينك وبين النار مطوع، فهذا القول لا يكون صحيحاً إلا بسؤال أهل العلم المعروفين بالتقوى، وأن يكون القصد من السؤال معرفة الحق والعلم الذي يرضي الله تعالى.

قده يقول قائل: ما أسباب السلامة من هذا البلاء؟

فأقول: أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما عند الاختلاف، قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٨] [الجاثية].

روى الحاكم في مستدركه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(٢).

ثانياً: الاقتداء بالسلف، والرجوع إليهم في فهم الكتاب والسنة، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين،

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩١).

(٢) المستدرک (١/٢٨٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٢٥) برقم (٤٠)، وأصله في صحيح مسلم برقم (١٢١٨).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ [النساء].

روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هم يا رسول الله، قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١). أي هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

ثالثاً: الرجوع في النوازل إلى العلماء الربانيين العاملين بعلمهم، والاستفادة من مجموع كلامهم، والابتعاد عن شواذ الفتاوى الصادرة عن أنصاف العلماء والمنتسبين إلى طلبة العلم، وهم لم يرسخوا في العلم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

رابعاً: عدم الاستعجال فيما يصدر من فتاوى وأحكام والتأني

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٤٢/١٤) برقم (٨٣٩٦)، وسنن ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)، وصححه البوصيري والشيخ الألباني رحمتهما الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٩٢)، ورقم ٢٠٣، ٢٠٤.
(٢) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٣).

في ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أَدْعَوْا بِهِ^ط وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ^ف وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخمسون

الصراط المستقيم والأمة الوسط

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن هذا الموضوع وما قبله من أهم الموضوعات التي ينبغي العناية والاهتمام بها لما تحويه على الأصول في العقيدة، وهي رأس الأمور كلها، إضافة إلى التوجيهات المهمة التي يستفيد منها طالب العلم، وعامة الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم ﷺ واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط ها هنا الخيار والأجود كما يقال: [قريش] أوسط العرب نسباً وداراً، أي خيرها.

وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب، كما

قال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ: لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغَكُمْ؟، فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]» (٢). فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. والوسط: العدل، وفي التنزيل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨] أي: أعدلهم وخيرهم.

قال زهير:

هُم وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

«ولما كان الوسط مجانبًا للغلو والتقصير، كان محمودًا، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم» (٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/١١١-١١٢).

(٢) برقم (٤٤٨٧).

(٣) تفسير القرطبي (٢/٤٣٤).

قال عبد الله بن الشخير رضي الله عنه: «خير الأمور أوسطها»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]. هذا تعليم من ربنا عز وجل أن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو طريق الحق الذي لا اعوجاج فيه، وقد بينه بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وأولى الناس بهذا الوصف نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه رضي الله عنهم، فمن أراد سلوك طريق الاستقامة فليقرأ سيرة نبي الله صلوات الله وسلامه عليه وصحابته الكرام، وليسلك طريقهم، وسيجد أنهم علموا وعملوا، وبذلك نجوا من أن يكونوا كالمغضوب عليهم الذين عرفوا الحق فلم يعملوا به، أو الضالين الذين يعبدون الله على جهل وضلال، فكانوا وسطاً عدولاً خياراً.

وقد أوضح لنا سبحانه وتعالى أن الصراط المستقيم هو الوحي الذي نزله على قلب محمد صلوات الله وسلامه عليه فقال تعالى: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ٢] إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ [يس]. وقد جاء في مواضع كثيرة من كتاب الله ما يبين أن الصراط المستقيم يقع بين طرفي نقيض، فقال تعالى مادحاً عباده: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]. وسلوك هذا المنهج من أعظم العلامات على تعظيم أمر الله ونهيه.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٧٩/١٣)، وابن سعد (١٤٢/٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم علي المنهج الوسط... فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يُعارضاً بترخُّص جاف، ولا يُعَرِّضاً لتشديد غال، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بسالكة.

وما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فَيُشَامِتُهُ، فإن وجد فيه تقصيراً وفتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة، فثَبَّطَهُ وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء.. وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة. وإن وجد عنده حذراً وجدًّا، وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسوّل له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وألاً تترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وألاً تفتري إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغتسل أنت سبعا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها.. ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجازرة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه، وأن لا يقربه.

ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم، هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يتجاوزه ويتعداه، وقد فُتِنَ بهذا أكثر الخلق، ولا يُنجي من ذلك إلا علم راسخ، وإيمان،

وقوة على محاربتها، ولزوم الوسط، والله المستعان»^(١).

وأهل السنة والجماعة هم أسعد الناس حظًا، وذلك باختيارهم الطريق الوسط بين الطوائف الضالة المتناقضة، فهم في أسماء الله وصفاته وسط بين النفاة المعطلة وبين الغالين الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلوها التكييف فهم بين هذا وهذا، يثبتون الأسماء والصفات لله على ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ.

وهم وسط بين الخوارج والمرجئة، فالخوارج يكفرون المسلمين بالكبيرة، ويرون أنه مخلد في النار إذا مات عليها، والمرجئة قالوا: يُسمى مؤمنًا ولا يسمى فاسقًا، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: فاعل الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فالله تعالى ما سلب الإيمان عن من فعل الكبيرة فسامهم مؤمنين مع حصول القتال والقتل وهو كبيرة، لكنه مع الإيمان فاسق بهذه الكبيرة.

وهم في القضاء والقدر وسط بين الجبرية والقدرية، فالجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العباد، ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار، والقدرية ينكرون قضاء الله تعالى في أفعال العباد، ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله، وأهل السنة والجماعة يثبتون قضاء الله في أفعال العباد ويقولون: إن

(١) مقدمة الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٧-٣٠.

له قدرة واختيارًا أودعها فيه متعلقين بقضاء الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] [القمر]، وقال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] [التكوير].

وما ذكرته غيضا من فيض، وقليل من كثير، أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه وهو راض عنا غير غضبان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

الفهرس الأول:

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب

الفهرس الثاني:

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة
--------	--------

(أ) قسم العقيدة

٧٧	١- جمع الكلمة
١١٥	٢- إسلام الكافر
١٢١	٣- الإقامة في بلاد الكفار
١٢٧	٤- العمل أو الدراسة لدى الكفار
٣٢٥	٥- الفطرة السليمة
٣٢٩	٦- من محاسن الدين الإسلامي
٣٥١	٧- أسباب تفرق المسلمين
٣٤٣	٨- التوسل المشروع والممنوع
٣٦١	٩- التشبه بالكفار
٣٧٥	١٠- التلبس على الناس
٣٨٣	١١- الصراط المستقيم والأمة الوسط
١٤٥	١٢- شرح اسم من أسماء الله تعالى: ﴿الرحمن - الرحيم﴾

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

التحذير من الفرق الضالة

- ١- الخوارج صفاتهم وخطرهم ٧١

الفتن وأشراط الساعة

- ١- التحذير من الفتن ٩٩
- ٢- أشراط الساعة الكبرى العشر ٢٩٧

(ب) التفسير

- ١- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ٢٠٣
- ٢- قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٣٠٩
- ٣- وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ ٣٣٧

(ج) الحديث

- ١- فوائد من حديث: «إن الله إذا استودع شيئاً حفظه» ٧
- ٢- فوائد من حديث: «بركة الغازي في ماله حياً وميتاً» ١٣
- ٣- تأملات في حديث النبي ﷺ: «أعمار أمتي بين الستين والسبعين» ٢٥
- ٤- وقفات مع حديث: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة» ٥٧

(د) الفقه

- ١- زيارة القبور ٩١
 ٢- الزواج من الكتابيات ١٣٥
 ٣- الإحداد ٢٨٥

الطهارة والصلاة

- ١- نواقض الوضوء ٣١
 ٢- آداب قضاء الحاجة ٣٩
 ٣- من أحكام الغسل ١٧٣
 ٤- صفة الصلاة ١٥٣
 ٥- صلاة التطوع ٢٥٩
 ٦- أوقات النهي عن الصلاة ٢٦٩

الحج

- ١- التلبية وأحكامها ١٠٧

آداب عامة

- ١- من آداب المجالس ٤٥
 ٢- من آداب الضيافة واستقبال الضيوف والزوار ١٦٥

الصفحة	الكلمة
٢١١.....	٣- من آداب القرآن
٢١٩.....	٤- من آداب المساجد
٢٢٩.....	٥- من آداب الاستئذان
٢٣٥.....	٦- آداب السلام رقم (١)
٢٤٣.....	٧- آداب السلام رقم (٢)
٢٥١.....	٨- آداب السلام رقم (٣)

محرمات عامة

١٩٧.....	١- التحذير من اليمين الكاذبة
----------	------------------------------

الأطعمة

١٨٩.....	١- من أحكام الأطعمة (٢)
----------	-------------------------

المواعظ والرقائق

٢٥.....	١- تأملات في حديث: أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين
٩١.....	٢- زيارة القبور
٢٠٣.....	٣- المسارعة في الاستجابة لأمر الله ورسوله
٣٢٥.....	٤- الفطرة السليمة

الفضائل

.....	الاذكار
١٥٩.....	١- فضائل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

فضائل عامة

- ١- فضل الرباط في سبيل الله ٦٣
- ٢- فضل كفالة الأيتام ١٨٣

موضوعات تهم الأسرة

- ١- تنظيم النسل ٢٧٩

الأخلاق المذمومة

- ١- التحذير من اللعن ١٩

قضايا اجتماعية

- ١- فضل الإصلاح بين الناس ٥١
- ٢- الإقامة في بلاد الكفار ١٢١
- ٣- العمل أو الدراسة لدى الكفار ١٢٧
- ٤- الزواج من الكتابيات ١٣٥



الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة	الكلمة
٥	المقدمة:
٧	الكلمة الأولى: «فوائد من حديث: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه»
١٣	الكلمة الثانية: فوائد من حديث: بركة الغازي في ماله حياً وميتاً
١٩	الكلمة الثالثة: التحذير من اللعن
٢٥	الكلمة الرابعة: تأملات في حديث النبي ﷺ: أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين
٣١	الكلمة الخامسة: نواقض الوضوء
٣٩	الكلمة السادسة: آداب قضاء الحاجة
٤٥	الكلمة السابعة: من آداب المجالس
٥١	الكلمة الثامنة: فضل الإصلاح بين الناس
٥٧	الكلمة التاسعة: وقفات مع حديث: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة
٦٣	الكلمة العاشرة: فضل الرباط في سبيل الله
٧١	الكلمة الحادية عشرة: الخوارج صفاتهم وخطرهم
٧٧	الكلمة الثانية عشرة: جمع الكلمة
٨٣	الكلمة الثالثة عشرة: أحكام التعزية
٩١	الكلمة الرابعة عشرة: زيارة القبور
٩٩	الكلمة الخامسة عشرة: التحذير من الفتن

الصفحة

الكلمة

- الكلمة السادسة عشرة: التلبية وأحكامها..... ١٠٧
- الكلمة السابعة عشرة: إسلام الكافر ١١٥
- الكلمة الثامنة عشرة: الإقامة في بلاد الكفار ١٢١
- الكلمة التاسعة عشرة: العمل أو الدراسة لدى الكفار ١٢٧
- الكلمة العشرون: الزواج من الكتابيات ١٣٥
- الكلمة الحادية والعشرون: شرح اسم من أسماء الله تعالى الرحمن، الرحيم .. ١٤٥
- الكلمة الثانية والعشرون: صفة الصلاة..... ١٥٣
- الكلمة الثالثة والعشرون: فضائل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير..... ١٥٩
- الكلمة الرابعة والعشرون: من آداب الضيافة واستقبال الضيوف والزوار ... ١٦٥
- الكلمة الخامسة والعشرون: من أحكام الغسل ١٧٣
- الكلمة السادسة والعشرون: فضل كفالة الأيتام ١٨٣
- الكلمة السابعة والعشرون: من أحكام الأطعمة رقم (٢) ١٨٩
- الكلمة الثامنة والعشرون: التحذير من اليمين الكاذبة..... ١٩٧
- الكلمة التاسعة والعشرون: المسارعة في الاستجابة لأمر الله ورسوله... ٢٠٣
- الكلمة الثلاثون: من آداب القرآن ٢١١
- الكلمة الواحدة والثلاثون: من آداب المساجد ٢١٩
- الكلمة الثانية والثلاثون: من آداب الاستئذان ٢٢٩
- الكلمة الثالثة والثلاثون: آداب السلام رقم (١)..... ٢٣٥
- الكلمة الرابعة والثلاثون: آداب السلام رقم (٢)..... ٢٤٣

- الكلمة الخامسة والثلاثون: آداب السلام رقم (٣)..... ٢٥١
- الكلمة السادسة والثلاثون: صلاة التطوع..... ٢٥٩
- الكلمة السابعة والثلاثون: أوقات النهي عن الصلاة..... ٢٦٩
- الكلمة الثامنة والثلاثون: تنظيم النسل..... ٢٧٩
- الكلمة التاسعة والثلاثون: الإحداد..... ٢٨٥
- الكلمة الأربعون: أشرط الساعة الكبرى العشر..... ٢٩٧
- الكلمة الواحدة والأربعون: صفات أهل الفردوس..... ٣٠٩
- الكلمة الثانية والأربعون: تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله..... ٣١٧
- الكلمة الثالثة والأربعون: الفطرة السليمة..... ٣٢٥
- الكلمة الرابعة والأربعون: من محاسن الدين الإسلامي..... ٣٢٩
- الكلمة الخامسة والأربعون: وقفات مع قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾:..... ٣٣٧
- الكلمة السادسة والأربعون: التوسل المشروع والممنوع..... ٣٤٣
- الكلمة السابعة والأربعون: أسباب تفرق المسلمين..... ٣٥١
- الكلمة الثامنة والأربعون: التشبه بالكفار..... ٣٦١
- الكلمة التاسعة والأربعون: التلبس على الناس..... ٣٧٥
- الكلمة الخمسون: الصراط المستقيم والأمة الوسط..... ٣٨٣
- الفهارس..... ٣٨٩



صدر للمؤلف

- ١- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه الثقات والمجروحين. رسالة ماجستير (مطبوع).
- ٢- حَدَثٌ غَيْرٌ مَجْرَى التَّارِيخِ. رسالة دكتوراه (مطبوع).
- ٣- موسوعة الدرر المنتقاة [١-٣] (مطبوع).
- ٤- موسوعة الدرر المنتقاة [٤-٥] (مطبوع).
- ٥- موسوعة الدرر المنتقاة [٦-٧] (مطبوع).
- ٦- موسوعة الدرر المنتقاة [٨] (مطبوع).
- ٧- موسوعة الدرر المنتقاة [٩] (مطبوع).
- ٨- البركة: كيف يحصل عليها المسلم في ماله، ووقته، وسائر شؤونه (مطبوع).
- ٩- كيف تلقي خطبة أو كلمة مؤثرة (مطبوع).
- ١٠- التجارة والأسواق: نصائح وأحكام (مطبوع).
- ١١- خطبة الجمعة فوائد وتنبهات ويلها سبع رسائل (مطبوع).
- ١٢- المسلمون في بلاد الغربية (مطبوع).



موسوعة الدرر السنية

دروس يومية

موسوعة وعظيمة، تربوية، اجتماعية، تحتوي على مئات الموضوعات
التي يحتاجها المسلم

(١٠ مع الفهارس)



إعداد

د. أمين بن محمد بن عبد الله الشافعي

موسوعة
الدُّرِّ الْمُنَّقَاةِ
دروسٌ يوميةٌ

(٥٠) درسا للدراسة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد
د/ أمين بن عبد الله الشقاوي

الجزء العاشر

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي، أمين بن عبد الله

موسوعة الدرر المنتقاة دروس يومية: الجزء العاشر. / أمين بن عبد الله

الشقاوي - الرياض، ١٤٣٨ هـ

٧٠٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم.

ردمك: ٤-٤٧٧١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الرعظ والإرشاد أ- العنوان

١٤٣٨ / ٨٧٦٨

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨ / ٨٧٦٨

ردمك: ٤-٤٧٧١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والأطلسه أراد طباعته وتوزيعه تجاراً بعد موافقة المؤلف الوطنية

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

جوال رقم: ٠٥٠٤٤٢٠٥٦٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فهذا هو الجزء العاشر من كتابي موسوعة الدرر المنتقاة، وقد اشتمل على خمسين كلمة نهجت في إعدادها نفس المنهج الذي سلكته في الكلمات السابقة كما بينت ذلك في مقدمة الجزء الأول من هذه الموسوعة، وقد اشتمل هذا الجزء على موضوعات تتوق النفوس إلى معرفتها.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في أقوالنا، والصواب

في أعمالنا، والإخلاص في نياتنا، وأن يردنا وإخواننا المسلمين إليه رداً جميلاً، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر عباده المجاهدين الصادقين، وأن يقينا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ١٠/٨/١٤٣٨هـ

صور من تكريم الله لأهل الجنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ [الزخرف: ٧٠-٧٣].

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد النون، ثم يُنحر لهم ثور الجنة، ثم يشربون عليه من عين تسمى سلسبيلاً.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والنون هو الحوت، والزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في غاية اللذة، حتى إنه قيل إنها أهنأ طعام وأمرأه»^(١). اهـ

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: جاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، وجاء فيه: ثم سأل: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسيلاً»^(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراضهم، فليس أكلهم عن جوع، ولا شرابهم عن ظمأ، ولا تطيبهم عن نتن، وإنما هي لذات متوالية، ونعم متتابعة»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْتَسُّوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]^(٣).

وفي رواية للبخاري: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَلَا يَنَامُ أَهْلٌ

(١) برقم ٣١٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٧/ ١٨٠).

(٣) برقم ٢٨٣٧.

قال بعض أهل العلم: «أهل الجنة لا يموتون، ولا ينامون لكمال حياتهم، وكثرة لذاتهم، وتوالي نعيمهم ومسراتهم». اهـ
قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ^(٤١)
فَوَكَّاهُمْ وَهُمْ مُكْرَمُونَ^(٤٢) [الصافات: ٤٠-٤٢]. وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ^(٢٥)﴾ [المعارج: ٣٥].

"والإكرام هو التعظيم والتوقير والتبجيل، وهو من أعظم ما تتوق إليه نفوس ذوي الهمم، كما أن الصغار والذل من أعظم ما تنفر منه نفوسهم، والإكرام الموعود يحصل لأهل الجنة من كل جهة"^(٢)، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «قد أكرم بعضهم بعضاً، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب، ويهتئونهم ببلوغ أهنا الثواب، وأكرمهم أكرم الإكرام، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب، والأرواح، والأبدان»^(٣).

١- ومن صور إكرام الله لأهل الجنة ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾^(٨٥) [مريم: ٨٥].

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار (٤/ ١٩٣) برقم ٣٥١٧، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٣/ ٧٤-٧٨) برقم ١٠٨٧، ورجح بعضهم إرساله.

(٢) الوعد الأخروي. شروطه وموانعه، للدكتور عيسى السعدي (١/ ١٧٧).

(٣) تفسير ابن سعدي ص ٦٧٠.

قال بعض المفسرين: المتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والبدع، يحشرهم الله إلى موقف القيامة مكرمين مبجلين معظمين، والمقصود بالوفد هم القادمون ركباً على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على ربهم إلى دار كرامته ورضوانه^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ركباً يؤتون بنوق من الجنة، عليها رحائل من الذهب، وسروجها وأزمتها من الزبرجد^(٢)، فيحشرون عليها»^(٣).

قال القرطبي رحمته الله: «وقيل: إنما قال وفداً لأن من شأن الوفود عند العرب أن يقدموا بالبشارات، وينتظرون الجوائز، فالمتقون ينتظرون العطاء والثواب»^(٤).

٢- أنهم يساقون على النجائب زمراً، قال ابن كثير رحمته الله: «أي جماعة بعد جماعة، المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم، كل طائفة مع من يناسبهم، الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة تناسب بعضها بعضاً، حتى إذا وصلوا

(١) انظر: تفسير ابن كثير رحمته الله (٢٩٦/٩)، والشيخ ابن سعدي ص ٤٧٢.

(٢) الزبرجد: وهو نوع من أنواع الأحجار الكريمة المعدنية القيمة، خضراء اللون.

(٣) تفسير القرطبي (٥١٥/١٣).

(٤) تفسير القرطبي (٥١٥/١٣).

إليها فتحت الأبواب لهم إكرامًا وتعظيمًا، وتلقته الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] (١).

٣- أن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته في الجنة وإن لم يبلغوا عمله، إكرامًا له ولتقر عينه بهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَغَوْا ذِرْيَتَهُمْ بِإِيمَانٍ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١].

٤- تحقيق رغباتهم ولو كانت من أمور الدنيا، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يومًا يحدث: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ: أَوْلَسْتَ فِيْمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحْبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ»- أي جمعه. قال الشراح: لم يكن بين البذر ونجاز أمر الزرع كله حتى الجمع إلا قدر لمح البصر، «فيقول الله تعالى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ» (٢).

٥- كلام الرب معهم، ورضاه عنهم، وهو من أعظم مظاهر الإكرام، قال تعالى: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: وفي هذا كلام الرب تعالى

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٢/ ١٥٥-١٦٢) بتصرف.

(٢) برقم ٧٥١٩.

لأهل الجنة وسلامه عليهم^(١).

وقال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]. «فأهل الجنة راضون بما أعطاهم ربهم بِحَبْلٍ وَبِحَبْلٍ، حتى إن أدناهم يرى أنه لم يعط أحد مثل عطائه»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ.. الحديث». وفيه: «فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ: هُوَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا

(١) تفسير ابن سعدي، ص ٨١٩-٨٢٠.

(٢) الوعد الأخروي. شروطه وموانعه، د. عيسى السعدي (١/ ١٨١).

(٣) برقم ١٨٨.

أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

٦- ومنها أن الله يكرمهم بكشف الحجاب ورؤيتهم له سبحانه، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ... وَزَادَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»^(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ حَيْثُ: «وما بين القوم وما بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه»: «كأن المؤمنين إذا تبوؤا مقاعدهم من الجنة لولا ما عندهم من هيبة ذي الجلال لما حال بينهم وبين الرؤية حائل، فإذا أراد إكرامهم حفهم برأفته، وتفضل عليهم بتقويتهم على النظر إليه سبحانه، ثم وجدت في حديث صهيب المتقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى الحجاب المذكور في حديث صهيب، وأنه سُبْحَانَهُ يكشفه لأهل الجنة إكرامًا لهم»^(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَيَّ حَيْثُ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ

(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٤٩، وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٩.

(٢) برقم ١٨١.

(٣) انظر فتح الباري (١٣/٤٣٣) باختصار.

رَبِّكُمْ عَيَانًا»: «فأرشدهم هذا السياق إلى أن الرؤية تقع في مثل أوقات العبادة، فكأن المريرين من الأختيار يرون الله ﷻ في مثل طرفي النهار غدوة وعشية، وهذا مقام عال حتى إنهم يرون ربهم ﷻ وهم على أرائكهم وسررهم، كما يرى القمر في الدنيا في مثل هذه الأحوال، يرون الله تعالى أيضًا في المجمع الأعم الأشمل وهو في مثل أيام الجمع، حيث يجتمع أهل الجنة في واد أفيح - أي متسع - من مسك أبيض، ويجلسون فيه على قدر منازلهم، فمنهم من يجلس على منابر من نور، ومنهم من يجلس على منابر من ذهب.. وغير ذلك من أنواع الجواهر وغيرها، ثم تفاض عليهم الخلع، وتوضع بين أيديهم الموائد بأنواع الأطعمة والأشربة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يُطيبون بأنواع الطيب كذلك، ويباشرون من أنواع الإكرام ما لم يخطر في بال أحد قبل ذلك، ثم يتجلى لهم الحق جل جلاله سبحانه وتعالى ويخاطبهم واحدًا واحدًا، كما دلت على ذلك الأحاديث»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



شرح حديث: «اشتكت النار إلى ربها»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رَبِّ! أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشَّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِ»^(١).

قوله: «اشتكت النار إلى ربها»: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «فيه أن الجماد بالنسبة لله عز وجل يتكلم مع الله ويناجي الله، وهذا ظاهر في القرآن والسنة، ففي القرآن يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وفي السنة كثير»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٥٣٧، وصحيح مسلم برقم ٦١٧.

(٢) التعليق على صحيح مسلم (٣/٥٨٨).

منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِدِ، وَكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ» (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجْزُهُمْ، قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ، فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ رِجْلَهُ فِيهَا، فَتَقُولُ: قَطُّ، قَطُّ، فَهَنَّاكَ تَمْتَلِي، وَيُزَوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا» (٢).

«قوله في الحديث: «أَكَلَّ بَعْضِي بَعْضًا» من شدة الحر، وشدة البرد، فأذن الله لها أن تتنفس في الشتاء، وتتنفس في الصيف، نفس في الصيف ليخف عليها الحر، وفي الشتاء ليخف عليها البرد، وعلى هذا فأشد ما تجدون من الحر، يكون من فيح جهنم، وأشد ما يكون من الزمهرير من زمهرير جهنم» (٣).

(١) مسند الإمام أحمد (١٤/١٥٢) برقم ٨٤٣٠، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٨٥٠، وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٦.

(٣) التعليق على صحيح مسلم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، شرح كتاب الصلاة =

وفي الحديث فوائد كثيرة:

١- أن النار مخلوقة الآن، وكذلك الجنة، قال تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١) [آل عمران: ١٣١]. وقال عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) [آل عمران: ١٣٣]، وفي حديث النهي عن الصلاة إذا قام قائم الظهيرة؛ علل ذلك بأن جهنم تسجر^(١) (٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ، فَتُحْتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ»^(٣)، وهذا دليل آخر على وجودها الآن.

٢- أن في جهنم ألواناً من العذاب، ففيها البرد الشديد والحر الشديد، قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ (٥٧) وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) [ص: ٥٧-٥٨]، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (٢٥) [النبا: ٢٤-٢٥]. فالحميم الحار الذي قد انتهى حره، وأما العساق: فهو البارد الذي لا يستطيع من برده، ولا يواجه من نتنه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَتَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا»^(٤).

= وموافقتها (٣/ ٥٨٤).

(١) أي: يوقد عليها إيقاداً بليغاً، شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٣٥٦).

(٢) صحيح مسلم برقم ٨٣٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٢٧٧، وصحيح مسلم برقم ١٠٧٩.

(٤) (١٧/ ٢٣١) برقم ١١٢٣٠، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

٣- شدة حر هذه النار، ولذلك أذن لها بنفس الصيف والشتاء، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]. أكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة من الكبريت الأسود، توقد بها النار وفيها خمسة أشياء: سرعة الاتقاد، نتن الرائحة، كثرة الدخان، شدة الالتصاق بالأبدان، قوة حرها إذا حَمِيت^(١).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(٢).

قال القرطبي رحمته الله: «وبيان ذلك أنه لو جُمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارًا، لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزءًا أشد من حر نار الدنيا، كما بينه في آخر الحديث قوله: قالوا والله إن كانت كافية، أي نار الدنيا، فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين ضعفًا»^(٣).

٤- قدرة الله العظيمة، أن جعل في النار من ألوان العذاب ما لا يصدقه إلا المؤمنون به، العارفون عظيم قدرته، ففيها الحر

(١) تفسير القرطبي رحمته الله (١/ ٣٥٤).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٦٥، وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٤٣.

الشديد، وكذلك البرد الشديد، وفيها الحيات، والعقارب، وأنواع الحشرات المؤذية^(١)، كما أن فيها شجرة الزقوم التي جعلها الله فتنة للظالمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الصافات: ٦٤]. فهنيئاً لعبد عرف عظمة ربه فأمن به، وسلم له أمره، وقدره حق قدره.

٥- أن على المؤمن أن يستعيد بالله من النار، وأن يسعى لفكك نفسه منها، وكان النبي ﷺ كثيراً ما يستعيد من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قالوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ^(٢).

قال أنس رضي عنه كما في الصحيحين: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه أن

(١) وردت بذلك أحاديث وآثار حسننها بعض أهل العلم. انظر: السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢٩، والتخويف من النار لابن رجب الحنبلي رحمته الله ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) برقم ٢٨٦٧.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٩، وصحيح مسلم برقم ٢٦٩٠.

النبى ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة

شرح حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»^(١).

هذا الحديث اشتمل على أدعية عظيمة وجامعة لخيري الدنيا والآخرة، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم: ٣-٤].

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»: الاستعاذة هي طلب العوذ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن لفظ عاذ وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى

المستعاذ به: معاذًا، كما يسمى ملجأً ووزرًا»^(١).

«والمستعاذ به هو الذي يُطلب منه العوذ، ويُعتصم به، ويُلتجأ ويُهرب إليه، وهو الله جبار السموات والأرض، فلا يُستعاذ إلا به، ولا يُستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستعيزين، ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا به»^(٢).

ونعم الله كثيرة على عباده ومتابعة بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [أبراهيم: ٣٤].

وأعظم نعمة نعمة الهداية لهذا الدين، وهي نعمة لا تعدلها كنوز الأرض كلها، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال تعالى ممتنًا على نبيه بهذه النعمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِنَّا وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه أن

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٠٠).

(٢) فقه الأدعية والأذكار، د. عبدالرزاق البدر ص ٩٢٢.

النبي ﷺ قال للأنصار: «ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي»^(١).

وامتن الله على أهل الجنة بهذه النعمة فقال **سُبْحَانَكَ** ﴿٤٣﴾ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمُوا الْجَنَّةُ أَوْرِثَتْهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

ودوام هذه النعم بالشكر بالقلب والقول والفعل، وزوالها بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

قال الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»، الأمور كلها بيد الله، فهو المعطي وهو المانع، لا راد لأمره، فلا استعاذة والاعتصام من زوال النعم هي في موضعها وواقعة موقعها، فهو يسأل معطيها أن لا يزيلها، وزوال النعم يكون غالباً بسبب الذنوب، فهو يسأل ضمناً العصمة من الذنوب التي هي سبب زوال النعم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ

(١) صحيح البخاري برقم ٤٣٣٠، وصحيح مسلم برقم ١٠٦١.

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴿ [الروم: ٤١] »^(١).

قوله: «وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ»، نعمة العافية من أعظم النعم بعد نعمة الإيمان والإسلام، روى الترمذي في سننه من حديث رفاعة بن رافع، قال: قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المنبر ثم بكى، فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: «سَلُّوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله تعليقا على الحديث المذكور: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة»^(٣).

واستعاذ صلى الله عليه وسلم من تحول عافيته سبحانه؛ لأنه إذا كان قد اختصه الله بعافيته، فقد ظفر بخير الدارين، فإن تحولت عنه فقد أصيب بشر الدارين، فإن العافية بها صلاح الدين والدنيا كما تقدم»^(٤).

(١) توضيح الأحكام (٦/٤٣٥).

(٢) برقم ٣٥٥٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/١٨٠) برقم ٢٨٢١.

(٣) زاد المعاد (٤/١٩٧).

(٤) المصدر السابق.

«قوله: «وَفُجَاءَةٌ نِقْمَتِكَ»: الفجاءة هي البغته التي تأخذ الإنسان من حيث لا يكون عنده سابق إنذار وإخطار وتحذير، فيؤخذ من مأمنه حيثما تفجأه النقمة، ويبغته العذاب، ولات حين مناص ولا مفر، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩]»^(١).

«واستعاذ ﷺ من فجاءة نقمة الله ﷻ لأنّه إذا انتقم من العبد فقد أحل به من البلاء ما لا يقدر على دفعه، ولا يُستدفع بسائر المخلوقين، وإن اجتمعوا جميعاً»^(٢).

قوله: «وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»: استعاذ ﷺ من جميع سخطه؛ لأنه ﷻ إذا سخط على العبد فقد هلك وخسر، ولو كان السخط في أدنى شيء وبأيسر سبب، ولهذا قال الصادق المصدوق وجميع سخطك وجاء بهذه العبارة شاملة لكل سخط»^(٣).

روى الترمذي في سننه من حديث بلال بن الحارث صاحب رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ

(١) توضيح الأحكام (٦/٤٣٥).

(٢) تحفة الذاكرين للشوكانى رَحِمَهُ اللهُ ص ٤٢١.

(٣) المصدر السابق.

شرح حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ»

إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(٢).

قال النووي، قال الخطابي: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعاذاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى، استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه^(٣). اهـ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٣١٩، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم ٤٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم (٤/٤٢٧).

الاعتزاز بالدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنَ الْأَذَلِّ^٨ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٨﴾ [المنافقون: ٨]. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَدَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ^(٢).

(١) جزء من حديث في مستدرک الحاکم (١/ ٢٣٦-٢٣٧)، وقال الحاکم: صحیح علی شرط الشیخین، وقال محققه: سنده صحیح.
(٢) برقم ٣٦٨١ وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٤) برقم ٢٩٠٧.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»^(١).

العز خلاف الذل، والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة، يقال: عز، يعز بالفتح إذا اشتد، ورجل عزيز: منيع لا يُغلب ولا يُقهر، وعز يعز بالكسر عزًا وعزة وعزاة وهو عزيز؛ قلّ حتى لا يوجد^(٢).

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]. أي جانبهم غليظ على الكافرين، لين على المؤمنين.

وأما قوله سبحانك: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتْنَهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩]. فإن العزة تعني المنعة والقوة، والمعنى: أيطلبون - أي أهل النفاق - عند الكافرين المنعة والقوة باتخاذهم أولياء من دون أهل الإيمان^(٣).

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ أي فإن المنعة والنصرة من عند الله الذي له المنعة، فهلاً اتخذوا أولياء من المؤمنين حتى يعزهم الله. «أما العزة المنسوبة لله سبحانك ورسوله والمؤمنين في قوله

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦٨٤.

(٢) مقاييس اللغة (٤ / ٣٨)، والمفردات للراغب ص ٥٦٣، ولسان العرب: عزز (٥ / ٣٧٤).

(٣) تفسير الطبري رحمته الله (٤ / ٢٥٩٨) بتصرف.

تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإن عزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم، وقيل: المعنى: والله الغلبة والقوة ورسوله وللمؤمنين، وقيل: المقصود من هذا التهيج على طلب العزة من جناب الله تعالى، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد^(١).

كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وبعض الناس تجده يتنازل عن أشياء من دينه لرضى الكفار وبيان تسامح الإسلام، وهذا من الذل وليس من العز، فالمسلم يرفع رأسه بهذا الدين ويفخر به، فهو صالح لكل زمان ومكان، وهو الدين الذي أكمله الله فلا يحتاج إلى زيادة، ورضيه لعباده فلا يحتاجون إلى شيء بعده، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإلى الأمثلة التي تبين اعتزاز الصحابة ومن بعدهم بهذا الدين العظيم:

المثال الأول: روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي عنه أرسل جيشاً إلى كسرى واستعمل عليهم النعمان

(١) تفسير البغوي (١٣٣/٨) بتصرف، وتفسير ابن كثير رحمته الله (٢/٤٣٥).

ابن مقرن، حتى إذا كانوا بأرض العدو، خرج إليهم عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت، قال: من أنتم، قال: نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك، إذ بعث رب السموات ورب الأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمتة - إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم^(١).

المثال الثاني: روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً، قال: فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أمناً وقد أويتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك

بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر، وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فسار معهم، فقتله الله^(١).

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين، واعتزازه بدينه، فمع أنه بمكة لوحده، إلا أنه كان يهدد سادات قريش في عقر دارهم.

المثال الثالث: لما قدم عمر الشام، عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره، ونزع موقيه^(٢)، فأمسكها بيده وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصك في صدره، وقال: أَوْه^(٣)، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس،

(١) برقم ٣٦٣٢.

(٢) الموق الخف، النهاية (٤/ ٣٧٢).

(٣) كلمة توجع.

وأحققر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلکم الله^(١).

المثال الرابع: ما حصل في سنة ٦٩٩هـ، وذلك أن ملك التتر غازان قدم إلى دمشق فخرج إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، واجتمع به وكلمه بغلظة، فكف الله يد غازان عنه، وذلك أنه قال لترجمان الملك غازان، قل له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا؛ فغزوتنا، وأبوك وجدك هولاءكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت.

عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت. وجرت له مع غازان وقطلوشاه وبولاي أمور قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله. وحضر قضاة دمشق وأعيانها إلى مجلس غازان، فقدم إليهم غازان طعامًا فأكلوا إلا ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، فقيل: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهادًا في سبيلك فأيده وانصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فافعل به واصنع... يدعو عليه، وغازان يؤمن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفًا أن ييطش به غازان فيصيبهم من دمه،

(١) تقدم تخريجه ص ٢٧.

فلما خرجوا قال قاضي القضاة ابن الصعري لابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: كدت تهلكنا معك، ونحن ما نصحبك من هنا، فقال: ولا أنا أصحبكم (١).

المثال الخامس: ما حصل للسلطان عبدالحميد الثاني رَحِمَهُ اللهُ عندما أتى إليه اليهود وعرضوا عليه تسليم فلسطين مقابل مبالغ مالية من الذهب الخالص، فكان جوابه: إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكي، إنما هي ملك الأمة الإسلامية، وما حصل عليه المسلمون بدمائهم لا يمكن أن يباع، وربما إذا تفتت امبراطوريتي يوماً يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين دون مقابل.

فَاتِلَةٌ:

يقول المستشرق الغربي (شاتلي): إذا أردتم أن تغزوا الإسلام وتكسروا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم، والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم «القرآن» وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر

(١) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ للشيخ محمد عزيز شمس، والشيخ علي العمران، بإشراف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ ص ٦٨٦-٦٨٧.

روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي. اه (١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



(١) من كتاب حقبة من التاريخ للشيخ عثمان بن محمد الخميس، مقدمة الشيخ الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم للكتاب - طبعة دار الإيمان - مصر.

الكلمة الخامسة

تأملات في سورة الانشقاق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]. ومن سور القرآن الكريم التي تحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الانشقاق، قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۚ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۚ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۚ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۚ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۚ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۚ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۚ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۚ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۚ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۚ وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا ۚ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۚ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۚ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۚ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۚ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۚ وَالْقَمَرِ ۚ إِذَا انشَقَقَ ۚ لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۚ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۚ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴿الانشقاق﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي رافع قال: صَلَّىتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه الْعَتَمَةَ، فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ رضي الله عنه، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ ^(١).

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾﴾: يخبر تعالى في هذه الآيات ما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام، ومعنى انشقت: أي انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتشرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾: أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وحقت: أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٢﴾﴾: أي رجفت وارتجت ونُسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء ومعلم فسويت، قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا

﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴿طه: ١٠٧﴾. ثم يمدها الله مد الأديم، يعني كمد الجلد كأنما تفرش جلدًا، حتى إن الذين عليها - وهم الخلائق - يسمعون الداعي وينفذهم البصر، لكن الآن لا ينفذهم البصر، لو امتد الناس على الأرض لوجدت البعيدين منخفضين لا تراهم، لكن يوم القيامة إذا مدت صار أقصاهم مثل أدناهم، كما جاء في الصحيحين: «يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ»^(٢) كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ﴾^(٤) : أي ألقته ما في بطنها من الكنوز والأموات وتخلت منهم، فإنه ينفخ في الصور فتخرج الأموات من القبور إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها حتى تكون كالأسطوان العظيم يشاهده الخلق، ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون.

(١) صحيح البخاري برقم ٤٧١٢، وصحيح مسلم برقم ١٩٤.

(٢) قال الخطابي رحمته الله: العفر بياض ليس بناصر، وقال ابن فارس: عفراء خالصة البياض، والنقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخاله، والمعلم: هو العلامة التي يهتدى بها إلى الطريق كالجبال والصخرة، فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٥٢١، وصحيح مسلم برقم ٢٧٩٠.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ٥ أذنت: يعني استمعت وأطاعت لربها، وحقت: فبعد أن كانت مدورة فيها المرتفع والنازل صارت كأنها جلد ممتدة امتدادًا واحدًا.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ٦ أي ساع إلى ربك سعيًا، وعامل عملاً، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، ويشهد لذلك ما رواه الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ»^(٢).

قال قتادة: يا ابن آدم إن كدحك لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوة إلا بالله.

(١) برقم ١٠١٣.

(٢) (٤٦٣/٥) برقم ٧٩٩١، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٧٣.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) أي: سهلاً بلا تعسير، أي لا تحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨)؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا»، فلما انصرف، قلت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرُ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ، يَا عَائِشَةُ، هَلَكَ» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿أَي: بشماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويُعطى كتابه بها كذلك، ﴿فَسَوْفَ

(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٣٧، وصحيح مسلم برقم ٧٨٧٦.

(٢) (٢٦٠/٤٠) برقم ٢٤٢١٥، وقال محققوه: حديث صحيح دون قوله: سمعت النبي ﷺ يقول في صلواته: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، فهذه الزيادة تفرد بها محمد بن إسحاق، قال الذهبي رحمته الله في الميزان: وما تفرد به فيه نكارة.

يَدْعُوا بُورًا ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٣﴾ أي: يصلى النار التي تسعر به، ويكون مخلدًا فيها لأنه كافر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ أي: فرحًا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: الحور الرجوع.

قوله تعالى: ﴿بَلَّغْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ يعني: بلى سعيده الله كما بدأه، ويجازيه على أعماله خيرا وشرها، فإنه كان به بصيرًا: أي عليماً خبيراً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالسَّفَاقِ ﴿١٦﴾﴾ والشفق: هو الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس، وإذا غابت هذه الحمرة خرج وقت المغرب، ودخل وقت العشاء، وهذا قول أكثر العلماء.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ أي: ما جمع، لأن الليل يجمع الوحوش والهوام وما أشبه ذلك، تجتمع وتخرج وتبرز من جحورها وبيوتها، وكذلك ربما يشير إلى اجتماع الناس بعضهم إلى بعض.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ يعني: إذا اجتمع نوره

وتم وكمل، وذلك في ليالي الإبدار، وفي الإقسام بهذه الأشياء المختلفة الأحوال تناسب مع جواب القسم، وهو قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٩) أي حالاً بعد حال، أي لتنتقلن من حال إلى حال، من كونكم نطفاً في الأرحام إلى خروجكم إلى الحياة، ثم موت بعد ذلك، ثم تبعثون فتصيرون إلى ربكم فيجازي كلاً بعمله.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) أي: فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون مع وضوح الآيات! والاستفهام للإنكار والتعجب، والفاء للتقريع: أي إذا علم ما تقدم فأى مانع يمنعهم من الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٢١) أي: لا يخضعون له ولا ينقادون لأمره، ولا يصلون، فيركعون ويسجدون، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢٢) أي: من سجتهم التكذيب، والعناد والمخالفة للحق، فإن المكذب بالحق عناداً لا حيلة فيه.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢٣) أي: بما يعملونه وينوونه سراً، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٤)، وسميت البشارة بشارة لأنها تؤثر في البشرية سروراً أو غمّاً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١) أي: لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة - جمعوا بين الإيمان والعمل - فهؤلاء لهم أجر غير ممنون، أي ثواب عظيم غير مقطوع، وهو جنة عرضها السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢) [مريم: ٦٢]. مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وختمت السورة الكريمة بوعيد الكافرين ووعد المؤمنين^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٢٩٢-٣٠٠)، وتفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ١٠٩-١٢٣، وتفسير جزء عم للشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ٨٧٦-٨٧٧.

تأملات في سورة البينة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد...

فمن سور القرآن الكريم التي تحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة البينة، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ﴾ (١) ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) ﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ ۗ﴾ (٣) ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ﴾ (٤) ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۗ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۗ﴾ (٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۗ﴾ (٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ﴾ (٧) ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبَّهُ ۗ﴾ (٨) [البينة].

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾»، قال: وَسَمَّانِي؟

قَالَ: «نَعَمْ»، فَبَكَى (١).

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، سموا بذلك لأن صحفهم بقيت إلى أن بعث النبي ﷺ مع ما فيها من التحريف والتبديل والتغيير، فاليهود لهم التوراة، والنصارى لهم الإنجيل.

والمشركون هم عبدة الأوثان من كل جنس، من بني إسرائيل ومن غيرهم، ولقد أخبر الله عن أهل الكتاب أنهم كانوا يستفتحون على العرب بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، أي يستنصرون به على مشركي العرب ويتحرون ظهوره لما هو مكتوب عندهم في كتبهم، فيتبعونه بزعمهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

كما أخبر الله عن المشركين أنهم يقسمون أنه إذا بعث فيهم رسول أن يتبعوه، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١): أي تاركين لما هم عليه من الشرك والكفر حتى تأتيهم البينة، ثم فسر البينة بقوله:

(١) صحيح البخاري برقم ٣٨٠٩، وصحيح مسلم برقم ٧٩٩.

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢): يعني: محمداً ﷺ مما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتوب في الملاء الأعلى في صحف مطهرة، كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (١٢) ﴿مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً﴾ (١٤) ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦) [عبس: ١٢-١٦].

قوله تعالى: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: أي منزهة من الباطل والتحريف، فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِذِبٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) [فصلت: ٤١-٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) [الحجر: ٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ﴾ (٤) ﴿الْبَيِّنَةُ﴾: قال إمام المفسرين ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: وما تفرق اليهود والنصارى في أمر محمد ﷺ فكذبوا به ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ﴾ (٤) ﴿الْبَيِّنَةُ﴾، يعني: بيان أمر محمد أنه رسول بإرسال الله إياه إلى خلقه، يقول: فلما بعثه الله تفرقوا فيه، فكذب به بعضهم، وأمن بعضهم، وقد كانوا قبل أن يبعث غير مفترقين فيه أنه نبي» (١)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [آل عمران: ١٥].

(١) تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ (١٠/٨٧٢٦).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١) يقول تعالى: وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى -الذين هم أهل الكتاب- إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، أي مفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعة ربهم بشرك، فأشركت اليهود بربها بقولهم: إن عزيزاً ابن الله، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك، وجحودهم نبوة محمد ﷺ.

حنفاء: أي متحنفين^(١) عن الشرك إلى التوحيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

«وخص الصلاة والزكاة [بالذكر] مع أنهما داخلان في قوله: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ أي الملة المستقيمة العادلة، وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلية في الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

(١) الحنفاء: جمع حنيف، وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم ﷺ، وأصل الحنف الميل. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٤٥١).

(٢) تفسير الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ٨٩٠.

لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٦﴾ قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا يقتضي أن اليهود والنصارى كفار حين لم يؤمنوا برسول الله محمد ﷺ وإن قالوا: أنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر، ويدعون لموتاهم بالرحمة وما أشبه ذلك من العبادات التي يتزلفون بها، فإنهم كاذبون، إذ لو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر لآمنوا بمحمد ﷺ بل لآمنوا برسولهم، لأن النبي ﷺ قد وجد وصفه في التوراة والإنجيل، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. بل إن عيسى ﷺ قال لبني إسرائيل: ﴿يَبْنَى إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦]. فلما جاء هذا الرسول الذي بشر به عيسى بالبينات قالوا: هذا سحر مبين، وكذبوه ولم يتبعوه، إلا نفرًا قليلاً من اليهود والنصارى آمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه»^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ

النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

قوله تعالى: ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: «وسميت جهنم لبعدها قعرها وسوادها، فهو مأخوذ من الجهمة، وقيل: إنه اسم أعجمي عربته العرب، وهو اسم من أسماء النار.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^(٦) أي: شر الخليقة لأن البرية هي الخليقة، وعلى هذا فيكون الكفار من بني آدم من اليهود والنصارى والمشركين، شر الخلائق، وقد بين الله ذلك تمامًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥٥) [الأنفال: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ^(٢٣) [الأنفال: ٢٢-٢٣]، وإذا كانوا هم شر البرية، فلن نتوقع منهم إلا كل شر؛ لأن الشرير ينبثق منه الشر، ولا يمكن أبدًا أن نحسن الظن بهم»^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٧) لما ذكر في الآيات السابقة حال الأشقياء من الكفرة

(١) برقم ١٥٣.

(٢) تفسير جزء عم ص ٢٨٣-٢٨٤.

من المشركين واليهود والنصارى، ذكر حال المؤمنين الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم، فأخبر أنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ جمعها لاختلاف أنواعها، لأن النبي ﷺ قال عن الجنات: «جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَنْبِيئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَنْبِيئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا»^(١). وإلى هذا يشير قول الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم ذكر أوصاف هاتين الجنتين، ثم قال ﴿سَبْعًا مَائَةً﴾: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٦٢]. والجنات التي ذكرها جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات، هي عبارة عن منازل عظيمة أعدها الله ﷻ للمؤمنين المتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولا يمكن لإنسان في الدنيا أن يتصور كيف نعيم الآخرة أبدًا، لأنه أعلى وأجل مما يتصور، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، لكن الحقائق تختلف اختلافًا عظيمًا.

ثم قال رضي الله عنهما: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ العدن بمعنى الإقامة في المكان وعدم النزوح عنه، ومن تمام نعيم أهل الجنة أن كل واحد منهم

(١) صحيح البخاري برقم ٤٨٧٨، وصحيح مسلم برقم ١٨٠.

لا يطلب تحولاً عما هو عليه من النعيم، لأنه لا يرى أن أحداً أكمل منه، ولا يحس في قلبه أنه في غضاضة بالنسبة لمن هو أرقى منه وأكمل، قال تعالى: ﴿لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، أي تحولاً عما هم عليه لأن الله قد أقنعهم بما أعطاهم فلا يجدون أحداً أكمل نعيماً منهم.

ثم قال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، قال العلماء: من تحت قصورها وأشجارها، وإلا فهو على سطحها وليس أسفل، إنما هو من تحت هذه القصور والأشجار، والأنهار بينها الله تعالى بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

روى ابن أبي الدنيا من حديث أنس بن مالك رضي عنه أنه قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخذود في الأرض؟ لا والله، إنها لسائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر، قال: قلت: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له^(١).

قال عبد الله بن مسعود رضي عنه: «أنها الجنة تفجر من جبل من

(١) ص ٩٠، قال الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة حديث رقم ٢٥١٣: الموقوف صحيح، وهو في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي، لا سيما وقد صح المرفوع من الطريق الأولى، وذكرها.

مسك» (١).

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه حادي الأرواح عن سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى: ﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٍ﴾ (٣١) [الواقعة: ٣١]، قال: أنهار تجري في غير أخدود (٢).

فالآثار السابقة تدل على أن النهر يجري على سطح الأرض يتوجه حيث وجهه الإنسان، ولا يحتاج شق خنادق ولا إلى بناء أخدود تمنع سيلان الماء يميناً وشمالاً، وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه النونية:

أَنْهَارُهَا مِنْ غَيْرِ أَخْدُودٍ جَرَتْ سُبْحَانَ مُمْسِكُهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ما كثر فيها أبداً، لا يموتون، ولا يمرضون، ولا يهرمون، ولا يبأسون، ولا يألمون، ولا يحزنون، ولا يمسهم فيها نصب، فهم في أكمل النعيم دائماً وأبداً أبداً الأبدين، كما صحت بذلك الأحاديث. ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وهذا أكمل نعيم أن الله تعالى يرضى عنهم فيحل عليهم رضوانه فلا يسخط بعده أبداً.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨) [البينة: ٨]، أي ذلك

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٩٥٨ / ٧)، وذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه حادي الأرواح وقال: موقوف صحيح (٣٨٥ / ١).

(٢) ص ١٦٥، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: إسناده مقطوع صحيح.

الجزاء لمن خشي الله تعالى، والخشية هي خوف الله المقرون بالهيبة والتعظيم، ولا يصدر ذلك إلا من عالم بالله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالخشية أخص من الخوف، والفرق بينهما يتضح بالمثل: إذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا؟ فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٨٠-٢٨٧، وتفسير ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ (١٠/٨٧٢٦)، وتفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٤٢٠-٤٢٥)، وتفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبدالرحمن البراك والشيخ عبدالمحسن العسكر ص ٢٤٥-٢٥١.

من فضائل يوم عرفة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن يوم عرفة يوم عظيم من أيام الله، يوم تكفر فيه السيئات، وتقال فيه العثرات، وتُجاب فيه الدعوات، وتُسكب فيه العبرات، ويباهي الله تعالى بالحجاج الملائكة، وهو يوم المغفرة والعتق من النار، وما رؤي الشيطان فيه أحقر من ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، والموعود: يوم القيامة^(١).

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ

(١) (١٣/٣٥٢) برقم ٧٩٧٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

لَمِنَ الصَّالِينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ ثُمَّ ﴾ ها هنا لعطف خبر على خبر، وترتيبه عليه، كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات، كما كان جمهور الناس يصنعون، يقفون بها إلا قريشاً، فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل ويقولون: نحن أهل الله في بلدته، وقطان بيته.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقْفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقْفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾»^(١). وفي رواية: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾»^(٢). وكذا قال ابن عباس ومجاهد وغيرهم، واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع- رحمهم الله»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم ٤٥٢٠، وصحيح مسلم برقم ١٢١٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٦٦٥.

(٣) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/٢٥٩-٢٦٠).

وقال تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ [الفجر: ٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك: الوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر^(١).

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأيام المعلومات: أيام عشر ذي الحجة^(٢).

وأما فضائله في السنة فهي كثيرة جداً، فمن ذلك:

- أنه أحد الأيام العشرة المفضلة في أعمالها على غيرها من أيام السنة، روى البخاري في صحيحه والترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(٣).

- ومنها: أنه يوم المغفرة، وصيامه يكفر سنتين، ويُشرع صيامه لغير الحاج، روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه من حديث أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِنِّي

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٤/٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام الشريق.

(٣) صحيح البخاري برقم ٩٦٩، وسنن الترمذي برقم ٧٥٧ واللفظ له.

أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (١).

وروى المنذري في الترغيب والترهيب عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات وكادت الشمس أن تؤوب، فقال: «يَا بِلَالُ! أَنْصِتِ لِي النَّاسَ»، فقال: «مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا، فَأَقْرَأَنِي مِنْ رَبِّي السَّلَامَ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِأَهْلِ عَرَفَاتٍ وَأَهْلِ الْمَشْعَرِ، وَضَمِنَ عَنْهُمْ التَّيْبَاتِ»، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَنَا خَاصَّةٌ؟ قَالَ: «هَذَا لَكُمْ وَلِمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فَقَالَ عُمَرُ: كَثُرَ وَاللَّهِ خَيْرُ اللَّهِ وَطَابَ (٢).

- ومنها: أنه يوم العيد لأهل الموقف، روى أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ» (٣).

(١) صحيح مسلم برقم ١١٦٢، وسنن الترمذي برقم ٧٤٩ واللفظ له.

(٢) (١٥٧/٢) برقم ١٧٣٧، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: إن ثبت سنده إلى ابن المبارك فهو على شرط الصحيح اهـ، نقله السيوطي في اللآلي (١٠٤/٢)، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله في تعليقه على صحيح الترغيب والترهيب: وطني أنه لو لم يثبت سنده إلى ابن المبارك ما جزم المؤلف بنسبته إليه كما هو ظاهر، ومع ذلك فله شواهد خرجتها في الصحيحة برقم ١٦٢٤، والله تعالى أعلم (٣٣/٢) برقم ١١٥١.

(٣) برقم ٢٤١٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٤٥٨/٢) برقم ٢١١٤.

- ومنها: أنه يوم العتق من النار، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ بِعَرَفَةَ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»^(١).

- ومنها: أن الله يباهي بالملائكة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْنًا غُبْرًا»^(٢).

قال ابن عبد البر رحمته الله: «وهذا يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران»^(٣).

- ومنها: أنه ركن الحج الأعظم، فمن فاته الوقوف بعرفة، فقد فاته الحج، فقد روى النسائي في سننه من حديث عبد الرحمن بن يعمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْحَجُّ عَرَفَةَ»^(٤). قال ابن حجر رحمته الله: «أي معظم الحج وركنه الأكبر»^(٥).

فإذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كما حصل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) برقم ١٣٤٨.

(٢) (١١/٦٦٠) برقم ٧٠٨٩، وقال محققوه: إسناده لا بأس به، وأصله في صحيح مسلم برقم ١٣٤٨.

(٣) التمهيد (١/١٢٠).

(٤) برقم ٣٠١٦، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن النسائي (٢/٦٣٣) برقم ٢٨٢٢.

(٥) فتح الباري (١١/٩٤).

فقد اجتمع للمسلمين عيدان، يوم الجمعة، ويوم عرفة، روى البخاري ومسلم من حديث طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً من اليهود قال له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُ وَنَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَا تَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ (١).

وروى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قرأ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد، ويوم جمعة (٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «إن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام، وكذلك ليلة القدر أفضل ليالي العام، وليلة الجمعة أفضل ليالي الأسبوع، وكذلك وقفة عرفة يوم الجمعة لها مزية على سائر الأيام، وتحصل مع دنوه صلى الله عليه وسلم من أهل الموقف ساعة الإجابة التي لا يُرد فيها

(١) صحيح البخاري برقم ٤٥، وصحيح مسلم برقم ٣٠١٧.

(٢) تفسير ابن جرير (٤/٤١٩).

سائلاً يسأل خيراً، فيقربون منه بدعائه والتضرع إليه في تلك الساعة، ويقرب منهم تعالى نوعين من القرب؛ أحدهما: قرب الإجابة المحققة في تلك الساعة، والثاني قربه الخاص من أهل عرفة ومباهاته بهم ملائكته، فتستشعر قلوب أهل الإيمان هذه الأمور، فتزداد قوة إلى قوتها، وفرحاً وسروراً وابتهاجاً ورجاءً لفضل ربها وكرمها، فبهذه الوجوه وغيرها فضلت وقفة يوم الجمعة على غيرها.

وأما ما استفاض على السنة العوام بأن موافقة يوم عرفة ليوم الجمعة تعدل اثنتين وسبعين حجة، فباطل لا أصل له عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين. والله أعلم^(١).

«ويوم عرفة يوم أعر، وهو ملتقى المسلمين المشهود، يوم رجاء، وخشوع، وذل وخضوع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه»^(٢).

وأفضل الدعاء دعاء ذلك اليوم، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب»^(٣).

(١) زاد المعاد (١/ ٦٠-٦٥) بتصرف.

(٢) الفتاوى (٥/ ٣٧٤).

(٣) التمهيد (٦/ ٤١).

والدعاء يوم عرفة عظيم المكانة، رفيع الشأن، وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ: «...أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى العَصْرَ وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى أَتَى المَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ القِصْوَاءِ إِلَى الصَّخْرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ المِشَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ القُرْصُ، وَأَزْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ خَلْفَهُ»^(١).

وروى النسائي في سننه من حديث أسامة بن زيد رضي عنه قال: «كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ فَرَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو فَمَالَتْ بِهِ نَاقَتُهُ، فَسَقَطَ خِطَامُهَا، قَالَ: فَتَنَاوَلَ الخِطَامَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَهُ الأُخْرَى»^(٢).

وأقرب الحجيج عند الله منزلة أكثرهم له ذكرًا، قال ابن القيم رحمته: «أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله، فأفضل الصوم أكثرهم ذكرًا لله في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكرًا لله رضي عن ، وهكذا سائر الأعمال»^{(٣)(٤)}.

(١) برقم ١٢١٨.

(٢) برقم ٣٠١١، وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح سنن النسائي (٢/٦٣٢) برقم ٢٨١٧.

(٣) الوابل الصيب ص ١٨١-١٨٢.

(٤) الخطب المنبرية ، د. عبدالمحسن القاسم (٢/١٨٥-١٨٧) بتصرف.

ويستمر الحاج في الدعاء والتضرع وكثرة الذكر إلى أن
تغرب الشمس كما فعل النبي ﷺ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر كتاب أخينا الشيخ د. صالح العصيمي: أحكام عرفة - دراسة فقهية مقارنة،
فقد أجاد.

الكلمة الثامنة

من فضائل أيام التشريق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ وَذَكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر، والأيام المعدودات هي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وهذا قول ابن عمر وأكثر العلماء، وقال آخرون: هي يوم النحر وثلاثة أيام بعده ^(١).

قال ابن كثير رحمته الله: «والقول الأول هو المشهور، وعليه دل ظاهر الآية الكريمة، حيث قال سبحانك: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ فدل على ثلاثة أيام بعد النحر» ^(٢).

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٢/ ٢٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير رحمته الله (٢/ ٢٦٦).

ومن الأدلة أيضًا على قوة القول الأول، ما رواه النسائي في سننه من حديث عبدالرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة وأتاه ناس من نجد، فأمروا رجلاً فسأله عن الحج، فقال: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَدْ أَدْرَكَ حَجَّةً، أَيَّامٌ مَنَى ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ، مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، ثم أردف رجلاً فجعل يُنادي بها في الناس^(١).

وهذا الحديث صريح في أنها أيام التشريق، وأفضلها أولها وهو يوم القر، وهو اليوم الأول الذي يستقر الحجاج فيه في منى - يوم الحادي عشر -.

روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»^(٢). وسُميت أيام التشريق؛ لأن الناس يشرقون فيها لحوم الأضاحي والهدايا: أي يقددونها وينشرونها لتجف.

ومن فضائل هذه الأيام ما رواه مسلم في صحيحه من حديث نبیة الهذلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ

(١) برقم ٣٠٤٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي (٢/٦٣٧-٦٣٨) برقم ٢٨٥٠.

(٢) برقم ١٧٦٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/٣٣١) برقم ١٥٥٢.

أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ» (١).

«فأيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك تتم النعم، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة كان شكرهم نعمة أخرى، فيحتاج إلى شكر آخر، ولا ينتهي الشكر أبدًا، قال الشاعر:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَأَتَّصَلَ الْعُمُرُ

وفي قول النبي ﷺ أنها أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل إشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله تعالى وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالأكل من الطيبات والشكر، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].
قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ
وَدَاوِمٌ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَشُكْرُ الْإِلَهِ يُزِيلُ النِّقَمَ

وقد أباح الله عز وجل ذبح هذه البهائم المطيعة الذاكرة له لعباده المؤمنين حتى تتقوى بها أبدانهم، وتكمل لذاتهم في

أكلهم اللحوم، فإنها من أجل الأغذية وألذها، مع أن الأبدان تقوم بغير اللحم من النباتات وغيرها، ولكن لا تكمل القوى والعقل واللذة إلا باللحم، فأباح للمؤمنين قتل هذه البهائم والأكل من لحومها؛ ليكمل بذلك قوة عبادته وعقولهم، فيكون ذلك عوناً لهم على علوم نافعة، وأعمال صالحة.

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣٦) [الحج: ٣٦] (١).

روى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ» (٢).

«ولما أكمل الله تعالى أحكام النسك، أمر بالإكثار من ذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق في قول جمهور المفسرين، وذلك بمزيتها وشرفها، وكون بقية المناسك تُفعل بها، ولكون الناس فيها أضيافاً لله؛ ولهذا حرم صيامها، فالذكر فيها مزية ليست لغيرها؛ ولذلك يُستحب للمؤمن أن يُكثر من ذكر الله فيها، ويدخل في ذلك التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، وقراءة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ورمي الجمار، والتكبير عند رميها، والدعاء بين

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص ٣٣١-٣٣٢ باختصار.

(٢) برقم ٧٧٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الجمرتين، والذبح والتسمية فيه، والصلوات التي تُفعل فيها من فرائض ونوافل، والذكر المقيد بعد الفرائض فيها، وعند كثير من أهل العلم يستحب فيها التكبير المطلق»^(١).

فالذكر عموماً من شعائر هذه الأيام، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]. وقد استحب كثير من السلف كثرة الدعاء بهذا في أيام التشريق، قال عكرمة: يستحب أن يُقال في أيام التشريق: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية للخير، وكان النبي ﷺ يكثر منه، روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعَاٍ دَعَا بِهَا فِيهَا»^(٢).

قال الحسن: الحسنه في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، وقال سفيان الثوري: الحسنه في الدنيا: العلم والرزق الطيب، وفي الآخرة: الجنة، والدعاء من أفضل أنواع الذكر،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي (١٠٨/٣) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٥٢٢، وصحيح مسلم برقم ٢٦٩٠ واللفظ له.

روى زياد الجصاص عن أبي كنانة القرشي أنه سمع أبا موسى الأشعري يقول في خطبته يوم النحر: بعد يوم النحر ثلاثة أيام التي ذكر الله الأيام المعدودات، لا يرد فيهن الدعاء، فارفعوا رغبتكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي الأمر بالذكر عند انقضاء النسك معنى، وهو أن سائر العبادات تنقضي ويفرغ منها، وذكر الله باق لا ينقضي ولا يفرغ منه، بل هو مستمر للمؤمن في الدنيا والآخرة^(١).

وقد نُهي عن صيامها إلا لمن لم يجد الهدى، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالوا: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصْمَنَ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ»^(٢).

قال ابن رجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإنما نُهي عن صيام أيام التشريق لأنها أعياد للمسلمين مع يوم النحر، فلا تُصام بمنى ولا غيرها عند جمهور العلماء، وفي النهي عن صيام هذه الأيام والأمر بالأكل فيها والشرب سرُّ حسن، وهو أن الله تَعَالَى لما علم ما يلاقي الوافدون إلى بيته من مشاق السفر وتعب الإحرام، وجهاد النفوس على قضاء المناسك، شرع لهم الاستراحة عقب ذلك بالإقامة بمنى يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وأمرهم بالأكل فيها

(١) لطائف المعارف ص ٣٣٠-٣٣١ باختصار.

(٢) برقم ١٩٩٨.

من لحوم نسكهم، فهم في ضيافة الله ﷻ فيها لطفًا من الله بهم، ورأفة ورحمة، وشاركهم أيضًا أهل الأمصار في ذلك؛ لأن أهل الأمصار شاركوهم في حصول المغفرة والنصب لله والاجتهاد في عشر ذي الحجة بالصوم والذكر والاجتهاد في العبادات، وشاركوهم في حصول المغفرة، وفي التقرب إلى الله تعالى بإراقة دماء الأضاحي، فشاركوهم في أعيادهم، واشترك الجميع في الراحة في أيام الأعياد بالأكل والشرب، كما اشتركوا جميعًا في أيام العشر في الاجتهاد في الطاعة والنصب، وصار المسلمون كلهم في ضيافة الله ﷻ في هذه الأيام، يأكلون من رزقه ويشكرونه على فضله، ونُهِوا عن صيامها لأن الكريم لا يليق به أن يجيع أضيافه، فكانه قيل للمؤمنين في هذه الأيام: قد فرغ عملكم الذي عملتموه، فما بقي لكم إلا الراحة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) لطائف المعارف ص ٣٣٣ باختصار.

من مقاصد الحج وحكمه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧].

شرع الله ﷻ للحج لأهداف عظيمة، ومقاصد متنوعة، ومنافع عاجلة وأجلة في الدنيا والآخرة، فمن المنافع الدينية: العبادات البدنية من الصلاة والصوم والطواف والصدقات والزكاة والذكر، ونحر الهدى.. وغيرها، ومن المنافع الدنيوية: البيع والشراء، والأكل من لحوم الهدى، والإهداء.

«قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ قال: منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا، فما يصيبون من منافع البُدن والذبائح والتجارات،

وكذا قال مجاهد وغير واحد^(١).

«ولا خلاف في أن المراد بقوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، التجارة»^(٢).

قال ابن جرير - إمام المفسرين - رَحِمَهُ اللهُ: «وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: يشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم منافع لهم جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي إلى مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وضعت»^(٣).

وأعظم مقاصد الحج: إخلاص العبادة لله، وتوجيه القلوب إليه رَحِمَهُ اللهُ، وأنه الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين [١٦٣] [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. ولذلك شرع الله للحجاج أن يقولوا في تلبيتهم لبيك لا شريك لك.

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٠/ ٤٤).

(٢) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (١٤/ ٣٦٦).

(٣) تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ (٧/ ٥٨٣٠).

وكان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةً»^(١).

ومن مقاصد الحج: أن يتعلم الحجاج دين الله، ويتبصروا به في رحاب البيت العتيق من العلماء والمذكرين ما يجهلون من أحكام دينهم، وما يجهلون من أحكام حجهم وعمرتهم حتى يؤدوها على علم وبصيرة، وحتى يعبدوا الله في أرضهم وأينما كانوا على علم وبصيرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»^(٢).

وقال رضي عنه: «خُذُوا عَنِّي مَنْاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي، لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»^(٣).

ومنها: أن يتعارف المسلمون ويتواصوا بالحق ويتناصحوا فيما بينهم، ويساعد بعضهم بعضاً، ويواسي بعضهم بعضاً، فهم

(١) سنن ابن ماجه برقم ٢٨٩٠، وأصله في صحيح البخاري برقم ١٥١٧، وفيه حج النبي ﷺ على رحل وكانت زاملته، وصححه الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦١٧.

(٢) برقم ٢٢٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح الجامع الصغير (٧٢٧/٢) برقم ٣٩١٣.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٢٩٧.

يأتون من كل فج عميق من غرب الأرض وشرقها، وجنوبها
 وشمالها، يجتمعون في بيت الله العتيق وفي عرفات، وفي مزدلفة،
 وفي منى، في وقت واحد ولباس واحد، لا فرق بين عربي
 وأعجمي، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
 شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
 [الحجرات: ١٣].

ومن مقاصد الحج: الاستكثار من الصلوات والطواف بالبيت
 العتيق.

ومن المقاصد أيضًا الإكثار من ذكر الله عند أداء هذه الشعيرة
 العظيمة، قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
 أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ
 عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]،
 وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
 ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

أما حكم الحج فهي كثيرة، أكتفي ببعضها، فمن ذلك: أن
 التجرد من المخيط تذكير بلباس الأكفان بعد الرحيل، وإرشاد
 إلى التواضع، ونبذ الكبرياء.

ومنها: أن سواد الحجر الأسود تذكير للعباد بشؤم المعصية
 حتى على الجمادات، وعظم أثرها على القلب، قال ﷺ: «نَزَلَ

الْحَجْرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ»^(١).

وفي السعي بين الصفا والمروة تذكير بما حصل لأُم إسماعيل مع ابنها بواد لا زرع فيه ولا ماء، فسعت في قفر بين جبلين تطلب الماء لها ولصغيرها، حتى أغاثها الله وأنبع لها زمزم أفضل ماء على وجه الأرض.

وفي اجتماع الحجاج في صعيد عرفات على اختلاف أجناسهم وبلدانهم ولغاتهم، الصغير والكبير، والغني والفقير، والذكر والأنثى، تذكير بعرضات يوم القيامة، واجتماع الخلائق لفصل القضاء.

وفي نحر الهدي تذكير بما حصل لأبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام حينما أراد أن يذبح ابنه إسماعيل، ففداه الله بذبح عظيم.

وفي رمي الجمرات تذكير بالانقياد للأمر، وإظهار الرق والعبودية، والامثال من غير حظ النفس^(٢).

ويجمع هذه المقاصد والحكم كلها قوله صلى الله عليه وسلم: «وَالْحَجُّ

(١) سنن الترمذي برقم ٨٧٧، وقال: حديث ابن عباس رضي الله عنهما حديث حسن صحيح.
 (٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رحمته الله (١٦/ ١٩٧-٢١٥)، والخطب المنبرية، د. عبدالمحسن القاسم (٤/ ٨٠-٨٩)، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة رحمته الله (٦٣-٦٤).

الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١)، وقوله ﷺ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ١٧٧٣، وصحيح مسلم برقم ١٣٤٩.
 (٢) صحيح البخاري برقم ١٥٢١، وصحيح مسلم برقم ١٣٥٠.

الكلمة العاشرة

مِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

«فمن الكلمات العظيمة التي وردت النصوص بفضلها وعظم شأنها (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، وقد وردت نصوص بفضلها لو حدها، وكذلك مضمومة لأذكار أخرى، وأوصى بها النبي ﷺ عددًا من أصحابه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ازْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»، ثُمَّ أَتَى عَلِيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ! قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»^(١).

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فِي مسنده من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال: «أَمْرِي خَلِيلِي بِسَبْعٍ: أَمْرِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالِدُنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمْرِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمْرِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَمْرِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمْرِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمْرِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمْرِي أَنْ أَكْثِرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا رادٍّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر، ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَّا كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس، وكان هذا شأن هذه الكلمة، كانت كنزًا من كنوز الجنة فأوتيتها النبي ﷺ من كنز تحت العرش، وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمته الأمور بيديه، وفوض أمره إليه»^(٣).

(١) (٣٢٧/٣٥) برقم ٢١٤١٥، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٧/٢٨-٢٩).

(٣) شفاء العليل ص ١١٢.

ومعنى: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي: لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله»^(١).

«وهذه الكلمة شاملة وعامة، وهي استسلام وتفويض - كما تقدم - وتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى، فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا قوة له على القيام بشأن من شؤونه إلا بالله العظيم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقول: ولا حول ولا قوة إلا بالله يوجب الإعانة، ولهذا سنّها النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال المؤذن: حي على الصلاة، فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا قال: حي على الفلاح، قال المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقال المؤمن لصاحبه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شيء»^(٣).

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٣٩٣/٥).

(٢) فقه الأدعية والأذكار، د. عبدالرازق البدر، ص ٢٥٣ بتصرف.

(٣) الفتاوى (١٣/٣٢١-٣٢٢) باختصار.

ومن فضائل (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ): أنها كفارة للذنوب، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها مع ما معها من الأذكار الأخرى بدلاً عن القرآن في حق من لا يحسنه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن أبي أوفى قال: أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً، فعلمني شيئاً يجزئني من القرآن، فقال: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قال: فذهب، أو قام، أو نحو ذاك، قال: هذا لله ببره، فما لي؟ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارزُقني - أو: ارزُقني، واهدني، وَعَافِنِي»^(٢).

ومنها: أنها كفاية للعبد وحرزاً له من الشيطان، روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا

(١) مسند الإمام أحمد رحمته الله (١١ / ١٥) برقم ٦٤٧٩، وقال محققوه: إسناده حسن، إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أصح.

(٢) (٤٧٩ / ٣١) برقم ١٩١٣٨، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه.

خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ، قَدْ كُفَيْتَ وَهُدَيْتَ وَوُقِيْتَ، فَيَلْقَى الشَّيْطَانَ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ»^(١).

ومنها: أنها سبب لإجابة الدعاء، وقبول العبادة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَعَارَّ^(٢) مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٣).

ومنها: أنها باب من أبواب الجنة، روى الإمام أحمد من حديث قيس بن سعد بن عبادة أن أباه دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخدمه، فأتى عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقد صليت ركعتين، قال: فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم ٥٠٩٥، وصحيح ابن حبان برقم ٨١٩ واللفظ له، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٩) برقم ٤٢٤٩.

(٢) التعار: استيقاظ يصحبه كلام.

(٣) برقم ١١٥٤.

(٤) (٢٢٨/٢٤) برقم ١٥٤٨٠، وقال محققوه: حسن لغيره.

ومنها: أن من داوم عليها وجد قوة في بدنه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يذكر أثرًا في هذا الباب، وهو: «أن الملائكة لما أمروا بحمل العرش، قالوا: يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلما قالوها حملوه»^(١).

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يُخاف، وركوب الأهوال»^(٢).

وكان حبيب بن مسلمة يستحب إذا لقي عدوًا، أو ناهض حصنًا يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنه ناهض يومًا حصنًا فانهزم الروم، فقالها المسلمون وكبروا، فانصدع الحصن»^(٣).

تنبيه:

بعض الناس ينطق هذه الكلمة بشكل غير صحيح، فيقول: (لَا حَوْلَ لِلَّهِ)، وبعضهم يستخدمها في غير موضعها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وذلك أن هذه، أي: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) هي كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس

(١) الفتاوى (١٠/٣٣)، وهو من الإسرائيليات، والمستدرک علی مجموع الفتاوى ١٥٨/١.

(٢) الوابل الصيب، ص ١٨٦-١٨٧.

(٣) الوابل الصيب، ص ١٨٧، وأخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٧/١١٣).

يقولها عند المصائب، ويقولها جزعاً لا صبراً»^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



الأشهر الحرم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ شَهْرٍ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»^(١).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم الأشهر الحرم وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، ورجب، وقد ورد ذكر هذه الأشهر الحرم في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]

(١) صحيح البخاري برقم ٤٤٠٦، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٩ واللفظ له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ أي ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. فإنما أضافه إلى مضر ليبين صحة قولهم في رجب: أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما كانت تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وهو رمضان اليوم، فبين رَحِمَهُ اللهُ أنه رجب مضر، لا رجب ربيعة، وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد، لأجل مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل أشهر الحج شهراً وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمناً^(١).

فيا ترى ما هي خصائص الأشهر الحرم، وفضائلها، والأحكام المتعلقة بها؟

فمن خصائصها أن الذنوب فيها أعظم من غيرها، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنها أكد وأبلغ في الإثم من غيرها،

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/١٩٧).

كما أن المعاصي في البلد الحرام تُضاعف لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ بَظْمٍ يُظْلَمِ تَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام.

وقال قتادة في قوله ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: «إن الظلم في الأشهر الحرام أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء»، وقال: «إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل»^(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «خص الله تعالى الأربعة أشهر الحرم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها تشريفاً لها، وإن كان منهيًا عنه في كل الزمان، كما قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٧٩]»^(٢).

ومنها: «أنه يحرم فيها ابتداء القتال - ابتداء قتال الأعداء

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/١٩٨) باختصار.

(٢) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (١٠/١٩٩-٢٠٠).

على القول الراجح - لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]. وقال بعض أهل العلم: بل إن ابتداء القتال فيها نسخ بتحريمه كما في غيرها، ولكن الراجح أنه محرم - أعني الابتداء - إلا أن يبدأنا الكفار، أو يكون القتال إتمامًا لقتال سابق، فإنه لا بأس به»^{(١)(٢)}.

ومن فضائل الأشهر الحرم: أن أعمال الحج كلها تقع في ذي الحجة، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ قال البخاري: قال ابن عمر: هي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة^(٣). اهـ

وعمرُ النبي ﷺ الأربع كانت فيها، كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد علق على ذلك بقوله: لم يكن الله ليختار لنيبه ﷺ في عمره إلا أولى الأوقات وأحقها بها، وقال: فأولى الأزمنة بها - أي العمرة - أشهر الحج وذو القعدة أوسطها، وهذا مما نستخير الله فيه، فمن كان عنده فضل علم، فليرشد إليه^(٤).

وكذلك فيها عشر ذي الحجة التي أقسم الله بها في كتابه، وأخبر النبي ﷺ أنها من أفضل الأيام، وأن العمل الصالح

(١) أحكام من القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢ / ٢١).

(٢) ولمزيد من التفصيل انظر: تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧ / ١٩٨-١٩٩).

(٣) صحيح البخاري - باب قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾.

(٤) جامع الفقه لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، تحقيق الشيخ يسري السيد محمد ٣ / ٤٦٧.

فيها أعظم من غيرها، روى البخاري والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(١).

وفي الأشهر الحرم يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، وأيام التشريق، وهي من أعظم الأيام عند الله، وعيد أهل الإسلام، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»^(٢)»^(٣).

وفيها أيضًا: صيام شهر الله المحرم، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»^(٤).

وفيها: يوم عاشوراء الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن صيامه يكفر

(١) صحيح البخاري برقم ٩٦٩، وسنن الترمذي برقم ٧٥٧ واللفظ له.

(٢) يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٣) برقم ١٧٦٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٣١) برقم ١٥٥٢.

(٤) برقم ١١٦٣.

السنة الماضية^(١)، وهو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه.

فَاتِلَةٌ:

ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: «بارتكاب الذنوب؛ لأن الله سَبَّحَانِيَّ إِذَا عَظَّمَ شَيْئًا من جهة واحدة، صارت له حرمة واحدة، وإذا عَظَّمَهُ من جهتين أو جهات صارت حرمة متعددة، فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال.

وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله تعالى: ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣١]»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم ١١٦٢.

(٢) تفسير القرطبي (١٠/١٩٨-١٩٩).

الكلمة الثانية عشرة

صفة الصلاة على الجنابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

«فقد كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدى، مخالفاً لهدى سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يُعامل به الميت. وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره والسلام عليه،

والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا»^(١).

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تبين فضل الصلاة على الميت، وأنها سبب لثقل الموازين، وشفاعة للميت بدخول الجنة.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»^(٢). وفي رواية أخرى: «أن ابن عمر رضي الله عنهما لما بلغه هذا الحديث ضرب الحصى الذي كان في يده بالأرض، ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِعُوا فِيهِ»^(٤).

وقد جمع بعض أهل العلم بين حديث المئة وحديث الأربعين بأن حديث المئة أولاً، ثم تفضل الله تعالى وجعل

(١) زاد المعاد لابن القيم رحمته الله (١/٤٧٩).

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٧، وصحيح مسلم برقم ٩٤٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣٢٣، وصحيح مسلم برقم ٩٤٥.

(٤) برقم ٩٤٧.

الأربعين يقومون مقام المئة في قبول الشفاعة^(١).

والصلاة على الميت فرض كفاية، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن الصلاة على الميت فرض كفاية، وكذلك غسله وتكفينه ودفنه، وهذا كله مجمع عليه»^(٢).

وصلاة الجنازة يشترط فيها الشروط التي تُفرض في سائر الصلوات المكتوبة من الطهارة الحقيقية، والطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، واستقبال القبلة، وستر العورة... الخ.

قال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ الْجَنَازَةَ»، «قال البخاري: سماها صلاة، ليس فيها ركوع ولا سجود، ولا يُتكلّم فيها، وفيها تكبير وتسليم، وقال الحسن: أدركت الناس، وأحقهم بالصلاة على جنائزهم من رضوهم لفرائضهم، وإذا أحدث يوم العيد أو عند الجنازة يطلب الماء ولا يتيّم، وإذا انتهى إلى الجنازة وهم يصلون يدخل معهم بتكبيرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]. وفيه صفوف وإمام»^(٣).

وصفتها: أن يكبر أربع تكبيرات، وأن يقف بعد التكبيرة الرابعة وقبل التسليم قليلاً، وأن يضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره، والالتفات على يمينه في التسليم.

(١) دليل الفالحين لابن علان (٦/٤١١).

(٢) الأذكار للنووي ص ٢٦٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب سنة الصلاة على الجنائز.

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «ويكبر عليها -أي الجنابة- أربعاً أو خمساً إلى تسع تكبيرات، كل ذلك ثبت عن النبي ﷺ، فأيهما فعل أجزاءه، والأولى التنويع، فيفعل هذا تارة وهذا تارة كما هو الشأن في أمثاله، مثل أدعية الاستفتاح، وصيغ التشهد، والصلوات الإبراهيمية.. ونحوها». اهـ

وقال أيضاً: «وإن كان لا بد من التزام نوع واحد منها فهو الأربع؛ لأن الأحاديث فيها [أقوى و] أكثر [والمقتدي يكبر ما كبر الإمام]، وإليك الأحاديث:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»^(١).

وروى الطحاوي والبيهقي أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صلى على أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فكبر عليه سبعا - وكان بدرياً^(٢).

وأما التسع، فقد روى الطحاوي في مشكل الآثار من حديث عبد الله بن الزبير أن النبي ﷺ صلى على حمزة فكبر

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٣٣، وصحيح مسلم برقم ٩٥١.

(٢) شرح معاني الآثار (١/٤٩٦) برقم ٢٨٤٨، وسنن البيهقي الكبرى (٤/٥٩) برقم ٦٩٤٣، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: سنده صحيح على شرط مسلم. انظر: أحكام

عليه تسع تكبيرات^(١).

وهذا العدد هو أكثر ما ورد في التكبير على الجنازة، فيوقف عنده ولا يزداد عليه، وله أن ينقص منه إلى الأربع، وهو أقل ما ورد^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله - بعد ذكر الآثار والأخبار الواردة في ذلك: «وهذه آثار صحيحة فلا موجب للمنع منها، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يمنع مما زاد على الأربع، بل فعله هو وأصحابه من بعده»^(٣).

ويشعر له رفع يديه بعد التكبيرة الأولى لما رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة فرفع يديه في أول تكبيرة، ووضع اليمنى على اليسرى^(٤)، ثم يقرأ عقب التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب وسورة إن تيسر، لما رواه البخاري في صحيحه والنسائي في سننه من حديث طلحة ابن عبد الله بن عوف رضي عنه قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةَ وَجَهَرَ حَتَّى أَسْمَعَنَّا،

(١) شرح معاني الآثار (١/٥٠٣)، قال الألباني رحمته الله: إسناده حسن. وانظر: أحكام الجنائز ص ١٤٤.

(٢) أحكام الجنائز للألباني رحمته الله ص ١٤٥.

(٣) زاد المعاد (١/٤٨٩).

(٤) برقم ١٠٧٧، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/٣١٢) برقم ٨٥٩.

فَلَمَّا فَرَعَ أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَسَأَلَتْهُ، فَقَالَ: سُنَّةٌ وَحَقٌّ^(١).

ثم يكبر التكبيرة الثانية رافعاً يديه حذو منكبيه، أو حذو أذنيه، ثم يردهما على صدره، لما رواه البخاري في صحيحه: أن عبد الله بن عمر كان يرفع يديه - أي في كل تكبيرة على الجنازة^(٢).

ثم يصلي على النبي ﷺ كما يصلي في التشهد في صلاة الفريضة، لما رواه البيهقي في سننه، والحاكم في مستدركه من حديث أبي أمامة رضي عنه: أنه أخبره رجال من أصحاب النبي ﷺ في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الصلاة في التكبيرات الثلاث، ثم يسلم تسليمًا خفيًا حين ينصرف، والسنة أن يفعل من وراءه مثلما فعل إمامه^(٣).

ثم يأتي ببقية التكبيرات ويخلص الدعاء فيها للميت، لحديث: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»^(٤).

ومما ورد من الأدعية الثابتة عن النبي ﷺ ما رواه مسلم

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٣٥، وسنن النسائي برقم ١٩٨٦ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب سنة الصلاة على الجنازة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وله حكم الرفع، لأن مثله لا يثبت بالاجتهاد. الشرح الممتع (٥/٤٢٦).

(٣) سنن البيهقي (٧/٣٩١)، ومستدرك الحاكم (١/٦٨٦) برقم ١٣٧١، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز ص ١٥٥: وهو كما قال.

(٤) سنن أبي داود برقم ٣١٩٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود

في صحيحه من حديث عوف بن مالك قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِدْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»^(٢).

وإن كان طفلاً يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا»^(٣) وَسَلَفًا وَأَجْرًا»^(٤)، ثم يكبر التكبيرة الرابعة ويقف قليلاً ثم يسلم

(١) برقم ٩٦٣.

(٢) برقم ٣٢٠١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٦١٧/٢) برقم ٢٧٤١.

(٣) فرطاً: أي أجراً يتقدمنا، النهاية في غريب الحديث (٤٣٤/٣).

(٤) رواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٦٣٣، وقال الشيخ الألباني رحمته الله: إسناده حسن ولا بأس به في مثل هذا الموضع، وإن كان موقوفاً، إذا لم يتخذ سنة، أحكام الجنائز ص ١٦١.

تسليمة واحدة عن يمينه قائلاً: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»؛ لأن التسليمة الواحدة ثبتت عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ، فقد كانوا يسلمون في صلاة الجنازة تسليمة واحدة خفيفة عن اليمين^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة عشرة

مسائل تتعلق بصلاة الجنازة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه بعض المسائل المتعلقة بصلاة الجنازة، أشير إليها إشارة سريعة، ومن أراد التوسع فليراجع المسائل في مظانها.

١- المسبوق في صلاة الجنازة يستحب له أن يتم ما فاته من صلاة الجنازة، لقول النبي ﷺ: «فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»^(١).

فإذا أدرك الإمام في التكبيرة الثالثة كبر وقرأ الفاتحة، وإذا كبر الإمام الرابعة، كبر بعده وصلى على النبي ﷺ، فإذا سلم الإمام كبر المأموم المسبوق ودعا للميت موجزاً، ثم يكبر الرابعة ويسلم^(٢).

٢- الصلاة على الشهداء: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٦، وصحيح مسلم برقم ٦٠٢.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٣/١٤٩).

عن الصلاة على الشهداء: «والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها، لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين، وهذه إحدى الروايات عن الإمام أحمد وهي الأليق بأصوله ومذهبه»^(١).

٣- من السنة أن يقف الإمام عند رأس الرجل ووسط المرأة، وإذا كانت جناز كثيرة يقدم الرجل ثم الطفل الذكر ثم المرأة ثم الطفلة الأنثى، ويصلي عليهم جميعاً، ويجعل رأس الطفل عند رأس الرجل، ووسط المرأة عند رأس الرجل، وكذلك الطفلة؛ عملاً بالسنة»^(٢).

٤- «وكان من هديه ﷺ إذا فاتته الصلاة على الجنازة صلى على القبر»^(٣)، فصلى مرة على قبر بعد ليلة، ومرة بعد ثلاث، ومرة بعد شهر، ولم يُوقت في ذلك وقتاً»^(٤).

٥- وكان من هديه ﷺ الصلاة على الطفل، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث المغيرة بن شعبة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا وَيَمِينَهَا وَشِمَالَهَا قَرِيبًا، وَالسَّقَطُ يُصَلِّي عَلَيْهِ وَيُدْعَى

(١) تهذيب السنن (٤/٢٩٥).

(٢) أحكام الجنائز للشيخ ابن باز رحمته الله ص ٣٠-٣١ بتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣٣٧، وصحيح مسلم برقم ٩٥٤.

(٤) زاد المعاد (١/٤٩٣).

لِوَالِدَيْهِ بِالْعَافِيَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(١). وثبت في صحيح مسلم والنسائي أن النبي ﷺ صلى على صبي من الأنصار^(٢).

«والظاهر أن السقط إنما يُصلى عليه إذا كان قد نُفخت فيه الروح، وذلك إذا استكمل أربعة أشهر ثم مات، فأما إذا سقط قبل ذلك فلا»^(٣).

٦- «ولم يكن من هديه وسنته ﷺ الصلاة على كل ميت غائب، فقد مات خلق كثير من المسلمين وهم غيب فلم يصل عليهم، وصح عنه أنه صلى على النجاشي صلواته على الميت»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الصواب أن الغائب إن مات ببلد لم يُصل عليه فيه، صُلي عليه صلاة الغائب كما صلى النبي ﷺ على النجاشي، لأنه مات بين الكفار ولم يُصل عليه، وإن صلي عليه حيث مات لم يُصل عليه صلاة الغائب؛ لأن الغرض قد سقط بصلاة المسلمين عليه، والنبي ﷺ صلى على الغائب، وتركه، وفعله وتركه سنة، وهذا له موضع، وهذا

(١) (١١٨ / ٣٠) برقم ١٨١٨١، وقال محققوه: حديث صحيح، وقد اختلف في وقفه ورفعته، وعلى كل حال فعلى القول بوقفه له حكم الرفع لأن مثل هذا لا يقال بالرأي.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٦٦٢، وسنن النسائي برقم ١٩٤٧ واللفظ له.

(٣) أحكام الجناز للألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ١٠٥.

(٤) زاد المعاد (١/ ٥٠٠).

له موضع .. والله أعلم^(١).

٧- يُصلى على الجنازة في أي وقت إلا في ثلاثة أوقات كما ورد في صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نُقْبَرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِعَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ^(٢) حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ^(٣).

٨- وكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يصلي على الغال، ولا صاحب الدين، ولا من قتل نفسه^(٤).

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث جابر رضي الله عنه قال: مَاتَ رَجُلٌ، فَغَسَّلْنَاهُ، وَكَفَّنَاهُ، وَحَنَطْنَاهُ،

(١) زاد المعاد ١/ ٥٠١.

(٢) قائم الظهيرة: حال استواء الشمس، ومعناه: حين لا يبقى للقائم في الظهيرة ظل في المشرق ولا في المغرب. شرح صحيح مسلم للنووي ٦/ ٣٥٤.

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ نقلاً عن القاضي عياض: المراد بالطلوع في قوله ثلاث ساعات، ارتفاعها وإشراقها وإضاءتها لا مجرد ظهور قرصها، وهذا الذي قاله القاضي صحيح متعين لا عدول عنده للجمع بين الروايات. شرح صحيح مسلم ٦/ ٣٥٣. وللتفصيل راجع موسوعة الدرر رقم ٩ ص ٢٦٩-٢٧٧.

(٤) وكان هذا في أول الإسلام، فلما فتح الله عليه كان يصلي على المدين ويتحمل دينه، ويدع ماله لورثته، ففي الصحيحين أنه قال عليه الصلاة والسلام حين فتح الله عليه الفتوح: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا، فَعَلِيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ». صحيح البخاري برقم ٢٢٩٨، وصحيح مسلم برقم ١٦١٩.

وَوَضَعْنَاهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ تُوَضَّعُ الْجَنَائِزُ عِنْدَ مَقَامِ جِبْرِيلَ،
ثُمَّ آذَنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَجَاءَ مَعَنَا خُطْبَى، ثُمَّ قَالَ:
«لَعَلَّ عَلَى صَاحِبِكُمْ دَيْنًا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، دِينَارَانِ، فَتَخَلَّفَ،
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ أَبُو قَتَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمَا عَلَيَّ،
فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هُمَا عَلَيْكَ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ
مِنْهُمَا بَرِيءٌ»، فَقَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى عَلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِذَا لَقِيَ أَبَا قَتَادَةَ، يَقُولُ: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟»، حَتَّى كَانَ آخِرَ
ذَلِكَ، قَالَ: قَدْ قَضَيْتُهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الآنَ حِينَ بَرَدَتْ
عَلَيْهِ جِلْدُهُ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه
قال: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ
عَلَيْهِ»^(٢).

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عن الصلاة على الميت
الذي كان لا يصلي، هل لأحد فيها أجر أم لا؟ وهل عليه إثم إذا
تركها مع علمه أنه كان لا يصلي؟ وكذلك الذي يشرب الخمر وما
كان يصلي، هل يجوز لمن كان يعلم حاله أن يصلي عليه أم لا؟

فأجاب رحمته الله: "أما من كان مظهرًا للإسلام فإنه يجري عليه

(١) مستدرک الحاكم (٢/ ٣٧٠)، ومسند الإمام أحمد (٤٠٦/ ٢٢)، وقال محققوه: إسناده

حسن.

(٢) برقم ٩٧٨.

أحكام الإسلام الظاهرة من المناكحة، والموارثة، وتغسيله، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين.. ونحو ذلك، لكن من علم منه النفاق والزندقة، فإنه لا يجوز لمن علم ذلك منه الصلاة عليه، وإن كان مظهرًا للإسلام، فإن الله نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين، فقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقَمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦]، وأما من كان مظهرًا للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر، فهؤلاء لا بد أن يُصلي عليهم بعض المسلمين، ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجرًا لأمثاله عن مثل ما فعله، كما امتنع النبي ﷺ عن الصلاة على قاتل نفسه، وعلى الغال، وعلى المدين الذي لا وفاء له، وكما كان كثير من السلف يمتنعون من الصلاة على أهل البدع - كان عمله بهذه السنة حسنًا - . فإذا كان في هذا الهجر مصلحة راجحة كان حسنًا، ومن صلى على أحدهم يرجو له رحمة الله، ولم يكن في امتناعه مصلحة راجحة كان ذلك حسنًا، ولو امتنع في الظاهر ودعا له بالباطن ليجمع بين المصلحتين كان تحصيل المصلحتين أولى من تفويت إحداهما، وكل من لم يعلم منه النفاق وهو مسلم يجوز الاستغفار له والصلاة عليه، بل يشرع

ذلك ويؤمر به، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] . وكل من أظهر الكبائر فإنه تسوغ عقوبته بالهجر وغيره حتى ممن في هجره مصلحة له راجحة، فتحصل المصالح الشرعية في ذلك بحسب الإمكان.. والله أعلم. اهـ^(١)

٩- «ولم يكن من هديه ﷺ الراتب الصلاة على الجنابة في المسجد، وإنما كان يصلي على الجنابة خارج المسجد، وربما كان يصلي أحياناً على الميت في المسجد كما صلى على سهيل ابن بيضاء وأخيه في المسجد^(٢)، وكلا الأمرين جائز، والأفضل الصلاة عليها خارج المسجد. والله أعلم»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفتاوى (٢٤ / ٢٨٥-٢٨٧) باختصار.

(٢) صحيح مسلم برقم ٩٧٣.

(٣) زاد المعاد (١ / ٤٨٣).

الكلمة الرابعة عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ الآيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]،

ومن الآيات التي تحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ

لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ

ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا

مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَعَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نَخْزَنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ

إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ

مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ

دَيْرِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَأُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾
مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ
لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: ١٩٠-٢٠٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث كريب
مولى عبد الله بن عباس أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أخبره أنه
بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته قال: فَاضْطَجَعْتُ
فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا،
فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ
بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ
بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ
قَامَ إِلَى شَنْ مَعْلَقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي.
الحديث (١).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبيد بن عمير أنه سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي»، قلت: والله إنني لأحبُّ قربك وأحبُّ ما يسرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله! لم تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت عليّ الليلة آياتٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية كلها»^(١).

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «وفي الحديث فضل النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة خشيته وخوفه من ربه، وإكثاره من عبادته مع أنه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهو المنتهى في الكمال البشري، ولا جرم في ذلك فهو سيد البشر صلى الله عليه وسلم»^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هذه في

(١) صحيح ابن حبان برقم ٦١٩، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة

(١٤٧/١) برقم ٦٨.

(٢) السلسلة الصحيحة (١/١٤٨).

ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة: كواكب سيارات وثوابت، وبحار، وجبال، وقفار، وأشجار، ونبات، وزروع، وثمار، وحيوان، ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص.

﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلًا، كل هذا تقدير العزيز الحكيم، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول التامة الزكية، التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ»^(١). أي: لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم، بسرائرهم، وضمائرهم، وألسنتهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قال أبو سليمان الداراني: «إني لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة، ولي فيه عبرة»، وقال الحسن البصري: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة».

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي: ما خلقت هذا الخلق عبثًا، بل بالحق ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: عن أن تخلق شيئًا باطلاً ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من هو منزّه عن النقائص، والعيب، والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك، وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا، ووقفنا لعمل صالح تهدنا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ أي: أهنته، وأظهرت خزيه لأهل النار ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ أي: يوم القيامة لا مجير لهم منك، ولا محيد لهم عما أردت بهم.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ﴾ أي: داعيًا يدعو إلى الإيمان وهو الرسول ﷺ ﴿أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا﴾ أي يقول: آمنوا بربكم، فآمننا، أي فاستجبنا له واتبعناه ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: بإيماننا واتباعنا نبيك فاغفر لنا

ذنوبنا، أي: استرها ﴿وَكَفَّرَ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ أي: فيما بيننا وبينك ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ أي ألحقنا بالصالحين ﴿رَبَّنَا وَعَانِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ قيل: معناه على الإيمان برسلك، وقيل معناه على السنة رسلك.. وهذا أظهر.

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي على رؤوس الخلائق، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أي: لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك، وهو القيام يوم القيامة بين يديك.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: فأجابهم ربهم، كما قال الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
 روى سعيد بن منصور من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهَجْرَةِ بِشَيْءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: هِيَ أَوَّلُ ظَعِينَةٍ قَدِمَتْ عَلَيْنَا ^(١).

ومعنى الآية: أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوا ما سألوا - مما تقدم ذكره - فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك

(١) (١٣٦/٣) برقم ٥٥٢، وقال شيخنا د. سعد الحميد: سنده ضعيف لجهالة حال سلمة، وهو صحيح لغيره لمجيئه من طريق آخر صحيح عدا قوله: قالت الأنصار: هي أول ظعينة قدمت علينا، فهو حسن لغيره.

بفاء التعقيب، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قوله تعالى: ﴿ أَنِّي لَأَاضِيعُ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ﴾ هذا تفسير للإجابة، أي: قال لهم مخبراً أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى.

وقوله: ﴿ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ أي: جميعكم في ثوابي سواء، ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ أي تركوا دار الشرك، وأتوا إلى دار الإيمان، وفارقوا الأحباب، والخلان والجيران ﴿ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ أي: ضايقتهم المشركون بالأذى حتى ألبسواهم إلى الخروج من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: ﴿ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ﴾ أي: إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا ﴾ وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله، فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترا به، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ الآيات

صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَكْفُرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ»^(١).

ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَدْخُلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب: من لبن، وعسل، وخمر، وماء غير آسن.. وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثوابًا من عند الله، أضافه إليه، ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً، كما قال الشاعر:

إِنْ يُعَذَّبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطَ طِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي
﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ أي: عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً.

قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(١١٦) مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ يقول تعالى: لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة، والغبطة والسرور،

فعمّا قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتهين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجًا وجميع ما هم فيه ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

وأما المتقون لربهم المؤمنون، فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فلو قدر أنهم في دار الدنيا قد حصل لهم كل بؤس وشدة وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم والعيش السليم والسرور والحبور نزرًا يسيرًا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من برّه أجرًا عظيمًا، وعطاءً جسيمًا، وفوزًا دائمًا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة، أنهم خاشعون لله: أي مطيعون له، خاضعون متذللون بين يديه ﴿لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا ﴿ أَي: لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ﷺ، وذكر صفته، ونعته، ومبعثه، وصفة أمته، وهؤلاء خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هودًا أو نصارى.

قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وهذه الصفات توجد في اليهود، ولكن قليلًا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق، كما قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة مريم: ﴿ كَهَيْعَتِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَعٰلِمًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ يَدْعُونَ لَهُمُ اسْمُهُمْ فَجِثَّنٰهُمُ ۗ أَلْهُمْ لَهُمُ ٱللَّهُ ۗ يَخۡشَوۡنَهُمۡ مَخۡشَوۡةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۗ هَٰٓؤُلَآءِ سَوَآءٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ سَوَآءٌ مِّنۡ دُونِ ٱللَّهِ ۗ هَٰٓؤُلَآءِ لَآ يَفۡعَلُونَ شَيْۡئًا ۗ سَوَآءٌ مِّنۡ دُونِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [مريم: ١] بحضرة النجاشي ملك الحبشة، وعنده البطارقة والقساوسة، بكى وبكوا معه، حتى أخضبوا لحاهم^(١).

وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٦٣-٢٦٨) برقم ١٧٤٠، وقال محققوه: إسناده حسن.

إلى أصحابه وقال: «إِنَّ أَخَا لَكُمْ قَدْ مَاتَ فِقُومُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ»^(١)
يعني: النجاشي.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) حض المؤمنين على ما
يوصلهم إلى الفلاح، وهو الفوز والسعادة والنجاح، وأن
الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر الذي هو حبس النفس
على ما تكرهه من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب،
وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع
ذلك، والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك على
الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول
العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم ويمنعوهم من الوصول إلى
مقاصدهم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون بالمحسوب الديني
والدنيوي والأخروي، وتنجون من المكروه كذلك، فعلم من
هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة
المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحداً الفلاح
إلا بالإخلال بها أو ببعضها^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٣٤، وصحيح مسلم برقم ٩٥٣ واللفظ له.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤-٣٣٠)، وتفسير ابن سعدي ص ١٤٣-١٤٥.

والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة عشرة

من خصائص أمة محمد ﷺ (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله سبحانه وتعالى خص أمة محمد ﷺ بخصائص عظيمة لم تكن لغيرها من الأمم، فجعلها خير أمة، ورسولها أفضل الرسل، ودينها أحسن الأديان، فمن تلك الخصائص:

١- أن الله اختصها بالخيرية: قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. روى ابن ماجه في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «نُكْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً، نَحْنُ آخِرُهَا وَخَيْرُهَا»^(١)، وفي رواية: «أَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»^(٢).

(١) برقم ٤٢٨٨، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه (٤٢٦/٢) برقم ٣٤٦٠.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٤٢٨٨، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه (٤٢٦/٢) برقم ٣٤٦١.

٢- أنها أول الأمم تدخل الجنة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بِيَدِ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللَّهُ لَهُ»، قَالَ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»^(١).

٣- اختصاصها أنها أمة الوسط والشهادة على الناس: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ومعنى وسطاً أي: عدولاً خياراً^(٢)، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَي رَبِّ! فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾».

(١) برقم ٨٥٥.

(٢) برقم ٣٣٣٩، وتراجع الكلمة رقم ٥٠ من الجزء التاسع من موسوعة الدرر المنتقاة للمؤلف.

٤- أنها أكثر الأمم من أهل الجنة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَا رَجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَدَاكَ أَنْ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرْكِ، إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»^(١).

٥- أن صفوفها كصفوف الملائكة: روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَتُرِبَتُهَا طَهُورًا، وَأُعْطِيتُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزِ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطِهَا نَبِيٌّ قَبْلِي»^(٢).

٦- اختصاصها بصلاة العشاء: روى أبو داود في سننه من حديث

(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٢٨، وصحيح مسلم برقم ٢٢١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٥٢٢، وأشار إلى هذه الخصلة، وأحمد في مسنده (٢٨٧/٣٨)

برقم ٢٣٢٥١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «أَبْقَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، فَأَخْرَجْتَنِي حَتَّى ظَنَّ الظَّانُّ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ، وَالْقَائِلُ مِنَّا يَقُولُ: صَلَّى، فَإِنَّا لَكَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالُوا لَهُ كَمَا قَالُوا، فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْتَمُوا بِهِذِهِ الصَّلَاةِ فَإِنَّكُمْ قَدْ فُضِّلْتُمْ بِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَلَمْ يُصَلِّهَا أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ»^(١).

٧- أن سبعين ألفاً منهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انظُرْ هَاهُنَا، وَهَاهُنَا - فِي آفَاقِ السَّمَاءِ - فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢).

٨- أن أمته تأتي يوم القيامة وهم غرٌّ من السجود، محجّلون من الوضوء: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) برقم ٤٢١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/ ٨٥) برقم ٤٠٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٥، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠، وفي رواية: «مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَشِيَّاتٍ مِنْ حَشِيَّاتِ رَبِّي ﷺ». رواه ابن ماجه برقم ٤٢٨٦،

وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٤٢٦) برقم ٣٤٥٩.

أن النبي ﷺ قال: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنِ إِبِلِهِ»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهُ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ... الحديث» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن بسر المازني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالُوا: وَكَيْفَ تَعْرِفُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَثْرَةِ الْخَلَائِقِ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ دَخَلَتْ صَيْرَةً فِيهَا خَيْلٌ دُهِمُّ بِهِمْ، وَفِيهَا فَرَسٌ أَعْرُ مُحَجَّلٌ، مَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْهُ؟!»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ أُمَّتِي يَوْمَئِذٍ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِنَ الْوُضُوءِ» (٢).

٩- اختصاصها بيوم الجمعة، وأنهم أول من يُقضى لهم يوم القيامة أي الحساب: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وأبي حذيفة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ

(١) برقم ٢٤٧.

(٢) (٢٣٧/٢٩) برقم ١٧٦٩٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَّمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيِّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ»^(٢).

١٠- أن الله قبض رسولها قبلها: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَزَّزَ بِهَا إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا»^(٣) وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ»^(٤).

١١- أنها أقل عملاً وأكثر أجراً: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غَدَوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ

(١) برقم ٨٥٦، ورواه البخاري بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٨٧٦.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٤٢٩٠، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٤٢٧) برقم ٣٤٦٣.

(٣) أي: المتقدم إلى الماء ليهيئ السقي.

(٤) برقم ٢٢٨٨.

عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»^(١).

١٢- أن الله وضع عنهم الإصر والأغلال التي كانت على الأمم قبلهم: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

١٣- أن الله وضع عنهم الخطأ والنسيان وما استكروها عليه: روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنُّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٢).

١٤- أنها أول الأمم إجازة على الصراط: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَيُضْرَبُ

(١) برقم ٢٢٦٨.

(٢) برقم ٢٠٤٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٧)

برقم ١٦٦٢.

الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُحِيزُ،
وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسُلُ... الحديث» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ١٨٢.

(٢) انظر الجامع في الخصائص، للشيخ موسى بن راشد العازمي ص ٣١٥-٣٩٣.

من خصائص أمة محمد ﷺ (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فلا زال الحديث عن خصائص أمة محمد ﷺ، فمن ذلك:

١- أنها كالغيث لا يُدرى أوله خير أم آخره: روى الترمذي في سننه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ»^(١).

٢- أن الله جعل لها التيمم عند عدم وجود الماء: وهذا يدل على تفضيل الله لهذه الأمة على من سبقها من الأمم؛ لأنه لم يشرع في حقهم التيمم، ويدل على سعة رحمة الله بهذه الأمة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

(١) برقم ٢٨٦٩، وقال: حديث حسن، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في المشكاة

(٣/١٧٧٠): صحيح لطرقه، برقم ٦٢٧٧.

أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة: ٦].

روى أبو داود في سننه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ وَلَوْ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فَأَمْسَهُ جِدْلَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ»^(١).

٣- أن الله أحل لها الغنائم: قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَعَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(٢)، وفي رواية: «ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا»^(٣).

٤- أن الله أحل لها بعض الأطعمة: روى الإمام أحمد في

(١) برقم ٣٣٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/٦٧) برقم ٣٢١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٣٥، وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٢٤.

مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحَوْتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(١).

٥- أن الله يورثهم منازل اليهود والنصارى في الجنة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَائِكَ مِنَ النَّارِ»^(٢)، وفي رواية أخرى: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»^(٣).

٦- ومن خصائص أمته صلى الله عليه وسلم أن الله خصها بكثرة أنواع الشهادة: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلُ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٤).

(١) (١٦/١٠) برقم ٥٧٢٣، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) برقم ٢٧٦٧.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٧٦٧.

(٤) برقم ١٩١٥.

٧- أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يصلي خلف إمامهم في آخر الزمان: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ» (١).

والذي يظهر أن الذي يصلي عيسى خلفه هو المهدي، لما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرٌ بَعْضٍ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ» (٢).

٨- ومن خصائص أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقاء طائفة منهم على الحق حتى تقوم الساعة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة وثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ،

(١) برقم ١٥٦.

(٢) برقم ٣٣٨، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٣٦، وجود إسناد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في المنار المنيف ص ١٤٧-١٤٨، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: فالأمير في هذه الرواية هو المهدي في حديث الترجمة، وهو مفسر لها. وبالله التوفيق، السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٧٨).

حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١).

قال الإمام البخاري في صحيحه: «هم أهل العلم»^(٢)، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»^(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»^(٤).

٩- أن الله خصهم بالتأمين، واستقبال الكعبة في الصلاة: روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُمْ - أَي: الْيَهُودَ - لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ»^(٥).

١٠- إن الله لا يهلكها - أمة محمد ﷺ - بجوع ولا بغرق، ولا

(١) صحيح البخاري برقم ٧٣١١، وصحيح مسلم برقم ١٩٢٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ».

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/٦٧).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/٦٩).

(٥) (٤١/٤٨١) برقم ٢٥٠٢٩، وقال محققوه: حديث صحيح.

يعذبهم بعذاب عذب به من قبلهم، ولا يسלט عليهم عدوًّا من غيرهم فيستبيح بيضتهم: روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ زَوَى^(١) لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيْتُ الْكَنْزَيْنِ^(٢) الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أُعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ^(٣)، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ^(٤)، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٥)».

١١- أن الله خصها بعيد الأضحى وعيد الفطر: روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي عنه قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ

(١) زوى: معناه جمع.

(٢) المراد بالكنزين: الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر؛ ملكي العراق والشام.

(٣) السنّة: بفتح السين والنون: القحط والجذب. النهاية في غريب الحديث (٢/٣٧١).

(٤) فيستبيح بيضتهم: أي مجتمعتهم وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم، أراد: عدوًّا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم. النهاية في غريب الحديث (١/١٦٩).

(٥) برقم ٢٨٨٩.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبَدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ»^(١).

١٢- ومن خصائص أمته ﷺ أن الله وعدها بالتمكين في الأرض: قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك ولله الحمد والمنة، فإنه لم يمت رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة، وخيبر، والبحرين، وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر والاسكندرية - وهو المقوقس - وملوك عُمان، والنجاشي ملك الحبشة، الذي تملك بعد أصحابه رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرمه»^(٢).

(١) برقم ١١٣٤، ومسند الإمام أحمد (٦٥/١٩) برقم ١٢٠٠٦، وقال محققوه: إسناده

صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠/٢٦٣-٢٦٤).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ^(١) وَالرَّفْعَةِ، وَالدِّينِ، وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم بن أوس الداري رضي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وكان تميم الداري رضي عنه يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير، والشرف، والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية^(٣)^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي ارتفاع المنزلة والقدر عند الله. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٧٢).

(٢) (٣٥/ ١٤٤-١٤٥) برقم ٢١٢٢٢، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٨/ ١٥٤) برقم ١٦٩٥٧، وقال محققوه: إسناده صحيح على

شرط مسلم.

(٤) انظر الجامع في الخصائص، للشيخ موسى بن راشد العازمي ص ٣١٥-٣٩٣.

من خصائص الأنبياء ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله ﷻ خصَّ أنبياءه ورسله بخصائص لم يخصَّ بها سائر الناس، ومن تلك الخصائص:

١- الوحي: وهو أعظم خصائص الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١١٣]. وهذا الذي يميز الأنبياء عن غيرهم من الناس، أن دعوتهم وتبليغهم وحي من الله ﷻ سبحانه وهم معصومون في ذلك.

٢- عصمتهم من الكبائر: وهم معصومون منها، فلا تصدر منهم أبداً - قبل أو بعد بعثتهم، قال القاضي عياض: «أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات»^(١).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٣٢٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول، وأما صغائر الذنوب فذهب أكثر أهل العلم إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين منها، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقرون عليها، بل ينبهم الله عليها، فيبادرون بالتوبة منها»^(١).

وقال بعض أهل العلم أنهم معصومون من الصغائر المشتملة على الدنيا وسفاسف الأمور، وهذا قول حسن تعظيمًا لمقام النبوة، وتكريمًا لأصحاب الرسالات.

٣- أنها تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم: روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَنْ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ ﷺ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»^(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من خصائص الأنبياء صلوات الله

(١) فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (٤/٣١٩).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٥٦٩، وصحيح مسلم ٧٣٨ و١٢٥.

وسلامه عليهم»^(١).

قال السندي: قوله ﷺ: «وَلَا يَنَامُ قَلْبِي» أي: لا يغفل عما عليه من الإقبال على الله، وتلقي الوحي من الملك وغيره؛ ولهذا رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحي^(٢).

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه في حديث الإسراء، وفيه: «... وَالنَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ»^(٣).

٤- ومن ذلك أن ما تركوه بعد وفاتهم صدقة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَتْ بَعْدَ مَمُونَةٍ عَامِلِي، وَنَفَقَةَ نِسَائِي؛ صَدَقَةٌ»^(٤).

قال النووي رحمته: «جمهور العلماء على أن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يُورثون»^(٥).

قال ابن الملقن رحمته: «والحكمة من كون الأنبياء عليهم

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢٦٣).

(٢) شرح المسند للسندي (٥/١٩٥).

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٥٧٠.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٧٢٩، وصحيح مسلم برقم ١٧٦٠، ومسند الإمام أحمد برقم ٩٩٧٢ واللفظ له.

(٥) شرح صحيح مسلم (١٢/٣٠٣).

الصلاة والسلام لا يورثون، أمور منها: لئلا يتمنى قريبهم موتهم فيهلك بذلك، ومنها لئلا ينفر الناس عنهم ويظنوا فيهم الرغبة في الدنيا وجمعها لو ارثتهم، ومنها لئلا يفتن بعض الذين أسلموا وتابعوهم بظنهم فيهم الرغبة والجمع لو ارثتهم^(١).

قال تعالى: ﴿ كَهَيْعَصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أٰلِ يَعْقُوبَ ⑥ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ ﴾ [مريم: ١-٦].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: «فلم يسأل زكريا ﷺ من يرث ماله؛ لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح في تأويل الآية، وإنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ

(١) غاية السؤل في خصائص الرسول لابن الملقن ص ١٦٩.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٧.

أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ»^(١).

٥- ومنها أنهم لا يتعاملون بخائنة الأعين: روى أبو داود في سننه من حديث سعد، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَسَمَاهُمْ، وَابْنُ أَبِي سَرْحٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! بَايَعُ عَبْدَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَيَّ هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟» فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، إِلَّا أَوْمَأَتْ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ، قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنِ»^(٢).

٦- ومنها أنهم إذا لبسوا اللأمة^(٣) لا ينزعوها حتى يقاتلوا: روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم ٣٦٤١، ومسند الإمام أحمد (٤٦/٣٦) برقم ٢١٧١٥، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) برقم ٢٦٨٣، وصححه الألباني رحمته الله، كما في سنن أبي داود (٥١٠/٢) برقم ٢٣٣٤.

(٣) اللأمة: الدرع، وقيل: السلاح، النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢٠).

(٤) علقه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرُوعِي يَنْتَهُمُ﴾، ووصله

الإمام أحمد في مسنده برقم ١٤٧٨٧.

وهذا الحديث قاله رسول الله ﷺ في غزوة أحد، عندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الخروج إلى الكفار، فوافق على الخروج بناء على رأي شباب الصحابة، وكان رأيه أن يبقى في المدينة، فلما دخل بيته ولبس درعه تردد شباب الصحابة بالخروج، فلما خرج عليهم، قالوا: نبقي في المدينة، فقال رسول الله ﷺ... الحديث^(١).

٧- ومنها أن الأنبياء عليهم السلام يدفنون حيث قبضوا: روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اِخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: «مَا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ، اذْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ»^(٢).

٨- ومنها أن الأرض لا تأكل أجسادهم بعد وفاتهم: روى النسائي في سننه من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - أَيُّ يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ؟

(١) مسند الإمام أحمد (٢٣/١٠٠) برقم ١٤٧٨٧، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) برقم ١٠١٨، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (١/٢٩٨) برقم

قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ بِرُفُوحِنَا قَدْ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(١).

٩- ومنها أنهم يصلون في قبورهم: روى أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأنبياءُ أحياءُ في قبورِهِمْ يُصلُّونَ»^(٢).

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكَيْبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»^(٣). قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ثم اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هي حياة برزخية، وليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها، ومحاولة تكييفها وتشبيهها لما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا، فهي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى»^(٤).

١٠- إن زيادة توعكهم ليزداد لهم الأجر: روى الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه

(١) برقم ١٣٧٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي (١/ ٢٩٧) برقم ١٣٠١.

(٢) برقم ٣٤٢٥، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٦٢١.

(٣) برقم ٢٣٧٥.

(٤) السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رحمته الله (٢/ ١٩٠-١٩١).

قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللَّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ، قَالَ: «إِنَّا^(١) كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يَجُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى: مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»^(٣).

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمته: «وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيمانًا ازداد ابتلاءً وامتحانًا، والعكس بالعكس، ففيها رد على

(١) وفي رواية الإمام أحمد رحمته: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ».

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٤٠٢٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته كما في السلسلة الصحيحة (١/٢٧٤) برقم ١٤٤.

(٣) صحيح البخاري برقم ٥٦٦٠، وصحيح مسلم برقم ٢٥٧١.

ضعفاء العقول والأحلام الذين يظنون أن المؤمن إذا أُصيب
ببلاء كالحبس، أو الطرد، أو الإقالة من الوظيفة.. ونحوها، أن
ذلك دليل على أن المؤمن غير مرضي عند الله تعالى! وهو ظن
باطل، فهذا رسول الله ﷺ وهو أفضل البشر، كان أشد الناس
- حتى الأنبياء - بلاءً، فالبلاء غالباً دليل خير وليس نذير شرٍّ،
كما يدل على ذلك أيضاً الحديث السابق^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة عشرة

من خصائص النبي ﷺ

في القرآن الكريم والسنة النبوية (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد...

«فإن معرفة ما خص الله به نبينا محمد ﷺ من الأخلاق والفضائل مما يزيد الإيمان به ومحبه وتعظيمه، وذلك موجب لكمال الانقياد له والاتباع، ولن يؤمن عبد حتى يكون النبي ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، وعلامة حب العبد للرسول ﷺ أن ينزله المنزلة التي أنزله الله إياها، فيعظم أقواله، ويقدمها على قول كل أحد، ويقدم طاعته على هوى نفسه وشهواتها»^(١).

ومن خصائص النبي ﷺ في القرآن الكريم:

١- أن الله أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٤٤/٥).

ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ، وَلِتَنْصُرْتَهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا: أَفَرَرْنَا قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فالرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر لكان هو واجب الطاعة، المقدم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء، لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الربِّ جل جلاله لفصل القضاء بين عبادته، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هو المخصوص صلوات الله وسلامه عليه»^(١). وفي الحديث: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»^(٢).

٢- أن التوراة والانجيل بشرتا به وبأصحابه: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٠١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣/٣٤٩) برقم ١٥١٥٦، وشرح السنة للبغوي (١/٢٧٠) برقم ١٢٦، وحسنه محققاً شرح السنة، الأرنؤوط والشاويش.

الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم»^(١).

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا^(٢) لِلْأُمِّيِّينَ^(٣)، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيَّتِكَ الْمُتَوَكَّلُ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ^(٤) فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ^(٥) بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا^(٦).

(١) اليسير في اختصار تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ ص ٧١٦.

(٢) حرزًا: بكسر الحاء وسكون الراء، أي حصنًا.

(٣) الأميين: هم العرب.

(٤) السخاب: معناها رفع الصوت بالخصام.

(٥) قال الحافظ في الفتح (٤/٣٤٣): أي ملة العرب، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان.

(٦) برقم ٢١٢٥.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةُ: «هذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ، يعني أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفاً، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوي أمره، كالزراع يبدو بعد البذر ضعيفاً، فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه، فكان هذا من أصح مثل، وأوضح بيان»^(١).

٣- أن الله حجب الشياطين عن السموات لبعثه: قال تعالى عن لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلَأْتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسَمِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨-٩].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الْجِنُّ يَسْمَعُونَ الْوَحْيَ فَيَسْتَمْعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَزِيدُونَ فِيهَا عَشْرًا، فَيَكُونُ مَا سَمِعُوا حَقًّا، وَمَا زَادُوهُ بَاطِلًا، وَكَانَتِ النُّجُومُ لَا يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ أَحَدُهُمْ

لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبث جنوده، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»^(١).

٤- أن الله أراه جبريل ﷺ في صورته التي خلق عليها: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣].

روى الإمام مسلم من حديث مسروق قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها، قال: قلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ و قَالَ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(١٣)، قالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرأتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾^(٢٣) يعني: ولقد رأى محمد جبريل ﷺ الذي يأتيه بالرسالة عن الله ﷻ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله تعالى في سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى^(٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى^(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى^(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

(١) (٤/٢٨٤) برقم ٢٤٨٢، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) برقم ١٧٧.

أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ [النجم: ٥-١٠].

والدليل أن المراد بذلك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية، وهي المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: ١٣-١٦]. فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد الإسراء^(١).

٥- ومن خصائصه رحلة الإسراء والمعراج: وما حصل فيها من أحداث، وكذلك إمامته بالأنبياء في بيت المقدس، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدوته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره، ولا ربَّ سواه، فقد أسرى بعبده محمد صلوات الله وسلامه عليه في جنح الليل من المسجد الحرام وهو مسجد مكة، إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذي [بإيلياء] معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ولهذا جُمعوا له هنالك كلهم، فأهمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس

المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين" (١).

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ (٢) جَعْدٌ (٣)، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ (٤)، وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةً بِنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ، يَعْنِي: نَفْسَهُ، فَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَأَمَّتْهُمْ...» (٥).

٦- ومن خصائصه القرآن الكريم الذي نزل عليه مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والأحداث: قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيضٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٨/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٢) أي: خفيف اللحم، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٧٢).

(٣) جعد: فيها معنيان، أحدهما هو اكتناز الجسم، والثاني جعودة الشعر، والأول أصح. شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٣٩٧).

(٤) شنوءة: هي قبيلة معروفة سمووا بذلك من قولك: رجل فيه شنوءة، أي تقزز، وهو التباعد من الأذناس. شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٣٩٧).

(٥) برقم ١٧٢.

أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ، إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ ^(١)، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٢).

قال النووي رحمته الله: «معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته، وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار، مع اعتنائهم بمعارضته، فلم يقدرُوا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة» ^(٣).

٧- ومن خصائصه أنه خاتم النبيين وآخر النبيين بعثاً: قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال ابن كثير رحمته الله: «هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ﷺ،

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: أي أن معجزتي التي تحدت بها: الوحي الذي أنزل عليّ وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره. فتح الباري (٦/٩).

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٩٨١، وصحيح مسلم برقم ١٥٢ واللفظ له.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٣٦٤).

وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس»^(١).

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»^(٢).

٨- ومن خصائصه أن شرعه مؤبد إلى يوم القيامة، وناسخ لجميع الشرائع قبله: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. قال السيوطي: «استدل بهذه الآية على أن شرعه صلى الله عليه وسلم ناسخ لكل شرع قبله»^(٣).

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١١/١٧٥-١٧٦).

(٢) برقم ٥٢٣.

(٣) الخصائص الكبرى للسيوطي ص ٣٥٤.

بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

والخصائص كثيرة، وإنما ذكرت بعضاً منها للتذكير، ومن أراد التوسع فليراجع الكتب التي كُتبت في ذلك^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٥٣.

(٢) مثل: كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي رَحِمَهُ اللهُ، شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته، وفضائله وخصائصه لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، والجامع في الخصائص للشيخ موسى العازمي.

من خصائص النبي ﷺ

في القرآن الكريم والسنة النبوية (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله ﷻ قد أكرم نبيه بخصائص لم تكن لغيره من الأنبياء.

فمن خصائصه: أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ويُعطى لواء الحمد، وأول من يدخل الجنة، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ...»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ»^(٢).

(١) برقم ٢٤١٢.

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ٢٢٧٨.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمُجْمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأُعْطَى لِيَوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ»^(١).

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٢).

ومنها أنه أعطي الشفاعة العظمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَلِيْلٌ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٣) [الإسراء: ٧٩]. قال ابن جرير رحمه الله: «قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، فَذَكَرَ مِنْهَا.. وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ»^(٤).

(١) (٤٥١/١٩) برقم ١٢٤٦٩، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٢) برقم ١٩٧.

(٣) تفسير ابن جرير رحمه الله (٥٢٣٦/٧).

(٤) صحيح البخاري ٣٣٥، صحيح مسلم ٥٢١.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يعني بذلك الشفاعة العظمى التي يشفع فيها عند الله ﷻ ليأتي لفصل القضاء، وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم، حتى الخليل إبراهيم ﷺ وموسى الكليم ﷺ، وسائر النبيين والمرسلين والمؤمنين، ويعترف بها الأولون والآخرون، فهذه هي الشفاعة التي اختص بها دون غيره»^(١).

ومنها: أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال تعالى:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من خصائصه - صلوات الله وسلامه عليه - التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشریف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو - صلوات الله وسلامه عليه - في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة»^(٢).

ومن خصائصه: أنه أُعطي نهر الكوثر، وأن حوضه أعظم حياض الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢/١٧٥) باختصار.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٣/٨٨).

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حيث أنس بن مالك رضي عنه قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاة، فرفع رأسه متبسمًا، إما قال لهم، وإما قالوا له: لِمَ ضَحَكْتَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾، حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضيما قال: قال رسول الله ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أبيضٌ مِنَ الْوَرِقِ^(٢)، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْرَانُهُ^(٣) كَنْجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٤).

وروى الترمذي في سننه من حديث سمرة بن جندب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»^(٥).

(١) صحيح مسلم برقم ٤٠٠، ومسند الإمام أحمد (١٩/٥٤-٥٥) برقم ١١٩٩٦ واللفظ له.

(٢) قال النووي رحمته: الورق أي الفضة، شرح صحيح مسلم (١٥/٥٥).

(٣) الكيزان: جمع كوز، بضم الكاف، وهي الأباريق.

(٤) صحيح البخاري ٦٥٧٩، وصحيح مسلم ٢٢٩٢.

(٥) برقم ٢٤٤٣، وقال الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٤/١١٧-١٢٠) =

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «إن ثبت، فالمختص بنينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في سورة الكوثر»^(١).

ومن خصائصه: إقسام الله تعالى بحياته في القرآن، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾»^(٢)، يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون»^(٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أقسم تعالى بحياة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي هذا شرف عظيم، ومقام رفيع، وجاه عريض»^(٣).

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما خلق الله، وما ذرأ^(٤)، وما برأ^(٥) نفساً أكرم عليه من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]»^(٦).

ومنها: أن الميت يُسأل عنه في قبره، روى الإمام أحمد في

= برقم ١٥٨٩، وحصيلة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

(١) فتح الباري (١١/٤٦٧).

(٢) تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ (٦/٤٩٠٨).

(٣) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٨/٢٦٩).

(٤) ذرأ: أي خلق.

(٥) برأ: أي خلق.

(٦) تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ (٦/٤٩٠٨).

مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «... فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ، فَبِي تَفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَصَدَّقْنَاهُ... الحديث»^(١).

ومنها: أنه رحمة للعالمين حتى للكفار بتأخير العذاب، ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدتها خسر في الدنيا والآخرة»^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال: «أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ، رفع أحدهما وبقي الآخر: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾

(١) (١٣-١٢/٤٢) برقم ٢٥٠٨٩، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٤٥٨/٩).

وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣]»^(١).

ومن خصائصه: تحريم نكاح أزواجه من بعده أبداً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره أن يتزوجها من بعده، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين»^(٢).

روى ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أن رسول الله ﷺ قال لها: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟» قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: «فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

ومن خصائصه: أن الله أطلعه على الجنة والنار: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن حبان في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «نَظَرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْمَسَاكِينُ، وَنَظَرْتُ فِي النَّارِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، وَإِذَا أَهْلُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، وَإِذَا الْكُفَّارُ قَدْ أُمِرَ

(١) (٢٦٤/٣٢) برقم ١٩٥٠٦، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠٨/١١).

(٣) صحيح ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ برقم ٧٠٥٣.

بِهِمْ إِلَى النَّارِ»^(١).

قال ابن حبان في صحيحه: «اطلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معاً كان بجسمه، ونظره العيان تفضلاً من الله تَجَلَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ، وفرقاً فرق به بينه وبين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»^(٢).

ومن خصائصه: إيتاؤه جوامع الكلم، ومفاتيح خزائن الأرض: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي»^(٣). قال أبو هريرة رضي عنه: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتشلونها»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «جوامع الكلم التي خص بها رسول الله ﷺ أنه كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني»^(٥).

قال: «قوله ﷺ: أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي: يحتمل أن يكون هذا إشارة إلى ما فتح لأمته وجنوده من

(١) صحيح البخاري ٥١٩٦، وصحيح مسلم برقم ٢٧٣٦، وصحيح ابن حبان رحمته الله برقم ٧٤١٣ واللفظ له.

(٢) صحيح ابن حبان رحمته الله برقم ١٣٠٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٩٧٧، وصحيح مسلم برقم ٥٢٣.

(٤) أي تستخرجونها.

(٥) فتح الباري (٦/١٢٨) بتصرف.

الخزائن، كخزائن كسرى وقيصر، ويحتمل أن يكون المراد منه معادن الأرض التي فيها كالذهب والفضة، أي ستفتح البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن فتكون لأمته ﷺ^(١).

روى الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حيث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مَلِكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»^(٣) «(٤)»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح السنة (١٣/١٩٩).

(٢) زوى: أي جمع.

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/٢٢٢).

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٨٨٩، ومسند أحمد (٣٧/٧٨) برقم ٢٢٣٩٥، واللفظ له.

(٥) انظر: الجامع في الخصائص للشيخ موسى العازمي.

الكلمة العشرون

من خصائص جزيرة العرب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن جزيرة العرب من أفضل البلاد وأشرفها، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولهذه الجزيرة جملة أسماء، كلها مضافة إلى العرب لا غير، منها (جزيرة العرب) و(أرض العرب) و(بلاد العرب) و(ديار العرب) و(الجزيرة العربية) و(شبه الجزيرة العربية).

ومما يدل على شرفها أيضاً كثرة ما صنف فيها، كما أن شبه جزيرة العرب أكبر شبه جزيرة في العالم، فقد حماها الله تعالى بثلاثة أبحر من جهاتها الثلاث، غرباً وجنوباً وشرقاً، فيحدها غرباً بحر القلزم، و(الْقُلُزْم) مدينة على طرفه الشمالي، ويُقال بحر الحبشة، وهو المعروف الآن باسم (البحر الأحمر)، ويحدها جنوباً بحر العرب، ويقال: بحر اليمن، وشرقاً خليج البصرة (الخليج العربي)، والتحديد من هذه الجهات الثلاث بالأبحر المذكورة محل اتفاق بين المحدثين، والفقهاء،

والمؤرخين، والجغرافيين وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وتبعه في ذلك بعض أهل اللغة: «جزيرة العرب هي من بحر القُلُوم^(١) إلى بحر البصرة^(٢)، ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله»^(٣).

ومن خصائص هذه الجزيرة:

أولاً: أنها حرم الإسلام، ومعلمه الأول، وداره الأولى، فمنها انطلق الإسلام ليعم أرجاء المعمورة.

ثانياً: إن الشيطان قد يئس من اجتماع أهل الجزيرة على الشرك بالله تعالى، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»^(٤).

ومنذ أن بعث الله النبي ﷺ إلى يومنا هذا، والجزيرة دار

(١) بحر القُلُوم: هو المسمى الآن بالبحر الأحمر، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٢٧٤).

(٢) بحر البصرة: هو المسمى بالخليج العربي، وسُمي قديماً بحر فارس، معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٢٧٣-٢٧٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٥٤).

(٤) برقم ٢٨١٢.

إسلام والله الحمد، ولم يُعرف الشرك فيها إلا جزئياً على فترات في فرد أو أفراد، ثم يُهيىء الله على مدى الأزمان من يردهم إلى دينهم الحق.

ثالثاً: أن جزيرة العرب وقف في الإسلام على أهل الإسلام؛ على من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقام بحققهما، فهي دار طيبة لا يقطنها إلا طيب، ولما كان المشرك خبيثاً بشركه حرمت عليه جزيرة العرب.

وقد وردت النصوص بذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يترك بجزيرة العرب دينان»^(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عند موته بثلاث، منها: «أُخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»^(٣).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي عبيدة رضي الله عنه قال:

(١) برقم ١٧٦٧.

(٢) (٤٣/ ٣٧١-٣٧٢) برقم ٢٦٣٥٢، وقال محققوه: صحيح غيره.

(٣) برقم ٣١٦٨.

آخر ما تكلم به النبي ﷺ: «أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١).

وبناء على ذلك:

- ١- فليس لكافر دخول جزيرة العرب للاستيطان بها.
- ٢- ليس للإمام عقد الذمة لكافر، بشرط الإقامة لكافر بها، فإن عقده فهو باطل.
- ٣- أنه ليس للكافر اتخاذ شيء من جزيرة العرب دارًا، بتملك أرضٍ أو بناء عليها.
- ٤- لا تدفن جيفة كافر بها، فإن مات على أرض الجزيرة، نقل عنها إلا للضرورة كالتعفن، فتغيب جيفته في عماء من الأرض لا في مقبرة تعد لهم.
- ٥- أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية مثل الكنائس في بلاد المسلمين، وأنه لا يجوز اجتماع قبلتين في بلد واحد من بلاد المسلمين، ولا أن يظهر فيها شيء من شعائر الكفر، لا كنائس ولا معابد ولا غيرها، وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة بشأن المعابد الكفرية

(١) (٣/٢٢١) برقم ١٦٩١، وقال محققوه: إسناده صحيح.

مثل الكنائس، هذا نصها: «الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد: فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم في الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٨٦) وتاريخ ٥ / ١ / ١٤٢١ هـ، ورقم (١٣٢٦-١٣٢٧-١٣٢٨) وتاريخ ٢ / ٣ / ١٤٢١ هـ، بشأن حكم بناء المعابد الكفرية في جزيرة العرب مثل: بناء الكنائس للنصارى، والمعابد لليهود وغيرهم من الكفرة، أو أن يخصص صاحب شركة أو مؤسسة مكاناً للعمالة الكافرة لديه يؤدون فيه عباداتهم الكفرية... الخ.

وبعد دراسة اللجنة لهذه الاستفتاءات أجابت بما يلي: كل دين غير دين الإسلام فهو كفر وضلال، وكل مكان يُعد للعبادة على غير دين الإسلام فهو بيت كفر وضلال، إذ لا تجوز عبادة الله إلا بما شرع ﷺ في الإسلام، وشريعة الإسلام خاتمة الشرائع، عامة للثقلين الجن والإنس وناسخة لما قبلها، وهذا مجمع عليه بحمد الله تعالى.

ومن زعم أن اليهود على حق، أو النصارى على حق، سواء كان منهم أو من غيرهم فهو مكذب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ وإجماع الأمة، وهو مرتد عن الإسلام إن كان يدعي

الإسلام بعد إقامة الحجّة عليه إن كان مثله ممن يخفى عليه ذلك. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال عز شأنه: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسَلِمُوا ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال ﷺ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦].

وثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١). ولهذا صار من ضروريات الدين: تحريم الكفر الذي يقتضي تحريم التعبد لله على خلاف ما جاء في شريعة الإسلام، ومنه تحريم بناء معابد وفق شرائع منسوخة يهودية أو نصرانية أو غيرها؛ لأن تلك المعابد سواء كانت كنيسة أو غيرها تعتبر معابد كفرية، لأن العبادات التي تؤدى فيها على خلاف شريعة الإسلام الناسخة لجميع الشرائع قبلها والمبطله لها، والله تعالى يقول عن الكفار وأعمالهم: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

ولهذا أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٥، وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

مثل: الكنائس في بلاد المسلمين، وأنه لا يجوز اجتماع قبلتين في بلد واحد من بلاد الإسلام، وألاً يكون فيها شيء من شعائر الكفار لا كنائس ولا غيرها، وأجمعوا على وجوب هدم الكنائس وغيرها من المعابد الكفرية إذا أحدثت في أرض الإسلام، ولا تجوز معارضة ولي الأمر في هدمها بل تجب طاعته.

وأجمع العلماء - رحمهم الله تعالى - على أن بناء المعابد الكفرية ومنها: الكنائس في جزيرة العرب أشد إثماً وأعظم جرماً، للأحاديث الصحيحة الصريحة بخصوص النهي عن اجتماع دينين في جزيرة العرب، منها قول النبي ﷺ: «لا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»^(١). رواه الإمام مالك وغيره وأصله في الصحيحين.

فجزيرة العرب: حرم الإسلام، وقاعدته التي لا يجوز السماح أو الإذن لكافر لاختراقها، ولا التجنس بجنسيتها، ولا التملك فيها، فضلاً عن إقامة كنيسة فيها لعباد الصليب، فلا يجتمع فيها دينان إلا ديناً واحداً هو دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه ورسوله محمداً ﷺ، ولا يكون فيها قبلتان إلا قبلة واحدة هي قبلة المسلمين إلى البيت العتيق، والحمد لله الذي وفق ولاية أمر هذه البلاد إلى صد هذه المعابد الكفرية عن هذه

الأرض الإسلامية الطاهرة.

وإلى الله المشتكى مما جلبه أعداء الإسلام من المعابد الكفرية من الكنائس وغيرها في كثير من بلاد المسلمين.. نسأل الله أن يحفظ الإسلام عن كيدهم ومكرهم.

وبهذا يعلم أن السماح والرضا بإنشاء المعابد الكفرية مثل الكنائس أو تخصيص مكان لها في أي بلد من بلاد الإسلام من أعظم الإعانة على الكفر وإظهار شعائره، والله عزّ شأنه يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبد فيها، أو أن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة لرسوله، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه، أو أعانهم على فتحها وإقامة دينهم، وأن ذلك قرابة أو طاعة؛ فهو كافر، وقال أيضاً: من اعتقد أن زيارة أهل الذمة كنائسهم قرابة إلى الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك محرم عرّف ذلك فإن أصرّ صار مرتداً»^(١) انتهى.

عائدين بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهداية، وليحذر المسلم أن يكون له نصيب من قول الله تعالى:

(١) مجموع الفتاوى (١٦٢/٢٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبُرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٨]. وبالله التوفيق^(١).

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

الرئيس

عضو

عبد الله بن عبدالرحمن الغديان عبدالعزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

عضو

عضو

صالح بن فوزان الفوزان

بكر بن عبد الله أبو زيد

لما سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: عن استقدام النصارى من العمالة والخدم إلى جزيرة العرب، أجاز بقوله: «يجب أن يُعلم أنه لا يجوز استقدام الكفرة إلى هذه الجزيرة لا من النصارى ولا من غير النصارى؛ لأن رسول الله ﷺ أمر بإخراج الكفرة من هذه الجزيرة، وأوصى عند موته ﷺ بإخراجهم من هذه الجزيرة، وهي المملكة العربية السعودية، واليمن، ودول الخليج، كل هذه الدول داخلية في الجزيرة العربية، فالواجب

(١) فتوى برقم ٢١٤١٣، بتاريخ ١/٤/١٤٢١هـ.

ألا يُقر فيها الكفرة من اليهود، والنصارى، والبوذيين، والشيوعيين، والوثنيين، وجميع من يحكم الإسلام بأنه كافر لا يجوز بقاؤه ولا إقراره في هذه الجزيرة، ولا استقدامه إليها إلا عند الضرورة القصوى التي يراها ولي الأمر، كالضرورة لأمر عارض ثم يرجع إلى بلده ممن تدعو الضرورة إلى مجيئه أو الحاجة الشديدة إلى هذه المملكة وشبهها كاليمين ودول الخليج، أما استقدامهم ليقموا فيها فلا يجوز، بل يجب أن يُكتفى بالمسلمين في كل مكان، وأن تكون المادة التي تُصرف لهؤلاء الكفار تُصرف للمسلمين، وأن يُنتقى من المسلمين من يُعرف بالاستقامة والقوة على القيام بالأعمال حسب الطاقة والإمكان، وأن يُختار أيضًا من المسلمين من هم أبعد عن البدع والمعاصي الظاهرة، وألا يُستخدم إلا من هو طيب ينفع البلاد ولا يضرها، هذا هو الواجب، لكن من ابتلي باستقدام أحد من هؤلاء الكفرة كالنصارى وغيرهم، فإن عليه أن يبادر بالتخلص منهم وردهم إلى بلادهم بأسرع وقت»^(١).

٦- أنه لا يجوز إقرار ساكن بها وهو على الكفر: فإن وجد بها كفار فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف؛ ولذلك لا تثبت الجزية في رقابهم مع الإقامة بها.

٧- بما أن جزيرة العرب دار إسلام أبدًا، فهي جميعًا

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٤٥٤).

أرض عشر، لا تكون خراجية أبدًا؛ لأن الخراج بمنزلة الجزية، فكما لا تثبت في رقابهم مع الإقامة بها، لا تثبت في أرض تملكوها ظلمًا بها، لكنه الإسلام، أو السيف، أو الجلاء.

رابعًا: من خصائصها: أن الإسلام حين يضطهد في دياره خارجها فإنه ينحاز إلى هذه الجزيرة، ويأوي إليها فيجد كرم الوفادة بعد الغربة وطول المحنة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرُزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»^(١).

تنبيه:

ما ورد في فضائل مكة أو المدينة وهما من جزيرة العرب، فقد أفردت لكل منهما كلمة خاصة^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٤٦.

(٢) انظر: الجزء السابع من كتابي موسوعة الدرر ص ٣٧٧-٣٩٣.

(٣) هذه الكلمة مستفادة من كتاب خصائص جزيرة العرب للشيخ بكر بن عبد الله أبو

الكلمة الواحدة والعشرون

الهدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الكثيرة التي تبين فضل الهدية وفوائدها:

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «الهبة والصدقة والهدية والعطية معانيها متقاربة، وكلها تمليك في الحياة بغير عوض، واسم العطية شامل لجميعها، وكذلك الهبة. والصدقة والهدية متغايران، فإن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة»^(١).

والهدية مستحبة عند أهل العلم^(٢)، وقد ورد ذكر الهدية في القرآن الكريم، قال تعالى عن ملكة سبأ بلقيس في قصة سليمان: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥]. وقد امتنع سليمان عن قبولها؛ لأنه شعر أن ملكة سبأ بعثت بهديتها

(١) المغني لابن قدامة (٨/ ٢٣٩).

(٢) المغني لابن قدامة (٨/ ٢٤٠).

إغراء له لكي ينصرف عنها وعن قومها.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها"^(١). ومعنى يثيب عليها: أي يجازي المهدي بهدية أخرى.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ، أَهْدِيَةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَةٌ، ضَرَبَ بِيَدِهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَكَلَ مَعَهُمْ^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: أُنِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِلَحْمٍ، فَقِيلَ: تُصَدِّقُ عَلَيَّ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَةٌ»^(٣).

وكان الأنصار يهدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها أنها قالت لعروة ابن أختها: إِنَّ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَيْلَالِ، ثُمَّ الْهَيْلَالِ، ثُمَّ الْهَيْلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ نَارٌ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: يَا خَالَةَ، وَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ،

(١) برقم ٢٥٨٥.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٦، وصحيح مسلم برقم ١٠٧٧ باختلاف.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٧، وصحيح مسلم برقم ١٠٧٤.

وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَا^(١).

وحدث النبي ﷺ أمته على الهدية لما فيها من إفشاء المحبة وتوثيق أواصر الود بين المسلمين، وذهاب ما في النفوس من العداوة والبغضاء، فروى البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا»^(٢).

بل إنه عليه الصلاة والسلام حدث على الهدية ولو كانت شيئاً يسيراً جداً لما فيها من إدخال السرور على المسلم، فروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ»^(٤).

وكان النبي ﷺ يقبل قليل الهدية وكثيرها، فروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كِرَاعٍ^(٥) لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»^(٦).

قال ابن حجر رحمته الله: «وخص الذراع والكراع بالذكر

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٥٩، وصحيح مسلم برقم ٢٩٧٢.

(٢) برقم ٥٩٤، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الأدب المفرد برقم ٤٦٢.

(٣) الفرسن: هو موضع الحافر.

(٤) برقم ٢٥٦٦.

(٥) الكراع: من الدابة ما دون الكعب.

(٦) برقم ٢٥٦٨.

ليجمع بين الحقير والخطير؛ لأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها، والكراع لا قيمة له»^(١).

وقد ورد النهي عن رد الهدية إلا إذا كان هناك سبب يدعو إلى ذلك، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ، وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث الصعب بن جثامة رضي عنه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارًا وحشيًا وهو بالأبواء أو بودان، فردّه عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «أَمَّا إِنَّهُ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ»^(٣).

قال ابن حجر رحمته الله: «وفيه أنه لا يجوز قبول ما لا يحل من الهدية»^(٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي عنها قالت: قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَلِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ أَهْدَاهَا لَهُ، فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعُودٍ مُعْرِضًا عَنْهُ أَوْ بَبْعُضٍ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ دَعَا أُمَّامَةَ ابْنَةَ أَبِي

(١) فتح الباري (٥/١٩٩).

(٢) (٣٨٩/٦) برقم ٣٨٣٨، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٣، وصحيح مسلم برقم ١١٩٣.

(٤) فتح الباري (٥/٢٠٣).

العاص ابنة ابنته زينب، فقال: «تَحَلِّي بِهَذَا يَا بِنِيَّةُ»^(١).

ويُهدى للأقرب من القرابة أو النسب، أو المكان، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أعتقت وليدة لها، فقال لها: «وَلَوْ وَصَلْتِ بَعْضَ أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث طلحة بن عبد الله رجل من بني تميم بن مرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَأِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا»^(٣).

وهناك هدايا لا ترد، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ»^(٥).

(١) برقم ٤٢٣٥، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٧٩٦/٢) برقم ٣٥٦٤.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٥٩٤، وصحيح مسلم برقم ٩٩٩.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٥٩٥.

(٤) برقم ٢٥٨٢.

(٥) برقم ٢٢٥٣.

بعض الأحكام المتعلقة بالهدية:

١- لا يجوز الرجوع في الهدية: فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ، كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ مِنْهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَائِعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «لَا تَشْتَرِهِ، وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ»^(٢).

وقد استثنى بعض الفقهاء من ذلك رجوع الوالد عن هبته، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، إلا أن يتعلق به حق الغير^(٣)، واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ يُعْطِي عَطِيَّةً، ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ»^(٤).

٢- هل تقبل الهدية من النساء؟ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية

(١) صحيح البخاري برقم ٢٦٢٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦٢٣، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٠.

(٣) الفتاوى (٣٠٢/٣١).

(٤) سنن أبي داود برقم ٣٥٣٩، قال ابن حجر في فتح الباري (٥/٢١١): رجاله ثقات،

وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٦٧٦/٢) برقم ٣٠٢٣.

من النساء، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضيما قال: أهدت أم حفيد خالة ابن عباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أقطاً وسمناً وأضباً، فأكل النبي من الأقط والسمن وترك الضب تقدراً^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن بسر رضي عنه قال: «كانت أختي تبعثني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدية فيقبلها»^(٢). لكن محل هذا الجواز إذا أمنت الفتنة.

٣- أن المرأة إذا أهدت إلى زوجها شيئاً من الصداق فلا حرج على الزوج في قبوله والأكل منه: قال تعالى: ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

٤- إن كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق، وإثبات الباطل: فلا تقبل، كالهدية للقضاء والشرط، ومن عينهم الولاية من العمال والموظفين وغيرهم؛ ليعطوا صاحبها حقاً ليس له، أو يسقطوا حقاً لزمه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي حميد الساعدي رضي عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزدي، يُقال له: ابن اللثبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: «فهلَّا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي

(١) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٥، وصحيح مسلم برقم ١٩٤٧.

(٢) (٢٣٤/٢٩) برقم ١٧٦٨٧، وقال محققوه: إسناده حسن.

نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا، إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا حُورًا، أَوْ شَاةً تَيْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ، «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟.. ثَلَاثًا»^(١).

٥- يجوز الإهداء لغير المسلم تأليفًا لقلبه وترغيبًا له في الإسلام: ويدل على ذلك عمومات الأحاديث في الهدية، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها»^(٢) يعني: يرد بمثلها أو أحسن منها.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَتْهُ حُلَّةٌ، فَأَعْطَى عُمَرَ مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَوْتِنِيهَا، وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عَطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا»، فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخَاهُ مُشْرِكًا بِمَكَّةَ»^(٣).

لكن يحرم إهداء الكافر بمناسبة عيد الدين، نص على ذلك أهل العلم لأن فيه موافقة وإقرارًا وإعانة لما هم فيه من الضلال.

وقال الحجاوي: ويحرم شهود عيد اليهود والنصارى

(١) صحيح البخاري ٢٥٩٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٣٢.

(٢) برقم ٢٥٨٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ٨٨٦، وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٨، واللفظ له.

والبيع لهم فيه، ومهاداتهم لعيدهم^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فأما بيع المسلم لهم في أعيادهم ما يستعينون به على عيدهم من الطعام، واللباس، والريحان، ونحو ذلك، أو إهداء ذلك لهم فهذا فيه نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم، وهو مبني على أصل وهو أنه لا يجوز أن يبيع الكفار عبناً أو عصيراً يتخذونه خمراً، وكذلك لا يجوز أن يبيعهم سلاحاً يقاتلون به مسلماً»^(٢).

٦- يجوز قبول هدية الكافر سواء كان كتابياً أو غير ذلك، تأليفاً وترغيباً له في الإسلام، فقد قبل النبي ﷺ هدايا بعض الكفار، كهدية المقوقس وملك أيلة وغيرهم»^(٣).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي حميد الساعدي قال: أهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب إليه ببحرهم^(٤) - يعني بلدهم-^(٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) كشف القناع (٣/ ١٣١) بتصرف.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٤٩-٥١).

(٣) دليل المبتعث الفقهي، للشيخ فهد بن سالم ص ٢٦٢.

(٤) أي بلدهم، أو: المراد بأهل بحرهم، لأنهم كانوا سكاناً بساحل البحر، أي أنه أقره عليهم بما التزموه من الجزية.

(٥) برقم ١٤٨١.

أنس رضي عنه، أن أكيدر دومة الجندل أهدى النبي صلى الله عليه وسلم حلة (١).

وروى البخاري في صحيحه: أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة (٢).

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها، وهو عام في كل هدية (٣).

فيجوز قبول هداياهم التي يهدونها بسبب عيدهم ما لم تشتمل على محاذير أخرى كذبح لغير الله، أو خمر ونحو ذلك، ويجازيهم بهدية مثلها أو أحسن منها.

وقد ثبت عن بعض الصحابة رضي عنهم مثل ذلك، روى ابن أبي شيبه أن امرأة سألت عائشة رضي عنها قالت: إن لنا أظاراً (٤) من المجوس وأنه يكون لهم العيد فيهدون لنا، فقالت: أما ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا، ولكن كلوا من أشجارهم (٥).

(١) برقم ٢٦١٦، وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦١٧.

(٣) سبق تخريجه ص ١٨٤.

(٤) الأظار: جمع ظئر، وهي: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً، ولعل المقصود هنا الأقارب من الرضاعة. انظر: القاموس المحيط، فصل الظاء ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٥) ابن أبي شيبه (٨٧ / ٨) برقم ٤٤٢٣، وانظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم رحمته الله (١ / ٢٥٣).

وروى ابن أبي شيبة عن أبي برزة رضي الله عنه: أنه كان له سكان مجوس، فكانوا يهدون له في النيروز والمهرجان، فكان يقول لأهله: ما كان من فاكهة فكلوه، وما كان من غير ذلك فردوه^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بعد ذكر الآثار عن الصحابة: «فهذا كله يدل على أنه لا تأثير للعيد في المنع من قبول هديتهم، بل حكمها في العيد وغيره سواء، لأنه ليس في ذلك إعانة لهم على شعائر كفرهم»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ابن أبي شيبة (٨٨/٨) برقم ٤٤٢٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (٥٢/٢).

الكلمة الثانية والعشرون

الإيثار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تحث على الإيثار، قال القرطبي: «الإيثار: هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة»^(١).

«والأثرة عكس الإيثار، وهو استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه، وهي المرتبة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٢).

والأنصار هم الذين وصفهم الله بالإيثار في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ

(١) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ الجَامِع لأحكام القرآن (٢٠ / ٣٦٥).

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٣٣٠، وصحيح مسلم برقم ١٠٦١، واللفظ له.

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٩]. فوصفهم بأعلى مراتب السخاء، وكان ذلك فيهم معروفًا^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضُمُّ، أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي^(٢) سِرَاجَكَ، وَنَوْمِي صِبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً، فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا، وَأَصْبِحْتِ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمْتِ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ: عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢١٦).

(٢) قال في فتح الباري (٧/١٢٠): أي: أوقديه.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٧٩٨، وصحيح مسلم برقم ٢٠٥٤ بلفظ مختلف.

تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطَعَمَتَاهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»^(١).

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى الْإِيثَارِ، فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»^(٢).

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رضي عنهم يَأْخُذُونَ بِهَذَا التَّوْجِيهِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ، فَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي عنه قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُونِي عَلَى السُّوقِ، فَأَتَى السُّوقَ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقْطِ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، فَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رضي عنه: «مَهَيْمُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، فَقَالَ: تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً، قَالَ: «فَمَا سُقَّتِ إِلَيْهَا؟» قَالَ: وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ.

(١) برقم ٢٦٣٠.

(٢) برقم ٢٠٥٩.

قَالَ: «أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا^(٢) فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه لما طعن في مرضه الذي مات فيه، قال لابنه عبد الله: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَذْهَبَ إِلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلَهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِي، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، فَلَأَوْثَرْتُهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَهُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنْتُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ... الْحَدِيثُ»^(٤).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس إيثارًا، فروى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جَاءَتْ امْرَأَةٌ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٧٢، وصحيح مسلم برقم ١٤٢٧ بلفظ مختلف.

(٢) أرملاوا: أي فني طعامهم.

(٣) برقم ٢٤٨٦.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٣٩٢.

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِقَوْمٍ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟
 فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا
 حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكُسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ
 مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَلَمَّا قَامَ
 النَّبِيُّ ﷺ لَأَمَّهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنَتْ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ
 أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ
 شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ ﷺ، لَعَلِّي
 أَكْفَنُ فِيهَا (١).

«والإيثار على درجات:

الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً،
 ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً، يعني أن تقدمهم
 على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوّع، وتكسوهم
 وتعري، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب
 إتلاف لا يجوز في الدين... وكل سبب يعود عليك بصلاح
 قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحداً، فإن آثرت به
 فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم.

الثانية: إيثار رضا الله على رضا غيره، وإن عظمت فيه المحن،

وثقلت فيه المؤمن، وضعف عنه الطول والبدن. وإيثار رضا الله ﷻ على غيره: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق، وهي درجة الأنبياء وأعلاها للرسول عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا ﷺ، فإنه قاوم العالم كله وتجرد للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم، بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصوراً على إيثار مرضاة الله، وتبليغ رسالاته... فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ما نال صلوات الله وسلامه عليه.

هذا، وقد جرت سنة الله - التي لا تبديل لها - أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته، أن يُسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته، ويجعل محنته على يديه، فيعود حامده ذاماً، ومن آثر مرضاته ساخطاً، فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضات ربه وصل، وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه». ومعلوم أنه لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره، ولقد أحسن من قال:

فَلَيْتَكَ تَحْلُوَ وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَكَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثُّرَابِ تُرَابٌ
الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي
تفرد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلمت الإيثار إليه، فإذا آثرت
غيرك بشيء، فإن الذي آثره هو الحق لا أنت، فهو المؤثر على
الحقيقة، إذ هو المعطي حقيقة.

من الأسباب التي تعين على الإيثار:

١- **تعظيم الحقوق:** فإن من عظمت الحقوق عنده قام بواجبها
ورعاها حق رعايتها، واستعظم إضاعتها وعلم أنه إن
لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤديها كما ينبغي، فيجعل
إيثاره احتياطاً لأدائها.

٢- **مقت الشح:** فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار، فإنه يرى
أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار.

٣- **الرغبة في مكارم الأخلاق:** وبحسب رغبته فيها، يكون
إيثاره؛ لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق.

ويستطاع الإيثار بثلاثة أشياء: طيب العود، وحسن الإسلام،
وقوة الصبر.

من المعلوم أن المؤثر لرضى الله متصدداً لمعاداة الخلق،
وأذاهم، وسعيهم في إتلافه، ولا بد، هذه سنة الله في خلقه، وإلا
فما ذنب الأنبياء والرسل، والذين يأمرون بالقسط من الناس،

والقائمين بدين الله، الذابين عن كتابه وسنة رسوله عندهم؟
 فمن أثر رضى الله فلا بد أن يعاديه رذالة العالم، وسقطهم،
 وعرثاهم^(١)، وجهالهم، وأهل البدع والفجور منهم، وأهل
 الرياسات الباطلة، وكل من يخالف هديُهُ هديَهُ، فما يقدم على
 معاداة هؤلاء إلا طالب الرجوع إلى الله، عامل على سماع
 خطاب ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾﴾
 [الفجر: ٢٧-٢٨].

ومن إسلامه صلب كامل لا تزعزعه الرجال، ولا تقلقله
 الجبال، ومن عقد عزيمة صبره محكم لا تحله المحن والشدائد
 والمخاوف. وملاك ذلك أمران: الزهد في الحياة والثناء، فما
 ضعف من ضعف، وتأخر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء، وثناء
 الناس عليه، ونفرته من ذمهم له، فإذا زهد في هذين الشيئين،
 تأخرت عنه العوارض كلها، وانغمس حينئذ في العساكر، وملاك
 هذين الشيئين بشيئين: صحة اليقين، وقوة المحبة، وملاك هذين
 بشيئين أيضاً: بصدق اللجأ والطلب، والتصدي للأسباب الموصلة
 إليهما، فإلى هاهنا تنتهي معرفة الخلق وقدرتهم، والتوفيق بعد بيد
 من أزمة الأمور كلها بيده^(٢).

والفرق بين الإيثار، والسخاء، والجود: أن السخاء أعلى

(١) هم الجائعون.

(٢) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٢٠-٢٢٤) بتصرف واختصار.

مراتب العطاء والبذل، وهذه المراتب هي:

«الأولى: أن لا ينقصه البذل ولا يصعب عليه العطاء، وهذه مرتبة السخاء.

والثانية: أن يُعطي الأكثر، ويبقى له شيئاً، أو يُبقي مثل ما أعطى، وهذا هو الجود.

والثالثة: أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه، وهذه مرتبة الإيثار»^(١).

«من فوائد الإيثار:

- ١- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
 - ٢- دليل على علو الهمة، والبعد عن صفة الأثرة الذميمة.
 - ٣- أنه طريق موصل إلى الفلاح؛ لأنه يقي الإنسان من داء الشح.
 - ٤- دليل على المحبة والرحمة بالآخرين»^(٢).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢١٦-٢١٧) بتصرف.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٣/٦٢٩-٦٤٠).

الكلمة الثالثة والعشرون

أسماء النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من خصائص النبي ﷺ التي أكرمها الله بها كثرة الأسماء التي يُسَمَّى بها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. «وأسماءه عليه الصلاة والسلام كلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال»^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جبير ابن مطعم رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»^(٢).

قال السندي: «وكثرة الأسماء تدل على عِظَمِ المُسَمَّى،

(١) زاد المعاد لابن القيم (١/ ٨٤-٨٥).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٥٣٢، وصحيح مسلم برقم ٢٣٥٤ دون قوله: (لي خمسة).

فلذا يقال عند التحقير: هذا شيء لا يُعرف له اسم.. ونحوه، وقد جاء أنه ﷺ له أسماء آخر، فلعله خص هذه لشهرتها»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَتْحِ: «والذي يظهر أنه ﷺ أراد أن لي خمسة أسماء أختص بها لم يُسم بها أحد قبلي، أو معظمة أو مشهورة في الأمم الماضية، لا أنه أراد الحصر فيها»^(٢).

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»^(٣).

«قوله في الحديث: محمد، هو اسم مفعول من حمد، إذا كان كثير الخصال التي يُحمد عليها، وأما أحمد فهو أحمد الناس لربه، وأما قوله الماحي والحاشر والمقفي والعاقب، فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم، فالماحي: هو الذي محا الله به الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عباد أوثان، ويهود مغضوب عليهم،

(١) شرح السندي للمسد (٩/٤٩٠).

(٢) فتح الباري (٦/٥٥٦).

(٣) برقم ٢٣٥٥.

ونصارى ضالين، وصابئة دهرية لا يعرفون ربًّا ولا معادًا، وبين عباد الكواكب، وعباد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء، ولا يقرون بها، فمحا الله ﷻ برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، وأما الحاشر: فالحشر هو الضم والجمع، فهو الذي يحشر الناس على قدمه، فكأنه بُعث ليحشر الناس، والعاقب: الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي عقب الأنبياء، جاء بعقبهم.

وأما المقفي: فكذلك هو الذي قفى على آثار من تقدمه، فالمقفي الذي قفى من قبله من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم.

وأما اسمه المتوكل: ففي صحيح البخاري من حديث عطاء ابن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قُلْتُ: أَخْبَرَنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا

صُمَّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا^(١).

وأما نبي التوبة: فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله، وكان ﷺ أكثر الناس استغفارًا وتوبة، حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مئة مرة: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٢).

وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم، وأسرع قبولًا، وأسهل تناولًا، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم، وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

وأما نبي الملحمة: فهو الذي بعث لجهاد أعداء الله فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قط، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

وأما نبي الرحمة: فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا

(١) برقم ٢١٢٥.

(٢) سنن أبي داود برقم ١٥١٦، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ

(٢٨٣/١) برقم ١٣٤٢.

النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار، فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله، وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار، وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

وأما الفاتح: فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجأ، وفتح به الأعين العمي، والأذان الصم، والقلوب الغلف، وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، ففتح به الدنيا والآخرة، والقلوب، والأسماع، والأبصار، والأمصار.

وأما الأمين: فهو أحق العالمين بهذا الاسم، فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء، وأمين من في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

وأما الضحوك القتال: فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس، ولا مقطب، ولا غضوب، ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

وأما البشير: فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب، وقد سماه الله، عبده في مواضع من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ٩١]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ

الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴿ [الفرقان: ١]، وقوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿ [النجم: ١٠]، وقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴿ [البقرة: ٢٣]. وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»^(١).

وسماه الله سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً، والمنير هو الذي ينير من غير إحراق، بخلاف الوهاج: فإن فيه نوع إحراق وتوهج^(٢).

وقد اختلف العلماء في أسماء كثيرة، هل تصح نسبتها إلى النبي ﷺ أو لا؟ فأدى ذلك إلى اختلافهم في تعداد هذه الأسماء.

وقد كان من أهم أسباب الخلاف، أن بعض العلماء رأى كل وصف وصف به النبي ﷺ في القرآن الكريم من أسمائه، فعد من أسمائه مثلاً: الشاهد، المبشر، النذير، الداعي، السراج المنير، وذلك لقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٤٦-٤٥] ﴿ ٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ ٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٦-٤٥]

كما تقدم في كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «في حين قال آخرون من أهل العلم: إن هذه أوصاف وليست أسماء أعلام».

(١) صحيح مسلم برقم ٢٢٧٨، وفي رواية أحمد: ولا فخر (١٩/٤٥١) برقم ١٢٤٦٩.

(٢) زاد المعاد لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١/٩١-٩٤) باختصار وتصرف.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «بعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز»^(١). اهـ

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «وأكثرها صفات»^(٢).

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ بعدما ذكر خلاف العلماء في عدد أسماء النبي ﷺ: «وفي هذه الأعداد كثير من المبالغات، والصحيح أن أسماءه ﷺ أقل من ذلك بكثير، ولا يجوز اعتبار كل وصف ثبت له في الكتاب والسنة من أسمائه الأعلام، فضلاً عن أن أسمائه توقيفية، لا يجوز الزيادة عليها بما لم يرد في الكتاب والسنة الصحيحة.

والذي له أصل في النصوص: إما اسم وهو القليل، أو وصف وهو أكثر، وما سوى ذلك فلا أصل له، فلا يطلق على النبي ﷺ حماية من الإفراط والغلو، ويشتد النهي إذا كانت هذه الأسماء والصفات التي لا أصل لها فيها غلو وإطراء»^(٣).

وقال العلامة اللغوي ابن الطيب الفاسي: «وصف النبي ﷺ بما وصفه الله تعالى به في القرآن العظيم من كونه خاتم النبيين، سيراً على جادة الأدب؛ لأن وصفه بما وصفه الله به، مع ما فيه من المتابعة التي لا يرضى ﷺ بسواها، فيه اعتراف بالعجز عن

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٢).

(٢) تنوير الحوالك (٢/٢٦٣).

(٣) معجم المناهي اللفظية (٣٦٢-٣٦٣) بتصرف.

ابتداع وصف من الواصف، يبلغ به حقيقة مدحه عليه الصلاة والسلام؛ ولذا نجد الأكابر يقتصرون في ذكره عليه السلام على ما وردت به الشريعة الطاهرة كتاباً وسنة، دون اختراع عبادات من عندهم في الغالب»^(١). اهـ

فَأْتَدَبُهُ:

«أسماءه ﷺ نوعان:

- **أحدهما خاص:** لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمُقَفِّي، ونبي الملحمة.
- **والثاني:** ما يشاركه في معناه غيره من الرسل: ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والناذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح كفاية المتحفظ لابن الأجدابي ص ٥١.

(٢) زاد المعاد لابن القيم (١/٨٦).

الكلمة الرابعة والعشرون

صفات النبي ﷺ الخَلْقِيَّة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد تقدم الكلام في كلمة سابقة عن أخلاق النبي ﷺ والحديث في هذه الكلمة عن صفات النبي ﷺ الخَلْقِيَّة.

فقد كان النبي ﷺ قمة في الكمال والجمال في خلقه، فكم من رجل دخل في الإسلام لمجرد رؤيته رسول الهدى ﷺ ومشاهدة نور وجهه الشريف، فهذا عبد الله بن سلام حبر اليهود وأعلمهم بالتوراة، يقول: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل^(١) الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب»^(٢).

قال جَسَّافُ بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبْرَرًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

(١) انجفل: أي أسرع.

(٢) سنن الترمذي برقم ٢٤٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

«فرسولنا ﷺ كان أحسن الناس، وأجمل الناس، لم يصفه واصف قط إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، ولقد كان يقول قائلهم: لربما نظرنا إلى القمر ليلة البدر فنقول: هو أحسن في أعيننا من القمر، أحسن الناس وجهًا، وأنورهم لونا يتلألأ تتلألأ الكواكب، ولقد وصفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال:

أَمِينٌ مُصْطَفَى لِلْخَيْرِ يَدْعُو كَضَوْءِ الْبَدْرِ زَايِلُهُ الظَّلَامُ»^(١)
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وكان خلقه ﷺ وصورته من أكمل الصور، وأتمها، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله، فأكرمه الله بخلق حسن، وصورة جميلة، واجتمعت فيه المحاسن»^(٢).

وقد وردت أحاديث كثيرة تتضمن صفات خلقية عديدة للنبي ﷺ

أذكر بعضها منها:

١- فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعاً^(٣)، بعيد ما بين المنكبين^(٤)، عظيم الجمجمة^(٥) إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه^(٦).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/٤١٥).

(٢) الجواب الصحيح (٥/٤٣٨).

(٣) المربوع: هو متوسط القامة، فليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، وإنما هو وسط.

(٤) ما بين المنكبين أي الأيمن والأيسر، والمراد أنه ﷺ كان عريض أعلى الظهر.

(٥) الجمجمة: هنا الشعر، أي عظيم الشعر إلى شحمة الأذن، وإلا فإن الشعر الذي ينزل إلى شحمة الأذن يقال له الوفرة. شرح شمائل الترمذي، د. عبدالرزاق البدر، ص ٢٠-٢١.

(٦) صحيح البخاري برقم ٣٥٥١، وصحيح مسلم برقم ٢٣٣٧.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي جَبْهَتِهِ (١)، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشِيَّتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ (٢)، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا (٣)، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرٍ (٤) (٥).

٣- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِي لَيْلَةِ إِضْحِيَانٍ (٦)، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ، فَلَهُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ (٧).

وكان رسول الله ﷺ أزهر اللون، وهو الأبيض المستنير الناصع

(١) وفي رواية البيهقي في دلائل النبوة: «كأن الشمس تجري في وجهه». قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الفتح: قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحُسن في وجهه ﷺ، وفيه عكس التشبيه للمبالغة، قال: ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مقرًا ومكانًا للشمس. انظر فتح الباري (٦/٥٧٣). وقال السندي: وخص الجبهة بالذكر لأنها محل الظهور، شرح السندي على المسند (١٤/٢٥٨).

(٢) تطوى له الأرض: أي تقطع مسافتها بسهولة ويسر وسرعة. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/١٤٦) بتصرف.

(٣) إنا لنجهد أنفسنا: أي نحمل عليها في السير، يقال: جهد الرجل في الشيء: أي جد فيه وبالغ. انظر النهاية لابن الأثير (١/٣١٩).

(٤) وإنه لغير مكترث: أي غير مبال.

(٥) رواه الترمذي برقم ٣٦٤٨، والإمام أحمد في المسند (١٤/٢٥٨) برقم ٨٦٠٤، وقال محققوه: حديث حسن.

(٦) إضحيان: قال ابن الأثير: يقال: ليلة إضحيان، وإضحيانة: أي مضيتة مقمرة، النهاية في غريب الحديث (٣/٧٨).

(٧) رواه الترمذي برقم ٢٨١١، وقال: حديث غريب، ورواه الدارمي (١/٤٤)، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/٢٠٦) برقم ٧٣٨٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٩٦) بهذا اللفظ وفي آخره: «... فلهو كان في عيني أحسن من القمر»، وفي لفظ آخر عن جابر بن سمرة: «... فجعلت أمثال بينه وبين القمر». وأيضًا صححه الألباني رحمته الله، انظر: مختصر شمائل الترمذي له ص ٢٧.

البياض وهو أحسن الألوان، فلم يكن بالأبيض الأمهق الشديد البياض^(١)، ولم يكن بالآدم الشديد السمرة، وكان بياضه ﷺ مشرباً بحمرة. حتى كان الصحابة رضي الله عنهم كثيراً ما يتمثلون بنعت عمه أبي طالب إياه في لونه حيث يقول:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى^(٢) عِضْمَةٌ لِأَرَامِلِ
ويقول كل من سمع ذلك: هكذا كان النبي ﷺ.

وهذه طائفة مختارة من وصف الواصفين ونعت الناعتين لرسول الله ﷺ ممن حضره وعاصره تؤكد وتؤيد ما ذكر:

- عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يصف النبي ﷺ قال: كان ربعة^(٣) من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر^(٤) اللون، ليس بأبيض أمهق ولا آدم^(٥)، ليس بجعد^(٦) ققط^(٧) ولا سبط^(٨) رجل^(٩).

(١) الأمهق: هو اللون الذي لا يخالطه شيء من الحمرة، وليس بنير، وذلك كلون الجص. انظر: منال الطالب لابن الأثير، ص ٢٢٣.

(٢) ثمال اليتامى: أي: المملجأ والغياث والمطعم في الشدة، انظر لسان العرب (١١/٩٤).

(٣) ربعة: بفتح الراء وسكون الباء، أي كان متوسطاً بين الطول والقصر.

(٤) أزهر اللون: هو الأبيض المستنير وهو أحسن الألوان، والزهرة: البياض النير.

(٥) ولا آدم: الأدمة في الناس السمرة الشديدة.

(٦) ليس بجعد: الجعد بفتح وسكون: الشعر فيه التواء وانقباض.

(٧) الققط: بفتح القاف على الأشهر ويجوز كسر ثانيه: الشديد الجعودة.

(٨) ولا سبط رجل: السبط بفتح فكسر: الشعر المسترسل الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء أصلاً، ورجل: بفتح فكسر ومنهم من يسكن الجيم: أي متسرح. فالحاصل أن شعره ﷺ لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطه بل بينهما.

(٩) صحيح البخاري برقم ٧٤٥٣، وصحيح مسلم برقم ٢٣٤٧.

وعن الجريري عن أبي الطفيل رضي عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على وجه الأرض رجل رآه غيري، قال: فقلت له: فكيف رأيت؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً^(١)^(٢).

وعن علي بن أبي طالب رضي عنه أنه وصف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان عظيم الهامة^(٣)، أبيض، مُشرباً حمرة، عظيم اللحية، ضخم الكراديس^(٤)، شثن الكفين والقدمين^(٥)، طويل المسربة^(٦)، كثير شعر الرأس رجليه^(٧)، يتكفأ في مشيته كأنما ينحدر في صيب^(٨)، لا طويل، ولا قصير، لم أر مثله قبله ولا بعده صلى الله عليه وسلم^(٩).

- (١) مقصداً: هو الذي ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير. وقال شمر: هو نحو الرّبعة. والقصد بمعناه. وملح الشيء، من باب ظرف أي حسن فهو مليح.
- (٢) رواه مسلم برقم ٢٣٤٠.
- (٣) الهامة: الرأس، وعظم الرأس دليل على وفور العقل.
- (٤) الكراديس: جمع كردوس، وهو رأس كل عظم كبير، وملتقى كل عظمين ضخمين، كالمنكبين، والمرفقين، والوركين، والركبتين، ويريد به ضخامة الأعضاء وغلظها.
- (٥) شثن الكفين: أي غليظ الأصابع والراحة، قال ابن حجر رحمته الله، وقال ابن الأثير رحمته الله شثن الكف غليظ الكف، وقال أيضاً: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك في الرجال؛ لأنه أشد لقبضتهم، وأصبر لهم على المراس، ويذم في النساء. انظر: فتح الباري (١٠/٣٥٩)، والنهاية في غريب الحديث (٢/٤٤٤)، ولسان العرب (١٣/٢٣٢).
- (٦) المسربة: بفتح الميم وسكون السين وضم الراء، قال ابن الأثير: الشعر النابت على وسط الصدر نازلاً إلى آخر البطن، جامع الأصول (١١/٢٢٤)، وتحفة الأحوزي (١٠/١١٧).
- (٧) رجليه: أي يجمع بين الاسترسال والجعودة.
- (٨) أي: كأنما ينحط من صيب، أي يرفع رجليه من قوة وجلادة، والأشبه أن يتكفأ بمعنى صب الشيء دفعة. انظر: تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي (٥/٤٤٣).
- (٩) مسند أحمد (٢/٢٥٧) برقم ٩٤٤، وقال محققوه: حسن لغيره.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه^(١)، وتارة يضرب منكبيه^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر^(٣).

وعن مُحَرِّشِ الكعبي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً فاعتمر ثم رجع فأصبح بها كبائتٍ، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة^(٤) فضة^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم ٢٣٣٨.

(٢) صحيح البخاري ٥٩٠٣، وصحيح مسلم ٢٣٣٨.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل المحمدية ص ٢٧، وحسنه الألباني رحمته الله. انظر السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٥٣.

(٤) سبيكة فضة: سبك الذهب والفضة بمعنى ذوبه وأفرغه في قالب، والسبيكة: القطعة المذوبة منه. انظر: لسان العرب (٤٣٨/١٠)، والمراد تشبيهه ﷺ - كما في رواية النسائي - أو تشبيه ظهره الشريف بالقطعة من الفضة في البياض والصفاء.

(٥) أبو داود مختصراً برقم ١٩٩٦. ورواه النسائي برقم ٢٨٦٤، بلفظ: «أن النبي ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً كأنه سبيكة فضة، فاعتمر ثم أصبح بها كبائتٍ»، وصححه الألباني رحمته الله. انظر صحيح سنن النسائي برقم ٢٦٨٢.

الكلمة الخامسة والعشرون

المزاح - مشروعيته وآثاره

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فمن الأمور التي أباحها الشرع الحنيف، وفيها متعة وانبساط، مزاح المسلم مع إخوانه، وإدخال السرور عليهم، قال الزبيدي: «المزاح هو المباشطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف، وقد قال الأئمة: الإكثار منه والخروج عن الحد مخل بالمروءة والوقار، والتنزه عنه بالمرة والتقبض مخل بالسنة، والسيرة النبوية المأمور باتباعها، والاقتداء، وخير الأمور أوسطها»^(١).

ومن الأدلة على مشروعيته ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا

(١) تاج العروس (٦٦/٧) باختصار.

جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ! مَا فَعَلَ النَّغِيرُ^(١)؟». نغر كان يلعب به^(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح، وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال له: «يَا ذَا الْأُدُنَيْنِ»^(٤). قال أبو أسامة: يعني يمازحه.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا - أي تمازحنا -، قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(٥).

وروى أبو داود من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلاً

(١) النغر: قال عياض: النغير طائر معروف أشبه بالعصفور، وقيل: هي فرخ العصافير، وقيل: هي نوع من الحمر بفتح المهملة وتشديد الميم ثم راء، قال: والراجح أن النغير طائر أحمر المنقار. فتح الباري ١٠/٥٨٣-٥٨٤.

(٢) برقم ٦٢٠٣.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٨٤.

(٤) برقم ٣٨٢٨، قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن صحيح، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن الترمذي (٣/٢٣٤) برقم ٣٠٠٩.

(٥) برقم ١٩٩٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أتى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! احملي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ»، قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ؟»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيَجْهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتَنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسَلَنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟»، فَقَالَ زَاهِرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا وَاللَّهِ! تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ»، أَوْ قَالَ: «وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ»^(٢).

وروى الترمذي في الشمائل المحمدية: أن عجوزًا أتت إلى النبي ﷺ فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ»، قَالَ: فَوَلَّتْ

(١) برقم ٤٩٩٨، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٣) برقم ٤١٨٠.

(٢) (٢٠/٩٠-٩١) برقم ١٢٦٤٨، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

تَبْكِي، فَقَالَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (٣٧)» [الواقعة: ٣٥-٣٧] (١).

قال بكر بن عبد الله: «كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون - أي يترامون - بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال» (٢).

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: «الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبس، والمزاح على ضربين: مزاح محمود، ومزاح مذموم، فأما المزاح المحمود، فهو الذي لا يشوبه ما كرهه الله ﷻ، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم، وأما المزاح المذموم، فالذي يثير العداوة، ويذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويجريء الدنيا عليه، ويُحقد الشريف به» (٣).

والمزاح له ضوابط، فمن ذلك:

١- أن لا يكون فيه شيء من الاستهزاء بالدين، فإن الاستهزاء بالدين من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

(١) مختصر الشمائل المحمدية ص ١٢٨ برقم ٢٠٥، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في كتابه غاية المرام ٢١٥-٢١٦، والسلسلة الصحيحة برقم ٢٩٨٧.

(٢) صحيح الأدب المفرد، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ برقم ٢٠١.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٧.

«الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه»^(١). مثل الاستهزاء باللحية أو الثوب القصير، أو السواك، أو الحجاب، أو الصلاة، أو غيرها من السنن أو الواجبات.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فجانب الربوبية والرسالة والوحي والدين جانب محترم لا يجوز لأحد أن يعبث فيه، لا باستهزاء بإضحاك ولا سخرية، فإن فعل فإنه كافر؛ لأنه يدل على استهائه بالله ﷻ ورسله وكتبه وشرعه، وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله ﷻ مما صنع، لأن هذا النفاق، فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفر ويصلح عمله، ويجعل في قلبه خشية من الله ﷻ وتعظيمه، وخوفه، ومحبته، والله ولي التوفيق»^(٢).

٢- أن لا يكون المزاح إلا صدقاً، فقد روى الترمذي في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيَيْلٌ لَهُ، وَيَيْلٌ لَهُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا

(١) الفتاوى (٧/٢٧٣).

(٢) المجموع الثمين (١/٦٣).

(٣) برقم ٢٣١٤، وقال: هذا حديث حسن.

جُلَسَاءُهُ، يَهْوِي بِهَا مِنْ أُنْبَعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا»^(١).

٣- ألا يكون المزاح فيه ترويع للمسلم، روى أبو داود في سننه من حديث: عبدالرحمن بن أبي ليلي قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده رضي عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًّا»^(٣).

٤- ألا يكون المزاح فيه سخرية واستهزاء بالآخرين، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١]. قال ابن كثير رحمته الله: "المراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم والاستهزاء بهم، ويعد من صفات المنافقين"^(٤).

(١) (١٥/١٢٠-١٢١) برقم ٩٢٢٠، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) برقم ٥٠٠٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٤) برقم ٤١٨٤.

(٣) برقم ٥٠٠٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٤) برقم ٤١٨٣.

(٤) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٣/١٥٤) بتصرف.

٥- ألا يكثر منه فيصبح ديدنه، وإنما يكون المزاح بمقدار الملح في الطعام، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قال العلماء: «المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط، ويُداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويُورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما من سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله، فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادر من الأحوال لمصلحة وتطبيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا منع منه قطعاً بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة، فاعتمد ما نقلناه عن العلماء وحققناه في هذه الأحاديث، وبيان أحكامها، فإنه مما يعظم الاحتياج إليه. وبالله التوفيق»^(١).

٦- أن ينزل الناس منازلهم، فلا يصلح أن يمزح مع جميع الناس، فالكبير له قدره، وللعالم منزلته، فلا يمازح السفهيه ولا الأحمق ولا من لا يعرفه، قال سعيد بن العاص: «اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجري عليك السفهاء»^(٢).

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: «من مازح رجلاً من غير جنسه، هان عليه واجترأ عليه، وإن كان المزاح حقاً؛ لأن كل شيء لا يجب

(١) الأذكار من كلام سيد الأبرار للنووي ص ٥٢٦.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني (١/٣٤٦).

أن يسلك به غير مسلكه، ولا يظهر إلا عند أهله»^(١).

٧- اختيار الوقت المناسب، فلكل مقام مقال، قال رجل لسفيان بن عيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المزاح سبة، فأجابه قائلاً: بل هو سنة، ولكن لمن يحسنه ويضعه في موضعه^(٢).

ومن فوائد المزاح:

١- أن فيه منفعة، وانبساط مع الآخرين، وإدخال السرور عليهم، وتطيب لخواطرهم، روى الترمذي من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(٣). قال سفيان بن عيينة: إنما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمزح؛ لأن الناس مأمورون بالتأسي به والاقتراء بهديه، فلو ترك الطلاقة والبشاشة، ولزم العبوس والقطوب لأخذ الناس أنفسهم بذلك، على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء؛ فمزح ليمزحوا»^(٤).

٢- أن فيه تأليف للقلوب، وطررد للسأم والملل الذي يعتري كل إنسان.

٣- التخلص من الهموم والأحزان، وإبدالها بالسرور

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٧٠.

(٢) فيض القدير للمناوي بتصرف (١٣/٣).

(٣) برقم ١٩٥٦، وصححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح سنن الترمذي (١٨٥/٢) برقم ١٥٩٤.

(٤) فيض القدير للمناوي بتصرف (١٣/٣).

والانبساط، ولذلك لما جاء عمر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد اعتزل نساءه في مشربة له، فقال: يا رسول الله! طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «لَا»، ثُمَّ قُلْتُ - وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: لَا يَغْرَنَّاكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكَ، وَأَحَبَّ إِلَيَّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم - يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ أُخْرَى (١).

٤- قال ابن حبان وهو يتحدث عن المزاح: «وإذا كان من غير معصية فإنه يسلي الهم، ويرفع الخلة (٢)، ويحيي النفوس، ويذهب الحشمة، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما يتسبب بفعله إلى الحلاوة، ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٦٨، وصحيح مسلم برقم ١٤٧٩.

(٢) الخلة: الصداقة.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٩.

المحرمات في النكاح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه كلمة مختصرة عما يحرم نكاحه من النساء أردت بها التنبيه، وإلا فلا بد من الرجوع إلى كتب الفقه لمعرفة تفاصيل هذه المسائل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣].

فبينت الآيتين الكريمتين المحرمات من النساء وهن على

قسمين :

القسم الأول: اللاتي يحرم نكاحهن تحريمًا مؤبدًا، وهن أربع عشرة امرأة: سبع يحرم بالنسب - أي القرابة - وسبع يحرم بالسبب.

أولاً: اللاتي يحرم بالنسب - أي القرابة - وهن كالآتي:

١- الأم والجدة^(١) وإن علت، لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. ويعبر عنهن بأصول الإنسان.

٢- البنت، وبنت الابن، وبنت البنت، وبنت بنت الابن وإن سفلت؛ لقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾، ويعبر عنهن بفروع الإنسان.

٣- الأخت، شقيقة كانت أو لأب أو لأم، لقوله تعالى: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾، ويعبر عنهن بفروع الأبوين.

٤- بنت الأخت^(٢)، وبنت ابنها، وبنت بنتها وإن نزلت؛ لقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾.

(١) وتشمل الجددة لأم أو لأب.

(٢) شقيقة أو لأب أو لأم.

٥- بنت الأخ^(١)، وبنت بنت الأخ، وبنت ابنه وإن سفلت؛ لقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾.

٦- العمة: وهي أخت الأب، وعمة الأب، وعمة الأم، ويعبر عنهن بفروع الجددين من جهة الأب.

٧- والخالة: وهي أخت الأم، وخالة الأم، وخالة الأب، ويعبر عنهن بفروع الجددين من جهة الأم.

ثانياً: اللاتي يحرمن بالسبب: وهن كالاتي:

١- الملاعنة على الملاعن: لما روى أبو داود في سننه من حديث سهل بن سعد في هذا الخبر، قال: فطلقها ثلاث تطبيقات عند رسول الله ﷺ، فأنفذه رسول الله ﷺ، وكان ما صنع عند النبي ﷺ سنة، قال سهل: حضرت هذا عند رسول الله ﷺ، فمضت السنة بعد في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبداً^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد، وذكر قصة تلاعن رجل من الأنصار مع امرأته، وأنه طلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ، ففارقها عند النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ:

(١) الشقيق أو لأب أو لأم.

(٢) برقم ٢٢٥٠، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢/٢٤٢٤) برقم ١٩٦٩.

«ذَاكُمْ التَّفْرِيقُ بَيْنَ كُلِّ مُتْلَاعَيْنِ»^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله رَحِمَهُ اللهُ: ذاكم التفريق بين كل متلاعنين، فمعناه عند مالك والشافعي والجمهور بيان أن الفرقة تحصل بنفس اللعان بين كل متلاعنين، وقيل: معناه تحريمها على التأييد كما قال جمهور العلماء»^(٢).

٢- الرضاع: وسيأتي الكلام عليه في كلمة مستقلة^(٣).

٣- المحرمات بسبب المصاهرة: وهي القرابة الناشئة بسبب الزواج وهي كالاتي:

- زوجة الأب ومثلها زوجة الجد أب الأب وإن علا، وزوجة الجد أب الأم وإن علا، ويعبر عنهن بزوجات الأصول، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

- زوجة الابن، وزوجة ابن الابن، وابن البنت أيضًا، وهكذا زوجات الفروع دون بنت زوجة الأب: وهي ربيبة الأب، فهذه حلال ويجوز الزواج منها.

(١) برقم ١٤٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم (١٠/٣٦١).

(٣) الكلمة رقم ٢٧ من هذا الكتاب.

- أم الزوجة، ومثل أمها جميع أصولها من النساء، كأم أم الزوجة وإن علت، لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. وهؤلاء الثلاث يحرم من بمجرد العقد، سواء دخل بها أو لم يدخل.

- بنت الزوجة: وهي المسماة بالربيبة، فهي حرام على زوج أمها، لقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾. ولا يشترط في التحريم أن تكون الربيبة تربت في حجر زوج أمها، وإنما ذكر قيد الحجر لبيان الغالب، فهذه البنت تحرم على الرجل إذا دخل بأمها، فإن لم يدخل بها كأن طلق الأم، أو ماتت قبل الدخول، فإنه يجوز له نكاح ابنتها، لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

القسم الثاني: ما كان تحريمه منهن مؤقتاً:

الأول: ما يحرم من أجل الجمع:

١- الجمع بين الأختين، سواء كانتا من النسب أو من الرضاع، وسواء عقد عليهما معاً أو متفرقاً، لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾.

٢- الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، وبين المرأة وبنت أختها أو بنت أخيها، أو بنت ابنها، أو بنت ابنته، والقاعدة

هنا: أن الجمع بين كل امرأتين، لو فرضت إحداهما ذكراً لما جاز له أن يتزوج الأخرى، ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا، وَلَا عَلَى بِنْتِ أَخِيهَا، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى خَالَتِهَا، وَلَا الْخَالَةَ عَلَى بِنْتِ أُخْتِهَا، وَلَا تُنْكَحُ الْكُبْرَى عَلَى الصُّغْرَى، وَلَا الصُّغْرَى عَلَى الْكُبْرَى»^(١). وذلك لما يكون بين الضرائر من الغيرة، فإذا كانت إحداهما من أقارب الأخرى حصلت القطيعة بينهما، فإذا طلقت المرأة وانتهت عدتها، حلت أختها، وعمتها، وخالتها لانتهاء المحذور.

٣- لا يجوز أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، لقوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣]. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم من تحته أكثر من أربع أن يفارق ما زاد عن أربع^(٢).

الثاني: ما كاه تجريمه لهارض يزول:

١- يحرم تزوج المعتدة من الغير، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِنْدُ أَبْجَلَهُ﴾ [البقرة: ٥٣٢].

(١) سنن أبي داود برقم ٢٠٦٥، والترمذي برقم ١١٢٦، وقال حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في الإرواء (٦/٢٩٠).

(٢) سنن أبي داود برقم ٢٢٤١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في إرواء الغليل برقم

ومن الحكمة في ذلك أنه لا يؤمن أن تكون حاملاً فيفضي ذلك إلى اختلاط المياه، واشتباه الأنساب.

٢- يحرم تزوج من طلقها ثلاثاً حتى يطأها زوج غيره بنكاح صحيح، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلُ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

٣- يحرم تزوج الزانية إذا علم زناها حتى تتوب وتنقضي عدتها، لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

٤- يحرم تزوج المحرمة حتى تحل من إحرامها، للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ، وَلَا يُنْكَحُ، وَلَا يَخْطُبُ»^(١).

٥- يحرم تزوج الكافر بالمرأة المسلمة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٦- يحرم تزوج المسلم بالمرأة الكافرة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ﴾ [المتحنة: ١٠]. إلا

الحرمة الكتابية المحصنة، فيجوز للمسلم أن يتزوجها، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. وتكون الآية مخصصة لعموم الآيتين السابقتين في تحريم نكاح المسلمين للكافرات، وعلى ذلك جمهور أهل العلم^(١).

٧- يحرم على الحر المسلم أن يتزوج الأمة المسلمة؛ لأن ذلك يفضي إلى استرقاق أولاده منها، إلا إذا خاف على نفسه من الزنى ولم يقدر على مهر الحرية أو ثمن الأمة، فيجوز له حينئذ تزوج الأمة المسلمة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ...﴾ إلى قوله: ذَلِكَ ﴿... لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

٨- يحرم على العبد أن يتزوج سيده، فقد أجمع العلماء على حرمة ذلك؛ ولأنه يتنافى بين كونها سيده، وفي نفس الوقت زوجًا لها.

٩- يحرم على السيد أن يتزوج مملوكته؛ لأن عقد الملك أقوى من عقد النكاح، ولا يجتمع عقد مع ما هو أضعف منه.

(١) وللتفصيل في ذلك يراجع موسوعة الدرر المنتقاة للمؤلف (٩/ ١٣٥-١٣٨).

١٠- الوطاء بملك اليمين، حكمه حكم الوطاء في العقد فيما سبق إلى أمد، فمن حرم وطؤها بعقد كالمعتدة، والمحرمة، والزانية، والمطلقة ثلاثاً، حرم وطؤها بملك اليمين؛ لأن العقد إذا حرم لكونه طريقاً إلى الوطاء فلأن يحرم الوطاء من باب أولى^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء ص ٢٩٦-٣٠٠، والملخص الفقهي للشيخ الفوزان (٢/٣٣٩-٣٤٤).

الكلمة السابعة والعشرون

من أحكام الرضاع

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه كلمة مختصرة عما يحرم نكاحه من النساء بسبب الرضاع، أردت بها التنبيه على ما سواها، ومن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى كتب الفقهاء.

قال تعالى في سياق المحرمات من النساء: ﴿وَأُمَّهَاتِكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُم مِّن الرِّضَاعَةِ﴾ [النساء: ٣٢]. وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(١). وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنة حمزة: «إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَيَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الرَّحِمِ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٢٦٤٥، وصحيح مسلم برقم ١٤٤٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥١٠٠، وصحيح مسلم برقم ١٤٤٧ واللفظ له.

«والرضاع حكمه حكم النسب في النكاح والخلوة المحرمة، وجواز النظر، وتثبت هذه الأحكام بشرطين:

الشرط الأول: أن تكون خمس رضعات فأكثر؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ فِيهَا أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُنَّ مِمَّا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ^(١)، وهذا من نسخ التلاوة دون الحكم.

الشرط الثاني: أن تكون الخمس رضعات في الحولين، لقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٣٣٢]. فدللت الآية الكريمة على أن الرضاع المعتبر ما كان في الحولين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ»^(٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ، وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ»^(٣).

ومعناه: أنه لا يحرم من الرضاع إلا ما وصل إلى الأمعاء ووسعها، فلا يحرم القليل الذي لم ينفذ إليها ويوسعها، ولا يحرم إلا ما كان قبل الفطام، أي ما كان في زمن الصغر، وقام

(١) صحيح مسلم برقم ١٤٥٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦٤٧، وصحيح مسلم برقم ١٤٥٥.

(٣) سنن الترمذي برقم ١١٥٢، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في الإرواء برقم ٢١٥٠.

مقام الغذاء»^(١).

«قوله: في الحولين هذا شرط آخر، يعني: أن تكون الرضعات الخمس كلها في الحولين من ولادة الطفل، فإذا ولد في الواحد من محرم عام عشرين، فينتهي وقت الرضاع في الواحد من محرم عام اثنين وعشرين، فما دام في الحولين فالرضاع مؤثر، وإذا انتهت الحولان فالرضاع غير مؤثر، والدليل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. فقالوا: تمام الرضاعة في حولين، وما زاد فهو خارج، وما دونهما ناقص عن تمام الرضاعة؛ ولأن الحولين حدٌ فاصل بين قاطع، فكان أولى بالاعتبار من سواه.

وظاهر كلام المؤلف: أن الرضاع في الحولين مؤثر، سواء فطم الصبي أم لم يطم، حتى لو فرض أنه فطم في سنة، وفي السنة الثانية كان يأكل الخبز والجبن وكل شيء ورضع فالرضاع يؤثر، ولو كان لا يتغذى باللبن، فإنه ما دام في الحولين فرضاعه مؤثر.

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنْ العبرة بالفظام، فما كان قبل الفطام فهو مؤثر ولو كان بعد الحولين، وما كان

(١) الملخص الفقهي (٢/٤٣٥-٤٣٦).

بعد الفطام فليس بمؤثر ولو في الحولين، واستدل رَحْمَةُ اللَّهِ بِالْأَثَرِ والنظر، أما الأثر فالحديث المعروف: «لَا رَضَاعَ إِلَّا مَا أَنْشَزَ الْعَظْمَ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ»^(١)، ولم يقل: وكان قبل الحولين، وأما النظر فلأنه إذا كان يتغذى بغير اللبن - يعني بالطعام المعروف - فأى فرق بين من كان في الحولين ومن بعد الحولين؟! فكلا الطفلين لا يحتاج إلى اللبن، ولو رضع أربع مرات إلى صباح ثلاثين من ذي الحجة من السنة الثانية، ولما هلَّ محرم رضع الخامسة، فهو يؤثر أو لا يؤثر على قول من يرى أن العبرة بالحولين؟ لا يؤثر، فأى فرق بين هذه وبين قبل ساعة؟! ثم أي فرق بين طفل فطم للحول الأول، وصار يأكل الطعام وآخر يأكل الطعام في السنة الثالثة؟! لا فرق.

فالقول الراجح أن العبرة بالفطام، سواء كان قبل الحولين أو بعد الحولين، فلو فرض أن هذا الطفل نموه ضعيف، وصار يتغذى باللبن حتى تم له ثلاث سنوات، ففي السنة الثالثة رضاعه مؤثر على القول الراجح، وأما على قول من قال: العبرة بالحولين فرضاعه غير مؤثر، ولو فرضنا أن طفلاً فطم لأول سنة، وصار يأكل الطعام وأرضعناه في السنة الثانية، فهل الرضاع محرّم أو غير محرّم؟ على القول بأنه لا يؤثر إلا في الحولين فهو مؤثر، وعلى القول الثاني الذي رجحناه غير مؤثر،

(١) تقدم تخريجه ص ٢٣٤.

المهم يشترط في الرضاع المحرم أن يكون في وقت معين، إما في الحولين على ما مشى عليه المؤلف، وإما قبل الفطام على القول الراجح»^(١). اهـ

«ولكن يبقى النظر ما هي خمس الرضعات؟ أهي خمس مصات؟ أو خمسة أنفاس؟ أو خمس وجبات؟

بعضهم قال: خمس مصات لقوله ﷺ: «لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةُ، وَلَا الْمَصَّتَانِ»^(٢)، فعلق الحكم بالمص، وعلى هذا يمكن أن يثبت الرضاع في خلال ثلاث دقائق؛ لأنه إذا مص ثم بلع، ثم مص ثم بلع، ثم مص مرات ثبت الرضاع.

وبعضهم يقول: بل خمسة أنفاس، لقوله ﷺ: «لَا تُحَرِّمُ الْإِمْلَاجَةَ وَالْإِمْلَاجَتَانِ»^(٣)، والإملاج إدخال الثدي في فم الصبي، فما دام الثدي في فمه فلو مص مئة مرة فهو واحدة، وعلى هذا إذا مص ثم بلع ثم مص ثم بلع ثم مص ثم بلع في نفس واحد ثم أطلق الثدي ثم عاد، تكون الثانية هي الرضعة الثانية.

وبعضهم يقول: خمس وجبات، كما يقول: خمس أكالات، فلا بد من زمن يقطع اتصال الثانية بالأولى، أما ما دام في حجر

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٣/١٧٧-١٧٨).

(٢) صحيح مسلم برقم ١٤٥٠.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٤٥١.

المرأة فإنها رضعة واحدة، كما تقول: هذه أكلة، هذا غداء، هذا عشاء، وما أشبه ذلك، فالعشاء ليس كل لقمة ترفعها إلى فمك، بل مجموع اللقم، وكذلك الغداء فليس كل ثمرة تبلعها تكون غداء، إنما الغداء مجموع الأكل، وعليه فالمراد بالرضعة الفعلة من الرضاع التي تنفصل عن الأخرى، وأما مجرد فصل الثدي فهذا لا يعتبر رضعة في الحقيقة، فمثلاً لو أرضعته أول النهار الساعة الثامنة، ثم الساعة التاسعة، ثم الساعة العاشرة، ثم الحادية عشرة، ثم الثانية عشرة، فهذه خمس رضعات، فلو أرضعته في مكان واحد، وامتنص الثدي ثم أطلقه يتنفس، ثم عاد ورضع، ثم أطلقه ليتنفس، ثم عاد خمس مرات لكنها في جلسة واحدة فلا يؤثر على هذا القول.

فإذا قال قائل: أيهما أرجح؟ قلنا: الأصل عدم التأثير، ولا نتيقن التأثير إلا بخمس وجبات؛ لأن الأصل أنه لا يؤثر، فنأخذ بالاحتياط، والاحتياط ألا يؤثر إلا خمس وجبات، لا خمس مصات، ولا خمس أنفاس، وهذا اختيار شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله، وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

فإذا قال قائل: لماذا لا نجعل المصّات هي الأحوط؟ قلنا: هذا مشكل؛ لأننا إذا احتطنا من جهة، أهملنا من جهة أخرى، فمثلاً هذه طفلة رضعت خمس مصات، فإذا احتطنا، وقلنا: إن بنت المرضعة تكون أختاً للراضع يحرم عليه نكاحها،

أتانا أمر آخر ضد هذا الاحتياط، وهي أننا إذا قلنا: إنها أخته
لزم من ذلك أن يخلو بها، ويسافر بها، وتكشف وجهها له،
والاحتياط ألا تفعل، وهي لا تفعل هذا إلا إذا قلنا: إن الرضاع
مؤثر، فكذلك لا تحتاط من جهة إلا أهملت من جهة أخرى،
فنرجع إلى الأصل وهو عدم التأثير، ولذلك كان هذا القول هو
المتمشي على القواعد والأصول»^(١).

«ولو وصل اللبن إلى جوف الطفل بغير الرضاع، فحكمه
حكم الرضاع، كما لو قطر في فمه أو أنفه أو شربه من إناء ونحوه،
أخذ ذلك حكم الرضاع؛ لأنه يحصل به ما يحصل بالرضاع من
التغذية، بشرط أن يحصل من ذلك خمس مرات.

وأما ما ينشره الرضاع من الحرمة، فمتى أرضعت امرأة
طفلاً دون الحولين خمس رضعات فأكثر، صار المرتضع ولدها
في تحريم نكاحها عليه، وفي إباحة نظره إليها وخلوته بها،
ويكون محرماً لها، لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾
[النساء: ٣٢]. ولا يكون ولدًا لها في بقية الأحكام، فلا تجب
نفقتها عليه، ولا توارث بينهما، ولا يعقل عنها، ولا يكون ولياً
لها؛ لأن النسب أقوى من الرضاع، فلا يساويه إلا فيما ورد فيه
النص وهو التحريم، وما يتفرع عليه من المحرمية والخلوة.

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٣/٤٣١-٤٣٢).

ويصير المرتضع ولدًا لمن ينسب لبناها إليه بسبب حملها منه، أو سبب وطئه لها بنكاح أو شبهه، للحقوق نسب الحمل به في تلك الأحوال، والرضاع فرع عنه، فيكون المرتضع ولدًا له في الأحكام المذكورة في حق المرضعة فقط، وهي تحريم النكاح، وجواز النظر والخلوة والمحرمية دون بقية الأحكام.

ويكون محارم من نسب إليه اللبن، كآبائه، وأولاده، وأمهاته، وأجداده، وجداته، وإخوانه، وأخواته، وأولادهم، وأعمامه، وعماته، وأخواله وخالاته - يكونون محارم للمرتضع، ويكون محارم المرضعة - كآبائها وأولادها وأمهاتها وأخواتها وأعمامها ونحوهم، محارم للمرتضع.

وكما تثبت الحرمة على المرتضع تنتشر كذلك على فروعه من أولاده، وأولاد أولاده دون أصوله وحواشيه، فلا تنتشر الحرمة على من هو أعلى منه من آبائه وأمهاته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته، كما لا تنتشر إلى من هو في درجته من حواشيه وهو إخوانه وأخواته»^(١).

ومثاله: لو ارتضع زيد من خديجة، فإن أبا زيد وإخوان زيد وأعمام زيد لا علاقة لهم بأمه من الرضاع، إنما الذين لهم علاقة هم أبناؤه فقط، وعلى ذلك تباح المرضعة لأبي

(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٤٣٥-٤٣٨) بتصرف.

المرتضع وأخيه من النسب، يعني أخو المرتضع من النسب وأبو المرتضع من النسب تباح لهم أمه من الرضاعة، وكذلك أمه وأخته من النسب لأبيه وأخيه -يعني من الرضاع، فيجوز لأبيه من الرضاع أن يتزوج بأمه وأن يتزوج بأخته من النسب، وهذا الحكم محل إجماع على عدم انتشار المحرمية في أصول الرضيع؛ لأن الحديث قصر المحرمية على الرضيع فقط، ومن رضع من لبن امرأة موطوءة بعقد باطل أو بزنى، صار ولدًا للمرضعة فقط؛ لأنه لما لم تثبت الأبوة من النسب لم تثبت من الرضاع وهو فرعها.

ولبن البهيمة لا يحرم، فلو ارتضع طفلان من بهيمة لم ينشر الحرمة بينهما، واختلف في لبن المرأة إذا در لها لبن بدون حمل وبدون وطء تقدم، ورضع منه طفل.

فقيه: لا ينشر الحرمة؛ لأنه ليس بلبن حقيقة، بل رطوبة متولدة؛ ولأن اللبن ما أنشز العظم، وأنبت اللحم، وهذا ليس كذلك.

القول الثاني: أنه ينشر الحرمة، واختاره الموفق وغيره، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة، سئلت اللجنة: يقول السائل: لو أن شابة لم تتزوج ولم يُعقد عليها أرضعت طفلًا في الستين الأوليين من عمره رضاعًا مشبعًا تجاوز الخمس رضعات، هل

يُحرم حليبها وتصبح أمًّا له، أم أنه يشترط العقد الشرعي على
المرضعة قبل الإرضاع؟

الجواب: إذا درت على الطفل لبنًا، ورضع الطفل خمس
رضعات فأكثر في الحولين، فبذلك تصير أمًّا له من الرضاع،
ولو لم تتزوج، على الصحيح من قولي العلماء^(١).

«ويثبت الرضاع بشهادة امرأة مرضية في دينها، قال شيخ
الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كانت معروفة بالصدق، وذكرت
أنها أرضعت طفلًا خمس رضعات، فإنه يقبل قولها على
الصحيح، ويفرق بينهما إذا تزوجها»^(٢).

روى البخاري في صحيحه من حديث عقبة بن الحارث:
أن النبي ﷺ أمر عقبة ابن الحارث أن يفارق امرأته لما ذكرت
الأمّة السوداء أنها أرضعته^(٣).

وإن شك في وجود الرضاع، أو شك في كماله خمس
رضعات وليس هناك بينة، فلا تحرم، لأن الأصل عدم
الرضاع^(٤).

(١) فتوى اللجنة الدائمة برقم ٢٥١٩١.

(٢) الفتاوى (٥٢/٣٤).

(٣) برقم ٢٦٤٠.

(٤) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٤٣٨/٢).

«مسائل في الرضاع:

المسألة الأولى: هل يحرم من الرضاع ما يحرم من المصاهرة، أو من النسب فقط؟

المحرمات بالمصاهرة من جهة الرضاع أربعة: أم الزوجة، وبنت الزوجة، وأب الزوج، وابن الزوج من الرضاع، يعني أب الزوج من الرضاع، وأم الزوجة من الرضاع، وبنت الزوجة من الرضاع، هذه الأربع نساءهن فقط المحرمات بالمصاهرة، فهل يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمصاهرة، أو ما يحرم من النسب فقط؟

المسألة فيها خلاف، مثال للمسألة: هل يحرم على أب الإنسان من الرضاع زوجته، أو هل تحرم زوجة الإنسان على أبيه من الرضاع أو لا تحرم؟

ذهب جمهور أهل العلم وحكى إجماعاً أنه يحرم، واستدلوا بالعمومات كقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. فإن أم الزوجة من الرضاع أم فتحرم، فتدخل في التحريم.

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم إلى أنها لا تحرم، واستدلوا على هذا بأن النبي ﷺ قال: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا

يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(١). فلا تدخل في ذلك المصاهرة. والأحوط القول الأول.

المسألة الثانية: رضاع الكبير، والمقصود بالكبير من تجاوز السنين، اختلف العلماء في تأثير رضاع الكبير على ثلاثة أقوال:

١- القول الأول: وهو مذهب الجماهير، أنه لا يؤثر مهما كانت الظروف.

٢- القول الثاني: أن رضاع الكبير يؤثر مطلقاً.

٣- القول الثالث: أن رضاع الكبير يؤثر عند الحاجة الماسة، وإذا دعت إليه الضرورة، وهو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، واستدلوا على ذلك بالقصة المشهورة: أن سالمًا مولى أبي حذيفة لما كبر شق على أبي حذيفة أن يدخل بيته، فاستفتوا النبي ﷺ، وقال النبي ﷺ: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ»^(٢). فدل هذا الحديث على أنه إذا دعت الحاجة كما في حديث سالم، فإنه يجوز أن يرضع الكبير ويؤثر.

والراجع القول الأول، وأن الحديث خاص بسالم مولى أبي

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٤٥٣.

حذيفة وسهلة بنت سهيل، وليس عامًّا للأمة، وهذا ما قاله
غالب أزواج النبي ﷺ ورجحه جمهور أهل العلم»^{(١)(٢)}.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة (١٧/١٩٣-١٩٤).
(٢) شرح د. أحمد الخليل، موجود على موقع الشيخ.

الكلمة الثامنة والعشرون

الرقابة الذاتية في الوقت المعاصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ففي وقتنا المعاصر ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، والإعلام بأنواعه المختلفة، المقروء، والمسموع، والمرئي، أصبح المؤمن يتعرض للفتن ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً؛ ولذلك لا بد للمؤمن أن يجعل مراقبة الله سبحانه وتعالى دائماً بين عينيه، والمقصود بالمراقبة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه»^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

"فأخبر تعالى نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته،

وجميع الخلائق في كل ساعة وأن ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، لقوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فإذا كان هذا علمه بحركات الجمادات، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة»^(١).

«وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]. أي: يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله به وسمعه لهم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨]. ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضًا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو ^{مُجِيبٌ} مطلع على خلقه، لا يغيب عنه

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/ ٣٧٤).

من أمورهم شيء»^(١).

روى ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَشُورًا»، قَالَ ثُوبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(٢).

قال بعضهم: «أجمع العارفون بالله بأن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات».

وقال ابن رجب رحمته الله: «خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس»^(٣).

قال الشاعر:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَيْبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
فَأَسْتَحْيِي مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقُلَّ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

ومن الأسباب المعينة على مراقبة الله تعالى في الخلوة:

١- أن يستحضر العبد اطلاع الله عليه وإحاطته به لكي يخاف

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٣/٤٥١-٤٥٢).

(٢) برقم ٤٢٤٥، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني

رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٣٣) برقم ٥٠٥.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٧٢-١٧٣.

ويستحي منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسُ بِهِءِ
 نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ [ق: ١٦]، وقال تعالى:
 ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]. وقال
 تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾
 [الإسراء: ٣٦]. روى الإمام أحمد في كتابه (الزهد)، والبيهقي
 في (شعب الإيمان) من حديث سعيد بن زيد: أن رجلاً قال
 لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله
 ﷻ كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ»^(١).

٢- أن يتذكر العبد شهادة الجوارح عليه يوم القيامة، قال
 تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ
 كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢٠-٢١]،
 وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ
 بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]. روى مسلم في صحيحه من
 حديث أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال:
 «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ»؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:
 «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُحِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ:
 يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي.

(١) الزهد للإمام أحمد ص ٤٦؛ وشعب الإيمان للبيهقي (٦/١٤٥-١٤٦) برقم ٧٧٣٨،
 وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة (٢/٣٧٦) برقم ٧٤١.

قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيَّكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُحْتَمَ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ»^(١).

٣- أن يتذكر العبد الأجر العظيم لمن راقب الله في خلوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك: ١٢]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى مخبرًا عن من يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى: بأن له مغفرة وأجرًا كبيرًا، أي: يكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل»^(٢).

كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ: رَجُلًا دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلًا ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٣).

وروى أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ

(١) برقم ٢٩٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم برقم ١٠٣١.

قال: «يَعْبَبُ رَبُّكَ ﷻ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ، فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَدِّنُ لِلصَّلَاةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: انظُرُوا إِلَيَّ عَبْدِي هَذَا يُؤَدِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله! أي الناس أفضل، فقال رسول الله ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»، قالوا: ثم من؟ قال: «مُؤْمِنٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» (٢).

٤- أن يتذكر العبد أنه إذا ترك هذا الحرام في خلوته لله، فإن الله يعوضه بالحلال خيراً منه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ» (٣).

قال قتادة السدوسي: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ، إلا أبدله الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير من ذلك».

(١) برقم ١٢٠٣، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقْمِ ٤١.

(٢) برقم ٢٧٨٦.

(٣) مسند الإمام أحمد (١٧٠ / ٣٨) برقم ٢٣٠٧٤، وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ (١٩ / ١): وسنده صحيح على شرط مسلم.

تنبيه:

نبغي للأب أن يزرع في قلوب أبنائه مخافة الله، وتعظيم أوامره ونواهيه، خاصة وأن أجهزة الإعلام وشبكات التواصل قد انتشرت في بيوت المسلمين، وأصبحت في متناول الصغير والكبير، والذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: ٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معقل بن يسار: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٧١٥٠، وصحيح مسلم برقم ١٤٢ واللفظ له.

الكلمة التاسعة والعشرون

الإسراء والمعراج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فمن أعظم المعجزات والكرامات العظيمة التي من الله بها على نبينا محمد ﷺ معجزة الإسراء والمعراج، وتأتي هذه المعجزة تكريماً وتثبيتاً للنبي ﷺ بعد وفاة عمه الذي كان يحميه، وزوجته التي كانت تواسيه، وبعد ما أصابه في الطائف ومكة ما أصابه من الأذى، فهي بعد العام العاشر من البعثة»^(١).

«واختلف العلماء في تحديد زمانها، فأكثر أهل العلم على أن الإسراء والمعراج وقعا قبل الهجرة بسنة، وبعضهم قال: سنة إلا شهراً، وقال آخرون: سنة إلا شهرين، وما اشتهر عند المؤرخين وأصحاب السير أنه وقع في رجب في ليلة سبع وعشرين فليس عليه دليل، والمحققون من المحدثين والفقهاء يقولون: وقع قبل الهجرة بسنة، ومعلوم أن الهجرة كانت في

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله ص ٢٣٣.

شهر ربيع الأول، وإذا كان كذلك فقولهم: قبله بسنة يعني أن الإسراء والمعراج لم يقعا في رجب»^(١).

وقد ذكر الله الإسراء بنبيه ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

وذكر المعراج في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۝١٤ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَى ۝١٥ إِذْ يَعْشَى الْسِدْرَةَ مَا يَعْشَى ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝١٨﴾ [النجم: ١٣-١٨].

وقد وردت عدة أحاديث في الإسراء والمعراج، أسوقها ثم أذكر الفوائد المتعلقة بها:

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه، أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، قال: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحَجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ - قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيَتْ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ

(١) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ (١/٣٢٨).

إِيمَانًا، فَعَسَلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِي، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ دُونَ
الْبَغْلِ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا
أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ،
فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ.

فَانطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ:
مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ:
وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَحِيءُ جَاءَ.
فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ
عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ،
وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ
إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَحِيءُ جَاءَ. فَفَتَحَ، فَلَمَّا
خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى
وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ
الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ
إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَحِيءُ جَاءَ. فَفَتَحَ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ

عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَّى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيْمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ. قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبُتُهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ. قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ، وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتِكَ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيْلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،

فَرَجَعْتُ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أَمَرْتُ؟ قُلْتُ: أَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسَلِّمْ. قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُتَهَيِّ طَرَفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ»^(٢). وذكر مثل الحديث الذي قبله^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال:

(١) صحيح البخاري برقم ٣٨٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٤.

(٢) اخترت الفطرة: فسرت الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه - والله أعلم -: اخترت علامة الإسلام، أما الخمر فهي أم الخبائث، وهي علامة الشر.

(٣) برقم ١٦٢.

قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي الْحَجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُبْتَهَا»^(١)، قَالَ: فَكُرِبْتُ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ^(٢). قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ^(٣) كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ ﷺ - فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ لِي قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَالِكُ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذْ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْنَى﴾، قَالَ: فِرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ

(١) لم أبتها: أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بما هو أهم.

(٢) فكربت كربة ما كربت مثله قط: الضمير في مثله يعود على معنى الكربة، وهو الكرب. والكربة: الغم الذي يأخذ بالنفس.

(٣) ضرب جعد، الضرب: قليل اللحم، وجعد: صفة شعره.

(٤) برقم ١٧٢.

خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا،
الْمُقْحَمَاتُ^(١)»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد قف شعري^(٣) مما قلت! أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه؛ فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد؛ فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن حدثك أنه كتم؛ فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين^(٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زر بن حُبَيْشٍ في قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٩-١٠]. قال: حدثنا ابن مسعود رضي الله عنه:

(١) المقحمات: معناها الذنوب العظام الكبار التي تهلك أصحابها.

(٢) برقم ١٧٣.

(٣) قف شعري: معناه: قام شعري من الفرع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال.

(٤) صحيح البخاري برقم ٤٨٥٥، وصحيح مسلم برقم ١٧٧.

أنه رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ له ستمائة جناح^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢) «(٣)».

من فوائد قصة الإسراء والمعراج:

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: وفي حديث الإسراء والمعراج من الفوائد:

- ١- أن للسماء أبواباً حقيقيةً وحفظةً موكلين بها.
- ٢- إثبات الاستئذان.
- ٣- أنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول: أنا فلان، ولا يقتصر على: أنا؛ لأنه يُنافي مطلوب الاستفهام.
- ٤- أن المار يُسلم على القاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد.
- ٥- استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر، والترحيب، والثناء، والدعاء.
- ٦- جواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان في وجهه.

(١) صحيح البخاري برقم ٣٢٣٢، وصحيح مسلم برقم ١٧٤.

(٢) قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: الضمير في (أراه) عائد على الله سَلَّمَ، ومعناه: إن النور منعني من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، المعلم بفوائد مسلم (١/٣٣٤).

(٣) صحيح مسلم برقم ١٧٨.

٧- جواز الاستناد إلى القبلة بالظهر وغيره، مأخوذ من استناد إبراهيم عليه السلام إلى البيت المعمور، وهو كالكعبة في أنه قبلةٌ من كل جهة.

٨- جواز نسخ الحُكْم قبل وقوع الفعل.

٩- فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل؛ ولذلك كانت أكثر عبادته ﷺ بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل، وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ^(١)، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ»^(٢).

١٠- أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، يُستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم، ويُستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى؛ لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبداناً من هذه الأمة، وقد قال موسى ﷺ في كلامه أنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه، ويُستفاد منه أن مقام الخلة مقام الرضا والتسليم، ومقام التكليم مقام الإدلال والانبساط، ومن ثم استبد موسى ﷺ بأمر الرسول ﷺ وبطلب التخفيف دون إبراهيم ﷺ، مع أن للنبي ﷺ من

(١) الدلجة: هو السير في الليل. انظر النهاية (٢/١٢٠).

(٢) سنن أبي داود برقم ٢٥٧١، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود

الاختصاص بإبراهيم عليه السلام أزيد مما له من موسى عليه السلام لمقام الأبوة، ورفعة المنزلة، والاتباع في الملة.

١١- أن الجنة والنار قد خلقتا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ»^(١).

١٢- استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى، وتكثير الشفاعة عنده، لما وقع منه صلى الله عليه وسلم في إجابته مشورة موسى عليه السلام في سؤال التخفيف.

١٣- فضيلة الاستحياء.

١٤- بذل النصيحة لمن يحتاج إليها، وإن لم يُستشر الناصح في ذلك^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٤٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٣، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُو، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شَفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ.. الحديث». مسند الإمام أحمد (١٩/ ٢٤٤) برقم ١٢٢١١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ٦٢١).

الكلمة الثلاثون

دعاء القنوت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى أبو داود في سننه من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»^(١). زاد ابن خزيمة: «لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»^(٢).

ويشرع القنوت قبل الركوع وبعده، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنه سُئِلَ: أقت النبي صلى الله عليه وسلم في الصبح؟ قال: نعم، فقل له: أوقنت قبل الركوع؟ قال: بعد الركوع يسيراً^(٣).

(١) برقم ١٤٢٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/٢٦٧) برقم ١٢٦٣.

(٢) صحيح ابن خزيمة (١/١١٩).

(٣) صحيح البخاري برقم ١٠٠١، وصحيح مسلم برقم ٦٧٧ باختلاف.

وروى ابن أبي شيبة من حديث إبراهيم عن علقمة، أن ابن مسعود وأصحاب النبي ﷺ كانوا يقنتون في الوتر قبل الركوع^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره فيجوزون كلا الأمرين - أي القنوت قبل الركوع وبعده - لمجيء السنة الصحيحة بهما، وإن اختاروا القنوت بعده؛ لأنه أكثر وأقيس، فإن سماع الدعاء مناسب لقول العبد: سمع الله لمن حمده، فإنه يشرع الثناء على الله قبل دعائه»^(٢).

والسنة في القنوت في الوتر أنه يفعله أحياناً، ويتركه أحياناً، فقد كان ﷺ يقنت في ركعة الوتر^(٣)، ويجعله قبل الركوع^(٤).

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما قلنا أحياناً لأن الصحابة الذي روى الوتر لم يذكروا القنوت فيه، فلو كان ﷺ يفعله دائماً لنقلوه جميعاً عنه، نعم رواه عنه أبي بن كعب وحده، فدل على أنه كان يفعله أحياناً، ففيه دليل على أنه غير واجب،

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٩٧)، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في الدراية (١/١٩٤) برقم ٢٤٤: إسناده حسن، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في إرواء الغليل (٢/١٦٦): وهذا سند جيد، وهو على شرط مسلم.

(٢) الفتاوى (٢٣/١٠٠).

(٣) سنن الدارقطني (٢/٣٢) برقم ٦.

(٤) سنن أبي داود برقم ١٤٢٧، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (١/٢٦٨) برقم ١٢٦٦.

وهو مذهب جمهور العلماء»^(١).

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث عبدالرحمن القاريء - وكان في عهد عمر بن الخطاب مع عبد الله بن الأرقم على بيت المال - : أن عمر خرج ليلة في رمضان، فخرج معه عبدالرحمن القاريء، فطاف بالمسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: والله إني أظن لو جمعنا هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم على ذلك، وأمر أبي بن كعب أن يقوم لهم في رمضان، فخرج عمر عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر رضي الله عنه: نِعَمَ البدعة هي، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون - يريد آخر الليل -، فكان الناس يقومون أوله، وكانوا يلعنون الكفرة في النصف: «اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك، ولا يؤمنون بوعدك، وخالف بين كلمتهم، وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير، ثم يستغفر للمؤمنين، قال: وكان يقول إذا فرغ من لعنه الكفرة وصلاته على النبي صلى الله عليه وسلم، واستغفاره للمؤمنين والمؤمنات، ومسأله، قال: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ربنا،

(١) صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، للشيخ الألباني رحمته الله ص ١٧٩ باختصار.

ونخاف عذابك، إن عذابك لمن عاديت ملحق، ثم يكبر ويهوي ساجدًا»^(١).

وروى البيهقي بسنده إلى عبيد بن عمير أن عمر رضي الله عنه قنت بعد الركوع فقال: «اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم العن كفره أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك، ويقاتلون أولياءك، اللهم خالف بين كلمتهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، ولك نسعى ونحفد، نخشى عذابك، ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق»^(٢).

وروى البيهقي كذلك بسنده إلى عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال: «صليت خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الصبح فسمعتة يقول بعد القراءة قبل الركوع: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى

(١) (٢/١٥٥-١٥٦) برقم ١١٠٠، وأصله في صحيح البخاري برقم ٢٠١٠ إلى قوله: يقومون أوله.

(٢) سنن البيهقي (٤/١٥٣) برقم ٣١٨٦، قال البيهقي: صحيح موصول.

عذابك، إن عذابك بالكافرين ملحق، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونشني عليك الخير ولا نكفرك، ونؤمن بك، ونخضع لك، ونخلع من يكفرك»^(١).

«تنبيهات فيما يُجتنب في دعاء القنوت:

١- التلحين والتطريب والتغني في طلب الدعاء مما ينافي الضراعة والابتهال إلى الله، ويخشى على من فعل ذلك أن يقع في الرياء والعجب.

٢- يُجتنب أدعية مخترعة لا أصل لها، فيها غرابة في مفرداتها، حتى إن الإمام ليتكلف في حفظها.

٣- يجتنب التزام أدعية وردت في روايات لا تصح عن النبي ﷺ؛ لأن في سندها كذاباً أو متهمًا بالكذب أو ضعيفاً لا يقبل حديثه. منها ما يروى عن أنس مرفوعاً: أن النبي ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول: يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، إلى أن قال: يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار.. الحديث. أخرجه الطبراني في الأوسط بسند فرد فيه من لا يعرف، وهو شيخ الطبراني،

(١) سنن البيهقي (٤/١٥٤) برقم ٣١٨٧، قال البيهقي: إسناده صحيح، لكن من روى عن عمر قنوته بعد الركوع أكثر. وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الإِرْوَاءِ (٢/١٧٠-١٧١).

وتدليس أحد رواته مع ثقته.

٤- ويجتنب قصد السجع في الدعاء، والبحث عن غرائب الأدعية المسجوعة على حرف واحد، روى البخاري في صحيحه من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال له: «فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك- يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»^(١).
ومن الأدعية المخترعة المسجوعة: اللهم ارحمنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، وارحمنا يوم العرض.

٥- ويجتنب اختراع أدعية فيها تفصيل أو تشويق في العبارة لما تحدثه من تحريك العواطف، والبكاء، والضجيج، ومنه تضمين الاستعاذة بالله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة أو صافاً وتفصيلات يخرج عن مقصود الاستعاذة والدعاء إلى الوعظ، والتخويف، والترهيب، كقول بعضهم وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه تحت الجنادل وحدثنا، وفارقنا الأحباب، والأصحاب، وربما كان له حكم الكلام المتعمد غير المشروع في الصلاة فيبطلها.

٦- ويجتنب التطويل بما يشق على المأمومين، وخاصة إن كثيراً من الأدعية تتكرر، فينبغي الاختصار والحرص على جوامع الأدعية.

٧- أن يتعد عن التكلف بالدعاء والاعتداء فيه، فعلى سبيل المثال: بعضهم إذا دعا يقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، ثم يبدأ بالحاضرين من المصلين والحاضرات من المصليات، ثم من بنى المسجد وأشرف عليه، ثم مرضى المسلمين، ثم جيران المسجد، ثم المشايخ والعلماء... وهكذا إلى سلسلة لا تنتهي، وكان يكفيه أن يقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، واشف مرضى المسلمين، وأصلح أحوالهم.

٨- أن يتعد في دعائه عن أساليب الصحافة والإعلام، فيقول بعض الداعين للأمة الإسلامية.. وهي ترفل في ثوب الصحة والعافية، فمادة رفل مدارها على التبخر والخلاء. كما في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ: «مَثَلُ الرَّافِلَةِ فِي الزَّيْنَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا، كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا نُورَ لَهَا». رواه الترمذي^(١)، والرافلة أي المتبخرة.

٩- أن يأتي الإمام بأدعية ليس لها صفة العموم، بل تكون خاصة بحال ضر أو نصره.. أو نحو ذلك، مثل الدعاء بدعاء نبي الله موسى عليه السلام: واجعل لي وزيراً من أهلي.. إلى آخر الآيات، ومنه دعاء الإمام بمن معه: اللهم أحيينا ما كانت الحياة خيراً

(١) برقم ١١٦٧، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير برقم ٥٢٣٦.

لنا، وتوفنا إذا كانت الوفاة خيرًا لنا، لما ثبت في الصحيحين من حديث أنس قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي.. الحديث»^(١). وترجم النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه الأذكار بقوله: باب كراهية تمني الموت لضر نزل بالإنسان، وجوازه إذا خاف فتنة في دينه^(٢).

هناك بعض الضوابط للدعاء المشروع في قنوت الوتر، فمن ذلك:

- ١- أن على الإمام أن يتقيد في دعاء القنوت باللفظ الوارد عن النبي ﷺ الذي علمه سبطه الحسن بن علي وسبق ذكره، ثم يصلي على النبي ﷺ كما ثبت عن بعض الصحابة في آخر قنوت الوتر، منهم أبي بن كعب، ومعاذ الأنصاري.. وغيرهم.
 - ٢- أن يحرص الإمام على أداء الدعاء بالكيفية الشرعية بضراعة وابتهال، وصوت يبعد عن التلحين، والتطريب.
 - ٣- إن زاد على اللفظ المذكور، فعليه مراعاة خمسة أمور:
- أن تكون الزيادة من جنس المدعو به في دعاء القنوت المذكور.
 - أن تكون الزيادة من الأدعية العامة في القرآن والسنة.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٥١، وصحيح مسلم برقم ٢٦٨.

(٢) ص ٢٤٤.

- أن تكون الزيادة بعد القنوت الوارد في حديث الحسن.
 - أن لا يتخذ الزيادة فيه شعارًا يداوم عليه.
 - أن لا يطيل إطالة تشق على المأمومين.
- قد يحصل من الأمور العارضة ما يأتي لها الداعي من إمام وغيره بدعاء مناسب لها، كاستغاثة حال الجذب، لكن لا يجعله راتبًا لا يتغير بحال»^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) دعاء القنوت، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ ص ٥-٢٠ بتصرف.

الكلمة الواحدة والثلاثون

الغناء (٢) والشيلات والمؤثرات الصوتية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

صح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما فسرا ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ بالغناء، وحلف ابن مسعود رضي الله عنه ثلاث مرات فقال: «والله الذي لا إله إلا هو ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هو الغناء»^(١). وقال أيضاً: الغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله معلقاً على تفسير ابن مسعود رضي الله عنه وغيره للآية السابقة بأن المراد بها الغناء: «فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم، فهم أعلم الأمة بمراد الله تعالى من كتابه، فعليهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٤٦/١١)، طبع وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢) إغاثة اللهفان (٣٦٨/١).

شاهدوا تفسيره من الرسول ﷺ علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل»^(١).

الغناء ينقسم إلى قسمين:

غناء مع آلات المعازف، وهذا محرم باتفاق الأئمة الأربعة، وقد تقدم الكلام عليه في كلمة سابقة^(٢).

القسم الثاني: الغناء بدون آلة، وهو موضوع هذه الكلمة، كما أنه هناك موضوع ثالث سيكون موضوع الكلمة الثانية والثلاثون^(٣)، وهو ما يسمى قديماً بالتغبير، ويسمى اليوم الأناشيد الإسلامية.

«لقد كان الغناء قديماً في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحُداء والنشيد، وأول من نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة سعيد بن مسجح، وذلك أنه مر بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام في أيام عبد الله بن الزبير، فسمع غناءهم بالفارسية، فقلبه في شعر عربي، ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الروم وغيرهم، وانقلب إلى فارس فأخذ غناءً

(١) إغاثة اللفهان (١/٣٥٩).

(٢) انظر: موسوعة الدرر المنتقاة للمؤلف (١/٤٧٧).

(٣) من هذا الكتاب.

كثيراً وتعلم الضرب، ثم قدم إلى الحجاز، وقد أخذ محاسن تلك النغم، وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم، فكان أول من فعل ذلك وتبعه الناس بعد»^(١).

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: «لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى ما الناس عليه اليوم، بل كانوا ينشدون الشعر مطلقاً من غير أن يتعلموا هذه الترجيعات التي حدثت بعدهم، بل كانوا يرققون الصوت، ويمططونه على وجه يليق بأمية العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى، فلم يكن فيه إلذاذ ولا إطراب يلهي»^(٢).

«وكلام الشاطبي يدل على أن الأحوال التي رخص فيها الشارع من غناء الأعراس، والأعياد، والغناء للقادم من السفر، إنما هو من نوع النصب، وليس من الغناء بالألحان المطربة»^(٣).

وقد اختلف العلماء في حكم الغناء بدون آلة، ولا بد من تعريف الغناء قبل الدخول في الخلاف:

الغناء لحن: يدل على الصوت، فكل من رفع صوته ووالاه،

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري، (٤/٢٣٩-٢٤٠) باختصار.

(٢) الاعتصام (٢/١١٤).

(٣) حكم النشيد الإسلامي، للأخت حنان اليماني ص ٣٨.

فصوته عند العرب غناء^(١)، والغناء من الصوت ما طُرب به^(٢).

والطرب: هو خفة وهزة تثير النفس لفرح أو حزن أو ارتياح، يقال: طرب أي: تغنى، وطرب في صوته: رجعه ومدّه وحسنه^(٣).

قال في المعجم الوسيط: «الغناء هو التطريب، والترنم بالكلام الموزون وغيره، يكون مصحوبًا بالموسيقى وغير مصحوب»^(٤).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «ما يطلق عليه غناء على ضربين:

أحدهما: ضرب جرت عادة الناس باستعماله عند محاولتهم أعمالهم وحملهم أثقالهم، وقطع مفاوز أسفارهم، يسلون بذلك نفوسهم، وينشطون به على مشقات أعمالهم، ويستعينون بذلك على شاق أشغالهم، كحذاء الأعراب بإبلهم وغناء النساء لتسكين صغارهن، ولعب الجواري بلعبهن، وما شاكل ذلك، فهذا النحو إذا سلم المغني به من ذكر الفواحش والمحرمات، كوصف الخمور والفتيات، فلا شك في جوازه، ولا يختلف فيه، بل ربما يندب إليه إذا حصل منه ما ينشط على أعمال البر،

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٩٧/٤) مادة غنى.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣٩/١٥) مادة غنا.

(٣) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون ص ٥٥٢-٥٥٣.

(٤) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ورفقائه ص ٦٦٥.

ويرغب في تحصيل الخير، كالحداء في الحج، والغزو، كما كان الصحابة يرتجزون في غزوهم.

الجزء الثاني: غناء ينتحله المغنون العارفون لصيغة الغناء، المختارون لما رق من غزل الشعر، الملحنون له بالتلحينات الأنيقة، المقطعون على النغمات الرقيقة التي تهيج النفوس، وتطربها، فهذا هو الغناء المختلف فيه^(١).

وقد استدل القائلون بتحريم الغناء -وهو قول أكثر العلماء- بأدلة كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أُنَاسٍ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦]، فسرّها جمع من الصحابة بالغناء، فقد توعد سبحانه في هذه الآية من يشتري لهو الحديث بالعذاب الأليم، فدل ذلك على تحريم الغناء.

ومما استدلوا به أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُجُونَ﴾ [النجم: ٥٩-٦١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء، وهي يمانية، يقولون: اسمد لنا: تغن لنا.

ووجه الدلالة: أن الله ذم المشركين الذين أعرضوا عن القرآن واشتغلوا عنه بالأغاني واللهو، وأنكر عليهم تعجبهم في حالة كونهم سامدين، فدل ذلك على تحريم الغناء.

(١) كشف القناع عن حكم الوجد والسمع ص ٢١-٢٣.

القائلون بالكراهة:

وهو الأظهر عند الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، والمعتمد من القولين عند الإمام أحمد^(١).

أدلتهم:

١- ما أخرجه الإمام أحمد، والنسائي من حديث السائب ابن يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقال: «يَا عَائِشَةُ! أَتَعْرِفِينَ هَذِهِ؟» قالت: لا يا نبي الله، فقال: هذه قينة^(٢) بني فلان، تحبين أن تغنيك؟ قالت: نعم، فأعطاهما طبقاً فغنتها، فقال النبي ﷺ: «قَدْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنْخَرَيْهَا»^(٣).

وجه الاستدلال: لما أذن لها ﷺ بسماع الغناء ثم ذمه بقوله ﷺ: «قد نفخ الشيطان في منخريها» علمنا أن الذم على جهة الكراهة، لا على جهة التحريم؛ لأنه لا يجتمع إباحة وتحريم في نفس الحديث.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في بيان وجه الاستدلال: «أنه ﷺ

(١) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي (١١/٢٢٧)، المبدع لابن مفلح (٣١٠/٨).

(٢) القينة: بفتح القاف وسكون الياء التحتية: الأمة غنت أو لم تغن، والماشطة، وكثيراً ما تطلق على المغنية، وجمعها قينات، وتُجمع على قيان أيضاً. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (٤/١٣٥)، مادة قين.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٤/٤٩٧) برقم ١٥٧٢٠، وقال محققوه: إسناده صحيح.

أقرها على الغناء، فكان غير ممنوع، ثم نسبه إلى الشيطان، فكان ممنوعاً، لكن على جهة التنزيه»^(١).

«وقال السندي في شرحه على المسند: قوله: (قينة بني فلان) أي جاريتهم المغنية (أن تغنيك) بالتشديد، وفيه جواز ذلك على قلة من غير عرس وعيد، كما يجوز فيهما، ويحتمل أنها كانت أيام عيد.

(قد نفخ) أي فلذلك اتخذت ذلك عادة، وأما التغني أحياناً فجائز، فلا منافاة بين هذا وبين الإذن السابق الدال على الجواز، وفيه حسن المعاشرة مع الأهل»^(٢).

٢- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان في أيام منى تدفغان وتضربان، والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه، فقال: «دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ»، وتلك الأيام أيام منى^(٣).

وجه الاستدلال: كونه صلى الله عليه وسلم أعرض عن غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها، ولم يأمرهما بالتوقف، يدل على أنه من باب سماع اللهو الذي يعرض عنه.

(١) انظر: كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، للقرطبي ص ٥٨.

(٢) (٤٩٧/٢٤).

(٣) صحيح البخاري برقم ٩٨٧، وصحيح مسلم برقم ٨٩٢.

القائلون بالإباحة:

وممن قال بذلك الإمام ابن حزم الظاهري^(١)، والغزالي من فقهاء الشافعية، وبعض فقهاء الحنفية، وهو رواية عن أحمد وبعض فقهاء الحنابلة كالإمام أبي بكر الخلال، وهو مذهب عامة أهل الظاهر والمتصوفة^(٢).

وقد طُعن في صحة نقل الإباحة عن الإمام أحمد بن حنبل، وبعض أصحابه؛ بأنه محمول على ما كان في زمانهم من القصائد الزهديات^(٣).

أدلتهم:

١- قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وجه الاستدلال: أن الله قد أباح عموم الطيبات في الآية، والغناء من الطيبات المستلذة للنفس، ولم يرد دليل يدل على تحريم الغناء، وكوننا نقول إنه حرام معناه أن الله يعاقب عليه، وهذا أمر لا يُعرف بمجرد العقل، بل بالسمع، فإن امتنع بقي

(١) انظر: المحلى لابن حزم (٧/٥٦٧، ٥٦٩).

(٢) انظر: البحر الرائق (٧/٨٨)، إحياء علوم الدين للغزالي (٢/١٣٥١-١٣٥٦)؛ المغني لابن قدامة (١٠/١٥٥).

(٣) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٢٢٥-٢٢٦.

الفعل مباحًا لا حرج فيه^(١).

مناقشة الاستدلال:

إن هذه الآية لا تعد دليلاً على إباحة الغناء، وخاصة الفاحش، ولو كان كل طيب مستلذ غير نافع مباحًا لأبحنا كثيرًا من المستلذات، ومنها الخمر وأشباهها.

أما القول بأنه لا دليل على الحرمة لا يُسلم به؛ بل وردت نصوص تفيد النهي عن الغناء - كما سبق ذكرها - كما وردت أحاديث ضعيفة كثيرة في النهي عن الغناء وهي بمجموعها صالحة للاحتجاج بها.

٢- ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث - قالت: وليستا بمغنيتين - فقال أبو بكر: أبعزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذلك في يوم عيد - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا»^(٢).

وجه الاستدلال: هذا نص صريح أن الغناء واللعب ليس بحرام. قال القسطلاني: «واستدل به على جواز سماع صوت

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٢/١٣٥١-١٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري برقم ٩٥٢، وصحيح مسلم برقم ٨٩٢ واللفظ له.

الجارية بالغناء، ولو لم تكن مملوكة؛ لأنه ﷺ لم ينكر على أبي بكر سماعه، بل أنكر إنكاره»^(١).

مناقشة الاستدلال:

أ- أن هذا الحديث عليهم وليس لهم، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث من أكبر الحجج عليك - أي على المستدل به لإباحة الغناء - فإن الصديق سمي الغناء مزموراً الشيطان، ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذه التسمية»^(٢).

ب- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ليس في حديث الجاريتين أن النبي ﷺ استمع إلى ذلك، والأمر والنهي إنما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع»^(٣).

ج- أن الرخصة استثناء من الحكم العام، وقد جاءت هنا الرخصة في قوله ﷺ: « يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيْدًا، وَهَذَا عِيْدُنَا ».

٣- ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث محمد بن

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (٢/٧٢٧).

(٢) الكلام على مسألة السماع لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ص ٣١٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (١١/٥٦٦)، وقد فرق شيخ الإسلام بينهما بأن السماع يكون بغير قصد، بينما الاستماع يكون بقصد، مجموع الفتاوى (١٠/٧٨).

حاطب رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه وآله قال: «فَصُلُّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ» (١)(٢).

الترجيح:

«الراجح في حكم الغناء بالألحان المطربة - بدون آلة - أنه يدور بين التحريم والكرهة والإباحة جمعاً بين الأدلة المختلفة في حكم الغناء وسماعه، فيحرم الغناء بالألحان المطربة - بدون آلة - في المواضع التي دل النص أو الإجماع على تحريمه فيها، وهذه المواضع هي:

أولاً: إذا قصد من الغناء أمر محرم كالإضلال عن سبيل الله، والسخرية بالمؤمنين، فمن النهي الأول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦]، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿أَفِنَّ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النجم: ٥٩-٦١]. ويُقاس على هذين المقصدين المحرمين للغناء، كل مقصود محرم.

(١) سنن الترمذي برقم ١٠٨٨، قال الترمذي: حديث محمد بن حاطب حديث حسن، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي برقم ٨٦٩.
(٢) انظر: حكم النشيد الإسلامي للأخت حنان بنت علي اليماني ص ٣٥-٤٥.

ثانياً: إذا اقترن بالغناء أمر محرم كشرب الخمر في مجلس الغناء، كالذي جاء التحذير منه في حديث أبي موسى الأشعري: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ»^(١).

ثالثاً: الغناء الفاحش الذي يدعو إلى معصية، سواء كان ذلك الفحش في ألحان الغناء، أو في مقصده، أو كلماته؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل: ٩٠].

رابعاً: إذا اشتمل الغناء على كلمات مخالفة للشرع، مثل الغزل الفاحش، والهجاء المحرم.

خامساً: إذا أدى استماع الغناء إلى فعل محرم، أو ترك واجب.

سادساً: احترام الغناء والاشتغال به في كل حين ووقت، وقد عدّه أهل العلم من السفه الذي ترد به الشهادة^(٢).

* ويكره الغناء بالألحان المطربة - بدون آلة - إذا كان مجرداً عن مواضع المحرمات المذكورة آنفاً. وقد دل على ذلك عموم حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ بَاطِلٌ، إِلَّا رَمِيَةَ الرَّجُلِ بِقَوْسِهِ، وَتَأْدِيبَهُ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٥٩٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥٥ / ١٤).

فَرَسِهِ، وَمَلَاعَبَتُهُ أَمْرَاتِهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومعلوم أن الباطل من الأعمال هو ما ليس فيه منفعة، فهذا يُرخص في بعضه أحياناً للنفوس التي لا تصبر على الحق المحض»^(٢).

* ويكون الغناء بالألحان المطربة مباحاً للنساء في المواضع التي جاء النص بإباحته فيها، وبالقدر الذي وردت الرخصة به، وهي:

الأول: في يوم العيد: كما جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وعندي جاريتان تغنيان... وذلك يوم عيد... الحديث»^(٣).

الثاني: في العرس: لحديث محمد بن حاطب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «فَصَلُّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُّ وَالصَّوْتُ»^(٤).

الثالث: حين قدوم الغائب المجاهد الذي له مكانة ومنزلة عند قومه، جاز أن يُضرب له بالدف تحية لقدمه سالمًا، كما جاء في حديث الجارية التي نذرت أن تضرب

(١) مسند الإمام أحمد (٥٣٣/٢٨) برقم ١٧٣٠٠، وقال محققوه: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

(٢) الكلام على مسألة السماع ص ٣٠٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨٥.

(٤) سبق تخريجه ص ٢٨٧.

بالدف إن عاد النبي ﷺ سالمًا من إحدى الغزوات،
وقال لها النبي ﷺ: «إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي، وَإِلَّا
فَلَا»^(٥).

الرابع: في الختان لتلهية الطفل المختون عن إحساسه بالألم،
كما صح عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الرخصة بذلك، فعن أم علقمة
مولاة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «إِنْ بَنَاتِ أَخِي عَائِشَةَ خُتِنَ،
فَقِيلَ لِعَائِشَةَ: أَلَا نَدْعُو لهن من يلهيهن؟ قالت: بلى،
فَأرسلت إلى عدي^(٦) فأتاهن، فمرت عائشة في البيت
فرأته يتغنى، ويحرك رأسه طربًا - وكان ذا شعر كثير
- فقالت: أف، شيطان أخرجوه، أخرجوه»^(٧).

والغناء في هذه المواضع الأربعة مقيد بالصفة التي وردت
الرخصة بها كما جاءت في هذه النصوص، وهي كالتالي:

١- أن يكون اللهو والغناء في هذه المناسبات دون غيرها من
الأوقات.

٢- أن يُقتصر في ألقانه على الترجيع والتطريب اليسيرين، دون

(٥) سنن الترمذي برقم ٣٦٩٠، وصححه الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيح سنن الترمذي برقم
٢٩١٣.

(٦) قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الصواب: مغني.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٤٨٢، وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
في السلسلة الصحيحة: إسناده محتمل للتحسين (٢/٣٥٨) برقم ٧٢٢.

ترجيع وتطريب أهل الغناء، والفسق، والمجون، المشتمل على التكسر، والتهيج، والمجون، ويؤخذ هذا القيد من قول عائشة رضي الله عنها: «عندي جارتان تغيان، وليستا بمغنيتين»، وفعلها مع المغني الذي رآته يتغنى ويحرك رأسه طرباً فقالت: «أف، شيطان أخرجوه، أخرجوه» لما علمت أن غناه من جنس غناء أهل الطرب والمجون.

٣- أن تشتمل كلمات الغناء على اللهو المباح لا المحرم، كنحو ما جاء في الحديث:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا حَيِّيَكُمْ

٤- أن لا تشتمل كلماته على معنى مخالف للشرع.

٥- أن يقتصر على الغناء بالدف دون غيره من الآلات، فإن جميع الأحاديث الواردة في إباحة الغناء في هذه المواضع لم يذكر فيها سوى الغناء بالدف للنساء فقط.

٦- أن لا يكون مقترناً بمحرم كنحو الاختلاط، أو وجود الخمر في مجلس الغناء، وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه تنبيهه إلى تحريم هذا النوع من الغناء ^(١) «(٢)».

(١) وهو قوله ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» سبق تخريجه ص ٢٨٨.

(٢) حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية للشيخ صالح الغزالي ص ١١٣-١١٨ باختصار وتصرف.

ويلحق بما سبق ما يسمى بالمؤثرات الصوتية، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوهَا وَبَاعُوهَا»^(٢).

وجه الاستدلال: أولاً: هذا الحديث صريح في تحريم التحايل على شرع الله كما فعلت اليهود، وفي استعمال الإيقاعات المشابهة لصوت المعازف بحجة أنها لا تدخل في المعازف تحايل على الشرع.

ثانياً: أن الشرع لا يفرق بين المتماثلات، فلا يليق أن يُنسب إلى الشرع الحكيم أنه يحرم صوتاً ثم يُبيح صوتاً مماثلاً له، فالتفريق بين المتماثلات ممتنع شرعاً.

قال ابن القيم رحمته الله: «وإذا تأملت أسرار هذه الشريعة الكاملة وجدتها في غاية الحكمة ورعاية المصالح لا تفرق بين متماثلين ألبتة، ولا تسوي بين مختلفين، ولا تحرم شيئاً لمفسدة، وتبيح ما مفسدته مساوية لما حرّمته أو رجحته عليه، ولا تُبيح شيئاً لمصلحة، وتُحرم ما مصلحته مساوية لما أباحته

(١) صحيح البخاري برقم ٢٢٣٦، وصحيح مسلم برقم ١٥٨١.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري برقم ٢٢٢٣، وصحيح مسلم برقم ١٥٨٢.

ألبتة، ولا يوجد فيما جاء به الرسول ﷺ شيء من ذلك ألبتة»^(١).

ثالثاً: أن تحريم المعازف إنما هو لما يصدر عنها من أصوات، ولما يحصل بها من الطرب، والإيقاعات الصوتية لها صوت وأثر في النفس مثل المعازف؛ بل قد يكون أبلغ فوجب إلحاقها بها بهذا الجامع.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا كان الزمر، الذي هو أخف آلات اللهو حراماً، فكيف بما هو أشد منه؟ كالعود، والطنبور، واليراع، ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك، فأقل ما فيه: أنه من شعار الفساق وشاربي الخمر»^(٢).

رابعاً: أن المعازف تتطور وتتغير من زمان لآخر، ولا يمكن قصر مفهومها على الآلات الموجودة في صدر الإسلام؛ بل تشمل آلات اللهو كلها بلا خلاف في ذلك عند أهل اللغة وعند الفقهاء - كما مر في تعريف المعازف - وعليه فإن كل آلة تستخدم لإصدار الأصوات الموسيقية هي من المعازف الداخلة في التحريم وإن تغيرت الأسماء والأشكال، ويُسببه هذا ما بوب به البخاري فقال: (باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويُسميه بغير اسمه)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديث وعيدٌ شديد على من يتحیل في تحلیل ما يحرم بتغيير اسمه،

(١) بدائع الفوائد (٣/١٠٧٢).

(٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم (١/٢٢٨).

وأن الحكم يدور مع العلة، والعلة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وُجد الإسكار وُجد التحريم ولو لم يستمر الاسم. قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها؛ ردًا على من حمله على اللفظ»^(١).

وعليه فإن الأجهزة التي تُحيل الأصوات إلى أصوات شبيهة بأصوات آلات العزف تلحق بها في الحكم؛ لأنها قامت مقامها، واشتركت في الناتج منها، وما قارب الشيء أخذ حكمه. والله أعلم.

خامسًا: أن صوت تلك الإيقاعات ونحوها نظير الصوت الصادر من المعازف، والمعازف من الباطل، والإجماع منعقد على أن نظير الحق حق، ونظير الباطل باطل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ نَقْلًا عن المزني: "وأجمعوا بأن نظير الحق حق، ونظير الباطل باطل" (٢)(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: فتح الباري (١٠/٥٦).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/١٥٧).

(٣) انظر: أحكام الدف في الفقه الإسلامي للأخت مريم بنت ولي علي أحمد حكيمي ص ٧٩-٨٦، وأحكام النشيد الإسلامي للأخت حنان بنت علي اليماني ص ٩٧-١٠٠.

الكلمة الثانية والثلاثون

الأنشيد الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد..

فهذا هو الجزء الثاني من الكلام على مسألة الغناء، وهو ما يسمى قديمًا التغير، ويسمى اليوم الأنشيد الإسلامية.

«النشيد لغة: رفع الصوت، وكذلك المعرف يرفع صوته بالتعريف، فيسمى منشدًا، ومن هذا إنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت، وأنشد الشعر، وتناشدوا، أنشد بعضهم بعضًا، والنشيد: الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم بعضًا»^(١).

والنشيد اصطلاحًا: «هو رفع الصوت بشعر، أو رجز، أو نثر، بنوع فيه ترجيع وترقيق وتنغيم؛ لأجل إثارة الحماس، والعواطف، والغيرة الدينية في أوقات وأماكن متنوعة، فردًا أو جماعة»^(٢).

(١) لسان العرب (٤٢٣/٣) مادة نشد، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٢٢/١١).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٢١٠/٣)، وحكم ممارسة الفن للشيخ صالح الغزالي

لقد بدأ النشيد الإسلامي في أوائل السبعينات، وكان إنشادًا عاديًا عن طريق فرد واحد، أو اثنين ينشدون في المناسبات، ثم استعمل الضرب على الألواح أو الأخشاب مع الإنشاد في الأعياد، أو الأفراح، ثم استعمل الضرب على الدف مع الإنشاد للرجال.

وذكر الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بِدَايَةِ النشيد في دمشق - قبل هجرته إلى عمان بسنتين - : «أن بعض الشباب المسلم بدأ يتغنى ببعض الأنشيد سليمة المعنى، قاصدًا بذلك معارضة غناء الصوفية بمثل قصائد البوصيري وغيرها، وسجل ذلك في شريط، فلم يلبث إلا قليلًا حتى قُرِنَ معه الضرب على الدف، ثم استعملوه في أول الأمر في حفلات الأعراس، على أساس أن الدف جائز فيها، ثم شاع الشريط واستنسخت منه نسخ، وانتشر استعماله في كثير من البيوت وأخذوا يستمعون إليه ليلاً ونهارًا، بمناسبة وبغير مناسبة، وصار ذلك سلوهم وهجيراهم»^(١).

«وبعد أن راجت مثل هذه الأشرطة، بدأ البحث عن المحسنات، فأدخل على الشريط خدمة الاستريو، وما يعرف بصدى الصوت، فخرج الصوت أجمل وأوقع في النفس، ثم جُربت الأطفال والصبية في الإنشاد، فوجد أن أصواتهم وأصواتهن أعذب وأسرع إلى الفؤاد المهموم، فسُجلت

(١) انظر: تحريم آلات الطرب للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بِدَايَةِ النشيد ص ١٨١-١٨٢ باختصار.

الأناشيد بتلك الأصوات العذبة في كلمات رقيقة، فوجدت رواجًا أكثر، فأضيف إليها تغريد العصافير، وهدير الماء، مع نوع تمثيل وجماعة من الأطفال فتيات وفتيان، فلاقت رواجًا وقبولًا لم يحصل من قبل، ودخلت عامة بيوت المسلمين، ولم يسلم منها إلا القليل.

ثم تطور الأمر إلى نشأة فرق متخصصة للإنشاد الجماعي في عدد من الدول العربية كالكويت وقطر، وأدخلوا بعض المحسنات الصوتية حتى سُمع في إنشادهم صوت الطبل والناي، وانتشرت كذلك بين قطاع عريض من الشباب، وتطور الأمر إلى تمثيل المناسبات الدينية عن طريق الإنشاد.

واتسع الخرق، وعظم الخطب، فصور كل هذا على أشرطة فيديو أصبحت حديث المجالس للقصاصي والداني، وامتلات محلات بيع الأشرطة بالمئات، بل الألوف من الأسماء ما بين مسموع ومرئي، ثم اتسع الأمر باستخدام فتيات جميلات - دون البلوغ - في الأناشيد، وقد كُشفت مواضع فاتنة من أجسادهن، على شاطئ البحر مع الصبية فيُنشدون بأناشيد - زعموها - إسلامية.

وسرى هذا الأمر في رياض الأطفال، والمراحل الأولى من التعليم؛ بل حتى المراحل العليا، وتداولته حلقات تحفيظ القرآن في بعض الأماكن من باب الدعوة إلى جذب الشباب، ناهيك عن الاستراحات، والمراكز الصيفية، وأنشطة المدارس،

فضلاً عن امتلاء كثير من البيوت بمثل هذه الصوتيات والمرئيات من الأنشيد.

ولم يقف الأمر عند هذا، بل تطور في الوقت الحاضر، فأصبحت الأنشيد مشابهة لأغاني الفسّاق من حيث ترقيق الصوت، ووضع صورة المُنشد على غلاف الشريط، وعمل (الفيديو كليب) معها، والذي يحوي مخالفات من حيث وجود النساء والفسّاق، ومن حيث استعمال المعازف والآلات الموسيقية، وأحسنهم حالاً من يستعمل المؤثرات التي تُشبه في صوتها وأثرها الآلات الموسيقية، ويُسمونها (إيقاعات بأصوات بشرية)، ولم يعد للمعاني أي اعتبار؛ بل يُبحث عن اللحن والمؤثرات.

وقد طغت الأنشيد على غيرها من المواد المسموعة العلمية والنافعة، وكثرت الفرق الإنشادية في العالم الإسلامي، ولم تتردد تلك الفرق في نشر صور فريقها في الجرائد والمجلات بلباس موحد، ووجوه يُعلن كثير منها مخالفة هدي النبي ﷺ بحلق لحاهم وإسبال ثيابهم»^(١).

«وبعض العلماء يرجعون النشيد الإسلامي إلى النشيد الصوفي الذي نشأ في القرن الثاني الهجري في بغداد، وكانوا

(١) حكم النشيد الإسلامي للأخت حنان بنت علي اليماني ص ٦٤-٦٦ بتصرف.

يُسمونه (التغيير)، وخاصة عندما تُجعل على شكل أناشيد جماعية، وتُسمى (إسلامية) فهذا ليس له أصل في الدين، وممن قال بذلك الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - عضو هيئة كبار العلماء - ^(١).

«وبالنسبة للمقاصد فإن المتتبع لأحوال المنشدين، ومقابلاتهم يجد أنهم يتخذون النشيد وسيلة من وسائل الدعوة في هذا العصر ويعتبرونه بديلاً عن الغناء المحرم؛ بل ويطلبون من الله التوفيق في إخراجه على الصورة المرضية، مما يجعل هذا النشيد بهذا المقصد موافق للسمع الصوفي في التعبد والتقرب، خاصة وقد أدخلوا الإيقاع المؤثر على النشيد فلم يعد بينهما فرق يُذكر. والله المستعان.

تعقيب العلماء على وصف النشيد بـ (الإسلامي):

هذا الوصف للنشيد بأنه (إسلامي) جاء من قبل المنشدين والمروجين للأناشيد، من باب إعطائها صفة المشروعية، وأنها ليست مثل الغناء المحرم، ولكن كثيراً من العلماء اعترضوا على هذا الاسم، ومن هؤلاء العلماء ^(٢):

- الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رَحِمَهُ اللهُ، حيث قال: «وأما

(١) انظر: البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد لعبد الله السليمان ص ٤٩.

(٢) حكم النشيد الإسلامي للأخت حنان بنت علي اليماني ص ٦٨.

تسمية الأنشيد الجماعية الملحنة بألحان الغناء باسم الأنشيد الإسلامية فهو خطأ؛ لأن الأنشيد الجماعية الملحنة بألحان الغناء من المحدثات، والمحدثات ليست من الأمور الإسلامية، وإنما هي من الأعمال التي يجب ردها والمنع منها، عملاً بقول النبي ﷺ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^{(١)(٢)}.

وقال أيضًا: «إن تسمية الأنشيد الملحنة بألحان الغناء باسم الأنشيد الإسلامية يلزم عليها لوازم سيئة جدًا وخطيرة:

منها: جعل هذه البدعة من أمور الإسلام ومكملاته، وهذا يتضمن الاستدراك على الشريعة الإسلامية، ويتضمن القول بأنه لم تكن كاملة في عهد النبي ﷺ.

ومنها: معارضة قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ففي هذه الآية الكريمة النص على إكمال الدين لهذه الآية، والقول بأن الأنشيد الملحنة أنشيد إسلامية يتضمن معارضة هذا النص، وذلك بإضافة الأنشيد التي ليست من دين الإسلام إلى دين الإسلام، وجعلها جزءاً منه.

ومنها: نسبة الرسول ﷺ وأصحابه إلى إهمال أمر من أمور الإسلام، وترك العمل به.

(١) إقامة الدليل على المنع من الأنشيد الملحنة والتمثيل للشيخ حمود التويجري ص ٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم برقم ١٧١٨.

ومنها: استحسان بدعة الأناشيد الملحنة بألحان الغناء، وإدخالها في أمور الإسلام»^(١).

وقد ذكر الشاطبي في كتاب (الاعتصام) ما رواه ابن حبيب، عن ابن الماجشون قال: «سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»^(٢).

- وكذلك اعترض الشيخ صالح بن فوزان الفوزان على هذه التسمية في عدة مواضع، فقال: «وتسمية هذه الأناشيد بأنها أناشيد إسلامية تسمية خاطئة؛ لأن الإسلام ليس فيه أناشيد إسلامية، وإنما فيه ذكر الله، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم النافع»^(٣).

وقال في موضع آخر: «هذه التسمية - أناشيد إسلامية - غير صحيحة، وهي تسمية حادثة، فليس هناك ما يُسمى بالأناشيد الإسلامية في كتب السلف ومن يعتد بقولهم من أهل العلم، والمعروف أن الصوفية هم الذين يتخذون الأناشيد

(١) إقامة الدليل على المنع من الأناشيد الملحنة والتمثيل للشيخ حمود التويجري ص ٨-١٠ باختصار.

(٢) الاعتصام (١/٦٥).

(٣) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ صالح الفوزان (٢/١١٣).

دينًا، وهو ما يسمونه بالسماع، وفي وقتنا لما كثرت الأحزاب والجماعات صار لكل حزب أو جماعة أناشيد حماسية، قد يُسمونها بالأنشيد الإسلامية، وهذه التسمية لا صحة لها^(١).

القائلون بالتحريم:

وقد ذهب إلى ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي القول الجديد له، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وكذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي القول الآخر له، وغيرهم من الفقهاء والمحدثين من علماء العصر، وذلك إلحاقًا له بالسماع الصوفي، أو الغناء المحرم.

أقوال العلماء:

- قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بعد أن بين حكم الغناء الصوفي وأدلة تحريمه: «من أجل ذلك حرم العلماء الغناء الصوفي، واشتد إنكارهم على مستحليه، فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأصول القوية تبين له بكل وضوح أنه لا فرق من حيث الحكم بين الغناء الصوفي، والأنشيد الدينية؛ بل قد تكون في هذه آفة أخرى، وهي أنها قد تلحن على ألحان الأغاني الماجنة، وتوقع على القوائين الموسيقية الشرقية أو الغربية

(١) انظر: مجلة الدعوة العدد (١٦٣٢) ٧/ ١١/ ١٤١٨ هـ، نقلًا عن كتاب حكم النشيد الإسلامي للأخت حنان اليماني ص ٧٠.

التي تطرب السامعين وترقصهم، وتُخرجهم عن طورهم، فيكون المقصود هو اللحن والطرب، وليس النشيد بالذات، وهذه مخالفة جديدة وهي التشبه بالكفار والمُجَّان، وقد ينتج من وراء ذلك مخالفة أخرى وهي التشبه بهم في إعراضهم عن القرآن، وهجرهم إياه، فيدخلون في عموم شكوى النبي ﷺ من قومه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠] (١).

- وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «ومما ينبغي التنبيه عليه: ما كثر تداوله بين الشباب المتدينين من أشرطة مسجلة عليها أناشيد بأصوات جماعية يسمونها (الأناشيد الإسلامية) وهي نوع من الأغاني، وربما تكون بأصوات فاتنة، وتباع في معارض التسجيلات مع أشرطة تسجيل القرآن الكريم والمحاضرات الدينية.. أما الأناشيد فهي من دين الصوفية المبتدعة، الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، واتخاذ الأناشيد من الدين فيه تشبه بالنصارى الذين جعلوا دينهم بالترانيم الجماعية والنعومات المطربة. فالواجب الحذر من هذه الأناشيد، ومنع بيعها وتداولها، علاوة على ذلك ما قد تشمل هذه الأناشيد من تهيج الفتنة بالحماس المتهور، والتحريش بين المسلمين» (٢).

(١) تحريم آلات الطرب ص ١٨١.

(٢) الخطب المنبرية (٣/ ١٨٤-١٨٥).

- وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الإنشاد الإسلامي إنشاد مبتدع مما ابتدعته الصوفية، ولهذا ينبغي العدول عنه إلى مواضع القرآن والسنة، اللهم إلا أن يكون في مواطن الحرب ليستعان به على الإقدام والجهاد في سبيل الله تعالى فهذا حسن، وإذا اجتمع معه دف كان أبعد عن الصواب»^(١).

أدلة القائلين بالتحريم:

استدل القائلون على تحريم الأنشيد بما يلي:

«أولاً: أن النشيد نوع من أنواع الغناء، وقد جاءت الأدلة الصحيحة بتحريم الغناء، ولا يُستثنى من التحريم إلا ما صح الدليل على تخصيصه كالحُداء، فيقتصر عليه قدرًا ووقتًا وكيفية، ولا يُقاس عليه غيره؛ إذ أن من شروط القياس أن لا يكون المقيس عليه مشتقًا من أصل عام، والحُداء مستثنى من أصل تحريم الغناء، فلا يُقاس عليه النشيد أو غيره، فيبقى النشيد على الأصل - وهو تحريم الغناء - حتى يأتي دليل يخصه، ولا دليل»^(٢).

«ثانيًا: أن النشيد من الأمور المحدثه، ولم يكن يُعرف عند

(١) فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، جمع أشرف عبدالمقصود (١/١٣٥).

(٢) انظر: البيان لأخطاء بعض الكتاب للشيخ صالح بن فوزان الفوزان (١/٣١٢-٣١٥)

السلف اجتماع على سماع غير سماع القرآن الكريم، وما سواه فهو سماع مُحدث مذموم»^(١)، والنشيد أشبه بسماع المتصوفة البدعي، ووجه المشابهة بينهما ظاهر في أمور، منها:

١- أن كلاً من النشيد والسماع الصوفي محدث لم يعرفه سلف هذه الأمة:

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفٍ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفٍ

٢- من حيث المقصد، فإن النشيد مما يتقرب به إلى الله - مثل السماع الصوفي - وهذا مأخوذ من قولهم: «إنها - أي الأناشيد - تلهب الحماس، وتوقد في النفس جذوة الإيمان»^(٢)، ومن المعلوم أن البدعة أشد من المعصية. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك إما نشيد مجرد،... وإما بالتصفيق ونحو ذلك فهو السماع المحدث في الإسلام، فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ...»^(٣).

٣- ومن حيث الأداء فكلاً من النشيد والسماع الصوفي

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (١١/٦٢٧-٦٢٩) بتصرف.
 (٢) البيان المفيد، مناقشة حول الأناشيد للشيخ صالح الأطرم ص ٧٣، نقلاً عن كتاب حكم النشيد الإسلامي للأخت حنان اليماني ص ٨٣.
 (٣) مجموع الفتاوى (١١/٥٩١).

يُؤديان بأصوات ملحنة ناعمة جماعية فاتنة، بل إن السماع الصوفي يُؤدى بالآلات الموسيقية، وقد تطور النشيد اليوم حتى أصبح يُشابه السماع الصوفي في الأداء لحناً وآلة.

ثالثاً: أن الأنشيد لا تخلو من محذور شرعي؛ إما فيها أو مصاحباً لها، ومن هذه المخالفات الشرعية:

١- التلحين الغنائي المطرب بنغمات مناسبة لضرب العود والموسيقى معها.

٢- الصوت الجماعي بتلحين.

٣- استخدام الأصوات الناعمة في هذه الأنشيد لإطراب السامعين.

٤- اتخاذه عادة والاستمرار عليها، والمطالبة بإفراجه بالعناية والإخراج.

٥- اتخاذه أسلوباً من أساليب الدعوة.

٦- اتخاذه للتأثير في السامعين أكثر من استعمال القرآن والحديث لذلك.

٧- الأنشيد المتضمنة لحماس لم يُبين على أسس سليمة^(١).

(١) البيان المفيد، مناقشة حول الأنشيد للشيخ صالح الأطرم ص ٧١-٧٢ نقلاً عن كتاب حكم النشيد الإسلامي للأخت حنان اليماني ص ٨٣-٨٤.

الترجيح:

من خلال النظر في أدلة القولين ومناقشتها من جهة، والنظر في حقيقة النشيد من جهة أخرى، يتبين أن ما يُعرف اليوم بالنشيد الإسلامي أنواع متباينة ومختلفة؛ من جهة اللحن، والكلمات، والمقاصد، وطريقة الإنشاد، والاستماع تتنازعه أصول ثلاثة: الحُداء والنصب أصل، والغناء أصل، والسماع الصوفي أصل، فما وافق من الأناشيد أحد هذه الأصول، وشابهه في الصفة ألحق به في الحكم بناءً على القاعدة القياسية في الفرع الذي يتنازعه أكثر من أصل، فإنه يُلحق بأكثرها شبهاً^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية للشيخ صالح الغزالي ص ١٧٤-١٧٥ بتصرف، وحكم النشيد الإسلامي لحنان بنت علي اليماني ص ٦٣-٨٤.

الكلمة الثالثة والثلاثون

وصايا لقمان الحكيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَانَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس ويقتدوا بها، واختلف السلف في لقمان عليه

السلام، هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين، والأكثر على الثاني.

يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده، وهو لقمان بن عنقاء بن سدون، واسم ابنه ثاران في قول حكاة السهيلي، وقد ذكره تعالى بأحسن الذكر فإنه آتاه الحكمة، والحكمة هي العلم [بالحق] على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون حكيماً، وأما الحكمة فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح.

ولقمان الحكيم يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً له: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٢٨] شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» (١).

ووجه كون الشرك عظيمًا أنه لا أفضع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب، لمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئًا بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم يُنعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ وهل هناك أعظم ظلمًا ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده فذهب بنفسه الشريفة [فجعلها في أخس المراتب]؛ جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئًا، فظلم نفسه ظلمًا كبيرًا.

ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين، كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]. وكثيرًا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن، فقلوه: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾ أي عهدنا إليه وجعلناها وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه (بوالديه) وقلنا له: (اشكر لي) بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمتي على معصيتي، ولوالديك بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما [وإكرامهما] وإجلالهما، والقيام بمؤونتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه بالقول والفعل.

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق من حين يكون نطفة من الوحم والمرض والضعف والثقل وتغير الحال، ثم وجع الولادة ذلك الوجع الشديد.

قوله: ﴿وَفِصَلُهُ، فِي عَامَيْنِ﴾ أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. ومن هنا استنبط ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لأنه قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصَلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. ولهذا قال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً، أي: محسناً إليهما ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني المؤمنين ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

روى مسلم في صحيحه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن الكريم قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وذاك بوالديك وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يُقال له (عمارة) فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (١).

وفي رواية أنه قال: «يا أمه: تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي، فأكلت» (٢).

قوله تعالى: ﴿ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾، قوله: ﴿ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾: أي إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾: أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في

(١) برقم ١٧٤٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم رحمته الله برقم ١٧١٦٤.

أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ أي لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ﴿خَيْرٌ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم، والمقصود من هذا الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح قل أو كثير.

ثم قال: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ﴾ أي بحدودها وفروضها وأوقاتها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية، ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر وذلك يستلزم كونه فاعلاً لما يأمر به، كافاً لما ينهى عنه، فتضمن هذا تكميل نفسه بفعل الخير، وترك الشر، وتكميل غيره بذلك بأمره ونهيه.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي أن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور، أي من الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها، ولا يُوفق لها إلا أهل العزائم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم، ولكن أَلِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم كما

جاء في الحديث: «وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي جذلاً متكبراً جباراً عنيداً، لا تفعل ذلك فيبغضك الله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي مختال معجب في نفسه فخور، أي على غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي امش مشياً مقتصدًا ليس بالبطيء المثبط، ولا بالسرير المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين.

قوله تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾، قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه بالحمير يقضي تحريمه وذمه غاية الذم؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «الْعَائِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ، لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ»^(٢).

وهذه الوصايا التي وصى بها لقمان الحكيم لابنه تجمع

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٢٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٩٧٥، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٠.

أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهياً^(١).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١١/٥٣-٥٩)، وتفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٦١٨-٦١٩.

الكلمة الرابعة والثلاثون

التمثيل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن التمثيل أصبح في الوقت المعاصر (فناً) له رواده ومدارسه، بمسلسلاته ومسرحياته على اختلاف وسائل نشره في الإذاعة، والتلفاز، وعلى خشبات المسارح، وردقات النوادي، فصار بهذا يشغل حيزاً كبيراً في حياة المسلمين، وفتن به كثير من الناس»^(١).

لذا كان من الواجب بيان الحكم الشرعي فيه، وهل هو محرم لذاته، فيشمل جميع أقسامه سواء في العبادات، أو العادات، أم أن أصله الإباحة، والحكم عليه بحسب موضوعه؟ فيتنزل الحكم التكليفي عليه حسب موضوعه؟

وقبل أن أبدأ في الحديث عن حكمه لا بد من تعريف التمثيل حتى يُعرف ما يدخل فيه وما لا يدخل، وقد عُرف

(١) التمثيل: حقيقته - تاريخه - حكمه، للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ ص ٣ بتصرف.

التمثيل بأنه: «عمل فني منشور أو منظوم، يؤلف على قواعد خاصة ليمثل حادثاً حقيقياً، أو مُخْتَلَقاً قصداً للعبرة»^(١).

ويمكن أن يعرف التمثيل بأنه: «محاكاة شخص لآخر حقيقي أو خيالي قصداً للعبرة، بتنظيم مسبق أمام جمهور من الناس حضروا لرؤيته»^(٢). والممثل هو القائم بأعمال التمثيل أمام الجمهور من الناس».

«ومن المعلوم أن الأعمال، إما عبادات، أو عادات، فالأصل في العبادات لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات لا يحظر منها إلا ما حظره الله.

وعليه: فلا يخلو التمثيل أن يكون على سبيل التبعيد التمثيل الديني أو من باب الاعتياد على سبيل اللهو والترفيه، فإن كان على سبيل التبعيد، فإن العبادات موقوفة على النص ومورده، و(التمثيل الديني) لا عهد للشريعة به، فهو سبيل محدث، ومن مجامع ملة الإسلام، قول النبي ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٣). ولهذا فما تراه في بعض المدارس والجامعات من فرق للتمثيل الديني، فإن حقيقته (التمثيل البدعي) لما علمت من أصله، وحدوثه لدى المسلمين خارجاً عن دائرة المنصوص

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٤).

(٢) إيقاف النبيل على حكم التمثيل للشيخ عبد السلام آل عبد الكريم رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٠.

عليه بدليل شرعي، وأنه من سبيل التعبد لدى أهل الأوثان من اليونان، ومبتدعة النصارى، فلا أصل له في الإسلام بإطلاق، فهو إذاً محدث، وكل أمر محدث في الدين فهو بدعة تضاهي الشريعة، فصدق عليه حسب أصول الشرع المطهر اسم (التمثيل البدعي)، وأما إن كان التمثيل في العادات فهذا تشبه بأعداء الله الكافرين، وقد نهينا عن التشبه بهم، إذ لم يعرف إلا عن طريقهم، والنهي عن التشبه بهم أمر بمخالفتهم، وقد نهى الله ﷻ عن الخوض فيما يخوضون فيه، فقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١) (٢).

أقوال العلماء فيه: ذهب جمع من أهل العلم المعاصرين كالشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللهُ.. وغيرهم إلى تحريم التمثيل.

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٩٢)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٩):
إسناده صالح.

(٢) التمثيل: حقيقته - تاريخه - حكمه، للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٨-٣١ باختصار.

فلما سُئِلَ الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن التمثيل،
أجاب: «أنا لا أنصح بممارسة التمثيل، وإنما على العلماء أن
يبينوا للناس أحكام الله ورسوله، أما أن يتقمص المرء شخصية
فلان، واسم فلان، فيقول: أنا عمر، أو أنا عثمان.. أو نحو ذلك،
فهذا كذب لا يجوز فعله»^(١).

وأما الشيخ صالح الفوزان، فلما ذكر التمثيل في تقديمه
لكتاب إيقاف النبيل على حكم التمثيل، علل تحريمه لما فيه
من المفساد الكثيرة، وإن زعم أحد أن فيه مصلحة جزئية، فهي
مغمورة بما فيه من المفساد الراجحة على تلك المصلحة، ومن
المعلوم أن من ترجحت مفسدته فهو حرام، وأن درء المفساد
مقدم على جلب المصالح، مع أنني لا أرى فيه مصلحة قط،
ولكن هذا من باب التنزل مع الخصم»^(٢). اهـ

«ومن أسباب تحريم التمثيل التي استدلت بها من حرم التمثيل من

العلماء:

١- أن يكون فيه القيام بدور عن أحد من أنبياء الله ورسوله
ﷺ، أو عن أحد من صحابة رسول الله محمد ﷺ من
الخلفاء الراشدين وزوجاته أمهات المؤمنين رضي الله

(١) فتاوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (٥/ ٢٧١-٢٧٢).

(٢) مقدمة كتاب إيقاف النبيل على حكم التمثيل للشيخ عبدالسلام آل عبدالكريم ص ٤.

عن الجميع.

- ٢- أن يكون فيه محاكاة معين على سبيل الإضحاك، أو السخرية، أو الإيذاء، أو محاكاة مجردة.
- ٣- اشتماله على المعازف، أو المؤثرات الصوتية، والغناء المحرم، والرقص من الرجال والنساء.
- ٤- القيام بأفعال فيها رعونة، وسخرية، وخرم مروءة.
- ٥- اشتماله على التصوير، والاختلاط بين الرجال والنساء.
- ٦- اشتماله على قول محرم من السباب، والشتم، واللغو، والقذف، والغزل.
- ٧- احتوائه على الكذب والاختلاق، أو في فرع منها مثل دعوى الزواج، والهزل بالطلاق.
- ٨- نشر أخلاق وعادات الكافرين، والمبتدعة، والفاسقين.
- ٩- الخوض والاستهزاء في أحكام دين الله وشرعه.
- ١٠- تمثيل قصص وحكايات عن أشخاص لا تصح عنهم، فهي قلب لحقائق التاريخ وتشويه له.
- ١١- إفضاؤه إلى نشر الرذيلة، وإشاعة الفساد، والمنكر.
- ١٢- إلحاق الأذى بالشخص الممثل عيناً، في لباس، أو نطق، أو شعور، أو لحي مصطنعة، أو هيئة معينة، مثل العلماء،

والمشايخ، والزهاد.. وغيرهم.

١٣- أنه مخطط رهيب لتخدير الأمة، وتكوين جيل ساذج تافه، يساق كما تُساق بهيمة الأنعام»^(١).

وذهب بعض أهل العلم من المعاصرين إلى أن التمثيل إذا كان مضبوطاً بالضوابط الشرعية، ولم يكن فيه شيء من المحرمات، وفيه مصلحة شرعية، فهو مباح، وإلى هذا ذهب الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، حيث قال: «كثير من إخواننا يمنع من التمثيل مطلقاً، ويقول: إنه لا يجوز لأنه يتضمن الكذب، وربما يتضمن استهزاء بالشعائر الدينية، كما لو تقمص الممثل شخص رجل كبير السن، ووضع عليه لحية من الصوف وما أشبه ذلك، ومن الناس من يقول: إذا كان التمثيل هادفاً، ولم يتضمن محظوراً، يكذب على أحد، ولا يقوم الرجل بدور المرأة، أو المرأة بدور الرجل، ولم يكن فيه تقليد للحيوانات، فإنه لا بأس به، فيجيز التمثيل بشروط؛ وليعلم أن الأصل في غير العبادات الحل والإباحة، وهذا من فضل الله عز وجل، أن يسر على العباد ما لم يحرمه عليهم، فإذا كان الأصل الحل، فإنه لا بد من إقامة الدليل على التحريم، وإذا قلنا أن هذا حرام، وقال الآخرون هذا حلال، فالقول مع المحلل إلا إذا كان هناك دليل

(١) التمثيل للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ ص ٤٥-٤٨.

يدل على التحريم، فيجب اتباع الدليل وهذا في غير العبادات، أما العبادات وهي ما يقصد به التقرب إلى الله، فإن الأصل فيها المنع والتحريم؛ لأن العبادات طريق إلى الله، وهي صراط الله، ولا يمكن أن نفتري على الله ما لم يجعله طريقاً موصلاً إليه^(١).

وبالنظر إلى ما تقدم، فإنه يكاد يستحيل وجود تمثيل متقيد بالشروط السابقة.

«والخلاصة أن التمثيل: حرفة، وأداء، وتكسباً، وعرضاً، ومشاهدة، لا يجوز؛ لأنه إن كان تمثيلاً دينياً فهو بدعي، لوقف العبادات على النص، ولما علمت من أصله لدى النصارى واليونان.

وإن كان غير ذلك فهو لهو محرم، لما فيه من التشبه، ولما رأيته من تفاريق الأدلة، وما يحتوي عليه، ويترتب عنه من الآثار المعارضة لآداب الشريعة، وناموس الترقى، وانحلال ربة الآداب، وأن ما فيه من عظات وفضائل مزعومة، فهي ضائعة مغمورة في حلبة تلك الملهيات التي توقظ نائم الأهواء، وتحرك ساكن الشهوات، كما ينطق به الواقع المرير، لتمير الفحش، والخنا، والفسوق، والعصيان، وتهديم البيوت داخل أسوارها، فهو يمثل مخاطر على العقائد، والأخلاق،

(١) فتاوى نور على الدرب للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/٢٤) ترقيم الشاملة باختصار.

والفضائل، والآداب.

وبالجملة فإن انتشار التمثيل بصفته التي تشاهد وتسمع كل يوم وليل: يمثل ظاهرة اعتلال في الأمة، ونهم في اللهو واللعب، ووهن في الدين، وفراغ من العلم، وعجز عن تحصيله، وتحطيم للأمة في قوتها، ووقتها، وتنمية طاقاتها ومواهبها، فما هي إلا وسيلة عدوان على الأمة، وتخطيط رهيب لتعيش سادرة، تخوض فيما لا ينفعها في دينها ولا في دنياها، بل هو ضرر محض عليها في الدين والدنيا، وإفساد الإنسان، وانهيار أخلاقه، بغرض السيطرة عليه، مخطط تخريبي يهودي.

وفي (بروتوكولات يهود): يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان، فتسهل سيطرتنا، إن (فرويد) منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه. انتهى.

والتاريخ يحفظ في سطورهِ أن الهيام في المضحكات والترفيهات من علائم الانحطاط وانقراض الدول، فهذا المستعصم آخر خلفاء بني العباس في بغداد كان مولعاً بالترفج على (المساخرة) المضحكة، وكان يقضي أكثر زمانه معها، كما في الفخري (ص ١٤٤)، وتاريخ أبي الفداء (٣/ ١٧٦).. وغيرهما.

وهكذا إذا ماتت السنن ظهرت البدع، وإذا ضعف الجذ والعزم، تفشى في الأمة الهزل والضعف، لتصل إلى محطة الشيخوخة في دائرة قطع يسام، وسلع تساوم، وإن الحياة لحادثٌ جليلٌ فما يمثل هذا تعمر الحياة، ويكون (التمثيل) ناموسًا ورمزًا لمجدها. وبالجملة فالتمثيل يحوي مفاتيح هذه المقاصد الهابطة، ويتضمن (محاضن تفرخ لها).

وهنا أذكر من ابتلى بشيء من أمر الفتيا، أن يبصر حال أمته ويبصر أوضاعها، وماذا يراد بها، ليتوقى عند إصدار الفتوى من فتيا تكون سلمًا لتلك المآرب المهينة، ولا أرى الفتيا بالجواز المقيد بشروطه، إلا ومصدرها - مع التقدير - في غياب عن الساحة وما يجري فيها من توظيف (التمثيل) لهدم مقومات الأمة، فستكون الفتيا (تكأة) ينطلق منها الآثمون، مستبعدين لضوابطها الشرعية عند من أفتى بها - وقد فعلوا؟!!

وأقول أخيرًا: إن التمثيل لو كان جائزًا بشروطه لوجب في هذا الزمان الإفتاء بمنعه وتحريمه لما يشاهد في بلاد المسلمين من زخم التمثيليات المهول التي تفرز خطورة على مقومات المسلمين كافة، ولا ينازع في الواقع هذا إلا جاهل به، أو ممالي^(١). اهـ

(١) التمثيل للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ ص ٥٧-٦٠.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .



فضل الجهاد في سبيل الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، ونصر عباده المؤمنين، وقمع الظالمين والمنافقين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه أيضاً من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.. وغير ذلك من المصالح التي تخص المؤمنين، وتعم الخلائق أجمعين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [التوبة: ٤١]»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة والحجة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما يمكن»^(٢)، وفي الحديث: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنْتِكُمْ»^(٣).

وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل الجهاد، ومكانته العظيمة، فمن ذلك:

أن الجهاد هو التجارة الرباحة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠-١٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ

(١) زاد المعاد (٣/٦٤).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/٥٣٨).

(٣) سنن أبي داود برقم ٢٥٠٤، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ مَشْكَاتِ

المصابيح (٢/١١٢٤) برقم ٣٨٢١.

أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلِمٍ، يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَحِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»^(١).

ومنها: أنه أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٢).

ومنها: إعانة الله للمجاهد في سبيله، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»^(٣).

ومنها: أنه ذروة سنام الدين، روى الترمذي في سننه من

(١) صحيح البخاري برقم ٣١٢٣ إلى قوله: أو غنيمة، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٦، وصحيح مسلم برقم ٨٣.

(٣) برقم ١٦٥٥، وقال: هذا حديث حسن.

حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ»، قلت: بلى يا رسول الله! قال: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»^(١).

ومنها: أن الغدوة والروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل ابن سعد رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ^(٢) يَرْوِحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْغَدْوَةُ^(٣) خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٤)، والمراد في سبيل الله، أي الجهاد.

ومنها: أن درجات المجاهدين في سبيل الله عالية، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى

(١) برقم ٢٦١٦، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها. النهاية في غريب الحديث (٣/٣٤٦).

(٣) الغدوة بالفتح: المرة الواحدة من الغدو، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه. النهاية في غريب الحديث (٣/٣٤٦).

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٨٩٢، وصحيح مسلم برقم ١٨٨١.

الجنة - أراه قال: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»^(٢).

ومنها: أن للشهيد عند الله ست خصال، روى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»^(٣).

ومنها: أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة، سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟ قال: أما إننا

(١) صحيح البخاري برقم ٢٧٩٠.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٨١٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٧.

(٣) برقم ١٦٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله

كما في صحيح الترمذي (١٣٢/٢) برقم ١٣٥٨.

قد سألنا عن ذلك^(١)، فقال: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي، وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ^(٣) نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قَبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(٤).

قال ابن كثير رحمته الله: «وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح. والله أعلم»^(٥).

ومنها أن المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) يعني: النبي صلى الله عليه وسلم. انظر شرح صحيح مسلم (١٣ / ٣٤).

(٢) صحيح مسلم برقم ١٨٨٧.

(٣) بارق: أي على جانب نهر. الفتح الرباني للبنا رحمته الله (١٣ / ٢٨).

(٤) (٢٢٠ / ٤) برقم ٢٣٩٠، وقال محققوه: إسناده صحيح. قال ابن كثير رحمته الله في تفسيره

(٣ / ٢٦٢): وهو إسناده جيد.

(٥) تفسير ابن كثير رحمته الله (٣ / ٢٦٣).

أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

ومنها أن جهاد المسلم خير له من العبادة ستين سنة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ مر بشعب فيه عين عذبة، قال: فأعجبه - يعني طيب الشعب - فقال: لو أقمت ها هنا وخلوت! ثم قال: لا، حتى أسأل النبي ﷺ، فسأله فقال: «مُقَامٌ أَحَدِكُمْ - يَعْنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ - خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ سَنَةً، أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوقَ نَاقَةٍ^(٢)، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(٣).

ومنها فضل المجاهدين على القاعدين، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قال ابن دقيق العيد رحمته الله: «الجهاد أفضل الأعمال؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه،

(١) صحيح البخاري برقم ٢٧٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٨.

(٢) فُوقَ نَاقَةٍ: بضم الفاء وتفتح، هو ما بين الحلبتين من الراحة.

(٣) (٤٧٤ / ١٥) برقم ٩٧٦٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

ففضيلته بحسب فضيلة ذلك . والله أعلم»^(١).

وقال العز بن عبدالسلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لما بذل الشهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيراً من حياتهم التي بذلوها، وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا، لما انقطعت آثارهم من السروح في الدنيا»^(٢).

وقال أيضاً: «يشرف البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله، وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين»^(٣).

وليعلم أن الفضل الوارد في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ

(١) فتح الباري (٦/٨).

(٢) أحكام الجهاد وفضائله ص ٨٤.

(٣) المرجع السابق ص ٥٤.

الْعُلَيَّا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

وينبغي للمؤمن أن يحدث نفسه بالجهاد، وشرف نصره الدين، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(٢).

وإذا صدق في سؤال الله الشهادة، بلغه الله منازل الشهداء، روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

تنبیه :

من كرامات الشهيد أنه لا يجد ألم الموت الشديد، فقد روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ، إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ»^(٤).

قال ابن القيم رحمته الله: «لا يجد الشهيد من الألم إلا مثل مس

(١) صحيح البخاري برقم ٢٨١٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٤.

(٢) برقم ١٩١٠.

(٣) برقم ١٩٠٩.

(٤) برقم ١٦٦٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني

رحمته الله - كما في صحيح الترمذي (١٣٣/٢) برقم ١٣٦٢: حسن صحيح.

القرصة، فليس في قتل الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني آدم، فمن عد مصيبة هذا القتل أعظم من مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل، بل موت الشهيد من أيسر الميئات، وأفضلها، وأعلاها»^(١).

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «يعني أنه تعالى يهون عليه الموت، ويكفيه سكراته وكربه، بل رُبَّ شهيد يتلذذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة بها نفسه»^(٢).

وأختم بهذه الأبيات التي أرسلها عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

يَا عَابِدَ الْحَرَمِينَ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلَعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ فَخِيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا رَهْجُ السَّنَابِكِ^(٣) وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ
وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ
لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يَكْذِبُ

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٩٤).

(٢) فيض القدير (٤/١٨٢).

(٣) الريح: الغبار، والسنايك جمع سنك، طرف حافر الخيل وجانباه من قدام.

فألفت الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال:
صدق أبو عبد الرحمن ونصح^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٣٧٨-٤٢١).

الكلمة السادسة والثلاثون

قصة أصحاب الأخدود

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد ذكر الله ﷺ في كتابه القصص لناخذ منها الدروس والعبر، ولتثبيت فؤاد النبي ﷺ والمؤمنين، وغير ذلك من الحكم، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

ومن تلك القصص قصة أصحاب الأخدود، قال تعالى: ﴿ قِيلَ اصْحَبُوا الْأَخْدُودَ ۗ ﴾ [النار: ٤] النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ۗ ﴿٥﴾ إِذْ هَرَعَلَيْهَا قُوعِدُ ۗ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۗ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ [البروج: ٤-١٠].

وذكر بعض أهل العلم أنهم في الفترة ما بين بعثة محمد ﷺ وعيسى ﷺ (١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤ / ٣٠٥-٣١٢)، وتفسير جزء عم وأحكامه وفوائده =

وقد وردت القصة مفصلة في السنة في الحديث الذي رواه مسلم في خبر الملك، والغلام، والساحر، والراهب، وذكرها بعض المفسرين عند تفسير الآيات السابقة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ، فَتَعَدَّ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ

أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ، فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُشَارِ^(١)، فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمُشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَعَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى

(١) هو آلة القطع المسمى: المشار.

الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَضْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّكَ فَحُدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ! اضْبِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ»^(١).

ومن فوائد قصة أصحاب الأخدود:

« ١- أن الله ﷻ قد يسلط أعداءه على أوليائه، فلا تستغرب إذا سلط الله الكفار على المؤمنين، فقتلوهم، وحرقوهم،

وانتهكوا أعراضهم، فالله تعالى له في هذا حكمة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]. والمصابون من المؤمنين أجرهم عند الله عظيم، رفعة لدرجاتهم، وتكفيراً لسيئاتهم، وهؤلاء الكفار المعتدون أملى لهم الله مكرًا بهم، واستدراجًا لهم، وسيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، والباقون لهم عبرة وعظة فيما حصل لإخوانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٢- أن هؤلاء الكفار لم يأخذوا على المسلمين بذنب إلا شيئاً واحداً، وهو أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد، وهذا ليس بذنب، بل هذا هو الحق، ومن أنكره فهو الذي يُنكر عليه" (١).

٣- لعن الله للكافرين الظالمين، وهو معنى قُتل: أي لعن، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رَحْمَةِ اللَّهِ.

٤- أن النار أعظم ما يعذب به، ولذا حرم في الإسلام التعذيب بالنار، فلا يعذب بالنار إلا ربها (٢).

(١) تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، ص ١٣٠-١٣١ بتصرف.

(٢) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبدالرحمن البراك رَحِمَهُ اللَّهُ ص ١٣٢.

٥- قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «قال علماؤنا: أعلم الله رَحِمَهُ اللهُ المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه من وَحْدَ قلوبهم من الشدائد يؤنسهم بذلك، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين، مع صغر سنه، وعظيم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم، والصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةً عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(١).

وروى ابن ماجه في سننه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعَتْ وَحَرِّقَتْ»^(٢).

(١) برقم ٢١٧٤، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الترمذي (٢/٢٣٤) برقم ١٧٦٦.

(٢) برقم ٤٠٣٤، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٧٤) برقم ٣٢٥٩.

ولقد امتحن كثير من أصحاب النبي ﷺ بالقتل والصلب والتعذيب الشديد، ولم يلتفتوا إلى شيء من ذلك، ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق»^(١).

٦- أن الشرائع السابقة ليست فيها رخصة للمكره على التكلم بالكفر، وكان من محاسن ديننا الحنيف الرخصة للمكره على التكلم بالكفر، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

٧- أن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ولذلك تعرض أنبياء الله للقتل على أيدي اليهود وغيرهم من الكفرة الفجرة كيحيى وزكريا وغيرهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ١٩١-١٩٣).

دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^{(١)(٢)}.

٨- حلم الله العظيم على عباده، فمع أنهم قتلوا أوليائه وأحبابه وأحرقوهم بالنار، إلا أنه يدعوهم إلى التوبة، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «انظروا إلى هذا الكرم والجود! قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمَّ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠].
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٣٩٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبدالرحمن البراك رَحِمَهُ اللهُ ص ١٣٠-١٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٣١٢).

الكلمة السابعة والثلاثون

فوائد من حديث أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما
عند بعثتهما إلى اليمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بردة رضي عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخالفة^(١)، قال: واليمن مخالفتان، ثم قال: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا». وفي رواية: «وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلَفًا»^(٢). فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه وإذا هو جالس، وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه،

(١) أي: أقليم، وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن، وكان من عمله الجند، وله بها مسجد مشهور إلى اليوم، وكانت جهة أبي موسى السفلى.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٧٣٣.

فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقتل، قال: إنما جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يُقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل فقال: يا عبد الله! كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً^(١)، وفي رواية: قائماً وقاعداً، وعلى راحلتي^(٢)، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحسب نومتي كما أحسب قومتي^(٣).

من فوائد الحديث:

- ١- من هدي النبي ﷺ أنه إذا بعث أحداً في أمر أو صاه بالوصية التي تناسب المهمة التي أرسل فيها.
- ٢- ينبغي للداعي إلى الله أن يلتزم في دعوته بالتيسير على الناس ويجتنب التعسير وما فيه مشقة عليهم، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يكون الداعي ممن رزقه الله الفقه في الدين، وتحلى بالصبر والحلم، واستعمل الرفق.
- ٣- ينبغي للداعي إلى الله تبشير الناس بما يسرهم، فذلك أدعى لقبول الحق والانقياد له.

(١) أتفوقه تفوقاً: أي الأزم قراءته ليلاً ونهاراً، شيئاً بعد شيء، وحيناً بعد حين، مأخوذ من فواق الناقة، وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر، ثم تحلب.. هكذا دائماً. فتح الباري (١/٦٢).

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٣٤٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٣٤٢، وصحيح مسلم برقم ١٧٣٣.

٤- بعث النبي ﷺ معاذًا وأبا موسى ولم يكن لهما أمير، إذ لم يكن معهما ثالث يأمرانه، فلهذا أمرهما ﷺ أن يتطوعا فيطيع هذا مرة، ويطيع الآخر مرة أخرى؛ لأن ذلك جالب للمودة والتعاون على البر والتقوى، ونهاهما عن الاختلاف؛ لأنه سبب إلى أضرار ذلك.

٥- هدي الصحابة حين يلقي بعضهم بعضًا فيتذكرون الإيمان والأعمال، وينتفع بعضهم من بعض، واستشارة بعضهم لبعض لاستصلاح النفوس وتربيتها.

٦- أن أبا موسى كان عالمًا فطنًا حاذقًا، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة، ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به.

٧- تولية أميرين على البلد الواحد، وقسمة البلد بين أميرين.

٨- كراهية سؤال الإمارة والحرص عليها، ومنع الحريص عليها منها.

٩- إكرام الضيف والزائر، فقد جاء في الحديث: «فقرَّب إليه الوسادة».

١٠- المبادرة إلى إنكار المنكر، وإقامة الحد على من وجب عليه^(١).

(١) فتح الباري لابن حجر رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٢٧٥) باختصار.

١١- سرعة الاستجابة والتنفيذ لأمر الله ورسوله، فإن معاذاً رفض أن ينزل حتى يُقام عليه الحد فوراً.

١٢- أن المرتد حكمه القتل إذ لم يتب، قال رضي الله عنه: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

١٣- «أن المباحات يُؤجر عليها بالنية إذا صارت وسائل للمقاصد الواجبة أو المندوبة، أو تكميلاً لشيء منهما»^(٢).

١٤- أن العبادات من قراءة القرآن، وقيام الليل.. وغيرها من العبادات من أعظم الزاد المعين على نشر الدعوة، وتعليم الناس الخير.

١٥- مراجعة الحفظ من القرآن ليلاً ونهاراً، والقيام به في صلاة الليل؛ لأنه سريع التفلت، وأبو موسى الأشعري هو الذي روى حديث: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَهُوَ أَشَدُّ ثَقُلًا مِنَ الْإِبْلِ فِي عُنُقِهَا»^(٣)؛ ولذلك كان أبو موسى الأشعري يلازم المراجعة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٦٩٢٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر رحمته الله (١٢/٢٧٥).

(٣) صحيح البخاري برقم ٥٠٥٠، وصحيح مسلم برقم ٨٠٠.

الكلمة الثامنة والثلاثون

دروس وعبر من غزوة أحد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن غزوة أحد وقعة امتحن الله ﷻ فيها عباده المؤمنين، واختبرهم، وميز فيها بين المؤمنين والمنافقين، وقد ذكرها الله تعالى مفصلة في سورة آل عمران، واقتصرت على ذكر بعض الحكم والفوائد التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، وإليك الآيات فتدبر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٦٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٦٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفِرُ
 لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾
 وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
 وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَعْفُرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن
 قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾
 هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
 وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ
 قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ
 الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن
 قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَآيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
 مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
فَنُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا
أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ
بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ
مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ
الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ
ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ
أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُكُمُ غَمًّا يَغْمِرُ
لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ
خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى
طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

الْجَهْلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ
 فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا
 هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
 وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
 الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾
 يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
 الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ
 حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ
 قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ
 ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ
 لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
 لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ
 ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ
 مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ وَمَنْ
 يَعْلَمُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ
 جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
 ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا
 عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ

كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِي ضَلَلٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ
 مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنْ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ
 الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ
 قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ
 بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
 لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
 يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾
 الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
 مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
 فَاخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا
 بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
 يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزَابًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا
 يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۗ هُمْ سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ۗ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَّكْتُمْ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ [آل عمران: ١٢١-١٨١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْحُكْمِ وَالْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَقْعَةِ أَحَدٍ: «وَقَدْ أَشَارَ اللهُ ﷻ إِلَى أَمَهَاةِهَا وَأَصُولِهَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، حَيْثُ افْتَتَحَ الْقِصَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، إِلَى تَمَامِ سِتِينَ آيَةٍ.

فَمِنْهَا: تَعْرِيفُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَالْفِشْلِ، وَالتَّنَازُعِ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشَوْءِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرَانَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ۗ مِنكُمْ مَن يُرِيدُ اللَّهُنَّكَ وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة، وتحرزًا من أسباب الخذلان.

ومنها: أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم، جرت بأن يُدالوا مرة، ويُدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائمًا، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتصر عليهم دائمًا، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤوا به، ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة.

ومنها: أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يُدال علينا المرة، ونُدال عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة^(١).

ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيِّتُ، دخل معهم في الإسلام ظاهرًا من ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت حكمة الله ﷻ أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة، وتكلموا

(١) أخرجه البخاري برقم ٧، ومسلم برقم ١٧٧٣ من حديث أبي سفيان.

بما كانوا يكتمونونه، وظهرت مُخَبَّاتِهِمْ، وعاد تلويحهم تصریحًا، وانقسم الناس إلى كافر، ومؤمن، ومنافق، انقسامًا ظاهرًا، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دورهم، وهم معهم لا يُفارقونهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

أي: ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء، فإنهم متميزون في غيبه وعلمه، وهو **سَبَّحَانِيَّ** يريد أن يميزهم تمييزًا مشهودًا، فيقع معلومه الذي هو غيبٌ شهادةً. وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسل، فإنه يُطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما قال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿ [الجن: ٢٦-٢٧]. فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يُطلع عليه رسله، فإن آمنتم به وأيقنتم، فلکم أعظم الأجر والكرامة.

ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يُحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يُحبون وما يكرهون، فهم

عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء
والنعمة والعافية.

ومنها: أنه سُبْحَانَهُ لو نصرهم دائماً، وأظفرهم بعدوهم في
كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً، لظغت
نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر،
لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يُصلح
عباده إلا السراء والضراء، والشدة والرخاء، والقبض والبسط،
فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة، والكسرة، والهزيمة، ذلُّوا
وانكسروا، وخضعوا، فاستوجبوا منه العِزَّ والنصر، فإن خلعة
النصر إنما تكون مع ولاية الذُّلِّ والانكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ
نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ
إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ [التوبة: ٢٥].
فهو سُبْحَانَهُ إذا أراد أن يُعز عبده، ويجبره، وينصره، كسره أولاً،
ويكون جبره له ونصره على مقدار ذلِّه وانكساره.

ومنها: أنه سُبْحَانَهُ هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته،
لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغياها إلا بالبلاء والمحنة، فقيص
لهم الأسباب التي تُوصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم
للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا ورُكُونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربُّها ومالكها وراحمها كرامته، قيِّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدوية منه، ولو تركه لغلبته الأدوية حتى يكون فيها هلاكه.

ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو **سُبْحَانَهُ** يُحب أن يتخذ من عباده شهداء، تُراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.

ومنها: أن الله **سُبْحَانَهُ** إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيِّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محققهم وهلاكهم، وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤١].

فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم، وإحياء عزائمهم وهممهم، وبين حُسن التسلية، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾، فقد استويتم في القرح والألم، وتبايتم في الرجاء والثواب، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]. فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

ثم أخبر أنه يُداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس، وأنها عرضٌ حاضر، يقسمها دُولاً بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة، فإن عزها ونصرها ورجاءها خالصٌ للذين آمنوا.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثوابٌ ولا عقاب، وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدًا واقعًا في الحسّ.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي اتخاذهُ ^{سُبْحَانَهُ} منهم شهداء، فإنه

يُحِبُّ الشَّهَادَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمُ أَعْلَى الْمَنَازِلِ وَأَفْضَلَهَا، وَقَدْ اتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يُنِيلَهُمْ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، تَنْبِيهُ لَطِيفُ الْمَوْقِعِ جَدًّا عَلَى كِرَاهَتِهِ وَبِغْضِهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ انْخَذَلُوا عَنْ نَبِيِّهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يَشْهَدُوهُ، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُحِبَّهُمْ، فَأَرْكَسَهُمْ وَرَدَّهُمْ لِيَحْرِمَهُمْ مَا خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا أَعْطَاهُ مِنْ اسْتِشْهَادٍ مِنْهُمْ، فَتَبَطَّ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَفَّقَ لَهَا أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/١٩٦-٢٠٠) باختصار.

مفطرات الصيام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ بَشَرُوهُنَّ وَابْتَعُوهُنَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أصول مفطرات الصوم، وذكر النبي ﷺ في السنة تمام ذلك.

والمفطرات المتفق عليها بين العلماء:

١- الأكل. ٢- الشرب. ٣- الجماع. ٤- خروج دم الحيض.

«١- الجماع: وهو إيلاج الذكر في الفرج، وهو أعظمها وأكبرها إثماً، فمتى جامع الصائم بطل صومه فرضاً كان أو نفلاً، ثم إن كان في نهار رمضان والصوم واجب عليه لزمه مع القضاء الكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لعذر شرعي كأيام العيد والتشريق، أو لعذر حسي كالمرض والسفر

بغير قصد الفطر، فإن أفطر لغير عذر ولو يوماً واحداً لزمه استئناف الصيام من جديد ليحصل التابع، فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين فإطعام ستين مسكيناً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً وقع بامرأته فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً»، قال: لا، قال: «هَلْ تَسْتَطِيعُ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قال: لا، قال: «فَأَطْعِمْ سِتِينَ مَسْكِينًا»^(١).

٢- إنزال المني باختياره؛ بتقبيل، أو لمس، أو استمناء.. أو غير ذلك؛ لأن هذا من الشهوة التي لا يكون الصوم إلا باجتنابها، كما جاء في الصحيحين في الحديث القدسي: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي»^(٢).

فأما التقبيل واللمس بدون إنزال فلا يفطر لما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْبَلُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَمْلَكَكُمْ لِأَرْبِهِ»^(٣).

وأما الإنزال بالاحتلام فلا يفطر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم ١٩٣٧، ٢٦٠٠، ٥٣٦٨، وصحيح مسلم برقم ١١١١.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٨٩٤، وصحيح مسلم برقم ١١٥١.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٩٢٧، وصحيح مسلم برقم ١١٠٦.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٩٢٥، وصحيح مسلم برقم ١١٠٩.

٣- الأكل أو الشرب، وهو إيصال الطعام أو الشراب إلى الجوف من طريق الفم أو الأنف، أيًا كان نوع المأكول أو المشروب، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. والسعوط في الأنف كالأكل والشرب؛ لقوله ﷺ في حديث لقيط بن صبرة: «وَبَالِغٌ فِي الْأَسْتِنشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(١).

فأما شم الروائح فلا يفطر؛ لأنه ليس للرائحة جرم يدخل إلى الجوف.

٤- ما كان بمعنى الأكل والشرب، وهو شيئان:

أحدهما: حقن الدم في الصائم مثل أن يصاب بنزيف فيحقن به دم، فيفطر بذلك؛ لأن الدم هو غاية الغذاء بالطعام والشراب، وقد حصل ذلك بحقن الدم فيه.

الشيء الثاني: الإبر المغذية التي يُكتفى بها عن الأكل والشرب، فإذا تناولها أفطر لأنها وإن لم تكن أكلاً وشراباً حقيقة، فإنها بمعناها، فثبت لها حكمهما، فأما الإبر غير المغذية فإنها غير مفطرة سواء تناولها عن طريق العضلات أو عن طريق العروق حتى

(١) سنن أبي داود برقم ٢٣٦٦، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ ٢٠٧٣.

لو وجد حرارتها في حلقه، فإنها لا تفطر؛ لأنها ليست أكلاً ولا شرباً ولا بمعناهما، فلا يثبت لها حكمهما، ولا عبرة بوجود الطعم في الحلق في غير الأكل والشرب؛ ولذلك قال الفقهاء: «لو لطح باطن قدمه بحنظل فوجد طعمه في حلقه لم يفطر».

٥- التقيؤ عمدًا، وهو إخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم لقول النبي ﷺ: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قِضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ»^(١). ومعنى ذرعه: أي غلبه، ويفطر إذا تعمد القيء، إما بالفعل؛ كعصر بطنه أو غمز حلقه، أو بالشم؛ مثل أن يشم شيئاً ليقيء به، فيفطر بذلك كله، أما إذا حصل القيء بدون سبب منه فإنه لا يفطر.

٦- خروج دم الحيض والنفاس لقول النبي ﷺ في المرأة: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ»^(٢). فمتى رأت دم الحيض أو النفاس فسد صومها سواء في أول النهار أم في آخره، ولو قبل الغروب بلحظة. وإن أحست بانتقال الدم ولم يبرز إلا بعد الغروب فصومها صحيح.

ويحرم على الصائم تناول هذه المفطرات إن كان صومه واجباً

(١) سنن أبي داود برقم ٢٣٨٠، وقد اختلف في تصحيحه وتضعيفه، وفي وقفه ورفعته. وللمزيد انظر علل الترمذي الكبير ص ١١٩، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (٢٥/٢٢١) وغيره.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٠٤، وصحيح مسلم برقم ٨٠.

كصوم رمضان والكفارة والنذر، إلا أن يكون له عذر يبيح الفطر، لأن من تلبس بواجب لزمه إتمامه إلا لعذر صحيح، ثم إن كان في نهار رمضان وجب عليه الإمساك بقية اليوم والقضاء، وإلا لزمه القضاء دون الإمساك، أما إن كان صومه تطوعاً فإنه يجوز له الفطر ولو بدون عذر لكن الأولى الإتمام»^(١).

وقد صدرت فتوى في بعض مفطرات الصيام المعاصرة التي يكثر السؤال عنها من مجمع الفقه الإسلامي في دورته المنعقدة بجدة خلال الفترة من ٢٣-٢٨ صفر عام ١٤١٨ هـ وجاء فيها:

أولاً: الأمور التالية لا تعتبر من المفطرات:

- ١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.
- ٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.
- ٣- ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.
- ٤- إدخال المنظار أو اللولب أو نحوهما إلى الرحم.
- ٥- ما يدخل الإحليل: أي مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى من

(١) مجالس شهر رمضان للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٦٤-٦٧ بتصرف واختصار.

قنطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو خلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك، أو فرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٨- الحقن العلاجية الجلدية، أو العضلية، أو الوريدية، باستثناء السوائل، والحقن المغذية.

٩- غاز الأكسجين.

١٠- غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصًا من الجلد كالدهونات، والمراهم، واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية، أو الكيميائية.

١٢- إدخال قنطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء، أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم

تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦- دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة)، وينبغي على الطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكور فيما سبق.

وبقي بعض المفطرات المعاصرة مثل:

١- بخاخ الربو: ذهب العلماء: ابن باز^(١)، وابن عثيمين^(٢) رحمهما الله، واللجنة الدائمة^(٣) إلى أنه لا يفطر؛ لأن البخاخ يتبخر ولا يصل إلى المعدة، وإنما يصل إلى القصبات الهوائية، وقياساً على المضمضة والسواك.

٢- التخدير الكلي:

- «أن يفقده جميع النهار، فالجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة أن من أُغمي عليه جميع النهار فصومه غير صحيح؛

(١) فتاوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٥/٢٦٥).

(٢) فتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٩/٢٠٩-٢١٠).

(٣) فتاوى إسلامية معاصرة (٢/١٣١).

لحديث «يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ»^(١). فأضاف الإمساك إلى الصائم، أما المغمى عليه فلا يصدق عليه ذلك.

- أن لا يستغرق فقدان الوعي كل النهار، فذهب مالك إلى عدم صحة صومه، وذهب الشافعي وأحمد إلى صحة صومه.. وهو الأقرب للصواب»^(٢).

٣- الغسيل الكلوي: اختار الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ مَفْطَرٌ؛ لأن غسيل الكلى يزود الجسم بالدم النقي، كما أنه قد يزود بمادة مغذية، وهو مفطر آخر، فاجتمع مفطران^(٣).

«وذهب آخرون من المعاصرين إلى أنه لا يفطر لأن غسيل الكلى يلحق بالحقن فليس أكلاً ولا شرباً، إنما هو حقن لسوائل في صفاق البطن، ثم استخراجه بعد مدة، أو سحب للدم ثم إعادته بعد تنقيته عن طريق جهاز الغسيل الكلوي، والذي يظهر أن غسيل الكلى فيه تفصيل، فإذا صاحبه تزويد الجسم بمواد مغذية سكرية أو غيرها فلا إشكال أنه يفطر؛ لأن هذه المواد بمعنى الأكل والشرب، فالجسم يتغذى بها ويتقوى، أما إذا لم يكن معه مواد مغذية فإنه لم يظهر ما يوجب التفطير به، أما مجرد تنقيته للدم من المواد الضارة فليس في هذا ما يوجب

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٤.

(٢) مفطرات الصيام المعاصرة، د. أحمد الخليل، ص ٥٩.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٥/٢٧٥).

التفطير به»^(١).

٤- جفنة أو تحاميل الشرج: لا تفطر؛ لأنها ليست أكلاً ولا شرباً ولا بمعناها، ولا تصل إلى الجوف، إلا إذا كان فيها ماء أو مواد مغذية تمتصها الأمعاء، فهي مفطرة، لتقوي الجسم بهذه المواد التي تمتصها الأمعاء.

٥- المنظار الشرجي: لا يفطر، فهو لا يصل إلى المعدة، ولا يحصل للجسم به تقوي ولا تغذي.

٦- التبرع بالدم: يقاس على الحجامة، وفيها خلاف قوي بين أهل العلم، والأقرب من حيث الدليل وعليه جمهور السلف والخلف عدم التفطير بالحجامة، وعليه فالتبرع بالدم لا يفطر.

٧- سحب الدم القليل للتجليل: لا يفطر، لعدم وجود ما يقتضي الفطر»^(٢).

تنبيه:

جاء في الموسوعة الفقهية: «اتفق الفقهاء على أن شرب الدخان المعروف أثناء الصوم يفسد الصيام؛ لأنه من المفطرات»^(٣).
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مفطرات الصيام المعاصرة، د. أحمد الخليل ص ٧٧-٧٨.

(٢) مفطرات الصيام المعاصرة، د. أحمد الخليل ص ٨٢-٨٣-٨٦-٩٤.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨/٣٦).



فضل الصيام في شهر شعبان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد عقد الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه (لطائف المعارف) فصلاً في وظائف شهر شعبان، اختصرت كلامه في هذه الكلمة.

«روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام، يسرد حتى يُقال: لا يُفطر، ويُفطر الأيام حتى لا يكاد أن يصوم، إلا يومين من الجمعة إن كان في صيامه، وإلا صامهما، ولم يكن يصوم شهر من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت: يا رسول الله! إنك تصوم لا تكاد أن تفطر، وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم، إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما، قال: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟» قلت: يوم الاثنين، ويوم الخميس، قال: «ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»، قلت: ولم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذَلِكَ

شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»^(١).

قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام النبي ﷺ من جميع السنة، وصيامه من أيام الأسبوع، وصيامه من شهور السنة، فأما صيام النبي ﷺ من السنة فكاد يسرد الصيام أحياناً، والفتور أحياناً، فيصوم حتى يُقال: لا يُفطر، ويفطر حتى يُقال: لا يصوم، وقد كان النبي ﷺ ينكر على من يصوم الدهر، ولا يفطر منه، ويخبر عن نفسه أنه لا يفعل ذلك.

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» فقلت: بلى يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ»^(٢).

وأما صيام النبي ﷺ من الأيام - أعني: أيام الأسبوع - فكان يتحرى صيام الاثنين والخميس، فقد روى النسائي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ»^(٣).

(١) (١٦/٨٥-٨٦) برقم ٢١٧٥٣، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٩٧٥، وصحيح مسلم برقم ١١٥٩.

(٣) سنن النسائي برقم ٢٣٦١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي =

وأكثر العلماء على استحباب صيام الاثنين والخميس،
 وأما صيام النبي ﷺ من أشهر السنة، فكان يصوم من شعبان
 ما لا يصوم من غيره من الشهور، ففي الصحيحين من حديث
 عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر
 قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان»^(١).
 زاد البخاري في رواية: «كان يصوم شعبان كله»^(٢)، ولمسلم في
 رواية: «كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً»^(٣)،
 وفي رواية النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أحب الشهور
 إلى رسول الله ﷺ أن يصوم شعبان، وكان يصله برمضان»^(٤).

وقد رجح طائفة من العلماء - منهم ابن المبارك - وغيره
 أن النبي ﷺ لم يستكمل صيام شعبان، وإنما كان يصوم أكثره.
 وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما صام
 رسول الله ﷺ شهراً كاملاً غير رمضان»، وكان ابن عباس يكره
 أن يصوم شهراً كاملاً غير رمضان»^(٥).

= (٢/٤٩٨) برقم ٢٢٢٤.

(١) صحيح البخاري برقم ١٩٦٩، وصحيح مسلم برقم ١١٥٦.

(٢) برقم ١٩٧٠.

(٣) برقم ١١٥٤.

(٤) برقم ٢١٧٦، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي (٢/٤٦٨)

برقم ٢٢٥٦ من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٩٧١، وصحيح مسلم برقم ١١٥٧.

فإن قيل: فقد قال ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»، ولم يصم كذلك، بل كان يصوم سردًا ويفطر سردًا، ويصوم شعبان وكل اثنين وخميس، قيل: صيام داود الذي فضله على الصيام قد فسره ﷺ في حديث آخر بأنه صوم شطر الدهر، وكان صيام النبي ﷺ إذا جمع يبلغ صيام نصف الدهر أو يزيد عليه، وقد كان يصوم مع ما سبق ذكره: يوم عاشوراء، وتسع ذي الحجة، وإنما كان يُفْرَقُ صِيَامَهُ وَلَا يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؛ لَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَحَرَى صِيَامَ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ، وَلَا يَضُرُّ تَفْرِيقَ الصِّيَامِ وَالْفِطْرِ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ وَيَوْمٍ إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِهِ التَّقْوَى عَلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الصِّيَامِ؛ مِنْ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا وَالْجِهَادِ عَلَيْهَا، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهَا، وَكَانَ صِيَامَ يَوْمٍ وَفِطْرَ يَوْمٍ يُضَعِّفُهُ عَنْ ذَلِكَ.

ولهذا لما سُئِلَ النبي ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَمَّنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ، قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي طَوَّقْتُ ذَلِكَ»^(١). وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص لما كبر يسرد الفطر أحيانًا ليتقوى به على الصيام ثم يعود فيصوم ما فاتته؛ محافظة على ما فارق عليه النبي ﷺ من صيام شطر الدهر، فحصل للنبي ﷺ أَجْرُ صِيَامِ شَطْرِ الدَّهْرِ وَأَزِيدَ مِنْهُ بِصِيَامِهِ الْمُتَفَرِّقِ، وَحَصَلَ لَهُ ﷺ أَجْرُ تَتَابُعِ الصِّيَامِ بِتَمَنِيهِ لِذَلِكَ، وَإِنَّمَا عَاقَبَهُ عَنْهُ الْإِشْتِغَالُ بِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ

(١) أخرجه مسلم برقم ١١٦٢، ومعنى: طَوَّقْتُ ذَلِكَ: أي أطقته و قدرت عليه.

وأفضل . والله أعلم .

وفي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ». إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان، أو الأماكن، أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه، إما مطلقاً أو لخصوصية فيه لا يتفطن لها أكثر الناس، فيشتغلون بالمشهور عنه ويفوتون تحصيل فضيلة ما ليس بمشهور عندهم.

وفيه دليل على استحباب عمارة أزمان غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوب لله عَزَّ وَجَلَّ، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون: هي ساعة الغفلة، وكذلك فضل القيام في وسط الليل لشمول الغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر، وقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»^(١). ولهذا المعنى كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد أن يؤخر العشاء إلى نصف الليل، وإنما علل ترك ذلك بخشية المشقة على الناس، ولما خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه وهم ينتظرونه لصلاة العشاء قال لهم: «مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرِكُمْ»^(٢). وفي هذا إشارة إلى فضيلة التفرد بذكر الله في وقت من الأوقات لا يوجد فيه ذاك له.

(١) سنن الترمذي برقم ٣٥٧٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن الترمذي (٣/١٨٣) برقم ٢٨٣٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٥٧٠، ومسلم برقم ٦٣٦.

وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد:

منها: أنه يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل، ولا سيما الصيام؛ فإنه سر بين العبد وربّه، ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياءً.

وقد صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد، كان يخرج من بيته إلى السوق ومعه رغيفان، فيتصدق بهما ويصوم، فيظن أهله أنه أكلهما، ويظن أهل السوق أنه أكل في بيته.

وكانوا يحبون لمن صام أن يُظهر ما يُخفي به صيامه، فعن ابن مسعود رضي عنه قال: إذا أصبحت صيامًا، أصبحوا مدهنين، وقال قتادة: يستحب للصائم أن يدهن حتى تذهب عنه غبرة الصيام، وقال أبو التياح: أدركت أبي ومشخة الحي إذا صام أحدهم ادهن ولبس أحسن ثيابه.

ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانيةً.

وَهَبْنِي كَتَمْتُ السِّرَّ أَوْ قُلْتُ غَيْرَهُ أَتَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْقُلُوبِ السَّرَائِرُ
أَبَى ذَاكَ أَنَّ السِّرَّ فِي الْوَجْهِ نَاطِقٌ وَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ فِي الْعَيْنِ ظَاهِرٌ

ومنها: أنه أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم؛ كثرت أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم، فسهلت الطاعات، وإذا كثرت

الغفلات وأهلها، تأسى بهم عموم الناس، فيشق على نفوس المتيقظين طاعتهم، لقلة من يقتدون بهم فيها.

ولهذا المعنى قال النبي ﷺ: «لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»^(١). وقال ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٢). وفي رواية: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(٤). وخرجه الإمام أحمد، ولفظه: «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهَجْرَةِ إِلَيَّ»^(٥).

وقد قيل أن من فوائد صيام شهر شعبان: أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده، ووجد لصيام شعبان حلاوة الصيام ولذته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط، ولمّا كان

(١) معجم الطبراني الكبير (١٧/١١٧) برقم ٢٨٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ٤٩٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٤٥.

(٣) معجم الطبراني الكبير (٦/١٦٤) برقم ٥٨٦٧، وفي سنده ضعف، ورواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْهُمْ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مِنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مَنْ يَطِيعُهُمْ» (١١/٢٣١)، برقم ٦٦٥٠ وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٤) أخرجه مسلم برقم ٢٩٤٨.

(٥) (٣٣/٤٢٥) برقم ٢٠٣١١، وقال محققوه: حديث صحيح.

شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي رمضان، وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن.

كان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن»^(١).

قال الشاعر:

مَضَى رَجَبٌ وَمَا أَحْسَنْتَ فِيهِ وَهَذَا شَهْرُ شُعْبَانَ الْمُبَارَكِ
فِيَا مَنْ ضَيَّعَ الْأَوْقَاتَ جَهْلًا بِحُرْمَتِهَا أَفْتُ وَأَحْذَرُ بَوَارِكِ
فَسَوْفَ تُفَارِقُ اللَّذَاتِ فَهْرًا وَيُخْلِي الْمَوْتَ كَرَهَا مِنْكَ دَارِكِ
تَدَارِكُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا بِتَوْبَةٍ مُخْلِصٍ وَاجْعَلْ مَدَارِكِ
عَلَى طَلَبِ السَّلَامَةِ مِنْ جَحِيمٍ فَخَيْرُ ذَوِي الْجَرَائِمِ مَنْ تَدَارِكِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) لطائف المعارف، لابن رجب ص ١٤٤-١٥٩ باختصار وتصرف.

الكلمة الواحدة والأربعون

الوقف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الأعمال الصالحة العظيمة التي حث عليها الشرع، ورغب فيها، ويستمر أجرها لصاحبها بعد الممات: (الوقف)، والمقصود بالوقف: تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، والمراد بالأصل: ما يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، كالدور، والدكاكين، والبساتين، ونحوها، والمراد بالمنفعة: الغلة الناتجة عن ذلك الأصل، كالثمرة، والأجرة، وسكنى الدار ونحوها^(١).

والوقف سنة، وقربة عظيمة إلى الله، دلت النصوص الشرعية على فضله، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله! إنني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب ما لاقط أنفسي عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إِنْ شِئْتَ

(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١٩٩/٢).

حَبَسَتْ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقَتْ بِهَا»، قال: فتصدق بها عمر رضي الله عنه، أنه لا يُباع، ولا يُوهب، ولا يُورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القريبى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويُطعم غير متمول، قال: فحدثت به ابن سيرين، فقال: غير متأثل مالا^(١).

كما وردت أحاديث أخرى تحت على هذا الباب من الخير، وتأمّر به، وترغب فيه، فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

ومن العلماء من فسر الصدقة الجارية بالوقف على التخصيص، منهم النووي رحمته الله؛ لأن الصدقة الجارية مما لا ينقطع أجرها، ولا يمكن جريان الصدقة إلا بحبسها، والحبس مندوب إليه، وعقب الإمام النووي في شرح هذا الحديث فقال: وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه^(٣).

وروى البزار في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ

(١) صحيح البخاري برقم ٢٧٣٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٣٢.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٦٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١١/٨٨).

عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بئرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»^(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «ولا خلاف بين الأئمة في تحبيس القناطر، والمساجد، واختلفوا في غير ذلك»^(٢).

وقال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذا مقدرة إلا وقف»^(٣).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر منهم وقف، واشتهر ذلك ولم ينكره أحد فكان إجماعاً»^(٤).

وكما جاء في الآثار أن منهم من وقف بستانه^(٥)، ومنهم من وقف داره^(٦)، ومنهم من وقف أرضه^(٧)، ومنهم من حبس أدرعه وسلاحه^(٨)، وكان من أول من بادر إلى الوقف الخلفاء الراشدون الأربعة، فهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوقف دوراً له

(١) البحر الزخار (١٣/٤٨٤) برقم ٧٢٨٩، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع الصغير برقم ٣٦٠٢.

(٢) المبدع في شرح المقنع، لمحمد الحنبلي (٥/٣١٢).

(٣) المغني (٨/١٨٦).

(٤) المغني (٨/١٨٦).

(٥) صحيح البخاري برقم ١٤٦١، وصحيح مسلم برقم ٩٩٨.

(٦) كعقبة بن عامر، ينظر أحكام الأوقاف للخصاف ص ١٥.

(٧) صحيح البخاري برقم ٢٧٣٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٣٢.

(٨) صحيح البخاري برقم ١٤٦٨.

بمكة على ذريته^(١)، وهذا عمر رضي الله عنه أوقف أرضاً له بخيبر لم يصب مالاً أنفس منها^(٢)، وهذا عثمان ذو النورين رضي الله عنه أوقف بئر رومة، وكانت بئراً شهيرة بالمدينة عذبة الماء^(٣)، وهذا علي رضي الله عنه أوقف بينبع أرض له^(٤)، وهكذا تسابق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوقف في سبيل الله تأسيًا بقدموتهم صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة»^(٥). قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكان خالد بن الوليد من أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جهاداً في سبيل الله حتى لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيفُ الله المسلول»^(٦)، ومع اشتغاله بالجهاد، إلا أنه لم يغفل الوقف في سبيل الله، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(١) السنن الكبرى للبيهقي برقم ١٢٠٢٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٨٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المساقاة والشرب، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوماً كان أو غير مقسوم.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي برقم ١٢٠٢٢.

(٥) برقم ٤٤٦١.

(٦) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٢١٦/١) برقم ٤٣، وقال محققوه: حديث صحيح بشواهده.

أن النبي ﷺ قال: «... وَأَمَّا خَالِدٌ! فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١). أي: آلات الحرب من السلاح والدواب وغيرها.

ومن حِكَمِ الوقف العظيمة: القيام بحاجة المسلمين، وسد خللتهم، ورفع المنة عنهم، ونشر العلم والدعوة، فالواقف في سبيل الله تخلى عن ماله لينفع إخوانه، فهذا وقف مسجداً بناه فصرى فيه المسلمون، وهذا وقف سكناً لأبناء السبيل أو للأرامل والأيتام والفقراء، وهذا وقف مستشفى يتعالج فيه من لا يجد قيمة العلاج والدواء من أبناء المسلمين، وذاك ساهم في بناء وقف للدعوة إلى الله تعالى، ورعاية المسلمين الجدد، وتأليف قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام، وهذا وقف بعض ماله في عقار يدر على حلقات تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، أو تعليم العلوم الشرعية والقيام على طلبة العلم، أو طباعة الكتب.. وهكذا^(٢).

«الوقف له أركان لا يتم إلا بها:

الركن الأول: الواقف: وهو الذي بذل المال وحبسه في سبيل الله.

الركن الثاني: الموقوف عليه: وهي الجهة المنتفعة من الوقف

(١) برقم ١٤٦٨.

(٢) مجالس الوقف، للشيخ عبدالله الحميدي ص ٢٣.

ومصارفه، سواء كانت مؤسسات، أو أفراد معينين بأشخاصهم، كما في الوقف على الذرية والقراية، أو كانوا معينين بأوصافهم كالفقراء، أو المساكين، أو طلبة العلم، أو حفاظ القرآن الكريم، وقد يكون الوقف على جهات كالجمعيات الخيرية، أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم، أو مكاتب الدعوة إلى الله.. أو نحو ذلك.

الركن الثالث: المال الموقوف: سواء كان عقارًا ثابتًا، كالعمائر، والدور، والمحلات، والأسواق، أو كان منقولًا كالدراهم، والأموال، والمصاحف، والكتب، والأثاث.. وغيرها.

الركن الرابع: وهو الصيغة الوقفية: وهي اللفظ الذي يدل على إرادة الوقف، سواء أكانت صريحة كأن يقول (وقفت، وحبست، وسبلت) أو كناية وغير صريحة كنحو (تصدقت، وحرمت، وأبّدت) لكن يشترط نية الواقف في الصيغ الكنائية، أو اقترانها بأحد الألفاظ الصريحة»^(١).

أما بالنسبة للوقف الذري^(٢)، فقد صدرت فتاوى فيه من أهل العلم، جاء في فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ مَفْتِي الدِيَارِ السُّعُودِيَّةِ سَابِقًا ما نصه: «من محمد بن إبراهيم إلى القائد علي

(١) مجالس الوقف، للشيخ عبد الله الحميدي ص ٢٥-٣٣ بتصرف.

(٢) أي: على الذرية.

الشاعر مدير الكلية الحربية السعودية، فقد جرى الاطلاع على خطابكم الوارد إلينا مشفوعه الاستفتاء الموجه إلينا من الملازم أول مهدي الرافدي، أن رجلاً قضى نجه بعد أن أوقف جميع تركته على أولاده الذكور والإناث، وما تناسل من الذكور دون الإناث، ثم أبناء السبيل. ونفيدكم بأن هذا الوقف باطل لأمرين:

الأول: أنه جميع تركته وهو لا يتصرف إلا في ثلثها، ثبت أن رجلاً في زمن النبي ﷺ أعتق ستة أعبد عن دبر، ليس له مال غيرهم، فأقرع بينهم وجزأهم ثلاثة أجزاء، فأعتق اثنين وأرق أربعة، وقال فيه قولاً شديداً^(١)، وفي رواية أنه قال: «لَوْ حَضَرْتُهُ لَمْ يُدْفَنْ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢). اهـ. فلا تنفذ إلا ثلث التركة المذكورة.

الثاني: أنه حرم بذلك بقية الورثة، إن كانوا كالزوجة والأب والجد والأم والجدة، مع ما في هذا الوقف من الجنف، والظاهر فيه حرمان أولاد البنات مما يستحقونه من أمهاتهم المستحقات في هذا الوقف»^(٣).

كما جاء في الفتوى رقم ٢٨٦ من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة قاضي صبيا سلمه الله: فقد وصل إلينا كتابك^(٤)،

(١) صحيح مسلم برقم ١٦٦٨.

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٩٥٨، ٣٩٦٠).

(٣) رقم الخطاب ٨٨١ بتاريخ ١٦/٥/١٣٨٢هـ.

(٤) رقم ٥٢١ وتاريخ ٢٩/٩/١٣٧٦هـ، وملحقه برقم ١٥٤ وتاريخ ١٧/١/١٣٨٠هـ =

والمرفق به عريضة محمد بن زيد الخواجي حول استفتاءه عن حكم تصرفه في أملاكه وعقاراته التي أوقفها في حياته على ورثته، وأولاد ابنه زيد وبنات أخيه، وكذا وثيقة الوقفية التي بقلم محمد بن أحمد الحازمي المؤرخة في ١٨ / ٣ / ١٣٧٧ هـ، وبتأمل الجميع ظهر عدم صحة هذه الوقفية لأمر:

أولاً: أن هذا مخالف لما درج عليه السلف في أوقفهم؛ لأنه لم يعرف عن أحد منهم أنه فعل مثل هذا، قال الميموني: سُئل أحمد عن بعض المسائل في الوقف، فقال: ما أعرف الوقف إلا ما ابتغي به وجه الله، وقال أيضاً: أحب إلي أن لا يقسم ماله ويدعه على فرائض الله، وقال القاسم بن محمد لمن سأله عن وصايا العباس بن عتبة: انظر ما وافق الحق منها فامضه، وما لا فَرُدَّ، فإن عائشة رضي الله عنها حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا هَذَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

ثانياً: أن فيه حجراً على الورثة، وتضييقاً عليهم، ومنعاً لهم من التصرف في ميراثهم الذي فرضه الله لهم، فهو يقصد بهذا منعهم من بيعه والتصرف فيه بالهبة، وغير هذا من أنواع التصرفات، مع أن الله أباح لهم ذلك، فهو من تخوفه الفقر على ورثته يريد أن يتصرف تصرفاً أحسن مما شرعه رب العالمين،

= وملحقه برقم ٧٤٢ وتاريخ ١/٦/١٣٨٠ هـ.

(١) صحيح مسلم (١٧١٨).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. ولا يبعد أن يكون بفعله هذا داخلاً في عموم تعدي حدود الله، وعدم الرضا بما فرضه الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«وقد أنكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ هذا الوقف في ثلاث رسائل، وسماه: «وقف الجنف والإثم»، وسبب تأليف الشيخ لهذه الرسائل، ما كان معهوداً عند أهل نجد من الوقف على الذرية باستثناء أولاد البنات، حيث أبان ما في هذا الوقف من الظلم؛ لأنه يُعد تقسيماً للإرث على مقتضى الهوى، وفراراً من قسمة الله تعالى، حيث يريد الرجل أن لا ترث امرأته، أو لا يرث أولاد بناته من بناته إذا توفين بعده، بل يبقى المال في أولاده الذكور فقط وأولادهم ما داموا في صلبه»^(١).

تنبيهات:

١- «أن أفضل الوقف ما كان أنفع للمسلمين: فقد يكون الوقف على تعليم العلم أنفع وأهم في بعض الأزمان، وقد يكون الوقف على الجهاد في سبيل الله أنفع وأهم، وقد يكون

(١) أوضاع الأوقاف في نجد قبل الدعوة الإصلاحية، وموقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ منها، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام رَحِمَهُ اللهُ ص ١٧، مجلة الدارة، العدد (١) السنة ٢٤ عام ١٤١٩ هـ. وانظر وقف الجنف في الفقه الإسلامي - تطبيقات على الوقف الذري، ووقف الرجل لكل ماله، د. عدنان بن جمعان الزهراني.

الوقف على إطعام الطعام، وسقيا الماء أنفع، وذلك بحسب الأحوال، والظروف، والأزمان، والأماكن.

٢- أن ما أوقف لا تجب فيه الزكاة؛ لأنه خرج من ملك الواقف إلى ملك الله تعالى.

٣- أنه لا يحق للواقف الرجوع في وقفه؛ لأنه خرج من ملكه إلى ملك الله تعالى.

٤- كل ما جاز بيعه جاز وقفه، بشرط دوام الانتفاع، كالعقار، والحيوان، والسلاح، والأثاث، وأشباه ذلك، وأما ما لا يدوم الانتفاع به كالطعام والشراب، فلا يوقف.

٥- أهمية توقيف الوقف وإثباته لدى الجهات المختصة، أو الإشهاد عليه وعدم إهماله أو تركه مما يتسبب في ضياعه أو التعدي عليه.

٦- أن على الناظر واجبات مهمة، كتنمية مال الوقف، وأداء ديونه، وتحصيل ريعه، وتنفيذ شرط الواقف.

٧- أن اعظم الصدقات والأوقاف سقيا الماء، فقد ورد في سنن أبي داود من حديث سعد بن عباده أنه قال للنبي ﷺ: إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْمَاءُ»، قَالَ: فَحَفَرَ بئرًا، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ^(١).

(١) برقم ١٦٨١، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود (٣١٥/١) برقم =

٨- من الأخطاء التي يقع فيها بعض الواقفين إذا رغب في الوقف جعل وقفه على ذريته، وحرّم منه غيرهم من أهل الحاجات، وربما اختلفت الذرية بعد ذلك في هذا المال، وتنازعا عليه، وربما تقاسموه وتوارثوه.

٩- ومن الأخطاء أن يجعل الواقف مال الوقف في نسبة مشاعة في أملاكه، مما يتسبب في تأخير إثبات الوقف وتخليصه من تركته في حال حياته أو بعد مماته^(١) «^(٢)».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والأربعون

من فضائل مصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الخالق لجميع المخلوقات قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨: القصص].

ومن الأماكن التي ورد ذكرها في كتاب الله - مصر - قال تعالى: ﴿وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [٥٠: المؤمنون]. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «يعني مصر، وإن مصر خزائن الأرضين كلها، وسلطانها سلطان الأرضين كلها، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام لملك مصر: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [٥٥: يوسف]. فآغات الله الناس بمصر وخزائنها، ولم يذكر عز وجل في كتابه مدينة بعينها بمدح غير مكة ومصر، فإنه قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

وهذا تعظيم ومدح، وقال: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١]. فما لم يصرف فهو علم لهذا الموضع، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] تعظيم لها، فإن موضعاً يُوجد فيه ما يسألون لا يكون إلا عظيمًا، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: ٨٧]. وسمى الله تعالى ملك مصر العزيز، بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠]. وقالوا ليوسف حين ملك مصر: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]»^(١).

كما أشار الله إليها في مواضع كثيرة، قال بعضهم: تصل إلى ثلاثين موضعًا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى ابْنَ الْمَلَائِكَةِ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [٢٠] [القصص: ٢٠]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥] ... وغيرها.

وقد وصف سبحانه أرض مصر بالخيرات والبركات، فقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ﴾ [٢٥] و﴿زُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [٢٦] و﴿وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ﴾ [٢٧] وكذلك وأورثناها قومًا آخرين [٢٨] [الدخان: ٢٥-٢٨].

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي (٨/ ٢٧٢-٢٧٣).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»، أَوْ قَالَ: «ذِمَّةٌ وَصِهْرًا»^(١). فأما الرحم، فإن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام من القبط من قرية نحو الفرما يقال لها أم العرب^(٢)، وأما الذمة: فإن النبي ﷺ تسرى من القبط مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وهي من قرية نحو الصعيد يقال لها حفن من كورة أنصنا^(٣).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته، فقال: «اللَّهُ اللَّهُ فِي قِبْطِ مِصْرَ، فَإِنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَكُونُونَ لَكُمْ عِدَّةً، وَأَعْوَانًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٤).

وفي سنة سبع من الهجرة أرسل النبي ﷺ رسالة إلى

(١) برقم ٢٥٤٣.

(٢) وفي الوقت المعاصر أصبح اسمها الفرما، ومكانها اليوم تل الفرما بعد بور سعيد بعدة كيلومترات.

(٣) وهي اليوم تعرف باسم قرية الشيخ عبادة التابع لقرية الروضة، تقع إلى شرق النيل عند مركز مدينة ملوي في محافظة المنيا جنوب مصر، في الشرق. تمتد هذه القرية كشریط من الشمال إلى الجنوب بطول (٣) كلم على النيل، وتقع على بعد (٣٠٠) كلم من القاهرة إلى المنيا، وفيها يقع مسجد عبادة الذي سمي باسم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وهو نفسه الذي باسمه تُعرف القرية.

(٤) (٢٣-٢٦٥) برقم ٥٦١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم

المقوقس عظيم القبط في مصر وحملها حاطب بن أبي بلتعة، وهذا نصها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمُتَقَوِّسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ: أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يَوْمَ تَكَلَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْقِبْطِ: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]»^(١).

فدعا المقوقس بكاتب له يكتب العربية، فكتب رسالة هذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط. سلام، أما بعد.. فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت لك بغلة لتركبها، والسلام عليك». ولم يزد على هذا ولم يسلم^(٢).

أما الجاريتان: فالأولى أم إبراهيم القبطية واسمها مارية بنت شمعون أم المؤمنين رضي الله عنها، والثانية: سيرين، أعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، فولدت له عبدالرحمن، وأما الغلام فاسمه

(١) عيون الأثر، لابن سيد الناس ص ٣٥٠.

(٢) عيون الأثر، لابن سيد الناس ص ٣٥١.

مأبور، والبعلة اسمها دلدل، ومعها كسوة وقدحًا من قوارير كان يشرب فيه النبي ﷺ^(١).

وفي أرض مصر يجري نهر النيل الذي ينبع من الجنة، فقد جاء في الصحيحين في قصة الإسراء والمعراج، قال ﷺ: «... وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُتَنَهَّى، فَإِذَا نَبِقْهَا كَأَنَّهُ قِلَالٌ هَجَرَ، وَوَرَقْهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ»^(٢).

ومنها: أن فيها الوادي المقدس طوى، والوادي المقدس هو الذي كلم الله فيه نبيه موسى ﷺ أثناء خروجه من مدين عائدًا إلى مصر وكان معه أهله^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَارُبُّكَ فَالْخَلْعَ نَعَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

وفيها: جبل الطور الذي ذكره الله في كتابه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]. قال كعب الأحبار وغير واحد: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى^(٤)، ورجح ذلك ابن القيم رحمه الله^(٥).

(١) الروض الأنف، للسهيلي (٤/٣٩٠).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٠٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٤.

(٣) ويقع في سيناء.

(٤) تفسير ابن كثير رحمه الله (١٤/٣٩٥)، ويقع جبل الطور في سيناء أيضًا.

(٥) بدائع التفسير لابن القيم رحمه الله (٥/٢٦٩).

وهي المبعوث الصدق على قول بعض المفسرين الذين أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣]. قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «أي منازل صدق، قيل: عني بذلك الشام وبيت المقدس، وقيل: عني به الشام ومصر»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرُوقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «هي أرض الشام ومصر، ومشارقها ومغاربها: جهات الشرق والغرب بها، فالأرض مخصوصة عن الحسن وقتادة وغيرهما»^(٢). وقوله: ﴿الَّذِي بَنَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بإخراج الزروع، والثمار، والأنهار.

وعلى أرضها ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثنتا عشرة عيناً.

وقال تعالى حاكياً عن آل فرعون: ﴿وَأَبَعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]، وهذا يدل على كثرة المدن في مصر آنذاك.

ومصر بلد الأنبياء، كان بها إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويعقوب، ويوسف، وولد بها موسى، وهارون، ويوشع بن نون، والأسباط، وغيرهم، عليهم الصلاة والسلام.

ودخل مصر كثير من الصحابة، منهم الزبير بن العوام،

(١) تفسير الطبري رَحِمَهُ اللهُ (٥/٤٢٦٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/٣١٦).

والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وفتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعاش فيها جمع من العلماء والفقهاء، منهم الليث بن سعد، والعز بن عبدالسلام، والإمام الشافعي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر العسقلاني، والإمام الشاطبي... وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «لو استولى هؤلاء المحاربون لله ورسوله، المحادون لله ورسوله، المعادون لله ورسوله على أرض الشام ومصر في مثل هذا الوقت؛ لقضى ذلك إلى زوال دين الإسلام، ودروس شرائعه، أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما، فهم في هذا الوقت هم المقاتلون عن دين الإسلام، وهم من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الأحاديث الصحيحة المستفيضة عنه: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١)، وفي رواية لمسلم: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْعَرَبِ»^(٢).
والنبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا الكلام بمدينة النبوة، فغرب ما يغرب عنها، وشرقه ما يشرق عنها، ولهذا قال أحمد بن حنبل رحمته الله: «أهل الغرب هم أهل الشام»^(٣).. إلى أن قال: فهذا وغيره مما يبين أن

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦٤١، وصحيح مسلم برقم ١٩٢٠ واللفظ له.

(٢) برقم ١٩٢٥.

(٣) مناقب الشام وأهله، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله ص ٧٩-٨٠.

هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام، وعزهم عز الإسلام، وذلهم ذل الإسلام، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية، ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه.. إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ اللهُ^(١)^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموعة الفتاوى (٢٨/٥٣١-٥٣٤).

(٢) فضائل مصر ومزايا أهلها، د. محمد بن موسى الشريف.

الكلمة الثالثة والأربعون

من فضائل المسجد الأقصى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن المسجد الأقصى مسجد عظيم مبارك، له مكانة عالية في نفوس المؤمنين، ومنزلة رفيعة، وقد خصه الله تعالى بفضائل وخصائص عظيمة، وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

أما القرآن، فقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]. فهو مسجد مبارك وما حوله مبارك، ولو لم تكن فيه فضيلة إلا هذه الآية لكانت كافية؛ لأنه إذا بُورك حوله، فالبركة فيه مضاعفة.

ومنها: أنه مقدس، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَيَّ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١].

ومنها: أنه مهاجر الأنبياء ومقرهم، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١) [الأنبياء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةٍ تَجْرِي بِأَمْرٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ (٨١) [الأنبياء: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨) [سبأ: ١٨].

ومن فضائله في السنة، أنه مسرى الرسول ﷺ ومنه معراجه، فروى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ ...» (١).

ومنها: أنه قبلة المسلمين الأولى، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صُرف إلى الكعبة» (٢).

ومنها: أنه ثاني مسجد وُضع في الأرض، فروى البخاري

(١) برقم ١٦٢.

(٢) (١٣٦/٥) برقم ٢٩٩١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ» (١).

ومنها: أنه ثالث المساجد التي تشد الرحال إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (٢).

ومنها: أنه مهوى أفئدة الأنبياء، وبوب البخاري في صحيحه: باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ (٣) فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ - قَالَ: - فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنْ

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٦٦، وصحيح مسلم برقم ٥٢٠.

(٢) صحيح البخاري برقم ١١٨٩، وصحيح مسلم برقم ١٣٩٧.

(٣) أي: ضربه، والمفهوم من الحديث أنه ضربه على عينه فأخرجهما.

الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ
ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ» (١).

ومنها: أن زيارته بنية الصلاة مغفرة للذنوب، روى الإمام
أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ الثَّلَاثَةُ؛
فَسَأَلَهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ أَيَّمَا رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ
بَيْتِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمٍ
وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ قَدْ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (٢).

ومنها: أن الصلاة فيه مضاعفة، روى الحاكم في المستدرک من
حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ فقلنا:
أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال
رسول الله ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ
فِيهِ، وَلَنْعَمَ الْمُصَلَّى، وَلْيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطْنِ فَرَسِهِ مِنْ
الْأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا» - أو
قال: «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٣).

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٣٩، وصحيح مسلم برقم ٢٣٧٢ واللفظ له.

(٢) (٢٢٠ / ١١) برقم ٦٦٤٤، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) (٧١٢ / ٥) برقم ٨٦٠٠ وصححه ووافقه الذهبي، قال الشيخ محمد ناصر الدين =

«وهذا يفيد أن فضل الصلاة في المسجد النبوي أربعة أضعاف الصلاة في الأقصى، وينتج منه أن الصلاة في المسجد الأقصى على الربع من الصلاة في المسجد النبوي، أي بمائتين وخمسين صلاة»^(١).

ومنها: أن الدجال لا يدخله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جنادة بن أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقاً، قال: خطبنا النبي ﷺ فقال: «أَنْذَرْتُكُمْ الدَّجَالَ - ثَلَاثًا -، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ أُمَّتُهُ، وَإِنَّهُ فِيكُمْ أَيُّهَا الْأُمَّةُ، وَإِنَّهُ جَعَدُ آدَمَ مَمْسُوحِ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَمَعَهُ جَبَلٌ مِنْ خُبْزٍ وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ، وَإِنَّهُ يُمَطِّرُ الْمَطَرَ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَ، وَإِنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ يَمَكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَبْلُغُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ، وَلَا يَقْرُبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَمَسْجِدَ الطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَمَا يُشَبَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(٢).

= الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في الثمر المستطاب (٢/٥٤٨): وهو كما قال.

(١) الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ (٢/٥٤٩).

(٢) (٣٩/٨٩-٩٠) برقم ٢٣٦٨٥، وقال محققوه: إسناده صحيح.

ومنها: أن هلاك يأجوج ومأجوج فيه، روى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر يأجوج قال: «... ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمْرِ - وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا..» وفي تمة الحديث: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عليه السلام وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ ^(١) فِي رِقَابِهِمْ فَيُضْبِحُونَ فَرَسِي ^(٢) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» ^(٣).

تنبيه: ما ورد في فضائل الشام يدخل فيه المسجد الأقصى؛ ولذلك لم أرغب تكراره ^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) النعف بالتحريك: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدها نعفة. النهاية في غريب الحديث (٨٧/٥).

(٢) فرسى: بفتح الفاء أي قتلى، الواحد: فريس، من فرس الذئب الشاة، وافترسها إذا قتلها. النهاية في غريب الحديث (٢٢٨/٣).

(٣) برقم ٢٩٣٧.

(٤) وللمزيد انظر كلمة رقم (٨٩) من الجزء ٦-٧ من موسوعة الدرر المنتقاة للمؤلف.

الكلمة الرابعة والأربعون

الألعاب المنتشرة بين الناس وحكم مشاهدتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد انتشرت ألعاب كثيرة عند الناس، وكثر السؤال عنها من الناحية الشرعية، وهذه بعض الفتاوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية أجابت عنها:

يقول السائل: تطالعنا بعض الصحف والمجلات بأخبار بعض اللاعبين والمهرجين الذين يزعمون أن لهم قدرات فائقة، كتكسير الصخور على صدورهم، والنوم على المسامير والآلات الحادة، وثني الحديد والأسياخ بأعينهم، وجر السيارات بأصابعهم.. إلى آخر تلك الحركات المدهشة، فما هو حكم الشرع في تلك الأعمال والعاملين لها، وما حكم استضافتهم ومشاهدتهم؟

الجواب: ما يعمله بعض السفهاء من الناس من تكسير الصخور على صدورهم، والنوم على المسامير والآلات الحادة، وثني الحديد بأعينهم، وسحب السيارات بشعورهم أو أسنانهم، وأكل

الأمواس والزجاج، إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن العادة البشرية، كل ذلك يعتبر من الدجل، والشعوذة، والسحر، وهو من عمل سحرة فرعون، كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقال **سُبْحَانَهُ** في سورة طه: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾ ﴿٦٦﴾ [طه: ٦٦].

وبناء عليه لا يجوز فعل هذه الأعمال، ولا تعلمها، ولا نشرها، ولا التشجيع عليها، والواجب محاربتها والتبليغ عن فاعليها، ومعاقتهم بما يردعهم ويكف شرهم عن الناس، فألعابهم وأعمالهم تلك فيها من الدجل، والشعوذة، والتلاعب، والاستخفاف بعقول الناس، وفساد العقيدة، وأكل الأموال بالباطل ما لا يخفى.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبدالله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس		نائب الرئيس
عبدالعزیز بن عبد الله بن باز		عبدالعزیز آل الشيخ

كما سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

يقول السائل: ما حكم هذه اللعبة التي ظهرت في الأسواق، ويلعبها الأطفال والشبان، وهي مركبة من منضدة فيها تماثيل لاعبي كرة القدم، ويوضع فيها كرة صغيرة تحرك بالأيدي، فمن غلب يدفع أجره للعبة إلى صاحبها، والغالب لا يدفع شيئاً، فهل يجوز هذا وأمثاله في الشريعة الإسلامية؟

الجواب: إذا كان حال هذه اللعبة ما ذكرت من وجود تماثيل بالمنضدة التي يلعب عليها، ودفع المغلوب أجره استعمال اللعبة لصاحبها فهي محرمة لأمر:

أولاً: أن الاشتغال بهذه اللعبة من اللهو الذي يقطع على اللاعب بها فراغه، ويضيع عليه الكثير من مصالح دينه، ودنياه، وقد يصير اللعب عادة له، وذريعة إلى ما هو أشد من ذلك من أنواع المقامرة، وكل ما كان كذلك فهو باطل محرماً شرعاً.

ثانياً: صنع التماثيل والصور واقتنائها من كبائر الذنوب؛ للأحاديث الصحيحة التي توعد الله تعالى، وتوعد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار، والعذاب الأليم.

ثالثاً: دفع المغلوب أجره استعمال اللعبة محرمة؛ لأنه إسراف، وإضاعة للمال بإنفاقه في لعب، ولهو،

وإيجار اللعبة عقد باطل، وكسب صاحبها منها سحت، وأكل للمال بالباطل، فكان ذلك من الكبائر والقمار المحرم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الفتوى رقم (٤٠١٠):

يقول السائل: هذه الألعاب التي يمارسها الناس، وهي: (الضومنة، والجوقر، والبييه - أي: البيه - والشطرنج، والنرونج، والطبل، والفصوص)، هل هذه الألعاب تعتبر من الميسر، وهل هي يا صاحب الفضيلة محرمة أم مكروهة، وهل تجوز للإمام الذي يؤم المسلمين في أوقات الصلاة، ويعتلي المحراب أيام الجمع، والأعياد لكي يخطب الخطبة المنبرية؟ هذا سؤال! أرجو الإفادة؟

الجواب: اللعب بما ذكر من اللعب المحرم، بل من كبائر الذنوب إذا كان بعوض، ويعتبر قماراً، قال أبو عمر بن عبدالبر رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع العلماء على أن اللعب بالشطرنج على

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٥/٢٠٦-٢٠٧) برقم ٢٢٠٩.

العوض قمار لا يجوز»^(١). أه

وكذا يحرم اللعب بما ذكر إذا ترتب عليه ترك واجب؛ كتأخير الصلاة عن وقتها، وضياع حق زوجته وأبويه، وسائر من يعولهم، أو أدى إلى الوقوع في محرم من عداوة وبغضاء ونزاع وسباب، فهو حرام ولو كان بغير عوض.

أما إذا قدر خلو اللعب بها عن ذلك، فالصحيح أنه محرم أيضاً لما صح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون^(٢)؟ فشبهم بالعاكفين على الأصنام.

ولما نقل عن ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم من النهي عن اللعب بها، وممن قال بتحريم ذلك: أبو حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه رحمهم الله، ومالك وأصحابه رحمهم الله تعالى، وذلك لأن اللعب بها وبأمثالها ذريعة إلى اللعب بعوض آجلاً، وإن خلا منه عاجلاً، ولأن الغالب بها أنه يشغل عن واجبات، ويفضي إلى النزاع والسباب، ويولد العداوة والبغضاء، ويصد عن الصلاة وعن ذكر الله، وفي الحديث: «مَنْ

(١) الاستذكار (٨/٤٦٢).

(٢) ابن أبي شيبة (٨/٥٥٠)، وأبو بكر الأجري في تحريم النرد والشطرنج والملاهي، ص ١٣٥ برقم ٢٤ (ت: د. محمد سعيد عمر إدريس)، ط. الإفتاء، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، ص ٧٧ برقم ٩٢، ٩٣، ط. مكتبة ابن تيمية رحمته الله، والبيهقي (١٠/٢١٢).

لَعِبَ بِالنَّرْدِ^(١) فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ^(٢). وإذا كان الإنسان في مركز قيادي؛ كالدعاة إلى الله، وجماعة الحسبة، وأئمة المساجد وخطبائها، ومن فوقهم في المنصب أو أدنى منهم، كان اجتناب المنكر وفعل الواجب ألزم عليهم؛ لكونه قدوة لغيره يحتذى حدوه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(٣)

الرئيس	نائب الرئيس	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان

السؤال الأول من الفتوى رقم (٤٣٢):

يقول السائل: عن حكم اللعب بالورق هل هو حلال أم حرام؟ مع العلم أنه يحدث في لعبها كلام لا خير فيه، من

(١) النرد: لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين، تعتمد على الحظ، وتنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفص، وتعرف عند العامة بالطاولة. المعجم الوسيط (٢/٩١٢).

(٢) سنن أبي داود برقم ٤٩٣٨، وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَتَاوَى (٣٢/٢٢٢): ثابت، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه قال ﷺ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شَبِهَ فِكَانَمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ وَدَمِهِ» برقم ٢٢٦٠، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ، قال العلماء: النردشير هو النرد، فالنرد عجمي معرب، وشير معناه حلو، شرح صحيح مسلم (١٥/١٨).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٦/٢٠٧-٢٠٩) برقم ٤٠١٠.

سباب، وشتم، ولعن.. وغير ذلك.

الجواب: لا يخلو أمرها من حالين: إما أن يكون لعبها على عوض أو لا يكون، فإن كان لعبها على عوض فلا شك في تحريمها، وأخذ العوض فيها من أكل أموال الناس بالباطل، وهو نوع من الميسر، ولا يخفى ما في الميسر من الإثم والعدوان، فقد قرن الله تعالى حرمة بالخمير، والأنصاب، والأزلام، فقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]. أما إذا لم يكن لعبها على عوض، فإن الغالب على لاعبيها أن يكونوا بحال يستهينون على أنفسهم السباب، والشتائم، واللعب، والكذب، والأيمان الفاجرة، وربما جنى بعضهم على بعض، فضلاً عما يورثه تغلب بعضهم على بعض فيها من العداوة والبغضاء، وتنقص بعضهم بعضاً باللمز والتجهيل، وهذه النتائج تكفي لتبرير تحريمها والتحذير منها، ذلك أن الله تعالى ذكر أن علة تحريم الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام كونها من عمل الشيطان، وأن عمله فيها إيقاع العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذه الأمور في الغالب تشملها مجالس لعبها. والله أعلم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	نائب الرئيس
عبد الله بن سليمان بن منيع	عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان	عبد الرزاق عفيفي

كما سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقاً عن لعب الكرة بالأندية، وما يصحبه من منكرات، هل هو حلال أو حرام؟

فقال: وتعريجنا عن اللعب بالكرة وإيرادنا ما ذكره الشيخ ابن تيمية من النهي عن اللعب بها إذا كان فيه مضرة بالخيل، أو الرجال، يحسن أن نغتنم هذه الفرصة لنقول: بأن اللعب بالكرة الآن - أي: كرة القدم - يصاحبه من الأمور المنكرة، ما يقضي بالنهي عن لعبها، هذه الأمور نلخصها فيما يأتي:

أولاً: ثبت لدينا مزاولة لعبها في أوقات الصلاة، مما ترتب عليه ترك اللاعبين ومشاهديهم للصلاة، أو الصلاة جماعة، أو تأخيرهم أدائها عن وقتها، أو يفوت فعلها جماعة، ما لم يكن ثم عذر شرعي.

ثانياً: ما عن طبيعة هذه اللعبة من التحزبات، أو إثارة الفتن،

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٥/ ٢٣١-٢٣٢).

وتنمية الأحقاد، وهذه النتائج عكس ما يدعو إليه الإسلام من وجوب التسامح، والتآلف، والتآخي، وتطهير النفوس والضمائر من الأحقاد، والضغائن، والتنافر.

ثالثاً: ما يصاحب اللعب بها من الأخطار على أبدان اللاعبين بها نتيجة التصادم، والتلاكم، مع ما سبق ذكره، فلا ينتهي اللاعبون بها من لعبتهم في الغالب دون أن يسقط بعضهم في ميدان اللعب مغمي عليه، أو مكسور رجله أو يده، وليس أدل على صدق هذا من ضرورة وجود سيارة إسعاف طبية تقف بجانبهم وقت اللعب بها!

رابعاً: عرفنا مما تقدم أن الغرض من إباحة الألعاب الرياضية تنشيط الأبدان والتدرب على القتال، وقلع الأمراض المزمنة، ولكن اللعب بالكرة الآن لا يهدف إلى شيء من مبررات إباحة الألعاب الرياضية، وإن هدف إلى شيء من ذلك فقد اقترن به - مع ما سبق ذكره - ابتزاز المال بالباطل، فضلاً عن أنه يعرض الأبدان للإصابات، وينمي في نفوس اللاعبين والمشاهدين الأحقاد، وإثارة الفتن، بل قد يتجاوز أمر تحيز بعض المشاهدين لبعض اللاعبين إلى الاعتداء والقتل، كما حدث في إحدى مباريات جرت في إحدى المدن منذ شهر، ويكفي هذا

بمفرده لمنعها. وبالله التوفيق^(١). أهـ

وسئلت اللجنة الدائمة:

يقول السائل: ما حكم مشاهدة المباراة الرياضية، المتمثلة في مباراة كأس العالم وغيره؟

الجواب: مباريات كرة القدم التي على مال أو نحوه من جوائز حرام؛ لكون ذلك قماراً؛ لأنه لا يجوز أخذ السبق وهو العوض إلا فيما أذن فيه الشرع، وهو المسابقة على الخيل، والإبل، والرماية، وعلى هذا فحضور المباريات حرام ومشاهدتها كذلك لمن علم أنها على عوض؛ لأن في حضوره لها إقراراً لها، أما إذا كانت المباراة على غير عوض، ولم تشغل عن ما أوجب الله من الصلاة وغيرها، ولم تشتمل على محظور، ككشف العورات، أو اختلاط النساء بالرجال، أو وجود آلات لهو، فلا حرج فيها ولا في مشاهدتها. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(٢)

عضو

صالح بن فوزان الفوزان

الرئيس

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

عضو

بكر بن عبد الله أبو زيد

نائب الرئيس

عبدالعزیز بن عبد الله آل الشيخ

(١) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، وهو في الدرر السنوية (١٥/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٥/ ٢٣٨-٢٣٩) برقم ١٨٩٥١.

كما سئلت اللجنة الدائمة :

يقول السائل: ما هو الحكم الشرعي في لعب البنات بالعروسة البلاستيك، وهي كما تعلمون مصنوعة بخلقة البنت، والتي خلقها الله تعالى، وسبحانه وتعالى عما يصنعون، وهو الخالق وحده، له العبودية والربوبية؟

الجواب: الأصل تحريم جميع الصور ذوات الأرواح للأدلة الشرعية الواردة بتحريم الصور، لكن الصور التي ليس فيها روح كالشجر والأبنية ونحوهما فلا حرج في اتخاذها لعباً. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	نائب الرئيس
عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.		



الكلمة الخامسة والأربعون

الجوائز والمسابقات في الشريعة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من الأحكام الشرعية التي يحتاجها الناس في وقتنا المعاصر، أحكام الجوائز والمسابقات التي تقيمها الجامعات، والمؤسسات، والمحلات التجارية.. وغيرها، وهذه بعض الفتاوى المنتقاة التي وردت إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وأجابت عنها:

سُئلت اللجنة الدائمة:

يقول السائل: يوجد ناد للفروسية ترعاه رئاسة الحرس الوطني، وقد بدر للمسؤولين عن النادي المذكور فكرة، وهي: أن يجعلوا جوائز للوافدين لهذا النادي، وهي كالتالي: عند قطع التذاكر يكون من ضمنها ذات جوائز لا يعلم بها المشتري لها، وإنما أثناء السباق أو بعد نهاية الشوط يدعى صاحب التذكرة رقم كذا، ويعطى مثلاً ساعة أو أقل أو أكثر، فنحن نسأل هل يجوز هذا شرعاً؟ والهدف منه تشجيع الناس على

الفروسية، وتحبيبهم فيها، نرجو إصدار الفتوى في ذلك، وفي أنواع أخرى من السباق رعاكم الله وحفظكم.

الجواب: في السؤال شيء من الإجمال، ولذلك نذكر في الجواب صورًا للسباق وحكم كل منها:

أولاً: السباق على الخيل، والإبل، والأسلحة ونحوها من عدد الجهاد؛ كالتائرات والدبابات للتدريب عليها، وكسب الفروسية واجب أو مستحب حسب ما تقتضيه حاجة المسلمين في الجهاد؛ دفاعًا عن حوزتهم، ونصرة لدينهم، وتيسيرًا لنشر الإسلام، ولمن يقوم بذلك، أو يساعد عليه بفكره، أو مهارته فيه، أو بماله؛ الأجر والثواب.

ثانيًا: أخذ الجوائز التي تُعطى لمن يفوز من المتسابقين في السباق جائز إذا كانت من ولي الأمر العام أو نائبه، أو كانت تبرعًا من غير المتسابقين، ولمن يبذل الجوائز من غير المتسابقين الأجر والثواب إذا أراد به وجه الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]،

ولقوله ﷺ: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضَلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ» (١).

وإن كانت الجوائز من أحد المتسابقين عن طيب نفس منه؛ ليأخذها من فاز، فذلك جائز لكونه لا میسر فيه، وإن كانت الجوائز لبعض من اشترى التذاكر ممن حضر لمشاهدة السباق فقط فلا يجوز؛ لأنها مقامرة بين من حضروا لمشاهدة المتسابقين، لكن إن تبرع ولي الأمر أو أحد المحسنين بقيمة الجوائز، وأعطيت التذاكر لمن حضر لمشاهدة السباق بلا مقابل منه، فلا حرج في ذلك، مع تحقق الهدف من السباق ومشاهدته، وأن يكون شرعيًا.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢)

نائب الرئيس الرئيس

عبد الرزاق عفيفي عبد العزيز بن عبد الله بن باز

كما سئلت اللجنة الدائمة:

يقول السائل: لدي محل في السوق لبيع العطورات والكماليات

(١) رواه أحمد (٤٥٣/١٢) برقم ٧٤٨٢، وقال محققوه: حديث صحيح، ونقل الحافظ

في «تلخيص الحبير» (١٦١/٤) تصحيحه عن ابن القطان وابن دقيق العيد.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٥/١٧٠-١٧٢) برقم ٣٢١٩.

والشنتط، وأردت تنمية مبيعات محلي بتقديم بعض الهدايا للمشتريين، وتكون على النحو التالي: إذا اشترى الزبون بما قيمته مائتا ريال (٢٠٠ ريال) من المحل، يسحب كرت ويحصل على هدية مكتوبة بداخل الكرت، وإذا اشترى بأربعمائة يحصل على كرتين وهديتين، وهكذا بالنسبة للهدايا تتفاوت، منها ما هو ثمين، وهي نسبة قليلة، وما هو متوسط، وهي نسبة متوسطة، وما هو بواقع ١٠٪ من قيمة المشتري، أي ما قيمته (عشرون ريالاً فما فوق) وهي نسبة كبيرة، أي: أن الزبون يحصل على هدية لا بد داخل الكرت، ويختلف ثمن الهدية، إما أن يحصل على مسجل، أو مكيف، أو تليفزيون، أو ولاعة، أو زجاجة عطر.. وهكذا، لذلك الحظ له دور كبير.

بالنسبة للبضاعة المباعة في أيام توزيع الهدايا تباع بأسعارها في الأيام العادية، لا يزداد في سعرها، ولا يخصم - أي ينقص من سعرها شيء - تكون الهدايا مقصورة على العملاء بالقطاعي، ولا يدخل فيها زبائن الجملة؛ لأن المحل لديه عملاء قسم الجملة، لا يحق للموظفين بالمعرض سحب كرت من هذه الكروت، وكذلك من يشرف على تنظيمها لو أردنا الإعلان عنها في الصحف المحلية، ووضع إعلان على باب المعرض ليجلب اهتمام الزبائن. أرجو من سماحتكم الإجابة على سؤالي هذا وإرشادي لما فيه مصلحة ديني ودنياي. والله يحفظكم.

الجواب: إذا كان الواقع كما ذكر؛ فجعل ما يُعطى للمشتريين

باسم هدايا على هذا النظام حرام؛ لما فيه من المقامرة، من أجل توزيع البضاعة وتنمية رأس المال بكثرة البيع، ولو كان ذلك بالأسعار التي تباع بها البضاعة عادة، ولما فيه من المضارة بالتجار الآخرين، إلا إذا سلكوا نفس الطريقة فيكون في ذلك إغراء بالمقامرة من أجل رواج التجارة وزيادة الكسب، ويتبع ذلك الشحناء، وإيقاد نار العداوة والبغضاء، وأكل المال بالباطل، إذ قد يشتري بعض الناس بمائتي ريال، ويواتيه حظه في الكرت المسحوب بمسجل أو مكيف أو تليفزيون، ويشتري آخر بنفس القيمة، ويكون حظه في الكرت المسحوب ولعبة أو زجاجة عطر قيمتها عشرة ريالات أو عشرون ريالاً مثلاً.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزیز بن عبدالله بن باز

سُئِلَتِ اللّجْنَةُ الدّائِمَةُ:

يقول السائل: لقد قرأنا الفتوى المنسوبة إليكم والتي فيها بيان تحريم الجوائز المقدمة من المحلات، والمؤسسات التجارية، بقصد ترويج بضاعتهم، والسؤال: ما الحكم في من كان عنده شيء من هذه الجوائز التي حصل عليها قبل أن يعلم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٥/١٩٢-١٩٤) برقم ٤٠٠٥.

بالتحريم، هل يعيدها أم يكسرها أم يستخدمها؟

الجواب: من كان عنده شيء من الجوائز التي حصل عليها من التجار لترويج بضائعهم قبل العلم بالتحريم؛ فإنه لا حرج عليه في استعمالها؛ لكونه معذوراً بالجهل؛ عملاً بقول الله سبحانه فيمن عامل بالربا: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. أما ما حصل عليه من الجوائز بعد العلم بالتحريم فإنه يتصدق بها، أو يبيعها، وينفق ثمنها في وجوه البر، وذلك للتخلص منها مع التوبة إلى الله سبحانه من ذلك. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

الرئيس	نائب الرئيس	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان

السؤال الرابع من الفتوى رقم (٧٩٣٠):

يقول السائل: رجل بارى أحداً على نتيجة مقابلة، واتفقا على أن الذي ينهزم يقدم وجبة طعام، فما حكم تناول من هذه الوجبة؟

الجواب: هذه المراهنة لا تجوز؛ لقول النبي ﷺ: «لَا سَبَقَ

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٧٨/١٥) برقم ١١١٨٢.

إِلَّا فِي نَضْلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ؛ لَمَا فِيهَا مِنَ الْمَقَامَرَةِ وَأَكَلَ
الْمَالِ بِالْبَاطِلِ.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

الرئيس

نائب الرئيس

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

عبدالرزاق عفيفي

السؤال الرابع من الفتوى رقم (١٦٣٤٢):

يقول السائل: في المسابقات الرياضية تقدم جوائز
للفريق الفائز - كأس - ما حكمه في الإسلام؟ علماً بأن
الدرهم تؤخذ من الفرق المشاركة في الدورة ويتم بهذه
الدرهم شراء الكأس.

الجواب: لا يجوز أخذ المال على المسابقات الرياضية؛
لقوله ﷺ: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضْلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ»؛ لأن
المسابقات على هذه الثلاث فيها تدريب على الجهاد،
بخلاف المسابقات الرياضية، فليست كذلك، فلا يجوز أخذ
العوض عليها، والمراد بالثلاث المذكورة بالحديث: «الإبل،
والخيل، والسلاح».

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبدالله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس		نائب الرئيس
عبدالعزیز بن عبدالله بن باز		عبدالعزیز آل الشيخ

السؤال السابع من الفتوى رقم (٥٩٦٦):

يقول السائل: الاشتراك في المسابقات الدينية ذات الجوائز المالية هل جوائزها حلال أم حرام؟

الجواب: لا حرج في أخذ جوائزها التي تبرع بها ولاة الأمور أو غيرهم من المحسنين؛ لما في ذلك من التشجيع على تحصيل العلم والحفظ لكتاب الله ﷻ، وينبغي للمؤمن في هذه الأمور وأشباهها أن يخلص لله ويفرح بوجود ما يعينه على ذلك، وألا يكون همه تحصيل المال فقط.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(٢)

الرئيس	نائب الرئيس	عضو	عضو
عبدالعزیز بن عبدالله بن باز	عبدالرزاق عفيفي	عبدالله بن غديان	عبدالله بن قعود

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٧٣/١٥) برقم ١٦٣٤٢.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٨٨-١٨٩) برقم ٥٩٦٦.

السؤال الرابع من الفتوى رقم (٦٢٨٧) :

يقول السائل: ما حكم الإسلام في الجوائز التي تعطى تشجيعاً على حفظ القرآن أو مدارس علم الدين؟

الجواب: لا نعلم بذلك بأساً؛ لأن ذلك وسيلة لتحقيق غاية شرعية نبيلة، والوسائل لها حكم الغايات.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

الرئيس

عضو

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

عبدالله بن غديان

السؤال الخامس من الفتوى رقم (٥٨٤٧) :

يقول السائل: هناك بعض المحلات التجارية في أمريكا لبيع المواد الغذائية، إذا اشترت منهم يعطونك أرقاماً غير معروفة، فإذا اجتمعت لديك بعض الأرقام المعينة التي حددها المحل تكسب جائزة، وهي عبارة عن مبلغ من المال، هل يجوز للمسلم أن يأخذ هذه الجائزة؟ علماً بأنه لا يدفع مقابل ذلك شيئاً، ولكن مجرد شرائه منهم أو زيارة المحل تكون سبباً لإعطائه هذه الأرقام التي يحتمل أن ينال فيها الجائزة.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٨٩/١٥) برقم ٦٢٨٧.

الجواب: إذا كان الأمر كما ذكرت، فلا يجوز لك أخذ الجائزة التي يدفعها المحل التجاري بسبب شرائك منه أو زيارتك له واختيارك الرقم الذي كان مجهولاً لك وقت الاختيار، وصار معلوماً بعد الاختيار؛ لأن هذا من الميسر، وقد علم تحريمه بالكتاب والسنة وإجماع أهل العلم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

عبدالله بن قعود عبدالله بن غديان عبدالرزاق عفيفي عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

السؤال الخامس من الفتوى رقم (١٧٦٢٨):

يقول السائل: تقوم البلدية بجمع الأموال من التجار لمساعدتهم على القيام بعملها، وتقوم بتوزيع أوراق اليانصيب عليهم ليفوز بعضهم بجوائز، فهل هذا حلال أم لا؟

الجواب: اليانصيب نوع من القمار وهو الميسر، والمال الذي يؤخذ بسببه مال حرام؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٥/١٩١) برقم ٥٨٤٧.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو

عبد الله بن غديان

عضو

صالح الفوزان

عضو

بكر أبو زيد

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عضو

عبد العزيز آل الشيخ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والأربعون

بطاقات التعامل التجاري والاقتراض من البنوك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من المسائل المعاصرة التي انتشرت في تعاملات الناس في هذه الأيام بطاقات التعامل التجاري وما يصاحبها من رسوم، وتخفيضات على المحلات التجارية، وكذلك البطاقات التي تقدمها البنوك لمرتابيها، ولذلك يكثر السؤال عن حكمها الشرعي، وقد وردت أسئلة كثيرة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، وقد تم اختيار البعض منها، والباقي يقاس عليه.

السؤال الأول من الفتوى رقم (٧٤٢٥):

يقول السائل: هناك بطاقات لتسهيل الأعمال المالية في الدول الغربية، بحيث تجعل الفرد يستغني عن حمل نقود معه، فهذه البطاقة يستطيع شراء أي شيء يريد، ثم في آخر كل شهر تأتيه فاتورة بالمبالغ التي صرفها فيسدها كاملة بدون أي فائدة ربوية، وفي هذه العملية حماية للفرد من سرقة أمواله، ولكن

هناك شرط لأخذ هذا الكرت، وهو في حالة التأخر عن تسديد قيمة الفاتورة مدة تزيد عن ٢٥ يوماً فلهم الحق في أخذ نسبة فائدة ربوية عن كل يوم تأخير، فهل يجوز أخذ هذا الكرت، علماً أنه من الممكن جداً تلافي الوقوع في الربا بتسديد الفاتورة خلال الخمسة والعشرين يوماً والمعطاة كمهلة للتسديد؟

الجواب: إذا كان الواقع كما ذكر فلا يجوز التعامل المذكور؛ لما فيه من التعاقد على الربا والدخول عليه باشتراط فوائد تدفع زيادة على المبلغ الذي سدده عنه معطي البطاقة في حالة التأخير.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزیز بن عبدالله بن باز

الفتوى رقم (١٧٦١١):

يقول السائل: يتداول بين الناس في الوقت الحاضر بطاقة فيزا سامبا، صادرة من البنك السعودي الأمريكي، وقيمة هذه البطاقة إذا كانت ذهبية (٤٨٥ ريالاً)، وإذا كانت فضية (٢٤٥ ريالاً) تسدد هذه القيمة سنوياً للبنك لمن يحمل بطاقة (فيزا) للاستفادة منها كاشتراك سنوي.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٤/٥٢٣-٥٢٤) برقم ٧٤٢٥.

الجواب: طريقة استعمال هذه البطاقة: أنه يحق لمن يحمل هذه البطاقة أن يسحب من فروع البنك المبلغ الذي يريده (سلفة)، ويسدد بنفس القيمة خلال مدة لا تتجاوز أربعة وخمسين يوماً، وإذا لم يسدد المبلغ المسحوب (السلفة) خلال الفترة المحددة يأخذ البنك عن كل مائة ريال من (السلفة) المبلغ المسحوب فوائده قيمتها ريال وخمس وتسعون هللة (٩٥, ١ريال)، كما أن البنك يأخذ عن كل عملية سحب نقدي لحامل البطاقة (٥, ٣ ريال) عن كل (١٠٠ ريال) تسحب منهم، أو يأخذون (٤٥ ريالاً) كحد أدنى عن كل عملية سحب نقدي.

ويحق لمن يحمل هذه البطاقة شراء البضائع من المحلات التجارية التي يتعامل معها البنك دون أن يدفع مائلاً نقدياً، وتكون سلفة عليه للبنك، وإذا تأخر عن سداد قيمة الذي اشتراه أربعة وخمسين يوماً يأخذون على حامل البطاقة عن كل مائة ريال من قيمة البضاعة المشتراة من المحلات التجارية التي يتعامل معها البنك فوائده قيمتها ريال وخمس وتسعون هللة (٩٥, ١ريال).

فما حكم استعمال هذه البطاقة والاشتراك السنوي مع هذا البنك للاستفادة من هذه البطاقة؟ والله يحفظكم ويرعاكم.

الجواب: إذا كان حال بطاقة (سامبا فيزا) كما ذكر فهو إصدار جديد من أعمال المرابين، وأكل لأموال الناس بالباطل،

وتأثيرهم وتلويث مكاسبهم وتعاملهم، وهو لا يخرج عن حكم ربا الجاهلية المحرم في الشرع المطهر (إما أن تقضي، وإما أن تربي)؛ لهذا فلا يجوز إصدار هذه البطاقة ولا التعامل بها.
وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس	عضو	
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	

الفتوى رقم (١٨٠١٥):

يقول السائل: نعرض على سماحتكم بأننا تقدمنا بطرح مشروع خيري يتمثل بفكرة إصدار بطاقة أصدقاء المعوقين، والتي تتلخص بإصدار بطاقة بلاستيكية ذات قيمة محدودة، تتيح لمن يحملها تخفيضاً مالياً بنسبة محدودة من أصحاب الخير والمحسنين وطالبي الأجر والثواب، مالكي المرافق والمستشفيات الخاصة، والمحلات التجارية الكبيرة، والمطاعم المشهورة، ويخصص الجزء الأكبر من دخل الاشتراك في هذه البطاقة لحساب الجمعية السعودية الخيرية

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٤/٥٢٤-٥٢٥) برقم ١٧٦١١.

لرعاية الأطفال المعاقين، وسيكون الإشراف الكامل على هذا المشروع من قبل الجمعية، وبقية النسبة سيتم الصرف منها على أجور الموظفين، والبريد، والطباعة وتصنيع البطاقة وخلافه.

وقد استحسنّت الجمعية الفكرة نظرًا لما ستحقّقه بإذن الله وتوفيقه من دعم مالي، سيساهم في دفع مسيرة هذا المرفق الهام؛ ليؤدي رسالته الإنسانية والخيرية لفئة عزيزة من مجتمعنا، ألا وهم الأطفال المعاقون.

ورغبة من الجمعية ومنا في معرفة الوجه الشرعي لهذا الأمر، وحتى تكون أعمالنا كلها نابعة من تعاليم شرعنا الحنيف المطهر، و متمشية مع هدي الرسول المصطفى ﷺ، فإننا نعرض هذا الأمر على سماحتكم أمّلين الاطلاع والاستئناس بنصيحتكم ورأيكم، والذي سنأخذ به إن شاء الله.

الجواب: لا يجوز إصدار هذه البطاقة، ولا الاشتراك فيها؛

لما تتضمنه من الغرر والتغرير بالمال، وقد نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر؛ وذلك لأن رسوم الإصدار قد تفوق التخفيض المذكور، وقد تقل عنه، على أنه قد علم من المشاهد أن التخفيضات التي يوعد بها حملة هذه البطاقات وهمية غير حقيقية، حتى إنك لو ماكست صاحب المحل لحصلت على تخفيض قد يفوق ما يوعد به أصحاب هذه البطاقات، فصار في هذا أيضًا أكل للأموال بالباطل، وقد نهى الله تعالى عن ذلك،

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وإذا أردت الإحسان إلى من ذكرتم فليكن عن طريق الكسب الطيب، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.
وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس		عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	

بطاقة تخفيض من الغرفة التجارية

الفتوى رقم (١٩١١٤):

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي: سعادة الأمين العام للغرفة التجارية الصناعية بالقصيم، والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، برقم (٣٦٧٨)، وتاريخ ٥ / ٧ / ١٤١٧ هـ، وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه:

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٤/١١-١٢) برقم ١٨٠١٥.

قمنا بتسويق بطاقة تخفيض بالتعاون مع إحدى المؤسسات لخدمة رجال الأعمال بالمنطقة، وقد اطلعنا على فتاوى تحرم التعامل بهذه النوعية من البطاقات، أردنا أن نوضح جميع ما يتعلق بهذه البطاقة لتتضح الرؤية لسماحتكم حولها، حيث اتفقت الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة القصيم، مع إحدى المؤسسات على إصدار بطاقة سنوية للتخفيض، مقابل مئة (١٠٠ ريال) لمنتسبي الغرفة، ومائة وخمسين (١٥٠ ريالاً) لغير المنتسبين، يكون حصة الغرفة منها (٢٠٪) صافية، والباقي للمؤسسة، على أن تقوم بالاتفاق مع المؤسسات التجارية على تخفيض معين، وتصدر بذلك دليلاً يشمل جميع المشتركين بالتخفيض، من فنادق، ومحلات تجارية، ومطاعم، وصيدليات، ومستوصفات، موضعاً فيها نسبة التخفيض، وكروت كشف مجاني عند بعض المستوصفات، بدون تحمل المؤسسة المصدرة للبطاقة أي أعباء مالية نتيجة التخفيض للمشتري.

علمًا بأن بعض المؤسسات تعطي التخفيض من السعر المعلق الأساسي، وتقوم المؤسسة بتسويق البطاقات وعمل جميع ما يلزم إيصال البطاقة بعد إصدارها إلى المستفيد، مع الدليل الشامل للمؤسسات، علمًا أن مصدر البطاقة - الغرفة والمؤسسة - لا يطولهم ضرر من ذلك الذي يتحملون نسبة الخصم، رغبة في كسب أكبر عدد من العملاء، كما أن صاحب

المؤسسة المشتركة بالتخفيض يهمله أن يعلن اسمها بهذا الدليل، وأن يقصدها حامل البطاقة من بين المحلات الأخرى؛ للاستفادة من التخفيض، وذلك كنوع من الدعاية، والبطاقة مدتها سنة، وتجدد بنفس الرسم لمن يرغب الاستمرار.

والهدف منها خدمة لمنتسبي الغرفة بمنطقة القصيم، وتقديم خدمات متميزة أخرى لهم، وكذلك تقديم خدمات لأصدقاء الغرفة، وهم من غير المشتركين، مع استفادتهم من مركز المعلومات بالغرفة وتزويدهم بأي معلومة عند طلبها، ولكن الإقبال على بطاقة الغرفة لن يتم إلا إذا وجدوا فيها خدمات، مثل التخفيض من بعض المحلات المشاركة في التخفيض، علماً أن الحرية مطلقة بخصوص الاشتراك بالبطاقة أو الاشتراك من قبل المؤسسات المشاركة بالتخفيض، والتي يتم الإعلان عنهم بالدليل الذي يصدر للأعضاء، هذا خلاف الإعلان بالدليل عن المنشآت التي ترغب الإعلان بصفحة أو أكثر مقابل رسم إعلان.

لذا نأمل من سماحتكم إفتاءنا عن جواز هذه البطاقة من عدمه، وفي حالة عدم جواز هذا العمل، نرجو من سماحتكم إرشادنا عن الطريقة الجائزة، حيث إننا قمنا بتسويق هذه البطاقة وإصدار بعض البطاقات للمستفيدين، وتمت طباعة الدليل لذلك، ولأهمية هذا الأمر وكونه حيز التنفيذ، فإننا

نرجو تكرمكم بسرعة النظر والبت فيه.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

بطاقة التخفيض المذكورة لا يجوز التعامل بها إصدارًا أو اشتراكًا لأمر عدة، منها:

أولاً: اشتغالها على الغرر والمخاطرة؛ لأن دفع المبلغ مقابل الحصول عليها دفع بلا مقابل حقيقة، إذ قد تنتهي صلاحيتها، ولم يستعملها حاملها، أو يكون استعماله لها لا يقابل ما دفعه من رسومها، وفي هذا غرر ومخاطرة، والله سبحانه يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

ثانياً: اشتغالها على الربا؛ لأن دفع مصدرها نسبة التخفيض لحاملها في حال امتناع صاحب المتجر عن التخفيض هو الربا المحرم، والتخفيض هنا قد يتجاوز رسم إصدار البطاقة، وقد أثبتت الوقائع حصول هذا فحصل غرم على مصدرها.

ثالثاً: أن لها آثاراً سالبة، منها: إثارة العداوة والبغضاء بين أصحاب المحلات المشتركين في التخفيض وغير المشتركين، بنفاق السلعة المخفضة وكساد غيرها من بضائع الذين لم يشتركوا في (دليل التخفيض).

رابعاً: ومن آثارها أيضاً دفع حاملها إلى الاسترسال في الشراء،

لقاء التباهي بحملها والاعتزاز بالدعاية من ورائها، وفي هذا تصفية لمدخراته، وزيادة في الاستهلاك والإسراف فيه، فالبطاقة في حقيقتها تعود بتنامي المصاريف وزيادتها، لا بالتوفير وزيادة الادخار.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس		نائب الرئيس
عبد العزيز بن عبد الله بن باز		عبد العزيز آل الشيخ

بطاقة المعلم

الفتوى رقم (١٩٥٥٨):

يقول السائل: حكم بطاقة المعلم، والتي تؤخذ عليها رسوم معينة؛ من أجل حصوله على تخفيضات من بعض الفنادق، والمستشفيات، والمراكز والمحال التجارية؟

الجواب: بطاقة المعلم على هذا النظام المذكور، وهو: أخذ الرسوم عليها، غير جائزة شرعاً؛ لما فيها من الغرر وأكل المال بالباطل، وبناء على ذلك فلا يجوز إصدارها ولا التعامل بها.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٤/١٢-١٦) برقم ١٩١١٤.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس		نائب الرئيس
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	
		دليل مرشد المعلمات

الفتوى رقم (١٩٦٣٠):

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام، من معالي الرئيس العام لتعليم البنات، والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (١٧٦) وتاريخ ١٦ / ٤ / ١٤١٨ هـ، وقد سأل معاليه سؤالاً هذا نصه:

تقدم للرئاسة العامة لتعليم البنات إحدى وكالات الدعاية والإعلان، ترغب في عقد اتفاق مع الرئاسة تُمنح بموجبه هذه الوكالة حق إصدار دليل عنوانه (دليل مرشد المعلمات) يتضمن الدعاية لمجموعة من الشركات، والمؤسسات،

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (١٤/١٦-١٧) برقم ١٩٥٥٨.

والمحلات التجارية، ونظير ذلك تلتزم الوكالة بعمل بطاقات شخصية بدون صورة لجميع المعلمات وموظفي الرئاسة في المملكة، ويحصل حامل هذه البطاقة عند تقديمها لهذه الشركات أو المؤسسات، أو المحلات التجارية المشاركة في هذا الدليل على خصم خاص، وقد أحبت الكتابة لسماحتكم - يحفظكم الله- برجاء التفضل بإفادتي عن معرفة الجانب الشرعي في هذا العقد، المبني على وجود مصلحة للناشر، ومصلحة للمعلمات وفق ما أشير إليه أعلاه.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت: بأن هذه البطاقة على هذا النظام المذكور، وهو أخذ الرسوم عليها غير جائز شرعاً؛ لما فيه من الغرر وأكل المال بالباطل، إضافة إلى المفسد المترتبة على معرفة أسماء المعلمات من قبل الجهة التي سوف تتولى إصدار البطاقات، وبناء على ذلك فلا يجوز إصدارها ولا التعامل بها.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد

الرئيس

عبدالعزیز بن عبد اللہ بن باز

نائب الرئيس

عبدالعزیز آل الشيخ

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين .



الكلمة السابعة والأربعون

ألفاظ يُنهي عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الشرعية الكثيرة التي تحث على حفظ اللسان وطيب الكلام، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وفي الصحيحين من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١).

ولذلك وردت الأحاديث التي تنهى عن كل لفظ محرم أو مكروه، من فضول الكلام ونحوه^(٢)، وقد اخترت مجموعة من الألفاظ والعبارات المنتشرة بين الناس، وفتاوى أهل العلم المعاصرين فيها:

سُئِلَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنْ

(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٤٠، وصحيح مسلم برقم ١٠١٦.

(٢) معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر أبو زيد، ص ٣٤ بتصرف.

تصحيح الألفاظ غير مهم مع سلامة القلب؟

فأجاب بقوله: «إن أراد بتصحيح الألفاظ إجراءها على اللغة العربية، فهذا صحيح، فإنه لا يهم - من جهة سلامة العقيدة - وأن تكون الألفاظ غير جارية على اللغة العربية ما دام المعنى مفهوماً وسليماً، أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك، فكلامه غير صحيح، بل تصحيحها مهم ولا يمكن أن نقول للإنسان: أطلق لسانك في قول كل شيء ما دامت النية صحيحة، بل نقول: الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية»^(١). أهـ

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

يقول السائل: ما حكم قول الإنسان: (الله والرسول أعلم) عندما يُسأل؟

الجواب: بعد وفاة الرسول ﷺ لا يجوز أن يُقال إلا: (الله أعلم) فقط؛ لأنه يلزم من العبارة المذكورة أن الرسول يعلم ما جدَّ حدوثه، وما سيحدث مستقبلاً بعد موته، مما لم يُعلمه الله به من طريق الوحي، وذلك من خصائص الله سبحانه وتعالى، أما في حياة الرسول ﷺ فلا بأس بها بالنسبة لما يُعلمه الله للرسول ﷺ عن طريق الوحي.

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦٧/٣).

وبالله التوفيق، وعلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس	نائب الرئيس	
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	

الفتوى رقم (٢١٣٠٥):

ما حكم قول هذه الكلمات: توفي شخص فقال بعضهم: والله ما يستاهل، شورك وهداية الله، إذا حصل أذى للإنسان قالوا: مسكين، يعني: لماذا يحصل له هذا؟

الجواب:

أولاً: قول: (والله ما يستاهل): لا يجوز استعماله؛ لأنه اعتراض على الله جل وعلا في حكمه وقضائه، إذ معناها أن ما أصاب فلاناً من مرض، أو محنة، أو موت ونحو ذلك لا يستحقه، وهذا طعن في حكمة الله سُبْحَانَهُ.

ثانياً: قول: (شورك وهداية الله): ظاهر هذا اللفظ أن قائله يطلب مشورة صاحبه، ثم الأمر كله من قبل ومن بعد

مفتقر إلى هداية الله، فهذا معنى صحيح ولا حرج فيه، ولو كانت العبارة: (شورك ثم هداية الله) لكان أولى.

ثالثاً: قول: (مسكين) لمن حصل له أذى: يعني لماذا يحصل له هذا، يقال في هذا اللفظ ما قيل في اللفظ الأول. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو عضو الرئيس

بكر أبو زيد عبد الله بن غديان صالح الفوزان عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ

كما سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

يقول السائل: نسمع كثيراً أن فلاناً حظه حسن، وفلان حظه سيئ، ما مدى كون الإيمان بالحظ جائزاً من عدمه؟

الجواب: على الإنسان أن يؤمن بقضاء الله وقدره، فيصبر على الضراء، ويشكر الله ويحمده على السراء، وعليه أن يؤمن بأن الله قسم الأرزاق بين عباده، وفاوت بينهم في آجالهم وأعمالهم، وهم أجنة في بطون أمهاتهم، والله الحكمة فيما يقضي ويقدر، وعلى كل مسلم أن ينسب ما يصيب الخلق من نعمة وسعة رزق إلى الله سبحانه، المتفضل بها، والموفق لها، وينسب ما أصابه مما عدا ذلك إلى قضاء الله وقدره، وذلك من

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦/٣٦٠-٣٦١) برقم ٢١٣٠٥.

تحقيق توحيد الربوبية، ويجب على المسلم البعد عما يقدر في عقيدته وتوحيده، فلا ينسب الخير والنعم، أو حلول المصائب والنقم إلى الحظوظ والطوابع، فإن ذلك لا يجوز. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس	نائب الرئيس	
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	

السؤال الأول من الفتوى رقم (٢١٦٧٥):

بعض الناس يقولون: قمنا وقام الله معنا، وبعض الأحيان يقولون: (يا أمي)، فما الحكم؟

أولاً: قول بعض الناس: (قمنا وقام الله معنا): أي أن الله تعالى أعانهم وقواهم وأمدهم بتوفيقه، وهذا المعنى صحيح، لكن الأولى ترك هذه العبارة، بعداً عن اللبس والإيهام، ويستغنى عنها بعبارة أسلم، مثل لفظ: (قمنا وأعانا الله).

ثانياً: قول بعض الناس: (يا أمي): في حال القيام، أو الجلوس لا يجوز؛ لأنه نداء لغائب، أو ميت، ليعين على أمر

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦/٣٦٨-٣٦٩) برقم ٢٠٧٤٧.

ما، وهذا اعتقاد شركي، فالواجب ترك هذه العبارة حماية للتوحيد، وبعداً عن الشرك ووسائله.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو عضو عضو الرئيس
بكر أبو زيد عبد الله بن غديان صالح الفوزان عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ

الفتوى رقم (١٩٨٧٧): سُئِلَت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

يقول السائل: سماحة الشيخ! إن بعض الناس في بلادنا يقولون أقوالاً يريدون بها رضا، ولكن عندي شك فيها، فمنهم من يقول: والله العظيم ثلاثة (يمين)، البقية في حياتك (عزاء أهل الميت)، لا حول الله (بدل قول: لا حول ولا قوة إلا بالله)، وفي السلام يقولون: (السام عليكم)، ومنهم من يسمي أسماء مشبوهة، على سبيل المثال: عبد النبي، عبد الرسول.

الجواب:

أولاً: قول: (والله العظيم ثلاثة): يعتبر يميناً شرعية، فيترتب عليه ما يترتب على اليمين من أحكام.

ثانياً: قول: (البقية في حياتك): هذه من ألفاظ التعزية عند بعض الناس، ومعناها: أن الله يخلف ما فات علينا في

وفاة فلان بأن يكون في بقية عمره خير ونفع، وإذا كان المعنى كذلك فلا بأس بها، والأفضل اتباع ألفاظ السنة في ذلك.

ثالثاً: قول: (لا حول الله): هو اختصار قبيح لكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا يجوز؛ لأنه يغير المعنى.

رابعاً: قول: (السام عليكم): محرم؛ لأنه قول منكر، وتغيير لتحية الإسلام، وكانت من تحايا اليهود - لعنهم الله - للنبي ﷺ، وعلى هذا فلا يجوز استعماله ولا إقراره بين المسلمين.

خامساً: تعبيد الاسم لغير الله محرم بإجماع العلماء: ومن ذلك ما ذكر في السؤال: (عبد النبي، وعبد الرسول)، وكذلك: (عبد الحسين، وعبد الأمير.. الخ).
وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد
الرئيس	نائب الرئيس	
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	

الفتوى رقم (٢٠٩٨٠):

يقول السائل: ما حكم قول بعض الناس إذا رحب بضيف له، وأراد أن يبالغ في الترحيب هذه العبارة: (تباركت يا فلان علينا)، أو: (تباركت جيتك علينا)؟

الجواب: لفظ تبارك لا يجوز إطلاقه إلا على الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. أما المخلوق فيقال: (فلان مبارك)، كما قال الله تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو

عضو

صالح بن فوزان الفوزان

عبدالله بن عبدالرحمن بن غديان

الرئيس

عبدالعزیز بن عبد الله آل الشيخ

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

يقول السائل: نفيد سماحتكم أنه توجد بعض العمائر التي أعدها أصحابها للإيجار، كغرف مفروشة، أو شقق، وقد عنونوها ببعض العبارات، مثل: (قصر عباد الرحمن، قصر تبارك، قصر الكوثر، قصر الفردوس..) وما شابه ذلك.

نرغب من سماحتكم التفضل بإفتائنا: هل يجوز إطلاق مثل هذه العبارات على العمارات المعدة للإيجار أو خلافها من عدمه؟ أفتونا مأجورين، حفظكم الله؛ لأن هذا الأمر منتشر في أم القرى بشكل ملحوظ. وفقكم الله ورعاكم.

الجواب: لا يجوز إطلاق العبارات المذكورة على الغرف، والشقق المعدة للإيجار؛ لأنها تشتمل على الكذب، فالتسمية بـ(قصر عباد الرحمن) مشعرة بالمدح، وقد يسكنه من ليس أهلاً لذلك.

وتسمية (قصر تبارك) لا يجوز؛ لأن كلمة (تبارك) لا تُطلق إلا على الله ﷻ، كما قال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]. والقصر المذكور قد يكون غير مبارك ولا خير فيه.

و(قصر الكوثر) الذي هو (الخير الكثير)، وقد يكون القصر شرًّا محضًا، ويطلق على نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمدًا ﷺ، كما في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

ولأن (الفردوس) اسم لأعلى الجنة وأوسطها، فلا يليق أن يسمى به قصر من قصور الدنيا.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزیز بن عبدالله بن باز
وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:		

يقول السائل: ما حكم قول: (وشاءت قدرة الله) و(شاء القدر)؟

الجواب: لا يصح أن نقول: (شاءت قدرة الله) لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع: هذه قدرة الله، أي مقدوره، كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه. وأما أن نضيف أمراً يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز.

ومثل ذلك قولهم: (شاء القدر كذا وكذا)، وهذا لا يجوز لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدر. والله أعلم^(٢).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦/٣٧٧-٣٧٨) برقم ١٣٦١٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٣/١١٤).

وسُئِلَ فضيلته رَحِمَهُ اللهُ: هل يجوز إطلاق (شهيد) على شخص بعينه، فيقال: الشهيد فلان؟

فأجاب بقوله: لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد حتى لو قُتل مظلوماً، أو قُتل وهو يدافع عن الحق، فإنه لا يجوز أن نقول: فلان شهيد، وهذا خلاف لما عليه الناس اليوم، حيث رخصوا هذه الشهادة وجعلوا كل من قتل حتى ولو كان مقتولاً في عصبية جاهلية يسمونه شهيداً، وهذا حرام، لأن قولك عن شخص قتل هو شهيد يعتبر شهادة سوف تسأل عنها يوم القيامة، سوف يقال لك: هل عندك علم أنه قُتل شهيداً؟ ولهذا قال النبي ﷺ: «... لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَعَبُّ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ»^(١). فتأمل قول النبي ﷺ: « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ ».

يكلّم: يعني يجرح، فإن بعض الناس قد يكون ظاهره أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولكن الله يعلم ما في قلبه، وأنه خلاف ما يظهر من فعله، ولهذا بوب البخاري رَحِمَهُ اللهُ على هذه المسألة في صحيحه فقال: «باب لا يقال: فلان شهيد»، لأن مدار الشهادة على القلب، ولا يعلم ما في القلب إلا الله ﷻ، فأمر النية أمر عظيم،

(١) صحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السماء والأرض، وذلك من أجل النية، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْزَوِجُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١). والله أعلم^(٢).

وسئل فضيلة الشيخ رحمه الله: عن من يسأل بوجه الله فيقول: أسألك بوجه الله كذا وكذا، فما الحكم في هذا القول؟

فأجاب قائلًا: وجه الله أعظم من أن يسأل به الإنسان شيئاً من الدنيا، ويجعل سؤاله بوجه الله ﷻ كالوسيلة التي يتوسل بها إلى حصول مقصوده من هذا الرجل الذي توسل إليه بذلك، فلا يُقَدِّمَنَّ أحد على مثل هذا السؤال، أي لا يقل: وجه الله عليك، أو: أسألك بوجه الله، أو ما أشبه ذلك^(٣).

وسئل فضيلة الشيخ رحمه الله: ما حكم قول: (أطال الله بقاءك)، (طال عمرك)؟

فأجاب قائلًا: لا ينبغي أن يطلق القول بطول البقاء؛ لأن طول البقاء قد يكون خيرًا وقد يكون شرًّا، فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله، وعلى هذا فلو قال: أطال الله بقاءك

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٨٩، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٧.

(٢) مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٣/ ١١٥).

(٣) مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٣/ ٧٠).

على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك^(١).

وسئل فضيلة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: عن قول الإنسان: (أنا حُرٌّ)؟

فأجاب بقوله: إذا قال ذلك رجل حر وأراد أنه حر من رق الخلق، فنعم هو حر من رق الخلق، وأما إن أراد أنه حر من رق العبودية لله ﷻ، فقد أساء في فهم العبودية، ولم يعرف معنى الحرية؛ لأن العبودية لغير الله هي الرق، أما عبودية المرء لربه ﷻ فهي الحرية، فإنه إن لم يذل لله ذل لغير الله، فيكون هنا خادعاً نفسه إذا قال: إنه حر - يعني إنه متجرد من طاعة الله، ولن يقوم بها^(٢).

وسئل فضيلة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: عن قول العاصي عند الإنكار عليه:

(أنا حُرٌّ في تصرفاتي)؟

فأجاب بقوله: هذا خطأ، نقول: لست حرّاً في معصية الله، بل إنك إذا عصيت ربك فقد خرجت من الرق الذي تدعيه في عبودية الله إلى رق الشيطان والهوى^(٣).

وسئل فضيلة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: هل يجوز أن يقول الإنسان للمفتي:

ما حكم الإسلام في كذا وكذا؟ أو: ما رأي الإسلام؟

(١) مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٧١).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٨١).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٨١).

فأجاب بقوله: لا ينبغي أن يقال: (ما حكم الإسلام في كذا)، أو: (ما رأي الإسلام في كذا)، فإنه قد يخطئ فلا يكون ما قاله حكم الإسلام، لكن لو كان الحكم نصًّا صريحًا فلا بأس، مثل أن يقول: ما حكم الإسلام في أكل الميتة؟ فنقول: حكم الإسلام في أكل الميتة أنها حرام^(١).

وسئل فضيلة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: عن قول بعض الناس: (خسرت في الحج كذا، وخسرت في العمرة كذا، وخسرت في الجهاد كذا.. وكذا)؟

فأجاب قائلاً: هذه العبارات غير صحيحة، لأن ما بذل في طاعة الله ليس بخسارة، بل هو الربح الحقيقي، وإنما الخسارة ما صرف في معصية، أو فيما لا فائدة فيه، وأما ما فيه فائدة دنيوية، أو دينية فإنه ليس بخسارة^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ ابن عثيمين (٣/١٠٠).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ ابن عثيمين (٣/١٠١).

الكلمة الثامنة والأربعون

زيادة الإيمان ونقصانه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح، فهو يتضمن الأمور الثلاثة:

١- إقرار بالقلب، ٢- نطق باللسان، ٣- عمل بالجوارح.

وإذا كان كذلك، فإنه يزيد وينقص، وذلك لأن الإقرار بالقلب يتفاضل، فليس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمعينة، وليس الإقرار بخبر الرجل كالإقرار بخبر الرجلين.. وهكذا، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب، وطمأنينته وسكونه، والإنسان يجد ذلك من نفسه، فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة، وذكر للجنة والنار، يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس

يخف هذا اليقين في قلبه.

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول، فإن من ذكر الله عشر مرات، ليس كمن ذكر الله مئة مرة، فالثاني أزيد بكثير، وكذلك أيضاً من أتى بالعبادة على وجه كامل يكون إيمانه أزيد ممن أتى بها على وجه ناقص.

وكذلك العمل، فإن الإنسان إذا عمل عملاً بجوارحه أكثر من الآخر، صار الأكثر أزيد إيماناً من الناقص»^(١).

«والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة وآثار السلف كثيرة جداً:

فمنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٢٥) [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين، كما

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بِاخْتِصَارٍ (١/٤٩-٥٠).

في صحيح مسلم حيث قال: «... وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لَدِي لُبٌّ مِنْكُمْ»^(١).

وفي حديث الشفاعة: «انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ شَارِحَ الطَّحَاوِيَةِ: «فكيف يُقال بعد هذا أن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟ وإنما التفاضل بينهم بمعانٍ آخر غير الإيمان»^(٣).

وكلام الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم في هذا المعنى كثير أيضاً: قال أبو الدرداء: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟»^(٤).

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً»^(٥)، وكان معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول لرجل: «اجلس بنا نؤم ساعة»^(٦)، وضح عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «ثلاث

(١) برقم ٧٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٥١٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١٢٦/٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١٢٦/٢).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥٤٩)، وقال الهيثمي في المجمع: إسناده جيد، وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَتْحِ (٤٨/١): رواه أحمد في الإيمان، وإسناده صحيح.

(٦) علقه البخاري في كتاب الإيمان، ووصله ابن أبي شيبة في الإيمان برقم (١٠٥)، والمصنف (٢٦/١١)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط والدكتور عبدالمحسن التركي في تعليقهما على العقيدة الطحاوية (١٢٧/٢).

من جمعهن فقد جمع الإيمان، إنصاف من نفسه، والإنفاق من اقتار، وبذل السلام للعالم»^(١).

وقال جندب بن عبد الله رضي عنه: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن غلمان حزاورة^(٢)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»^(٣).

وقال عمر بن عبدالعزيز رضي عنه: «إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان»^(٤).

وقال الشافعي رحمته الله: «الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»^(٥).

وقال البخاري رحمته الله: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»^(٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الإيمان المطلق

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام.

(٢) حزاورة: جمع حزور، وحزور هو الصبي الذي قارب البلوغ.

(٣) سنن ابن ماجه برقم ٦١، وابن منده في كتاب الإيمان (١/٣٧٠) برقم ٢٠٨، وقال محققه علي بن محمد الفقيهي: حسن.

(٤) كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس.

(٥) فتح الباري (١/٤٧).

(٦) فتح الباري (١/٤٧).

مستلزم للأعمال بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥]. فنفى الإيمان عن غير هؤلاء، فمن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المؤمنين، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله ﴿ نَجِدَ وَنَجَلًا ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله ﴿ سَبَّحَاتُنَّ ﴾: ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة: ٨١]. وقد بين ﴿ سَبَّحَاتُنَّ ﴾ في هذه الآيات أن الإيمان له لوازم، وله أصداد موجودة، ومن أصداده موادة من حاد الله ورسوله، ومن هذا الباب قوله ﴿ وَاللَّهُ ﴾: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ... الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»^(٢). وأشباه هذا كثير»^(٣).

«ومن أسباب زيادة الإيمان:

١- تعلم العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة، قال ابن حجر رحمته الله: «والمراد بالعلم، العلم الشرعي الذي يفيد

(١) صحيح البخاري ٢٤٧٥، وصحيح مسلم ٥٧.

(٢) صحيح البخاري ٦٠١٦.

(٣) باختصار وتصرف يسير عن الفتاوى (٧/ ١٦٠-١٦١).

ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته،
والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه
عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير، والحديث،
والفقه»^(١). أهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الإنسان كلما ازداد
معرفة بالله وبأسمائه وصفاته، ازداد إيماناً بلا شك، ولهذا
 نجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته ما لا
 يعلمه غيرهم، تجدهم أقوى إيماناً من الآخرين»^(٢).

٢- قراءة القرآن الكريم وتدبره، فإن هذا من أعظم أبواب العلم
المؤدية إلى زيادة الإيمان وثباته، وقوته، فقد أنزل كتابه
المبين على عباده هدى ورحمة، وضياء ونوراً، وبشرى
وذكرى للذاكرين، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا
لِيَذَّبَرُواْ عَائِيَّتَهُ وَلِيُنذِرَ أُولَئِىَ الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال
تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وبالجمله، فلا شيء أنفع للقلب من
قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فإنه جامع لجميع منازل السائرين
وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة،

(١) فتح الباري (١/١٤١).

(٢) مجموع رسائل وفتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١/٥٠).

والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضى، والتوفيق، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه»^(١).

«فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير فمر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصباح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]^(٢).

٣- النظر في سيرة النبي الكريم ﷺ ودراستها، وتأمل ما ذكر فيها من نعوته الطيبة، وخصاله الكريمة، وشمائله الحميدة، وسيرته العطرة، والعمل بها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٨٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٥/٣١٠) برقم ٢١٣٨٨، وقال محققوه: إسناده حسن.

٤- تأمل محاسن الدين الإسلامي، فإن الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصح العقائد، وأصدقها، وأنفعها، وأخلاقه أحمَد الأخلاق، وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام، وأعدلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

٥- قراءة سيرة سلف هذه الأمة من أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم بإحسان، أهل الصدر الأول وخير القرون، فإن ذلك مما يزيد الإيمان ويقويه، وفي الحديث: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...»^(١).

٦- التأمل في آيات الله الكونية؛ من سماء، وأرض، وشمس، وقمر، وكواكب، وليل، ونهار، وجبال، وأشجار، وبحار، وأنهار.. وغير ذلك من مخلوقات الله، من أعظم أسباب زيادة الإيمان وتقويته، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]

٧- الاجتهاد في كثرة الطاعات والأعمال الصالحات، فمن عبودية القلب التي تخصه: الإخلاص، والمحبة، والتوكل، والإنابة، والرجاء، والخوف، والخشية، والرضى، والصبر.. وغيرها من الأعمال القلبية.

(١) صحيح البخاري ٢٦٥٢، وصحيح مسلم برقم ٢٥٣٣.

ومن عبودية اللسان التي تخصه: قراءة القرآن، والتكبير، والتسبيح، والتهليل، والاستغفار، وحمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ.

ومن عبودية الجوارح التي تخصها: الصدقة، والحج، والصلاة، والوضوء، والخطا إلى المساجد.. وغير ذلك، فهذه الأعمال جميعها؛ التي بالقلب، واللسان، والجوارح، كلها داخلة في الإيمان، والإكثار منها زيادة في الإيمان، ونقصها نقص في الإيمان»^(١).

«أما أسباب النقصان فهي على العكس من ذلك:

- ١- الجهل بأسماء الله وصفاته يوجب نقص الإيمان؛ لأن الإنسان إذا نقصت معرفته بأسماء الله وصفاته نقص إيمانه.
- ٢- الإعراض عن التفكير في آياته الكونية والشرعية، فإن هذا يسبب نقص الإيمان.
- ٣- فعل المعصية، فإن للمعصية آثاراً عظيمة على القلب وعلى الإيمان؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...» الحديث^(٢).

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

ص ١٨٣-٢٤٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٤٧٥، وصحيح مسلم برقم ٥٧.

٤- ترك الطاعة، فإن ترك الطاعة سبب لنقص الإيمان، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتركها بلا عذر، فهو نقص يلام عليه ويعاقب، وإن كانت الطاعة غير واجبة، أو واجبة لكن تركها بعذر، فإنه نقص لا يلام عليه، ولهذا جعل النبي ﷺ النساء ناقصات عقل ودين، وعلل نقصان دينها بأنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم، مع أنها لا تلام على ترك الصلاة والصيام في حال الحيض، بل هي مأمورة بذلك، لكن لما فاتها الفعل الذي يقوم به الرجل صارت ناقصة عنه من هذا الوجه»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١/٥١-٥٢).

الكلمة التاسعة والأربعون

الحكم بغير ما أنزل الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

«هذه وصية من الله لولاة الأمور، أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله، وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد»^(١).

روى ابن أبي حاتم بسنده إلى إبراهيم بن أبي زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة، فإنك قد قرأت الكتاب الأول، وقرأت القرآن وفقهت؟ فقلت: يا أمير المؤمنين! أقول؟ قال: قل في أمان، قلت: يا أمير

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٨٦).

المؤمنين، أنت أكرم على الله أو داود؟ إن الله عَزَّ وَجَلَّ جمع له النبوة، والخلافة، ثم توعدده في كتابه فقال: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٢٦] (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهوديٍّ مُحَمَّمًا (٢) مَجْلُودًا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، فقال: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قالوا: نَعَمْ، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أُنشِدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» قال: لا، ولو لا أنك نشدتنني بهذا لم أخبرك، نجدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكَنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقْمَنَّا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلَنَجْتَمِعَ عَلَيَّ

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٨، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره.

(٢) أي مسود الوجه من الحممة، وهي الفحمة.

شَيْءٍ نَقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجِلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ». فأمر به فرجم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]، إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يقول: اتوا محمداً ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٤٥] [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤٧] [المائدة: ٤٧] في الكفار كلها^(١).

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٥٠] [المائدة: ٥٠]، «في هذه الآية الكريمة ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء، والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بلا مستند من شريعة الله. كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي

وضع لهم الياسق: وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى؛ من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية.. وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. «في هذه الآية الكريمة يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً، وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة، ولا مدافعة، ولا منازعة»^(٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٨٤.

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٣٠٥.

ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج من الحررة، لِيَسْقِي بِهِ النَّخْلَ، فقال رسول الله ﷺ: «اسق يا زبير - فأمره بالمعروف - ثم أرسله إلى جارك»، فقال الأنصاري: أن كان ابن عمتك؟، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسق، ثم احبس، حتى يرجع الماء إلى الجذر»، واستوعى له حقه، فقال الزبير: والله إن هذه الآية أنزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٦٥) [النساء: ٦٥]: «فلا تستغرب إذا قلنا: إن من استبدل شريعة الله بغيرها من القوانين، فإنه يكفر ولو صام وصلى؛ لأن الكفر ببعض الكتاب كفر بالكتاب كله، فالشرع لا يتبعض، إما أن تؤمن به جميعاً، وإما أن تكفر به جميعاً، وإذا آمنت ببعض وكفرت ببعض، فأنت كافر بالجميع؛ لأن حالك تقول: إنك لا تؤمن إلا بما لا يخالف هواك. وأما ما خالف هواك فلا تؤمن به، هذا هو الكفر، فأنت بذلك اتبعت الهوى، واتخذت هواك إلهاً من دون الله.

(١) صحيح البخاري برقم ٢٣٦٢، وصحيح مسلم برقم ٢٣٥٧.

فالحاصل أن المسألة خطيرة جدًّا، من أخطر ما يكون بالنسبة لحكام المسلمين اليوم، فإنهم قد وضعوا قوانين تخالف الشريعة وهم يعرفون الشريعة، ولكن وضعوها - والعياذ بالله - تبعًا لأعداء الله من الكفرة الذين سنوا هذه القوانين ومشى الناس عليها، والعجب أنه لقصور علم هؤلاء وضعف دينهم، أنهم يعلمون أن واضع القانون هو فلان بن فلان من الكفار، في عصر قد اختلفت العصور عنه من مئات السنين، ثم هو في مكانٍ يختلف عن مكان الأمة الإسلامية، ثم هو في شعب يختلف عن شعوب الأمة الإسلامية، ومع ذلك يفرضون هذه القوانين على الأمة الإسلامية، ولا يرجعون إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسول الله ﷺ، فأين الإسلام؟ وأين الإيمان؟ وأين التصديق برسالة محمد ﷺ، وأنه رسول إلى الناس كافة؟ وأين التصديق بعموم رسالته، وأنها عامة في كل شيء؟

كثيرٌ من الجهلة يظنون أن الشريعة خاصة بالعبادة التي بينك وبين الله ﷻ فقط، أو في الأحوال الشخصية من نكاح وميراث وشبهه، ولكنهم أخطئوا في هذا الظن، فالشريعة عامة في كل شيء، وإذا شئت أن يتبين لك هذا؛ فاسأل ما هي أطول آية في كتاب الله؟ سيُقال لك: إن أطول آية هي آية الدِّين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، كلها في المعاملات، فكيف نقول إن الشرع الإسلامي خاص بالعبادة، أو بالأحوال الشخصية، هذا جهل، وضلال، إن كان عن عمد

فهو ضلال، واستكبار، وإن كان عن جهل فهو قصور، والواجب أن يتعلم الإنسان ويعرف. نسأل الله لنا ولهم الهداية»^(١).

«والمراد بالحكم بغير ما أنزل الله: يعني تحكيم القوانين الطاغوتية، وتنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ في الحكم بين العالمين، والرد إليه عند التنازع»^(٢).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ: «من الممتنع أن يُسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا، ولا يكون كافرًا، بل هو كافرٌ مطلقًا، إما كفر عمل، وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية من رواية طاوس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر، إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة.

أما القسم الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع:

أحدُها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حُكم الله ورسوله، وهو معنى ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، واختاره ابن جرير: أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم.

(١) شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٢٦١-٢٦٣).

(٢) انظر: رسالة تحكيم القوانين، للشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية سابقًا

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إما مطلقًا أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان، وتغير الأحوال، وهذا أيضًا لا ريب أنه كُفِّر؛ لتفضيله أحكام المخلوقين على حكم الحكيم الحميد.

الثالث: أنه لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله، في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

الرابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلًا لحكم الله ورسوله، فضلًا عن أن يعتقد كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحكم بما يُخالف حكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه، لا اعتقاده جواز ما عُلم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع

ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادًا، وإمدادًا وإرصادًا، وتأصيلًا، وتفريقًا، وتشكيلاً، وتنويحًا، وحكمًا، وإلزامًا، ومراجع، ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذه المحاكم مراجع هي القانون الملق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين.

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم، وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمونها سلموهم يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به، ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضًا ورغبة عن حكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما القسم الثاني من قسمي الحكم بغير ما أنزل الله:

فهو مروى عن ابن عباس وذلك في قوله ﷺ في الآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] كفر دون الكفر، وقوله أيضًا: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه؛ وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغيرها

ومجانبة الهدى.

وهذا، وإن لم يخرج كفرة من الملة، فإنه معصية عظيمة أكبر من الكبائر، كالزنا، وشرب الخمر، والسرقعة، واليمين الغموس... وغيرها، فإنها معصية لم يسمها كفرة، نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقياداً ورضاءً، فإنه ولي ذلك والقادر عليه»^(١).

من مفاصد الحكم بغير ما أنزل الله:

١- استحقاق غضب الله وسخطه، وحلول عقابه بمن خالف أمره ونهيه، وتحاكم إلى غيره.

٢- إذا عاش الناس في ظل الدساتير، والقوانين الوضعية، فإن الحوادث والجرائم تكثر بشكل مذهل وبنسبة عظيمة متزايدة عاماً بعد عام، وهذا ما يلمس واضحاً من واقع أرقام الإحصائيات الرسمية للجرائم والجنايات في الأقطار والبلاد العاملة بتلك الأنظمة والقوانين.

٣- انعدام الأمن، والفوضى في تلك المجتمعات المطبقة للقوانين الوضعية، فالسارق لا تقطع يده، والقاتل لا يقتل، وشارب الخمر لا يجلد، وفي الحديث: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ!

(١) انظر: رسالة تحكيم القوانين، للشيخ محمد بن إبراهيم ص ١ وما بعدها باختصار، بشرح الشيخ سفر الحوالي.

خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ - ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ: وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أُمَّتَهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ»^{(١)(٢)}.

٤- انتشار الفقر، وغلاء الأسعار، ونزع البركات، فتحكيم الشريعة الإسلامية أمن للناس في أوطانهم، وبركة في أرزاقهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



(١) سنن ابن ماجة برقم ٤٠١٩، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ

(٢/ ٣٧٠) برقم ٣٢٤٦.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لجماعة من المختصين

(١٠/ ٤٤٤٧-٤٤٤٨).

الكلمة الخمسون

الصوفية وخطرها على بلاد الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن أعداء المسلمين من الكفار يمكرون بالليل والنهار للقضاء على الإسلام وأهله، ومن خططهم الخبيثة: زرع الفرق الضالة في بلاد المسلمين حتى يضعفوا شوكتهم، ويسيطروا على ثرواتهم، ويبعدوهم عن دينهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن هذه الفرق الضالة التي استغلها الاستعمار في بلاد المسلمين فرقة الصوفية، وسأذكر بعضاً من معتقداتها، ونشأتها، وخطرها على الإسلام والمسلمين، للعلم والحذر.

«تعريف التصوف:

يختلف التصوف بحسب المراحل التاريخية التي مر بها:

(أ) فالتصوف في مرحله الأولى: هو عبارة عن الزهد في الدنيا، والانقطاع لعبادة الله، ولهذا قال شيخ الإسلام

ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن متقدمي الصوفية: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه»^(١).

(ب) ثم انحرف التصوف إلى الرهبانية والتعلق بالبدع، والمنكرات، وبدأت اتجاهات الطرق الصوفية.

(ج) ثم تطور التصوف حتى بدأت فيه الشطحات، والضلالات في الأعمال والعقائد، وأخذ طائفة من الصوفية بعقيدة الحلول والاتحاد، فخرجوا من الإسلام، أما المتأخرون من الصوفية فمنهم من أخذ التصوف بالمعنى الأول وهو الزهد في الدنيا مع ممارسة بعض البدع، ومنهم من أخذه طرقاً وحركات ومظاهر، فمارس كثيراً من الشركيات والعقائد الباطنية، ومنهم من آمن بعقيدة الحلول والاتحاد فكفر بدين الإسلام.

لماذا سمو بالصوفية؟

اختلف في ذلك، والذي ذهب إليه كثير من أهل التحقيق

كابن تيمية وابن خلدون وغيرهما، أنهم سُموا بالصوفية نسبة للبسة الظاهرة التي يلبسها كثير من الصوفية، وهي أسمال من الصوف الغليظ»^(١).

«نشأتها:

في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة رضي الله عنهم، ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس، فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، كما حصل للحسين بن علي رضي الله عنهما، فأثروا اعتزال المجتمع تصوناً عما فيه من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم، يضاف إلى ذلك أيضاً فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة، والكوفة، حيث كانت بداية الانحراف عن المنهج الصحيح»^(٢).

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٦-١٦٧، للشيخ ناصر القفاري، والشيخ ناصر العقل.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف د. مانع الجهني (١/ ٢٥٤) بتصرف.

«وللصوفية طرق كثيرة منها: الشاذلية، والتيجانية، والسنوسية، والختمية، والبريلوية.

أهم عقائدهم:

تشابه عقائد الصوفية وأفكارهم، وتتعدد مدارسهم وطرقهم، ويمكن إجمالها فيما يلي: «يعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى، منها: وحدة الوجود، وفحواها أن الخالق عين المخلوق، والمخلوق عين الخالق، وأن الله متحد بمخلوقاته، جاء في كتابهم (جواهر المعاني): فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه، وهذه العقيدة مخالفة للعقل والفطرة، والشرع، وقد قام إجماع المسلمين على كفر من قال بها، وقد كفر الله تعالى النصارى بقولهم إن الله هو المسيح، فكيف بمن يقول إن الله متحد بمخلوقاته»^(١).

«والغلاة من الصوفية يعتقدون في الرسول ﷺ أيضاً عقائد شتى؛ فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، كما قال البسطامي: خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله.

ومنهم: من يعتقد أن الرسول محمد ﷺ هو قبة الكون،

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٦-١٦٧، للشيخ ناصر القفاري، والشيخ ناصر العقل.

وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات، والأرض، والعرش، والكرسي، وكل الكائنات خلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه.

ومنهم: من لا يعتقد ذلك، بل يرده ويعتقد بشريته ورسالته، ولكنهم مع ذلك يستشفعون ويتوسلون به ﷺ إلى الله تعالى على وجه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي الأولياء يعتقد الصوفية عقائد شتى؛ فمنهم من يفضل الولي على النبي، ومنهم من يجعل الولي مساوٍ لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية؛ فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال، والنجباء، حيث يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير، ومنهم من لا يعتقد ذلك، ولكنهم أيضاً يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم، سواء كان في حياتهم أو بعد مماتهم^(١)، إلى غير ذلك من الضلالات والخرافات نسأل الله السلامة والعافية.

«ورغم خطورة الفكر الصوفي على الأمة منذ قرون من الزمان وليس من الآن، ورغم ما جره هذا الفكر على الأمة من

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف د. مانع الجهني (١/٢٥٤).

ويلات ومآس عبر التاريخ، إلا أن معالجة علماء الأمة لهذا المرض المعدي المستشري في جسد الأمة ومواجهتهم له لم يكن بالمستوى المطلوب والمأمول، حيث ما زالت الفرق الصوفية تنتشر وتتوسع في البلاد الإسلامية حتى الآن، مستغلة الجهل، والفقر المنتشر فيها، وغياب الموجهين والمعلمين من أهل السنة المعتدلين.

لقد اعتمد الاحتلال الغربي الأجنبي على الطرق الصوفية لمواجهة المقاومة المسلحة ضده في أي بلد إسلامي، كما أن الأنظمة الاستبدادية المعاصرة - وريثة الاستعمار في حكم الديار - لم تسمح لغير الطرق الصوفية بالتمدد والانتشار.

ولقد حذر كثير من العلماء المخلصين من خطر الفكر الصوفي على الأمة نظرياً، إلا أن الواقع العملي الدعوي في هذا الجانب ما يزال يحتاج إلى الكثير من الجهود والعمل، ومن بين من نبه لخطر الفكر الصوفي الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق، الذي ذكر في كتابه (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة) أن الفكر الصوفي هو أشد الأخطار جميعاً على أمة الإسلام، وأنه الذي حوّل عز هذه الأمة ذلاً ومهانة، وأنه السوس الذي ظل ينخر ويهدم في جسم شجرتنا الباسقة حتى أناخها مع الأيام، وأنه لا خلاص للأمة إلا بالتخلص من هذا السوس أولاً قبل أي خطر آخر، وقد بين الشيخ في كتابه أهم مخاطر الفكر الصوفي، وهي:

- ١- صرف الناس عن القرآن والحديث.
- ٢- فتح باب التأويل الباطني لنصوص القرآن والحديث.
- ٣- إتلاف العقيدة الإسلامية.

كما أن خطورة هذا الفكر تكمن في انتشاره الواسع في جميع دول العالم الإسلامي - وخاصة في القارة الإفريقية - حيث الفقر الشديد، والجهل، وقلة العلم، وخاصة الديني والإسلامي، إضافة لقلة الدعاة والمعلمين للإسلام الحقيقي، وهو ما شكل مناخاً ملائماً لانتشار الفكر الصوفي على أوسع نطاق.

ففي السنغال مثلاً والتي يشكل المسلمون فيها ما نسبته (٩٤٪) من عدد السكان، فإن طريقة صوفية واحدة فيها وهي التيجانية تحتضن (٥١٪) من المسلمين في السنغال، بينما تستوعب الطريقة المرينية وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى بقية مسلمي السنغال، مما يعبر عن مدى سيطرة الطرق الصوفية على مسلمي السنغال، ومن هنا لم يكن مستغرباً أن تُعد السنغال معقلاً للصوفية بمختلف مدارسها في أفريقيا، حيث تلعب المدارس الصوفية السنغالية أدواراً تتجاوز الأبعاد الدينية والروحية إلى السياسية، حيث قام ساسة السنغال بتوظيف الصوفية لبلوغ مآربهم السياسية.

وها هي إسرائيل اليوم تخترق الطرق الصوفية في

السنغال، من خلال زيارة يقوم بها حاليًا بعض أئمة مساجد وممثلو بعض الطرق الصوفية لإسرائيل، بما تحمله من دلالات خطيرة من خلال تمكن اليهود من التغلغل بالمجتمع السنغالي نظرًا لمحورية رجال الدين في تلك البلاد، الأمر الذي أثار موجة استياء كبيرة سادت كثيرًا من الأوساط الدينية السنغالية والإسلامية على خلفية هذه الزيارة.

ورغم نفي زعيم الطريقة التيجانية بمدينة باي السنغالية الشيخ أحمد التيجاني إنياس وجود ممثلين عن طريقته بوفد الأئمة الذي يزور إسرائيل حاليًا، إلا أن وسائل إعلام محلية قد تحدثت عن وجود ممثلين للطريقة التيجانية ذات النفوذ الكبير في السنغال ضمن وفد الأئمة الذي توجه مؤخرًا إلى إسرائيل.

ومن المعلوم أن الطريقة التيجانية تتبنى أفكارًا بعيدة كل البعد عن الإسلام، كما مكانية رؤية النبي ﷺ يقظة والتلقي منه، إضافة لنسبة علم الغيب لوليهم التيجاني، ناهيك عن دعوى أن من رأى التيجاني دخل الجنة»^(١).

والصلة بين التصوف والتشيع حقيقة تحدت عنها كثير

(١) مقال للكاتب أحمد بن سعيد بلحه، المجلس العلمي لشبكة الألوكة بتاريخ

من النقاد، مثل ابن خلدون، وإحسان إلهي، وكامل مصطفى الشبيبي، وهو ممن أفرد كتاباً لإثبات ذلك، وغيره ممن عقدوا مقارنات بين اعتقادات وطقوس الفريقين.

ودواعي التنبيه إلى المقاربة بين الطائفتين كثيرة، منها منشأ التصوف وبيئته وأقطابه ومصطلحاته، وكثير من العقائد التي به، غير أن ما يُرْسَخ التواصل بينهم هو ظهور الدولة العبيدية الشيعية الإسماعيلية الباطنية المتسمية بالفاطمية، فقد لبس التصوف في عهدها والذي تلاها لباس الشيعة.

وتعقد المقارنة بادئ ذي بدء في نشأة التصوف، فالتصوف منبته فارسي شيعي؛ وينصر هذا الرأي طائفة من خصوم التصوف من السنة، وأخرى من أهل التصوف من السنة والشيعة، وبين أولئك باحثون في التصوف يؤيدون هذا الرأي، إلا أن لكل طرف غرضه من نصره هذا الرأي.

فالثابت من كتب كثير ممن عاصر الصوفية وغيرهم، أن أول من أسس التصوف هم الشيعة، ومرجع النشأة لرجلين منهم، هما (عبدك ت ٢١٠) مختصر عبد الكريم، وهو على رأس طائفة شيعية، وأبو هاشم الكوفي الشيعي (الصوفي ت ١٥٠) (١).

(١) الصلة بين التصوف والشيعة، كامل مصطفى الشبيبي، دار الأندلس - بيروت - ط (٣) ١٩٨٢، (ص ٢٧١) بتصرف.

فالتصوف وليد التشيع، وبداية أمر حركة التصوف الفرس؛ الذين يمثلون عصب التشيع ودمه الفوار، وكبار المتصوفة والمنظرين له فرس؛ كالبسطامي، والحلاج، ومعروف البلخي، وابن خضرويه البلخي، ويحيى بن معاذ الرازي. وللتشيع أمشاج فارسية متعددة الثقافات والعقائد، وشيعة العراق زمرة فراق، وشرذمة شقاق، دأبهم تشقيق الكلام، والتلفيق بين الأديان، وذو سيرتهم قبل الإسلام، وصنيعهم مع جمهرة الأديان التي حلت أرضهم، والفرس أصيخوا بداء الغنوص وهي فلسفة حلولية ذات طابع روحاني صوفي محض سرت في أديان وطوائف عدة، بنسب متقاربة.

والفرس يصبغون أي دين يرد عليه بلبوسهم، ويذيبونه في ثقافتهم، وعقائدهم، فيصطلحون على ما سلف من أمرهم بلغة ما ورد على ديانتهم الجديدة، فإن تبصر الواعي أمرهم درى أن كسرى صار يسمى إمامًا، والمرجع الشيعي صار يُسمى شيخ الطريقة، والأئمة الاثنا عشر هم الأقطاب والغوث، ومراتب دعاة الباطنية الإسماعيلية هم الأوتاد، والأتقياء، والنجباء والمريدين عند الصوفية^{(١)(٢)}.

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الصلة بين التصوف والتشيع د. نبيل عبدالكريم، مقال في موقع الألوكة.

(٢) التصوف عند الفرس، إبراهيم الدسوقي، دار المعارف - القاهرة - د.ت - ص ٢٣.

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية :

يقول السائل: أرجو من سماحتكم التكرم بالكتابة إلينا باختصار عن: الصوفية والصوفيين، وما هي الصوفية، وما هي عقيدتهم، وما رأي أهل السنة والجماعة فيهم، وماذا ينبغي لمن كان من أهل السنة والجماعة أن يعمل، أو كيف ينبغي أن يتعامل معهم إن كان هؤلاء الصوفيون مصرّون على عقيدتهم، وأنهم يرون أنهم على حق حتى بعد أن ظهرت واتضحت أمامهم الحقائق؟

وإني لأرجو من الله أن ينفع بعلمكم هذا كثيراً من الناس الذين هم بحاجة ماسة إلى تبين هذا الأمر من قبل فضيلتكم خاصة. ووفقنا الله جميعاً لما يحب ويرضى، وجزاكم خير الجزاء.

الجواب: الصوفية نسبة إلى الصوف؛ لأنه كان شعاراً لهم في اللباس، وهذا أقرب إلى اللغة وإلى واقعهم، أما ما قيل إن الصوفية نسبة إلى الصفة لشبههم بفقراء الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يأوون إلى صفة بالمسجد النبوي، أو نسبة إلى صفوة لصفاء قلوبهم وأعمالهم، فكل ذلك خطأ وليس بصحيح؛ لأن النسبة على صفة صفيّ بتشديد الفاء والياء، والنسبة إلى صفوة صفوي، ولأن هذين المعنيين لا ينطبقان على صفاتهم، لما

يغلب عليهم من فساد العقيدة، وكثرة البدع عندهم.

والطرق الصوفية جميعها أو ما يسمى بالتصوف الآن يغلب عليها العمل بالبدع الشركية، والذرائع الموصلة إليها والمعتقدات الفاسدة، ومخالفة الكتاب والسنة، كالاستغاثة بالأموات والأقطاب بقولهم: مدد يا سيدي، مدد يا سيدة زينب، مدد يا بدوي أو يا دسوقي، ونحو ذلك من الاستغاثة بالمشائخ والأقطاب، واعتقادهم أنهم جواسيس القلوب، يعلمون الغيب، وما تكنه القلوب، وأن لهم أسراراً يتصرفون بها وراء الأسباب العادية، وكتسمية الله بما لم يسم به نفسه، مثل (هو هو وآه آه آه).

والصوفية لهم أوراد مبتدعة وأدعية غير مشروعة، فهم يأخذون العهد على مرديهم بأن يذكروا الله في نسكهم وعبادتهم بأسماء مفردة معينة من أسماء الله بشكل جماعي، كالله وحي وقيوم، يرددونه كل يوم وليلة، ولا يجاوزونه إلى غيره من الأسماء إلا بإذن مشايخهم، وإلا كان عاصياً يُخاف عليه من خدم الأسماء، كل ذلك مع الترنح والركوع والرفع منه والرقص والنشيد والتصفيق وغير ذلك مما لا أصل له ولا يعرف في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ.

فيجب على كل مسلم أن لا يجلس في مجالسهم، وأن يبتعد عن مخالطتهم؛ حتى لا يتأثر بمعتقداتهم الفاسدة ويقع

فيما وقعوا فيه من الشرك، والبدع، وأن يقوم بمناصحتهم وبيان الحق لهم لعل الله أن يهديهم على يديه، مع إقرارهم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة، وننكر عليهم ما خالفوا فيهما مع لزوم منهج أهل السنة والجماعة ليسلم له دينه، ومن أراد معرفة أحوال الصوفية ومعتقداتهم بالتفصيل فليقرأ كتاب (مدارج السالكين) لابن قيم الجوزية، وكتاب هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبدالعزیز آل الشيخ	عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

يقول السائل: ما هي الصوفية، وهل هي خطر على الدين، وما حكم مجالسة الصوفيين؟

الجواب: الغالب على الصوفية في هذا الزمان أنها طائفة ضالة، لها منهج في العبادة يخالف ما جاء به الرسول ﷺ، وهم يتلقون دينهم عن رؤساء طرقهم ومشائخهم، ويعتقدون فيهم أنهم ينفعون ويضرون من دون الله، ولا تجوز مجالستهم ولا مصابحتهم إلا لمن يدعوهم إلى الله ويبصرهم بالسنة.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، (٢/٨٨-٩٠) برقم ١٢٥٩١.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)

الرئيس

نائب الرئيس

عضو

عضو

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

الفهرس الأول:

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب

الفهرس الثاني:

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة
--------	--------

أ- (قسم العقيدة)

- ١ - الاعتزاز بالدين ٢٧
- ٢ - الإسراء والمعراج ٢٥٥
- ٣ - ألفاظ يُنهي عنها ٤٤٥
- ٤ - زيادة الإيمان ونقصانه ٤٥٩
- ٥ - الحكم بغير ما أنزل الله ٤٦٩

التحذير من الفرق الضالة

- ١ - الصوفية وخطرها على بلاد الإسلام ٤٨١

ب- (التفسير)

- ١ - تأملات في سورة الانشقاق ٣٥
- ٢ - تأملات في سورة البينة ٤٣
- ٣ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ الآيات ١٠٧
- ٤ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ - وَهُوَ يَعِظُهُ...﴾ ٣٠٩

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

ج- (الحديث)

- ١ - شرح حديث: اشتكت النار إلى ربها ١٥
- ٢ - شرح حديث: اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ٢١
- ٣ - فوائد من حديث أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما عند بعثتهما إلى اليمن .. ٣٤٧

د- (الفقه)

- ١ - الأشهر الحرم ٨٥
- ٢ - صفة الصلاة على الجنازة ٩١
- ٣ - مسائل تتعلق بصلاة الجنازة ٩٩
- ٤ - الهدية ١٧٧
- ٥ - المحرمات في النكاح ٢٢٣
- ٦ - من أحكام الرضاع ٢٣٣
- ٧ - مفطرات الصيام ٣٦٣
- ٨ - الوقف ٣٨١

الصلاة

- ١ - صفة الصلاة على الجنازة ٩١
- ٢ - دعاء القنوت ٢٦٧

الصيام

- ١ - مفطرات الصيام ٣٦٣
- ٢ - فضل الصيام في شهر شعبان ٣٧٣

الحج

- ١ - من فضائل يوم عرفة ٥٣
- ٢ - من فضائل أيام التشريق ٦٣
- ٣ - من مقاصد الحج وحكمه ٧١

آداب عامة

- ١ - وصايا لقمان الحكيم ٣٠٩

منهيات

- ١ - الغناء رقم (٢) والشيلات والمؤثرات الصوتية ٢٧٧
- ٢ - الأناشيد الإسلامية ٢٩٥
- ٣ - التمثيل ٣١٧

الفضائل

الصيام

- ١ - فضل الصيام في شهر شعبان ٣٧٣

الحج

- ١ - من فضائل يوم عرفة ٥٣
- ٢ - من فضائل أيام التشريق ٦٣

الأذكار

- ١ - من فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله ٧٧

فضائل عامة

- ١ - فضل الجهاد في سبيل الله ٣٢٧
 ٢ - من فضائل مصر ٣٩٣
 ٣ - من فضائل المسجد الأقصى ٤٠١

موضوعات تهمة الأسرة

- ١ - المحرمات في النكاح ٢٢٣
 ٢ - من أحكام الرضاع ٢٣٣

الأخلاق المحمودة

- ١ - الإيثار ١٨٩

السير

- ١ - دروس وعبر من غزوة أحد ٣٥١

توجيهات عامة

- ١ - من خصائص الأنبياء عليهم السلام ١٣٥
 ٢ - من خصائص جزيرة العرب ١٦٥
 ٣ - المزاح - مشروعيته وآثاره ٢١٣

قضايا معاصرة

- ١ - الألعاب المنتشرة بين الناس وحكم مشاهدتها ٤٠٧
 ٢ - الجوائز والمسابقات في الشريعة الإسلامية ٤١٩

٣ - بطاقات التعامل التجاري والاقتراض من البنوك ٤٣١

الشمائل المحمدية

١ - من خصائص أمة محمد ﷺ رقم (١) ١١٩

٢ - من خصائص أمة محمد ﷺ رقم (٢) ١٢٧

٣ - من خصائص النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية رقم (١) ... ١٤٥

٤ - من خصائص النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية رقم (٢) ... ١٥٥

٥ - أسماء النبي ﷺ ١٩٩

٦ - صفات النبي ﷺ الخلقية ٢٠٧

قصص الأنبياء وغيرهم

١ - قصة أصحاب الأخدود ٣٣٩



الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة	الكلمة
٥	المقدمة
٧	الكلمة الأولى: صور من تكريم الله لأهل الجنة
١٥	الكلمة الثانية: شرح حديث: «اشتكت النار إلى ربها»
٢١	الكلمة الثالثة: شرح حديث: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك»
٢٧	الكلمة الرابعة: الاعتزاز بالدين
٣٥	الكلمة الخامسة: تأملات في سورة الانشقاق
٤٣	الكلمة السادسة: تأملات في سورة البينة
٥٣	الكلمة السابعة: من فضائل يوم عرفة
٦٣	الكلمة الثامنة: من فضائل أيام التشريق
٧١	الكلمة التاسعة: من مقاصد الحج وحكمه
٧٧	الكلمة العاشرة: من فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله
٨٥	الكلمة الحادية عشرة: الأشهر الحرم
٩١	الكلمة الثانية عشرة: صفة الصلاة على الجنائز
٩٩	الكلمة الثالثة عشرة: مسائل تتعلق بصلاة الجنائز
١٠٧	الكلمة الرابعة عشرة: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ الآيات
١١٩	الكلمة الخامسة عشرة: من خصائص أمة محمد ﷺ رقم (١)

الصفحة	الكلمة
١٢٧	الكلمة السادسة عشرة: من خصائص أمة محمد ﷺ رقم (٢).....
١٣٥	الكلمة السابعة عشرة: من خصائص الأنبياء عليهم السلام.....
١٤٥	الكلمة الثامنة عشرة: من خصائص النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية رقم (١).....
١٥٥	الكلمة التاسعة عشرة: من خصائص النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية رقم (٢).....
١٦٥	الكلمة العشرون: من خصائص جزيرة العرب.....
١٧٧	الكلمة الحادية والعشرون: الهدية.....
١٨٩	الكلمة الثالثة والعشرون: الإيثار.....
١٩٩	الكلمة الثالثة والعشرون: أسماء النبي ﷺ.....
٢٠٧	الكلمة الرابعة والعشرون: صفات النبي ﷺ الخلقية.....
٢١٣	الكلمة الخامسة والعشرون: المزاح- مشروعيته وآثاره.....
٢٢٣	الكلمة السادسة والعشرون: المحرمات في النكاح.....
٢٣٣	الكلمة السابعة والعشرون: من أحكام الرضاع.....
٢٤٧	الكلمة الثامنة والعشرون: الرقابة الذاتية في الوقت المعاصر.....
٢٥٥	الكلمة التاسعة والعشرون: الإسراء والمعراج.....
٢٦٧	الكلمة الثلاثون: دعاء القنوت.....
٢٧٧	الكلمة الواحدة والثلاثون: الغناء رقم (٢) والشيلات والمؤثرات الصوتية....
٢٩٥	الكلمة الثانية والثلاثون: الأناشيد الإسلامية.....
٣٠٩	الكلمة الثالثة والثلاثون: وصايا لقمان الحكيم.....
٣١٧	الكلمة الرابعة والثلاثون: التمثيل.....

الصفحة	الكلمة
٣٢٧.....	الكلمة الخامسة والثلاثون: فضل الجهاد في سبيل الله
٣٣٩.....	الكلمة السادسة والثلاثون: قصة أصحاب الأخدود
٣٤٧.....	الكلمة السابعة والثلاثون: فوائد من حديث أبي موسى ومعاذ <small>رضي الله عنهما</small> عند بعثها إلى اليمن
٣٥١.....	الكلمة الثامنة والثلاثون: دروس وعبر من غزوة أحد
٣٦٣.....	الكلمة التاسعة والثلاثون: مفطرات الصيام
٣٧٣.....	الكلمة الأربعون: فضل الصيام في شهر شعبان
٣٨١.....	الكلمة الواحدة والأربعون: الوقف
٣٩٣.....	الكلمة الثانية والأربعون: من فضائل مصر
٤٠١.....	الكلمة الثالثة والأربعون: من فضائل المسجد الأقصى
٤٠٧.....	الكلمة الرابعة والأربعون: الألعاب المنتشرة بين الناس وحكم مشاهدتها
٤١٩.....	الكلمة الخامسة والأربعون: الجوائز والمسابقات في الشريعة الإسلامية
٤٣١.....	الكلمة السادسة والأربعون: بطاقات التعامل التجاري والاقتراض من البنوك
٤٤٥.....	الكلمة السابعة والأربعون: ألفاظ يُنهي عنها
٤٥٩.....	الكلمة الثامنة والأربعون: زيادة الإيمان ونقصانه
٤٦٩.....	الكلمة التاسعة والأربعون: الحكم بغير ما أنزل الله
٤٨١.....	الكلمة الخمسون: الصوفية وخطرها على بلاد الإسلام
٤٩٥.....	الفهارس



فهرس الموضوعات

الفهرس التقريبي لموضوعات

الموسوعة

من الجزء (١ - ١٠)

أولاً فهرس الكلمات حسب موضوعات الموسوعة^(١) من الجزء الأول إلى الجزء العاشر

الموضوع	الجزء / الصفحة
---------	----------------

كتاب العلم

- ١- طلب العلم الشرعي ٨١٩ / ٣-١
- ٢- وصايا لطلبة العلم ٤٢١ / ٣-١
- ٣- كلمة توجيهية للمدرسين ٦٩٣ / ٣-١
- ٤- الفقه في الدين وفضله ٣٢٥ / ٧-٦
- ٥- التعليم قواعد، وفوائد ١١٩ / ٨
- ٦- خطر الفتوى ٧١ / ٨

أ- (قسم العقيدة)

توحيد الربوبية والعبادة

- ١- تفسير سورة الفاتحة ٨٤٧ / ٣-١
- ٢- تفسير سورة الكرسي ٦١١ / ٣-١
- ٣- قدرة الله ٧٩١ / ٣-١
- ٤- نعمة الهداية ٥٨٣ / ٣-١
- ٥- الأجل والرزق ٣٠٣ / ٣-١
- ٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله ٥٣٥ / ٣-١

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الموضوع	الجزء / الصفحة
٧- الإخلاص	١٥ / ٣-١
٨- معنى لا إله إلا الله	٨٢٥ / ٣-١
٩- أصل الدين وقاعدته	١٨١ / ٣-١
١٠- التوكل	٢٩١ / ٣-١
١١- الولاء والبراء	٢٤١ / ٣-١
١٢- الأمن من مكر الله	١٦٥ / ٥-٤
١٣- الخوف من الله	٢٨٥ / ٥-٤
١٤- المفهوم الخاطيء للدين	٣٦٣ / ٥-٤
١٥- اليقين	٣٧٧ / ٥-٤
١٦- نزول المطر	٥٢٩ / ٥-٤
١٧- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	٦٢١ / ٥-٤
١٨- وقفات مع سورة الكافرون	٥٦٣ / ٧-٦
١٩- الإنابة	٦٤٩ / ٧-٦
٢٠- الإيمان بالله	٣٠٧ / ٨
٢١- تعظيم شعائر الله	٣٤٧ / ٨
٢٢- خطر الإلحاد وانتشاره في بلاد المسلمين	٣٥٣ / ٨
٢٣- جمع الكلمة	٧٧ / ٩
٢٤- إسلام الكافر	١١٥ / ٩
٢٥- الإقامة في بلاد الكفار	١٢١ / ٩
٢٦- العمل أو الدراسة لدى الكفار	١٢٧ / ٩
٢٧- الفطرة السليمة	٣٢٥ / ٩
٢٨- من محاسن الدين الإسلامي	٣٢٩ / ٩

الموضوع	الجزء / الصفحة
٢٩- أسباب تفرق المسلمين	٣٥١ / ٩
٣٠- التوسل المشروع والممنوع	٣٤٣ / ٩
٣١- التشبه بالكفار	٣٦١ / ٩
٣٢- التلبيس على الناس	٣٧٥ / ٩
٣٣- الصراط المستقيم والأمة الوسط	٣٨٣ / ٩
٣٤- الاعتزاز بالدين	٢٧ / ١٠
٣٥- الإسراء والمعراج	٢٥٥ / ١٠
٣٦- ألفاظ يُنهي عنها	٤٤٥ / ١٠
٣٧- زيادة الإيمان ونقصانه	٤٥٩ / ١٠
٣٨- الحكم بغير ما أنزل الله	٤٦٩ / ١٠

خطر الشرك والكفر

١- التحذير من الشرك	١٣٣ / ٣-١
٢- نواقض الإسلام العشرة	٢٧٣ / ٣-١
٣- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا	٢٢٥ / ٥-٤
٤- الإعراض عن الدين	٣٥٣ / ٥-٤
٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة	٤٧٥ / ٥-٤
٦- الكفر وأنواعه	٤٠١ / ٧-٦
٧- الرياء	٢٣٧ / ٧-٦

التحذير من النفاق والفرق الضالة والتمسك بالكتاب والسنة

١- خطر النفاق	٧٣٩ / ٣-١
٢- مبطلات الأعمال	٢٩٧ / ٣-١
٣- خطورة الاستهزاء بالدين	٣٦٣ / ٣-١

الموضوع	الجزء / الصفحة
٤- خطر الرفضة	٢١٣ / ٥-٤
٥- صفات اليهود	٦٢٧ / ٥-٤
٦- خطر النصيرية	٣٣١ / ٧-٦
٧- الاعتصام بالكتاب والسنة	٤٣٧ / ٧-٦
٨- الخوارج. صفاتهم وخطرهم	٧١ / ٩
٩- الصوفية وخطرها على بلاد الإسلام	٤٨١ / ١٠

توحيد الأسماء والصفات

١- شرح اسم الله العزيز	٥٠٧ / ٣-١
٢- شرح اسم الله الشافي	٥٤٧ / ٣-١
٣- شرح اسم الله الحكيم	٥٧٧ / ٣-١
٤- شرح اسم الله الخالق	٤٣ / ٥-٤
٥- شرح اسم الله الفتاح	١٠٧ / ٥-٤
٦- شرح اسم الله اللطيف	٢١٩ / ٥-٤
٧- شرح اسم الله الرزاق	٣٣٣ / ٥-٤
٨- شرح اسم الله الكافي	٤٠٣ / ٥-٤
٩- شرح اسم الله الغني	٤٣٩ / ٥-٤
١٠- شرح اسم الله الشهيد	٤٨٧ / ٥-٤
١١- شرح اسم الله البصير	٥١٥ / ٥-٤
١٢- شرح اسم الله السميع	٥٤٩ / ٥-٤
١٣- شرح اسم الله الوارث	٦٠٥ / ٥-٤
١٤- شرح اسم الله الحليم	٣١ / ٧-٦

- ١٥- شرح اسم الله الحفيظ، الحافظ ١٢٥ / ٧-٦
- ١٦- شرح اسم الله الغافر، الغفار، الغفور ٦٨٧ / ٧-٦
- ١٧- شرح اسم من أسماء الله الرحمن، الرحيم ١٤٥ / ٩

أركان الإسلام

- ١- معنى لا إله إلا الله ٨٢٥ / ٣-١
- ٢- الصلاة ومكانتها في الإسلام ٣٢٣ / ٣-١
- ٣- الزكاة ٥٨٩ / ٣-١
- ٤- فضل رمضان ٦٧ / ٣-١
- ٥- الحج وجوبه وفضله ٢٦٧ / ٣-١

أركان الإيمان

- ١- الإيمان بالله ٣٠٧ / ٨
- ٢- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ٥٨٥ / ٧-٦
- ٣- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره ٦١٥ / ٧-٦
- ٤- الإيمان بالرسول الكرام عليهم السلام ٧٦١ / ٧-٦
- ٥- البعث بعد الموت ٤٢١ / ٥-٤
- ٦- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر ٥٤١ / ٧-٦

الإيمان باليوم الآخر

- ١- عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥ / ٣-١
- ٢- حوض النبي ﷺ ٥٤١ / ٣-١
- ٣- رؤية الله تعالى ١٣٩ / ٥-٤

الموضوع	الجزء / الصفحة
٤- الميزان	١٨١ / ٥-٤
٥- الإيمان بالكرام الكاتين	١٩٥ / ٥-٤
٦- رضوان الله	٢٠١ / ٥-٤
٧- ما ينتفع به الميت	٣٤١ / ٥-٤
٨- البعث بعد الموت	٤٢١ / ٥-٤
٩- موقف الحساب	٥٩٧ / ٥-٤
١٠- النفخ في الصور	٦١٥ / ٥-٤
١١- الحشر وأهواله	٢٥ / ٧-٦
١٢- من أهوال يوم القيامة	١٤٩ / ٧-٦
١٣- الشفاعة	٦٩ / ٧-٦
١٤- القنطرة بين الجنة والنار	٥٧٩ / ٧-٦
١٥- الجنة والنار كأنها رأي عين	٨٧ / ٧-٦

الفتن وأشراف الساعة

١- فتنة الدجال	٥٧١ / ٣-١
٢- فتنة المال	٦١ / ٥-٤
٣- فتنة النساء	٦٧ / ٥-٤
٤- فتنة الدنيا	٧٣ / ٥-٤
٥- شرح حديث « اعدد ستاً بين يدي الساعة »	٢١٧ / ٨
٦- التحذير من الفتن	٩٩ / ٩
٧- أشراف الساعة الكبرى العشر	٢٩٧ / ٩

ب- قسم التفسير

١- سورة الفاتحة ١-٣ / ٨٤٧

سورة البقرة

- ١- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .. ١-٣ / ٢٢٥
- ٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ .. ٤-٥ / ٦٢١
- ٣- تفسير آية الكرسي ١-٣ / ٦١١
- ٤- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَبَدْنَا فَأَنْجِنَا لَهُمُ الْجَنَّةُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .. ١-٣ / ٢٣٥
- ٥- وقفات مع أواخر سورة البقرة ٦-٧ / ٢٦٣

سورة آل عمران

- ١- وقفة مع قوله تعالى: ﴿رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ... ١-٣ / ٤٠٣
- ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ ١-٣ / ١٥١
- ٣- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ﴾ ١-٣ / ٢٠٣
- ٤- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ١-٣ / ٨٤١
- ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ٦-٧ / ٣٩
- ٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ٦-٧ / ١٧٥
- ٧- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ... ٤-٥ / ٢٩١
- ٨- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ١٠ / ١٠٧

سورة النساء

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا﴾ ٦-٧ / ٥٥

سورة المائدة

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ٤-٥ / ٦١١

سورة الأنعام

١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ ٦-٧ / ٩٩

٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ ٦-٧ / ١١٧

سورة هود

١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ .. ٤-٥ / ١٥

سورة الأنفال

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ .. ٦-٧ / ١٥٧

٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ ٦-٧ / ٢٨٩

٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ .. ٩ / ٢٠٣

٤- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ ٦-٧ / ٢٩٥

سورة التوبة

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ﴾ ٦-٧ / ٢٠٩

٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ ءَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ٦-٧ / ٢٤٣

٣- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ ٦-٧ / ١٣٧

سورة الحجر

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٤-٥ / ٨٥

- ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (١) ٥-٤ / ٥٠٣
- ٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٢) ٥-٤ / ٥٠٩

سورة الإسراء

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ ... ٦-٧ / ٢٢٧
- ٢- وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ ... ٩ / ٣٣٧

سورة الكهف

- ١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ... ١-٣ / ١٨٥

سورة مريم

- ١- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ ١-٣ / ١٦٩
- ٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ١-٣ / ٦٥٩

سورة طه

- ١- وقفة مع آيات من كتاب الله: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ١-٣ / ١٩٩

سورة المؤمنون

- ١- وقفة مع قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٩ / ٣٠٩

سورة لقمان

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ ١٠ / ٣٠٩

سورة الأحزاب

- ١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ ٤-٥ / ٣٧١

سورة يس

١- وقفة مع آيات من كتاب الله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ ... ١-٣/٤٩١

سورة فصلت

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ٤-٥/١٣٣

سورة الزخرف

١- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ١-٣/١٨٩

سورة الطور

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنْبَعَثُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ١-٣/٤٩٧

سورة الرحمن

١- فوائد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ٦-٧/١٩٣

سورة الصف

١- وقفة مع آيتين من كتاب الله ١-٣/١٤٥

سورة التحريم

١- وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ... ١-٣/٢٥٧

سورة الحاقة

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ٦-٧/٧٥

سورة الإنسان

١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ ٤-٥/٤٥٧

جزء عم

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ٥٦٧ / ٥-٤
- ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ٥٧٣ / ٥-٤
- ٣- تأملات في سورة الانفطار ٤١٩ / ٧-٦
- ٤- تأملات في سورة الانشقاق ٣٥ / ١٠
- ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١ / ٧-٦
- ٦- تأملات في سورة الضحى ٢٥٧ / ٥-٤
- ٧- تأملات في سورة الانشراح ٦٤٣ / ٧-٦
- ٨- تأملات في سورة التين ٦٠١ / ٧-٦
- ٩- تأملات في سورة العلق ٢٠٩ / ٨
- ١٠- تأملات في سورة البينة ٤٣ / ١٠
- ١١- تأملات في سورة الزلزلة ٥٥٥ / ٥-٤
- ١٢- فوائد وحكم من سورة العاديات ٣٩٥ / ٧-٦
- ١٣- وقفات مع سورة القارعة ٢٠٧ / ٥-٤
- ١٤- وقفات مع سورة التكاثر ٢١٣ / ٣-١
- ١٥- وقفات مع سورة العصر ٣٧٩ / ٣-١
- ١٦- وقفات مع سورة الهمزة ٤٨١ / ٥-٤
- ١٧- وقفات مع سورة الفيل ٤٨٥ / ٧-٦
- ١٨- وقفات مع سورة قريش ٥٢١ / ٧-٦
- ١٩- وقفات مع سورة الماعون ٦٨٧ / ٣-١
- ٢٠- وقفات مع سورة الكوثر ٤٣١ / ٧-٦
- ٢١- وقفات مع سورة الكافرون ٥٦٣ / ٧-٦

الجزء / الصفحة

الموضوع

- ٢٢- تأملات في سورة النصر ٦-٧ / ٤٦١
- ٢٣- وقفات مع سورة المسد ٤-٥ / ٤٢٧
- ٢٤- وقفات مع سورة الإخلاص ١-٣ / ٢١٩
- ٢٥- وقفات مع سورة الفلق ١-٣ / ٨٣١
- ٢٦- تأملات في سورة الناس ٨ / ٤٣

ج- الحديث

- ١- شرح حديث السبعة الذين يظلمهم الله ١-٣ / ٢١
- ٢- شرح حديث من ترك شيئاً لله ١-٣ / ٥٣
- ٣- شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة ١-٣ / ٢٠٧
- ٤- وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ١-٣ / ٢٢٩
- ٥- وقفة مع حديث جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: عش ما شئت... ١-٣ / ٣٦٩
- ٦- شرح حديث يتبع الميت ثلاثة ١-٣ / ٤٣٩
- ٧- فوائد من حديث خبيب بن عدي ١-٣ / ٧٥٧
- ٨- وقفة مع قوله ﷺ: شاب نشأ في عبادة الله ١-٣ / ١٢٧
- ٩- شرح حديث إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه ١-٣ / ٣٠٣
- ١٠- شرح حديث من أصبح آمناً في سربه ١-٣ / ٦٠٥
- ١١- شرح حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ٤-٥ / ٤٩
- ١٢- شرح حديث حسب ابن آدم لقيات ٤-٥ / ١٧١
- ١٣- شرح حديث أسرعوا بالجنازة ٤-٥ / ٣٥٩
- ١٤- شرح حديث احفظ الله يحفظك ٤-٥ / ٤٥١
- ١٥- شرح حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت ٤-٥ / ٥١٩
- ١٦- شرح حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ٤-٥ / ٥٦١

- ١٧- شرح حديث ما ذئبان جائعان ٨ / ١٠١
- ١٨- شرح حديث اعدد ستاً بين يدي الساعة ٨ / ٢١٧
- ١٩- فوائد من حديث إن الله إذا استودع شيئاً حفظه ٧ / ٩
- ٢٠- فوائد من حديث بركة الغازي في ماله حياً وميتاً ٩ / ١٣
- ٢١- تأملات في حديث النبي ﷺ أعمار أمتي ٩ / ٢٥
- ٢٢- وقفات مع حديث ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ٩ / ٥٧
- ٢٣- شرح حديث اشتكت النار إلى ربها ١٠ / ١٥
- ٢٤- شرح حديث اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ١٠ / ٢١
- ٢٥- فوائد من حديث أبي موسى ومعاذ عند بعثتها إلى اليمن ١٠ / ٣٤٧

د- الفقه

- ١- الفقه في الدين وفضله ٦-٧ / ٣٢٥
- ٢- من أحكام وآداب السفر ٦-٧ / ١٤١
- ٣- اتباع الهوى ٦-٧ / ٣١٩
- ٤- التحايل على الأحكام الشرعية ٦-٧ / ٧٤٧
- ٥- من أحكام العقيدة وفضائلها ٨ / ١٧٧
- ٦- من أحكام الأضحية وفضائلها ٨ / ١٨٧
- ٧- من أحكام الأطعمة ٨ / ٣١٥
- ٨- خطر الفتوى ٨ / ٧١
- ٩- زيارة القبور ٩ / ٩١
- ١٠- الزواج من الكتابيات ٩ / ١٣٥
- ١١- الإحداد ٩ / ٢٨٥
- ١٢- الأشهر الحرم ١٠ / ٨٥

الموضوع	الجزء / الصفحة
١٣- صفة الصلاة على الجنابة	٩١ / ١٠
١٤- مسائل تتعلق بصلاة الجنابة	٩٩ / ١٠
١٥- الهدية	١٧٧ / ١٠
١٦- المحرمات في النكاح	٢٢٣ / ١٠
١٧- من أحكام الرضاع	٢٣٣ / ١٠
١٨- مفطرات الصيام	٣٦٣ / ١٠
١٩- الوقف	٣٨١ / ١٠

الطهارة والصلاة

١- فضل الوضوء والتيمم وصفتهما	٥٧ / ٨
٢- نواقض الوضوء	٣١ / ٩
٣- آداب قضاء الحاجة	٣٩ / ٩
٤- أخطاء في الطهارة	٧٢٩ / ٣-١
٥- من أحكام الغسل	١٧٣ / ٩
٦- المسح على الخفين	٢٥٧ / ٨
٧- صفة الصلاة	١٥٣ / ٩
٨- صفة الصلاة على الجنابة	٩١ / ١٠
٩- مسائل تتعلق بصلاة الجنابة	٩٩ / ١٠
١٠- الصلاة ومكانتها في الإسلام	٣٢٣ / ٣-١
١١- صلاة الجماعة	٥٩٣ / ٣-١
١٢- صلاة التطوع	٢٥٩ / ٩
١٣- أوقات النهي عن الصلاة	٢٦٩ / ٩
١٤- أخطاء في الصلاة رقم (١)	٧٣٣ / ٣-١

الموضوع الجزء / الصفحة

- ١٥- أخطاء في الصلاة رقم (٢) ٣٧ / ٥-٤
- ١٦- دعاء القنوت ٢٦٧ / ١٠
- ١٧- الخشوع في الصلاة ٣٠٩ / ٣-١
- ١٨- فضل صلاة الفجر ٥٥٩ / ٣-١
- ١٩- فضل قيام الليل ٧٧ / ٣-١
- ٢٠- سنن صلاة العيد ١١٧ / ٣-١
- ٢١- فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣ / ٣-١
- ٢٢- الاستخارة ٤٨٧ / ٣-١
- ٢٣- سترة المصلي ١٤٥ / ٥-٤
- ٢٤- صلاة الكسوف ٤٠٧ / ٧-٦
- ٢٥- خطبة الجمعة- فوائد وتنبهات رقم (١) ١٥٥ / ٨
- ٢٦- خطبة الجمعة- فوائد وتنبهات رقم (٢) ١٦٥ / ٨
- ٢٧- سجود السهو ٢٦٩ / ٨
- ٢٨- صلاة الاستسقاء ٢٤٧ / ٨
- ٢٩- صلاة أهل الأعذار ٢٨١ / ٨
- ٣٠- الإمامة - حقوق وواجبات ٢٢٧ / ٨

الزكاة

- ١- الزكاة ٥٨٩ / ٣-١
- ٢- زكاة الفطر ٣٧٥ / ٣-١

الصيام

- ١- فضل الصيام ٧١ / ٣-١
- ٢- فضل رمضان ٦٧ / ٣-١

الموضوع	الجزء / الصفحة
---------	----------------

- | | |
|--|-----------|
| ٣- مفطرات الصيام..... | ٣٦٣ / ١٠ |
| ٤- فضل الأعمال الصالحة في رمضان | ٣٩٧ / ٥-٤ |
| ٥- مخالفات يقع فيها بعض الصائمين | ٩٧ / ٣-١ |
| ٦- فضل الصيام في شهر شعبان | ٣٧٣ / ١٠ |
| ٧- صيام يوم عاشوراء..... | ٤٥ / ٧-٦ |

العمرة والحج

- | | |
|-----------------------------------|-----------|
| ١- الحج وجوبه وفضله | ٢٦٧ / ٣-١ |
| ٢- شروط الحج..... | ٣٦٣ / ٧-٦ |
| ٣- صفة الحج وواجباته | ٣٦٧ / ٧-٦ |
| ٤- فضل العمرة وصفتها..... | ٣٥١ / ٧-٦ |
| ٥- محظورات الإحرام..... | ٣٤٣ / ٧-٦ |
| ٦- مخالفات تقع من بعض الحجاج..... | ٤٢٩ / ٣-١ |
| ٧- التلبية وأحكامها | ١٠٧ / ٩ |
| ٨- من فضائل يوم عرفة..... | ٥٣ / ١٠ |
| ٩- من فضائل أيام التشريق | ٦٣ / ١٠ |
| ١٠- من مقاصد الحج وحكمه..... | ٧١ / ١٠ |

الوصايا

- | | |
|----------------------|----------|
| ١- كتابة الوصية..... | ٤٣ / ٣-١ |
|----------------------|----------|

البدع

- | | |
|------------------------|-----------|
| ١- النهي عن البدع..... | ٧٨٥ / ٣-١ |
|------------------------|-----------|

آداب عامة

- ١- من آداب الطعام ٨٣٧ / ٣-١
- ٢- من آداب النوم ٤٤٥ / ٧-٦
- ٣- من آداب اللباس ٦٩٣ / ٧-٦
- ٤- من أحكام السفر وآدابه ١٤١ / ٧-٦
- ٥- السواك ٤٧٩ / ٧-٦
- ٦- من آداب الطريق ٥١ / ٨
- ٧- من آداب المجالس ٤٥ / ٩
- ٨- من آداب الضيافة واستقبال الضيوف والزوار ١٦٥ / ٩
- ٩- من آداب القرآن ٢١١ / ٩
- ١٠- من آداب المساجد ٢١٩ / ٩
- ١١- من آداب الاستئذان ٢٢٩ / ٩
- ١٢- آداب السلام رقم (١) ٢٣٥ / ٩
- ١٣- آداب السلام رقم (٢) ٢٤٣ / ٩
- ١٤- آداب السلام رقم (٣) ٢٥١ / ٩
- ١٥- وصايا لقمان الحكيم لابنه ٣٠٩ / ١٠

المحرمات

المال

- ١- أكل المال الحرام ١٩٣ / ٣-١
- ٢- التحذير من الربا ٦٥٣ / ٣-١
- ٣- النهي عن الإسراف ٢٥١ / ٣-١
- ٤- النهي عن المسألة ١٦٣ / ٣-١

الموضوع	الجزء / الصفحة
٥- ذم الترف	٧٢٥ / ٣-١
٦- حكم الأسهم المختلطة	٢٣٧ / ٥-٤
٧- فتنة المال	٦١ / ٥-٤
٨- خطر الرشوة	٧٠١ / ٧-٦
٩- السرقة	٨٣ / ٨

صيانة الأعراض

١- تحريم الزنا وأسبابه	٤٨١ / ٣-١
٢- غض البصر	٦٩٩ / ٣-١
٣- تحريم الغناء	٤٧٥ / ٣-١
٤- خطر الدش	٥٥٣ / ٣-١
٥- خطر التلفاز	٧١٩ / ٣-١
٦- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧ / ٥-٤
٧- خطر الاختلاط	٢٦٩ / ٥-٤
٨- خطورة دور السينما	١٦٩ / ٧-٦
٩- الغيرة على الأعراض	٩ / ٨
١٠- التحذير من قذف المؤمنين والمؤمنات	٦٥ / ٨
١١- الغناء رقم (٢) والشيلات والمؤثرات الصوتية	٢٧٧ / ١٠
١٢- الأناشيد الإسلامية	٢٩٥ / ١٠
١٣- التمثيل	٣١٧ / ١٠

اللباس

١- تحريم الإسبال	٧٥١ / ٣-١
٢- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧ / ٥-٤

٣- من آداب اللباس ٦٩٣ / ٧-٦

محرمات عامة

١- تحريم الدخان ٦٦٥ / ٣-١

٢- تحريم التصوير ٧٦١ / ٣-١

٣- الحسد ٤٥٧ / ٣-١

٤- الظلم وعواقبه الوخيمة ٧٤٥ / ٣-١

٥- تحريم حلق اللحية ٧٠٥ / ٣-١

٦- السحر والمس والعين ١٥٥ / ٥-٤

٧- أضرار المخدرات والمسكرات ٣١٣ / ٥-٤

٨- القتل ٣٢٧ / ٥-٤

٩- السخرية بالناس واحتقارهم ٧٩ / ٥-٤

١٠- خطورة الكذب ١١٣ / ٥-٤

١١- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة ٤٧٥ / ٥-٤

١٢- الانتحار ٢٩ / ٨

١٣- شهادة الزور والتحذير منها ٣٢٧ / ٨

١٤- التحذير من اليمين الكاذبة ١٩٧ / ٩

الأطعمة

١- من آداب الطعام ٨٣٧ / ٣-١

٢- من أحكام الأطعمة رقم (١) ٣١٥ / ٨

٣- من أحكام الأطعمة رقم (٢) ١٨٩ / ٩

٤- من أحكام العقيقة وفضائلها ١٧٧ / ٨

٥- من أحكام الأضحية وفضائلها ١٨٧ / ٨

المواعظ والرقائق

- ١- آفة السهر ٢٦٣ / ٣-١
- ٢- كفارات الذنوب رقم (١) ٤٥١ / ٣-١
- ٣- كفارات الذنوب رقم (٢) ٢٣١ / ٥-٤
- ٤- المعاصي وعقوباتها ٤٦٣ / ٣-١
- ٥- التقوى ٤٦٩ / ٣-١
- ٦- الورع ٥١٧ / ٣-١
- ٧- حفظ اللسان ٦١٧ / ٣-١
- ٨- الحور العين ٦٢٣ / ٣-١
- ٩- الابتلاء ٦٢٩ / ٣-١
- ١٠- عذاب القبر ونعيمه ٣٤٥ / ٣-١
- ١١- الزهد في الدنيا ٦٣٥ / ٣-١
- ١٢- غض البصر ٦٩٩ / ٣-١
- ١٣- سوء الخاتمة ٢٧٩ / ٣-١
- ١٤- ذم الترف ٧٢٥ / ٣-١
- ١٥- علامات حسن الخاتمة ٧٩٥ / ٣-١
- ١٦- الموت وعظاته ٧٦٧ / ٣-١
- ١٧- الوقت وخطر السفر إلى الخارج ٢٨٥ / ٣-١
- ١٨- لذة العبادة ٣٨٩ / ٣-١
- ١٩- المواظبة على العبادة ١١٣ / ٣-١
- ٢٠- العجلة ٣٩ / ٣-١
- ٢١- طول الأمل ٥٧ / ٣-١

- ٢٢- التوبة ٤٣٥ / ٣-١
- ٢٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها ٢٩ / ٥-٤
- ٢٤- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ١٥ / ٥-٤
- ٢٥- فتنة المال ٦١ / ٥-٤
- ٢٦- فتنة النساء ٦٧ / ٥-٤
- ٢٧- السخرية بالناس واحتقارهم ٧٩ / ٥-٤
- ٢٨- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٨٥ / ٥-٤
- ٢٩- الغرور ٩١ / ٥-٤
- ٣٠- فتنة الدنيا ٧٣ / ٥-٤
- ٣١- قسوة القلب ٩٧ / ٥-٤
- ٣٢- العجب ١٠٣ / ٥-٤
- ٣٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ١٣٣ / ٥-٤
- ٣٤- الأمن من مكر الله ١٦٥ / ٥-٤
- ٣٥- شرح حديث حسب ابن آدم لقيات ١٧١ / ٥-٤
- ٣٦- النصيحة ١٧٥ / ٥-٤
- ٣٧- أسباب الثبات على الدين ٣٩٥ / ٣-١
- ٣٨- الحسد ٤٥٧ / ٣-١
- ٣٩- شكر النعم ٥١٣ / ٣-١
- ٤٠- الخوف من الله ٢٨٥ / ٥-٤
- ٤١- أمراض القلوب ٢٩٧ / ٥-٤
- ٤٢- قضاء الدين ٣٤٧ / ٥-٤
- ٤٣- الإعراض عن الدين ٣٥٣ / ٥-٤

الموضوع	الجزء / الصفحة
٤٤- فضل الأعمال الصالحة في رمضان	٣٩٧ / ٥-٤
٤٥- خطورة المجاهرة بالمعصية	٤٠٩ / ٥-٤
٤٦- استقبال العام الجديد	٤١٥ / ٥-٤
٤٧- المسارعة إلى الخيرات	٤٤٥ / ٥-٤
٤٨- نزول المطر	٥٢٩ / ٥-٤
٤٩- ما يتتفع به الميت	٣٤١ / ٥-٤
٥٠- تواضع السلف وخوفهم من ربهم	٥٣٥ / ٥-٤
٥١- مجالس الصحابة	٢٥٧ / ٧-٦
٥٢- أحوال الموتى والمحتضرين	٤٦٧ / ٧-٦
٥٣- مكائد الشيطان	٤٩ / ٧-٦
٥٤- التحذير من الغفلة	٣٣٧ / ٧-٦
٥٥- الجزاء من جنس العمل	٦٣١ / ٧-٦
٥٦- مجالس الناس	٧٣١ / ٧-٦
٥٧- التناقضات في حياة بعض الناس	٢٤٩ / ٧-٦
٥٨- التحذير من الغيبة	٤٥٣ / ٧-٦
٥٩- خطر النميمة	٤٩١ / ٧-٦
٦٠- محاسبة النفس	٥٢٧ / ٧-٦
٦١- البكاء من خشية الله	١٨١ / ٧-٦
٦٢- الابتلاء بالمرض	٦١ / ٧-٦
٦٣- قبول العمل	١٩٧ / ٧-٦
٦٤- فضل العبد التقي الخفي	١٠٧ / ٨
٦٥- الإتيان	٧٧ / ٨

- ٦٦- تأملات في حديث أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين ٢٥ / ٩
- ٦٧- زيارة القبور ٩١ / ٩
- ٦٨- المسارعة في الاستجابة لأمر الله ورسوله ٢٠٣ / ٩
- ٦٩- الفطرة السليمة ٣٢٥ / ٩
- ٧٠- صور من تكريم الله لأهل الجنة ٧ / ١٠
- ٧١- الرقابة الذاتية في الوقت المعاصر ٢٤٧ / ١٠

الفضائل

الأدعية والأذكار

- ١- فضل القرآن وقراءته ٦٣ / ٣-١
- ٢- فضل الذكر ١٠٧ / ٣-١
- ٣- الاستغفار ٥٠١ / ٣-١
- ٤- الدعاء.. آدابه وموانعه ٨٣ / ٣-١
- ٥- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها وفوائدها ١٥ / ٧-٦
- ٦- فضائل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ١٥٩ / ٩
- ٧- من فضائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ٧٧ / ١٠

الطهارة والصلاة

- ١- فضل الوضوء والتيمم وصفتهما ٥٧ / ٨
- ٢- فضل التكبير إلى الصلوات ٤٤٣ / ٣-١
- ٣- فضل صلاة الفجر ٥٥٩ / ٣-١
- ٤- فضل يوم الجمعة ٦٦٩ / ٣-١
- ٥- فضل قيام الليل ٧٧ / ٣-١

الموضوع

الجزء / الصفحة

٦- فضل العشر الأواخر من رمضان ١٠٣ / ٣-١

الصيام

١- فضل الصيام ٧١ / ٣-١

٢- فضل رمضان ٦٧ / ٣-١

٣- فضل الأعمال الصالحة في رمضان ٣٩٧ / ٥-٤

٤- فضل الصيام في شهر شعبان ٣٧٣ / ١٠

فضائل الحج وعشر ذي الحجة

١- الحج وجوبه وفضله ٢٦٧ / ٣-١

٢- فضل أيام عشر ذي الحجة ٨١٣ / ٣-١

٣- من فضائل يوم عرفة ٥٣ / ١٠

٤- من فضائل أيام التشريق ٦٣ / ١٠

فضائل أهل البيت

١- فضائل أهل البيت وحقوقهم ٢٩٥ / ٨

٢- فضائل أمهات المؤمنين ١٩٩ / ٨

٣- فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١١١ / ٧-٦

٤- فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢٦٩ / ٧-٦

فضائل عامة

١- فضل الدعوة إلى الله ٣٥١ / ٣-١

٢- فضل الصدقة ٩١ / ٣-١

٣- فضل الصحابة ٢٦٣ / ٥-٤

٤- فضائل الأعمال الصالحة ١٦٣ / ٧-٦

- ٥- الصلاة على النبي ﷺ فضائلها - وفوائدها ٦-٧ / ١٥
- ٦- فضائل غزوة بدر ٦-٧ / ٢٨٣
- ٧- فضائل مكة وحرمتها ٦-٧ / ٣٧٧
- ٨- فضائل المدينة وحرمتها ٦-٧ / ٣٨٥
- ٩- فضائل الشام ٦-٧ / ٥٩٣
- ١٠- فضائل العفو ٦-٧ / ٦٧١
- ١١- فضل بناء المساجد ورعايتها ٨ / ٢١
- ١٢- فضل الأذان والمؤذنين ٨ / ٩١
- ١٣- من أحكام العقيقة وفضائلها ٨ / ١٧٧
- ١٤- من أحكام الأضحية وفضائلها ٨ / ١٨٧
- ١٥- فضل العبد التقي الخفي ٨ / ١٠٧
- ١٦- فضل الرباط في سبيل الله ٩ / ٦٣
- ١٧- فضل كفالة الأيتام ٩ / ١٨٣
- ١٨- فضل الجهاد في سبيل الله ١٠ / ٣٢٧
- ١٩- من فضائل المسجد الأقصى ١٠ / ٤٠١
- ٢٠- من فضائل مصر ١٠ / ٣٩٣

موضوعات تهتم المرأة والأسرة

- ١- مكانة المرأة في الإسلام ٣-١ / ٦٤٧
- ٢- كلمة توجيهية للمرأة ٣-١ / ٧١١
- ٣- مفاسد العنوسة ٣-١ / ٤١٣
- ٤- تربية الأبناء ٣-١ / ٣٥٧
- ٥- خطورة التلفاز ٣-١ / ٧١٩

الموضوع	الجزء / الصفحة
٦- خطر الدش	٥٥٣ / ٣-١
٧- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح	٥٩٩ / ٣-١
٨- ذم الترف	٧٢٥ / ٣-١
٩- الطلاق	٣٨٣ / ٣-١
١٠- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧ / ٥-٤
١١- خطر الاختلاط	٢٦٩ / ٥-٤
١٢- العشرة الزوجية	٣٠٣ / ٥-٤
١٣- الترغيب في الزواج	٤٢٥ / ٧-٦
١٤- الغيرة على الأعراض	٩ / ٨
١٥- إصلاح البيوت	١٥ / ٨
١٦- التحذير من قذف المؤمنين والمؤمنات	٦٥ / ٨
١٧- تنظيم النسل	٢٧٩ / ٩
١٨- المحرمات في النكاح	٢٢٣ / ١٠
١٩- من أحكام الرضاع	٢٣٣ / ١٠

الأخلاق

الأخلاق المحمودة

١- حسن الخلق	٣٣ / ٣-١
٢- الحياء	١٣٩ / ٣-١
٣- القناعة	١٥٧ / ٣-١
٤- الصبر	٣٣٩ / ٣-١
٥- الأمانة	٦٧٥ / ٣-١

الموضوع	الجزء / الصفحة
٦- صلة الأرحام.....	٦٨١ / ٣-١
٧- علو الهمة	٥٣ / ٥-٤
٨- الوفاء	٤٦٣ / ٥-٤
٩- قوة الإرادة.....	١٠٥ / ٧-٦
١٠- الرفق	٥١٥ / ٧-٦
١١- الإيثار	١٨٩ / ١٠

الأخلاق المذمومة

١- الذلة وأسبابها.....	٢١ / ٥-٤
٢- النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم.....	٧٩ / ٥-٤
٣- الغرور.....	٩١ / ٥-٤
٤- العجب	١٠٣ / ٥-٤
٥- خطورة الكذب	١١٣ / ٥-٤
٦- التحذير من الكسل.....	٣٨٣ / ٥-٤
٧- ذم البخل	٦٦٣ / ٧-٦
٨- ذم الجبن	٥٥٧ / ٧-٦
٩- الكبر	٨١ / ٧-٦
١٠- العجلة.....	٣٩ / ٣-١
١١- النهي عن المسألة.....	١٦٣ / ٣-١
١٢- التحذير من اللعن	١٩ / ٩

السير

١- مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>	٧٧٣ / ٣-١
---	-----------

الجزء / الصفحة

الموضوع

- ٢- مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٧٧٩ / ٣-١
- ٣- مقتطفات من سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٤٩٧ / ٥-٤
- ٤- مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٣٣ / ٣-١
- ٥- مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ٢٤٥ / ٣-١
- ٦- مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ ١٧٣ / ٣-١
- ٧- مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ٣٢٩ / ٣-١
- ٨- مقتطفات من سيرة مصعب بن عمير ١٥١ / ٥-٤
- ٩- مقتطفات من سيرة طلحة بن عبيدالله ٢٨١ / ٥-٤
- ١٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣١٩ / ٥-٤
- ١١- مقتطفات من سيرة أبي عبيدة بن الجراح ٤٣٣ / ٥-٤
- ١٢- مقتطفات من سيرة جعفر بن أبي طالب ٤٦٩ / ٥-٤
- ١٣- مقتطفات من سيرة الزبير بن العوام ٥٤١ / ٥-٤
- ١٤- دروس وعبر من الهجرة النبوية ٤٧٣ / ٧-٦
- ١٥- المعجزات والكرامات في غزوة بدر ٢٩٩ / ٧-٦
- ١٦- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١) ٣٠٥ / ٧-٦
- ١٧- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢) ٣١٣ / ٧-٦
- ١٨- دروس وعبر من غزوة أحد ٣٥١ / ١٠
- ١٩- فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ١١١ / ٧-٦
- ٢٠- فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٢٦٩ / ٧-٦
- ٢١- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل ٥٠٧ / ٧-٦
- ٢٢- الإمام عبدالله بن المبارك وشيء من أخباره ٥٣٣ / ٧-٦
- ٢٣- فضائل معاوية بن أبي سفيان ٥٧١ / ٧-٦

- ٢٤- مقتطفات من سيرة عبدالله بن مسعود ٦-٧ / ١٣١
- ٢٥- مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن عبدالله بن عباس ٦-٧ / ٧٠٩
- ٢٦- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام الشافعي ٦-٧ / ٧٣٩
- ٢٧- مواقف مؤثرة من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ٦-٧ / ٦٥٥
- ٢٨- دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل ٦-٧ / ٢٧٧
- ٢٩- مقتطفات من سيرة صلاح الدين الأيوبي ٦-٧ / ٦٧٩
- ٣٠- فضائل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٨ / ١٩٩
- ٣١- فضائل أهل البيت وحقوقهم ٨ / ٢٩٥

قضايا اجتماعية

- ١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١-٣ / ٣١٧
- ٢- مفسد العنوسة ١-٣ / ٤١٣
- ٣- الطلاق ١-٣ / ٣٨٣
- ٤- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح ١-٣ / ٥٩٩
- ٥- تربية الأبناء ١-٣ / ٣٥٧
- ٦- خطر التلفاز ١-٣ / ٧١٩
- ٧- خطر الدش ١-٣ / ٥٥٣
- ٨- صلاة الجماعة ١-٣ / ٥٩٣
- ٩- صلة الأرحام ١-٣ / ٦٨١
- ١٠- الحسد ١-٣ / ٤٥٧
- ١١- النكت ١-٣ / ٤١٧
- ١٢- آفة السهر ١-٣ / ٢٦٣
- ١٣- علاج الهموم والغموم ١-٣ / ٥٢٣

الموضوع	الجزء / الصفحة
١٤- السحر والمس والعين	١٥٥ / ٥-٤
١٥- مخالقات في لباس المرأة	١٨٧ / ٥-٤
١٦- الرفقة الصالحة	٢٤٣ / ٥-٤
١٧- خطر الاختلاط	٢٦٩ / ٥-٤
١٨- العشرة الزوجية	٣٠٣ / ٥-٤
١٩- أضرار المخدرات والمسكرات	٣١٣ / ٥-٤
٢٠- قضاء الدين	٣٤٧ / ٥-٤
٢١- التحذير من الكسل	٣٨٣ / ٥-٤
٢٢- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة	٤٧٥ / ٥-٤
٢٣- قضاء حوائج الناس	٥٤٩ / ٧-٦
٢٤- الترغيب في الزواج	٤٢٥ / ٧-٦
٢٥- التحذير من الغيبة	٤٥٣ / ٧-٦
٢٦- خطر النميمة	٤٩١ / ٧-٦
٢٧- الفقراء والضعفاء	٦٠٧ / ٧-٦
٢٨- مجالس الناس	٧٣١ / ٧-٦
٢٩- مخاطر الابتعاث وضوابطه	٧١٩ / ٧-٦
٣٠- خطر الرشوة	٧٠١ / ٧-٦
٣١- بر الوالدين	٢٠٣ / ٧-٦
٣٢- خطورة دور السينما	١٦٩ / ٧-٦
٣٣- عيادة المريض	٢٣١ / ٧-٦
٣٤- حقوق الجار	٣٥ / ٨
٣٥- من آداب الطريق	٥١ / ٨

الموضوع الجزء / الصفحة

- ٣٦- الأسواق نصائح وأحكام (١) ١٢٧ / ٨
- ٣٧- الأسواق نصائح وأحكام (٢) ١٣٥ / ٨
- ٣٨- العزلة والاختلاط ٢٣٥ / ٨
- ٣٩- الحث على التجارة وبيان بركتها ٣٣٥ / ٨
- ٤٠- المستشفيات. واقعها ووسائل إصلاحها ١٤٥ / ٨
- ٤١- فضل الإصلاح بين الناس ٥١ / ٩
- ٤٢- الإقامة في بلاد الكفار ١٢١ / ٩
- ٤٣- العمل أو الدراسة لدى الكفار ١٢٧ / ٩
- ٤٤- الزواج من الكتابيات ١٣٥ / ٩

توجيهات عامة

- ١- التوفيق ٢٩ / ٣-١
- ٢- العجلة ٣٩ / ٣-١
- ٣- البركة ٤٧ / ٣-١
- ٤- الرؤيا ١٢١ / ٣-١
- ٥- نصائح عامة ٤٠٩ / ٣-١
- ٦- أسباب انشراح الصدر ٤٤٧ / ٣-١
- ٧- شكر النعم ٥١٣ / ٣-١
- ٨- علاج الهموم والغموم ٥٢٣ / ٣-١
- ٩- السعادة ٥٦٥ / ٣-١
- ١٠- أسباب النصر على الأعداء ٨٠٧ / ٣-١
- ١١- العافية ٦٤١ / ٣-١
- ١٢- الورع ٥١٧ / ٣-١

الجزء / الصفحة

الموضوع

- ١٣- الأخوة الإسلامية ١٨٧ / ٧-٦
- ١٤- النسيان آفته وفوائده ٢٢١ / ٧-٦
- ١٥- التفكير. أحواله وفوائده ٤١٣ / ٧-٦
- ١٦- الفأل وحسن الظن بالله ٤٩٩ / ٧-٦
- ١٧- ولي الأمر. حقوق وواجبات ١١١ / ٨
- ١٨- البشارة وفضائلها ١٢٥ / ٥-٤
- ١٩- نعمة العقل ٢٤٩ / ٥-٤
- ٢٠- النصيحة ١٧٥ / ٥-٤
- ٢١- من خصائص الأنبياء عليهم السلام ١٣٥ / ١٠
- ٢٢- من خصائص جزيرة العرب ١٦٥ / ١٠
- ٢٣- المزاح - مشروعيته وآثاره ٢١٣ / ١٠

قضايا وأحداث معاصرة

- ١- وقفات مع أحداث غزة ٥٨٧ / ٥-٤
- ٢- وقفات مع الأزمة المالية العالمية ٥٧٩ / ٥-٤
- ٣- أحداث الدانمارك ٤٩١ / ٥-٤
- ٤- حكم الأسهم المختلطة ٢٣٧ / ٥-٤
- ٥- الابتعاث وضوابطه ٧١٩ / ٧-٦
- ٦- خطورة دور السينما ١٦٩ / ٧-٦
- ٧- الألعاب المنتشرة بين الناس وحكم مشاهدتها ٤٠٧ / ١٠
- ٨- الجوائز والمسابقات في الشريعة الإسلامية ٤١٩ / ١٠
- ٩- بطاقات التعامل التجاري والاقتراض من البنوك ٤٣١ / ١٠

الشمائل المحمدية

- ١- مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ ٧-٦ / ٧٦٩
- ٢- تواضع ﷺ ٧-٦ / ٢١٥
- ٣- عصمة النبي ﷺ ٥-٤ / ١١٩
- ٤- الصلاة على النبي ﷺ وفضائلها ٧-٦ / ١٥
- ٥- معجزاته ﷺ ٥-٤ / ٣٨٩
- ٦- وفاته ﷺ ٣-١ / ٨٠١
- ٧- من خصائص أمة محمد ﷺ رقم (١) ١٠ / ١١٩
- ٨- من خصائص أمة محمد ﷺ رقم (٢) ١٠ / ١٢٧
- ٩- من خصائص النبي ﷺ في القرآن والسنة النبوية رقم (١) ١٠ / ١٤٥
- ١٠- من خصائص النبي ﷺ في القرآن والسنة النبوية رقم (٢) ١٠ / ١٥٥
- ١١- أسماء النبي ﷺ ١٠ / ١٩٩
- ١٢- صفات النبي ﷺ الخلقية ١٠ / ٢٠٧

قصص الأنبياء وغيرهم

- ١- قصة نبي الله أيوب ﷺ ٣-١ / ٥٢٩
- ٢- قصة نبي الله يونس ﷺ ٥-٤ / ٢٧٥
- ٣- قصة قارون ٥-٤ / ٥٢٣
- ٤- قصة أصحاب الأخدود ١٠ / ٣٣٩



ثانياً: فهرس الأحاديث

الجزء / الصفحة	الحديث
٢١٤ / ١٠	«يَا أَبَا عَمِيرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»
٨٦ / ٨	«أَبَا وَهْبٍ، أَفَلَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا بِهِ»
٥٥ / ٣-١	«أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ»
١٦٩ / ٩	«ابْدَأُوا بِالْكَبِيرِ»
١٣٠ / ٥-٤	«أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ»
٦١١ / ٧-٦	«أَبْغُونِي ضِعْفَاءَ كُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزُقُونَ»
٧٢ / ٧-٦	«أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخَلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ»
٣٩١ / ٧-٦	«أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي»
٦٥٣ / ٣-١	«أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانٍ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي»
٥٧٩ / ٥-٤	
٣٥٣ / ٧-٦	«أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي»
٢١٢ / ٩	«أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَالَا: أَنْطَلِقْ»
٥٠ / ٥-٤	«أَتَجِبُّ الْجَنَّةَ؟»
٥١ / ٥-٤	«أَتَجِبُّهُ لِأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا»
٨٤ / ٩	«أَتَجِبُّهُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أَحْبَبْتُهُ»
٤٥٣ / ٧-٦	«أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»

الحديث

الجزء / الصفحة

«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ» ١٨٥ / ٥-٤

٦٩ / ٨

«أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» ٥٦٧ / ٥-٤

«أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟» ٤٥٤ / ٧-٦

«أَتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» ١٢١ / ١٠

«أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» ١٤٨ / ٩

«أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟» ٢٦٦ / ٧-٦

«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ» ٨٥ / ٨

«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لِأَنَّا أَعْيَرْنَا مِنْهُ» ٥٥٥ / ٣-١

١١ / ٨

«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» ٤٢٦، ٣٤ / ٣-١

«اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ٦٦٤ / ٧-٦

«اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ٧٤٦ / ٣-١

«اتَّقُوا اللَّعَانِينَ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» ٥٣ / ٨

٤١ / ٩

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» ٥٥٨ / ٥-٤

٩٦ / ٧-٦

٤٤٥، ٤٢١ / ١٠

«اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا» ٣٦١ / ٣-١

«اتَّقُوا لَهُ مُرَائِيًّا؟» ٦٥٢ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

«اتَّقِيَ اللَّهَ وَاصْبِرِي» ٣٤٣ / ٣-١

٩٢ / ٩

«أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ» ٨٩ / ٥-٤

٦٣٥، ١١٢ / ٧-٦

«أُنْبِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ» ١٠٣ / ١٠

«أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ» ... ٩١ / ٧-٦

١٥٦ / ١٠

«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ» ٤٠٢، ٢٦٠ / ١٠

«اُتْتَنَا نِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ» ٦٥ / ٥-٤

«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ» ٦٥٤ / ٣-١

٤٧٦، ٣٣١، ٣٢٨ / ٥-٤

٦٦ / ٨

١٨٦ / ٩

«أَجْعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟!» ٤٣٠ / ٣-١

«اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ» ٣٩ / ٥-٤

٢٦٨ / ٩

«أَجَلٌ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ» ٣٥ / ٣-١

٦٧٥، ٦١٩ / ٧-٦

«أَجَلٌ، إِنِّي أَوْعَاكَ كَمَا يُوعَاكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» ٦٣١ / ٣-١

٦٣ / ٧-٦

١٤٢ / ١٠

«أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدْيَةَ» ١٨٠ / ١٠

«أَحَابِسْتَنَا هِيَ؟» ٣٧٦، ٣٧٢ / ٧-٦

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» ١١٥ / ٣-١

«أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا» ٢٧ / ٨

١٣٥

«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ» ١٥٩ / ٩

«أَحْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ» ٨٣ / ٧-٦

«أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» ٧٥ / ٣-١

«أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ» ٧٣٧ / ٧-٦

«أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» ٧٦٧ / ٣-١

١٧٨ / ٧-٦

«أَحْضَرُوا الذَّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ» ٤٤٥ / ٣-١

«أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِدُهُ تُجَاهَكَ» ١٥٩ / ٥-٤

١٢٧ / ٧-٦

«أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ» ٤٦٤ / ٥-٤

«أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَانِ فَالْحُوْتُ وَالْجَرَادُ» ٣٢٤ / ٨

١٢٩ / ١٠

«أَخْلَقِي رَأْسَهُ، وَتَصَدَّقِي بِوَزْنِ شَعْرِهِ فِضَّةً» ١٨٤ / ٨

«أَحْيُ وَالِدَاكَ؟» ٢٠٤ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَخَذَ أَرْبَابًا، فَذَبَحَهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَبَعَثَ بَوْرِكَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَلَهُ» ٣٢٥ / ٨
- «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ» ٤٧١ / ٥-٤
- «أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَلَهُ» ٢٥٠ / ٩
- «أَخْرَجَ إِلَى هَذَا فَعَلَّمَهُ الْاِسْتِذَانَ» ٢٢٩ / ٩
- «أَخْرَجَ مَنْ عِنْدَكَ» ٤٧٣ / ٧-٦
- «أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» ١٥٢ / ٨
- ١٦٧ / ١٠
- «أَخْرَجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْرَانَ» ١٦٨ / ١٠
- «أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُو» ٢٦٥ / ١٠
- «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ» ٨٦ / ٣-١
- «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ» ٧٧٤ / ٣-١
- «إِذَا بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَأَخْرُوا الصَّلَاةَ» ٢٧٠ / ٩
- «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ» ٤٤٨، ٤٤٧ / ٧-٦
- «إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ» ٣٨١ / ٧-٦
- ٤١-٤٠ / ٩
- «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمُهُ إِيَّاهُ» ١٩٠ / ٧-٦
- «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ» ١٦٤ / ٧-٦
- «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا» ٦٢ / ٧-٦
- ١٥٠ / ٩
- «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ» ١٠٩ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

٢٨ / ٩

«إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً» ٥٤ / ٣-١

«إِذَا أُرْسِلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّم» ١٩٢ / ٩

«إِذَا اسْتَأْذَنْكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ» ٣٠٨ / ٥-٤

«إِذَا اسْتُدْعَى اللَّهُ شَيْئًا حَفِظَهُ» ٧ / ٩

«إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي» ٥١٠ / ٣-١

«إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَدْكُرْ مُصَابَهُ بِي» ٨٠٥ / ٣-١

٢١٨ / ٨

«إِذَا أَصَبَتْهُ بِسَهْمِكَ فَوَقَعَ فِي الْمَاءِ» ١٩٣ / ٩

«إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا» ١٤٧ / ٧-٦

«إِذَا أَفْضَى أَحَدُكُمْ بِيَدِهِ إِلَى فَرْجِهِ» ٣٤ / ٩

«إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» ١٢٢ / ٣-١

«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ» ٨٣٧ / ٣-١

«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ» ٨٣٨ / ٣-١

«إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» ٣٢٩ / ٥-٤

«إِذَا أَمَرْتُمْكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ٢٨١ / ٨، ٦٣

«إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ» ٣١٢ / ٣-١

«إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسِ الْمَسْجِدِ فَلْيُسَلِّمْ» ٢٤٢ / ٩

«إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ» ٤٦ / ٩

«إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ» ٤٥٣ / ٥-٤

٤٤٧ / ٧-٦

«إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا» ٤٨ / ٨

«إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ» ٦١٥ / ٣-١

٤٤٩ / ٧-٦

«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَدْنَابَ الْبَقَرِ» ٦٥٥، ٢١٠ / ٣-١

٥٨٩، ٢٣ / ٥-٤

٢١١ / ٧-٦

«إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً» ٤٢٢ / ٧-٦

«إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ» ٥٧٤ / ٣-١

١٠٤ / ٩

«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضوءَهُ» ٢٢٣ / ٩

«إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ» ٢٢٣ / ٩

«إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ» ٦٠ / ٨

«إِذَا تَوَضَّأَتْ فَحَلَّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ» ٧٣٢ / ٣-١

«إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ» ١٥٩ / ٨

«إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ» ٢٣٥ / ٧-٦

«إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ، فَتَحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ» ١٧ / ١٠

«إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ» ١٧٤ / ٩

«إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٥٨ / ٩

«إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٩٨ / ٣-١

الجزء / الصفحة

الحديث

- «إِذَا حَدَّثَ الْإِنْسَانَ حَدِيثًا وَالْمُحَدَّثُ يَلْتَفِتُ» ٤٨ / ٩
- «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ» ٢٩٣ / ٣-١
- «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» ١٤٥ / ٧-٦
- ١١١ / ٨
- «إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ» ٨١ / ١٠
- «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ دِينَهُ» ٤١٥، ٤٨٤ / ٣-١
- «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ» ١١٨ / ٣-١
- ٢٦٤ / ٩
- «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَسَلِّمْ» ١١١ / ٥-٤
- «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ» ١٥٦ / ٥-٤
- ٥٤ / ٧-٦
- «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟» ٤٩٤ / ٣-١
- ١٣٩ / ٥-٤
- ٩٦ / ٧-٦
- ١٣ / ١٠
- «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ» ٦٨ / ٣-١
- «إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ» ١٨٨ / ٨
- «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ» ٣٠٦ / ٥-٤
- «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَجَاءَ مَعَ الرَّسُولِ» ٢٣٣ / ٩

- «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ» ٢٨٢ / ٨
- «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا» ١٢٣ / ٣-١
- «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا» ١٩١ / ٣-١
- ١١٠ / ٥-٤
- «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَتُهُمْ» ٢٤١ / ٨
- «إِذَا رَأَيْتُمُ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ» ٢٣ / ٨
- ٢٢٧ / ٩
- «إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ» ١٩١ / ٨
- «إِذَا رَكَعَ بَسَطَ ظَهْرَهُ وَسَوَّاهُ، حَتَّى لَوْ صُبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِ لَأَسْتَقَرَّ» ٧٣٤ / ٣-١
- «إِذَا زَادَ الرَّجُلُ أَوْ نَقَصَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» ٢٧٢ / ٨
- «إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ» ٢٣٤ / ٩
- «إِذَا زَخَرْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ» ٢٥ / ٨
- «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» ٥٦٨ / ٣-١
- ٥٤٥ / ٧-٦
- «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ» ٣١٥ / ٩
- «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ، لَمْ يَبْلُغَهَا» ٢٣٦ / ٧-٦
- «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُودُ، فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ» ٢٤١ / ٩
- «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَاْمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ» ٤٤٥ / ٣-١
- ٢٢٢ / ٩
- «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ» ٢٢٥ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ» ٨٣٩ / ٣-١
- «إِذَا شَكَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ» ٢٧٧، ٢٧٠ / ٨
- «إِذَا شَكَ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ» ٢٧٨ / ٨
- «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ حَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا» ٦٥٠ / ٣-١
- ٣٠٦ / ٥-٤
- «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا» ١٤٦ / ٥-٤
- «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ» ٩٦ / ١٠
- «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» ٦٧٧ / ٣-١
- «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ، فَلَا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا» ٢٣١ / ٩
- «إِذَا ظَهَرَ الرَّبَا وَالزَّنَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ» ٥٨٣ / ٥-٤
- «إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ سَهْمَكَ قَتَلَهُ» ١٩٣ / ٩
- «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ» ٦٤٠ / ٧-٦
- «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ» ٥٩٧ / ٧-٦
- «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا:» ٥٥٠ / ٥-٤
- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فَلَمْ يَسْتَتِمَّ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ» ٢٧٦ / ٨
- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ» ٢١٤ / ٩
- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ» ٤٧ / ٩
- «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ» ١٤٨ / ٥-٤
- «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ» ٣٩ / ٥-٤
- «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ» ١٥٨ / ٨

٢٥٣ / ٩

«إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدْعُ أَحَدًا يُمْرُ»..... ١٤٦ / ٥-٤

«إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ»..... ١١٣ / ٦٨ / ٣-١

«إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي»..... ١٠٨ / ٥-٤

«إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِيبَانَكُمْ»..... ١٦٢ / ٥-٤

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَغَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ»..... ٦٧٣ / ٣-١

١٥٩ / ٨

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ ﷻ»..... ٣١٤ / ٩

١٢٩ / ١٠

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ»..... ٤٤٠ / ١٢٩، ٩٥ / ٣-١

٣٤١ / ٥-٤

٤٢٨ / ٧-٦

٦٥ / ٩

٣٨٢ / ١٠

«إِذَا نَابَكُمْ أَمْرٌ فَلْيَسْبَحِ الرِّجَالُ وَلْيُصَفِّقِ النِّسَاءُ»..... ٢٧٢ / ٨

«إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ»..... ٥٠ / ٧-٦

٩٣، ٤٥ / ٨

«إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْتَحِيرُكَ»..... ٥١ / ٣-١

١٤٢ / ٧-٦

الجزء / الصفحة

الحديث

٢٦٣ / ٩

«إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا»..... ٣٧ / ٩

«إِذَا وَضِعَتِ الْجِنَارَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ» ٣٦٠ / ٥-٤

«إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا» ٨٣٨ / ٣-١

«أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ٣٠٣، ٢٩٥ / ٨

«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ أَحَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ» ٥٩٠ / ٧-٦

«أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ» ٦١٤ / ٣-١

«إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْمَعَ سَوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ» ١٣٣ / ٧-٦

«أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ» ٥٤٧ / ٣-١

٢٣٤ / ٧-٦

«أَذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» ٥٧٣ / ٧-٦

«أَذْهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ» ١٨١-١٨٠ / ٩

«أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ بَيْنَهُمْ» ٥٣ / ٩

«أَذْهَبُوا بِهِدِ الْخَمِيصَةَ إِلَى أَبِي جَهْمٍ» ٣١٣ / ٣-١

«أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ» ٦٧٤ / ٧-٦

«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ الْعُدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ» ٤٢٧ / ٥-٤

«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ» ٣٢٤ / ٣-١

«أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَصَاحِيَّ»: ١٩٠ / ٨

«أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ» ٥٦٦ / ٣-١

٤٢٧ / ٧-٦

- «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا» ٧٤٢ / ٣-١
- ٥٨ / ٩
- «أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا» ٢٦١ / ٩
- «أَرْبَعُونَ خِصْلَةً، أَغْلَاهُنَّ مَيْبِخَةُ الْعَنْزِ» ٦٩٠ / ٣-١
- «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَتْهُ، وَيَوْمٌ كَشَهَرٌ» ٥٧٣ / ٣-١
- «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا» ٢٠٤ / ٧-٦
- «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وَضُوءَكَ» ٧٣١ / ٣-١
- «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ٤٢ / ٣-١
- ٧٣٥ / ٣-١
- «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا» ٥١٧ / ٧-٦
- «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ» ٣٧٠ / ٣-١
- ٤٠٣ / ١٠
- «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ» ٢٤٤ / ١٠
- «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» ٢٤٧ / ٣-١
- «أَرَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ» ٨٤٢ / ٣-١
- ٤٧١ / ٥-٤
- ٦٨ / ٩
- ٣٣٢ / ١٠
- «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَّخِرِ» ١٠٥ / ٣-١
- «أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ» ٢٧١ / ٧-٦

٢٠٠ / ٨

«إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عَضَلَةِ سَاقِيهِ، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ» ٧٥٢ / ٣-١

«أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ» ٦٣٩ / ٣-١

«أَسَأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا» ٢٩٨ / ٥-٤

«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا» ٥٠٢، ٢٣٠ / ٣-١

«اسْتُحِيضَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَهَا بِالْغُسْلِ لِكُلِّ صَلَاةٍ» ١٨٠ / ٩

«اسْتَعِيدِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا» ٨٣٢ / ٣-١

«اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» ٣٤٨ / ٣-١

«اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ» ٣٧٣ / ٣-١

«اسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ» ٣٣ / ٥-٤

«اسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تَحْصُوا» ٣١٦ / ٩

«اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ» ٢٩ / ٩

«أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» ١٤٣ / ٧-٦

٨ / ٩

«أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيْعُ وَدَائِعُهُ» ١٤٤ / ٧-٦

«اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» ٦٤٩، ٣٨٣ / ٣-١

٧٥٤ / ٧-٦

«اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ» ٣٠٤ / ٥-٤

«اسْتَوْوُوا وَلَا تَخْتَلَفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» ٥٩٧ / ٣-١

«اسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ» ١٠٨ / ١٠

- «أَسْرِعُوا بِالْحِجَارَةِ» ٣٥٩ / ٥-٤
- «أَسْعِدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٨٢٧ / ٣-١
- «اسْعُوا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ» ٣٧٣ / ٧-٦
- «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، فَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ» ٤٧٣ / ١٠
- «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» ٤٧٧ / ٧-٦
- «اسْكُنْ أَحَدًا، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ» ٥٠٠ / ٥-٤
- «اسْكُنْ ثَبِيرٌ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ» ٤٩٩ / ٥-٤
- «أَسْلِمٌ» ٣٢ / ٣-١
- «اسْمَعْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ٢٠٨ / ٩
- «أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» ٧٣٤ / ٣-١
- «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» ٤٦٩ / ٥-٤
- ٤٧٣ / ٥-٤
- «أَشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا» ١٥ / ١٠
- «أَشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً» ٢٥٧ / ٥-٤
- «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٢٩ / ٥-٤
- «اشْفَعُوا تَوْجَرُوا» ٥٥٠ / ٧-٦
- «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ٢٤٨ / ٨
- «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ» ٨٢٧ / ٣-١
- «أَصَبْتَ السُّنَّةَ، وَأَجْرَاتُكَ صَلَاتُكَ» ٣٢٧ / ٧-٦
- «أَصْبَحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» ١٦٦ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَصَلَاةُ الصَّبْحِ مَرَّتَيْنِ» ٢٧٣ / ٩
- «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ» ٤٤٠ / ٥-٤
- «أَصَلَّى النَّاسُ؟» ١٨١ / ٩
- «أَصَلَّيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا» ٢٢٣ / ٣-١
- ٤٨ / ٨
- «اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَقَدَ آتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ» ٤٧٤ / ٥-٤
- ٨٧ / ٩
- «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا» ٦٦٩ / ٣-١
- ١٢٣ / ١٠
- «أَضْمِنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمِنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ.» ٤٦٦ / ٥-٤
- «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ» ٢٣١ / ٧-٦
- «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ» ٤٤٥ / ٧-٦
- «اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ التِّقَاءِ الْجِيُوشِ» ٥٣١ / ٥-٤
- «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْمُفْرَاءِ» ٦٠٨ / ٧-٦
- «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ» ٥٤٥ / ٣-١
- «اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ» ٦٨٢ / ٣-١
- «أَعْتَمُوا بِهَذِهِ الصَّلَاةِ» ١٢٢ / ١٠
- «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي» ٢١٧ / ٨
- ٣٢٢ / ٩
- «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيَّ أَمْرِي أَخَّرَ أَجَلَهُ» ٢٥ / ٩

- «اعزّل الأذى عن طريق المسلمين» ٥٣ / ٨
- «أعطيه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء» ٣٥٢ / ٥-٤
- «أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم» ... ٦٦٧ / ٧-٦، ٥٥٩
- «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي» ٦١ / ٨
- ٣١٨ / ٩
- ١٥٦، ١٢٨ / ١٠
- «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي» ٢٦٤ / ٧-٦
- «اعقلها وتوكل» ٢٩٤ / ٣-١
- «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين» ٢٥ / ٩
- «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم» ٣٥٤ / ٧-٦
- «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه إذا قال ذلك لم يضره شيء» ١٤٧ / ٧-٦
- «اغتنم خمسا قبل خمس» ١٢٩، ٢٤ / ٣-١
- ٤٢٥، ٢٨٦
- ٤٤٦، ٤١٧ / ٥-٤
- «اغسلوه بماء وسدر» ٣٤٥، ٣٤٤ / ٧-٦
- ١٧٦ / ٩
- «أفأء الله خير على رسول الله ﷺ» ٧٠٤ / ٧-٦
- «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة» ٤٣٨ / ٧-٦
- ٧١ / ٩
- «أفضل الإيمان: أن تحب لله وتبغض في الله» ٥٠ / ٥-٤

الجزء / الصفحة

الحديث

- «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» ١-٣ / ٧٩
- ٢٦٦ / ٩
- «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ» ١-٣ / ٧٤، ١١٥
- ٤٨ / ٧-٦
- ٨٩ / ١٠
- «أَفْضَلُ الصَّيَامِ صِيَامَ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا» ١٠ / ٣٧٦
- «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ» ٩ / ١٦٨
- «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٦-٧ / ٧٧٢
- «أَفَلَا كُنْتُمْ آذِنْتُمُونِي» ٨ / ٢٢
- «أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا» ٤-٥ / ٦٣
- «أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ» ٤-٥ / ٢٣٣
- «أَفَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟» ٩ / ١٦٣
- «أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» ٦-٧ / ٦٢٥
- «اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَاتِ: ﴿الر﴾» ٤-٥ / ٥٥٥
- «اقْرَأْ عَلَيَّ» ١-٣ / ٦٦
- ١٨٣ / ٧-٦
- ٢١٥ / ٩
- «اقْرَأْ عَلَيَّ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟!» ٤-٥ / ١٠١
- «اقْرَأْ عِنْدَ مَنْامِكَ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكٰفِرُونَ﴾» ٦-٧ / ٥٦٤
- «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكٰفِرُونَ﴾» ٦-٧ / ٤٤٩

- «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» ٢١٥ / ٨
- «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ» ٦٥ / ٣-١
- ٢١٨-٢١٧ / ٩
- «اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ» ١٦٠ / ٥-٤
- «أَقْنَتَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصُّبْحِ» ٢٦٧ / ١٠
- «أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟» ٧٠٩ / ٣-١
- «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ» ٣٢٧ / ٥-٤
- «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ» ٤٨٠ / ٧-٦
- «أَكْثَرْنَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ كُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ» ٧١٧ / ٣-١
- «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ» ٦٧٢ / ٣-١
- «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ -» ١٠٢ / ٥-٤
- ٣٣٩ ، ١٧٨ ، ١٨٣ / ٧-٦
- ١٥٧ / ٨
- «أَكْرَمُ النَّاسِ» ٦٦٧ / ٧-٦
- «أَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ» ١١٩ / ١٠
- «أَكْلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ» ٢١٦ / ٧-٦
- «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا» ٤٢٦ ، ٤١٢ ، ٣٤ / ٣-١
- «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ» ١٠٩ / ٣-١
- «أَلَا أُحَدِّثُكُمْمَا بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟» ٣٣٧ / ٣-١
- «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ» ١١١ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ» ٣٣٠ / ١٠
- «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ٦١٧ / ٣-١
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ» ٥١ / ٩
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ» ١٠٨ / ٣-١
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ» ٣٣٠ / ٨
- «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟» ٣٥٥ / ٥-٤
- «أَلَا أَذُكُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟» ٤٥٤ / ٩٤ / ٣-١
- «أَلَا أَذُكُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» ٨١ / ١٠
- «أَلَا أَذُكُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا» ٥٩٤ / ٤٥٣ / ٣-١
- ٢٢١ / ٩
- «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» ٤٩٧ / ١٩٨ / ٥-٤
- ٥٨٦ / ٧-٦
- «أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا» ١٨٨ / ٧-٦
- «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ» ٣٢٥ / ٩
- «أَلَا إِنَّ عَقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ» ٥٩٩ / ٧-٦
- «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ (ثَلَاثًا)» ٢٠٦ / ٧-٦
- ٣٢٨ / ٣٢٧ / ٨
- «أَلَا أَنْبِئُكُمْ مَا الْعِضَةُ؟» ٤٩١ / ٧-٦
- «إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ» ١٥٩ / ٣-١

- «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» ١٦٧ / ٣-١
- «أَلَا تَدَعُ صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا» ٩٥ / ٩
- «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ؟» ٤٠ / ٥-٤
- «أَلَا تَعْلَمِينَ هَذِهِ رُقِيَّةُ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ» ٢٠٤ / ٨
- «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ» ١٨٧ / ٧-٦
- «أَلَا لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» ٣٦٣ / ٧-٦
- «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ» ٢٨٦ / ٥-٤
- «أَلَا لِيُبَلِّغَنَّ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ» ٢٧٢ / ٩
- «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ» ٣٠٩ / ٣-١
- ٣٦٨، ٢٩٧، ٢٥٣ / ٥-٤
- «أَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» ٣٤٨ / ٨
- «الْأَذْنَانِ مِنَ الرَّأْسِ» ٥٨ / ٨
- «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ» ٢٤٤ / ٥-٤
- «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ» ٧٥١ / ٣-١
- ٦٩٤ / ٧-٦
- «الْإِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ» ٢٣٠ / ٩
- «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» ٣٥١ / ٧-٦
- «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» ١٩٩ / ٩
- «الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَدَّنُ مُؤْتَمَنٌ» ٩٥ / ٨

الجزء / الصفحة

الحديث

٢٢٨

«الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهِمْ» ١٤١ / ١٠

«الأنبياءُ إخوةٌ لعالاتٍ» ٧٦٣ / ٧-٦

«الأنبياءُ تنامُ أعينُهُمْ ولا تنامُ قلوبُهُمْ» ١٣٧ / ١٠

«الأنبياءُ، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ» ٦٣١، ٥٣٢، ٣٤٢ / ٣-١

٧٦٥، ٥١١، ٦٦ / ٧-٦

٣٤٦ / ١٠

«الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعبَةً» ١٤٠ / ٣-١

«الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ، أو بضعٌ وستونَ شُعبَةً» ٥٣ / ٨

«الإيمانُ: أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُله، واليومِ الآخرِ» ٣٠٧ / ٨

«الأيمنونَ الأيمنونَ، ألا فيمنوا» ١٦٩ / ٩

«البخيلُ الذي من ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ» ٦٦٤، ٢٠ / ٧-٦

«البرُّ حسنُ الخلقِ، والإثمُ ما حاك في صدركَ» ٥١٨ / ٣-١

«البركةُ تنزلُ وسطَ الطعامِ، فكلُّوا من حافتيه» ٨٣٩، ٥٠ / ٣-١

٨٣٩

«البسوا من ثيابِكُم البياضَ» ٦٩٨ / ٧-٦

«البيعانِ بالخيارِ ما لم يتفرقا» ٥٠ / ٣-١

٣٤٢ / ٨

«التَّائِي مِنَ اللَّهِ» ٣٩ / ٣-١

«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» ٤٥٢ / ٣-١

- «التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ» ٤٠ / ٣-١
- ٤٤٦ / ٥-٤
- «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ» ٥٦٦ / ٣-١
- ٣٠٧ / ٥-٤
- ٤٢٩ / ٧-٦
- «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ» ٤٤ / ٣-١
- «الْبَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْبَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ» ٢٣٧ / ٣-١
- «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» .. ٣٦٧، ٢٤٦، ٢٢٩ / ٧-٦
- «وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» ٧٦، ٧٥ / ١٠
- «الْحَجُّ عَرَفَةٌ» ٤٣١ / ٣-١
- ٦٤ / ١٠
- «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ» ١٩٤ / ٣-١
- «الْحِلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ» ١٩٩ / ٩
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» ٤٤٥، ١٠٠ / ٧-٦
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ» ٤٢ / ٨
- ١١٩ / ٩
- «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» ١٩٢ / ٥-٤
- «الْحَيْلُ ثَلَاثَةٌ» ٤٠٤ / ٣-١
- «الدُّعَاءُ لَا يَرُدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ» ٤٤٤ / ٣-١
- «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ٨٥ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

٤٩٣ / ٥-٤

«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ» ٥٧٠، ٥٢٥ / ٣-١

«الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» ٥٦٦، ٤٠٤، ٣٥٧ / ٣-١

٣٠٧ / ٥-٤

٤٢٩، ٤٢٧ / ٧-٦

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» ٧٠٥، ٤٠٩ / ٣-١

١٧٥ / ٥-٤

٢٣٢ / ٨

«الَّذِي يَخُنُّ نَفْسَهُ يَخُنُّهَا فِي النَّارِ» ٣٠ / ٨

«الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرَمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّياً» ٢٧ / ٧-٦

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ» ١٦٢ / ٩

«الَّذِينَ يُضِلُّحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ» ٣٧٩ / ١٠

«الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ» ١٤٥ / ٧-٦

«الرَّاكِبِ يَسِيرُ خَلْفَ الْجِنَازَةِ» ١٠٠ / ١٠

«الرَّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍّ» ٥٨١ / ٥-٤

«الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ٥٥٦ / ٣-١

«الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» ٣٦٠، ٢٣٣ / ٣-١

٢٤٤ / ٥-٤

«الرَّعْدُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ» ٥٣١ / ٥-٤

«الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ» ١٢٣ / ٣-١

١٢٩ / ٥-٤

«السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ، وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ» ٦٨٩ / ٣-١

٦١١ / ٧-٦

«السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ» ١٤٧ / ٧-٦

«السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ» ٩٤ / ٩

«السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» ٤٧٩ / ٧-٦

٤٨١

«الشُّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ» ٥٤٩ / ٣-١

«الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ» ٧٩٨ / ٣-١

«الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرِ بِيَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةِ خَضْرَاءٍ» ٨٤٣ / ٣-١

٣٣٢ / ١٠

«الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ» ٦٨٥ / ٣-١

«الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ» ١٢٨ / ١٠

«الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ٨٠٣ / ٣-١

«الصَّلَاةُ عِبَادَةُ اللَّهِ» ٣٠٥ / ٧-٦

«الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا» ٣٢٥ / ٣-١

٥٢٠، ٤٤٨ / ٥-٤

٢٠٣ / ٧-٦

«الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ٤١٠ / ٣-١

«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ» ٦٧١، ٤٥٢ / ٣-١

الجزء / الصفحة

الحديث

- «الصَّيَّامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ» ٧٢ / ٣-١
- «الضيافة ثلاثة أيام» ١٦٦ / ٩
- «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» ٧٩٧ / ٣-١
- ٤٣٦ / ٥-٤
- «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» ٣٢٤ / ٣-١
- ١٨٤ / ٥-٤
- ٤٧٩، ١٢٠ / ٧-٦
- ٥٢ / ٨
- «الَطُّوَا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ٨٤ / ٣-١
- «الْعَائِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي فَيْتِهِ» ٣١٥ / ١٠
- «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهَجْرَةِ إِلَيَّ» ٣٧٩ / ١٠
- «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَالْهَجْرَةِ إِلَيَّ» ٣٧٩ / ١٠
- «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ» ٣٤٧ / ٣-١
- «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا» ٢٧٠ / ٣-١
- ٣٥٢ / ٧-٦
- «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» ٢٩١ / ٨
- «الْعَيْنُ حَقٌّ» ١٥٨ / ٥-٤
- «الْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ» ٢٧١ / ٣-١
- «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» ٦٧٢ / ٣-١
- «الْفِطْرَةُ حَمْسٌ: الْخِثَانُ» ٣٢٧ / ٩

- «أَلَا مَالٌ؟» ٦٩٩ / ٧-٦
- «الْكُوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ» ٤٣٢ / ٧-٦
- «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ» .. ٣٥٧، ٥٠ / ٧-٦
- ٤٦ / ٨
- «اللَّهُ اللَّهُ فِي قَبْطِ مِصْرَ» ٣٩٥ / ١٠
- «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ» ٢٥٠ / ٨
- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا» ٦٠٨، ١٦٠ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا» ١٢٢ / ٧-٦
- ٢٢٢ / ٩
- «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا وَاهِدِي بِهِ» ٥٧١ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ أَحْبِبِّي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي» ٣٠ / ٩
- «اللَّهُمَّ أَحْبِبِّي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا» ٦٠٩ / ٧-٦
- ٤٩ / ٩
- «اللَّهُمَّ أَحْبِبِّي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» ٢١٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأُمَّةَ وَاعْفِرْ لِلْمُؤَدِّينَ» ٩٣ / ٨
- «اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْنًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍ» ٢٤٩ / ٨
- «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا» ٢٣٤ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ مِنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي» ١٦٨ / ٩
- «اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَدَّيْنِ الرَّجُلَيْنِ» ٧٨٠ / ٣-١
- ٢٧ / ١٠

الجزء / الصفحة

الحديث

- «اللَّهُمَّ اغْنِي عَنِّي عَلَيْهِم بِسَبْعِ كَسْبِ يُوْسُفَ» ٣٠٢ / ٩
- «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا» ٥٣٢ / ٥-٤
- ٢٩٤ ، ٢٤٧ / ٨
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ» ٧١ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيَّتِنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَعَائِنَنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا» ٩٧ / ١٠
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ٧٦٤ ، ٦٧٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ» ٩٧ / ١٠
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَذُنُوبِي كُلَّهَا» ٥٨٤ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» ١٥٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» ٣٥٤ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ» ٥٦١ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ» ٤٤٢ ، ٣٥٢ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا» ٣٨٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ٥٠٣ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ» ٩ / ٩
- «اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي» ٢٨٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ» ١٠٦ ، ٨٩ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ» ٤٠٦ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ٦٤٤ ، ٦٠٦ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ» ٤٥٢ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى» ٥٨٥ / ٣-١

٤٤٣ / ٥-٤

«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ» ٢٦ / ١٠

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ٥١٠ / ٣-١

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ» ٨٢٣ / ٣-١

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ» ٦٤٥، ٦٠٦ / ٣-١

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ» ٧٣ / ٥-٤

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ» ٦٠٨ / ٣-١

٥٢٣ / ٧-٦

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» ٤٠ / ٩

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ» ٣٨٤ / ٥-٤

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ» ٢٤ / ٥-٤

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» ٥٢٦ / ٣-١

٣٥٢ / ٥-٤

٦٦٦، ٥٥٧، ٥٠٦ / ٧-٦

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ» ٢١ / ١٠

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى» ١٠٣ / ٩

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ» ٣٢١ / ٧-٦

«اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأَنْتَ بِهِمْ» ٥٨٥ / ٣-١

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ» ٢٦٧ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» ٥٨٥، ٨٨ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» ٥٠ / ٣-١
- ١٤٤ / ٧-٦
- ٣٤٣ / ٨
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا» ٥٩٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا» ٤٩ / ٣-١
- ٣٨٩ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ» ٤٩ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ» ٤٩ / ٣-١
- ١٦٨ / ٩
- «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ» ١٤٣ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ تَبَّئْتَهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» ٥٨٥ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا» ٣٩ / ١٠
- «اللَّهُمَّ حِجَّةً لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةً» ٣٥٣ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْحِبَالِ» ٣١٠، ٢٥٠ / ٨
- «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسِ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي» ١٦٢ / ٥-٤
- ٦٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرِيْلَ، وَمِيكَائِيْلَ، وَإِسْرَافِيْلَ» ٥٨٧ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» ١٥٥ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو» ٨ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» ٥٣٠ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصْرِي» ٧٠٣ / ٣-١
- «اللَّهُمَّ عَلَيْنَا بِعَمْرٍو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ ابْنِ عُتْبَةَ» ٣٠٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ عَلَيْنَا بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْنَا بِقُرَيْشٍ» ٥٠٤ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّوِيلَ» ٧٠٩ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» ٤٤٨ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» ٦٢٤ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ» ٦٩٨ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ» ٦٥٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ٤٣١ / ٣-١
- ١٢٢ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا» ٣٠ / ٩
- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» ١٧٢ / ٣-١
- ١٠٥ / ٩
- «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ٣٠١ / ٥-٤
- «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَّ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ» ٦٣٢ / ٧-٦، ٥١٩
- «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ» ٨١٠ / ٣-١
- ٥٩١ / ٥-٤
- ٦٩-٦٨ / ٩

الجزء / الصفحة

الحديث

- «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» ١١٥ / ٧-٦
- «اللَّهُمَّ هُوَلَاءِ أَهْلِي» ٣٠١ / ٨
- «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟» ٥٨٣ / ٣-١
- ٢٣ / ١٠
- «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» ٣٧٤ / ١٠
- «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟» ٨٣٢ / ٣-١
- «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً» ٢٥ / ٥-٤
- «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» ٨٤٧ / ٣-١
- ٢٠٤ / ٩
- «الْمَاءُ، قَالَ: فَحَفَرَ بَرًّا» ٣٩٠ / ١٠
- «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ» ٦٥ / ٣-١
- ٧٩ / ٨
- «الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ» ٤٢٧ / ٣-١
- «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ» ٣٩١ / ٣-١
- «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرِ» ٣٨٦ / ٧-٦
- «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» ٢٠٥ / ٣-١
- «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ» ٦٩٤ / ٧-٦
- «الْمَرْأَةُ لِأَخِرِ أَرْوَاجِهَا» ٢٠٠ / ٨
- «الْمَسْحِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟» ٣٧٨ / ٧-٦
- ٤٠٣ / ١٠

- «الْمَسْحُودُ بَيْتُ كُلِّ نَقِيٍّ» ٣٢٧ / ٢٤ / ٣-١
- ٢٨ / ٨
- «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ» ٤٢٠ / ٣-١
- ١٨٨ / ٧-٦
- «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» ٧٣٦ / ٧-٦
- ٥٣ / ٨
- «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ» ٤٤٤ / ٣-١
- «الْمُهْلِكَاتُ ثَلَاثٌ» ٣٢١ / ٧-٦
- «الْمُؤَدَّبُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٩٣ / ٨
- «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى آذَانِهِمْ» ٣٨٢ / ٣-١
- ٢٣٧ / ٨
- «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» ٣٨٥ / ٥-٤
- ٥٤٥، ٥٠٦ / ٧-٦
- «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ١٨٩ / ٧-٦
- «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ» ٨٤٠ / ٣-١
- ١٧٤ / ٥-٤
- «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ» ٧٩٧ / ٣-١
- «النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشِ أَقْرَنٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ» ١٩١ / ٨
- «النَّبِيُّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: أَصُمْتُ» ٢٠٧ / ٨
- «النَّبِيُّ ﷺ ضَحَى بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ» ١٩٣ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «النَّبِيُّ ﷺ كَانَ إِذَا عَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ» ٨ / ٩٢
- «النَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ» ٨ / ٣١٩
- «النَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ النَّحْلَةِ، وَالنَّمْلَةِ» ٨ / ٣٢٢
- «النَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ» ٨ / ٣١٧
- «النَّبِيُّ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْرٍ عَنْ لُحُومِ الْحَمْرِ الْأَهْلِيَّةِ» ٨ / ٣١٨
- «النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ١-٣ / ٢٦٩
- «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ» ١٠ / ٨-٩
- «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شَتَّ فَأَضَعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ» ٦-٧ / ٢٠٤
- «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» ١٠ / ٣٦٦
- «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!» ٦-٧ / ٢٧
- «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ» ١-٣ / ٣٢٥
- ٢٧ / ٩
- «أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَالْآخَرُ» ٦-٧ / ٤٥٤
- «أَمَّا إِنَّهُ لَمْ نَرِدْهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ» ١٠ / ١٨٠
- «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ» ٦-٧ / ٣٢٦
- «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي» ١-٣ / ١٤٨
- «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا» ٤-٥ / ١٤٢
- «أَمَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ» ١-٣ / ١٣٤
- «أَمَّا بَعْدُ. أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبَ» ٨ / ٢٩٧

- «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ» ٣-١ / ٣٣٣
- «أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟» ١٠ / ١٦١
- «أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا» ٣-١ / ٣٣٢
- ١٠ / ٣٨٥
- «أَمَّا شَعَرَتِ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!» ٨ / ١٣٨
- «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ؟» ٨ / ٢٩٧
- «أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ» ١٠ / ١٣٩
- «أَمَّا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!» ٣-١ / ٦٤٣
- «أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ» ٣-١ / ٧٣٦
- «إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ» ... ٦-٧ / ١٥٥
- «أُمَّتَهُو كُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْحَطَابِ؟!» ٦-٧ / ٤٤١، ٦٢٠
- «أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَافَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا» ١٠ / ٥٤
- «أَمَرَ حَمَتَهُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا كَانَتْ مُسْتَحَاضَةً بِتَأْخِيرِ الظُّهْرِ» ٨ / ٢٩٠
- «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ» ٣-١ / ٧٣٤
- ٨ / ٢٨٨
- «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٣-١ / ٥٨٩
- ٩ / ٣٢١
- «أُمِرْتُ بِالسَّوَالِكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ» ٦-٧ / ٤٨٠
- «أُمِرْتُ بِقَرِيَّةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى» ٦-٧ / ٣٨٨
- «أمرنا - يعني رسول الله ﷺ - أن نمسح على الخفين» ٨ / ٢٦٢

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ» ٢٣١ / ٧-٦
- «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كُنَّا سَفَرًا، أَلَّا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةً» ٢٦٣ / ٨
- ٣٢ / ٩
- «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ» ٢٢ / ٨
- «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» ٢٣٧ / ٩
- «أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى الْبَدَنِ» ١٩٦ / ٨
- «أَمَرَنِي خَلِيلِي بِسَبْعٍ» ٧٨ / ١٠
- «أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَنْزِلُوا مِنَ الْجَبَلِ» ٤٦٥ / ٣-١
- «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلا تَسْعَكَ بِيْتِكَ، وَابِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ» ٦١٨ / ٣-١
- ٧٣٥، ١٨٢ / ٧-٦
- ٢٣٥ / ٨
- «أَمْكُثِي فِي بَيْتِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» ٢٨٧ / ٩
- «أَمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَيْهَا» ٣٤٧ / ٧-٦
- «أَمِينَ، أَتَانِي جَبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ» ٧٠ / ٣-١
- «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَالِدَ الْمُعَاوِيَةَ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ» ٥٧٣ / ٧-٦
- «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ» . ١٥٩ / ٥-٤
- «إِنَّ إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ» ٣٨٤ / ٣-١
- ٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ» ٣٥٦، ٨١ / ٩
- «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُتَنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ» ٥٦١، ٣٢٦، ٩٩ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ» ١٨٥ / ٨
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ» ٣٤٥ / ٣-١
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ» ٢٠٣ / ٥-٤
- ٢٥ / ١٠
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» ٣٠٣ / ٣-١
- «إِنَّ أَخَا لَكُمْ قَدْ مَاتَ فَتَقَوْمُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ» ١١٧ / ١٠
- «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ» ٢٩٩ ، ١٣٧ / ٣-١
- ٢٤٠ / ٧-٦
- «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» ١٢ / ١٠
- «إِنْ أَرَدْتَ تَلْبِينَ قَلْبِكَ فَاطْعِمِ الْمَسْكِينَ» ١٠٢ / ٥-٤
- ١٨٦ / ٩
- «أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَبِلَالًا كَانَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ» ٣٧٧ / ١٠
- «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ» ٧٦١ ، ٦٠١ ، ٤٣٠ / ٣-١
- ٤٥ / ٥-٤
- «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ» ٣٤٣ / ٥-٤
- «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ» ٦٦٤ / ٧-٦
- «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ النَّحْرِ» ٨٠٩ / ٣-١
- ٨٩ ، ٦٤ / ١٠
- «أَنَّ أَكْبَدَ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ أَهْدَى النَّبِيِّ ﷺ حُلَةً» ١٨٦ / ١٠

الجزء / الصفحة

الحديث

- «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ» ١٧٥ / ١٠
- «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا» ١٩٢ / ١٠
- «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَنْدِرِ قُلُوبِ الرَّجَالِ» ٦٧٧ / ٣-١
- «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ» ٣٨٧ / ٧-٦
- «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ» ٤١ / ٥-٤
- «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَيَبْتَدِئُهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ» ٥١٧ / ٣-١
- ٢٤١ / ٥-٤
- «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ» ٦٩٩ / ٣-١
- ٦٧ / ٥-٤
- ١٠٣ / ٩
- «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٧٦١ / ٣-١
- «إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا» ٦٣ / ٧-٦
- ١٥٠ / ٩
- «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَضْحَكُ بِهَا» ٢١٧ / ١٠
- «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِئَةِ عَذَاءٍ» ٦٢٦ / ٣-١
- «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةٍ» ٤٩٣ / ٣-١
- «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ» ٣٦١ / ٣-١
- ٥١٦ / ٧-٦
- ٢٣٣ / ٨
- «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» ٨٥ / ٩

- «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ» ٨٥ / ١٠
- «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ» ١٠٤ / ٩
- «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى» ٢٣٥ / ٩
- «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى شَطْرِ الصَّدَقَةِ» ٣٥٠ / ٥-٤
- ٦٦٦ / ٧-٦
- «أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءً» ١٠٥ / ٣-١
- «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» ٤١١، ٤٠٧ / ٧-٦
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ» ٦٨٩ / ٧-٦
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» ٣٣٠ / ٥-٤
- ٥١ / ٧-٦
- ١٦٦ / ١٠
- «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ١٦٠ / ٥-٤
- «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا، وَإِنْ مَوَالِيَ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ٢٩٨ / ٨
- «إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» ٥٥٥ / ٧-٦
- «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً» ٤٦٨ / ٣-١
- «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي» ٢١٤ / ٩
- «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ» ٢٠ / ٩
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا» ٦١٨، ٥١٩، ٤٦٥ / ٣-١
- ٢٣ / ٩
- «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ - فِيمَا يَرَى النَّاسُ» ٢٧٩ / ٣-١

الجزء / الصفحة

الحديث

- «إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» ١٣٨ / ١٠
- «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ» ٨٣٤ / ٣-١
- ١٥٨ / ٥-٤
- «إِنَّ الْغَنِيمَةَ لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ سُودِ الرَّؤُوسِ غَيْرِكُمْ» ٢٨٧ / ٧-٦
- «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ» ٣٤٨ / ٣-١
- ١٨٤ / ٧-٦
- «أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أَطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ» ١٦٥ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ» ٢١-٢٠ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا» ١٧ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ» ٣٠٢ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا» ١٦١ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ٢٨٦ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ» ٧٨ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ» ٣٣٩ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» ٤٣ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ» ٢١٨، ٨٥ / ٧-٦
- ٤٩ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» ٢٠٢ / ٥-٤
- ٢٤٦، ٩٦ / ٧-٦
- ١٢ / ١٠

- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ» ٣٤٨، ٢٢٣ / ٧-٦
- ٢٦٧ / ٧-٦
- ١٢٥ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا» ٤٦ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا» ٢٦٠ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:» ٦٠٣ / ٥-٤
- «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ» ٣٠٠ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ» ٥٤ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ٤١٦ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ سَتِيرٌ» ١٧٧ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ» ١٤٨ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ» ١١٨ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» ٥١٥ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ زَوَيْلِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا» ١٦٣، ١٣٢ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» ٩٤ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ» ١٢٤ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ» ٥٧ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ» ١٩١ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ» ١٩٦ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا» ١٧٧ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ» ٢٥٠ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» ١٧٤ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا» ٢٩٤ / ٥-٤، ٢٠٩
- ٢٣٠ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَتَّزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ» ٧٣ / ٨
- ٣٨٠ / ٩، ٣٥٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ» ٢٩٧ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» ٢٠٤ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِّ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» ٢٦٧ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا» .. ٥٥٥ / ٧-٦
- ٢٤٢ / ٨
- «أَنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ» ٣٤٣ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ» ١٠٨ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ» ٧٨ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيِّ الْخَفِيَّ» ١٠٧ / ٨
- «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟» ٦٠٢ / ٥-٤، ٢٢٢
- ٧٦ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا» ٤٣٧ / ٧-٦
- ٧٨ / ٩

- «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا» ٦٤ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨٢ / ٥-٤
- «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ» ٦٣٤ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ» ١١٩-١١٨ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا بَنَ آدَمَ! اكْفِنِي» ٢٦٤ / ٩
- «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ٥٨١ / ٥-٤
- «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ» ١٦٥ / ٣-١
- «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ» ١٦٥ / ٣-١
- «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» ٢٣٢ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يَنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يَنَاجِيهِ» ٤٠ / ٥-٤
- «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ» ٢٢ / ٣-١
- ١٩٤ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ» ٥٩٠ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ» ١٣٥ / ٥-٤
- ١٠١، ٢٤ / ٧-٦
- «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرِحٍ» ٣٧٧ / ٥-٤
- «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ» ٣٢٠ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ» ٨٣١ / ٣-١
- ٤٨ / ٨
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ مَكَّةَ، دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا» ٣٥٤ / ٧-٦

الجزء / الصفحة

الحديث

- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْحَيْلِ» ٣٩٨ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ» ٢٤٧ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ» ٦٠ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انْشَغَلَ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الظُّهْرِ» ٢٦٧ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَجَرَّدَ لِإِهْلَالِهِ وَاعْتَسَلَ» ١٧٨ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْحِجْرَانَةِ لَيْلًا فَأَعْتَمَرَ» ٢١٢ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ» ٢٦٣ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُنْثَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ» ٥٦٣ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ، قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ» ٣٢٩ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى حَمْزَةٍ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ نِسْعٌ» ٩٤ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى صَبِيٍّ» ١٠١ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبَّلَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» ٣٦ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فَرَدَّدَهَا» ٢١٣ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ» ٤٠ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يُرْدُّ الطِّيبَ» ١٨١ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ» ٣٧٤ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» ٧٣٢ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقْبَلُ وَهُوَ صَائِمٌ» ٣٦٤ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْم تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ» ٦٧١ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَبَّرَ عَلَى جِنَازَةٍ فَرَفَعَ يَدَيْهِ» ٩٥ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ: مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ٢٤١ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ» ١١٣ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِأَعْرَابِيٍّ وَهُوَ يَدْعُو» ٢٧١ / ١٠
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى أَخْلَاطٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ٢٤١ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ» ٤٦ / ٩
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا» ٣٦٥ / ٥-٤
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهَا الْعَوَاتِقُ» ١١٩ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ» ١١٨ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ» ١٠٣ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ» ٢٥٤ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ» ١٠٤ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ» ٢٦٣ / ٣-١
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ» ١٤٤ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَاهَا - أَي النَّارَ - حِينَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ» ٥٦٨ / ٥-٤
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبٌ» ٦٩٦ / ٧-٦
- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ» ٦٠١ / ٧-٦
- «إِنَّ الْهَجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ» ٤٧٨ / ٧-٦
- «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَضْبَعُونَ» ٣٦٦ / ٩
- «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلَئِهَا» ١٠٠ / ٩
- «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرًّا مُحَجَّلِينَ» ٦٠ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتْ الْبَحْرَ فَندَرَتْ إِنَّ نَجَّاهَا اللَّهُ» ٣٤٢ / ٥-٤
- «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلِيٌّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ» ٧٧٤ / ٣-١
- «إِنَّ أُمَّيْ أَفْتَلَيْتُ نَفْسَهَا، وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ» ٢٠٨ / ٧-٦
- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ» ٢٠٥ / ٣-١
- ٢٢٩، ١٦٤، ١٦١ / ٧-٦
- «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ» ٧٧٥ / ٣-١
- «أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ يَقُولُونَ لِنُوحٍ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ» ٧٦٢ / ٧-٦
- «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَّتْ» ١٣٩ / ٧-٦
- «إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» ٣٩٢ / ٥-٤
- «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» ٧٢٠، ٥٥٣ / ٣-١
- ١٧٠ / ٧-٦
- «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا» ٣٠٥ / ٩
- «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨ / ٣-١
- ٢٢٦ / ٥-٤
- ٢٤٠ / ٧-٦
- ٢١٢-٢١١ / ٩
- «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ٩٢ / ٧-٦
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةَ» ٦٧٧، ٤١٠ / ٣-١
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» ٢١١ / ٨

- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٥٩ / ٩
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ:» ٥١٥ / ٣-١
- ٦٠٣ / ٥-٤
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢١٦ / ٣-١
- «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمُ ﷺ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ» ٢٢١ / ٧-٦
- «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ» ٣٢٩ / ٨
- «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَ التَّجَارَةِ» ٣١٥ / ٨
- «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ» ٤٦٤ / ٣-١
- ٣٨ / ٨
- «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَاحِبٌ» ٩٣ / ٣-١
- «إِنَّ تَصَدَّقِ اللَّهُ يَصَدِّقَكَ» ٢٥٤ / ٧-٦
- «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ» ٣٠٤ / ٥-٤
- «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» ٢٢١، ٥١٨ / ٥-٤
- «أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ٥٤١ / ٧-٦
- «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى» ٢٠٣ / ٥-٤
- «أَنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ فِيهِمَا أَدَى أَوْ قَدْرًا» ٢٦٣ / ٨
- «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي» ١٤٣ / ٧-٦
- «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ» ٢٥٥، ١٩٧ / ٣-١
- ٩٤ / ٥-٤
- ٨٦ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ» ١٢٣ / ٥-٤
- ٦٧٤ / ٧-٦
- «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ» ٤٢٤ / ٥-٤
- «أَنَّ رَجُلًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْتَقَ سِتَّةَ أَعْبُدٍ عَنْ دُبُرٍ» ٣٨٧ / ١٠
- «أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ» ٣٦٥ / ٣-١
- «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُبُولُ فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ» ٢٥٢ / ٩
- «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ» ١١ / ١٠
- «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ» ٣٠١ / ٣-١
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسْقَى، فَأَشَارَ بظَهْرِ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ» ٢٥٢ / ٨
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ» ٤١ / ٨
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ» ٣٢٣ / ٨
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَخَّصَ لِلرُّعَاةِ» ٣٧٣ / ٧-٦
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ» ٤٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ» ٩٤ / ١٠
- «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا» ٥٩ / ٣-١
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ» ٥٦٤ / ٧-٦
- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ» ٨٣٨ / ٣-١
- «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ» ١٠٤ / ٣-١
- «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي» ٢٩٦، ٤٢ / ٣-١
- ٣٣٨ / ٥-٤

- «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ» ٢١٥ / ١٠
- «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا» ٤٠٤ / ١٠
- «إِنَّ شَيْئًا حَبَسَتْ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقَتْ بِهَا» ٣٨١ / ١٠
- «إِنَّ شَيْئًا فَتَوَضَّأَ، وَإِنْ شَيْئًا فَلَا تَوَضَّأَ» ٣٣ / ٩
- «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ» ١٩٧ / ٥-٤
- «إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقَصَرَ خُطْبَتِهِ» ١٦٥ / ٨
- «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» ٤٦ / ٧-٦
- «أَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ مِنْ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ» ٥٤٣ / ٣-١
- «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ» ٢٠٤ / ٥-٤
- «أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبَبِ رَفْعِ صَوْتِهِ بِالْقُرْآنِ» ٥٢ / ٧-٦
- «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوْطَةِ» ٥٩٨ / ٧-٦
- «إِنَّ فَلَانَةَ يُذَكَّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا» ٣٧ / ٨
- «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ» ٦٧٠ / ٣-١
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ» ٧٢ / ٣-١
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِئُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا» ٥٩ / ٧-٦
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا» ٧٨ / ٣-١
- ٣٩٩ / ٥-٤
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ» ٦٢٧ / ٣-١
- «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٨٤٤ / ٣-١
- ٧٦ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

٣٣٠ / ١٠

«إِنَّ فِيكَ خَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»..... ٣٦ / ٧-٦

«إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةٌ»..... ٥٤ / ٥-٤

«إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا»..... ٥٦٥ / ٧-٦

«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»..... ٢٨٣ / ٣-١

٤١٥ / ٥-٤

«إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ»..... ٣٥٣ / ٩

«إِنْ كُنْتَ نَذَرْتَ فَاضْرِبِي»..... ٢٩٠ / ١٠

«أَنْ لَا تَدَعَ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»..... ٨ / ٨

«أَنْ لَا يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: نُسِيتُ»..... ٢٢٦ / ٧-٦

«إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»..... ٥٠٠ / ٥-٤

«إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»..... ٢٢١ / ٩

«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنْ أَمِينُنَا آيَتُهَا الْأُمَّةُ»..... ٤٣٤ / ٥-٤

«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»..... ١٩٣ / ٣-١

٣٣٠ ، ٢٣٩ ، ٦٢ / ٥-٤

١٠٢ / ٩

«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا»..... ٥٤٦ / ٥-٤

«إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا»..... ١٥٨ / ١٠

«إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًّا»..... ١٧٦ / ٣-١

٣٤٨

«إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَحِيمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ» ٦٢٦ / ٣-١

٥٧ / ٧-٦

«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثْمَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٤-٥ / ١٠٧، ٣٣٣، ٤٨٧

٦٨٧، ١٢٥، ٣١ / ٧-٦

«إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ» ٦٩ / ٣-١

«إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى» ٨٤ / ٩

«إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ» ٢٤٥ / ٥-٤

«إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَاِلَى أَيَّهِمَا أَهْدِي» ٤٠ / ٨

«إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ» ٣٧٨ / ٧-٦

٣٣٥ / ٨

«إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ» ٢٣٧ / ٥-٤

«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى» ٥٥٨، ١٣٩ / ٣-١

«إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ» ٣٤٤ / ٥-٤

«إِنْ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلَّمَ الرَّجُلُ» ٢٤٠-٢٣٩ / ٩

«إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٧٨ / ٣-١

«إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلِ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» ٣٤٤ / ١٠

«إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» ١٤٠ / ١٠

«إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَايِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» ٢٠ / ٩

«إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أَجُورِ أَوْلِيهِمْ» ٣١٨ / ٣-١

«إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ» ٧٣٣ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» ٤٢٠ / ٣-١
- «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ» ٤٢٧، ٣٤١ / ٣-١
- «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبَتَّ بِهِ بِلَاؤُهُ» ٥٣١ / ٣-١
- «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ» ١٨٦ / ٩
- «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ» ٦٧٠ / ٣-١
- «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا» ٣٤٨ / ٣-١
- ٣٦١ / ٥-٤
- ٤٧٠ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ» ٢٩٩ / ٨
- «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ» ٢٧٤ / ٨
- «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي» ١١٩ / ٧-٦
- ٩٤ / ٩
- «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عُدُو لَكُمْ» ٤٤٦ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ٢٧١ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ» ٤٥١ / ٧-٦
- «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا» ١٩٥ / ٥-٤
- ٦٩٨ / ٧-٦
- ١٣٨ / ٨
- ٣٧٢ / ٩
- «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي» ٦٩٧ / ٧-٦

- «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهَدَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةً» ١٨٦ / ١٠
- «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ٥٠١ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» ٤٥ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:» ٥١٥ / ٣-١، ٢١٦
- «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأَسْوَدْتُكَ، وَأَزَوَّجَكَ» ٢٢٣ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا» ٢٦٨ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ» ٧٧٩ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ» ٦٨٣ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» ٨٧ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ» ٨٠١ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ» ٣٩٣ / ٣-١
- ٥٣٦
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» ٥١٩ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا:» ٧٣١ / ٧-٦
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً» ١٩٠ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَتَّزِعُهُ مِنَ النَّاسِ» ٨٢٣ / ٣-١، ٤٢٢
- «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ» ٥٠٢ / ٣-١، ٤٩٨
- «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ٦٦٢ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» ٥٨١ / ٣-١
- «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ» ٤٣٨ / ٣-١

الجزء / الصفحة

الحديث

- «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ» ٧-٦ / ٧٤٠
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ» ٣-١ / ٢٤٨
- «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا» ٣-١ / ١٩٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ» ٣-١ / ٧٤٩
- «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ» ٣-١ / ٤٣٧
- «إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ» ٣-١ / ٧٤٧
- «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ٧-٦ / ٧٧٢
- «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ» ٣-١ / ٢٥٥، ٢٨٧، ٦٠٤
- ٧-٦ / ١٤٦، ٤٢٠
- «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» ١٠ / ٢١٥
- «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ» ٤-٥ / ١١٤
- «أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٠ / ١٥٥
- ٢٠٤
- «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» ٣-١ / ٥٤٥
- «إِنَّا كَذَلِكَ يَضَعُ لَنَا الْبَلَاءَ» ١٠ / ١٤٢
- «أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ» ٨ / ٣٠٣
- «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ» ١٠ / ١٣٧-١٣٨
- «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ» ٧-٦ / ٥٥٢
- «إِنَّا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ لَا نَنْفَرُقُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ» ٨ / ٢٩٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» ٦٨٩ / ٣-١
- ١٨٥ / ٩
- «أَنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أَنَاسٍ سَوِّءٍ كَثِيرٍ» ٤٢٧ / ٣-١
- «أَنْذَرْتُكُمْ الدَّجَالَ - ثَلَاثًا -» ٤٠٥ / ١٠
- «انصُرْ أَحَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» ٥٩٠ / ٥-٤
- ١٨٨ / ٧-٦
- «انطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ٥١٩ / ٥-٤
- ٦٠ / ٩
- «انطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى» ٤٦١ / ١٠
- «انظُرُوا إِلَيَّ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ مِنْ فَوْقِكُمْ» ٥١٥، ١٥٨ / ٣-١
- ٥٣٨ / ٥-٤
- ٢٤٢ / ٨
- «انْفِذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ» ٣٥٢ / ٣-١
- ١١٥ / ٩
- «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٤٢٤ / ٣-١
- ٢٧٧ / ٧-٦
- ١١٥ / ٩
- «إِنَّكَ دَعَوْتَنَا حَامِسَ خَمْسَةِ وَهَذَا رَجُلٌ قَدْ تَبِعَنَا» ١٦٧ / ٩
- «إِنَّكَ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ» ٣٠٥ / ٣-١
- «إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيِّ، وَإِنَّ عَمَّكَ لِنَبِيِّ» ٢٠٧ / ٨

الجزء / الصفحة

الحديث

- «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ» ٥٦١ / ٣-١ ، ٥٣
- ١٥٤ / ٥-٤
- ٢٥٢ / ١٠
- «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ» ٣٩٥ / ١٠
- «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُمَّةً» ١٨٩ / ١٠
- «إِنَّكُمْ شَكْوَتْمْ جَذَبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِخَارَ الْمَطْرَ» ٢٣٣ / ٨
- «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبِرْكَةُ» ٥١ / ٣-١
- «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبِرْكَةُ؟» ٨٣٨ / ٣-١
- «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ» ٤٦٥ / ٣-١
- «إِنَّمَا أَحَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةِ الْمُضَلِّينَ» ٧٦ / ٨
- «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» ٦٩٤ / ٣-١
- ٣٥٨ ، ١٧ / ٣-١
- ٣٦٨ ، ١٩٩ / ٧-٦
- ٤٥٦ / ١٠
- «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا» ٧٩٥ / ٣-١
- ٢٨ / ٩
- «إِنَّمَا الرِّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ» ٢٣٤ / ١٠
- «إِنَّمَا الصِّيَامُ جُنَّةٌ» ٧٢ / ٣-١
- «إِنَّمَا الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ» ٦٠٣ / ٣-١
- «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ» ٣٧ / ٧-٦

- «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ» ٣٩٢ / ٧-٦
- «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ» ٦٤٩ / ٣-١
- «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ، أُنْسَى كَمَا تَنْسُونَ» ٢٧٢ / ٨
- «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا» ٤٨٤ / ٣-١
- «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» ٢٩٩ / ٨
- «إِنَّمَا بُنِيَتْ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ» ٢٢٦ / ٩
- «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ» ٤٢٢ / ٧-٦
- «إِنَّمَا مِثْلَكُمْ وَمِثْلَ أَهْلِ الْكُتَابِينَ» ١٢٤ / ١٠
- «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ» ٣٥٠ / ٣-١
- «إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ» ١٤٩ / ١٠
- «إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرٌ» ٢٨٥ / ٩
- «إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ» ٢٢٦ / ٩
- «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ» ٣٣٣، ١٤٩ / ٩
- «أَنَّهُ ﷺ نَزَلَ فِي الْقُبَّةِ الَّتِي ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانٍ» ٤١٨، ٣٢٥ / ٣-١
- «إِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي» ٢٧٥ / ٩
- «أَنَّهُ إِذَا صَلَّى بِالْغَدَاةِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَرِحَلَتْ» ١٠٩ / ٩
- «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ فَأُذِنَ لَهُ» ٣٧٣ / ٧-٦
- «أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ» ٧٠٧ / ٣-١
- «إِنَّهُ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتًا سُورَةً» ١٥٨ / ١٠

الجزء / الصفحة

الحديث

- «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» ٩ / ٩
- «إِنَّهُ سِيْحَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا» ٤٣٠ / ٥-٤
- «أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» ٢٢٤ / ٩
- «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ» ٤٦٦ / ٣-١
- «إِنَّهُ لَمْ يُقْبِضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ» ٨٠٤ / ٣-١، ٢٠٤
- «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨٥ / ٥-٤
- «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» ٣١٧ / ٥-٤
- «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ» ٣١٠ / ١٠
- «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ» ١٠٩ / ٧-٦
- ١٣٩ / ١٠
- «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ» ٥٠١ / ٣-١
- ٣١ / ٥-٤
- ٤٦٥ / ٧-٦
- «تَهُ مَرَّ عَلَى صَبِيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ» ٢٤٥ / ٩
- «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ» ٨١ / ٣-١
- ٤٠١ / ٥-٤
- «أَنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ٤٨ / ٧-٦
- «إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ الْعُلَمَاءِ نَبْذَةً» ٢٧٨ / ٧-٦
- «إِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ» ١١٢ / ٨
- «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» ٢٦٥ / ٩

- «إِنهَا فَضَّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا» ٢١٠ / ٥-٤
- «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» ١١٤ / ٧-٦
- «إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ» ٢٣٣ / ١٠
- «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ» ٩٢ / ٨
- «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ» ٢٩٧ / ٩
- «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامٌ طَعِمَ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ» ٣٥٧ / ٧-٦
- «أَنْهَكُوا الشَّوَارِبَ» ٧٠٧ / ٣-١
- «إِنَّهُمْ - أَي: الْيَهُودَ - لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ» ١٣١ / ١٠
- «إِنَّهُمَا لِيَعْدَبَانِ وَمَا يُعْدَبَانِ مِنْ كَبِيرٍ» ٤٩٢ / ٧-٦
- ٤٣ / ٩
- «إِنِّي أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ» ٤٢٥ / ٧-٦
- «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ» ٩٣ / ٨
- «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ» ٥٨٨ / ٧-٦
- «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَدْعُو لَهُمْ» ٩٣ / ٩
- «إِنِّي أَنْذِرْكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ» ٥٧١ / ٣-١
- «إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ» ١٠٥ / ٩
- «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتَرَعَ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي» ٥٩٧ / ٧-٦
- «إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ» ٥٤٢ / ٣-١
- «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا» ٥٤٤ / ٣-١
- ٤٩٢ / ٥-٤

٤٣٩ / ٧-٦

«إِنِّي قَدْ رَزِقْتُ حُبَّهَا» ١١٤ / ٧-٦

«إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ» ٢١٣، ٤٢ / ٩

«إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» ٢١٤ / ١٠

«إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ» ١٠٠ / ٩

«إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ» ٢٢٥ / ٨

«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَدَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ» ٦٤٠ / ٧-٦

«إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً» ٥١٩ / ٣-١

«إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشِقُ الْأَرْضُ عَنْ جُمُجْمَتِي» ١٥٦ / ١٠

«إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعَانًا» ٢١ / ٩

«إِنِّي لَمْ أَكُسِكْهَا لِتَلْبَسَهَا» ١٨٤ / ١٠

«إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فزُورُوهَا» ٩٢ / ٩

«إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا» ١٩٢ / ٨

«أَبَيْتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ» ٥٤٣ / ٣-١

«اهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» ١٧٦ / ٣-١

«أَهْدَى مَلِكُ إِبِلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْلَةً» ١٨٥ / ١٠

«أَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا» ١٧٩ / ٨

«أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، مُتَصَدِّقٌ، مُوَفَّقٌ» ١١٢ / ٨

«أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ» ... ٢٣١ / ٣-١

٨٩ / ٧-٦

- «أَوْ أَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»..... ١٤٩ / ٩
- «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟، قَالَ: هُوَ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي» ٢٦٤ / ٩
- «أَوْ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ» ٦٨٥ / ٣-١
- «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!؟» ٧٢٧، ١٩٠ / ٣-١
- «أَوْ قَدْ قَالُوهَا؟ عَسَى رَبِّكُمْ أَنْ يُسْقِيَكُمْ»..... ٢٤٩ / ٨
- «أَوْ مُسَكَّرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ» ٣١٤ / ٥-٤
- «أَوْ جَبَّ طَلْحَةُ»..... ٢٨٣ / ٥-٤
- «أَوْ ذِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤَدَى أَحَدٌ»..... ٧٧٣ / ٧-٦
- «أَوْ صَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا» ٣٤٤ / ١٠
- «أَوْ صَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ» ٧٥ / ٣-١
- ٢٦٥ / ٩
- «أَوْ صِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَّ مِنَ اللَّهِ، كَمَا تَسْتَحِيَّ رَجُلًا مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ»... ١٣٩ / ٣-١، ٧٠٠
- ٢٥٠ / ١٠
- «أَوْ صِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»..... ٧٩ / ٩
- «أَوْ صِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» ٦٩٥ / ٣-١
- ٤٤٠ / ٧-٦
- «أَوَّلَ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا» ٥٧٣ / ٧-٦
- «أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ٦٢٤ / ٣-١
- «أَوَّلَ مَا بَدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ»..... ١٢٢ / ٣-١
- ٢٠٩ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الصَّلَاةُ»... ٤٠٤-٥/٣٧، ١٤٥، ٣٢٣، ٤٠٩، ٦٠٣
- «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ» ٤-٥/٣٢٨
- «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح» ٩/٣٧١
- «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» ٤-٥/٧٦، ٢٩٤
- «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ» ٦-٧/٢٧١
- «أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ» ٩/٢٧
- «أَيُّ وَادٍ هَذَا» ٩/١٠٩
- «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ» ٨/٥١
- «إِيَّاكُمْ وَالِدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ» ١-٣/٤٨٣، ٦٠١
- ٤-٥/٢٧٠
- ٨/١٨، ١٣٤، ١٤٥
- «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ» ٨/١٠٢
- «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» ٩/٤٧
- «إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» ٦-٧/٢٥٢
- «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ» ١-٣/٤١١
- ٤٦٥
- «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ الْمُنْعَمِينَ» ٩/٢٤٣
- «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكْلٍ وَشُرْبٍ» ١٠/٦٤
- «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ» ١-٣/١٤٧، ٦٧٨
- ٤-٥/١١٣، ٤٦٥

٣١٢ / ٩

«أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ» ٣٦٠ / ٥-٤

«أَيُّرِضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا» ١٩٦ / ٧-٦

«أَيَسِّرْكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا» ٢٩٩ / ٧-٦

«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ٢٢٠ / ٣-١

«أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» ٤٤١ / ٣-١

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرَهُمْ؟» ١٩١ / ٣-١

٢٩٥، ٧٥ / ٥-٤

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَتِيقِ» ٨٢٢ / ٣-١

٣٥٦ / ٥-٤

٤٦١ / ٧-٦

١٩ / ٨

«أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ» ٥١٠ / ٥-٤

٣٠٩ / ٧-٦

«أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى» ٣٦٤ / ٧-٦

«إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» ٢٦٩ / ٣-١

«أَيْنَ الْمَتَالِي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ» ٥٣ / ٩

«أَيْنَ أَنَا عَدَا؟ أَيْنَ أَنَا عَدَا؟» ٨٠٢ / ٣-١

«أَيُنْحِنِي لَهُ، قَالَ: لَا» ٢٤٧ / ٩

«أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا» ٥٥١ / ٥-٤

٧٧ / ١٠

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ» ١٢١ / ٣-١

«أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» ٢٩٩ / ٣-١، ١٣٦

٢٣٩ / ٧-٦

«أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ» ٢٦٧ / ٣-١

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» ٨٧ / ٣-١

٣٢ / ٥-٤

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ» ٧٣٦ / ٣-١

«أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ» ٧٦ / ٨

«أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ» ٨٠٩ / ٣-١

٦٨ / ٩

«أَيُّوْذِيكَ هَوَامُّكَ؟» ٣٤٨ / ٧-٦

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا» ٣٠٣ / ٩

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ» ٤٤٦ / ٥-٤، ٣٠٠

١٠٠ / ٩

«بَارَكَ اللَّهُ لَكَ» ٤٩ / ٣-١

«بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِبْقَةٍ بَعْضِنَا» ٥٤٩ / ٣-١

٢٣٤ / ٧-٦

«بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ» ١٩٢ / ٨

«بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا» ٤٤٩ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

«بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنِيَّ» ٤٤٩ / ٧-٦

٧ / ٩

«بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ» ١٨٩ / ٧-٦

٣٩ / ٨

«بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا» ٤٨٣ / ٣-١

٨٤ / ٨

«بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ لَيْسَ فِيهَا رَجِيْعٌ» ٤٢ / ٩

«بِخِ بَخٍ لِحَمْسٍ مَا أَنْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ» ١٦٣ / ٩

«بِخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ» ٩٢ / ٣-١

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيْبًا، وَسَيَعُوْدُ غَرِيْبًا» ٤٢٧ / ٣-١

٣٧٩ / ١٠

«بِرِّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتِكَ وَأَخَاكَ» ٦٨٥ / ٣-١

«بِسْمِ اللَّهِ.. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ» ٣٥٤ / ٧-٦

«بَشِّرِ الْمَشَائِيْنَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ» ٥٦٠ / ٣-١

١٢٨ / ٥-٤

«بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ» ١٣٤ / ١٠

«بَشِّرَا، وَلَا تُنْفِرَا» ١٣٠ / ٥-٤

«بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» ٤٩٧ / ٥-٤

«بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا» ٧٥٧ / ٣-١

«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ١٧٥ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب» ١٦٢ / ١٠
- «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ» ٨١٠، ٢٠٧، ١٥٤ / ٣-١
- «بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا، أَنَا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِي عَنَّا» ٨٤٣ / ٣-١
- «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» ٤٢٣، ٣٥٥ / ٣-١
- «بَلَى، فَجُدِّي نَحْلُكَ، فَإِنَّكَ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي» ٢٨٨ / ٩
- «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» ٢٦٧ / ٣-١
- ٥٨٩ / ٣-١
- ٧١٤ / ٣-١
- ٣٣ / ٥-٤
- ٢٤٥ / ٧-٦
- «بِئْسَ الرَّجُلُ كُنْتَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ كَافِرًا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ» ٥٠٧ / ٥-٤
- «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ» ٦١٢ / ٧-٦
- «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ» ٢١٨ / ٩
- «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ» ٣٢٤، ٤١٠ / ٣-١
- «بَيْنَ كُلِّ أَدَانَيْنِ صَلَاةٌ» ٢٦٣ / ٩
- «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ» ٦٤٤ / ٧-٦
- «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عَرَضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ» ٧٨١ / ٣-١
- «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ» ٧٨٠ / ٣-١
- «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ» ٥٣٢ / ٥-٤
- ٣٤٤ / ٨

«بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ» ٥٤١ / ٣-١

٤٣٢ / ٧-٦

«بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْجَبْرِ -» ٢٥٦ / ١٠

«بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ» ٥٣١ / ٣-١

«بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَحَدَهُمُ الْمَطْرُ» ٢٧ / ٣-١

٧٠ / ٥-٤

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ» ٤٤ / ٨

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ» ١٠٤ / ٥-٤

«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرِكْبَةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا» ٢٠٠ / ٧-٦

«تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ» ٤٥٤، ٢٧٠ / ٣-١

٣٥٢ / ٧-٦

«تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ» ١٦ / ١٠

«تَحَدَّثَنَّ عِنْدَ إِحْدَاكُنَّ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتَنَ النَّوْمَ» ٢٩٥ / ٩

«تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ» ١٠٤ / ٣-١

«تَحَلَّى بِهَذَا يَا بَنِيَّ» ١٨١ / ١٠

«تَحَوَّلَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَحَوَّلَ رِداءَهُ فَقَلَبَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ» ٢٥٣ / ٨

«تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ» ٣٠٦ / ٩

«تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ

سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ» ٨٨ / ٧-٦

«تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» ١٢٨ / ٣-١

١٥٠ / ٧-٦

١٧٨ / ٨ «تُدْبِحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحَلِّقُ»

١٢٣ / ١٠ «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ»

٤٠٤ / ٣-١ «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ»

٤٣٠، ٤٢٦ / ٧-٦

٢٨٠ / ٩

١٨٥ / ٨ «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ»

٣٤٧ / ١٠ «وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلَفَا»

٥٤ / ٨ «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ»

٢٣٧ / ٩

٢١٣ / ٩ «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي مَحْمَدٌ بِيَدِهِ»

٦٦ / ٣-١ «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ»

٣٥٠ / ١٠

٥٩٠ / ٣-١ «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ»

٢٦٨ / ٣-١ «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ»

٧٥ / ٣-١ «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ»

٩٩ / ٩ «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»

٦٤ / ٥-٤ «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِصَةِ»

٤٨٢

١٦١ / ٥-٤ «تَعَوَّذُ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمَثَلِهِمَا»

٤٨ / ٨

«تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ» ٩٩ / ٩

«تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» ١٩ / ١٠

«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ» ٤٥٢ / ٣-١

«تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» ٢٢٣ / ٨

«تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ» ٥٥٦ / ٥-٤

٣٨ / ١٠

«تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» ٨٠٩ / ٣-١

٣٢٨ / ١٠

«تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجَنِّيُّ» ٤٧٧ / ٥-٤

«تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَأَفِّقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ» ٦٨٨ / ٣-١

«تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» ١٢٨ / ٥-٤

٢٤١ / ٧-٦

«تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا» ٣٥٧ / ٣-١

٤٢٩ / ٧-٦

«تَهَادُوا تَحَابُّوا» ١٧٩ / ١٠

«تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ عَلَى الْجَوْرَيْنِ» ٢٥٩ / ٨

«تَوَضَّأَ وَاعْسَلَ ذِكْرَكَ» ٣٢ / ٩

«تُوَفِّي وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ» ٨٠٥ / ٣-١

«ثِكْلَتِكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ» ٧٣٣ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»..... ٦-٧/١٤٨
- «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا» ٩/٢٦٩
- ١٠٢/١٠
- «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلِيَهُنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ» ٤-٥/١٧٧
- ٨٢/٩
- «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ» ١-٣/٣٩٠، ٥٣٥
- ٦-٧/٢١٠
- «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحُّ مَطَاعٍ» ٤-٥/١٠٤
- «ثَلَاثَةٌ أَثْوَابٌ بِيضٌ سَحُولِيَّةٌ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ» ١-٣/٧٧٧
- «ثَلَاثَةٌ أُفْسِمُ عَلَيْهِنَّ» ١-٣/١٦٦
- «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٩/٥٧
- «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ» ٦-٧/٤٢٨
- ١٠/٣٢٩
- «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ» ٤-٥/٣١٥
- «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ» ١-٣/٧٤٨
- «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» ١-٣/٣٠٠، ٧٣٧
- ٦-٧/٥٥٥
- ٨/١٣٣
- «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ» ٩/٢٠٠
- «ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ» ١٠/١٢٨

- «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ» ٣٣٠ / ٣-١
- «ثُمَّ صَعِدَ بِي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ٢٣١ / ٩
- «ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ .. ٧٩١ / ٣-١
- «ثُمَّ قَلَبَ رِدَاءَهُ، فَجَعَلَ الْأَيْمَنَ عَلَى الْأَيْسَرِ» ٢٥٣ / ٨**
- «ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ» ٧٣١ / ٣-١
- «ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ» ٣٢٩ / ٨
- «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا» ٦١٥ / ٥-٤
- «ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْحَمَرِ» ٤٠٦ / ١٠
- «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ» ٦٦٠ / ٣-١
- «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ» ١٠٨ / ٥-٤
- «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ» ٢٦٤ / ٣-١
- «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» ٢٨٥ / ٧-٦
- «جَاءَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ» ٤٣٩ / ٣-١
- ١٧٦ / ٧-٦
- «جَاءَنِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَرُّ أَصْحَابِكَ» ١٠٧ / ٩
- «جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ» ٧٧٢ / ٧-٦
- «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» ٣٢٨ / ١٠
- «جُدَّ لَهُ فَأَوْفٍ لَهُ الَّذِي لَهُ» ٤٦٤ / ٥-٤
- «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْحُوا اللَّحَى» ٧٠٧ / ٣-١
- ٣٧٤ / ٩

الجزء / الصفحة

الحديث

- «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جَبْرِيلَ» ٤٧٢ / ٥-٤
- «جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ» ٢٦٠ / ٨
- «جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ» ٦١ / ٨
- «جَمَعَ اللَّهُ الْأَوْلِيْنَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً» ١٥١ / ٧-٦
- «جَنَّانٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَنْتَهُمَا» ٤٩ / ١٠
- «جَنَّانٍ مِنْ فِضَّةٍ: أَنْتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا» ١٤١ / ٥-٤
- ٢٤٦ / ٧-٦
- «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ» ٣١١ / ٣-١
- ٦٩٩ / ٧-٦
- ٣١٠-٩
- «حَتَّى تَنْتَهِيَ التَّوْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُولُ: أَنَا لَهَا» ٢٢ / ٧-٦
- «حِجَابُهُ النُّورُ» ١٢٢ / ٧-٦
- «حُجِّي عَنْهَا» ٣٦٦ / ٧-٦
- «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي» ٤٦٥ / ٥-٤
- «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ» ٤٦٨ / ٥-٤
- «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَمْسٌ» ٢٣٧ / ٩
- «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» ١٧٧ / ٥-٤
- ١٨٩ / ٧-٦
- ٢٣١ / ٧-٦
- ٣٣ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «حَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» ٥٨٣ / ٥-٤
- «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ» ١٥٨ / ١٠
- «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ» ١٢٦ / ٥-٤
- «خَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ» ٤٣٣ / ٣-١
- ٣٤٣ / ٧-٦
- ٣٦٦ / ٩
- «خَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحَى» ٧٠٧ / ٣-١
- ٣٧٤ / ٩
- «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ» ٤١٢ / ٣-١
- ٧٧٠ / ٧-٦
- «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، - فَبَدَأَ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ» ٢٧٨، ١٣٣ / ٧-٦
- «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» ١٦٢ / ٩
- «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا» ٣٤٩ / ٨
- ٧٣ / ١٠
- «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا» ٢٣ / ٩
- «خُذِي بِالْمَعْرُوفِ» ٦٦٥ / ٧-٦
- «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدِكَ بِالْمَعْرُوفِ» ٣٠٥ / ٥-٤
- «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ» ٣٠٠ / ٨
- «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مُبْتَدِلًا مُتَوَاضِعًا، مُتَضَرِّعًا» ٢٥٠ / ٨
- «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَنَوَّجَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ يَدْعُو» ٢٥٢ / ٨

- «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْاِسْتِسْقَاءِ، فَحَطَبَ» ٢٥٢ / ٨
- «خُرُوجُ الْاَيَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ» ٢٩٧ / ٩
- «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصْرِي» ٣١٠ / ٣-١
- «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوْلُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا» ٢٣٦ / ٩
- «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ» ٥٨٥ / ٧-٦
- «خَمَّرُوا الْاَيَةَ، وَأَجِيفُوا الْاَبْوَابَ» ٤٤٦ / ٧-٦
- «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ» ٧١٤ / ٣-١
- «خَمْسُ فَوَاسِقٍ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ، وَالْحَرَمِ» ٣٢٢ / ٨
- «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ» ٤٩٣ / ٧-٦
- «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْاِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا» ٣٢٦ / ٧-٦
- ٤٥ / ٩
- «خَيْرُ الصَّدَاقِ اَيَسْرُهُ» ٥٩٩ / ٣-١
- «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ٢٦٤ / ٥-٤
- ٥٧٧، ٥٧٦ / ٧-٦
- ٤٦٦ / ١٠
- «خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ اُولَئِهَا وَسُرُّهَا اٰخِرُهَا» ٢٧٠ / ٥-٤
- «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ» ١١٤ / ٧-٦
- «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ٦٦٩ / ٣-١
- «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِاَهْلِهِ وَاَنَا خَيْرُكُمْ لِاَهْلِي» ٦٤٩ / ٣-١
- ٣٠٩ / ٥-٤

- «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» ٣-١ / ٣٦٠، ٥٠٠
 ٢٣١ / ٨
- «خَيْلٌ لثَلَاثَةِ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ» ٥-٤ / ٥٥٧
 «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ» ٣-١ / ٤٦٠
 «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا» ٣-١ / ٤٦٥
 «دَعُ مَا يَرِيئِكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئَكَ» ٣-١ / ٥١٨
 «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ» ٧-٦ / ٧٥١
 «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ» ٣-١ / ١٤١
 «دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامٌ عِيدٌ» ١٠ / ٢٨٣
 «دَعُهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا» ٨ / ٢٥٨، ٢٦٢
 «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو» ٣-١ / ٣٠، ٥٢٦
 «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ» ٥-٤ / ٣٤٢
 ١٩٠ / ٧-٦
- «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعِمَامِ» ٣-١ / ٨٨
 ٥٨٢ / ٥-٤
- «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ» ٣-١ / ٨٩
 ٢٧٨ / ٥-٤
- «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ» ٧-٦ / ٥١٨
 «دَعُوهُمْ، فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ» ٧-٦ / ٣٠٦
 «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا» ٣-١ / ٣٩٤

الجزء / الصفحة

الحديث

- «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ٥٣٨ / ٥-٤
- «ذَاكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ» ١٢٨ / ٥-٤
- «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ» ٥٦٢ / ٣-١
- ٣٨٧ / ٥-٤
- «ذَاكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَعْفِرُ لَكَ» ٨٠٢ / ٣-١
- «ذَاكُمْ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْمُتْلَاعَيْنِ» ٢٢٦ / ١٠**
- «ذَكَرَ طَيْبٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَوَاءً، وَذَكَرَ الضَّفْدَعُ» ٣٢٢ / ٨
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْكُلُ دَجَاجًا» ٣٢٦ / ٨
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي مُتْرَبَعًا» ٢٨٧ / ٨
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبِعُ الدُّبَاءَ» ٨٤٠ / ٣-١
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يُنْقَلُ التُّرَابَ» ٥٨٥ / ٣-١
- «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ» ٣١٣ / ٣-١
- «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْهَبَطًا» ٥٨٩ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ» ٥٨٩ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ» ٢٥٨ / ٨
- «رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جِبْرِيلَ» ٦٣٥ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ» ١٢٥ / ٣-١
- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ» ٢٠٩ / ١٠
- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَاكُ» ٤٨١ / ٧-٦
- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيْرٌ كَأَزِيْرِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ» ١٨٣ / ٧-٦

- «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكَ أَصَابِعِ رِجْلَيْهِ» ٧٣٢ / ٣-١
- «رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِذَاءَهُ» ٥٠٥ / ٥-٤
- «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ» ٤٧٦ / ٧-٦
- «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ» ٩٨ / ٨
- «رُبَّ أَعْيَى وَلَا تُعْنِ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ» ٦٥١ / ٧-٦
- «رُبَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي» ٤٦٤ / ٧-٦
- «رُبَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ» ٥٠١ / ٣-١
- ٦٩١ / ٧-٦
- «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ» ٩٧ / ٣-١
- «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» ٦٤ / ٩
- ٣٣٠ / ١٠
- «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» ٣٥٦ / ٧-٦
- «رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ» ٢٣٥ / ٨
- «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا» ٤٤٥ / ٣-١
- ٢٦٢ / ٩
- «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» ٢٠٤ / ٥-٤
- ٢٠٦ / ٧-٦
- «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» ٢٠٤ / ٧-٦
- «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ» ٣٦٤ / ٧-٦
- «رُكِعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٥٦١ / ٣-١، ٤٤٥

الحديث

الجزء / الصفحة

- «رَمَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً» ٥٦٤ / ٧-٦
- «رَكَاتَةُ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ» ٣٧٥ / ٣-١
- «رَمَّلُونِي رَمَّلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» ٥٠٢ / ٧-٦، ١١٣
- «رَوَّجِنِي ابْنَتَكَ، فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ» ٣٧٢ / ٥-٤
- ٢٠٦ / ٩
- «رُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكَّرُكُمْ» ١٠٢ / ٥-٤
- ٣٣٩ / ٧-٦
- «زِيَادَةُ كَيْدِ النَّوْنِ، قَالَ: فَمَا غَدَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟» ٨ / ١٠
- «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» ٢١٤ / ٩
- «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟» ٤٩٥ / ٣-١
- ٤٦٠ / ٥-٤
- ٩٤ / ٧-٦
- «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي» ٧٠٠ / ٣-١
- ٤٣ / ٨
- «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» ٤٥٠ / ٧-٦
- «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» ٣٣٠ / ٥-٤
- «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» ٤٦٣ / ٧-٦
- «سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٨١ / ١٠
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» ٤٦٣ / ٧-٦
- «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ» ٢١ / ٨

٣٨٢ / ١٠

«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ ظِلِّ الْإِظْلَةِ» ١٢٧، ٢١ / ٣-١

٥٢١، ٢٨٥، ٦٨ / ٥-٤

١٨٢ / ٧-٦

١١٢، ٢٧ / ٨

٢٥١ / ١٠

«سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتٍ» ٥٩٨ / ٧-٦

«سَتَرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ» ٣٩ / ٩

«سُتْرَةُ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ السَّهْمُ» ١٤٩ / ٥-٤

«سَتْرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً» ٥٤٦ / ٣-١

«سَتَصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ» ٢٢٢ / ٨

«سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ» ١٠١ / ٩

«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ» ١٣٨ / ٥-٤

٧٧ / ٧-٦

«سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَرَسٍ، فَجَحَشَ شِقُّهُ الْأَيْمَنُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُوذُهُ» ٢٨٧ / ٨

«سَلِّ نُعْطَهُ» ١٣٤ / ٧-٦

«سَلِّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُكَ» ٢٠٥ / ٣-١

«سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ» ٣٩٦ / ١٠

«سَلُّوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ» ٦٤٢، ٦٠٧ / ٣-١

٢٤ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا» ١-٣ / ٨٢٣
- «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ» ٤-٥ / ١٩٨
- «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ» ٨ / ٣٠٩
- «سُنَّةُ الْفَجْرِ قَبْلَهَا رَكَعَتَيْنِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْعُهُمَا أَبَدًا» ٨ / ٢٩٢
- «سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» ٦-٧ / ٥٠٠
- «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» ٨ / ٢٣٠
- «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحَدَاتُ الْأَسْنَانِ» ٩ / ٧٣
- «سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ١-٣ / ١١١، ٥٠٣
- ٤-٥ / ٣٨١
- «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانَ» ١-٣ / ١٠٨
- «سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» ٨ / ١٥٧
- «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً» ٦-٧ / ٥٩٦
- «سُئِلَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْعَجُّ وَالشَّجُّ» ٩ / ١٠٩
- «سُئِلَ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» ١٠ / ٤٠٣
- «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحُّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ» ٦-٧ / ٥٥٨
- «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ» ١-٣ / ٣٩٩
- «صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ رَكَعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ» ٨ / ٢٩٢
- «صَدَقَ سَلْمَانٌ» ٦-٧ / ٢٦٠
- «صَدَاقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» ١-٣ / ٢٣٧
- «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ» ٦-٧ / ٢٨٥

- «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ» ٥٣ / ٧-٦
- «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ» ٢٧٠ / ٩
- «صَلِّ عَلَى الْأَرْضِ إِنْ اسْتَطَعْتَ وَإِلَّا فَأَوْمِئْ إِيْمَاءً وَاجْعَلْ سُجُودَكَ أَخْفَضَ» ٢٩٠ / ٨
- «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» ٢٨٨، ٢٨٦ / ٨
- ١١٠ / ١٠
- «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعْفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ» ٥٩٣ / ٣-١
- «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى، مَثْنَى» ٨٠ / ٣-١
- ٢٦٧ / ٩
- «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ» ٤٠٤ / ١٠
- «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ» ٣٩٠، ٣٧٩ / ٧-٦
- «صَلِّحْ أَمْرٌ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالرُّهْدِ وَالْيَقِينِ» ٦٠ / ٣-١
- ٣٨٠ / ٥-٤
- «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ» ٢٦٨ / ٩
- «صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ» ٢٦٢ / ٩
- «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ٧٣٠ / ٣-١
- ١٤٥، ٣٧ / ٥-٤
- ١٥٣ / ٩
- «صَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ صَلَاةَ الْفَجْرِ» ٧٧٤ / ٧-٦
- «صَلَّى عَلَى سُهَيْلِ بْنِ بَيْضَاءَ وَأَخِيهِ فِي الْمَسْجِدِ» ١٠٥ / ١٠
- «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْتَحَى الْبَقْرَةَ» ٧٩ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ» ٥٥٤ / ٧-٦
- «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ» .. ١-٣ / ٦٠٢، ٧١٧، ٧٤٧
- ١٩٠ / ٥-٤
- ١٣٥، ١٢٨، ١٩ / ٨
- «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» ١-٣ / ٨١٥
- ٥٥ / ١٠
- «ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ» ٥٦ / ٧-٦
- «ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا» ٥٦ / ٧-٦
- «ضَعُ يَدِكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا» ١-٣ / ١٥٤
- ١٦٣ / ٥-٤
- ٢٣٤، ٦٧ / ٧-٦
- «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ ٤-٥ / ١٧٤
- ١٩١ / ١٠
- «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ١-٣ / ٧٣٠
- ١٢٠ / ٨
- «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ٨ / ١١١
- «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ» ٤-٥ / ٢٨٣
- «طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ» ٦-٧ / ٥٩٦
- «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ» ١-٣ / ٥٢٤
- ٥٤٣ / ٧-٦

- «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ» ١٨٠ / ٥-٤
- ١٢٢ / ١٠
- «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ» ٢٦٥ / ١٠
- «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ» ٧٠٦ / ٣-١
- ٣٢٧ / ٩
- «عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ؟» ١٥٨ / ٥-٤
- «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ» ٣٥٨ / ٣-١
- «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ» ٣٨٩ / ٧-٦
- «عَلَى رِسَالِكُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ» ٤٤ / ٨
- «عَلَيَّ بِهِمَا فَجِيءَ بِهِمَا تَرَعُدُ فَرَأَيْتُهُمَا» ٢٧٣ / ٩
- «عَلَيْكَ السَّلَامُ وَعَلَى أَبِيكَ السَّلَامُ» ٢٣٩ / ٩
- «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ» ٧٢ / ٣-١
- «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً» ٢٦٠ / ٩
- «عَلَيْكُمْ بِالذُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ» ١٤٤ / ٧-٦
- ٢٦٤ / ١٠
- «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ» ٣٠٧ / ٩
- «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» ٤١٧ / ٣-١
- ١١٤ / ٥-٤
- ٢٠١ / ٧-٦
- «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا» ١٩٩ / ٧-٦

٨٨ / ٩

«عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ» ٣٧٢ / ٣-١، ٧٨

٤٠٠ / ٥-٤

«عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ» ٣٤١ / ٧-٦

«عَلَيْكُمْ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ» ٢٧١ / ٥-٤

١٣٧ / ٨

«عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» ٣٣٥ / ٨

«عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ» ١٧٩ / ٨

«عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلَ زَادِ الرَّكِبِ» ١٦٠ / ٣-١

٧٧ / ٥-٤

«عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» ٢٨ / ٣-١

١٥٩ / ٧-٦

٦٦ / ٩

«غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» ١٧٨ / ٩

«غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ» ٤٤٧ / ٧-٦

«غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟» ٦٢ / ٧-٦

«غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ، فَصَاحَ النِّسْوَةُ وَبَكَينَ» ٧٩٨ / ٣-١

«غَيِّرُوا هَذَا بِشَيْءٍ» ٣٦٧ / ٩

«فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ» ٦٣ / ٥-٤

«فَأَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَفَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمَ» ٢٣٥ / ٧-٦

- «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» ٧٢١ / ٧-٦
- «فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ» ١١٤ / ٥-٤
- «فَإِذَا أَقْبَلْتَ حَيْضَتِكَ فَدَعِي الصَّلَاةَ» ١٧٦ / ٩
- «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا» ٤٠٩ / ٧-٦
- «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ» ٤١٠ / ٧-٦
- «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ» ٤١٠ / ٧-٦
- «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» ٩٣ / ٧-٦
- «فَإِذَا قَالَ الْمُؤَدِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ» ٢٢٤ / ٩
- «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» ٤٧ / ٧-٦
- «فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» ٢٥٤ / ٨
- «فَاذْكُرُوا حَتَّى يَنْجَلِيَا» ٤١٠ / ٧-٦
- «فَاعْتَرِزْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا» ٢٢٢ / ٨
- «فَأُعْطِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ» ٢٦١ / ١٠
- «فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَقِطِ وَالسَّمْنِ» ١٨٣ / ١٠
- «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكَرَّهُونَ» ٣٠٨ / ٥-٤
- «فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ، فَبِي تُمْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ» ١٦٠ / ١٠
- «فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَغْطِيَ رَأْسَهُ» ١٥٤ / ٥-٤
- «فَأَمَرَنِي أَنْ أَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ» ١١٦ / ٩
- «فَأَمَرَهَا بِالْغَسْلِ لِكُلِّ صَلَاةٍ» ١٨٠ / ٩
- «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ» ٧٨٦ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- ٣٢٤ / ٩
- ١٢٣ / ٣-١ «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ»
- ٣٩٨ / ٣-١ «فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ»
- ٦١٢ / ٣-١ «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِلرَّبِّي»
- ٤٨٢ / ٣-١ «فَأَنْطَلَقْنَا فَآتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ»
- ١٩٣ / ٩ «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْمَاءَ قَتَلَهُ، أَوْ سَهَمَكَ»
- ٤٧٦ / ٧-٦ «فَإِنِّي قَدْ أَدْنَى لِي فِي الْخُرُوجِ»
- ١٧٥ / ٣-١ «فَأَيْنَ؟ فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ»
- ٥٩٩ / ٧-٦ «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ»
- ٥٩٩ / ٧-٦ «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ»
- ٧٣ / ٣-١ «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ»
- ٣٢ / ٩ «فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي»
- ٣٠٢ / ٧-٦ «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا»
- ٢٣٧ / ٨ «فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ»
- ٢٥٢ / ٩ «فَرَدَّ إِلَيَّ إِشَارَةً، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: إِشَارَةٌ بِأُصْبُعِهِ وَيَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ»
- ٢٣٨ / ٩ «فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرٌ»
- ٣٧٥ / ٣-١ «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ»
- ٦٠ / ١٠ «فَرَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو فَمَالَتْ بِهِ نَاقَتُهُ»
- ٢٨٧ / ١٠ «فَضْلٌ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدَّفُّ»
- ٣٢٨ / ٧-٦ «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ»

- «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ» ٥١٨ / ٣-١
- ٣٢٨ / ٧-٦
- «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» ٢٠٣ / ٨
- «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ» ١٥٣ / ١٠
- «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ» ١٢١ / ١٠
- «فَطَلَّقَهَا ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْفَذَهُ» ٢٢٥ / ١٠
- «فَعَلَ بِي هُوَ لَا يَفْعَلُونَ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ ﷺ: أَتَحِبُّ أَنْ أُرِيكَ» ٣٩٥ / ٥-٤
- «فَقَالَ: مَا شِئْتُ، قُلْتُ: الرَّبِيعُ، قَالَ: مَا شِئْتُ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» ١٦ / ٧-٦
- «فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ» ٨٣٥ / ٣-١
- «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَئِذٍ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ» ٢٠٤ / ٨
- «فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى» ٣١٣ / ٥-٤
- «فَلَا تُعْطِهِ مَالِكَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتِلُهُ» ٧٩٩ / ٣-١
- «فَلَا دِيَةَ وَلَا قِصَاصَ» ٢٣٢ / ٩
- «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ» ٥١ / ٣-١
- «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ» ٨٣٩ / ٣-١
- «فَلَمَّ يَرِدْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ﴾ وَرَسُولَهُ» ٢٠٣ / ٣-١
- «فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ» ٢٢١ / ١٠
- «فَلْيَنْظُرْ آخَرَى ذَلِكَ إِلَى الصَّوَابِ» ٢٧٨ / ٨
- «فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا» ٩٩ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «فَمَا تَرَكَ التَّلْبِيَةَ حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ» ١١٠ / ٩
- «فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَكْبَرًا عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا» ٢٠٧ / ٨
- «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ» ٥٠ / ٥-٤
- ١٧٧ / ٧-٦
- «فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ» ٣٧٧ / ٣-١
- «فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ» ٣٣٢ / ٨
- «فَمَنْ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: النَّارُ» ٥٠٦ / ٥-٤
- «فَمَنْ يَأْخُذُ مَا لَا بِحَقِّهِ يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ» ٣٤١ / ٨
- «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!» ٤٩٥ / ٧-٦
- «فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ» ٢٢٢ / ٧-٦
- «فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ» ٣٤٤ / ٥-٤
- «فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟» ٢٣٣ / ٥-٤
- «فَهَلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ؟» ٤٣٠ / ٧-٦
- «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ» ١٨٣ / ١٠
- «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا» ٦٥٢، ٥٨٤ / ٣-١
- ١٨٠ / ٥-٤
- «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ» ٧٥ / ٥-٤
- «فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ» ٥٩٠ / ٧-٦
- «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ» ٥٤٩ / ٣-١
- «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» ٤٨١ / ٧-٦

«فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَسَفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ» ٤٧٦ / ٣-١

٤١٢ / ٥-٤

«فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسَلُّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا» ٢٣٩ / ٩

«فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ» ١١٩ / ٧-٦

«فَيَقَالُ لِأَزْكَانِهِ: انْطِقِي» ٣٤١ / ٩

«قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ» ٧٤٨ / ٧-٦

٢٩٢ / ١٠

«قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ» ٢٩٢ / ١٠

«قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَنَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ» ٤٥٤ / ٣-١

٥٦٢، ٢٣٢ / ٥-٤

«قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَيْتَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي» ٢١٣ / ٨

«قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟» ٢١٢ / ٨

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ» ١٩٥ / ٧-٦

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صِرِّي فَتَضُرُّونِي» ٤٤١ / ٥-٤

«قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ، أَنِّي تُعَجِّزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ» ٤٤٠ / ٥-٤

«قَالَ اللَّهُ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً» ١٩٧ / ٥-٤

١٦٦ / ٧-٦

«قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ» ٤٩٤ / ٣-١

١٣٧ / ٥-٤

١٦٣، ٩١ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمِ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي» ٦٩٠ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمِ أَنْفِقْ» ٩١ / ٣-١
- ٦٣٢ / ٧-٦
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ» ٢٣٢ / ٣-١
- «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ» ٢٢١ / ٣-١
- «قَالَ اللَّهُ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي» ٧٦١ / ٣-١
- ٤٥ / ٥-٤
- «قَالَ اللَّهُ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي» ٨٣ / ٧-٦
- «قَالَ: الْجَنَّةُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِلَّا الدِّينَ» ٣٤٩ / ٥-٤
- «قَالَ: أُمَّكَ» ٢٠٥ / ٧-٦
- «قَالَ: نَعَمْ، قُتِلَ، فَقَامَتْ تَبْكِي فَقَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَخِي» ٤٧٣ / ٥-٤
- «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ» ١٩٧ / ٥-٤
- «قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ! أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا» ٤٥٨ / ٥-٤
- «قَالَتِ خَدِيجَةُ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ» ٥٥١ / ٧-٦
- «قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ» ٢٢٤ / ٧-٦
- «قَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ» ٢٤٩ / ٩
- «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزِقَ كَفَافًا، وَفَنَعَهُ اللَّهُ» ٢٦٠ / ٥-٤
- ٣٣٥
- «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ» ١٥٨ / ٣-١
- «قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ» ٣٧٩ / ٩

- «قَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأُنْسِيَتْهَا» ١٠٥ / ٣-١
- «قَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ الْبَلَاءَ» ٣٤٤ / ٣-١
- «قَدْ غُفِرَ لِي، قَدْ غُفِرَ لِي» ٦٩٢ / ٧-٦
- «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ» ٣٥٤ / ٣-١
- «قَدَّرُ حَوْضِي» ٥٤٣ / ٣-١
- «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» ٦١٥ / ٥-٤
- «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي» ١٥١ / ٩
- «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ» ٢٢٦ / ٩
- «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ» ١١٤ / ٣-١
- ١٣٤ / ٥-٤
- ٢٥٤ / ٧-٦
- «قُلْتُ لِحَبِيبِ الصَّبْعِ أَكُلَهَا، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَقَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» ٣٢٦ / ٨
- «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟» ٤٨١ / ٧-٦
- «قُلُوبُ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا» ٣٩٦ / ٣-١
- «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ» ٣٨٩، ٣١١ / ٣-١
- ٢٠٢ / ٧-٦
- «قُمْ يَا حَمْرَةَ، قُمْ يَا عَلِيَّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ» ٣٠٨ / ٧-٦
- «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَةً مَنْ دَخَلَهَا» ٦٢ / ٥-٤
- «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ» ... ١٩، ١٨ / ٧-٦
- ٣٠٣ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ» ٢٥٦ / ٩-٩٤-٩٤
- «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ» ٦٧٧ / ٦-٧
- «قُومُوا، فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا» ٢٠٥ / ٨
- «فَيَدُوا الْعِلْمَ، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟، قَالَ: كِتَابَتُهُ» ٢٢٥ / ٦-٧
- ٢١٠ / ٨
- «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَعَ مِنْ بَدْرٍ: عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا» ٢٨٨ / ٦-٧
- «كَانَ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ اسْتِغْفَارًا» ٢٠٢ / ١٠
- «كَانَ ﷺ يَقْنُتُ فِي رَكْعَةِ الْوُتْرِ قَبْلَ الرُّكُوعِ» ٢٦٨ / ١٠
- «كَانَ ﷺ أَبْهَى النَّاسِ وَأَحْسَنَهُمْ مَنَظَرًا» ٧٧٤ / ٦-٧
- «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا» ٢١١ / ١٠
- «كَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَصُومَ شَعْبَانَ» ٣٧٥ / ١٠
- «كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ» ١٤٣ / ٦-٧
- «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ» ٨٣١ / ١-٣
- «كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا» ٢٥١ / ٩
- «كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: غُفْرَانَكَ» ٤٠ / ٩
- «كَانَ إِذَا دَخَلَ أَذَى الْحِلِّ أَمْسَكَ عَنِ التَّيْبَةِ» ١٧٩ / ٩
- «كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ عَلَى الْحِنَاةِ صَلَّى عَلَى الْقَبْرِ» ١٠٠ / ١٠
- «كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ» ٢٦٨ / ٩
- «كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ صَلَّاهُنَّ بَعْدَهَا» ٢٦٧ / ٩
- «كَانَ أَكْثَرَ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا» ١٩ / ١٠

- «كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ آتِنَا» ٦٧ / ١٠
- «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ» ٦٣٠ / ٣-١
- ٥٩٣، ١٥٢ / ٥-٤
- ٥١٢ / ٧-٦
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا إِذَا قُمْنَا لِلصَّلَاةِ» ٢٣٠ / ٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ» ١٤٦ / ٧-٦
- ٢٩٢ / ٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ» ٦٩٧ / ٧-٦
- ٢٨٨ / ٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأَلُ» ٥٠١ / ٧-٦
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا» ١٤٧ / ٧-٦
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ يُمِهُلُ» ٢٦٦ / ٩
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً» ١٧٠ / ١٠
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا» ٢٦٥ / ٩
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمٌ عِيدٌ» ١١٨ / ٣-١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا» ٤٤٥ / ٣-١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا» ٤٨٧ / ٣-١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ» ٨١ / ٣-١
- «كَانَ بَرَجُلٍ جَرَّاحٌ فَتَقَتَلَ نَفْسَهُ» ٣٠ / ٨
- «كَانَ تَاجِرٌ يَدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتِيَانِهِ» ٣٥١ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «كَانَ رُبْعَةٌ مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ» ٢١٠ / ١٠
- «كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ» ٤٩٤ / ٥-٤
- «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشِينَ» ٢٣٤ / ٥-٤
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمِنْبَرِ اسْتَقْبَلَنَاهُ بِوُجُوهِنَا» ١٧٣ / ٨
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ» ١٦٥ / ٨
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَفَاءَلُ» ٥٠٠ / ٧-٦
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ» ٢١٤ / ٨
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ» ٧٧٢ / ٧-٦
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبْيَضَ كَأَنَّهَا صَيْغٌ مِنْ فِضَّةٍ» ٢١٢ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا آتَى بَابَ قَوْمٍ» ٢٣٠ / ٩
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا آتَى بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ» ١٧٨ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ» ١٧٧ / ٩
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ» ٢٠٩ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا» ٢٠٨ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ» ٢٠٠ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» ٤٠٢ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصُومُ الْأَيَّامَ يَسْرُدُ» ٣٧٣ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ» ١٧٨ / ١٠
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ» ١٥٥ / ٥-٤
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ» ٤٨٠ / ٧-٦

- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اعْتَدَلَ» ٧٣٤ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مِنَّا ظَهْرَهُ» ٧٣٦ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ» ٧٠٩ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ» ٦٨ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ» ٤٧١ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئًا» ١١٩ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ» ١١٨ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعُشْرِ الْأَوَّخِرِ» ١٠٣ / ٣-١
- «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ» ٦٠٩ / ٧-٦
- «كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَارًا» ٣٣٦ / ٨
- «كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» ٢١٢ / ١٠
- «كَانَ عَظِيمَ الْهَامَةِ، أَيْبَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً» ٢١١ / ١٠
- «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتَسْعِينَ نَفْسًا» ٨٢١ / ٣-١
- «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ٣٤٠ / ١٠
- «كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ» ٢١ / ١٠
- «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ» ١٤٣ / ٧-٦
- «كَانَ يَتَكَبَّرُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ» ٢١٣ / ٩
- «كَانَ يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ» ١٦٩ / ٨
- «كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ» ٣٦٤ / ١٠
- «كَانَ يَصُومُ سَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا» ٣٧٥ / ١٠

- «كَانَ يَصُومَ سَعْبَانَ كُلَّهُ» ٣٧٥ / ١٠
- «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمِرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ» ٧٤ / ٩
- «كَانَتْ أُخْتِي تَبْعُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهَدِيَّةِ فَيَقْبَلُهَا» ١٨٣ / ١٠
- «كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا» ٢٤٩ / ٩
- «كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ» ... ٢١٦ / ٧-٦
- «كَانَتْ تَبْكِي عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ» ٣٩٣ / ٥-٤
- «كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي، قَالَ: يَقُولُ هَكَذَا، وَبَسَطَ كَفَّهُ» ٢٥٢ / ٩
- «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» ٣٠٣ / ٣-١
- ٥٧١، ٤٥٥ / ٥-٤
- ٥٤١ / ٧-٦
- «كُتِبَ عَلَيَّ ابْنُ آدَمَ نَصِيئُهُ مِنَ الرَّنَا» ٧٠٠ / ٣-١
- «كِيخ، كِيخ لِيَطْرَحَهَا» ٣٥٩ / ٣-١
- ١٣٨ / ٨
- «كَذَّبَتْ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» ٢٨٦ / ٧-٦
- «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا» ١٧٤ / ٥-٤
- «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» ٧٣٥ / ٧-٦
- «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَيَّ رَأْسِهِ فِتْنَةً» ٧٦٨ / ٣-١
- «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ» ٤٢٣ / ٥-٤
- «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» ٥٥٧، ١٤٢ / ٣-١
- ٤١٠ / ٥-٤

١٧١ / ٧-٦

٣١٩ / ٩

«كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» ٦٢٤ / ٥-٤

٩٧ / ٩

«كُلُّ بَيْمِينِكَ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ» ٨٣٧ / ٣-١

٨٤ / ٧-٦

٢٠٩ / ٩

«كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ» ١٨ / ٧-٦

«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ» ٥٥١ / ٧-٦

٥٤ / ٨

«كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ بَاطِلٌ» ٢٨٨ / ١٠

«كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ» ٧٣، ٦٩ / ٣-١

«كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ» ١٤١ / ٨

«كُلُّ غَلَامٍ رَهِيئَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ» ١٧٨ / ٨

«كُلُّ فِجَاجٍ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ» ٣٥٤ / ٧-٦

«كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ» ٣٢١ / ٨

«كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ» ١٣١ / ٨

«كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ» ٦٤ / ٩

«كَأَنَّ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ» ١٩٥ / ٣-١

٢٤١ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ٤٨٥ / ٣-١
- ٣٤٤، ١٢٤، ١١٥ / ٨
- «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» ١٨٤، ٨١ / ٥-٤
- «كُلُّوا فَإِنَّهُ حَلَالٌ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي» ٣٢٥ / ٨
- «كُلُّوا مِنَ الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ» ٦٠٣ / ٧-٦
- «كُلُّوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُوا» ٢٥٢ / ٣-١
- ١٤١ / ٨
- «كُلُّوا، وَادَّخِرُوا، وَتَصَدَّقُوا» ١٩٦ / ٨
- «كُلُّوا، وَأَطْعِمُوا، وَاحْسِبُوا، أَوْ ادَّخِرُوا» ١٩٦ / ٨
- «كُلُّوهَا» ١٩٥ / ٨
- «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ» ٢٧٢ / ٧-٦
- «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» ٥٩ / ٣-١
- ٧٧ / ٥-٤
- «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ» ١٨٥ / ٣-١
- ٦٠٨ / ٧-٦
- «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ» ٧٥٢ / ٧-٦
- «كُنَّا نُعْطِيهَا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ» ٣٧٦ / ٣-١
- «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ» ٧٧٢، ٥٥٩ / ٧-٦
- «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَرُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِيقُ الْقَلْبُ» ١٨٣ / ٧-٦
- ٩١ / ٩

- « كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ » ٦١٨ / ٥-٤
- ١٥٣ / ٧-٦
- « لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » ١٠ / ٨
- « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » ٣١ / ٧-٦
- « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْعِزَّةُ الْحَمْدُ » ٣٣٥ / ٥-٤
- « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ » ٨٠٣، ٧٦٩ / ٣-١
- « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ » ٣٢٠ / ٣-١
- « لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ٢٣٣ / ٧-٦
- « لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا » ٤٥٧ / ٣-١
- « لَا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ » ٢٤٠ / ٩
- « لَا تَبْكُ يَا مَعْزُودُ، إِنَّ الْبُكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ » ٢٨٠ / ٧-٦
- « لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لِأَحَدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ » ٧٣٤ / ٣-١
- « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورَ عِيدًا » ١٦ / ٧-٦
- « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » ٥٣ / ٧-٦
- « لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا » ١٥٧، ٨٣ / ٥-٤
- « لَا تُحِدُّ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ » ٢٨٩ / ٩
- « لَا تُحَرِّمُ الْإِمْلَاجَةَ وَالْإِمْلَاجَتَانَ » ٢٣٧ / ١٠
- « لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةَ، وَلَا الْمَصَّتَانَ » ٢٣٧ / ١٠
- « لَا تُحَرِّزَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ١٢٢ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا» ٥٥٩ / ٥-٤
- ٢٠٠ / ٧-٦
- «لَا تَخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ» ١٥٥ / ١٠
- «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ» ١٦٢ / ٥-٤
- ٩ / ٨
- «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا» ٥٩٦، ٣٨١ / ٣-١
- ١٩٠ / ٧-٦
- ٢٣٧ / ٩
- «لَا تَدْعُ تَمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» ٤١ / ٥-٤
- «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ» ٣٦٢، ٤١ / ٣-١
- «لَا تَدْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسَرَ عَلَيْكُمْ» ١٧٥ / ٨
- «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» ٣٢٩ / ٥-٤
- ٤٠٤ / ٧-٦
- «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» ٤٢٢ / ٣-١
- ٣٩٩، ١٣٠ / ١٠
- «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ» ٨٢١ / ٣-١
- «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ» ١٢٩ / ٣-١
- «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟» ٤٢٠، ٢٥٥، ١٠٠ / ٣-١
- ٤٢٤ / ٥-٤، ٤١٦، ٦٢
- ٧٣٧ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» ٣٦٦ / ٧-٦
- «لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلَتْ إِلَيْهَا» ١٠٣ / ٨
- «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا» ٢٦٤ / ٥-٤
- ٥٧٧ / ٧-٦
- «لَا تَشْتَرِهِ وَإِنْ أَعْطَاكَ بِدَرَاهِمٍ» ١٨٢ / ١٠
- «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ:» ٣٨٩، ٣٨٢ / ٧-٦
- ٩٦ / ٩
- ٤٠٣ / ١٠
- «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا الْمُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» ١٨٧ / ٣-١
- ٢٤٦ / ٥-٤
- ١٧٠ / ٩
- «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا» ٩٦ / ٩
- «لَا تُصَلُّوا بَعْدَ الصُّبْحِ، وَلَا بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا أَنْ» ٢٧٥ / ٩
- «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» ٧٧٣ / ٧-٦
- «لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» ٦٧٠ / ٣-١
- «لَا تَغْضَبُ» ٦٣٧ / ٧-٦
- «لَا تَغْضَبُ، وَلَكَ الْجَنَّةُ» ٦٣٩ / ٧-٦
- «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بَعْدَ طُهُورٍ» ٧٢٩ / ٣-١
- «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحَدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» ٧٢٩ / ٣-١
- ٣٣ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَا تَقْعُدْ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» ٤٧ / ٩
- «لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ» ٢٤٠ / ٩
- «لَا تَقُلْ: نَعَسَ الشَّيْطَانُ» ٤٤ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي» ٣٦٣ / ٩
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ» ٣٠٣ / ٩
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى تَطْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْكُذْبُ» ١٣٦ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ» ٢٤ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يُفَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ» ٥٩٣ / ٥-٤
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يُفْبِضَ الْعِلْمُ» ١٠٢، ١٠٠ / ٩
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ» ٢١٩ / ٨
- «لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَائِقِ» ٢٢٣ / ٨
- «لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ» ٢٢ / ٩
- «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضِبِهِ» ١٩ / ٩
- «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدَّبِيَّاجَ» ٣٧٢ / ٩
- «لَا تَلْعَنُهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ٢٣ / ٩
- «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ٢٢ / ٩
- «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاحِدَ اللَّهِ» ٢٦٩ / ٥-٤
- ٧٥٤ / ٧-٦
- ١٤١ / ٨
- «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ» ٦٥٠ / ٧-٦

- « لَا تَتَّقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرَمَةَ » ٣٤٦ / ٧-٦
- « لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » ١٤٩ / ٩
- « لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا الرَّجُلُ » ١٩١ / ٥-٤
- « لَا تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ عَلَى عَمَّتِهَا، وَلَا الْعَمَّةَ عَلَى بِنْتِ أُخِيهَا » ٢٢٨ / ١٠
- « لَا تُؤْذِي امْرَأَةً رَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ رَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ » ٦٢٧ / ٣-١
- « لَا تَوْمن الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ » ٢٢٩ / ٨
- « لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا » ٤٧٧ / ٧-٦
- « لَا حَرَجَ » ٣٧١ / ٧-٦
- « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا » ٥٨٠، ٤٥٨ / ٣-١
- « لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَصَلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ » ٤٢١ / ١٠
- « لَا سَمَرَ بَعْدَ الصَّلَاةِ - يَعْنِي الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ » ٢٦٦ / ٣-١
- « لَا شَيْءَ لَهُ » ١٩ / ٣-١
- « لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ » ٣١٢ / ٣-١
- « لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ » ٢٧٤ / ٩
- « لَا صَلَاةَ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلَّا سَجْدَتَيْنِ » ٢٧٢ / ٩
- « لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ » ٣٠٩، ١٣١ / ٨
- « لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ » ٩٤ / ٩
- « لَا نُورُثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ أَلْ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ » ٢٩٨ / ٨
- « لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » ٥٣٧ / ٣-١
- ٢١٠ / ٧-٦

الجزء / الصفحة

الحديث

- «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ» ٢٩٧/٣-١
- ٥٣٥، ١٧٠ / ٥-٤
- ١٩٧ / ٧-٦
- «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًّا» ٢١٨ / ١٠
- «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ» ٣٧٤ / ٩
- «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا» ٤٩٥ / ٧-٦
- «لَا يُتْرَكُ بَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٍ» ١٦٧ / ١٠
- «لَا يُتَمَّ بَعْدَ احْتِلَامٍ» ١٨٣ / ٩
- «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ» ٧٧٠ / ٣-١
- ٢٧٤ / ١٠
- «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلَاةَ» ٧٨، ٦٠ / ٨
- «لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ» ٧٣ / ٩
- «لَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ، وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» ٦٦٤ / ٧-٦
- «لَا يَجْتَمِعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» ٣٩٨ / ٧-٦
- «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ» ٢٨٨، ١٦٩ / ٥-٤
- «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَحِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيَعْتِقَهُ» ٢٠٦ / ٧-٦
- «لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا» ٢٢٨ / ١٠
- «لَا يُجِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ» ٢٦٧ / ٥-٤
- «لَا يَحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءُ» ٢٣٤ / ١٠
- «لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِي مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٤٨٢ / ٣-١

- «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ» ٢٨٧ / ٩
- «لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ» ٣٣٦ / ٣-١
- ١١٧ / ٨
- «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ يُعْطِي عَطِيَّةً، ثُمَّ يَرْجِعُ» ١٨٢ / ١٠
- «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرْوَعَ مُسْلِمًا» ٢١٨ / ١٠
- «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ» ٣٨٦ / ٣-١
- «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ» ١٢ / ٨
- «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ» ١٤٥ / ٧-٦
- ١١ / ٨
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ» ٦٨٣ / ٣-١
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» ٤٩٢ / ٧-٦
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» ٨٢ / ٧-٦
- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ» ٧٠٦ / ٧-٦
- «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» ٦٦١ / ٣-١
- «لَا يَذْبَحَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يُصَلِّيَ» ١٩٠ / ٨
- «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ» ٨٤ / ٣-١
- «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» ٥٩٧ / ٧-٦
- ٣٩٩ / ١٠
- «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ» ٥٨ / ٣-١
- «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ» ٤٤٦ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

٤٤٩ / ٥-٤

«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» ١٥٩ / ٩

«لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ» ٨٥ / ٣-١

«لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ» ٣١٢ / ٣-١

«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ٤٨٢ / ٣-١

٣١٤ / ٥-٤

٨٤ / ٨

٤٦٣ / ١٠

«لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» ٧٦٢ / ٧-٦

«لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْمُؤَدِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٍ» ٥٥٨ / ٥-٤

«لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا» ٨٤٠ / ٣-١

«لَا يَشْكُرُ اللَّهُ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» ٢٦١ / ٥-٤

«لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ» ٣٨٧ / ٧-٦

«لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ» ٥٣٣ / ٣-١

«لَا يَصَلِّي بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ بَيَضَاءً» ٢٧٥ / ٩

«لَا يَفْرُقُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا» ٣١٠ / ٥-٤

«لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» ٤٤٩، ٥٥ / ٥-٤

٣١٣ / ٧-٦

«لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٤٥٥ / ١٠

«لَا يَلْبَسُ الْمُحْرَمُ الْقَمِيصَ» ٣٤٥ / ٧-٦

- «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» ١٨٢ / ٧-٦
- «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ» ٤١ / ٨
- «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ» ٣٢٠ / ٣-١
- «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكَانَهُ» ١٢٩ / ١٠
- «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ» ٦٦١ / ٣-١
- «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» ١٧٠ / ٥-٤
- ٥٠١ / ٧-٦
- «لَا يَنْبَغِي لِصَدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا» ٢١ / ٩
- «لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا» ٣٣ / ٩
- «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ» ١٤٧ / ٨
- «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ» ٣٤٧ / ٧-٦
- ٢٢٩ / ١٠
- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ» ٥٣٧ / ٣-١
- ٧٧٥ ، ٢١٠ / ٧-٦
- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» ٢٤٤ / ٣-١
- ١٧٩ ، ٤٩ / ٥-٤
- ١٩٠ / ٧-٦
- «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ» ٤٢٢ / ٥-٤
- «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ» ٤٥٥ / ٥-٤
- «لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» ٢٠ / ٨

الجزء / الصفحة

الحديث

١٦٧ / ١٠

«لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» ٣٣٤ / ٣-١

١١٠ / ٥-٤

«لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٨٥ / ٥-٤

٧٥٠ ، ٢٥٠ / ٧-٦

٢٤٩ / ١٠

«لَأَنْ أَتَعَدَّ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى» ١٨٧ ، ١٠٨ / ٣-١

«لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» ١٨٧ ، ١١٠ / ٣-١

١٦٠ / ٩

«لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا» ١٦٦ / ٣-١

٣٣٦ / ٨

«لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ» ٩٧ / ٩

«لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ» ٢٤٩ / ٩

«لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» ... ٤٢٣ / ٣-١

٢٣١ / ٨

«لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ» ٥٧٣ / ٣-١

«لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى» ٥٣٠ / ٥-٤

«لِبَيْتِ ذَهَبٍ وَبَيْتِ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَضْبَاؤُهَا» ٩١ / ٧-٦

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، إِنَّمَا الْخَيْرُ خَيْرُ الْآخِرَةِ» ١١١ / ٩

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» ١١٠ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ» ١١١ / ٩
- «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» .. ٧٣٠، ٤٢٩ / ٣-١
- ٣٧٠، ٣٦٧ / ٧-٦
- «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ» ٧٤٧ / ٧-٦
- ٣٧٧، ٣٦٣ / ٩
- «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنطِينِيَّةُ» ٥٠٤ / ٧-٦
- «لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٧ / ٥-٤
- ٦٠٥، ٥٨٢ / ٧-٦
- «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٦٢٥، ٤٩٣، ٢٢٦ / ٣-١
- «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» ٣٢٩ / ٥-٤
- «لَعَلَّ عَلَى صَاحِبِكُمْ دِينًا» ٣٤٣ / ٥-٤
- ١٠٣ / ١٠
- «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ: وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا» ٣١٥ / ٥-٤
- «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ» ٨٣ / ٨
- «لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ» ٩٣ / ٩
- «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ» ١٨٨ / ٥-٤
- ١٣٧، ١٢٨ / ٨
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ» ٦٥٣ / ٣-١
- ٥٧٩ / ٥-٤
- «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَسَبِّحِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ» ٧٥٣ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

٦٩٤ / ٧-٦

«لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ لَا تَدْعُ مُصَلِّيًا وَلَا غَيْرَهُ» ٥٦٥ / ٧-٦

«لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ» ٧٠٦ / ٣-١

«لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» ٤٣٠ / ٣-١

٣٧١، ٩٦ / ٩

«لَقَدْ تَحَجَّرَتْ وَاسِعًا» ١٤٧ / ٩

«لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ» ٥٥١ / ٥-٤

«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ» ٦٢٨ / ٥-٤

«لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا» ١٢٢ / ٥-٤

«لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ» ٢٠٠ / ٧-٦

٥٢ / ٨

«لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ الْيَوْمَ يَتَلَوَّى» ٧٧١، ٦٠٩ / ٧-٦

«لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ، وَقُرَيْشُ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ» ٣٩١ / ٥-٤

٢٦١ / ١٠

«لَقَدْ سَأَلَتِ اللَّهُ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» ٢٢٢ / ٣-١

٣٤٥ / ٩

«لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» ٤٥٥ / ٧-٦

«لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ» ٤٠ / ٣-١

٥٠٣ / ٧-٦

«لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فُتْقَامَ» ٥٦٢ / ٣-١

- «لَقَدْ وَفَّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ» ٦٨٢ / ٣-١
- «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي» ١٦٠ / ٩
- «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٥٨ / ٩
- «لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ» ٢٠٧ / ٨
- «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» ٤٣ / ٩
- «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ» ٣٣١ / ١٠
- «لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرٌ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» ٣٧٩ / ١٠
- «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ» ٤٣٦ / ٣-١
- «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا» ٤٠٣، ٤٣ / ٥-٤
- ١٤٥ / ٩
- «لَمْ أَرِ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا الرُّكْنَيْنِ» ٣٥٥ / ٧-٦
- «لَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» ٧٧٤ / ٧-٦
- «لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرِ» ٢٧٤ / ٨
- «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ» ٦١٨ / ٥-٤
- «لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٧٧٣ / ٧-٦
- «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ» ٢٦٤ / ٧-٦
- ٢٦١ / ١٠
- «لَمَّا أَسَنَّ وَحَمَلَ اللَّحْمَ اتَّخَذَ عَمُودًا فِي مُصَلَّاهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ» ٢٨٦ / ٨
- «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ» ٤٥٥ / ٧-٦
- «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْجَلَ النَّاسَ إِلَيْهِ» ٢٠٧ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ» ١٤٧ / ٩
- «لَمَّا نَزَلَ عُذْرِي، قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ» ٦٧ / ٨
- «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» ١٥١ / ٩
- «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ» ٣٢٨ / ٥-٤
- «لَنْ يُغَلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ» ٥٩٠ / ٥-٤
- «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» ٥٦٠، ٢٦٤ / ٣-١
- «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ» ٢٣٢ / ٩
- «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَدَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابُهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ» ... ٥٦٧ / ٣-١
- «لَوْ أَنَّ امْرَأً أَطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ» ٢٣٢ / ٩
- «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا» ٩٥ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ دَلُومًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَتَتْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا» ٩٠ / ٧-٦
- ١٧ / ١٠
- «لَوْ أَنَّ رِصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ جُمُجْمَةٍ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ» ٧٨ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّ مَا يُقَالُ ظُفْرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَرَخَّرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ» ٩٣ / ٧-٦
- «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ» ٢٩٢ / ٣-١
- ٣٣٨، ١٨ / ٥-٤
- ٣٣٨ / ٨
- «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ» .. ٦٢٠ / ٥-٤
- ٣٣٩، ١٥٣ / ٧-٦
- «لَوْ حَضَرْتُهُ لَمْ يُدْفَنَ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ» ٣٨٧ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ» ١٧٩ / ١٠
- «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ» ١٢١ / ٥-٤
- «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» ٧٨٠ / ٣-١
- ٥٣٨ / ٥-٤
- «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةٌ (أَلْفٍ) أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنْ (أَهْلِ)» ٨٩ / ٧-٦
- «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ» ٦٢ / ٥-٤
- «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» ١٤٦ / ١٠
- «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ١٩١ / ٣-١
- ٢٩٤، ٧٤ / ٥-٤
- «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ» ٣٠٦ / ٥-٤
- «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» ٢٧٢ / ٧-٦
- «لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ» ٢١٧ / ٧-٦
- «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذُنُبُونَ، لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ» ١٠٤ / ٥-٤
- «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّيِّ مَاذَا عَلَيْهِ؟!» ١٥٠ / ٥-٤
- «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ» ٨٤٩ / ٣-١
- ٨٩ / ٥-٤
- ١٤٨ / ٩
- «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ» ٤٤٤ / ٣-١
- ٤٤٨ / ٥-٤
- ٨٣ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

٢٢١ / ٩

«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ» ١٤٤ / ٧-٦
 «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» ٤٨٠ / ٧-٦، ٤٧٩

٢١٩ / ٩

«لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ» ٤٨٠ / ٧-٦
 «وَلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ» ٢٢٩ / ٣-١

«لَوْلَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا» ١٦٧ / ٩

«لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدٌ» ١٩٩ / ١٠

«لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ» ١٩٣ / ٣-١، ٨٦

٢٣٩ / ٥-٤، ٣٣

١٠٣ / ٩

«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» ٥١١ / ٣-١

١٢٠ / ٥-٤، ٢٧

١٣٤ / ١٠

«لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي» ١٢٠ / ٥-٤

«لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» ٥٩٧ / ٥-٤

٣٩ / ١٠

«لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ» ٣٤ / ٧-٦

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ» ٦٣٨ / ٧-٦

«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى» ١٥٧ / ٣-١

٢٦٠، ٦٤ / ٥-٤

«لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ» ١١٧ / ٥-٤

٣٥٣، ٥٤ / ٩

«لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوْفِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ» ١٦٣ / ٣-١

٦١٢ / ٧-٦

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ، وَلَا اللَّعَانِ» ٢٠ / ٩

«لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي» ٦٨٣ / ٣-١

«لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ» ١٨٢ / ٧-٦

«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنَ الدُّعَاءِ» ٨٤ / ٣-١

«لَيْسَ عَلَيَّ أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» ٧٦٩ / ٣-١

«لَيْسَ لَنَا مِثْلُ السَّوِّءِ» ١٨٢ / ١٠

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَهَ بِغَيْرِنَا» ٣٦٩، ٢٥٠ / ٩

«لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ» ٧٤٦ / ٣-١

«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَجِلُّونَ الْحَرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِزَ» ٤٧٦، ٧٢٢ / ٣-١

٣١٤، ٤١ / ٥-٤

١٧١ / ٧-٦

٢٨٨ / ١٠

«لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ» ٦٨٤ / ٣-١

«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنَّا وَدَعُهُمُ الْجُمُعَاتُ» ٦٧٤ / ٣-١

٣٣٨ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «لَيْتَهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ» ٦-٧/ ٨٦
- «مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي» ٤-٥/ ٤٦٧
- ١١٥ / ٧-٦
- «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ» ١-٣/ ٧٧٥
- ٤٤٦ / ٥-٤
- «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ» ٨/ ٢٦
- «مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكِيئَةُ إِنْسَانًا» ٤-٥/ ٨٠
- «مَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ» ١-٣/ ٢٢١
- «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا» ١-٣/ ٧٩٦
- ٣٣١ / ١٠
- «مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَهُوَ حَالِلٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ» ٨/ ٣١٦
- «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» ١-٣/ ٢١٥
- «مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرَّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُدْكَرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾» ١-٣/ ٦٤٨
- «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ» ١-٣/ ٧٣٧، ٧٥٢
- ٣٩ / ٥-٤
- ٦٩٥ / ٧-٦
- «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ» ٦-٧/ ٥٠٠
- «مَا أَطْيَبَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّ إِلَيَّ!» ٦-٧/ ٣٨٢
- «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَسَّهُ النَّارُ» ٦-٧/ ٢١٢

- «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمَّكَ؟» ٢٣١ / ٣-١
- «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ» ٢٤ / ٨
- «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أُرَدَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا» ١٠٧ / ٧-٦
- «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» ٨٠ / ٩
- «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ» ٦٣٦ / ٣-١
- «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» ٥٤٨ / ٣-١
- ٤٧٨ / ٥-٤
- ١٤٥ / ٨
- «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ فَكُلُّ» ١٩٤ / ٨
- «مَا أَهْلٌ مُهَلٌّ قَطُّ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ» ١٠٩ / ٩
- «مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ:» ٧٠٤ / ٧-٦
- «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟!» ٣٥٣ / ٩
- «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟ فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتَهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا» ٧٦٢ / ٣-١
- ٦٩٥ / ٧-٦
- «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» ٢١٨ / ٧-٦
- ٣٣٦، ١٢١ / ٨
- «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» ٦١٦ / ٥-٤
- «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» ٣٩٠ / ٧-٦
- «مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ» ٥٤٣ / ٣-١
- «مَا بَيْنَ لَا بَيْتَهَا حَرَامٌ» ٣٨٦ / ٧-٦

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ» ٥٤٤ / ٣-١
- «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا» ٦٣٩ / ٣-١
- ٣٨٤ / ١٠
- «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» ٤٠٣، ٢٨٨ / ٣-١
- ٢٧١، ٦٦ / ٥-٤
- ٧٥٤، ٧٢١ / ٧-٦
- ١٣٦ / ٨
- ١٠٣ / ٩
- «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» ١٢٩ / ١٠
- «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟ قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» ٣٨ / ٨
- «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» ٨٣ / ٥-٤
- ١٠٧ / ٨
- «مَا جَاءَ بِكَ؟» ٢٤٧ / ٣-١
- «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ» ٢٤٧ / ٥-٤
- ٧٣٦، ١٩ / ٧-٦
- «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ» ٢٦١ / ٧-٦
- «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ» ٢٣٦ / ٩
- «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ» ٤٤ / ٣-١
- «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ» ٢١٠ / ٣-١

- «مَا ذُئِبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بَافْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ» ١٠١ / ٨
- «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمْ فِي وَجْهِهِ» ٧٧٣ / ٧-٦
- «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ» ٣٧٥ / ١٠
- «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٢٠٩ / ١٠
- «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ» ١٨٤ / ٧-٦
- «وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيذِي لُبٍّ» ٤٦١ / ١٠
- «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا؟» ٦١١ / ٧-٦
- «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْبَارِ» ٣٥ / ٨
- «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتِكِ عَلَيْهَا» ١١١ / ٣-١
- ٣٢٧ / ٧-٦
- «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ؟ فَقَالَ: لَا» ٥٥٢ / ٧-٦
- «مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» ١٥٩ / ٣-١
- «مَا شَمِمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًَا» ٧٧٤ / ٧-٦
- «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٤٢٥، ٤١٢، ٣٣ / ٣-١
- «مَا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ» ٣٧٥ / ١٠
- «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ، أَخَفَّ صَلَاةً، وَلَا أَتَمَّ صَلَاةً» ٢٣٠ / ٨
- «مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» ٤٩٨ / ٥-٤
- «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ» ٦٤٢ / ٧-٦

الجزء / الصفحة

الحديث

- «مَا عَلَيَّ أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدْتُمْ» ٢٢٠ / ٩
- «مَا عَلَيَّ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ١٦٠ / ٩
- «مَا عَلَيَّ الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٨٠ / ١٠
- «مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ» ١٤٠ / ١٠
- «مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ، فَهُوَ مَيْتَةٌ» ٣٢١ / ٨
- «مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَنْ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً» ١٣٦ / ١٠
- «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلُوهُ إِذَا خَلَوْتُمْ» ١٤١ / ٣-١
- «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ» ٧٧٤ / ٣-١
- «مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟» ٢٥٩ / ٧-٦
- «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!» ٢٦٩ / ٣-١
- «مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ» ٣٩٣ / ٥-٤
- «مَا لِي مِنْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ مَا لِأَحَدِكُمْ» ٧٠٥ / ٧-٦
- «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا» ٧٦ / ٥-٤
- ٧٧١ / ٧-٦
- «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» ٣٩٢، ٢٥٢ / ٣-١
- ١٧١ / ٥-٤
- «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا» ٨٤٢ / ٣-١
- «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» ٨٢٧ / ٣-١
- «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ، إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ» ١٥٢ / ١٠

- «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَاٍ» ٢٣ / ٣-١
- «مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ» ٦٣٢ / ٧-٦
- «مَا مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَنَا أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٢٣ / ١٠
- «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ» ٣١٣ / ٣-١
- «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ» ٨٠٩ / ٣-١
- «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ» ٨١٤ / ٣-١
- ٨٩، ٥٥ / ١٠
- «مَا مِنْ خَلْقٍ لِلَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ» ٣٠١ / ٥-٤
- «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ» ٦٤٢ / ٣-١
- «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا» ٧٤٨، ٦٨٣ / ٣-١
- «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ» ٢٣ / ٣-١
- «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ مَغْلُوبًا» ١٠٤ / ٨
- «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتَهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ» ٨٤ / ٨
- «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا» ٥٩٠ / ٣-١
- ١٥٢ / ٧-٦
- «مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أَحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ٥٩٠ / ٣-١
- «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَ عَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطَهَا بِنُصْحِهِ» ١٧٧ / ٥-٤
- «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ» ٢٦١ / ٩
- «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ» ٢٦٣ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً» ٣٦٠، ٢٣ / ٣-١
- ٣٤ / ٥-٤
- ١١٣، ١٩ / ٨
- ٢٥٣ / ١٠
- «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٧١ / ٣-١
- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيْبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ» ٥٣٣، ٣٤٣ / ٣-١
- ٥٤٣، ٦٤ / ٧-٦
- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا عُذْوَةً» ٢٣٢ / ٧-٦
- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مِنْ عَن يَمِينِهِ» ١٠٨ / ٩
- «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ» ٢٤٦ / ٩
- «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ» ٣٠٨ / ٨
- ٣٢٥ / ٩
- «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ٩٢ / ١٠
- «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ» ٢٧٠ / ٣-١
- «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ» ٨١٤ / ٣-١
- ٥٧ / ١٠
- «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ» ٦٦٦، ٦٣٣، ٥٣٧ / ٧-٦
- «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ حَبْجَتَ مَعْنَا؟» ٦٩ / ٣-١
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ» ٢٦٠ / ٣-١

٥٩٨، ٢١١ / ٥-٤

٧٥٦ / ٧-٦

٢٠ / ١٠

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ»..... ٣١٤ / ٩

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِيْنُهُ مِنَ الْحِنِّ»..... ١٩٦ / ٥-٤

٤٤ / ٨

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ»..... ٢٦٤ / ٩

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»..... ٥١٠، ٩٤، ٥٠ / ٣-١

٦٧٣، ٥٣٧ / ٧-٦

«مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»..... ٧٠٩ / ٣-١

٣٢٣ / ٩

«مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟»..... ٤٥ / ٧-٦

«مَا هَذَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ صَبْرٌ»..... ٢٩٢ / ٩

«مَا هَذَا؟ مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»..... ٦٠ / ٣-١

«مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟»..... ١٣٢ / ١٠

«مَا يَحِدُّ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ»..... ٣٣٥ / ١٠

«مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا»..... ٢٣٢ / ٣-١

«مَا يَسْرُنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا»..... ٣٩٩ / ٥-٤

«مَا يَسْرُنِي أَنَّ لِي أَحَدًا ذَهَبًا»..... ٩٣ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ» ١-٣/٥٢٤
٦٢ / ٧-٦
- «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا» ١-٣/٥٢٤
- «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ» ١-٣/١٦٨
٣٧٣
- «مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرِكُمْ» ١٠/٣٧٧
- «مَاءٌ زَمْزَمٌ لِمَا شُرِبَ لَهُ» ١-٣/٥٤٩
٥٣٨، ١٥٥ / ٧-٦
- «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» ٨/٣٣٦
- «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقَتَيْي وَذَاقَتَيْي» ١-٣/٧٦٩
- «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» ١-٣/٥٤٣
- «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ» ١-٣/٤٤٩
- «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِحِ الْكَبِيرِ» ١-٣/٧١٨
٢٤٣ / ٥-٤
- ٣٤٢ / ٨
- «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ» ١-٣/١٤٨
- «مَثَلُ الرَّافِلَةِ فِي الزَّيْنَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا» ١٠/٢٧٣
- «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ» ٦-٧/٧٢٧
- «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ» ٦-٧/٢١٣

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» ٣٣٣ / ١٠
- «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ» ... ٦-٧ / ١٨٨، ٢٤٥
- «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطْرِ» ١٢٧ / ١٠
- «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ» ١-٣ / ٨٢٣
- ٣٢٥ / ٧-٦
- «مَثَلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ» ٤-٥ / ١٤٨
- «مُحَلَّقَةٌ رُؤُوسُهُمْ» ٧٣ / ٩
- «مَرَّ بِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» ٤-٥ / ٤٧٢
- «مَرَّ حَبَابًا بِالْوَفْدِ الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى» ٩ / ١٦٦
- «مَرَّ حَبَابًا بِأُمَّ هَانِيٍّ» ٩ / ٢٤٣
- «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي» ١-٣ / ٢٣٨
- «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي» ١٠ / ١٤١
- «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ» ١-٣ / ١٤٦
- ٢٥٠ / ٧-٦
- ١٦٠ / ٨
- «مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ» ١-٣ / ٢٥٨، ٥٠٠
- ٣٥٧، ١٦ / ٨
- «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» ١-٣ / ٥٢٥
- ٣٦٠ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» ٧٤٧ / ٣-١
- ٣٥١ / ٥-٤
- «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» ٢٠٤ / ٥-٤
- «مَعَ الْغُلَامِ عَقِيْقَةٌ فَأَهْرِيْقُوا عَنْهُ دَمًا» ١٧٩ / ٨
- «مُعْتَرِكُ الْمَنَائِيْا بَيْنَ السَّتِيْنَ اِلَى السَّبْعِيْنَ» ٢٥ / ٩
- «مُقَامٌ اَحَدِكُمْ - يَعْنِي فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ» ٣٣٣ / ١٠
- «مِمَّ تَضْحَكُوْنَ؟» ١٨٥ / ٥-٤
- ١٣٤ / ٧-٦
- «مَنْ اِبْتَلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ» ٢٥٩ / ٣-١
- «مَنْ اَبْلِيَ بِلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ» ٢٦١ / ٥-٤
- «مَنْ اَتَاهُ اللّٰهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ، مِثْلَ لَهٗ مَالُهُ شُجَاعًا اَفْرَعٌ، لَهُ رَبِيْتَانِ» ٦٦٥ / ٧-٦
- «مَنْ اَتْبَعَ جَنَارَةَ مُسْلِمٍ اِيْمَانًا وَاِحْتِسَابًا» ٩٢ / ١٠
- «مَنْ اَتَى عَرَّافًا اَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ» ٤٧٦ / ٥-٤
- «مَنْ اَتَى عَرَّافًا، فَسَالَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ اَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً» ٧١٣ / ٣-١
- ٤٧٦ / ٥-٤
- «مَنْ اَحَبَّ اَنْ يُبْسَطَ لَهٗ فِي رِزْقِهٖ» ٦٨٣ ، ٣٠٧ / ٣-١
- «مَنْ اَحَبَّ لِقَاءِ اللّٰهِ اَحَبَّ اللّٰهُ لِقَاءِهٖ» ١٢٦ / ٥-٤
- «مَنْ اَحَبَّ لِلّٰهِ وَاَبْغَضَ لِلّٰهِ» ٢٥ / ٣-١
- «مَنْ اَحَدَثَ فِيْ اَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيْهِ فَهُوَ رَدٌّ» ٧٨٥ ، ٤٣١ / ٣-١

٦١٣ / ٥-٤

٣٢٤ ، ٨٨ / ٩

٣٠٠ / ١٠

«مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٤٣ / ٥-٤

«مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ» ٣٩٣ / ٧-٦

«مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ آدَاءَهَا» ٣٥١ / ٥-٤

«مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ» ٢٠٧ / ٧-٦

«مَنْ أَدَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» ٩٤ / ٨

«مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ تَضَلَّ الضَّالَّةَ» ٤٤٨ / ٥-٤

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ، فَلْيُقِلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ» ٨ / ٩

«مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ» ٣٩٢ / ٧-٦

«مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءً» ٣٩ / ٥-٤

«مَنْ اسْتَجَمَرَ فليُوتِرْ» ٢٨٢ / ٨

«مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» ٥٥٠ / ٧-٦

«مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ» ٤٨ / ٩

«مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُسِّمِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ» ٤٥ / ٧-٦

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ» ٦٤١ ، ٦٠٥ ، ٥٢٤ ، ١٥٨ / ٣-١

«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ٨١٠ / ٣-١

٦٩ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ» ٦٧٣ / ٣-١
- «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ» ٦٧٢ / ٣-١
- ١٥٨ / ٨
- «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» ٥٨٩ / ٧-٦
- «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ٦٧١ / ٣-١
- «مَنْ افْتَتَحَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ» ١٩٨ / ٩
- «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا» ٦٦٨ / ٣-١
- ٢٢ / ٨
- ٣٢٣، ٢٢٠ / ٩
- «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ» ١٩٩ / ٥-٤
- ٤٨٢ / ٧-٦
- «مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ» ٢٢٤ / ٧-٦
- «مَنْ التَّمَسَّ رِضًا لِلَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ» ٢٠٤ / ٥-٤
- ٢٥٥ / ٧-٦
- «مِنْ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» ٧٤ / ٣-١
- «مِنْ الْمَذِي الْوُضُوءِ، وَمِنْ الْمَنِيِّ الْغُسْلُ» ٣٢ / ٩
- «مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ فَالصَّلَاةُ لَهُ وَلَهُمْ» ٢٢٩ / ٨
- «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ» ٣٩٤ / ٣-١
- «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» ٣٥٩ / ٨

٣٥٠ / ١٠

«مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ» ٦٣٣ / ٧-٦

١٤ / ٨

«مَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمَهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ٦٦٦ / ٣-١

٣٢١ / ٨

«مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ» ١٢٤ / ٣-١

«مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» ٢٩ / ٨

«مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ» ٣٠١ / ٣-١

«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» ١٩٠ / ٥-٤

٣٦٢، ٢٧١ / ٩

«مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ» ١٦٠ / ٥-٤

٣٩١ / ٧-٦

«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ» ٩٣ / ٣-١

«مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٤٥٠ / ٧-٦

٨١ / ١٠

«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ» ٨٢٣ / ٣-١

١٠٤ / ٨

١٢٠

«أَنْ تَوْضَأَ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى» ٢٦٣ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ» ٩٥ / ٥-٤
- «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» ٤٥٣ / ٣-١
- «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهَا وَنِعِمَّتْ» ١٧٨ / ٩
- «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ» ٢٤٣ / ٣-١
- «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَعَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» ٥٠٥ / ٣-١
- ٥٠ / ٩
- «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ» ٤٤٥ / ٣-١
- ٦٢ / ٩
- «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ» ٢٦٩ / ٣-١
- ٣٨١ / ٧-٦
- «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» ٥٧٥ / ٣-١
- ٢٩٨ / ٩
- «مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَقْمِيهِ وَفَرْجِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ١٢٨ / ٧-٦
- «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ» ١٩ / ٩
- «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ» ١٩٨ / ٩
- «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» ١٩٨ / ٩
- «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ» ٨٠ / ٣-١
- «مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ» ٣٩٠ / ٧-٦
- «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ» ٣٥٢ / ٣-١

- «مَنْ ذَرَعَهُ الْفَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ» ٣٦٦ / ١٠
- «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى» ١٢٤ / ٣-١
- «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ» ١٤٣ / ٣-١
- ٢٧٣، ٢١٣ / ٥-٤
- ٧٢٣، ٢٤٥ / ٧-٦
- «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ» ٦٣٢ / ٧-٦
- «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا» ١٦٤ / ٣-١
- «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ» ١٦٦ / ٣-١
- «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ» ٧٩٦، ٣٣١ / ٣-١
- ٥٩٢ / ٥-٤
- ٣٣٥ / ١٠
- «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَحْيِبَ اللَّهَ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ» ٨٣ / ٣-١
- «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» ٢٨٣ / ٥-٤
- «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَاً» ٣٤٠ / ٧-٦
- «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» ٣٥٦ / ٥-٤
- ١١٩ / ٨
- «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ» ٨١٩ / ٣-١
- «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» ٨٢١ / ٣-١
- «مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ» ٥٩٥ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيُنَأْ عَنْهُ» ٥٧٥ / ٣-١
- «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ» ٢٣ / ٨
- ٢٢٧ / ٩
- «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ» ٦٩٠، ٤٣٠ / ٣-١
- ٢٣٨ / ٧-٦
- «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا» ٣٤٥ / ٥-٤
- «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ» ٦٣٤ / ٧-٦
- «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قَيْرَاطٌ» ١٨٤ / ٥-٤
- «مَنْ شَهِدَ صَلَاتِنَا هَذِهِ» ٤٣٢ / ٣-١
- «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» ٤٥٤، ٧٤ / ٣-١
- «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ» ٧٤ / ٣-١
- «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» ٨١٦ / ٣-١
- «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً» ٢٦١ / ٩
- «مَنْ صَلَّى الْبُرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٥٦٠ / ٣-١
- «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» ٦٠٣، ٥٥٩، ٢٦٤ / ٣-١
- ١٦٠ / ٥-٤
- «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ» ٥٦١ / ٣-١
- «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ» ١٦ / ٧-٦
- «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ» ٤٤٤ / ٣-١

- «مَنْ صَمَتَ نَجَا» ٧٣٤ / ٧-٦
- «مَنْ ضَحَّى قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ» ١٩٠ / ٨
- «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ» ١٢٠، ١٠٥ / ٨
- «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ، طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» ٧٤٦ / ٣-١
- «مَنْ ظَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ» ١١٠ / ٣-١
- «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ» ٥٤٨ / ٣-١
- ٢٣٥ / ٧-٦
- «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ» ١٨١ / ١٠
- «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ٧٨٥ / ٣-١
- ١٩٩ / ٧-٦
- «مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ» ٢٥ / ٣-١
- ٢٢ / ٨
- «مَنْ غَسَلَ مَيِّتًا فَلْيَغْتَسِلِ» ١٧٩ / ٩
- «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاعْتَسَلَ» ٢٢١ / ٩
- «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» ١٣٢، ١٢٧ / ٨
- «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَتَبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ» ٣٩٩ / ٥-٤
- «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا» ٨٤٥، ٨١١، ١٨ / ٣-١
- ٢٣٩ / ٧-٦
- ٦٧ / ٩

الحديث

الجزء / الصفحة

«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَدَّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ» ٦١٤ / ٥-٤

٢٢٥ / ٩

«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ» ٢٢٥ / ٩

«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» ١٠٩ / ٣-١

١٥٩ / ٥-٤

٥٣ / ٧-٦

«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» ٨٢٨ / ٣-١

«مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٣٨٠ / ٥-٤

«مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» ٥٠٣ / ٣-١، ٤٥٣

٢٣١ / ٥-٤

٦٩١ / ٧-٦

«مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» ٨٢٨ / ٣-١

«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ» ٨٢٩ / ٣-١

«مَنْ قَامَ بِعِشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» ٨٠ / ٣-١

«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» ٤٥٥ / ٣-١، ٨١

٤٠٠ / ٥-٤

«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» ٧٠ / ٣-١، ٦٨

«مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ» ٢٣٨ / ٧-٦

«مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ، يَدْعُو عَصْبِيَّةً» ٨٤٥ / ٣-١

- «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» ٧٩٨ / ٣-١
- «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» ٣٢٨ / ٥-٤
- «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُدَّ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٦٦ / ٣-١
- ٣٠ / ٨
- «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزَّيْنِ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٦٨ / ٨
- «مَنْ قَرَأَ بِالْأَيَّتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ» ١٦١ / ٥-٤
- ٤٤٨، ٢٦٣ / ٧-٦
- «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ» ٦٤ / ٣-١
- «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ» ٦٧٣ / ٣-١
- «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ» ٣٤١ / ٧-٦
- «مَنْ قَرَأَهَا إِذَا أُوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ» ١٦١ / ٥-٤
- «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ٨٢٩، ٧٩٦ / ٣-١
- «مَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ» ٣٩٠ / ٣-١
- «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ» ٦٣١، ٥٤٩، ١٩١ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ» ٨٣ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ» ٥٥٠ / ٧-٦
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» ٣٧ / ٨
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ» ٤٠ / ٨
- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا» ٥٣٩ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

٧٣٤، ٦٦٥ / ٧-٦

٤٨ / ٩

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ» ٦٦٥ / ٧-٦

١٦٥ / ٩

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» ٣٨ / ٨

«مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ» ٥٢٥، ٣٠٦ / ٣-١

٥٦٥ / ٥-٤

٢٢٨ / ٧-٦

«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ» ٧٥٠ / ٣-١

٥٨٢ / ٧-٦

«مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ» ٦٣٩ / ٧-٦

«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ» ٢٥٠، ١٤٩ / ٩

«مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شَهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا» ٦٩٦ / ٧-٦

«مَنْ لَعِبَ بِالزُّرِّ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ٤١٢ / ١٠

«مَنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ» ٣٤٦ / ٧-٦

«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ» ١٠٠ / ٣-١

«مَنْ لَمْ يُصَلِّ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فَلْيُصَلِّيْهُمَا» ٢٧٤ / ٩

«مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ» ٢٠٤ / ٣-١

«مَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ» ٧٩٧ / ٣-١

- «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، وَفِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ»..... ٦٥ / ٩
- «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيِّهِ»..... ٣٤٢ / ٥-٤
- «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»..... ٥٩١ / ٥-٤
- ٢١٢ / ٧-٦
- «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»..... ٨٢٦ / ٣-١
- «مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ»..... ٣٤ / ٩
- «مَنْ نَامَ عَنِ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ، فَلْيُصَلِّهِ»..... ٢٦٨-٢٦٧ / ٩
- «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ»..... ١٦١ / ٥-٤
- «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»..... ٢٩١ / ٨
- ٢٧٣ / ٩
- «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا»..... ٢٢٣ / ٧-٦
- «مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَا، أَنَا»..... ٢٣٠ / ٩
- «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُسَكَّ»..... ١٧٩ / ٨
- «مَنْ يَأْتِينَا بِخَيْرِ الْقَوْمِ؟»..... ٥٤٢ / ٥-٤
- «مَنْ يَأْتِينِي بِجَرِيدَةٍ نَحْلٍ؟»..... ٤٥٤ / ٧-٦
- «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ»..... ٣٩٨، ٣٤٠ / ٣-١
- «مَنْ يَتَقَبَّلْ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»..... ١٦٧ / ٣-١
- «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»..... ٥١٩ / ٧-٦
- «مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ»..... ٣٩٧ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا» ٣٧٤ / ٥-٤
- ٤٠ / ٧-٦
- «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» ٦٣٢ / ٣-١
- «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ٧١٥، ٤٢١ / ٣-١
- ٣٢٥ / ٧-٦
- «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ» ٤٤٣ / ٥-٤
- ٣٢٥ / ٨
- «مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ» ٤٩٩ / ٥-٤
- «مَنْ يَشْتَرِي بِنْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلْ دَلْوَهُ مَعَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ» ٤٩٩ / ٥-٤
- «مَنْ يَضُمُّ، أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟» ١٩٠ / ١٠
- «مَنْ يَضُمَّنِي لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ» ٦١٨ / ٣-١
- ٧١ / ٥-٤
- «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟» ١٦٨ / ٩
- «مَنْ يَكْفِينِيهِمْ؟، قَالَ طَلْحَةَ: أَنَا» ٢٨ / ٩
- «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» ٥١٠ / ٥-٤
- ٣٠٩ / ٧-٦
- «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ» ٨٨ / ٧-٦
- «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدُنَ يَدْرُنَ شَيْئًا» ١٠١ / ٩
- «مِنِّي كُلُّهَا مَنْحَرٌ» ٣٧١ / ٧-٦

- «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ» ٥١٨/٧-٦
- «مَهِيمٌ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ» ١٩١/١٠
- «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» ٢٥٢/١٠
- «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» ٢٦٠/٣-١
- ١٣٩/٧-٦
- ١٨/١٠
- «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ٥٧٢/٧-٦
- «نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ» ٣٢٥/٨
- «نَحَرْنَا فِي عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقْرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ» ١٩٢/٨
- «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» ٤٦/٧-٦
- «نَحْنُ آخِرُ الْأُمَّمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ» ١٢٤/١٠
- «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٢٠/١٠
- «نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ» ٧٥-٧٤/١٠
- «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟» ٣٤٧/٣-١
- «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ» ٨٤٤/٣-١
- «نَضْبِرُ وَلَا نَعَاقِبُ» ٦٧٥/٧-٦
- «نُصِرْتُ بِالرَّغَبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» ٢٨٤، ٤٢/٧-٦
- «نَظَرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْمَسَاكِينُ» ١٦١/١٠
- «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ» ٧٩/٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ» ٢٠٦ / ٧-٦
- «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ» ٣٢٩ / ٣-١
- «نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» ٣٤٧ / ٣-١
- «نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ» ٣٥١ / ٧-٦
- «نَعَمْ غَيْرَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» ٢١٤ / ١٠
- «نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ» ٣٦٤ / ٧-٦
- «نَعَمْ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ» ١٩٣ / ١٠
- «نَعَمْ، إِنْ قُتِلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ» ١١٣ / ١٠
- «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّكَ دَيْنٌ» ٤٦٥ / ٥-٤
- «نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ الْقَضَاءَ» ١٥٨ / ٥-٤
- «نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى فَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» ٢١٨ / ٧-٦
- «نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ» ٥٣٧ / ٧-٦
- «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» ٤٢٠، ٣٨١، ٢٨٦ / ٣-١
- ٤١٧ / ٥-٤
- «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ» ٤٣ / ٣-١
- ٣٤٨ / ٥-٤
- «نُكْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً، نَحْنُ آخِرُهَا» ١١٩ / ١٠
- «نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَبُولٍ» ٢٨٢ / ٨
- «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ» ٨٣٩ / ٣-١

- «نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ»..... ٩٦ / ٩
- «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ»..... ٣٢٥ / ٨
- «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْجَلَالَةِ وَالْأَبَانِيَا»..... ٣٢٠ / ٨
- «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ»..... ٣١٧ / ٨
- «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»..... ٢٦٣ / ١٠
- «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ»..... ١٠٠ / ٣-١
- «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ»..... ٣٤٨ / ٥-٤
- «هَاهُنَا تُحْشَرُونَ»..... ٥٩٥ / ٧-٦
- «هَاهُنَا تُحْشَرُونَ، هَاهُنَا تُحْشَرُونَ»..... ٣٠٧ / ٩
- «هَذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ»..... ١٨٠ / ٩
- «هَذَا الْأَمَلُ»..... ٥٧ / ٣-١
- «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ»..... ٣٤٩ ، ١٧٦ / ٣-١
- «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»..... ٤٣٤ / ٥-٤
- «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»..... ٣١٠ / ٣-١
- «هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكَ»..... ١٥٩ / ٣-١
- «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَبِحَ لَمْ يُفْتَحَ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ»..... ٨٤٨ / ٣-١
- «هَذَا جِبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»..... ٣٠٢ / ٧-٦
- «هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ»..... ٢٣٨ / ٩
- «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ»..... ٢٤٦ / ٣-١

الجزء / الصفحة

الحديث

- «هَذَا مَصْرَعٌ فَلَانَ عَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ٣٠٠ / ٧-٦
- «هَذَا وَضُوءٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٥٩ / ٨
- «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» ٧٧٥ / ٣-١
- «هَذِهِ الْقُبْلَةُ» ٣٨٠ / ٧-٦
- «هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أَحَدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ٣٩١ / ٧-٦، ٣٨٦
- «هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ» ٣٨٦ / ٧-٦
- «هَرَبْتُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ، لَمْ تُحَلِّلْ أَوْ كَيْتِهِنَّ» ٧٦٩ / ٣-١
- «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ» ٧٣٢ / ٣-١، ٢٥٤
- «هَكَذَا تَحْدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» ٤٧٠ / ١٠
- «هَلْ تَحْدُ رَقَبَةً؟» ٣٦٤ / ١٠
- «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟» ٦٠٧ / ٧-٦
- «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» ٥٣٠ / ٥-٤
- «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» ٧٠١ / ٣-١
- ٤٨٩ / ٥-٤
- ٢٥٠ / ١٠
- «هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» ١٢٨ / ٧-٦
- «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» ٥٩٥ / ٣-١
- «هَلْ تُصَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» ١٤١ / ٥-٤
- «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» ٣٧٢ / ٥-٤

- «هَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ؟» ٣٢٥ / ٨
- «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى! هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ!» ٤٠٦ / ٣-١
- «هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟» ٢٣ / ٨
- «هل هو إلا بضعة منه» ٣٤ / ٩
- «هَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟» ٤٣٠ / ٧-٦
- «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ» ٩٢ / ٣-١
- ٣٩٨ / ٥-٤
- «هُمُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» ٧٣ / ٩
- «هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِسْرِ» ٢٩ / ٧-٦
- «هُنَّ لَهُنَّ وَلَمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ» ٤٣١ / ٣-١
- ٣٦٨ / ٧-٦
- «هُوَ الطَّهَوْرُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» ٣٢٤ / ٨
- «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» ٧١ / ٧-٦
- «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ» ١٧٨ / ١٠
- «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا» ١٢٢ / ٣-١
- «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» ٦٧٠ / ٣-١
- «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» ٤٨٠ / ٥-٤
- «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ» ٢٣٢ / ٥-٤
- «وَأَتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ٥٦٤ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «وَأَخْرَجَ ذَلِكَ نَارًا تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ» ٣٠٦ / ٩
- «وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ» ٤١ / ٩
- «وَأَرْسَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ» ٧٠٤ / ٧-٦
- «وَارْضُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ» ٥٤٤ / ٧-٦
- «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ» ٨١٢ / ٣-١
- ٥٩٠ / ٥-٤
- «وَاعْلَمْ أَنْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا» ٨١١ / ٣-١
- ٦٤٤ / ٧-٦
- «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا» ١٠٤ / ٩
- «وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ» ٤٤٦ / ٧-٦
- «وَالْحَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ» ١٥٢ / ٣-١
- ٥٧٧ / ٥-٤
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ» ٢٢٧ / ٣-١
- ٥٨ / ٧-٦
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَنَادِيلَ سَعْدٍ» ١٧٥ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» ٦٢٥ / ٥-٤
- ٦٢٦ / ٧-٦
- ١١٦ / ٩
- ٤٨ / ١٠

- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَدُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ» ٥٤٦ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا» ٢٥ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ» ٨٧ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ» ١٠٢ / ٩
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ» ٨٤٧ / ٣-١
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا» ٦٢٥ / ٥-٤
- ٤٤١ / ٧-٦
- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا» ٧٧٩ / ٣-١
- «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ١٩٤ / ٥-٤، ٣٤
- «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» ٣٤٠ / ٣-١
- «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَظِيئَةَ كَمَا تُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ» ٣٤ / ٥-٤
- «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» ٢١٢ / ٩
- «وَاللَّهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ» ٣٨١ / ٧-٦
- «وَاللَّهُ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ» ٦٢٠ / ٣-١
- «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» ٣٧ / ٨
- ٤٦٣ / ١٠
- «وَاللَّهُ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٧١ / ٣-١
- «وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ» ٣٩٨ / ٣-١
- «وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ» ٦٣٦ / ٣-١، ١٩١

٢٩٥ / ٥-٤

١٧٧ / ٧-٦

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ مَا فِيهَا» ٣٦٦ / ٣-١

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ» ٣١١ / ٣-١

٧٨ / ٨

٣١٠ / ٩

«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية: الْفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا» ٧٧٠ / ٣-١

«وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ» ٤٢١ / ٣-١

«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ» ١٧٨ / ٥-٤

«وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ» ٣٥٤ / ٨

«وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْأَزَارِ» ٦٩٥ / ٧-٦

«وَأَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عَتِقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى» ٣٦٥ / ٧-٦

«وَبَالِغٌ فِي الْأَسْتِشْقَاءِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا» ٣٦٥ / ١٠

«وَتَبَسُّمِكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» ٢٢٠ / ١٠

«وَجُعِلَ الدُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» ٤٦٦ / ٣-١

٢٣ / ٥-٤

«وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي» ٣٣٧ / ٨

«وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» ٢٠٢ / ٧-٦

٢٦٠ / ٩

- «وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّفْتُ ذَلِكَ» ٣٧٦ / ١٠
- «وَدَلَّ الطَّرِيقَ صَدَقَةً» ٥٤ / ٨
- «وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِيَمْنِي إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ» ١٤٩ / ٥-٤
- «وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةٌ الْمُنتَهَى» ٣٩٧ / ١٠
- «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ» ٧٨٥ / ٣-١
- «وَعَزَّتِي لِأَنصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» ٥٨٥ / ٥-٤
- «وَعَلَيْكَ، ازْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ٢٥٤ / ٩
- «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ» ٤٣٩ / ٧-٦
- «وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ» ١٥١ / ١٠
- «وَكَانَ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «وَكَانَ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَكَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» ٧٧٣ / ٧-٦
- «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثًا» ٢٠١ / ٧-٦
- «وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِعِبَادِ اللَّهِ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «وَكَانَ يَمُرُّ الْهَلَالَ تَلْوِ الْهَلَالِ، وَمَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَكَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لِتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٧٧٠ / ٧-٦
- «وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَا» ١٧٩-١٧٨ / ١٠
- «وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ» ٣٤٤ / ٧-٦
- «وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعًا» .. ٥٩١ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ» ٥٧٦ / ٥-٤
- «وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْتِمَّهُ» ١٦٦ / ٩
- «وَلَا يُرِيدُ أَحَدُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ» ٣٩٢ / ٧-٦
- «وَلَا يَقْضُهَا إِلَّا عَلَى وَادٍّ» ١٢٤ / ٣-١
- «وَلَا يَلْبَسُ الْقُمُصَّ وَلَا الْعَمَائِمَ» ٣٤٥ / ٧-٦
- «وَلَا يُؤْمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ» ٤٦ / ٩
- «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ وَلَدٌ، سَمَّيْتُهُ إِبْرَاهِيمَ» ١٨٤ / ٨
- «وَلَسْتُ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ» ٣٠٩ / ٥-٤
- «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ» ٣٤٦ / ٣-١
- «وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكِذْبَةَ» ١١٦ / ٥-٤
- «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ» ٥٨٥ / ٥-٤
- «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ» ٣٤ / ٥-٤
- «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا» ٥٧ / ٧-٦
- «وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُومِ قَطَرَتْ لِأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ» ٨٩ / ٧-٦
- «وَلَوْ لَمْ أَحْتَضِنُهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ٣٩٤ / ٥-٤
- «وَلَوْ وَصَلَتْ بَعْضُ أَخْوَالِكَ» ١٨١ / ١٠
- «وَلَيْسَ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ» ٤٤٧ / ٧-٦
- «وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» ٢١٥ / ٧-٦
- «وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ ﷺ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَرَدَّ طَالِبَهُ» ٧٧١ / ٧-٦

- «وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَمَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِينَارًا» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ» ٤٠٥ / ٥-٤
- «وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ» ٤٩٣ / ٥-٤
- «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرَةِ عَدَنَ، تَرْحَلُ النَّاسَ» ٣٠٦ / ٩
- «وَنُسِّيَ آدَمَ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ» ٢٢٢ / ٧-٦
- «وَوَيْبَتْ اللَّيَالِي طَاوِيًا» ٧٧١ / ٧-٦
- «وَوَيْحَاكَ أَحْيِيَّةُ أُمَّكَ؟!» ٢٠٥ / ٧-٦
- «ويضرب الصراط بين ظهري جنهم» ١٢٥ / ١٠
- «وَوَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» ٧٣٠ / ٣-١
- «وَوَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ» ١١٨ / ٥-٤
- ٢١٧ / ١٠
- «وَوَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ» ٣٤١ / ٣-١
- «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل» ٧٢ / ٩
- «ويلكم! قد قد» ١١٢ / ٩
- «وَيَلْكُمَا، مَنْ أَمَرَكُمَا بِهَذَا؟» ٧٠٨ / ٣-١
- «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ» ٦١٤ / ٣-١
- «يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا» ٢٨٥ / ١٠
- «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا» ٣٩ / ٨

الحديث

الجزء / الصفحة

- «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا» ٥٠ / ٥-٤
- ١٨٥ / ٩
- «يَا أَبَا ذَرِّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانُ؟» ١٦ / ٥-٤
- «يَا أَبَا ذَرِّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى» ١٥٨ / ٣-١
- «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعْيَرْتَهُ بِأُمَّهِ؟» ٨٠ / ٥-٤
- «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ» ٦٧٩ / ٣-١
- «يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النِّغِيرُ» ٢١٤ / ١٠
- «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا» ٢٥٨ / ٥-٤
- «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» ١٦٠ / ٣-١
- «يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفُقْ» ٥٠ / ٣-١
- «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا» ١٨٤ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَانٌ فِي الْجَنَّةِ» ٨٤٥ / ٣-١
- ١٩٥ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ» ٢٧٠ / ٧-٦
- «يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ» ٢١٥ / ١٠
- «يَا أُمَّ فُلَانٍ انظُرِي أَيَّ السِّكِّكِ شِئْتِ؛ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ» ٢١٦ / ٧-٦
- «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أُمَّتَهُ تَرْنِي» ١٠ / ٨
- «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ٤١٩ / ٥-٤
- «يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتَرُوا» ٢٦٢ / ٩

- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» ٧٧ / ١٠
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» ١٩٦ / ٣-١
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْصِرُوا» ١٢٠ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً» ٤٨٨ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ» ٦٤٢ / ٧-٦
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» ٤٢٨ / ٥-٤
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا!» ٢٦ / ٣-١
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ» ٤٧١ / ٣-١
- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلَامَ» ٢٣٦ / ٩
- «يَا بِلَالُ! أَنْصِتْ لِي النَّاسُ» ٥٦ / ١٠
- «يَا بِلَالُ فَمُ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ» ٩٢ / ٨
- «يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ» ٢٤٥ / ٩
- «يَا بُنَيَّ عَبْدٌ مَنَافٍ لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ» ٢٧٦ / ٩
- «يَا جَرُّهُدُ! غَطِّ فِخْرَكَ» ٦٩٣ / ٧-٦
- «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ» ١٦٧، ٤٩ / ٣-١
- ٦٥ / ٥-٤
- «يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» ١٣٠ / ٥-٤
- «يَا دَا الْأُدُنَيْنِ» ٢١٤ / ١٠
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا» ١٩٣ / ١٠

الحديث

الجزء / الصفحة

- «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ إِنَّمَا أَنَجَانِي بِالصَّدَقِ» ١١٧/٥-٤
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ آتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ» ٢٠٣/٨
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهَجْرَةِ بِشَيْءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ» ١١٢/١٠
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ» ٣٦٥/٧-٦
- «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ» ٣٦٥/٧-٦
- «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» ٧٩/٨
- «يَا سَلِيكَ! فَمَ فَا رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ» ٢٧٦/٩
- «يَا عَائِشَةُ! أَتَعْرِفِينَ هَذِهِ؟» ٢٨٢/١٠
- «يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي» ٥١٧/٧-٦
- «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٥١٦، ٧٩/٣-١
- ٥٢٥/٧-٦
- «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ» ٥٥٩/٥-٤
- «يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» ١٠٩/١٠
- «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْرَتَهُ» .. ٢١٧/٧-٦
- «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ» ٨٣٣/٣-١
- «يَا عَائِشَةُ، مَا أَرَأَلَ أَحَدٌ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ» ٨٠١/٣-١
- «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا» ٦٠٤، ٥٥٨/٥-٤
- ١٢٦/٧-٦
- «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» ٧٤٥/٣-١

- «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» ٤٥٣ / ٣-١
- «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ» ١١٥ / ٣-١
- «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا» ٥٠٢ / ٥-٤
- «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا» ٥٣ / ٧-٦
- «يَا عَلِيُّ، أَبْشِرْ فَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ» ٣٣٨ / ٣-١
- «يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى» ٧٠٠ / ٣-١
- ٤٤ / ٨
- «يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا» ٢٢٩ / ٣-١
- ٢٤٧ / ٥-٤
- «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ» ٤٥١ / ٥-٤
- «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنِ؟» ١٣٤ / ٧-٦
- «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ» ٨٣٧ / ٣-١
- «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي» ٨٤٩ / ٣-١
- «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ» ٢٢٠ / ٣-١
- «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرُبُّو لَحْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتٍ» ٢٤١ / ٥-٤
- «يَا كَعْبُ قُمْ فَاقْضِهِ» ٥٣ / ٩
- «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمَهُ مِنْ سُحْتٍ» ١٩٥ / ٣-١
- ١٢٨ / ٨
- «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟» ٤٥٨ / ٣-١

الحديث

الجزء / الصفحة

- «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ» ٣٦٩، ٧٨ / ٣-١
- ٤٠٠ / ٥-٤
- ٣٨ / ١٠
- «يَا مُعَاذُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ» ٢٧٩ / ٧-٦
- «يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي»... ٢٨٠ / ٧-٦
- «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ تَكُونُوا أَذْلَةً» ٤٦٧ / ٣-١
- «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا» ٣٥٢ / ٩
- «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ»... ٧٠٢، ٥٩٩، ٤٨٤، ٤١٣ / ٣-١
- ٧١ / ٥-٤
- ٤٢٩، ٤٢٦ / ٧-٦
- ٢٧٩ / ٩
- «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ» ٤١١، ٢٩ / ٥-٤
- ٤٧٨ / ١٠
- «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ» ٢٣٣ / ٣-١
- ٤٢٣ / ٧-٦
- «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ» ٣٦٤ / ٥-٤
- «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ» ٧٣٦، ٦٣٣ / ٧-٦
- «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ نَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ٥٨٦، ٤٢٦، ٣٩٦، ١٧٢، ٨٨ / ٣-١
- ٤٤١، ٤١٦ / ٥-٤

١٠٥ / ٩

«يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِبِجَارَتِهَا» ٤١ / ٨

١٧٩ / ١٠

«يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي» ١٠٧ / ٧-٦

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ» ٣٨٨ / ٧-٦

«يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ» ١٠٩ / ٨

«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» ٢٨٢ / ٣-١

٤٧٠، ٢٧ / ٧-٦

«يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ» ٣٧١، ٣٤٩، ٤٣٩ / ٣-١

٥٢٧، ٦٦ / ٥-٤

«يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي» ٣٦٤ / ١٠

«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ» ٥٦٠ / ٣-١

١٩٥ / ٥-٤

٥٨٧ / ٧-٦

«يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ» ٨٠ / ٣-١

«يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ» ١٤٦ / ٣-١

٢٥٠ / ٧-٦

«يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبُشُّ أَمْلَحٍ» ١٧٠ / ٣-١

١٨٣ / ٥-٤

الحديث

الجزء / الصفحة

- «يُجْزِي عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ» ٢٣٨ / ٩
- «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ» ٧٠ / ٧-٦
- «يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» ٣٧ / ١٠
- «يَجِيءُ الْمُقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيئَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ» ٣٣٢ / ٥-٤
- «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟» ١٢٠ / ١٠
- «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ٣١٤ / ٩
- «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» ٢٣٣ / ١٠
- «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ» .. ٢٣ / ٥-٤
- ٨٤ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ» ٣٠٧ / ٩
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاءَ غُرْلًا» ٢٦ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاءَ غُرْلًا بِهَمَّا» ٥٨٢ / ٧-٦
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ» ٢٨ / ٧-٦
- ٣٧ / ١٠
- «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ:» ٢٧ / ٧-٦
- «يُحْضَرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ:» ١٥٨ / ٨
- «يُخْرَجُ عُنُقُ مِنَ النَّارِ» ١٦ / ١٠
- «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ» ١٥٩ / ٧-٦
- «يُخَلِّصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ» .. ٢٣٣، ٨٧ / ٥-٤

٥٧٩ / ٧-٦

«يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ» ٦٠٨ / ٧-٦

«يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ» ٩٢ / ٧-٦

«يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ» ٦٥ / ٥-٤

«يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٣٨٤ / ٩

«يُرِدُّ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلُهُمْ كَلِمَحِ الْبَرِّقِ» ٦٥٩ / ٣-١

«يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ؛ قَالَ: إِيَّايَ؛ قَالَ: نَعَمْ» ١٧٤ / ٣-١

«يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ» ٨٥ / ٣-١، ٤١

«يُسْرًا وَلَا تُعْسِرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا» ١٢٨ / ٥-٤

٥١٨، ٢٥٨ / ٧-٦

٣٤٧ / ١٠

«يُسَلِّمُ الرَّاِكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ» ٥٤ / ٨

٢٣٩ / ٩

«يُشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ» ٥٤١ / ٣-١

٤٣٣ / ٧-٦

«يُطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ٤٦٠ / ٣-١

«يُعَجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ» ٩٤ / ٨

٢٥٢ / ١٠

«يُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةَ الْحَسَنَةَ» ٥٠٠ / ٧-٦

- «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا» ١-٣/٢٢، ١٢٨
١٤٩/٧-٦
- «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ» ١-٣/٥٦٢
٣٨٧/٥-٤
- «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» ١-٣/٦٠٠
«يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ» ١-٣/٥٤٢
- «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ» ٤-٥/٣٢٣، ٣٤٩
«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ» ١-٣/٦٥
- «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيُظْهِرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ» ٤-٥/٣٢٩
«يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا» ٤-٥/٥٠٢
- «يُقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ» ٩/٧٣
«يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي» ١-٣/٢١٣، ٤٤١
- «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثُ:» ٤-٥/٦٠٧
«يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا:» ١-٣/١٧٢
٤٦٧/٥-٤
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ١-٣/١٠٧، ٥٣٦
٦٣٣/٧-٦
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ» ٤-٥/١٢٩
«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ» ٦-٧/٧٢

- «يَقُولُ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي!» ١-٣/ ٨٢٩
- «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» ٦-٧/ ١٤٩
- «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَهَوِّنُونَ ذَلِكَ» ٦-٧/ ١٥٤
- «يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ» ٤-٥/ ٦٢
- «يُكْفَرُ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَهُ» ١-٣/ ١١٥
- «يُكْفَرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ» ١-٣/ ٧٥
- ٤٧/٧-٦
- «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١-٣/ ٢٣٢، ٤٩٩
- «يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ» ٤-٥/ ٦٠٠
- «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا» ٤-٥/ ٨٦
- ٩٤/٧-٦
- ٨/١٠
- «يُنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» ١-٣/ ٥٣٨
- «يُنزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ» ١٠/ ١٣٠
- «يُنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ» ٦-٧/ ٢٦٤
- «يُوتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١-٣/ ٧٢٦
- ٤-٥/ ٢٩٢

الجزء / الصفحة

الحديث

«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ رِمَامٍ» ٢٦٠ / ٣-١

٢١٢ / ٥-٤

٨٨، ٢٢ / ٧-٦

«يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنْ

جُلُودَهُمْ» ٥٥٠ / ٣-١

٦٣ / ٧-٦

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» ٦٣٢ / ٣-١

٥٨٨ / ٥-٤

«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ عِنَّمَا يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ» ٢٢٣ / ٨

«يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً» ٦٧١ / ٣-١

«يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ» ٢٢٨ / ٨

«يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ» ٥٩٨ / ٧-٦

«يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا» ٦٦، ٥٦ / ١٠



صدر للمؤلف

- ١- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه الثقات والمجروحين. رسالة ماجستير (مطبوع).
- ٢- حَدَثٌ غَيْرُ مَجْرَى التَّارِيخِ. رسالة دكتوراه (مطبوع).
- ٣- موسوعة الدرر المنتقاة [١-٣] (مطبوع).
- ٤- موسوعة الدرر المنتقاة [٤-٥] (مطبوع).
- ٥- موسوعة الدرر المنتقاة [٦-٧] (مطبوع).
- ٦- موسوعة الدرر المنتقاة [٨-٩] (مطبوع).
- ٧- موسوعة الدرر المنتقاة [١٠] (مطبوع).
- ٨- البركة: كيف يحصل عليها المسلم في ماله، ووقته، وسائر شؤونه (مطبوع).
- ٩- كيف تلقي خطبة أو كلمة مؤثرة (مطبوع).
- ١٠- التجارة والأسواق: نصائح وأحكام (مطبوع).
- ١١- خطبة الجمعة فوائد وتنبيهات ويليه سبع رسائل (مطبوع).
- ١٢- المسلمون في بلاد الغربية (مطبوع).



موسوعة الدر المنقاة

درس يومئذ

موسوعة ، وعظية ، تربوية ، اجتماعية ، تحتوي على مئات

الموضوعات التي يحتاجها المسلم

(١١)



إعداد

د/ أمين بن عبد الله الشقاوي

مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ
الدَّرْسُ السَّنْقَاةُ

دُرُوسٌ يَوْمِيَّةٌ

(٧٠) دُرْسًا لِلتَّعَاةِ وَالْمُطَبِّاءِ وَرَأْسُةَ الْمَسَاحِدِ لِلتَّقْرَاةِ عَالِي الْمَصَلِّينِ

إِسْتَدَادَ

الدِّكْتُورُ زَائِمِينَ بْنِ سَعِيدِ اللَّهِ الشَّنْقَاوِيِّ

الْحِزْمَةُ الْحَادِيَةَ عَشَرَ

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي، أمين بن عبد الله

موسوعة الدرر المنتقاة دروس يومية: الجزء ١١ / أمين بن عبد الله

الشقاوي - الرياض، ١٤٣٩هـ

٧٨٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٣-٧٣٣٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد ٢- الإسلام - مجموعات أ- العنوان

١٤٣٩/٨٩٣٣

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٨٩٣٣

ردمك: ٣-٧٣٣٩-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والله أراد طباعته وتوزيعه مجاناً بعد موافقة المؤلف الحظية

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

هـوال رقم : ٥٠٤٤٢٠٥٦٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].

أما بعد: فهذا هو الجزء الحادي عشر من كتابي موسوعة الدرر المنتقاة، وقد اشتمل على سبعين كلمة نهجت في إعدادها نفس المنهج الذي سلكته في هذه الموسوعة، وقد اشتمل هذا الجزء على موضوعات متنوعة آمل أن تكون مفيدة ونافعة.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في أقوالنا، والصواب

في أعمالنا، والإخلاص في نياتنا، وأن يردنا وإخواننا المسلمين إليه رداً جميلاً، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر عباده المجاهدين الصادقين، وأن يقينا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ٢/٩/١٤٣٩ هـ

الكلمة الأولى

وقفات مع حديث: لا حسد إلا في اثنتين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وبعد.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٧٣، وصحيح مسلم برقم ٨١٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠٢٦.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سالم عن أبيه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ»^(١).

هذه الأحاديث اشتملت على فوائد كثيرة، وحكم عظيمة، منها:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: لا حسد، الحسد هنا بمعنى الغبطة، وهو أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن تزول عن غيره تلك النعمة.

٢- قوله في الحديث: رجل آتاه الله القرآن، يعني حفظ القرآن وتلاوته والقيام به في صلاة الليل وتعليمه للناس، فهو مشغول به قراءةً، وحفظاً، وتعليماً.

٣- قوله في الحديث: آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها، الحكمة هي البينات من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يوفق الله لفهمها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف: ٦٣].

٤- فضل القضاء بين الناس، وأنه مما يحسد عليه المرء إذا وُفق للقضاء بالحق.

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٢٥، وصحيح مسلم برقم ٨١٥ واللفظ له.

٥- فضل الفتوى، وهي بيان ما يحتاجه الناس من أمور دينهم فيما يعرض لهم من مشكلات.

٦- فضل تعلم العلم، وهو علم الكتاب والسنة، وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة، فمن ذلك ما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافٍ»^(١).

٧- فضل الغني الشاكر؛ لأنه في عمل يتمناه المتمنون.

٨- إن كثرة المال ليست مذمومة على كل حال، وإنما يتعلق الذم بكسبه من غير حله، أو إنفاقه في غير محله، فأما من عمل فيه بطاعة الله فذلك مما يتنافس فيه المتنافسون، وفي الحديث: «نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(٢).

(١) برقم ٣٦٤١، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٦٩٤/٢) بِرَقْمِ ٣٠٩٦.
(٢) مسند الإمام أحمد (٢٩٩/٢٩) برقم ١٧٧٦٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٩- أن المدح المذكور في الحديث إنما يقع لمن أنفق ماله في الحق وبالغ في إنفاقه، وفي الحديث: «مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي أَحَدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةً، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ»^(١).

وأن مما يُرجى أن يكون قد بلغ تلك المنزلة العالية أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَّصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَّا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَآتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَقُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا^(٢).

١٠- فضل النية الصادقة، وأن العبد يبلغ بها مراتب العاملين وإن لم يعمل عملهم، وفي صحيح مسلم من حديث سهل ابن حنيف عن أبيه عن جده، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَيَّ فِرَاشِهِ»^(٣).

(١) صحيح البخاري ٦٤٤٤، وصحيح مسلم برقم ٩٩١ واللفظ له.

(٢) برقم ١٦٧٨ وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن أبي داود (٣١٥/١) برقم ١٤٧٢.

(٣) برقم ١٩٠٩.

وروى الترمذي في سننه في هذا المعنى حديثاً جليلاً قال فيه صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاخْفَظُوهُ»، قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاخْفَظُوهُ»، فَقَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةٍ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ؛ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوَزْرُهُمَا سَوَاءٌ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٣٢٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

من فضائل التمر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن التمر من الأطعمة الطيبة التي امتن الله بها على عباده، وأحلها لهم، وجعل أكلها في بعض المواضع والأحيان عبادة يتقرب بها إليه، فيشبههم على ما فيه لذتهم وطيب عيشهم، والتمر تمر النخل الذي ذكره الله في كتابه بأحسن الذكر، فقال: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨]، أي ونخل ثمرها لين لطيف، وقال تعالى: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: ١١]، أي فيها الأشجار التي تثمر الفواكه، وفيها النخل ذات الأوعية التي تتفلق عن القنوان.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أخبروني بشجرة شبيهة، أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقتها ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين»، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة،

وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ. فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»، فَلَمَّا قُمْنَا، قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ! لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرُكُمْ تَكَلَّمُونَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْتَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ - أَوْ: حَبِيثٌ - وَرِيحُهَا مُرٌّ»^(٢).

المواضع التي يتعبد فيها بأكل التمر:

١- السحور: روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «نِعَمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ»^(٣).

٢- الفطر للصائم: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث

(١) صحيح البخاري برقم ٤٦٩٨، وصحيح مسلم برقم ٢٨١١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠٥٩، وصحيح مسلم برقم ٧٩٧ بدون: ويعمل به.

(٣) برقم ٢٣٤٥ وصححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في السلسلة الصحيحة برقم ٥٦٢.

أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتَمْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ ^(١).

٣- قبل الخروج لصلاة عيد الفطر: روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَعْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ، وَيَأْكُلُهُنَّ وَتَرًا ^(٢).

والتمر دواء لأعظم الأمراض، وأشدّها خطرًا، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمْرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ» ^(٣).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً» ^(٤) أَوْ إِنَّهَا تَرِياقٌ أَوَّلُ الْبُكْرَةِ» ^(٥).

(١) (١١٠/٢٠) برقم ١٢٦٧٦، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح البخاري برقم ٩٥٣.

(٣) برقم ٢٠٤٧.

(٤) قال النووي رحمته الله: «العالية: ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا، مما يلي نجد، والسافلة من الجهة الأخرى مما يلي تهامة، قال القاضي: وأدنى العالية ثلاثة أميال، وأبعدها ثمانية من المدينة، والعجوة نوع جيد من التمر، وفي هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه، وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها»، صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/٢٣٢).

(٥) برقم ٢٠٤٨.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَنْ التمر: «والتمر من أكثر الثمار تغذية للبدن، بما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدود، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية، فإذا أُديم استعماله على الريق خَفَّفَ مادة الدود وأضعفه وقلَّله، أو قتله، وهو فاكهة وغذاء، ودواء، وشراب، وحلوى»^(١).

وقال في موضع آخر: «وهو غذاء فاضل حافظ للصحة، لا سيما لمن اعتاد الغذاء به كأهل المدينة وغيرهم...»

وأهل المدينة التمر لهم يكاد أن يكون بمنزلة الحنطة وغيرهم، وهو قوتهم ومادتهم، وتمر العالية من أجود أصناف تمرهم، فإنه متين الجسم، لذيد الطعم، صادق الحلاوة، والتمر يدخل في الأغذية، والأدوية، والفاكهة، هو يوافق أكثر الأبدان، مقو للحرار الغريزي، ولا يتولد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة، بل يمنع لمن اعتاده من تعفن الأخلاط وفسادها»^(٢).

والتمر غذاء: روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ! بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ! بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ». قَالَهَا مَرَّتَيْنِ

(١) زاد المعاد (٤/٤٢٥) طبعة مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

(٢) الطب النبوي لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، ص ٢١٨-٢٢٠.

أَوْ ثَلَاثًا (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر رضي عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ عَلَيْنَا أبا عُبَيْدَةَ نَتَلَّقِي عَيْرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي عنها أنها قالت لعروة ابن اختها: إِنَّ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارًا، فَقُلْتُ: وَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ (٣).

ومن الحكم في حديث عائشة السابق: «بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ»:

١- أن التمر لا يحتاج إلى معاناة في إعداده للأكل، ولا كلفة في ذلك.

٢- ما قصه الله علينا عن مريم البتول عليها السلام، قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ وَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ (٢٥)

(١) برقم ٢٠٤٦.

(٢) برقم ١٩٣٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٤٥٩، وصحيح مسلم برقم ٢٩٧٢.

فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿ [مريم: ٢٥-٢٦]. وذكر الأطباء أن الرطب -وعند عدمه التمر- من أنفع الأغذية للحامل، لا سيما قبل الولادة وبعدها.

قال الربيع بن خثيم: «ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم؛ ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت، وكذلك التحنيك، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل»^(٤).

من فوائد التمر:

«له دور مهم في الدعم التغذوي لنمو العضلات، ويُعد محتوى التمر من النيكوتينيك فيتامين B2 مفيداً لعلاج الاضطرابات المعوية، حيث إن تناول كمية كافية من التمور يُساعد الشخص على الحفاظ على مراقبة نمو الكائنات الحية الممرضة، وبذلك يفيد تناول التمر في تنشيط ظهور الجراثيم الصديقة أو المفيدة في الأمعاء، وهو يُزود الجسم المتعب بطاقة إضافية خلال نصف ساعة بعد تناوله.

وبما أن التمر يحتوي على البوتاسيوم، وعلى ٢٠ نوعاً مختلفاً من الأحماض الأمينية، فهو يُساعد على السيطرة على

(٤) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (١٣/٤٣٧).

الإسهال، لأنه يُسهل عملية الهضم، وتُشير الأبحاث إلى أن تناول كمية مرتفعة من البوتاسيوم تصل إلى حوال ٤٠٠ ملغ يمكن أن يقلل من خطر الإصابة بالسكتات الدماغية بنسبة ٤٠٪، كما أن تناول التمر عند الإفطار بعد الصيام يساعد على تجنب الإفراط في تناول الطعام؛ فعندما يمتص الجسم القيمة الغذائية للتمر، يختفي الشعور بالجوع، ويمكن الاستفادة من منافع التمر بتناوله كما هو، أو بشرب منقوعه بعد ٢٤ ساعة من النقع في الماء، أو بأكل التمر المهروس.

كما يُفيد تناول التمر المرأة الحامل في تسهيل الولادة؛ لأنه يقوي عضلات الرحم، مما يجعلها تتمدد بسلاسة عند الولادة، وليس تناول التمر شيئاً مهماً لتسهيل الولادة فقط، بل هو مهم للرضاعة الطبيعية بعد الولادة، حيث يزود حليب الأم بالعناصر الغذائية المفيدة لصحة طفلها.

تأثير استهلاك التمر في أواخر شهر الحمل في المخاض والولادة:

أجريت دراسة استقصائية ما بين ابراير/ شباط ٢٠٠٧م إلى ٣١يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٨م في جامعة الأردن للعلوم والتكنولوجيا لمعرفة أثر تناول التمر في أواخر أشهر الحمل على المخاض والولادة، قارنت هذه الدراسة ما بين ٦٩ امرأة تناولن ستَّ حباتٍ من التمر بشكل يومي قبل موعد ولادتهن

المتوقع بأربعة أسابيع، و ٤٥ امرأة لم يتناولن ذلك.

لوحظ من الدراسة أن النساء اللاتي تناولن التمر أظهرن توسع عنق الرحم لديهن أكثر من المجموعة الأخرى بنسبة مرة ونصف، كما كانت نسبة بقاء الأغشية الجنينية سليمة أكثر من المجموعة الثانية بنسبة مرة وثلاث.

بلغت نسبة الولادة الطبيعية في المجموعة الأولى، أي من تناولن التمر ٩٦٪، أما في المجموعة الثانية، فقد بلغت ٧٩٪، وانخفض استخدام المجموعة الأولى للأوكسيتوسين المحرض للولادة إلى النصف تقريباً.

كما أظهرت الدراسة أن مرحلة ما قبل الولادة كانت أقصر لدى مجموعة النساء الأولى مقارنة بالمجموعة الثانية؛ فقد استغرقت المجموعة الأولى ٥١٠ دقيقة، والمجموعة الثانية ٩٠٦ دقيقة إلى النصف تقريباً، وخلصت الدراسة إلى أن تناول التمور قبل الولادة بأربعة أسابيع يقلل بشكل كبير حاجة الحامل إلى عملية تحريض الولادة، كما يؤدي ذلك إلى ولادة أفضل^(١).

يؤكل التمر على ثلاث مراحل من مراحل نموه، يؤكل بسرّاً، ورطباً، وتمراً.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال:

(١) المصدر: موسوعة الملك عبد الله بن عبدالعزيز رحمته الله الصحية.

خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْدِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ (١).

فَاتِدَّة:

ثبت أن النبي ﷺ كان يأكل التمر مفردًا، كما كان يأكله مع الزبد، فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابني بسر السلميين قالا: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدَّمْنَا لَهُ زُبْدًا وَتَمْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ وَالتَّمْرَ (٢).

كما كان ﷺ يأكل القشاء مع الرطب، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن جعفر قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) برقم ٢٠٣٨، البسر هو: تمر النخل قبل أن يرطب، المعجم الوسيط، ص ٥٦؛ الرطب هو: نضيج البسر قبل أن يصير تمرًا، وذلك إذا لان وحلا، أو تمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يصير تمرًا، المعجم الوسيط، ص ٣٥١؛ التمر: هو اليابس من تمر النخل، المعجم الوسيط، ص ٨٨.

(٢) برقم ٣٨٣٧، وحسن إسناده ابن مفلح في الآداب الشرعية (١٨/٣).

يَأْكُلُ الرُّطَبَ بِالقِثَاءِ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٥٤٤٠، وصحيح مسلم برقم ٢٠٤٣.

الكلمة الثالثة

من حكم الصيام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الله بجلِّهِ وَصَلَّى لَهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ فِيمَا خَلَقَهُ، وَفِيمَا شَرَعَهُ، فَهُوَ الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ، وَفِي شَرَعِهِ، لَمْ يَخْلُقْ عِبَادَهُ لِعِبَاءٍ، وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ سُدىً، وَلَمْ يَشْرَعْ لَهُمُ الشَّرَائِعَ عَبَثًا، بَلْ خَلَقَهُمْ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَهِيَ أَمُّهُمُ لَخَطْبِ جَسِيمٍ، وَبَيْنَ لَهُمُ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَشَرَعَ لَهُمُ الشَّرَائِعَ لِيَزِدَادَ بِهَا إِيمَانَهُمْ، وَتَكْمِلَ بِهَا عِبَادَاتَهُمْ، فَمَا مِنْ عِبَادَةٍ شَرَعَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، عَلِمَهَا مِنْ عَلِمِهَا، وَجَهَلَهَا مِنْ جَهَلِهَا، وَلَيْسَ جَهْلُنَا بِحِكْمَةِ شَيْءٍ مِنْ الْعِبَادَاتِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهَا لَا حِكْمَةَ فِيهَا، بَلْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَجْزِنَا، وَقُصُورِنَا عَنْ إِدْرَاكِ حِكْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥)» (١) [الإسراء: ٨٥].

ومن هذه الشرائع التي فرضها الله على عباده الصيام،

(١) مجالس شهر رمضان للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٤٠.

فأخبر سُبْحَانَهُ أنه لا تستغني عنه الأمم لما فيه من تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرض الصيام على أمة الإسلام إلى السنة الثانية بعد الهجرة، بعدما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدرج، وتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن حكم الصيام: أن المقصود منه حبس النفوس عن الشهوات، وطمها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية؛ لتستعد لطلب ما فيه سعادتها، ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه سعادتها في حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حداثها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، ويضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ﷻ ومرضاته، وهو سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه

سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر؛ وذلك حقيقة الصوم»^(١).

ومنها: أن في الصوم تعويد للنفس على الصبر عن الشهوات، والملذات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ مَا صَبْرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

ومنها: أنه وسيلة للوصول إلى درجات المتقين، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فإن الصائم مأمور بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٢).

وإذا كان الصائم متلبسًا بالصيام، فإنه كلما همَّ بمعصية تذكر أنه صائم فامتنع عنها، ولهذا أمر النبي ﷺ الصائم أن يقول لمن سابه أو شاتمته: إني امرؤ صائم، تنبيهًا له على أن الصائم مأمور بالإمساك عن السب والشتم، وتذكيرًا لنفسه بأنه متلبس بالصيام، فيمتنع عن المقابلة بالسب والشتم.

(١) زاد المعاد (٢/٢٧) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٠٥٧.

ومنها: التمرن على ضبط النفس، والسيطرة عليها، والقوة على الإمساك بزمامها حتى يتمكن من التحكم فيها، ويقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها، أوقعته في المهالك، وإذا ملك أمرها، وسيطر عليها، تمكن من قيادتها إلى أعلى المراتب وأسنى المطالب.

ومنها: كسر النفس، والحد من كبريائها حتى تخضع للحق، وتلين للخلق، فإن الشبع، والري، ومباشرة النساء يحمل كل منها على الأشر، والبطر، والعلو، والتكبر على الخلق وعن الحق، وذلك أن النفس عند احتياجها لهذه الأمور تشتغل بتحصيلها، فإذا تمكنت منها رأت أنها ظفرت بمطلوبها، فيحصل لها من الفرح المذموم والبطر ما يكون سبباً لهلاكها، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

ومنها: أن الصيام وجاء لشهوة النكاح، وكسر لحدتها، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٦٦، وصحيح مسلم برقم ١٤٠٠.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن مصالِح الصوم لما كانت مشهودة
بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه اللهُ لعباده رحمة
بهم، وإحساناً إليهم، وحمية لهم وجنة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى اللهُ وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة

تأملات في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [محمد: ٢٤].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبده وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم» (١)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٣/٢٢٣).

[فاطر: ١٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنَى وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفَعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أُسَدِّ فَقْرَكَ»^(١).

وفي الحديث القدسي من حديث أبي ذر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ... يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَضْرُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي... يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٢).

وقوله: «الرزاق صيغة مبالغة تدل على كثرة الرزق، وعلى كثرة المرزوق، فرزق الله كثير باعتبار المرزوقين، فكل دابة في الأرض على الله رزقها، من إنسان وحيوان، ومن طائر وزاحف، ومن صغير وكبير، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

وقوله: ذو القوة المتين أي صاحب القوة التي لا قوة

(١) (٣٢١/١٤) برقم ٨٦٩٦، وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين لأجل زائدة بن نسيط، فقد روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في الثقات، وأبو خالد هو الوالبي، روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، فهو صدوق حسن الحديث.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٥٧٧.

تضادها، والمتين يعني الشديد، شديد في قوته، شديد في عقابه، شديد في كل ما تقتضي الحكمة الشدة فيه»^(١).

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة، كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة، والزكاة، فالصلاة عبادة، والصدقة عبادة، والحج عبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة، وكل ما يقرب إلى الله من قول، أو فعل، فإنه عبادة»^(٢).

«العبادة نوعان:

الأول: عبادة قلبية: ومنها التوكل، والإخلاص، والمحبة، والإنابة، والرجاء، والخوف، والخشية، والرضى، والصبر.. وغيرها.

والثاني: عبادة الجوارح: وهي قسمين، عبادة فعلية مثل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وعبادة قولية مثل الذكر، وقراءة القرآن، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ»^(٣).

(١) تفسير القرآن الكريم، سورة الذاريات، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ١٦٨-١٦٩.
 (٢) العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٤.
 (٣) زيادة الإيمان ونقصانه، وحكم الاستثناء فيه، للدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ١٨٣-٢٤٣.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

فكل ما تقدم من أنواع العبادة يجب صرفه **لله** تعالى، ومن
 صرف شيئاً منها لغير **الله** فقد أشرك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي
 وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ
 لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

والعبادة لها مفهوم صحيح ومفهوم خاطئ، فمن عبد **الله**
 بما يرضيه وشرعه على السنة، فعبادته صحيحة، ومن كانت
 عبادته لله وفق ما تشتهي نفسه، وما تمليه عليه إرادته أو إرادة
 آبائه وشيوخه، فعبادته غير صحيحة، ولا مقبولة، بل مردودة
 عليه، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢].

فهذا بيان واضح أن الاستقامة أن يتعبد **لله** بما أمر، لا بما
 أراد، ولذلك لم يقل كما أردت، وإنما قال كما أمرت.

قال تعالى: ﴿ وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾
 [الجن: ١٦]. ولا تتحقق الاستقامة في عبادة **الله** إلا أن يكون
 العبد سويًا في نفسه، وأن يكون سيره على الطريق القويم الذي
 وردت به الشريعة، وهذا هو ميزان المتقين.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيم ﴿٢٢﴾ [الملك: ٢٢].

وما خلق الله الموت والحياة، أجيال تفنى وأجيال تحيا،
إلا لتحقيق هذا الغرض، قال تعالى: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢].

قال الفضيل بن عياض: «أحسن عملاً: أخلصه وأصوبه،
وقال: إن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون
خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على
السنة»^(١).

والعبادة الصحيحة التي يقبلها الله هي السير على الصراط
المستقيم دون إفراط أو تفريط، قال الله تعالى: ﴿يَسْ ۙ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ
الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
﴿٥﴾﴾ [يس: ١-٥].

فبين تعالى أن الصراط المستقيم هو ما أنزله على رسوله ﷺ،
وما من عمل إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إفراط أو تفريط، فإن
الشيطان يأتي لقلب العبد فيشمه، فإن رأى فيه نشاط وهمة،
زين له التشديد والغلو حتى يخرج عن الصراط المستقيم،
وإن رأى فيه توانيً وكسلاً زين له التقصير والإهمال، ومراده

(١) مدارج السالكين (٢/٦٩).

من ذلك أن يخرج العبد عن الصراط المستقيم، ومن اقتدى
بمحمد ﷺ وأصحابه الكرام فقد هدي إلى صراط مستقيم.

قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢﴾
صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فقد بين تعالى أن الناس في سلوك الصراط المستقيم على
ثلاثة أقسام:

- فمن عبد الله على جهل، فقد ضل وغوى، وشرع في الدين
ما لم يأذن به الله، وقدوته في ذلك النصراني من أهل
الكتاب.

- ومن علم ولم يعمل، وحرّف وبدّل، فقد وقع في غضب
الله ولعنته، وقدوته في ذلك اليهود.

- ومن نجا مما وقعت فيه الطائفتان فتفقه في دين الله،
وعلم وعمل، فقد سار على الصراط المستقيم الذي دعا
إليه عباده، وعلمهم أن يدعوه به، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



نبي الله آدم ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فلقد قص الله علينا قصص الأنبياء والمرسلين؛ لناخذ منها الدروس والعبر، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَئِنْ تَصَدَّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

ومن الأنبياء الذين أكثر الله من ذكرهم في كتابه، أبو البشر آدم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣٠] وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

٣٣ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي
 أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا
 لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
 ٣٤ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا
 تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا
 مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ
 ٣٦ فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا
 مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
 ﴿٣٩﴾ [البقرة: ٣٠-٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ
 ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا
 النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
 كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾
 [النساء: ١].

«وقد ذكر الله قصة آدم ﷺ في مواضع متفرقة من القرآن،
 فأخبر تعالى في الآيات السابقة أنه خاطب الملائكة قائلاً لهم
 ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. أعلم بما يريد أن
 يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضاً، كما قال
 تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم، والحسد لهم: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؟ قيل: علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الخلائق من الجن - قاله قتادة - .

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي نعبدك دائماً، لا يعصيك منا أحد، فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك، فهانحن لا نفر ليلاً ولا نهاراً، قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون، أي سيوجد منهم الأنبياء، والمرسلون، والصديقون، والشهداء، ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم، فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، قال ابن عباس: «هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، دابة، أرض، بحر، جبل، جمل، وأشباه ذلك من الأمم.. وغيرها» (١).

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ

(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١/١٦٦-١٦٧).

بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ .. وذكر تمام الحديث»^(١).

«فهذه أربع تشريفات، خلقه الله بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه أسماء كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١١-١٢]. وقد رأى إبليس نفسه أشرف من آدم، فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود، والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار، ثم هو فاسد في نفسه، فإن الطين أنفع وخير من النار، فإن الطين فيه الرزانة، والحلم والأناة، والنمو، والنار فيها الطيش، والخفة، والسرعة، والإحراق، ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده، ونفخ فيه من روحه، وفي الحديث عند مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٤٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٤.

(٢) برقم ٢٩٩٦.

ونقل بعضهم عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة، أنهم قالوا: أُخرج إبليس من الجنة، وأُسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها مستوحشاً ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة، فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعده، خلقها الله من ضلعه، فسألها: من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليّ، فقالت له الملائكة -ينظرون ما بلغ من علمه-: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ، وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس: أنها خلقت من ضلعه الأيسر وهو نائم، ولأم مكانه لحمًا، ومصداق هذا في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «استَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتْهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٣١، وصحيح مسلم برقم ١٤٦٨.

قال تعالى: ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ [الأعراف: ٢٠]. يقول: ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، أي: ولو أكلتما منها لصرتما كذلك، وقاسمهما أي: حلف لهما على ذلك ﴿إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ [الأعراف: ٢١]. كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ [طه: ١٢٠]. أي هل أدلك على شجرة إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، واستمرت في ملك لا يبيد ولا ينقضي؟ وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع.

قوله: ﴿ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿٢٢﴾ [الأعراف: ٢٢]. كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿١٢١﴾ [طه: ١٢١]. وكانت حواء قد أكلت من الشجرة قبل آدم، وهي التي حضته على أكلها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ^(١) اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَاءٌ لَمْ تَخْنُ^(٢) أُنْثَى رَوْجَهَا»^(٢).

(١) أي يتنن.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٣٣٠، وصحيح مسلم برقم ١٤٧٠.

قال تعالى: ﴿ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٣]. وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة، وتذلل، وخضوع، واستكانة، وافتقار إليه تعالى في الساعة الراهنة، وهذا السرُّ ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴿٣٨﴾ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦-٣٩]. فدل على أنهم أهبطوا إلى الأرض، وكرره لفظاً وإن كان واحداً، وناط مع كل مرة حكماً، فناط بالأول عداوتهم فيما بينهم، وبالثاني الاشتراط عليهم، أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقي.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»^(١). وفي رواية:

(١) صحيح مسلم برقم ٨٥٤.

«وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا، خَيْبَتْنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى.. ثلاثاً»^(٢). والتحقيق أن هذا الحديث روي بألفاظ كثيرة، بعضها مروى بالمعنى وفيه نظر، ومدار معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنه لآمه على إخراج نفسه وذريته من الجنة، فقال له آدم: أنا لم أخرجكم، وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة، والذي رتب على ذلك وقدره وكتبه عليّ قبل أن أخلق هو الله عز وجل، فأنت تلومني على أمر ليس له نسبة إلي أكثر ما أني نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها، وكون الإخراج مترتباً على ذلك ليس من فعلي، فأنا لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة، وإنما كان هذا من قدر الله عز وجل وصنعه وله الحكمة في ذلك، فلهذا حج آدم موسى.

ولهذا قال بعض أهل العلم بأن جواب آدم إنما كان احتجاجاً

(١) صحيح مسلم برقم ٨٥٤.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٦١٤، وصحيح مسلم برقم ٢٦٥٢.

بالقدر على المصيبة لا على المعصية»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١/١٦١-١٩٩) باختصار وتصرف.

مسائل وفوائد من قصة آدم ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

استكمالاً للحديث عن نبي الله آدم ﷺ، هذه بعض المسائل والفوائد:

هل آدم عليه السلام نبي أم رسول؟

«آدم ليس برسول، ولكنه نبي، فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنبِيٌّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُكَلَّمٌ»^(١)، ولكنه ليس برسول، والدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «أَنَّ النَّاسَ يَذْهَبُونَ إِلَى نُوحٍ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»^(٢)، وهذا نص صريح بأن نوحاً أول الرسل.

(١) صحيح ابن حبان ص ١٠٦١، برقم ٦١٩٠، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ٢٦٦٨.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٣٣٤٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٤.

وعلى ذلك يكون آدم أول الأنبياء بدليل الآية في قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِآدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥]، وغير ذلك من الآيات التي فيها إحياء الله إليه، وليس هناك دليل صريح يدل على أنه رسول عليه الصلاة والسلام^(١).

ومن الأحاديث الواردة في خلق آدم ﷺ وذريته، ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ،

(١) انظر فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١/٣١٦) وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/٢٧٨) برقم ٧٧٠١.

(٢) (٣٢٢/٣٥٣) برقم ١٩٥٨٢، وقال محققوه: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِيمَ الْعَمَلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النَّارَ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بْنِعَمَانَ -يَعْنِي عَرَفَةَ- فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَتَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قُبَلًا، قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]»^(٢).

قال ابن كثير رحمته الله: «واستأنس القائلون بهذا القول، وهو أخذ الميثاق على الذرية- وهم الجمهور، بما رواه أحمد في

(١) (١/٣٩٩-٤٠٠) برقم ٣١١ وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) (٤/٢٦٧) برقم ٢٤٥٥، وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الشيخين، غير كلثوم بن جبير فمن رجال مسلم، وثقه أحمد وابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: ليس بالقوي، ورجح الحافظ ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية وقفه (١/٢١١).

مسنده وأصله في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ» (١) (٢).

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أَوْلِيكَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتِكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرِ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي - وَكِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهُمَا، فَإِذَا فِيهِمَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ! مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَوْهُمْ، أَوْ مِنْ أَضْوَائِهِمْ، لَمْ يَكْتُبْ لَهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، وَقَدْ

(١) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (١/ ٢١١).

(٢) (٣٠٢/١٩) برقم ١٢٢٨٩، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

كَتَبَ اللَّهُ عُمُرَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: ذَلِكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَلِكَ، اسْكُنِ الْجَنَّةَ، فَسَكَنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لَابْنِكَ دَاوُدَ مِنْهَا سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، فَيَوْمَئِذٍ أَمَرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسًا، فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحْيِيكَ وَتَحْيِي ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ»^(٢).

«من فوائد قصة آدم عليه السلام :

١- إن هذه القصة العظيمة ذكرها الله في كتابه في مواضع كثيرة صريحة لا ريب فيها ولا شك، وهي من أعظم القصص التي

(١) صحيح ابن حبان ص ١٠٥٦-١٠٥٧ برقم ٦١٣٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح الجامع الصغير برقم ٥٢٠٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٢٢٧، وصحيح مسلم برقم ٢٨٤١.

اتفقت عليها الرسل، ونزلت بها الكتب السماوية، واعتقدتها جميع أتباع الأنبياء من الأولين والآخرين، وما ذكره بعضهم من أن الإنسان كان حيواناً قردياً أو شبيهاً بالقرود حتى ارتقى إلى هذه الحال الموجودة، هؤلاء اغتروا بنظرياتهم الخاطئة المبنية على ظنون عقول من أصلها فاسدة، وتركوا لأجلها جميع العلوم الصحيحة، خصوصاً ما جاءتهم به الرسل، وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

٢- فضيلة العلم، وأن الملائكة لما تبين لهم فضل آدم بعلمه عرفوا بذلك كماله، وأنه يستحق الإجلال والتوقير.

٣- أن مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بالعلم عليه أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن يقول كما قالت الملائكة والرسل: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]. وأن يتوقى التكلم بما لا يعلم، فإن العلم أعظم المنن، وشكر هذه النعمة الاعتراف لله بها، والثناء عليه بتعليمها، وتعليم الجهال، والوقوف على ما علمه العبد، والسكوت عما لم يعلمه.

٤- أن الله جعل هذه القصة لنا معتبراً، وأن الحسد والكبر والحرص من أخطر الأخلاق على العبد، فكبر إبليس

وحسده لآدم صيره إلى ما ترى، وحرص آدم وزوجه حملهما على تناول الشجرة، ولولا تدارك رحمة الله لهما لأودت بهما إلى الهلاك، ولكن رحمة الله تكمل الناقص، وتجبر الكسير، وتنجي الهالك، وترفع الساقط.

٥- أنه ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة؛ فما قص الله علينا صفة توبتهما إلا لنقتدي بهما فنفوز بالسعادة، وننجو من الهلكة؛ وكذلك ما أخبرنا بما قال الشيطان من توعدنا وعزمه الأكيد على إغوائنا بكل طريق إلا لنستعد لهذا العدو الذي تظاهر بهذه العدواة البليغة المتأصلة، والله يحب منا أن نقاومه بكل ما نقدر عليه من تجنب طرقه وخطواته، وفعل الأسباب التي يخشى منها الوقوع في شباكه، ومن عمل الحصون من الأوراد الصحيحة، والأذكار القلبية، والتعوذات المتنوعة، ومن السلاح المهلك له من صدق الإيمان، وقوة التوكل على الله، ومراغمته في أعمال الخير، ومقاومة وساوسه والأفكار الرديئة التي يدفع بها إلى القلب كل وقت بما يضادها، ويبطلها من العلوم النافعة والحقائق الصادقة.

٦- أن فيها دلالة لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء الحسنی والصفات كلها، لا فرق

بين صفات الذات، ولا بين صفات الأفعال.

٧- إثبات اليمين **الله** كما هو في قصة آدم صريحاً: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. فله يدان حقيقة، كما أن ذاته لا تشبهها الذوات، فصفاته تعالى لا تشبهها الصفات»^(١).

٨- ذكر العلماء أن أول ذنب عُصي **الله** به الحسد، «وذلك أن **الله** تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، امتثلوا كلهم الأمر الإلهي، وامتنع إبليس من السجود له، حسداً وعداوة له، فطرده **الله** وأبعده، وأخرجه من الحضرة الإلهية ونفاه عنها، وأهبطه إلى الأرض طريداً ملعوناً، شيطاناً رجيماً»^(٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول **الله** ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ فَسَجَدَ، اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ- وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي- أَمْرَ ابْنِ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأَمْرَتْ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»^(٣).

٩- ألا يتساهل المسلم في المعاصي، فمعصية واحدة كانت سبباً لخروج آدم ﷺ من الجنة، قال الشاعر:

(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي، قسم التفسير وعلوم القرآن (٣/١٧٦-١٧٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١/٢١٣).

(٣) برقم ٨١.

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَا
دَرَكَ الْجِنَانَ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ

ومعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة في معركة أحد عندما أمرهم النبي ﷺ ألا ينزلوا من الجبل، فعصوه ونزلوا، فقتل سبعون، كما جاء في الصحيح^(١).

ومعصية واحدة كانت سبباً في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٢).

قال الأوزاعي: عن بلال بن سعد قال: «لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٣٩٨٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٣١٨، وصحيح مسلم برقم ٢٢٤٢.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤/٤٥١).

نبي الله نوح عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وهو الأب الثاني للبشر صلى الله عليه وسلم.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْبِيُّ كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُكَلَّمٌ»، قَالَ: فَكَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: «عَشْرَةُ قُرُونٍ»^(١).

وروى الطبري في تفسيره عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»^(٢).

«فإن كان المراد بالقرن مائة سنة، كما هو المتبادر عند كثير

(١) ص ١٠٦١ برقم ٦١٥٧، قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٢٣٧): وهذا الحديث

على شرط مسلم ولم يخرجه.

(٢) (٣/٦٢٠)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تلييس الجهمية (٣/٦٥): ثابت، وقال

عكرمة: كلهم على الإسلام.

من الناس، فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام، لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون، وزادنا ابن عباس أنهم كلهم على الإسلام، وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار.. والله أعلم.

وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، وكقوله عليه السلام: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي... الحديث»^(١)، فقد كان الجيل قبل نوح يعمرود الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألف من السنين. والله أعلم.

وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله لما انتشر الفساد في الأرض، وعُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن

(١) صحيح البخاري برقم ٢٦٥٢، وصحيح مسلم برقم ٢٥٣٣.

النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَيَّ نُوحٌ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ.. الحديث»^(١).

وكان قومه يُقال لهم: بنو راسب، فيما ذكره ابن جرير وغيره، واختلفوا في مقدار سنه يوم بُعث، فقيل: كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة، حكاها ابن جرير وعزا الثالث منها إلى ابن عباس.

وقد ذكر الله قصة نوح وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة في غير ما موضع من كتابه كما في سورة الأعراف، ويونس، وهود، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصفات.

وقد تقدم عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٤٠، وصحيح مسلم برقم ١٩٤.

كلهم على الإسلام، وذكرنا أن المراد بالقرن الجيل، أو المدة على ما سلف، ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام، وكان سبب ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم عُبدت، قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد^(١).

وكل صنم من الأصنام السابقة عبده طائفة من الناس، وقد ذكر أنه لما تناولت العهود والأزمان، جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لها، ثم عُبدت بعد ذلك من دون الله ﷻ.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: «إِنَّ أَوْلِيكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، فَأَوْلِيكَ شِرَارُ

(١) صحيح البخاري برقم ٤٩٢٠.

الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

فلما بعث الله نوحًا عليه السلام، دعاهم إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن لا يعبدوا معه صنمًا، ولا تمثالًا، ولا طاغوتًا، وأن يعترفوا بوحدانيته، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين كلهم من ذريته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

وذكر تعالى أنه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار، والسر والإجهار، بالترغيب والترهيب أخرى، وكل هذا لم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان، وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان، وتنقصوه، وتنقصوا من آمن به، وتوعدوهم بالرجم والإخراج، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم.

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، أي ومع هذه المدة الطويلة، فما آمن به إلا القليل منهم، وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم ترك الإيمان به ومحاربتة ومخالفته، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدًا

(١) صحيح البخاري برقم ٤٢٧، وصحيح مسلم برقم ٥٢٨.

ما عاش، ودائمًا ما بقي، وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق.

ولما يئس نوح ﷺ من صلاحهم، وفلاحهم، ورأى أنه لا خير فيهم، وتوصلوا إلى أذيته، ومخالفته، وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال، دعا عليهم دعوة غضب الله، فلبى الله دعوته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْجَع بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَجَنِّي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم، ودعوة نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها، ولا يكون بعدها مثلها، وأخبره الله تعالى أنه إذا جاء أمره، وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه، فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم، فإنه ليس الخبر كالمعاينة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُحْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٧-٣٨].

وقد كان حالهم الكفر الغليظ، والعناد البالغ في الدنيا، وهكذا في الآخرة، فإنهم يجحدون أيضًا أن يكون جاءهم

من الله رسول، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يَحْيَىٰ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ يَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، يَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ يَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، يَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ يَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]»^(١).

والوسط: العدل، فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحًا بالحق، وأنزل عليه الحق وأمره به، وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه، وأتمها، وأنه لم يدع شيئًا مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به، ولا شيئًا مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه، وحذرهم منه، وهكذا شأن جميع الرسل.

ثم أمره الله تعالى أن يصنع السفينة، ويحمل فيها من كل زوجين اثنين من الحيوانات، وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله أي أهل بيته ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، أي إلا من كان كافرًا، فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا تُرد، ووجب عليه حلول البأس الذي لا يُرد، وأمره أن لا يراجعهم فيهم إذا حل بهم ما يعانیه من

العذاب العظيم، الذي قد حتمه عليهم الفَعَال لما يريد.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحِّينَا... ﴾ [المؤمنون: ٢٦-٢٧]، أي بأمرنا لك، وبمرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك، لنرشدك إلى الصواب في صنعها، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠]، هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم، ودعوتهم الأكيدة ليلاً ونهاراً، بضروب المقال، وفنون التلطفات، والتهديد، والوعيد تارة، والترغيب والوعد أخرى. قيل: عدد المؤمنين سبعة، وقيل: كانوا ثمانين نفساً معهم نساؤهم، وأما امرأة نوح ﷺ وهي أم أولاده كلهم، وهم: حام، وسام، ويافث، ويام، وهو الذي غرق، قيل إنها غرقت مع من غرق، وكانت ممن سبق عليه القول بكفرها.

قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، وقد استجاب الله تعالى لدعوته فلم يبق منهم عين تطرف.

ثم ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه في ولده، وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف، ووجه السؤال: إنك وعدتني بنجاة أهلي معي، وهو منهم وقد غرق، فأجيب بأنه ليس من أهلك، أي الذين وعدت بنجاتهم، أي: أما قلنا لك ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم، بأنه سيغرق بكفره، ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان، فغرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان، ثم قال ﴿سُبْحَانَكَ﴾: ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨]، هذا أمر لنوح عليه السلام أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي، وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ أي: اهبط سالمًا مباركًا عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلًا ولا عقبًا سوى نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينتسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم: سام، وحام، ويافث^(١).

(١) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (١/٢٣٧-٢٧٥) باختصار.

«فأما يافث فقد ملأ المشرق من الذرية، وحام ملأ المغرب من النسل، وسام ملأ ما بين ذلك. ومكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومكث بعد هلاكهم ما شاء الله»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي (٣ / ١٨١).

فوائد من قصة نوح عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

استكمالاً للحديث عن نبي الله نوح عليه السلام، هذه بعض الفوائد من قصته:

١- «أن جميع الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم متفقون على الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك، فنوح وغيره أول ما يقولون لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ويكررون هذا الأصل بطرق كثيرة.

٢- آداب الدعوة وتمامها، فإن نوحاً دعا قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاً بكل وقت وبكل حالة يظن فيها نجاح الدعوة، وأنه رغبهم بالثواب العاجل وبالسلامة من العقاب، والتمتع بالأموال والبنين، وإدراك الأرزاق إذا آمنوا وبالثواب الآجل؛ وحذرهم من ضد ذلك، وصبر على هذا صبراً عظيماً كغيره من الرسل، وخاطبهم بالكلام الرقيق والشفقة، وبكل لفظ جاذب للقلوب محصل للمطلوب، وأقام الآيات، وبين البراهين.

٣- أن الشُّبه التي قدح فيها أعداء الرسل برسالتهم من الأدلة على إبطال قول المكذبين، فإن الأقوال التي قالوها، ولم يكن عندهم غيرها، ليس لها حظ من العلم والحقيقة عند كل عاقل، فقول قوم نوح: ﴿ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَكَ ﴾ [هود: ٢٧]، تأمل جملها تجدها تمويهات دالة على أنهم مبطلون مكابرون للحقيقة، فقولهم: ﴿ مَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ فهل في كون الحق جاء على يد بشر شيء من الشبهة تدل على أنه ليس بحق؟ ومضمون هذا الكلام أن كل قول قاله البشر من أي مصدر يكون باطلاً، وهذا قدح منهم في جميع العلوم البشرية المستفادة من البشر، ومعلوم أن هذا يبطل العلوم كلها، فهل عند البشر علوم إلا مستفيدها بعضهم من بعض وهي متفاوتة؟ فأعظمها وأصدقها وأنفعها ما تلقاه الناس عن الرسل الذين علومهم عن وحي إلهي.

وكذلك قولهم: ﴿ وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَكَ ﴾ أي: نحن وأنتم بشر، وقد أجابت الرسل كلهم عن هذه المقالة فقالوا: ﴿ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم: ١١]، فمن الله على الرسل، وخصهم بالوحي والرسالة مع أن إنكارهم عليهم من هذه الجهة من أكبر الجهل وأعظم

القدح في نعمة الله، فإن رحمة الله وحكمته اقتضت أن يكون الرسل من البشر؛ ليتمكن العباد من الأخذ عنهم، وتيسر عليهم هذه النعمة، ويسهل الله لهم طرقها، فهؤلاء المكذبون كفروا بأصل النعمة، وبالطريق المستقيم النافع الذي جاءتهم به.

وكذلك قولهم: ﴿وَمَا نَزَّلَكَ آتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾ من المعلوم لكل أحد عاقل أن الحق يعرف أنه حق بنفسه لا بمن تبعه، وأن هذا القول الذي قالوه صدر عن كبر وتيه، والكبر أكبر مانع للعبد من معرفة الحق ومن اتباعه.

وأيضاً قولهم: ﴿أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾ إن أرادوا الفقر فالفقر ليس من العيوب، وإن أرادوا أرادوا في الأخلاق فهذا كذب معلوم بالبديهة، وإنما أرادوا الذين قالوا هذه المقالة، فهل الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، والانقياد للحق، والسلامة من كل خصلة ذميمة، هل هذا الوصف رذيلة وأهله أرادوا؟ أم الرذيلة بضده.. من ترك أفرض الفروض توحيد الله وشكره وحده وامتلاء القلب من التكبر على الحق وعلى الخلق؟ هذا والله أرذل الرذائل، ولكن القوم مباحثون فما نعموا من هؤلاء الأخيار إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.

وقولهم: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي: مبادرة منهم إلى الإيمان بك يا نوح، لم يشاوروا ولم يتأنوا ويترووا لو فرض أن هذا

حقيقة فهذا من أدلة الحق، فإن الحق عليه من البراهين والنور والجلالة والبهاء والصدق والطمأنينة ما لا يحتاج إلى مشاورة أحد باتباعه، وإنما التي تحتاج إلى مشاورة هي الأمور الخفية، التي لا تعلم حقيقتها ولا منفعتها، أما الإيمان الذي هو أجلى من الشمس في نورها، وأحلى من كل شيء، فما يتأخر عنه إلا كل متكبر جبار أمثال هؤلاء الطغاة البغاة.

وقولهم: ﴿وَمَا زَيَّ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ هل في هذا الكلام شيء من الإنصاف بوجه، لانهم يخبرون عن أنفسهم، وكلامهم يحتمل أنه الذي في قلوبهم، ويحتمل أنهم يقولون ما لا يعتقدون، وعلى كلا الأمرين فالحق يجب قبوله، سواء أقاله الفاضل أو المفضول، الحق أعلى من كل شيء.

وكذلك قولهم: ﴿بَلْ نُنَظِّكُمْ كَذِبِينَ﴾ معلوم أن الظن أكذب الحديث، ثم لو قالوا: بل نعلمكم كاذبين، فهذه كل مبطل يقدر أن يقولها، ولكن بأي شيء استدللتم أنهم كاذبون؟ فهذه أدلتهم وبراهينهم أبطلت نفسها بنفسها كما ترى، فكيف وقد قابلها الرسل بالأدلة والبراهين المتنوعة التي لا تبقي ريباً لأحد في بطلانها؟

٤- أن من فضائل الأنبياء وأدلة رسالتهم إخلاصهم التام لله تعالى في عبوديتهم لله القاصرة، وفي عبوديتهم المتعدية

لنفع الخلق كالدعوة والتعليم وتوابع ذلك، ولذلك يبدوون ذلك ويعيدونه على أسماع قومهم كل منهم يقول: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]، ولهذا كان من أجل الفضائل لاتباع الرسل أن يكونوا مقتدين بالرسول في هذه الفضيلة، والله تعالى يجعل لهم من فضله من رفعة الدنيا والآخرة أعظم مما يتنافس فيه طلاب الدنيا.

٥- أن القدح في نيات المؤمنين وفيما من الله عليهم به من الفضائل والتألي على الله^(١) أنه لا يؤتيهم من فضله من مواريث أعداء الرسل، فلهذا قال نوح لقومه حين تألوا على الله، وتوسلوا في ذم المؤمنين به بذلك، فقال: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١].

٦- أنه ينبغي الاستعانة بالله، وأن يذكر اسمه عند الركوب والنزول، وفي جميع التقلبات والحركات، وحمد الله والإكثار من ذكره عند النعم لا سيما النجاة من الكربات والمشقات، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا...﴾ [هود: ٤١]، وقال: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى

(١) أي: الحكم عليه. انظر: لسان العرب أ ل ي.

الْفَلَكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وأنه ينبغي أيضاً الدعاء بالبركة في نزول المنازل العارضة كالمنازل في إقامات السفر وغيره، والمنازل المستقرة كالمساكن والدور؛ لقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْ لِي مَنزَلاً مَبْرُكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩]. وفي ذلك كله من استصحاب ذكر الله، ومن القوة على الحركات والسكنات، ومن قوة الثقة بالله، ومن نزول بركة الله التي هي خير ما صحبت العبد في أحواله كلها ما لاغنى للعبد عنه طرفة عين.

٧- أن تقوى الله والقيام بواجبات الإيمان من جملة الأسباب التي تُنال بها الدنيا وكثرة الأولاد والرزق وقوة الأبدان، وإن كان لذلك أيضاً أسباب أخرى، وهي السبب الوحيد الذي ليس هناك سبب سواه في نيل خير الآخرة، والسلامة من عقابها.

٨- أن النجاة من العقوبات العامة الدنيوية هي للمؤمنين، وهم الرسل وأتباعهم، وأما العقوبات الدنيوية العامة فإنها تختص بالمجرمين، ويتبعهم توابعهم من ذرية وحيوان، وإن لم يكن لها ذنوب؛ لأن الوقائع التي أوقع الله بأصناف المكذبين شملت الأطفال والبهائم، وأما ما يذكر في بعض الإسرائيليات أن قوم نوح أو غيرهم لما أراد الله إهلاكهم

أعقم الأرحام حتى لا يتبعهم في العقوبة أطفالهم فهذا ليس له أصل، وهو مناف للأمر المعلوم، وذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٥٢] (١).

٩- صبر نوح عليه السلام على دعوته لقومه مئات السنين، فقد لبث فيهم تسعمئة وخمسون عاماً يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهراً، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ [العصر: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن لوازم الصبر ألا يستطيل الداعي إلى الله الطريق، ولا يستعجل النتائج، روى البخاري في صحيحه من حديث خباب ابن الأرت قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ

(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي (٣/ ١٨١-١٨٥).

إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ
تَسْتَعْجِلُونَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



نبي الله و خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فلقد ذكر الله في كتابه العزيز قصة إبراهيم عليه السلام في مواضع عدة، لما فيها من الدروس والعبر. وإبراهيم بالسريانية معناه: أب رحيم، والله سبحانه وتعالى جعل إبراهيم الأب الثالث للعالم.

فإن أبانا الأول آدم عليه السلام، والأب الثاني نوح عليه السلام، وأهل الأرض كلهم من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، وبهذا يتبين كذب المفترين من العجم الذين يزعمون أنهم لا يعرفون نوحاً عليه السلام، ولا ولده، ولا ينتسبون إليه، وينسبون ملوكهم من آدم إليهم، ولا يذكرون نوحاً عليه السلام في أنسابهم، وقد أكذبهم الله عز وجل في ذلك.

فالأب الثالث وعمود العالم، وإمام الحنفاء الذي اتخذه الله خليلاً، وجعل النبوة والكتاب في ذريته، ذاك خليل الرحمن،

ولما رأى النبي ﷺ الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيث، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ إِنْ اسْتَقْسَمَا بِالْأَزْلَامِ قَطُّ»^(١).

ولم يأمر الله رسوله أن يتبع ملة أحد من الأنبياء غيره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وأمر أمته بذلك فقال تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

وكان رسول الله ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى يقول: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٢)، وتأمل هذه الألفاظ كيف جعل الفطرة للإسلام، فإنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله والملة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه صاحب الملة وهي التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، ومحفته فوق كل محبة، والدين للنبي ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٥٢.

(٢) مسند الإمام أحمد (٧٩/٢٤) برقم ١٥٣٦٣، وقال محققوه: هذا حديث صحيح وهذا إسناد حسن، وصححه النووي في كتابه: الأذكار من كلام سيد الأبرار ص ١٥٨-١٥٩ برقم ٢٢٤.

وهو دينه الكامل، وشرعه التام الجامع لذلك كله.

وسماه الله ﷻ إمامًا، وأمة، وقانتًا، وحنيفًا، قال تعالى:

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فأخبر ﷻ أنه جعله إمامًا للناس، وأن الظالم من ذريته لا ينال رتبة الإمامة، والظالم هو المشرك، وأخبر ﷻ أن عهده بالإمامة لا ينال من أشرك به، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

فالأمة هو: القدوة المعلم للخير، والقانت: المطيع لله تعالى، الملازم لطاعته، والحنيف: المقبل على الله تعالى المعرض عما سواه.

والمقصود: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أبونا الثالث، وهو إمام الحنفاء، وتسميه أهل الكتاب عمود العالم، وجميع أهل الملل متفقة على تعظيمه، وتولييه، ومحبته، وكان خير بنيه سيد ولد آدم محمد ﷺ يُجله، ويعظمه، ويبجله، ويحترمه.

ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ:

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ذَكَ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ
 يخطب فقال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
 خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠٤]، وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبرَاهِيمُ الْخَلِيلُ» (٢).

وكان رسول الله ﷺ أشبه الخلق به، كما في الصحيحين
 من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ إِبرَاهِيمَ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي
 نَفْسَهُ ﷺ» (٣). وفي لفظ آخر: «فَانظُرُوا إِلَيَّ صَاحِبِكُمْ» (٤).

وكان ﷺ يعوذ أولاد ابنته حسناً وحسيناً ﷺ بتعويد إبراهيم
 لإسماعيل وإسحاق صلى الله عليهم وسلم، ففي صحيح
 البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ
 الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ
 كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» (٥).

وكان إبراهيم ﷺ أول الناس ضيِّف الضيف، وأول الناس

(١) برقم ٢٣٦٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٥٢٦، وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٠.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٦٧.

(٤) صحيح البخاري برقم ٣٣٥٥، وصحيح مسلم برقم ١٦٦.

(٥) برقم ٣٣٧١.

اختتن ... وأول الناس رأى الشيب، فقال: «يَا رَبِّ! مَا هَذَا؟ فَقَالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: وقارُّ يا إبراهيم، فَقَالَ: رَبِّ زِدْنِي وقارًا»^(١).

وقد شهد الله سبحانه وأنه وفى ما أمر به، فقال تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، قال ابن عباس: وفى جميع شرائع الإسلام، ووفى ما أمر به من تبليغ الرسالة.

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ [البقرة: ١٢٤]، فلما أتم ما أمر به من الكلمات، جعله الله إمامًا للخلائق يأتون به، وكان ﷺ كما قيل: قلبه للرحمن، وولده للقربان، وبدنه للنيران، وماله للضيفان.

ولما اتخذته ربه خليلًا، والخلة هي كمال المحبة، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة، وكان قد سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فامتحنه سبحانه بذبحه ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، وظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثارًا للمحبة خليله على محبته، نسخ الله تعالى ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر به، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح

(١) موطأ مالك ص ٦٠٥ برقم ٢٨٨٢، وقال محققه: أثر صحيح إلى سعيد بن المسيب.

في نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرايين من الهدايا والضحايا سنة في اتباعه إلى يوم القيامة.

وهو الذي فتح للأمة باب مناظرة المشركين وأهل الباطل وكسر حججهم، وقد ذكر الله ﷻ مناظرته في القرآن مع إمام المعطلين، ومناظرته مع قومه المشركين، وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة، وأقربها إلى الفهم وحصول العلم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ...﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] (١)، وقال ابن عباس: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل» (٢).

وهو الذي بنى بيت الله، وأذن في الناس بحجه، فكل من حجه واعتمره حصل لإبراهيم من مزيد ثواب الله تعالى وإكرامه بعدد الحججاج والمعتمرين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

(١) صحيح البخاري برقم ٤٥٦٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٥٦٤.

لِلنَّاسِ وَأَمَّنَا ﴿البقرة: ١٢٥﴾. قال ابن عباس: يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً، ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فأمّر نبيه ﷺ وأمه أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى تحقيقاً للاقتداء به، وإحياء آثاره ﷺ.

«ومناقب هذا الإمام الأعظم، والنبي الأكرم أجل من أن يحيط بها كتاب، وإن مد الله في العمر أفردنا كتاباً في ذلك يكون قطرة في بحر فضائله، أو أقل، جعلنا الله تعالى ممن ائتم به، ولا جعلنا ممن عدل عن ملته بمنه وكرمه»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جلاء الأفهام لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٠٣-٣١٦ بتصرف واختصار.

الكلمة العاشرة

قصة بعثة إبراهيم عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّأْتَهُ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَبُّكَ وَقَوْمِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرَى بِرَبِّي مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٧٤-٨١].

«أما قصة بعثته باختصار، فإن الله قد بعثه إلى قوم مشركين

يعبدون الشمس والقمر والنجوم، وهم فلاسفة الصابئة الذين هم من أخبث الطوائف، وأعظمها ضرراً على الخلق، فدعاهم بطرق شتى، فأول ذلك دعاهم بطريقة لا يمكن صاحب عقل أن ينفر منها، ولما كانوا يعبدون السبع^(١) السيارات التي منها الشمس والقمر، وقد بنوا لها البيوت وسموها الهياكل، قال لهم ناظرًا ومناظرًا، هلم يا قوم ننظر هل يستحق منها شيء من الإلهية والربوبية؟ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، أي إن كان يستحق الإلهية بعد النظر في حالته ووصفه فهو ربي، مع أنه يعلم العلم اليقيني أنه لا يستحق من الربوبية والإلهية مثقال ذرة، ولكن أراد أن يلزمهم بالحجة ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾، أي غاب ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾، فإن من كان له حال وجود وعدم، أو حال حضور وغيبة، قد علم كل عاقل أنه ليس بكامل، فلا يكون إلهًا، ثم انتقل إلى القمر، فلما رآه بازغًا: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

يريهم صلوات الله وسلامه عليه، وقد صور نفسه بصورة الموافق لهم، لا على وجه التقليد، بل يقصد إقامة البرهان إلى إلهية النجوم والقمر، فالآن وقد أفلت، وتبين بالبرهان العقلي مع السمعي بطلان إلهيتها، فأنا إلى الآن لم يستقر لي

(١) النجوم السبعة السيارة: الشمس، القمر، الزهرة، المشتري، المريخ، زحل، وعطارد. انظر: تفسير السعدي (١/٩١٢).

قرار على رب وإله عظيم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ فلما رأى الشمس بازغة؛ قال: هذا أكبر من النجوم ومن القمر، فإن جرى عليها ما جرى عليهما كانت مثلهما، فلما أفلت وقد تقرر عند الجميع فيما سبق أن عبادة من يأفل من أبطل الباطل، فحينئذ ألزمهم بهذا الإلزام ووجه عليهم الحجة فقال: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴿٧٨﴾ أَي: ظاهري وباطني ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩].

فهذا برهان عقلي واضح أن الخالق للعالم العلوي والسفلي هو الذي يتعين أن يُقصد بالتوحيد والإخلاص، وأن هذه الأفلاك والكواكب وغيرها مخلوقات مدبرات، ليس لها من الأوصاف ما تستحق العبادة لأجلها؛ فجعلوا يخوفونه ألتهم أن تمسه بسوء، وهذا دليل على أن المشركين عندهم من الخيالات الفاسدة، والآراء الرديئة، ما يعتقدون أن ألتهم تنفع من عبدها وتضر من تركها أو قدح فيها، فقال لهم مبيناً أنه ليس عليه شيء من الخوف، وإنما الخوف الحقيقي عليكم، فقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١].

أجاب الله هذا الاستفهام جواباً يعم هذه القصة وغيرها في

كل وقت، فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

فرفع الله خليله إبراهيم بالعلم وإقامة الحجّة، وعجزوا عن نصر باطلهم؛ ولكنهم صمموا على الإقامة على ما هم عليه، ولم ينفع فيهم الوعظ والتذكير وإقامة الحجج، فلم يزل يدعوهم إلى الله، وينهاهم عما كانوا يعبدون نهياً عاماً وخاصاً، وأخص من دعاه أبوه آزر؛ فإنه دعاه بعدة طرق نافعة، ولكن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿٩٧﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

فلم يزل إبراهيم مع قومه في دعوة وجدال، وقد أفحّمهم وكسر جميع حججهم وشبههم، فأراد ﷺ أن يقاومهم بأعظم الحجج، وأن يصمد لبطشهم وجبروتهم وقدرتهم وقوتهم، غير هائب ولا وجل، فلما خرجوا ذات يوم لعيد من أعيادهم وخرج معهم، فنظر نظرة في النجوم، فقال: إني سقيم؛ لأنه خشي إن تخلف لغير هذه الوسيلة لم يدرك مطلوبه؛ لأنه تظاهر بعداوتها والنهي الأكيد عنها وجهاد أهلها، فلما برزوا جميعاً إلى الصحراء كرّ راجعاً إلى بيت أصنامهم، فجعلها جذاذاً كلها إلا صنماً كبيراً أبقى عليه ليلزمهم بالحجّة، فلما رجعوا من عيدهم بادروا إلى أصنامهم صباية ومحبة، فرأوا فيها أفضع منظر رآه أهلها، فقالوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِهَٰتَيْنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ ﴿٥٩﴾ أي: يعيها ويذكرها بأوصاف النقص والسوء ﴿يُقَالُ لَهُ يُبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ [الأنبياء: ٥٩-٦٠].

فلما تحققوا أنه الذي كسرهما: ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنبياء: ٦١]. أي: بحضرة الخلق العظيم، ووبخوه أشد التوبيخ ثم نكلوا به، وهذا الذي أراد إبراهيم؛ ليظهر الحق بمرأى الخلق ومسمعهم، فلما جمع الناس وحضروا، وحضروا إبراهيم ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِلَهَ تِنَّا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴿٦٣﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٣]. مشيرًا إلى الصنم الذي سلم من تكسيره، وهم في هذه بين أمرين: إما أن يعترفوا بالحق، وأن هذا لا يدخل عقل أحد أن جمادًا معروفًا مصنوعًا من مواد معروفة لا يمكن أن يفعل هذا الفعل، وإما أن يقولوا: نعم هو الذي فعلها وأنت سالم ناج من تبعتها.

وقد علم أنهم لا يقولون الاحتمال الأخير، قال: ﴿فَسأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ وهذا تعليق بالأمر الذي يعترفون أنه محال، فحينئذ ظهر الحق وبان، واعترفوا هم بالحق ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴿٦٥﴾ أي: ما كان اعترافهم ببطلان إلهيتها إلا وقتًا قصيرًا ظهرت الحجة مباشرة التي لا يمكن مكابرتها، ولكن ما أسرع ما عادت عليهم عقائدهم الباطلة التي رسخت في قلوبهم، وصارت

صفات ملازمة، إن وجد ما ينافيها فإنه عارض يعرض ثم يزول: ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [الأنبياء: ٦٤-٦٥].

فحينئذ وبخهم بعد إقامة الحجة التي اعترف بها الخصوم على رؤوس الأشهاد، فقال لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧]، فلو كان لكم عقول صحيحة لم تقيموا على عبادة ما لا ينفع ولا يضر، ولا يدفع عن نفسه من يريده بسوء، فلما أعتهم المقاومة بالبراهين والحجج عدلوا إلى استعمال قوتهم وبطشهم وجبروتهم في عقوبة إبراهيم فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فأوقدوا نارًا عظيمة جدًا فألقوه فيها، فقال وهو في تلك الحال: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال الله للنار: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فلم تضره بشيء، وأرادوا به كيدًا لينصروا آلِهَتهم، ويطعنوا لها في قلوبهم وقلوب أتباعهم الخضوع والتعظيم، فكان مكرهم وبالاً عليهم، وكان انتصارهم لآلهتهم نصرًا عظيمًا عند الحاضرين والغائبين والموجودين والحادثين عليهم، وانتصر الخليل على الخواص والعوام والرؤساء والمرؤوسين حتى إن ملكهم حاجَّ إبراهيم في ربه بغيًا وطغيانًا ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ فقال

إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، فألزمه الخليل بطرد دليله بالتصرف المطلق، فقال: ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]«^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي (٣/ ١٩٣-١٩٧) باختصار.

الكلمة الحادية عشرة

فوائد من قصة نبي الله و خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فقد اشتملت قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، وما حصل له مع قومه على الكثير من الفوائد والدروس والعبر، وليعلم أن جميع ما قصه الله علينا من سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام، فإننا مأمورون به أمراً خاصاً، قال تعالى: ﴿قَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، أي: الزموها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فما هو عليه من التوحيد والأصول والعقائد والأخلاق وجميع ما قص علينا من نبئه، فإن اتباعنا إياه من ديننا؛ ولهذا لما كان هذا أمراً عاماً لأحواله كلها، استثنى الله حالة من أحواله فقال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤]، أي: فلا تقتدوا به في هذه الحال بالاستغفار للمشركين، فإن استغفار إبراهيم لأبيه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما

تبين له أنه عدو لله تبرا منه^(١).

ومنها: أن الله اتخذه خليلاً، والخلة أعلى درجات المحبة، وهذه المرتبة لم تحصل لأحد من الخلق إلا للخليلين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

ومنها: ما أكرمه الله به من الكرامات المتنوعة، جعل في ذريته النبوة والكتاب، وأخرج من صلبه أمتين هما أفضل الأمم: العرب وبنو إسرائيل، واختاره الله لبناء بيته الذي هو أشرف بيت، وأول بيت وُضع للناس، ووهب له الأولاد بعد الكبر واليأس، وملاً بذكره ما بين الخافقين، وامتلات قلوب الخلق من محبته وألسنتهم من الثناء عليه.

ومنها: أن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج، قال جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [٧٥: الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مِّنْ نَّشَآءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٣: الأنعام].

ومن شوقه إلى الوصول إلى غاية العلم ونهايته سأل ربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولَٰئِمُّ تُوْمِنٌ ۗ قَالَ بَلَىٰ ۗ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾

(١) ملة إبراهيم هي ملة نبينا محمد ﷺ، وملتنا، وهي مبنية على أصلين: الأول إخلاص العبادة لله، والثانية البراءة من الشرك والمشركين، فمن أحب أن يكون من أتباعهما فليتمسك بهذين الأصلين العظيمين.

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومنها: أن من عزم على فعل الطاعات وبذل مقدوره في أسبابها، ثم حصل مانع يمنع من إكمالها، أن أجره قد وجب على الله، كما قال الله ذلك في المهاجر الذي يموت قبل أن يصل إلى مهاجره، وكما ذكره الله في قصة الذبح، وأن الله أتم الأجر لإبراهيم وإسماعيل حين أسلما لله وأذعنا لأمره، ثم رفع عنهما المشقة، وأوجب لهما الأجر الدنيوي والأخروي.

ومنها: ما في قصصه من آداب المناظرة، وطرقها ومسالكتها النافعة، وكيفية إلزام الخصم بالطرق الواضحة التي يعترف بها أهل العقول، وإلجاؤه الخصم الألد إلى الاعتراف ببطلان مذهبه، وإقامة الحجة على المعاندين وإرشاد المسترشدين.

ومنها: أن من نعمة الله على العبد، هبة الأولاد الصالحين، وأن عليه في ذلك أن يحمد الله، ويدعو الله لذريته كما فعل الخليل عليه السلام في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾ [إبراهيم: ٣٩]، إلى آخر الدعاء.

وقال جل ذكره في الثناء عموماً على من يدعو الله بصلاح ذريته: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

فإن العبد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

ومنها: أن المشاعر ومواضع الأنساك من جملة الحكم فيها: أن فيها تذكيرات بمقامات الخليل وأهل بيته في عبادات ربهم، وإيمان بالله ورسله، وحث على الاقتداء بهم في كل أحوالهم الدينية - وكل أحوال الرسل دينية، لقوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

ومنها: الأمر بتطهير المسجد الحرام من الأنجاس، ومن جميع المعاصي القولية والفعلية؛ تعظيماً لله وإعانة وتنشيطاً للمتعبدين فيه، ومثله بقية المساجد، لقوله عز وجل: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦].

ومنها: أن أفضل الوصايا على الإطلاق ما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، وهو الوصية بملازمة القيام بالدين وتقوى الله والاجتماع على ذلك، وهي وصيته تعالى للأولين والآخرين؛ إذ بها السعادة الأبدية والسلامة من شرور الدنيا والآخرة.

ومنها: أن العامل كما عليه أن يتقن عمله ويجتهد في إيقاعه على أكمل الوجوه، فعليه مع ذلك أن يكون بين الخوف والرجاء، وأن يتضرع إلى ربه في قبوله وتكميل نقصه، والعفو عما وقع فيه من خلل أو نقص، كما كان إبراهيم وإسماعيل

يرفعان القواعد من البيت، وهما بهذا الوصف الكامل.

ومنها: أن الجمع بين الدعاء **لله** بمصالح الدنيا والدين من سبيل أنبياء **الله**، وكذلك السعي في تحصيلهما الدين هو الأصل والمقصود الذي خلق له الخلق والدنيا وسيلة ومعونة عليه؛ لدعاء الخليل لأهل البيت الحرام بالأمرين، وتعليقه الدعاء بالأمور الدنيوية لأنه وسيلة إلى الشكر، فقال: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [٣٧] [إبراهيم: ٣٧].

ومنها: ما اشتملت عليه قصة إبراهيم من مشروعية الضيافة وآدابها، فإن **الله** أخبر عن ضيفه أنهم مكرمون؛ يعني: أنهم كرماء على **الله**، وأيضاً إبراهيم أكرمهم بضيافته قولاً وفعلاً، فإكرام الضيف من الإيمان، وأنه خدمهم بنفسه وبأدر بضيافتهم قبل كل شيء، وأتى بأطيب ماله؛ عجل حنيذ سمين، وقرّبه إليهم ولم يحوجهم إلى الذهاب إلى عمل آخر، وعرض عليهم الأكل بلفظ رقيق، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصفات: ٩١].

ومنها: مشروعية السلام، وأن المبتدئ فيه هو الداخل وهو الماشي، وأنه يجب رده، ومشروعية الوقوف على اسم من يتصل بك من صاحب ومعامل وضيف؛ لقوله: ﴿قَوْمٌ مُّسْكِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٢]، أي لا أعرفكم، فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، وهذا اللفظ من قوله: أنكرتكم ونحوه.

ومنها: الترغيب في أن يكون أهل الإنسان ومن يتولى شئون

بيته حازمين مستعدين لكل ما يراد منهم من الشئون والقيام بمهمات البيت، فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله، فوجد طعام ضيوفه حاضرًا لا يحوج إلا إلى تقديمه.

ومنها: أن إتيان الولد والبشارة به من سارة، وهي عجوز عقيم، يُعد معجزة لإبراهيم وكرامة لسارة، ففيه معجزة نبي وكرامة ولي، ونظيره بشارة الملائكة لمريم بعيسى، وبشارتهم بيحيى لذكريا وزوجته، وكون زكريا جعل الله آية وجود المبشر به ألا يكلم الناس ثلاثة أيام، وهو سوي لا آفة فيه إلا بالرمز والإشارة، وكل هذا وما أشبهه من آيات الله، وأعجب من هذا إيجاده آدم من تراب، فسبحان من هو على كل شيء قدير.

ومنها: ثناء الله على إبراهيم أنه أتى ربه بقلب سليم، وقد قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

والجامع لمعناه أنه سليم من الشرور كلها ومن أسبابها، ملآن من الخير والبر والكرم، سليم من الشبهات القاذحة في العلم واليقين، ومن الشهوات الحائلة بين العبد وبين كماله، سليم من الكبر ومن الرياء والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وسليم من الغل والحقْد، ملآن بالتوحيد والإيمان والتواضع للحق وللخلق، والنصيحة للمسلمين والرغبة في عبودية الله، وفي نفع عباد الله.

ومنها: ما ذكره في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، يتبعها بقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٥]، فوعد الباري أن كل محسن في عبادته محسن إلى عباده أن الله يجزيه الثناء الحسن والدعاء من العالمين بحسب إحسانه، وهذا ثواب عاجل وآجل، وهو من البشري في الحياة الدنيا، ومن علامات السعادة»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٣/٢٠٣-٢٠٧).

الكلمة الثانية عشرة

نبي الله موسى عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فلقد ذكر الله قصة موسى عليه السلام وأخاه هارون في مواضع من كتابه بأساليب متنوعة واختصار أو بسط يليق بذلك المقام، وليس في قصص القرآن أعظم من قصة موسى؛ لأنه عالج فرعون وجنوده، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وشريعته وكتابه التوراة هو مرجع أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم، وأتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد ﷺ، وله من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه، والغيرة العظيمة ما ليس لغيره»^(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «أحسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم الله لموسى»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قصة موسى هي أعظم

(١) مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، قسم التفسير وعلوم القرآن (٣/٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٣٢).

قصص الأنبياء المذكورين في القرآن، وهي أكبر من غيرها، وتبسط أكثر من غيرها»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «يذكر الله ﷻ وتعالى قصة موسى ويعيدها ويبيدها ويسلي رسوله ﷺ»^(٢).

ونسبه عليه السلام: «موسى بن عمران بن قاهت بن عازر ابن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥١) وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(٥٢) [مريم: ٥١-٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَمْسُقْ إِلَىٰ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾^(٥٣) [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾^(١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١٦٥) [النساء: ١٦٣-١٦٤].

وذكره بالرسالة والنبوة، والإخلاص، والتكليم، والتقريب، ومنَّ عليه بأن جعل أخاه هارون نبياً.

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٢٠٩.

(٢) جلاء الأفهام ص ١٩٩.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُحَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي، أَكَانَ فِيْمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَشَنَى اللَّهَ»^(١).

وهذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب الهضم والتواضع، وإلا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة قطعاً، جزماً، لا يحتمل النقيض، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبِ بِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُذْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ فَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجْرٌ ثَوْبِي حَجْرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُريَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤١١، وصحيح مسلم برقم ٢٣٧٣.

اللَّهُ، وَأَبْرَاهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بَعْصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لِنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] (١).

قال بعض السلف: «كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله، وطلب منه أن يكون معه وزيراً، فأجابه إلى سؤاله، وأعطاه طلبه، وجعله نبياً».

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله قال: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَآتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (٢).

وثبت في الصحيح في أحاديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره (٣).

وفي الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة عن

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٠٤، وصحيح مسلم برقم ٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٠٥، وصحيح مسلم برقم ١٠٦٢.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٣٧٥.

النبي ﷺ أنه مر ليلة أسري به بموسى في السماء السادسة، فقال له جبريل عليه السلام: «هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي» (١).

واتفقت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد ﷺ وأُمَّته خمسين صلاة في اليوم واللييلة، فمر بموسى، قال: «ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّمْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، إِنِّي قَدْ عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَكَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُخَفِّفُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَتَّى صَارَتْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ» (٢)، أي بالمضاعفة، فجزى الله عنا محمداً ﷺ خيراً، وجزى الله عنا موسى عليه السلام خيراً.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضْتُ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ

(١) صحيح البخاري برقم ٣٨٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٤.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٠٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٢.

فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ» (١).

وكثيراً ما كان يذكر الله موسى ﷺ وكتابه التوراة، ويذكر معه محمد ﷺ وكتابه القرآن، كما قال تعالى: ﴿الَمْ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قِرَاطِيسَ يُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ وهذا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩٢﴾ [الأنعام: ٩١-٩٢]، فأثنى الله تعالى على التوراة، ثم مدح القرآن العظيم مدحاً عظيماً.

وبالجمله فشريعة موسى ﷺ كانت شريعة عظيمة، وأمته كانت أمة كثيرة، ووجد فيهم أنبياء، وعلماء، وعباد، وزهاد، وألباء، وملوك، وأمراء، وسادات، وكبراء، قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ولكنهم كانوا، فبادوا وتبدلوا، كما بدلت شريعتهم، ومسخوا قرده وخنازير، ثم نسخت بعد كل حساب ملتتهم، وجرت عليه

(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٥٢، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠.

خطوب وأمور يطول ذكرها»^(١).

وخلاصة قصته عليه الصلاة والسلام، أنه «ولد في وقت قد اشتد فيه فرعون على بني إسرائيل؛ فكان يذبح كل مولود ذكر يولد من بني إسرائيل، ويستحيي النساء للخدمة والامتهان، فلما ولدت أمه خافت عليه خوفاً شديداً؛ فإن فرعون جعل على بني إسرائيل من يرقب نساءهم ومواليدهم، وكان بيتها على ضفة نهر النيل، فألهمها الله أن وضعت له تابوتاً إذا خافت أحداً ألقته في اليم، وربطته بحبل لئلا تجري به جرية الماء، ومن لطف الله بها أنه أوحى لها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

فلما ألقته ذات يوم انفلت رباط التابوت، فذهب الماء بالتابوت الذي في وسطه موسى، ومن قدر الله أن وقع في يد آل فرعون، وجيء به إلى امرأة فرعون آسية، فلما رآته أحبته حباً شديداً، وكان الله قد ألقى عليه المحبة في القلوب، وشاع الخبر ووصل إلى فرعون، فطلبه ليقتله، فقالت امرأته: لا تقتلوه.. قرة عين لي ولك، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، فنجا بهذا السبب من قتلهم، وكان هذا الأثر الطيب والمقدمة الصالحة من السعي المشكور عند الله، فكان هذا من أسباب هدايتها وإيمانها بموسى بعد ذلك.

(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٣١-٢٠٩-٢١٧) باختصار.

أما أم موسى فإنها فزعت، وأصبح فؤادها فارغاً، وكاد الصبر أن يُغلب فيها: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ [القصص: ١٠-١١]، وتحسسي عنه، وكانت امرأة فرعون قد عرضت عليه المراضع فلم يقبل ثدي امرأة، وعطش وجعل يتلوى من الجوع، وأخرجوه إلى الطريق؛ لعل الله أن يسر له أحداً، فحانت من أخته نظرة إليه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١) [القصص: ١١] بشأنها، فلما أقبلت عليه وفهمت منهم أنهم يطلبون له مرضعاً قالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿[القصص: ١٢-١٣].

ثم ذكر الله في هذه السورة قصته مفصلة واضحة، وكيف تنقلت به الأحوال، قراءتها كافية عن شرح معناها لوضوحها وتفصيلاتها، والله تعالى ما فصل لنا إلا ما ننتفع به ونعتبر^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي قسم التفسير وعلوم القرآن (٣/ ٢١٥-

الكلمة الثالثة عشرة

فوائد من قصة موسى عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

اشتملت قصة نبي الله موسى عليه السلام على فوائد ودروس وعبر كثيرة، فمن ذلك:

«قول الله تعالى ذكره: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، جمعت هذه الآية أمرين، ونهيين، وخبرين، ووعدين، ومن هذا النوع في القرآن كثير، بل القرآن كله حسن وأحسن، وليس هذا موضع استقصاء الأحسن.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَالنَّقْطَةُءِءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزْنًا﴾ [القصص: ٨]، فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقدره، فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به ليكون لهم عدوًّا وحزناً، وذكر فعلهم دون قضائه لأنه أبلغ في كونه حزناً لهم وحسرة عليهم، فإن من اختار أخذ ما يكون هلاكه على يديه إذا أُصيب به كان أعظم

لحزنه وغمه وحسرتة، من أن لا يكون فيه صنع ولا اختيار، فإنه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه، وحكمته الباهرة، وأن هذا الذي يذبح فرعون الأبناء في طلبه هو الذي يتولى تربيته في حجره وبيته باختياره وإرادته، ويكون في قبضته وتحت تصرفه، فذكر فعلهم به في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر»^(١).

ومنها: «لطف الله بأم موسى بذلك الإلهام الذي به سلم ابنها، ثم تلك البشارة من الله لها برده إليها، التي لولاها لقصى عليها الحزن على ولدها، ثم رده إليها بالجاء إليها قدرًا بتحريم المراضع عليه، وبذلك وغيره يعلم أن أطف الله على أوليائه لا تتصورها العقول، ولا تعبر عنها العبارات، وتأمل موقع هذه البشارة، وأنه أتاها ابنها ترضعه جهراً، وتأخذ عليه أجراً، وتسمى أمه شرعاً وقدرًا، وبذلك اطمأن قلبها، وازداد إيمانها، وفي هذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فلا أكره لأم موسى من وقوع ابنها بيد آل فرعون، ومع ذلك ظهرت عواقبه الحميدة، وآثاره الطيبة.

ومنها: أن آيات الله وعبره في الأمم السابقة، إنما يستفيد منها ويستبشر بها المؤمنون، والله يسوق القصص لأجلهم،

(١) بدائع التفسير لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٣/٣٤٩).

كما قال تعالى في هذه القصة: ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣].

ومنها: أن الله إذا أراد شيئاً هياً أسبابه، وأتى به شيئاً فشيئاً بالتدريج لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي أن يستولي عليها الكسل عن السعي في حقوقها، ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله بني إسرائيل على ضعفها واستعبادها لفرعون وملئه منهم، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تطالب بحقها لا يقوم لها أمر دينها كما لا يقوم لها أمر دنياها.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص لقوله: ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠]. والمراد بالإيمان هنا زيادته وزيادة طمأنينته.

ومنها: أن من أعظم نعم الله على العبد تثبيت الله له عند المقلقات والمخاوف، فإنه كما يزداد به إيمانه وثوابه،

فإنه يتمكن من القول الصواب والفعل الصواب، ويبقى رأيه وأفكاره ثابتة، وأما من لم يحصل له هذا الثبات، فإنه لقلقه وروعه يضيع فكره، ويذهل عقله، ولا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد - وإن عرف أن القضاء والقدر حق، وأن وعد الله نافذ لا بد منه - فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي تنفع، فإن الأسباب والسعي فيها من قدر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك لما التقطه آل فرعون سعت بالأسباب، وأرسلت أخته لتقصه، وتعمل الأسباب المناسبة لتلك الحال.

ومنها: جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، كما فعلت أم موسى، فإن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد من شرعنا ما ينسخه.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف لا يجوز، فإن موسى ندم على قتله القبطي، واستغفر الله منه وتاب إليه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين المفسدين في الأرض، ولو كان غرضه من ذلك الإرهاب، ولو زعم أنه مصلح حتى يرد الشرع بما يبيح قتل النفس.

ومنها: أن إخبار الغير بما قيل فيه وعنه على وجه التحذير له من شريع به لا يكون نميمة، بل قد يكون واجباً، كما

ساق الله خبر ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى محذرًا لموسى على وجه الشناء عليه.

ومنها: إذا خاف التلف بالقتل بغير حق في إقامته في موضع، فلا يلقي بيده إلى التهلكة، ويستسلم للهلاك، بل يفرّ من ذلك الموضع مع القدرة كما فعل موسى.

ومنها: إذا كان لابد من ارتكاب إحدى مفسدتين تعين ارتكاب الأخف منها والأسلم، دفعًا لما هو أعظم وأخطر، فإن موسى لما دار الأمر بين بقاءه في مصر ولكنه يُقتل، أو ذهابه إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يُعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يدلّه غير هداية ربه، ومعلوم أنها أرجى للسلامة، لا جرم أثرها موسى.

ومنها: فيه تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه؛ فإن الله لا يُخيب مَنْ هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين لا يدري الطريق المعين إليها قال: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، وقد هداه الله وأعطاه ما رجاه وتمناه.

ومنها: أن الرحمة والإحسان على الخلق، من عرفه العبد ومن لا يعرفه، من أخلاق الأنبياء، وأن من جملة الإحسان

الإعانة على سقي الماشية، وخصوصًا إعانة العاجز، كما فعل موسى مع ابنتي صاحب مدين حين سقى لهما لما رأهما عاجزتين عن سقي ماشيتهما قبل صدور الرعاة.

ومنها: أن الله كما يحب من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ونعمه العامة والخاصة، فإنه يحب منه أن يتوسل إليه بضعفه وعجزه وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، لما في ذلك من إظهار التضرع والمسكنة والافتقار لله، الذي هو حقيقة كل عبد.

ومنها: أن الحياء والمكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم الصالحين.

ومنها: أن العبد إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم حصل به مكافأة عليه بغير قصده فإنه لا يلام على ذلك، ولا يخل بإخلاصه وأجره، كما قبل موسى مكافأة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يطلبه، ولم يستشرف له على معاوضة.

ومنها: جواز الإجارة على كل عمل معلوم في نفع معلوم أو زمن مسمى، وأن مرد ذلك إلى العرف، وأنه تجوز الإجارة وتكون المنفعة البضع، كما قال صاحب مدين: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧]، وأنه يجوز للإنسان أن يخطب الرجل لابنته، ونحوها ممن هو ولي عليها، ولا

نقص في ذلك، بل قد يكون نفعًا وكمالًا، كما فعل صاحب مدين مع موسى.

ومنها: قوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [٢٦: القصص]، هذان الوصفان بهما تمام الأعمال كلها، فكل عمل من الولايات أو من الخدمات أو من الصناعات، أو من الأعمال التي القصد منها الحفظ والمراقبة على العمال والأعمال؛ إذا جمع الإنسان الوصفين، أن يكون قويًا على ذلك العمل بحسب أحوال الأعمال، وأن يكون مؤتمنًا عليه، تم ذلك العمل وحصل مقصوده وثمرته، والخلل والنقص سببه الإخلال بهما أو بأحدهما.

ومنها: أن من أعظم العقوبات على العبد أن يكون إمامًا في الشر وداعيًا إليه، كما أن من أعظم نعم الله على العبد أن يجعله إمامًا في الخير هاديًا مهديًا، قال تعالى في فرعون وملئه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ﴾ [القصص: ٤١]، وقال^(١): ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ومنها: ما في هذه القصة من الدلالة على رسالة محمد ﷺ إذ أخبر بهذه القصة وغيرها خبرًا مفصلاً مطابقًا وتأصيلًا موافقًا، قصه قصًا صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين،

(١) أي: في أئمة الخير.

وهو لم يحضر في شيء من تلك المواضع، ولا درس شيئاً عرف به أحوال هذه التفصيلات، ولا جالس وأخذ عن أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحى أنزله عليه الكريم المنان ينذر به العباد أجمعين، ولهذا يقول في آخر هذه القصة: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٤٥].

وهذا نوع من أنواع براهين رسالته.

ومنها: ذكر كثير من أهل العلم أنه يستفاد من قوله تعالى عن جواب موسى لربه لما سأله عن العصا فقال: ﴿وَمَا تَلَاكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٧-١٨]، استحباب استصحاب العصا لما فيه من هذه المنافع المعينة والمجملية في قوله: ﴿وَلِي فِيهَا مَثَابُ رُبِّ أُخْرَى﴾. وأنه يستفاد منها أيضاً الرحمة بالبهايم، والإحسان إليها، والسعي في إزالة ضررها.

ومنها: أن قوله جل ذكره: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿١٤﴾ [طه: ١٤]، أي أن ذكر العبد لربه هو الذي خلق له العبد، وبه صلاحه وفلاحه، وأن المقصود من إقامة الصلاة إقامة هذا المقصود الأعظم، ولولا الصلاة التي تتكرر على المؤمنين في اليوم والليلة لتذكّرهم **بالله**، ويتعاهدون فيها قراءة القرآن،

والثناء على الله، ودعاءه والخضوع له الذي هو روح الذكر، لولا هذه النعمة لكانوا من الغافلين.

وكما أن الذكر هو الذي خُلِقَ الخلق لأجله، والعبادات كلها ذكر لله، فكذلك الذكر يعين العبد على القيام بالطاعات وإن شئت، ويهون عليه الوقوف بين يدي الجبابة، ويخفف عليه الدعوة إلى الله، قال تعالى في هذه القصة: ﴿وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢) ﴿كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) ﴿[طه: ٣٣-٣٤]، وقال: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نِيبًا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٢) ﴿[طه: ٤٢].

ومنها: إحسان موسى ﷺ على أخيه هارون، إذ طلب من ربه أن يكون نبياً معه، وطلب المعاونة على الخير والمساعدة عليه، إذ قال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ (٣٠) ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ (٣١) ﴿وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢) ﴿[طه: ٢٩-٣٢].

ومنها: أن الفصاحة والبيان مما يعين على التعليم، وعلى إقامة الدعوة؛ لهذا طلب موسى من ربه أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وأن اللثغة لا عيب فيها إذا حصل الفهم للكلام، ومن كمال أدب موسى مع ربه أنه لم يسأل زوال اللثغة كلها، بل سأل إزالة ما يحصل به المقصود.

ومنها: أن الذي ينبغي في مخاطبة الملوك والرؤساء ودعوتهم وموعظتهم: الرفق والكلام اللين الذي يحصل به

الإفهام بلا تشويش ولا غلظة، وهذا يُحتاج إليه في كل مقام، لكن هذا أهم المواضع؛ وذلك لأنه الذي يحصل به الغرض المقصود، وهو قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤] ^(١).

ومنها: أن من كان في طاعة الله، مستعيناً بالله، واثقاً بوعده الله، راجياً ثواب الله، فإن الله معه، ومن كان الله معه فلا خوف عليه، لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَحَافَا﴾ ثم علله بقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومنها: أن أسباب العذاب منحصرة في هذين الوصفين: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨]. أي: كذب خبر الله وخبر رسله، وتولى عن طاعة الله وطاعة رسله، ونظيرها قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَحْنَ إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [١٥] الذي كذب وتولى ﴿[١٦]﴾ [الليل: ١٥-١٦].

ومنها: أن قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، استوعب الله بها الأسباب التي تدرك بها مغفرة الله.

(١) وهذا اللين إنما يكون في بداية الدعوة حتى يفهم المدعو ما يراد بتليغه إياه، فإذا ظهر منه العناد والاستكبار تعين الإغلاظ عليه بالحق، كما قال موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

الأول: التوبة، وهي الرجوع عما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه الله ظاهرًا وباطنًا، وهي تَجُبُّ ما قبلها من الذنوب صغارها وكبارها.

الثاني: الإيمان، وهو الإقرار والتصديق الجازم العام بكل ما أخبر الله به ورسوله، الموجب لأعمال القلوب، ثم تتبعها أعمال الجوارح، ولا ريب أن ما في القلب من الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر الذي لا ريب فيه أصل الطاعات وأكبرها وأساسها، ولا ريب أنه بحسب قوته يدفع السيئات، يدفع ما لم يقع فيمنع صاحبه من وقوعه، ويدفع ما وقع بالإتيان بما ينافيه وعدم إصرار القلب عليه؛ فإن المؤمن ما في قلبه من الإيمان ونوره لا يجمع المعاصي.

الثالث: العمل الصالح، وهذا شامل لأعمال القلوب، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، والحسنات يذهبن السيئات.

الرابع: الاستمرار على الإيمان والهداية والازدياد منها، فمن كَمَل هذه الأسباب الأربعة فليُبشِّر بمغفرة الله العامة الشاملة؛ ولهذا أتى فيه بوصف المبالغة فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾، ولنكتف من قصة موسى بهذه الفوائد، مع أن

فيها فوائد كثيرة للمتأملين»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (٣/٢١٧-٢٢٥) باختصار وتصرف.

الكلمة الرابعة عشرة

نبي الله عيسى عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فلا زال الكلام على أنبياء الله من أولي العزم من الرسل وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى عنهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وسيكون الكلام في هذه الكلمة عن نبي الله عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣) ﴿يَمْرِيمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣) ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٤) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ

وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشَرٍ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيَعْلَمُهُ الْكِنَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ [آل عمران: ٤٢-٥١].

«يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها، بأن اختارها لإيجاد ولدٍ منها، من غير أب، وبُشرت بأن يكون نبياً شريفاً، ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهولته، فدل على أنه يبلغ الكهولة، ويدعو إلى الله فيها، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع؛ لتكون أهلاً لهذه الكرامة، ولتقوم بشكر هذه النعمة، فيقال: إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفتتت قدميها رضي الله عنها ورحمها، ورحم أمها وأباها، فقول الملائكة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك واجتباك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي من الأخلاق الرذيلة، وأعطاك الصفات الجميلة ﴿وَاصْطَفَاكِ

عَلَى نِسَاءِ الْعَلَمِينَ ﴿١﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي بن أبي طالب رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» (٢).

وقد ذكر الله قصة ولادتها لعيسى عليه السلام في سورة مريم، فأخبر سبحانك أنها انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، متجردة لعبادة ربها.

«قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٧]، لئلا يشغلها أحد عما هي بصدده؛ فأرسل الله لها الروح الأمين جبريل في صورة بشر سوي من أكمل الرجال وأجملهم، فظنت أنه يريد لها بسوء، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [١٨]. فتوسلت بالله في حفظها وحمايتها، وذكرته وجوب التقوى على كل مسلم يخشى الله، فكان هذا الورع العظيم منها في هذه الحالة التي يخشى منها الوقوع في الفتنة، ورفع الله بذلك مقامها، ونعتها بالعفة الكاملة، وأنها أحصنت فرجها، فقال لها جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَمًا زَكِيًّا﴾ [١٩] قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [٢٠] قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلِيُّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً

(١) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (٢/٤٢٣-٤٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٣٢، وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٠.

مَتًّا ﴿٢٣﴾ به وبك وبالناس ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ فلا تعجبي مما قدره وقضاه ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ أي: ابتعدت به عن الناس ﴿مَكَانًا قَاصِيًّا﴾ خشية الاتهام والأذية منهم ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ أي: أَلجأها ﴿الْمَخَاضُ﴾ أي: الطلق ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم: ١٩-٢٣]. لما تعرفه مما هي متعرضة له من الناس، وأنهم لا يصدقونها، ولم تدري ما الله صانع لها.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْتُهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: الملك، وكانت في مكان مرتفع.

﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنُكَ سَرِيًّا﴾ (٢٤) ﴿٢٤﴾ أي: نهرًا جاريًا ﴿وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ من دون أن تحوجك إلى صعود ﴿سُقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ أي: طريًا ناضجًا ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرِي﴾ من السري ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بولادة عيسى، وليذهب روعك وخوفك ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: سكوئًا، وكان معهودًا عندهم أنهم يتعبدون بالصمت في جميع النهار، ولهذا فسره بقوله: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤-٢٦]. فاطمأن قلبها، وزال عنها ما كانت تجد.

ثم لما تعالت من نفاسها، وأصلحت من شأنها، وقويت بعد الولادة ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ علنا غير هائبة ولا مبالية، فلما رآه قومها، وقد علموا أنه لا زوج لها، جزموا أنه من وجه

آخر، فقالوا: ﴿يَمْرِمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧) يَأْتِ هَرُونَ مَا كَانَ
 أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴿٢٩﴾ كما أمرت بذلك،
 فقالوا منكرين عليها مقاتلتها لهم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾
 ﴿٢٩﴾ فقال: وهو في تلك الحال له أيام يسيرة بعد ولادته:
 ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
 وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
 شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾
 [مریم: ٢٧-٣٣].

فكان هذا الكلام منه في هذه الحال من آيات الله، وأدلة
 رسالته، وأنه عبد الله لا كما يزعمه النصارى، وحصل لأمه
 البراءة العظيمة مما يُظن بها من السوء، لأنها لو أتت بألف
 شاهد على البراءة وهي على هذه الحال ما صدقها الناس،
 ولكن هذا الكلام من عيسى وهو في المهد جلا كل ريب يقع
 في القلوب، فانقسم الناس فيه بعد هذا ثلاثة أقسام:

قسم آمنوا به وصدقوه في كلامه هذا، وفي الانقياد له بعد
 النبوة، وهم المؤمنون حقيقة، وقسم غلوا فيه - وهم النصارى
 - فقالوا فيه المقالات المعروفة، ونزلوه منزلة الرب، تعالى الله
 عن قولهم علوا كبيرا، وقسم كفروا به وجفوه - وهم اليهود -
 ورموا أمه بما برأها الله منه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ
 مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٧) [مریم: ٣٧].

ولما أرسله الله إلى بني إسرائيل آمن به من آمن، وكفر به من كفر، وجعل يريهم الآيات والعجائب، فكان يصور الطين فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحي الموتى بإذن الله، وينبئهم عن كثير مما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، ومع ذلك تكالب عليه أعداؤه وأرادوا قتله، فألقى الله شبهه على واحد من الحواريين أصحابه أو من غيرهم، ورفع الله إليه، وطهره من قتلهم، فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه، وبأوا بالإثم العظيم، والجرم الجسيم، وصدقهم النصارى أنهم قتلوه وصلبوه، ونزّهه الله من هذه الحالة فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] (١).

صفة عيسى عليه السلام وشمائله، وفضائله :

قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]. قيل: سُمي المسيح؛ لمسحه الأرض، وهو سياحته فيها، وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان؛ لشدة تكذيب اليهود له، وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام، وقيل: لأنه كان ممسوح القدمين.

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، قسم التفسير وعلوم القرآن (٣/٢٥٢-٢٥٤).

التَّورَةَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ [المائدة: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، والآيات في
ذلك كثيرة جدًا.

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانَ فِي جَنْبِهِ بِأَصْبَعِهِ حِينَ يُوَلَّدُ،
غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث عبادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا
كَانَ مِنْ عَمَلٍ»^(٢).

وروى البخاري مسلم في صحيحيهما من حديث أبي
هريرة رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به: «لَقِيتُ مُوسَى،
قال: فَنَعْتَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ -حَسِبْتُهُ قَالَ: مُضْطَرَبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ
مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَةٍ، قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى، فَنَعْتَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ:
رَبْعَةٌ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ -يَعْنِي الْحَمَّامَ- قَالَ: وَرَأَيْتُ

(١) صحيح البخاري برقم ٣٢٨٦، وصحيح مسلم برقم ٢٣٦٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٣٥، وصحيح مسلم برقم ٢٨.

إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ عَيْسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عَيْسَى، فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى فَأَدَمٌ جَسِيمٌ سَبُطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أَدَمِ الرَّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَتِّهِ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعْرُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِأَبْنِ قَطَنِ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ»^(٣).

«فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين، مسيح الهدى، ومسيح الضلالة، ليُعرف هذا إذا نزل، فيؤمن به المؤمنون، ويُعرف الآخر فيحذره الموحدون»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٣٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٨.

(٢) برقم ٣٤٣٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٠، وصحيح مسلم برقم ١٦٩ واللفظ له.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/٥٢١-٥٢٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ أُمَّتَهُ، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا آمَنَ بَعِيسَى، ثُمَّ آمَنَ بِي، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ، وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرَفْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي»^(٢).

وهذا يدل على سجية طاهرة، حيث قدم حلف ذلك الرجل وظن أن أحدا لا يحلف بعظمة الله كاذبا على ما شاهده منه عيانا، فقبل عذره، ورجع إلى نفسه، فقال: آمنت بالله، أي صدقتك، وكذبت بصري لأجل حلفك.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ. وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤَخَذُ بِرِجَالِ مَنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ:

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٦، وصحيح مسلم برقم ١٥٤ باختلاف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٤، وصحيح مسلم برقم ٢٣٦٨.

إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨] (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» (٢). وفي رواية: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» (٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أَصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ، فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا، فَأَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ،

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٧، وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٠.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٢، وصحيح مسلم برقم ٢٣٦٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٣، وصحيح مسلم برقم ٢٣٦٥.

وَسَبُّوهُ، فَتَوْضَأً وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟
 قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا إِلَّا مِنْ
 طِينٍ. وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ
 رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا
 وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى
 ثَدْيِهَا يَمُصُّهُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمُصُّ
 إِصْبَعَهُ، «ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ،
 فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ:
 الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتَ، زَنَيْتَ
 وَلَمْ تَفْعَلْ»^(١).

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن
 النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم
 شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه
 نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى
 الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين
 ممصرتين^(٢)، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية،
 ويعطل الممل، حتى تهلك في زمانه الممل كلها غير الإسلام،
 ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، [وتقع الأمانة

(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٣٦، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٠.

(٢) يعني ثياباً صفراً ليست صفرتها شديدة.

فِي الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الْإِبِلُ مَعَ الْأَسَدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَمَكْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكْتُ، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ»^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، وقد ورد في الأحاديث الأخرى: «أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ بِدِمَشْقَ، وَقَدْ أُقِيمَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ: تَقَدَّمَ يَا رُوحَ اللَّهِ فَصَلِّ، فَيَقُولُ: لَا، بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»^(٢)، فَيُصَلِّي خَلْفَهُ، ثُمَّ يَرْكَبُ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي طَلَبِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، فَيَلْحَقُهُ عِنْدَ بَابٍ لُدٍّ^(٣)، فَيَقْتُلُهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذكرنا أنه قوي الرجاء حين بُنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض، وقد بُنيت أيضًا من أموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها، فينزل عليها عيسى ابن مريم ﷺ فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، وأنه يحج من

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٤٠٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة برقم ٢١٨٢، وقال الحافظ في الفتح (٦/٣٨٤): وهو على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٥٦.

(٣) باب لد: هو باب من أبواب مدينة القدس يتجه نحو مدينة اللد، أو أن يكون المقصود أن يقتل في مدينة لد بالقرب من المطار الرئيس لليهود.

فج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو يثنيهما، ويقوم أربعين سنة ثم يموت فيدفن»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/٥٢٦-٥٢٧).

فوائد من قصة نبي الله عيسى ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

ومن الفوائد المستفادة من قصة نبي الله عيسى ﷺ:

«إثبات كرامة الأولياء، فإن الله كرم مريم بأمر؛ يسر لها أن تكون في كفالة زكريا بعدما حصل الخصام في شأنها، وأكرمها بأن كان رزقها يأتيها من الله بلا سبب، وأكرمها بوجود عيسى، وولادتها إياه، وبخطاب الملك لها بما يطمئن قلبها، ثم بكلامه في المهد، فهذه الأخيرة جمعت كرامة ولي، ومعجزة نبي.

ومنها: الآيات العظيمة التي أجراها الله على يد عيسى ابن مريم من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ونحوهما.

ومنها: ما أكرم الله به عيسى بأن جعل له حواريين وأنصاراً في حياته وبعد مماته في بث دعوته والنصر لدينه، ولذلك كثر تابعوه، ولكن منهم المستقيم، وهو الذي آمن به حقيقة، وآمن بجميع الرسل، ومنهم المنحرف، وهم الذين غلوا فيه، وهم جمهور من يدعي أنه من أتباعه، وهم أبعد الناس عنه.

ومنها: أن الله أثنى على مريم بالكمال بالصديقية، وأنها صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين^(١)، وهذا وصف لها بالعلم الراسخ، والعبادة الدائمة، والخشوع لله، وأنه اصطفأها وفضلها على نساء العالمين.

ومنها: أن إخبار النبي ﷺ بهذه القصة وغيرها مفصلة مطابقة للحقيقة من أدلة رسالته، وآيات نبوته لقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ومنها: المعجزة العظيمة لهذا النبي الكريم برفعه إلى السماء بعدما حاول اليهود قتله، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) [النساء: ١٥٧-١٥٨].

قال الحسن البصري: «كان عمر عيسى ﷺ يوم رُفِعَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَفِي الْحَدِيثِ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ»^(٢). وفي رواية: «عَلَى مِيلَادِ عِيسَى، وَحُسْنِ يُوسُفَ»^(٣).

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمٌ عَظِيمٌ﴾ [التحریم].

(٢) مسند الإمام أحمد (٣١٥/١٣) برقم ٧٩٣٣، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه وشواهد.

(٣) الطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٦).

ومنها: إخبار الله بنزول عيسى من السماء إلى الأرض، وأن أهل الكتاب سيؤمنون بذلك، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: واطروا إن شئتم: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩] (٢).

ومنها: أن أولى الناس بنبي الله عيسى عليه السلام هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» (٣). وروى البخاري في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال: فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهما وسلم ستمائة سنة (٤).

ومنها: أن شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع، وناسخة لما

(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي بتصرف (٣/٢٥٣-٢٥٤).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٤٨، وصحيح مسلم برقم ١٥٥.

(٣) سبق تخريجه ص ١٢٦.

(٤) برقم ٣٩٤٨.

قبلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]،
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]. ولذلك عندما
ينزل نبي الله عيسى ﷺ لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، وفي
الحديث: «... لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

ومنها: أن الله أنزل على نبيه عيسى ﷺ الانجيل، وهو
مصدق للتوراة، ومتمم لها، قال تعالى عنه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾
[المائدة: ٤٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وجعلنا الانجيل هدى يُهتدى به،
وموعظة، وزاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم»^(٢).

ومنها: أن نبي الله عيسى ﷺ بشر بنوّة محمد ﷺ، قال
تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٢٣/٣٤٩) برقم ١٥١٥٦، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في
إرواء الغليل ٦/٣٤-٣٦ برقم ١٥٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٥/٢٤٣).

فوائد من قصة نبي الله يوسف عليه السلام (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«هذه القصة من أعجب القصص، وذكرها الله جميعاً، وأفردها بسورة مطولة مفصلة تفصيلاً واضحاً، قراءتها تغني عن التفسير، فإن الله ساق بها حالة يوسف من ابتداء أمره إلى آخره، وما بين ذلك من التنقلات واختلاف الأحوال، وقال فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]. فلنذكر ما يستنبط من هذه القصة العظيمة من الفوائد، فنقول مستعينين بالله:

ذكر ما فيها من الفوائد:

منها: أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها؛ لما فيها من أنواع التنقلات من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن أمن إلى خوف وبالعكس، ومن ملك إلى رق وبالعكس، ومن فرقة وشتات إلى انضمام وائتلاف وبالعكس، ومن سرور إلى حزن

وبالعكس، ومن رخاء إلى جذب وبالعكس، ومن ضيق إلى سعة وبالعكس، ومن وصول إلى عواقب حميدة، فتبارك من قصها وجعلها عبرة لأولي الألباب.

ومنها: ما فيها من أصول تعبير الرؤيا المناسبة، وأن علم التعبير علم مهم يعطيه الله من يشاء من عباده، وأن أغلب ما تبنى عليه المناسبات و ضرب الأمثال والمشابهة في الصفات.

فوجه مناسبة رؤيا يوسف أنه رأى الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر ساجدين له، أن هذه زينة للسماء، وفيها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء والأصفياء زينة الأرض، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بالأنوار السماوية، ولأن أباه وأمه أصل، وإخوته فرع عنهما، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورًا وجرمًا من الفرع؛ فلذلك كانت الشمس أمه أو أباه، والقمر الآخر منهما، والكواكب إخوته، ومن المناسب أن الساجد محترم لمن سجد له، والمسجود له معظم محترم، فدل ذلك على أن يوسف يصير معظمًا محترمًا لأبويه وإخوته، ولا يتم هذا إلا بمقدمات تقتضي الوصول إلى هذا: من علوم وأعمال واجتباء من الله، فلهذا قال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: ٦].

ومنها: المناسبة في رؤيا الفتيين، حيث عبر رؤيا من رأى أنه يعصر خمراً أن الذي يعمل هذا العمل يكون في العادة

خادمًا لغيره، وأيضاً العصر مقصود لغيره، والخادم تابع لغيره، ويئول أيضاً إلى السقي الذي هو خدمته، فلذلك أوله بما يئول إليه، وأما تعبيره لرؤيا من رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، بأنه يقتل ويصلب مدة حتى تأكل الطير من مخ رأسه الذي هو يحمل.

وعبر رؤيا الملك بالبقرات والسنبلات بأنها السنون المخصبة والمجدبة، ووجه المناسبة أن الملك به ترتبط أمور الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، فهذه نسبه إذ رأى هو الرؤيا، وكذلك السنون بخصبها وجذبها تنتظم أمور المعاش أو تختل، والبقر هي آلة حرث الأرض واستخراج مغلها، والمغل هو الزرع، فرأى السبب والمسبب، فرؤيته السبع السمان من البقر ثم السبع العجاف، والسبع السنبلات الخضر، ثم السبع اليابسات، أي: لا بد أن تتقدم السبع السنين المخصبات، ثم تتلوها المجدبات، وتأكل ما حصل فيها من غلال، ولا تبقي إلا شيئاً يحصنونه عنها، وإلا فهي بصدد أكلها كلها.

فإن قيل: من أين أخذ قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]. فإن بعض المفسرين قال: هذه زيادة من يوسف في التعبير بوحى أوحى إليه.

فالجواب: ليس الأمر كذلك، وإنما أخذها من رؤيا الملك، فإن السنين المجدبة سبع فقط، فدل على أنه سيأتي بعدها عام

عظيم الخصب، كثير البركات، يزيل الجذب العظيم الحاصل من السنين المجذبة التي لا يزيلها عام خصب عادي، بل لا بد فيه من خصب خلاف العادة، وهذا واضح وهو من مفهوم العدد.

ومنها: ما فيها من الأدلة والبراهين على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث قص عليه هذه القصة المفصلة المبسطة الموافقة للواقع التي أتت بالمقصود كله، وهو لم يقرأ كتب الأولين، ولا دارس أحدًا كما هو معلوم لقومه، وهو بنفسه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

ومنها: أنه ينبغي للعبد البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرته، لقول يعقوب ليوسف: ﴿لَا نَقْضُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥].

ومنها: ذكر الإنسان بما يكره على وجه الصدق والنصيحة له أو لغيره، لقوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

ومنها: أن نعمة الله على العبد نعمة على من يتعلق به، ويتصل من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، فإنه لا بد أن يصلهم ويشملهم منها جانب، لقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]. أي: بما يحصل لك؛ ولهذا لما تمت النعمة على يوسف حصل لآل يعقوب من العز والتمكين والسرور، وزوال المكروه، وحصول المحبوب ما ذكر الله في آخر القصة.

ومنها: أن النعم الكبيرة الدينية والدنيوية لا بد أن يتقدمها أسباب ووسائل إليها؛ لأن الله حكيم، وله سنن لا تتغير، قضى بأن المطالب العالية لا تُنال إلا بالأسباب النافعة، خصوصاً العلوم النافعة، وما يتفرع عنها من الأخلاق والأعمال؛ فلهذا عرف يعقوب أن وصول يوسف إلى تلك الحالة التي يخضع له فيها أبوه وأمه وإخوته مقام عظيم، ومرتبة عالية، وأنه لا بد أن ييسر الله ليوسف من الوسائل ما يوصله إليها، ولهذا قال: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: ٦].

ومنها: أن العدل مطلوب في جميع الأمور الصغار والكبار؛ في معاملة السلطان لرعيته، ومعاملة الوالدين للأولاد، والقيام بحقوق الزوجات، وغير ذلك من المحبة والإيثار ونحوها، وأن القيام بالعدل في ذلك تستقيم الأمور صغارها وكبارها به، ويحصل للعبد ما أحب، وفي الإخلال بذلك تفسد الأحوال، ويحصل للعبد المكروه من حيث لا يشعر؛ لهذا لما قدم يعقوب عليه السلام يوسف في المحبة، وجعل وجهه له جرى منهم على أبيهم وأخيهم من المكروه ما جرى.

ومنها: الحذر من شؤوم الذنوب، فكم من ذنب واحد استتبع ذنوباً كثيرة، وتسلسل الشر المؤسس على الذنب الأول، وانظر إلى جرم إخوة يوسف، فإنهم لما أرادوا التفريق

بينه وبين أبيه الذي هو من أعظم الجرائم، احتالوا على ذلك بعدة حيل، وكذبوا عدة مرات، وزوَّروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي صفة حالهم حين أتوا عشاء يبكون، ولا بد أن الكلام في هذه القضية تسلسل وتشعب، بل ربما أنه اتصل إلى الاجتماع بيوسف، وكل ما بحث في هذه الموضوع فهو بحث كذب وزور مع استمرار أثر المصيبة على يعقوب، بل وعلى يوسف، فليحذر العبد من الذنوب، خصوصاً الذنوب المتسلسلة، وضد ذلك بعض الطاعات تكون طاعة واحدة، ولكن يتسلسل نفعها وبركاتها حتى تستتبع طاعات من الفاعل وغيره، وهذا من أعظم آثار بركة الله للعبد في علمه وعمله.

ومنها: أن العبرة للعبد في حال كمال النهاية، لا بنقص البداية؛ فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى عليهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والاعتراف التام، والعفو التام عنهم من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد بحقه فالله أولى بذلك وهو خير الراحمين الغافرين، ولهذا في أصح الأقوال أن الله جعلهم أنبياء لمحو ما سبق منهم، وكأنه ما كان، ولقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا فِي آبَائِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم، ومما يؤيد هذا أن

رؤيا يوسف أنهم هم الكواكب التي فيها النور والهداية، وهي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء عباد.

ومنها: ما منَّ الله به على يوسف من العلم والحلم، والأخلاق الكاملة، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفواً بادرهم به، وتمَّ ذلك بأن أخبرهم أنه لا يُثرب عليهم بعد هذا العفو، ثم بره العظيم بأبيه وأمه وإحسانه على إخوته، وإحسانه على عموم الخلق، كما هو بيّن في سيرته وقصته.

ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما؛ فإن إخوة يوسف لما قالوا: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ [يوسف: ٩]، وقال قائل منهم: ﴿ لَا نَقْتُلُكَ يَٰ يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [يوسف: ١٠]؛ كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الأكبر، وهو من جملة الأسباب التي قدر الله ليوسف في وصوله إلى الغاية التي يريد.

ومنها: أن الشيء إذا تداولته الأيدي، وصار من جملة الأموال، ولم يعلم المعاملون أنه على غير وجه الشرع، فلا إثم على من باشره ببيع أو شراء أو خدمة أو انتفاع أو استعمال؛ فإن يوسف باعه إخوته بيعاً محرماً عليهم، واشترته السيارة بناء على أنه عبد لإخوة يوسف البائعين، ثم ذهبوا به إلى مصر

فباعوه بها، وبقي عند سيده غلامًا رقيقًا، وسماه الله سيدًا، وكان عندهم بمنزلة الرقيق المكرم، وسمى الله شراء السيارة وشراءه في مصر معاملة لما ذكرنا.

ومنها: الحذر من الخلوة بالنساء الأجنيات، وخصوصًا اللاتي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضًا من المحبة التي يخشى ضررها؛ فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى بسبب توخّدها بيوسف، وحبها الشديد له الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه فسجن ذلك السجن الطويل.

ومنها: أن الهم الذي هم به يوسف ثم تركه الله ولبرهان الإيمان الذي وضعه الله في قلبه مما يرقيه إلى الله زلفى؛ لأن الهم داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة طُبِعَ عليه الآدمي، فإذا حصل الهم بالمعصية ولم يكن عند العبد ما يقاوم ذلك من الإيمان والخوف من الله وقع الذنب، وإن كان العبد مؤمنًا كامل الإيمان فإن الهم الطبيعي إذا قابله ذلك الإيمان الصحيح القوي منعه من ترتب أثره، ولو كان الداعي قويًا، ولهذا كان يوسف من أعلى هذا النوع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا^ع أَنْ رَأَى^ع بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ^ع وَالْفَحْشَاءَ^ع إِنَّهُ^ع مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ^ع﴾ [يوسف: ٢٤].

لاستخلاص الله إياه، وقوة إيمانه وإخلاصه، خلصه الله من الوقوع في الذنب، فكان ممن خاف مقام ربه، ونهى النفس

عن الهوى، ومن أعلى السبعة الذي يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكر صلى الله عليه وسلم منهم: «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»^(١)، فهما لما كان لا معارض له استمرت في مراودته، وهمه عارض عرض، ثم زال في الحال ببرهان ربه.

ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه ثم استنار بمعرفة ربه ونور الإيمان به، وكان مخلصاً لله في كل أحواله، فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وإخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه؛ لأن الله علل صرف هذه الأمور عن يوسف بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾^(٢) على قراءة من قرأها بكسر اللام^(٢)، ومن قرأها بالفتح - فإن من أخلصه الله واجتباها فلا بد أن يكون مخلصاً - فالمعنيان متلازمان.

ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا ابتلي بالوقوع في محل فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر ويهرب غاية ما يمكنه؛ ليتمكن من التخلص من ذلك الشر، كما فر يوسف هارباً للباب، وهي تمسك بثوبه وهو مدبر عنها.

ومنها: أن القرائن يُعمل بها عند الاشتباه في الدعاوى؛

(١) البخاري برقم ٦٦٠، ومسلم برقم ١٠٣١.

(٢) هي قراءة ابن كثير رحمته الله وأبي عمرو وابن عامر. انظر: السبعة في القراءات ص ٣٤٨.

وذلك أن الشاهد الذي شهد - أي: حكم على يوسف وعلى المرأة - اعتبر القرينة، فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَمِصُّهُ، قَدْ مِنْ قُبْلِ﴾ [يوسف: ٢٦]، إلى آخر القضية، وصار حكمه هذا موافقاً للصواب، ومن القرائن وجود الصواع على رحل الأخ، وقد اعتبر هذا وهذا.

ومنها: ما عليه يوسف من الجمال الباهر ظاهراً وباطناً؛ فإن جماله الظاهر أوجب لامرأة العزيز ما أوجب من الحب المفرط والمرودة المستمرة، ولما لامها النساء دعتهن ﴿وَأَعَدَّتْ لهنَّ مَثَكًا وَعَاتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وأما جماله الباطن فهو العفة العظيمة مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع السوء منه، ولكن الإيمان ونوره، والإخلاص وقوته لا يشذ عنهما فضيلة، ولا تجامعهما رذيلة، وقد بينت امرأة العزيز للنساء من يوسف الأمرين؛ فإنها لما أرتهن جماله الظاهر الذي اعترفن أن هذا الجمال لا يوجد في الآدميين قالت: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وقالت بعد ذلك: ﴿الْكَنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

ومنها: أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا إذا ابتلي العبد بأحد أمرين، إما أن يلجأ إلى فعل المعصية،

وإما أن يعاقب عقوبة دنيوية، فعليه أن يختار العقوبة الدنيوية التي فيها الثواب من هذا الوجه بعدة أمور: ثواب من جهة اختياره الإيمان على السلامة من العقوبة الدنيوية، وثواب من جهة أن هذا من باب التخليص للمؤمن والتصفية، وهو يدخل في الجهاد في سبيل الله، وثواب من جهة المصيبة التي نالته والألم الذي أصابه، فسبحان من ينعم ببلائه، ويلطف بأصفيائه، وهذا أيضاً عنوان الإيمان، وعلامة السعادة.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى ربه، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته لقول يوسف: ﴿وَالْأَلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

فالعبد الموفق يستعين بربه على دفع المعاصي وأسبابها كما يستعين به عند فعل الطاعات والخيرات، والله كافي المتوكلين»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ٢٥٦-٢٦٢.

الكلمة السابعة عشرة

فوائد من قصة نبي الله يوسف عليه السلام (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فلا زال الكلام على الفوائد من قصة نبي الله يوسف عليه السلام، فمن ذلك: أن العلم والعقل الصحيح يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى ضد ذلك لقوله: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]. أي: الجاهلين بالأمور الدينية، والجاهلين بالحقائق النافعة والحقائق الضارة.

ومنها: أنه كما على العبد عبودية لربه في حال رخائه، فعليه عبودية في حال الشدة؛ فيوسف عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن استمر على ذلك، ودعا من يتصل به من أهل السجن، ودعا الفتيتين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن كمال رأيه وحكمته أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته حين احتاجا إليه في تعبير رؤياهما وقال له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]؛ رأى ذلك فرصة، فدعاهما إلى الله قبل أن يعبر رؤياهما؛ ليكون أقرب إلى حصول المطلوب، وبين

لهما أن الذي أوصله إلى هذه الحال التي رأياها فيها من الكمال والعلم إيمانه وتوحيده وتركه لملة المشركين، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبرهن لهما على حسن التوحيد ووجوبه، وعلى قبح الشرك وتحريمه.

ومنها: أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته وحسن إرشاده وتعليمه؛ فإن يوسف لما سأله الفتيان عن رؤياهما، وكانت حاجتهما إلى التوحيد والإيمان أعظم من كل شيء قدّمها.

ومنها: أن من وقع في مكروه وشدة لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه بفعله، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون نقصاً ولا شكوى إلى المخلوق ممنوعة، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض فيها، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما: ﴿أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

ومنها: أنه يتعين على المعلم والداعي إلى الله استعمال الإخلاص التام في تعليمه ودعوته، وألا يجعل ذلك وسيلة إلى معاوضة في مال أو جاه أو نفع، وألا يمتنع من التعليم إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن يوسف قد وصى أحد

الفتيين أن يذكره عند ربه فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلاً مستفتياً عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف ولا وبخه، بل ولا قال له: لِمَ لَمْ تذكرني عند ربك؟ وأجابه جواباً تاماً من جميع الوجوه.

ومنها: أنه ينبغي للمسئول إذا أجاب السؤال أن يدل السائل على الأمر الذي ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي يتفجع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه، وجزالة رأيه، وحسن إرشاده؛ فإن يوسف لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم مع ذلك، وأشار عليهم بما يصنعونه في تلك السنين المخصبات من الإكثار من الزراعة، وحسن الحفظ والجباية.

ومنها: أنه لا يلام العبد على دفع التهمة عن نفسه، بل ذلك مطلوب كما امتنع يوسف من الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

ومنها: فضيلة العلم، علم الشرع والأحكام، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية، وعلم السياسة، فإن يوسف عليه السلام إنما حصلت له الرفعة في الدنيا والآخرة بسبب علمه المتنوع، وفيه أن علم التعبير داخل في الفتوى، فلا يحل لأحد أن يجزم بالتعبير قبل أن يعرف ذلك، كما ليس له أن يفتي في الأحكام بغير علم؛ لأن الله سماها فتوى في هذه السورة.

ومنها: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من الصفات الكاملة، من العلم وغيره، إذا كان في مصلحة وسلم من الكذب، ولم يقصد به الرياء، لقول يوسف عليه السلام: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥].

وكذلك لا تدم الولاية إذا كان المتولي لها يقوم بما يقدر عليه من إقامة الشرع، وإيصال الحقوق إلى أهلها، وأنه لا بأس بطلبها إذا كان أهلاً، وأعظم كفاءة من غيره، وإنما المذموم إذا لم يكن فيه كفاءة، أو كان موجوداً من هو أمثل منه أو مثله، أو لم يرد بها إقامة أمر الله بل أراد التروؤس والمأكلة المالية.

ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان لا ثالث لهما: الإيمان بكل ما أوجب الله الإيمان به، والتقوى التي هي امثال الأوامر الشرعية واجتناب النواهي، وأن خير الآخرة خير من ثواب الدنيا وملكها، وأنه ينبغي للعبد أن يدعو نفسه ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت لذات الدنيا ورياساتها وهي عاجزة عنها، بل يسليها بالثواب الأخروي ليخف عليها عدم حصول الدنيا، لقول يوسف: ﴿وَلَا جُرْأَلِخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].

ومنها: أن جباية الأرزاق إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم لا بأس به، بل ذلك مطلوب؛ لأن يوسف

أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات للاستعداد به للسنين المجذبات، وقد حصل به الخير الكثير.

ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الديار المصرية من أقصاها إلى أقصاها، فنهض بالزراعة حتى كثرت الغلال جداً، فصار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها عندما فقدوا ما عندهم؛ لعلمهم بوفورها في مصر، ومن عدله وتدبيره وخوفه أن يتلاعب بها التجار أنه لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بغير وحمله، وظاهر حاله هذا أنه لا يعطي أهل البلد إلا أقل من ذلك بكثير لحضورهم عنده.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف؛ لقول يوسف: ﴿الآتَوْتَنِي أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩].

ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا محرم؛ فإن يعقوب قال لأولاده: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال: ﴿بَل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [يوسف: ٨٣]. فهم في الأخيرة، وإن لم يكونوا مفرطين، فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن يقول ما قال من غير لوم عليه.

ومنها: أن استعمال الأسباب الدافعة للعين وغيرها من

المكارة، أو الرافعة لها بعد نزولها غير ممنوع، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء الله وقدره، فإن الأسباب أيضًا من القضاء والقدر؛ لقول يعقوب: ﴿يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

ومنها: جواز استعمال الحيل والمكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وأما الحيل التي يراد بها إسقاط واجب أو فعل محرم فإنها محرمة غير نافذة.

ومنها: أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره بأمر لا يحب بيانه له أن يستعمل المعارض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حين ألقى الصواع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه موهماً أنه سارق، وليس في ذلك تصريح بسرقة، وإنما استعمل المعارض، ومثل هذا قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩]، ولم يقل: من سرق متاعنا.

ومنها: أنه لا يجوز أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه برؤية أو سماع لقولهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ [يوسف: ٨١]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، إذ قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه أشد الحزن، فتم لهذه الفرقة

مدة طويلة ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤]. فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين، ولا ريب أن الله رفعه بهذه المحنة درجات عالية ومقامات سامية، لا تنال إلا بمثل هذه الأمور.

ومنها: أن الفرج مع اشتداد الكرب، فإنه لما تراكمت الشدائد المتنوعة، وضاق العبد ذرعاً بحملها، فرجها فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، وهذه عوائده الجميلة، خصوصاً لأوليائه وأصفيائه، ليكون لذلك الوقع الأكبر، والمحل الأعظم، وليجعل من المعرفة بالله والمحبة له ما يوازن ويرجح بما جرى على العبد بلا نسبة.

ومنها: جواز إخبار العبد بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر [أو] غيرهما على غير وجه التسخط، لقول يعقوب: ﴿ يَا سَفَى عَلَى يَوْسَفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقول إخوة يوسف: ﴿ مَسَنَا وَأَهْلَنَا أَضْرًا ﴾ [يوسف: ٨٨]، وأقرهم يوسف.

ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها أحسن العواقب لقوله: ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

ومنها: أن ينبغي للعبد إذا أنعم عليه بنعمة بعد ضدها أن يتذكر الحالة السابقة؛ ليعظم وقع هذه النعمة الحاضرة، ويكثر

شكره لله تعالى، ولهذا قال يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

ومنها: ما في هذه القصة من الألفاظ المتنوعة المسهّلة للبلاء؛ منها رؤيا يوسف السابقة؛ فإن فيها روحًا ولطفًا بيوسف وبيعقوب، وبشارة بالوصول إلى تأويلها، ولطف الله بيوسف إذ أوحى إليه وهو في الجب: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]. وتنقلاته من حال إلى حال، فإن فيها ألفاظًا ظاهرة وخفية؛ ولهذا قال في آخر الأمر: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. يلطف به في أحواله الداخلية، ويلطف له في الأمور الخارجية، ويوصله إلى أعلى المطالب من حيث لا يشعر.

ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلح دائمًا على ربه في تثبيت إيمانه، وأن يحسن له الخاتمة، وأن يجعل خير أيامه آخرها، وخير أعماله خواتمها، فإن الله كريم جواد رحيم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي، قسم التفسير وعلوم القرآن (٣/ ٢٦٢-٢٦٧).

مقتطفات من سيرة نبي الله محمد ﷺ

خاتم النبيين وإمام المرسلين (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«اعلم أن سيرة نبينا محمد ﷺ أعظم عون على معرفة تفسير كتاب الله، والقرآن إنما كان ينزل تبعاً لمناسبات سيرته، وما يقوله للخلق، وجواب ما يقال له، وما يحصل به تحقيق الحق الذي جاء به، وإبطال المذاهب التي جاء لإبطالها، وهذا من حكمة إنزاله مفرقاً، كما ذكر الله هذا المعنى بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۗ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۗ﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣]، وقال: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ [هود: ١٢٠].

فلنشر من سيرته ﷺ على الأحوال المناسبة لنزول الآيات المعينات، أو لجنس النوع من علوم القرآن ليكون عوناً في هذا المقام.

فأول مقاماته في إنزال القرآن عليه أنه كان قبل البعثة قد

بغضت إليه عبادة الأوثان، وبغض إليه كل قول قبيح وفعل قبيح، وفطر ﷺ فطرة مستعدة متهيئة لقول الحق علماً وعملاً، والله تعالى هو الذي طهر قلبه وزكاه وكمله، فكان من رغبته العظيمة فيما يقرب إلى الله أنه كان يذهب إلى غار حراء الأيام ذوات العدد، ويأخذ معه طعاماً يطعم منه المساكين ويتعبد ويتحنث فيه، فقلبه في غاية التعلق بربه، ويفعل من العبادات ما وصل إليه علمه في ذلك الوقت الجاهلي الخالي من العلم، ومع ذلك فهو في غاية الإحسان إلى الخلق، فلما تم عمره أربعين سنة، وتمت قوته العقلية، وصلاح لتلقي أعظم رسالة أرسل الله بها أحداً من خلقه، تبدى له جبريل ﷺ فرأى منظرًا هاله وأزعجه، إذ لم يتقدم له شيء من ذلك، وإنما قدم الله له الرؤيا، التي كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

فأول ما أنزل الله عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. فجاءه بها جبريل وقال له: اقرأ، فأخبره أنه ليس بقارئ - أي لا يعرف أن يقرأ - كما قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فغطه جبريل مرتين أو ثلاثاً ليهيئه لتلقي القرآن العظيم، ويتجرد قلبه وهمته وظاهره وباطنه لذلك، فنزلت هذه السورة التي فيها نبوته، وأمره بالقراءة باسم ربه، وفيها أصناف نعمه على الإنسان بتعليمه البيان العلمي والبيان اللفظي والبيان الرسمي،

فجاء بها إلى خديجة ترعد فرائصه من الفرق^(١)، وأخبرها بما رآه وما جرى عليه، فقالت خديجة رضي الله عنها: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق^(٢).

أي: ومن كانت هذه صفته فإنها تستدعي نعمًا من الله أكبر منها وأعظم، وكان هذا من توفيق الله لها ولنبيه، ومن تهوين القلق الذي أصابه، وبهذه السورة ابتدأت نبوته، ثم فتر عنه الوحي مدة ليشتاق إليه وليكون أعظم لموقعه عنده، وكان قد رأى الملك على صورته فانزعج، فجاء إلى خديجة أيضًا ترعد فرائصه فقال: «دَثْرُونِي دَثْرُونِي»^(٣)، فأنزل الله عليه: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝١ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ - ٥].

فكان في هذا الأمر له بدعوة الخلق وإنذارهم، فشمروا عليهم السلام عن عزمه، وصمم على الدعوة إلى ربه مع علمه أنه سيقاوم بهذا الأمر البعيد والقريب، وسيلقى كل معارضة من قومه ومن غيرهم وشدة، ولكن الله أيده وقوى عزمه، وأيده بروح منه، وبالدين الذي جاء به، وجاءته سورة الضحى في فترة الوحي

(١) الفرق: الخوف.

(٢) البخاري برقم ٦٩٨٢، ومسلم برقم ١٦٠.

(٣) أحمد برقم ١٥٠٣٣.

لما قال المكذبون: إن رب محمد قلاه . قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ١ - ٣].

وهذا اعتناء عظيم من الله برسوله، ونفي لكل نقص، وبشارة بأن كل حالة له أحسن مما قبلها وخير منها، وأن الله سيعطيه من النصر والأتباع والعز العظيم وانتشار الدين ما يرضيه.

فكان أعظم مقامات دعوته: دعوته إلى التوحيد الخالص، والنهي عن ضده؛ دعا الناس لهذا، وهذا ما قرره الله في كتابه، وصرفه بطرق كثيرة واضحة تبين وجوب التوحيد وحسنه، وتعينه طريقاً إلى الله وإلى دار كرامته، وقرار إبطال الشرك والمذاهب الضارة بطرق كثيرة احتوى عليها القرآن، وهي أغلب السور المكية، فاستجاب له في هذا الواحد بعد الواحد على شدة عزيمة من قومه. وقاومه قومه وغيرهم، وبغوا له الغوائل، وحرصوا على إطفاء دعوته بجهدهم وقولهم وفعلهم، وهو يجادلهم ويتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهم يعلمون أنه الصادق الأمين، ولكنهم يكابرون ويجحدون آيات الله، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. ولهذا لما كان استماعهم للقرآن على وجه الكفر والجحود والتكذيب، وتوطين نفوسهم على معاداته، أخبر الله تعالى أنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، وأنهم لا يهتدون بسبب ما أسسوا من هذا الأصل الخبيث، المانع

لصاحبه من كل خير وهدى، وهذا مما يعلم به حكمة الباري في إضلال الضالين، وأنهم لما اختاروا لأنفسهم الضلال ورجبوا فيه ولاهم الله ما تولوا لأنفسهم، وتركهم في طغيانهم يعمهون، وأنهم لما ردوا نعمة الله عليهم حين جاءتهم قلب الله أفئدتهم، وأصم أسماعهم، وأعمى أبصارهم وأفئدتهم. وهذا الوصف الذي أشرنا إليه قد ذكره الله في كتابه عنهم، وهو يعينك على فهم آيات كثيرة يخبر الله فيها بضلالهم وانسداد طرق الهداية عليهم، وعدم قبول محالهم وقلوبهم للهدى، والذنب ذنبهم وهم السبب في ذلك؛ قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وبضده تعرف الحكمة في هدايته للمؤمنين، وأنهم لما كانوا منصفين ليس غرضهم إلا الحق، ولا لهم قصد إلا طلب رضا ربهم، هداهم الله بالقرآن، وازدادت به علومهم ومعارفهم وإيمانهم وهدايتهم المتنوعة، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

وهذا الوصف الجليل للمؤمنين هو الأساس لهدايتهم، وزيادة إيمانهم، وانقيادهم، وبه يفتح لك الباب في فهم الآيات في أوصاف المؤمنين، وسرعة انقيادهم للحق:

أصوله وفروعه.

ومن مقامات النبي ﷺ مع المكذبين له أنه يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويدعوهم أفرادًا ومتفرقين، ويذكرهم بالقرآن، ويتلوه في الصلاة وخارجها، وكانوا إذا سمعوه صموا آذانهم، وقد يسبونهم ويسبون من أنزله، فأنزل الله على رسوله آيات كثيرة في هذا المعنى يبين حالهم مع سماع القرآن وشدة نفورهم ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ [المدثر: ٥٠-٥١]، وأن شياطينهم ورؤساءهم في الشرفكروا وقدروا ونظروا فيما يقولون عن القرآن ويصفونه به؛ لينفروا عنه الناس، حتى قرَّ قرار رئيسهم الوليد بن المغيرة الذي سماه الله وحيدًا فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥]، ولكن أبى الله إلا أن يعلو هذا الكلام كل كلام، ويزهق هذا الحق كل باطل، وكانوا من إفكهم يقولون في القرآن الأقوال المتناقضة، يقولون: إنه سحر، إنه كهانة، إنه شعر، إنه كذب، إنه أساطير؛ فجعلوا القرآن عضيّن، كل هذا أثر البغض الذي أحرق قلوبهم، حتى قالوا فيه مقالة المجانين، وكلما قالوا قولًا من هذه الأقوال أنزل الله آيات يبطل بها ما قالوا، ويبين زورهم وافتراءهم وتناقضهم.

وكان من الأدلة والبراهين على رسالة محمد ﷺ، وأن

القرآن من عند الله، مقابلة المكذبين له، فإن من نظر إليها علم أنها سلاح عليهم، وأكبر دليل على أنهم مقاومون للحق، ساعون في إبطاله، وأنهم على الباطل الذي ليس له حظ من العقل، كما ليس له حظ من الدين، وكانوا أيضًا يقولون في النبي ﷺ الأقوال التي ليس فيها دلالة على ما كانوا يعتقدون، وليس فيها نقص بالنبي ﷺ، يقولون: لو أن محمدًا صادق لأنزل الله ملائكة يشهدون له بذلك، ولأغناه الله عن المشي في الأسواق، وطلب الرزق كما يطلبه غيره، ولجعل له كذا وكذا مما توحى إليه عقولهم الفاسدة، ويذكرها الله في القرآن في مواضع متعددة، تارة يصورها للعباد فقط؛ لأن من تصورها عرف بطلانها، وأنها ليست من الشبه القادحة، فضلًا عن الحجج المعتمدة، وتارة يصورها ويذكر ما يبطلها من الأمور الواضحة، وهذا كثير في القرآن.

ومن مقاماتهم مع النبي ﷺ أنهم يسعون أشد السعي أن يكف عن عيب آلهتهم، والطعن في دينهم، ويحبون أن يتاركهم ويتاركوه، لعلمهم أنه إذا ذكر آلهتهم، ووصفها بالصفات التي هي عليه من النقص، وأنه ليس فيها شيء من الصفات يوجب أن تستحق شيئًا من العبادة، يعرفون أن الناس يعرفون ذلك، ويعترفون به، فلا أحب إليهم من التزوير، وإبقاء الأمور على علاتها من غير بحث عن الحقائق؛ لأنهم يعرفون حق المعرفة

أن الحقائق إذا بانت ظهر للخلق بطلان ما هم عليه، وهذا الذي منه يفرون، وهذا المقام أيضًا ذكره الله في آيات متعددة مثل قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، ونحوها من الآيات.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. فهذا إذا ترتب على السب المذكور سبهم لله، فإنه يترك لما يترتب عليه من الشر.

ومن مقاماتهم المتنوعة مع النبي ﷺ أنهم كانوا يقترحون الآيات بحسب أهوائهم، ويقولون: إن كنت صادقًا فأتنا بعذاب الله، أو بما تعدنا، أو أزل عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارًا وعيونًا، وحتى يحصل لك كذا وكذا مما ذكره الله عنهم، فيجيبهم الله عن هذه الأقوال بأن رسوله ﷺ قد أيده الله بالآيات، والله أعلم بما ينزل من آياته، وأعلم بما هو أنفع لهم، وأنه قد حصل المقصود من بيان صدقه، وقامت الأدلة والبراهين على ذلك، فقول الجاهل الأحمق: لو كان كذا وكذا... جهل منه وكبر ومشاغبة محضه، وتارة يخبرهم أنه لا يمنعه من الإتيان بها إلا الإبقاء عليهم، وأنها لو جاءت لا يؤمنون، فعند ذلك يعاجلهم الله بالعقاب.

وتارة يبين لهم أن الرسول إنما هو نذير مبين، ليس له من الأمر شيء، ولا من الآيات شيء، وأن هذا من عند الله، فطلبهم

من الرسول محض الظلم والعدوان، وهذه المعاني في القرآن كثيرة بأساليب متعددة.

وأحياناً يقدحون في الرسول قدحاً يعترضون فيه على الله، وأنه لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، ومحمد ليس كذلك، وأنك يا محمد لست بأولى بفضل الله منا، فلأي شيء تفضل علينا بالوحي؟ ونحوه من الأقوال الناشئة عن الحسد، فيجيبهم الله بذكر فضله، وأن فضله يؤتاه من يشاء، وأنه أعلم حيث يجعل رسالته والمحل اللائق بها، ويشرح لهم من صفات رسوله التي يشاهدونها رأي عين ما يعلمون هم وغيرهم أنه أعظم رجل في العالم، وأنه ما وجد ولن يوجد أحد يقاربه في الكمال، مؤيداً ذلك بالأمر المحسوسة والبراهين المسلمة، وقد أبدى الله هذه المعاني وأعادها معهم في مواضع كثيرة.

ومن مقاماته ﷺ مع المؤمنين الرأفة العظيمة، والرحمة لهم، والمحبة التامة، والقيام معهم في كل أمورهم، وأنه لهم أرحم وأرأف من آبائهم وأمهاتهم، وأحنى عليهم من كل أحد، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِيَّ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فلم يزل يدعو إلى التوحيد وعقائد الدين وأصوله ، ويقرر ذلك بالبراهين والآيات المتنوعة ، ويحذر من الشرك والشورور كلها منذ بعث إلى أن استكمل بعد بعثته نحو عشر سنين، وهو يدعو إلى الله على بصيرة.

ثم أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ ليريه من آياته، وعرج به إلى فوق السماوات السبع، وفرض الله عليه الصلوات الخمس بأوقاتها وهيئاتها، وجاءه جبريل على أثرها فعلمه أوقاتها وكيفياتها، وصلى به يومين، اليوم الأول صلى الصلوات الخمس في أول وقتها، واليوم الثاني في آخر الوقت، وقال: الصلاة ما بين هذين الوقتين، ففرضت الصلوات الخمس قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، ولم يفرض الأذان في ذلك الوقت، ولا بقية أركان الإسلام، وانتشر الإسلام في المدينة وما حولها.

ومن جملة الأسباب: أن الأوس والخزرج كان اليهود في المدينة جيراناً لهم، وقد أخبروهم أنهم ينتظرون نبياً قد أطل زمانه، وذكروا من أوصافه ما دلهم عليه؛ فبادر الأوس والخزرج واجتمعوا بالنبي ﷺ في مكة وتيقنوا أنه

رسول الله، وأما اليهود فاستولى عليهم الشقاء والحسد ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وكان المسلمون في مكة في أذى شديد من قريش، فأذن لهم النبي ﷺ في الهجرة أولاً إلى الحبشة، ثم لما أسلم كثير من أهل المدينة صارت الهجرة إلى المدينة.

وحين خاف أهل مكة من هذه الحال اجتمع ملؤهم ورؤساؤهم في دار الندوة يريدون القضاء التام على النبي ﷺ؛ فاتفق رأيهم أن ينتخبوا من قبائل قريش من كل قبيلة رجلاً شجاعاً، فيجتمعون ويضربونه بسيوفهم ضربة واحدة. قالوا: لأجل أن يتفرق دمه في القبائل، فتعجز بنو هاشم عن مقاومة سائر قريش فيرضون بالدية، فهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، فجاء الوحي إلى النبي ﷺ وعزم على الهجرة، وأخبر أبا بكر بذلك وطلب منه الصحبة، فأجابه إلى ذلك وخرج في تلك الليلة التي اجتمعوا على الإيقاع به، وأمر علياً أن ينام على فراشه، وخرج هو وأبو بكر إلى الغار، فلم يزالوا يرصدونه حتى برق الفجر، فخرج إليهم علي فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري.

ثم ذهبوا يطلبونه في كل وجهة، وجعلوا الجعالات الكثيرة لمن يأتي به، وكان الجبل الذي فيه الغار قد امتلأ من الخلق يطلبون رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر

أحدهم إلى قدميه لأبصرنا. فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين **الله** ثالثهما؟ وأنزل **الله** تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا ۖ فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[التوبة: ٤٠]» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



مقتطفات من سيرة نبي الله محمد ﷺ

خاتم النبيين وإمام المرسلين (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فاستكمالاً للحديث عن سيرة النبي ﷺ فإنه عليه الصلاة والسلام هاجر إلى المدينة واستقر بها، وأذن له في القتال بعدما كان قبل الهجرة ممنوعاً لحكمة مشاهدة، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. وجعل يرسل السرايا، ولما كانت السنة الثانية فرض الله على العباد الزكاة والصيام، فأيات الصيام والزكاة إنما نزلت في هذا العام وقت فرضها، وأما قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ [فصلت: ٦-٧]؛ فإن المراد زكاة القلب وطهارته بالتوحيد وترك الشرك.

وفي السنة الثانية أيضاً كانت وقعة بدر، وسببها أن عيراً لقريش تحمل تجارة عظيمة من الشام، خرج النبي ﷺ بمن خف من أصحابه لطلبها، فخرجت قريش لحمايتها، وتوافقوا في بدر على

غير ميعاد، فالعير نجت والنفير التقوا مع الرسول وأصحابه، وكانوا ألفاً كاملي العدد والخييل، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر على سبعين بعيراً يعتقبونها^(١)، فهزم الله المشركين هزيمة عظيمة، قتلت سرواتهم وصناديدهم، وأسر من أسر منهم، وأصاب المشركين مصيبة ما أصيبوا بمثلها، وهذه الغزوة أنزل الله فيها وفي تفاصيلها سورة الأنفال، وبعدما رجع إلى المدينة منها مظفراً منصوراً ذل من بقي ممن لم يسلم من الأوس والخزرج، ودخل بعضهم في الإسلام نفاقاً، ولذلك جميع الآيات التي نزلت في المنافقين إنما كانت بعد غزوة بدر.

ثم في السنة الثالثة كانت غزوة أحد، غزا المشركون وجيشوا الجيوش على المسلمين حتى وصلوا إلى أطراف المدينة، وخرج إليهم رسول الله ﷺ بأصحابه وعبأهم ورتبهم، والتقوا في أحد عند الجبل المعروف شمالي المدينة، وكانت الدائرة في أول الأمر على المشركين، ثم لما ترك الرماة مركزهم الذي رتبهم فيه رسول الله ﷺ وقال لهم: لا تبرحوا عنه، ظهرنا أو غلبنا، وجاءت الخيل مع تلك الثغرة وكان ما كان، حصل على المسلمين في أحد مقتلة أكرمهم الله بالشهادة في سبيله، وذكر الله تفصيل هذه الغزوة في سورة آل عمران، وبسط متعلقاتها، فالوقوف على هذه الغزوة من كتب السير يعين على

(١) يعتقبونها: يتناوبونها. انظر لسان العرب ع ق ب.

فهم الآيات الكثيرة التي نزلت فيها كبقية الغزوات.

ثم في السنة الرابعة تواعد المسلمون والمشركون فيها - في بدر- فجاء المسلمون لذلك الموعد، وتخلف المشركون معتذرين أن السنة مجدبة، فكتبها **الله** غزوة للمسلمين: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ثم في سنة خمس كانت غزوة الخندق، اتفق أهل الحجاز وأهل نجد، وظاهرهم بنو قريظة من اليهود على غزو النبي ﷺ، وجمعوا ما يقدرون عليه من الجنود، فاجتمع نحو عشرة آلاف مقاتل وقصدوا المدينة، ولما سمع بهم النبي ﷺ خندق على المدينة، وخرج المسلمون نحو الخندق، وجاء المشركون كما وصفهم **الله** بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

ومكثوا محاصرين المدينة عدة أيام، وحال الخندق بينهم وبين اصطدام الجيوش، وحصل مناوشات يسيرة بين أفراد من الخيل، وسبب **الله** عدة أسباب لانخزال المشركين، ثم انشَمروا^(١) إلى ديارهم، فلما رجعوا خائبين لم ينالوا ما كانوا جازمين على حصوله، تفرغ النبي ﷺ لبني قريظة الذين ظاهروا

(١) انشَمروا: أسرعوا. انظر لسان العرب ش م ر.

المشركين بقولهم وتشجيعهم على قصد المدينة، ومظاهرتهم الفعلية ونقضهم ما كان بينهم وبين النبي ﷺ فحاصرهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وفي هذه الغزوة أنزل الله ﷻ صدر سورة الأحزاب من قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، إلى قوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

ثم في سنة ست من الهجرة اعتمر ﷺ وأصحابه عمرة الحديبية، وكان البيت لا يصد عنه أحد، فعزم المشركون على صد النبي ﷺ عنه، ولما بلغ الحديبية ورأى المشركين قد أخذتهم الحمية الجاهلية جازمين على القتال دخل معهم في صلح لحقن الدماء في بيت الله ﷻ الحرام، ولما في ذلك من المصالح، وصار الصلح على أن يرجع النبي ﷺ عامه هذا ولا يدخل البيت، ويكون القضاء من العام المقبل، وتضع الحرب أوزارها بينهم عشر سنين؛ فكره جمهور المسلمين هذا الصلح حين توهموا أن فيه غضاضة على المسلمين، ولم يطلعوا على ما فيه من المصالح الكثيرة، فرجع ﷺ عامه ذلك، وقضى هذه العمرة في عام سبع من الهجرة، فأنزل الله ﷻ في هذه القضية سورة الفتح بأكملها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

فكان هذا الفتح لما فيه من الصلح الذي تمكن فيه المسلمون من الدعوة إلى الإسلام، ودخول الناس في دين الله حين شاهدوا ما فيه من الخير والصلاح والنور، وقد تقدم أن قصة بني قريظة دخلت في ضمن قصة الخندق، أما قبيلة بني النضير من اليهود فإنها قبل ذلك حين هموا بالفتك بالنبي ﷺ، وكانوا على جانب المدينة غزاهم ﷺ واحتموا بحصونهم، ووعدهم المنافقون حلفاء وهم بنصرتهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأنزلهم رسول الله ﷺ على أن يجلووا عن ديارهم ولهم ما حملت إبلهم، ويدعوا الأرض والعقار وما لم تحمله الإبل للمسلمين؛ فأنزل الله في هذه القضية أول سورة الحشر: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، إلى آخر القصة.

وفي سنة ثمان من الهجرة، وقد نقضت قريش العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ غزا مكة في جند كثيف من المسلمين يقارب عشرة آلاف، فدخلها فاتحاً لها، ثم تممها بغزو حنين على هوازن وثقيف، فتم بذلك نصر الله لرسوله وللمسلمين، وأنزل الله في ذلك أول سورة التوبة.

وفي سنة تسع من الهجرة غزا تبوك وأوعب^(١) المسلمون

(١) أي جمعوا ما استطاعوا من جمع. انظر لسان العرب وع ب.

معه، ولم يتخلف إلا أهل الأعذار وأناس من المنافقين، وثلاثة من صلحاء المؤمنين: كعب بن مالك وصاحبه، وكان الوقت شديداً، والحر شديداً، والعدو كثيراً، والعسرة مشتدة، فوصل إلى تبوك ومكث عشرين يوماً ولم يحصل قتال فرجع إلى المدينة؛ فأنزل الله في هذه الغزوة آيات كثيرة من سورة التوبة، يذكر تعالى تفاصيلها وشدتها، ويثني على المؤمنين، ويذم المنافقين وتخلفهم، ويذكر توبته على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، ويدخل معهم الثلاثة الذين خلفوا بعد توبتهم وإنابتهم.

وفي مطاوي هذه الغزوات يذكر الله آيات الجهاد وفرضه وفضله وثواب أهله، وما للناكلين عنه من الذل العاجل والعقاب الآجل، كما أنه في أثناء هذه المدة ينزل الله الأحكام الشرعية شيئاً فشيئاً بحسب ما تقتضيه حكمته.

وفي سنة تسع من الهجرة أو سنة عشر فرض الله الحج على المسلمين، وكان أبو بكر حج بالناس سنة تسع، ونبذ إلى المشركين عهودهم، وأتم عهود الذين لم ينقضوا، ثم حج النبي ﷺ بالمسلمين سنة عشر واستوعب المسلمين معه، وأعلمهم بمناسك الحج والعمرة بقوله وفعله، وأنزل الله الآيات التي في الحج وأحكامه، وأنزل الله يوم عرفة: ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[المائدة: ٣] «(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي (٣/ ٢٧١-٢٨١).

الكلمة العشرون

مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الله أرسل نبيه محمد ﷺ رحمة للعالمين، فأغاث الله به البلاد والعباد، وكشف به تلك الظلم، وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، وفتح به أعيناً عمياً، وأذناناً صمّاً، وقلوباً غلفاً.

وعرف أمته الطريق الموصل إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، فلم يدع حسناً إلا أمرهم به، ولا قبيحاً إلا نهى عنه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر أنه قال: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا»^(١).

وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى

(١) (٣٥/٣٤٦) برقم ٢١٤٣٩، وقال محققوه: حديث حسن.

ربهم إلا فتحه، ولا مشكلاً إلا بينه وشرحه، حتى هدى الله تعالى به القلوب من ضلالها، وشفأها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأى بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ، وجزاه عن أمته أفضل الجزاء.

وقد كان ﷺ على درجة عظيمة من مكارم الأخلاق، وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق بني آدم، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأحلمهم وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرةً، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً^(١)، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن هشام بن عامر أنه دخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال: «أنبئني عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٢).

وفي رواية: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: يَا بَنِيَّ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤]، خُلُقُ مُحَمَّدٍ الْقُرْآنُ»^(٣).

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على رسول الله لابن القيم رحمته الله، بتصرف واختصار، ص ١٩٣-١٩٧.

(٢) برقم ٧٤٦.

(٣) مسند أبي يعلى (٢٧٥ / ٨) بإسناد صحيح.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «معناه العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته»^(١). أهـ

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمته القرآن كان فيه سخطه»^(٢).

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «هذه جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء، والتقطتها من الأخبار، فقال: كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحلم الناس، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»^(٣).

وكان عليه الصلاة والسلام أعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: **وَاللَّهِ!**

(١) شرح صحيح مسلم (٣/٢٦٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٤٨).

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٤٩، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٧.

مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى،
وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ
إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: «قَدْ بَايَعْتُكُنَّ» كَلَامًا (١).

وكان يجيب دعوة الجميع، ويقول: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ (٢)
لَأَجَبْتُ» (٣).

ويقبل الهدية، ولو أنها جرعة لبن، أو فخذ أرنب، ويكافئ
عليها، ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، روى البخاري في صحيحه
من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ،
وَيُثِيبُ عَلَيْهَا» (٤).

وأما ذكر جرعة اللبن، وفخذ الأرنب، ففي الصحيحين من
حديث أم الفضل: «أَنَّهَا أُرْسِلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِقَدَحِ لَبْنٍ وَهُوَ
وَاقِفٌ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَشَرِبَهُ» (٥).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أبا طلحة
بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله ﷺ فقبله (٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ

(١) صحيح البخاري برقم ٤٨٩١، وصحيح مسلم برقم ١٨٦٦ واللفظ له.

(٢) الكراع: من الدابة ما دون الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم ٥١٧٨.

(٤) برقم ٢٥٨٥.

(٥) صحيح البخاري برقم ٥٦١٨، وصحيح مسلم برقم ١١٢٣.

(٦) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٢، وصحيح مسلم برقم ١٩٥٣.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ، فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا»، وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ (١).

وكان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يَنْتَهَكَ شَيْئًا مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ ﷻ مِنْهَا» (٢).

عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى، وقال: «أَنَا لَا أَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ».

روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْجِعْ».

(١) صحيح البخاري برقم ٢٥٧٦، وصحيح مسلم برقم ١٠٧٧ باختلاف.

(٢) برقم ٢٣٢٨.

فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»^(١).

ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم، ولا زاد على مُرِّ الحق، بل وداه بمئة ناقة، وإن أصحابه بحاجة إلى بعير واحد يتقون به، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما في قصة قتل عبد الله بن سهل، وفيها: «فَوَدَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ مِائَةَ نَاقَةٍ حَتَّى أَدْخَلَتْ عَلَيْهِمُ الدَّارَ، فَقَالَ سَهْلٌ: فَلَقَدْ رَكَضْتَنِي مِنْهَا نَاقَةٌ حَمْرَاءُ»^(٢).

وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع، كما في الصحيحين من حديث جابر رضي عنه في قصة الخندق، وفيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا»^(٣).

وفي رواية، قال أنس رضي عنه: فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع^(٤).

وكان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، ولا يتورع عن مطعم حلال، وإن وجد تمرًا دون خبزًا أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بر أو شعير أكله، وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن

(١) برقم ١٨١٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧١٩٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٦٩، واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤١٠١.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٠٤٠.

وجد لبنًا دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله.

ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: **أن النبي ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ، وَيَقُولُ: «نِعْمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ...»** (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس **رضي عنه** قال: **«رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا»** (٢).

وكان لا يأكل متكئًا، ولا على خوان، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي جحيفة **رضي عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: **«إِنِّي لَا آكُلُ مُتَكِيًّا»** (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: **«لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ (٤) حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا (٥) حَتَّى مَاتَ»** (٦).

ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله **إيثارًا** على نفسه، لا فقرًا، ولا بخلاً، يجيب الوليمة، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز.

(١) صحيح مسلم ٢٠٥٢.

(٢) صحيح مسلم ٢٠٤٤.

(٣) صحيح البخاري ٥٣٩٨.

(٤) الخوان: المائدة المرتفعة.

(٥) مرققًا: وهو الرغيف الواسع الرقيق.

(٦) برقم ٦٤٥٠.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا شَبَعَ أَلْ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ» (١).

وفي الحديث السابق: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ» (٢). قال سهل بن حنيف رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضِعْفَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ» (٣).

وكان يمزح ولا يقول إلا حقًا، ويضحك من غير قهقهة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ» (٥).

يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترتفع الأصوات عليه فيصبر، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في لعب الحبشة بين يديه في المسجد، وقالت لهم: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا

(١) صحيح البخاري ٥٤١٦، وصحيح مسلم برقم ٢٩٧٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٧٨.

(٣) مستدرک الحاكم (٣/ ٢٧٠) برقم ٣٧٨٧، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٨٧٧.

(٤) برقم ١٩٩٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) صحيح البخاري ٤٨٢٨، وصحيح مسلم برقم ٨٩٩.

عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبْشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ» (١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ، سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: «هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبْقَةِ» (٢).

وكان لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويًا، فقد روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل الساعدي أنه قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ

(١) صحيح البخاري ٤٥٤، وصحيح مسلم برقم ٨٩٢.

(٢) برقم ٢٥٧٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٩٠) برقم ٢٢٤٨.

(٣) برقم ٢٣٥٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٥) برقم ١٩١٧.

لَا يُسْمَعُ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَيَّ كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ»^(٢).

وقد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة، والسياسة التامة، وهو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر، وفي رعاية الأغنام، يتيمًا لا أب له ولا أم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق، والطرق الحميدة، وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، واليقظة والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب، وترك الفضول.

وفقنا الله لطاعته في أمره، والتأسي به في فعله.. آمين يا رب العالمين^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٤٤٧.

(٢) برقم ١٧٧٤.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/١٥٢٨-١٥٣٨) باختصار وتصرف.

العرش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن أعظم مخلوقات الله، وأكبرها، وأثقلها؛ العرش.

والعرش كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [١٤-١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو رب العرش العظيم: أي هو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين

وما فيها وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدره الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل»^(١).

وقال أيضًا: «ذو العرش: أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عز وجل، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح»^(٢).

وأما الكرسي، فقد قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، روى أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدَّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ»^(٣).

وهذا يدل على كمال عظمة الله، وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها، وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي؟

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/٤٠٥).

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٣١٣).

(٣) (٢/٥٨٢)، وصححه الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١/٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو ص ٧٦، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في مختصر العلو ص ٤٥. أهـ. وهذا له حكم الرفع.

الْحَلِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).

وروى ابن خزيمة في التوحيد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه
قال: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، ثُمَّ مَا بَيْنَ كُلِّ
سَّمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَغِلْظُ كُلِّ سَّمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةِ
عَامٍ، ثُمَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا
بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَبَيْنَ الْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْكُرْسِيُّ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ
تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «هذا الحديث موقوف
على ابن مسعود، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها،
فيكون لها حكم الرفع؛ لأن ابن مسعود لم يعرف بالأخذ من
الإسرائيليات»^(٣).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في مسائل هذا
الحديث:

«التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٤٦، وصحيح مسلم برقم ٢٧٣٠.

(٢) (٢٤٢/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٩١) واللفظ له، والأثر قال عنه
الذهبي في العلو: إسناده صحيح، ص ٧٩.

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٣/٣٧٩).

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا لما كانت السماء محيطة بالأرض، كانت عالية عليها، ولما كان الكرسي محيطاً بالسموات كان عالياً عليها، ولما كان العرش محيطاً بالكرسي كان عالياً»^(٢).

قال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ كِرَامٌ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وقد علم المسلمون أن كرسيه سُبْحَانَهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته»^(٣).

والعرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد

(١) مسائل كتاب التوحيد ص ١١٢.

(٢) الصواعق المرسله (٤/١٣٠٨).

(٣) الفتوى الحمويه الكبرى، ص ٥٢٦.

الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي، أَفَاقَ قِبَلِي، أُمُّ جُوزِي بَصْعَقَةَ الطُّورِ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٢). وفي رواية: «مَخْفَقَ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٣).

والعرش خلقه الله قبل القلم، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٤).

قال ابن كثير رحمته الله: «ثبت تقدم خلق العرش على القلم الذي كتب به المقادير من هذا العالم، كما ذهب إلى ذلك الجماهير - أي من أهل العلم - ويحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، ويؤيد هذا ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن

(١) برقم ٣٣٩٨.

(٢) برقم ٤٧٢٧، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وإسناده على شرط الصحيح، فتح الباري (٦٦٥/٨).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٧٠/١٠).

(٤) برقم ٢٦٥٣.

لرسول الله ﷺ: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ - وفي رواية: قَبْلَهُ»^(١) - وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»^(٢).

والعرش من الأمور الغيبية التي نؤمن بها ولا نراها، والله تعالى مستوٍ على عرشه، ومعنى استوى: أي علا وارتفع، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

«ومسألة الاستواء على العرش ثابتة في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر الاستواء في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ومجيء ذكر الاستواء في القرآن بهذا العدد إنما هو ليؤكد عظم هذا الأمر وأهميته، وأما السنة، فهي مليئة بالأحاديث والآثار التي تثبت الاستواء وتؤكدده. وإن مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يقولون: إن الله على عرشه بلا تكيف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، فهو سُبْحَانَهُ مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز كما يزعم الجهمية وأتباعهم الذين ينكرون العرش وأن يكون الله فوقه. وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لدينا، والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة؛ لأن الله سُبْحَانَهُ لم يطلعنا على كيفية ذاته، فكيف يكون لنا أن نعرف كيفية استوائه،

(١) برقم ٧٤١٨.

(٢) برقم ٣١٩١.

وهو **سُبْحَانَهُ** وتعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **ﷺ** قال: «... فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ...» (٢).

فالحديث بين أن العرش هو أعلى المخلوقات، وسقفها، فهو سقف للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها.

والعرش يمتاز مع كبر حجمه وسعته بكونه أثقل المخلوقات، وزنته أثقل الأوزان، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جويرية بنت الحارث أم المؤمنين **رضي الله عنها** أن النبي **ﷺ** قال لها: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتُهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمته الله**: «فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان» (٤).

وقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ **رضي الله عنه**، فروى

(١) العرش للذهبي (١/٣٢٥).

(٢) برقم ٧٤٢٣.

(٣) برقم ٢٧٢٦.

(٤) الرسالة العرشية، ص ١٠.

البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «وإذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض أتباعه فرحًا واستبشارًا بقدوم روحه، فكيف بقدوم روح سيد الخلائق؟»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٣٨٠٣، وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٦.

(٢) فوائد الفوائد ص ٣١٢.

الفرح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الفرح أعلى نعيم القلب، ولذته، وبهجته، والفرح بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانسراح، والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرح رضا، وليس كل رضا فرح.

وقد جاء ذكر الفرح في القرآن الكريم على نوعين، فالمطلق جاء في الذم، وهو الذي يورث الأشر والبطر، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].

ومن الفرح المذموم، الفرح بما فيه معصية الله تعالى، كالفرح بالمال إن كان حصوله بطرق محرمة كالربا، والغش، والسرقه، ونحو ذلك، أو بتحصيل الشهوات المحرمة، أو الفرح بالتخلف عن أداء الواجبات وفعل المكرمات، فهذه

كلها من صفات المنافقين، قال **الله** تعالى عنهم: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

والمقيد نوعان أيضًا: مقيد بالدنيا يُنسي صاحبه فضل **الله** ومنته، فهو مذموم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]. والثاني: مقيد بفضل **الله** ورحمته، وهو نوعان أيضًا: فضل ورحمة بالسبب، وفضل بالمسبب، فالأول كقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّبُ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]، فالفرح بهذا لأنه سبب الوصول إلى السعادة الأبدية التي لا شقاء بعدها. فذلك خير من كل ما يجمع الناس من أعراض الدنيا وزينتها، أي هذا هو الذي ينبغي أن يفرح به، ومن فرح به فقد فرح بأجل مفروح به، لا ما يجمع أهل الدنيا منها، فإنه ليس بموضع للفرح لأنه عرضة للآفات، ووشيك الزوال، ووخيم العاقبة، وهو طيف خيال زار الصب في المنام، ثم انقضى المنام، وولى الطيف، وأعقب مزاره الهجران.

فالفرح **بالله**، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنة، وبالعلم، وبالقرآن، من أعلى مقامات الدين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ

سُورَةٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

فالفرح بالعلم، وبالإيمان، والسنة، دليل على تعظيمه عند صاحبه، ومحبته له، ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة.

والثاني: وهو الفرح بالمسبب، وهو ما يحصل ثمرة وجزاء للسبب من النعيم المقيم الدائم الذي لا ينقطع في جنات عدن، كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٧٠]. والفرق بينه وبين الاستبشار، أن الفرح بالمحبوب بعد حصوله، والاستبشار يكون به قبل حصوله إذا كان على ثقة من حصوله»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول ﷺ، وابتهاجها وسرورها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]. ففضل الله ورحمته القرآن والإيمان؛ من فرح به

(١) مدارج السالكين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٣/١١٩) بتصرف واختصار.

فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرحة في غير موضعها، فإذا استقر في القلب، وتمكن فيه العلم بكفايته لعبده، ورحمته له، وحلمه عنده، وبره به، وإحسانه إليه على الدوام، أوجب له الفرحة والسرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه، فلا يزال مترقيًا في درجات العلو والارتفاع بحسب رقيه في هذه المعارف»^(١).

والمؤمن يفرح عند أداء الطاعة، وتوفيق الله له لأدائها، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ^(٢)، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرَفُ^(٣) يَوْمَيْدٍ وَلَا يَسْخَبُ^(٤)، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ^(٥) فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»^(٦).

(١) الفتاوى (١٦/٤٩-٥٠).

(٢) أي: سترة ووقاية ومانع من الآثام.

(٣) الرفث: السخف وفحش الكلام.

(٤) الصخب: الصياح.

(٥) الخلوف: تغير رائحة الفم.

(٦) صحيح البخاري برقم ١٩٠٤، وصحيح مسلم برقم ١١٥١ واللفظ له.

والمؤمن يفرح بالثواب العظيم من الله عندما يبشر به في حياته، روى مسلم في صحيحه من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها وكانت قد قدمت على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحريةية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، قال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت كلمة: كذبت يا عمر، كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعط جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وايم الله لا أطعم طعامًا، ولا أشرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونُخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد على ذلك. قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله! إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالًا، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ (١).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»^(١). قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

وروى النسائي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا حَضَرَ الْمُؤْمِنُ مِنْ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَيَنَاقِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرَّيْحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ.. »^(٢) الحديث.

والمؤمن يفرح إذا بشر بالخلود في الجنان يوم القيامة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ،

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦٨٨، وصحيح مسلم برقم ٢٦٣٩.

(٢) برقم ١٨٣٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي ١٧٢٩.

إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ، حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ،
ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ: لَا مَوْتَ،
فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى
حُزْنِهِمْ»^(١).

والفرح من الأمور المطلوب تحصيلها لما ينتج عنه من نشاط النفس لذكر الله، وشكره، والإحسان في عبادته؛ ولهذا أرشد ﷺ أمته، وعلمهم دعاء يدعون الله به يذهب به عنهم الحزن، ويحصل لهم به الفرح والسرور، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيقَ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٤٨، وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٠.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم ٣٧١٢، وقد اختلف في تصحيحه وتضعيفه، وصححه ابن

القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل ص ٢٧٤.

والله تعالى يفرح بتوبة عبده، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ^(١) مُهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَالَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»^(٢).

تنويه:

دلت النصوص الشرعية على أن أعظم أسباب الفرح والسعادة، وسرور النفس وابتهاجها هو التقرب إلى الله تعالى بفعل مرضيه، والابتعاد عن مساخطه، وهذا لا يحصل إلا بأن تؤدي هذه العبادات بقلوب مطمئنة راضية موقنة، غير أن حال كثير منا أنهم يؤدون هذه العبادات ولا يظهر عليهم أثرها من الفرح والسرو بما وُفقوا له، فلنحذر كل الحذر أن نكون من هذا الصنف، فإن الفرح والسرور بالإقبال على الله، والسعي في مرضيه أول النعيم، قال بعض السلف: «إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ

(١) الأرض الدوية: الأرض القفر، والفلاة الخالية.

(٢) صحيح البخاري ٦٣٠٨، وصحيح مسلم برقم ٢٧٤٤ واللفظ له.

لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ [الانفطار]، وهذا يشمل الدنيا والآخرة، جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الحزن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ الرَّجَالِ»^(١).

قال ابن بطال رحمته الله: «وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعاً عن أمته، وتشريعاً لهم، ليبين لهم صفة المهم من الأدعية.

وقوله في الحديث: الهم والحزن: الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط، والبخل ضد الكرم،

والجبن ضد الشجاعة.

وقوله: ضلع الدين، المراد به ثقل الدين وشدته، وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء، ولا سيما مع المطالبة.

وقوله: وغلبة الرجال، أي شدة تسلطهم، كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا، والفرق بين العجز والكسل، أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله، والعجز عدم القدرة^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًا عنه، أو منفيًا، فالمنهي عنه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، والمنفي كقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وسر ذلك: أن الحزن يقطع العبد عن السير إلى الله، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠]، ونهى النبي ﷺ الثلاثة أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث؛ لأن ذلك يحزنه.

(١) فتح الباري (٦/٣٦)، (١١/١٧٤) بتصرف.

فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ»، فهو قرين الهم، والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يُستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مُفتر للعزم.

قال تعالى عن أهل الجنة إذا دخلوها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما تصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، فلم يمدحوا على نفس الحزن، وإنما مُدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به.

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنِ، حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ، إِلَّا

كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»^(١). فهذا يدل على أنه مصيبة من الله يصيب بها العبد، يكفر بها من سيئاته، لا يدل على أنه مقام ينبغي طلبه واستيطانه.

وكان ﷺ دائم البشر، ضحوك السنن، كما في وصفه «الضُّحُوكُ الْقِتَالُ» صلوات الله وسلامه عليه»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع، وإن تعلق أمر الدين به، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وذلك لأنه لا يجلب منفعة، ولا يدفع مضرة، ولا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم لا يَأْثِمُ صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يحزن على المصائب، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ»^(٣).

(١) رواه مسلم برقم ٢٥٧٣.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٧٧-٣٧٨) باختصار وتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣٠٤، وصحيح مسلم برقم ٩٢٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه، ويُحمد عليه، ويكون محمودًا من تلك الجهة، لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهد، وجلب منفعة، ودفع مضرة منهي عنه^(١).

وأرشد النبي ﷺ من أصابه حزن إلى هذا الدعاء، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضَرَّ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: «بَلَىٰ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»^(٢).

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص ٤٢-٤٣ باختصار.

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٩.

«وهنا يسأل المؤمن ربه أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، وأن يجعله شفاء همه وغمه، فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه داءه، ويعقبه شفاءً تاماً، وصحة وعافية. والله الموفق»^(١).

ومما يخفف من الحزن أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ»^(٢).

ولا يدخل أحد النار حتى يرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حزناً وكمداً، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ، إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ سُكْرًا، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ، إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً»^(٣).

وقد نهى الله نبيه عن الحزن على الكفار، قال تعالى:

(١) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

(٢) برقم ٥٦٨٩.

(٣) برقم ٦٥٦٩.

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [لقمان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ [فاطر: ٨].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۗ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۗ ﴾: قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «لأنك أديت ما عليك من الدعوة والبلاغ، فإذا لم يهتد فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه؛ لأنه لو كان فيه خير لهداه الله، ولا تحزن أيضاً على كونهم تجرأوا عليك بالعداوة، ونابدوك المحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب، فإن ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ من كفرهم، وعداوتهم، وسعيهم في إطفاء نور الله، وأذى رسله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر وكان شهادة؟ ﴿ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ﴾ في الدنيا ليزداد اثمهم، ويتوفر عذابهم ﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ﴾ أي نلجئهم ﴿ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ أي انتهى في عظمه وكبره وفضاعته وألمه وشدته»^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٩١٠.

وقد نفى الله تعالى عن المؤمنين الخوف والحزن في الآخرة، ووعدهم كذلك بالسعادة في الدنيا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٣]. وأولها عند قبض أرواحهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وفي القبر ما يبشر به من رضا الله والنعيم المقيم.

وأما في الآخرة، فقد قال تعالى ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قال القرطبي رحمه الله: «أي لفقد الدنيا، وقيل: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢]: أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته، ورضي عنه، فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا -أي عن النار- مُبْعَدُونَ﴾ [١٠١]، إلى قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [١٠٣] [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]»^(١)، وقال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية [المجادلة: ١٠]:

(١) تفسير القرطبي رحمه الله (١٦/١١).

«والله تعالى إنما أخبرنا بذلك من أجل أن نتجنب هذا الشيء، ليس مجرد إخبار أن الشيطان يريد إحزاننا، المراد أن نتعد عن كل ما يحزن؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «لَا يَتَنَجَّى اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثِ»^(١)، من أجل أن ذلك يحزنه، فكل ما يجلب الحزن للإنسان فهو منهي عنه؛ لذلك اجعل هذه نصب عينيك دائماً أن الله يريد منك أن تكون دائماً مسروراً بعيداً عن الحزن»^(٢).

ومن مضار الحزن:

١- إهلاك النفس بدون جدوى، وفي الحديث: «... لَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا! وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(٣).

٢- أنه من الشيطان وهو أحب شيء إليه كما في الآية: ﴿إِنَّمَا التَّجَوَّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية [المجادلة: ١٠].

٣- الركون إلى الحزن مثبت عن العمل الصالح، ومفتر للعزم، ودليل على الضعف، والمؤمن مأمور بالعمل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَىٰ إِلَٰهِكُمْ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾^(٤) [المطففين: ٢٦].

(١) رواه البخاري برقم ٦٢٨٨.

(٢) شرح كتاب بلوغ المرام (٣/ ٥٣٢) بتصرف واختصار.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٦٦٤.

٤- الأضرار الصحية التي تنتج عن الحزن، الأضرار على
البدن، والعقل كما ذكر ذلك الأطباء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



العدل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي يتحلى بها المؤمن؛ العدل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

قال الماوردي: «إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويعت على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان. وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حدٍّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ونُقل عن بعض البلغاء قوله: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع، فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يبدأ بعدل الإنسان في نفسه، ثم بعدله في غيره، فأما عدله في نفسه، فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحواله على أعدل الأمرين: من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور.

فأما عدله مع غيره؛ فقد تنقسم حال الإنسان مع غيره على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عدل الإنسان فيمن دونه، كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء: باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في السيرة، فإن اتباع الميسور أدوم، وحذف المعسور أسلم، وترك التسلط أعطف على المحبة، وابتغاء الحق أبعث على النصرة.

القسم الثاني: عدل الإنسان مع من فوقه، كالرعية مع سلطانه، والصحابة مع رئيسها، ويكون ذلك بثلاثة أشياء:

بإخلاص الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء؛ فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل، وبذل النصرة أَدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن، وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر إلى اتقاء من كان يقيه... وفي استمرار هذا حل نظام شامل، وفساد صلاح شامل.

القسم الثالث: عدل الإنسان مع أكفائه، ويكون بثلاثة أشياء: بترك الاستطالة، ومجانبة الإدلال، وكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال أعطف، وكف الأذى أنصف، وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء ففسدوا وأفسدوا.

وقد يتعلق بهذه الطبقات أمور خاصة يكون العدل فيها بالتوسط في حالتها التقصير والسرف، لأن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل، وإذا كان الأمر كذلك فإن كل ما خرج عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروج عن العدل إلى ما ليس بالعدل.

ولست تجد فسادًا إلا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حال العدل، إلى ما ليس بعدل من حالتها الزيادة والنقصان، وإذا لا شيء أنفع من العدل، كما أنه لا شيء أضر مما ليس بعدل»^(١).

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٤١-١٤٤) بتصرف.

«قال سعيد بن جبير في جواب لعبدالمك عن العدل: العدل على أربعة أنحاء، العدل في الحكم لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]، والعدل في القول، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، والعدل في الفدية لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، والعدل في الإشراف، قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]»^(١).

ومن العدل الذي وردت به النصوص: العدل بين الأولاد في العطفية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ^(٢).

ومنه: عدل الحاكم بين الرعية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ

(١) التوفيق على مهمات التعاريف للمناوي، ص ٥٠٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٥٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٣.

نَشَأُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ .. الحديث» (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «... وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلٍ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بغيره فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ» (٢).

وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (٣).

قال النووي رحمته الله: «قوله: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا: معناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة، أو نظر على يتييم أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله.. ونحو ذلك والله أعلم» (٤).

ومنه العدل بين الزوجات، قال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

(١) صحيح البخاري برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٣.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٢٩٥٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٤١.

(٣) برقم ١٨٢٧.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٤١٦/١٢).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»^(١).

وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم البيعة من أصحابه على أن يقولوا بالعدل أينما كانوا، روى النسائي في سننه من حديث عبادة بن الصامت قال: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، وقد أوذى بهذا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عِيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لِأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَاتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ^(٣)، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ

(١) برقم ٢١٣٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٠٠) برقم ١٨٦٧.

(٢) سنن النسائي برقم ٤١٥٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي (٣/٨٧١) برقم ٣٨٧٢.

(٣) كالصرف: قال النووي رحمته الله: هو بكسر الصاد المهملة، وهو صبغ أحمر يصبغ به =

يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «العدل نظام كل شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة»^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالاتها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح؛ تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزاءها، وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها، وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة. فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها»^(٣). أهـ

= الجلود، قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضاً صرفاً. شرح صحيح مسلم (٧/١٥٨).

(١) صحيح البخاري برقم ٣١٥٠، وصحيح مسلم برقم ١٠٦٢ واللفظ له.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٢٩.

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم، ص ٣٥.

من فوائد العدل:

- ١- الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة.
 - ٢- دوام الملك وعدم زواله.
 - ٣- طريق موصل إلى الجنة.
 - ٤- صلاح الشعوب واستقرارها^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٧/ ٢٧٩٢-٢٨٠٧) لمجموعة من العلماء.

سيرة أبي ذر الغفاري رضي عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام النبوة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، كان أحد السابقين إلى الإسلام، وشهد الكثير من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

أسلم في مكة قبل الهجرة، ثم إنه رد إلى بلاد قومه غفار، فأقام بها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، فلما أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هاجر إليه ولازمه وجاهد معه، وكان بقي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وكان آدم^(١)، ضخماً جسيماً، كث اللحية، وكان رأساً في الزهد والصدق، والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر رضي عنه.

إنه أبو ذر الغفاري رضي عنه، جندب بن جنادة، وقيل جندب بن

(١) شديد السمرة.

سكن، وقيل بُرير بن جنادة، وقيل برير بن عبد الله، وقد وردت قصة إسلامه في الصحيحين باختلاف ظاهر، الأولى:

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه قال: خرجنا من قومنا غفار.. أنا وأخي أنيس وأمناء.. فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة، فاكفني حتى آتيك، قال: فانطلق فراث^(١) عليّ، ثم أتاني، فقلت: ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولون: إنه شاعر وساحر وكاهن، وكان أنيس شاعراً، قال: فقال: قد سمعت قول الكهان، فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقرء الشعر^(٢)، فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون.

قال: فقلت له: هل أنت كافيّ حتى أنطلق فأنظر؟^(٣) قال: نعم، فكُن من أهل مكة على حذر، فإنهم قد شنفوا له^(٤)، وتجهموا^(٥) له.

قال: فانطلقت حتى قدمت مكة، فتضعفت^(٦) رجلاً منهم،

(١) راث: أي أبطأ. انظر النهاية (٢/٢٦١).

(٢) أقرء الشعر: أي طرق الشعر وأنواعه وبحوره. انظر النهاية (٤/٢٨).

(٣) في رواية مسلم في صحيحه: قال رضي عنه: فاكفني حتى أذهب فأنظر.

(٤) شنفوا له: أي أبغضوه. انظر النهاية (٢/٤٥١).

(٥) تجهمني القوم: إذا لقوني بالغلظة، والوجه الكريه. انظر النهاية (١/٣١١).

(٦) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٦/٢٤): يعني نظرت إلى أضعفهم، فسألته؛ لأن =

فقلت: أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إلي، قال: الصابئ، فمال أهل الوادي علي بكل مدرة^(١) وعظم حتى خررت مغشياً علي، فارتفعت حين ارتفعت، كأني نُصب أحمر^(٢)، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عني الدم، فدخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به -ابن أخي- ثلاثين، من بين يوم وليلة، وما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكن^(٣) بطني، وما وجدت على كبدي سخفة^(٤) جوع.

قال رضي الله عنه: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان^(٥).. فضرب الله على أصمخة^(٦) أهل مكة، فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا علي، وهما تدعوان إساف ونائلة^(٧)، قال: فقلت:

= الضعيف مأمون الغائلة غالباً.

(١) المدر: هو الطين المتماسك. انظر النهاية (٤/ ٢٦٤).
(٢) النُصبُ: بضم النون هو الصنم، وكانوا في الجاهلية ينصبون الصنم، ويذبحون عنده، فيحمر بالدم، ويقصد رضي الله عنه: أن من كثرة الدماء التي سالت منه صار كأنه الصنم الممتلئ بالدماء من كثرة ما يذبح عنده. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٤)، النهاية (٥٢/ ٥).

(٣) العُكن: بضم العين، الأطواء في البطن من السمن. انظر لسان العرب (٩/ ٣٤٥).
(٤) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢٤): سخفة الجوع: بفتح السين وضمها، وهي رقة الجوع وضعفه وهزاله.

(٥) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢٤): الإضحيان: بكسر الهمزة والحاء، أي مضيئة.
(٦) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٢٥): أصمختهم: جمع صماخ، وهو الخرق الذي في الأذن يفضي إلى الرأس، والمراد بأصمختهم هنا: آذانهم، أي ناموا.
(٧) إساف ونائلة: هما صنمان تزعم العرب أنهما كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا، وإساف بكسر الهمزة وقد تفتح. انظر النهاية (١/ ٥١).

أنكحوا أحدهما الآخر، فما ثناهما ذلك، فأتتا علي، فقلت: وهن^(١) مثل الخشبة، غير أنني لم أكن^(٢)، فانطلقتا تولولان، وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا!

قال: فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه، وهما هابطان من الجبل، فقال: «مَا لَكُمَا؟» قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها، قالا: «مَا قَالَ لَكُمَا؟» قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم^(٣).

قال رضي الله عنه: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر، فطاف بالبيت، ثم صلى، قال: فأتيته، فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام، فقال: «عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، مِمَّنْ أَنْتَ؟» قال: قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده، فوضعها على جبهته، قال: فقلت في نفسي: كره أنني انتميت إلى غفار، قال: فأردت أن آخذ بيده، ففقدني صاحبه، وكان أعلم به مني، قال: «مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟» قال: كنت ها هنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم، قال: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، قال: فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع.

(١) قال النووي في شرح مسلم (٢٥ / ١٦): وهن: بفتح الهاء، هو كناية عن كل شيء، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر، ومثل الخشبة بالفرج، وأراد بذلك سب إساف ونائلة، وغيط الكفار.

(٢) قال السندي في شرح المسند (٤٥٨ / ١٢): لم أكن: من الكناية، أو التكنية، أي صرحت بذلك.

(٣) قال النووي في شرح مسلم ٢٥ / ١٦: أي عظيمة لا شيء أقبح منها.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَإِنَّهَا طَعَامٌ طُعْمٌ»، قال أبو بكر رضي الله عنه: ائذن لي يا رسول الله! في طعامه الليلة، قال: ففعل، قال: فانطلق النبي ﷺ وانطلق أبو بكر رضي الله عنه، وانطلقت معهما، حتى فتح أبو بكر بابًا، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها، فلبثت ما لبثت، ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ وُجِّهْتُ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، وَلَا أَحْسَبُهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟» قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسًا، قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت: إني صنعت أني أسلمت وصدقت.

قال: قال: فما بي رغبة عن دينك^(١)، فإني قد أسلمت وصدقت، ثم أتينا أمتنا، فقالت: فما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا، فأسلم بعضهم... وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري، وكان سيدهم يومئذ.

ثم قدمت قبيلة غفار على رسول الله ﷺ وهو في المدينة بعد أن ذهب غزوة بدر، وأحد، وصادف قدومهم قدوم قبيلة أسلم، فلما أعلنوا إسلامهم عند رسول الله ﷺ، قال

(١) قال النووي في شرح مسلم (٢٦/١٦): أي لا أكرهه، بل أدخل فيه.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ» (١)(٢).

رواية الإمام البخاري:

وفي رواية البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر: فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود، وحمل سنة^(٣) له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل، فراه علي فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما^(٤) نال للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى

(١) صحيح مسلم برقم ٢٤٧٣، ومسنده أحمد (٤١٥/٣٥) برقم ٢١٥٢٥ واللفظ له.

(٢) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (١/٢٣٩-٢٤٣) للشيخ موسى العازمي.

(٣) السنة: القربة. انظر النهاية (٢/٤٥٣).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٥٦٦). نال: أي حان.

إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك، فأقام معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعلت، ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني.. فانطلق يقفوه^(١)، حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه.

فقال له النبي ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي»، قال: والذي نفسي بيده؛ لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه، وثاروا إليه، فأكب العباس عليه^(٢).

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف تدل على فضله وورعه وزهده، ونصرته لهذا الدين، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) أي: يتبعه. وقفاه: وراءه وخلفه. النهاية في غريب الحديث (٤/٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٨٦١.

يقول: «مَا أَقَلَّتِ^(١) الْغُبْرَاءُ^(٢)، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ^(٣) مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»^(٤).

وقد أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بالصدق بالحق، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «أَمَرَنِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوفِ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»^(٥).

وقد كان كما أوصاه عليه الصلاة والسلام، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث الأحنف بن قيس قال: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلَقَةٍ فِيهَا مَلَأٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ أَحْسَنُ الثِّيَابِ، أَحْسَنُ الْجَسَدِ، أَحْسَنُ الْوَجْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ^(٦) يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلْمَةِ

(١) أقله: حملة. لسان العرب (١١/٢٨٩).

(٢) الغبراء: الأرض.

(٣) الخضراء: السماء.

(٤) (١١/٧٠) برقم ٦٥١٩، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٥) (٣٥/٣٢٧) برقم ٢١٤١٥، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٦) رضف: هي الحجارة المحمأة.

ثَدِي أَحَدِهِمْ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفَيْهِ^(١)، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفَيْهِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلَّزَلُ، قَالَ: فَوَضَعَ الْقَوْمُ رُءُوسَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئًا، قَالَ: فَأَدْبَرَ، وَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَّةٍ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَرِهُوا مَا قُلْتُ لَهُمْ، قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: «أَتَرَى أَحَدًا؟» فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ الشَّمْسِ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ يَبْعَثُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسْرُرُنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أَنْفَقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ»، ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: مَا لَكَ وَإِخْوَتِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، لَا تَعْتَرِيهِمْ وَتُصِيبُ مِنْهُمْ، قَالَ: لَا، وَرَبِّكَ، لَا أَسْأَلُهُمْ عَن دُنْيَا، وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَن دِينٍ، حَتَّى أَلْحَقَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٢).

رواية الإمام مسلم:

وفي رواية لمسلم: ثم تنحى فقعده، قال: قلت من هذا؟ قالوا: هذا أبو ذر، قال: فقمت إليه، فقلت: ما شيء سمعتك تقول قبيل؟ قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: ما تقول في هذا العطاء؟ قال: خذه فإن فيه اليوم معونة، فإذا كان ثمناً لدينك فدعه^(٣).

(١) نغض كتفيه: وهو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف، وقيل هو أعلى الكتف، ويقال له: الناغض.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٤٠٧، وصحيح مسلم برقم ٩٩٢ واللفظ له.

(٣) برقم ٩٩٢.

وقد أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بالتعفف والصبر، والبعد عن الفتن، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر قال: «رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «تَعَفَّفْ»، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ شَدِيدٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ - يَعْنِي الْقَبْرَ^(١) - كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبِرُ»^(٢)، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَعْنِي: حَتَّى تَغْرُقَ حِجَارَةَ الزَّيْتِ^(٣) مِنَ الدَّمَاءِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقُ عَلَيْكَ بَابَكَ»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَتْرُكْ؟ قَالَ: «فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ»^(٤)، فَكُنْ فِيهِمْ»، قَالَ: فَأَخْذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: «إِذَنْ تُشَارِكُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرْفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ»^(٥).

(١) يعني القبر: هو بيان لكثرة الموت حتى تصير القبور غالية لكثرة الحاجة إليها وقلة الحفارين، ويحتمل أن يكون بياناً لرخاء البيوت بكثرة الموت حتى يكون البيت مساوياً للعبد.

(٢) اصبر: أي فكثرة الموت في مكان لا يقتضي الخروج من ذلك المكان.

(٣) حجارة الزيت: قيل هي موضع بالمدينة.

(٤) «من أنت منهم»: أي اترك المدينة واث قبيلتك وأهل باديتك.

(٥) (٢٥٢/٣٥) برقم ٢١٣٢٥، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وقد اعتزل صلى الله عليه في آخر حياته بالربذة^(١) بالقرب من المدينة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث إبراهيم - يعني ابن الأشر - أن أبا ذر حضره الموت وهو بالربذة، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكي أنه لا يد لي بنفسك، وليس عندي ثوب يسعك كفنًا، فقال: لا تبكي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول: «لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، قال: فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وفرقة، فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق، فإنك سوف ترين ما أقول: فإني والله ما كذبت ولا كُذبت، قالت: وأنى ذلك وقد انقطع الحاج؟ قال: راقبي الطريق.

قال: فبينا هي كذلك إذا هي بالقوم تخذ بهم رواحلهم كأنهم الرّحْمُ، فأقبل القوم حتى وقفوا عليها فقالوا: ما لك؟ قالت: امرؤ من المسلمين تكفنونونه وتؤجرون فيه! قالوا: ومن هو؟ قالت: أبو ذر، ففدوه بأبائهم وأمهاتهم، ووضعوا سياطهم في نحورها يتدرونه، فقال: أبشروا، أنتم النفر الذين قال رسول الله صلى الله عليه فيكم ما قال، أبشروا، سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «مَا مِنْ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ هَلَكَ بَيْنَهُمَا وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَاحْتَسَبَا وَصَبَرَا فَيَرِيَانِ النَّارَ

(١) قال الحافظ في فتح الباري (١/ ١٢١) الربذة بفتح الراء والباء موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل.

أَبَدًا»، ثم قد أصبحت اليوم حيث ترون ولو أن ثوبًا من ثيابي يسعني، لم أكفن إلا فيه، فأنشدكم **الله** أن لا يكفني رجل منكم كان أميرًا أو عريفًا أو بريدًا. فكل القوم كان قد نال من ذلك شيئًا إلا فتى من الأنصار كان مع القوم، قال: أنا صاحبك، ثوبان في عيبتي من غزل أمي، وأحد ثوبي هذين اللذين عليّ. قال: أنت صاحبي فكفني^(١).

وكانت وفاته سنة احدى وثلاثين، أو اثنين وثلاثين، وصلى عليه **الله** بن مسعود رضي الله عنه، ثم مات بعده في ذلك العام في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وعن ابن سيرين قال: سألت ابن أخت لأبي ذر: ما ترك أبو ذر؟ قال: ترك أتانين^(٢) وحمارًا، وأعتدًا وركائب^(٣)^(٤).

رضي **الله** عن أبي ذر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى **الله** وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) (٣٧١/٣٥) برقم ٢١٤٦٧، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) الأتان: أنثى الحمار.

(٣) انظر سيرة أعلام النبلاء (٢/٤٦-٧٨).

(٤) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للشيخ محمد العازمي (١/٢٣٩-٢٤٦).

الكلمة السادسة والعشرون

سيرة سلمان الفارسي رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي قال عنه النبي ﷺ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا^(١) لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ»^(٢). وفي رواية: «لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسٍ - أَوْ قَالَ: رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ - حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ»^(٣) (٤).

وكان لبيباً حازماً من عقلاء الرجال، وعبادهم، وزهادهم،

(١) الثريا: نجم معروف. النهاية ٢٠٥ / ١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٨٩٧، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٦.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٤٦.

(٤) قال القرطبي: وقع ما قاله رسول الله ﷺ عياناً، فإنه وجد منهم - أي أهل فارس - من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير من أحد غيرهم. فتح الباري (٦٣٦ / ٩).

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث، ولزمه، وأحسن صحبته، إنه سلمان ابن الإسلام أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، وكان ببلاد فارس مجوسياً سادن النار.

وبينما الرسول صلى الله عليه وسلم في قباء قدم عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقصته رضي الله عنه طويلة في بحثه عن الحقيقة، وعن الدين الحق، ولترك سلمان رضي الله عنه يحدثنا عن قصة إسلامه، يقول سلمان رضي الله عنه: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان^(١) من أهل قرية منها يقال لها جِيٌّ، وكان أبي دهقان^(٢) قريته، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية^(٣) حتى كنت قطنَ النار^(٤) الذي يوقدها لا يتركها تخبو^(٥) ساعة، قال: وكانت لأبي ضيعة^(٦) عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس

(١) أصبهان: هي مدينة في إيران.

(٢) الدهقان: بكسر الدال وضمها، رئيس القرية. انظر النهاية (٢/١٣٥).

(٣) المجوسية: يعبد أصحابها النار.

(٤) قطن النار: أي خازنها وخدمها، أراد أنه كان لازماً لها لا يفارقها، من قطن في المكان إذا لزمه. انظر النهاية (٤/٧٥).

(٥) خبئت النار: خمدت. انظر لسان العرب (٤/٦).

(٦) ضيعة الرجل: ما يكون منه معاشه، كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك. انظر النهاية (٣/٩٨).

النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟

قالوا: بالشام، قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، قال: فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت، كلا والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيذاً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، قال: فأخبروني بهم.

قال: فقلت لهم: إذا قضا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف^(١) في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل، فدخلت معه. قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال^(٢) من ذهب وورق^(٣).

قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، قالوا: وما علمك بذلك؟

قال: قلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ثم

(١) الأسقف: هو العالم الرئيس من علماء النصارى. انظر لسان العرب (٢٩٨/٦).
 (٢) القلال: هو إناء للعرب كالجرة الكبيرة، سُميت قلالاً لأنها تُقل أي تُرفع إذا مُلئت وتُحمل. انظر لسان العرب (٢٨٨/١١).
 (٣) الورق: بكسر الراء، هي الفضة. انظر النهاية (١٥٣/٥).

رجموه بالحجارة.

ثم جاءوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه، قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهدي في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب^(١) ليلاً ونهاراً منه، قال سلمان: فأحبته حباً لم أحبه من قبله، فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فيألى من توصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل^(٢)، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به، قال: فلما مات وغيب^(٣)، لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره. قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق

(١) الدأب: هو العادة والشأن، وأصله من دأب في العمل إذا وجد وتعب، إلا أن العرب حولت معناه إلى العادة والشأن. انظر النهاية (٢/٩٠).

(٢) الموصل: مدينة في العراق.

(٣) غيب: أي دفن في قبره. انظر لسان العرب (١٠/١٥١).

بك، وقد حضرك من الله عَزَّوَجَلَّ ما ترى، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين^(١)، وهو فلان، فالحق به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجنّته فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية^(٢)، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فآته، قال: فإنه على أمرنا.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟

(١) نصيبين: بفتح النون وكسر الصاد، هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة العربية على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر معجم البلدان (٨ / ٣٩٠).

(٢) عمورية: مدينة في تركيا.

قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك^(١) زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين^(٢) بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟

قالوا: نعم، فأعطيتهموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى^(٣)، ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني^(٤) منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة

(١) أظلك زمان نبي: أي أقبل عليك ودنا منك، كأنه ألقى عليك ظله. انظر النهاية (٣/١٤٦).

(٢) الحرة: أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. انظر النهاية (١/٣٥١).

(٣) وادي القرى: هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، وفتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة عنوة ثم صولحوا على الجزية، وكان يسكنها يهود. انظر معجم البلدان (٨/٤٣٣).

(٤) ابتاع الشيء: اشتراه. انظر لسان العرب (١/٥٥٧).

صاحبي، فأقمت بها وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق^(١) لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة^(٢)، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي.

قال: فلما سمعتها أخذتني العُرواء^(٣)، حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

قال: فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا! أقبل على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

قال سلمان رضي الله عنه: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي

(١) العذق: بالفتح، النخلة. انظر النهاية (٣/ ١٨١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٦٥٤): قيلة: بفتح القاف وسكون الياء وهي الجدة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة.

(٣) العُرواء: الرعدة. انظر النهاية (٣/ ٢٠٤).

للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كُلُوا»، وأمسك يده فلم يأكل، قال سلمان: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد^(١) قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان^(٢) له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟

فلما رأني رسول الله ﷺ استدبرته^(٣)، عرف أنني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تَحَوَّلْ»^(٤) فتحولت، فقصصت عليه حديثي فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأحدٌ.

(١) بقيق الغرقد: موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد، فذهب وبقي اسمه. انظر النهاية (١/١٤٥).

(٢) الشملة: هو كساء يُتغطى به، ويُتلف فيه. انظر النهاية (٢/٤٤٨).

(٣) استدبره: أتاه من ورائه. انظر لسان العرب (٤/٢٨٢).

(٤) تحول: من حال يحول إذا تحرك. انظر النهاية (١/٤٤٥).

قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كَاتِبٌ (١) يَا سَلْمَانَ»، فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة أحياها له بالفقير (٢)، وبأربعين أوقية (٣)، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أَعِينُوا أَخَاكُمْ»، فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية (٤)، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر - يعني: الرجل بقدر ما عنده - حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا (٥)، فَإِذَا فَرَّغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضْعَهَا بِيَدِي».

قال سلمان رضي الله عنه: فققرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأدبت النخل، وبقي علي المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال ﷺ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِبُ؟»، قال: فدعيت له، فقال: «خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ

(١) المكاتبه: هو أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه مفرقاً، فإذا أداه صار حرّاً. انظر النهاية (١٢٩/٤)، جامع الأصول (٩٠/٨).

(٢) فقير النخلة: حفرة تحفر للفسيلة إذا تحولت لتغرس فيها. انظر النهاية (٤١٥/٣).

(٣) الأوقية: بضم الهمزة وتشديد الياء، هي أربعون درهماً. انظر النهاية (٨٠/١).

(٤) الودي: بتشديد الياء، صغار النخل، الواحدة ودية. انظر النهاية (١٤٨/٥).

(٥) فقر لها: أي احفر لها موضعاً تغرس فيه. انظر النهاية (٤١٥/٣).

يا سَلْمَانُ»، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟

قال: «حُدَّهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ»، قال سلمان: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد^(١).

وروى البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي رضي عنه: أنه تداوله^(٢) بضعة^(٣) عشر من رب^(٤) إلى رب^(٥).

وكان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد، وفتوح العراق، وولي المدائن، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان العراق، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: سلام عليك.. أما بعد، فإن الله ﷻ رزقني بعدك مالاً وولداً، ونزلت الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: سلام عليكم.. أما

(١) أخرج قصة سلمان الفارسي رضي عنه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٣٧٣٧، وابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٥١)، وقال محققو المسند: إسناده حسن، محمد بن إسحاق صدوق حسن الحديث، وقد صرح بالتحديث، وإسناده حسن، وذكر البخاري في صحيحه مكاتبة سلمان رضي عنه، وأنه كان حراً فظلموه وباعوه، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه.

(٢) التداول: هو التناقل. انظر النهاية (٢/ ١٣١).

(٣) البضع: ما بين الثلاث إلى العشر. انظر لسان العرب (١/ ٤٢٦).

(٤) الرب: يطلق في اللغة على المالك، والسيد. انظر لسان العرب (٥/ ٩٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٩٤٦.

بعد، فإنك قد كتبت إلي أن الله رزقك مالاً وولداً، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يكثر حلمك، وأن ينفعك علمك، وكتبت إلي أنك نزلت الأرض المقدسة، وأن الأرض لا تعمل لأحد، اعمل كأنك ترى، واعدد نفسك من الموتى^(١).

وكان عطاؤه خمسة آلاف، فإذا خرج عطاؤه فرقه، وأكل من كسب يده، وكان ينسج الخوص^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الحسن قال: لما احتضر سلمان بكى، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً، فتركنا ما عهد إلينا، أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، قال: ثم نظرنا فيما ترك، فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهماً، أو بضعة وثلاثون درهماً^(٣).

وكان وفاته سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، روى عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: دخل ابن مسعود على سلمان عند الموت، قال ابن حجر: فهذا يدل على أنه مات قبل ابن مسعود، ومات ابن مسعود قبل سنة

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١ / ١٠).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٣٥١ / ٢).

(٣) (١١٥ / ٣٩) برقم ٢٣٧١١، وقال محققوه: حديث صحيح.

أربع وثلاثين، فكأنه مات سنة ثلاث أو ستة وثلاثين»^{(١)(٢)(٣)}.
 رضي الله عن سلمان، وجزاه عن الإسلام والمسلمين
 خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين
 والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٤٠٢-٤٠٥).
 (٢) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٢/٨٩-١٠٠).
 (٣) سير أعلام النبلاء (١/٥٠٥-٥٥٨).

شرح حديث: الشفاء في ثلاثة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةُ عَسَلٍ، وَشَرْطَةُ مِحْجَمٍ، وَكَيْيَةٌ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيْ»^(١).

«قال الخطابي: انتظم هذا الحديث على جملة ما يتداوى به الناس، وذلك أن الحجم يستفرغ الدم وهو أعظم الأخلاط، والحجم أنجحها شفاء عند هيجان الدم، وأما العسل فهو مسهل للأخلاط البلغمية، ويدخل في المعجونات ليحفظ على تلك الأدوية قواها ويخرجها من البدن.

وأما الكي فإنما يستعمل في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلا به، ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه، وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، ولهذا كانت العرب

تقول في أمثالها: آخر الدواء الكي، وقد كوى النبي ﷺ سعد ابن معاذ وغيره، واكتوى غير واحد من الصحابة.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: ولم يرد النبي ﷺ الحصر في الثلاثة، فإن الشفاء قد يكون في غيرها، وإنما نبه بها على أصول العلاج، وذلك أن الأمراض الامتلائية تكون دموية وصفراوية وبلغمية وسوداوية، وشفاء الدموية بإخراج الدم، وإنما خص الحجم بالذكر لكثرة استعمال العرب وإفهم له، بخلاف الفصد، فإنه وإن كان في معنى الحجم لكنه لم يكن معهودًا لها غالبًا، على أن في التعبير بقوله: شرطة محجم، ما قد يتناول الفصد. وأيضًا فالحجم في البلاد الحارة أنجح من الفصد، والفصد في البلاد التي ليست بحارة أنجح من الحجم، وأما الامتلاء الصفراوي وما ذكر معه فدواؤه بالمسهل، وقد نبه عليه بذكر العسل.

وأما الكي فإنه يقع آخرًا لإخراج ما يتعسر إخرجه من الفضلات، وإنما نهى عنه مع إثباته الشفاء فيه، إما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم المادة بطبعه فكرهه لذلك، ولذلك كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء؛ لظنهم أنه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لأمر مظنون.

وقيل: إن المراد بالشفاء في هذا الحديث الشفاء من أحد قسمي المرض؛ لأن الأمراض كلها إما مادية أو غيرها، والمادية كما تقدم حارة وباردة، وكل منهما وإن انقسم إلى رطبة ويابسة

ومركبة، فالأصل الحرارة والبرودة، وما عداهما ينفعل من إحداهما، فنبه بالخبر على أصل المعالجة بضرب من المثال، فالحرارة تعالج بإخراج الدم لما فيه من استفراغ المادة وتبريد المزاج، والباردة بتناول العسل لما فيه من التسخين والإنضاج والتقطيع والتلطيف والجلاء والتلين، فيحصل بذلك استفراغ المادة برفق.

وأما الكي، فخاص بالمرض المزمن؛ لأنه يكون عن مادة باردة، فقد تفسد مزاج العضو، فإذا كوي خرجت منه، وأما الأمراض التي ليست بمادية، فقد أشير إلى علاجها بحديث «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرُدُوهَا بِالْمَاءِ»^(١) «(٢)».

قوله في شربة عسل: العسل جعله الله شفاء للناس، قال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٩٦].

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعْجِبُهُ الْحَلَوَاءُ، وَالْعَسَلُ»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ. فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ،

(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٢٥، وصحيح مسلم برقم ٢٢١٠.

(٢) فتح الباري (١٠/١٣٨-١٣٩).

(٣) برقم ٥٦٨٢.

فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا»، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ^(١).

«قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلاً وطلاء، نافع للمشايع وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه بارداً رطباً، وهو مغذ ملين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين، ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منق للكبد والصدر، مدر للبول، موافق للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شُرب حاراً بدهن الورد، نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون، وإن شُرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضه الكلب الكلب، وأكل الفُطْر^(٢) القتال، وإذا جعل فيه اللحم الطري، حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جعل فيه القثاء، والخيار، والقرع، والبادنجان، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويُسمى الحافظ الأمين، وإذا لطح به البدن الممقل والشعر، قتل قمله وصبانته، وطوّل الشعر، وحسنه، ونعمه، وإن اكتحل به، جلا ظلمة البصر، وإن استن به بيض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويُدر الطمث، ولعقه على الريق يذهب البلغم، ويغسل خمل

(١) برقم ٥٦٨٤.

(٢) الفطر بضمين: نوع من الكمأة قتال.

المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويسخنها تسخيناً معتدلاً، ويفتح سُدها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقل ضرراً لسُدد الكبد والطحال من كل حلو.

وهو مع هذا كله مأمون الغائلة، قليل المضار، مضر بالعرض للصفراويين، ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعاً له جداً.

وهو غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية، ومُفرح مع المفرحات، فما خُلق لنا شيء في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريباً منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة، ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد حدث قريباً، وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يُدرکه إلا الفطن الفاضل، وسنذكر ذلك إن شاء الله عند ذكر هديه في حفظ الصحة...

وفي أثر آخر: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءِ يَنْ: العَسَلِ وَالْقُرْآنِ»^(١). فجمع بين الطب البشري والإلهي، وبين طب الأبدان وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي.

(١) أخرجه ابن ماجه برقم ٣٤٥٢، وقال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: والحاكم (٢٠٠/٤) من حديث أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال، إلا أن غير واحد من الثقات وقفه على ابن مسعود، وصحح وقفه عليه البيهقي في دلائل النبوة. انظر السلسلة الضعيفة رقم ١٥١٤.

إذا عُرف هذا، فهذا الذي وصف له النبي ﷺ العسل، كان استطلاق بطنه عن تُخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء، ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة، تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خمل كخمل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة، أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء، لا سيما إن مزج بالماء الحار.

وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم يزله بالكلية، وإن جاوزه أوهى القوى، فأحدث ضرراً آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل، سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء، برأ بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها، ومقدار قوة المرض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله ﷺ: «صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ» إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في

نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة.

وليس طبه ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدس وظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور - إن لم يتلق هذا التلقي - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا إلى رجسهم، ومرضًا إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فأعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخُبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله، والله الموفق»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



شرح حديث: الشفاء في ثلاثة (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكملاً لشرح الحديث السابق: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةُ عَسَلٍ، وَشَرْطَةُ مِحْجَمٍ، وَكَيْتَةُ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ».

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَشَرْطَةُ مِحْجَمٍ» وردت في الحجامة أحاديث، من ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئِلَ عن كسب الحجام؟ فقال: اِحْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْمَهُ أَبُو طَيْبَةَ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خَرَاجِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ - أَوْ: هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اِحْتَجَمَ وَأَعْطَى الْحِجَامَ أَجْرَهُ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٢١٠٢، وصحيح مسلم برقم ١٥٧٧ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٦٩١، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٢.

«وأما منافع الحجامة، فإنها تنقي سطح البدن أكثر من الفصد، والفصد لأعماق البدن أفضل، والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد.

والتحقيق في أمرها وأمر الفصد، أنهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والأسنان والأمزجة، فالبلاد الحارة والأزمنة الحارة، والأمزجة الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج، الحجامة فيها أنفع من الفصد بكثير، فإن الدم ينضج ويرق ويخرج إلى سطح الجسد الداخل، فتخرج الحجامة ما لا يخرج الفصد؛ ولذلك كانت أنفع للصبيان من الفصد، ولمن لا يقوى على الفصد، وقد نص الفقهاء على أن البلاد الحارة الحجامة فيها أنفع وأفضل من الفصد، وتستحب في وسط الشهر وبعد وسطه، وبالجملة في الربع الثالث من أرباع الشهر؛ لأن الدم في أول الشهر لم يكن بعد قد هاج وتبيغ، وفي آخره يكون قد سكن، وأما في وسطه وبعيده فيكون في نهاية التزويد.

قال صاحب القانون: ويؤمر باستعمال الحجامة لا في أول الشهر؛ لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزيد النور في جرم القمر. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، وَالْفَصْدُ»^(١)، وفي

(١) رواه النسائي في الكبرى برقم ٧٥٥١، بلفظ: والقسط البحري، بدل لفظ: والفصد.

حديث: «خَيْرُ الدَّوَاءِ الْحِجَامَةُ، وَالْفِصْدُ»^(١). انتهى

وقوله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ»: إشارة إلى أهل الحجاز، والبلاد الحارة، لأن دماءهم رقيقة، وهي أميل إلى ظاهر أبدانهم لجذب الحرارة الخارجة لها إلى سطح الجسد، واجتماعها في نواحي الجلد، ولأن مسام أبدانهم واسعة، وقواهم متخلخلة، ففي الفصد لهم خطر، والحجامة تفرق اتصالي إرادي يتبعه استفراغ كُلِّي من العروق، وخاصة العروق التي لا تُفصد كثيراً، ولفصد كل واحد منها نفع خاص، ففصد الباسليق: ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما من الدم وينفع من أورام الرئة، وينفع من الشوصة^(٢) وذات الجنب وجميع الأمراض الدموية العارضة من أسفل الركبة إلى الورك.

وفصد الأكحل^(٣): ينفع من الامتلاء العارض في جميع البدن إذا كان دمويًا، وكذلك إذا كان الدم قد فسد في جميع البدن.

وفصد القيفال^(٤): ينفع من العلل العارضة في الرأس والرقبة من كثرة الدم أو فساده.

(١) رواه أبو نعيم في الطب النبوي (٢٨٨/١) برقم ١٨٣ بلفظ: والفضاد.

(٢) الشوصة: وجع في البطن بسبب ريح تأخذ الإنسان تجول مرة هنا ومرة هناك.

(٣) الأكحل: وريد في وسط الذراع يفصد أو يُحقن، وهو عرق الحياة، وسمي نهر البدن.

(٤) القيفال: عرق في الذراع.

وفصد الودجين: ينفع من وجع الطحال، والربو، والبهر،
ووجع الجبين.

والحجامة على الكاهل^(١): تنفع من وجع المنكب والحلق.
والحجامة على الأخدعين: تنفع من أمراض الرأس،
وأجزائه، كالوجه، والأسنان، والأذنين، والعينين، والأنف،
والحلق، إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم أو فساده، أو
عنهما جميعاً. قال أنس رضي عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في
الأخدعين^(٢) والكاهل^(٣)»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي عنهما
قال: «اِحْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ، وَلَوْ كَانَ
حَرَامًا لَمْ يُعْطِهِ، وَكَانَ يَحْتَجِمُ فِي الْأَخْدَعَيْنِ، وَبَيْنَ الْكَتِفَيْنِ،
وَكَانَ يَحْجُمُهُ عَبْدٌ لِبَنِي بَيَاضَةَ، وَكَانَ يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ مُدًّا
وَنِصْفٌ، فَشَفَعَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى أَهْلِهِ، فَجُعِلَ مُدًّا»^(٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن
عباس رضي عنهما قال: «اِحْتَجَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي رَأْسِهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ، مِنْ

(١) الكاهل: ما بين الكتفين، وهو مقدم الظهر.

(٢) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق يحتجم منه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم ٢٠٥٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح
سنن الترمذي (٢/٢٠٤) برقم ١٦٧١.

(٤) زاد المعاد (٤/٤٩-٥١) باختصار وتصرف.

(٥) (١٢٧/٥) برقم ٢٩٧٩، وقال محققوه: حديث صحيح.

وَجَعَّ كَانَ بِهِ، بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ: لَحْيٌ جَمَلٌ»^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِحْتَجَمَ عَلَى وَرِكِهِ مِنْ وَثءٍ كَانَ بِهِ»^(٢).

وقد وردت أحاديث في تحديد الأوقات التي تستعمل فيها الحجامة:

ففي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ احْتَجَمَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ، وَتِسْعِ عَشْرَةَ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ، كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ»^(٣):

قال ابن حجر رحمته الله في فتح الباري معلقاً على حديث: «اِحْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَائِمٌ»^(٤):

«وورد في الأوقات اللائقة بالحجامة أحاديث ليس فيها شيء على شرطه -يعني البخاري- فكأنه أشار إلى أنها تصنع عند الاحتياج، ولا تقيد بوقت دون وقت؛ لأنه ذكر الاحتجام ليلاً، وذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم وهو صائم،

(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٠، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٣.

(٢) سنن أبي داود برقم ٣٨٦٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٧٣٢ / ٢) برقم ٣٢٧٢. والوثء: وجع يصيب العضو من غير كسر، وثئت اليد والرجل، أي أصابها وجع دون الكسر، فهو موثوءة.

(٣) برقم ٣٨٦١، وحسنه الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة (٢ / ٢١٩١) برقم ٦٢٢.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٩٣٩.

وهو يقتضي كون ذلك وقع منه نهارًا، وعند الأطباء أن أنفع الحجامة ما يقع في الساعة الثانية أو الثالثة، وأن لا يقع عقب استفراغ عن جماع أو حمام أو غيرهما، ولا عقب شبع ولا جوع.

ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة في تحديد الأيام التي يستعمل فيها الحجامة، منها حديث ابن عمر عند ابن ماجه رفعه أثناء حديثه، وفيه: «... فَاخْتَجِمُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَاجْتَنِبُوا الْحِجَامَةَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ، وَيَوْمَ الْأَحَدِ تَحَرِّيًّا، وَاخْتَجِمُوا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءِ»^(١). أخرج من طريقين ضعيفين، وله طريق ثالثة ضعيفة أيضًا عند الدارقطني في «الأفراد»، وأخرجه بسند جيد عند ابن عمر موقوفًا، ونقل الخلال عن أحمد أنه كره الحجامة في الأيام المذكورة، وإن كان الحديث لم يثبت، وحكى أن رجلاً احتجم يوم الأربعاء فأصابه برص لكونه تهاون بالحديث.

وأخرج أبو داود من حديث أبي بكرة أنه كان ينهى أهله عن الحجامة يوم الثلاثاء، ويزعم أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَّ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ يَوْمُ الدَّمِّ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَرْقَأُ»^(٢).

ثم قال: ولكون هذه الأحاديث لم يصح منها شيء، قال حنبل بن إسحاق: كان أحمد يحتجم في أي وقت هاج به

(١) برقم ٣٤٨٧.

(٢) برقم ٣٨٦٢.

الدم، وأي ساعة كانت، وقد اتفق الأطباء على أن الحجامة في النصف الثاني من الشهر ثم في الربع الثالث من أرباعه أنفع من الحجامة في أوله وآخره.

قال الموفق البغدادي: «وذلك أن الأخلط في أول الشهر تهيج وفي آخره تسكن، فأولى ما يكون الاستفراغ في أثناءه»^(١). أهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «واختيار هذه الأوقات للحجامة فيما إذا كانت على سبيل الاحتياط، والتحرز من الأذى، وحفظاً للصحة، وأما في مداواة الأمراض فحيثما وجد الاحتياج إليها وجب استعمالها»^(٢).

وأما الكي، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ طَبِيبًا فَقَطَعَ مِنْهُ عِرْقًا ثُمَّ كَوَاهُ عَلَيْهِ»^(٣).

وعن جابر قال: رمى سعد بن معاذ في أكحله -قال- فحسمه النبي ﷺ بيده بمشقص، ثم ورمت فحسمه الثانية^(٤)، والحسم الكي.

(١) فتح الباري (١٠/١٤٩-١٥٠).

(٢) زاد المعاد (٤/٥٥).

(٣) برقم ٢٢٠٧.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٢٠٨.

قال الخطابي: إنما كوى سعدًا ليرقأ الدم من جرحه، وخاف عليه أن ينزف فيهلك، والكي مستعمل في هذا الباب، كما يُكوى من تُقطع يده أو رجله.

وأما النهي عن الكي، فهو أن يكتوي طلبًا للشفاء، وكانوا يعتقدون أنه متى لم يكتو هلك، فنهاهم عنه لأجل هذه النية. وقيل: إنما نهى عنه عمران بن حصين خاصة؛ لأنه كان به ناصور، وكان موضعه خطرًا، فنهاه عن كيه، فيُشبهه أن يكون النهي منصرفًا إلى الموضع المخوف منه. والله أعلم.

وقال ابن قتيبة: الكي جنسان: كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل من اكتوى؛ لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه. والثاني: كي الجرح إذا نغل، والعضو إذا قطع، ففي هذا الشفاء. وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجع، ويجوز أن لا ينجع، فإنه إلى الكراهة أقرب. انتهى.

وثبت في الصحيحين في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم الذين: «لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُونُ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١).

فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع، أحدها: فعله؛ والثاني: عدم محبته له؛ والثالث: الثناء على من تركه؛ والرابع:

(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٥، ومسلم برقم ٢٢٠ وليس فيه موضع الشاهد: ولا يكتون.

النهي عنه، ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الشاء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء. والله أعلم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) زاد المعاد (٤/٥٨-٦٠) باختصار.

بعض الأدوية النبوية التي فيها شفاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم قيس بنت محصن، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ: يُسْتَعَطُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرَةِ، وَيُلْدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله:^(٣) «والقسط نوعان، أحدهما: الأبيض

(١) صحيح البخاري برقم ٥٦٩٦، وصحيح مسلم برقم ١٥٧٧ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٦٩٢، وصحيح مسلم برقم ٢٢١٤.

(٣) وخلاصة ما كتبه شراح الحديث أن نبات القسط الموصوف في السنة، نبات يعيش في الهند وخاصة في كشمير وفي الصين وتستعمل قشور جذوره التي قد تكون بيضاء أو سوداء، وكان التجار العرب يجلبونها إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر لذا سميت القسط البحري، كما كان يسمى بالقسط الهندي. مقال للدكتور محمد الدقر (على =

الذي يُقال له البحري، والآخر الهندي وهو أشدهما حرًّا، والأبيض أليتهما. ومنافعهما كثيرة جدًّا، وهما حاران يابسان في الثالثة، ينشفان البلغم، قاطعان للزكام، وإذا شُربا نفعًا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردهما، ومن حمى الدور والربع، وقطعا وجع الجنب، ونفعًا من السموم، وإذا طلي به الوجه معجونًا بالماء والعسل قلع الكلف، وقال جالينوس: ينفع من الكُزاز، ووجع الجنبين، ويقتل حب القرع. وقد خفي على جهال الأطباء نفعه من وجع ذات الجنب، فأنكروه، ولو ظفر هذا الجاهل بهذا النقل عن جالينوس لنزله منزله النص، كيف وقد نص كثير من الأطباء المتقدمين على أن القسط يصلح للنوع البلغمي من ذات الجنب- ذكره الخطابي عن محمد بن الجهم.

وقد تقدم أن طب الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء أقل من نسبة الطُّرقية والعجائز إلى طب الأطباء، وأن بين ما يُلقَى بالوحي وبين ما يُلقى بالتجربة والقياس من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق^(١).

ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوصًا عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء، لتلقوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقفوا على تجربته.

= الشبكة العنكبوتية

(١) يعني: فرق الرأس.

نعم نحن لا ننكر أن للعادة تأثيراً في الانتفاع بالدواء وعدمه، فمن اعتاد دواء وغذاء كان أنفع له، وأوفق ممن لم يعتده، بل ربما لم ينتفع به من لم يعتده.

وكلام فضلاء الأطباء وإن كان مطلقاً، فهو بحسب الأمزجة والأزمنة والأماكن والعوائد، وإذا كان التقييد بذلك لا يقدر في كلامهم ومعارفهم، فكيف يقدر في كلام الصادق المصدوق، ولكن نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم، إلا من أيده الله بروح الإيمان، ونور بصيرته بنور الهدى»^(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطمث والبول، ويقتل ديدان الأمعاء، ويدفع السم وحمى الربع والورد، ويسخن المعدة، ويحرك شهوة الجماع، ويذهب الكلف طلاء، فذكروا أكثر من سبعة، وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي، وما زاد عليها بالتجربة.

فاقتصر على ما هو بالوحي لتحقيقه، وقيل: ذكر ما يحتاج إليه دون غيره؛ لأنه لم يبعث بتفاصيل ذلك. قلت: ويحتمل أن تكون السبعة أصول صفة التداوي بها؛ لأنها إما طلاء، أو شرب، أو تكميد، أو تنطيل، أو تبخير، أو سعوط، أو لدود، فالطلاء يدخل في المراهم ويحلى بالزيت ويلطخ، وكذا التكميد، والشرب يسحق ويجعل في

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٢٤-٣٢٥).

عسل أو ماء أو غيرهما، وكذا التنطيل والسعوط يسحق في زيت ويقطر في الأنف، وكذا الدهن والتبخير واضح، وتحت كل واحدة من السبعة منافع لأدواء مختلفة، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم. وأما العذرة فهي بضم المهملة وسكون المعجمة، وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبًا، وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق أو في الخرم الذي بين الأنف والحلق. قيل: سميت بذلك لأنها تخرج غالبًا عند طلوع العذرة، وهي خمسة كواكب تحت الشعري العبور، ويقال لها أيضًا العذارى، وطلوعها يقع وسط الحر، وقد استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارًا والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان وأمزجتهم حارة، ولا سيما وقطر الحجاز حار، وأجيب بأن مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم، وفي القسط تخفيف للرطوبة، وقد يكون نفعه في هذا الدواء بالخاصية، وأيضًا فالأدوية الحارة قد تنفع في الأمراض الحارة بالعرض كثيرًا، بل وبالذات أيضًا، وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط **اللهاة** القسط مع الشب اليماني وغيره، على أننا لو لم نجد شيئًا من التوجيهات لكان أمر المعجزة خارجًا عن القواعد الطبية»^(١).

ومنها: الحبة السوداء: روى أحمد والبخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا

(١) فتح الباري (١٠/١٤٩).

السَّام»، والسَّامُ الْمَوْتُ^(١).

«والحبة السوداء: هي الشُّونِيز في لغة الفرس، وهي الكمون الأسود، وتسمى الكمون الهندي، قال الحربي عن الحسن: إنها الخردل، وحكى الهروي: أنها الحبة الخضراء ثمرة البطم، وكلاهما وهم، والصواب: أنها الشُّونِيز. وهي كثيرة المنافع جدًّا.

وقوله: «شفاء من كل داء»، مثل قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، أي: كل شيء يقبل التدمير ونظائره، وهي نافعة من جميع الأمراض الباردة، وتدخل في الأمراض الحارة اليابسة بالعَرَض، فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة تنفيذها إذا أخذ يسيرها.

وقد نص صاحب القانون وغيره على الزعفران في قرص الكافور لسرعة تنفيذه وإيصاله قوته، وله نظائر يعرفها حذاق الصناعة، ولا تستبعد منفعة الحار في أمراض حارة بالخاصية، فإنك تجد ذلك في أدوية كثيرة، منها: الأنزروت وما يُركب معه من أدوية الرمد، كالسكر وغيره من المفردات الحارة، والرمد ورم حار باتفاق الأطباء، وكذلك نفع الكبريت الحار جدًّا من الجرب.

(١) المسند (١٢/٢٣٣) برقم ٧٢٨٧ واللفظ له، وصحيح البخاري برقم ٥٦٨٨، وصحيح مسلم برقم ٢٢١٥.

والشونيز حار يابس في الثالثة، مذهب للنفخ، مخرج
لحب القرع، نافع من البرص وحمى الربع^(١)، والبلغمية، مفتح
للسدد، ومحلل للرياح، مجفف لبلة المعدة ورطوبتها، وإن دُق
وعجن بالعسل، وشُرب بالماء الحار، أذاب الحصاة التي تكون
في الكليتين والمثانة، ويُدِّر البول والحيض واللبن إذا أُديم
شُربه أيامًا، وإن سخن بالخل، وطلي على البطن، قتل حب
القرع، فإن عجن بماء الحنظل الرطب، أو المطبوخ، كان فعله
في إخراج الدود أقوى، ويجلو ويقطع، ويحلل، ويشفي من
الزكام البارد إذا دق وصيّر في خرقة، واشتم دائمًا، أذهبه.

ودهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلاق^(٢)، وإذا
شُرب منه مثقال بماء، نفع من البُهر وضيق النفس، والضماد به
ينفع من الصداع البارد، وإذا نُقِعَ منه سبع حبات عددًا في لبن
امرأة، وسُعِطَ به صاحب اليرقان، نفعه نفعًا بليغًا.

وإذا طُبِخ بخل، وتُضمض به، نفع من وجع الأسنان عن
برد، وإذا استُعِطَ به مسحوقًا نفع من ابتداء الماء العارض في
العين، وإن ضُمِدَ به مع الخل، قلع البثور والجرب المتقرح،
وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من

(١) حمى الربع: هي التي تنوب كل رابع يوم.

(٢) الخيلاق: جمع خال، وهو شامة في البدن، أي بشرة سوداء ينبت حولها الشعر غالبًا،
ويغلب على شامة الخد.

اللقوة إذا تُسَعِّط بدهنه، وإذا شُرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال، نفع من لسع الرتيلاء^(١)، وإن سحق ناعماً وُخِلط بدهن الحبة الخضراء، وقُطِر منه في الأذن ثلاث قطرات، نفع من البرد العارض فيها والريح والسُّدد.

وإن قُلي، ثم دق ناعماً، ثم نُقع في زيت، وقطر في الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير. وإذا أُحرق وُخِلط بشمع مذاب بدهن السَّوسن، أو دهن الحناء، وطُلي به القروح الخارجية من الساقين بعد غسلها بالخل، نفعها وأزال القروح.

وإذا سُحق بخل، وطلي به البرص والبهق الأسود، والحزاز^(٢) الغليظ، نفعها وأبرأها.

وإذا سُحق ناعماً، واستف منه كل يوم درهمين بماء بارد من عضه كَلْبٌ كَلِبٌ قبل أن يفرغ من الماء، نفعه نفعاً بليغاً، وأمن على نفسه من الهلاك. وإذا استعط بدهنه، نفع من الفالج والكُزاز^(٣)، وقطع موادهما، وإذا دخن به، طرد الهوام.

وإذا أذيب الأنزروت بماء، ولُطخ على داخل الحلقة، ثم ذُرَّ عليها الشونيز، كان من الذرورات الجيدة العجيبة النفع

(١) الرتيلاء: أنواع من الهوام كالذباب والعنكبوت، والجمع: رتيلاوات.

(٢) الحزاز: ما يتناثر من جلدة الرأس مثل النخالة، ويقال له الآن: القشرة.

(٣) الكزاز: كغراب ورمان: داء من شدة البرد، أو الرعدة منها.

من البواسير، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا، والشربة منه درهمان، وزعم قوم أن الإكثار منه قاتل»^(١).

ومنها: التلبينة: فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة زوج النبي ﷺ: «أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ، فَطَبَخَتْ ثُمَّ صَنِعَ ثَرِيدًا، فَصَبَّتِ التَّلْبِينَةَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزَنِ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبينة وتقول: «هُوَ الْبَغِيضُ النَّافِعُ»^(٣).

والتلبين: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه، قال الهروي: سميت تلبينة لشبهها باللبن لبياضها ورقتها، وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النييء، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة، فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم، فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحًا، والتلبينة تطبخ منه مطحونًا، وهي أنفع منه لخروج

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٧٣-٢٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٤١٧، وصحيح مسلم برقم ٢٢١٦ واللفظ له.

(٣) برقم ٥٦٩٠ موقوفًا عليها.

خاصية الشعير بالطحن، وقد تقدم أن للعادات تأثيراً في الانتفاع بالأدوية والأغذية، وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحوناً لا صحاحاً، وهو أكثر تغذية، وأقوى فعلاً، وأعظم جلاء، وإنما اتخذه أطباء المدن منه صحاحاً ليكون أرق وألطف، فلا يثقل على طبيعة المريض، وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها. والمقصود: أن ماء الشعير مطبوخاً صحاحاً ينفذ سريعاً، ويجلو جلاء ظاهراً، ويغذي غذاءً لطيفاً، وإذا شرب حاراً كان جلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع، وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق.

وقوله ﷺ فيها: «مجمة لفؤاد المريض» يروى بوجهين: بفتح الميم والجيم، وبضم الميم، وكسر الجيم، والأول أشهر، ومعناه: أنها مريحة له، أي تريحه وتسكنه؛ من الإجمام، وهو الراحة. وقوله: «تذهب ببعض الحزن» هذا - والله أعلم - لأن الغم والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب الذي هو منشؤها، وهذا الحساء يقوي الحرارة الغريزية بزيادته في مادته، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن.

وقد يقال - وهو أقرب - إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة، فإن من الأغذية ما

يفرح بالخاصية. والله أعلم.

وقد يقال: إن قوى الحزين تضعف باستيلاء اليُبس على أعضائه، وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء، وهذا الحساء يربطها، ويقويها، ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض، لكن المريض كثيراً ما يجتمع في معدته خطل مراري، أو بلغمي، أو صديدي، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه، ويحدره، ويُمِعه، ويُعدّل كلفيته، ويكسر سَوْرته، فيُريحها ولا سيما لمن عادته الاغتذاء بخبز الشعير، وهي عادة أهل المدينة إذ ذاك، وكان هو غالب قوتهم، وكانت الحنطة عزيزة عندهم. والله أعلم^(١). أه

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) زاد المعاد لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٤/ ١١٠-١١١) باختصار.

مقتطفات من سيرة الخليفة الأموي

عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وخليفة من خلفائها الأماجد، قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «الخليفة عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الراشد، أشج بني أمية».

قال أنس بن مالك: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى.

قال سعيد بن عفير: كان أسمر، رقيق الوجه، حسنه، نحيف الجسم، حسن اللحية، غائر العينين بجبهته أثر نفحة دابة، قد وخطه الشيب^(١).

(١) سير أعلام النبلاء (٥/١١٤-١١٥).

قال الإمام أحمد بن حنبل: لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبدالعزيز، بويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان ابن عبد الملك عن عهد منه له بذلك، ويقال مولده في سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قُتل فيها الحسين بن علي بمصر، قاله غير واحد، وقال محمد بن سعد: ولد سنة ثلاث وستين.

وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وقد عد بعض أهل العلم عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ من مجددي هذا الدين، فروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فقال جماعة من أهل العلم -منهم أحمد ابن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره: أن عمر بن عبدالعزيز كان على رأس المائة أولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك، وأحق لإمامته وعموم ولايته واجتهاده وقيامه في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب، وكان كثيراً ما يتشبه به»^(٢).

قال الزبير بن بكار، حدثني العتبي قال: إن أول ما استبين

(١) برقم ٤٢٩١، وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة ١٤٩، والألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ٥٩٩.

(٢) البداية والنهاية (١٢/٧٠٩).

من عمر بن عبدالعزيز: حرصه على العلم، ورغبته في الأدب، قال: إن أباه ولي مصر وهو حديث السن، يُشك في بلوغه، فاراد إخراجهم معه، فقال: يا أبة! أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك؟ ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها، وأتأدب بأدابهم، فوجهه إلى المدينة، فقعده مع مشايخ قریش، وتجنب شبابهم، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذته عمه أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابنته فاطمة، وهي التي يقول فيها الشاعر:

بُنْتُ الخَلِيفَةَ وَالخَلِيفَةَ جَدُّهَا أُخْتُ الخَلَائِفِ وَالخَلِيفَةَ زَوْجُهَا

قال: ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها، وقال ابن وهب: حدثني الليث عن أبي النضر المديني، قال: لقيت سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبدالعزيز، فقلت له: من عند عمر خرجت؟ قال: نعم، قلت: تعلمونه؟ قال: نعم، فقلت: هو والله أعلمكم، وقال ميمون بن مهران: كانت العلماء عند عمر بن عبدالعزيز تلامذة.

وقال عبد الله بن كثير: قلت لعمر بن عبدالعزيز: ما كان بدء إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي، فقال لي: اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة.

وقد ظهرت عليه مخايل الورع، والدين، والتقشف،

والصيانة، والنزاهة من أول حركة بدت منه، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة، وهي الخيول الحسان الجياد المعدة لها، والاجتزاء بمركوبه الذي كان يركبه، وأمر أن تُجعل أثمانها في بيت المال بعد بيعها، وأنشد يقول:

فَلَوْلَا التُّقَى ثُمَّ النَّهْيَ خَشِيَةَ الرَّدَى لَعَاصَيْتُ فِي حُبِّ الصَّبَا كُلِّ زَاوِرِ
قَضَى مَا قَضَى فِيمَا مَضَى ثُمَّ لَا تُرَى لَهُ صَبُوءَةٌ أُخْرَى اللَّيَالِي الْعَوَابِرِ

«وقد رد جميع المظالم حتى إنه رد فص خاتم كان في يده، قال: أعطانيه الوليد من غير حقه، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملابس والأكل والمتاع، حتى أنه ترك التمتع بزوجته الحسناء فاطمة بنت عبد الملك، يقال: كانت من أحسن النساء، ويقال: إنه رد جهازها وما كان من أموالها إلى بيت المال، وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعمئة دينار في كل سنة، وكان حاصله في خلافته ثلاث مائة درهم.

وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً، فيقول: ما أحسنه لولا خشونة فيه، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً، ويقول: ما أحسنه لولا لينه، وكان سراجة على ثلاث قصبات في رأسهن طين. ولم يبن شيئاً في أيام خلافته، وكان يخدم نفسه بنفسه، وقال: ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه،

وكان يأكل الغليظ من الطعام أيضًا ولا يُبالي بشيء من النعيم، ولا يُتبعه نفسه ولا يوده، حتى قال أبو سليمان الداراني: كان عمر بن عبدالعزيز أزهد من أويس القرني؛ لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟ ليس من جرب كمن لا يجرب.

ولما بايعه الناس، واستقرت الخلافة باسمه، انقلب وهو مغتم مهموم، فقال له مولاه: ما لك هكذا مغتمًا مهمومًا، وليس هذا بوقت هذا؟ فقال: ويحك وما لي لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أوديه إليه، كتب إلي في ذلك أو لم يكتب، طلبه مني أو لم يطلب، ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها، فبكت وبكى جواريتها لبكائها، فسمعت ضجة في داره، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله.

ثم أخذ أموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال وسماها أموال المظالم، فاستشفعوا إليه بالناس، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان، فلم ينجع فيه، ولم يردده عن الحق شيء، وقال لهم: والله لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به.

وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر، قال: لما

استخلف عمر بن عبدالعزيز قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، وإني لست بقاض، ولكني منفذ، وإني لست بمبتدع، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، إلا إن الإمام الظالم هو العاصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وفي رواية: وإني لست بخير من أحد منكم، ولكني أثقلكم حملاً، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا هل أسمعت؟

وقد اجتهد رَحِمَهُ اللهُ في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذي حق حقه، وكان مناديه في كل يوم ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء.

قالت زوجته فاطمة: دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً يده على خده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: ما لك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، إني قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمى المقهور، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي ﷻ سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن

خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت.

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: يقولون: مالك زاهد، أي زهد عندي، إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز، أته الدنيا فاغرة فاها فتركها، وقالوا: ولم يكن له سوى قميص واحد، فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى يبس، وقد وقف مرة على راهب فقال له: ويحك عظني، فقال له: عليك بقول الشاعر:

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ
قالوا: فكان يعجبه ويكرره، وعمل به حق العمل.

قالوا: ودخل على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهماً أو فلوساً يشتري له بها عنباً، فلم يجد عندها شيئاً، قالت له: أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنباً؟ فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم.

وكان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً.

قال مقاتل بن حيان: صليت وراء عمر بن عبدالعزيز فقراً ﴿وَقَفُوهُمْ إِنَّمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٤٢]، فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها. وقالت امرأته فاطمة: ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه، ولا أحد أشد خوفاً من ربه منه، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم يتبته فلا يزال يبكي

حتى تغلبه عيناه، قالت: ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمة له، وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سرورًا منذ دخلنا فيها.

ومن أقواله العظيمة رَحِمَهُ اللهُ: اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ.

وقال: أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وقال: لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقل الواعظون والساعون بالنصيحة.

وقال أيضًا: لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها من الدعاء أُعطي أو مُنِع^(١).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «كان هذا الرجل حسن الخلق والخلق، كامل العقل، حسن السمات، جيد السياسة، حريصًا على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أوها منيبًا، قانتًا لله حنيفًا زاهدًا مع الخلافة، ناطقًا بالحق مع

(١) البداية والنهاية (١٢/٦٨٦-٧١٤) باختصار.

قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سقوه السم، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين»^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وسبب وفاته، قيل سببها السل، وقيل سببها أن مولى له سمه في طعام أو شراب، وأُعطي على ذلك ألف دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فقال: لقد علمت يوم سقيت السم، ثم استدعى مولاه الذي سقاه، فقال له: ويحك، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها، فقال: هاتها، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك».

ثم قيل لعمر: تدارك نفسك، فقال: والله لو أن شفائي أن أمسح شحمة أذني، أو أوتى بطيب فأشمه ما فعلت، فقيل له: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء؛ فإنهم فقراء؟ فقال: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، والله لا أعطيهم حق أحد، وهم بين رجلين؛ إما صالح، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه - وفي رواية: فلا أبالي في أي واد هلك،

(١) سير أعلام النبلاء (٥/١٢٠).

وفي رواية: أفادع له ما يستعين به على معصية الله، فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل - ثم استدعى بأولاده فودّعهم وعزاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام، ثم قال: انصرفوا عصمكم الله، وأحسن الخلافة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبدالعزيز يحمل على ثمانين فرسًا في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان ابن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبدالعزيز؛ لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يدعون لهم من الأموال الفانية، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم.

ولما احتضر قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: إلهي، أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت - ثلاثًا - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظرًا شديدًا يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان، ثم قبض من ساعته، وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك، وأخته فاطمة، فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِجَعْلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٨٣]، ثم هدأ الصوت، فدخلوا عليه فوجدوه قد غمّض، وسوي إلى القبلة،

وقبض»^(١).

وكانت وفاته سنة إحدى ومئة، بدير سمعان من قرى حمص في الشام، وكانت مدة مرضه عشرين يوماً. وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان عمره حينذاك تسعاً وثلاثين سنة ونصفاً^(٢).

رحم الله عمر بن عبدالعزيز، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية (١٢/٧١٤-٧١٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي رَحِمَهُ اللهُ (٥/١١٤-١٤٨)؛ والبداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٦٧٦-٧٢٠).

الكلمة الواحدة والثلاثون

الإحسان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فمن مقامات الدين العظيمة، ومن منازل الرفيعة منزلة الإحسان، ويختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف السياق الذي يرد فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، وقد فسره النبي ﷺ بذلك عندما سأله جبريل: ما الإحسان؟ فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك». أما إذا ورد الإحسان مطلقاً، فإن المراد به فعل ما هو حسن»^(١).

قال الراغب: «الإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان: أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً، ومنه قول علي رضي الله عنه: «الناس أبناء ما

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/٦٧).

يحسنون: أي منسوبون إلى ما يعلمون ويعملونه من الأفعال الحسنة»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الإحسان من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ سَتَعِبُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهذه المنزلة هي لب الإيمان وروحه وكماله، وهي جامعة لما عداها من المنازل، فجميعها منطوية فيها، ومما يشهد لهذه المنزلة قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، إذ الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، والإحسان الأول في الآية الكريمة هو - كما قال ابن عباس والمفسرون - هو قول: لا إله إلا الله، والإحسان الثاني هو الجنة، والمعنى: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد إلا الجنة»^(٢).

والإحسان شرط في قبول العمل، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين: الإخلاص لله، وموافقته للسنة، وهو الإحسان الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

والإحسان بمعناه العام يشتمل إحسان العبد في عبادة ربه، وتعامله مع الخلق، وأعماله، وأقواله ظاهراً وباطناً، قال

(١) المفردات ص ١١٨.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٩)، بتصرف.

تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢).
[الملك: ٢].

ففي العبادات؛ يقول النبي ﷺ لجبريل عندما سأله ما الإحسان؟
قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ
سَيِّدَهُ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» (٢). والشاهد في
هذا الحديث قوله: «وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ».

وروى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ
مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ
كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ
كُلَّهُ» (٣).

وقد علمنا النبي ﷺ أن ندعو الله تعالى بأن يرزقنا حسن
العبادة، ففي الحديث الذي رواه أبو داود في سننه من حديث
معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ
إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ. فَقَالَ: أُوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠، ومسلم برقم ٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٥٥٠، وصحيح مسلم برقم ١٦٦٤.

(٣) برقم ٢٢٨.

فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١). وكان من دعواته عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «... وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ»^(٢).

ومن خصال الإحسان: الإحسان إلى الوالدين: ببرهما بالمعروف، وطاعتهما في غير معصية الله، وإيصال الخير إليهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان، من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكرهما وهما الوالدان، فقال تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]»^(٣).

ومنها: الإحسان إلى الأولاد، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جَاءَنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ، تَسْأَلْنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ،

(١) برقم ١٥٢٢، وصححه النووي في كتابه الأذكار ص ١٤٥ برقم ١٩٠.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٣٨/٢٨) برقم ١٧١١٤، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٠٢).

كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(١).

ومنها: الإحسان إلى الزوجات، روى الترمذي في سننه من حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فقال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا... ثم قال في آخر الحديث: أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»^(٢).

ومنها: كذلك الإحسان إلى الجار، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي شريح العدوي أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»^(٣).

قال ابن أبي جمرة: «حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه. ويحصل امتثال الوصية بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهديّة، والسلام، وطلاقة

(١) صحيح البخاري برقم ٥٩٩٥، وصحيح مسلم برقم ٢٦٢٩.

(٢) سنن الترمذي برقم ١١٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأصله في صحيح مسلم من حديث جابر برقم ١٢١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٠١٩، وصحيح مسلم برقم ٤٨، واللفظ له.

الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه.. إلى غير ذلك على اختلاف أنواعه: حسية كانت أو معنوية» (٤). أهـ
ومنها: الإحسان إلى اليتامى والمساكين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وَقَرَنَ بَيْنَ أَضْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى (٥).

والإحسان إليهم يكون بالبر بهم، وكفالة عيشتهم، وتفقد أحوالهم، وإيصال النفع إليهم قولاً وعملاً.

ومنها: الإحسان إلى الناس بالقول والعمل، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال ابن كثير رحمته الله: «يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك،

(٤) فتح الباري (١٠/٤٤٢).

(٥) (٤٧٤/٣٦) برقم ٢٢١٥٣، وقال محققوه: صحيح لغيره.

نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده، أي: فربما أصابه بها»^(١).

قال الشاعر:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَ مَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ

ومنها: الإحسان عند مجادلة أهل الكتاب، قال تعالى:

﴿ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، وإنما أمر سُبْحَانَكَ بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محققاً، وغرضه صحيحاً، وكان خصمه مبطلاً، وغرضه فاسداً»^(٢).

ومنها: الإحسان في المعاملة من بيع وشراء ونحو ذلك،

روى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا افْتَضَى»^(٣)، وفي الحديث الآخر: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢٨/٩).

(٢) فتح القدير (٣/٢٤٢).

(٣) برقم ٢٠٧٦.

قَضَاءً»^(١).

ومنها: الإحسان إلى الميت عند تكفينه، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ»^(٢).

ومنها الإحسان إلى الحيوان، وذلك بحد الشفرة عند ذبحه، وأن لا يحد الشفرة أمامه، روى مسلم في صحيحه من حديث شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ»^(٣). والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

فَأَنْتَبِهْ:

ومن وصايا السلف الصالح: خمسٌ لهن أحسن من الدهم الموقفة^(٤): لا تتكلم فيما لا يعينك، فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر، ولا تكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه، قد وضعه في غير موضعه، فعيب، ولا

(١) صحيح البخاري برقم ٢٣٠٥، وصحيح مسلم برقم ١٦٠١ واللفظ له.

(٢) برقم ٩٤٣.

(٣) برقم ١٩٥٥.

(٤) الدهم الموقفة: أي من الخيل الدهم -وهو من الخيل ما بين الأشقر والأسود- التي أوقفت وأعدت للركوب.

تماري حليمًا ولا سفيهاً، فإن الحلیم يقليك^(١)، وإن السفیه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعفه عما تحب أن يعفیک منه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) يقليك: يبغضك.

(٢) البيهقي في شعب الإيمان (٨ / ٨٥).

الشورى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تأمر بالشورى وترغب فيها، قال تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الطبري إمام المفسرين- بعدما ذكر أقوال أهل العلم في هذه الآية: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزه من أمر عدوه، ومكايد حربه، تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمته مآتي الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها، ليقصدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعلها، فأما النبي ﷺ فإن الله كان يُعرفه مطالب وجوه ما حزه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صواب ذلك، وأما أمته فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتآخ للحق،

وإرادة جميعهم للصواب من غير ميل إلى هوى، ولا حيد عن هدى، فالله مسددهم وموفقهم»^(١). أه

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحرب ونحوها، ليطيب بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الوفاة حين طُعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر»^(٢).

«والمشاورة هي: استنباط المرء الرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور الجزئية التي يتردد فيها المرء بين فعلها وتركها»^(٣).

وكان النبي ﷺ يشاور أصحابه كثيرًا، والنصوص في هذا كثيرة.

قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعدما طعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن

(١) هذا قول الأكثر، وقال البعض بخلاف ذلك، قال الضحاك: بل أمره بذلك ليبين له الرأي وأصوب الأمور في التدبير، لما علم في المشورة تعالى ذكره من الفضل. تفسير الطبري رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٢٠٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب ص ٢١٠.

يجعلك الله مع صاحبك، وذلك أني كثيرا كنت أسمع النبي ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»^(١).

«ولا شك أن كثرة لقاء الرسول ﷺ مع صاحبيه كانت لأمر عظيم، ومن ذلك التشاور المستمر في شؤون الأمة وما يجد فيها ويؤكد ذلك وقائع السيرة ورواياتها، بل إن الأمر أوسع من ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ، وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى»^(٢)»^(٣).

ومن الأمثلة على استشارة النبي ﷺ لأصحابه وأهل بيته:

١- استشارة النبي ﷺ لأصحابه في غزوة بدر: فقد ورد في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِضَها الْبَحْرَ لَأَخْضَنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦٧٧، وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧١٩٨.

(٣) فقه الاستشارة للدكتور ناصر العمر ص ٣٠.

بَرَكَ الْغَمَادِ لَفَعَلْنَا (١)(٢).

٢- وكان النبي ﷺ يريد بهذه الاستشارة الأنصار لأنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان الرسول ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليه نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما أجابوا بما سبق اطمأن النبي ﷺ واستبشر.

٣- استشارته لأصحابه في أسارى بدر: روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟»، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»، قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا

(١) برقم ١٧٧٩.

(٢) وفي بعض الروايات أن الذي قام سعد بن معاذ، فرعم بعضهم أن ذكر سعد بن عبادة في هذا الحديث وقع خطأ، وأن الصواب سعد بن معاذ؛ لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدرًا، والجواب أنه لا وهم في ذلك، فإن الاستشارة وقعت مرتين، وهذا ما رجحته في كتابي: حدث غير مجرى التاريخ ص ١٥٥ فليراجع.

فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيباً لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عَرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ - وأنزل الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم^(١).

٤- استشارته لأم سلمة رضيها في غزوة الحديبية، فإن النبي ﷺ لما كتب الكتاب مع سهيل بن عمرو، أمر الصحابة أن يحلوا بالحلق بعد النحر، فما قام منهم رجل واحد، وقال ذلك ثلاث مرات، فلم يفعلوا، فدخل على أم سلمة رضيها، وذكر لها ما لقي من الناس، فأشارت عليه أم سلمة رضيها أن يخرج ثم ينحر بدنه ولا يكلم أحداً منهم، ثم يدعو حالقه فيحلقه، فخرج رسول الله ﷺ وفعل ما أشارت به أم سلمة من النحر

والحلق، فلما رأى الصحابة ذلك، قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا^(١).

٥- «ومنها: مشاورته لأصحابه في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج [إلى العدو] فأشار جمهورهم بالخروج، فخرج إليهم.

٦- ومنها: مشاورته لأصحابه يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه السعدان: سعد بن معاذ، وسعد بن عباد فترك ذلك.

٧- ومنها: مشاورته لأصحابه يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين؟ فقال له الصديق: إنا لم نجئ لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال^(٢). والأمثلة في هذا كثيرة.

«وكان الصحابة بعد رسول الله ﷺ يسيرون على هذه الشورى، فبعد وفاة رسول الله ﷺ ارتد بعض العرب، وامتنع آخرون عن أداء الزكاة، فتشاور الصحابة في ذلك، وكان لعمر رضي عنه رأي معروف، وخالفه في ذلك أبو بكر رضي عنه، وثبت أبو بكر على رأيه بعدما ذكر الأدلة على صحة ما ذهب إليه، ثم

(١) قطعة من حديث مسند الإمام أحمد (٣١/٢١٢-٢٢٠) برقم ١٨٩١٠، ورقم ١٨٩٢٨، وقال محققوه: إسناده حسن وأصله في صحيح البخاري.

(٢) تفسير ابن كثير رحمته الله (٣/٢٣٤).

شرح الله صدر عمر لقول أبي بكر، واتفقت كلمة الصحابة على حرب المرتدين، وقتال مانعي الزكاة.

وكذلك عمر رضي الله عنه، فقد كان يستشير كثيرًا، ويجمع أهل بدر للمعضلات، قال سعد بن أبي وقاص: «ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا ولا ألب لبًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع علمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعو للمعضلات، ثم يقول: جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله»^(١).

وآخر مظهر من مظاهر الشورى في حياة عمر رضي الله عنه: اختياره لأهل الشورى، وإسناد أمر الخلافة إليهم، وانتقل إلى الدار الآخرة وأمر المسلمين شورى بينهم، فرضي الله عنه وأرضاه. قال الماوردي: «اعلم أن الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، قال الشاعر:

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنُ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

فإذا عزم على المشاورة، ارتاد لها من أهلها من قد استكملت فيه خمس خصال:

١- عقل كامل مع تجربة سالفة، فإن بكثرة التجارب تصح

الرؤية، قال أبو الأسود الدؤلي:

(١) فقه الاستشارة للدكتور ناصر العمر، ص ٣٣-٣٨.

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ صَاحِبٍ فَحَقَّقَ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ

٢- أن يكون ذا دين وتقى، فإن ذلك عماد كل صلاح، وباب كل نجاح، ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السيرة، موفق العزيمة.

٣- أن يكون ناصحًا ودودًا، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحصان الرأي.

٤- أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاغل، فإن من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر.

٥- ألا يكون له في الأمر المتشاور فيه غرض يتابعه، ولا هوى يساعده، فإن الأغراض جاذبة، والهوى صاد، والرأي إذا عارضه الهوى، وجاذبته الأغراض فسد.

فإذا استكملت هذه الخصال الخمس في رجل، كان أهلاً للمشورة، ومعدناً للرأي، فلا يُعدل عن استشارته»^(١).

قال ميمون بن مهران: «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم، وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به، وإن لم يعلم

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٤٨٣-٤٨٨.

خرج فسأل المسلمين عن السنة، فإذا أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم»^(١).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المستشار ينبهه على ما يغفل عنه، ويدله على ما لا يستحضره من الدليل، لا ليقلد المشير فيما يقوله: فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ»^(٢).

«وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه، وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر^(٣) لا ياتمر رشدًا، ولا يطيع مرشدًا»^(٤).

وقال بعض البلغاء: «من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء الفضلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل»^(٥).

قال ابن عطية: «والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى

(١) فتح الباري (١٣/٣٥٤).

(٢) فتح الباري (١٣/٣٥٤).

(٣) حائر بائر: أي فاسد رأيه، وهالك لم يتجه برأيه إلى شيء..

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٤٨٣-٤٨٤.

(٥) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٤٨٣-٤٨٤.

بينهم ﴿ [الشورى: ٣٨] ﴾^(١).

قال أعرابي: «ما غُبت قط حتى يُغبن قومي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم»^(١).

وقال ابن خُويز مَنُداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكُتَّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها، وكان يُقال: ما ندم من استشار، وكان يقال: من أُعجب برأيه ضل»^(١).

قال البخاري: «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها. وقال سفيان الثوري: ليكن أهل مشورتك أهل التقوى، والأمانة، ومن يخشى الله تعالى»^(٢).

قال الشاعر:

شَاوِرُ صَدِيقِكَ فِي الْخَفِيِّ الْمُسْكَرِ وَأَقْبَلُ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ مُتَفَضِّلِ
فَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ نَبِيِّهِ فِي قَوْلِهِ شَاوِرُهُمْ وَتَوَكَّلِ

وقال آخر:

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِهِ

(١) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٥/٣٨٠).

(٢) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٥/٣٨٣).

قال الحسن: «ما كمل دين امرئ ما لم يكمل عقله»، فإذا استشير من هذه صفته واجتهد في الصلاح، وبذل جهده فوقت الإشارة خطأ فلا غرامة عليه. قاله الخطابي وغيره»^(١).

قال القرطبي: «الشورى مبنية على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف، وينظر أيها أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه، إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب»^(٢).

وقال بعضهم: «شاور من جرب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما دفع عليه غالباً وأنت تأخذه مجاناً، وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى»^(٣)^(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٥/٢٨٢).

(٢) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٥/٣٨٣).

(٣) تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللهُ (٥/٣٨٢-٣٨٣).

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/٢٤٢٦-٢٤٤٠).

حديث الأبرص والأقرع والأعمى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَآتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نُحَسِّنُ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ: الْبَقْرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ، أَوْ الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقْرُ - قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ^(١)، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَآتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ،

(١) ناقة عشراء: هي التي مضى لها من حملها عشرة أشهر، وجمعها عشار، وكانت أنفس أموال العرب لقرب ولادتها ورجاء لبنها.

وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يُرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا. قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ^(١) فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ^(٢) النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ^(٣)، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ. قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَغَ

(١) تقطعت بي الجبال: أي الأسباب التي يتوصل بها البلاغ.

(٢) يقدرك: أي يشمئز الناس من رؤيته.

(٣) ورثت كابرًا عن كابر: أي ورثته عن آبائي الذين ورثوه عن آبائهم، كبيرًا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

لِي الْيَوْمِ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، شَاءَ
 أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي،
 فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ^(١) الْيَوْمَ شَيْئًا
 أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، إِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ
 وَسُخِطَ عَلَيَّ صَاحِبِيكَ^(٢).

ولفظ مسلم: «فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ» وهو رواية عند
 البخاري^(٣).

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة:

١- أن شكر النعم من أسباب بقائها وزيادتها، قال تعالى:
 ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ
 إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ولذلك لما شكر
 الأعمى رد الله عليه بصره، وأبقى عليه ماله، وأما
 الآخران - الأبرص والأقرع - فإن الظاهر أن الله ردهما
 إلى ما كانا عليه من الفقر والعاهة والعياذ بالله.

٢- إثبات الملائكة، والملائكة عالم غيبي، خلقهم الله عز وجل
 من نور، وجعل لهم قوة في تنفيذ أمر الله، وجعل لهم إرادة
 في طاعة الله، فهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما

(١) لا أجهدك: أي لا أشق عليك في رد شيء تأخذه من مالي.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٦٤ بلفظ: بدأ الله، وصحيح مسلم برقم ٢٩٦٤ واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٩٦٤، ورواية البخاري برقم ٦٦٥٣.

يؤمرون، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ،
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

٣- أن الملائكة قد يكونون على صورة بني آدم، فإن الملك أتى
لهؤلاء الثلاثة بصورة إنسان.

٤- أن الملك مسح الأقرع، والأبرص، والأعمى مسحة واحدة،
فأزال الله عيبتهم بهذه المسحة؛ لأن الله سبحانه وتعالى إذا
أراد شيئاً قال له: كن فيكون، ولو شاء الله لأذهب عنهم
العاهة بدون هذا الملك، ولكن الله جعل هذا سبباً لما يأتي
ذكره من الابتلاء والامتحان.

٥- أن الله قد يبارك للإنسان بالمال حتى ينتج منه الشيء الكثير،
فإن هؤلاء النفر الثلاثة صار لواحد واد من الإبل، وللثاني واد
من البقر، وللثالث واد من الغنم، وهذا من بركة الله عز وجل.

٦- تفاوت بني آدم في شكر نعمة الله ونفع عباد الله، فإن
الأبرص والأقرع وقد أعطاهم الله المال الأهم والأكبر،
ولكن جحدا نعمة الله، وقالوا: إنما ورثنا هذا المال كابراً عن
كابر، وهم كذبة في ذلك، فإنهم كانوا فقراء وأعطاهم الله
المال، لكنهم - والعياذ بالله - جحدوا نعمة الله وقالوا:
هذا من آبائنا وأجدادنا. أما الأعمى فإنه شكر نعمة الله
واعترف لله بالفضل، ولذلك وفق وهداه الله وقال للملك:
«خذ ما شئت ودع ما شئت».

٧- إثبات الرضا والسخط لله **سُبْحَانَهُ** وتعالى، أي أنه يرضى على من شاء ويسخط على من شاء، وهما من الصفات التي يجب أن نثبتها لربنا **سُبْحَانَهُ** وتعالى؛ لأنه وصف نفسه بها.

ففي القرآن الكريم: الرضا: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وفي القرآن الكريم: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]. وفي القرآن العظيم الغضب: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]. وهذه الصفات وأمثالها يؤمن بها أهل السنة والجماعة بأنها ثابتة لله على وجه الحقيقة، لكنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** لا يُشبه المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين»^(١).

٨- جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه، ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك.

٩- فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم.

١٠- الزجر عن البخل لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ** (١/ ٥٠٠-٥٠٧).

جحد نعمة الله تعالى»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والثلاثون

من محاسن الدين الإسلامي: وجود بدائل لكل عمل صالح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ أكمل الأديان وأفضلها وأعلاها وأجلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة ما يشهد الله تعالى بالكمال المطلق، وسعة العلم، والحكمة، ويشهد لنبيه ﷺ أنه رسول الله حقاً، وأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّهُ وَوَيْحِي يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]»^(١).

ومن محاسنه العظيمة وجود بدائل لكل عمل صالح، وقد يعجز المرء المسلم عن أدائه لمرض، أو فقر، أو شغل، أو تميل نفسه إلى نوع آخر من العبادة هو لها أنشط، وعليها أقدر، فلا أحد من أهل هذه الملة السمحاء مغبون أبداً إلا أن يكون تقصيره من نفسه، وكلما كان العبد في دين الله أفقه، كان

(١) الدرّة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٣٨٩.

حصوله على مراده أتم.

روى مسلم في صحيحه من حديث جويرية بنت الحارث أم المؤمنين: أن النبي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَيَّ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

فَلِلَّهِ الحمد، ثم **لِلَّهِ** الحمد، ثم **لِلَّهِ** الحمد على ما أعطى وأنعم وأكرم، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فسبحان من فضل هذه الأمة، وفتح لها على يدي نبيها نبي الرحمة أبواب الفضائل الجمّة، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعجز عنه آخرون إلا وقد جعل **الله** عملاً يقاومه أو يفضل عليه، فتساوى الأمة كلها في القدرة عليه»^(٢). وهذه بعض الأمثلة على سبيل التذكير لا سبيل الحصر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سنان: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَبَجْتِ مَعَنَا؟» قَالَتْ: نَاضِحَانَ كَانَا

(١) برقم ٢٧٢٦.

(٢) مختصر لطائف المعارف لابن رجب، باختصار الشيخ محمد المهنا ص ١٩٨.

لِأَبِي فَلَانٍ - زَوْجَهَا - حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخِرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلَامَنَا، قَالَ: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَامَّةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيُصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَذْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ، تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» (٣).

ومن قصر في شهر رمضان بنوافل العبادات من صلاة وصدقة وقراءة قرآن وغير ذلك، فعليه بليلة القدر، قال تعالى: ﴿وَمَا

(١) صحيح البخاري برقم ١٧٨٢، وصحيح مسلم برقم ١٢٥٦ واللفظ له.

(٢) برقم ٥٨٦، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/١٨٢) برقم ٤٨٠.

(٣) صحيح البخاري برقم ٨٤٣، وصحيح مسلم برقم ٥٩٥.

أَدْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) [القدر: ٢ - ٣]،
أي العبادة فيها خير من ثلاثة وثمانين عامًا وبضعة أشهر.

والذي لا يستطيع الصدقة بالمال أو قيام الليل، فقله:
سبحان الله وبحمده يعدل ذلك، روى أبو نعيم في كتابه «معرفة
الصحابة» من حديث عبد الله بن حبيب أن النبي ﷺ قال: «مَنْ
ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَبِاللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَعَلَيْهِ بِسُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ»^(١).

ومن عجز عن الجهاد بنفسه، فإن بر الوالدين يعدل ذلك،
روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن
عمرو رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ
فَقَالَ: «أَحْيٌ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(٢).
وفي رواية لأبي داود قال: جِئْتُ أَبِيْعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَتَرَكْتُ
أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، قَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا»^(٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة أم
المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال صلى الله عليه وسلم:
«جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ»^(٤). وفي رواية: قلت: يا رسول الله على النساء

(١) برقم ٣٦٢٧، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٣٧٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٠٠٤، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٩.

(٣) برقم ٢٥٢٨، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٠-٤٨١) برقم
٢٢٠٥.

(٤) برقم ٢٨٧٥.

جهاد، قال: «نَعَمْ، عَلَيْنَهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِنَّ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»^(١).

والتيتم عند العجز عن استعمال الماء أو عدمه، وهو وإن كان رخصة فإنه بديل كذلك، روى أبو داود في سننه من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ وَلَوْ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فَأَمْسَهُ جِلْدَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ»^(٢).

ومن لم يستطع قراءة القرآن في صلاته، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله مع الأذكار الأخرى تعدل ذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن أبي أوفى قال: أتى رجُلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذَ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْئًا، فَعَلَّمَنِي شَيْئًا يُجْزئُنِي مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قَالَ: فَذَهَبَ أَوْ قَامَ أَوْ نَحَوَ ذَا، قَالَ: هَذَا لِلَّهِ عز وجل فَمَا لِي، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي - أَوْ وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي»^(٣).

(١) سنن ابن ماجه برقم ٢٩٠١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن ابن ماجه (١٥١/٢) برقم ٢٣٤٥.

(٢) برقم ٣٣٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٦٧/١) برقم ٣٢١.

(٣) (١٥/١١) برقم ٦٤٧٩، وقال محققوه: إسناده حسن إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه والموقوف أصح.

ومن لم يستطع أن يقرأ ثلث القرآن، فإن سورة الصمد تعدل ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيَّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»^(١).

ومن لم يستطع أن يصوم يوماً ويفطر يوماً فإن صيام ست من شوال مع رمضان يعدل صيام الدهر كله، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٢).

ومن لم يستطع ذكر الله طوال يومه وليلته، فإن هناك من الأذكار ما يعدل ذلك، روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يحرك شفتيه، فقال: «مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» قَالَ: أَذْكَرُ رَبِّي، قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ أَوْ أَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠١٥، ورواه مسلم من طريق أبي الدرداء برقم ٨١١.

(٢) برقم ١١٦٤.

أَخَصَى كِتَابَهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةً
كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

ومن لم يستطع أن يعتق الرقاب، فعليه بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فإنها تعدل ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).

ومن لم يستطع صيام النهار وقيام الليل، فإن حسن الخلق يعدل ذلك، روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٤٥٩/٣٦) برقم ٢٢١٤٤، وقال محققوه: حديث صحيح، وصحيح ابن حبان برقم ٨٢٧ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٤٠٣، وصحيح مسلم برقم ٢٦٩١ واللفظ له.

(٣) سنن أبي داود برقم ٤٧٩٨، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح أبي داود (٩١١/٣) برقم ٤٠١٣

ومن لم يستطع صيام النهار، وقيام الليل، والصدقة، فإن الإصلاح بين الناس يعدل ذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»، قَالَ: «وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»^(١). وفي رواية: «لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»^(٢).

ومنها: صدقة البدن، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٥٠٠/٤٥) برقم ٢٧٥٠٨، وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) سنن الترمذي برقم ٢٥١٠، وحسنه الألباني رحمته الله كما في صحيح الجامع الصغير ٣٣٦١.

(٣) برقم ٧٢٠.

شرح حديث مالك بن التيهان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ

عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»^(١).

«قوله: «مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمْ، قَوْمُوا. فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ... إِلَى آخِرِهِ». «هذا فيه ما كان عليه النبي ﷺ وكبار أصحابه رضي عنهم من التقلل من الدنيا، وما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش في أوقات، وقد زعم بعض الناس أن هذا كان قبل فتح الفتوح والقري عليهم، وهذا زعم باطل، فإن راوي الحديث أبو هريرة رضي عنه، ومعلوم أنه أسلم بعد فتح خيبر، فإن قيل: لا يلزم من كونه رواه أن يكون أدرك القضية، فلعله سمعها من النبي ﷺ أو غيره، فالجواب: أن هذا خلاف الظاهر ولا ضرورة إليه، بل الصواب خلافه، وأن رسول الله ﷺ لم يزل يتقلب في اليسار والقلّة حتى توفي رضي عنه، فتارة يوسر وتارة ينفد ما عنده، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي عنه: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ»^(٢). وعن عائشة رضي عنها: «مَا شَبَعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ»^(٣)، وَتُوفِّيَ رضي عنه وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عَلَى شَعِيرٍ اسْتَدَانَهُ

(١) برقم ٢٠٣٨.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٤١٤.

(٣) رواه البخاري برقم ٥٤١٦، ومسلم برقم ٢٩٧٠.

لِأَهْلِهِ^(١)، وغير ذلك مما هو معروف.

فكان النبي ﷺ في وقت يوسر، ثم بعد قليل ينفد ما عنده لإخراجه في طاعة الله من وجوه البر وإيثار المحتاجين وضيافة الطارقين وتجهيز السرايا وغير ذلك، وهكذا كان خلق صاحبه ﷺ، بل أكثر أصحابه، وكان أهل اليسار من المهاجرين والأنصار ﷺ مع برهم له ﷺ وإكرامهم إياه وإتحافه بالطرف وغيرها، ربما لم يعرفوا حاجته في بعض الأحيان، لكونهم لا يعرفون فراغ ما كان عنده من القوت بإيثاره به، ومن علم ذلك منهم ربما كان ضيق الحال في ذلك الوقت، كما جرى لصاحبيه.

ولا يعلم أحد من الصحابة علم حاجة النبي ﷺ وهو متمكن من إزالتها إلا بادر إلى إزالتها، لكن كان ﷺ يكتمها عنهم إيثاراً لتحمل المشاق، وحملاً عنهم، وقد بادر أبو طلحة حين قال: سمعت صوت رسول الله ﷺ أعرف فيه الجوع إلى إزالة تلك الحاجة، وكذا حديث جابر وسنذكرهما بعد هذا إن شاء الله تعالى، وكذا حديث أبي شعيب الأنصاري الذي سبق في الباب قبله: «أنه عرف في وجهه ﷺ الجوع فبادر بصنيع الطعام».

وأشبه هذا كثيرة في الصحيح مشهورة، وكذلك كانوا يؤثرون بعضهم بعضاً ولا يعلم أحد منهم ضرورة صاحبه إلا

(١) صحيح البخاري برقم ٤٤٦٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٠٣.

سعى في إزالتها، وقد وصفهم **الله** **سُبْحَانَهُ** وتعالى بذلك، فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وقال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وأما قولهما **رَضِيَ اللهُ**: «أَخْرَجَنَا الْجُوعُ»، وقوله **صَلَّى اللهُ**: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا» فمعناه: أنهما لما كانا عليه من مراقبة **الله** تعالى ولزوم طاعته والاشتغال به، فعرض لهما هذا الجوع الذي يزعجهما ويقلقهما ويمنعهما من كمال النشاط للعبادة وتمام التلذذ بها، سَعِيًّا في إزالته بالخروج في طلب سبب مباح يدفعانه به، وهذا من أكمل الطاعات وأبلغ أنواع المراقبات، وقد نُهي عن الصلاة مع مدافعة الأخبشين وبحضرة طعام تتوق النفس إليه، وفي ثوب له أعلام، وبحضرة المتحدثين... وغير ذلك مما يشغل قلبه، ونُهي القاضي عن القضاء في حال غضبه وجوعه وهمه وشدة فرحه، وغير ذلك مما يشغل قلبه ويمنعه كمال الفكر. **والله** أعلم^(١).

ذكر النووي وغيره فوائد لهذا الحديث، فمن ذلك:

«١- جواز ذكر الإنسان ما يناله من ألم ونحوه، لا على سبيل التشكي وعدم الرضا، بل للتسلية والتصبر، كفعله **صَلَّى اللهُ** هنا، ولالتماس دعاء أو مساعدة على التسبب في إزالة ذلك العارض، فهذا كله ليس بمذموم، إنما يذم ما كان تشكيًا وتسخطًا وتجزعًا.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٣/٢١٠-٢١١).

- ٢- جواز الحلف من غير استحلاف.
- ٣- جواز الإدلال على الصاحب الذي يوثق به، واستتباع جماعة إلى بيته.
- ٤- استحباب إكرام الضيف بقوله: مرحبًا وأهلاً وشبهه، وإظهار السرور بقدومه، وجعله أهلاً لذلك، كل هذا وشبهه إكرام للضيف، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(١).
- ٥- جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة.
- ٦- جواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علمًا محققًا أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة.
- ٧- استحباب حمد الله تعالى عند حصول نعمة ظاهرة، وكذا يستحب عند اندفاع نقمة كانت متوقعة، وفي غير ذلك من الأحوال.
- وقد قال النووي في الأذكار: «يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة، أن يسجد شكرًا لله تعالى، وأن يحمد الله تعالى أو يثنى عليه بما هو أهله، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة، رويها في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون الأودي في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في

(١) أخرجه البخاري برقم ٦٤٧٥، ومسلم برقم ٤٧.

حديث الشورى الطويل: «أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْسَلَ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَسْتَأْذِنُهَا أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ عُمَرَ، قَالَ عُمَرُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَذِنْتَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وروينا في كتاب الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلَى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»^(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء من أصحابنا وغيرهم: ينبغي أن يقول هذا الذكر سرًّا بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية فلا بأس أن يسمعه ذلك إن لم يخف من ذلك مفسدة»^(٣).

«٨- استحباب إظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالى وهو يسمع، على حصول هذه النعمة، والثناء على ضيفه إن لم يخف عليه فتنة، فإن خاف لم يثن عليه في وجهه؛

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٧٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٣٤٣٢، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن الترمذي برقم ٢٧٢٩.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار للإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو، ص ٣٣٢، ٣٣٨.

وهذا طريق الجمع بين الأحاديث بجواز ذلك ومنعه^(١).

٩- استحباب تقديم الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما.

١٠- العدق - بكسر العين - الكياسة، وهي العرجون، والعدق - بفتح العين - النخلة، وإنما قدم لهم هذا العرجون لأنه الذي تيسر له بغير كلفة لا سيما مع تحققه حاجتهم؛ ولأن فيه ألواناً من التمر والبسر والرطب؛ ولأن الابتداء بما يتفكه به من الحلاوة أولى من حيث إنه أقوى للمعدة لأنه أسرع هضمًا.

١١- جواز الجمع بين طعامين فأكثر على مائدة لقوله: «فأكلوا من تلك الشاة ومن ذلك العدق».

١٢- استحباب المبادرة إلى الضيف بما تيسر، وإكرامه بعده بطعام يصنعه له، لا سيما إن غلب على ظنه حاجته في الحال إلى الطعام، وقد يكون شديد الحاجة إلى التعجيل، وقد يشق عليه انتظار ما يصنع له لاستعجاله للانصراف.

١٣- كره جماعة من السلف التكلف للضيف، وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة؛ لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف، وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيتأذى به الضيف، وقد يحضر شيئاً يعرف

(١) الأذكار المتخبة من كلام سيد الأبرار ص ٣٠٨-٣١١.

الضيف من حاله أنه يشق عليه، وأنه يتكلفه له فيتأذى لشفقته عليه، وكل هذا مخالف لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ...»^(١)، لأن أكمل إكرامه، إراحة خاطره، وإظهار السرور به، وأما فعل الأنصاري وذبحه للشاة فليس مما يشق عليه، بل لو ذبح أغنامًا بل جمالًا، وأنفق أموالًا في ضيافة رسول الله ﷺ وصاحبيه كان مسرورًا بذلك مغبوطًا فيه. والله أعلم.

١٤- جواز الشبع من الحلال، وما جاء في كراهة الشبع فمحمول على المداومة عليه؛ لأنه يقسي القلب وينسي أمر المحتاجين.

١٥- قوله: «لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ»: أي سؤال عرض لا سؤال مناقشة، وسؤال إظهار التفضل والمنن، لا سؤالًا يقتضي المعاينة والمحن، والنعيم كل ما يتنعم به، أي: يُستطاب ويتلذذ به، وإنما قال النبي ﷺ هذا استخراجًا للشكر على النعم وتعظيمًا لذلك^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) رواه البخاري برقم ٦١٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٣/٢١٠-٢١٢)، والمفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٥/٣٠٦).

الكلمة السادسة والثلاثون

شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى الخطيب في تاريخ بغداد من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ»^(١).

هذا حديث عظيم، اشتمل على حكم وتوجيهات وحقائق، أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فقد اشتمل هذا الحديث العظيم على مسائل:

الأولى: أن بذل الجهد في تحصيل العلم والحرص عليه وسيلة مضمونة لحصوله، فبالتعلم يُنال العلم. والتعلم: هو إتعب الجسد، والعزم الصادق، وإخلاص النية، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة تحقق بها المراد قطعاً، قال يحيى بن أبي كثير: «لا يستطاع العلم براحة الجسد»، وأخبار الأنبياء

(١) (١٢٧/٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢.

والصالحين من بعدهم بهذا الباب كثيرة جداً.

فهذا نبي الله موسى عليه السلام رحل في طلب العلم، وناله من التعب والنصب في سبيل ذلك ما ذكره الله في كتابه، غير أن النتائج مذهلة جداً، ونافعة لا لموسى فحسب، بل للأجيال من بعده، وإلى الآيات فتدبر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا جَاءْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ غَاطِرُهَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاثِيئَةً رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا

﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنْبِئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْعُلَمُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴿[الكهف].

قال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا»^(١). وفي هذا أن الصبر لطلب العلم كلما كان أطول كان الانتفاع أعظم.

والصحابي الجليل جابر رضي الله عنه رحل في طلب حديث من أحاديث النبي ﷺ شهرًا كاملاً.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بغيراً ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت

(١) صحيح مسلم برقم ٢٣٨٠.

للجواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يظاً ثوبه، فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ عُرَاءً، غُرْلًا، بُهْمًا»، قال: قلنا: وما «بُهْمًا»؟ قال: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ [بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ؛ حَتَّى اللَّطْمَةُ»، قلنا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عُرَاءً، غُرْلًا، بُهْمًا؟ قال: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» (١).

قال علي بن أحمد الخوارزمي: سمعت عبدالرحمن بن أبي حاتم يقول: «كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقعة، كل نهارنا مقسم بمجالس الشيوخ، وبالليل النسخ والمقابلة، فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخ، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس، فلم يمكننا إصلاحها، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل

(١) مسند الإمام أحمد (٤٣٢/٢٥)، برقم ١٦٠٤٢. وقال محققوه: إسناده حسن.

حتى أتى علينا ثلاثة أيام، وكادت أن تتغير، فأكلناها نيئة لم يكن لنا فراغ أن نعطيها من يشويها لنا، ثم قال: لا يستطيع العلم براحة الجسد»^(١).

ورحل شعبة بن الحجاج في قصة مشهورة إلى الشام والحجاز واليمن في طلب حديث واحد، روى ابن عدي في الكامل ... سمعت نصر بن حماد يقول: كنا قعوداً على باب شعبة نتذاكر، فقلت: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن **عبد الله بن عطاء** عن عقبه بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول **الله ﷺ**، قال: فجئت ذات يوم والنبى **ﷺ** حوله أصحابه، قال: فسمعته يقول: [«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ»]، قَالَ: فَقُلْتُ: بَخَ بَخَ، قَالَ: فَجَدَبَنِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، فَالْتَفَتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: الَّذِي قَالَ قَبْلَ أَحْسَنُ، قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** قِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»، قَالَ: فخرج شعبة فطمني ثم رجع، فتنحيت من ناحية، ثم خرج بعد فقال: ما له بعد يبكي، فقال له **عبد الله بن إدريس**: إنك أسأت إليه! قال: انظر ما يحدث، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن **عبد الله بن عطاء**، عن عقبه ابن عامر، عن النبي **ﷺ**. قال شعبة: أنا قلت لأبي إسحاق: من حدثك؟ قال: حدثني **عبد الله بن عطاء**،

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٦٦).

عن عقبة بن عامر، قال: سمع **عبد الله** بن عطاء من عقبة؟ قال: فغضب، ومسعر ابن كدام حاضر، فقال: قد أغضبت الشيخ، قلت: ليصحح هذا الحديث، فقال مسعر بن كدام: **عبد الله** بن عطاء بمكة، قال شعبة: فرحلت إلى مكة فلقيت **عبد الله** فسألته، فقال: سعد ابن إبراهيم حدثني، قال شعبة: ثم لقيت مالك بن أنس فقال: سعد بالمدينة لم يحج العام، قال شعبة: فرحلت إلى المدينة فلقيت سعداً فسألته، فقال: الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني، قال شعبة: فلما ذكر زياد قلت: أي شيء هذا الحديث بينما هو كوفي إذ صار مكياً، إذ صار مدينيّاً، إذ صار بصريّاً؟ قال شعبة: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته، فقال: ليس الحديث من نايتك، قلت: حدثني به، قال: لا تريده، قلت: حدثني به، قال: حدثني شهر بن حوشب، عن أبي ريحانة، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ. قال شعبة: فلما ذكر شهر قلت: دمّر علي هذا الحديث، لو صح لي هذا عن رسول الله ﷺ. كان أحب إليّ من أهلي ومالي والناس أجمعين (١).

فبهذا صاروا أئمة يقتدى بهم، ولا تكاد تمر ساعة على وجه الأرض إلا ودُعي لهم فيها، فذكرهم باق، وأجرهم موصول، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن الأمثلة القريبة ما جاء عن العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «جئت للشيخ في قراءتي عليه، فشرح لي كما كان يشرح، ولكنه لم يشف ما في نفسي على ما تعودت، ولم يرو لي ظمئي، وقمت من عنده وأنا أجد في حاجة إلى إزالة بعض اللبس، وإيضاح بعض المشكل، وكان الوقت ظهرًا، فأخذت الكتب والمراجع فطالعت حتى العصر، فلم أفرغ من حاجتي، فعاودت حتى المغرب فلم أنته أيضًا، فأوقد لي خادمي أعوادًا من الحطب أقرأ على ضوءها كعادة الطلاب، وواصلت المطالعة وأتناول الشاهي الأخضر كلما مللت أو كسلت، والخادم بجواري يوقد الضوء، حتى انبثق الفجر وأنا في مجلسي لم أقم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام، وإلى أن ارتفع النهار، وقد فرغت من درسي وزال عني لبسي، ووجدت هذا المحل من الدرس كغيره في الوضوح والفهم»^(١).

وللشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ نبأ عجيب، فقد كان يتردد على المكتبة الظاهرية بدمشق، ويمكث فيها الساعات الطوال، وقد خصصت إدارة المكتبة غرفة له خاصة، وفي مرة من المرات صعد الشيخ ناصر على السلم في المكتبة الظاهرية ليأخذ كتابًا مخطوطًا فتناول الكتاب وفتحه، فبقى واقفًا على السلم يقرأ

(١) مقدمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٢).

في الكتاب لمدة تزيد على الست ساعات، وهذه الوقفة ليست مريحة على الإطلاق، وإنما هي متعبة أكثر من الوقوف على الأرض، وكان مشغولاً بالكتابة، فكان ينقل الأسانيد، فقد كتب في الكراريس الكبيرة تقريب السنة بين يدي الأمة ما يقارب أربعين ألف حديث، وعلق على جمع الطرق من هذا الكتاب، ومن ذاك الكتاب قراءة وكتابة، وهكذا وصل الشيخ إلى ما وصل إليه^(١).

وللشيخ ابن باز نبأ آخر، فقد كان حريصاً على وقته حتى في حال السفر، فبمجرد ركوبه السيارة وذكره لدعاء السفر، يلتفت إلى من بجانبه من الكتاب، ويقول له: ما معك؟ فنبداً، فتقرأ عليه بعض الكتب، وتعرض عليه بعض القضايا والمعاملات، وهكذا حاله وهو ينتظر موعد إقلاع الطائرة، وبعد أن تقلع يكون معه كاتب أو كاتبان أو أكثر، فيتعاقبون القراءة عليه إلى حين وصول الطائرة إلى مكان هبوطها في الرياض أو الطائف أو غيرها.

وذكر الشيخ عبدالرحمن بن دايل، وهو رجل كبير السن، عاش مع سماحة الشيخ ما يقارب أربعين سنة، يقول: كنا في المدينة إبان عمل سماحته في الجامعة الإسلامية، وذات يوم

(١) أحداث مثيرة من حياة الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ، بقلم الشيخ محمد المنجد، طبعة دار الإيمان سنة ٢٠٠٠م.

سافر سماحته إلى قرية بدر التي تقع على الطريق بين جدة والمدينة على الطريق القديم، حيث ذهب لمهمة دعوة يلقي خلالها محاضرة، وكنت أنا والشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن الحصين رَحِمَهُ اللهُ معه في السيارة؛ فلما بدأ سيرنا ودعا سماحته بدعاء السفر، التفت رَحِمَهُ اللهُ وقال: توكلوا على الله، يعني ابدؤوا بقراءة المعاملات، فقلنا: يا شيخ - غفر الله لك - نحن دائماً نقرأ، ولا نتمكن من الخروج خارج المدينة، وهذه هي فرصتنا؛ دعنا نستمتع بالرحلة، وننظر إلى الجبال والأودية، ونتفكر في مخلوقات الله.

فضحك سماحته وقال: اللهم اهدنا فيمن هديت، اللهم اهدنا فيمن هديت؛ ليقرأ الشيخ إبراهيم، وأنت تفكر في مخلوقات الله كما تقول، وبعد أن ينتهي الشيخ إبراهيم، أملي عليك، وينظر الشيخ إبراهيم ويتفكر وقت الإملاء، وهكذا..

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن دايل: أنتم ما أدركتم نشاط سماحته؛ إذ كان في المدينة لا ينام بعد العشاء إلا متأخراً، وكان لا ينام بعد الفجر، ولا الظهر، ولا العصر^(١).

وللشيخ ابن عثيمين نبأ آخر، فقد كان يمضي وقته كله في الدروس والإفتاء والعبادة ولا ينام إلا قليلاً، وفي آخر حياته

(١) جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ . د. محمد الحمد، ص ١٧٠-١٧١.

وعند شدة مرضه بالسرطان، كان يجيب الأسئلة عن طريق الهاتف، ويطلب معاملات الناس وهو في المستشفى ليقضيها، ثم طلب أن يلقي درسه في العشر الأواخر من رمضان، وأصر على ذلك، فانتقل معه الأطباء وكان يلقي درسه والأجهزة والأكسجين على جسمه. يَغُوصُ الْبَحْرُ مَنْ طَلَبَ اللَّائِي

والخلاصة ما قاله أحد الشعراء:

لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكُ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ

وقال الشافعي:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
تَرَوْمُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرُ مَنْ طَلَبَ اللَّائِي
وَمَنْ رَامَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمُرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ

وقال المتنبي:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكملاً لشرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ».

المسألة الثانية: قوله ﷺ: «وإنما العلم بالتحلم»، والـحلم هو: العفو والصفح عن أساء إليك مع القدرة على الانتقام، وهو من الأخلاق الفاضلة التي لم ينل غايتها إلا القليل، وقد تكون هذه الخصلة جبلة للشخص، تفضل الله بها عليه، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أشج عبد القيس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»^(١)، وفي رواية قال: شَيْءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ شَيْءٌ أَتَخَلَّقُهُ؟ قَالَ: «بَلْ جُبِلْتُ عَلَيْهِ»، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ^(٢).

وتحصل بالاكْتساب، فبالتعلم يُنال الحلم، قال الأحنف

(١) برقم ١٧.

(٢) صحيح ابن حبان برقم ٧١٥٩.

ابن قيس: «إني لست بحليم، ولكني أتحالم».

وممن اشتهر بذلك، الصحابي الجليل سيد أهل البادية قيس بن عاصم المنقري التميمي، والأحنف بن قيس التميمي. ومن عجيب ما جرى، ما ذكره الأحنف بن قيس، فقد قيل له: مما تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم، رأيت يومًا محببًا، فأتي برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فالتفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي بسما فعلت، أثمت بربك، وقطعت رحمك، ورميت نفسك بسهمك، ثم قال لابن آخر له: قم يا بُنيَّ فوار أخاك وحُل كتاف ابن عمك، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها، فإنها غريبة^(١).

ففي هذه وغيرها استحق ﷺ أن يقال فيه:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانٌ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وإليك قصة وفوده على النبي ﷺ وما فيها من الفوائد والعبير، روى البخاري في الأدب المفرد عن قيس بن عاصم السعدي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبْرِ»، فقلت: يا رسول الله! ما المال الذي ليس عليّ فيه تبعة من طالب ولا من ضيف؟ فقال رسول الله ﷺ: «نِعَمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٩/١٢٦).

وَالْأَكْثَرُ^(١) سِتُون، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ الْمِئِينِ إِلَّا مَنْ أُعْطِيَ الْكَرِيمَةَ، وَمَنْحَ الْغَزِيرَةِ، وَنَحَرَ السَّمِينَةَ، فَأَكَلَ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ^(٢).

قلت يا رسول الله! ما أكرم هذه الأخلاق، لا يحل بواحدٍ أنا فيه من كثرة نعمي، فقال: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِالْعَطِيَّةِ؟» قُلْتُ: أُعْطِيَ الْبَكْرَ^(٣)، وَأُعْطِيَ النَّابَ^(٤)، قَالَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَنِحَةِ^(٥)؟» قَالَ: إِنِّي لِأَمْنَحُ النَّاقَةَ، قَالَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ فِي الطَّرِيقَةِ^(٦)؟» قَالَ: يَغْدُو النَّاسُ بِحَبَالِهِمْ، وَلَا يُوزَعُ^(٧) رَجُلٌ مِنْ جَمَلٍ يَخْتَطِمُهُ^(٨)، فَيَمْسِكُهُ مَا بَدَأَ لَهُ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَرُدُّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَا لَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ مَالٌ مَوَالِيكَ؟» قَالَ: مَالِي، قَالَ: «فَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ، وَسَائِرُهُ لِمَوَالِيكَ».

فقلت: لا جرم، لئت رجعت لأقلن عددها. فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني، خذوا عني؛ فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني، لا تنوحوا علي؛ فإن رسول الله ﷺ

(١) الأصل: والكثرة، والتصحيح من مصادر الحديث الآتي ذكرها؛ ثقات ابن حبان وغيره.

(٢) القانع: السائل، والمعتر: من يأتي للمعروف من غير أن يسأل.

(٣) الشاب من الإبل.

(٤) الناب: الناقة المسنة.

(٥) المنيحة: قال في النهاية: ومنحة اللبن: أن يعطيه ناقة أو شاة، ينتفع بلبنها ويعيدها، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زماناً ثم يردّها (٤/ ٣٦٤).

(٦) الطروقة: الناقة التي بلغت أن يضربها الفحل.

(٧) ولا يوزع: أي لا يمنع.

(٨) أي: يجعل على أنفه خطامًا، والخطام: ما يوضع على أنف الجمل من الزمام ليقاد به.

لم ينح عليه، وقد سمعت النبي ﷺ ينهى عن النياحة، وكفوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها، وسودوا أكابركم؛ فإنك إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهدوا فيكم، وأصلحوا عيشكم؛ فإن فيه غنى عن طلب الناس، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر كسب المرء.

وإذا دفتموني فسواوا علي قبري؛ فإنه كان يكون شيء بيني وبين هذا الحي من بكر بن وائل: خُمشات^(١)، فلا آمن سفيهاً أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في دينكم^(٢).

ومن الحكماء المشهورين: معاوية رضي الله عنه، وله في ذلك قصص مشهورة، وكان يقول: «لا حلیم إلا ذو تجربة»، وذلك أن الحلم في ظاهره مذلة وعيب، ولكن مع التجارب وحسن النتائج تبين فضله وعظيم منزلته.

أما عن حلمه ﷺ فذاك أمر لا تحويه القرايطس، ولا يحيط به بليغ الكلام، وبالنية أفراد التذكير به بكلمة مستقلة.

(١) خُمشات: واحدها خُماشة، أي: جراحات وجنایات وهي كل ما كان دون القتل والدية، من قطع، أو جرح، أو ضرب، أو نهب، ونحو ذلك من أنواع الأذى، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٠).

(٢) ص ٣٥٨-٣٥٩ برقم ٩٥٣، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله، وقال: حسن لغيره.

ملاحظة:

قوله ﷺ في الجملتين: إنما هذه تأتي للحصر، ولكن ليس ذلك على الإطلاق كما نبه على ذلك أهل الأصول واللغة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة والثلاثون

شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (٣)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

المسألة الثالثة: قوله ﷺ: «وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ»^(١).

قوله: «وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ»، قال ابن الأثير: «التحري: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول، ومنه الحديث: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ» أي تعمدوا طلبها فيها»^(٢).

وهل المقصود بالخير، الخير الديني فقط، أو الديني والديني معاً؟

الذي يظهر أن اللفظ عام يشمل الأمرين معاً، والأمر الديني المباح إذا استعين به على طاعة الله كان خيراً لصاحبه،

(١) سبق تخريجه ص ٣٣١.

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/٣٧٦).

كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ؛ لِمَنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَابْنَ السَّبِيلِ»^(١).

قوله: يعطه؛ أي أن الله **الله** ييسر له ما أراد من الخير، والجزاء من جنس العمل، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢).

وفي دعاء الاستخارة المشهور: «... إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ... وفي آخر الحديث: وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»^(٣).

قوله في الحديث: «وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ»، قال في المعجم: توقى من الشيء اتقاه، حذره، وتجنبه، وفي الحديث: «وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(٤) أي: تجنبها، لا تأخذها في الصدقة؛ لأنها تكرم على أصحابها، وتعز، فخذ الوسط لا العالي، ولا النازل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) صحيح البخاري برقم ١٤٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٢ واللفظ له.

(٢) جزء من حديث برقم ٢٦٩٩.

(٣) صحيح البخاري برقم ١١٦٢.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/٢٤٨٦)، وغريب الحديث لابن الأثير (٥/٢١٧).

الْمُفْلِحُونَ ﴿ [الحشر: ٩]. قوله: يوقه: المعنى إذا اتقى الشر وتجنبه فإن الله يقيه ويصرفه عنه.

روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»^(١).

ومن القصص التي تذكر في هذا الشأن للاعتبار بها، ما ذكره ابن عباس قال: «لما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فيهم؟ قال: فترك ذلك، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني»^(٢).

(١) برقم ٣٦٠٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (١٢/٨٦).

ومنها قصة تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، وما حصل له من هجر النبي ﷺ وأصحابه، وفي أثناء هذا البلاء والهجر الشديد جاءت رسالته من ملك الغساسنة يقول فيها: «أما بعد.. إنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسيك»، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيمنت بها التنور فسجرت به بها^(١). فوفاه الله من الشر والبلاء وتاب عليه.

ومنها ما حصل لأبي عثمان المازني وكان رَحِمَهُ اللهُ فِي غَايَةِ الورع، وقصده يهودي ليقراً عليه كتاب سيوييه، وبذل له مئة دينار في تدريسه إياه، فامتنع، فقال له المبرد - تلميذه -: جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فافتك، وشدة إضاقتك؟ فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثة مئة وكذا وكذا آية من كتاب الله ﷻ، ولست أرى أن أتمكن منها ذميًّا غيرة على كتاب الله وحمية له، قال المبرد: فاتفق أن غنت جارية بحضرة الخليفة الواثق:

أَظْلُومٌ إِنَّ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامِ تَحِيَّةً ظُلْمٌ

فاختلف من في حضرة الخليفة في إعراب: رجلاً، فمنهم من نصبه وجعله اسم إن، ومنه من رفعه على أنه خبرها، والجارية

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٩.

مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب، فأمر الواثق بإحضاره من البصرة إلى بغداد، قال: وسأله عن الرجل بالنصب أم الرفع؟ فأجابه بالنصب، وقال: إن مُصابكم مصدر بمعنى إصابتكم، فعارضه أحد الحضور، فقال المازني: هو بمنزلة قولك: إن ضربك زيد ظلم، فالرجل مفعول مصابكم منصوب به، والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول: ظلم، فيتم، فأعجب الواثق بإجابته بعد حوار دار بينهما، وأمر له بألف دينار، قال المازني: وردني مكرماً، فلما عدت إلى البصرة، قلت لتلميذي المبرد: تركنا مئة فعوضنا الله ألفاً^(١).

ومنها - وهي من أعجب ما ورد: قصة إسلام سلمان الفارسي رضي عنه وقد سبق ذكرها في هذا الكتاب^(٢).

ملاحظة:

قد يجتهد الإنسان في تحري الخير فلا يعطى، أو يتوقى الشر فلا يوقه، والجواب عن ذلك: أن ما منع مما ظاهره الخير خير له، وما لا يمنع عنه مما ظاهره الشر خير له كذلك، لأن حقائق الأمور وغيبياتها لا يعلمها إلا الله، وفي التنزيل المبارك: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا

(١) معجم الأدباء (٧/ ١١١).

(٢) انظر الكلمة رقم (٢٦).

وَهُوَ شَرُّ لَكُمْ ^ظ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



حلمه ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي اشتهر بها ﷺ حلمه العظيم، قال تعالى مثيلاً على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

روى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْغُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا: لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا^(١).

والحلم: هو العفو والصفح عن أساء إليك مع القدرة على الانتقام.

قال ابن حبان: «الحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام، وهو يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ومن يتصف به يكون عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأجر، مرضي الفعل، وإن من نفاسة اسم «الحلم» وارتفاع قدره أن الله **بِحِلْمِهِ** تسمى به»^(٢).

وقال بعض العلماء: «ليس الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم، حتى إذا قدر عفا»^(٣).

وقد وصف الله به بعض أنبيائه على وجه الثناء والحمد، قال تعالى عن نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «كان حليماً عمن ظلمه وأناله مكرهاً، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهِتِ يَبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمِكَ وَأُهْجِرْنِي مَلِيًّا﴾ [٤٦] قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ

(١) برقم ٢١٢٥.

(٢) روضة العقلاء ص ١٩٦.

(٣) الإحياء للغزالي (٣/١٥٤).

كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ [مريم: ٤٦-٤٧]»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصفات: ١٠١].

روى البخاري ومسلم من حديث **عبد الله** بن مسعود رضي الله عنه قال: «كَانِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢).

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر الناس حلماً، ومواقفه في ذلك كثيرة، فمن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّي»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا نَجِدُ إِلَّا أُمَّثْلَ مِنْ سِنِّي^(٣)، قَالَ: «أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»^(٤).

«وفي الحديث دليل على حسن خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحلمه، وقوة صبره على الجفاء مع القدرة على الانتقام»^(٥).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٧/٣٠٣).

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٩٢٩، وصحيح مسلم برقم ١٧٩٢.

(٣) جملاً أحسن من جمله.

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٣٠٦، واللفظ له، وصحيح مسلم برقم ١٦٠١.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/٥٠٩).

مالك رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَمَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعِطَاءٍ^(١).

قال ابن حجر رحمته الله: «وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الولاية بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن»^(٢).

وقال القرطبي رحمته الله: «وهذا الحديث يدل على ما وصف الله به نبيه ﷺ أنه على خلق عظيم، وأنه رؤوف رحيم، فإن هذا الجفاء العظيم الذي صدر من هذا الأعرابي لا يصبر عليه ولا يحلم عنه مع القدرة عليه إلا مثله، ثم ضحكه ﷺ عند هذه الجبذة الشديدة التي انشق البرد عنها وتأثر عنقه بسببها حتى انفلت عن وجهته ورجع إلى نحر الأعرابي، دليل على أن الذي تم له من مقام الصبر والحلم ما تم لأحد»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم ٥٨٠٩، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٧.

(٢) فتح الباري (١٠/٥٠٦).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/١٠٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحدٍ؟ قال: «لقد لقيتُ من قومك وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبَةِ إذ عرَضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلِ بنِ عبدِ كلالٍ، فلم يُحِبني إلى ما أردتُ فانطَلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستَفِقْ إلا بقرنِ الثعالبِ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليه السَّلامُ فناداني، فقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد سمعَ قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمرهُ بما شئتَ فيهم»، قال: «فناداني ملكُ الجبالِ فسلمَ عليَّ ثمَّ قال: يا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ تعالى قد سمعَ قولَ قومك لك وأنا ملكُ الجبالِ، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرِك فما شئتَ؟ إن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبين»^(١)، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يُخرجَ اللهُ من أَصْلابِهِم من يُعبدُ اللهُ وحدهُ لا يُشركُ به شيئاً»^(٢).

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه إكاف، تحته قطيفة فذكية، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من

(١) هما جبلا مكة أبو قيس والجبل الذي يقابله.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٣١، وصحيح مسلم برقم ١٧٩٥.

المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فيهم **عبد الله** بن أبي، وفي المجلس **عبد الله** بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر **عبد الله** بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى **الله** وقرأ عليهم القرآن، فقال **عبد الله** بن أبي: أيها المرء! لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال **عبد الله** ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد ابن عبادة، فقال: «أَيُّ سَعْدٍ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ -يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي- قَالَ: كَذَا وَكَذَا»، قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاصْفَحْ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ أَنْ يُتَوَّجُوهُ، فَيَعْصِبُوهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ (١).

ومنها: ما رواه الإمام أحمد في مسنده وأصله في الصحيحين من حديث جابر بن **عبد الله** قال: قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ حَصْفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ

(١) صحيح البخاري برقم ٢٩٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٧٩٨.

رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، قَالَ: فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ (١).

والأحاديث السابقة تدل على ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم والصفح في الدعوة إلى الله والصفح على ذلك، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والأمثلة كثيرة في حلمه ﷺ، وما ذكرته غيظ من فيض، وقليل من كثير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الأربعون

فوائد من حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر ابن الخطاب رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

هذا الحديث اتفق العلماء على صحته، وتلقيه بالقبول، وبه صدّر البخاري كتابه «الصحيح» وأقامه مقام الخطبة له، إشارة إلى أن كل عمل لا يُراد به وجه الله فهو باطل، لا ثمره له في الدنيا ولا في الآخرة.

ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي: «لو صنفت الأبواب لجعلت حديث عمر في كل باب».

(١) صحيح البخاري برقم ١، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٧ واللفظ له.

وعنه أنه قال: «من أراد أن يصنف كتابًا، فليبدأ بحديث
«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

وهذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها،
فروي عن الشافعي أنه قال: «هذا الحديث ثلث العلم»، وعن
الإمام أحمد قال: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث، حديث
عمر: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، وحديث عائشة رضي الله عنها: «مَنْ أَحَدَثَ
فِي أَمْرِنَا»، وحديث النعمان بن بشير: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ
بَيْنَ»^١.

قال ابن حجر رحمته الله: «وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم
قدر هذا الحديث، قال أبو عبد الله: ليس في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم
شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث»^(١).

وقد اشتمل هذا الحديث على فوائد كثيرة لدخوله في أكثر
أبواب العلم، بل كلها، وأقتصر هنا على ثلاث قواعد يجتمع
فيها كثير من الحكم والأحكام.

الأولى: دل الحديث على أن الأعمال وإن كانت صالحة
وعلى السنة لا تقبل إلا بنية خالصة، وذلك أن يريد
العامل بعمله وجه الله تعالى، وما لم يكن كذلك
فهو مردود غير مقبول، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّمَا

(١) فتح الباري (١/١١).

لِأَمْرٍ مَّا نَوَى» ومثل ﷺ بمثال من الواقع يبين هذا الأمر العظيم، وهو أن المهاجرين صورتهم الظاهرة واحدة، ولكن لما اختلفت النيات كان من هاجر لله ولرسوله مقبول الهجرة، مأجور عليها، ومن هاجر لغير ذلك من أمور الدنيا فهجرته مردودة غير مقبولة، ولا مأجور عليها، وقس على ذلك جميع الأعمال الصالحة، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَىٰ بِهِ وَجْهَهُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما قوله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلًا أَهْلَ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»^(٢).

الثانية: أن من عمل عملاً صالحاً موافقاً للسنة إذا لم يخلص فيه نيته، فإنه يكون مشركاً، قال ﷺ - فيما يرويه عن ربه -: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكُّهُ وَشُرْكُهُ»^(٣).

ويبطل بذلك عمله - وإن كان ظاهره خيراً - ولم يكن له

(١) جزء من حديث رواه النسائي برقم ٣١٤٠، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: إسناده جيد، الترغيب والترهيب (١/٦١).

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٦٤٩٣، وصحيح مسلم برقم ٢٦٥١، واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٩٨٥.

منه إلا النصب والتعب، كما قال تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ [الغاشية: ٣-٤].

الثالثة: بالنية تتميز العبادات بعضها عن بعض، فمن صلى الظهر بنية العصر لم يجزئه ذلك، وكذلك العكس، وإن كانت صورتها في الفعل واحدة، ومن صام يوماً من أيام رمضان ولم ينو منه لم يجزئه ذلك عن صوم الفرض على الراجح من أقوال أهل العلم.

وتتميز العبادات عن العادات ويختلف الحكم باختلافهما، فمن اغتسل ينوي بذلك التبريد لم يجزئه عن غسل الجنابة مثلاً، ومن أمسك عن المفطرات يوماً كاملاً ولم ينو بذلك التقرب إلى الله، وإنما كانت نيته التداوي ونحوه؛ لم يكن ذلك مسقطاً له عن فرض ولا مجزئاً عن مسنون.

فاحرص يا عبد الله على معرفة هذه القواعد والعمل بها تفوز بسعادة الدارين، وتسلم في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والأربعون

فوائد من حديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»^(١).

«وهذا الحديث اشتمل على فوائد جمعة، فمن ذلك:

- ١- أن الأشياء تنقسم إلى ثلاثة أقسام: حلال بين، وحرام بين، ومشتبه، وحكم كل نوع ومثاله أن نقول:
- الحلال البين: لا يلام أحد على فعله، ومثاله التمتع بما أحل الله من الحبوب والثمار واللباس وغيرها، فهذا

(١) صحيح البخاري برقم ٥٢، وصحيح مسلم برقم ١٥٩٩، واللفظ له.

حلال بَيِّنٌ ولا معارض له، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

- الحرام البين: وهذا يلام كل إنسان على فعله، ومثاله: شرب الخمر، وأكل الميتة والخنزير وما أشبه ذلك، فهذا حكمه ظاهر معروف، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَضْطَرَّرْتُمُ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

- وهناك أمور مشتبهة: وهذه محل الخلاف بين الناس، فتجد الناس يختلفون فيها، فمنهم من يحرم، ومنهم من يحلل، ومنهم من يتوقف، ومنهم من يفصل. ومثال المشتبه: شرب الدخان كان من المشتبه في أول ظهوره، لكن تبين الآن بعد تقدم الطب، وبعد أن درس الناس حال هذا الدخان قطعاً بأنه حرام، ولا إشكال عندنا في ذلك، وعلى هذا فالدخان عند أول ظهوره كان من الأمور المشتبهة ولم يكن من الأمور البينة، ثم تحقق تحريمه والمنع منه.

٢- أسباب الاشتباه أربعة:

أ- قلة العلم: فقلة العلم توجب الاشتباه؛ لأن واسع العلم يعرف أشياء لا يعرفها الآخرون.

ب- قلة الفهم: أي ضعف الفهم، وذلك بأن يكون صاحب علم واسع كثير، ولكنه لا يفهم، فهذا تشتبه عليه الأمور.

ج- التقصير في التدبر: بأن لا يتعب نفسه في التدبر والبحث
ومعرفة المعاني بحجة عدم لزوم ذلك.

د- سوء القصد: وهو أعظمها؛ بأن لا يقصد الإنسان إلا
نصر قوله فقط بقطع النظر عن كونه صواباً أو خطأً،
فمن هذه نيته فإنه يُحرم الوصول إلى العلم، نسأل الله
العافية؛ لأنه يقصد من العلم اتباع الهوى.

وهذا الاشتباه لا يكون على جميع الناس بدليلين: أحدهما
من النص وهو قوله ﷺ: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»، يعني:
وكثيرٌ يعلمهن، والثاني من المعنى، فلو كانت النصوص مشتبهة
على جميع الناس، لم يكن القرآن بياناً ولبقي شيء من الشريعة
مجهولاً، وهذا متعذر وممتنع.

٣- حكمة الله ﷻ في ذكر المشتبهات: حتى يتبين من كان
حريصاً على طلب العلم ومن ليس بحريص.

٤- أنه لا يمكن أن يكون في الشريعة ما لا يعلمه الناس كلهم:
لقوله ﷺ: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ».

٥- الحث على اتقاء الشبهات: لكن هذا مشروط بما إذا قام
الدليل على الشبهة، أما إذا لم يقم الدليل على وجود شبهة
كان ذلك وسواساً، لكن إذا وجد ما يوجب الاشتباه، فإن
الإنسان مأمور بالورع وترك المشتبه.

مثال ذلك: ما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن قومًا أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال: «سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُّوهُ»، قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر^(١).

فهنا هل نتقي هذا اللحم لأنه يُخشى أنهم لم يذكروا اسم الله عليه؟

الجواب: لا نتقيه، لأنه ليس هناك ما يوجب الاتقاء، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُّوهُ»، فكان في هذا نوعًا من اللوم عليهم، كأنه عليه الصلاة والسلام يقول: ليس لكم شأن فيما يفعله غيركم، بل الشأن فيما تفعلونه أنتم، فسموا أنتم وكلوا.

ومن هذا ما لو قدّم إليك يهودي أو نصراني ذبيحة ذبحها، فلا تسأل: أذبحتها على طريقة الإسلام أو لا، لأن هذا السؤال لا وجه له، وهو من التعمق.

ومن ذلك أيضًا: أن يقع على ثوب الإنسان أثر ولا يدري أنجاسة هو أم لا؟ فهل يتقي هذا الثوب أو لا يتقيه؟

الجواب: ينظر إذا كان هناك احتمال أن تكون نجاسة فإنه يتجنبه، وكلما قوي الاحتمال قوي طلب الاجتناب، وإذا لم

(١) أخرجه البخاري، برقم ٥٥٠٧.

يكن احتمال فلا يلتفت إليها، ولهذا قطع النبي ﷺ هذا بقوله حين سئل عن الرجل يشكل عليه أحدث أم لا وهو في الصلاة فقال: «لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا»^(١).

فالقاعدة: أنه إذا وجد احتمال الاشتباه وقوي، قوي تركه، وإن ضعف، ضعف تركه، ومتى لم يوجد احتمال أصلاً فإن تركه من التعمق في الدين المنهي عنه.

٦- أن الواقع في الشبهات واقع في الحرام: قوله ﷺ: «مَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

٧- حسن تعليم النبي ﷺ: وذلك بضرب الأمثال المحسوسة لتبين بها المعاني المعقولة، وهذه هي طريقة القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فمن حسن التعليم أن المعلم يقرب الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة، لقوله ﷺ: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ».

هل يؤخذ من قوله ﷺ: «يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى» إقراره للحمى؟

الجواب: أن هذا باب من الإخبار والوقوع، ولا يدل على

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٧، وصحيح مسلم برقم ٣٦١.

حكم شرعي، والنبي ﷺ قد يذكر الأشياء لوقوعها لا لبيان حكمها، ولهذا أمثلة أخرى: قول النبي ﷺ: «لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١)، فلا يعني ذلك أن ركوبنا سنن من كان قبلنا جائز، بل هو إخبار عن الواقع.

وأخبر النبي ﷺ بأن الطعينة أي المرأة تسير من كذا إلى كذا لا تخشى إلا الله، فلا يعني هذا أنه يجوز لها أن تسافر بلا محرم، لكن هذا ضرب مثل.

إذن نقول: هذا الحديث لا يدل على جواز الحمى لأنه ضرب مثل لواقع، وأما حكم الحمى فيتبين بذكر نوعيه وهما:
الأول: حمى لمصالح المسلمين، فهذا جائز.

الثاني: حمى يختص به الحامي، فهذا حرام؛ لأنه ليس له أن يختص بما كان عاماً.

مثال الأول: أن تُحمى هذه الأرض من أجل أن يُركز فيها أنابيب لإخراج الماء، فهذا جائز بلا شك، أو تُحمى أرض خصبة لدواب المسلمين، كدواب الزكاة والخيل للجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك.

مثال الثاني: إذا حماه لنفسه أو لبهائمه.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٨٩، وصحيح مسلم برقم ٢٦٦٩.

٨- أن حمى الله محارمه: يعني المحارم جعلها الله تعالى بمنزلة الحمى لا تُقرب، ولهذا قال العلماء: إذا قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالمراد بالحدود الحرمات، وإذا قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فالمراد بها الواجبات؛ لأن الله عز وجل جعل حدودًا محرمات لحفظ النفوس، وحدودًا واجبات لتزكية النفوس؛ لأن النفوس محتاجة إلى تزكية وحماية.

٩- سد الذرائع: أي أن كل ذريعة توصل إلى محرم يجب أن تغلق لئلا يحصل الوقوع في المحرم، وسد الذرائع دليل شرعي، جاءت به الشريعة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. فنهى عن سب آلهة المشركين لأنها ذريعة إلى سب الله تعالى، مع أن سب آلهة المشركين سبٌ بحق، وسب الله تعالى عدوٌ بغير علم.

١٠- أن من عادة الملوك أن يحموا: لقوله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى»، وقد سبق حكم الحمى آنفًا.

١١- تأكيد الجمل بأنواع المؤكدات إذا دعت الحاجة إلى هذا: فإذا قال قائل: إن التأكيد فيه تطويل، فتقول: التوكيد تطويل، ولكن إذا دعت الحاجة إليه صار من البلاغة، لقوله ﷺ: «أَلَا... أَلَا».

١٢- أن المدار في الصلاح والفساد على القلب: إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله.

ويتفرع على هذه الفائدة: أنه يجب العناية بالقلب أكثر من العناية بعمل الجوارح؛ لأن القلب عليه مدار الأعمال، والقلب هو الذي يُمتحن عليه الإنسان يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۙ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۙ﴾ [العاديات: ٩-١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۙ﴾ [يوم تَبْلَى السَّرَائِرُ ۙ] [الطارق: ٨-٩].

فطهر قلبك من الشرك والبدع والحقد على المسلمين والبغضاء، وغير ذلك من الأخلاق أو العقائد المنافية للشريعة، فإن القلب هو الأصل.

١٣- في الحديث رد على العصاة: الذين إذا نهوا عن المعاصي قالوا: التقوى هاهنا، وضرب أحدهم على صدره، فاستدل بحق على باطل؛ لأن الذي قال: «التَّقْوَى هَاهُنَا»^(١) هو النبي ﷺ، ومعناه في الحديث: إذا اتقى ما هاهنا اتقت الجوارح، لكن هذا يقول: التقوى هاهنا يعني أنه سيعصي الله، والتقوى تكون في القلب.

والجواب: عن هذا التشبيه والتلبيس سهل جداً بأن نقول: لو

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٤.

صلح ما هاهنا، صلح ما هناك؛ لأن النبي ﷺ قال: «...إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

١٤- أن تدبير أفعال الإنسان عائد إلى القلب: لقوله ﷺ: «...إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

وهل في هذا دليل على أن العقل في القلب؟

الجواب: نعم، فيه إشارة إلى أن العقل في القلب، وأن المدبر هو القلب، والقرآن شاهد بهذا، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ولكن كيف تعلقه بالقلب؟

الجواب: هذا شيء لا يُعلم، إنما نحن نؤمن بأن العقل في القلب كما جاء في القرآن، لكننا لا نعلم كيف ارتباطه به^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ص ١٣٦-١٤٢، وشرح بلوغ المرام للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٥/١٥٩)، بتصرف واختصار.

غزوة مؤتة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن الغزوات العظيمة التي خاضها المسلمون في عهده ﷺ غزوة مؤتة، وقد حدثت هذه الغزوة^(١) في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة^(٢).

وسبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ كان بعث الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه بكتابه إلى ملك بصرى، فعرض له وهو في الطريق شُرْحَيْبِل بن عمرو الغساني - وكان أميراً على البلقاء^(٣) من أرض الشام من قبل قيصر - فقال له: أين تريد؟

فقال الحارث بن عمير رضي الله عنه: الشام، قال: فلعلك من رسل

(١) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٠)، مؤتة: بضم الميم وسكون الواو. أه، وهي الآن قرية عامرة بالسكان شرقي الأردن.

(٢) لم يختلف في ذلك أحد. وانظر فتح الباري (٧/ ٥١١).

(٣) البلقاء: بفتح الباء وسكون اللام، وهي مدينة معروفة بالشام، انظر شرح المواهب (٣/ ٣٣٩).

محمد؟ فقال: نعم، فأمر به، فأوثق رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً^(١)، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ غيره.

وكان قتل السفراء والرسول من أشنع الجرائم، فقد جرت العادة والعرف بعدم قتلهم أو التعرض لهم^(٢)، فكانت هذه الحادثة بمثابة إعلان حالة الحرب على المسلمين، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين بلغه الخبر، فعند ذلك ندب^(٣) رسول الله ﷺ الناس لقتال الغساسنة، فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج، فكان قوام الجيش الذي خرج في هذه الغزوة ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي، لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب^(٤).

وأمر رسول الله ﷺ على هذا الجيش مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»، فقال جعفر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما كنت أرغب^(٥)

(١) كل من قُتل في غير معركة، ولا حرب، ولا خطأ، فإنه مقتول صبراً، انظر النهاية (٨/٣).

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٩٨٩، بسند قال فيه محققوه: صحيح بطرقه وشواهد عن نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ كتاب مسيلمة الكذاب، قال للرسولين: «فما تقولان أتما؟» قالوا: نقول كما قال، فقال رسول الله ﷺ: «والله لولا أن الرسل لا تقتل، لضربت أعناقكما».

(٣) يقال: ندبته فانتدب: أي بعثته ودعوته فأجاب. انظر النهاية (٥/٣٤).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٣٢٨)، فتح الباري (٧/٥١١).

(٥) هذه رواية ابن حبان في صحيحه برقم ٧٠٠٨. وفي رواية الإمام أحمد في مسنده برقم =

أن تستعمل علي زيدا^(١)، فقال رسول الله ﷺ: «امض، فإنك لا تدري في أي ذلك خير»^(٢).

وعقد رسول الله ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير رضي الله عنه، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم، وقتلوهم، فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف^(٣).

وصول جيش المسلمين إلى معان^(٤):

تحرك جيش المسلمين من المدينة إلى عدوهم في الشام، وبينما هم في الطريق إذ سمع بمسيرهم عدوهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف مقاتل، وقدم الطلائع أمامه، فلما نزل المسلمون معان من أرض الشام

= ٢٢٥٥١: أذهب.

(١) لم يبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية إلا أمره، فقد روى الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٥٨٩٨، وقال محققوه: إسناده حسن إن صح سماع البهي من عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم.

(٢) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٢٥٥١، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) الجرف: بضم الجيم، موضع قريب من المدينة. انظر النهاية (١/٢٦٢)، وانظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٤/٢١).

(٤) معان: بفتح الميم، مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. انظر: معجم البلدان (٨/٢٨٥).

بلغهم أن هرقل قد نزل مآب^(١) من أرض البلقاء في مائة ألف من لحم، وجدام، والقين، وتنوخ، وبلي، فكان قوام^(٢) جيش الغساسنة والروم مائتي ألف مقاتل^(٣).

ولم يكن المسلمون أدخلوا في حسابهم لقاء مثل هذا الجيش العرمرم^(٤)، الذي فوجئوا به، فأقاموا في معان ليلتين يُفكرون في أمرهم، وينظرون ويتشاورون، هل يكتبون لرسول الله ﷺ يخبرونه بعدد عدوهم، فإما أن يمدهم بالرجال، أو يأمرهم بأمره فيمضوا إليه، ولم يكن هناك رأي بالانسحاب، فانظروا الشجاعة والجرأة^(٥).

ف عند ذلك قام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وعارض هذا الرأي، وشجع الناس قائلاً: يا قوم! والله إن التي تكرهون للتي خرجتم

(١) مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء. انظر: معجم البلدان (٧/١٨٨).

(٢) قوام: قدر، انظر: لسان العرب (١١/٣٥٧).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٣٢٨)، البداية والنهاية (٦/٤١٢).

(٤) العرمرم: هو الكثير من كل شيء. انظر: لسان العرب (٩/١٧٢).

(٥) قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٤/٧٢): وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحجوش وأصناف السودان والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب.

تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور، وإما شهادة.

فقال الناس: قد صدق والله ابن رواحة، واستقر الأمر على مقاتلة العدو^(٦).

بدء القتال، وتناوب القادة:

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون مائتي ألف مقاتل، فعلاً معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب^(٧).

أخذ الراية زيد بن حارثة رضي عنه - حب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وجعل يقاتل بضرارة بالغة، وبسالة نادرة، والمسلمون معه يقاتلون حتى قُتل طعناً بالرماح، وخر شهيداً رضي عنه.

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي عنه، وطفق^(٨) يقاتل قتالاً ليس له مثيل، حتى إذا ألحمه^(٩) القتال نزل عن فرسه

(٦) انظر سيرة ابن هشام (٢٢/٤)، البداية والنهاية (٤١٦/٦).

(٧) انظر: الرحيق المختوم ص ٣٨٩.

(٨) طفق: جعل. انظر: لسان العرب (١٧٤/٨).

(٩) يقال: ألحم الرجل واستلحم: إذا نشب في الحرب فلم يجد له مخلصاً. انظر: النهاية (٢٠٦/٤).

الشقراء فعفرها^(١)، فكان أول فرس يُعقر في الإسلام^(٢)، ثم أخذ
يقاتل رضي عنه على رجليه، وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدُ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِنْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقطعت يمينه رضي عنه، فأخذ الراية بشماله، فقطعت
شماله رضي عنه، فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد رضي عنه،
فأثابه الله سبحانه بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث
شاء، ولذلك سُمي بجعفر الطيار^(٣).

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضيما قال:
«... كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْعَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ،
فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلِ، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتَسْعِينَ مِنْ
طَعْنَةٍ وَرَمِيَّةٍ»^(٤).

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري عن نافع أن ابن
عمر رضيما أخبره: «أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرَ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ قَتِيلٌ،

(١) أصل العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم. انظر: النهاية (٣/٢٤٥).

(٢) أخرج عقر جعفر رضي عنه فرسه، أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الدابة تعقر في
الحرب برقم ٢٥٧٣، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٧/٥١١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٣٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة برقم ٤٢٦١.

فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ، بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ
-يَعْنِي فِي ظَهْرِهِ»^(١).

قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث بيان فرط شجاعته
وإقدامه رضي عنه ^(٢).

ثم أخذ الراية **عبد الله** بن رواحة رضي عنه، وتقدم بها، وهو
على فرسه، فتردد رضي عنه بعض التردد من شدة أمر المعركة، ثم
أخذ يقول:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهُ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّئَةَ^(٣) مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
وقال أيضا رضي عنه:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامٌ^(٤) الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَمَنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ

ثم نزل، فأتاه ابن عم له بعرق^(٥) من لحم، فقال: شُدَّ بهذا
صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة برقم ٤٢٦٠.
(٢) انظر: فتح الباري (٥١٢/٧).
(٣) أجلب الناس: تجمعوا وتألّبوا. انظر النهاية (١/٢٨٢)؛ الرنة: الصيحة الشديدة، انظر:
لسان العرب (٥/٣٣٤).
(٤) الحمام: بكسر الحاء، أي قضاء الموت وقدره، انظر: لسان العرب (٣/٣٣٩).
(٥) العرق: بفتح العين وسكون الراء: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم، انظر: لسان العرب
(٩/١٦٢).

ثم انتهس^(١) منه نهسة، ثم سمع الحطمة^(٢) في ناحية الناس، فألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتل رضي عنه ^(٣).

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَسْرُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ^(٤).

الراية إلى سيف الله المسلول:

فلما سقطت الراية باستشهاد **عبد الله** بن رواحة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُكلف أحداً بحملها بعده، تقدم ثابت بن أقرم رضي عنه، وحمل الراية، وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضي عنه.

وفي رواية أخرى أن المسلمين لما قُتل **عبد الله** بن رواحة رضي عنه تفرقوا وانهزموا حتى لم يراثنان جميعاً، فتقدم ثابت بن أقرم رضي عنه، فأخذ الراية، ثم سعى بها وأعطها خالد ابن الوليد رضي عنه، فقال له خالد: لا آخذها منك، أنت أحق بها، لك سن، وقد شهدت بدرًا، فقال ثابت: **والله** يا خالد ما أخذتها

(١) النهس: هو أخذ اللحم بمقدم الأسنان، انظر: لسان العرب (٣٠٦/١٤).

(٢) حطمة الناس: أي ازدحامهم، انظر: لسان العرب (٢٢٧/٣).

(٣) أخرجه مختصرًا ابن ماجه في سننه برقم ٢٧٩٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٢٢٥٢.

(٤) ذرفت العين: إذا جرى دمعها. انظر: النهاية (١٥٩/٢)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة برقم ٢٧٩٨.

إلا لك، أنت أعلم بالقتال مني، فأخذ خالد بن الوليد رضي الله عنه الراية^(١).

فلما أخذ خالد رضي الله عنه الراية واجتمع المسلمون إليه، قاتل الكفار قتالاً شديداً، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال: «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»^(٢).

وفي لفظ: «لَقَدْ دُقَّ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةَ أَسْيَافٍ، وَصَبَرْتُ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ لِي يَمَانِيَّةٌ»^(٣).

قال الحافظ في الفتح: وهذا الحديث عن خالد رضي الله عنه يقتضي أن المسلمين قتلوا من المشركين كثيراً^(٤).

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وهذا يقتضي أنهم أثنوا^(٥) فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل، والله أعلم»^(٦).

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٤٤٦)، سيرة ابن هشام (٤/٢٧)، شرح المواهب (٣/٣٤٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة برقم ٤٢٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة برقم ٤٢٦٦.

(٤) انظر: فتح الباري (٧/٥١٦).

(٥) الإثخان في الشيء: المبالغة فيه والإكثار منه، والمراد به هاهنا: المبالغة في قتل الكفار، انظر: النهاية (١/٢٠٨).

(٦) انظر: البداية والنهاية (٦/٤٣٥-٤٣٦).

عبقرية خالد رضي الله عنه في القتال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخبر أصحابه بالمدينة - وقد جاءه الوحي بذلك - : «... حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(١).

قال أبو قتادة رضي الله عنه: «فمن يومئذ سُمي خالد بن الوليد سيف الله»^(٢).

وقد استطاع خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يثبت أمام هذا الطوفان من العدو طول النهار، فلما أصبح جعل مقدمة الجيش ساقه، وساقته مقدمة، وميمينته ميسرة، وميسرته ميمنة، فلما لقوا العدو في اليوم التالي أنكر عدوهم حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فلما حمل خالد رضي الله عنه عليهم هزمهم الله أسوأ هزيمة، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، ثم انحاز خالد رضي الله عنه وانسحب بجيشه شيئاً فشيئاً، حتى انصرف إلى المدينة، ولم يُصب في جيشه أحد خلال هذا الانسحاب^(٣).

وليس في الدنيا قائد يستطيع أن يُنقذ هذه القبضة من الرجال - بقية الثلاثة آلاف - من وسط هذا اللجج^(٤)، إلا أن يأتي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة برقم ٤٢٦٢.
 (٢) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٢٥٥١، وقال محققوه: صحيح لغيره.
 (٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢٧/٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٦/٤)، البداية والنهاية (٤٣٠/٦).
 (٤) اللُّجج: معظم الماء، حيث لا يدرك قعره، ولج البحر عرضه، ولج الليل شدة ظلمته وسواده. المعجم الوسيط ص ٨١٦.

بأعجوبة، وقد أتى بها خالد، واستطاع أن يخرج من لجة^(١) البحر من غير أن يبتل، وأن ينسحب من وسط **الله** من غير أن يحترق، وأن يُسجل هذه المنقبة في تاريخ الحروب^(٢)^(٣).

قال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع ﷺ

يرثي من استشهد:

كَفَى حُزْنًا أَنِّي رَجَعْتُ وَجَعَفَرُ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي رَمْسٍ^(٤) أَقْبَرُ
قَضَوْا نَجْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخَلَّفْتُ لِبَلْوَى مَعَ الْمُتَغَبِّرِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) لجة البحر: معظمه. انظر: النهاية (٤/٢٣٣).

(٢) انظر: كتاب رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ، ص ٤٧.

(٣) أحداث الغزوة مستفادة من كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للشيخ موسى العازمي (٣/٥٨٣-٥٩٨) مع حذف وإضافة.

(٤) رمس: الرمس خفي القبر. شرح غريب السيرة (٣/٦٩).

غزوة مؤتة - دروس وعبر (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكمالاً للحديث عن غزوة مؤتة، هذه بعض الفوائد المستفادة من هذه الغزوة العظيمة المباركة:

١- «أن هذه المعركة أول صدام مسلح بين المسلمين والنصارى من عرب وعجم، وأثرت تلك المعرفة على مستقبل الدولة الرومانية، وكانت مقدمة لفتح بلاد الشام، وهي خطوة عملية قام بها النبي ﷺ للقضاء على دولة الروم المتجبرة، فقد هزت هيبتها في قلوب العرب، وأعطت درساً في الروح المعنوية العالية لجيوش المسلمين»^(١).

٢- المشاورة منهج نبوي أمر الله به، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد عمل الصحابة بذلك عندما وصلوا إلى معان، ووجدوا أنفسهم أمام هذا الجيش العرمرم

(١) الصراع مع الصليبيين للشيخ محمد عبد القادر ص ٦٤ بتصرف.

فتشاوروا، هل يكتبون لرسول الله ﷺ يخبرونه بعدد عدوهم، وأشار عبد الله بن رواحة في المواصله، وقاتل العدو، فكان بذلك الفتح.

٣- قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وهذا عظيم جدًا أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلًا، وقد قُتل من المشركين خلقٌ كثيرٌ، فهذا خالد وحده يقول: لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف، وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية^(١)، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟

دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان، وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ [آل عمران: ١٣]»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٣٨٣.

(٢) انظر كلام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في البداية والنهاية (٦/٤٦٠-٤٦١).

٤- من المعجزات العظيمة التي حصلت في هذه الغزوة، إخبار النبي ﷺ بتفاصيل المعركة وهو يخطب بالمدينة والمعركة بالشام، وكانت هذه من أعلام النبوة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: «... ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر، وأمر أن يُنادى: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس، قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلِقُوا، حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ، فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ»، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، «ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ»^(١) جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَشَدَّ^(٢) عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثَبَتْ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمْرَاءِ هُوَ أَمَرَ نَفْسَهُ، ثُمَّ مَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِكَ، فَانصُرْهُ»^(٣).

وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ مِنْ بَعْدِهِ - أَيِّ مِنْ بَعْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه - سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(٤).

(١) في رواية الطحاوي في شرح مشكل الآثار، قال: الراية.

(٢) الشد: الحمل على العدو. انظر النهاية (٢/٤٥١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٢٥٥١، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) صحيح البخاري برقم ٤٢٦٢.

٥- اختلف أهل التاريخ في المراد بقوله: «حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»، هل كان القتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحياز خالد رضي الله عنه بالمسلمين حتى رجعوا إلى المدينة سالمين.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «يمكن الجمع بأن خالدًا لما حاز المسلمين وبات، ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاء لهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا، فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى»^(١).

٦- شجاعة القائد، وثباته في القتال مما يقوي عزيمة جنوده، ويشد من أزرهم لقتال العدو، وهذا ما حدث مع القادة الثلاثة ثم انتقالها إلى خالد بن الوليد، فقد أبلوا جميعًا بلاءً عظيمًا، كان له أعظم الأثر في ثبات المسلمين وقوتهم.

٧- أن الإيمان والعمل الصالح من أعظم أسباب النصر؛ ولذلك وعد الله المؤمنين الصالحين بالنصر في غير آية من كتاب الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

٨- أن التوكل على الله من أعظم أسباب النصر، قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ

(١) البداية والنهاية (٦/ ٤٣٠).

بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وهذا ما حصل في غزوة مؤتة، فإن الصحابة على قلة عَدَدِهِمْ وَعَدَدِهِمْ مقابل عدوهم، إلا أنهم توكلوا على الله وقاتلوا، ففتح الله عليهم.

٩- أن قلة عدد جيش المسلمين أمام عدوهم لا يعني ضعفهم وهزيمتهم، ففي الآية الكريمة: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

١٠- أن الصحابة قدموا أنفسهم وأموالهم فداء لهذا الدين، فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أحد القادة الثلاثة ضرب بضعا وتسعين، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهو صابر محتسب حتى فارق الحياة، قال تعالى: ﴿مَنْ أَلْمَمِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

١١- عظم منزلة هؤلاء القادة الثلاثة عند ربهم لقوله ﷺ: «مَا يَسْرُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»^(١)، لما رأوا من فضل الشهادة.

١٢- أن الله عوض جعفر بن أبي طالب عن يديه المقطوعتين عندما كان يحمل الراية بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي

(١) صحيح البخاري برقم ٢٧٩٨.

هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ جَعْفَرًا يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ»^(١). وهذه منقبة عظيمة له رضي عنه، وفي صحيح البخاري أن ابن عمر كان إذا سلم على **عبد الله** بن جعفر يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذَا الْجَنَاحَيْنِ»^(٢). قال أبو **عبد الله**: الجناحان: كل ناحيتين.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول **الله** صلى الله عليه وسلم: «مَرَّ بِي جَعْفَرُ اللَّيْلَةَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مُخَضَّبٌ»^(٣) الجناحين بالدم»^(٤).

١٣- «أن في تعيين الرسول صلى الله عليه وسلم لثلاثة أمراء على جيش سرية مؤتة لدليل على جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب.

١٤- في نعي الرسول صلى الله عليه وسلم الأمراء الثلاثة قبل مجيء خبرهم فيه جواز الإعلام بموت الميت، ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه.

١٥- في تأمير المسلمين لخالد بن الوليد بعد استشهاد الأمراء

(١) برقم ٣٧٦٣، وقال الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٢٦: حديث صحيح له طرق.

(٢) برقم ٣٧٠٩.

(٣) مخضب: مبلل، انظر: لسان العرب (٤/١١٧).

(٤) مستدرک الحاكم (٤/٢٢٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وحسنه الحافظ في الفتح (٧/٧٦).

الثلاثة، دليل على جواز الاجتهاد في حياة الرسول ﷺ وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة.

١٦- إن ظهور الحزن على رسول الله ﷺ عندما جاءه خبر استشهاد الأمراء الثلاثة، لدليل على ما جعله الله فيه من الرحمة، ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء، ويؤخذ منه أن ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرج عن كونه صابراً إذا كان مطمئناً، بل قد يقال: إن من كان ينزعج بالمصيبة، ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلاً»^(١).

١٧- فضيلة خالد بن الوليد ومن ذكر معه من الصحابة، حيث قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانصُرْهُ»^(٢).

١٨- «لقد تضمنت غزوة مؤتة دروساً وخبرات عظيمة في لقاء المسلمين الأول مع الروم، أفادوا منها كثيراً في مستقبل جهادهم معهم، حيث تعرفوا على قوتهم وخطتهم وطبيعة أرضهم التي يقاتلون عليها»^(٣).

١٩- روى الإمام أحمد في مسنده وأصله في صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: «خَرَجْتُ مَعَ

(١) فتح الباري (٧/٥١٣).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٨٩.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري (٢/٤٧٠).

مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ،
 وَرَافَقَنِي مَدَدِيٌّ^(١) مِنَ الْيَمَنِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ سَيْفِهِ، فَنَحَرَ رَجُلًا
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَزُورًا، فَسَأَلَهُ الْمَدَدِيُّ طَائِفَةً مِنْ جِلْدِهِ،
 فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقِ^(٢)، وَمَضَيْنَا فَلَقِينَا جُمُوعَ
 الرُّومِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشَقَرٌ، عَلَيْهِ سَرَجٌ مُذْهَبٌ
 وَسِلَاحٌ مُذْهَبٌ، فَجَعَلَ الرَّومِيُّ يُغْرِي بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَعَدَ
 لَهُ الْمَدَدِيُّ خَلْفَ صَخْرَةٍ، فَمَرَّ بِهِ الرَّومِيُّ فَعَرَقَبَ فَرَسَهُ^(٣)،
 فَخَرَّ وَعَلَاهُ، فَقَتَلَهُ، وَحَازَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ.. الحديث»^(٤).

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وفي هذه القصة دليل على أن المسلمين
 غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم»^(٥).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مددي: منسوب إلى المدد وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في
 الجهاد. النهاية (٤/٣٠٨).

(٢) الدرق: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب.

(٣) أي قطع عرقوبه: وهو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات
 الأربع، وهو من الإنسان فويق العقب. النهاية (٣/٢٢١).

(٤) مسند الإمام أحمد برقم ٢٣٩٩٧، وقال محققوه: إسناده صحيحان.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٦/٤٣٤-٤٣٥).

غزوة حنين^(١) (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

غزوة حنين، ويقال لها غزوة أوطاس^(٢)، وهو الموضع الذي كانت به الوقعة في آخر الأمر، ويقال لها أيضاً: غزوة هوازن^(٣).

قال ياقوت الحموي رَحِمَهُ اللهُ: «أوطاس وادٍ في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن».

وقال ابن شبيب: «الغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من حد أوطاس إلى

(١) قال الحافظ في الفتح (٢٧/٨) حنين: بالتصغير، وادٍ إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات.

(٢) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن، وهناك عسكروا هم وثقيف، ثم التقوا بحنين، انظر: فتح الباري (٣/٨).

(٣) هوازن: بفتح الهاء، وكسر الزاي قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون، سميت الغزوة بها؛ لأنهم هم الذين أتوا لقتال النبي ﷺ وجمعوا الحربه، انظر: شرح المواهب (٣/٤٩٧).

القريتين»^(١).

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، وخضعت له قريش، خاف أشراف هوازن وثقيف أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فحشدوا وعزموا على قتاله^(٢).

واجتمعت إلى هوازن وثقيف جموع كثيرة من القبائل وهم: نصر، وسعد بن بكر - وهم الذين استرضع فيهم رسول الله ﷺ - وناس من هلال، وفي بني جُشم رجل يقال له دُرَيْدُ بن الصَّمَّة^(٣) شيخ كبير قد عمي، ليس فيه شيء إلا التيمن^(٤) برأيه، ومعرفته بالحرب، وكان شجاعاً مجرباً، وفي ثقيف سيدان لهم، في الأحلاف: قارب بن الأسود، وفي بني مالك: ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث، وأخوه أحمر بن الحارث، وقد بلغ جيش الكفار عشرين ألفاً، وكان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى^(٥)، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة.

فلما أجمع مالك بن عوف السير إلى رسول الله ﷺ أمر

(١) معجم البلدان (١/٢٢٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/٢٧)، سيرة ابن هشام (٤/٨٧)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٢٤).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/٤٣)، دُرَيْدُ: بضم الدال، والصمة: بكسر الصاد وتشديد.

(٤) التيمن: بتشديد الميم: أي الابتداء في أخذ رأيه. انظر: لسان العرب (١٥/٤٥٧).

(٥) أسلم مالك بن عوف رضي الله عنه بعد ذلك، وكان من المؤلفة قلوبهم، وصحب رسول الله ﷺ، ثم شهد القادسية، وفتح دمشق، انظر: الإصابة (٩/٤٧٣-٤٧٥).

الناس أن يسوقوا معهم أموالهم، ونساءهم، وأبناءهم، فسار بهم حتى نزلوا بأوطاس^(١).

فقال له دُرَيْد بن الصمة: أين مالك؟ فدُعي إليه فقال له: يا مالك! إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير^(٢)، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟^(٣) فقال مالك: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال مالك: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم، فقال له دُرَيْد: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم يتبعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، فقال مالك بن عوف: لا والله لا أفعل ذلك، إنك كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأنكئن إلى هذا السيف حتى يخرج من ظهري، قالوا: أطعناك، فقال دُرَيْد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

ثم أمر مالك بن عوف بالخيال فُصِّت، ثم صُفَّت المقاتلة، ثم صُفَّت النساء من وراء ذلك ثم صُفَّت النعم، ثم قال للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا عليهم شدة

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٨٧/٤)، زاد المعاد (٤٠٨/٣).

(٢) الرغاء: بضم الراء، صوت الإبل، لسان العرب (٢٦١/٥).

(٣) يُعار: بضم الراء، هو صوت المعز، النهاية في غريب الحديث (٢٩٧/٥).

رجلٍ واحد^(١).

فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماع هوازن، بعث عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي رضي عنه، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد رضي عنه، فدخل في هوازن، فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر^(٢).

وبعد أن جمع رسول الله ﷺ المعلومات العسكرية المطلوبة عن جيش هوازن، استعد لمواجهةهم، فاستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية - وكان ما زال مشرگا - أدرعًا وسلاحًا، فقال صفوان: أغضبًا يا محمد؟ قال رسول الله ﷺ: «بَلْ عَارِيَةٌ مَّضْمُونَةٌ»، فأعار صفوان رسول الله ﷺ مائة درع^(٣).

وروى ابن ماجه في سننه، والإمام أحمد في مسنده عن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، عن

(١) أخرج قصة قدوم هوازن بالصبيان والنساء والإبل والنعم: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم برقم ١٠٥٩، والإمام أحمد في مسنده برقم ١٢٩٧٧، والطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٤٧٨٦، والطيالسي في مسنده برقم ٢١٩٢، وغيرهم.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٨٩/٤).

(٣) أخرج استعارة رسول الله ﷺ السلاح من صفوان بن أمية: الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٣٠٢، وقال محققوه: حديث حسن.

أبيه عن جده أن النبي ﷺ استسلف منه حين غزا حُنينًا ثلاثين أو أربعين ألفًا، فلما قدم قضاها إياه، ثم قال له النبي ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلْفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ»^(١).

وبعد أن أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا^(٢)، خرج إلى حنين يوم السبت لست ليالٍ خلون من شهر شوال سنة ثمان للهجرة، واستعمل عتاب بن أسيد رضي عنه أميرًا على مكة، وهو أول أمير في الإسلام على مكة^(٣).

ومع رسول الله ﷺ اثنا عشر ألفًا من المسلمين: عشرة آلاف الذين جاؤوا معه من المدينة لفتح مكة، وألفان من أهل مكة وهم الطلقاء^(٤)، وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام، لم يتمكن الإسلام من قلوبهم^(٥)، وخرج مع رسول الله ﷺ ناس من

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصدقات، باب حسن القضاء برقم ٢٤٢٤، والإمام أحمد في مسنده برقم ١٦٤١٠، وقال محققوه: إسناده صحيح على قلب في اسم أحد رواته.

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح برقم ٤٢٩٨، ٤٢٩٩.

(٣) أخرج استعمال رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة: الطيالسي في مسنده برقم ١٤٥٣، وأورده الحافظ في الإصابة (٦٣/٧) وحسن إسناده.

(٤) قال الإمام النووي رحمته تعالى في شرح مسلم (١٥٨/١٢): الطلقاء: بضم الطاء وفتح اللام، وهم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح، سموا بذلك؛ لأن النبي ﷺ من عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعف.

(٥) سيأتي بعد قليل عن الحديث على شجرة ذات أنواط ما يدل على أن الإسلام لم يتمكن من قلوبهم.

المشركين مثل: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو.. وغيرهم.
ويعتبر هذا الجيش أكبر جيش إسلامي يخرج في حياة
رسول الله ﷺ إلى ذلك الحين، ولهذا ساد شعور عند بعض
الناس (١) أنهم لن يُغلبوا (٢) من قلة (٣).

قصة نبي من الأنبياء:

فلما علم رسول الله ﷺ بما وقع في قلوب بعض المسلمين
من هذا الشعور، وهو الافتخار بكثرتهم والاعتماد عليها، قال
لهم: «إِنَّ نَبِيًّا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ أُمَّتُهُ، فَقَالَ: لَنْ يَرُومَ (٤)
هَؤُلَاءِ شَيْءٌ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيْرُهُمْ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا

(١) قيل إن القائل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل العباس رضي الله عنه، وقيل سلمة بن وقش رضي الله عنه،
وكلها روايات ضعيفة.

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٦٨٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال
رسول الله ﷺ: «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربع مئة، وخير الجيوش أربعة
آلاف، ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة». يعني: لا يهزم جيش قوامه اثنا عشر ألفاً بسبب
قلة عددهم إذا صبروا وصدقوا، وقال محققوه: حسن لغيره، وقد اختلف في تصحيحه
وتضعيفه وبعضهم يرى إرساله.

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٤/١٢٥): ويوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع
هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً، فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم
أنزل الله نصره وتأييده على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين الذين معه؛ ليعلمهم أن النصر
من عنده سبحانه وتعالى وحده بإمداده، وإن قل الجمع ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ
فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. تفسير ابن كثير رحمته الله
(١٦٦/٧)، باختصار.

(٤) رام الشيء: طلبه، انظر لسان العرب (٥/٣٧٧).

أَنْ أَسْلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ، أَوْ الْجُوعَ، أَوْ الْمَوْتَ»، قَالَ: «فَقَالُوا: أَمَّا الْقَتْلُ أَوْ الْجُوعُ فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَاتَ فِي ثَلَاثِ سَبْعُونَ أَلْفًا»^(١).

شجرة ذات أنواط^(٢):

وفي الطريق إلى حنين رأوا شجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط، كانت العرب تُعلق عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها ويعكفون عليها، فقال بعض الناس من الطلقاء ممن هم حديثو عهد بالجاهلية: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إِنَّهَا السُّنَنُ^(٣)، لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً»^(٤).

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٨٩٣٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ذات أنواط: هو اسم شجرة بعينها كانت للمشركين بنوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها. انظر النهاية (١٢٨/٥).

(٣) السنة: الطريقة: أي ستتبعون طريقتهم. انظر النهاية (٤٠٩/٢).

(٤) أخرج هذا الحديث أحمد في مسنده برقم ٢١٨٩٧، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أكمل رسول الله ﷺ مسيره إلى حنين، فأطنب^(١) السير حتى كان عشية، فحضرت الصلاة، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله! إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم^(٢) بظعنهم^(٣)، ونعمهم^(٤)، ونسائهم اجتمعوا في حنين، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: « تِلْكَ غَنِيْمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ »^(٥).

ثم أكمل رسول الله ﷺ بجيشه حتى وصل إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شوال.

ولما كان من الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه، فعبأهم في وادي حنين، وكان قد سبق المسلمين إليه، وفرّق الناس فيه، وأوعز إليهم أن يرشقوا المسلمين بالنبل أول ما يطلعون، ثم يحملوا عليهم حملة رجل واحد.

وفي السحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه، وعقد الألوية

(١) أطنب في السير: إذا أبعده، انظر لسان العرب (٨/٢٠٦).

(٢) يقال: جاء القوم على بكرة أبيهم: إذا جاؤوا بأسرهم ولم يتخلف منهم أحد، انظر جامع الأصول لابن الأثير (٨/٣٨٣).

(٣) الظعن: بضم الظاء: النساء، واحدها: ظعينة، انظر النهاية (٣/١٥٧).

(٤) النعم: بفتح النون والعين: النعم في الأصل الإبل، وقد تقع على البقر والغنم، انظر جامع الأصول لابن الأثير (٨/٣٨٤).

(٥) أخرج ذلك أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في فضل الحرس في سبيل الله تعالى برقم ٢٥٠١، وقال الحافظ في الفتح (٨/٢٧): إسناده حسن.

والرايات، ورتب جنده في هيئة صفوف منتظمة، وركب رسول الله ﷺ بغلته البيضاء - التي أهداها له فروة بن نفثة الجذامي - ولبس درعين، والمغفر والبيضة، واستقبل الصفوف، وطاف عليهم، فأمرهم وحضهم على القتال، وبشرهم بالفتح إن صبروا وصدقوا.

واستعمل رسول الله ﷺ على بني سليم خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجعرانة^(١).

وفي صحيح مسلم قال أنس رضي الله عنه: وعلى مجنبة خيلنا خالد ابن الوليد رضي الله عنه^(٢).

هزيمة المسلمين وفرارهم:

بدأ المسلمون ينحدرون في وادي حنين - وكان منحدرًا شديدًا - وذلك في عماية الصبح^(٣)، وهم لا يدرون بوجود كمائن العدو في مضائق هذا الوادي وأحنائه^(٤)، وشعابه، فما راعهم^(٥) وهم ينحطون إلا الكتاب قد شدت عليهم شدة رجل واحد،

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٢٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام برقم ١٠٥٩.

(٣) عماية الصبح: بقية ظلمة الليل، انظر النهاية (٣/٣٠٥).

(٤) أحناء الوادي: منعطفه. انظر النهاية (١/٤٥٥).

(٥) فما راعهم: أي فما فاجأهم.

وبدأ الضرب بخالد بن الوليد رضي الله عنه حتى سقط، وانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة، وهم الطلقاء، وبدأ الفرار من كل مكان^(١).

قال جابر رضي الله عنه: «فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢).

وفي صحيح مسلم قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاءً لَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشَقًا^(٣) مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ»^(٤).

فلما رأى أبو سفيان بن حرب هزيمة المسلمين، وكان قد اعتزل هو وصفوان بن أمية، وحكيم بن حزام، ورجال من أهل مكة، وراء تل ينظرون لمن يكون النصر، فقال - وكان حديث عهد بالإسلام: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلدة بن الحنبل^(٥) وهو مع أخيه لأمه صفوان بن أمية: ألا بطل

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٠٢٧، وابن حبان في صحيحه، برقم ٤٧٧٤ بمعناه، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٢) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٠٢٧، وإسناده حسن.

(٣) رشقه رشقاً: إذا رماه بالسهم. انظر النهاية (٢/٢٠٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين برقم ١٧٧٦.

(٥) كان كلدة بن الحنبل رضي الله عنه في ذلك الوقت مشركاً، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، روى الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٤٢٥ بسند صحيح عن كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلباء وجداية وضغائيس، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى الوادي، قال: فدخلت عليه، ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع فقل: السلام عليكم، =

السحر اليوم، فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك^(١)، فوالله لأن يرُبني^(٢) رجل من قريش أحب إلي من أن يرُبني رجل من هوازن^(٣).

ثبات رسول الله ﷺ:

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وثبت معه نفر قليل من المهاجرين والأنصار^(٤)، وأهل بيته، فيهم: أبو بكر، وعمر،

= أدخل؟»، اللبأ: أول ما يحلب عند الولادة. انظر النهاية (١٩٢/٤).
الجداية: بفتح الجيم وكسرهما، ما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر من أولاد الظباء ذكراً كان أو أنثى بمنزلة الجددي من المعز. انظر النهاية (٢٤١/١).
الضغاييس: هي صغار القثاء: واحدها ضغبوس. انظر النهاية (٨٢/٣).
(١) فض الله فاك: أي كسر أسنانك وأسقطها. انظر النهاية (٤٠٦/٣).
(٢) يرُبني: أي يكون علي أميراً وسيداً، انظر النهاية (١٦٦/٢)، وهذه رواية الطحاوي في شرح مشكل الآثار، وفي رواية ابن حبان في صحيحه قال: لأن يليني.
(٣) أخرج ذلك ابن حبان في صحيحه برقم ٤٧٥٤، وقال محققه: حسن، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤١٢/٦).

(٤) روى الترمذي في جامعه وقال: حديث حسن صحيح برقم ١٦٨٩ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا يوم حنين، وإن الفئتين لموليتان، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل، قال الحافظ في الفتح (٢٩/٨-٣٠): هذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين، وروى أحمد في مسنده بسند ضعيف برقم ٤٣٣٦، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، وهذا لا يخالف حديث ابن عمر، فإنه نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين، وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم أنه ثبت معه اثنا عشر رجلاً فكأنه أخذه مما ذكر ابن إسحاق في السيرة (٩٣/٤): أنهم كانوا عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط، ولعل هذا هو الثبت، ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم. أهـ

وعلي بن أبي طالب والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأخذ رسول الله ﷺ ينادي: «إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ! هَلُمُّوا إِلَيَّ! أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، لكن لم يلتفت منهم أحد^(١).

ثم أخذ رسول الله ﷺ يركض ببغلته^(٢) قِبَلِ الْمُشْرِكِينَ، وهو يقول:

«أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»^(٣)

والعباس رضي الله عنه أخذ بلجام بغلته ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بركابها يكفانها عن الإسراع نحو العدو، وهو ﷺ

(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٠٢٧، ٢٢٤٦٧، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) ومما يُنبه عليه هنا أن البغلة البيضاء التي كان عليها رسول الله ﷺ في حنين غير البغلة البيضاء التي أهداها له ملك أيلة؛ لأن ذلك كان في تبوك، وغزوة حنين كانت قبلها، ووقع في صحيح مسلم برقم ١٧٧٥، أن البغلة التي كانت تحته ﷺ في حنين أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، وهذا هو الصحيح.

ووقع عند ابن سعد في طبقاته (٢/٣٢٥): أن البغلة التي ركبها رسول الله ﷺ يوم حنين هي (دلدل) وهي التي أهداها له المقوقس، وهذا فيه نظر، والصحيح ما في صحيح مسلم. فتح الباري (٨/٣٠).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/٣١): وأما نسبه ﷺ إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس؛ لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر بخلاف عبد الله فإنه مات شاباً، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب، كما قال ضمام بن ثعلبة: أيكم ابن عبد المطلب؟

لا يألو يسرع نحو المشركين^(١).

«وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى^(٢)، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع ذلك على بغلته، وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضًا يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلاً عليه، وعلمًا منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان»^(٣).

ثم نزل رسول الله ﷺ عن بغلته، فاستنصر ربه ودعاه قائلاً: «اللَّهُمَّ! نَزَلْ نَصْرَكَ»^(٤)، اللَّهُمَّ إِنَّ شَيْئًا أَنْ لَا تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٥). وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ»^(٦)، وَبِكَ أَصَاوِلُ»^(٧).

(١) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المغازي باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ برقم ٤٣١٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين برقم ١٧٧٥.

(٢) حومة القتال: معظمه وأشد موضع فيه، انظر لسان العرب (٣/٤٠٧)، والوغى: الحرب نفسها، انظر لسان العرب (١٥/٣٥٣).

(٣) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/١٧٠).

(٤) صحيح مسلم برقم ١٧٧٦.

(٥) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٢٢٢٠، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) أحاول: هو من المفاعلة، وقيل المحاولة: طلب الشيء بحيلة، انظر النهاية (١/٤٤٤).

(٧) هذه رواية الإمام أحمد في مسنده، وفي رواية ابن حبان في صحيحه: (أصول).

أصول: أي أسطو وأقهر، والصولة: الحملة والثوبة، انظر النهاية (٣/٥٧).

وَبِكَ أُقَاتِلُ» (١).

وأخذ رسول الله ﷺ يقاتل، والصحابة الذين ثبتوا يقاتلون معه، ويتقون به لشجاعته وثباته ﷺ كعادتهم في مثل هذه المواقف الصعبة.

قال البراء بن عازب رضي عنه: «كنا، والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به -يعني النبي ﷺ» (٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي عنه: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه» (٣)(٤).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٨٩٣٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب الخروج وكيفية الجهاد برقم ٤٧٥٨.

(٢) أخرج ذلك مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين برقم ١٧٧٦.

(٣) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٣٤٧، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) أحداث هذه الغزوة مستفادة من كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للشيخ موسى العازمي (٤/١٠٦-١٢١) باختصار مع الحذف والإضافة.

غزوة حنين (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكمالاً للحديث عن غزوة حنين: قال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه، وكان رجلاً صبيّاً^(١): «يَا عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ»^(٢).

وفي رواية أخرى قال أنس رضي الله عنه: فنادى رسول الله ﷺ: «يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! يَا لَلْمُهَاجِرِينَ»، ثم قال: «يَا لَلْأَنْصَارِ! يَا لَلْأَنْصَارِ»^(٣).

فلما سمع المسلمون نداء العباس رضي الله عنه أقبلوا، وهم يقولون: لبيك لبيك.

(١) صبيّاً: أي شديد الصوت عاليه. انظر النهاية (٣/٦٠).

(٢) أخرج ذلك مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين برقم ١٧٧٥، قال النووي في شرح مسلم (١٢/٩٨): السمرة: بفتح السين وضم الميم. هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام برقم ١٣٦/١٠٥٩.

ويذهب الرجل ليُثني بغيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وثرسه، ويقتحم عن بغيره، ويُخَلِّي سبيله، فيؤم^(١) الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ^(٢).

قال العباس رضي عنه: «فوالله لكأن عطفتم^(٣)، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها»^(٤).

وتجالد الناس مجالدة شديدة، وأشرف رسول الله ﷺ من على بغلته كالمتطاول عليها ينظر إلى قتالهم، ثم قال: «الآن حَمِي الْوَطِيسُ»^(٥). ثم أخذ حصيات^(٦) فرمى بهن وجوه الكفار، وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فلم يبق منهم أحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً^(٧).

ثم قال رسول الله ﷺ: «انْهَزْمُوا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، انْهَزْمُوا

(١) أم: بفتح الهمزة: أي قصد. انظر النهاية (١/ ٧٠).

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٩٥).

(٣) عطف عليه: رجع عليه. انظر لسان العرب (٩/ ٢٦٨).

(٤) أخرج ذلك مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين برقم ١٧٧٥.

(٥) حمى الوطيس: أي حمى الضراب وجدت الحرب، واشتدت، انظر لسان العرب (١٥/ ٣٣٦).

(٦) وفي رواية أخرى في صحيح مسلم برقم ١٧٧٧: ثم قبض قبضة من تراب الأرض.

(٧) أخرج ذلك الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين برقم ١٧٧٥، ١٧٧٦، ١٧٧٧، وأحمد في مسنده برقم ٢٢٤٦٧.

وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» (١).

ثم أيد الله ﷻ رسوله ﷺ والمؤمنين بأن أنزل ملائكته لإرهاب الكفار، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

روى الإمام الذهبي بسند جيد عن عبدالرحمن مولى أم برثن، عمن شهد حيناً كافراً، قال: لما التقيا والمسلمون لم يقوموا لنا حلب شاة، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله، حتى إذا غشيناها إذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه، فقال: شأهت الوجوه، فارجعوا، فهزمننا من ذلك الكلام (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن يعلى بن عطاء قال: فحدثني أبناؤهم، عن آبائهم، أنهم قالوا: «وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً» (٣) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا مَرَّارِ الْحَدِيدِ عَلَى الطُّسْتِ الْجَدِيدِ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، برقم ١٧٧٥.

(٢) أورد ذلك الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام (١/٣٥٤) وجود إسناده.

(٣) الصلصلة: صوت الحديد إذا حُرِّك. انظر النهاية (٣/٤٣).

فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ»^(١).

روى ابن إسحاق في السيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون^(٢).

متابعة الكفار:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال يومئذ: «مَنْ قَتَلَ كَافِرًا^(٣)، فَلَهُ سَلْبُهُ»، فقتل أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم^(٤).

شجاعة أم سليم رضي الله عنها:

وكانت أم سليم رضي الله عنها - والدة أنس بن مالك رضي الله عنه، وزوج أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه - قد خرجت مع زوجها، وكان معها خنجر، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله! هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟».

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٢٤٦٧، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/٢٤٥)، تفسير البغوي (١/٤١٢).

(٣) في رواية الطحاوي في شرح مشكل الآثار: «مشرًا».

(٤) أخرج ذلك ابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب الغنائم برقم ٤٨٣٦، وأحمد في مسنده (١٩/٢٦٦) برقم ١٢٢٣٦، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت^(١) به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، ثم قالت رضي عنها: يا رسول الله! اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»^(٢).

قصة صاحب الجمل الأحمر:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «... وكان أمام هوازن رجل ضخم على جمل أحمر، في يده راية سوداء في رأس رمح طويل له أمام الناس، وهوازن خلفه، فإذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع لمن ورائه فاتبعوه، فرصد^(٣) له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورجل من الأنصار، كلاهما يريداه، فضرب علي رضي الله عنه عرقوبي^(٤) الجمل، فوقع على عجزه^(٥)، وضرب الأنصاري ساقه، فطرح قدمه بنصف ساقه، فوقع، واقتتل الناس حتى كانت الهزيمة^(٦).

-
- (١) البئرُ: بفتح الباب وسكون القاف: الشق، انظر النهاية (١/١٤٣).
 (٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد السير، باب غزوة النساء مع الرجال برقم ١٨٠٩.
 (٣) رصده: راقبه، انظر لسان العرب (٥/٢٢٣).
 (٤) العُرقوب: هو الوتر الذي خلف الكعبيين بين مفصل القدم والساق، انظر النهاية (٣/٢٠٠).
 (٥) العجز: بفتح العين وضم الجيم: هو مؤخر الشيء، انظر النهاية (٣/١٦٨).
 (٦) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٠٢٧، وقال محققوه: إسناد حسن.

أبوقتادة رضي الله عنه وقتيله:

ونفل رسول الله ﷺ يومئذ أبا قتادة الحارث بن ربيعي رضي الله عنه، سلب رجل قتله، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ حُنَيْنٍ فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، قَالَ: فَرَأَيْتُمْ رَجُلًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ عَلَا^(١) رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَدْرْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: مَا لِلنَّاسِ؟ قُلْتُ: أَمْرُ اللَّهِ عز وجل، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَجَعُوا^(٢)، وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْتَةٌ فَلَهُ سَلْبُهَا»، فَقُمْتُ، فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ الثَّلَاثَةَ، فَقُمْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟» فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَلْبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي فَأَرُضِهِ مِنْ حَقِّهِ».

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لاها الله!^(٣) إذا لا يعمد^(٤) إلى

(١) قال الحافظ في الفتح (٣٧/٨) علا: ظهر.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٣٧/٨): في السياق حذف، بينته الرواة الثانية حيث قال: فتحلل ودفعته، ثم قتلتها، وانهمز المسلمون، وانهمزت معهم، فإذا عمر بن الخطاب.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٨/٨): المعنى: لا والله.

(٤) قال الحافظ في الفتح (٣٩/٨): أي لا يقصد رسول الله ﷺ إلى رجل كأنه أسد في

أسد من أسد الله، يقاتل عن الله، وعن رسوله ﷺ، فيعطيك سلبه، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ فَأَعْطِهِ إِيَّاهُ».

قال أبو قتادة: فأعطاني، فبعت الدرع، فابتعت^(١) به مخرفاً^(٢) في بني سلمة^(٣)، فإنه لأول مالٍ تأثلته^(٤) في الإسلام^(٥).

قال الإمام البغوي في شرح السنة: «وفي الحديث دليل على أن كل مسلم قتل مشركاً في القتال يستحق سلبه من بين سائر الغانمين، وأن السلب لا يُخمس قل ذلك أم كثر، روى مسلم في صحيحه أن سلمة بن الأكوع قتل مشركاً، فجاء بجمله يقوده عليه رحله وسلاحه، فقال النبي ﷺ: «مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟»، قالوا: ابن الأكوع، قال رسول الله ﷺ: «لَهُ سَلْبُهُ أَجْمَعُ»^(٦). وسواء نادى الإمام بذلك أو لم يناد، وسواء كان القاتل بارز المقتول، أو لم يبارزه؛ لأن أبا قتادة قتل القتيل قبل قول الرسول ﷺ: «مَنْ

الشجاعة يقاتل عن دين الله ورسوله فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه.

- (١) ابتاع الشيء: اشتراه، انظر لسان العرب (١/٥٥٧).
- (٢) قال الحافظ في الفتح (٨/٤٠)، المخرف: بفتح الميم والراء: أي بستاناً.
- (٣) قال الحافظ في الفتح (٨/٤١)، سلمة: بكسر اللام: وهم بطن من الأنصار، وهم قوم أبي قتادة.
- (٤) تأثلته: أي جمعته. انظر النهاية (١/٢٧).
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ﴾ [التوبة: ٥٢] برقم ٤٣٢١، ٤٣٢٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استحقات القتال سلب القتيل برقم ١٧٥١.
- (٦) أخرج هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استحقات القتال سلب القتيل برقم ١٧٥٤.

قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»، ولم يكن بينهما مبارزة، ثم جعل النبي ﷺ جميع سلبه له، فكان ذلك القول من الرسول ﷺ شرع حُكْمٍ، وهذا قول جماعة من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم، وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي (١).

شدة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوأزن، فبينا نحن نتضحى (٢) مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه (٣)، ثم انتزع طلقاً (٤) من حقبه (٥) فقيده به الجمل، ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر، وفينا ضعفه ورقة في الظهر (٦)، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى جملة، فأطلق قيده، ثم أناخه وقعد عليه، فأثاره، فاشتد به الجمل، [وهو طليعة (٧) للكفار]، فأتبعه رجل على ناقة ورقاء (٨)، قال سلمة رضي الله عنه: وخرجت أشتد، فكنت

(١) انظر شرح السنة (١١/١٠٧).

(٢) نتضحى: أي تتغدى، انظر النهاية (٣/٧٠).

(٣) أناخ الإبل: أبركها فبركت، انظر لسان العرب (١٤/٣٢١).

(٤) الطلق: بالتحريك: الحبل من جلود، انظر النهاية (٣/١٢٢).

(٥) حقبه: أي الحبل المشدود على حقو البعير، أو من حقييته، وهي الزيادة التي تجعل في مؤخر القتب، والوعاء الذي يجمع الرجل فيه زاده، انظر النهاية (١/٣٩٥).

(٦) الظهر: الإبل التي يحمل عليها وتركب، انظر النهاية (٣/١٥١).

(٧) الطليعة: الجاسوس، انظر النهاية (٣/١٢١).

(٨) ورقاء: أي سمراء، انظر النهاية (٥/١٥٣).

عند ورك^(١) الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام^(٢) الجمل فأنخته، فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت^(٣) سيفي، فضربت رأس الرجل، فندر^(٤)، ثم جئت بالجمل أقوده، عليه رحله وسلاحه، فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه، فقال: «مَنْ قَتَلَ الرَّجُلَ؟».

قالوا: ابن الأكوع، فقال رسول الله ﷺ: «لَهُ سَلْبُهُ أَجْمَعُ»^(٥).

الرسول ﷺ يبحث عن خالد بن الوليد رضي الله عنه:

تقدم في بداية أمر حنين هزيمة المسلمين، وأن هوازن استطاعت من خلال الكمائن أن تضرب مقدمة المسلمين مما أدى إلى فرارهم، ومن بين الذين جرحوا وسقطوا من شدة الجراح خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلما أنزل الله نصره على المؤمنين، وفرت هوازن، أخذ رسول الله ﷺ يسأل عن خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد روى ابن حبان في صحيحه بسند صحيح عن عبدالرحمن بن أزهر رضي الله عنه قال: أن خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج مع رسول الله ﷺ

(١) الورك: ما فوق الفخذ، انظر النهاية (١٥٣/٥).

(٢) خطام الناقة: أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان، فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم تقاد الناقة، انظر النهاية (٤٨/٢).

(٣) اخترط سيفه: أي سله من غمده، انظر النهاية (٢٣/٢).

(٤) ندر: سقط ووقع، انظر النهاية (٣٠/٥).

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل برقم ١٧٥٤.

يوم حنين، فكان على خيل رسول الله ﷺ، فلقد رأيت النبي ﷺ وهو يقول: «مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ رَحْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ؟».

قال ابن الأزهري: فمشيت، أو قال: سعيت بين يديه، وأنا محتمل أقول: من يدل على رحل خالد بن الوليد؟

حتى دُللنا على رحله، فإذا هو قاعد مستند إلى مؤخر رحله، فأتاه رسول الله ﷺ، فنظر إلى جرحه، قال الزهري: وحسبت أنه قال: ونفت فيه رسول الله ﷺ^(١).

وظل المسلمون يتبعون الكفار حتى تفرقوا في كل وجه، لا يلوي أحد على أحد، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة - وهم الطلقاء - لما رأوا من نصر الله ﷻ عز وجل لرسوله ﷺ، وأنزل الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَدْيَنَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وهكذا انهزم الكفار هزيمة منكرة، وغنم المسلمون

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر خالد بن الوليد رضي الله عنه برقم ٧٠٤٨، وقال محققوه: صحيح لغيره.

نساءهم وذراريهم وأنعامهم.

مطاردة الكفار وسرية أبي عامر رضي الله عنه إلى أوطاس:

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم رئيسهم مالك بن عوف النصري، فلجؤوا إلى الطائف، فتحصنوا بها، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم سرية من أصحابه بقيادة أبي عامر الأشعري رضي الله عنه، وهو عم ^(١) أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين، بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُرَيْد بن الصمة فقتل ^(٢) دريد، وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى رضي الله عنه: وبعثني مع أبي عامر فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جُشمي ^(٣) بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عم من رماك؟

فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذاك قاتلي تراه ذلك الذي رماني، فقصدت له فاعتمده فلاحقته، فلما رأني

(١) وقع عند ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٠٥): ابن عمه، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٢): والأول - أي رواية الشيخين في صحيحيهما - أشهر.

(٢) اختلف في قاتل دريد بن الصمة: فعند ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٠٣): أنه ربيعة بن رفيع السلمي. وأورد الحافظ في الفتح (٨/ ٤٢): بأن قاتله هو الزبير بن العوام رضي الله عنه، وساق الحديث، وقد رواه البزار بإسناد حسن.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٣): جُشمي: بضم الجيم وفتح الشين: أي رجل من جُشم.

ولى عني ذاهباً فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ أأست عربياً؟ ألا تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: إن الله قد قتل صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعتُه فنزاً^(١) منه الماء، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي.

قال أبو موسى رضي الله عنه: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيراً، ثم إنه مات، فلما مات رجعت إلى النبي ﷺ، فدخلت عليه، وهو في بيت على سرير مرمل^(٢)، وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل له يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ»، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنْ النَّاسِ»، فقلت: ولى يا رسول الله! فاستغفر، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ دَنْبُهُ، وَأَدْخِلْهُ مُدْخَلَ كَرِيمًا»^(٣).

(١) قال الحافظ في الفتح (٤٣/٨): فنزاً: أي انصب.

(٢) مُرْمَل: أي معمول بالرمال، وهي حبال الحصر، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير. انظر فتح الباري (٤٣/٨)، النهاية (٢/٢٤١).

(٣) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس برقم ٤٣٢٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي =

جمع الغنائم:

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم، فجمعت، وكان السبي ستة آلاف من النساء والأطفال، والإبل أربعة وعشرون ألفاً، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، فجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري رضي عنه، ثم أمر بها فحُبت بالجعرانة، ولم يقسمها حتى انصرف من غزوة الطائف^(١).

شهداء المسلمين في غزوة حنين:

كانت خسارة المسلمين طفيفة جداً، فقد استشهد من المسلمين يوم حنين أربعة نفر، وهم: أيمن بن عبيد ابن أم أيمن، ويزيد بن زمعة الأسدي، وسراقة بن الحارث الأنصاري، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس رضي عنه جميعاً^(٢).

وجرح منهم: عبد الله بن أبي أوفى، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن إسماعيل قال: رأيت بيد ابن أبي أوفى ضربة، قال: ضربتها مع النبي ﷺ يوم حنين^(٣).

= عامر الأشعري رضي عنه برقم ٢٤٩٨.

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/١١٠)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٢٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (٧/٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعَجَبْتُمْ كَفَرْتُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]، برقم ٤٣١٤.

وَجُرْح كَذَلِكَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا تَقْدُمُ (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أحداث هذه الغزوة مستفادة من كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للشيخ موسى العازمي (٤/١٢٣-١٣٧) مع حذف واختصار.

غزوة الطائف (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

وهذه الغزوة في الحقيقة امتداد لغزوة حنين^(١)، وذلك أن معظم فلول^(٢) هوازن وثقيف دخلوا الطائف مع قائدهم مالك ابن عوف النصري، وتحصنوا بها، فسار إليهم رسول الله ﷺ بعد فراغه من حنين، وذلك في شهر شوال سنة ثمان للهجرة.

وكانت ثقيف لما انهزموا من حنين وأوطاس، تحصنوا بحصونهم المنيعة في الطائف.

طريق رسول الله ﷺ إلى الطائف وحصارها:

تحرك رسول الله ﷺ إلى الطائف، وقد جعل على مقدمته خالد بن الوليد رضي الله عنه، حتى نزل قريباً من حصن الطائف، فضرب

(١) وبعض المؤرخين يجعلها غزوة مستقلة عن حنين.

(٢) الفل: بفتح الفاء: القوم المنهزمون، وربما قالوا: فلول وفلال، انظر النهاية (٣/٤٢٥).

عسكره هناك، وفرض على أهلها الحصار^(١)، وأشرفت ثقيف، وأقاموا يرمون المسلمين بالنبال والحجارة رمياً شديداً، حتى أصيب ناس من المسلمين بجراح، فاضطر رسول الله ﷺ أن يرتفع بعسكره إلى مسجد الطائف اليوم، فعسكر هناك، وكان مع رسول الله ﷺ من نسائه أم سلمة رضي عنها.

قصة المخنث:

فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضي عنها، وعندها أخوها عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، ومُخنث^(٢) يدعى هيتا^(٣)، فسمعه رسول الله ﷺ وهو يقول لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة: يا عبد الله! إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة^(٤) غيلان^(٥)، فإنها تُقبل بأربع، وتدبر بثمان^(٦)، فقال

(١) اختلف في مدة الحصار الذي أقامه رسول الله ﷺ على أهل الطائف، فعند موسى بن عقبة: أنها كانت بضعة عشرة ليلة، وفي رواية عروة بن الزبير، بضعاً وعشرون ليلة، وعند ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٣٤)، بضعاً وعشرون ليلة، وفي صحيح مسلم برقم ١٠٥٩: أنهم أقاموا عليهم أربعين ليلة.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٣٣٤-٣٣٥): المخنث: بكسر النون وبفتحها: هو من يشبه خلقه النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك، فإن كان من أصل الخلقة، لم يكن عليه لوم، وعليه أن يتكلف إزالة ذلك، وإن كان بقصد منه وتكلف له فهو المذموم، ويطلق عليه اسم مخنث سواء فعل الفاحشة أو لم يفعل.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٨/ ٤٤)، هيتاً: بكسر الهاء وسكون الياء.

(٤) اسمها: بادية، وقد أسلمت بعد ذلك والحمد لله، انظر الإصابة (٨/ ٤٥).

(٥) قال الحافظ في الفتح (٩/ ٣٣٥)، غيلان بفتح الغين، وهو ابن سلمة الثقفي، وهو الذي أسلم وتحتة عشر نسوة، فأمره النبي ﷺ أن يختار أربعاً.

(٦) معناه: أن أعكانها ينعطف بعضها على بعض، وهي في بطنها أربع طرائق، وتبلغ أطرافها =

رسول الله ﷺ: « لا يَدْخُلَنَّ هُوَ لَاءِ عَلَيْنَنَّ »^(١).

قال الحافظ في الفتح: ويُستفاد منه حجب النساء عمن يفتن لمحاسنهن، وهذا الحديث أصل في إبعاد من يُستراب^(٢) به في أمر من الأمور^(٣).

رمي الرسول ﷺ أهل الطائف بالمنجنيق:

ونصب رسول الله ﷺ المنجنيق على أهل الطائف، وقذف به القذائف، وهذا أول منجنيق يُرمى به في الإسلام، كما نثر رسول الله ﷺ الحسك^(٤) حول الحصن.

ثم أخذ رسول الله ﷺ يبحث أصحابه رضي الله عنهم على الرمي، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه عن أبي نجيح^(٥) السلمي رضي الله عنه قال: حاصرنا مع النبي ﷺ حصن

= إلى خاصرتها في كل جانب أربع، ولإرادة العُكن ذكر الأربع والثمان، وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن، وذلك لا يكون إلا للسمنية من النساء، انظر فتح الباري (٣٣٥/٩)، العُكن والأعكان: هي الأطواء في البطن من السمن. انظر لسان العرب (٣٤٥/٩).

(١) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم ٤٣٢٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجنبي برقم ٢١٨٠.

(٢) يُستراب: أي من الريب، وهو الشك، انظر لسان العرب (٣٨٤/٥).

(٣) انظر فتح الباري (٣٣٦/٩).

(٤) الحسك: بفتح الحاء والسين، جمع حسكة: وهي شوكة صلبة معروفة، انظر النهاية (٣٧١/١).

(٥) نجيح: بفتح النون، وكسر الجيم.

الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَهُ عَدْلٌ مُحَرَّرٌ^(١)، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قال أبو نجيح رضي الله عنه: فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً^(٢).

ولما كان القتال تراشقا بالسهام عن بعد، استخدم المسلمون «الدبابة»^(٣)؛ ليحموا بها أنفسهم من السهام، حتى يصلوا إلى الحصن، فعندما رأتهم ثقيف، ألقت عليهم قطعاً من حديد محماة بالنار، فأحرقت الدبابة فخرجوا من تحتها، فرموهم بالنبال، فقتلوا منهم رجالاً.

إسلام عبيد من الطائف:

ثم نادى منادي رسول الله ﷺ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر! فنزل إليه ثلاثة وعشرون رجلاً، فيهم: نفيع بن مسروح، تسور حصن الطائف وتدلى ببكرة مستديرة،

(١) المحرر: أي أجر من أعتق رقبة، انظر النهاية (١/٣٤٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٧٠٢٢، والترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله برقم ١٧٣٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الدبابة: آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقيهم ما يرمون به من فوقهم، انظر النهاية (٢/٩١).

يُستقى عليها الماء، فكانه رسول الله ﷺ أبا بكر، فأسلم هؤلاء العبيد، فأعتقهم رسول الله ﷺ، فلما أسلمت ثقيف بعد ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يرد إليهم أبا بكر، فأبى رسول الله ﷺ عليهم، وقال: «هُوَ طَلِيقُ اللَّهِ، وَطَلِيقُ رَسُولِهِ»، فكان مولى لرسول الله ﷺ (١).

رؤيا رسول الله ﷺ ورحيل المسلمين:

ذكر رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه رأى رؤيا، وهو محاصر ثقيفاً، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أُهْدَيْتُ لِي قَعْبَةٌ (٢) مَمْلُوءَةٌ زُبْدًا فَتَقَرَّهَا دِيكَ فَهَرَأَقَ مَا فِيهَا»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «وَأَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ» (٣).

ولما طال حصار الطائف واستعصى على المسلمين، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ بفتح الطائف، قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نَادِي فِي النَّاسِ إِنَّا قَافِلُونَ (٤) إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فثقل ذلك على المسلمين واستنكروه، وقالوا: نذهب ولا نفتح،

(١) أخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم ٤٣٢٦، ٤٣٢٧، وأحمد في مسنده برقم ٢٢٢٩، والطحاوي في مشكل الآثار برقم ٤٢٧٣.

(٢) القعب: القدح الضخم، انظر لسان العرب (١١/ ٢٣٥).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٩٨).

(٤) قفل: رجع، انظر النهاية (٤/ ٨١).

فقال رسول الله ﷺ: «اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ»، فغدوا فأصابهم جراح، فقالوا: يا رسول الله! أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا، وَأَنْتَ بِهِمْ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك^(١).

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ، فأتى بثقيف مسلمين، قبل أن يرتحل رسول الله ﷺ من الجعرانة.

إسلام سراقه بن مالك الجعشمي رضي الله عنه :

غادر رسول الله ﷺ الطائف متوجهاً إلى الجعرانة، وفي الطريق لقيه سراقه بن مالك الجعشمي، فدخل في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعون بالرمح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟

قال سراقه: فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله لكأني أنظر إلى ساقه في غرزه^(٢) كأنها جمارة^(٣)، قال: فرفعت

(١) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٤٣٢٥، ومسلم في صحيحه رقم ١٧٧٨.
وأخرج دعاء الرسول ﷺ لثقيف بالهداية: الإمام أحمد في مسنده برقم ١٤٧٠٢، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، والترمذي في سننه برقم ٣٩٤٢.
(٢) الغرز: ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: هو الكور مطلقاً مثل الركاب للسرّج، انظر النهاية (٣/٣٢٢).
(٣) الجمارة: قلب النخلة، شبه ساقه ببياضها، انظر النهاية (١/٢٨٣).

يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله! هذا كتابك لي^(١)، أنا سراقه بن مالك بن جعشم.

فقال رسول الله ﷺ: «يَوْمٌ وَفَاءٌ، وَبِرٌّ، اذْنُهُ».

قال سراقه رضي الله عنه: فدنوت منه، فأسلمت، ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله! الضالة من الإبل تغشى حياضي، وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَى^(٢) أَجْرٌ».

قال سراقه رضي الله عنه: ثم رجعت إلى قومي، فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي^(٣).

قسمة الغنائم بالجعرانة:

ثم قدم رسول الله ﷺ الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فنزل بها، وأقام بها ثلاث عشرة ليلة لا يقسم الغنائم، يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن مسلمين،

(١) هذا الكتاب هو كتاب الرسول ﷺ الذي أعطاه سراقه يوم الهجرة، وهو كتاب أمان من رسول الله ﷺ لسراقه إن لم يخبر أحداً بطريق رسول الله ﷺ يوم الهجرة، وقد فعل رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه برقم ٣٩٠٦.

(٢) كبد حرى: أي عطشى، يريد أنها لشدة حرها قد عطشت وبيست من العطش، والمعنى أن في سقي كل ذي كبد حرى أجراً، انظر النهاية (١/٣٥٠).

(٣) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٧٥٨١ مختصراً، وابن إسحاق في السيرة (٢/٨٨)، وإسناده حسن كما قال محققو المسند، انظر حديث رقم ١٧٥٨١.

فيحرزوا^(١) ما أصيب منهم، فلما لم يجئه أحد أمر بتقسيم الغنائم.

البدء بالمؤلفة قلوبهم^(٢) وهم سادات العرب:

أول من أعطى رسول الله ﷺ من الغنائم هم سادات العرب، يتألفهم إلى الإسلام، فأعطى أبا سفيان بن حرب مئة من الإبل^(٣).

وأعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن الحارث ابن عمه ﷺ مئة من الإبل، وأعطى رسول الله ﷺ الأقرع بن حابس التميمي مئة من الإبل، وأعطى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري مئة من الإبل، وأعطى رسول الله ﷺ علقمة بن علاثة^(٤) مئة من الإبل، وأعطى رسول الله ﷺ العباس بن مرداس دون ذلك، فأنشأ يقول:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ — بَيْنَ عَيْنَتِي وَالْأَقْرَعِ^(٥)

(١) يقال: أحرزت الشيء: إذا حفظته وضممته إليك، وصننته عن الأخذ، انظر النهاية (٣٥٢/١).

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٨/٨): المراد بالمؤلفة ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلامًا ضعيفًا؛ ولم يتمكن الإسلام من قلوبهم.

(٣) أخرج إعطاء الرسول ﷺ أبا سفيان مئة من الإبل: الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم برقم ١٠٦٠.

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٣٩/٧)، علاثة: بضم العين.

(٥) العبيد: بضم العين وفتح الباء: اسم فرس للعباس بن مرداس، انظر شرح غريب السيرة (١٣٠/٣).

فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسٍ فِي مَجْمَعٍ
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
فَأْتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ (١).

وأعطى رسول الله ﷺ حكيم بن حزام مئة من الإبل، ثم سأله مئة أخرى، فأعطاه إياها، ثم سأله فأعطاه (٢)، ثم قال له رسول الله ﷺ: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق لا أرزأ (٣) أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا.

فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبل منه، فقال عمر رضي الله عنه: إني أشهدكم معشر المسلمين، أنني أعرض عليه حقه

(١) أخرج ذلك كله: مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم برقم ١٠٦٠، ١٣٧، ١٣٨.

(٢) في رواية الإمام أحمد في مسنده برقم ١٥٣٢١، قال حكيم: سألت رسول الله ﷺ من المال فألحفت: أي بالغت.

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣/٣٣٦)، لا أرزأ: بفتح الهمزة وإسكان الراء وفتح الزاي: أي لا أنقص ماله بالطلب منه.

من هذا الفيء^(١)، فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيمٌ أحدًا من الناس شيئًا بعد رسول الله ﷺ حتى تُوفي^(٢).

قال الحافظ في الفتح: وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء، مع أنه حقه؛ لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد الأخذ، فتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك، وترك ما يريه إلى ما لا يريه^(٣).

وأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية - وكان ما زال مشرًا - مئة من الإبل، ثم مئة ثانية، ثم مئة ثالثة.

قال صفوان: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ^(٤).

وأعطى رسول الله ﷺ الحارث بن هشام مئة من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مئة من الإبل^(٥)، وأعطى حويطب بن

(١) الفيء: هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب، ولا جهاد. انظر النهاية (٤٣٤/٣).

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ١٤٧٢، ومسلم في صحيحه، برقم ١٠٣٥.

(٣) انظر فتح الباري (٣/٣٣٦).

(٤) أخرج ذلك الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: «لا» وكثرة عطائه برقم ٢٣١٣.

(٥) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١٣٥٧٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

عبد العزى مئة من الإبل (١).

وأعطى رسول الله ﷺ آخرين خمسين خمسين، وأربعين أربعين، حتى شاع في الناس أن محمداً ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فزدحمت عليه الأعراب يطلبون المال حتى اضطروه إلى سمرة (٢)، فخطفت (٣) رداؤه ﷺ، فقال: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ (٤) نَعْمًا (٥) لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذَّابًا، وَلَا جَبَانًا» (٦) (٧).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



-
- (١) انظر سيرة ابن هشام (٤/١٠٣)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٢٦).
- (٢) قال الحافظ في الفتح (٦/٣٥): السمرة: شجرة من شجر البادية ذات شوك، ويقال: هي شجرة الطلح.
- (٣) قال الحافظ في الفتح (٦/٣٥)، فخطفت: بكسر الطاء.
- (٤) قال الحافظ في الفتح (٦/٣٥)، العضاه: بكسر العين: هو شجر ذو شوك.
- (٥) النعم: بفتح النون والعين: هي الإبل والشاء، انظر لسان العرب (١٤/٢١٢).
- (٦) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٢٨٢١، ويرقم ٣١٤٨.
- (٧) أحداث هذه الغزوة مستفادة من كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون للشيخ موسى العازمي (٤/١٣٨-١٥٣) مع حذف واختصار.

غزوة الطائف (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكملاً للحديث عن غزوة الطائف، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاء بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

قال أنس رضي عنه: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»^(١).

ولما انتهت هذه الغزوة العظيمة، نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية، وقال له: «إِنَّا قَدْ فَقَدْنَا مِنْ أَدْرَاعِكَ أَدْرَاعًا^(٢)»،

(١) أخرج ذلك مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال «لا» برقم ٢٣١٢.

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان بن أمية رضي عنه أدراعاً قبل هذه الغزوة.

فَهَلْ نَغْرَمُ^(١) لَكَ؟»، قال: لا يا رسول الله، لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ^(٢).

«لَا تُوطَأُ الْحُبْلَى^(٣) حَتَّى تَضَعَ»:

ولما فرق رسول الله ﷺ السبايا، نادى مناديه: «لَا تُوطَأُ الْحُبْلَى حَتَّى تَضَعَ، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حَمْلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً»^(٤).

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ يوم حنين، بعث جيشاً إلى أوطاس، فلقوا عدواً، فقاتلوهم، فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ تخرجوا من غشيانهم من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ^(٥) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

(١) نغرم لك: نتكلف لك بها، انظر لسان العرب (٥٩/١٠).

(٢) أخرج ذلك أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في تضمين العارية برقم ٣٥٦٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم ٦٣١.

(٣) الحُبْلَى: بضم الحاء هي المرأة الحامل، انظر لسان العرب (٣١/٣).

(٤) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١١٨٢٣، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٥) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٣١/١٠): المراد بالمحصنات هنا: المتزوجات، ومعناه: والمتزوجات حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكتم بالسبي، فإنه يفسخ نكاح زوجها الكافر، وتحل لكم إذا انقضى استبرأؤها.

الاستبراء: اختبار الأمة بحيضة قبل الوطء، وهو طلب البراءة من حمل، ربما يكون معها. انظر جامع الأصول لابن الأثير (١١٨/٨).

أَيْمَنُكُمْ ﴿ [النساء: ٢٤]، أي فهن لكم حلال إذا انقضت^(١) عدتهن^(٢).

شأن ذي الخويصرة التميمي:

ثم أتى رسول الله ﷺ رجل، هو ذو الخويصرة التميمي، واسمه حُرْقُوصُ^(٣) بن زهير السعدي، يعترض على قسمة الرسول ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها، يعطي الناس، فقال: يا محمد! اعدل.

فقال رسول الله ﷺ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله دعني فأقتل هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا

(١) قال النووي في شرح مسلم (٣١ / ١٠): المراد بقوله: إذا انقضت عدتهن: أي استبرأؤهن، وهي بوضع الحمل عن الحامل، وبحيضة من الحائل، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء برقم ١٤٥٦.

(٣) قال الحافظ في الإصابة: حرقوص: بضم الحاء، وسكون الراء، وضم القاف (٢ / ٥٠٤)، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٢ / ١٤٨).

يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١).

وفي رواية أخرى في مسند الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ: «لَا، دَعْوُهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ»^(٢) يَتَعَمَّقُونَ^(٣) فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ^(٤)، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ^(٥) فَلَا يَجِدُ شَيْئًا، ثُمَّ فِي الْقَدَحِ^(٦) فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الْفَوْقِ^(٧) فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْتُ^(٨) وَالْدَّمُ»^(٩).

عَبُّ الْأَنْصَارِ وَخُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ:

أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّ النَّاسِ مِنَ الْغَنَائِمِ إِلَّا الْأَنْصَارَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٠٦٣، والبخاري مختصراً برقم ٣١٣٨.

(٢) الشيعة: أي الأنصار، انظر النهاية (٢/٤٦٤).

(٣) المتعمق: المبالغ في الأمر المتشدد فيه، الذي يطلب أقصى غايته. انظر النهاية (٣/٢٧١).

(٤) قال الحافظ في الفتح (٧/٣٢٥): شَبَّهَ مَرُوقَهُمْ مِنَ الدِّينِ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَصِيبُ الصَّيْدَ، فَيَدْخُلُ فِيهِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ، وَمِنْ شِدَّةِ سُرْعَةِ خُرُوجِهِ - لِقُوَّةِ الرَّامِي - لَا يَلْتَقِ مِنْ جَسَدِ الصَّيْدِ شَيْءٌ.

(٥) النصل: الحديدية التي في السهم والرمح، انظر لسان العرب (١٤/١٦٧).

(٦) القدح: بكسر القاف وسكون الدال: عود السهم قبل أن يراش وينصل. انظر لسان العرب (١١/٥١).

(٧) الفوق: بضم الفاء: وهو موضع الوتر من السهم، انظر النهاية (٣/٤٣٢).

(٨) سبق الفرت والدم: أي مر سريعاً في الرمية، وخرج منها، لم يعلق منها بشيء من فرثها ودمها لسرعته، شبه به خروجهم من الدين، ولم يعلقوا بشيء منه. انظر النهاية (٢/٣٠٥).

(٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٧٠٣٨، وقال محققو المسند: صحيح، وهذا إسناد حسن.

ﷺ أجمعين، فوجدوا^(١) على رسول الله ﷺ في أنفسهم، وقال أحداثهم^(٢): يغفر الله لرسول الله ﷺ! يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم^(٣).

وفي رواية أخرى قالوا: إذا كانت الشدة فنحن ندعى، وتُعطي الغنائم غيرنا^(٤)، وكثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه^(٥).

فانطلق سعد بن عبادة رضي الله عنه سيد الأنصار، فأتى رسول الله ﷺ، فدخل عليه، وقال: يا رسول الله! إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء.

فقال رسول الله ﷺ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟». قال: يا رسول الله! ما أنا إلا امرؤ من قومي^(٦). فقال رسول الله: «فَاَجْمَعْ لِي قَوْمَكَ».

(١) وجد: حزن، انظر لسان العرب (٢٢٠/١٥).

(٢) الحدث: هو الشاب، انظر لسان العرب (٧٦/٣).

(٣) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٤٣٣١، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٥٩.

(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٤٣٣٧، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٠٥٩.

(٥) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١١٧٣٠، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٦) أخرج ذلك الإمام أحمد في مسنده برقم ١١٧٣٠، وقال محققوه: إسناده حسن.

فخرج سعد، فجمع الأنصار في قبة من آدم، فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال: يا رسول الله! قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَهُ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً^(١) فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟»، قالوا: بل الله ورسوله آمن وأفضل، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟»، قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ والله ولسوله المن والفضل، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، وَلَصَدَقْتُمْ، وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكْذِبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ»، ثم قال ﷺ: «أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ^(٢) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا أَقْوَامًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا

(١) العالة: الفقراء، انظر جامع الأصول لابن الأثير (٨/ ٣٩٠).

(٢) لعاعة من الدنيا: أي شيء يسير من الدنيا، انظر لسان العرب (١٢/ ٢٩٠).

لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ^(١)، وَالنَّاسُ دِثَارٌ^(٢)،
اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ،
 فبَكَى الْأَنْصَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى أَخْضَلُوا^(٣) لِحَاهِمَ، وَقَالُوا: رَضِينَا
 بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحِطًّا^(٤).

ترتيب عجيب:

قال الحافظ في الفتح: وقد رتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما من الله
 عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان
 التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة، وهي
 أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تُبذل في تحصيلها، وقد
 لا تُحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر
 والتقاطع، فزال ذلك كله بالإسلام كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ
 أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ
 بَيْنَهُمْ رَوَاهُ﴾ [الأَنْفَال: ٦٣] ^(٥).

(١) قال الحافظ في الفتح (٥٢/٨): الشعار: بكسر الشين هو: الثوب الذي يلي الجلد من
 الجسد.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥٢/٨): الدثار: بكسر الدال: هو الذي فوق الشعار، وهي
 استعارة لطيفة لفرط قربهم منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأراد أيضًا أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به
 وأقرب إليه من غيرهم.

(٣) خضل لحيته: بلها بالدموع. انظر النهاية (٤٢/٢).

(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٤٣٣٠، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٥٩،
 ١٠٦١، وأحمد في مسنده برقم ١٢٠٢١، وابن إسحاق في السيرة (٤/١١٣-١١٤).

(٥) فتح الباري (٥٠/٨).

نذر عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن **عبد الله** بن عمر رضي الله عنهما قال: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة، بعد أن رجع من الطائف^(١)، فقال: يا رسول الله! إني نذرت في الجاهلية^(٢) أن أعتكف يوماً في المسجد الحرام، فكيف ترى؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذْهَبْ فَأَعْتَكِفْ يَوْمًا».

وقال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه جارية^(٣) من الخمس، فلما أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا الناس، سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصواتهم يقولون: أعتقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال عمر رضي الله عنه: ما هذا؟ قالوا: أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا الناس، فقال عمر: يا **عبد الله**! اذهب إلى تلك الجارية فخل سبيلها^(٤).

(١) في رواية أخرى في صحيح البخاري برقم ٤٣٢٠: لما قفلنا - أي رجعنا - من حنين.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤٤٣/١٣): المراد بقول عمر رضي الله عنه في الجاهلية: قبل إسلامه؛ لأن جاهلية كل أحد بحسبه، ووهم من قال: الجاهلية في كلامه زمن فترة النبوة، والمراد بها هنا ما قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، فإن هذا يتوقف على النقل، وقد تقدم أنه نذر قبل أن يُسلم، وبين البعثة وإسلامه مدة.

(٣) في رواية أخرى في مسند الإمام أحمد برقم ٦٤١٨: غلام، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٤٣٢٠، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم =

قدوم وفد هوازن :

وبعد أن قُسمت الغنائم قدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ، وكانوا أربعة عشر رجلاً، ورأسهم: زهير بن صرد، فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ثم قالوا: يا رسول الله! إنا أصلٌ وعشيرة، فمَنْ علينا، مَنْ الله عليك، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك، وقال زهير بن صرد، أحد بني سعد بن بكر^(١):
يا رسول الله، إنما في الحظائر^(٢) عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنًا^(٣) الحارث بن أبي شمر^(٤)، أو للنعمان بن المنذر^(٥)، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائده^(٦) علينا، وأنت خير المكفولين، ثم سأله أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم.

فقال رسول الله ﷺ: «مَعِيَ مَنْ تَرُونَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيُ، وَإِمَّا الْمَالُ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ».

= ١٦٥٦، واللفظ له.

- (١) وهم قوم حليلة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ.
- (٢) الحظيرة: هي الموضع الذي يُحاط عليهم، ويقصد الأسرى، انظر النهاية (١/٣٨٩).
- (٣) ملحنًا: أي أَرْضَعْنَا، والملح بالرضاع.
- (٤) الحارث بن أبي شمر: ملك الشام من العرب.
- (٥) النعمان بن المنذر: ملك العراق من العرب.
- (٦) عائده: فضله.

وكان رسول الله ﷺ أنظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل (١) من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإننا نختار سبينا، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، فَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ، فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَبِالْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا».

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله ﷻ عز وجل بما هو أهله، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبِيَّهُمْ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ».

وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال عيينة بن حصن: أما ما كان لي ولبني فزارة، فلا، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم، فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم، فلا، فقالت الحيان: كذبت، بل هو لرسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، رُدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ

(١) قفل: رجع، انظر النهاية (٤/٨٢).

وَأَبْنَاءَهُمْ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفَيْءِ، فَلَهُ عَلَيْنَا سِتَّةُ فَرَايِضَ (١)
مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ يُفِيئُهُ اللَّهُ عَلَيْنَا»، فرد الناس على هوازن جميع
السبي (٢).

إسلام مالك بن عوف النصرى:

وقدم بعد ذلك مالك بن عوف رئيس هوازن فأسلم،
وقد كان رسول الله ﷺ سأل وفد هوازن عن مالك بن عوف:
ما فعل؟

فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فأمر رسول الله ﷺ
بحبس أهله عند عمتهم أم عبد الله بن أبي أمية بمكة، وقد قال
رسول الله ﷺ لوفد هوازن: «أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً
رددت إليه أهله وماله، وأعطيتُه مائةً من الإبل».

فلما أخبر مالك بذلك، أمر براحلته فهيئت له، ثم خرج
من الطائف ليلاً، حتى أتى رسول الله ﷺ فأدركه بالجعرانة،
وقيل: بمكة، فأسلم وحسن إسلامه، فرد عليه رسول الله ﷺ
أهله وماله، وأعطاه مائةً من الإبل، ثم استعمله رسول الله ﷺ على

(١) الفرائض: جمع فريضة، وهو البعير المأخوذ من الزكاة، سُمي فريضة؛ لأنه فرض
واجب على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سُمي البعير فريضة في غير الزكاة، انظر النهاية
(٣/٣٨٧).

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه برقم ٤٣١٨، ٤٣١٩، وأحمد في مسنده برقم ٦٧٢٩،
وابن إسحاق في السيرة (٤/١٠٢-١٠٣).

من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح^(١)
إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم^{(٢)(٣)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) السرح: بفتح السين: المشية. انظر النهاية (٢/٣٢٢).
(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤/١٠٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/١٩٨).
(٣) أحداث هذه الغزوة مستفادة من كتاب اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٤/١٥٢-١٧٢)، للشيخ موسى العازمي مع حذف وإضافة.

فوائد ومسائل فقهية من غزوة حنين (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«كان الله عز وجل قد وعد رسوله - وهو الصادق الوعد - أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دينه أفواجا، ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمته تعالى أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين؛ ليظهر أمر الله وتمايم إعزازه لرسوله ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكرانا لأهل الفتح، وليظهر الله سبحانه رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون مثلها، فلا يقاومهم بعد أحد من العرب، ولغير ذلك من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين وتبدو للمتوسمين.

واقترضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم،

لُطَّامِنٌ^(١) رُؤُوسًا رُفِعَتْ بِالْفَتْحِ وَلَمْ تَدْخُلْ بِلَدِهِ وَحَرَمِهِ كَمَا دَخَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَضْعًا رَأْسَهُ مَنْحِنِيًّا عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى إِنْ ذُقْنَهُ تَكَادَ أَنْ تَمَسَّ وَسْطَ رِجْلِهِ تَوَاضِعًا لِرَبِّهِ وَخُضُوعًا لِعَظْمَتِهِ، وَاسْتِكَانَةً لِعِزَّتِهِ أَنْ أَحَلَّ لَهُ حَرَمَهُ وَبِلَدِهِ، وَلَمْ يُحَلِّهِ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدَهُ^(٢).

وَلِيبِينَ سَبْحَانِيَّةٌ لَمَنْ قَالَ: «لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ»^(٣) أَنْ النَّصْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ فَلَا غَالِبَ لَهُ، وَمَنْ يَخْذُلُهُ فَلَا نَاصِرَ لَهُ غَيْرَهُ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى نَصْرَ رَسُولِهِ وَدِينَهُ لَا كَثَرَتُمْ الَّتِي أَعْجَبْتُمْ، فَإِنَّهَا لَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا فَوَلَيْتُمْ مَدْبِرِينَ، فَلَمَّا انْكَسَرَتْ قُلُوبُهُمْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهَا خَلْعُ الْجَبْرِ مَعَ بَرِيدٍ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦].

وَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ خَلَعَ النَّصْرَ وَجَوَائِزَهُ إِنَّمَا تُفَضُّ^(٤)

(١) وَقَالَ مُحَقِّقُو زَادِ الْمَعَادِ: كَمَا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (٢/٤٠٥)، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ مَرْسَلًا، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ (٣/٤٧)، وَعَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ (٥/٦٨)، إِلَّا أَنَّ إِسْنَادَهُ ضَعِيفٌ. وَانظُرِ الْكَامِلَ لِابْنِ عَدِي (٤/٢٥٩).

(٢) بَعْضُ الْمَسْأَلِ لَمْ يَذْكَرْ أَصْلَهَا فِي الْغَزْوَةِ اخْتِصَارًا، فَتَرَاجَعْ فِي كِتَابِ السَّيْرِ لِمَنْ أَرَادَ. (٣) قَالَ مُحَقِّقُو الزَّادِ: كَمَا فِي مَرْسَلِ قَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ (١١/٣٨٧)، وَمَرْسَلِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٥/١٢٣)، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ كَمَا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (٢/٤٤٤)، وَالْوَاقِدِيِّ (٣/٨٨٩)، وَابْنُ سَعْدٍ (٢/١٣٩).

(٤) أَيُّ: تُوزَعُ وَتُقَسَّمُ، يُقَالُ: فَضَّ الْمَالَ عَلَى الْقَوْمِ، أَيُّ فَرَقَهُ وَقَسَمَهُ عَلَيْهِمْ.

على أهل الانكسار؛ ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [القصص: ٥-٦].

ومنها: أن الله ﷻ لَمَّا منع الجيش غنائم مكة، فلم
يغنموا منها ذهباً ولا فضة، ولا متاعاً، ولا سبيّاً، ولا أرضاً،
كما روى أبو داود^(١) عن وهب بن مُنبه قال: «سألت جابراً: هل
غنموا يوم الفتح شيئاً؟ قال: لا»، وكانوا قد فتحوها بإيجاف
الخيال والركاب، وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة إلى ما يحتاج
إليه الجيش من أسباب القوة، فحرّك سبحانه قلوب المشركين
لغزوهم، وقذف في قلوبهم إخراج أموالهم ونعمهم وشأنهم
وسبيهم معهم، نُزْلاً وضيافة وكرامة لحزبه وجنده.

وتم تقديره ﷻ بأن أطمعهم في الظفر وألاح لهم
مبادئ النصر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فلما أنزل الله نصره
على رسوله وأوليائه، وبردت الغنائم لأهلها، وجرت فيها
سهام الله ورسوله، قيل: لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم
وذرائيكم، فأوحى سبحانه إلى قلوبهم التوبة والإنابة، فجاؤوا
مسلمين، فقيل: إن من شكران إسلامكم وإتيانكم أن نرد عليكم
نساءكم وأبناءكم وسبيكم و﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا

(١) قال محققو الزاد: برقم ٣٠٣٢، وإسناده جيد.

مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومنها: أن الله ﷻ افتتح غزو العرب بغزوة بدرٍ، وختم غزوهم بغزاة حنين، ولهذا يقرن بين هاتين الغزاتين بالذكر فيقال: «بدر وحنين»، وإن كان بينهما سبع سنين، والملائكة قاتلت بأنفسها مع المسلمين في هاتين الغزاتين، والنبي ﷺ رمى وجوه المشركين بالحصباء فيهما، وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله ﷺ والمسلمين، فالأولى: خوِّفَهم وكسرت من حدهم، والثانية استفرغت قواهم واستنفدت سهامهم وأذلت جمعهم حتى لم يجدوا بُدًّا من الدخول في دين الله.

ومنها: أن الله ﷻ جبر بها أهل مكة وفرَّحهم بما نالوه من النصر والمغنم، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وإن كان عين جبرهم، وعرفَّهم تمام نِعْمه عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن، وأنه لم يكن لهم بهم طاقة، وإنما نُصروا عليهم بالمسلمين، ولو أفردوا عنهم لأكلهم عدوهم. إلى غير ذلك من الحكم التي لا يحيط بها إلا الله.

وفيهما من الفقه: أن الإمام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم، وأن الإمام إذا سمع بقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم، بل يسير إليهم

كما سار رسول الله ﷺ إلى هوازن حتى لقيهم بحنين.

وفيها: أن الإمام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه، كما استعار النبي ﷺ أدرع صفوان وهو يومئذ مشرك.

ومنها: أن من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدرًا وشرعًا، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه أكمل الخلق توكلًا، وإنما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بأنواع السلاح.

ودخل رسول الله ﷺ مكة والبيضة على رأسه، وقد أنزل الله عليه: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكثير ممن لا تحقيق عنده ولا رسوخ في العلم يستشكل هذا، ويتكاييس في الجواب تارة بأن هذا فعلة تعليمًا للأمة، وتارة بأن هذا كان قبل نزول الآية.

ووقعت مسألة في مصر سأل عنها بعض الأمراء وقد ذكر له حديث ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه الكبير^(١) أن

(١) قال محققو الزاد: تاريخ دمشق (٢٢/١٤٨)، وأخرجه أيضًا الخطيب في تلخيص المتشابه (١/٢٥٢)، من حديث عمار بن ياسر، وإسناده واه، فيه علي بن محمد الحبيبي، قال فيه الدارقطني: ضعيف جدًا، وكذبه أبو عبد الله الحاكم. وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٣٨)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٣٥٦٩، بإسناد ضعيف، وأخرجه البزار برقم ١٤١٣، =

رسول الله ﷺ كان بعد أن أهدت له اليهودية الشاة المسمومة لا يأكل طعاماً قُدِّم له حتى يأكل منه من قَدَّمه. قالوا: وفي هذا أسوة للملوك في ذلك، فقال قائل: كيف يُجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فإذا كان الله ﷻ قد ضمن له العصمة، فهو يعلم أنه لا سبيل لبشر عليه، فأجاب بعضهم بأن هذا يدل على ضعف الحديث، وبعضهم بأن هذا قبل نزول الآية، فلما نزلت لم يكن ليفعل ذلك بعدها.

ولو تأمل هؤلاء أن ضمان الله ﷻ له العصمة لا ينافي تعاطيه لأسبابها لأغناهم عن هذا التكلف، فإن هذا الضمان له من ربه تعالى لا يناقض احتراسه من الناس ولا ينافيه، كما أن إخبار الله ﷻ له بأنه يُظهر دينه على الدين كله ويُعليه لا يناقض أمره بالقتال وإعداد العُدَّة والقوة ورباط الخيل والأخذ بالجد والحذر والاحتراس من عدوه ومحاربتة بأنواع الحرب والتورية، فكان إذا أراد الغزوة ورى غيرها؛ وذلك لأن هذا إخبار من الله ﷻ عن عاقبة حاله ومآله بما يتعاطاه من الأسباب التي جعلها مُفضية إلى ذلك مقتضية له، وهو ﷺ أعلم بربه وأتبع لأمره من أن يُعطل الأسباب التي جعلها الله ﷻ

= والبيهقي في الشعب برقم ٥٦٥١، من الطريق نفسه إلا أن فيه عمار بن ياسر بدل عمر ابن الخطاب. والحديث في إسناده ومثنه اختلاف كثير واضطراب، وليس في سائر طرقه ذكر موضع الشاهد. انظر تهذيب الآثار (٢/٨٣٨-٨٤٥)، وعلل الدارقطني برقم ٢٣٩، ٥١١، ١١١٩، وأنيس الساري برقم ٣٣٩٩.

بحكمته موجبة لما وعده به من النصر والظفر وإظهار دينه وغلبته لعدوه، وهذا كما أنه **سَبَّحَانَهُ** ضمن له حياته حتى يُبلِّغ رسالاته ويظهر دينه، وهو يتعاطى أسباب الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن.

وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس، حتى آل ذلك ببعضهم إلى أن ترك الدعاء وأنه لا فائدة فيه - زعم - لأن المسؤول إن كان قد قُدِّرَ ناله ولا بُدَّ، وإن لم يقدر لم ينله، فأبي فائدة في الاشتغال بالدعاء؟ ثم تكايس في الجواب بأن قال: الدعاء عبادة، فيقال لهذا الغالط: بقي عليك قسمٌ آخر وهو الحق: أنه قد قُدِّرَ له مطلوبه بسبب إن تعاطاه حصل له المطلوب وإن عطلَّ السبب فاته المطلوب، والدعاء من أعظم الأسباب في حصول المطلوب.

وفيها: جواز عقرب فرس العدو ومركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله، كما عقرب عليٌّ بغير حامل راية الكفار، وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه.

وفيها: عفو رسول الله ﷺ عن من هم بقتله، ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره حتى عاد كأنه ولي حميم.

ومنها: ما ظهر في هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة من إخباره لشيبة بما أضمر في نفسه، ومن ثباته وقد

تولى عنه الناس وهو يقول:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
وقد استقبلته كتائب المشركين.

ومنها: إيصال الله ﷻ قبضته ﷺ التي رمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه، وبركته في تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم، إلى غير ذلك من معجزاته فيها، كنزول الملائكة للقتال معه حتى رأهم العدو جهرة ورأهم بعض المسلمين^(١).

ومنها: جواز انتظار الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار ودخولهم في الطاعة فيرد عليهم غنائمهم وسبيهم، وفي هذا دليل لمن يقول: إن الغنيمة إنما تملك بالقسمة لا بمجرد الاستيلاء عليها، إذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء لم يستأن بهم النبي ﷺ ليردها عليهم، وعلى هذا فلو مات من الغانمين أحدٌ قبل القسمة أو إحرازها بدار الإسلام رُدَّ نصيبه على بقية الغانمين دون ورثته، وهذا مذهب أبي حنيفة، ولو

(١) قال محققو الزاد: ومما روى في نزول الملائكة غير ما سبق عند المؤلف في أحداث الغزاة: ما رواه مسدد في مسنده كما في المطالب العالية برقم ٤٣٠٩، والطبري في تفسيره (١١/٣٩٣-٣٩٥)، وابن عساكر في تاريخه (٣٤/١٧٤) من طرق عن عوف الأعرابي، عن عبدالرحمن مولى أم بُرثن قال: حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب محمد ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة أن كشفناهم، فبينما نحن نسوقهم في أديارهم إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا: شأهت الوجوه! ارجعوا، قال: فانهزمتنا وركبوا أكتافنا فكانت إياها. وإسناده جيد.

مات قبل الاستيلاء لم يكن لورثته شيء، ولو مات بعد القسمة فسهمه لورثته.

وهذا العطاء الذي أعطاه النبي ﷺ لقريش والمؤلفة قلوبهم هل هو من أصل الغنيمة، أو من الخمس، أو من خمس الخمس؟

فقال الشافعي ومالك: «هو من خمس الخمس»^(١)، وهو سهمه ﷺ الذي جعله الله له من الخمس، وهو غير الصفي وغير ما يصيبه من المغنم، لأن النبي ﷺ لم يستأذن الغانمين في تلك العطية، ولو كان العطاء من أصل الغنيمة لاستأذنتهم لأنهم ملكوها بحوزها والاستيلاء عليها، وليس من أصل الخمس لأنه مقسوم على خمسة، فهو إذاً من خمس الخمس.

وقد نص الإمام أحمد على أن النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة، وهذا العطاء هو من النفل، نفل النبي ﷺ به رؤوس القبائل والعشائر ليتألفهم به وقومهم على الإسلام، فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس والربع بعده^(٢) لما فيه من

(١) قال محققو الزاد: هو مذهب الشافعي، وأما مالك فقال: إن النفل يكون من جملة الخمس، ولم يشترط أن يكون من خمس الخمس. انظر المنهاج للنووي ص ٣٦٦، والمدونة (٣/٣٠)، والبيان والتحصيل (٣/١٨٠، ١٧/٤٧١، ١٨/١٨٤).

(٢) قال محققو الزاد: يشير إلى هديه ﷺ، أنه إذا أرسل سرية بين يدي الجيش فغنمت شيئاً أخرج خمسها ونفلها ربع الباقي، ثم قسم الباقي بينها وبين سائر الجيش بالسوية، وهذا في البداية، وأما في الفصول فينفلها الثلث بعد إخراج الخمس.

تقوية الإسلام وشوكته وأهله واستجلاب عدوه إليه؛ وهكذا وقع سواءً، كما قال بعض هؤلاء الذين نفلهم: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ وأنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي»^(١).

فما ظنك بعطاء قوى الإسلام وأهله، وأذل الكفر وحزبه، واستجلب به قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضوا لرضاهم، فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم؛ فلهذا ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجدها وأنفعه للإسلام وأهله.

ومعلوم أن الأنفال لله ولرسوله، يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الأمر، فلو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل.

ولما عميت أبصار ذي الخويصرة التميمي وأضرابه عن هذه المصلحة والحكمة قال له قائلهم: «اعدل فإنك لم تعدل»، وقال مُشبهه: «إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله»^(٢)، ولعمر الله إن هؤلاء من أجهل الخلق برسوله ومعرفته بربه وطاعته له، وتمام عدله، وإعطائه الله ومنعه الله.

(١) قاله صفوان بن أمية كما في صحيح مسلم برقم ٢٣١٣، عن سعيد بن المسيب مرسلًا.

(٢) قولهما في الصحيحين، وقد سبق تخريجه ص ٤٣٧.

ولله سبحانه أن يقسم الغنائم كما يحب، وله أن يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم، وله أن يسلط عليها نارًا من السماء تأكلها^(١)، وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، وما فعل ما فعله من ذلك عبثًا ولا قدَّرَه سدى، بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة، مصدره كمال علمه وعزَّته وحكمته ورحمته؛ ولقد أتم نعمته على قوم ردهم إلى منازلهم برسوله يقودونه إلى ديارهم، وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاء والبعير، كما يُعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه، وهذا فضله وهذا فضله، وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويُحرمون، ورسوله منفذ لأمره.

فإن قيل: فلو دعت حاجة الإمام في وقت من الأوقات إلى مثل هذا مع عدوه، هل يسوغ له ذلك؟

قيل: الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين، فإن تعين ذلك للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته واستجلاب رؤوس أعدائه إليه ليأمن المسلمون شرَّهم ساغ له

(١) كما كان عليه الأمر في الأمم السابقة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه في قصة نبي من الأنبياء: «... فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم؛ رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا». البخاري برقم ٣١٢٤، ومسلم برقم ١٧٤٧.

ذلك، بل تعين عليه، وهل تُجوز الشريعة غير هذا؟! فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين. وباللَّهِ التوفيق.

قوله ﷺ: «فَلَهُ سَلْبُهُ» دليل على أن له سلبه كله غير مخموس، وقد صرح بهذا في قوله لسلمة بن الأكوع لما قتل قتيلاً: «لَهُ سَلْبُهُ أَجْمَعُ»^(١).

وفي المسألة ثلاثة مذاهب، هذا أحدها.

والثاني: أنه يُخمس كالغنيمة، وهذا قول الأوزاعي وأهل الشام، وهو مذهب ابن عباس لدخوله في آية الغنيمة.

والثالث: أن الإمام إن استكثره خمسه وإن استقله لم يخمسه، وهو قول إسحاق وفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فروى سعيد في سننه^(٢) عن ابن سيرين أن البراء ابن مالك بارز مرزبان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٠٥١، ومسلم برقم ١٧٥٤، من حديث سلمة مطولاً.

(٢) قال محققو الزاد: برقم ٢٧٠٨، وأخرجه أيضاً عبدالرزاق برقم ٩٤٦٨، وابن أبي شيبة برقم ٣٣٧٦٠، ٣٣٧٦١، والبيهقي (٦/٣١٠، ٣١١)، بأسانيد صحيحة، وهو عند الأخيرين: عن ابن سيرين عن أنس، والبراء بن مالك أخو أنس.

الزارة^(١) بالبحرين قطعنه فدقّ صلبه وأخذ سُواريه وسلبه، فلما صلى عمر الظهر أتى البراء^(٢) في داره، فقال: «إنا كُنَّا لا نخمس السلب، وإن سلب البراء قد بلغ مالاً وأنا خامسه»، فكان أول سلب خمس في الإسلام سلب البراء، بلغ ثلاثين ألفاً.

والأول أصح، فإن رسول الله ﷺ لم يخمس السلب وقال: هو له أجمع، ومضت على ذلك سنته وسنة الصديق بعده، وما رآه عمر اجتهاد أداه إليه رأيه.

والحديث يدل على أنه من أصل الغنيمة، فإن النبي ﷺ قضى به للقاتل ولم ينظر في قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس، وقال مالك^(٣): هو من خمس الخمس.

ويدل على أنه يستحقه من يسهم له ومن لا يسهم له من صبي وامرأة وعبد ومشرك، وقال الشافعي في أحد قوليّه: لا يستحق السلب إلا من يستحق السهم؛ لأن السهم المجمع عليه إذا لم يستحقه العبد والصبي والمرأة والمشرك، فالسلب أولى، والأول أصح للعموم، ولأنه جارٍ مجرى قول الإمام: من فعل

(١) قال محققو الزاد: في المطبوع «مرزبان المرازبة»، وكذا في هامش ز مصدرًا بـ «لعله»، وهو خطأ، والزارة: قرية بالبحرين، وهي اليوم تقع في محافظة القطيف بالمملكة العربية السعودية، والمرزبان: رئيس القوم عند الفرس، وهو دون الملك.

(٢) في السنن وغيره: أتى أبا طلحة، وهو زوج أم سليم أم البراء وأنس.

(٣) قال محققو الزاد: سبق أن المشهور عنه أنه من جملة الخمس دون تحديد خمس الخمس.

كذا أو دل على حصنٍ أو جاء برأس فله كذا، مما فيه تحريض على الجهاد، والسهم مستحق بالحضور وإن لم يكن منه فعل والسلب مستحق بالفعل، فجرى مجرى الجعالة.

وفيه دلالة على أنه يستحق سلب جميع من قتله وإن كثروا، وقد ذكر أبو داود أن أبا طلحة قتل يوم حنين عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) في سننه برقم ٢٧١٨، وأخرجه أحمد برقم ١٢٢٣٦، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٣/٥٩٢-٦١٧)، بتصرف واختصار.

فوائد ومسائل فقهية من غزوة حنين (٢)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

١- جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسبي، فقد سأل الصحابة الرسول ﷺ في سبي أوطاس، فنزلت الآية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] (١).

٢- النهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: «أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَعَازِي النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ، وَالصَّبِيَّانِ» (٢).

وفي سنن أبي داود من حديث رباح بن ربيع قال: «كُنَّا مَعَ

(١) صحيح مسلم برقم ١٤٥٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٥١٤، وصحيح مسلم برقم ١٧٤٤.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: «انظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هُوَ لَاءِ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ، فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتَلَ»، قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدَّمَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: «قُلْ لِحَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا»^(١). والعسيف: الأجير.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وخالد أول مشاهده مع النبي ﷺ غزوة الفتح، وفي ذلك العام كانت غزوة حنين، ومفهوم الحديث السابق أنها لو قاتلت لقتلت، واتفق الجميع كما نقل ابن بطال وغيره على منع القصد إلى قتل النساء والولدان، أما النساء فلضعفهن، وأما الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر، ولما في استبقائهم جميعاً من الانتفاع بهم، إما برق أو بالفداء فيمن يجوز أن يُفادى به»^(٢). أهـ

٣- في قول بعض الصحابة عندما خرجوا إلى حنين ومروا بسدرة يعكف^(٣) عليها المشركون وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها ذات أنواط، فقالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال الشيخ صالح الفوزان: «فيه بطلان التبرك بالأشجار، والأحجار، وأنه شرك؛ لأن موسى ﷺ قال:

(١) برقم ٢٦٦٩، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٧.

(٢) فتح الباري (٦/١٤٨) بتصرف واختصار.

(٣) العكوف: هو البقاء في المكان، يقال: اعتكف في المكان إذا أطال الجلوس فيه.

﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٤٠]، فدل على أن من يتبرك بشجر أو حجر فقد اتخذهُ إلهًا، وهذا هو الشرك، واختلاف اللفظ لا يؤثر مع اتفاق المعنى، هؤلاء قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» وبنو إسرائيل قالوا: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] والرسول جعل هذا مثل هذا، وإن اختلف اللفظ.

أما قول عبدة القبور عن عبادتهم للقبور، هذا ليس بشرك، هذا توسل، حمية للأولياء، فإن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١). فدل على أن تعظيم القبور والتبرك بها يجعلها أوثانًا تعبد من دون الله، فالعبرة في المعاني لا في الألفاظ، فاختلاف الألفاظ لا يؤثر، وإن سموه توسلاً، أو سموه إظهاراً لشرف الصالحين، أو وفاء بحقهم علينا، كما يقولون: هذا هو الشرك، سواء بسواء، فالذي يتبرك بالحجر أو الشجر أو بالقبور قد اتخذهُ إلهًا، وإن كان يزعم أنه ليس بإله، فالأسماء لا تغير الحقائق»^(٢).

٤- أن حسن المقاصد لا تغير من الحكم الشرعي شيئاً، هؤلاء لهم مقصد حسن، ولكن النبي ﷺ لم يعتبر مقاصدهم، بل

(١) موطأ مالك ص ١١١ برقم ٤٩٧، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (١/١٦٢).

أنكر هذا، كما قال ابن مسعود: «كم من مرید للخیر لم یصبه»^(١).

٥- خطورة التشبه بالكفار والمشركين؛ لأنها تؤدي إلى الشرك، ولهذا قال ﷺ: «لَتَبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مَن قَبْلَكُمْ»^(٢).
ففي الحديث التحذير من التشبه بالمشركين والكفار في أفعالهم، وعاداتهم الخاصة، وتقاليدهم وطقوسهم»^(٣).

٦- فيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصاً أم عاماً^(٤)، «ولقد خطب النبي ﷺ خطبة بليغة، ما سمع في باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والصراحة والرقّة والاستعطاف»^(٥).

٧- «ترتيب النبي ﷺ للخطبة ترتيباً بليغاً، وقد أوتي جوامع الكلم، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع

(١) سنن الدارمي برقم ٢١٠.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٤٥٦، وصحيح مسلم برقم ٢٦٦٩.

(٣) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (١/١٦٢-١٦٣).

(٤) فتح الباري (٨/٥٢).

(٥) السيرة النبوية لأبي شهبه (٢/٤٨٤).

بينهم من حرب بعث وغيرها، فزال ذلك كله بالإسلام،
كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ
قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

٨- إقامة الحجّة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه.

٩- حسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في
الحياء.

١٠- فيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل على ثناء الرسول ﷺ
البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه،
ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق.

١١- المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة
من عتب عليه والاعتذار والاعتراف.

١٢- فيه علم من أعلام النبوة لقوله: «ستلقون بعدي»، فكان
كما قال.

١٣- وفيه أن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك.

١٤- جواز تخصيص بعض المخاطبين في الخطبة.

١٥- تسليّة من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب
الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى، وأن
المنة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة

على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى»^(١).

١٦- قال ابن حجر: «قال ابن القيم: اقتضت حكمة الله أن فتح مكة كان سبباً لدخول كثير من قبائل العرب في الإسلام، وكانوا يقولون: دعوه وقومه، فإن غلبهم دخلنا في دينه، وإن غلبوه كفونا أمره، فلما فتح الله عليه استمر بعضهم على ضلاله، فجمعوا له وتأهبوا لحربه، وكان من الحكمة في ذلك أن يظهر أن الله نصر رسوله لا بكثرة من دخل في دينه من القبائل، ولا بانكفاف قومه عن قتاله»^(٢).

١٧- «أن النبي ﷺ لما أمر عثمان بن أبي العاص على الطائف، أمره أن يبني مسجداً محل طواغيتهم، وهذا يدل على جواز جعل الكنائس والبيع وأمكنة الأصنام مساجد، وكذلك فعل الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم حينما فتحوا البلاد»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فأما أماكن الكفر والمعاصي التي لم يكن فيها عذاب، فإذا جعلت مكاناً للإيمان أو الطاعة فهذا حسن، كما أمر النبي ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طواغيتهم، وأمر أهل

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠-٥٢).

(٢) فتح الباري (٨/ ٤٩).

(٣) عون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي (٢/ ٤٤٧).

اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم^(١).

١٨- «ركوبه ﷺ البغلة في ذلك الموطن مبالغة في الثبات والصبر، ويدل على العزم على عدم الفرار، كما قد فعل حين انهزم الناس عنه وهو مقبل على العدو، يركض ببغلته نحوهم، وقد زاد على ذلك كما ذكر في الرواية الأخرى، أنه نزل بالأرض على عادة الشجعان في المنازلة، وهذا كله يدل على أنه ﷺ كان أشجع الناس وأثبتهم في الحرب؛ ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم: إن الشجاع منا للذي يلوذ بجانبه»^(٢).

١٩- أن الغاية من الجهاد إسلام الناس وليس الغنائم والمكاسب المالية، فالرسول ﷺ يعد زعيم الطائف إن أسلم أن يرد عليه أهله وماله ومائة من الإبل مكافأة له، وترغيباً له للدخول في الإسلام، ليبين له الرسول ﷺ مدى الحرص عليه وعلى إسلامه، وأن لا رغبة في استرقاق أهله ومصادرة ماله.

٢٠- التشديد في النهي عن الغلول، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم حبيبة بنت العرباض عن أبيها أن

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٣-٢٣٤).

(٢) المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي (٣/٦١٥).

رسول الله ﷺ كان يأخذ الوبرة من فيء الله ﷻ بِيَزْوِجَاتٍ فيقول: «مَا لِي مِنْ هَذَا إِلَّا مِثْلَ مَا لِأَحَدِكُمْ إِلَّا الْخُمْسَ، وَهُوَ مَرْدُودٌ فِيكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمِخِيطَ فَمَا فَوْقَهُمَا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ، فَإِنَّهُ عَارٌ وَشَنَارٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

٢١- شجاعة أم سليم، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فراها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله! هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ»، قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله: اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٨٥ / ٢٨) برقم ١٧١٥٤، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٢) برقم ١٨٠٩.

فوائد ومسائل فقهية من فتح الطائف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكمالاً للحديث عن فتح الطائف، هذه بعض الفوائد والمسائل الفقهية، فمن ذلك: جواز القتال في الأشهر الحرم ونسخ تحريم ذلك.

فإن رسول الله ﷺ خرج من المدينة إلى مكة في أواخر رمضان بعد مضي ثمان عشرة ليلة منه، والدليل عليه ما رواه أحمد في مسنده^(١): حدثنا إسماعيل عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس أنه مر مع رسول الله ﷺ

(١) قال محققو زاد المعاد: برقم ١٧١١٢، وأخرجه أيضًا النسائي في الكبرى برقم ٣١٢٦، ٣١٤٠، وابن حبان برقم ٣٥٣٤، والطبراني في الكبير (٧/٢٧٧)، من طرق عن خالد الحذاء به، وأخرجه النسائي في الكبرى برقم ٣١٢٦، والبيهقي (٤/٢٦٨)، من طريق هشيم عن منصور بن زاذان عن أبي قلابة به، وللحديث طرق أخرى عن أبي قلابة ولكن ليس فيها ذكر زمن الفتح، وقد صحح الحديث علي ابن المديني وإسحاق بن راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي كما أسنده عنهم الحاكم في المستدرک (١/٤٢٨-٤٢٩)، وعنه البيهقي (٤/٢٦٧).

زمن الفتح على رجل يحتجم بالبقيع لثمان عشرة خلت من رمضان، وهو أخذ بيدي فقال: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»، وهذا أصح من قول من قال: إنه خرج لعشرٍ خلون من رمضان، وهذا الإسناد على شرط مسلم، فقد روى به بعينه: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

وأقام بمكة تسع عشرة ليلة يقصر الصلاة^(٢)، ثم خرج إلى هوازن فقاتلهم وفرغ منهم، ثم قصد الطائف فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة في قول ابن إسحاق، وثمان عشرة ليلة في قول ابن سعد، وأربعين ليلة في قول مكحول^(٣).

فإذا تأملت ذلك علمت أن بعض مدة الحصار في ذي القعدة ولا بد، ولكن قد يقال: لم يتدئ القتال إلا في شوال، فلما شرع فيه لم يقطعه للشهر الحرام، ولكن من أين لكم أنه ﷺ ابتداء قتالاً في شهر حرام؟ وفرقٌ بين الابتداء والاستدامة^(٤).

ومنها: جواز غزو الرجل وأهله معه، فإن النبي ﷺ كان معه في هذه الغزاة أم سلمة وزينب^(٥).

(١) صحيح مسلم برقم ١٩٥٥.

(٢) كما في حديث ابن عباس عند البخاري برقم ٤٢٩٨.

(٣) وهو أصح الأقوال؛ لأنه صح من قول أنس عند مسلم كما سبق.

(٤) وهذا هو الراجح عندي. راجع الكلمة الحادية عشرة من الجزء العاشر من كتابي موسوعة الدرر المنتقاة.

(٥) وهذا إنما يكون عند الأمن من العواقب.

ومنها: جواز نصب المنجنيق على الكفار ورميهم به، وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والذرية.

ومنها: أن العبد إذا أبق من المشركين ولحق بالمسلمين صار حرًا، قال سعيد بن منصور^(١): حدثنا يزيد بن هارون عن الحجاج [عن الحكم] عن مِقْسَم عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعتق العبيد إذا جاؤوا قبل مواليهم.

وروى سعيد^(٢) أيضًا قال: قضى رسول الله ﷺ في العبد وسيده قضيتين: قضى أن العبد إذا خرج من دار الحرب قبل سيده أنه حر، فإن خرج سيده بعده لم يُرد عليه، وقضى أن السيد إذا خرج قبل العبد ثم خرج العبد رُد على سيده.

وعن الشعبي عن رجل من ثقيف قال: سألتنا رسول الله ﷺ أن يرد علينا أبا بكرة وكان عبدًا لنا، أتى رسول الله ﷺ وهو مُحاصر ثقيفًا فأسلم، فأبى أن يرده علينا وقال: «هُوَ طَلِيقُ اللَّهِ،

(١) قال محققو الزاد: أخرجه سعيد بن منصور في سننه برقم ٢٨٠٧، والمؤلف صادر عن المغني لابن قدامة (١١٦/١٣)، وأخرجه أيضًا أحمد برقم ٢١١١، وابن أبي شيبة برقم ٣٤٢٨٣، كلاهما عن يزيد بن هارون به، وإن كان في إسناده لين من أجل الحجاج - وهو ابن أرملة - وعننعه، إلا أن له شاهدًا عند البخاري برقم ٥٢٨٦ من رواية عطاء عن ابن عباس بنحوه.

(٢) قال محققو الزاد: برقم ٢٨٠٦، وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة برقم ٢٩٦٧٤، كلاهما عن أبي معاوية، عن الحجاج، عن أبي سعيد الأعسم - وهو من صغار التابعين أو من أتباعهم - مرسلًا.

ثُمَّ طَلِيقُ رَسُولِهِ»، فلم يردده علينا^(١).

قال ابن المنذر^(٢): وهذا قول كل من نحفظ عنه من أهل العلم.

ومنها: أن الإمام إذا حاصر حصناً ولم يُفتح عليه، ورأى مصلحة المسلمين في الرحيل عنه، لم يلزمه مصابرتة وجاز له ترك مصابرتة، وإنما تلزم المصابرة إذا كان فيها مصلحة راجحة على مفسدتها.

ومنها: أنه أحرم من الجعرانة بعمره وكان داخلاً إلى مكة، وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير ممن لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليُحرم منها بعمره ثم يرجع إليها، فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس - زعموا - اقتداءً بالنبي ﷺ وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلاً إلى مكة، لم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها؛ فهذا لون وسنته لون، وباللَّهِ التوفيق.

ومنها: استجابة الله ﷻ لرسوله ﷺ دعاءه لثقيف أن

(١) قال محققو الزاد: أخرجه سعيد بن منصور برقم ٢٨٠٨، وأحمد برقم ١٧٥٣٠، وابن

سعد في الطبقات (١٥/٩)، والطحاوي في معاني الآثار (٢٧٨/٣) بإسناد صحيح.

(٢) قال محققو الزاد: في الأوسط (٣٠٤/٦)، والإشراف (١٤٦/٤)، والمؤلف صادر

عن المغني (١١٦/١٣).

يهدبهم ويأتي بهم وقد حاربوه وقاتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه وقتلوا رسول رسوله الذي أرسله إليهم يدعوهم إلى الله، ومع هذا كله فدعا لهم ولم يدع عليهم، وهذا من كمال رحمته ورأفته ونصيحته صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها: كمال محبة الصديق له وقصده التقرب إليه والتحب بكل ما يمكنه، ولهذا ناشد المغيرة أن يدعه هو يبشر النبي ﷺ بقدم وفد الطائف ليكون هو الذي سره وفرحه بذلك، وهذا يدل على أنه يجوز للرجل أن يسأل أخاه أن يؤثره بقربة من القرب، وأنه يجوز للرجل أن يؤثر بها أخاه، وقول من قال من الفقهاء: لا يجوز الإيثار بالقرب، لا يصح.

وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه في بيتها جوار النبي ﷺ^(١)، وسألها عمر ذلك فلم يكره له السؤال ولا لها البذل، وعلى هذا فإذا سأل الرجل غيره أن يؤثره بمقامه في الصف الأول لم يكره له السؤال، ولا لذلك البذل، ونظائره.

ومن تأمل سيرة الصحابة وجددهم غير كارهين لذلك، ولا ممتنعين عنه، وهل هذا إلا كرم وسخاء، وإيثار على النفس بما هو من أعظم محبوباتها، وتفريحا لأخيه المسلم، وتعظيمًا لقدره، وإجابة له إلى ما سأله، وترغيبًا له في الخير؛ وقد يكون

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٩٢.

ثواب كل واحد من هذه الخصال راجحاً على ثواب تلك القربة، فيكون المؤثر بها ممن تاجر فبذل قربة وأخذ أضعافها.

وعلى هذا فلا يمتنع أن يؤثر صاحب الماء بمائه أن يتوضأ به ويتيمم هو، إذ كان لا بد من تيمم أحدهما، فأثر أخاه وحاز فضيلة الإيثار وفضيلة الطهر بالتراب، ولم يمنع من هذا كتاب ولا سنة ولا مكارم أخلاق.

وعلى هذا فإذا اشتد العطش بجماعة وعانوا التلف، ومع بعضهم ماء فأثر به على نفسه واستسلم للموت كان ذلك جائزاً، ولم نقل إنه قاتل لنفسه ولا إنه فعل محرماً، بل هذا غاية الجود والسخاء، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وقد جرى هذا بعينه لجماعة من الصحابة في فتوح الشام، وعُدَّ ذلك في مناقبهم وفضائلهم.

وهل إهداء القُربِ المجمع عليها المتنازع فيها إلى الميت إلا إيثار بثوابها؟ وهو عين الإيثار بالقرب، فأى فرق بين أن يؤثره بفعلها ليُحرز ثوابها وبين أن يعمل ثم يؤثره بثوابها؟ وباللَّهِ التوفيق.

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع

القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تُعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها وبها، وبالله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد فيها أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلبت السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه

المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجوز للإمام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تُساق إليها كلها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاهما لأبي سفيان يتألفه بها وقضى منها دين عروة والأسود.

وكذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً، وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بأثمانها على مصالح المسلمين، وكذلك الحكم في أوقافها، فإن وقفها والوقف عليها باطل وهو مال ضائع، فيُصرف في مصالح المسلمين، فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة لله ورسوله، فلا يصح الوقف على مشهدٍ ولا قبرٍ يُسرج عليه ويُعظم، وينذر له ويحج إليه، ويُعبد من دون الله ويُتخذ وثناً من دونه، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم.

ومنها: أن وادي وج - وهو واد بالطائف - حرم يحرم صيده وقطع شجره، وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فالجمهور قالوا: ليس في البقاع حرم إلا مكة والمدينة، وأبو حنيفة خالفهم في حرم المدينة، وقال الشافعي في أحد قوليهِ: وجَّ حرم يحرم صيده وشجره، واحتج لهذا القول بحدِيثين: أحدهما هذا الذي تقدم^(١)، والثاني: حديث عروة بن الزبير عن أبيه الزبير أن

(١) وفيه كتاب رسول الله الذي كتب لهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي =

النبي ﷺ قال: «إِنَّ صَيْدَ وَجٍّ، وَعِضَاهَهُ حَرَّمٌ مُّحَرَّمٌ لِلَّهِ»^(١).
 وهذا الحديث يعرف بمحمد بن عبد الله بن إنسان عن أبيه
 عن عروة، قال البخاري في تاريخه^(٢): لا يتابع عليه.
 قلت: وفي سماع عروة من أبيه نظر، وإن كان قد
 رآه^(٣)، والله أعلم. أهـ

والراجح أن وادي وج ليس بحرم؛ لأن الأحاديث الواردة
 في ذلك لم تصح.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



= رسول الله إلى المؤمنين: إن عضاه وجٍّ وصيده حرام لا يُعضد، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي محمداً، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله ﷺ، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله. قال محققو الزاد (٦٢٨/٣): ذكر الكتاب بنحوه الواقدي في مغازيه (٩٧٣/٣)، وكاتبه في الطبقات (٢٤٦/١).

(١) أحمد برقم ١٤١٦، وأبو داود برقم ٢٠٣٢.
 (٢) قال محققو الزاد: التاريخ الكبير (١٤٠/١)، وقال في ترجمة أبيه (٤٥/٥): «لم يصح حديثه»، وقد ضعف الحديث الإمام أحمد كما في المغني (١٩٤/٥) نقلاً عن العليل للخلال.

(٣) قال محققو الزاد: قال الدارقطني: لا يصح سماعه من أبيه. انظر: تهذيب التهذيب (١٨٥/٧).

الرؤى التي رآها النبي ﷺ وأولها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فقد تقدم في كلمة سابقة الكلام على الرؤى وأقسامها، وبعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في الرؤيا، وسيكون الكلام في هذه الكلمة عن الرؤى التي رآها النبي ﷺ وأولها:

الرؤيا الأولى:

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأَتَيْنَا بَرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرَّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(١).

«وتأويله ﷺ دليل على أن تفسير الرؤيا قد يؤخذ من اشتقاق كلماتها، فإنه ﷺ أخذ من عقبة حسن العاقبة، ومن رافع الرفعة، ومن رطب بن طاب: لذاذة الدين وكماله، وقد

قال علماء أهل العبارة: أن لها أربعة طرق:

أحدها: ما يشتق من الأسماء كما ذكرناه آنفاً.

وثانيها: ما يُعتبر مثاله: ويميز شكله كدلالة معلم الكتاب على القاضي، والسلطان، وصاحب السجن، ورأس السفينة، وعلى الوصي والوالد.

وثالثها: ما يعبره المعنى المقصود من ذلك الشيء المرئي، كدلالة فعل السفر على السفر، وفعل السوق على المعيشة، وفعل الدار على الزوجة والجارية.

ورابعها: التعبير بما تقدم له ذكر في القرآن والسنة، أو الشعر، أو كلام العرب وأمثالها، وكلام الناس وأمثالهم، أو خبر معروف، أو كلمة حكمة وذلك ك نحو تعبير الخشب بالمنافق لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنْهُمْ حَشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، وكتعبير القارورة بالمرأة لقوله ﷺ: «رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ» يعني ضعفة النساء»^(١).

«والسفينة: تعبر بالنجاة لقوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥].

والحجارة: بقسوة القلب لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦/٣٤).

بَعْدَ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحَجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴿ [البقرة: ٧٤]، وغير ذلك»^(١).

الرؤيا الثانية:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا - وفي رواية: تُذْبَحُ^(٢) - وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدُ، وَثَوَابُ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»^(٣).

«قوله: «وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ»، هذا نص في رؤيته لدار هجرته، ولهذه الحالة الدالة على قضية يوم أحد كانت منامًا واحدًا، وقد تأول ﷺ السيف هنا بالقوم الذي كانوا معه الناصرين له أخذًا من معنى السيف؛ لأنه به يُنتصر ويُعتضد في اللقاء كما يعتضد بالأنصار والأولياء، وقد

(١) مختصر الكلام في تفسير الرؤى والأحلام للشيخ فهد العتيبي ص ٥٤.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم ٢٤٤٥.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٦٢٢، وصحيح مسلم برقم ٢٢٧٢ واللفظ له.

يتأول على وجوه متعددة في غير هذا الموضوع، فقد يدل على الولد، والوالد، والعم، والعصبة، والزوجة، والسلطان، والحجة القاطعة، وذلك بحسب ما يظهر من أحوال الرائي والمرئي ووقت الرؤيا، وإنما تأول انقطاع صدر السيف بقتل من قتل يوم أحد لأنهم كانوا معظم صدر عسكره، إذ كان فيهم عمه حمزة وغيره من أشرف المهاجرين والأنصار، فاقتبس صدر القوم من صدر السيف، والقطع الذي رئي فيه قطع أعمار المقتولين، وهزه للسيف هو حملهم إياهم على الجهاد وحثهم عليه.

قوله ﷺ: « ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ »: فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، يعني والله أعلم ما صنع الله لهم بعد أحد، وذلك أنهم لم ينكلوا عن الجهاد، ولا ضعفوا ولا استكانوا لما أصابهم يوم أحد، لكن جددوا نياتهم وقوا إيمانهم وعزماتهم، فخرجوا على ما بهم من الضعف والجراح، فغزوا غزوة حمراء الأسد، مستظهرين على عدوهم بالقوة والجلد، ثم فتح الله عليهم ونصرهم في غزوة بني النضير، ثم في غزوة ذات الرقاع، ثم لم يزل الله يجمع المؤمنين ويكثرهم ويفتح عليهم إلى بدر الثانية، وكانت في شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة، وبعد تسعة أشهر ونصف شهر من أحد، فما فتح الله عليه به في هذه المدة هو المراد هنا.

قوله ﷺ: «وَتَوَابُ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدُ يَوْمَ بَدْرِ»: يستحيل أن يكون يوم بدر هنا هو غزوة بدر الكبرى، لتقدم بدر الكبرى على أحد بزمان طويل؛ لأن بدر الأولى في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكانت أحد في السنة الثالثة والنصف من شوال، ولذلك قال علماؤنا إن يوم بدر في هذا الحديث هو يوم بدر الثاني، وكان من أمرها أن قريشاً لما أصابت في أحد من أصحاب النبي ﷺ ما أصابت وأخذوا في الرجوع نادى أبو سفيان يسمع النبي ﷺ، فقال: موعدكم يوم بدر في العام المقبل، فأمر النبي ﷺ بعض أصحابه أن يجيبه بنعم، فلما كان العام المقبل - وهي السنة الرابعة من الهجرة - خرج في شعبان إلى بدر الثانية، فوصل إلى بدر، وأقام هناك ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى بلغ عسفان، ثم إنهم غلبهم الخوف فرجعوا، واعتذروا بأن العام عام جذب، وكان عذراً محتاجاً إلى عذر، فأخزى الله المشركين، ونصر المؤمنين، ثم إن النبي ﷺ لم يزل منصوراً، وبما يفتح الله عليه مسروراً، إلى أن أظهر الله تعالى دينه على الأديان، وأحمد كلمة الكفر والطغيان.

الرؤيا الثالثة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي

يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ
 أَنْ أَنْفُحُهُمَا، فَتَفَحَّتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي،
 فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنْعَاءَ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ صَاحِبُ
 الْيَمَامَةِ»^(١).

قوله: «فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي»: أي يظهران
 ويغلبان بعد موتي، وإلا فقد كانا موجودين في حياة النبي ﷺ
 متبعين، وقد دل على هذا قوله في الرواية الأخرى: فأولتهما
 الكذابين اللذين أنا بينهما، ووجه مناسبة هذا التأويل لهذه
 الرؤيا: أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانا قد أسلما وكانا
 كالساعدين للإسلام، فلما ظهر فيهما هذان الكذابان وتبهرجا
 لهما بترهاتهما وزخرفا أقوالهما، فانخدع الفريقان بتلك
 البهرجة، فكان البلدان للنبي ﷺ بمنزلة يديه؛ لأنه كان يعتضد
 بهما، والسواران فيهما هما مسيلمة وصاحب صنعاء بما زخرفا
 من أقوالهما.

ونفخ النبي ﷺ: هو أن الله أهلكهما على أيدي أهل
 دينه، أما مسيلمة فقد قُتل في معركة اليمامة في عهد أبي بكر
 الصديق رضي الله عنه، وأما صاحب صنعاء، فقد قتل على يد فيروز
 الديلمي، وقيس بن مكشوح، وكان ذلك في خلافة أبي بكر

(١) صحيح البخاري برقم ٤٣٧٣، وصحيح مسلم برقم ٢٢٧٤.

الصديق على الصحيح من أقوال أهل العلم لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَخْرُجَانِ بَعْدِي» أي بعد وفاتي. والله أعلم^(١).

الرؤيا الرابعة:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيْتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيَتْ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»، قالوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ»^(٢).

قال المهلب: اللبن يدل على الفطرة والسنة والقرآن والعلم.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جاء في بعض الأحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة كما في حديث الإسراء والمعراج»^(٣).

«وذكر الدينوري أن اللبن المذكور في هذا يختص بالإبل، وأنه أشار به إلى مال حلال وعلم وحكمة، قال: ولبن البقر خصب السنة، ومال حلال وفطرة أيضًا، ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم، وألبان الوحش شك في الدين، وألبان السباع

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦/٣٤-٤٥).

(٢) صحيح البخاري برقم ٨٢، وصحيح مسلم برقم ٢٣٩١.

(٣) فتح الباري (١٢/٣٩٣).

غير محمودة إلا أن لبن اللبوة مال مع عداوة لذي أمر.

وفي الحديث مشروعية قص الكبير رؤياه على من دونه، وإلقاء العالم المسائل واختبار أصحابه في تأويلها، وأن من الأدب أن يرد الطالب علم ذلك إلى معلمه، فالذي يظهر أنه لم يرد منهم أن يعبروها، وإنما أراد أن يسأله عن تعبيرها ففهموا مراده فسأله فأفادهم، وكذلك ينبغي أن يسلك هذا الأدب في جميع الحالات المشابهة.

قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث أن علم النبي ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه؛ لأنه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه، وأما إعطاؤه فضله عمر، ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله، بحيث كان لا يأخذه في الله لومة لائم، وفيه أن من الرؤيا ما يدل على الماضي والحال والمستقبل، قال: وهذه أولت على الماضي، فإن رؤياه هذه تمثيل قد وقع؛ لأن الذي أعطيه من العلم كان قد حصل له، وكذلك أعطيه عمر فكانت فائدة هذه الرؤيا تعريف قدر النسبة بين ما أعطيه من العلم وما أعطيه عمر^(١).

الرؤيا الخامسة:

روى البخاري في صحيحه من حديث سالم بن عبد الله

(١) فتح الباري (١٢/٣٩٤) بتصرف.

عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةٍ وَهِيَ الْجُحْفَةُ، فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا»^(١).

قال المهلب: «هذه الرؤيا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل، أنه شق من اسم السوداء السوء والداء، فتأول خروجها بما جمع اسمها، وتأول من ثوران شعر رأسها أن الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة.

قال القيرواني المعبر: كل شيء غلبت عليه السوداء في أكثر وجوهها فهو مكروه، وقال غيره: ثوران الرأس يتول بالحمى لأنها تثير البدن بالاقشعرار، وارتفاع الرأس لا سيما من السوداء فإنها أكثر استيحاشاً»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٧٠٣٨.

(٢) فتح الباري (٤٢٦/١٢).

الخيـل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا ۝١ فَاَلْمُورِبَتِ قَدْحًا ۝٢ فَاَلْمُغِيرَتِ ضَبْحًا ۝٣ فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ [العاديات: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ۝١٤﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۖ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۝﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: فَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ،

وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ: فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلَا تُغَيَّبُ شَيْئًا فِي بَطُونِهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاهَا فِي مَرْجٍ، مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيَّبُهَا فِي بَطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّى ذَكَرَ الْأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَرْوَائِهَا - وَلَوْ اسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ حُطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ: فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكْرُمًا وَتَجَمُّلاً، وَلَا يَنْسَى حَقَّ ظُهُورِهَا، وَبَطُونِهَا فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ وَزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشْرًا وَبَطْرًا، وَبَذْخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَلِكَ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ»^(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا الحديث بيان أن الخييل إنما تكون في نواصيها الخير والبركة إذا كان اتخاذها في الطاعة أو في الأمور المباحة، وإلا فهي مذمومة»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ: فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَلْفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ: فَالَّذِي يُقَامِرُ أَوْ يُرَاهِنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ: فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الْإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ

(١) صحيح البخاري برقم ٢٨٦٠، وصحيح مسلم برقم ٩٨٧.

(٢) فتح الباري (٦/٦٥).

مِنْ فَقْرٍ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل ابن الحنظلية أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَالْبَاسِطِ يَدَيْهِ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبُضُهَا»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلِهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا، فَأَمْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا، وَادْعُوا لَهَا بِالْبَرَكَاتِ، وَقَلِّدُوهَا، وَلَا تُقَلِّدُوهَا بِالْأُوتَارِ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة عن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَدْهَمُ»^(٤)، الْأَقْرَحُ^(٥)،

(١) (٢٩٨-٢٩٩) برقم ٣٧٥٦، وقال محققوه: صحيح.

(٢) (١٥٨-١٦٠) برقم ١٧٦٢٢، وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) (١٠٥/٢٣) برقم ١٤٧٩٢، وقال محققوه: هذا حديث حسن لغيره، قوله «لا تقلدوها الأوتار» في معناه ثلاثة أقوال:

الأول: لا تطلبوا عليها الذحول وهو الثأر.

الثاني: لا تجعلوا في أعناقها قلائد خوفاً عليها من الاختناق بها.

الثالث: تقليدها الأوتار لدفع العين، وهذا الذي رجحه أبو عبيدة وتبعه الطحاوي في مشكل الآثار (١/١٣٢)، وهذا الذي رجحه الشيخ الألباني ولعله الصواب، صحيح

الترغيب والترهيب (٢/٨٢).

(٤) الأدهم: أي الأسود.

(٥) الأقرح: هو ما كان في جبهته بياض يسير دون الغرة.

الأرثم^(١)، المحجل^(٢) ثلاث، مُطلق اليمين^(٣)، فإن لم يكن أدهم، فكُميت على هذه الشية^(٤) «^(٥)».

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الصَّحِيحِ: بَابُ الْجِهَادِ مَاضٍ مَعَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»^(٦).

وفي رواية مسلم من حديث جرير بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بأصبعيه وهو يقول: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»^(٧).

وقال النبي ﷺ: «الْبَرَكَاةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ»^(٨)^(٩).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأحبها، والعرب تسمي

(١) الأرثم: هو الذي أنفه أبيض وشفته العليا.

(٢) المحجل: هو الذي في قوائمه بياض.

(٣) مطلق اليمين: ليس فيها تحجيل.

(٤) فكُميت: هو الذي لونه بين السواد والحمرة على هذه الشية، أي على هذه الصفة المتقدمة في الحديث.

(٥) (٢٥٣/٣٧) برقم ٢٢٥٦١، وقال محققوه: حديث حسن.

(٦) صحيح البخاري برقم ٢٨٥٢

(٧) برقم ١٨٧٢.

(٨) صحيح البخاري برقم ٢٨٥١، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٤.

(٩) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: المراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة، قاله الخطابي وغيره. فتح الباري (٦/٥٦).

المال خيراً كما تقدم في الوصايا في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وقال ابن عبدالبر: «فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على
غيرها من الدواب؛ لأنه لم يأت عنه صلى الله عليه وسلم في شيء غيرها مثل
هذا القول»^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث عقبه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْزُوا، فَاشْتَرِ فَرَسًا أَعْرَ مُحَجَّلًا مُطْلَقَ الْيُمْنَى،
فَإِنَّكَ تَغْنَمُ وَتَسْلَمُ»^(٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُيْمَنُ^(٣) الْخَيْلِ فِي شُقْرِهَا»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلَّا يُؤَذَنُ لَهُ مَعَ
كُلِّ فَجْرٍ يَدْعُو بِدَعْوَتَيْنِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَوْلْتَنِي مَنْ خَوْلْتَنِي
مِنْ بَنِي آدَمَ، فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ.. أَوْ أَحَبِّ أَهْلِهِ

(١) فتح الباري (٥٦/٦).

(٢) (٤١٦/٢)، برقم ٢٥٠٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم
يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٤٩.

(٣) اليمن هو البركة.

(٤) برقم ٢٥٤٥، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٤٨٤/٢)، برقم

وَمَالِهِ»^(١).

وكان النبي ﷺ يسمى الأنثى من الخييل فرسًا، فقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ كان يسمى الأنثى من الخييل فرسًا^(٢).

وكان النبي ﷺ يكره الشكال من الخييل^(٣).

منزلة الخييل:

ولللخييل منزلة عظيمة في نفوس أصحابها، ولا سيما الخييل العربية الأصلية منها، لما تتصف به من الشجاعة والشهامة والوفاء لأصحابها، والخييل تقاتل مع صاحبها في المعارك؛ ولذلك جعل النبي ﷺ للفرس سهمين ولصاحبها سهم من الغنيمة، وإذا سقط صاحب الفرس عنها فإنها لا تفارقه، وفي أبيات من قصيدة الأمير تركي بن حميد رحمته الله:

(١) (٣٩٢/٣٥) برقم ٢١٤٩٧، وقال محققوه: صحيح موقوفًا، فقد رواه ليث بن سعد وعمرو بن الحارث كما سلف عند الحديث رقم ٢١٤٤٢، عن يزيد بن أبي حبيب عن عبدالرحمن ابن شماسه عن معاوية بن جديع عن أبي ذر موقوفًا، وهو المحفوظ كما قال الدارقطني في العلل (٦/٢٦٧)، فإن الليث وعمرو بن الحارث أوثق وأتقن من عبدالحميد بن جعفر، وقد خالفهما أيضًا في جعله من حديث يزيد عن سويد بن قيس وهما جعلاه من حديث يزيد بن عبدالرحمن بن شماسه. -أه-

(٢) برقم ٢٥٤٦، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٤) برقم ٢٢١٩.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٨٧٥، الشكال أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى أو يده اليمنى ورجله اليسرى.

والعز فوق معسكرات السواديس إلى قصدت اللي بالأشياء رحومي
يا زينهن عقب النكوفة مقاويس وعلى الطريح مصوبرات كظومي

ومما جاء من الشعر في الخيل:

أَحِبُّوا الْخَيْلَ وَاصْطَبِرُوا عَلَيْهَا فَإِنَّ الْعِزَّ فِيهَا وَالْجَمَالَ
إِذَا مَا الْخَيْلُ ضَيَّعَهَا أَنْاسُ رَبَطْنَاهَا فَأَشْرَكَتِ الْعِيَالَ
نُقَاسِمُهَا الْمَعِيشَةَ كُلَّ يَوْمٍ وَنَكْسُوهَا الْبَرَاقِعَ وَالْجِلَالَ
يقول المتنبي:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
ومن الأمثلة: الخيل ميامين: أي مباركات.

روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ رثي وهو يمسح فرسه بردائه، فسئل عن ذلك فقال: «إِنِّي عُوتِبْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْخَيْلِ»^(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «روى أبو عبيدة في كتاب الخيل أنهم كانوا يستحبون إناث الخيل في الغارات والبيات، وروى الوليد بن مسلم في الجهاد له من طريق عبادة بن نسي وابن محيريز أنهم كانوا يستحبون إناث الخيل في الغارات والبيات

(١) موطأ مالك برقم ١٤٠٤، وقال محققه: حسن لغيره، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في السلسلة الصحيحة برقم ٣١٨٧، ووصله أبو عبيدة في كتاب الخيل عن يحيى بن سعيد عن شيخ من الأنصار، وقال: في إذالة الخيل، وله من مرسل عبد الله بن دينار، قال: «إن جبريل بات الليلة يعاتبني في إذالة الخيل»، قال الزرقاني: أي امتهانها. ينظر شرح الزرقاني على الموطأ (٧٣/٣).

ولما خفي من أمور الحرب، ويستحبون الفحول في الصفوف والحصون ولما ظهر من أمور الحرب، وروى عن خالد بن الوليد أنه كان لا يقاتل إلا على أنثى؛ لأنها تدفع البول وهي أقل سهلاً، والفحل يحبسه في جريه حتى ينفق ويؤذي بصهيله»^(١).
وقال عمر رضي الله عنه: «عليكم بإناث الخيل فإن بطونها كنز، وظهورها حرز»^(٢).

تنبيه:

من نعيم الجنة ركوب الخيل، حيث شاء المؤمن، روى الترمذي في سننه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله: هل في الجنة من خيل؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ فِيهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَأْقُوتَةَ حَمْرَاءَ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح الباري (٦/٦٦-٦٧).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/١٣٠).

(٣) برقم ٢٥٤٣، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم ٣٠٠١.

الإبل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن المخلوقات العظيمة التي ذكرها الله في كتابه الإبل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرها، ويُشرب لبنها، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت؟»^(١).

وإنما أمر الله سُبْحَانَهُ بالنظر إليها والتفكير فيها لأن ذلك يدل على عظمة خالقها سبحانه.

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٣٣٣).

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
 كما أن خلقها الظاهري عجيب، فإن من صفاتها وخلاتها
 وما جبلت عليه ما هو أعجب وأعجب، ومن خالطها أو استمع
 إلى ما يذكره أهلها عرف ذلك.

وقد جعلها **الله** آية معجزة لنبي من أنبيائه وهو صالح عليه
 السلام، قال تعالى: ﴿ وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا
 تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا
 فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُوٌّ كَذُوبٌ ﴿٦٥﴾
 [هود: ٦٤-٦٥].

والإبل بالجملة محبوبة لدى كثير من الناس لا سيما
 العرب، ومن حبهم لها وتعلقها بها أنهم يؤثروها على كثير
 من المحاب الدنيوية، ويدفعون عنها ويستमितون دونها، وعلى
 هذه المعاني يدل قول **الله** تعالى: ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
 [التكوير: ٤] ^(١).

أما منافعها، فهي على سبيل الإجمال على قسمين:

القسم الأول: منافع دينية، وهي ما يتعلق بها من الأحكام
 الشرعية، فمن ذلك:

(١) العشار: هي الناقة العشاء، وهي التي مضى لها من حملها عشرة أشهر، وجمعها
 عشار، وكانت أنفس أموال العرب لقرب ولادتها ورجاء لبنها.

١- الهدى والأضاحي: قال الله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ إِذَا وَقَّعْتُمْ مِنْهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]، فهي أفضل ما يتقرب به إلى الله في الهدى والأضاحي، وقد كان هدي النبي ﷺ في حجته مائة بدنة نحر منها ثلاث وستون بيده، وجمهور أهل العلم على أنه يجزئ عن سبعة، ودليلهم ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر ابن عبد الله قال: «نَحَرْنَا فِي عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ، الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فَتَلْتُ قَلَائِدَ بُدْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، ثُمَّ أَشْعَرَهَا وَقَلَّدَهَا، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ، فَمَا حُرِّمَ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ لَهُ حَلَالًا»^(٢)، وهذا يدل على استحباب بعث الهدى إلى البيت الحرام من البلاد البعيدة، ولو لم يصحبها المهدى؛ لأن الإهداء إلى البيت صدقة على مساكين الحرم، وتعظيم للبيت، وتقرب إلى الله تعالى بإراقة الدماء في طاعته^(٣).

(١) برقم ١٣١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٦٩٦، وصحيح مسلم برقم ١٣٢١ واللفظ له.

(٣) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (٢/١٧٥-١٧٦).

٢- الوضوء من أكل لحومها: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَوْضَأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوْضَأُ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوْضَأُ»، قَالَ: أَتَوْضَأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوْضَأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ»^(١).

وظاهر هذا الحديث هو الراجح من كلام أهل العلم. وفي الحديث: «صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ»^(٢). ومعادن الإبل: هي مباركها التي تاوي إليها وتقيم فيها.

٣- الدية: الأصل في الدية هي الإبل لقوله ﷺ: «وَفِي النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ»^(٣). وقوله ﷺ: «قَتِيلَ الْخَطَا شِبْهُ الْعَمْدِ بِالسَّوْطِ أَوْ الْعَصَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ؛ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْ لَادُهَا»^(٤).

٤- وجوب الزكاة فيها إذا بلغت نصاباً وحال عليها الحول، وتمت شروط الوجوب الأخرى، والزكاة ثاني أركان الإسلام،

(١) برقم ٣٦٠.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٥٣/٢٧) برقم ١٦٧٩٩، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) سنن النسائي برقم ٤٨٥٧، وأورده الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح موارد الظمان برقم ٢٦٦١.

(٤) سنن النسائي برقم ٤٧٩١، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي صحيح سنن النسائي برقم ٤٥١٣.

وهي تزكية للمال، وتطهير له، وسد لحاجة الفقراء والمساكين، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأما منافعها الدنيوية، فهي على ستة أضرب:

١- شرب ألبانها: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ أَنَّ فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، وفي هذا من العبر أن الدم والفرث لا يستساغ في طعام أو شراب، ومع ذلك يخرج الله من بينهما هذا الشراب الطيب لوناً ورائحة، وغذاء ودواء.

قال رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزَى مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ»^(١).

قال القرطبي رحمته الله: «ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب، وظهور الخيرات، وكثرة البركات، فهو مبارك كله»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «اللبن أنفع المشروبات للبدن الإنساني

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٤٤٠)، برقم ١٩٧٨، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) تفسير القرطبي (١٠/١٢٧).

لما اجتمع فيه من التغذية والدموية، ولاعتباره حال الطفولية، وموافقته للفترة الأصلية»^(١).

٢- أكل لحومها: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرٌ ۖ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٢١].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نحر هديه وكان مئة ناقة، أمر من كل ناقة بضعة «وهي القطعة» من اللحم فطبخت فشرب من مرقها، وأكل من لحمها»^(٢).

ولحوم الإبل من أنفع اللحوم لمن اعتادها، تُقوى بها الأجسام وتشتد، لا سيما التي ترعى البوادي، وتأكل أحرار البقول.

٣- ركوب الإبل: وللركوب نوع من الإبل توصف بالنجائب، وتسمى في زماننا الجيش، وتتميز بسرعتها، والراحة في الركوب عليها لحسن سيرها، مع تحملها لقطع المسافات الطويلة، والصبر على الجوع والعطش، ولا تعرف هذه الصفات مجتمعة في غير الإبل.

ووردت السنة بمشروعية المسابقة على الإبل، وإجازة أخذ

(١) الطب النبوي ص ٣٠١.

(٢) برقم ١٢١٨.

السبق، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضَلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ»^(١).

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة نجبية تسمى القصواء، وكانت لا تسبق، ومن طريف ما جاءت به السنة في ذكر هذه الناقة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بركت به في غزوة الحديبية قال الناس: خلأت القصواء، خلأت القصواء، وهذا عيب شديد، فدافع عنها النبي صلى الله عليه وسلم ونفى عنها هذا العيب وقال: «مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»^(٢).

فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «حَقٌّ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْ لَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(٣).

ولم يزل العرب قديماً وحديثاً قبل وجود مراكب الحديد، يتنافسون في اختيار النجائب الأصلية، ولهم في مدحها والافتخار بها الأشعار مدونة في مظانها.

٤- الحمل عليها: قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٧) [النحل: ٧]، وفي الإبل ما هو مخصص لحمل الأثقال

(١) (٤٥٣/١٢) برقم ٧٤٨٢، وقال محققوه: حديث صحيح، ونقل الحافظ في تلخيص الحبير (٤/١٦١) تصحيحه عن ابن القطان وابن دقيق العيد.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٧٣١.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢٨٧٢.

ويسمونها عرب الجزيرة الزمل وهي تحمل من الأثقال ما لا يحمله سواها مع سهولة الانقياد لأصحابها.

٥- الانتفاع منها بأصوافها وأوبارها وجلودها في صنع الأخبية وأنواع من اللباس والمتاع والأثاث التي لا تنحصر أنواعه، وذلك هو الدفء الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

٦- التداوي بها: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس قال: «قَدِمَ أَنَسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ فَاجْتَوُوا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَالْبَانِهَا فَانْطَلَقُوا، فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَأْفُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الْخَبْرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَلَمَّا اِرْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ فُتِّقَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ وَالْقَوَا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال صاحب القانون: «واعلم أن لبن

(١) صحيح البخاري برقم ٢٣٣، وصحيح مسلم برقم ١٦٧١.

النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفقٍ وما فيه من خاصية، وأن هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أن إنساناً أقام عليه بدل الماء والطعام شُفي به، وقد جُرب ذلك في قوم دفعوا إلى بلاد العرب فقادتهم الضرورة إلى ذلك، فعُوفوا^(١). وأنفع الأبوال: بول الجمل الأعرابي وهو النجيب^(٢)^(٣).

٧- الجمال والزينة: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦].

قال قتادة: «ولأنها إذا راحت وهو رجوعها بالعشي من المرعى توفر حسننها، وعظم شأنها، وتعلقت القلوب بها؛ لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسمنة وضروعاً، ولهذا المعنى قدم الرواح على السراح، لتكامل درها وسرور النفس بها إذ ذاك»^(٤).

وفي الحديث: «الإبل عزٌّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقودٌ في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»^(٥).

(١) القانون (٢/٥٤٤).

(٢) القانون (١/٤١٢).

(٣) زاد المعاد (٤/٦٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٢٧٤).

(٥) سنن ابن ماجه برقم ٢٣٠٥، قال البوصيري: هذا سند صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بجميع رواته، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي سنن ابن ماجه (٢/٣٢)، برقم ١٨٦٦.

«وهذا جدول لبيان زكاة الإبل:

إيضاح	المقدار الواجب	العدد		م
		إلى	من	
من الغنم	شاة	٩	٥	١
من الغنم	شأتان	١٤	١٠	٢
من الغنم	ثلاث شياه	١٩	١٥	٣
من الغنم	أربع شياه	٢٤	٢٠	٤
وهي ما تم لها سنة	بنت مخاض	٣٥	٢٥	٥
وهي ما تم لها سنتان	بنت لبون	٤٥	٣٦	٦
وهي ما تم لها ثلاث سنوات	حقة	٦٠	٤٦	٧
وهي ما تم لها أربع سنين	جدعة	٧٥	٦١	٨
	بنتا لبون	٩٠	٧٦	٩
	حقتان	١٢٠	٩١	١٠

فما زاد على ١٢٠ فالواجب في كل أربعين بنت لبون،
وفي كل خمسين حقة»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء تحت إشراف وزارة
الشؤون الإسلامية ص ١٣٦.

(٢) ومن أراد التوسع فليراجع كتب الفقه، باب الزكاة.

الغنم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ [النحل: ٥-٦].

والأنعام هي الإبل والبقر والغنم، وحيث إن الكلام عن الغنم فسيكون التفصيل عن بيان فضلها ومنافعها الدينية وما يتعلق بها من أحكام شرعية، ومنافعها الدنيوية التي امتن الله بها على عباده.

أولاً: فضلها:

ذكر الله الغنم في أكثر من آية في كتابه، قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ [النحل: ٥].

وقال تعالى ممتناً على هذه الأمة بإباحة شحوم الغنم

والبقر التي عاقب الله تعالى اليهود بحرمانها فقال: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

وقال تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧]، قال المفسرون: «أي كبش عظيم، والكبش هو ذكر الغنم».

وقال ﷺ عن الغنم: «إِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ»^(١).

وقال ﷺ: «الْغَنَمُ بَرَكَةٌ»^(٢).

وقال ﷺ لأم هانئ: «اتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً»^(٣).

قال القرطبي: «وجوه البركة في الغنم ما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الأولاد، فإنها تلد في العام ثلاث مرات^(٤)، إلى ما يتبعها من السكينة، وتحمل صاحبها على خفض الجناح، ولين الجانب»^(٥).

(١) سنن البيهقي الكبرى (١٨٧/٥)، برقم ٤٤١٦، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ١١٢٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٥٠٥.

(٣) سنن ابن ماجه برقم ٢٣٠٤، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٤١٧/٢).

(٤) والمشهور لدينا في هذه الأزمان: أنها تلد في السنة مرتين، فلعل ما ذكره القرطبي في بعض البلاد أو بعض الأصناف.

(٥) تفسير القرطبي (٨٠/١٠).

روى البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن عباس قال: «عَجِبْتُ لِلْكِلَابِ وَالشَّاءِ، إِنَّ الشَّاءَ يُذْبَحُ مِنْهَا فِي السَّنَةِ كَذَا وَكَذَا، وَيُهْدَى كَذَا وَكَذَا، وَالْكَلْبُ تَضَعُ الْكَلْبَةُ الْوَاحِدَةَ كَذَا وَكَذَا، وَالشَّاءُ أَكْثَرُ مِنْهَا»^(١).

ثانياً: الأحكام الشرعية المتعلقة بها:

١- الهدي: قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وهذا يشمل الهدي الواجب في الحج والهدي التطوعي المرسل إلى البيت الحرام، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أَهْدَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّةً إِلَى الْبَيْتِ غَنَمًا فَقَلَّدَهَا»^(٢).

٢- الأضاحي: قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُورُ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ضَحَّى

(١) صحيح الأدب المفرد ص ٢١٦ برقم ٤٤٧، وقال الشيخ الألباني رحمته الله: صحيح الإسناد.

(٢) برقم ١٣٢١.

بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ»^(١). فسر الأملح: بأنه الأبيض الذي يخالطه سواد، كما جاء عند مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ»^(٢). قال القاضي عياض: «معناه أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود»^(٣).

وتجزئ الشاة عن واحد، أي يضحى المسلم بالشاة عن نفسه، وتجزئ من حيث الثواب عنه وعن أهل بيته؛ لأن الرسول ﷺ كان يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله، ولحديث أبي أيوب الأنصاري: «كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَضْحِي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعَمُونَ»^(٤).

٣- العقيقة: فقد عرق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين كبشين كبشين^(٥)، ومقدار ما يذبح عن الذكر شاتان متقاربتان سنًا وشبهًا، وعن الأنثى شاة واحدة لحديث أم كرز الكعبية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ». قال أبو داود: سمعت أحمد

(١) صحيح البخاري برقم ٥٥٥٨، وصحيح مسلم برقم ١٩٦٦.

(٢) برقم ١٩٦٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٦/٤١٨).

(٤) سنن الترمذي برقم ١٥٠٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) سنن النسائي برقم ٤٢١٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي

(٣/٨٨٥) برقم ٣٩٣٢.

يقول: «مُكَافِئَتَانِ: أَيُّ مُسْتَوِيَّتَانِ أَوْ مُقَارِبَتَانِ»^(١).

٤- الصلاة في مراحها: روى البيهقي في سننه الكبرى من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلُّوا فِي مُرَاحٍ^(٢) الْغَنَمِ، وَامْسَحُوا رُغَامَهَا^(٣) فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ»^(٤).

٥- لا وضوء لمن أكل من لحمها: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَوْضَأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ»، قَالَ: أَتَوْضَأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ»، قَالَ: أُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أُصَلِّي فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «لَا»^(٥).

٦- الفرار من الفتن: روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفْرُ

(١) سنن أبي داود برقم ٢٨٣٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٥٤٦/٢) برقم ٢٤٦٠.

(٢) المراح: بالضم، الموضع الذي تروح إليه الماشية، أي تأوي إليه ليلاً، النهاية في غريب الحديث (٢٧٣/٢).

(٣) الرغام: بالغين المعجمة: ما يسيل من الأنف، والمشهور فيه والمروي بالعين المهملة، ويجوز أن يكون أراد مسح التراب عنها رعاية لها وإصلاحاً لشأنها. النهاية (٢٣٩/٢).

(٤) (١٨٧/٥) برقم ٤٤١٦، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١١٢٨.

(٥) برقم ٣٦٠.

بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(١).

وقد اختار الله لأنبيائه رعي الغنم تهيئة لهم لرعاية الناس بعد تكليفهم بدعوتهم، قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ [طه: ١٧ - ١٨].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(٢).

قال العلماء: «والحكمة من إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقتها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع، وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقتها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فجبروا كسرهما، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم

(١) برقم ٧٠٨٨.

(٢) برقم ٢٢٦٢، والقيراط جزء من الدينار أو الدرهم.

لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعي الغنم»^(١). أهـ

وقد أخبر النبي ﷺ أن أهل الغنم أهل سكينه ووقار، فروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبْرِ، وَالسَّكِينَةَ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ»^(٢).

وأما المنافع الدنيوية فكثيرة، منها:

١- الجمال والزينة: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، فأهل الأنعام يجدون عند رؤيتها سارحة، وعند رواحها سرورًا وغبطة، ويحصل لهم من النظر إليها من انشراح النفس ما يحملهم على شكر المنعم بها عليهم.

٢- أكل لحومها: قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥].

٣- شرب ألبانها وما ينتج عنها من الزبد والسمن والأقط والجبن وغير ذلك: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

(١) فتح الباري لابن حجر رحمته (٤/٤٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٣٠١، وصحيح مسلم برقم ٥٢.

نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ، مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ [النحل: ٦٦]، «أي يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته، تصرف منه دم إلى العروق، [ولبن إلى الضرع]، وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر، ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به. لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ: أي: لا يغص [به أحد]» (١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبْنَا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزَى مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ» (٢).

قال القرطبي: «وفي الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب، وظهور الخيرات والبركات، فهو مبارك كله» (٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «واللبن أنفع المشروبات للبدن الإنساني، لما اجتمع فيه من التغذية والدموية، ولا اعتباره حال

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٨/٣٢٤).

(٢) (٣/٤٤٠) برقم ١٩٧٨، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٣٥٦-٣٥٧).

الطفولية وموافقته للفطرة الأصلية»^(١).

٤- الانتفاع بجلودها وأشعارها وأصوافها: قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ [النحل: ٨٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها، ويستترون بها، ويتنفعون بها سائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم أيضاً من جلود الأنعام بيوتاً، أي: من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، ولهذا قال: ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا ﴾: أي الغنم، وأوبارها: أي الإبل، وأشعارها: أي المعز، والضمير عائد على الأنعام في أثاثاً: أي تتخذون منه أثاثاً: وهو المال، وقيل: المتاع، وقيل: الثياب، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك، ويتخذ مالاً وتجارة»^(٢).

٥- الانتفاع ببعض أجزائها في الأشياء الطبية: وفي كتب الطب أدوية مستخرجة من أجزاء الحيوان، ذكر جملة منها

(١) الطب النبوي ص ٣٠١.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٨/٣٣٧).

الدميري في كتابه: حياة الحيوان الكبرى، وفي عصرنا الحاضر اتخذوا من أمعائها خيوطاً تخاط بها العمليات الجراحية وغير ذلك مما لا يحصى، وصدق الله: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

«وهذا جدول يبين كيفية زكاة الغنم^(١)»:

المقدار الواجب	العدد	
	إلى	من
شاة	١٢٠	٤٠
شأتان	٢٠٠	١٢١
ثلاث شياه فما زاد على ذلك ففي كل مئة شاة	٣٠٠	٢٠١

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية ص ١٣٨.

الكلمة الخامسة والخمسون

قصة أصحاب الجنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فلقد قص الله علينا القصص في كتابه لناخذ منها الدروس والعبر، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

ومن هذه القصص: قصة أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَنْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يُؤْتِلُنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [طه: ١٧-٣٣] (١) .

«هذا مثل ضربه الله لكفار قريش، فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم، فقابلوه بالتكذيب والمخالفة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هم كفار قريش».

فيقول تعالى: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير، وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد وطول عمر ونحو ذلك مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجاً لهم من حيث لا يعلمون، فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة الذين هم فيها شركاء، حين أينعت أشجارها، وزهت ثمارها، وآن وقت صرامها وجزموا أنها في أيديهم وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء أنهم سيصرمونها؛ أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله

(١) بلوناهم: اختبرناهم، الجنة: الحديقة، (ليصرمونها): ليقطعن ثمار حديقتها، (ولا يستنون): ولا ينون استثناء حصة المساكين، ولم يقولوا: إن شاء الله، (فطاف عليها): أحاط نازلاً عليها، (طائف): نار أحرقتها، (كالصريم): كالليل المظلم، (فتنادوا): نادى بعضهم بعضاً، أن (اغدوا): اذهبوا مبكرين، (حرثكم): مزرعتكم، (صارمين): مصرين على قطع الثمار، (على حرد): على قصدهم السيئ في منع المساكين، (لضالون): لمخطئون في طريقها، (أوسطهم): أعدلهم، وخيرهم عقلاً ودينًا، (لولا تسبحون): هلا تذكرون الله وتستغفرونه؛ من فعلكم، وخبث نيتكم، (يتلاومون): يلوم بعضهم بعضاً على ما قصدوه من منع للمساكين، (راغبون): طالبون الخير، (كذلك العذاب): مثل ذلك العقاب الذي عاقبناهم به نعاقب كل من بخل، وخالف أمر الله. غريب القرآن للدكتور محمد الخضير.

بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها ويبادرهم إليها.

قيل: لأنهم كانوا إخوة، وقد ورثوا هذه الجنة عن أبيهم، وكان يتصدق منها كثيرًا، فلما صار أمرها إليهم استهجنوا أمر أبيهم، وأرادوا استغلالها من غير أن يُعطوا الفقراء شيئًا.

قال سعيد بن جبير: قيل: كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان، قرية من صنعاء، وقيل: كانوا من أهل الحبشة، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما استغله منها يرد فيها ما يحتاج إليه، ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء، ولو أننا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية، رأس المال والربح والصدقة، فلم يبق لهم شيء.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: عذاب نزل عليها ليلاً، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ فأبادها، وأتلفها ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي: كالليل المظلم، وذهبت الأشجار والثمار.

هذا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم، ولهذا تنادوا فيما بينهم لما أصبحوا؛ يقول بعضهم لبعض: ﴿اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾.

فانطلقوا قاصدين لها ﴿وَهُمْ يَنْخَفُونَ﴾ فيما بينهم بمنع

حق الله تعالى، ويقولون: ﴿لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ أي: بكروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة خوفاً أن يسمعهم أحد فيخبر الفقراء.

﴿وَعَدُوا﴾ في هذه الحالة الشنيعة والقسوة وعدم الرحمة ﴿عَلَى حَرِّ قَدِيرِينَ﴾ أي: على إمساك ومنع لحق الله جازمين بقدرتهم عليها.

﴿فَمَا رَأَوْهَا﴾ على الوصف الذي ذكر الله كالصريم، ﴿قَالُوا﴾ من الحيرة والانعاج، ﴿إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ أي تائهون عليها، لعلها غيرها، فلما تحققوها ورجعت إليهم عقولهم؛ قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ﴾ منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم وأحسنهم طريقة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم وقلتم: إن شاء الله، وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئته؛ لما جرى عليكم ما جرى.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعدما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا وإقرارهم على أنفسهم بالظلم ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة.

ولهذا ندموا ندامة عظيمة، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ﴾ ﴿فِيمَا أَجْرُوهُ وَفَعَلُوهُ، ﴿قَالُوا يَا نُوَيْلًا إِنَّا كُنَّا طَغِين﴾ أي: متجاوزين للحد في حق الله وحق عباده، ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ فهم رجوا الله أن يبدلهم خيراً منها، وواعدوا أن سيرغبون إلى الله ويلحون عليه في الدنيا؛ فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيراً منها؛ لأن من دعا الله صادقاً ورجب إليه ورجاه، أعطاه سؤاله.

قال تعالى معظماً ما وقع: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب أن يسلبه الله الشيء الذي طغى به وبغى وآثر الحياة الدنيا وأن يزيله عنه أحوج ما يكون إليه، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإن من علم ذلك، أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العقاب ويحرم الثواب^(١).

وقد اشتملت الآيات الكريمات على فوائد كثيرة، فمن ذلك:

١- «اشتمال القرآن على القصص وضرب الأمثال بها للاعتبار.

٢- أن من سنة الله ابتلاء العباد بالنعم والمصائب، قال تعالى:

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ١١٩٣-١١٩٤، بتصرف، وتفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٩٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٥٧٨).

﴿وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣- أن للمساكين حقًا في الثمار والزروع، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

٤- ذم البخل بالواجب، وسوء عاقبته.

٥- التأكيد على الاستثناء فيما يعد الإنسان بفعله، أي قول: إن شاء الله، لقوله ﴿سَبَّحَاتِمُهَا﴾: ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ [القلم: ١٨]، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [٢٣] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿[الكهف: ٢٣-٢٤].

٦- أن ترك الاستثناء من أسباب الحرمان، ويدل على هذا أيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تُطَوِّقَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَائِمٌ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»^(١).

٧- وجوب الخوف من بأس الله، والحذر من أسبابه.

٨- أن بأس الله يأتي على غرة، والإنسان نائم أو سادر في

(١) رواه البخاري برقم ٦٢٦٣، واللفظ له، ومسلم برقم ١٦٥٤.

غفلته، كما قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

٩- أن ما ينزل بالعباد من عقوبات هو بتدبير وتقدير من رب العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

١٠- الدلالة على مكر الله بأصحاب الجنة؛ حيث أتلف الله جنتهم من غير أن يشعروا بشيء من ذلك، ولذا قاموا في الصباح مسرعين مستخفين.

١١- أن صاحب القصد السيئ يعاقب بنقيض قصده شرعاً وقدراً.

١٢- أن التسبيح والذكر يمنع صاحبه من التمادي في العصيان، ويرفع العقاب، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات: ١٤٣-١٤٤].

١٣- أن أصحاب الجنة اعترفوا بذنوبهم وسبحوا ربهم.

١٤- أن أصحاب الجنة مسلمون، فقولهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ [الإسراء: ١٠٨] فيه إقرار بتوحيد الربوبية، وقولهم: ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُدَلِّنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم: ٣٢] فيه

إقرار بتوحيد الألوهية.

١٥- أن ما عاقب الله به أصحاب الجنة هو سنة الله فيمن عصاه، وبخل بما أوجب الله عليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

١٦- تحريم الحيل التي يُتوصل بها إلى استحلال محرم أو إسقاط واجب، وأنه لا يحل بها - أي بالحيل - الحرام، ولا يسقط بها الواجب.

١٧- أن عذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا، وجاء التصريح بأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة في قوله ﷺ للمتلاعنين: «إِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ»^(١).

١٨- أنه لا تلازم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فقد يعذب العبد في الدنيا، ويعفى عنه في الآخرة، وقد يعذب في الآخرة دون الدنيا، وقد يجمع له العذابان في الدنيا والآخرة.. نعوذ بالله من أسباب سخطه وعقابه.

١٩- أن من خيرة الله للعبد أن يعاقبه في الدنيا لينجو من عذاب الآخرة، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ

(١) رواه مسلم برقم ١٤٩٣، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)^(٢). لكن لا يجوز للعبد أن يسأل ذلك، بل يسأل الله العفو والعافية.

٢٠- أن المعاصي سبب لزوال النعم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم ٢٣٩٦، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ (٢/٢٨٥)، برقم ١٩٥٣: حديث حسن صحيح.
 (٢) تفسير جزء تبارك وفوائده وأحكامه للشيخ عبدالرحمن البراك ص ٨٣-٨٧، باختصار وتصرف.

الكلمة السادسة والخمسون

قصة أصحاب القرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن القصص العظيمة التي قصها الله علينا في كتابه، قصة أصحاب القرية، قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا

عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴿٢٩﴾ [يس: ١٣-٢٩] (١).

« إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٩﴾ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى؛ يَأْمُرُونَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي.

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أَي قَوِينَاهُمَا بِثَالِثٍ، فَصَارُوا ثَلَاثَةَ رُسُلٍ، اعْتِنَاءً مِنَ اللَّهِ بِهِمْ، وَإِقَامَةً لِلْحُجَّةِ بِتَوَالِي الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، ﴿ فَقَالُوا ﴾ لَهُمْ: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾.

فَأَجَابُوهُمْ بِالْجَوَابِ الَّذِي مَا زَالَ مَشْهُورًا عِنْدَ مَنْ رَدَّ دَعْوَةَ الرُّسُلِ، فَقَالُوا: ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أَي فَمَا الَّذِي فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا وَخَصَّكُمْ مِنْ دُونِنَا؟! قَالَتِ الرُّسُلُ لِأَمَمِهِمْ: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، ﴿ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أَي أَنْكَرُوا عَمُومَ الرِّسَالَةِ، ثُمَّ أَنْكَرُوا أَيْضًا الْمَخَاطِبِينَ لَهُمْ، فَقَالُوا: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾.

فَقَالَتِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ الثَّلَاثَةُ: ﴿ رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ فَلَوْ كُنَّا كَاذِبِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَزِينًا وَلِبَادِرْنَا بِالْعُقُوبَةِ.

﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ أَي: الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الَّذِي

(١) (فعززنا): أيدنا، وقوينا، (تطيرنا بكم): تشاء منا بكم، (طائركم معكم): شؤمكم، وأعمالكم من الشرك والشر معكم، ومردودة عليكم، (أإن ذكرتم): إإن وُعظتم تشاءمتم؟! يسعى: يسرع في مشيه، فطرنى: خلقني، خامدون: ميتون، هامدون، القرون: الأمم السابقة، لما: إلا، محضرون: نحضرهم للجزاء والحساب. بيان غريب القرآن.

يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح أو من سرعة العذاب؛ فليس إلينا، وإنما وظيفتنا التي هي البلاغ المبين قمنا بها وبينناها لكم؛ فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتكم، فليس لنا من الأمر شيء.

فقال أصحاب القرية لرسولهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر، وهذا من أعجب العجائب؛ أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة ينعم الله بها على العباد، وأجل كرامة يكرمهم بها، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، قد قدم بحالة شر زادت على الشر الذي هم عليه واستشأموا بها، ولكن الخذلان وعدم التوفيق يصنع بصاحبه أعظم مما يصنع به عدوه، ثم توعدوهم فقالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي: لنقتلنكم رجماً بالحجارة أشنع القتل، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فقالت لهم رسولهم: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ وهو ما معهم من الشرك والشر المقتضي لوقوع المكروه، والنقمة وارتفاع المحبوب والنعمة ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم وحظكم قتلتم لنا ما قتلتم، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون للحد متجرهمون في قولكم، فلم يزدكم دعاؤهم إلا نفورًا واستكبارًا.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ حرصًا على نصح قومه

حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به وعلم ما رد به قومه عليهم، فقال لهم: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ فأمروهم باتباعهم، ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة.

ثم ذكر تأييدًا لما شهد به ودعا إليه، فقال: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ أي: اتبعوا من نصحكم نصحًا يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم ولا أجرًا على نصحه لكم وإرشاده؛ فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه، بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرًا ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا يnehون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

فكان قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل وإخلاص الدين لله وحده، فقال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة؛ لأنه الذي فطرنى وخلقني ورزقني وإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم؛ فالذي بيده الخلق والرزق والحكم بين العباد في الدنيا والآخرة هو الذي يستحق أن يُعبد ويُثنى عليه ويُمجَّد دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا عطاءً ولا منعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ولهذا قال: ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَهَةً إِنَّ يُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَنَ بَصِيرًا لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه؛ فلا تُغني شفاعتهم عني شيئًا ﴿وَلَا

يُنْقِدُونَ ﴿ من الضرر الذي أراده الله بي ﴿ إِنِّي إِذَا ﴾ أي: إن عبدت آلهة هذا وصفها ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فجمع في هذا الكلام بين نصحهم، والشهادة للرسول بالرسالة والاهتداء، والإخبار بتعين عبادة الله وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها والأخبار بضلal من عبدها، والإعلان بإيمانه جهراً مع خوفه الشديد من قتلهم، فقال: ﴿ إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .

فقتله قومه لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به ﴿ قِيلَ ﴾ له في الحال ﴿ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ قال مخبراً بما وصل إليه من الكرامة على توحيدهِ وإخلاصه وناصحاً لقومه بعد وفاته كما نصح لهم في حياته ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي ﴾ أي بأي شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ بأنواع المثوبات والمسرات؛ أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم؛ لم يقيموا على شركهم.

قال الله في عقوبة قومه: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم فننزل جنداً من السماء لإتلافهم ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بني آدم، وأنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي: ما كانت عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: صوتًا واحدًا تكلم به بعض ملائكة الله ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم وانزعجوا لتلك الصيحة فأصبحوا خامدين، لا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح وتجبرهم عليهم^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

١- «جواز تعدد الرسل مع اتحاد المرسل إليه؛ لأن الله أرسل لهذه القرية اثنين ثم عززهما بثالث، وفي هذا تقوية فعلية.

٢- إن الذين يكذبون الرسل ليس عندهم إلا المكابرة، وليس عندهم حجة عقلية أو نقلية؛ لقولهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾، فإن الرسول لو كان ملكًا ولم يكن بشرًا لما أطاقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، فكان من حكمة الله إرسال الرسل من البشر، ولو كانوا كذبة لأهلكهم الله.

٣- أن الرسل عليهم الصلاة والسلام ليس عليهم هداية الخلق، وإنما عليهم إبلاغ الرسالة لقولهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، وفي الحديث: «يَأْتِي النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ٩٢٧-٩٢٩.

وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(١).

٤- إن الله لا يدع الخلق بلا رسل لقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

٥- أنهم تطيروا بالرسل: أي تشاءموا، وحقيقة الأمر أن الرسل عليهم السلام محل تفاؤل، وليس محلاً للتشاؤم؛ لأن في اتباعهم الخير، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٦- بيان نصح هذا الرجل لقومه من وجهين: الأول: أنه جاء من مكان بعيد ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾. الوجه الثاني: أنه جاء يشتد ﴿يَسْعَى﴾ فيستفاد منه أنه ينبغي للإنسان انتهاز الفرص في إنذار قومه ومناصحتهم، وأن لا يتوانى، فيقول: غداً أذهب إليهم، أو في آخر النهار، أو ما أشبه ذلك، فيبادر بالنصيحة والموعظة؛ لأن هذا الرجل جاء يسعى.

٧- ومنها أيضاً: أنه ينبغي التلطف بالقول في دعوة الغير لقوله ﴿يَقْوَمُ﴾ فإن هذا يستوجب اتباعه، وقبول نصحه؛

(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٤١، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠.

لأن للإنسان حدبًا وشفقة على قومه»^(١).

٨- ومن فوائد قوله تعالى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾^(٢١) أن من توفر فيه هذان الأمران كانت دعوته واجبة القبول، وهما: ألا يأخذ على دعوته أجرًا سوى ما يرجوه من ربه، وأن يكون من المهتدين، وذلك يشمل هدايته في دعوته وهدايته في نفسه، وفي ضمن هذا التنبيه للداعي إلى الله كما يدعو الناس بقوله أن يدعوهم بعمله.

٩- ومن فوائد الآية الكريمة أنه يجب على من دعا إلى الله أن يكون على بصيرة وعلى علم؛ لأن هذا هو وصف الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم يدعون إلى الله على هدى منه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^ط وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١٠٨) [يوسف: ١٠٨]، وأما من يدعو على غير هدى فإنه قد يفسد أكثر مما يصلح؛ لأن الذي يدعو على غير علم ربما يجعل الشيء الحرام حلالًا، والحلال حرامًا وهو لا يدري، فيحصل بذلك فساد في الدين والعقيدة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في

(١) تفسير سورة يس للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٦١-٧٧.

كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي في هذا شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله **يؤتي فضله من يشاء**»^(١). أه

١٠- «الحث على الحلم وكظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام»^(٢).

١١- «أنه لما قُتل أدخله الله الجنة، فيه إثبات نعيم القبر لقوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ مع أن الساعة لم تقم بعد، ولم يدخل الناس الجنة، ويدل على ذلك آيات من القرآن لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢]، فيستفاد من هذه الآية وغيرها أن الميت ينعم في قبره كأنه دخل الجنة؛ لأنه يفرش له من الجنة، ويفتح له باب من الجنة، فيرى مقعده فيها، ويأتيه من ريحها وطيبها كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، بل ثبت في مسند الإمام من حديث عبدالرحمن بن كعب عن

(١) التفسير القيم ص ٣١٩.

(٢) تفسير القرطبي (٤٣٣/١٧).

أبيه كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(١).

١٢- إخلاص العبادة لله تعالى لقوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، فكيف أشرك معه هذه الآلهة وهي لا تنفع ولا تضر.

١٣- أن القوم أحقر وأذل من أن نرسل إليهم ملائكة من السماء لهلاكهم، بل كان الأمر أيسر من ذلك، صيحة واحدة لم تتكرر فبادتهم عن بكرة أبيهم، وانتقم الله لرسله لتكذيبهم، ولقتلهم وليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

١٤- أن المؤمن دائماً ناصحاً محبباً للآخرين الخير، قال قتادة: «تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله»، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل له من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فنصح لقومه حياً وميتاً، ورضي عنه، فقد كان حريصاً على هداية قومه.

(١) مسند الإمام أحمد (٥٨/٢٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح ما فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

١٥- قوة شخصية هذا الرجل، وصدعه بالحق أمام قومه، حيث أعلن أمامهم أنه آمن بربهم الذي يستلزم أن يكونوا مخلصين له بالعبادة إذا كان رباً لهم، كأنه أقام الحجة عليهم، فإذا كان ربكم فوجب عليكم أن توحدوه ولا تتخذوا معه آلهة، زد على ذلك أنه تحداهم، فقال ﴿فَأَسْمَعُونَ﴾ ﴿فإني لا أبالي بكم.

١٦- أن من أدخله الله الجنة، فقد أكرمه لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٥٣] والإكرام هو التعظيم والتوقير والتبجيل، وهو من أعظم ما تتوق إليه نفوس ذوي الهمم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: تفسير سورة يس للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٥٣-١٠٥، وتفسير ابن كثير (١١/٣٥٦)، وتفسير القرطبي (١٧/٤٢٩-٤٣٤).

قصة أصحاب الكهف (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن القصص التي قصها الله علينا في كتابه، قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠﴾ فَضْرَبْنَا عَلَىٰ عِزِّهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوكَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٤﴾ هَتُؤَلَاءِ قَوْمَنَا أُتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥﴾ وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ١٦﴾ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ١٧﴾ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٨﴾

وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتُنَا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصُرْ بِهِ، وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

[الكهف: ٩ - ٢٦].

«قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي: ليسوا بعجب عظيم بالنسبة إلى ما أطلعناك

عليه من الأخبار العظيمة، والآيات الباهرة والعجائب الغريبة، والكهف هو الغار في الجبل، قال شعيب الجبائي: «واسم كهفهم حيزم»، وأما الرقيم، فعن ابن عباس أنه قال: «لا أدري ما المراد به»، وقيل: هو الكتاب المرقوم فيه أسماءهم وما جرى لهم، كُتب من بعدهم، اختاره ابن جرير وغيره، وقيل: هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم، وقيل غير ذلك والله أعلم.

قال شعيب الجبائي: «واسم كلبهم حمران»، واعتناء اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانه متقدم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح، وأنهم كانوا نصارى، والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام».

قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم: كانوا في زمن ملك يقال له دقيانوس، وكانوا من أبناء الأكابر، وقيل: من أبناء الملوك، واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم، فرأوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للأصنام والتعظيم للأوثان، فنظروا بعين البصيرة، وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة، وألهمهم رشدهم، فعلموا أن قومهم ليسوا على شيء، فخرجوا عن دينهم، وانتموا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ويقال: إن كل واحد منهم لما أوقع الله في نفسه ما هداه إليه من التوحيد، انحاز عن الناس، واتفق اجتماع هؤلاء الفتية

في مكان واحد، كما صح في البخاري: «الْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُّجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَآكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^(١). فكل منهم سأل الآخر عن أمره وعن شأنه، فأخبره بما هو عليه، واتفقوا على الانحياز عن قومهم، والتبري منهم، والخروج من بين أظهرهم، والفرار بدينهم منهم، وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور، قال تعالى: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۗ ءِٰلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ ﴿١٥﴾ أَي: بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه، وصاروا من الأمر عليه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ أَي: وإذا قد فارقتموهم في دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله، وذلك لأنهم كانوا يشركون مع الله، كما قال الخليل: ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم لبعض: إذ قد فارقتم قومكم في دينهم، فاعتزلوهم بأبدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا إليكم شرًّا ﴿ فَأَوْوِا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ أَي: يسبل عليكم ستره، وتكونوا تحت

حفظه وكنفه، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير.

ثم ذكر تعالى صفة الغار الذي آووا إليه، وأن بابه موجه إلى نحو الشمال، وأعماقه إلى جهة القبلة، وذلك أنفع الأماكن؛ أن يكون المكان قبلياً، وبابه نحو الشمال، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوَّرُ﴾ و﴿قُرَى﴾ و﴿تَزَوَّرُ﴾ ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ﴾ فأخبر أن الشمس -يعني في زمن الصيف وأشباهه- تشرق أول طلوعها في الغار في جانبه الغربي، ثم تشرع في الخروج منه قليلاً قليلاً، وهو ازوارها ذات اليمين فترتفع في جو السماء وتتقلص عن باب الغار، ثم إذا تضيفت للغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلاً قليلاً إلى حين الغروب، كما هو المشاهد في مثل هذا المكان، والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بقاءهم على هذه الصفة دهرًا طويلاً من السنين، لا يأكلون ولا يشربون، ولا تتغذى أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ و﴿تَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَالِمًا﴾ و﴿رُفُودًا﴾ قال بعضهم: لأن أعينهم مفتوحة؛ لئلا تفسد بطول الغمض ﴿وَنُقَلِّبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قيل: في كل عام يتحولون مرة من جنب إلى جنب، ويحتمل أكثر من ذلك. فالله أعلم.

﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وقال بعضهم: الوصيد أسكفة الباب، والمراد أن كلبهم الذي كان معهم، وصحبهم حال انفرادهم من قومهم، لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف، بل ربض على بابه ووضع يديه على الوصيد، وهذا من جملة أدبه، ومن جملة ما أكرموا به؛ فإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، ولما كانت التبعية مؤثرة، حتى في كلب هؤلاء صار باقياً معهم ببقائهم؛ لأن من أحب قوماً سعد بهم، فإذا كان هذا في حق كلب، فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للإكرام، وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأً وخبراً طويلاً، أكثره متلقى من الإسرائيليات، وكثير منها كذب، ومما لا فائدة فيه، كاختلافهم في اسمه ولونه.

وأما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف، فقال كثيرون: هو بأرض أيلة، وقيل: بأرض نينوي، وقيل: بالبلقاء، وقيل: ببلاد الروم، وهو أشبه. والله أعلم.

ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم والأهم من أمرهم، ووصف حالهم، حتى كأن السامع راء، والمخبر مشاهد لصفة كهفهم، وكيفيتهم في ذلك الكهف وتقلبهم من جنب إلى جنب، وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، قال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ أي: لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه، ولعل الخطاب ههنا لجنس

الإنسان المخاطب، لا لخصوصية الرسول ﷺ كقوله: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْدِينِ ۗ﴾ [التين: ٧]، أي: أيها الإنسان؛ وذلك لأن طبيعته البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبة غالباً، ولهذا قال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ۗ﴾، ودل على أن الخبر ليس كالمعينة، كما جاء في الحديث؛ لأن الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب. ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلاثمائة سنة وتسع سنين، لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: ﴿كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ۗ﴾ أي: بدراهمكم هذه، يعني التي معهم إلى المدينة، ويقال: كان اسمها دفسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ۗ﴾ أي: أطيب مالا، ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ۗ﴾ أي: بطعام تأكلونه، وهذا من زهدهم وورعهم ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ ۗ﴾ أي: في دخوله إليها ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۗ﴾ [١٩] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ۗ﴾ [٢٠] أي إن عدتم إلى ملتهم بعد إذ أنقذكم الله منها؛ وهذا كله لظنهم أنهم إنما رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك، ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة، وقد تبدلت الدول أطواراً عديدة، وتغيرت البلاد ومن عليها، وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم، وجاء غيرهم وذهبوا، وجاء غيرهم، ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيدوسيس - فيما قيل - وجاء إلى المدينة متنكراً؛ لئلا يعرفه

أحد من قومه فيما يحسبه، تنكرت له البلاد واستنكره من رآه من أهلها، واستغربوا شكله وصفته ودراهمه، فيقال: إنهم حملوه إلى متوليهم، وخافوا من أمره أن يكون جاسوسًا، أو تكون له صولة يخشون من مضرتها، فيقال: إنه هرب منهم، ويقال: بل أخبرهم خبره ومن معه، وما كان من أمرهم، فانطلقوا معه ليريهم مكانهم، فلما قربوا من الكهف، دخل إلى إخوانه، فأخبرهم حقيقة أمرهم، ومقدار ما رقدوا، فعلموا أن هذا من قدرة الله، فيقال: إنهم استمروا راقدين، ويقال: بل ماتوا بعد ذلك.

وأما أهل البلدة، فيقال: إنهم لم يهتدوا إلى موضعهم من الغار، وعمى الله عليهم أمرهم، ويقال: لم يستطيعوا دخوله حسًا، ويقال: مهابة لهم.

واختلفوا في أمرهم؛ فقائلون يقولون: ﴿أَبْنَا عَلَيْهِمْ بُيِّنًا﴾ أي: سدوا عليهم باب الكهف؛ لئلا يخرجوا أو لئلا يصل إليهم ما يؤذيهم، وآخرون، وهم الغالبون على أمرهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّهُمْ مَّسْجِدًا﴾ أي معبدًا يكون مباركًا لمجاورته هؤلاء الصالحين، وهذا كان شائعًا فيمن كان قبلنا، فأما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ﴾^(١).

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٣٠، وصحيح مسلم برقم ٥٢٩.

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فمعنى أعرضنا: أطلعنا على أمرهم الناس، قال كثير من المفسرين: ليعلم الناس أن المعاد حق، وأن الساعة لا ريب فيها، إذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة، ثم قاموا، كما كانوا من غير تغير منهم، فإن من أبقاهم كما هم قادر على إعادة الأبدان وإن أكلتها الديدان، وعلى إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم رفاتاً، وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وهذا يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ إلى أصحاب الكهف، إذ علمهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم، ويحتمل أن يعود على الجميع. والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فذكر اختلاف الناس في كميتهم، فحكى ثلاثة أقوال وضعف الأولين، وقرر الثالث، فدل على أنه الحق؛ إذ لو قيل غير ذلك لحكاه، ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهاه، فدل على ما قلناه، ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده، أرشد نبيه ﷺ إلى الأدب في مثل هذا الحال، إذا اختلف الناس فيه أن يقول: الله أعلم. ولهذا قال: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ وقوله:

﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي من الناس ﴿ فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ ﴾ أي سهلاً، ولا تتكلف أعمال الجدل في مثل هذا الحال، ولا تستفت في أمرهم أحداً من الرجال؛ ولهذا أبهم تعالى عدتهم في أول القصة، فقال: ﴿ إِنِّيهِمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ ولو كان في تعيين عدتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرَ بِنِكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) أدب عظيم أرشد الله تعالى إليه، وحث خلقه عليه، وهو ما إذا قال أحدهم: إني سأفعل في المستقبل كذا، فيشرع له أن يقول: إن شاء الله؛ ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه؛ لأن العبد لا يعلم ما في غدٍ، ولا يدري أهذا الذي عزم عليه مقدر أم لا، وليس هذا الاستثناء تعليقاً، وإنما هو تحقيقي، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه يصح إلى سنة، ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا»، كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام، حين قال: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقليل له: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنُثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ» (١).

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٣٩، وصحيح مسلم برقم ١٦٥٤.

وقوله: ﴿وَأَذْكُرُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيتذكر ما كان قد نسيه، وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي: إذا اشتبه أمر وأشكل حال، والتبس أقوال الناس في شيء، فارغب إلى الله ييسره لك، ويسهله عليك، ثم قال: ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ لما كان في الإخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة، ذكرها تعالى، وهذه التسع المزیدة بالقمرية، وهي لتكميل ثلاثمائة شمسية، فإن كل مائة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ أي: إذا سئلت عن مثل هذا، وليس عندك في ذلك نقل، فرد الأمر في ذلك إلى الله عز وجل: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو العالم بالغيب، فلا يُطْلَعُ عليه إلا من شاء من خلقه ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ﴾ يعني: أنه يضع الأشياء في محالها؛ لعلمه التام بخلقه، وبما يستحقونه، ثم قال: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي: بل هو المنفرد بالملك والمتصرف فيه، وحده لا شريك له^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٥٦١-٥٧١).

فوائد من قصة أصحاب الكهف (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

إن قصة أصحاب الكهف وإن كانت عجيبة، فليست أعجب آيات الله التي أطلعناك عليها، فقد آتيناك من الآيات ما هو أعجب وأعظم عبرة للمعتبرين، ومن فوائد هذه القصة:

١- «أن من أوى إلى الله آواه الله، ولطف به، وجعله سبباً لهداية الضالين؛ فإن الله لطف بهم في هذه النومة الطويلة إبقاء على إيمانهم وأبدانهم من فتنة قومهم وقتلهم، وجعل هذه القومة من آياته التي يستدل بها على كمال قدرة الله، وتنوع إحسانه، وليعلم العباد أن وعد الله حق.

٢- الحث على تحصيل العلوم النافعة والمباحثة فيها؛ لأن الله بعثهم لأجل ذلك، وبيحثهم ثم بعلم الناس بحالهم حصل البرهان والعلم بأن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

٣- الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند ما يعرف.

٤- صحة الوكالة في البيع والشراء وصحة الشركة في ذلك، لقولهم ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

٥- جواز أكل الطيبات، والتخير من الأطعمة ما يلائم الإنسان ويوافقه، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه، لقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

٦- الحث والتحرز والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان الذي يدرأ عن الإنسان الشر.

٧- في القصة شدة تمسك هؤلاء الفتية بدينهم، وذلك بتركهم ديارهم وأموالهم والاعتزال خوفاً من أن يُفْتَنُوا في دينهم.

٨- ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد الداعية لبغضه وتركه، وأن هذه الطريقة طريقة المؤمنين.

٩- أن قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فيه دليل على أن هؤلاء القوم الذين بعثوا في زمانهم أناس أهل تدين؛ لأنهم عظموهم هذا التعظيم حتى عزموا على اتخاذ مسجد على كهفهم، وهذا وإن كان ممنوعاً - وخصوصاً في شريعتنا - فالمقصود بيان أن ذلك الخوف

العظيم من أهل الكهف وقت إيمانهم ودخولهم في الغار
أبدلهم الله به بعد ذلك أمناً وتعظيماً من الخلق، وهذه
عوائد الله فيمن تحمل المشاق من أجله أن يجعل له
العاقبة الحميدة.

١٠- أن كثرة البحث وطوله في المسائل التي لا أهمية لها لا
ينبغي الانهماك به لقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا﴾.

١١- أن سؤال من لا علم له في القضية المسئول فيها أو لا يوثق
به منهي عنه لقوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

١٢- أن اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب
قبل هذه الأمة، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ وحذر منه،
وحرمه على أمته لما يفضي إلى الشرك، وعبادة غير
الله، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ
قال: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوْ الرَّجُلُ
الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ،
أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «لَا تُصَلُّوا إِلَيَّ
الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»^(٢) «^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم ٤٣٤، وصحيح مسلم برقم ٥٢٨.

(٢) برقم ٩٧٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٢/٥٧٧)، وتفسير الشيخ ابن سعدي ص ٦٢٠، وتدبر سورة =

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قصة الرجلين: المؤمن والكافر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى في سورة الكهف، بعد قصة أصحاب الكهف:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّيًا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأُصْبِحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا

﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ [الكهف: ٣٢ - ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء، وازدرائهم بهم، وافتخارهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣]، والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين، وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً، ويقال: إنه كان لكل منهما مال، فأنفق المؤمن ماله في طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه، وأما الكافر فإنه اتخذ له بستانين، وهما الجنتان المذكورتان في الآية، على الصفة والنعث المذكور؛ فيهما أعناب، ونخل تحف تلك الأعناب، والزروع في خلال ذلك، والأنهار سارحة هاهنا وهاهنا للسقي والتنزه، وقد استوسقت^(١) فيهما الثمار، واضطربت فيهما الأنهار، وابتهجت الزروع والثمار، وافتخر مالهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلاً له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: وأمنع جناباً، ومراده أنه خير منه، ومعناه: ماذا أغنى عنك إنفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه؟ كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي. فافتخر على صاحبه ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ أي: وهو على غير طريقة مرضية ﴿قَالَ مَا

(١) واستوسقت الشيء: اجتمع وانضم، الوسيط (وس ق).

أظنُّ أن تبيد هذه أبدأ ﴿ وذلك لما رأى من اتساع أرضها، وكثرة مائها وحسن نبات أشجارها؛ ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار، لاستخلف مكانها أحسن منها، وزروعها دارة لكثرة مياهها، ثم قال: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية، وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة، ثم قال: ﴿ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ أي: ولئن كان ثم آخرة ومعاد، فلأجدن هنالك خيراً من هذا، وذلك لأنه اغتر بدنياه، واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبه له وحظوته عنده، كما قال العاص بن وائل، فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الأرت في قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]، وقال تعالى إخباراً عن الإنسان إذا أنعم الله عليه: ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠]، قال الله تعالى: ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ﴿٥٠﴾ [فصلت: ٥٠]، وقال قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]، أي: لعلم الله في أني أستحقه، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ [القصص: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ

ءَامَنَ وَعَمِلَ صَدِيقًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِءَ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٦﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

ولما اغتر هذا الجاهل بما حوله الله به في الدنيا، فوجد الآخرة، وادعى أنها إن وجدت ليجدن عند ربه خيراً مما هو فيه، وسمعه صاحبه يقول ذلك ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يجادله: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ أي: أجددت المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم طورك أطواراً، حتى صرت رجلاً سوياً سميعاً بصيراً، تعلم وتبطن وتفهم، فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداء ﴿لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي: لكن أنا أقول بخلاف ما قلت، وأعتقد خلاف معتقدك ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: لا أعبد سواه، وأعتقد أنه يبعث الأجساد بعد فنائها، ويعيد الأموات ويجمع العظام الرفات، وأعلم أن الله لا شريك له في خلقه، ولا في ملكه، ولا إله غيره، ثم أرشده إلى ما كان الأولى به أن يسلكه عند دخول جنته، فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ولهذا يستحب لكل من أعجبه شيء من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك.

ثم قال المؤمن للكافر: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنْ

السَّمَاءِ ﴿١٠﴾، قال ابن عباس والضحاك وقتادة: أي عذاباً من السماء، والظاهر أنه المطر المزعج الباهر، الذي يقتلع زروعها وأشجارها ﴿فَنُصِّحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ وهو التراب الأملس الذي لا نبات فيه ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾ وهو ضد المعين السارح ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ يعني: فلا تقدر على استرجاعه، قال الله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ أي: جاءه أمر أحاط بجميع حواصله، وخرَّب جنته، ودمرها ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: خربت بالكلية، فلا عودة لها، وذلك ضد ما كان عليه أمل، حيث قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وندم على ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم، فهو يقول: ﴿يَلِينِنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾. قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ أي: لم يكن له أحد يتدارك ما فرط من أمره، وما كان له قدرة في نفسه على شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَأَلَّهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ كقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وكان يوماً على الكافرين عسيراً ﴿٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦]، فالحكم الذي لا يُرد ولا يُمانع ولا يُغالب - في تلك الحال وفي كل حال - لله الحق. ومنهم من رفع ﴿الحق﴾ جعله صفة لـ ﴿الوليَّة﴾ وهما متلازمان، وقوله ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي:

معاملته خير لصاحبها ثواباً، وهو الجزاء، وخير عُقْبًا، وهو العاقبة في الدنيا والآخرة»^(١).

وقد اشتملت هذه القصة على فوائد جمة، منها:

- ١- الاعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلاً فإنه يحرمها طويلاً.
- ٢- «أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا، ولا يغتر بها، ولا يثق بها، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه، وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده، قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص: ٦٠].
- ٣- أن من قدم شيئاً على طاعة الله والإنفاق في سبيله عذب به، وربما سلب منه معاملة له بنقيض قصده.
- ٤- أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق، وأن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة»^(٢).
- ٥- أن ما يعطيه الله الكافر ليس دليلاً على محبته ورضاه، قال

(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٥٧٢-٥٧٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٥٧٧).

تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»^(١). ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

٦- أن ما يعطيه الله الكافر من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده، وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبِّئْتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٧- أن المؤمن إذا رأى ما يعجبه من مال أو ولد أو حال، عليه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ فإن ذلك أحفظ له من العين، وفي الآية: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

٨- «الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها بما عند الله من الخير، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا

(١) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴿٣٩﴾ .

٩- الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصاً إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين وفخر عليهم.

١٠- أن المسلم العاقل المقبل على كتاب ربه وسنة نبيه تدبراً وفهماً يدرك أن كل ما هو فيه من نعيم من صحة وعافية، ومن سعة رزق، وكثرة مال، بل حتى العلم والصلاح وغيره، إنما محض فضل من **الله** يَرْزُقُنَا لَا بِفَضْلِهِ وَلَا عِلْمِهِ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ **عَلَيْكُمْ** ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى لنبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، ولذا كانت عاقبة قارون وخيمة عندما قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [القصص: ٧٨].

١١- إن ولاية **الله** وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ **الْحَقِّ** هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٤٤]، أي عاقبة ومآلاً^(١).

١٢- «أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر، ونفذ الأمر الحتم»^(٢).
والحمد لله رب العالمين، وصلى **الله** وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ٦٢٠، وتدبر سورة الكهف للدكتور ناصر العمر ص ٨٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢/٥٧٧).

الكلمة الستون

قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فمن القصص التي ذكرها الله في كتابه، قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في السبت، قال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ^{٤٧} وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

[النساء: ٤٧].

«قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وغيرهم: هم أهل أيلة، زاد ابن عباس: بين مدين والطور، قالوا: وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم؛ وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه، وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم السبت، يكثر غشيانها لمحلثهم من البحر؛ فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة، فلا يهيجونها ولا يذعرونها.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْئُرُونَ^{٤٨} لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عد السبت، قال **الله** تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَبَلُّوهُمْ﴾ أي: نخبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب فسقهم المتقدم، فلما رأوا ذلك، احتالوا على اصطيادها في يوم السبت، بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص، وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها، إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت؛ علققت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها، فغضب **الله** عليهم ولعنهم؛ لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه

بالحيل التي هي ظاهرة للناظر، وهي في الباطن مخالفة محضة، فلما فعل ذلك طائفة منهم، افرق الذين لم يفعلوا ذلك فرقتين؛ فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا، واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا، بل أنكروا على الذين نهوا، وقالوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقولون لهم: ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة؟ فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا: ﴿مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقوم به خوفاً من عذابه، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ أي: ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع، فيقيهم الله عذابه، ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: لم يلتفتوا إلى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المرتكبون الفاحشة ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ وهو الشديد المؤلم الموجع ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ثم فسر العذاب الذي أصابهم بقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وسنذكر ما ورد من الآثار في ذلك.

والمقصود هنا أن الله تعالى أخبر أنه أهلك الظالمين، ونجى المؤمنين المنكرين، وسكت عن الساكتين، وقد اختلف

فيهم العلماء على قولين: فقليل: إنهم من الناجين، وقيل: إنهم من الهالكين، والصحيح الأول عند المحققين، وهو الذي رجع إليه ابن عباس إمام المفسرين، وذلك عند مناظرة مولاه عكرمة، فكساه من أجل ذلك حلة سنية؛ تكرمة، قلت: وإنما لم يذكروا من الناجين؛ لأنهم وإن كرهوا ببواطنهم تلك الفاحشة، إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الإنكار القولي، الذي هو أوسط المراتب الثلاث، التي أعلاها الإنكار باليد، ذات البنان، وبعدها الإنكار القولي باللسان، وثالثها الإنكار بالجنان، فلما لم يذكروا لم يُذكروا مع الناجين، إذ لم يفعلوا الفاحشة، بل أنكروا.

وقد روى عبدالرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس وحكى مالك عن ابن رومان، وشيبان عن قتادة وعطاء الخراساني ما مضمونه: أن الذي ارتكبوا هذا الصنع، اعتزلهم بقية أهل البلد، ونهاهم من نهاهم منهم، فلم يقبلوا، فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم أبواباً، حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم، فأصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقة لم يفتحوها، وارتفع النهار واشتد الضحاء، فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلال، ويُشرف عليهم من فوقهم، فلما أشرف عليهم، إذا هم قردة لها أذنان يتعاوون ويتعادون، ففتحوا عليهم الأبواب فجعلت القردة تعرف قراباتهم، ولا

تعرفهم قراباتهم، فجعلوا يلوذون بهم، ويقول لهم الناهون: ألم ننهكم عن صنيعكم، فتشير القردة برؤوسها: أن نعم.

ثم بكى عبد الله بن عباس، وقال: إنا لنرى منكرات كثيرة، ولا ننكرها، ولا نقول فيها شيئاً، وقال العوفي عن ابن عباس: صار شباب القرية قردة، وشيوخها خنازير، وقال الضحاك عن ابن عباس: إنه لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا»^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

١- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الشعائر التي يحفظ الله بها الدين، وتقي المجتمع من الشرور والمعاصي، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ

(١) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (٢/ ٥٨٢-٥٨٦).

نُوذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا،
وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(١).

٢- أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للعنة
الله لقوله تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة:
٧٨-٧٩].

٣- أن السكوت عن المنكر مع القدرة على التغيير موجباً
للعقوبة لما فيه من المفساد العظيمة، وفي الحديث:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،
أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ
فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(٢).

٤- أن إنكار المنكر على ثلاث مراتب، إما باليد، أو اللسان،
أو القلب، وهو أقلها، وفي الحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا
فَلْيَغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٩٣.

(٢) سنن الترمذي برقم ٢١٦٩، وقال: هذا حديث حسن

وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

٥- أن من مقاصد إنكار المنكر المعذرة إلى الله، وإقامة الحجة على المأمور، ولعل الله أن يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي، لقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاي رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

٦- أن الناجين من الأمم هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [١٦٥] [الأعراف: ١٦٥].

٧- «أن الفرقة التي لم تعمل المنكر نجت على الصحيح من أقوال العلماء؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السب، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار ذلك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فأبدوا من غضبهم عليهم ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله

(١) صحيح مسلم برقم ٤٩.

سيعاقبهم أشد العقوبة»^(١).

٨- ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه؛ ولذلك عاقبهم الله بأعظم عقوبة، وهو أنه مسخهم قردة خاسئين، أي أذلاء صاغرين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

٩- أن الله أهلكتهم بعد أن مسخهم قردة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْحَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»^(٢).

١٠- «أن الله ﷻ قال: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]، أي لمن حضرها من الأمم وبلغه خبرها ممن هو في وقتهم، وما خلفها: أي من بعدها، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه، ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي ص ٣٧٨.

(٢) برقم ٢٦٦٣.

(٣) تفسير الشيخ بن سعدي ص ٤٤.

الفتور أسبابه وعلاجه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»^(١). وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فَإِنْ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ»^(٢).

وفي هذين الحديثين حقائق في غاية الأهمية أخبرنا عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإليك البيان:

الحقيقة الأولى: إن لكل عابد شرة وحدة، وهو النشاط في العبادة بصورة تدعو إلى الانتباه والإعجاب. وهو مشاهد

(١) (٣٧٦/١١) برقم ٦٧٦٤، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) سنن الترمذي برقم ٢٤٥٣، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/٢٩٨)، برقم ١٩٩٥.

في كثير من الناس، وخصوصًا الشباب، فإنه يرى منهم أول التزامهم نشاطًا شديدًا، وحرصًا ومثابرة على العبادات والطاعات، وحضور مجالس العلم والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.. وغير ذلك.

الحقيقة الثانية: أن هؤلاء العباد -أو ما يسمون في زماننا هذا الملتزمون، أو شباب الصحوة- يحدث لبعضهم بعد ذلك النشاط والقوة ضعفًا وكسلًا، وتهاونًا وفتورًا، وهم في ذلك على مراتب:

١- **المرتبة الأولى:** من سلكوا حال فتورهم طريق الاستقامة، وذلك بلزوم السنة، وتجنب البدعة، وأحاطوا أعمالهم في أنفسهم وفي دعوة غيرهم بالتسديد والمقاربة، وسلوك الطريق الوسط الذي لا غلو فيه، ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، ويعود السبب إلى توفيق الله لهم حال حدثهم وشرتهم إلى التمسك بأصول صحيحة ثابتة، إما كتب لأهل العلم من السلف الصالح وأئمة الهدى، أو طلب العلم على مشايخ وعلماء أهل فضل وسنة، أو رفقة صالحة قد هداهم الله إلى الصراط المستقيم بالحق يهدون وبه يعدلون، قال ﷺ: «سَدُّوْا وَقَارِبُوْا وَأَبْشِرُوْا»^(١).

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٦٧، وصحيح مسلم برقم ٢٣٥٩.

قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللهُ: «سددوا: يريد به كونوا مسددين، والتسديد لزوم طريقة النبي ﷺ واتباع سنته، وقوله: وقاربوا: يريد به لا تحملوا على الأنفس من التشديد ما لا تطيقون، وأبشروا فإن لكم الجنة إذا لزمتم طريقتي في التسديد وقاربتهم في الأعمال»^(١).

٢- المرتبة الثانية: من كان فتورهم ضعف في العبادة، وتقصير في العمل، وربما الوقوع في بعض الذنوب والمعاصي عن شهوة لا عن شبهة، فهو لاء إذا وجدوا من يعظهم ويذكرهم فحري أن ينشطوا، ويقوى ضعفهم، ويقل تفريطهم.

٣- المرتبة الثالثة: من كان فتورهم إلى بدع وضلالات اتباعاً للهوى وحباً للظهور والشهرة، والتعلق بالشبهات في استحلال المحرمات، وقد يتمادى بهم ذلك إلى الانقلاب على أعقابهم - نسأل الله العافية والسلامة -.

الحقيقة الثالثة: اشتمل هذا البيان منه ﷺ على سبب هذا الداء وبيان دواؤه، وأن سببه هو عين دواؤه حين ترك ولم يعمل به، وينحصر ذلك في أمرين ذُكرا في الحديثين السابقين:

١- أولهما: ترك لزوم السنة ظاهراً.

٢- ثانيهما: ترك تجريد القلب بالإخلاص لله الإخلاص التام

(١) صحيح ابن حبان شرح حديث رقم ١١٣.

الذي لا يكون للنفس منه نصيب باطنًا.

مظاهر الفتور العائد إلى الانحراف:

١- أن العظة والتذكير لا يؤثر فيهم وذلك لقساوة حدثت لقلوبهم، وراى أن أطبق عليها بما كانوا يكسبون.

٢- حبهم للجدل والمراء ومعارضة الحق، وقد قال ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥] (١)، وفي التنزيل المبارك: ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة: ١١٥].

٣- تحليلهم لكثير مما كان حرامًا عندهم قبل نكوسهم، وكذلك العكس، وذلك بوقوعهم في الفتنة كما أخبر بذلك حذيفة رضي الله عنه حين سُئِلَ: «كيف يعرف الرجل منا، هل أصابته الفتنة أم لا؟ فأجاب: إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا؟ فلينظر، فإن كان رأى حلالًا كان يراه حرامًا، فقد أصابته الفتنة، وإن كان يرى حرامًا كان يراه حلالًا فقد أصابته» (٢).

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦/٥٤٠)، برقم ٢٢٢٠٤، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٢) مستدرک الحاكم (٤/٤١٥) برقم ٣٤٤٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٤- تتبع زلات العلماء وجعلها منهج حياة مع الاستماتة في الدفاع عنها، وهم في كل ما تقدم لا تسهل عليهم التوبة، ويبغضون من يدعوهم إليها؛ لأنهم يرون أن في توبتهم إقرار واعتراف بما هم عليه من الضلال والزيغ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

الخاتمة:

وأختم هذه الكلمة بتوجيه النصح إلى أهل العلم والدعاة إلى الله بأن يرشدوا من يدعونهم إلى لزوم الكتاب السنة، ومنهج السلف الصالح في فهم نصوصهما، والاقتراء بهم في الأعمال والأخلاق، والاجتهاد في إصلاح القلوب وتخليصها من الأهواء المضلة، والبدع المهلكة.

نسأل الله أن يهدينا إلى الحق، وأن يثبتنا عليه، وأن يقينا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهدى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المنهجية في طلب العلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه، واسم ملائكته، كما قرن اسم العلماء».

وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، كما أمره أن يستزيده من العلم، وقال ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^(١)، وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير»^(٢).

(١) جزء من حديث رواه أبو داود في سننه برقم ٣٦٤١، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٠٩٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٦٣-٦٤).

قال الزمخشري - عند قول الله تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥]: «في الآية دليل على شرف العلم، وأناقة محله، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم، وأن من أوتيته فقد أوتي فضلًا على كثير من عباد الله»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث معاوية بن أبي سفيان أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير؛ لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهاً ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم»^(٢).

«الفائدة الأولى:

لابد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم:

أولاً: حفظ متن مختصر فيه:

فإذا كنت تطلب النحو: فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من

(١) الكشاف (٣/١٣٩).

(٢) فتح الباري (١/١٦٥).

متن الأجرومية، لأنه واضح وجامع وحاصر وفيه بركة، ثم متن ألفية ابن مالك؛ لأنها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه: أَحْصَى مِنَ الْكَافِيَةِ الْخُلَاصَةَ كَمَا اقْتَضَى غِنَى بِإِلْخِصَاصَةٍ وَأَمَّا فِي الْفِقْهِ: فَمَتْنُ زَادِ الْمُسْتَقْنَعِ، لِأَنَّهُ كِتَابٌ مَخْدُومٌ بِالشُّرُوحِ وَالْحَوَاشِي وَالتَّدْرِيسِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمَتُونِ الْآخَرَى أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ، لَكِنْ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ حَيْثُ كَثْرَةُ الْمَسَائِلِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَخْدُومٌ.

وأما في الحديث: فمتن عمدة الأحكام، وإن ترقيت فبلوغ المرام، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا، فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين درجة الحديث.

وأما في التوحيد: فمن أحسن ما قرأنا متن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهو كتاب جامع مبارك مفيد، وهلم جرا، خذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه واحفظه.

ثانياً: ضبطه وشرحه على شيخ متقن، وتحقيق ألفاظه، وما كان زائداً أو ناقصاً.

ثالثاً: عدم الاشتغال بالمطولات:

وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم، فلا بد لطالب العلم أن

يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم في ذهنه ثم يُفيض إلى المطولات، لكن بعض الطلبة قد يغرب فيطالع المطولات ثم إذا جلس مجلساً قال: قال صاحب المغني، قال صاحب المجموع، قال صاحب الإنصاف، قال صاحب الحاوي، ليظهر أنه واسع الاطلاع، وهذا خطأ؛ نحن نقول: ابدأ بالمختصرات حتى ترسخ العلوم في ذهنك، ثم إذا منَّ الله عليك، فاشتغل بالمطولات، وقياس ذلك بالأمر المحسوس أن ينزل مَنْ لم يتعلم السباحة إلى بحر عميق، فإنه لا يستطيع أن يتخلص فضلاً عن أن يتقن.

رابعاً: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب:

فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيع عليه أوقاته، فإذا كان كل يوم له كتاب يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه، ولا تقول: أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب ثم أنتقل للآخر، فإن هذا مضيعة للوقت.

خامساً: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية:

فهناك فوائد لا تكاد تطرأ على الذهن، أو يندر ذكرها والتعرض لها، أو تكون مستجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها، فهذه اقتنصها، وقيدها بالكتابة، ولا تقل: هذه معلومة عندي،

ولا حاجة أن أقيدها، لأنها سرعان ما تُنسى، وكم من فائدة تمر بالإنسان فيقول: هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها.

لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها أو يتجدد وقوعها، ومن أحسن ما ألف في هذا الموضوع كتاب العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بِدَائِعِ الفوائد فقد جمع فيه من بدائع العلوم، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامع في كل فن، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيدها، ولهذا تجد فيه من علم العقائد، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة.. وغيرها.

وأيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط.

ومن الضوابط: ما يذكره العلماء تعليلاً للأحكام، فإن كل التعليقات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط؛ لأنها تبني عليها الأحكام، فهذه احتفظ بها، وسمعت أن بعض الإخوان يتتبع هذه الضوابط في الروض المربع ويحررها، وقلت: من الأحسن أن يقوم بهذا طائفة، تتبع الروض المربع من أوله إلى آخره كلما ذكر علة تُقيد، لأن كل علة يبني عليها مسائل كثيرة، إذ أن العلم له ضابط، فكل ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة.

فمثلاً إذا شك في طهارة ماء أو بنجاسته فإنه يبني على

اليقين، فهذه العلة تعتبر حكماً وتعتبر ضابطاً.

أيضاً يعلل بأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شك في نجاسة طاهر فهو طاهر، أو في طهارة نجس فهو نجس؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا حرص طالب العلم ودون كلما مر عليه من هذه التعليقات وحررها وضبطها، ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره.

سادساً: جمع النفس للطلب:

فلا يشتهها يميناً ويساراً، اجمع النفس على الطلب ما دمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك، وأيضاً اجمع نفسك على الترقى فيه لا تبقى ساكناً، فكّر فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً، واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة، ولا تستحي أن تقول: يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب، الحياء لا ينال العلم به أحد، فلا ينال العلم مستحي ولا مستكبر.

الفائدة الثانية:

مما ينبغي لطالب العلم مراعاته، تلقي العلم عن الأشياخ؛ لأنه يستفيد بذلك فوائد عدة:

١- اختصار الطريق: فبدلاً من أن يذهب يقلب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح وما سبب رجحانه، وما هو القول الضعيف وما سبب ضعفه، بدلاً من ذلك كله يمد إليه المعلم ذلك بطريق سهل ويعرض له خلاف أهل العلم في المسائل على قولين أو ثلاثة مع بيان الراجح، والدليل كذا، وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم.

٢- السرعة في الإدراك: فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم، فإنه يدرك بسرعة أكثر مما لو ذهب يقرأ في الكتب؛ لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المشككة والغامضة فيحتاج إلى التدبر وتكرار العبارة، مما يأخذ منه الوقت والجهد، وربما فهمها على وجه خطأ وعمل بها.

٣- الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين: لذلك القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه.

الفائدة الثالثة:

الحفظ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: غريزي: يهبه الله تعالى لمن يشاء، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه.

القسم الثاني: كسبي: بمعنى أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ، ويتذكر ما حفظ، فإذا عود نفسه تذكر ما حفظ سهل

عليه حفظه.

الفائدة الرابعة:

من الأمور التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بها المذاكرة، والمذاكرة نوعان:

النوع الأول: مذاكرة مع النفس: بأن تجلس مثلاً جلسة وحدك ثم تعرض مسألة من المسائل أو مسألة قد مرت عليك، ثم تأخذ في محاولة عرض الأقوال وترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها على بعض، وهذه سهلة على طالب العلم، وتساعد على مسألة المناظرة السابقة.

النوع الثاني: مذاكرة مع الغير: بأن يختار من إخوانه الطلبة من يكون عوناً له على طلب العلم، مفيداً له، فيجلس معه ويتذاكران، يقرآن مثلاً ما حفظاه، كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً، أو يتذاكران في مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك، فإن هذا مما ينمي العلم ويزيده، لكن إياك والشغب والصلف؛ لأن هذا لا يفيد.

الفائدة الخامسة:

زكاة العلم تكون بأمور:

الأمر الأول: نشر العلم: نشر العلم من زكاته، فكما يتصدق

الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دوماً وأقل كلفة ومؤنة، أبقى دوماً؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس. وما زلنا حتى الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم، بل تزيده كما قيل:

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ أَنْ بِهِ كَفًا شَدَدَتَا

الأمر الثاني: العمل به: لأن العمل به دعوة إليه بلا شك، وكثير من الناس يتأسون بالعالم، بأخلاقه وأعماله أكثر مما يتأسون بأقواله، وهذا لا شك زكاة.

الأمر الثالث: الصدع بالحق: وهذا من جملة نشر العلم ولكن النشر قد يكون في حال السلامة وحال الأمن على النفس، وقد يكون في حال الخوف على النفس، فيكون صداعاً بالحق.

الأمر الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لا شك أن هذا من زكاة العلم، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عارف للمعروف وعارف للمنكر، ثم قائم بما يجب عليه من هذه المعرفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفائدة السادسة:

في المقصود ببركة العلم:

قبل بيان المقصود بالبركة في العلم لابد أن نعرف البركة، فهي كما يقول العلماء: الخير الكثير الثابت، ويعيدون ذلك إلى اشتقاق هذه الكلمة، فإنها من البركة وهي مجمع الماء، والبركة التي هي مجمع الماء مكان واسع، ماؤه كثير ثابت، فالبركة هي الخيرات الكثيرة الثابتة من كل شيء: من المال ومن الولد ومن العلم؟ وكل شيء أعطاه الله ﷻ لك تسأل الله ﷻ البركة فيه؛ لأن الله ﷻ إذا لم يبارك لك فيما أعطاك حرمت خيراً كثيراً.

ما أكثر الناس الذين عندهم المال الكثير وهم في عداد الفقراء. لماذا؟ لأنهم لا ينتفعون بمالهم، تجد عندهم من الأموال ما لا يحصى، لكن يقصر على أهله في النفقة، وعلى نفسه ولا ينتفع بماله، والغالب أن من كانت هذه حاله وبخل بما يجب عليه، أن يسلب الله ﷻ على أمواله آفات تذهبها، كثير من الناس عنده أولاد لكن أولاده لم ينفعوه، عندهم عقوق واستكبار على الأب، حتى أنه - أي الولد - يجلس إلى صديقه الساعات الطويلة يتحدث إليه ويأنس به ويفضي إليه أسراره، لكنه إذا جلس عند أبيه، فإذا هو كالطير المحبوس في القفص

- والعياذ بالله - لا يأنس بأبيه، ولا يتحدث إليه، ولا يفضي إليه بشيء من أسراره، ويستثقل حتى رؤية والده: فهؤلاء لم يبارك لهم في أولادهم.

أما البركة في العلم، فتجد بعض الناس قد أعطاه الله علماً كثيراً لكنه بمنزلة الأمي، فلا يظهر أثر العلم عليه في عباداته، ولا في أخلاقه، ولا في سلوكه، ولا في معاملته مع الناس، بل قد يكسبه العلم استكباراً على عباد الله وعلواً عليهم واحتقاراً لهم، وما علم هذا أن الذي منّ عليه بالعلم هو الله، وأن الله لو شاء لكان مثل هؤلاء الجهال.

تجده قد أعطاه الله علماً، ولكنه لم ينفع الناس بعلمه، لا بتدريس ولا بتوجيه، ولا بتأليف، بل هو منحصر على نفسه، لم يبارك الله له في العلم، وهذا بلا شك حرمان عظيم، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله العبد؛ لأن العلم إذا علمته غيرك، ونشرته بين الأمة، أجزت على ذلك، وإذا منّ الله عليك بطلبة يذكرونك ما نسيت ويفتحون عليك ما جهلت، فهذا من نعمة الله عليك، فهذا من فوائد نشر العلم أنه يزيد إذا علمت العلم، كما قال القائل مقارناً بين المال والعلم، يقول في العلم: **يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ أَنْ بِهِ كَفًا شَدَدَتَا** إذا شددت به كفاً، وأمسكته نقص، أي تنساه، ولكن إذا

نشرته يزداد.

وينبغي للإنسان عند نشر العلم أن يكون حكيماً في التعليم، بحيث يلقي على الطلبة المسائل التي تحتملها عقولهم، فلا يأتي إليهم بالمعضلات، بل يربهم بالعلم شيئاً فشيئاً.

ولهذا قال بعضهم في تعريف العالم الرباني: العالم الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

ونحن نعلمُ جميعاً أن البناء ليس يؤتى به جميعاً حتى يوضع على الأرض، فيصبح قصرًا مشيداً، بل يبنى لبنة لبنة حتى يكتمل البناء، فينبغي للمعلم أن يراعي أذهان الطلبة بحيث يلقي إليهم ما يمكن لعقولهم أن تدركه، ولهذا يؤمر العلماء أن يحدثوا الناس بما يعرفون.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»^(١).

كذلك أيضًا ينبغي للمعلم أن يعتني بالأصول والقواعد؛ لأن الأصول والقواعد هي التي يبنى عليها العلم.

وقد قال العلماء: من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول؛ أي لا يصل إلى الغاية إذا حرم الأصول، فينبغي أن يلقي على الطلبة

(١) أخرجه مسلم في مقدمة كتابه.

القواعد والأصول التي تتفرع عليها المسائل الجزئية؛ لأن الذي يتعلم على المسائل الجزئية لا يستطيع أن يهتدي إذا أتته معضلة فيعرض حكمها؛ لأنه ليس عنده أصل»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) كتاب العلم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ص ٢٣٧-٢٥٢ باختصار.

تغسيل الميت وأحكامه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه نبذة تتعلق بتغسيل الميت والأحكام المتعلقة بذلك:

١- «غسل الميت فرض كفاية، فينبغي لمن قام بذلك أن ينوي أنه مؤد لهذه الفريضة لينال أجرها وثوابها من الله تعالى»^(١).

٢- «المسلم لا يجوز أن يغسل الكافر، أو يحمل جنازته، أو يكفنه، أو يصلي عليه، أو يتبع جنازته، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ١٣]، فالآية تدل بعمومها على تحريم تغسيله، وحمله، واتباع جنازته، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهٖ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾»

(١) من الأحكام الفقهية في الطهارة والصلاة والجناز للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٨٧.

[التوبة: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، لكن إذا لم يوجد من يدفنه من الكفار، فإن المسلم يواريه بأن يلقيه في حفرة منعاً للتضرر بجثته، ولإلقاء قتلى بدر في القليب، وهكذا يجب أن يكون موقف المسلم من الكافر حيًّا وميتًّا، موقف التبرئ والبغضاء، وكذا حكم المرتد، كتارك الصلاة عمدًا، وصاحب البدعة المكفرة»^(١).

٣- إذا مات الميت وجب على طائفة من الناس أن يبادروا إلى غسله لقول النبي ﷺ للذي وقصته راحلته: «اغسلوه بماءٍ وسِدْرٍ»^(٢)، وقول النبي ﷺ: «أسرِعُوا بِالْحِنَازَةِ»^(٣).

٤- الغاسل مؤتمن على الميت، فيجب عليه أن يفعل ما يلزم في تغسيله وغيره.

٥- الغاسل مؤتمن على الميت، فيجب عليه أن يستر ما رآه فيه من مكروه؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ غَسَلَ مُسْلِمًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ حَفَرَ لَهُ فَأَجَنَّهُ أَجْرَى عَلَيْهِ كَأَجْرِ مَنْسُكِنٍ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّنَهُ كَسَاهُ

(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٣٠١-٣٠٢).

(٢) صحيح البخاري برقم ١٨٤٩، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣١٥، وصحيح مسلم برقم ٩٤٤.

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ الْجَنَّةِ»^(١).

٦- الغاسل مؤتمن على الميت، فلا ينبغي أن يمكن أحداً من الحضور عنده إلا من يحتاج إليه لمساعدته في قلب الميت، وصب الماء ونحوه.

٧- لا يغسل الرجل المرأة إلا أن تكون زوجته، ولا المرأة الرجل إلا أن يكون زوجها، إلا من هو دون سبع سنين، فيغسله الرجل والمرأة سواء كان ذكراً أم أنثى، لحديث عائشة رضي عنها: «لَوْ كُنْتُ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا غَسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم غَيْرَ نِسَائِهِ»^(٢). وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: «لَوْ مِتَّ قَبْلِي لَغَسَلْتُكَ، وَكَفَّيْتُكَ»^(٣)، وغسلت أسماء بنت عميس زوجها أبا بكر الصديق.

قال ابن المنذر: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم، على أن المرأة تغسل الصبي الصغير؛ لأنه لا عورة له في الحياة، فكذا بعد الموت، ولأن إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم غسله

(١) مستدرک الحاكم (١/٦٧٧) برقم ١٣٤٧؛ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال العلامة الألباني رحمته الله في كتاب الجنائز ص ٦٩: وهو كما قالوا. وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الدراية برقم ١٤٠: إسناده قوي.

(٢) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم ٣١٤١، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في الإرواء برقم ٧٠٢.

(٣) سنن ابن ماجه برقم ١٤٦٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله كما في إرواء الغليل (٣/١٦٠) برقم ٧٠٠.

النساء، وليس لامرأة غسل ابن سبع سنين فأكثر، ولا لرجل غسل ابنة سبع سنين فأكثر»^(١).

٨- «يستحب للغاسل إذا فرغ أن يغتسل كما يغتسل للجنازة، فإن لم يغتسل فلا حرج عليه»^(٢)، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نغسل الميت، فمننا من يغتسل، ومننا من لم يغتسل^(٣).

٩- «الأفضل أن يختار لتغسيل الميت ثقة عارف بأحكام التغسيل؛ لأنه حكم شرعي له صفة مخصوصة لا يتمكن من تطبيقها إلا عالم بها على الوجه الشرعي، لا سيما إذا كانوا من أهله وأقاربه؛ لأن الذين تولوا غسله صلى الله عليه وسلم كانوا من أهله، كعلي رضي الله عنه وغيره، وأولى الناس بغسله وصيه الذي أوصى أن يغسله، ثم أبوه، ثم جده، ثم الأقرب فالأقرب من عصباته، ثم ذوو أرحامه»^(٤).

١٠- شهيد المعركة لا يغسل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم: «أمر بقتلي أحدٍ

(١) الإجماع ص ٥٠، والملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/ ٣٠١).

(٢) من الأحكام الفقهية في الطهارة والصلاة والجنائز للشيخ ابن عثيمين رحمته الله ص ٨٧-٨٨، والفقهاء الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١١٢-١١٣ لمجموعة من المشايخ تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية.

(٣) سنن الدارقطني (٢/ ٧٢)، وصححه الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز ص ٧٢.

(٤) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/ ٣٠٠)، والفقهاء الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١١٢.

أَنْ يُدْفَنُوا فِي ثِيَابِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ»^(١).
وكذلك لا يكفن ولا يصلى عليه بل يدفن بثيابه.

١١- «السقط، وهو الولد يسقط من بطن أمه قبل تمامه ذكراً كان أو أنثى إذا بلغ أربعة أشهر غسل، وكفن، وصلي عليه؛ لأنه بعد أربعة أشهر يكون إنساناً.

١٢- يشترط أن يكون الماء الذي يُغسل به الميت طهوراً مباحاً، وأن يغسل في مكان مستور، ولا ينبغي حضور من لا علاقة له بتغسيل الميت»^(٢).

وقد وردت أحاديث في غسل الميت كثيرة، فمن ذلك ما رواه أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي عنها أنها قالت: «لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَنْجَرْدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرْدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنَهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَدْلُكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٤٣.

(٢) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١١٣.

أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا غَسَلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال في المحرم الذي وقصته ناقتة: «اغسلوه بماءٍ وسِدْرٍ، وَكَفْنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًّا»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أم عطية رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ، فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، [أَوْ سَبْعًا]، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتِنَّ ذَلِكَ»، قُلْتُ: وَتِرًا، قَالَ: «نَعَمْ»، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَعْتَنَ فَأَذِنِّي»، فَلَمَّا فَرَعْنَا آذَنَاهُ، فَأَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ^(٣)، فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا»^(٤) إِيَّاهُ» [تَعْنِي إِزَارَهُ]، قَالَتْ: وَمَشَطْنَاهَا ثَلَاثَةَ قُرُونٍ، وَفِي رِوَايَةٍ: نَقَضْنَاهُ، ثُمَّ غَسَلْنَاهُ، [فَضَفَرْنَا شَعْرَهَا ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ: قَرْنِيهَا وَنَاصِيَتَيْهَا وَأَلْقَيْنَاهَا خَلْفَهَا]، قَالَتْ: وَقَالَ لَنَا: «إِبْدَانٌ

(١) برقم ٣١٤١، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في إرواء الغليل برقم ٧٠٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٢٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٣) أي: إزاره، قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٤١٧/١) والأصل في الحقو معقد الإزار، وجمعه أحق وأحقاء، ثم سمي به الإزار للمجاورة.

(٤) أي: اجعلنه شعارها، والشعار الثوب الذي يلي الجسد لأنه يلي شعره. فتح الباري (٥٢/٨).

بِمَيَّامِنَهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا»^(١).

«وأما صفة تغسيل الميت فهي كالآتي:

- يكون التغسيل في مكان مستور عن الأنظار، ومسقوف من بيت أو خيمة ونحوها إن أمكن.
- يُستمر ما بين سرة الميت وركبته وجوباً قبل التغسيل، ثم يجرد من ثيابه، ويوضع على سرير الغسل منحدرًا نحو رجليه، لينصب عنه الماء وما يخرج منه.
- ويكون التغسيل: بأن يرفع الغاسل رأس الميت إلى قرب جلوسه، ثم يمر على بطنه ويعصره برفق؛ ليخرج منه ما هو مستعد للخروج، ويكثر صب الماء حينئذ؛ ليذهب بالخارج، ثم يلف الغاسل على يده خرقة خشنة؛ فينجي الميت، وينقي المخرج بالماء.
- ثم ينوي التغسيل، ويسمي، ويوضئه كوضوء الصلاة، إلا في المضمضة والاستنشاق، فيكفي عنهما مسح الغاسل أسنان الميت ومنخريه بأصبعيه مبلولتين أو عليهما خرقة مبلولة بالماء، ولا يدخل الماء فمه ولا أنفه، ثم يغسل رأسه ولحيته برغوة سدر أو صابون.

(١) صحيح البخاري برقم ١٦٧، ١٢٥٣، ١٢٦٣، وصحيح مسلم برقم ٩٣٩.

• ثم يغسل ميامن جسده، وهي: صفحة عنقه اليمنى، ثم يده اليمنى وكتفه، ثم شق صدره الأيمن وجنبه الأيمن وفخذه الأيمن وساقه وقدمه الميامن، ثم يقلبه على جنبه الأيسر، فيغسل شق ظهره الأيمن، ثم يغسل جانبه الأيسر كذلك، ثم يقلبه على جنبه الأيمن، فيغسل شق ظهره الأيسر، ويستعمل السدر مع الغسل أو الصابون، ويُستحب أن يلف على يده خرقة حال التغسيل.

• والواجب غسلة واحدة إن حصل الإنقاء، والمستحب ثلاث غسلات، وإن لم يحصل الإنقاء زاد في الغسلات حتى ينقي إلى سبع غسلات، ويستحب أن يجعل في الغسلة الأخيرة كافورًا؛ لأنه يُصلب بدن الميت، ويطيبه، ويبرده، فلاجل ذلك يُجعل في الغسلة الأخيرة؛ ليبقى أثره.

• ثم ينشف الميت بثوب ونحوه، ويقص شاربه، وتقليم أظفاره إن طالت، ويؤخذ شعر إبطيه، ويُجعل المأخوذ معه في الكفن، ويُضفر شعر رأس المرأة ثلاثة قرون، ويسدل من ورائها.

• وأما إذا تعذر غسل الميت لعدم الماء، أو خيف تقطعه بالغسل، كالمجدوم والمحترق، أو كان الميت امرأة مع رجال ليس فيهم زوجها، أو رجلاً مع نساء ليس فيهم

زوجته، فإن الميت في هذه الأحوال يُيمم بالتراب، بمسح وجهه وكفيه من وراء حائل على يد الماسح، وإن تعذر غسل بعض الميت، غُسل ما أمكن غسله منه، ويمم عن الباقي»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٣٠٢-٣٠٤).

تكفين الميت وأحكامه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

١- بعد الفراغ من غسل الميت، يجب تكفينه لأمر النبي ﷺ بذلك للمحرم الذي وقصته الناقة، فقال: «كَفَّنُوهُ»^(١)، وهو فرض كفاية إذا فعله من فيه كفاية سقط الإثم عن الباقيين.

٢- معرفة الفضل والأجر العظيم لمن تولى تكفين الميت المسلم، لحديث أبي رافع وفيه: «مَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ الْجَنَّةِ»^(٢).

٣- الكفن أو ثمنه من مال الميت، ولو لم يخلف غيره، لحديث خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد،

(١) سبق تخريجه ص ٥٩٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٩٣.

فلم يوجد له شيء، وفي رواية: ولم يترك إلا نمرة، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ» - وفي رواية: غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَي رِجْلَيْهِ الْإِذْخَرَ^(١)، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها- أي يجتنئها^(٢).

٤- يكفن المحرم في ثوبيه الذي مات فيهما ولا يغطي رأسه ولا وجهه، ولا يطيب؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الذي وقصته راحلته: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْبِيًّا»^(٣). وفي لفظ مسلم: «وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ وَلَا وَجْهَهُ»^(٤).

٥- وينبغي أن يكون الكفن طائلاً سابغاً يستر جميع بدنه لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قام خطيب يومًا، فذكر رجلاً من أصحابه قبض فكفن في كفن غير

(١) بكسر الهمزة والخاء: حشيش معروف طيب الرائحة.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٢٧٦، وصحيح مسلم برقم ٩٤٠.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٢٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٤) برقم ١٢٠٦ وقال بعض أهل العلم رواية ولا وجهه غير محفوظة. انظر زاد المعاد

طائل، وقبر ليلاً، فزجر النبي ﷺ أن يقبر الرجل بالليل حتى يُصلى عليه، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك، وقال النبي ﷺ: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ»^(١). قال العلماء: والمراد بإحسان الكفن نظافته وكثافته وستره وتوسطه، وليس المراد به السرف فيه والمغالاة ونفاسته.

٦- فإن ضاق الكفن عن ذلك ولم يتيسر السابع، ستر به رأسه، وما طال من جسده، وما بقي منه مكشوفاً جعل عليه شيء من الإذخر أو غيره من الحشيش. وفيه حديثان:

الأول: عن خباب بن الأرت في قصة مصعب، وقوله ﷺ في نمرته: «ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ - وفي رواية: غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَي رِجْلَيْهِ الْإِذْخَرَ»^(٢).

الثاني: عن حارثة بن مضرب قال: «دَخَلْتُ عَلَي خَبَّابٍ وَقَدْ اِكْتَوَى فِي بَطْنِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ»، لَتَمَنَيْتُهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَمْلِكُ دِرْهَمًا، وَإِنَّ فِي جَانِبِ بَيْتِي الْآنَ لَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتَنِي بِكَفْنِهِ فَلَمَّا رَأَهُ بَكَى وَقَالَ: لَكِنَّ حَمَزَةَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ كَفْنٌ إِلَّا بُرْدَةٌ مَلْحَاءٌ،

(١) صحيح مسلم برقم ٩٤٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٢٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

إِذَا جُعِلَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ قَلَصَتْ عَنْ رَأْسِهِ، حَتَّى مُدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ، وَجُعِلَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْإِذْخِرُ»^(١).

٧- وإذا قَلَّتْ الأَكْفَانُ وكثرت الموتى، جاز تكفين الجماعة منهم في الكفن الواحد ويقدم أكثرهم قرآنًا إلى القبلة لحديث أنس بن مالك رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على حمزة بن عبد المطلب فوقف عليه فرآه قد مثل به، فقال: «لَوْ لَا أَنْ تَحِدَ صَفِيَّةٌ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ»^(٢) - وقال زيد بن الحباب: تَأْكُلُهُ الْعَاهَةُ - حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا»، ثم قال: دعا بنمرة فكفنه فيها، قال: وكانت إذا مدت على رأسه بدت قدماه، وإذا مدت على قدميه بدا رأسه، قال: فكثر القتلى وقلت الثياب، قال: فكان يكفن أو يكفن الرجلين - شك صفوان - والثلاثة في الثوب الواحد، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن أكثرهم قرآنًا فيقدمه إلى القبلة، قال: فدفنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليهم، وقال زيد ابن الحباب: «فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفنون في ثوب واحد»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد (٥٥٠/٣٤) برقم ٢١٠٧٢، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب، روى له البخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن وهو ثقة.

(٢) هو السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها، ويجمع على العوافي.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣١١-٣١٢) برقم ١٢٣٠٠، وقال محققوه: حسن لغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «معنى الحديث أنه كان يقسم الثوب الواحد بين الجماعة، فيكفن كل واحد ببعضه للضرورة، وإن لم يستر إلا بعض بدنه، يدل عليه تمام الحديث أنه كان يسأل عن أكثرهم قرآنًا فيقدمه في اللحد، فلو أنهم في ثوب واحد جملة لسأل عن أفضلهم قبل ذلك كي لا يؤدي إلى نقص التكفين وإعادته»^(١). أهـ

٨- لا يجوز نزع ثياب الشهيد التي قُتل فيها، بل يدفن وهي عليه، لقول النبي ﷺ في قتلى أحد: «زَمَلُوهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ»^(٢).

٩- يستحب تكفينه بثوب واحد أو أكثر فوق ثيابه كما فعل رسول الله ﷺ بمصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث الزبير بن العوام قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَسْعَى ، حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلِ، قَالَ: فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ، فَقَالَ: «الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةُ»، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَتَوَسَّمتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا، فَأَذْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلِ، قَالَ: فَلَدَمْتُ فِي صَدْرِي، وَكَانَتْ

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٨٥ / ٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦٢ / ٣٩) برقم ٢٣٦٥٧، وقال محققوه: حديث صحيح.

امْرَأَةً جَلْدَةً، قَالَتْ: إِلَيْكَ لَا أَرْضُ لَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَمَ عَلَيْكَ، قَالَ: فَوَقَفْتُ وَأَخْرَجْتُ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا، فَقَالَتْ: هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لِأَخِي حَمْزَةَ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ فَكَفَّنُوهُ فِيهِمَا، قَالَ: فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكْفِنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ، فَإِذَا إِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَتِيلٌ، قَدْ فَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِحَمْزَةَ، قَالَ: فَوَجَدْنَا غَضَاضَةً وَحَيَاءً أَنْ نُكْفِنَ حَمْزَةَ فِي ثَوْبَيْنِ، وَالْأَنْصَارِيُّ لَا كَفْنَ لَهُ، فَقُلْنَا: لِحَمْزَةَ ثَوْبٌ، وَلِلْأَنْصَارِيِّ ثَوْبٌ، فَقَدَرْنَا هُمَا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَكْبَرَ مِنَ الْآخَرِ، فَأَقْرَعْنَا بَيْنَهُمَا فَكَفَّنَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الثَّوْبِ الَّذِي طَارَ لَهُ»^(١).

يستحب في الكفن أمور:

١- البياض: لقوله ﷺ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفَّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»^(٢).

٢- كونه ثلاثة أثواب لحديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كُفِنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيَاضَ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كَرَسَفٍ^(٣)، لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ [أُدْرَجَ فِيهَا إِدْرَاجًا]^(٤).

(١) (٣٤/٣) برقم ١٤١٨، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) سنن أبي داود برقم ٣٨٧٨، ومسند الإمام أحمد برقم ٣٤٢٦، وقال محققوه: إسناده قويان.

(٣) وهو القطن.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٢٧٣، وصحيح مسلم برقم ٩٤١، والزيادة لأحمد (٦/٤٠) =

٣- أن يكون أحدها ثوب حبرة إذا تيسر، لقوله ﷺ: «إِذَا تُوُفِّيَ أَحَدُكُمْ فَوَجَدَ شَيْئًا فَلْيُكْفَنَّ فِي ثَوْبِ حَبْرَةٍ»^(١) «^(٢)».

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنه لا تعارض بين هذا الحديث، وبين الحديث الأول في البياض: «وَكَفَّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»، لإمكان التوفيق بينهما يوجه من وجوه الجمع الكثيرة المعلومة عند العلماء، ويخطر في بالي الآن وجهان:

الأول: أن تكون الحبرة بيضاء مخططة، ويكون الغالب عليها البياض، فحينئذ يشملها الحديث الأول باعتبار أن العبرة في كل شيء بالغالب عليه، وهذا إذا كان الكفن ثوبًا واحدًا، وأما إذا كان أكثر فالجمع أيسر، وهو الوجه الآتي: أن يجعل كفن واحد حبرة وما بقي أبيض، وبذلك يعمل بالحديثين معًا»^(٣).

٤- تبخيره ثلاثًا لقوله ﷺ: «إِذَا أَجْمَرْتُمُ الْمَيِّتَ، فَأَجْمَرُوهُ ثَلَاثًا»^(٤).

= (٩٣-١١٨) وغيره من المواضع، قال الشيخ الألباني: والزيادة صريحة الدلالة على أن الأثواب لم تكن مزررة ولا قمصان، والحديث الوارد فيها منكر كما بيته في الضعيفة (٥٩٠٩)، أحكام الجنائز ص ٨٣.

(١) بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة، ما كان من البرود مخططاً.

(٢) سنن أبي داود برقم ٣١٥٠، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: وهذا سند صحيح عندي- أحكام الجنائز ص ٨٣.

(٣) أحكام الجنائز ص ٨٤.

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١١/٢٢) برقم ١٤٥٤٠، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وصححه النووي في المجموع (١٩٦/٥).

وهذا الحكم لا يشمل المحرم.

٥- لا يجوز المغالاة في الكفن، ولا الزيادة فيه على الثلاثة؛ لأنه خلاف ما كفن فيه رسول الله ﷺ، وفيه إضاعة للمال، ولا سيما والحي أولى به، قال أبو بكر الصديق رضي عنه: «إن الحي أحق بالجديد- لما قيل له عند تعيينه لثوب من أثوابه في كفنه: إن هذا خلق»^{(١)(٢)}.

٦- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ١٣٨٧.

(٢) انظر: أحكام الجنائز للشيخ الألباني رحمته الله ص ٧٦-٨٥.

حمل الجنازة واتباعها، والمسائل المتعلقة بذلك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

حمل الجنازة واتباعها فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقي، وهو من حقوق المسلم على المسلم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قيل: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب رضي عنه: «أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ

(١) صحيح البخاري برقم ١٢٤٠، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢.

الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ»^(١).

واتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ عَلَى أَمْرَيْنِ، وَكُلِّ مِنْهُمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

١- يصلي عليها ثم ينصرف، وله قيراط من الأجر لحديث أبي هريرة رضي عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»^(٢).

٢- يتبعها إلى القبر ثم يقف حتى تُدفن وله قيراطان، للحديث السابق.

٣- الفضل العظيم الوارد في اتباع الجنائز، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا

(١) صحيح البخاري برقم ١٢٣٩، وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٧، وصحيح مسلم برقم ٩٤٥.

اجْتَمَعْنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

وهذا الفضل في اتباع الجنائز إنما هو للرجال دون النساء لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباعها، وهو نهي تنزيه، فقد قالت أم عطية رضي الله عنها: «كُنَّا نُنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»^(٢). أما الصلاة على الميت فإنها مشروعة لهن كالرجال^(٣).

٤- «يستحب للماشي مع الجنازة أن يكون مشتغلاً بذكر الله تعالى، والفكر فيما يلقاه الميت وما يكون مصيره، وحاصل ما كان فيه، وأن هذا آخر الدنيا ومصير أهلها، وليحذر كل الحذر من الحديث بما لا فائدة فيه، فإن هذا وقت فكر وذكر، تقبح فيه الغفلة واللهو والاشتغال بالحديث الفارغ، فإن الكلام بما لا فائدة فيه منهي عنه في جميع الأحوال، فكيف في هذا الحال؟»^(٤).

٥- ولا يجوز أن نتبع الجنائز بما يخالف الشريعة، قال الشيخ الألباني رحمته الله: «وقد جاء النص فيها على أمرين: رفع الصوت بالبكاء واتباعها بالبخور، وذلك في قوله صلوات الله

(١) برقم ١٠٢٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٢٧٨، وصحيح مسلم برقم ٩٣٨.

(٣) أحكام الجنائز ص ٨٧-٩٠.

(٤) الأذكار للنووي ص ٢٧٥.

فيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال: «لَا تُتْبَعُ الْجِنَازَةُ بِنَارٍ، وَلَا صَوْتٍ»^(١). ويلحق بذلك رفع الصوت بالذكر أمام الجنازة لأنه بدعة، قال قيس بن عباد: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز»^(٢)، ولأن فيه تشبهاً بالنصارى، فإنهم يرفعون أصواتهم بشيء من أناجيلهم وأذكارهم مع التمثيط والتلحين والتحزين، وأقبح من ذلك تشييعها بالعزف على الآلات الموسيقية أمامها عزفاً حزيناً كما يفعل في بعض البلاد الإسلامية تقليداً للكفار، والله المستعان»^(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن الصواب والمختار ما كان عليه السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من السكون في حال السير مع الجنازة، فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك. والحكمة فيه ظاهرة، وهي أنه أسكن لخاطره، وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة وهو المطلوب في هذا الحال، فهذا هو الحق، ولا تغترن بكثرة من يخالفه، فقد قال أبو علي الفضيل ابن عياض رحمه الله ما معناه: «الزم طرق الهدى، ولا

(١) (٣١٦/١٥) برقم ٩٥١٥، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) أبو نعيم في حلية الأولياء، وفيه: كان أصحاب النبي ﷺ يكرهون الصوت عند ثلاث: عند القتال، وعند الجنائز، وعند الذكر (٥٨/٩). قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي أَحْكَامِ الْجِنَائِزِ ص ٩٢: رجاله ثقات.

(٣) أحكام الجنائز ص ٩٢.

يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين».

وقد روينا في سنن البيهقي ما يقتضي ما قلته، يشير إلى قول قيس بن عباد: وأما ما يفعله الجهلة من القراء على الجنابة بدمشق وغيرها من القراءة بالتمطيط وإخراج الكلام عن موضعه فحرام بإجماع العلماء، وقد أوضحت قبحه وغلظ تحريمه وفسق من تمكن من إنكاره فلم ينكره في كتاب آداب القراء والله المستعان»^(١).

٦- القيام للجنابة إذا مرت مشروع لما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَقْعُدْ حَتَّى تُوَضَّعَ»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: «مَرَّ بِنَا جَنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُمْنَا بِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٌّ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا»^(٣). وفي رواية مسلم: «إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ»^(٤) وفي رواية: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟»^(٥). وهذه الأحاديث وغيرها تدل

(١) الأذكار ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٣١٠، وصحيح مسلم برقم ٩٥٩.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣١١، وصحيح مسلم برقم ٩٦٠.

(٤) برقم ٩٦٠.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٣١٢، وصحيح مسلم برقم ٩٦١.

على مشروعية القيام للجنازة إذا مرت لمن كان قاعداً لأمر النبي ﷺ ولفعله عليه الصلاة والسلام.

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي قال: «رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَقُمْنَا، وَقَعَدَ فَقَعَدْنَا - يَعْنِي فِي الْجَنَازَةِ»^(١). قال النووي بعد ما ذكر خلاف العلماء: «فيكون الأمر للندب والقعود بياناً للجواز، ولا يصح دعوى النسخ في مثل هذا لأن النسخ إنما يكون إذا تعذر الجمع بين الأحاديث - ولم يتعذر. والله أعلم^(٢)».

ورجح الإمام ابن القيم ما ذهب إليه النووي في الجمع بين الأحاديث^(٣)، ورجح بعضهم النسخ لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث علي بن أبي طالب قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا بِالْقِيَامِ فِي الْجَنَازَةِ، ثُمَّ جَلَسَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِالْجُلُوسِ»^(٤).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «السنة لمن تبع الجنازة ألا يجلس حتى توضع من أعناق الرجال على الأرض،

(١) برقم ٩٦٢.

(٢) شرح صحيح مسلم (٧/٣٢).

(٣) زاد المعاد (١/٦٧٢).

(٤) (٥٧/٢) برقم ٦٢٣ وقال محققوه: حديث صحيح، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث والذي قبله صريحان في أن القيام لها حتى توضع داخل في النهي، وأنه منسوخ. أحكام الجنائز ص ١٠١.

وأما الانصراف فإن المشروع لمتبعتها ألا ينصرف حتى
توضع في القبر ويفرغ من دفنها، وهذا كله على سبيل
الاستحباب»^(١).

٧- الإسراع بالجنائز من غير رمل مشروع، لما رواه البخاري
ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ
يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «وأما ديب الناس اليوم خطوة خطوة
فبدعة مكروهة، مخالفة للسنة، ومتضمنة للتشبه بأهل
الكتاب اليهود»^(٣).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله: «المقصود بالإسراع
بالجنائز - المشي - ويدخل ضمناً الصلاة عليها وتغسيلها،
والسرعة في تجهيزها، وظاهر الحديث يعم الجميع من
حيث المعنى»^(٤).

٨- يجوز المشي أمامها وخلفها، وعن يمينها ويسارها، على أن

(١) صلاة المؤمن، د. سعيد بن وهف القحطاني (٣/ ١٢٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم ١٣١٥، وصحيح مسلم برقم ٩٤٤.

(٣) زاد المعاد (١/ ٦٦٧).

(٤) صلاة المؤمن، د. سعيد بن وهف القحطاني (٣/ ١٢٨٥).

يكون قريباً منها، إلا الراكب فيسير خلفها، لما رواه الإمام أحمد من حديث المغيرة بن شعبة قال: «الرَّكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا، وَأَمَامَهَا، وَيَمِينَهَا، وَشِمَالَهَا قَرِيبًا، وَالسَّقْطُ يُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْعَافِيَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(١).

والأفضل أن يكون المشي خلفها، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث علي أنه قال: «إِنَّ فَضْلَ الْمَشْيِ خَلْفَهَا عَلَى بَيْنِ يَدَيْهَا، كَفَضْلِ صَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي جَمَاعَةٍ عَلَى الْوَحْدَةِ»^(٢).

٩- يجوز الركوب بشرط أن يسير ورائها لقوله ﷺ: «الرَّكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ»^(٣). قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «لكن الأفضل المشي لأنه المعهود عنه ﷺ ولم يرد أنه ركب معها، بل قال ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن رسول الله ﷺ أتى بدابة وهو مع الجنازة فأبى أن يركبها، فلما انصرف أتى بدابة فركب، فقيل له، فقال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَمْشِي فَلَمْ أَكُنْ لِأَرْكَبَ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا رَكِبْتُ»^(٤).

(١) (١١٨/٣٠) برقم ١٨١٨١، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله ثقات، وقد اختلف في وقفه ورفعها، وظهر لنا أن الراجح وقفه. أه. وعلى كل حال له حكم الرفع.

(٢) (١٥٠/٢) برقم ٧٥٤، وقال محققوه: حسن لغيره، قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: وله حكم الرفع. انظر أحكام الجنائز ص ٩٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سنن أبي داود برقم ٣١٧٧، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في أحكام الجنائز ص ٩٧.

وأما الركوب بعد الانصراف عنها فجائز بدون كراهة، لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِفَرَسٍ مُعْرُورِي^(١)، فَرَكِبَهُ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ جَنَازَةِ ابْنِ الدَّحْدَاحِ، وَنَحْنُ نَمْشِي حَوْلَهُ^(٢)، وَفِي لَفْظٍ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ، ثُمَّ أَتَى بِفَرَسٍ عُرِّيَ فَعَقَلَهُ رَجُلٌ فَرَكِبَهُ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ^(٣) بِهِ وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ، نَسَعَى خَلْفَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَمْ مِنْ عِدْقٍ مُعَلَّقٍ - أَوْ مُدَلِّيٍّ - فِي الْجَنَّةِ لِابْنِ الدَّحْدَاحِ - أَوْ قَالَ شُعْبَةَ: لِأَبِي الدَّحْدَاحِ»^(٤).

١٠- السنة حمل الجنازة على الأعناق إذا تيسر ذلك، ويجوز حملها على السيارة بعد المسافة أو الحر الشديد، أو ما أشبه ذلك، لأن حملها على السيارة أو غيرها يفوت الغاية من حملها وتشيعها، وهي تذكر بالآخرة كما في حديث رسول الله ﷺ: «وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تَذَكُّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٥). قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والأفضل حملها على الأكتاف

(١) أي بدون سرج.

(٢) برقم ٩٦٥.

(٣) أي يتوَّصُّ به.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٦٥.

(٥) صحيح ابن حبان برقم ٢٩٤٤، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في أحكام الجنائز ص ٨٦.

لما في ذلك من المباشرة بحمل الجنازة، ولأنه إذا مرت الجنازة بالناس في الأسواق عرفوا أنها جنازة ودعوا لها، ولأنه أبعد عن الفخر والأبهة، إلا أن يكون هناك حاجة أو ضرورة، فلا بأس أن تحمل على سيارة، مثل أن تكون أوقات أمطار، أو حر شديد، أو برد شديد، أو قلة المشيعين»^(١).

١١- استحب بعض أهل العلم تغطية نعش المرأة بما يسمى بالمكبة، وهي عبارة عن خشب أو جريد مثل القبة، فوقها ثوب، تكون فوق السرير.

قال ابن قدامة: «ويستحب أن يترك فوق سرير المرأة شيء من الخشب أو الجريد، مثل القبة، يترك فوقه ثوب ليكون أستر لها، وقد روى أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أول من صنع لها ذلك بأمرها». وعللوا ذلك بأنه أستر للمرأة.

فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء، والبيهقي في السنن الكبرى من حديث أم جعفر بنت محمد بن جعفر أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: «يَا أَسْمَاءُ إِنِّي قَدِ اسْتَقْبَحْتُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، إِنَّهُ يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبُ فَيَصِفُّهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلَا أُرِيكِ شَيْئًا رَأَيْتَهُ

(١) مجموع رسائل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٦٦/١٧).

بِالْحَبَشَةِ؟ فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطْبَةٍ فَحَنَّتْهَا، ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلَهُ تُعَرَّفُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، فَإِذَا مِتُّ أَنَا فَاغْسِلِينِي أَنْتِ وَعَلِيٌّ وَلَا يَدْخُلْ عَلَيَّ أَحَدٌ، فَلَمَّا تُوفِّيتْ غَسَّلَهَا عَلِيٌّ، وَأَسْمَاءُ رضي الله عنها (١).

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «فانظر إلى فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وسلم كيف استقبحت أن يصف الثوب المرأة وهي ميتة، فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح». أه
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) قال الشيخ الألباني رحمته الله: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٣/٢) والسياق له، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٤-٣٥/٤) أتم منه وفيه: أن أسماء صنعت لفاطمة نعشًا كما كانت وصفت لها. أخرجاه من طريق أبي العباس السراج محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا محمد بن موسى المخزومي عن عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر، وأخرج البيهقي (٩٦/٣) القطعة الأخيرة منه (يا أسماء.. الخ) من طريق أخرى عن قتيبة بن سعيد وعبد الله بن نافع عن محمد بن موسى به، لكن ابن نافع لم يذكر فيه عمارة بن المهاجر، قال ابن الترمذاني: في سنده من يحتاج إلى كشف حاله، قلت: وهم: المخزومي هذا، وعوف بن محمد وعمارة لم أجد من ترجمهم، وأما أم جعفر هذه فلها ذكر في تهذيب التهذيب وغيره، وتكنى أم عون أيضًا. أه جلاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ص ١٣٥-١٣٦.

دفن الميت وأحكامه (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«١- يجب دفن الميت - أي مواراة جيفته في حفرة - بحيث لا تنبشه السباع، ولا تخرجه السيول المعتادة، ولا خلاف في ذلك، وهو ثابت في الشريعة ثبوتاً ضرورياً»^(١)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١]، حتى لو كان كافراً، وفي ذلك حديثان:

الأول: عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو طلحة الأنصاري والسياق له: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ^(٢) قُرَيْشٍ فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ^(٣) مِنْ

(١) الروضة الندية (١/٤٣٩).

(٢) هم أشرفهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، وكل عظيم غالب صنديد. النهاية في غريب الحديث (٣/٥٥).

(٣) البئر المطوية بالحجارة.

أَطْوَاءِ بَدْرِ خَيْثٍ مُخْبِثٍ» (١).

الثاني: عن علي رضي الله عنه قال: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنْ عَمَّكَ الشَّيْخُ الضَّالُّ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «أَذْهَبُ فَوَارِ أَبَاكَ، ثُمَّ لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي»، فَذَهَبْتُ فَوَارَيْتُهُ وَجِئْتُهُ، فَأَمَرَنِي فَاغْتَسَلْتُ، وَدَعَا لِي (٢).

٢- إذا ماتت المرأة الحامل والولد حي يتحرك، فإنه يجب إخراجه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

«٣- لا يدفن المسلم مع الكافر، ولا الكافر مع المسلم، بل يدفن المسلم في مقابر المسلمين، والكافر في مقابر المشركين، كذلك كان الأمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، واستمر إلى عصرنا هذا، فكان هذا إجماعاً عملياً على أفراد مقابر المسلمين عن مقابر الكافرين.

روى أبو داود في سننه من حديث بشير ابن الخصاصية قال: بَيْنَمَا أَنَا أُمَاشِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَبَقَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا»، ثُمَّ مَرَّ بِقُبُورِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ:

(١) صحيح البخاري برقم ٣٩٧٦، وصحيح مسلم برقم ٢٨٧٥.

(٢) سنن أبي داود برقم ٣٢١٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٧٥٣.

«لَقَدْ أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ خَيْرًا كَثِيرًا»^(١). فدل هذا على التفريق بين قبور المسلمين وقبور المشركين»^(٢).

«٤- السنة الدفن في المقبرة؛ لأن النبي ﷺ كان يدفن الموتى في مقبرة البقيع كما تواترت الأخبار بذلك، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه دفن في غير المقبرة إلا ما تواتر أن النبي ﷺ دفن في حجرته وذلك من خصوصياته عليه الصلاة والسلام»^(٣).

٥- يدفن شهداء المعركة في مواطن استشهداهم ولا ينقلون إلى المقابر، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر ابن عبد الله قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلَهُمْ، وَقَالَ لِي أَبِي عَبْدُ اللَّهِ: يَا جَابِرُ لَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ فِي نَظَارِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، حَتَّى تَعْلَمَ إِلَيَّ مَا يَصِيرُ أَمْرُنَا، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَتْرُكُ بَنَاتٍ لِي بَعْدِي لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيَّ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي النَّظَارِينَ، إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي وَخَالِي عَادِلَتُهُمَا عَلَى نَاضِحٍ، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يُنَادِي:

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٢٣٠، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ

أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ ٢٧٦٧.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة باختصار برقم ١٨٤١.

(٣) أحكام الجنائز ص ١٧٤.

أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى، فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ، فَارْجِعْنَا بِهِمَا فَدَفِنَاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا»^(١).

٦- لا يدفن الميت في الأوقات الثلاث المضيقه، أو الليل إلا لضرورة، روى مسلم في صحيحه من حديث عقبه ابن عامر قال: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِعَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظُّهْرِ»^(٢) حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَصَيِّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ»^(٣).

وأما الليل، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر ابن عبد الله: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا، فَذَكَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قُبِضَ، فَكُفِّنَ فِي كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ، وَقُبِرَ لَيْلًا، فَزَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْبَرَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِنْسَانٌ إِلَى ذَلِكَ»^(٤).

ولذا اختلف العلماء، فمنهم من قال بالجواز مطلقاً،

(١) (٢٣/٤١٩-٤٢٠) برقم ١٥٢٨١، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) قائم الظهرية: حال استواء الشمس، ومعناه حين لا يبقى للقائم في الظهرية ظل في المشرق ولا في المغرب. شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٣٥٤).

(٣) برقم ٨٣١.

(٤) برقم ٩٤٣.

ومنهم من قال أنه مكروه، وذهب ابن حزم إلى التحريم. قال الإمام أحمد: لا بأس بذلك، وقال: أبو بكر دفن ليلاً، وعلي دفن فاطمة ليلاً، وحديث عائشة رضي الله عنها: سمعنا صوت المساحي من آخر الليل في دفن النبي صلى الله عليه وسلم، وممن دفن ليلاً عثمان وعائشة وابن مسعود.. وغيرهم.

قال النووي: «المقصود تعمد تأخير الدفن إلى هذه الأوقات، فأما إذا وقع الدفن في هذه الأوقات بلا تعمد فلا يكره»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «والذي ينبغي أن يقال في ذلك والله أعلم، أنه متى كان الدفن ليلاً لا يفوت به شيء من حقوق الميت، والصلاة عليه، فلا بأس به، وعليه تدل أحاديث الجواز، وإن كان يفوت بذلك حقوقه والصلاة عليه وتتمام القيام عليه، نُهي عن ذلك، وعليه يدل الزجر. وبالله التوفيق»^(٢)^(٣).

٧- لا حرج في دفن الاثنين أو أكثر في قبر واحد عند الضرورة، ويقدم أفضلهم، وفي ذلك أحاديث منها: ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ

(١) شرح صحيح مسلم (٦/٣٥٤-٣٥٥).

(٢) تهذيب سنن أبي داود ص ٢١٧.

(٣) من أراد التفصيل فليراجع أحكام الجنائز للشيخ الألباني رحمته الله ص ١٧٦-١٨٠.

وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ»، فَإِذَا أَشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ قَبْلَ صَاحِبِهِ^(١). وهذا يدل على فضل حامل القرآن على غيره.

٨- جمع الأقارب في مقبرة واحدة حسن لما رواه أبو داود في سننه من حديث المطلب قال: لَمَّا مَاتَ عُمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ، أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمَلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ - قَالَ كَثِيرٌ: قَالَ الْمُطَلَّبُ: قَالَ الَّذِي يُخْبِرُنِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ حَسَرَ عَنْهُمَا، ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأُذْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»^(٢).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «وجمع الأقارب في الدفن حسن لقول النبي ﷺ لعثمان بن مظعون: «أُذْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»^(٣). ولأن ذلك أسهل لزيارتهم وأكثر للترحم عليهم^(٤).

٩- تعميق القبر وتوسيعه، ويجب إعماق القبر وتوسيعه، وفيه

(١) برقم ١٣٤٣، ورقم ١٣٤٨.

(٢) برقم ٣٢٠٦، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٧٤٥.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) المغني (٣/٤٤٢).

حديثان:

الأول: رواه أبو داود في سننه من حديث هشام بن عامر قال: جَاءَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالُوا: أَصَابَنَا قَرْحٌ وَجَهْدٌ، فَكَيْفَ تَأْمُرْنَا، قَالَ: «اُحْفِرُوا وَأَوْسِعُوا، وَاجْعَلُوا الرَّجْلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ»، قِيلَ: فَأَيُّهُمْ يُقَدَّمُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ قُرْآنًا»، قَالَ: أُصِيبَ أَبِي يَوْمَئِذٍ عَامِرٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ - أَوْ قَالَ: وَاحِدٌ^(١).

الثاني: عن رجل من الأنصار قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَنَا غُلَامٌ مَعَ أَبِي، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حُفَيْرَةِ الْقَبْرِ، فَجَعَلَ يُوصِي الْحَافِرَ وَيَقُولُ: «أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرَّأْسِ، وَأَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرَّجْلَيْنِ، لِرُبِّ عَدَقٍ لَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

واستحسن الشافعي وغيره أن يكون عمقه قدر قامة، وقال أحمد يعمق إلى الصدر، ورأى عمر بن عبدالعزيز أن يكون حفر القبر إلى السرة، وهي متقاربة^(٣).

وجاء في فتوى اللجنة الدائمة: يعمق تعميماً يمنع خروج الريح،

(١) برقم ٣٢١٥، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ ٢٧٥٤.

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٥١/٣٨) برقم ٢٣٤٦٥، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٣) انظر المغني لابن قدامة (٤٢٧/٣).

وحفر السباع له^(١).

يجوز في القبر اللحد والشق، لجريان العمل عليهما في عهد النبي ﷺ، ولكن الأول أفضل، وفي ذلك أحاديث:

الأول: روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك قال: لما توفي النبي ﷺ كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يصرح^(٢)، فقالوا: نستخير ربنا ونبعث إليهما، فأيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما، فسبق صاحب اللحد، فلحدوا للنبي ﷺ^(٣).

الثاني: روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا»^(٤). «واللحد في القبر: هو أن يحفر في الأرض الصلبة إلى أسفل طولاً، ثم يميل الحافر بالحفر إلى جانبه الذي من جهة القبلة ليوضع الميت في الحفر الجانبي مستقبلاً القبلة، ولا يتيسر ذلك إلا في الأرض الصلبة أو المتماسكة، والشق هو: أن يحفر القبر في الأرض طولاً فقط ليوضع الميت في ذلك طولاً، ويكون

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٨/٤٢٢).

(٢) أي يعمل الضريح وهو القبر من الضرح الشق في الأرض. النهاية في غريب الحديث (٨١/٢).

(٣) برقم ١٥٥٧، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه برقم ١٢٦٤.

(٤) ٣٦٢ برقم ٣٢٠٨، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود برقم ٢٧٤٧.

ذلك في الأرض الرخوة غير المتماسكة، كالأرض الرملية»^(١).
فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن اللحد أفضل من
الشق؛ لأن الله اختاره لنبيه، والشق جائز عند الحاجة إليه،
كأن تكون الأرض رخوة^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٨/٤٢٢).

(٢) انظر: المجموع للنووي (٥/٢٨٩) بتصرف، وصلاة المؤمن، د. سعيد بن وهف
القحطاني (٣/١٢٩٩-١٣٠٠).

الكلمة السابعة والستون

دفن الميت وأحكامه (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكمالاً للحديث عن أحكام دفن الميت الذي ورد في الكلمة السابقة، فمن ذلك:

١- «أن الذي يتولى إنزال الميت الرجال، ولو كان المتوفى أنثى لأنه المعهود في عهد النبي ﷺ، وجرى عليه عمل المسلمين حتى اليوم؛ ولأنهم الأقوى على ذلك، روى البيهقي في سننه من حديث عبدالرحمن بن أبزي أن عمر بن الخطاب رضي عنه كبر على زينب بنت جحش أربعاً، ثم أرسل إلى أزواج النبي ﷺ من يدخلها قبرها؟ وكان عمر يعجبه أن يدخلها قبرها، فأرسلن إليه رضي الله عنهن يدخلها قبرها من كان يراها في حياتها، قال: صدقن^(١).

(١) السنن الكبرى (٣٨٦-٣٨٧)، برقم ٧٠٣٠، وصححه الشيخ الألباني رحمته في أحكام الجنائز ص ١٨٧.

ولأن النساء لو تولت إنزال الميت لأفضى ذلك إلى انكشاف شيء من أبدانهن أمام الأجانب، وهو غير جائز»^(١).

٢- يُغطى قبر المرأة عند إدخالها في القبر لئلا يظهر ولا يبرز من معالم جسدها شيء، قال ابن قدامة: «لا نعلم في استحباب هذا بين أهل العلم خلافاً، ثم قال -بعد أن ذكر بعض الآثار في ذلك: لأن المرأة عورة، ولا يؤمن أن يبدو منها شيء فيراه الحاضرون»^(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أن هذا مما فعله السلف واستحبه العلماء رحمهم الله؛ لأن هذا أستر لها، ولئلا تبرز معالم جسمها، ولكن هذا ليس بواجب، ويكون هذا التخمير أو التسجية إلى أن يصف اللبن عليها»^(٣).

٣- أولياء الميت أحق بإنزاله: لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ولحديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «عَسَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا»، وولي دفنه وإجناحه^(٤) دون

(١) أحكام الجنائز ص ١٨٦.

(٢) المغني (٣/ ٤٣١).

(٣) مجموع رسائل ابن عثيمين (١٧/ ١٧٣-١٧٤).

(٤) إجناحه: ستره، النهاية (١/ ٣٠٧).

الناس أربعة: علي، والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولحد لرسول الله ﷺ لحدًا، ونصب عليه اللبن نصبًا^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث عامر قال: «غَسَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، وَالْفَضْلُ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَهُمْ أَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ». قال: حدثنا مرحب - أو أبو مرحب - أنهم أدخلوا معهم عبدالرحمن بن عوف، فلما فرغ علي قال: «إِنَّمَا يَلِي الرَّجُلَ أَهْلُهُ»^(٢).

٤- يجوز للزوج أن يتولى بنفسه دفن زوجته، لما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئ فيه، فقلت: وارأساه، فقال: «وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَهَيَّأْتُكَ وَدَفَنْتُكَ»، قالت: فقلت - غيرى: كأنني بك في ذلك اليوم عروسًا ببعض نسائك، قال: «وَأَنَا وَارَأْسَاهُ! ادْعُوا لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ، وَيَتَمَنَّى مُتَمَنَّ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(٣). لكن ذلك مشروط بما إذا كان لم يطاء تلك الليلة

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٧/٤٣٤)، برقم ٧١٢٤، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) برقم ٣٢٠٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ ٢٧٤٨.

(٣) (٤٢/٥٠)، برقم ٢٥١١٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وإلا لم يشرع له دفنها وكان غيره هو الأولى بدفنها، ولو كان أجنبياً لحديث أنس رضي عنه قال: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ فِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: «فَأَنْزِلْ فِي قَبْرِهَا»، فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا فَقَبَّرَهَا^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «في الحديث إيثار البعيد العهد عن الملاذ في مواراة الميت - ولو كان امرأة - على الأب والزوج، وقيل: إنما أثره بذلك لأنها كانت صنعته وفيه نظر، فإن ظاهر السياق أنه اختاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك لكونه لم يقع منه في تلك الليلة جماع»^(٢).

٥- السنة إدخال الميت من مؤخر القبر، لحديث أبي إسحاق قال: «أَوْصَى الْحَارِثُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْقَبْرَ مِنْ قِبَلِ رِجْلِي الْقَبْرِ وَقَالَ: هَذَا مِنْ السُّنَّةِ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن سيرين قال: «كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ فِي جِنَازَةٍ، فَأَمَرَ بِالْمَيِّتِ فَسُئِلَ مِنْ قِبَلِ رِجْلِ

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٤٢.

(٢) فتح الباري (٣/١٥٩).

(٣) سنن أبي داود برقم ٣٢١١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز ص ١٩٠.

القبر^(١).

٦- يقول عند إدخال الميت القبر: «بسم الله، وعلى ملة رسول الله» والدليل حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا وضع الميت في القبر قال - وفي لفظ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقُبُورِ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٢). وفي رواية: «مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٣).

٧- أن يجعل الميت في قبره على جنبه اليمين، ووجهه قبالة القبلة، ورأسه إلى يمين القبلة، ورجلاه إلى يسارها، وعلى هذا جرى عمل أهل الإسلام من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وهكذا كل مقبرة على ظهر الأرض^(٤)، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «...الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا»^(٥).

٨- تُحَلُّ عن الميت العقد إذا وضع الميت داخل القبر على

(١) (١٦٢/٧)، برقم ٤٠٨١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
 (٢) سنن أبي داود برقم ٣٢١٣، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ وَرَدَ عَلَى مَنْ قَالَ بِوَقْفِهِ.
 (٣) مسند الإمام أحمد (٨/٤٣٠)، برقم ٤٨١٢ وقال محققوه: رجاله رجال الشيخين، وقال بعضهم بوقفه.
 (٤) المحلي لابن حزم (٣/٤٠٤).
 (٥) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم ٢٨٧٥، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ ٢٤٩٩.

جنبه الأيمن، قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «وأما حل العقد من عند رأسه ورجليه، فمستحب، لأن عقدها كان للخوف من انتشارها، وقد أُنْمن ذلك بدفنه»^(١).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ في حل العقد عن الميت في القبر: «هذا هو الأفضل لفعل الصحابة»^(٢).

٩- يستحب لمن عند القبر أن يحثو من التراب ثلاث حثيات بيديه جميعاً بعد الفراغ من سد اللحد، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ، ثُمَّ أَتَى قَبْرَ الْمَيِّتِ، فَحَثَى عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ ثَلَاثًا»^(٣). قال النووي: «السنة لمن كان على القبر أن يحثو في القبر ثلاث حثيات بيديه جميعاً من قبل رأسه»^(٤).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا يدل على أنه يستحب لمن حضر الدفن أن يشارك مع الناس ولو بثلاث حثيات»^(٥).

(١) المغني (٣/٤٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/١٩٥).

(٣) سنن ابن ماجه برقم ١٥٦٥، وقال النووي في المجموع (٥/٢٩٢): جيد، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٣/٢٠٠) برقم ٧٥١، وانظر تلخيص الحبير (٢/٢٦٣).

(٤) الأذكار من كلام سيد الأبرار ص ٢٧٧.

(٥) صلاة المؤمن، د. سعيد بن وهف القحطاني (٣/١٣٠٧).

١٠- يسن بعد الفراغ من دفنه أمور:

الأول: أن يرفع القبر عن الأرض قليلاً نحو شبر، ولا يُسوى بالأرض، وذلك لتمييز فيصان ولا يهان، لحديث جابر رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْحِدَ لَهُ لَحْدٌ، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبْنُ نَصَبًا، وَرُفِعَ قَبْرُهُ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ»^(١). قال الشافعي رحمته الله: «وأحب أن لا يُزاد في القبر تراب من غيره؛ لأنه إذا زيد ارتفع جدًّا، وإنما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرًا أو نحوه»^(٢).

الثاني: أن يجعل مسنمًا لحديث سفيان التمار أنه رأى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسنمًا^(٣).

الثالث: أن يعلمه بحجر أو نحوه ليدفن إليه من يموت من أهله، لحديث المطلب - وهو ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب رضي الله عنه - قال: لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمَلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ، قَالَ الْمُطَّلِبُ: قَالَ الَّذِي يُخْبِرُنِي ذَلِكَ عَنْ

(١) صحيح ابن حبان برقم ٦٦٣٥، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز ص ١٩٥.

(٢) الأم (١/٢٤٥-٢٤٦) باختصار.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٣٩٠.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعِي
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَسَرَ عَنْهُمَا ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا
 عِنْدَ رَأْسِهِ وَقَالَ: «أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأُذْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ
 مَاتَ مِنْ أَهْلِي»^(١).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «لا بأس بوضع علامة
 على القبر ليعرف، كحجر، أو عظم، أو حديد، من غير كتابة
 ولا أرقام، لأن الأرقام كتابة، وقد صح النهي عن النبي ﷺ
 عن الكتابة على القبر، أما وضع حجر على القبر أو صبغ
 الحجر بالأصفر أو الأسود أو الأصفر حتى يكون علامة على صاحبه
 فلا يضر»^(٢).

١١- توضع على القبر الحصباء لحديث القاسم قال: «دَخَلْتُ
 عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّهُ اكشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 وَصَاحِبَيْهِ، فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةَ،
 وَلَا لَاطِئَةَ، مَبْطُوحَةٍ بَبْطَحَاءِ الْعَرَصَةِ الْحَمْرَاءِ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ
 [اللؤلؤي]: يُقَالُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُقَدَّمٌ وَأَبُو بَكْرٍ عِنْدَ
 رَأْسِهِ، وَعُمَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣).

(١) سنن أبي داود برقم ٣٢٠٦، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود
 برقم ٢٧٤٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٣/٢٠٠).

(٣) سنن أبي داود برقم ٣٢٢٠، والحاكم في المستدرک (١/٧٠٠-٧٠١) برقم ١٤٠٨،
 وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط في جامع الأصول

والبطحاء في هذا الحديث هو الحصى الصغار^(١)، وقوله: «ولا لاطئة، يقال: لطئ بالأرض إذا لزق»^(٢)، قال ابن قدامة: والمشرف ما رفع كثيرًا^(٣)، وقال أيضًا: ويرفع القبر عن الأرض قدر شبر ليعلم أنه قبر فيتوقى ويترحم على صاحبه^(٤).

وقد وردت آثار تدل على وضع الحصباء على القبور، فقد روى البيهقي في سننه من حديث جعفر بن محمد عن أبيه: أن النبي ﷺ رش على قبر إبراهيم ابنه الماء ووضع عليه حصباء^(٥)، وغيرها من الآثار، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «ويستحب أن يوضع على القبر حصباء وهو الحصى الصغار»^(٦).

١٢- رش القبر بالماء بعد الانتهاء من أعمال الدفن، قال ابن

(١١/٨٢) برقم ٥٤٨، وضعفه بعض أهل العلم ومنهم الألباني كما في أحكام الجنائز، وقال: في سننه عمرو بن عثمان بن هانئ وهو مستور، كما قال الحافظ في التقریب، ولم يوثقه أحد البتة، ص ١٩٦.

(١) يقال بطحاء الوادي وأبطحة هو حصاة اللين في بطن المسيل. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/١٣٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٤/٢٤٩).

(٣) المغني (٣/٤٣٦).

(٤) المغني (٣/٤٣٦).

(٥) البيهقي (٧/٢٧٢-٢٧٣)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٣/٢٠٦): هذا سند صحيح مرسل.

(٦) المجموع (٥/٢٩٨).

قدامة: «ويستحب أن يرش على القبر ماء، ليلتزق ترابه»^(١).
وقد ورد حديث جعفر بن محمد السابق، وذكر ابن أبي شيبه آثار أخرى، قال الشيخ عبدالعزيز بن باز في حكم وضع الحصباء على القبر ورشه بالماء: «هذا مستحب إذا تيسر ذلك لأنه يثبت التراب ويحفظه، ويروى أنه وضع على قبر النبي ﷺ بطحاء، ويستحب أن يرش بالماء حتى يثبت ويبقى القبر واضحاً معلوماً حتى لا يمتهن»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لا بأس أن يُرَشَّ القبر؛ لأن الماء يمسك التراب فلا يذهب يميناً ويساراً»^(٣)^(٤).

١٣- يجوز إخراج الميت من القبر لغرض صحيح، كما لو دفن قبل غسله وتكفينه ونحو ذلك، لما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَعْدَمَا أُدْخِلَ حُفْرَتُهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَالْبَسَهُ قَمِيصَهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ، [وَكَانَ كَسَا عَبَّاسًا قَمِيصًا]»^(٥).

(١) المغني (٣/٤٣٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (١٣/١٩٨).

(٣) مجموع رسائل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٧/١٩٤).

(٤) صلاة المؤمن، د. سعيد بن وهف القحطاني (٣/١٣١٢).

(٥) برقم ١٣٥٠، يعني العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وذلك يوم بدر، لما أتى بالأسارى وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي، فكساه =

ولا يستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت، فإن النبي ﷺ لم يفعل ذلك هو ولا أصحابه، والعبد لا يدري أين يموت، وإذا كان مقصود الرجل الاستعداد للموت، فهذا يكون بالعمل الصالح^(١).

سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالملكة العربية السعودية عن طريقة دفن الميت باختصار؟

فكانت الإجابة: «أما طريقة دفن الميت وتوجيهه في قبره، فالمستحب أن يدخل رأسه من الجهة التي ستكون فيها رجلاه من القبر إذا تيسر ذلك، ثم يسلم سلاً حتى يتم وضعه في لحدته الذي جعل له في الحفر مما يلي القبلة على جنبه الأيمن، روي ذلك عن عبد الله بن عمر وأنس وعبد الله بن يزيد الأنصاري والنخعي والشافعي رضي الله عنهم، ويدل عليه ما روى الإمام أحمد بإسناده عن عبد الله بن يزيد الأنصاري، أن الحارث أوصاه أن يليه عند موته، فصلى عليه ثم دخل القبر، فأدخله من رجلي القبر، وقال: هذه السنة^(٢)، وهذا يقتضي سنة النبي ﷺ،

= النبي ﷺ إياه، فلذلك ألبسه النبي ﷺ قميصه. هكذا ساقه البخاري في الجهاد، فيمكن أن يكون هذا هو السبب من إلباسه قميصه. ويمكن أن يكون السبب ما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز أن ابن عبد الله المذكور قال: يارسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك، وفي رواية أنه قال: أعطني قميصك أكفنه فيه، ويمكن أن يكون السبب هو المجموع: السؤال والمكافأة ولا مانع من ذلك، نيل الأوطار للشوكاني (٤/١٣٧).

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٣٦٢).

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٣٤.

وروى ابن عمر وابن عباس أن النبي ﷺ سل من قبل رأسه سلاً، فإن كان الأسهل على من يتولون دفنه أن يدخلوه القبر من جانبه الذي يلي القبلة معترضاً، أو من جهته التي سيكون فيها رأسه فلا حرج؛ لأن استحباب إدخاله من جهة القبر التي ستكون فيها رجلاه إنما كان لسهولة ذلك على من يتولى دفنه، والرفق به وبهم، فإذا كان الأسهل غيره كان مستحباً، والأمر في ذلك واسع، والمقصود مراعاة ما كان عليه العمل في عهد الصحابة رضي الله عنهم طلباً للسنة، وتحقيقاً للسهولة والرفق، فإن اعترض ما يجعل غيره أسهل وأرفق عُمل به.

ويوضع الميت في اللحد على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة بوجهه، ويوضع تحت رأسه شيء مرتفع لبنة، أو حجر، أو تراب، كما يصنع الحي، ويدنى من الجدار القبلي من القبر لئلا ينقلب على وجهه، ويسند بشيء من وراء ظهره لئلا ينقلب إلى خلفه، وينصب عليه لبن من خلفه نصباً، ويسد ما بين اللبن من خلل بالطين لئلا يصل إليه التراب؛ لقول سعد بن أبي وقاص: وانصبوا علي اللبن نصباً كما صنع برسول الله ﷺ، فإن لم يكن لبن وضع حجر أو قصب أو حشيش ونحو ذلك بما يتيسر، ثم يهال عليه التراب.

ويقول من تولى دفنه حين وضعه في اللحد: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، لما روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

أن النبي ﷺ كان إذا أدخل الميت القبر قال: «بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى
مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تقدم تخريجه ص ٦٣٥.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٨/ ٤٢٥-٤٢٦).

من بدع الجنائز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فهذه جملة من بدع الجنائز التي انتشرت بين الناس، أذكرها للعلم بها والابتعاد عنها، ذكرها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتابه أحكام الجنائز^(١):

«غسل الميت:

- ١- وضع رغيف وكوز ماء في الموضع الذي غُسل فيه الميت ثلاث ليال بعد موته.
- ٢- إيقاد السراج أو القنديل في الموضع الذي غُسل فيه الميت ثلاث ليال من غروب الشمس إلى طلوعها، وعند بعضهم سبع ليال، وبعضهم يزيد على ذلك، ويفعلون مثله في الموضع الذي مات فيه.
- ٣- ذكر الغاسل ذكراً من الأذكار عند كل عضو يغسله.

(١) وقد اقتصرنا على بعض ما ذكره الشيخ، ومن أراد المزيد فليراجع الكتاب.

٤- الجهر بالذكر عند غسل الجنازة وتشيعها.

٥- سدل شعر الميتة من بين ثدييها.

الكفن والخروج بالجنازة:

١- نقل الميت إلى أماكن بعيدة لدفنه عند قبور الصالحين

كأهل البيت ونحوهم.

٢- قول بعضهم: إن الموتى يتفاخرون في قبورهم بالأكفان

وحُسنها، ويعللون ذلك بأن من كان من الموتى في كفنه

دناءة يعايرونه بذلك.

٣- كتابة اسم الميت وأنه يشهد الشهادتين، وأسماء أهل

البيت عليهم السلام بتربة الحسين رضي الله عنه إن وجدت، وإلقاء ذلك في

الكفن.

٤- كتابة دعاء على الكفن.

٥- تزيين الجنازة.

٦- حمل الأعلام أمام الجنازة.

٧- وضع العمامة على الخشبة، ويلحق به الطربوش وإكليل

العروس وكل ما يدل على شخصية الميت.

٨- حمل الأكاليل والآس والزهور وصورة الميت أمام

الجنازة!

- ٩- ذبح الخرفان عند خروج الجنازة تحت عتبة الباب، واعتقاد بعضهم أنه إذا لم يفعل ذلك مات ثلاثة من أهل الميت.
- ١٠- حمل الخبز والخرفان أمام الجنازة وذبحها بعد الدفن وتفريقها مع الخبز.
- ١١- اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت سالحة خف ثقلها على حاملها وأسرعت.
- ١٢- إخراج الصدقة مع الجنازة، ومنه إسقاء العرقسوس والليمون ونحوه.
- ١٣- التزام البدء في حمل الجنازة باليمين.
- ١٤- حمل الجنازة عشر خطوات من كل جانب من جوانبها الأربعة^(١).
- ١٥- الإبطاء في السير بها.
- ١٦- التزام على النعش^(٢).

(١) واستدل لذلك بعض الفقهاء بحديث: «من حمل جنازة أربعين خطوة كفرت عنه أربعين كبيرة»، نقله في البحر الرائق (٢/٢٠٧-٢٠٨) عن البدائع، وفي شرح المنية رواه أبو بكر النجاد كما في الحاشية (١/٨٣٣) وهكذا يتناقله بعضهم عن بعض دون أن يشيروا إلى حالة الحديث، وهو لا يصح لأن فيه علي بن أبي سارة وهو ضعيف، وهذا الحديث مما أنكر عليه كما قال الذهبي، ولذلك جعلناه من موضوعات الجامع الصغير، ومع هذا فالحديث لا يدل على هذه البدعة فتنبه. أحكام الجنائز.

(٢) ثم روى عن قتادة: شهدت جنازة فيها أبو السوار - هو حُرَيْث بن حسان العدوي - فازدحموا على السرير فقال أبو السوار: أترون هؤلاء أفضل أو أصحاب محمد ﷺ! =

١٧- ترك الاقتراب من الجنازة.

١٨- ترك الإنصات في الجنازة، هذا النص يشمل رفع الصوت بالذكر كما في الفقرة بعدها، وتحدث الناس بعضهم مع بعض.. ونحو ذلك.

١٩- الجهر بالذكر أو بقراءة القرآن أو «البُرْدَة» أو «دلائل الخيرات» ونحو ذلك.

٢٠- الذكر خلف الجنازة بالجلالة أو «البردة» أو «الدلائل» والأسماء الحسنی.

٢١- القول خلفها: «الله أكبر الله أكبر، أشهد أن الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت، سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء، وقهر العباد بالموت والفناء».

٢٢- الصياح خلف الجنازة بـ «استغفروا له يغفر الله لكم» ونحوه.

٢٣- الصياح بلفظ الفاتحة عند المرور بقبر أحد الصالحين، وبمفارق الطرق.

٢٤- قول المشاهد للجنازة: «الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم».

٢٥- اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت صالحة تقف عند قبر الولي عند المرور به على الرُغم من حاملها.

٢٦- القول عند رؤيتها: «هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، اللهم زدنا إيمانًا وتسلِيمًا».

٢٧- اتباع الميت بمجمرة.

٢٨- الطواف بالجنائز حول الأضرحة -يعني أضرحة الأولياء.

٢٩- الطواف بها حول البيت العتيق سبعًا.

٣٠- الإعلام بالجنائز على أبواب المساجد.

٣١- إدخال الميت من باب الرحمة في المسجد الأقصى، ووضع بين الباب والصخرة، واجتماع بعض المشايخ يقرؤون بعض الأذكار.

٣٢- الرثاء عند حضور الجنازة في المسجد قبل الصلاة عليها أو بعدها، وقبل رفعها أو عقب دفن الميت عند القبر.

٣٣- التزام حمل الجنازة على السيارة وتشيعها على السيارات^(١).

٣٤- حمل بعض الأموات على عربة المدفع.

(١) إذالم يمكن حملها على الأكتاف لبعدها المسافة أو غيرها من الضرورات، فالضرورة لها حكمها.

الصلاة عليها:

- ١- الصلاة على جنائز المسلمين الذين ماتوا في أقطار الأرض صلاة الغائب بعد الغروب من كل يوم.
- ٢- قول بعضهم عند الصلاة عليها: «سبحان من قهر عباده بالموت، وسبحان الحي الذي لا يموت».
- ٣- نزع النعلين عند الصلاة عليها ولو لم يكن فيهما نجاسة ظاهرة ثم الوقوف عليهما.
- ٤- وقوف الإمام عند وسط الرجل وصدر المرأة.
- ٥- قراءة دعاء الاستفتاح.
- ٦- الرغبة عن قراءة الفاتحة وسورة معها.
- ٧- الرغبة عن التسليم فيها^(١).
- ٨- قول البعض عقب الصلاة عليها بصوت مرتفع: ما تشهدون فيه؟ فيقول الحاضرون كذلك: كان من الصالحين، ونحوه.

الدفن وتوابعه:

- ١- ذبح الجاموس عند وصول الجنازة إلى المقبرة قبل دفنها وتفريق اللحم على من حضر.

(١) هو من متفردات الإمامية عن سائر المسلمين كما في مفتاح الكرامة (١/٤٨٣)، من كتبهم، أحكام الجنائز.

- ٢- وضع دم الذبيحة التي ذُبحت عند خروج الجنازة من الدار في قبر الميت.
- ٣- الذكر حول سرير الميت قبل دفنه.
- ٤- الأذان عند إدخال الميت في قبره.
- ٥- جعل شيء من تربة الحسين رضي الله عنه مع الميت عند إنزاله في القبر لأنها أمان من كل خوف.
- ٦- فرش الرمل تحت الميت لغير ضرورة.
- ٧- جعل الوسادة أو نحوها تحت رأس الميت في القبر.
- ٨- رش ماء الورد على الميت في قبره.
- ٩- إهالة الحاضرين التراب بظهور الأكف مسترجعين^(١).
- ١٠- قراءة ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ في الحثوة الأولى، و﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ في الثانية، و﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] في الثالثة.
- ١١- القول في الحثوة الأولى: بسم الله، وفي الثانية: الملك لله، وفي الثالثة: القدرة لله، وفي الرابعة: العزة لله، وفي الخامسة: العفو والغفران لله، وفي السادسة: الرحمة لله، ثم يقرأ في السابعة قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ... الآية﴾

(١) هو مذهب الإمامية كما في مفتاح الكرامة (١/٤٩٩)؛ وكأنهم أرادوا بهذه الصورة مخالفة أهل السنة الذين يحثون، كما كان عليه السلام يحثو بباطن الكفين. أحكام الجنائز.

ويقراً قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ... الآية﴾.

١٢- قراءة السبع سور: الفاتحة، والمعوذتين، والإخلاص،
و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ و﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾ و﴿إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ﴾، وهذا الدعاء: **اللَّهُم** إني أسألك باسمك العظيم،
وأسألك باسمك الذي هو قوام الدين، وأسألك...
وأسألك.. وأسألك.. وأسألك باسمك الذي إذا
سُئلت به أعطيت، وإذا دعيت به أجبت، رب جبرائيل
وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل... الخ، كل ذلك عند
دفن الميت^(١).

١٣- قراءة فاتحة الكتاب عند رأس الميت، وفاتحة البقرة عند
رجليه^(٢).

١٤- قراءة القرآن عند إهالة التراب على الميت.

١٥- تلقين الميت.

١٦- نصب حجرين على قبر المرأة.

١٧- الرثاء عقب دفن الميت عند القبر.

(١) استحب هذا وما قبله في شرح الشريعة ص ٥٦٨، ومما يدل على اختراع هذا أن فيه ذكر

اسم عزرائيل، ولا أصل له في السنة مطلقاً كما سبق التنبيه عليه، أحكام الجنائز.

(٢) روي هذا في حديث عن ابن عمر مرفوعاً، ضعفه الهيثمي (٤٥/٣)، وروي عنه موقوفاً

وهو ضعيف أيضاً كما سبق، أحكام الجنائز.

- ١٨- نقل الميت قبل الدفن أو بعده إلى المشاهد الشريفة.
- ١٩- السكن عند الميت بعد دفنه في بيت في التربة أو قربها.
- ٢٠- امتناعهم من دخول البيت إذا رجعوا من الدفن حتى يغسلوا أطرافهم من أثر الميت.
- ٢١- وضع الطعام والشراب على القبر ليأخذه الناس.
- ٢٢- الصدقة عند القبر.
- ٢٣- صب الماء على القبر من قبل رأسه، ثم يدور عليه، وصب الفاضل على وسطه^(١)»^(٢).

وأختم بكلام الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ -عندما علق على حديث أبي الهياج الأسيدي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ لَا تَدَعْ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(٣):

«ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد

(١) وهما من مذهب الإمامية كما في مفتاح الكرامة (١/٥٠٠، ٥٠٧).

(٢) أحكام الجنائز ص ٣١١-٣١٩.

(٣) صحيح مسلم برقم ٩٦٩.

يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، **فإنا لله** وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب **الله** ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا، ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف **بالله** فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير **الله**، وأي مصيبة يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن هذا الشرك البين واجبًا.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
وَلَوْ نَارًا نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (٩٥/٤).

البيوع: قواعد وحكم وفوائد (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

«فإن البيع جائز بالكتاب والسنة والإجماع، والنظر الصحيح، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وأما السنة فمثل قوله ﷺ: «إِذَا تَبَايَعَ الرَّجُلَانِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، وَكَانَا جَمِيعًا»^(١). وغيره من الأحاديث.

وأما الإجماع، فمعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأما النظر الصحيح فلأن الإنسان يحتاج لما في يد غيره من متاع الدنيا، ولا وسيلة إلى ذلك إلا بالظلم، وأخذه منه قهراً أو بالبيع»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٢١١٢، وصحيح مسلم برقم ١٥٣١.

(٢) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٨/٩٢-٩٣).

قال ابن قدامة: «وأجمع المسلمون على جواز البيع في الجملة والحكمة تقتضيه؛ لأن حاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه، وصاحبه لا يبذله بغير عوض، ففي شرع البيع وتجويزه وصول كل واحد منهما إلى غرضه ودفع حاجته»^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «البيع في اللغة أعم من البيع شرعاً، فهو أخذ شيء وإعطاء شيء حتى لو كان على سبيل العارية أو الوديعة، فإذا مدت إليك شيئاً أُعيرك إياه، فهو بيع في اللغة؛ لأنه مأخوذ من الباع، إذ أن كل واحد من المتعاطين يمد باعه إلى الآخر»^(٢).

«وفي الاصطلاح: هو مبادلة مال بمال ولو في الذمة، أو منفعة مباحة على التأييد غير ربا وقرض، فقولهم: مبادلة مال بمال، والمراد بالمال هنا كل عين مباحة النفع بلا حاجة، كالذهب والفضة والشعير والبر والتمر والملح والسيارات.. وغيرها.

وقولهم: أو منفعة مباحة، أي مبادلة مال بمنفعة مباحة، واشتراط كونها مباحة احترازاً من المنفعة غير المباحة، وقولهم: ولو في الذمة، لو هنا ليست إشارة خلاف، ولكن

(١) المغني (٦/٦).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥١١/٣).

المعنى أن المال الذي يقع العقد عليه قد يكون حاضرًا، وقد يكون في الذمة، فالبيع يشمل هذا وهذا»^(١).

وينقسم البيع إلى قسمين: حلال وحرام:

١- أما الحلال كبيع الطعام، واللباس غير المحرم، والحيوانات، والسيارات... وغيرها، والحكمة منه حاجة الناس إلى ذلك، والله تعالى لم يبح شيئًا إلا وفيه منفعة للعباد.

٢- الحرام كبيع المعازف، والخمور، والدخان، والخنزير، والأصنام.. وغير ذلك، والحكمة من تحريمه، إن هذه الأشياء حرمها الله، والله لا يحرم شيئًا إلا وفيه ضرر على العبد في دينه أو دنياه، أو يشغل عن أداء عبادة واجبة.

من القواعد في البيع:

١- الصدق والبيان: لما جاء في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام أن النبي ﷺ قال: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»^(٢). فقلوه: «فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا» أي بين كل واحد لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب

(١) الفقه الميسر لمجموعة من المشايخ (٦/٩)، طبعة مدار الوطن بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢١١٠، وصحيح مسلم برقم ١٥٣٢.

ونحوه في السلعة والثلث، وصدق في ذلك^(١)، ومعنى قوله «بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا» أي كثر نفع المبيع والثلث، ومعنى قوله «مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ بَيْعَهُمَا» أي ذهبت بركته وهي زيادته ونماؤه.

٢- تحريم الغش: فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَدَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢). قال ابن حجر الهيتمي: «الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئًا لو اطلع عليه مرید أخذها ما أخذها بذلك المقابل»^(٣).

ويكون الغش بمحاولة إخفاء العيب في السلعة، ويكون بطرق أخرى كالغش في ذاتية البضاعة، أو عناصرها، أو كميتها، أو وزنها، أو صفاتها الجوهرية، أو مصدرها، كأن يكذب ويكتب عليها صنعت في البلد الفلاني وهو مشهور بجودة بضاعته، وهي قد صنعت في بلد آخر، لكي يغري

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (٤/١٧٦).

(٢) برقم ١٠١

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٣٩٦).

المشتري بشرائها.

٣- «تحريم الغرر: فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الحصاة، وعن بيع الغرر، والأصل في النهي التحريم ما لم يصرفه صارف، وبيع الحصاة له صور، فمن ذلك: أن يقول: ارم هذه الحصاة، فعلى أي شاة من هذا القطيع وقعت فهي لك بكذا، فرمى الحصاة وسقطت على شاة هزيلة جداً، فاشتراها بمئة وهي لا تساوي عشرين فخر، وجاء عقد آخر فقال: بعت عليك الشاة التي تصبها هذه الحصاة إذا رميتها، فرمى الحصاة، وقد اشترى الشاة بخمسين فوكت على شاة تساوي مئة، فغنم والبائع خسر، عكس الأولى، إذن هذا غرر؛ لأن كل عقد دار بين الغنم والغرم فهو ميسر لا يجوز، وعلى هذا قس، وبهذا يتبين أن بيع الحصاة داخل في النهي عن بيع الغرر، ويؤخذ مما تقدم قاعدة: أن كل بيع فيه غرر فهو محرم.

والغرر كل ما فيه جهالة، واحتمال للغنم أو الغرم، لأن ذلك من الميسر، فإن حقيقة الميسر هي أنها معاملة تقع بين متغالبن يكون أحدهما إما غانماً أو غارماً، فبيع الغرر من الميسر، والحكمة في النهي عنه ظاهرة جداً؛ لأنه إذا كان غانماً أداه ذلك إلى الجشع، والطمع، والانسباب وراء

المادة والدنيا لأنه كسب، فيريد أن يستمر هذا الكسب، فنجده يلهو بدنياه عن دينه، وإن كان الأمر بالعكس بأن كان غارماً ألحقه من الندم والحزن وكراهة صاحبه الذي غلبه ما يوجب العداوة بينهما، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخُبْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ [المائدة: ٩١] (١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «النهي عن بيع الغرر أصل عظيم من أصول كتاب البيوع، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة، كبيع المعدوم، والآبق، والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لا يتم ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع ثوب من الأثواب، وشاة من الشياه، ونظائر ذلك، وكل ذلك باطل لأنه غرر كبير من غير حاجة» (٢).

والغرر أنواع، فمنه: بيع المعدوم: كبيع حبل الحبلية، كما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ نهى عن بيع حبل الحبلية، قال ابن عمر:

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٩/١٤٥-١٤٧) بتصرف.

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي (٩/٢٥٧).

وهو البيع بثمن مؤجل إلى أن تلد الناقة، ويلد ولدها^(١).

ومنه بيع المعجوز عن تسليمه: كالجمل الشارد، أو العبد الأبق. والنوع الثالث: بيع المجهول المطلق، أو المجهول الجنس، أو المجهول القدر.

ومن صورته بيع الملائيح: وهو ما في ظهور الذكور يلحقها الفحل في بطن الأنثى، بأن يقول صاحب الفحل: أبيع عليك ضراب فحلي من ناقتك، فيضربها هذه المرة، فأبيع عليك هذا الضراب، فلا يجوز لأنه أجهل من بيع الحمل، فإن هذا اللقاح قد يكون صحيحًا، وقد يكون فاسدًا، فإذا منع الحمل فهذا من باب أولى.

ومنه بيع المضامين: وهي الحوامل، والمراد ما في بطونها، وقد ورد النهي عن بيع الحمل حتى تضع كما تقدم، ومنه بيع الثمار قبل بدو صلاحها، خوفًا من تلفها، أو حدوث عيب بها قبل أخذها، روى البخاري ومسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ»^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم ٢١٤٣، وصحيح مسلم برقم ١٥١٤.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢١٩٨، وصحيح مسلم برقم ١٥٥٥.

عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع^(١)، ويعرف بدو صلاحها باحمرار ثمار النخيل أو اصفرارها، وفي العنب أن يَسْوَدَّ وتبدو الحلاوة فيه، وفي الحب أن يببس ويشتد، ونحو ذلك في بقية الثمار^(٢).

ومنه بيع الملامسة والمنابذة، واللامسة أن يقول: بعتك ثوبي هذا على إنك متى لمستته فهو عليك بكذا، أو يقول: أي ثوب لمستته فهو لك بكذا.

وبيع المنابذة: هو أن يقول أي ثوب نبذته إلي فهو علي بكذا، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ نهى عن المنابذة، وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه، ونهى عن الملامسة، واللامسة لمس الثوب لا ينظر إليه^(٣).

تنبيه:

مما اشتهر عند أهل الجاهلية المعاصرة قولهم: القانون لا يحمي المغفلين، ويلزمون الشخص بالتقيد وإن كان مخدوعاً

(١) صحيح البخاري برقم ٢١٩٤، وصحيح مسلم برقم ١٥٣٤.

(٢) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من المشايخ، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية ص ٢١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٢١٤٤، وصحيح مسلم برقم ١٥١٢.

ومغرورًا به، وللأسف سرت هذه المقولة الباطلة إلى بعض المسلمين، وأحكام الدين الإسلامي الحنيف تبطل هذه المقولة، فهو يحمي المغفلين، ويدفع عنهم في الوقت الذي يعلن فيه أصحاب القوانين أنها لا تحميهم، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَجُلٌ يُخَدَعُ فِي الْبَيْعِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ»، فَكَانَ يَقُولُهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السبعون

البيع: قواعد وحكم وفوائد (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فاستكمالاً للحديث السابق عن البيع وقواعده وحكمه وفوائده، فإنه ينبغي للمسلم أن يدعو الله دائماً أن يبارك له في بيعه وشرائه وسائر أموره، وأن يحرص على الأسباب التي تستجلب بها البركة في البيع، ومنها:

١- تقوى الله: فما اتقى الله امرؤ في أي أمر من أموره إلا بارك الله له فيه، ورزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]

ومن علامات التقوى، ألا يقدم الإنسان على أي تعامل سواء كان بيعاً أو شراءً، أو غير ذلك إلا بعد معرفة حكم الشرع فيه، وسؤال أهل العلم عما يحل وما يحرم، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(١).

٢- أخذ المال من طرق حلال: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِحَقِّ يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٢).

٣- أخذ المال بسخاوة نفس: أي من غير شره ولا إلحاح في المسألة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٣).

قوله: سخاوة نفس: أي بغير سؤال، ولا إشراف، ولا تطمع، ولا طمع، فبين النبي ﷺ أن قناعة المؤمن ورضاه بما قسم الله له من رزق وعدم سؤاله وتطلعه إلى ما عند الآخرين سبب عظيم من أسباب البركة ولو كان رزقه

(١) برقم ٢٠٨٣.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٤٢٧، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٢ واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٤٧٢، وصحيح مسلم برقم ١٠٣٥.

قليلاً، ويلحق بهذا إنفاق المال في وجوه البر، وإخراج الزكاة، وإعطاء التاجر من تحت يده من عمال حقوقهم.

٤- الصدق في المعاملة عند البيع والشراء والشراكة: روى البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام أن النبي ﷺ قال: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»^(١).

٥- التبكير في التجارات: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»^(٢).

أما موانع البركة فهي:

١- المعاصي والذنوب: فكما تقدم أن التقوى من أعظم الأسباب التي تستجلب بها البركة في البيوع وغيره، فكذلك المعاصي لها أثر كبير في محق البركة وزوالها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤١) [الروم: ٤١].

(١) سبق تخريجه ص ٦٥٩.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٤١) برقم ١٣٢٣، وقال محققوه: حسن لغيره، وقال ابن حجر فيما نقله عنه تلميذه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٦٠: ومنها (يعني من أحاديث اللهم بارك لأمتي في بكورها) ما يصح ومنها ما لا يصح، وفيها الحسن والضعيف.

٢- الحلف: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْحَلْفُ مَنْقَعَةٌ لِلْسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبُرْكََةِ»^(١).

٣- الكذب والغش: وتقدم الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَةٌ بَيْعِهِمَا»^(٢).

٤- أكل المال الحرام بشتى صورته وأشكاله: وأعظم ذلك الربا، فإنه لا بركة فيه ولا خير، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي وَيُرِي﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وفي الحديث: «... وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(٣). قال ابن حجر رحمته الله فيه: «أن اكتساب المال من غير حله لا يبارك له فيه لتشبيهه بالذي يأكل ولا يشبع، وكذا إمساكه عن إخراج الحق منه سبب لمحقه، فيصير غير مبارك كما قال **الله** تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الرِّبَا وَيُرِي الرِّبَا﴾»^(٤)، ويدخل في ذلك ما يبيعه التاجر مما يحتوي على مخالفات شرعية،

(١) صحيح البخاري برقم ٢٠٨٧، وصحيح مسلم برقم ١٦٠٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٥٩.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٤٢٧، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٢ واللفظ له.

(٤) فتح الباري (١١/٢٤٩).

أو عن طريق الحلف، أو الغش، أو الكذب، أو غيرها من طرق الحرام.

٥- الحرص الشديد والرغبة في الدنيا: روى البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام أن النبي ﷺ قال: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»^(١).

٦- منع الزكاة: فإن الزكاة بركة للتاجر في بيعه وشرائه.

٧- تطيف المكيال والميزان: فإن هذا المال الذي يأتي من تطيف الكيل والميزان مال حرام يمحق البركة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١-٦].

٨- عدم الرضى بالرزق: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي العلاء بن الشخير قال: حدثني أحد بني سليم -ولا أحسبه إلا قد رأى رسول الله ﷺ- قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ،

(١) صحيح البخاري برقم ١٤٧٢، وصحيح مسلم برقم ١٠٣٥.

وَوَسَّعَهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ» (١).

من صور البيوع المنهي عنها:

١- البيع والشراء بعد الأذان الثاني يوم الجمعة: لا يصح البيع ولا الشراء ممن تلزمه صلاة الجمعة بعد الأذان الثاني؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، فقد نهى الله تعالى عن البيع في هذا الوقت، والنهي يقتضي التحريم، وعدم صحة البيع.

٢- بيع الأشياء لمن يستعين بها على معصية الله: أو يستخدمها في المحرمات، فلا يصح بيع العصير لمن يتخذه خمراً، ولا الأواني لمن يشرب بها الخمر، ولا بيع السلاح في وقت الفتنة بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

٣- بيع المسلم على بيع أخيه: مثاله أن يقول لمن اشترى شيئاً بعشرة: أنا أبيعك مثله بأرخص منه، أو أبيعك أحسن منه بنفس الثمن؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ» (٢).

(١) (٤٠٣/٣٣) برقم ٢٠٢٧٩، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢١٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٤١٢ ولفظه: «لَا يَبِيعُ».

٤- الشراء على الشراء: مثاله أن يقول لمن باع شيئاً: افسخ البيع، وأنا أشتريه منك بأكثر، بعد أن اتفق البائع والمشتري على الثمن، وهذه الصورة داخلية في النهي الوارد في الحديث السابق.

٥- بيع العينة: وصورته أن يبيع شخص سلعة لآخر بثمن معلوم إلى أجل، ثم يشتريها منه البائع بثمن حاضر أقل، وفي نهاية الأجل يدفع المشتري الثمن الأول، كأن يبيع أرضاً بخمسين ألفاً يدفعها بعد سنة، ثم يشتريها البائع منه بأربعين ألفاً نقداً، ويبقى في ذمته الخمسون ألفاً يدفعها المشتري على رأس السنة، وسميت عينة؛ لأن المشتري يأخذ مكان السلعة عيناً، أي: نقداً حاضراً. وحرم هذا البيع لأنه حيلة يتوصل بها إلى الربا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقْرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(٣).

٦- بيع المبيع قبل قبضه: مثاله أن يشتري سلعة من شخص، ثم يبيعها قبل أن يقبضها ويحوزها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(٣) سنن أبي داود برقم ٣٤٦٢، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى (٣٠/٢٩): إسناده جيد.

رسول الله ﷺ: «مَنْ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِعُهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ»^(١)،
وروى أبو داود في سننه من حديث زيد بن ثابت رضي عنه:
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ تُبَاعَ السَّلْعُ حَيْثُ تُبْتَاغُ،
حَتَّى يَحُوزَهَا التُّجَّارُ إِلَى رِحَالِهِمْ»^(٢)، فلا يجوز لمن
اشترى شيئاً أن يبيعه حتى يقبضه قبضاً تاماً.

٧- تلقي الركبان: والمراد بهم القادمون لجلب سلعهم في
البلد، فإذا تلقاهم، واشترى منهم، وتبين أنه قد غبنهم غبناً
فاحشاً، فلهم الخيار؛ لقول النبي ﷺ: «لَا تَلَقُّوا الْجَلْبَ،
فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ، فَإِذَا أَتَى سَيِّدُهُ السُّوقَ فَهُوَ
بِالْخِيَارِ»^(٣)، فنهى رضي عنه عن تلقي الجلب خارج السوق
الذي تُباع فيه السلع، وأمر أنه إذا أتى البائع السوق الذي
تُعرف فيه قيم السلع، وعرف ذلك؛ فهو بالخيار بين أن
يُمضي البيع أو يفسخ.

قال ابن القيم رحمته الله: «نهى عن ذلك؛ لما فيه من تغرير البائع؛
فإنه لا يعرف السعر، فيشتري منه المشتري بدون القيمة،
ولذلك أثبت له النبي ﷺ الخيار إذا دخل السوق»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم ٢١٣٦، ومسلم برقم ١٥٢٥.

(٢) رواه أبو داود برقم ٣٤٩٩.

(٣) صحيح مسلم من حيث أبي هريرة برقم ١٥١٩.

(٤) الطرق الحكيمة ص ٢٠٤.

٨- بيع النجش: فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ»^(١)، والناجش هو: الذي يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها، وإنما يريد رفع ثمنها على المشتري، لما في ذلك من تغرير المشتري وخديعته؛ فهو في معنى الغش.

ومن صور النجش المحرم: أن يقول صاحب السلعة: أعطيت بها كذا وكذا، وهو كاذب، أو يقول: اشتريتها بكذا، وهو كاذب^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٢١٤٢، وصحيح مسلم برقم ١٥١٦.

(٢) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٢٤).

فهرس الموضوعات

الفهرس الأول:

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب

الفهرس الثاني:

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة
--------	--------

كتاب العلم

- ١- المنهجية في طلب العلم ٥٧٧
- ٢- شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ» (١) ٣٣١
- ٣- شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ» (٢) ٣٤١
- ٤- شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ» (٣) ٣٤٧

(أ) قسم العقيدة

توحيد الربوبية والعبادة

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٢٩
- ٢- الإحسان ٢٨٧

الإيمان باليوم الآخر

- ١- العرش ١٨٥

(ب) التفسير

سورة الأعراف

- ١- قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في السبت ٥٦٣

سورة الكهف

- ١- قصة أصحاب الكهف رقم (١) ٥٣٩

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة

الكلمة

- ٢- فوائد من قصة أصحاب الكهف رقم (٢) ٥٥١
- ٣- قصة الرجلين . المؤمن والكافر ٥٥٥
- سورة يس

- ١- قصة أصحاب القرية ٥٢٧

سورة الذاريات

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ٢٩

سورة القلم

- ١- قصة أصحاب الجنة ٥١٧

(ج) الحديث

- ١- وقفات مع حديث لا حسد إلا في اثنتين ٧
- ٢- شرح حديث الشفاء في ثلاثة رقم (١) ٢٤٧
- ٣- شرح حديث الشفاء في ثلاثة رقم (٢) ٢٥٥
- ٤- حديث الأبرص والأقرع والأعمى ٣٠٩
- ٥- شرح حديث مالك بن التيهان ٣٢٣
- ٦- شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (١) ٣٣١
- ٧- شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (٢) ٣٤١
- ٨- شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (٣) ٣٤٧
- ٩- فوائد من حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ٣٦١
- ١٠- فوائد من حديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ» ٣٦٥

(د) الفقه

- ١- تغسيل الميت وأحكامه ٥٩١
- ٢- تكفين الميت وأحكامه ٦٠١

- ٣- حمل الجنازة واتباعها والمسائل المتعلقة بذلك ٦٠٩
 ٤- دفن الميت وأحكامه رقم (١) ٦٢١
 ٥- دفن الميت وأحكامه رقم (٢) ٦٣١

الصيام

- ١- من حكم الصيام ٢٣

البيوع

- ١- البيوع. قواعد وحكم وفوائد (١) ٦٥٧
 ٢- البيوع. قواعد وحكم وفوائد (٢) ٦٦٧

الطب النبوي

- ١- شرح حديث: الشفاء في ثلاثة (١) ٢٤٧
 ٢- شرح حديث: الشفاء في ثلاثة (٢) ٢٥٥
 ٣- بعض الأدوية النبوية التي فيها شفاء ٢٦٥

البدع

- ١- من بدع الجنائز ٦٤٥

الأطعمة

- ١- من فضائل التمر ١٣

المواعظ والرقائق

- ١- الفتور أسبابه وعلاجه ٥٧١
 ٢- من محاسن الدين الإسلامي وجود بدائل لكل عمل صالح ٣١٥

السير

- ١- سيرة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ٢٢١
 ٢- سيرة سلمان الفارسي رضي الله عنه ٢٣٣

الصفحة

الكلمة

- ٣- مقتطفات من سيرة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٢٧٥
- ٤- غزوة مؤتة (١) ٣٧٥
- ٥- غزوة مؤتة دروس وعبر (٢) ٣٨٧
- ٦- غزوة حنين (١) ٣٩٥
- ٧- غزوة حنين (٢) ٤٠٩
- ٨- غزوة الطائف (١) ٤٢٣
- ٩- غزوة الطائف (٢) ٤٣٥
- ١٠- فوائد ومسائل فقهية من غزوة حنين (١) ٤٤٧
- ١١- فوائد ومسائل فقهية من غزوة حنين (٢) ٤٦١
- ١٢- فوائد ومسائل فقهية من فتح الطائف ٤٦٩

قضايا اجتماعية

- ١- العدل ٢١٣
- ٢- الشورى ٢٩٧

توجيهات عامة

- ١- الفرح ١٩٣
- ٢- الحزن ٢٠٣
- ٣- الرؤى التي رآها النبي ﷺ وأولها ٤٧٩
- ٢- الخيل ٤٨٩
- ٢- الإبل ٤٩٧
- ٢- الغنم ٥٠٧

الشمائل المحمدية

- ١- مقتطفات من سيرة نبي الله محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين (١) .. ١٥٥
- ٢- مقتطفات من سيرة نبي الله محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين (٢) ... ١٦٧
- ٣- مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ (٢) ١٧٥
- ٤- حلمه ﷺ ٣٥٣

قصص الأنبياء وغيرهم

- ١- نبي الله آدم ﷺ ٣٥
- ٢- مسائل وفوائد من قصة آدم ﷺ ٤٥
- ٣- نبي الله نوح ﷺ ٥٥
- ٤- فوائد من قصة نوح ﷺ ٦٥
- ٥- نبي الله و خليل الرحمن إبراهيم ﷺ ٧٣
- ٦- قصة بعثة إبراهيم ﷺ ٨١
- ٧- فوائد من قصة نبي الله و خليل الرحمن إبراهيم ﷺ ٨٩
- ٨- نبي الله موسى ﷺ ٩٧
- ٩- فوائد من قصة موسى ﷺ ١٠٥
- ١٠- نبي الله عيسى ﷺ ١١٧
- ١١- فوائد من قصة نبي الله عيسى ﷺ ١٣١
- ١٢- فوائد من قصة نبي الله يوسف ﷺ (١) ١٣٥
- ١٣- فوائد من قصة نبي الله يوسف ﷺ (٢) ١٤٧



الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة	الكلمة
٥	المقدمة:
٧	الكلمة الأولى: وقفات مع حديث لا حسد إلا في اثنتين
١٣	الكلمة الثانية: من فضائل التمر
٢٣	الكلمة الثالثة: من حكم الصيام
٢٩	الكلمة الرابعة: تأملات في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
٣٥	الكلمة الخامسة: نبي الله آدم ﷺ
٤٥	الكلمة السادسة: مسائل وفوائد من قصة آدم ﷺ
٥٥	الكلمة السابعة: نبي الله نوح ﷺ
٦٥	الكلمة الثامنة: فوائد من قصة نوح ﷺ
٧٣	الكلمة التاسعة: نبي الله و خليل الرحمن إبراهيم ﷺ
٨١	الكلمة العاشرة: قصة بعثة إبراهيم ﷺ
٨٩	الكلمة الحادية عشرة: فوائد من قصة نبي الله و خليل الرحمن إبراهيم ﷺ
٩٧	الكلمة الثانية عشرة: نبي الله موسى ﷺ
١٠٥	الكلمة الثالثة عشرة: فوائد من قصة موسى ﷺ
١١٧	الكلمة الرابعة عشرة: نبي الله عيسى ﷺ
١٣١	الكلمة الخامسة عشرة: فوائد من قصة نبي الله عيسى ﷺ

الصفحة

الكلمة

- الكلمة السادسة عشرة: فوائد من قصة نبي الله يوسف عليه السلام (١) ١٣٥
- الكلمة السابعة عشرة: فوائد من قصة نبي الله يوسف عليه السلام (٢) ١٤٧
- الكلمة الثامنة عشرة: مقتطفات من سيرة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
وإمام المرسلين (١) ١٥٥
- الكلمة التاسعة عشرة: مقتطفات من سيرة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
وإمام المرسلين (٢) ١٦٧
- الكلمة العشرون: مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم (٢) ١٧٥
- الكلمة الواحدة والعشرون: العرش ١٨٥
- الكلمة الثانية والعشرون: الفرح ١٩٣
- الكلمة الثالثة والعشرون: الحزن ٢٠٣
- الكلمة الرابعة والعشرون: العدل ٢١٣
- الكلمة الخامسة والعشرون: سيرة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ٢٢١
- الكلمة السادسة والعشرون: سيرة سلمان الفارسي رضي الله عنه ٢٣٣
- الكلمة السابعة والعشرون: شرح حديث: الشفاء في ثلاثة (١) ٢٤٧
- الكلمة الثامنة والعشرون: شرح حديث: الشفاء في ثلاثة (٢) ٢٥٥
- الكلمة التاسعة والعشرون: بعض الأدوية النبوية التي فيها شفاء ٢٦٥
- الكلمة الثلاثون: مقتطفات من سيرة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ... ٢٧٥
- الكلمة الواحدة والثلاثون: الإحسان ٢٨٧
- الكلمة الثانية والثلاثون: الشورى ٢٩٧
- الكلمة الثالثة والثلاثون: حديث الأبرص والأقرع والأعمى ٣٠٩
- الكلمة الرابعة والثلاثون: من محاسن الدين الإسلامي: وجود بدائل
لكل عمل صالح ٣١٥

- الكلمة الخامسة والثلاثون: شرح حديث مالك بن النيهان ٣٢٣
- الكلمة السادسة والثلاثون: شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (١) ٣٣١
- الكلمة السابعة والثلاثون: شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (٢) ٣٤١
- الكلمة الثامنة والثلاثون: شرح حديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (٣) ٣٤٧
- الكلمة التاسعة والثلاثون: حلمه ﷺ ٣٥٣
- الكلمة الأربعون: فوائد من حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ٣٦١
- الكلمة الواحدة والأربعون: فوائد من حديث «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ بَيْنٍ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ بَيْنٍ» ٣٦٥
- الكلمة الثانية والأربعون: غزوة مؤتة (١) ٣٧٥
- الكلمة الثالثة والأربعون: غزوة مؤتة - دروس وعبر (٢) ٣٨٧
- الكلمة الرابعة والأربعون: غزوة حنين (١) ٣٩٥
- الكلمة الخامسة والأربعون: غزوة حنين (٢) ٤٠٩
- الكلمة السادسة والأربعون: غزوة الطائف (١) ٤٢٣
- الكلمة السابعة والأربعون: غزوة الطائف (٢) ٤٣٥
- الكلمة الثامنة والأربعون: فوائد ومسائل فقهية من غزوة حنين (١) ٤٤٧
- الكلمة التاسعة والأربعون: فوائد ومسائل فقهية من غزوة حنين (٢) ٤٦١
- الكلمة الخمسون: فوائد ومسائل فقهية من فتح الطائف ٤٦٩
- الكلمة الواحدة والخمسون: الرؤى التي رآها النبي ﷺ وأولها ٤٧٩
- الكلمة الثانية والخمسون: الخيل ٤٨٩
- الكلمة الثالثة والخمسون: الإبل ٤٩٧
- الكلمة الرابعة والخمسون: الغنم ٥٠٧
- الكلمة الخامسة والخمسون: قصة أصحاب الجنة ٥١٧
- الكلمة السادسة والخمسون: قصة أصحاب القرية ٥٢٧

- الكلمة السابعة والخمسون: قصة أصحاب الكهف (١) ٥٣٩
- الكلمة الثامنة والخمسون: فوائد من قصة أصحاب الكهف (٢) ٥٥١
- الكلمة التاسعة والخمسون: قصة الرجلين: المؤمن والكافر ٥٥٥
- الكلمة الستون: قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في السبت ٥٦٣
- الكلمة الواحدة والستون: الفتور أسبابه وعلاجه ٥٧١
- الكلمة الثانية والستون: المنهجية في طلب العلم ٥٧٧
- الكلمة الثالثة والستون: تغسيل الميت وأحكامه ٥٩١
- الكلمة الرابعة والستون: تكفين الميت وأحكامه ٦٠١
- الكلمة الخامسة والستون: حمل الجنازة واتباعها، والمسائل المتعلقة بذلك ... ٦٠٩
- الكلمة السادسة والستون: دفن الميت وأحكامه (١) ٦٢١
- الكلمة السابعة والستون: دفن الميت وأحكامه (٢) ٦٣١
- الكلمة الثامنة والستون: من بدع الجنائز ٦٤٥
- الكلمة التاسعة والستون: البيوع قواعد وحكم وفوائد (١) ٦٥٧
- الكلمة السبعون: البيوع قواعد وحكم وفوائد (٢) ٦٦٧
- فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب: ٦٧٩
- فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب: ٦٨٥



صدر للمؤلف

- ١- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه الثقات والمجروحين. رسالة ماجستير (مطبوع).
- ٢- حَدَثٌ غَيْرٌ مَجْرِي التَّارِيخِ. رسالة دكتوراه (مطبوع).
- ٣- موسوعة الدرر المنتقاة [١-٣] (مطبوع).
- ٤- موسوعة الدرر المنتقاة [٤-٥] (مطبوع).
- ٥- موسوعة الدرر المنتقاة [٦-٧] (مطبوع).
- ٦- موسوعة الدرر المنتقاة [٨] (مطبوع).
- ٧- موسوعة الدرر المنتقاة [٩] (مطبوع).
- ٨- موسوعة الدرر المنتقاة [١٠] (مطبوع).
- ٩- موسوعة الدرر المنتقاة [١١] (مطبوع).
- ١٠- البركة: كيف يحصل عليها المسلم في ماله، ووقته، وسائر شؤونه (مطبوع).
- ١١- كيف تلقي خطبة أو كلمة مؤثرة (مطبوع).
- ١٢- التجارة والأسواق: نصائح وأحكام (مطبوع).
- ١٣- خطبة الجمعة فوائد وتنبيهات ويليها سبع رسائل (مطبوع).
- ١٤- المسلمون في بلاد الغربية (مطبوع).



قالوا عن الموسوعة

لم أحتج مادة علمية فيما أخطب فيه عامة المسلمين إلا وأستعفتني موسوعة الدرر ، فلا يستغني عنها الداعية ، وطالب العلم ، وعامة المسلمين ، فقد اعتنى فيها مؤلفها بالموضوع ، والمادة ، والتوثيق .
ولا اعلم كتابا حتى الان جمع هذه الموضوعات بهذا التنوع والكثرة مثل الموسوعة المباركة موسوعة الدرر .

الشيخ حمد بن عبدالله الجمعة ، عضورابطة علماء المسلمين

إن موسوعة الدرر موسوعة وعظية ، تربوية ، من أنفع ما قرأت في هذا الباب جمع فيها مؤلفها أشتاتا من الموضوعات المهمة ، والمتنوعة ، وتناولها بطريقة مميزة وميسرة مع الإستنباطات الدقيقة ، وربط الموضوعات بواقع الناس .

أ.د. أحمد بن محمد الخليل - أستاذ الدراسات العليا ، بجامعة القصيم

للتواصل مع المؤلف جوال : ٠٥٠٤٤٢٠٥٦٠
البريد الإلكتروني : ameen-99@hotmail.com

السعر ٢٩ ريال

موسى عليه السلام

ذو سن يومية



إعداد

د. أمين بن عبد الله الشقاوي

مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ
الدَّرْسُ الثَّقَاوِيُّ

دُرُوسٌ يَوْمِيَّةٌ

(٧٠) دُرْسًا لِلتَّعَاةِ وَالْمُطَبِّاءِ وَرَأْسَ أُمَّةٍ الْمَسَاحِدِ لِلتَّقْرَآةِ عَالِي الْمَصَلِّينِ

إِسْتَدَادَ

الدِّكْتُورُ زَائِمِينَ بْنُ سَعِيدِ اللَّهِ الشُّبَّانِيُّ

الْحِزْبُ الثَّقَاوِيُّ عَشْرٌ

ح أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي، أمين بن عبد الله

موسوعة الدرر المنتقاة دروس يومية: الجزء ١٢ / أمين بن عبد الله

الشقاوي - الرياض، ١٤٤٢ هـ

٥٨٩ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك:

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ- العنوان

١٤٤٢ /

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٤٢ /

ردمك:

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والله أراد طباعته وتوزيعه مجاناً بعد موافقة المؤلف الخطية

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

هــوال رقم : ٥٠٤٤٢٠٥٦٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].

أما بعد: فهذا هو الجزء الثاني عشر من كتابي: «موسوعة الدرر المنتقاة»، وقد اشتمل على سبعين كلمة نهجت في إعدادها نفس المنهج الذي سلكته في هذه الموسوعة، وقد اشتمل هذا الجزء على موضوعات متنوعة آمل أن تكون مفيدة ونافعة.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد في أقوالنا، والصواب

في أعمالنا، والإخلاص في نياتنا، وأن يردنا وإخواننا المسلمين إليه ردًا جميلًا، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر عباده المجاهدين الصادقين، وأن يقينا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

الرياض ٣/٦/١٤٤٢هـ

الكلمة الأولى

شرح حديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وبعد.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(١).

«هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهين جهازه للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، وكان

النبي ﷺ يقول: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتاً نوجه إليه، قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه.

قال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه ينشغل بالمدبرة ويُعرض عن المقبلة، وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطنًا، فينبغي أن يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب، مقيم في بلد غربة، أو يكون كأنه مسافر، غير مقيم البتة.

فلهذا أوصى النبي ﷺ ابن عمر أن يكون على أحد هذين الحالين، فأحدهما: أن يُنزَلَ المؤمنُ نفسه كأنه غريبٌ في الدنيا، يتخيل الإقامة لكن في بلد غربة! فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة، بل قلبه متعلقٌ بوطنه الذي يرجع إليه، وإنما هو مقيمٌ في الدنيا ليقضي مرمته^(٢) جهازه إلى الرجوع إلى وطنه.

(١) مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود (٢٥٩/٧) برقم ٤٢٠٨، وقال محققوه: صحيح.

(٢) أي يجمع متاعه ليرجع إلى وطنه.

ومن كان كذلك فلا همَّ له إلا في التزود بما ينفعه عند عوده إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم، ولا يجزع من الذل عندهم.

قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن، لما خلق آدم أُسكن هو وزوجته الجنة، ثم أُهبطا منها، ووعد الرجوع إليها، وصالح ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول، وكما قيل:

كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُقُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلِ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلَكِنَّا سَبَى الْعَدُوِّ، فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ؟
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشطت به أوطانه لَيْسَ يَنْعَمُ
وأى اغترابٍ فوق غربتنا التي لها أضحت الأعداءُ فينا تَحَكِّمُ

الحال الثاني: أن يُنزَلَ المؤمنُ نفسه في الدنيا كأنه مسافرٌ غير مقيم البتة، وإنما هو سائر في قطع منازل الطريق حتى ينتهي به السفرُ إلى آخره وهو الموت، ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهمته تحصيل الزاد للسفر، وليس له همة في الاستكثار من متاع الدنيا، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولهذا أوصى النبي ﷺ جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب^(١).

قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياها سارت به وإن لم يسر، وفي هذا قال بعضهم:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَا حِلُّ يَحُثُّ بِهَا دَاعٍ إِلَى الْمَوْتِ قَاصِدُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ - لَوْ تَأَمَّلْتَ - أَنَّهَا مَنَازِلُ تُطَوَّى وَالْمُسَافِرُ قَاعِدُ

وأما وصية ابن عمر في هذا الحديث الذي رواه وهي متضمنة لنهاية قصر الأمل، وأن المؤمن ينبغي له إذا أمسى أن لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح أن لا ينتظر المساء، بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك، وبهذا فسر غير واحد من العلماء الزهد في الدنيا.

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد -: أي شيء الزهد في الدنيا؟ قال: قصر الأمل؛ من إذا أصبح قال: لا أمسي، قال: وهكذا قال سفيان: قيل لأبي عبد الله: بأي شيء نستعين على قصر الأمل، قال: ما ندري إنما هو توفيق.

وقوله: خذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك.

يعني: اغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٤٣٨)، وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٤٨٠.

بينك وبينها السقم، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت.

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضيما الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(١).

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة، قبل أن لا يقدر عليها، ويحال بينه وبينها، ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليه، ويتمنى الرجوع إلى حالة يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمانة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

[الزمر: ٥٤-٥٨].

(١) (٤/٣٤١) برقم ٧٨٤٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم ١٠٧٧.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

قال الشاعر:

إِغْتَنِمَ فِي الْفِرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مَمُوتًا بَغْتَةً
كَمْ صَاحِحٍ رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّاحِحَةَ فَلْتَةً^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصر جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ٢٠٨-٢١١ للشيخ
محمد المهنا مع التصرف.

الكلمة الثانية

قصة نبي الله هود عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فمن قصص القرآن الكريم التي ذكرها الله في كتابه قصة نبي الله هود عليه السلام.

«وقوم هود عليه السلام كانوا عربًا يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر، يُقال لها الشحر واسم واديهم مغيث، وكانوا كثيرًا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦-٨].

ويقال: إن هودًا عليه السلام أول من تكلم بالعربية، وقال غيره: أول من تكلم بها نوح، وقيل: آدم، وهو الأشبه، وقيل غير ذلك. والله أعلم.

ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام العرب

العاربة، وهم قبائل كثيرة منهم: عاد، وثمود، وجرهم، وطسم، وجديس، وأميم، ومدين، وعملاق، وعبيل، وجاسم، وقحطان، وبنو يقطن.. وغيرهم، وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة، وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم، الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم، وقد أنطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان، وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمقصود أن عادًا وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكانت أصنامهم ثلاثة: صد، وضمود، وهرا، فبعث الله فيهم أخاهم هودًا عليه السلام فدعاهم إلى الله كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح وما كان من أمرهم في سورة الأعراف: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ لِلَّهِ مَا لَهُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَنْقُونَ ۗ ﴾ [الأعراف: ٦٥]

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِجِّ صَرَصٍ ۖ عَاتِيَةً ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۗ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ ۗ ﴾ [الحاقة: ٦-٨].

وقال تعالى: ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ^{٦٩} وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً^{٦٩} فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
[الأعراف: ٦٩]، أي جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلقة
والشدة والبطش.

والمقصود أن عادًا كانوا عربًا جفاة كافرين، عتاة
متمردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلاً منهم
يدعوهم إلى الله وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه
وخالفوه وتنقصوه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلما أمرهم
بعبادة الله ورغبتهم في طاعته واستغفاره، ووعدهم على
ذلك خير الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة
الدنيا والآخرة: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِتْنَا لَنُرْزِقَنَّكَ
فِي سَفَاهَةٍ ﴾ [الأعراف: ٦٦]. أي هذا الأمر الذي تدعوننا إليه
سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي
يُرتجى منها النصر والرزق، ومع هذا نظن أنك تكذب في
دعواك أن الله أرسلك. ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٧]، أي ليس الأمر كما
تظنون ولا ما تعتقدون ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾
[الأعراف: ٦٨]. والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ،
وعدم الزيادة فيه والنقص منه، ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة
وجيزة، جامعة مانعة، لا لبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب،
وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقومه

والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم، لا يبتغي منهم أجراً ولا يطلب منهم جُعلاً، بل هو مخلص لله عَزَّوَجَلَّ في الدعوة إليه والنصح لخلقه، لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله، فإن خير الدنيا والآخرة كله في يديه، وأمره إليه؛ ولهذا قال: ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]. أي ما لكم عقل تميزون به وتفهمون أنني أدعوكم إلى الحق المبين، الذي تشهد به فطرُكم التي خلقتم عليها، وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحاً، وأهلك من خالفه من الخلق، وها أنا أدعوكم إليه، ولا أسألكم أجراً عليه، بل أبتغي ذلك عند الله، مالك الضر والنفع؛ ولهذا قال مؤمن «يس»: ﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ [يس: ٢١-٢٢]، وقال قوم هود له فيما قالوا: ﴿يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴿٥٤﴾ [هود: ٥٣-٥٤]. يقولون: ما جئنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك، بلا دليل أقمته، ولا برهان نصبته، وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه، وعندنا إنما أصابك هذا أن بعض آلهتنا غضب عليك، فأصابك في عقلك، فاعتراك جنون بسبب ذلك، وهو قولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآسَهِدُوكَ أَنِّي بُرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿هود: ٥٤-٥٥﴾. وهذا تحد منه لهم وتبرؤ من آلهتهم، وتنقص منه لها، وبيان أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر، وأنها جماد، حُكمها حكمه وفعلها فعله، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر، فها أنا بريء منها، لَا عِزُّ لَهَا ﴿٥٥﴾ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ [هود: ٥٥]. أنتم وهي جميعاً، بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه، وتقذروا عليه، ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا طرفة عين، فإني لا أبالي بكم، ولا أفكر فيكم، ولا أنظر إليكم ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴿هود: ٥٦﴾. أي أنا متوكل على الله، ومتأيد به، وواثق بجنابه الذي لا يضيع من لاذبه، واستند إليه، فلست أبالي مخلوقاً سواه، ولست أتوكل إلا عليه، ولا أعبد إلا إياه، وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبد الله ورسوله، وأنهم على جهلٍ وضلالٍ في عبادتهم غير الله؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوءٍ، ولا نالوا منه مكروهاً، فدل على صدقه فيما جاءهم به، وبُطلان ما هم عليه، وفساد ما ذهبوا إليه.

وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاكهم في غير ما آية، كما تقدم مُجْمَلًا ومفصلاً؛ كقوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]. وكقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا
 إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴿هود: ٥٨-٦٠﴾ .
 وكقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿المؤمنون: ٤١﴾ . وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۗ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾
 [الشعراء: ١٣٩-١٤٠] .

وأما تفصيل إهلاكهم، فكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ
 عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ۗ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۗ
 رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿الأحقاف: ٢٤﴾ . كان هذا أول ما ابتدأهم
 العذاب؛ أنهم كانوا مُمحلين مُستئين^(١)، فطلبوا السُّقيا، فأوا
 عارِضًا في السماء وظنوه سُقيا رحمة، فإذا هو سُقيا عذاب؛
 ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۗ ﴿الأحقاف: ٢٤﴾
 أي من وقوع العذاب، وهو قولهم: ﴿فَأَنَّا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ
 الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٢] .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن الحكم عن
 مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ
 بِالصَّبَا، وَأَهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»^(٢) . وأما قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ
 أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۗ أَلَا

(١) أي أصابهم الجذب والقحط.

(٢) البخاري برقم ١٠٣٥، ومسلم برقم ٩٠٠.

تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ [الأحقاف: ٢١]. فالظاهر أن عادًا هذه هي عادُ الأولى، فإن سياقها شبيه بسياق قوم هود، وهم الأولى، ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عادُ الثانية، ويدل عليه ما ذكرنا، وما سيأتي من الحديث عن عائشة رضي الله عنها، وأما قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]. فإن عادًا لما رأوا هذا العارض، وهو الناشئ في الجو كالسحاب، ظنوه سحاب مطر، فإذا هو سحاب عذاب، اعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة، رجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٤]. أي من العذاب، ثم فسره بقوله: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]. يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة، الشديدة الهبوب، التي استمرت عليهم سبع ليال بآيامها الثمانية، فلم تُبق منهم أحدًا، بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيران، فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم، وتدمر عليهم البيوت المحكمة، والقصور المشيدة، فكما مُنُوا بقوتهم وشدتهم، وقالوا: من أشد منا قوة؟ سلط الله - الذي هو أشد منهم قوة - عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم، وهو الريح العقيم، ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة ظن من بقى منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم، وغياث لمن بقي منهم، فأرسلها الله عليهم شرًّا ونارًا، كما ذكره غير

واحد، ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين، وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار، وهو أشد ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادة.

وظاهر الآية أنهم رأوا عارضًا، والمفهوم منه لغةً السحاب، كما دل عليه حديث الحارث بن حسان البكري، إن جعلناه مفسرًا لهذه القصة، وأصرح منه في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرِّي عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: «لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا قط حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وقالت: كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا؛ رجاء أن يكون فيه

(١) صحيح مسلم برقم ٨٩٩.

المطر، وأراك إذا رأيتهُ عُرِف في وجهك الكراهية؟ فقال:
 «يَا عَائِشَةُ! مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ
 بِالرَّيْحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ؛ فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا﴾^(١).
 [الأحقاف: ٢٤]»^(١).

فهذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين كما أشرنا إليه
 أولاً، فعلى هذا تكون القصة المذكورة في سورة الأحقاف خبراً
 عن قوم عادٍ الثانية، وتكون بقية السياقات في القرآن خبراً عن
 عاد الأولى. والله أعلم^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٤٨٢٩، وصحيح مسلم برقم ٨٩٩.
 (٢) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٨٢-٣٠٣) باختصار وتصرف.

الكلمة الثالثة

بعض الفوائد من قصة نبي الله هود عليه السلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى في آخر قصص الأنبياء من سورة هود: ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُوَادِكْ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ومن هذه العبر والمواعظ:

الأولى: أن الله يبعث لكل أمة رسولا من أنفسهم يعرفون نسبه، ويدركون نشأته ليتمكنوا من الأخذ عنه والعلم بصدقه والفهم لما يبلغه لهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

الثانية: ينبغي للداعي في أول دعوته لقومه أن يخاطبهم بألفاظ الأقوال وألئها، ولهذا قال هود لقومه: يا قوم.

الثالثة: أن أعظم ما أمر الله به خلقه وبعث به رسله هو عبادته وحده لا شريك له، قال هود: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ^ط إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]، وهذه الكلمة الحق التي دعا إليها جميع الرسل.

الرابعة: على الداعي أن يبين الدليل على صحة ما يدعو إليه، حتى وإن كان ما يدعو إليه حقًا ظاهرًا لا خفاء فيه؛ كالدعوة إلى عبادة الله وحده، فإن هودًا عليه السلام لما دعا قومه إلى عبادة الله ذكر لهم الدليل على أنه سبحانه المستحق أن يعبدوه وحده فقال: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ^ط﴾. وهذه حقيقة يعرفها جميع الخلق وتستيقنها أنفسهم، وتشهد بها الآيات في أنفسهم وفيما حولهم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ^ط﴾ [فصلت: ٥٣].

الخامسة: أن اللين في الدعوة إلى الله تعالى وإن كان مطلوبًا في أول الدعوة، فلا يلزم استمراره دائمًا، فإذا احتاج الداعي إلى الشدة وجب عليه استعمالها لاسيما على من ظهر عناده بعد قيام الحق عليه، وبذلك قال هود لقومه: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾.

وقد أمر الله موسى عليه السلام أن يقول لفرعون قولاً
لينا فلما عاند وكابر قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي
لَأُظَنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]،
وهذه طريقة جميع الأنبياء وأدلتها كثيرة في
الكتاب والسنة. فليعلم الدعاة أن القول اللين، له
مواضع لا يصلح فيها الشدة، وأن الشدة لها مواضع
لا يصلح فيها اللين، فمن الحكمة وضع كل شيء
في موضعه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

السادسة: لا ينجح الداعية في دعوته إلا بأن يكون مخلصاً فيها
لا يطلب ثوابها إلا من الله تعالى، قال هود: ﴿يَنْقُومِ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَخْشَى اللَّهَ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

فمن كان مستقيماً في نفسه ولا يسأل الناس أجراً على
دعوته لهم فإنه واجب الاتباع، ولذلك قال مؤمن آل
يس لقومه: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
[يس: ٢١].

السابعة: من قدم خيراً وأخذ جزاءه فلا لوم عليه، ولكن لا عبرة في هذا، إنما العبرة فيمن يقدم خيراً عظيماً فيه النجاة والسعادة التامة ثم لا يأخذ عليه جزاء، فإن هذا دليل على أنه مرسل من ربه الذي فطره وصوره وشق سمعه وبصره؛ فهو لا يأخذ أجراً إلا منه. كما يدل أيضاً على كمال نصيحته لمن نصح له وهؤلاء هم رسل الله، ومن اقتدى بهم وسار على طريقهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. ولهذا قال هود لقومه: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

الثامنة: من أهم ما ينبغي للداعي إلى الله أن يدعو الناس إلى أن يستغفروا ربهم ويتوبوا إليه، فالاستغفار لما مضى، أما التوبة فلما يستقبل، فالعبد لا يستقيم حاله حتى يستغفر ربه مما بدر منه ولا ينسى ما قدمت يداه، وأن يحدث لكل ذنب توبة، قال هود لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢].

التاسعة: على الداعي أن يدل الناس على كل خير يعلمه لهم سواء في الدنيا أو في الآخرة، وقد بين هود عليه السلام لقومه أن الاستغفار والتوبة وسيلة إلى إدراك المطر وحفظ الصحة وزيادة القوة ودفع الأسقام،

قال هود عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

والفوائد من هذه القصة كثيرة ولعلنا نعود إليها في كلمة
أخرى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قصة نبي الله صالح عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فمن قصص القرآن الكريم التي ذكرها الله في كتابه قصة قوم صالح عليه السلام، وهم قبيلة مشهورة يقال لهم ثمود باسم جدهم ثمود أخي جديس، وهما ابنا عابر بن أرم بن سام بن نوح، وكانوا عربًا من العاربة، يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك، وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك، فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبيد بن ماسخ بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يتركوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً، فأمنت به طائفة منهم، وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمقال والفعال وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ

ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَ لَمُوتٍ أَنْتَ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ؕ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اتِّثْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّ لِكُنْ لَكُمْ وَبَلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٤].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَلُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هُنَا حُضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَلرِهينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا

أَمَرَ الْمَسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴿ [الشعراء: ١٤١-١٥٩].]

والمقصود ذكر قصتهم وما كان من أمرهم، وكيف نجى الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به، وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم، وعتوهم، ومخالفتهم رسولهم عليه السلام، وقد قدمنا أنهم كانوا عرباً، وكانوا بعد عادٍ، ولم يعتبروا بما كان من أمرهم؛ ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثُفٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴿ [الأعراف: ٧٣-٧٤].]

أي إنما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من أمرهم، وتعملوا بخلاف عملهم، وأباح لكم هذه الأرض تبون في سهولها القصور، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين،

أي حاذقين في صنعتها وإتقانها وإحكامها، فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك له، وإياكم ومخالفته، والعدول عن طاعته؛ فإن عاقبة ذلك وخيمة، ولهذا وعظهم بقوله: ﴿ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِينَ ﴾ (١٤٦) فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴿ (الشعراء: ١٤٦-١٤٨) أي متراكم، كثير، حسن، بهي، ناضج ﴿ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠) وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿ (١٥٢) ﴿ (الشعراء: ١٤٩-١٥٢). وقال لهم أيضاً: ﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]. أي هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض، وجعلكم عمَّارها، أي أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار، فهو الخالق الرزاق، فهو الذي يستحق العبادة وحده لا سواه ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٦١]. أي أقبلوا عما أنتم فيه، وأقبلوا على عبادته، فإنه يقبل منكم ويتجاوز عنكم ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٦١) قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿ (٦٢) ﴿ [هود: ٦١-٦٢]. أي قد كنا نرجو أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة؛ وهي دعاؤك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده، وترك

ما كنا نعبد من الأنداد، والعدول عن دين الآباء والأجداد، ولهذا قالوا: ﴿يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢) قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (٦٣) [هود: ٦٢-٦٣]. وهذا تلطف منه لهم في العبارة، ولين الجانب، وحسن تأت في الدعوة لهم إلى الخير، أي فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه؟ ماذا عذرکم عند الله؟ وماذا يُخلصكم بين يديه، وأنتم تطلبون مني أن أترك دُعاءكم إلى طاعته؟ وأنا لا يمكنني هذا؛ لأنه واجب علي، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يُجيرني منه، ولا ينصُرني، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم، وقالوا له أيضًا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] أي من المسحورين، يعنون: مسحورًا لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده، وخلع ما سواه من الأنداد، وهذا القول عليه الجمهور؛ أن المراد بالمسحورين المسحورون، وقيل: من المُسَحَّرِينَ أي ممن له سحر - وهي الرُّثَّة - كأنهم يقولون: إنما أنت بشر له سحر. والأول أظهر؛ لقولهم بعد هذا: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، وقولهم: ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. سألوه أن يأتيهم بخارق يدل على

صدق ما جاءهم به: ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥٥-١٥٦]، وقال: ﴿ قَدْ جَاءَ تَكْمُ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿ وَءَايِنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوماً في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح ﷺ فدعاهم إلى الله تعالى وذكرهم وحذّره ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة من صفتها كيت وكيت - وذكروا أوصافاً سموها ونعتوها وتعنّتوا فيها - وأن تكون عُشراء طويلة، من صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبي صالح عليه السلام: رأيتم إن أحببتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهودهم وموآثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مُصَلَّاه، فصلى الله ﷻ ما قَدَّرَ له، ثم دعا ربه ﷻ أن يُجيبهم إلى ما طلبوا، فأمر الله ﷻ تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة كوماء، عُشراء، على الوجه الذي طلبوا، وعلى الصفة التي نعتوا، فلما عاينوها كذلك، رأوا أمراً عظيماً، ومنظراً هائلاً، وقدرة باهرة، ودليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً، فأمن كثير

منهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم، ولهذا قال: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾، أي: جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها - أي: أكثرهم.

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أضافها لله سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتعظيم؛ كقوله: بيت الله، وعبد الله. ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: دليلاً على صدق ما جئتكم به ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا إِسْوَاءً فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يوماً بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم، ويقال: إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قال: ﴿هَآ شَرِبُوا وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئْتَةً لَّهُمْ﴾ أي اختباراً لهم، أيؤمنون بها، أم يكفرون؟ والله أعلم بما يفعلون: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انتظر ما يكون من أمرهم ﴿وَأَصْطِرِّبْ﴾ على أذاهم، فسيأتيك الخبر على جلية ﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّحْضَرٌ﴾ [القمر: ٢٧-٢٨]. فلما طال عليهم الحال هذا، اجتمع ملوئهم، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة؛ ليستريحوا منها، ويتوفر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ

أَمْرٍ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٧﴾
 [الأعراف: ٧٧]. وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قُدار
 ابن سالف بن جُندع، وكان أحمر أزرق قصيرًا، وكان فعله
 ذلك باتفاق جميعهم؛ فلهذا نُسب الفعل إلى جميعهم كلهم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن
 زمعة رضي عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي
 عقرها فقال: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَّهَا﴾ ﴿١﴾ إِذْ أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ
 عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ ﴿١﴾. أي رئيس منيع، أي
 مطاع في قومه.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن
 ياسر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَحَدَثْتُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ
 رَجُلَيْنِ؟» فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَحْيِمِرُّ ثُمُودَ الَّذِي
 عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - يَعْنِي قَرْنَهُ -
 حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ» يَعْنِي لِحْيَتَهُ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا
 يَصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧].
 فجمعوا في كلامهم هذا بين كُفر بليغ من وجوه؛ منها: أنهم

(١) صحيح البخاري برقم ٤٩٤٢، وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٥.

(٢) (٢٥٧/٣٠) برقم ١٨٣٢١، وقال محققوه: حسن لغيره.

خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأکید في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية، ومنها: أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم، فاستحقوه من وجهين؛ أحدهما: الشرط عليهم في قوله: ﴿وَلَا تَمْسُوها بِسوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وفي آية ﴿قَرِيبٌ﴾ والكل حق. والثاني: استعجالهم على ذلك. ومنها: أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه، وهم يعلمون ذلك علمًا جازمًا، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق، ووقوع العذاب بهم، قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]. وذكروا أنهم لما عقروا الناقة، كان أول من شدَّ عليها قُدار بن سالف لعنه الله، فعرقها، فسقطت إلى الأرض، ثم ابتدروها بأسيا فهم يُقطعونها، فلما عين ذلك سَقْبُها، وهو ولدها، شَرَدَ عنهم فعلا أعلى الجبل هناك، ورغا ثلاث مرات؛ فلهذا قال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي غير يومهم ذلك، فلم يصدقوه أيضًا في هذا الوعد الأکید، بل لما أمسوا همُّوا بقتله، وأرادوا فيما يزعمون أن يُلحقوه بالناقة ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لنكبسنه في داره مع أهله، فلنقتلنه، ثم نجحدهن قتله، وننكرن ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه؛ ولهذا قالوا: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾. قال الله تعالى: ﴿وَمَكْرُومَكْرًا﴾

وَمَكْرَنًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
 مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا
 ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾ [النمل: ٥٠-٥٣]. وذلك أن الله

تعالى أرسل إلى أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة
 رضختهم، سلفاً وتعجيباً قبل قومهم، وأصبحت ثمود يوم
 الخميس، وهو اليوم الأول من أيام النظرة، ووجوههم مُصفرة
 كما أنذرهم صالح عليه السلام، فلما أمسوا نادوا بأجمعهم:
 ألا قد مضى يوم من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثاني من
 أيام التأجيل، وهو يوم الجمعة، ووجوههم محمرة، فلما أمسوا
 نادوا: ألا قد مضى يومان من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم
 الثالث من أيام المتاع، وهو يوم السبت، ووجوههم مسودة،
 فلما أمسوا نادوا: ألا قد مضى الأجل، فلما كان صبيحة يوم
 الأحد، تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من
 العذاب والنكال والنقمة، لا يدرون كيف يفعل بهم، ولا من
 أي جهة يأتيهم العذاب، فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة
 من السماء من فوقهم، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت
 الأرواح وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، وخشعت
 الأصوات، وحُقت الحقائق ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ ﴿جُثًا لَا
 أرواح فيها ولا حراك بها، قالوا: ولم يبق منهم أحدٌ إلا جارية

كانت مقعدة، واسمها: كلبة بنت السلق، ويقال لها: الزُرَيْعَةُ، وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح عليه السلام، فلما رأت العذاب أُطلقت رجلاها، فقامت تسعى كأسرع شيء، فأتت حياءً من العرب، فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها، واستسقتهم ماء، فلما شربت ماتت، قال الله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: لم يُقيموا فيها في سعة ورزق وغناء ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ أي: نادى عليهم لسان القدر بهذا.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر، قال: «لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٌ فَكَانَتْ - يَعْنِي النَّاقَةَ - تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ، فَأَهْمَدَ اللَّهُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ» قِيلَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: «أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾^(٢). إخبار عن

(١) (٦٦/٢٢) برقم ١٤١٦٠، وقال محققوه: حديث قوي، وهذا إسناد على شرط مسلم، وقال ابن كثير: رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث على شرط مسلم، وليس هو في شيء من الكتب الستة، والله أعلم. البداية والنهاية (١/٣١٧).

صالح عليه السلام أنه خاطب قومه بعد هلاكهم، وقد أخذ في الذهاب عن محلّتهم إلى غيرها، قائلاً لهم: ﴿يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: جَهِدْتُ في هدايتكم بكل ما أمكنني، وحرصت على ذلك بقولي وفعلي ونيّتي ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ أي: لم تكن سجاياكم تقبل الحق ولا تريده؛ فلهذا صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب الأليم المستمر بكم، المتصل إلى الأبد، وليس لي فيكم حيلة ولا لي بالدفع عنكم يدان، والذي وجب عليّ من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلته لكم، ولكن الله يفعل ما يريد، وهكذا خاطب النبي صلى الله عليه وآله أهل قليب بدر بعد ثلاث ليالٍ، وقف عليهم، وقد ركب راحلته وأمر بالرحيل من آخر الليل، فقال: «يَا أَهْلَ الْقَلَيْبِ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»^(١). فقال له عمر: يا رسول الله، تُخاطب أقوامًا قد جَيفُوا؟ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ». ويقال: إن صالحًا عليه السلام انتقل إلى حرم الله، فأقام به حتى مات^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٩٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (١/٣٠٤-٣١٩) بتصرف.

فوائد من قصة نبي الله صالح ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فاستكمالاً للحديث عن نبي الله صالح ﷺ، هذه بعض الفوائد من قصته:

الفائدة الأولى في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ [هود: ٦٢] ومعنى هذه الآية أن صالحًا ﷺ كان معززًا في قومه قبل أن يدعوهم إلى عبادة الله والإيمان به، فلما جاءهم بالحق سقط من أعينهم واحتقروه، فلم يصدده ذلك عن دينه ولم يترك دعوته للاحتفاظ بمكانته عندهم. فينبغي للداعية إلى الله أن يعرف هذا جيّدًا ويعلم إذا حصل له مثل هذا أن له أسوة حسنة فيمن كان قبله من الأنبياء والصالحين. وقد كان رسول الله ﷺ يُدعى في مكة الصادق الأمين، فلما قام يدعو إلى الله تعالى قالوا: ساحر كذاب؛ لذلك قصّ الله

عليه ما جرى لمن كان قبله من الأنبياء ليثبت بها فؤاده، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنْهَبَهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٣-٣٤].

ومما يذكر هنا قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه سيد قومه وماذا قالوا له بعد إسلامه، فأذكر الحديث بطوله لما فيه من الفوائد. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَحْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلَ». قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا». قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَّتْ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهْتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ - وفي رواية: - ودخل

عبد الله البيت (١) - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرْنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢).

الفائدة الثانية:

في قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾﴾ [القمر: ٢٣-٢٤].

ومعنى أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ، أي نسلم أمرنا جميعاً لواحد منا؛ وهذا في نظرهم منكر ليس بمعقول. وترك الحق لقله أهله وقلة ناصره أو اتباع الباطل لكثرة أهله هو داء في الناس من قديم، إلا أنه فشا في هذا الزمان فشوا منكرًا، وذلك تصديق ما أخبر به النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» (٣)، قالوا: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي

(١) برقم ٣٣٢٩.

(٢) برقم ٣٩٣٨.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٤٥.

أَنَاسٍ سُوِّءٍ كَثِيرٍ، مَن يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّن يُطِيعُهُمْ»^(١).

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

قال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»
اللَّهُمَّ ثبتنا على الحق حتى نلقاك.

الفائدة الثالثة: في حكم الراضي كالفاعل في أحكام الآخرة وعند الله تعالى، أما أحكام الدنيا واستنباطها من قصة ثمود فقد ذكر الله في كتابه أن الذي عقر الناقة واحد فقال تعالى: ﴿فَادَاؤُا صَاحِبُهُمْ فَفَعَّرَهُ﴾ وقال أيضًا: ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ثم قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَفَعَرُوهُمَا﴾ بصيغة الجمع، وقال النبي ﷺ: ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ انْبِثَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَفَعَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فدلّت الآيات المتقدمة والحديث أن الذي تولى عقر الناقة واحد

(١) الزيادة في مسند أحمد من قوله ومن الغرباء (١١/ ٢٣١) برقم ٦٦٥٠، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٢) البخاري برقم ٤٩٤٢، وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٥.

ورضى الباقون بذلك، لذلك أضاف الفعل في بعض الآيات إليهم جميعاً فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فعمهم الله بعذاب ولم ينجو منهم إلا من لم يرض بذلك وهم المؤمنون؛ ففيه دليل على أن الراضي كالفاعل، كيف لا! والرضى عمل من أعظم أعمال القلوب بل هو مقدمها، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَا أَبَا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» (١) الحديث.

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فدلّت الآية على أن الله سبحانه وتعالى يرضى الشكر من عباده ويحبه ويبغض الكفر منهم، وهو غني عنهم، فمن رضي ما رضيه الله ورسوله فذاك مؤمن، ومن لم يرض ما رضيه الله ورسوله، فليس من الله ورسوله في شيء. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّغَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]

فدلّت الآية على أن الرضا عمل من الأعمال، ولذلك ذمهم الله عليه. فليحذر المسلم من أن يرضى ما لم يرضه الله ورسوله من أعمال الكفار والفاستقين فيدخل مدخلهم ويصيبه ما يصيبهم

ويحمل من الوزر مثل ما يحملون وإن لم يعمل مثل عملهم. روى أبو داود في سننه من حديث العرس بن عميرة الكندي رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكْرَهَا - وقال مرة: أنكرها - كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا وَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»^(١). قال ابن رجب: «من شهد الخطيئة فكرها في قلبه كان كمن لم يشهدا إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدا وقدر على إنكارها ولم ينكرها، لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم لا يسقط عن أحد في كل حال من الأحوال. ا.هـ^(٢)».

قلت: ولا يبعد أن يخرج المسلم من الدين إذا كان ما رضي به كفراً، وإن كان دون ذلك فهو على حسبه. وهذا المعنى هو الذي أردنا الإشارة إليه والتحذير منه.

وفي معنى ما تقدم ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث جرير رضي عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لَا يُغَيَّرُونَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٣).

(١) برقم ٤٣٤٥ وحسنه الشيخ الألباني رحمته كما في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٦٥١.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٨١.

(٣) سنن ابن ماجه برقم ٤٠٠٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته في صحيح سنن =

فهؤلاء قوم رضوا بالمعاصي أن تعمل بينهم وهم يستطيعون أن يغيروها فلم يغيروا فعمهم العذاب وإن كانوا لم يعملوها لرضاهم بها.

أما ما يتعلق بأحكام الدنيا فلا تجري إلا على من أظهر الفعل والقول، فيقام الحد على الزاني والقاذف والقاتل ولا يقام على من رضي بذلك، لأن الرضى من أعمال القلوب التي لا يعلم خفاياها إلا خالقها، والله تعالى أعلم. والمسألة تحتاج إلى بسط أكثر وإنما قصدت الإشارة، والله الموفق.

وفي رواية: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...» وفيها: «ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ»^(١). روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر قال: نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت يشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا لها القدور باللحم، فأمرهم النبي ﷺ فأهراقوا القدور، وعلفوا العجيين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، وقال: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، فَلَا

= ابن ماجه ٣٢٣٨.

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٨٠، وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٠، وزاد: ثم زجر فأسرع حتى خلفها.

تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ»^(١).

وبقي بعض الفوائد لعلي أستكملها في كلمة قادمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (١٠/١٩١-١٩٢) برقم ٥٩٨٤، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: إسناده صحيح على شرط الصحيحين من هذا الوجه ولم يخرجاه، البداية والنهاية (٧/١٦٤).

قصة سحرة فرعون لعنه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه: ٥٦-٥٩].

«يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله، وقلة عقله في تكذيبه بآيات الله، واستكباره عن اتباعها، وقوله لموسى: إن هذا الذي جئت به سحر ونحن نعارضك بمثله، ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم، ومكان معلوم، وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام، أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس، ولهذا قال: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم ﴿ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ أي من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق

أظهر وأجلى، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً في ظلام، كيما يروج عليهم محالاً وباطلاً، بل طلب أن يكون نهاراً جهرة؛ لأنه على بصيرة من ربه، ويقين أن الله سيظهر كلمته ودينه، وإن رغمت أنوف القبط.

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۖ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ۖ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۖ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ۖ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوًّا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۗ ﴾ [طه: ٦٠-٦٤].

يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب، فجمع من كان ببلاده من السحرة، وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة، محترفين، في فنههم غاية، فجمعوا له من كل بلد، ومن كل مكان، فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير، فقليل: كانوا ثمانين ألفاً، قاله محمد بن كعب، وقيل: سبعين ألفاً، قاله القاسم بن أبي بزة، وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفاً، وعن أبي أمامة: تسعة عشر ألفاً. وقال محمد بن إسحاق: خمسة عشر ألفاً. وقال كعب الأحبار: كانوا اثني عشر ألفاً، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: كانوا سبعين رجلاً.

وحضر فرعون وأمراؤه وأهل دولته وأهل مصر عن

بكرة أبيهم؛ وذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم، فخرجوا وهم يقولون: ﴿لَعَنَّا نَبِيَّ السَّحَرَةِ إِنَّ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠]. وتقدم موسى ﷺ إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل، الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه، فقال: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْقَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ ﴿٦١﴾ فَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ [سورة طه: ٦١-٦٢] قيل: معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم؛ فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر، وقائل منهم يقول: بل هو ساحر، فالله أعلم. وأسروا التناجي بهذا وغيره: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾ يقولون: إن هذا وأخاه هارون ساحران عليمان، مُتَقَنَّانِ لهذه الصناعة، ومرادهما أن يجتمع الناس عليهما، ويصولان على الملك وحاشيته، ويستأصلاكم عن آخركم، ويستأمرا عليكم بهذه الصناعة: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفًّا﴾ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ﴿٦٣﴾ وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا، ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبُهتان، وهيهات، كذبت والله الظنون، وأخطأت الآراء، أتى يُعارض البُهتان والسحر والهديان خوارق العادات، التي أجراها الديان على يدي عبده الكريم ورسوله الكريم، المؤيد بالبرهان الذي يبهز الأبصار، وتحار

فيه العقول والأذهان، وقولهم ﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ أي جميع ما عندكم، ﴿ ثُمَّ اتَّوُوا صَفًّا ﴾ [طه: ٦٠-٦٤] أي جملة واحدة، ثم حض بعضهم بعضًا على التقدم في هذا المقام؛ لأن فرعون كان قد وعدهم ومناهم، وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۖ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۖ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ۚ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۚ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا ۚ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۚ ﴾ [طه: ٦٥-٦٩]. لما اصطف السحرة ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم قالوا له: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نلقي قبلك. قال: بل ألقوا أنتم، وكانوا قد عمدوا إلى حبال وعصي، فأودعوها الزئبق وغيره من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطرابًا يُخيل للرائي أنها تسعى باختيارها، وإنما تتحرك بسبب ذلك، فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم، وألقوا حبالهم وعصيهم وهم يقولون: ﴿ بَعْرَةٌ فَرَعُونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۖ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ۚ ﴾ [سورة طه: ٦٦-٦٧] أي خاف

على الناس أن يفتتوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقي ما في يده، فإنه لا يضع شيئاً قبل أن يؤمر، فأوحى الله إليه في الساعة الراهنة ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿ (٦٩)

[طه: ٦٨-٦٩] فعند ذلك ألقى موسى عصاه، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ (٨٢) [يونس: ٨١-٨٢]، وقال تعالى: ﴿ فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٥]، ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٨) فَعُذِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿ (١١٩) وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿ (١٢٠) قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ (١٢٢) ﴿

[الأعراف: ١١٨-١٢٢]. وذلك أن موسى ﷺ لما تقدم وألقاها، صارت حية عظيمة ذات قوائم - فيما ذكره غير واحد من علماء السلف - وعنق عظيم، وشكل هائل مزعج، بحيث إن الناس انحازوا منها، وهربوا سراغاً، وتأخروا عن مكانها، وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصي، فجعلت تلقفه واحداً واحداً في أسرع ما يكون من الحركة والناس ينظرون إليها، ويتعجبون منها، وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم، واطلعوا على أمر لم يكن في خلدتهم ولا بالهم، ولا يدخل تحت صناعاتهم

وأشغالهم، فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر، ولا شعبذة، ولا محال ولا خيال، ولا زور ولا بهتان ولا ضلال، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة، وأنارها بما خلق فيها من الهدى، وأزاح عنها القسوة، وأنابوا إلى ربهم، وخرروا له ساجدين، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢].

كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى السِّحْرَ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَنَّاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ ﴿٧٦﴾ [طه: ٧٠-٧٦].

قال سعيد بن جبير، وعكرمة، والقاسم بن أبي بزة، والأوزاعي، وغيرهم: لما سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيأ لهم، وتزخرف لقدمهم، ولهذا لم

يلتفتوا إلى تهويل فرعون، وتهديده ووعيده، وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلموا، وأشهروا ذكر موسى وهارون في الناس على هذه الصفة الجميلة، أفزعه ذلك، ورأى أمراً بهره، وأعمى بصيرته وبصره، وكان فيه كيد ومكر وخداع، وصنعةً بليغة في الصد عن سبيل الله، فقال مخاطباً للسحرة بحضرة الناس: ﴿ءَأَمَنَّمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي هلا شاورتموني فيما صنعت من الأمر الفظيع بحضرة رعيتي، ثم تهدد وتوعد، وأبرق وأرعد، وكذب فأبعد، قائلاً: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣] وهذا الذي قاله من البهتان الذي يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر والكذب والهديان، بل لا يروج مثله على الصبيان؛ فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن موسى لم يره هؤلاء يوماً من الدهر، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟! ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عميق ووادٍ سحيق، ومن حواضر بلاد مصر والأطراف، ومن المدن والأرياف.

والمقصود أن فرعون كذب وافتري، وكفر غاية الكفر في قوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وأتى بهتان يعلمه الناس في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾، وقوله: ﴿فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ يعني: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه، ﴿وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل؛ لأنها أعلى وأشهر ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ يعني في الدنيا ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْنَتِ﴾ أي لن نطيعك ونترك ما وقر في قلوبنا من البينات، والدلائل القاطعات ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قيل: معطوف، وقيل: قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: فافعل ما قدرت عليه، ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما حكمك علينا في هذه الحياة الدنيا، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة، صرنا إلى حكم الذي أسلمنا له واتبعنا رُسله ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: وثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب والترغيب ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: وأدوم من هذه الدار الفانية، وفي الآية الأخرى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١] أي: ما اجترمناه من المآثم والمحارم ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من القبط، بموسى وهارون عليهما السلام، وقالوا له أيضًا: ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] أي: ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا، واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: ثبتنا على ما ابتلينا به من عقوبة هذا الجبار العنيد، والسلطان الشديد،

بل الشيطان المرید: ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ وقالوا أيضًا يعظونه ويخوفونه بأس ربه العظيم: ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ يقولون له: فإياك أن تكون منهم، فكان منهم: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ أي: المنازل العالية: ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ فاحرص أن تكون منهم، فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا تُغالب، ولا تُمانع، وحكم العلي العظيم بأن فرعون - لعنه الله - من أهل الجحيم، ليُباشِر العذاب الأليم، يُصب من فوق رأسه الحميم، ويقال له على وجه التقرير والتوبيخ، وهو المقبوح، الذميمة اللئيم: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾.

والظاهر من هذه السياقات أن فرعون لعنه الله، صلبهم وعذبهم ﷺ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعبيد بن عمير: كانوا من أول النهار سحرة، فصاروا من آخره شهداء بررة، ويؤيد هذا قولهم: ﴿ رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٧٠-٨٠) بتصرف واختصار.

فوائد من قصة إسلام سحرة فرعون

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فاستكملاً للحديث عن قصة إسلام سحرة فرعون هذه بعض الفوائد:

١- أن الابتلاء سنة ماضية إلى يوم القيامة، فأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فالسحرة ابتلوا ابتلاءً عظيماً، وهو القتل والصلب، ومع ذلك صبروا، قال تعالى عن فرعون: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا لَنَنقُمُ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٤-١٢٦].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ،

فِيَجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشُقُّ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ..» الحديث (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (٢).

٢- أن عذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا؛ ولذلك أثر السحرة ما يحصل لهم من عذاب فرعون في الدنيا على عذاب الآخرة، لقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤) [طه: ٧٢-٧٤]. وفي الحديث: «أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ» (٣).

(١) برقم ٣٦١٢.

(٢) برقم ٢٣٩٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٤٩٣ من حديث ابن عمر.

٣- «أن دأب الطغاة والمجرمين دائماً تليفق الأكاذيب والتهم الباطلة ليرؤجوا على الناس باطلهم، فإن فرعون ادعى أن ما حصل كان بترتيب بين السحرة وموسى، مع أن موسى عليه السلام أتى من مدين وحيداً، وحين أتى لم يجتمع بأحد من السحرة ولا غيرهم، بل بادر إلى دعوة فرعون وقومه، وأراهم الآيات، فأراد فرعون أن يعارض ما جاء به موسى، فسعى ما أمكنه، وأرسل في مدائنه من يجمع له كل ساحر عليم، فجاءوا إليه، ووعدهم الأجر والمنزلة عند الغلبة، وهم حرصوا غاية الحرص وكادوا أشد الكيد على غلبتهم لموسى، وكان منهم ما كان، فهل يمكن أن يتصور مع هذا أن يكونوا دبروا هم وموسى واتفقوا على ما صدر؟ هذا من أمحل المحال»^(١).

٤- أن الله تعالى ثبت هؤلاء السحرة وصبروا على هذا البلاء الذي حصل لهم مع قصر المدة التي آمنوا فيها، لم يمكثوا مع موسى عليه السلام أياماً أو أشهر، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

٥- من آداب مناظرة أهل الباطل أن تدعهم يلقوا باطلهم وشبهاتهم ثم تلقي عليها براهين الحق وألوانه فتمحقها وتحرقها حتى تكون رماداً، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٦٦٥.

تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقَوْتُ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ
يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ [طه: ٦٥-٦٦].

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقَّذَفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ
وَلَكُمْ أَلْوَيْلٌ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثامنة

شروط الزكاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

سبق في كلمة الزكاة الكلمة المائة وخمسة^(١) بيان حكم الزكاة وفضلها، وإكمالاً للفائدة أُبين في هذه الكلمة الشروط التي إذا توفرت وجبت بها الزكاة.

١- «الإسلام: فلا تجب على الكافر، بحيث لا يطالب بأدائها لأنها قربة وطاعة، والكافر ليس من أهل القربة والطاعة حتى يدخل في الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٥٤]. فإذا كانت النفقات ونفعها متعد لا تقبل منهم لكفرهم، فالعبادات الخاصة من باب أولى^(٢). ولمفهوم قول أبي بكر الصديق: هذه فريضة الصدقة التي فرضها

(١) من مجلد ١-٣ للمؤلف.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٤٥٤، وذلك في الكتاب الذي كتبه أبو بكر لأنس بن مالك لما وجهه إلى البحرين.

رسول الله ﷺ على المسلمين.

وفي حديث معاذ عندما أرسله إلى اليمن قال: «اذْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِدَلِّكَ، فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِدَلِّكَ، فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»^(١). فجعل الإسلام شرطاً لوجوب الزكاة.

والدليل على أنهم يحاسبون ويعاقبون على منع الزكاة يوم القيامة قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْحَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٥]. فلولا أنهم عوقبوا على ترك الصلاة، وترك إطعام المسكين لما ذكروا سبباً في دخولهم النار، وإذا كان الكافر يعذب على ما يتمتع به من نعم الله من طعام وشراب ولباس، ففعل المحرمات وترك الواجبات من باب أولى.

٢- الحرية: فيشترط لوجوب الزكاة أن يكون مالك المال حراً، فإن كان عبداً وله مال فإنها لا تجب عليه الزكاة؛ وتجب على سيده لأن العبد وما ملك لسيده. قال ابن قدامة: «لا

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٩٥، وصحيح مسلم برقم ١٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

نعلم خلافاً بين أهل العلم في أنه لا زكاة على المكاتب، ولا على سيده في ماله إلا قول أبي ثور، ذكر ابن المنذر نحو هذا»^(١).

٣- ملك النصاب ملكاً تاماً مستقراً، والنصاب هو القدر الذي إذا بلغه المال وجبت فيه الزكاة، لقول النبي ﷺ «لَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ صَدَقَةٌ مِنَ الْإِبْلِ، وَلَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسِ أَوْاقٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»^(٢). فبين النبي ﷺ أن المال إذا لم يبلغ النصاب الشرعي ليس فيه زكاة.

ومن ملك النصاب الشرعي فهو غني شرعاً، لقول النبي ﷺ: «تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ»^(٣). فكل من أخرج الزكاة بعد أن يبلغ ماله النصاب فهو غني شرعاً.

وقوله ملكاً تاماً مستقراً، معنى استقرار الملك أي لا يتعلق به حق الغير، بحيث يتصرف فيه كما يشاء، ومن أمثلة عدم استقرار الملك: مال المكاتب فلا زكاة فيه؛ لأن المكاتب قد ينصرف عن المكاتبه.

(١) المغني (٤/٧٢).

(٢) صحيح البخاري برقم ١٤٤٧، وصحيح مسلم برقم ٩٧٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ١٣٩٥، وصحيح مسلم برقم ١٩.

٤- مضي الحول على المال: لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا زَكَاةَ فِي مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ»^(١). وعلى هذا أجمع أهل العلم فيما سوى الخارج من الأرض كالنقود والماشية وعروض التجارة، فأما الخارج من الأرض كالحبوب والثمار والمعادن فوجوبها فيها عند وجودها، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

٥- ونتاج البهائم التي تجب فيها الزكاة، وربح التجارة حولهما حول أصلهما، فلا يشترط أن يأتي عليهما حول مستقل إذا كان أصلهما قد بلغ النصاب، فإن لم يكن كذلك ابتدئ الحول من تمامهما النصاب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث السعاة إلى أهل المواشي وفيها الصغار والكبار، ولا يستفصل متى ولدت؟ بل يحسبونها ويخرجونها حسب رؤوسها، فمثلاً رجل عنده أربعون شاة تجب فيها الزكاة، فولدت كل واحدة ثلاثة، إلا واحدة ولدت أربعة، فأصبحت مائة وواحدًا وعشرين، ففيها شاتان مع أن النماء لم يحل عليه الحول، ولكنه يتبع الأصل... وهكذا.

(١) سنن ابن ماجه برقم ١٧٩٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في إرواء الغليل (٣/٢٥٤) برقم ٧٨٧.

أما ربح التجارة فلا يشترط له تمام الحول؛ لأن المسلمين يخرجون زكاتها دون أن يحذفوا ربح التجارة؛ ولأن الربح فرع، والفرع يتبع الأصل، مثاله: لو قدرنا شخصاً اشترى أرضاً بمائة ألف، وقبل تمام السنة صارت تساوي مائتين، فيزكي عن مائتين، مع أن الربح لم يحل عليه الحول ولكنه يتبع الأصل»^(١).

«ومن له دين على معسر، فإنه يخرج زكاته إذا قبضه لعام واحد على الصحيح، وإن كان له دين على مليء باذل فإنه يزكيه كل عام.

وما أُعد من الأموال للقنية والاستعمال فلا زكاة فيه، كدور السكنى، وثياب البذلة، وأثاث المنزل، والسيارات والدواب المعدة للركوب والاستعمال.

وما أُعد للكراء كالسيارات والدكاكين والبيوت، فلا زكاة في أصله، وإنما تجب الزكاة في أجرته إذا بلغت النصاب بنفسها أو بضمها إلى غيرها وحال عليها الحول.

ومن وجبت عليه الزكاة ثم مات قبل إخراجها، وجب إخراجها من تركته، فلا تسقط بالموت لقوله ﷺ: «فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى»^(٢). فيخرجها الوارث أو غيره من تركة الميت؛

(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٣٢٣-٣٢٤)، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦/١٩).

(٢) صحيح البخاري برقم ١٩٥٣، وصحيح مسلم برقم ١١٤٨ واللفظ له.

لأنها حق واجب فلا تسقط بالموت، وهو دين في ذمة الميت يجب إبراؤه منه»^(١).

تنبيه:

الأموال التي تجب فيها الزكاة خمسة أصناف:

١- الذهب والفضة وبهيمة الأنعام وهي: الإبل والبقر والغنم، والخارج من الأرض كالحبوب والثمار، والركاز والعسل، وفي بعضها خلاف، كعروض التجارة والمعادن والركاز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٣٢٣-٣٢٤).

زكاة عروض التجارة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

العروض: جمع عرض، وهو ما أعده المسلم للتجارة من أي صنف كان، وهو أعم أموال الزكاة وأشملها، وسمي بذلك لأنه لا يستقر، بل يعرض ثم يزول، فإن التاجر لا يريد هذه السلعة بعينها، وإنما يريد ربحها من النقدين^(١).

والدليل على وجوب الزكاة في عروض التجارة قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥].

وعروض التجارة هي أغلب الأموال، فكانت أولى بدخولها في عموم الآيات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ

(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية ص ١٢٩-١٣٠.

طَيَّبَتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴿البقرة: ٢٦٧﴾، والكسب هنا بتفسير عدد من السلف هو التجارة.

واستدل الجمهور كذلك على وجوب زكاة عروض التجارة بما رواه البخاري في صحيحه: أن عمر رضي عنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً، فقال: منع العباس وخالد وابن جميل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...» الحديث^(١). فدل ذلك على أن الزكاة طلبت منه في دروعه وأعتاده وهي لا زكاة فيها، إلا أن تكون عروضاً جعلت للتجارة، وإنما احتبسها في سبيل الله.

وأما الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن سمرة بن جندب رضي عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نُخرج الزكاة مما نعهده للبيع، فهو حديث ضعيف، ولو صح لكان فيصلاً في الموضوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الأئمة الأربعة وسائر الأمة - إلا من شدَّ - متفقون على وجوبها في عروض التجارة، سواء كان التاجر مقيماً أو مسافراً، وسواء كان متربصاً - وهو الذي يشتري التجارة وقت رخصها ويدخرها إلى وقت ارتفاع السعر - أو مديراً كالتجار الذين في الحوانيت، سواء كانت التجارة بزاً من جديد أو ليس أو طعاماً من قوت أو فاكهة، أو

أدم.. أو غير ذلك، أو كانت آنية كالفخار ونحوه، أو حيواناً من رقيق أو خيل أو بغال أو حمير أو غنم معلوفة.. أو غير ذلك، فالتجارات هي أغلب أموال أهل الأمصار الباطنة، كما أن الحيوانات الماشية هي أغلب الأموال الظاهرة»^(١).

«وتجب زكاة عروض التجارة بشروط:

١- أن يملكها بفعله كالشراء، وقبول الهدية، والوصية، والإجارة، وغيرها من وجوه المكاسب، فلا يدخل في ذلك الإرث ونحوه مما يدخل قهراً.

فلومات مورثه وخلف عقارات، أو بضائع من أقمشة أو سيارات، ونواها هذا الوارث للتجارة فأبقاها للكسب، فإنها لا تكون للتجارة؛ لأنه ملكها بغير فعله، إذ أن الملك بالإرث قهري يدخل ملك الإنسان قهراً عليه، فإذا ملك إنسان عروض تجارة بإرث، ونواها حين ملكه للتجارة فإنها لا تكون للتجارة.

مثال: وهبه شخص سيارة فقبلها، ونوى بها التجارة فتكون للتجارة لأنه ملكها بفعله واختياره.

٢- أن يملكها بنية التجارة بأن يقصد التكسب بها؛ لأن الأعمال

بالنيات، والتجارة عمل، فوجب اقتران النية به كسائر الأعمال.

مثاله: اشترى رجل سيارة يتكسب فيها، فهذه عروض تجارة إذا بلغت قيمتها نصاباً ونواها حين الشراء، فإن اشترى سيارة للاستعمال، ثم بدا له أن يبيعها فليس عليه زكاة؛ لأنه حين ملكه إياها لم يقصد التجارة، فلا بد أن يكون ناوياً للتجارة من حين ملكه.

ولو اشترى شيئاً للتجارة، ولكن لا يبلغ النصاب وليس عنده ما يضمه إليه فليس عليه زكاة؛ لأنه من شرط وجوب الزكاة بلوغ النصاب.

مسألة: لو ملكها بفعله بغير نية التجارة ثم نواها فهل تصير للتجارة؟

مثاله: لو اشترى سيارة يستعملها في الركوب ثم بدا له أن يجعلها رأس مال يتجر به، فهذا تلزمه الزكاة إذا تم الحول من نيته.

فإن كان عنده سيارة يستعملها ثم بدا له أن يبيعها فلا تكون للتجارة؛ لأن بيعه هنا ليس للتجارة، ولكن لرغبته عنها، ومثله لو كان عنده أرض اشتراها للبناء عليها، ثم بدا له أن يبيعها ويشترى سواها، وعرضها للبيع فإنها

لا تكون للتجارة؛ لأن نية البيع هنا ليست للتكسب، بل لرغبته عنها.

فهناك فرق بين شخص يجعلها رأس مال يتجر بها، وشخص عدل عن هذا الشيء ورغب عنه، وأراد أن يبيعه، فالصورة الأولى فيها الزكاة على القول الراجح، والثانية لا زكاة فيها.

٣- أن تبلغ قيمتها نصاباً: أي لا عينها، فلو كان عند إنسان عشر شياه سائمة قد أعدها للتجارة، قيمتها ألف درهم، فإن الزكاة تجب فيها، مع أنها لم تبلغ نصاب السائمة؛ لأن المعبر القيمة، وقد بلغت نصاباً.

مثاله: إنسان عنده أربعون شاة سائمة، أعدها للتجارة قيمتها مائة درهم، فلا زكاة فيها؛ لأن القيمة لم تبلغ نصاباً.

وقوله قيمتها، أي لا عينها، فلا يجوز إخراج الزكاة من عين ما أعد للتجارة؛ لأن العين في عروض التجارة غير ثابتة، فالمعبر المخرج منه هو القيمة؛ لأن القيمة أحب لأهل الزكاة غالباً.

فالشروط إذن ثلاثة بالإضافة إلى الشروط الخمسة

السابقة التي تقدمت^(١)، فالثلاثة شروط خاصة، وما تقدم شروط عامة^(٢).

«وأما كيفية إخراج زكاة العروض، فإنها تقوّم عند تمام الحول بأحد النقيدين الذهب أو الفضة، ويراعى في ذلك الأخط للفقراء^(٣)، فإذا قومت وبلغت قيمتها نصاباً بأحد النقيدين، أخرج ربع العشر من قيمتها، ولا يعتبر ما اشترت به، بل يعتبر ما تساوي عند تمام الحول؛ لأنه هو عين العدل بالنسبة للتاجر وبالنسبة لأهل الزكاة.

ويجب على المسلم الاستقصاء والتدقيق ومحاسبة نفسه في إخراج زكاة العروض، كمحاسبة الشريك الشحيح لشريكه، بأن يحصي جميع ما عنده من عروض التجارة بأنواعها، ويقومها تقويماً عادلاً، فصاحب البقالة مثلاً يحصي جميع ما في دكانه من أنواع المعروضات للبيع من المعلبات وأصناف البضائع، وصاحب الآليات وقطع الغيار والمكائن والسيارات المعروضة للبيع يحصيها ويقومها، وصاحب الأراضي

(١) راجع الكلمة السابقة لهذه.

(٢) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص (١٧٤-١٧٥) بتصرف، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦/١٤٠-١٤٨).

(٣) وبذلك صدرت الفتاوى من المجمع الفقهي الإسلامي وهيئة كبار العلماء، وهو اختيار اللجنة الدائمة، انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٩/٢٥٤) برقم ١٨٨١.

والعمرات المعروضة للبيع يقومها بما تساوي.

أما العمرات والبيوت والسيارات المعدة للإيجار، فلا زكاة في ذواتها، وإنما تجب الزكاة فيما تحصل عليه صاحبها من إيجارها إذا حال عليه الحول.

والبيوت المعدة للسكنى والسيارات المعدة للركوب والحاجة لا زكاة فيها، وكذلك أثاث المنزل وأثاث الدكان وآلات التاجر: كالأذرع والمكايل والموازين وقوارير العطار، كل هذه الأشياء لا زكاة فيها؛ لأنها لا تباع للتجارة»^(١).

«ذكر بعض المسائل المتعلقة بالموضوع:

المسألة الأولى: هل التقويم عند الحول يكون باعتبار الجملة أو باعتبار التفريق؛ لأن الثمن يختلف باعتبار الجملة عن التفريق؟

الجواب: إن كان ممن يبيع بالجملة فباعتبار الجملة، وإن كان يبيع بالتفريق فباعتبار التفريق، وإن كان يبيع بهما فيعتبر الأكثر بيعاً.

المسألة الثانية: إن اشترى عرضاً بنصاب من أثمان أو عروض بني على حوله، والأثمان جمع ثمن، وسميت بذلك

(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (١/٣٤٧-٣٤٨).

لأنها ثمن الأشياء وهي الذهب والفضة.

مثاله: رجل عنده ألف ريال ملكها في رمضان، وفي شعبان من السنة الثانية اشترى عرضًا، فجاء رمضان، فيزكي العروض؛ لأن العروض بنيت على زكاة الأثمان في الحول.

وكذلك أيضًا لو اشترى عرضًا بنصاب من عروض، أي عرضًا بدل عرض.

مثاله: رجل عنده سيارة^(١)، وفي أثناء الحول أبدلها بسيارة أخرى للتجارة، فيبني على حول الأولى؛ لأن المقصود القيمة واختلاف العينين ليس مقصودًا، ولم يشتر السيارة الثانية ليستعملها، ولكن يريدتها للتجارة.

المسألة الثالثة: هل إذا اشترى عرضًا سائمة مثل الإبل أو البقر أو الغنم يبني على الحول؟

مثاله: رجل عنده أربعون شاة سائمة ملكها في رمضان، وفي محرم اشترى بها عروضًا كسيارة أرادها للتجارة، فيبتدئ الحول من محرم لاختلافهما قصدًا ونصابًا وواجبًا، فلا يبني أحد النصابين على الآخر من أجل هذا الاختلاف،

(١) أي أعدها للتجارة.

والعكس كذلك، كما لو كان عنده عروض ملكها في رمضان ثم اشترى بها سائمة في محرم، فلا يبني على حول العروض، لما ذكرنا في المسألة الأولى.

مثال: عنده دراهم ملكها في رمضان، وفي محرم اشترى بها سائمة، فلا يبني على حول الدراهم، فإذا جاء المحرم من السنة الثانية وجبت عليه الزكاة، وذلك للاختلاف.

المسألة الرابعة: إخراج القيمة من الزكاة.

يرى أكثر العلماء أنه لا يجوز إخراج القيمة إلا فيما نص عليه الشرع وهو الحيوان في زكاة الإبل، شاتان أو عشرون درهمًا، والصحيح أنه يجوز إذا كان لمصلحة أو حاجة، سواء في بهيمة الأنعام، أو في الخارج من الأرض»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ١٤٤-١٤٨).

الكلمة العاشرة

شرح حديث: «اجتنبوا السبع الموبقات»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن، قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(١).

قوله: الموبقات: أي المهلكات، قال المهلب: سُميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها، وقال ابن حجر: الموبقة هي الكبيرة كما جاء تفسيرها في أحاديث أخر، وقال أيضاً: والكبيرة كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب، أو شرع فيه حدٌّ فهو كبيرة؛ وهو المعتمد^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٥٧، وصحيح مسلم برقم ٨٩.

(٢) فتح الباري (١٢/١٨١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة، أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد النكير عليه؛ فهو كبيرة^(١).

قوله: الشرك بالله:

الشرك ينقسم إلى قسمين، شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله، مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

أما الشرك الأصغر: فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر: فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة مثل الحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، أما الأفعال فهي كثيرة جداً، مثل تعليق التمام خوفاً من العين،

(١) المفهم لما أشكل في تلخيص شرح مسلم (١/ ٢٨٤) بتصرف.

أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.

الثاني: شرك خفي: روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»^(١).

وإنما سُمي الرياء شركًا خفيًا لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله.

«قوله: السحر: السحر نوعان:

النوع الأول: نوع يكون بمساعدة الشياطين ومعاونتهم، وهو أعظمه، وهو الذي يكون بالنفث في العقد ونحوها، وهذا كفر، أي أن فاعله يكفر ويجب قتله دفعًا لأذيته ومن أجل رده، حتى لو فرض أنه تاب فإننا نقتله، لأنه كما جاء في الحديث: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»^(٢).

(١) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم ٩٣٧، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله: في صحيح الترغيب والترهيب (١١٩/١) برقم ٣١.

(٢) سنن الترمذي برقم ١٤٦٠، قال الشيخ عبدالعزيز ابن باز: رحمته الله الحديث عند =

ولما ثبت في مسند الإمام أحمد عن بجالة بن عبدة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه كتب إلى أمراء الأجناد أن يقتلوا كل من وجدوا من السحرة، حتى يُتقى شرهم، قال بجالة: فقتلنا ثلاث سواحر^(١).

اللهم إلا أن تقوم القرائن القوية على أن الرجل نزع عن هذا وتاب توبة نصوحًا، فهنا تُقبل توبته، أما مجرد أن يقول تبت ولم تظهر قرائن، فإنه لا تُقبل توبته.

النوع الثاني: سحر يكون بالأدوية المركبة، وهذا أهون من الأول، ولهذا قال كثير من العلماء أنه لا يكفر لأن هذا مثل الذي يعتدي على الغير بأي عدوان كان، وكلا النوعين من كبائر الذنوب، الأول كبيرة وكفر، والثاني كبيرة دون الكفر.

قوله: وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، هذا الثالث:

وهي التي يعبر العلماء رحمهم الله عنها بالنفس المعصومة،

= أهل العلم ضعيف، والصحيح أنه موقوف على جندب بن عبد الله البجلي، وقيل أن راويه هو جندب بن كعب الأزدي، وهو الذي قال: حد الساحر ضربه بالسيف، ولكن مثل هذا له حكم الرفع، لأنه لا يقال من جهة الرأي فلو أن الصحابي عنده علم لما جزم بهذه الجملة العظيمة. برنامج نور على الدرب (موقع الشيخ ابن باز رحمته الله).

(١) مسند الإمام أحمد (٣/١٩٦) برقم ١٦٥٧، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري، وأصله في صحيح البخاري دون قصة السواحر، قال الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمته الله: له حكم الرفع، برنامج نور على الدرب.

وهم أربعة أجناس: المسلم، والذمي، والمعاهد، والمستأمن. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، ويلتحق بذلك قتل المعاهد كما صح الحديث: « مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ». (١) هذه هي النفوس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق، يعني إلا بالسبب، فالمسلم يجوز قتله بسبب، مثل أن يقتل غيره، أو يكون ثيبًا زانيًا، أو ما أشبه ذلك.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » (٢).

قوله: أكل مال اليتيم:

اليتيم هو الذي مات أبوه قبل بلوغه، وإنما كان أكل ماله أشد من غيره لأنه يتيم، فهو محل الرحمة والعطف والحنان. وسبب تعظيم أكل مال اليتيم من وجهين:

(١) صحيح البخاري برقم ٦٩١٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٨٠٩، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٦.

الوجه الأول: أنه إذا تجرأ أحد على أكل ماله، صار هذا أعظم مما لو تجرأ على أكل مال من ليس مستحقاً للرحمة كرحمة اليتيم.

الوجه الثاني: أن اليتيم ليس له من يدافع عنه فيتغافله الناس وربما حملهم الطمع على أكل ماله.

وقوله: أكل مال اليتيم، المراد إتلاف مال اليتيم بأكل، أو إحراق، أو إفساد أو غير ذلك، لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبر بالأكل لأنه أغلب وجوه الانتفاع، أو يقال: إذا كان أكل ماله من كبائر الذنوب، فإتلافه الذي لا منفعة فيه من باب أولى.

وقوله: وأكل الربا:

والربا في اللغة الزيادة، وفي الشرع تفاضل أو زيادة في أشياء منع الشرع من زيادتها، وهذه الأشياء هي الأموال الربوية، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالمِلْحُ بِالمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ، سِوَاءٍ بِسِوَاءٍ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى»^(١).

والربا كما يقول العلماء قسمان: ربا فضل، وربا نسيئة، فإذا

(١) صحيح مسلم برقم ١٥٨٧.

حصل التقابض مع الزيادة فهو ربا فضل، وإذا حصل التساوي مع تأخير قبض ما يجب قبضه في محل العقد فهو ربا نسيئة. قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة. نعوذ بالله من ذلك.

قوله: والتولي يوم الزحف:

هو من كبائر الذنوب لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۗ﴾ (١٥) وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحِيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَيَلْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ [الأنفال: ١٥-١٦]. وعلى هذا فيكون القرآن الكريم قد خصص عموم الحديث بقوله: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحِيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]، فيستثنى من قوله ﷺ «والتولي يوم الزحف» ما كان تحرفاً لقتال، أو تحيزاً إلى فئة.

قوله: وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، هذا السابع:

والقذف يعني الرمي بالزنا، والمحصنات هن العفيفات، والغافلات البعيدات عما رمين به، المؤمنات ضد الكافرات، وقيل المحصنات الحرائر، والغافلات العفائف، ولا يختص بالمتزوجات بل حكم البكر كذلك بالإجماع، كما ذكره الحافظ

في الفتح، والمراد رميهن بزنا أو لواط^(١).

وهل مثل ذلك قذف الرجل المحصن الغافل المؤمن؟
الجواب: نعم مثله، لكن ذكر النساء لأن قذفهن كثير بخلاف
الرجال^{(٢)(٣)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح الباري (١٢-١٨١).

(٢) شرح صحيح مسلم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٨٣-٢٨٧) بتصرف.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الوهاب ص ٣٨٩-٣٩٠.

المساحة في أخلاق الناس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن من أفضل الأعمال التي دعا إليها الشرع ورغب فيها حسن الخلق، فهو من أعظم مواهب الله لعباده، قال تعالى:

﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

والمقصود بأخلاق الناس، الأخلاق الفاضلة، مثل المروءة، والحياء، والصدق، والوفاء، والكرم، والشجاعة.. وغيرها من الأخلاق الكريمة التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها.

فمن المعلوم أن الناس يتفاوتون في هذه الأخلاق، فمنهم من أنعم الله عليه بأن جعله في المرتبة العليا منها، ومنهم من قصر عن ذلك إلى أدنى المراتب، وما بين ذلك درجات متفاوتة، وهذا التفاوت في الدرجات هو المراد، وهو معنى المساحة المقصود في عنوان هذه الكلمة، ولي هنا وقفات:

الوقفه الأولى:

من المتفق عليه الذي لا خلاف فيه من أحد أنه كلما نال المرء الدرجة العليا من هذه الأخلاق كان أفضل ممن دونه بلا شك، وعليه فإن السعي في تحصيلها وبذل الجهد في الحصول إلى المراتب العليا منها أمر مطلوب شرعاً وعقلاً.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١]، وقال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقال ﷺ لأصحابه كما روى الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا» أي: الحقير الردي منها^(١).

الوقفه الثانية: هل يمكن الوصول إلى أعلى المراتب

الجواب: نعم، ينال ذلك بالمجاهدة وشحذ الهمة من بعد طلب التوفيق من الله، والاستعانة به سبحانه، قال ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»^(٢)، وقال ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا

(١) (٣/ ١٣١) برقم ٢٨٩٤، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (١/ ٣٨٤) برقم ١٨٩٠.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٦٤٧٠، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٣ من =

الْجِلْمُ بِالتَّحْلِمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُؤَقَّهُ...» الحديث (١).

وقد اختار الله من أنبيائه ورسله جماعة منهم سماهم أولي العزم، وذلك لبلوغهم أعلى المراتب، وأمر نبيه محمد ﷺ أن يجتهد في بلوغ مراتبهم ليكون منهم، فقال ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقد فعل ﷺ ما أمره به ربه حتى صار ﷺ أفضلهم وسيدهم وأكرمهم على الله.

روى البخاري في تاريخه الكبير أن قريشاً أتت إلى أبي طالب عم النبي ﷺ فقالت: يا أبا طالب، أرأيت محمد يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا، فانهه عن أذانا، فقال: يا عقيل ائني بمحمد، فذهبت فأتيته به، فقال: يا ابن أخي! إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم، وفي مسجدهم، فانته عن ذلك، قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره - وفي رواية: فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء - فقال: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَرُدَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً - يعني الشمس -» قال: فقال أبو طالب: والله

= حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) الخطيب في تاريخ بغداد (٩/١٢٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ما كذبنا ابن أخي قط فارجعوا^(١).

وروى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث المسور بن مخرمة رضي عنه ومروان بن الحكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صلح الحديبية: «يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ؟ فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا^(٢) قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشُ وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَأُ أَنْ أَجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ لَهُ أَوْ تَنْفِرَ هَذِهِ السَّالِفَةُ»^{(٣)(٤)}.

الوقفه الثالثة: بعض الفوائد المراد الحصول عليها من هذه الكلمة:

١- شحذ الهمم للوصول إلى أعلى المراتب والدرجات في الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

(١) (٥١/٧) برقم ٢٣٠، وحسنه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٩٢.

(٢) أي ما دخلوا في الإسلام عند غلبي على سائر العرب، بل اختاروا القتال على دخول الإسلام.

(٣) السالفة: صفحة العنق، والمراد: أو أموت.

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٧٣١-٢٧٣٢، ومسنده الإمام أحمد (٢١٢/٣١) برقم ١٨٩١٠، وقال محققوه: إسناده حسن، واللفظ له.

قال المتنبي:

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

وقال أيضًا:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

٢- أن الوصول إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة يحتاج إلى صبر ومجاهدة وتضحية وبذل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه قال: «غاب عمي أنس بن النضر رضي عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ رضي عنه

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٨٧، وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٢ واللفظ له.

فقال: يا سعد ابن معاذ! الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ^ط﴾ [الأحزاب: ٢٣]»^(١).

٣- معرفة الإنسان مدى مساحته من هذه الأخلاق يعرفه قدر نفسه، ومن عرف قدر نفسه استطاع أن يضعها في المكان اللائق بها.

٤- بمعرفة المساحة في أخلاق الناس يستطيع المرء أن يختار من يصاحب ومن يجالس ومن يشارك، سواء كان ذلك مع نفسه أو في حال ربط الآخرين بعضهم ببعض، كالزواج ونحوه، ويكون ما قدره في هذه الأمور أقرب إلى الصواب وأنجح للحاجة وأسلم للعافية .

الوقفه الرابعة:

معرفة المساحة في أخلاق الناس تشتد الحاجة إليها ويعظم الانتفاع بها في أحوال كثيرة، منها:

(١) صحيح البخاري برقم ٢٨٠٥، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٣.

١- الزواج، فمن الأمور التي يتوقع بمعرفتها تآلف الزوجين معرفة المساحة في أخلاق كل منهما، فإذا كانت المساحة في أخلاق كل منهما متقاربة فذلك أحرى أن يؤدم بينهما، بخلاف ما إذا كان التفاوت بينهما كبيراً، ولهذا أجاز الفقهاء شروطاً تتعلق بهذه المسألة. فعلى سبيل المثال يجوز للمرأة التي تعيش في بلاد حارة أن تشترط على زوجها أن لا ينقلها إلى بلاد باردة، ومن تعيش في الحاضرة أن لا ينقلها إلى البادية وكذلك العكس.

وينصح الناصحون بتحري التآلف بين الزوجين، وذلك أن يكون في طبيعة كل منهما وما نشأ عليه من عادات تقارب شديد، فذلك أدعى إلى تقليل خصال التنافر أو عدمها.

٢- الأمير والوزير وكل من كلف بإدارة أشخاص قلوا أو كثروا فإن معرفته بقدر المساحات في أخلاقهم يجعله أقدر على حسم الإدارة، وبالتالي حصول النتائج الجيدة؛ فإنه لمعرفة ذلك يضم الشبيه إلى الشبيه ويختار لكل مهمة من تتحدد فيها وجهتهم وتتكامل فيها قدراتهم. فإذا كانت المهنة تحتاج إلى الشجاعة فإنه لا يختار إلى المجموعة المكلفة بها قائداً جباناً، وإن كان جميع أفرادها من الشجعان، وإن كانت تحتاج إلى التآني والتروي فإنه لا يحتاج لقيادتها رجلاً متهوراً وإن كان شجاعاً، وقس على ذلك.

٣- الرفقة والصحبة والمجالسة، فإنه لا يؤذن فيها بوجود من كانت له أخلاق ضيقة أو سيئة، وهو في نفسه قوي التأثير، فإنه ينتج عن ذلك فساد وضرر كبير.

٤- التعامل مع الآخرين: ولكن على المسلم أن يتقي الله فلا يعمل إلا ما يرضيه، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإن الشخص إذا عرف مقدار المساحات في أخلاق شخص ما فإنه بكلمة أو تصرف يسير يحصل منه على ما يريد، وفي صلح الحديبية لما أرسلت قريش رجلاً من كنانة قال: دعوني آتية فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظَّمُونَ الْبُذْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ»، فَبَعِثْتُ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ^(١).

قال بعضهم: ما مال أحد بهواه إلى شيء فكاده عدوه من قبل ذلك الشيء إلا تمكن منه.

٥- في حدود الشخص نفسه يحصل له النجاح فتقل لديه الأخطاء

(١) جزء من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في صحيح البخاري برقم ٢٧٣١-٢٧٣٢.

التي يأسف عليها لاسيما فيما يتعلق منها بالآخرين، فعلى سبيل المثال: لو أراد شخص أن يصطحب معه آخر إلى بلاد شديدة البرودة فإنه لا ينتفع بهذا الصاحب إلا حيث تكون المساحات لديه في تحمل البرد الشديد واسعة، ولو احتاج أن يشاركه آخر في عمل شاق فإنه لن ينتفع بهذا الشريك إلا بحيث يكون مساحات الصبر وطول النفس واسعة غير ضيقة ومحدودة.

٦- بل أن الشخص نفسه يجب عليه أن يعرف مقدار المساحات التي يملكها في أخلاقه، حتى يضع نفسه في المكان اللائق به، فإنه إن جهل ذلك أوقع نفسه في مضائق قد يصعب خروجه منها. واسمع إلى توجيه الحكيم عليه السلام وهو يقول لأبي ذر: «إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ ائْتِنِينَ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) رواه مسلم برقم ١٨٢٦ من حديث أبي ذر رضي عنه.

بعض وصايا النبي ﷺ لأصحابه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فهذه بعض وصايا النبي ﷺ لأصحابه، وهي وصايا عظيمة ونافعة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. واختلاف وصايا النبي ﷺ لأصحابه مبني على علمه ﷺ بأحوال أصحابه، وما يناسب كل واحد منهم.

ومن وصايا النبي ﷺ الكريم للصحابين الجليلين أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أنه قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:

(١) سنن الترمذي برقم ٢٠٠٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أمرني خليلي ﷺ بسبع: أمرني بحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَأَمْرِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمْرِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرْتُ، وَأَمْرِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمْرِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا، وَأَمْرِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمْرِي أَنْ أَكْثِرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزِ تَحْتَ الْعَرْشِ (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ إِذَا طَبَخْتُ قِدْرًا أَنْ أَكْثِرَ مَرَقَتَهَا، فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لِلْجِيرَانِ (٢).

وروى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (٣).

وروى الإمام أحمد في كتابه الزهد والطبراني في المعجم الكبير من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: أوصني، قال رضي عنه: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ،

(١) (٣٢٧/٣٥) برقم ٢١٤١٥، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) (٣٠٥/٣٥) برقم ٢١٣٨١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) برقم ١٥٢٢، وصححه الشيخ الألباني في الكلم الطيب ص ١١٤.

وَأَذْكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وَحَجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَحْدِثْ عِنْدَهَا تَوْبَةً؛ السِّرُّ بِالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَّةُ بِالْعَلَانِيَّةِ»^(١).

ومن وصايا النبي ﷺ ما رواه أحمد في مسنده من حديث الحسن قال: لما احتضر سلمان رضي عنه بكى، وقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فتركنا ما عهد إلينا أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، قال: ثم نظرنا فيما ترك فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهماً، أو بضعة وثلاثون درهماً»^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ يريد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرفٍ»، فلما ولى الرجل قال النبي ﷺ: «اللهم ازو له الأرض وهون»

(١) أحمد في كتاب الزهد ص ٢٦، ومعجم الطبراني (١٥٩/٢) برقم ٣٣١، وحسنه

الشيخ الألباني رحمته كما في السلسلة الصحيحة (٩٤٦/٧) برقم ٣٣٢٠.

(٢) (١١٥/٣٩) برقم ٢٣٧١١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم ١١٧٨، وصحيح مسلم برقم ٧٢١.

عَلَيْهِ السَّفَرُ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي تميمه عن رجل من قومه: أنه أتى رسول الله ﷺ - أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله ﷺ؟ أنت محمد؟ فقال: «نَعَمْ»، قال: فإلام تدعو؟ قال: «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ، مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضُرٌّ فَدَعْوَتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعْوَتُهُ أَنْبَتَ لَكَ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ، فَأَضَلَّتْ فَدَعْوَتُهُ رَدَّ عَلَيْكَ»، قال: فأسلم الرجل، ثم قال: أوصني يا رسول الله، قال له: «لَا تَسُبَّنَّ شَيْئًا» - أو قال: «أَحَدًا» شك الحكم - قال: فما سببت بعيرًا ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ - «وَلَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ بَبَسَطِ وَجْهَكَ إِلَى أَخِيكَ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ، وَأَفْرِغْ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقَى وَاتَّزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فإِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في كتابه الزهد والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني، قال: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مَنْ اللَّه، كَمَا تَسْتَحْيِي مَنْ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ»^(٣).

(١) (٦٢/١٤) برقم ٨٣١٠، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) (١٦٤-١٦٣/٢٧) برقم ١٦٦١٦، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) الزهد للإمام أحمد ص ٤٦، والشعب للبيهقي (٦/١٤٥-١٤٦) برقم ٧٧٣٨ =

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث رجل: أنه سمع جرموزًا الهجيمي رضي عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك أن لا تكون لعانًا»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي عنه قال: أوصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا إذا أخذ مضجعه يقول: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مات مات على الفطرة»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «لا تغضب»، فردد مرارًا، قال: «لا تغضب»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث طلحة قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي عنه: أوصني النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أمروا بها ولم

= وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٧٦/٢) برقم ٧٤١.

(١) (٢٧٨/٣٤) برقم ٢٠٦٧٨، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) (٦٠٤/٣٠) برقم ١٨٦٥٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين وأصله في الصحيحين.

(٣) برقم ٦١١٦.

يوصي؟ قال: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ (١).

ووصى النبي ﷺ أصحابه جميعاً فقال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيْرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٢٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٣٤.

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٦٠٧، وسنن الترمذي برقم ٢٦٧٦، من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع.

الكلمة الثالثة عشرة

البسمة ومواضعها (رقم ١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يذكر الله في كل أحيانه، وكان يفتح بالبسمة كل أمره، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وشرع ذكر اسمه تعالى عند الأكل، والشرب، واللبس، والركوب، والجماع؛ لما في مقارنة اسم الله من البركة، وذكر اسمه يطرد الشيطان، فتحصل البركة ولا معارض لها»^(١).

وهذه بعض المواضع:

١- قبل البدء بالطعام أو الشراب: لما رواه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا غُلَامُ! سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٢)، ولحديث: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا؛ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٥٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٣٧٦، وصحيح مسلم برقم ٢٠٢٢.

فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»^(١).

٢- عند الدخول إلى المنزل: لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»^(٢).

وفي رواية أخرى قال جابر رضي عنه: «وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه، وإن لم يذكر اسم الله عند دخوله»^(٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ»^(٤).

٣- عند الخروج من المنزل: لما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا خَرَجَ

(١) سنن الترمذي برقم ١٨٥٨، وقال: حديث حسن صحيح من حديث عائشة رضي عنها.

(٢) برقم ٢٠١٧.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٠١٨.

(٤) برقم ٢٦٩٩، وقال: حديث حسن صحيح، وضعفه بعض أهل العلم، وله طرق ذكرها الحافظ ابن حجر في جزء خاص. وانظر نتائج الأفكار (١/ ١٦٧-١٧٠).

الرَّجُلُ مِنْ بَيْنِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقَالَ لَهُ: حَسْبُكَ، قَدْ كُفَيْتَ، وَهُدَيْتَ، وَوُقِيْتَ. فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ» (١).

٤- عند الدخول إلى المسجد: لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث فاطمة رضي عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ» (٢).

٥- عند ركوب الدابة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَحْرِنَهَا وَمَرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) [هود: ١٤]. روى الترمذي في سننه من حديث علي بن ربيعة قال: شهدت علياً رضي عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله - ثلاثاً-، فلما استوى على ظهرها، قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤]،

(١) برقم ٥٠٥٩، وصححه ابن حبان برقم ٨١٩ واللفظ له.

(٢) (١٦/٤٤) برقم ٢٦٤١٧، وقال محققوه: صحيح لغيره دون قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي» فحسن.

ثم قال: الحمد لله - ثلاثاً - والله أكبر - ثلاثاً - سبحانك
إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،
ثم ضحك، قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟
قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك،
فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إِنَّ رَبَّكَ
لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ غَيْرَكَ»^(١).

٦- التسمية عند غلق الأبواب، وتغطية الأنية: لما رواه مسلم
في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ
قال: «إِذَا اسْتَجَنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ جُنِحَ اللَّيْلُ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ،
فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ
فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئِ مِصْبَاحَكَ
وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرِ إِنَاءَكَ
وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ شَيْئًا»^(٢).

٧- عند الذبح: لما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه:
صَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَفْرَنَيْنِ، قَالَ: وَرَأَيْتُهُ
يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ، وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا، قَالَ:

(١) برقم ٣٤٤٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٨٠، وصحيح مسلم برقم ٢٠١ باختلاف.

وَسَمَى وَكَبَّرَ (١).

وفي الصحيحين من حديث رافع بن خديج رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ، فَكُلُّ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ» (٢).

٨- عند الوضوء: لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ» (٣).

٩- عند الجماع: لحديث ابن عباس رضيما مرفوعاً: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» (٤).

١٠- عند النوم: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى

(١) صحيح البخاري برقم ٥٥٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٩٦٦ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٢٤٨٨، وصحيح مسلم برقم ١٩٦٨.

(٣) (٢٤٣/١٥) برقم ٩٤١٨، وضعفه بعض الحفاظ، ونقل الحافظ ابن حجر رحمته الله في النتائج (٢٣٧/١) عن ابن الصلاح أنه قال: ثبت لمجموعها ما ثبت به الحديث الحسن. والله أعلم.

وقال في التخليص الحبير (١/٧٥): والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها قوة تدل على أن له أصلاً.

(٤) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٨، وصحيح مسلم برقم ١٤٣٤.

فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيَسْمِّ
 اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ
 يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ
 رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي
 فَاعْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أُرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ
 الصَّالِحِينَ»^(١).

١١- عند الرقية وطلب الشفاء: كما في الصحيحين من حديث
 عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض: «بِسْمِ اللَّهِ؛
 تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفي سقيمنا، بإذن ربنا»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي
 العاص الثقفي رضي عنه: أنه شكأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً
 يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ
 - ثَلَاثًا - وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا
 أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي عنه قال:

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٢٠، وصحيح مسلم برقم ٢٧١٤ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٤٥، ٥٧٤٦.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٢٠٢.

أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟
 قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ،
 مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ
 أَرْقِيكَ^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة عشرة

البسمة ومواضعها (رقم ٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فلا زال الكلام على المواضع التي كان النبي ﷺ يذكر فيها اسم الله تعالى، فمن ذلك:

أولاً: التسمية عند وضع الميت في قبره: لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا وضع الميت في القبر قال - (وفي لفظ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقُبُورِ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(١). وفي رواية: «مِلَّةَ رَسُولِ اللَّهِ»^(٢)).

ثانياً: التسمية عند الصيد: لما رواه البخاري ومسلم في

(١) سنن أبي داود برقم ٣٢١٣، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز، ورد على من قال بوقفه ص ١٩٢.

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٣٠/٨) برقم ٤٨١٢، وقال محققوه: رجاله رجال الشيخين وقال بعضهم بوقفه.

صحيحهما من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن صيد المعراض، قال: «مَا أَصَابَ بِحَدِّهِ فَكُلْهُ، وَمَا أَصَابَ بِعَرَضِهِ فَهُوَ وَقِيدٌ»، وَسَأَلْتُهُ عَنْ صَيْدِ الْكَلْبِ، فَقَالَ: «مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ، فَإِنَّ أَخَذَ الْكَلْبُ ذَكَاءً، وَإِنْ وَجَدْتَ مَعَ كَلْبِكَ أَوْ كِلَابِكَ كَلْبًا غَيْرَهُ، فَخَشِيتَ أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ مَعَهُ، وَقَدْ قَتَلَهُ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا ذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تَذْكُرْهُ عَلَى غَيْرِهِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا، وَمَا صِدَّتْ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدَّتْ بِكَلْبِكَ الْمُعَلَّمِ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ، وَمَا صِدَّتْ بِكَلْبِكَ غَيْرِ مُعَلَّمٍ فَأَذْرَكَتْ ذَكَاءَهُ فَكُلْ»^(٢).

ثالثاً: التسمية عند ركوب الإبل: لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث حمزة بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عَلَى ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ،

(١) صحيح البخاري برقم ٥٤٧٥، وصحيح مسلم برقم ١٩٢٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٤٧٨، وصحيح مسلم برقم ١٩٣٠.

فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَا تُقَصِّرُوا عَنْ حَاجَاتِكُمْ»^(١).

رابعاً: التسمية عند الغزو: لما رواه مسلم في صحيحه من حديث بريدة بن الحصيب رضي عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله **الله** ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله..» الحديث^(٢).

خامساً: التسمية عند الإصابة في المعركة: لما رواه النسائي من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي عنه، فَأَذْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: «مَنْ لِلْقَوْمِ؟» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَمَا أَنْتَ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَنْتَ»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: «مَنْ لِلْقَوْمِ؟» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: «كَمَا أَنْتَ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: «أَنْتَ»، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ

(١) (٤٢٦/٢٥) برقم ١٦٠٣٩، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) برقم ١٧٣١.

رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ،
 حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لِلْقَوْمِ؟» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ
 طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدِ عَشَرَ، حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ، فَقَطَعَتْ
 أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتَ
 بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعْتُكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»، ثُمَّ رَدَّ
 اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ^(١).

سادساً: التسمية عند كتابة الكتب: لما رواه البخاري
 ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
 عن أبي سفيان رضي الله عنه في خبره عن ملك الروم قال:
 ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ:
 «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ
 إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى..
 أما بعد»^(٢).

سابعاً: التسمية عند مواجهة الأمور الصعبة: روى الإمام
 أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه قال: مَكَثَ

(١) سنن النسائي برقم ٣١٤٩، وقال الشيخ الألباني رحمته الله: حسن من قوله: فقطعت
 أصابعه، وما قبله يحتمل التحسين، وهو على شرط مسلم، صحيح سنن
 النسائي (٢/٦٦١) برقم ٢٩٥١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧، وصحيح مسلم برقم ١٧٧٣ واللفظ له، باختصار.

النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ ثَلَاثًا
لَمْ يَذُوقُوا طَعَامًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَاهُنَا
كُدْيَةٌ^(١) مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُشُّهَا
بِالْمَاءِ»، فَرُشُّهَا، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ^(٢)
- أَوْ الْمِسْحَاةَ^(٣) - ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ»، فَضْرَبَ ثَلَاثًا،
فَصَارَتْ كَثِيبًا^(٤) يُهَالُ^(٥)، قَالَ جَابِرٌ: فَحَانَتْ مِنِّي
التِّفَاتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ حَجْرًا.

ثامنًا: عند التعشر: لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث
أبي تميمه الهجيمي عن كان رديف النبي ﷺ قال: كنت
رديفه على حمار فعثر الحمار، فقلت: تعس الشيطان،
فقال لي النبي ﷺ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا
قُلْتَ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ:
صَرَغْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ
حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ»^(٦).

(١) كديّة: أي قطعة عظيمة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

(٢) المعول: آلة من حديد ينقر بها الصخر.

(٣) المسحاة: المجرفة.

(٤) كثيبًا: أي رملاً.

(٥) (١٢١/٢٢) برقم ١٤٢١١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري،
وأصله في صحيح البخاري برقم ٤١٠١.

(٦) (١٩٨/٣٤) برقم ٢٠٥٩١، وقال محققوه: حديث صحيح.

تاسعًا: عند أذكار الصباح والمساء لحفظ الإنسان مما يضره: لما رواه الترمذي في سننه من حديث أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ» الحديث (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم ٣٣٨٨، وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب.
 (٢) الحصن الحصين من الشيطان الرجيم لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٧٠-٧٦).

الكلمة الخامسة عشرة

التولة والتمائم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى الشرك به سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّهُمْ ﴾ [الرعد: ٣٣].

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام ويوجب له الخلود في النار ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى، مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦].

وأما الشرك الأصغر فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة فمثل

الحلف بغير الله، وقول: «ما شاء الله وشئت»، وقول: «لولا الله وفلان»، و«ولولا الله ثم فلان».. وهكذا.

أما الأفعال فهي كثيرة جداً مثل: تعليق التائب خوفاً من العين، أو لبس الحلقة، أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها، فهذا شرك أكبر.

«والتائب: شيء يعلق على الأولاد من العين أو الجن، وقد تعلق على المرضى والكبار، وقد تعلق على الإبل... ونحو ذلك، ويسمى ما يعلق على الدواب الأوتار، وهي من الشرك الأصغر، وحكمها حكم التائب»^(١).

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تزال هذه الضلالة - أي التائب - فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرأة، وبعضهم يعلق نعلًا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار والدكان، كل ذلك لدفع العين - كما زعموا - أو غير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشراكيات

(١) فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٥٢).

والوثنيات»^(١).

«وأما التّولة فهي نوع من السحر يسمونه الصرف والعطف، وهو شيء يعلقونه على الزوج يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها، والزوج إلى امرأته، وهذا شرك لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة.

ومثل ذلك الدبلة، والدبلة خاتم يُشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج قالت المرأة إنه لا يحبها، فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون إنه ما دام في يد الزوج فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية وهي بعيدة ألاً تصحبها ففيه شبه بالنصارى فإنها مأخوذة منهم»^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٨٩٠) برقم ٤٩٢.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (١/ ٢٢٨-٢٢٩) بتصرف.

(٣) (٢٨/ ٦٢٣) برقم ١٧٤٠٤، وقال محققوه: حديث حسن.

الجهني رضي عنه **الله** صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول **الله** بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً»، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَّةَ شِرْكٌ»^(٢).

وجاء في عقوبة من تعلق بشيء من ذلك أن **الله** تعالى ينزع منه عونه ومدده ونصرته، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِ»^(٣).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله: «التمايم إذا كانت من أسماء الشياطين أو العظام أو الخرز أو المسامير أو البلاسم - وهي الحروف المقطعة - وأشباه ذلك من الشرك الأصغر، وقد تكون شركاً أكبر إذا اعتقد معلق التميمة أنها تحفظه أو تكشف عنه المرض أو تدفع عنه الضرر دون إذن **الله** تعالى ومشيئته»^(٤).

(١) (٦٣٧/٢٨) برقم ١٧٤٢٢، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) (١١٠/٦) برقم ٣٦١٥، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) (٨١/٣١) من حديث عبد الله بن عكيم اللجھني برقم ١٨٧٨٦، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٤) فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله (٢/٣٨٤).

سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية عن القرطاس الذي يعلقونه في العنق للحفاظ، هل يجوز أم لا؟

فكان الجواب: تعليق شيء بالعنق أو ربطه بأي عضو من أعضاء الشخص، فإن كان من غير القرآن فهو محرم، بل شرك؛ لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عمران بن حصين رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «مَا هَذَا؟» قال: مِنَ الْوَاهِنَةِ، فقال: «انزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»^(١).

وما رواه عقبه بن عامر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(٢)، وفي رواية لأحمد: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٣). وما رواه أحمد وأبو داود عن ابن مسعود رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ»^(٤).

وإن كان ما علقه من آيات القرآن، فالصحيح أنه ممنوع

(١) مسند الإمام أحمد (٣٣/٢٠٤) برقم ٢٠٠٠٠، وقال محققوه: إسناده ضعيف وقد اختلف في وقفه ورفع.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٩.

(٣) سبق تخريجه ص ١٢٠.

(٤) سبق تخريجه ص ١٢٠.

أيضاً لثلاثة أمور:

الأول: عموم أحاديث النهي عن تعليق التائب ولا مخصص لها.

الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أن ما علق من ذلك يكون عرضة للامتهان بحمله معه في حال قضاء الحاجة، والاستنجاء، والجماع.. ونحو ذلك^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٢٤٤-٢٤٥) برقم ١٢٥٧.

الرقى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فمن الأدوية الإلهية التي جاء الشرع بها الرقى، والمقصود بالرقى القراءة على المريض ويسمىها العوام العزيمة، روى مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي عنه. قال: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليّ رُقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»^(١).

والرقية نوعان: مشروع وممنوع.

أما المشروع: فما كان بالقرآن، وأسماء الله وصفاته، ودعائه، والاستعاذة به وحده لا شريك له، ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في

(١) برقم (٢٢٠٠).

الرقية من العين، والحمة^(١)، والنملة^(٢)^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله **الله** **رضي** **عنه** قال: رخص النبي **ﷺ** لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عميس **رضي** **عنها**: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ»، قَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ارْقِيهِمْ»، قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»^(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أم سلمة **رضي** **عنها** زوج النبي **ﷺ**: أن رسول **الله** **ﷺ** قال لجارية في بيتها وقد رأى بوجهها سفعة: «بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرِقُوا لَهَا» يَعْنِي بِوَجْهِهَا صُفْرَةً^(٥).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر **رضي** **عنه** قَالَ: نَهَى رَسُولُ **الله** **ﷺ** عَنِ الرَّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ **الله** **ﷺ** فَقَالُوا: يَا رَسُولَ **الله** إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقِيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعُقْرَبِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرَّقَى، قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا أَرَى بِأَسَا، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»^(٦).

(١) أي من لسع كل دابة ذات سم.

(٢) رقية النملة: قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.

(٣) برقم ٢١٩٦.

(٤) برقم ٢١٩٨.

(٥) صحيح البخاري برقم ٥٧٣٩، وصحيح مسلم برقم ٢١٩٧.

(٦) برقم ٢١٩٩.

وهذه الرقية المشروعة لها صفات:

فمن ذلك النفث على المريض، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه المخرج في الصحيحين: فَانْطَلَقَ يَتَفَلُّ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ١] (١).

ومنها النفث في اليدين ومسح بدن المصاب، فروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضيها قالت: «كَانَ رَسُولُ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةٍ مِنْ يَدِي» وَفِي رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ: «بِمُعَوِّذَاتٍ» (٢).

ومنها وضع الإصبع بالريق، ووضعها بالتراب ليعلق بها شيء منه ثم وضعها على الجرح ونحوه، فروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضيها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانَ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانَ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا: «بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» (٣).

(١) صحيح البخاري برقم ٢٢٧٦، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠١ مختصراً.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٤٣٩، وصحيح مسلم برقم ٢١٩٢.

(٣) برقم ٢١٩٤.

أما قوله ﷺ: «بَرِيْقَةٌ بَعْضِنَا»:

قال ابن حجر: رَحِمَهُ اللهُ: يدل ذلك أنه كان يتفل عند الرقية، قال النووي: معنى الحديث أنه كان يأخذ من ريق نفسه على أصبعه بالسبابة، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح. (١)

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: ووضع النبي ﷺ سبأته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية، ثم قال: وزعم علماؤنا أن السرفيه أن تراب الأرض لبرودته وييسه يبرئ الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه لييسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها، قال: وقال في الريق إنه يختص بالتحليل والإنضاج وإبراء الجرح والورم لا سيما من الصائم الجائع. (٢)

ومنها وضع اليد على موضع الألم، فروى مسلم في صحيحه من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ:

(١) شرح صحيح مسلم (٤٠٤/١٤).

(٢) فتح الباري (٢٠٨/١٠).

بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجْدُ وَأُحَازِرُ» (١).

أما السور التي وردت قراءتها، فهي: الفاتحة، والمعوذتين، والإخلاص، وكل القرآن شفاء فيقرأ منه، وكذلك يدعو الراقي بما شاء، ولا سيما الوارد، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا مُحَمَّدُ! اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» (٣).

أما الرقية الممنوعة: فهي ما كان فيها شرك، كتعويد المريض بذكر أسماء الجن والصالحين، وبما لا يفهم معناه خشية أن يكون شركًا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ» (٤).

(١) برقم ٢٢٠٢.

(٢) برقم ٢١٩١.

(٣) برقم ٢١٨٥.

(٤) سبق تخريجه ص ١٢٣.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «وكان عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد رقى ورُقِي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهية والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً، أو قولاً يدخله الشرك، قال: ويحتمل أن يكون الذي يكره ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون ذلك من قبل الجن ومعونتهم»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به، فضلاً عن أن يدعو به، ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية، وإنما يرخص لمن لا يعرف العربية، فأما جعل الألفاظ العجمية شعاراً فليس من الإسلام»^(٢).

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، وبما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى»^(٣).

وأما أخذ الأجرة على الرقية فلا حرج في ذلك، فقد روى

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٦٩).

(٣) فتح المجيد ص ١٤٨.

البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدَيْغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَفَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَاللَّهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ؟» ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»^(١).

قال النووي رحمته الله: «هذا تصريح بجواز أخذ الأجرة على الرقية، ونص عليه أحمد»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «لا بأس بجواز أخذ الأجرة على الرقية، ونص عليه أحمد»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٢٢٧٦، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠١.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/١٨٨).

(٣) الفتاوى (٥/٤٠٨).

الكلمة السابعة عشرة

سيرة عبد الله بن عمرو بن حرام رضي عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

كان رضي عنه من السابقين إلى الإسلام، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أحد، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله كلمه كفاً - أي من غير واسطة - .

إنه عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، والد جابر الصحابي المشهور.

قال ابن سعد: «كان عبد الله أول من قُتل يوم أحد، وكان أحمر، أصلع، ليس بالطويل»^(١).

(١) الطبقات الكبرى (٣/٤٢٤).

وقد كانت لعبد الله بن عمرو مواقف عظيمة تدل على فضله وبذله ونصرته لهذا الدين، روى ابن حبان في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديث طويل، وقال رضي الله عنه في آخره: «جَزَى اللَّهُ الْأَنْصَارَ عَنَّا خَيْرًا، وَلَا سِيَّمَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، جِيءَ بِأَبِي مُسَجَّى^(٢)، وَقَدْ مَثَل^(٣) بِهِ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ، فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرَفَعَهُ، فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: ابْنَةُ عَمْرٍو - أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو فَقَالَ: «وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «ومعناه أنه مكرم بصنيع الملائكة وتزاحمهم عليه لصعودهم بروحه؛ لأن هذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكى عليه،

(١) صحيح ابن حبان برقم ٦٩٨١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٤٦١.

(٢) أي مغطى. انظر النهاية (٣١٠ / ٢).

(٣) مثل: بضم الميم وكسر الثاء، ومثل بالقتيل إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه.. ونحو ذلك. انظر النهاية (٢٥١ / ٤).

(٤) صحيح البخاري برقم ١٢٩٣، وصحيح مسلم برقم ٢٤٧١.

بل يفرح له بما صار إليه»^(١).

وروى والترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي وَتَرَكَ عَلَيَّ دِينًا وَعِيَالًا، فَقَالَ: «أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، وَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ مَا شِئْتَ أُعْطِيكَ، قَالَ: تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِيكَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا، إِنِّي أَقْسَمْتُ بِيَمِينٍ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ» يَعْنِي الدُّنْيَا. ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]^(٢).

وروى النسائي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لَمَّا أُصِيبَ أَبِي وَخَالِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَاءَتْ أُمِّي بِهِمَا قَدْ عَرَضَتْهُمَا عَلَى نَاقَةٍ، فَأَقْبَلَتْ بِهِمَا إِلَى المَدِينَةِ. فَنَادَى مُنَادٍ: اذْفِنُوا القَتْلَى فِي مَصَارِعِهِمْ، فَرَدًّا حَتَّى دُفِنَا فِي مَصَارِعِهِمَا^(٣).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن

(١) فتح الباري (٣/١١٦).

(٢) صحيح ابن حبان برقم ٦٩٨٣، وسنن الترمذي برقم ٣٠١٠، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي برقم ٢٤٠٨، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/٨٩٠) واللفظ له، والزيادة في آخر الحديث للترمذي، ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣/١٦٣) برقم ١٤٨٨١ مختصراً، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) برقم ٢٠٠٥ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز ص ٢٥.

عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على الشهداء الذين قتلوا يومئذ، فقال: «زَمَلُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ فَإِنِّي قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْهِمْ»، فَكَانَ يُدْفَنُ الرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ وَيُسْأَلُ: أَيُّهُمْ كَانَ أَقْرَأَ لِلْقُرْآنِ فَيَقْدَمُونَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَدُفِنَ أَبِي وَعَمِّي يَوْمَئِذٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قتلى أحد: «لَا تُغَسَّلُوهُمْ، فَإِنَّ كُلَّ جُرْحٍ - أَوْ كُلَّ دَمٍ يَفُوحٌ مِسْكَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخِرُ فِي قَبْرِ، ثُمَّ لَمْ تَطْبُ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخِرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمٍ وَضَعْتُهُ هُنَيْئَةً غَيْرَ أُذُنِهِ^(٣).

قال ابن حجر رحمته الله: «وهذا يخالف في الظاهر ما وقع في الموطأ

(١) (٣٩/٦٤-٦٥) برقم ٢٣٦٦٠، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) (٢٢/٩٧) برقم ١٤١٨٩، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) برقم ١٣٥١.

عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل قبرهما وكانا في قبر واحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة. وقد جمع بينهما ابن عبد البر بتعدد القصة، وفيه نظر؛ لأن الذي في حديث جابر أنه دفن أباه في قبر وحده بعد ستة أشهر، وفي حديث الموطأ أنهما وجدا في قبر واحد بعد ست وأربعين سنة، فإما أن يكون المراد بكونهما في قبر واحد قرب المجاورة، أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد، وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي فقال: حدثني أبي عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما ضرب معاوية عينه التي مرت على قبور الشهداء انفجرت العين عليهم، فجننا فأخرجناهما - يعني عمرو وعبد الله - وعليهما بردتان قد غطى بهما وجوههما، وعلى أقدامهما شيء من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنيان تثنياً كأنهما دفنا بالأمس. وله شاهد بإسناد صحيح عند ابن سعد من طريق أبي الزبير عن جابر^(١).

ومن فوائد الحديث:

- « ١- الإرشاد إلى بر الأولاد بالآباء خصوصاً بعد الوفاة.
- ٢- وفيه الاستعانة على ذلك بإخبارهم بمكانتهم من القلب.

(١) فتح الباري (٣/٢١٦).

٣- وفيه قوة إيمان عبد الله رضي الله عنه المذكورة لاستثنائه النبي صلى الله عليه وآله ممن جعل ولده أعز عليه منهم.

٤- وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تبل جسده مع لبثه فيها، والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة.

٥- وفيه فضيلة لجابر رضي الله عنه لعمله بوصية أبيه بعد موته في قضاء دينه»^(١).

فروى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن أباه توفي وعليه دين، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت: إنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيَّ دَيْنًا، وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا مَا يُخْرِجُ نَحْلُهُ، وَلَا يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيَّ، فَاَنْطَلِقَ مَعِيَ لِكَيْ لَا يُفْحَشَ عَلَيَّ الْغَرْمَاءُ، فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بِيَادِرِ التَّمْرِ فَدَعَا، ثُمَّ آخَرَ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «أَنْزِعُوهُ»، فَأَوْفَاهُمْ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ^(٢).

وفي رواية في صحيح البخاري: وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتح الباري (٣/٢١٧).

(٢) برقم ٣٥٨٠.

(٣) برقم ٢١٢٧.

من محاسن الدين الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

«فإن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ أكمل الأديان وأفضلها وأعلاها وأجلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة ما يشهد الله تعالى بالكمال المطلق وسعة العلم والحكمة، ويشهد لنبيه أنه رسول الله حقاً، وأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى .

فهذا الدين الإسلامي أعظم برهان، وأجل شاهد لله بالتفرد بالكمال المطلق كله، ولنبيه ﷺ بالرسالة والصدق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

ومحاسن الدين الإسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام،

وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع»^(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ»^(٢). وفي رواية لأبي داود قال: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»^(٣).

وفي رواية عند أحمد أنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ نَخْلًا، وَشَجْرًا، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى قَائِدٍ كُلِّ سَاعَةٍ، أَيَسْعُنِي أَنْ أَصَلِّيَ فِي بَيْتِي؟ قَالَ: «أَتَسْمَعُ الْإِقَامَةَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاتَّهَا»^(٤).

في هذا الحديث بيان واضح أنه لا رخصة للأعمى في ترك الجماعة حتى في حال أنه لم يجد قائدًا يقوده إلى المسجد، وقد يرى من لم يوفق لفهم الحكمة من ذلك، أن فيه شيء من الشدة، والحق أن هذا من محاسن الدين الإسلامي وحكمه العظيمة.

(١) الدر المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للشيخ ابن سعدي رحمته الله ص ٣٨٩.

(٢) برقم ٦٥٣.

(٣) برقم ٥٥٢، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١١) برقم ٥١٦.

(٤) (٢٤/ ٢٤٥) برقم ١٥٤٩١، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

ومن رحمة الله تعالى أنه أرسل رسوله رحمة لأمته وللعالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى ممتناً على نبيه ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

أقول: أرأيت لو أن النبي ﷺ رخص له أن يصلي في البيت كم من المنافع ستفوت عليه، والتي سيحصل عليها إذا حضر المسجد، سوى الفضل والأجر في صلاة الجماعة، فسلام ولقاء الإخوان وسماع الموعظة والجلوس في حضر الذكر وغير ذلك كثير جداً. فكيف سيعوض ذلك إذا صلى في بيته، وقد امتلأ التاريخ الإسلامي بمن ابتلاهم بفقد البصر، وقد أطبقت شهرتهم الأرض علماً وعملاً ودعوة وأمرًا بالخير ونهياً عن الشر. فهل سيكون لهم هذه الشهرة، وهل سينتفع بهم هذه المنافع العظيمة لو رُخص لهم وأخذوا بالرخصة. ولزيادة الإيضاح فإنه لو رخص لهذا الأعمى أن يصلي في بيته فسيكون حاله بين أمرين:

الأول: أن يقعد في بيته فلا يزور صديقاً ولا يصل رحماً ولا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يحضر دعوة ولا يقضي نفسه ولا غيره غرضاً من أغراض الدين أو الدنيا، لأنه

سيقول: كيف أفعل كل ذلك وأدع الحضور لصلاة الجماعة وهي أسهل من بعض هذه الأفراد المذكورة، وحينئذ يكون قد حكم عليه بالموت وهو حي.

الثاني: أن يذهب ويجيء ويقضي كل ما يحتاجه من أموره الخاصة أو العامة، وهو في هذه الأحوال يمر على المساجد في ذهابه وإيابه فهل من العقل والحكمة أن يصلي في بيته بدعوى أنه رخص له والحال ما ذكر؛ بهذا يتبين ويتضح غاية الوضوح أن أمر النبي ﷺ للأعمى أن يحضر صلاة الجماعة ولم يرخص له في تركها بسبب العمى أن هذا عين الحكمة وكمال المصلحة ودفع لمفاسد كثيرة تحصل بتركه الصلاة مع الجماعة. فثبت أن هذا من محاسن الدين الإسلامي التي لا تحصى كثرة، يعرفها ويدركها من تأملها وفقه في دين الله ونفعه ما نفع الله به محمدًا ﷺ من العلم والهدى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أهل الزكاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

«يبين الله في هذه الآية الكريمة أهل الزكاة وهم المستحقون لها، وهم الأصناف الثمانية. ويستفاد منه أنه لا يجوز أن تُصرف في غيرهم؛ لأن الحصر يقتضي إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما سواه، فلا يجوز صرف الزكاة في بناء المساجد، ولا في بناء المدارس، ولا في إصلاح الطرق... ولا غير ذلك؛ لأن الله فرضها لهؤلاء الأصناف، فقال: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

(١) الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦/٢١٩-٢٢٠).

وايضاح هذه الأصناف كما يلي:

الصنف الأول: الفقراء: جمع فقير، وهو من ليس لديه ما يسد حاجته وحاجة من يعول من طعام وشراب وملبس ومسكن، بأن لا يجد شيئاً، أو يجد أقل من نصف الكفاية، ويُعطى من الزكاة ما يكفيه سنة كاملة.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ولو قيل أنه يُعطى إلى أن يصبح غنياً، ويزول عنه وَصْفُ الفقر لكان قولاً قوياً، وكذلك القول في المسكين»^(١).

الصنف الثاني: المساكين: جمع مسكين، وهو من يجد نصف كفايته أو أكثر من النصف، كمن معه خمسة آلاف ويحتاج إلى عشرة آلاف، ويُعطى من الزكاة ما يكفيه لمدة عام.

الصنف الثالث: العاملون عليها: جمع عامل، وهم الذين يرسلهم ولاية الأمر لجمع الزكاة من أهلها وصرافها لمستحقيها، فهم ولاية وليسوا أجراء، فلا يشترط أن يكونوا فقراء، بل يعطون ولو كانوا أغنياء؛ لأنهم يعملون لمصلحة الزكاة، فهم يعملون للحاجة إليهم، لا لحاجتهم، فإذا انضم لذلك أنهم فقراء، ونصيبيهم من العمالة لا يكفي لمؤونتهم ومؤونة عيالهم، فإنهم

(١) الشرح الممتع، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٢٢١).

يأخذون بالسبيين، أي يعطون للعمالمة ويعطون للفقير، لكن ينبغي التنبيه للآتي:

الأول: أنه ليس للعامل أن يأخذ لنفسه من الزكاة ما شاء، وإنما يأخذ ما يقدره له من أرسله من الحكام والولاة.

الثاني: أن من كان من هؤلاء العمال يعطى رزقاً أي يصرف له راتباً فلا يحل له أن يأخذ من الزكاة، لقول النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ»^(١).

الصنف الرابع: المؤلفة قلوبهم: وهي على أقسام:

- ١- الكافر يرجى إسلامه، فيعطى ترغيباً له في الدخول في الإسلام.
- ٢- الكافر يعطى لكف شره وأذاه عن المسلمين .
- ٣- المسلم يعطى ليسلم نظراؤه وإن كان حسن الإسلام، كعدي ابن حاتم رضي الله عنه.
- ٤- من يُعطى ليزداد إيمانه وليثبت على الإسلام، وغيرهم ممن إذا أعطوا كان ذلك تأليفاً لقلوبهم بجلب خير أو دفع شر.

(١) سنن أبي داود برقم ٢٩٤٣، وابن خزيمة برقم ٢٣٦٩، من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه، واللفظ لهما. وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٠٢٣.

الصنف الخامس: في الرقاب: جمع رقبة، والمراد بها العبد المسلم أو الأمة المسلمة، يُشترى من مال الزكاة ويعتق، أو يكون مكاتباً فيعطى من الزكاة ما يسدّد به أقساط كتابته، ليصبح حرّاً، نافذ التصرف، ويتمكن من عبادة ربه، وكذا الأسير المسلم يُفك من الأعداء من مال الزكاة.

الصنف السادس: الغارمون: جمع غارم، وهو المدين الذي تحمل ديناً في غير معصية الله، سواء لنفسه في أمر مباح أو لغيره، كإصلاح ذات البين، فهذا يُعطى من الزكاة ما يسدّد به دينه، والغارم للإصلاح بين الناس يُعطى من الزكاة وإن كان غنياً، لما رواه مسلم: أن قبيصة رضي عنه رضي الله عنه تحمّل حمالة^(١) بين فئتين متخاصمتين، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب أن يساعده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً، رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ»^(٢).

ولحديث: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ إِلَّا لِخَمْسَةٍ: لِعَامِلٍ عَلَيْهَا، أَوْ لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ لِغَنِيِّ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ، أَوْ فَقِيرٍ تُصَدَّقَ عَلَيْهِ فَأَهْدَاهَا لِغَنِيِّ، أَوْ غَارِمٍ»^(٣).

(١) يعني ديناً أو دية عن غيره للإصلاح.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٠٤٤.

(٣) سنن ابن ماجه برقم ١٨٤١ عن أبي سعيد الخدري رضي عنه رضي الله عنه، وصححه الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمته الله، في شرحه لبلوغ المرام ص ٣٩٦.

الصنف السابع: في سبيل **الله**: والمراد بهم الغزاة في سبيل **الله**، المتطوعون الذين ليس لهم راتب في بيت المال، فيعطون من الزكاة، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء.

الصنف الثامن: ابن السبيل: وهو المسافر الذي ليس له ما يرجع به إلى بلده، فيعطى من الزكاة قدر ما يوصله إلى بلده.

وهذه بعض المسائل المتعلقة بالزكاة:

المسألة الأولى: الأصناف الذين لا يجوز صرف الزكاة لهم

وهم:

١- الأغنياء، والأقوياء المكتسبون: لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍِّّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ»^(١). ويستثنى ما تقدم ذكره.

٢- الأصول والفروع والزوجة الذين تجب نفقتهم عليه، فلا يجوز دفع الزكاة لمن تجب على المسلم نفقتهم كالآباء والأمهات، والأجداد والجندات، والأولاد وأولاد الأولاد؛ لأن دفع الزكاة إلى هؤلاء يغنيهم عن النفقة الواجبة عليه، ويسقطها عنه، ومن ثم يعود نفع الزكاة إليه، فكأنه دفعها إلى نفسه.

(١) مسند الإمام أحمد (٤٨٦/٢٩) برقم ١٧٩٧٢، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين من حديث عبيد الله بن عدي.

٣- الكفار غير المؤلفين: فلا يجوز دفع الزكاة إلى الكفار لقوله ﷺ: «تُؤَخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»^(١). أي أغنياء المسلمين وفقرائهم دون غيرهم؛ ولأن من مقاصد الزكاة إغناء فقراء المسلمين، وتوطيد دعائم المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع المسلم، وذلك لا يجوز مع الكفار.

٤- آل النبي ﷺ: لا تحل الزكاة لآل النبي ﷺ إكراماً لهم لشرفهم، لقوله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»^(٢). وآل محمد هم بنو هاشم وبنو المطلب على الراجح لقوله ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَلَبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ»^(٣).

٥- وكذلك لا يجوز دفع الزكاة لموالي آل النبي ﷺ لقوله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا، وَإِنَّ مَوَالِيَ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٩٥، وصحيح مسلم برقم ١٩ مطولاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٠٧٢ من حديث ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٤٠ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٤) سنن أبي داود برقم ١٦٥٠ من حديث أبي رافع رضي الله عنه، وسنن الترمذي برقم ٦٥٢، واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي برقم ٥٣٠.

وموالي القوم عتقائهم، ومعنى: من أنفسهم، أي فحكمهم كحكمهم، فتحرم الزكاة على موالي آل بني هاشم..

٦- العبد لا يدفع الزكاة إلى العبد: لأن مال العبد ملك لسيده، فإذا أُعطي الزكاة انتقلت إلى ملك سيده، ولأن نفقته تلزم سيده، ويستثنى من ذلك المكاتب، فإنه يُعطى من الزكاة ما يقضي به دين كتابته^(١).

فمن دفعها لهذه الأصناف مع علمه بأنه لا يجوز دفعها لهم فهو آثم.

المسألة الثانية: هل يشترط استيعاب الأصناف الثمانية

المذكورة عند تفريق الزكاة؟

لا يشترط استيعاب الأصناف الثمانية المذكورة عند تفريق الزكاة على القول الصحيح، بل يجزئ دفعها لأي صنف من الأصناف الثمانية، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلَصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]. فنص على صنف واحد، وقوله ﷺ: «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ»^(٢)، فنص على صنف واحد.

(١) وأجازها بعضهم للعبد إذا كان عاملاً على الزكاة.

(٢) سبق تخريجه.

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ بيان المستحقين للزكاة لا تعميم المستحقين عند تفريقها.

المسألة الثالثة: في نقل الزكاة من بلدها إلى بلد آخر:

يجوز نقل الزكاة من بلدها إلى بلد آخر قريب أو بعيد للحاجة، مثل أن يكون البلد البعيد أشد فقراً، أو يكون لصاحب الزكاة أقارب فقراء في بلد بعيد مثل فقراء بلده، فإن في دفعها إلى أقاربه تحصيل المصلحة وهي الصدقة والصلة، وهذا القول بجواز نقل الزكاة هو الصحيح، لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ أي الفقراء والمساكين في كل مكان^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية ص ١٤٤-١٤٧، ومذكرة للدكتور أحمد الخليل في شرح زاد المستقنع ص ٩٩-١٤٤ بتصرف.

الكلمة العشرون

من حكم الزكاة والأموال التي تجب فيها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، والركن الثالث من أركانه الخمسة العظام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

وقال ﷺ في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ

(١) صحيح البخاري برقم ٨، وصحيح مسلم برقم ١٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ
وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»^(١).

الأموال التي تجب فيها الزكاة:

١- بهيمة الأنعام: وهي الإبل، والبقر، والغنم، لقوله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلَّا أَفْعَدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعَ قَرَقَرٍ، تَطْوُهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا، وَتَنْطَحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا يَوْمئِذٍ جَمَاءٌ، وَلَا مَكْسُورَةٌ الْقَرْنُ»^(٢).

٢- النقدان: وهما الذهب والفضة، وكذلك ما يقوم مقامهما من العملات الورقية المتداولة اليوم، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. وقوله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا

(١) صحيح البخاري برقم ١٣٩٥، وصحيح مسلم برقم ١٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٤٠٢، وصحيح مسلم برقم ٩٨٧ من حديث أبي

إِلَى النَّارِ»^(١)، وقوله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا»^(٢) أَقْرَعٌ^(٣) لَهُ زَبَيْتَانِ يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتِهِ، - يَعْنِي بِشِدْقِهِ -، يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ» ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٤) [آل عمران: ١٨٠].

٣- عروض التجارة: وهي كل ما أعد للبيع والشراء لأجل الربح، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فقد ذكر عامة أهل العلم على أن المراد بهذه الآية زكاة عروض التجارة، وقد تقدم الكلام على ذلك.

٤- الحبوب والثمار: فالحبوب ما يخرج من الأرض، كالشعير، والقمح، وغيره، والثمار مثل التمر، والزبيب - على تفصيل

(١) صحيح مسلم برقم ٩٨٧ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الشجاع: الحية الذكر.

(٣) الأقرع: الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل الشجاع: الذي يواتب الراجل والفارس، ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري، يتبع صاحبه الذي منع الزكاة.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٤٠٣، وأخرجه مسلم برقم ٩٨٧ بقطعة لم ترد في هذا الطريق «الأقرع» من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

في ذلك سيأتي ذكره - قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقوله ﷺ: «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا^(١) الْعُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ^(٢)».

٥- المعادن والركاز: المعادن هي كل ما خرج من الأرض مما يُخلف فيها من غير وضع واضح، مما له قيمة كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك.

والركاز: هو ما يوجد في الأرض من دفائن الجاهلية، ودليل وجوب الزكاة في المعادن والركاز عموم قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني النبات، والمعادن، والركاز»^(٣)، ولقوله ﷺ: «وَفِي الرَّكَازِ الْخُمْسُ»^(٤). وأجمعت

(١) عثرياً: هو الذي يشرب بعروقه من غير سقي.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٤٨٣ من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) تفسير القرطبي (٤/٣٤٤).

(٤) صحيح البخاري برقم ١٤٩٩، وصحيح مسلم برقم ١٧١٠ من حديث أبي

الأمّة على وجوب الزكاة في المعادن.

من حكم الزكاة:

شرعت الزكاة لحكم سامية، وأهداف نبيلة لا تُحصى كثرة،
منها:

١- تطهير المال وتنميته، وإحلال البركة فيه، وذهاب شره
ووبائه، ووقايته من الآفات والفساد، قال تعالى: ﴿ خُذْ
مِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال
تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾
[سبأ: ٣٩]. وفي الحديث: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»^(١).

٢- تطهير المزكي من الشح والبخل، وأرجاس الذنوب
والخطايا، وتدريبه على البذل والإنفاق في سبيل الله.

٣- مواساة الفقير وسد حاجة أصحاب الحاجات والمحرومين.

٤- تحقيق التكافل والتعاون والمحبة بين أفراد المجتمع،
فحينما يعطي الغني أخاه الفقير زكاة ماله يستل بها ما
عسى أن يكون في قلبه من حقد وتمن لزوال ما هو فيه
من نعمة الغنى، وبذلك تزول الأحقاد ويعم الأمن، قال
تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٨٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿التوبة: ٧١﴾.

٥- أن في أدائها شكراً لله تعالى على ما أسبغ على المسلم من نعمه.

٦- أنها تدل على صدق المزكي؛ لأن المال المحبوب لا يخرج إلا لمحبوب أكثر محبة، ولهذا سميت صدقة لصدق طلب صاحبها لمحبة الله ورضاه.

٧- أنها سبب لرضا الرب، ونزول الخيرات، وتكفير الخطايا والسيئات^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء ص ١٢٣-١٢٥ بتصرف.

الكلمة الواحدة والعشرون

تعامل النبي ﷺ مع صغار المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وقد أثنى الله عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قالت عائشة رضي الله عنها - لما سُئلت عن أخلاقه: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(١).

وكان النبي ﷺ رحيماً بالأطفال، يمازحهم، ويدعو لهم، ويربي فيهم الشجاعة والعلم والتقوى، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

ومن هذه النماذج:

ما حدث من رسول الله ﷺ مع سبطه الحسن أو الحسين رضي الله عنهما، فقد روى النسائي من حديث عبد الله بن شداد عن أبيه رضي الله عنه

(١) مسند الإمام أحمد برقم ٢٥٣٠٣، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٣١٦.

قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله ﷺ إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يُوحى إليك، قال: «فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف، فانصرف، فقال: «أَيْنَ لُكْعُ - ثَلَاثًا - ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ»، فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السخاب^(٢)، فقال النبي ﷺ: بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه، فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ»، قال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن

(١) برقم ١١٤١، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي برقم ١٠٩٣.

(٢) السخاب تنظم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجواري، وقيل هو قلادة تُتخذ من قرنفل ونحوه، وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٣٤٩).

علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال^(١).

ومنها: موقفه ﷺ مع ابن أبي موسى الأشعري، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى رضي عنه قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرّة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلي. وكان أكبر ولد أبي موسى^(٢).

وكان عادة أصحاب النبي ﷺ إذا ولد لأحد منهم ولد أن يأتي به رسول الله ﷺ، فيأخذه النبي رضي عنه ويقبله ويضمه إليه، ويدعو له بالبركة.

ومنها: موقفه مع ابن عباس رضيما: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضيما: أن النبي ﷺ أتى الخلاء، فوضعت له وضوءاً، فلما خرج قال: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» فأخبر، فقال: «اللَّهُمَّ فَتَّهْ فِي الدِّينِ»^(٣)، وفي رواية البخاري: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ»^(٤).

وفي مسند الإمام أحمد أن ميمونة رضيها هي التي أخبرته بذلك، وأن ذلك كان في بيتها ليلاً، وأنه قال: «اللَّهُمَّ فَتَّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٨٨٤، وصحيح مسلم برقم ٢٤٢١.

(٢) برقم ٥٤٦٧.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٤٣، وصحيح مسلم برقم ٢٤٧٧.

(٤) صحيح البخاري برقم ٧٥.

التَّأْوِيلَ»^(١). قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ولعل ذلك كان في الليلة التي بات ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فيها ليرى صلاة النبي ﷺ».

والمراد بالكتاب القرآن لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم: ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه^(٢).

ومنها: موقفه مع أنس بن مالك: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَرَزْتَنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا، وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا أُنَيْسُ ابْنِي، أَتَيْتَكَ بِهِ يَخْدُمُكَ فَادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ»، وفي رواية: «وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ»^(٣). قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَيَّ نَحْوِ الْمِئَةِ، الْيَوْمَ^(٤). وفي رواية البخاري: وَحَدَّثْتَنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجِ الْبَصْرَةِ بَضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِئَةً^(٥).

قال أبو العالية: «كان لأنس بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك»^(٦). قال ابن

(١) برقم ٣١٠٢، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) فتح الباري (١/١٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٧، وصحيح مسلم برقم ٢٤٨٠.

(٤) صحيح البخاري برقم ١٩٨٢، وصحيح مسلم برقم ٢٤٨٠ واللفظ له.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٩٨٢.

(٦) رواه الترمذي برقم ٣٨٣٣، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي =

حجر: «وهذا الحديث من معجزات النبي ﷺ لما في إجابة دعوته من الأمر النادر، وهو اجتماع كثرة المال مع كثرة الأولاد، وكون بستان المدعو له صار يثمر مرتين في السنة دون غيره»^(١).

ومنها موقفه مع محمود بن الربيع رضي عنه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث محمود بن الربيع رضي عنه قال: عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ^(٢). وفي رواية: مِنْ بَثْرِهِمْ^(٣).

قال ابن حجر رحمته الله: والمج: هو إرسال الماء من الفم، وقيل: لا يسمى مجاً إلا إن كان على بعد، وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة معه، أو ليبارك عليه بها، كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة.

ومن فوائد الحديث: جواز إحضار الصبيان مجالس الحديث، وزيارة الإمام أصحابه في دورهم ومداعبته صبيانهم^(٤).

ومنها موقفه مع السائب بن يزيد: فقد روى البخاري

= (٣/٢٣٤) برقم ٣٠١١.

(١) فتح الباري (٤/٢٢٩-٢٣٠) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٧.

(٣) صحيح البخاري برقم ١٨٩.

(٤) فتح الباري (١/١٧٢-١٧٣).

في صحيحه من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي وجع، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَاتِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ ^(٥) ^(٦).

ومنها موقفه مع أبي عمير: فروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا - وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» ^(٧) ^(٨).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٥) زر الحجلة: هو طائر معروف وزرّها بيضها.

(٦) صحيح البخاري برقم ١٩٠.

(٧) النُّغَيْرُ، قال عياض: النغير طائر معروف أشبه بالعصفور، وقيل: هي فرخ العصافير، وقيل: هي نوع من الحمر بفتح المهملة وتشديد الميم ثم راء، قال: والراجح أن النغير طائر أحمر المنقار. فتح الباري ١٠ / ٥٨٣-٥٨٤.

(٨) صحيح البخاري برقم ٦٢٠٣.

تأملات في قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾
[الإسراء: ٧٤].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:
﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾
[ص: ٢٩].

وعملًا بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيات من كتاب الله تعالى، ونتدبر ما فيها من العظات والحكم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «يذكر تعالى منته على

رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِئَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك وإذا لو فعلت ما يهوون لا تأخذوك خليلًا أي حبيبًا أعز عليهم من أحببهم لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب المحببة للقريب والبعيد، والصديق والعدو، ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة إلا للحق الذي جئت به، لا لذاتك، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعَلْمُ إِنَّهُ لِيَحْرُنْكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَمْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

ومع هذا ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْنَتَكَ ﴿٧٦﴾﴾ على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ ﴿٧٦﴾﴾ بما يهوون ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴿٧٦﴾﴾ أي لأصبناك بعذاب مضاعف في الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٦﴾﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن الشر، فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركز إليهم بوجه من الوجوه فله عليك أتم نعمة، وأبلغ منحة^(١).

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ٦٠١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوماً، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه»^(١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

١- تذكير الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بمنته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا للإنعام عليهم عند وجود أسباب الشر بالعصمة منه، والثبات على الإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

٢- أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه إذا فعل ما يُلام عليه؛ لأن الله ذكر رسوله لو فعل - وحاشاه من ذلك - بقوله: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾ ٤٤ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦ [الحاقة: ٤٤-٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠].

(١) تفسير القرطبي رحمته الله (١٣/ ١٣٥).

قال الشاعر:

وَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغَائِرُ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبَائِرُ

٢- أنه ينبغي للمؤمن أن يسأل ربه الثبات على دينه دائماً وأبداً.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٢).

٤- أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّكَ لَقَدَكِدْتَ تَرَكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ أن هذه الآية الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا صلى الله عليه وسلم من مقاربة الركون إلى الكفار، فضلاً عن نفس الركون^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مسند الإمام أحمد (١٦٠ / ١٩) برقم ١٢١٠٧، وقال محققوه: إسناده قوي على

شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٦٥٤.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي رحمته الله (٣ / ٧٣٤).

الكلمة الثالثة والعشرون

شرح حديث: «حفت الجنة بالمكاره»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١). وفي رواية البخاري: «حُجِبَتِ»^(٢). قال العلماء: هذا من بديع الكلام، وفصيحه، وجوامعه التي أوتيتها صلى الله عليه وسلم في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها. ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا باجتياز المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها والصبر على مشاقها،

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٨٧، وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٤٨٧.

وكظم الغيظ، والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء،
والصبر على الشهوات.. ونحو ذلك.

وأما الشهوات التي حفت النار بها، فالظاهر أنها الشهوات
المحرمة، مثل الظلم وقتل النفس المعصومة وتعاطي المخدرات،
والمسكرات، وارتكاب الفواحش وأكل الربا والغيبة والنميمة
والاستماع إلى الملاهي.. ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة
فلا تدخل في هذه، لكن يكره الإكثار منها مخافة أن تجر إلى
المحرمات، وما تورثه من قساوة القلوب والانشغال عن
الطاعات^(١).

وقد ورد إيضاح ما سبق بما رواه أحمد في مسنده من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ،
فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا
بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ، فَقَالَ: يَا
رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ
النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ، فَقَالَ: يَا
رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ
قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ،

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/١٦٣-١٦٤) بتصرف.

وَعَزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(١).

فمن المكاره التي حفت بها الجنة ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ»^(٢).

فقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ثلاثاً من الطاعات:

١- إسباغ الوضوء على المكاره كبرودته في الشتاء القارس، أو قلته أو نحو ذلك.

٢- الترغيب في كثرة الخطا إلى المساجد، ويقع ذلك في حال بُعد المسجد، وتكرار الذهاب إليه في الظلم والحر والبرد والخوف وغيره.

٣- انتظار الصلاة بعد الصلاة في المسجد، فإن المؤمن في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَمَّا إِنَّكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتُمُوهَا»^(٣).

(١) (٢٩٠ / ١٤) برقم ٨٦٤٨، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) برقم ٢٥١.

(٣) جزء من حديث برقم ٥٧٢.

ومنها: الجهاد في سبيل الله، فإنه مكروه إلى النفوس، وهي تحب الحياة، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وأما الشهداء الذين قُتِلُوا في سبيل الله، فإنهم لا يُسألون لظهور صدق إيمانهم بجهادهم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] (١).

ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه شاق على النفوس، ويتعرض صاحبه غالباً للأذى، ولكنه طريق إلى الجنة، ونجاة من العذاب، قال تعالى عن لقمان وهو يوصي ابنه فيقول: ﴿ يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

ومنها: بذل الأموال وإنفاقها في سبيل الخير مع حب النفوس لها إيثاراً لمرضاة الله ورغبة في جنته، قال تعالى: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ﴾ وَمَا نُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٨/ ٤٧٧).

[آل عمران: ٩٢] والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومن الأمثلة على أن من أثر الشهوات المحرمة فقد هتك حجاب النار ما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالذَّيْوُثُ الَّذِي يُقَرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثُ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَحْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (٣٥٤ / ٨) برقم ٤٧٢٩، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) (٢٦٩ / ١٠) برقم ٦١١٣، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) مسند الإمام أحمد (٥٣ / ٢١) برقم ١٣٣٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

سِيَّاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» (١)

ويعم ذلك قول الباري سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبَابِتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وصايا لرجال الأمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال رسول الله ﷺ: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني رجال الأمن، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح:

أولاً: اعلم أخي رجل الأمن أنه لا يتحقق الأمن لأحد في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان الذي لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، عليه يحيا وعليه يموت، والدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

(١) صحيح مسلم برقم (٥٥).

مُهْتَدُونَ ﴿ [الأنعام: ٨٢]. لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)» (١).

ثانياً: لا ينال الاستخلاف في الأرض، والتمكين فيها إلا بإقامة العدل الذي قامت عليه السموات والأرض، ولا يتحقق العدل إلا بإقامة الشرع، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

وقال ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) [يونس: ٦٢-٦٤].

ثالثاً: تقوى الله ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله

(١) صحيح البخاري برقم ٣٢، وصحيح مسلم برقم ١٢٤ واللفظ له.

وصيته للأولين والآخرين، قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً ما يوصي أصحابه بتقوى الله، ويبدأ بها خطبه ووصاياه، ففي حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»^(١)، وفي صحيح مسلم من حديث سليمان ابن بريدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا^(٢).

فطريق السعادة والعز والكرامة والنصر هو التقوى، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن بسبب إهمال التقوى وإضاعته، أو إضاعة جزء منها، قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور

(١) سنن أبي داود برقم ٤٦٠٧، وسنن الترمذي برقم ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع.

(٢) برقم ١٧٣١.

من الله تخاف عقاب الله^(١).

والحذر من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر ويدخله مدخلاً كريماً، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. أي كثير الخير والبركة.

والحذر من الذنوب التي يحتقرها بعض الناس، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات، قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات^(٢)، قال الأوزاعي رحمته الله: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

رابعاً: أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. روى الطبراني في المعجم الكبير من

(١) انظر حلية الأولياء ٦٤/٣.

(٢) برقم ٦٤٩٢.

حديث شداد بن أوس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ»^(١).

قال الطبري رحمته الله: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور. اهـ وقال بعضهم: «عمل كل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه معصية، سواء كان ذلك في عبادة أو معاملة، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، وحفظ الجوارح أمانة، والعمل أمانة، لا بد للمسلم أن يؤديه بكل إخلاص وإتقان حتى تبرأ ذمته بذلك، والأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، فنوح وهود وصالح ولوط أخبر الله عنهم في سورة الشعراء أن كل رسول من هؤلاء قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهوراً بأنه الأمين.

خامساً: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

(١) (٧/ ٢٩٥) برقم ٧١٨٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٩٣.

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدْيَاءَ»^(١).

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم في أقواله وأعماله، في عبادته لربه وتعامله مع عباده، قال عبد الله بن المبارك: حُسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، وأن تحتمل ما يكون من الناس.

فأوصي أخي رجل الأمن أن يكون حسن الخلق مع زملائه ومع عامة الناس، وأن يكون رفيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً، فمن أحب

(١) سنن الترمذي برقم ٢٠٠٢، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم ٢٥٩٤.

أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتدي بمحمد ﷺ،
 روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه قال:
 خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط،
 وما قال لشيء صنعته لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته لِمَ
 تركته؟^(١)

سادسًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:
 ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقد
 عده بعض أهل العلم ركن من أركان الدين، وفي
 وصية لقمان لابنه: ﴿ يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
 وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾
 [لقمان: ١٧].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُعد تدخلًا في
 شؤون الآخرين كما يظن بعض الناس، بل إن الأمرين
 بالمعروف والناهيين عن المنكر يريدون الخير والنجاة
 للناس، وإنقاذهم من عذاب الله.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد
 الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا

(١) برقم ٢٠١٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، أصله في الصحيحين.

فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأمان للعباد
والبلاد من الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ
لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:
١١٧].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، وأن
يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة والعشرون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ❖

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ❖ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيات من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٤٢ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٤٥ كغلي الحميم ٤٦ خذوه فاعتلوه إلى سوء الجحيم ٤٧ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ٤٨ ذق إنك أنت العزيز الكريم ٤٩ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٥٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٢ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ٥٣ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ٥٥ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا

الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّتَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْتَهُ لِبِلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ [الدخان: ٤٠ - ٥٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾، وهو يوم القيامة الذي يفصل الله فيه بين الخلائق أجمعين الأولين منهم والآخرين، وبين كل مختلفين، وسمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، أي لا يسأل أخاه عن حاله وهو يراه عياناً، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي لا ينصر أحدٌ أحداً، لا من القريب ولا من البعيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله التي سعى لها سعيها في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿شَجَرَتِ الزَّقْوِمِ﴾ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثَمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عباده فيه، ذكر افتراقهم إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير - وهم الآثمون بعمل الكفر والمعاصي

- وأن طعامهم شجرة الزقوم، شر الأشجار وأفظعها، وهي الشجرة التي خلقها الله في جهنم، وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار، وشبه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو كالصديد المنتن، خبيث الريح والطعم، شديد الحرارة، يغلي في البطون كغلي الحميم أي من حرارتها ورداءتها.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مجاهد أن الناس كانوا يطوفون وابن عباس رضي الله عنهما جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ، لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مِنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزَّقُّومُ»^(١).

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي يقال للزبانية: جروه وسوقوه سحباً ودفعا في ظهره إلى سواء الجحيم إلى وسطها ومعظمها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ هذا كقوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ^(١١) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ^(٢٠) [الحج: ١٩ - ٢٠] قال بعضهم: إن الملك

(١) (٤/٤٦٧) برقم ٢٧٣٥، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

يضربه بمقمعة من حديد، فيفتح دماغه، ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه، فسلت ما في بطنه من أمعائه حتى تمزق من كعبيه - أعادنا الله تعالى من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ يقال له ذلك على سبيل التهكم والتوبيخ والاستهزاء، أي بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله، وإنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الحقير.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء، ولهذا سمي القرآن مثاني، فقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي الله في الدنيا في مقام أمين في الآخرة وهو الجنة، قد آمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع، وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيدته وسائر الآفات والمصائب.

قوله: ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم؛ هم في ظل ظليل من كثرة الأشجار والفواكه، وعيون سارحة تجري من تحتهم الأنهار، يفجرونها تفجيرًا في جنات النعيم، فأضاف الجنات إلى النعيم؛ لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور كامل من كل وجه ما فيه منغص، ولا مكدر بوجه من الوجوه.

قوله تعالى: ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾

أي لباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق، والسندس رقيق الحرير كالقمصان ونحوها، والاستبرق ما فيه بريق ولمعان، وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش، متقابلين: أي السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ كذلك أي النعيم التام والسرور الكامل، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي نساء جميلات من جمالهن وحسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن، وينبهر العقل بجمالهن، وينخلب اللب لجمالهن.

قال مجاهد: إنما سُميت الحور حورًا لأنهن يحار الطرف في حسنهن، وبياضهن، وصفاء لونهن، وقيل: إنما قيل لهن حور لِحور أعينهن، والحور: شدة بياض العين في شدة سوادها، قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْتُونِ ﴿٢٣﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الفاكهة أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه أو مضرته، بل يحضر لهم كلما أرادوا مما له اسم في الدنيا، أو مما لا يوجد له اسم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي ليس فيها موت بالكلية، ولو كان

فيها موت يستثنى لم يستثن الموتة الأولى التي هي الموتة في الدنيا، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوهَا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْهَا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوهَا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم من فضل الله وإحسانه عليهم، كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»^(٣). ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وأي فوز أعظم من نيل

(١) صحيح البخاري برقم ٤٧٣٠، وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٩ واللفظ له.

(٢) برقم ٢٨٣٧.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٤٦٧، وصحيح مسلم برقم ٢٨١٨.

رضوان الله وجنته، والسلامة من عذابه وسخطه؟

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً ﴿بِلِسَانِكَ﴾ الذي هو أفصح اللغات، وأجلاها، وأحلاها، وأعلاها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي يتفهمون ويعملون.

ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلماً له، وواعداً له بالنصر، ومتوعداً لمن كذب بالعطب والهلاك ﴿فَارْتَقِبْ﴾ أي انتظر، ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ أي فسيعلمون لمن يكون النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعك من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (٥١) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذرتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٥٢) [غافر: ٥١ - ٥٢]. (١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ص ١٠٤٤-١٠٤٥.

الكلمة السادسة والعشرون

تأملات في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤِجَ لَهَا إِن كُنتن تُرِدْنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤِجَ لَهَا إِن كُنتن تُرِدْنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ وَإِن كُنتن تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ يَنسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ يَنسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَّا كَأَحدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِن أَنتَقَيْنَ فَلَا نَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وَأذْكَرَنَّ

مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٣٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسًا حوله نساؤه، واجمًا ساكتًا، قال: فقال: لأقولن شيئًا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجه! سألتني النفقة فقلت إليها فَوَجَّاتُ عَنْقَهَا، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «هُنَّ حَوْلِي - كَمَا تَرَى - يَسْأَلُنِي النَّفْقَةَ»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده، فقلن: والله! لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا...﴾ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأُسْرِحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ حتى بلغ: ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، قال: فبدأ بعائشة، فقال: «يا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا

تُخبر امرأة من نساءك بالذي قلت، قال: « لا تسألني امرأةً منهنَّ إلا أخبرتها، إنَّ اللهَ لم يبعثني مُعنتًا، ولا مُتعتًا، ولكنَّ بعثني مُعلِّمًا مُيسِّرًا » (١).

قوله: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ أنه لما اجتمع نساء رسول الله ﷺ عليه في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفتحات، وفي مرادهن متعنتات، فشق ذلك على الرسول ﷺ حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا، فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويذهب عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله ﷺ أن يخيرهن فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أي ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها وتغضبين لفقدها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأتتن بهذه الحال ﴿ فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ ﴾ شيئًا مما عندي من الدنيا ﴿ وَأُسْرِحَنَّ ﴾ أي أفارقكن ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر وانسراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ ﴾ أي هذه مرادكن وغاية مقصودكن وإذا حصل لكنَّ الله ورسوله والجنة

لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله ﷺ بما تيسر، ولم تطلبين منه ما شق عليه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

رتب الأجر على وصفهن بالإحسان؛ لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات الرسول ﷺ فإن مجرد ذلك لا يكفي، بل لا يفيد شيئاً مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله ﷺ في ذلك، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة كلهن، لم يتخلف منهن واحدة ﷺ، وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسوله ﷺ والغيرة عليه أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

ومنها: سلامته ﷺ بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه إن شاء أعطى وإن شاء منع، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله والدار الآخرة عنها وعن مقارنتها.

ومنها: سلامة زوجاته ﷺ عن الإثم والتعرض لسخط الله ورسوله، فحسم الله بهذا التخيير عنهن التسخط على

الرسول ﷺ الموجب لسخطه المسخط لربه الموجب لعقابه.

ومنها: إظهار رفعتهن وعلو درجاتهن، وبيان علو هممهن أن كان الله ورسوله والدار الآخرة مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار للأمر المختار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكن زوجاته في الدنيا والآخرة.

ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات، مكملات، طيبات، مطيبات، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾.

ومنها: أن هذا التخيير داع وموجب للقناعة التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه وهمه وغمه.

ومنها: أن يكون اختيارهن هذا سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكن بمرتبة ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال: ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

لما اخترن الله ورسوله والدار الآخر ذكر مضاعفة أجرهن، ومضاعفة وزرهن وإثمهن لو جرى منهن، ليزداد حذرهن وشكرهن الله تعالى، فجعل لمن أتى منهن بفاحشة ظاهرة لها العذاب ضعفين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي تطيع الله ورسوله وتعمل صالحًا قليلًا أو كثيرًا ﴿تُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي مثل ما تعطى غيرها مرتين ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ وهي الجنة، فقنتن لله ورسوله، وعملن صالحًا، فعلم بذلك أجرهن.

قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَنَّا كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿وَأذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ خطاب لهن كلهن، ﴿لَسْتَنَّا كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فإنكن بذلك تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكلمن التقوى بجميع وسائلها، ومقاصدها. فلهذا

أرشدن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾: أي في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون، فتَلَنَّ في ذلك، وتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع الذي في قلبه مرض: أي مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد ينتظر أدنى محرك يحركه؛ لأن قلبه غير صحيح، فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم الله؛ فإن ذلك لا تكاد تُميله ولا تُحركه الأسباب، لصحة قلبه وسلامته من المرض؛ بخلاف مريض القلب الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه؛ فأدنى سبب يوجد ويدعوه إلى الحرام يُجيب دعوته ولا يتعاصى عليه؛ فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد؛ فإن الخضوع بالقول واللين فيه في الأصل مباح، ولكن لَمَّا كان وسيلة إلى المحرم؛ منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال أن لا تُلين لهم القول.

ولما نهاهن عن الخضوع في القول؛ فربما تُوهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢) أي غير غليظ ولا جاف، كما أنه ليس بلين خاضع، وتأمل كيف قال: ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾ ولم يقل: فلا تَلَنَّ بالقول، وذلك لأن المنهي عنه القول اللين الذي فيه خضوع المرأة للرجل وانكسارها عنده، والخاضع هو الذي يُطمع فيه، بخلاف من تكلم كلاماً ليناً ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم؛ فإن هذا لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله

رسوله باللين، فقال: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ^ط﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) فقولاً له، قولاً لِّتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤) [طه: ٤٣ - ٤٤].

ودل قوله: ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فليعرف أن ذلك مرض، فليجتهد في إضعاف هذا المرض وحسم الخواطر الرديئة ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به.

قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي اقررن فيها؛ لأنه أسلم وأحفظ، لكن ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات كعادة أهل الجاهلية الأولى الذين لا علم عندهم ولا دين؛ فكل هذا دفع للشر وأسبابه، ولما أمرهن بالتقوى عموماً وبجزئيات من التقوى نص عليها لحاجة النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصاً الصلاة والزكاة اللتان يحتاجهما ويضطر إليهما كل أحد، وهما أكبر العبادات وأجل الطاعات، وفي الصلاة الإخلاص للمعبود،

وفي الزكاة الإحسان إلى العبيد.

ثم أمرهن بالطاعة عموماً، فقال: ﴿وَأَطِئْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ * يدخل في طاعة الله ورسوله كل أمر أمراً به أمر إيجاب أو استحباب، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ * بأمرن بما أمرن به، ونهيكن عما نهاكن عنه؛ ﴿لِيَذِيبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ * أي: الأذى والشر والخبث ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ * حتى تكونوا طاهرين مطهرين؛ أي: فاحمدوا ربكم واشكروه على هذه الأوامر والنواهي التي أخبركم بمصلحتها، وأنها محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجاً ولا مشقة، بل لتزكى نفوسكم، وتطهر أخلاقكم وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم.

ولما أمرهن بالعمل الذي هو فعل وترك؛ أمرهن بالعلم، وبيّن لهن طريقه، فقال: ﴿وَأذْكُرَكُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ * والمراد بآيات الله القرآن، والحكمة أسراره أو سنة رسوله. وأمرهن بذكره يشمل ذكر لفظه بتلاوته وذكر معناه بتدبره والتفكر فيه واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل به وتأويله.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ * يدرك سرائر الأمور وخفايا الصدور وخبايا السموات والأرض والأعمال الظاهرة والخفية؛ فلطفه وخبرته تقتضي حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال،

وأن الله يجازي على تلك الأعمال، ومن معاني اللطيف أنه هو الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر بطرق خفية لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدره، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس؛ ما يكون ذلك طريقاً له إلى أعلى الدرجات وأرفع المنازل^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن سعدي ص ٨٨٥-٨٨٧. بتصرف

شرح اسم الله: «العليم»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف: ١٨٠].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله التي وردت في كتابه اسم «العليم»، قال بعضهم: ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في أكثر من مائة وسبعة وخمسين موضعاً، قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

(١) صحيح البخاري برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٧.

«وعلم الله تعالى أزلي أبدي لم يُسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون حين سأله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ ﴿٥٢﴾ [طه: ٥١ - ٥٢].

فيعلم تعالى الأمور المتقدمة والأمور المتأخرة أزلاً وأبداً، ويعلم جليل الأمور وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها، وغيبها وشهادتها، ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون، ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى، كما يعلم ما فوق السموات العلى، ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبايا الصدور، وخفايا ما وقع ويقع في أرجاء العالم، فهو الذي أحاط علمه بجميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض لعلمه خفاء ولا نسيان»^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾ [طه: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].
يعني أن تنظر على وجه الخفاء الذي لا يدركه الناس ولكن الله يعلمه، فهو يعلم خائنة الأعين، ويعلم ^{بِحُجُونٍ وَنَجْوَىٰ} ما تخفي الصدور من النيات الحسنة والنيات السيئة، بل يعلم ما توسوس به النفوس ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا عَلَيْهِ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦].

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١/١٩٦).

وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

«هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها التي يُطَّلَعُ منها ما شاء من خلقه، وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار من الحيوانات والأشجار والرمال والحصى والتراب، وما في البحار من حيواناتها ومعادنها وصيدها وغير ذلك مما تحويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها»^(١).

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ٢]. وبعض هذا المذكور يبهر العقول، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم، وسعته في أوصافه كلها.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم ﴿ الْعَلِيمُ ﴾:

١- التوسل إلى الله بصفة العلم، روى النسائي في سننه من حديث السائب بن مالك قال: صلى بنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما

(١) تفسير الكريم الرحمن للشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٠٩.

صلاة فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خفت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي، غير أنه كنى عن نفسه فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيَيْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّيْتَنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(١).

وروى الطبراني في الكبير من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَا شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ اِكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَانْكِزْ هُوًّا لَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ،

(١) سنن النسائي برقم ١٣٠٥ وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ برقم ١٢٣٨.

وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ أَوْحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعَلَّمَ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعَلَّمَ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» (١).

وروى البخاري والترمذي والنسائي من حديث جابر رضي عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، واقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ» (٢).

(١) برقم ٧١٣٥، وحسن إسناده الشيخ الألباني رحمته الله في الصحيحة برقم ٣٢٢٨.
 (٢) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٢، وسنن الترمذي برقم ٤٨٠، والنسائي برقم ٣٢٥٣.

قوله: فإنك تقدر ولا أقدر، أي تقدر أن تجعلني قادرًا فاعلاً، ولا أقدر أن أجعل نفسي كذلك، قوله: وتعلم ولا أعلم، أي حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها والنافع منها والضار عندك وليس عندي، قوله: يسره لي أو فاصرفه عني، فإنه طلب من الله تيسيره إن كان فيه مصلحة، وصرفه عنه إن كان فيه مفسدة^(١).

قوله: ثم بارك لي فيه، والبركة تتضمن ثبوته ونموه، وهذا قدر زائد على إقداره عليه وتيسيره له^(٢).

قوله: ثم رضني به، فإن المقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه، فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما.

يتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفات كماله؛ من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار ببروبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدته نفسه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها، وإدارته

(١) شفاء العليل لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١/١١٠).

(٢) شفاء العليل (١/١١٠).

لها، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق^(١).

٢- إذا علم العبد أن الله محيط بكل شيء وهو بكل شيء عليم، فإنه يخاف ويرهب من الله تعالى، ولا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً يغضب الله، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الآية فيها إرشاد إلى تطهير القلوب، واستحضار علم الله كل وقت، فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله، من تدبر آية من كتاب الله أو سنة من أحاديث رسول الله ﷺ أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله»^(٢).

وفي الآية الكريمة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

٣- أن الخلق لا يحيطون علماً بالخالق، أي لا يعلمون شيئاً من ذاته

(١) زاد المعاد (٢/٤٠٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥١-١٥٢.

وصفاته إلا ما أطلعهم الله سبحانه عليه عن طريق رسله وكتبه المنزلة، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وعلى وجه أعم أنهم لا يعلمون شيئاً من المعلومات إلا بتعليم الله لهم، فكل علم شرعي وقدري فمرجعه إلى الله العليم الحكيم، كما قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

٤- قلة ما بأيدينا من العلم بالنسبة لعلم الله تعالى، ومع كثرة المعلومات التي تعلمها بنو آدم وتشعبها إلا أنها قليلة جداً بالنسبة لعلم الله تعالى الواسع، قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

«وفي قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ [الكهف: ٧١]، جاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال

له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا
مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٣٤٠١، وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٠.
(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد النجدي (١/٢١٣-
٢٢٣)، والأسماء الحسنى والصفات العلى لأخينا الشيخ عبدالهادي بن حسن
وهبي ص ٤١-٤٨.

تأملات في سورة القدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن الله أنزل هذا القرآن الكريم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة ﴿ الْقَدْرِ ﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر: ١-٥].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل فيها: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ ﴾ وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ ﴿البقرة: ١٨٥﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: «أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١).

وسميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله تعالى، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الآجال، والأرزاق، والمقادير القدرية.

ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾، قوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي تعادل في فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الأبواب، وتندهش له العقول، حيث من تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمر طويلاً نيفاً وثمانين سنة.

قوله تعالى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ

(١) تفسير ابن كثير (٤٠٣/١٤).

﴿أَمْرٍ﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال في ليلة القدر: «إِنَّهَا لَيْلَةٌ سَابِعَةٌ - أَوْ تَاسِعَةٌ - وَعِشْرِينَ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى»^(١). ﴿وَالرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام.

والمعنى أنه ينزل مع الملائكة في ليلة القدر، وخصه بالذكر لشرفه مع أنه داخل في الملائكة.

﴿يَاذِنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره تعالى لهم بالنزول، فنزولهم طاعة لله، وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي ينزلون بكل أمر قدره الله، فمن بمعنى الباء، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ .

قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ المعنى هي ليلة خير وأمان وسلام من كل آفة وشر، وتمتد تلك الليلة بما فيها من الخير إلى وقت طلوع الفجر.

(١) مسند الإمام أحمد (٤٢٨ / ١٦) برقم ١٠٧٣٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال محققوه: إسناده محتمل للتحسين، وحسن إسناده الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٠٥.

ومن فوائد السورة الكريمة:

- ١- أن القرآن منزل في ليلة القدر.
- ٢- فضل ليلة القدر من وجوه كثيرة تقدم ذكرها.
- ٣- تنزل الملائكة في تلك الليلة، وجبريل عليه السلام معهم.
- ٤- أن الروح اسم لجبريل، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ وتخصيصه بالذكر في هذا السياق لأنه الذي نزل بالقرآن.
- ٥- أن نزول الملائكة بإذن الله أي بأمره.
- ٦- إثبات الملائكة، وأنهم قائمون بأنفسهم ويتصرفون بأمر الله خلافاً لمن يزعم من المتكلمين أنهم أشياء معنوية، والإيمان بالملائكة من أركان الإيمان.
- ٧- أن ليلة القدر مباركة، ومن بركتها كثرة نزول الملائكة فيها.
- ٨- أنها ذات سلام، أي سالمة من الشرور التي تحدث في غيرها.
- ٩- أن العمل يتضاعف فضله عن مثله بسبب وقوعه في زمن فاضل أو مكان فاضل، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨].

١٠- فضل الله على هذه الأمة بتيسير أسباب الأجر»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبد الرحمن البراك ص ٢٣٩-٢٤٤ بتصرف واختصار.

النذر وأحكامه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

النذر لغة: الإيجاب، تقول: نذرت كذا إذا أوجبتَه على نفسك، وشرعاً: إلزام مكلف مختار نفسه شيئاً لله تعالى. وصيغ النذر وألفاظه أن يقول: «لله علي أن أفعل كذا، أو علي نذر كذا»، ونحو ذلك من الألفاظ.

وقد مدح الله ﷻ الموفين بالنذر وأثنى عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقال تعالى في وصف الأبرار: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

وقد كره بعض أهل العلم النذر ابتداءً لأن الناذر يلزم نفسه بشيء لا يلزمه في أصل الشرع، فيحرج نفسه ويثقلها بهذا النذر؛ ولأنه مطلوب من المسلم فعل الخير بدون نذر، إلا أنه

إذا نذر فعل طاعة وجب عليه الوفاء به، لما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ»^(١).

شروط صحة النذر ولزومه:

قال العلماء: لا يصح النذر إلا أن يكون نذر طاعة من شخص بالغ عاقل مختار، فلا يصح النذر من الصبي، ولا من المجنون والمعتوه، ولا من المكره لقوله صلى الله عليه وسلم: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ»^(٢). فدل الحديث على أنه لا يلزم النذر من هؤلاء لرفع القلم عنهم، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٣).

ويصح النذر من الكافر إذا نذر عبادة، ويلزمه الوفاء به إذا أسلم، لحديث عمر رضي الله عنه قال: إني نذرت في الجاهلية

(١) برقم ٦٦٩٦.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم ٩٤٠ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال محققوه: صحيح لغيره، الحسن وهو ابن أبي الحسن البصري لم يسمع من علي. وأخرجه النسائي في الكبرى ٧٣٤٧ من طريق يزيد بن زريع عن يونس به، موقوفاً على علي، ورجح النسائي وقفه، وكذا الدارقطني في العلل (١٩٢/٣) لكن له حكم الرفع.

(٣) برقم ٢٠٤٣ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في سنن ابن ماجه (٣٤٧/١) برقم ١٦٦٢.

أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له النبي ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»^(١).

أنواع النذر وحكم كل نوع:

١- نذر التبرر: وهو نذر الطاعة كفعل الصلاة والصيام والحج ونحوها وهو على نوعين:

الأول: النذر المطلق أي غير معلق على حصول شرط، كما لو قال: **لله** عليّ أن أصلي أو أتصدق أو أصوم كذا وكذا. وهذا النوع هو الذي رأى بعض أهل العلم كراهيته ابتداء كما تقدم بيانه.

الثاني: المعلق على شرط، كأن يقول: **لله** عليّ نذر كذا وكذا إن رزقت بولد أو تيسر لي الشيء الفلاني. وهذا النوع جاء فيه النهي عن النبي ﷺ، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن النذر، وقال: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»^(٢).

والأصل في النهي التحريم، ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلى تحريم هذا النوع وذهب آخرون إلى كراهته.

(١) صحيح البخاري برقم ٢٠٣٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٥٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٦٩٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٣٩.

٢- النذر المطلق: نحو قوله: «لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ» ولم يسم شيئاً فليزمه كفارة يمين، سواء كان مطلقاً أو معلقاً بشرط، لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمَّ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»^(١).

٣- نذر اللجاج والغضب: وهو تعليق نذره بشرط يقصد المنع منه، أو الحمل عليه، أو التصديق، أو التكذيب، كما لو قال: إن كلمتك أو: إن لم أخبرك، أو: إن لم يكن هذا الخبر صحيحاً، أو: إن كان كذباً، فعليّ الحج أو العتق، فهذا النذر خارج مخرج اليمين للحث على فعل شيء، أو المنع منه، ولم يقصد به النذر ولا القربة، فهذا يخير فيه بين فعل ما نذره أو كفارة يمين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»^(٢).

٤- نذر المباح: كما لو نذر أن يلبس ثوبه أو يركب دابته، ويخير بين فعله وبين كفارة يمين إن لم يفعله؛ واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله أنه لا شيء عليه في نذر المباح؛ لما روى

(١) صحيح مسلم برقم ١٦٤٥، دون قوله: ولم يسم، وسنن الترمذي برقم ١٥٢٨، وقال: حسن صحيح غريب، وضعفه غيره، لكن يؤيده ما رواه أبو داود برقم ٣٣٢٢ بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورجح الأئمة وقفه عليه. انظر: سبل السلام (٤٢/٨).

(٢) صحيح مسلم برقم ١٦٤٥ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال: «مُرُهُ فَلَيْتَ كَلَّمْ وَلَيْسْتَ ظِلٌّ وَلَيْتَ قَعُدْ، وَلَيْتَمَّ صَوْمُهُ»^(١).

٥- نذر المعصية: كنذر شرب الخمر، وصوم أيام الحيض ويوم النحر، فلا يجوز الوفاء بهذا النذر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ، فَلَا يَعْصِهِ»^(٢). فدل هذا الحديث على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية؛ لأن المعصية لا تُباح في حال من الأحوال.

ومن نذر المعصية: النذر للقبور أو لأهل القبور، وهو شرك أكبر، ويكفر عن هذا النذر كفارة يمين عند بعض أهل العلم، وهو مروى عن ابن مسعود وابن عباس وعمران بن حصين وسمرة بن جندب رضي الله عنهما.

واستدل أصحاب القول الأول بالحديث الذي رواه ابن الجارود في المنتقى والبيهقي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ النَّذْرَ نَذْرَانِ: فَمَا كَانَ لِلَّهِ فَكَفَّارَتُهُ الْوَفَاءُ

(١) صحيح البخاري برقم ٦٧٠٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٢١٤.

بِهِ، وَمَا كَانَ لِلشَّيْطَانِ فَلَا وَفَاءَ لَهُ، وَعَلَيْهِ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ»^(١).

وذهب جماعة من أهل العلم إلى عدم انعقاد نذر المعصية، وأنه لا يلزمه به كفارة، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: «ومن أسرج قبراً أو مقبرة أو جبلاً أو شجرة أو نذر لها أو لسكانها أو المضافين إلى ذلك المكان؛ لم يجز، ولا يجوز الوفاء به إجماعاً، ويُصرف في المصالح ما لم يُعلم ربه... انتهى»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ابن الجارود في المنتقى (٩٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٤/٢٠) برقم (٢٠١٠٢) (١٩٤/٢٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم (٤٧٩).

(٢) الاختيارات الفقهية ص ٤٧٦.

(٣) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/ ٦١٢-٦١٦)، والفقهاء الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء ص ٥٣١ - ٥٣٥.

الكلمة الثلاثون

الأيمان وأقسامها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

الأيمان لغة: جمع يمين وهو الحلف أو القسم، وسمي الحلف يميناً لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل واحد منهم بيمينه على يمين صاحبه.

وشرعاً: توكيد الشيء المحلوف عليه بذكر اسم الله أو صفة من صفاته.

وتنقسم اليمين من حيث انعقادها وعدم انعقادها إلى ثلاثة أقسام:

١- اليمين اللغو: وهو الحلف من غير قصد يمين بل يجري على لسان الشخص وهو لا يشعر كقوله: «لا والله، وبلى والله» وهو لا يريد بذلك يميناً، ولا يقصد قسمًا، فهذا يعد لغوًا، أو يحلف على شيء يظن صدقه فيظهر خلافه، لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. قالت عائشة رضي الله عنها:

«أنزلت هذه الآية في قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وكلا والله»^(١). وهذه اليمين لا كفارة فيها، ولا مؤاخذة، ولا إثم على صاحبها.

٢- اليمين المنعقدة: وهي اليمين التي يقصدها الحالف ويصمم عليها، وتكون على المستقبل من الأفعال، وتكون على أمر ممكن، فهذه يمين منعقدة مقصودة، فتجب فيها عند الحنث كفارة، لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

٣- اليمين الغموس: وهي اليمين الكاذبة التي تهضم الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو، ويجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق، وسميت هذه اليمين غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياداً بالله، ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ

(١) صحيح البخاري برقم ٤٦١٣.

سَكِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ [النحل: ٩٤]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكبائر: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»^(١).

كفارة اليمين:

«شرع الله عز وجل لعباده كفارة اليمين التي يكون بها تحلة اليمين والخروج منها، وذلك رحمة بهم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحریم: ٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ»^(٢). وهذه الكفارة تجب على الشخص إذا حنث في يمينه ولم يوف بموجبها.

وكفارة اليمين فيها تخيير وترتيب، فيخير من لزمته بين إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من الطعام، أو كسوة عشرة مساكين لكل واحد ثوب يجزئه في الصلاة، أو عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب، فمن لم يجد شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة صام ثلاثة أيام، لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُ إِطْعَامُ

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٥٧، وصحيح مسلم برقم ٨٩.

(٢) صحيح البخاري من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه برقم ٦٧٢٢، وصحيح مسلم برقم ١٦٥٠ واللفظ له.

عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۗ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

[المائدة: ٨٩]. فجمعت كفارة اليمين بين التخيير والترتيب، تخيير بين الإطعام والكسوة والعتق، وترتيب بين هذه الثلاثة وبين الصيام.

وهنا يغلط كثير من العوام، فيظنون أنهم مخيرون بين الصيام وبين بقية خصال الكفارة، فيصومون مع قدرتهم على الإطعام أو الكسوة، والصيام في هذه الحالة لا يجزئهم ولا يبرئ ذمتهم من كفارة اليمين، لأنه لا يجزئ إلا عند العجز عن الإطعام أو الكسوة أو العتق، فيجب التنبيه والتنبه لمثل هذا الأمر.

ويجوز تقديم الكفارة على الحنث، ويجوز تأخيرها عنه، فإن قدمها كانت محللة لليمين، وإن أخرها كانت مكفرة له، والدليل ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ»^(١)، ولأبي داود:

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٢٢، وصحيح مسلم برقم ٤٢٥٧.

«فَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ، ثُمَّ أَنْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»^(١). فدل هذا الحديث على جواز تقديم الكفارة على الحنث، ودلت الأحاديث على جواز التقديم والتأخير^(٢).

شروط وجوب كفارة اليمين:

لا تجب الكفارة في اليمين إذا نقضها الحالف، ولم يف بموجبها إلا بشروط ثلاثة، وهي:

الشرط الأول: أن تكون اليمين منعقدة، بأن يقصد الحالف عقدها على أمر مستقبل كما مضى بيان ذلك، ولا تنعقد اليمين إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]. فدل ذلك على أن الكفارة لا تجب إلا في اليمين المنعقدة، أما من سبق اليمين على لسانه بلا قصد فلا تنعقد يمينه، ولا كفارة عليه.

الشرط الثاني: أن يحلف مختاراً، فمن حلف مكرهاً لم تنعقد يمينه ولا كفارة عليه فيها؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ

(١) سنن أبي داود من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه برقم ٣٢٧٨.

(٢) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٦٠٧-٦٠٨).

تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا
عليه»^(١).

الشرط الثالث: أن يحنث في يمينه، بأن يفعل ما حلف على
تركه، أو يترك ما حلف على فعله، ذاكرًا
ليمينه مختارًا، أما إذا حنث في يمينه ناسيًا أو
مكرهاً، فلا كفارة عليه للحديث المتقدم.

الاستثناء في اليمين:

من حلف فقال في يمينه: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فلا حنث عليه ولا
كفارة إذا نقض يمينه، لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
لَمْ يَحْنَثْ»^(٢).

نقض اليمين والحنث فيها:

الأصل أن يفى الحالف باليمين، لكن قد ينقضه لمصلحة،
أو ضرورة، وقد شرع له كفارة ذلك - كما سبق - ويمكن
تقسيم نقض اليمين، والحنث فيها بحسب المحلوف عليه،
على النحو التالي:

(١) سنن ابن ماجه (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر الغفاري رضي عنه، وصححه الشيخ

الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٧) برقم ١٦٦٢.

(٢) رواه الترمذي برقم ١٥٣٢ من حديث أبي هريرة رضي عنه، وصححه الألباني رحمته الله

في صحيح الترمذي برقم ١٢٣٧.

١- أن يكون نقض اليمين واجباً: وذلك إذا حلف على ترك واجب، كمن حلف أن لا يصل رحمه، أو حلف على فعل محرم، كأن يحلف ليشربن خمرًا؛ فهنا يجب عليه نقض يمينه، وتلزمه الكفارة؛ لأنه حلف على معصية.

٢- أن يكون نقض اليمين حراماً: كما لو حلف على فعل واجب، أو ترك محرم، وجب عليه الوفاء، ويحرم عليه نقض اليمين؛ لأن حلفه في هذه الحالة تأكيد لما كلف الله به عباده.

٣- أن يكون نقض اليمين مباحاً: وذلك إذا حلف على فعل مباح أو تركه.

صور لبعض الأيمان الجائزة والممنوعة:

إن اليمين الجائزة هي التي يحلف فيها باسم الله، أو بصفة من صفاته، كأن يقول: «والله، أو وجه الله، أو عظمته وكبريائه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»^(١)، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم: «لا. ومقلب القلوب»^(٢). وكذلك لو قال: أقسم بالله

(١) صحيح البخاري برقم ٦٢٧٠، وصحيح مسلم برقم ١٦٤٦.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٦٢٨.

لأفعلن كذا، فهو يمين إن نواها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النحل: ٣٨].

ومن الأيمان الممنوعة:

١- الحلف بغير الله تعالى: كقوله: «وحياتك، والأمانة...»
 لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

٢- الحلف بأنه يهودي أو نصراني، أو أنه بريء من الله أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فعل كذا ففعله: لحديث بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ، فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا»^(٢).

٣- الحلف بالآباء والطاغوت: لحديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي وَلَا بِآبَائِكُمْ»^(٣).

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) أخرجه أبو داود برقم ٣٢٥٨، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم ٢٧٩٣.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٦٤٨.

مسائل في الإيمان:

وإن كرر الإيمان قبل التكفير على فعل واحد، موجبها واحد، ثم حنث فيها فعليه كفارة واحدة، وكذا لو حلف يميناً واحدة على عدة أشياء، كما لو قال: «والله لا أكل ولا أشرب ولا ألبس، ثم حنث في واحدة من هذه الأشياء، فعليه كفارة واحدة، وانحلت البقية لأنها يمين واحدة، أما إذا حلف عدة أيمان على عدة أفعال، ثم حنث فيها فعليه كفارة لكل يمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من كرر أيماناً قبل التكفير فروايات - ثالثها - وهو الصحيح إن كانت على فعل، فكفارة وإلا فكفارات». أ هـ^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إذا حلف على إنسان قاصداً إكرامه؛ لا يحنث مطلقاً؛ إلا إذا كان قاصداً إلزامه، فإنه يحنث.. انتهى»^(٢).

«تنبيه:

يقول الله تعالى بعدما ذكر كفارة اليمين: ﴿وَأَحْفَظُوا

(١) الفتاوى الكبرى (٥/٥٠٠).

(٢) المستدرک علی مجموع الفتاوى (٥/٣٤).

أَيْمَانِكُمْ ﴿ [المائدة: ٨٩]. فأمر سبحانه بحفظ الأيمان، ومعناه: عدم المسارعة إلى اليمين، أو المسارعة إلى الحنث فيها، أو أنها لا تترك بدون كفارة، وعلى كل، ففي الآية الكريمة الأمر باحترام اليمين، وعدم الاستهانة بها.

ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الناس إذا حلف؛ يحتال على مخالفة اليمين، ويظن أنه بهذه الحيلة يسلم من تبعة اليمين.

وقد نبه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ بقوله: «ومن الحيل الباطلة: لو حلف لا يأكل هذا الرغيف، أو لا يسكن في الدار هذه السنة، أو لا يأكل هذا الطعام؛ قالوا: يأكل الرغيف ويدع منه لقمة واحدة، ويسكن السنة كلها إلا يوماً واحداً، ويأكل الطعام كله إلا القدر اليسير منه ولو أنه لقمة!! وهذه حيلة باطلة باردة، ومتى فعل ذلك؛ فقد أتى بحقيقة الحنث؛ وفعل نفس ما حلف عليه، ثم يلزم هذا المتحيل أنه يجوز للمكلف كل ما نهى الشارع عن جملته، فيفعله إلا القدر اليسير منه؛ فإن البر والحنث في الأيمان نظير الطاعة والمعصية في الأمر والنهي، ولذلك لا يبرأ إلا بفعل المحلوف عليه جميعه لا بفعل بعضه كما لا يكن مطيعاً إلا بفعله جميعه، ويحنث بفعل بعضه كما يعصي بفعل بعضه»^(١).

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٢٩٤).

ومن الناس من يحلف على عدم فعل شيء، ثم يوكل من يفعله بدلاً عنه! وهذا من الحيل التي لا تُبرئ ذمته من تبعة اليمين؛ إلا إذا كان قاصداً عدم مباشرة فعل الشيء بنفسه؛ فله ما نوى.

وعلى كل حال، فشأن الأيمان شأن عظيم، لا يجوز التساهل به، ولا الاحتيال للتخلص من حكمه^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٦٠٧-٦١١)، والفقهاء الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء ص ٣٨٧-٣٩١.

الكلمة الواحدة والثلاثون

حقوق العمال والتحذير من ظلمهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فمن الذنوب العظيمة التي حرمها الله على عباده، ورتب عليها العقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة، الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢]، وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١)، وفي الصحيحين من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ

ظُلِّمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»^(١).

ومن أنواع الظلم: ظلم العمال الذي سيكون حديثنا في هذا اليوم، وله صور كثيرة، منها تكليفهم بالعمل فوق الساعات التي تم الاتفاق عليها، أو تكليفهم من العمل ما لا يطيقون في أي مهنة كانت، أو تأخير رواتبهم والمماطلة في ذلك، أو عدم صرفها لهم.

ومنها محاولة بخس حقوقهم، وذلك أن يكتب الكفيل عقدًا بينه وبين العامل، ثم إذا حضر العامل حاول التخلص من هذا العقد ليجعل مرتبه أقل مما اتفق عليه، فيضطر هذا المسكين الذي بذل قصارى جهده ليصل إلى العمل أن يرضخ تحت هذا الضغط السيئ، وهذا من الظلم الذي حرمه الله على العباد.

وإن من الأمانة، الوفاء بالعقود، فعلى كل من العامل وصاحب العمل أن يفيا بما تعاقدوا عليه والتزما به ما دام ذلك موافقاً للشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

فرب العمل يلتزم بالأجرة، ونوع العمل ومقداره وزمنه، حسب ما تم الاتفاق عليه، والعامل يلتزم بالقيام بما وُكل إليه

(١) صحيح البخاري برقم ٢٤٤٧، وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٨.

على أحسن وجه، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوَفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر رضي عنه بالربذة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(٢).

وتقصير صاحب العمل لا يسوغ للعامل أن يخل بأمانة العمل، أو يسرق، أو يهرب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ»^(٣).

وينبغي للمؤمن أن يتحلل من مظالم الآخرين قبل يوم القيامة، حيث لا درهم ولا دينار، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ

(١) برقم ٢٢٢٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٠، وصحيح مسلم برقم ١٦٦١.

(٣) مسند أبي يعلى من حديث عائشة رضي عنها برقم ٤٣٨٦، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١١١٣

كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

لقد حث النبي ﷺ على حسن التعامل مع الأجراء والعمال والتلطف معهم وعدم إيذائهم بأي حال من الأحوال، فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود البصري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: «اعلم، أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم أبا مسعود؛ أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام». فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً^(٢). وفي رواية لمسلم: فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل لفتحك النار»، أو «لمستك النار»^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم حتى

(١) برقم ٢٤٤٩.

(٢) برقم ١٦٥٩.

(٣) برقم ١٦٩٥.

أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْحِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ - فَقَالَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي - ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَأْجَرَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^(١).

وسياتي إن شاء الله كلمة عن واجبات العمال، والتحذير مما يفعله بعضهم من ظلم وأذى لكفلائهم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٢٢٧٢، وصحيح مسلم برقم ٢٧٤٣.

القتل الخطأ وأحكامه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

عرف الفقهاء رحمهم الله الجنائيات بأنها: جمع جنائية، وهي لغة التعدي على بدن أو مال أو عرض.

وقد عقد الفقهاء للنوع الأول منها، وهو التعدي على البدن كتاب الجنائيات، وعقدوا للنوع الثاني والثالث - وهما التعدي على المال والعرض - كتاب الحدود.

والتعدي على البدن هو ما يوجب قصاصاً، أو مالاً، أو كفارة، ومن ذلك قتل الخطأ.

وقد عرفه الفقهاء وهو: أن يفعل ما له فعله مثل أن يرمي صيداً، أو هدفاً فيصيب آدمياً معصوماً لم يقصده فيقتله، أو يقتل مسلماً في صف كفار.

أنواع قتل الخطأ:

١- الخطأ في الفعل: وهو أن يفعل ما يجوز له فعله، فيصيب

آدمياً معصوماً لم يقصده، كأن يرمي صيداً فيصيب إنساناً فيقتله، أو ينقلب وهو نائم على إنسان فيموت.

٢- الخطأ في القصد: كأن يرمي ما يظنه مباحاً فيتبين آدمياً، كما لو رمى شيئاً يظنه صيداً، فتبين آدمياً معصوماً.

٣- أن يكون القاتل عمداً صغيراً أو مجنوناً: فعمد الصبي والمجنون يجري مجرى الخطأ، لأنه ليس لهما قصد. ويلحق بقتل الخطأ القتل بالتسبب، كما لو حفر بئراً أو حفرة في طريق، فتلف بسبب ذلك إنسان.

يترتب على قتل الخطأ حكمان:

١- يتعلق بحقوق الأدميين، وهو وجوب الدية على عاقلة القاتل، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢]. والدليل على وجوب دية قتل الخطأ على عاقلة القاتل حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ضربت امرأة ضرثها بعمود فسطاط وهي حبلى فقتلتها، قال: وإحداهما لحيانية، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دية المقتولة على عصابة القاتلة، وغرّة لما في بطنها. (١) الحديث.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٩٠٩، وصحيح مسلم برقم ١٦٨٢ واللفظ له.

فدل الحديث على أن دية الخطأ على العاقلة، وقد أجمعوا على ذلك، والحكمة في ذلك - والله أعلم - أن إيجاب الدية في مال المخطئ فيه ضرر عظيم من غير ذنب تعمدته، والخطأ يكثر وقوعه، ففي تحميله ضمان خطئه إجحاف بماله، ولا بد من إيجاب بدل للمقتول؛ لأنه نفس محترمة، وفي إهدار دمه إضرار بورثته، لا سيما عائلته، فالشارع الحكيم أوجب على من عليه موالاة القاتل ونصرته أن يعينوه على ذلك، وذلك كإيجاب النفقات، وفكاك الأسير، ولأن العاقلة يرثون المعقول عنه لو مات في الجملة، فهم يتحملون عنه جناية الخطأ من قبل الغنم بالمغرم.

ولا يدخل في العاقلة: الرقيق، والفقير، والصغير، والمجنون، والأنثى، والمخالف لدين الجاني؛ لأن هؤلاء ليسوا من أهل النصره والمواساة، وتؤجل دية الخطأ على العاقلة ثلاث سنين، ويجتهد الحاكم في تحميل كل منهم ما يستطيع، ويبدأ بالأقرب فالأقرب، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا تؤجل الدية على العاقلة إذا رأى الإمام المصلحة في ذلك»^(١).

٢- يتعلق بحق الخالق سبحانه وتعالى: وهي الكفارة:

- عتق رقبة مؤمنة: وهذا إذا كان يستطيع العتق، ويشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة سليمة من العيوب، لقوله تعالى: ﴿وَمَا

(١) انظر الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٤٧٠).

كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴿٩٢﴾ [النساء: ٩٢]. وحمل القاتل الكفارة لأمر: أولاً: احترام النفس الذاهبة، ثانياً: لكون القتل لا يخلو من تفريطه، ثالثاً: نظراً لأن القاتل لا يحمل شيئاً من الدية وتحملها العاقلة، فكان في جعل الدية على العاقلة والكفارة على القاتل عدة حِكم ومصالح، فسبحان الحكيم العليم الذي شرع للناس ما يصلحهم وينصحهم في دينهم ودنياهم. فإن لم يتمكن من العتق؛ لفقره، أو لعدم وجود الرقيق، فإنه ينتقل إلى:

- صوم شهرين متتابعين إن كان يستطيع، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢]. فإن عجز عن الصوم لمرض أو كبر سن، فإن الكفارة متعلقة بذمته، ولا يجزئ عنها الإطعام؛ لأن الله تعالى لم يذكره، والإبدال في الكفارة يتوقف على النص ولا نص في ذلك. وهذا الذي رجحه جمهور أهل العلم في المملكة العربية السعودية وتفتي به اللجنة الدائمة^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢١/٢٧٣).

(٢) الملخص الفقهي للشيخ صالح الفوزان (٢/٤٦٦-٤٧٠)، والفقهاء الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء ص ٣٤٩-٣٥٠.

الكلمة الثالثة والثلاثون

مقتطفات من سيرة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، إنه الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، أبو محمد، الإمام السيد، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا، وسيد شباب أهل الجنة، وأشبه خلق الله به في وجهه، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه، وسماه حسناً، وهو أكبر ولد أبويه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً، وكان يعتنقه ويلاعبه، وربما جاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد في الصلاة فيركب على ظهره فيقره على ذلك، ويطيل السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر^(١).

(١) البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (١١ / ١٨١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطُبنا، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رضي الله عنهما عَلَيَّهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمِنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ٥١]، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عقبة بن الحارث: أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بليال، ثم خرج هو وعلي يمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان، فاحتمله على عنقه، فجعل يقول: بأبي شبيهه بالنبي صلى الله عليه وسلم لا شبيهه بعلي، قال: وعلي يضحك^(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق من أسواق المدينة، فانصرف فانصرفت، فقال: «أَيْنَ لُكْعُ - ثَلَاثًا - ادْعُ الْحَسَنَ بَنَ عَلِيٍّ»، فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السخاب^(٣)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا،

(١) مسند الإمام أحمد (١٠٠/٣٨) برقم ٢٢٩٩٥، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) برقم ٣٥٤٢.

(٣) السخاب: ينظم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجواري، وقيل: هو قلادة تتخذ من قرنفل ونحوه، وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء. انظر النهاية (٢/٣٤٩).

فالتزمه فقال: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه»^(١). قال أبو هريرة رضي الله عنه: «فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال».

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وسأله عن المحرم قال شعبة أحسبه يقتل الذباب؟ فقال أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»^(٢).

قال ابن حجر رحمته الله: «شبههما بذلك؛ لأن الولد يشم ويقبل^(٣)، وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير من طريق أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين يلعبان بين يديه وفي حجره، فقلت: أتحبهما يا رسول الله؟ قال: «وَكَيْفَ لَا أُحِبُّهُمَا وَهُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا أَشْمُهُمَا»^(٤).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٨٨٤، وصحيح مسلم برقم ٢٤٢١ مختصراً.

(٢) برقم ٣٧٥٣.

(٣) فتح الباري (٧/٩٩).

(٤) (١٥٦/٤) برقم ٣٩٩، وقال محققه: فيه الحسن بن عنبسة وهو ضعيف.

سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى قال: «سمعت الحسن يقول: استقبل **الله** الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولِّي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان **الله** خير الرجلين - :أي عمرو! إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمر الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة و**عبد الله** بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه، فتكلما وقالوا له فطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول **الله** ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢). فلما ولي

(١) (٣١ / ١٧) برقم ١٠٩٩، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) برقم ٢٧٠٤.

لم يهرق في خلافته محجمة من دم. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «الحسن ابن علي أحد الخلفاء الراشدين، والدليل على ذلك الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طرق عن سفينة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مولى رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الْخِلاَفَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا»^(١). وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النبوة.

وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنعة هذا، وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية، حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد»^(٢). أ.هـ.

وكان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجلب الحسن ويعظمه، ويكرمه، ويحبه، ويتفداه، وكذلك عمر بن الخطاب، ولذلك لما تولى عمر الخلافة وعمل الديوان فرض للحسن والحسين من أهل بدر في خمسة آلاف، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما، وقد كان الحسن بن علي يوم الدار مع

(١) شرح السنة للبعوي (١٤ / ٧٥)، وقال محققاه الشيخ زهير الشاويش والشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) البداية والنهاية (١١ / ١٣٤).

عثمان بن عفان وهو محصور في بيته ومعه السيف متقلداً به يجاحف عن عثمان، فخشي عثمان عليه، فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطيباً لقلب علي، وخوفاً عليهم رضي الله عنهما.

وكان علي يكرم ابنه الحسن إكراماً زائداً، ويعظمه ويجله، وقد قال له يوماً: يا بني، ألا تخطب حتى أسمعك، فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً، وعلي يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من نعم الله عليه، وكانا إذا طافا بالبیت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: «والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي».

ومن أقواله رضي الله عنه أنه قال لبنيه وبني أخيه: «تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم، وتكونون كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فليكتب»^(١).

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٠٣).

ولما قيل له أن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله! ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله، ولما تنازل عن الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان، قال له أصحابه: يا عار المؤمنين، فقال: العار خير من النار، وقال له آخر: يا مذل المؤمنين، فقال: لا ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك.

قال أبو عمر ابن عبد البر: «وروينا من وجوه أن الحسن لما احتضر قال للحسين: يا أخي! إن أباك لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، فصرفه الله عنه، فلما احتضر أبو بكر تشرف أيضاً لها، فصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر، جعلها شورى - أبي أحدهم - فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما قُتل عثمان ببيع، ثم نوزع حتى جرد السيف، وطلبها فما صفا له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا - أهل البيت - النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك، وقد كنت طلبت إلى عائشة أن أُدفن في حجرتها، فقالت: نعم، وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياءً، فإذا ما مت، فاطلب ذلك إليها، وما أظن القوم إلا سيمنعونك، فإن فعلوا، فادفني في البقيع، فلما مات قالت عائشة: نعم وكرامة، فبلغ ذلك مروان، فقال: كذب وكذبت، والله لا يُدفن هناك أبداً؛ منعوا عثمان من دفنه في المقبرة، ويريدون دفن حسن في بيت

عائشة، فلبس الحسين ومن معه السلاح، واستلأم مروان أيضًا في الحديد، ثم قام في إطفاء الفتنة أبو هريرة^(١).

قال الذهبي: «أعاذنا الله من الفتن، ورضي عن جميع الصحابة، فترض عنهم يا شيعي تُفلح، ولا تدخل بينهم، فالله حكم عدل، يفعل فيهم سابق علمه، ورحمته وسعت كل شيء، وهو القائل: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(٢). ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فنسأل الله أن يعفو عنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت آمين.

فبنو الحسن هم: الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم، وأبو بكر، وعبد الله، فقتلوا بكر بلاء مع عمهم الشهيد، وعمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل، فهؤلاء الذكور من أولاد السيد الحسن، ولم يُعقب منهم سوى الرجلين الأولين، الحسن وزيد، فلحسن خمسة أولاد أعقبوا، ولزيد ابن وهو الحسن بن زيد، فلا عقب له إلا منه، ولي إمرة المدينة، وهو والد الست نفيسة، والقاسم، وإسماعيل، وعبد الله، وإبراهيم، وزيد، وإسحاق، وعلي رضي الله عنه^(٣).

(١) الاستيعاب (١/٣٧٦-٣٧٧).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣١٩٤، وصحيح مسلم برقم ٢٧٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٢٧٩).

ويقال إنه مات مسمومًا، وساق ابن سعد بسنده إلى عمير ابن إسحاق قال: «دخلت أنا وصاحب لي على الحسن بن علي فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي، وإني قد سقيت السم مرارًا فلم أُسق مثل هذا، فأتاه الحسين بن علي فسأله من سقاه، فأبى أن يخبره»^(١).

قال أبو نعيم: لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع، فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك حتى تقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جديك النبي ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب والمطهر وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب. قال: فسرى عنه. وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخي، إنني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقًا من خلق الله لم أر مثله قط. قال: فبكى الحسين ﷺ.

وقد اجتمع الناس لجنائزته، حتى ما كان البقيع يسع أحدًا من الزحام.

قال ابن علية عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «توفي

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٣٤-٥٤٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٨١-٢١٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥-٢٧٩).

الحسن وهو ابن سبع وأربعين، وكذا قال غير واحد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وهو أصح، والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين - كما ذكرنا - وقال آخرون: مات سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين».

رضي الله عن الحسن وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



مقتطفات من سيرة فاطمة بنت محمد بن عبد الله ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فهذه سيرة سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم، القرشية الهاشمية، صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضي عنها، كانت تُكنى أم أبيها، وتُلقب الزهراء، وهي أم الحسنين، قال عبدالرزاق عن ابن جريج: قال لي غير واحد: كانت فاطمة أصغر بنات النبي ﷺ، وأحبهن إليه، قال ابن عبدالبر: اختلفوا في أيتهن أصغر، والذي يسكن إليه اليقين أن أكبرهن زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، واختلفوا في سن مولدها، قال العباس: ولدت فاطمة والكعبة تُبنى، والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة، وبهذا جزم المدائني، وقال بعضهم: كان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين، وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة.

وتزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الثانية بعد غزوة بدر في ذي القعدة أو قبله، ولها يومئذ ثماني عشرة سنة، وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم وزينب.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها ويكرمها ويسير إليها، ومناقبها غزيرة. وكانت صابرة دينة خيرة حية قانعة شاكرة لله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب لها، وهي بضعة منه، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت حين تشهد يقول: «أَمَّا بَعْدُ أَنْ كَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَّقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا»^(١). وفي رواية: «وَإِنِّي لَسْتُ أُحْرِمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا»^(٢)، فترك علي الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها ولا تسرى، فلما توفيت تزوج وتسرى رضي الله عنه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن أبي نجيح

(١) صحيح البخاري برقم ٣٧٢٩، وصحيح مسلم برقم ٢٤٤٩.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٤٤٩.

عن أبيه عن رجل سمع علياً رضي الله عنه يقول: أَرَدْتُ أَنْ أَخْطُبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْنَتَهُ، فَقُلْتُ: مَا لِي مِنْ شَيْءٍ فَكَيْفَ؟ ثُمَّ ذَكَرْتُ صَلَاتَهُ وَعَائِدَتَهُ، فَخَطَبْتُهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ^(١) الَّتِي أُعْطَيْتَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ: هِيَ عِنْدِي. قَالَ: «فَأَعْطِينِيهَا»، قَالَ: فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث بريدة رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه لما خطب فاطمة رضي الله عنها قال له النبي ﷺ ليلة العرس: «لَا تُحَدِّثْ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي»، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي بِنَائِهِمَا»^(٣).

وكانت فاطمة أشبه الناس برسول الله ﷺ في هديه وسمته، فروى أبو داود في سننه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا - وَقَالَ الْحَسَنُ: حَدِيثًا، وَكَلَامًا، وَلَمْ يَذْكَرِ الْحَسَنُ السَّمْتَ، وَالْهَدْيَ، وَالذَّلَّ - بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدَيْهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ

(١) الحطمية: قال ابن الأثير في النهاية (١/٤٠٣): هي التي تحطم السيوف أي تكسرها، قيل: العريضة الثقيلة، وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب، كانوا يعملون الدروع، وهذا أشبه الأقوال.

(٢) (٤١/٢) برقم ٦٠٠٣، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٣) (٢٠/٢) برقم ١١٥٣، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في آداب الزفاف ص ١٧٤.

إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ^(٢)، مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌُّّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ٣٣ ﴿[الأحزاب: ٣٣]﴾^(٣). وفي رواية لمسلم: ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: «اللَّهُمَّ هُوَ لَاءِ أَهْلِي»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيراً، دعا النبي ﷺ لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به وهم علي وفاطمة وسيدا شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ، فكان

(١) برقم ٥٢١٧، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم ٤٣٤٧.

(٢) قال النووي: المرحل: هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل، أما المرط فبكسر الميم وهو كساء جمعه مروط. شرح صحيح مسلم (١٥/٥٦٦).

(٣) برقم ٢٤٢٤.

(٤) برقم ٢٤٠٤.

في ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله يسبغها عليهم ورحمة من الله وفضل لم يبلغوها بمجرد حولهم وقوتهم»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف، ورحيين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوت حتى قد اشتكيت صدري، قال: وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحيت أن أسأله، فأتيناه جميعاً، فقال علي: يا رسول الله، والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونَهُمْ لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ». فرجعا، فأتاها النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، ثم قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟»

(١) جامع المسائل (٣/ ٧٥-٧٦).

قَالَ: بَلَى، فَقَالَ: «كَلِمَاتٌ عَلَّمْنِيهِنَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أُوْتِمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ». قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ، قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم، ولا ليلة صفين^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ»^(٢).

وكانت فاطمة تخدم في بيت زوجها كغيرها من النساء ويصيبها التعب في ذلك، وقال النبي ﷺ لها في مَرَضِهِ: «إِنِّي مَقْبُوضٌ فِي مَرَضِي هَذَا»، فَبَكَتْ. وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا أَوْلُ أَهْلِ لِحُوقًا بِهِ، وَأَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَضَحِكَتْ، وَكَتَمَتْ ذَلِكَ.

(١) (٢/٢٠٢-٢٠٣) برقم ٨٣٨، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) (٤/٤٠٠٩) برقم ٢٦٦٨، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْرَرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيضًا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما رأيت كالיום فرحًا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا قبض سألتها، فقالت: إنه كان حدثني: «أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِي لِحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلْفُ أَنَا لَكَ»، فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّرَنِي، فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ^(١). وفي سنن الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلْ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْحَسَنَ

وَالْحُسَيْنَ سَيِّدًا شَبَابٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

ولما توفي النبي ﷺ حزنت عليه وبكته، وقال: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ! أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ^(٢).

ولما توفي أبوها تعلقت آمالها لميراث والدها، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق رضي عنه، فحدثها أنه سمع من النبي ﷺ يقول: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً»^(٣). فوجدت عليه، ثم تعلقت^(٤).

قال الشعبي رحمته الله: لما مرضت فاطمة أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علي: يا فاطمة! هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له، قال: نعم، قال الذهبي رحمته الله: عملت السنة رضي عنها، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره، قال: فأذنت له فدخل عليها يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة

(١) برقم ٣٧٨١، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٥-٢٢٦ برقم ٢٩٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٤٦٢ من حديث أنس رضي عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٧١٢، وصحيح مسلم برقم ١٧٥٩ من حديث عائشة رضي عنها.

(٤) أي تشاغلت.

إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله، ومرضاتكم أهل البيت، قال: ثم ترضاهما حتى رضيت^(١).

قالت عائشة رضي الله عنها: «عاشت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، ودفنت ليلاً»^(٢).

قال الواقدي رحمته الله: «هذا أثبت الأقاويل عندنا، قال: وصلى عليها العباس، ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل، قال سعيد ابن عفير: ماتت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت سبع وعشرين، قال الذهبي: وقيل أربعاً أو خمساً وعشرين، وهو الأصح»^(٣).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٧ / ٨). قال ابن حجر رحمته الله: وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح، وبه يزول الإشكال في جواز تمادي فاطمة رضي الله عنها على هجر أبي بكر، وقد قال بعض الأئمة إنما كانت هجرتها انقباضاً عن لقاءه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم لأن شرطه أن يلتقي فيعرض هذا وهذا، وكأن فاطمة رضي الله عنها لما خرجت غضبي من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها، وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر بالحديث المذكور فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله: لا نورث ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا في أمر محتمل للتأويل، فلما صمم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به لذلك، فإن ثبت حديث الشعبي أزال الاستشكال، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها عليها السلام. فتح الباري (٢٠٢ / ٦).

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٢٤٠، وصحيح مسلم برقم ١٧٥٩.

(٣) سير أعلام النبلاء (١١٨ / ٢-١٣٤).

رضي الله عن فاطمة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير
الجزاء

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



شرح حديث سيد الاستغفار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». (١) هذا الحديث شرحه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ضمن مجموعة من رسائله، فقال: في قوله عليه السلام: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

قد اشتمل هذا الحديث من المعارف الجليلة ما استحق لأجلها

أن يكون سيد الاستغفار، فإنه صدَّرَه باعترافِ العبدِ بربوبيةِ الله، ثم ثَنَّاها بتوحيد الإلهية بقوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». ثم ذكر اعترافَه بأن الله هو الذي خلقه وأوجدَه ولم يكن شيئًا، فهو حقيقٌ بأن يتولَّى تمامَ الإحسانِ إليه بمغفرةِ ذنوبه، كما ابتداءً الإحسانَ إليه بخلقه. ثم قال: «وَأَنَا عَبْدُكَ»، اعترفَ له بالعبودية، فإنَّ الله تعالى خلقَ ابنَ آدمَ لنفسه ولعبادته، كما جاء في بعض الآثار: «يقول الله تعالى: ابنَ آدمَ! خلقتك لنفسي، وخلقتُ كل شيءٍ لأجلِك، فبحقي عليك لا تشتغلُ بما خلقتُه لك عما خلقتك له». وفي أثرٍ آخر: «ابنَ آدمَ! خلقتك لعبادتي فلا تلعبُ، وتكفَلتُ لك برزقِك فلا تتعبُ. ابنَ آدمَ! اطلبني تجدني، فإنَّ وجدني وجدتَ كل شيءٍ، وإنَّ فُتِكَ فاتكَ كل شيءٍ، وأنا أحبُّ إليك من كل شيءٍ»^(١).

فالعبد إذا خَرَجَ عما خلقه الله له من طاعته ومعرفته ومحبتِه والإنابةِ إليه والتوكُّلِ عليه، فقد أبقَ من سيِّده، فإذا تاب إليه ورَجَعَ إليه فقد راجعَ ما يُحبُّه الله منه، فيفرح الله بهذه المراجعة. ولهذا قال ﷺ يُخبر عن الله: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ وَاجِدِ رَاحِلَتِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ بَعْدَ يَأْسِهِ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ»^(٢)، وهو سبحانه هو الذي وفَّقَه لها، وهو

(١) هذا الأثر ليس له أصل في كتب السنة النبوية، قال عنه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هذا الحديث غير صحيح، فتاوى الشيخ الصادرة من مركز الدعوة بعنيزة (٦٣/٣)، والذي يظهر أن هذا الحديث من الإسرائيليات.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) عن ابن مسعود.

الذي ردها إليه. وهذا غاية ما يكون من الفضل والإحسان، وحقيقُ بمن هذا شأنه أن لا يكون شيءٌ أحبَّ إلى العبدِ منه. ثم قال: «وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ»، فالله سبحانه وتعالى عهد إلى عباده عهداً أمرهم فيه ونهاهم، ووعدهم على وفائهم بعهد أن يشيهم بأعلى المثوبات، فالعبد يسير بين قيامه بعهد الله إليه وتصديقه بوعدِهِ. أي أنا مقيم على عهدك مُصدِّقٌ بوعدك. وهذا المعنى قد ذكره النبي - ﷺ - كقوله: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). والفعل إيماناً هو العهد الذي عهدَهُ إلى عباده، والاحتساب هو رجاؤه ثوابَ الله له على ذلك، وهذا لا يليقُ إلا مع التصديق بوعدِهِ. وقوله «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» منصوبٌ على المفعول له، إنما يحمله على ذلك إيمانه بأن الله شرع ذلك وأوجبه ورَضِيَهُ وأمر به، واحتسابه ثوابه عند الله، أي يفعله خالصاً يرجو ثوابه. وقوله: «مَا اسْتَطَعْتُ» أي إنما أقومُ بذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب ما ينبغي لك وتستحقه علي. وفيه دليل على إثباتِ قوة العبد واستطاعته، وأنه غيرُ مجبورٍ على ذلك، بل له استطاعةٌ هي مناطُ الأمر والنهي والثواب والعقاب. ففيه رد على القدرية المجبرة الذين يقولون: إن العبد لا قدرة له ولا استطاعة، ولا فعل له البتة، وإنما يعاقبه الله على فعله هو، لا على فعل العبد.

(١) صحيح البخاري (٣٨)، وصحيح مسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيه ردٌ على طوائف المجوسية وغيرهم .

ثم قال ﷺ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ»، فاستعاذته **بالله** الالتجاءُ إليه والتحصُّن به والهروب إليه من المستعاذ منه، كما يتحصَّن الهاربُ من العدوِّ بالحصن الذي ينجيه منه. وفيه إثبات فعل العبدِ وكسبه، وأنَّ الشرَّ مضافٌ إلى فعله هو، لا إلى ربِّه، فقال: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ». فالشرُّ إنما هو من العبد، وأما الربُّ فله الأسماء الحسنی، وكلُّ أوصافه صفاتُ كمال، وكلُّ أفعاله حكمة ومصلحة. ويؤيد هذا قوله عليه السلام: «والشرُّ ليس إليك» في الحديث الذي رواه مسلم في دعاء الاستفتاح^(١).

ثم قال ﷺ: «أَبُوؤ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ» أي أَعترفُ بأمر كذا، أي أُقرُّ به، أي فأنا معترفٌ لك بإنعامك عليّ، وإني أنا المذنب، فمِنكَ الإحسانُ ومِنِي الإساءة. فأنا أحمدك على نعمك، وأنتَ أهلٌّ لأن تُحمد، وأستغفرك لذنوبي.

لهذا قال بعض العارفين: ينبغي للعبد أن تكون أنفاسه كلُّها نفسين: نفساً يحمد فيه ربّه، ونفساً يستغفره من ذنبه. ومن هذا حكاية الحسن مع الشاب الذي كان يجلس في المسجد وحده ولا يجلس إليه، فمرَّ به يوماً فقال: ما بالك لا

(١) برقم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تجالسنا؟ فقال: إني أصبح بين نعمةٍ من الله تستوجب عليَّ حمداً؛ وبين ذنبٍ مني يستوجب استغفاراً، فأنا مشغول بحمده واستغفاره عن مجالستك. فقال: أنت أفقه عندي من الحسن. ومتى شهد العبد هذين الأمرين استقامت له العبودية، وترقى في درجات المعرفة والإيمان، وتصاغت إليه نفسه، وتواضع لربه. وهذا هو كمال العبودية، وبه يبرأ من العجب والكبر وزينة العمل^(١).

من فوائد الحديث:

١- من أسباب القبول أن يبدأ العبد بتعظيم الله عز وجل وتوحيده، ففي هذا الحديث: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ»، وفي قوله ﷺ في هذا الحديث: «فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» معنى جامعاً مع قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ

(١) جامع المسائل لابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ المجموعه الأولى ص ١٥٩-١٦٢.

مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَنِعَمَ أَجْرَ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٦].

٢- وردت صيغ متعددة وألفاظ نبوية شريفة للاستغفار، وهذا الحديث الذي معنا هو سيدها، فينبغي الحرص عليه والإكثار منه.

٣- ينبغي للعبد أن يعترف بذنوبه وتقصيره بينه وبين ربه، فذلك من أسباب رحمة الله وتوبته عليه.

٤- فضل الاستغفار والمداومة عليه لقوله ﷺ: «مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والثلاثون:

السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح: رقم (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن بناء المجتمع المسلم لا يتم إلا ببناء الأسرة، والأصل في بناء الأسرة المسلمة الصالحة هما الزوجان؛ فهما اللبنتان اللتان تؤسس عليهما الأسر. وإن مما يحزن المسلم وخاصة في هذا الزمن ما يشاهد من تفكك في الأسر وهدم في كثير من البيوت، حتى أصبح ظاهرة كثرت لها الشكوى وعمت بها البلوى، ووجب على المصلحين معالجتها والتخفيف من مفسدها، ولكن كيف ذلك؟

إننا نأمل أن نوفق في هذه الرسالة بالمساهمة في علاج هذه الظاهرة وذلك ببيان مقاصد النكاح التي يجب على الزوجين فهمها، وعلى الوالدين بل على المجتمع كله؛ فنقول وبالله نستعين:

«مقاصد النكاح»:

مقاصد النكاح التي يريدونها غالب البشر ثلاثة، وهي: الذرية، والخدمة، والمتعة.

وقبل أن نبدأ في شرح هذه المقاصد نجيب على هذا السؤال الذي يورده البعض باختصار، يقول: إنكم تحثون على الزواج، وتذكرون له فضائل وثمرات طيبة، فلما تزوجنا وجدنا مشاق، وحقوق، وواجبات، ومسئوليات، تذوب فيها تلك المتع! ونقول: إن هذا سؤال وجيه، والجواب: أن هذا يرجع إلى اختلاف الهمم لدى الرجال والنساء، فكما يوجد التفاوت بين الرجال كذلك يوجد بين النساء، فمنهم من يرى سعادته في التخلي عن المسؤوليات وترك النهوض بالواجبات.

على حد قول الشاعر:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

ومنهم من يرى السعادة في القيام بهذه الحقوق وتحمل هذه المسؤوليات والنهوض بتلك الأحمال، ويجد في ذلك سعادته ومتعته لعلو همته وسمو نفسه.

قال الشاعر:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وإلى بيان هذه المقاصد وفقنا الله وإياكم لفهمها والعمل بها.

المقصد الأول (الذرية):

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

[سورة الرعد، آية رقم: ٣٨]، روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»^(١).

فالذرية مطلب صحيح وله منافع دنيوية وأخروية، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف، آية رقم: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص، آية رقم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات، آية رقم: ١٠١]، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢).

وهو المقصد مشترك بين الزوجين على حد سواء، ومنافعه عائدة للزوجين كليهما.

وعليه فيجب على الزوجين أن يعلموا أن كل واحد منهما له فضل على الآخر في إيجاد الذرية، ولا يحل لأي واحد منهما أن يرى له فضلاً في ذلك ليس للآخر، وبفهم هذه الحقيقة يحصل التعاون بينهما لحمل هذه المسؤولية، ومن ثم يخف القيام

(١) سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠)، وقال الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣٨٦/٢) برقم (١٨٠٤): حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

بهذا الحمل الثقيل لتعاون الزوجين. وذلك بعكس ما لو تولى أحدهما فإن الآخر سيقوم بحمله وحمل غيره، فيثقل عليه ذلك وربما عجز عنه فيقع الضرر ويحدث الفساد الذي نشاهد آثاره تزداد يوماً بعد يوم. وهذه الحقيقة هي التي فهمتها الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها لما ظاهر منها زوجها وجاءت تشتكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي مِنْهُ أَوْلَادًا؛ إِنَّ ضُمَّتْهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا، وَإِنْ ضُمَّهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا ... (١).

ففهمت رضي الله عنها أن تربية الأولاد والقيام عليهم لا يتم إلا بتعاون الزوجين، وأنها بدون ذلك - لفراق أو شقاق - يقع الضرر على الأولاد بالجوع والضياع. فإذا كان هذا في الزمن الأول الصالح، فكيف بنا اليوم؟! وقد أنزل الله تعالى في خولة وشكواها قرآناً يتلى، قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة، آية رقم: ١].

المقصد الثاني: (الخدمة):

من مقاصد الرجل بالنكاح أن يتزوج امرأة تخدمه - والكلام

(١) هذه الرواية ذكرها البغوي في تفسيره الوسيط (٤٧/٨)، وأصل الحديث ثابت، أخرجه أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها (٢٢٨/٤٠) برقم (٢٤١٩٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

على الغالب والحالات الخاصة لها أحكامها- سواء داخل المنزل أو خارجه مثل صنع الطعام، وترتيب المنزل، وغسل الثياب، والاحتطاب، وسقي الماء، والعناية بالبهائم، وغير ذلك مما يختلف فيه مجتمع عن آخر .

- في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها - عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة مولاة لعائشة فقال: «أَيُّ بَرِيرَةٍ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبِكِ؟» قَالَتْ بَرِيرَةٌ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمَصُهُ^(١) عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ^(٢) فَتَأْكُلُهُ^(٣).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»، قَالَ: فَاَنْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي^(٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ

(١) أي أعيبه، النهاية (٣/ ٣٤٧) .

(٢) الداجن: هي الشاة التي تألف ولا تخرج إلى المرعى، وقيل: هي كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيراً .

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٠) .

(٤) برقم (١٤٢٨) .

وَلَا شَيْءٍ، غَيْرَ فَرَسِهِ، قَالَتْ: فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَكْفِيهِ مَثُونَتَهُ
وَأَسْوِسُهُ وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ، وَأَعْلِفُهُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غَرَبَهُ
وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ لِي جَارَاتٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَكَانَ نِسْوَةَ صِدْقٍ، قَالَتْ: وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي
أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ عَلَى ثُلْثِي فَرَسَخٍ. قَالَتْ:
فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ
مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، قَالَتْ:
فَاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لِحَمْلِكَ النَّوَى عَلَى رَأْسِكَ
أَشَدُّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ
فَكَفَّنِي سِيَّاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقْتَنِي (١).

وفي صحيح البخاري من حديث علي رضي الله عنه: أن فاطمة اشتكت
ما تلقى من الرحي مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبي
فأنته تسأله خادماً فلم توافقه، فذكرت لعائشة فجاء النبي ﷺ
فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم
فقال: «عَلَى مَكَانِكُمَا» حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال:
«أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا
اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ» (٢).

(١) برقم (٢١٨٢).

(٢) برقم (٣١١٣).

فإن قيل: فما يقابل ذلك من الزوج، فالجواب: أن الزوج عليه النفقة فهو يكد ويكدح من أجل تحصيلها، قال تعالى:

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۗ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق، آية رقم: ٧]، وقال تعالى: ﴿ أَسْكِنُونَنَّا مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وَجْدِكُمْ ﴾ [سورة الطلاق، آية رقم: ٦]، وقال ﷺ: « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ »^(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن حيدة رضي عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ ﷺ: « أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ.. » الحديث^(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث سعد رضي عنه أن النبي ﷺ قال له: «... وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ »^(٣).

ويلحق بذلك توفير الأمن للزوجة بجميع أنواعه؛ الأمن المنزلي، الأمن المعيشي، الأمن النفسي وغير ذلك. فهي مسئوليتها

(١) مسند الإمام أحمد (١١ / ٤٣٢) برقم (٦٤٩٥)، وقال محققوه: حديث صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنهما.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٣ / ٢٢٦) رقم (٢٠٠٢٢)، وقال محققوه: إسناده حسن، وسنن أبي داود برقم (٢١٤٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٦)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٨) واللفظ له.

وحده لكونه رجلاً، فكل واحد منهما خادماً للآخر، غير أن موقع الزوجة أعز وأشرف من موقع الزوج في كثير من الحالات، فإن الزوج قد يخدم من لا يحبه ولا يكرمه بل يهينه ويذله بعكس المرأة، فعلى النساء أن يتفطن لذلك ويقدرنه قدره.

ومعرفة هذه الحقيقة والعمل بها عن قناعة ورضا تدفع كل واحد منهما أن يقوم بما يجب عليه دون تدمير أو شعور بالجور أو الظلم، لعلم كل منهما أنه كما عليه واجب يلزمه القيام به فإن الآخر كذلك عليه واجب مثل الذي عليه وإن اختلفت الأنواع. فما يجب على أحدهما هو حق للآخر، وبالتالي ينقطع الإدلال والتمنن الذي يكون سبباً لتشتت الأسر وتفرقتها، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٢٨].

المقصد الثالث: (المتعة)

وهو أوسع هذه المقاصد وأكثرها نفعاً إذا أحسن القيام به وأشدّها ضرراً إذا أهمل، وليس المقصود بالمتعة الفراش فقط بل هو أعم من ذلك، إذ يشمل جميع مناحي الحياة. وهو مطلوب من الزوجين كليهما مع شيء من الاختلاف في بعض ما يجب على كل واحد منهما، حسب ما تقتضيه طبيعة كل واحد منهما.

إن الزوجين حين يعيشان كنفس واحدة يفرح أحدهما لفرح

الآخر ويحزن لحزنه ويهتم لهمه ويسعى كل واحد منهما لمتعة الآخر، حينها تُضمن لهما الحياة السعيدة الهانئة ولكن ليُعلم أنه لا يستقيم لهما ذلك إلا بعقد العزم على الحفاظ على هذا الرباط الوثيق بينهما حتى يلتقيا في جنات النعيم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) وفيما يأتي شيء من التفصيل لهذه الإجمال ..

الكلمة السابعة والثلاثون:

السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح: رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن المقصد الثالث من مقاصد النكاح بمعناه الأعم هو أوسع هذه المقاصد وأكثرها نفعاً إذا أحسن القيام به وأشدّها ضرراً إذا أهمل .

ومن آثاره أنه يخدم المقاصد الأخرى إيجاباً وسلباً وهو مطلوب من الزوجين جميعاً غير أن الزوجة به أولى وعليه أقدر لما جبلها الله عليه من التراكيب الأنثوية الجذابة، والاشعارات الحلوة الجميلة.

بهذا نفهم قوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١).

وسنورد فيما يأتي بعض الآيات القرآنية والأحاديث

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧) .

النبوية الشريفة المشتملة على تطبيق هذا المقصد لتكون عوناً على فهمه.

وليعلم أننا في هذا الفصل لا نريد منه بيان الحقوق والواجبات وإنما نريد إيضاح مجالات إمتاع كل من الزوجين للآخر فيما يخص الأخلاق الجميلة والآداب الرفيعة وأنه شامل لجميع مناحي الحياة. فمن الآيات والأحاديث **المشتملة** على ذلك:

١ - قول الله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٨٧]، من وسائل إسعاد كل واحد من الزوجين للآخر أن يكون لباساً له يستره ويقيه ويتجمل به ويأتي مزيد تفصيل لذلك.

٢ - قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [سورة الروم، آية رقم: ٢١]، فمن أعظم المتع التي يحصل عليها الزوج أن تكون زوجته بمثابة السكن الذي يأوي إليه ويهنأ به وسيأتي مزيد تفصيل لذلك.

٣ - قول الله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٣٤]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سعد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المرأة الصالحة قال: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ»

فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(١). أن القلق والهم الذي يصيب الزوج بسبب الشكوك والوساوس حال غيابه عن زوجته وماله تزول بالمرأة الصالحة العفيفة الشريفة ويحل محلها الطمأنينة والراحة.

٤ - قول الله تعالى حاكياً عن نبي الله موسى وهو يخاطب أهله: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [سورة القصص، آية: ٢٩].

من الأمور التي تظهر فيها مكانة الزوجة عند زوجها أن يجعلها تشاركه في بعض أموره العامة، فإنها بذلك تشعر بالتقدير والاحترام وأنها ليست من سقط المتاع، فهذا موسى عليه السلام يقول لزوجته: سأتيكم منها بخبر، ولم يقل: هذه الأمور تخص الرجال لا شأن لها به، فليتبه الأزواج إلى ذلك.

٥ - من أعظم المتع التي تنالها الزوجة أن تجد من زوجها الشكر والثناء والاعتراف بالجميل لقاء ما تقوم به من تبعل وحسن معشر، وهؤلاء، ولذلك أزواج رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن لما خيرن بين الدنيا والآخرة فاخترن الله ورسوله

(١) مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١٢ / ٣٨٣ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١)، وقال محققوه: إسناده قوي.

كانت مكافأتهن ما أخبر به عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [سورة الأحزاب، آية رقم: ٥٢].

٦ - من أفضل وأحسن ما يهنأ به الزوج أن تكون زوجته غاضة لبصرها فإنها إذا كانت كذلك فهي لما سواه أحفظ، قال **الله** تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [سورة النور، آية رقم: ٣١]، فقد وصف **الله** نساء أهل الجنة فقال: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ [سورة الرحمن، آية رقم: ٥٦]، كذلك فإن الزوجة تجد السعادة والراحة حين ترى زوجها حافظاً لبصره امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [سورة النور، آية رقم: ٣٠]، لعلمها أنه إذا حفظ بصره فإنه لما سواه أحفظ.

٧ - من أعظم ما يتمتع به الزوجان أن يرى كل منهما في الآخر هذا الخلق الجميل الذي هو شعبة من الإيمان وهو خلق الحياء، فإن الحياء إذا وجد لا يرقى معه شيء من الأخلاق الذميمة والصفات السقيمة، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»^(١). وفي التنزيل المبارك يقص علينا ربنا عَزَّ وَجَلَّ قصة البنيتين الصالحتين، فقد ذكر أعظم ما تحليا به وهو الحياء

(١) صحيح مسلم برقم (٣٧)، وأخرجه البخاري برقم (٦١١٧) بمعناه من حديث

الذي منعهما من مخالطة الرجال مع شدة الحاجة إلى سقي غنمهما، قال **الله** تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة القصص، الآيتان: ٢٣ - ٢٤].

٨ - إن مما يجمل المرأة ويرفع منزلتها في عيون الناس - ولا سيما الزوج - أن يكون الحياء حاكمًا على جميع تصرفاتها وحركاتها وسكناتها حتى في مشيها، وقد ذكر **الله** ذلك عن المرأة الصالحة بنت الرجل الصالح على سبيل الثناء والمدح، فقال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٢٥].

٩ - من أعظم النعم على الرجل أن يرزقه **الله** زوجة عاقلة حصيفة شديدة الملاحظة لما فيه الخير، عارفة بالفضائل ومحاسن الصفات، قال **الله** تعالى عن المرأة الصالحة بنت الرجل الصالح: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي أَسْتَجِرَّتْ أَلْقَوِي الْأَمِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٢٦].

١٠ - قال تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَنَّا كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة

الأحزاب، آية رقم: ٣٢.]

من الأمور التي ترفع مكانة المرأة وتعلي منزلتها عند زوجها بل عند الناس جميعاً؛ أن تكون تصرفاتها قاطعة لأطماع أصحاب الهوى والفجور، فإذا اضطرت إلى الكلام مع الرجال كان كلامها غير رقيق ولا لين وأن تتجنب فيه الألفاظ والعبارات التي لا تنبغي إلا مع الأزواج ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾.

١١ - إن إدخال السرور على النفوس مما يسعى إليه كل أحد وهو من نعيم أهل الجنة، ولذلك ينبغي للزوجين إدخال السرور على بعضهما وهذه صفة المرأة الصالحة، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(١).

١٢ - روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي عنها: أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وهي جارية، فقال لأصحابه: «تَقَدَّمُوا»، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى أَسَابِقُكَ»، فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إِذَا رَهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بَيْتِكَ»^(٢).

(١) مسند الإمام أحمد (١٢/٣٨٣ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١)، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) (٤٠/١٤٥) برقم (٢٤١١٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

١٣ - روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَتَعَرَّقُ الْعَرَقَ وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَأْخُذُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ فَمَهُ حَيْثُ كَانَ فَمِي، وَأَشْرَبُ مِنَ الْإِنَاءِ، فَيَأْخُذُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ فَمَهُ حَيْثُ كَانَ فَمِي، وَأَنَا حَائِضٌ (١).

١٤ - روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بَغْنَاءَ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوْلَ وَجْهِهِ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «دَعُهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فخرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالْأَدْرَقِ وَالْحِرَابِ، فَأَمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَإِنَّمَا قَالَ: «تَشْتَهِيَن تَنْظُرِينَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلَيْتُ، قَالَ: «حَسْبُكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَادْهَبِي» (٢).

١٥ - ضَرَبَتْ خَدِيجَةَ رضي الله عنها أَرْوَعَ الْأَمْثَالِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ، وَنُذِّكِرُ بَعْضَ مَوَاقِفِهَا وَمَوَاقِفِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيَكُونَ ذَلِكَ مِثَالًا يُحْتَذَى لِكُلِّ زَوْجَيْنِ يُرِيدَانِ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُمَا مَعَ بَعْضِهِمَا حَيَاةً

(١) (٤٢٧/٤١) برقم (٢٤٩٥٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٤٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨) واللفظ له.

سَعِيدَةً طَيِّبَةً.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِحَدِيجَةَ: «أَيُّ خَدِيجَةَ مَا لِي»، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاِنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا بْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ بَنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْمُخْرِجِي هُمْ؟»، قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَئِذٍ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّيَ،**

وَفَتَرَ الْوَحْيَ (١).

فوقوفها مع النبي ﷺ وتثبيتها له وتبشيرها من أعظم مواقف امرأة مع زوجها، مع الإحاطة والعلم بأن هذا كله وقع قبل إسلامها، وقد كافأها رسول الله ﷺ بإظهار هذه المواقف النبيلة، فكان ﷺ يردد: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» (٢)، و«إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا» (٣)، و«مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَبِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ» (٤).

وكان ﷺ بعد وفاتها رضيها يذكر لها هذه الفضائل العظيمة حتى قالت عائشة رضيها: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة (٥).

وقد نالت رضيها بحسن عشرتها ما لم ينله أحد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ

(١) صحيح البخاري برقم (٣)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٨١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٣٤).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٣٥) من حديث عائشة رضيها.

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١ / ٣٥٦) برقم (٢٤٨٦٤)، وقال محققوه: حديث صحيح

من حديث عائشة رضيها.

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٨١٨) من حديث عائشة رضيها.

لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ^(١).

والقصب لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، والصخب اختلاط الأصوات، والنصب: التعب، قال السهيلي: وإنما بشرها بيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب، لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً^(٢).

هذه بعض مواقفها ﷺ وأرضها ختمنا بها هذه الكلمة والمسك خير ختام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٢٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٣٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٣١٧).

السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٣)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.. فاستكملاً للحديث السابق.

١٦- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؟ أصابني الجهد، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا» [هَذِهِ اللَّيْلَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -]؟ فقال رجل من الأنصار: أنا [يَا رَسُولَ اللَّهِ!] فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم [لَا تَدْخِرِيهِ شَيْئًا] فقالت [وَاللَّهِ] ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء [وَتَعَالَى فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ]. فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأتها، فجعل يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكُمَا»، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ خِصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
 [سورة الحشر، آية رقم: ٩] (١).

لقد عظم الإسلام مكانة المرأة وأشاد بمواقفها النبيلة وأنزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة. فتباً ثم تباً لمن يسعون إلى إظهار الإسلام بغير ذلك. ولبيان وجه إيراد هذه القصة تأمل الفقرات التالية:

(أ) هذا الضيف ليس ضيفاً كغيره بل ضيفاً مميزاً فهو ضيف رسول الله ﷺ.

(ب) هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه أخذ معه هذا الضيف إلى بيته ليقوم بضيافته لينال بذلك رضى الله تعالى ورضى رسول الله ﷺ، ورجاء أن تصيبه دعوة الرسول ﷺ، وليدخل السرور على نفسه فإنه من قوم يحبون إكرام الضيف.

(ج) أخبر امرأته أن هذا الضيف ضيفٌ مميزٌ لتشاركه في الأجر والفضل والحمد (٢).

(١) مختصر صحيح البخاري للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بِرَقْم (١٦١٤)، وأخرجه مسلم برقم ٢٠٥٤ بلفظ مختلف.
 (٢) الحمد: هو المدح والثناء.

(د) لم يجد الأنصاري رضي الله عنه في بيته من الطعام سوى ما يكفي لصبيته، وفي هذه الحالة البالغ فيها الحرج غايته وجد نفسه مضطراً إلى من يعينه ويقف معه لينال هذه الفضائل وقد وجدته، فيا ترى من يكون؟

(هـ) إنها زوجته الصالحة الكريمة العاقلة الذكية الصابرة الوفية.

(و) لو قالت لزوجها: قد اجتمع عليك حقان: حق الضيف وحق الأهل، وعليك أن تقدم أولاهما وهو هنا حق الأهل، لضاق صدره، وعظم حرجه. ولكنها رضي الله عنها لم تقل ذلك لكرم نفسها وطيب معشرها.

(ز) من كرم نفسها وحسن عشرتها بيتت النية وعقدت العزم على أن تؤثر على نفسها فتبيت خميصة البطن في سبيل أن ينال زوجها تلك الفضائل والشرف العظيم ولتجمله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وضيفه، فهي لم تقل: ما عندي إلا ما يكفيني بل تجاهلت نفسها وقالت: ما عندي إلا عشاء الصبية.

(ح) من ذكائها وخوفها ألا يكون تصرفها صحيحاً في تقديم حق الضيف على حق الصبية قالت ذلك لزوجها ليشتركا في القرار ولتحمل معه نتائجه، وكان بإمكانها أن تتهرب

وتقول لزوجها: هذا الموجود أطعمه من شئت وتخلي مسؤوليتها، ولكنها رضي الله عنها لم تفعل ذلك لكرم نفسها وحسن عشرتها، فأنعم بها وأكرم من قدوة صالحة.

(ط) من أعظم ما يواجه الشخص فقه الأولويات وتقديم الواجبات والحقوق بعضها على بعض عند التزام، وفي هذه القصة مثال يحتذى، والموفق من وفقه الله، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

(ي) في هذه القصة كانت الفكرة النظرية مشتركة بين الزوجين إلا أن المنفذ لها والحامل لأعبائها ورافع رايتها هي الزوجة المباركة، فاستحقت بذلك تخليد ذكرها وأن يعجب ربها من صنيعها.

(ك) لم يقتصر رضي الله عنها في إكرام ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم على تهيئة عشائه فقط بل زاد على ذلك إدخال السرور عليه، وذلك في إظهار أنه لم يلحقهما مشقة في إكرامه وأن ما قدمه له زائد عن حاجتهما، فأطفأ السراج وجعل يوهمانه أنهما يأكلان.

هذا ما تيسر بيانه فيما يتعلق بموضوعنا، وفي القصة فوائد أخرى نذكر أظهرها على سبيل الاختصار:

في هذه القصة بيان مكانته صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند ربه، فإن

هذين الصحابييين لما قاما بضيافة ضيفه ﷺ وأديا عنه الحق الذي عليه خلد الله ذكرهما الحسن في آيات تتلى إلى يوم القيامة، فيا ترى كم تكون منزلة من قام بدعوته ونشر سنته وذب عن دينه؟!

وفيها: ما كان عليه ﷺ من ضيق العيش وقلة ذات اليد اختياراً منه لذلك فإنه لو شاء لكان غير ذلك، ولكنه ﷺ أثر الباقية على الفانية والأخرى على الأولى، وفضل أن يكون عبداً رسولاً.

وفيها: فضل أزواج الرسول ﷺ، وعظيم صبرهن واختيارهن الله ورسوله على الحياة الدنيا وزينتها.

وفيها: أن من الواجبات والفروض ما هو فرض كفاية فإن حق هذا الضيف سقط عن النبي ﷺ بقيام هذين الصحابييين به.

وفيها: أن سؤال الرجل أن يقوم أحد إخوانه المسلمين بحق وجب عليه لا يستطيعه ليس من السؤال المذموم.

وفيها: أن إكرام الضيف لا يكون بإطعام الطعام فقط بل يشمل أموراً أخرى من الترحيب به ومؤانسته بالحديث وغيرهما مما يختلف فيه الناس من مجتمع لآخر، قال الشاعر:

النَّارُ إِذَا شَبَّتْ فَنَصَّ الكَرَامَةَ وَالنَّصُّ الآخِرُ مَا تَيْسَّرَ مِنَ القُوَّةِ

وفيها: أنه ينبغي أن يظهر المضيف لضييفه ما يجعل الضيف يطمئن أنه لم يشق عليه وإن كان الأمر بعكس ذلك.

وفيها: أن الإيثار من محاسن الأخلاق وفضائل الأعمال وهو مع الخصاصة أعظم وأجل.

وفيها: أن الشخص قد تسمو نفسه إلى اكتساب الفضائل ولكنه قد يحتاج في بعضها إلى المعين، فإذا وجده فليستمسك به ولا يفرط فيه فإن وجوده عزيز.

وفيها: أن إظهار المرء أفعالاً تخالف الواقع لا يعد من الكذب المذموم إذا كان ذلك لمصلحة تقتضيه.

وفيها: فضل الصبر وعظيم جزائه فصبرهم على الجوع مع قدرتهم على الشبع وصبرهم على الألم الذي يعتصر قلوبهم حين يرون صبيانهم يببتون جياً بل هم الذين ينومونهم، وصبر الزوجة على زوجها الذي جلب لها كل هذه التكاليف وكل ذلك وهم لا يعلمون أن فعلهم هذا سيكون سبباً لتخليد ذكركم في أحسن الكتب وعلى لسان خير الرسل، وما عند الله خير وأبقى.

وفيها: إثبات صفتين من صفات الله ﷻ: التعجب والضحك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح (٤)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فنستكمل حديثنا السابق.

١٧- من محاسن العشرة الزوجية أن يتبادل الزوجان الأحاديث المفيدة والقصص النافعة. فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى رَكَعَتِي الْفَجْرِ، فَإِنْ كُنْتُ مُسْتَيْقِظَةً حَدَّثَنِي، وَإِلَّا اضْطَجَعَ ^(١).

١٨- وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقص على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبراً عجباً عن تقييم النساء لأزواجهن والرسول عليه الصلاة والسلام يستمع لها ويعقب على حديثها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئاً:

(١) صحيح البخاري برقم (١١٦١)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٣) واللفظ له.

قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌ^(١) عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقَلُ^(٢).

قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبْثُ خَبْرَهُ^(٣)، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذْرَهُ^(٤)، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ^(٥).

قَالَتِ الثَّلَاثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنُّ^(٦)، إِنْ أَنْطَقُ أُطَلِّقُ^(٧)، وَإِنْ

(١) أي كلحم الجمل في الرداءة لا كلحم الضأن، والمقصود منه المبالغة في قلة نفعه والرغبة عنه ونفاد الطبع منه.

(٢) والمقصود منه المبالغة في تكبره وسوء خلقه، فلا يوصل إليه إلا بغاية المشقة، ولا ينفع زوجته في عشرة ولا غيرها مع كونه مكروهاً رديئاً، ومعنى لا ينتقل، أي لا ينقله الناس إلى بيوتهم ليأكلوه بعد مقاساة التعب ومشقة الوصول، بل يرغبون عنه لرداءته، وبالجمله فقد وصفته بالبخل والرداءة والكبر على أهله وسوء الخلق.

(٣) أي: لا أظهره وأنشره.

(٤) أي تخاف من ذكره أن يطلقها، قلت: بل الصواب أن الضمير فيه راجع إلى الخبر، والمعنى إن شرعت في الخبر أخاف أن أتركه لكثرتي، تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٥) بضم الأول وفتح الثاني أي عيوبه كلها، ظاهرها وباطنها.

العجر: جمع عجرة وهي نفخة في عروق العنق، والبحر جمع بجرة: السرة. تريد: لا أخوض في ذكر خبره، فإني أخاف من ذكره الشقاق والفراق وضياع الأطفال والعيال.

(٦) بفتح العين والشين والنون مفتوحة مشددة، وهو الطويل المستكره في طوله النحيف السيئ الخلق.

(٧) أي إن أنطق بعيوبه تفصيلاً يطلقني لسوء خلقه، ولا أحب الطلاق لأولادي منه، أو لحاجتي إليه.

أَسْكُتُ أُعَلِّقُ (١).

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلٌ تِهَامَةٌ (٢)، لَا حَرَّ وَلَا قُرٌّ (٣)، وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَامَةً.

قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَّ (٤)، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ (٥)، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ. (٦).

قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ (٧)، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ (٨)، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ (٩)، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ (١٠).

(١) أي وإن سكت عن عيوبه يصيرني معلقة، وهي المرأة التي لا هي مزوجة بزواج ينفع، ولا هي مطلقة تتوقع أن تتزوج.

(٢) في كمال الاعتدال وعدم الأذى وسهولة أمره. وتهامة: مكة وما حولها.

(٣) كناية عن عدم الأذى لكرم أخلاقه وثبوت جميع أنواع اللذة في عشرته.

(٤) أي إن دخل عليها يثبت كوئوب الفهد لجماعها. فهد الرجل: كثر نومه كالفهد.

(٥) وإن خرج من عندها أو خالط الناس فعل فعل الأسد.

(٦) أي لا يسأل عما علم في بيته من مطعم ومشرب وغيرهما تكرماً. فوصفته بأنه كريم الطبع حسن العشرة لين الجانب في بيته، قوي شجاع في أعدائه، لا يتفقد ما ذهب من ماله ومتاعه، ولا يسأل عنه لشرف نفسه وسخاء قلبه.

(٧) أي أكثر الأكل، وخلط صنوف الطعام.

(٨) أي شرب الشفافة وهي بقية الماء في قعره، أي لا يدع في الإناء شيئاً منه.

(٩) أي إن اضطجع على جنبه التف في ثيابه وتغطي بلحاف منفرداً في ناحية وحده ولا يبشرها، فلا نفع فيه لزوجته.

(١٠) أي: ولا يدخل يده تحت ثيابها ليعلم بثها وحزنها، فلا شفقة عنده عليها.

قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَةٌ^(١)، أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ^(٢)، شَجَّكَ أَوْ فَلَّكَ أَوْ جَمَعَ كَلًّا لَكَ.

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ^(٣)، وَالْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ^(٤).

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النَّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ^(٥).

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ^(٦)، وَمَا مَالِكٌ؟ مَالِكٌ خَيْرٌ

(١) أي عاجز عن القيام بمصالحه من العي، وقيل هو العين. غياياء أي ذو غي وهو الضلالة أو الخيبة. طباقاء أي أحمق، وقيل: هو الذي أطقت عليه أموره، أو العاجز عن الجماع أو الكلام.

(٢) أي: اجتمعت فيه كل عيوب الناس، (شجك...) أي: إما أن يشج رأس نسائه، أو يكسر عضوًا من أعضائهن أو يجمع لهن بين الأمرين.

(٣) أي مس زوجي كمس الأرنب في اللين والنعومة.

(٤) بفتح الزاي نوع من النبات طيب الرائحة، والمعنى أنها تصفه بحسن الخلق وكرم المعاشرة، ولين الجانب كلين مس الأرنب، وشبهت ريح بدنه أو ثوبه بريح الطيب. ويجوز أن يراد به طيب الثناء عليه وانتشاره بين الناس.

(٥) العماد في الأصل عمدٌ تقوم عليها البيوت، كُنْتُ بذلك عن علو حسبه وشرف نسبه. والنجاد بكسر النون: حمائل السيف. كُنْتُ به عن طول القامة، إشارة إلى أنه صاحب سيف فأشارت إلى شجاعته. والرماد كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الضيافة، المستلزمة لكثرة الرماد ودوام وقود ناره. والناد أصله النادي حذفت الياء للسجع. والنادي: الموضع الذي يجتمع فيه وجوه القوم للتشاور والتحدث. وهذا شأن الكرام يجعلون بيوتهم قريبًا من النادي تعرضًا لمن يضيفهم.

(٦) أي اسمه مالك. خير من ذلك: أي خير مما سأقوله في حقه، ففيه إيماء إلى أنه فوق ما يوصف من الجود والسماحة.

مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ^(١)، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ^(٢)،
إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيَقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ^(٣).

قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ^(٤)، فَمَا أَبُو زَرْعٍ؟
أَنَاسٌ^(٥) مِنْ حُلِيِّ أُذُنِي^(٦)، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي^(٧)،
وَبَجَّحَنِي فَبَجَحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي^(٨)، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ
بِشَقٍّ^(٩)، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيظٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ^(١٠)،

(١) جمع مبرك، مكان بروك الإبل.

(٢) أي إبله كثيرة إذا بركت، فإذا سرحت كانت قليلة لكثرة ما منها في مباركها للأضياف، أو يتركها بجانب البيت حتى إذا نزل به الضيفان كانت حاضرة.

(٣) أي إذا سمعت الإبل صوت العود الذي يضرب أيقن أنها منحورات للأضياف من كرمه وجوده.

(٤) كنته بذلك لكثرة زرعه، ويحتمل أنها كنته بذلك تفاعلاً بكثرة أولاده، ويكون الزرع بمعنى الولد.

(٥) بَزْنَةٌ أقام، من النوس وهو تحرك الشيء متدلياً.

(٦) المراد أنه حرك أذنيها من أجل ما حلاهما به.

(٧) جعلني سمينة.

(٨) المعنى: فرحني ففرحت نفسي.

(٩) بالتصغير للتقليل، أي أهل غنم قليلة، وبشق بالفتح والكسر ويحتمل أنه اسم موضع أو بمعنى المشقة، ومنه قوله: ﴿بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [من سورة النحل، آية: ٧].

والمعنى: وجدني في أهل غنم قليلة، فهم في جهد وضيق وعيش.

(١٠) أي فحملني إلى أهل خيل ذات صهيل، وإبل ذات أطيظ، والصهيل: صوت الخيل. والأطيظ: صوت الإبل، وبقر تدوس الزرع في بيده ليخرج الحب من السنبل. ومنق بضم الميم وفتح النون وتشديد القاف، وهو الذي ينقي الحب وينظفه من التبن وغيره بعد الدرس بغربال وغيره، فهم أصحاب زرع وأرباب حب نظيف. =

فَعِنْدَهُ أَقْوَلُ فَلَا أَقْبَحُ^(١)، وَأَزْقَدُ فَاتَّصَبَحُ^(٢)، وَأَشْرَبُ فَاتَّقَنَّحُ^(٣). أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟^(٤): عَكُومُهَا رَدَاخُ^(٥)، وَبَيْتُهَا فَسَاخُ^(٦).

ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟^(٧): مَضْجَعُهُ كَمَسَلٌ شَطْبَةٌ^(٨)، وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ^(٩).

= والمراد من ذلك كله: أنها كانت في أهل قلة ومشقة فنقلها إلى أهل ثروة وكثرة، لكونهم أصحاب خيل وإبل وغيرهما.

(١) أي فأتكلم عنده بأي كلام فلا ينسبني إلى القبح لكرامتي عليه، ولحسن كلامي لديه.
(٢) أي أنام فأدخل في الصبح فيرفق بي ولا يوظفني لخدمته ومهنته، لأنني محبوبة إليه، ومكفية بالخدم التي تخدمه وتخدمني.

(٣) أي فأروى وأدع الماء لكثرتة عنده، مع قلته عند غيره. والمعنى: أنها لم تتألم منه، لا من جهة المرقد ولا من جهة المشرب.

قلت: وفي النهاية: «أرادت أنها تشرب حتى تروى وترفع رأسها. يقال: قَمَحَ البعير يقمح إذا رفع رأسه من الماء بعد الري، ويروى بالنون».

(٤) أرادت أن تمدح أم زوجها بعد مدح زوجها.

(٥) أي أعدلها وأوعية طعامها عظيمة ثقيلة كثيرة، العكوم جمع عكم وهو العدل إذا كان فيه متاع، والرداخ: بفتح الراء: العظيمة الثقيلة الكثيرة.

(٦) بفتح الفاء أي واسع، وسعة البيت دليل سعة الثروة.

(٧) انتقلت إلى مدح ابن أبي زرع.

(٨) أي مرقده كمسلى: بفتح أوله وثانية بمعنى مسلول. شطبة: بفتح الشين وسكون الطاء وهي ما شطب أي شق من جريد النخل وهو السعف. والمعنى أن محل اضطجاعه وهو الجنب كشطبة مسلولة من الجريد في الدقة فهو خفيف اللحم دقيق الخصر كالشطبة المسلولة من قشرها.

(٩) بضم التاء لأنه من الإشباع، والجفرة بفتح الجيم وسكون الفاء هي الأنثى من أولاد المعز، والمراد أنه ضاوي مهفهف قليل اللحم على نحو واحد على الدوام، وذلك شأن الكرام.

بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ؟ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا^(١)،
وَمِلءُ كِسَائِهَا^(٢)، وَغَيْظُ جَارَتِهَا^(٣).

جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا جَارِيَةُ^(٤) أَبِي زَرَعٍ؟ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْشِيئًا^(٥)،
وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا^(٦)، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيئًا^(٧).

قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ^(٨) وَالْأَوْطَابُ تُمَخَضُ^(٩)، فَلَقِيَ امْرَأَةً
مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ^(١٠)، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا
بِرُمَّانَتَيْنِ^(١١)، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا^(١٢)،

(١) أي هي مطيعة لأبيها ولأمها غاية الإطاعة.

(٢) أي مائة لكسائها لضخامتها وسمنها، وهذا ممدوح في النساء.

(٣) والمراد منها ضررتها، فتغيظ ضررتها، لغيرتها منها بسبب مزيد جمالها وحسنها.

(٤) أي خادمته.

(٥) والمعنى لا تنشر كلامنا الذي نتكلم به فيما بيننا نشرًا، لديانتها.

(٦) أي لا تنقل طعامنا نقلًا لأمانتها وصيانتها، وتنقث بفتح التاء وضم القاف، والنون

ساكنة. والمعنى: لا تنقل، والميرة: بكسر الميم: الطعام.

(٧) أي لا تجعل بيتنا مملوءًا من القمامة والكناسة حتى يصير كأنه عش الطائر، بل

تصلحه وتنظفه لشطارتها.

(٨) خرج لسفر في يوم من الأيام.

(٩) أي والحال أن الأوطاب جمع طب: أي أسقية اللبن، وتمخض بالبناء للمجهول أي

تحرك لاستخراج الزبد من اللبن. والمراد أنه خرج في حال كثرة اللبن وذلك حال

خروج العرب للتجارة.

(١٠) أي مثلهما في الوثوب واللعب وسرعة الحركة.

(١١) أي ذات ثديين صغيرين كالرمانتين، فيلعب ولداها بثدييها الشبيهين بالرمانتين.

(١٢) أي من سراة الناس وأشرفهم.

رَكِبَ شَرِيًّا^(١)، وَأَخَذَ خَطِيئًا^(٢)، وَأَرَاخَ^(*) عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا^(٣)،
وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا^(٤)، قَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي
أَهْلِكَ^(٥)، فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةٍ
أَبِي زَرْعٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ لِكَ كَأَبِي
زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»^{(٦)(٧)}.

قال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكانه ﷺ قال ذلك تطييباً لها وطمأنينة
لقلبها ودفعا لإيها م عموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع إذ لم
يكن فيه ما تدمه النساء سوى ذلك، وقد وقع الإفصاح بذلك،
وأجابت هي عن ذلك جواب مثلها في فضلها وعلمها»^(٨)، وفي

(١) أي فرساً يتشرب في مشيه أي يلج فيه بلا فتور.

(٢) وهو الرمح المنسوب إلى الخط، قرية بساحل بحر عمان تعمل فيها الرماح.

(*) قلت: الأصل راح، وهو خطأ مخالف لما في الصحيحين والنهاية.

(٣) أي جعلها داخلة علي في وقت الرواح وهو ما بعد الزوال، أو أدخلها علي في

المراح. والنعم: الإبل والغنم والبقر، وثرى: من الثروة وهي كثيرة المال.

(٤) أعطها من كل بهيمة ذاهبة إلى بيته في وقت الرواح زوجين اثنين اثنين.

(٥) أي قال الزوج الذي تزوجها بعد أبي زرع: كلي ما تشائين وأعطي أقاربك.

(٦) صحيح البخاري برقم (٥١٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٨) واللفظ له.

(٧) الحديث بتمامه مع معاني الكلمات منقول من مختصر الشائل المحمدية بتحقيق

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص (١٣٤-١٤٢).

(٨) فتح الباري (٩/ ٢٧٥).

رواية الطبراني أنه قال: «يَا عَائِشَةُ كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ، إِلَّا أَنْ أَبَا زَرْعٍ طَلَّقَ، وَأَنَا لَا أُطَلِّقُ»^(١).

وفي رواية أخرى: فقلت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»^(٢).

١٩ - مما يؤثر قولهم: وراء كل رجل عظيم امرأة، فهل هذا القول صحيح؟ وكيف يكون ذلك؟

الجواب: انظر إلى هذه القصة.

أعقل نساء العرب:

قال الحارث بن عوف يوماً لخارجة بن سنان المري: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ فقال له: نعم! قال: من ذاك؟ قال: أوس بن حارثة بن لام الطائي، فقال الحارث لغلامه: ارحل بنا، ففعل، وركبا حتى أتيا أوس بن حارثة بن لام الطائي فوجداه في فناء منزله، فلما أن رأى الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حارث.

قال: وبك، قال: ما جاء بك؟ قال: جئتك خاطباً، قال: لست

(١) معجم الطبراني الكبير (١٧٣/٢٣) برقم (٢٧٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ
كما في صحيح الجامع الصغير برقم (١٤١).

(٢) سنن النسائي الكبرى (٩١٣٨).

هناك. فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس على امرأته مغضبًا، وكانت من عبس، فقالت: من رجل واقف عليك فلم يطل، ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف. قالت: فما بالك لم تستنزه؟ قال: إنه استحقم! قالت: وكيف؟ قال: أتاني خاطبًا! قالت: أفتريد أن تزوج بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك، قالت: فتدارك ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: تلحقه فترده. قال: كيف وقد فرط مني؟ قالت: قل له: لقيتني مغضبًا بأمر لم تقدم فيه قولًا، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، عد ولك عندي كل ما أحببت، فإنه سيفعل.. فركب في إثرهما. قال خارجة بن سنان: فوالله إنني لأسير مع الحارث إذ حانت مني التفاته فرأيت أوسًا، فأقبلت على الحارث - وما يكلمني غمًا - فقلت له: أوس بن حارثة في إثرنا. قال: وما نضنع به؟ امض. فلما رأنا لا نقف عليه، صاح: حارث، أربع علي ساعة، فكلمته بذلك الكلام، فرجع مسرورًا، ودخل أوس منزله، وقال لزوجته: ادعي لي فلانة - يقصد أكبر بناته - . فأتته. فقال: يا بنية، هذا الحارث ابن عوف سيد من سادات العرب، قد جاءني خاطبًا وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل؟ فإني امرأة في وجهي ردة - قبح -، وفي خلقي بعض الحدة - العيب -، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني.

وقال مثل ذلك للوسطى فأجابت مثل الكبرى... فنادى الصغرى
 فعرض عليها الأمر، فقالت: أنت وذاك. فقال: قد عرضت ذلك
 على أختيك فأبتاه، فقالت - ولم يذكر لها مقالتيهما -: لكني والله
 الجميلة وجهًا، الصناع يدًا، الرفيعة خلقًا، الحسيبة أبا، فإن طلقني
 فلا أخلف الله عليه بخير. فقال: بارك الله عليك. ثم خرج إلى
 الحارث فقال: زوجتك يا حارث ابنتي بهيسة بنت أوس. قال:
 قبلت. فأمر أمها أن تهيئها، وتصلح من شأنها، ثم أمر بيت فضرب
 لهما. ثم بعث بها إليه.. قال الراوي خارجة بن سنان: فلما أدخلت
 عليه بهيسة لبث هنيهة ثم خرج فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا
 والله. قال خارجة بن سنان: كيف؟ قال: لما دخلت عليها قالت:
 مه، أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله ما لا يكون.. فأمر بالرواحل
 وارتحلوا.. ولما ساروا ما شاء الله، قال الحارث لخارجة: تقدم،
 قال خارجة: فتقدمت ثم عدل الحارث بزوجه عن الطريق.. وما
 لبث أن لحق بي، فقلت: أفرغت؟ قال: لا والله، قلت: ولم؟ قال:
 قالت لي: أكما يفعل بالأمة الجليلة أو السبية الأخيذة، لا والله!
 حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم، وتدعو العرب، وتعمل ما يعمل
 لمثلي. فقلت: والله إني أرى هممةً وعقلاً وأرجو أن تكون منجبة.
 وسكت الحارث، قال خارجة: فرحلنا حتى وصلنا ديارنا، فأحضر
 الإبل والغنم، ثم دخل عليها. وسرعان ما خرج علي، فقلت:
 أفرغت؟ قال: لا. قلت: ولم؟ قال: دخلت عليها فقالت: والله لقد

ذكر لي من الشرف ما لا أراه فيك؟ قلت: وكيف؟ قالت: أتفرغ للنساء، والعرب تقتل بعضها بعضاً!! (المقصد: كانت الحرب في بدايتها بين عبس وذبيان). قلت: فيكون ماذا؟ قالت: اخرج إلى القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلِكَ فإنه لن يفوتك ما تريد. فقال الحارث: اخرج بنا يا خارجة، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى، عن كل رجل دية، فحملنا ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، وانصرفنا بأجمل الذكر، فمدح زهير بن أبي سلمى الحارث بالقصيدة المشهورة:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَثَلِّمِ^(١)

روى القاضي المعافى بن زكريا بسنده إلى الشعبي قال: قال لي شريح: يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء! قلت: وكيف ذلك؟ فقال: رجعت يوماً من جنازة متطهراً فمررت بخباء، فإذا بعجوز معها جارية رؤود^(٢) فاستسقيت، فقالت: اللبن أعجب إليك أم الماء؟ فقلت: اللبن أعجب إلي، فقالت: يا بنية اسقيه لبناً فإنني أظنه غريباً، فسقتني فلما شربت قلت: من هذه الجارية؟ فقالت: هذه زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم، ثم من بني

(١) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٨).

(٢) في مقبل شبابها.

حنظلة، ثم من بني طهية. قلت: أتزوجينيها؟ قالت: نعم إن كنت كفؤاً، فانصرفت إلى منزلي، فامتنعت من القائلة، فلما صليت الظهر وجهت إلى إخواني الثقات مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، فصليت العصر ثم رحت إلى عمها وهو في مسجده، فلما رأني تنحى لي عن مجلسه فقلت: أنت أحق بمجلسك ونحن طالبو حاجة، فقال: مرحباً بك يا أبا أمية ما حاجتك؟ فقلت: إني ذكرت زينب بنت أخيك، فقال: والله ما بها عنك رغبة، ولا تك عنها مقصر، قال: وتكلمت فزوجني، ثم انصرفت، فما وصلت إلى منزلي حتى ندمت فقلت في نفسي: ماذا صنعت؟ فهممت أن أرسل إليها بطلاقها، ثم قلت: لا أجمع حمقتين ولكني أضمها إلي فإن رأيت ما أحب حمدت الله، وإن تكن الأخرى طلققتها، فأرسلت إليها بصدقها وكرامتها، فلما أهديت إلي وقام النساء عنها قلت: يا هذه إن من السنة إذا أهديت امرأة لزوجها أن تصلي ركعتين خلفه ويسألاً الله تعالى البركة، فقامت أصلي فإذا هي خلفي، فلما فرغت رجعت إلى مكانها، ومددت يدي فقالت: على رسلك، فقلت: إحداهن ورب الكعبة، فقالت: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، أما بعد فإني امرأة غريبة، ولا والله ما ركبت مركباً هو أصعب علي من هذا، وأنت رجل لا

أعرف أخلاقك فخبّرني بما تحب أنت وبما تكره أزدجر عنه، أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولك. قال: فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد فقد قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم، وأنت إن شاء الله سيدة نسائهم أحبوا هذا أو كرهوه، قالت: فحدثني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاض فأكره أن يملوني وأكره أن ينقطعوا عني، قال: فأقمت معها سنة وأنا كل يوم أشد سرورًا مني باليوم الذي مضى، فرجعت يومًا من مجلس القضاء فإذا عجوز تأمر وتنهاى في منزلي، فقلت: من هذه يا زينب؟ قالت: هذه ختنك هذه أُمِّي، قلت: كيف حالك يا هذه؟ قالت: كيف حالك يا أبا أمية، وكيف رأيت أهلك؟ فقلت: كل الخير، فقالت: إن المرأة لا تكون أسوأ خلقًا منها في حالتين: إذا ولدت غلامًا، وإذا حظيت عند زوجها، فإن رابك من أهلك ريبًا فالسوط، فقلت: أشهد أنها ابنتك قد كفتني الرياضة وأحسنت الأدب، فكانت تجيئني في كل حول مرة فتوصيني بهذه الوصية ثم تنصرف، فأقمت معها عشرين سنة ما غضبت عليها يومًا ولا ليلة إلا يومًا وكنت لها ظالمًا، وذلك أني ركعت ركعتي الفجر وأبصرت عقربًا وعجلت عن قتلها فكفأت عليها الإناء وقلت: يا زينب إياك والإناء، وخرجت إلى الصلاة، فعجلت إلى الإناء فحركته

فضربتها العقر ب. ولو رأيتني يا شعبي وأنا أمص أصبعها
 وأقرأ عليها المعوذتين. وكان لي جار يقال له قيس بن
 جرير، لا يزال يضرب زوجته، فكنت عند ذلك أقول:

رَأَيْتُ رَجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي حِينَ أَضْرَبُ زَيْنَبَا
 وَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ تُبْقِ مِنْهُنَّ كَوَكَبَا
 وأنا الذي أقول:

إِذَا زَيْنَبُ زَارَهَا أَهْلُهَا حَشَدْتُ وَأَكْرَمْتُ زُوَّارَهَا
 وَإِنْ هِيَ زَارَتْهُمْ زُرَّتْهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي هَوَى دَارَهَا^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
 محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تهذيب تاريخ ابن عساکر (٦/٣١٥-٣١٦).

الكلمة الأربعون:

أسباب السعادة والنجاح في فهم مقاصد النكاح: رقم (٥)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وبعد:

في هذه الكلمة بيان بعض المعالم التي تعين على فهم مقاصد النكاح، وطرق تحقيقها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ١٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم، آية رقم: ٢١].

فلنتأمل قوله تعالى: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، فما هذا السكن؟ وكيف يكون السكن؟ وما هي آثاره على حياة الزوجين؟ وما هو الواجب فعله؟

قال في القاموس: السكن كل ما يسكن إليه ويطمئن إليه من أهل وغيره^(١).

(١) ١٩٩/٣٥ تاج العروس من جواهر القاموس.

في هاتين الآيتين الكريمتين خص الله تعالى الزوجة بذلك فجعلها هي السكن لزوجها. والسكون هو الاطمئنان والراحة، وقد اشتملت هذه الكلمة العظيمة على معان واسعة تكاد تشمل جميع مناحي الحياة. فانظر إلى حال الناس الأسوياء عندما يكونون خارج مساكنهم وما يلزمهم من التكلف في ضبط الكلام والملبس والحركة والسكون، ثم انظر إليهم عندما يعودون إلى مساكنهم كيف يزول عنهم ذلك التكلف في أكلهم وشربهم ونومهم وغير ذلك بما يحصل لهم من الطمأنينة والانبساط، فكذلك الزوجة هي السكن لزوجها. وهي حين تكون كذلك فإنما تعمل وفق حكمة الخالق سُبْحَانَهُ وقد خلقها مهياً لذلك، فلتحمد الله ولتكثر من شكره.

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٨٧].

ففي قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ معنى عظيم يجب على الزوجين أن يتفطنا له ويعملا بموجبه وهو حق متبادل بينهما، وبيان ذلك أن اللباس له ثلاثة أغراض جليلة:

الأول: ستر ما يُستحيا من كشفه.

الثاني: الوقاية من الحر والبرد ونحوهما.

الثالث: التجميل.

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَ تَكْمٌ وَرِيْشًا^ط وَلِبَاسُ الثَّقْوَى ذَلِكُ خَيْرٌ ذَلِكُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ٢٦].

والرياش هو ما يتجمل به زائداً عن ستر العورات والوقاية من الآفات.

فإذا فهمنا هذا فلنعلم أن كل واحد من الزوجين يحتاج من الآخر هذه الثلاثة، فأعظمها:

١ - الستر: فعلى الزوجين أن يستر كل واحد منهما الآخر ولا يظهر عنه ما يسوؤه إظهاره ولا يُفشي له سرّاً.

٢ - أن يقيه بنفسه من الآفات التي تؤذيه كوقاية اللباس الحر والبرد.

٣ - ثم ليترقى بعد ذلك إلى أن يكون كل واحد منهما للآخر كالرياش يتجمل به ويظهر محاسنه.

وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلِيْمَنَ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٢٨].

ويندرج تحت هذه الجملة الكريمة معان عظيمة، وحكم جليلة، غير أن الانتفاع بها مبني على الإيمان بها والتسليم لها والفهم الصحيح لما دلت عليه، وإليك البيان:

١- يجب أن يُعلم أن خالق الخلق **سُبْحَانَهُ** له الحكمة البالغة في خلقه وأمره، ركب الرجال على خلقة تناسب ما كُلفوا به، وركب النساء على خلقة تناسب ما خلقن له، فمن اهتدى لما خُلق له وُفق في الدارين ونال السعادتين، ومن لم يهتدِ كان دليلاً على انتكاس فطرته ومن ثم فساد الفكر والعمل.

٢ - بين تعالى في آية أخرى ما أجمل في هذه الآية فقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٣٤].

في هذه الآية ذكر تعالى سبب جعل القوامه في الرجل، والقوامه هي الدرجة في الآية السابقة، وأن ذلك لأمرين:

أحدهما راجع إلى أصل الخلقة التي خلق الله عليها البشر، وفي التنزيل المبارك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٦]. ومن المقطوع به أن الرجل والمرأة لو كانا على خلقة واحدة وطبيعة واحدة لما حصل التجانس بينهما ولوقع التنافر بينهما، وشواهد ذلك ظاهرة فيمن انتكست فطرهم وفسدت تصوراتهم.

وثانيهما: الإنفاق، فالرجل أقدر على ذلك، ثم إنه لا يضيع شيء بسبب قيامه بتحصيل النفقة، أما المرأة فإنها لو ذهبت لتحصيل النفقة فسيقع من إهمالها لوظيفتها التي هي شؤون

البيت وتربية الأولاد والعناية بالزوج ضرر عظيم وفساد كبير، فالرجل يقدر على أمور لا تقدر عليها المرأة، والمرأة تقدر على أمور لا يقدر عليها الرجل، وبقيام كل واحد منهما بما يجب عليه يحصل التكامل وتستقيم الحياة، **اللهم** إلا أن يُقال: تقوم المرأة بوظيفة الرجل ويقوم الرجل بوظيفة المرأة أو يقوم أحدهما بكلا الوظائفيتين، وهذا مما يعلم كافة العقلاء فساده وعظيم ضرره.

٣ - ينبغي أن يُعلم أن وظيفة المرأة - وهي القيام بشؤون البيت وتنشئة الأجيال والعناية بشؤون الزوج وتهيئة نفسها لما يحتاجه - وظيفة جليلة، لا تقل درجة عن وظيفة الرجل بل قد تزيد عليها وتناسب خلقتها وفطرتها.

أما الرجل فلا يقدر عليها لأنها لا تناسب خلخته التي خلقه **الله** عليها، وقد أحسن القائل:

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

وقالوا: وراء كل رجل عظيم امرأة.

وعلى كل حال فكلامنا مع من سلمت فطرتهم وصحت تصوراتهم، أما الآخرون فلهم طرق أخرى للعلاج ليس هذا مكانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح: رقم (٦)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

ركائز العشرة الزوجية، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١٩]، تركز العشرة الزوجية على أمور ثلاثة وهي المودة، والرحمة، وإقامة حدود الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم، آية رقم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٢٩] فإذا اجتمعت هذه الثلاث للزوجين فقد نالا سعادة الدنيا، ويُرجى لهما سعادة الآخرة.

وعقد الزوجية من أعظم العقود التي يُجب الوفاء بها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة، آية رقم: ١]، وسماه الله ميثاقاً غليظاً، قال تعالى: ﴿وَآخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٢١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عقبة بن عامر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَقَّ مَا وَفِّتُمْ بِهِ مِنَ الشُّرُوطِ مَا اسْتَحَلَّتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»^(١).

وعقد الزواج في الإسلام عقد اختيار لا إجبار، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ»^(٢).

ولذلك سهل الله أمر الفراق بين الزوجين عند تعذر الحياة الزوجية، فإن قام بذلك الزوج وإلا حلَّ للمرأة أن تفتدي نفسها ولا جناح عليها في ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيَا حَدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٢٩]. أو يحكم القاضي الشرعي بالتفريق بينهما، لكن يجب أن يعلم أن هذا العقد الغليظ لا يجوز حله إلا بانعدام هذه الأمور الثلاثة التي

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٥١)، وصحيح مسلم برقم (١٤١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥١٣٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤١٩).

هي ركائز العشرة الزوجية، فإذا عدت المودة بينهما فإنه يبقى بينهما رابط الرحمة وإقامة حدود الله، فإن عدت الرحمة أيضًا فإنه يبقى بينهما رابط أن يطيع كل واحد منهما الله في الآخر. روي أن رجلاً قال في عهد عمر رضي الله عنه لامرأته: نشدتك بالله هل تحبيني؟ فقالت: أما إذ نشدتني بالله فلا. فخرج حتى أتى عمر، فأرسل إليها، فقال: أنت التي تقولين لزوجك: لا أحبك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين نشدني بالله، أفأكذب؟ قال: نعم فأكذبيه، ليس كل البيوت تُبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب^(١).

ولعلهما حين يطيع كل واحد منهما الله في الآخر يؤلف الله بين قلوبهما وتعود المودة والرحمة، فإن من أحب الأعمال إلى الشيطان التفريق بين الزوجين لما ينتج عنه من مفاسد وأضرار. وأعداء الإسلام عندما يريدون إفساد بلد وهدم أمة يزرعون فيه الأسباب التي ينتج عنها تفرق الأزواج ومن ثم تشتت الأسر، وهدم البيوت.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ أَكْبَرُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ:

(١) شرح السنة للبغوي (١٣/١٢٠).

فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتَهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعَمَ أَنْتَ، قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ»^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحَدِّثُهُ أَحَدُهُمَا»^(٢)، فإذا عدت هذه الركائز فإنه والحالة هذه لم يبق بينهما رابط يجمعهما وتعيّن الفراق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝١٣٠﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١٣٠].

وإن مما يجب التنبه له أن كثيرًا من حالات الفراق تقع بناء على تقييم أحد الزوجين للآخر تقييمًا جائرًا لا يلتزم فيه صاحبه العدل والإنصاف، ولذلك عندما تنقشع غمامة الهوى يندم حين لا ينفع الندم.

الميزان والعدل في تقييم الزوجة:

تقدم في مقاصد النكاح التعريف بالحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، وأن استصحاب ذلك حين تقييم أحد

(١) برقم (٢٨١٢).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٩/ ٢٥٩) برقم (٥٣٥٧)، وقال محققوه: حديث صحيح.

الزوجين للآخر يجعل المرء عادلاً في حكمه منصفاً من نفسه.
ونزيد هنا بياناً بذكر بعض الأمور التي تجعل تقييم الرجل
للزوجة عدلاً صواباً، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ
كُرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهنَّ
خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ
تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ
خَيْرًا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ
مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرُهُ» (٢).

من هذه الآيات والأحاديث وغيرها يتبين أنه يجب العدل
في تقييم الزوجة، وهذا معلوم لدى كل مسلم ولكن الذي قد
يخفى هو تطبيق ذلك، فإن الرجل إذا تزوج المرأة وهو يريد
منها مقاصد النكاح السابق ذكرها جميعاً: الذرية، والخدمة،

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٦).

(٢) برقم ١٤٦٧.

والمتمعة، فإنه عند إرادة تقييمها يجب عليه النظر إلى هذه الثلاث مجتمعة لا إلى كل واحد على حدة، فإذا نظر إليها مجتمعة وكانت الزوجة تستحق الثلث ٣٣٪ على أقل تقدير لكل واحد منها فإن مجموع ذلك ينتج عنه الدرجة الكاملة، بينما إذا نظر إلى كل واحد على حدة احتقر ذلك التقدير وحكم عليها بالفشل قطعاً وسبب ذلك النظر الخاطيء..

ولو استصحب ما دلت عليه الآيات والأحاديث السابقة لم يقع في ذلك الخطأ. ويزيد ذلك إيضاحاً أن الرجل إذا لم يرد من المرأة سوى اثنين من ثلاثة مثلاً فإن ثلث الدرجة لا تكفي في رفع مستوى الزوجة، كذلك إذا لم يرد منها إلا واحداً من تلك المقاصد، وبذلك يتضح الفرق بين أن تقوم المرأة بهذه المقاصد الثلاثة وبين أن يطلب منها القيام ببعضها فقط، ولذلك لما خطب النبي ﷺ أم سلمة اعتذرت باذي الأمر بأن لديها صبية، وقد أرادت بتقديم هذا العذر - والله أعلم - أنها ستشغل بهم عن القيام بحق رسول الله ﷺ كاملاً، وقد وقع ذلك فعلاً فروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور، فقال: «أما ابنتها فندعو الله أن يُغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة». ويشهد لذلك ما رواه (١) الإمام

أحمد في مسنده من حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عقد عليها كان يأتيها، فإذا جاء أخذت زينب، فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً كريماً، يستحي فيرجع، ففعل ذلك مراراً ففطن عمار بن ياسر لما تصنع، فأقبل ذات يوم وجاء عمار وكان أخاها لأمها فدخل عليها فانتشطها من حجرها وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوقة التي آذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل، فجعل يقلب بصره في البيت ويقول: «أَيْنَ زُنَابُ؟ مَا فَعَلْتَ زُنَابُ؟» قالت: جاء عمار فذهب بها، قال: فبنى بأهله، ثم قال: «إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَبِّحَ لَكَ، وَأُسَبِّحَ لِلنِّسَاءِ»^(١).

وإن من رحمة الله وحكمته أن خفف على المرأة التكاليف الشرعية في العبادات، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(٢).

وما ذلك إلا لتفريغها للقيام بهذه المقاصد الثلاثة على أكمل الوجوه، فإن المرأة إن فعلت ذلك ووجدت رجلاً يقدر ما تقوم به كان ذلك دافعاً له أن يقوم بما أوجب الله عليه،

(١) مسند الإمام أحمد (٤٤/٢٦٨) برقم (٢٦٦٦٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٢/١٤٥) برقم (١٩٤٠٣)، وقال محققوه: حديث جيد.

ليس تجاه أسرته فقط بل تجاه دينه ومجتمعه والناس جميعاً،
ولذلك قالوا: وراء كل رجل عظيم امرأة.

تنبيه:

لو أن رجلاً يريد أن تكتمل له هذه المقاصد الثلاثة بأعلى درجاتها فهل يحصل له ذلك، الجواب: نعم، وذلك أن الله تعالى وهو الحكيم في شرعه العليم بخلقه شرع للرجل التعدد، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٣].

فإن كان الرجل أهلاً لذلك فإنه سيكمل له من مجموعهن ما يريد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والأربعون:

السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح: رقم (٧)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن من مسائل العشرة الزوجية التي تستقيم الحياة الزوجية بحسن التصرف فيها وتسوء حين لا تُعطى الاهتمام المطلوب النفقة، وقد اخترناها مثلاً لوقوعها في بيت النبوة ولما يشاهد في الواقع من آثارها على اجتماع الزوجين وتفرقهما، ولتكون مثلاً يُحتذى به في سائر أحوال العشرة الزوجية. وخلاصة ما وقع في بيت النبي ﷺ هو أن نساء أكثرن عليه في طلب النفقة حتى بلغ بهن الحال أن يسألنه ما ليس عنده، فضاق صدره على سعته فأنزل الله عليه آية التخيير وأمره ربه أن يخير نساءه بين أن يصبرن معه على ضيق العيش وشدة الحال، أو يفارقهن. وهذا دليل على أهمية هذا الموضوع وأنه يجب أن يُولى العناية الفائقة إذ أنزل الله فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

وإليك الآيات فتدبر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

وَزِينَتَهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ
 اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
 ﴿سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨، ٢٩﴾، وقد فعل رسول الله ﷺ ما
 أمره الله به فخيرهن واحدة واحدة، وقد كن رضي الله عنهن أعلى
 شأنًا وأرفع منزلة فاخرن الله ورسوله والدار الآخرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها
 قالت: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ، بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي
 ذَاكِرٌ لِكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ». قَالَتُ:
 وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتُ: ثُمَّ
 قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ
 كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا
 عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ قَالَتُ: فَقُلْتُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؛ فَإِنِّي
 أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ (١).

قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت، وفي رواية:
 «لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْثِبْنِي مُعْتَنًا، وَلَا
 مُتَعْتَنًا، وَلَكِنْ بَعْثِبْنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا» (٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٧٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٧٨).

دور الآباء والأمهات في تقويم الزوجات وتوجيههن إلى
مراعاة أحوال أزواجهن:

روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. قَالَ: فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاءً، وَاجِمًا سَاكِتًا. قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَّاتُ عَنْقَهَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنِي النَّفَقَةَ». فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ. ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا....) الحديث^(١).

مقدار ما تستحقه المرأة من النفقة:

من المعلوم شرعاً وعرفاً أن على الزوج الإنفاق على زوجته من مسكن وملبس ومطعم ومشرب، لكن يجب على الزوجة أن تعلم ما يجب لها من ذلك وما كان زائداً على الواجب؛ لكيلا تسأله ما ليس واجباً عليه على أنه من الواجبات التي إن قصر فيها رمته

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٧٨).

بالتقصير والبخل، وإن لم يقصر فيها لم تقابله بالشكر والامتنان الذي يستحقه لظنها أنه إنما أدى ما عليه فقط. وهذه المسألة بحاجة إلى توسع ليس هذا مكانه ونشير إليها اختصاراً^(١).

قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِنُضِيِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُواهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسُدِّضُوا لَهُنَّ أُخْرَىٰ ۗ﴾ [سورة الطلاق، آية: ٦]، وقال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءَ آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۗ﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهند رضي الله عنها: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ»^(٢)، وروى الإمام أحمد في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله معاوية بن حيدة رضي الله عنه: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»^(٣).

ومن هذه النصوص الشرعية وغيرها مما لم يذكر يتبين لنا الآتي:

(١) للتوسع في هذه المسألة راجع كتب الفقه، باب النفقات.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٢٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٤) واللفظ له.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٣ / ٢٢٦ برقم ٢٠٠٢٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

١- مقدار النفقة حسب حال الزوج من عسره ويسره، وغناه وفقره.

٢- أن الواجب في النفقة هو الكفاية وما زاد على ذلك فهو إحسان وفضل يجب أن يذكر فلا ينكر، ويشكر فلا يكفر^(١).

٣- أن على الزوج أن يعدل بين نفسه وزوجته فيطعمها مما يطعم ويكسوها مما يكتسي.

٤- من المعلوم في القضاء الشرعي أن الزوج إذا لم يستطع القيام بنفقة الكفاية أن للزوجة طلب الفراق، غير أن المرأة الصالحة العاقلة التي تريد الله والدار الآخرة هي التي تتأسى بأمهاتها أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن، فلا ترهق كاهل الزوج بما لا يقدر، ولا تكلفه ما لا يستطيع، وتصبر معه على الشدة وضيق الحال إذا كان أهلاً لذلك، بأن يكون كريم النفس حسن العشرة يبذل لها من أخلاقه ما يعوض به

(١) وفي الحديث: «وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ». قِيلَ: يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرُونَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرُونَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ». صحيح البخاري برقم (١٠٥٢).

النقص في أمور الدنيا.

٥- أن الزوجات في تعاملهن مع أزواجهن على مراتب:

الأولى: وهي أدناهن مرتبة وأسوأهن عشرة، من تنكر الجميل وتكفر العشير؛ لو أحسن إلى إحداهن الدهر كله قالت: ما رأيت منك خيراً قط.

الثانية: من تجعل ما ليس واجباً من الواجبات، إذا لم يقم به اتهمته بالتقصير ورمته بالبخل.

الثالثة: من تطلب حقها كاملاً ولا تغض طرفها عن شيء منه وإن قل.

الرابعة: وهي أعلاهن مرتبة وأرفعهن درجة وأسعدهن بخير الدنيا والآخرة، من تقابل التقصير بالصبر، والمعروف بالشكر، بل تزيد على ذلك فتبذل من نفسها ومالها ما لا يجب عليها بذله. فمن رزقه الله منهن من هذه صفتها فليتمسك بها فإنها من السعادة، فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وروى

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٢١).

مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١)، ووصفت هذه المرأة الصالحة في حديث آخر رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي النساء خير؟ قال: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(٢).

ومن الأمثلة على ما سبق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث زينب امرأة عبد الله رضي الله عنها قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ». وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، قال: فقالت لعبد الله: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب، حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلنا: سل النبي صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا: لا تخبر

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٢/٣٨٣ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١)، وقال محققوه: إسناده قوي. قال السندي: والصواب ما في النسائي: «الَّتِي تَسْرُهُ»، وتصحيح ما في المسند بأن المراد زوجة الذي ... الخ بعيد. المسند (١٢/٣٨٣).

بنا. فدخل فسأله فقال: «مَنْ هُمَا؟»، قال: زينب، قال: «أَيُّ الزَّيْنَبِ هِيَ؟» قال: امرأة عبد الله، قال: «نَعَمْ، لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ» (١).

آداب سؤال المرأة لزوجها النفقة:

ينبغي للمرأة حين تسأل النفقة أن تكون عفيفة في سؤالها مؤدبة في طلبها، مراعية لحال زوجها، وأن تختار الوقت والحال الذي يصلح، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلَيْطَلِبُهُ فِي عَفَافٍ، وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ» (٢).

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ عندما ذكر قصة بناء إبراهيم الخليل الكعبة جاء فيه: «... فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَانَهُ أَنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا،

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٦٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٠٠).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٢١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه

(٥٤/٢) برقم (١٩٦٥) من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما.

فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ
 وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ
 عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ غَيْرَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي
 أَنْ أُفَارِقَكَ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ
 عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى
 امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟
 وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتِ
 عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟
 قَالَتْ الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ
 النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ
 فِيهِ». قَالَ: فَهَمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ،
 قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرَبِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ
 بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ،
 أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَنْتِ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ،
 فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ،
 قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ،
 قَالَ: ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكَ»^(١).

فهذا تحل البركات وتطيب النفوس، ونختم بهذه الوصايا
 العشر من امرأة عاقلة لابنتها لينتفع بها من شاء الله من النساء،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٦٤).

وليعلم إنما نذكر به ليس ضرباً من المستحيلات بل هو كثير في الواقع، والسير، والتواريخ طافحة بذلك يزيد وينقص ويقل ويكثر حسب أحوال الناس في الزمان والمكان..

ومن الوصايا المشهورة ما أوصت به أم ابنتها ليلة زفافها فقالت لها وهي تودعها: أي بنية إنك قد فارقت بيتك الذي منه خرجت، ووكرك الذي فيه نشأت إلى وكر لم تألفيه وقرين لم تعرفيه، فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له عشر خصال يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالنصيحة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه.

فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن الموصوف، والماء والصابون أطيب الطيب المعروف.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مكربة.

وأما السابعة والثامنة: فالعناية ببيته وماله والرعاية لنفسه

وعياله.

وأما التاسعة والعاشره: فلا تعصي له أمرًا ولا تفشي له سرًا، فإنك إن عصيت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم بعد ذلك إياك والفرح حين اكتتابه، والاكتتاب حين فرحه، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا، ولن تصلي إلى ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يضع لك الخير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والأربعون:

وقفات مع سورة التكوير (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فمن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة التكوير.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ؛ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝١﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝١﴾، وأحسب أنه قال: «سورة هود»^(١).

أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة تميز الخلق وعلم كل ما قدمه لآخرته وما أحضره فيها من خير وشر.

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ الشمس كتلة عظيمة كبيرة

(١) ٤٢٤ / ٨ برقم ٤٨٠٦، وقال محققوه: إسناده حسن.

واسعة، في يوم القيامة يكورها الله ﷻ فيلقها جميعاً ويطوي بعضها على بعض فيذهب نورها، ويلقيها الله ﷻ في النار إغابة للذين عبدوها من دون الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٩٨) [سورة الأنبياء، آية رقم: ٩٨]، ويستثنى من ذلك من عبد من دون الله من أولياء الله، فإنه لا يلقي في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: الآيتان: ١٠١ - ١٠٢].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وفي رواية: «ثَوْرَانِ مُكْوَرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

قال الخطابي رحمته الله: ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلاً.

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «وهذا هو الأقرب إلى لفظ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٠).

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي (١/ ١٧٠) برقم (١٨٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٤).

الحديث، ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلى كما في الفتح ٦ / ٢١٤: (ليراهما من عبدهما)، ولم أرها في مسنده، والله تعالى أعلم^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي انقضت وتساقطت من السماء فذهب نورها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝٢﴾ [سورة الانفطار، آية رقم: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ [سورة المرسلات، آية رقم: ٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أي صارت كثيباً مهيباً، ثم صارت كالعهن المنفوش ثم تغيرت وصارت هباء منبثاً وأزيلت عن أماكنها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ أي عطل الناس يومئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها، ويراعونها في جميع الأوقات فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبه بالعشار وهي النوق الحوامل التي مر على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، جمع عُشراء وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ المراد بها جميع

(١) السلسلة الصحيحة: (١ / ٢٤٥).

الدواب لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ٣٨] فتحشر الدواب يوم القيامة ويشاهدها الناس، ويقتص لبعضها من بعض حتى إنه يقتص للبهيمة الجلحاء التي ليس لها قرن من البهيمة القرناء، فإذا اقتص من بعض هذه الوحوش لبعض أمرها الله تعالى فكانت ترابًا (١)، وإنما يفعل ذلك لِيُكْفِرَهُمْ لِإظهار عدله بين خلقه وغير ذلك من الحكم.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [٦] البحار جمع بحر وجمعت لعظمتها وكثرتها، فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريبًا أو أكثر، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تسجر، أي تشتعل نارًا عظيمة وحينئذ تيبس الأرض ولا يبقى فيها ماء.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [٧] أي قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وزوج المؤمنون بالحوور العين، واقرن الكافرون بالشياطين؛ كقوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ [سورة الواقعة، آية رقم:

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن بعض الصحابة (١٠ / ٨٤٣٨)، وأورده الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة برقم (١٩٦٦).

[٧]، وقال سبحانه: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ [سورة الصافات، آية رقم: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴾ (٨) ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٩) ﴿، أي: الطفلة المدفونة حية، وكان أحياء من العرب في الجاهلية يقتلون البنات بدفنهن في التراب خوفاً من الفقر أو العار، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٥٨) ﴿ ينورى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ ۗ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ [سورة النحل، الآيتان رقم: ٥٨ - ٥٩].

أما قوله: ﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٩) ﴿ أي تُسأل الموءدة: لم قتلت ودفنت حية؟ وفي ذلك توبيخ لقاتلها وتقرير، فإن المجني عليها إذا سئلت بحضور الجاني عن سبب الجناية كان ذلك أدعى لتبكيته وأكمل في افتضاحه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الضُّعُفُ نُشِرَتْ ﴾ (١٠) ﴿ هي صحاف الأعمال تنشر عند الحساب، أي تفتح وتبسط لتقرأ بعد أن كانت مطوية بموت صاحبها، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لَطْفِهُ ۗ فِي حُجُوبِهِ ۗ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ (١٣) ﴿ [سورة الإسراء، آية رقم: ١٣]، فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ (١١) ﴿ أي قلعت وأزيلت كما

يكشط الجلد عن الذبيحة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [سورة الأنبياء، آية رقم: ١٠٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ [١٢] ﴿أَي أَوْقَدَ عَلَيْهَا فَاسْتَعْرَتِ وَالتَّهَبَتِ التَّهَابًا لَمْ يَكُنْ لَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَوَقَّودَهَا النَّاسُ أَي الكِفَارَ وَالْحِجَارَةَ، حِجَارَةٌ مِنْ نَارٍ عَظِيمَةٍ شَدِيدَةِ الْاشْتِعَالِ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، هَذَا تَسْعِيرُ جَهَنَّمَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [١٣] ﴿أَي قَرَبَتْ لِأَهْلِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الشعراء، آية رقم: ٩٠]، وَلَمْ يَذَكَرْ بَرُوزَ الْجَحِيمِ فِي مَقَابِلِ إِزْلَافِ الْجَنَّةِ، بَلْ ذَكَرَ بَدْلَهُ التَّسْعِيرَ وَهُوَ أَشَدُّ تَهْوِيلًا مِنْ ذَلِكَ.

قوله تعالى: ﴿عَمِلَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [١٤] ﴿أَي عَلِمَتْ كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَحْضَرَتْ فِي صَحَائِفِهَا مِنْ عَمَلٍ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا، كَمَا قَالَ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [سورة القيامة، آية رقم ١٣].

وهذه من الأوصاف التي وصف الله بها يوم القيامة التي

تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٦٩ - ٨٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٥٧-٢٧٢)، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (ص ١٢٣٨ - ١٢٤٠)، وتفسير جزء عم وفوائده للشيخ عبد الرحمن البراك (ص ٧٣ - ٧٧).

سورة التكوير رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝١٥﴾ قد يظن بعض الناس أن لا نافية وليس كذلك؛ بل هي مثبتة للقسم ويؤتى بمثل هذا التركيب للتأكيد، فالمعنى: «أقسم بالخنس» وهي النجوم التي تخنس بالنهار أي يختفي ضوءها لضوء الشمس.

و(الجوار) جمع جارية وهي النجوم، «الكنس» جمع كانس أي التي تكنس أي تستر في مغيبها كما يأوي الطيبي إلى كناسه

وهو بيته.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (١٧) أي أدبر- وهذا قول أكثر المفسرين، وقيل «عسس» أقبل، لأن اللفظ من قبيل المشترك ورُجِحَ الثاني لمطابقتها ما بعده وهو قوله «والصبح إذا تنفس»، ولا يبعد أن يكون المعنيان مقصودين لعدم تعارضهما، ولكل منهما شاهد في القرآن، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) [سورة الليل، آية رقم ١]، وقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ (٣٣) [سورة المدثر، آية رقم: ٣٣]. فيكون **الله** مقسمًا بالليل مقبلاً ومدبراً.

قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (١٨) أي بدت علائم الصبح، وانشق النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل وتطلع الشمس.

وإقسامه تعالى بهذه المخلوقات العظيمة، لما فيها من الدلالة على بديع حكمته وعظيم قدرته، وعظم المقسم به يدل على عظم المقسم عليه وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) «أي القرآن».

الرسول الكريم هو جبريل وأضاف القول إليه لأنه الذي نزل بالقرآن، وملك كريم أي شريف حسن الخلق، بهي المنظر.

قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠) أي شديد الخلق، شديد البطش، رآه النبي ﷺ في ستة مئة جناح قد سد

الأفق كله (١).

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠) أي جبريل مقرب عند الله له منزلة رفيعة وخصيصة من الله اختص بها «مكين»، أي له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

قوله تعالى: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾ (٢١) أي جبريل مطاع في الملاء الأعلى، لأنه من الملائكة المقربين، نافذ فيهم أمره مطاع رأيه، «أمين» أي ذو أمانة وقيام بما أمر به لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حد له، وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم الموصوف بتلك الصفات الكاملة، والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات وأشرف الرسائل.

ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن ودعا إليه الناس فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢٢) وهو محمد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته المتقولون عليه (من) الأقوال التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به بل هو أكمل الناس عقلاً، وأجزلهم رأياً وأصدقهم لهجة.

(١) صحيح البخاري رقم (٣٢٣٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣) أي رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق المبين الذي هو أعلى ما يلوح للبصر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤) أي وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه، بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين فلم يشح بشيء منه عن غني ولا فقير ولا رئيس ولا مرؤوس ولا ذكر ولا أنثى ولا حضري ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في جاهلية جهلاء فلم يمت ﷺ حتى كانوا علماء ربانيين وأخباراً متفرسين، إليهم الغاية في العلوم وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم وهم الأساتذة وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (٢٥) لما ذكر جلاله كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين اللذين وصل إلى الناس على أيديهما، وأثنى الله عليهما بما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدر في صدقه.

قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦) أي كيف يخطر هذا ببالكم؟ وأين عريت عنكم أذهانكم حتى جعلتم الحق الذي هو في أعلى درجات الصدق بمنزلة الكذب الذي هو أنزل ما يكون وأرذل وأسفل الباطل؟ هل هذا إلا من انقلاب الحقائق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) يتذكرون به ربهم وما له من صفات الكمال وما ينزه عنه من النقائص والرزائل والأمثال، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وبالجملة يتذكرون به مصالح الدارين وينالون بالعمل به السعادتين.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) بعدما تبين الرشد من الغي والهدى من الضلال.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) فمشيئته نافذة لا يمكن أن تعارض أو تمانع، وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة والقدرية المجبرة والله أعلم.

ومن فوائد السورة الكريمة:

١- أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ﴾ (٨) لأن في ذلك توبيخاً لوأئدها، فقوله: ﴿يَأْتِي ذَنْبٍ قُنَيْتَ﴾ (٩) استفهام معناه نفي أن يكون لقتلها سبب من جهتها مما يدل على أن قتلها محض الظلم والعدوان والجهل.

٢- نشر صحف الأعمال ليقرأ كل ما فيها مما أحصي عليه.

٣- الرد على الفلاسفة في زعمهم دوام هذا العالم، وأن الأفلاك

- وهي السموات - لا تقبل الانشقاق والزوال.
- ٤- تسعير النار وهو إيقادها تهية لأهلها، وفي هذا وعيد لهم.
- ٥- تقرب الجنة حتى يراها أهلها، وفي هذا وعد وبشارة لهم.
- ٦- إقسام الله بالخنس وهي النجوم إذا اختفت بالنهار دليل على قدرته **سُبْحَانَكَ**.
- ٧- إقسام الله بالصبح إذا انشق في ظلام الليل يبشر بالنهار.
- ٨- علو قدر جبريل عند الله لقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠).
- ٩- ثناء الله على جبريل بسبع صفات وهي الرسالة والكرم والقوة والقرب من الله، والمنزلة العالية، والطاعة والأمانة.
- ١٠- الرد على غلاة الرافضة الذين يزعمون أن جبريل خان فحوّل الرسالة عن علي **رضي عنه** إلى محمد **صلى الله عليه وسلم**.
- ١١- فضل القرآن وعظم شأنه يدل لهذا ثناء الله على جبريل وهو الموكل بتنزيل القرآن، فإنه لا يوكل العظيم إلا بعظيم.
- ١٢- تنزيه الرسول **صلى الله عليه وسلم** من الجنون والبخل لقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢٢)، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤).

على قراتها بالضاد المعجمة»^(١).

والحاصل أن هذه السورة عظيمة، فيها تذكرة وموعظة
ينبغي للمؤمن أن يقرأها بتدبر وتمهل، وأن يتعظ بما فيها^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده، للشيخ عبد الرحمن البراك، (ص ٧٣ - ٨٤).

(٢) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٦٩ - ٨٧)، تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/

٢٥٧ - ٢٧٢)، تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (ص ١٢٣٨ - ١٢٤٠).

سورة الغاشية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ ۝٢ ۝٣ ۝٤ ۝٥ ۝٦ ۝٧ ۝٨ ۝٩ ۝١٠ ۝١١ ۝١٢ ۝١٣ ۝١٤ ۝١٥ ۝١٦ ۝١٧ ۝١٨ ۝١٩ ۝٢٠ ۝٢١ ۝٢٢ ۝٢٣ ۝٢٤ ۝٢٥ ۝٢٦ ﴾

روى مسلم في صحيحه من حديث الضحاك بن قيس أنه كتب إلى النعمان بن بشير رضي الله عنه يسأله: أي شيء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة سوى سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ: ﴿ هَلْ أَتَاكَ

حَدِيثُ الْغَشِيَةِ ﴿١﴾ .

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَشِيَةِ﴾ ﴿١﴾ الخطاب هنا للنبي ﷺ ولأمته، أي: أليس قد بلغك حديث الغاشية. وأصل الغاشية الداهية العظيمة، والمراد القيامة لأنها تغشى الناس جميعاً أي تغمرهم بأهوالها وشدائدها، والاستفهام هنا للتقرير والتهويل والتشويق والتنبيه إلى أن هذا من الأحاديث العظيمة التي ينبغي أن يتحدث بها.

في هذه السورة يذكر تعالى أحوال يوم القيامة، وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، فأخبر عن وصف كلا الفريقين.

فقال في وصف أهل النار: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ ﴿٢﴾ أي وجوه الكفار والمنافقين يوم القيامة ذليلة، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذُلِّ﴾ وكنى بالوجوه عن أصحابها لظهور آثار الذل عليها.

قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ ﴿٣﴾ عاملة عملاً يكون به النصب وهو التعب، قال العلماء: وذلك أنهم يكلفون يوم

القيامة بجر السلاسل والأغلال والخوض في نار جهنم كما يخوض الرجل في الوحل، فهي عاملة تعب من العمل الذي تكلف به يوم القيامة لأنه عمل عذاب وعقاب. وليس المعنى كما قال بعضهم أن المراد بها الكفار الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وذلك لأن الله قيد هذا بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يومئذ تأتي الغاشية وهذا لا يكون إلا يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي تدخل في نار جهنم والنار الحامية التي بلغت من حموها أنها فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً.

قوله تعالى: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آئِنَةٍ﴾ أي هذه الوجوه حين تطلب السقيا تسقى من عين حارة بلغت أناها، أي غايتها في الحرارة، كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آئِنَةٍ﴾ [سورة الرحمن، آية رقم: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف، آية رقم: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ والضرير نبات لا تقربه الدواب لخبثه وسوء عاقبته.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ أي لا فائدة فيه

فلا ينفع البدن ولا يدفع غائلة الجوع، والمراد أن من طعام أهل النار نبتاً يشبه الضريع في عدم نفعه وغنائه، وإن لم يكن مثله في حقيقته كما هو الشأن في سائر حقائق الآخرة مع حقائق الدنيا، بل هو طعام غاية في الخبث وفي سوء تجرعه.

والقصد في الآية التأكيد فهو إضافي، أي: نسبي، بدليل أنه جاء في القرآن أن من طعام أهل النار الغسلين والزقوم ويحتمل أن المعذبين على طبقات والعذاب ألوان، فمنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، لكل باب منهم جزء مقسوم نسأل الله النجاة بمنه.

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (٨) أي بما أعطها الله عز وجل من السرور والثواب الجزيل لأنها علمت ذلك وهي في قبورها، فإن الإنسان في قبره ينعم يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها.

قوله تعالى: ﴿لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) أي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية لأنها وصلت به إلى هذا النعيم وهذا السرور والفرح.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) العلو ضد السفول، ومن المعلوم أنه في يوم القيامة تزول السموات السبع والأرضون ولا يبقى إلا الجنة والنار فهي عالية وأعلاها ووسطها الفردوس

الذي فوقه عرش الرحمن سبحانه.

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) أي لا تسمع في هذه الجنة
قولة لاغية أو نفساً لاغية بل كل ما فيها جد، كل ما فيها تسبيح
وتحميد، يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، أي أنه لا يشق
عليهم فهم دائماً في ذكر الله عز وجل وتسبيح وأنس وسرور، يأتي
بعضهم إلى بعض، ويزور بعضهم بعضاً في حبور لا نظير له.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) أي تجري حيث أراد
أهلها لا تحتاج إلى حفر ساقية، ولا إقامة أخذود، كما قال ابن
القيم رحمه الله:

أَنْهَارُهَا فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ جَرَتْ سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ

قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) السرر جمع سرير وهي
المجالس المرتفعة في ذاتها وبما عليها من الفرش اللينة
الوطيئة يجلسون عليها يتفكهون هم وأزواجهم من الحور
العين في ظلال على الأرائك متكئون.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤) يعني ليست مرفوعة عنهم
بل هي موضوعة لهم متى شاءوا شربوا فيها من هذه الأنهار
الأربعة الخمر والماء والعسل واللبن. والأكواب جمع كوب
وهو الكوز الذي لا عروة له فهو صالح للشرب من كل جهة.

قوله تعالى: ﴿وَنَارِقُ مَصْفُوفَةً﴾ (١٥) أي وسائد من الحرير والإستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله قد صفت للجلوس والالتكأ عليها، وقد أريحوا أن يضعوها أو يصفوها بأنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ﴾ (١٦) أي بسط كثيرة فاخرة جمع زربية، ومبثوثة أي مبسوطة ومفرقة في كل مكان من مجالسهم وهذا من كمال النعيم والرفاهية - نسأل الله أن يجعلنا من أهلها - ولا تظن أن هذه النمارق وهذه الأكواب، وهذه السرر وهذه الزرابي لا تظن أنها تشبه ما في الدنيا، لأنها لو كانت تشبه ما في الدنيا لكنا نعلم نعيم الآخرة ونعلم حقيقته، لكنها لا تشبهه لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة، آية رقم: ١٧]، إنما الأسماء واحدة والحقائق مختلفة، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الآخرة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط». فنحن لا نعلم حقيقة هذه النعم المذكورة في الجنة وإن كنا نشاهد ما يوافقها في الاسم في الدنيا لكنه فرق بين هذا وهذا.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) بعد ذكر القيامة ومصير الأشقياء والسعداء انتقل السياق إلى توبيخ المعرضين عن الإيمان وعن النظر في آيات الله الدالة على توحيده وقدرته على البعث، ذكر منها أربع آيات: خلق الإبل،

ورفع السماء، ونصب الجبال، وبسط الأرض.

ثم أمر الله نبيه ﷺ بالتذكير بآيات الله الكونية وآياته الشرعية، وما تضمنته من الوعد والوعيد، وأخبره أن هذه هي وظيفته ﷺ، وختمت السورة بأن إليه سبحانه المآب، وعليه الحساب.

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ﴿١٧﴾ أي أفلا ينظرون بأبصارهم نظر تفكر واعتبار، والاستفهام للإنكار والتوبيخ، إلى الإبل وهو الحيوان المعروف، كيف خلقت هذا الخلق البديع العجيب في عظم جسمها وشدة قوتها بحيث تحمل عليها الأحمال وهي باركة ثم تقوم بيسر، وهي آية في الصبر على الجوع والعطش أيامًا، وترعى كل نبات، كثيرة المنافع، بحيث يشرب لبنها ويؤكل لحمها، ويلبس من وبرها، وتنقاد للكبير والصغير وهي أنفوس أموال العرب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ ﴿١٨﴾ بلا عمد، وما زينت به من النجوم والشمس والقمر.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ ﴿١٩﴾ أي جعلت منتصبه على وجه الأرض نصبًا ثابتًا، فصارت لها كالأوتاد ويلوذ بها الناس، ويتخذون منها بيوتًا.

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ﴿٢٠﴾ أي بسطت

ومهدت حتى صارت سالحة للمشي عليها، وإقامة المساكن فوقها، وهذا لا ينافي كونها كروية لأنها واسعة وسطحها مختلف ارتفاعاً وانخفاضاً.

فإنهم لو نظروا إلى كل ذلك نظر اعتبار وتفكر، لأيقنوا أن الله الذي خلقها قادر على بعثهم بعد الموت للحساب والجزاء، وخصت هذه الأربعة بالذكر لأنهم يشاهدونها دائماً بأعينهم، وابتدئ بالإبل لأنها والله أعلم أشد ملابسة لهم من غيرها، والاستفهام في قوله «كيف» في المواضع الأربعة للتعجب والتعظيم، ولما ذكر الله الأدلة على التوحيد والقدرة على البعث أمر الله نبيه ﷺ بالتذكير.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) أي إذا كان الأمر ما علمت فذكر أي: عظمهم وداوم على التذكير ولا تيأس، فإن وظيفتك التذكير فقط، ولست هادياً لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢٢) أي ليست عليهم بمسلط، أي لست بذي سلطة فتجبرهم على الإيمان بل الله الولاية عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [سورة ق، آية رقم: ٤٥]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس

حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ الاستثناء منقطع أي لكن من أعرض عن الإيمان وأصر على كفره.

قوله تعالى: ﴿فَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ أي عذاب النار، ووصفه بالأكبر لأنه قد بلغ الغاية في الشدة، وكل عذاب نالهم في الدنيا فهو دونه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي رجوعهم بعد الموت إلينا لا إلى غيرنا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ أي يوم القيامة، فنحاسبهم على كفرهم لا بد من ذلك كما تقتضيه الحكمة، وتدل عليه صيغة الوجوب على في قوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا﴾ فهو عهد أخذه على نفسه ولن يخلفه كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الحجر، آية رقم: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الصافات، آية رقم: ٢٤]، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) صحيح البخاري رقم (٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١) واللفظ له.

عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠١٦) واللفظ له، تفسير جزء عم وأحكامه للشيخ عبد الرحمن البراك (ص ١٦٣)، تفسير ابن كثير رحمته الله (١٤/٣٢٩ - ٣٣٦)، تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي (ص ١٢٥١ - ١٢٥٣)، تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (ص ١٧٥ - ١٨٩).

الكلمة السادسة والأربعون:

فوائد من سورة الغاشية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فقد اشتملت سورة الغاشية على فوائد جمة، فمن ذلك:

« ١- التنبيه على عظم شأن يوم القيامة وأن الناس يكونون فيه على فريقين؛ أشقياء وسعداء.

٢- ذكر أصناف عذاب الأشقياء من الذل والعمل الشاق وصلي النار، والسقي من الحميم وطعام الضريع.

٣- أن حقيقة نار الآخرة وما فيها وأحوال أهلها لا تماثل حقائق ما في الدنيا.

٤- أن وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون ناعمة، أي يظهر عليها أثر النعيم بالبشر والسرور.

٥- أن الجنة عالية وهي درجات، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [سورة طه، آية رقم: ٧٥].

٦- أن في مجالس الجنة سرر مرفوعة أي رقيقة، وأكواب موضوعة في المجالس زينة وأعدادًا، ونمارق أي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وزرابي مبثوثة أي مبسوطة.

٧- أن من نعيم الجنة ما هو حسّي من المطاعم والمشارب والأشجار والقصور والأنهار والحدور العين، ومنها ما هو نعيم أعظم كرؤية الله ورضاه عنهم.

٨- أن خلق الإبل من عظيم الآيات، فقد هيئت في خلقها للركوب والحمل، ومذلة للإنسان مع فيها من المنافع أكلاً وشرباً.

٩- أن من آيات الله نصب الجبال، وما في ذلك من تثبيت الأرض، فهي لها كالأوتاد، وفيها من المنافع ما أودعه الله فيها من المعادن المختلفة.

١٠- أن من آيات الله سطح الأرض وهو بسطها للقرار عليها، ولذلك سميت: مهادًا وفراشًا، وفي جوفها وسطحها ما لا يحصى من النعيم والآيات، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبد الرحمن البراك، (ص ١٦٣ - ١٧٣).

تأملات في سورة الأعلى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فمن سور القرآن الكريم التي تتكرر على ألسنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الأعلى، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝٨ فَذَكَرْ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى ۝٩ سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى ۝١٠ وَيَنْجِبْهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝١٩﴾. روى مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ.

قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا
أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ^(١).

وفي الركعة الأولى من الوتر إذا أوتر بثلاث^(٢).

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١) الخطاب هنا للنبي ﷺ وأمه: أي نزهه ربك عن النقائص والعيوب وعن كل ما لا يليق به تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. وذكر الاسم يدل على أن التسبيح يكون بالتلفظ باسم الرب باللسان، فينزه العبد ربه بلسانه كما ينزهه بجنانه. والأعلى صفة لربك وهي اسم تفضيل أي الأعلى على كل شيء بجميع أنواع العلو ذاتًا وقدرًا وقهرًا، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النحل، آية رقم: ٦٠]، وقال ﷺ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) [سورة الأنعام، آية رقم: ١٨].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾^(٢)، أي خلق جميع المخلوقات.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١) قال: «سُبْحَانَ

(١) برقم (٨٧٨) سنن أبي داود برقم (١٢٦١).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٢٣)، وصحيح ابن حبان برقم (٢٤٣٩)، وصححه الشيخ

الألباني رحمته الله، كما في صحيح سنن أبي داود برقم (١٢٦١).

رَبِّيَ الْأَعْلَى»^(١)، أي الذي خلق نفسي من العدم فأتقن خلقها، وجعلها مستوية في أحسن تقويم، وفي هذا إشارة إلى كمال قدرته تعالى وعلمه وحكمته.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ﴿٣﴾ من التقدير: أي جعل لكل شيء قدرًا في ذاته وصفاته وفعله وأجله وكل ما يتعلق به، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ ﴿٢﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٢]، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢).

فهدي: أي هدى كل مخلوق إلى ما يناسبه فهدي الإنسان إلى الخير والشر، والأنعام إلى مصالحها وعلمها أسباب بقائها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ [سورة طه، آية رقم: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمُرْغَىٰ﴾ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ أي

(١) ٤٩٥ / ٣ برقم ٢٠٦٦، وقال محققوه: صحيح موقوف. قال ابن القيم: عبر لي أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة فقال: المعنى: سبحانه ربك ذاكرًا اسمه، وهذه الفائدة تساوي رحلة لكن لمن يعرف قدرها، فالحمد لله المنان بفضله وشأنه، ونسأله تمام نعمته. بدائع الفوائد (١ / ٣٦).

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٦٥٣.

أنزل من السماء ماء فأنبت به أصناف النبات والعشب الكثير فرتع فيه الناس والبهائم وجميع الحيوانات، ثم بعد أن استكمل ما قُدر له من الشباب ألوى نباته، وصوح عشبه، فجعله يابسًا أسود، من الحوة وهي سمرة تقرب من السواد، وهو في كلا الحالين علف للدواب.

قوله تعالى: ﴿سُنُقْرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٦) أي سنقرتك أيها النبي القرآن قراءة فلا تنساه، أي لا يذهب من صدرك، والذي يقرئ النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام، وأضاف الله الإقراء إلى نفسه المقدسة لأنه الأمر بذلك. وكان النبي ﷺ يتعجل إذا جاء جبريل يُلقي عليه الوحي فقال الله له: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنْبِغْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) [سورة القيامة، آيات رقم: ١٦-١٩] فصار النبي ﷺ ينصت حتى ينتهي جبريل من قراءة الوحي ثم يقرأه^(١).

وفي الآية بشارة من الله تعالى لنبيه ﷺ أنه يقرئه القرآن ويحفظه ولا ينسى منه شيئاً، وتلك معجزة له عليه الصلاة والسلام، فمع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، وليس راوية للأشعار والأخبار فإن الله يسر له حفظ القرآن ووعد به باستمرار الوحي كما يفيد الفعل المضارع «سنقرتك» وقد وقع ذلك حقاً،

(١) انظر صحيح البخاري برقم (٤٩٢٩).

وأمنه من نسيانه، وربما نسي النبي ﷺ آية من كتاب الله ولكن سرعان ما يذكرها عليه الصلاة والسلام.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال: «يَرْحَمُهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كُنْتُ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا»^(١).

قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ﴾ أي إلا ما شاء الله أن تنساه، وهو ما قضى الله بنسخه لحكمة وأن ترفع تلاوته وحكمه، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد، آية رقم: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أي يعلم ما يعلنه العباد من الأقوال والأفعال وما يخفونه فالله لا تخفى عليه خافية، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ إِنْشَاءً نَسْأَةً﴾ [سورة ق، آية رقم: ١٦].

قوله تعالى: ﴿وَنَسِئِكَ لِلْيَسْرِ﴾ أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي ما دامت

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٥٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٨).

الذكرى مقبولة والموعظة مسموعة سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه، ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى بأن كان التذكير يزيد في الشر أو ينقص من الخير لم تكن مأمورًا بها، بل منهيًا عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعين وغير منتفعين.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) أي هؤلاء هم المنتفعون، أي سينتفع بهذا التذكير والموعظة من يخاف الله. والخشية نوع من الخوف لكن يصاحبها تعظيم للمخوف منه وعلم به؛ فهي أخص من الخوف.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْجِنَهَا الْأَشَقَى﴾ (١١) أي البالغ الشقاوة وهو الكافر، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ [سورة هود، آية رقم: ١٠٦]، والشقاوة ضد السعادة، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥) [سورة هود، آية رقم: ١٠٥]. وحقيقة الشقاوة مقاساة أنواع الآلام الجسدية والنفسية، وأعظم ذلك ما يكون لأهل النار.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (١٢) أي العظمى وهي نار الآخرة، فيدخلها ويقاسي حرها، وسمّاها كبرى بالنسبة إلى نار الدنيا، كما قال ﷺ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ

سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة هنيئة فينتفع بها، فحياته في النار شقاء وعذاب، قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [سورة فاطر، آية رقم: ٣٦]، ولما ذكر تعالى وعيد الأشقي المعرض عن الذكرى، ذكر وعد الذي يخشى ويتذكر بالذكرى فزكى نفسه بالإيمان والتوحيد والذكر والصلاة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ نَزَّكَّىٰ﴾ ﴿١٤﴾ أي فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والمعاصي وسائر الأخلاق الرديئة.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ﴿١٥﴾ يحتمل أن يراد به الذكر العام من التهليل والتسبيح والتكبير مما يبعث على أداء ما افترض الله وأعظم ذلك الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿١٤﴾ [سورة طه، آية رقم: ١٤]، ويحتمل أن يراد به ذكر خاص وهو تكبيرة الإحرام التي يحصل بها الدخول في الصلاة والآية عامة، وبهذا يظهر عطف الصلاة على الذكر بالفاء، وقيل: المراد زكاة الفطر وصلاة العيد، وهذا بعيد لأن

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) ﴿أَي لَا تَفْعَلُونَ مَا ذَكَرَ مِنَ التَّزَكِّي وَالذِّكْر وَالصَّلَاةَ مِمَّا هُوَ سَبَبُ الْفَلَاحِ بَلْ تَفْضَلُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) ﴿وَالْحَالُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ، لِمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ وَالسَّرُورِ الدَّائِمِ، وَلَا يَلْحَقُهَا زَوَالٌ، خِلَافًا لِلدُّنْيَا فَإِنَّهَا فَانِيَةٌ، فَكَيْفَ يَقْدُمُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي؟﴾

روى ابن جرير في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل.

قال ابن كثير رحمته الله: «وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم» (١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٨) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٩) ﴿أَي مَا تَقْدُمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) ﴿إِلَى

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١٤ / ٣٢٦)، وتفسير ابن جرير (١٠ / ٨٥٩٦).

قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) أي أن معنى هذا الكلام مذكور في الصحف الأولى المتقدمة التي أنزلها الله على إبراهيم الخليل وموسى الكليم وهما أفضل أولي العزم بعد محمد ﷺ، والقرآن مصدق لها، وذلك المعنى مما اتفقت عليه الشرائع كلها، ونظير هذه الآيات قوله تعالى في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا نُنزِرُ الْوَازِرَةَ ﴿٣٨﴾ وَزَرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده للشيخ عبد الرحمن البراك (ص ١٥٢ - ١٦١)، وتفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٤/٣١٩-٣٢٨)، وتفسير القرآن الكريم جزء عم، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ١٦٠-١٧٤)، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (ص ١٢٥٠-١٢٥١).

فوائد من سورة الأعلى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن هذه السورة الكريمة اشتملت على فوائد عديدة، ولذلك كان النبي ﷺ يداوم على قراءتها في الجمع والأعياد، أذكر من ذلك:

١- الأمر بتسبيحه سبحانه بذكر اسمه جل وعلا، وقد شرع النبي ﷺ أن يكون هذا التسبيح في الركوع والسجود، فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى؛ أنه تعالى الهادي لا هادي سواه، فيجب طلب الهداية منه، ولذلك علمنا ﷺ أن ندعو: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي»^(١)، وفي التنزيل المبارك: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

٢- إن الله سبحانه وتعالى لسعة علمه وكمال حكمته يُنسي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٥).

نبيه بعض ما يُوحى إليه لما يريد من الخير لنبيه وأمه،
ولذلك قال تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا
أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٠٦].

٣- أنه تعالى هو الذي يجعل النبات بعد الخضرة والنضرة غطاء
أصفر، وأحوى، أي أسود.

٤- الامتنان من الله على عباده، بأن خلقهم فسواهم وهداهم
وأخرج ما ترعاه بهائمهم.

٥- بشارة النبي ﷺ بحفظه للقرآن فلا ينساه.

٦- أن المنتفعين بالتذكرة هم أهل الخشية وهم المؤمنون، كما
قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة
الذاريات، آية رقم: ٥٥].

فيدخل في ذلك من تذكر من الكافرين فأمن واتبع الذكر،
وكذا المؤمن إذا ذكر فتذكر، وازداد بالتذكير إيماناً.

٧- وتحقق الخشية بالعلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر، آية رقم: ٢٨].

٨- الشقاء مقرون بالإعراض عن ذكر الله وطاعته، وعاقبته نار
تلظى.

٩- مما يجب علمه والإيمان به أن عذاب الدنيا مهما بلغ لا

يقارن بعذاب الآخرة، فقد وصفه الله هنا بالكبرى، وفي آية أخرى قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ ﴿٢٣﴾ فِعْدِبُهُ اللَّهُ الْعَذَابِ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ [سورة الغاشية، آية رقم: ٢٣]، والمقارنة بينهما سبب للهلاك، ودليل على ضعف الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت، آية رقم: ١٠].

١٠- يكون الخلائق يوم القيامة على ثلاثة أصناف: الأول أهل الحياة السعيدة وهم الذين آمنوا بالله وما أنزل، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ ﴿١٠٨﴾ [سورة هود، آية رقم: ١٠٨]، والصنف الثاني أهل الشقاء وهم الذين أعرضوا عن ذكر ربهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ [سورة هود، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]، والصنف الثالث بعض الخلائق من غير الجن والإنس يقتص الله من بعضهم لبعض ثم يقول لهم: كونوا ترابًا.

١١- أن أعظم الجهل والسفه إثارة حظوظ الدنيا الفانية على حظوظ الآخرة التي هي خير وأبقى^(١).

(١) تفسير جزء عم وأحكامه وفوائده، للشيخ عبد الرحمن البراك (ص ١٥٢ - ١٦٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والأربعون:

وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:

(الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٓرٌ حَمِيْدٌ ۝١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ ۝١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ ۖ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيْرِ ۝١٤ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَن أَنَابَ إِلَىَّٰ ثُمَّ إِلَىَّٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ۝١٦ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۖ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ۖ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ۖ كُلَّ مُخَالٍ فَخُوْرٍ ۝١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيِكَ

وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [سورة لقمان، الآيات: ١٢ - ١٩].

في هذه الآيات الكريمات ذكر الله وصايا الرجل الصالح لقمان ﷺ لابنه لما فيها من الفوائد والحكم، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «اختلف السلف في لقمان ﷺ هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين؛ الأكثرون على الثاني. ونقل عن ابن جرير بإسناده إلى عمرو بن قيس قال: «كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين، فأتاه رجل وهو في مسجد أناس يحدثهم فقال له: أأست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا، قال: نعم، فقال: فما بلغ بك ما أرى، قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني»، وفي رواية أخرى زيادة: «وأداء الأمانة».

[وعن عمر مولى غُفرة قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان؟ أنت عبد بني الحسحاس؟ قال: نعم، قال: أنت راعي الغنم؟ قال: نعم، قال: أنت الأسود؟ قال: أما سوادى فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك، قال: إن أصغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك، قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، [وقولي بصدق]، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركى ما لا يعنيني، فذاك

الذي صيرني إلى ما ترى] (١).

وساق ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال يوماً - وذكر لقمان الحكيم - فقال: ما أوتي ما أوتي عن أهل ولا مال، ولا حسب ولا خصال، ولكنه كان رجلاً صمصاماً سكيئاً، طويل التفكير، عميق النظر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنخع، ولا يبول ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعبث ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام، لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي (٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وهذه الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه تجمع أمهات الحكم وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً،

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (١١ / ٥١).

(٢) تفسير ابن كثير رحمته الله (١١ / ٥١ - ٥٢)، وقال محققوه: إسناده ضعيف، الأشعث هو ابن سوار، قال الحافظ: ضعيف. وهو من بلاغات ابن عباس رضي الله عنهما ولا نعلم من أخبر ابن عباس بذلك! وقد رواه جماعة عن لقمان بهذا الوصف أو قريب منه كما سيسوقه المصنف، وهذا يشبه أن يكون قد أخذوه من مصدر واحد، ولكن لا نستطيع أن نجزم أنهم أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع إمكانية ذلك وجوازه، لأنه من الممكن أن يكونوا قد حملوه عن أهل الكتاب، وقد أمروا أن يحدثوا عنهم، ولا حرج عليهم في ذلك، والله أعلم. والخبر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره.

وإلى تركها إن كانت نهياً، وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة؛ أنها العلم بالأحكام وحكمها ومناسباتها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، والحكمة هي الفهم والعلم، وهي من أفضل ما أُوتي العبد، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٦٩]، وهذه من العطايا التي تستوجب الشكر، لذلك قال **سُبْحَانَكَ**: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾. وفي هذه الآية من الفوائد:

١- أن فضل **الله** **تَعَالَى** ليس مقصوراً على أحد، يؤتیه من يشاء و**الله** ذو الفضل العظيم، فعلى العبد أن يسأله ذلك ولا يياس ولا يقنط.

٢- أن الحكمة من أفضل ما أُوتي العبد.

٣- أن الحكيم ينبغي الانتفاع بحكمه ومواعظه ووصاياه.

٤- إن من أسباب زيادة النعم ودوامها شكر المنعم بها وهو **الله** سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم، آية رقم: ٧].

٥- أن شكر الشاكر يعود نفعه عليه وينال به أفضل الجزاء، قال

تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ١٤٤]، وقال تعالى ممتناً على نبيه لوط عليه السلام: ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ [سورة القمر، آية رقم: ٣٥].

٦- كذلك الكافر وإنما يعود ضرره عليه، ولا يضر الله شيئاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ١٧٧].

٧- أن الله تعالى غني لا تنفعه طاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي، قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٧].

٨- أن من تقرب إلى الله تعالى ولو بشيء يسير فإنه لا يضيع عند الله لأنه سبحانه وتعالى حميد، فأربح التجارات هي التجارة معه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقِدُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [سورة المزمل، آية رقم: ٢٠].

٩- ينبغي للمسلم أن يوصي بهذه الوصايا ونحوها، وأولى الناس بذلك الأولاد وهو أشفق الناس عليهم وهي سنة الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [١٣٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٣١] وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ [سورة البقرة، الآيات: ١٣٠-١٣٣].

وصايا لقمان الحكيم عليه السلام:

الوصية الأولى: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

وقد بدأ الله بها لأنها أعظم الوصايا وأنفعها، فأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، والنهي عن الشرك يستلزم توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، آية رقم: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٦]، وما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب وجردت السيوف ورفعت رايات الجهاد إلا لطمس معالم الشرك، وأن يكون الدين كله لله.

قال الشيخ ابن سعدي رحمته الله: «ووجه كون الشرك ظلماً عظيماً أنه لا أفضع وأبشع من سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر

كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو. فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده فذهب بنفسه التي خلقها الله في أحسن تقويم فجعلها في أخس المراتب، جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً فظلم نفسه ظلماً كثيراً» (١).

ولقد أبدى الله وأعاد كثيراً في كتابه الكريم في النهي عن الشرك لعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فإن صاحبه يحرم الأمن والهداية، وأما في الآخرة فشقاء الأبد وخلود في نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأما من وحد الله فعيشه أنعم العيش وحياته أطيب الحياة، وفي الآخرة ينعم برضى الله ونعيم باق، وخلود دائم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

وإن من فضل الله تعالى على خلقه أنه لا يأمرهم بشيء إلا بين لهم نفعه، ولا ينهاهم عن شيء إلا بين لهم ضرره، حتى يكون العبد على بصيرة بمن يتعلق وللمن يسلم وجهه

(١) تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٨٦٥-٨٦٦) بتصرف.

إليه، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٧) ﴿

[سورة النحل، آية رقم: ١٧]، وقال تعالى - مبيناً لعباده عظمته وأنه هو الذي يجب أن يُتعلق به ويتوكل عليه وتخلص العبادة له: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١) ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴾ (٢) ﴿ [سورة الفرقان، الآيتان رقم: ١-٢]، ثم قال تعالى مبيناً ضعف المخلوق وأن أخسر الناس من تعلق بمخلوق ضعيف مثله فقال: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (٣) ﴿ [سورة الفرقان، آية رقم: ٣].

وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُكْمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٧٦) ﴿

[سورة النحل، الآيتان: ٧٥-٧٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(بر الوالدين)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

الوصية الثانية: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: بر الوالدين.

وردت النصوص الشرعية بالحث على بر الوالدين مع بيان الأجر العظيم في ذلك والتحذير من عقوقهما مع بيان ما يترتب عليه من الأضرار الوخيمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ ﴾ [سورة الإسراء، آية رقم: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٣٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ،

أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»^(٣).

وكثيراً ما يقرن الله بين عبادته والوصية بالوالدين وهذا يدل على عظمة ذلك، وهكذا في وصايا لقمان عليه السلام، فبعد أن أوصاه بعبادة الله وحده ثنى بطاعة الوالدين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾، وفي هاتين الآيتين من الفوائد والحكم ما يدعو إلى تدبرها والوصية بها:

- ١- رحمة الله بعباده إذ يوصيهم بما ينفعهم فعلاً وترغماً.
- ٢- أن الوصية بالوالدين عامة لكل الناس مشركهم ومؤمنهم وكافرهم ومسلمهم.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 (٢) جزء من حديث مسلم برقم (١٩٧٨) من حديث علي رضي الله عنه.
 (٣) سنن الترمذي برقم (١٨٩٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤٤/٢) برقم (٥١٦).

٣- الوالدان الموصى بهما هما الأب والأم، ويلحق بهما الجد والجدة.

٤- بين الله تعالى سبب الوصية للوالدين فقال عن الأم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾، قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق من حين يكون نطفة من الوحم والمرض والضعف والثقل وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ثم فصاله في عامين». وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد مع شدة الحب أن يؤكد على ولده ويوصي الله بتمام الإحسان إليه^(١).

٥- أن تمام الرضاعة عامان كاملان، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٣٣].

٦- الله سُبْحَانَهُ وتعالى شكور وسمى نفسه الشكور وأمر عباده أن يشكروه لما له عليهم من الفضل العظيم ويشكروا من أحسن إليهم، ويعلموا أنهم حين يقومون بذلك سيرجعون إلى الله تعالى فيجزئهم أحسن الجزاء، ولذلك قال: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٤].

٧- قرن الله تعالى بين شكره وشكر الوالدين، فكما أن الله

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٨٦٦).

يستحق الشكر لأنه هو الذي أوجدك من العدم فكذلك أوصى بشكر من كان سبباً في وجودك، ولو لم يكن إلا هذا السبب لكفى به موجباً لبر الوالدين وطاعتهما. وهذا السبب لا يوجد من أعمال البر ما يكافئه إلا شيئاً واحداً لا يتوفر في غالب الناس، قال النبي ﷺ: «لَا يَجْزِي وَوَلَدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ» (١).

٨- مع هذه الوصايا العظيمة ببر الوالدين إلا أن طاعتهما مشروطة بأن تكون في غير معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مهما عظم قدره.

روى مسلم في صحيحه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: «حَلَفْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنْ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، فَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَيَّ سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾» (٢).

٩- ما أرحمك يا رب وما أحلمك وما أكرمك، فشارك الوالدين

(١) صحيح مسلم برقم (١٥١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٤٨/٤٣).

وكفرهما وعصيانهما لربهما؛ بل حتى مع اجتهادهما وشدة حرصهما على ولدهما أن يشرك بالله تعالى ولا يؤمن به ويعصيه ولا يطيعه، مع هذا كله أمر بالإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف ولم يقل: وإن جاهداك على أن تشرك بي فعقهما؛ بل قال: «فلا تطعهما».

١٠- قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

بيان واضح أن كل من أشرك بالله تعالى أن فعله ليس على علم بل على جهل وضلال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون، آية رقم: ١١٧].
وقد تحدى الله تعالى جميع الخلق أن يأتوا ببرهان على شركهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأحقاف، آية رقم: ٤].

١١- في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ حث على اتباع سبيل المؤمنين المنيبين إلى الله والاقتراء بهم ومصاحبتهم، قال تعالى لنبيه ﷺ لما ذكر الأنبياء قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْقَدَهُ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ٩٠]، وكما أمر باتباع سبيل المؤمنين حذر من

اتباع سبيل غيرهم فقال: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١١٥].

١٢- تضمنت الآية الكريمة التنبيه إلى فضل مصاحبة الأخيار، وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تحت على ذلك وتنهى عن خلافه، قال تعالى - بعد أن ذكر ما وجده زكريا عليه السلام من الرزق عند مريم عليها السلام الذي لا يوجد عند غيرها، وأن الله هو الذي رزقها به - قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف، آية رقم: ٦٧].

فمصاحبة الصالحين خير وبركة في الدنيا والآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٨) واللفظ له.

النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ»^(١).

وأيضاً فإن من جالسهم تشمله بركة مجالستهم ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم، كما دل على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذَّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ»، وفي آخر الحديث: «فَيَقُولُ اللَّهُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ». قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(٢).

قال عمر رضي عنه: لولا ثلاث ما أحببت العيش في هذه الحياة الدنيا: ظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر.

قال الشافعي:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً تَقِيًّا فَوَحْدَتِي أَلْذُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ
وَأَجْلِسُ وَوَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِنًا أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَازِرُهُ

(١) برقم (٢٣٧٨)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٣٣) برقم (٩٢٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٩).

١٣- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ تنبيه إلى أنه ينبغي للعبد أن يتذكر عند كل عمل صالح يعمله أنه سيلاقيه، فيدفعه ذلك إلى إحسانه وإخلاص النية فيه، فما ضل من ضل إلا بنسيان ذلك اللقاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص، آية رقم: ٢٦].

١٤- في قوله تعالى: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، إن الله سبحانه وتعالى يحصي أعمال العباد عليهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَئِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [سورة ١٣]، ثم يقال له: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [سورة الإسراء، الآيتان: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٠]. فمن عمل وأيقن أن كل عمل يعمله سيلاقيه يوم القيامة لم يقدم إلا خيراً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه: (مراقبة الله، وإقامة الصلاة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

الوصية الثالثة: فمن وصايا لقمان الحكيم لابنه: مراقبة الله

تعالى:

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ اِيْمًا اِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ اِنَّ اللهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾.

في هذه الآية من الفوائد:

١- ينبغي للواعظ والناصح أن يكون في موعظته ما يشعر بالإشفاق على المنصوح، فإن قوله: يا بني ليس تصغير احتقار وإنما هو تصغير إشفاق.

٢- أن الموعظة لا تكون موعظة حقاً حتى تشمل على بيان عظمة الله وسعة علمه وبالغ قدرته، وهكذا كانت دعوة الأنبياء لأقوامهم، قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه:

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة نوح، الآيات: ١٣-١٦].

وقد اشتمل القرآن أول ما نزل على نبينا محمد ﷺ تذكيره بعظمته **سُبْحَانَكَ** فقال تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة العلق، الآيات: ١ - ٥]. وتعظيم الخالق في نفوس الخلق هو أول ما يجب على من دعا إلى الله، وبذلك أمر الله نبيه فقال: ﴿ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة المدثر، آية رقم: ٣]، ولذلك تجد هذا المعنى في جميع قصص الأنبياء مع قومهم، ومن هنا يعلم الخطأ الكبير الذي يقع فيه بعض خطباء الجمعة الذين تخلو خطبهم من الموعظة، وإنما هي دروس علمية، ومسائل فقهية.

٣- الهاء في قوله: ﴿ يَبْنِيْ إِيَّاهَا ﴾ أي الخطيئة والحسنة، قال ابن جرير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: لأن الله تعالى ذكره لم يعد عبادة أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم فيقال إن المعصية إن تك حبة من خردل يأت بها الله، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما^(١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨ / ٦٥٥٩).

٤- في الآية بيان سعة علم الله وعظيم قدرته المحيطة بما دق وجل من خلقه، فإن حبة الخردل حبة متناهية في الصغر، ولدقيق علمه فإنه يأتي بها، وسواء في ذلك أن تكون في صخرة صماء أو في السموات أو في الأرض، ولذلك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ (١٦).

٥- من أسماء الله الحسنى اللطيف والخبير، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ (١٦)، أي لطف في علمه وخبرته حتى اطلع على البواطن والأسرار وخفايا القفار والبحار.

وفي معنى هذه الآية وردت آيات أخر كقوله تعالى: ﴿وَنَضْعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [سورة الأنبياء، آية رقم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) [سورة النساء، آية رقم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) [سورة الزلزلة، آية رقم: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾

وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [سورة يونس، آية رقم: ٦١].

الوصية الرابعة: إقامة الصلاة:

يوصي لقمان الحكيم ﷺ ابنه بإقامة الصلاة فيقول فيما حكاها الله عنه: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ﴾، وفيها من الفوائد:

١- أن الصلاة من العبادات التي لا يستغني عنها البشر، ولذلك فرضها الله وشرعها لجميع الأمم لحاجتهم إليها، فمن دونها لا يطيب عيش، ولا يهنأ بال، ولا تسكن نفس، ولا تقر عين.

الصلاة هي قرة أعين الموحدين، وصلة العارفين بربهم، قال ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)، وقال ﷺ: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(٢)، من حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. في إقامتها تستقيم حياة المرء، فيحفظه الله بها من الوقوع في المناهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت، آية رقم: ٤٥]. مثلها كمثل رجل على نهر جار يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من

(١) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن النسائي برقم (٣٦٨٠).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦) من حديث صهر محمد بن الحنفية، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود برقم (٤١٧١).

درنه شيء^(١)، هي كما قال ﷺ: «... وَالصَّلَاةُ نُورٌ»^(٢).

وأمره ربه أن يبشر المصلين، قال ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

فالصلاة لا تحصى فضائلها، ولا يحاط بخصالها.

قال إبراهيم عليه السلام فيما حكاه الله عنه: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم، آية رقم: ٤٠].

وقال تعالى لموسى وقومه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس، آية رقم: ٨٧]، وقال تعالى عن زكريا: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٩]، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن الصلاة لا تستغني عنها أمة من الأمم.

وأخبر النبي ﷺ عن الأنبياء أنهم في قبورهم يصلون^(٤).

(١) صحيح البخاري (٥٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) سنن ابن ماجه برقم (٧٨١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وصححه

الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣٠) برقم (٦٣٣).

(٤) أخرجه البزار برقم (٦٨٨٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الألباني رحمته الله

في أحكام الجنائز (ص ٢٧٢)، وقال: رأى النبي ﷺ موسى في قبره يصلي عندما =

ومن عجيب ما يذكر في ذلك ما جاء في قصة إسلام أبي ذر أنه كان في الجاهلية يصلي، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الصامت رضي عنه أن أبا ذر رضي عنه قال له: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي، أَصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ^(١)، حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ^(٢).

٢- لم يقل لقمان لابنه: صل، وإنما قال له: أقم الصلاة، وبهذا اللفظ وردت أكثر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا اللفظ أبلغ وأشمل، فهو يدل على أن المطلوب أن تقام الصلاة على أكمل الوجوه، وما يشرع فيها من خشوع القلب والجوارح، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة،

= أسري به، وكذلك صلاة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقتدين به في تلك الليلة، كما ثبت في الصحيح.

(١) الخفاء بكسر الخاء والمد: هو الغطاء، وكل شيء غطيته بكساء أو ثوب فذلك الغطاء خفاء.

(٢) برقم (٢٤٧٣).

آية رقم: [٢٧٧]، وغيرها كثير.

٣- لا يصدق على العبد أن يكون مقيماً للصلاة حتى يقوم فيها بالأمور التالية:

أ- أن يكون خاشعاً في صلاته مقبلاً فيها على ربه يعلم ما يقول فيها، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة المومنون، آية رقم: ١-٢].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثَمْنُهَا سُبْعُهَا سُدُسُهَا حُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الرجلين يقومان في الصف قد أديا أعمال الصلاة الظاهرة من التكبير إلى التسليم وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والناس في الصلاة على مراتب خمسة: أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

(١) سنن أبي داود من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما برقم (٧٩٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم (٧١٤).

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والافكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والافكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها لئلا يُضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه سبحانه وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل. فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب، لأن له نصيبًا ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه

عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة، وقرت عينه أيضًا به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات»^(١).

ب- أن يؤديها بشروطها وأركانها وواجباتها وتكمل إقامتها بالإتيان بما يُستحب فيها، قال ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٢).

ج- المداومة على أدائها حتى الممات، قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^(٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة المعارج، آيتان: ٢٢-٢٣]، وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يلفظ أنفاسه أن قال: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص ٣٤ - ٣٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) سنن ابن ماجه من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٢٦٩٧)، وصححه الشيخ

الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٠٩/٢) برقم (٢١٨٣).

وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

الوصية الخامسة والسادسة: من وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال لقمان عليه السلام لابنه - فيما حكاه الله عنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وفي هذا من الفوائد:

١- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروع في الأمم السابقة وهذا يدل على أن المجتمعات لا تصلح بدونه، وقد فضل الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم السابقة لقيامهم بهذا الأمر فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

قال عمر رضي الله عنه: «من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد

شرط الله فيها»^(١).

وقال القرطبي رحمته الله: «إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى»^(٢).

وقال أيضًا رحمته الله: «في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك، واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سببًا في هلاكهم»^(٣).

٢- أن العبد قد يستقيم في نفسه، ولا يكون ذلك كافيًا بل عليه أن يقيم على الحق غيره، بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فهذا لقمان عليه السلام لما أوصى ابنه بالاستقامة في نفسه أمره بذلك، فإن شخصية المسلم مبنية على أربعة أركان:

الأول: العلم والإيمان.

الثاني: العمل الصالح.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابع: الصبر.

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٣ / ١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٦١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٦٤).

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر، الآيات: ١ - ٣].

٣- الحياة كلها أمر ونهي، فمن كان أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فذاك المؤمن، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝٤ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ٧١].

فمن عكس ذلك فهو المنافق، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ ۝﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ٦٧].

٤- من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجنب سخط الله ولعنته، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۝٤ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [سورة المائدة، آيتان: ٧٨ - ٧٩].

٥- ومن فوائده أيضاً أنه إذا وقع الهلاك على العاصين نجا أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ۝١٣٧﴾ [سورة

هود، آية: [١١٧].

٦- ومنها أن من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو قادر على ذلك فإنه يهلك مع أهل المنكر وإن لم يعمل عملهم، قال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ١٦٣-١٦٦].

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « كانوا أثلثًا، ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم»^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨)، وقال ابن كثير رحمته الله: إسناده جيد، ولكن رجوعه =

٧- في زمن الفتن يكون المؤمنون على صنفين؛ الصنف الأول الذين يُؤدّون في سبيل الله لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخالطة الناس، والصبر على أذاهم. والصنف الثاني: المعتزلون، والأول أفضل من الثاني، قال النبي ﷺ: «المؤمنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالرحمن الحضرمي رضي عنه قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطَوْنَ مِثْلَ أَجُورِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»^(٢).

وقال النبي ﷺ عندما سئل: أي الناس خير؟ قال: «رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(٣).

= إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا، لأنه تبين حالهم بعد ذلك، والله أعلم.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ له، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٣٠٦/٢) برقم (٢٠٣٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٨/ ٢٤١) برقم (٢٣١٨١)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه.

٨- ومنها رحمة الله بهذه الأمة حيث جعل النهي عن المنكر على مراتب حسب قدرة المرء واستطاعته، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

قال ابن مسعود رضي عنه: لما وضعت قريش سلى الجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة لو كانت لي منعة طرحته^(٢)، فلم ينقص ذلك من قدره ولا مكانته؛ بل إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ضحك الصحابة من دقة ساقيه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح مسلم برقم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٣٩)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٩٩/٧) برقم (٣٩٩١) من حديث ابن مسعود رضي عنه، وقال

سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةٌ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ،
فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ
فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ،
وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمِّيَّةَ
ابْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ نَحْفَظْهُ -،
قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
صَرَعى، فِي الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ^(١).

٩- أن المرء يهلك برضاه عن المنكر وإن كان بعيداً عنه،
والعكس بالعكس، قال ﷺ: «إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ
كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكْرِهَهَا، - وَقَالَ مَرَّةً: أَنْكَرَهَا - كَانَ كَمَنْ غَابَ
عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»^(٢).

١٠- أن من أشد أنواع النفاق ما يكون في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما
من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُجَاءُ
بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»^(٣) فِي النَّارِ،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٣٤٥) من حديث العرس بن عميرة الكندي رضي الله عنه، وحسنه

الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٥١).

(٣) يعني أمعاءه.

فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(١).

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف، الآيات: ٢-٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه؟ وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟! ولهذا ينبغي للامر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه^(٢).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِبَيْ عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٨٢١).

شَفَاهُهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مَنْ أَهْلُ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ» (١).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مِصْبَاحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ» (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود» (٣).

وكان الحسن إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة، قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

(١) (١٩/٢٤٤) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢/١٦٦) برقم (١٦٨١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/١٧٣): إسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٧/١١٣٣).

(٣) الفتاوى الكبرى (٥/٣٤٢).

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩-١٠٠).

وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(الصبر على الأذى في سبيل الله)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

الوصية السابعة: من وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه الصبر على الأذى في سبيل الله، قال الله تعالى - فيما حكاه الله عنه - ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٧]، وفي ذلك من الفوائد ما يلي:

١- أن الصابر على الأذى في سبيل الله من أهل العزائم، ولا يبلغ هذه المرتبة إلا الكمل من الرجال وقد خص الله بعض أنبيائه بذلك فقال: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف، آية رقم: ٣٥]، قال الشيخ السعدي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم^(١).

(١) تفسير ابن سعدي (ص ١٦٦).



قال الشاعر:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِ الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وذكر الصبر هنا بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ تنبيه على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بد أن يلحقه الأذى، وأن دواء ذلك وعلاجه النافع هو الصبر، قال بعض السلف: عجت للصبر تُداوى به الأشياء ولا يُداوى بشيء.

٢- أن من أفضل المنح والعطايا أن يُرزق العبد الصبر، قال النبي ﷺ: «... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

٣- أن الله مع الصابر يقويه ويثبته ويعينه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٣) [سورة البقرة، آية رقم: ١٥٣]، وقال النبي ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»^(٢).

٤- من فضائل الصبر أن أجره لا حد له ولا عد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١٠) [سورة الزمر، آية رقم: ١٠].

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم (١٠٥٣).

(٢) سبق تخريجه.

٥- هذه الفضائل العظيمة والأجور الكبيرة لا ينال كمالها إلا بأميرين:

أحدهما: أن يشتمل على الأحوال الثلاثة وهي: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله.

وثانيهما: أن يكون الصبر لله وفي الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الرعد، آية رقم: ٢٢].

وبذلك أمر الله نبيه حين بعثه برسالته، قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر، آية رقم: ٧].

٦- مما يعين على أن يكون العبد صابراً حقاً العلم بعواقب الأمور^(١)، فإن العلم بذلك يجعل العبد دائماً على استعداد لوقوع المفاجآت، من أجل ذلك قال ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٢).

ومن ذلك علمه بعواقب الصبر الحميدة، قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقُهُ
لَكِنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

(١) أي نتائج الأفعال وما يترتب عليها.

(٢) جزء من حديث أنس رضي الله عنه في صحيح البخاري برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:

(الأمر بالتواضع والنهي عن التكبر)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

الوصية الثامنة والتاسعة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه الأمر بالتواضع والنهي عن التكبر.

قال لقمان لابنه فيما حكاه الله عنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، أي لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث عنه عليه السلام: «لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ»^(١).

(١) سنن أبي داود برقم (٤٠٨٤) من حديث جابر بن سليم، وصححه الشيخ =

والصعر الميل، وأصله داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، ويطلق على المتكبر يلوي عنقه ويميل خده عن الناس تكبراً عليهم، ومنه قول عمر بن جنى الثعلبي:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

وقول أبي طالب:

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقَرُّ ظُلَامَةً إِذَا مَا ثَنَوْنَا صُعَرَ الرُّؤُوسِ نُقِيمُهَا

ومن إطلاق الصعر على الميل قول النمر بن تولب العلكي:

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ نَقُودُ خَيْلًا ضَمَّرًا فِيهَا صُعْرُ^(١)

ومن أعظم العقوبات عقوبة احتقار الناس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبِيرٍ»، قال رجل: «إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢).

وبطر الحق هو رده، وغمط الناس احتقارهم، ومن صعر خده للناس فقد غمطهم.

= الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٢٢).

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦ / ٥٤٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (٩١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الوصية التاسعة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه النهي عن التكبر، قال الله فيما حكاه عنه: ﴿وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٨].

والفرق بين هذه الوصية والتي قبلها أن الأولى في معاملة الناس، والثانية في هيئته بنفسه أن لا يمشي في الأرض مرحًا، وإنما يمشي كما يمشي عباد الرحمن. وفي هاتين الوصيتين الثامنة والتاسعة من الفوائد والحكم ما يأتي:

١- أن التكبر على الحق والخلق موجب لبغض الله تعالى، فإن من لم يحبه الله أبغضه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَنَاهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَشَنُوءًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٧٦]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّازٍ، سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، جِيْفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ»^(١).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب ثم تراجع وضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٣٠٤)، وأعل ذلك بأنه منقطع فإن سعيد بن أبي هند لم يلق أبا هريرة رضي الله عنه، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان برقم (٧٢).

٢- من أعظم ما يعين على التواضع وترك الكبر أن يعرف العبد ضعفه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [سورة الإسراء، آية رقم: ٣٧]، وقد أبان الله هذه الحقيقة فقال: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٢٨].

٣- من أحب أن يرفع الله مقامه ويعلي منزلته فليتحلى بخلق التواضع ويجتنب الكبر ودواعيه، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٦٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَّصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةً، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ فَيَضْرِبُ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ»^(١).

٤- كما يكون الكبر في القلوب يكون في الأقوال والأفعال والأحوال، روى مسلم في صحيحه من حديث إياس بن سلمة ابن الأكوع أن أباه رضي عنه حدثه: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) مسند الإمام أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري رضي عنه (٢٩/٥٦١ - ٥٦٢) برقم (١٨٠٣١)، وقد اختلف في تصحيحه وتضعيفه لاختلافهم في يونس بن خباب الأسيدي، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، وحسنه محققو المسند.

بِسْمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلُّ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ^(١). فأعظم أنواع الكبر أن يكون في القلب، ويظهر في الأقوال والأفعال، ومنه ما يكون في الأحوال دون القلوب، قال صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٢).

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه لعظم إيمانه وشدة تقواه لربه يخاف على نفسه من ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَّتِي ثَوْبِي يَسْتَرِّخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خِيَلَاءَ»^(٣).

٥- إمام المتكبرين وقائدهم إلى النار هو إبليس لعنه الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ

(١) برقم (٢٠٢١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣٨/٣٤) من حديث جابر رضي الله عنه برقم (٢٠٦٣٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٧٨٤)، وأخرجه مسلم (٢٠٨٥) بدون ذكر أبي بكر.

الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرَائِكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ [سورة ص، الآيات : ٧١ - ٧٨].

٦- من قصة إبليس و آدم أخذ بعض أهل العلم أن عدم الامتثال للأمر أعظم من الوقوع في النهي، لأن الأول سببه الكبر والثاني سببه الشهوة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال سهل بن عبد الله: ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي، لأن آدم نُهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب الله عليه، وإبليس أُمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يُتَب عليه.

قلت: هذه مسألة عظيمة لها شأن، وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي، وذلك من وجوه عديدة .
أحدها: ما ذكره سهل من شأن آدم ﷺ، وعدو الله إبليس.

الثاني: أن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنوب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»^(١)، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وسرق.

الثالث: أن فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المنهي كما دلت على ذلك النصوص كقوله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(١).

الرابع: أن فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه وزينته وسروره وقرّة عينه ولذته ونعيمه، وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصل له شيءٌ من ذلك، فإنه لو ترك جميع المنهيات ولم يأت بالإيمان والأعمال المأمور بها لم ينفعه ذلك الترك شيئاً وكان خالدًا مخلدًا في النار.

وفي الجملة سر هذه الوجوه أن المأمور به محبوبه، والمنهي مكروهه، ووقوع محبوبه أحب إليه من فوات مكروهه، وفوات محبوبه أكره إليه من وقوع مكروهه، والله أعلم^(٢).

٧ - الكبرياء رداء الجبار سبحانه وتعالى، فلا أذل ولا أحقر ولا أهون ممن نازع الله فيه، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ»^(٣).

(١) أصله في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، صحيح البخاري برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٥).

(٢) من أراد الاستزادة فليراجع الفوائد لابن القيم (ص ١٥٨ - ١٧٠).

(٣) صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما برقم (٢٦٢٠) وسنن أبي داود برقم (٤٠٩٠) واللفظ له.

٨ - أن الكبر يشمل تزكية النفس والإعجاب بها عند الآخرين، والتكبر بالنسب والمال والجاه، والقوة، والجمال، فصاحب النسب الشريف يتكبر على من ليس كذلك، وإن كان أرفع منه عملاً، والغني يتكبر بماله على الفقير، وصاحب المنصب يتكبر على من ليس كذلك، والمرأة الجميلة تتكبر على المرأة التي ليست كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، آية: ١٣].

قال عليه السلام: «أزْبَعُ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ»^(١) الحديث.

وقال عليه السلام: «لَيْتَهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيْكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يَدَّهْدُهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»^(٢).

٩ - من أسباب الوقوع في الكبر أن يأنف المتكبر عن

(١) مسند الإمام أحمد من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه (٣٧ / ٥٣٨) برقم (٢٢٩٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٣٩٥٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣ / ٢٥٤) برقم (٣١٠٠).

الاعتراف بالخطأ، ولذلك عدَّ أهل العلم البدعة في المرتبة الثانية بعد الكفر، لأن صاحبها لا يتوب منها لأنه يعظم عليه الرجوع إلى الحق والاعتراف بالخطأ، وهذا خلاف ما عليه عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١٧٢].

١٠ - من أسباب الكبر التي يجب التنبه لها والحذر من الوقوع فيها أن يكون في المرء خصالاً يرى أنه بها أفضل من غيره والأمر ليس كذلك.

ولذلك لما أمر الله إبليس لعنه الله بالسجود لآدم أبي واستكبر لا اعتقاده أنه أفضل منه، والسبب أنه خلق من نار وآدم خلق من طين، قال تعالى فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقول إبليس لعنه الله فيما حكاه الله عنه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول. يعني - لعنه الله: وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم

بين أنه خير منه بأنه خُلق من نار، والنار أشرف مما خلقت منه وهو الطين. فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشریف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص قوله تعالى: ﴿ فَفَعَوْا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [سورة الحجر، آية رقم: ٢٩]. فشذ من بين الملائكة بترك السجود، فلهذا أبلس من الرحمة، أي آيس من الرحمة، فأخطأ قبحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة، ولهذا خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢).

١١- ومنها تحريم الاختيال وأنه موجب للحرمان من محبة الله، قال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ، يَمْشِي فِي بُرْدِيهِ قَدْ

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٦/ ٢٦٥).

(٢) برقم (٢٩٩٦).

أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١).

١٢- ومنها تحريم التفاخر، قال في المعجم الوسيط: فخر الرجل - فخراً وفخاراً، وفخارة تباهى بماله وما لقومه من محاسن، ويُقال: «تفاخر» تعاضم وتكبر - والقوم فخر بعضهم على بعض (٢).

أما الكبر فقد قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير» (٣)، وقال بعضهم: «هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له» (٤)، والتعريفان يصبان في معنى واحد.

أما معنى الاختيال، فيقال: اختال الشخص: تكبر وتصرف بطريقة تدل على التباهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٨].

(١) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا برقم (٥٧٩٠)، وصحيح مسلم (٢٠٨٨).

(٢) المعجم الوسيط (ص ٦٧٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٣ / ٣٤٥).

(٤) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٣٢).

اختال في مشيه تبختر، تمايل كبراً^(١).

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢).

٣ - استثنى أهل العلم من مظاهر الكبر التي لا يؤاخذ عليها المرء حالتان:

الأولى: أن يكون ذلك طبيعة في الشخص لا يقصد لها ولا يتكلف لها كبعض أنواع المشي وأضرب الكلام.

والثانية، والثالثة: الاختيال بين الصفين لإظهار عزة الدين وعلو الإيمان، وعند الصدقة؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، وَإِنَّ مِنَ الْخِيَلِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ الَّتِي فِي الرَّيْبَةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرَّيْبَةِ، وَأَمَّا الْخِيَلُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَالْخِيَلُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ فِي الْفَخْرِ وَالْبَغْيِ»^(٣).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (١ / ٧١٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٣) (٣٩ / ١٦٢) برقم (٢٣٧٥٢)، وقال محققوه: حسن لغيره.

قال أبو سليمان الخطابي: معنى الاختيال في الصدقة أن تهزه أريحية السخاء فيعطيا طيبة نفسه بها من غير مَنْ ولا أذى، واختيال الحرب أن يتقدم فيها بنشاط نفس وقوة جنان. قال أبو عبيد: الاختيال أصله التجبر والكبر والاحتقار للناس، والاختيال في الحرب أن تكون هذه الخلال من التجبر على العدو فيستهين بقتالهم وتقل هيئته لهم، فيكون أجراً عليهم، وفي الصدقة أن تعلق نفسه وتشرف فلا يستكثر كثيرها وهذا مثل الحديث المرفوع، «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^{(١)(٢)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) معجم الطبراني الكبير (٣ / ١٣١) برقم (٢٨٩٤) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤ / ١٦٨) برقم (١٦٢٧).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٢ / ٣٢١-٣٢٢) بتصرف .

وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه: (التوسط في الأمور)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

الوصية العاشرة والحادية عشرة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه أن يتوسط في أموره وأحواله، قال تعالى فيما حكاه عنه وهو يخاطب ابنه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، آية: ١٩].

وقد جاء في التنزيل المبارك الأمر بالتوسط في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: آية: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء، آية: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان، آية: ٦٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»^(١).

ومن فوائد هاتين الوصيتين:

١- أن التوسط في الأمور هو الطريق المستقيم الذي يحبه الله تعالى، كما دلت على ذلك الآيات السابقة وغيرها.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ قال مجاهد: أقبح الأصوات، وهذا التشبيه يدل على كراهة رفع الصوت من غير حاجة لقوله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ»^(٢).

وقد جاء التمثيل بالحمار في سياق التوبيخ لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة، آية رقم: ٥].

٣- روى مسلم في حديث طويل، من حديث المقداد بن الأسود رضي عنه قال: فَيَجِيءُ -يعني النبي صلى الله عليه وسلم - فَيَسْلَمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمَعُ الْيَقْظَانَ^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٩٧٥)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٢).

(٣) برقم (٢٠٥٥).

٤- القصد في المشي هو الذي ليس بالبطيء المثبط ولا بالسرّيع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين هذا وهذا دالاً على القوة والنشاط، كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفعل في مشيه.

روى الامام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضيما قال: كان النبي صلّى الله عليه وآله إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعاً^(١)، لَيْسَ فِيهِ كَسَلٌ^(٢).

قال المناوي رحمّ الله: «ومع سرعة مشيه كان على غاية من الهون والتأني وعدم العجلة، فكان يمشي على هيئته ويقطع ما يقطع بالجهد بغير جهد»^(٣).

وروى البغوي رحمّ الله في شرح السنة بسنده إلى علي رضي عنه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله إِذَا مَشَى تَكْفَأَ تَكْفِئاً؛ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ»^(٤).

وروي عن علي: أَنَّهُ صلّى الله عليه وآله كَانَ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ^(٥).

(١) قوله: مجتمعاً، قال ابن الأثير: أي شديد الحركة قوياً الأعضاء، غير مُسْتَرْخٍ في المشي. النهاية (٢٩٧/١).

(٢) (١٦٠/٥) برقم (٣٣٠٣)، وقال محققوه: صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) فيض القدير (٢٤٨/٥).

(٤) (٣١٩/١٢) برقم (٣٣٥٣)، وقال البغوي: هذا حديث صحيح.

(٥) (٣١٩/١٢) وقال محققوه: رواه الترمذي وأبو داود وأحمد من حديث لقيط: فلم

ينشب أن جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله يتقلع يتكفأ، وسنده صحيح.

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تكفياً: أي تمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها، وقوله «تقلع» أي كان قوي المشية يرفع رجله من الأرض رفعا بائنا بقوة لا كمن يمشي اختيالا، ويقارب خطاه تنعماً^(١).

٥- من مواضع المشي التي جاء فيها التوجيه النبوي: المشي إلى الصلاة، قال ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ، فَاَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا»^(٢).

٦- الوصية باستحباب القصد في المشي وخفض الصوت إنما ذلك بالأحوال التي لا حاجة فيها بالإسراع في المشي أو رفع الصوت، فإذا جاءت الحاجة إلى ذلك لم يكن مكروهاً ولا منكرًا، وقد وردت النصوص بذلك. وهذه إشارة إلى بعض النصوص، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة، آية رقم: ٩]، وقد فسر بعض أهل العلم السعي هنا

(١) شرح السنة (١٢) / ٣٢٠.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢) من حديث أبي

بالمشي القصد.

وثبت في أحاديث كثيرة أن السنة في السعي بين الصفا والمروة أن يسرع بين العلمين، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي عنها قال: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ، وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سلمة بن الأكوع رضي عنه قال: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَرَعَى بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِينِي غُلامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذْتُ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطْفَانٌ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِبَنِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُول:

(١) (٤٣ / ٣١٣) برقم (٢٦٢٧٧)، وقال محققوه: إسناده جيد.

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

وَأَزْتَجِرُ، حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللَّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ! مَلَكَتَ فَأَسْجِحْ»^(١).

أما عن الصوت فمن المواضع التي لا يكره فيها رفع الصوت بل يكون مستحباً أو واجباً رفع الصوت بالأذان، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه أنه أخبره: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنْبٌ وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وروى مسلم في صحيحه في غزوة حنين: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للعباس رضي الله عنه: «أَيُّ عَبَّاسٍ نَادِ أَصْحَابِ السَّمْرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمْرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى

(١) صحيح البخاري برقم (٤١٩٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠٦).

(٢) رقم (٣٢٩٦).

أَوْلَادِهَا^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ»،
فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قَرِيشٌ^(٢)... الحديث

وكان النبي ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ
غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْدِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمُ وَمَسَّاكُمُ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٨٠١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(ولاية الله)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤]، فمن هم أولياء الله، وما هي صفاتهم، وما هو جزاؤهم؟

أولاً: قال الشوكاني: الولي في اللغة القريب، والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين لأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقال في موضع آخر: والحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله، مقيماً لما أوجب الله عليه تاركاً لما نهاه عنه، مستكثرًا من طاعاته فهو من أولياء الله تعالى، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله عز وجل لا يحل لمسلم أن ينكرها. ومن

كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله، وليست ولايته رحمانية بل شيطانية، وكراماته من تلبس الشيطان عليه وعلى الناس. وليس هذا بغريب ولا مستنكر، فكثير من الناس من يكون مخدومًا بخادم من الجن أو أكثر فيخدمونه في تحصيل ما يشتهيهِ وربما كان محرماً من المحرمات، والمعيار الذي لا يزيغ، والميزان الذي لا يجور هو ميزان الكتاب والسنة، فمن كان متبعًا لهما معتمدًا عليهما فكراماته وجميع أحواله رحمانية، ومن لم يتمسك بهما ولم يقف عند حدودهما فأحواله شيطانية^(١).

والناس في الولاية على درجات ثلاثة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر، آية رقم: ٣٢]، فكل صنف من هؤلاء الأصناف معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الولاية الخاصة، فهي القيام لله بجميع حقوقه وإيثاره على ما كل سواه في جميع الأحوال، حتى تصير مرضي الله ومحابه هي همه ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه وإن سخط الخلق»^(٢).

(١) قطر الولي للشوكاني رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٥٦) بتصرف.

(٢) بدائع الفوائد (٣ / ١٠١٤).

ثانياً: أولياء الله اتصفوا بصفات نالوا بها الولاية، فمن صفاتهم:

١- الإيمان، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فوصفهم بالإيمان ويشمل الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٢- التقوى، وهي أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأنفال، آية رقم: ٣٤].

روى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يعني فلاناً - لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^(١).

وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَأِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٠)، وصحيح مسلم (٢١٥) واللفظ له.

(٢) برقم (٤٢٤٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٥٦٨).

٣- الحب في الله والبغض في الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاغْلُظُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ». فَجِئْتُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ انْعَتَهُمْ لَنَا^(١)، يَعْنِي صِفَهُمْ لَنَا، شَكَّلَهُمْ لَنَا فَسَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(٢).

٤- أداء الفرائض على أكمل الوجوه، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) في الزهد والرقائق لابن المبارك: جَلَّهُمْ، ولعلها الصواب.

(٢) مسند الإمام أحمد (٥/٣٤٣)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته الله كما في

السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٦٤).

قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» الحديث.

٥- التقرب إلى الله بالنوافل كقيام الليل وصيام النهار والصدقات وغير ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» الحديث ^(١).

ثالثاً: أما جزاؤهم في الدنيا والآخرة فقد جاء وعد الله لهم به في آيات وأحاديث، فمن ذلك:

١- نزول الطمأنينة في قلوبهم فهم آمنون مما يخافه غيرهم، من أهوال الآخرة وشدائدها ^(٢)، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس، آية رقم: ٦٢].

٢- أنهم لا يحزنون على ما فأنهم من الدنيا ^(٣)، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(١) برقم (٦٥٠٢)

(٢) تفسير ابن كثير (٣٧٥ / ٧)

(٣) تفسير الطبري لابن جرير رحمته الله (٤٢٢٦ / ٥)

٣- أن الله يحبهم.

٤- أن الله يدافع عنهم.

٥- أن الله يستجيب دعائهم، ويعييزهم مما استعاذوا به.

٦- أن الله يضع لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها.

٧- يغطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة على منازلهم وقربهم من الله.

والدليل على ما سبق من الفضائل قول النبي ﷺ في الحديث السابق الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»^(١).

وقول النبي ﷺ في الحديث السابق الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه عندما ذكر أولياء

الله، قال «يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

٨- لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أبي حديث الدرداء رضي عنه قال: أتاه رجل فقال: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿ [سورة يونس، آية رقم: ٦٤]؟ قال: لقد سألت عن شيء ما سمعت أحد سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «بُشْرَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ، وَبُشْرَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السابعة والخمسون:

(المروءة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فإن من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي حث عليها الشرع العناية بالمروءة والبعد عن خوارمها.

والمروءة هي: استعمال ما يجل العبد ويزينه من الأعمال والأقوال والهيئات، وترك ما يذنبه ويشينه في كل ذلك، سواء مع الخالق أو مع المخلوق، وسواء تعلق ذلك به أو تعداه إلى غيره.

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: والمروءة عندي خصلتان: «اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال»^(١).

«درجات المروءة:

للمروءة ثلاث درجات:

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٢١٨).

١- الأولى: المروءة مع الحق **سَبْحَانِيَّهٖ**، ويكون ذلك بالاستحياء من نظره إليك وإطلاعه عليك في كل لحظة ونفس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان، فإنه قد اشتراها منك وأنت ساع في تسليم المبيع، وليس من المروءة تسليمه على ما فيه من العيوب وتقاضي الثمن كاملاً.

٢- الثانية: مروءة المرء مع نفسه، وهي أن يحملها قسراً على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يقبح ويشين، ليصير لها ملكة في العلانية، ولا يفعل خالياً ما يستحي من فعله في الملاء.

٣- الثالثة: مروءة المرء مع الخلق بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه.

وليتخذ الناس مرآة لنفسه، فكل ما كرهه ونفر عنه، من قول أو فعل أو خلق فليجتنبه، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله^(١).

حقوق المروءة وشروطها:

قال بعض البلغاء: من شرائط المروءة:

١- أن يتعفف المرء عن الحرام.

٢- أن ينصف في الحكم.

(١) مدارج السالكين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بِتَصَرُّفٍ (٢/ ٣٦٦ - ٣٦٨).

٣- أن يكف عن الظلم.

٤- ألا يطمع فيما لا يستحق.

٥- ألا يعين قوياً على ضعيف.

٦- ألا يؤثر دنيء الأفعال على شريفها.

٧- ألا يفعل ما يقبح الاسم والذكر.

قال الماوردي: إذا كانت مراعاة النفس على أفضل أحوالها هي المروءة، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها إلا من تسهلت عليه المشاق، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذ حذرًا من الذم، ولذا قيل: سيد القوم أشقاهم. وقد لحظ المتنبي ذلك فقال:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وله أيضًا:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(١)

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على المروءة، روى البيهقي في السنن الكبرى من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه أنه قال: «حَسْبُ الْمَرْءِ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ، وَأَصْلُهُ عَقْلُهُ»^(٢).

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٥١٥).

(٢) (٢١ / ٤٢) برقم (٢٠٨٤٨)، وقال البيهقي رحمته: هذا الموقوف إسناده صحيح.

وروى الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاذْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامِكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجِكَ، وَنَوْمِي صِبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً، فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا، وَأَصْبِحْتِ سِرَاجَهَا، وَتَوَمَّتِ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، آية رقم: ٩].^(٢)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مروءة، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ،

(١) (٣ / ١٣١) برقم (٢٨٩٤)، وصححه الألباني رحمته الله في الصحيحة (٤ / ١٦٨) برقم (١٦٢٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٧٩٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٥٤) بلفظ مختلف.

فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَحِثُّ لِأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّا إِزَارُهُ، فَحَسَنَهَا فَلَانَ، فَقَالَ: اكْسِينِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتَهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتَهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنُهُ^(١).

ومن أقوال السلف في المروءة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كَرَمُ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ. وَدِينُهُ حَسْبُهُ. وَمُرُوَّتُهُ خُلُقُهُ. وَالْجُرْأَةُ، وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ، فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ. وَالْجَرِيُّ يُقَاتِلُ عَمَّنْ لَا يُوُوبُ^(٢) بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنَ الْحُتُوفِ^(٣)، وَالشَّهِيدُ مَنْ احْتَسَبَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ^(٤)».

وقال أيضًا: لَا تَصْغُرَنَّ هِمَّتُكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرِ أَقْعَدَ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ^(٥).

وقال علي رضي الله عنه لابنه الحسن في وصيته له: يَا بُنَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَاَفْعَلْ، وَلَا تَكُنْ

(١) صحيح البخاري برقم (١٢٧٧).

(٢) آب من يئوب أوبًا ومآبًا رجع.

(٣) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

(٤) موطأ مالك (ص ٢٩٢) برقم (١٣٨٩)، وقال محققه: صحيح لغيره موقوف.

(٥) أدب الدنيا والدين (ص ٥١٦).

عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَكْرَمُ
وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ كَثِيرًا^(١).

وقال أبو حاتم البستي: «الواجب على العاقل تفقد الأسباب
المستحقة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم^(٢) مروءته،
فإن المحقرات من ضد المروءات، تؤذي الكامل في الحال
بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام وأوباش^(٣) الناس»^(٤).

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الإسعاف في النوائب فلأن
الأيام غادرة والنوازل غائرة والحوادث عارضة، والنوائب
راكضة والإسعاف في النوائب نوعان، واجب وتبرع، فأما
الواجب فيما اختص بثلاثة أصناف وهم الأهل، والإخوان،
والجيران، فيجب من حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء
الثلاثة تحمل أثقلمهم وإسعافهم في نوائبهم، وأما التبرع ففيمن
عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء»^(٥).

قال الشاعر:

وَكُنْتُ إِذَا عَقَدْتُ حِبَالَ قَوْمٍ صَحِبْتُهُمْ وَشِيمَتِي الْوَفَاءُ

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٣٣٠).

(٢) الثلم: هو الخلل.

(٣) أوباش الناس: أخلاطهم وسفلهم.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٢٣٤).

(٥) أدب الدنيا والدين (ص ٥١٦).

فَأُحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
وَأَبْصِرُ مَا يَعِيبُهُمْ بِعَيْنٍ عَلَيَّهَا مِنْ عُيُوبِهِمْ غِطَاءً
أُرِيدُ رِضَاهُمْ أَبَدًا وَآتِي مَشِيئَتِهِمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ

من فوائد المروءة:

- ١- تعلم الإنصاف والصدق والصبر.
 - ٢- تبعد المسلم عما يكره الله والمسلمون.
 - ٣- رفع الهمم للملمات وصعاب الأمور.
 - ٤- مساعدة الأهل والإخوان والجيران.
 - ٥- تدعو الإنسان إلى الأنفة من الخمول والكسل.
 - ٦- تُعطي المؤمن عزة وترفعاً عن رذائل الأمور وسفاسفها.
 - ٧- تكسب المؤمن مكارم الأخلاق.
 - ٨- تحث المؤمن على العمل والبعد عن الأمانى^(١).
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لمجموعة من المشايخ

من فضائل الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ آمين.

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾، وهو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه^(١).

قال الجرجاني رَحِمَهُ اللهُ: الحمد هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها^(٢)، وقال ابن القيم: الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٢٣٠٠).

(٢) التعريفات (٩٣).

(٣) بدائع الفوائد (٢ / ٥٣٦).

والحمد نقيض الذم، يقول: حمدت الرجل أحمدته حمدة ومحمدة فهو حميد ومحمود.

والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر.

والمحمد الذي كثرت خصاله المحمودة، والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته. والتحميد حمدك **الله** مرة بعد مرة^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «وإن سألت عن حمده فهو الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها وأحسنها. والمستحق لكل حمد ومحبة وثناء لكمال أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله، ولما اتصف به من صفات الحمد التي هي صفة الجمال والجلال، لما أنعم به على خلقه من النعم الجزال التي لا يمكن للعباد إحصاؤها، ويتعذر عليهم استقصاؤها»^(٢).

«ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله فقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة، آية رقم: ٢]، وحمد نفسه على إنزال كتابه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (٢/ ٥٥).

(٢) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٣٠) بتصرف.

عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴿ [سورة الكهف، آية رقم: ١]، وحمد نفسه على خلق السموات والأرض فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ١]، وحمد نفسه على كمال ملكه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ، آية رقم: ١].

وقال: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [سورة الروم، آيتان رقم: ١٧-١٨].

وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة السجدة، آية رقم: ٧]، وعلى صنعه وقد أتقنه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل، آية رقم: ٨٨].

وعلى أمره وكله حكمة ورحمة وعدل ومصالحة، وعلى نهيه وكل ما نهى عنه شر وفساد، وعلى ثوابه وكله رحمة وإحسان، وعلى عقابه وكله عدل وحق»^(١).

والله **سُبْحَانَهُ** افتتح الخلق بالحمد، وختم أمر هذا العالم بالحمد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة

(١) شفاء العليل لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٢١).

الأنعام، آية رقم: ١]، وقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٧٥].

فحمده ملاً الزمان والمكان والأعيان، وعم الأحوال كلها،
فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع
الأمر كله. وله الحمد في الآخرة؛ لأن في الآخرة يظهر من
حمده، والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فأهل الجنة، يرون
من توالي نعم الله، وإدراك خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه،
التي لا يبقى في قلوب أهل الجنة أمنية، ولا إرادة، إلا وقد
أعطى منها كل واحدٍ منهم فوق ما تمنى وأراد، بل يُعطون من
الخير ما لم تتعلق به أمانيتهم، ولا يخطر بقلوبهم.

فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة
تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة الله،
ومحبته، والثناء عليه، ويكون ذلك أحب إلى أهلها من كل
نعيم، وألذ عليهم من كل لذة.

هذا إذا أضفت إلى ذلك أنه يظهر لأهل الجنة، في الجنة،
كل وقتٍ، من عظمة ربهم، وجلاله، وجماله، وسعة كماله، ما
يوجب لهم كمال الحمد والثناء عليه^(١).

وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تحيط بها الأفكار،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٤٢).

ولا تحُصِّيها أقلام الدنيا «وأوراقها، ولا قوى العباد، وتقتصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كُنْهها، وتعجز الأوهام عن الإحاطة بالواحد منها، وإنما هو التنبيه والإشارة»^(١).

وفضائل الحمد كثيرة في السنة أذكر بعضاً منها:

١- روى البخاري في الأدب المفرد من حديث الأسود بن سريع رضي الله عنه قال: كنت شاعراً فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! إنني مدحت ربي بمحامد، قال: «أَمَا إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْحَمْدَ»^(٢). فهو سبحانه وتعالى حميد يحب الحمد، ويحب من يحمده، وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له، ويحب من يثني عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثناء العباد عليه.

٢- روى أبو يعلى في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَمْدِ»^(٣)، وحمده يتضمن أصليين: الإخبار بمحامده وصفات كماله والمحبة له عليها.

وهو سُبْحَانَهُ كما يجب أن يعبد، يحب أن يحمده ويثني عليه

(١) طريق الهجرتين (ص ٢٥٠) بتصرف.

(٢) برقم (٨٥٩) وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الأدب المفرد برقم (٦٦٠).

(٣) برقم (٤٢٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في الصحيحة (٤/٤٠٤) برقم

ويُذكر بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى^(١).

٣- روى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَفْضَلُ الذُّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب، فهو دعاء حقيقة بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه»^(٣).

٤- روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»^(٤). فالعبد أعطى الحمد، والحمد نفسه نعمة من الله عليه ولولا توفيق الله وأعانتة لما قام بحمده، فنعمة الله على عبده بتوفيقه للحمد أفضل من نعمة الله عليه

(١) فوائد الفوائد (ص ٣١) بتصرف.

(٢) برقم (٣٣٨٣)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٩٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥ / ١٩).

(٤) برقم (٣٨٠٥)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٦٧).

بالصحة والعافية والمال ونحو ذلك، والكل نعمة **الله**.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «فنعمة الشكر أجل من نعمة المال والجاه والولد والزوجة^(١) ونحوها».

٥ - روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مطرف قال: «قال عمران بن حصين **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: إني لأحدثك بالحديث اليوم لينفعك **الله** به بعد اليوم، اعلم أن خير عباد **الله** يوم القيامة الحمادون»^(٢).

قال السندي **رَحِمَهُ اللهُ**: «الحمادون: أي الذين يكثرون الحمد **الله** تعالى في كل حال، فإن من فضيلة الحمد الرضا عنه تعالى في كل حال»^(٣).

٦ - روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»^(٤).

(١) عدة الصابرين (ص ١٦٩).

(٢) (١٢٥ / ٣٣) برقم (١٩٨٩٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) حاشية المسند (٣٣ / ١٢٧).

(٤) برقم (٢٢٣).

٧ - روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَبُ أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامُ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ^(١)، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٢).

٨ - روى النسائي في عمل اليوم والليلة من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ) مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ) مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَحِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) القيعان: الأرض السهلة المطمئنة المستوية.

(٢) برقم (٣٤٦٢)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٥).

(٣) برقم (٨٢١)، وخرجه الترمذي برقم (٣٤٧١)، وحسنه الشيخ عبدالله السعد في

كتابه الدعوات والأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة (ص ٥٠).

ومما يدل على فضل الحمد وأنه من تمام نعيم أهل الجنة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَاٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة يونس، آيتان رقم: ٩ - ١٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوِّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ»، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٨٣٥).

انظر: الأسماء الحسنى والصفات العلى لأخينا الشيخ عبدالهادي وهبي (ص ٨٧ - ٩٥)، فقد أجاد وأفاد.

وانظر: فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبدالرزاق البدر (ص ٢١٥ - ٢١٨)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لمجموعة من المختصين (٥/ ١٧٥٣ - ١٧٨١).

المواضع التي يشرع فيها الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

استكمالاً للحديث عن الحمد؛ فإن الحمد مطلوب من المسلم في كل وقت وحين، فإنه في كل لحظة يتقلب في نعم الله الظاهرة والباطنة، ولكن هناك مواضع يُشرع ويُتأكد فيها الحمد ومنها:

١- نعمة الهداية لهذا الدين، وهي من أكبر النعم التي ينبغي للمؤمن أن يستشعرها دائماً وأبداً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، آية رقم: ٣]، وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ٤٣].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال: ما أَجَلَسَكُم؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ؟ قالوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفِكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُم؟» قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ؟» قالوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفِكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عز وجل يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «فهؤلاء جلسوا يحمدون الله بذكر أوصافه وآلائه ويثنون عليه بذلك، ويذكرون حسن الإسلام، ويعترفون لله بالفضل العظيم إذ هداهم له ومن عليهم به»^(٢).

قال ابن رجب رحمته الله: «فمن حصل له نصيب من دين الله فقد حصل له الفضل العظيم، وقد عظمت عليه نعمة الله، فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها

(١) برقم (٢٧٠١).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم رحمته الله (١ / ٢٩١).

والثبات عليها إلى الممات والموت عليها فبذلك تتم
النعمة»^(١).

٢ - الطعام والشراب: روى البخاري في صحيحه من حديث
أبي أمامة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته قال:
«الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ،
وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: المخلوق إذا أنعم عليك
بنعمة أمكنك أن تكافئه، ونعمه لا تدوم عليك، بل لا بد
أن تودعك ويقطعها عنك، ويمكنك أن تستغني عنه، والله
عز وجل لا يمكن أن تكافئه على نعمه، وإذا أنعم عليك أدام
نعمه فإنه هو أغنى وأقنى، ولا يُستغني عنه طرفه عين^(٣).

٣ - اللباس: روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد
الخدري رضي عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوبًا
سماه باسمه إما قميصًا أو عمامة ثم يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ
الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»^(٤).

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٦٩ - ١٧٠).

(٢) برقم (٥٤٥٨).

(٣) صيغ الحمد (ص ١٨) لابن القيم رحمته الله بتصرف.

(٤) برقم (٤٠٢٠)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٦٠) برقم =

٤ - عند الاستيقاظ من النوم، روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

٥ - عند رؤية ما يسره وما يكرهه، روى ابن ماجه في سننه من حديث عائشة رضي عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحب قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وإذا رأى ما يكرهه قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢).

٦ - عند رؤية المبتلى: روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مُبْتَلَى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ»^(٣).

٧ - عند العطاس: روى ابن حبان في صحيحه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَمَّا نَفَخَ اللَّهُ فِي آدَمَ الرُّوحَ، فَبَلَغَ الرُّوحُ رَأْسَهُ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ

= (٣٣٩٣).

(١) برقم (٦٣١٤).

(٢) برقم (٣٨٠٣)، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٠٦٦).

(٣) برقم (٣٤٣٢)، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٥٣)

برقم (٢٧٢٨).

لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ»^(١).

٨ - عند الصباح والمساء: روى النسائي في عمل اليوم والليلة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أُثْنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانُ؟»، قَالَ: أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَذَا الَّذِي أَرَدْتُ مِنْكَ»^(٣).

قال ابن عبد البر رحمته الله: «في هذا الخبر ما يدل على أن السنة المعمول بها في المجاوبة للسائل عن الحال حمد الله والثناء عليه، فإن المسؤول عن حاله لا ينفك من نعمة الله ظاهرة وباطنة من صحة جسم، وصرف بلاء، وكشف كربة، وتفريج غم، ورزق يرزقه، وخير يمنحه،

(١) برقم (٦١٣٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح موارد الضمان (١٧٤٦).

(٢) برقم (٥٧١)، وحسنه الشيخ عبد الله السعد في كتابه الدعوات والأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة (ص ٤١-٤٢).

(٣) برقم (٤٣٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله بشواهد في الصحيحه برقم (٢٩٥٢).

ذكر ذلك أو نسيه. فإذا سئل عن ذلك فليحمد ربه، فله الحمد كله على كل حال، لا إله إلا هو الكبير المتعال»^(١).

٩ - قبل الدعاء: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث فضالة ابن عبيد رضي عنه أنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَجَلْ هَذَا»، ثم دعاه فقال له ولغيره: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بِمَا شَاءَ»^(٢).

١٠ - عند الرفع من الركوع: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٣).

١١ - بعد تكبيرة الإحرام، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) الاستذكار (٨ / ٤٦٩).

(٢) (٣٩ / ٣٦٣) برقم (٢٣٩٣٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) برقم (٤٧٧).

أنس رضي عنه أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال: الله أكبر، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: «أيكم المتكلم بالكلمات؟» فأرّم القوم، فقال: «أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأساً»، فقال رجل: جئت وقد حفزني ^(١) النفس فقلتها، فقال: «لقد رأيت اثنى عشر ملكاً يبتدرونها، أيهم يرفعها» ^(٢).

١٢ - عند ركوب الدابة: روى أبو داود في سننه من حديث علي ابن ربيعة قال: شهدت علياً رضي عنه وأتني بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الزخرف، آيتان رقم: ١٣-١٤]، ثم قال: الحمد لله - ثلاث مرات - ثم قال: الحمد لله - ثلاث مرات - ثم قال: الله أكبر - ثلاث مرات - ثم قال: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي صلى صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت. ثم ضحك. فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أي شيء ضحكت؟

(١) أي: ضغطني النفس وجهدني لسرعة مجيئي.

(٢) برقم (٦٠٠).

قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»^(١).

١٣ - دبر الصلاة المكتوبة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).

١٤ - عند فقد الولد: روى الترمذي في سننه من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمْرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمَدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»^{(٣)(٤)}.

(١) برقم (٢٦٠٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٢/١٢٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) برقم (٥٩٧).

(٣) برقم (١٠٢١)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٠٨).

(٤) انظر: كتاب أخينا الشيخ عبدالهادي وهبي الأسماء الحسنى والصفات العلى =

١٥ - عند ابتداء الخطب: خطبة جمعة، أو نكاح، وكذلك الدروس، وفي ابتداء الكتب المصنفة ونحو ذلك. روى النسائي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ لَهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ»^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



= (ص ٨٧ - ١١٥).

(١) برقم (١٤٠٤)، وانظر تخريج الحديث والكلام عن خطبة الحاجة للشيخ الألباني رحمته الله.

الكلمة الستون:

شرح اسم الله: «العظيم»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة اسم الله العظيم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الواقعة، آية رقم: ٩٦].

قال ابن جرير رحمته الله: ﴿الْعَظِيمُ﴾، معناه: «الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه»^(٢).

وإن سألت عن عظمته فهو العظيم الذي قد كمل في عظمته،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) جامع البيان (٢/ ١٤٩٣ - ١٤٩٤)، بتصرف واختصار.

وله كل وصف ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يُحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه عباده^(١). «ونسبة ما يعلم العباد من ذلك إلى ما لا يعلمونه كنقرة عصفور في بحر»^(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ

وهو سبحانه عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه، عظيم في صفاته، روى مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»^(٣).

ومن عظمته **سُبْحَانَكَ** أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه ويتصرف فيه بما يشاء من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية التابعة لحكمته^(٤).

ومن عظمته: أن الأرض جميعاً بما فيها من بحار وأنهار

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي (ص ٢٥٩).

(٢) طريق الهجرتين (ص ٢٨٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٢٠)، وسنن أبي داود برقم (٤٠٩٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٧٥).

وجبال وأودية ورمال وأشجار وغير ذلك، تكون قبضته يوم القيامة، والسموات كذلك على عظمها وكبرها وسعتها، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَلَّتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة فاطر، آية رقم: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٥] أي: لا يشق عليه حفظ السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهما بعظمته وقدرته سبحانه.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَأْخُذُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بَرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (١).

ومن عظمته: أن كرسيه وسع السموات والأرض. «والكرسي»

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «موضع القدمين»^(١).

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٥]، وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي أنه يسع السموات والأرض على عظمتها، وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي؟!

ومن عظمته أن فضله عظيم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٠٥]. أي: صاحب الفضل العظيم، العظيم كمية والعظيم كيفية، والعظيم شمولاً في المكان، وشمولاً في الزمان^(٢).

ومن عظمته أن الأبصار تراه ولا تدركه، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٠٣]، فإن العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية، كما أنهم مع مدحه والثناء عليه لا يحيطون ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه المقدسة، ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم:

(١) (٢/ ٥٨٢)، وصححه الشيخ مقبل الوداعي رحمته الله في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير رحمته الله (١/ ٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو (ص ٧٦)، وصححه الألباني رحمته الله في مختصر العلو (ص ٤٥) وهذا له حكم الرفع.

(٢) أحكام من القرآن (١/ ٣٧٨) للشيخ ابن عثيمين رحمته الله.

«لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» (١)(٢).

ومن أثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

١ - أن العبد إذا علم أن الله عظيم في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأمره، ونهيه، فإنه يعظم الرب في جميع الأحوال كلها.

فالعظيم الرحيم يستحق أن يُعظم ويُحب ويُعبد ويُخاف ويرجى (٣).

وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، قال تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْحَمُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ (١٣) [سورة نوح، آية رقم: ١٣]، أي: ما لكم لا تعظمونه حق عظمته (٤).

«واعلم بأن من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيه، وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوه» (٥).

(١) صحيح مسلم برقم (٤٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١١١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٩)..

(٤) تهذيب مدارج السالكين (ص ٧٨٥).

(٥) فوائد الفوائد (ص ٣٤).

ومن تعظيم الله **سُبْحَانَكَ** أن تعظم شعائر دينه كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة وغيرها.

قال **جَنَّاتٍ وَعِلَّالٍ**: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج، آية: ٣٢].

ومن تعظيم الله **سُبْحَانَكَ** أن تجتنب نواهيهِ ومحارمه التي حرمها في كتابه أو حرمها رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [سورة الحج، آية رقم: ٣٠]. ومن أعظم ما حرمه الله الشرك بأنواعه، ومقابل هذا أن يعمل المسلم بأوامره التي أمر بها، والتي من أعظمها توحيده وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له.

«ومن تعظيمه تعظيم ما عظمه واحترمه من زمان، ومكان، وأشخاص، وأعمال، والعبادة روحها تعظيم الباري وتكبيره، ولهذا شرعت التكبيرات في الصلاة في افتتاحها وتنقلاتها، ليستحضر العبد معنى تعظيمه في هذه العبادة التي هي أجل العبادات، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء، آية رقم: ١١١]»^(١).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي (٣ / ٦٨٩).

ومن تعظيم الله سبحانه، عدم النظر إلى كبر الذنب وصغره في نفس العبد، ولكن ينظر إلى قدر من عصاه وعظمته، وانتهاك حرمة بالمعصية، قال الأوزاعي رحمه الله: «لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت»^(١).

«فينبغي لمن عرف حق عظمة الله، أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت»^(٢).

فما عظم الله حق عظمته من هان عليه أمره فعصاه، ونهيه فارتكبه، وحقه فضيعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبه عنه، وكان هواه أثر عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعته، فله الفضلة من قلبه وقوله وعمله، وسواه المقدم في ذلك لأنه المهم عنده، يستخف بنظر الله إليه وإطلاعه عليه وهو في قبضته، وناصيته بيده، ويُعظم نظر المخلوق إليه، وإطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه، يستحي من الناس ولا يستحي من الله، ويخشى الناس ولا يخشى الله، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه، وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد

(١) فوائد الفوائد (ص ٣٤٦).

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/١٤٢).

وبذل النصيحة، وقد فرغ له قلبه وجوارحه، وقدمه على كثيرٍ من مصالحه، حتى إذا قام في حق ربه - إن ساعده القدر - قام قيامًا لا يرضاه مخلوقٌ من مخلوقٍ مثله، وبذل له من ماله ما يستحيي أن يُواجه به مخلوقًا لمثله». فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه؟^(١).

ومن تعظيمه: أن لا يلتفت العبد إلى أعماله، فمن «عرف الله وحقه وما ينبغي لعظمته من العبودية تلاشت حسناته عنده، وصغرت جدًا في عينه، وعلم أنها ليست مما ينجو بها من عذابه، وأن الذي يليق بعزته، ويصلح له من العبودية أمر آخر. وكلما استكثر منها استقلها واستصغرها، لأنه كلما استكثر منها فتحت له أبواب المعرفة بالله، والقرب منه، فشاهد قلبه من عظمته سبحانه وجلاله ما يستصغر منه جميع أعماله، ولو كانت أعمال الثقلين»^(٢).

روى أحمد في مسنده من حديث محمد بن أبي عميرة رضي الله عنه أنه قال: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ، إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَحَقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَّادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ»^(٣).

(١) الداء والدواء لابن القيم رحمته الله (ص ١٢٤ - ١٢٥).

(٢) تهذيب المدارج (ص ٢٤٣).

(٣) برقم (١٧٦٥٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

٢- أمر النبي أن يُسبح بهذا الاسم، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الواقعة، آية رقم: ٧٤]. روى أبو داود في سننه من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي عنه قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ^(١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمجده ربه ويقدسه باسمه العظيم عندما يصيبه كرب أو يحزبه أمر، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب فيقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٣).

(١) برقم (٨٧٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (ص ٢٤٧/١).

(٢) برقم (٤٧٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٠) واللفظ له.

٣- أنه يشرع للمسلم أن يدعو ربه ويتضرع بهذا الاسم العظيم فيقول: يا عظيم اغفر لي وارحمني، وارزقني الفردوس الأعلى، فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه لعبده. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أُعْطَاهُ» (١)(٢).

٤- أن العظيم سُبْحَانَهُ لا يُبْقِي فِي النَّارِ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ بِعِظْمَتِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ، ثُمَّ قَالَ «يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ - وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعِظْمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَا أُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري (٦٣٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٩) واللفظ له.

(٢) انظر: كتاب أخيننا الشيخ عبدالهادي وهبي الأسماء الحسنى والصفات العلى (ص ١١٦-١٢٧)، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للشيخ محمد النجدي (١/ ٢٨١-٢٨٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٥١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٣) واللفظ له.

شرح اسم الله: «الجبار»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة الجبار، وقد ورد هذا الاسم في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر، آية رقم: ٢٣].

قال الطبري رحمته الله: (الجبار يعني: المصلح أمور خلقه المصرفهم فيما فيه صلاحهم)^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠ / ٧٩٨٣).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (الجبار هو بمعنى: العلي الأعلى وبمعنى القهار وبمعنى الرؤوف وهو الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر المريض والمبتلى، ويجبر جبراً خاصاً قلوب المنكسرين لجلاله، الخاضعين لكماله، الراجين لفضله ونواله بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف الربانية، والفتوحات الإلهية والهداية والإرشاد والتوفيق والسداد)^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في النونية:

وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسْمَانِ	وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
ذَا كَسَرَ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانٍ	جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا
لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ	وَالثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي
فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ	وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ
الْعُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ	مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ

«فيكون معنى الجبار على وجوه:

١- الجبار هو المصلح للأمر من جبر الكسر إذا أصلحه وجبر الفقير إذا أغناه.

٢- الجبار بمعنى: القهار الذي يجبر الخلق على ما يريد، ويحملهم على ما أراد من أمور تقتضيها الحكمة الإلهية، فقد

(١) فتح الرحيم الملك العلام، ص (٣٠).

أجبر الخلق على أشياء لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه حكمته، كإكراههم على الموت والبعث والنشور، وتسخير كل منهم لصناعة يتعاطاها. والناس في ذلك بين راض بصنعتة لا يريد عنها حولاً، وكاره لها يكابدها مع كراهيته لها كأنه لا يجد عنها بديلاً، قال تعالى: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الزخرف، آية رقم: ٣٢]، وهو سبحانه لا يقهر إلا على ما تقتضي الحكمة.

٣- الجبار العالي الذي لا يُنال، ومنه يقال: نخلة جبارة إذا طالت وعلت وقصرت الأيدي عن أن تنال أعلاها.

من آثار الإيمان بهذا الاسم (الجبار):

١- إن الله تعالى: هو الجبار الذي له العلو على خلقه، علو الذات والقدر والصفات، وعلو القهر والجبر «فإذا شهد العبد ذلك وأن نواصي العباد كلها بيد الله وحده، يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم والمدبر لهم غيرهم^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ١٨].

(١) فوائد الفوائد (ص ٤٨).

٢- جبر الله تعالى خلقه على ما أراد أن يكونوا عليه من خلق لا يمتنع عليه شيء منه أبداً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس، آية رقم: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٨٣].

٣- أن الله تعالى لم يجبر أحداً من خلقه على إيمان وكفر، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف، آية رقم: ٢٩]، ومع ذلك لا يخرجون عن مشيئته ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً بغير اختيارهم، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَأْتِئِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة الرعد، آية رقم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا ﴾ [سورة السجدة، آية رقم: ١٣]، وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ [سورة ق، آية رقم: ٤٥] أي مسلط تكررهم على الإيمان.

٤- أن الجبروت والقهر في حق المخلوق مذموم، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [سورة غافر، آية رقم: ٣٥] لكن في حق الله محمود لأن جبروته وقهره حق، أما الخلق فموصوفون بصفات النقص، مقهورون ضعفاء، والحق سبحانه وتعالى أمرٌ غير مأمور، قاهرٌ غير مقهور، فعلاً

لما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

٥- أن الله سبحانه وتعالى: جبروته رحمة وعدل، لأنه بجبروته قهر الجبابرة وأذل الأكاسرة والفراعنة، وأنصف المظلومين من الظلمة، ونصر جنده على المعاندين والكفرة الفجرة.

وقد توعد الله الجبابرة بالعذاب والنكال، قال تعالى:

﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ. وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾

[سورة إبراهيم، آيات رقم: ١٥-١٧].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ»^(١).

وفي رواية أخرى: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدِهِ» وَقَبَضَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَفْضُضُهَا وَيَبْسُطُهَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤١٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٨).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٢٧٥).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْرُجُ عُنُقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ - وفي آخر الحديث - قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي»^(٢).

٦- الأرض كلها خبزة بيد الجبار سُبْحَانَهُ يوم القيامة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفْرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).

٧- كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بين السجدين فيقول: «اللَّهُمَّ

(١) (١٥٢/١٤) برقم (٨٤٣٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٨٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٥٢٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٢).

اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَارْفَعْنِي، وفي رواية: وعافني
وَأَهْدِنِي» (١) (٢).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: واجبرني أي: أغنني، من جبر الله
مصيبته، أي: رد عليه ما ذهب منه وعوضه، وأصله من جبر
الكسر (٣).

وكان النبي ﷺ يعظم ربه بهذا الاسم في ركوعه وسجوده
فيقول: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ
وَالْعِزَّةِ» (٤).

٨- أنه ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعًا وأن يتعد عن صفة
التكبر والتجبر، قال تعالى - ذامًا لهذه الصفة عن نبي الله هود
وهو يخاطب قومه: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [سورة
الشعراء، آية رقم: ١٣٠]، وقال تعالى عن نبي الله عيسى عليه
السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم،

(١) سنن الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا برقم (٢٨٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ
في صحيح سنن الترمذي (١/ ٩٠) برقم (٢٣٣).

(٢) سنن أبي داود من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا برقم (٨٥٠)، وحسنها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ
في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٦٠) برقم (٧٥٦).

(٣) النهاية (١/ ٢٣٦).

(٤) سنن أبي داود من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٨٧٣)، وصححه
الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٦٦) برقم (٧٧٦).

آية رقم: [٣٢]، روى البخاري ومسلم من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن أباه مخرمة قال له: يا بني إنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية فهو يقسمها، فاذهب بنا إليه، فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله، فقال لي: يا بُني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم، فأعظمت ذلك فقلت: أدعو لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَيْسَ بِجَبَّارٍ، فَدَعَوْتُهُ، فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُزْرَرٍ بِالذَّهَبِ، فَقَالَ: «يَا مَخْرَمَةَ، هَذَا خَبَأَنَاهُ لَكَ» فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ (١).

٩- أنه يشرع للمؤمن أن يسأل ربه من خير الدنيا والآخرة ويتضرع بهذا الاسم الجبار فيقول: يا جبار السموات والأرض أصلح لي شأنه كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٦٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٨).

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد النجدي (١/١٤٣ - ١٤٩)، أسماء الله الحسنى للدكتور عمر الأشقر (٧٤ - ٧٦)، أسماء الله الحسنى لابن القيم رحمته الله (١٢١ - ١٢٤)، فقه الأسماء الحسنى للشيخ عبدالرزاق البدر (ص ٢٨٥ - ٢٨٨).

شرح اسم الله: «الستير»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في السنة الستير، فروى أبو داود في سننه من حديث يعلى رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) برقم (٤٠١٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله، وصحيح سنن أبي داود (٧٥٨ / ٢) برقم (٣٣٨٨).

وللستير روايتان، إحداهما كسر السين وتشديد التاء مكسورة، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيٌّ سِتِيرٌ»^(١).

والثانية: فتح السين وكسر التاء مخففة^(٢).

قال البيهقي: الستير يعني أنه ساتر على عباده كثيرًا ولا يفضحهم في المشاهد، وكذلك يحب من عباده الستر على أنفسهم، واجتناب ما يشينهم، والله أعلم^(٣).

وقال ابن الأثير: ستير فعيل بمعنى فاعل، أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون^(٤)، قال ابن القيم رحمته الله:

وَهُوَ الْحَيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِضْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ

وقال المناوي: ستير بالكسر والتشديد، أي تارك لحب القبائح، ساتر للعيوب والفضائح، فعيل بمعنى فاعل^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: حاشية سنن أبي داود (٤/٣٠٢)، ومختصر السنن (٦/١٥)، للحافظ المنذري بتحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي - رحمهما الله -.

(٣) الأسماء والصفات (ص ١٤٨).

(٤) البداية والنهاية (٢/٣٤١).

(٥) فيض القدير (٢/٢٢٨).

من آثار الإيمان بهذا الاسم (الستير):

١- أن الله تعالى ستير يحب الستر والصون، فيستر على عباده الكثير من الذنوب والمعاصي.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأله: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ»^(٢).

قال المهلب: « في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم»^(٣).

(١) برقم (٢٥٩٠).

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٢٤٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٨).

(٣) فتح الباري (١٠ / ٤٨٨).

٢- أن الله أمر بالستر وكره المجاهرة بالمعصية، ومحبة نشرها بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور، آية رقم: ١٩].

فإذا كان مجرد الحب صاحبه مهدد بالعذاب، فكيف بمن يجهر وينشر ويساعد على هذه الفواحش والمنكرات؟ بل ويسن القوانين لحمايتها.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(١).

قال ابن بطال رحمته الله: «في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم. وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد، ومن التعزير إن لم يوجب حداً، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩)، صحيح مسلم برقم (٢٩٩٠).

في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك^(١).

٣- إن الله يحب الستر فإذا تلبس المؤمن بشيء من هذه القاذورات فعليه التوبة وأن يستر ذلك ويكثر من الأعمال الصالحة.

روى الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن ألم فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله عز وجل»^(٢).

٤- أن الله تعالى نهى عن تتبع عورات المسلمين وحث على الستر عليهم فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته»^(٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن

(١) فتح الباري (١٠ / ٤٨٧).

(٢) (٣٤٧ / ٥) برقم (٧٦٨٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال محققه الشيخ عبدالسلام علوش: سنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم (٦٦٣).

(٣) (٢٠ / ٣٣) برقم (١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال النووي رحمته الله: «المراد بالستر؛ الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب ألا يُستر عليه، فيرفع أمره إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة، لأن الستر عليه يطمعه في الإيذاء والفساد»^(٢).

٥- كان من دعائه صلى الله عليه وسلم طلب الستر من الله، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، - وقال عثمان: عَوْرَاتِي - وَأَمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٣). قال أبو داود، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٥١/٦) بتصرف واختصار.

(٣) برقم (٥٠٧٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٩٥٧/٣)

وكيع: يعني: الخسف^(١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد النجدي (٣/ ١١٥ - ١٢٠)،
فقه الأسماء الحسنى للشيخ عبدالرزاق البدر (ص ٣٥٣ - ٣٥٧).

شرح اسم الله: «الملك المالك المليك»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة الملك، والمالك، والمليك، وقد ورد ذكر الملك في عدة مواضع، قال تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١١٤) [سورة طه، آية رقم: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) [سورة الجمعة، آية رقم: ١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(١) [سورة الناس، آيتان رقم: ١-٢]،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

وقال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة غافر، آية رقم: ١٦]، وقد ورد ذكر المليك مرة واحدة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة القمر، آيتان رقم: ٥٤ - ٥٥]، وقد ورد ذكر اسم المالك مرتين في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفاتحة، آية رقم ٤]، وفي قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٢٦].

قال الزجاج: وقال أصحاب المعاني: «الملك؛ النافذ الأمر في ملكه، إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه، فالملك أعم من المالك، والله تعالى مالك المالين كلهم، والملاك إنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى»^(١).

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «الملك هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات»^(٢).

«فأما المالك فهو الخاص الملك»^(٣).

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص ٣٠).

(٢) شأن الدعاء (ص ٣٩-٤٠).

(٣) المصدر السابق (٣٩-٤٠).

أما الملك الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾ [سورة القمر، آية رقم: ٥٥]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام والإهانة والإثابة والعقوبة والغضب والرضا والتولية والعزل، وإعزاز من يليق به العز وإذلال من يليق به الذل، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران، آيتان رقم: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن، آية رقم: ٢٩]، يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويكشف غمًا وينصر مظلومًا، ويأخذ ظالمًا، ويفك عانيًا، ويغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا، ويشفي مريضًا، ويقيل عثرة ويستر عورة، ويعز ذليلاً، ويذل عزيزًا، ويعطي سائلًا، ويذهب بدولة، ويأتي بأخرى، ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها فلا يتقدم شيء منها

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٣ / ٣١٠).

ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه وجرى به قلمه، ونفذ حكمه، وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده، تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك، لا ينازعه في ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك»^(١).

من آثار الإيمان بهذا الأسماء:

١- تفرد الله تعالى بالملك لا شريك له دليل ظاهر على وجوب إفراده وحده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِئْ تَصْرَفُونَ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، آية رقم: ١١٦]»^(٢).

وأن عبادة من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً أعظم الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٦٧].

(١) طريق الهجرتين لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (ص ١١٥ - ١١٦).

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (١٣ / ٣١٠).

٢- اختصاصه بالملك **سُبْحَانَهُ** يوم القيامة، قال تعالى:
 ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفاتحة، آية رقم: ٤]، إنما
 اختص الله نفسه بأنه مالك يوم الدين مع أنه مالك الدنيا
 والآخرة لأمرين اثنين:

(أ) أن الله يبدل الأرض في ذلك اليوم غير الأرض والسموات
 غير السموات، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ
 الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة
 إبراهيم، آية رقم: ٤٨].

(ب) أن البشر لهم شبهة ملك في الحياة الدنيا، فهم يملكون
 الضياع والقصور والبساتين والذهب والفضة، ولكنهم
 بين خيارين، إما أن يزول عنهم ما يملكونه في الدنيا،
 وإما أن يزولوا عنه ويخلفوه وراءهم، فهو ملك زائل
 وعارية مسترجعة. وفي يوم الحساب والجزاء لا يملكون
 شيئاً، فالناس في ذلك اليوم يحشرون حفاة عراة غرلاً
 بهماً، كما قال **سُبْحَانَهُ**: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ
 فِي الصُّورِ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ٧٣]، وقال تعالى:
 ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا
 ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٢٦].

٣- أن الله تعالى الملك له القدرة العظيمة لا يعجزه شيء
 في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [سورة فاطر، آية رقم: ٤٤].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! أَبْلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالسَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ؟! فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ^(١). وفي رواية: يقول الله تبارك وتعالى: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ؟» ^(٢).

وروى أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٦٧]، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبَلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ أَنَا الْجَبَّارُ أَنَا الْمُتَكَبِّرُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْعَزِيزُ أَنَا الْكَرِيمُ»، فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرن به ^(٣).

(١) صحيح البخاري (٤٨١١)، وصحيح مسلم (٢٧٨٧).

(٢) صحيح البخاري (٤٨١٢)، وصحيح مسلم (٢٧٨٧).

(٣) مسند الإمام أحمد واللفظ له (٣٠٤ / ٩) برقم (٥٤١٤)، وقال محققوه: إسناده =

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قصة الرجل - الذي هو آخر من يدخل الجنة - وجاء فيه أن الله يقول له: «اذْهَبْ فَادْخِلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ^(١)، وفي رواية: «إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(٢).

٤- تحريم التسمي بملك الملوك، وأن الله يبغض من تسمى بذلك، أو حاكم الحكام أو سلطان السلاطين، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَخْنَى الْأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ»^(٣).

زاد ابن أبي شيبة في روايته: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٤).

قال الأشعبي: قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو عن أخنع؟ فقال: أوضع.

= صحيح على شرط مسلم، وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٨).

(١) صحيح البخاري (٦٥٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٢٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٤٣).

(٤) ذكرها مسلم في صحيحه، ولم أجد لها في مؤلفات ابن أبي شيبة.

وفي رواية مسلم: «أَغِيْظُ رَجُلٌ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغِيْظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٌ كَانَ يُسَمِّي مَلِكَ الْأَمْلاِكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه مثل: خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء^(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا «قاضي القضاة»، وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي بالحق وهو خير الفاضلين، الذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون^(٣).

٥- أن النبي ﷺ كان يمجد ربه ويثني عليه بهذا الاسم: الملك، فروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهدج قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ،

(١) برقم (٢١٤٣).

(٢) الفتح (١٠ / ٥٩٠).

(٣) زاد المعاد (٢ / ٣٤٠ - ٣٤١).

وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...»^(١) الحديث.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، قال الحسن: فحدثني الزبيد أنه حفظ عن إبراهيم في هذا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^{(٢)(٣)}.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١١٢٠)، وصحيح مسلم برقم (٧٦٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٣).

(٣) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی للشيخ محمد النجدي (١/ ٩٥ - ١٠٧)، فقه الأسماء الحسنی للشيخ عبدالرزاق البدر (ص ١١٨ - ١٢٢)، أسماء الله الحسنی للدكتور عمر الأشقر، (ص ٤٦ - ٥٠).

شرح اسم الله: «القوي المتين»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتاب الله: القوي المتين.

أما القوي فقد جاء ذكره في القرآن في عدد من المواضع، قال تعالى: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال، آية رقم: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [سورة الحج، آية رقم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ [سورة هود، آية رقم: ٦٦].

وأما المتين فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [سورة الذاريات، آية رقم: ٥٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَرُدُّ قِضَاءَهُ رَادٌ، يَنْفِذُ أَمْرَهُ، وَيَمْضِي قِضَاءَهُ فِي خَلْقِهِ، شَدِيدٌ عِقَابِهِ لِمَنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ وَجَحَدَ حُجْجَهُ (١).

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «القوي قد يكون بمعنى القادر، ومن قوي على شيء فقد قدر عليه، ويكون معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة فإن قوته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة» (٢).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «القوي المتين، هو في معنى العزيز، والعزيز الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر

(١) جامع البيان (٥ / ٣٨٧٥).

(٢) شأن الدعاء ص ٧٧.

جميع الموجودات، ودانت له الخليفة، وخضعت لعظمته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج عن سلطانه أحد. ومن قوته أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى وعصفت بهم الرياح، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامه القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين»^(١).

أما المتين، فقد قال ابن قتيبة: «الشديد القوي»^(٢)، وقال الخطابي: المتين الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة ولا يمسه لغوب»^(٣).

وفي المقصد: القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة لله تعالى»^(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَالَى اللَّهُ ذُو الْأَكْوَانِ وَالْأَزْمَانِ

(١) فتح الرحيم الملك العلام ص ٣٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ١١٠١) بتصرف.

(٢) غريب الحديث ص ٤٢.

(٣) شأن الدعاء ص ٧٧.

(٤) المقصد الأسنى ص ٨١-٨٢.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين:

١- أن القوة **لله** جميعاً وحده لا شريك له، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، فالعزير من أعزه **الله**، والذليل من أذله **الله**، والمنصور من نصره **الله**، والمخذول من خذله **الله**، قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة المجادلة، آية رقم: ٢١].

فينبغي التعلق **بالله** والالتجاء إليه وحده، وطلب النصر منه إيماناً و يقيناً بحصول النجاة مما يخاف والامتناع مما يضر والدفع لكل مكروه، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة، آية رقم: ٢١].

٢- قال تعالى: ﴿يَيَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [سورة مريم، آية رقم: ١٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي بجد وحرص واجتهاد^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال: آية رقم: ٦٠]، تضمن هذان الاسمان

(١) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٩ / ٢٢١).

الكريمان صفتين عظيمتين وهما القوة والمتانة، وقد وهب الله تعالى لعباده من هاتين الصفتين ما يليق بهم. وقد وردت النصوص تحت على الاتصاف بهما، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ. اِحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعَجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

٣- أنه يشرع للمؤمن أن يسأل ربه بهذا الاسم: القوي المتين، أن يرزقه ويشفيه ويعطيه من خير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات، آية رقم: ٥٨]، روى مسلم في صحيحه والترمذي من حديث عثمان بن أبي العاص رضي عنه أنه قال: أتاني رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يَهْلِكُنِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ أَمُرُّ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ^(٢).

٤- أنه لا قوة للعبد على طاعة الله عز وجل إلا بقوة الله تعالى

(١) برقم (٢٦٦٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٢)، وسنن الترمذي (٢٠٨٠) واللفظ له.

وتوفيقه، ولا حول له على اجتناب المعاصي إلا بالله تعالى، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن قيس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة ^(١) هي من كنوز الجنة: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ^(٢)، قال النووي رحمته الله: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر ^(٣).

وقيل: معناه: «لا حول في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله».

٥- الإيمان بهاتين الصفتين في الدنيا يفضي بصاحبه إلى أنه لا يتعلق إلا بالله، ولا يعتمد إلا على الله تعالى، ويتخلى عن كل ما دونه لعلمه أن ما دون الله ضعيف لا قوة له ولا حول. وهذه الحقيقة تنكشف يوم القيامة لمن تعلق بغير الله في الدنيا ولكن لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٦٥].

(١) قوله: كنز من كنوز الجنة، ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٣٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).

(٣) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد النجدي (٢/ ٣٥)، فقه

الأسماء الحسنى للشيخ عبدالرزاق البدر (ص ١٨٣-١٨٦).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢١٦]

«هذه الآية فيها فرض القتال في سبيل الله، بعدما كان المؤمنون مأمورين بتركه لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكثر المسلمون وقووا، أمرهم الله تعالى بالقتال، وأخبر أنه مكروه للنفوس لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتالف، ومع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، وغير ذلك مما هو مُرب على ما فيه من الكراهة.

قوله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ وذلك مثل القعود عن

الجهاد لطلب الراحة فإنه شر لأنه يعقبه الخذلان، وتسلب الأعداء على الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب. وهذه الآيات عامة في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحبها النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك، وأما أحوال الدنيا فليس الأمر مطردًا، ولكن الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمرًا من الأمور فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويعتقد الخير في الواقع لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦). فاللائق بكم أن تمشوا مع أقداره سواء سرتكم أو ساءتكم»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد:

فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحجوب، والمحجوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرّة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرّة؛ لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ١٠٢).

أوجب له ذلك أموراً:

(أ) امتثال الأمر:

منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر، وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيراتٌ ومسرّاتٌ ولذاتٌ وأفراحٌ، وإن كرهته نفسه فهو خيرٌ لها وأنفعٌ.

وكذلك لا شيءٌ أضر عليه من ارتكاب النهي، وإن هويته نفسه ومالت إليه؛ فإن عواقبه كلها آلامٌ وأحزانٌ وشروءٌ ومصائبٌ، وخاصية العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل.

فنظرُ الجاهل لا يجاوزُ المباديَ إلى غاياتها، والعاقل الكيس دائماً ينظر إلى الغايات من وراء ستور مباديها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذيذٍ قد خلط فيه سم قاتلٌ، فكلما دعت له لذاته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواءٍ كريحه المذاق مُفضٍ إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول.

ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تُدرك به الغايات من مباديها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما

يؤمل عند الغاية؛ فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره هان عليه كل مشقةٍ يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة.

(ب) التفويض إلى الله:

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حُسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم؛ فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم! فلا يختار على ربه شيئاً، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوض إلى ربه، ورضي بما يختاره له؛ أمدته فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حُسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه، بما يختاره هو لنفسه.

(ج) تفرغ القلب من الشواغل:

ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتبعة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبةٍ

وينزل في أخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمودٌ مشكورٌ ملطوفٌ به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذمومٌ غير ملطوفٍ به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه.

ومتى صح تفويضه ورضاه؛ اكتنفه في المقدور العطف عليه، واللفظ به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره.

إذا نفذ القدرُ في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تحيله في رده، فلا أنفع له من الاستسلام له والرضى به^(١)!

ومن فوائد الآية الكريمة:

- ١- فرضية الجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾.
- ٢- أنه لا حرج على الإنسان إذا كره ما كتب عليه؛ لا كراهته من حيث أمر الشارع به، ولكن كراهته من حيث الطبيعة؛ أما من حيث أمر الشارع به فالواجب الرضا، وانسراح الصدر به.
- ٣- أن البشر لا يعلمون الغيب؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾.

(١) فوائد الفوائد (ص ١٤٧ - ١٤٩) بتصرف.

٤- أن الله قد يحكم حكمًا شرعيًا، أو كونيًا على العبد بما يكره وهو خير له.

ولذلك جاء في مسند الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: «أَسْلِمَ»، قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي كَارِهًا، قَالَ: «وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا»^{(١)(٢)}.

في غزوة بدر خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أجل أخذ العير التي تحمل بضائع قريش فصرفهم الله إلى ما يكرهون، قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ [سورة الأنفال، آية رقم: ٥]، فكان اختيار الله لهم خير من اختيارهم لأنفسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهِنَّ لَكُمُ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [٧] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [٨] [سورة الأنفال، آيتان رقم: ٧-٨].

٥- كما ذكر تعالى أن الإنسان قد يحب ما هو شر له ويكره ما هو خير له وبين سبب ذلك والدليل عليه، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(١) (١١٧/١٩) برقم (١٢٠٦١)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير القرآن العظيم للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٣/ ٤٩ - ٥٠).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



غزوة تبوك أو العسرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع للهجرة، وهي آخر غزوات رسول الله ﷺ.

روى البخاري ومسلم من حديث كعب بن مالك رضي عنه قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك.. وهي آخر غزوة غزاها^(١).

وكانت هذه الغزوة في وقت حار جداً وقحط، وضيق شديد

(١) تبوك بفتح التاء وضم الباء موضع بين وادي القرى والشام، معجم البلدان (٤٣١/٢)، وتبعد عن المدينة النبوية (٨٠٠) كيلومتر تقريباً، ووقع تسميتها في الأحاديث الصحيحة، فروى مسلم في صحيحه من حديث معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ»، صحيح مسلم رقم (٧٠٦)، ومسند الإمام أحمد رقم (٢٢٠٧٠).

في النفقة والظهر^(١) والماء؛ ولذلك سميت بالعسرة^(٢).

وقد اختلف في سبب هذه الغزوة، فروى ابن سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم جمع جموعاً كثيرة من الروم والغساسنة وقبائل العرب الموالية له، فعلم رسول الله ﷺ بهم فخرج إليهم^(٣).

ويشهد لهذا قول عمر بن الخطاب رضي عنه الذي يروي قصة هجر رسول الله ﷺ أزواجه، قال عمر: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً. فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء، فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت له: ما هو؟ أجا غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق

(١) الظهر: الإبل الذي يحمل عليها ويركب، النهاية (٣/ ١٥٢).

(٢) وقد وقعت هذه التسمية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [سورة التوبة: ١١٧]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري ولفظه: «لقد أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك»، رقم الحديث (٤٤١٥).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٢٥).

رسول الله ﷺ نساءه^(١). قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب يعني من سنة تسع، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكان رسول الله ﷺ كلما يخرج إلى غزوة إلا وري بغيرها، إلا ما كان من غزوة خيبر، وغزوة تبوك، فغزوة خيبر، فلأن الله تعالى وعد رسول الله ﷺ بفتحها، وأما غزوة تبوك فلبعد الشقة^(٢)^(٣)، وشدة الزمان، إذ كان ذلك في شدة الحر، حين طابت الظلال وأينعت الثمار، وحبب إلى الناس المقام، وكثرة العدو، والمسافة بعيدة والطريق وعرة صعبة. وكان لهذه العوامل أثرها في ثاقل بعض الناس عند النفرة، فبدأت الآيات تنزل في سورة التوبة لتعالج هذا الأمر، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اُنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اُنْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ اَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا ۗ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٩١)، وصحيح مسلم برقم (١٤٧٩).

(٢) الشقة السفر الطويل، وقيل المسافة البعيدة، النهاية (٢/ ٤٩٢).

(٣) السيرة النبوية (٤/ ١٣٢-١٣٣).

وَأَيْدُهُمْ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا
السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [سورة
التوبة، الآيات: ٣٨ - ٤٠].

وأسرع المسلمون يتجهزون للخروج، وأخذت القبائل
تقدم المدينة من كل حدب وصوب، منها غفار، وأسلم،
وجهينة، وأشجع، وبنو كعب من خزاعة.

ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف عن هذه الغزوة
إلا الذين في قلوبهم مرض وإلا ثلاثة نفر - تاب الله عليهم في
آخر الأمر - حتى كان يجيء أهل الحاجة والفاقة يستحملون
رسول الله ﷺ ليخرجوا إلى قتال الروم، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى
الَّذِينَ إِذَا مَا آتَاكَ لِيَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ [سورة
التوبة، آية رقم: ٩٢].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
قال: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ
لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَقُلْتُ: يَا
نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِيَتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا
أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ»، وَوَأَفَّقْتُهُ، وَهُوَ غَضْبَانٌ وَلَا أَشْعُرُ، وَرَجَعْتُ
حَزِينًا مِنْ مَنَعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ

فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً، إِذْ سَمِعْتُ بِلَالًا يُنَادِي: أَيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ - لِسِتَّةِ أَبْعَرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ -، فَاذْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ»^(١) الحديث.

كما تسابق المسلمون في إنفاق الأموال، وبذل الصدقات، فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان قد جهز عيرًا للشام، مائتي بعير بأقتابها^(٢) وأحلاسها^(٣) ومائتي أوقية، فتصدق بها ثم تصدق بمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم جاء بألف دينار فنثرها في حجره رضي الله عنه، فكان رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(٤).

قال الزهري: جهز عثمان بن عفان جيش المسلمين في تبوك بستعمائة وأربعين بعيرًا وستين فرسًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤١٥)، وصحيح مسلم برقم (١٦٤٩).

(٢) القتب: هو إكاف البعير، وقيل: رحل صغير على قدر السنام، انظر: تاج العروس (٣/٣٢٢).

(٣) الأحلاس: جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، النهاية في غريب الحديث (١/٤٢٣).

(٤) سنن الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه برقم (٣٧٠١)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٨).

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله وكانت أربعة آلاف درهم، وهو أول من جاء بصدقته. وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد ابن سلمة، كلهم جاءوا بمال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها حتى كان منهم من أنفق مداً أو مدين ولم يكن يستطيع غيرها، وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلاخل وقرط وخواتم، ولم يمسك أحد يده، ولم يبخل بماله إلا المنافقون وكانوا يؤذون المؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة، آية: ٧٩].

وهكذا تجهز الجيش، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: سباع بن عرفطة. وخلف على أهله علي بن أبي طالب وأمره بالإقامة فيهم، وغمض عليه المنافقون فخرج فلحق رسول الله ﷺ فرده إلى المدينة وقال: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» (١).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤١٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٤) من حديث

سعد بن أبي وقاص رضي عنه.

وتحرك رسول الله ﷺ يوم الخميس نحو الشمال يريد تبوك، ولكن الجيش كان كبيراً ثلاثين ألف مقاتل، ولم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط، فلم يستطع المسلمون مع ما بذلوه من الأموال أن يجهزوه تجهيزاً كاملاً، بل كانت في الجيش قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والمركب، فكان ثمانية عشر رجلاً يعتقبون بعيداً واحداً، وربما أكلوا أوراق الشجر حتى تورمت شفاههم، واضطروا إلى ذبح الإبل مع قلتها ليشربوا ما في كرشه من الماء، ولذلك سمي هذا الجيش جيش العسرة، ومر الجيش الإسلامي في طريقه إلى تبوك بالحجر ديار ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، أي وادي القرى.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجننا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء^(١)، وفي رواية: وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة^(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨١).

مر بالحجر قال: «لا تَدْخُلُوا عَلَيَّ هُوَ لَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»^(١). وفي رواية: ثُمَّ قَنَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِي^(٢).

واشتدت في الطريق حاجة الجيش إلى الماء حتى شكوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا الله، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجاتهم من الماء، ولما قرب من تبوك وجدوا عينها قليلة الماء، ولكن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتَوْهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ»، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقْنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشَّرَاكِ تَبُصُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهَمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَّتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مِنْهُمْ - أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ - فَاسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِيَ جَنَانًا»^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤١٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٠٦).

وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه أنه ستهب عليهم وهم في تبوك ريح شديدة، فقد روى الشيخان من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك فلما أتينا تبوكًا قال رسول الله ﷺ: «أما إنها ستهب الليلة ریح شديدة، فلا يقوم من أحد، ومن كان معه بعير فليعقله». فعقلناها، وهبت ریح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيٍّ (١).

ولكن دأب رسول الله ﷺ في الطريق أنه كان يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء جمع التقديم وجمع التأخير كليهما. ونزل الجيش الإسلامي بتبوك، وعسكر واستعد للقاء العدو، وخطب رسول الله ﷺ في أصحابه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم خطب الناس بتبوك: «ما في الناس مثل رجل أخذ برأس فرسه، يجاهد في سبيل الله عز وجل، ويجنب شُرور الناس، ومثل آخر بادٍ (٢) في نعمه يقري (٣) ضيفه ويعطي حقه» (٤).

وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٨١)، وصحيح مسلم برقم (١٣٩٢).

(٢) باد: أي مقيم في البادية.

(٣) الأنعام وهي المال الراعية، الإبل والبقر والضأن والمعز، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل، ويقري يضيف، ويعطي حقه، أي يؤتي الزكاة.

(٤) (٤٤٦/٣) برقم (١٩٨٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

أخذهم الرعب، فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم، فكان لذلك أحسن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية في داخل الجزيرة وأرجائها النائية. وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة لعلهم لم يكونوا يحصلوا عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين. وجاء يُحنة بن رؤبة صاحب أيلة، فصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأهل أذرح فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم، وصالحه أهل ميناء على ربع ثمارها، وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل في أربعمئة وعشرين فارساً وقال له: «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ» فأتاه خالد، فلما كان من حصنه بمنظر العين خرجت بقرة تحك بقرونها باب القصر، فخرج أكيدر لصيدها، وكانت ليلة مقمرة، فتلقيه خالد في خيله، فأخذه وجاء به إلى رسول الله ﷺ فحقن دمه، وصالحه على ألفي بغير وثمانمئة رأس وأربعمئة درع وأربعمئة رمح، وأقر بإعطاء الجزية، فقاضاه مع يُحنة على قضية دومة، وتبوك، وأيلة، وتيماء، وأيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على ساداتها الأقدمين قد فات أوانه، فانقلبت لصالح المسلمين. وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية حتى لاقت حدود الرومان مباشرة،

وشهد عملاء الرومان نهايتهم إلى حد كبير.

ورجع الجيش الإسلامي من تبوك مظفرين منصورين لم ينالوا كيداً، وكفى الله المؤمنين القتال. وفي الطريق إلى المدينة تأمر اثنا عشر رجلاً من المنافقين، وقيل: أربعة عشر أو خمسة عشر على الغدر برسول الله ﷺ ومزاحمته على العقبة^(١).

ولكن الله عصم رسول الله ﷺ منهم، فروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقْبَةَ، فَلَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ^(٢).

فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «قَدْ، قَدْ»^(٣) حتى هبط رسول الله ﷺ، فلما هبط رسول الله ﷺ ورجع عمار، فقال: «يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟» فقال: قد عرفت عامة الرواحل

(١) العقبة: الجبل الطويل، لسان العرب (٩ / ٣٠٦).

قال النووي في شرح مسلم (١٧ / ١٢٤): وهذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمنى التي كانت بها بيعة الأنصار ﷺ وإنما هذه عقبة على طريق تبوك اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك فعصمه الله منهم
(٢) الراحلة من الإبل البعير القوي على الأسفار والأحمال، والذكر والانثى فيه سواء، انظر النهاية (٢ / ١٩١).

(٣) قد: أي حسبي، وتكرارها لتأكيد الأمر، النهاية (٤ / ١٨).

والقوم مثلثون، قال: «هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟» قال: **الله** ورسوله أعلم، قال: «أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ»، قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب رسول **الله** ﷺ فقال: نشدتك **بالله** كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ فقال: أربعة عشر، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، فعذر رسول **الله** ﷺ منهم ثلاثة قالوا: **والله** ما سمعنا منادي رسول **الله** ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الأثني عشر الباقين حرب **لله** ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، وقد ورد أن نفرًا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ وهم في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير، وكانوا بضعة عشر رجلاً، قال الضحاك: ففيهم نزلت هذه الآية^(٢): ﴿وَهُمْ أَيْمَانُ يَمَانٍ يَمَانُ﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ٧٤].

ولما لاح للنبي ﷺ معالم المدينة من بعيد قال: «هَذِهِ طَابَةٌ^(٣) وَهَذَا أَحَدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(٤). وتسامع الناس

(١) (٣٩/ ٢١٠ - ٢١١) برقم (٢٣٧٩٢)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/ ٢٤٠).

(٣) أي المدينة

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٤٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٣٩٢)، من حديث أبي

بمقدمه، فخرج النساء والصبيان يقابلن الجيش بحفاوة بالغة، روى البخاري في صحيحه من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك ^(١) (٢).

وكان خروجه إلى تبوك في رجب وعودته إلى المدينة في رمضان ضحى، «وقال بعضهم: إن قلنا أن عودته صلى الله عليه وسلم في رمضان فهذا يقتضي خروجه صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في الخميس الثاني من شهر رجب وذلك الخميس يوافق الخامس والعشرين من شهر أكتوبر، وهو من الأيام المعتدلة القريبة من البرد ولاسيما في الصباح والمساء وتأتي بعد جذاذ التمر بزمان، بينما الخروج إلى تبوك كان في شدة الحر وفي أيام جذاذ التمر، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان موجوداً في المدينة في شهر شعبان من هذه السنة حين توفيت ابنته أم كلثوم، فالصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة في شهر رجب، وكان خروجه قبل ذلك بخمسين يوماً أي في شهر جمادى الأولى» ^(٣).

وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى، وكان

(١) وبذلك تكون مدة إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم في تبوك عشرين ليلة، فيكون غاب عن المدينة أكثر من شهر لأنه خرج من المدينة في رجب ورجع في رمضان.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٢٦).

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري (ص ٣٧٣).

يبدأ بالمسجد، فأتى مسجده فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس.

فأما المنافقون - وهم بضعة وثمانون رجلاً فجاءوا يعتذرون بأنواع شتى من الأعذار، وطفقوا يحلفون له، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله.

أما النفر الثلاثة من المؤمنين الصادقين وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فاختروا الصدق، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة ألا يكلموا هؤلاء الثلاثة. وجرت ضد هؤلاء الثلاثة مقاطعة شديدة وتغير لهم الناس حتى تنكرت لهم الأرض، وضافت عليهم بما رحبت، وضافت عليهم أنفسهم، وبلغت بهم الشدة إلى أنهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من بداية المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة، ثم أنزل الله توبتهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ٩١]. وفرح المسلمون، وفرح الثلاثة فرحاً عظيماً، وكان أسعد يوم من أيام حياتهم،

وقال النبي ﷺ فيهم حين دنا من المدينة: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًّا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»^(١).

فيتلخص من هذا ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أن المتخلفين عن غزوة تبوك أربعة أقسام: مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم، ومعدورون وهم الضعفاء والمرضى والمقلون وهم البكاءون، وعصاة مذنبون وهم الثلاثة أبو لبابة وأصحابه المذكورون، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^(٣).



(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٩١١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٠).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٧/ ١٤٤ - ٢٠٠)، اللؤلؤ المكنون (٤/ ٢٧٢ - ٣٧١)، الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباكفوري (ص ٣٦٨ - ٣٧٤).

دروس وعبر من غزوة تبوك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فقد اشتملت هذه الغزوة المباركة على دروس عظيمة لعلني أذكر بعضها منها:

١- أن الجهاد بالمال لا يقل عن الجهاد بالنفس، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ٤١].

٢- في هذه الغزوة فضيلة لعثمان رضي عنه فقد أنفق إنفاقًا عظيمًا حتى قال صلى الله عليه وسلم: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»^(١).

٣- أن فيها منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق وعمر وعبد الرحمن

(١) سنن الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة برقم (٣٧٠١)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٨).

ابن عوف وغيرهم من الصحابة ممن شاركوا في الإنفاق على جيش العسرة، حيث تصدق أبو بكر بماله كله وعمر بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف أنفق ثمانية آلاف درهم رضي الله عنه.

٤- أن المنافقين دأبهم الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين، وقد ذمهم الله غاية الذم وفضح أمرهم، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة، الآيات: ٦٤ - ٦٦].

٥- أن كثيراً من الآيات في سورة التوبة نزلت تعالج موضوع الغزوة المباركة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج في السفر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة، وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين والمخلصين وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين الخارجين منهم في الغزوة، والمتخلفين، إلى غير ذلك من الأمور.

٦- فضل الصحابة وحرصهم على الإنفاق في سبيل الله وتنافسهم

في ذلك ولذلك جاء في الحديث: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

٧- إن مسجد الضرار الذي بناه المنافقون قبل غزوة تبوك كان مكيدة للإسلام والمسلمين لا يراد به إلا الإضرار بالمسلمين والكفر بالله، وقد فضحهم الله، وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَفِرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى اللَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ١٠٧-١٠٨].

وكان نزول هذه الآيات عندما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، فلما نزلت هذه الآيات أمر بهدم المسجد.

٨- أن فيها منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب عندما خلفه عند النساء والصبيان وقال: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤١٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٤) من حديث سعد

٩- فيه الزجر عن السكنى في ديار المعذبين.

١٠- الإسراع عند المرور على ديار المعذبين^(١).

١١- ظهور بعض المعجزات والكرامات في هذه الغزوة، فمن ذلك عندما اشتد بهم العطش حتى إن الرجل لينحر البعير فيعصر فرثه فيشربه، فدعا النبي ﷺ ربه فنزلت السحابة فأمرت ولم تتجاوز العسكر.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: حَدَّثَنَا مِنْ شَأْنِ الْعُسْرَةِ، قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنْنَا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى نَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْتَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَوَّدَكَ اللَّهُ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ لَنَا، فَقَالَ: «أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ ﷺ، فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى أَظَلَّتْ سَحَابَةٌ، فَسَكَبَتْ، فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ، فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتْ الْعَسْكَرَ»^(٢).

(١) فتح الباري (٢/ ٩٨).

(٢) رقم الحديث (١٣٨٣)، وقد اختلف في تصحيحه وتضعيفه، قال ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (٧/ ١٦٠-١٦١): إسناده جيد.

١٢- ومنها كذلك عندما أصابهم الجوع الشديد فنحروا النواضح^(١) وأكلوا منها حتى قل الظهر، فأمر النبي ﷺ بفضل أزوادهم ودعا فيها بالبركة، فأكلوا جميعاً منها وحلت فيها البركة.

١٣- حسن خلق النبي ﷺ وإجابته إلى ما يلتمس منه أصحابه، وإجراؤهم على العادة البشرية في الاحتياج إلى الزاد في السفر.

١٤- فيه منقبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه دالة على قوة يقينه بإجابة دعاء رسول الله ﷺ عندما أشار إليه بذلك، وعلى حسن نظره للمسلمين.

١٥- فيه جواز المشورة على الإمام بالمصلحة وإن لم يُطلب منه الاستشارة^(٢).

١٦- أن النبي ﷺ كغيره من البشر لا يعلم إلا ما علمه الله، ولهذا لما ضلت ناقته لم يعرف مكانها حتى دله الله عليها وأرسل من يأتي بها.

١٧- جواز ائتمام الفاضل بالمفضول، وهذا حصل عندما صلى النبي ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف الركعة الأولى من

(١) الإبل التي يستقى عليها، واحدها ناضح، النهاية (٥ / ٦٩).

(٢) فتح الباري (٦ / ١٣٠).

صلاة الفجر ثم أتم الثانية وحده.

١٨- فيها منقبة لأبي ذر رضي عنه عندما أبطأ به بعيره فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج ماشياً حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق.

١٩- فيها منقبة لأبي قتادة رضي عنه وذلك بحرصه على حراسة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه صلى الله عليه وسلم له.

٢٠- أن من نام عن صلاة أو نسيها فكفارته أن يصلّيها إذا ذكرها، وليس في النوم تفريط. كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة عندما تأخر عن صلاة الفجر وصلى خلف عبد الرحمن بن عوف رضي عنه.

٢١- ظهور معجزات أخرى في هذه الغزوة المباركة، فقد عطش الناس وشربوا من غمر^(١) النبي صلى الله عليه وسلم وهم جمع كثير حتى ارتووا.

٢٢- فيما جرى لأبي خيثمة رضي عنه من ندمه على تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استدراكه للأمر ووصوله إلى تبوك بيان أن المؤمن إذا وقع منه التقصير سرعان ما يتنبه ويستدرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ٢٠١].

(١) الغمر: هو القدح الصغير، النهاية (٣/ ٣٨٥).

٢٣- أن ساقى القوم آخرهم شرباً، لقول أبي قتادة: فشربت وشرب رسول الله ﷺ.

٢٤- من معجزاته ﷺ في هذه الغزوة إخباره ببعض الأمور الغيبية، كقوله لمعاذ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جَنَانًا»^(١).

٢٥- أن النبي ﷺ كان يُحرس كل ليلة من أصحابه خشية العدو.

٢٦- حرص النبي ﷺ ورحمته لأصحابه وذلك بقوله لهم: «أَمَّا إِنَّهَا سَتَهَبُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ»^(٢)، وكذلك ينبغي للأمر والقائد التحذير من المخاطر والأضرار.

٢٧- كانت غزوة تبوك شاقة في بدايتها، ولكن كانت عاقبتها حميدة لما تحقق فيها من ظهور عزة الإسلام، ودخول الرعب في قلوب الأعداء، وما حصل من مكاسب سياسية من عقود، ومعاهدات، ومكاسب مالية، حصلت بالصلح والالتزام بدفع الجزية فتحقق بذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢١٦].

(١) صحيح مسلم برقم (٧٠٦).

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (١٤٨١)، وصحيح مسلم برقم (١٣٩٢).

٢٨- أن المنافقين يكيّدون المكائد والمؤامرات للفتك برسول الله ﷺ وقتله، ولا أدل على ذلك مما فعلوه بالعقبة حين هموا بطرح رسول الله ﷺ منها، فنجاه الله منهم. وذلك يوجب أخذ الحذر منهم والاحتياط لما يتوقع من كيدهم.

٢٩- أن فيها منقبة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ أخبره بأسماء هؤلاء المنافقين الذين تأمروا على قتله واستكتمه ذلك.

٣٠- أن الذي منع النبي ﷺ من قتل هؤلاء المنافقين هو خشية أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه فتحصل بذلك مفسدة تنفر الناس من الإسلام، وهذا من الأدلة للقاعدة المشهورة: درء المفساد مقدم على جلب المصالح.

٣١- حب النبي ﷺ الشديد للمدينة ولجبل أحد، ولهذا قال: «هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(١).

٣٢- أن من حبسه العذر عن العمل الصالح كتب له أجره كاملاً فضلاً من الله.

٣٣- مشروعية استقبال القادم من السفر وإظهار الفرح والسرور بمقدمه.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٣٩٢) من حديث أبي

٣٤- مشروعية هجر أصحاب المعاصي إذا كان الهجر يؤدي إلى رجوعهم وفيه مصلحة.

٣٥- من فضائل هذه الغزوة أن الله تعالى أنزل فيها عامة سورة التوبة، فضح فيها المنافقين وكشف فيها أحوالهم، وكذلك كان يسميها بعض أهل العلم: الفاضحة.

٣٦- أن لهذه الغزوة أعظم الأثر في بسط نفوذ المسلمين، وتقويته على جزيرة العرب، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة أن تبقى في العرب سوى قوة الإسلام.

٣٧- انكسار شوكة المنافقين بعد هذه الغزوة، فقد كانوا يعتقدون الآمال بانتصار الروم وهلاك المسلمين فخبب الله آمالهم.

٣٨- أن الله أمر بالتشديد على المنافقين بعد هذه الغزوة ونهى عن قبول صدقاتهم والصلاة عليهم والاستغفار لهم، وأمر بهدم مسجدهم الضرار، وأنزل فيهم آيات تفضحهم، وكان الآيات قد نصت على أسمائهم.

٣٩- من فضائل هذه الغزوة تتابع الوفود من قبائل العرب الذين دخلوا في الإسلام بعد ظهور قوة المسلمين كقوة عظمى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقتطفات من سيرة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته الدروس والعبر. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أهل الشورى وأحد السابقين البدرين، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام، إنه عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري أبو محمد واسم أمه صفية ويقال -الصفاء، حكاه ابن منده، ويقال: الشفاء، وهي زهرية أيضًا أبوها عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، حكاه أبو عمر. ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وأخرج الزبير بن بكار من طريق سهلة بنت عاصم قالت: كان عبد الرحمن بن عوف أبيض أعين^(١) أهدب

(١) أعين إذا كان ضخم العين واسعها، اللسان (ع ي ن).

أهدب: رجل أهدب طويل أشفار العين، اللسان (ق ن ي).

أفتى: القنا في الأنف، طوله ودقة أرنبته مع حذب في وسطه، اللسان (ق ن ي).

الأشفار، أفتى، له جمرة أسفل من أذنيه، أعنق ضخم الكتفين.

قال إبراهيم بن سعد عن أبيه: كان طويلاً أبيض، مشرباً حمرة حسن الوجه، رقيق البشرة لا يخضب، وروى زيد البكائي عن ابن إسحاق قال: كان ساقط الثنيتين، أهتم، أعسر، أعرج، أصيب يوم أحد فهُتِم، وجرح عشرين جراحة بعضها في رجله فعرج، قال عثمان: ما يستطيع أحد أن يعتد على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعاً، ولقد كانت لهذه الصحابي الجليل مواقف عظيمة تدل على بذله ونصرته لهذا الدين.

فمن ذلك أنه رضي الله عنه أسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا وسائر المشاهد، وكان اسمه عبد الكعبة، ويقال عبد عمرو فغيره النبي صلى الله عليه وسلم. وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع، فروى البخاري في صحيحه من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: «مَهَيْم؟»، قال: تزوجت، قال: «كَمْ

سُقَّتْ إِلَيْهَا؟»، قال: نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب، شك إبراهيم^(١).

وبعثه النبي ﷺ إلى دومة الجندل وأذن له أن يتزوج بنت ملكهم الأصبع بن ثعلبة الكلبي ففتح عليه، فتزوجها وهي تماضر أم ابنه أبي سلمة، وعن عمرو بن وهب الثقفي قال: كنا مع المغيرة بن شعبة فسئل: هل أم النبي ﷺ أحد من هذه الأمة غير أبي بكر، فقال: نعم، فذكر أن النبي ﷺ توضأ ومسح على خفيه وعمامته وأنه صلى خلف عبدالرحمن بن عوف وأنا معه ركعة من الصبح، وقضينا الركعة التي سبقنا^(٢).

قال معمر عن الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ﷻ وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة. وقيل أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً.

ومن مناقبه أن النبي ﷺ شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر الذين قيل لهم: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ - أَوْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٣٧٨٠).

(٢) الحديث أخرجه مسلم برقم (٤٢١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٩٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب.

ومن أهل هذه الآية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده والطحاوي في مشكل الآثار: أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار فقسمها في فقراء بني زهرة وفي المهاجرين وأمّهات المؤمنين، قال المسور: فدخلت على عائشة رضي الله عنها بنصيبها من ذلك فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ»، سقى الله عبد الرحمن بن عوفٍ من سلسبيل الجنة^(١).

وروى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مِنْ بَعْدِي»، قال قريش: فحدثني محمد بن عمرو بن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أباه وصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بعده بأربعين ألف دينار^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث شقيق قال: دخل عبد

(١) مسند الإمام أحمد من حديث أم بكر بنت المسور (٤١ / ٢٤٧ - ٢٤٨)، برقم (٢٤٧٢٤)، وقال محققوه: حديث حسن، ومشكل الآثار للطحاوي برقم (٢٤٧٢٤).

(٢) (٤ / ٣٦٩) برقم (٥٤١٠)، وحسن الحديث الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤ / ٤٦١ - ٤٦٢) برقم (١٨٤٥).

الرحمن بن عوف رضي الله عنه على أم سلمة رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إني أخشى أن أكون قد هلكت، إني من أكثر قريش مالا، بعت أرضا لي بأربعين ألف دينار، فقالت: أنفق يا بني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ»، فَاتَيْتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَاتَاهَا، فَقَالَ: بِاللَّهِ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا، وَلَنْ أُبْرِيَ أَحَدًا بَعْدَكَ^(١). قال أنس رضي الله عنه: رأيت عبد الرحمن بن عوف، قُسم لكل امرأة من نسائه بعد موته مئة ألف.

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن رضي الله عنه عزله نفسه من الأمر وقت الشورى واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيا فيها لأخذها لنفسه أو ولأها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص.

قال إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده، سمع عليا يقول يوم مات عبد الرحمن بن عوف: اذهب يا ابن عوف! فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها، الرنق - الكدر. ولكن رضي الله عنه مع كثرة ماله كان يخشى على نفسه من أن يكون انفتاح الدنيا استدراجا من الله له وهذا من تواضعه وتقواه، فروى البخاري في صحيحه من

(١) (٤٤ / ٢٩١) برقم (٢٦٦٩٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال

حديث سعد بن إبراهيم عن أبيه: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة، إن غُطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه - وأراه قال: وقُتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام^(١).

ومما يدل على فضله ومكانته ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شيء، فسبه خالد - وفي رواية أنه قال له: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا^(٢) بها! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣)، وفي رواية: «لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أَحَدٍ - أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ - ذَهَبًا مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ»^(٤).

(١) برقم (٤٠٤٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١ / ٣١٩) برقم (١٣٨١٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات، رجال الشيخين غير أحمد بن عبد الملك الحراني، روى له النسائي وابن ماجه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٤١).

(٤) مسند الإمام أحمد (٢١ / ٣١٩) برقم (١٣٨١٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات.

ومما يدل على علمه وفقهه أن عمر رضي الله عنه رجع لحديثه في سرع ولم يدخل الشام من أجل الطاعون، عندما أخبره بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي خفي على جمع من الصحابة، وهو في الصحيحين^(١).

ورجع إليه كذلك عمر في أخذ الجزية من المجوس، وهو في البخاري^(٢)، وقال عنه عمر: عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين.

قال طلحة بن عبد الله بن عوف: كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف، ثلث يقرضهم، وثلث يقضي دينهم، ويصل ثلثاً.

قال إبراهيم بن عبد الرحمن: عُشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده وجللوه، فأفاق يكبر، فكبر أهل البيت، ثم قال لهم: عُشي علي أنفاً؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم! انطلق بي في عُشيتي رجلاً أنجد فيهما شدة وفضاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقياً رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، فقال: ارجعا فإنه من الذين كتب لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٢١٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٥٦).

سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهراً.

وذكر البخاري في تاريخه من طريق الزهري قال: أوصى عبد الرحمن بن عوف لكل من شهد بدرًا بأربعمائة دينار فكانوا مائة رجل.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان مجدودًا في التجارة، خلف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس، وكان يزرع بالجرف^(١) على عشرين ناضحًا.

قال الذهبي رحمته الله: هذا هو الغني الشاكر، وأويس فقير صابر، وأبو ذر أو أبو عبيدة زاهد عفيف، وقد مات سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنين وهو الأشهر وعاش اثنين وسبعين سنة، وقيل خمسًا وسبعين وقيل ثمانية وسبعين، قال ابن حجر: والأول أثبت، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان ويقال الزبير بن العوام^(٢).

رضي الله عن عبد الرحمن بن عوف، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٨ - ٩٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٤٣ - ٥٤٩).

مقتطفات من سيرة سعيد بن زيد رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نقبتس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها أحداً والخندق والحديبية، وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم بدر لأنه كان غائباً بالشام، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في مهمة يأتي بها عن خبر القوم فلم يشهداها، وكان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة، قد شهد رضي الله عنه معركة اليرموك، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وهو على قيد الحياة.

إنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي

العدوي، كان طوالاً آدم^(١) أشعر، وأمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية، وامراته هي ابنة عمه أخت عمر بن الخطاب. وهو ممن ابتلي وعُذب في أول الإسلام، فروى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن زيد رضي الله عنه يقول للقوم: لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام، أنا وأخته وما أسلم، ولو أن أحداً انقض لما صنعتم بعثمان لكن محقوقاً أن ينقض^(٢).

ووالده زيد بن عمرو العدوي ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام وساح في أرض الشام يتطلب الدين القيم، فرأى النصراني واليهود فكره دينهم، وقال: اللهم إني على دين إبراهيم، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي، ولا رأى من يوقفه عليها، رأى النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل بعثته.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ زَيْدَ ابْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتَّبِعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنِ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبَرَنِي، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَي دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيْبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَتَى أَسْتَطِيعُهُ؟ فَهَلْ تَدُلُّنِي

(١) آدم: أي شديد السمرة.

(٢) برقم (٣٨٦٧).

عَلَى غَيْرِهِ؟، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيْبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنْيَ اسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ^(١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي الْمَوءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَوْتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعَرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنَّ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَوْتَهَا^(٢).

قال سعيد بن جبیر: كان مقام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

(١) برقم (٣٨٢٧) رواه البخاري معلقًا.

(٢) برقم (٣٨٢٨).

وسعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف مع النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا أمامه في القتال وخلفه في الصلاة. وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث رياح بن الحارث: أن المغيرة بن شعبة كان في المسجد الأكبر، وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاءه رجل يُدعى سعيد بن زيد، فحياه المغيرة وأجلسه عند رجله على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب وسب، فقال: من يسب هذا يا مغيرة؟ قال: يسب علي بن أبي طالب، قال: يا مُغير بن شُعب يا مُغير بن شعب - ثلاثاً، ألا أسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسبون عندك لا تنكر ولا تغير، فأنا أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمعت أذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنني لم أكن أروي عنه كذباً يسألني عنه إذا لقيته، أنه قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ»، لو شئت أن أسميه لسميته، قال: فضج أهل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله! من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله، والله عظيم، أنا تاسع المؤمنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر، ثم أتبع ذلك يميناً قال: والله لمشهد شهده رجل يغبر فيه وجهه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمل أحدكم ولو عمر عُمر نوح عليه السلام^(١).

(١) (٣/ ١٧٣ - ١٧٥) برقم (١٦٢٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح. وروي الحديث =

وكان رضي عنه مستجاب الدعوة، فروى البخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه: أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم? قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»، فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال: **اللهم** إن كانت كاذبة فعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت^(١).

قال الذهبي رحمته الله: «لم يكن سعيداً متأخراً عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة، وإنما تركه عمر رضي عنه لئلا يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه ختنه وابن عمه، ولو ذكره في أهل الشورى لقالوا: حابي ابن عمه، فأخرج منها ولده وعصبته، فكذاك فليكن العمل **الله**».

قالت عائشة بنت سعيد: مات أبي بالعقيق فغسله سعد بن أبي وقاص وكفنه وخرج معه، توفي رضي عنه سنة إحدى وخمسين

= بلفظ فيه شيء من الاختلاف عن سابقه وبإضافة: أبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وبدون ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.

(١) صحيح البخاري برقم (٣١٩٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦١٠) واللفظ له.

وهو ابن بضع وسبعين سنة.

قال الذهبي رحمته الله: «فهذا ما تيسر من سيرة العشرة، وهم أفضل قریش وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدرين وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة فأبعد الله الرافضة، ما أغواهم وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم وبخسوا التسعة حقهم وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة، فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تيمم يتجر ويتكسب لا لرغبة في أمواله ولا لرغبة من عشيرته ورجاله، ويحك! أيفعل هذا من له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة ولو جاز وقوعه من جماعة لاستحال وقوعه والحالة هذه من العرف من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في براء الرفض فإنه داء مزمن، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله»^(١). اهـ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ١٢٤ - ١٤٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٢٧ - ٣٣٩).

الكلمة السبعون:

شرح حديث: «من نفس عن مؤمن كربة» الحديث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد..

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا،

نَفْسَ اللَّهِ عَنْهُ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، هذا يرجع على أن
الجزاء من جنس العمل، وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنى،
كقوله ﷺ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(١)، وقوله ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»^(٢).

وقوله ﷺ: «وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ
كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

والكربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في
الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها، مأخوذ من تنفيس
الخناق، كأنه يرخي له الخناق حتى يأخذ نفساً، والتفريج
أعظم من ذلك وهو: أن يزيل عنه الكربة فتفرج عنه كربته
ويزول همه وغمه.

فجزاء التنفيس: التنفيس، وجزاء التفريج: التفريج.

قوله: «كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ولم يقل: من كرب
الدنيا والآخرة كما في التيسير والستر، قيل في مناسبة ذلك:

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٣) من حديث أسامة
ابن زيد رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦١٣) من حديث هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٢)، صحيح مسلم برقم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما.

أن الكرب هي الشدائد العظيمة وليس كل أحد يحصل له ذلك في الدنيا، بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة إلى الستر، فإن أحداً لا يكاد يخلو في الدنيا من ذلك ولو بتعسر بعض الحاجات المهمة، وقيل: لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة لا شيء فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب الآخرة وشدائدها.

قوله ﷺ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

هذا أيضاً يدل على أن الإعسار قد يحصل في الآخرة، وقد وصف الله يوم القيامة بأنه «يوم عسير» فقال: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٢٦].

والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين؛ إما بانظاره إلى الميسرة وذلك واجب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٨٠]، وتارة بالوضع عنه إن كان غريماً، وإلا فبإعطائه ما يزول به إعساره، وكلاهما له فضل عظيم.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا

عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

وأخرج مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّهَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنْفُسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعُ عَنْهُ»^(٢).

قوله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

الستر نوعان: ستر للعورة الحسية، وهي ما بين السرة والركبة للرجل والمرأة كلها عورة. والمسلم إذا أُعطي من الملابس ما يستر عورته. فهذا عمل صالح والله يستره في مقابل هذا الستر ويجزيه من فضله أحسن ما فعل.

النوع الثاني: ستر العورة الدينية، والمقصود بها: المعاصي. فإذا رأى المسلم أخاه على معصية أسر بها وأخفاها فلا يفضحه، وإنما ينصحه ويوجهه ويدعوه بالهداية والاستقامة ولا يشيعها بين الناس، لأن الله قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [سورة النور، آية رقم: ١٩].

وقد رُوي عن بعض السلف قال: أدركت قوماً لم يكن لهم عيوب

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٧٨)، وصحيح مسلم برقم (١٥٦٢).

(٢) برقم (١٥٦٣).

فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوباً. وأدرکت أقواماً كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب للناس فُنسيت عيوبهم.

وشاهد هذا حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَمَّنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبُهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»^(١).

إلا من كان مشتهراً بالمعاصي معلناً بها لا يبالي بما ارتكب منها، فهذا هو الفاجر المعلن، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره ليقام عليه الحد كما صرح بذلك بعض أهل العلم، قال الإمام مالك: وأما من عرف بشرّاً أو فساد فلا أحب أن يشفع له أحد، ولكن يترك حتى يُقام عليه الحد.

قوله صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»، بين النبي صلى الله عليه وسلم أن نفع الناس من أعظم الأعمال والقربات، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ»^(٢).

(١) مسند الإمام أحمد (٣٣/ ٢٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه برقم (١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٧) من حديث أبي =

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» (١).

قال عثمان بن عفان رضي عنه قال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير» (٢).

والصحابه من بعده كانوا يسيرون على منهجه فيخدمون الناس وينفعونهم؛ أبو بكر أسلم وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم في سبيل الله، أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وزنيرة والنهدية وابنتها وجارية بن مؤمل وأم عبيس.

وعمر بن الخطاب رضي عنه كان يتعهد الأراامل يسقي لهم الماء ليلاً، وعثمان بن عفان اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها للغني والفقير وابن السبيل، وغيرهم من الصحابة كانوا كذلك.

قال الذهبي عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وله محبوبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والأمراء ومن التجار

= موسى رضي عنه.

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٩٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٥٣٢) برقم (٥٠٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

والكبراء، وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه .

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا»، سلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو الذهاب إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطريق المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه ودراسته ومذاكرته ومطالعه وكتابته والتفهم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذي طلبه ويسره عليه، فإن العلم طريق موصل إلى الجنة، وقد يراد أيضاً أن الله ييسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله الانتفاع به والعمل بمقتضاه فيكون سبباً لهدايته ولدخول الجنة. وقد ييسر الله لطالب العلم علوماً أخر ينتفع بها، وتكون موصلة إلى الجنة.

وقد يدخل في ذلك أيضاً تسهيل طريق الجنة الحسي يوم القيامة وهو الصراط، وما قبله وما بعده من الأهوال، فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

قوله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، يعني في أي مكان، وإذا كان في المسجد كان ذلك أفضل لما في المسجد من الإعانة على هذا الخير، لأن وجودهم في المسجد من أعظم الأسباب في فراغهم وعنايتهم بالتلاوة وعدم تشاغلهم بشيء بخلاف البيوت، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٨) [سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨].

وقد أخبر النبي ﷺ أن جزاء الذين يجلسون في بيت الله يتدارسون كتاب الله أربعة أشياء:

١- تنزل السكينة عليهم، وهي إما السكون والوقار والخشوع، وإما الملائكة الذين يستمعون القرآن، سموا بذلك لما هم عليه من السكون والخشوع.

٢- غشيان الرحمة: أي تكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم، وإيصالهم إلى جنته وكرامته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾
[سورة الأعراف، آية: ٥٦].

٣- أن الملائكة تحف بهم.

٤- أن الله يذكرهم فيمن عنده.

وذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملائكة الأعلى بين ملائكته ومباهااتهم به وتنويهه بذكره.

وهذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله تعالى. قوله: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»، معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى، لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات، فإن الله رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤] قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ لَا

أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

ويشهد لهذا ما في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لِيُسْوَإِي بِأَوْلِيَاءٍ، إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

يشير إلى أن ولايته لا تنال بالنسب وإن قرب، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان أكمل إيماناً وعملاً فهو أعظم ولاية له، سواء كان له منه نسب قريب أو لم يكن. وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ

فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشُّرْكَ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبٍ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين»^(٣).



(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٥).

(٣) مختصر جامع العلوم والحكم لابن رجب باختصار الشيخ محمد المهنا (ص ١٨٩ - ١٩٥)، شرح رياض الصالحين للشيخ ابن باز رحمته الله (١ / ٤٩٣ - ٤٩٨)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦ / ٦٨٤ - ٦٨٨).

فهرس الموضوعات

الفهرس الأول:

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب

الفهرس الثاني:

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الفهرس الأول

فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب^(١)

الصفحة	الكلمة
--------	--------

(أ) قسم العقيدة

توحيد الربوبية والعبادة

- ١- من وصايا لقمان الحكيم لابنه الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك ... ٣٧٧
- ٢- التولة والتمايم ١١٧
- ٣- الرقى ١٢٣
- ٤- من محاسن الدين الإسلامي ١٣٧
- ٤- ولاية الله ٤٣٩

توحيد الأسماء والصفات

- ١ - شرح اسم الله «العليم» ١٩٧
- ٢ - شرح اسم الله «الجبار» ٤٨٥
- ٣ - شرح اسم الله «الملك - المالك - المليك» ٥٠١
- ٤ - شرح اسم الله «العظيم» ٤٧٥
- ٥ - شرح اسم الله «الستير» ٤٩٣
- ٦ - شرح اسم الله «القوي المتين» ٥١١

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

(ب) قسم التفسير

- ١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا﴾ ١٧٩
- ٢- قصة سحرة فرعون من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ ٤٩
- ٣- فوائد من قصة إسلام سحرة فرعون ٥٩
- ٤- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ...﴾ ١٦١
- ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ ١٨٧
- ٦- تأملات في سورة القدر ٢٠٧
- ٧- وقفات مع سورة التكوير رقم (١) ٣٣٥
- ٨- وقفات مع سورة التكوير رقم (٢) ٣٤٣
- ٩- وقفات مع سورة الغاشية ٣٥١
- ١٠- فوائد من سورة الغاشية ٣٦١
- ١١- تأملات في سورة الأعلى ٣٦٣
- ١٢- فوائد من سورة الأعلى ٣٧٣
- ١٣- وصايا لقمان الحكيم لابنه الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك يا بُني لا تشرك بالله ٣٧٧
- ١٤- وصايا لقمان الحكيم لابنه بر الوالدين ووصينا الإنسان بوالديه ٣٨٥
- ١٥- وصايا لقمان الحكيم لابنه مراقبة الله، وإقامة الصلاة يا بُني أقم الصلاة ٣٩٣
- ١٦- وصايا لقمان الحكيم لابنه واصبر على ما أصابك ٤١٣
- ١٧- وصايا لقمان الحكيم لابنه وأمر بالمعروف ٤٠٣
- ١٨- وصايا لقمان الحكيم لابنه ولا تصعر خدك ٤١٧

- ١٩- وصايا لقمان الحكيم لابنه واقصد في مشيك ٤٣١
 ٢٠- وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ... ٥١٩

(ج) الحديث

- ١- شرح حديث كن في الدنيا ٧
 ٢- شرح حديث حفت الجنة بالمكاره ١٦٥
 ٣- شرح حديث اجتنبوا السبع الموبقات ٧٩
 ٤- شرح حديث سيد الاستغفار ٢٦١
 ٥- شرح حديث من نفس عن مؤمن كربة ٥٦٧

(د) الفقه

- ١- أهل الزكاة ١٤١
 ٢- زكاة عروض التجارة ٦٩
 ٣- من حكم الزكاة والأموال التي تجب فيها ١٤٩
 ٤- شروط الزكاة ٦٣
 ٥- النذر وأحكامه ٢١٣
 ٦- الأيمان وأقسامها ٢١٩
 ٧- القتل الخطأ وأحكامه ٢٣٧

الوصايا

- ١- بعض وصايا النبي ﷺ لأصحابه ٩٧
 ٢- وصايا لرجال الأمن ١٧١
 ٣- وصايا لقمان الحكيم لابنه الأمر بالتوحيد ٣٧٧

- ٤- وصايا لقمان الحكيم لابنه بر الوالدين ٣٨٥
- ٥- وصايا لقمان الحكيم لابنه مراقبة الله وإقامة الصلاة ٣٩٣
- ٦- وصايا لقمان الحكيم لابنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٠٣
- ٧- وصايا لقمان الحكيم لابنه الصبر على الأذى في سبيل الله ٤١٣
- ٨- وصايا لقمان الحكيم لابنه الأمر بالتواضع ٤١٧
- ٩- وصايا لقمان الحكيم لابنه التوسط في الأمور ٤٣١

المنهيات

- ١- حقوق العمال والتحذير من ظلمهم ٢٣١

الأذكار

- ١- البسمة ومواضعها رقم (١) ١٠٣
- ٢- البسمة ومواضعها رقم (٢) ١١١
- ٣- من فضائل الحمد ٤٥٥
- ٤- المواضع التي يشرع فيها الحمد ٤٦٥

موضوعات تهتم الأسرة

- ١- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (١) ٢٦٧
- ٢- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٢) ٢٧٧
- ٣- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٣) ٢٨٧
- ٤- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٤) ٢٩٣
- ٥- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٥) ٣٠٩
- ٦- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٦) ٣١٥
- ٧- السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح رقم (٧) ٣٢٣

الأخلاق

- ١- المساحة في أخلاق الناس ٨٧
- ٢- المروءة ٤٤٧

السير

- ١- تأملات سيرة عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه ١٣١
- ٢- مقتطفات من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما ٢٤١
- ٣- مقتطفات من سيرة فاطمة بنت النبي رضي الله عنها ٢٥١
- ٤- مقتطفات من سيرة سعيد بن زيد رضي الله عنه ٥٦١
- ٥- مقتطفات من سيرة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ٥٥٣
- ٦- غزوة تبوك أو العسرة ٥٢٧
- ٧- دروس وعبر من غزوة تبوك ٥٤٣

الشمائل المحمدية

- ١- بعض وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ٩٧
- ٢- تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع صغار الصحابة ١٥٥

قصص الأنبياء وغيرهم

- ١- قصة نبي الله هود عليه السلام ١٣
- ٢- بعض الفوائد من قصة نبي الله هود عليه السلام ٢٣
- ٣- قصة نبي الله صالح عليه السلام ٢٩
- ٤- فوائد من قصة نبي الله صالح عليه السلام ٤١
- ٥- قصة سحرة فرعون لعنه الله ٤٩
- ٦- فوائد من قصة إسلام سحرة فرعون ٥٩

الفهرس الثاني

فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الصفحة	الكلمة
٥	المقدمة
٧	الكلمة الأولى شرح حديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»
١٣	الكلمة الثانية: قصة نبي الله هود <small>عليه السلام</small>
٢٣	الكلمة الثالثة: بعض الفوائد من قصة نبي الله هود <small>عليه السلام</small>
٢٩	الكلمة الرابعة: قصة نبي الله صالح <small>عليه السلام</small>
٤١	الكلمة الخامسة: فوائد من قصة نبي الله صالح <small>عليه السلام</small>
٤٩	الكلمة السادسة: قصة سحرة فرعون لعنه الله
٥٩	الكلمة السابعة: فوائد من قصة إسلام سحرة فرعون
٦٣	الكلمة الثامنة: شروط الزكاة
٦٩	الكلمة التاسعة: زكاة عروض التجارة
٧٩	الكلمة العاشرة: شرح حديث: «اجتنبوا السبع الموبقات»
٨٧	الكلمة الحادية عشرة: المساحة في أخلاق الناس
٩٧	الكلمة الثانية عشرة: بعض وصايا النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> لأصحابه

- الكلمة الثالثة عشرة: البسمة ومواضعها رقم (١) ١٠٣
- الكلمة الرابعة عشرة: البسمة ومواضعها رقم (٢) ١١١
- الكلمة الخامسة عشرة: التولة والتمايم ١١٧
- الكلمة السادسة عشرة: الرقى ١٢٣
- الكلمة السابعة عشرة: سيرة عبد الله بن عمرو بن حرام ١٣١
- الكلمة الثامنة عشرة: من محاسن الدين الإسلامي ١٣٧
- الكلمة التاسعة عشرة: من حكم الزكاة والأموال التي تجب فيها ١٤١
- الكلمة العشرون: من حكم الزكاة ١٤٩
- الكلمة الواحدة والعشرون: تعامل النبي ﷺ مع صغار المسلمين ١٥٥
- الكلمة الثانية والعشرون: تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] ١٦١
- الكلمة الثالثة والعشرون: شرح حديث: «حفت الجنة بالمكاره» ... ١٦٥
- الكلمة الرابعة والعشرون: وصايا لرجال الأمن ١٧١
- الكلمة الخامسة والعشرون: تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٧٩
- الكلمة السادسة والعشرون: تأملات في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] ١٨٧
- الكلمة السابعة والعشرون: شرح اسم الله العليم ١٩٧
- الكلمة الثامنة والعشرون: تأملات في سورة القدر ٢٠٧

- الكلمة التاسعة والعشرون: النذر وأحكامه ٢١٣
- الكلمة الثلاثون: الأيمان وأقسامها ٢١٩
- الكلمة الواحدة والثلاثون: حقوق العمال والتحذير من ظلمهم ٢٣١
- الكلمة الثانية والثلاثون: القتل الخطأ وأحكامه ٢٣٧
- الكلمة الثالثة والثلاثون: مقتطفات من سيرة الحسن بن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه ٢٤١
- الكلمة الرابعة والثلاثون: مقتطفات من سيرة فاطمة بنت محمد
ابن عبد الله رضي الله عنه ٢٥١
- الكلمة الخامسة والثلاثون: شرح حديث سيد الاستغفار ٢٦١
- الكلمة السادسة والثلاثون: السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (١) ٢٦٧
- الكلمة السابعة والثلاثون: السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (٢) ٢٧٧
- الكلمة الثامنة والثلاثون: السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (٣) ٢٨٧
- الكلمة التاسعة والثلاثون: السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (٤) ٢٩٣
- الكلمة الأربعون: أسباب السعادة والنجاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (٥) ٣٠٩
- الكلمة الواحدة والأربعون: السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (٦) ٣١٥

- الكلمة الثانية والأربعون: السعادة والفلاح في فهم مقاصد النكاح
رقم (٧) ٣٢٣
- الكلمة الثالثة والأربعون: وقفات مع سورة التكوير (١) ٣٣٥
- الكلمة الرابعة والأربعون: سورة التكوير رقم (٢) ٣٤٣
- الكلمة الخامسة والأربعون: سورة الغاشية ٣٥١
- الكلمة السادسة والأربعون: فوائد من سورة الغاشية ٣٦١
- الكلمة السابعة والأربعون: تأملات في سورة الأعلى ٣٦٣
- الكلمة الثامنة والأربعون: فوائد من سورة الأعلى ٣٧٣
- الكلمة التاسعة والأربعون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك) ٣٧٧
- الكلمة الخمسون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه: (بر الوالدين) ٣٨٥
- الكلمة الواحدة والخمسون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(مراقبة الله، وإقامة الصلاة) ٣٩٣
- الكلمة الثانية والخمسون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ٤٠٣
- الكلمة الثالثة والخمسون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
الصبر على الأذى في سبيل الله ٤١٣
- الكلمة الرابعة والخمسون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:
(الأمر بالتواضع والنهي عن التكبر) ٤١٧
- الكلمة الخامسة والخمسون: وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:

- ٤٣١ (التوسط في الأمور)
- ٤٣٩ الكلمة السادسة والخمسون: ولاية الله.
- ٤٤٧ الكلمة السابعة والخمسون: (المروءة).
- ٤٥٥ الكلمة الثامنة والخمسون: من فضائل الحمد
- ٤٦٥ لكلمة التاسعة والخمسون: المواضع التي يشرع فيها الحمد ...
- ٤٧٥ الكلمة الستون: شرح اسم الله: «العظيم»
- ٤٨٥ الكلمة الواحدة والستون: شرح اسم الله: «الجبار»
- ٤٩٣ الكلمة الثانية والستون: شرح اسم الله: «الستير»
- ٥٠١ الكلمة الثالثة والستون: شرح اسم الله: «الملك المالك المليك»
- ٥١١ الكلمة الرابعة والستون: شرح اسم الله: «القوي المتين»
- الكلمة الخامسة والستون: وقفات مع قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
- ٥١٩ وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾
- ٥٢٧ الكلمة السادسة والستون: غزوة تبوك أو العسرة
- ٥٤٣ الكلمة السابعة والستون: دروس وعبر من غزوة تبوك
- ٥٥٣ الكلمة الثامنة والستون: مقتطفات من سيرة عبد الرحمن بن عوف رضي عنه
- ٥٦١ الكلمة التاسعة والستون: مقتطفات من سيرة سعيد بن زيد رضي عنه
- ٥٦٧ الكلمة السبعون: شرح حديث: «من نفس عن مؤمن كربة» الحديث
- ٥٨٥ فهرس الموضوعات



صدر للمؤلف

- ١- تعارض أحكام الإمام محمد بن حبان البستي على بعض الرواة في كتابيه الثقات والمجروحين. رسالة ماجستير (مطبوع).
- ٢- حَدَّثٌ غَيْرٌ مَجْرَى التَّارِيخِ. رسالة دكتوراه (مطبوع).
- ٣- موسوعة الدرر المنتقاة [١-٣] (مطبوع).
- ٤- موسوعة الدرر المنتقاة [٤-٥] (مطبوع).
- ٥- موسوعة الدرر المنتقاة [٦-٧] (مطبوع).
- ٦- موسوعة الدرر المنتقاة [٨-٩] (مطبوع).
- ٧- موسوعة الدرر المنتقاة [١٠] (مطبوع).
- ٨- موسوعة الدرر المنتقاة [١١] (مطبوع).
- ٩- موسوعة الدرر المنتقاة [١٢] (مطبوع).
- ١٠- البركة: كيف يحصل عليها المسلم في ماله، ووقته، وسائر شؤونه (مطبوع).
- ١١- كيف تلقي خطبة أو كلمة مؤثرة (مطبوع).
- ١٢- التجارة والأسواق: نصائح وأحكام (مطبوع).
- ١٣- خطبة الجمعة فوائد وتنبهات ويليه سبع رسائل (مطبوع).
- ١٤- المسلمون في بلاد الغربية (مطبوع).



قالوا عن الموسوعة

لم أحتج مادة علمية فيما أخطب فيه عامة المسلمين إلا وأستعفتني موسوعة الدرر ، فلا يستغني عنها الداعية ، وطالب العلم ، وعامة المسلمين ، فقد اعتنى فيها مؤلفها بالموضوع ، والمادة ، والتوثيق .
ولا اعلم كتابا حتى الان جمع هذه الموضوعات بهذا التنوع والكثرة مثل الموسوعة المباركة موسوعة الدرر .

الشيخ حمد بن عبدالله الجمعة

إن موسوعة الدرر موسوعة وعظية ، تربوية ، من أنفع ما قرأت في هذا الباب جمع فيها مؤلفها أشتاتا من الموضوعات المهمة ، والمتنوعة ، وتناولها بطريقة مميزة وميسرة مع الإستنباطات الدقيقة ، وربط الموضوعات بواقع الناس .

أ.د. أحمد بن محمد الخليل - أستاذ الدراسات العليا ، بجامعة القصيم

للتواصل مع المؤلف جوال : ٠٥٠٤٤٢٠٥٦٠

البريد الإلكتروني : ameen-99@hotmail.com